مرکز القائمیة اصفهان للبحوث والتحریات الکمبیوتریة

السلام علیک یا صاحب الزمان

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

شرح نهج البلاغة

تأليف
كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم
البحراني
المتوفى [illegible]

المجلد ١ - ٥

منشورات
دار الثقلين
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحیم

شرح نهج البلاغه (ابن میثم)

کاتب:

کمال الدین میثم بن علی بن میثم ابن میثم بحرانی

نشرت فی الطباعهٔ:

دار الثقلین

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الفهرس ----- ۵

شرح نهج البلاغه (ابن میثم) ----- ۲۱۶

اشاره ----- ۲۱۶

المجلد ۱ ----- ۲۱۶

مقدمه المؤلف ----- ۲۱۶

القاعده الاولى فى مباحث الألفاظ ----- ۲۲۱

اشاره ----- ۲۲۱

القسم الأوّل فى دلاله الألفاظ و أقسامها و أحكامها ----- ۲۲۱

اشاره ----- ۲۲۱

الفصل الأوّل فى دلاله اللفظ على المعنى ----- ۲۲۱

اشاره ----- ۲۲۱

البحث الأوّل:دلاله اللفظ إمّا على تمام مسمّاه أو على جزء مسمّاه ----- ۲۲۱

البحث الثانى الدلاله الاولى هى الّتى بحسب الوضع الصرف ----- ۲۲۱

البحث الثالث ظهر ممّا ذكرنا أنّه يعتبر فى الدلاله التضمنيه ----- ۲۲۳

البحث الرابع دلاله الحقيقيّه هى الدلاله الوضعيّه الصرفه ----- ۲۲۳

الفصل الثانى فى تقسيم الألفاظ و فيه أبحاث. ----- ۲۲۴

البحث الأوّل اللفظ إمّا أن لا يراد بالجزء منه دلاله أصلا على شىء ----- ۲۲۴

البحث الثانى اللفظ المفرد إمّا أن يكون نفس تصوّر معناه ----- ۲۲۴

البحث الثالث الكلى إمّا أن يدلّ على ماهيّه شىء ----- ۲۲۴

البحث الرابع اللفظ و المعنى إمّا أن يتحدّا أو يتكثّرا ----- ۲۲۵

البحث الخامس اللفظ المفرد إمّا أن لا يستقلّ معناه بالمفهوميّه ----- ۲۲۷

البحث السادس اللفظ المركّب إمّا أن يكون قابلا للتصديق و التكذيب ----- ۲۲۷

البحث السابع اللفظ قد يكون مدلوله لفظا مفردا أو مركّبا ----- ۲۲۷

البحث الثامن اللفظ المفرد إذا دلّ بالالتزام على معنى ----- ۲۲۷

الفصل الثالث فی الاشتقاق و فیه أبحاث. ----- ۲۲۸
البحث الأوّل فی حقیقه الاشتقاق ----- ۲۲۸
البحث الثانی اختلف الناس فی أنّه هل یجوز صدق المشتقّ منفکّا ----- ۲۲۸
البحث الثالث اختلفوا أیضا فی أنّه هل یشترط فی صدق المشتقّ ----- ۲۲۹
البحث الرابع اختلفوا أیضا فی أنّ المعنی القائم بالمحلّ ----- ۲۳۰
البحث الخامس مفهوم المشتقّ کالماشی مثلا إنّه شیء ما ذو مشی ----- ۲۳۰
الفصل الرابع فی الترادف و التوکید ----- ۲۳۰
اشاره ----- ۲۳۰
البحث الأوّل فی ماهیّتهما ----- ۲۳۰
البحث الثانی فی أسباب الترادف ----- ۲۳۰
البحث الثالث أنّه هل یصحّ إقامه کلّ واحد من المترادفین مقام الآخر ----- ۲۳۲
البحث الرابع فی أقسام التوکید المؤکّد ----- ۲۳۲
البحث الخامس فی حسن استعماله ----- ۲۳۲
الفصل الخامس فی المشترک ----- ۲۳۳
اشاره ----- ۲۳۳
البحث الأوّل فی حقیقته و إمکانه و وجوده ----- ۲۳۳
البحث الثانی فی أقسامه مفهوما ----- ۲۳۳
البحث الثالث فی أسبابه ----- ۲۳۴
البحث الرابع فی أنّه هل یجوز استعمال اللفظ المشترک فی معانیه علی الجمع ----- ۲۳۴
البحث الخامس فیما یتعیّن به مراد اللافظ باللفظ المشترک. ----- ۲۳۶
القسم الثانی فی کیفیّات تلحق الألفاظ بالنسبه إلی معانیها ----- ۲۳۶
اشاره ----- ۲۳۶
أمّا المقدّمه ----- ۲۳۶
اشاره ----- ۲۳۶
البحث الأوّل فی حدّ البلاغه و الفصاحه ----- ۲۳۶
البحث الثانی فی موضوع علم الفصاحه و البلاغه ----- ۲۳۷

الجمله الاولى فى المفردات ---------- ۲۳۸
اشاره ---------- ۲۳۸
أمّا المقدّمه ---------- ۲۳۹
الباب الأوّل فى المحاسن العائده إلى اللفظ ---------- ۲۳۹
الفصل الأوّل فيما يتعلّق بآحاد الحروف و تركيبها ---------- ۲۳۹
البحث الأوّل فى مخارج الحروف و هى ستّه عشر ---------- ۲۳۹
البحث الثانى فى المحاسن بسبب آحاد الحروف و شروط تركيبها ---------- ۲۴۰
البحث الثالث فيما يتعلّق بالكلمه الواحده ---------- ۲۴۱
الفصل الثانى فيما يتعلّق بالكلمات المركّبه ---------- ۲۴۱
النوع الأوّل ما يكفى فى تحقّقه اعتبار حال كلمتين ---------- ۲۴۱
البحث الأوّل فى التجنيس: ---------- ۲۴۱
البحث الثانى فى الاشتقاق ---------- ۲۴۴
البحث الثالث فى ردّ العجز على الصدر ---------- ۲۴۴
البحث الرابع فى القلب ---------- ۲۴۶
النوع الثانى ما يحتاج إلى أزيد من كلمتين ---------- ۲۴۶
البحث الأوّل فى السجع ---------- ۲۴۷
البحث الثانى فى تضمين المزدوج ---------- ۲۴۸
البحث الثالث فى الترصيع ---------- ۲۴۸
الباب الثانى فيما يتعلّق بالدلاله الوضعيّه و المعنويّه ---------- ۲۴۸
الفصل الأوّل فى أحكام الخبر ---------- ۲۴۸
البحث الأوّل فى رسم الخبر ---------- ۲۵۰
البحث الثانى أنّه ليس الغرض الأوّل من وضع الألفاظ المفرده ---------- ۲۵۰
البحث الثالث فى الفرق بين الإخبار بالاسم و الإخبار بالفعل ---------- ۲۵۱
البحث الرابع فى حكم المبتدأ و الخبر: ---------- ۲۵۱
الفصل الثانى فى الحقيقه و المجاز ---------- ۲۵۲
البحث الأوّل فى معنى الحقيقه و المجاز و حدّهما. ---------- ۲۵۲

البحث الثانى فيما به يتحقّق المجاز لا بدّ فيه من أمرين ----- ۲۵۲
البحث الثالث فى أقسام المجاز: ----- ۲۵۲
البحث الرابع فى أصناف المجاز ----- ۲۵۳
البحث الخامس المجاز بالذات لا يدخل إلاّ على أسماء الأجناس ----- ۲۵۴
البحث السادس فى الداعى إلى التكلّم بالمجاز: ----- ۲۵۴
البحث السابع-فيما تنفصل به الحقيقه عن المجاز. ----- ۲۵۵
الفصل الثالث فى التشبيه ----- ۲۵۶
الركن الأوّل-فى المتشابهين. ----- ۲۵۶
الركن الثانى فيما به التشبيه ----- ۲۵۷
البحث الأوّل فى أقسامه ----- ۲۵۷
البحث الثانى فى تقسيمه بوجه آخر ----- ۲۵۷
البحث الثالث فى بيان أنّ التشبيه بالوجه العقلى أعمّ ----- ۲۵۸
البحث الرابع-التشبيه بالوصف المحسوس أتمّ من التشبيه بالوصف المعقول ----- ۲۵۸
البحث الخامس فى تقسيم ما به المشابهه إلى المفرد و المركّب: ----- ۲۵۹
البحث السادس فى التشبيهات المتعدده المجتمعه ----- ۲۶۰
البحث السابع-يجب مراعاه جهه التشبيه و لا يجوز تعدّيها ----- ۲۶۰
البحث الثامن فى اكتساب وجه المشابهه ----- ۲۶۰
الركن الثالث فى غرض التشبيه ----- ۲۶۱
الركن الرابع فى التشبيه نفسه ----- ۲۶۲
البحث الأوّل-التشبيه ليس من المجاز ----- ۲۶۲
البحث الثانى فى التشبيه الذّى يصحّ عكسه ----- ۲۶۲
البحث الثالث فى التشبيه الواقع فى الهيئات ----- ۲۶۲
البحث الرابع فى مراتب التشبيه فى الخفاء و الظهور: ----- ۲۶۴
البحث الخامس فى التمثيل و المثل: ----- ۲۶۴
الفصل الرابع فى الاستعاره ----- ۲۶۵
الركن الأوّل فى حقيقتها و أحكامها ----- ۲۶۵

البحث الأوّل-أجود ما قيل فی حدّ الاستعاره ---------- ۲۶۵
البحث الثانی الفرق بین الاستعاره و التشبیه: ---------- ۲۶۵
البحث الثالث فی ترشیح الاستعاره و تجریدها ---------- ۲۶۶
البحث الرابع فی الاستعاره بالکنایه و تنزیلها منزله الحقیقه ---------- ۲۶۶
البحث الخامس فی شرط حسن الاستعاره ---------- ۲۶۷
الرکن الثانی فی أقسام الاستعاره ---------- ۲۶۷
البحث الأوّل الاستعاره-قد تعتمد نفس التشبیه ---------- ۲۶۷
البحث الثانی و اعلم أنّ القسم الأوّل علی أربعه أقسام ---------- ۲۶۹
الفصل الخامس فی الکنایه ---------- ۲۷۰
البحث الأوّل فی حقیقتها: ---------- ۲۷۰
البحث الثانی فی الفرق بینها و بین المجاز: ---------- ۲۷۰
الجمله الثانیه فی النظم ---------- ۲۷۱
اشاره ---------- ۲۷۱
الفصل الأوّل فی حقیقته ---------- ۲۷۱
الفصل الثانی فی أقسام النظم ---------- ۲۷۱
الفصل الثالث فی التقدیم و التأخیر ---------- ۲۷۵
البحث الأوّل فی فائدتهما ---------- ۲۷۵
البحث الثانی فی التقدیم و التأخیر فی الاستفهام: ---------- ۲۷۵
البحث الثالث فی التقدیم و التأخیر فی حرف النفی: ---------- ۲۷۶
البحث الرابع فی التقدیم و التأخیر فی الخبر المثبت و المنفیّ: ---------- ۲۷۶
البحث الخامس فی تقدیم حرف السلب علی العموم و تأخّره عنه: ---------- ۲۷۶
البحث السادس فی استیفاء أقسام التقدیم و التأخیر: ---------- ۲۷۷
الفصل الرابع فی الفصل و الوصل ---------- ۲۷۹
البحث الاول-فائده العطف التشریک فی الحکم بین المعطوف و المعطوف علیه ---------- ۲۷۹
البحث الثانی فی عطف الجمل علی الجمل ---------- ۲۸۰
الفصل الخامس فی الحذف و الإضمار ---------- ۲۸۰

البحث الأوّل فی حذف المفعول و المبتدأ و الخبر ۲۸۰
البحث الثانی فی الإیجاز ۲۸۱
الفصل الثالث فی أحکام إنّ و إنّما و ما فی حکمها ۲۸۱
البحث الأوّل فی فوائد إنّ ۲۸۱
البحث الثانی فی فائده إنّما ۲۸۲
البحث الثالث-إنّ ما و إلاّ إذا دخلت علی الجمله ۲۸۳
القاعده الثانیه فی الخطابه ۲۸۴
اشاره ۲۸۴
البحث الأوّل فی حقیقه الخطابه و فائدتها ۲۸۴
البحث الثانی فی موضع الخطابه و أجزائها ۲۸۵
البحث الثالث فی مبادئ الخطابه: ۲۸۶
البحث الرابع فی أقسام الخطابه بحسب أقسام أغراضها: ۲۸۹
البحث الخامس فی أنواع مشترکه للأمور الخطابیّه الثلاثه: ۲۹۲
البحث السادس فی تحسینات الخطابه: ۲۹۵
خاتمه لهذه القاعده: ۲۹۷
القاعده الثالثه فی بیان أنّ علیّا علیه السّلام کان مستجمعا للفضائل ۲۹۹
اشاره ۲۹۹
الفصل الأوّل فی فضائله اللاحقه له من خارج ۲۹۹
الفصل الثانی فی بیان فضائله النفسانیّه ۳۰۳
اشاره ۳۰۳
البحث الأوّل فی أنّه علیه السّلام کان مستجمعا لکمال قوّته النظریّه ۳۰۳
البحث الثانی فی بیان کماله فی قوّته العلمیّه ۳۰۴
الفصل الثالث فی صدور الکرامات عنه ۳۰۵
اشاره ۳۰۵
البحث الأوّل فی إخباره عن الامور الغیبیّه ۳۰۶
البحث الثانی فی بیان صدور الأفعال الخارقه للعاده عنه ۳۰۹

خطبه الكتاب ----- ۳۱۳
باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السّلام ----- ۳۳۰
اشاره ----- ۳۳۰
۱-و من خطبه له عليه السّلام ----- ۳۳۰
اشاره ----- ۳۳۰
الفصل الاول فی تصديرها بذكر اللّه جلّ جلاله و تمجيده و الثناء عليه بما هو أهله ----- ۳۳۰
اشاره ----- ۳۳۰
قوله الّذی لا يبلغ مدحته القائلون . ----- ۳۳۴
قوله و لا يحصی نعماؤه العادّون . ----- ۳۳۵
قوله و لا يؤدّی حقّه المجتهدون. ----- ۳۳۷
قوله الّذی لا يدركه بعد الهمم و لا يناله غوص الفطن. ----- ۳۳۸
قوله الّذی ليس لصفته حدّ محدود و لا نعت موجود. ----- ۳۳۹
قوله و لا وقت معدود و لا أجل ممدود. ----- ۳۳۹
قوله الّذی فطر الخلائق بقدرته و نشر الرياح برحمته . ----- ۳۴۰
قوله و وتد بالصخور ميدان أرضه. ----- ۳۴۱
اشاره ----- ۳۴۱
البحث الأوّل فی أنّ قول القائل وتدت كذا بكذا ----- ۳۴۱
البحث الثانی أنّ تعليل وجود الجبال بميدان الأرض ----- ۳۴۱
الوجه الأوّل ----- ۳۴۲
الوجه الثانی ما ذكره هو ----- ۳۴۲
الوجه الثالث أن نقول: ----- ۳۴۲
الوجه الرابع قال بعض العلماء: ----- ۳۴۳
الوجه الخامس ----- ۳۴۳
قوله أوّل الدين معرفته. ----- ۳۴۳
قوله و كمال معرفته التصديق إلى قوله نفی الصفات عنه. ----- ۳۴۴
قوله و من أشار إليه فقد حدّه و من حدّه فقد عدّه. ----- ۳۴۸

قوله و من قال فيم فقد ضمّنه و من قال علام فقد أخلى منه. ----- ۳۴۹
قوله كائن لا عن حدث موجود لا عن عدم. ----- ۳۵۱
قوله مع كلّ شیء لا بمقارنه و غير كلّ شیء لا بمزائله. ----- ۳۵۲
قوله فاعل لا بمعنى الحركات و الآله. ----- ۳۵۲
قوله بصير إذ لا منظور إليه من خلقه. ----- ۳۵۳
قوله متوحّد إذ لا سكن يستأنس به و لا يستوحش لفقده. ----- ۳۵۴
الفصل الثانى فى نسبه إيجاد العالم إلى قدره اللّه تعالى جملا و تفصيلا و فى كيفيّه ----- ۳۵۴
اشاره ----- ۳۵۴
اللغه ----- ۳۵۶
و لنرجع إلى المعنى ----- ۳۵۸
اشاره ----- ۳۵۸
أنشأ الخلق إنشاء و ابتدئه ابتداء ----- ۳۵۸
قوله بلا رويّه أجالها و لا تجربه استفادها و لا حركه أحدثها و لا همامه نفس اضطرب فيها. ----- ۳۵۸
قوله أحال الأشياء لأوقاتها و لائم بين مختلفاتها و غرّز غرائزها و ألزمها أشباحها. ----- ۳۵۹
قوله عالما بها قبل ابتدائها محيطا بحدودها و انتهائها عارفا بقرائنها و أحنائها. ----- ۳۶۰
قوله ثمّ أنشأ سبحانه فتق الأجواء إلى قوله فسوّى منه سبع سماوات ----- ۳۶۲
البحث الأوّل ----- ۳۶۲
البحث الثانی- أنّ هذه الإشاره وردت فى القرآن الكريم ----- ۳۶۲
البحث الثالث-قوله و أدام مربّها ----- ۳۶۴
البحث الرابع أنّ القرآن الكريم نطق بأنّ السماء تكوّنت من الدخان ----- ۳۶۵
البحث الخامس ----- ۳۶۶
الوجه الأوّل ----- ۳۶۶
الوجه الثانی ----- ۳۶۹
قوله جعل سفلاهنّ مفوفا إلى قوله و سقف سائر و رقيم مائر. ----- ۳۷۰
البحث الأوّل-هذا الكلام يجرى مجرى الشرح و التفسير لقوله فسوّى ----- ۳۷۰
البحث الثانی-فى هذا الفصل استعارات: ----- ۳۷۱

البحث الثالث- ---------- ۳۷۳
البحث الرابع-الشرع و البرهان قد تطابقا على أنّ هاهنا تسع أفلاک بعضها فوق ---------- ۳۷۴
قوله ثمّ فتق ما بین السماوات و العلی إلی قوله و لا یشیرون إلیه بالنظائر ---------- ۳۷۷
البحث الأوّل-هذا الفصل أیضا من تمام التفسیر ---------- ۳۷۷
البحث الثانی ---------- ۳۷۸
البحث الثالث-الملائکه علی أنواع کثیره و مراتب متفاوته ---------- ۳۷۹
البحث الرابع-أنّه علیه السّلام ذکر من الملائکه أنواعا ---------- ۳۸۴
الفصل الثالث فی کیفیّه خلق آدم علیه السلام. ---------- ۳۹۲
اشاره ---------- ۳۹۲
قوله ثمّ جمع سبحانه من حزن الأرض إلی قوله و تناسل ---------- ۳۹۴
اشاره ---------- ۳۹۴
اللغه ---------- ۳۹۴
للناس فی هذه القصّه ---------- ۳۹۵
الطریق الأوّل-أنّ جمهور المسلمین من المفسّرین و المتکلّمین حملوا هذه القصّه علی ---------- ۳۹۵
البحث الأوّل-أنّ هذه قد کرّرها سبحانه فی کتابه الکریم فی سبع سور ---------- ۳۹۵
البحث الثانی-أنّ اللّه تعالی أشار فی مواضع من کتابه الکریم إلی خلق آدم من تراب ---------- ۳۹۶
البحث الثالث أجمع المسلمون علی أنّ سجود الملائکه لآدم لم یکن سجوده عباده ---------- ۳۹۷
البحث الرابع-اختلفوا فی الملائکه الّذین امروا بالسجود لآدم ---------- ۳۹۷
البحث الخامس-أکثر المتکلّمین لا سیّما المعتزله علی أنّ إبلیس لم یکن من ---------- ۳۹۸
البحث السادس-اختلفوا فی سبب عداوه إبلیس لآدم ---------- ۳۹۸
البحث السابع-احتجّت الأشعریّه علی أنّه تعالی قدیر أن یلق الکفر فی الکافرین ---------- ۳۹۹
البحث الثامن ---------- ۴۰۰
البحث التاسع-فی حقیقه التوبه ---------- ۴۰۱
البحث العاشر-فیما عساه یبقی من المقاصد المشکله فی هذه القصّه. ---------- ۴۰۲
الطریق الثانی و اعلم أنّ ---------- ۴۰۳
المقدّمه ---------- ۴۰۳

المقدّمه الثانيه قد علمت أنّ الملک عندهم اسم مشترک يقع على حقائق مختلفه ----- ۴۰۸
المقدّمه الثالثه-قالوا:کلّ ما يتوالد فلا يستحيل فى أصله أن يکون متولّدا ----- ۴۰۹
الفصل الرابع قوله و اصطفى سبحانه... ----- ۴۲۲
اشاره ----- ۴۲۲
اللغه ----- ۴۲۴
المعنى ----- ۴۲۴
و ----- ۴۲۴
البحث الأوّل ----- ۴۲۴
البحث الثانى-فى فضيله الکتاب ----- ۴۳۲
البحث الثالث-فى وظائفه ----- ۴۳۳
قوله و خلّف فيکم ما خلّف الأنبياء فى اممها إذ لم يترکوهم هملا بغير طريق واضح و لا علم قائم ----- ۴۴۲
قوله کتاب ربّکم ----- ۴۴۲
قوله:مبيّنا ----- ۴۴۳
قوله و حلاله و حرامه و فضائله و فرائضه ----- ۴۴۳
و قوله بين مأخوذ ميثاق علمه و موسّع على العباد فى جهله إلى آخره ----- ۴۴۵
الفصل الخامس منها.قوله: فى ذکر الحج ----- ۴۴۶
اشاره ----- ۴۴۶
اللغه ----- ۴۴۷
المعنى ----- ۴۴۷
اشاره ----- ۴۴۷
هاهنا أبحاث. ----- ۴۴۷
البحث الأوّل-أمّا الفضيله ----- ۴۴۷
البحث الثانى-فى الآداب الدقيقه ----- ۴۴۸
البحث الثالث-فى الوظائف القلبيّه عند کلّ عمل من أعمال الحجّ. ----- ۴۵۰
۲-و من خطبه له عليه السّلام ----- ۴۵۹
اشاره ----- ۴۵۹

القسم الأول ---------- ۴۵۹
اشاره ---------- ۴۵۹
اللغه ---------- ۴۶۰
المعنى ---------- ۴۶۰
القسم الثانى و منها يعنى آل النبى عليه الصلاه و السّلام ---------- ۴۶۹
اشاره ---------- ۴۶۹
اللغه ---------- ۴۶۹
المعنى ---------- ۴۶۹
القسم الثالث و منها يعنى قوما آخرين: ---------- ۴۷۰
اشاره ---------- ۴۷۰
اللغه ---------- ۴۷۰
المعنى ---------- ۴۷۰
۳-و من خطبه له عليه السّلام ---------- ۴۷۳
اشاره ---------- ۴۷۳
اللغه ---------- ۴۷۷
المعنى ---------- ۴۷۸
۴-و من خطبه له عليه السلام ---------- ۴۹۴
اشاره ---------- ۴۹۴
اللغه ---------- ۴۹۴
المعنى ---------- ۴۹۵
۵-و من كلام له عليه السّلام ---------- ۵۰۰
اشاره ---------- ۵۰۰
اللغه ---------- ۵۰۱
المعنى ---------- ۵۰۱
۶-و من كلام له عليه السّلام ---------- ۵۰۴
اشاره ---------- ۵۰۴

اللغه ----- ۵۰۵
المعنی ----- ۵۰۵
۷-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۵۰۵
اشاره ----- ۵۰۵
اللغه ----- ۵۰۶
المعنی ----- ۵۰۶
۸-و من کلام له علیه السّلام ----- ۵۰۷
اشاره ----- ۵۰۷
اللغه ----- ۵۰۷
المعنی ----- ۵۰۷
۹-و من کلام له علیه السّلام ----- ۵۰۸
اشاره ----- ۵۰۸
اللغه ----- ۵۰۸
المعنی ----- ۵۰۸
۱۰-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۵۰۹
اشاره ----- ۵۰۹
اللغه ----- ۵۰۹
المعنی ----- ۵۰۹
۱۱-و من کلام له علیه السّلام ----- ۵۱۰
اشاره ----- ۵۱۰
اللغه ----- ۵۱۱
المعنی ----- ۵۱۱
۱۲-و من کلام له علیه السّلام ----- ۵۱۲
اشاره ----- ۵۱۲
المعنی ----- ۵۱۲
۱۳-و من کلام له علیه السّلام ----- ۵۱۳

اشاره -- ۵۱۳
القسم الأول --- ۵۱۳
اشاره --- ۵۱۳
اللغه -- ۵۱۴
المعنی --- ۵۱۴
القسم الثانی -- ۵۱۸
اشاره --- ۵۱۸
اللغه -- ۵۱۸
المعنی --- ۵۱۸
۱۴-و من کلام له علیه السّلام -- ۵۱۹
اشاره -- ۵۱۹
اللغه --- ۵۱۹
۱۵-و من خطبه له علیه السّلام لما بویع بالمدینه --- ۵۲۰
القسم الأول --- ۵۲۰
اشاره --- ۵۲۰
اللغه -- ۵۲۲
المعنی --- ۵۲۲
القسم الثانی -- ۵۲۶
اشاره --- ۵۲۶
اللغه -- ۵۲۷
المعنی --- ۵۲۷
۱۶-و من کلام له علیه السّلام -- ۵۳۴
اشاره -- ۵۳۴
اللغه --- ۵۳۵
المعنی -- ۵۳۵
۱۷-و من کلام له علیه السّلام -- ۵۴۴

اشاره ----- ۵۴۴
اللغه ----- ۵۴۵
المعنی ----- ۵۴۵
۱۸-و من کلام له علیه السّلام ----- ۵۴۶
اشاره ----- ۵۴۶
المعنی ----- ۵۴۷
۱۹-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۵۵۰
اللغه ----- ۵۵۰
المعنی ----- ۵۵۰
۲۰-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۵۵۴
اشاره ----- ۵۵۴
المعنی ----- ۵۵۴
۲۱-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۵۵۶
اشاره ----- ۵۵۶
اللغه ----- ۵۵۷
المعنی ----- ۵۵۸
الفهرست ----- ۵۶۳
المجلد ۲ ----- ۵۷۴
اشاره ----- ۵۷۴
اشاره ----- ۵۷۴
۲۲-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۵۷۶
القسم الأول ----- ۵۷۶
اشاره ----- ۵۷۶
اللغه ----- ۵۷۷
المعنی ----- ۵۷۷
اشاره ----- ۵۷۷

فقوله:أمّا بعد فإنّ الأمر ينزل إلى قوله:أو نقصان ----- ۵۷۷
و قوله:فإذا رأى أحدكم لأخيه المسلم غفيره فى أهل أو مال أو نفس فلا تكوننّ له فتنه ----- ۵۷۹
و قوله:فإنّ المرء المسلم.إلى قوله:و معه دينه و حسبه. ----- ۵۷۹
قوله:إنّ المال و البنين حرث الدنيا.إلى قوله:لأقوام. ----- ۵۸۲
و قوله:فإنّه من يعمل لغير اللّه يكله اللّه لمن عمل له. ----- ۵۸۳
قوله:نسأل اللّه منازل الشهداء و معايشه السعداء و مرافقه الأنبياء . ----- ۵۸۳
قوله:أيّها الناس.إلى قوله:يورّثه غيره. ----- ۵۸۳
القسم الثانى ----- ۵۸۵
اشاره ----- ۵۸۵
اللغه ----- ۵۸۵
المعنى ----- ۵۸۵
۲۳-و من خطبه له عليه السّلام ----- ۵۸۸
اشاره ----- ۵۸۸
اللغه ----- ۵۸۸
المعنى ----- ۵۸۸
۲۴ و من خطبه له عليه السّلام ----- ۵۹۰
اشاره ----- ۵۹۰
اللغه ----- ۵۹۲
المعنى ----- ۵۹۳
اشاره ----- ۵۹۳
قوله:أما و اللّه لوددت أنّ لى بكم ألف فارس من بنى فرس بن غنم ----- ۵۹۶
۲۵-و من خطبه له عليه السّلام ----- ۵۹۷
القسم الأول ----- ۵۹۷
اشاره ----- ۵۹۷
اللغه ----- ۵۹۷
المعنى ----- ۵۹۷

القسم الثانی و منها. ---------- ۵۹۹
اشاره ---------- ۵۹۹
اللغه ---------- ۵۹۹
المعنی ---------- ۶۰۰
القسم الثالث و منها: ---------- ۶۰۱
اشاره ---------- ۶۰۱
اللغه ---------- ۶۰۱
المعنی ---------- ۶۰۱
۲۶-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۶۰۳
اشاره ---------- ۶۰۳
اللغه ---------- ۶۰۵
المعنی ---------- ۶۰۶
اشاره ---------- ۶۰۶
فذکر من ممادح الجهاد امورا . ---------- ۶۰۶
أحدها:أنّه باب من أبواب الجنّه. ---------- ۶۰۶
الثانی من أوصاف الجهاد ---------- ۶۰۷
الثالث: ---------- ۶۰۸
۲۷-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۶۱۳
اشاره ---------- ۶۱۳
اللغه ---------- ۶۱۵
و اعلم انّ هذا الفصل یشتمل علی أحد عشر تنبیها : ---------- ۶۱۵
الأوّل:علی وجوب النفار عن الدنیا و عدم الرکون إلیها. ---------- ۶۱۵
الثانی:التنبیه علی الإقبال علی الآخره و التیقّظ للاستعداد لها ---------- ۶۱۶
الثالث:التنبیه علی وجوب الاستعداد بذکر ما یستعدّ لأجله ---------- ۶۱۶
الرابع:التنبیه علی التوبه قبل الموت ---------- ۶۱۹
الخامس:التنبیه علی العمل للنفس قبل یوم البؤس ---------- ۶۱۹

السادس:التنبیه علی وجوب التسویه للعامل بین العمل فی الرغبه و العمل فی ----- ۶۲۰
السابع: ----- ۶۲۰
الثامن : ----- ۶۲۱
التاسع و من لا یستقم به الهدی یجرّ به الضلال إلی الردی ----- ۶۲۱
العاشر: ألا و إنّکم قد امرتم بالظعن و دللتم علی الزاد ----- ۶۲۲
الحادی عشر:التنبیه علی أخوف الامور ----- ۶۲۲
۲۸-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۶۲۳
اشاره ----- ۶۲۳
اللغه ----- ۶۲۴
المعنی ----- ۶۲۴
۲۹-و من کلام له علیه السّلام ----- ۶۲۸
اشاره ----- ۶۲۸
اللغه ----- ۶۲۸
المعنی ----- ۶۲۸
۳۰-و من کلام له علیه السّلام ----- ۶۳۳
اشاره ----- ۶۳۳
اللغه ----- ۶۳۳
المعنی ----- ۶۳۳
۳۱-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۶۳۶
اشاره ----- ۶۳۶
اللغه ----- ۶۳۷
المعنی ----- ۶۳۸
اشاره ----- ۶۳۸
قوله علیه السّلام إنّا قد أصبحنا.إلی قوله:حتّی تحلّ بنا ----- ۶۳۹
قوله:فالناس علی أربعه أصناف.إلی قوله:قلّوا. ----- ۶۴۰
اشاره ----- ۶۴۰

فالصنف الأوّل.فهم المريدون للدنيا القادرون عليها ---------- ۶۴۰
الصنف الثانى:و هم المريدون لها غير القادرين عليها و غير المحتالين لها ---------- ۶۴۱
الصنف الثالث:الغير القادرين على الدنيا مع احتيالهم لها و إعداد أنفسهم لامور ---------- ۶۴۱
الصنف الرابع:الغير القادرين عليها المحتالون لها المؤهّلون أنفسهم للملک ---------- ۶۴۲
الصنف الخامس:و هم المريدون للّه تعالى ---------- ۶۴۲
و قوله:فلتكن الدنيا فى أعينكم.إلى آخره ---------- ۶۴۵
۳۲-و من خطبه له عليه السّلام ---------- ۶۴۵
اشاره ---------- ۶۴۵
اللغه ---------- ۶۴۶
المعنى ---------- ۶۴۶
اشاره ---------- ۶۴۶
فقوله:إنّ اللّه بعث محمّدا.إلى قوله:صفاتهم. ---------- ۶۴۶
و قوله:فساق الناس حتّى بوّأهم محلّتهم ---------- ۶۴۷
و قوله:و استقامت قناتهم. ---------- ۶۴۷
و قوله:و اطمأنّت صفاتهم. ---------- ۶۴۸
و قوله:أمّا و اللّه إن كنت لفى ساقتها.إلى قوله:و لا جبنت. ---------- ۶۴۸
و قوله:ما عجزتما ضعفت خو لا جبنت. ---------- ۶۴۸
و قوله:و إنّ مسيرى هذا لمثلها. ---------- ۶۴۸
و قوله:ما لى و لقريش. ---------- ۶۵۰
و قوله:و اللّه لقد قاتلتهم كافرين . ---------- ۶۵۰
و قوله:و إنّى لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم. ---------- ۶۵۰
و قوله:و اللّه ما آتينا.إلى آخره ---------- ۶۵۰
۳۳-و من خطبه له عليه السّلام ---------- ۶۵۲
اشاره ---------- ۶۵۲
اللغه ---------- ۶۵۴
المعنى ---------- ۶۵۴

اشاره ----- ۶۵۴
و قوله:لقد سئمت عتابكم . ----- ۶۵۴
و قوله: «أَ رَضِيتُمْ بِالْحَياةِ الدُّنْيا مِنَ الْآخِرَةِ» عوضا،و بالذلّ من العزّ خلفا . ----- ۶۵۴
قوله إذا دعوتكم إلى جهاد عدوّكم.إلى قوله:لا تعقلون . ----- ۶۵۶
و قوله:غلب و اللّه المتخاذلون . ----- ۶۵۷
و قوله:و أيم اللّه.إلى قوله:انفراج الرأس. ----- ۶۵۷
و قوله:و اللّه إنّ امرأ.إلى قوله:إن شئت. ----- ۶۵۸
و قوله.فأمّا أنا.إلى قوله:ما يشاء. ----- ۶۵۹
و قوله:أيّها الناس.إلى آخره. ----- ۶۵۹
۳۴-و من خطبه له عليه السّلام ----- ۶۶۱
اشاره ----- ۶۶۱
اللغه ----- ۶۶۲
المعنى ----- ۶۶۲
فقوله:الحمد للّه.إلى قوله:الجليل . ----- ۶۶۲
و قوله:ليس معه إله غيره. ----- ۶۶۲
و قوله:أمّا بعد.إلى قوله:الندامه . ----- ۶۶۲
و قوله:و قد كنت أمرتكم فى هذه الحكومه أمرى. ----- ۶۶۴
و قوله:و نخلت لكم مخزون رأيى. ----- ۶۶۴
و قوله:لو كان يطاع لقصير أمر. ----- ۶۶۴
و قوله:و ضنّ الزند بقدحه. ----- ۶۶۵
۳۵-و من خطبه له عليه السّلام ----- ۶۶۷
اشاره ----- ۶۶۷
اللغه ----- ۶۶۹
المعنى ----- ۶۶۹
اشاره ----- ۶۶۹
و قوله:قد طوّحت بكم الدار . ----- ۶۶۹

و قوله:و احتبلكم المقدار . ---------- ۶۶۹
و قوله:كنت نهيتكم عن هذه الحكومه.إلى قوله:إلى هواكم . ---------- ۶۷۱
و قوله:و أنتم معاشر أخفّاء الهام سفهاء الأحلام . ---------- ۶۷۱
و قوله:و لم آت-لا أبالكم-نكرا و لا أردت بكم ضرّا . ---------- ۶۷۱
۳۶-و من كلام له عليه السّلام ---------- ۶۷۱
اشاره ---------- ۶۷۱
اللغه ---------- ۶۷۳
قال بعض الشارحين:هذا الفصل فيه فصول أربعه ---------- ۶۷۳
اشاره ---------- ۶۷۳
الفصل الأوّل :فقمت بالأمر حين فشلوا.إلى قوله:برهانها. ---------- ۶۷۳
الفصل الثانى :قوله:لا تحرّكه القواصف.إلى قوله:آخذ الحقّ منه. ---------- ۶۷۵
الفصل الثالث :قوله:رضينا عن اللّه قضاؤه و سلّمنا له أمره.إلى قوله:من ---------- ۶۷۶
الفصل الرابع :قوله:فنظرت فى أمرى إلى آخره. ---------- ۶۷۷
۳۷-و من خطبه له عليه السّلام ---------- ۶۷۷
اشاره ---------- ۶۷۷
المعنى ---------- ۶۷۸
فالفصل الأوّل إشاره إلى علّه تسميه الشبهه شبهه،ثمّ إلى بيان حال الناس فيها. ---------- ۶۷۸
و أمّا الفصل الثانى:و هو قوله:فما ينجو.إلى آخره. ---------- ۶۷۸
۳۸-و من خطبه له عليه السّلام ---------- ۶۷۹
اشاره ---------- ۶۷۹
اللغه ---------- ۶۷۹
و فى الفصل مطالب : ---------- ۶۸۰
الأوّل:قوله:منيت بمن لا يطيع.إلى قوله:دعوت. ---------- ۶۸۰
الثانى: استفهام على سبيل الإنكار ---------- ۶۸۰
و قوله:دعوتكم.إلى قوله:الأدبر . ---------- ۶۸۰
۳۹-و من كلام له عليه السّلام ---------- ۶۸۱

اشاره ----- ۶۸۱
المعنی ----- ۶۸۱
قوله:کلمه حقّ یراد بها الباطل ----- ۶۸۱
قوله:لا حکم إلاّ للّه. ----- ۶۸۲
و قوله:یعمل فی إمرته المؤمن و یستمتع فیها الکافر. ----- ۶۸۳
و قوله:یبلّغ اللّه فیها الأجل. ----- ۶۸۳
و قوله:و یجمع به الفیء.إلی قوله:القویّ. ----- ۶۸۳
و قوله:حتّی یستریح برّ و یستراح من فاجر. ----- ۶۸۴
۴۰-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۶۸۴
اشاره ----- ۶۸۴
اللغه ----- ۶۸۴
المعنی ----- ۶۸۴
اشاره ----- ۶۸۴
قوله:و لا أعلم جنّه أوقی منه. ----- ۶۸۵
و قوله:و لا یغدر من علم کیف المرجع. ----- ۶۸۵
قوله:و لقد أصبحنا فی زمان.إلی قوله:الحیله ----- ۶۸۵
و قوله:ما لهم قاتلهم اللّه قد یری.إلی آخره. ----- ۶۸۷
۴۱-و من کلام له علیه السّلام ----- ۶۸۷
اشاره ----- ۶۸۷
اللغه ----- ۶۸۸
المعنی ----- ۶۸۸
اشاره ----- ۶۸۸
قوله:ألا و إنّ الدنیا قد ولّت.إلی قوله:صابّها. ----- ۶۸۹
و قوله:ألا و إنّ الآخره قد أقبلت. ----- ۶۸۹
و قوله:و لکلّ منهما بنون.إلی قوله:یوم القیامه ----- ۶۸۹
و قوله:و إنّ الیوم عمل.إلی آخر. ----- ۶۹۰

۴۲-و من کلام له علیه السّلام ---- ۶۹۰
اشاره ---- ۶۹۰
اللغه ---- ۶۹۲
المعنی ---- ۶۹۲
فقوله:إنّ استعدادی.إلی قوله:إن أرادوه . ---- ۶۹۲
و قوله:قد وقّت.إلی قوله:عاصیا . ---- ۶۹۲
و قوله:و الرأی مع الأناه. ---- ۶۹۴
و قوله:فأرودوا و لا أکره لکم الإعداد. ---- ۶۹۴
و قوله:و لقد ضربت.إلی قوله:أو الکفر. ---- ۶۹۵
قوله:فلم أر لی إلاّ القتال أو الکفر. ---- ۶۹۵
و قوله:إنّه قد کان.إلی آخره. ---- ۶۹۶
۴۳-و من کلام له علیه السّلام ---- ۶۹۷
اشاره ---- ۶۹۷
اللغه ---- ۶۹۸
المعنی ---- ۶۹۸
۴۴-و من خطبه له علیه السّلام ---- ۶۹۹
اشاره ---- ۶۹۹
اللغه ---- ۷۰۰
المعنی ---- ۷۰۰
۴۵-و من کلام له علیه السّلام ---- ۷۰۳
اشاره ---- ۷۰۳
اللغه ---- ۷۰۳
المعنی ---- ۷۰۳
۴۶-و من کلام له علیه السّلام ---- ۷۰۵
اشاره ---- ۷۰۵
اللغه ---- ۷۰۵

المعنی -- ۷۰۶
۴۷-و من خطبه له علیه السّلام -- ۷۰۷
اشاره -- ۷۰۷
اللغه -- ۷۰۷
المعنی -- ۷۰۷
۴۸-و من خطبه له علیه السّلام -- ۷۰۸
اشاره -- ۷۰۸
اللغه -- ۷۰۹
و فی هذا الفصل. -- ۷۰۹
اشاره -- ۷۰۹
أوّلها:کونه تعالی بطن خفیّات الامور --- ۷۰۹
و ثانیها:کونه تعالی قد دلّت علیه أعلام الظهور -- ۷۰۹
ثالثها:إشاره إلی سلوب توجب ملاحظه ترکیبها تعظیمه تعالی. --- ۷۱۲
و رابعها:کونه تعالی قد سبق فی العلوّ فلا شیء أعلی منه، -- ۷۱۳
و خامسها:قربه فی الدنوّ فلا شیء أدنی منه -- ۷۱۴
و سادسها:کونه لم تطّلع العقول علی تحدید صفته و لم یحجبها عن واجب -- ۷۱۵
۴۹-و من خطبه له علیه السّلام -- ۷۱۶
اشاره -- ۷۱۶
اللغه -- ۷۱۷
المعنی -- ۷۱۷
۵۰-و من کلام له علیه السّلام -- ۷۱۸
اشاره -- ۷۱۸
اللغه -- ۷۱۸
و فی الفصل لطائف . -- ۷۱۸
الاولی:قوله:قد استطعموکم القتال. --- ۷۱۸
الثانیه:قوله:فأقرّوا علی مذلّه،و تأخیر محلّه.إلی قوله:الماء. -- ۷۱۸

الثالثه: ----- ۷۱۹
الرابعه:قوله:ألا و إنّ معاویه. ----- ۷۱۹
۵۱-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۷۲۰
اشاره ----- ۷۲۰
اللغه ----- ۷۲۱
و اعلم أنّ مدار هذا الفصل علی امور ثلاثه: ----- ۷۲۱
اشاره ----- ۷۲۱
أمّا الأوّل: التنفیر عن الدنیا و التحذیر منها ----- ۷۲۱
و أمّا الثانی:فهو التنبیه علی عظیم ثواب اللّه و عقابه. ----- ۷۲۳
و أمّا الثالث:و هو التنبیه علی عظیم نعمه اللّه تعالی علی العباد ----- ۷۲۴
۵۲-و من کلام له علیه السّلام ----- ۷۲۵
اشاره ----- ۷۲۵
اللغه ----- ۷۲۵
المعنی ----- ۷۲۵
۵۳-و من کلام له علیه السّلام ----- ۷۲۶
اشاره ----- ۷۲۶
اللغه ----- ۷۲۷
المعنی ----- ۷۲۷
۵۴-و من کلام له علیه السّلام ----- ۷۲۸
اشاره ----- ۷۲۸
اللغه ----- ۷۲۸
المعنی ----- ۷۲۸
۵۵-و من کلام له علیه السّلام ----- ۷۲۹
اشاره ----- ۷۲۹
اللغه ----- ۷۳۰
المعنی ----- ۷۳۰

اشاره ۷۳۰
فقوله:و لقد كنّا.إلى قوله:أوطانه . ۷۳۰
و قوله:فلمّا رأى اللّه صدقنا.إلى قوله:النصر. ۷۳۰
و قوله:حتّى استقرّ الإسلام.إلى قوله:أوطانه. ۷۳۰
و قوله:و لعمرى لو كنّا نأتى.إلى قوله:عود. ۷۳۲
و قوله:و أيم اللّه لتحتلبنّها دما. ۷۳۲
۵۶-و من كلام له عليه السّلام ۷۳۲
اشاره ۷۳۲
اللغه ۷۳۳
المعنى ۷۳۳
۵۷-و من كلام له عليه السّلام ۷۳۵
اشاره ۷۳۵
اللغه ۷۳۶
المعنى ۷۳۶
۵۸-و قال عليه السّلام ۷۳۶
اشاره ۷۳۶
القسم الأول ۷۳۷
اشاره ۷۳۷
المعنى ۷۳۷
و قال عليه السّلام: ۷۳۷
اشاره ۷۳۷
اللغه ۷۳۸
المعنى ۷۳۸
و قال عليه السّلام: ۷۳۹
اشاره ۷۳۹
المعنى ۷۳۹

۵۹-و من كلام له عليه السّلام ---------- ۷۴۰
اشاره ---------- ۷۴۰
اللغه ---------- ۷۴۱
المعنى ---------- ۷۴۱
۶۰-و من خطبه له عليه السّلام ---------- ۷۴۲
اشاره ---------- ۷۴۲
اللغه ---------- ۷۴۲
المعنى ---------- ۷۴۲
۶۱-و من خطبه له عليه السّلام ---------- ۷۴۵
اشاره ---------- ۷۴۵
اللغه ---------- ۷۴۶
المعنى ---------- ۷۴۶
اشاره ---------- ۷۴۶
فقوله:فاتّقوا اللّه.إلى قوله:بأعمالكم ---------- ۷۴۶
فقوله:و ابتاعوا ما بقى.إلى قوله:عنكم. ---------- ۷۴۷
و قوله:فترحّلوا فقد جدّ بكم. ---------- ۷۴۷
و قوله:و استعدّوا للموت فقد أظلّكم. ---------- ۷۴۷
و قوله:و كونوا قوما صيح بهم فانتبهوا. ---------- ۷۴۷
و قوله:و علموا.إلى قوله:سدى. ---------- ۷۴۷
و قوله:ما بين أحدكم.إلى قوله:ينزل به ---------- ۷۴۸
و قوله:و إنّ غايه.إلى قوله:المدّه. ---------- ۷۴۹
و قوله:و إنّ غائبا.إلى قوله:الأوبه ---------- ۷۴۹
و قوله:و إنّ قادما.إلى قوله:العدّه ---------- ۷۵۰
و قوله:فتزوّدوا.إلى قوله:غدا ---------- ۷۵۰
و قوله:فاتّقى عبد ربّه.إلى قوله شهوته ---------- ۷۵۰
و قوله:فإنّ أجله.إلى قوله:شقوه ---------- ۷۵۲

و قوله:نسأل اللّه تعالى.إلى قوله:كأبه. ----- ۷۵۳
۶۲-و من خطبه له عليه السّلام ----- ۷۵۳
اشاره ----- ۷۵۳
اللغه ----- ۷۵۴
المعنى ----- ۷۵۴
و قد اشتملت هذه الخطبه على مباحث لطيفه من العلم الإلهىّ أيضا لا يطّلع عليها ----- ۷۵۴
اشاره ----- ۷۵۴
الأوّل:الّذى لم يسبق.إلى قوله:باطنا. ----- ۷۵۴
الثانى:كلّ مسمّى بالوحده غيره قليل. ----- ۷۵۵
الثالث:و كلّ عزيز غيره ذليل. ----- ۷۵۶
الرابع:و كلّ قوىّ غيره ضعيف. ----- ۷۵۶
الخامس:و كلّ عالم غيره متعلّم. ----- ۷۵۷
السادس:و كلّ قادر غيره يقدر و يعجز. ----- ۷۵۷
السابع: ----- ۷۵۷
الثامن: ----- ۷۵۹
التاسع:و كلّ ظاهر غيره باطن . ----- ۷۵۹
العاشر:و كلّ باطن غيره فهو ظاهرفهو غير ظاهر خ. ----- ۷۶۰
الحادى عشر:لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان.إلى قوله:منافر. ----- ۷۶۱
و قوله:و لكن خلايق مربوبون و عباد داخرون. ----- ۷۶۲
و قوله:لم يحلل فى الأشياء فيقال هو فيها كائن. ----- ۷۶۲
و قوله:لم يؤده خلق ما ابتدء و لا تدبير ما ذرء ----- ۷۶۲
و قوله:و لا وقف به عجز عمّا خلق. ----- ۷۶۴
و قوله:و لا ولجت عليه شبهه فيما قضى و قدّر. ----- ۷۶۴
و قوله:بلا قضاء متقن و علم محكم . ----- ۷۶۴
و قوله:و أمر مبرم . ----- ۷۶۴
و قوله:المأمول مع النقم المرهوب مع النعمالمرجوّ من النعم خ . ----- ۷۶۴

۶۳-و من کلام له علیه السّلام ۷۶۶
اشاره ۷۶۶
اللغه ۷۶۷
المعنی ۷۶۷
اشاره ۷۶۷
فأوّلها: ۷۶۷
الثانی: ۷۶۷
الثالث:الأمر بالعضّ علی النواجذ ۷۶۷
الرابع:الأمر بإکمال اللأمه،و إکمال الدرع ۷۶۸
الخامس:الأمر بقلقله السیوف فی الأغماد ۷۶۹
السادس:الأمر بلحظ الخزر ۷۶۹
السابع:الأمر بالطعن الشرز ۷۶۹
الثامن:الضرب بأطراف السیوف. ۷۶۹
التاسع:الأمر بوصل السیوف بالخطا. ۷۶۹
العاشر:الأمر بمعاوده الکرّ. ۷۷۱
الحادی عشر قوله:و طیّبوا عن أنفسکم نفسا ۷۷۱
الثانی عشر:الأمر بالمشی إلی الموت سجحا: ۷۷۱
الثالث عشر:أمرهم بقصد عدوّهم مؤکّدا له بتکریره ۷۷۲
۶۴-و من کلام له علیه السّلام ۷۷۳
اشاره ۷۷۳
المعنی ۷۷۴
۶۵-و من کلام له علیه السّلام ۷۷۶
اشاره ۷۷۶
اللغه ۷۷۷
المعنی ۷۷۷
۶۶-و من کلام له علیه السّلام ۷۷۸

اشاره ----- ۷۷۸
اللغه ----- ۷۷۸
المعنی ----- ۷۷۹
۶۷-و قال علیه السّلام ----- ۷۸۱
اشاره ----- ۷۸۱
المعنی ----- ۷۸۱
۶۸-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۷۸۲
اشاره ----- ۷۸۲
اللغه ----- ۷۸۲
و هذا الکلام صدر عنه بعد حرب صفّین.و فیه مقصودان : ----- ۷۸۲
الأوّل: ----- ۷۸۲
و المقصود الثانی: ----- ۷۸۳
۶۹-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۷۸۵
اشاره ----- ۷۸۵
اللغه ----- ۷۸۷
و قد اشتملت هذه الخطبه علی ثلاثه فصول . ----- ۷۸۷
الاوّل:فی صفات المدعوّ و تمجیده و هو اللّه سبحانه. ----- ۷۸۷
الفصل الثانی:ذکر للنبیّ صلی اللّه علیه و آله و سلّم أحد و عشرین وصفا ----- ۷۸۸
اشاره ----- ۷۸۸
الأوّل:کونه عبدا للّه ----- ۷۸۸
الثانی:کونه رسولا له ----- ۷۸۸
الثالث:کونه خاتما لما سبق ----- ۷۸۸
الرابع:کونه فاتحا لما انغلق من سبیل اللّه قبله ----- ۷۸۸
الخامس:کونه قد أظهر الحقّ بالحقّ. ----- ۷۸۹
السادس:کونه دافعا لجیشات الأباطیل: ----- ۷۹۰
السابع: ----- ۷۹۰

الثامن:کونه حمل الرساله ۷۹۰
التاسع:کونه عجلا فی رضا اللّه ۷۹۰
العاشر: ۷۹۰
الحادی عشر:کونه ماضی العزم ۷۹۰
الثانی عشر: ۷۹۱
الثالث عشر:کونه حافظا لعهده ۷۹۱
الرابع عشر:کونه ماضیا علی إنفاذ أمره ۷۹۱
الخامس عشر: ۷۹۱
السادس عشر: ۷۹۲
السابع عشر: ۷۹۲
الثامن عشر:کونه أمین اللّه: ۷۹۲
التاسع عشر:کونه خازن علمه المخزون: ۷۹۲
العشرون:کونه شهیدا یوم الدین ۷۹۲
الحادی و العشرون:کونه مبعوثا بالحقّ ۷۹۴
الفصل الثالث:فی تفصیل المطلوب من هذا الدعاء ۷۹۴
۷۰-و من کلام له علیه السّلام ۷۹۶
اشاره ۷۹۶
اللغه ۷۹۶
المعنی ۷۹۶
۷۱-و من کلام له علیه السّلام ۷۹۷
اشاره ۷۹۷
اللغه ۷۹۷
المعنی ۷۹۷
۷۲-و من کلام له علیه السّلام ۷۹۹
اشاره ۷۹۹
اللغه ۷۹۹

المعنی ----- ۷۹۹
۷۳-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۸۰۰
اشاره ----- ۸۰۰
اللغه ----- ۸۰۱
المعنی ----- ۸۰۱
۷۴-و من کلام له علیه السّلام ----- ۸۰۵
اشاره ----- ۸۰۵
المعنی ----- ۸۰۵
۷۵-و من کلمات کان یدعو بها ----- ۸۰۶
اشاره ----- ۸۰۶
اللغه ----- ۸۰۶
المعنی ----- ۸۰۶
۷۶-و من کلام له علیه السّلام ----- ۸۰۸
اشاره ----- ۸۰۸
اللغه ----- ۸۰۸
المعنی ----- ۸۰۸
۷۷-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۸۱۶
اشاره ----- ۸۱۶
المعنی ----- ۸۱۶
اشاره ----- ۸۱۶
فذکر نقصانهنّ من وجوه ثلاثه : ----- ۸۱۶
أحدها:کونهنّ نواقص الایمان ----- ۸۱۶
الثانی:کونهنّ نواقص حظّ ----- ۸۱۶
الثالث:کونهنّ نواقص عقول ----- ۸۱۷
و قوله:فاتّقوا شرار النساء و کونوا من خیارهنّ علی حذر . ----- ۸۱۷
۷۸-و من کلام له علیه السّلام ----- ۸۱۸

اشاره ----- ۸۱۸
اللغه ----- ۸۱۸
المعنی ----- ۸۱۸
و أعلم أنّ قوله:أيّها الناس.إلى قوله:عند المحارم.تفسير للزهد ----- ۸۱۸
و قوله:بعد ذلک:فإن عزب عنکم ----- ۸۱۹
و قوله:فقد أعذر إلى آخره . ----- ۸۱۹
۷۹-و من کلام له عليه السّلام ----- ۸۲۰
اشاره ----- ۸۲۰
اللغه ----- ۸۲۰
و قد ذکر للدنيا فی معرض ذمّها و التنفير عنها أوصافا عشره : ----- ۸۲۰
الأوّل:کون أوّلها عناء ----- ۸۲۰
الثانی:کون آخرها فناء. ----- ۸۲۱
الثالث:کونها فی حلالها حساب. ----- ۸۲۱
الرابع:کونها فی حرامها عقاب. ----- ۸۲۲
الخامس:کونها من استغنی فيها فتن ----- ۸۲۲
السادس:کونها من افتقر فيها حزن. ----- ۸۲۲
السابع:من ساعاها فاتته. ----- ۸۲۲
الثامن:کونهامن قعد عنها و اتته. ----- ۸۲۲
التاسع:من أبصر بها بصّرته: ----- ۸۲۲
العاشر:و من أبصر إليها أعمته: ----- ۸۲۴
۸۰-و من خطبه له عليه السّلام ----- ۸۲۴
اشاره ----- ۸۲۴
الفصل الأوّل قوله: «اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِی» عَلاَ بِحَوْلِهِ... ----- ۸۲۴
اشاره ----- ۸۲۴
اللغه ----- ۸۲۴
المعنی ----- ۸۲۵

اشاره ----- ۸۲۵
و قوله:أحمده.إلی قوله:نعمه . ----- ۸۲۵
و قوله:و أومن به أوّلا بادیا. ----- ۸۲۷
و قوله:و أستهدیه قریبا هادیا. ----- ۸۲۷
و قوله:و أستعینه قاهرا قادرا . ----- ۸۲۷
و قوله:و أتوکّل علیه کافیا ناصرا . ----- ۸۲۷
و قوله:و أشهد إلی آخره . ----- ۸۲۷
الفصل الثانی:قوله: أُوصِیکُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَی اللَّهِ ----- ۸۲۹
اشاره ----- ۸۲۹
اللغه ----- ۸۲۹
المعنی ----- ۸۲۹
اشاره ----- ۸۲۹
الأول:ضرب الأمثال ----- ۸۲۹
الثانی:قوله:و وقّت لکم الآجال: ----- ۸۳۱
الثالث:کونه قد ألبسهم الریاش. ----- ۸۳۱
الرابع:کونه قد أرفع لهم المعاش ----- ۸۳۱
الخامس:إحاطته بهم إحصاء ----- ۸۳۱
السادس:کونه قد أرصد لهم الجزاء. ----- ۸۳۱
السابع:ایثارهم بالنعم السوابغ ----- ۸۳۱
الثامن:إنذارهم بالحجج البوالغ ----- ۸۳۲
التاسع:إحصاؤه لعددهم ----- ۸۳۳
العاشر:توظیفه لهم المدد، ----- ۸۳۳
الفصل الثالث قوله: فَإِنَّ الدُّنْیَا رَنِقٌ مَشْرَبُهَا رَدِغٌ مَشْرَعُهَا... ----- ۸۳۳
اشاره ----- ۸۳۳
اللغه ----- ۸۳۴
المعنی ----- ۸۳۴

اشاره ----- ۸۳۴
الأوّل:كونها رنق مشربها. ----- ۸۳۴
الثانی: ----- ۸۳۴
الثالث: ----- ۸۳۴
الرابع: ----- ۸۳۵
الخامس: ----- ۸۳۵
السادس: ----- ۸۳۶
السابع: ----- ۸۳۶
الثامن: ----- ۸۳۶
و قوله:و کذلک الخلف.إلی آخره ----- ۸۳۸
الفصل الرابع:فی الإشاره إلی ما یلحق الناس بعد الموت من أحوال القیامه ----- ۸۳۸
اشاره ----- ۸۳۸
اللغه ----- ۸۳۸
المعنی ----- ۸۳۹
اشاره ----- ۸۳۹
فقوله:حتّی إذا تصرّمت الامور . ----- ۸۴۰
و قوله:و تقضّت الدهور . ----- ۸۴۰
و قوله:و أزف النشور . ----- ۸۴۰
و قوله:أخرجهم من ضرائح القبور . ----- ۸۴۰
و قوله:و أوکار الطیور . ----- ۸۴۱
و قوله و أوجره السباع . ----- ۸۴۲
و قوله:و مطارح المهالک . ----- ۸۴۲
و قوله:سراعا إلی أمره. ----- ۸۴۲
و قوله:مهطعین إلی معاده . ----- ۸۴۲
و قوله:رعیلا. ----- ۸۴۴
و قوله:صموتا ----- ۸۴۴

و قوله:قیاما صفوفا . ---- ۸۴۴
و قوله:ینفذهم البصر . ---- ۸۴۴
و قوله:و یسمعهم الداعی . ---- ۸۴۴
و قوله:علیهم لبوس الاستکانه و ضرع الاستسلام و الذلّه . ---- ۸۴۴
و قوله:قد ضلّت الحیل . ---- ۸۴۵
و قوله:و هوت الافئده کاظمه. ---- ۸۴۶
و قوله:و خشعت الأصوات ---- ۸۴۶
و قوله:و ألجم العرق و عظم الشفق . ---- ۸۴۶
و قوله:و ارعدت الأسماع لزبره الداعی. ---- ۸۴۶
الفصل الخامس:فی تنبیه الخلق علی أوصاف حالهم المنافیه لما هم علیه من التجبّر ---- ۸۴۶
اشاره ---- ۸۴۷
اللغه ---- ۸۴۸
المعنی ---- ۸۴۸
اشاره ---- ۸۴۸
الأوّل:کونهم مخلوقون اقتدارا ---- ۸۴۸
الثانی:کونهم مربوبون اقتسارا: ---- ۸۴۸
الثالث:کونهم مقبوضون احتضارا: ---- ۸۴۸
الرابع: ---- ۸۴۸
الخامس: ---- ۸۴۹
السادس: ---- ۸۴۹
السابع:أنّهم مدینون أجزاء ---- ۸۵۰
الثامن:أنّ من شأنهم أن یمیّزوا حسابا: ---- ۸۵۰
التاسع:کونهم قد امهلوا فی طلب المخرج: ---- ۸۵۰
العاشر:کونهم قدهدوا سبیل المنهج: ---- ۸۵۰
الحادی عشر: ---- ۸۵۰
الثانی عشر:کونهم قد کشفت عنهم سدف الریب: ---- ۸۵۰

الثالث عشر: ----- ۸۵۰

الفصل السادس:فی التنبیه علی فضل موعظته و تذکیره و مدحها بالبلاغه و التعریض ----- ۸۵۲

اشاره ----- ۸۵۲

المعنی ----- ۸۵۲

فقوله:فیا لها أمثالا صایبه و مواعظ شافیه ----- ۸۵۲

و قوله:لو صادفت قلوبا زاکیه و أسماعا واعیه و آراء عازمه و ألبابا حازمه ----- ۸۵۲

و قوله:فاتّقوا اللّه.إلی قوله:مقامه ----- ۸۵۳

و قوله:فاتّقو اللّه عباد اللّه جهه ما خلقکم له. ----- ۸۵۴

و قوله:و احذروا منه کنه ما حذّرکم من نفسه. ----- ۸۵۴

و قوله:و استحقّوا منه ما أعدّ لکم بالتنجّز لصدق میعاده. ----- ۸۵۴

الفصل السابع قوله:جعل لکم أسماعا... ----- ۸۵۴

اشاره ----- ۸۵۴

الفصل الأوّل:فی تذکیر عباد اللّه بضروب نعمته علیهم،و التنبیه علی الغایه منها، ----- ۸۵۶

اشاره ----- ۸۵۶

اللغه ----- ۸۵۷

و لنرجع إلی معنی. ----- ۸۵۷

فقوله:جعل لکم.إلی قوله:بأرفاتها ----- ۸۵۷

و قوله:و قلوب رائده.إلی قوله:سترها عنکم. ----- ۸۵۸

و قوله:و خلّف لکم عبرا. ----- ۸۵۸

و قوله:قد غودر. ----- ۸۵۹

و قوله:و الأرواح مرتهنه بثقل أعبائها. ----- ۸۶۰

و قوله:لا تستزاد من صالح عملها و لا تستعتب من سیّء زللها. ----- ۸۶۰

و قوله:أو لستم آباء القوم و الأبناء و إخوانهم و الأقرباء. ----- ۸۶۰

و قوله:تحتذون أمثلتهم. ----- ۸۶۰

و قوله:فالقلوب قاسیه عن حظّها. ----- ۸۶۰

و قوله:کأنّ المعنیّ سواها و کأنّ الرشد فی إحراز دنیاها. ----- ۸۶۱

الفصل الثانی:فی التذکیر بأمر الصراط و التحذیر من أهواله،و الحثّ علی ---- ۸۶۲
اشاره ---- ۸۶۲
اللغه ---- ۸۶۳
المعنی ---- ۸۶۳
و قوله:فاتّقو اللّه ---- ۸۶۴
و قوله:اوصیکم بتقوی اللّه. ---- ۸۶۶
و قوله:حتّی إذا استدرج قرینته و استغلق رهینته ---- ۸۶۸
و قوله:أنکر ما زیّن.إلی آخره . ---- ۸۶۸
الفصل الثامن و منها فی صفه خلق الإنسان، ---- ۸۶۸
اشاره ---- ۸۶۸
الفصل الأوّل ---- ۸۶۸
اشاره ---- ۸۶۸
اللغه ---- ۸۷۱
و فی تفصیل هذا الفصل نکت : ---- ۸۷۱
الاولی: ---- ۸۷۱
الثانیه: ---- ۸۷۱
الثالثه: ---- ۸۷۳
الرابعه: ---- ۸۷۳
الخامسه: ---- ۸۷۳
السادسه: ---- ۸۷۴
السابعه: ---- ۸۷۴
الثامنه: ---- ۸۷۴
التاسعه: ---- ۸۷۴
العاشره: ---- ۸۷۴
الحادی عشر: ---- ۸۷۶
الثانیه عشر: ---- ۸۷۶

الثالث عشر: ---------- ۸۷۸
الفصل الثانی ---------- ۸۷۹
اشاره ---------- ۸۷۹
اللغه ---------- ۸۷۹
و فی هذا ---------- ۸۸۰
الاولی: ---------- ۸۸۰
الثانیه: ---------- ۸۸۰
الثالثه: ---------- ۸۸۰
الرابعه:التذکیر بأمر القبر و تعفیر الخدّ ---------- ۸۸۰
الخامسه:التنبیه علی وقت العمل و الأحوال: ---------- ۸۸۰
السادسه قوله:و انف المشیّه: ---------- ۸۸۲
السابعه:إنظار التوبه ---------- ۸۸۲
الثامنه:و انفساح الحوبه ---------- ۸۸۲
التاسعه: ---------- ۸۸۲
العاشر:أخذه العزیز المقتدر ---------- ۸۸۲
۸۱-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۸۸۳
اشاره ---------- ۸۸۳
اللغه ---------- ۸۸۴
و اعلم أنّ فی هذا الفصل ثلاثه فصول : ---------- ۸۸۴
الأوّل ذکر دعوی عمرو فی حقّه علیه السّلام ---------- ۸۸۴
الثانی:قوله:أمّا و شرّ القول إلی قوله سبّته ---------- ۸۸۵
الثالث:بیان وجه فساد مدّعی عمرو فی حقّه ---------- ۸۸۷
۸۲-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۸۸۷
القسم الأول ---------- ۸۸۷
اشاره ---------- ۸۸۷
أقول:هذا الفصل یشتمل علی إثبات ثمانی صفات من صفات الجلال : ---------- ۸۸۹

الاولی الوحدانیّه مؤکّده بنفی الشرکاء ---------- ۸۸۹

الثانیه: ---------- ۸۸۹

الثالثه:إثبات کونه آخرا غیر منته وجوده إلی غایه یقف عندها. ---------- ۸۸۹

الرابعه:من السلوب أنّه لا تلحقه الأوهام فیقع منه علی صفه. ---------- ۸۸۹

الخامسه:کونه تعالی لا یعقل له کیفیّه یکون علیها ---------- ۸۸۹

السادسه:کونه تعالی لا تناله التجزیه و التبعیض ---------- ۸۸۹

السابعه:کونه تعالی لا تحیط به الأبصار ---------- ۸۹۱

الثامنه:کونه تعالی لا یحیط به القلوب ---------- ۸۹۱

القسم الثانی ---------- ۸۹۱

اشاره ---------- ۸۹۱

اللغه ---------- ۸۹۱

المعنی ---------- ۸۹۱

و فی هذا الفصل فوائد : ---------- ۸۹۱

الاولی: ---------- ۸۹۱

الثانیه: ---------- ۸۹۳

الثالثه:الأمر بالازدجار بالنذر البوالغ ---------- ۸۹۳

الرابعه:الأمر بالانتفاع بالذکر و المواعظ ---------- ۸۹۳

الخامسه: ---------- ۸۹۳

و قوله:و انقطعت عنکم علایق الامنیّه . ---------- ۸۹۳

و قوله:و دهمتکم مفظعات الامور . ---------- ۸۹۳

و قوله:و السیاقه إلی الورد المورود . ---------- ۸۹۴

و قوله:و کلّ نفس معها سائق و شهید . ---------- ۸۹۵

القسم الثالث و منها فی صفه الجنه: ---------- ۸۹۵

اشاره ---------- ۸۹۵

المعنی ---------- ۸۹۵

۸۳-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۸۹۷

اشاره ----- ۸۹۷
الأوّل: ----- ۸۹۷
اشاره ----- ۸۹۷
و هذا الفصل يشتمل على بعض أوصاف الحقّ سبحانه: ----- ۸۹۷
الفصل الثانى ----- ۸۹۸
اشاره ----- ۸۹۸
المعنى ----- ۹۰۰
اشاره ----- ۹۰۰
قوله:و لا ترخّصوا لأنفسكم.إلى قوله:المعصيهالمصيبه خ. ----- ۹۰۱
و قوله:عباد اللّه.إلى آخره إخبارات فى معنى الأوامر و النواهى ----- ۹۰۲
فالأوّل:قوله:إنّ أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربّه ----- ۹۰۲
الثانى:قوله:و إنّ أغشّهم لنفسه أعصاهم لربّه ----- ۹۰۲
الثالث:قوله:و المغبون من غبن نفسه ----- ۹۰۲
الرابع:قوله:و المغبوط من سلم له دينه ----- ۹۰۳
الخامس:قوله:و السعيد من وعظ بغيره ----- ۹۰۳
السادس:و كذلك الشقىّ فى الآخره ----- ۹۰۳
السابع:التنبيه على أنّ يسير الرياء شرك ----- ۹۰۳
الثامن:قوله:و مجالسه أهل الهوى منساه للايمان و محضره للشيطان ----- ۹۰۳
التاسع:الأمر بمجانبه الكذب ----- ۹۰۵
العاشر:النهى عن الحسد ----- ۹۰۵
الحادى عشر:النهى عن التباغض ----- ۹۰۶
الثانى عشر:التنبيه على مضارّ الأمل للدنيا ----- ۹۰۷
۸۴-و من خطبه له عليه السّلام ----- ۹۰۷
اشاره ----- ۹۰۷
الفصل الأوّل:فى صفات المتّقين ----- ۹۰۷
اشاره ----- ۹۰۷

اللغه ---------- ۹۰۸

المعنی ---------- ۹۰۹

و ذکر من صفاتهم الّتی هی سبب محبّه اللّه لهم أربعین وصفا ---------- ۹۰۹

فالأوّل من تلک الأوصاف:کونه أعانه اللّه علی نفسه ---------- ۹۰۹

الثانی:أن یستشعر الحزن ---------- ۹۰۹

الثالث: ---------- ۹۰۹

الرابع: ---------- ۹۰۹

الخامس: ---------- ۹۱۰

السادس:و قرّب علی نفسه البعید. ---------- ۹۱۱

السابع:کونه قد هوّن الشدید. ---------- ۹۱۱

الثامن:کونه نظر: ---------- ۹۱۱

التاسع:و ذکر فاستکثر ---------- ۹۱۱

العاشر: ---------- ۹۱۱

(یا)کونه سهلت له موارده. ---------- ۹۱۱

(یب) فشرب نهلا ---------- ۹۱۳

(یج)کونه قد سلک سبیلا جددا: ---------- ۹۱۳

(ید) قد خلع سرابیل الشهوات ---------- ۹۱۳

(یه)و تخلّی من الهموم إلاّ همّا واحدا ---------- ۹۱۳

(یو)فخرج عن صفه العمی: ---------- ۹۱۳

(یز) فصار من مفاتیح أبواب الهدی ---------- ۹۱۳

(یح)و مغالیق أبواب الردی. ---------- ۹۱۵

(یط)قد أبصر ---------- ۹۱۵

(ک)و سلک سبیله ---------- ۹۱۵

(کا)و قد عرف مناره. ---------- ۹۱۵

(کب)قد قطع غماره ---------- ۹۱۵

(کج) و استمسک من العری بأوثقها و من الحبال بأمتنها ---------- ۹۱۵

(كد)فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس ---------- ۹۱۶

(كه)قد نصب نفسه للّه سبحانه فى أرفع الامور من إصدار كلّ وارد عليه و تصيير ---------- ۹۱۷

(كو) مصباح ظلمات ---------- ۹۱۷

(كز)كونه كشّاف عشوات: ---------- ۹۱۷

(كح)و كذلک كونه مفتاح مبهمات: ---------- ۹۱۷

(كط)كونه دفّاع معضلات: ---------- ۹۱۷

(ل) دليل فلوات ---------- ۹۱۷

(لا)كونه يقول فيفهم ---------- ۹۱۹

(لب)كونه يسكت فيسلم ---------- ۹۱۹

(لج)كونه قد أخلص للّه فاستخلصه ---------- ۹۱۹

(لد) فهو من معادن دينه ---------- ۹۱۹

(له)كونه من أوتاد أرضه ---------- ۹۱۹

(لو)كونه لزم نفسه العدل ---------- ۹۱۹

(لز)كونه يصف الحقّ و يعمل به ---------- ۹۲۱

(لح)كونه لا يدع للخير غايه إلاّ أمّها ---------- ۹۲۱

(لط)و كذلک هو قاصد لكلّ مظنّه له ---------- ۹۲۱

(م) كونه قد أمكن الكتاب من زمامه فهو قائده.إلى آخره ---------- ۹۲۱

الفصل الثانى: ---------- ۹۲۱

اشاره ---------- ۹۲۱

أقول:و هذا الفصل من صفات بعض الفسّاق فى مقابله الموصوف السابق ---------- ۹۲۳

اشاره ---------- ۹۲۳

الأوّل:كونه قد تسمّى عالما و ليس بعالم. ---------- ۹۲۳

الثانى: ---------- ۹۲۳

الثالث: ---------- ۹۲۳

الرابع:قد حمل الكتاب على آرائه ---------- ۹۲۴

الخامس:و عطف الحقّ على أهوائه ---------- ۹۲۴

السادس:كونه يؤمّن من العظائم و يهوّن كبير الجرائم ---------- ۹۲۴
السابع:يقول:أقف عند الشبهات ---------- ۹۲۴
الثامن:يقول أعتزل البدع: ---------- ۹۲۴
التاسع:فالصوره صوره الإنسان و القلب قلب حيوان ---------- ۹۲۴
العاشر:كونه لا يعرف باب الهدى فيتّبعه و لا باب الردى فيصدّ عنه ---------- ۹۲۶
الفصل الثالث: ---------- ۹۲۶
القسم الأول ---------- ۹۲۶
اشاره ---------- ۹۲۶
اللغه ---------- ۹۲۷
المعنى ---------- ۹۲۷
فقوله:فأين تذهبون.إلى قوله:منصوبه. ---------- ۹۲۷
و قوله:فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن. ---------- ۹۲۸
و قوله:وردوهم ورود الهيم العطاش. ---------- ۹۲۸
و قوله:أيها الناس.إلى قوله:ببال ---------- ۹۲۸
و قوله:فلا تقولوا بما لا تعرفون . ---------- ۹۳۰
و قوله:و أعذروا من لا حجّه لكم عليه و هو أنا . ---------- ۹۳۱
و قوله:أ لم أعمل فيكم إلى قوله:من نفسى . ---------- ۹۳۱
و قوله:و أريتكم كرايم الأخلاق من نفسى ---------- ۹۳۱
و قوله:فلا تستعملوا الرأى إلى آخره . ---------- ۹۳۱
القسم الثانى ---------- ۹۳۳
اشاره ---------- ۹۳۳
اللغه ---------- ۹۳۳
المعنى ---------- ۹۳۳
۸۵-و من خطبه له عليه التلام ---------- ۹۳۴
اشاره ---------- ۹۳۴
اللغه ---------- ۹۳۴

المعنی -- ۹۳۴
اشاره -- ۹۳۴
فقوله:أمّا بعد.إلی قوله:ببصیر . -- ۹۳۵
و قوله:و فی دون ما استقبلتم من عتب -- ۹۳۵
و قوله:فما کلّ ذی قلب بلبیب.إلی قوله:ببصیر . --- ۹۳۶
و قوله:یا عجبا.إلی آخره . -- ۹۳۶
۸۶-و من خطبه له علیه السّلام -- ۹۳۸
اشاره -- ۹۳۸
اللغه --- ۹۳۹
المعنی -- ۹۳۹
۸۷-و من خطبه له علیه السّلام -- ۹۴۳
اشاره -- ۹۴۳
اللغه --- ۹۴۴
المعنی -- ۹۴۴
و قد صدر هذا الفصل باعتبارات إضافیّه للحقّ سبحانه فی معرض تمجیده : --- ۹۴۴
فالأوّل:کونه تعالی معروفا من غیر رؤیه -- ۹۴۴
الثانی:کونه تعالی خالقا من غیر رویّه -- ۹۴۴
الثالث:کونه لم یزل دائما -- ۹۴۴
الرابع:کونه قائما. -- ۹۴۴
الخامس:هوالقاهرلعباده المقتدر علیهم -- ۹۴۵
السادس:کونه مبتدع الخلق -- ۹۴۵
السابع:کونه وارثه: --- ۹۴۵
الثامن:کونه إله الخلق -- ۹۴۵
التاسع:کونه رازقهم -- ۹۴۵
العاشر:کونه تعالی قسم أرزاقهم -- ۹۴۷
الحادی عشر:کونه أحصی آثارهم. -- ۹۴۷

الثانی عشر:هو الّذی اشتدّت نقمته علی أعدائه فی سعه رحمته و اتّسعت رحمته ----- ۹۴۷
الثالث عشر:قاهر من عازّه. ----- ۹۴۸
الرابع عشر: ----- ۹۴۸
الخامس عشر: ----- ۹۴۸
السادس عشر:و غالب من عاداه. ----- ۹۴۸
السابع عشر: ----- ۹۴۸
الثامن عشر: ----- ۹۴۸
التاسع عشر: ----- ۹۴۸
العشرون: ----- ۹۴۸
و قوله:عباد اللّه إلی آخره. ----- ۹۴۹
و قوله:و حاسبوه قبل أن تحاسبوا. ----- ۹۵۰
اشاره ----- ۹۵۰
للعارفین فی سلوک سبیل اللّه و مرابطتهم مع أنفسهم مقامات خمسه: ----- ۹۵۰
الاولی:المشارطه ثمّ المراقبه ثمّ المحاسبه ثمّ المعاتبه ثمّ المجاهده و المعاقبه. ----- ۹۵۰
الثانیه:أن لا یغفل عن مراقبتها لحظه فلحظه ----- ۹۵۱
الثالثه:ثمّ بعد الفراغ من العمل ینبغی أن یحاسبها و یطالبها بالوفاء بما شرط ----- ۹۵۱
الرابعه:المجاهده و المعاقبه، ----- ۹۵۲
الخامسه:توبیخ النفس و معاتبتها، ----- ۹۵۲
و قوله و تنفّسوا من قبل ضیق الخناق. ----- ۹۵۳
و قوله:و انقادوا قبل عنف السیاق. ----- ۹۵۳
و قوله:و اعلموا أنّه من لم یعن علی نفسه إلی آخره. ----- ۹۵۳
۸۸-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۹۵۳
اشاره ----- ۹۵۳
الفصل الأوّل. ----- ۹۵۴
اشاره ----- ۹۵۴
اللغه ----- ۹۵۵

و قد شرع فی وصف اللّه سبحانه باعتبارات له إلی آثاره : ----- ۹۵۵
الأوّل: ----- ۹۵۵
الثانی:و لا ینقصه عطاؤه و جوده. ----- ۹۵۵
الثالث:أنّه المنّان بفوائد النعم ----- ۹۵۶
الرابع: ----- ۹۵۶
الخامس:کونه نهج سبیل الراغبین إلیه و الطالبین ما لدیه ----- ۹۵۶
السادس:کونه لیس بما سئل بأجود منه بما لم یسئل ----- ۹۵۶
السابع: ----- ۹۵۷
الثامن:و الآخر الّذی لیس له بعد فیکون شیء بعده ----- ۹۵۷
التاسع:الرادع اناسیّ الأبصار عن أن تناله أو تدرکه ----- ۹۵۸
العاشر:کونه لم یختلف علیه دهر فیختلف علیه الحال. ----- ۹۵۸
الحادی عشر:و لا کان فی مکان فیجوز علیه الانتقال. ----- ۹۵۸
الثانی عشر:کونه لو وهب ما تنفّست عنه معادن الجبال ----- ۹۵۸
الفصل الثانی: ----- ۹۵۹
اشاره ----- ۹۵۹
اللغه ----- ۹۶۱
المعنی ----- ۹۶۱
و صدر هذا الفصل تأدیب الخلق ----- ۹۶۱
إشاره إلی السدد المضروبه و حجب الغیوب. ----- ۹۶۲
فأقسام المحجوبین ثلاثه: ----- ۹۶۲
القسم الأوّل:المحجوبون بمجرّد الظلمه ----- ۹۶۳
القسم الثانی:المحجوبون بنور مقرون بظلمه ----- ۹۶۳
فصنف منهم ----- ۹۶۳
الاولی:عبده الأوثان ----- ۹۶۳
الثانیه:طائفه ترقّوا عن رتبه الأحجار فکانوا أدخل من عبده الأوثان فی ملاحظه ----- ۹۶۳
الثالثه:طائفه ترقّوا عن هؤلاء و قالوا:ینبغی أن یکون الربّ نورانیّا فی ----- ۹۶۴

الرابعه:طائفه ترقّوا عن ذلک فرأوا أنّ النار تطفی و تقهر فلا تصلح للإلهيّه ---- ۹۶۵

الخامسه:طائفه ترقّوا عن هؤلاء فقالوا:و إن وجب أن یکون الربّ بالصفات ---- ۹۶۵

السادسه:طائفه ترقّوا عن ذلک فقالوا:إنّ الشمس لا تتفرّد بالنور بل لغیرها ---- ۹۶۵

الصنف الثانی:المحجوبون ببعض الأنوار مقرونه بظلمه الخیال ---- ۹۶۵

الصنف الثالث:المحجوبون بأنوار الإلهیّه مقرونه بمقایسات عقلیّه فاسده مظلمه ---- ۹۶۵

القسم الثالث:المحجوبون بمحض الأنوار، ---- ۹۶۷

الأوّل:الّذین عرفوا معانی هذه الصفات و فرّقوا بین إطلاق أسمائها علی اللّه تعالی ---- ۹۶۷

الصنف الثانی:الّذین عرفوا أنّ فی السماوات ملائکه کثیره ---- ۹۶۷

الصنف الثالث:الّذین ترقّوا عن هؤلاء و قالوا:إنّ تحریک الأجسام الفلکیّه ---- ۹۶۷

و قوله:فاقتصر علی ذلک ---- ۹۶۸

و قوله:و لا تقدّر عظمه اللّه تعالی علی قدر عقلک فتکون من الهالکین. ---- ۹۶۸

و قوله.:هو القادر الّذی إذا ارتمت.إلی آخره. ---- ۹۶۹

و قوله:و هی تجوب مهاوی سدف الغیوب متخلّصه إلیه سبحانه. ---- ۹۷۰

و قوله:فرجعت إذ جبهت.إلی قوله:عزّته. ---- ۹۷۰

و قوله:الّذی ابتدع الخلق علی غیر مثال.إلی قوله:قبله. ---- ۹۷۰

و قوله:و أرانا من ملکوت قدرته.إلی قوله:معرفته. ---- ۹۷۱

و قوله:و ظهرت فی البدائع.إلی قوله:قائمه. ---- ۹۷۱

و قوله:و أشهد أنّ من شبّهک.إلی قوله:بربّ العالمین. ---- ۹۷۲

و قوله:کذب العادلون.إلی قوله:عقولهم. ---- ۹۷۳

و قوله:و أشهد أنّ من ساواک بشیء من خلقک.إلی قوله:بیّناتک. ---- ۹۷۳

و قوله:و إنّک أنت اللّه الّذی لم تتناه فی العقول.إلی قوله:مصرّفا. ---- ۹۷۴

و قوله:و مصرّفا ---- ۹۷۴

الفصل الثالث: ---- ۹۷۴

اشاره ---- ۹۷۴

اللغه ---- ۹۷۵

المعنی ---- ۹۷۵

فقوله:قدّر ما خلق فأحكم تقديره . ---------- ۹۷۵
و قوله:و دبّره فألطف تدبيره ---------- ۹۷۵
و قوله:و وجّهه لوجهته.إلى قوله:إلى غايته ---------- ۹۷۵
و قوله:و لم يستعصب إذ امر بالمضىّ على إرادته ---------- ۹۷۵
و قوله:و كيف و إنّما صدرت الامور عن مشيئته ---------- ۹۷۶
و قوله:المنشىء أصناف الأشياء.إلى قوله:عجائب الامور. ---------- ۹۷۶
و قوله:فأتمّ خخلقه و أذعن لطاعته و أجاب إلى دعوته. ---------- ۹۷۶
و قوله:و لم يعترض دونه ريث المبطئ و لا أناه المتلكّىء. ---------- ۹۷۶
و قوله:فأقام من الأشياء أودها.إلى قوله:و الهيئات. ---------- ۹۷۸
و قوله و فرّقها أجناسا مختلفات فى الحدود و الأقدار و الغرائز و الهيئات. ---------- ۹۷۸
و قوله:بدا يا خلايق أحكم صنعها و فطرها على ما أراد و ابتدعها. ---------- ۹۷۸
الفصل الرابع منها فى صفه السماء: ---------- ۹۷۸
اشاره ---------- ۹۷۸
اللغه ---------- ۹۸۰
و هذا الفصل يشتمل على كيفيّه خلق السماء ---------- ۹۸۰
فقوله:و نظم بلا تعليق.إلى قوله:انفراجها ---------- ۹۸۰
و قوله:و وشّج بينها و بين أزواجها. ---------- ۹۸۱
و قوله:و ذلّل للهابطين بأمره.إلى قوله:انفراجها. ---------- ۹۸۱
و قوله:و ناداها بعد إذ هى دخان فالتحمت عرى أشراجها و افتتق بعد الارتتاق صوامت أبوابها. ---------- ۹۸۲
و قوله:و أقام رصدا من الشهب الثواقب على نقابها. ---------- ۹۸۲
و قوله:و أمسكها من أن تمور فى خرق الهواء بأيده و أمرها أن تقف مستسلمه لأمره. ---------- ۹۸۳
و قوله:و جعل شمسها آيه مبصره لنهارها و قمرها آيه ممحوّه من ليلها. ---------- ۹۸۳
و قوله:فأجراهما فى مناقل مجراهما و قدّر سيرهما فى مدارج درجهما. ---------- ۹۸۴
و قوله:ليميّز بين الليل و النهار.إلى قوله:بمقاديرهما. ---------- ۹۸۴
و قوله:ثم علّق فى جوّها فلكها. ---------- ۹۸۴
و قوله:و ناط بها زينتها من خفيّات دراريها و مصابيح كواكبها. ---------- ۹۸۶

و قوله:و أجراها على إذلال تسخيرها. -- ۹۸۶
الفصل الخامس و منها فى صفه الملائكه: -- ۹۸۷
اشاره -- ۹۸۷
اللغه --- ۹۹۰
و اعلم أنّ هذا الفصل يشتمل على وصف الملائكه --- ۹۹۰
اشاره -- ۹۹۰
الأوّل:ثمّ خلق سبحانه إلى قوله:من الملائكه -- ۹۹۰
الثانى: -- ۹۹۱
الثالث: -- ۹۹۱
الرابع: -- ۹۹۱
الخامس: --- ۹۹۲
السادس: --- ۹۹۲
السابع: -- ۹۹۲
الثامن: -- ۹۹۲
التاسع: --- ۹۹۲
العاشر: --- ۹۹۴
الحادى عشر: -- ۹۹۴
الثانى عشر: --- ۹۹۴
الثالث عشر: --- ۹۹۴
الرابع عشر: --- ۹۹۴
الخامس عشر: -- ۹۹۴
السادس عشر: -- ۹۹۶
السابع عشر: --- ۹۹۶
الثامن عشر: --- ۹۹۶
التاسع عشر: --- ۹۹۶
العشرون: -- ۹۹۸

الحادی و العشرون: ۹۹۸
الثانی و العشرون: ۹۹۸
الثالث و العشرون: ۹۹۹
الرابع و العشرون: ۹۹۹
الخامس و العشرون ۹۹۹
السادس و العشرون: ۱۰۰۰
السابع و العشرون: ۱۰۰۰
الثامن و العشرون: ۱۰۰۰
التاسع و العشرون: ۱۰۰۰
الثلاثون: ۱۰۰۲
الحادی و الثلاثون: ۱۰۰۲
الثانی و الثلاثون: ۱۰۰۲
الثالث و الثلاثون: ۱۰۰۲
الرابع و الثلاثون: ۱۰۰۳
الخامس و الثلاثون: ۱۰۰۳
السادس و الثلاثون: ۱۰۰۳
السابع و الثلاثون: ۱۰۰۴
الثامن و الثلاثون: ۱۰۰۴
الفصل السادس و منها فی صفه الأرض و دحوها علی الماء. ۱۰۰۴
اشاره ۱۰۰۴
اللغه ۱۰۰۹
و اعلم أنّ هذا الفصل یشتمل علی فصول : ۱۰۱۱
الفصل الأوّل:فی تمجید اللّه تعالی باعتبار خلقه للأرض فی الماء و جمله من أحوالها ۱۰۱۱
البحث الأوّل:فی الاستعارات و التشبیهات و أبحاث لفظیّه. ۱۰۱۱
الأوّل: ۱۰۱۱
الثانی: ۱۰۱۱

الثالث: ---------- ۱۰۱۱
الرابع: ---------- ۱۰۱۲
الخامس: ---------- ۱۰۱۲
السادس: ---------- ۱۰۱۳
السابع: ---------- ۱۰۱۳
الثامن: ---------- ۱۰۱۳
التاسع: ---------- ۱۰۱۳
العاشر: ---------- ۱۰۱۳
الحادی عشر: ---------- ۱۰۱۳
الثانی عشر: ---------- ۱۰۱۳
الثالث عشر: ---------- ۱۰۱۴
الرابع عشر: ---------- ۱۰۱۴
الخامس عشر: ---------- ۱۰۱۴
السادس عشر: ---------- ۱۰۱۴
السابع عشر: ---------- ۱۰۱۵
الثامن عشر: ---------- ۱۰۱۵
التاسع عشر: ---------- ۱۰۱۵
العشرون: ---------- ۱۰۱۵
البحث الثانی:أن مقتضی الکلام أنّ اللّه خلق الماء قبل الأرض ثمّ دحاها فیه ---------- ۱۰۱۵
البحث الثالث:أنّه اشیر إلی کونها مدحوّه فی القرآن الکریم أیضا ---------- ۱۰۱۵
البحث الرابع:الإشاره إلی خلق الجبال فیها و کونها سببا لسکونها ---------- ۱۰۱۷
البحث الخامس:فی تفجیر ینابیع العیون فی الجبال و غیرها ---------- ۱۰۱۷
البحث السادس:أنّه أعدّ الهواء لساکنها ---------- ۱۰۱۷
البحث السابع:فی إخراجه تعالی أهل الأرض إلیها بعد تمام مرافقها ---------- ۱۰۱۸
البحث الثامن:فی تمجیده تعالی باعتبار إنشائه للسحاب و البرق ---------- ۱۰۱۹
البحث التاسع:فی تمجیده باعتبار تخریقه للفجاج فی آفاقها: ---------- ۱۰۲۰

الفصل الثانی:فی تمجیده تعالی باعتبار خلقه لآدم ۱۰۲۰
الفائده الاولی: ۱۰۲۰
الفائده الثانیه: ۱۰۲۰
الفائده الثالثه: ۱۰۲۰
الفائده الرابعه ۱۰۲۴
الفائده الخامسه: ۱۰۲۵
الفائده السادسه: ۱۰۲۵
الفائده السابعه: ۱۰۲۵
الفائده الثامنه: ۱۰۲۵
الفائده التاسعه: ۱۰۲۷
الفائده العاشره: ۱۰۲۷
الفصل الثالث:فی تمجیده سبحانه باعتبار کونه عالما بالأشیاء ۱۰۲۸
الفصل الرابع:فی تمجیده خطابا له و دعاء و طلبا لجزاء ما سبق من ثنائه ۱۰۳۰
و فیه إشارات: ۱۰۳۰
الاولی: ۱۰۳۰
الثانیه: ۱۰۳۰
الثالثه: ۱۰۳۰
الرابعه ۱۰۳۲
۸۹-و من خطبه له علیه السّلام ۱۰۳۲
اشاره ۱۰۳۲
المعنی ۱۰۳۲
اشاره ۱۰۳۲
قوله فإنّا مستقبلون أمرا له وجوه و ألوان لا تقوم له القلوب ۱۰۳۳
و قوله:و إنّ الآفاق قد أغامت و المحجّه قد تنکّرت. ۱۰۳۳
و قوله:و اعلموا.إلی قوله:عتب العاتب. ۱۰۳۳
و قوله:و إن ترکتمونی إلی آخره. ۱۰۳۳

۹۰-و من خطبه له علیه السّلام ۱۰۳۴
اشاره ۱۰۳۴
المعنی ۱۰۳۶
اللغه ۱۰۳۶
اشاره ۱۰۳۶
فقوله:فأنا فقأت عین الفتنه ۱۰۳۶
و قوله:و لم یکن لیجترئ علیها أحد غیری ۱۰۳۶
و قوله:فاسئلونی.إلی قوله:و من یموت منهم موتا . ۱۰۳۸
و قوله:و لو قد فقدتمونی.إلی قوله:المسئولین. ۱۰۳۸
و قوله:ذلک. ۱۰۳۸
و قوله:إذا قلصت حربکم ۱۰۳۹
و قوله:حتّی یفتح اللّه لبقیّه الأبرار منکم. ۱۰۳۹
و قوله:إنّ الفتن إذا أقبلت تشبّهتشبّهت خ. ۱۰۳۹
و قوله:ینکرن مقبلات و یعرفن مدبرات. ۱۰۳۹
و قوله:و یحمن حومحول خالریاح. ۱۰۳۹
و قوله:ألا إنّ أخوف الفتن عندی إلی آخر. ۱۰۳۹
و قوله:نحن أهل البیت منها بمنجاه و لسنا فیها بدعاه ۱۰۴۲
و قوله:ثمّ یفرّجهایفرج خاللّه کتفریج الأدیم.إلی قوله:إلاّ الخوف. ۱۰۴۲
و قوله:حتّی تودّ قریش إلی آخره. ۱۰۴۲
۹۱-و من خطبه له علیه السّلام ۱۰۴۳
القسم الأول ۱۰۴۳
اشاره ۱۰۴۳
المعنی ۱۰۴۳
اشاره ۱۰۴۳
و قوله:الّذی لا یبلغه بعد الهمم و لا یناله حدس الفطن. ۱۰۴۳
و قوله:الأوّل إلی آخره. ۱۰۴۳

القسم الثانی ۱۰۴۵
اشاره ۱۰۴۵
اللغه ۱۰۴۵
المعنی ۱۰۴۶
و قوله،و استودعهم.إلی قوله:خلف . ۱۰۴۶
و قوله:کلّما مضی منهم سلف قام بدین اللّه منهم خلف. ۱۰۴۶
و قوله:حتّی أفضت کرامه اللّه إلی محمّد صلی اللّه علیه و آله و سلّم.إلی قوله:امناءه. ۱۰۴۶
و قوله:عترته خیر العتر و اسرته خیر الاسر. ۱۰۴۷
و قوله:و شجرته خیر الشجز. ۱۰۴۷
و قوله:فهو إمام من اتّقی.إلی قوله:لمعه ۱۰۴۷
و قوله:سیرته القصد. ۱۰۴۸
و قوله:أرسله علی حین فتره من الرسل و هفوه من العمل. ۱۰۴۸
و قوله:اعملوا رحمکم اللّه علی أعلام بیّنه. ۱۰۴۸
و قوله:و الطریق نهج «یَدْعُوا إِلی دارِ السَّلامِ» . ۱۰۴۸
و قوله:و أنتم فی دار مستعتب. ۱۰۴۸
و قوله:و الصحف منشوره إلی آخره. ۱۰۴۹
۹۲-و من خطبه له علیه السّلام ۱۰۵۰
اشاره ۱۰۵۰
أقول:الفصل لتقریر فضیله الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم ۱۰۵۰
اشاره ۱۰۵۰
و قوله:قد استهوتهم الأهواء. ۱۰۵۰
و قوله:حیاری فی زلزال من الأمر و بلاء من الجهل. ۱۰۵۱
و قوله:فبالغ إلی آخره. ۱۰۵۱
۹۳-و من خطبه له علیه السّلام ۱۰۵۱
القسم الأول ۱۰۵۱
اشاره ۱۰۵۱

المعنی ---- ۱۰۵۱
القسم الثانی منها فی ذکر الرسول صلی الله علیه و آله و سلّم ---- ۱۰۵۲
اشاره ---- ۱۰۵۲
اللغه ---- ۱۰۵۲
المعنی ---- ۱۰۵۲
۹۴-و من کلام له علیه السّلام ---- ۱۰۵۳
اشاره ---- ۱۰۵۳
اللغه ---- ۱۰۵۵
المعنی ---- ۱۰۵۵
۹۵-و من کلام له علیه السّلام ---- ۱۰۶۰
اشاره ---- ۱۰۶۰
اللغه ---- ۱۰۶۰
المعنی ---- ۱۰۶۰
فهرست أهمّ مطالب ما فی هذا الجزء ---- ۱۰۶۲
المجلد ۳ ---- ۱۰۶۹
اشاره ---- ۱۰۶۹
تتمه باب الخطب ---- ۱۰۷۰
اشاره ---- ۱۰۷۰
۹۶-و من خطبه له علیه السّلام ---- ۱۰۷۰
اشاره ---- ۱۰۷۰
اللغه ---- ۱۰۷۱
المعنی ---- ۱۰۷۱
فقوله:نحمده.إلی قوله:فی الأبدان . ---- ۱۰۷۱
و قوله:و لا تنافسوا.إلی قوله:إلی فناء . ---- ۱۰۷۲
و قوله:أ و لیس لکم فی آثار الأوّلین.إلی قوله:لا یبقون . ---- ۱۰۷۳
۹۷-و من خطبه له علیه السّلام ---- ۱۰۷۴

اشاره ---------- ۱۰۷۴
اللغه ---------- ۱۰۷۴
المعنی ---------- ۱۰۷۴
اشاره ---------- ۱۰۷۴
فقوله:الحمد للّه.إلی قوله:حقوقه . ---------- ۱۰۷۵
و قوله:فلا تطمعوا فی غیر مقبل . ---------- ۱۰۷۶
و قوله:و لا تیأسوا من مدبر.إلی قوله:تثبتا جمیعا . ---------- ۱۰۷۶
و قوله:ألا إنّ مثل آل محمّد.إلی قوله:طلع نجم . ---------- ۱۰۷۶
و قوله:فکأنّکم.إلی آخر . ---------- ۱۰۷۷
۹۸-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۱۰۷۷
اشاره ---------- ۱۰۷۷
اللغه ---------- ۱۰۷۸
المعنی ---------- ۱۰۷۹
اشاره ---------- ۱۰۷۹
و قوله:بأولیّته وجب أن لا أوّل له . ---------- ۱۰۷۹
و قوله:لکأنّی أنظر إلی ضلیل قد نعق بالشام . ---------- ۱۰۷۹
و قوله:عقدت رایات الفتن المعضله . ---------- ۱۰۸۰
و قوله:و عن قلیل تلتفّ القرون بالقرون.إلی آخره . ---------- ۱۰۸۰
۹۹-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۱۰۸۱
اشاره ---------- ۱۰۸۱
القسم الأول ---------- ۱۰۸۱
اشاره ---------- ۱۰۸۱
اللغه ---------- ۱۰۸۱
المعنی ---------- ۱۰۸۱
اشاره ---------- ۱۰۸۱
و قوله:و رجفت بهم الأرض . ---------- ۱۰۸۱

و قوله:فأحسنهم حالاً من وجد لقدميه موضعا و لنفسه متّسعا . ----- ۱۰۸۱
القسم الثانی ----- ۱۰۸۳
اشاره ----- ۱۰۸۳
اللغه ----- ۱۰۸۳
المعنی ----- ۱۰۸۳
اشاره ----- ۱۰۸۳
و قوله:و سیبتلی أهلک بالموت الأحمر و الجوع الأغبر . ----- ۱۰۸۴
۱۰۰-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۱۰۸۶
القسم الأول ----- ۱۰۸۶
اشاره ----- ۱۰۸۶
اللغه ----- ۱۰۸۶
المعنی ----- ۱۰۸۶
القسم الثانی ----- ۱۰۸۷
اشاره ----- ۱۰۸۷
المعنی ----- ۱۰۸۸
القسم الثالث ----- ۱۰۸۸
اشاره ----- ۱۰۸۸
اللغه ----- ۱۰۹۰
المعنی ----- ۱۰۹۰
۱۰۱-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۱۰۹۱
اشاره ----- ۱۰۹۱
اللغه ----- ۱۰۹۱
المعنی ----- ۱۰۹۱
۱۰۲-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۱۰۹۲
اشاره ----- ۱۰۹۲
اللغه ----- ۱۰۹۴

المعنی ۱۰۹۴
و قوله:حتّی بعث محمّدا صلّی اللّه علیه و آله و سلم.إلی قوله:من بعده . ۱۰۹۴
و قوله:فما احلولت لکم الدنیا فی لذّاتها.إلی قوله:من بعده. ۱۰۹۵
و قوله:و صادفتموها.إلی قوله:غیر موجود . ۱۰۹۵
قوله:و صادفتموها و اللّه.إلی قوله:معدودا. ۱۰۹۷
و قوله:ألا إنّ لکلّ دم ثائرا.إلی قوله:من هرب. ۱۰۹۷
و قوله:فإنّ النازل بهذا المنزل . ۱۰۹۸
و قوله:ینقل الردی علی ظهره من موضع . ۱۰۹۹
و قوله:لرأی یحدثه بعد رأی یرید أن یلصق ما لا یلتصق . ۱۰۹۹
و قوله:من قبل أن تشغلوا بأنفسکم . ۱۱۰۰
۱۰۳-و من خطبه له علیه السّلام ۱۱۰۰
القسم الأول ۱۱۰۰
اشاره ۱۱۰۰
اللغه ۱۱۰۱
المعنی ۱۱۰۱
اشاره ۱۱۰۱
مدح الإسلام بأوصاف أسندها إلی مفیضه و شارعه سبحانه ۱۱۰۱
أحدها: ۱۱۰۱
الثانی: ۱۱۰۱
الثالث: ۱۱۰۲
الرابع: ۱۱۰۲
الخامس: ۱۱۰۳
السادس: ۱۱۰۳
السابع: ۱۱۰۳
الثامن: ۱۱۰۳
التاسع: ۱۱۰۳

العاشر: ----- ۱۱۰۳
الحادی عشر: ----- ۱۱۰۳
الثانی عشر: ----- ۱۱۰۳
الثالث عشر: ----- ۱۱۰۴
الرابع عشر: ----- ۱۱۰۵
الخامس عشر: ----- ۱۱۰۵
السادس عشر: ----- ۱۱۰۵
السابع عشر: ----- ۱۱۰۵
الثامن عشر: ----- ۱۱۰۵
التاسع عشر: ----- ۱۱۰۵
العشرون: ----- ۱۱۰۵
الحادی و العشرون: ----- ۱۱۰۵
الثانی و العشرون: ----- ۱۱۰۶
الثالث و العشرون: ----- ۱۱۰۷
الرابع و العشرون: ----- ۱۱۰۷
الخامس و العشرون: ----- ۱۱۰۷
القسم الثانی منها فی ذکر النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلم: ----- ۱۱۰۷
اشاره ----- ۱۱۰۷
اللغه ----- ۱۱۰۸
المعنی ----- ۱۱۰۸
فقوله:حتّی أوری.إلی قوله:لحابس . ----- ۱۱۰۸
و قوله:فهو أمینک المأمون . ----- ۱۱۰۸
و قوله:و اجزه مضاعفات الخیر من فضلک . ----- ۱۱۰۸
و قوله:اللّهمّ أعل علی بناء البانین بنائه . ----- ۱۱۱۰
القسم الثالث و منها فی خطاب أصحابه: ----- ۱۱۱۰
اشاره ----- ۱۱۱۰

المعنى ----- ۱۱۱۰
۱۰۴-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۱۱۱۲
اشاره ----- ۱۱۱۲
اللغه ----- ۱۱۱۲
المعنى ----- ۱۱۱۲
۱۰۵-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۱۱۱۳
اشاره ----- ۱۱۱۳
القسم الأول ----- ۱۱۱۳
اشاره ----- ۱۱۱۳
أقول:حمد اللّه تعالى باعتبارات خمسه : ----- ۱۱۱۳
أحدها: ----- ۱۱۱۳
الثانی: ----- ۱۱۱۳
الثالث: ----- ۱۱۱۴
الرابع: ----- ۱۱۱۴
الخامس: ----- ۱۱۱۴
القسم الثانی منها فی ذکر النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم: ----- ۱۱۱۴
اشاره ----- ۱۱۱۴
اللغه ----- ۱۱۱۴
و فی الفصل استعارات : ----- ۱۱۱۴
الاولى: ----- ۱۱۱۴
الثانیه: ----- ۱۱۱۴
الثالثه: ----- ۱۱۱۶
الرابعه: ----- ۱۱۱۶
الخامسه: ----- ۱۱۱۶
السادسه: ----- ۱۱۱۶
القسم الثالث و منها ----- ۱۱۱۶

اشاره ---------- ۱۱۱۶
اللغه ---------- ۱۱۱۸
المعنی ---------- ۱۱۱۸
فقوله:طبیب دوّار بطبّه. ---------- ۱۱۱۸
و قوله:متّبع. ---------- ۱۱۱۸
و قوله:فهم فی ذلک ---------- ۱۱۱۸
و قوله:قد انجابت السرائر لأهل البصائر . ---------- ۱۱۲۰
و قوله:و وضحت محجّه الحقّ لخابطها . ---------- ۱۱۲۰
و قوله:و أسفرت الساعه عن وجهها : ---------- ۱۱۲۰
و قوله:و ظهرت العلامه لمتوسّمها : ---------- ۱۱۲۰
و قوله:ما لی أراکم أشباحا بلا أرواح . ---------- ۱۱۲۰
و قوله:و أرواحا بلا أشباح . ---------- ۱۱۲۰
قوله:و نسّاکا بلا صلاح . ---------- ۱۱۲۲
و قوله:و تجّارا بلا أرباح . ---------- ۱۱۲۲
و قوله:و أیقاظا نوّما . ---------- ۱۱۲۲
و قوله:و شهودا غیّبا : ---------- ۱۱۲۲
و قوله:و ناظره عمیاء . ---------- ۱۱۲۲
و قوله:و سامعه صمّاء : ---------- ۱۱۲۴
و قوله:و ناطقه بکماء : ---------- ۱۱۲۴
و قوله:رایه ضلالهرأیت ضلاله خ . ---------- ۱۱۲۴
و قوله:قائدها خارج عن الملّه : ---------- ۱۱۲۴
و قوله:فلا یبقی یومئذ منکم إلّا ثفاله کثفاله القدر . ---------- ۱۱۲۴
و قوله:و لکلّ أجل کتاب و لکلّ غیبه إیاب. ---------- ۱۱۲۵
و قوله:و لیجمع شمله ---------- ۱۱۲۶
و قوله:و لقد فلق لکم الأمر فلق الخرزه: ---------- ۱۱۲۶
و قوله:فعند ذلک. ---------- ۱۱۲۶

و قوله:و عظمت الطاغیه ---------- ۱۱۲۶
و قوله:وصال الدهر صیال السبع العقور ---------- ۱۱۲۶
و قوله:و تواخی الناس علی الفجور: ---------- ۱۱۲۸
و قوله:فإذا کان ذلک کان الولد غیظا: ---------- ۱۱۲۸
و قوله:و المطر قیظا. ---------- ۱۱۲۸
و قوله:و کان أهل ذلک الزمان.إلی قوله:أمواتا. ---------- ۱۱۲۸
۱۰۶-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۱۱۲۹
الفصل الأول ---------- ۱۱۲۹
اشاره ---------- ۱۱۲۹
اللغه ---------- ۱۱۳۰
و فیه اعتبارات ثبوتیّه و سلبیّه: ---------- ۱۱۳۰
اشاره ---------- ۱۱۳۰
الأوّل:خشوع کلّ شیء له ---------- ۱۱۳۰
الثانی:قیام کلّ شیء به ---------- ۱۱۳۱
الثالث: ---------- ۱۱۳۱
الرابع: ---------- ۱۱۳۲
الخامس: ---------- ۱۱۳۲
السادس: ---------- ۱۱۳۲
السابع: ---------- ۱۱۳۳
الثامن: ---------- ۱۱۳۳
التاسع: ---------- ۱۱۳۳
العاشر: ---------- ۱۱۳۳
الحادی عشر من الاعتبارات السلبیّه: ---------- ۱۱۳۳
الثانی عشر: ---------- ۱۱۳۴
الثالث عشر: ---------- ۱۱۳۴
الرابع عشر: ---------- ۱۱۳۴

الخامس عشر: ----- ۱۱۳۴
السادس عشر: ----- ۱۱۳۴
السابع عشر: ----- ۱۱۳۴
الثامن عشر: ----- ۱۱۳۵
التاسع عشر: ----- ۱۱۳۵
العشرون: ----- ۱۱۳۵
الحادی و العشرون: ----- ۱۱۳۵
الثانی و العشرون: ----- ۱۱۳۵
الثالث و العشرون: ----- ۱۱۳۷
الرابع و العشرون: ----- ۱۱۳۷
الخامس و العشرون: ----- ۱۱۳۷
السادس و العشرون: ----- ۱۱۳۷
و قوله:سبحانک ما أعظم ما نری من خلقک.إلی آخره . ----- ۱۱۳۷
منها: ----- ۱۱۳۹
اشاره ----- ۱۱۳۹
اللغه ----- ۱۱۳۹
المعنی ----- ۱۱۳۹
اشاره ----- ۱۱۳۹
فذکر الملائکه السماویه،و أشار إلی أفضلیّتهم بأوصاف : ----- ۱۱۳۹
الأوّل:کونهم أعلم خلق اللّه به ----- ۱۱۳۹
الثانی:کونهم أخوف له ----- ۱۱۴۰
الثالث:کونهم أقرب منه ----- ۱۱۴۰
الرابع من سلب النقصانات البشریّه عنهم ----- ۱۱۴۰
و قوله:و إنّهم علی مکانتهممکانهم خمنک.إلی آخره. ----- ۱۱۴۰
الفصل الثانی ----- ۱۱۴۲
اشاره ----- ۱۱۴۲

اللغه ---------- ۱۱۴۴
و فی هذا الفصل نکت : ---------- ۱۱۴۴
الاولی:أنّ خالقا و معبودا حالان انتصبا عمّا فی سبحانک من معنی الفعل: ---------- ۱۱۴۴
الثانیه: ---------- ۱۱۴۴
الثالثه: ---------- ۱۱۴۵
الرابعه ---------- ۱۱۴۷
الخامسه: ---------- ۱۱۴۷
السادسه: ---------- ۱۱۴۹
الفصل الثالث: ---------- ۱۱۵۰
اشاره ---------- ۱۱۵۰
اللغه ---------- ۱۱۵۰
المعنی ---------- ۱۱۵۱
اشاره ---------- ۱۱۵۱
و الّذی یحتمل أن یقال فی ذلک وجوه: ---------- ۱۱۵۱
أحدها ---------- ۱۱۵۱
الثانی: ---------- ۱۱۵۱
الثالث: ---------- ۱۱۵۱
الرابع: ---------- ۱۱۵۲
الفصل الرابع و منها فی ذکر النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم: ---------- ۱۱۵۴
اشاره ---------- ۱۱۵۴
اللغه ---------- ۱۱۵۴
المعنی ---------- ۱۱۵۴
۱۰۷-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۱۱۵۵
اشاره ---------- ۱۱۵۵
اللغه ---------- ۱۱۵۶
و قد أشار علیه السّلام فی هذا الفصل إلی أنّ أفضل الوسائل الموصله إلی اللّه سبحانه ---------- ۱۱۵۶

اشاره ----- ۱۱۵۶
ثمّ له لواحق و کمالات: ----- ۱۱۵۶
اشاره ----- ۱۱۵۶
أحدها:التصدیق برسوله ----- ۱۱۵۷
الثانی:الجهاد فی سبیله ----- ۱۱۵۷
الثالث: ----- ۱۱۵۷
الرابع: ----- ۱۱۵۷
الخامس: ----- ۱۱۶۰
السادس: ----- ۱۱۶۲
السابع: ----- ۱۱۶۲
الثامن: ----- ۱۱۶۳
التاسع: ----- ۱۱۶۳
العاشر: ----- ۱۱۶۳
الحادی عشر: ----- ۱۱۶۴
ما یؤکّد الإیمان فی القلوب ----- ۱۱۶۴
۱۰۸-و من خطبته له علیه السّلام ----- ۱۱۶۶
اشاره ----- ۱۱۶۶
اللغه ----- ۱۱۶۸
و اعلم أنّ مدار هذا الفصل علی التحذیر من الدنیا و التنفیر عنها بذکر معایبها، ----- ۱۱۶۹
اشاره ----- ۱۱۶۹
فالأولی: ----- ۱۱۶۹
الثانیه: ----- ۱۱۶۹
الثالثه: ----- ۱۱۶۹
الرابعه: ----- ۱۱۶۹
الخامسه: ----- ۱۱۷۱
السادسه: ----- ۱۱۷۱

السابعه: ---------- ۱۱۷۱
الثامنه: ---------- ۱۱۷۱
التاسعه: ---------- ۱۱۷۳
العاشره: ---------- ۱۱۷۳
الحادی عشر: ---------- ۱۱۷۳
الثانیه عشر: ---------- ۱۱۷۴
۱۰۹-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۱۱۷۴
اشاره ---------- ۱۱۷۴
المعنی ---------- ۱۱۷۵
۱۱۰-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۱۱۷۷
اشاره ---------- ۱۱۷۷
اللغه ---------- ۱۱۷۹
و فی هذا الفصل نکت : ---------- ۱۱۷۹
فالاولی:التحذیر من الدنیا و الاستدراج إلی ترکها بذکر معایبها ---------- ۱۱۷۹
الثانیه:التأدیب بأوامر: ---------- ۱۱۷۹
الثالثه:شرح حال الزاهدین فی الدنیا ---------- ۱۱۷۹
الرابعه:تعنیف السامعین علی ما هم علیه من الأحوال المضرّه فی الآخره ---------- ۱۱۸۱
۱۱۱-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۱۱۸۱
اشاره ---------- ۱۱۸۱
اللغه ---------- ۱۱۸۴
و فی الخطبه لطائف: ---------- ۱۱۸۴
الاولی:أنّه صدّر الخطبه بحمد اللّه تعالی باعتبارین : ---------- ۱۱۸۴
أحدهما:وصله حمد حامدیه بإفاضه نعمه علیهم ---------- ۱۱۸۴
الثانی:وصله النعم الّتی یفیضها علی عباده ---------- ۱۱۸۴
الثانیه:أنّه نبّه بتسویته بین حمده علی النعماء و حمده علی البلاء ---------- ۱۱۸۴
الثالثه:نبّه علی وجوب استعانته تعالی علی النفوس ---------- ۱۱۸۵

الرابعه:نبّه على وجوب طلب المغفره من اللّه لكلّ ذنب صغير أو كبير ----- ۱۱۸۵

الخامسه:إنّما خصّ إيمان من عاين الغيوب و وقف على الموعود ----- ۱۱۸۵

السادسه:كون الشهادتين تصعدان القول و ترفعان العمل ----- ۱۱۸۵

السابعه:أراد بكون تقوى اللّه هى الزاد ----- ۱۱۸۵

الثامنه:أراد بأسمع داع ----- ۱۱۸۵

التاسعه:وصف ما يستلزم تقوى اللّه من الآثار فى أولياء اللّه ----- ۱۱۸۷

العاشره.ذكر مذامّ الدنيا إجمالا ----- ۱۱۸۷

الحاديه عشر:نسب الغرور إلى سرورها و الظماء إلى ريّها و الضحى إلى فيئها، ----- ۱۱۸۷

الثانيه عشر:قوله:أنّه ليس شىء بشرّ من الشرّ إلاّ عقابه.إلى قوله:سماعه. ----- ۱۱۸۸

الثالثه عشر:نبّه بالنهى عن ترجيح طلب الرزق على الاشتغال بفرائض اللّه، ----- ۱۱۸۹

الرابعه عشر:نبّه على وجوب المحافظه على العمر بالعمل فيه للآخره ----- ۱۱۹۰

الخامسه عشر:أنّه ختم بالآيه اقتباسا من نور القرآن ----- ۱۱۹۰

۱۱۲-و من خطبه له عليه السّلام ----- ۱۱۹۰

اشاره ----- ۱۱۹۰

اللغه ----- ۱۱۹۲

المعنى ----- ۱۱۹۲

۱۱۳-و من خطبه له عليه السّلام ----- ۱۱۹۳

القسم الأول ----- ۱۱۹۳

اشاره ----- ۱۱۹۳

اللغه ----- ۱۱۹۳

المعنى ----- ۱۱۹۳

القسم الثانى مِنْهَا ----- ۱۱۹۳

اشاره ----- ۱۱۹۳

اللغه ----- ۱۱۹۵

المعنى ----- ۱۱۹۵

۱۱۴-و من كلام له عليه السّلام ----- ۱۱۹۷

اشاره ----- ۱۱۹۷
أقول:مدار هذا الفضل على التوبيخ بالبخل بالأموال و الأنفس ----- ۱۱۹۷
۱۱۵-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۱۹۸
اشاره ----- ۱۱۹۸
اللغه ----- ۱۱۹۸
و قد اشتمل هذا الفصل على استماله طباع أصحابه إلى مناصحته فى الحرب. ----- ۱۱۹۸
۱۱۶-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۱۹۸
اشاره ----- ۱۱۹۸
اللغه ----- ۱۱۹۹
و مدار هذا الفصل على الدعاء علیهم ----- ۱۱۹۹
۱۱۷-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۲۰۰
اشاره ----- ۱۲۰۰
المعنى ----- ۱۲۰۱
۱۱۸-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۱۲۰۲
اشاره ----- ۱۲۰۲
اللغه ----- ۱۲۰۳
المعنى ----- ۱۲۰۳
۱۱۹-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۲۰۶
اشاره ----- ۱۲۰۶
اللغه ----- ۱۲۰۷
المعنى ----- ۱۲۰۷
۱۲۰-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۲۰۸
اشاره ----- ۱۲۰۸
اللغه ----- ۱۲۰۹
المعنى ----- ۱۲۰۹
۱۲۱-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۲۰۹

اشاره ----- ۱۲۰۹
اللغه ----- ۱۲۰۹
المعنی ----- ۱۲۱۰
۱۲۲-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۲۱۰
اشاره ----- ۱۲۱۰
اللغه ----- ۱۲۱۱
المعنی ----- ۱۲۱۲
۱۲۳-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۲۱۴
اشاره ----- ۱۲۱۴
اللغه ----- ۱۲۱۵
المعنی ----- ۱۲۱۵
۱۲۴-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۲۱۸
اشاره ----- ۱۲۱۸
اللغه ----- ۱۲۱۹
المعنی ----- ۱۲۱۹
۱۲۵-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۲۲۰
اشاره ----- ۱۲۲۰
اللغه ----- ۱۲۲۲
المعنی ----- ۱۲۲۲
۱۲۶-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۲۲۴
اشاره ----- ۱۲۲۴
اللغه ----- ۱۲۲۵
المعنی ----- ۱۲۲۵
۱۲۷-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۲۲۶
اشاره ----- ۱۲۲۶
اللغه ----- ۱۲۲۷

المعنی ----- ۱۲۲۷

۱۲۸-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۲۲۹

اشاره ----- ۱۲۲۹

اللغه ----- ۱۲۳۰

المعنی ----- ۱۲۳۰

و قد نفّر علیه السّلام عن الدنیا بذکر عدّه من معایبها: ----- ۱۲۳۰

أحدها: ----- ۱۲۳۰

الثانیه: ----- ۱۲۳۰

۱۲۹-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۲۳۳

اشاره ----- ۱۲۳۳

المعنی ----- ۱۲۳۳

۱۳۰-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۲۳۵

اشاره ----- ۱۲۳۵

اللغه ----- ۱۲۳۶

المعنی ----- ۱۲۳۶

۱۳۱-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۲۳۷

القسم الأول ----- ۱۲۳۷

اشاره ----- ۱۲۳۷

المعنی ----- ۱۲۳۷

القسم الثانی منه: ----- ۱۲۳۸

اشاره ----- ۱۲۳۸

اللغه ----- ۱۲۳۹

المعنی ----- ۱۲۳۹

۱۳۲-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۱۲۴۰

القسم الأول ----- ۱۲۴۰

اشاره ----- ۱۲۴۰

اللغه -- ۱۲۴۱
و هذا الفصل یشتمل علی تمجید اللّه سبحانه و إظهار عظمه سلطانه. -- ۱۲۴۱
القسم الثانی منها: -- ۱۲۴۲
اشاره -- ۱۲۴۲
أقول:هذا الفصل کأنّه فی معرض التوبیخ علی ترک أوامر اللّه و مخالفه أحکامه -- ۱۲۴۲
القسم الثالث منها: --- ۱۲۴۲
اشاره -- ۱۲۴۲
اللغه -- ۱۲۴۲
و غرض الفصل الثناء علی الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم . -- ۱۲۴۴
القسم الرابع منها: -- ۱۲۴۴
اشاره -- ۱۲۴۴
اللغه -- ۱۲۴۴
و هذا الفصل مع قلّه ألفاظه یشتمل علی لطائف : --- ۱۲۴۵
فالاولی: -- ۱۲۴۵
الثانیه: --- ۱۲۴۵
الثالثه: --- ۱۲۴۵
الرابعه: --- ۱۲۴۵
القسم الخامس منها -- ۱۲۴۶
اشاره -- ۱۲۴۶
اللغه -- ۱۲۴۶
المعنی -- ۱۲۴۶
۱۳۳-و من کلام له علیه السّلام -- ۱۲۵۰
اشاره -- ۱۲۵۰
اللغه -- ۱۲۵۱
المعنی -- ۱۲۵۱
۱۳۴-و من کلام له علیه السّلام -- ۱۲۵۲

اشاره ---------- ۱۲۵۲
اللغه ---------- ۱۲۵۲
المعنی ---------- ۱۲۵۲
۱۳۵-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۱۲۵۳
اشاره ---------- ۱۲۵۳
اللغه ---------- ۱۲۵۳
المعنی ---------- ۱۲۵۳
۱۳۶-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۱۲۵۴
اشاره ---------- ۱۲۵۴
القسم الأول ---------- ۱۲۵۴
اشاره ---------- ۱۲۵۴
اللغه ---------- ۱۲۵۴
المعنی ---------- ۱۲۵۵
القسم الثانی منه ---------- ۱۲۵۵
اشاره ---------- ۱۲۵۵
اللغه ---------- ۱۲۵۶
المعنی ---------- ۱۲۵۶
۱۳۷-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۱۲۵۷
اشاره ---------- ۱۲۵۷
القسم الأول ---------- ۱۲۵۷
القسم الثانی منها: ---------- ۱۲۵۸
اشاره ---------- ۱۲۵۸
اللغه ---------- ۱۲۵۸
المعنی ---------- ۱۲۵۸
القسم الثالث منها: ---------- ۱۲۶۱
اشاره ---------- ۱۲۶۱

اللغه ---------- ۱۲۶۱
المعنی ---------- ۱۲۶۱
اشاره ---------- ۱۲۶۱
و فی الفصل ---------- ۱۲۶۱
الاولی: ---------- ۱۲۶۲
الثانیه: ---------- ۱۲۶۲
الثالثه: ---------- ۱۲۶۲
الرابعه: ---------- ۱۲۶۲
الخامسه: ---------- ۱۲۶۲
۱۳۸-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۱۲۶۳
اشاره ---------- ۱۲۶۳
المعنی ---------- ۱۲۶۳
۱۳۹-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۱۲۶۴
اشاره ---------- ۱۲۶۴
المعنی ---------- ۱۲۶۵
۱۴۰-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۱۲۶۸
اشاره ---------- ۱۲۶۸
اللغه ---------- ۱۲۶۸
و هذا الفصل نهی عن التسرّع إلی التصدیق بما یقال فی حقّ مستور الظاهر ---------- ۱۲۶۸
۱۴۱-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۱۲۶۹
اشاره ---------- ۱۲۶۹
المعنی ---------- ۱۲۶۹
۱۴۲-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۱۲۷۱
اشاره ---------- ۱۲۷۱
اللغه ---------- ۱۲۷۳
المعنی ---------- ۱۲۷۳

۱۴۳-و من خطبه له علیه السّلام ---- ۱۲۷۵
القسم الأول ---- ۱۲۷۵
القسم الثانی منها: ---- ۱۲۷۸
اشاره ---- ۱۲۷۸
اللغه ---- ۱۲۷۸
المعنی ---- ۱۲۷۸
۱۴۴-و من خطبه له علیه السّلام ---- ۱۲۸۰
القسم الأول ---- ۱۲۸۰
اشاره ---- ۱۲۸۰
اللغه ---- ۱۲۸۰
المعنی ---- ۱۲۸۰
القسم الثانی منها ---- ۱۲۸۲
اشاره ---- ۱۲۸۲
اللغه ---- ۱۲۸۲
المعنی ---- ۱۲۸۲
۱۴۵-و من کلام له علیه السّلام ---- ۱۲۸۳
اشاره ---- ۱۲۸۳
المعنی ---- ۱۲۸۳
۱۴۶-و من خطبه له علیه السّلام ---- ۱۲۸۷
اشاره ---- ۱۲۸۷
اللغه ---- ۱۲۸۹
المعنی ---- ۱۲۸۹
۱۴۷-و من کلام له علیه السّلام ---- ۱۲۹۵
اشاره ---- ۱۲۹۵
اللغه ---- ۱۲۹۵
المعنی ---- ۱۲۹۵

۱۴۸-و من كلام له عليه السّلام ---------- ۱۲۹۷
اشاره ---------- ۱۲۹۷
اللغه ---------- ۱۲۹۸
و هذا الفصل محلّ الوعظ و الاعتبار. ---------- ۱۲۹۸
۱۴۹-و من خطبه له عليه السّلام ---------- ۱۳۰۳
اشاره ---------- ۱۳۰۳
القسم الأول ---------- ۱۳۰۳
اشاره ---------- ۱۳۰۳
اللغه ---------- ۱۳۰۳
المعنى ---------- ۱۳۰۳
القسم الثانى منها ---------- ۱۳۰۵
اشاره ---------- ۱۳۰۵
اللغه ---------- ۱۳۰۶
المعنى ---------- ۱۳۰۶
۱۵۰-و من خطبه له عليه السّلام ---------- ۱۳۱۰
القسم الأول ---------- ۱۳۱۰
اشاره ---------- ۱۳۱۰
اللغه ---------- ۱۳۱۱
المعنى ---------- ۱۳۱۲
القسم الثانى منها: ---------- ۱۳۱۶
اشاره ---------- ۱۳۱۶
اللغه ---------- ۱۳۱۷
المعنى ---------- ۱۳۱۷
۱۵۱-و من خطبه له عليه السّلام ---------- ۱۳۱۸
القسم الأول ---------- ۱۳۱۸
اشاره ---------- ۱۳۱۸

اللغه ----- ۱۳۱۸
و فی الفصل أبحاث من العلم الإلهیّ: ----- ۱۳۱۹
الأوّل:الإشاره إلی وجوده تعالی الواجب ----- ۱۳۱۹
البحث الثانی:فی أزلیّته ----- ۱۳۲۰
البحث الثالث:أنّه لا مثل له و لا شبیه ----- ۱۳۲۰
البحث الرابع:أنّ المشاعر لا تستلمه ----- ۱۳۲۱
البحث الخامس:أنّ السواتر لا تحجبه ----- ۱۳۲۱
البحث السادس:فی وحدانیّته ----- ۱۳۲۱
البحث السابع:فی کونه تعالی فی خالقیّته منزّها عن الحرکات و المتاعب، ----- ۱۳۲۲
البحث الثامن:کونه سمیعا لا بأداه ----- ۱۳۲۲
البحث التاسع:کونه بصیرا لا بتفریق الآله ----- ۱۳۲۲
البحث العاشر:کونه تعالی شاهدا ----- ۱۳۲۲
البحث الحادی عشر:أنّه تعالی مباین للأشیاء لا بتراخی مسافه ----- ۱۳۲۲
البحث الثانی عشر:أنّه الظاهر لا برؤیه،و الباطن لا بلطافه ----- ۱۳۲۲
البحث الثالث عشر:کونه بان من الأشیاء بالقهر لها و القدره علیها. ----- ۱۳۲۳
البحث الرابع عشر:تنزیهه عن الصفات الزائده بالقیاس ----- ۱۳۲۳
البحث الخامس عشر:تنزیهه أن یسأل عنه بکیف ----- ۱۳۲۳
البحث السادس عشر:تنزیهه عن السؤال عنه بأین ----- ۱۳۲۳
البحث السابع عشر:کونه تعالی عالما. ----- ۱۳۲۳
القسم الثانی منها: ----- ۱۳۲۴
اشاره ----- ۱۳۲۴
اللغه ----- ۱۳۲۴
المعنی ----- ۱۳۲۴
۱۵۲-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۱۳۲۹
القسم الأول ----- ۱۳۲۹
اشاره ----- ۱۳۲۹

المعنی ---------- ۱۳۲۹
القسم الثانی منها ---------- ۱۳۲۹
اشاره ---------- ۱۳۲۹
اللغه ---------- ۱۳۳۰
المعنی ---------- ۱۳۳۰
القسم الثالث ---------- ۱۳۳۴
اشاره ---------- ۱۳۳۴
المعنی ---------- ۱۳۳۴
۱۵۳-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۱۳۳۷
القسم الأول ---------- ۱۳۳۷
اشاره ---------- ۱۳۳۷
اللغه ---------- ۱۳۳۷
المعنی ---------- ۱۳۳۷
القسم الثانی منها: ---------- ۱۳۳۸
اشاره ---------- ۱۳۳۸
المعنی ---------- ۱۳۳۹
۱۵۴-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۱۳۴۲
اشاره ---------- ۱۳۴۲
اللغه ---------- ۱۳۴۴
المعنی ---------- ۱۳۴۴
و قد حمد اللّه تعالی باعتبارات : ---------- ۱۳۴۴
الأوّل:انحسار الأوصاف عن کنه معرفته ---------- ۱۳۴۴
الثانی:ردع عظمته العقول عن بلوغ غایه ملکوته ---------- ۱۳۴۴
الثالث:قوله:هو ---------- ۱۳۴۴
الرابع:تعقیبه لذکر الهویّه باسم اللّه ---------- ۱۳۴۵
الخامس:ذکر الحقّ ---------- ۱۳۴۵

السادس:أنّ العقول لم تبلغه تجدید فیکون مشتبها ----- ۱۳۴۵
السابع:و کذلک لم تقع الأوهام علیه بتقدیر فیکون ممثّلا. ----- ۱۳۴۶
الثامن:خلقهخلق خالخلق علی غیر مثال.إلی قوله:معین ----- ۱۳۴۶
ثمّ شرع فی مقصود الخطبه ----- ۱۳۴۶
۱۵۵-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۱۳۴۸
اشاره ----- ۱۳۴۸
القسم الأول ----- ۱۳۴۸
اشاره ----- ۱۳۴۸
اللغه ----- ۱۳۴۸
المعنی ----- ۱۳۴۸
القسم الثانی منها: ----- ۱۳۵۰
اشاره ----- ۱۳۵۰
اللغه ----- ۱۳۵۰
المعنی ----- ۱۳۵۰
القسم الثالث منها: ----- ۱۳۵۳
اشاره ----- ۱۳۵۳
المعنی ----- ۱۳۵۴
۱۵۶-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۱۳۵۷
اشاره ----- ۱۳۵۷
اللغه ----- ۱۳۵۹
المعنی ----- ۱۳۵۹
۱۵۷-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۱۳۶۴
القسم الأول ----- ۱۳۶۴
اشاره ----- ۱۳۶۴
اللغه ----- ۱۳۶۴
و ثمره الفصل التنبیه علی فضیله الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ----- ۱۳۶۴

القسم الثانی منها: ---------- ۱۳۶۵
اشاره ---------- ۱۳۶۵
اللغه ---------- ۱۳۶۵
و سیاق الکلام الإخبار عن حال بنی امیّه و ما یحدث فی دولتهم من الظلم ---------- ۱۳۶۵
۱۵۸-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۱۳۶۶
اشاره ---------- ۱۳۶۶
المعنی ---------- ۱۳۶۷
۱۵۹-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۱۳۶۷
القسم الأول ---------- ۱۳۶۷
اشاره ---------- ۱۳۶۷
المعنی ---------- ۱۳۶۸
القسم الثانی منها: ---------- ۱۳۶۹
اشاره ---------- ۱۳۶۹
اللغه ---------- ۱۳۷۳
المعنی ---------- ۱۳۷۳
۱۶۰-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۱۳۷۹
اشاره ---------- ۱۳۷۹
اللغه ---------- ۱۳۸۱
و خلاصه الفصل ذکر ممادح النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.ثمّ الموعظه الحسنه ---------- ۱۳۸۱
۱۶۱-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۱۳۸۳
اشاره ---------- ۱۳۸۳
اللغه ---------- ۱۳۸۴
المعنی ---------- ۱۳۸۴
۱۶۲-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۱۳۸۷
القسم الأول ---------- ۱۳۸۷
اشاره ---------- ۱۳۸۷

اللغه ---------- ۱۳۸۸
و قد اشتملت الخطبه من علم التوحید علی مباحث قدّم الحمد للّه تعالی ---------- ۱۳۸۸
اشاره ---------- ۱۳۸۸
الأوّل:قوله:خالق العباد.إلی قوله:النجاد. ---------- ۱۳۸۸
الثانی من الاعتبارات السلبیّه:کونه تعالی لا ابتداء لأولیّته ---------- ۱۳۸۹
الثالث:و لا انقضاء لأزلیّته ---------- ۱۳۸۹
الرابع:خرّت له الجباه و وحدّته الشفاه ---------- ۱۳۸۹
الخامس:أنّه لا یشبهه شیء ---------- ۱۳۸۹
السادس:أنّه منزّه عن لحوق الزمان ---------- ۱۳۸۹
السابع:کونه ظاهرا ---------- ۱۳۸۹
الثامن:کونه باطنا ---------- ۱۳۸۹
التاسع: ---------- ۱۳۹۱
العاشر:و لا محجوب فیحویه الحجاب. ---------- ۱۳۹۱
الحادی عشر: ---------- ۱۳۹۱
الثانی عشر:کونه بعیدا منها لا بالافتراق ---------- ۱۳۹۱
الثالث عشر:کونه لا یخفی علیه من عباده شخوص لحظه. ---------- ۱۳۹۱
الرابع عشر:کونه قبل کلّ غایه و مدّه و إحصاء و عدّه ---------- ۱۳۹۱
الخامس عشر:تنزّهه و تعالیه عمّا تصفه به المشبّهه و المتّبعون لحکم ---------- ۱۳۹۱
السادس عشر:کون مخلوقاته صادره عنه من غیر اصول ---------- ۱۳۹۳
السابع عشر:کونه لیس لغیره منه امتناع ---------- ۱۳۹۳
الثامن عشر:کونه لا انتفاع له بطاعه شیء ---------- ۱۳۹۳
التاسع عشر:کون علمه تعالی بالأموات الماضین کعلمه بالأحیاء الباقین، ---------- ۱۳۹۳
القسم الثانی منها: ---------- ۱۳۹۳
اشاره ---------- ۱۳۹۳
اللغه ---------- ۱۳۹۵
المعنی ---------- ۱۳۹۵

۱۶۳-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۳۹۵
اشاره ----- ۱۳۹۵
اللغه ----- ۱۳۹۷
و حاصل الکلام استعتابه باللّین من القول. ----- ۱۳۹۷
۱۶۴-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۱۳۹۸
اشاره ----- ۱۳۹۸
القسم الأول ----- ۱۳۹۸
اشاره ----- ۱۳۹۸
اللغه ----- ۱۴۰۲
المعنی ----- ۱۴۰۳
القسم الثانی منها فی صفه الجنه: ----- ۱۴۰۷
اشاره ----- ۱۴۰۷
اللغه ----- ۱۴۰۸
المعنی ----- ۱۴۰۸
۱۶۵-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۴۰۹
القسم الأول ----- ۱۴۰۹
اشاره ----- ۱۴۰۹
اللغه ----- ۱۴۰۹
المعنی ----- ۱۴۱۰
القسم الثانی و منه ----- ۱۴۱۰
اشاره ----- ۱۴۱۰
اللغه ----- ۱۴۱۱
المعنی ----- ۱۴۱۱
۱۶۶-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۱۴۱۳
اشاره ----- ۱۴۱۳
اللغه ----- ۱۴۱۳

المعنی ---------- ۱۴۱۳
۱۶۷-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۱۴۱۵
اشاره ---------- ۱۴۱۵
اللغه ---------- ۱۴۱۶
المعنی ---------- ۱۴۱۶
۱۶۸-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۱۴۱۸
اشاره ---------- ۱۴۱۸
اللغه ---------- ۱۴۱۹
المعنی ---------- ۱۴۱۹
۱۶۹-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۱۴۲۱
اشاره ---------- ۱۴۲۱
المعنی ---------- ۱۴۲۱
۱۷۰-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۱۴۲۲
اشاره ---------- ۱۴۲۲
اللغه ---------- ۱۴۲۳
المعنی ---------- ۱۴۲۳
۱۷۱-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۱۴۲۴
القسم الأول ---------- ۱۴۲۴
اشاره ---------- ۱۴۲۴
المعنی ---------- ۱۴۲۴
القسم الثانی منها ---------- ۱۴۲۴
اشاره ---------- ۱۴۲۴
المعنی ---------- ۱۴۲۵
القسم الثالث منها فی ذکر أصحاب الجمل: ---------- ۱۴۲۶
اشاره ---------- ۱۴۲۶
اللغه ---------- ۱۴۲۶

المعنی ---------- ۱۴۲۶
اشاره ---------- ۱۴۲۶
الاولی: ---------- ۱۴۲۶
الثانیه: ---------- ۱۴۲۷
الثالثه: ---------- ۱۴۲۷
۱۷۲-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۱۴۳۴
اشاره ---------- ۱۴۳۴
المعنی ---------- ۱۴۳۵
أقول:صدر هذا الفصل من ممادح الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ---------- ۱۴۳۵
ثمّ أردفه ببیان أحکام : ---------- ۱۴۳۵
الأوّل:بیان أحکام الّذی هو أحقّ الناس بأمر الخلافه ---------- ۱۴۳۵
الثانی:فی بیان حکم المشاغب للإمام بعد انعقاد بیعته ---------- ۱۴۳۶
الثالث:بیان کیفیّه انعقاد الإمامه بالإجماع ---------- ۱۴۳۶
الرابع:بیان من یجب قتاله ---------- ۱۴۳۶
۱۷۳-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۱۴۳۹
اشاره ---------- ۱۴۳۹
اللغه ---------- ۱۴۳۹
المعنی ---------- ۱۴۳۹
۱۷۴-و من خطبه له علیه السلام ---------- ۱۴۴۱
اشاره ---------- ۱۴۴۱
اللغه ---------- ۱۴۴۲
المعنی ---------- ۱۴۴۲
۱۷۵-و من خطبه له علیه السلام ---------- ۱۴۴۴
اشاره ---------- ۱۴۴۴
اللغه ---------- ۱۴۴۸
المعنی ---------- ۱۴۴۸

اشاره -- ۱۴۴۸
و قوله:و لا تسئلوا به خلقه. -- ۱۴۵۰
و قوله:إنّهفإنّه خما توجّه العباد إلی اللّه بمثله. --- ۱۴۵۰
و قوله:فإنّه لا ينادی مناد يوم القيامه.إلی آخره. --- ۱۴۵۱
و قوله:و أخرجوا إلی اللّه.إلی قوله:وظائفه. --- ۱۴۵۲
و قوله:و إنّی متكلّم بعده اللّه و حجّته. --- ۱۴۵۳
و قوله:فإنّ اللسان جموح بصاحبه. --- ۱۴۵۴
و قوله:لأنّ المؤمن.إلی قوله:و ما ذا عليه. -- ۱۴۵۴
و قوله:فمن استطاع.إلی قوله:فليفعل. -- ۱۴۵۵
و قوله:و اعلموا.إلی قوله:حرّم عليكم -- ۱۴۵۵
و قوله:و لكنّ الحلال ما أحلّ اللّه و الحرام ما حرّم اللّه، -- ۱۴۵۶
و قوله:و قد جرّبتم الامور و ضرّستموها.إلی قوله:الأمر الواضح. -- ۱۴۵۶
و قوله:من لم ينفعه.إلی قوله:من أمامه. -- ۱۴۵۶
و قوله:من أمامه. --- ۱۴۵۷
و قوله:حتّی يعرف ما أنكر و ينكر ما عرف. -- ۱۴۵۷
و قوله:إنّ اللّه سبحانه لم يعظ أحداً بمثل هذا القرآن. -- ۱۴۵۷
و قوله:مع أنّه قد ذهب المتذكّرون -- ۱۴۵۹
و قوله:و كان من نفسه فی شغل.إلی آخر ما ذكره ثمره العزله. --- ۱۴۶۱
۱۷۶-و من كلام له عليه السّلام -- ۱۴۶۳
اشاره -- ۱۴۶۳
اللغه --- ۱۴۶۳
المعنی --- ۱۴۶۳
۱۷۷-و من خطبه له عليه السّلام -- ۱۴۶۴
اشاره -- ۱۴۶۴
اللغه --- ۱۴۶۵
المعنی --- ۱۴۶۵

۱۷۸-و من كلام له عليه السّلام ۱۴۶۹
اشاره ۱۴۶۹
اللغه ۱۴۶۹
و الفصل فصل شريف من التوحيد و التنزيه . ۱۴۶۹
۱۷۹-و من كلام له عليه السّلام ۱۴۷۱
اشاره ۱۴۷۱
اللغه ۱۴۷۲
المعنى ۱۴۷۲
۱۸۰-و من كلام له عليه السّلام ۱۴۷۵
اشاره ۱۴۷۵
اللغه ۱۴۷۵
و الفصل مشتمل على السؤال عن ظعنهم و إقامتهم و علّتهما و هما الأمن و الجبن ۱۴۷۶
۱۸۱-و من خطبه له عليه السّلام ۱۴۷۶
اشاره ۱۴۷۶
القسم الأول ۱۴۷۷
اشاره ۱۴۷۷
اللغه ۱۴۷۹
المعنى ۱۴۸۰
القسم الثانى منها ۱۴۸۷
اشاره ۱۴۸۷
اللغه ۱۴۸۸
المعنى ۱۴۸۸
۱۸۲-و من خطبه له عليه السّلام ۱۴۹۱
القسم الأول ۱۴۹۱
اشاره ۱۴۹۱
اللغه ۱۴۹۲

المعنی ----- ۱۴۹۲
القسم الثانی منهافی ذکر القرآن ----- ۱۴۹۳
اشاره ----- ۱۴۹۳
اللغه ----- ۱۴۹۶
المعنی ----- ۱۴۹۶
۱۸۳-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۵۰۴
اشاره ----- ۱۵۰۴
اللغه ----- ۱۵۰۵
المعنی ----- ۱۵۰۵
۱۸۴-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۱۵۰۵
اشاره ----- ۱۵۰۵
المعنی ----- ۱۵۰۹
اشاره ----- ۱۵۰۹
ثمّ شرع فی ----- ۱۵۱۰
اشاره ----- ۱۵۱۰
فالاولی:الصواب فی القول ----- ۱۵۱۰
الثانیه:و ملبسهم الاقتصاد ----- ۱۵۱۰
الثالثه:مشی التواضع ----- ۱۵۱۲
الرابعه:غضّ الأبصار عمّا حرّم اللّه ----- ۱۵۱۲
الخامسه:و قوفهم أسماعهم علی سماع العلم النافع ----- ۱۵۱۲
السادسه:نزول أنفسهم منهم فی البلاء کنزولها فی الرخاء ----- ۱۵۱۲
السابعه:غلبه الشوق إلی ثواب اللّه و الخوف من عقابه علی نفوسهم ----- ۱۵۱۲
الثامنه:عظم الخالق فی أنفسهم ----- ۱۵۱۲
التاسعه:حزن قلوبهم ----- ۱۵۱۳
العاشره:کونهم مأمونی الشرّ ----- ۱۵۱۳
الحادیه عشر:نحافه أجسادهم ----- ۱۵۱۳

الثانیه عشر:خفّه حاجتهم -- ۱۵۱۳

الثالثه عشر:عفّه أنفسهم -- ۱۵۱۳

الرابعه عشر:الصبر علی المکاره أیّام حیاتهم -- ۱۵۱۳

الخامسه عشر: -- ۱۵۱۴

السادسه عشر: -- ۱۵۱۴

السابعه عشر:کونهم صافیّن أقدامهم باللیل یتلون القرآن و یرتّلونه. -- ۱۵۱۴

الثامنه عشر:-من صفات النهار-کونهم حکماء --- ۱۵۱۵

التاسعه عشر:کونهم علماء -- ۱۵۱۵

العشرون:کونهم أبرار -- ۱۵۱۵

الحادیه و العشرون:کونهم أتقیاء --- ۱۵۱۵

الثانیه و العشرون:کونهم لا یرضون القلیل.إلی قوله:الکثیر، -- ۱۵۱۶

علامات المؤمن --- ۱۵۱۶

اشاره -- ۱۵۱۶

فالأولی:القوّه فی الدین -- ۱۵۱۶

الثانیه:الحزم فی الأمور -- ۱۵۱۶

الثالثه:الإیمان فی الیقین --- ۱۵۱۸

الرابعه: -- ۱۵۱۸

الخامسه:مزج العلم و هو فضیله القوّه الملکیّه بالحلم -- ۱۵۱۸

السادسه:القصد فی الغنی --- ۱۵۱۸

السابعه:الخشوع فی العباده --- ۱۵۱۸

الثامنه:التحمّل فی الفاقه -- ۱۵۱۸

التاسعه: -- ۱۵۱۸

العاشره: -- ۱۵۱۸

الحادیه عشر:النشاط فی الهدی -- ۱۵۱۸

الثانیه عشر:عمل الصالحات علی وجل -- ۱۵۲۰

الثالثه عشر:أن یکون همّهم عند المساء الشکر -- ۱۵۲۰

الرابعه عشر:أن يبيت حذرا و يصبح فرحا.إلى قوله:الرحمه ---------- ۱۵۲۰

الخامسه عشر:قوله إن استصعبت.إلى قوله:تحبّ. ---------- ۱۵۲۰

السادسه عشر:أن یری قرّه عينه فيما لا يزول ---------- ۱۵۲۰

السابعه عشر:أن يمزج بالحلم العلم ---------- ۱۵۲۰

الثامنه عشر:قصر أمله و قربه ---------- ۱۵۲۰

التاسعه عشر:قلّه زلله ---------- ۱۵۲۰

العشرون:خشوع قلبه ---------- ۱۵۲۲

الحاديه و العشرون:قناعه نفسه ---------- ۱۵۲۲

الثانيه و العشرون:قلّه أكله ---------- ۱۵۲۲

الثالثه و العشرون:سهوله أمره ---------- ۱۵۲۲

الرابعه و العشرون:حرز دينه ---------- ۱۵۲۲

الخامسه و العشرون:موت شهوته ---------- ۱۵۲۲

السادسه و العشرون:كظم غيظه ---------- ۱۵۲۲

السابعه و العشرون:كونه مأمول الخير ---------- ۱۵۲۲

الثامنه و العشرون:قوله:إن كان فی الغافلين. ---------- ۱۵۲۲

التاسعه و العشرون:عفوه عمّن ظلمه ---------- ۱۵۲۳

الثلاثون:و يعطی من حرمه ---------- ۱۵۲۳

الحاديه و الثلاثون:و يصل من قطعه ---------- ۱۵۲۳

الثانيه و الثلاثون:بعد فحشه ---------- ۱۵۲۳

الثالثه و الثلاثون:ليّنه فی القول ---------- ۱۵۲۴

الرابعه و الثلاثون:غيبه منكره ---------- ۱۵۲۴

الخامسه و الثلاثون:إقبال خيره و إدبار شرّه ---------- ۱۵۲۴

السادسه و الثلاثون: ---------- ۱۵۲۴

السابعه و الثلاثون:كثره صبره فی المكاره ---------- ۱۵۲۴

الثامنه و الثلاثون:كثره شكره فی الرخاء ---------- ۱۵۲۴

التاسعه و الثلاثون:كونه لا يحيف على من يبغض ---------- ۱۵۲۴

الأربعون:کونه لا یأثم فیمن یحبّ ۱۵۲۴
الحادیه و الأربعون:اعترافه بالحقّ قبل أن یشهدوا علیه ۱۵۲۴
الثانیه و الأربعون:کونه لا یضیع أماناته و لا یفرط فیما استحفظه ۱۵۲۵
الثالثه و الأربعون:و لا ینسی ما ذکر ۱۵۲۵
الرابعه و الأربعون:و لا ینابز بالألقاب ۱۵۲۶
الخامسه و الأربعون:و لا یضارّ بالجار ۱۵۲۶
السادسه و الأربعون:و لا یشمت بالمصائب ۱۵۲۶
السابعه و الأربعون:أنّه لا یدخل الباطل و لا یخرج عن الحقّ ۱۵۲۶
الثامنه و الأربعون:کونه لا یغمّه صمته ۱۵۲۶
التاسعه و الأربعون:کونه لا یعلو ضحکه ۱۵۲۶
الخمسون:صبره فی البغی علیه إلی غایه انتقام اللّه له ۱۵۲۶
الحادیه و الخمسون:کون نفسه منه فی عناء ۱۵۲۶
الثانیه و الخمسون:کون بعده عمّن تباعد عنه لزهده ۱۵۲۸
۱۸۵-و من خطبه له علیه السّلام ۱۵۲۸
اشاره ۱۵۲۸
اللغه ۱۵۳۰
المعنی ۱۵۳۰
۱۸۶-و من خطبه له علیه السّلام ۱۵۳۴
اشاره ۱۵۳۴
اللغه ۱۵۳۶
المعنی ۱۵۳۶
۱۸۷-و من خطبه له علیه السّلام ۱۵۴۰
اشاره ۱۵۴۰
اللغه ۱۵۴۰
المعنی ۱۵۴۱
۱۸۸-و من خطبه له علیه السّلام ۱۵۴۲

اشاره ----- ۱۵۴۲
اللغه ----- ۱۵۴۳
و حاصل الفصل:التنبیه علی فضیلته لغایه قبول قوله فیما یأمرهم به. ----- ۱۵۴۳
فذکر منها:أنّه لم یردّ علی اللّه و علی رسوله فی وقت قطّ ----- ۱۵۴۳
و منها:مواساته لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم بنفسه و هو ممّا اختصّ به علیه السّلام، ----- ۱۵۴۳
و منها حاله عند ما قبض رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم ----- ۱۵۴۴
۱۸۹-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۱۵۴۵
اشاره ----- ۱۵۴۵
اللغه ----- ۱۵۴۹
المعنی ----- ۱۵۴۹
و صدر الفصل تنبیه علی إحاطه علمه بجزئیّات الموجودات علی اختلافها ----- ۱۵۴۹
ثمّ باعتبارات من صفه ----- ۱۵۵۰
ثمّ أكّد الوصیّه بطاعه اللّه تعالی بآداب: ----- ۱۵۵۱
أحدها: ----- ۱۵۵۱
الثانی:أكّد أمرهم بإبطانهم ----- ۱۵۵۱
الثالث: ----- ۱۵۵۱
الرابع: ----- ۱۵۵۱
الخامس: ----- ۱۵۵۳
السادس:و جنّه لیوم فزعهم ----- ۱۵۵۳
السابع: ----- ۱۵۵۳
الثامن:و كذلک سکنا لطول الوحشه فی القبور تستأنس به النفوس ----- ۱۵۵۳
التاسع:و كذلک و نفسا لكرب مواطنكم ----- ۱۵۵۳
العاشر:كونها حرزا من متالف مكتنفه ----- ۱۵۵۴
الحادی عشر:كون التقوی مستلزمه لبعد الشدائد عن المتّقی بعد دنوّها ----- ۱۵۵۴
الثانی عشر:كونها مستلزمه لحلاوه الامور بعد مرارتها ----- ۱۵۵۴
الثالث عشر:و انفراج الأمواج عنه بعد تراكمها ----- ۱۵۵۴

الرابع عشر:كون لزومها سببا لتسهيل صعاب الأمور على النفس بعد إتعابها ---------- ۱۵۵۴
الخامس عشر:كونه سببا لهطل الكرامه عليهم ---------- ۱۵۵۵
السادس عشر: ---------- ۱۵۵۵
السابع عشر: ---------- ۱۵۵۵
الثامن عشر: ---------- ۱۵۵۵
ثمّ ذكر الإسلام و فضائله مرغّبا فیه ---------- ۱۵۵۵
۱۹۰-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۱۵۶۶
اشاره ---------- ۱۵۶۶
اللغه ---------- ۱۵۶۷
المعنی ---------- ۱۵۶۸
و حاصل الفصل الوصیّه بالمحافظه على امور ثلاثه و الحثّ علیها : ---------- ۱۵۶۸
أوّلها:الصلاه فأمر بتعاهد أمرها و المحافظه علیها ---------- ۱۵۶۸
الثانیه ممّا أمر بالمحافظه علیه:الزکاه ---------- ۱۵۶۹
الثالثهممّا أوصى به:أداء الأمانه ---------- ۱۵۷۰
۱۹۱-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۱۵۷۳
اشاره ---------- ۱۵۷۳
اللغه ---------- ۱۵۷۳
المعنی ---------- ۱۵۷۳
۱۹۲-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۱۵۷۶
اشاره ---------- ۱۵۷۶
اللغه ---------- ۱۵۷۷
المعنی ---------- ۱۵۷۷
فهرست ما فی هذا الجزء من الخطب و المطالب ---------- ۱۵۸۱
المجلد ۴ ---------- ۱۵۸۸
اشاره ---------- ۱۵۸۸
اشاره ---------- ۱۵۸۹

تتمه باب الخطب ----- ۱۵۸۹
۱۹۳-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۵۸۹
اشاره ----- ۱۵۸۹
اللغه ----- ۱۵۹۰
المعنی ----- ۱۵۹۰
۱۹۴-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۵۹۲
اشاره ----- ۱۵۹۲
أقول:حاصل الفصل التنفیر عن الدنیا و الترغیب فی الآخره بذکر الغایه ----- ۱۵۹۲
۱۹۵-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۵۹۴
اشاره ----- ۱۵۹۴
اللغه ----- ۱۵۹۴
و مدار الفصل علی الأمر بالتجهیز من الدنیا ----- ۱۵۹۵
۱۹۶-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۵۹۶
اشاره ----- ۱۵۹۶
اللغه ----- ۱۵۹۷
المعنی ----- ۱۵۹۷
۱۹۷-و من کلام له علیه السّلام و قد سمع قوما من أصحابه یسبون أهل الشام أیام حربهم بصفین ----- ۱۶۰۰
اشاره ----- ۱۶۰۰
اللغه ----- ۱۶۰۰
و حاصل الفصل تأدیب قومه و إرشادهم إلی السیره الحسنه و جذب لهم عن ----- ۱۶۰۰
۱۹۸-و قال علیه السّلام ----- ۱۶۰۱
اشاره ----- ۱۶۰۱
اللغه ----- ۱۶۰۲
المعنی ----- ۱۶۰۲
۱۹۹-و قال علیه السّلام ----- ۱۶۰۲
اشاره ----- ۱۶۰۲

اللغه ---------- ۱۶۰۲
المعنی ---------- ۱۶۰۲
۲۰۰-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۱۶۰۴
اشاره ---------- ۱۶۰۴
اللغه ---------- ۱۶۰۵
المعنی ---------- ۱۶۰۵
۲۰۱-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۱۶۰۷
اشاره ---------- ۱۶۰۷
اللغه ---------- ۱۶۰۹
المعنی ---------- ۱۶۰۹
۲۰۲-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۱۶۱۲
اشاره ---------- ۱۶۱۲
اللغه ---------- ۱۶۱۳
المعنی ---------- ۱۶۱۳
اشاره ---------- ۱۶۱۳
و فی هذا الفصل فواید: ---------- ۱۶۱۴
الأولی ---------- ۱۶۱۴
الثانیه ---------- ۱۶۱۴
الثالثه ---------- ۱۶۱۴
الرابعه ---------- ۱۶۱۴
الخامسه ---------- ۱۶۱۴
السادسه ---------- ۱۶۱۵
السابعه ---------- ۱۶۱۵
۲۰۳-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۱۶۱۵
اشاره ---------- ۱۶۱۵
اللغه ---------- ۱۶۱۵

۲۰۴-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۱۶۱۶
القسم الأول ----- ۱۶۱۶
اشاره ----- ۱۶۱۶
أقول:حمد اللّه تعالی باعتبارات إضافیّه و سلبیّه: ----- ۱۶۱۶
أولها:العلیّ عن شبه المخلوقین ----- ۱۶۱۶
الثانی:الغالب لمقال الواصفین ----- ۱۶۱۶
الثالث:الظاهر بعجائب تدبیره للناظرین ----- ۱۶۱۶
الرابع:الباطن بجلال عزّته عن فکر المتوهّمین. ----- ۱۶۱۷
الخامس:العالم المنزّه فی کیفیّه علمه عن اکتساب له بعد جهل أو ازدیاد ----- ۱۶۱۷
السادس:المقدّر لجمیع الامور ----- ۱۶۱۷
السابع:الّذی لا تغشاه الظلم،و لا یستضیء بالأنوار ----- ۱۶۱۷
الثامن:و لا یرهقه ----- ۱۶۱۷
التاسع:لیس إدراکه بالأبصار ----- ۱۶۱۷
العاشر:و لا علمه بالأخبار ----- ۱۶۱۷
القسم الثانی و منها فی ذکر النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: ----- ۱۶۱۸
اشاره ----- ۱۶۱۸
اللغه ----- ۱۶۱۸
و قد أشار إلی بعض فضائل النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و بعض فوایده ----- ۱۶۱۸
۲۰۵-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۱۶۱۸
اشاره ----- ۱۶۱۸
اللغه ----- ۱۶۱۹
المعنی ----- ۱۶۲۰
۲۰۶-و من دعائه له علیه السّلام ----- ۱۶۲۴
اشاره ----- ۱۶۲۴
اللغه ----- ۱۶۲۴
المعنی ----- ۱۶۲۴

۲۰۷-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۱۶۲۶
اشاره ---------- ۱۶۲۶
اللغه ---------- ۱۶۲۹
و غرض الفصل جمع کلمتهم و اتّفاقهم علی أوامره ---------- ۱۶۲۹
فأشار أوّلا إلی أنّ لکلّ ---------- ۱۶۲۹
إشاره إلی لوازم حقّ الوالی علی الرعیّه و حقّ الرعیّه علی الوالی: ---------- ۱۶۳۱
إشاره إلی أنّه لا ینبغی أن یزدری أحد عن الاستعانه فی طاعه اللّه أو أن یعان ---------- ۱۶۳۳
إرشاد لهم إلی ما ینبغی أن یکونوا علیه من السیره عنده و نهاهم من امور: ---------- ۱۶۳۵
۲۰۸-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۱۶۳۷
اشاره ---------- ۱۶۳۷
اللغه ---------- ۱۶۳۷
المعنی ---------- ۱۶۳۷
۲۰۹-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۱۶۳۸
اشاره ---------- ۱۶۳۸
اللغه ---------- ۱۶۳۹
المعنی ---------- ۱۶۳۹
۲۱۰-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۱۶۳۹
اشاره ---------- ۱۶۳۹
اللغه ---------- ۱۶۳۹
المعنی ---------- ۱۶۳۹
اشاره ---------- ۱۶۳۹
و فی الفصل إشارات: ---------- ۱۶۳۹
فالاولی:أنّ قتله علیه السّلام لمن قتل من مخالفیه ---------- ۱۶۴۰
الثانیه: ---------- ۱۶۴۱
الثالثه:لقائل أن یقول:لم قال علیه السّلام:أدرکت و تری من بنی عبد مناف؟ ---------- ۱۶۴۱
الرابعه:أنّ طلحه و الزبیر کانا من بنی عبد مناف من قبل الامّ دون الأب ---------- ۱۶۴۱

و الخامسه: ----- ۱۶۴۱
۲۱۱-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۶۴۱
اشاره ----- ۱۶۴۱
أقول:هذا الفصل من أجلّ کلام له فی وصف السالک المحقّق إلی اللّه، ----- ۱۶۴۲
۲۱۲-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۶۴۴
اشاره ----- ۱۶۴۴
اللغه ----- ۱۶۴۵
المعنی ----- ۱۶۴۸
۲۱۳-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۶۵۵
اشاره ----- ۱۶۵۵
اللغه ----- ۱۶۵۶
المعنی ----- ۱۶۵۷
۲۱۴-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۶۶۳
اشاره ----- ۱۶۶۳
اللغه ----- ۱۶۶۵
المعنی ----- ۱۶۶۶
۲۱۵-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۶۷۲
اشاره ----- ۱۶۷۲
اللغه ----- ۱۶۷۳
و غرض الفصل التبرّی من الظلم ----- ۱۶۷۳
۲۱۶-و من دعاء له علیه السّلام ----- ۱۶۷۷
اشاره ----- ۱۶۷۷
اللغه ----- ۱۶۷۷
و حاصل الفصل التجاء إلی اللّه فی طلب الغنی و عدم الابتلاء بالفقر و لوازمه. ----- ۱۶۷۷
۲۱۷-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۱۶۷۸
اشاره ----- ۱۶۷۸

اللغه -- ۱۶۸۰
و غرض الفصل التحذیر من الدنیا و الاشتغال بها عن اللّه،و التنفیر عن --- ۱۶۸۰
۲۱۸-و من دعاء له علیه السّلام -- ۱۶۸۲
اشاره -- ۱۶۸۲
اللغه -- ۱۶۸۳
المعنی -- ۱۶۸۳
۲۱۹-و من کلام له علیه السّلام -- ۱۶۸۵
اشاره -- ۱۶۸۵
اللغه -- ۱۶۸۵
المعنی -- ۱۶۸۶
۲۲۰-و من کلام له علیه السّلام -- ۱۶۸۸
اشاره -- ۱۶۸۸
اللغه -- ۱۶۸۸
و حاصل الفصل الاحتجاج علی من خالفه من أهل البغی -- ۱۶۸۸
۲۲۱-و من خطبه له علیه السّلام -- ۱۶۸۹
القسم الأول -- ۱۶۸۹
اشاره -- ۱۶۸۹
اللغه -- ۱۶۹۰
المعنی -- ۱۶۹۰
و فی الفصل مقاصد: -- ۱۶۹۰
الأوّل.التنبیه علی فضیله تقوی اللّه بأوصاف: -- ۱۶۹۰
الأوّل:کونها مفتاح سداد، -- ۱۶۹۰
الثانی:کونها ذخیره معاد -- ۱۶۹۱
الثالث: -- ۱۶۹۱
الرابع: -- ۱۶۹۱
الخامس:بها ینجح الطالب. -- ۱۶۹۱

السادس: ---------- ۱۶۹۱
و السابع: ---------- ۱۶۹۱
المقصد الثانی:التنبیه علی وجوب العمل الصالح المطلوب للّه ---------- ۱۶۹۱
الأوّل:أنّهم فی وقت العمل و إمکان رفعه إلی اللّه دون ما بعد الموت ---------- ۱۶۹۱
الثانی:فی وقت قبول التوبه ---------- ۱۶۹۱
الثالث:فی وقت استماع الدعاء ---------- ۱۶۹۲
الرابع:و الحال هادئه. ---------- ۱۶۹۲
الخامس:و الأقلام جاریه ---------- ۱۶۹۳
المقصد الثالث:حثّهم علی المبادره إلی الأعمال الخیریّه باعتبارات: ---------- ۱۶۹۳
أحدها:أنّ أعمارهم الّتی هی محل الأعمال فی معرض الانتکاس ---------- ۱۶۹۳
الثانی:أنّ أبدانهم فی معرض التغییر و التبدیل بالصحه الّتی هی مظنّه ---------- ۱۶۹۳
الثالث:أن یبادر ما هو أعظم من ذلک و هو الموت ---------- ۱۶۹۳
ثمّ نبّه علی وجوب العمل للموت و لما بعده بأوصافه المخوّفه: ---------- ۱۶۹۳
أحدها:کونه هادم لذّاتهم الدنیویّه ---------- ۱۶۹۳
الثانی ---------- ۱۶۹۳
الثالث: کونه مباعد طیّاتهم ، ---------- ۱۶۹۳
الرابع: ---------- ۱۶۹۳
الخامس ---------- ۱۶۹۵
السادس: ---------- ۱۶۹۵
السابع ---------- ۱۶۹۵
الثامن ---------- ۱۶۹۵
التاسع ---------- ۱۶۹۵
العاشر ---------- ۱۶۹۵
الحادی عشر ---------- ۱۶۹۵
الثانی عشر ---------- ۱۶۹۶
الثالث عشر ---------- ۱۶۹۶

الرابع عشر ----- ۱۶۹۷
الخامس عشر ----- ۱۶۹۷
السادس عشر ----- ۱۶۹۷
السابع عشر ----- ۱۶۹۷
الثامن عشر ----- ۱۶۹۷
التاسع عشر ----- ۱۶۹۷
العشرون: ----- ۱۶۹۷
القسم الثانی منها فی صفه الزهاد. ----- ۱۷۰۰
اشاره ----- ۱۷۰۰
اللغه ----- ۱۷۰۰
المعنی ----- ۱۷۰۰
۲۲۲-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۱۷۰۲
اشاره ----- ۱۷۰۲
اللغه ----- ۱۷۰۳
و الإشاره إلی أوصاف الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم : ----- ۱۷۰۳
فالأوّل: ----- ۱۷۰۳
الثانی:ذکر تبلیغه لرساله ربّه ----- ۱۷۰۳
الثالث: ----- ۱۷۰۳
۲۲۳-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۷۰۳
اشاره ----- ۱۷۰۳
اللغه ----- ۱۷۰۴
المعنی ----- ۱۷۰۴
۲۲۴-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۷۰۵
اشاره ----- ۱۷۰۵
اللغه ----- ۱۷۰۶
المعنی ----- ۱۷۰۶

۲۲۵-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۱۷۰۷
اشاره ---------- ۱۷۰۷
اللغه ---------- ۱۷۰۸
و الکلام إشاره إلی السبب المادیّ لاختلاف الناس فی الصور و الأخلاق . ---------- ۱۷۰۸
۲۲۶-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۱۷۱۱
اشاره ---------- ۱۷۱۱
اللغه ---------- ۱۷۱۲
المعنی ---------- ۱۷۱۲
Z۲۲۷-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۱۷۱۴
القسم الأول ---------- ۱۷۱۴
اشاره ---------- ۱۷۱۴
اللغه ---------- ۱۷۱۵
المعنی ---------- ۱۷۱۵
و قد حمد اللّه تعالی باعتبارات من التنزیه : ---------- ۱۷۱۵
الأوّل:کونه لا تدرکه الشواهد ---------- ۱۷۱۵
الثانی:و لا تحویه المشاهد ---------- ۱۷۱۵
الثالث:و لا تراه النواظر ---------- ۱۷۱۵
الرابع:و لا تحجبه السواتر ---------- ۱۷۱۵
الخامس:کونه دالاّ علی قدمه بحدوث خلقه ---------- ۱۷۱۵
السادس ---------- ۱۷۱۵
السابع:اَلّذی صدق فی میعاده، ---------- ۱۷۱۷
الثامن:و ارتفع عن ظلم عباده ---------- ۱۷۱۷
التاسع:و قام بالقسط فی خلقه ---------- ۱۷۱۷
العاشر:کونه یستشهد بحدوث الأشیاء علی أزلیّته. ---------- ۱۷۱۷
الحادی عشر:و بما و سمها به من العجز عن قدرته. ---------- ۱۷۱۷
الثانی عشر:و بما اضطرّها إلیه من الفناء دوامه. ---------- ۱۷۱۸

الثالث عشر،کونه تعالی واحدا لا بعدد ----- ۱۷۱۸
الرابع عشر:کونه دائما لا بأمد ----- ۱۷۱۸
الخامس عشر:کونه قائما لا بعمد ----- ۱۷۱۸
السادس عشر:کونه تتلقّاه الأذهان لا بمشاعره، ----- ۱۷۱۸
السابع عشر:کونه و تشهد له المرائی لا بمحاضره. ----- ۱۷۱۹
الثامن عشر:کونه تعالی لم تحط به الأوهام. ----- ۱۷۱۹
التاسع عشر:کونه تعالی تجلّی لها ----- ۱۷۱۹
العشرون:و بها امتنع منها ----- ۱۷۲۰
الحادی و العشرون: ----- ۱۷۲۰
الثانی و العشرون:کونه تعالی لیس بذی کبر.إلی قوله:تجسیما. ----- ۱۷۲۱
الثالث و العشرون:و لا بذی عظم،إلی قوله:تجسیدا، ----- ۱۷۲۱
الرابع و العشرون ----- ۱۷۲۱
الخامس و العشرون:کونه عظم سلطانا. ----- ۱۷۲۱
و قوله:فبلّغ الرساله.إلی آخره. ----- ۱۷۲۲
القسم الثانی منها:فی صفه عجیب خلق أصناف من الحیوانات: ----- ۱۷۲۳
اشاره ----- ۱۷۲۳
اللغه ----- ۱۷۲۵
المعنی ----- ۱۷۲۵
۲۲۸-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۱۷۴۰
اشاره ----- ۱۷۴۰
اللغه ----- ۱۷۴۴
و اعلم أنّ مدار هذه الخطبه علی التوحید المطلق و التنزیه المحقّق، ----- ۱۷۴۵
و قد ----- ۱۷۴۵
اشاره ----- ۱۷۴۵
فالأوّل:قوله:ما وحّده من کیّفه. ----- ۱۷۴۵
الثانی:و لا حقیقته أصاب من مثّله ----- ۱۷۴۶

الثالث:و لا إيّاه عنى من شبّهه ---- ۱۷۴۶
الرابع:و لا صمده من أشار إليه و توهّمه، ---- ۱۷۴۶
الخامس:قوله:كلّ معروف بنفسه مصنوع. ---- ۱۷۴۷
السادس:و كلّ قائم فى سواه معلول ---- ۱۷۴۸
السابع:فاعل لا باضطراب آله. ---- ۱۷۴۸
الثامن:مقدّر لا بحول فكره، ---- ۱۷۴۸
التاسع:كونه غنيّا لا باستفاده ---- ۱۷۴۸
العاشر:كونه لا تصحبه الأوقات، ---- ۱۷۴۸
الحادى عشر:كونه لا ترفده الأدوات ---- ۱۷۴۹
الثانى عشر:سبق الأوقات كونه ---- ۱۷۴۹
الثالث عشر:و العدم وجوده ---- ۱۷۴۹
الرابع عشر:و الابتداء أزله، ---- ۱۷۴۹
الخامس عشر:بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له ---- ۱۷۵۰
السادس عشر:و بمضادّته بين الامور عرف أنّ لا ضدّ له ---- ۱۷۵۰
السابع عشر:و بمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له، ---- ۱۷۵۰
الثامن عشر:كونه تعالى مضادّا بين الامور. ---- ۱۷۵۰
التاسع عشر:كونه مؤلّفا بين متعادياتها ---- ۱۷۵۱
العشرون ---- ۱۷۵۱
الحادى و العشرون:كونه مقرّبا بين متباعداتها، ---- ۱۷۵۱
الثانى و العشرون: ---- ۱۷۵۱
الثالث و العشرون:كونه تعالى لا يشمله حدّ، ---- ۱۷۵۱
الرابع و العشرون:كونه لا يحسب بعد ---- ۱۷۵۲
الخامس و العشرون:كونه تعالى منزّها أن يجرى عليه السكون و الحركه، ---- ۱۷۵۴
السادس و العشرون:كونه تعالى لا يحول ---- ۱۷۵۶
السابع و العشرون ---- ۱۷۵۷
الثامن و العشرون:و كذلك لا يجوز عليه الافول ---- ۱۷۵۷

التاسع و العشرون:کونه «لَمْ يَلِدْ» فيکون مولودا «وَ لَمْ يُولَدْ» فيکون محدودا. ----- ۱۷۵۷

الثلاثون:کونه جلّ عن اتّخاذ الأبناء ----- ۱۷۵۸

الحادی و الثلاثون:کونه طهر عن ملامسه النساء ----- ۱۷۵۸

الثانی و الثلاثون:کونه لا تناله الأوهام فيقدّره ----- ۱۷۵۸

الثالث و الثلاثون:و لا يتوهّمه الفطن فتصوّره. ----- ۱۷۵۸

الرابع و الثلاثون:لا تدرکه الحواسّ فتحسّه. ----- ۱۷۵۹

الخامس و الثلاثون:کونه تعالی لا تلمسه الأيدی فتمسّه ----- ۱۷۵۹

السادس و الثلاثون:کونه لا يتغيّر بحال ----- ۱۷۵۹

السابع و الثلاثون و لا يتبدّل فی الأحوال ----- ۱۷۵۹

الثامن و الثلاثون:کونه لا تبليه الليالی و الأيّام ----- ۱۷۶۰

التاسع و الثلاثون:کونه لا يغيّره الضياء و الظلام, ----- ۱۷۶۰

الأربعون:کونه لا يوصف بشیء من الأجزاء ----- ۱۷۶۰

الحادی و الأربعون:و لا بالجوارح و الأعضاء ----- ۱۷۶۰

الثانی و الأربعون:و لا بعرض من الأعراض ----- ۱۷۶۰

الثالث و الأربعون:و لا بالغيريّه و الأبعاض ----- ۱۷۶۲

الرابع و الأربعون:و لا يقال له حدّ و لا نهايه ----- ۱۷۶۲

الخامس و الأربعون:و کذلک و لا انقطاع و لا غايه ----- ۱۷۶۳

السادس و الأربعون.و لا أنّ الأشياء تحويه فتقلّه أو تهويه ----- ۱۷۶۳

السابع و الأربعون:ليس فی الأشياء بوالج و لا عنها بخارج ----- ۱۷۶۳

الثامن و الأربعون:کونه يخبر بلا لسان و لهوات ----- ۱۷۶۳

التاسع و الأربعون:يسمع بلا خروق و أدوات ----- ۱۷۶۴

الخمسون:يقول و لا يلفظ ----- ۱۷۶۴

الحادی و الخمسون:کونه يحفظ و لا يتحفّظ. ----- ۱۷۶۴

الثانی و الخمسون: ----- ۱۷۶۴

الثالث و الخمسون:کونه يحبّ و يرضی من غير رقّه ----- ۱۷۶۴

الرابع و الخمسون: ----- ۱۷۶۵

الخامس و الخمسون:يقول لما أراد كونه «كُنْ فَيَكُونُ» ---------- ۱۷۶۵
السادس و الخمسون:لا بصوت يقرع ---------- ۱۷۶۶
السابع و الخمسون:و لا بنداء يسمع ---------- ۱۷۶۶
الثامن و الخمسون:لا يقال.إلى قوله:لم يكن. ---------- ۱۷۶۷
التاسع و الخمسون:كونه تعالى خلق الخلق.إلى قوله:غيره، ---------- ۱۷۶۸
الستّون:كونه لم يستعن على خلق ما خلق بأحد من خلقه ---------- ۱۷۶۸
الحادى و الستّون:كونه أنشأ الأرض فأمسكها ---------- ۱۷۶۸
الثانى و الستّون:كونه أرساها ---------- ۱۷۶۸
الثالث و الستّون:كونه حصّنها من الأود و الاعوجاج ---------- ۱۷۶۸
الرابع و الستّون:كونه منعها عن التهافت و الانفراج ---------- ۱۷۶۸
الخامس و الستّون:كونه أرسى أوتادها ---------- ۱۷۶۹
السادس و الستّون.كونه ضرب أسدادها ---------- ۱۷۶۹
السابع و الستّون:كونه استفاض عيونها. ---------- ۱۷۶۹
الثامن و الستّون:كونه خدّ أوديتها ---------- ۱۷۶۹
التاسع و الستّون:كونه هو الظاهر عليها سلطانه و عظمته ---------- ۱۷۶۹
السبعون:قوله:و هو الباطن لها ---------- ۱۷۶۹
الحادى و السبعون:كونه عاليا على كلّ شىء ---------- ۱۷۶۹
الثانى و السبعون:كونه لا يعجزه شىء منها طلبه.إلى قوله:فيسبقه، ---------- ۱۷۷۱
الثالث و السبعون:و كذلک كونه لا يحتاج إلى ذى المال فيرزقه ---------- ۱۷۷۱
الرابع و السبعون:قوله:خضعت له الأشياء.إلى قوله.لعظمته ---------- ۱۷۷۱
الخامس و السبعون:كونه لا كفء له يكافيه ---------- ۱۷۷۱
السادس و السبعون:هو المفنى لها.إلى قوله:كمفقودها ---------- ۱۷۷۱
و قوله:و ليس فناء الدنيا.إلى قوله:اختراعها . ---------- ۱۷۷۳
و قوله:و كيف لو اجتمع.إلى قوله:إفنائها. ---------- ۱۷۷۳
و قوله:و إنّه سبحانه يعود.إلى قوله:الامور. ---------- ۱۷۷۴
و قوله:يعود بعد. ---------- ۱۷۷۴

و قوله:عدمت عند ذلک.إلی قوله:الساعات. ----- ۱۷۷۴
و قوله:فلا شیء.إلی قوله:الامور. ----- ۱۷۷۴
و قوله:بلا قدره.إلی قوله:فناؤها. ----- ۱۷۷۴
و قوله:و لو قدرت.إلی قوله:بقائها. ----- ۱۷۷۵
و قوله:لم یتکاءده.إلی قوله:خلقه. ----- ۱۷۷۶
و قوله:و لم یکوّنها.إلی آخره. ----- ۱۷۷۶
و قوله:لکنّه سبحانه.إلی قوله:لقدرته. ----- ۱۷۷۶
و قوله:ثمّ یعیدها بعد الفناء. ----- ۱۷۷۷
و قوله:من غیر حاجه.إلی آخره. ----- ۱۷۷۷
و قوله:ثمّ یعیدها بعد الفناء. ----- ۱۷۷۸
۲۲۹-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۱۷۷۸
اشاره ----- ۱۷۷۸
اللغه ----- ۱۷۷۹
المعنی ----- ۱۷۷۹
۲۳۰-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۱۷۸۴
اشاره ----- ۱۷۸۴
اللغه ----- ۱۷۸۵
و الفصل یشتمل علی الوصیّه بامور: ----- ۱۷۸۵
أوّلها:تقوی اللّه تعالی ----- ۱۷۸۵
الثانی:ممّا أوصاهم به ذکر الموت و إقلال الغفله عنه. ----- ۱۷۸۵
الثالث:ممّا أمرهم به علی طریق الوصیّه أن یسابقوا إلی منازلهم الّتی امروا ----- ۱۷۸۷
الرابعه:ممّا أمرهم به الصبر علی طاعه اللّه و علی مجانبه المعصیه. ----- ۱۷۸۷
و قوله:فإن غدا من الیوم قریب. ----- ۱۷۸۹
و قوله:ما أسرع الساعات فی الیوم.إلی آخره. ----- ۱۷۸۹
۲۳۱-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۱۷۸۹
اشاره ----- ۱۷۸۹

اللغه ---------- ۱۷۹۰
و فی الفصل مسائل : ---------- ۱۷۹۰
الاولی: ---------- ۱۷۹۰
الثانیه:قوله:فإذا کانت لکم براءه.إلی قوله:حدّ البراءه. ---------- ۱۷۹۱
الثالثه:قوله:و الهجره قائمه علی حدّها الأوّل ---------- ۱۷۹۲
الرابعه:قوله:ما کان فی الأرض.إلی قوله:و معانیها. ---------- ۱۷۹۳
الخامسه:قوله:لا تقع اسم الهجره.إلی قوله:قلبه ---------- ۱۷۹۴
السادسه:قوله:إنّ أمرنا صعب مستصعب. ---------- ۱۷۹۵
السابعه:أیّه بالناس. ---------- ۱۷۹۷
و قوله:قبل أن تشغر برجلها فتنه.إلی آخره. ---------- ۱۷۹۸
قوله:تطأ فی خطامها ---------- ۱۷۹۸
۲۳۲-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۱۷۹۸
اشاره ---------- ۱۷۹۸
اللغه ---------- ۱۸۰۰
المعنی ---------- ۱۸۰۱
۲۳۳-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۱۸۰۸
اشاره ---------- ۱۸۰۸
اللغه ---------- ۱۸۱۰
المعنی ---------- ۱۸۱۲
و قد حمد اللّه سبحانه باعتبارات لا ینبغی إلاّ له: ---------- ۱۸۱۲
أحدها:الفاشی حمده ---------- ۱۸۱۲
الثانی:الغالب جنده ---------- ۱۸۱۲
الثالث:المتعالی جدّه ---------- ۱۸۱۲
الرابع:من الاعتبارات الّذی عظم حلمه فعفا. ---------- ۱۸۱۲
الخامس:و عدل فی کلّ ما قضی ---------- ۱۸۱۴
السادس:و علم ما یمضی و ما مضی. ---------- ۱۸۱۴

السابع:مبتدع الخلايق بعلمه ۱۸۱۴
الثامن:و منشئهم بحكمه ۱۸۱۵
و قوله:بلا اقتداء و لا تعليم. ۱۸۱۵
و قوله:و لا إصابه خطأ. ۱۸۱۵
و قوله:و لا حضره ملأ. ۱۸۱۶
و قوله:قد قادتهم أزمّه الحين. ۱۸۱۶
و قوله:و استغلقت.إلى قوله:الرين. ۱۸۱۶
و قوله لم تبرح عارضه نفسها.إلى قوله الغابرين. ۱۸۱۹
و قوله:إذا أعاد.إلى قوله:أسدى. ۱۸۱۹
و قوله:فما أقلّ من قبلها. ۱۸۲۰
ثمّ أمرهم فيها بأوامر : ۱۸۲۰
أحدها:أن يهطعوا بأسماعهم إليها ۱۸۲۰
الثانى:أن يواكظوا عليها بجدّهم ۱۸۲۰
الثالث:أن يعتاضوها خلفا عن كلّ محبوب فى الدنيا سلف لهم ۱۸۲۰
الرابع:أن يعتاضوها من كلّ مخالف لهم موافقا. ۱۸۲۰
الخامس: ۱۸۲۰
السادس:و أن يقطعوا بها يومهم ۱۸۲۲
السابع: ۱۸۲۲
الثامن: ۱۸۲۲
التاسع:أن يداووا بها الأسقام ۱۸۲۲
العاشر:و أن يبادروا بها الحمام ۱۸۲۲
الحادى عشر:أن يعتبروا بمن أضاعها ۱۸۲۲
الثانى عشر:أن لا يجعلوا أنفسهم عبره لمن أطاعها ۱۸۲۳
الثالث عشر:أن يصونوها. ۱۸۲۳
الرابع عشر:أن يتصوّنوا بها ۱۸۲۳
الخامس عشر:أن يكونوا عن الدنيا نزّاها ۱۸۲۳

السادس عشر:أن يكونوا إلى الآخره ولّاها ---- ۱۸۲۳
السابع عشر:أن لا يضعوا من رفعته التقوى. ---- ۱۸۲۳
الثامن عشر: ---- ۱۸۲۳
التاسع عشر: ---- ۱۸۲۴
العشرون: ---- ۱۸۲۴
الحادی و العشرون: ---- ۱۸۲۴
الثانی و العشرون: ---- ۱۸۲۴
الثالث و العشرون:و من الفتنه بأعلاقها. ---- ۱۸۲۴
فقوله:فإنّ برقها خالب. ---- ۱۸۲۵
و قوله:و نطقها كاذب. ---- ۱۸۲۵
و قوله:و أموالها محروبه. ---- ۱۸۲۵
و قوله:و أعلاقها مسلوبه. ---- ۱۸۲۵
ثمّ أردف تلك الأوصاف بالتنبيه على أوصاف ---- ۱۸۲۷
اشاره ---- ۱۸۲۷
أحدها: ---- ۱۸۲۷
الثانی: ---- ۱۸۲۷
الثالث: ---- ۱۸۲۷
الرابع: ---- ۱۸۲۷
الخامس: ---- ۱۸۲۹
السادس: ---- ۱۸۲۹
السابع:حالها انتقال. ---- ۱۸۲۹
الثامن: ---- ۱۸۲۹
التاسع: ---- ۱۸۲۹
العاشر: ---- ۱۸۳۰
الحادی عشر:و علوّها سفل ---- ۱۸۳۰
الثانی عشر:كونها دار حرب ---- ۱۸۳۰

الثالث عشر:کون أهلها علی ساق -- ۱۸۳۰

الرابع عشر: -- ۱۸۳۱

الخامس عشر:و أعجزت مهاربها -- ۱۸۳۱

السادس عشر: -- ۱۸۳۱

ثمّ قسّمهم باعتبار لحوق شرّها لأحیائهم و أمواتهم إلی أصناف: -- ۱۸۳۱

أحدها: -- ۱۸۳۱

الثانی:و لحم مجزور، -- ۱۸۳۱

الثالث:و شلو مذبوح. -- ۱۸۳۱

الرابع:و دم مسفوح -- ۱۸۳۲

الخامس: -- ۱۸۳۲

السادس:و صافق بکفّیه -- ۱۸۳۲

السابع:و-کذلک-مرتفق لخدّیه -- ۱۸۳۲

الثامن:و-کذلک-و زار علی رأیه -- ۱۸۳۲

التاسع:و راجع عن عزمه -- ۱۸۳۲

و قوله:و قد أدبرت الحیله. -- ۱۸۳۲

و قوله:و أقبلت الغیله. -- ۱۸۳۲

و قوله:و لات حین مناص. -- ۱۸۳۳

و قوله:هیهات هیهات. -- ۱۸۳۴

و قوله:و قد فات ما فات.إلی قوله:ذهب. -- ۱۸۳۴

و قوله:و مضت الدنیا لحال بالها. -- ۱۸۳۴

و قوله:و أقبلت الآخره. -- ۱۸۳۴

۲۳۴-و من خطبه له علیه السّلام -- ۱۸۳۶

اشاره -- ۱۸۳۶

الفصل الأوّل: -- ۱۸۳۶

اشاره -- ۱۸۳۶

اللغه -- ۱۸۳۸

المعنی ---- ۱۸۳۸
و قد ذکر الشارحون فی تسمیه هذه الخطبه القاصعه وجوها: ---- ۱۸۳۸
و اعلم أنّ مدار هذه الخطبه علی النهی عن الکبر و التوبیخ علیه ---- ۱۸۳۸
إذا عرفت ذلک فنقول:إنّه علیه السّلام حمد اللّه تعالی باعتبارات: ---- ۱۸۴۰
أحدها:لبسه للعزّ و الکبریاء. ---- ۱۸۴۰
الثانی:کونه تعالی اختارهما لنفسه دون خلقه. ---- ۱۸۴۱
الثالث:و جعلهما حمی و حرما علی غیره. ---- ۱۸۴۱
الرابع:و اصطفاهما لجلاله ---- ۱۸۴۱
الخامس: ---- ۱۸۴۱
السادس: ---- ۱۸۴۲
و قوله:لیمیز المتواضعین منهم من المتکبّرین. ---- ۱۸۴۲
و قوله:و هو العالم.إلی قوله:العیوب. ---- ۱۸۴۲
و قوله:الّذی وضع أساس العصبیّه. ---- ۱۸۴۳
و قوله:و نازع اللّه رداء الجبریّه. ---- ۱۸۴۳
و قوله:أ لا ترون.إلی قوله:بترفّعه. ---- ۱۸۴۳
و قوله:و لو أراد اللّه.إلی قوله:علی الملائکه. ---- ۱۸۴۳
الفصل الثانی:فی أمر السامعین بالاعتبار بحال إبلیس و ما لزمه من اللعنه ---- ۱۸۴۶
اشاره ---- ۱۸۴۶
اللغه ---- ۱۸۴۹
المعنی ---- ۱۸۵۰
فقوله:فاعتبروا. ---- ۱۸۵۰
و قوله:و کان قد عبد اللّه.إلی قوله:الآخره. ---- ۱۸۵۱
فأمّا قوله:لا یدری. ---- ۱۸۵۲
و قوله:فمن.إلی قوله:معصیه. ---- ۱۸۵۳
و قوله:یسلم علی اللّه. ---- ۱۸۵۳
و قوله:کلاّ. ---- ۱۸۵۳

و قوله:إنّ حكمه فى أهل السماء.إلى قوله:لواحد. ----- ۱۸۵۴
و قوله:و ما بين اللّه.إلى قوله:العالمين. ----- ۱۸۵۴
و قوله:بخيله و رجله. ----- ۱۸۵۴
و قوله:فلعمرى.إلى قوله:الشديد. ----- ۱۸۵۴
و قوله:صدّقه به أبناء الحميّه. ----- ۱۸۵۷
و قوله:و إخوان العصبيّه. ----- ۱۸۵۷
و قوله:حتّى.إلى قوله:الجلىّ. ----- ۱۸۵۷
و قوله:فنجمت الحال. ----- ۱۸۵۹
و قوله:استفحل. ----- ۱۸۵۹
و قوله:طعنا.إلى قوله:لمقاتلكم. ----- ۱۸۵۹
و قوله:فلعمر اللّه.إلى قوله:بلاء. ----- ۱۸۶۱
و قوله:فإنّ له من كلّ امّه.إلى قوله:فرسانا. ----- ۱۸۶۳
و قوله:و لا تكونوا كالمتكبّرين على ابن امّه. ----- ۱۸۶۳
و قوله:سوى ما ألحقت العظمه.إلى قوله:ريح الكبر. ----- ۱۸۶۴
و قوله:الّذى أعقبه اللّه. ----- ۱۸۶۴
و قوله:و ألزمه آثام القاتلين إلى يوم القيامه. ----- ۱۸۶۴
و قوله أمرا. ----- ۱۸۶۶
و قوله:الّذين تكبّروا عن حسبهم و ترفّعوا فوق نسبهم. ----- ۱۸۶۶
و قوله:و ألقوا الهجينه على ربّهم. ----- ۱۸۶۷
و قوله:و جاحدوا اللّه ما صنع بهم. ----- ۱۸۶۷
و قوله:مكابره لقضائه. ----- ۱۸۶۷
و قوله:فإنّهم.إلى قوله:الجاهليّه. ----- ۱۸۶۸
و قوله:و لا تطيعوا الأدعياء. ----- ۱۸۶۸
و قوله:فجعلكم مرمى نبله ----- ۱۸۷۰
الفصل الثالث:فى أمرهم بالاعتبار بحال الماضين،و ما أصاب الامم المستكبرين ----- ۱۸۷۰
اشاره ----- ۱۸۷۰

اللغه ---------- ۱۸۷۵
المعنی ---------- ۱۸۷۶
و اعلم أنّه علیه السّلام أمرهم بأوامر : ---------- ۱۸۷۶
أحدها:الأمر بالاعتبار بما أصاب المتکبّرین من سابق الامم من عقوبات ---------- ۱۸۷۶
الثانی:أن یتّعظوا بمثاوی خدودهم و مصارع جنوبهم ---------- ۱۸۷۶
الثالث:أن یستعیذوا باللّه من لواقح الکبر. ---------- ۱۸۷۶
و قوله:فلو رخّص اللّه.إلی قوله:التواضع. ---------- ۱۸۷۶
و قوله:فألصقوا.إلی قوله:مستضعفین. ---------- ۱۸۷۸
و قوله:قد اختبرهم.إلی قوله:بالمکاره. ---------- ۱۸۷۸
و قوله:فلا تعتبروا الرضا و السخط بالمال و الولد إلی قوله:الاقتدارالإقتار خ. ---------- ۱۸۷۸
و قوله:فإنّ اللّه سبحانه یختبر عباده المستکبرین.إلی قوله:فی أعینهم. ---------- ۱۸۷۹
و قوله:و لو أراد اللّه سبحانه لأنبیائه.إلی قوله:معانیها. ---------- ۱۸۸۰
و قوله:و لکنّ اللّه سبحانه جعل رسله.إلی قوله:أذی. ---------- ۱۸۸۳
و قوله:و لو کانت الأنبیاء.إلی قوله:مقتسمه. ---------- ۱۸۸۳
و قوله:و ملک تمتدّ نحوه أعناق الرجال،و تشدّ إلیه عقد الرحال. ---------- ۱۸۸۴
و قوله:و لکنّ اللّه سبحانه.إلی قوله:شائبه. ---------- ۱۸۸۴
و قوله:و کلّما کانت البلوی.إلی قوله:أجزل. ---------- ۱۸۸۵
و قوله:جعله للناس قیاما. ---------- ۱۸۸۵
و قوله:ثمّ أمر آدم و ولده أن یثنوا أعطافهم نحوه ---------- ۱۸۸۶
و قوله:فصار مثابه لمنتجع أسفارهم. ---------- ۱۸۸۷
و قوله:تهوی إلیه ثمار الأفئده. ---------- ۱۸۸۷
و قوله:ابتلاء.و امتحانا.و اختبارا.و تمحیصا. ---------- ۱۸۸۸
و قوله:و لو أراد اللّه.إلی قوله:ضعف البلاء. ---------- ۱۸۸۹
و قوله:و لو کان الأساس.إلی قوله:من الناس. ---------- ۱۸۸۹
و قوله:و لکنّ اللّه یختبر عباده.إلی قوله:المکاره. ---------- ۱۸۹۰
و قوله:إخراجا للتکبّر.إلی قوله:لعفوه. ---------- ۱۸۹۰

و قوله:لا عالما لعلمه و لا مقلّا فی طمره. ----- ۱۸۹۱
و قوله:و عن ذلک ما حرس اللّه.إلی قوله:تذلّلا. ----- ۱۸۹۱
و قوله:مع ما فی الزکاه.إلی قوله:الفقیر. ----- ۱۸۹۳
قوله:انظروا.إلی آخره. ----- ۱۸۹۳
الفصل الرابع:فی توبیخهم علی المعصیه ----- ۱۸۹۳
اشاره ----- ۱۸۹۳
اللغه ----- ۱۸۹۸
المعنی ----- ۱۸۹۸
فقوله:و لقد نظرت.إلی قوله:بمعذّبین . ----- ۱۸۹۸
و قوله:غیرکم. ----- ۱۹۰۰
و قوله:تتعصّبون لأمر ما یعرف له سبب و لا علّه. ----- ۱۹۰۰
و قوله:من الاجتناب.إلی قوله:و التواصی بها. ----- ۱۹۰۳
و قوله:و اجتنبوا.إلی قوله:و تخاذل الأیدی. ----- ۱۹۰۳
و قوله:و تدبّروا أحوال الماضین من المؤمنین.إلی قوله:إلیه بهم. ----- ۱۹۰۳
و قوله:فانظروا کیف کانوا.إلی قوله:للمعتبرین منکم. ----- ۱۹۰۴
و قوله:و السیوف متناصره. ----- ۱۹۰۴
و قوله:فاعتبروا بحال ولد إسماعیل و بنی إسحاق و إسرائیل علیهم السّلام.إلی ----- ۱۹۰۵
و قوله:فما أشدّ اعتدال الأحوال. ----- ۱۹۰۶
و قوله:تأمّلوا أمرهم فی حال تشتّتهم.إلی آخر الکلام. ----- ۱۹۰۶
و قوله:لیالی کانت الأکاسره و القیاصره أربابا لهم. ----- ۱۹۰۶
و قوله:إلی منابت الشیح و مها فی الریح. ----- ۱۹۰۶
و قوله:و أجد بهم قرارا. ----- ۱۹۰۸
و قوله:فالأحوال مضطربه. ----- ۱۹۰۸
و قوله:من بنات. ----- ۱۹۰۸
و قوله:فانظروا إلی مواقع نعم اللّه علیهم. ----- ۱۹۱۰
و قوله:و التقت الملّه بهم فی عوائد برکتها. ----- ۱۹۱۰

و قوله:فهم حکّام.إلی قوله:یمضیها فیهم. ----- ۱۹۱۱
و قوله:و إنّ اللّه سبحانه قد امتنّ.إلی قوله:کلّ خطر. ----- ۱۹۱۱
و قوله:و علموا.إلی قوله:بین خلقه. ----- ۱۹۱۱
و قوله:انتهاکا و نقضا. ----- ۱۹۱۲
و قوله:و إنّکم.إلی قوله:بینکم. ----- ۱۹۱۲
و قوله:إلاّ المقارعه بالسیف. ----- ۱۹۱۳
و قوله:و إنّ عندکم الأمثال.إلی قوله:و وقائعه. ----- ۱۹۱۳
و قوله:فلا تستبطئوا.إلی قوله:بأسه. ----- ۱۹۱۳
و قوله:و إنّ اللّه.إلی قوله:التناهی. ----- ۱۹۱۴
الفصل الخامس:فی اقتصاصه علیه السّلام لحاله فی تکلیفه و موافقته لأوامر اللّه ----- ۱۹۱۵
اشاره ----- ۱۹۱۵
اللغه ----- ۱۹۱۸
المعنی ----- ۱۹۱۹
اشاره ----- ۱۹۱۹
و قوله:أنا وضعت فی الصغر بکلکل العرب.إلی آخره. ----- ۱۹۲۱
و قوله:و قد علمتم موضعی.إلی آخره. ----- ۱۹۲۱
و عدّ أحواله الّتی هی وجوه ذلک الاستعداد ----- ۱۹۲۱
أحدها:القرابه. ----- ۱۹۲۱
الثانیه:منزلته الخصیصه به ----- ۱۹۲۲
الثالثه:أنّه لم یجد له کذبه فی قول و لا خطله فی فعل، ----- ۱۹۲۲
الرابعه:أشار إلی اتّباعه له و ملازمته إیّاه ----- ۱۹۲۳
الخامسه: ----- ۱۹۲۳
السادسه:أنّه کان یجاور معه فی کل سنه بحراء فیراه دون غیره ----- ۱۹۲۳
السابعه:أشار إلی کونه أوّل من أسلم من الذکور ----- ۱۹۲۴
الثامنه: ----- ۱۹۲۶
التاسعه:کونه معه حین أتاه الملأ من قریش و سألوه ما سألوا من دعوه ----- ۱۹۲۸

قوله:و إنّی لمن قوم.إلی قوله:لائم. ---------- ۱۹۳۰
و قوله:سیماهم سیما الصدّیقین.إلی آخر الصفات. ---------- ۱۹۳۰
۲۳۵-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۱۹۳۱
اشاره ---------- ۱۹۳۱
اللغه ---------- ۱۹۳۱
المعنی ---------- ۱۹۳۲
۲۳۶-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۱۹۳۳
اشاره ---------- ۱۹۳۳
المعنی ---------- ۱۹۳۳
۲۳۷ و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۱۹۳۴
اشاره ---------- ۱۹۳۴
اللغه ---------- ۱۹۳۵
المعنی ---------- ۱۹۳۵
۲۳۸-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۱۹۳۷
اشاره ---------- ۱۹۳۷
اللغه ---------- ۱۹۳۸
المعنی ---------- ۱۹۳۸
۲۳۹-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۱۹۴۱
اشاره ---------- ۱۹۴۱
اللغه ---------- ۱۹۴۲
المعنی ---------- ۱۹۴۲
۲۴۰-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۱۹۴۴
اشاره ---------- ۱۹۴۴
اللغه ---------- ۱۹۴۵
المعنی ---------- ۱۹۴۵
باب المختار من کتب مولانا أمیر المؤمنین علیه السّلام ---------- ۱۹۴۷

اشاره ----- ۱۹۴۷
۱-من کتاب له علیه السّلام ----- ۱۹۴۷
اشاره ----- ۱۹۴۷
المعنی ----- ۱۹۴۸
۲-و من کتاب له علیه السّلام ----- ۱۹۵۱
اشاره ----- ۱۹۵۱
المعنی ----- ۱۹۵۲
۳-و من کتاب له علیه السّلام ----- ۱۹۵۲
اشاره ----- ۱۹۵۲
اللغه ----- ۱۹۵۴
المعنی ----- ۱۹۵۴
اشاره ----- ۱۹۵۴
و اعلم أنّ فی النسخه نکتا : ----- ۱۹۵۵
إحداها: ----- ۱۹۵۵
الثانیه: ----- ۱۹۵۵
الثالثه: ----- ۱۹۵۵
الرابعه: ----- ۱۹۵۵
الخامسه: ----- ۱۹۵۷
السادسه: ----- ۱۹۵۷
السابعه: ----- ۱۹۵۷
الثامنه: ----- ۱۹۵۸
التاسعه: ----- ۱۹۵۸
العاشره: ----- ۱۹۵۸
۴-و من کتاب له علیه السّلام ----- ۱۹۵۸
اشاره ----- ۱۹۵۸
اللغه ----- ۱۹۵۹

المعنی ---------- ۱۹۵۹
۵-و من کتاب له علیه السّلام ---------- ۱۹۶۰
اشاره ---------- ۱۹۶۰
اللغه ---------- ۱۹۶۱
المعنی ---------- ۱۹۶۱
۶-و من کتاب له علیه السّلام ---------- ۱۹۶۲
اشاره ---------- ۱۹۶۲
اللغه ---------- ۱۹۶۳
المعنی ---------- ۱۹۶۳
۷-و من کتاب له علیه السّلام ---------- ۱۹۶۴
اشاره ---------- ۱۹۶۴
اللغه ---------- ۱۹۶۶
المعنی ---------- ۱۹۶۶
۸-و من کتاب له علیه السّلام ---------- ۱۹۶۸
اشاره ---------- ۱۹۶۸
اللغه ---------- ۱۹۶۸
المعنی ---------- ۱۹۶۹
۹-و من کتاب له علیه السّلام ---------- ۱۹۶۹
اشاره ---------- ۱۹۶۹
اللغه ---------- ۱۹۷۳
المعنی ---------- ۱۹۷۳
۱۰-و من کتاب له علیه السّلام ---------- ۱۹۸۰
اشاره ---------- ۱۹۸۰
اللغه ---------- ۱۹۸۱
المعنی ---------- ۱۹۸۲
۱۱-و من وصیّه له علیه السّلام ---------- ۱۹۸۶

اشاره ----- ۱۹۸۶
اللغه ----- ۱۹۸۸
المعنی ----- ۱۹۸۸
۱۲-و من وصیّه له علیه السّلام ----- ۱۹۸۹
اشاره ----- ۱۹۸۹
اللغه ----- ۱۹۹۰
المعنی ----- ۱۹۹۰
۱۳-و من کتاب له علیه السّلام ----- ۱۹۹۱
اشاره ----- ۱۹۹۱
اللغه ----- ۱۹۹۲
المعنی ----- ۱۹۹۲
۱۴-و من وصیّه له علیه السّلام ----- ۱۹۹۲
اشاره ----- ۱۹۹۲
اللغه ----- ۱۹۹۳
و قد وصیّ فی هذا الفصل بامور : ----- ۱۹۹۳
أحدها:ان لا یقاتلوهم إلی أن یبدءوهم بالقتال، ----- ۱۹۹۳
و أمّا الثانیه:فهی ترکهم حتّی یبدءوا بالحرب ----- ۱۹۹۳
الثالث:وصّاهم علی تقدیر وقوع الهزیمه منهم بإذن اللّه أن لا یقتلوا مدبرا: ----- ۱۹۹۴
الرابع:أن لا تجهزوا علی جریح. ----- ۱۹۹۴
و قوله:و إن کنّا.إلی آخره. ----- ۱۹۹۴
و قوله:و إن کان الرجل.إلی آخره. ----- ۱۹۹۴
۱۵-و کان یقول علیه السّلام ----- ۱۹۹۵
اشاره ----- ۱۹۹۵
اللغه ----- ۱۹۹۵
المعنی ----- ۱۹۹۶
۱۶-و کان علیه السلام یقول ----- ۱۹۹۶

اشاره ۱۹۹۶

اللغه ۱۹۹۷

المعنی ۱۹۹۷

و قوله:لا تشتدّنّ علیکم إلی قوله:حمله . ۱۹۹۷

ثمّ أمرهم بأوامر : ۱۹۹۷

أحدها: ۱۹۹۷

الثانی: ۱۹۹۹

الثالث:أن یحثّوا أنفسهم علی الطعن الّذی یظهر أثره و الضرب الشدید: ۱۹۹۹

الرابع:أن یمیتوا الأصوات ۱۹۹۹

۱۷-و من کتاب له علیه السّلام ۱۹۹۹

اشاره ۱۹۹۹

اللغه ۲۰۰۱

و قد أجاب علیه السّلام عن امور أربعه تضمّنها کتاب معاویه: ۲۰۰۱

أحدها:أنّه استعطفه إلی البقیّه و استدرجه لوضع الحرب ۲۰۰۱

الثانی:أنّه سأل إقراره علی الشام ۲۰۰۱

الثالث:حفظ الرجال. ۲۰۰۲

الرابع:أوهم بقوله:و إنّا فی الحرب و الرجال سواء. ۲۰۰۳

الخامس:أنّه نبّه بقوله:و نحن بنو عبد مناف. ۲۰۰۳

۱۸-و من کتاب له علیه السّلام ۲۰۰۵

اشاره ۲۰۰۵

اللغه ۲۰۰۶

المعنی ۲۰۰۷

۱۹-و من کتاب له علیه السّلام ۲۰۰۹

اشاره ۲۰۰۹

اللغه ۲۰۰۹

المعنی ۲۰۰۹

۲۰-و من کتاب له علیه السّلام ---------- ۲۰۱۰
اشاره ---------- ۲۰۱۰
اللغه ---------- ۲۰۱۰
المعنی ---------- ۲۰۱۰
۲۱-و من کتاب له علیه السّلام ---------- ۲۰۱۱
اشاره ---------- ۲۰۱۱
اللغه ---------- ۲۰۱۱
المعنی ---------- ۲۰۱۱
و قد أمره فی هذا الفصل بأوامر : ---------- ۲۰۱۱
أحدها:ترک الإسراف ---------- ۲۰۱۱
الثانی:أن یذکر فی الیوم غدا ---------- ۲۰۱۲
الثالث:أن یمسک من المال بقدر ضرورته. ---------- ۲۰۱۲
الرابع:أن یقدّم الفضل منها لیوم حاجته ---------- ۲۰۱۲
۲۲-و من کتاب له علیه السّلام ---------- ۲۰۱۲
اشاره ---------- ۲۰۱۲
اللغه ---------- ۲۰۱۳
المعنی ---------- ۲۰۱۳
۲۳-و من کتاب له علیه السّلام ---------- ۲۰۱۴
اشاره ---------- ۲۰۱۴
اللغه ---------- ۲۰۱۵
و قد وصیّ علیه السّلام بأمرین هما عمود الإسلام و بهما یقوم: ---------- ۲۰۱۵
أحدهما:أن لا یشرکوا باللّه شیئا. ---------- ۲۰۱۵
و الثانی:الاهتمام بأمر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و المحافظه علی سنّته. ---------- ۲۰۱۵
۲۴-و من وصیّه له علیه السّلام ---------- ۲۰۱۶
اشاره ---------- ۲۰۱۶
اللغه ---------- ۲۰۱۹

المعنى ----- ۲۰۱۹
۲۵-و من وصيّه له عليه السّلام ----- ۲۰۲۱
اشاره ----- ۲۰۲۱
اللغه ----- ۲۰۲۲
المعنى ----- ۲۰۲۳
۲۶-و من عهد له عليه السّلام ----- ۲۰۲۶
اشاره ----- ۲۰۲۶
اللغه ----- ۲۰۲۷
المعنى ----- ۲۰۲۷
۲۷-و من عهد له عليه السّلام ----- ۲۰۳۰
اشاره ----- ۲۰۳۰
القسم الأول ----- ۲۰۳۰
اشاره ----- ۲۰۳۰
اللغه ----- ۲۰۳۲
المعنى ----- ۲۰۳۲
القسم الثانى و من هذا العهد ايضا ----- ۲۰۴۰
۲۸-و من كتاب له عليه السّلام ----- ۲۰۴۲
اشاره ----- ۲۰۴۲
اللغه ----- ۲۰۴۶
المعنى ----- ۲۰۴۷
اشاره ----- ۲۰۴۷
و فيه نكت : ----- ۲۰۴۷
الاولى: ----- ۲۰۴۷
الثانيه:أنّ معاويه لمّا اقتصّ حال أصحابه و ذكر الأفضل فالأفضل منهم ----- ۲۰۴۸
الثالثه: ----- ۲۰۴۹
الرابعه ----- ۲۰۴۹

الخامسه: -- ۲۰۵۰
السادسه:جوابه عمّا ادّعاه بزعمه من حسده علیه السّلام لسایر الخلفاء و بغیه -- ۲۰۵۴
السابعه: -- ۲۰۵۴
الثامنه: -- ۲۰۵۵
التاسعه: -- ۲۰۵۵
العاشره: -- ۲۰۵۶
۲۹-و من کتاب له علیه السّلام -- ۲۰۵۷
اشاره -- ۲۰۵۷
اللغه -- ۲۰۵۸
المعنی -- ۲۰۵۸
۳۰-و من کتاب له علیه السّلام -- ۲۰۵۹
اشاره -- ۲۰۵۹
اللغه -- ۲۰۶۰
المعنی -- ۲۰۶۰
فهرست ما فی هذا الجزء من الخطب و ما یجری مجریها -- ۲۰۶۳
المجلد ۵ -- ۲۰۷۱
اشاره -- ۲۰۷۱
تتمه باب المختار من کتبه -- ۲۰۷۲
اشاره -- ۲۰۷۲
۳۱-و من وصیّه له علیه السّلام -- ۲۰۷۲
اشاره -- ۲۰۷۲
الفصل الأوّل: -- ۲۰۷۲
اشاره -- ۲۰۷۲
اللغه -- ۲۰۷۲
المعنی -- ۲۰۷۳
الفصل الثانی: -- ۲۰۷۵

اشاره ----- ۲۰۷۵
اللغه ----- ۲۰۷۵
المعنی ----- ۲۰۷۵
الفصل الثالث: ----- ۲۰۷۷
اشاره ----- ۲۰۷۷
اللغه ----- ۲۰۷۸
المعنی ----- ۲۰۷۸
اشاره ----- ۲۰۷۸
أحدها:تقوی اللّه ----- ۲۰۷۸
الثانی:لزوم أمره ----- ۲۰۷۸
الثالث: ----- ۲۰۷۸
الرابع: ----- ۲۰۷۸
الخامس:أمره أن یحیی قلبه بالموعظه، ----- ۲۰۷۸
السادس:قوله:أمته بالزهاده ----- ۲۰۸۰
السابع:أن یقویه بالیقین ----- ۲۰۸۰
الثامن ----- ۲۰۸۰
التاسع:أن یذلّله بذکر الموت، ----- ۲۰۸۰
العاشر:أن یقرّره بالفناء ----- ۲۰۸۰
الحادی عشر:أن یبصّره فجایع الدنیا ----- ۲۰۸۰
الثانی عشر: ----- ۲۰۸۰
الثالث عشر:أن یعرض علیه أخبار الماضین ----- ۲۰۸۰
الرابع عشر:أن یصلح مثواه، ----- ۲۰۸۲
الخامس عشر:أن یترک القول فیما لا یعرفه. ----- ۲۰۸۲
السادس عشر:أن یمسک عن طریق إذا خاف ضلالته، ----- ۲۰۸۲
السابع عشر:أن یأمر بالمعروف و ینهی عن المنکر فعلا و قولا،و یباین ----- ۲۰۸۲
الثامن عشر:أن یجاهد فی اللّه أعداء دینه الجهاد الحقّ، ----- ۲۰۸۲

التاسع عشر: ----- ۲۰۸۲
العشرون: ----- ۲۰۸۲
الحادی و العشرون:أن یتفقّه فی الدین، ----- ۲۰۸۴
الثانی و العشرون:أن یعوّد نفسه الصبر علی المکروه. ----- ۲۰۸۴
الثالث و العشرون:أن یلجئ نفسه فی اموره کلّها إلی اللّه تعالی، ----- ۲۰۸۴
الرابع و العشرون:أن یخلص فی دعائه و مسئلته لربّه. ----- ۲۰۸۴
الخامس و العشرون:أن یکثر الاستخاره ----- ۲۰۸۴
السادس و العشرون: ----- ۲۰۸۴
الفصل الرابع: ----- ۲۰۸۵
اشاره ----- ۲۰۸۵
اللغه ----- ۲۰۸۷
و فی هذا الفصل مقاصد : ----- ۲۰۸۷
الأوّل:أنّه أشار إلی بعض العلل الحامله له علی هذه الوصیّه ----- ۲۰۸۷
المقصود الثانی:أشار إلی فضیله نفسه و استکمالها بالعلوم. ----- ۲۰۸۹
المقصود الثالث:الإشاره إلی بیان ما هو الأحبّ إلیه أن یأخذ به من ----- ۲۰۹۱
المقصود الرابع:أمره بتفهّم وصیّته. ----- ۲۰۹۳
المقصود الخامس:الإشاره إلی فضیله الرسول صلّی اللّه علیه و آله علی سائر الأنبیاء ----- ۲۰۹۴
الفصل الخامس: ----- ۲۰۹۵
اشاره ----- ۲۰۹۵
أقول:أشار فی هذا الفصل إلی الحجّه علی وحدانیّه الصانع سبحانه،و علی ----- ۲۰۹۵
اشاره ----- ۲۰۹۵
البحث الأوّل:الحجّه علی وحده الصانع ----- ۲۰۹۵
البحث الثانی:کونه تعالی لا یزال أبدا و أنّه لم یزل، ----- ۲۰۹۷
البحث الثالث:کونه أوّلا قبل الأشیاء بلا أوّلیّه لوجوده،و کونه آخرا ----- ۲۰۹۷
البحث الرابع: ----- ۲۰۹۷
البحث الخامس ----- ۲۰۹۷

الفصل السادس: ---------- ۲۰۹۸
اشاره ---------- ۲۰۹۸
اللغه ---------- ۲۰۹۹
المعنی ---------- ۲۰۹۹
و فی الفصل مطلوبان. ---------- ۲۰۹۹
أحدهما:أنّه نبّهه علی حالتی الدنیا و الآخره، ---------- ۲۰۹۹
المطلوب الثانی: ---------- ۲۱۰۱
ثمّ شرح وجوه العدل و التسویه الّتی أمره أن یکون ---------- ۲۱۰۱
فالأوّل:أن یحبّ لغیره ما یحبّ لنفسه،و یکره له ما یکره لها، ---------- ۲۱۰۱
الثانی:أن لا یظلم کما لا یحبّ أن یظلم ---------- ۲۱۰۱
الثالث:أن یحسن إلی الغیر کما یحبّ أن یحسن إلیه، ---------- ۲۱۰۱
الرابع:أن یستقبح من نفسه ما یستقبح من غیره ---------- ۲۱۰۱
الخامس:أن یرضی من الناس ما یرضاه لهم من نفسه ---------- ۲۱۰۱
السادس:أن لا یقول ما لا یعلم و إن قلّ ما یعلم، ---------- ۲۱۰۲
السابع:أن لا یقول لأحد ما لا یحبّ أن یقال له ---------- ۲۱۰۳
الثامن:نبّهه علی وجوب ترک الإعجاب ---------- ۲۱۰۳
التاسع:أن یسعی فی کدحه: ---------- ۲۱۰۳
العاشر:أن یکون عند هدایه اللّه إیّاه لرشده أخشع ما یکون لربّه، ---------- ۲۱۰۳
الفصل السابع: ---------- ۲۱۰۳
اشاره ---------- ۲۱۰۳
اللغه ---------- ۲۱۰۶
و فی الفصل مطالب : ---------- ۲۱۰۶
الأول و الثانی ---------- ۲۱۰۶
الثالث:التنبیه علی وجوب إنفاق المال فی وجوه الصدقه و البرّ ---------- ۲۱۰۷
الرابع: ---------- ۲۱۰۸
المطلوب الخامس:التنبیه علی الدعاء و الترغیب فیه ---------- ۲۱۰۹

و رغّب فی ذلک بامور: ----- ۲۱۰۹

أحدها:أنّ بیده تعالی «خَزائِنُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» ، ----- ۲۱۰۹

الثانی:أنّه تعالی أذن فی الدعاء و تکفّل بالإجابه ----- ۲۱۰۹

الثالث:انّه أمر الخلق أن یسألوه لیعطیهم ----- ۲۱۰۹

الرابع:أنّه لم یجعل بینه و بین الراغب إلیه حاجبا ----- ۲۱۰۹

الخامس:أنّه لم یلجئه إلی من یشفع إلیه ----- ۲۱۱۰

السادس:أنّه لم یمنعه إن أساء من التوبه ----- ۲۱۱۰

السابع:أنّه لم یعاجله بالنقمه ----- ۲۱۱۰

الثامن:أنّه یشدّد علیه فی قبول الإنابه ----- ۲۱۱۰

التاسع:أنّه لم یؤیسه من الرحمه ----- ۲۱۱۰

العاشر:أنّه جعل نزوعه عن ذنبه ----- ۲۱۱۰

الحادی عشر:کونه فتح له باب المتاب ----- ۲۱۱۱

الثانی عشر:کونه إذا ناداه سمع ندائه ----- ۲۱۱۱

الثالث عشر: ----- ۲۱۱۱

ثمّ عدّد ما یصلح أسبابا لتأخّرها ----- ۲۱۱۱

أحدها:أنّ العطیّه علی قدر النیّه ----- ۲۱۱۱

الثانی:أنّها ربّما أخّرت لعلم اللّه تعالی أنّ تأخیرها من أسباب استعداد السائل ----- ۲۱۱۱

الثالث:أنّ المطلوب قد لا یکون فیه مصلحه للعبد ----- ۲۱۱۲

الفصل الثامن: ----- ۲۱۱۲

اشاره ----- ۲۱۱۲

اللغه ----- ۲۱۱۳

المعنی ----- ۲۱۱۳

اشاره ----- ۲۱۱۳

أحدها:أنّ العلّه الغائیّه من خلقه و وجوده هی الآخره دون الدنیا و الموت ----- ۲۱۱۳

الثانی:نبّهه بکون الدنیا منزل قلعه ----- ۲۱۱۴

الثالث: ----- ۲۱۱۴

الرابع:أمره بالإكثار من ذكر الموت و ما يهجم عليه ----- ۲۱۱۴

الخامس:نهاه أن يغترّ باستناد أهل الدنيا إليها و تواثبهم عليها، ----- ۲۱۱۴

الفصل التاسع: ----- ۲۱۱۶

اشاره ----- ۲۱۱۶

اللغه ----- ۲۱۱۹

و قد اشتمل هذا الفصل على الوصيّه بلطائف من الحكمه العمليّه و مكارم ----- ۲۱۱۹

اشاره ----- ۲۱۱۹

و صدّره بالتنبيه على ضروره الموت ----- ۲۱۱۹

أحدهما: ----- ۲۱۱۹

الثانى:أمره أن يعلم يقينا أنّه لن يبلغ أمله. ----- ۲۱۱۹

الاولى:أن يخفّض فى طلب الدنيا و لا يحرص عليها ----- ۲۱۲۱

الثانى:أن يفعل الجميل فيما يكتسبه منها ----- ۲۱۲۱

الثالث و قوله:فإنّه ربّ طلب.إلى قوله:محروم. ----- ۲۱۲۱

أحدها:أنّه قد تجرّ إلى الحرب، ----- ۲۱۲۱

الثانى:قوله:و ليس كلّ طالب بمرزوق ----- ۲۱۲۲

الثالث:قوله:و لا كلّ مجمل بمحروم. ----- ۲۱۲۲

الرابع:أن يكرم نفسه عن كلّ دنيّه و إن استلزمت وصوله إلى ما يرغب فيه ----- ۲۱۲۲

الخامس:أن لا يكون عبد غيره: ----- ۲۱۲۲

السادس: ----- ۲۱۲۳

السابع:نهاه أن يجعل بينه و بين اللّه واسطه فى وصول نعمته إليه إن استطاع ----- ۲۱۲۳

الثامن:قوله:و تلافيک.إلى قوله:منطقک. ----- ۲۱۲۴

التاسع:نبّهه على حفظ ما فى يده من المال ----- ۲۱۲۴

العاشر:نبّهه على فضيله قطع الطمع ----- ۲۱۲۴

الحادى عشر:نبّهه على وجوب الصبر فى ضيق الرزق ----- ۲۱۲۴

الثانى عشر:نبّهه على أنّه لا يجوز إفشاء سرّه بتمثيله أصله ----- ۲۱۲۵

الثالث عشر:نبّهه بطريق التمثيل أيضا على التحرّز فى السعى و التثبّت فى ----- ۲۱۲۵

الرابع عشر:نبّه على وجوب ترک الإکثار فی القول ۲۱۲۵

الخامس عشر:نبّه على فضيله التفكّر فی الأمور ۲۱۲۵

السادس عشر:أمره بمقارنه أهل الخير ۲۱۲۵

السابع عشر:و كذلک أمره بمباينه أهل الشرّ ۲۱۲۵

الثامن عشر:نبّهه على قبح أكل الحرام ۲۱۲۵

العشرون: ۲۱۲۶

الحادی و العشرون:نبّهه على أنّ بعض ما فيه مصلحه ظاهره قد يشتمل ۲۱۲۶

الثانی و العشرون:نبّه على أنّه لا ينبغی أن يعرض عن مشوره أحد عليه ۲۱۲۶

الثالث و العشرون:نهاه عن الاتّكال على المنى ۲۱۲۶

الرابع و العشرون:رسّم العقل بأنّه حفظ التجارب. ۲۱۲۷

الخامس و العشرون:نبّهه على أنّه ينبغی أن يقتصر من التجارب على ما ۲۱۲۷

السادس و العشرون:أمره بانتهاز الفرصه ۲۱۲۷

السابع و العشرون: ۲۱۲۷

الثامن و العشرون:نبّه على لزوم التقوى ۲۱۲۸

التاسع و العشرون:نبّه على وجوب النظر فی عواقب الامور و اختيار أحسنها ۲۱۲۸

الثلاثون:نبّه على وجوب ترک الحرص و كدّ النفس فی طلب المال و نحوه ۲۱۲۸

الحادی و الثلاثون:نبّه على وجوب الاحتراز فی المعاملات كالبيع و الشراء ۲۱۲۸

الثانی و الثلاثون ۲۱۲۸

الثالث و الثلاثون: ۲۱۲۹

الرابع و الثلاثون: ۲۱۲۹

الخامس و الثلاثون: ۲۱۲۹

السادس و الثلاثون:نهاه أن يخاطر بما يملكه رجاء أكثر منه. ۲۱۲۹

السابع و الثلاثون: ۲۱۲۹

الثامن و الثلاثون: ۲۱۳۰

التاسع و الثلاثون: ۲۱۳۰

الأربعون: ۲۱۳۰

الحادی و الأربعون: ---------- ۲۱۳۰
الثانی و الأربعون:أمره أن یلین لمن غالظه ---------- ۲۱۳۱
الثالث و الأربعون:أمره أن یأخذ علی عدوّه بالفضل ---------- ۲۱۳۱
الرابع و الأربعون:أمره إن أراد مقاطعه أخیه أن یبقی له من نفسه بقیّه ---------- ۲۱۳۲
الخامس و الأربعون:أن یصدّق من ظنّ به خیرا فی ظنّه ---------- ۲۱۳۲
السادس و الأربعون:نهی أن یفعل بأهله شرّا. ---------- ۲۱۳۲
السابع و الأربعون:أن لا یضیع حقّ أخ له اعتمادا علی ما بینهما من الاخوّه ---------- ۲۱۳۲
الثامن و الأربعون:نهاه عن الرغبه فیمن زهد فیه ---------- ۲۱۳۲
التاسع و الأربعون: ---------- ۲۱۳۲
الخمسون:نهاه عن استعظام ظلم الظالمین فی حقّه ---------- ۲۱۳۴
الحادی و الخمسون: ---------- ۲۱۳۴
الفصل العاشر: ---------- ۲۱۳۴
اشاره ---------- ۲۱۳۴
اللغه ---------- ۲۱۳۶
و فی الفصل تنبیهات علی لطائف من الحکمه و مکارم الأخلاق: ---------- ۲۱۳۶
الاولی:أنّه قسّم مطلق الرزق إلی قسمین مطلوب و طالب، ---------- ۲۱۳۶
الثانیه:نبّه علی فضیله عزّه النفس عند الحاجه،و علی مواصله الأخوان ---------- ۲۱۳۷
الثالثه:نبّهه علی بذل المال فی وجوه البرّ و القربات لغایه إصلاح آخرته ---------- ۲۱۳۷
الرابعه:نبّهه علی ترک الأسف و الجزع علی ما یخرج من یده من المال ---------- ۲۱۳۷
الخامسه:أمره أن یستدلّ بقیاس ما لم یکن ---------- ۲۱۳۷
السادسه.حذّره أن یکون ممّن لا ینفعه النصیحه فیما نصح به من الرأی إلاّ ---------- ۲۱۳۸
السابعه:أن یحذف عن نفسه ما یرد علیها من الغموم و الهموم ---------- ۲۱۳۸
الثامنه:نبّهه علی لزوم القصد و العدل فی أفعاله و أقواله ---------- ۲۱۳۸
التاسعه: ---------- ۲۱۳۸
العاشره: ---------- ۲۱۳۸
الحادیه عشر: ---------- ۲۱۳۸

الثانیه عشر: ---------- ۲۱۳۹

الثالثه عشر: ---------- ۲۱۳۹

الرابعه عشر: ---------- ۲۱۳۹

الخامسه عشر: ---------- ۲۱۳۹

السادسه عشر: ---------- ۲۱۴۱

السابعه عشر: ---------- ۲۱۴۱

الثامن عشر : ---------- ۲۱۴۱

التاسعه عشر: ---------- ۲۱۴۱

العشرون: ---------- ۲۱۴۱

الحادیه و العشرون: ---------- ۲۱۴۲

الثانیه و العشرون: ---------- ۲۱۴۲

الثالثه و العشرون: ---------- ۲۱۴۲

الرابعه و العشرون: ---------- ۲۱۴۲

الخامسه و العشرون: ---------- ۲۱۴۳

السادسه و العشرون: ---------- ۲۱۴۳

السابعه و العشرون: ---------- ۲۱۴۳

الثامنه و العشرون:وصّاه فی النساء بامور: ---------- ۲۱۴۳

أحدها:الحذر من مشاورتهنّ ---------- ۲۱۴۳

الثانی:أن یکفّ علیهنّ من أبصارهنّ بحجابه إیّاهنّ، ---------- ۲۱۴۴

الثالث:نبّه علی أنّه لا یجوز أن یرحض فی إدخال من لا یوثق به علیهنّ، ---------- ۲۱۴۴

الرابع:أمره أن یحسم أسباب المعرفه بینه و بین غیره ---------- ۲۱۴۴

الخامس:نهاه أن یملک المرأه من أمرها ما خرج عن حدّ نفسها ---------- ۲۱۴۴

السادس:و کذلک نهیه أن یجاوز بکرامتها نفسها ---------- ۲۱۴۴

السابع:و کذلک نهیه أن یطمعها فی الشفاعه لغیرها ---------- ۲۱۴۴

الثامن:نهاه عن التغایر فی غیر موضع الغیره، ---------- ۲۱۴۵

التاسع و العشرون: ---------- ۲۱۴۵

الثلاثون أمره بإكرام عشيرته، ----- ۲۱۴۵
۳۲-و من كتاب له عليه السّلام ----- ۲۱۴۶
اشاره ----- ۲۱۴۶
اللغه ----- ۲۱۴۷
و فی الكتاب مقاصد: ----- ۲۱۴۷
الأوّل:موعظته و تذكيره بحال الدنيا و كونها دار تجاره ----- ۲۱۴۷
الثانی:تنبيهه على أن يرى الدنيا بعينها ----- ۲۱۴۷
الثالث:نبّهه على أنّ للّه تعالى علما لا بدّ من نفاده فيه ----- ۲۱۴۷
الرابع:أمره بتقوى اللّه،و نهاه أن يكون ممّن لا يرجو للّه وقارا ----- ۲۱۴۷
الخامس:نبّهه على إدبار الدنيا ----- ۲۱۴۹
السادس:أمره بالانتباه من رقده الجهل و الضلال على حال كبر سنّه و فناء ----- ۲۱۴۹
السابع: ----- ۲۱۴۹
۳۳-و من كتاب له عليه السّلام ----- ۲۱۵۰
اشاره ----- ۲۱۵۰
اللغه ----- ۲۱۵۱
المعنى ----- ۲۱۵۱
۳۴-و من كتاب له عليه السّلام ----- ۲۱۵۳
اشاره ----- ۲۱۵۳
اللغه ----- ۲۱۵۴
و حاصل الفصل امور : ----- ۲۱۵۴
الأوّل: ----- ۲۱۵۴
الثانی: ----- ۲۱۵۴
الثالث: ----- ۲۱۵۴
الرابع: ----- ۲۱۵۴
۳۵-و من كتاب له عليه السّلام ----- ۲۱۵۶
اشاره ----- ۲۱۵۶

اللغه ----- ۲۱۵۶
و مدار الکتاب علی امور: ----- ۲۱۵۶
أحدها ----- ۲۱۵۶
الثانی:إخباره عن قتل محمّد بن أبی بکر ----- ۲۱۵۶
الثالث:إعلامه بحاله مع الناس فی معرض التشکّی منهم ----- ۲۱۵۷
الرابع:سؤاله للّه تعالی أن یعجّل له منهم الفرج ----- ۲۱۵۷
۳۶-و من کتاب له علیه السّلام ----- ۲۱۵۷
اشاره ----- ۲۱۵۷
اللغه ----- ۲۱۵۸
و حاصل الفصل أمور: ----- ۲۱۵۸
أحدها:قوله:فسرّحت،إلی قوله:ما نجا. ----- ۲۱۵۸
الثانی: ----- ۲۱۵۹
الثالث: ----- ۲۱۶۰
۳۷-و من کتاب له علیه السّلام ----- ۲۱۶۰
اشاره ----- ۲۱۶۰
و الفصل مشتمل علی أمرین: ----- ۲۱۶۲
أحدهما:التعجّب من شدّه لزومه للأهواء الّتی مبتدعها،و التحیّر فیها عن ----- ۲۱۶۲
الثانی:جوابه عن خطابه فی أمر عثمان ----- ۲۱۶۳
۳۸-و من کتاب له علیه السّلام ----- ۲۱۶۳
اشاره ----- ۲۱۶۳
اللغه ----- ۲۱۶۴
و فی الکتاب مقاصد: ----- ۲۱۶۴
الأوّل:قوله:من عبد اللّه،إلی قوله:یتناهی عنه. ----- ۲۱۶۴
الثانی: ----- ۲۱۶۵
الثالث:أمرهم بالمقصود و هو السمع له و الطاعه لأمره لا مطلقا بل فیما ----- ۲۱۶۵
الرابع:أمرهم أن یکون نفارهم إلی الحرب،و إحجامهم عنها علی وفق ----- ۲۱۶۵

الخامس: ---------- ۲۱۶۶
۳۹-و من کتاب له علیه السّلام ---------- ۲۱۶۶
اشاره ---------- ۲۱۶۶
المعنی ---------- ۲۱۶۶
۴۰-و من کتاب له علیه السّلام ---------- ۲۱۶۸
اشاره ---------- ۲۱۶۸
اللغه ---------- ۲۱۷۱
و فی هذا الکتاب مقاصد: ---------- ۲۱۷۱
اشاره ---------- ۲۱۷۱
الأوّل:أنّه ذکّر بإحسانه إلیه فی معرض الامتنان علیه من وجوه: ---------- ۲۱۷۲
المقصود الثانی: ---------- ۲۱۷۲
المقصود الثالث الأخذ فی تعنیفه و توبیخه.و حکایه حاله فی خیانته فی معرض التوبیخ. ---------- ۲۱۷۲
المقصود الرابع: ---------- ۲۱۷۳
المقصود الخامس: ---------- ۲۱۷۳
السادس: ---------- ۲۱۷۴
۴۱-و من کتاب له علیه السّلام ---------- ۲۱۷۴
اشاره ---------- ۲۱۷۴
اللغه ---------- ۲۱۷۵
و مدار الکتاب علی إعلام عمر بن أبی سلمه بإنفاذ النعمان عوضا منه. ---------- ۲۱۷۵
۴۲-و من کتاب له علیه السّلام ---------- ۲۱۷۵
اشاره ---------- ۲۱۷۵
اللغه ---------- ۲۱۷۶
المعنی ---------- ۲۱۷۶
۴۳-و من کتاب له علیه السّلام ---------- ۲۱۷۶
اشاره ---------- ۲۱۷۶
اللغه ---------- ۲۱۷۸

و مدار الکتاب علی إعلامه بما علمه من کتاب معاویه إلیه.ثمّ تنبیهه علی ----- ۲۱۷۸

۴۴-و من کتاب له علیه السّلام ----- ۲۱۷۹

اشاره ----- ۲۱۷۹

اللغه ----- ۲۱۸۳

و فی الکتاب مقاصد: ----- ۲۱۸۴

الأوّل:أشار إلی ما یرید عتابه علیه ----- ۲۱۸۴

الثانی:أشار علی وجه المعاتبه إلی تخطئته فی ذلک ----- ۲۱۸۴

الثالث: ----- ۲۱۸۴

الرابع: ----- ۲۱۸۴

الخامس: ----- ۲۱۸۴

السادس: ----- ۲۱۸۶

السابع: ----- ۲۱۸۶

الثامن: ----- ۲۱۸۶

التاسع: ----- ۲۱۹۰

العاشر: ----- ۲۱۹۰

الحادی عشر:نبّه علی أنّ زهده فی الدنیا و اقتصاره منها ----- ۲۱۹۱

الثانی عشر:نبّه علی بعض العلل الحامله له علی ترک الطیّبات و الزهد فی ----- ۲۱۹۳

الثالث عشر:أشار إلی بعض ما عساه یعرض للأذهان الضعیفه من الشبهه، ----- ۲۱۹۳

اشاره ----- ۲۱۹۳

ثمّ نبّه علی الجواب عن ذلک من خمسه أوجه: ----- ۲۱۹۳

الأوّل:التمثیل بالشجره البریّه ----- ۲۱۹۵

الثانی:تمثیل خصومه و أقرانه کمعاویهبالروائع الخضره ----- ۲۱۹۵

الثالث:تمثیله بالنباتات العذیه ----- ۲۱۹۵

الرابع:تمثیله نفسه من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بالضوء من الضوء. ----- ۲۱۹۵

الخامس:تمثیله منه صلّی اللّه علیه و آله بالذراع من العضد. ----- ۲۱۹۵

الرابع عشر:تواعد أن یجتهد فی تطهیر الأرض من هذا الشخص المعکوس ----- ۲۱۹۶

الخامس عشر:تمثّل الدنيا بصوره من يعقل ----- ۲۱۹۷
السادس عشر: ----- ۲۱۹۷
السابع عشر: ----- ۲۱۹۷
الثامن عشر: ----- ۲۱۹۹
التاسع عشر: ----- ۲۲۰۰
۴۵-و من کتاب له علیه السّلام ----- ۲۲۰۱
اشاره ----- ۲۲۰۱
اللغه ----- ۲۲۰۱
المعنی ----- ۲۲۰۱
اشاره ----- ۲۲۰۱
مکارم الاخلاق ----- ۲۲۰۲
اشاره ----- ۲۲۰۲
أوّلها:أن یستعین باللّه علی ما أهمّه ----- ۲۲۰۲
الثانی:أن یمزج الشدّه بضرب من اللین ----- ۲۲۰۲
الثالث:أن یخفض جناحه لرعیّته، ----- ۲۲۰۲
الرابع:أن یبسط لهم وجهه، ----- ۲۲۰۲
الخامس: ----- ۲۲۰۲
السادس:أن یواسی بینهم فی اللحظه و النظره و الإشاره و التحیّه، ----- ۲۲۰۲
۴۶-و من وصیّه له علیه السّلام ----- ۲۲۰۲
اشاره ----- ۲۲۰۲
اللغه ----- ۲۲۰۴
و قد أوصاهما بأمور: ----- ۲۲۰۵
أولها:تقوی اللّه ----- ۲۲۰۵
الثانی: ----- ۲۲۰۵
الثالث:أن لا یأسفا علی ما قبض و غیّب عنهما ----- ۲۲۰۵
الرابع:أن لا یقولا إلاّ الحقّ ----- ۲۲۰۵

الخامس:أن يکونا للظالم خصيما و للمظلوم عونا، ----- ۲۲۰۵
ثمّ عاد مؤکّدا لوصيّتهما مع جميع ولده و أهله و من بلغه کتابه من عباد اللّه بتقوی ----- ۲۲۰۵
اشاره ----- ۲۲۰۵
أحدها:صلاح ذات البين ----- ۲۲۰۶
الثانی:حذّره من اللّه تعالی فی الأيتام و نهی عن إجاعتهم: ----- ۲۲۰۷
الثالث: ----- ۲۲۰۷
الرابع:الوصيّه بما اشتمل عليه القرآن الکريم ----- ۲۲۰۷
الخامس:الوصيّهبأمر الصلاه و التحذير من اللّه ----- ۲۲۰۷
السادس:الوصيّه ببيت ربّهم و النهی عن ترک زيارته مدّه العمر ----- ۲۲۰۷
السابع:الوصيّه بالجهاد فی سبيل اللّه بالمال و النفس و اللسان و التحذير ----- ۲۲۰۹
الثامن:الوصيّه بالتواصل و التباذل: ----- ۲۲۰۹
التاسع:التحذير من التقاطع و التدابر. ----- ۲۲۰۹
العاشر:النهی عن ترک الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر ----- ۲۲۰۹
ثمّ عقّب ذلک بوصيّه أهل بيته من بنی عبد المطّلب بما يخصّه من ----- ۲۲۰۹
اشاره ----- ۲۲۰۹
أحدها:نهاهم عن إثاره الفتنه بسبب قتله ----- ۲۲۱۰
الثانی:نهاهم أن يقتلوا إلاّ قاتله. ----- ۲۲۱۰
الثالث:نبّههم بقوله:انظروا.إلی قوله:هذه. ----- ۲۲۱۰
الرابع:أمرهم أن يضربوه ضربه بضربه، ----- ۲۲۱۱
الخامس:نهی عن المثله به معلّلا بما رواه سماعا عن رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله ----- ۲۲۱۱
۴۷-و من کتاب له عليه السّلام ----- ۲۲۱۱
اشاره ----- ۲۲۱۱
اللغه ----- ۲۲۱۱
المعنی ----- ۲۲۱۱
۴۸-و من کتاب له عليه السّلام ----- ۲۲۱۳
اشاره ----- ۲۲۱۳

اللغه ----- ۲۲۱۳
و صدّر الکتاب بالتنبیه علی معایب الدنیا لیقلّ الرغبه فیها ----- ۲۲۱۳
اشاره ----- ۲۲۱۳
الأوّل:کونها مشغله عن غیرها: ----- ۲۲۱۳
الثانی:کونها لم یصب صاحبها منها شیئا إلاّ کان ذلک معدّا للحرص علیها و ----- ۲۲۱۴
الثالث:کونها لا یستغنی صاحبها بما نال فیها عمّا لم یبلغه منها، ----- ۲۲۱۴
ثمّ أردف ذلک بذکر امور للتنفیر عنها أیضا: ----- ۲۲۱۴
۴۹-و من کتاب له علیه السّلام ----- ۲۲۱۴
اشاره ----- ۲۲۱۴
اللغه ----- ۲۲۱۵
المعنی ----- ۲۲۱۵
۵۰-و من کتاب له علیه السّلام ----- ۲۲۱۷
اشاره ----- ۲۲۱۷
اللغه ----- ۲۲۱۸
المعنی ----- ۲۲۱۸
۵۱-و من کتاب له علیه السّلام ----- ۲۲۱۹
اشاره ----- ۲۲۱۹
أقول:بیّن فی هذا الکتاب أوقات الصلاه المفروضه: ----- ۲۲۲۰
فالأول:وقت الظهر و حدّه بوقت فیء الشمس ----- ۲۲۲۰
الثانی: ----- ۲۲۲۰
الثالث:وقت المغرب ----- ۲۲۲۰
الرابع:وقت العشاء الآخره ----- ۲۲۲۰
الخامس:وقت صلاه الغداه، ----- ۲۲۲۰
۵۲-و من عهد له علیه السّلام ----- ۲۲۲۱
اشاره ----- ۲۲۲۱
الفصل الأوّل ----- ۲۲۲۱

اشاره ----- ۲۲۲۱
اللغه ----- ۲۲۲۲
المعنی ----- ۲۲۲۲
و صدّر علیه السّلام هذا العهد بذکر امور هی غرض الولایه ----- ۲۲۲۲
ثمّ أمره بأوامر خمسه یعود إلی إصلاح نفسه أوّلا: ----- ۲۲۲۲
أحدها:تقوی اللّه ----- ۲۲۲۲
الثانی:اتّباع أوامره فی کتابه من فرائضه و سننه. ----- ۲۲۲۲
الثالث:أن ینصر اللّه سبحانه بیده و قلبه و لسانه ----- ۲۲۲۲
الرابع،أن یکسر من نفسه عند الشهوات. ----- ۲۲۲۲
الخامس:أن یکفّها و یقاومها عند الجمحات. ----- ۲۲۲۲
الفصل الثانی:فی أوامره و وصایاه بالأعمال الصالحه المتعلّقه بأحوال الولایه ----- ۲۲۲۴
اشاره ----- ۲۲۲۴
اللغه ----- ۲۲۲۸
المعنی ----- ۲۲۲۸
اشاره ----- ۲۲۲۸
و لمّا أمره بالعمل الصالح إجمالا شرع فی تفصیله و ذکر أنواعا: ----- ۲۲۲۹
أحدها:أن یملک هواه فی شهوته و غضبه فلا یتّبعهما ----- ۲۲۲۹
الثانی: ----- ۲۲۲۹
الثالث:أن یعفو و یصفح عنهم، ----- ۲۲۲۹
الرابع: ----- ۲۲۳۰
الخامس:نهاه عن الندم علی العفو.و عن التبجّح بعقوبه الغیر و التسرّع ----- ۲۲۳۰
السادس:نهاه أن یأمر بما لا ینبغی الأمر به و یخالف الدین ----- ۲۲۳۰
السابع:أرشده إلی دواء داء الابّهه و الکبر ----- ۲۲۳۱
الثامن:حذّره عن التعظیم و التجبّر ----- ۲۲۳۱
التاسع:أمره بإنصاف اللّه و إنصاف الناس من نفسه و أهل هواه من رعیّته. ----- ۲۲۳۱
العاشره: ----- ۲۲۳۲

الحادی عشر: -- ۲۲۳۳

الثانی عشر: -- ۲۲۳۳

الثالث عشر --- ۲۲۳۳

الرابع عشر: -- ۲۲۳۴

الخامس عشر: --- ۲۲۳۵

السادس عشر:نبّهه علی الإحسان إلی رعیّته --- ۲۲۳۶

السابع عشر:نهاه أن ینقض سنّه صالحه عمل بها السلف الصالح -- ۲۲۳۷

الثامن عشر:نهاه أن یحدث سنّه تضرّ بشیء من ماضی السنن. --- ۲۲۳۷

التاسع عشر:أمره أن یکثر مدارسه العلماء. --- ۲۲۳۷

الفصل الثالث:فی التنبیه علی طبقات الناس الّذین ینتظم بهم أمر المدینه ----------------------------------- ۲۲۳۷

اشاره -- ۲۲۳۷

اللغه --- ۲۲۴۵

و اعلم أنّ فی الفصل أبحاثا: -- ۲۲۴۶

الأوّل:أنّه قسّم أهل المدینه إلی سبع طبقات --- ۲۲۴۶

البحث الثانی:أنّه نبّه بقوله:فالجنود بإذن اللّه.إلی قوله:معونتهم. --- ۲۲۴۶

البحث الثالث:فی أمره باستصلاح کلّ صنف بأوصاف یجب أن یکون علیها، ------------------------------------ ۲۲۴۸

فالصنف الأوّل:الجند -- ۲۲۴۸

الصنف الثانی:قضاه العدل -- ۲۲۵۰

الصنف الثالث:العمّال --- ۲۲۵۳

الصنف الرابع:أهل الخراج -- ۲۲۵۵

الصنف الخامس:الکتّاب --- ۲۲۵۶

الصنف السادس:التجّار و ذوو الصناعات -- ۲۲۵۹

الصنف السابع:الطبقه السفلی -- ۲۲۶۰

الفصل الرابع:فی أوامر و نواهی مصلحیّه و آداب خلقیّه و سیاسیّه بعضها عامّه ---------------------------- ۲۲۶۱

اشاره -- ۲۲۶۱

اللغه --- ۲۲۶۷

المعنی أمّا الأمور الّتی تعمّ مصلحتها. -- ۲۲۶۷

فأحدها:أن یجعل لذوی الحاجات نصیبا من نفسه --- ۲۲۶۷

الثانی:أن یتواضع فیه للّه. -- ۲۲۶۷

الثالث:أن یعقد عنهم جنده و أعوانه. -- ۲۲۶۷

الرابع:أمور تلزمه مباشرتها -- ۲۲۶۸

الخامس:أن یمضی لکلّ یوم عمله. -- ۲۲۶۸

السادس:أن یجعل لنفسه فی معاملته للّه أفضل تلک المواقیت --- ۲۲۶۸

السابع:أن یکون فی خاصّه ما یخلصه للّه فی دینه إقامه فرائضه فیخصّها -- ۲۲۶۸

الثامن:أن یعطی اللّه من بدنه فی لیله و نهاره: --- ۲۲۶۸

التاسع:أن یوفّی ما تقرّب به إلی اللّه من ذلک --- ۲۲۶۸

العاشر:من الآداب الراجعه إلی حال الإمامه بالناس فی الصلاه أن یکون -- ۲۲۶۸

الحادی عشر:من الآداب المصلحیّه لتدبیر المدینه --- ۲۲۶۹

الثانی عشر:من الامور المصلحیّه المتعلّقه بخاصّته أن یحسم مئونتهم عن الرعیّه -- ۲۲۷۰

الثالث عشر:أن یلزم الحقّ من یلزمه الحقّ من القریب و البعید --- ۲۲۷۰

الرابع عشر:أن یبتغی عاقبه ذلک الإلزام بما یثقل علیه من فعله بخاصّته. -- ۲۲۷۰

الخامس عشر:أمره علی تقدیر أن تظنّ الرعیّه فیه حیفا أن یصحر لهم عذره -- ۲۲۷۱

السادس عشر:نهاه أن یدفع صلحا دعاه إلیه عدوّه إذا کان صلحا یرضی اللّه -- ۲۲۷۱

السابع عشر:بالغ فی تحذیره من العدوّ بعد صلحه --- ۲۲۷۱

الثامن عشر: -- ۲۲۷۱

التاسع عشر:نهاه أن یعقد عقدا یجوّز فیه العلل --- ۲۲۷۲

العشرون:نهاه أن یعتمد علی لحن القول فی الأیمان و العهود --- ۲۲۷۲

الحادی و العشرون:نهاه أن یدعوه ضیق أمر لزمه فیه عهد اللّه إلی أن یطلب -- ۲۲۷۲

الثانی و العشرون: -- ۲۲۷۳

الثالث و العشرون:نهاه أن یقوّی سلطانه و دولته بسفک الدم الحرام، -- ۲۲۷۳

الرابع و العشرون:نهاه عن قتل العمد حراما --- ۲۲۷۳

الخامس و العشرون:نهاه أن یرتکب رذیله الکبر عند أن یبتلی بقتل خطاء -- ۲۲۷۳

السادس و العشرون:حذّره الإعجاب بنفسه،و الثقه بما يعجبه منها،و حبّ ----- ۲۲۷۴
السابع و العشرون:حذّره رذائل ثلاثه. ----- ۲۲۷۴
الثامن و العشرون:حذّره من إيقاع الامور ----- ۲۲۷۵
التاسع و العشرون:حذّره من الاستئثار بما يجب تساوى الناس فيه ----- ۲۲۷۵
الثلاثون.و عن التغافل عمّا يجب العلم و العنايه به ----- ۲۲۷۵
الحادى و الثلاثون:أمره أن يملک حميّه أنفه: ----- ۲۲۷۵
الثانى و الثلاثون:أمره بالاحتراس من تلک الامور ----- ۲۲۷۶
الثالث و الثلاثون ----- ۲۲۷۶
و من هذا العهد ايضا ----- ۲۲۷۶
اشاره ----- ۲۲۷۶
المعنى ----- ۲۲۷۷
۵۳-و من كتاب له عليه السّلام ----- ۲۲۷۷
اشاره ----- ۲۲۷۷
اللغه ----- ۲۲۷۸
المعنى ----- ۲۲۷۸
۵۴-و من كتاب له عليه السّلام ----- ۲۲۸۰
اشاره ----- ۲۲۸۰
اللغه ----- ۲۲۸۰
المعنى ----- ۲۲۸۰
۵۵-و من كلام له عليه السّلام ----- ۲۲۸۲
اشاره ----- ۲۲۸۲
اللغه ----- ۲۲۸۲
المعنى ----- ۲۲۸۲
۵۶-و من كتاب له عليه السّلام ----- ۲۲۸۳
اشاره ----- ۲۲۸۳
اللغه ----- ۲۲۸۳

المعنی ----- ۲۲۸۳
۵۷-و من کتاب له علیه السّلام ----- ۲۲۸۴
اشاره ----- ۲۲۸۴
اللغه ----- ۲۲۸۴
المعنی ----- ۲۲۸۵
۵۸-و من کتاب له علیه السّلام ----- ۲۲۸۶
اشاره ----- ۲۲۸۶
أقول:فی الفصل لطائف: ----- ۲۲۸۷
أحدها:أنّه نبّهه علی وجوب ترک تنویع الأهویه و الإعراض عن اتّباع ----- ۲۲۸۷
الثانیه:لمّا کان اتّباع مختلف الأهویهممّا ینکر مثله عند وقوعه فی حقّه أو ----- ۲۲۸۷
الثالثه:أمره بعد ذلک أن یبذل نفسه فیما افترض اللّه علیه حالتی رجائه ----- ۲۲۸۷
الرابعه:نبّهه علی أنّ الدنیا دار ابتلاءبالعمل ----- ۲۲۸۷
الخامسه:نبّهه علی ضرورته إلی عمل الحقّ بأنّه لا یغنیه عنه شیء غیره ----- ۲۲۸۷
السادسه:نبّهه علی أنّ من الحقوق الواجبه علیه حفظ نفسه: ----- ۲۲۸۸
۵۹-و من کتاب له علیه السّلام ----- ۲۲۸۹
اشاره ----- ۲۲۸۹
اللغه ----- ۲۲۸۹
و حاصل الکتاب إعلام من علی طریق الجیش من الجباه و عمّال البلاد ----- ۲۲۹۰
۶۰-و من کتاب له علیه السّلام ----- ۲۲۹۰
اشاره ----- ۲۲۹۰
اللغه ----- ۲۲۹۱
المعنی ----- ۲۲۹۱
۶۱-و من کتاب له علیه السّلام ----- ۲۲۹۱
اشاره ----- ۲۲۹۱
اللغه ----- ۲۲۹۳
المعنی ----- ۲۲۹۳

۶۲-و من کتاب له علیه السّلام ----- ۲۲۹۵
اشاره ----- ۲۲۹۵
المعنی ----- ۲۲۹۵
۶۳-و من کتاب له علیه السّلام ----- ۲۲۹۸
اشاره ----- ۲۲۹۸
اللغه ----- ۲۲۹۹
المعنی ----- ۲۲۹۹
۶۴-و من کتاب له علیه السّلام ----- ۲۳۰۳
اشاره ----- ۲۳۰۳
اللغه ----- ۲۳۰۴
المعنی ----- ۲۳۰۴
۶۵-و من کتاب له علیه السّلام ----- ۲۳۰۶
اشاره ----- ۲۳۰۶
المعنی ----- ۲۳۰۶
۶۶-و من کتاب له علیه السّلام ----- ۲۳۰۷
اشاره ----- ۲۳۰۷
اللغه ----- ۲۳۰۸
و فیه مقاصد : ----- ۲۳۰۸
أحدها:أمره بإقامه الحجّ للناس. ----- ۲۳۰۸
الثانی: ----- ۲۳۰۸
الثالث:أن یجلس لهم العصرین ----- ۲۳۰۸
الرابع: ----- ۲۳۰۸
الخامس: ----- ۲۳۰۸
السادس: ----- ۲۳۱۰
السابع: ----- ۲۳۱۰
۶۷-و من کتاب له علیه السّلام ----- ۲۳۱۰

اشاره ---------- ۲۳۱۰
اللغه ---------- ۲۳۱۰
المعنی ---------- ۲۳۱۰
۶۸-و من کتاب له علیه السّلام ---------- ۲۳۱۲
اشاره ---------- ۲۳۱۲
المعنی ---------- ۲۳۱۴
اشاره ---------- ۲۳۱۴
أحدها: ---------- ۲۳۱۴
الثانی:أن ینتصحه ---------- ۲۳۱۴
الثالث:أن یحلّ حلاله و یحرّم حرامه. ---------- ۲۳۱۴
الرابع:أن یصدّق بما سلف من الحقّ ---------- ۲۳۱۴
الخامس:أن یعتبر ماضی الدنیا بباقیها ---------- ۲۳۱۴
السادس:أن یعظّم اسم اللّه و یکبّره ---------- ۲۳۱۵
السابع:أن یکثر ذکر الموت و ما بعده ---------- ۲۳۱۶
الثامن:نهاه أن یتمنّی الموت إلاّ بشرط وثیق ---------- ۲۳۱۶
التاسع:أمره أن یحذر کلّ عمل یرضاه لنفسه و یکره للمسلمین ---------- ۲۳۱۶
العاشر:أن یحذر ما یعمله فی السرّ و یستحیی منه فی العلانیه. ---------- ۲۳۱۶
الحادی عشر: ---------- ۲۳۱۶
الثانی عشر:أن یحدّث الناس بکلّ ما سمع ---------- ۲۳۱۶
الثالث عشر:أن لا یردّ کلّ ما یحدّث به الناس ---------- ۲۳۱۶
الرابع عشر:أمره بکظم الغیظ.و الحلم و التجاوز و الصفح ---------- ۲۳۱۷
الخامس عشر:أن یستصلح کلّ نعمه للّه تعالی ---------- ۲۳۱۸
السادس عشر:أن لا یضیّع من نعمه اللّه تعالی نعمه: ---------- ۲۳۱۸
السابع عشر:أن یظهر أثر نعمه اللّه تعالی علیه بحیث یراها الناس ---------- ۲۳۱۸
الثامن عشر:أن یحذر صحابه من یفیل رأیه ---------- ۲۳۱۸
التاسع عشر:أن یسکن الأمصار العظام. ---------- ۲۳۱۸

العشرون ---------- ۲۳۱۹
الحادی و العشرون:أن یقصر رأیه علی ما یعنیه ---------- ۲۳۲۰
الثانی و العشرون:أن یحذر مقاعد الأسواق. ---------- ۲۳۲۰
الثالث و العشرون:أن یکثر نظره إلی من هو دونه ممّن فضّل علیه فی النعمه. ---------- ۲۳۲۰
الرابع و العشرون:أن لا یسافر فی یوم الجمعه إلاّ أن یکون فی جهاد أو عذر ---------- ۲۳۲۰
الخامس و العشرون:أن یطیع اللّه فی جمیع اموره. ---------- ۲۳۲۰
السادس و العشرون:أن یخادع نفسه فی العباده. ---------- ۲۳۲۰
السابع و العشرون: ---------- ۲۳۲۲
الثامن و العشرون:أن یحذر صحبه الفسّاق ---------- ۲۳۲۲
التاسع و العشرون:أن یجمع بین توقیر اللّه و تعظیمه و بین محبّه أحبّائه ---------- ۲۳۲۲
الثلاثون:أن یحذر الغضب. ---------- ۲۳۲۲
۶۹-و من کتاب له علیه السّلام ---------- ۲۳۲۲
اشاره ---------- ۲۳۲۲
اللغه ---------- ۲۳۲۳
المعنی ---------- ۲۳۲۳
۷۰-و من کتاب له علیه السّلام ---------- ۲۳۲۴
اشاره ---------- ۲۳۲۴
اللغه ---------- ۲۳۲۴
و مدار الفصل علی توبیخه بسبب خیانته. ---------- ۲۳۲۴
۷۱-و من کتاب له علیه السّلام ---------- ۲۳۲۵
اشاره ---------- ۲۳۲۵
أقول:الفصل موعظه.و نبّهه فیها علی دقایق: ---------- ۲۳۲۵
أحدیها:أنّه لا یسبق أجله. ---------- ۲۳۲۵
الثانیه:و لا مرزوق ما لیس له ---------- ۲۳۲۶
الثالثه:أعلمه أنّ الدهر یومان: ---------- ۲۳۲۶
الرابعه:أعلمه بأنّ ما کان له من خیر الدنیا أتاه علی ضعفه ---------- ۲۳۲۶

۷۲-و من کتاب له علیه السّلام ۲۳۲۶
اشاره ۲۳۲۶
اللغه ۲۳۲۷
و مدار الفصل علی منافرته و توبیخه. ۲۳۲۷
۷۳-و من حلف له علیه السّلام ۲۳۲۸
اشاره ۲۳۲۸
اللغه ۲۳۲۸
و فیه نکت : ۲۳۲۸
الأولی ۲۳۲۸
الثانیه:کونهم لا یشترون به ثمنا ۲۳۲۹
الثالثه: ۲۳۲۹
الرابعه:قوله:و لا لاستذلال قوم قوما ۲۳۲۹
۷۴-و من کتاب له علیه السّلام ۲۳۲۹
اشاره ۲۳۲۹
اللغه ۲۳۲۹
المعنی ۲۳۲۹
۷۵-و من کتاب له علیه السّلام ۲۳۳۱
اشاره ۲۳۳۱
اللغه ۲۳۳۱
و قد أمره بفضائل من الأخلاق: ۲۳۳۱
أحدها: ۲۳۳۱
الثانیه: ۲۳۳۲
۷۶-و من وصیّه له علیه السّلام ۲۳۳۲
اشاره ۲۳۳۲
اللغه ۲۳۳۲
المعنی ۲۳۳۲

۷۷-و من كتاب له عليه السّلام ---------- ۲۳۳۳
اشاره ---------- ۲۳۳۳
اللغه ---------- ۲۳۳۳
المعنى ---------- ۲۳۳۳
۷۸-و من كتاب له عليه السّلام ---------- ۲۳۳۵
اشاره ---------- ۲۳۳۵
المعنى ---------- ۲۳۳۵
باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السّلام ---------- ۲۳۳۵
اشاره ---------- ۲۳۳۵
۱-قَالَ عليه السّلام ---------- ۲۳۳۵
اشاره ---------- ۲۳۳۵
اللغه ---------- ۲۳۳۶
المعنى ---------- ۲۳۳۶
۲-و قال عليه السّلام:إحدى و عشرين كلمه من الأدب و الحثّ على ---------- ۲۳۳۶
اشاره ---------- ۲۳۳۶
الاولى: ---------- ۲۳۳۷
الثانيه: ---------- ۲۳۳۷
الثالثه: ---------- ۲۳۳۷
الرابعه: ---------- ۲۳۳۷
الخامسه: ---------- ۲۳۳۷
السادسه: ---------- ۲۳۳۷
السابعه: ---------- ۲۳۳۹
الثامنه: ---------- ۲۳۳۹
التاسعه: ---------- ۲۳۳۹
العاشره: ---------- ۲۳۳۹
الحاديه عشر: ---------- ۲۳۳۹

الثانیه عشر: ۲۳۳۹
الثالثه عشر: ۲۳۳۹
الرابعه عشر: ۲۳۴۱
الخامسه عشر: ۲۳۴۱
السادسه عشر: ۲۳۴۱
السابعه عشر: ۲۳۴۱
الثامنه عشر: ۲۳۴۱
التاسعه عشر: ۲۳۴۲
العشرون: ۲۳۴۲
الحادیه و العشرون: ۲۳۴۲
۳-و قال علیه السلام ۲۳۴۲
اشاره ۲۳۴۲
المعنی ۲۳۴۲
۴-و قال علیه السلام ۲۳۴۴
اشاره ۲۳۴۴
المعنی ۲۳۴۴
۵-و قال علیه السلام ۲۳۴۵
اشاره ۲۳۴۵
المعنی ۲۳۴۵
۶-و قال علیه السلام ۲۳۴۵
اشاره ۲۳۴۵
المعنی ۲۳۴۵
۷-و قال علیه السلام ۲۳۴۶
اشاره ۲۳۴۶
اللغه ۲۳۴۶
المعنی ۲۳۴۶

۸-و قال علیه السلام ---------- ۲۳۴۶
اشاره ---------- ۲۳۴۶
المعنی ---------- ۲۳۴۶
۹-و قال علیه السلام ---------- ۲۳۴۷
اشاره ---------- ۲۳۴۷
المعنی ---------- ۲۳۴۷
۱۰-و قال علیه السلام ---------- ۲۳۴۷
اشاره ---------- ۲۳۴۷
المعنی ---------- ۲۳۴۷
۱۱-و قال علیه السلام ---------- ۲۳۴۷
اشاره ---------- ۲۳۴۷
المعنی ---------- ۲۳۴۷
۱۲-و سئل عن قول الرسول صلی الله علیه و آله و سلم ---------- ۲۳۴۹
اشاره ---------- ۲۳۴۹
اللغه ---------- ۲۳۴۹
المعنی ---------- ۲۳۴۹
۱۳-و قال علیه السلام فی الذین اعتزلوا القتال معه: ---------- ۲۳۴۹
اشاره ---------- ۲۳۴۹
المعنی ---------- ۲۳۴۹
۱۴-و قال علیه السلام ---------- ۲۳۵۰
اشاره ---------- ۲۳۵۰
المعنی ---------- ۲۳۵۰
۱۵-و قال علیه السلام ---------- ۲۳۵۰
اشاره ---------- ۲۳۵۰
المعنی ---------- ۲۳۵۰
۱۶-و قال علیه السلام ---------- ۲۳۵۰

اشاره -- ۲۳۵۰
المعنی --- ۲۳۵۰
۱۷-و قال علیه السلام -- ۲۳۵۲
اشاره -- ۲۳۵۲
المعنی --- ۲۳۵۲
۱۸-و قال علیه السلام -- ۲۳۵۲
اشاره -- ۲۳۵۲
المعنی --- ۲۳۵۳
۱۹-و قال علیه السلام -- ۲۳۵۳
اشاره -- ۲۳۵۳
اللغه -- ۲۳۵۳
المعنی --- ۲۳۵۳
۲۰-و قال علیه السلام -- ۲۳۵۳
اشاره -- ۲۳۵۳
المعنی --- ۲۳۵۳
۲۱-و قال علیه السلام -- ۲۳۵۳
اشاره -- ۲۳۵۳
اللغه -- ۲۳۵۵
المعنی --- ۲۳۵۵
۲۲-و قال علیه السلام -- ۲۳۵۵
اشاره -- ۲۳۵۵
المعنی --- ۲۳۵۵
۲۳-و قال علیه السلام -- ۲۳۵۵
اشاره -- ۲۳۵۵
المعنی --- ۲۳۵۵
۲۴-و قال علیه السلام -- ۲۳۵۶

اشاره ---------- ۲۳۵۶
المعنی ---------- ۲۳۵۷
۲۵-و قال علیه السلام ---------- ۲۳۵۷
اشاره ---------- ۲۳۵۷
المعنی ---------- ۲۳۵۷
۲۶-و سئل علیه السلام عن الایمان فقال ---------- ۲۳۵۷
اشاره ---------- ۲۳۵۷
اللغه ---------- ۲۳۵۹
المعنی ---------- ۲۳۵۹
۲۷-و قال علیه السّلام ---------- ۲۳۶۴
اشاره ---------- ۲۳۶۴
المعنی ---------- ۲۳۶۴
۲۸-و قال علیه السّلام ---------- ۲۳۶۴
اشاره ---------- ۲۳۶۴
المعنی ---------- ۲۳۶۵
۲۹-و قال علیه السّلام ---------- ۲۳۶۵
اشاره ---------- ۲۳۶۵
المعنی ---------- ۲۳۶۵
۳۰-و قال علیه السّلام ---------- ۲۳۶۵
اشاره ---------- ۲۳۶۵
المعنی ---------- ۲۳۶۵
۳۱-و قال علیه السّلام ---------- ۲۳۶۵
اشاره ---------- ۲۳۶۵
المعنی ---------- ۲۳۶۵
۳۲-و قال علیه السّلام ---------- ۲۳۶۶
اشاره ---------- ۲۳۶۶

اللغه ---------- ۲۳۶۷

المعنی ---------- ۲۳۶۷

۳۳-و قال علیه السلام لابنه الحسن: ---------- ۲۳۶۷

اشاره ---------- ۲۳۶۷

المعنی ---------- ۲۳۶۸

۳۴-و قال علیه السلام ---------- ۲۳۶۹

اشاره ---------- ۲۳۶۹

المعنی ---------- ۲۳۶۹

۳۵-و قال علیه السلام ---------- ۲۳۶۹

اشاره ---------- ۲۳۶۹

المعنی ---------- ۲۳۶۹

۳۶-و قال لبعض أصحابه فی عله اعتلها: ---------- ۲۳۷۰

اشاره ---------- ۲۳۷۰

المعنی ---------- ۲۳۷۰

۳۷-و قال علیه السلام فی ذکر خباب بن الأرت: ---------- ۲۳۷۱

اشاره ---------- ۲۳۷۱

المعنی ---------- ۲۳۷۱

۳۸-و قال علیه السلام: ---------- ۲۳۷۲

اشاره ---------- ۲۳۷۲

اللغه ---------- ۲۳۷۲

المعنی ---------- ۲۳۷۲

۳۹-و قال علیه السلام: ---------- ۲۳۷۳

اشاره ---------- ۲۳۷۳

المعنی ---------- ۲۳۷۳

۴۰-و قال علیه السلام: ---------- ۲۳۷۳

اشاره ---------- ۲۳۷۳

المعنی ----- ۲۳۷۳
۴۱-و قال علیه السّلام: ----- ۲۳۷۴
اشاره ----- ۲۳۷۴
المعنی ----- ۲۳۷۴
۴۲-و قال علیه السّلام: ----- ۲۳۷۴
اشاره ----- ۲۳۷۴
المعنی ----- ۲۳۷۴
۴۳-و قال علیه السّلام: ----- ۲۳۷۵
اشاره ----- ۲۳۷۵
المعنی ----- ۲۳۷۵
۴۴-و قال علیه السّلام: ----- ۲۳۷۵
اشاره ----- ۲۳۷۵
المعنی ----- ۲۳۷۵
۴۵-و قال علیه السّلام: ----- ۲۳۷۵
اشاره ----- ۲۳۷۵
المعنی ----- ۲۳۷۵
۴۶-و قال علیه السّلام: ----- ۲۳۷۷
اشاره ----- ۲۳۷۷
اللغه ----- ۲۳۷۷
المعنی ----- ۲۳۷۷
۴۷-و قال علیه السّلام: ----- ۲۳۷۷
اشاره ----- ۲۳۷۷
إحداها:لا غنی کالعقل. ----- ۲۳۷۷
الثانیه:و لا فقر کالجهل. ----- ۲۳۷۷
الثالثه:و لا میراث کالأدب. ----- ۲۳۷۷
الرابعه:و لا ظهیر کالمشاوره. ----- ۲۳۷۸

۴۸-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۳۷۸
اشاره ---------- ۲۳۷۸
المعنی ---------- ۲۳۷۹
۴۹-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۳۷۹
اشاره ---------- ۲۳۷۹
المعنی ---------- ۲۳۷۹
۵۰-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۳۷۹
اشاره ---------- ۲۳۷۹
المعنی ---------- ۲۳۷۹
۵۱-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۳۷۹
اشاره ---------- ۲۳۷۹
المعنی ---------- ۲۳۷۹
۵۲-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۳۷۹
اشاره ---------- ۲۳۸۰
المعنی ---------- ۲۳۸۰
۵۳-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۳۸۰
اشاره ---------- ۲۳۸۰
المعنی ---------- ۲۳۸۰
۵۴-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۳۸۱
اشاره ---------- ۲۳۸۱
اللغه ---------- ۲۳۸۱
المعنی ---------- ۲۳۸۱
۵۵-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۳۸۱
اشاره ---------- ۲۳۸۱
المعنی ---------- ۲۳۸۱
۵۶-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۳۸۱

اشاره -- ۲۳۸۱

المعنی -- ۲۳۸۱

۵۷-و قال علیه السّلام: --- ۲۳۸۲

اشاره -- ۲۳۸۲

المعنی -- ۲۳۸۲

۵۸-و قال علیه السّلام: --- ۲۳۸۲

اشاره -- ۲۳۸۲

المعنی -- ۲۳۸۲

۵۹-و قال علیه السّلام: --- ۲۳۸۳

اشاره -- ۲۳۸۳

المعنی -- ۲۳۸۳

۶۰-و قال علیه السّلام: --- ۲۳۸۳

اشاره -- ۲۳۸۳

اللغه -- ۲۳۸۳

المعنی -- ۲۳۸۳

۶۱-و قال علیه السّلام: --- ۲۳۸۳

اشاره -- ۲۳۸۳

المعنی -- ۲۳۸۴

۶۲-و قال علیه السّلام: --- ۲۳۸۴

اشاره -- ۲۳۸۴

المعنی -- ۲۳۸۵

۶۳-و قال علیه السّلام: --- ۲۳۸۵

اشاره -- ۲۳۸۵

المعنی -- ۲۳۸۵

۶۴-و قال علیه السّلام: --- ۲۳۸۵

اشاره -- ۲۳۸۵

المعنی -- ۲۳۸۵
۶۵-و قال علیه السّلام: -- ۲۳۸۶
اشاره --- ۲۳۸۶
أشار إلی آداب أئمه العلم و مکارم الأخلاق: -- ۲۳۸۶
فالأوّل:وجب علی الإمام البدءه بتعلیم نفسه -- ۲۳۸۶
الثانی:أرشده إلی البدءه فی التعلیم بالسیره -- ۲۳۸۶
۶۶-و قال علیه السّلام: -- ۲۳۸۶
اشاره --- ۲۳۸۶
المعنی -- ۲۳۸۶
۶۷-و قال علیه السّلام: -- ۲۳۸۷
اشاره --- ۲۳۸۷
المعنی -- ۲۳۸۸
۶۸-و قال علیه السّلام: -- ۲۳۸۸
اشاره --- ۲۳۸۸
المعنی -- ۲۳۸۸
۶۹-و من خبر ضرار بن حمزه الضبائی عند دخوله علی معاویه و مسألته -- ۲۳۸۸
اشاره --- ۲۳۸۸
اللغه -- ۲۳۸۸
المعنی -- ۲۳۸۸
۷۰-و من کلام له علیه السّلام --- ۲۳۹۰
اشاره --- ۲۳۹۰
اللغه -- ۲۳۹۱
المعنی -- ۲۳۹۱
۷۱-و قال علیه السّلام: -- ۲۳۹۴
اشاره --- ۲۳۹۴
المعنی -- ۲۳۹۴

۷۲-و قال علیه السّلام: ۲۳۹۴
اشاره ۲۳۹۴
المعنی ۲۳۹۴
۷۳-و قال علیه السّلام: ۲۳۹۴
اشاره ۲۳۹۴
المعنی ۲۳۹۴
۷۴-و قال علیه السّلام: ۲۳۹۶
اشاره ۲۳۹۶
المعنی ۲۳۹۶
۷۵-و قال علیه السّلام:لرجل افرط فی الثناء علیه و کان له متهما: ۲۳۹۷
اشاره ۲۳۹۷
المعنی ۲۳۹۷
۷۶-و قال علیه السّلام: ۲۳۹۷
اشاره ۲۳۹۷
المعنی ۲۳۹۷
۷۷-و قال علیه السّلام: ۲۳۹۷
اشاره ۲۳۹۷
المعنی ۲۳۹۸
۷۸-و قال علیه السّلام: ۲۳۹۹
اشاره ۲۳۹۹
اللغه ۲۳۹۹
المعنی ۲۳۹۹
۷۹-و قال علیه السّلام: ۲۳۹۹
اشاره ۲۳۹۹
اللغه ۲۳۹۹
المعنی ۲۳۹۹

۸۰-و حکی عنه أبو جعفر ---------- ۲۳۹۹
اشاره ---------- ۲۳۹۹
المعنی ---------- ۲۴۰۰
۸۱-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۰۱
اشاره ---------- ۲۴۰۱
المعنی ---------- ۲۴۰۱
۸۲-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۰۱
اشاره ---------- ۲۴۰۱
المعنی ---------- ۲۴۰۱
۸۳-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۰۲
اشاره ---------- ۲۴۰۲
المعنی ---------- ۲۴۰۲
۸۴-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۰۲
اشاره ---------- ۲۴۰۲
المعنی ---------- ۲۴۰۲
۸۵-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۰۳
اشاره ---------- ۲۴۰۳
المعنی ---------- ۲۴۰۳
۸۶-و سئل عن الخیر ما هو؟ ---------- ۲۴۰۳
اشاره ---------- ۲۴۰۳
المعنی ---------- ۲۴۰۴
۸۷-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۰۴
اشاره ---------- ۲۴۰۴
المعنی ---------- ۲۴۰۵
۸۸-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۰۵
اشاره ---------- ۲۴۰۵

اللغه ----- ۲۴۰۵
المعنی ----- ۲۴۰۵
۸۹-و قال علیه السّلام: ----- ۲۴۰۶
اشاره ----- ۲۴۰۶
اللغه ----- ۲۴۰۶
المعنی ----- ۲۴۰۶
۹۰-و سمع رجلا یقول:(«إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَیْهِ راجِعُونَ»)فقال علیه السّلام: ----- ۲۴۰۶
اشاره ----- ۲۴۰۶
المعنی ----- ۲۴۰۶
۹۱-و مدحه قوم فی وجهه،فقال: ----- ۲۴۰۶
اشاره ----- ۲۴۰۶
المعنی ----- ۲۴۰۶
۹۲-و قال علیه السّلام: ----- ۲۴۰۷
اشاره ----- ۲۴۰۷
المعنی ----- ۲۴۰۸
۹۳-و قال علیه السّلام: ----- ۲۴۰۸
اشاره ----- ۲۴۰۸
اللغه ----- ۲۴۰۸
المعنی ----- ۲۴۰۸
۹۴-و رئی علیه إزار خلق مرقوع فقیل له فی ذلک،فقال: ----- ۲۴۱۰
اشاره ----- ۲۴۱۰
المعنی ----- ۲۴۱۰
۹۵-و قال علیه السّلام: ----- ۲۴۱۰
اشاره ----- ۲۴۱۰
المعنی ----- ۲۴۱۰
۹۶-و عن نوف البکالی، ----- ۲۴۱۱

اشاره ---------- ۲۴۱۱
اللغه ---------- ۲۴۱۱
المعنی ---------- ۲۴۱۱
۹۷-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۱۲
اشاره ---------- ۲۴۱۲
المعنی ---------- ۲۴۱۲
۹۸-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۱۳
اشاره ---------- ۲۴۱۳
المعنی ---------- ۲۴۱۳
۹۹-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۱۳
اشاره ---------- ۲۴۱۳
المعنی ---------- ۲۴۱۳
۱۰۰-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۱۳
اشاره ---------- ۲۴۱۳
اللغه ---------- ۲۴۱۴
المعنی ---------- ۲۴۱۴
۱۰۱-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۱۵
اشاره ---------- ۲۴۱۵
اللغه ---------- ۲۴۱۵
المعنی ---------- ۲۴۱۵
۱۰۲-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۱۵
اشاره ---------- ۲۴۱۵
اللغه ---------- ۲۴۱۵
المعنی ---------- ۲۴۱۷
۱۰۳-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۱۷
اشاره ---------- ۲۴۱۷

اللغه ---------- ۲۴۱۷
المعنی ---------- ۲۴۱۷
۱۰۴-و قال علیه السّلام:سبع عشر کلمه. ---------- ۲۴۱۸
اشاره ---------- ۲۴۱۸
أحدها:لا مال أعود من العقل. ---------- ۲۴۱۹
الثانیه:و لا وحده أوحش من العجب ---------- ۲۴۱۹
الثالثه: ---------- ۲۴۱۹
الرابعه: ---------- ۲۴۱۹
الخامسه: ---------- ۲۴۱۹
السادسه: ---------- ۲۴۱۹
السابعه: ---------- ۲۴۱۹
الثامنه: ---------- ۲۴۲۰
التاسعه: ---------- ۲۴۲۱
العاشره: ---------- ۲۴۲۱
الحادی عشر: ---------- ۲۴۲۱
الثانیه عشر: ---------- ۲۴۲۱
الثالثه عشر: ---------- ۲۴۲۱
الرابعه عشر: ---------- ۲۴۲۱
الخامسه عشر: ---------- ۲۴۲۱
السادس عشر: ---------- ۲۴۲۳
السابعه عشر: ---------- ۲۴۲۳
۱۰۵-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۲۳
اشاره ---------- ۲۴۲۳
المعنی ---------- ۲۴۲۳
۱۰۶-و قیل له علیه السّلام:کیف تجدک یا أمیر المؤمنین؟فقال: ---------- ۲۴۲۴
اشاره ---------- ۲۴۲۴

المعنی ---------- ۲۴۲۴
۱۰۷-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۲۴
اشاره ---------- ۲۴۲۴
اللغه ---------- ۲۴۲۴
المعنی ---------- ۲۴۲۴
۱۰۸-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۲۶
اشاره ---------- ۲۴۲۶
المعنی ---------- ۲۴۲۶
۱۰۹-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۲۶
اشاره ---------- ۲۴۲۶
المعنی ---------- ۲۴۲۶
۱۱۰-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۲۶
اشاره ---------- ۲۴۲۶
المعنی ---------- ۲۴۲۶
۱۱۱-و سئل علیه السّلام:عن قریش فقال: ---------- ۲۴۲۸
اشاره ---------- ۲۴۲۸
المعنی ---------- ۲۴۲۸
۱۱۲-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۲۹
اشاره ---------- ۲۴۲۹
المعنی ---------- ۲۴۲۹
۱۱۳-و تبع جنازه فسمع رجلا یضحک،فقال علیه السّلام: ---------- ۲۴۲۹
اشاره ---------- ۲۴۲۹
اللغه ---------- ۲۴۲۹
المعنی ---------- ۲۴۳۰
۱۱۴-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۳۱
اشاره ---------- ۲۴۳۱

المعنی ---------- ۲۴۳۱
۱۱۵-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۳۱
اشاره ---------- ۲۴۳۱
المعنی ---------- ۲۴۳۱
۱۱۶-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۳۳
اشاره ---------- ۲۴۳۳
المعنی ---------- ۲۴۳۳
۱۱۷-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۳۴
اشاره ---------- ۲۴۳۴
المعنی ---------- ۲۴۳۴
۱۱۸-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۳۵
اشاره ---------- ۲۴۳۵
المعنی ---------- ۲۴۳۵
۱۱۹-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۳۵
اشاره ---------- ۲۴۳۵
المعنی ---------- ۲۴۳۵
۱۲۰-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۳۶
اشاره ---------- ۲۴۳۶
اللغه ---------- ۲۴۳۶
المعنی ---------- ۲۴۳۶
۱۲۱-و قال علیه السّلام و قد سمع رجلا یذم الدنیا: ---------- ۲۴۳۷
اشاره ---------- ۲۴۳۷
اللغه ---------- ۲۴۳۸
المعنی ---------- ۲۴۳۸
۱۲۲-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۴۰
اشاره ---------- ۲۴۴۰

المعنی ---------- ۲۴۴۰
۱۲۳-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۴۰
اشاره ---------- ۲۴۴۰
اللغه ---------- ۲۴۴۰
المعنی ---------- ۲۴۴۰
۱۲۴-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۴۰
اشاره ---------- ۲۴۴۰
المعنی ---------- ۲۴۴۱
۱۲۵-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۴۲
اشاره ---------- ۲۴۴۲
المعنی ---------- ۲۴۴۲
۱۲۶-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۴۲
اشاره ---------- ۲۴۴۲
اللغه ---------- ۲۴۴۲
المعنی ---------- ۲۴۴۲
۱۲۷-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۴۳
اشاره ---------- ۲۴۴۳
المعنی ---------- ۲۴۴۳
۱۲۸-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۴۳
اشاره ---------- ۲۴۴۳
اللغه ---------- ۲۴۴۳
المعنی ---------- ۲۴۴۳
۱۲۹-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۴۵
اشاره ---------- ۲۴۴۵
اللغه ---------- ۲۴۴۵
المعنی ---------- ۲۴۴۵

۱۳۰-و قال علیه السّلام: ۲۴۴۵
اشاره ۲۴۴۵
المعنی ۲۴۴۵
۱۳۱-و قال علیه السّلام: ۲۴۴۵
اشاره ۲۴۴۵
المعنی ۲۴۴۷
۱۳۲-و قال علیه السّلام: ۲۴۴۷
اشاره ۲۴۴۷
المعنی ۲۴۴۷
۱۳۳-و قال علیه السّلام: ۲۴۴۷
اشاره ۲۴۴۷
اللغه ۲۴۴۷
المعنی ۲۴۴۷
۱۳۴-و قال علیه السّلام: ۲۴۴۹
اشاره ۲۴۴۹
اللغه ۲۴۵۱
و فی الفصل نکت : ۲۴۵۱
إحداهما:أنّه علیه السّلام أعدّه و نبّهه للفهم عنه ۲۴۵۱
الثانیه:قسّم الناس إلی ثلاثه أصناف. ۲۴۵۱
الثالثه:فی مدح العلم.و تفضّله علی المال ۲۴۵۳
الرابعه:أشار بعد تقریر کمال هذه الفضیله إلی أنّ فی صدره منها شیئا ۲۴۵۳
الخامسه:استثبت من یجده و نبّه علی عدم صلاحیّتهم لحمل ما عنده من ۲۴۵۴
۱۳۵-و قال علیه السّلام: ۲۴۵۶
اشاره ۲۴۵۶
المعنی ۲۴۵۶
۱۳۶-و قال علیه السّلام: ۲۴۵۶

اشاره ----- ۲۴۵۶
المعنی ----- ۲۴۵۶
۱۳۷- و قال علیه السلام:لرجل ساله ان یعظه: ----- ۲۴۵۹
اشاره ----- ۲۴۵۹
اللغه ----- ۲۴۵۹
و حاصل الفصل نهی طالب الموعظه عن أربع و ثلاثین رذیله : ----- ۲۴۵۹
۱۳۸-و قال علیه التلام: ----- ۲۴۶۳
اشاره ----- ۲۴۶۳
المعنی ----- ۲۴۶۳
۱۳۹-و قال علیه التلام: ----- ۲۴۶۳
اشاره ----- ۲۴۶۳
المعنی ----- ۲۴۶۳
۱۴۰-و قال علیه التلام: ----- ۲۴۶۳
اشاره ----- ۲۴۶۳
اللغه ----- ۲۴۶۴
المعنی ----- ۲۴۶۴
۱۴۱-و قال علیه التلام: ----- ۲۴۶۴
اشاره ----- ۲۴۶۴
المعنی ----- ۲۴۶۵
۱۴۲-و قال علیه التلام: ----- ۲۴۶۵
اشاره ----- ۲۴۶۵
اللغه ----- ۲۴۶۵
المعنی ----- ۲۴۶۵
۱۴۳-و قال علیه التلام: ----- ۲۴۶۵
اشاره ----- ۲۴۶۵
المعنی ----- ۲۴۶۵

۱۴۴-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۶۵
اشاره ---------- ۲۴۶۵
المعنی ---------- ۲۴۶۶
۱۴۵-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۶۶
اشاره ---------- ۲۴۶۶
المعنی ---------- ۲۴۶۷
۱۴۶-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۶۷
اشاره ---------- ۲۴۶۷
المعنی ---------- ۲۴۶۷
۱۴۷-و قال علیه السّلام:ثلث کلمات: ---------- ۲۴۶۷
اشاره ---------- ۲۴۶۷
إحداها:من ملک استأثر ---------- ۲۴۶۷
الثانیه: ---------- ۲۴۶۷
الثالثه: ---------- ۲۴۶۷
۱۴۸-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۶۸
اشاره ---------- ۲۴۶۸
المعنی ---------- ۲۴۶۹
۱۴۹-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۶۹
اشاره ---------- ۲۴۶۹
المعنی ---------- ۲۴۶۹
۱۵۰-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۶۹
اشاره ---------- ۲۴۶۹
المعنی ---------- ۲۴۶۹
۱۵۱-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۶۹
اشاره ---------- ۲۴۶۹
المعنی ---------- ۲۴۶۹

۱۵۲-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۶۹
اشاره ---------- ۲۴۷۰
المعنی ---------- ۲۴۷۰
۱۵۳-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۷۰
اشاره ---------- ۲۴۷۰
المعنی ---------- ۲۴۷۱
۱۵۴-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۷۱
اشاره ---------- ۲۴۷۱
المعنی ---------- ۲۴۷۱
۱۵۵-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۷۱
اشاره ---------- ۲۴۷۱
المعنی ---------- ۲۴۷۱
۱۵۶-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۷۱
اشاره ---------- ۲۴۷۱
المعنی ---------- ۲۴۷۱
۱۵۷-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۷۲
اشاره ---------- ۲۴۷۲
المعنی ---------- ۲۴۷۲
۱۵۸-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۷۲
اشاره ---------- ۲۴۷۲
المعنی ---------- ۲۴۷۳
۱۵۹-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۷۳
اشاره ---------- ۲۴۷۳
المعنی ---------- ۲۴۷۳
۱۶۰-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۷۳
اشاره ---------- ۲۴۷۳

المعنى ----- ۲۴۷۳
۱۶۱-و قال علیه السّلام: ----- ۲۴۷۳
اشاره ----- ۲۴۷۳
المعنى ----- ۲۴۷۵
۱۶۲-و قال علیه السّلام: ----- ۲۴۷۵
اشاره ----- ۲۴۷۵
المعنى ----- ۲۴۷۵
۱۶۳-و قال علیه السّلام: ----- ۲۴۷۵
اشاره ----- ۲۴۷۵
المعنى ----- ۲۴۷۵
۱۶۴-و قال علیه السّلام: ----- ۲۴۷۵
اشاره ----- ۲۴۷۵
المعنى ----- ۲۴۷۶
۱۶۵-و قال علیه السّلام: ----- ۲۴۷۷
اشاره ----- ۲۴۷۷
المعنى ----- ۲۴۷۷
۱۶۶-و قال علیه السّلام: ----- ۲۴۷۷
اشاره ----- ۲۴۷۷
المعنى ----- ۲۴۷۷
۱۶۷-و قال علیه السّلام: ----- ۲۴۷۷
اشاره ----- ۲۴۷۷
المعنى ----- ۲۴۷۷
۱۶۸-و قال علیه السّلام: ----- ۲۴۷۹
اشاره ----- ۲۴۷۹
المعنى ----- ۲۴۷۹
۱۶۹-و قال علیه السّلام: ----- ۲۴۷۹

اشاره ---------- ۲۴۷۹
المعنی ---------- ۲۴۷۹
۱۷۰-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۷۹
اشاره ---------- ۲۴۷۹
المعنی ---------- ۲۴۷۹
۱۷۱-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۷۹
اشاره ---------- ۲۴۷۹
المعنی ---------- ۲۴۸۰
۱۷۲-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۸۱
اشاره ---------- ۲۴۸۱
المعنی ---------- ۲۴۸۱
۱۷۳-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۸۱
اشاره ---------- ۲۴۸۱
المعنی ---------- ۲۴۸۱
۱۷۴-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۸۱
اشاره ---------- ۲۴۸۱
المعنی ---------- ۲۴۸۱
۱۷۵-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۸۱
اشاره ---------- ۲۴۸۱
المعنی ---------- ۲۴۸۲
۱۷۶-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۸۲
اشاره ---------- ۲۴۸۲
المعنی ---------- ۲۴۸۳
۱۷۷-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۸۳
اشاره ---------- ۲۴۸۳
اللغه ---------- ۲۴۸۳

و هذا فصل لطیف من الموعظه و قد اشتمل علی ثمان کلمات ----- ۲۴۸۳
اشاره ----- ۲۴۸۳
إحداها:استعار لفظ الغرض للإنسان ----- ۲۴۸۳
الثانیه: ----- ۲۴۸۵
الثالثه: ----- ۲۴۸۵
الرابعه: ----- ۲۴۸۵
الخامسه: ----- ۲۴۸۵
السادسه: ----- ۲۴۸۵
السابعه: ----- ۲۴۸۵
الثامنه: ----- ۲۴۸۵
۱۷۸-و قال علیه السّلام: ----- ۲۴۸۶
اشاره ----- ۲۴۸۶
المعنی ----- ۲۴۸۶
۱۷۹-و قال علیه السّلام: ----- ۲۴۸۷
اشاره ----- ۲۴۸۷
المعنی ----- ۲۴۸۷
۱۸۰-و کان علیه السّلام یقول: ----- ۲۴۸۷
اشاره ----- ۲۴۸۷
المعنی ----- ۲۴۸۷
۱۸۱-و قال علیه السّلام:و قد مر علی مزبله: ----- ۲۴۸۷
اشاره ----- ۲۴۸۷
المعنی ----- ۲۴۸۸
۱۸۲-و قال علیه السّلام: ----- ۲۴۸۸
اشاره ----- ۲۴۸۸
المعنی ----- ۲۴۸۸
۱۸۳-و قال علیه السّلام:لما سمع قول الخوارج«لا حکم الا للّه»: ----- ۲۴۸۸

اشاره ---------- ۲۴۸۸
المعنی ---------- ۲۴۸۸
۱۸۴-و قال علیه السّلام:فی صفه الغوغاء: ---------- ۲۴۸۸
اشاره ---------- ۲۴۸۸
اللغه ---------- ۲۴۸۸
المعنی ---------- ۲۴۸۹
۱۸۵-و قال علیه السّلام ---------- ۲۴۸۹
اشاره ---------- ۲۴۸۹
المعنی ---------- ۲۴۸۹
۱۸۶-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۹۰
اشاره ---------- ۲۴۹۰
المعنی ---------- ۲۴۹۰
۱۸۷-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۹۰
اشاره ---------- ۲۴۹۰
اللغه ---------- ۲۴۹۰
المعنی ---------- ۲۴۹۰
۱۸۸-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۹۰
اشاره ---------- ۲۴۹۰
المعنی ---------- ۲۴۹۰
۱۸۹-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۹۲
اشاره ---------- ۲۴۹۲
المعنی ---------- ۲۴۹۲
۱۹۰-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۹۲
اشاره ---------- ۲۴۹۲
المعنی ---------- ۲۴۹۲
۱۹۱-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۹۳

اشاره ---------- ۲۴۹۳
المعنی ---------- ۲۴۹۳
۱۹۲-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۹۳
اشاره ---------- ۲۴۹۳
المعنی ---------- ۲۴۹۳
۱۹۳-و قال علیه السّلام:ثلاث کلمات: ---------- ۲۴۹۳
اشاره ---------- ۲۴۹۳
إحداها: ---------- ۲۴۹۳
الثانیه: ---------- ۲۴۹۳
الثالثه: ---------- ۲۴۹۵
الرابعه: ---------- ۲۴۹۵
۱۹۴-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۹۵
اشاره ---------- ۲۴۹۵
اللغه ---------- ۲۴۹۵
المعنی ---------- ۲۴۹۵
۱۹۵-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۴۹۵
اشاره ---------- ۲۴۹۵
اللغه ---------- ۲۴۹۵
المعنی ---------- ۲۴۹۶
۱۹۶-و قال علیه السّلام:ثلاث عشر کلمه: ---------- ۲۴۹۷
اشاره ---------- ۲۴۹۷
إحداها: ---------- ۲۴۹۷
الثانیه: ---------- ۲۴۹۷
الثالثه: ---------- ۲۴۹۷
الرابعه: ---------- ۲۴۹۷
الخامسه ---------- ۲۴۹۷

السادسه: -- ۲۴۹۸
السابعه: -- ۲۴۹۸
الثامنه:و الجزع من أعوان الزمان. --- ۲۴۹۸
التاسعه:و أشرف الغنی ترک المنی. --- ۲۴۹۸
العاشره:و کم من عقل أسیر تحت هوی أمیر. --- ۲۴۹۸
الحادیه عشر:و من التوفیق حفظ التجربه -- ۲۴۹۸
الثانیه عشر:و المودّه قرابه مستفاده -- ۲۴۹۸
الثالثه عشر:و لا تأمننّ ملولا. -- ۲۴۹۸
۱۹۷-و قال علیه السّلام: -- ۲۵۰۰
اشاره -- ۲۵۰۰
المعنی --- ۲۵۰۰
۱۹۸-و قال علیه السّلام: -- ۲۵۰۰
اشاره -- ۲۵۰۰
المعنی --- ۲۵۰۰
۱۹۹-و قال علیه السّلام: -- ۲۵۰۰
اشاره -- ۲۵۰۰
المعنی --- ۲۵۰۰
۲۰۰-و قال علیه السّلام: -- ۲۵۰۰
اشاره -- ۲۵۰۰
المعنی --- ۲۵۰۱
۲۰۱-و قال علیه السّلام: -- ۲۵۰۱
اشاره -- ۲۵۰۱
المعنی --- ۲۵۰۱
۲۰۲-و قال علیه السّلام: -- ۲۵۰۲
اشاره -- ۲۵۰۲
المعنی --- ۲۵۰۲

۲۰۳-و قال علیه السّلام: ۲۵۰۲
اشاره ۲۵۰۲
المعنی ۲۵۰۲
۲۰۴-و قال علیه السّلام: ۲۵۰۲
اشاره ۲۵۰۲
المعنی ۲۵۰۲
۲۰۵-و قال علیه السّلام: ۲۵۰۴
اشاره ۲۵۰۴
المعنی ۲۵۰۴
۲۰۶-و قال علیه السّلام: ۲۵۰۴
اشاره ۲۵۰۴
المعنی ۲۵۰۴
۲۰۷-و قال علیه السّلام: ۲۵۰۴
اشاره ۲۵۰۴
المعنی ۲۵۰۴
۲۰۸-و قال علیه السّلام: ۲۵۰۴
اشاره ۲۵۰۴
المعنی ۲۵۰۵
۲۰۹-و قال علیه السّلام: ۲۵۰۵
اشاره ۲۵۰۵
أشار علیه السّلام إلی سبع فضائل و رغّب فی کلّ منها بما یستلزمه من الخیر. ۲۵۰۶
إحداها:کثره الصمت. ۲۵۰۶
الثانیه:النصفه ۲۵۰۶
الثالثه:الإفضال ۲۵۰۶
الرابعه:التواضع. ۲۵۰۶
الخامسه:احتمال المؤن.و یلزمه السؤدد ۲۵۰۶

السادسه:السیره العادله. ----- ۲۵۰۶
السابعه:الحلم عن السفیه. ----- ۲۵۰۶
۲۱۰-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۰۸
اشاره ----- ۲۵۰۸
المعنی ----- ۲۵۰۸
۲۱۱-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۰۸
اشاره ----- ۲۵۰۸
المعنی ----- ۲۵۰۸
۲۱۲-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۰۸
اشاره ----- ۲۵۰۸
اللغه ----- ۲۵۰۸
المعنی ----- ۲۵۰۸
۲۱۳-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۰۸
اشاره ----- ۲۵۰۹
أشار إلی خمس خصال نفّر عن کلّ منها بما یلزمه من الشرّ: ----- ۲۵۰۹
اشاره ----- ۲۵۰۹
إحداها:الحزن علی فائت الدنیا. ----- ۲۵۱۰
الثانیه:شکوی المصیبه ----- ۲۵۱۰
الثالثه:التواضع للغنیّ باعتبار غناه ----- ۲۵۱۰
الرابعه: ----- ۲۵۱۰
الخامسه:و من لهج قلبه بحبّ الدنیا التاط ----- ۲۵۱۰
۲۱۴-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۱۲
اشاره ----- ۲۵۱۲
المعنی ----- ۲۵۱۲
۲۱۵- ----- ۲۵۱۲
اشاره ----- ۲۵۱۲

المعنی ---------- ۲۵۱۲
۲۱۶-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۵۱۲
اشاره ---------- ۲۵۱۲
اللغه ---------- ۲۵۱۲
المعنی ---------- ۲۵۱۳
۲۱۷- ---------- ۲۵۱۳
اشاره ---------- ۲۵۱۳
المعنی ---------- ۲۵۱۴
۲۱۸-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۵۱۴
اشاره ---------- ۲۵۱۴
المعنی ---------- ۲۵۱۴
۲۱۹-و قال علیه السّلام:لابنه الحسن علیهما السّلام. ---------- ۲۵۱۴
اشاره ---------- ۲۵۱۴
المعنی ---------- ۲۵۱۴
۲۲۰-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۵۱۴
اشاره ---------- ۲۵۱۴
المعنی ---------- ۲۵۱۴
۲۲۱- ---------- ۲۵۱۶
اشاره ---------- ۲۵۱۶
المعنی ---------- ۲۵۱۶
۲۲۲-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۵۱۶
اشاره ---------- ۲۵۱۶
اللغه ---------- ۲۵۱۶
المعنی ---------- ۲۵۱۶
۲۲۳-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۵۱۶
اشاره ---------- ۲۵۱۶

المعنی ----- ۲۵۱۷
۲۲۴-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۱۸
اشاره ----- ۲۵۱۸
المعنی ----- ۲۵۱۸
۲۲۵-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۱۸
اشاره ----- ۲۵۱۸
المعنی ----- ۲۵۱۸
۲۲۶-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۱۸
اشاره ----- ۲۵۱۸
المعنی ----- ۲۵۱۹
۲۲۷-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۲۰
اشاره ----- ۲۵۲۰
المعنی ----- ۲۵۲۰
۲۲۸-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۲۰
اشاره ----- ۲۵۲۰
المعنی ----- ۲۵۲۰
۲۲۹-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۲۰
اشاره ----- ۲۵۲۰
المعنی ----- ۲۵۲۰
۲۳۰-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۲۱
اشاره ----- ۲۵۲۱
المعنی ----- ۲۵۲۲
۲۳۱-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۲۲
اشاره ----- ۲۵۲۲
المعنی ----- ۲۵۲۲
۲۳۲-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۲۲

اشاره ----- ۲۵۲۲
المعنی ----- ۲۵۲۲
۲۳۳-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۲۲
اشاره ----- ۲۵۲۲
المعنی ----- ۲۵۲۳
۲۳۴-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۲۴
اشاره ----- ۲۵۲۴
المعنی ----- ۲۵۲۴
۲۳۵-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۲۴
اشاره ----- ۲۵۲۴
المعنی ----- ۲۵۲۴
۲۳۶-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۲۴
اشاره ----- ۲۵۲۴
المعنی ----- ۲۵۲۴
۲۳۷-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۲۶
اشاره ----- ۲۵۲۶
المعنی ----- ۲۵۲۶
۲۳۸-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۲۶
اشاره ----- ۲۵۲۶
الفرائض و عللها الغائیه ----- ۲۵۲۶
اشاره ----- ۲۵۲۶
الاولی:بدء بالایمان. ----- ۲۵۲۷
الثانیه:الصلاه. ----- ۲۵۲۷
الثالثه:الزکاه. ----- ۲۵۲۷
الرابعه:الصیام. ----- ۲۵۲۷
الخامسه:الحجّ ----- ۲۵۲۷

السادسه:الجهاد. ---------- ۲۵۲۷
السابعه:الأمر بالمعروف. ---------- ۲۵۲۷
الثامنه:النهی عن المنکر. ---------- ۲۵۲۸
الثامنه:صله الأرحام. ---------- ۲۵۲۸
التاسعه:القصاص. ---------- ۲۵۲۸
العاشره:إقامه حدود اللّه. ---------- ۲۵۲۹
الحادیه عشر:ترک شرب الخمر. ---------- ۲۵۲۹
الثانیه عشر:مجانبه السرقه. ---------- ۲۵۲۹
الثالثه عشر:ترک الزنا. ---------- ۲۵۲۹
الرابعه عشر:ترک اللواط. ---------- ۲۵۲۹
الخامسه عشر:الشهادات. ---------- ۲۵۲۹
السادسه عشر:ترک الکذب. ---------- ۲۵۲۹
السابعه عشر:الإسلام. ---------- ۲۵۳۰
الثامنه عشر:الإمامه. ---------- ۲۵۳۰
التاسعه عشر:طاعه الإمام و غایه فرضها تعظیم إمامه ---------- ۲۵۳۱
۲۳۹-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۵۳۱
اشاره ---------- ۲۵۳۱
المعنی ---------- ۲۵۳۱
۲۴۰-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۵۳۱
اشاره ---------- ۲۵۳۱
المعنی ---------- ۲۵۳۱
۲۴۱-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۵۳۲
اشاره ---------- ۲۵۳۲
المعنی ---------- ۲۵۳۲
۲۴۲-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۵۳۲
اشاره ---------- ۲۵۳۲

المعنى ----- ۲۵۳۲
۲۴۳-و قال علیه السّلام لکمیل بن زیاد النخعی: ----- ۲۵۳۲
اشاره ----- ۲۵۳۲
اللغه ----- ۲۵۳۲
المعنى ----- ۲۵۳۲
۲۴۴-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۳۴
اشاره ----- ۲۵۳۴
اللغه ----- ۲۵۳۴
المعنى ----- ۲۵۳۴
۲۴۵-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۳۴
اشاره ----- ۲۵۳۴
المعنى ----- ۲۵۳۴
فصل نذكر فيه شيئا من اختيار غريب كلامه ----- ۲۵۳۴
اشاره ----- ۲۵۳۴
۱-فی حدیثه علیه السّلام: ----- ۲۵۳۵
اشاره ----- ۲۵۳۵
المعنى ----- ۲۵۳۶
۲-و فی حدیثه علیه السّلام: ----- ۲۵۳۶
اشاره ----- ۲۵۳۶
المعنى ----- ۲۵۳۶
۳-و فی حدیثه علیه السّلام: ----- ۲۵۳۷
اشاره ----- ۲۵۳۷
المعنى ----- ۲۵۳۷
۴-و فی حدیثه علیه السّلام: ----- ۲۵۳۷
اشاره ----- ۲۵۳۷
المعنى ----- ۲۵۳۷

۵-و فی حدیثه علیه السّلام: ۲۵۳۸
اشاره ۲۵۳۸
المعنی ۲۵۳۹
۶-و فی حدیثه علیه السّلام: ۲۵۳۹
اشاره ۲۵۳۹
المعنی ۲۵۳۹
۷-و فی حدیثه علیه السّلام: ۲۵۴۰
اشاره ۲۵۴۰
المعنی ۲۵۴۰
۸-و فی حدیثه علیه السّلام: ۲۵۴۰
اشاره ۲۵۴۰
المعنی ۲۵۴۰
۹-و فی حدیثه علیه السّلام: ۲۵۴۰
اشاره ۲۵۴۰
المعنی ۲۵۴۱
۲۴۶-و قال علیه السّلام ۲۵۴۲
اشاره ۲۵۴۲
المعنی ۲۵۴۲
۲۴۷-و قال علیه السّلام: ۲۵۴۴
اشاره ۲۵۴۴
المعنی ۲۵۴۴
۲۴۸-و قال علیه السّلام: ۲۵۴۴
اشاره ۲۵۴۴
المعنی ۲۵۴۴
۲۴۹-و قال علیه السّلام: ۲۵۴۴
اشاره ۲۵۴۴

المعنی ----- ۲۵۴۴
۲۵۰-و سأله رجل أن یعرفه الایمان فقال علیه السّلام: ----- ۲۵۴۶
اشاره ----- ۲۵۴۶
المعنی ----- ۲۵۴۶
۲۵۱-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۴۶
اشاره ----- ۲۵۴۶
المعنی ----- ۲۵۴۶
۲۵۲-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۴۶
اشاره ----- ۲۵۴۶
المعنی ----- ۲۵۴۶
۲۵۳-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۴۸
اشاره ----- ۲۵۴۸
المعنی ----- ۲۵۴۸
۲۵۴- ----- ۲۵۴۹
اشاره ----- ۲۵۴۹
المعنی ----- ۲۵۴۹
۲۵۵- ----- ۲۵۴۹
اشاره ----- ۲۵۴۹
المعنی ----- ۲۵۵۰
۲۵۶-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۵۰
اشاره ----- ۲۵۵۰
اللغه ----- ۲۵۵۰
المعنی ----- ۲۵۵۰
۲۵۷-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۵۰
اشاره ----- ۲۵۵۰
المعنی ----- ۲۵۵۱

۲۵۸-و قال علیه السّلام: ۲۵۵۲
اشاره ۲۵۵۲
المعنی ۲۵۵۲
۲۵۹-و قال علیه السّلام: ۲۵۵۲
اشاره ۲۵۵۲
التنفیر من الطمع ۲۵۵۲
اشاره ۲۵۵۲
الأوّل: ۲۵۵۲
الثانی: ۲۵۵۴
الثالث: ۲۵۵۴
الرابع: ۲۵۵۴
الخامس: ۲۵۵۴
۲۶۰-و قال علیه السّلام: ۲۵۵۴
اشاره ۲۵۵۴
اللغه ۲۵۵۵
المعنی ۲۵۵۵
۲۶۱-و قال علیه السّلام: ۲۵۵۶
اشاره ۲۵۵۶
اللغه ۲۵۵۶
المعنی ۲۵۵۶
۲۶۲-و قال علیه السّلام: ۲۵۵۶
اشاره ۲۵۵۶
المعنی ۲۵۵۶
۲۶۳-و قال علیه السّلام: ۲۵۵۶
اشاره ۲۵۵۶
المعنی ۲۵۵۶

۲۶۴-و قال علیه السّلام: ۲۵۵۷
اشاره ۲۵۵۷
المعنی ۲۵۵۷
۲۶۵-و قال علیه السّلام: ۲۵۵۷
اشاره ۲۵۵۷
المعنی ۲۵۵۷
۲۶۶-و قال علیه السّلام: ۲۵۵۸
اشاره ۲۵۵۸
المعنی ۲۵۵۸
۲۶۷-و قال علیه السّلام: ۲۵۵۸
اشاره ۲۵۵۸
المعنی ۲۵۵۸
۲۶۸-و قال علیه السّلام: ۲۵۵۸
اشاره ۲۵۵۸
المعنی ۲۵۵۸
۲۶۹-و قال علیه السّلام: ۲۵۵۹
اشاره ۲۵۵۹
المعنی ۲۵۶۰
۲۷۰-و قال علیه السّلام: ۲۵۶۰
اشاره ۲۵۶۰
المعنی ۲۵۶۰
۲۷۱- ۲۵۶۰
اشاره ۲۵۶۰
المعنی ۲۵۶۰
۲۷۲-و قال علیه السّلام: ۲۵۶۲
اشاره ۲۵۶۲

المعنی ----- ۲۵۶۲
۲۷۳-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۶۲
اشاره ----- ۲۵۶۲
اللغه ----- ۲۵۶۲
أوصاف المؤمن ----- ۲۵۶۳
اشاره ----- ۲۵۶۳
إحداها:أنّه کان یستصغر الدنیا و ینظر إلیها بعین الاحتقار ----- ۲۵۶۳
الثانیه:أنّه کان خارجا عن سلطان بطنه ----- ۲۵۶۳
الثالثه:فضیله العدل فی الکلام و السکوت ----- ۲۵۶۳
الرابعه:أنّه کان ضعیفا مستضعفا ----- ۲۵۶۳
الخامسه: ----- ۲۵۶۳
السادسه:أنّه لا یدلی بحجّته حتّی یجد قاضیا ----- ۲۵۶۴
السابعه:کونه لا یلوم أحدا علی أمر یحتمل العذر إلاّ بعد سماع الاعتذار ----- ۲۵۶۴
الثامنه:کونه لا یشکو ما ینزل به من الأمراض ----- ۲۵۶۴
التاسعه:کان یطابق بفعله قوله ----- ۲۵۶۵
العاشره:کان یترک المماراه و المجادله و المغالبه فی الأقوال ----- ۲۵۶۵
الحادیه عشر:و کان أحرص علی الإسماع منه علی الکلام ----- ۲۵۶۵
الثانیه عشر:و کان إذا خطر بباله أمران دفعه من غیر سابقه فکّر فی أیّهما أصلح. ----- ۲۵۶۵
۲۷۴-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۶۵
اشاره ----- ۲۵۶۵
المعنی ----- ۲۵۶۵
۲۷۵-و قال علیه السّلام:و قد عزی الأشعث بن قیس عن ابن له-: ----- ۲۵۶۵
اشاره ----- ۲۵۶۶
المعنی ----- ۲۵۶۷
۲۷۶-و قال علیه السّلام:علی قبر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم ----- ۲۵۶۸
اشاره ----- ۲۵۶۸

اللغه ---------- ۲۵۶۸
المعنی ---------- ۲۵۶۸
۲۷۷-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۵۶۸
اشاره ---------- ۲۵۶۸
اللغه ---------- ۲۵۶۸
المعنی ---------- ۲۵۶۸
۲۷۸-و قد سئل عن مسافه ما بین المشرق و المغرب،فقال علیه السّلام: ---------- ۲۵۷۰
اشاره ---------- ۲۵۷۰
المعنی ---------- ۲۵۷۰
۲۷۹-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۵۷۰
اشاره ---------- ۲۵۷۰
المعنی ---------- ۲۵۷۰
۲۸۰-و قال علیه السّلام لرجل رآه یسعی علی عدو له بما فیه إضرار بنفسه: ---------- ۲۵۷۰
اشاره ---------- ۲۵۷۰
المعنی ---------- ۲۵۷۰
۲۸۱-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۵۷۰
اشاره ---------- ۲۵۷۱
المعنی ---------- ۲۵۷۲
۲۸۲-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۵۷۲
اشاره ---------- ۲۵۷۲
المعنی ---------- ۲۵۷۲
۲۸۳-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۵۷۲
اشاره ---------- ۲۵۷۲
المعنی ---------- ۲۵۷۲
۲۸۴- ---------- ۲۵۷۲
اشاره ---------- ۲۵۷۲

المعنی ----- ۲۵۷۲
۲۸۵-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۷۴
اشاره ----- ۲۵۷۴
المعنی ----- ۲۵۷۴
۲۸۶-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۷۴
اشاره ----- ۲۵۷۴
المعنی ----- ۲۵۷۴
۲۸۷-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۷۴
اشاره ----- ۲۵۷۴
المعنی ----- ۲۵۷۴
۲۸۸-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۷۴
اشاره ----- ۲۵۷۵
المعنی ----- ۲۵۷۶
۲۸۹-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۷۶
اشاره ----- ۲۵۷۶
المعنی ----- ۲۵۷۶
۲۹۰-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۷۶
اشاره ----- ۲۵۷۶
المعنی ----- ۲۵۷۶
۲۹۱-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۷۶
اشاره ----- ۲۵۷۶
اللغه ----- ۲۵۷۶
المعنی ----- ۲۵۷۶
۲۹۲-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۷۷
اشاره ----- ۲۵۷۷
المعنی ----- ۲۵۷۷

۲۹۳-و قال علیه السلام: ---------- ۲۵۷۸

اشاره ---------- ۲۵۷۸

المعنی ---------- ۲۵۷۸

۲۹۴-و قال علیه السلام: ---------- ۲۵۷۸

اشاره ---------- ۲۵۷۸

المعنی ---------- ۲۵۷۸

۲۹۵-و قال علیه السلام:لأنس بن مالک ---------- ۲۵۷۸

اشاره ---------- ۲۵۷۸

المعنی ---------- ۲۵۸۰

۲۹۶-و قال علیه السلام: ---------- ۲۵۸۰

اشاره ---------- ۲۵۸۰

المعنی ---------- ۲۵۸۰

۲۹۷-و قال علیه السلام: ---------- ۲۵۸۰

اشاره ---------- ۲۵۸۰

المعنی ---------- ۲۵۸۰

۲۹۸-و قال علیه السلام: ---------- ۲۵۸۰

اشاره ---------- ۲۵۸۰

المعنی ---------- ۲۵۸۰

۲۹۹-و قال علیه السلام لکاتبه عبید اللّه بن أبی رافع: ---------- ۲۵۸۲

اشاره ---------- ۲۵۸۲

اللغه ---------- ۲۵۸۲

المعنی ---------- ۲۵۸۲

۳۰۰-و قال علیه السلام: ---------- ۲۵۸۲

اشاره ---------- ۲۵۸۲

المعنی ---------- ۲۵۸۳

۳۰۱- ---------- ۲۵۸۳

اشاره ---------- ۲۵۸۳
المعنی ---------- ۲۵۸۳
۳۰۲-و قیل له علیه السّلام: ---------- ۲۵۸۳
اشاره ---------- ۲۵۸۳
المعنی ---------- ۲۵۸۳
۳۰۳-و قال علیه السّلام:لابنه محمد بن الحنفیه: ---------- ۲۵۸۳
اشاره ---------- ۲۵۸۳
المعنی ---------- ۲۵۸۳
۳۰۴-و قال علیه السّلام:لسائل سأله عن معضله: ---------- ۲۵۸۵
اشاره ---------- ۲۵۸۵
اللغه ---------- ۲۵۸۵
المعنی ---------- ۲۵۸۵
۳۰۵-و قال علیه السّلام لعبد اللّه بن العباس ---------- ۲۵۸۵
اشاره ---------- ۲۵۸۵
المعنی ---------- ۲۵۸۵
۳۰۶-و روی ---------- ۲۵۸۷
اشاره ---------- ۲۵۸۷
اللغه ---------- ۲۵۸۷
المعنی ---------- ۲۵۸۷
۳۰۷-و قال علیه السّلام،و قد مر بقتلی الخوارج یوم النهروان: ---------- ۲۵۸۷
اشاره ---------- ۲۵۸۷
اللغه ---------- ۲۵۸۸
المعنی ---------- ۲۵۸۸
۳۰۸-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۵۸۸
اشاره ---------- ۲۵۸۸
المعنی ---------- ۲۵۸۸

۳۰۹-و قال علیه السّلام لما بلغه قتل محمد بن أبی بکر: ---------- ۲۵۸۸
اشاره ---------- ۲۵۸۸
المعنی ---------- ۲۵۸۸
۳۱۰-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۵۸۸
اشاره ---------- ۲۵۸۹
اللغه ---------- ۲۵۸۹
المعنی ---------- ۲۵۸۹
۳۱۱-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۵۹۰
اشاره ---------- ۲۵۹۰
المعنی ---------- ۲۵۹۰
۳۱۲-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۵۹۰
اشاره ---------- ۲۵۹۰
المعنی ---------- ۲۵۹۰
۳۱۳-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۵۹۰
اشاره ---------- ۲۵۹۰
المعنی ---------- ۲۵۹۰
۳۱۴-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۵۹۱
اشاره ---------- ۲۵۹۱
المعنی ---------- ۲۵۹۲
۳۱۵-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۵۹۲
اشاره ---------- ۲۵۹۲
المعنی ---------- ۲۵۹۲
۳۱۶-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۵۹۲
اشاره ---------- ۲۵۹۲
اللغه ---------- ۲۵۹۲
المعنی ---------- ۲۵۹۲

۳۱۷-و قال علیه السّلام فی صفه المؤمن: ----- ۲۵۹۲
اشاره ----- ۲۵۹۲
اللغه ----- ۲۵۹۳
المعنی و ذکر له فی معرض التعریف و المدح ستّه عشر وصفا: ----- ۲۵۹۳
اشاره ----- ۲۵۹۳
أحدها:أنّ بشره فی وجهه. ----- ۲۵۹۴
الثانی:و حزنه فی قلبه ----- ۲۵۹۴
الثالث:أوسع صدرا. ----- ۲۵۹۴
الرابع،و أذلّ شیء نفسا ----- ۲۵۹۴
الخامس:کراهیّته للرفعه ----- ۲۵۹۴
السادس:طول غمّه. ----- ۲۵۹۴
السابع:و بحسب ذلک کان بعد همّته ----- ۲۵۹۴
الثامن:کثیر صمته. ----- ۲۵۹۴
التاسع:قد شغل وقته ----- ۲۵۹۵
العاشر:کونه شکورا ----- ۲۵۹۵
الحادی عشر:صبور ----- ۲۵۹۵
الثانی عشر:مغمور بفکرته ----- ۲۵۹۵
الثالث عشر:ضنین بخلّته. ----- ۲۵۹۵
الرابع عشر:سهل الخلیقه ----- ۲۵۹۵
الخامس عشر: ----- ۲۵۹۶
السادس عشر:نفسه أصلب من الصلد ----- ۲۵۹۶
۳۱۸-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۹۶
اشاره ----- ۲۵۹۶
المعنی ----- ۲۵۹۶
۳۱۹-و قال علیه السّلام: ----- ۲۵۹۶
اشاره ----- ۲۵۹۶

المعنی ---------- ۲۵۹۶
۳۲۰-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۵۹۶
اشاره ---------- ۲۵۹۶
المعنی ---------- ۲۵۹۷
۳۲۱-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۵۹۷
اشاره ---------- ۲۵۹۷
المعنی ---------- ۲۵۹۷
۳۲۲-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۵۹۸
اشاره ---------- ۲۵۹۸
المعنی ---------- ۲۵۹۸
۳۲۳-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۵۹۸
اشاره ---------- ۲۵۹۸
المعنی ---------- ۲۵۹۸
۳۲۴-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۵۹۸
اشاره ---------- ۲۵۹۸
المعنی ---------- ۲۵۹۸
۳۲۵-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۶۰۰
اشاره ---------- ۲۶۰۰
اللغه ---------- ۲۶۰۰
المعنی ---------- ۲۶۰۰
۳۲۶-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۶۰۱
اشاره ---------- ۲۶۰۱
المعنی ---------- ۲۶۰۱
۳۲۷-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۶۰۱
اشاره ---------- ۲۶۰۱
المعنی ---------- ۲۶۰۱

۳۲۸-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۶۰۲
اشاره ---------- ۲۶۰۲
المعنی ---------- ۲۶۰۲
۳۲۹-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۶۰۲
اشاره ---------- ۲۶۰۲
المعنی ---------- ۲۶۰۲
۳۳۰-و قال علیه السّلام:أربع عشر کلمه: ---------- ۲۶۰۲
اشاره ---------- ۲۶۰۲
أحدها: ---------- ۲۶۰۳
الثانیه: ---------- ۲۶۰۳
الثالثه: ---------- ۲۶۰۳
الرابعه: ---------- ۲۶۰۳
الخامسه: ---------- ۲۶۰۳
السادسه: ---------- ۲۶۰۳
السابعه: ---------- ۲۶۰۳
الثامنه: ---------- ۲۶۰۳
التاسعه: ---------- ۲۶۰۳
العاشره: ---------- ۲۶۰۵
الحادیه عشر: ---------- ۲۶۰۵
الثانیه عشر: ---------- ۲۶۰۵
الثالثه عشر: ---------- ۲۶۰۵
الرابعه عشر: ---------- ۲۶۰۵
۳۳۱-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۶۰۵
اشاره ---------- ۲۶۰۵
المعنی ---------- ۲۶۰۵
۳۳۲-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۶۰۶

اشاره -- ۲۶۰۶
المعنی -- ۲۶۰۶
۳۳۳-و قال علیه السّلام:لبعض أصحابه: --- ۲۶۰۶
اشاره -- ۲۶۰۶
المعنی -- ۲۶۰۶
۳۳۴-و قال علیه السّلام: --- ۲۶۰۶
اشاره -- ۲۶۰۶
المعنی -- ۲۶۰۶
۳۳۵- --- ۲۶۰۷
اشاره -- ۲۶۰۷
المعنی -- ۲۶۰۸
۳۳۶-و بنی رجل من عماله بناء فخما فقال علیه السّلام: -- ۲۶۰۸
اشاره -- ۲۶۰۸
اللغه --- ۲۶۰۸
المعنی -- ۲۶۰۸
۳۳۷-و قیل له علیه السّلام: -- ۲۶۰۸
اشاره -- ۲۶۰۸
المعنی -- ۲۶۰۸
۳۳۸-و عزی قوما عن میت مات لهم فقال علیه السّلام: --- ۲۶۰۹
اشاره -- ۲۶۰۹
المعنی -- ۲۶۱۰
۳۳۹-و قال علیه السّلام: --- ۲۶۱۰
اشاره -- ۲۶۱۰
اللغه --- ۲۶۱۰
المعنی -- ۲۶۱۰
۳۴۰-و قال علیه السّلام: --- ۲۶۱۰

اشاره ---------- ۲۶۱۰
اللغه ---------- ۲۶۱۰
المعنی ---------- ۲۶۱۱
۳۴۱-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۶۱۱
اشاره ---------- ۲۶۱۱
المعنی ---------- ۲۶۱۱
۳۴۲-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۶۱۱
اشاره ---------- ۲۶۱۱
المعنی ---------- ۲۶۱۱
۳۴۳-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۶۱۱
اشاره ---------- ۲۶۱۱
المعنی ---------- ۲۶۱۳
۳۴۴-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۶۱۳
اشاره ---------- ۲۶۱۳
اللغه ---------- ۲۶۱۳
المعنی ---------- ۲۶۱۳
۳۴۵-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۶۱۳
اشاره ---------- ۲۶۱۳
المعنی ---------- ۲۶۱۳
۳۴۶-و قال علیه السّلام:ثلاث کلمات: ---------- ۲۶۱۳
اشاره ---------- ۲۶۱۳
إحداها: ---------- ۲۶۱۴
الثانیه: ---------- ۲۶۱۵
الثالثه: ---------- ۲۶۱۵
۳۴۷-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۶۱۵
اشاره ---------- ۲۶۱۵

المعنی ----- ۲۶۱۵
۳۴۸-و قال علیه التلام: ----- ۲۶۱۶
اشاره ----- ۲۶۱۶
اللغه ----- ۲۶۱۶
و فی الفصل فایدتان: ----- ۲۶۱۷
إحداهما نفّر عن الدنیا بامور: ----- ۲۶۱۷
و الفائده الثانیه.أنّه أرشد إلی صفات المؤمن فی صحبه الدنیا: ----- ۲۶۱۸
۳۴۹-و قال علیه التلام: ----- ۲۶۱۸
اشاره ----- ۲۶۱۸
اللغه ----- ۲۶۱۸
المعنی ----- ۲۶۱۸
۳۵۰-و قال علیه التلام: ----- ۲۶۱۸
اشاره ----- ۲۶۱۸
المعنی ----- ۲۶۲۰
۳۵۱-و روی ----- ۲۶۲۰
اشاره ----- ۲۶۲۰
اللغه ----- ۲۶۲۰
المعنی ----- ۲۶۲۰
۳۵۲-و قال علیه التلام عشر کلمات: ----- ۲۶۲۱
اشاره ----- ۲۶۲۱
إحداها ----- ۲۶۲۱
الثانیه: ----- ۲۶۲۱
الثالثه: ----- ۲۶۲۱
الرابعه: ----- ۲۶۲۱
الخامسه: ----- ۲۶۲۱
السادسه: ----- ۲۶۲۲

السابعه: ---------- ۲۶۲۲
الثامنه: ---------- ۲۶۲۲
التاسعه: ---------- ۲۶۲۲
العاشره:و الشرّ جامع لمساوی العیوب. ---------- ۲۶۲۲
۳۵۳-و قال علیه السّلام:لجابر بن عبد الله الانصاری: ---------- ۲۶۲۲
اشاره ---------- ۲۶۲۲
المعنی ---------- ۲۶۲۳
۳۵۴ ---------- ۲۶۲۴
اشاره ---------- ۲۶۲۴
المعنی ---------- ۲۶۲۴
۳۵۵-و فی کلام آخر له یجری هذا المجری: ---------- ۲۶۲۵
اشاره ---------- ۲۶۲۵
المعنی ---------- ۲۶۲۵
۳۵۶-و عن أبی جحیفه قال:سمعت أمیر المؤمنین علیه السّلام یقول: ---------- ۲۶۲۶
اشاره ---------- ۲۶۲۶
المعنی ---------- ۲۶۲۶
۳۵۷-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۶۲۷
اشاره ---------- ۲۶۲۷
المعنی ---------- ۲۶۲۷
۳۵۸-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۶۲۷
اشاره ---------- ۲۶۲۷
المعنی ---------- ۲۶۲۷
۳۵۹-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۶۲۷
اشاره ---------- ۲۶۲۷
المعنی ---------- ۲۶۲۹
۳۶۰-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۶۲۹

اشاره ----- ۲۶۲۹
المعنی ----- ۲۶۲۹
۳۶۱-و قال علیه السّلام: ----- ۲۶۳۰
اشاره ----- ۲۶۳۰
المعنی ----- ۲۶۳۰
۳۶۲-و قال علیه السّلام: ----- ۲۶۳۰
اشاره ----- ۲۶۳۰
اللغه ----- ۲۶۳۰
المعنی ----- ۲۶۳۰
۳۶۳-و قال علیه السّلام: ----- ۲۶۳۱
اشاره ----- ۲۶۳۱
المعنی ----- ۲۶۳۱
۳۶۴-و قال علیه السّلام: ----- ۲۶۳۱
اشاره ----- ۲۶۳۱
المعنی ----- ۲۶۳۱
۳۶۵-و قال علیه السّلام ثلاث کلمات: ----- ۲۶۳۱
اشاره ----- ۲۶۳۱
إحداها:الرکون إلی الدنیا مع ما تعاین منها جهل ----- ۲۶۳۲
الثانیه:و التقصیر فی حسن العمل إذ اوثقت بالثواب علیه غبن ----- ۲۶۳۲
الثالثه:و الطمأنینه إلی کلّ أحد قبل الاختبار عجز ----- ۲۶۳۲
۳۶۶-و قال علیه السّلام: ----- ۲۶۳۲
اشاره ----- ۲۶۳۲
المعنی ----- ۲۶۳۲
۳۶۷-و قال علیه السّلام: ----- ۲۶۳۲
اشاره ----- ۲۶۳۲
المعنی ----- ۲۶۳۲

۳۶۸-و قال علیه السّلام: ۲۶۳۲
اشاره ۲۶۳۲
المعنی ۲۶۳۳
۳۶۹-و قال علیه السّلام: ۲۶۳۴
اشاره ۲۶۳۴
المعنی ۲۶۳۴
۳۷۰-و قال علیه السّلام: ۲۶۳۴
اشاره ۲۶۳۴
اللغه ۲۶۳۴
المعنی ۲۶۳۴
۳۷۱-و قال علیه السّلام: ۲۶۳۶
اشاره ۲۶۳۶
المعنی ۲۶۳۶
۳۷۲-و قال علیه السّلام: ۲۶۳۶
اشاره ۲۶۳۶
المعنی ۲۶۳۶
۳۷۳-و قال علیه السّلام: ۲۶۳۶
اشاره ۲۶۳۶
المعنی ۲۶۳۶
۳۷۴-و قال علیه السّلام: ۲۶۳۸
اشاره ۲۶۳۸
المعنی ۲۶۳۸
۳۷۵-و قال علیه السّلام: ۲۶۳۸
اشاره ۲۶۳۸
المعنی ۲۶۳۸
۳۷۶-و قال علیه السّلام کلمات أربعا: ۲۶۳۸

اشاره ----- ۲۶۳۸
إحداها:المنيّه و لا الدنيّه ----- ۲۶۳۸
و الثانيه:و التقلّل و لا التوسّل ----- ۲۶۴۰
الثالثه: ----- ۲۶۴۰
الرابعه: ----- ۲۶۴۰
۳۷۷-و قال عليه السّلام: ----- ۲۶۴۰
اشاره ----- ۲۶۴۰
اللغه ----- ۲۶۴۰
المعنى ----- ۲۶۴۰
۳۷۸-و قال عليه السّلام:لبعض مخاطبيه-و قد تكلم بكلمه يستصغر ----- ۲۶۴۰
اشاره ----- ۲۶۴۰
اللغه ----- ۲۶۴۰
المعنى ----- ۲۶۴۱
۳۷۹-و قال عليه السّلام: ----- ۲۶۴۱
اشاره ----- ۲۶۴۱
اللغه ----- ۲۶۴۲
المعنى ----- ۲۶۴۲
۳۸۰-و قال عليه السّلام:و قد سئل عن معنى قولهم«لا حول و «لا قُوَّهَ إِلاّ بِاللّهِ» »- ----- ۲۶۴۲
اشاره ----- ۲۶۴۲
المعنى ----- ۲۶۴۲
۳۸۱-و قال عليه السّلام لعمار بن ياسر،و قد سمعه يراجع المغيره بن ----- ۲۶۴۲
اشاره ----- ۲۶۴۲
المعنى ----- ۲۶۴۲
۳۸۲-و قال عليه السّلام: ----- ۲۶۴۲
اشاره ----- ۲۶۴۲
المعنى ----- ۲۶۴۴

۳۸۳-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۶۴۴
اشاره ---------- ۲۶۴۴
المعنی ---------- ۲۶۴۴
۳۸۴-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۶۴۴
اشاره ---------- ۲۶۴۴
المعنی ---------- ۲۶۴۴
۳۸۵-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۶۴۴
اشاره ---------- ۲۶۴۴
المعنی ---------- ۲۶۴۴
۳۸۶-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۶۴۵
اشاره ---------- ۲۶۴۵
المعنی ---------- ۲۶۴۵
۳۸۷-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۶۴۵
اشاره ---------- ۲۶۴۵
المعنی ---------- ۲۶۴۶
۳۸۸-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۶۴۶
اشاره ---------- ۲۶۴۶
المعنی ---------- ۲۶۴۶
۳۸۹-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۶۴۶
اشاره ---------- ۲۶۴۶
اللغه ---------- ۲۶۴۶
المعنی ---------- ۲۶۴۶
۳۹۰-و قال علیه السّلام فی صفه الدنیا: ---------- ۲۶۴۶
اشاره ---------- ۲۶۴۶
أحدها: ---------- ۲۶۴۸
الثانی ---------- ۲۶۴۸

الثالث: ---------- ۲۶۴۸
۳۹۱-و قال لابنه الحسن علیه السّلام: ---------- ۲۶۴۸
اشاره ---------- ۲۶۴۸
المعنی ---------- ۲۶۴۸
۳۹۲-و قال علیه السّلام لقائل قال بحضرته«أستغفر اللّه»: ---------- ۲۶۵۰
اشاره ---------- ۲۶۵۰
المعنی ---------- ۲۶۵۱
۳۹۳-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۶۵۱
اشاره ---------- ۲۶۵۱
المعنی ---------- ۲۶۵۱
۳۹۴-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۶۵۱
اشاره ---------- ۲۶۵۱
المعنی ---------- ۲۶۵۲
۳۹۵-و روی أنه علیه السّلام ---------- ۲۶۵۲
اشاره ---------- ۲۶۵۲
اللغه ---------- ۲۶۵۲
المعنی ---------- ۲۶۵۲
۳۹۶-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۶۵۲
اشاره ---------- ۲۶۵۲
المعنی ---------- ۲۶۵۳
۳۹۷-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۶۵۳
اشاره ---------- ۲۶۵۳
المعنی ---------- ۲۶۵۳
۳۹۸-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۶۵۳
اشاره ---------- ۲۶۵۳
المعنی ---------- ۲۶۵۳

۳۹۹-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۶۵۵

اشاره ---------- ۲۶۵۵

المعنی ---------- ۲۶۵۵

۴۰۰-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۶۵۵

اشاره ---------- ۲۶۵۵

المعنی ---------- ۲۶۵۵

۴۰۱-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۶۵۵

اشاره ---------- ۲۶۵۵

المعنی ---------- ۲۶۵۵

۴۰۲-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۶۵۷

اشاره ---------- ۲۶۵۷

المعنی ---------- ۲۶۵۷

۴۰۳-و قال علیه السّلام فی بعض الأعیاد: ---------- ۲۶۵۷

اشاره ---------- ۲۶۵۷

المعنی ---------- ۲۶۵۷

۴۰۴-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۶۵۷

اشاره ---------- ۲۶۵۷

المعنی ---------- ۲۶۵۷

۴۰۵-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۶۵۹

اشاره ---------- ۲۶۵۹

المعنی ---------- ۲۶۵۹

۴۰۶-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۶۵۹

اشاره ---------- ۲۶۵۹

المعنی ---------- ۲۶۵۹

۴۰۷-و قال علیه السّلام: ---------- ۲۶۵۹

اشاره ---------- ۲۶۵۹

أقول:ميّز أولياء اللّه بصفات عشر: ---------- ۲۶۶۰
إحداها:أنّهم نظروا إلى باطن الدنيا ---------- ۲۶۶۰
الثانيه:و اشتغلوا بآجلها ---------- ۲۶۶۰
الثالثه:فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم ---------- ۲۶۶۰
الرابعه:و تركوا منها ما علموا أنّه سيتركهم. ---------- ۲۶۶۰
الخامسه:و رأوا استكثار غيرهم منها استقلالا-و دركها لها فوتا ---------- ۲۶۶۰
السادسه:أعداء ما سالم الناس ---------- ۲۶۶۰
الثامنه:بهم علم الكتاب. ---------- ۲۶۶۱
التاسعه:و بهم قام الكتاب ---------- ۲۶۶۲
العاشرهلا يرون مرجوّا فوق ما يرجون ---------- ۲۶۶۲
۴۰۸-و قال عليه السّلام: ---------- ۲۶۶۲
اشاره ---------- ۲۶۶۲
المعنى ---------- ۲۶۶۲
۴۰۹-و قال عليه السّلام: ---------- ۲۶۶۲
اشاره ---------- ۲۶۶۲
المعنى ---------- ۲۶۶۲
۴۱۰-و قال عليه السّلام: ---------- ۲۶۶۳
اشاره ---------- ۲۶۶۳
المعنى ---------- ۲۶۶۴
۴۱۱-و سئل عليه السّلام:أيما أفضل:العدل،أو الجود؟ ---------- ۲۶۶۴
اشاره ---------- ۲۶۶۴
المعنى ---------- ۲۶۶۴
۴۱۲-و قال عليه السّلام: ---------- ۲۶۶۴
اشاره ---------- ۲۶۶۴
المعنى ---------- ۲۶۶۴
۴۱۳-و قال عليه السّلام: ---------- ۲۶۶۵

اشاره ----- ۲۶۶۵
المعنی ----- ۲۶۶۶
۴۱۴-و قال علیه السّلام: ----- ۲۶۶۶
اشاره ----- ۲۶۶۶
المعنی ----- ۲۶۶۶
۴۱۵-و قال علیه السّلام: ----- ۲۶۶۶
اشاره ----- ۲۶۶۶
المعنی ----- ۲۶۶۶
۴۱۶-و قال علیه السّلام: ----- ۲۶۶۶
اشاره ----- ۲۶۶۶
المعنی ----- ۲۶۶۷
۴۱۷-و قال علیه السّلام،و قد جاءه نعی الأشتر رحمه اللّه: ----- ۲۶۶۸
اشاره ----- ۲۶۶۸
المعنی ----- ۲۶۶۸
۴۱۸-و قال علیه السّلام: ----- ۲۶۶۸
اشاره ----- ۲۶۶۸
المعنی ----- ۲۶۶۸
۴۱۹-و قال علیه السّلام: ----- ۲۶۶۸
اشاره ----- ۲۶۶۸
اللغه ----- ۲۶۶۸
المعنی ----- ۲۶۶۸
۴۲۰-و قال علیه السّلام:لغالب بن صعصعه أبی الفرزدق فی کلام دار ----- ۲۶۷۰
اشاره ----- ۲۶۷۰
المعنی ----- ۲۶۷۰
۴۲۱-و قال علیه السّلام: ----- ۲۶۷۰
اشاره ----- ۲۶۷۰

المعنی ----- ۲۶۷۰
۴۲۲-و قال علیه السّلام: ----- ۲۶۷۰
اشاره ----- ۲۶۷۰
المعنی ----- ۲۶۷۱
۴۲۳-و قال علیه السّلام: ----- ۲۶۷۲
اشاره ----- ۲۶۷۲
المعنی ----- ۲۶۷۲
۴۲۴-و قال علیه السّلام: ----- ۲۶۷۲
اشاره ----- ۲۶۷۲
المعنی ----- ۲۶۷۲
۴۲۵-و قال علیه السّلام: ----- ۲۶۷۲
اشاره ----- ۲۶۷۲
المعنی ----- ۲۶۷۲
۴۲۶-و قال علیه السّلام: ----- ۲۶۷۲
اشاره ----- ۲۶۷۲
المعنی ----- ۲۶۷۳
۴۲۷-و قال علیه السّلام: ----- ۲۶۷۴
اشاره ----- ۲۶۷۴
المعنی ----- ۲۶۷۴
۴۲۸- ----- ۲۶۷۴
اشاره ----- ۲۶۷۴
المعنی ----- ۲۶۷۴
۴۲۹-و قال علیه السّلام: ----- ۲۶۷۶
اشاره ----- ۲۶۷۶
المعنی ----- ۲۶۷۶
۴۳۰-و قال علیه السّلام: ----- ۲۶۷۶

اشاره -- ۲۶۷۶
أشار من علامات الایمان إلی ثلاث: -- ۲۶۷۶
أحدها:أن یؤثر الصدق الضارّ علی الکذب النافع -- ۲۶۷۶
الثانیه:أن لا یکون فی حدیثه فضل و زیاده عن علمه -- ۲۶۷۶
الثالثه:أن یتّقی اللّه فی حدیث غیره -- ۲۶۷۶
۴۳۱-و قال علیه السّلام: --- ۲۶۷۸
اشاره -- ۲۶۷۸
المعنی --- ۲۶۷۸
۴۳۲-و قال علیه السّلام: --- ۲۶۷۸
اشاره -- ۲۶۷۸
المعنی --- ۲۶۷۸
۴۳۳-و قال علیه السّلام: --- ۲۶۷۸
اشاره -- ۲۶۷۸
المعنی --- ۲۶۷۸
۴۳۴-و قال علیه السّلام: --- ۲۶۷۸
اشاره -- ۲۶۷۸
المعنی --- ۲۶۷۹
۴۳۵-و قال علیه السّلام: --- ۲۶۸۰
اشاره -- ۲۶۸۰
المعنی --- ۲۶۸۰
۴۳۶-و قال علیه السّلام: --- ۲۶۸۰
اشاره -- ۲۶۸۰
المعنی --- ۲۶۸۰
۴۳۷-و قال علیه السّلام فی مدح الأنصار: --- ۲۶۸۱
اشاره -- ۲۶۸۱
اللغه --- ۲۶۸۱

المعنی ---- ۲۶۸۱
۴۳۸-و قال علیه السّلام: ---- ۲۶۸۱
اشاره ---- ۲۶۸۱
المعنی ---- ۲۶۸۱
۴۳۹-و قال علیه السّلام:فی کلام له: ---- ۲۶۸۳
اشاره ---- ۲۶۸۳
المعنی ---- ۲۶۸۳
۴۴۰-و قال علیه السّلام: ---- ۲۶۸۳
اشاره ---- ۲۶۸۳
اللغه ---- ۲۶۸۳
و ذکر للزمان مذاقا: ---- ۲۶۸۳
أحدها: ---- ۲۶۸۳
الثانیه: ---- ۲۶۸۳
الثالثه: ---- ۲۶۸۵
الرابعه: ---- ۲۶۸۵
۴۴۱-و قال علیه السّلام: ---- ۲۶۸۵
اشاره ---- ۲۶۸۵
المعنی ---- ۲۶۸۵
۴۴۲-و سئل عن التوحید و العدل فقال علیه السّلام: ---- ۲۶۸۵
اشاره ---- ۲۶۸۵
المعنی ---- ۲۶۸۵
۴۴۳-و قال علیه السّلام: ---- ۲۶۸۷
اشاره ---- ۲۶۸۷
المعنی ---- ۲۶۸۷
۴۴۴-و قال علیه السّلام:فی دعاء استسقی به: ---- ۲۶۸۷
اشاره ---- ۲۶۸۷

المعنی ----- ۲۶۸۷
۴۴۵-و قیل له علیه السّلام لو غیرت شیبک یا أمیر المؤمنین، ----- ۲۶۸۸
اشاره ----- ۲۶۸۸
المعنی ----- ۲۶۸۸
۴۴۶-و قال علیه السّلام: ----- ۲۶۸۸
اشاره ----- ۲۶۸۸
اللغه ----- ۲۶۸۸
المعنی ----- ۲۶۸۸
۴۴۷-و قال علیه السّلام: ----- ۲۶۸۸
اشاره ----- ۲۶۸۸
المعنی ----- ۲۶۸۸
۴۴۸-و قال علیه السّلام لزیاد بن أبیه ----- ۲۶۸۸
اشاره ----- ۲۶۸۸
المعنی ----- ۲۶۸۹
۴۴۹-و قال علیه السّلام: ----- ۲۶۹۰
اشاره ----- ۲۶۹۰
المعنی ----- ۲۶۹۰
۴۵۰-و قال علیه السّلام: ----- ۲۶۹۰
اشاره ----- ۲۶۹۰
المعنی ----- ۲۶۹۰
۴۵۱-و قال علیه السّلام: ----- ۲۶۹۰
اشاره ----- ۲۶۹۰
المعنی ----- ۲۶۹۰
۴۵۲-و قال علیه السّلام: ----- ۲۶۹۲
اشاره ----- ۲۶۹۲
اللغه ----- ۲۶۹۲

المعنی ---------- ۲۶۹۲

فهرس ما فی هذا الجزء من الکتب و الوصایا و المختار من حکمه علیه السّلام ---------- ۲۶۹۳

تعریف مرکز ---------- ۲۶۹۹

شرح نهج البلاغه (ابن میثم)

اشاره

سرشناسه:ابن میثم ، میثم بن علی ، ق ۶۸۹ - ۶۳۶

عنوان و نام پدیدآور:شرح نهج البلاغه / تالیف کمال الدین میثم بن علی میثم البحرانی

مشخصات نشر:بیروت : دارالثعلین ، ۱۴۲۰ه = . م ۱۹۹۹ = . ۱۳۷۸.

مشخصات ظاهری:ج ۵

وضعیت فهرست نویسی:فهرستنویسی قبلی

عنوان دیگر:نهج البلاغه . شرح

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، ۲۳ قبل از هجرت - ق ۴۰ -- . کلمات قصار

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . خطبه ها

شناسه افزوده:علی بن ابی طالب (ع)، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج البلاغه ، شرح

رده بندی کنگره:BP۳۸/۰۲ / الف ۲۸۲ ۱۳۷۸

شماره کتابشناسی ملی: م ۸۱-۸۹۸۵

ص:۱

المجلد ۱

مقدمه المؤلف

«بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ»

سبحانك اللهمّ و بحمدك توحّدت فی ذاتك فحسر عن إدراكك إنسان كل عارف و تفرّدت فی صفاتك فقصر عن مدحتك لسان كلّ واصف.ظهرت فی بدايع جودك فشهدت بوجوب وجودك حاجه كلّ قائل،و بهرت بعزّ جلالك فالكلّ فی نور جمالك مضمحلّ باطل.أحاط علمك فلم يعزب عنه مثقال ذرّه فی الأرض و لا فی السماء،و تعدّدت آلاؤك فتعدّت أنواعها

حدّ التحديد و الإحصاء خلقت الدنيا مضمارا يستعدّ فيه خلقك للسباق إلى حضره قدسك،و أيّدتهم بالرسل ليسلكوا بهم أفضل السبل إلى بساط انسك و يسرّت كلاّ لما خلق له،فبعض لنعمائك منكرون،و عن عبادتك مستكبرون،و بعض بضروب إحسانك معترفون،و على باب كعبه جودك معتكفون.سبحانك «أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبادِكَ فِي ما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» .سبحانك عمّا يقول الظالمون و تعاليت عمّا يصفون.

اسبّحك بلسان الحال و المقال بالعشيّ و الإبكار،و أحمدك على كلّ حال آناء الليل و أطراف النهار،و أشهد «أَنْ لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ» حاذفا كلّ ما سواك عن درجه الاعتبار مخلصا لجلال وجهك فى طورى الإعلان و الإسرار،و أشهد أنّ محمّدا عبدك المختار،و صفوه أنبياءك الأطهار الّذى بعثته بالأنوار الساطعه،و أيّدته بالبراهين و الحجج القاطعه،و جعلته للعالمين بشيرا و نذيرا و داعيا إليك بإذنك و سراجا منيرا.اللهمّ فصلّ عليه صلاه دائمه ناميه وافيه كافيه ما تعاقبت الأوقات و دامت الأرض و السماوات،و على آله الطاهرين المنتجبين ينابيع الحكمه و أساطين الدين،و على أصحابه الأكرمين،و سلّم عليهم أجمعين.

أمّا بعد فلمّا كان المقصود الأوّل من بعثه الأنبياء و الرسل بالكتب الإلهيّه و النواميس الشرعيّه إنّما هو جذب الخلق إلى الواحد الحقّ،و معالجه نفوسهم من داء

الجهل و عشق هذه الدار و إلفاتها إلى حظائر القدس و منازل الأبرار و حمايتها أن تردّ موارد الهلاک إذ کانت من ذلک على خطر،و تشويقها إلى مالا عين رأت و لا اذن سمعت و لا خطر على قلب بشر و تنبيهها من مراقد الطبيعه و نوم الغافلين بتذکير ما اخذ عليها من العهد القديم« «أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَ أَنِ اعْبُدُونِي هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ» »١ثمّ ما يلزم ذلک المقصود من تدبير أحوال المعاش البدنىّ و ساير أسباب البقاء للنوع الإنسانى.و کان إمامنا سيد الوصيّين و أمير المؤمنين ذو الآيات الباهره و الأنوار الظاهره علىّ بن أبى طالب عليه السّلام فى جميع ما ورد عنه من الکلام،و صدر عنه من الأفعال و الأحکام قاصدا لجميع ما تضمّنه الشرع الکريم من الأغراض و المقاصد باسطا لما اشتمل عليه القرآن الحکيم من القوانين و القواعد حتّى لن توجد له کلمه فى غير هذا السبيل کما سنبيّن ذلک عن قليل.و نوضحه بالتفصيل فلا جرم کان کلامه الکلام الّذى عليه مسحه من الکلام الإلهى،و فيه عبقه من الکلام النبوى.و لم يزل کلامه عليه السّلام مبددا فى صدور الرّواه منتشرا فى أيدى المهتدين و الغواه تحاول أعداؤه أن يخفى مشهوره «وَ يَأْبَى اللّهُ إِلاّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ» إلى أن عضد اللّه الإسلام بوجود السيّد الإمام الشريف الرضى محمد بن الحسين الموسوى-قدّس اللّه سرّه،و نوّر ضريحه-فأحيى من کلام جدّه الزفات، و جمع منه ما کان فى حيّز الشتات،و بالغ فى تدوين محاسنه بقدر الاستطاعه،و سمّى مجموعه بنهج البلاغه فجاء الاسم وفق المسمّى،و اللفظ طبق المعنى فجزاه اللّه عن العلماء خير الجزاء،و حباه من وظائف الفضل أجزل الحباء.

ثمّ إنّى لمّا کنت عبدا من عباد اللّه آتانى رحمه من عنده،و ملّکنى قوّه أسلک بها سبيل قصده،و کنت قد جعلت هذا الکتاب بعد کتاب اللّه و کلام رسوله مصباحا أستضىء به فى الظلمات،و سلّما أعرج به إلى طباق السماوات،کنت فى أثناء وقوفى على شىء من أسراره،و اکتحالى بسواطع أنواره أتأسّف على من يعرض عنه جهلا،و أتلهّف لواجد له أهلا إلى أن قضت صروف الزمن بمفارقه الأهل و الوطن،و أوجبت تقلّبات الأيّام دخول دار السلام فوجدتها نزهه للناظر،و آيه للحکيم القادر بانتهاء أحوال

تدبيرها و إلقاء مقاليد امورها إلى من خصّه اللّه تعالى بأشرف الكمالات الإنسانيّه،و ملّكه ملكات الفضائل النفسانيّه فهو امرء مثلث طبيعته من طينه الفضل حين ينتسب فالعلم و الجود و الشجاعه و الفقه و العدل منه يكتسب نعم هو من رشحه اللّه لاستكفاء امور عباده و بلاده،و جعلها مطاوعه لأزمه قياده فأوامره الغالبه تسرى فيها مسرى الأرواح فى الأجسام و آراؤه الصايبه تجرى فيها مجرى الصحه بعد السقام الّذى جاز أعلى المناقب ففاز بأسنى المطالب و سما بهمه الثواقب فأمن من غوائل العواقب الّذى بدرت أقمار العلوم بدولته السعيده بعد الأفول فى غيابه الجهاله،و سطح صبح الحقّ بطلعته الحميده من افق الضلاله،و رفع ذيول ظلام الظلم فجر عدله،و أزهرت روض الرغائب بغيض سحائب فضله المشيّد لأركان الإسلام بعد التداعى للانهدام المجدد من آثار الايمان ما محاه طوفان الطغيان.صاحب ديوان الممالك السالك إلى اللّه أقرب المسالك علاء الحقّ و الدين عطا ملك بن الصاحب المعظّم و المولى المكرم الفائز بلقاء ربّ العالمين،و مجاوره الملائكه المقرّبين،و بهاء الدنيا و الدين محمّد الجوينى ضاعف اللّه جلاله و خلّد إقباله،و حرّس عزّه و كماله،و أيّد فضله و إفضاله و فسح فى مدّ عمره و أمدّه بتوفيقه و شدّ أزره بدوام عزّ صنوه و شقيقه الّذى فاق ملوك الآفاق بعلوّ القدر،و كمال العزّ و الفخر،و رصانه العلم و الأدب و رزانه العقل و الحسب الّذى ملاء الأسماع بجميل أوصافه،و أفاض أوعيه الأطماع بجزيل ألطافه و أنسى بها طلّ و ابل بذله ما قيل من قبله فى الكرم و أهله.

هو البحر من أىّ النواحى أتيته

فلجّته المعروف و الجود ساحله

تعوّد بسط الكفّ حتّى لو أنّه

ثناها لقبض لم تطعه أنامله

و لو لم يكن فى كفّه غير نفسه

لجاد بها فليتّق اللّه سائله

نعم هو من جمع اللّه له بين الحكمه و السلطان،و زاده بسطه فى المرتبه و علوّ الشأن ذو النفس القدسيّه،و الخلافه الإنسيّه،و الأعراق الزكيّه،و الأخلاق الرضيّه،و الهمم الأبيّه،و المقاصد السنيّه.مولى ملوك العرب و العجم صاحب ديوان ممالك العالم شمس الحقّ و الدين غياث الإسلام و المسلمين محمّد بالغه اللّه أقصى مراتب الكمال،و رزقه بلوغ الآمال فى الحال و المآل فإنّهما لهذه الامّه بدران مشرقان يستضاء بأنوارهما و بحران

زاخران يغترف من تيّارهما،و طودان شامخان يستعاذ بأقطارهما،و عمادان يقوم بهما فى الوجود أركان الايمان،و صارمان يصول بهما الدين القيّم على ساير الأديان فجزاهما اللّه عن الإسلام و أهله أفضل جزاء المحسنين،و خصّهما من وظائف فضله بأكمل ما أعدّه لعباده الصالحين،و قرن سعادتهما بالدوام و الاستمرار،و عضد آرائهما بمطاوعه الأقضيه و الأقدار،و صان دولتهما عن حوادث الأيّام و آفاتها،و جعل نتايج أفعال أعدائهما تابعه لأخسّ مقدّماتها.هذا.

و لمّا اتّفق اتّصالى بخدمته و انتهيت إلى شريف حضرته أحلّنى من انسه محلاّ ألهى النفس عن أشهى مآربها،و أمطرنى من سحائب جوده نعماء تشبه الصور الفائضه من و اهمها فأجرى فى بعض محاوراته الكريمه من مدح هذا الكتاب و تعظيمه و تفضيله و تفخيمه ما علمت معه أنّه أهله الّذى كنت أطلب،و العالم بقدره و محلّه من بين الكتب،و توسّمت فى تضاعيف ذلك تشوّق خاطره المحروس إلى كشف حقائقه،و الوقوف على أسراره و دقائقه فأحببت أن أجعل شكرى لبعض نعمه السابقه،و مننه المتواليه المتلاحقه أن أخدم سامى مجلسه بتهذيب شرح مرتّب على القواعد الحقيقيّه مشحون بالمباحث اليقينيّه انبّه فيه على ما لاح لى من رموزه،و أكشف ما ظهر لى من دفائنه و كنوزه و قد سبق إلى شرح هذا الكتاب جماعه من أولى الألباب،و الناقد المسدّد للصواب يميّز القشر من اللباب،و السراب من الشراب،و شرعت فى ذلك بعد أن عاهدت اللّه سبحانه أنّى لا أنصر فيه مذهبا غير الحقّ،و لا أرتكب هوى لمراعاه أحد من الخلق فإن وافق الرأى الأعلى فذلك هو المقصد الأقصى،و إلاّ فالعذر ملتمس مسئول،و العفو مرجّو مأمول،و الرغبه إلى أهل الفضل فى سدّ ما يجدونه من خلل،و ستر ما يقفون عليه من زلل فإنّى مع ضعف جناحى من سلوك هذا المطار الّذى هو مسرح نفوس الأولياء الأبرار، و محالّ أنظار الحكماء الكبار مقسّم الأفكار راكب المطايا الأسفار، «وَ عَلَى اللّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ» و هو حسبى «وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ» .و قبل الخوض فى المطلوب لا بدّ من تقديم مقدّمه يستعان بها على ما عسى أن أذكره من المباحث فى هذا الشرح «إِنْ شاءَ اللّهُ» تعالى.

أمّا المقدّمه فأعلم أنّ كلامه عليه السّلام يشتمل على مباحث عظيمه تنشعب عن علوم

جليله يحتاج المتصدّى للخوض فيه و فهم ما يشرح منه بعد جوده ذهنه،و صفاء قريحته إلى تقديم أبحاث تعينه على الوصول إلى تلك المقاصد.و لمّا أبرز عليه السّلام مقاصده فى ألفاظ خطابيّه إمّا منطوق بها أو مكتوبه تعيّن أن أذكر من مباحث الألفاظ قدرا تمسّ الحاجه إليه،ثمّ اشير إلى بيان معنى الخطابه و ما يتعلّق بها ليكون ذلك معينا للناظر فى كلامه على ملاحظه دقائقه،و مطالعه أسراره و حقائقه ثمّ الحق ذلك بالإشاره إلى ما يتعلّق به عليه السّلام من الفضائل فلا جرم رتّبت هذه المقدّمه على ثلاث قواعد.

القاعده الاولى فى مباحث الألفاظ

اشاره

و هى مرتّبه على قسمين.

القسم الأوّل فى دلاله الألفاظ و أقسامها و أحكامها

اشاره

و فيه فصول.

الفصل الأوّل فى دلاله اللفظ على المعنى

اشاره

و فيه أبحاث

البحث الأوّل:دلاله اللفظ إمّا على تمام مسمّاه أو على جزء مسمّاه

من حيث هو جزءه،أو على الأمر الخارج عن مسمّاه اللازم له فى الذهن من حيث هو لازم له،و الدلاله الاولى هى دلاله المطابقه كدلاله لفظ الإنسان على الحيوان الناطق،و الثانيه دلاله التضمّن كدلالته على الحيوان وحده أو على الناطق وحده،و الثالثه دلاله الالتزام كدلالته على الضاحك و احترزنا فى الدلالتين الأخيرتين بقولنا من حيث هو جزءه و من حيث هو لازمه عن دلاله اللفظ بالمطابقه على جزء المسمّى أو على لازمه بحسب الاشتراك اللفظى،بيانه أنّه إذا جاز أن يوضع اللفظ الواحد للمعنى و لجزئه كلفظ الممكن مثلا للممكن الخاصّ و العامّ و للمعنى و لازمه كلفظ الشمس على جرم الشمس و النور اللازم عنه فلو اقتصرنا فى تعريف دلالتى التضمّن و الالتزام على التعريفين المذكورين دون هذين القيدين لشمل ذلك دلاله المطابقه على تقدير وضع اللفظ لجزء المعنى أو لازمه كما هو موضوع له إذا كانت أيضا دلاله اللفظ على جزء مسمّاه و على لازم مسمّاه.

البحث الثانى الدلاله الاولى هى الّتى بحسب الوضع الصرف

و أمّا الباقيّتان فزعم الإمام فخر الـدين و جماعه من الفضـلاء أنّهما عقليان.و فيه نظر لأنّهم إن أرادوا أنّهما حاصـلتان عن صـرف العقل من دون مشاركه الوضع فهو باطل لأنّه لولا ارتسام المعنى فى الـذهن عن اللفظ لما حصـلت هاتان الـدلالتان و أيضا فانّهم صرحّوا بأنّهما من دلالات

ص:5

الألفـاظ فلا يمكن مع ذلك دعوى حصولهما عن مجرّد العقل،و إن أرادوا بـذلك أنّ الـذهن عنـد تصوّر المعنى من لفظه ينتقل منه إلى جزئه أو إلى لازمه فهو حقّ و حينئذ تكون هاتان الدلالتان بشركه من الوضع و العقل ثمّ إنّهما مستلزمتان للدلاله الوضعيّه من غير عكس لجواز خلوّ المهيّه عن التركيب و عن اللازم البيّن و لا يجب أيضا أن تلزم إحداهما الاخرى و هو ظاهر ممّا مرّ.

البحث الثالث ظهر ممّا ذكرنا أنّه يعتبر فى الدلاله التضمنيه

كون المعنى المـدلول عليه بالمطـابقه مركّبـا و أمّـا فى الإلـتزاميّه فـالمعتبر فيه كونه ملزومـا فى الـذهن لأمر بيّن الثبوت له إذ لولا اللزوم الـذهنى لم يفـد إطلاق اللفظ فى المعنى الخارج عن المهيه لعـدم الوضع بإزائه و عدم انتقال الذهن عن موضوعه إليه فلم يكن دالّا عليه إذ المراد بـدلاله اللفظ على المعنى فهمه عند إطلاقه بالنسـبه إلى من يعلم الوضع و لا يعتبر اللزوم الخارجىّ لجواز دلاـله اللفـظ على مـا يلزم مسـمّاه فى الخارج إذا لزم من تصوّره تصوّر مسـمّاه كـدلاله لفظ عـدم الملكه عليها كلفظ العمى على البصر ثم اللزوم الذهنى ليس موجبا لانتقال الذهن من الملزوم إلى لازمه إذ ليس هو تمام ما يتوقّف عليه دلاله الإلتزاميّه بل لا بدّ من تصوّر الملزوم أوّلاـ و ذلـك متوقّف على وضع اللفـظ بـإزائه و العلم بـالوضع و سـماع اللفـظ أو حضوره بالبال فهو إذن أحد الشروط المعدّه لتصوّر اللازم.

البحث الرابع دلاله الحقيقيّه هى الدلاله الوضعيّه الصرفه

و أمّا الباقيتان فليسـتا بحقيقيّتين و هو ظاهر و لا مجازيتين أيضا لأنّ من شـرط المجاز اسـتعمال اللفظ فى غير ما وضع له اسـتعمالا مقصودا بالـذات،و هاتان الـدلالتان قـد يحصـلان من اسـتعمال اللفظ فى مسـمّاه حصولا عرضـيّا لأنّ الذهن قد ينتقل عند إطلاق اللفظ لإراده مسمّاه إلى جزئه أو إلى لازمه إنتقالا عرضيّا و كذلك إلى جزء جزئه و إلى لازم لازمه فى مراتب كثيره،و معلوم أنّ اللفـظ اطلق لإـراده مسـمّاه و اسـتعمل فيه بالـذات لاـ فيمـا انتقل الـذهن إليه من الأجزاء و اللوازم و إن كانت له سـببيّه فى ذلك الانتقال فلم تكن الـدلاله بواسـطه اللفظ محصوره فى الحقيقيّه و المجازيّه نعم اسـتعمال اللفظ الموضوع و إطلاقه بالـذات لإراده المعنى لا يخلو من أن يكون حقيقيّا أو مجازيّا.

الفصل الثانى فى تقسيم الألفاظ و فيه أبحاث.

البحث الأوّل اللفظ إمّا أن لا يراد بالجزء منه دلاله أصلا على شيء

و هو المفرد أو يراد بالجزء منه دلاله على شيء و هو المركب.لا يقال:هذا منقوض بعبد اللّه و ما يجرى مجراه فإنّه مفرد مع أنّ كلّ واحد من أجزائه دالّ لأنّا نقول:قد يراد بالجزء من عبد اللّه و أمثاله دلاله و لا نسلّم أنّه بذلك الاعتبار يكون مفردا بل مركّب،و قد لا يراد به الدلاله فيكون مفردا فإذا قلنا فى رسمه إنّه الّذى لا يراد بالجزء منه دلاله أصلا كان ذلك معيارا لكلّ لفظ بالنسبه إلى مراد اللافظ به فكلّ لفظ لا يقصد بجزئه دلاله كان مفردا و هذا هو الرسم القديم للمفرد و المركّب،و قد تبيّن أنّه لا حاجه فيه إلى القيد الّذى زاده المتأخّرون و هو قولهم من حيث هو جزءه فإنّ الرسمين متساويان.

البحث الثانى اللفظ المفرد إمّا أن يكون نفس تصوّر معناه

مانعا من وقوع الشركه فيه و هو الجزئى أو غير مانع و هو الكلى.أمّا الجزئى فيقال بمعنيين،أحدهما ما ذكرناه و يخصّ باسم الجزئى الحقيقى،و الثانى أنّه كلّ أخصّ تحت أعمّ،و الفرق بينهما أنّ الأوّل غير مضاف و لا كلى،و الثانى مضاف إلى ما فوقه و قد يكون كليّا فأمّا الكلى فإمّا أن يعنى به نفس الحقيقه الّتى لا يمنع تصوّرها وقوع الشركه فيها و يسمّى كليّا طبيعيّا أو النسبه الّتى تعقل لها بالقياس إلى جزئيّاتها المعقوله و تسمّى تلك النسبه كليّا منطقيّا أو المجموع المعقول من الحقيقه و النسبه العارضه لها و يسمّى كليّا عقليّا.ثمّ للكلى اعتبارات ستّه و ذلك لأنّه إمّا أن يكون ممتنع الوجود أو ممكنه،و الأوّل كشريك الإله، و الثانى إمّا أن لا يعرف وجوده أو يعرف فالأوّل كجبل من ياقوت و بحر من زيبق،و الثانى إمّا أن يمتنع أن يكون فى الوجود منه أكثر من واحد أو يمكن و الأوّل كالإله تعالى،و الثانى إمّا أن يكون فى الوجود واحد منه فقط و إن جاز وجود مثله أو أكثر من واحد و الأوّل كالشمس عند من يجوّز وجود مثلها،و الثانى إمّا أن يكون الموجود منه أشخاصا كثيره متناهيه أو غير متناهيه،و الأوّل كالكواكب و الثانى كأشخاص الإنسان.

البحث الثالث الكلى إمّا أن يدلّ على ماهيّه شيء

أو على ما يكون داخلا فيها أو على ما يكون خارجا عنها أمّا الدالّ على المهيّه فإمّا على ماهيّه شيء واحد أو على مهيّه أشياء كثيره،

و الأوّل إمّا أن يكون كلّيا أو جزئيّا،و الثانى إمّا أن يكون تلك الأشياء مختلفه الحقائق أو متّفه الحقائق فهذه أقسام أربعه الأوّل هو المقول فى جواب ما هو بحسب الخصوصيّه المطلقه كالجواب بالحدّ،و الثالث هو القول فى جواب ما هو بحسب الشركه المطلقه و الثانى و الرابع هو المقول فى جواب ما هو بحسب الشركه و الخصوصيّه معا.مثال الأوّل قولنا فى جواب من يسأل فيقول:ما الإنسان إنّه حيوان ناطق فخصوصيّه هذا الجواب ليست لغير الإنسان إذ لا يشاركه فى حدّه غيره،و الثالث كقولنا فى جواب من يسأل عن جماعه هم إنسان و فرس و ثور ما هم إنّها حيوانات إذ كان هذا الجواب كمال الجزء المشترك بينها.فهو إذن مقول بالشركه المطلقه،و الثانى و الرابع كقولنا فى جواب من يسأل عن زيد وحده ما هو إنّه إنسان أو عن جماعه هم زيد و عمرو و خالد ما هم إنّهم أناس فيكون الجواب فى الموضعين واحد أو هو بحسب الخصوصيّه و الشركه معا إذ كلّ ما لكلّ واحد منها من الأجزاء حاصل للآخر و لأنّ خصوصيّه هذا الجواب ليست لغير المسئول عنه،و أمّا الدالّ على جزء المهيّه فإمّا أن يدلّ على كمال الجزء المشترك بينها و بين غيرها و هو الجنس القريب أو على كمال الجزء المميّز لها و هو الفصل القريب أو على ما يتركّب منها و هو النوع أو لا-على واحد من هذه يكون ذلك جزء للجزء و هو إمّا جنس الجنس أو جنس الفصل أو فصل الجنس أو فصل الفصل كما هو مذكور فى مظانّه،و أمّا الدالّ على الخارج عن المهيه فيختصّ باسم العرضى،و اعتباره من وجهين أحدهما أنّه إمّا أن يكون لازما أو لا يكون،و الثانى هو العارض،و الأوّل إمّا أن يكون لازما للمهيّه أو للوجود و الأوّل إمّا أن يكون بيّنا للمهيّه كالفرديّه للثلاثه أو غير بيّن كالتناهى للجسم و الثانى كالسواد للغراب،و أمّا العارض فإمّا سريع الزوال كالقيام و القعود أو بطيئه كالشباب،الوجه الثانى العرضى إمّا أن يختصّ بنوع واحد لا يوجد لغيره سواء عمّ أفراده أو لم يعمّ و يسمّى خاصّه كالضاحك للإنسان بالقوّه و الفعل أو لا يختصّ به بل يعمّ و غيره و يسمّى عرضا عامّا كالماشى للإنسان.

البحث الرابع اللفظ و المعنى إمّا أن يتحدّا أو يتكثّرا

أو يتكثّر اللفظ و يتحدّ المعنى أو بالعكس أمّا الأوّل فمعناه إمّا أن يكون كليّا أو جزئيّا فإن كان الأوّل فإمّا

أن يكون نسبته إلى أفراده المعقوله بالسويّه و هو المتواطى كالإنسان بالنسبه إلى أشخاصه أو لا بالسويّه بل فى بعضها أوّل و أولى و أشدّ و أضعف و هو المشكّك كلفظ الوجود،و الثانى هو العلم كزيد،و الثانى الأسماء المتبائنه سواء تفاصلت مفهوماتها كالإنسان و الفرس أو تواصلت على أنّ بعضها اسم للذات و الآخر اسم للصفه كالسيف و الصارم أو على أنّ بعضها اسم للصفه و الآخر لصفه الصفه كالناطق و الفصيح،و الثالث الأسماء المترادفه سواء كانت من لغه واحده كالليث و الأسد أو من لغتين كالماء و آب،و أمّا الرابع فإمّا أن يكون قد وضع اللفظ أوّلا-لأحد المعنيين ثمّ نقل منه إلى الآخر أو وضع لهما معا،أمّا الأوّل فذلك النقل إن كان لا لمناسبه بين المعنيين فهو مرتجل و إن كان لمناسبه فإمّا أن يكون دلاله اللفظ على المنقول إليه بعد النقل أقوى من دلالتها على المنقول عنه أو لا-يكون فإن كان الأوّل سمّى اللفظ بالنسبه إلى المنقول إليه منقولا فإن كان الناقل هو الشارع سمّى لفظا شرعيّا كالصلاه و الزكاه،و أهل العرف و يسمّى عرفيّا سواء كان العرف العامّ كالدابّه للفرس بعد وضعها لكلّ ما يدبّ و كالغائط للفضله الخارجه من الإنسان بعد وضعها للمكان المطمئنّ،و الخاصّ كالاصطلاحات الخاصّه بطائفه طائفه من أهل العلم مثلا-كالرفع و النصب و الجرّ عند النحاه،و كالجمع و القلب و الفرق عند الفقهاء،و كالموضوع و المحمول و الجنس و الفصل عند المنطقيّين و أمثاله،و أمّا إن لم يكن دلالته على الثانى أقوى فإمّا أن يتساوى بالنسبه إليهما عند الفهم أو يكون فى الأوّل أقوى فإن كان الأوّل كان ذلك لفظا مشتركا،و إن كان الثانى كان اللفظ بالنسبه إلى الأوّل حقيقه،و إلى الثانى مجازا أمّا إذا كان اللفظ موضوعا لهما معا فإمّا أن يتساوى دلالته عليهما عند الفهم أو ترجّح فى أحدهما فإن كان الأوّل سمّى اللفظ بالنسبه إليهما مشتركا و بالنسبه إلى كلّ واحد منهما مجملا لأنّ كون اللفظ موضوعا لكلّ واحد منهما هو الاشتراك و كونهما بحيث لا يدرى عين المراد منهما هو الإجمال.

تذنيب ظهر من هذا التقسيم أنّ الأقسام الثلاثه الاولى مشتركه فى أنّها ليست بمشتركه فكانت نصوصا،و أمّا الرابع فله اعتبارات ثلاثه أحدها اعتبار كون إفادته أرجح فى بعض مفهوماته و بذلك يسمّى ظاهرا و الثانى اعتبار كونها مرجوحه فى المفهوم المقابل للراجح و بذلك يسمّى مأوّلا،و الثالث كونها متساويه بالنسبه إلى المفهومين

بحيث لا يدرى المراد منهما و بذلك يسمّى مجملا. فالرجحان إذن قدر مشترك بين الظاهر و النصّ و عدم الرجحان قدر مشترك بين المجمل و المأوّل فيسمّى المشترك الأوّل محكما و الثانى متشابها.

البحث الخامس اللفظ المفرد إمّا أن لا يستقلّ معناه بالمفهوميّه

أو يستقلّ و الأوّل هو الحرف،و الثانى فإمّا أن يستلزم معناه الوقوع فى أحد الأزمنه الثلاثه المعيّنه و هو الفعل أو لا يستلزم و هو الاسم،و هو إمّا أن يدلّ على معنى هو نفس الزمان كالزمان أو على جزء الزمان كاليوم و الغد أو على معنى جزءه الزمان كالصبوح و الغبوق أو لا على واحد منها و هو إمّا أن يكون اسما لجزئى شخصى فإن كان مضمرا فهو المضمرات أو مظهرا فهو العلم كما مرّ و إن كان اسما لكلىّ فإمّا أن يكون اسما لنفس المهيّه كلفظ السواد و المسمّى باسم الجنس فى اصطلاح النحاه أو لأمر ماله صفه كذا و هو الاسم المشتقّ كلفظ الضارب فإنّ مفهومه أنّه أمر ما له صفه الضرب.

البحث السادس اللفظ المركّب إمّا أن يكون قابلا للتصديق و التكذيب

لذاته و هو الخبر أولا لذاته و هو إمّا أن يكون مفيدا لطلب شىء إفاده أوّليه أو ليس كذلك و الأوّل إن كان على طريقه الإستعلاء فهو الأمر،و إن كان على طريق التساوى فهو الالتماس و إن كان على طريق الخشوع و التضرّع فهو السؤال،و الثانى هو التنبيه و يدخل فيه التمنّى و الترجى و القسم و النداء.

البحث السابع اللفظ قد يكون مدلوله لفظا مفردا أو مركّبا

و على التقديرين فإمّا أن يدلّ على معنى أو لا يدلّ فهذه أقسام أربعه الأوّل لفظ مفرد دالّ على معنى مفرد كلفظ الكلمه و الاسم و الفعل و الحرف،و الثانى لفظ مفرد دالّ على لفظ مركّب دالّ على معنى مركّب كلفظ الخبر و الكلام و القول الدالّ على قولنا زيد كاتب الدالّ على معانيه الثالث لفظ مفرد دالّ على لفظ مفرد غير دالّ على معنى كقولنا ا ب و ساير حروف المعجم الرابع لفظ مفرد دالّ على لفظ مركّب غير دالّ كلفظ الهذيان و الهذر.

البحث الثامن اللفظ المفرد إذا دلّ بالالتزام على معنى

فذلك المعنى إمّا أن يكون شرطا للمدلول عليه بالمطابقه أو تابعا له و الأوّل تسمّى دلاله الاقتضاء و تلك

الشرطيّه إمّا عقليّه كشرطيّه نصب السلّم لصعود السطح عند الأمر به أو شرعيّه كشرطيّه الوضوء للصلاه عند الأمر بها،و أمّا التابع فكنفى الحكم المذكور لشىء حال تخصيصه بذكره من غيره عند من يقول به فإنّ معنى التخصيص مستلزم للنفى المذكور و كذلك اللفظ المركّب إذ استلزم تركيبه معنى فإمّيا أن يكون من متمّمات المعانى المذكوره بالمطابقه أو من توابعها،و الأوّل كدلاله تحريم التأفيف على تحريم الضرب،و أمّا الثانى فكاستلزام قوله تعالى: «فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ» إلى قوله «حَتّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ» لعدم فساد صوم من أصبح جنبا و إلاّ لحرم الوطى فى آخر جزء من الليل يتّسع للغسل و باللّه التوفيق.

الفصل الثالث فى الاشتقاق و فيه أبحاث.

البحث الأوّل فى حقيقه الاشتقاق

الاشتقاق أخذ أحد اللفظين من الآخر لمشاركه بينهما فى الاشتمال على المعنى و الحروف الأصليه،و أركان الاشتقاق أربعه الأوّل اسم موضوع لمعنى،الثانى مسمّى آخر له نسبه إلى ذلك المعنى،الثالث مشاركه بين الاسمين فى الحروف الأصليّه،و الرابع تغيير يلحق الاسم الثانى إمّا فى حروف فقط أو فى حركه فقط أو فيهما معا و كلّ واحد من هذه الأقسام فإمّا بالزياده وحدها أو بالنقصان وحده أو بهما،و ظنّ الإمام أنّ الحاصل من هذه القسمه تسعه أقسام فقط و هو سهو نتحقّقه عند الاعتبار بأنّ الحاصل منها خمسه عشر قسما(آ)زياده الحرف(ب)زياده الحركه(ج)زيادتهما معا (د)نقصان الحرف(ه)نقصان الحركه(و)نقصانهما معا(ز)زياده الحرف مع نقصانه(ح)زياده الحرف مع نقصان الحركه(ط)زياده الحرف مع نقصانهما(ى)زياده الحركه مع نقصانها (يا)زياده الحركه مع نقصان الحرف(يب)زياده الحركه مع نقصانهما(يج)زيادتهما معا مع نقصان الحرف(يد)زيادتهما معا مع نقصان الحركه(ير)زيادتهما معا مع نقصانهما معا فهذه هى الأقسام الممكنه و على اللغوى طلب الأمثله.

البحث الثانى اختلف الناس فى أنّه هل يجوز صدق المشتقّ منفكّا

عن صدق المشتقّ منه أم لا،و الحقّ أنّه يجوز.لنا أنّ الاشتقاق و يكفى فيه أدنى ملابسه بين المشتقّ و المشتقّ منه فلا يشترط صدقه على ما يصدق عليه المشتقّ فإنّ المهلك و المميت و الضارّ

و المذلّ ممّا يصدق على ذات اللّه تعالى مع أنّ الامور المشتقّ منها و هى الهلاك و الموت و الضرر و الذلّ غير صادقه و لا جائزه عليه لا يقال:المشتقّ مركّب من المشتقّ منه و من شىء آخر،و متى صدق المركّب صدق كلّ واحد من أجزائه لأنّا نقول:لا نسلّم أنّ المشتقّ منه من حيث هو مشتقّ منه جزء من المشتقّ و حاصل فيه بل الحاصل فيه شىء من أجزائه و هى الحروف الأصليه،و بعض الحركات فإنّا بيّنا أنّ المشتقّ لا بدّ و أن يلحقه تغيير بأحد الوجوه المذكوره و القدر المتغيّر منه لا شكّ أنّه كان معتبرا فى حقيقته المشتقّ منه فبعد التغيير لم تبق تلك الحقيقه فلم يلزم صدقها حال صدق المشتقّ.

البحث الثالث اختلفوا أيضا فى أنّه هل يشترط فى صدق المشتقّ

بقاء صدق المعنى المشتقّ منه من لفظه أم لا،و الحقّ أنّه لا يشترط لوجوه أحدها أنّا نعلم بالضروره إطلاق أهل اللغه لفظ المشتقّ على الشىء حال ما لا يكون وجه الاشتقاق باقيا كإطلاقهم لفظ القاتل فى الحال على من فعل القتل فيما قبل.الثانى أنّ الضارب مثلا هو من حصل منه الضرب و لابسه ملابسته فعليه و هو أعمّ من حصوله له فى الحال أو فى الماضى لإمكان تقسيمه إليهما و لا يلزم من نفى الخاصّ نفى العامّ فلا يلزم من نفى الضرب فى الحال نفى مطلق الضرب فلا يلزم من صدق المشتقّ بقاء وجه الاشتقاق الثالث المشتقّات من المصادر السيّاله كالمتكلّم و المخبر لا يمكن بقاء وجه الاشتقاق فيها فإنّ الإنسان حال ما يتكلّم بالحرف الثانى فات الحرف الأوّل فلا يمكن تحقّق مهيّه الكلمه فى الخارج فضلا أن يقال إنّها تبقى مع أنّها صادقه بالإتّفاق.لا يقال:الضارب مثلا بعد انقضاء الضرب يصدق عليه أنّه ليس بضارب فى الحال و قولنا ليس بضارب جزء من قولنا ليس بضارب فى الحال،و متى صدق المركّب صدق كلّ واحد من أجزائه فإذن صدق عليه أنّه ليس بضارب فوجب أن لا يصدق عليه أنّه ضارب لتناقضهما فى العرف لأنّا نقول:إن كانت القضيّتان موقتين منعنا التناقض فى العرف و الحقيقه لأنّ المكذّب لقولنا إنّه ليس بضارب فى الحال قولنا إنّه ضارب فى الحال و نحن ما أدّعينا صدق قولنا إنّه ضارب فى الحال بل إنّه فى الحال يصدق عليه أنّه ضارب و لا تناقض لعدم اتّحاد الوقت و إن كانتا مطلقتين فدعوى التناقض إمّا حقيقه و هو ظاهر الفساد لأنّ المطلقتين لا تتناقضان أو عرفا و هو أيضا ممنوع

و بتقدير تسليمه نمنع صدق قولنا بعد انقضاء الضرب أنّه ليس بضارب لصدق قولنا فى تلك الحال إنّه ضارب،و تناقضهما عرفا و باللّه التوفيق.

البحث الرابع اختلفوا أيضا فى أنّ المعنى القائم بالمحلّ

هل يجب أن يشتقّ منه اسم أم لا و الحقّ أن يقال:المعانى إن لم يكن لها أسماء كأنواع الروائح لم يجب ذلك فيها و إن كان لها أسماء لم يجب أيضا أن يشتقّ لمحالّها منها أسماء،و هل يجوز ان يشتقّ لغير محالّها منها أسماءام لا،و الحقّ جوازه فى الموضعين خلافا لقوم من الأشعريّه فإنّهم قالوا يجب الاشتقاق منها لمحالّها و لا يجوز لغيرها،لنا أنّ الجواز متّفق عليه،و أمّا الجواب و تخصيصه بالمحلّ فلم يذكر الخصم فيه دليلا،و أمّا جواز الثانى فلأنّ الاشتقاق يكفى فيه أدنى ملابسه فإنّ المشتقّ هو شيء ما ذو المشتقّ منه،و لفظه ذو لا يقتضى الحلول،و من الأمثله المشهوره اللابن و التامر فإنّهما مشتقّان من اللبن و التمر و هما غير قائمين بذات المشتقّ له.

البحث الخامس مفهوم المشتقّ كالماشى مثلا إنّه شيء ما ذو مشى

فأمّا ذلك الشيء فغير داخل فى مفهومه و إن علم فإنّما يعلم بطريق الالتزام برهانه أنّك تقول الماشى حيوان فلو كان مفهوم الماشى أنّه حيوان ذو مشى لكان ذلك بمنزله قولك الحيوان ذو المشى حيوان و هو هذر بل إنّما يعلم كونه حيوانا بدليل من خارج و باللّه التوفيق.

الفصل الرابع فى الترادف و التوكيد

اشاره

و فيه أبحاث.

البحث الأوّل فى ماهيّتهما

أمّا الترادف فهو كون لفظين مفردين أو ما زاد عليهما دالّين بالوضع على معنى واحد باعتبار واحد،و بالإفراد احترزنا عن الاسم و الحدّ و باعتبار واحد عن اللفظين إذ ادّلا على شيء واحد باعتبارين كالصارم و السيف و باعتبار الصفه و صفه الصفه كالناطق و الفصيح فإنّ تلك متباينه،و أمّا التأكيد فهو تقويه ما يفهم من اللفظ بلفظ آخر،و للإمام فخر الدين-رحمه اللّه-تساهل فى هذا المقام إذ يحدّ التأكيد بأنّه اللفظ الموضوع لتقويه ما يفهم من لفظ آخر و لم يفرّق بين التوكيد و بين نفس المؤكّد و هو ظاهر.

البحث الثانى فى أسباب الترادف

إنّه يجوز وقوع الألفاظ المترادفه من واضع واحد،و يجوز وقوعها من واضعين و يشبه أن يكون الأوّل أقلّ وجودا و له سببان الأوّل التسهيل و الإقدار على الفصاحه لأنّه ربّما يمتنع وزن البيت و قافيته مع بعض أسماء الشیء

ص:۱۳

دون اسمه الآخر،و ربّما حصلت رعايه السجع و المقلوب و الجنس و ساير أصناف البديع مع بعض أسماء للشىء و لا يحصل مع الآخر الثانى و التمكّن من تأديه المقصود بإحدى العبارتين عند الغفله عن الاخرى،و أمّا الثانى و هو السبب الأكثرى فيجوز أن تصطلح إحدى قبيلتين على اسم للشىء غير الاسم الّذى اصطلحت عليه القبيله الاخرى ثمّ يشتهر الوضعان بعد ذلك معا.

البحث الثالث أنّه هل يصحّ إقامه كلّ واحد من المترادفين مقام الآخر

دائما أم لا الظاهر فى بادى الرأى ذلك لأنّ المترادفين هما اللذان يفيد كلّ واحد منهما عين فايده الآخر فلمّا صحّ أن يقسّم المعنى المدلول عليه بأحد اللفظين إلى معنى آخر فلا بدّ و أن تبقى الصحه حال ما يدلّ عليه باللفظ الثانى لأنّ صحّه الاقتران من عوارض المعانى و فيه نظر لأنّ صحّه الاقتران كما يكون من عوارض المعانى كذلك يكون من عوارض الألفاظ فإنّك لو أبدلت لفظ من بمرادفه من الفارسيّه لم يصحّ فكان هذا الامتناع من قبل الألفاظ أيضا قال الإمام فخر الدين:و إذا عقل ذلك فى لغتين فلم لا يجوز مثله فى لغه واحده و الحقّ أنّه يصحّ إقامه أحد المترادفين مقام الآخر بشرطين أحدهما أن يكونا من لغه واحده،و الثانى أن يتساويا فى فهم المعنى منهما حال التخاطب بهما أو يقربا من التساوى.

تذنيب إذا كان أحد المترادفين أظهر فى الاستعمال عند قوم كان الجلى بالنسبه إلى الخفى شرحا له،و ربّما انعكس الأمر بالنسبه إلى قوم آخرين.

البحث الرابع فى أقسام التوكيد المؤكّد

إمّا أن يكون متقدّما على المؤكّد أو مؤخّرا عنه و الأوّل كصبغه إنّ و ما فى حكمها ممّا يدخل على الجمل،و أمّا الثانى فإمّا أن يؤكّد الشىء بنفسه أو بغيره،و الأوّل كقوله عليه السّلام و اللّه لأغزوّن قريشا ثلثا، و الثانى إمّا أن يختصّ بالمفرد كلفظ النفس و العين أو المثنّى ككلا و كلتا أو الجمع كأجمعون و أكتعون أبتعون أبصعون و كلّ هى امّ الباب.

البحث الخامس فى حسن استعماله

و الخلاف فيه مع الملحده الطاعنين فى الوحى و النزاع إمّا فى الجواز و هو معلوم بالضروره لأنّ شدّه اهتمام القائل بالكلام يدعوه إلى

تأكيده،و إمّا فى الوقوع و هو أيضا معلوم من اللغات بعد تصفّحها و هو و إن كان حسنا إلاّ أنّه إذا تعارض حمل الكلام على التأكيد أو على فائده زائده وجب صرفه إلى الفائده الزائده.

الفصل الخامس فى المشترک

اشاره

و فيه أبحاث.

البحث الأوّل فى حقيقته و إمكانه و وجوده

أمّا حقيقته فهو اللفظ الواحد الموضوع لحقيقتين مختلفتين أو أكثر وضعا أوّلا ـ من حيث هو كذلک،و قولنا موضوع لحقيقتين مختلفتين احتراز عن الأسماء المفرده،و قولنا وضعا أوّلا ـ احتراز عمّا يدلّ على الشىء بالحقيقه و على غيره بالمجاز،و قوله من حيث هو كذلک احتراز عن اللفظ المتواطى فإنّه يتناول المهيّات المختلفه لكن لا ـ من حيث هى مختلفه بل من حيث إنّها مشترکه فى معنى واحد، و أمّا إمكانه فمن وجوه.

أحدها أنّ الوضع تابع لغرض المتكلّم،و قد يكون للإنسان غرض فى تعريف غيره شيئا على التفصيل،و قد يكون غرضه تعريفه على سبيل الإجمال بحيث يكون ذكره بالتفصيل سببا للمفسده،و الثانى أنّه ربما لا يكون المتكلّم واثقا بصحّه الشىء على التعيين إلاّ أنّه يكون واثقا بصحّه أحد المعنيين لا محاله فحينئذ يطلق اللفظ المشترک كيلا يعدّ بتصريحه بأحد المعنيين كاذبا و بسكوته جاهلا،الثالث أنّه يجوز أن يضع أحد قبيلتين ذلک اللفظ لمعنى ثمّ تضعه قبيله اخرى لمعنى آخر ثمّ يشبه الوضعان و يخفى كونه موضوعا منهما،و أمّا وجوده فهو معلوم بالضروره إذ من خواصّ اللفظ المشترک أنّه إذا اطلق لم يتبادر الذهن إلى أحد مفهوميه دون الآخر بل يبقى الذهن عند سماعه متردّدا فى تعيين المراد منه إلى ظهور القرينه المعيّنه له و ذلک ظاهر الوجود كلفظ القرء للحيض و الطهر و إن كان ذلک أيضا قد يختلف بحسب كثره الاستعمال فى أحد المعنيين و قلّته إلاّ أنّه يكفينا فى ذلک تردّد بعض الأذهان فيه.

البحث الثانى فى أقسامه مفهوما

اللفظ المشترک إمّا أن يكونا متباينين أو متواصلين و الأوّل كالطهر و الحيض،و الثانى إمّا أن يكون أحدهما جزءا من الآخر أو لا يكون،و الأوّل كالممكن لغير الممتنع و لغير الضرورىّ،و الثانى إمّا أن يكون أحدهما علّه للآخر

أو صفه له و الأوّل كلفظ الواجب بالذات و الواجب بالغير،و الثانى كلفظ الأسود لذى السواد المسمّى أسود.

تنبيهان أحدهما إذا نسبت ذا السواد المسمّى أسود إلى ما يشاركه فى لونه كالقار كان إطلاق لفظ الأسود عليهما من تلك الجهه بالتشكيك و إن اعتبرته من جهه اسمه كان مقولا عليهما بالاشتراك،الثانى قال فخر الدين-رحمه اللّه-:النقيضان لا يجوز أن يوضع لهما لفظ واحد لأنّ المشترك لا يفيد إلاّ الترديد و هو بين النفى و الإثبات أمر حاصل معلوم لكلّ أحد،و فيه نظر لأنّ الأسباب الّتى ذكرنا أنّه يجوز أن يكون أسبابا لوضع اللفظ المشترك عامّه لا تخصّ ببعض المعانى دون البعض و لأنّه إذا جاز وضع اللفظ الواحد للمعنى و ضدّه الّذى هو فى قوّه نقيضه كالقرء للحيض و الطهر إذا كان المحلّ لا يخلو عن أحدهما و الترديد بينهما معلوم لكلّ أحد فلم لا يجوز مثله فى النقيضين و اللّه أعلم.

البحث الثالث فى أسبابه

أمّا أسباب وجوده فيشبه أن يكون السبب الأكثرى فيه هو أن يضعه كلّ واحده من قبيلتين لمعنى ثمّ يشيع الوضعان و لا يتميّزان،و أمّا السبب الأقلّى فأن يضعه واحد لمعنيين لغرض التكلّم باللفظ المجمل و قد مرّ أنّ التكلّم باللفظ المجمل من مقاصد العقلاء.و أمّا السبب الّذى يعرف به وجوده فإمّا تصريح أهل اللغه بذلك أو تساوى المفهومين بالنسبه إلى السامع عند إطلاق اللفظ و تردّد ذهنه فى أيّهما المراد بعد العلم بالوضع لهما.

البحث الرابع فى أنّه هل يجوز استعمال اللفظ المشترك فى معانيه على الجمع

أم لا جوّز ذلك الشافعى و أبو بكر الباقلانى و أبو على الجبائى و القاضى عبد الجبار،و منع منه أبو هاشم و أبو الحسين البصرى و الكرخى ثمّ منهم من منع منه لأمر يرجع إلى القصد و منهم من منع منه لأمر يرجع إلى الوضع و هو اختيار الإمام فخر الدين-رحمه اللّه-حجّه المجوّزين من وجهين أحدهما أنّ الصلاه من اللّه رحمه و من الملائكه استغفار ثمّ إنّ اللّه تعالى أراد بهذه اللفظ كلى معنييها فى قوله «إِنَّ اللّهَ وَ مَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ» ١الثانى قوله تعالى «أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ» ٢الآيه

و السجود هاهنا مشترک بین الخشوع لأنّه هو المتصوّر من الملائکه و بین وضع الجبهه علی الأرض فی حقّ الناس و بین شهاده الحال بالحاجه إلی الصانع لأنّه هو المتصوّر من الجمادات ثمّ إنّ اللّه تعالی أراد به کلّ معانیه فی هذه الآیه.

حجّه المانعین أنّ المجموع غیر کلّ واحد واحد فالواضع إذا وضع لفظ المعنیین علی الانفراد فإمّا أن یضعه مع ذلک لمجموعهما أو لا یضعه فإن لم یضعه له کان استعماله فیه استعمالا للفظ فی غیر ما وضع له و أنّه غیر جائز و إن وضعه له فإذا استعمله فبه فإمّا أن یستعمله فیه لإفادته بانفراده فیکون ذلک استعمالا للفظ فی أحد مفهوماته لا فی کلّها، و إن استعمله لإفادته مع إفاده الأفراد فهو محال لأنّ استعماله لإفاده المجموع یستلزم عدم الاکتفاء بکلّ واحد من الأفراد و استعماله لإفاده الأفراد یستلزم الاکتفاء بکلّ واحد من الأفراد و الاکتفاء بکلّ واحد من الأفراد مع عدم الاکتفاء بکلّ واحد منها ممّا لا یجتمعان،و أقول:إنّ محلّ النزاع فی هذا البحث غیر ملخّص،فإنّه إن ارید أنّه یجوز استعماله فی مدلولاته علی الجمیع مطابقه فلیس بحقّ لما یلزم المستعمل له کذلک من التناقض فی القصد إلی المجموع و إلی الأفراد،و إن ارید أنّه یجوز استعماله فیها علی الجمیع لإفادتها کیف اتّفق فذلک جائز إذ یصحّ استعماله فی المجموع مطابقه مع دلالتها علی الأفراد تضمّنا،و قول المانع إنّه إذا لم یکن الواضع وضع اللفظ للمجموع کما وضعه للأفراد امتنع استعماله فیه إن أراد به حقیقه فهو حقّ،و إن أراد أنّه یمتنع استعماله فیه مجازا فهذا ممّا لا یقتضیه حجّته.

و أمّا حجج المجوّزین فضعیفه أمّا الاولی فلأنّ ضمیر الجمع فی قوله تعالی «سَیَصْلَوْنَ» بمنزله الضمائر المتعدّده المقتضیه للأفعال المتعدّده الّتی یراد بکلّ واحد منها معنی غیر ما یراد بالآخر و التقدیر إنّ اللّه یصلّی و ملائکته تصلّی،و أمّا الثانیه فلأنّ العطوف المتعدّده تستدعی تعدّد الأفعال فتقدیر قوله« «وَ لِلّٰهِ یَسْجُدُ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ» من فی «الْأَرْضِ» »أی و یسجد من فی الأرض و کذا الباقی،و المراد بکلّ منها المعنی الّذی تقتضیه القرینه ثمّ لو سلّمنا أنّها استعملت فی کلّ مفهوماتها لکنّه یکون مجازا و إلاّ لزم التناقض کما هو مذکور فی حجّه المانعین و باللّه التوفیق.

البحث الخامس فيما يتعيّن به مراد اللافظ باللفظ المشترک.

اللفظ المشترک إن لم تقرن به قرينه تخصّص أحد معنييه بالمراد به بقى مجملا و إن وجدت قرينه كذلک فإمّا أن تقتضى الاعتبار أو الإلغاء و على التقديرين فإمّا لكلّ المسّميات أو لبعضها فهذه أقسام أربعه فالأوّل أن تفيد اعتبار كلّ واحد فتلک المسّميات إمّا أن تكون متنافيه بحيث لا يمكن الجمع بينها فيبقى اللفظ مجملا إلى ظهور المرجّح و إن لم تكن متنافيه حمل اللفظ على مجموعها مجازا،الثانى أن تفيد إلغاء كلّ واحد فحينئذ يجب حمل اللفظ على مجازات تلک الحقائق الملغاه ثمّ إمّا أن يكون بعض تلک الحقائق أرجح من بعض لو لم يقم الدليل على عدم إرادتها أو لا يكون فإن كان الأوّل فمجازاتها إمّا أن يتساوى فى القرب من الحقائق فيتعيّن حمل اللفظ على مجاز الحقيقه الراجحه أو يتفاوت المجازات فإن كان الراجح منها هو مجاز الحقيقه الراجحه تعيّن الحمل عليه أو مجاز الحقيقه المرجوحه فيقع التعارض بينه و بين مجاز الحقيقه الراجحه لاختصاص كلّ منهما بنوع ترجيح إلى أن يظهر مرجّح آخر،و أمّا إن تساوت الحقائق فإن اختلفت مجازاتها بالقرب و البعد منها حمل اللفظ على المجاز الأقرب و إن لم يختلف بقى التعارض بين مجازات تلک الحقائق لتساويها و تساوى حقائقها إلى أن يظهر الترجيح.

الثالث أن تفيد إلغاء البعض فإن كانت اللفظه مشترکه بين معنيين فقط تعيّن الحمل على الثانى و إن كانت الأكثر من معنيين فعند إلغاء بعضها إن كان الباقى واحد تعيّن الحمل عليه أو أكثر من واحد فيبقى اللفظ مجملا فيها.

الرابع أن تفيد اعتبار البعض فيتعيّن الحمل عليه سواء كانت اللفظه لمعنيين أو أكثر.

القسم الثانى فى كيفيّات تلحق الألفاظ بالنسبه إلى معانيها

اشاره

فتوجب لها الحسن و الزينه و تعدّها أتمّ الأعداد لأداء المعانى و تهيّىء الذهن للقبول و هو مرتّب على مقدّمه و جملتين.

أمّا المقدّمه

اشاره

ففيها بحثان.

البحث الأوّل فى حدّ البلاغه و الفصاحه

،أمّا البلاغه فهى مصدر قولک بلغ الرجل بالضمّ إذا صار بليغا و هو أن يبلغ بعبارته أقصى مراده باللفظ من غير إيجاز مخلّ

و لا تطويل مملّ،و أمّا الفصاحه فهو خلوص الكلام من التعقيد و أصله من الفصيح و هو اللبن إذا اخذت رغوته و ذهب لباؤه و قد فصح و أفصح إذا صار كذلك و أفصحت الشاه فصح لبنها ثمّ قالوا أفصح العجميّ فصاحه فهو فصيح إذا خلصت لغته عن اللكنه و اللحن،ثمّ إنّ الفصاحه عند أربابها ليست باستعمال الشوارد الّتى لا تفهم و إنّما هى باستعمال ما يقرب فهمه و يعذب استماعه و يعجب ابتداعه و تدلّ مطالعه على مقاطعه و تتمّ مباديه على تواليه،و أكثر البلغاء لا يكادون يميّزون بين البلاغه و الفصاحه بل يستعملونهما استعمال اللفظين المترادفين على معنى واحد و منهم من يجعل البلاغه فى المعانى و الفصاحه فى الألفاظ،و الأقرب أنّ الفصاحه سبب للبلاغه،و البلاغه أعمّ منها لغه إذ قد يبلغ غير الفصيح بعبارته أقصى مراده،و مساويه لها فى عرف العلماء.و تلخيص مفهوميهما أنّ الفصاحه هى خلوص الكلام فى دلالته على معناه من التعقيد الموجب لقرب فهمه و لذاذه استماعه،و البلاغه هى كون الكلام الفصيح موصلا للمتكلّم إلى أقصى مراده و باللّه التوفيق.

البحث الثانى فى موضوع علم الفصاحه و البلاغه

لمّا كان المقصود من الكلام هو إفاده المعنى و كانت هذه الإفاده كما علمت قد تكون وضعيّه صرفه و قد تكون بمشاركه من الوضع و العقل فنقول:موضوع علم الفصاحه هو الكلام الدالّ على معناه بإحدى الدلالات الثلاث من حيث هو على حاله موجبه لقرب فهمه و لذاذه استماعه،و موضوع البلاغه هو الكلام الفصيح،و قال الإمام:إنّ الفصاحه و البلاغه إنّما يكون موضوعهما الكلام من جهه دلالته بالالتزام و ذلك لأنّ الإفاده الوضعيّه يستحيل تطرّق الزياده و النقصان إليها فإنّ السامع للفظ الموضوع إن كان عالما بكونه موضوعا لمعناه علم مفهومه بتمامه و إن لم تكن عالما بالوضع لم يتصوّر منه شيئا مثاله إنّك إذا أردت تشبيه زيد بالأسد فى الشجاعه و قصدت التعبير عن هذا المعنى بالدلاله الوضعيّه فقلت زيد يشبه الأسد فى شجاعته فالزياده و النقصان فى هذه الإفاده بما يعود إلى مفردات هذه الألفاظ غير متصوّرين و لو أقمت مقام هذه الألفاظ ما يراد فها فالحال كذلك للدليل المذكور،و تبيّن من هذا أنّ الإيجاز و الاختصار و الحذف و الإضمار يستحيل تطرّقها إلى الدلالات الوضعيّه،و لهذا كان أكثر ما يستعمل فى العلوم العقليّه الدلالات الوضعيّه لعدم احتمالها الزياده و النقصان الموجبين

للغلط و الشبهه،و أمّا الإفاده الاخرى فلأجل أنّ حاصلها يعود إلى انتقال الذهن من مفهوم اللفظ إلى ما يلازمه،ثمّ إنّ اللوازم كثيره و هى تاره تكون قريبه و تاره تكون بعيده فلا جرم صحّ تأديه المعنى الواحد بطرق كثيره و صحّ فى تلك الطرق أن يكون بعضها أكمل فى إفاده ذلك المعنى و بعضها أنقص.فهذا ما يتعلّق بالفصاحه من جهه المفردات و أقول:إنّ التحقيق يقتضى أنّ الزياده و النقصان ممّا يتطرّقان إلى الإفاده الوضعيّه أيضا فإنّ الإمام سلّم أنّ بعض الحروف أفصح جرسا و ألذّ سماعا كالعين،و بعضها أسهل على اللسان كحروف الذلاقه و بعضها أثقل،و لا شكّ أنّ الكلام المركّب عن أسهل الحروف و ألذّها سماعا أفصح و ألذّ سماعا عند النفس ممّا لا يكون كذلك،و سلّم أيضا أنّ الأفصح أدلّ على المعنى و أسرع إلى قبول النفس له ممّا لا يكون كذلك و ليس سبق العلم بالوضع قادحا فيما ذكرناه لأنّ الإنسان قد يسبق علمه بوضع اللفظ ثمّ يذهل عنه فعند سماعه يجد نفسه مسارعه إلى قبول المعنى من الأفصح دون غيره و ملتذّه بسماعه بسبب فصاحته و لا معنى لزياده الإفاده و رجحانها إلاّ ما يحصل للنفس من اللذّه بالمعنى و المسارعه إلى قبوله بتمامه من اللفظ الأسهل.و اللّه أعلم.و أمّا البلاغه العائده إلى النظم و التركيب فتحقيق القول فيها أنّ الكلام المنظوم لا محاله مركّب من المفردات،و المفردات يمكن تركيبها على وجه لا يفيد المقصود،و قد يمكن تركيبها على وجه يفيده ثمّ للتركيب المفيد مراتب كثيره و لها طرفان و وسط فالطرف الأعلى هو أن يقع ذلك التركيب على وجه يمتنع أن يوجد ما هو أشدّ تناسبا و اعتدالا منه فى إفاده ذلك المعنى و الطرف الأدنى هو أن يقع على وجه لو صار أقلّ تناسبا منه لخرج عن كونه مفيدا لذلك المعنى و بين هذين الطرفين مراتب و اختيار أحسنها يقتضى الفصاحه فى النظم و هذا معنى قول عبد القاهر الجرجانى-رحمه اللّه-النظم عباره عن توخّى معانى النحو فيما بين الكلم.إذا ثبت هذا فنقول:أمّا الطرف الأدنى فليس من البلاغه فى شىء و أمّا ساير المراتب فإنّ كلّ واحد منها إذا اعتبرته بالنسبه إلى ما تحته يكون مستلزما للبلاغه و الفصاحه،و أمّا الطرف الأعلى و ما يليه فهو المعجز فهذا هو التحقيق فى البلاغه و الفصاحه فى المفردات و المركّبات

الجمله الاولى فى المفردات

اشاره

و فيها مقدّمه و أبواب.

ص:٢٠

أمّا المقدّمه

فاعلم أنّ للأشياء فى الوجود أربع مراتب الأوّل وجودها و تحقّقها فى الأعيان،الثانى وجودها فى الذهن،الثالث وجودها فى اللفظ الدالّ على ما فى الذهن،الرابع وجودها فى الكتابه الدالّه على ما فى اللفظه،و مزيّه الكلام فى الحسن تاره تكون بسبب الكتابه و تاره تكون بسبب اللفظ من حيث هو لفظ و تاره بحسب اللفظ من حيث له الدلاله الوضعيّه و تاره بحسبه من حيث له الدلاله الإلتزاميّه،و لمّا كانت المحاسن العائده إلى الكتابه لا تخلو عن تكلّف ما و كان الكلام الّذى نحن بصدد شرحه بريئا عن التكلّف خاليا عن جهات التعسّف لا جرم كان ذكرنا لها قليل الجدوى فلذلك تركناه.

الباب الأوّل فى المحاسن العائده إلى اللفظ

من حيث هو لفظ،و اعلم أنّ المحاسن العائده إلى اللفظ إمّا أنّ تعود إلى آحاد الحروف أو إلى حال تركيبها أو إلى الكلمه الواحده أو إلى الكلمات الكثيره فلا جرم اشتمل هذا الباب على فصلين.

الفصل الأوّل فيما يتعلّق بآحاد الحروف و تركيبها

و حال الكلمه و فيه أبحاث.

البحث الأوّل فى مخارج الحروف و هى ستّه عشر

١أقصى الحلق و هو مخرج ثلاثه حروف الهمزه و الألف و الهاء(ب)وسط الحلق و هو مخرج الحرفين العين و الهاء(ج)أدناه إلى الفم و هو مخرج للغين و الخاء(د)اللسان فما فوقه من الحنك و هو مخرج القاف(ه)أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا و ممّا يليه من الحنك و هو مخرج الكاف(و)من وسط اللسان بينه و بين وسط الحنك و هو مخرج الجيم و الشين و الياء(ز)أوّل حافه اللسان و ما يليها من الأضراس و هو مخرج الضاد(ح)حافه اللسان من أدناه إلى منتهى طرف اللسان ما بينها و بين ما يليها من الحنك الأعلى فما فويق الضاحك و الناب و الرباعيّه و الثنيّه و هو مخرج اللام(ط)من طرف اللسان بينه و بين ما فويق الثنايا مخرج النون(ى)مخرج النون غير أنّه دخل فى ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام و هو مخرج الراء(يا)فيما بين طرف اللسان و فويق الثنايا مخرج الطاء و التاء و الدال(يب)فيما بين طرف اللسان و أطراف الثنايا مخرج الزاء و السين و الصاد(يح)فيما بين طرف اللسان و الطرف الأدنى من الثنايا مخرج الظاء و الثاء و الذال(يد)من باطن الشفه السفلى و أطراف الثنايا العليا مخرج

الفاء(يه)ما بين الشفتين مخرج الباء و الميم و الواو(يو)من الخياشيم مخرج النون الخفيفه قال الخليل:الذلاقه فى النطق إنّما هى بطرف أسلّه اللسان،و ذلق اللسان تحديد طرفه كذلق السنان قال:لا ينطق طرف شباه اللسان إلاّ بثلاثه أحرف و هى الراء و اللام و النون فلذلك تسمّى هذه حروف الذلاقه و يلحق بها الحروف الشفهيّه و هى ثلاثه الفاء و الباء و الميم قال:و لمّا ذلقت هذه الحروف و سهلت على اللسان فى المنطق كثرت فى أبنيه الكلام فليس شىء من بناء الخماسىّ التامّ يعرى عنها فإن وردت عليك كلمه خماسيّه أو رباعيّه معرّاه عن حروف الذلق أو عن الحروف الشفهيّه فاعلم أنّ تلك الكلمه محدثه مبتدعه ليست من كلام العرب،و قال أيضا:

العين و القاف لا يدخلان فى بناء إلاّ حسّناه لأنّهما أطلق الحروف أمّا العين فأفصح الحروف جرسا و ألذّها سماعا،و أمّا القاف فأمتن الحروف و أوضحها جرسا فإذا كانتا أو إحداهما فى بناء حسن البناء،و كذلك السين و الدال فى البناء إذا كان اسما لأنّ الدال لانت عن صلابه الطاء و كزازتها و ارتفعت عن خفوت التاء فصارت حال السين بين مخرج الصاد و الزاء كذلك قال،و الهاء تحتمل فى البناء للينها و هشاشتها،و لا بدّ من رعايه هذه الاعتبارات ليكون الكلام سلسا على اللسان و هى كالشروط للفصاحه و البلاغه.

البحث الثانى فى المحاسن بسبب آحاد الحروف و شروط تركيبها

أمّا الأوّل فمنها الحذف،و هو أن يحترز عن حرف أو حرفين فى الكلام إظهارا للمهاره فى تلك اللغه كان واصل ألثغ و كان يحترز عن الراء فجرّب فى أنّه كيف يعبّر عن معنى قولنا اركب فرسك و اطرح رمحك فقال فى الحال الق قناتك و اعل جوادك،و الحريرى بلغ الغايه حيث ذكر أشعارا حذف عنها الحروف المنقوطه و أشعارا حذف عنها غير المنقوطه،و منها الأعنات و هو التزام حرف قبل حرف الروىّ أو الردف من غير أن يجب ذلك فى السجع كقوله تعالى «فَأَمَّا اَلْيَتِيمَ فَلاٰ تَقْهَرْ وَ أَمَّا اَلسّٰائِلَ فَلاٰ تَنْهَرْ» ١و قول على عليه السّلام فى مدح النبىّ صلى اللّه عليه و آله و سلم بلغ عن ربّه معذرا و نصح لأمته مبذرا و أمّا الثانى فالشرط أن يكون التركيب معتدلا فإنّ من التركيب ما يكون متنافرا كقوله.

و قبر حرب بمكان قفر و ليس قرب قبر حرب قبر.

ص:٢٢

و أن يكون خفيفا فإنّ منها ما يكون ثقيلا و إن كان دون الأوّل كقول أبى تمام كريم متى أمدحه أمدحه و الورى جميعا و مهما لمته لمته وحدى

و منها ما يكون فيه بعض الكلفه إلاّ أنّه لا يبلغ أن يعاب و السبب فى هذا التنافر إمّا تقارب مخارج الحروف فيحتاج فيها إلى جنس الصوت فى زمانين متلاصقين فلا يظهر الحرف الأوّل،و إمّا وجوب العود إلى مامنه الابتداء كقولهم:الهعخع و هذه الدرجات كما تترتّب فى جانب الثقل فهى موجوده فى جانب السلاسه حتّى أنّ الكلمه تكون فى غايه السلاسه.

البحث الثالث فيما يتعلّق بالكلمه الواحده

و هو من وجهين الأوّل أن تكون متوسّطه فى قلّه الحروف و كثرتها فأمّا الحرف الواحد فلا يفيد و أمّا المركّبه عن الحرفين فليس فى غايه العذوبه بل البالغ فى ذلك الثلاثيّات لاشتمالها على المبدأ و الوسط و النهايه و علّته أنّ الصوت من عوارض الحركه و الحركه لا بدّ لها من هذه الثلاثه فمتى ظهرت هذه الثلاثه فيها كان الكلام أسهل جريانا على اللسان،و أمّا الرباعيّات و الخماسيّات فلا يخفى ثقلها لزيادتها على الدرجات الثلاث الّتى يتعلّق بها كمال الصوت،الثانى الاعتدال فى حركات الكلمه فإذا توالت خمس حركات كان ذلك فى غايه الخروج عن الوزن و لذلك لا يحتملها الشعر،و أمّا أربع حركات فهى فى غايه الثقل أيضا بل المعتدل توالى حركتين يعقّبها سكون و إن كان و لا بدّ فإلى ثلاث حركات.

الفصل الثانى فيما يتعلّق بالكلمات المركّبه

و فيه نوعان.

النوع الأوّل ما يكفى فى تحققه اعتبار حال كلمتين

و فيه أربعه أبحاث.

البحث الأوّل فى التجنيس:

المتجانسان إن كانا مفردين فإن تساويا فى نوع الحروف و الحركات و عدادها و هيئاتها فهو التجنيس التامّ كقولهم:حديث حديث،و كقول الحريرىّ:

و لأملاء الراحه من استوطأ الراحه و إن اختلفا فإمّا فى هيئه الحركه كقولهم:جبّه البرد جنّه البرد،أو فى الحركه و السكون كقولهم:البدعه شرك الشرك أو فى التخفيف كقولهم:الجاهل إمّا مفرّط و إمّا مفرط و يسمّى ذلك التجنيس الناقص،أو فى أعداد الحروف بأن تتساوى الكلمتان فى نفس الحروف و هيئاتها ثمّ تزيد فى إحداهما حرف ليس فى

الاخرى أو يسمّى المزيل فإمّا فى أوّل الكلمه كقوله تعالى« «وَ الْتَفَّتِ السّاقُ بِالسّاقِ إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَساقُ» » ١و فى وسطها كقولهم:كبد كبيد،أو فى آخرها كقول بعضهم فلان سال من أحزانه سالم من زمانه،و قول أبى تمام:

يمدون من ايد عواص عواصم تصول بأسياف قواض قواضب

و أمّا إن يختلفا فى أنواع الحروف و قد يكون بحرف واحد و قد يكون بحرفين و يسمّى المضارع و المطرف و ما به الاختلاف قد يكون فى أوّل الكلمه كقولهم بينى و بينهم ليل دامس و طريق طامس،أو فى وسطها من حرفين متقاربين كقولهم ما خصّصتنى و لكن خسّستنى،أو فى آخرها كقول النبىّ صلى اللّه عليه و آله:الخير معقود بنواصى الخيل،و قد يكون الاختلاف بحرفين غير متقاربين و هو إمّا فى آخر الكلمه كقوله تعالى« «وَ إِذا جاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ» » ٢أو فى وسطها كقوله تعالى« «وَ إِنَّهُ عَلى ذلِكَ لَشَهِيدٌ وَ إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ» » ٣أو فى أوّلها كقول الحريرىّ لا أعطى زمامى من يخفر ذمامى،ثمّ المتجانسات إمّا أن يكون بعضها فى مقابله البعض حال التسجيع و هو ظاهر أو يضمّ بعضها إلى بعض فى أواخر الأسجاع و يسمّى مزدوجا و مكرّرا كقولهم:النبيذ بغير نغم غمّ و بغير دسم سمّ و كقولهم:من طلب شيئا و جدّ وجد،و من قرع بابا و لجّ ولج،و من التجنيس ما يكون بالإشاره دون التصريح كقولهم:حلقت لحيه موسى باسمه و بهارون إذا ما قلّبا،و قد يكون التجنيس بحيث يتجاذبه أصلان و يسمّى المشوّش كقولهم فلان مليح البلاغه كامل البراعه فلو اتّحدت عينا الكلمتين كان مصحّفا و لو اتّفقت لا ما هما كان مضارعا،و أمّا إن كان المتجانسان مركّبين فإمّا أن يكونا متشابهين خطّا فقط دون اللفظ و يسمّى المصحف كقول على عليه السّلام:قصّر ثيابك فإنّه أبقى و أتقى و أنقى،و كقولهم:عزّك غرّك فصار قصار ذلك ذلّك فاخش فاحش فعلك فعلّك تهدا بهذا،أو لفظا فقط و يسمّى المفروق كقوله كلّكم قد أخذ الجام فلا جام لنا ما الّذى ضرّ مدير الجام لو جاملنا،

أو خطّا و لفظا و يسمّى المقرون كقوله إذا لم يكن ملك ذاهبه فدعه فدولته ذاهبه.

ص:٢۴

البحث الثانی فی الاشتقاق

و أمّا الاشتقاق فهو أنّ تأتی بألفاظ یجمعها أصل واحد باللغه کقوله تعالی« «فَأَقِمْ وَجْهَکَ لِلدِّینِ الْقَیِّمِ» » ۱و قول النبیّ صلی اللّه علیه و آله:الظلم ظلمات یوم القیامه،و قول علیّ علیه السّلام:جاهل خباط جهلات عاش رکاب عشرات،و أمّا ما یشبه لمشتقّ کقوله تعالی« «وَ جَنَی الْجَنَّتَیْنِ دانٍ» » ۲و« «قالَ إِنِّی لِعَمَلِکُمْ مِنَ الْقالِینَ» ».

البحث الثالث فی ردّ العجز علی الصدر

،و رسمه أنّه کلّ کلام وجد فی نصفه لأخیر لفظ یشبه لفظا موجودا فی نصفه الأوّل و له عدّه أقسام أ أن یتّفق لفظا الصدر العجز صوره و معنی و یکونان طرفین الأوّل فی أوّل الکلام،و الثانی فی آخره کقولهم:الحیله ؟؟رک الحیله،و قولهم:القتل أنفی للقتل،و کقول القائل.

سکران سکر هو و سکر مدامه أنّی یفیق فتی به سکران

(ب)أن یتّفقا صوره لا معنی و هما طرفان کقوله یسار من سجیّتها المنایا و یمنی من عطیّتها الیسار

(ج)بالعکس و یکونان طرفین أیضا کقول عمر بن أبی ربیعه:

و استبدّت مرّه واحده إنّما العاجز من لا یستبدّ

(د)أن یلتقیا فی الاشتقاق لا فی الصوره و هما طرفان أیضا کقول السری:

ضرائب ابدعتها فی السماح فلسنا نری لک فیها ضریبا

(ه)أن یلتقیا صوره و معنی و یکون أحدهما حشوا فی صدر البیت أو لآخر طرفا فی عجزه کقول أبی تمام:

و لم یحفظ مضاع المجد شیء من الأشیاء کالمال المضاع

(و)أن یقعا کذلک و یتّفقا صوره لا معنی کقول بعضهم:

لا کان إنسان یتمّ صائدا صید المها فاصطاده إنسانها

(ز)أن یقعا کذلک و یلتقیا معنی لا صوره کقول امرء القیس:

إذ المرء لم یخزن علیه لسانه فلیس علی شیء سواه بخزّان

(ح)أن یقعا طرفین فی آخر الصدر و العجر و یتّفقا صوره و معنی کقول أبی تمام:

و من كان بالبيض الكواكب مغرما فما زلت بالبيض الغواضب مغرما

ص:۲۵

(ط)أن يقعا كذلك و يتّفقا صوره لا معنى كقول الحريرىّ:

فمشعوف بآيات المثانى و مفتون برنّات المثانى

(ى)أن يقعا كذلك و يتّفقا فى الاشتقاق و يختلفا فى الصوره كقول البخترىّ:

ففعلك أن سئلت لنا مطيع و قولك أن سئلت لنا مطاع

(يا)أن يتّفقا فى شبه الاشتقاق و يختلفا صوره و معنى كقول الحريرىّ:

و مضطلع بتلخيص المعانى و مطّلع إلى تخليص عانى

(يب)أن يقع أحدهما فى أوّل العجز و الثانى فى آخره كقول الحماسى:

و إن لم يكن إلّا معرج ساعه قليلا فإنّى نافع لى قليلها

(يخ)أن يقعا و يلتقيا فى الاشتقاق دون الصوره كقول أبى تمام:

ثوى بالثرى من كان يحيى به الورى و يغمر صرف الدهر نائله الغمر

و وراء هذه الأقسام أقسام اخر لهذا النوع و فيما ذكرناه كفايه.

البحث الرابع فى القلب

و هو إمّا فى كلمه أو كلمات و الأوّل فإمّا أن يتقدّم كلّ واحد من حروفها على ما كان متأخّرا عنه و يسمّى مقلوب الكلّ كالفتح و الحتف فى قوله:

حسامك فيه للأحباب فتح و رمحك فيه للأعداء حتف

ثمّ إن وقع مثل هاتين الكلمتين على طرفى البيت سمّى مقلو بامجنّحا كقوله:

ساق هذا الشاعر الحين إلى من قلبه قاسى سارخى القوم فالهم علينا جبل راسى

أو يكون بعض حروفها كذلك فيسمّى مقلوب البعض كقوله عليه السّلام:اللّهم استر عوراتها و آمن روعاتنا،و أمّا فى الكلمات بحيث يكون قراءتها من أوّلها كقرائتها من آخر فكقول الحريرى:آس أرملا إذا عرا،و ارع إذا المرء اساء.

النوع الثانى ما يحتاج إلى أزيد من كلمتين

و فيه أبحاث.

البحث الأوّل فى السجع

و هو ثلاثه أقسام أحدها يسمّى المتوازى و هو أنّ تتساوى الكلمتان فى عدد الحروف و نوع الحرف الأخير كقول علىّ عليه السّلام:كثره الوفاق نفاق و كثره الخلاف شقاق،و كقوله عليه السّلام:فى أهل البصره عهدكم شقاق و دينكم نفاق و ماءكم زعاق.

و ثانيها المطرف و هو أن يختلفا فى العدد و يتّفقا فى الحرف الأخير كقوله عليه السّلام لاحم صدوع انفراجها و لائم بينها و بين أزواجها.

و ثالثها المتوازن و هو أن يتّفقا فى عدد الحروف و لا يتّفقا فى الحرف الأخير كقول علىّ عليه السّلام:الحمد للّه غير مفقود الإنعام و لا مكافؤ الإفضال،و يعرف المتكلّف من السجع بأمرين أحدهما أن يكون الحرف الأخير إنّما يحتاج إليه للتقفيه لا للمعنى،الثانى أن يترك معناه الأوّل لأجل التقفيه.

البحث الثانى فى تضمين المزدوج

و هو أن يجمع المتكلّم بعد رعايه السجع فى أثناء القرائن بين لفظتين متشابهتى الوزن و الروىّ كقوله تعالى« «وَ جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ» » ۱و قوله صلى اللّه عليه و آله:المؤمنون هيّنون ليّنون و كقول علىّ عليه السّلام:كثره الوفاق نفاق.

البحث الثالث فى الترصيع

و هو أن يتساوى أوزان الألفاظ و يتّفق أعجازها كقوله تعالى« «إِنَّ الْأَبْرارَ لَفِي نَعِيمٍ وَ إِنَّ الْفُجّارَ لَفِي جَحِيمٍ» » ۲و قول على عليه السّلام:علا بحوله و دنى بطوله مانح كلّ غنيمه و فضل و كاشف كلّ عظيمه و أزل،و قوله فى صفه الدنيا:أوّلها عناء و آخرها فناء فى حلالها حساب و فى حرامها عقاب،و قد يجىء مع التجنيس كقوله عليه السّلام:

فى كتاب اللّه بيت لا تهدم أركانه و عزّ لا تهزم أعوانه.

الباب الثانى فيما يتعلّق بالدلاله الوضعيّه و المعنويّه

و اعلم أنّ البحث عن حسن الدلاله اللفظيّه يرجع إلى اشتراط أربعه امور.

الأوّل أن تكون الكلمه عربيّه غير مولّده و لا صاره عن خطأ العامّه،الثانى أن يكون أجرى على مقائيس العرب و قوانينها،الثالث المحافظه على قوانين النحو،الرابع الاحتراز عن الألفاظ الغريبه الوحشيّه و لذلك كانت فى الكتاب العزيز نادره.

و أمّا الكلام فى الدلاله المعنويّه فاعلم أنّه لمّا كان الألفاظ المفرده لا تستعمل لإفاده مدلولاتها الإلتزاميّه إلاّ عند التركيب و كان الأصل فى أصناف التراكيب هو الخبر و هو الّذى يتصوّر بالصور الكثيره و تظهر فيه الأسرار العجيبه من علم المعانى و البيان رأينا أن نشير إلى قدر من مباحثه قبل الخوض فى ساير الأقسام و قد رتّبنا هذا الباب على فصول.

الفصل الأوّل فى أحكام الخبر

و فيه أبحاث.

ص:۲۷

البحث الأوّل فی رسم الخبر

و قد رسّم بأنّه القول الّذی یقال لقائله إنّه صادق فیما قاله أو کاذب،و أورد الإمام فخر الدین علیه شکّا فقال:الصدق و الکذب لا یمکن تعریفهما إلاّ بالخبر إذ یقال فی الصدق إنّه الخبر المطابق و فی الکذب إنّه الخبر الغیر المطابق،و تعریف الخبر بهما دور،و أجاب أفضل المتأخّرین نصیر الدین الطوسی-أبقاه اللّه-عنه فقال:

الحقّ أنّ الصدق و الکذب من الأعراض الذاتیّه للخبر فتعریفه بهما رسمی اورد تفسیرا للإسم و تعینا لمعناه من بین سایر المرکّبات و لا یکون ذلک دورا لأنّ الشیء الواضح بحسب مهیّته ربّما یکون ملتبسا فی بعض المواضع بغیره و یکون ما یشتمل علیه من أعراضه الذاتیّه الغنیّه عن التعریف أو غیرها ممّا یجری مجراها عاریا عن الالتباس فایراده فی الإشاره إلی تعیین ذلک الشیء إنّما یلخّصه و یجرّده عن الالتباس و إنّما یکون دورا لو کانت تلک الأعراض أیضا مفتقره إلی البیان بذلک الشیء و هاهنا إنّما یحتاج إلی تعیین صنف واحد من أصناف المرکّبات فیه اشتباه لأنّه لم یتعیّن بعد و لیس فی الصدق و الکذب اشتباه فیمکننا أن نقول:إنّا نعنی بالخبر الترکیب الّذی یشتمل حدّ الصدق و الکذب علیه کما لو وقع اشتباه فی معنی الحیوان فیمکننا أن نقول:إنّا نعنی به ما یقع فی تعریف الإنسان موقع الجنس و لا یکون دورا،و قیل فی تعریفه أیضا:إنّه القول المقتضی بصریحه إسناد أمر إلی أمر بالنفی أو الإثبات و أمّا تسمیه النحاه أحد جزء الخبر خبرا فمجاز.

البحث الثانی أنّه لیس الغرض الأوّل من وضع الألفاظ المفرده

إفادتها لمسمّاتها المفرده بیان ذلک أنّ إفادتها لها موقوفه علی العلم بکونها موضوعه لها و هو مستلزم للعلم بها قبل الوضع فلو توقّفت إفادتها علی الوضع لزم الدور و إنّه محال بل الغرض الأوّل منها تمکّن الإنسان من تفهّم ما یترکّب من تلک المسمّیات بواسطه ترکیب تلک الألفاظ المفرده لا یقال:

ما ذکرتموه قائم بعینه فی المرکّبات لأنّ اللفظ المرکّب لا یفید مدلوله إلاّ عند العلم بکون تلک الألفاظ موضوعه لتلک المعانی فلو استفدنا العلم بتلک المعانی من تلک الألفاظ لزم الدور لأنّا نقول:لا نسلّم أنّ الألفاظ المرکّبه لا تفید مدلولها إلاّ عند العلم بکون الألفاظ المرکّبه موضوعه له بیان ذلک أنّا متی علمنا وضع کلّ واحد من تلک الألفاظ المفرده لکلّ واحد من تلک المعانی

المفرده فإذا توالت الألفاظ المفرده بحركاتها المخصوصه على السمع ارتسمت المعانى المفرده فى الذهن مستلزمه للعلم بنسبه بعضها إلى بعض استلزاما عقليّا و ذلك هو التركيب فظهر أنّ استفاده العلم بالمعانى المركّبه لا يتوقّف على كون الألفاظ المركّبه موضوعه لها و باللّه التوفيق.

البحث الثالث فى الفرق بين الإخبار بالاسم و الإخبار بالفعل

قد عرفت أنّ الفعل مشعر بالزمان المعيّن دون الاسم فلذلك ظهر الفرق بين الإخبار به و الإخبار بالاسم فانّك إذا قصدت بالإخبار الإثبات المطلق غير المشعر بالزمان وجب أن تخبر بالاسم كقوله تعالى« «وَ كَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَيْهِ» » ١إذ ليس الغرض إلّا إثبات البسط لذراعى الكلب فأمّا تعريف زمان ذلك فغير مقصود فأمّا إن قصدت الإشعار بزمان ذلك الثبوت فالصالح له هو الفعل كقوله تعالى« «هَلْ مِنْ خالِقٍ غَيْرُ اللّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ» » ٢فإنّ تمام المقصود إنّما يتحصّل بكونه معطيا فى كلّ حين و أوان لا بمجرد كونه معطيا.

البحث الرابع فى حكم المبتدأ و الخبر:

متى اجتمعت الذات و الصفه فالذات أولى بالمبتدئيّه و الصفه أولى بالخبريّه ثمّ إمّا أن يكون الأمر فى اللفظ كذلك أو بالعكس،و الأوّل إمّا أن لا يدخل لام التعريف فى الخبر كقولك زيد منطلق و ذلك يفيد ثبوت مطلق الانطلاق لزيد من غير أن يفيد دوام ذلك الثبوت أو انقطاعه أو يدخله لام التعريف كقولك زيد المنطلق أو زيد هو المنطلق فاللام فى الخبر يفيد انحصار المخبر به فى الخبر عنه ثمّ إمّا أن يكون لام العهد كما إذا اعتقدت وجود انطلاق معيّن و لكن لا تعلم أنّ المنطلق زيد أو عمرو فإذا قلت زيد المنطلق عنيت أنّ صاحب ذلك الانطلاق هو زيد فقد انحصر ذلك الانطلاق فى زيد،و إمّا لتعريف الطبيعه فيفهم من وصفه الحصر ثمّ هو للحصر إن أمكن ترك الكلام على حقيقته كقولك زيد هو الوفىّ إذا لم تظنّ بأحد خيرا غيره و إلّا حمل الكلام على المبالغه كقولك زيد هو العالم و هو الشجاع لامتناع حصر الحقيقه فيه و أمّا إذا عكس و اخّرت الذات عن الصفه كقولك المنطلق زيد فذاك إنّما يقال إذا اعتقد معتقد أنّ إنسانا انطلق و لكن لا يعلم شخصه فيقال له المنطلق زيد أى الّذى تعتقد انطلاقه هو زيد ثمّ الضابط أنّ الإخبار يجب أن يكون عمّا يعرف بما لا يعرف له.

الفصل الثانی فی الحقیقه و المجاز

و فیه أبحاث.

البحث الأوّل فی معنی الحقیقه و المجاز و حدّهما.

الحقیقه فعلیه بمعنی مفعوله من الحقّ و هو الثبات و سمّی ما خالف المجاز حقیقه لأنّه مثبت معلوم الدلاله،و المجاز مفعل من جازه یجوزه إذا تعدّاه،و إذا عدل باللفظ عن وضعه اللغویّ وصف بأنّه مجاز بمعنی أنّ الذهن انتقل من لفظه إلی المعنی غیر معناه فصار موضع الانتقال و المجاوزه،و أمّا حدّ الحقیقه فأمّا فی المفردات فهی کلّ کلمه افید بها ما وضعت له فی أصل الاصطلاح الّذی وقع التخاطب به و یدخل فی ذلک الحقیقه اللغویّه و العرفیّه و الشرعیّه فأمّا فی الجمل فکلّ جمله وضعتها علی أنّ الحکم المفاد بها علی ما هو علیه فی العقل و واقع موقعه فهی حقیقه کقولنا:خلق اللّه العالم،و أمّا حدّ المجاز فأمّا فی المفرد أیضا و هو ما افید به معنی غیر ما اصطلح علیه فی أصل المواضعه الّتی وقع التخاطب بها لعلاقه بینه و بین الأوّل و یدخل فی ذلک المجاز اللغویّ و العرفیّ و الشرعیّ و أمّا فی الجمل فکلّ جمله خرج الحکم المفاد بها عن موضوعه فی العقل بضرب من التأویل فهو مجاز کقوله تعالی« «وَ أَخْرَجَتِ اَلْأَرْضُ أَثْقالَها» ».

البحث الثانی فیما به یتحقّق المجاز لا بدّ فیه من أمرین

أحدهما أن یکون منقولا عن معنی وضع اللفظ بإزائه و إلاّ لبقی حقیقته،الثانی أن یکون ذلک النقل لمناسبه بین المعنیین و إلاّ لکان فی الثانی مرتجلا،و بهذا یظهر الفرق بین المجاز و الکذب و الدعوی الباطله،و ذلک لأنّ المبطل إذا أخرج الحکم عن موضعه و أعطاه غیر المستحقّ لم یعرف أنّه إنّما أعطاه لکونه فرعا لأصل بل یجزم بأنّ ثبوت الحکم فی ذلک الموضع ثبوت أصلی و کذلک الکاذب یدّعی أنّ الأمر علی ما وضعه و لیس هو من التأویل فی شیء و المجاز لم یکن مجازا لأنّه إثبات الحکم لما لا یستحقّه للمناسبه بینه و بین المستحقّ.

البحث الثالث فی أقسام المجاز:

المجاز إمّا أن یقع فی اللفظ المفرد فقط أو فی المرکّب فقط أو فیهما معا مثال الأوّل إطلاق لفظ الأسد علی الرجل الشجاع و الحمار علی البلید، و أمّا الثانی و هو أن یستعمل کلّ واحد من الألفاظ المفرده فی موضعه الأصلی لکنّ الترکیب لا یکون مطابقا لما فی الوجود مثاله قوله تعالی« «وَ أَخْرَجَتِ اَلْأَرْضُ أَثْقالَها» »و قول الشاعر:

أشاب الصغير و أفنى الكبير كرّ الغداه و مرّ العشيّ

و هذا المجاز عقليّ لأنّ نسبه الإخراج إلى الأرض و الإشابه إلى كرّ الغداه و مرّ العشى حكم عقلى عدل به عن الفاعل الحقيقى و هو اللّه سبحانه إلى غير من هو له و هو الأرض و الغداه و العشيّ مثال الثالث كقولك لمن تحبّه أحيانى اكتحالى بطلعتك فإنّ لفظى الإحياء و الاكتحال مفرد ان استعملا فى غير موضوعهما الأصلى ثمّ نسب الإحياء إلى الاكتحال مع عدم المطابقه لما فى نفس الأمر أيضا و هذا التلخيص لعبد القاهر النحوى.

البحث الرابع فى أصناف المجاز

و الّذى ذكره الإمام فخر الدين منها إثنا عشر صنفا ١إطلاق اسم السبب على المسبب،و الأسباب أربعه أحدها الفا عليّ كاطلاق اسم النظر الّذى هو تقليب الحدقه نحو المرئيّ على الرؤيه كقولك نظرته أى رأيته،الثانى الغائى كتسميتهم العنب بالخمر،و الثالث الصورى كتسميتهم القدره يد،الرابع القابلى كقولهم سال الوادى(ب) إطلاق المسبّب على السبب كتسميتهم المرض الشديد بالموت و الأوّل أولى لاستلزام السبب المعيّن للمسبّب المعيّن من غير عكس،و أولى الأسباب بذلك هو السبب الغائى لحصول علاقه العليّه و المعلوليّه اللتين كلّ واحده منهما علّه لحسن المجاز فيه دون باقى الأسباب(ج)إطلاق اسم الشىء على ما يشابهه كإطلاق لفظ الحمار على الرجل البليد و هو الاستعاره كما سيجىء بيانها(د)تسميمه الشىء باسم ضدّه كتسميه العقاب بسبب الجريمه بالجزاء المختصّ بمقابله الإحسان بمثله(ه)تسميه الجزء باسم الكلّ كإطلاق لفظ العامّ على الخاصّ(و)العكس كإطلاق لفظ الأسود على الزنجى لسواد جلده و الأوّل أولى لاستلزام الكلّ للجزء من غير عكس (ز)إطلاق ما بالفعل على ما بالقوّه كتسميه الخمر فى الدنّ مسكرا و هو قريب من إطلاق السبب الغائى على مسبّبه(ج)إطلاق المشتقّ بعد زوال المشتقّ منه كإطلاق لفظ ضارب على من فرغ من الضرب و قد عرفت أنّ ذلك هل هو مجاز أم حقيقه(ط)إطلاق اسم المجاور على مجاوره كإطلاق لفظ الروايه و هو الجمل الّذى يحمل عليه الماء على المزاده(ى)إطلاق اسم الحقيقه العرفيّه كالدابّه للفرس على الحمار و غيره مجازا عرفيّا(يا)المجاز بسبب النقصان و الزياده قال الإمام و تحقيقه أنّ الكلمه كما أنّها توصف بالمجاز لنقلها عن

معناها فقد توصف بالمجاز لنقلها عن حكم كان لها إلى حكم ليس هى بحقيقه فيه كقوله تعالى« «وَ سْئَلِ الْقَرْيَهَ» »و التقدير و اسأل أهل القريه و الّذى يستحقّه فى الأصل الجرّ،و النصب فيها مجاز،و فيه نظر لأنّ الإعراب لا يراعى فيه صدق النسبه و كذبها و المطابقه و عدمها فإنّك لو قلت لمست السماء كان السماء مفعولا به للفعل المتقدّم و يستحقّ النصب حقيقه و كذلك القريه هاهنا تستحقّ النصب حقيقه بالمفعوليه أمّا أنّ النسبه فى نفسها صادقه أم لا فذاك بحث آخر بل الحقّ أنّه مجاز فى التركيب و النسبه فإنّ نسبه السؤال إلى أهل القريه حقيقه فيكون إليها مجازا و إن قطعنا النظر عن مباحث النحاه أمكن أن يكون الحقّ ما قاله الإمام،و أمّا المجاز بسبب الزياده فالحقّ أنّ الزياده إنّ غيّرت معنى الكلام الّذى يتمّ بدونها و لا يحتاج فيه إليها كقوله تعالى« «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» »فالمجاز حاصل فى النسبه إذ كانت نسبه النفى إلى من ليس له و إن لم تغيّر كما فى قوله تعالى« «فَبِما رَحْمَهٍ مِنَ اللّهِ» »لم يتصوّر المجاز هاهنا(يب)إطلاق اسم المتعلّق على المتعلّق كتسميه المقدور قدره.

البحث الخامس المجاز بالذات لا يدخل إلاّ على أسماء الأجناس

و بيانه أمّا الحرف فلأنّ معناه فى غيره فإن ضمّ على حقيقه فهو حقيقه أو إلى مجاز كان مجازا فى التركيب فلم يدخله بالذات،و أمّا الفعل فلأنّ معناه مركّب من المصدر و غيره فما لم يكن المصدر متجوّزا به لم يكن الفعل كذلك فكان داخلا فيه بالعرض،و أمّا الاسم فإمّا علم و لا يدخله المجاز لأنّه مشروط بالعلاقه بين الأصل و الفرع و ليست موجوده فى الأعلام أو مشتقّ و معلوم أنّه لو لا تطرّق المجاز إلى المشتّق منه لم يتطرّق إلى المشتقّ فلم يبق إلاّ أسماء الأجناس.

البحث السادس فى الداعى إلى التكلّم بالمجاز:

العدول إلى المجاز إمّا لأجل اللفظ أو المعنى أولهما أمّا الأوّل فإمّا لأجل جوهر اللفظ أو لأحوال عارضه له أمّا الأوّل فأن يكون اللفظ الدالّ بالحقيقه ثقيلا على اللسان إمّا لثقل أجزائه أو لتنافر تركيبه أو لثقل وزنه و يكون المجاز عذبا و أمّا الثانى فأن يكون المجاز صالحا للشعر أو للسجع و أصناف البديع دون الحقيقه و أمّا الّذى لأجل المعنى فقد يقصد المجاز لتعظيم ليس فى الحقيقه كما يقال سلام على المجلس السامى أو لتحقير يكون فيها كما يعبّر بالغائط عن قضاء الحاجه

أو لزيـاده بيان إمّا تقويه لحال المـذكور كقولک رأيت أسـدا للإنسان الشـجاع فإنّه أتمّ من قولک رأيت إنسانا يشـبه الأسـد فی الشـجاعه،أو تقويه لحال الـذكر و هو المجاز الّـذی يذكر للتأكيد أو لتلطيف الكلام قال الإمام:و تقريره أنّ النفس إذا وقفت على كلام فلو وقفت على تمام المقصود لم يبق لها إليه شوق أصـلا لأنّ تحصيل الحاصل محال،و إن لم يقف على شیء منه أصلا لم يحصـل لها أيضا إليه شوق.أمّا إذا وقفت عليه من بعض الوجوه دون البعض فإنّ القـدر المعلوم يشوّقها إلى غير المعلوم فيحصـل لها بسبب علمها بالقدر المعلوم لذّه و بسبب حرمانها عن الباقی ألم فيحصل هناک تعاقب آلام و لذّات،و اللذّه إذا حصلت عقيب الألم كانت أقوى و شـعور النفس بها أتمّ.إذا عرفت ذلک فنقول:إذا عبّر عن الشـیء باللفظ الدالّ عليه على سبيل الحقيقه حصـل تمـام العلم به فلاـ تحصـل اللـذّه القويّه أمّـا إذا عبّر عنها بلوازمها الخارجيّه عرّفت لا على سبيل الكمال فتحصل الحاله المـذكوره الّتی هی كالدغـدغه النفسانيّه.مثـال هـذا إنّـک إذا قلت رأيت إنسانـا يشـبه الأسـد فی شـجاعته فقـد حصـلت المعانی بتمامها من ألفاظهـا الموضوعه لهـا فلم يحصل من اللـذّه ما يحصل من قولک رأيت أسـدا فی يـده سيف فإنّ الـذهن هاهنا يتصوّر من لفظ الأسـد معنـاه و لوازمه البيّنه كالشـجاعه ثمّ ينتقـل بسـبب القرينه إلى ملاـحظه وجه الشبه فی الإنسان الّـذی هو الشـجاعه فـذلک الانتقال هو محلّ الدغدغه و اللّذه النفسانيّه.

البحث السابع-فيما تنفصل به الحقيقه عن المجاز.

إنّه إمّـا أن يقع بالتنصـيص أو الاسـتدلال أمّا التنصـيص فمن وجوه:أحـدها أن يقول الواضع هـذا حقيقه و ذاک مجاز،و ثانيها أن يذكر واحدا منهما،و ثالثها أن يذكر خواصّـهما،و أمّا الاسـتدلال فالحقيقه تعرف من وجهين أحدهما أن يسـبق المعنى من ذلک اللفـظ إلى فهم بعض السـامعين من أهـل تلـک اللغه فيحكم بـأنّه حقيقه فيه إذ لو لاـ اضـطراره إلى فهم ذلـک المعنى من قصـد الواضـعين لما فهمه دون غيره،و ثانيهما أنّ أهل اللغه إذا أرادوا إفهام غيرهم معنى اقتصـروا على عبارات مخصوصه و إذا قصـدوا بـالتعبير الحسن بعـد الفهم عبّروا بعبـارات اخرى و قرّنوا بهـا قرائن فيعلم أنّ الأـوّل حقيقه إذ لو لا أنّه اسـتقرّ فی قلوبهم اسـتحقاق ذلک اللفظ لذلک المعنى لما اقتصروا عليه،و أمّا المجاز فيعرف أمّا أوّلا فمن عكوس ما ذكرناه فی تعريف الحقيقه،و أمّا ثانيا

فلأنّ الكلمه إذا علّقت بما يستحيل تعليقها به علم أنّها فى أصل اللغه غير موضوعه له فيعلم أنّها مجاز فيه كقوله تعالى« «وَ سْئَلِ الْقَرْيَهَ» »و أمّا ثالثا فأن يعلم أنّ الواضع وضع لفظا لمعنى ثمّ استعمله فى بعض موارده ثمّ استعمله بعد ذلك فى غير ذلك الشيء كلفظ الدابّه الّذى وضع لكلّ ما يدّب ثمّ خصّ بالفرس فصار حقيقه عرفيّه ثمّ استعمل بعد ذلك فى الحمار فيعلم أنّه مجاز فيه إلى أن يغلب الاستعمال عليه فيصير حقيقه عرفيّه أيضا.

الفصل الثالث فى التشبيه

و فيه أربعه أركان.

الركن الأوّل –فى المتشابهين.

إنّهما إمّا محسوسان أو معقولان أو المشبّه به محسوس و المشبّه معقول أو بالعكس أمّا الأوّل فكقول على عليه السّلام:لأهل البصره كأنّى بمسجدكم هذا كجؤجؤ سفينه،و قوله عليه السّلام:فى وصف الأتراك كأنّى أراهم قوما كان وجوههم المجانّ المطرقه،و أمّا الثانى فكقوله عليه السّلام:اداريكم كما تدارى البكار العمده و الثياب المتداعيه فإنّ المتشابهين هاهنا هو مداراته و مداراه أهل البكار لها،و المداراه معنى إضافى معقول،و ما به المشابهه هو الصعوبه هاهنا كالصعوبه هناك،و أمّا الثالث فكقوله عليه السّلام:فى حقّ مر و ان أما إنّ له إمره كلعقه الكلب أنفه فإنّ الإمره حاله معقوله أشبهت لعقه الكلب أنفه فى السرعه و هى أمر محسوس و قوله عليه السّلام أمّا بعد فإنّ الأمر ينزّل من السماء إلى الأرض كقطر المطر،و كقوله كأنّى بك يا كوفه تمدّين مدّ الأديم العكاظى،و أمّا الرّابع فكقول الشاعر.

كأنّ بصاص البدر من تحت غيمه نجاه من البأساء بعد وقوع

و كقول الصاحب بن عباد و قد أهدى عطرا إلى القاضى أبى الحسن.

أهديت عطرا كان مثل سنائه فكأنّما أهدى له أخلاقه

و قد منع الإمام فخر الدين من جواز هذا القسم من التشبيه اعتمادا منه على أنّ العلوم العقليّه مستفاده من الحواسّ فكان المحسوس أصلا للمعقول فتشبيهه به يقتضى جعل الأصل فرعا و الفرع أصلا و هو محال و هذا سهو،فإنّ الحواسّ و إن كانت طرقا للعلم إلاّ أنّها ليست كلّ الطرق له سلّمناه لكنّ الممنوع إنّما هو جهه ما هو فرع لذلك الأصل لا مطلقا و هاهنا ليس كذلك فإنّ المعقول فرع للمحسوس من جهه ما هو مستفاد عنه فيمتنع أن يعود أصلا من تلك الجهه لكنّه لا يمتنع أن يكون فرعا له من تلك الجهه و مع ذلك يكون أصلا له فى التشبيه و الملاحظات الذهنيّه.

الركن الثانى فيما به التشبيه

و فيه أبحاث.

البحث الأوّل فى أقسامه

-إنّه إمّا أن يكون صفه حقيقيّه أو إضافيّه،و الأوّل إمّا كيفيّه جسمانيّه أو نفسانيّه،و الأوّل إمّا كيفيّه محسوسه إحساسا أوّلا أو ثانيا،و الأوّل إمّا بحسّ البصر كتشبيه الخدّ بالورد فى الحمره و تشبيه الوجه بالنهار و الشعر بالليل، أو بحسّ السمع كتشبيه اطيط الرجل بأصوات الفراريج،و كتشبيه الصوت المنكر بصوت الحمار،أو بحسّ الذوق كتشبيه بعض الفواكه الحلوه بالعسل و السكّر،أو بحسّ الشمّ كتشبيه بعض الرياحين بالمسك و الكافور،أو بحسّ اللمس كتشبيه الجسم اللين الناعم بالخز و الخشن بالمسح،و أمّا المحسوسه ثانيا فهى الأشكال و المقادير و الحركات،و الأشكال إمّا مستقيمه أو مستديره مثال التشبيه فى الاستقامه تشبيه الرجل المعتدل القامه بالرمح،و مثال التشبيه فى الاستداره المستدير بالكره تاره و بالحلقه اخرى،و مثال التشبيه فى المقادير تشبيه عظيم الجثّه بالجمل و الفيل و مثاله فى الحركه تشبيه السريع بالسهم،و أمّا الاشتراك فى كيفيّه جسمانيّه غير محسوسه فكما يقال فلان كالحمار أى فى بلادته أو شبقه و هو كالنمر أى فى غضبه،و أمّا فى الكيفيّه النفسانيّه فكالاشتراك فى الغرائز و الأخلاق كالكرم و الحلم و الشجاعه و الذكاء و الفتنه و العلم و الزهد كقولك هو كالحاتم أى فى جوده و كعمرو بن معدى كرب أى فى شجاعته،و أمّا الاشتراك فى الحاله الإضافيّه فكقولهم هذه الحجّه كالشمس فالاشتراك هاهنا فى الجلاء بالنسبه إلى البصر و الفهم و هى حاله إضافيه و قد يكون جليّه كما ذكرنا و كقولهم ألفاظ فلان كالماء أى فى السلاسه و كالنسيم أى فى الرّقه و ذلك أنّه إذا لم يتنافر حروفه بل خفت على اللسان و لم يكن غريبا وحشيّا ارتاح له القلب فلسرعه وصوله إلى النفس صار كالماء الّذى يسرع نفوذه إلى الحلق و النسيم الّذى يسرى فى البدن و قد يكون خفيّه كقول من ذكر بنى المهلّب هم كالحلقه المفرغه لا يدرى أين طرفاها ألا ترى أنّه لا يفهم المقصود من ذلك إلاّ من كان له ذهن يرتفع عن درجه العامّه.

البحث الثانى فى تقسيمه بوجه آخر

-إنّه قد يكون قريبا و قد يكون بعيدا و الأوّل كما إذا خطرت ببالك استداره للشمس و استنارتها فإنّه يخطر بقلبك المرآه المجلوّه و تلاحظ الشبه بينهما و كذلك إذا نظرت إلى الوشىّ المنشور لاح لک شبهه الروض الممطور

المفتّر عن أزهاره و أمّا الغريب البعيد فهو الّذى يحتاج فى إدراكه إلى دقّه نظر كتشبيه الشمس بالمرآه فى كفّ الأشلّ و تشبيه البرق بإصبع السارق كقول كشاجم.

أرقت أم نمت لضوء بارق مؤتلفا مثل الفؤاد الخافق

{ كأنّه إصبع كفّ السارق. }

ثمّ السبب فى القرب و البعد أمران:أحدهما أنّ الحسّ لا يعطى التميز بين جهه الاشتراك و الامتياز و إنّما يدرك المركّب من حيث هو شىء واحد و أمّا التفصيل و التمييز فذاك حظّ العقل و أيضا فشعور الحسّ بالإجمال أقدم من شعوره بالتفصيل فإنّ المرئىّ فى أوّل النظر إليه لا يدرك البصر تفاصيله حتّى يتكرّر و كذلك المسموع فإنّك تقف فى إعاده الصوت على ما لم تقف عليه بالسماع الأوّل و بادراك التفاصيل يقع التفاضل بين سامع و سامع و إذن كان إدراك الجمله أسهل و أقرب من إدراك التفصيل.

البحث الثالث فى بيان أنّ التشبيه بالوجه العقلى أعمّ

من التشبيه بالوجه الحسّى أمّا تشبيه المحسوس بالمحسوس فيمكن أن يكون لأجل الاشتراك فى وجه محسوس و يمكن أن يكون لأجل الاشتراك فى وجه معقول و يمكن لأجلهما جميعا مثال الأوّل تشبيه الخدّ بالورد مثال الثانى قوله صلى اللّه عليه و آله إيّاكم و خضراء الدمن فالتشبيه مأخوذ للمرأه من النبات و هما محسوسان و لكن وجه المشابهه هو مقارنه الحسن الظاهر للقبح الباطن و هو أمر عقلىّ،و مثال الثالث تشبيه الشخص الرفيع القدر الحسن الوجه بالشمس لاشتراكهما فى النباهه الّتى هى أمر عقلىّ و فى الضياء الّذى هو أمر حسّى،و أمّا تشبيه المعقول بالمعقول و المعقول بالمحسوس و المحسوس بالمعقول فيمتنع أن يكون وجه المشابهه غير عقلىّ كأنّ وجه المشابهه مشترك بين الجانبين فلو كان محسوسا لم يصحّ وصف المعقول به و أمّا العقلىّ فيصحّ لصحّه أن يصدر عمّا لا يكون محسوسا أمر محسوس فثبت أنّ التشبيه بالوجه المعقول أعمّ.

البحث الرابع-التشبيه بالوصف المحسوس أتمّ من التشبيه بالوصف المعقول

بيانه من وجهين أحدهما أنّ أكثر الفرض فى التشبيه التخيّل الّذى يقوم مقام التصديق فى الترغيب و الترهيب،و الخيال أقوى على ضبط الكيفيّات المحسوسه منه على الامور الإضافيّه، الثانى أنّ الاشتراك فى نفس الصفه أسبق من الاشتراك فى مقتضاها لما أنّ الصفه فى نفسها

متقدّمه فى التصوّر على مقتضاها فكانت الصفه المحسوسه أتمّ فى التشبيه من الأمر المعقول

البحث الخامس فى تقسيم ما به المشابهه إلى المفرد و المركّب:

المشابهه إمّا أن يكون فى أمر واحد أو فى امور كثيره و الأوّل إمّا أن لا يكون مقيّدا بالنسبه إلى شىء أو يكون فالأوّل كتشبيه الكلام بالعسل فى أنّ كلّ واحد منهما يوجب للنفس لذّه و حاله محموده و أمّا الثانى فما إليه الانتساب أربعه أمور إمّا المفعول به فكقولهم أخذ القوس باريها لأنّ المقصود وقوع الأخذ فى موقعه و وجوده من أهله و هذا لا يحصل من الأخذ المطلق و لكن من حيث الحكم الحاصل له بوقوعه من بارىء القوس عليه،و إمّا إلى ما يجرى مجرى المفعول به و هو الجارّ و المجرور كقولهم لمن يفعل ما لا يفيد هو كالراقم على الماء فالتشبيه ليس بمنتزع من الرقم المطلق بل منه على الماء،و إمّا إلى الحال كقولهم كالحادى ليس له بعير أى الحادى حال ما لا يكون له بعير،و إمّا إلى المفعول به و الجارّ و المجرور معا كقولهم هو كمن يجمع السيفين فى غمد و هو كمن ينثر الجوز على القبّه فالجمع المعدى إلى السيفين لا يكفى فى التشبيه ما لم يشترط كونه جامعا لهما فى الغمد و منه قوله تعالى« «كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً» »فإنّه تضمّن التشبيه من اليهود لا لأمر يرجع إلى حقيقه الحمل المطلق بل لأمرين آخرين أحدهما تعديته إلى الأسفار و الآخر اقتران الجهل بما فيها لأنّ الغرض توجيه الذمّ إلى من أتعب نفسه بحمل ما يتضمّن المنافع العظيمه ثمّ لم ينتفع به بجهله و هذا المقصود لا يحصل من الحمل المطلق بل منه مشروطا بالشرطين الآخرين ثمّ إذا كان ما به المشابهه وصفا مقيّدا فقد يمكن إفراد أحد جزئيه بالذكر و قد لا يمكن أمّا الأوّل فكقوله.

فكأنّ أجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط أزرق

فإنّك لو قلت كأنّ النجوم درر و كأنّ السماء البساط أزرق كان التشبيه معقولا و إن تغيّر المعنى المراد للقائل إذ مقصوده من التشبيه هاهنا ذكر الامور العجيبه من طلوع النجوم مؤتلقه مفترقه فى أديم السماء و هى زرقاء زرقتها الصافيه و النجوم تتلألأ فى تلك الزرقه و معلوم أنّ هذا المقصود لا يبقى إذا فرقّ التشبيه و أمّا الثانى فكقوله.

كانّما المرّيخ و المشترى قدّامه فى شامخ الرفعه

منصرف بالليل عن دعوه قد أسرجت قدّامه الشمعه

فلو قلت كأنّ المريّخ منصرف عن دعوه و تركت حديث المشترى و الشمعه كان خلفا من القول إذ التشبيه للمريّخ حيث الحاله الحاصله له من تقدّم المشترى له فإذن لا يمكن إفراده بالذكر.

البحث السادس فى التشبيهات المتعدده المجتمعه

-إنّما يكون الأمر كذلك إذا كان التشبيه من امور كثيره لا يتقيّد بعضها بالبعض و حينئذ يكون التشبيهات مضموما بعضها إلى بعض لأغراض كثيره كلّ واحد منها قائم بنفسه و لهذا النوع خاصيّتان الاولى أنّه لا يجب فيها الترتيب فإنّك لو قلت زيد كالأسد بأسا و البحر جودا و السيف مضاء و البدر بهاء لم يجب عليك أنّ تحفظ فى هذا التشبيهات نظاما مخصوصا،الثانيه إذا سقط البعض فإنّه لا- يتغيّر حال الباقى كقولهم:هو يصور و يكدر و يحلو و يمرّ،و لو تركت ذكر للكدوره و المراره لكان المعنى فى تشبيه بالماء الصافى و العسل فى الحلاوه باقيا.

البحث السابع-يجب مراعاه جهه التشبيه و لا يجوز تعدّيها

و إلّا وقع الخطاء مثاله ما قيل:النحو فى الكلام كالملح فى الطعام فإنّ جهه التشبيه هاهنا هى الإصلاح و المقصود أنّ الطعام كما لا- يصلح إلاّ- بالملح كذلك الكلام لا يصلح إلاّ بالنحو فأمّا ما ظنّه بعضهم أنّ المقصود هو أنّ القليل من النحو مغن و الكثير مفسد كما أنّ القليل من الملح مغن و الكثير مفسد فهو ظنّ فاسد لأنّ النحو علم بمجموع قوانين مضبوطه يمتنع تطرّق الزياده و النقصان إلى جريانها فى الكلام كقولك كان زيد قائما فإنّه لا بدّ فيه من رفع الاسم و نصب الخبر فإن وجدا وجد النحو من غير زياده و لا نقصان و إن لم يحصلا عدم النحو فلا زياده و لا نقصان أيضا.

البحث الثامن فى اكتساب وجه المشابهه

-الطريق إليه تميّز ما به المشابهه عمّا به الامتياز مثلا من أراد تشبيه شىء بشىء فى هيئه الحركه وجب أن يطلب الوفاق بين الهيئه و الهيئه المجرّده عن الجسم و سائر ما فيه من الأعراض كما فعل ابن المعتزّ فى قوله:

و كانّ البرق مصحف قار فانطباقا مرّه و انفتاحا

فلم ينظر فى جميع أوصاف البرق و معانيه إلاّ- إلى الهيئه الّتى تجدها العين من انبساط يعقّبه انقباض ثمّ لمّا بحث عن أوصاف الحركات لينظر أيّها أشبه بها أصاب

ذلك فيما يفعله القارى بأوراق المصحف من فتحها مرّه و طبقها أخرى و لم يكن حسن التشبيه لكونه جامعا بين مختلفين بل لحصول الاتّفاق بينها من ذلك الوجه و لأجل اجتماع الأمرين أعنى الاتفاق التامّ و الاختلاف التامّ كان حسنا و ممّا يناسب ذلك فى كونه جامعا بين المختلفين محاوله الشاعر جعل الشىء سببا لضدّه كقوله:

أعتقنى سوء ما صنعت من الرقّ فيا بروزا على كبدى

فصرت عبدا للسوء فيك و ما أحسن سوء قبلى إلى أحد

الركن الثالث فى غرض التشبيه

-إنّه إمّا أن يكون عائدا إلى المشبّه،أو إلى المشبّه به أمّا الأوّل فقد يكون غرضه بيان الحكم المجهول و قد لا يكون أمّا الأوّل فإمّا أن يقصد بيان إمكانه عند ما لا يكون بيّنا فيحتاج إلى التشبيه لبيانه كقوله:

فإن تفق الأنام و أنت منهم فإنّ المسك بعض دم الغزال

فإنّ مقصوده أن يقول إنّ الممدوح فان الأنام حتّى لم يبق بينهم و بينه مشابهه بل صار أصلا بنفسه و لمّا كان هذا فى الظاهر كالممتنع إذ يبعد أن يتناهى إنسان فى الفضائل إلى أن يخرج من نوعه احتجّ لدعواه بأنّ المسك و إن كان بعض دم الغزال فى أصله فقد خرج عن صفه الدم و حقيقه حتّى صار لا يعدّ دما،و إمّا أن يقصد بيان مقداره كقولك للشىء الأسود إنّه كحلك الغراب فإنّ المقصود من هذا التشبيه بيان مقدار السواد فى الحلوكه لا إمكان وجوده، و أمّا الثانى و هو أن لا يكون غرضه بيان حكم مجهول فقد يكون غرضه أحد أمرين أحدهما نقل النفس من الغريب إلى القريب لأنّ ألف النفس مع الحسيّات أتمّ من العقليّات لتأخّر كثير من العلوم العقليّه عن الحسيّه فإذا ذكرت المعنى العقلىّ الجبلىّ ثمّ عقبّه بالتمثيل الحسى فقد نقلت النفس من الغريب إلى الغريب،الثانى أن يقصد المباعده بين المتشابهين لأنّ التشابه به حينئذ يكون أغرب فيكون إعجاب النفس بذلك التشبيه أكثر لأنّ شعف النفس بالغريب الّذى لم يعهد أكثر من المألوف المعتاد،و أمّا الأغراض العائده إلى المشبّه به فقد يقصد المادح على طريق التخييل أن يوهم فى الشىء القاصر عن نظيره أنّه زائد عليه و يشبه الزائد بذلك الناقص يقصد به إعلاء شأن ذلك الناقص أى هو بالغ إلى حيث صار أصلا للشىء الكامل فى ذلك الأمر كقوله.

و بدا الصباح كأنّ غرّته وجه الخليفه حين يمتدح

الا ترى أنّه جعل وجه الخليفه أعرف و أتمّ و أشهر فى النور و الضياء من الصباح حتّى شبّه الصباح به،و قد يقصد الذامّ عكس ذلك.

الركن الرابع فى التشبيه نفسه

و فيه أبحاث.

البحث الأوّل-التشبيه ليس من المجاز

لأنّه معنى من المعانى و له حروف و ألفاظ مخصوصه كالكاف و كأنّ و نحو و مثل تدلّ عليه وضعا فإذا صرّح بالألفاظ الدالّه عليه كان حقيقه فإذا قلت زيد كالأسد لم يكن نقلا للفظ عن موضوعه الأصلى فلا يكون مجازا.

البحث الثانى فى التشبيه الذّى يصحّ عكسه

و الّذى لا يصحّ-قد يكون الغرض من التشبيه إلحاق الناقص بالزائد مبالغه فى إثبات الحكم للناقص كما إذا شبّهت شيئا أسودا بخافه الغراب أو وجها حسن البياض و الصوره بالبدر و الشمس و مثل هذا يمتنع العكس فيه لأنّ تنزيل الزائد منزله الناقص يضادّ المبالغه الاولى و قد يكون المقصود الجمع بين الشيئين فى مطلق الصوره أو الشكل و اللون كتشبيه الصبح بغرّه الفرس لا لأجل المبالغه فى الضياء بل لأجل ظهور بياض فى سواد مع كون البياض قليلا بالإضافه إلى السواد و العكس حينئذ جائز كما لو شبّهت غرّه الفرس بالصبح.

البحث الثالث فى التشبيه الواقع فى الهيئات

-إنّه قد يقع فى الهيئات الّتى يقع عليها الحركات،و قد يقع فى الهيئات التى يقع عليها السكنات أمّا الأوّل فعلى وجهين أحدهما أن يقرن الحركه بغيرها من الأوصاف و الشكل و اللون كقول ابن المعتزّ:و الشمس كالمرآه فى كفّ الأشلّ،أراد أنّ لها من الاستداره و الإشراق الحركه الّتى تراها إذا أمعنت التأمّل و ذلك أنّ للشمس حركه دائمه متّصله و لنورها بسبب ذلك تموّج و لا يحصل هذا التشبيه إلّا أن تكون المرآه فى كفّ الأشلّ لدوام حركته فيتموّج بسببه نور المرآه و تلك حال الشمس،و ثانيها أن يكون التشبيه فى هيئه الحركه مجرّده من كلّ وصف يقارنها مثال قول الأعشىّ يصف السفينه و تلعب الأمواج بها:

نقص السفين بجانبيه كما ينزوا الرباح خلاله الكرع

و الربّاح القرد فى لغه أهل اليمن و أصله بتشديد الباء فخفّفه و قيل أراد الربح و هو

الفصيل فأشبع فتحه الباء فحدثت الألف و الكرع ماء السماء يكرع فيه شبه السفينه فى انحدارها و ارتفاعها بحركات القرد إذا نزا فى الماء فإنّه يكون له حركات مختلفه فى جهات مختلفه و يكون هناك تسفل و تصعد على غير ترتيب و هو أشبه شىء بحركات السفينه حين يتدافعها الموج،و أمّا التشبيه الواقع فى الهيئات الّتى يقع عليها السكنات فكقول الأخطل فى صفه المصلوب.

كأنّه عاشق قد مدّ صفحته يوم الوداع إلى توديع مرتحل

أو قائم من نعاس فيه لوثته مواصل لتمطّيه من الكسل

فلطفه بسبب ما فيه من التفاصيل و لو قال كأنّه متمطّ من نعاس و اقتصر عليه لكان قريب التناول لأنّ هذا القدر من التشبيه يحصل فى نفس الرائى للمصلوب لكونه من باب الجمله،و أمّا على التفصيل الّذى قيّد به استدامه تلك الهيئه فلا يحصل إلاّ مع التأمّل لحاجته إلى أن ينظر إلى أحوال المتمطّى من مدّ ظهره و يده و يزيد على ذلك النظر إلى استدامته لذلك و إلى علّته و هى قيام اللوثه و الكسل فى القائم من النعاس و هذا أصل فيما يراد به التفصيل و هو أن يثبت فى الوصف أمر زائد على المعلوم المتعارف ثمّ يطلب علّته.

البحث الرابع فى مراتب التشبيه فى الخفاء و الظهور:

التشبيه قد يكون بالتخيّل الّذى لا وجود له فى الأعيان كتشبيه الشقائق بأعلام ياقوت نشرت على رماح من زبرجد،و قد يكون بماله وجوده فى الأعيان و حينئذ فالهيئه المغيّره فى ذلك إمّا أن توجد قليلا أو كثيرا بيانه أنّك إذا قايست بين قوله:

و كأنّ أجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط أزرق

و بين قول ذى الرّمه كأنّها فضّه قد مسّها ذهب.عرفت أنّ الأوّل أغرب من الثانى لأنّ الهيئه الاولى و هى وجود درر منثور على بساط أزرق أقلّ وقوعا من فضّه أجرى عليها الذهب،و كلّما كان الشىء عن الوقوع أبعد كان أغرب فكان التشبيه به ألذّ و أعجب.

البحث الخامس فى التمثيل و المثل:

قد خصّ التشبيه المنتزع من اجتماع امور يتقيّد بعضها بالبعض باسم التمثيل و قد يكون ذلك على وجه الاستعاره كقولك للمتردّد فى الأمر

ص:۴۱

أراك تقدّم رجلا-و تؤخّر اخرى تريد أنّك فى تردّدك كمن يقدّم رجلا و يؤخّر اخرى و قد لا يكون كما إذ أبرزت ألفاظ التشبيه كقوله تعالى« «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْراةَ» » الآيه،و أمّا المثل فهو تشبيه سائر أى يكثر استعماله على معنى أنّ الثانى بمنزله الأوّل و الأمثال كلّها حكايات لا- تغيّر لأنّ ذكرها على تقدير أن يقال فى الواقعه المعيّنه إنّها بمنزله ما يقال فيه هذا القول كقولك لمن لم يسمع رأيك لا يطاع لقصير أمر.ألا ترى أنّك تقول ذلك بالألفاظ الّتى قالها منشىء هذا المثل و لو غيّرت هذه الألفاظ لم يسمّ مثلا.

الفصل الرابع فى الاستعاره

و فيه ثلاثه أركان.

الركن الأوّل فى حقيقتها و أحكامها

و فيه أبحاث.

البحث الأوّل-أجود ما قيل فى حدّ الاستعاره

إنّها استعمال اللفظ فى غير ما اصطلح عليه فى أصل المواضعه الّتى بها التخاطب لأجل المبالغه فى التشبيه،و بالقيد الأوّل احترزنا عن الحقائق الثلاث اللغويّه و العرفيّه و الشرعيّه و بقولنا لأجل المبالغه فى التشبيه عن سائر وجوه المجاز،و أعلم أنّ المستعار و إن كان صفه للفظ إلّا أنّه صفه للمعنى أوّلا فإنّ المعنى أوّلا يعار ثمّ بواسطته يعار اللفظ.بيانه من وجهين أحدهما أنّه حيث لا يكون نقل الاسم تابعا لنقل المعنى تقديرا لم يكن ذلك استعاره كالأعلام المنقوله فإنّك إذا سمّيت إنسانا بيزيد أو يشكر فإنّه لا يقال لهذه الألفاظ مستعاره إذا لم يكن نقلها تبعا لنقل معانيها تقديرا،الثانى أنّ العقلاء يجزمون بأنّ الاستعاره أبلغ من الحقيقه فإن لم يكن نقل الاسم تبعا لنقل المعنى لم يكن فيه مبالغه إذ لا مبالغه فى إطلاق الاسم المجرّد عاريا عن معناه.

البحث الثانى الفرق بين الاستعاره و التشبيه:

إنّ التشبيه حكم إضافىّ يستدعى مضافين و ليس الاستعاره كذلك فإنّك إذا قلت رأيت أسدا لم يذكر شيئا آخر حتّى تشبّه بالأسد فلم يكن ذلك تشبيها بل اعطى المعنى لفظا ليس له لأجل المشابهه بينه و بين معناه الأصلى و ما هو لأجل شىء آخر لا يكون نفس ذلك الشىء،و اعلم أنّه متى قوّيت المشابهه بين الشيئين كان التصريح بالتشبيه قبيحا و ذلك لقرب الشبه من حقيقه المشبّه به مثاله إطلاق لفظ النور على العلم و الإيمان و الظلم على الكفر و الجهل فلا يحسن هاهنا

لقوّه المشابهه أن يقول العلم كالنور و بالجمله فالاستعاره إنّما تحسن حيث يكون التشبيه متقرّرا بين الناس ظاهرا فأمّا إذا خفى و احتاج إلى كلفه فلا بدّ من التصريح فإنّك لو قلت فى قوله عليه السّلام:مثل المؤمن كمثل النخله و أردت المؤمن كنت كما قال سيبويه ملغزا تاركا لكلام العرب.

البحث الثالث فى ترشيح الاستعاره و تجريدها

-أمّا ترشيح الاستعاره فأن تراعى جانب المستعار و تولّيه ما يستدعيه و تضمّ إليه ما يقتضيه كقول كثير:رمتنى بسهم ريشه الكحل لم يضرّ،فاستعار الرمى للنظر وراعى ما يستدعيه فأردفه بلفظ السهم،و قول امرء القيس:

فقلت له لما تمطى بصلبه أو أردف أعجاز أوناء بكلكل.

لمّا جعل لليل صلبا قد تمطّى به أردفه بما يقتضيه من الأعجاز و الكلكل،و أمّا تجريدها فأن يراعى جانب المستعار له كقوله تعالى« «فَأَذاقَهَا اللّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ» »و كقول زهير:لدىّ أسد شاكى السلاح مقذّف،لو نظر إلى المستعار هاهنا لقيل فكساهم لباس الجوع،و لقال زهير لدىّ أسد فى المخالب و البراثن.

البحث الرابع فى الاستعاره بالكنايه و تنزيلها منزله الحقيقه

-و أمّا الاستعاره بالكنايه فهو أن يذكر بعض لوازم المستعار للتنبيه عليه دون التصريح بذكره كقول أبى ذويب:و اذ المنيّه انشبت أظفارها.فكأنّه حاول استعاره السبع للمنيّته لكنّه لم يصرّح بها بل ذكر بعض لوازمها تنبيها لها على المقصود،و أمّا تنزيلها منزله الحقيقه فاعلم أنّهم قد يستعيرون الوصف للشىء المعقول و يجعلون ذلك كالثابت لذلك الشىء فى الحقيقه و كأنّ الحقيقه لم توجد و ذلك كاستعاره العلوّ لزياده الرجل على غيره فى الفضل ثمّ وضعهم الكلام وضع من يذكر علوّا مكانيّا كقول أبى تمام.

و يصعد حتّى يظنّ الجهول بأنّ له حاجه فى السماء

فقصد هاهنا أن ينسى التشبيه و يرفعه رأسا و يجعل الممدوح صاعدا فى السماء صعودا مكانيّا و هكذا إذا استعاروا اسم الشىء لغيره من نحو بدر أو أسد فإنّهم يبلغونه إلى حيث يعتقد أن ليس هناك استعاره كقوله:

قامت تظلّلنى و من عجب شمس تظلّلنى من الشمس

فلو لا أنّه أنسى نفسه أنّ هاهنا استعاره لما كان لهـذا التعجّب معنى و مدار أكثر هذا النوع على التعجّب و قد يجىء على عكس مذهب التعجّب كقوله.

لا تعجبوا من بلى غلالته قد زرّ أزراره على القمر

فقد ذكر كما ترى شيئا هو من خاصّه القمر فهو ينهاهم عن التعجّب من بلى الكتان بسرعه و يقول إنّه قد زرّ على القمر و من شأن القمر ذلك و هذا إنّما يتمّ بالجزم بكونه قمرا لأنّه لو اعترف بأنّه ليس بقمر و إنّما يشبه القمر لبطل كلامه.

البحث الخامس فى شرط حسن الاستعاره

–و اعلم أنّ الاستعاره إنّما تحسن بالمبالغه فى التشبيه مع الإيجاز كقوله:أيا من رمى قلبى بسهم فأنفذ.لا كقول أبى تمام:

لا تسقنى ماء الملام فإنّنى صبّ قد استغذيت ماء بكائى

فإنّ قوله ماء الملام ليس فيه لذاذه و لو أتى بالحقيقه فقال لا تلمنى لكان أوجز،و قد تكون الاستعاره عاميّه كقولك رأيت أسدا أو وردت بحرا و قد يكون خاصيّه كقوله و سالت بأعناق المطى الأباطح–شبّه سيرها الحثيث و غايه سرعته فى لين و سلاسه بسبيل وقع فى الأباطح فجرت به.

الركن الثانى فى أقسام الاستعاره

و فيه أبحاث.

البحث الأوّل الاستعاره–قد تعتمد نفس التشبيه

كما إذا اشترك شيئان فى وصف و هو فى أحدهما أزيد فتعطى الناقص اسم الزائد كقولك رأيت أسدا و تريد رجلا شجاعا و عنّت لنا ظبيه و تريد امرأه و قد تعتمد لوازم التشبيه و هو إذا كانت جهه الاشتراك إنّما يثبت كما لها فى المستعار منه بواسطه أمر آخر فيثبت ذلك الأمر للمستعار له مبالغه فى إثبات المشترك كقوله:إذا صبحت بيد الشمال زمامها،فالشمال فى تصريف الغداه على حكم طبيعتها كالحيوان المنصرف إلاّ أنّ تصرّف الحيوان لمّا كان فى أكثر الأحوال باليد كانت اليد كالآله الّتى يكمل بها التصريف،و لمّا كان الغرض هاهنا إثبات التصرّف و هو لا يكمل إلاّ بثبوت اليد لا جرم أثبت للريح يدا تحقيقا للغرض و كذلك قوله:

إذا هزّه فى عظم قرن تهلّلت نواجذ أفواه المنايا الضواحك

لمّا شبّه المنايا عند هزّه السيف بالمسرور و كمال الفرح إنّما يظهر بالضحك الّذى

يتهلّل فيه النواجذ أثبت الضحك مع تهلّل النواجذ تحقيقا للوصف المقصود.

البحث الثانى و اعلم أنّ القسم الأوّل على أربعه أقسام

،أحدها أن يستعار لفظ المحسوس للمحسوس و حينئذ فالاشتراك بينهما إمّا فى الذوات دون الصفات أو بالعكس فالأوّل كحقيقه تفاوتت آحادها فى الفضيله و النقص و القوّه و الضعف فيستعار لفظ الأكمل فى ذلك النوع للأنقص كاستعاره الطيران للعدو بسرعه فيقال:للعدو السريع طيران إذا الطيران و العدو يشتركان فى الحقيقه و هى الحركه المكانيّه و يختلفان فى القوّه و الضعف،و أمّا الثانى فكقولهم:رأيت شمسا و يريد إنسانا يتهلّل وجهه فهاهنا الإنسان مخالف للشمس فى الحقيقه مشارك لها فى الوصف،و كقول على عليه السّلام فى ذكر النبىّ صلى اللّه عليه و آله:اختاره من شجره الأنبياء،فإنّ الشجره و أصل النبوّه يختلفان بالحقيقه لكنّهما يشتركان فى أنّ كلّ واحد منهما أصل يتفرّع عليه الفروع،و ثانيها استعاره لفظ المعقول للمعقول و هو أيضا إنّما يكون فى أمرين يشتركان فى وصف أحدهما به أولى و هو فيه أكمل فينزّل الناقص منزله الكامل ثمّ إنّ المشتركين قد يكونان متعاندين إمّا تعاند النقيضين و هو كاستعاره المعدوم للموجود عند ما لا يكون فى ذلك الموجود فائده فيشارك المعدوم فى عدم الفائده فيستعار لفظه له أو كاستعاره الموجود للمعدوم عند ما يكون للمعدوم آثار باقيه يشارك بها الموجود إلّا أنّ الموجود بمثلها أولى فيستعار لفظه له،و أمّا تعاند الضدّين حقيقه كان أو ظاهرا و هو كتشبيه الجاهل بالميّت لأنّ الموت و الحياه للجاهل اشتركا فى عدم الفائده المطلوبه منه و هى الإدراك و العقل إلا أنّ الموت بها أولى فيستعار لفظه لها،و منه قول علىّ عليه السّلام الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا،و قد لا يكونان متعاندين و هو كما يشترك موجودان فى وصف معقول إلّا أنّ أحدهما أولى به فينزّل الناقص بمنزله الزائد كقولهم فلان لقى الموت إذا لقى شيئا من الشدائد لاشتراك الموت و الشدائد فى المكروهيّه لكنّ الموت أولى بها فينزّل الشدائد منزله الموت فيستعار لفظ الموت لها،و ثالثها استعاره لفظ المحسوس للمعقول و هو كاستعاره لفظ النور المحسوس للحجّه الواضحه و استعاره لفظ القسطاس المحسوس للعدل،و منه قوله عليه السّلام فى مدح القرآن:و إنّه حبل اللّه المتين و فيه ربيع القلب و ينابيع العلم فاستعار لفظ الحبل و الربيع و الينابيع لمعانى القرآن،و رابعها

استعاره لفظ المعقول للمحسوس و هو أن يجعل المعقول أصلا فى التشبيه و يبالغ فى تشبيه المحسوس به كقوله:فمنظرها شفاء من سقام و مخبرها حياه من حمام فإنّ الموضع المنظور إليه منهما لمّا شارك الشفاء فى الالتذاذ الحاصل عنهما و كان الشفاء أولى بذلك بالغ فى تشبيه المنظر به فأعاره اسمه و كذلك المخبر و هو محلّ الإخبار و هو إمّا أقوالها و أفعالها المحسوسه أو شىء آخر لمّا شارك الحياه فى الالتذاذ الحاصل عنهما و كانت الحياه أولى به من المخبر بالغ فى تشبيه المخبر بها فاستعار له لفظها.

الفصل الخامس فى الكنايه

و فيه بحثان.

البحث الأوّل فى حقيقتها:

أمّا حقيقتها فاعلم أنّ اللفظه إذا اطلقت و أريد بها غير معناها فإمّا أن يراد بها مع ذلك معناها أو لا يراد،و الأوّل هو الكنايه كقولك فلان طويل النجاد كثير رماد القدر فقولنا طويل ليس الغرض الأصلى به معناه بل ما يلزمه من طول القامه و كذلك المثال الآخر فإنّ المقصود منه ما يلزمه من إطعام الخلق و التكرّم عليهم فهذه هى الكنايه فى المفرد،و أمّا فى المركّب فهى أن يحاول إثبات معنى من المعانى لشىء فيترك لتصريح بإثباته له و يثبته لمتعلّقه كقوله:

إنّ المروّه و السماحه و الندى فى قبّه ضربت على بن الحشرج

لمّا أراد إثبات هذه المعانى للممدوح لم يصرّح بها بل عدل إلى ما ترى من الكنايه فجعلها فى قبّه ضربت عليه،و منه قولهم المجد بين ثوبيه و الكرم بين برديه،و مثاله فى جانب النفى قول من يصف امرأه بالعفّه.

تبيت بمنجاه من اللوم بيتها إذا ما بيوت بالملامه حلّت

فتوّصل إلى نفى اللوم عنها بأن نفاه عن بيتها.

البحث الثانى فى الفرق بينها و بين المجاز:

الفرق بينهما أنّ الكنايه عباره عن أن تذكر لفظه و تفيد بمعناها معنى ثانيا هو المقصود و إذا أفدت المقصود بمعنى اللفظ وجب أن يكون معناه معتبرا فلم تكن قد نقلت اللفظه عن موضوعها فليست مجازا مثاله إنّك إذا قلت فلان كثير الرماد فأنت تريد أن تجعل كثره الرماد دليلا على جوده فقد استعملت هذه الألفاظ فى معاينها الأصليّه و قصدت بكونه كثير الرماد معنى ثانيا يلزم الأوّل و هو

الجواد بخلاف المجاز فإنّك تنقل اللفظه عن معناها الأصلى.و باللّه التوفيق.

الجمله الثانيه فى النظم

اشاره

و فيها فصول.

الفصل الأوّل فى حقيقته

-إنّه وضع الكلام على النهج الّذى يقتضيه علم النحو و العمل فيه بقوانينه و اصوله بيانه أنّك تنظر فى وجوه كلّ باب و فروقه فتنظر فى الخبر مثلا إلى الفرق بين ما إذا كان الخبر المبتدأ اسما مشتقّا أو صريحا أو فعلا ماضيا أو مستقبلا،و بين إذخال الألف و اللام عليه أو عدمها،و الفصل بالضمير و عدمه،و فى الشرط و الجزاء إلى الوجوه الّتى مختلف بحسب اختلاف كون الجملتين فعليّتين أو إحداهما فعليّه و الاخرى اسميّه،و إن كانتا فعليّتين فتنظر الفرق بين ما إذا كان الفعلان ماضيين أو مستقبلين أو أحدهما ماضيا و الآخر مستقبلا،و فى الحال إذا كان اسما أو فعلا-و فى الحروف المشتركه فى معنى أين يكون وضعها أليق نحو أن تجىء بما فى نفى الحال أو الماضى و بلا فى نفى الاستقبال و بإن فيما يتردّد بينهما و بإذا فيما علم أنّه كائن،و أن تعرف مواضع الفصل و الوصل و مواضع التعريف و التنكير و التقديم و التأخير و الحذف و التكرار و الإضمار و الإظهار فتضع كلّ شىء مكانه،و اعلم أنّه ليس إذا حسن التنكير مثلا-أو التعريف أو أحد هذه الأمور فى موضع حسن فى كلّ موضع بل إنّما يحسن بحسب الموضع الّذى يقصد،و حاصل هذا التقرير أنّ النظم إنّما يحصل فى كلمات تضمّ بعضها إلى البعض و ذلك النظم تعبّر فيه أحوال المفردات و أحوال انضمام بعضها إلى بعض فأمّا أحوال المفردات فإمّا أن يعتبر حال دلاله الألفاظ أو حال دلاله أحوالها و حركاتها و سكناتها فهذه هى أقسام الاعتبار و النظم الكامل إنّما يحصل إذا اختير من هذه الامور الثلاثه فى كلّ ما هو الأليق به.

الفصل الثانى فى أقسام النظم

إنّ الجمل الكثيره إذا نظمت نظما واحدا فإمّا ان تتعلّق بعضها بالبعض أو ليس فإن كان الثانى لم يحتج ذلك النظم إلى فكر فى استخراجه مثاله قول على عليه السّلام:لا مال أعود من العقل و لاداء أعيى من الجهل،و لا عقل كالتدبير و لا كرم كالتقوى،و إن كان الثانى فكلّما كانت أجزاء الكلام أشدّ ارتباطا كان أدخل فى الفصاحه و ليس له قانون يحفظ لمجيئه على وجوه شتّى،و لنذكر بعض ما يعتبر منها و هو عشرون وجها.

الوجه الأوّل المطابقه:و هی الجمع بین المتضادّین فی الکلام مع مراعاه التقابل حتّی لا یضمّ الاسم إلی الفعل کقوله تعالی« «فَلْیَضْحَکُوا قَلِیلاً وَ لْیَبْکُوا کَثِیراً» »و قوله « «سَواءٌ مِنْکُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَ مَنْ جَهَرَ بِهِ وَ مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّیْلِ وَ سارِبٌ بِالنَّهارِ» » ۱و قوله تعالی« «تُؤْتِی الْمُلْکَ مَنْ تَشاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْکَ مِمَّنْ تَشاءُ وَ تُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشاءُ» » ۲.

الوجه الثانی المقابله:و هی أن تجمع بین شیئین متوافقین و بین ضدّیهما ثمّ إذا شرطتهما بشرط وجب أن تشترط ضدّیهما بضدّ ذلک الشرط کقوله تعالی «فَأَمّا مَنْ أَعْطی وَ اتَّقی وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنی فَسَنُیَسِّرُهُ لِلْیُسْری وَ أَمّا مَنْ بَخِلَ وَ اسْتَغْنی وَ کَذَّبَ بِالْحُسْنی فَسَنُیَسِّرُهُ» » ۳فلمّا جعل التیسّر مشترکا بین الإعطاء و الإتّقاء و التصدیق جعل ضدّه و هو التعسیر مشترکا بین أضداد تلک الامور و هی المنع و الاستغناء و التکذیب.

الثالث المزاوجه بین معنیین فی الشرط و الجزاء کقول البختری:

إذا ما نهی الناهی فلج بی الهوی اصاخت إلی الواشی فلجّ بها الهجر

الرابع الاعتراض و هو أن یدرج فی الکلام ما یتمّ به الغرض دونه کقوله تعالی « «فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِیمٌ» » ۴و قول علیّ علیه السّلام:أمّا بعد فإنّ اللّه خلق الخلق حین خلقهم غنیّا عن طاعتهم.

الخامس الالتفات:و هو العدول عن مساق الکلام إلی مساق آخر غیر مناف للأوّل فی المعنی بل متمّم له علی جهه المیل أو غیره کالعدول عن الغیبه إلی الخطاب کقوله تعالی « «مالِکِ یَوْمِ الدِّینِ إِیّاکَ نَعْبُدُ وَ إِیّاکَ نَسْتَعِینُ» » ۵و بالعکس کقوله تعالی« «حَتّی إِذا کُنْتُمْ فِی الْفُلْکِ وَ جَرَیْنَ بِهِمْ بِرِیحٍ طَیِّبَهٍ» » ۶و قول علی علیه السّلام:و بنا انفجرتم عن السرار وقر سمع لم یفقه الواعیه.

السادس الاقتباس:و هو أن تدرج کلمه من القرآن أو آیه منه فی الکلام تزیینا لنظامه کقول ابن شمعون فی وعظه:اصبروا عن المحرّمات و صابروا علی المفترضات و رابطوا بالمراقبات و اتّقوا اللّه فی الخلوات یرفع لکم الدرجات.

السابع التمليح:و هو أن يشار فى فحوى الكلام إلى مثل سائر و شعر نادر كقول علىّ عليه السّلام:فى خطبه الشقشقيّه.

شتّان ما يومى على كورها و يوم حيّان أخى جابر

الثامن إرسال المثلين:و هو الجمع بين المثلين كقوله ألا كلّ شىء ما خلا اللّه باطل و كلّ نعيم لا محاله زائل

التاسع اللفّ و النشر:و هو أن تلفّ شيئين و تورد تفسيرهما جمله ثقه بأنّ السامع يميّز ما لكلّ منهما كقوله تعالى« «وَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ» » ۱و يقرب منه أن تذكر لفظا يتوهّم أنّه يحتاج إلى البيان فتقصده مع تفسيره كقوله تعالى« «يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِى النّارِ» »الآيه« «وَ أَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِى الْجَنَّهِ» » ۲الآيه.

العاشر التعديد:و هو إيقاع الأعداد من الأسماء المفرده فى النظم و النثر على مساق واحد فإن روعى فيه ازدواج أو تجنيس أو مطابقه أو مقابله حسن جدّا مثاله من النثر قولهم فلان إليه الحلّ و العقد و القبول و الرّد و الأمر و النهى و الإثبات و النفى،و من النظم قول المتنبّى:

الخيل و الليل و البيداء تعرفنى و الطعن و الضرب و القرطاس و القلم

الحادى عشر تنسيق الصفات:كقوله تعالى« «هُوَ اللّهُ الَّذِى لا إِلهَ إِلاّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ» »الآيه و قوله تعالى« «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً» ۳الآيه و قوله« «وَ لا تُطِعْ كُلَّ حَلاّفٍ مَهِينٍ» »الآيه،و التنسيق فى أوائل الخطب كثير.

الثانى عشر الإبهام:و هو أن يكون للّفظ ظاهر و تأويل فيسبق إلى فهم السامع الظاهر مع أنّ المراد هو التأويل كقوله تعالى« «وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَهِ وَ السَّماواتُ مَطْوِيّاتٌ بِيَمِينِهِ» » ۴الثالث عشر مراعات النظير:و هو جمع الامور المناسبه المتوازنه كقول علىّ عليه السّلام:

الحمد للّه غير مقنوط من رحمته و لا مخلوّ من نعمته و لا مأيوس من مغفرته.

ص:۴۹

الرابع عشر المدح الموجّه:و هو أن يمدح بشىء يقتضى المدح بشىء آخر كقول المتنبّى:

نهبت من الأعمار ما لو حويته لهنّئت الدنيا بأنّك خالد

فأوّله مدح بالشجاعه و آخره مدح بعلوّ الدرجه.

الخامس عشر المحتمل للضدّين:و هو أن يكون الكلام محتملا للمدح و الذّم على السواء كمن قال لرجل أعور:ليت عينيه سواء.

السادس عشر تجاهل العارف:كقوله تعالى «وَ إِنّا أَوْ إِيّاكُمْ لَعَلى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ» و كقول المتنبّى: { أريقك أم ماء الغمامه أم خمر }

.

السابع عشر السؤال و الجواب:كقول تعالى «قالَ فِرْعَوْنُ وَ ما رَبُّ الْعالَمِينَ» ... «قالَ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ» .

الثامن عشر الحذف:و هو أن يتكلّف حذف حرف من حرف المعجم كما حذف علىّ عليه السّلام الالف فى خطبه المسمّاه بالموقصه.

التاسع عشر التعجّب:كقوله فيا خجل المقصّرين من التوبيخ فى محفل القيامه!و يا حسره الظالمين إذا عاينوا أهل السلامه! العشرون الإغراق فى الصفه كقول امرء القيس.

من القاصرات الطرف لو دبّ محوّل من الذّر فوق الاتب منها لآثر.

و قول المتنبّى كفى بجسمى نحو لا أنّنى رجل لولا مخاطبتى إيّاك لم ترنى

الحادى و العشرون فى حسن التعليل:و هو أن يذكر وصفان أحدهما علّه للآخر و الغرض منهما ذكرهما جميعا كقول علىّ عليه السّلام فى ذمّ الدنيا:هانت على ربّها فخلط حلالها بحرامها و خيرها بشرّها،و كقوله:

فإن غادر الغدر ان فى صحن و جنتى فلا غرو منه لم يزل كان قادرا

و اعلم أنّ وجوه النظم كثيره و لمّا كان كثيره منها قلّما يوجد فى كلام المطبوعين من المتقدّمين و إنّما هى صناعات تكلّفها المحدثون لا جرم ذكرنا ما كان غالبا فى القرآن الكريم و الكلمات النبويّه و كلام علىّ عليه السّلام و المطبوعين على الكلام من سائر الفصحاء.

و ما أحدثه المتأخّرون و إن كان لا ينخرط فی سلک الأوّلين إلاّ أنّه يدلّ علی ذکاء مبتدعه و فطنه مخترعه و باللّه التوفيق.

الفصل الثالث فی التقديم و التأخير

و فيه أبحاث.

البحث الأوّل فی فائدتهما

-إذا قدّم اللفظ علی غيره فإمّا أن يکون فی النّيه مؤخّرا کخبر المبتدأ إذا قدم عليه و المفعول علی الفاعل،و إمّا أن لا يکون علی نيّه التأخير و لکن علی أن ينقل الشیء من حکم إلی حکم آخر مثاله أن تذکرا سمين کلّ واحد منهما يصلح أن يکون مبتداء و الآخر خبرا فتقدّم هذا تاره و ذاک اخری کقولک زيد المنطلق و عکسه.قال سيبويه عند ما يذکر الفاعل و المفعول:کأنّهم يقدّمون الّذی بيانه أهمّ و هم ببيانه أعنی،و إن کانا معا يهمّانهم مثاله إذا أرادوا الإخبار عن قتل شخص خارجیّ لا من حيث هو شخص معيّن قالوا قتل الخارجیّ زيد،و إذا صدر عن بعض الفضلاء قبيحه و أرادوا الإخبار عن ذلک قدّموا اسمه علی فعله لأنّ ذکره أوّلا-ثمّ نسبه الفعل إليه أوقع فی النفوس من العکس فکان عند المخبر أهمّ.و لتذکر ما يهمّ تقديمه و ما لا-يهمّ فی الاستفهام و الخبر و النفی.

البحث الثانی فی التقديم و التأخير فی الاستفهام:

المذکور عقيب حرف الاستفهام إمّا الفعل أو الاسم فإن کان الأوّل کان هو المشکوک فی وجوده و المسئول عن معرفته مثاله قولک أبنا زيد داره فإنّ السؤال واقع عن وجود البناء و الشکّ فی وجوده،و إن کان الثانی فالسؤال واقع عن تعيين الفاعل کقولک أنت بنيت هذه الدار،ثمّ الاستفهام قد يجیء للإنکار تاره و للتقرير اخری و الحال فيهما ما ذکرناه أمّا الإنکار فکقوله تعالی «أَ فَأَصْفاکُمْ رَبُّکُمْ بِالْبَنِينَ» «أَصْطَفَی الْبَناتِ عَلَی الْبَنِينَ» ۱و الإنکار هاهنا للفعل فإذا قدّم الاسم کان الإنکار للفاعل کقولک لمن انتحل شعرا أ أنت قلت هذا الشعر،و أمّا التقرير فکقوله تعالی «أَ خَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَها» - «أَ قَتَلْتَ نَفْساً زَکِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ» ۲فإنّ المقصود تقرير الخرق و القتل عليه تمهيدا لتوجّه اللوم إليه،و أمّا تقديم الاسم فکقولک أ أنت الّذی قتلت زيدا فإنّه سؤال علی سبيل التقرير لتعيينه للقتل،و اعلم أنّ حال المفعول فيما ذکرنا کحال الفاعل فإذا

قـدّمت المفعول توجّه الإنكار إلى كونه بمثابه أن يوقع به مثل هذا الفعل و لذلک قدّم فی قوله تعالی «قُلْ أَ غَیْرَ اللّهِ أَتَّخِذُ وَلِیًّا» و قوله «أَ غَیْرَ اللّهِ تَدْعُونَ» و قوله «أَ بَشَراً مِنّا واحِداً نَتَّبِعُهُ» .

البحث الثالث فی التقدیم و التأخیر فی حرف النفی:

إذا أدخلته علی الفعل کقولک ما ضربت زیدا کنت قد نفیت فعلا لم یثبت أنّه فعل لأنّ نفیک لضرب زید عن نفسک لا یقتضی وقوع الضـرب به و لاـ نفیه عنه لأـنّ نفی الخـاصّ لاـ یـدلّ علی نفی العـامّ و لا علی ثبوته،و إذا أدخلته علی الاسم کقولک ما أنا ضربت زیدا فهم من ذلک أنّه وقع به الضرب و کان القصد نفی کونک أنت الضارب،و الشاهد بهذه الفروق هو الذوق السلیم.

البحث الرابع فی التقدیم و التأخیر فی الخبر المثبت و المنفیّ:

هو کالتقدیم و التأخیر فی الاستفهام فإنّک إذا قدّمت الاسم فقلت زید قد فعل اقتضی أن یکون القصد إلی الفاعل إمّا لتخصیص الفعل به کقولک أنا کتبت فی معنی هـذا الأمر تریـد أنّک اختصـصت بـذلک دون غیرک،و إمّا لأجل أنّ تقدیم ذکر المحدث عنه آکـد لإثبات ذلک الفعل له کقولهم فلا یعطی الجزیل فلا یقصد الحصـر بل أن یتحقّق عند السامع أنّ إعطاء الجزیل دأبه، و بیان ذلک أنّک لمّا ذکرت الاسم المحـدث عنه و الاسم لا یعری عن العوامل إلّا لحـدیث قد نوی إسـناده إلیه فإذا قلت عبد اللّه فقد استشـعرت بأنّک ترید الحدیث عنه فتحصل شوق إلی معرفه ذلک فإذا أفدته ذلک قبله الذهن قبول العاشق لمعشوقه فیکون ذلک أبلغ فی التحقیق و نفی الشبهه،و إن قدّمت الفعل اقتضـی أن یکون القصد إلی ذکر الفعل کقوله تعالی «وَ قَضی رَبُّکَ أَلّا تَعْبُدُوا إِلّا إِیّاهُ» فإنّ القصد هاهنا إلی ذکر القضاء و نسبته إلی اللّه تعالی،و یقرب من ذلک حکم المنفیّ کقولک أنت لا تحسن هذا الفعل،أو لا تحسن أنت هذا الفعل.

البحث الخامس فی تقدیم حرف السلب علی العموم و تأخّره عنه:

أمّا الأوّل فإذا قدّمت حرف السـلب علی صیغه العموم فقلت ما أفعل کلّ کذا کان سلبا للعموم و ذلک لا یناقضه الإثبات الخاصّ حتّی لو قلت و أفعل بعضه لم یکن تناقضا أمّا إذا قدّمت صیغه العموم علی السلب نقلت کلّ کذا ما أفعله فهم منه عموم السلب و حینئذ یناقضه

قولک و أفعل بعضه فی العرف،و علی هـذا یظهر الفرق بین الرفع و النصب فی قول أبی النجم قد أصـبحت أمّ الخیار تدعی علیّ ذنبا کلّه لم أصنع.

فإنّ نصب کلّ یقتضی سلب العموم و رفعه یقتضی عموم السلب.

البحث السادس فی استیفاء أقسام التقدیم و التأخیر:

و اعلم أنّه قـد یختلف حال الکلام فی التقـدیم و التأخیر اختلافا کثیرا و قد یدقّ الفرق بین تقدیم الکلمه و تأخیرها کقوله تعالی «وَ جَعَلُوا لِلّهِ شُرَکاءَ الْجِنَّ» فبتقـدیم شـرکاء یفهم أنّه ما کان ینبغی أن یکون له شـریک لا من الجنّ و لا من غیرهم و الـذّم إنّما توجّه إلیهم لإثبـاتهم شـرکاء أمّـا لو قـدّم الجنّ لم یفهم إلاّـ أنّهم عبـدوا الجنّ،و أمّا إنکار المعبود الثانی فغیر مفهوم منه و یکون الـذّم إنّمـا توجّه علیهم لعبـاده الجنّ دون غیرهم،فینبغی أن تلمـح الفروق فی تقـدیم بعض الکلاـم علی بعض و تأخیره،و لنـذکر مواضع حسن التقدیم و التأخیر أمّا التقدیم ففی مواضع عشره.

الأـوّل أن تکون الحـاجه إلی ذکره أتمّ و العلم به أهمّ کقوله تعالی «وَ جَعَلُوا لِلّهِ شُرَکاءَ الْجِنَّ» ۱فإنّ تقدیم الشرکاء أولی لأجل أنّ المقصود التوبیخ علی جعل مطلق الشریک بخلاف ما لو اخّر.

الثـانی أن یکون التـأخیر ألیق باتّصـال الکلاـم کقوله تعـالی «وَ تَغْشـی وُجُوهَهُمُ النّـارُ» فهـذا ألیق بمـا قبله و بمـا بعـده من تـأخیر المفعول.

الثالث أن یکون الأوّل أعرف من الثانی کتقـدیم المبتـدأ علی الخبر و الموصوف علی الصـفه فینبغی أن تبتـدیء فی قولک زید قائم بزیـد لتتوصّل النفس بذکر ما یعرف إلی الإخبار عنه بما لا یعرف فتقع الفائده حینئذ علی حدّها و فی مرتبتها قال الإمام:و لا ینتقض هـذا بتقـدیم الفعـل لأـنّ الفعل لفظ دالّ علی ثبوت معنی لموضوع غیر معیّن فی زمان معیّن من الثلاثه و الإسـناد کالجزء الذاتی لمفهوم الفعل و الإسناد أمر إضافیّ،و العقل إذا حصل له الشعور بالإضافه فلو توقّف هناک و لم ینتقل إلی ما إلیه الإسناد کانت الإضافه مستقلّه بالمفهومیّه و هو محال،و إن انتقل إلی ما اسند إلیه الفعل فذلک الشیء هو الفاعل

فإذن من ضروره الإسناد فهم المسند إليه و إذا أوجب هذا الترتيب فى الذهن وجب أيضا فى الألفاظ لمطابقه ما فى الذهن لما فى الخارج،و أقول:قد سبق أنّ الفعل إذا قدّم فى الإخبار كان لأجل أنّ ذكره أهمّ لأنّ المقصود من ذكر الجمله الفعليّه لا ذات الفاعل بل ذكر الحدث المخصوص فى الزمان المعيّن و نسبته إلى الفاعل و إذا كان كذلك جاز أن يقال:

إنّ تقديم الأعرف يكون واجبا و إذا كانت الكلمتان متساويتين فى الاهتمام بذكرهما و أمّا إذا كان ذكر أحدهما أهمّ كان تقديمه أولى.

الرابع تقديم الحروف الّتى لها صدر الكلام كحروف الاستفهام و النفى و النهى قال الإمام:تحقيقه أنّ الاستفهام طلب فهم الشىء و هو حاله إضافيّه إذا أدركها العقل انتقل منها إلى معروضها و إذا أوجب أن ينتقل منها إلى معروضها وجب أن يكون فى اللفظ كذلك فيقدّم ما يدلّ على الإضافه فيلحق بما يدلّ على معروضها،و أقول:يمكن أيضا أن يكون تقديم هذه الحروف من باب ما كان أهمّ و ذلك أنّ الاستفهام و النفى و النهى معان معقوله و هى المطلوبه من الجمله الداخله عليها بالذات فكانت أهمّ فكانت أولى بتقديم الذكر و كذلك الأدوات الدالّه على أحوال النسب بين أجزاء الكلام فإنّ و أخواتها،و كان و أخواتها، و عسى و بابها،و نعم و بئس فإنّها تقدّم لأنّ معانيها هى المقصوده بالقصد الأوّل من الجمل الداخله عليها.

الخامس تقديم الكلّى على جزئيّاته لأنّ الكلّى أعرف عند العقل و تقديم الأعرف أولى.

السادس تقديم الدليل على المدلول.

السابع تقديم الناقص على تمامه كتقديم الموصول على الصله،و المضاف على المضاف إليه لأنّ تمام الشىء لا يتقدّم عليه.

الثامن تقديم الأسماء المتبوعه على توابعها لأنّ التابع لا يتقدّم متبوعه.

التاسع تقديم المظهر على ضميره لأنّ الحاجه إلى الضمير إنّما هو لإلحاق أمر من الامور بذى الضمير و ذلك يتأخّر عن تحقّق ذى الضمير فى العقل فيجب كذلك فى الوضع كقولك ضرب زيد غلامه،و قضى زيد حاجته.

ص:۵۴

العاشر تقديم الفاعل على المفعولات و ما فى حكمها لأنّها امور تلحق الفاعل بالنسبه إلى فعله فكانت متأخّره عنه و إذا علمت من ذلک ما يجب تقديمه علمت من ذلک ما يجب تأخيره.

الفصل الرابع فى الفصل و الوصل

-حاصل معرفه الفصل و الوصل يعود إلى معرفه مواضع العطف و الاستيناف و التهدّى إلى كيفيّه إيقاع حروف العطف مواقعها،و هو باب عظيم عند البلغاء و لذلک جعله بعضهم حدّ البلاغه فقال:إذا سئل عن معناها أنّها معرفه الفصل و الوصل ما ذاک إلاّ لغموضه و كون معرفته مؤدّيه للمعانى كما هى،و ذلک هو المقصود من علم البلاغه و لنحقّق الكلام فيه فى بحثين.

البحث الاول-فائده العطف التشريک فى الحكم بين المعطوف و المعطوف عليه

فمن أدواته ما لا يفيد إلاّ هذا القدر كالواو،و منها ما يدلّ على زياده عليه كالفا و ثمّ فإنّهما يدّلان على التعقيب و إن كانت ثمّ تختصّ بالتراخى و مثل أو فإنّها تدلّ على الترديد،فلنبحث عن مطلق الاشتراک فنقول:العطف إمّا أن يكون فى المفردات و هو يقتضى التشريک فى الإعراب،و إمّا فى الجمل و حينئذ فالجمله إن كانت فى قوّه المفرد كقولک مررت برجل خلقه حسن و خلقه قبيح كانت الشركه فى الإعراب أيضا حاصله لكون الجملتين وصفين للنكره،و إن لم يكن فإمّا أن يكون إحدى الجملتين متعلّقه لذاتها بالأخرى أو لا يكون فإن لم يكن فإمّا أن يكون بينهما مناسبه أو لا يكون فهذه أقسام ثلاثه.

أمّا الأوّل فأن يكون إحدى الجملتين تأكيدا للاخرى كقوله تعالى «الم ذٰلِکَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ» ١فقوله «لا رَيْبَ» تأكيد للأوّل،و لا يجوز إدخال العاطف عليه لأنّ التأكيد يتعلّق بالمؤكّد لذاته فيستغنى عن لفظ يدلّ على التعلّق.

الثانى أن لا يكون بينهما مناسبه أصلا و هاهنا أيضا يجب ترک العاطف لأنّ العطف يستلزم المناسبه فيلزم من عدمها عدمه.

الثالث أن تصدق المناسبه بينهما مع عدم التعلّق الذاتى فهاهنا يجب ذكر العاطف ثمّ إمّا أن يكون المخبر عنه فى الجملتين شيئين أو شيئا واحدا أمّا الأوّل فالمناسبه إمّا بين المخبر بهما فقط أو بين المخبر عنهما فقط أو بينهما معا،و الأوّل و الثانى يختلّ معهما

النظم لأنّك إذا قلت زيد طويل و الخليفه قصير مع عدم تعلّق حديث زيد بحديث الخليفه اختلّ،و كذلك لو قلت زيد طويل و عمرو شاعر اختلّ أيضا لعدم المناسبه بين طول القامه و الشعر فتعيّن أنّ الواجب حصول المناسبتين،فأمّا إن كان المخبر عنه فيهما شيئا واحدا كقولك فلان يضرّ و ينفع و يأمر و ينهى و نحوه تعيّن دخول العاطف لأنّك إذا قلت هو يضرّ و ينفع أفاد العاطف أنّه هو الجامع لهما بخلاف ما لو حذفته.

البحث الثانى فى عطف الجمل على الجمل

-إنّه كما يجوز أن يعطف جمله على جمله كذلك يجوز أن يعطف مجموع جمل على مجموع جمل اخر،و بيان ذلك ظاهر فى صوره الشرط و الجزاء فإنّه قد يجعل مجموع جملتين شرطا و مجموع اخريين جزاء كقوله تعالى «وَ مَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى وَ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ ما تَوَلّى وَ نُصْلِهِ جَهَنَّمَ» ۱فإذا ظهر ذلك فى الشرط و الجزاء ظهر مثله فى العطف كقوله تعالى «وَ ما كُنْتَ بِجانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنا إِلى مُوسَى الْأَمْرَ وَ ما كُنْتَ مِنَ الشّاهِدِينَ وَ لكِنّا أَنْشَأْنا قُرُوناً فَتَطاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَ ما كُنْتَ ثاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ» ۲الآيه فقوله «وَ ما كُنْتَ ثاوِياً» عطف على قوله «وَ ما كُنْتَ مِنَ الشّاهِدِينَ» مع ما يتعلّق بها إذا لو عطفتها على ما يليها لدخلت فى حكم لكن فصار التقدير لكنّك «ما كُنْتَ ثاوِياً» و هو باطل،و لو عطفتها على «وَ ما كُنْتَ مِنَ الشّاهِدِينَ» دون و لكنّا أنشأنا لكان فى ذلك إزاله لكن عن موضعها و هو غير جائز.

الفصل الخامس فى الحذف و الإضمار

و فيه بحثان.

البحث الأوّل فى حذف المفعول و المبتدأ و الخبر

أمّا الأوّل فلأنّ الفعل المتعدّى قد يكون المقصود من ذكره مجرّد نسبته إلى الفاعل و حينئذ يكون حاله كحال غير المتعدّى فى عدم الحاجه إلى المفعول و التعرّض له كقولك فلا يحلّ و يعقد و يأمر و ينهى و يضرّ و ينفع و قوله تعالى «هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ» و قد يلاحظ مع ذلك فى ذكره النسبه إلى المفعول إلاّ أنّ المفعول يحذف لأحد غرضين.أحدهما أن يكون المقصود ذكره لكن يحذف لإيهام التعظيم و التفخيم كقول البخترى.

شجو حسّاده و غيظ عداه أن يرى مبصر و يسمع واع

فإنّ المرئىّ و المسموع لا بدّ و أن يكون شيئا معيّنا فحذفه،و أوهم بذلك أنّ كلّ ما يرى منه و يسمع عظيم و أنّه فضيله تشجو حسّاده،و تغيظ عداه،و من هاهنا تحصل البلاغه و لو أبرز ذلك المفعول المعيّن لما حصل ذلك التعظيم الوهمى لتخصيص الذهن للتعظيم بالمفعول المذكور دون ما عداه،و قد يكون ذكر المفعول أولى و أبلغ و ذلك إذا كان أمرا عظيما بديعا كقوله:و لو شئت أن أبكى دما لبكيته،لمّا كان بكاء الدم أمرا عجيبا كان ذكره أولى، الثانى أن يحدف للعلم به كقول على عليه السّلام إن أشنق لها خرم أى أنفها،و أن أسلس لها أى قيادها تقحم أى المهالك،و الثالث أن يضمر على شريطه التفسير كقوله أكرمنى و أكرمت عبد اللّه،و أمّا المبتدأ و الخبر فقد ورد حذف كلّ واحد منهما تاره أمّا المبتدأ فكقوله تعالى «سُورَهٌ أَنْزَلْناها» و أمّا الخبر فقوله تعالى «طاعَهٌ وَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ» و أمثاله كثير و قد حكم بحسن ذلك البلغاء قال عبد القاهر-رحمه اللّه-:ما من اسم حذف فى الحال الّتى ينبغى أن يحذف فيها إلاّ وجدته أحسن من ذكره،و حسنها فى المواضع الّتى يفهم عنها البلاغه.

البحث الثانى فى الإيجاز

و حدّه-التعبير عن الغرض بأقلّ ما يمكن من الحروف من غير إخلال مثاله قوله تعالى «وَ لَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياهٌ» ١و قد كان المثل يضرب بقولهم:القتل أنفى للقتل إلى أن اوردت هذه الآيه و الترجيح للآيه ظاهر من وجهين،أحدهما أنّه أوجز فإنّ حروفها عشره و حروف المثل أربعه عشر،الثانى أنّ القتل قصاصا لا ينفى القتل ظلما من حيث إنّه قتل بل من حيث إنّه قصاص و هذه الجهه غير معتبره فى كلامهم و لها ترجيحات اخر لا نطول بذكرها،و من ذلك قول على عليه السّلام:قيمه كل امرىء ما يحسنه، و قوله المرء عدّو لما جهله،و قوله:الجزع أتعب من الصبر،و قوله:تخفّفوا تلحقوا.

الفصل الثالث فى أحكام إنّ و إنّما و ما فى حكمها

و فيه أبحاث.

البحث الأوّل فى فوائد إنّ

،و هى أربع:الأولى أنّها قد تربط إحدى الجملتين بالاخرى فيحصل النظم كقوله تعالى: «يا أَيُّهَا النّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ» و قوله تعالى:

«اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَهَ السّاعَهِ شَيْءٌ عَظِيمٌ» ٢و قول علىّ عليه السّلام أيّها الناس إنّه لا يستغنى

الرّجل و إن كان ذا مال عن عشيرته،و قوله:عباد اللّه إنّ من أحبّ عباد اللّه إليه عبدا أعانه اللّه على نفسه،فلو أسقطت إنّ فى هذه المواضع لزالت المناسبه الّتى كانت بين الجملتين معها، و اعلم أنّك متى أسقطت إنّ من الجمله الثانيه فإن كانت إنّما ذكرت لتعليل الحكم فى الجمله الاولى فلا بدّ أن يعوّض منها الفاء كقوله ف «زلْزَلَهَ السّاعَهِ شَيْءٌ عَظِيمٌ» الفائده الثانيه-إنّك تجد لدخولها على ضمير الشأن المعقّب بالجمله الشرطيه و غيرها من الحسن و المزيّه ما لم تجده عند عدمها كقوله تعالى «إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَ يَصْبِرْ» و قول علىّ عليه السّلام أيّها الناس إنّه لا يستغنى الرجل كما ذكرناه.

الفائده الثالثه-إنّها تهيّىء النكره لأن يحدث عنها كقوله عليه السّلام:إنّ من أحبّ عباد اللّه إلى اللّه عبدا كما مرّ و لو أسقطتها لسقطت الحسن و البلاغه و قد يسقط المعنى أصلا كما لو أسقطتها من قول الشاعر:إنّ شواء و نشوه و خبب البازل الامون.

الفائده الرابعه-إذا دخلت على الجمله فقد تغنى عن الخبر كقولك إنّ مالا و إنّ ولدا على تقدير إنّ لهم مالا و كقول الأعشى.

إنّ محلا و إنّ مرتحلا و إنّ فى السفر إذ مضوا مهلا

و الحقّ أنّها لتأكيد النسبه و إذا كان الخبر تامّا ليس للمخاطب ظنّ أو و هم فى خلافه فلا حاجه إلى أنّ هناك و لذلك تزداد حسنا إذا كان الخبر أمرا يبعد مثله،و قد يجمع مع اللام للتأكيد فى خبرها إذا كانت فى جواب المنكّر لشدّه الحاجه هناك إلى التأكيد.

البحث الثانى فى فائده إنّما

-اتّفق جمهور النحاه على أنّها للحصر و هو المفهوم منها مثاله قول على عليه السّلام:و إنّما سميّت الشبهه شبهه لإنّها تشبه الحقّ،و كقوله عليه السّلام:إنّا لم نحكم الرجال و إنّما حكمنا القرآن،و هذا القرآن إنّما هو خطّه مستور بين الدفّتين لا ينطق بلسان و إنّما ينطق عنه الرجال،و مراده بالحصر فى هذه الصور ظاهر،و قال بعضهم:إنّها ليست للحصر محتجّا بقوله تعالى «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إذا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ» ١و بقوله «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَهٌ» ٢مع أنّ الإجماع على أنّ من لم يوجل من ذكر اللّه قد يكون مؤمنا،و أنّ الاخوّه غير منحصره فى المؤمنين،و الجواب أنّ منشأ الشكّ هو

الغفله عن ضابط الحصر،و ضابطه أنّ الجزء الأخير من الكلام الوارد عقيب إنّما هو المخصوص بحصر الحكم فيه سواء كان هو الموضوع كقولك إنّما قام زيد فإنّ المقصود حصر القيام فى زيد أو كان هو المحمول كقوله تعالى «إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ» فإنّ المقصود حصر النبىّ فى البشريّه و نفى كونه غير بشر،و إذا تبيّن ذلك ظهر أنّها فى الصورتين المذكورتين تفيد الحصر أمّا فى الاولى فلأنّه يجوز أن يكون المقصود من الإيمان هناك أقوى مراتبه و هو الإخلاص،و حينئذ يتبيّن أنّ المؤمنين منحصرون فى الوجلين من ذكر اللّه،و أمّا فى الثانيه فلأنّ المؤمنين منحصرون فى صفه الاخوّه فى الدين كما هو المقصود من الاخوّه هاهنا،و أعلم أنّه قد يستعمل فى مفهومها عبارتان اخريان إحداهما قولك جائنى زيد لا عمرو و هو أضعف منها لأنّه يفيد حصر المجىء فى زيد بالنسبه إلى من أخرجه حرف النفى،الثانى ما جائنى إلاّ زيد،و مفهومها مفهوم إنّما فى الحصر و التخصيص كقوله تعالى «ما قُلْتُ لَهُمْ إِلاّ ما أَمَرْتَنِي بِهِ» و فرّق الإمام بينهما فقال:إنّ دلاله إنّما على نفى غير المذكور بالالتزام،و دلاله ما و إلاّ على نفى الغير بالمطابقه فكانت أقوى فى ذلك من دلاله إنّما و لذلك يصحّ أن يقال إنّما زيد قائم لا قاعد و لا يصحّ أن يقال ما زيد إلاّ قائم لا قاعد،و أقول إن صحّ ما ادّعاه من عدم الصحّه فى الصوره الثانيه كان للمانع أن يمنع تعليل ذلك المنع بكون ما و إلاّ دالّه على نفى الغير بالمطابقه و يصرف ذلك القبح إلى قرب لا المقتضيه لنفى الغير إلى إلاّ المقتضيه للحصر و بعدها عن إنّما فكان التأكيد عقيب إنّما حسنا لطول الزمان بينهما على أنّا لا نسلّم عدم الصحّه هاهنا بل قد يورد للتأكيد و إن كان عقيب إنّما أحسن،و قد يقام غير مقام إلاّ فيفيد الحصر،و قد لا يكون كذلك كقولك ما جائنى غير زيد تريد نفى مجىء الغير فقط دون إثبات زيد.

البحث الثالث-إنّ ما و إلاّ إذا دخلت على الجمله

كان المقصود بالحصر فيه هو ما يلى إلاّ بعدها سواء كان مرفوعا كقولك ما ضرب زيدا إلاّ عمرو أو منصوبا كقولك ما ضرب زيد إلاّ عمروا،و هكذا إن كان المنصوب حالا أو ظرفا فإن تأخّر مثلا الفاعل و المفعول معا عن إلاّ فالمقصود هو ما يليها أيضا كقولك ما ضرب إلاّ زيد عمروا و كذلك لو قدّمت المفعول على الفاعل فهو المقصود و هكذا حكم المفعولين كقولك لم أكس إلاّ زيدا جبّه فالّذى يلى إلاّ

هو المقصود بالتخصيص،و هكذا المبتدأ و الخبر أيّهما أخّرته عن إلاّ ـ فهو المراد بالتخصيص كقولك ما زيد إلاّ قائم فالمراد تخصيص هيئه القيام دون سائر الأحوال أو ما القائم إلاّ زيد فهو تخصيص لزيد دون غيره،و أمّا تحقيق ذلك فى إنّما فأمّا فى الفاعل و المفعول فأيّهما أخّرته عن صاحبه فهو المقصود أيضا كقولك إنّما ضرب عمروا زيد فالمقصود تخصيص زيد و منه قوله تعالى «إِنَّما يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ» ۱و لو قدّم العلماء لكان المقصود تخصيص خشيه اللّه و كذا الحال فى المبتدأ إن تركته على حاله فالاختصاص للخبر كقوله تعالى «إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ» ۲و إن أخّرته عن الخبر صار التخصيص له كقوله تعالى «فَإِنَّما عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَ عَلَيْنَا الْحِسابُ» فإنّ التخصيص فى الأوّل للخبر و فى الثانى للمبتدأ هذا بحسب المتبادر إلى المفهوم من ذوق العربيّه و باللّه التوفيق.

القاعده الثانيه فى الخطابه

اشاره

و فيه أبحاث و خاتمه.

البحث الأوّل فى حقيقه الخطابه و فائدتها

-الخطابه صناعه يتكلّف فيها الإقناع الممكن للجمهور فيما يراد أن يصدّقوا به،و قولنا يتكلّف فيها الإقناع أردنا أنّه يتعاطى فيها هذا الفعل المخصوص بأبلغ قصد ليتمّ،و الإقناع الممكن هو الفعل الّذى يتكلّف و أردنا به ما يمكن من الإقناع،و الخطابه فى الإقناع أنجح من غيرها و فائدتها فى تقرير المصالح الجزئيّه،و قد تفيد أيضا تقرير القوانين الكلّيه لتلك المصالح كالعقائد الإلهيّه و القوانين العمليّه و هى عظيمه النفع جدّا لأنّ الأحكام الصادقه ممّا هو عدل و حسن أتمّ نفعا و أعود على الناس فائده و أعمّ جدوى من أضدادها لأنّ نوع الإنسان إنّما هو مستبقى بالتشارك،و التشارك يحوج إلى التعامل و التحاور و هما محوجان إلى أحكام صادقه فى الأمور العمليّه ليثق كلّ بصاحبه و ينتظم شمل المصلحه بينهم و بأضداد الأحكام الصادقه يتشتّت فيحتاج أن يكون هذه الأحكام مقرّره فى النفوس متمكّنه من العقائد،و الخطابه هى المتكفّله بحمل الجمهور على التصديق بها فإنّ البرهان و الجدل و إن قصد بهما التصديق إلاّ أنّ الجمهور قاصرون عن درجه البرهان الجدل و إن كان صناعه ضعيفه بالقياس إلى البرهان فهو أيضا يسير الفائده للعامّه صعب بالقياس إلى فطنهم و هم عاجزون عن قبوله،و المخاطبه الّتى يجب

أن يتلقّاها العاميّ بعاميته ينبغى أن تكون من الجنس الّذى لا يرتفع عن مقامه ارتفاعا بعيدا بل تكون بألفاظه عذبه غير ر كيكه عاميّه و لا متينه ينبو فهمه عن قبوله كما سنذكره «إِنْ شاءَ اللّٰهُ» تعالى،و قد أشار التنزيل الإلهى إلى هذه الصناعه فى قوله «ادْعُ إِلىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَهِ وَ الْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» فسبيل ربّك هو الديانه الحقيقيه،و الحكمه هى البرهان،و ذلك لمن يحتمله، «وَ الْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ» هى الخطابه و هى لمن قصر عن درجه البرهان،أو «جادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» أى بالمشهورات المحموده و أخّر الجدل عن الصناعتين لأنّهما مصروفتان إلى الفائده،و المجادله مصروفه إلى المقاومه و الغرض الأوّل من المخاطبه إنّما هو الإفاده،و الغرض الثانى هو مجاهده من ينتصب للمعانده فإذن الخطابه صناعه وافره النفع فى مصالح المدن و بها تدمّر العامه و تنتظم أحوالهم.

البحث الثانى فى موضع الخطابه و أجزائها

و ليس للخطابه نظر فى موضوع معيّن،و ذلك لأنّ العامه لا يهتدون إلى تمييز بعض الموضوعات عن بعض إذ كان تخصيص الكلام فى موضوع معيّن مبنىّ على مبادئ تليق بذلك الموضوع وحده لا يعرفها العاميّ،و نظر الخطابه بالذات فى الجزئيات من أىّ مقوله اتّفقت و لا يخصّ جزئيّا دون آخر بل يقصد بها الإقناع من أىّ جزئىّ اتّفق على أنّ لها أن تنظر بالغرض فى الامور الكلّيه من الإلهيّات و الطبيعيّات و الخلقيّات و السياسيّات،و الخطابه لها أصل و متمّمات تتمّمها و تعين عليها أمّا الأصل فهو القول الّذى يظنّ أنّه لذاته يفيد إقناعا و أمّا المتمّمات فجملتها ترجع إلى حرف واحد و هو أنّه لمّا كان الغرض من الخطابه ليس إلاّ الإقناع كان كلّ مقنع ناسب الغرض منها فهو من متمّماتها و الامور المقنعه إمّا قوليّه يراد بها صحّه قول آخر كالقول الّذى يقصد به الخطيب تقرير فضيلته عند السامعين أو القول الّذى يروم به إثبات أنّ الشهاده مقنعه أو كون المعجزه حجّه،و إمّا شهاده،و إمّا حيله أمّا الشهاده فإمّا قوليّه و إمّا حاليّه أمّا القوليّه فكالاستشهاد بقول نبىّ أو إمام حكيم أو شاعر و تسمّى شهاده مأثوره،أو الاستشهاد بأقوال قوم يحضرون فيصدّقون قول القائل إنّ الأمر كان،أو الاستشهاد بشهاده الحاكم أو السامعين بأنّ القول مقنع و تسمّى شهاده محصوره،أمّا الحاليّه فإمّا أن تدرك بالعقل أو بالحسّ و الاولى فضيله القائل و اشتهاره بالصدق و التمييز،و أمّا الحال الّتى تدرك بالحسن فإمّا بواسطه القول أو بدونه أمّا

الأوّل فكالاستشهاد بالمعجزه عقيب التحدّى على صدق قول المدّعى،و كشهاده حال الحالف عقيب يمينه على قبول قوله،و كشهاده حال المتعاهدين على قبول أقوالهما بعد وضع العهود الّتى هى أقوال مدوّنه مكتوبه،و أمّا الحال المدركه بالحسّ من غير القول فإمّا أحوال تتبع إنفعالا نفسانيّا كشهاده سخنه وجه المخبر ببشاره على قبول قوله أو شهاده سخنه المذعور الخائف المخبر عن نزول عذاب أو حلول آفه على قبول قوله،أو تكون طاريه من خارج كشهاده جراح القائل أو غيره على قدوم العدوّ للحرب،و أمّا الحيله فتفيد الإعداد،و الإعداد إمّا للقائل بحيث يكون مقبول القول أو للقول بحيث يصير أنجع و أنفع أو للسامع بحيث يكون أقبل و أمّا القائل فإن يتكلّف الاستشهاد على فضيله نفسه و الدلاله عليها أو يتهيّىء بهيئه و يتزّيىء بصوره تجعل مثله مقبول القول و أمّا القول فإن يحسن فيه تصرّفه فتاره يرفع به صوته و تاره يخفضه و تاره يثقله و تاره يليّنه و يحزنه و يلاحظ فى ذلك حال من يقصد إسماعهم كما سيأتى فى التزئيتيّات،و أمّا السامعون فإمّا مخاطب بالقصد الأوّل، و إمّا حاكم يحكم بين المتخاطبين و إمّا نظاره أمّا المخاطب فيحتاج أن يستعطف و يستمال ليبخع إلى تصديق القائل و كذلك الحاكم،و أمّا الناظر فيكفى فيه أن يهيّىء بالحيله بهيئه مذعن مصدّق و إن لم يقع له التصديق،و التأثر الحاصل للمستمع أمّا انفعال كالرقّه و الرحمه فى الاستعطاف،و القساوه و الغضب فى الإغراء،و إمّا ايهام خلق كايهام الشجاعه أو السخاوه أو غيرهما فعاد الأمر إلى أنّ الأقوال الخطابيّه الّتى يقصد بها التصديق ثلاثه أصناف أصل و يسمّى عمودا و هو القول الّذى يراد به التصديق نفسه،و الثانى النصره و هى القول الّذى ينصر به ماله تصديق كالشهاده،و الثالث الحيله و هى قول يفاد به انفعال شىء أو ايهام الخلق و هما متمّمات للأصل فهذه أجزائها.

البحث الثالث فى مبادئ الخطابه:

و اعلم أنّ مبادئ الأقوال الخطابيّه ثلاثه أحدها المشهورات المحموده و هى إمّا حقيقيّه اتّفق عليها الجمهور و تطابقت عليها الشرائع و السنن و هى الّتى إذا تعقّبت بالنظر لم يزل حمدها و إن اطّلع على كذبها كحسن الصدق و قبح الكذب و الظلم و غيرها،و إمّا محموده ظاهره فى بادىء الرأى و هى الّتى تعافص الذهن فيحكم بصدقها قبل التفطّن لها فإذا تعقّبت زال حمدها لظهور كذبها و شنعتها كقوله انصر أخاك

ظالما أو مظلوما و هذه أعمّ من الّتى قبلها و كلّ محمود حقيقىّ محمود فى الظاهر و لا ينعكس و استعمال الخطابى للأولى لا من جهه كونها حقيقه بل لكونها ظاهره،و إمّا محموده بحسب قوم أو شخص و ينتفع بها فى مخاطبتهم،و مثل هذه و إن نفعت فى الخطابه إلاّ أنّها لا تكون عمده فى صناعه الخطابه لكونها غير متناهيه أو غير مضبوطه فإنّ كلّ شخص يرى ما يهوى و يختلف الآراء بحسب الأهواء،و ثانيها المقبولات إمّا عن جماعه أو عن نفر أو عن نبىّ أو عن إمام كالشرائع و السنن أو عن حكيم كالطبّ المقبول عن جالينوس و بقراط أو عن شاعر كأبيات تورد شواهد و تكون مقبوله فقط من غير أن تنسب إلى مقبول منه كالأمثال المضروبه،و ثالثها المظنونات و هى الأحكام الّتى يتبع الإنسان فيها غالب الظنّ من دون جزم العقل بها كقولك زيد يسارّ العدوّ جهارا فهو عدوّ ربما يكون مقابله مظنونا كقولك زيد يسارّ العدو جهارا ليخدعه فهو صديق،و أمّا تأليفات هذه فهى ما يظنّ منتجا و هى مقنعه بحسب الموارد و الصور معا و يشتمل القياس و التمثيل و الاستقراء و ما يشبه الخلف فيها،أمّا القياس فيسمّى ضميرا لحذف كبراه و تفكيرا لاشتماله على أوسط يستخرج بالفكر،و هو إمّا على هيئه الشكل الأوّل كقول علىّ عليه السّلام مضوا قد ما على الطريقه و أوجفوا على المحجّه فظفروا بالعقبى الدائمه و الكرامه البارده،فإنّ تقدير الكبرى و كلّ من كان كذلك ظفر بالعقبى الدائمه و يسمّى هذا دليلا،و إمّا على هيئه الشكل الثانى كقولك فلان له ايمان فى يقين فليس من الفسّاق فإنّ تقدير الكبرى،و لا واحد من الفسّاق كذلك، أو على هيئه الشكل الثالث كقولك العارف شجاع جواد فالشجاع جواد لأنّ تقدير الكبرى العارف جواد و يسمّى ما كان على هيئه هذين الشكلين علامه،و القياس الظنّى قد لا يكون منتجا فى نفس الأمر إذ ليس من شرط الخطابه أن تكون على هيئه منتجه كموجبتين فى الشكل الثانى كقولك هذه منتفخه البطن فهى إذن حبلى و تقدير الصدق و الحبلى منتفخه البطن،و يسمّى هذه رواسم لرسمها فى الذهن ظنّا ما،و أما التمثيل فيسمّى اعتبارا لعبور الذهن من المشبّه به إلى المشبّه و يسمّى المنتج منه بسرعه برهانا و استعمال التمثيل و القياس يسمّى تثبيتا،و التمثيل إمّا أن يكون بأصول متّفق على القياس عليها سواء كانت امورا موجوده أو حوادث ماضيه أو أمثالا مضروبه سائره و إمّا أن لا يكون كذلك بل امور

يخبر عنها الخطيب كمثل و حكايه إمّا ممكنه أو غير ممكنه و الاوّل كاستشهاد على عليه السّلام فى تحذير أصحابه من الدنيا بالقرون الماضيه و أحوالهم،و أمّا الثانى فالممكن كما يقول المشير على صديقه لا تعاشر الجهال فإنّى عاشرتهم فندمت و قد لا يكون عاشرهم،و أمّا غير الممكن فكالاستشهاد بأقوال الحيوانات الموضوعه فى كتاب كليله و دمنه و أمثاله،و أمّا الاستقراء فيقع بجزئيّات كثيره كقولك لمن تشير عليه حصل السياده بتحصيل الفضيله لأنّ فلانا فضلوا فسادوا و ستعرفه فى كلام على عليه السّلام كثيرا،و أمّا ما يشبه الحلف فكتنصّله عليه السّلام من دم عثمان بقوله:لو أمرت به لكنت قاتلا فإنّه أراد تقرير عدم الأمر بإبطال لازم الأمر و هو كونه قاتلا المستلزم لإبطال الأمر المستلزم لإثبات المطلوب و هو عدم الأمر و كذلك التوبيخ كقوله عليه السّلام فى توبيخ العلماء فى اختلاف الفتيا أ فأمرهم اللّه تعالى بالاختلاف فأطاعوه فإنّه أراد بيان عدم صحّه اختلافهم بإبطال أمر اللّه تعالى إيّاهم المستلزم لإبطال نقيض المطلوب و هو صحّه الاختلاف،و المقدّمه الّتى من شأنها أن تصير جزء تثبيت تسمّى موضعا،و حقّها أن لا تكون دقيقه علميّه و لا واضحه يستغنى عن ذكرها كالضروريّات،و القوانين الّتى يستنبط منها المواضع تسمّى أنواعا،و البحث فى الخطابه عن الضروريّات أقلّى بل إنّما يبحث فيها فى الأكثر عن الأكثريّات،و الرأى قضيّه كلّيه ينتفع بها فى امور عمليّه فيختار أو يجنّب و نتائج الآراء آراء مثلها إلاّ أنّها غير مقنعه ما لم تقرن إليها العلّه كقولك لصديقك مثلا لا تحرص فى جمع المال فإنّه لا يقبل ما لم تقل ذلك لأنّك تشقى بجمعه فى الآخره خصوصا إذا كان الرأى شنيعا كقولك لا تحصل الفضائل فإنّه ما لم تقرن به العلّه كقولك كيلا تحسد لا يقبل ذلك و الرأى إما لا يحتاج إلى كلام يقرن به لظهوره فى نفسه أو عند أهل العقل أو عند المخاطب،أو يحتاج إلى ما يقرن به ليؤدّى إلى المطلوب و حينئذ فالقرينه إمّا نتيجه الرأى أو ما ينتجه فإن كانت نتيجه الرأى كقولنا الأصدقاء ناصحون فصديقك زيد ناصح فالضمير المقنع هاهنا ليس الرأى وحده بل مع نتيجته و هو جزء من الضمير و إن كان ما ضمّ إليه هو المنتج له كقولك لا تكتسب الفضائل فتحسد كان الرأى هو الضمير القريب فإنّه المقنع لذاته و باللّه التوفيق.

البحث الرابع فی أقسام الخطابه بحسب أقسام أغراضها:

و اعلم أنّ جميع المغارضات الخطابيّه ثلاثه مشاوره و منافره و مشاجره و لكلّ واحد من هذه الأقسام غرض خاصّ.أمّا المشوره فهی مخاطبه يراد بها الإقناع فی أنّ الأمر الفلانی ينبغی أن يفعل لنفعه و أنّ الأمر الفلانی لا ينبغی أن يفعل لضرره،و أمّا المنافره فمخاطبه يراد بها الإقناع فی مدح شیء بفضيلته أو ذمّه بنقيصته،و أمّا المشاجره فمخاطبه يراد بها الإقناع فی شكايه ظلم أو اعتذار بأنّه لا ظلم،و ربّما لم يقع الاعتذار فی وقوع الأمر نفسه و لكن فی كونه نافعا أو ضارّا أو ظلما أو غير ظلم كاعتذار الظالم أو من ينصره بأنّ الّذی يعلمه ليس بظلم أو باعتذار المذموم بأنّ الّذی فعله ليس بنقيصه أو أنّه فضيله.أمّا المشوره إنّما هی مشوره بسبب إقناعها فی أمر هو نافع بالحقيقه فإنّه قد لا يكون نافعا بالحقيقه و لا عند المشير لكنّه إن تبيّن أنّه نافع رام الإقناع به فيكون المخاطبه مع ذلك مشوره،و قد لا يكون المشوره بالنافع بل بالجميل الّذی ربّما كان فی العاجل ضارّ أوله نفع من جهه اخری و كذلك المدح و الذمّ و لا يلاحظ فيه دائما النافع و الضارّ حتّی يكون المدح بالنافع و الذّم بالضارّ بل ربّما كان المدح أيضا كاقتحام الأذی و الضرر و الركوب الأهوال للذكر الجميل فإنّه يشاربه و يمدح فاعله و يعظّم كالّذين يقاتلون فی سبيل اللّه فيقتلون و يقتلون و كثيرا ما يحمد العاقل بايثار الموت علی الحياه،و الأمور المشوريّه عظيمه تبتنی عليها الشرائع و السنن و السياسات،و أقسام الأمور المشوريّه العظيمه التامّه النفع دون الجزئيّات النافعه بحسب أحوال الأشخاص خمسه العدّه و الحرب و السلم و حمايه المدنيّه و مراعاه أمر الدخل و الخرج و تفريع الشرائع و وضع المصالح،و الخطيب المشير فی أمر العدّه ينبغی أن يكون بصيرا بجنس ارتفاع المدنيّه و كميّته النفقات إذا جرت علی القسط ليوازی الدخل الخرج و يشير بنفی البطاله عن حرفه تعود بنفع المدنيّه و بالحجر علی المسرف و توقيفه علی القدر العادل و يتحفظ بجزئيّات الأخبار و بالعوائد التجربيّه لأنّها تذاكير و أمثال،و علی المشير فی أمر الحرب بعد أن يكون له بصيره بأنواع الحروب و سماع أخبار المتقدّمين من المقاتله فی مدنيّته و ما بليها و رسومهم و مذاهبهم أن يحيط به علمه خيرا بمدنيّته و محاربيها و عدّتهم و عددهم و دريتهم بالحرب و عادتهم و نقاء دخيله قومهم و صفاء نيّتهم أو ضدّ ذلك و يوقع نظيره

ص:۶۵

عليهم فى كلّ وقت و يقيسهم إلى مقاتليهم و أن يعتبر الجزئيّات السالفه فإنّ الامور فى أشباهها و تحذو حذو أشكالها فإنّه يستنبط من هذه الأحوال مقدّمات ينتفع بها فى المشوره و أمّا المشير فى حفظ المدينه فينبغى أن يعلم أنواع الحفظ لأنواع البلاد المختلفه سهليّتها و جبليّتها و بريّتها و بحريّتها و ما يحيط بها و مواقع المسالح قربا و بعدا و المدارج المخوفه و الّتى يرتادها المغتالون فيشير فيها بالإرصاد فإنّ ذلك قد يقف عليه من لم يشاهد المدينه، و أن يعلم عدد الحفظه و الرصده و نيّاتهم ليمدّ قلّتهم و يبدّل خائنهم بالناصح و أن يعرف الحاصل من القوت و ما يحتاج إلى جبله و إعداده من خارج المدينه فإنّ القوت و ما يجرى مجراه إذا انحسمت مادّته لم يكن حفظ المدينه و تدبيرها،فينبغى أن يكون المشير عارفا بمقدار حاجه كلّ إلى كلّ و بأحوال أهل الفضائل و الثروه منهم فيشير بما ينبغى أن يستعان به فيه من أهل الفضائل و ما ينبغى أن يستعان به فيه بأهل الثروه فيما ينتظم به أمر المصلحه،و أمّا الخامس فهو المشوره فى أمر السنن و هو من أعظم الأبواب خطبا و أحوجها إلى فضل قوّه الخطابه و على السانّ أن يتحقّق عدد أنواع الاشتراكات المدنيّه و ما يتولّد من تركيبها،و أن يعلم ما يناسب كلّ امّه من الاشتراك بحسب عادتها و الأسباب الحافظه لذلك الاشتراك و القاسمه له و فساد المدينه الّتى لم يحكم تدبيرها يقع من أحد أمرين إمّا عنف المدبّرين لهم فى الحمل على الواجبات أو من إهمالهم و مسامحتهم،فينبغى أن يكون المشير بصيرا بأصناف السياسات و ما يعرض لكلّ واحد منها من العوارض و ما يؤول إليه كلّ واحد منها فيوضع كلّ واحد منها فى موضعه فلا يستعمل القهر و الغلبه فى موضع الرفق و مراعات مصلحه المرءوسين لإكرامهم و تعظيمهم و لا بالعكس فلا يحصل هناك قانون ناظم فقد عرفت بما ذكرنا المواضع الّتى منها ينتزع المقدمات المشوريّه فى الامور العظام و ممّا يعيّن على وضع السنن و تفريعها تأمل قصص الماضين و أحوالهم،و أمّا الامور المشوريّه النافعه بحسب أحوال شخص شخص فهى و إن كانت غير مضبوطه إلّا أنّ جميعها يشترك فى أنّها يقصد بها صلاح الحال كان بالحقيقه أو بالظنّ و نعنى بصلاح الحال هو الفعل الممكن عن فضيله النفس و امتداد العمر مشفوعا بمحبّه القلوب و توافر الكرامه من الناس و فى رفاهيّه و طيب عيش و وقايه وسعه ذات اليد فى المال و العقد و تمكن من استدامه هذه الأحوال و الاستزاده منها،و أمّا

أجزائه،فمنها ما ينسب إلى الخير و منها ما ينسب إلى الشرّ أمّا الخيريّه فإمّا بدنيّه كذكاء الأصل و كثره الأخوان و الأولاد و صلاحهم و اليسار و الأنعام و القوّه و الصحّه و الجمال و الفصاحه و جميل الاحدوثه و الجاه و البخت،و إمّا نفسانيّه كالعلم و الذكاء و الزهد و الشجاعه و العفّه و حسن السيره و الأخلاق المرضيّه و حصول التجارات و الصناعات فعلى الخطيب أن يشير بأعداد هذه الأنواع،و كذلك ما ينسب إلى النافع و هو كلّ ما يوصل إلى شيء من الخيرات كالجدّ و الطلب و تحصيل الأسباب و الوسائل و انتهاض الفرض و مواتاه الحظ،و أمّا الامور الشريّه فهى ما يقابل هذه و على المشير أن يشير باجتناب عللها و ما يعوق عن الخيرات كايثار اللذّه و الكسل و اللهو و البطاله و فوات الأسباب و ضياع الفرض و سوء التوفيق، و كذلك قد يحتاج الخطيب إلى إعداد مقدمات فى أنّ هذا الخير أفضل و أنّ هذا النافع أنفع كالحكم بأن أفضل الخيرات أعمّها و أدومها و أكثرها نفعا و أولادها بالقصد لنفسه و أعزّها و أعظمها و أشهرها و أكثرها استلزاما للحاجه إليه و أكثرها استلزاما لرغبه الجمهور و الأكابر فيه،و كذلك يحتاج إلى مقدّمات بعدها فى أنّ هذا الشرّ أضرّ كالحكم بأنّ أشرّ الشرور أعمّها و أدومها و أولادها بالهرب منه و أكثرها استتباعا للشرور،و يجب أن يستكثر من ضرب الأمثال و إيراد التذاكير و اقتصاص أحوال الماضين،و أمّا المنافرات و هو باب المدح و الذّم فعلى الخطيب تحصيل الأنواع النافعه فى المدح و الذّم المتعلقه بالفضيله و الرذيله و أجزاء الفضيله هى البرّ و الشجاعه و العفّه و المروّه و كبر الهمّه و السخاوه و الحلم و الثبات و اللبّ و الحكمه،و قد يلزم بعض هذه خيرات تتعدّى إلى غير الفاضل كالخبر المتعدى من البرّ و الشجاع و السخّى إلى غيرهم،و أجزاء الرذيله أضداد ما ذكرنا كالجور المقابل للبرّ و الجبن للشجاعه و الفجور للعفّه و الدنائه للسخا و السفاله لكبر الهمّه و النذاله للمروه و الطيش للثبات و البلاهه للبّ،فهذه هى الفضائل و الرذائل و ما عداها فأسباب لها و علامات عليها مثلا كايجاب الغنى و الخشيه من اللّه تعالى و العلم و طلب الذكر الجميل للعدل و إيجاب الاحتياج و الوثوق بأن لا مقاوم له و عدم المبالات بالعاقبه و أمثالها للجور،و كذلك فى سائر الأسباب و كالانفعالات اللازمه للعادل عن لزوم العدل حتّى يحتمل شدّه العذاب مثلا فى انتزاع ما فى بده من الأمانه و لا يسلمها إلى غير ربّها،و من الممادح أيضا مقاومه الأعداء و

الانتقام منهم و الجزاء على الحسنه و السّيّئه،و من ممادح الشجاع الغلبه و الكرامه،و أن يفعل أفعالا يذكر و ينشر و يسهل تخليدها فيرثها الأعقاب،و من الممادح أيضا علامات تختص الأشراف بها كإرسال شعر العلوى و طرحه العالم فإنّ ذلك من علامات شرفهم،و من الممدوحات أيضا الاستغناء عن الناس فى أىّ باب كان و قد يذكر المدح على سبيل التزويج و المغالطه فيعبّر عن الرذيله بعباره تنظمها فى سلك الفضيله إذا كانت قريبه من الفضيله أو كانا تحت حكم يعمّهما،و هذا لا يحتاج الخطيب إلى مدح الناقصين فيجعل القدر المشترك بين الفضيله و الرذيله مكان الفضيله فيمدح المتجربز بأنّه حسن المشوره و الفاسق بأنه لطيف العشره و الغنى بأنّه حليم و الغضوب بأنّه نبيل و الأبله الغافل عن اللذّات بأنّه عفيف و المتهوّر بأنّه شجاع و الماجن بأنّه ظريف و المبذّر فى الشهوات بأنّه سخىّ،و فى عكس ذلك إذا قصد ذمّ الفاضلين فيذكر الفضيله فى معرض الرذيله فيذمّ لطيف العشره بالفسق و الحليم بالغباوه و النبيل بالغضوب و العفيف بالأبله و الشجاع بالمتهوّر و الظريف بالماجن و كذلك فى سائرها،و أمّا الامور المشاجريّه فعلى الخطيب إعداد أنواع أسباب الجور،و الجور هو الإضرار الرافع بالقصد و المشيئه و لم ترخص الشريعه فيه بوجه،و أمّا الأسباب المحركه إليه فكالكسل من الكسلان فإنّه عند ما يتخيّل الدعه الّتى يهواها يكون سببا لخذلان صديقه و كالجبن الّذى يكون سببا لإضاعه الحريم و هلاكهم و كإيثار الراحه من التعبّ و حبّ البطاله و اللهو المؤدىّ إلى ترك اكتساب الفضائل و كالغضب المؤدىّ إلى العسف و عدم الظفر بالمطلوب عند الغلبه و الاقتحام و كاستباحه التصرّف فى مال الغير و عرضه و دمه و الاستهزاء بالخلق و الحرص و الوقاحه و أسباب العدل هو ما يقابل هذا الأسباب فهذه امور إذا علمها الخطيب أخذ منها مقدّمات فى أنه لمّا كان الجائز كذا أقدم على الجور و للجور أسباب كثيره مذكوره فى الكتب المبسوطه.

البحث الخامس فى أنواع مشتركه للأمور الخطابيّه الثلاثه:

و هاهنا أنواع مشتركه لأصناف الخطابه يجب على الخطيب إعدادها لينتفع بها فمنها ما يعدّ لاستدراجات من مبادى الانفعالات و الأخلاق مثلا ما يعدّ للغضب كالاستهانه و العنت و الشنيمه و قطع العاده فى الإحسان و مقابله النعمه بالسّيّئه أو بالكفران و القعود عن جزاء الجميل بمثله أو يعدّ لضدّه و هو فتور الغضب كالاعتذار بعدم معرفه من قصده بالاستهانه أو بعدم قصد الإهانه و

كالاعتراف بالذنب و الاستغفار بالتوبه و التذلل و التلقى بالبشاشه و كذلك هيبه المهيب و الاستحياء من المستحى منه فإنّ الغضب لا يجامعها أو يعدّ للحزن كالأنواع الّتى توجب نصوّر فوت المرغوب فيه أو حصول المحذور منه أو عدم الانتفاع بالحياه و التدبير أو لضدّه و هو التسليه كالّتى يوجب الإقناع فى أنّ هذا الأمر يمكن أن يدفع أو يرجى التلافى فى التدارك أو باعتبار حال الغير فإنّ المصيبه إذا عمّت هانت،أو بالإرشاد إلى الحيّل بتحصيل الأمر الّذى لأجله الحزن أو يعدّ للخجل و الاستحياء كالفرار من الزحف و خيانه الأمانه و ارتكاب المظالم و معاشره الفسّاق و مداخلتهم فى مواضع الريبه و الحرص على المحقرات و مقارفه الدنايا كسلب السكين و نبش الكفن و التقيه مع اليسار و معارضه اللئام بالاستماحه و كاستشعار الشماته من الأعداء أو يعدّ لإبطال الخجل و هو أضداد هذه الأسباب أو للاهتمام بالغير و الشفقه عليه أو الأسباب الباعثه على الاهتمام كالعذاب المهلك و الأوجاع و الجهد و الكبر و السقم و الخصاصه و سوء البخت و عدم الأنصار،و علامات الاهتمام كايثار المهمّ له على النفس و الإحسان إليه بغير منّه و ستر عيوبه و نصرته فى مغيبه و الوفاء له أو لضدّه و هو الحسد كوصول خير إلى غير يرى الحاسد أنّه أولى به منه أو إلى من لا يحبّه أو للغيره كتخيّل مشاركه من لا حقّ له فى الحقّ من غير أن يدخله صاحبه فيه أو لشكر النعمه،و هو أن يقول الخطيب:إنّما اعطى فلان لنفس النفع لا لجزاء يتوقّعه،أو يقول:إنّه نفع فى وقت الحاجه أو فى وقت تعسّر المعونه من الناس أو أنّه أنعم بما لم تسمح نفس غيره به أو أنّه أولى من أنعم فيحرّك غيره للإنعام أو أنّه لم يرد بالصيغه ذكرا أو أنّه يستر الصيغه سترا أو للكفران و تحقير النعمه كأن يقول لم ترد بعطائك إلا غرضا و إنّك لم تتم النعمه و إنّك قصرت عن الواجب عليك بمثله و إنّك لم تصطنع بقصد بل لضروره أو إنفاق أو لرعيّه فى محاذات فإنّ ذلك كلّه ممّا يبطل المنّه أو للشجاعه كأن تقول المكروه عنك بعيد أو لا وجود له عندك و لا محلّ عندك للأقران و المبارزين،و كقوله أنت كثير الأنصار قويّهم و إنّك برىء عن الظلم قليل الاحتمال له،أو لضدّها و هو الجبن كقوله:إنّ فى المقاومات حصول المكاره و إنّ خصمك فى غايه القوّه فلا طاقه لك به لو أنّ أنصارك قليلون أو ضعفاء و أمثال ذلك،و كذلك يجب على الخطيب أن يحصل أنواعا تعين على كلّ خلق خلق يختصّ

بصنف صنف من الناس إمّا باعتبار الأسنان كأن يقول للشاب الّذى يغلب عليه طلب اللذّه إنّ هذا وقت السرور و الزّمان المساعد و الشباب بعد فنائه غير عائد و هذا الربيع قد أشرف أنواره و تصنفت أزهاره،و كمدح الماكل و المشارب و الملابس و المراكب،و يقول للشيخ الّذى يغلب على طباعه طلب النفع و الحرص على الدنيا ينبغى أن تقتصر على تحصيل منافعك و اللهو غير لائق بك و ينبغى أن تقلّل البذل لئلا يستضرّ عيالك و ينبغى أن لا تنخدع لفلان و لا تغلط معه لأنّك جريت الخداع،أو باعتبار أخلاقهم فى البلدان كأن يقول للعربى الّذى طبعه الفصاحه إنّك لذو فضيله عظيمه و لو لم يكن من فضل الفصاحه إلاّ أنّها وجه إعجاز القرآن لكفى و أمثاله،و كأن يقول للقرب من جهه ما هم غلاظ الطباع كثير الإطماع إنّ بنى فلان أعداؤكم و لا ناصر لهم أو هم قليلون أو نعمهم كثيره أو إنّ القفل الفلانى كثير النعمه و لا حارس له فيغرّ بهم بذلك،و كما تحرك طباع الفرس إلى حسن التدبير الّذى هو عادتهم بما يناسبه أو إلى الملال الّذى هو طباعهم بما يناسبه،أو باعتبار الهمم كما يحرّك ما فى طباع الملوك من الكبر و عدم الالتفات إلى الغير بما يناسبه و ما فى طباع الساقتين من الدنائه بما يليق به،و من جمله الامور المشتركه ما يتعلّق بالممكن من الامور و غير الممكن كأن يقول الخطيب:إذا أراد أن يقنع بأنّ الأمر الفلانى ممكن فيقول هذا الأمر ممّا يستطاع فهو ممكن أو نقيصه ممكن فهو ممكن أو شبهه ممكن فهو ممكن أو الأصعب منه ممكن فهو ممكن أو أراد أن يقنع بأنّه متوقّع كونه فيقول:الأمر الفلانى مقدور عليه و مراد فلا بدّ أن يكون و النادر يكون فالأكثرى يكون و يمكنك أن يعلم أنواع ما لا يكون و أنواع ما لا يمكن من أنواع ما يكون و أنواع ما يمكن.فهذه جمله من الأمثله تهدى الخطيب إلى أمثالها،و ليس يجب عليه أن يضبط ما لا يتناهى من الامور بحسب شخص شخص فى كلّ واحد من اموره الجزئيّه فإنّ ذلك غير ممكن بل يضبط القوانين الكلّيّه المتعلّقه بالأجناس الثلاثه للخطابه و يجتهد فى أن يخصّصها مهما أمكن فإنّه كلّما كان الحكم بالجزئىّ المتكلّم فيه أخصّ كان أنفع و أقنع مثاله إذا أردت أن تمدح زيدا فقلت هو شجاع لأنّه مستكمل الفضائل بأسرها فهذا و إن كان مقنعا إلا أنّك لو خصّصت فقلت لأنّه هزم جيش العدوّ وقت كذا أو قتل البطل الفلانى يوم كذا لكان ذلك أقنع و أليق بالممدوح،و قد تقع فى الخطابه القصايا المتقابله

ص:٧٠

و المغالطه بها للإقناع فيستعمل الضدّان فى ايجاب كلّ واحد من النقيضين كقولك اسكت فى المحافل لأنّك إن صدقت أبغضك الناس و إن كذبت أبغضك اللّه ثمّ تقول تكلّم فى المحافل لأنّك إن صدقت أحبّك اللّه و إن كذبت أحبّك الناس،و المقابله هاهنا إن أفادت إقناعا كانت من صناعه الخطابه مثالها إمّا من باب اشتراك الاسم كقولك بالذهب يبصر الإنسان لأنّه عين،أو من باب تركيب المفصّل كقولك فلان شاعر جيّد فيوهم ذلك التركيب مدح الشعر بالجوده و التقدير فلان جيّد،أو من باب وضع ما ليس بعلّه علّه كما يقال فلان مبارك القدم لأنّه مع قدومه تيسّر كذا،أو من باب المصادره على المطلوب كما يقال زيد يشرب الخمر فيقال لأنّ أخاه يشرب الخمر،و أمّا إن لم يوقع إقناعا كما يقال فلان لم يذنب باختياره لأنّه زنا و هو سكران لم يكن من صناعه الخطابه و باللّه التوفيق.

البحث السادس فى تحسينات الخطابه:

الامور المحسنه للخطابه إمّا أن تتعلّق بالألفاظ و إمّا أن تتعلّق بالترتيب و إمّا أن تتعلّق بهيئه الخطيب،أمّا الأوّل فاعلم أنّ تحسين الألفاظ فى الخطابه عظيم النفع فإنّ جزاله اللفظ توهم جزاله المعنى و ركاكه اللفظ تذهب ذوق المعنى،و محسنات اللفظ امور الأوّل أن يكون اللفظ فصيحا عذبا غير ركيك صرف العاميّه و لا متين مرتفع عن أن يصلح المخاطبه الجمهور لأنّ الطباع العاميّه تنفر عن العباره العلميّه و لا ملحون لأنّ اللحن يهجن كلام و يرد له،و هذه الاعتبارات موجوده فى كلام علىّ عليه السّلام كثير،الثانى أن يراعى تمام الرباطات و هى الحروف الّتى يقتضى ذكرها أن تكرّر كقوله عليه السّلام فى صفه الملائكه:منهم سجود لا يركعون و منهم ركوع لا يسجدون و كذلك باقى الأقسام فلو لم يحصل التكرار هاهنا لنقص الكلام و كذلك قوله عليه السّلام:المرء المسلم البرىء من الخيانه ينتظر إحدى الحسنيين إمّا داعى اللّه فما عند اللّه خير له،و إمّا رزق اللّه و إذا هو ذو أهل و مال.أللّهم إلاّ أن يكون تكراره معلوما كقوله عليه السّلام فى كثير من خطبه أمّا بعد،فإنّ هذا الجزء مسبوق بأمّا قبل و إن لم يذكر لوضوحه،الثالث أن لا يباعد ما بين الرباطين بحشو دخيل ينسى الوصله بينهما،الرابع أن يراعى حقّه من التقديم و التأخير فإنّ تأخير الشرط عن المشروط و تقديم لإنّ على الدعوى قبيح سمج،و بعض هذه الأحكام قد يختصّ ببعض اللغات،الخامس أن يزيّن

بالتشبيه و الاستعاره و يكون تلك الألفاظ المستعاره خاصّه غير مشتركه و لا مغلطه فقد يورد اللفظ موهما للشىء و ضدّه كقول المنجم:إذا دخلت سنه كذا يتجدّ للإسلام أمر عظيم فذلك محتمل للخير و الشرّ موهم لهما،و فائده التشبيه و الاستعاره هاهنا الاستعانه بالتخييل الحاصل منه على ترويق المعنى فإنّه يحصل له رونقا لا يحصل بدونه و الألفاظ المستعاره و المخيّله و إن كانت أصلا فى الشعر فقد يستعملها الخطيب بالعرض فيكون فى الخطابه كالأبازير،السادس أن يراعى لفظ الواحد و التّثنيه و الجمع و ما يخصّها من التصاريف و كذلك التذكير و التأنيث ذى العلامه و غيره رفعا للغلط،السابع قد يزيّن اللفظ بالايجاز إذا اعتمد على فهم السامع من تعقّب الإقناع فرّد الحدود و الرسوم هناك إلى اللفظ المفرد،و قد يزيّن بالبسط فينعكس ذلك،و قد يبدّل اللفظ المفرد العلم لشناعته كما يقال عوره المرء،و وطيها،و دمها عوض أسمائها الصريحه و أكثر ما يستعمل أمثال هذه فى الإفراطات فى المدائح فيكره التصريح بالأسماء الصريحه احتشاما و تنزيها للمجالس عن ذكرها و كذلك يستعمل فى الاعتذار كثيرا و حيث يراد التهويل للتخويف فى المشوريّات،الثامن أن يزيّن بالمفاصل أى يكون ذا مصاريع و تسجيع و وزن ما لا الوزن الحقيقى و ذلك كقول علىّ عليه السّلام:أمّا بعد فإنّ الدّنيا قد أدبرت و أذنت بوداع و إنّ الآخره قد أقبلت و أشرفت باطلاع،و قد عرفت المتوازن فإنّ ذلك أقرب إلى ثبات اللفظ فى الخيال ثم تلك المفاصل ينبغى أن لا تطول لئلاّ ينسى الأوّل و لا تقصر جدا فلا تحفل به النفس فيجعل انقطاعه عن استثبات النفس له ثمّ المفاصل قد تكون أقساما و يسمّى المقسم كما مرّ فى المثال فى صفه الملائكه،و قد يكون تلك الأقسام متقابله كقوله عليه السّلام:أمّا الآمره البرّه فيعمل فيها النفى و أمّا الآمره الفاجره فيمتنع فيها الشقى،و لكلّ واحده من الخطابه المسموعه و المكتوبه اسلوب خاصّ و كذلك أصنافهما،و أمّا الثانى و هو الترتيب و اعلم أنّ للأقاويل الخطابيّه صدرا و وسطا و خاتمه،فالصدر كالرسم الّذى ينقش عليه و يعرف السامع منه الغرض إجمالا،و أمّا الوسط فقد يكون اقتصاما لأمر واقع ليحكم بأنّه حسن أو قبيح كما فى المنافره و عدل أو جور كما فى المشاجره و قد يقدّم على الصدر اقتصاص لامور تستلزم الشكر و المدح من القائل و تهيّىء السامع لذلك كما جرت العاده بتقديم اقتصاص

صفات اللّه و حمده و صفات رسله عليهم السلام و قد يكون الوسط غير اقتصاص بل دالّه على مصلحه و حثّ عليها كما فى المشوره إذ ليس فيها ما يحكى و يشتكى و يحمد و يذمّ و ليس فيها منازعه و مواثبه و الصدر فيها حسن ليكون المشار عليه قد وعى الغرض و استعدّ للقبول و هو فى المشاجره قبيح،و أمّا الخاتمه فهى حسنه فى المشوره أيضا و الّذى يليق بها أن يكون أجزائها مفصّله غير مخلوطه بما قبلها و خصوصا فى المشوريّات و هو أن يقول المشير:قد قلت ما عندى من النصيحه و الرأى ما ترون،و كما يقول الخطيب:أقول قولى هذا و استغفر اللّه العظيم لى و لكم إنّه هو الغفور الرحيم و نحو ذلك،و أمّا الثالث و هو الامور الّتى تتعلّق بهيئه الخطيب فيخيّل معانى أو يخيّل أخلاقا و استعدادات الأفعال و انفعالات و يسمّى ذلك نفاقا و الأخذ بالوجوه فهى إمّا أن يتعلّق بصوته كرفعه فى موضع الرفع و خفضه فى موضع الخفض و بتذكيه نفسه أو بكونه على زىّ و هيئه و سمت حسن يصيد به القلوب،و هذا القسم إنّما يكثر الانتفاع باستعماله مع ضعفاء العقول إذا كانوا للاستدراجات بالامور المحسوسه أطوع و لذلك يكبر فى أعينهم من كان يرى النساك و المستكثرين من العباده و الخشوع الظاهر و إن كان جاهلا مرائيا،و لمّا لم يكن غرضنا من التعرّض بذكر الخطابه هاهنا إلاّ الإشاره إلى أقسامها الكلّيه لتبيّن معنى الخطابه و ما عسى أن نذكره من أنّ الخطابه الّتى نحن شارعون فى بيانها من أىّ أقسام الخطابه هى و ليتفطّن المطّلع على ما ذكرناه هاهنا لمّا لم نبيّنه من ذلك لا جرم اقتصرنا على هذا القدر من الإيراد،و أمّا البسط ففى الكتب المطوّله،و اعلم أنّ الغالب على كلام علىّ عليه السّلام هو المشوريّات و أمّا المنافريات و المشاجريّات فهما أقلّ كما ستعرف ذلك عند تصفّح أقواله إنشاء اللّه تعالى و باللّه التوفيق.

خاتمه لهذه القاعده:

و أمّا الخاتمه ففى بيان غايته عليه السّلام من الخطابه:و اعلم أنّه لمّا كان الغرض من وضع الشرائع و السنن إنّما هو نظام الخلق و جذبهم إلى الجناب المقدس عن دار الغرور و تذكيرهم لمعبودهم الحقّ و تعليمهم كيفيّه السلوك للصراط المستقيم كما أو مأنا إليه،و علم من ذلك أنّ عليّا عليه السّلام كان مقررا للشريعه و مثبتا لها و موّضحا لمقاصد سنن الرسول صلى اللّه عليه و آله و مفرّعا لأحكامها إذ كان هو الممنوع بجوامع العلم و المطّلع على الأسرار

الآلهيّه لم يكن مقصوده من جميع الأقوال المنقوله عنه إلاّ الغرض الأوّل من وضع الشرائع و السنن،بيان ذلک أنّک قد علمت أنّ الأقوال الخطابيّه تنقسم بحسب أغراضها ثلاثه أقسام مشاوره و منافره و مشاجره،و أمّا المشوره فإنّها الجزء الأکبر من کلامه عليه السّلام و أنت تعلم من تصفّح کلامه أن کلّ ما يشير به بالقصد الأوّل فإنّما هو الإقبال على اللّه تعالى بترک الدنيا و الإعراض عنها و الاستکمال فى الفضائل و ترک الرذائل و المنقصات الجاذبه إلى الخيبه السافله المانعه عن الوصول إلى اللّه سبحانه فإن عرض فى کلامه أمر بجزئىّ أو نهى عن أمر جزئىّ لا يلوح للغافلين منه هذا الشرّ کمصالح الحرب و العدّه و المدنيّه و غير ذلک فإنّه عند الاعتبار يرجع إليه لأنّ کلّ ذلک يرجع إلى نصره الدين و تقويته و نظام أمر العالم و ترتيب مصالحه،و أمّا المنافره فقد عرفت أن جميع ما ورد فى کلامه عليه السّلام من الذّم إنّما هو للدنيا و إتباع الهوى و ارتکاب الرذائل الموبقه و من ارتکبها و أشباه ذلک ممّا يبعد عن اللّه تعالى و ما ورد فيه من المدح فإنّما هو للّه سبحانه و للملائکته و رسله و الصالحين من عباده و ما هم عليه من الفضائل و ترک الهوى و الأعراض عن الدنيا و ما ينبغى أن يکون الخلق عليه من ذلک،و لا شکّ أنّ الأوّل جذب للخلق بتحقير ما تميل طباعهم إليه من الامور الفانيه و تصغيره و ذمّه و التنفير عنه و ذمّهم على ارتکابه ليتقهقروا عنه إلى ما ورائهم من النعيم الأبدى و الخير السرمدى و ليتذکروا معبودهم الحقّ سبحانه و لا يکونوا من المعرضين الهالکين،و الثانى أيضا جذب لهم بتعظيم ما ينبغى أن يلتفتوا إليه و تکبيره و مدحه و الترغيب فيه و فيما يکون وسيله من الفضائل و الإعراض عن الدنيا و غير ذلک،و أمّا الامور المشاجريّه فما کان فى کلامه عليه السّلام منها فإمّا بيان للظلم و الجور و أسبابهما و ما يؤولان إليه من سوء العاقبه و قبح الخاتمه عند اللّه تعالى أو بيان للعدل و أسبابه و ما يؤول إليه من حسن العاقبه و حميد المنقلب إلى اللّه کما يشتمل عليه کثير من کتبه إلى عماله و محاربيه،و لا شکّ أنّ کلّ ذلک جذب إلى اللّه تعالى بالتصريح و الإشاره و أمّا تظلّم من ظالم خرج عن ربقه الدين و أتبع هويه و شکايه عن أفعاله الخارجه عن نظام الشريعه المؤديه إلى ضدّ مقاصد الشارع و لا يخفى أنّ مقصوده من ذلک التظلّم و الشکايه إقناع الخلق بأنّ فلانا ظالم آخذ لما لا يستحقّه ليثبتوا على الحقّ و يفيئوا إليه و ينکسروهم

من عساه و يتوهّم أنّ خصمه على الحقّ فربّما كان بقاء ذلك الوهم سببا للحقوق به و ذلك بالحقيقه تثبيت على الحقّ و جذب عن الباطل و هو فى نفس الأمر مقصود الشارع و غايته و إمّا اعتذار ممّا يتخيّله الجاهلون فى حقّه ظلما و جورا كاعتذاره عليه السّلام عمّا تخيّله جماعه فى حقّه ظلما من العقود عن نصره عثمان حتّى نسبوه إلى أنّه قاتله و تضلّه من ذلك و كذلك اعتذاره فيما تخيّله الخوارج ذنبا من تحكيم الحكمين و غير ذلك فإنّ الاعتذار فى هذه المواضع و أمثالها جذب إلى الحقّ و صرف عن الباطل إذ كان الاعتذار منه طلبا لإقناع من تخيّل فيه ظلما بأنّه ليس كما خيّل إليهم و أنّ ما صدر ليس بظلم و لا جور ليفيئو إلى طاعته و الاقتداء به فيما هو عليه من اتّباع الحقّ و النصره للدين و الذبّ عنه،و معلوم أنّ ذلك كلّه جذب إلى اللّه سبحانه و إلى أسباب ما يوصل إليه فقد علمت من هذا البيان أنّ غايته عليه السّلام من جميع أقواله إنّما هو توجيه الخلق إلى جناب اللّه و التفاتهم إلى حضرته القدسيّه و هذه هى الغايه الّتى اتفق عليها الأنبياء و الرسل و تطابقت عليها الشرائع و السنن و من تأمّل ما قلناه و ترك متابعه هواه و طبق ما أوردناه من القانون الكلّى على كلامه علم صحّه ما أدعيّناه و باللّه التوفيق.

القاعده الثالثه فى بيان أنّ عليّا عليه السّلام كان مستجمعا للفضائل

اشاره

الإنسانيّه و فيها فصول.

الفصل الأوّل فى فضائله اللاحقه له من خارج

-و لنذكر منها وجوها نسبه من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و هو أبو الحسن علىّ بن أبى طالب بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصّى،و امّه فاطمه بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف،و هى أوّل هاشميّه ولدت هاشميّا و كان علىّ عليه السّلام أصغر أولادها و عقيل أسن منه بعشر سنين و طالب أسن من عقيل بعشر سنين،و هى أوّل امرأه بايعت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله من النساء و كان صلى اللّه عليه و آله يكرمها و يدعوها امّه و أوصت إليه حين حضرتها الوفاه فقيل وصيّتها و صلّى عليها،و يروى أنّه نزل لحدها و اضطجع معها بعد أن ألبسها قميصه فقال له أصحابه فى تخصيصها بذلك فقال إنّه لم يكن أحد بعد أبى طالب أبّرى منها و إنّما ألبستها قميصى لتكسى من حلل الجنّه و إنّما أضطجعت معها لتأمن ضغطه القبر(ب)سبقه إلى الإسلام و فضيلته فى ذلك ظاهره(ج)مجاهدته

أعداء اللّه و نصرته للدين و ذبّه عنه و مقاماته فى ذلك مشهوره مأثوره تكاد لا تحصى كثره (د)تخصيص الرسول صلى اللّه عليه و آله تزويجه فاطمه دون من خطبها من أكابر المهاجرين و الأنصار (ه)كون الحسن و الحسين اللذين هما سيّد اشباب أهل الجنّه ولديه و ذلك فضل عظيم (و)قوله تعالى «وَ لَمّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ» ١قيل إنّها نزلت فى علىّ عليه السّلام،و فى جعل عيسى عليه السّلام مثلا له فضل عظيم،و يؤيّد ذلك فى قول النبىّ صلى اللّه عليه و آله له:لو لا أن تقول فيك طوائف امّتى ما قالت النصارى فى عيسى لقلت اليوم فيك مقالا لا تمرّ بعده بملاء منهم إلاّ أخذوا التراب من تحت قدميك،و هذا الكلام يقتضى أنّه لو وصفه بشىء لما وصفه إلاّ بأوصاف عيسى عليه السّلام الّتى لأجلها قالت النصارى فيه ما قالوا (ز)قوله تعالى «وَ يُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَ يَتِيماً وَ أَسِيراً إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللّهِ» ٢الآيه اتفق المفسّرون على أنّها نزلت فى علىّ عليه السّلام و أهل بيته و سبب نزولها مشهور فى كتب التفسير و غيرها و كفى بذلك شرفا(ح)روى أنّه لمّا نزلت« «وَ تَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ» » ٣قال النبىّ صلى اللّه عليه و آله:أللّهمّ اجعلنا اذن علىّ،و لا شكّ أنّ الرسول صلى اللّه عليه و آله كان مجاب الدعوه و لذلك قال علىّ عليه السّلام فما شككت فى شىء سمعته بعد ذلك و ذلك من أعظم الفضائل(ط)من طرق الكلّ قول النبىّ صلى اللّه عليه و آله فى حقّه أللّهمّ أدر الحقّ مع علىّ حيث دار،و لا شكّ فى استجابه دعائه،و من كان الحقّ وجه أقواله و أفعاله فلا مزيد على فضله(ى)من طرق الكلّ قول النبىّ صلى اللّه عليه و آله:أنت منى بمنزله هرون من موسى إلا أنّه لا نبىّ بعدى،و الاستثناء هنا يشهد بإثبات جميع المنازل الّتى كانت لهارون من موسى إلاّ النبوّه،و ما علم نفيه من الاخوه فبقى كونه وزيرا أو ناصرا و قائما بناموس الشريعه و مفرعا لأحكامها الكليّه و خليفه له كما كان هرون كذلك و من هنا تمسكت الشيعه بهذا الخبر فى استحقاقه للخلافه و كفى بهذه فضيله(يا)من طريق الكلّ قوله صلى اللّه عليه و اله:من كنت مولاه فعلى مولاه،و سواء كان المراد هاهنا بالمولى الأولى بالتصرّف

أو الناصر فإنّ الفضل حاصل(يب)قوله صلى اللّه عليه و آله فى حقّه:أقضاكم علىّ،و لا شكّ أنّ القضاء محتاج إلى أنواع العلوم و كفى بشهاده الرسول صلى اللّه عليه و آله له بذلك فضلا(يج)قوله صلى اللّه عليه و آله اعطيت جوامع الكلم و اعطى علىّ جوامع العلم،و كفى بهذه الشهاده فضلا(يد)من طرق الشيعه أنّه خوطب بإمره المؤمنين فى حياه الرسول صلى اللّه عليه و آله و أنكره المحدثون من غيرهم و روى أحمد فى مسنده و فى كتابه فى فضائل الصحابه،و كذلك أبو نعيم الحافظ الأصفهانى فى كتاب حليه الأولياء أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله خاطبه بيعسوب المؤمنين،و اليعسوب أمير النحل و كلّ ذلك إشاره إلى فضله(يه)تربيته رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله من أوّل عمره إلى أنّ أعدّه لا على مراتب الكمالات النفسانيّه قال عليه السّلام فى تربيه النبىّ صلى اللّه عليه و آله و اتباعه أثره فى خطبه المسماه بالقاصعه و قد علمتم موضعى من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بالقرابه القريبه و المنزله الخصيصه وضعنى فى حجره و أنا وليد يضمّنى إلى صدره و يكنفنى فى فراشه و يمسّنى جسده و يشمّنى عرقه و كان يمضغ الشىء ثمّ يلقمنيه و ما وجد لى كذبه فى قول و لا خطله فى فعل و لقد قرن اللّه به صلى اللّه عليه و آله من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته يسلك به من طريق المكارم و محاسن أخلاق العالم ليله و نهاره و لقد كنت أتّبعه إتبّاع الفضيل أثر امّه يرفع لى فى كلّ يوم علما من أخلاقه و يأمرنى بالاقتداء به،و لقد كان يجاور فى كلّ سنه بحراء فأراه و لا يراه غيرى و لا يجمع بيت واحد يومئذ فى الإسلام غير رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و خديجه و أنا ثالثهما أرى نور الوحى و الرساله و أشمّ ريح النبوّه و لقد سمعت رنّه الشيطان حين نزل الوحى عليه صلى اللّه عليه و آله فقلت يا رسول اللّه ما هذه الرّنه؟فقال:هذا الشيطان قد آيس من عبادته إنّك تسمع ما أسمع و ترى ما أرى إلاّ أنّك لست بنبىّ و لكنّك وزير و إنّك لعلى خير إلى آخر الكلام حتّى صار بهذه التربيه استاد العالمين بعده صلى اللّه عليه و آله فى جميع العلوم،و بيان ذلك إمّا جمله فلقول النبىّ صلى اللّه عليه و آله:أنا مدينه العلم و علىّ بابها،و لا شكّ أنّ المقصود أنّه صلى اللّه عليه و آله هو المنبع الّذى تفيض عنه العلوم الإسلاميّه و الأسرار الحكميّه الّتى اشتمل عليها القرآن الحكيم و السنّه الكريمه و هو مصدرها و المحيط بها لأنّ شأن المدينه بما تحتوى عليه كذلك،و أنّ عليّا عليه السّلام هو المفرع لتلك الأسرار و المهتدى لتفاصيل جملها و أحكامها الكلّيه بحسب ما له من كمال الحدس و قوّه الاستعداد بحيث تصير تلك الأسرار سهله التناول قريبه المأخذ بسائر الخلق لأنّ

الباب هو الجهه الّتی منها ینتفع الخلق من المدینه و یمکنهم تناول ما أرادوه منها،و أمّا تفصیلا فإنّا بحثنا العلوم بأسرها فوجدنا أعظمها و أهمّها هو العلم الإلهی،و قد ورد فی خطبه علیه السّلام من أسرار التوحید و النبوات و القضاء و القدر و أسرار المعاد کما سنبیّنه ما لم یأت فی کلام أحد من أکابر العلماء و أساطین الحکمه،ثمّ وجدنا جمیع فرق الإسلام تنتهی فی علومهم إلیه،أمّا المتکلمون،فأمّا معتزله و انتسابهم إلیه ظاهر فإنّ أکثر أصولهم مأخوذه من ظواهر کلامه فی التوحید و العدل و أیضا فإنّهم ینتسبون إلی مشایخهم کالحسن البصری و واصل بن عطا،و کانوا منتسبین إلی علیّ علیه السّلام و متلقفین عنه العلوم،و أمّا أشعریّه و معلوم أنّ استادهم أبو الحسن الأشعری و قد کان تلمیذا لأبی علیّ الجبائی و هو من مشایخ المعتزله إلاّ أنّه تنبّه لما وراء أذهان المعتزله فخالف استاده فی مواضع تعلّمها من مذهبه،و أمّا الشیعه فانتسابهم إلیه ظاهر فإنّهم یتلقّفون العلوم عن أئمّتهم و أئمّتهم یأخذ بعضهم عن بعض إلی أن ینتهی إلیه و هو إمامهم الأوّل،و أمّا الخوارج فهم و إن کانوا فی غایه من البعد عنه إلاّ أنّهم ینتسبون إلی مشایخهم و قد کانوا تلامذه علیّ علیه السّلام، و أمّا المفسّرون فرئیسهم ابن عبّاس-رضی اللّه عنه-و قد کان تلمیذ علیّ علیه السّلام،و أمّا الفقهاء فمذاهبهم المشهوره أربعه أحدها مذهب أبی حنیفه و من المشهور أنّ أبا حنیفه قرء علی الصادق علیه السّلام و أخذ عنه الأحکام و انتهاء الصادق علیه السّلام إلی علیّ علیه السّلام ظاهر،الثانی مذهب مالک و قد کان مالک تلمیذ الربیعه الرای و ربیعه تلمیذ عکرمه و عکرمه تلمیذ عبد اللّه بن عبّاس و کان تلمیذ العلیّ علیه السّلام،و الثالث مذهب الشافعی و قد کان الشافعی تلمیذ المالک،الرابع مذهب أحمد بن حنبل و کان أحمد تلمیذ الشافعی فرجع انتساب فقه الجمیع إلی علیّ علیه السّلام و ممّا یؤیّد کما له فی الفقه قول الرسول صلی اللّه علیه و آله:أقضاکم علیّ و الأقضاء لا بدّ و أن یکون أفقه و أعلم بقواعد الفقه و اصوله،و أمّا الفصحاء فمعلوم أنّ جمیع من ینسب إلی الفصاحه بعده یملئون أوعیه أذهانهم من ألفاظه و یضمّنونها کلامهم و خطبهم فتکون منها بمنزله ورد العقود کابن نباته و غیره و الأمر فی ذلک ظاهر،و أمّا النحویّون فأوّل واضع للنحو هو أبو الأسود الدئلیّ و کان ذلک بإرشاده له إلی ذلک و بدایه الأمر أنّ أبا الأسود سمع رجلا یقرأ« «أَنَّ اللّٰهَ بَرِیءٌ مِنَ الْمُشْرِکِینَ وَ رَسُولُهُ» »بالکسر فأنکر ذلک و قال نعوذ باللّه من

الجور بعد الكور أى من نقصان الإيمان بعد زيادته و راجع عليّا عليه السّلام فى ذلک فقال له نحوت أن أضع للناس ميزانا يقومون به ألسنتهم فقال له عليه السّلام أنح نحوه و ارشده إلى كيفيّه ذلک الوضع و علّمه إيّاه،و أمّا علماء الصوفيّه و أرباب العرفان فنسبتهم إليه فى تصفيه الباطن و كيفيّه السلوک إلى اللّه تعالى ظاهره الانتهاء،و أمّا علماء الشجاعه و الممارسون إيّاه للأسلحه و الحروب و فهم أيضا ينتسبون إليه فى علم ذلک فثبت بذلک أنّه كان استاد الخلق و هاديهم إلى طريق الحقّ بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و مناقبه و فضائله أكثر من أن تحصى و باللّه التوفيق.

الفصل الثانى فى بيان فضائله النفسانيّه

اشاره

و هى إمّا أن يعتبر بالنسبه إلى قوّته النظريّه و إلى قوّته العلميّه فإذن هاهنا بحثان.

البحث الأوّل فى أنّه عليه السّلام كان مستجمعا لكمال قوّته النظريّه

قد علمت أنّ كمال القوّه النظريّه إنّما هو باستكمال الحكمه النظريّه و هى استكمال النفس الإنسانيّه بتصوّر المعارف الحقيقيه و التصديق بالحقائق النظريّه بقدر الطاقه البشريّه و لا شکّ أنّ هذه الدرجه كانت ثابته له عليه السّلام و بيان ذلک ببيان أنّه عليه السّلام كان سيّد العارفين بعد سيّد المرسلين صلى اللّه عليه و آله و أنّه كان متسّنما لدرجه الوصول،و تحقيق ذلک أنّه قد ثبت فى علم كيفيّه السلوک أنّ وصول العارف إنّما يحقّ إذا غاب عن نفسه فلحظ جناب الحقّ من حيث إنّه هو فقط و إن لحظ نفسه فمن حيث هى لا حظ لا من حيث هى متزيّنه بزينه الحقّ ثمّ إنّه قد وجد فى كلامه و إشاراته ما يستلزم حصول هذه المرتبه له،و لنذكر منها مواضع ثلاثه،الأوّل قوله عليه السّلام لو كشف الغطاء ما أزددت يقينا،و قد عرفت أنّ ذلک إشاره إلى أنّ الكمالات النفسانيه المتعلّقه بالقوّه النظريه قد حصلت له بالفعل و ذلک يستلزم تحقق الوصول التام الّذى ليس فى قوّه الأولياء نيله،الثانى قوله عليه السّلام حكايه عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فى حقّه إنّک تسمع ما أسمع و ترى ما أرى إلا أنّک لست نبيّ و لا إشكال فى أنّ النبيّ صلى اللّه عليه و آله كان له الإتّصال التامّ بالحقّ تعالى فكان هذا الاتّصال و الوصول حاصلا لعليّ عليه السّلام بمقتضى شهاده الرسول و إن كان التفاوت بين المرتبتين قائما لأنّ للإتّصال بالجناب الأقدس درجات لا تتناهى و لذلک قال إلا أنّک لست بنبيّ،و ستعلم من تفاصيل كلامه عند الانتهاء إ؟؟؟؟؟هذه

المرتبه له،الثالث قوله عليه السّلام:إلهى ما عبدتك خوفا من عقابك و لا رغبه فى ثوابك و لكن وجدتك أهلا للعباده فعبدتك،وجه الاستدلال أنّه حذف كلّ قيد دنياوىّ و اخروىّ عن درجه الاعتبار سوى الحقّ تعالى و ذلك مما يتحقّق له الوصول،و ممّا يؤيّد ذلك إنّا ستبين «إِنْ شاءَ اللّهُ» تعالى تمكنّه عليه السّلام من الكرامات و صدورها عنه و ذلك من خواصّ الواصلين.

البحث الثانى فى بيان كماله فى قوّته العلميّه

،و كما علمت أنّ كمال القوّه النظريّه إنّما هو باستكمال الحكمه النظريه فكذلك كمال القوه العمليّه إنّما هو باستكمال الحكمه العمليّه و هى استكمال النفس بكمال الملكه التامّه على الأفعال الفاضله حتّى يكون الإنسان ثابتا على الصراط المستقيم متجنّبا لطرفى الإفراط و التفريط فى جميع أفعاله ثمّ قد ثبت فى علم الأخلاق أنّ اصول الفضائل الخلقيّه ثلاثه أحدها الحكمه الخلقيّه و هى الملكه الّتى تصدر عنها الأفعال المتوسطه بين الجريزه و الغباوه الّذين هما طرفا الإفراط و التفريط،و أنت تعلم من تصفح أفعاله و أقواله و تدابيره فى امور الحرب و نظام امور العالم ما تضطرّ معه إلى الحكم بأنّه كان مستلزما لهذه الفضيله و غير واقف دونها فى حدّ الغباوه و لا متجاوز لها إلى طرف الجربزه لأنّ خبث المتجربز يمنعه عن الترقّى إلى درجه الكمال و يأبى طبعه إلّا الشرّ،و ثانيها العفّه و هى الملكه الصادره عن اعتدال حركه القوّه الشهويّه بحسب تصريف العقل العملى لها على قانون العدل و بها تصدر الأفعال المتوسطه بين الجمود و الفجور الّذين هما طرفا الإفراط و التفريط و نبيّن أنّ هذه الملكه كانت ثابته له عليه السّلام من وجهين الأوّل أنّه كان أزهد الخلق فى الدنيا بعد الرسول صلى اللّه عليه و آله و فيما عدا القبله الحقيقيه و أقدر على حذف الشواغل الملغيته عن لقاء اللّه و كلّ من كان كذلك كان مالكا لهواه مصرّفا لشهوته بيد عقله أمّا المقدّمه الاولى فمعلومه بالتواتر،و أمّا الثانيه فضروريّه أيضا،الثانى قول النبىّ صلى اللّه عليه و آله:أللّهمّ أدر الحقّ مع علىّ حيث دار،و لا شكّ فى استجابه دعائه و من كان الحقّ لازما لحركاته و تصرّفاته استحال أن يلزمها باطل لأنّ الأمر الواحد لا يلزمه لا زمان مختلفان فاستحال أن يكون متّبعا للهوى ألبه و هو معنى العفّه،و ممّا يؤكّد حصول هذه الملكه ما روى أنّه عليه السّلام ما شبع من طعام قط و أنّه كان من أخشن الناس ملبسا و مأكلا يقنع بقرص الشعير

و لا يأكل اللحم إلّا نادرا أو كان يقول:لا تجعلوا بطونكم مقبره للحيوان و يقصد بذلك التنفير عنه و كلّ ذلك زهاده فى الدنيا و لذّاتها،و ثالثها الشجاعه و هى الملكه الحاصله للنفس عن اعتدال القوّه الغضبيّه بحسب تصريف العقل فيما يضبطه لها،و بها تصدر الأفعال المتوسّطه بين أفعال الجبن و التهوّر،و ثبوت هذه الفضيله له عليه السّلام معلوم بالتواتر حتّى صارت شجاعته يضرب بها المثل مبالغه فى حقّ الرجل الشجاع،و إذا عرفت أنّ هذه الملكات الثلاث ثابته له كأتمّ ما يمكن و ثبت أنّها مستلزمه لفضيله العداله ثبت أنّ فضيله العداله ثابته له،و أمّا باقى أقسام الحكمه العمليّه كالحكمه السياسيّه و المنزليّه فقد علمت أنّ فائدتهما أن يعلم الإنسان وجه المشاركه الّتى ينبغى أن تكون من أشخاص الناس ليتعاونوا على مصالح الأبدان و نظام مصالح المنزل و المدينه،و قد كان عليه السّلام فى ذلك سبّاق غايات و صاحب آيات،و يكفيك فى معرفه ذلك منه أمّا على سبيل الجمله فلأنّ الشريعه المصطفويّه سلام اللّه على شارعها وارده بمقاصدها بين الحكمتين على أتمّ الوجوه و أكملها بحيث يرجع أكابر الحكماء إليها فى تعلّمها،و معلوم أنّ عليّا عليه السّلام كان متمسّكا و مقرّرا لها و باسطا لأحكامها الكليّه و مفصّلا لإشاراتها الجمليّه لم يغيّر منها حرفا و لم يقف فيها دون غايه و ذلك يستلزم ثبوتهما له على أكمل وجه و أتمّه،و أمّا على سبيل التفصيل فعليك فى معرفه أنّه كان أكمل الخلق بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فى هذا العلم بمطالعه كتبه و عهوده إلى عمّاله و ولاته و امرائه و قضاته خصوصا العهد الّذى كتبه للأشتر النخعى فإنّ فيه من لطائف تدبير أمر المدنيه و نظام أحوال الخلق ما لا يهتدى لحسنه و لا يوجد عليه مزيد فى هذا الباب هذا،مع ما تواتر من رجوع أكابر الصحابه المعترف بحسن تدبيرهم و إيالتهم إلى استشارته فى امورهم و تعرّف كيفيّه تدبير العساكر و الحروب و المصالح الكلّيه و الجزئيّه منه فى مواضع كثيره تعلمها فى هذا الكتاب و فى غيره كرجوع عمر إلى رأيه فى الخروج مع المسلمين إلى غز و الروم،و غير ذلك مما هو مشهور مأثور و ما أشار عليهم به من الآراء الكافله بحسن التدبير و الإياله الوافيه بنظام الحركات المدنيّه كما ستعلم «إِنْ شاءَ اللّهُ» تعالى و باللّه التوفيق.

الفصل الثالث فى صدور الكرامات عنه

اشاره

و فيه بحثان.

البحث الأوّل فى إخباره عن الامور الغيبيّه

و النظر إمّا فى إمكان ذلك أو فى سببه أو فى وقوعه منه فهاهنا إذن ثلاث مقامات.

المقام الأوّل فى إمكانه:يجب عليك أيّها الأخ المتلقّى لنفحات اللّه إذا ذكر أنّ خليفه من خلفاء اللّه أو وليّا من أوليائه أخبر عن أمر سيكون مبشرّا به أو منذرا ممّا لا تفى تدركه قوّتك و أنت أنت فالصواب أن لا تبادر إلى التكذيب بأمثال ذلك و تستنكره فإنّك عند مراجعه عقلك و تصفّحك لأحوال نفسك تجد كلّ ذلك ممكنا و إليه سبيلا بيان ذلك أنّ معرفه الامور الغيبيّه فى النوم ممكنه فوجب أن تكون فى اليقظه كذلك أمّا الأوّل فلأنّ الإنسان كثيرا ما يرى فى نومه شيئا و يقع بعده إمّا صريح تلك الرؤيا أو تعبيرها و ذلك يوضح ما قلناه أمّا فى حقّ الرائى ظاهر،و أمّا من لم يرزق ذلك فى حال النوم فإنّه يعلمه بالتواتر من أكثر الخلق،و أمّا الثانى فلأنّ ذلك لمّا صحّ فى حال النوم لم يكن الجزم بامتناعه حال اليقظه،فإنّ الناس لو لم يجرّبوا ذلك فى حال النوم لكان استبعادهم له فى تلك الحال أشدّ من استبعادهم لوقوعه فى حال اليقظه فإنّه عند عدم التجربه لو قيل لإنسان إنّ جماعه من الأولياء اجتهدوا فى تلويح مفكّراتهم الصافيه حال ما هم أيقاظ فى تحصيل حكم غيبىّ فعجزوا،ثمّ إنّ واحدا من الكفّار لمّا نام و صار كالميّت حصل له ذلك الحكم فلا بدّ و أن يكذّب بذلك و يستنكره لعدم حصوله مع كمال الحركه و سلامه الحواسّ عن العطله و كمال العباده،و حصوله مع أضداد ذلك فقد بان بذلك أنّه لمّا كان فى حال النوم ممكنا كان فى حال اليقظه كذلك.

و أمّا المقام الثانى و هو بيان السبب فى الاطّلاع على الامور الغيبيّه:فأمّا فى حال النوم فهو أنّه قد ثبت فى العلم الإلهىّ أنّ جميع الامور الّتى يصدق عليها أنّها كانت أو ستكون معلومه للّه تعالى،و ثبت أنّ النفس الإنسانيّه من شأنها الاتّصال بجناب اللّه تعالى و إنّما يعوقها عن ذلك استغراقها فى تدبير البدن فإذا حصل لها أدنى فراغ من ذلك كما فى حال النوم و انغلقت عنها أبواب الحواسّ الظاهره رجعت بطباعها إلى الاتّصال بالجناب المقدّس فينطبع فيها من الصور الحاصله هناك ما هو أليق بها من أحوالها و أحوال ما يقرب منها من الأهل و الولد و ما يهتمّ به،ثمّ إنّ المتخيّله الّتى من طباعها المحاكاه تحاكى تلك

المعانى الكلّيّه الحاصله للنفس و تمثّلها بصور جزئيّه و تخطّها إلى لوح الخيال للصور فتبقى تلك الصور شاهده للحسّ المشترك،ثمّ إن كانت المناسبه حاصله بوجه ما كما إذا تصوّر المعنى بصوره ضدّه أو لازم من لوازمه احتيج حينئذ إلى التعبير،و فائده التعبير التحليل و رجوع الفكر بالعكس من الصوره الخياليّه إلى المعنى النفسانىّ،و إن لم تكن هناك مناسبه أصلا كانت الرؤيا أضغاث أحلام،و أمّا فى حال اليقظه فالسبب فى ذلك هو أنّ النفس الناطقه متى قويت و كانت وافيه بضبط الجوانب المتجاذبه و لم يكن اشتغالها بتدبير البدن عائقا لها عن ملاحظه مباديها و الاتّصال بالحضره الإلهيّه و كانت المتخيّله بحيث تقوى على استخلاص الحسّ المشترك و ضبطه عن الحواسّ الظاهره فإنّ النفس و الحال هذه إذا توجّهت إلى الجناب المقدّس لاستعلام ما كان أو ما سيكون افيضت عليها الصور الكلّيّه لتلك الامور،ثمّ إنّ النفس تستعين فى ضبط تلك الامور الكلّيّه بالقوّه المتخيّله فتحاكى تلك المعانى بما يشبهها من الامور المحسوسه ثمّ تحطّه إلى خزانه الخيال فيصير مشاهدا للحسّ فربما سمع الإنسان كلاما منظوما و شاهد منظرا بهيّا يخاطبه بكلام فيما يحبّه من أفعاله فان كان لا تفاوت بين تلك المعانى و الصور إلاّ فى الكلّيّه و الجزئيّه كان ذلك وحيا صريحا و إلهاما و إلاّ احتاج إلى التأويل.

و أمّا المقام الثالث-و هو صدور الإخبار بالامور الغيبيّه عنه فستعلمها فى مواضع كثيره من هذا الكتاب إنشاء اللّه تعالى لا يقال:لا نسلّم أنّ ذلك علم ألهمه اللّه إيّاه و أفاضه عليه بل الرسول صلى اللّه عليه و آله أخبره بوقائع جزئيّه من ذلك و حينئذ لا يبقى بينه و بين غيره فرق فى هذا المعنى فإنّ الواحد منّا لو أخبره الرسول صلى اللّه عليه و آله بشىء من ذلك لكان له أن يحكى ما قال الرسول،و أن وقع المخبر به على وفق قوله،و يدلّ على ذلك قوله بعد وصف الأتراك و قد قال له بعض أصحابه فى ذلك المقام:لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب فضحك و قال للرجل و كان كلّبيّا:يا أخا كلب ليس هذا بعلم غيب و إنّما هو تعلّم من ذى علم و إنّما علم الغيب علم الساعه و ما عدّده اللّه سبحانه من قوله «إِنَّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَهِ وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ ما فِي الْأَرْحامِ» من ذكر و انثى و قبيح و جميل و شقىّ و سعيد و من يكون للنار حطبا أو فى الجنان للنبيّين مرافقا فهذا علم الغيب الّذى لا يعلمه أحد إلاّ اللّه و ما سوى

ذلك فعلم علّم اللّه نبيّه صلى اللّه عليه و آله فعلّمنيه و دعا لى بأن يعيه صدرى و تضطم عليه جوانحى و هذا تصريح بأنّه تعلّم من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله لأنّا نقول:إنّا لم ندّع أنّه عليه السّلام يعلم الغيب بل المدّعى أنّه كان لنفسه القدسيّه استعداد أن تنتقش بالامور الغيبيّه عن إفاضه جود اللّه تعالى،و فرق بين الغيب الّذى لا يعلمه إلاّ اللّه و بين ما ادّعيناه فإنّ المراد بعلم الغيب هو العلم الّذى لا يكون مستفادا عن سبب يفيده و ذلك إنّما يصدق فى حقّ اللّه تعالى إذ كلّ علم لذى علم عداه فهو مستفاده من جوده إمّا بواسطه أو بغير واسطه فلا يكون علم غيب و إن كان اطّلاعا على أمر غيبىّ لا يتأهّل للاطلاع عليه كلّ الناس بل يختصّ بنفوس خصت بعنايه إلهيّه كما قال تعالى« «عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً» » ١فاذا عرفت ذلك ظهر أنّ كلامه عليه السّلام صادق مطابق لما أردناه فإنّه نفى أن يكون ما قاله علم غيب لأنّه مستفاد من جود اللّه تعالى،و قوله و إنّما هو تعلّم من ذى علم إشاره إلى وساطه تعليم الرسول له و هو إعداد نفسه على طول الصحبه بتعليمه و إشاره إلى كيفيّه السلوك و أسباب التطويع و الرياضه حتّى استعدّ للانتقاش بالامور الغيبيّه و الإخبار عنها و ليس التعليم هو إيجاد العلم و إن كان أمرا قد يلزمه إيجاد العلم فتبيّن إذن أنّ تعليم رسول صلى اللّه عليه و آله له لم يكن مجرّد توقيفه على الصور الجزئيّه بل إعداد نفسه بالقوانين الكلّيّه،و لو كانت الامور الّتى تلقّاها عن الرسول صلى اللّه عليه و آله صورا جزئيّه لم يحتج إلى مثل دعائه فى فهمه لها فإنّ فهم الصور الجزئيّه أمر ممكن سهل فى حقّ من له أدنى فهم و إنّ ما يحتاج إلى الدعاء و إعداد الأذهان له بأنواع الإعدادات هو الامور الكلّيّه العامّه للجزئيّات و كيفيّه انشعابها عنها و تفريعها و تفصيلها و أسباب تلك الامور المعدّه لإدراكها،و ممّا يؤيّد ذلك قوله عليه السّلام علّمنى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ألف باب من العلم فانفتح لى من كلّ باب ألف باب،و قول الرسول:صلى اللّه عليه و آله:اعطيت جوامع الكلم و اعطى علىّ جوامع العلم،و المراد بالانفتاح ليس إلاّ التفريع و انشعاب القوانين الكلّيّه عمّا هو أهمّ منها و بجوامع العلم ليس إلاّ ضوابطه و قوانينه،و فى قوله و اعطى بالبناء للمفعول دليل ظاهر على أنّ المعطى لعلىّ جوامع العلم ليس هو النبىّ بل الّذى أعطاه ذلك هو الّذى أعطى النبىّ صلى اللّه عليه و آله جوامع

الكلم و هو الحقّ سبحانه و تعالى،و أمّا الامور الّتى عدّدها اللّه سبحانه فهى من الامور الغيبيّه،و قوله لا يعلمها أحد إلاّ اللّه كقوله تعالى «وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُها إِلاّ هُوَ» او هو محتمل للتخصيص كما فى قوله «عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً إِلاّ مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ» و هذا الأمر واضح لا يحتاج العاقل فى استشكافه إلى كلفه،و سيجىء فى أثناء الشرح ما يزيد ذلك وضوحا «إِنْ شاءَ اللّهُ» تعالى.

البحث الثانى فى بيان صدور الأفعال الخارقه للعاده عنه

و النظر إمّا فى إمكان ذلك أو فى سببه أو فى نفس وقوعه منه.

المقام الأوّل فى إمكانه و أسبابه:واجب على من أهّله اللّه سبحانه لاستشراق أنواره إذا سمع أنّ وليّا من الأولياء أتى بفعل ليس فى وسع غيره من أبناء نوعه الإتيان بمثله كالإمساك عن الطعام المدّه المديده الّتى ليست فى وسع أبناء نوعه،و كالتحريك على الحركه الخارجه عن وسع مثله كما يشاهد من طوفانات تقع باستدعائهم و زلازل و استنزال عقوبات،و خسف قوم حقّ عليهم القول،و استشفاء المرضى،و استسقاء العطشى،و خضوع عجم الحيوانات و غيرها أن لا يبادر إلى التكذيب فإنّه عند الاعتبار يجد تلك الامور ممكنه فى الطبيعه.أمّا الإمساك عن القوت فتأمّل إمكانه فينابل وجوده عند عروض عوارض غريبه لنا إمّا بدنيّه كالأمراض الحادّه،و إمّا نفسانيّه كالخوف و الغمّ،و سبب الإمساك فى حال المرض أمّا فى الأمراض البدنيّه فإنّ القوى الطبيعيّه تشتغل بهضهم الموادّ الرديئه عن تحريك الموادّ المحموده فتجد الموادّ المحموده حينئذ محفوظه قليله التحلّل غنيّه عن طلب البدل لما يتحلّل،فربّما انقطع الغذاء عن صاحبها مدّه لو انقطع مثله عنه فى غير حالته تلك عشر تلك المدّه هلك و هو مع ذلك محفوظه الحياه،و أمّا النفسانيّه فإنّه قد يعرض بعروض الخوف للخائف سقوط الشهوه و فساد الهضم و العجز عن الأفعال الطبيعيّه الّتى كان متمكّنا منها قبل الخوف لوقوف القوى الطبيعيّه عن أفعالها بسبب اشتغال النفس بما أهمّها عن الالتفات إلى تدبير البدن،و إذا عرفت إمكان ذلك بسبب العوارض الغريبه فاعلم أنّ سبب تحقّقه فى حقّ العارف هو توجّه نفسه بالكلّيّه إلى عالم القدس المستلزم

لتشبيع القوى البدنيّه لها،و ذلك أنّ النفس المطمئنّه إذا راضت القوى البدنيّه انجذبت القوى خلفها فى مهمّاتها الّتى تنزعج إليها و اشتداد ذلك الانجذاب بشدّه الجذب فإذا اشتد الاشتغال عن الجهه المولّى عنها وقفت الأفعال الطبيعيّه المتعلّقه بالقوّه النباتيّه فلم يكن من التحليل إلاّ دون ما يكون فى حال المرض لاختصاص المرض فى بعض بما يقتضى الاحتياج إلى الغذاء كتحلّل رطوبات البدن بسبب عروض الحراره الغريبه المسمّاه بسوء المزاج الحارّ لأنّ الغذاء إنّما يكون لسدّ بدل ما يتحلّل من تلك الرطوبات،و شدّه الحاجه إلى الغذاء إنّما بحسب كثره التحليل و كقصور القوى البدنيّه بسبب المرض المضادّ له و إنّما الحاجه إلى حفظ تلك لرطوبات لحفظ تلك القوى إذا كانت مادّه الحراره الغريزيّه المقتضيّه لتعادل الأركان الّذى لا تقوم تلك القوى إلاّ معه و شدّه الحاجه إلى ما يحفظ تلك القوى إنّما هى بحسب شدّه فتورها.

و أمّا العرفان فإنّه مختصّ بأمر يوجب الاستغناء عن الغذاء و هو سكون البدن عند إعراض القوى البدنيّه عن أفعالها حال متابعتها للنفس و انجذابها خلفها حال توجيهها إلى الجناب المقدّس و تطعمها بلذّه معارفه الحقّ و إليه الإشاره بقوله:لست كأحدكم أبيت عند ربّى يطعمنى و يسقينى،و إذا عرفت ذلك ظهر أنّ المرض و إن اقتضى الإمساك الخارق للعاده إلاّ أنّ العرفان بذلك الاقتضاء أولى.

و أمّا القدره على الحركه الّتى تخرج عن وسع مثله فهى أيضا ممكنه،و بيانها أنّك علمت أنّ مبدء القوى البدنيّه هو الروح الحيوانى فالعوارض الغريبه الّتى تعرض للإنسان تاره يقتضى انقباض الروح بحركه إلى داخل كالخوف و الحزن و ذلك يقتضى انحطاط القوّه و سقوطها،و تاره يقتضى حركه إلى خارج كالغضب و انبساطا معتدلا كالفرح المطرب و الانتشار المعتدل و ذلك يقتضى ازدياد القوّه و نشاطها،و إذا عرفت ذلك فاعلم أنّه لمّا كان فرح العارف ببهجه الحقّ و أعظم من فرح من عداه بما عداه و كانت الغواش الّتى تغشاه و تحرّكه اعتزازا بالحقّ ربانيّه أعظم ممّا يعرض لغيره لا جرم كان اقتداره على حركه غير مقدوره لغيره أمكن.

و أمّا السبب فى الامور الباقيّه فهو أنّه قد ثبت فى غير هذا الموضع أنّ تعلق النفس

بالبدن ليس تعلّق انطباع فيه إنّما هو على وجه أنّها مدبّره له مع تجرّدها،ثمّ إنّ الهيئات النفسانيّه قد تكون مبادئ لحدوث الحوادث،و بيانه أمّا أوّلا فلأنّك تشاهد إنسانا يمشى على جذع ممدود على الأرض و يتصرّف عليه كيف شاء و لو عرض ذلك الجذع بعينه على جدار عال لوجدته عند المشى عليه راجفا متزلزلا يواعده،وهمه بالسقوط مرّه بعد اخرى لتصوّره و انفعال بدنه عن وهمه حتّى ربّما سقط،و أمّا ثانيا فلأنّ الأمزجه تتغيّر عن العوارض النفسانيّه كثيرا كالغضب و الخوف و الحزن و الفرح و غير ذلك و هو ضروريّ، و أمّا ثالثا فلأنّ توهم المرض أو الصحّه قد يوجب ذلك و هو أيضا ضروريّ إذا عرفت ذلك فنقول:إنّه لمّا كانت الأمزجه قابله هذه الأنفعالات عن هذه الأحوال النفسانيّه فلا مانع أن يكون لبعض النفوس خاصيّه لأجلها تتمكّن من التصرّف فى عنصر هذا العالم بحيث تكون نسبتها إلى كلّيه العناصر كنسبه أنفسنا إلى أبداننا فيكون لها حينئذ تأثير فى إعداد الموادّ العنصريّه لأن يفاض عليها صور الامور الغريبه الّتى تخرج عن وسع مثلها فإذا انضمّت إلى ذلك الرياضات فانكسرت صوره الشهوه و الغضب و بقيتا أسيرتين فى يد القوّه العاقله فلا شكّ أنّها حينئذ تكون أقوى على تلك الأفعال،و تلك الخاصيّه إمّا بحسب المزاج الأصلى أو بحسب مزاج طار غير مكتسب أو بحسب الكسب و الاجتهاد فى الرياضه و تصفيه النفس،و الّذى تكون بحسب المزاج الأصلى فذو المعجزات من الأنبياء أو الكرامات من الأولياء فإن انضمّ إليها الاجتهاد فى الرياضه بلغت الغايه القصوى فى ذلك الكمال،و قد يغلب على مزاج من له هذه الخاصيّه أن يستعملها فى طرف الشرّ،و فى الامور الخبيثه و كان يزكّى نفسه كالساحر فيمنعه خبثه عن الترقى إلى درجه الكمال.

و اعلم أنّ الشروط الأوّل لنبوّه أن يكون الشخص مأمورا من السماء بإصلاح النوع ثمّ من لواحق مرتبه الأولياء أمور.الأوّل أن يستغنوا فى أكثر علومهم من معلّم بشرى بل يحصل لهم بحسب قواهم الحدسيّه القدسيّه الشريفه البالغه و شدّه اتّصال نفوسهم بالحقّ سبحانه.الثانى أن يكون هيولى العالم طوعا لما أرادوا من الامور العجيبه الخارقه للعاده كالخسف و التحريكات و التسكينات.الثالث أن يتمكّنوا من الإخبار عن المغيبات و الامور الجزئيّه الواقعه إمّا فى الماضى أو فى المستقبل،و الشرط الأوّل و هو العمده فى تمييز درجه

الأنبياء عن غيرهم و لا شكّ أنّ اختصاصهم به إنّما هو لشدّه اتّصالهم فإذن هم أشدّ اتّصالا بالمبدإ الأوّل،و أكمل قوّه من غيرهم،و كذلك اختلاف مراتبهم عائد أيضا إلى تفاوت نفوسهم فى قربها من البدء و اتّصالها به،و أمّا باقى الخصال فقد يشاركهم فيها الأولياء و يجتمع فيهم،و إلى هذا المعنى أشار النبىّ صلى اللّه عليه و آله بقوله:علماء امّتى كأنبياء بنى إسرائيل،و كان التفاوت بين المعجزه و الكرامه إنّما يرجع إلى أنّ الخصال المذكوره إن صدرت عمّن له الشرط الأوّل سمّيناها معجزا و إن صدرت عن غيرهم كانت فى حقّه كرامه و تحقيق هذه المباحث مبنىّ على مقدّمات و اصول ليس هذا موضع ذكرها فليطلب ذلك من مظانّها و باللّه التوفيق.

المقام الثانى فى وقوع الفعل الخارق عنه عليه السّلام-و اعلم أنّ الطريق إلى ذلك هو النقل،و قد نقل عنه ذلك فى صور ثبت بعضها بحسب التواتر و بعضها بخبر الآحاد فمن الامور الخارقه المنقوله عنه بحسب التواتر فعله لباب خيبر لما انتهى إليه و كان من صخره واحده يعجز الجماعه عن تحريكه،و روى فى كيفيّه حاله فى ذلك أنّه لمّا اقتلعه رمى به أذرع و اجتمع عليه سبعون رجلا و كان جهدهم أن عادوه إلى مكانه،و روى أنّه قال:عالجت باب خيبر و جعلته مجنّا لى و قاتلت فلمّا أخزاهم اللّه وضعت الباب على حصنهم طريقا ثمّ رميت به فى خندقهم فقال له رجل:لقد حملت يا أمير المؤمنين منه ثقلا فقال:ما كان إلاّ مثل جنّتى الّتى فى يدى فى غير ذلك المقام،و معلوم أنّ ذلك لم يصدر عن قوّه بدنيّه و إلاّ لقدر على ذلك من هو أقوى صوره منه و لذلك قال عليه السّلام:ما قلعت باب خيبر بقوّه جسدانيّه و لكن قلعته بقوّه ربانيّه،و للشعراء فى هذه الآيه أشعار كثيره،و القصّه مشهوره فهذا القدر يكفينا فى بيان فضائله عليه السّلام و عليك فى باقى الامور المنقوله عنه فى ذلك بالكتب المصنّفه فى بيان معجزات الأنبياء و كرامات الأولياء،و لقد اجتهد بنو اميّه فى إخفاء فضائله و إطفاء نوره بالتحريف و وضع المعايب و المثالب حتّى سبّوه على جميع المنابر،و منعوا أن يروى حديث يتضمّن له فضيله و أن يسمّى باسمه أحد فلم يزدد بذلك الإخفاء إلاّ ظهورا،و لم يثمر ذلك الإطفاء إلاّ نورا« «وَ يَأْبَى اللّهُ إِلاّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ» »و كان مولده عليه السّلام قبل ظهور دعوه النبىّ صلى اللّه عليه و آله بثلاث عشره سنه،و قيل إثنى عشره سنه و قيل عشر سنين،و قتل ليله الجمعه لثلاث

عشره لیله بقین من شهر رمضان من سنه أربعین من هجره الرسول بجامع الکوفه،و هو ابن ثلاث و ستین سنه،فهذا ما أوردنا من هذه المقدّمه،و لنشرع بعدها فی تقریر المطالب و قبله نذکر نسب السیّد الرضیّ الدین و نبیّن ما عساه أن یشکل من لفظه فی خطبه الکتاب أمّا نسبه،فهو السیّد الشریف رضیّ الدین ذو الحسین محمّد بن الطاهر ذی المناقب أبی أحمد الحسین بن موسی بن محمّد بن موسی بن إبراهیم بن موسی بن جعفر بن محمّد بن علیّ بن الحسین بن علیّ بن أبی طالب علیه السّلام وصف بذی الحسین لاجتماع أصله الفاخر الّذی هو منبع الحسب مع فضیله نفسه و کما لها بالعلم و الأدب،و کان مولده ببغداد سنه تسع و خمسین و ثلاث مائه و توفی فی المحرم سنه ست و أربع مائه بالکرخ من بغداد و دفن مع أخیه المرتضی فی جوار جدّه الحسین علیه السّلام.

خطبه الکتاب

«بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ» أمّا بعد حمد اللّه الّذی جعل الحمد ثمنا لنعمائه، و معاذا من بلائه،و وسیلا إلی جنانه،و سببا إلی زیاده إحسانه،و الصلاه علی رسوله نبیّ الرحمه،و إمام الأئمه،و سراج الامه.المنتخب من طینه الکرم،و سلاله المجد الأقدم، و مغرس الفخار المعرق،و فرع العلاء المثمر المورق،و علی أهل بیته مصابیح الظلم،و عصم الامم،و منار الدین الواضحه،و مثاقیل الفضل الراجحه صلّی اللّه علیهم أجمعین صلاه تکون ازاء لفضلهم،و مکافاه لعملهم،و کفاء لطیب فرعهم و أصلهم.ما أنار فجر ساطع،و خوی نجم طالع،فإنّی کنت فی عنفوان السن،و غضاضه الغصن ابتدأت بتألیف کتاب فی خصائص الأئمه علیهم السّلام یشتمل علی محاسن أخبارهم،و جواهر کلامهم حدانی علیه غرض ذکرته فی صدر الکتاب،و جعلته أمام الکلام،و فرغت من الخصائص الّتی تخصّ أمیر المؤمنین علیّا علیهم السّلام،و عاقت عن إتمام بقیّه الکتاب محاجزات الأیّام،و مماطلات الزمان،و کنت قد بوّبت ما خرج من ذلک أبوابا،و فصّلته فصولا،فجاء فی آخرها فصل یتضمّن محاسن ما نقل عنه علیه السّلام من الکلام القصیر فی المواعظ و الحکم و الأمثال و الآداب دون الخطب الطویله و الکتب المبسوطه،فاستحسن جماعه من الأصدقاء ما اشتمل علیه الفصل المقدّم ذکره معجبین ببدائعه،و متعجّبین من نواصعه،و سألونی عند ذلک أن أبتدئ بتألیف کتاب یحتوی علی مختار کلام أمیر المؤمنین علیه السّلام فی جمیع فنونه،و متشعبّات غصونه من خطب و کتب،و مواعظ

و آداب علما أنّ ذلک يتضمّن من عجائب البلاغه،و غرائب الفصاحه،و جواهر العربيّه،و ثواقب الكلم الدينيّه،و الدنيويّه ما لا يوجد مجتمعا فى كلام،و لا مجموع الأطراف فى كتاب إذ كان أمير المؤمنين عليه السّلام مشرع الفصاحه و موردها،و منشأ البلاغه و مولدها،و منه عليه السّلام ظهر مكنونها،و عنه اخذت قوانينها،و على أمثلته حذا كلّ قائل خطيب،و بكلامه استعان كلّ واعظ بليغ،و مع ذلک فقد سبق و قصّروا،و تقدّم و تأخّروا،لأنّ كلامه عليه السّلام الكلام الّذى عليه مسحقه من العلم الإلهىّ،و فيه عبقه من الكلام النبوىّ،فأجبتهم إلى الابتداء بذلک عالما بما فيه من عظيم النفع،و منشور الذكر،و مذخور الأجر،و اعتمدت به أن أبين عن عظيم قدر أمير المؤمنين عليه السّلام فى هذه الفضيله مضافه إلى المحاسن الدثره،و الفضائل الجمه،و أنّه عليه السّلام انفرد ببلوغ غايتها من جميع السلف الأوّلين الّذين إنّما يؤثر عنهم منها القليل النادر،و الشاذ الشارد فأمّا كلامه عليه السّلام فهو البحر الّذى لا يساجل،و الجمّ الّذى لا يحافل،و أردت أن يسوغ لى التمثيل فى الافتخار به عليه السّلام بقول الفرزدق:

اولئک آبائى فجئنى بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

و رأيت كلامه عليه السّلام يدور على أقطاب ثلاثه أوّلها الخطب،و الأوامر،و ثانيها الكتب و الرسائل،و ثالثها الحكم و المواعظ،فأجمعت بتوفيق اللّه تعالى على الابتداء باختيار محاسن الخطب،ثمّ محاسن الكتب،ثم محاسن الحكم و الأدب مفردا لكل صنف من ذلک بابا،و مفصّلا فيه أوراقا لتكون لاستدراک ما عساه يشذ عنّى عاجلا و يقع إلىّ آجلا،و إذا جاء شىء من كلامه الخارج فى أثناء حوار أو جواب كتاب(سؤال ن خ)أو غرض آخر من الأغراض فى غير الأنحاء الّتى ذكرتها،و قرّرت القاعده عليها نسبته إلى أليق الأبواب به،و أشدّها ملامحه لغرضه،و ربّما جاء فيما اختاره من ذلک فصول غير متّسقه،و محاسن كلم غير منتظمه، لأنّى أورد النكت و اللمع،و لا أقصد التتالى و النسق،و من عجائبه عليه السّلام الّتى انفرد بها، و أمن المشاركه فيها أنّ كلامه الوارد فى الزهد و المواعظ،و التذكير و الزواجر إذا تأمّله المتأمّل،و فكّر فيه المتفكّر،و خلع من قبله أنّه كلام مثله ممّن عظم قدره،و نفذ أمره و أحاط بالرقاب ملكه لم يعترضه الشکّ فى أنّه من كلام من لا حظّ له فى غير الزهاده،و لا شغل له بغير العباده قد قبع فى كسر بيت،أو انقطع إلى سفح جبل لا يسمع إلّا حسّه و لا يرى

إلّا نفسه،و لا يكاد يوقن بأنّه كلام من ينغمس فى الحرب مصلتا سيفه فيقطّ الرقاب،و يجدّل الأبطال،و يعود به ينطف دما،و يقطر مهجا،و هو مع تلك الحال زاهد الزهاد،و بدل الأبدال، و هذه من فضائله العجيبه،و خصائصه اللطيفه الّتى جمع بها بين الأضداد،و ألّف بين الأشتات و كثيرا ما أذاكر الأخوان بها،و أستخرج عجبهم منها،و هى موضع للعبره بها،و الفكره فيها،و ربّما جاء فى أثناء هذا الاختيار اللفظ المردّد،و المعنى المكرّر،و العذر فى ذلك أنّ روايات كلامه عليه السّلام تختلف اختلافا شديدا فربّما اتّفق الكلام المختار فى روايه فنقل على وجهه،ثمّ وجد بعد ذلك فى روايه اخرى موضوعا غير موضعه الأوّل إمّا بزياده مختاره أو لفظ أحسن عباره،فتقضى الحال أن يعاد استظهار اللاختيار،و غيره على عقائل الكلام، و ربّما بعد العهد أيضا بما اختير أوّلا فاعيد بعضه سهوا أو نسيانا لا قصدا و اعتمادا،و لا أدّعى مع ذلك أنّى احيط بأقطار جميع كلامه عليه السّلام حتّى لا يشذّ عنى منه شاذّ و لا يندّ نادّ بل لا أبعد أن يكون القاصر عنى فوق الواقع إلىّ،و الحاصل فى ربقتى دون الخارج من يدى، و ما علىّ إلّا بذل الجهد،و بلاغ الوسع،و على اللّه سبحانه نهج السبيل،و رشاد الدليل إنشاء اللّه.و رأيت من بعد تسميه هذا الكتاب بنهج البلاغه إذ كان يفتح للناظر فيه أبوابها، و يقرّب عليه طلّابها،و فيه حاجه العالم و المتعلّم،و بغيه البليغ و الزاهد،و يمضى فى أثنائه من عجيب الكلام فى التوحيد و العدل،و تنزيه اللّه سبحانه عن شبه الخلق ما هو بلال كلّ غلّه،و شفاء كلّ علّه،و جلاء كلّ شبهه،و من اللّه سبحانه أستمدّ التوفيق و العصمه،و أنتجز التسديد و المعونه،و أستعيذه من خطأ الجنان قبل خطأ اللسان،و من زلّه الكلم قبل زلّه القدم،و هو حسبى «وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ» .

أقول: أمّا حرف يبتدء به الكلام المقسّم إلى قسمين أو أكثر و تصدر به الجمل فتخصّص معه كلّ واحده بحكم ليس للاخرى ،فقوله أمّا بعد حمد اللّه هو الجزء الثانى من الكلام، و تقدير الكلام مع الجزء الأوّل أمّا قبل الشروع فى المطلوب فالحمد للّه،و أمّا بعد حمد اللّه فإنّى كنت فى عنفوان السن،و إنّما حذف الجزء الأوّل اختصار الكلام و إيجاز له ثمّ استمرّ ذلك الحذف،و حسن استعماله فى الكلمات الخطابيّه و غيرها حتّى صار إظهار المحذوف هاهنا مستهجنا بقدر ما يستحسن الحذف،و قال سيبويه.إنّه مع الجمله الّتى يدخل

عليها فى قوّه شرطى متصّل فقال:إذا قلت أمّا زيد فمنطلق:فكأنّك قلت مهما يكن من شىء فزيد منطلق و نبّه على ذلك بلزوم الفاء بجوابها،و جعل فيها الكلام مشتملا على جملتين شرط و جزاء و المذكور هاهنا ليس إلاّ الجمله الجزائيّه و أمّا الشرط فمحذوف للاختصار،و هذا الحرف ينوب عنه كما ناب يا للنداء مناب أدعو و نعم مناب الجواب،و إنّما زحلفت الفاء عن موضعها و هو المبتدأ إلى الخبر لئلاّ يقع فى صدر الكلام مع أنّ حقّها التوسط ما بين مفردين أو جملتين،و قوله بعد ظرف يستدعى متعلّقا،و تقديره و أمّا قولى بعد حمد اللّه فهو كذا و كذا و الحمد لفظ مشكّك يصدق على معنى الشكر الّذى هو الاعتراف بالنعمه المتقدّمه و الثناء و التعظيم لربّها من الشاكر و على الثناء المطلق ابتداء و التعظيم لغير المحسن إلى المحامد إذا رأى منه فعلا جميلا دون أن يكون فى حقّه فهو إذن أعمّ من الشكر و هو أخصّ من المدح لاختصاص إطلاقه فى حقّ العقلاء دون غيرهم إذ يقال مدحت الفرس و لا يقال حمدته ،و المعاذ الملجأ ،و الوسيل جمع وسيله و هى كلّ ما قربّك إلى اللّه تعالى أو إلى غيره ،و الصلاه لفظ مشترك بين معان و هو من اللّه تعالى رحمه ،و النبىّ مأخوذ إمّا من النبوّه و النباءه و هى الارتفاع لكونه مرتفعا على الخلق رئيسا لهم فيكون أصله غير الهمزه،و إمّا من النبأ و هو الخبر لأنّه يخبر عن اللّه تعالى ،و الأمّه الجماعه ،و المنتجب المستخلص المصطفى ،و سلاله الشىء ما استلّ منه و استخرج و النطفه سلاله الإنسان و منه السليل للولد ،و المجد فى الأصل الكرم و المجيد الكريم و كذلك الماجد ،و أعرق الرجل إذا صار عريقا و هو الّذى له عرق فى الكرم و أصل ،و العصم جمع عصمه و هى المنع و فلان عصمه الخلق إذا منع الأذى عنهم و حماهم منه ،و المنار علم الطريق و هو لفظ مفرد و أصل ألفه الواو و قد يستعمل جمعا لمناره كما أراده الرضىّ هنا و لذلك انّث صفته،و هذا الجمع على غير قياس فإنّ وزن مناره مفعله و قياس مفعله فى الجمع مفاعل و لذلك كان الجمع الأصلى لمناره مناور قال الجوهرى و من قال منائر و همّز فقد شبّه الأصلى بالزائد و أراد فى حذفه فى الجمع ،و المثاقيل جمع مثقال و هو ما يوزن به الذهب و الفضّه و يكون حذاء لها ثم كثر استعماله حىّ عدّى إلى الموزون ايضا فيقال مثقال مسك و نحوه ثمّ عدّى إلى الامور المعقوله و المقادير منها فقيل

مثقال فضل و هذا الشیء إزاء لذلک حذاء له و مقابل و کذلک المکافاه،و الکفاء یقال کافأت فلانا بالشیء إذا قابلته به و جزیته علیه و کفاء الشیء بالمدّ و الهمزه مثله و نظیره من جزاء و نحوه و منه کفأت الإناء إذا ملأته ،و خوی النجم بالتخفیف سقط و بالتشدید إذا مال للمغیب ،و عنفوان الشباب و السن أوله ،و الغضّ الطری و غضاضه القصن طراوته و لینه ، و حدانی علی کذا أی بعثنی و حملنی علیه و هو مأخوذ من حداء الإبل و هو رجزها ،و الغناء لها الباعث لها علی السیر و الحامل لها علی السرعه فیه ،و الخصائص جمع خصیصه فعیله بمعنی فاعله و هی ما یختصّ بالإنسان من کمال و غیره ،و المحاجزات جمع محاجزه و هی الممانعه من الطرفین کان الأیّام ممانعه عن العمل و هو یمانعها منعها له ،و المماطلات جمع مماطله مفاعله أیضا من الطرفین کأن الزمان لاغتراره بطوله یعده بإنجاز العمل فیخلف و کأنّه هو لطول أمله بعد الزمان بوقوع العمل فیه فیخلف ،و اعجب فلان بکذا علی البناء للمفعول فهو معجب إذا أحبّه و مال إلیه و صار عنده فی محلّ أن یتعجّب منه،و منه قولهم أعجب فلان برأیه و عقله ،و البدائع جمع بدیعه فعلیه بمعنی مفعوله و هی الفعل علی غیر مثال ثمّ صار یستعمل فی الفعل الحسن و إن سبق إلیه مبالغه فی حسنه فکأنّه لکمال حسنه لم یسبق إلیه ،و التعجّب قولک ما أحسن کذا و نحوه من الألفاظ ،و النواصع جمع ناصعه و الناصع من کلّ شیء خالصه و تصع الأمر وضح و بان ،و معجبین و متعجّبین منصوبان علی الحال و العجب بالشیء سبب للتعجّب منه ،و فنون الکلام أنواعه و أسالیبه المختلفه ،و علما منصوب علی المفعول له أو علی أنّه مصدر سدّ مسدّ الحال أی عالمین،و العامل فیه قوله سألونی ،و القوانین جمع قانون و هو کل صوره کلیّه یتعرّف منها أحکام جزئیّاتها المطابقه لها،و لفظه معرّب سریانیّ و قیل إنّه عربیّ مأخوذ لکونه ثابتا باقیا إمّا من القنّ و هو العبد الّذی ملک هو و أبواه فهو ثابت فی الملک من جهتین،أو من القنقن و هو الدلیل الهادی و البصیر بالماء فی حفر القنی و کذلک القناقن بضم القاف لکون القانون هادیا فی تعرّف جزئیّاته ،و یقال علی فلان مسحه من جمال أی أثر و علامه و هو خاصّ بالمدح قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فی جریر بن عبد اللّه البجلی:علیه مسحه من ملک أی أثر ذلک و قال ذو الرمه علی وجه میّ مسحه من ملاحه و تحت الثیاب الشین لو کان بادیا

و عبق به الطّيب أى لزق به و انتشرت عنه رائحته ،و العبقه واحده العبوق ،و اعتمدت أى قصدت ،و الدثره الكثيره و كذلك الجمّه ،و الأثر ما تبقى من رسم الشى ء،و سنن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله آثاره و يؤثر عنهم ينقل عنهم من الآثار ،و الشاذ المنفرد الّذى لا يصحب أمثاله ،و شرد البعير نفر عن الإبل و خرج عن نظامها ،و المساجله المغالبه و المفاخره فى سقى أو جرى و أصله من السجل و هو الدلو العظيمه إذا كان فيها ماء قال الفضل بن عبّاس:

من يساجلنى يساجل ماجدا يملأ الدلو إلى عقد الكرب

و حفل القوم و اختلفوا أى اجتمعوا و المحافله مفاعله من الطرفين،و قوله لا يحافل أى ليس فى كلام غيره مجمع للفضائل يقابل كلامه ،و قطب الرحى المسمار الّذى عليه تدور ثمّ استعمل فى كلّ أصل ينتهى إليه و يرجع فقيل قطب القوم لسيّدهم لكونه عليه مدار امورهم و قطبا الفلك لنهايتى محوره و هو الخطّ الّذى يتوهّم مارّا بمركز الفلك منتهيا فى الجهتين إلى طرفيه و عليه يدور و لأقسام الكلام الّتى تدخل أجزاه و تحتها و تدور عليه و الخطبه أعمّ من الوعظ ،و الوعظ التخويف و يختصّ فى العرف بالتذكير بأيّام اللّه و أمر الآخره و عذاب النار و نحوه ،و الرساله أعمّ من الكتاب لجواز أن تكون بالقول دون كونها مكتوبه ،و الصنف و النوع فى اللغه واحد و إن كان بينهما فى عرف آخر فرق ،و الإجماع تصميم العزم على الأمر و خلوصه من التردید ،و أثناء الشىء تضاعيفه و هو جمع ثنّى بكسر الثاء و سكون النون تقول انفذت كذا بثنىّ كتابى أى فى طيّه ،و الحوار الخطاب و الجواب،و المحاوره و المجاوبه و التراد فى الكلام يقال كلّمته فلم يحر جوابا ،و الأنحاء جمع نحو و هو المقصد ،و قواعد البيت الأحجار الّتى يؤسّس عليها بناؤه و قال تعالى« «وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَيْتِ» »و قواعد الهودج أخشابه الأربع المعترضات فى أسفله ثمّ عدّى إلى كلّ أصل يبنى عليه من كلام أو غيره ،و الملامحه المشابهه من قولهم فى فلان ملامح من أبيه أى مشابه، و أصله من لمح البصر و هو النظر الخفيف السريع الزوال و ذلک أنّ الملمح مفعل و هو موضع اللمح و المشابه محالّ اللمح فلذلک اشتقّت منها الملامحه و روى ملاحمه و هى الملائمه و روى ملائمه أيضا ،و المتّسق المنتظم يتلو بعضه بعضا و أصله المنتسق فأدغمت النون فى التاء ،و النكت جمع نكته و هى الأثر فى الشىء يتميّز بعض أجزائه عن بعض و يوجب له الامتياز

و التفات الذهن إليه كالنقطه فى الجسم و الأثر فيه الموجب للاختصاص بالنظر و منه رطبه منكته إذا بدا أرطابها ثمّ عدىّ إلى الكلام و الامور المعقوله الّتى يختصّ بعضها بالدقه الموجبه لمزيد العنايه و الفكر فيها فسمّى ذلك البعض نكته ،و اللمع جمع لمعه،و هى البقعه من الكلاء و كذلك الجماعه من الناس و أصله من اللمعان و هو الإضافه و البريق لأنّ البقعه من الأرض ذات الكلاء كأنّها تضىء لخضرتها و نضارتها دون سائر البقاع و عدىّ إلى محاسن الكلام و بليغه لاستناره الأذهان به و لتمييزه عن سائر الكلام فكأنّه فى نفسه ذو ضياء و نور و اعتراض الشكّ خطوره بالبال المانع للجزم بأحد طرفى المشكوك فيه ،و قبع القنفذ قبعا و قبوعا إذا أدخل رأسه فى جلده و كذلك الرجل إذا أدخل رأسه فى قميصه و أصله من قبوع القنفذ ،و كسر البيت أسفل شقه البيت الّتى تلى الأرض من حيث تكسر جانباه من عن يمينك و شمالك حكاه ابن السكيت ،و سفح الجبل سطوحه و جوانبه الّتى يسيل عليها الماء من أعلاه،و قد يقال بالصاد أيضا ،و يوقن يعلم يقينا و إنّما صارت الياء الّتى هى الأصل واوا للضمّه قبلها ،و انغمس فى الأمر دخل فيه بكلّيته و أصله من الدخول فى الماء و نحوه من المايعات ،و أصلّت سيفه جرّده عن غمده ،و قطّ الشىء قطعه عرضا و قدّه و شقّه قطعه طولا و البطل الشجاع ،و جدّله أى ألقاه على الجداله و هى الأرض ،و نطف ينطف بضمّ الطاء فى المستقبل نطفانا أى سئل ،و المهج جمع مهجه و هى الدم و يقال هى دم القلب خاصّه و المهجه الروح أيضا و دما و مهجا منصوبان على التمييز ،و الأبدال قوم صالحون لا تخلو الأرض منهم و إذا مات واحد بدّل اللّه مكانه بآخر قال ابن دريد:الواحد بديل و قيل بدل أيضا ،و العبره الاسم من الاعتبار،و هو انتقال الذهن من أمر إلى أمر ،و الظهير المعين و الاستظهار للشىء الاستعانه بغيره لحفظه و بالشىء الاستعانه به و على الشىء الاستعانه بغيره لدفعه ، و الغيره بفتح الغين مصدر قولك غار الرجل على أهله يغار غيره و غارا و رجل غيور و امرأه غيور أيضا إذا كانا كثيرى الغيره،و الغيره ألم نفسانىّ يعرض لذى الحقّ عن تخيّل مشاركه غير المستحقّ لذلك الحقّ له فيه ،و العقائل جمع عقيله،و عقيله كلّ شىء أكرمه و أحسنه ،و الأقطار جمع قطر،و هى الناحيه و الجانب و ندّ البعير يندّ ندّا و ندودا نفر و شرد و الربق بكسر الراء و سكون الباء حبل فيه عرى كثيره تشدّ به البهم،الواحده من العرى

ربقه و فی الحدیث من فارق الجماعه قدر شبر فقد خلع ربقه الإسلام من عنقه ،و الجدّ الحرص و الاجتهاد ،و البلاغ الاسم من التبلیغ و البلوغ اقیم مقام المصدر ،و النهج الطریق الواضح ،و البغیه بکسر الباء و ضمّها ما یراد و یبتغی من الشیء ،و البلال بکسر الباء القدر الّذی یبّل به الحلق من ماء أو لبن ،و الغلّه و الغلیل العطش الشدید ،و جلاء السیف و غیره صقاله و إزاله ما یعرض له من الکدر و جلاء القلب و النفس إزاله ما یعرض لهما من کدر الشبهه و الجهل ،و تنجزت الأمر سألت إنجازه و قضاه ،و الاستعاذه طلب العوذ و هو الالتجاء کقوله تعالی «فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّیْطانِ الرَّجِیمِ» و زلّه اللسان الخطاء فی القول و زلّه القدم خطاء الطریق و الانحراف عنه و عدم التثبت علی الصراط المستقیم إذا عرفت ذلک فلنرجع إلی المعنی .

فقوله أمّا بعد حمد اللّه إلی قوله و زیاده إحسانه أقول:إنّ حمد اللّه تعالی سواء کان عباره عن الثناء و التعظیم المطلق أو عن الشکر المستلزم لتقدّم النعمه و الاعتراف بها و تعظیم ربّها فإنّ المستحقّ له فی الحقیقه لیس إلاّ اللّه سبحانه و مع ذلک فهو من أجل العبادات له و أکملها أمّا الأوّل فلأنّ کلّ محسن من الخلق إمّا یحسن طلبا لجلب منفعه أو رفع مضرّه و هذا الإحسان فی الحقیقه معامله و إن عدّ فی العرف إحسانا أمّا الحقّ سبحانه فلمّا کان منزّها عن طلب المنفعه و دفع المضرّه لم یکن إحسانه استفاده لأحدهما فکان المحسن الحقّ لیس إلاّ هو فکان المستحقّ لکلّ أقسام الحمد لیس إلاّ هو،و أمّا الثانی فبیانه أمّا فی الثناء المطلق للّه تعالی و تعظیمه فلاستلزامه ملاحظه جلال اللّه و کبریائه و تصوّر الجهه الّتی باعتبارها کان مستحقا للثناء و التعظیم دون غیره و هو کونه إلها و ربّا و خالقا لکلّ ما سواه و منزّها عن کلّ نقص مبرّئا عن کلّ عیب و هذه الملاحظه و الاعتبار هو مطلوب اللّه سبحانه من جمیع العبادات و هو جار منها مجری الروح للجسد و کذلک الشکر للّه سبحانه فإنّه مستلزم لمعرفته و محبّته و الالتفات إلیه و ملاحظه الجهه الّتی بها کان مستحقّا للشکر و هی إفاضه النعم الّتی لا تحصی علی العبد و لا یقدر غیره علی مثلها و هذه الملاحظات هی الأسرار المطلوبه من العبادات و بها تکون نافعه،و إذا علمت أنّ الحمد من أکمل العبادات و أتمّها للّه ثمّ علمت أنّ عبادته سبحانه هی المطلوبه له من خلقه دون غیرها کما قال تعالی« «وَ ما»

«خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّـ لِيَعْبُـدُونِ» »۱علمت أنّ الحمد من أكمل المطالب للّه فالإتيان به يكون مستلزما لرضوان اللّه و ما يستلزمه الرضوان من الخيرات الدائمه و النعم الباقيه و إذا عرفت ذلک فاعلم أنّ السيّد رضىّ الدين أشار بهذا الفصول الأربعه إلى أربعه أنواع من تلک الخيرات.الأوّل قبول الحمد و رضاء من العبد مع كونه أيسر شىء مؤنه و أخفّه على اللسان كلّفه ثمنا مقابلاـ كافيا لنعماء اللّه تعالى فى حقّه،و ذلک فى الحقيقه نعمه اخرى و موهبه كبرى يستدعى حمدا آخرا و هلمّ جرّا فسبحان الّذى لا تحصى نعماؤه و لا تستقصى آلاؤه،و قوله ثمنا استعاره لطيفه و وجه المشابهه أنّ الثمن لمّا كان مستلزما لرضا البايع به عوضا من مبيعه و كان الحمد مستلزما لرضا الحقّ سبحانه فى مقابله نعمه لا جرم أشبه الثمن فاستعير لفظه له،و فى الخبر إنّ اللّه تعالى أوحى إلى أيّوب عليه السّلام إنّى رضيت الشكر مكافاه من أوليائى فى كلام طويل،الثانى جعله الحمد معاذا من بلائه،و بيانه أمّا أوّلا فلقوله تعالى« «وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذٰابِی لَشَدِيدٌ» »۲فإنّه تعالى لمّا توعّد بالعذاب فمن كفر نعمته مع إرادته للحمد و الشكر و أمره بهما فى غير موضع علمنا أنّ الشكر و الحمد من أسباب الخلاص من العذاب الأليم و البلاء العظيم لاستلزامهما عدم سببه و هو الكفران، و أمّا ثانيا فلأنّک علمت أنّ الآتى بالحمد مستحقّ لرضوان اللّه تعالى من جهه ما هو حامد و المستحقّ لرضوان اللّه ناج من عذاب اللّه فكان الحمد محلاّ للعوذ به من بلائه و سخطه الثالث جعله الحمد و سيلا إلى جنانه،و بيانه أمّا أوّلاـ فلكونه من أتمّ العبادات و كون العباده وسيله إلى الجنّه ظاهر،و أمّا ثانيا فما روى أنّ النبىّ صلى اللّه عليه و آله ينادى يوم القيامه ليقم الحمّادون فيقوم زمره فينصب لهم لواء فيدخلون الجنّه قيل و من الحمّادون؟قال:

الّذين يشكرون اللّه على كلّ حال فحكم بأنّ الحمّادين يدخلون الجنّه بسبب حمدهم الرابع جعله الحمد سببا لزياده إلى إحسانه،و بيانه أمّا أوّلا فلقوله تعالى «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ» فعلّق زياده النعمه بمجرّد الشكر،و أمّا ثانيا فلأنّ الجود الإلهى لا بخل فيه و لا منع و إنّما النقصان من جهه العبد لعدم الاستحقاق و إذا استعدّ لقبول النعم بالحمد أفاض اللّه تعالى عليه نعمه ثمّ لا يزال يستعدّ بالحمد و الشكر على النعم السابقه للمزيد

ص:۹۷

بالنعم اللاحقه إلى أن يخرج كلّ كمال له بالقوّه إلى الفعل فيلحق بدرجه الكروبيّين و مجاوره الملائكه المقرّبين المعتكفين فى حظيره الجبروت،و قد عرفت من هذا البيان أنّ كون هذه الامور لازمه للحمد إنّما هو بجعل اللّه تعالى ملاحظه العباده يعين عنايته و شمولا لهم بسعه رحمته .

قوله و الصلاه على رسوله نبىّ الرحمه إلى قوله و قوى نجم طالع .

أقول:أردف حمد اللّه تعالى بالصلوه على رسوله محمّد صلى اللّه عليه و آله و ذلك من الآداب الدينيّه الّتى استمرّت عليها العاده فى الخطب و ذكر له صلى اللّه عليه و آله أوصافا سبعه.

الأوّل كونه نبىّ الرحمه ملاحظه لقوله تعالى «وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ» و تفصيل هذه الرحمه من وجوه.أحدها أنّه الهادى إلى سبيل الرشاد و القائد إلى رضوان اللّه سبحانه و بسبب هدايته يكون وصول الخلق إلى المقاصد العاليه و دخول جنّات النعيم الّتى هى غايه الرحمه.الثانى أنّ التكاليف الوارده على يديه صلى اللّه عليه و آله أسهل التكاليف و أخفّها على الخلق بالنسبه إلى سائر التكاليف الوارده على أيدى الأنبياء السابقين لأممها قال صلى اللّه عليه و آله بعثت بالحنيفيّه السهله السمحه،و ذلك عنايه من اللّه و رحمه اختصّ بها امّته على يديه الثالث أنّه ثبت أنّ اللّه يغفر عن عصاه امّته و يرحمهم بسبب شفاعته.الرابع إنّه رحم كثيرا من أعدائه كاليهود و النصارى و المجوس ببذل الأمان لهم و قبول الجزيه منهم و قال:من آذى ذمّيا فقد آذانى و لم يقبل اللّه من الأنبياء الجزيه قبله.الخامس أنّه سأل اللّه تعالى أن يرفع عن أمّته بعده عذاب الاستيصال و دفع العذاب رحمه.السادس أنّ اللّه تعالى وضع فى شرعه الرخص تخفيفا و رحمه لامّته.الثانى كونه إمام الأئمّه أمّا صدق كونه إماما فلوجهين أحدهما أنّ الإمام هو الرئيس المقتدى به فى أقواله و أفعاله و الأنبياء عليهم السلام أحقّ الخلق بهذه الصفه إذ هم الأصل فى ذلك.الثانى قوله تعالى لإبراهيم عليه السلام «إِنِّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً» ١و أمّا كونه إمام الأئمّه فلقوله صلى اللّه عليه و آله آدم و من دونه تحت لوائى يوم القيامه الثالث كونه سراج الامّه ،و بيانه قوله تعالى «إِنّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً وَ داعِياً إِلَى اللّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِراجاً مُنِيراً» ٢و هذه استعاره لطيفه له عليه السّلام فإنّ السراج لمّا كان

من خاصيّته إضاءه ما حوله و اهتداء الخلق به فى الظلمه و كان النبىّ صلى اللّه عليه و آله قد أضاء قلوب العالم بأنوار الوحى و الرساله حتّى اهتدى الخلق به فى ظلمه الجهاله لا جرم حسنت استعاره لفظ السراج،و هو استعاره لفظ المحسوس للمعقول على سبيل الكنايه عن كونه هاديا للخلق و مرشدا لهم إلى الطريق الحقّ .الرابع كونه منتجبا و مختارا من طينه الكرم،و طينه الكرم كنايه عن أصله،و الكرم حقيقه فى السخاء و مجاز فى مطلق الشرف،و المراد أنّ اللّه سبحانه اصطفاه من أصل هو محلّ الكرم و الشرف.الخامس كونه سلاله المجد الأقدم و إضافه سلاله إلى المجد إمّا على تقدير حذف المضاف الأصلىّ حتّى يكون التقدير سلاله أهل المجد الأقدم و إمّا أن يكون قد استعار لفظ المجد لأصله عليه السّلام فكأنّه خيّل أنّ الأصل كلّه مجد فاعطاه لفظه المجد و أضاف إليه بعد الاستعاره ثمّ وصف المجد بكونه أقدم لزيادته فى الفضل على المحدث بل على القديم .السادس كونه مغرس الفخار المعرق ،و قد استعار لفظ المغرس الّذى هو حنيفه فى الأرض لطبيعته و جبلته استعاره على وجه الكنايه عن شرفه و كماله و وجه المشابهه أنّ طبيعته عليه السّلام لظهور الفخار عنها كما أنّ الأرض الحره محلّ لظهور النبات الطيب الحسن عنها،و وصفه بكونه معرقا لزيادته على ما ليس كذلك و هذا من قبيل ترشيح الاستعاره فإنّه لمّا جعل للفخار مغرسا جعل له عرقا.السابع كونه فرع العلاء المثمر المورق لما استعار لفظ الفرع الّذى هو حقيقه فى أغصان الشجره المتفرّعه عن أصلها له عليه السّلام من جهه ما هو فرع فى الوجود عن آبائهم أهل العلوّ و الشرف أتى بما هو من كمال الفروع و هو كونه مثمرا مورقا و هو ترشيح للاستعاره أيضا فإنّ الغصن الخالى عن الثمر و الورق أو عن أحدهما ناقص الكمال و الحسن و هى استعاره على سبيل الكنايه عن شرفه بالنظر إلى شرف أصله و إضافه الفرع هاهنا إلى العلا كإضافه لفظ السلاله إلى المجد فالكلام فيهما واحد،و أمّا بيان صدق الأوصاف الأربعه الأخيره فمن وجوه.الأوّل ما روى عنه صلى اللّه عليه و آله أنّه قال:لم يزل اللّه تعالى ينقلنى من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات لم يدنسنى بدنس الجاهليّه و كفى بذلك شرفا و كرما.الثانى أنّه صلى اللّه عليه و آله من ولد إسماعيل و إبراهيم عليهما السلام و كرمهما مشهور قال وهب:و كان إبراهيم عليه السّلام أوّل من أضاف الضيف و أوّل من ثرد الثريد و أطعمه المساكين.الثالث نسبه صلى اللّه عليه و آله من قريش و شرف قريش فى العرب

ظاهر فمنهم قصىّ الّذى جمع قبائل قريش و أنزلها مكّه،و بنى دار الندوه،و أخذ مفتاح الكعبه من خزاعه،و منهم هاشم بن عبد مناف الّذى هشم الثريد لقومه فى عام المحل و منه سمّى هاشما،و أصل اسمه عمرو قال الشاعر فيه.

عمرو العلى هشم الثريد لقومه و رجال مكّه مسنتون عجاف

و منهم عبد المطّلب بن هاشم و كان من حكماء العرب و محصّليها،و هو سيّد الوادى و شيبه الحمد سجد له الفيل الأعظم و ببركه النور الّذى كان فى صلبه دفع اللّه عن بيته كيد أصحاب الفيل و أرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجاره من سجّيل،و ببركه ذلك النور رأى الرؤيا فى تعريف موضع زمزم و هو الّذى الهم النذر لمّا نذر أن يذبح العاشر من أولاده و كيفيّه الفداء له حتّى افتخر رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بذلك و قال:أنا ابن الذبيحين و كان يأمر أولاده بترك الظلم و الزيغ و يحثّهم على مكارم الأخلاق،و ينهاهم عن دنيّات الامور،و كان لشرفه و فضل عقله قد سلّم إليه النظر فى حكومات العرب و فصل الخصومات بينهم فكان يوضع له وساده عند الملتزم فيستند إلى الكعبه و يحكم بينهم و جزئيات فضله و شواهد عقله كثيره،و له أشعار كثيره و أخبار تدلّ على أنّه كان مقرّا بالصانع الحكيم موحدّا له معترفا بأمر المعاد من رامها طالع كتب التاريخ .

قوله و على أهل بيته إلى قوله و مثاقيل الفضل الراجحه .

أقول:اختلف الناس فى المراد بأهل البيت فى قوله تعالى «إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ» ١فقال الجمهور:إنّ نساء النبىّ صلى اللّه عليه و آله مرادات بهذه الآيه و من الناس من حصّصها بهنّ مستدلّين بسياق الكلام قبلها و بعدها،و اتّفقت الشيعه على أنّها خاصّه بعلىّ و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السلام و هو قول أبى سعيد الخدرى و هو مراد الرضىّ هاهنا مع من بعدهم من الأئمّه الاثنى عشر،و قد وصفهم بأربعه أوصاف.أحدها كونهم مصابيح و هى استعاره لهم يكنّى بها عن كونهم مهتدى بهم من ظلمات الجهل كما يهتدى بالمصباح فى الظلمه ،و ثانيها كونهم عصما للامم أى مانعين لهم بسبب هدايتهم لهم إلى سلوك الصراط المستقيم عن التورّط فى أحد طرفى الإفراط و التفريط ،و ثالثها كونهم منار الدين الواضحه

و قد عرفت أنّ المنار هى محالّ الأنوار و هى أيضا استعاره حسنه كما مرّ ،و رابعها كونهم مثاقيل الفضل الراجحه و هذه الإضافه إمّا بمعنى اللام أتى مثاقيل للفضل أى إذا اعتبر فضل غيرهم و نسب بعضه إلى بعض كانوا مثاقيل راجحه لذلك الفضل بغير رجحان بعضه على بعض بالنسبه إليها أو بمعنى من أى مثاقيل من الفضل متبوعه ترجح على غيرها،و لفظ المثاقيل هاهنا مستعار لهم أيضا و وجه المشابهه كونهم معيارا للخلق و موازين لهم كما أنّ المثقال كذلك .

قوله و صلّى اللّه عليهم أجمعين إلى قوله نجم طالع .

أقول:لمّا دعى اللّه سبحانه لهم بالصلوه نبّه على استحقاقهم لها باعتبار ثلاثه امور أحدها اعتبار فضائلهم النفسانيّه كالعلوم و الملكات الخلقيّه الفاضلد،و ثانيها اعتبار أعمالهم الظاهره كالعبادات البد نيّه،و ثالثها اعتبار طيب اصولهم الزكيّه المطهّره و تفرّعهم عنها بأنّ هذه الامور هى جهات استحقاق الرحمه قوله فإنّى كنت فى عنفوان شبابى إلى آخر الكلام.

أقول:لمّا صدّر الخطبه بذكر اللّه تعالى و الثناء عليه و الصلاه على رسوله و أهل بيته صلى اللّه عليه و آله شرع فى اقتصاص حاله فى جمع هذا الكتاب و ذكر الأسباب الحامله له على ذلك و فى مدح كلام علىّ عليه السّلام ثمّ ذكر فى ذلك الاقتصاص امورا تحتاج إلى التنبيه.الأوّل أنّ هذا المجموع من الكلام جزء من كلّ من كلامه عليه السّلام و ذلك فى قوله: أن أبتدئ بتاليف كلام يحتوى على مختار كلام أمير المؤمنين و ذلك أمر ظاهر قال قطب الدين الراوندى -رحمه اللّه-:سمعت بعض العلماء بالحجاز يقول إنّى وجدت بمصر مجموعا من كلام علىّ عليه السّلام فى نيف و عشرين مجلّد .الثانى أنّ قوله جواهر العربيّه و يواقيت الكلم الدينيّه و الدنيويّه استعارتان لطيفتان لهذين اللفظين من الحجرين المخصوصين للمعنيين اللّذين هما فصاحه الألفاظ العربيّه و الحكمه الفاضله الّتى يشتمل عليها كلامه عليه السّلام و وجه المشابهه هو ما اشتركا فيه من العزّه و النفاسه كلّ بالنسبه إلى جنسه فعزّه الحجرين بالنسبه إلى مطلق الأحجار و عزّه الألفاظ الفصيحه و الحكمه البالغه بالنسبه إلى سائر الألفاظ و المعانى المعقوله ،الثالث كونه عليه السّلام مشرعا للفصاحه و موردا لها و هى أيضا استعاره

لهذين اللفظين اللذين هما حقيقه فى النهر و العين و نحوهما له عليه السّلام و وجه المشابهه أنّ الشريعه من الماء كما يردّها العطشى للتروّى و الاستقاء كذلك هو عليه السّلام مرجع للخلق فى استفاده الفصاحه،و لو قال مصدرها و موردها لكان أبلغ إذ كان المشرع و المورد مترادفين أو قريبين من الترادف،و كذلك قوله منشأ البلاغه و مولدها استعاره أيضا تشبيها لذهنه عليه السّلام بالامّ و تشبيها للفصاحه بالولد فى الصدور عنه .الرابع قوله لأنّ كلامه عليه السّلام الكلام الّذى عليه مسحه من العلم الإلهىّ و فيه عقبه من الكلام النبوىّ قدّر العلم الإلهىّ كلّه حسنا و جمالا حتّى جعل فى كلامه عليه السّلام أثرا منه و قدّر الكلام النبوىّ طيبا كالمسك الأذفر حتّى جعل فى كلامه عليه السّلام عبقه منه و استلزم ذلك تخيّل حاسّتى البصر و الشمّ للعقل ليدرك بالاولى المسحه من العلم الإلهىّ،و بالثانيه العبقه من الكلام النبوىّ و هى استعاره على طريق الكنايه فكنّى بالمسحه عما أدركه العقل فى كلامه من الحكمه المشار إليها فى القرآن الكريم و الفصاحه و كنّى عما أدركه من الاسلوب و الطريقه الموجوده فيه مع الفصاحه و الحكمه فى الكلام النبوىّ فكان العقل يبصر و يسمع بقوته أثر العلم الإلهىّ فيه،و يشمّ رائحه الكلام النبوىّ منه قال أبو الحسن الكيدرى-رحمه اللّه-:إنّما خصّ الكلام الإلهىّ بالمسحه و الكلام النبوىّ بالعبقه لأنّ كلامه عليه السّلام شديد الشبهه بكلام الرسول صلى اللّه عليه و آله فهو كالجزء منه لأنّهما غصنا دوحه و قرعا ارومه،و لمّا كان معنى عبوق الشىء بالشىء لزومه له و التصاقه به صار لشدّه اتّصاله به كالجزء منه فلذلك قال عبقه من الكلام النبوىّ،و لمّا كان معنى المسحه الأثر من الجمال و لم يكن مجرّد الأثر من الشىء فى الشىء يوجب لزومه له و شدّه المشابهه به،و كان كلام البارى سبحانه بعيد الشبه بكلام الخلق لا جرم خصّه بالمسحه دون العبقه،و هذا الفرق مع تلخيصنا له فيه تكلّف،و يمكن أن يقرّر على وجه آخر فيقال:إنّ العبقه أدلّ على وجود العائق من المسحه على ما فى وجود ما هى منه فإنّ العبقه تدلّ على وجود العائق للمحلّ فى الظاهر و فى نفس الأمر و أمّا المسحه من الشىء و هى الأثر منه فإنّما تدلّ على وجوده للمحلّ فى الظاهر فقط أ لا ترى إلى قوله:

على وجه مىّ مسحه من ملاحه و تحت الثياب الشين لو كان باريا.

و أيضا فإنّ أثر الجمال أو الثروه و الملك قد يدلّ عند بعض الأذهان،و لا يدلّ عند

بعض آخر،و إذا عرفت ذلك فنقول:لمّا كان كلام علىّ عليه السّلام شديد المناسبه بكلام النبوّه فى الأسلوب الظاهر و فى الحكم الباطنه،كان كالجزء منه فكانت استعاره لفظه العبقه لكلام النبوّه أولى لدلالتها على شدّه تخيّل وجود ما هى منه و هو كلام النبوّه فى كلام علىّ عليه السّلام حتى كأنّه جزء منه،و لمّا كان الكلام الإلهى بعيد المناسبه لكلام الخلق و كانت نسبه كلام علىّ عليه السّلام إليه فى بعض الجهات إمّا فى اشتماله على بعض الحكم أو على الفصاحه دون الأسلوب،و كانت المسحه من الشىء إنّما تدلّ على وجوده من بعض الجهات و هى الظاهر فقط كانت استعاره لفظ المسحه للكلام الإلهى أولى و اللّه أعلم ،الخامس قوله: فهو البحر الّذى لا يساجل استعار لفظ البحر لكلامه عليه السّلام و أشار إلى وجه المشابهه بقوله لا يساجل فإنّ المساجله لمّا كانت هى المبالغه فى السقى و الجرى و كان كلامه عليه السّلام أكثر جريانا فى كلام البلغاء من غيره و كانت أوعيه أذهانهم قد امتلأت من فيضه لا جرم أشبه البحر الّذى لا يغلبه بحر آخر فى سقى و لا جرى أى لا يقاوم فى فصاحه و لا حكمه،و كذلك قوله لا يحافل استعاره للفظ المحافله الّتى هى وصف من أوصاف الإنسان لكلامه تشبيها له بالرجل ذى المحفل الجمّ و الجماعه الكثيره الّتى لا يمكن أن يكاثر بمثلها .السادس قوله: يسوغ إلى التمثّل .مجاز فى الإسناد فإنّ السوغ حقيقه فى الشراب فإسناده إلى التمثّل مجاز،و وجه العلاقه أنّ التمثيل بما يزيد إذا حسن بين الناس و صار كان ذلك لذيذا عنده فأشبه فى لذاذته و جريانه بين الناس الماء الزلال فى لذاذته و سهوله جريانه فى الحلق فحسن إسناد لفظ السوغ إليه ،السابع قوله: و خلع من قلبه إنّه كلام مثله إلى قوله لم يعترضه الشك الضمير فى مثله راجع إلى على عليه السّلام و من فى قوله ممّن لبيان الجنس،و معنى الكلام أنّ المفكّر فى كلامه إذا فرضنا أنّه لم يعرف أنّه أو كلام شخص آخر مثله فى كونه عظيم القدر نافذ الأمر خائضا فى غمرات الحروب مشانها بنفسه من كلامه تدبير امور الخلق و نظام أحوالهم قد ملك الأرض بل يفرض أنّه وجد هذا الكلام غير منسوب إلى شخص معروف الحال فإنّه و الحال هذه لا يعترضه شكّ فى أنّه كلام مخلص معرض عن غيره تعالى بقلبه غير مشغول بغيره بصدق نيّته إذا الشكّ الّذى عساه يعترض لبعض الأذهان الضعيفه فى أنّه ليس بكلامه إنّما ينشأ من معرفته بأنّه كلام شخص خائض فى تدبير الدنيا و أحوالها فتكون تلك المعرفه

ص:۱۰۳

منشأ لعروض الشکّ فی أنّ هذا الکلام لیس بکلام رجل بهذه الحال ،و إنّما قال: قد قبع فی کسر بیت و انقطع إلی سفح جبل لأنّ ذلک من شعار الزّهاد المعرضین عن الدنیا ، و الضمیر فی قوله یسمع و حسّه عائدان إلی من أی لا یسمع هو إلاّ حسّ نفسه ،الثامن قوله ینغمس فی الحرب مصلتا استعاره حسنه فی النسبه أی فی نسبه الانغماس إلی الحرب فإنّ الانغماس حقیقه فی الدخول فی الماء و ما فی معناه إلاّ أنّ الحرب لمّا کانت فی غمارها و اختلاط المتحاربین فیما تشبه الماء المتراکم الجمّ صحّت نسبه الانغماس إلیها کما صحّت إلیه فیقال:انغمس فی الحرب و خاض فیها و نحوه ،و قوله یقطر مهجا إن فسّرنا المهجه بالدم کانت نسبه القطر إلیها حقیقه و إن فسّرناها بالروح کانت مجازا تشبیها للروح بالمایعات الخارجه من الإنسان کالدم و نحوه ،التاسع قوله: و هو مع ذلک زاهد الزهّاد و بدل الأبدال الواو للحال و ثبوت هذین الوصفین له علیه السّلام معلوم من انتساب الصوفیّه و أهل التجرید إلیه،و قد بیّنا فی مقدّمه الکتاب أنّه علیه السّلام کان سیّد العارفین بعد سیّد المرسلین صلی اللّه علیه و آله و بیّنا أیضا أنّ نفسه القدسیّه کانت وافیه بضبط الجوانب المتجاذبه قویّه علیها فلذلک لم یکن اشتغاله بتدبیر امور الدنیا،و معالجات الحروب،و نظام شمل المصلحه مانعا من الاشتغال بالعباده التامّه،و الإقبال بوجه نفسه القدسیّه علی الانتقاش بأنوار اللّه،و الإخلاص له،و الإعراض عن متاع الدنیا و طیّباتها،و هذه من فضائل نفوس الأنبیاء و کمالات نفوس الأولیاء أمّا الزهد فهو الإعراض من غیر اللّه و قد یکون ظاهرا و قد یکون باطنا إلاّ أنّ المنتفع به هو الباطن قال صلی اللّه علیه و آله:إنّ اللّه لا ینظر إلی صورکم و لا إلی أعمالکم بل ینظر إلی قلوبکم و نیّاتکم و إن کان لا بدّ من الزهد الظاهری أوّلا إذ الزهد الحقیقی فی مبدء السلوک لا یتحقّق،و السبب فیه أنّ اللذّات البدنیّه حاضره،و الغایه العقلیّه الّتی یطلبها الزاهد الحقیقیّ غیر متصوّره له فی مبدء الأمر،و أمّا الظاهریّ فهو ممکن متیسّر لمن قصده لیسیر غلبته و هی الریاء و السمعه و لذلک قال صلی اللّه علیه و آله:الریاء قنطره الإخلاص،و لمّا بیّنا أنّ علیّا علیه السّلام کان سیّد العارفین بعد رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فلا بدّ و أن یکون زهده حقیقیّا،و ستعرف فی أثناء کلامه بلوغه فی درجه الزهد الغایه،و أمّا کونه مع ذلک بالشجاعه المشهوره فهو أنّک علمت أنّ نفس العارف یجب أن تکون مستلزمه للملکات الخلقیّه،و قد عرفت أنّ

الشجاعه أصل منها و لأنّ المانع من الإقدام على الأهوال و المكاره إنّما هو خوف الموت و حبّ البقاء،و العارف بمعزل عن تقيّه الموت إذ كانت محبّه اللّه تعالى شاغله عن الالتفات إلى كلّ شيء بل ربّما يكون الموت مشتهى له لكونه وسيله إلى لقاء محبوبه الأعظم و غايته القصوى،و قد بيّنا ذلك فى تفصيل أخلاق العارفين من كتاب مصباح العرفان،و أمّا الأبدال فقد نقل أنّهم سبعون رجلا منهم أربعون بالشام،و الثلاثون فى سائر البلاد،و فى الحديث عن علىّ عليه السّلام الأبدال بالشام،و النجباء بمصر،و العصائب بالعراق يجتمعون فيكون بينهم حرب :العاشر قوله: و قد استخرج عجبهم أى تعجّبهم منها من القوّه إلى الفعل،و من روى عجبهم بضم العين فالمراد أنّى اذاكرهم بهذه الفضيله لتظهر محبّتهم لها و ميلهم إليها قال أبو الحسن الكيدرى:و استخرج عجبهم أى أعرفهم أنّهم عاجزون عن أمثالها فلا يبقى لهم حينئذ عجب بأنفسهم منها أى من أجل معرفتها،و الظاهر أنّ هذا اللفظ لا يعطى هذا المعنى ،الحادى عشر قوله: و العذر فى ذلك أنّ روايات كلامه عليه السّلام تختلف إختلافا شديدا .أقول:سبب الاختلاف يحتمل الوجهين.أحدهما أنّه عليه السّلام ربّما تكلّم بالمعنى الواحد مرّتين أو أكثر بألفاظ مختلفه كما هو شأن البلغاء و أهل الفصاحه فينقله السامعون باللفظ الأوّل و الثانى فيختلف الروايه،الثانى أنّ الناس فى الصدر الأوّل كانوا يتلقّون الكلام من أفواه الخطباء و يحفظونها على الولاء فربّما لا يتمكّن السامع من حفظ كلّ لفظ و مراعاه ترتيبه فيقع بسبب ذلك اختلاف فى الترتيب أو نقصان فى الروايه،و ربّما راعى بعضهم حفظ المعنى من دون ضبط الألفاظ فأورد فى اللفظ زياده و نقصانا ،الثانى-عشر قوله: نهج البلاغه استعاره لطيفه لهذا الكتاب لانّ النهج حقيقه فى الطريق الواضحه المحسوسه،و وجه المشابهه أنّ الطريق لمّا كانت محلّ الانتقال بالمشى و قطع الأحياز المحسوسه من واحد إلى آخر كذلك الذهن ينتقل فى هذا الكتاب من بعض لطائف البلاغه و شعب الفصاحه إلى بعض انتقالا سهلا فلذلك صحّ نقل لفظ النهج إليه و استعارته له،و باللّه التوفيق. فهذا بيان ما عساه يشكل فى هذه الخطبه و باقى كلامه ظاهر و لنشرع فى شرح كلام علىّ عليه السّلام .

باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السّلام

اشاره

و أوامره.

و يدخل فى ذلك المختار من كلامه الجارى مجرى الخطب فى المقامات المحصوره،و المواقف المذكوره و الخطوب الوارده

۱-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

يذكر فيها ابتداء خلق السماء و الأرض،و خلق آدم.و فيها ذكر الحج

الفصل الاول فى تصديرها بذكر اللّه جلّ جلاله و تمجيده و الثناء عليه بما هو أهله

اشاره

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لاَ يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ- وَ لاَ يُحْصِى نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ- وَ لاَ يُؤَدِّى حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ- الَّذِى لاَ يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ- وَ لاَ يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ- الَّذِى لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ- وَ لاَ نَعْتٌ مَوْجُودٌ وَ لاَ وَقْتٌ مَعْدُودٌ- وَ لاَ أَجَلٌ مَمْدُودٌ- فَطَرَ الْخَلاَئِقَ بِقُدْرَتِهِ- وَ نَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ- وَ وَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِهِ:أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ وَ كَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ- وَ كَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ- وَ كَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلاَصُ لَهُ- وَ كَمَالُ الْإِخْلاَصِ لَهُ نَفْىُ الصِّفَاتِ عَنْهُ- لِشَهَادَهِ كُلِّ صِفَهٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ- وَ شَهَادَهِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَهِ- فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ- وَ مَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ وَ مَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ- وَ مَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ وَ مَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ- وَ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ وَ مَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ- وَ مَنْ قَالَ فِيمَ فَقَدْ ضَمَّنَهُ- وَ مَنْ قَالَ عَلاَ مَ فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ:كَائِنٌ لاَ عَنْ حَدَثٍ مَوْجُودٌ لاَ عَنْ

عَدَم- مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لاَ بِمُقَارَنَةٍ وَ غَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لاَ بِمُزَايَلَةٍ- فَاعِلٌ لاَ بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَ الْآلَةِ- بَصِيرٌ إِذْ لاَ مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ- مُتَوَحِّدٌ إِذْ لاَ سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ وَ لاَ يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ أقول:اعلم أنّ هذه الخطبه مشتمله على مباحث عظيمه و نكت مهمه على ترتيب طبيعىّ فلنعقد فيها خمسه فصول.

الفصل الاول فى تصديرها بذكر اللّه جلّ جلاله و تمجيده و الثناء عليه بما هو أهله و هو قوله: الحمد للّه إلى قوله: و لا يستوحش لفقده .

أقول: المدح و المديح الثناء الحسن،و المدحه فعله من المدح و هى الهيئه و الحاله التى ينبغى أن يكون المدح عليها ،و الإحصاء إنهاء العدّ و الإحاطه بالمعدود يقال:أحصيت الشىء أى أنهيت عدّه،و هو من لواحق العدد و لذلك نسبه إلى العادّين ،و النعماء النعمه،و هو اسم يقام مقام المصدر ،و أدّيت حقّ فلان إذا قابلت إحسانه بإحسان مثله ،و الإدراك اللحوق و النيل و الإصابه و الوصول و الوجدان ،و الهمّه هى العزم الجازم و الإراده يقال:فلان بعيد الهمّه إذا كانت إرادته تتعلّق بعليّات الامور دون محقرّاتها ،و الغوص الحركه فى عمق الشىء من قولهم غاض فى الماء إذا ذهب فى عمقه ،و الفطن جمع فطنه و هى فى اللغه الفهم، و هو عند العلماء عباره عن جوده استعداد الذهن لتصوّر ما يرد عليه ،و حدّ الشىء منتهاه، و الحدّ المنع،و منه سمّى العلماء تعريف الشىء بأجزائه حدّا لأنّه يمنع أن يدخل فى المحدود ما ليس منه أو يخرج منه ما هو منه ،و النعت الصفه ،و الأجل المدّه المضروبه للشىء ،و الفطره الشقّ و الابتداع قال ابن عبّاس:ما كنت أدرى ما معنى قوله تعالى:

«فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» حتّى جائنى أعرابيّان يختصمان على بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أى ابتدعتها ،و الخلائق جمع خليقه و هى إمّا بمعنى المخلوق يقال:هم خليقه اللّه و خلق اللّه أى مخلوقه أو بمعنى الطبيعه لأنّ الخليقه هى الطبيعه أيضا ،و النشر البسط ،و وتد بالفتح أى ضرب الوتد فى حائط أو فى غيره ،و الصخوره الحجاره العظام ،و الميدان الحركه بتمايل و هو الاسم من ماد يميد ميدا و منه غصن ميّاد متمايل ،و الدين فى أصل

اللغه يطلق على معان،منها العاده،و منها الإذلال يقال دانه أى أذّله و ملّكه و منه بيت الحماسه دنّاهم كما دانوا،و منها المجازاه كقوله تعالى «إِنّا لَمَدِينُونَ» أى مجزيّون،و المثل المشهور كما تدين تدان،و منها الطاعه يقال:دان له أى أطاعه كقول عمرو بن كلثوم:

عصينا لملك فينا أن تدينا،و يطلق فى العرف الشرعى على الشرائع الصادره بواسطه الرسل عليهم السّلام و قرنه أى جعل له قرينا و المقارنه الاجتماع مأخوذ من قرن الثور و غيره و منه القرن للمثل فى السنّ و كذلك القرن من الناس أهل الزمان الواحد قال إذا ذهب القرن الّذى أنت فيهم و خلّفت فى قرن فأنت قريب

و المزائله المفارقه و هى مفاعله من الطرفين و المتوحّد بالأمر المنفرد به عمّن يشاركه فيه ،و السكن بفتح الكاف كلّ ما سكت إليه ،و الاستيناس بالشىء ميل الطبع إليه و سكون و كذلك التأنّس و منه الأنيس و هو المونس ،و الاستيحاش ضدّ الاستيناس و هو نفره الطبع بسبب فقد المؤانس ،و اعلم أنّا نفتقر فى بيان نظام كلامه عليه السّلام فى هذا الفصل إلى تقديم مقدّمه فنقول:الصفه أمر يعتبره العقل لأمر آخر و لا يمكن أن يعقل إلاّ باعتباره معه،و لا يلزم من تصوّر العقل شيئا لشىء أن يكون ذلك المتصوّر موجودا لذلك الشىء فى نفس الأمر بيان ذلك ما قيل فى رسم المضاف:إنّه الأمر الّذى تعقّل ماهيّته بالقياس إلى غيره و ليس له وجود سوى معقوليّته بالقياس إلى ذلك الغير،و الصفه تنقسم باعتبار العقل إلى حقيقيّه و إضافيّه و سلبيّه،و ذلك لأنّ نسبه العقل للصفه إلى غيرها إمّا أن يعقل معها نسبته من المنسوب إليه أو لا يعقل فإن كان الأوّل فهو المضاف الحقيقىّ و حقيقته أنّه المعقول بالقياس إلى غير يكون بإزائه يعقل له إليه نسبه و لا يكون له وجود سوى معقوليّته بالقياس إليه ككونه تعالى خالقا و رازقا و ربّا فإنّ حقيقه هذه الصفات هى كونها معقوله بالقياس إلى مخلوقيّه و مرزوقيّه و مربوبيّه موازيه،و إن كان الثانى فالمنسوب إليه إمّا أن يكون موجودا للمضاف أو ليس بموجود له،و الأوّل هو الصفات الحقيقيّه ككونه تعالى حيّا فإنّه أمر يعقل بالقياس إلى صحّه العلم و القدره له و ليس بإزاء أمر يعقل منه نسبه إليه،و الثانى هو الصفات السلبيّه ككونه تعالى ليس بجسم و لا بعرض و غيرها فإنّها امور تعقل له بالقياس إلى امور غير موجوده له تعالى ثمّ نقول:إنّه لا يلزم من

اتّصاف ذاته سبحانه بهذه الأنواع الثلاثه من الصفات تركيب و لا كثره فى ذاته لأنّها اعتبارات عقليّه تحدثها عقولنا عند المقائسه إلى الغير و لم يلزم من ذلك أن تكون موجوده فى نفس الأمر و إن لم تعقل،و لمّا كان دأب العقلاء أن يصفوا خالقهم سبحانه بما هو أشرف طرفى النقيض لما تقرّر فى عقولهم من أعظميته و مناسبه اشرف الطرفين للأعظميّته كان ما وصف به تعالى من الصفات الحقيقيّه و الإضافيّه و السلبيّه كلّها كذلك،فإذا عرفت ما قلناه فاعلم أنّه عليه السّلام شرع أوّلا فى الاعتبارات السلبيّه و قدّمها على الثبوتيّه لدقيقه و هى أنّه قد ثبت فى علم السلوك إلى اللّه أنّ التوحيد المحقّق و الإخلاص المطلق لا يتقرّر إلاّ بنقض كلّ ما عداه عنه و تنزيهه عى كلّ لا حق له و طرحه عن درجه الاعتبار و هو المسمى فى عرف المجرّدين و أهل العرفان بمقام التخليّه و النقض و التفريق،و ما لا يتحقّق الشىء إلاّ به كان اعتباره مقدّما على اعتباره،و لهذا الترتيب كان أجلّ كلمه نطق بها فى التوحيد قولنا: «لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ» إذ كان الجزء الأوّل منها مشتملا على سلب كلّ ما عدا الحقّ سبحانه مستلزما لغسل درن كلّ شبهه لخاطر سواه،و هو مقام التنزيه و التخليه حتّى إذا أنزح كلّ ثان عن محلّ عرفانه استعدّ بجوده للتخليه بنور وجوده و هو ما اشتمل عليه الجزء الثانى من هذه الكلمه،و لمّا بيّنا أنّه عليه السّلام كان لسان العارفين و الفاتح لأغلاق الطريق إلى الواحد الحقّ تعالى و المعلّم المرشد لكيفيّه السلوك،و كانت الأوهام البشريّه حاكمه بمثليته تعالى لمدركاتها و العقول قاصره عن إدراك حقيقته و الواصل إلى ساحل عزّته و المنزّه له عمّا لا يجوز عليه إذا أمكن وجوده نادرا لم يكن للأوهام الواصفه له تعالى بما لا يجوز عليه معارض فى أكثر الخلق بل كانت جاريه على حكمها قائده لعقولها إلى تلك الأحكام الباطله كالمشبّهه و نحوهم لا جرم بدء عليه السّلام بذكر السلب إذ كان تقديمه مستلزما لغسل درن الحكم الوهمىّ فى حقّه تعالى عن لوح الخيال و الذكر حتّى إذا أورد عقب ذلك ذكره تعالى بما هو أهله ورد على ألواح صافيه من كدر الباطل فانتقشت بالحقّ كما قال:فصادف قلبا خاليا فتمكّنا،ثمّ إنّه عليه السّلام بدء بتقديم حمد اللّه تعالى على الكلّ هاهنا و فى سائر خطبه جريا على العاده فى افتتاح الخطب و تصديرها،و سرّ ذلك تأديب الخلق بلزوم الثناء على اللّه تعالى،و الاعتراف بنعمته عند افتتاح كلّ خطاب لاستلزام ذلك ملاحظه حضره الجلال و الالتفات إليها عامّه الأحوال

ص:۱۰۹

و قد بيّنا أنّ الحمد يفيد معنى الشكر و يفيد ما هو أعمّ من ذلك و هو التعظيم المطلق و بجميع أقسامه مراد هاهنا لكون الكلام فى معرض التمجيد المطلق.

قوله الّذى لا يبلغ مدحته القائلون .

قوله الّذى لا يبلغ مدحته القائلون.

أقول أراد تنزيهه تعالى عن إطّلاع العقول البشريّه على كيفيّه مدحه سبحانه كما هى،و بيان هذا الحكم أنّ الثناء الحسن على الشىء إنّما يكون كما هو إذا كان ثناء عليه بما هو كذلك فى نفس الأمر،و ذلك غير ممكن فى حقّ الواجب الوجود سبحانه إلاّ بتعقّل حقيقته و ما لها من صفات الجلال و نعوت الكمال كما هى و عقول البشر قاصره عن هذا المقام فالقول و إن صدر عن المادحين بصوره المدح المتعارف بينهم و على ما هو دأبهم من وصفه تعالى بما هو أشرف من طرفى النقيض فليس بكمال مدحه فى نفس الأمر لعدم اطّلاعهم على ما به يكون المدح الحقّ فى حقّه تعالى و إن تصوّر بصوره المدح الحقّ و أشار إلى تأديب الخلق و تنبيههم على بطلان ما تحكّم به أوهامهم فى حقّه تعالى من الصفات و أنّه ليس الأمر كما حكمت به إذ قال فى موضع آخر،و قد سأله بعضهم عن التوحيد فقال:التوحيد أن لا تتوهّمه،فجعل التوحيد عباره عن سلب الحكم الوهمىّ فى حقّه تعالى فاستلزم ذلك أنّ من أجرى عليه حكما وهميّا فليس بموحّد له على الحقيقه،و إلى هذا النحو أشار الباقر محمّد بن علىّ عليه السّلام مخاطبا و هل سمّى عالما قادرا إلاّ لأنّه وهب العلم للعلماء،و القدره للقادرين فكلّ ما ميّزتموه بأوهامكم فى أدّق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم،و البارى تعالى واهب الحياه و مقدّر الموت،و لعلّ النمل الصغار تتوهّم أن للّه تعالى زبانيين كما لها فإنّها تتصوّر أنّ عدمها نقصان لمن لا يكونان له،فهكذا شأن الخلق فيما يصفون به بآرائهم فإنّ أوهامها حاكمه له بكلّ ما يعدّونه كمالا فى حقّهم ما لم تقو عقولهم على ردّ بعض تلك الأحكام الوهميّه و لولا رادع الشرع كقوله عليه السّلام تفكّروا فى الخلق و لا تتفكّروا فى الخالق لصرّحوا بكثير من تلك الأحكام فى حقّه سبحانه «وَ تَعالى عَمّا يَصِفُونَ» ،و يحتمل أن يكون المراد تنزيهه تعالى عن بلوغ العقول و الأوهام تمام الثناء الحسن عليه و إحصائه أتى أنّ العبد كان كلّما بلغ مرتبه من مراتب المدح و الثناء كان ورائها أطوار من استحقاق الثناء و التعظيم أعلى كما أشار إليه سيّد المرسلين

صلى اللّه عليه و آله بقوله:لا احصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك،و فى تخصيصه عليه السّلام القائلين دون المادحين بالذكر نوع لطف فإنّ القائل لمّا كان أعمّ من المادح و كان سلب العامّ مستلزما لسلب الخاصّ من غير عكس كان ذكر القائلين أبلغ فى التنزيه إذا التقدير لا واحد من القائلين ببالغ مدحه اللّه سبحانه.

قوله و لا يحصى نعماؤه العادّون .

قوله و لا يحصى نعماؤه العادّون.

أقول:المراد أنّ جزئيّات نعم اللّه و أفرادها لا يحيط بها حصر الإنسان و عدّه لكثرتها و بيان هذا الحكم بالنقل و العقل أمّا النقل فقوله تعالى «وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللّهِ لا تُحْصُوها» ١و هذه الآيه هى منشأ هذا الحكم و مصدره،و أمّا العقل فلأنّ نعم اللّه تعالى على العبد منها ظاهره و منها باطنه كما قال تعالى «وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَ باطِنَةً» ٢و يكفينا فى صدق هذا الحكم التنبيه على بعض جزئيات نعم اللّه تعالى على العبد فنقول:إنّ من جمله نعمه تعالى على الإنسان أن أكرمه بملائكته و جعله مسجودا لهم و مخدوما،و جعلهم فى ذلك على مراتب فلنذكر أقربهم إليه و أخصّهم به،و هم الملائكه الّذين يتولّون إصلاح بدنه و القيام بمهمّاته و حوائجه،و إن كانوا فى ذلك أيضا على مراتب فجعل سبحانه لهم رئيسا هو له كالوزير الناصح المشفق من شأنه تمييز الأصلح و الأنفع له و الأمر به،و جعل بين يدى ذلك الوزير ملكا آخرا هو كالحاجب له و المتصرّف بين يديه من شأنه تمييز صداقه الأصدقاء للملك من عداوه الأعداء له،و جعل لذلك الحاجب ملكا خازنا يضبط عنه ما يتعرّفه من الامور ليطالعها الوزير عند الحاجه،ثمّ جعل بين يديه ملكين آخرين أحدهما ملك الغضب و هو كصاحب الشرطه موكّل بالخصومات و الغلبه و البطش و الانتقام،و الثانى ملك اللذّه و المتولّى لمشتهيات الإنسان بالطلب و الأمر بالاستحضار،و بين يديه ملائكه اخرى تسعى فى تحصيل ما يأمر به و يطلبه،ثمّ جعله سبحانه وراء هؤلاء سبعه اخرى من الملائكه دأبهم إصلاح غذاء الإنسان،فالأوّل موكّل بجذب الغذاء إلى داخل المعده إذ الغذاء لا يدخل بنفسه فإنّ الإنسان لو وضع اللقمه فى فيه و لم يكن لها جاذب لم تدخل،و الثانى موكّل بحفظه

فى المعده إلى تمام نضجه و حصول الغرض منه،و الثالث موكّل بطبخه و تنضيجه،و الرابع موكّل بتفريق صفوته و خلاصته فى البدن سدّ البدل ما يتحلّل منه،و الخامس موكّل بالزياده فى أقطار الجسم على التناسب الطبيعى بما يوصله إليه الرابع فهما كالبانى و المناول،و السادس موكّل بفصل صوره الدم من الغذاء،و السابع الّذى يتولّى دفع الفضله الغير المنتفع بها عن المعده،ثمّ وكّل تعالى خمسه اخرى فى خدمته شأنهم أن يوردوا عليه الأخبار من خارج،و جعل لكلّ واحد منهم طريقا خاصّا و فعلا خاصّا به،و جعل لهم رئيسا يبعثهم و يرجعون إليه بما عملوه،و جعل لذلك الرئيس خازنا كاتبا يضبط عنه ما يصل إليه من تلك الأخبار،ثمّ جعل بين هذا الخازن و بين الخازن الأوّل ملكا قويّا على التصرف و الحركه سريع الانتقال بحيث ينتقل فى اللحظه الواحده من المشرق إلى المغرب و من تخوم الأرض إلى السماء العليا قادرا على التصرّفات العجيبه،و جعله مؤتمرا للوزير تاره و للحاجب اخرى و هو موكّل بتفتيش الخزانتين و مراجعه الخازنين بإذن الوزير واسطه الحاجب إذا أراد استعلام أمر من تلك الامور،فهذه الملائكه الّتى خصّ اللّه تعالى بها بدنه و جعلها أقرب الملائكه المتصرفين فى خدمته إليه،ثمّ إنّ وراء هؤلاء أطوارا اخر من الملائكه الأرضيّه كالملائكه الموكّلين بأنواع الحيوانات الّتى ينتفع بها الإنسان و بها تكون مسخّره له و أنواع النبات و المعادن و العناصر الأربعه و الملائكه السماويه الّتى لا يعلم عددهم إلاّ اللّه سبحانه و تعالى كما قال «وَ ما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاّ هُوَ» ۱فإنّ كلّ واحد منها موكّل بفعل خاصّ و له مقام خاصّ لا يتعدّاه و لا يتجاوزه كما قال تعالى حكايه عنهم «وَ ما مِنّا إِلاّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ» ۲و هم بأسرهم متحرّكون بمصالح الإنسان و منافعه من أوّل حياته إلى حين وفاته بإذن المدبّر الحكيم دع ما سوى الملائكه من سائر الموجودات فى هذا العالم المشتمله على منافعه و ما أفاض عليه من القوّه العقليّه الّتى هى سبب الخيرات الباقيه و النعم الدائمه الّتى لا تنقطع موادّها و لا يتناهى تعدادها فإنّ كلّ ذلك فى الحقيقه نعم إلهيّه و مواهب ربانيّه للعبد بحيث لو اختلّ شىء منها لاختلّت منفعته من تلك الجهه،و معلوم أنّه لو قطع وقته أجمع

بالنظر إلى آثار رحمه اللّه تعالى فى نوع من هذه النعم لانتها دونها فكره و قصر عنها إحصاؤه و حصره،و هو مع ذلك كلّه غافل عن شكر اللّه جاهل بمعرفه اللّه مصرّ على معصيه اللّه فحقّ أن يقول سبحانه و تعالى بعد تنبيهه له على ضروب نعمه و الامتنان بها عليه «وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللّهِ لا تُحْصُوها» «إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ كَفّارٌ» ۱ظلوم لنفسه بمعصيه اللّه معتاد للكفر بآلاء اللّه قتل الإنسان ما أكفره إنّ الإنسان لكفور مبين فسبحان الّذى لا تحصى نعماؤه و لا تستقصى آلاؤه،و غايه هذا الحكم تنبيه الغافلين من مراقد الطبيعه على لزوم شكر اللّه سبحانه،و الاعتراف بنعمه المستلزم لدوام إخطاره بالبال .

قوله و لا يؤدّى حقّه المجتهدون.

قوله و لا يؤدّى حقّه المجتهدون.

أقول:هذا الحكم ظاهر الصدق من وجهين أحدهما أنّه لمّا كان أداء حقّ النعمه هو مقابله الإحسان بجزاء مثله و ثبت فى الكلمه السابقه أنّ نعم اللّه سبحانه لا تحصى لزم من ذلك أنّه لا يمكن مقابلتها بمثل.الثانى أنّ كلّ ما نتعاطاه من أفعالنا الاختياريّه مستندا إلى جوارحنا و قدرتنا و إرادتنا و سائر أسباب حركاتنا و هى بأسرها مستنده إلى جوده و مستفاده من نعمته،و كذلك ما يصدر عنّا من الشكر و الحمد و سائر العبادات نعمه فتقابل نعمه بنعمه،و روى أنّ هذا الخاطر خطر لداود عليه السّلام و كذلك لموسى عليه السّلام فقال:يا ربّ كيف أشكرك و أنا لا أستطيع أن أشكرك إلّا بنعمه ثانيه من نعمك،و فى روايه اخرى و شكرى ذلك نعمه اخرى توجب علىّ الشكر لك فأوحى اللّه تعالى إليه إذا عرفت هذا فقد شكرتنى، و فى خبر آخر إذا عرفت أنّ النعم منّى رضيت منك بذلك شكرا،فأمّا ما يقال فى العرف:

من أنّ فلانا مؤدّ لحقّ اللّه تعالى فليس المراد منه جزاء النعمه بل لمّا كانت المطلوبات للّه تعالى من التكاليف الشرعيّه و العقليّه تسمّى حقوقا له لا جرم سمّى المجتهد فى الامتثال مؤدّيا لحقّ اللّه،و ذلك الأداء فى الحقيقه من أعظم نعمه تعالى على عبده إذ كانت الامتثال و سائر أسباب السلوك الموصل إلى اللّه تعالى كلّها مستنده إلى جوده و عنايته و إليه الإشاره بقوله تعالى «يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلْإِيمانِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» ۲و ما كان فى الحقيقه نعمه اللّه لا يكون أداء لنعمه اللّه و جزاء

ص:۱۱۳

لها و إن اطلق ذلك فى العرف إذ كان من شأن الحقّ المفهوم المتعارف بين الخلق استلزامه وجوب الجزاء و الأداء ليسارعوا إلى الإيتان به رغبه و رهبه فيحصل المقصود من التكليف حتّى لو لم يعتقدوا أنّه حقّ للّه بل هو مجرّد نفع خالص لهم لم يهتمّوا به غايه الاهتمام إذ كانت غايته غير متصوّره لهم كما هى،و قلّما تهتمّ النفوس،بأمر لا تتصوّر غايته و منفعته خصوصا مع المشقّه اللازمه فى تحمّله إلّا بباعث قاهر من خارج .

قوله الّذى لا يدركه بعد الهمم و لا يناله غوص الفطن.

استعاره قوله الّذى لا يدركه بعد الهمم و لا يناله غوص الفطن.

أقول:إسناد الغوص هاهنا إلى الفطن على سبيل الاستعاره إذ الحقيقه إسناده إلى الحيوان بالنسبه إلى الماء و هو مستلزم لتشبيه المعقولات بالماء،و وجه الاستعاره هاهنا أنّ صفات الجلال و نعوت الكمال لمّا كانت فى عدم تناهيها و الوقوف على حقائقها و أغوارها تشبه البحر الخضم الّذى لا يصل السائح له إلى ساحل،و لا ينتهى الغائص فيه إلى قرار،و كان السائح لذلك البحر و الخائض فى تيّاره هى الفطن الثاقبه لا جرم كانت الفطنه شبيهه بالغائص فى البحر فأسند الغوص إليها،و فى معناه الغوص فى الفكر و الغوص فى النوم،و يقرب منه إسناد الإدراك إلى بعد الهمم إذ كان الإدراك حقيقه فى لحقوق جسم لجسم آخر و إضافه الغوص إلى الفطن و البعد إلى الهم إضافه لمعنى الصفه بلفظ المصدر إلى الموصوف،و التقدير لا تناله الفطن الغائصه و لا تدركه الهمم البعيده،و وجه الحسن فى هذه الإضافه و تقديم الصفه أنّ المقصود لمّا كان هو المبالغه فى عدم إصابه ذاته تعالى بالفطنه من حيث هى ذات غوص و بالهمّه من حيث هى بعيده كانت تلك الحيثيّه مقصوده بالقصد الأوّل،و قد بيّنا أنّ البلاغه تقتضى تقديم الأهمّ و المقصود الأوّل على ما ليس كذلك ،و برهان هذا المطلوب ظاهر فإنّ حقيقته تعالى لمّا كانت بريّه عن جهات التركيبات عريّه عن اختلاف الجهات مترعه عن تكثّر المتكثّرات،و كانت الأشياء إنّما تعلم بما هى من جهه حدودها المؤلّفه من أجزائها فإذن صدق أنّ واجب الوجود ليس بمركّب و ما ليس بمركّب ليس بمدرك الحقيقه و صدق أنّ واجب الوجود ليس بمدرك الحقيقه فلا تدركه همّه و إن بعدت و لا تناله فطنه و إن اشتدّت فكلّ سائح فى بحار جلاله غريق فكلّ مدّع للوصول فبأنوار كبريائه حريق «لا إِلهَ إِلاّ هُوَ» «سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيراً » .

ص:۱۱۴

قوله الّذى ليس لصفته حدّ محدود و لا نعت موجود.

قوله الّذى ليس لصفته حدّ محدود و لا نعت موجود.

أقول:المراد ليس لمطلق ما تعتبره عقولنا له من الصفات السلبيّه و الإضافيّه نهايه معقوله تقف عندها فيكون حدّا له،و ليس لمطلق ما يوصف به أيضا وصف موجود يجمعه فيكون نعتا له و منحصرا فيه قال ابو الحسن الكندرى-رحمه اللّه-:و يمكن أن يؤول حدّ محدود على ما يأوّل به كلام العرب:و لا يرى الضبّ بها ينحجر،أى ليس بها ضبّ فينحجر حتّى يكون المراد أنّه ليس له صفه فتحدّ إذ هو تعالى واحد من كلّ وجه منزّه عن الكثره بوجه ما فيمتنع أن يكون له صفه تزيد على ذاته كما فى سائر الممكنات،و صفاته المعلومه ليست من ذلك فى شيء إنّما هى نسب و إضافات لا يوجب وصفه بها كثره فى ذاته قال:و ممّا يؤكّد هذا التأويل قوله بعد ذلك فمن وصف اللّه سبحانه فقد قرنه ،و هذا التأويل حسن و هو راجع إلى ما ذكرناه فى المعنى،و أمّا وصفه الحدّ بكونه محدودا فللمبالغه على طريقه قولهم شعر شاعر،و على هذا التأويل يكون قوله و لا نعت موجود سلبا للنعت عن ذاته سبحانه إذ التقدير ليس له صفه تحدّ و لا نعت،و قيل معنى قوله ليس لصفته حدّ أى ليس لها غايه بالنسبه إلى متعلّقاتها كالعلم بالنسبه إلى المعلومات و القدره إلى المقدورات .

قوله و لا وقت معدود و لا أجل ممدود.

قوله و لا وقت معدود و لا أجل ممدود.

أقول:وصف الوقت بكونه معدودا كقوله تعالى «فِى أَيّٰامٍ مَعْدُودٰاتٍ» و كقوله «وَ مٰا نُؤَخِّرُهُ إِلاّٰ لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ» ۱و هو المعلوم الداخل فى الإحصاء و العدّ،و ذلك أنّ العدّ لا يتعلّق بالوقت الواحد من حيث هو واحد فإنّه من تلك الحيثيه ليس معدودا بل مبدء للعدد و إنّما يتعلّق به من حيث إنّه داخل فى الأوقات الكثيره الموجوده فى الزمان إمّا بالفرض أو بالفعل الّتى يلحق جملتها عند اعتبار التفصيل كونها معدوده إذ يقال:هذا الفرد معدود فى هذه الجمله أى داخل فى عدّها و مراده فى هذين الحكمين نفى نسبه ذاته و ما يلحقها إلى الكون فى الزمان و أن يكون ذات أجل ينتهى إليه فينقطع وجودها بانتهائه و بيان ذلك من وجهين أحدهما أنّ الزمان من لواحق الحركه الّتى هى من لواحق الجسم فلمّا كان البارى سبحانه منزّها عن الجسميّه استحال أن يكون فى زمان،الثانى أنّه

تعالى إن أوجد الزمان و هو فى الزمان لزم كون الزمان متقدّما على نفسه و إن أوجده بدون أن يكون فيه كان غنيّا فى وجوده عنه فهو المطلوب فإذن صدق هذين السلبين فى حقّه معلوم، السجع المتوازى-التجنيس و قد حصل فى هذه القرائن الأربع السجع المتوازى مع نوع من التجنيس .

قوله الّذى فطر الخلائق بقدرته و نشر الرياح برحمته .

قوله الّذى فطر الخلائق بقدرته و نشر الرياح برحمته و وتد بالصخور ميدان أرضه.

أقول:لمّا قدّم الصفات السلبيّه شرع فى الصفات الثبوتيّه و هذه الاعتبارات الثلاثه موجوده فى القرآن الكريم أمّا الأوّل فقوله تعالى «الَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّهٍ» ١و أمّا الثانى فقوله تعالى «وَ هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ» ٢و أمّا الثالث فقوله تعالى «وَ أَلْقى فِى الْأَرْضِ رَواسِىَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ» ٣و قوله «وَ الْجِبالَ أَوْتاداً» ۴أمّا المراد استعاره بقوله فطر الخلائق بقدرته فاعتباره من حيث استناد المخلوقات إلى قدرته و وجودها عنها، و لمّا كانت حقيقه الفطر الشقّ فى الأجسام كانت نسبته هاهنا إلى الخلق استعاره،و للإمام فخر الدين فى بيان وجه الاستعاره فى أمثال هذا الموضع بحث لطيف قال:و ذلك أنّ المخلوق قبل دخوله فى الوجود كان معدودا محضا و العقل يتصوّر من العدم ظلمه متّصله لا انفراج فيها و لا شقّ،فإذا أخرج الموجد المبتدع من العدم إلى الوجود فكأنّه بحسب التخيّل و التوهّم شقّ ذلك العدم و فطره و أخرج ذلك الموجود منه.قلت:إلّا أنّ ذلك الشقّ و الفطر على هذا التقدير لا يكون للموجود المخرج بل للعدم الّذى خرج هذا الموجود منه اللّهم إلّا على تقدير حذف المضاف و إقامه المضاف إليه مقامه حتّى يكون التقدير الّذى فطر عدم الخلائق.و هو استعمال شائع فى العرف و العربيّه كثيرا و حسنه بين الناس ظاهر و مثله فالق الحبّ و النوى على قول بعض المفسّرين كما سنبيّنه ،و قال ابن الأنبارى:لمّا كان أصل الفطر شقّ الشىء عند ابتدائه فقوله فطر الخلائق أى خلقهم و أنشأهم بالتركيب و التأليف الّذى سبيله أن يحصل فيه الشقّ و التأليف عند ضمّ بعض الأشياء إلى بعض، ثمّ إنّ الفطر كما يكون شقّ إصلاح كقوله تعالى «فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» كذلك يكون شقّ إفساد كقوله تعالى «إِذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ» و «هَلْ تَرى مِنْ فُطُورٍ» و أمّا

قوله و نشر الرياح برحمته فبيانه أنّ نشر الرياح و بسطها لمّا كان سببا عظيما من أسباب بقاء أنواع الحيوان و النبات و استعدادات الأمزجه للصحّه و النموّ و غيرها حتّى قال كثير من الأطبّاء:إنّها تستحيل روحا حيوانيّا،و كانت عنايه اللّه سبحانه و تعالى و عموم رحمته شامله لهذا العالم و هى مستند كلّ موجود لا جرم كان نشرها برحمته،و من أظهر آثار الرحمه الإلهيّه بنشر الرياح حملها للسحاب المقرع بالماء و إثارتها له على وفق الحكمه ليصيب الأرض الميته فينبت بها الزرع و يملاء الضرع كما قال سبحانه «مَنْ يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ» ۱و قال «يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ وَ لِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ» ۲و قال «وَ أَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَسْقَيْناكُمُوهُ» ۳و المراد تنبيه الغافلين على ضروب نعم اللّه بذكر هذه النعمه الجليله ليستديموها بدوام شكره و المواظبه على طاعته كما قال تعالى «وَ اذْكُرُوا نِعْمَهَ اللّهِ عَلَيْكُمْ» و لقوله «ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَهَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَ تَقُولُوا سُبْحانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنا هذا وَ ما كُنّا لَهُ مُقْرِنِينَ» ۴قال إنّ بعض العرب يستعمل الريح فى العذاب و الرياح فى الرحمه و كذلك نزل القرآن الكريم قال تعالى «بِرِيحٍ صَرْصَرٍ» و قال «الرِّيحَ الْعَقِيمَ» و قال «يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ» -و «الرِّياحَ لَواقِحَ» و أمثاله .

قوله و وتد بالصخور ميدان أرضه.

اشاره

قوله و وتد بالصخور ميدان أرضه.

أقول:المراد نسبه نظام الأرض إلى قدرته سبحانه،و هاهنا بحثان.

البحث الأوّل فى أنّ قول القائل وتدت كذا بكذا

معناه جعلته و تداله و الموتود هاهنا فى الحقيقه إنّما هو الأرض و قد جعل الموتود هنا هو ميدان الأرض و هو عرض من الأعراض لا يتصوّر جعل الجبل وتدا له إلاّ أنّا نقول:لمّا كان الميدان علّه حامله على إيجاد الجبال و إيتاد الأرض بها كان الاهتمام به أشدّ فلذلك قدمّه و أضافه إضافه الصفه إلى الموصوف و إن كان التقدير وتد بالصخور أرضه المائده.

البحث الثانى أنّ تعليل وجود الجبال بميدان الأرض

ورد هاهنا و فى القرآن الكريم فى مواضع كقوله تعالى «وَ أَلْقى فِى الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ» و كقوله «وَ الْجِبالَ»

«أَوْتاداً» و لا بدّ من البحث عن وجه هذا التعليل،و فيه خمسه أوجه

الوجه الأوّل

قال المفسّرون فى معنى هذه الآيات:

إنّ السفينه إذا القيت على وجه الماء فإنّها تميل من جانب إلى جانب و تتحرّك فإذا وضعت الأجرام الثقيله فيها استقرّت على وجه الماء و سكنت قالوا فكذلك لمّا خلق اللّه تعالى الأرض على وجه الماء اضطربت و مادت فخلق اللّه عليها هذا الجبال و وتدها بها فاستقرّت على وجه الماء بسبب ثقل الجبال قال الإمام فخر الدين و يتوجّه على هذا الكلام أن يقال:لا شكّ أنّ الأرض أثقل من الماء و الأثقل يغوص فيه و لا يبقى طافيا عليه و إذا لم يبق كذلك امتنع أن يقال:إنّها تميد و تميل بخلاف السفينه إذ كانت مركّبه من الأخشاب و داخلها مجوّف مملوّ من الهواء فلذلك تبقى طافيه على الماء فلا جرم تميل و تضطرب إلى أن ترسى بالأجرام الثقيله فإذن الفرق ظاهر.

الوجه الثانى ما ذكره هو

قال:إنّه قد ثبت بالدلائل اليقينيّه أنّ الأرض كره، و ثبت أيضا أنّ هذه الجبال على سطح الأرض جاريه مجرى خشونات و تضريسات حاصله على وجه الكره فإذا ثبت هذا فلو فرضنا أن هذه الخشونات ما كانت حاصله بل كانت الأرض كره حقيقيه خاليه عن الخشونات و التضريسات لصارت بحيث تتحرّك بالاستداره بأدنى سبب لأنّ الجرم البسيط يجب كونه متحرّكا على نفسه و إن لم يجب ذلك عقلا إلاّ أنّها تصير بأدنى سبب تتحرّك على هذا الوجه أمّا إذا حصل على سطح كره الأرض هذه الجبال فكانت كالخشونات الواقعه على وجه الكره فكلّ واحد من هذه الجبال إنّما يتوجّه بطبعه إلى مركز العالم و توجّه ذلك الجبل نحو مركز العالم بثقله العظيم و قوّته الشديده يكون جاريا مجرى الوتد الّذى يمنع كره الأرض من الاستداره و كان تخليق هذه الجبال على الأرض كالأوتاد المعدوده فى الكره المانعه من الحركه المستديره.

الوجه الثالث أن نقول:

استعاره لمّا كانت فائده الوتد أن يحفظ الموتود فى بعض المواضع عن الحركه و الاضطراب حتّى يكون قارّا ساكنا،و كان من لوازم ذلك السكون فى بعض الأشياء صحّه الاستقرار على ذلك الشىء و التصرّف عليه و كان من فائده وجود الجبال و التضريسات الموجوده فى وجه الأرض أن لا يكون مغموره بالماء ليحصل للحيوان الاستقرار و التصرّف عليها لا جرم كان بين الأوتاد و الجبال الخارجه من الماء فى الأرض اشتراك فى كونهما

مستلزمين لصحّه الاستقرار مانعين من عدمه لاـ جرم حسنت استعاره نسبه الإتياد إلى الصخور و الجبال،و أمّيا إشعاره بالميدان،فلأنّ الحيوان كما يكون صادقا عليه أنّه غيره مستقرّ على الأرض بسبب انغمارها فى الماء لو لم توجد الجبال كذلك يصدق على الأرض أنّهما غير مستقرّه تحته و مضطربه بالنسبه إليه فثبت حينئذ أنّه لو لا وجود الجبال فى سطح الأرض لكانت مضطربه و مائده بالنسبه إلى الحيوان لعدم تمكّنه من الاستقرار عليها .

الوجه الرابع قال بعض العلماء:

إنّه يحتمل أن تكون الإشاره بالصخور إلى الأنبياء و الأولياء و العلماء و بالأرض إلى الدنيا أمّا وجه التجوّز بالصخور عن الأنبياء و العلماء فلأنّ الصخور و الجبال لمّيا كانت على غايه من الثبات و الاستقرار مانعه لما يكون تحتها من الحركه و الاضطراب عاصمه لما يلتجىء إليها من الحيوان عمّيا يوجب له الهرب فيسكن بذلك اضطرابه و قلقه أشبهت الأوتاد من بعض هذه الجهات،ثمّ لمّا كانت الأنبياء و العلماء هم السبب فى انتظام امور الدنيا و عدم اضطراب أحوال أهلها كانوا كالأوتاد للأرض فلا جرم صحّت استعاره لفظ الصخور لهم،و لذلك يحسن فى العرف أن يقال:فلان جبل منيع يأوى إليه كلّ ملهوف إذا كان يرجع إليه فى المهمّات و الحوائج و العلماء أوتاد اللّه فى الأرض.

الوجه الخامس

أنّ المقصود من جعل الجبال كالأوتاد فى الأرض أن يهتدى بها على طرقها و المقاصد فيها فلا تميد جهاتها المشتبهه بأهلها و لا تميل بهم فيتيهون فيها عن طرقهم و مقاصدهم و باللّه التوفيق .

قوله أوّل الدين معرفته.

قوله أوّل الدين معرفته.

أقول:لمّا كان الدين فى اللغه الطاعه كما سبق و فى العرف الشرعىّ هو الشريعه الصادره بواسطه الرسل عليهم السلام و كان اتّباع الشريعه طاعه مخصوص كان ذلك تخصيصا من الشارع للعامّ بأحد مسمّياته و لكثره استعماله فيه صار حقيقه دون سائر المسمّيات لأنّه المتبادر إلى الفهم حال إطلاق لفظه الدين،و اعلم أنّ معرفه الصانع سبحانه على مراتب فأوليها و أدناها أن يعرف العبد أنّ للعالم صانعا،الثانيه أن يصدّق بوجوده،الثالثه أن يترقّى بجذب العنايه الإلهيّه إلى توحيده و تنزيهه عن الشركاء،الرابعه مرتبه الإخلاص له،الخامسه نفى الصفات الّتى تعتبرها الأذهان له عنه و هى غايه العرفان و منتهى قوّه

الإنسان،و كلّ مرتبه من المراتب الأربع الاولى مبدء لما بعدها من المراتب،و كلّ من الأربع الأخيره كمال لما قبلها،ثمّ إنّ المرتبتين الأولیین مرکوزتان فی الفطر الإنسانیّه بل فیما هو أعمّ منها و هی الفطر الحیوانیّه و لذلک فإنّ الأنبیاء علیهم السلام لم یدعوا الخلق إلی تحصیل هذا القدر من المعرفه،و أیضا فلو کان حصول هذا القدر من المعرفه متوقّفا علی دعوه الأنبیاء و صدقهم مع أنّ صدقهم مبنیّ علی معرفه أنّ هاهنا صانعا للخلق أرسلهم للزم الدور،و إنّما کانت أوّل مرتبه دعوا إلیها من المعرفه هی توحید الصانع و نفی الکثره عنه المشتمل علیها أوّل کلمه نطق بها الداعی إلی اللّه و هی قولنا: «لا إِلهَ إِلَّا اللّهُ» فقال صلی اللّه علیه و آله من قال «لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ» خالصا مخلصا دخل الجنّه.ثمّ استعدّت أذهان الخلق بما نطقت به من التوحید الظاهر تبّههم علی أنّ فیها قوّه إعداد لتوحید أعلی و أخفی من الأوّل فقال:من قال «لا إِلهَ إِلَّا اللّهُ» خالصا مخلصا دخل الجنّه،و ذلک إشاره إلی حذف کلّ قید من درجه الاعتبار مع الوحده المطلقه إذا عرفت ذلک فاعلم أنّه یحتمل أن یکون مراده بالمعرفه المرتبه الاولی من مراتب المعرفه و حینئذ یکون معنی قوله أوّل الدین معرفته ظاهرا فإنّ ذلک القدر أوّل متحصّل فی النفس من الدین الحقّ،و یحتمل أن یکون مراده المعرفه التامّه الّتی هی غایه العارف و نهایه مراتب السلوک و حینئذ یکون المراد من کونها أوّل الدین هو أولیّتها فی العقل و هو إشاره إلی کونها علّه غائیه إذ العلّه الغائیه متقدّمه فی العقل علی ما هی علّه له و إن تأخّرت فی الوجود،و بیان ذلک أنّ المعرفه التامّه الّتی هی غایه سعی العارف غیر حاصله فی مبدء الأمر بل یحتاج فی کمال ما حصل له من مراتب المعرفه و تحصیل المعرفه التامّه إلی الریاضه بالزهد و العباده و تلقی الأوامر الإلهیّه بالقبول الّتی هی سبب إتمام الدین فیستعدّ أوّلا بسببها للتصدیق بوجوده یقینا ثمّ لتوحیده ثمّ للإخلاص له ثمّ لنفی کلّ ما عداه عنه فیغرق فی تیّار بحار العظمه و کلّ مرتبه أدرکها فهی کمال لما قبلها إلی أن تتمّ المعرفه المطلوبه له بحسب ما فی وسعه و بکمال المعرفه یتمّ الدین و ینتهی السفر إلی اللّه .

قوله و کمال معرفته التصدیق إلی قوله نفی الصفات عنه.

قوله و کمال معرفته التصدیق إلی قوله نفی الصفات عنه.

أقول:ترتیب هذه المقدّمات علی هذا الوجه یسمّی قیاسا مفصولا و هو القیاس المرکّب

الّذى تطوى فيه النتائج و عند ذكرها يتبيّن أنّ المقصود منها بيان أنّ كمال معرفته نفى الصفات عنه،و هذا القياس تنحلّ إلى قياسات تشبه قياس المساواه لعدم الشركه بين مقدّمتى كلّ منها فى تمام الأوسط فيحتاج فى إنتاج كلّ منها إلى قياس آخر،و المطلوب من التركيب الأوّل و هو قوله و كمال معرفته التصديق به و كمال التصديق به توحيده أنّ كمال معرفته توحيده،و إنّما يلزم عنه هذا المطلوب بقياس آخر،صورته أنّ معرفته كمال و كمالها توحيده و كلّما كان كمال كماله توحيده كان كماله توحيده فينتج أنّ كمال معرفته توحيده،أمّا المقدّمه الاولى فإنّ التوحيد كمال التصديق و هو كمال المعرفه، و أمّا الثانيه فلأنّ كمال كمال الشىء كمال الشىء و هكذا فى باقى التركيب و المطلوب من تركيب هذه النتيجه مع المقدّمه الثالثه و هى قوله و كمال توحيده الإخلاص له أنّ كمال معرفته الإخلاص له،و من تركيب هذه النتيجه مع المقدّمه الرابعه و هى قوله كمال الإخلاص له نفى الصفات عنه يحصل المطلوب،و اعلم أنّ فى إطلاق الكمال هاهنا تنبيها على أنّ معرفه اللّه تعالى مقوله بحسب التشكيك إذ كانت قابله للزياده و النقصان،و بيان ذلک أنّ ذات اللّه تعالى لمّا كانت بريّه عن أنحاء التركيب لم يكن معرفته ممكنه إلاّ بحسب رسوم ناقصه تتركّب من سلوب و إضافات تلزم ذاته المقدّسه لزوما عقليّا فتلك السلوب و الإضافات لمّا لم تكن متناهيه لم يمكن أن تقف المعرفه بحسبها عند حدّ واحد بل تكون متفاوته بحسب زيادتها و نقصانها و خفائها و جلائها،و كذلک كمال التصديق و التوحيد و الإخلاص،و إذا تقرّر ذلک فلنشرع فى تقدير المقدّمات،أمّا المقدّمه الاولى و هى أنّ كمال معرفته التصديق به،و بيان ذلک أن المتصوّر لمعنى إله العالم عارف به من تلک الجهه معرفه ناقصه تمامها الحكم بوجوده و وجوبه إذ من ضروره كونه موجد للعالم كونه موجودا فإنّ ما لم يكن موجودا استحال بالضروره أن يصدر عنه أثر موجود فهذا الحكم اللاحى هو كمال معرفته،و أمّا الثانيه و هى قوله و كمال التصديق به توحيده فبيانها أنّ من صدّق بوجود الواجب ثمّ جهل مع ذلک كونه واحدا كان تصديقه به تصديقا ناقصا تمامه توحيده،إذ كانت الواحده المطلقه لازمه لوجود الواجب فإنّ طبيعه واجب الوجود بتقدير أن تكون مشتركه بين اثنين فلا بدّ لكلّ واحد منهما من مميّز وراء ما به الاشتراک فيلزم التركيب فى ذاتيهما و كلّ

مركّب ممكن فيلزمه الجهل بكونه واجب الوجود و إن تصوّر معناه و حكم بوجوده،و أمّا الثالثه و هى قوله و كمال توحيده الإخلاص له ففيها إشاره إلى أنّ التوحيد المطلق للعارف نّما يتمّ بالإخلاص له و هو الزهد الحقيقىّ الّذى هو عباره عن تنحيه كلّ ما سوى الحقّ الأوّل عن سنن الإيثار،و بيان ذلك أنّه ثبت فى علم السلوك أنّ العارف ما دام ملتفتا مع ملاحظه جلال اللّه و عظمته إلى شىء سواه فهو بعد واقف دون مقام الوصول جاعل مع اللّه غيرا حتّى أنّ أهل الإخلاص ليعدّون ذلك شركا خفيّا كما قال بعضهم:من كان فى قلبه مثقال خردله سوى جلالك فاعلم أنّه مريض و إنّهم ليعتبرون فى تحقّق الإخلاص أن يغيب العارف عن نفسه حال ملاحظته لجلال اللّه و أن لحظها فمن حيث هى لاحظه لا من حيث هى متزيّنه بزينه الحقّ فإذن التوحيد المطلق أن لا يعتبر معه غيره مطلقا،و ذلك هو المراد بقوله و كمال توحيده الإخلاص له ،و أمّا المقدّمه الرابعه و هى أنّ كمال الإخلاص له نفى الصفات عنه فقد بيّن عليه السّلام صدقها بقياس برهانىّ مطوىّ النتائج أيضا استنتج منه أنّ بحانه فقد جهله،و ذلك قوله عليه السّلام لشهاده كلّ صفه أنّها غير الموصوف،و شهاده كلّ موصوف أنّه غير الصفه إلى قوله و من جزّاه فقد جهله ،و بيان صحّه المقدّمات أمّا قوله لشهاده كلّ صفه أنّها غير الموصوف و بالعكس فهو توطئه الاستدلال ببيان المغائره بين الصفه و الموصوف،و المراد بالشهاده هاهنا شهاده الحال فإنّ حال الصفه تشهد بحاجتها إلى الموصوف و عدم قيامها بدونه و حال الموصوف تشهد بالاستغناء عن الصفه و القيام بالذات بدونها فلا تكون الصفه نفس الموصوف،و أمّا قوله فمن وصف اللّه سبحانه فقد قرنه فهو ظاهر لأنّه لمّا قرّر كون الصفه مغايره للموصوف لزم أن تكون زائده على الذات غير منفكّه عنها فلزم من وصفه بها أن تكون مقارنه لها و إن كانت تلك المقارنه على وجه لا يستدعى زمانا و لا مكانا،و أمّا قوله و من قرنه فقد ثنّاه فلأنّ من قرنه بشىء من الصفات فقد اعتبر فى مفهومه أمرين أحدهما الذات و الآخر الصفه فكان واجب الوجود عباره عن شيئين أو أشياء فكانت فيه كثره و حينئذ ينتج هذا التركيب أنّ من وصف اللّه سبحانه فقد ثنّاه،و أمّا قوله و من ثنّاه فقد جزّاه فظاهر أنّه إذا كانت الذات عباره عن مجموع امور كانت تلك الامور أجزاء لتلك الكثره من حيث إنّها تلك الكثره و هى مبادئ لها،و ضمّ هذه

المقدّمه إلى نتيجه التركيب الأوّل ينتج أنّ من وصف اللّه سبحانه فقد جزّاه،و أمّا قوله و من جزّاه فقد جهله فلأنّ كلّ ذى جزء فهو يفتقر إلى جزء و جزئه غيره فكلّ ذى جزء فهو مفتقر إلى غيره و المفتقر إلى الغير ممكن فالمتصوّر فى الحقيقه لأمر هو ممكن الوجود لا الواجب الوجود بذاته فيكون إذن جاهلا به و ضمّ هذه المقدّمه إلى نتيجه ما قبلها ينتج أنّ من وصف اللّه سبحانه فقد جهله و حينئذ يتبيّن المطلوب و هو أنّ كمال الإخلاص له نفى الصفات عنه إذ الإخلاص له و الجهل به ممّا لا يجتمعان،و إذا كان الإخلاص منافيا للجهل به الّذى هو لازم لإثبات الصفه له كان إذن منافيا لإثبات الصفه له لأنّ معانده اللازم تستلزم معانده الملزوم،و إذ بطل أن يكون الإخلاص فى إثبات الصفه له تثبت أنّه فى نفى الصفه عنه و عند هذا يظهر المطلوب الأوّل و هو أنّ كمال معرفته نفى الصفات عنه و ذلك هو التوحيد المطلق و الإخلاص المحقّق الّذى هو نهايه العرفان و غايه سعى العارف من كلّ حركه حسيّه و عقليّه و ما يكون فى نفس الأمر من غير تعقّل نقص كلّ ما عداه عنه معه فهو الوحده المطلقه المبرّاه عن كلّ لاحق،و هذا مقام حسرت عنه نوافذ الأبصار،و كلّت فى تحقيقه صوارم الأفكار،و أكثر الناس فيه الأقوال فانتهت بهم الحال إلى إثبات المعانى و ارتكاب الأحوال فلزمهم فى ذلك الضلال ما لزمهم من المحال فإن قلت:هذا يشكل من وجهين أحدهما أنّ الكتب الإلهيّه و السنن النبويّه مشحونه بوصفه تعالى بالأوصاف المشهوره كالعلم و القدره و الحياه و السمع و البصر و غيرها و على ما قلتم يلزم أن لا يوصف سبحانه بشىء منها،الثانى أنّه عليه السّلام صرّح بإثبات الصفه له فى قوله ليس لصفته حدّ محدود و لو كان مقصوده بنفى الصفات ما ذكرتم لزم التناقض فى كلامه عليه السّلام فالأولى إذن أن يخصّ قوله نفى الصفات عنه بنفى المعانى كما ذهب إليه الأشعرى، و نفى الأحوال كما ذهب إليه المثبتون من المعتزله و بعض الأشعريّه ليبقى للصفات المشهوره الجاريه عليه تعالى و لإثباته عليه السّلام الصفه للّه فى موضع آخر محمل،أو يختصّ بنفى صفات المخلوقين كما أشار عليه السّلام فى آخر الخطبه لا يجرون إليه صفات المصنوعين،و كما ذكره الشيخ المفيد من الشيعه فى كتاب الإرشاد عنه جلّ أن تحلّه الصفات لشهاده العقول أنّ كلّ من حلّته الصفات مصنوع.قلت:قد سبق منّا بيان أنّ كلّ ما يوصف به تعالى من

الصفات الحقيقيّه و السلبيّه و الإضافيّه اعتبارات تحدّثها عقولنا عند مقائسه ذاته سبحانه إلى غيرها،و لا يلزم تركيب فى ذاته و لا كثره فيكون وصفه تعالى بها أمرا معلوما من الدين ليعمّ التوحيد و التنزيه كلّ طبقه من الناس،و لمّا كانت عقول الخلق على مراتب من التفاوت كان الإخلاص الّذى ذكره عليه السّلام أقصى ما تنتهى إليه القوى البشريّه عند غرقها فى أنوار كبرياء اللّه و هو أن تعتبره فقط من غير ملاحظه شىء آخر،و كان إثباته عليه السّلام الصفه فى موضع آخر و وصفه فى الكتاب العزيز و سنن النبويّه إشاره إلى الاعتبارات الّتى ذكرناها إذ كان من هو دون درجه الإخلاص لا يمكن أن يعرف اللّه سبحانه بدونها و باللّه التوفيق .

قوله و من أشار إليه فقد حدّه و من حدّه فقد عدّه.

قوله و من أشار إليه فقد حدّه و من حدّه فقد عدّه.

أقول:يشير إلى البرهان على أحد أمرين أحدهما أنّه يحتمل أن يكون مراده امتناع الإشاره العقليّه إليه و تعلّقها به فعلى هذا يكون تقرير المقدّمه الاولى من هذا البرهان أنّ من وجّه ذهنه طالبا لكنه ذاته المقدّسه و زعم أنّه وجدها و أحاط بها و أشار إليها من جهه ما هى فقد أوجب له حدّا يقف ذهنه عنده إذ الحقيقه إنّما تعلم من جهه ما هى و يشير العقل إلى كنهها إذا كانت مركّبه و قد علمت أنّ كلّ مركّب محدود فى المعنى و لأنّ الإشاره العقليّه ملوّثه بالإشاره الوهميّه و الخياليّه مشوبه بهما و هما مستلزمان لإثبات الحدّ كما سيأتى،و أمّا تقرير المقدّمه الثانيه فظاهر إذ كان حدّ الشىء إنّما يتألّف من كثره معتبره فيه و كلّ ذى كثره معدود فى نفسه و نتيجه هذا البرهان أنّ من أشار إليه فقد عدّه،و أمّا استحاله أن يكون معدودا فلما علمت فيما سبق أنّ الكثره مستلزمه للإمكان،الثانى أنّه يحتمل أن يكون مراده أيضا نفى الإشاره الحسيّه الظاهره و الباطنه إليه و بيان تنزيهه عن الوحده العدديّه،و يكون تقرير المقدّمه الاولى أنّ من أشار إليه بأحد الحواسّ فقد جعل له حدّا أو حدودا أو نهايات تحيط به،و ذلك أنّ كلّ ما يشار إليه بالحسّ أيضا أو الباطن فلا بدّ و أن يشار إليه فى حيّز مخصوص و على وضع مخصوص و ما كان كذلك فلا بدّ و أن يكون له حد أو حدود فإذن لو كان مشار إليها بأحدها لكان محدودا،و أمّا تقرير المقدّمه الثانيه فالمراد بالعدّ هاهنا جعله مبدء كثره يصلح أن

يكون عـادّا لها،و ذلك أنّ كلّ ما أدرك على وضع مخصوص و فى جهه فالعقل حاكم بإمكان وجود أمثاله فمن حـدّه بالإشاره الحسيّه فقد جعله مبدء كثره يصلح أن يعدّ بها و يكون معدودا بالنسبه إليها،و أمّا كونه فى نفسه معدودا و ذلك كونه مركّبا من امور لأنّ الواحـد بهـذا المعنى ليس مجرّد الوحده فقط و إلاّ لما تعلّقت الإشاره الحسيّه به بل لا بدّ معها من الوضع كما علمت و على الوجهين يكون مجتمعا من أمرين أو أمور فيكون مركّبا و كلّ مركّب ممكن على ما مرّ و إذا اسـتحال أن يكون واحدا بهذا المعنى كـانت الإشـاره إليه مطلقا يسـتلزم الجهل به من حيث هو واحـد واجب الوجود،و أعلم أنّه ليس إذا بطل أن يكون واحـدا فإنّ للواحـد مفهومات اخر بها يقال له واحد فإنّه يقال واحد لما لا يشاركه فى حقيقه الخاصّه به غيره و يقال واحد لما لا تتركّب حقيقته و تأتلف من معانى متعـدّده الأجزاء قوام و لا أجزاء حدّ و يقال واحد لما لم يفته من كماله شـىء بل كلّ كمال ينبغى أن يكون له فهو حاصل له بالفعل و البارى سبحانه واحد بهذه الاعتبارات الثلاثه

قوله و من قال فيم فقد ضمنّه و من قال علام فقد أخلى منه.

قوله و من قال فيم فقد ضمنّه و من قال علام فقد أخلى منه.

أقول:أصل فيم و علام فيما و على ما حرفان دخلا على ما الاسـتفهاميّه فحذف ألفها لاتّصالها بهما تخفيفا فى الاسـتفهام خاصّه و هاتان القضـيّتان فى تقدير شرطيّتين متّصلتين يراد منهما تأديب الخلق أن يستفهموا عنه سبحانه على هذين الوجهين،و بيان المراد منهمـا باسـتثناء نقيضـى تاليهمـا و حـذف الاسـتثناء هاهنا الّـذى هو كبرى القياس على ما هو المعتاد فى قياس الضـمير،و اعلم أنّ تقـدير المتّصـله الـاولى لو صـحّ السؤال منه بفيم لكان له محلّ يتضـمّنه و يصـدق عليه أنّه فيه صـدق العرض بالمحلّ لكنّه يمتنع كونه فى محلّ فيمتنع السؤال عنه بفيم بيان الملازمه أنّ مفهوم فى لمّا كان موجودا فى ما كان الاسـتفهام بفيم استفهاما عن مطلق المحلّ و الظرف و لا يصـحّ الاسـتفهام عن المحلّ لشـىء إلاّ إذا صـحّ كونه فيه بيان بطلان التالى أنّه لو صـحّ كونه فى محلّ لكان إمّا أن يجب كونه فيه فيلزم أن يكون محتاجا إلى ذلك المحلّ و المحتاج إلى الغير ممكن بالـذات و إن لم يجب حلوله فيه جاز أن يسـتغنى عنه و الغنىّ فى وجـوده عن المحـلّ يسـتحيل أن يعرض له و إذا اسـتحال أن يكـون فى محـلّ كـان السـؤال عنه بفيم جهلا،و أمّا تقدير المتّصله الثانيه فهو أنّه لو جاز السؤال عنه بعلام لجاز خلوّ بعض

الجهات و الأماكن عنه لكنّه لا يجوز خلوّ مكان عنه فامتنع الاستفهام عنه بعلام بيان الملازمه هو أن مفهوم على و هو العلوّ و الفوقانيّه لمّا كان موجودا فى ما كانت استفهاما عن شىء هو فوقه و عال عليه،و ذلك يستلزم أمرين أحدهما بواسطه الآخر و لازم له فالّذى هو بواسطه و لا لازم لها هو أخلا سائر الجهات عنه و هو ما ذكره عليه السّلام و أمّا الواسطه الملزومه فهى إثبات الجهه المعيّنه و هى جهه فوق إذا كان اختصاصه بجهه معيّنه يستلزم نفى كونه فى سائر الجهات،و إنّما جعل عليه السّلام لازم هذه المتّصله كونه قد أخلى منه ليستلزم من إبطال اللازم و هو الخلوّ عنه بطلان اختصاصه بالجهه المعيّنه ليلزم منه بطلان المقدّم و هو صحّه السؤال عنه بعلام،فأمّا بطلان التالى فلقوله «وَ هُوَ اللّهُ فِي السَّماواتِ وَ فِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَ جَهْرَكُمْ» ١»و قوله «وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ» فإن قلت:إنّ مثبت الجهه لا يجهل هذه الآيات بل له أن يقول:لا تنافى بين إثبات الجهه المعيّنه و بين مقتضى هذه الآيات لأنّ المقصود من كونه فى السماء و الأرض أى بعلمه و كذلك من معيّته للخلق و كونه فى جهه فوق إنّما هو بذاته فحينئذ لا يكون هذه الآيات منافيه لغرضه قلت:إنّما جعل عليه السّلام قوله فقد أخلى منه لازما فى هذه القضيّه لأنّ نفى هذا اللازم بهذه الآيات ظاهر و كذلك إنّ مثبت الجهه إنّما يعتمد فى إثباتها على ظواهر الآيات الدالّه على ذلك كقوله تعالى «الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى» فكانت معارضه مقتضاها بظواهر هذه الآيات أنفع فى الخطابه و أنجع فى قلوب العامّه من الدلائل العقليّه على نفى الجهه،و دلاله هذه الآيات على عدم خلوّ مكان من الأمكنه منه تعالى يستلزم دلالتها على عدم اختصاصه بجهه فوق،و المعارضه كما تكون بما يقتضى إبطال مقتضى الدليل كذلك تكون بما يقتضى إبطال لازم مقتضاه فكانت مستلزمه لعدم جواز الاستفهام عنه بعلام و لو قال:و من قال علام فقد أثبت له جهه لم يمكن إبطال هذا اللازم إلّا بالدليل العقلىّ لكون الظواهر النقليّه مشعره بإثبات الجهه له فلذلك عدل عليه السّلام إلى هذا اللازم كما بيّنه لوجود ما يبطله فى القرآن الكريم و هى الآيات المذكوره حتّى إذا عدل المثبت للجهه عن ظواهر هذه الآيات إلى التأويل بإحاطه العلم مثلا ألزمناه مثله فى نحو قوله «الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ»

«اسْتَوى» فقلنا:المراد من الاستواء الاستيلاء بالقدره أو العلم كما هو مذكور فى الكتب الكلاميّه، و إنّما خصّ عليه السّلام جهه العلوّ بإنكار اعتقادها و التحذير منه لكون كلّ معتقد للّه جهه يخصّصه بها لما يتوهّم من كونها شرف الجهات و لأنّها نطق بها القرآن الكريم فكانت الشبهه فى إثباتها أقوى فلذلك خصّها بالذكر .

قوله كائن لا عن حدث موجود لا عن عدم.

قوله كائن لا عن حدث موجود لا عن عدم.

أقول:الكائن اسم الفاعل من كان و هو يستعمل فى اللغه على ثلاثه أوجه،أحدها أن تكون بصيغتها دالّه على الحدث و الزمان و يسمّى فى عرف النحاه كان التامّه كقوله:إذا كان الشتاء فاد فئونى أى إذا حدث و وجد،الثانى أن تدلّ على الزمان وحده و يحتاج فى الدلاله على الحدث إلى خبر يتمّ به و هى الناقصه و استعمالها هو الأكثر كقوله تعالى «إِنَّ إِبْراهِيمَ كانَ أُمَّةً قانِتاً لِلّهِ» الثالث أن تكون زائده خاليه عن الدلاله على حدث أو زمان كقوله:على كان المسوّمه العراب أى على المسوّمه.إذا عرفت ذلك فاعلم أنّ مفهوم كائن أنّه شيء ما له كون،و لمّا كان ذلك الشيء هو ذات اللّه تعالى و كانت ذاته مقدّسه عن الزمان استحال أن يقصد وصفه بالكون الدالّ على الزمان،و لمّا احترز بقوله لا عن حدث استحال أن يدلّ كونه على الحدث و هو المسبوقيّه بالعدم أيضا و إذا بطل أن يكون كونه مستلزما للزمان و مسبوقيّه العدم لم يكن له دلاله إلاّ على الوجود المجرّد عن هذين القيدين،و من هذا القبيل قوله تعالى «وَ كانَ اللّهُ غَفُوراً رَحِيماً» و أمثاله و قول الرسول صلى اللّه عليه و آله كان اللّه و لا شيء،و أمّا قوله موجود لا عن عدم فالمراد أيضا أنّ وجوده ليس بحادث،و بيانه أنّ الموجود من حيث هو موجود إمّا أن يكون وجوده مسبوقا بالعدم و حاصلا عنه و هو المحدث أو لا يكون و هو القديم فأمّا كليّه هذا الحكم فلأنّه لو كان محدثا لكان ممكنا و لو كان ممكنا لما كان واجب الوجود فينتج أنّه لو كان محدثا لما كان واجب الوجود لكنّه واجب الوجود فينتج أنّه ليس بمحدث،أمّا المقدّمتان فجليّتان،و أمّا بطلان تالى النتيجه فمقتضى البراهين الإلهيّه،و اعلم أنّ هذه القضيّه مؤكّده لمقتضى القضيّه الاولى و ليس مقتضاها عين ما أفادته الاولى إذ كان فى الكلمه الاولى مقصود آخر و هو تعليم الخلق كيفيّه إطلاق لفظه الكون على اللّه تعالى و إشعارهم أنّ المراد منها ليس ما يتبادر إليه الذهن من

مفهومها حال إطلاقها و هو الحدوث و يحتمل أن يكون مراده فى الاولى نفى الحدوث الذاتى أو ما أعمّ منه و من الزمان،و فى الثانيه نفى الحدوث الزمانى و اللّه أعلم .

قوله مع كلّ شىء لا بمقارنه و غير كلّ شىء لا بمزائله.

قوله مع كلّ شىء لا بمقارنه و غير كلّ شىء لا بمزائله.

أقول:إنّ كونه تعالى مع غيره و غيره غيره إضافتان عارضتان له بالنسبه إلى جميع الموجودات إذ كلّها منه و يصدق عليه أن يقال:إنّه معها و إنّه متقدّم عليها و لكن باعتبارين مختلفين فإنّ المعيّه نفس إضافه تحدثها العقول بنسبته إلى آثاره و مساوقه وجوده لوجوداتها و إحاطه علمه بكلّيتها و جزئيّتها كما قال «وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ وَ اللّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» و التقدّم نسبه تحدثها له باعتبار كونه علّه لها ثمّ لمّا كانت المعيّه أعمّ من المقارنه لاعتبار الزمان و المكان فى مفهومها المتعارف لم يكن معيّه للأشياء على سبيل المقارنه لها لبرائه ذاته المقدّسه عن الزمان و المكان فلذلك احترز بقوله لا بمقارنه و أمّا أنّه غيرها لا بمزائله فيحتمل وجهين،أحدهما و هو الأظهر أنّ المغائره لمّا كانت أعمّ من المزائله لدخول الزمان و المكان فى مفهومها أيضا كانت مغايرته للأشياء غير معتبر فيها المزائله لتقدّس ذاته عن الزمان و المكان فلذلك احترز بقوله لا بمزائله ،الثانى أن يقال:إنّ كونه تعالى غير كلّ شىء معناه أنّه مميّز بذاته عن كلّ شىء إذ لا يشارك شيئا من الأشياء فى معنى جنسى و لا نوعى فلا يحتاج أن ينفصل عنها بفصل ذاتى أو عرضىّ بل هو مباين لها بذاته لا بمزائله، و يكون معنى المزائله المفارقه بأحد الامور المذكوره بعد الاشتراك فى أحد الامور المذكوره، و اعلم أن هذين القيدين كاسران للأحكام الوهميّه باعتبار الزمان و المكان و الأوصاف المخلوقه المتعارفه بين الخلق المعتبره بينهم فى مفهوم المعيّه و الغيريّه منبّهان للعقول على ما وراء حكم الوهم من عظمه اللّه سبحانه و تقدّس ذاته عن صفات الممكنات و كذلك قوله كائن لا عن حدث موجود لا عن عدم فإنّه ردّ للوهم الحاكمه بمماثلته تعالى للمحدثات .

قوله فاعل لا بمعنى الحركات و الآله.

قوله فاعل لا بمعنى الحركات و الآله.

أقول:الحركه عباره عن حصول المتحيّز فى حيّز بعد أن كان فى حيّز آخر إن قلنا بثبوت الجوهر الفرد و إلّا فهى عباره عن انتقال المتحيّز من حيّز إلى حيّز آخر أو غيره من التعريفات،و الآله هى ما يؤثّر الفاعل فى منفعله القريب منه بواسطه،و المراد بيان

أنّه فاعل إلّا أنّ ما صدر عنه تعالى من الآثار ليس بحسب حركه و لا بتوسّط آله كما يفتقر غيره فى نسبه صدور الفعل عنه إليه أمّا أنّه لا يفتقر إلى الحركه فلأنّ معنى الحركه إنّما يعرض للجسم و البارى تعالى منزّه عن الجسميّه فيستحيل صدق مسمّى الحركه فى حقّه،و أمّا أنّ فعله ليس بتوسّط آله فبيانه من وجهين:أحدهما لو كان كذلك لكانت تلك الآله إن كانت من فعله فإمّا بتوسّط آله اخرى أو بدونها فإن كانت بدونها فقد صدق أنّه فاعل لا بمعنى الآله و إن كان فعله لها بتوسّط آله اخرى فالكلام فيها كالكلام فى الأولى و يلزم التناقض،و أمّا إن لم تكن تلك الآله من فعله و لم يمكنه الفعل بدونها كان البارى تعالى مفتقرا فى تحقّق فعله إلى الغير و المفتقر إلى الغير ممكن بالذات فالواجب بالذات ممكن بالذات هذا خلف.الثانى أنّه تعالى لو فعل بالآله لكان بدونها غير مستقلّ بإيجاد الفعل فكان ناقصا بذاته مستكملا بالآله،و النقص على اللّه تعالى محال فتوقّف فعله على الآله محال فإذن هو الفاعل المطلق بالإبداع و محض الاختراع المبرء عن نقصان الذات المنزّه عن الحاجه إلى الحركات و الآلات .

قوله بصير إذ لا منظور إليه من خلقه.

مجاز قوله بصير إذ لا منظور إليه من خلقه.

أقول:البصير فعيل بمعنى الفاعل من البصر،و البصر حقيقه فى حاسّه العين مجاز فى القوّه الّتى بها العلم،و المنظور إليه هو المشاهد بتقليب الحدقه نحوه،و المراد وصفه تعالى بكونه بصيرا حال مالا يتحقّق المبصرات،و إذ ليس كونه بصيرا،بمعنى أنّ له آله البصر لتنزّهه عن الحواسّ وجب العدول إلى المجاز و هو أن يكون بصيرا بمعنى أنّه عالم،و قرينه ذلك.

قوله إذ لا منظور إليه من خلقه لأنّ البصر أمر إضافىّ يلحق ذاته بالنسبه إلى مبصر و هو أمر يلحق ذاته أزلا و أبدا و لا شىء من المبصرات بالحسّ موجود أزلا لقيام البراهين العقليّه على حدوث العالم حتّى يمكن أن يلحقه النسبه بالقياس إليه فوجب أن لا يكون من حيث هو هو بصيرا بهذا المعنى ،و يحتمل أنّ الإشاره بإذ فى قوله إذ لا منظور إليه إلى اعتبار كونه مقدّما على آثاره من جهه ما هو متقدّم فإنّه بالنظر إلى تلك الجهه لا منظور إليه من خلقه معه و هو عالم لذاته و بذاته مطلقا و إذ ليس بصيرا بالمعنى المذكور فهو إذن بصير بالصفه الّتى ينكشف بها كمال نعوت المبصرات،و بها تظهر الأسرار و الخفيّات فهو الّذى يشاهد و يرى حتّى لا يعزب عنه ما تحت الثرى «وَ إِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفى»

و هذه الآله و إن عدّت كمالا فإنّما هى كمال خاصّ بالحيوان،و كماله بها و إن كان ظاهرا إلّا أنّه ضعيف قاصر إذ لا يمتدّ إلى ما بعد و لا يتغلغل فى باطن و إن قرب بل يتناول الظواهر و يقصر عن البواطن،و قد قيل:إنّ الحظّ الّذى للعبد من البصر أمران،أحدهما أن يعلم أنّه خلق له البصر لينظر إلى الآيات و عجائب ملكوت السماوات فلا يكون نظره إلّا اعتبارا حكى أنّه قيل لعيسى عليه السّلام هل أحد من الخلق مثلك؟فقال:من كان نظره عبره و صمته فكره و كلامه ذكرا فهو مثلى،الثانى أن يعلم أنّه من اللّه بمراى و مسمع فلا يستهين بنظره إليه و إطّلاعه عليه و من أخفى من غير اللّه ما لا يخفيه من اللّه تعالى فقد استهان بنظر اللّه تعالى،إليه و المراقبه إحدى ثمرات الإيمان بهذا الصفه فمن قارب معصيته و هو يعلم أنّ اللّه يراه فما أجرئه و ما أخسره،و من ظنّ أنّ اللّه تعالى لا يراه فما أكفره .

قوله متوحّد إذ لا سكن يستأنس به و لا يستوحش لفقده.

قوله متوحّد إذ لا سكن يستأنس به و لا يستوحش لفقده.

أقول:المراد وصفه تعالى بالتفرّد بالوحدانيّه و أشار بقوله إذ لا سكن إلى اعتبار أنّ تفرّده بالوحدانيّه لذاته فهو من تلك الحيثيّه متفرّد بالوحدانيّه لا على وجه الانفراد عن مثل له كما هو المفهوم المتعارف من انفراد بعض الناس عن بعض ممّن عادته مشاركته فى مشاوراته و محادثاته،و انفراد أحد المتألّفين من الحيوانات عن الآخر و هو الأنيس الّذى يستأنس بوجوده معه و يستوحش لفقده و غيبته عنه إذ كان الاستيناس و الاستيحاش متعلّقين بميل الطبع إلى الشىء و نفرته عنه و هما من توابع المزاج،و لمّا كان البارى سبحانه منزّها من الجسميّه و المزاج وجب أن يكون منزّها عن الاستيناس و التوحش فهو المنفرد بالوحدانيّه المطلقه لا بالقياس إلى شىء يعقل ذلك التفرّد بالنسبه إليه.و اعلم أنّ القيود الثلاثه الزائده على قوله فاعل و بصير و متوحّد فى الفصول الثلاثه مستلزمه للتنبيه على عظمه اللّه تعالى كما بيّناه فى قوله لا بمقارنه و لا بمزائله ،و ذلك لأنّ الأوهام البشريّه حاكمه بحاجه الفاعل إلى الآله و البصير إلى وجود المبصر و المتوحّد إلى أن يكون فى مقابلته أنيس مثله انفرد عنه،و لمّا كانت ذات اللّه سبحانه منزّهه عن جميع ذلك أراد عليه السّلام كسر الوهم و معارضه أحكامه بتنبيه العقول عليها فذكر هذه القيود الثلاثه و باللّه التوفيق.

الفصل الثانى فى نسبه إيجاد العالم إلى قدره اللّه تعالى جملا و تفصيلا و فى كيفيّه

اشاره

ذلك و هو اقتصاص فى معرض المدح.

ص:١٣٠

أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً وَ ابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً- بِلَا رَوِيَّهٍ أَجَالَهَا وَ لَا تَجْرِبَهٍ اسْتَفَادَهَا- وَ لَا حَرَكَهٍ أَحْدَثَهَا وَ لَا هَمَامَهِ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا- أَحَالَ الْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا وَ لَأَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا- وَ غَرَّزَ غَرَائِزَهَا وَ أَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا- عَالِماً بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا- مُحِيطاً بِحُدُودِهَا وَ انْتِهَائِهَا عَارِفاً بِقَرَائِنِهَا وَ أَحْنَائِهَا:ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتْقَ الْأَجْوَاءِ- وَ شَقَّ الْأَرْجَاءِ وَ سَكَائِكَ الْهَوَاءِ- فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلَاطِماً تَيَّارُهُ- مُتَرَاكِماً زَخَّارُهُ حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ الْعَاصِفَهِ- وَ الزَّعْزَعِ الْقَاصِفَهِ فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ- وَ سَلَّطَهَا عَلَى شَدِّهِ وَ قَرَنَهَا إِلَى حَدِّهِ- الْهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتِيقٌ وَ الْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ- ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا- وَ أَدَامَ مُرَبَّهَا وَ أَعْصَفَ مَجْرَاهَا- وَ أَبْعَدَ مَنْشَأَهَا فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيقِ الْمَاءِ الزَّخَّارِ- وَ إِثَارَهِ مَوْجِ الْبِحَارِ فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السِّقَاءِ- وَ عَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ- تَرُدُّ أَوَّلَهُ إِلَى آخِرِهِ وَ سَاجِيَهُ إِلَى مَائِرِهِ حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ- وَ رَمَى بِالزَّبَدِ رُكَامُهُ- فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ وَ جَوٍّ مُنْفَهِقٍ- فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ- جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً- وَ عُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَ سَمْكاً مَرْفُوعاً- بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُهَا وَ لَا دِسَارٍ يَنْظِمُهَا ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَهِ الْكَوَاكِبِ وَ ضِيَاءِ الثَّوَاقِبِ- وَ أَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً وَ قَمَراً مُنِيراً- فِي فَلَكٍ دَائِرٍ وَ سَقْفٍ سَائِرٍ وَ رَقِيمٍ مَائِرٍ.ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ

السَّمَوَاتِ الْعُلاَ- فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلاَئِكَتِهِ- مِنْهُمْ سُجُودٌ لاَ يَرْكَعُونَ وَ رُكُوعٌ لاَ يَنْتَصِبُونَ- وَ صَافُّونَ لاَ يَتَزَايَلُونَ وَ مُسَبِّحُونَ لاَ يَسْأَمُونَ- لاَ يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ وَ لاَ سَهْوُ الْعُقُولِ- وَ لاَ فَتْرَهُ الْأَبْدَانِ وَ لاَ غَفْلَهُ النِّسْيَانِ- وَ مِنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلَى وَحْيِهِ وَ أَلْسِنَهٌ إِلَى رُسُلِهِ- وَ مُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَ أَمْرِهِ- وَ مِنْهُمُ الْحَفَظَهُ لِعِبَادِهِ وَ السَّدَنَهُ لِأَبْوَابِ جِنَانِهِ- وَ مِنْهُمُ الثَّابِتَهُ فِي الْأَرَضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ- وَ الْمَارِقَهُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ- وَ الْخَارِجَهُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ- وَ الْمُنَاسِبَهُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ- نَاكِسَهٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ- مَضْرُوبَهٌ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّهِ- وَ أَسْتَارُ الْقُدْرَهِ- لاَ يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ- وَ لاَ يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ- وَ لاَ يَحُدُّونَهُ بِالْأَمَاكِنِ وَ لاَ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ

اللغه

أقول:لم أجد لأهل اللغه فرقا بين الإنشاء و الابتداء و هو الإيجاد الّذى لم يسبق بمثله إلاّ أنّه يمكن أن يفرق هاهنا بينهما صونا لكلامه عليه السّلام عن التكرار بأن يقال:

المفهوم من الإنشاء هو الإيجاد الّذى لم يسبق غير الموجد إليه و المفهوم من الابتداء هو الإيجاد الّذى لم يقع من الموجد قبل ،و الرويّه الفكر ،و همامه النفس اهتمامها بالامور و من روى همامه نفس فالمراد ترديد العزوم مأخوذ من الهمهمه و هى ترديد الصوت الخفىّ، و روى أيضا همّه نفس ،و الإحاله التحويل و النقل و التغيير و الانقلاب من حال إلى آخر،و روى أجال بالجيم،و روى أيضا أجلّ أى وقّت ،و الملائمه الجمع ،و الغرائز جمع غريزه و هى الطبيعه الّتى طبع عليها الإنسان كأنّها غرّزت فيه ،و النسخ الأصل ،و روى أشباحها جمع شبح و هو

الشخص ،و القرائن جمع قرينه و هى ما يقترن بالشىء ،و الأحناء جمع حنو و هى الناحيه ،و الأجواء جمع جوّ و هو الفضاء الواسع ،و فتقها شقّها ،و الأرجاء جمع رجاء مقصور و هى الناحيه ، و السكائك جمع سكاكه كذؤابه و ذوائب و هى الفضاء ما بين السماء و الأرض و كلّ مكان خال فهو هواء ،و أجار أى أجرى و من روى أحار أى أدار و جمع ،و تلاطم الماء تراد أمواجه و ضرب بعضها بعضا ،و الزخّار مبالغه فى الزاخر و هو الممتلى ،و متن كلّ شىء ما صلب منه و اشتدّ ، و عصف الريح شدّه جريانها ،و ريح زعزع تحرّك الأشياء بقوّه و تزعزعها ،و الريح العاصفه الشديده كأنّها لشدّتها تكسّر الأشياء و تقصفها ،و سلّطها أى جعل لها سلاطه و هى القهر ،و الفتيق المنفتق و الدقيق المندفق .و الاعتقام الشدّ و العقد و اعتقم الأرض مهبّها أى جعله خاليا لا نبت به من قولهم عقمت الرحم إذا لم يقدر بها ولد،و روى بغير تاء أى جعلها عقيمه لا تلقح شجرا و لا سحابا ،و المربّ المجمع ،و العصف الجرى بشدّه و قوّه ،و الصفق و التصفيق الضرب المترادّ المصوّت ،و إناره الموج رفعه و هيّجه ،و أصل البحر الماء المتّسع الغمر،و ربّما خصّص فى العرف بالمالح،و تموّج البحر اضطرابه و توجّه ما ارتفع منه حال هيجانه و حركته ،و الخض التحريك ،و السقاء وعاء اللبن و الماء أيضا ،و المائر المتحرّك ، و العباب بالضمّ معظم الماء و عبّ أى علا و تدفّق ،و الركام الماء المتراكم ،و المنفهق الواسع ، و التسويه التعديل ،و المكفوف الممنوع من السقوط الجوهرى ، السقف اسم للسماء ،و سمك البيت سقفه و السموك الارتفاع ،و العمد جمع كثره لعموم البيت و عامه البيت عموده و ما يمنعه من السقوط ،و الدسار كلّ شىء أدخلته فى شىء لشدّه كمسمار و حبل و نحوهما ، و المستطير المنتشر ،و الفلك من أسماء السماء قيل مأخوذ من فلكه المغزل فى الاستداره ، و الرقيم اسم للفلك أيضا و اشتقاقه من الرقم و هو الكتابه و النقش لأنّ الكواكب به تشبه الرقوم ،و الأطوار الحالات المختلفه و الأنواع المتباينه قال الكسائى: أصل الملائك مئالك بتقديم الهمزه من الألوك و هى الرساله ثمّ قلّبت و قدّمت اللام،و قيل ملأك ثمّ تركت همزته لكثره الاستعمال فقيل ملك فلمّا جمعوه ردّوها إليه فقالوا ملائكه و ملائك ،و السأم الملال ،و السدنه جمع سادن و هو الخازن ،و مرق السهم من الرميه إذا خرج من الجانب الآخر ،و القطر الناحيه ،و الركن الجانب ،و تلفع بثوبه التحف به ،و النظائر

الأمثال ،

و لنرجع إلى المعنى

اشاره

فنقول:

أنشأ الخلق إنشاء و ابتدئه ابتداء

انشاء الخلق إنشاء و ابتدئه ابتداء يشير إلى كيفيّه، إيجاد الخلق على الجمله عن قدره اللّه تعالى بعد أن يتبّه على أصل الإيجاد بقوله فطر الخلائق بقدرته و أتى بالمصدرين بعد الفعلين تأكيدا لنسبه الفعلين إلى اللّه تعالى و صدق هاتين القضيّتين ظاهر فإنّ البارى تعالى لمّا لم يكن مسبوقا بغيره لا جرم صدق الإنشاء منه،و لمّا لم يكن العالم موجودا قبل وجوده لا جرم صدق ابتداؤه له .

قوله بلا رويّه أجالها و لا تجربه استفادها و لا حركه أحدثها و لا همامه نفس اضطرب فيها.

قوله بلا رويّه أجالها و لا تجربه استفادها و لا حركه أحدثها و لا همامه نفس اضطرب فيها.

أقول:لمّا كانت هذه الكيفيّات الأربع من شرائط علوم الناس و أفعالهم الّتى لا يمكن حصولها إلاّ بها أراد تنزيه اللّه سبحانه عن أن يكون إيجاده للعالم موقوفا على شيء منها أمّا الرويّه و الفكر فلمّا كانت عباره عن حركه القوّه المفكّره فى تحصيل مبادئ المطالب و الانتقال منها إليها أو عن تلك القوّه أيضا نفسها كان ذلك فى حقّ اللّه تعالى محالا لوجهين:أحدهما أنّ القوّه المفكّره من خواصّ نوع الإنسان،الثانى أنّ فائدتها تحصيل المطالب المجهوله و الجهل على اللّه تعالى محال،و أمّا التجربه فلمّا كانت عباره عن حكم الفعل بأمر على أمر بواسطه مشاهدات متكرّره معدّه لليقين بسبب انضمامه قياس خفىّ إليها و هو أنّه لو كان هذا الأمر اتّفاقيّا لمّا كان دائما و لا أكثريّا كان توقّف فعل اللّه تعالى على استفاده الأحكام منها محالا لوجهين:أحدهما أنّها مركّبه من مقتضى الحسّ و العقل، و ذلك أنّ الحسّ بعد مشاهدته وقوع الإسهال مثلا عقيب شرب الدواء مرّه و مرّه ينتزع العقل منها حكما كليّا بأنّ ذلك الدواء مسهل،و معلوم أنّ اجتماع الحسّ و العقل من خواصّ نوع الإنسان،الثانى أنّ التجربه إنّما يفيد علما لم يكن فالمحتاج إلى التجربه لاستفاده العلم بها ناقص بذاته مستكمل بها و المستكمل بالغير محتاج إليه فيكون ممكنا على ما مرّ و ذلك على اللّه محال،و أمّا الحركه فقد عرفت أنّها من خواصّ الأجسام و البارى سبحانه منزّه عن الجسميّه فيمتنع صدق المتحرّك عليه و إن صدق أنّه محرّك الكلّ لأنّ المتحرك ما قامت به الحركه و المحرّك أعمّ من ذلك،و أمّا الهمامه أو الهمّه فلمّا كانت مأخوذه من الاهتمام،و حقيقته الميل النفسانىّ الجازم إلى فعل الشىء مع التألّم و الغمّ

بسبب فقد كان ذلك فى حقّ اللّه تعالى محالا لوجهين:أحدهما أنّ الميل النفسانىّ من خواصّ الإنسان طلبا لجلب المنفعه و البارى سبحانه منزّه عن الميول النفسانيّه و جلب المنافع، الثانى أنّه مستلزم للتألّم المطلوب و التألّم على اللّه تعالى محال،و إذ ليس إيجاده تعالى للعالم على أحد الأنحاء المذكوره فهو إذن بمحض الاختراع و الإبداع البرىء من الحاجه إلى أمر من خارج ذاته المقدّسه «بَدِيعُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» ،فاعلم أنّه عليه السّلام أردف كلاّ من هذه الامور بما هو كيفيّه فى وجوده فأردف الرويّه بالإحاله و التجربه بالاستفاده و الحركه بالإحداث و الهمامه بالاضطراب لتنتفى الكيفيّه بانتفاء ما هى له عن ذاته المقدّسه و باللّه التوفيق .

قوله أحال الأشياء لأوقاتها و لائم بين مختلفاتها و غرّز غرائزها و ألزمها أشباحها.

قوله أحال الأشياء لأوقاتها و لائم بين مختلفاتها و غرّز غرائزها و ألزمها أشباحها.

أقول:لمّا نبّه على نسبه إيجاد العالم إلى اللّه تعالى جمله أشار بعده إلى أنّ ترتيبه و ما هو عليه من بديع الصنع و الحكمه كان مفصّلا فى علمه و على وفق حكمته البالغه قبل إيجاده،و المراد بقوله أجال الأشياء لأوقاتها الإشاره إلى ربط كلّ ذى وقت بوقته بحسب ما كتب فى اللوح المحفوظ بالقلم الإلهىّ بحيث لا يتأخّر متقدّم و لا يتقدّم متأخّر منها،و معنى الإجاله نقل كلّ منها إلى وقته،و تحويله من العدم و الإمكان الصرف إلى مدّته المضروبه لوجوده،و اللام فى لأوقاتها لام التعليل أى لأجل أوقاتها إذ كلّ وقت يستحقّ بحسب قدره اللّه و علمه أن يكون فيه ما لا يكون فى غيره،و على النسخه الاخرى فمعنى تأجيلها جعل أوقاتها أجلالها لا تتقدّم عليها و لا تتأخّر عنها كما قال «إِذا جاءَ أَجَلُهُمْ» لا يستقدمون ساعه و لا يَسْتَأْخِرُونَ»و نبّه بقوله و لائم بين مختلفاتها على كمال قدره اللّه تعالى،و بيان ذلك فى صورتين:إحداهما أنّ العناصر الأربع متضادّه الكيفيات،ثمّ إنّها إذا اجتمعت بقدره اللّه تعالى و على وفق حكمته حتّى انكسرت صوره كلّ واحد منها بالآخر و هو المسمّى بالتفاعل حصلت كيفيّه متوسّطه بين الأضداد متشابهه و هى المزاج فامتزاج اللطيف بالكثيف على ما بينهما من تضادّ الكيفيّات و غايه البعد بقدرته التامّه من أعظم الدلائل الدالّه على كمالها،الثانيه أنّ الملائمه بين الأرواح اللطيفه و النفوس المجرّده الّتى لا حاجه بها فى قوامها فى الوجود إلى مادّه أصلا و بين هذه الأبدان المظلمه

ص:١٣۵

الكثيفه و اختصاص كلّ نفس ببدن منها و تدبيره و استعماله فيما يعود إليها من المصالح على النظام الأقصد و الطريق الأرشد ممّا يشهد بكمال قدرته و لطيف حكمته،و استعاره قوله و غرّز غرائزها إشاره إلى ركن القوىّ الجسمانيّه النفسانيّه فيما هى قوى له و خلق كلّ ذى طبيعه على خلقه و مقتضى قواه الّتى غرّزت فيه من لوازمه و خواصّه مثلا كقوّه التعجّب و الضحك للإنسان،و قوّه الشجاعه للأسد و الجبن للأرنب،و المكر للثعلب و غير ذلك، و عبّر عن إيجادها فيها بالغرز و هو الركز استعاره لما يعقل من المشابهه بينها و بين العود الّذى يركز فى الأرض من جهه المبدأ و من جهه الغايه،و ذلك أنّ اللّه سبحانه لمّا غرّز هذه الغرائز فى محالّها و اصولها و كانت الغايه من ذلك ما يحصل منها من الآثار الموافقه لمصلحه العالم أشبه ذلك غرز الإنسان العود فى الأرض لغايه أن يثمر ثمره منتفعا بها، و قوله و ألزمها أسناحها إشاره إلى أنّها لا تفارق اصولها و لا يمكن زوالها عنها لأنّ اللازم هذا شأنه،و من روى أشباحها بالشين المعجمه فالمراد أنّ ما غرّز فى الأشخاص من اللوازم و الغرائز لا تفارقها سواء كانت تلك الغرائز من لوازم الشخص كالذكاء و الفطنه بالنسبه إلى بعض الناس و البلاده و الغفله لآخر أو من لوازم المهيّات و طباعها لوجود المهيّات فى أشخاصها هذا إن قلنا إنّ الضمير فى قوله و ألزمها عائد إلى الغرائز أمّا إن قلنا إنّه عائد إلى الأشياء كان المراد أنّ اللّه سبحانه لمّا أجال الأشياء لأوقاتها و لائم بين مختلفاتها و غرّز غرائزها فى علمه و قضائه ألزمها بعد كونها كلّيّه أشخاصها الجزئيّه الّتى وجدت فيها.لا يقال:إنّ لوازم المهيّات مقتضى المهيّات فكيف يمكن نسبه إلزامها لاصولها إلى قدره اللّه تعالى لأنّا نقول:المستند إلى مهيّه الملزوم ليس إلاّ مهيّه لازمه،و أمّا وجوده له فبقدره اللّه تعالى فيكون معنى إلزامها لأصولها إيجادها فى اصولها تبعا لإيجاد اصولها على تقدير وجودها .

قوله عالما بها قبل ابتدائها محيطا بحدودها و انتهائها عارفا بقرائنها و أحنائها.

قوله عالما بها قبل ابتدائها محيطا بحدودها و انتهائها عارفا بقرائنها و أحنائها.

أقول:المنصوبات الثلاثه و هى قوله عالما و محيطا و عارفا منصوبه على الحال،و العامل فيها قوله ألزمها إعمالا للأقرب،و الأحوال الثلاثه مفسّره لمثلها عقيب الأفعال الثلاثه الأول إذ كانت صالحه لأن يكون أحوالا عنها،و المراد فى القضيّه الاولى إثبات الأفعال الأربعه له

ص:۱۳۶

حال کونه عالما بالأشیاء قبل إیجادها حاضره فی علمه بالفعل کلّیها و جزئیّها،و فی القضیّه الثانیه نسبه تلک الأفعال إلیه حال إحاطه علمه بحدودها و حقائقها الممیّزه لبعضها عن بعض و إنّ کلاّ منته بحدّه واقف عنده و هو نهایته و غایته،و یحتمل أن یرید بانتهائها انتهاء کلّ ممکن إلی سببه و انتهاء الکلّ فی سلسله الحاجه إلی اللّه،و فی القضیّه الثالثه نسبه الأفعال إلی قدرته حال علمه بما یقترن بالأشیاء من لوازمها و عوارضها،و علمه بکلّ شیء یقترن بشیء آخر علی وجه الترکیب أو المجاوره کاقتران بعض العناصر ببعض فی أحیازها الطبیعیّه علی الترتیب الطبیعی، و علمه بأحنائها و جوانبها الّتی بها تنتهی و تقارن غیرها،و بیان هذه الأحکام له تعالی ببیان أنّه عالم بکلّ المعلومات من الکلّیّات و الجزئیّات و ذلک ممّا علم فی العلم الإلهیّ فإن قلت:إطلاق اسم العارف علی اللّه تعالی لا یجوز لقول النبیّ صلی اللّه علیه و آله:إنّ للّه تسعه و تسعین اسما من أحصاها دخل الجنّه،و إجماع علماء النقل علی أنّ هذا الاسم لیس منها قلت:

الأشبه أنّ أسماء اللّه تعالی تزید علی التسعه و التسعین لوجهین أحدهما قول النبیّ صلی اللّه علیه و آله أسئلک بکلّ اسم سمیّت به نفسک أو أنزلته فی کتابک أو علّمته أحدا من خلقک و استأثرت به فی علم الغیب عندک فإنّ هذا صریح فی أنّه استأثر ببعض الأسماء،الثانی أنّه صلی اللّه علیه و آله قال فی رمضان:إنّه اسم من أسماء اللّه تعالی و کذلک کان الصحابه یقولون فلان اوتی الاسم الأعظم و کان ذلک ینسب إلی بعض الأنبیاء و الأولیاء و ذلک یدلّ علی أنّه خارج من التسعه و التسعین،فإذا کان کذلک کان کلّ الکلام فی قوله صلی اللّه علیه و آله إنّ للّه تسعه و تسعین اسما من أحصاها دخل الجنّه قضیّه واحده معناها الإخبار بأنّ من أسماء اللّه تعالی تسعه و تسعین من أحصاها یدخل الجنّه و یکون تخصیصها بالذکر لاختصاصها بمزید شرف لا یکون لباقی الأسماء و هی کونها مثلا جامعه لأنواع من المعانی المنبئه عن الکمال بحیث لا یکون لغیرها لا لنفی أن یکون اللّه تعالی اسم غیرها،و إذا کان کذلک جاز أن یکون العارف من تلک الأسماء.لا یقال:إنّ الاسم الأعظم غیر داخل فیها لاشتهارها و اختصاص معرفته بالأنبیاء و الأولیاء و إذا کان کذلک فکیف یصدق علیها أنّها أشرف الأسماء.لأنّا نقول:یحتمل أن یکون خارجا منها و یکون شرفها حاصلا بالنسبه إلی باقی الأسماء الّتی هی غیره و یحتمل أن یکون داخلا فیها إلاّ أنّا لا نعرفه بعینه و یکون ما یختصّ به

النبىّ أو الولى إنما هو تعيينه منها .

قوله ثمّ أنشأ سبحانه فتق الأجواء إلى قوله فسوّى منه سبع سماوات

قوله ثمّ أنشأ سبحانه فتق الأجواء إلى قوله فسوّى منه سبع سماوات أقول:لمّا أشار عليه السّلام فى الفصل المتقدّم إلى نسبه خلق العالم إلى قدره اللّه تعالى على سبيل الإجمال شرع بعده فى تفصيل الخلق و كيفيّه إيجاده و الإشاره إلى مباديه و لذلک حسن إيراد ثمّ هاهنا.و فى هذا الفصل أبحاث:

البحث الأوّل

-اعلم أنّ خلاصه ما يفهم من هذا الفصل أنّ اللّه قدّر أحيازا و أمكنه أجرى فيها الماء الموصوف و خلق ريحا قويّه على ضبطه و حفظه حمله عليها و أمرها بضبطه، و يفهم من قوله الهواء من تحتها فتيق و الماء من فوقها دفيق أنّ تلک الأحياز و الأمكنه تحتها و أنّها امرت بحفظه و ضبطه لتوصّله إلى تلک الأحياز،و ربّما فهم منه أنّ تلک الأحياز تحتها للماء و هى سطح الريح الحاوى له،و أنّ تحت تلک الريح فضاء آخرا واسعا و هى محفوظه بقدره اللّه تعالى كما ورد فى الخبر ثمّ خلق سبحانه ريحا آخرا لأجل تموّج ذلک الماء فأرسلها و عقدّ مهبّها أى أرسلها بمقدار مخصوص على وفق الحكمه و المصلحه الّتى أرادها بإجرائها و لم يرسلها مطلقا،و من روى بالتاء فالمراد أنّه أخلى مهبّها عن العوائق أو أنّه أرسلها بحيث لا يعرف مهبّها و أدام حركتها و ملازمتها لتحريک الماء و أعصف جريانها و أبعد مبتداهما ثمّ سلّطها على تموّج ذلک الماء فلمّا عبّ عبابه و قذف بالزبد رفع تعالى ذلک الزبد فى الفضاء و كوّن منه السماوات العلى.

البحث الثانى- أنّ هذه الإشاره وردت فى القرآن الكريم

فإنّه اشير فيه إلى أنّ السماوات تكوّنت من الدخان كقوله تعالى «ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَ هِيَ دُخانٌ» و المراد بخار الماء كذلک وردت فى أقوال كثيره: ١ما روى عن الباقر محمّد بن على عليهما السلام قال:لمّا أراد اللّه سبحانه و تعالى أن يخلق السماء أمر الرياح فضربن البحر حتّى أزبد فخرج من ذلک الموج و الزبد دخان ساطع من وسطه من غير نار فخلق اللّه منه السماء(ب)ما نقل أنّه جاء فى السفر الأوّل من التوريه أنّ مبدء الخلق جوهر خلقه اللّه ثمّ نظر إليه نظر الهيبه فذابت أجزاؤه فصارت ماء فثار من الماء بخار كالدخان فخلق منه السماوات و ظهر على وجه الماء زبد البحر فخلق منه الأرض ثمّ أرسلها بالجبال و فى روايه اخرى فخلق منه أرض مكّه

ص:١٣٨

ثمّ بسط الأرض من تحت الكعبه و لذلك تسمّى مكه امّ القرى(ج)نقل عن كعب ما يقرب من ذلك قال إنّ اللّه تعالى خلق ياقوته خضراء ثمّ نظر إليها بالهيبه فصارت ماء يرتعد ثمّ خلق الريح فجعل الماء على متنها ثمّ وضع العرش على الماء كما قال تعالى «وَ كانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ» (د)ما نقل عن تاليس الملطى و كان من مشاهير الحكماء القدماء فإنّه نقل عنه بعد أن وحّد الصانع الأوّل للعالم و تنزّهه أنّه قال:لكنّه أبدع العنصر الّذى فيه صور الموجودات و المعلومات كلّها و سمّاه المبدع الأوّل،ثمّ نقل عنه أنّ ذلك العنصر هو الماء قال:و منه أنواع الجوهر كلّها من السماء و الأرض و ما بينهما و هو علّه كلّ مبدع و علّه كلّ مركّب من العنصر الجسمانىّ فذكر أن من جمود الماء تكوّنت الأرض و من انحلاله تكوّن الهواء و من صفوته تكوّنت النار و من الدخان و الأبخره تكوّنت السماء،و قيل:

إنّه أخذ ذلك من التوراه(ه)ما وجدته فى كتاب بلينوس الحكيم الّذى سمّاه الجامع لعلل الأشياء قريبا من هذه الإشاره و ذلك أنّه قال:إنّ الخالق تبارك و تعالى كان قبل الخلق و أراد أن يخلق الخلق فقال:ليكن كذا و كذا فكان ما أراد بكلمته فأوّل الحدث كلمه اللّه المطاعه الّتى كانت بها الحركه ثمّ قال:بعده إنّ أوّل ما حدث بعد كلام اللّه تعالى الفعل فدلّ بالفعل على الحركه و دلّ بالحركه على الحراره ثمّ لمّا نقصت الحراره جاء السكون عند فنائها فدلّ بالسكون على البرد،ثمّ ذكر بعد ذلك أنّ طبائع العناصر الأربعه إنّما كانت من هاتين القوّتين أعنى الحرّ و البرد قال:و ذلك أنّ الحراره حدث منها اللين و من البروده أ ليس فكانت أربع قوى مفردات فامتزج بعضها ببعض فحدث من امتزاجها الطبائع الأربع و كانت هذه الكيفيّات قائمه بأنفسها غير مركّبه فمن امتزاج الحراره و اليبس حصلت النار و من الرطوبه و البروده حدث الماء و من الحراره و الرطوبه حدث الهواء و من امتزاج البرد و اليبس حصلت الأرض ثمّ قال:إنّ الحراره لمّا حرّكت طبيعه الماء و الأرض تحرّك الماء للطفه عن ثقل الأرض و أثقلت ما أصابه من الأرض فصار بخارا لطيفا هوائيّا رقيقا روحانيّا و هو أوّل دخان طلع من أسفل الماء و امتزج بالهواء فسما إلى العلو لخفّته و لطافته و بلغ الغايه فى صعوده على قدر قوّته و نفرته من الحراره فكان منه الفلك الأعلى و هو فلك زحل،ثمّ حرّكت النار الماء أيضا فطلع منه دخان هو أقلّ لطفا ممّا صعد

أوّلا و أضعف فلمّا صار بخارا سما العلوّ بجوهره و الطاقته و لم يبلغ فلک زحل لعلّه لطافته عمّا قبله فکان منه الفلک الثانی و هو فلک المشتری و هکذا بيّن فی طلوع الدخان مرّه مرّه و تکون الأفلاک الخمسه الباقيه عنه.فهذه الإشارات کلّها متطابقه علی أنّ الماء هو الأصل الّذی تکوّنت عنه السماوات و الأرض و ذلک مطابق لکلامه عليه السلام.

البحث الثالث-قوله و أدام مربّها

.قال قطب الدين الراوندی:أی أدام جمع الريح للماء و تسويتها له.قلت:تقرير ذلک أنّ الماء لمّا کان مقرّ الريح الّذی انتهت إليه و عملت فی تحريکه کان ذلک هو مربَّها أی الموضع الّذی لزمته و أقامت به، تشبيه فقوله و أدام مربّها أی أدام حرکه الماء و اضطرابه،و محتضه و هو محلّ إربابها و يحتمل أن يکون قد استعمل اسم الموضع استعمال المصدر،و التقدير أدام إربابها أی ملازمتها لتحريک الماء و أيضا فيحتمل أن يکون قد شبّهها فی کونها سببا للآثار الخيريّه و فی کثرتها و قوّتها بالديمه فکان محلّها و مقرّها الّذی تصل إليه و تقيم بها قد أدامه اللّه أی سقاه اللّه ديمه ،و قوله و أبعد منشأها قال:أی أبعد ارتفاعها قلت:المنشأ محلّ النشو و هو الموضع الّذی أنشأها منه فلا يفهم منه الارتفاع اللهمّ إلاّ علی تقدير استعماله لموضع الإنشاء استعمال المصدر أی بلغ بإنشائها غايه بعيده،و الأقرب أنّه يشير إلی أنّها نشأت من مبدء بعيد و لا يمکن الوقوف علی أوّله و هو قدره الحقّ سبحانه وجوده، مجاز و قوله و أمرها .قال-رحمه اللّه-:أمر المؤکّلين بها من الملائکه بضرب الماء بعضه بعضا و تحريکه کمحض اللبن للزبد و أطلق الأمر عليها مجازا لأنّ الحکيم لا يأمر الجماد.قلت:بل حمله علی أمر الريح أولی لأنّ فی التقدير الّذی ذکره يکون التجوّز فی لفظ الأمر لعدم القول المخصوص هناک فيحمل علی قهر ملائکتها و فی نسبته الی الريح أيضا مجاز إذا اريد ملائکتها أمّا إذا حملناه علی ظاهره کان التجوّز فی لفظ الأمر دون النسبه فکان أولی ،و قوله مخض السقاء و عصفها بالفضاء أی مثل مخض السقاء و مثل عصفها فحذف المضاف الّذی هو صفه المصدر و أقام المضاف إليه مقامه فلذلک نصبه نصب المصادر،و اعلم أنّ اللام فی قوله بتصفيق الماء للمعهود السابق فی قوله ماء متلاطما لأنّ المائين واحد،و مثل هذا التکرار جاز فی الکلام الفصيح کقوله تعالی «کَما أَرْسَلْنا إِلی فِرْعَوْنَ رَسُولاً فَعَصی فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ» فإن قلت:إنّ الأجواء و الأرجاء و سکائک

الهواء امور عدميّه فكيف يصحّ نسبتها إلى الإنشاء عن القدره.قلت:إنّ هذه الأشياء عباره عن الخلاء و الأحياز،و الخلاف فى أنّ الخلاء و الحيّز و المكان هل هى امور وجوديّه أو عدميّه مشهور فإن كانت وجوديّه كانت نسبتها إلى القدره ظاهره،و يكون معنى فتقها و شقّها و نسبتها إلى القدره تقديرها و جعلها أحيازا للماء و مقرّا له لأنّه لمّا كان تمييزها عن مطلق الهواء و الخلاء بإيحاد اللّه فيها الماء صار تعيّنها له بسبب قدرته تعالى فيصحّ نسبتها إلى إنشائه فكأنّه سبحانه شقّها و فتقها بحصول الجسم فيها،روى أنّ زراره و هشاما اختلفا فى الهواء أهو مخلوق أم لا؟فرفع بعض موالى الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام إليه ذلك و قال:إنّى متحيّر و أرى أصحابنا يختلفون فيه فقال عليه السّلام:ليس هذا بخلاف يؤدّى إلى الكفر و الضلال، و اعلم أنّه عليه السّلام إنّما أعرض عن بيان ذلك لأنّ أولياء اللّه الموكّلين بإيضاح سبيله و تثبيت خلقه على صراط المستقيم لا يلتفتون بالذات إلاّ إلى أحد أمرين،أحدهما ما يؤدّى إلى الهدى أداء ظاهرا واضحا،و الثانى ما يصرف عن الضلال و يردّ إلى سواء السبيل،و بيان أنّ الهواء مخلوق أو غير مخلوق لا يفيد كثير فائده فى أمر المعاد فلا يكون الجهل به ممّا يضرّ فى ذلك فكان ترك بيانه و الاشتغال بما هو أهمّ منه أولى.

البحث الرابع أنّ القرآن الكريم نطق بأنّ السماء تكوّنت من الدخان

استعاره و كلامه عليه السّلام ناطق بأنّها تكوّنت من الزبد و ما ورد فى الخبر أنّ ذلك الزبد هو الّذى تكوّنت منه الأرض فلا بدّ من بيان وجه الجمع بين هذه الإشارات.فنقول:وجه الجمع بين كلامه عليه السّلام و بين لفظ القرآن الكريم ما ذكره الباقر عليه السّلام و هو قوله فيخرج من ذلك الموج و الزبد دخان ساطع من وسطه من غير نار فخلق منه السماء و لا شكّ أنّ القرآن الكريم لا يريد بلفظ الدخان حقيقته لأنّ ذلك إنّما يكون عن النار و اتّفق المفسّرون على أنّ هذا الدخان لم يكن عن نار بل عن تنفّس الماء و تبخيره بسبب تموّجه،فهو إذن استعاره للبخار الصاعد من الماء و إذا كان كذلك فنقول:إنّ كلامه عليه السّلام مطابق للفظ القرآن الكريم و ذلك أنّ الزبد بخار يتصاعد على وجه الماء عن حراره حركته إلاّ أنّه ما دامت الكثافه غالبه عليه و هو باق على وجه الماء لم ينفصل فإنّه يخصّ باسم الزبد و ما لطف و غلبت عليه الأجزاء الهوائيّه فانفصل خصّ باسم البخار،و إذا كان الزبد بخارا و البخار هو المراد بالدخان

فى القرآن الكريم كان مقصده و مقصد القرآن واحد فكان البخار المنفصل هو الّذى تكوّنت عنه السماوات و الّذى لم ينفصل هو الّذى تكوّنت عنه الأرض و هو الزبد،و أمّا وجه المشابهه بين الدخان و البخار الّذى صحّت لأجله استعاره لفظه فهو أمران:أحدهما حسّى و هو الصوره المشاهده من الدخان و البخار حتّى لا يكاد يفرق بينهما فى الحسّ البصرى، و الثانى معنوىّ و هو كون البخار أجزاء مائيّه خالطت الهواء بسبب لطافتها عن حراره الحركه كما أنّ الدخان كذلك و لكن عن حراره النار فإنّ الدخان أيضا أجزاء مائيّه انفصلت من جرم المحترق بسبب لطافتها عن حرّ النار فكان الاختلاف بينهما ليس إلاّ بالسبب فلذلك صحّ استعاره اسم أحدهما للآخر و باللّه التوفيق.

البحث الخامس

قال المتكلّمون:إنّ هذه الظواهر من القرآن و كلام علىّ عليه السّلام لمّا دلّت على ما دلّت عليه من كون الماء أصلا تكوّنت عنه السماوات و الأرض و غير ذلك و ثبت أنّ الترتيب المذكور فى المخلوقات أمر ممكن فى نفسه و ثبت أنّ البارى تعالى فاعل مختار قادر على جميع الممكنات ثمّ لم يقم عندنا دليل عقلىّ يمنع من أجزاء هذه الظواهر على ما دلّت عليه بظاهرها وجب علينا القول بمقتضى تلك الظواهر و لا حاجه بنا إلى التأويل.

لا يقال:إنّ جمهور المتكلّمين يتّفقون على إثبات الجواهر الفرد و أنّ الأجسام مركّبه عنه فبعضهم يقول:إنّ الجوهر كانت ثابته فى عدمها و الفاعل المختار كساها صفه التأليف و الوجود، و بعضهم و إن منع ثبوتها فى العدم إلاّ أنّه يقول:إنّ اللّه تعالى يوجد أوّلا تلك الجواهر ثمّ يؤلّف بينها فيوجد منها الأجسام فكيف يقال إنّ السماوات و الأرض تكوّنت من الماء لأنّا نقول:هذا ظاهر لأنّه يجوز أن يخلق اللّه تعالى أوّل الأجسام من تلك الجواهر ثمّ تكوّن باقى الأجسام عن الأجسام الأول،و أمّا الحكماء فلمّا لم يكن الترتيب الّذى اقتضته هذه الظواهر فى تكوين الأجسام موافقا لمقتضى أدلّتهم لتأخّر وجود العناصر عندهم عن وجود السماوات لا جرم عدل بعضهم إلى تأويلها توفيقا بينها و بين مقتضى أدلّتهم و ذكروا من التأويل وجهين:

الوجه الأوّل

-قالوا:العالم عالمان عالم يسمّى عالم الأمر و هو عالم الملائكه الروحانيّه و المجرّدات،و عالم يسمّى عالم الخلق و هو عالم الجسمانيّه و على ذلك حملوا قوله تعالى« «أَلا»

«لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ» ثمّ قالوا:ما من موجود فى عالم الجسمانيّه إلاّ و له نسبه إلى عالم الروحانيّه و هو مثال له بوجه ما و لو لا ذلك لأنسدّ طريق الترقّى إلى العالم الروحانىّ و تعذّر السفر إلى الحضره الإلهيّه،ثمّ كان من بحثهم أن بيّنوا أنّ قدره اللّه سبحانه ترجع إلى كون ذاته عامله بالكلّ علما هو مبدء الكلّ مبدئيّه بالذات غير مأخوذه عن شىء و لا متوقّفه على وجود شىء،ثمّ لمّا دلّ دليلهم على أنّ رتبه صدور عالم الأمر أعلى فى الوجود و أسبق نسبه إلى قدره المبدع الأوّل من عالم الخلق إذ كان صدور عالم الخلق إنّما هو بواسطه عالم الأمر كان اعتبار إيجاد عالم الأمر عن القدره أمرا أوّلا و اعتبار إيجاد عالم الخلق عنها أمرا ثانيا متأخّرا عنه فعند ذلك قالوا:إنّ الّذى أشار إليه عليه السّلام هاهنا موافق لما أصّلناه و متناسب له،و ذلك أنّه أشار بالأجواء و الأرجاء و سكائك الهواء إلى سلسله وجود الملائكه المسمّاه بالعقول الفعّاله على مراتبها متنازله،و بإنشائها إلى إيجادها،و بفتقها و شقّها إلى وجودها،و بالماء المتلاطم المتراكم إلى الكمالات الّتى وجبت عنه سبحانه و بإجرائها فيها إلى افاضته على كلّ واحد منها ما استحقّه بواسطه ما قبله،و بالريح العاصف إلى الأمر الأوّل الّذى أشرنا إليه عن القدره،و أمّا وجه المناسبه بين هذه الامور و بين ما ذكره فأمّا فى التعبير عن العقول بالأرجاء و الأجواء و السكائك فمن جهه أنّها قابله للفيض و الكمالات عن مبدئها الأوّل كما أنّ الأرجاء و الأجواء و سكائك الهواء قابله للماء عمّا يخرج عنه من سحاب أو ينبوع، تشبيه و أمّا فى تشبيه الفيض بالماء فلأنّه لمّا لم يكن بحيث يتوقّف إلاّ على تمام القابل فحيث وجد سال بطبعه إليه كذلك الفيض الإلهىّ لا يتوقّف صدوره عن واهبه إلاّ على تمام القابل لكون الفاعل تامّ الفاعليّه فى ذاته،و لأنّ الماء لمّا كان به قوام كلّ حىّ جسمانىّ فى عالم الكون كذلك الفيض الإلهىّ هو مبدء قوام كلّ موجود قالوا:و مثل هذا التشبيه جاء فى القرآن الكريم قال جمهور المفسّرين و منهم ابن عباس-رضى اللّه عنه-فى قوله تعالى «أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها» ١:إنّ المراد بالماء هو العلم،و بالأوديه قلوب العباد،و بإنزاله إفاضته على القلوب،و بقوله «فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها» أنّ كلّ قلب منها يصل إليه مقدار ما يستحقّه و يقبله .قالوا:و ذلك أنّ اللّه سبحانه أنزل من سماء الكبرياء و الجلاله

و الإحسان ماء بيان القرآن و علومه على قلوب العباد لأنّ القلوب يستقرّ فيها أنوار علوم القرآن كما أنّ الأوديه يستّقر فيها المياه النازله من السماء و كما أنّ كلّ واد فإنّما يحصل فيه من مياه الأمطار ما يليق بسعته و ضيقه فكذلك هاهنا كلّ قلب إنّما يحصل فيه أنوار علم القرآن ما يليق بذلك القلب من طهارته و خبثه و قوّه فهمه و بصره و تمام التشبيه فى الآيه مذكور فى التفاسير، تشبيه و أمّا تشبيه الأمر الأوّل بالريح العاصفه فلأنّ وقوعه لمّا كان دفعه غير منسوب إلى زمان يتوقّف عليه كان أنسب ما يشبه به من الأجسام فى السرعه و النفوذ و هو الريح العاصف لكونها أسرع الأجسام حركه و لذلك أكّدها بوصف العصف تقريرا للسرعه التامّه و ما أمرنا إلاّ واحده كلمح بالبصر و بوصف الزعزعه و القصف تحقيقا للقوّه العاليه و الشدّه الشديده ،و أمّا أمره لها بردّه و تسليطها على شدّه فلأنّه لمّا صوّرها بصوره الريح ساغ أن يقال:إنّه أمرها و هو عباره عن نسبه ذلك الأمر إلى ذاته تعالى النسبه الّتى تحدثها عقولنا الضعيفه،و فائده الردّ و الشدّ هاهنا ضبط أمره سبحانه على وفق حكمته الكمالات الفائضه عنه على كلّ مورد مورد بحسب نوعه المستلزم لردّه عمّن ليس له ذلك الكمال المعيّن،و أمّا قرنها إلى حدّه فإشاره إلى إحاطه أمره سبحانه بما لتلك القوابل من الكمالات الفائضه و اشتماله،و قوله الهواء من تحتها فتيق إشاره إلى قبول القوابل المذكوره،و الماء من فوقها دفيق إشاره إلى ما يحمله أمر اللّه من الفيض المذكور و يلقيه على تلك القوابل و كلّ ذلك بترتيب عقليّ لأزمان تلحقه فيعقل فيه التراخى،و أمّا الريح الثانيه فأشار بها عليه السّلام إلى الأمر الثانى و وصفها باعتقام مهبّها إشاره إلى عقد ذلك الأمر و إيقاعه على وفق الحكمه الإلهيّه و إلى عدم مانع لجريان ذلك الأمر، تشبيه و بإدامه مربّها إلى إفاضه مقارّ ذلك الأمر فكأنّه شبّه الفيض الصادر بهذا الأمر على هيولى الأجسام الفلكيّه بالديمه الهاطله على الأماكن الّتى يجتمع بها و يقيم،أو أراد أنّ المحالّ القابله لذلك الأمر المستلزمه له ذاتيّه دائمه ،و أشار بعصف مجراها إلى سرعه ذلك الأمر كما وصف به الريح الاولى،و ببعد منشأها إلى عدم أوّليّه مبدؤه، و بأمره لهذه الريح إلى نسبه ذلك الأمر إلى ذاته كما مرّ،و بتصفيق الماء الزخّار و إثاره أمواج البحار إلى نسبه فيضان صور الأفلاك و كمالاتها إلى أمره سبحانه بواسطه تلك

الکمالات الفعلیّه للملائکه و أنّها غیر مستقلّه بإیجاد شیء بل علی شرائط بعضها لبعض و لغیرها،و بالبخار إلی تلک الملائکه و بمخضها له مخض السقاء و عصفها به کعصفها بالفضاء و تردید بعضه علی بعض و إلی قوّه أمر اللّه علیها و تصریفها علی حسب علمه بنظام الکلّ و تقدیر ما لکلّ فلک من الکمالات فی ذات کلّ مبدء من تلک المبادیء،و قوله حتّی عبّ عبابه إشاره إلی بلوغ کمالات تلک الملائکه الحاصله لها بالفعل عن أمر اللّه إلی رتبه أن یعطی بواسطتها الفیض لغیرها،و کذلک قوله ورمی بالزبد رکامه إشاره إلی إعطاء صور الأفلاک و کمالاتها بواسطتها،و لمّا کانت صور الأفلاک محتاجه فی قیامها فی الوجود إلی الهیولی کانت نسبتها إلی الملائکه المجرّده نسبه أخسّ إلی أشرف فبالحریّ أن اطلق علیها اسم الزبد و لأنّ هذه الصور حاصله من تلک الکمالات العقلیّه و فائضه عنها کما أنّ الزبد منفصل عن الماء و مکوّن عنه فتشابها،و أمّا رفعه فی أهواء منفتق و جوّ منفهق فإشاره إلی إلحاق صور الأفلاک بموادّها المستعدّه أو إلی تخصیص وجودات الأفلاک بأحیازها و رفعها إلیها،و قوله فسوّی عنه سبع سماوات إشاره إلی کمال الأفلاک بما هی علیه من الوضع و التعدیل و الترتیب،و أمّا تخصیصه بالسبع فلأنّ الفلکین الباقیین فی الشریعه معروفان باسمین آخرین و هما العرش و الکرسیّ،ثمّ قالوا:و إلی هذا أشار الحکماء السابقون أیضا فإنّ مرادنا لیس الملطی بالعنصر الأوّل هو المبدع الأوّل و کونه هو الماء لأنّ المبدع الأوّل واسطه فی باقی الموجودات و فیه صورها و عنه تفاض کمالاتها کما أنّ بالماء قوام کلّ حیّ عنصریّ و بواسطته تکوّن و کذلک سرّ ما جاء فی التوراه فإنّ المراد بالجوهر المخلوق للّه أوّلا-هو المبدع الأوّل و کونه تعالی نظر إلیه نظر الهیبه،و ذوبان أجزائه إشاره إلی صدور الفیض عنه بأمر اللّه سبحانه و قدرته،و الزبد الّذی تکوّنت منه الأرض و الدخان الّذی تکوّنت منه السماوات إشاره إلی کمالات السماوات و الأرض و صورها الصادره عن کمالات عللها صدور البخار و الزبد عن الماء و کلّ هذا تجوّزات و استعارات یلاحظ فی تفاوت حسنها قرب المناسبه و بعدها.

الوجه الثانی

-قالوا:یحتمل أن یکون مراده بالریح الأولی هو العقل الأوّل فإنّه الحامل للفیض الإلهیّ إلی ما بعده و هو المحیط بصور الموجودات،و یؤیّد ذلک قوله الهواء

من تحتها فتيق و الماء من فوقها دفيق فإنّ الهواء إشاره إلى القوابل بعده و بواسطته، و بالماء إشاره إلى الفيض الصادر عن الأوّل سبحانه فإنّ التدفّق لمّا كان مستلزما لسرعه حركه الماء و جريانه عبر به عن الفيض الّذى لا توقّف فيه،و الريح الثانيه عن العقل الثانى فإنّه هو الواسطه فى إفاضه أنوار اللّه سبحانه على ما بعده من العقول الّتى بواسطتها تصوّر السماوات السبع،و وصف الريحين بالعصف و القصف إشاره إلى ما يخصّ هذين المبدئين من القدره،و أمره للريح الثانيه بتصفيق الماء الزخّار و إثاره موج البحار إشاره إلى تحريك العقل الثانى للعقول الّتى بعده إلى إفاضه كمالات الأفلاك باقى التأويل كما فى التأويل الأوّل .

قوله جعل سفلاهنّ مفوفا إلى قوله و سقف سائر و رقيم مائر.

قوله جعل سفلاهنّ مفوفا إلى قوله و سقف سائر و رقيم مائر.

أقول:هاهنا أبحاث.

البحث الأوّل-هذا الكلام يجرى مجرى الشرح و التفسير لقوله فسوّى

لانّ التسويه عباره عن التعديل و الوضع و الهيئه الّتى عليها السماوات إنّما فيهنّ،و الغرض بهذا التفصيل تنبيه الأذهان الغافله عن حكمه الصانع سبحانه فى ملكوت السماوات و بدائع صنعه و ضروب نعمه ليتذكّروا نعمه ربّهم فيواظبوا على عبادته و حمده على تمام ذلك الإحسان كما قال تعالى «تَذْكُرُوا نِعْمَهَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَ تَقُولُوا سُبْحانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنا هذا وَ ما كُنّا لَهُ مُقْرِنِينَ» ١فإنّ كلّ هذه نعم على العباد و هى إن كان فيها ما يبعد عن الأذهان الضعيفه كونه نعمه على العباد كحركات السماوات مثلا فإنّى أحسب أنّ كثيرا من الغافلين يقولون:و ما فائده حركه السماء فى حقّنا لكنّه إذا انتبهت أذهانهم لذلك علمت أنّه لو لا تلك الحركه لم يحصل شىء من المركّبات فى هذا العالم أصلا فلم يكن العبد فى نفسه فضلا عمّا يجرى عليه من النعم الخارجه عنه إلّا أنّ تلك الحركه قد تستلزم نعمه هى أقرب إلى العبد من غيرها كالاستضاءه بنور الكواكب و الاهتداء بها فى ظلمات البرّ و البحر و إعدادها الأبدان للصحّه و نحو ذلك،و قد يستلزم نعما اخرى إلى أن يتّصل بالعبد كإعدادها الأرض مثلا لحصول المركّبات الّتى منها قوام حياه العبد،و اعلم أنّ اللّه

سبحانه ذكر أمر السماوات فى كتابه فى مواضع كثيره،و لا شكّ أن إكثاره من ذكرها دليل عظم شأنها و على أنّ له سبحانه فيها أسرار لا تصل إليها عقول البشر إذا عرفت ذلك فاعلم أنّ قوله عليه السّلام: و علياهنّ سقفا محفوظا كقوله تعالى «وَ جَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً» ۱و قوله تعالى «وَ حَفِظْناها مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ رَجِيمٍ» ۲و قوله «وَ حِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ مارِدٍ» ۳و قوله: و سمكا مرفوعا بغير عمد تدعمها و لا دسار ينتظمها كقوله تعالى «خَلَقَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها» ۴و قوله «وَ يُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلاّ بِإِذْنِهِ» ۵و قوله: ثمّ زيّنها بزينه الكواكب و ضياء الثواقب كقوله تعالى «إِنّا زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِزِينَهٍ الْكَواكِبِ» و قوله: فأجرى فيها سراجا مستطيرا و قمرا منيرا كقوله «وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً» ۶

البحث الثانی-فی هذا الفصل استعارات:

الأولى قوله: استعاره جعل سفلاهنّ موجا مكفوفا.

استعار لفظ الموج للسمكه لما بينهما من المشابهه فى العلوّ و الارتفاع و ما يتوهّم من اللون، و قال بعض الشارحين:أراد أنّها كانت فى الاولى موجا ثمّ عقدها و كفّها أى منعها من السقوط،و الثانيه استعاره قوله: سقفا محفوظا استعار لفظ السقف من البيت للسماء فى الأصل لما بينهما من المشابهه فى الارتفاع و الإحاطه ثمّ كثر ذلك الاستعمال حتّى صار اسما من أسماء السماء و يحتمل أن لا يكون منقولا،و أراد بقوله محفوظا أى من الشياطين قال ابن عبّاس -رضى اللّه عنه-:كانت الشياطين لا تحجب عن السماوات و كانوا يدخلونها و يختبرون أخبارها فلمّا ولد عيسى عليه السّلام منعوا من ثلاث سماوات فلمّا ولد محمّد صلى اللّه عليه و آله منعوا من السماوات كلّها فما منهم أحد استرق السمع إلاّ رمى بشهاب فلذلك معنى قوله تعالى «وَ حَفِظْناها مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ رَجِيمٍ إِلاّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ مُبِينٌ» و سنشير إلى سرّ ذلك إنشاء اللّه تعالى.

قوله بغير عمد تدعمها و لا دسار ينتظمها.

ص:۱۴۷

أقول:لمّا كان مقتضى قدره العبد و غايتها إذا تمكّن من بناء بيت و إنشاء سقف أنّه لا بدّ له من أساطين و عمد يقوم عليها ذلك السقف و روابط تشدّ بعضه إلى بعض و كانت قدره الحقّ سبحانه و تعالى أجلّ و أعلى من الحاجه إلى أمثال ذلك أراد أن يشير إلى عظمته سبحانه و قوّه قهره بسلب صفات المخلوقين عنه و شرائط آثارهم عن قدرته و المعنى أنّ هذه الأجرام العظيمه بقيت واقعه فى الجوّ العالى و يستحيل أن يكون وقوفها هناك لذواتها لأنّ الأجسام متساويه فى الجسميّه فلو وجب حصول جسم فى حيّز لوجب حصول كلّ جسم فى ذلك الحيّز و لأنّ الأحياز و الخلاء متشابهه فلا اختصاص فيه لموضوع دون آخر و لا يجوز أن يقال:إنّها معلّقه بجسم آخر و إلاّ لكان الكلام فى وقوف ذلك الجسم فى الجوّ كالكلام فى الأوّل و يلزم التسلسل فلم يبق إلاّ أن يقال:إنّ وقوفها بقدره الصانع الحكيم القادر المختار،و إن قلت:قوله تعالى «تَرَوْنَها» يفهم منه أنّ هناك عمد و لكنّها غير مرئيّه لنا و ذلك ينافى سلبه عليه السّلام للعمد مطلقا قلت:الجواب عنه من وجوه.

أحدها أنّه يحتمل أن يكون قوله «تَرَوْنَها» كلاما مستأنفا و التقدير غير عمد و أنتم ترونها كذلك.

الثانى يحتمل أن يكون فى الكلام تقديم و تأخير كما نقل عن الحسن البصرىّ أنّه قال:التقدير ترونها بغير عمد.

الثالث و هو الألطف ما ذكره الإمام فخر الدين-رحمه اللّه-فقال:إنّ العماد هو ما يعمد عليه و السماوات معتمده و قائمه على قدره اللّه تعالى فكانت هى العمد الّتى لا ترى و ذلك لا ينافى كلامه عليه السّلام الرابع و هو الأحقّ ما ذكرته و هو أنّه قد ثبت فى اصول الفقه أنّ تخصيص الشىء بحكم لا يدلّ على أنّ حكم غيره بخلاف ذلك الحكم فتخصيص العمد المرئيّه للسماوات بالسلب لا يستلزم ثبوت العمد غير المرئيّه لها. استعاره الثالثه الثواقب استعاره فى الأصل للشهب عن الأجسام الّتى يثقب جسما آخر و ينفذ فيه،و وجه المشابهه الّتى لأجلها سمّى الشهاب ثاقبا أنّه يثقب بنوره الهواء كما يثقب جسم جسما لكنّه لكثره الاستعمال فيه صار إطلاقه عليه حقيقه أو قريبا منها .الرابعه استعاره قوله: سراجا مستطيرا استعاره للشمس و وجه المشابهه أنّ

السراج القویّ المستطیر لمّا کان من شأنه أن یضیء ما حوله و ینتشر فی جمیع نواحی البیت و یهتدی به من الظلمه کذلک الشمس مضیئه لهذا العالم و یهتدی بها المتصرّف فیه .الخامسه استعاره رقیم استعاره أصلیّه للفلک تشبیها له باللوح المرقوم فیه ثمّ کثر استعمال هذا اللفظ فی الفلک حتّی صار اسما من أسمائه .

البحث الثالث-

تشبیه اعلم أنّ هذه الاستعارات تستلزم ملاحظه اخری و هو تشبیه هذا العالم بأسره ببیت واحد فالسماء کقبّه خضراء نصبت علی الأرض و جعلت سقفا محفوظا محجوبا عن أن تصل إلیه مرده الشیاطین کما تحمی غرف البیت بالسهام و الخراب عن مرده اللصوص،ثمّ هو مع غایه علوّه و ارتفاعه غیر محمول بعمد یدعمه و لا منظوم بدسار یشدّه بل بقدره صانعه و مبدعه،ثمّ إنّ القبّه متزیّنه بالکواکب و ضیائها الّذی هو أحسن الزینه و أکملها فلو لم یحصل صور الکواکب فی الفلک لیبقی سطحا مظلما فلمّا خلق اللّه تعالی هذه الکواکب المشرقه فی سطحه لا جرم استنار و ازدان بذلک النور و الضوء کما قال ابن عبّاس فی قوله «بِزِینَهٍ الْکَواکِبِ» أی بضوئها و أنت إذا تأمّلت هذه الکواکب المشرقه المضیئه فی سطح الفلک وجدتها عند النظر إلیها کجواهر مرصوصه فی سطح من زمرّد علی أوضاع اقتضتها الحکمه أو کما قال:

و کأنّ أجرام النجوم لوامعا درر نثرن علی بساط أزرق

ثمّ جعل من جملتها کوکبین هما أعظم الکواکب جرما و أشدّها إشراقا و أتمّها ضیاء مع اشتمالهما علی تمام الحسن و الزینه جعل أحدهما ضیاء للنهار و الآخر ضیاء للّیل ثمّ لم یجعل ذلک السقف ساکنا بل جعله متحرّکا لیکون أثر صنعه فیه أظهر و صنع حکمته فیه أبدع و لم یجعل ذلک السقف طبقا واحدا بل طباقا أسکن فی کلّ طبق ملاء من جنوده و خواصّ ملکه الّذین ضربت بینهم و بین من دونهم حجب العزّه و أستار القدره فلا یستطیع أحد أن ینظر إلیهم فضلا عن أن یتشبّه بمالکهم و خالقهم سبحانه و تعالی عمّا یقول الظالمون علوّا کبیرا هذا هو الحکمه الظاهره الّتی یتنبّه لها من له أدنی فطنه فیحصل منها عبره شامله لأصناف الخلق بحیث إذا لاحظوا مع جزئیّ من جزئیّات آثار هذه القدره أیّ أثر کان استعظم و استحسن من أیّ ملک فرض من ملوک الدنیا لم یکن بینهما

من المناسبه إلّا خيال ضعيف،فإنّ أىّ ملك فرض إذا همّ بوضع بنيان و بالغ فى تحسينه و تزريق سقوفه و ترصيعها بأنواع الجواهر و تزيينه بالأوضاع المعجبه لأبناء نوعه و بذل فيه جهده و استفرغ فيه فكره لم يكن غايته إلّا أن يلحظ ممّا عمله نسبه خياليّه بعيده إلى ظاهر هـذا الصنع العجيب و الترتيب اللطيف هـذا مع مـا اشـتمل عليه من الحكم الخفيّه و الأسـرار الإلـهيّه الّتى يعجز القوى البشـريّه عن إدراكها و يحتاج فيها لاح منها إلى لطف قريحه و توقّد ذهن «فَسُبْحانَ الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» فانظر أيّها المستبصر بعين بصيرتك المناسبه بين بيتك الّتى تبنيه و هذا البيت العظيم و قس سراجك إلى سراجه و زينتك إلى زينته ثمّ لاحظ مع ذلك أنّه إنّما خلقه لك و لأبناء نوعك ليكون فيه و منه قوام حياتكم و وجودكم و لتستدلّوا بملكوت ما خلق على كمال قدرته و حكمته لترجعوا بذلك إلى حضـرته طاهرين من الرجس متشبّهين بسكّان سقف هذا البيت و غرفه لا أنّ له حاجه إليه فإنّه الغنىّ المطلق الّذى لا حاجه به إلى شـىء،و العجب من الإنسان أنّه ربما رأى خطّا حسنا أو تزريقا على حائط فلا يزال يتعجّب من حسنه و حذق صانعه ثمّ يرى هذا الصنع العجيب و الإبداع اللطيف فلا يدهشه عظمه صانعه و قدرته و لا يحيّره جلال مبدعه و حكمته .

البحث الرابع-الشرع و البرهان قد تطابقا على أنّ هاهنا تسع أفلاك بعضها فوق

بعض

فمنها سبع سماوات ثمّ الكرسىّ و العرش بعباره الناموس الإلهى ثمّ أكثرها يشتمل على الكواكب و هى أجرام نورانيّه مستديره مصمته مركوزه فى أجرام الأفلاك فأوّل الأفلاك ممّا يلينا ليس فيه من الكواكب إلّا القمر،و ليس فى الثانى إلّا عطارد،و ليس فى الثالث إلّا الزهره،و ليس فى الرابع إلّا الشمس،و ليس فى الخامس إلّا المرّيخ،و ليس فى السادس إلّا المشترى،و ليس فى السابع إلّا زحل،و هذه هى المسمّاه بالكواكب السبعه السياره و ما سواها من الكواكب فيشتمل عليها الفلك الثامن،و أمّا التاسع فخال عن الكواكب و إن كان فليس بمدرك لنا،ثمّ قد دلّ البرهان على أنّ الأفلاك هى المتحرّكه بما فيها من الكواكب و أنّ تلك الحركه دوريّه و كان كلامه عليه السّلام مطابقا لذلك حيث قال: فى فلك دائر و سقف سائر و رقيم مائر .إذا عرفت ذلك فاعلم أنّ اللّه سبحانه خلق الموجودات كلّها

على أتمّ أنحاء الوجود و أكمله فجميع الموجودات من الأفلاك و مقاديرها و أعدادها و حركاتها المختلفه و هيئاتها و هيئه الأرض و ما عليها من حيوان و نبات و معدن و نحوه إنّما وجد على الوجه الّذى وجد عليه لحصول النظام الكلّى للعالم و لو كان بخلاف ما عليه لكان شرّا،و ناقصا فخلق الأفلاك و الكواكب و ما هى عليه من الحركات و الأوضاع و جعلها أسبابا لحدوث الحوادث فى عالم الكون و الفساد بواسطه كيفيّات تحدثها فيها من حراره و بروده و رطوبه و يبوسه يوجب ذلك امتزاج بعضها ببعض امتزاجات مختلفه و مستعدّه لقبول صور مختلفه من حيوان و نبات و معدن،و أظهر الكواكب تأثيرا هو الشمس و القمر فإنّ بحركه الشمس اليوميّه يحصل النهار و الليل فالنهار هو زمان طلوعها يكون زمان التكسب و الطلب للمعاش الّذى به يحصل قوام الحياه و يكون سببا إلى السعاده الاخرويّه ثمّ إنّها فى مدّه حركتها اليوميّه لا تزال تدور فتغشى جهه بعد جهه حتّى تنتهى إلى المغرب و قد أخذت كلّ جهه من الجهات حظّا من الإشراق و الاستعداد به،و أمّا الليل و هو زمان غروبها فإنّ فيه هدوء الخلق و قرارهم الّذى به تحصل الراحه و انبعات القوّه الهاضمه و تنفيذ الغذاء إلى الأعضاء كما قال تعالى «هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ النَّهارَ مُبْصِراً» ۱«وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً وَ جَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً» ۲ثمّ كانت الشمس من جهه ضوئها كسراج يرتفع لأهل كلّ بيت بمقدار حاجتهم ثمّ يرفع عنهم فصار النور و الظلمه على تضادّها متظاهرين على ما فيه مصلحه هذا العالم،و أمّا بحسب حركاتها الجنوبيّه و الشماليّه فقد جعل سبحانه ذلك سببا لإقامه الفصول الأربعه ففى الشتاء تغور الحراره و النبات فيتولّد منها موادّ البحار و يكثر السحاب و الأمطار و يقوى أبدان الحيوانات بسبب احتقان الحراره الغريزيّه فى البواطن،و فى الربيع تتحرّك الطبائع و تظهر الموادّ المتولّده فى الشتاء فيطلع النبات و ينوّر الشجر و يهيجّ الحيوان للفساد،و فى الصيف يحتدم الهواء فينضج الثمار و تنحلّ فضول الأبدان و يجفّ وجه الأرض و يتهيّىء للبناء و العماره،و فى الحزيف يظهر اليبس و البرد فينتقل فيه الأبدان على التدريج إلى الشتاء فإنّه لو وقع

الانتقال دفعه لهلكت و فسدت،و أمّا القمر فإنّ بحركته تحصل الشهور و الأعوام كما قال سبحانه «لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ» ۱فيتمكّن العبد بالحساب من ترتيب معاشه بالزراعه و الحراثه و إعداد مهمّات الشتاء و الصيف،و باختلاف حاله فى زيادته و نقصانه يختلف أحوال الرطوبات فى هذا العالم،فلو أنّه سبحانه خلق الأفلاك دون الكواكب لكان إن خلقها مظلما لم يحصل ما ذكرنا من اختلاف الفصول و الحرّ و البرد فلم يتمّ فى هذا العالم ما كانت أسبابا فيه من الاستعدادات و لم يتميّز لها فصل عن فصل كما قال تعالى «وَ عَلاماتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ» ۲و قوله: «وَ هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِى ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ» و ان خلقها مضيئه تشابه أثرها فى الأمكنه و الأزمنه.بل خلق فيها الكواكب و لم يخلقها ساكنه و إلّا لأفرط أثرها فى موضع بعينه فيفسد استعداده و يخلو موضع آخر عن التأثيرات، و لمّا تميزّت فصول السنه و لمّا حصل البرد المحتاج إليه و الحرّ المحتاج إليه فلم يتمّ نشو النبات و الحيوان،و على الجمله فالنظام الكلىّ لا يحصل إلّا بهذا الوجه فهو أكمل أنحاء الوجود كلّ ذلك يدلّ على كمال رحمه اللّه بخلقه و شمول عنايته لهم إذ كان جميع ما ذكرناه من المنافع الحاصله فى هذا العالم مستنده إلى علوّ تدبيره و كمال حكمته كما قال تعالى «وَ سَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دائِبَيْنِ وَ سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ وَ آتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللّهِ لا تُحْصُوها إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ كَفّارٌ» ۳لا يقال:السؤال على ما ذكرتم من وجهين أحدهما أنّ الترتيب الّذى ذكرتموه فى تخصيص كلّ فلك ببعض الكواكب يشكل بقوله تعالى «إِنّا زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِزِينَهٍ الْكَواكِبِ» ۴و قوله تعالى «وَ لَقَدْ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ» ۵الثانى أنّ الشهب الثواقب الّتى جعلت رجوما للشياطين على ما نطق به القرآن الكريم إمّا أن يكون من الكواكب الّتى زيّنت بها السماء أو لا تكون،و الأوّل باطل لأنّ هذه الشهب تبطل بالانقضاض و تضمحلّ فكان يلزم من ذلك على مرور الزمان فناء

الكواكب و نقصان أعدادها،و معلوم أنّه لم يوجد ذلك النقصان البتّه،و الثانى أنّه يشكل بقوله تعالى«انا «زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ وَ جَعَلْناها رُجُوماً لِلشَّياطِينِ» فإنّه نصّ على كون الشهب الّتى جعلت رجوما للشياطين هى تلك المصابيح و الكواكب الّتى زيّنت بها السماء لأنّا نجيب عن الأوّل بأنّه لا تنافى بين ظاهر الآيه و بين ما ذكرناه،و ذلك أنّ السماء الدنيا لمّا كانت لا تحجب ضوء الكواكب و كانت أوهام الخلق حاكمه عند النظر إلى السماء و مشاهده الكواكب بكونها مزيّنه بها لا جرم صحّ قوله تعالى «إِنّا زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِزِينَهٍ الْكَواكِبِ» لأنّ الزينه بها إنّما هى بالنسبه إلى أوهام الخلق للسماء الدنيا،و عن الثانى أنّا نقول:هذه الشهب غير تلك الثواتب الباقيه فأمّا قوله: «زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ وَ جَعَلْناها رُجُوماً لِلشَّياطِينِ» فنقول:كلّ مضىء حصل فى الجوّ العالى أو فى السماء فهو مصباح لأهل الأرض إلاّ أنّ تلك المصابيح منها باقيه على طول الزمان و هو الثوابت و منها متغيّره و هى هذه الشهب الّتى يحدثها اللّه تعالى و يجعلها رجوما للشياطين و يصدق عليها أنها زينه للسماء أيضا باالنسبه إلى أوهامها و باللّه التوفيق .

قوله ثمّ فتق ما بين السماوات و العلى إلى قوله و لا يشيرون إليه بالنظائر

قوله ثمّ فتق ما بين السماوات العلى إلى قوله و لا يشيرون إليه بالنظائر ،و فيه أبحاث.

البحث الأوّل-هذا الفصل أيضا من تمام التفسير

لقوله فسوّى منه سبع سماوات إذ كان ما أشار إليه هاهنا من فتق السماوات إلى طبقاتها و إسكان كلّ طبقه منها ملاء معيّنا من ملائكته هو من تمام التسويه و التعديل لعالم السماوات فإن قلت:لم أخّر ذكر فتق السماوات و إسكان الملائكه لها عن ذكر إجراء الشمس و القمر فيها و تزيينها بالكواكب،و معلوم أنّ فتقها متقدّم على اختصاص بعضها ببعض الكواكب.قلت:إنّ إشارته عليه السّلام إلى تسويه السماوات إشاره جمليّه فكأنّه قدّر أوّلا أنّ اللّه خلق السماوات كره واحده كما عليه بعض المفسّرين لقوله تعالى «أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً» ثمّ ذكر علياهنّ و سفلاهنّ لجريانهما مجرى السطحين الداخل و الخارج لتلك الكره،ثمّ أشار إلى بعض كمالاتها و هى الكواكب و الشمس و القمر جمله،ثمّ بعد ذلك أراد التفصيل فأشار إلى تفصيلها و تمييز بعضها عن بعض بالفتق،و إسكان كلّ واحده منهنّ ملاء معيّنا من الملائكه ثمّ عقّب

ذلک بتفصیل الملائکه،و لا شکّ أنّ تقدیم الإجمال فی الذکر و تعقیبه بالتفصیل أولی فی الفصاحه و البلاغه فی الخطابه من العکس.إذا عرفت ذلک فنقول:قوله علیه السّلام ثمّ فتق ما بین السماوات العلی کقوله تعالی «أَ وَ لَمْ یَرَ الَّذِینَ کَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ کانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما» ۱و قوله:

فملأهنّ أطوارا من ملائکته منهم سجود لا یرکعون کقوله تعالی «وَ لِلّٰهِ یَسْجُدُ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» و قوله: «وَ لَهُ یَسْجُدُونَ» و نحوه و قوله: و صافّون لا یتزایلون کقوله تعالی «وَ إِنّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ» «وَ الصَّافّاتِ صَفًّا» و قوله: و مسبّحون لا یسأمون کقوله تعالی «یُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّیْلِ وَ النَّهارِ وَ هُمْ لا یَسْأَمُونَ» و قوله: و لافتراه الأبدان کقوله تعالی «لا یَفْتُرُونَ» و قوله:

و منهم امناء علی وحیه کقوله تعالی «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِینُ عَلی قَلْبِکَ» و قوله: و ألسنه إلی رسله کقوله تعالی «جاعِلِ الْمَلائِکَهِ رُسُلاً» و قوله: مختلفون بقضائه و أمره کقوله «تَنَزَّلُ الْمَلائِکَهُ وَ الرُّوحُ فِیها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ کُلِّ أَمْرٍ» ۲و قوله تعالی «تَنَزَّلُ الْمَلائِکَهُ وَ الرُّوحُ فِیها» ... «مِنْ أَمْرِهِ عَلی مَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ» و قوله: و منهم الحفظه لعباده کقوله تعالی «یُرْسِلُ عَلَیْکُمْ حَفَظَهً» ۳و قوله: «وَ إِنَّ عَلَیْکُمْ لَحافِظِینَ» ،و قوله: «لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَیْنِ یَدَیْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ یَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّٰهِ» ،و قوله: و السدنه لأبواب جنانه کقوله تعالی «وَ قالَ لَهُمْ خَزَنَتُها» و قوله: و المناسبه لقوائم العرش أکنافهم کقوله تعالی «وَ یَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّکَ فَوْقَهُمْ یَوْمَئِذٍ ثَمانِیَهٌ» ۴و قوله: بأجنحتهم کقوله تعالی «أُولِی أَجْنِحَهٍ»

البحث الثانی

اعلم أنّ للناس فی تفسیر قوله «أَ وَ لَمْ یَرَ الَّذِینَ کَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ کانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما» أقوالا:أحدها قال ابن عبّاس و الضحّاک و عطاء و قتاده:

«أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ کانَتا» شیئا واحدا ملتزمتین ففصّل اللّٰه بینهما فی الهواء،الثانی قال کعب: «خَلَقَ اللّٰهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ» بعضها علی بعض ثمّ خلق ریحا توسّطها ففتحها بها، الثالث قال مجاهد و السدی:کانت السماوات طبقه واحده ففتقها و جعلها سبع سماوات و کذلک الأرض،الرابع قال عکرمه و عطیّه و ابن عبّاس بروایه اخری عنه:إنّ معنی

كون السماء رتقا أنّها كانت لا تمطر و كانت الأرض رتقا أى لا تنبت نباتا ففتق اللّه السماء بالمطر و الأرض بالنبات،و يؤيّد ذلك قوله تعالى بعد ذلك «وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ» و نظيره قوله تعالى «فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ» و قوله: «وَ الْأَرْضِ ذاتِ الصَّدْعِ» و قوله تعالى «أَنّا صَبَبْنَا الْماءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنا فِيها حَبًّا» الآيه،الخامس قال بعض الفضلاء:إنّ معنى قوله «كانَتا رَتْقاً» أى كانت امورا كليّه فى علم اللّه تعالى و فى اللوح المحفوظ،و قوله «فَفَتَقْناهُما» إشاره إلى تشخّصاتها فى الوجود الخارجىّ و تمييز بعضها عن بعض،و هذا القول مناسب للأقوال الثلاثه الاول و يصحّ تحقيقا لها و يحمل الريح الّتى ذكرها كعب على أمر اللّه تعالى استعاره لما بينهما من المشابهه فى السرعه،السادس قال بعضهم:إنّ معنى الرتق فى هذه الآيه هو انطباق دائره معدّل النهار على ذلك البروج ثمّ إنّ الفتق بعد ذلك عباره عن ظهور الميل قالوا:و ممّا يناسب ذلك قول ابن عبّاس و عكرمه فإنّهم لمّا قالوا إنّ معنى كون السماء رتقا أنّها لا تمطر و معنى كون الأرض رتقا أنّها لا تنبت كان الفتق و الرتق بالمعنى الّذى ذكرناه إشاره إلى أسباب ما ذكروه إذ انطباق الدائرتين و هو الرتق يوجب خراب العالم السفلى و عدم المطر،و ظهور الميل الّذى هو الفتق يوجب وجود الفصول و ظهور المطر و النبات و سائر أنواع المركّبات.إذا عرفت ذلك فاعلم أنّ قوله عليه السّلام ثمّ فتق ما بين السماوات العلى إنّما هو موافق للأقوال الثلاثه الاول مع القول الخامس و التحقيق به أليق،و أمّا القول السادس فهو بعيد المناسبه لقوله عليه السّلام و بيان ذلك أنّ قوله ثمّ فتق ما بين السماوات العلى إنّما هو فى معرض بيان كيفيّه تخليق العالم الأعلى و لذلك أردفه و عقّبه بالفاء فى قوله فملأهنّ أطوارا من ملائكته ،و الرتق و الفتق فى هذا القول متأخّر عن كلام الأجرام العلويّه بما فيها و ما يتعلّق بها و لا يقبل تقدّم ظهور الميل بوجه ما على وجود الملائكه السماويّه و إسكانها أطباق السماوات و باللّه التوفيق.

البحث الثالث-الملائكه على أنواع كثيره و مراتب متفاوته

،فالمرتبه الاولى الملائكه المقرّبون كما قال تعالى «لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلّهِ وَ لاَ الْمَلائِكَهُ الْمُقَرَّبُونَ» ۱

الثانيه الملائكه الحاملون للعرش كقوله «الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ» و قوله «وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ» الثالثه الحافّون حول العرش كما قال تعالى «وَ تَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ» ١و قوله«و من حوله»الرابعه ملائكه السماوات و الكرسىّ،الخامسه ملائكه العناصر،السادسه الملائكه الموكّلون بالمركّبات من المعدن و النبات و الحيوان،السابعه الملائكه الحفظه الكرام الكاتبين كما قال تعالى «وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ كِراماً كاتِبِينَ» و يدخل فيهم المعقّبات المشار إليه بقوله تعالى «لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ» ،الثامنه ملائكه الجنّه و خزنتها كما قال تعالى «وَ قالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ» ،التاسعه ملائكه النار كما قال تعالى «عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ» و قال «عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ» و قال «وَ ما جَعَلْنا أَصْحابَ النّارِ إِلاّ مَلائِكَةً» إذا عرفت ذلك فنقول اتّفق الكلّ على أنّ الملائكه ليس عباره عن أشخاص جسمانيّه كثيفه تجىء و تذهب كالناس و البهائم بل القول المحصّل فيها قولان:الأوّل هو قول المتكلّمين إنّها أجسام نورانيّه إلهيّه خيّره سعيده قادره على التصرّفات السريعه و الأفعال الشاقّه ذوات عقول و أفهام و بعضها أقرب عند اللّه من البعض و أكمل درجه كما قال تعالى حكايه عنهم «وَ ما مِنّا إِلاّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ» ٢،و القول الثانى قول غيرهم و هى أنّها ليست بأجسام لكنّ منها ما هو مجرّد عن الجسميّه و عن تدبير الأجسام،و منها من له الأمر الأوّل دون الثانى،و منها من ليس بمجرّد بل جسمانىّ حالّ فى الأجسام و قائم بها و لهم فى تنزيل المراتب المذكوره على قولهم تفصيل،أمّا المقرّبون فإشاره إلى الذوات المقدّسه عن الجسميّه و الجهه و عن حاجتها إلى القيام بها و عن تدبيرها،و أمّا حمله العرش فالأرواح الموكّله بتدبير العرش،و قيل هم الثمانيه المذكوره فى القرآن الكريم« «وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ» »و هم رؤساء الملائكه المدّبرين للكرسىّ و السماوات السبع،و ذلك أنّ هذه الأجرام لها كالأبدان فهى بأبدانها أشخاص حاملون للعرش فوقهم،و أمّا الحافّون حول العرش هى الأرواح الحامله للكرسى، و الموكّله و المتصرّفه فيه،و أمّا ملائكه السماوات فالأرواح الموكّله بها و المتعرّفه فيها

بالتحريك و الإراده بإذن اللّه عزّ و جلّ،كذلك ملائكه العناصر و الجبال و البحار و البرارى و الغفار و سائر المركّبات من المعدن و النبات و الحيوان المسخّر كلّ منها لفعله المخصوص على اختلاف مراتبها،فأمّا الملائكه الحافظون الكرام الكاتبون فلهم فيها أقوال.أحدها قال بعضهم:إنّ اللّه تعالى خلط الطبائع المتضادّه و مزّج بين العناصر المتنافره حتّى استعدّ ذلك الممتزج بسبب ذلك الامتزاج لقبول النفس المدبّره و القوى الحسيّه و المحرّكه، فالمراد بتلك الحفظه الّتى أرسلها اللّه هى تلك النفوس و القوى الّتى يحفظ تلك الطبائع المقهوره على امتزاجاتها و هى الضابطه على أنفسها أعمالها،و المكتوب فى ألواحها صور ما تفعله لتشهد به على أنفسها يوم القيامه كما قال تعالى «قالُوا شَهِدْنا عَلى أَنْفُسِنا وَ غَرَّتْهُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا وَ شَهِدُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كانُوا كافِرِينَ» ١و هى المعقّبات من بين يدى الإنسان و من خلفه الحافظون له من أمر اللّه،و قيل:الحفظه للعباد غير الحفظه على العباد و الكاتبين لأعمالهم،و سنشير إلى ذلك.و الثانى قال بعض القدماء:إنّ هذه النفوس البشريّه و الأرواح الإنسانيّه مختلفه بجواهرها،فبعضها خيّره و بعضها شريره،و كذا القول فى البلاده و الزكاء و الفجور و العفّه و الحريّه و النذاله و الشرف و الدنائه،و غيرها من الهيئات،و لكلّ طائفه من هذه الأرواح السفليّه روح سماوىّ هو لها كالأب المشفق و السيّد الرحيم يعينها على مهمّاتها فى يقظتها و مناماتها تاره على سبيل الرؤيا و اخرى على سبيل الإلهامات،و هى مبدء لما يحدث فيها من خير و شرّ،و تعرف تلك المبادىء فى مصطلحهم بالطباع التامّ يعنى أنّ تلك الأرواح الفلكيّه فى تلك الطباع و الأخلاق تامّه كامله بالنسبه إلى هذه الأرواح السفليّه و هى الحافظه لها و عليها كما قال تعالى «فِى صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ كِرامٍ بَرَرَةٍ» ٢الثالث قول بعضهم:إنّ للنفوس المتعلّقه بهذه الأجساد مشاكله و مشابهه مع النفوس المفارقه عن الأجساد فيكون لتلك المفارقه ميل إلى النفوس الّتى لم تفارق فيكون لها تعلّق أيضا بوجه ما بهذه الأبدان بسبب ما بينها و بين نفوسها من المشابهه و الموافقه فتصير معاونه لهذه النفوس على مقتضى طباعها،و شاهده عليها كما قال تعالى:

«ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ» ...- «وَ جاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وَ شَهِيدٌ» ١،و أمّا ملائكه الجنّه فاعلم أنّ الجنان المذكوره فى القرآن ثمان،و هى جنّه النعيم و جنّه الفردوس و جنّه الخلد و جنّه المأوى و جنّه عدن و دار السلام و دار القرار «وَ جَنَّهٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ» ،و من وراء الكلّ عرش الرحمن ذى الجلال و الإكرام.إذا عرفت ذلك فاعلم أنّ لهذه الجنان سكّانا و خزّانا من الملائكه،أمّا السكّان فهم «الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ» و لا يستحضرون «يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لا يَفْتُرُونَ» و هم الّذين يتلّقون عباد اللّه الصالحين المخلصين بالشفقه و البشاره بالجنّه،و ذلك أنّ الإنسان الطائع إذا اكملت طاعته و بلغ النهايه فى الصوره الإنسانيّه و استحقّ بأعماله الصالحه و ما اكتسبه من الأفعال الزكيّه صوره ملكيّه و رتبه سماويّه تلقّيه الملائكه الطيّبون بالرأفه و الرحمه و الشفقه،و تقبّلوه بالروح و الريحان،و قبلوه كما تقبل القوابل و الدايات أولاد الملوك بفاخر امور الدنيا و طيّبات روائحها من مناديل السندس و الإستبرق،و بالفرح و السرور مرّوا به إلى الجنّه فيعاين من البهجه و السرور ما لا عين رأت و لا اذن سمعت و لا خطر على قلب بشر،و يبقى معهم عالما درّاكا ما شاء ربّك عطاء غير مجذوذ،و يتّصل بإخوانه المؤمنين فى الدنيا أخباره و أحواله و يتراءى لهم فى مناماتهم بالبشاره و السعاده و حسن المنقلب،و إذا كان يوم القيامه الكبرى عرجت به ملائكه الرحمه إلى جنان النعيم و السرور المقيم لا يذوقون فيها الموت إلاّ الموته الاولى فى غرف من فوقها غرف مبنيّه تجرى من تحتهم الأنهار «وَ آخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ» .قال بعض حكماء الإسلام:إنّ تلك الملائكه المتلّقيه له بالروح و الريحان هى روحانيّات الزهره و المشترى و كأنّ القائل يقول:إنّ النفوس الإنسانيّه السعيده إذا فارقت أبدانها و حملت القوّه المتوهّمه معها و الهيئات المتخيّله الّتى حصلت من الوعد الكريم فى دار الدنيا من الجنان و الحدائق و الأنهار و الأثمار و الحور العين و الكأس المعين و اللؤلؤ و المرجان و الولدان و الغلمان فإنّه يفاض عليها بحسب استعدادها و طهارتها و رجاء ثواب الآخره صور عقليّه فى غايه البهاء و الزينه مناسبه لما كانت متخيّله من الامور المذكوره مناسبه ما،و لمّا كان لهذين الكوكبين أثر تامّ فى إعداد النفوس

للمتخيّلات البهيّه الحسنه و للفرح و السرور كما ينسب فى المشهور إلى روحانيّتهما من الأفعال الحسنه نسب تلقّى الإنسان بعد المفارقه بالرأفه و الرحمه و الشفقه إلى روحانيّتهما،و اللّه أعلم،و أمّا الخزنه للجنان فيشبه أن يكون هم السكّان لها أيضا باعتبار آخر،و ذلك أنّه لمّا كان الخازن هو المتولّى لأحوال أبواب الخزانه بفتحها و تفريق ما فيها على مستحقّها بإذن ربّ الخزانه و مالكها و غلقها و منعها عن غير مستحقّها و كانت الملائكه هم المتولّون لإفاضه الكمالات و تفريق ضروب الإحسان و النعم على مستحقّيها و حفظها و منعها من غير مستحقّيها و المستعدّين بالطاعه لها بإذن اللّه و حكمته لا جرم صدق أنّهم خزّان الجنان بهذا الاعتبار،و هم الّذين يدخلون على المؤمنين من كلّ باب «سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدّارِ» .قال بعض الفضلاء:إنّ العبد إذا راض نفسه حتّى استكمل مراتب القوّه النظريه و مراتب القوّه العمليّه فإنّه يستعدّ بكلّ مرتبه من تلك المراتب لكمال خاصّ يفاض عليه من اللّه تعالى و يأتيه الملائكه فيدخلون عليه من كلّ باب من تلك الأبواب فالملك الّذى يدخل على الإنسان منه رضاء اللّه كما قال تعالى «رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ» هو رضوان خازن الجنان و اللّه أعلم،و أمّا ملائكه النار فقال بعض الفضلاء:هى تسعه عشر نوعا من الزبانيه لا يعصون اللّه ما أمرهم و هم الخمسه الّذين ذكرنا أنّهم يوردون عليه الأخبار من خارج، و رئيسهم و الخازنان و الحاجب و الملك المتصرّف بين يديه بإذن ربّه،و ملكا الغضب و الشهوه، و السبعه الموكّلون بأمر الغذاء و ذلك أنّه إذا كان يوم الطامّه الكبرى و كان الإنسان ممّن طغى و آثر الحياه الدنيا حتّى كانت الجحيم هى المأوى كانت اولئك التسعه عشر من الزبانيه هم الناقلين له إلى الهاويه بسبب ما استكثر من المشتهيات،و اقترف من السيّئات و أعرض عن قوله تعالى «وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلاّ ما سَعى وَ أَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرى ثُمَّ يُجْزاهُ الْجَزاءَ الْأَوْفى وَ أَنَّ إِلى رَبِّكَ الْمُنْتَهى» و اعلم وفّقك اللّه أنّ هؤلاء الّذين ذكر هذا القائل أنّهم ملائكه النار ربّما كانوا أيضا مع إنسان آخر من ملائكه الجنان و ذلك إذا استخدمهم ذلك الإنسان فى دار الدنيا على وفق أوامر اللّه و أوفقهم على طاعه اللّه دون أن يطلب منهم فوق ما خلقو الأجله و امروا به من طاعته و يعبّر بهم إلى معصيه اللّه و ارتكاب نواهيه و محارمه و باللّه التوفيق.

مجاز من باب إطلاق لفظ الملزوم على لازمه و أشار بالسجود و الركوع و الصفّ و التسبيح إلى تفاوت مراتبهم فى العباده و الخشوع،و ذلك أنّ اللّه سبحانه قد خصّ كلاّ منهم بمرتبه معيّنه من الكمال فى العلم و القدره لا يصل إليها من دونه،و كلّ من كانت نعمه اللّه عليه أكمل و أتمّ كانت عبادته أعلى و طاعته أو فى ثمّ إنّ السجود و الركوع و الصفّ و التسبيح عبادات متعارفه بين الخلق و متفاوته فى استلزام كمال الخضوع و الخشوع،و لا يمكن حملها على ظواهرها المفهومه منها لأنّ وضع الجبهه على الأرض و انحناء الظهر و الوقوف فى خطّ واحد و حركه اللسان بالتسبيح امور مبنيّه على وجود هذه الآلات الّتى هى خاصّه ببعض الحيوانات فبالحرىّ أن يحمل تفاوت المراتب المذكوره لهم على تفاوت كمالاتهم فى الخضوع و الخشوع لكبرياء اللّه و عظيمته إطلاقا للّفظ الملزوم على لازمه على أنّ السجود فى اللغه هو الانقياد و الخضوع كما مرّ.إذا عرفت ذلك فنقول:يحتمل أن يكون قوله عليه السّلام منهم سجود إشاره إلى مرتبه الملائكه المقرّبين لأنّ درجتهم أكمل درجات الملائكه فكانت نسبه عبادتهم و خضوعهم إلى خضوع من دونهم كنسبه خضوع السجود إلى خضوع الركوع.فإن قلت إنّه قد تقدّم أنّ الملائكه المقرّبين مبرّؤن عن تدبير الأجسام و التعلّق بها فكيف يستقيم أن يكونوا من سكّان السماوات و من الأطوار الّذين ملئت بهم.قلت:إنّ علاقه الشيء بالشيء و إضافته إليه يكفى فيها أدنى مناسبه بينهما،و المناسبه هاهنا حاصله بين الأجرام السماويّه و بين هذا الطور من الملائكه و هى مناسبه العلّه للمعلول أو الشرط للمشروط فكما جاز أن ينسب البارى جلّ جلاله إلى الاختصاص بالعرش و الاستواء عليه فى لفظ القرآن الكريم مع تنزيهه تعالى و تقدّسه من هذا الظاهر و لم يجر فى الحكمه أن يكشف للخلق من عظمه الحقّ سبحانه أكثر من هذا القدر فكذلك جاز أن ينسب الملائكه المقرّبون إلى الكون فى السماوات بطريق الأولى و إن تنزّهوا عن الأجسام و تدبيرها لأنّ عليّا عليه السّلام قاصد قصد الرسول صلى اللّه عليه و آله و قصد القرآن الكريم و ناطق به فليس له أن يفصح بما تنبوا عنه الأفهام،و باللّه التوفيق.

قوله و ركوع يشبه أن يكون إشاره إلى حمله العرش إذا كانوا أكمل ممّن دونهم فكانت نسبه عبادتهم الى عباده من دونهم كنسبه خضوع الركوع إلى خضوع الصفّ.

قوله و صافّون يحتمل أن يكون إشاره إلى الملائكه الحافّين من حول العرش قيل:

إنّهم يقفون صفوفا لأداء العباده كما أخبر تعالى عنهم «وَ إِنّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ» و تحقيق ذلك أنّ لكلّ واحد منهم مرتبه معيّنه و درجه معيّنه من الكمال يخصّه و تلك الدرجات باقيه غير متغيّره و ذلك يشبه الصفوف،و ممّا يؤيّد القول بأنّهم الحافّون حول العرش ما جاء فى الخبر أنّ حول العرش سبعين ألف صفّ قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتهليل و التكبير و من ورائهم مائه ألف صفّ قد وضعوا الأيمان على الشمائل ما منهم أحد إلاّ و هو يسبّح.

قوله و مسبّحون يحتمل أن يكون المراد بهم الصافّون و غيرهم من الملائكه،و الواو العاطفه و إن اقتضت المغائره إلاّ أن المغائره حاصله إذ هم من حيث هم صافّون غيرهم من حيث هم مسبّحون و تعدّد هذه الاعتبارات يسوّغ تعديد الأقسام بحسبها و عطف بعضها على بعض،و يؤيّد ذلك الجمع بين كونهم صافّين و بين كونهم مسبّحين فى قوله تعالى «وَ إِنّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَ إِنّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ» و يحتمل أن يريد نوعا و أنواعا اخر من ملائكه السماوات،فأمّا سلب الركوع عن الساجدين،و سلب الانتصاب عن الراكعين،و سلب المزائله عن الصافّين،و سلب السأم عن المسبّحين فإشاره إلى كمال فى مراتبهم المعينّه كلّ بالنسبه إلى من هو دونه و تأكيد لها بعدم النقصانات اللاحقه فإنّ الركوع و إن كان عباده إلاّ أنّه نقصان بالنسبه إلى السجود،و الانتصاب نقصان فى درجه الراكع بالنسبه إلى ركوعه،و كذلك التزايل عن مرتبه الصفّ نقص فيها، و كذلك السأم فى التسبيح نقصان فيه و إعراض عن الجهه المقصوده به و أيضا فالسأم و الملال عباره عن إعراض النفس عن الشيء بسبب كلال بعض القوى الطبيعيّه عن أفعالها،و ذلك غير متصوّر فى حقّ الملائكه السماويّه،و أمّا سلب غشيان النوم عنهم فى قوله لا يغشاهم نوم العيون فهو ظاهر الصدق،و بيانه أنّ غشيان النوم لهم مستلزم لصحّه النوم عليهم و اللازم باطل فى حقّهم فالملزوم مثله أمّا الملازمه فظاهره،و أمّا بطلان اللازم فلأنّ النوم عباره عن تعطيل الحواسّ الظاهره عن أفعالها لعدم انصباب الروح النفسانىّ إليها و رجوعها بعد الكلال و الضعف،و الملائكه السماويّه منزّهون عن هذه الأسباب و الآلات،فوجب أن يكون النوم غير صحيح فى حقهم فوجب أن لا يغشاهم،و أمّا سلب سهو العقول و غفله النسيان،فاعلم أنّ الغفله عباره عن

عدم التفطّن للشیء و عدم تعقّله بالفعل و هی أعمّ من السهو و النسیان و کالجنس لهما،بیان ذلک أنّ السهو هو الغفله عن الشیء مع بقاء صورته أو معناه فی الخیال أو الذکر بسبب اشتغال النفس و التفاتها إلی بعض مهّماتها،و أمّا النسیان فهو الغفله عنه مع انمحاء صورته أو معناه عن إحدی الخزانتین بالکلّیه و لذلک یحتاج الناسی للشیء إلی تجشّم کسب جدید و کلفه فی تحصیله ثانیا،و بهذا یظهر الفرق بین الغفله و السهو و النسیان،و إذا عرفت ذلک ظهر أنّ هذه الامور الثلاثه من لواحق القوی الإنسانیّه فوجب أن تکون مسلوبه عن الملائکه السماویّه لسلب معروضاتها عنهم،و لمّا ذکر سهو العقول و نفاه عنهم أردفه بسلب ما هو أعمّ منه و هو الغفله لاستلزام سلبها سلب النسیان،و قد کان ذلک کافیا فی سلب النسیان إلاّ أنّه أضاف الغفله إلیه لیتأکّد سلبه بسلبها،و أمّا قوله و لا فتره الأبدان ،فلأنّ الفتره هی وقوف الأعضاء البدنیّه عن العمل و قصورها بسبب تحلّل الأرواح البدنیّه و ضعفها و رجوعها للاستراحه،و کلّ ذلک من توابع المزاج الحیوانیّ فلا جرم صدق سلبها عنهم.

قوله و منهم امناء علی وحیه و ألسنه إلی رسله مختلفون بقضائه و أمره یشبه أن یکون هذا القسم داخلا فی الأقسام السابقه من الملائکه،و إنّما ذکره ثانیا باعتبار وصف الأمانه علی الوحی و الرساله و الاختلاف بالأمر إلی الأنبیاء علیهم السلام و غیرهم لأنّ من جمله الملائکه المرسلین جبرئیل علیه السلام و هو من الملائکه المقربّین،و اعلم أنّه لمّا ثبت أنّ الوحی و سائر الإفاضات من اللّه تعالی علی عباده إنّما هو بواسطه الملائکه کما علمت کیفیّه ذلک لا جرم صدق أنّ منهم امناء علی وحیه و ألسنه إلی رسله إذ کان الأمین هو الحافظ لما کلّف بحفظه علی ما هو علیه لیؤدّیه إلی مستحقّه،و إفاضه الوحی النازل بواسطه الملائکه محفوظه نازله کما هی مبرّاه عن الخلل الصادره عن سهو لعدم معروضات السهو هناک أو عن عمد لعدم الداعی إلیه و لقوله تعالی «یَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ یَفْعَلُونَ ما یُؤْمَرُونَ» ۱استعاره و أمّا کونهم ألسنه إلی رسله فهی استعاره حسنه إذ یقال:فلان لسان قومه أی المفصح عن أحوالهم و المخاطب عنهم فیطلق علیه اسم اللسان لکونه مفصحا عمّا فی النفس،و لمّا کانت الملائکه وسائط بین الحقّ سبحانه و بین رسله فی تأدیه خطابه الکریم إلیهم لا جرم حسن استعاره

هذا اللفظ لهم لمكان المشابهه ،و المراد هاهنا بالاختلاف التردّد بأمر اللّه و ما قضی به مرّه بعد اخری و بالقضاء الامور المقضیّه إذ یقال:هذا قضاء اللّه أی مقضیّ اللّه،و لا یراد به المصدر فإنّ معنی ذلک هو سطر ما کان و ما یکون فی اللوح المحفوظ بالقلم الإلهی و ذلک أمر قد فرغ منه کما قال صلی اللّه علیه و آله:جفّ القلم بما هو کائن،فإن قلت:کیف یصحّ أن یکون هذا القسم داخلا فی السجود لأنّ من کان أبدا ساجدا کیف یتصورّ أن یکون مع ذلک متردّدا فی الرساله و النزول و الصعود مختلفا بالأوامر و النواهی إلی الرسل علیهم السلام قلت:إنّا بیّنا أنّه لیس المراد بسجود الملائکه هو وضع الجبهه علی الأرض بالکیفیه الّتی نحن علیها، و انّما هو عباره عن کمال عبودیّتهم للّه تعالی و خضوعهم تحت قدرته و ذلّتهم فی الإمکان و الحاجه تحت ملک وجوب وجوده،و معلوم أنّه لیس بین السجود بهذا المعنی و بین تردّدهم بأوامر اللّه تعالی و اختلافهم بقضائه علی وفق مشیئته و أمره منافاه بل کلّ ذلک من کمال عبودیّتهم و خضوعهم لعزّته و اعترافهم بکمال عظمته.

قوله و منهم الحفظه لعباده .فاعلم أنّ فی هذا القسم مطلوبین أحدهما ما الحفظه؟، و الثانی ما المراد منهم؟ثمّ الحفظه منهم حفظه للعباد کما قال تعالی «لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَیْنِ یَدَیْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ یَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ» ١و منهم حفظه علی العباد کما قال تعالی «وَ یُرْسِلُ عَلَیْکُمْ حَفَظَهً» و المراد من الأوّلین حفظ العباد بأمر اللّه تعالی من الآفات الّتی تعرض لهم و من الآخرین ضبط الأعمال و الأقوال من الطاعات و المعاصی کما قال «کِراماً کاتِبِینَ یَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ» و کقوله «ما یَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّ لَدَیْهِ رَقِیبٌ عَتِیدٌ» قال ابن عبّاس:إنّ مع کلّ إنسان ملکین أحدهما علی یمینه و الآخر علی یساره فإذا تکلّم الإنسان بحسنه کتبها من علی یمینه،و إذا تکلّم بسیّئه قال من علی الیمین لمن علی الیسار:انتظر لعلّه یتوب منها فإن لم یتب کتبت علیه قال المفسّرون:فائده ذلک أنّ المکلّف إذا علم أنّ الملائکه موکّلون به یحضرون علیه أعماله و یکتبونها فی صحائف تعرض علی رؤس الأشهاد فی موقف القیامه کان ذلک أزجر له عن القبائح،و اعلم أنّه یحتمل أن یکون التعدّد المذکور فی الحفظه تعدّدا بحسب الذوات،و یحتمل أن یکون بحسب الاعتبار.قال بعض من زعم أنّ

الحفظه للعباد هى القوى الّتى أرسلها اللّه تعالى من سماء جوده على الأبدان البشريّه:

يحتمل أن يكون الحفظه على العباد هى مبادئ تلك القوى،و يكون معنى كتبه السيّئات و الحسنات و ضبطهما على العباد إمّا باعتبار ما يصدر و يتعدّد عن العبد من السيّئات و الحسنات فى علم تلك المبادىء أو يكون معناها كتبه صور الأفعال الخيريّه و الشريه إلى العبد بقلم الإفاضه فى لوح نفسه بحسب استعدادها لذلك قال:و يشبه أن تكون إشاره ابن عبّاس بانتظار ملك اليسار كاتب السيّئات توبه العبد إلى أنّه ما دامت السيّئه حاله غير ممكنه من جوهر نفس العبد فإنّ رحمه اللّه تعالى تسعه فإذا تاب من تلك السيّئه لم تكتب فى لوح نفسه،و إن لم يتب حتّى صارت ملكه راسخه فى نفسه كتبت و عذّب بها يوم تقوم الساعه.قال:و يحتمل أن يكون الحفظه على العباد هم بأعيانهم من الحفظه لهم فإنّ النفس تحفظ فى جوهرها ما يفعله من خير و شرّ و تحصيه يوم البعث على نفسها إذا زالت عنها الغواشى البدنيّه و تجده مصوّرا مفصّلا لا تغيب عنها منه شىء كما قال تعالى «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَ ما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَ بَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً» ۱و كما قال تعالى «وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَهِ كِتاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً اِقْرَأْ كِتابَكَ كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً» ۲و كما قال «إِذا بُعْثِرَ ما فِي الْقُبُورِ وَ حُصِّلَ ما فِي الصُّدُورِ» ۳و قال:

و أمّا معنى كونهم من ملائكه السماء فلأنّ أصلهم من ملائكه السماء ثمّ ارسلوا إلى الأرض، و اللّه اعلم،و أمّا السدنه لأبواب جنانه فقد عرفت ما قيل فيهم.

قوله فمنهم الثابته فى الأرضيين السفلى أقدامهم المارقه من السماء العليا أعناقهم و الخارجه من الأركان أقطارهم و المناسبه لقوائم العرش أكنافهم :فاعلم أنّ هذه الأوصاف وردت فى صفه الملائكه الحاملين للعرش فى كثير من الأخبار فيشبه أن يكونوا هم المقصودون بها هاهنا،و روى عن ميسره أنّه قال:أرجلهم فى الأرض السفلى رؤسهم قد خرقت العرش و هم خشوع لا يرفعون طرفهم و هم أشدّ خوفا من أهل السماء السابعه،و أهل السماء السابعه أشدّ خوفا من أهل السماء السادسه و هكذا إلى سماء الدنيا،و عن ابن عباس قال:قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:لا تتفكرّوا فى عظمه ربّكم و لكن تفكّروا فيما خلق من الملائكه فإنّ خلقا منهم يقال له إسرافيل زاويه من زوايا العرش على كاهله و قدماه فى الأرض السفلى و قد مرق رأسه

من سبع سماوات و أنّه ليتضاءل من عظمه اللّه حتّى يصير كأنّه الوصع،و الوصع طائر صغير، و عن ابن عبّاس أيضا أنّه قال:لمّا خلق اللّه تعالى حمله العرش قال لهم احملوا عرشى فلم يطيقوا فقال لهم:قولوا لا حول و «لا قُوَّةَ إِلاّ بِاللّهِ» فلمّا قالوا ذلك استقل فنفذت أقدامهم فى الأرض السابعه على متن الثرى فلم تستقرّ فكتب فى قدم كلّ ملك منهم اسما من أسمائه فاستّقرت أقدامهم،و وجه هذا الخبر أنّ وجودهم و بقائهم و حولهم و قوّتهم الّتى بها هم على ما هم إنّما هو من حوله و قوّته و هيبته فلو أنّه سبحانه خلقهم و قال لهم:احملوا عرشى و لم تكن لهم استعانه و لا مدد بحول اللّه و قوّته و معونه لم ينتهضوا بحمل ذرّه من ذرّاه مبدعاته و مكوّناته فضلا عن تدبير العرش الّذى هو أعظم الأجرام الموجوده فى العام.إذا عرفت ذلك فنقول:

أمّا من قال بأنّ الملائكه أجسام كان حمل صفاتهم المذكوره فى هذه الأخبار فى كلامه عليه السلام على ظاهرها أمرا ممكنا و أنّه تعالى قادر على جميع الممكنات،و أمّا من نزههم عن الجسميّه فقال إنّ اللّه سبحانه لمّا خلق الملائكه السماويّه مسخّرين لأجرام السماوات مدبّرين لعالمنا عالم الكون و الفساد و أسبابا لما يحدث فيه كانوا محيطين بإذن اللّه علما بما فى السماوات و الأرض فلا جرم كان منهم من ثبت فى تخوم الأرض السفلى أقدام إدراكاتهم الّتى ثبتت و استقرّت باسم اللّه الأعظم و علمه الأعزّ الأكرم و نفذت فى بواطن الوجودات الموجودات خبر او مرقت من السماء العليا أعناق عقولهم و خرجت من أقطارها أركان قواهم العقلّيه،و قوله المناسبه لقوائم العرش أكتافهم يريد أنّهم مشبّهون و مناسبون لقوائم العرش فى بقائهم و ثباتهم عن الزائل من تحته أبدا إلى «ما شاءَ اللّهُ» .فإن قلت:فهل هناك قوائم غير الحاملين للعرش الّذى أشار إليهم،و تكون هذه الطائفه من الملائكه مناسبه لتلك القوائم أم لا قلت:قد جاء فى الخبر أنّ العرش له قوائم،روى عن جعفر بن محمّد الصادق عن أبيه عليه السلام عن جدّه صلى اللّه عليه و آله أنّه قال:إنّ بين القائمين من قوائم العرش و القائمه الاخرى خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام قال بعض المحقّقين:إنّ هناك قوائم ثمان قد فوّض اللّه تعالى إلى كلّ ملك من الملائكه الثمانيه الحاملين للعرش تدبير قائمه منها و حملها و وكّله بها.إذا عرفت ذلك فنقول: استعاره يحتمل أن يكون قد أشار عليه السلام بقوله تلك القوائم و وجه المناسبه أنّ الكتف لمّا كان محلّ القوّه و الشدّه استعاره عليه السلام هاهنا للقوّه و القدره الّتى يخصّ كلّ ملك من

تلك الملائكه و بها يـدبّر تلك القوائم من العرش،و لا شكّ أنّ بين كلّ قائمه من تلك القوائم و بين كلّ قدره من تلك القدره مناسـبه ما لأجلها خصّ اللّه سبحانه ذلك الملك بحمل تلك القائمه و ذلك معنى قوله المناسبه لقوائم العرش أكتافهم و يحتمل أن يكون كما اسـتعار لهم لفظ الأقدام اسـتعار لهم أيضا لفظ الأكتاف ثمّ شـبّه قيامهم بأمر اللّه فى حملهم للعرش بقيام الأساطين الّتى يبنى عليهـا الواحـد منّـا عرشه فهم مناسـبون مشـابهون لقوائم العرش الّتى يبنى عليها من غير أن يكون هناك تعرّض لإثبات قوائم بل ما يشبه القوائم .

كنايه قوله ناكسه دونه أبصارهم متلفعّون تحته بأجنحتهم :الضـميران فى دونه و تحته راجعان إلى العرش و قـد جاء فى الخبر عن وهب ابن منبّه قـال:إنّ لكـلّ ملـك من حمله العرش و من حوله أربعه أجنحه أمّـا جناحان فعلى وجهه مخافه أن ينظر إلى العرش فيصـعق و أمّا جناحان فيفهوا بهما ليس لهم كلام إلاّ التسبيح و التحميد،و كنى عليه السـلام بنكس أبصارهم عن كمال خشـيتهم للّه تعـالى و اعترافهم بقصور أبصـار عقولهم عن إدراك ما وراء كمالاتهم المقـدّره لهم و ضـعفها عمّا لا يحتمله من أنوار اللّه و عظمته المشاهده فى خلق عرشه و ما فوقهم من مبدعاته فإنّ شـعاع أبصارهم منته واقف دون حجب عزّه اللّه .و عن بريد الرقاشىّ أنّ للّه تعالى ملائكه حول العرش يسموّن المخلخلين تجرى أعينهم مثل الأنهار إلى يوم القيامه يميدون كأنّما تنقضهم الرياح من خشيه اللّه تعـالى فيقول لهم الربّ جـل جلالـه ملائـكتى مـا الّـذى يخيفكم؟فيقولون:ربّنا لو أنّ أهل الأرض اطّلعوا من عزّتك و عظمتك على ما اطّلعنا عليه ما ساغوا طعاما و لا شـرابا و لا انبسـطوا فى فرشهم و لخرجوا إلى الصحراء يخورون كما يخور الثور، اسـتعاره و اعلم أنّه لمّـا كان الجناح من الطائر و الإنسان عباره عن محل القوّه و القـدره و البطش صـحّ أن يسـتعار للملائكه على سبيل الكنايه عن كمالهم فى قـدرتهم و قوّتهم الّتى يطيرون فى بيـداء جلال اللّه و عظمته و تصـدر بواسـطتهم كمالات ما دونهم من مخلوقات اللّه، و صـحّ أن توصف تلك الأجنحه بالقلّه و الكثره فى آحادهم،و يكون ذلك كنايه عن تفاوت قرابتهم و زياده كمال بعضـهم على بعض،و لمّا اسـتعار لفظ الأجنحه استلزم ذلك أن يكون قد شبّههم بالطائر ذى الجناح،ثمّ لمّا كان الطائر عند قبض جنـاحه يشبـه المتلفّع بثوبه و الملتحـف به و كـانت أجنحه الملائكه الّتى هى عبـاره عن كمـا لهم فى قـدرهم و علومهم مقبوضه

ص:۱۶۶

قاصره عن التعلّق بمثل مقدورات اللّه و مبدعاته واقفه دون جلاله و عظمته فى صنعه لا جرم أشبه ذلك قبض الأجنحه المشبّه للتلفّع بالثوب فاستعار عليه السلام لفظ التلفع أيضا و كنّى به عن كمال خضوعهم و انقهارهم تحت سلطان الله و قوّته و المشاهده فى صوره عرشه.فإن قلت:إنّك بيّنت أنّ المراد بالركوع هم حمله العرش فكيف يستقيم مع ذلك أن يقال إنّ هذا القسم هم حمله العرش أيضا فإنّ من كان أقدامهم فى تخوم الأرضين،و أعناقهم خارجه من السماوات السبع و من الكرسىّ و العرش كيف يكون مع ذلك راكعا؟قلت:الجواب عنه قد سبق فى قوله و منهم امناء على وحيه فإنّ الركوع أيضا المقصود منه الخشوع لعزّ اللّه و عظمته و ذلك غير مناف للأوصاف المذكوره هاهنا ،و باللّه التوفيق .

قوله مضروبه بينهم و بين من دونهم حجب العزّه و أستار القدره إشاره إلى أنّ الآلات البشريّه قاصره عن إدراكهم و الوصول إليهم،و ذلك لتنزّههم عن الجسميّه و الجهه و قربهم من عزّه مبدعهم الأوّل جلّ جلاله،و بعد القوى الإنسانيّه عن الوقوف على أطوارهم المختلفه و مراتبهم المتفاوته،و إذا كان الحال فى الملك العظيم من ملوك الدنيا إذا بلغ فى التعزّز و التعظيم إلى حيث لا يراه إلاّ أجلاء خواصّه،و كان الحال أيضا فى بعض خواصّه كذلك كالوزير و الحاجب و النديم فإنّهم لا يصل إليهم كلّ الناس بل لا يصل إليهم إلاّ من كانت له إليهم وسيله تامّه و علاقه قويّه و كان منشأ ذلك إنّما هو عظمه الملك و هيبته و قربهم منه فكان الحائل بينهم و بين غيرهم إنّما هو حجب عزّه الملك و أستار قدرته و قهره،فكيف الحال فى جبّار الجبابره و مالك الدنيا و الآخره،و حال ملائكته المقرّبين و من يليهم من حمله العرش الروحانيّين،فبالحرىّ أن ينسب عدم وصول قوانا الضعيفه إليهم و إدراكها لمراتبهم إلى حجب عزّه اللّه و عظمته لهم و كمال ملكه و تمام قدرته و ما أهلّهم له من قربه و مطالعه أنوار كبريائه عزّ سلطانه و «اللّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ » .

قوله و لا يتوهّمون ربّهم بالتصوير إشاره إلى تنزيههم عن الإدراكات الوهميّه و الخياليّه فى حقّ مبدعهم عزّ سلطانه إذ كان الوهم إنّما يتعلّق بالامور المحسوسه ذات الصور و الأحياز و المحالّ الجسمانيّه فالوهم و إن أرسل طرفه إلى قبله وجوب الوجود و بالغ فى تقليب حدقه فلن يرجع إلاّ بمعنى جزئىّ يتعلّق بمحسوس حتّى أنّه لا يقدر نفسه و لا يدركها إلاّ ذات مقدار و حجم،و لمّا كان الوهم من خواصّ المزاج الحيوانىّ لا جرم سلب

التوهّم عن هـذا الطور من الملائكه لعدم قوّه الوهم هنـاك فإنّ هـذه القوّه لمّا كانت موجوده للإنسان لا جرم كان يرى ربّه فى جهه و يشير إليه متحيّزا ذا مقدار و صوره،و لذلك وردت الكتب الإلهيّه و النواميس الشرعيّه مشحونه بصفات التجسيم كالعين و اليد و الإصبع و الاستواء على العرش و نحو ذلك خطابا للخلق بما تدركه أوهامهم و توطينا لهم و إيناسا حتّى أنّ الشارع لو أخذ فى مبدء الأمر بيّن لهم أنّ الصانع الحكيم ليس داخل العالم و لا خارجه و لا فى جهه و ليس مجسم و لا عرض لاشتدّ نفار أكثرهم من قبول ذلك و عظم إنكارهم له فإنّ الوهم فى طبيعته لا يثبت موجودا بهذه الصفه و لا يتصوّره،و من شأنه أن ينكر ما لا يتصوّر فكان منكرا لهذا القسم من الموجودات و الخطابات الشرعيّه و إن وردت بصفات التجسيم إلّا أنّ الألفاظ الموهمه لذلك لمّا كانت قابله للتأويل محتمله له كانت وافيه بالمقاصد إذ العاميّ المغمور فى ظلمات الجهل يحمله على ظاهره و يحصل بذلك تقييده عن تشتّت اعتقاده و ذو البصيره المترقّى عن تلك الدرجه يحمله على ما يحتمله عقله من التأويل،و كذلك حال من هو أعلى منه،و الناس فى ذلك على مراتب فكان إيرادها حسنا و حكمه .

قوله و لا يجرؤن عليه صفات المصنوعين.

أقول:إجراء صفات المصنوعين عليه إنّما يكون بمناسبته و مما ثلته مع مصنوعاته و مكوّناته و كلّ ذلك بقياس من الوهم و محاكاه من المتخيّله له بصوره المصنوع،فكان الوهم يحكم أوّلا يكون البارى عزّ سلطانه مثلا لمصنوعاته الّتى يتعلّق إدراكه بها من المتحيّزات و ما يقوم بها و يخيّله بصوره منها ثمّ يساعده العقل فى مقدّمه اخرى هى أنّ حكم الشىء حكم مثله فيجرى حينئذ عليه صفات مصنوعاته التى حكم بمثليّته لها،و لما كانت الملائكه السماويّه منزّهين عن الوهم و الخيال لا جرم وجب تنزيههم عن أن يجروا عليه صفات مصنوعاته سبحانه و تعالى عمّا يقول الظالمون علوّا كبيرا ،و كذلك قوله و لا يحدّونه بالأماكن و لا يشيرون إليه بالنظائر فإنّ الحاكم بحدّه فى مكان و تحيّزه فيه و المشير إليه بالمثل المتصوّر له بالقياس إلى نظير يشاكله و يشابهه إنّما هو الوهم و الخيال،و لمّا عرفت أنّهما يخصّان للحيوان العنصرىّ لا جرم كانت هذه الأحكام مسلوبه عن الملائكه السماويّه مطلقا و باللّه التوفيق.

الفصل الثالث فى كيفيّه خلق آدم عليه السلام.

اشاره

ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الْأَرْضِ وَ سَهْلِهَا- وَ عَذْبِهَا وَ سَبَخِهَا- تُرْبَةً سَنَّهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ- وَ لَاطَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ- فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ وَ وُصُولٍ وَ أَعْضَاءٍ- وَ فُصُولٍ أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ- وَ أَصْلَدَهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ وَ أَمَدٍ مَعْلُومٍ- ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ- فَمَثُلَتْ إِنْسَاناً ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا- وَ فِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا وَ جَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا- وَ أَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا وَ مَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ- وَ الْأَذْوَاقِ وَ الْمَشَامِّ وَ الْأَلْوَانِ وَ الْأَجْنَاسِ- مَعْجُوناً بِطِينَهِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَهِ- وَ الْأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَهِ وَ الْأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَهِ- وَ الْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَهِ مِنَ الْحَرِّ وَ الْبَرْدِ- وَ الْبَلَّهِ وَ الْجُمُودِ- وَ اسْتَأْدَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَهَ وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ- وَ عَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ فِي الْإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ- وَ الْخُنُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ- فَقَالَ سُبْحَانَهُ «اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ» -اِعْتَرَتْهُ الْحَمِيَّهُ- وَ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الشِّقْوَهُ- وَ تَعَزَّزَ بِخِلْقَهِ النَّارِ وَ اسْتَوْهَنَ خَلْقَ الصَّلْصَالِ- فَأَعْطَاهُ اللَّهُ النَّظِرَهَ اسْتِحْقَاقاً لِلسُّخْطَهِ- وَ اسْتِتْمَاماً لِلْبَلِيَّهِ وَ إِنْجَازاً لِلْعِدَهِ- فَقَالَ «فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ؟آدَمَ؟ دَاراً أَرْغَدَ فِيهَا عَيْشَهُ وَ آمَنَ فِيهَا مَحَلَّتَهُ وَ حَذَّرَهُ؟إِبْلِيسَ؟ وَ عَدَاوَتَهُ- فَاغْتَرَّهُ عَدُوُّهُ نَفَاسَهً عَلَيْهِ بِدَارِ الْمُقَامِ- وَ مُرَافَقَهِ الْأَبْرَارِ- فَبَاعَ

الْيَقِينَ بِشَكِّهِ وَ الْعَزِيمَهَ بِوَهْنِهِ- وَ اسْتَبْدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلاً وَ بِالاِغْتِرَارِ نَدَماً- ثُمَّ بَسَطَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ- وَ لَقَّاهُ كَلِمَهَ رَحْمَتِهِ وَ وَعَدَهُ الْمَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ- وَ أَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ الْبَلِيَّهِ وَ تَنَاسُلِ الذُّرِّيَّهِ

قوله ثمّ جمع سبحانه من حزن الأرض إلى قوله و تناسل

اشاره

الذريّه:]

قوله منها فى خلق آدم عليه السّلام ثمّ جمع سبحانه من حزن الأرض إلى قوله و تناسل الذريّه :

اللغه

أقول: الحزن من الأرض ما غلظ منها و اشتدّ كالجبل ،و السهل ما لان ،و عذبها ما طاب منها و استعدّ للنبات و الزرع ،و السبح ما ملح منها ،و المسنون الطين الرطب فى قول ابن عبّاس،و عن ابن السكّيت عن أبى عمر و أنّه المتغيّر،و قول ابن عبّاس أنسب إلى كلام علىّ عليه السّلام لأنّ قوله: سنّها بالماء حتّى لزبت أى أنّه خلّطها بالماء حتّى صارت طينا رطبا يلتصق ،و صلصلت قال بعضهم:الصلصال هو المنتن من قولهم صلّ اللحم و اصلّ إذا أنتن و قيل هو الطين اليابس الّذى يصلصل و هو غير مطبوخ و إذا طبخ فهو فخار،و قيل إذا توهّمت فى صوته مدّا فهو صليل و إذا توهّمت فيه ترجيعا فهو صلصله ،و لاطها بالبلّه أى خلّطها بالرطوبه و مزّجها بها،و البلّه بالكسر النداوه،و بالفتح واحده البلّ ،و اللازب اللاصق،و أصل الباء الميم ،و جبل أى خلق ،و الأحناء جمع حنو و هى الجوانب ،و الوصول جمع كثره للوصل و هى المفاصل و جمع القلّه أوصال ،و الأعضاء جمع عضو بالكسر و الضمّ كاليد و الرجل للحيوان ،و أصلدها أى جعلها صلدا و هى الصلبه الملساء ،و الذهن فى اللغه الفطنه و الحفظ،و فى الاصطلاح العلميّ عباره عن القوى المدركه من العقل و الحسّ الباطن ، و الفكر جمع فكره و هى قوّه للنفس بها تحصل الإدراكات العقليّه ،و يشبه أن يكون أصل الإنسان انس و هو الأنيس،و الألف و النون فى أصل لحوقها له للتثنيه،و ذلك لأنّ الانس أمر نسبىّ لا يتحقّق إلّا بين شيئين فصاعدا،و لمّا كان كلّ واحد من الناس يأنس بصاحبه قيل إنسان ثمّ كثر استعماله مثنّى فاجريت على النون وجوه الإعراب ،و المساءه

الغم ،و الجوارح الأعضاء ،و الاختدام و الاستخدام بمعنى ،و الأدواه جمع أدات،و أصلها الواو و لذلك ردّت فى الجمع ،و الاستيداء طلب الأداء ،و الخنوع الخضوع ،و اشتقاق إبليس من الإبلاس و هو اليأس و البعد لبعده من رحمه اللّه ،و الحميّه الأنفه ،و اعترتهم أى غشيتهم ،و الوهن الضعف ،و النظره بفتح النون و كسر الظاء الإمهال و السخط الغضب ،و اغترّه أى استغفله و نفست عليه بالأمر نفاسه إذا لم تره مستحقّا له ،و العزيمه الاهتمام بالشىء ،و الجدل السرور ،و الإهباط الإنزال . إذا عرفت ذلك فنقول:

للناس فى هذه القصّه

طريقان:

الطريق الأوّل-أنّ جمهور المسلمين من المفسّرين و المتكلّمين حملوا هذه القصّه على

ظاهرها

ثمّ ذكروا فيها أبحاثا.

البحث الأوّل-أنّ هذه قد كرّرها سبحانه فى كتابه الكريم فى سبع سور

،و هى سوره البقره،و الأعراف و الحجر،و سوره بنى إسرائيل،و الكهف،و طه،و سوره ص،و ذلك لمن يشتمل عليه من تذكير الخلق و تنبيههم من مراقد الطبيعه الّتى جذبهم إليها إبليس،و التحذير من فتنه و فتنه جنوده و الجذب إلى جناب اللّه و مطالعه أنوار كبريائه كما قال تعالى «يا بَنِى آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطانُ كَما أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّهِ» ۱الآيه فقوله عليه السلام و تربه كقوله تعالى «خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ» و قوله: سنّها بالماء كقوله تعالى «مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ» و قوله: لاطها بالبلّه حتى لزبت كقوله تعالى «مِنْ طِينٍ لازِبٍ» و قوله: حتّى صلصلت كقوله تعالى «مِنْ صَلْصالٍ» و قوله: ثمّ نفخ فيه من روحه كقوله«فَإِذا «نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى» و قوله:

«وَ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ» و قوله: ذا أذهان بجيلها و فتر يتصرّف فيها و جوارح يختدمها كقوله تعالى «وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَهَ» و قوله: و استأدى اللّه سبحانه الملائكه وديعته لديهم و عهد وصيّته إليهم كقوله تعالى «فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ» و قوله: «اسْجُدُوا» و قوله: «إِلاّ إِبْلِيسَ» كقوله تعالى «فَسَجَدَ الْمَلائِكَهُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلاّ إِبْلِيسَ» و قوله اعترته الحميّه إلى قوله و تعزّز بخلقه النار و استهون خلق الصلصال كقوله تعالى حكايه عن إبليس «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِى مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ» و قوله: «لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصالٍ» و قوله فأعطاه اللّه

النظره حذف قبله تقديره فسأل النظره و ذلک قوله «أَنْظِرْنِی» فأعطاه اللّه النظر إلی یوم الوقت المعلوم کقوله تعالی «قالَ فَإِنَّکَ مِنَ الْمُنْظَرِینَ إِلی یَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» و قوله: ثمّ أسکن سبحانه آدم دارا أرغد فیها عیشه کقوله تعالی «وَ قُلْنا یا آدَمُ اسْکُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُکَ الْجَنَّهَ وَ کُلا مِنْها رَغَداً حَیْثُ شِئْتُما» ۱و قوله: و حذّره إبلیس و عداوته کقوله«قُلْنا «فَقُلْنا یا آدَمُ إِنَّ هذا عَدُوٌّ لَکَ وَ لِزَوْجِکَ فَلا یُخْرِجَنَّکُما مِنَ الْجَنَّهِ فَتَشْقی» و قوله: فاغترّه إبلیس نفاسه علیه بدار المقام و مرافقه الأبرار کقوله «فَوَسْوَسَ إِلَیْهِ الشَّیْطانُ» الآیه و قوله «فَدَلّاهُما بِغُرُورٍ» و قوله فباع الیقین بشکّه و العزیمه بوهنه کقوله تعالی «فَنَسِیَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً» و قوله: و استبدل بالجذل و جلا و بالاغترار ندما کقوله تعالی «قالا رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَ تَرْحَمْنا لَنَکُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِینَ» ۲و قوله:ثمّ بسط اللّه فی توبته و لقّاه کلمه رحمته کقوله تعالی «فَتَلَقّی آدَمُ مِنْ رَبِّهِ کَلِماتٍ فَتابَ عَلَیْهِ» و قوله و وعده المردّه إلی جنّته ذلک الوعد فی قوله تعالی «فَإِمّا یَأْتِیَنَّکُمْ مِنِّی هُدیً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدایَ فَلا یَضِلُّ وَ لا یَشْقی» ۳و قوله:

فأهبطه إلی دار البلیّه کقوله تعالی «اهْبِطا مِنْها جَمِیعاً» .

البحث الثانی-أنّ اللّه تعالی أشار فی مواضع من کتابه الکریم إلی خلق آدم من تراب

فقال «إِنَّ مَثَلَ عِیسی عِنْدَ اللّهِ کَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ» ۴و قال فی موضع آخر «إِنِّی خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِینٍ» ۵و قال فی موضع آخر «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ» ۶قال المتکلّمون:و إنّما خلقه اللّه علی هذا الوجه إمّا لمحض المشیئه أو لما فیه من دلاله الملائکه علی کمال قدرته و عجیب صنعه لأنّ خلق الإنسان فی هذه المراتب أعجب عندهم من خلقه من جنسهم.إذا عرفت ذلک فاعلم أنّ کلامه علیه السّلام هاهنا یجری مجری التفسیر لهذه الآیات فإنّه أشار أوّلا إلی کونه من تراب بقوله ثمّ جمع سبحانه من سهل الأرض و حزنها و عذبها و سبخها تربه ،و نحو ذلک ما روی عن رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله أنّه قال:

إنّ اللّه خلق آدم من قبضه قبضها من جمیع الأرض فجاء بنو آدم علی قدر الأرض فجاء منهم الأحمر

و الأبيض و الأسود و بين ذلك،و السهل و الحزن و الخبيث و الطيّب،و اعلم أنّ جمهور المفسّرين على أن الإنسان فى قوله تعالى «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَهٍ مِنْ طِينٍ» هو أبونا آدم عليه السّلام و نقل عن محمّد بن علىّ الباقر عليه السّلام أنّه قال:قد انقضى قبل آدم الّذى هو أبونا ألف ألف آدم و أكثر قال بعض العلماء:و هذا لا ينافى حدوث العالم فإنّه كيف كان لا بدّ من الانتهاء إلى إنسان هو أوّل الناس فأمّا أنّ ذلك الإنسان هو أبونا آدم فلا طريق إلى إثباته إلاّ من جهه السمع.

البحث الثالث أجمع المسلمون على أنّ سجود الملائكه لآدم لم يكن سجوده عباده

لأنّ العباده لغير اللّه كفر،ثمّ اختلفوا على ثلاثه أقوال.الأوّل أنّ ذلك السجود كان للّه و كان آدم كالقبله و كما يحسن أن يقال سجدوا لآدم كذلك يحسن أن يقال سجدوا للقبله بدليل قول حسّان بن ثابت:

ما كنت أحسب أنّ الأمر منصرف عن هاشم ثمّ منها عن أبى حسن

أ ليس أوّل من صلّى لقبلتكم و أعرف الناس بالآيات و السنن

فقوله صلّى لقبلتكم نصّ على المقصود.الثانى أنّ السجود كان لآدم تعظيما له و تحيّه كالسلام منهم عليه،و قد كان الامم السالفه تفعل ذلك كما يحيّى المسلمون بعضهم بعضا، و عن صهيب أنّ معاذا-رضى اللّه عنه-لمّا تقدّم من اليمن سجد للنبىّ صلى اللّه عليه و آله فقال له:

يا معاذ ما هذا؟فقال:رأيت اليهود تسجد لعظمائها و علماءها و رأيت النصارى تسجد لقسّيسها و بطارقتها فقلت ما هذا؟فقالوا:تحيّه الأنبياء فقال صلى اللّه عليه و آله كذبوا على أنبيائهم.الثالث أنّ السجود فى أصل اللغه عباره عن الانقياد و الخضوع كمال قال الشاعر: { ترى الاكم فيها سجّدا

للحوافر }

أى أنّ تلك الجبال الصغار كانت مذلّله لحوافر الخيل،و منه قوله تعالى «وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدانِ» و القول الثانى هو مقتضى كلامه عليه السّلام إذ فسّر السجود به فقال و الخضوع لتكرمته،و باللّه التوفيق.

البحث الرابع-اختلفوا فى الملائكه الّذين امروا بالسجود لآدم

فاستعظم بعضهم سجود ملائكه السماء له،و قالوا المأمورون بذلك هم الملائكه الّذين اهبطوا مع إبليس إلى الأرض قالوا و ذلك أنّ اللّه تعالى لمّا خلق السماوات و الأرض و خلق الملائكه اهبط منهم

ملاء إلى الأرض يسمّون بالجنّ رأسهم إبليس،و أسكنهم إيّاها و كانوا أخفّ الملائكه عباده فأعجب إبليس بنفسه و تداخله الكبر فأطلع اللّه عزّ و جلّ على ما انطوى عليه فقال له و لجنده« «إِنِّی خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِینٍ فَإِذا سَوَّیْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی فَقَعُوا لَهُ ساجِدِینَ» »١و قال بعضهم:إنّ المأمورین بالسجود لآدم هم کلّ الملائکه بدلیل قوله تعالی «فَسَجَدَ الْمَلائِکَهُ کُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ» فأکّد جمعهم بأکمل وجوه التأکید.

البحث الخامس-أکثر المتکلّمین لا سیّما المعتزله علی أنّ إبلیس لم یکن من

الملائکه

و قال جمهور المفسّرین و منهم ابن عبّاس:إنّه کان من ملائکه الأرض الّذین اهبطوا قبل آدم.حجّه الأوّلین قوله تعالی «إِلاّ إِبْلِیسَ کانَ مِنَ الْجِنِّ» و الجنّ لم یکونوا من الملائکه بدلیل قوله تعالی للملائکه «أَ هؤُلاءِ إِیّاکُمْ کانُوا یَعْبُدُونَ» و قول الملائکه «سُبْحانَکَ أَنْتَ وَلِیُّنا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ کانُوا یَعْبُدُونَ الْجِنَّ» ٢و احتجّ من قال إنّه منهم باستثناء إبلیس من الملائکه فی غیر موضع من القرآن الکریم،و الاستثناء یخرج من الکلام ما لولاه لدخل،و ذلک یدلّ علی أنّ إبلیس من الملائکه،و أجابوا عن حجّه الأوّلین من وجهین:

أحدهما المعارضه بقوله تعالی «وَ جَعَلُوا بَیْنَهُ وَ بَیْنَ الْجِنَّهِ نَسَباً» و ذلک الجعل هو قول قریش:الملائکه بنات اللّه بدلیل قوله تعالی «وَ جَعَلُوا الْمَلائِکَهَ الَّذِینَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً» فهذه الآیه تدلّ علی أنّ الملائکه من الجنّ.الثانی أنّ کون إبلیس من الجنّ لا ینافی کونه من الملائکه یصدق علیهم اسم الجنّ لأنّ الجنّ مأخوذ من الاجتنان و هو الاستتار،و منه سمّی الجنین لاستتاره فی بطن امّه و منه المجنون لاستتار العقل و الملائکه مستترون عن الأعین فوجب جواز إطلاق لفظ الجنّ علیهم،و اعلم أنّ الخلاف لفظیّ فإنّه إذا ثبت أنّ الملائکه الّذین اهبطوا إلی الأرض قبل آدم هم المسمّون بالجنّ و إبلیس من الجنّ ثبت أنّ إبلیس من الملائکه و لیس النزاع فی أنّه من ملائکه الأرض أو من ملائکه السماء بل فی کونه من الملائکه مطلقا فإذن لیس بینهم خلاف المعنی.

البحث السادس-اختلفوا فی سبب عداوه إبلیس لآدم

فقال بعضهم:إنّه الحسد و ذلک أنّ إبلیس لمّا رأی ما أکرم اللّه به آدم من إسجاد الملائکه و تعلیمه ما لم یطّلع علیه الملائکه

حسده و عاداه،و قال آخرون:إنّ السبب تباين أصليهما و لمنافره الأصلين أثر قوىّ فى منافره الفرعين قالوا و تباين أصليهما هو منشأ القياس الفاسد من إبليس حين امر بالسجود و ذلك قوله «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِی مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِینٍ» ۱و كأنّه فى خطابه يقول إنّ آدم جسمانىّ كثيف و أنا روحانىّ لطيف،و الجسمانىّ أدون حالا من الروحانىّ و الأدون كيف يليق أن يكون مسجودا للأعلى،و أيضا فإنّ أصل آدم «مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ» ،و الصلصال فى غايه الدناءه و أصلى من أشرف العناصر،و إذا كان أصلى خيرا من أصله وجب أن أكون خيرا منه و أشرف،و الأشرف يقبح أن يؤمر بالسجود للأدون.قالوا:فكان ذلك قياسا منه،فأوّل من قاس هو إبليس فأجابه اللّه تعالى جوابا على سبيل التنبيه دون التصريح اخرج منها مذؤما مدحورا،قال بعض الفضلاء:و تقريره أنّ الّذى قال تعالى نصّ بحكم الحكمه الإلهيّه و القدره الربّانيّه،و الّذى قاله إبليس قياس و من عارض النصّ بالقياس كان مرجوما ملعونا.

البحث السابع-احتجّت الأشعريّه على أنّه تعالى قدير أن يلق الكفر فى الكافرين

من هذه القصّه

بوجهين أحدهما أنّه تعالى أنظر إبليس مع أنّه يعلم أنّه إنّما قصده إغواء بنى آدم و لو أهلكه لاستراحوا و عدم الشرّ الحاصل منه و من ذرّيّته،الثانى قال «أَغْوَيْتَنِی» فنسب الإغواء إلى اللّه تعالى مع أنّه لم ينكر عليه هذا الكلام و هذا صريح فى أنّه تعالى يفعل الإغواء أجابت المعتزله عن الأوّل بأنّ اللّه تعالى خلق آدم و ذرّيته قادرين على رفع إبليس عن أنفسهم فهم الّذين اختاروا الكفر و الفساد.أقصى ما فى الباب أن يقال إنّ الاحتراز عن القبيح حال عدم إبليس أسهل منه حال وجوده إلّا أنّ على هذا التقدير تصير وسوسته سببا لزياده المشقّه فى أداء الطاعات فيزداد المكلّف بتكلّفها ثوابا كما قال عليه السّلام:أفضل الأعمال أحمزها أى أشقّها و ذلك لا يمنع الحكيم من فعله كما أنّ إنزال المشاقّ و الآلام و إنزال المتشابهات صار سببا لزياده الشبهات و مع ذلك لم يمتنع فعلها من اللّه تعالى و هذا الوجه قريب من قوله عليه السّلام استماما للبليّه ،و عن الثانى أنّ المراد من قوله «فَبِما أَغْوَيْتَنِی» أى بما خيّبتنى من رحمتك،و قيل معنى إضافه غوايته إلى اللّه تعالى أنّ اللّه تعالى

لما أمره بالسجود لآدم عصى و غوى فكان البارى هو الأصل فى حصول الإغواء له فلذلك نسبه إليه،و احتجّ أيضا من جواز الخطاء على الأنبياء عليهم السّلام من هذه القصّه بقوله تعالى «وَ عَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى» و أجاب من أوجب عصمتهم من حين الولاده بأنّه لمّا دلّ الدليل على وجوب عصمتهم وجب صرف هذا اللفظ و نحوه على ترك الأولى و هو فى حقّهم سيّئه و معصيه و إن كان فى حقّ غيرهم حسنه كما قال حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين و من أوجب عصمتهم من حين الرساله فله أن يحمل هذه المعصيه على ما قبل الرساله و المسأله مستقصاه فى الكلام.

البحث الثامن

-قال القفّال أصل التلقّى فى قوله «فَتَلَقّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ» و قوله عليه السّلام و لقّاه كلمه رحمته هو التعرّض للقادم وضع فى موضع الاستقبال للمسىء و الجانى ثمّ وضع موضع القبول و الأخذ قال تعالى «وَ إِنَّکَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَکِيمٍ عَلِيمٍ» أى تلقّنه و يقال تلقّينا الحاجّ أى استقبلناهم و تلقيّت هذه الكلمه من فلان أى أخذتها منه،و إذا كان هذا أصل الكلمه و كان من تلقّى رجلا فتلاقيا لقى كلّ واحد منهما صاحبه و اضيف بالاجتماع إليهما معا فصلح أن يشتركا فى الوصف بذلك فكلّ ما تلقيته فعد تلقاك فجاز أن يقال تلقّى آدم ربّه كلمات أى أخذها و وعاها و استقبلها بالقبول،و لقّاه اللّه إيّاها أى أرسلها إليه و واجهه بها،ثمّ ذكر المفسّرون فى ذلک الكلمات أقوالا:الأوّل روى سعيد بن جبير عن ابن عبّاس -رضى اللّه-عنه أنّ آدم عليه السّلام قال يا ربّ أ لم تخلقنى بيدک بلا واسطه قال:بلى قال:

أ لم تسكنّى جنّتک قال:بلى قال:أ لم تسبق رحمتک غضبک قال:بلى قال:إن تبت و اصلحت أ تردّنى إلى الجنّه قال:نعم،و هو قوله تعالى «فَتَلَقّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ کَلِماتٍ» ،الثانى قال النخعىّ:أتيت ابن عبّاس فقلت:ما الكلمات الّتى تلقّاها آدم من ربّه؟قال:علّم اللّه تعالى آدم و حوّا أمر الحجّ و الكلمات الّتى يقال فيه فحجّا فلمّا أفرغا أوحى اللّه تعالى إليهما إنّى قد قبلت توبتكما،الثالث قال مجاهد و قتاده و فى إحدى الروايتين عنهما:هى قوله، «رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَ تَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ» الرابع قال سعيد بن جبير:إنّها قوله «لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ سُبْحانَکَ» و بحمدک عملت سوءا و ظلمت نفسى فاغفر لى إنّک خير الغافرين «لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ سُبْحانَکَ» و بحمدک عملت سواء و ظلمت نفسى

فارحمنی إنّک أرحم الراحمین «لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ سُبْحانَکَ» و بحمدک عملت سوءا و ظلمت نفسی فتب علیّ «إِنَّکَ أَنْتَ التَّوّابُ الرَّحِیمُ» .الخامس قوله عایشه:لمّا أراد اللّه تعالی أن یتوب علی آدم طاف بالبیت سبعا و البیت حینئذ ربوه حمراء فلمّا صلّی رکعتین استقبل القبله(البیت)و قال:

اللهمّ إنّک تعلم سرّی و علانیتی فاقبل معذرتی،و تعلم حاجتی فاعطنی سؤلی،و تعلم ما فی نفسی فاغفر لی ذنوبی اللهمّ إنّی أسئلک إیمانا تباشر به قلبی،و یقینا صادقا حتّی أعلم أنّه لن یصیبنی إلاّ ما کتبت لی و رضّنی بما قسمت لی،فأوحی اللّه تعالی إلیه یا آدم قد غفرت لک ذنبک و لن یأتینی أحد من ذرّیتک فیدعونی بمثل ما دعوتنی به إلاّ قد غفرت ذنوبه و کشفت همومه و نزعت الفقر من بین عینیه و جاءته الدنیا و هو لا یریدها.

البحث التاسع-فی حقیقه التوبه

قال الإمام الغزّالی:التوبه عباره عن معنی مرکّب من ثلاثه امور مترتّبه علم ثمّ حال ثمّ ترک،أمّا العلم فأن یعلم العبد ضرر الذنوب و کونه حجابا بینه و بین اللّه تعالی و قیدا یمنعه من دخول الجنّه فإذا علم ذلک بیقین غالب علی قلبه فإنّ ذلک یوجب له تألّما نفسانیّا بسبب فوات الخیر العظیم المطلوب لکلّ عاقل فیسمّی تأمّله بسبب فعله المفوّت لمحبوبه و مطلوبه ندما فإذا غلب هذا الألم علی القلب أوجب له القصد إلی أمرین:أحدهما ترک الذنوب الّتی کان ملابسا لها أوّلا،و الثانی العزم علی ترک الذنب المفوّت لمطلوبه فی المستقبل إلی آخر العمر فهذه حقیقتها،و ینشأ من ذلک تلافی ما فات بالجبر و القضاء و إن کان قابلا للجبر،و العلم هو الأصل فی إظهار هذه الخیرات فإنّ القلب إذا أیقن بأنّ الذنوب کالسموم المهلکه و الحجب الحائله بینه و بین محبوبه فلا بدّ أن یتمّ نور ذلک الیقین فتشتعل فیه نیران الندم فیتألّم به القلب و حینئذ ینبعث من تلک النار طلب الانتهاض للتدارک فالعلم و الندم و القصد المتعلّق بالترک فی الحال و الاستقبال و التلافی للماضی ثلاثه معان مترتّبه یطلق اسم التوبه علی مجموعها،و ربّما اطلق اسم التوبه علی الندم وحده و جعل العلم کالباعث و الترک کالثمره المتأخّره،و لهذا الاعتبار قال صلی اللّه علیه و آله:الندم توبه إذ الندم مستلزم لعلم أوجبه و لعزم یتبعه،و أمّا وجوبها فمن وجهین:أحدهما أنّ التوبه مرضاه للرحمن مسخطه للشیطان مفتّحه لأبواب الجنان معدّه لإشراق شموس المعارف الإلهیّه علی ألواح النفوس مستلزمه للمواهب الربانیّه من

الملک القدّوس.الثانی الأوامر الوارده بها فی القرآن الکریم« «یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَی اللّهِ تَوْبَهً نَصُوحاً» »و الوعد الصادق علی فعلها« «عَسی رَبُّکُمْ أَنْ یُکَفِّرَ عَنْکُمْ سَیِّئاتِکُمْ وَ یُدْخِلَکُمْ جَنّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ» »و الوعید الحتم علی ترکها« «وَ مَنْ لَمْ یَتُبْ فَأُولئِکَ هُمُ الظّالِمُونَ» »و نحوه ممّا یدلّ علی وجوبها فأمّا قبولها فمن وجهین:أحدهما قوله تعالی «وَ هُوَ الَّذِی یَقْبَلُ التَّوْبَهَ عَنْ عِبادِهِ وَ یَعْفُوا عَنِ السَّیِّئاتِ» و قوله تعالی «غافِرِ الذَّنْبِ وَ قابِلِ التَّوْبِ» الثانی قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله:أفرح بتوبه من العبد المذنب،و الفرح وراء القبول فهو دلیل علی القبول،و قال صلی اللّه علیه و آله:لو علّتم الخطایا إلی السماء ثمّ ندمتم علیها لتاب اللّه علیکم.

البحث العاشر-فیما عساه یبقی من المقاصد المشکله فی هذه القصّه.

الأوّل الودیعه و الوصیّه الّتی استأداها اللّه سبحانه من الملائکه فی قوله علیه السّلام و استأدی اللّه سبحانه من الملائکه ودیعته لدیهم إشاره إلی قوله «فَإِذا سَوَّیْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی فَقَعُوا لَهُ ساجِدِینَ» فکان تعالی قد عهد إلیهم بهذا القول و أوصاهم بمقتضاه ثمّ استأداه منهم بما ذکره علیه السّلام فی قوله تعالی «اسْجُدُوا لِآدَمَ» الثانی قوله فاغتره إبلیس فالاغترار طلب العزّه من آدم و التماسها منه بالوسوسه الّتی ألقاها إلیه کما ستبین معنی الوسوسه إنشاء اللّه.الثالث قوله دار المقام هی جنّه الخلد،و مرافقه الأبرار إشاره إلی مصاحبه الملائکه فی مقعد صدق عند ملیک مقتدر.الرابع استعاره بالکنایه قوله فباع الیقین بشکّه للشارحین فیه أقوال:أحدها أنّ معیشه آدم کانت فی الجنّه علی حال یعلمها یقینا ما کان یعلم کیف معاشه فی الدنیا إذا انتقل إلیها و لاحاله بعد مفارقه الجنّه ثمّ إنّ ابلیس شکّکه فی صدق مقاله إنّی لکما لمن الناصحین فنسی ما کان عنده یقینا مما هو فیه من الخیر الدائم و شکّ فی نصح إبلیس فکأنّه باع الیقین بالشکّ بمتابعته،و هی استعاره حسنه علی سبیل الکنایه عن استبعاض آدم الشکّ عن الیقین .الثانی قالوا:لمّا أخبره اللّه تعالی عن عداوه إبلیس تیقّن ذلک فلمّا وسوس له إبلیس شکّ فی نصحه فکأنّه باع یقین عداوته بالشکّ فی ذلک.الثالث قول من نزّه آدم علیه السّلام:

إنّ ذلک مثل قدیم للعرب لمن عمل عملا لا یفیده و ترک ما ینبغی له أن یفعله تمثّل به أمیر المؤمنین علیه السّلام هاهنا و لم یرد أنّ آدم علیه السّلام شکّ فی أمر اللّه تعالی.الرابع قوله و العزیمه بوهنه

قال ابن عبّاس فى قوله تعالى «وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً» :أى لم نجده حفظا لما أمر اللّه به،و قال قتاده صبرا،و قال الضحاك ضريمه أمر،و حاصل هذه الأقوال يعود إلى أنّه لم يكن له قوّه على حفظ ما أمر اللّه فكأنّه باع العزم الّذى كان ينبغى له و القوّه الّتى كان ينبغى أن يتحفّظ بها عن متابعه إبليس بالضعف و الوهن عن تحمّل ما أمر اللّه به،الخامس قوله دار البليّه هى دار الدنيا إذ كانت دار المحنه و الابتلاء بمقاساه إبليس و مجاهدته،و سجن الصالحين كما قال عليه السّلام:الدنيا سجن المؤمن و جنّه الكافر،و اعلم أنّ فى ذكر هذه القصّه تحذيرا عظيما عن المعاصى و ذلك من وجوه،أحدها أنّ من تصوّر ما جرى على آدم بسبب إقدامه على هذه الزلّه كان على و جل شديد من المعاصى قال الشاعر يا ناظرا نورا بعينى راغد و مشاهدا للأمر غير مشاهد

تصل الذنوب إلى الذنوب و ترتجى درك الجنان و نيل نور العابد

أنسيت أنّ اللّه أخرج آدما منها إلى الدنيا بذنب واحد

و عن فتح الموصلى أنّه قال:كنّا قوما من أهل الجنّه فسبانا إبليس إلى الدنيا فليس لنا إلاّ الهمّ و الحزن حتّى نردّ إلى الدار الّتى أخرجنا منها،و ثانيها التحذير عن الاستكبار و الحسد و الحرص عن قتاده فى قوله تعالى «أَبى وَ اسْتَكْبَرَ» قال:حسد عدوّ اللّه إبليس آدم على ما أعطاه اللّه تعالى من الكرامه فقال أنا نارىّ و هذا طينىّ ثمّ ألقى الحرص و الحسد فى قلب ابن آدم حتى حمله على ارتكاب المنهى عنه،و ثالثها أنّه تعالى بيّن العداوه الشديده بين ذريّه آدم و إبليس هذا تنبيه عظيم على وجوب الحذر و باللّه التوفيق،

الطريق الثانى و اعلم أنّ

من الناس من سلّط التأويل على هذه القصّه

،و قبل بيان تأويلها ذكروا مقدّمات،

المقدّمه

الاولى فى الإشاره إلى أجزاء التركيب الخارجىّ للإنسان و كيفيّه تركيبها

قالوا:إنّ العناصر الأربعه أجسام بسيطه و هى أجزاء أوّليّه لبدن الإنسان فمنها إثنان خفيفان،و هما النار و الهواء و إثنان ثقيلان و هما الأرض و الماء قالوا:و الموضع الطبيعىّ للأرض هو وسط الكلّ و هى بارده يابسه فى طبعها و وجودها فى الكائنات مفيد للاستمساك و الثبات و حفظ الشكل و الهيئه و الموضع الطبيعىّ للماء هو أن يكون شاملا للأرض و ثقله إضافىّ و طبعه بارد رطب و وجوده فى الكائنات لتسهّل الهيئات الّتى يراد تكوينها من التشكيل و التخطيط و التعديل فإنّ الرطب كما

أنّه سهل الترک للهیئات الشکلیّه فإنّه سهل القبول لها کما أنّ الیابس عسر القبول للهیئات الشکلیّه عسر الترک لها،و مهما تخمّر الیابس بالرطب استفاد الیابس منه قبول التمدید و التشکیل بسهوله و استفاد الرطب من الیابس حفظا لما حدث فیه من التعدیل بقوّه فاجتمع الیابس بالرطب عن تشتّته،و استمسک الرطب بالیابس عن سیلانه و الموضع الطبیعیّ للهواء فوق الماء و تحت النار و خفّته إضافیّه و طبعه حارّ رطب و وجوده فی الکائنات لیتخلخل و یلطف و یسفل،و الموضع الطبیعیّ للنار فوق الأجرام العنصریّه کلّها،و مکانها الطبیعیّ هو مقعّر فلک القمر و خفّتها مطلقه و طبعها حارّ یابس،و وجودها فی الکائنات لیصلح المرکّبات و یجری فیها الجوهر الحیوانی،و لتکسر من یرد العنصرین الثقیلین بردّهما عن العنصریّه إلی المزاجیّه،و الثقیلان أنفع فی تکون الأعضاء و فی سکونها،و الخفیفان أنفع فی کون الأرواح و تحریکها و تحریک الأعضاء ثمّ قالوا:و المزاج کیفیّه تحدث من تفاعل الکیفیّات المتضادّه فی هذه العناصر إذا تفاعلت بقواها بعضها فی بعض فانکسر صوره کلّ واحد منها بالآخر حدثت عنها کیفیّه متشابهه فی جمیعها هی المزاج و القوی الأولیّه فی تلک الأرکان أربع الحراره و البروده و الرطوبه و الیبوسه،و هی الّتی یکون عنها المزاجات فی الأجسام الکائنه الفاسده ثمّ إنّ واهب الوجود أعطی کلّ حیوان و کلّ عضو من المزاج ما هو ألیق و أصلح لأفعاله بحسب احتمال الإمکان له،و أعطی الإنسان أعدل الأمزجه الممکنه فی هذا العالم مع مناسبه لقواه الّتی بها یفعل و ینفعل و أعطی کلّ عضو ما یلیق به من أفعاله فجعل بعض الأعضاء أحرّ و بعضها أبرد و بعضها أرطب و بعضها أیبس و أمدّها بالأخلاط و هی أجسام رطبه سیّاله یستحیل إلیها الغذاء أوّلا،و هی منحصره فی أربعه أجناس:أحدها الدم و هو أفضلها،و الثانی البلغم و الثالث الصفراء،و الرابع السوداء،ثمّ قسّم الأعضاء إلی عظام و غضاریف و أعصاب و أوتار و جعل أوّل الأعضاء المتشابهه الأجزاء العظم و خلق صلبا لأنّه أساس البدن و دعامه الحرکات ثمّ الغضروف و هو ألین من العظم و فائدته أن یحسن به اتّصال العظام بالأعضاء اللیّنه فلا یتأذّی اللیّن بالصلب عند الضغطه و الضربه بل متوسّط بینهما ما یناسب کلاّ منهما و لیحسن به تجاوز المفاصل المحاکّه فلا تتراض لصلابتها،ثمّ العصب و هی أجسام تنبت من الدماغ و النخاع بیض لدنه فی الانعطاف صلبه فی الانفصال،و فائدتها أن تتمّ به الأعضاء

للإحساس و الحركه،ثمّ الأوتار و هى أجسام تنبت من أطراف العضل شبيهه بالعصب تلاقى الأعضاء المتحرّكه فتجذبها تاره و تبسطها اخرى بحسب انبساط العضله و انقباضها ثمّ الرباطات و هى أيضا أجسام شبيهه بالعصب و الحكمه فيها ظاهره،و هى ارتباط بعض الأعضاء إلى بعض و استمساكها و ليس لشىء منها حسّ لئلاّ يتأذّى بكثره ما يلزمه من الحركه و الحكّ،ثمّ الشريانات و هى أجسام نابته من القلب ممتدّه مجوّفه طولا عصبانيه رباطيّه الجوهر لها حركات منبسطه و منقبضه خلقت لترويح القلب و نقض البخار الدخانىّ عنه،و لتوزيع الروح إلى أعضاء البدن،ثمّ الأورده و هى تشبه الشريانات و نباتها من الكبد،و فائدتها توزيع الدم على أعضاء البدن،ثمّ الأغشيه و هى أجسام منتسجه من ليف عصبانى غير محسوس رقيقه مستعرضه تغشى سطوح أجسام اخرى،و لها فوائد:منها أن يحفظ جملتها على شكلها و هيئتها،و منها أن تعلّقها على أعضاء اخرى و تربطها بواسطه العصب،و منها أن يكون للأعضاء العديمه الحسّ فى جواهرها سطح حساس بالذات لما تلافيه و بالعرض لما يحدث فى الجسم الملفوف فيه كالريه و الطحال و الكبد و الكليتين،فإنّها لا تحسّ بجواهرها و إنّما يحسّ بالامور المصادمه لها الأغشيه الّتى عليها بالذات و يحسّ أيضا بالعرض ما يحدث فيها مثلا الريح للتمدّد الّذى يحدث فيها،ثمّ اللحم و هو حشو خلل وضع الأعضاء فى البدن فصار البدن مشتملا على ثلاثه ضروب من الأعضاء،أحدها آلات الغذاء و هى المعده و الكبد و جداولها كالعروق و الطرق إليها كالفم و المرى و عنها كالأمعاء، و الثانى آلات الحراره الغريزيّه و حفظتها،و هى القلب و الرأس و الريه و الصدر و سائر آلات النفس،و الثالث آلات الحسّ و الحركه و الأفعال العقليّه و هى الدماغ و النخاع و العصب و العضل و الأوتار و نحوها ممّا يحتاج إليه فى المعونه على تمام فعل العقل،ثمّ لمّا كان من ضروره البدن أن يقع فيه أفعال مختلفه وجب فى الحكمه أن يكون هناك استعداد لقوى متعدّده هى مبادئ تلك الأفعال أحدها النفس الطبيعيّه و تخصّها قوى منها مخدومه و منها خادمه،أمّا المخدومه فجنسان.أحدهما يتصرّف فى الغذا و تحته نوعان:أحدهما القوّه المسمّاه بالغاذيه،و غايتها أن تغذو الشخص مدّه بقائه بإحاله الغذاء إلى مشابهه المتغذى ليخلف بدل ما يتحلّل،و الثانى القوّه المسمّاه بالناميه،و غايتها أن تزيد فى أقطار البدن

على التناسب الطبيعىّ إلى تمام نشوه،و الجنس الثانى يتصرّف فى الغذاء لبقاء النوع و تحته نوعان أحدهما القوّه المسمّاه بالمولّده و هى المتصرّفه فى أمر التناسل ليفصل من أمشاج البدن جوهر المنى،و الثانى القوّه المسمّاه بالمصوّره و هى الّتى تفيد المنى بعد استحالته فى الرحم الصور و القوى و الأعراض الحاصله للنوع الّذى انفصل عنه المنى،و أمّا الخادمه الصرفه فى القوى الطبيعيّه فهى خوادم القوّه الغاذيه و هى أربع،أحدها الجاذبه و هى خلقت لتجذّب النافع إلى محلّها و هى موجوده فى المعده و المرى و الكبد و الرحم و سائر الأعضاء،و الثانى الماسكه و هى خلقت لتمسّك المنافع رثيما يتصرّف فيه القوى المغيّره و المحيّله،و الثالث الهاضمه و هى الّتى تخيّل ما امسكته الماسكه إلى قوام مهيّىء لفعل القوّه المغيّره فيه،و إلى مزاج صالح للاستحاله إلى الغذائيّه بالفعل،الرابع الدافعه و هى الّتى تدفع الفاضل من الغذاء الّذى لا يصلح للاغتذاء أو يفضل على الكافى أو يستغنى عنه بعد الفراغ من استعماله كالبول،و لهذه الأربع أيضا خوادم أربع أعنى الكيفيّات الأربع،و هى الحراره و البروده و الرطوبه و اليبوسه على تفصيل يعلم فى مظانّه،الثانى النفس الحيوانيّه و تختص بها قوّتان محرّكه و مدركه،و المحرّكه إمّا باعثه أو فاعله،و الباعثه هى القوّه النزوعيه المذعنه للمدركات كالوهم و الخيال أو النفس فيحمل الإدراك لها على البعث إلى طلب أو هرب بحسب السوانح و لها شعبتان شهوانيّه و هى الباعثه على التحريك إلى جانب أشياء ضروريّه أو نافعه نفعا ما طلبا للّذّه و غضبيّه و هى الحامله على دفع و هرب عما لا يلائم طلبا للغلبه،و تخدمها القوّه المسمّاه بالقدره و هى قوّه تنبعث فى الأعصاب و العضل من شأنها أن تشنّج الفضلات بجذب الأوتار و الرباطات و أرخائهما،و القوى المدركه قسمان ظاهره و باطنه أمّا الظاهره فالحواسّ الخمس،أحدها اللمس و هو قوّه منبثّه فى جلد البدن كلّه تدرك ما تماسّه،و تؤثر فيه بالمضادّه كالكيفيّات الأربع و غيرها،و ثانيها الذوق و هو قوّه مرتّبه فى العصب المفروش على سطح اللسان بها تدرك الطعوم من الأجرام المماسّه المخالطه للرطوبه العذبه الّتى فى الفم،و ثالثها الشمّ و هى قوّه مرتّبه فى زائدتى مقدّم الدماغ الشبيهتين بحلمتى الثدى بها تدرك الروائح بتوسّط الهواء المنفصل عن ذى الرائحه،و رابعها السمع و هى قوّه فى العصب المفروش فى باطن الصماخ و هو تدرك الأصوات و الحروف

بواسطه الهواء،و خامسها البصر و هى قوّه مرتّبه فى العصبتين المجوّفتين تدرك ما يتطبّع فى الرطوبه الجليديّه من الصور بتوسّط جرم شفاف،و أمّا الباطنه من القوى فهى أيضا خمس، و هى إمّا مدركه فقط إمّا للصور الجزئيّه و هو القوّه المسمّاه حسّا مشتركا المرتّبه فى التجويف الأوّل من الدماغ عندها تجتمع صور المحسوسات،ثمّ القوّه الموسومه خيالا، و هى خزانه الحسّ المشترك مودعه فى آخر التجويف المقدّم من الدماغ تجتمع فيها مثل المحسوسات و تبقى فيها بعد الغيبه عن الحواسّ،و إمّا مدركه للمعانى الجزئيّه،و هى إمّا الوهم و هى قوّه مرتّبه فى التجويف الأوسط من الدماغ تدرك المعانى الجزئيه الغير المحسوسه الموجوده فى المحسوسات كإدراك الشاه معنى فى الذئب يوجب لها الهرب،و إمّا الحافظه و هى قوّه مرتّبه فى التجويف الأخير من الدماغ تحفظ الأحكام الجزئيّه المدركه للوهم و هى خزانه له،و إمّا مدركه و متصرّفه و هى القوّه المسمّاه متخيّله باعتبار استعمال الوهم لها،و مفكّره باعتبار استعمال العقل لها و محلّها مقدم البطن الأوسط من الدماغ من شأنها التركيب و التفصيل لبعض الصور ببعض و عن بعض و كذا المعانى و المعانى بالصوره و هى الحاكيه للمدركات و الهيئات المزاجيّه و الحكمه الإلهيّه اقتضّت أن تكون متوسّطه بين مقتضى الصور الجرمانيّه و المعانى الروحانيّه متصرّفه فى خزائنهما بالحكم و الاسترجاع للأمثال المنمحيّه من الجانبين،ثمّ إنّ لكلّ واحد من هذه الآلات روح يختصّ به و هو جرم حارّ لطيف متكوّن عن لطافه الأخلاط على نسبه محدوده و هو حامل للقوى المدركه و غيرها،الثالث النفس الناطقه و نسبتها إلى هذا البدن نسبه الملك إلى المدينه و البدن و جميع أجزائه و قواه المذكوره آلات لها،و رسمها أنّها جوهر مجرّد يتعلّق بالأبدان تعلّق التدبير و هى المشار إليها بقوله تعالى «وَ يَسْئَلُونَکَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی» ١و بقوله عليه السّلام:الأرواح جنود مجنّده ما تعارف منها ائتلف و ما تناكر فيها اختلف فيها،و لهذا الجوهر قوّتان يختصّ بهما نظريّه و عمليّه و قد سبقت الإشاره إليهما فى مقدّمه الكتاب و تحقيق الكلام فى هذا الجوهر و البرهان على وجوده و تجرّده و كمالاته من العلوم و الأخلاق مستقصى فى مظانّه و باللّه التوفيق.

المقدّمه الثانيه قد علمت أنّ الملک عندهم اسم مشترک يقع على حقائق مختلفه

،فأمّا لفظ الجنّ فهو و إن صدق فى أصل اللغه على کلّ الملائكه لكونه مأخوذا من الاجتنان و هو الاستتار،و كون الملائكه مستترين على الأعين فإنّهم يخصّون فى عرفهم هذا اللفظ بالأرواح الّتى تخصّ عالم العناصر فتاره يطلقون عليها أنّها ملائكه باعتبار كونهم مرسلين من عند اللّه فاعلين لما أمر اللّه جارين على نظام العقل،و تاره يطلقون عليها أنّها جنّ باعتبار الاجتنان،و هم جنّ مسلمون باعتبار موافقه العقل و التصرّف على وفق مصلحه العالم و نظامه،و كفّار و شياطين باعتبار مخالفتها لذلک،فأمّا صدق اسم الجنّ على النفوس الناطقه الإنسانيّه فقد تعتبر من جهه اخرى،و هى كونها عالمه ترى بنور العلم من حيث لا ترى فهى مجتنّه محجوبه عن أبصار الجاهلين ثمّ هى إمّا أن تكون عالمه أو جاهله و على التقديرين فإمّا أن يكون موافقه لظواهر الشريعه منقاده لها متمسّكه بها أو ليس كذلک فهذه أقسام أربعه،أوّلها النفوس العالمه العامله بمقتضى الشريعه و هذه الطائفه هم الجنّ المسلمون و المؤمنون قالوا:و هم الّذين أمر اللّه تعالى نبيّه بالإخبار عنهم فى قوله تعالى «قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقالُوا إِنّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنّا بِهِ» ١إلى آخر الآيات قالوا:و ممّا يبيّن ذلک أنّ السماء الّتى أخبر الجنّ عنها أنّهم لمسوها هى سماء الحكمه و هى الشريعه الّتى استترت فيها قالوا:و لمسهم لها عباره عن اعتبارهم أمر الشريعه فى مبدء ظهورها هل يصحّ لهم معها إظهار الحكمه و يمكنهم أخذها و إعطاؤها بالتعلّم و التعليم كما كان يفعل قبل ذلک أم لا،و قولهم« «فَوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَ شُهُباً» » ٢إشاره إلى حفظه الشريعه و هم علماء الشريعه و الملوک الصالحون اللازمون لناموس الشريعه و قوانينها،و قولهم« «وَ أَنّا كُنّا نَقْعُدُ مِنْها مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ» » ٣إشاره إلى أنّهم كانوا قبل ظهور الشرائع يتدارسون الحكمه و يتعلّمونها و لم يكن عليهم إنكار،و قولهم« «فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً» » ۴إشاره إلى أنّ المظهر للحكمه بعد وجود الشريعه

ص:۱۸۴

التارک لظواهر ما جاءت به الأنبیاء یجد من حرسه الدین و حفظته شهابا یحرقه و یؤدّیه،و ثانیها النفوس العالمه المخالفه للشریعه و النوامیس الإلهیّه التابعه لقواها فی مقتضی طباعها و هؤلاءهم من شیاطین الجنّ و مردتها،و ثالثها النفوس الجاهله إلاّ أنّها متمسّکه بظواهر الشریعه منقاده لها،و هؤلائهم المسلمون من الإنس،و رابعها النفوس الجاهله التارکه للشریعه و العمل بها التابعه لمقتضی الطبیعه،و هؤلائهم شیاطین الإنس قالوا:و بهذا البیان لا یبقی بین قول اللّه سبحانه« «إِلاّ إِبْلِیسَ کانَ مِنَ الْجِنِّ» »و بین استثنائه من الملائکه المقتضی لدخوله فیهم و کونه منهم فرق بل هو من الملائکه باعتبار من الجنّ باعتبار و من الشیاطین باعتبار،و الشیطان قد یکون ملکا فی أصله ثمّ ینتقل إلی الشیطانیّه باعتبار فسوقه عن أمر ربّه و کذلک الجنّی و اللّه أعلم.

المقدّمه الثالثه-قالوا:کلّ ما یتوالد فلا یستحیل فی أصله أن یکون متولّدا

ثمّ ضربوا لذلک أمثله فقالوا:إنّ العقرب تتولّد من البادروج و لباب الخبز،و النحل من العجل المحرق المکیس عظامه،و الفار من المدر و الطین و نحو ذلک ثمّ یتوالد عن هذا المتولّد أشخاص اخری و یبقی نوعه متولدا فلا مانع إذن أن یکون الإنسان فی أوّل خلقه کذلک فیحدث شخص من نوعه و یتکوّن من التراب ثمّ یحصل ما بعده من نوعه عنه بالتوالد إذا عرفت ذلک فاعلم أنّ لفظ آدم إذا اطلق فی عباراتهم فتاره یراد به أمر جزئیّ و تاره یراد به أمر کلّی أمّا الجزئیّ فیراد به أوّل شخص تکوّن من هذا النوع،و علی ذلک یحملون قوله تعالی «إِنَّ مَثَلَ عِیسی عِنْدَ اللّهِ کَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ» ۱و یحملون قوله تعالی «إِنّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَهٍ» و ما فی معناه علی ما توالد منه،و قد یراد منه أوّل شخص استخلف فی الأرض و أمر بنشر الحکمه و ناموس الشریعه،و أمّا الکلّی فتاره یراد بآدم مطلق نوع الإنسان،و علی ذلک کلّه قوله تعالی «وَ لَقَدْ عَهِدْنا إِلی آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِیَ» ۲و قد یراد به صنف الأنبیاء و الدعاه إلی اللّه کما نقل عن سیّد المرسلین صلی اللّه علیه و آله کلّ نبیّ فهو آدم وقته و قوله صلی اللّه علیه و آله:أنا و أنت یا علیّ أبوا هذه الامّه،و یمکن أن یکون

قول الباقر محمّد بن علىّ عليهما السّلام:قد انقضى قبل آدم الّذى هو أبونا ألف ألف آدم و أكثر على هذا المعنى إذا ثبت هذا فنقول:إنّ لكلّ آدم بالمعانى المذكوره ملائكه تخصّه و هى مأموره بالسجود له،و إبليس فى مقابلته و معارضته أمّا آدم بالمعنى الأوّل و الثانى فملائكته المأمورون بالسجود له هى قواه البدنيّه و نفوس أهل زمانه المأمورين باتّباعه المستمعين لقوله و سائر القوى فى أقطار هذا العالم فإنّها بأسرها ملائكه مأموره بالخضوع له و السعى فى مهمّاته و حوائجه بين يديه و المعونه على مراده،و أمّا إبليس المعارض له القوّه الوهميّه منها المعارضه لمقتضى عقله العملىّ الساعيه فى الأرض فسادا و النفوس المتمرّده عن قبول الحقّ و الاستماع لقوله الخارجه عن طاعته و هم شياطين الإنس و الجنّ الّذى يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا و كذلك ملائكه آدم و إبليس آدم الّذى هو صنف الأنبياء و الدعاه إلى اللّه تعالى بالحكمه و الموعظه الحسنه،و أمّا آدم الّذى هو نوع الإنسان فكلّ الملائكه الّذين ذكرناهم فى هذا العالم هم المأمورون بالسجود له و إبليس كلّ شخص من هذا النوع هو و همه المعارض لعقله و جنوده ما تحته من القوى الشهويّه و الغضبيّه و غيرها إذا عرفت هذه المقدّمات فليرجع إلى المتن فنقول:الأولى أن يحمل آدم فيما ذكره عليه السّلام هاهنا من هذه القصّه على مطلق النوع الإنسانىّ.

فقوله ثمّ جمع سبحانه من حزن الأرض و سهلها و عذبها و سبخها تربه سنّها بالماء حتّى خلصت و لاطها بالبلّه حتّى لزبت إشاره إلى أصل امتزاج العناصر،و إنّما خصّ هذين العنصرين و هما الأرض و الماء دون الباقيين لأنّهما الأصل فى تكوّن الأعضاء، المشاهده الّتى تدور عليها صوره الإنسان المحسوسه،و قوله حتّى خلصت و حتّى لزبت إشاره إلى بلوغها فى الاستعداد الغايه الّتى معها تفاض صوره ما يتكوّن منها،و قوله فجبل منها صوره ذات أحناء و وصول و أعضاء و فصول إشاره إلى خلق الصوره الإنسانيّه و إفاضتها بكمال أعضائها و مفاصلها و ما تقوم به صوره،و قوله منها الضمير راجع إلى التربه و يفهم من ظاهر اللفظ أنّ الصوره الإنسانيّه هى المفاضه على كمال استعداد التربه من غير واسطه انتقالات اخر فى أطوار الخلقه،و إنّما يتمّ ذلك إذا حملنا آدم على أوّل شخص يكون من هذا النوع فأمّا إذا حملنا على مطلق النوع كان المراد أنّه جبل منها الصوره

الإنسانيّه بوسائط من صور ترددت فی أطوار الخلقه كما قال تعالی «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَهٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَهً فِی قَرارٍ مَكِينٍ» ۱فالصوره الإنسانيّه جبلت من النطفه المتولّده من فضل الهضم الرابع المتولّد من الأغذيه،و هی إمّا حيوانيّه أو نباتيّه و الحيوانيّه تنتهی إلی النباتيّه و النباتيّه إنّما تتولّد من صفو الأرض و الماء و هی التربه المستعدّه للإنبات و ليس فی ذلک مخالفه الظاهر فإنّ تلک التربه بعد أن تواردت عليها أطوار الخلقه و أدوار الفطره صارت منيّا فصدق عليها أنّ الصوره الإنسانيّه جبلت منها، و قوله أجمدها حتّی استمسكت و أصلدها حتّی صلصلت الضمير فی الجملتين راجع إلی الصوره و ما يتعلّق بها من الأعضاء فالإجماد لغايه الاستمساک راجع إلی بعضها كاللحم و الأعصاب و العروق و أشباهها،و الأصلاد لغايته راجع إلی بعض آخر كالعظام و الأسنان و إسناد ذلک إلی المدبّر الحكيم سبحانه لأنّه العلّه الاولی و إن كان هناک لهذه الآثار أسباب قريبه طبيعيّه كالحارّ الغريزی فإنّه المستعدّ لتحريک الموادّ و يتبعه البرد ليسكنه عند الكمالات من الخلق،و كالرطوبه فإنّها هی الّتی تتخلق و تتشكّل و يتبعها اليبوسه لحفظ الأشكال و إفاده التماسک،و قوله لوقت معدود و أجل معلوم يحتمل أن يراد به أنّ لكلّ مرتبه من مراتب تركيب بدن الإنسان،و انتقاله فی أدوار الخلقه وقتا معدودا يقع فيه و أجلا معلوما يتمّ به،و يحتمل أن يراد بالوقت المعدود و الأجل المعلوم الوقت الّذی يعلم اللّه سبحانه انحلال هذا التركيب فيه كما قال تعالی «وَ ما نُؤَخِّرُهُ إِلاّ لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ» ۲استعاره قوله ثم نفخ فيها من روحه.

أقول:الضمير المؤنّث راجع إلی الصوره و قد علمت أنّ هذه الإشاره جاريه فی القرآن الكريم كما قال تعالی «فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِی فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ» ۳و المراد بالتسويه إفاضه تمام إعداد البدن و تهيّئه لقبول النقش،و المراد بالنفخ هاهنا هو إفاضه النفس عليه عند كمال ذلک الاستعداد،و استعمال النفخ هاهنا استعاره حسنه فإنّ النفخ له صوره و هو إخراج الهواء من فم النافخ إلی المنفوخ فيه ليشتعل فيه النار،و لمّا كانت حقيقه النفخ ممتنعه فی حقّ اللّه تعالی وجب العدول إلی حمل لفظه علی ما يشبهه،و لمّا

كان اشتغال نور النفس فى فتيله البدن عن الوجود الإلهىّ المعطى لكلّ قابل ما يستحقّه يشبه بحسب محاكاه خيالنا الضعف ما نشاهد من اشتغال النار فى المحلّ القابل لها عن صوره النفخ لا جرم حسن التعبير و التجوّز بلفظ النفخ عن إفاضه الجود الإلهىّ للنفس على البدن لمكان المشابهه المتخيّله و إن كان الأمر أجلّ ممّا عندنا و أعلى ،و أمّا نسبه الروح إلى اللّه فاعلم أنّ الروح يحتمل أن يراد به أحد ثلاثه معان،الأوّل جبرئيل عليه السّلام و هو روح اللّه الأمين و نسبته إليه ظاهره و أمّا نسبه النفخ إلى اللّه حينئذ فلكونه العلّه الاولى و جبرئيل واسطه جعله اللّه تعالى مبدء فى هذا اللفظ لنفخ النفس فى صوره آدم منه،الثانى جود اللّه و نعمته و فيضه الصادر على آدم و غيره،و إنّما كان ذلك روح لأنّه مبدء كلّ حياه فهو الروح الكليّه الّتى بها قوام كلّ وجود و نسبته إليه ظاهره و يكون من هاهنا للتبعيض،الثالث أن يراد بالروح النفس الإنسانيّه و يكون من زائده و إنّما نسب إليه دون سائر مصنوعاته الطيفه لما علمت أنّ الروح منزّه عن الجهه و المكان و فى قوّته العلم بجميع الأشياء و الاطّلاع عليها،و هذه مضاهاه و مناسبه بوجه ما مع العلّه الّتى ليست حاصله لما عدا هذا الجوهر ممّا هو جسم أو جسمانىّ فلذلك شرّفها بالإضافه إليه و قوله فمثلث إنسانا إشاره إلى الصوره المجبوله،و فيه لطيفه و هى أنّها إنّما كانت إنسانا و ينفخ الروح فيها و لذلك رتّب و صيرورتها إنسانا بالفاء على نفخ الروح فيها،و قوله ذا أذهان يجيلها إشاره إلى ما للإنسان من القوى الباطنه المدركه و المتصرّفه و معنى إجالتها تحريكها و بعثها فى انتزاع الصور الجزئيّه كما للحسّ المشترك و المعانى الجزئيّه كما للوهم،و قوله و فكر يتصرّف بها إشاره إلى القوى المفكّره فى آحاد النوع الإنسانى و تصرّفها فى تفتيش الخزانتين و تركيب بعض مودوعاتها ببعض و تحليلها،و قوله و جوارح تختدمها إشاره إلى عامّه الأعضاء الّتى بيّنا أنّها كلّها خدم للنفس و الأدوات الّتى تقلّبها من تلك يشبه أن يختصّ بالأيدى كقوله تعالى «فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلى ما أَنْفَقَ فِيها» ١و يمكن أن يكون أعمّ من ذلك كالبصر و القلب كقوله عليه السّلام:يا مقلّب القلوب و الأبصار

فيصدق عليها اسم التقليب،و قوله و معرفه يفرق بها بين الحقّ و الباطل إشاره إلى استعداد النفس لدرك المعقولات الثانيه المسمّى عقلا بالملكه بحسب مالها من المعارف الاولى أعنى البديهيّات فإنّ الحقّ و الباطل امور كلّيه و ليس للقوى البدنيّه فى إدراك الامور الكلّيه حظّ يحتمل أن يشير بالمعرفه إلى القوّه الاستعداديّه الاولى للإنسان المسمّاه عقلا هيولانيّا،و قوله و الأذواق و المشامّ و الألوان و الأجناس نبّه هاهنا على ثلاثه امور:أحدها أنّ للإنسان آله بها يدرك المذوقات،و اخرى بها يدرك المشمومات،و اخرى بها يدرك الألوان،و قد بيّنا ذلك،الثانى نبّه على أنّ النفس مدركه للجزئيات بواسطه هذه القوى إذ عدّها فى نسق ما تتصرّف فيه النفس و تفرّق بينه و بين غيره،الثالث أنّه أخرّ قوله و الأجناس تنبيها على أنّ النفس تنتزع الامور الكلّيه من تصفّح الجزئيّات فإنّ الأجناس امور كلّيه و النفس بعد إدراك الجزئيّات و تصفحها تتنبّه لمشاركات بينها و مباينات فتنتزع منها تصوّرات كلّيه و تصديقات كلّيه و كأنّه عنى بالأجناس هاهنا الامور الكلّيه مطلقا لا بعضها كما هو فى الاصطلاح العلمى،و قوله معجونا بطينه الألوان المختلفه النصب على الحال من قوله إنسانا أو الصفه له،و المراد الإشاره إلى أنّ اختلاف أبدان النوع بعضها من بعض بالألوان بسبب قوّه استعداداتها لذلك كما قال صلى اللّه عليه و آله:فجاء منهم الأحمر و الأبيض و الأسود كما سبق و طينه الألوان و أصلها،و عجنه بها مزجه بها و تهيّئه و إعداده لقبولها على اختلافها و كذلك الحال فى البدن الواحد فإنّه ليس لجمله أجزائه لون واحد فإنّ امتزاج بعض الأعضاء يقتضى أن يكون أبيض كالعظام و الأسنان و بعضها أحمر كالدم و بعضها أسود كالحدقه و الشعر،و كذلك اختلاف الأشخاص فى الصفات المكنّى بها عن الاختلاف الوارده فى تمام الخبر من قوله:و السهل و الخزن و الخبيث و الطيّب يرجع إلى أنّ الأرض لمّا كانت أكثر العناصر شركه فى هذه الأبدان كان لاختلاف بقاعها أثر تامّ فى تفاوت الامتزاج لقبول الأخلاق بالسهوله و الحزونه و الخبيث و الطيّب،و قوله و الأشباه المؤتلفه و الأضداد المتعاديه و الأخلاط المتبائنه من الحرّ و البرد و البلّه و الجمود و المساء و السرور أمّا الأشباه المؤتلفه فكالعظام و الأسنان و أشباهها فإنّها أجسام متشابهه ائتلف بعضها مع بعض،و بها قامت الصوره البدنيّه و امتزجت بطينتها،و أمّا الأضداد المتعاديه فكالكيفيّات

الأربع الّتی ذکرها علیه السّلام و هی الحراره و البروده و الرطوبه الّتی هی البلّه و الیبس الّذی هو الجمود،و عبّر عنه بلازمه و هو الجمود علی أنّ الجمود فی اللغه هو الیبس أیضا و أمّا الأخلاط المتبائنه فهی الأخلاط الأربعه کما عرفت من الدم و البلغم و الصفراء و السوداء، و أمّا المساءه و السرور فهما من الکیفیّات النفسانیّه و مهیّه.کلّ منهما ظاهره،و أمّا أسبابهما فاعلم أنّ للسرور سببا جسمانیّا معدّا و هو کون حامله الّذی هو الروح النفسانی علی کمال أحواله فی الکمیّه لأنّ زیاده الجوهر فی الکمّ یوجب زیاده القوّه فی الکیفیّه و هی أن یکون معتدلا فی اللطافه و الغلظ و أن یکون شدید الصفا،و أمّا السبب الفاعلی له فالأصل فیه تخیّل الکمال کالعلم و القدره و الإحساس بالمحسوسات الملائمه و التمکّن من تحصیل المرادات و القهر و الاستیلاء علی الغیر و الخروج عن المولم و تذکر الملذّات،و أمّا أسباب الغم فمقابلات هذه أمّا السبب المعدّ الجسمانیّ فهو إمّا قلّه الروح کما للناقهین و المنهوکین بالأمراض و المشایخ،و أمّا غلظه فکما للسوداویین و أمّا رقّه کما للنساء و أمّا الفاعلی فمقابل أسباب السرور،و قد یشتدّ کلّ منهما بعد الأسباب المذکوره بتکرّره فیصیر السرور أو الغم ملکه و یسمّی صاحبه مفراحا أو محزانا و مقصوده علیه السّلام التنبیه علی أنّ طبیعه الإنسان فیها قوّه قبول و استعداد لهذه الکیفیّات و أمثالها،و تلک القوّه هی المراد بطینه المساءه و السرور و الفرق بینها و بین الاستعداد أنّ القوّه تکون علی الضدّین و الاستعداد لا یکون إلاّ لأحدهما.

و قوله استأدی اللّه سبحانه الملائکه ودیعته لدیهم و عهد وصیّته إلیهم إلی قوله إلاّ إبلیس.

أقول:لمّا کان الّذی یشیر إلیه کلّ إنسان بقوله أنا هو النفس الناطقه کان آدم عندهم عباره عن النفس الناطقه ثمّ قالوا:المراد بالملائکه الّذین امروا بالسجود لآدم هی القوی البدنیّه الّتی امرت بالخضوع و الخشوع لتکرمه النفس العاقله،و الانقیاد تحت حکمها و هو الأمر الّذی لأجله خلقوا أمّا عهد اللّه لدیهم و وصیّته إلیهم فهو المشار إلیه بقوله تعالی «إِذْ قالَ رَبُّکَ لِلْمَلائِکَهِ إِنِّی خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِینٍ فَإِذا سَوَّیْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِیهِ مِنْ»

«رُوحِی فَقَعُوا لَهُ ساجِدِینَ» ۱و الخطاب هاهنا خطاب الحکمه الإلهیّه بالقضاء الأزلی قبل الوجود و الاستیذاء لذلک العهد و تلک الوصیّه هو طلب المأمور به أوّلا من الانقیاد و الخضوع من تلک القوی بعد الوجود علی ألسنه الرسل علیهم السّلام بالوحی المنزل و هو قوله «اسْجُدُوا لِآدَمَ» ،قوله فسجدوا إشاره إلی القوی المطیعه لنفوسها العاقله فی أشخاص عباد اللّه الصالحین، قوله إلاّ إبلیس و قبیله إشاره إلی الوهم و سائر القوی التابعه له فی معارضه العقل فی أشخاص الکفّار و الفاسقین عن أوامر اللّه سبحانه،و قد عرفت أنّ الوهم رئیس القوی البدنیّه فهی إذن عند معارضته للعقل و متابعتها له جنود إبلیس و قبیله،و أمّا قوله اعترته الحمیّه و غلبت علیه الشقوه و تعزّز بخلق النار و استهون خلق الصلصال ،فقالوا:إنّ المراد بکون إبلیس و جنوده خلقوا من نار أنّ الأرواح الحامله لهذه القوی کما عرفت أجسام لطیفه تتکوّن عن لطافه الأخلاط و هی حارّه حدّا مائله فی الإفراط و الناریّه و الهوائیّه علیها أغلب و تولّدها عنهما أسهل و هی آخر أجزاء البدن و کذلک القلب الّذی هو منبعها فکانت تلک الأرواح کالأبدان لهذه القوی فلذلک نسب إبلیس إلی النار فقال تعالی حکایه عنه «خَلَقْتَنِی مِنْ نارٍ» و قال «وَ الْجَانَّ خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نارِ السَّمُومِ» أی قدّرنا قبل وجوده أن تکون الناریّه و الهوائیّه علی وجود أغلب،و قال بعضهم:إنّه لمّا کانت النار ألطف العناصر و کانت هذه القوی و أرواحها ألطف الامور الجسمانیّه و تکّونها عن ألطف الأخلاط کانت نسبتها إلی النار أولی من سائر العناصر لمکان المشابهه فی اللطافه فجاز أن یطلق علی أصله أنّه نار.لا یقال:إذا کان آدم هو النفس الناطقه فما معنی قول إبلیس و خلقته من طین.

لأنا نقول:کما صدق أنّ إبلیس مخلوق من نار بمعنی أنّ الغالب علی الروح الحامل له هو عنصر النار کذلک یصدق أنّ آدم من طین بمعنی أنّ الغالب علی بدنه الأرضیّه،و أیضا فإنّ الوهم لا یدرک إلاّ المعانی الجزئیّه المتعلّقه بالمحسوسات فلا یصدق حکمه و مساعدته إلاّ فیما کان محسوسا،و لمّا ثبت أنّ النفس جوهر مجرّد لم یکن إعتقاد إبلیس أنّ الإنسان شیء غیر هذا البدن المتکوّن عن الطین.إذا ثبت ذلک فنقول: مجاز اعتراء الحمیّه و التعزّز بالانتساب إلی عنصر النار نسبه مجازیّه إذا العاده جاریه بأن یأنف الإنسان من

الأصل الناقص و أن يفتخر و يتعزّز بالأصل الشريف و الانتساب إليه فكان لسان حال إبليس و القوى المتابعه له يقول على جهه الاستنكار أ أسجد «لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ» ،و أنا مخلوق من النار الّتى هى أشرف العناصر قالوا:و لمّا علم اللّه ذلك من حال إبليس لعنه و طرده و أخرجه من الجنّه و ذلك قوله تعالى «قالَ فَاخْرُجْ مِنْها فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَ إِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلى يَوْمِ الدِّينِ» ١قالوا و ذلك أنّك علمت أنّ الجنّه تعود إلى معارف الحقّ سبحانه و الابتهاج بمطالعه أنوار كبريائه و درجات الجنّه هى المراتب الّتى ينتقل العقل فيها فى مقامات السلوك إلى حظائر القدس و مجاوره الملاء الأعلى،و علمت أنّ حال الوهم قاصر عن الانتقال على تلك المراتب فطرده و لعنه و تحريم الجنّه عليه يعود إلى تكوينه على الطبيعه الّتى هو عليها القاصره عن إدراك العلوم الكلّيه الّتى هى ثمار الجنّه و قطوفها و القضاء عليه بذلك قالوا:و ممّا يتبه على ذلك قوله «رَبِّ بِما أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاّ عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ» ٢أى بما خلقتنى على هذه الجبله لا اهتدى لدخول الجنّه و لا أتمكّن منها لأجذبنّهم إلى المشتهيات و تزيين الملذّات الجاذبه لهم عن عبادتك حتّى لا يهتدوا إلى الجنّه الّتى لأجلها خلقتهم و لا يلتفتوا إليها إلاّ من عصمته منّى و جعلت له سلطانا على قهرى و غلبتى و هم عبادك المخلصون أى النفوس الكامله المطهّره عن متابعه قواها المسلّط على قهر شياطينها و قهرها و كذلك قوله: «قالَ أَنْظِرْنِي إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» فإنّه لمّا كان البعث الأوّل هو مفارقه النفوس لأبدانها و انبعاثها إلى عالمها و كانت طبيعه الوهم قاضيه بمحبّه البقاء فى دار الدنيا إذ لا حظّ له فى غيرها أحسن من لسان حاله أن يقول «رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» ،و قوله فأعطاه اللّه النظره لمّا كان الوهم باقيا فى البدن هو و جنوده إلى يوم البعث حسن من لسان الحكمه الإلهيّه أن يقول إنّك «الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» و ذلك معنى إعطائه النظره، استعاره مرشحه و قوله استحقاقا للسخطه و استتماما للبليّه و إنجازا للعدّه فقد عرفت أنّ البليّه نصب على المفعول له ثمّ إنّ فساد الوهم و ابتلاء الخلق به و الشرّ الصادر عنه امور داخله فى القضاء الإلهىّ بالعرض فيصدق

ص:١٩٢

عليه أنّه مراد و أنّ الإنظار و الإمهال له و كذلك استحقاق السحطه و إنجاز العده و إطلاق لفظ السخطه استعاره فإنّ السخط لمّا كان عباره عن حاله للإنسان يستلزم وجود مغضوب عليه غير مرضىّ بأفعاله و كان حال إبليس فى إنظار اللّه إيّاه و فسوقه عن أمر ربّه مستلزما لإعراض اللّه سبحانه عنه و عمّن عصاه بمتابعته كان هناك نوع مشابهه،فحسن لأجلها إطلاق لفظ السخطه أمّا العده فتعود إلى قضاء الحكمه الإلهيّه ببقاء الوهم إلى يوم البعث، و إنجازها يعود إلى موافقه القدر لذلك القضاء،و قال بعضهم:إنّه لمّا كان هاهنا صوره مطرود و مبعّد و ملعون حسن إطلاق لفظ السخطه و استحقاقها و أنّه إنّما انظر لأجلها و هو ترشيح للاستعاره.

قوله ثمّ أسكن اللّه سبحانه آدم دارا أرغد فيها عيشه و آمن فيها محلّته و حذّره إبليس و عداوته.

أقول:الدار الّتى أسكن فيها آدم هى الجنّه و الإشاره هاهنا إلى أنّ الإنسان من أوّل زمان إفاضه القوّه العاقله عليه إلى حين استرجاعها ما دام مراعيا لأوامر الحقّ سبحانه غير منحرف عن فطرته الأصليّه و لا معرض عن عبادته و لا يلتفت إلى غيره فإنّه فى الجنّه و إن كانت الجنّه على مراتب كما قال تعالى «لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِها غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ» ۱و لذلك قال صلى اللّه عليه و آله:كلّ مولود يولد على الفطره و إنّما أبواه هما اللذان يهوّدانه و ينصّرانه إذ كانت نفسه قبل الجواذب الخارجيّه عن القبله الحقيقيّه غير مدّ نسبه بشىء من الاعتقادات الفاسده و الهيئات الرديئه،و إن كانت المرتبه الساميه و الغرفه العاليه إنّما تنال بعد المفارقه،و استصحاب النفس لأكمل زاد،و أمّا إرغاد العيش فيعود إلى ابتهاجه بالمعقولات و المعارف الكلّيّه و أمان المحلّه أمان مكانه فى الجنّه أن يعرض له خوف أو حزن ما دام فيها،و أمّا تحذيره من إبليس و عداوته فظاهر من الأوامر الشرعيّه و لسان الوحى ناطق كما قال تعالى «إِنَّ هذا عَدُوٌّ لَكَ وَ لِزَوْجِكَ» ۲و وجه العداوه ظاهر ممّا قلنا فإنّ النفس لمّا كانت من عالم المجرّدات و كان الوهم بطبعه منكرا لهذا القسم من الممكنات كان منكرا لما تأمر به النفس من الامور الكلّيّه الّتى لا حظّ له فى إدراكها و ذلك من مقتضيات

ص:۱۹۳

العداوه و لأنّ نظام أمر النفس و مصلحتها لا يتمّ إلّا بقهر الوهم و القوى البدنيّه عن مقتضيات طباعها،و تمام مطالب القوى لا يحصل إلّا بانقهار النفس فكانت بينهما مجاذبه طبيعيّه و عداوه أصليّه إذ لا معنى للمعاداه إلّا المجانبه لما يتصوّر كونه موذيا.

قوله فاغترّه عدّوه نفاسه عليه بدار المقام و مرافقه الأبرار.

أقول:يقال:إنّ اللّه تعالى لمّا حذّره إبليس و عداوته كان قد نهاه عن أكل شجره يقال إنّها شجره البرّ،و أعلمه أنّه إن أكل منها كان ظالما لنفسه مستحقّا لسخط اللّه عليه و ذلك قوله تعالى «وَ لا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونا مِنَ الظّالِمِينَ» ١قالوا:و تلك الشجره هى الشجره الخبيثه الّتى اجتثّت من فوق الأرض مالها من قرار و هى عائده إلى المشتهيات الدنيويّه الفانيه و اللذّات البدنيّه الخارجه عن المحدودات فى أوامر اللّه،و تناولها هو العبور فيها إلى طرف الإفراط عن وسط القانون العدل،و أمّا كونها شجره البرّ فقالوا:إنّ البرّ لمّا كان هو قوام الأبدان و عليه الاعتماد فى أنواع المطعومات و الملاذ البدنيّه حسن أن يعبّر به عنها فيقال هى شجره البرّ كنايه عن الفرع بالأصل،فأمّا اغترار إبليس له فاعلم أنّ حقيقه الغرور هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى و يميل إليه بالطبع عن شبهه و خدعه من إبليس فاغتراره يعود إلى استغفال النفس بالوسوسه الّتى حكى اللّه تعالى عنها بقوله «فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطانُ قالَ يا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَ مُلْكٍ لا يَبْلى» ٢و لنبحث حقيقه الوسوسه فنقول:إنّ الفعل إنّما يصدر عن الإنسان بواسطه امور مترتّبه ترتيبا طبيعيّا أوّلها تصوّر كون الفعل ملائما و هو المسمّى بالداعى،ثمّ إنّ ذلك الشعور يترتّب عليه ميل النفس إلى الفعل المسمّى ذلك الميل إراده فيترتّب على ذلك الميل حركه القوّه النزوعيّه المحرّكه للقوّه المسمّاه قدره المحرّكه للعضل إلى الفعل.إذا عرفت ذلك فنقول:صدور الفعل عن مجموع القدره و الإراده أمر واجب فليس للشيطان فيه مدخل،و وجود الميل عن تصوّر كونه نافعا و خيرا أمر لازم فلا مدخل للشيطان أيضا فيه فلم يبق له مدخل إلّا فى إلقاء ما يتوهّم كونه نافعا أو لذيذا إلى النفس ممّا يخالف أمر اللّه سبحانه فذلك الإلقاء فى الحقيقه هو الوسوسه و هو عين ما حكى اللّه سبحانه عنه بقوله «وَ ما كانَ لِى عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ»

«إِلاّٰ أَنْ دَعَوْتُكَمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي» ۱إذا عرفت ذلك فاعلم أنّ متابعه إبليس يعود إلى انقياد النفس لجذب الوهم و القوى البدنيّه الّتى هى الشياطين عن الوجهه المقصوده و القبله الحقيقيّه و هى عباده الحقّ سبحانه و فتنتها لها بتزيين ما حرّم اللّه عليها فأمّا ما يقال:إنّ إبليس لم يكن له تمكّن من دخول الجنّه و إنّما توسّل بالحيّه و دخل فى فمها إلى الجنّه حتّى تمكّن من الوسوسه لآدم عليه السّلام و اغتراره فقالوا:المراد بالحيّه هى القوّه المتخيّله،و ذلك أنّ الوهم إنّما يتمكّن من التصرّف و بعث القوى المحرّكه كالشهوه و الغضب الّتى هى جنوده و شياطينه على طلب الملاذ البدنيّه و الشهوات الحسّيّه الدنيّه،و جذب النفس إليها بتصوير كونها لذيذه نافعه بواسطه القوّه المتخيّله،و وجه تشبيهها بالحيّه أنّ الحيّه لمّا كانت لطيفه سريعه الحركه تتمكّن من الدخول فى المنافذ الضيّقه و تقدر على التصرّف الكثير و هى مع ذلك سبب من أسباب الهلاك بما تحمله من السمّ و كانت المتخيّله فى سرعه حركتها و قدرتها على التصرّف السريع و الإدراك ألطف من سائر القوى و هى الواسطه بين النفس و الوهم و كانت بما اشتملت عليه من تحمّل كيد إبليس و إلقاء الوسوسه بواسطتها إلى النفس سببا قويّا للهلاك السرمد و العذاب المؤبّد لا جرم كان أشبه ما يشبه به الحيّه لما بينهما من المناسبه فحسن إطلاق لفظ الحيّه عليها.

استعاره مرشحه قوله نفاسه عليه ترشيح للاستعاره لأنّه لمّا كان جذب الوهم للنفس إلى الجنّه السافله مانعا لها من الكرامه بدار المقامه و مستنزلا عن درجه مرافقه الملاء الأعلى،و كان ذلك أعظم ما تنفس به كما قال تعالى «وَ فِي ذٰلِكَ فَلْيَتَنٰافَسِ الْمُتَنٰافِسُونَ» ۲و عرفت أنّ ذلك الجذب عن صوره معاداه كما سبق و كان من لوازم المعاده النفاسه على العدوّ بكلّ ما يعدّ كمالا لا جرم حسن إطلاق النفاسه هاهنا ترشيحا لاستعاره العداوه ،و النصب على المفعول له.

قوله فباع اليقين بشكّه و العزيمه بوهنه أى لمّا حصلت الوسوسه و الاغترار لآدم فانقاد لها كان قد بدّل ما تيقّنه من أنّ شجره الخلد و الملك الّذى لا يبلى هو نور الحقّ و البقاء فى جنّته و دوام مطالعه كبريائه بالشكّ فيه بواسطه وسوسه إبليس،و ذلك أنّ الامور الموعوده من متاع الآخره و ما أعدّه اللّه لعباده الصالحين امور خفيت حقائقها على أكثر البصائر البشريّه،و إنّما الغايه فى تشويقهم إليها أن يمثّل لهم بما هو مشاهد لهم من

اللّذات البدنيّه الحاضره فترى كثيرا منهم لا يخطر بباله أن يكون فى الجنّه أمر زائد على هذه اللّذات فهو يجتهد فى تحصيلها إذ لا يتصوّر وراءها أكثر منها،ثمّ إن صدّق بها على سبيل الجمله تصديقا للوعد الكريم فإنّه لا يتصوّر كثير تفاوت بين الموعود به و الحاضر بحيث يرجّح ذلك التفاوت عنده ترك الحاضر لما وعد به بل يكون ميل طبعه إلى الحاضر، و توهّم كونه أنفع و أولى به أغلب عليه،و أن تيقنّ بأصل عقله أنّ الأولى به و أنفع له و الأبقى هو متاع الآخره فتاره يطرأ على ذلك اليقين غفله عنه و نسيان له بسبب الاشتغال باللّذات الحاضره و الانهماك فيها،و ذلك معنى قوله تعالى «فَنَسِيَ» ،و تاره لا تحصل الغفله الكلّيّه بل يكون الوهم المذكور قويّا فيعارض ذلك اليقين بحيث يوجب فى مقابلته شبهه و شكّا و ذلك معنى قوله عليه السّلام فباع اليقين بشكّه و لا منافاه بين قوله تعالى «فَنَسِيَ» و بين الشكّ هاهنا.

و قوله و العزيمه بوهنه أى تعوّض من العزم و التصميم الّذى كان ينبغى له فى طاعه الحقّ سبحانه بالضعف و التعاجز عن تحمّله كما قال تعالى «وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً» استعاره و إطلاق لفظ البيع هاهنا استعاره حسنه إذ كان مدار البيع على استعاضه شىء بشىء سواء كان المستعاض أجلّ أو أنقص،و مثله قوله تعالى «أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَياهَ الدُّنْيا بِالْآخِرَهِ» «فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ وَ ما كانُوا مُهْتَدِينَ» .

و قوله فاستبدل بالجذل وجلا و بالاغترار ندما إلى قوله و تناسل الذرّيّه فيه تقديم و تأخير و تقديره و العزيمه بوهنه فأهبطه اللّه إلى دار البليّه و تناسل الذريّه فاستبدل بالجذل و جلا بالاغترار ندما،ثمّ أناب إلى اللّه فبسط له فى توبته و لقّاه كلمه رحمته و وعده المردّ إلى جنّته،و ذلك لأنّ الإهباط عقيب الزلّه و استبدال الجذل بالوجل بعد الإهباط من الجنّه و الإخراج منها،و قد ورد القرآن الكريم بهذا النظم فى سوره البقره و هو قوله «فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطانُ عَنْها فَأَخْرَجَهُما مِمّا كانا فِيهِ وَ قُلْنَا اهْبِطُوا» ١ثمّ قال عقيبه «فَتَلَقّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ» و ورد أيضا على النظم الّذى ذكره عليه السّلام فى سوره طه و ذلك قوله «وَ عَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى ثُمَّ اجْتَباهُ رَبُّهُ فَتابَ عَلَيْهِ وَ هَدى قالَ اهْبِطا» ٢فقدم الاجتباء

و التوبه على الإهباط و كلاهما حسن.قالوا:و معنى الإهباط له هو إنزاله عن دار كرامته و استحقاق إفاضه نعيم الجنّه،و ذلك أنّ النفس الناطقه إذا أعرضت عن جناب الحقّ سبحانه،و التفتت إلى متابعه الشياطين و أبناء الجنّ و موافقه إبليس بعدت عن رحمه اللّه و تسوّد لوحها عن قبول أنوار الإلهيّه،و أمّا دار البليّه و تناسل الذريّه فإشاره إلى الدنيا فإنّ الإنسان إذا التفت بوجهه إليها،و أقبل بكلّيته عليها هبط من أعلى علّيين إلى أسفل سافلين،و لم يزل ممنوّا ببلاء على أثر بلاء إذ لا يقدّم فى كلّ لحظه و وقت فوت مطلوب أو فقد محبوب يطلب مالا يدرك و يجد ما لا يطلب و كفى بانقطاعه عن اللّه تعالى بالتفاته إليها بلاء و أعظم به شقاء إذ كان سبب البعد عن رحمته و الطرد عن أبواب جنّته.فإن قلت لم ذكر تناسل الذريّه فى معرض الإهانه لآدم مع أنّه فى الحقيقه من الامور الخيريّه المندرجه فى سلك العنايه الإلهيّه فإنّ به بقاء النوع و دوام الإفاضه.قلت:إنّه و إن كان كذلك إلاّ أنّه لا نسبه له فى الحقيقه إلى الخير الّذى كان فى الجنّه فإنّ تناسل الذريّه خير إضافىّ عرضىّ بالنسبه إلى الكمال الّذى يحصل لأبناء النوع و ذريّته، ثمّ النسبه إن حصلت فنسبه أخصّ إلى أشرف فإنّ إنزاله و إهباطه عن استحقاق تلك المراتب الساميه و الإفاضات العاليه إلى هذه المرتبه الّتى يشارك فيها البهيمه و سائر أنواع الحشرات نقصان عظيم و خسران مبين.

قوله و استبدل بالجذل و جلا و بالاغترار ندما ظاهر فإنّ المقبل بوجهه على عباده الحقّ سبحانه المستشرق لأنوار كبريائه المعرض عمّا سواه أبدا مسرور مبتهج فإذا أعرض عمّا يوجب السرور و الفرح و التفت إلى خسائس الامور بسبب شيطان قاده إليها و زيّنها لعينه فانكشف عنه ستر اللّه و بدت سوئته للناظرين بعين العاقبه من عباد اللّه الصالحين،ثمّ أخذت بضبعه العنايه الإلهيّه و تداركته الرحمه الربّانيّه فانتبه من رقده الغافلين فى مراقد الطبيعه فرأى السلاسل و الأغلال قد أحاطت به و شاهد الجحيم مسعرّه عن جنبتى الصراط المستقيم،و تذكّر قوله تعالى «فَإِمّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّى هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُداىَ فَلا يَضِلُّ وَ لا يَشْقى وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَهِ أَعْمى» ١الآيات

فلا بدّ و أن يصيح و جلا قلقا يقلّب كفّيه حسره و ندما و جلا ممّا يلحقه من سخط اللّه ن ادما على ما فرّط فى جنب اللّه،و قوله ثمّ بسط اللّه فى توبته و لقّاه كلمه رحمته فالمراد الإشاره إلى أنّ الجود الإلهىّ لا بخل فيه و لا منع من جهته،و إنّما النقصان من جهه القابل و عدم استعداده فإذا استعدّت النفس لتدارك رحمه اللّه و جذبتها العنايه الإلهيّه من ورطات الهلاك الأبدى فأيّدتها بالمعونه على إبليس و جنوده و بصّرتها بمقابح أحواله(أفعاله)و ما يدعوا إليه،فأخذت فى مقاومته و الترصّد لدفع مكائده فذلك هو معنى إنابتها و توبتها،و أمّا كلمه رحمه اللّه الّتى لقّاها آدم فتعود إلى السوانح الإلهيّه الّتى تنسخ للعبد فتكون سببا لجذبه عن مهاوى الهلاك و توجيهه عن الجنّه السافله إلى القبله الحقيقيّه و إمداده بالملائكه حالا فحالا و رفعه فى مدارج الجلال الّتى هى درجات الجنّه،و قوله و وعده المردّ إلى جنّته فإشاره إلى وعد القضاء الإلهىّ الناطق عنه لسان الوحى الكريم« «فَمَنِ اتَّبَعَ هُدایَ فَلا یَضِلُّ وَ لا یَشْقی» - «یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَی اللّهِ تَوْبَهً نَصُوحاً عَسی رَبُّکُمْ أَنْ یُکَفِّرَ عَنْکُمْ سَیِّئاتِکُمْ وَ یُدْخِلَکُمْ جَنّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ» »۱و كذلك سائر أنواع و عد التائبين فهذا ما يتعلّق بهذه القصّه من التأويل و باللّه العصمه و التوفيق.

الفصل الرابع قوله و اصطفى سبحانه...

اشاره

وَ اصْطَفَی سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِیَاءَ- أَخَذَ عَلَی الْوَحْیِ مِیثَاقَهُمْ- وَ عَلَی تَبْلِیغِ الرِّسَالَهِ أَمَانَتَهُمْ- لَمَّا بَدَّلَ أَکْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَیْهِمْ- فَجَهِلُوا حَقَّهُ وَ اتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ- وَ اجْتَالَتْهُمُ الشَّیَاطِینُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ- وَ اقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ فَبَعَثَ فِیهِمْ رُسُلَهُ- وَ وَاتَرَ إِلَیْهِمْ أَنْبِیَاءَهُ لِیَسْتَأْدُوهُمْ مِیثَاقَ فِطْرَتِهِ- وَ یُذَکِّرُوهُمْ مَنْسِیَّ نِعْمَتِهِ- وَ یَحْتَجُّوا عَلَیْهِمْ بِالتَّبْلِیغِ- وَ یُثِیرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ- وَ یُرُوهُمْ آیَاتِ الْمَقْدِرَهِ- مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ وَ مِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ- وَ مَعَایِشَ تُحْیِیهِمْ وَ آجَالٍ تُفْنِیهِمْ وَ أَوْصَابٍ

تُهْرِمُهُمْ- وَ أَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ- وَ لَمْ يُخْلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ- أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ أَوْ حُجَّةٍ لاَزِمَةٍ أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ- رُسُلٌ لاَ تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ- وَ لاَ كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ- مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ وَ مَضَتِ الدُّهُورُ- وَ سَلَفَتِ الْآبَاءُ وَ خَلَفَتِ الْأَبْنَاءُ إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ؟مُحَمَّداً ص؟- لِإِنْجَازِ عِدَتِهِ وَ إِتْمَامِ نُبُوَّتِهِ- مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ- مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ كَرِيماً مِيلاَدُهُ- وَ أَهْلُ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ- وَ أَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ وَ طَوَائِفُ مُتَشَتِّتَةٌ- بَيْنَ مُشَبِّهٍ لِلَّهِ بِخَلْقِهِ أَوْ مُلْحِدٍ فِي اسْمِهِ- أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ- فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلاَلَةِ وَ أَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ- ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ؟لِمُحَمَّدٍ ص؟ لِقَاءَهُ- وَ رَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ وَ أَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ الدُّنْيَا- وَ رَغِبَ بِهِ عَنْ مَقَامِ الْبَلْوَى- فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيماً- ص وَ خَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ الْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا- إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلاً- بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ وَ لاَ عَلَمٍ قَائِمٍ كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ مُبَيِّناً حَلاَلَهُ وَ حَرَامَهُ- وَ فَرَائِضَهُ وَ فَضَائِلَهُ وَ نَاسِخَهُ وَ مَنْسُوخَهُ- وَ رُخَصَهُ وَ عَزَائِمَهُ وَ خَاصَّهُ وَ عَامَّهُ- وَ عِبَرَهُ وَ أَمْثَالَهُ وَ مُرْسَلَهُ وَ مَحْدُودَهُ- وَ مُحْكَمَهُ وَ مُتَشَابِهَهُ مُفَسِّراً مُجْمَلَهُ وَ مُبَيِّناً غَوَامِضَهُ- بَيْنَ مَأْخُوذٍ

مِيثَاقُ عِلْمِهِ وَ مُوَسَّعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِی جَهْلِهِ- وَ بَيْنَ مُثْبَتٍ فِی الْكِتَابِ فَرْضُهُ- وَ مَعْلُومٍ فِی السُّنَّهِ نَسْخُهُ- وَ وَاجِبٍ فِی السُّنَّهِ أَخْذُهُ- وَ مُرَخَّصٍ فِی الْكِتَابِ تَرْكُهُ- وَ بَيْنَ وَاجِبٍ بِوَقْتِهِ وَ زَائِلٍ فِی مُسْتَقْبَلِهِ- وَ مُبَايَنٌ بَيْنَ مَحَارِمِهِ مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ- أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ- وَ بَيْنَ مَقْبُولٍ فِی أَدْنَاهُ مُوَسَّعٍ فِی أَقْصَاهُ

اللغه

أقول: الاصطفاء الاستخلاص ،و الأنداد الأمثال ،و اجتالتهم أی أدارتهم و اجتذبتهم ،و واتر أی أرسل وترا بعد وتر أی واحدا بعد آخر ،و الفطره الخلقه ،و المهاد الفراش ،و الأوصاب الأمراض ،و الأحداث المصائب و تخصيصها بذلک عرفیّ ،و الحجّه ما يحجّ به الإنسان غيره أی يغلبه به ،و المحجّه جادّه الطريق ،و الغابر الباقی و الماضی أيضا و هو من الأضداد ،و القرن الامّه ،و نسلت أی درجت و مضت مأخوذ من نسل ريش الطائر و نسل الوبر إذا وقع ،و العده الوعد و إنجازها قضاؤها ،و السمه العلامه ،و ميلاد الرجل محلّ ولادته من الزمان و المكان ،و الملحد العادل عن الاستقامه على الحقّ ،و النسخ فی اللغه الإزاله ،و الرخصه الساهل فی الأمر ،و العزيمه الهمّه ،و هذه الألفاظ الثلاثه مخصوصه فی العرف على معان اخرى كما نذكره،و أرصدت له كذا أی هيّأته له ،

المعنى

و

هاهنا أبحاث .

البحث الأوّل

- استعاره الضمير فی ولده راجع إلى آدم عليه السّلام ثمّ إن كانت الإشاره بآدم إلى النوع الإنسانی فنسبه الولاده إليه فی العرف ظاهره صادقه فإنّ كلّ أشخاص نوع هم أبناء ذلک النوع فی اصطلاح أهل التأويل و كذلک إن كان المراد به أوّل شخص وجد،و اعلم أنّ اصطفاء اللّه للأنبياء يعود إلى إفاضه الكمال النبویّ عليهم بحسب ما وهبت لهم العنايه الإلهيّه من القبول و الاستعداد،و أخذه على الوحی ميثاقهم و على تبليغ الرساله أمانتهم هو حكم الحكمه الإلهيّه عليهم بالقوّه على ما كلّفوا به من ضبط الوحی فی ألواح قواهم

و جذب سائر النفوس الناقصه إلى جناب عزّته بحسب ما أفاضهم من القوّه على ذلك الاستعداد، له و ما منحهم من الكمال الّذى يقتدرون معه على تكميل الناقصين من أبناء نوعهم،و لمّا كانت صوره العهد و أخذ الأمانه فى العرف أن يوغر إلى الإنسان بأمر و يؤكّد عليه القيام به بالإيمان و إشهاد الحقّ سبحانه،و كان الحكم الإلهىّ جاريا بإرسال النفوس الإنسانيّه إلى هذا العالم و كان مراد العنايه الإلهيّه من ذلك البعث أن يظهر ما فى قوّه كلّ نفس من كمال أو تكميل إلى الفعل،و كان ذلك لا يتمّ إلّا بواسطه بعضها للبعض كان الوجه الّذى بعثت عليه مشبّها للعهد و الميثاق المأخوذ و الأمانه المودعه كلّ لما فى قوّته و ما أعدّ له فحسن إطلاق هذه الألفاظ و استعارتها هاهنا.

قوله لمّا بدّل أكثر خلق اللّه عهدهم إليهم فجهلوا حقّه و اتّخذوا الأنداد معه و اجتالتهم الشياطين عن معرفته و اقتطعتهم عن عبادته إلى آخره إشاره إلى وجه الحكمه الإلهيّه فى وجود الأنبياء عليهم السّلام و لوازمه و هى شرطيّه متصّله قدّم فيها التالى لتعلّق ذكر الأنبياء عليهم السّلام بذكر آدم،و التقدير لمّا بدّل أكثر خلق اللّه عهده إليهم اصطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذ على الوحى ميثاقهم فبعثهم فى الخلق،و ذلك العهد هو المشار إليه بقوله تعالى «وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» ١الآيه قال ابن عبّاس:

لمّا خلق اللّه آدم مسح على ظهره فأخرج منه كلّ نسمه هو خالقها إلى يوم القيامه فقال:

«أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى» ،فنودى يومئذ جفّ القلم بما هو كائن إلى يوم القيامه،و اعلم أنّ أخذ الذريّه يعود إلى إحاطه اللوح المحفوظ بما يكون من وجود النوع الإنسانى بأشخاصه،و انتقاشه بذلك عن قلم القضاء الإلهى،و لمّا كان بالإنسان تمام العالمين فى الوجود الخارجىّ فكذلك هو فى التقدير القضائى المطابق له،و به يكون تمام التقدير و جفاف القلم،و أمّا إشهادهم على نفسهم فيعود إلى إنطاق إمكانهم بلسان الحاجه إليه و أنّه الإله المطلق الّذى لا إله غيره،و أمّا بيان ملازمه الشرطيّه فلأنّه لمّا كان الغالب على الخلق حبّ الدنيا،و الإعراض عن مقتضى الفطره الأصليّه الّتى فطرهم عليها،و الالتفات عن القبله الحقيقيّه الّتى امروا بالتوجّه إليها،و ذلك بحسب ما ركبّ فيهم من القوى البدنيّه المتنازعه إلى كمالاتها لا-جرم كان من شأن كونهم على هذا التركيب المخصوص

أن يبدّل أكثرهم عهد اللّه سبحانه إليهم من الدوام على عبادته و الاستقامه على صراطه المستقيم و عدم الانقياد لعباده الشيطان كما قال سبحانه «أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ» ١الآيه،و أن يجهلوا حقّه للغفله بحاضر لذّاتهم عمّا يستحقّه من دوام الشكر، و أن يتّخذوا الأنداد معه لنسيانهم العهد القديم،و أن تجتذبهم الشياطين عن معرفته الّتى هى ألذّ ثمار الجنه،و أن تقتطعهم عن عبادته الّتى هى المرقاه إلى اقتطاف تلك الثمره، و لمّا كان من شأنهم ذلك وجب فى الحكمه الإلهيّه أن يختصّ صنفا منهم بكمال أشرف يقتدر معه أبناء ذلك الصنف على ضبط الجوانب المتجاذبه،و على تكميل الناقصين ممّن دونهم،و هم صنف الأنبياء عليهم السلام و الغايه منهم ما أشار إليه ليستأدوهم ميثاق فطرته أى ليبعثوهم على أداء ما خلقوا لأجله و فطروا عليه من الإقرار بالعبوديّه للّه،و يجذبوهم عمّا التفتوا إليه من اتّباع الشهوات الباطنه،و افتناء اللذّات الوهميّه الزائله،و ذلك البعث و الجذب تاره يكون بتذكيرهم نعم اللّه الجسميّه و تنبيههم على شكر ما أولاهم به من مننه العظيمه،و تاره يكون بالترغيب فيما عقده سبحانه ممّا أعدّه لأوليائه الأبرار،و تاره بالترهيب ممّا أعدّه لأعدائه الظالمين من عذاب النار،و تاره بالتنفير عن خسائس هذه الدار،و وجوه الاستهانه بها و الاستحقار،و إلى ذلك أشار بقوله، و يذكّروهم منسىّ نعمته ، و لا بدّ للمجادله و المخاطبه من احتجاج مقنع و مفحم فيحتجّوا عليهم بتبليغ رسالات ربّهم و إنذارهم لقاء يومهم الّذى يوعدون،و يشيروا لهم وجوه الأدلّه على وحدانيّه المبدع الأوّل، استعاره و تفرّده باستحقاق العباده،و هو المراد بدفائن العقول و كنوزها ،و استعمال الدفائن هاهنا استعاره لطيفه فإنّه لمّا كانت جواهر العقول و نتائج الأفكار،موجوده فى النفوس بالقوّه أشبهت الدفائن فحسن استعاره لفظ الدفينه لها،و لمّا كانت الأنبياء هم الأصل فى استخراج تلك الجواهر لإعداد النفوس لإظهارها حسنت إضافه إثارتها إليهم،و كذلك ليرشدهم إلى تحصيل مقدّمات تلك الأدلّه و البراهين و موادّها و هى آيات القدره الإلهيّه و آثارها من سقف فوقهم محفوظ مرفوع مشتمل على بدائع الصنع و غرائب الحكم،و مهاد تحتهم موضوع فيه ينتشرون و عليه يتصرّفون،و معائش بها يكون قوام حياتهم الدنيا،و بلاغا لمدّه بقائهم لما خلقوا له،و إجال مقدره بها يكون فناؤهم و رجوعهم إلى بارئهم،و أعظم بالأجل آيه رادعه و تقديرا جاذبا

ص:٢٠٢

إلى اللّه تعالى،و لذلك قال صلى اللّه عليه و آله:أكثروا من ذكر هادم اللذّات إلى غير ذلك من الأمراض الّتى تضعف قواهم و تهرمهم،و المصائب الّتى تتتابع عليهم فإنّ كلّ هذه الآثار موادّ احتجاج الأنبياء على الخلق ليتبّونهم بصدورها عن العزيز الجبّار عزّ سلطانه على أنّه هو الملك المطلق الّذى له الخلق و الأمر،و ليقرّروا فى أذهانهم صوره ما نسوه من العهد المأخوذ عليهم فى الفطره الأصليّه من أنّه سبحانه هو الواحد الحقّ المتفرّد باستحقاق العباده،و إلى ذلك أشار القرآن الكريم« «وَ جَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَ هُمْ عَنْ آياتِها مُعْرِضُونَ» » ۱و قوله «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النّاسَ وَ ما أَنْزَلَ اللّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها» ۲الآيه و قوله تعالى «وَ السَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ وَ إِنّا لَمُوسِعُونَ وَ الْأَرْضَ فَرَشْناها فَنِعْمَ الْماهِدُونَ وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» ۳إلى غير ذلك من الآيات الدالّه على احتجاج الخالق سبحانه على خلقه بألسنه رسله و تراجمه وحيه و جذبهم بهذه الألطاف إلى القرب من ساحل عزّته و الوصول إلى حضره قدسه سبحانه و تعالى عمّا يشركون« و إن تعدّوا نعمت اللّه لا تحصوها إنّ الإنسان لظلوم كفّار » ۴قوله و لم يخل اللّه سبحانه خلقه إلى قوله و خلقت الأبناء .

أقول:المقصود الإشاره إلى بيان عنايه اللّه سبحانه بالخلق حيث لم يخل امّه منهم من نبىّ مرسل يجذبهم إلى جناب عزّته كما قال تعالى «وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاّ خَلا فِيها نَذِيرٌ» ۵و كتاب منزل يدعوهم إلى عبادته و يذكّرهم فيه منسىّ عهده و يتلى عليهم فيه أخبار الماضين و العبر اللاحقه للأوّلين و يحتجّ عليهم فيه بالحجج البالغه و الدلائل القاطعه،و يوضح لهم فيه امور نظامهم و ينبّههم على مبدئهم و معادهم،و الانفصال هاهنا انفصال مانع من الخلوّ كما هو مصرّح به.

قوله رسل لا تقصّر بهم قلّه عددهم و لا كثره المكذّبين لهم أى هم رسل كذلك،و المراد الإشاره إلى أنّهم و إن كانوا قليلى العدد بالنسبه إلى كثره الخلق،و كان عدد المكذّبين

لهم كثيرا كما هو المعلوم من أنّ كلّ نبيّ بعث إلى امّه فلا بدّ فيهم فرقه تنابذه و تعانده، و تكذّب مقاله فإنّ ذلک لا يولّيهم قصورا عن أداء ما كلّفوا القيام به من حمل الخلق على ما يكرهون ممّا هو مصلحه لهم فى معاشهم و معادهم،بل يقوم أحدهم وحده و يدعو إلى طاعه بارئه و يتحمّل إعباء المشقّه التامّه فى مجاهده أعداء الدين،و ينشر دعوته فى أطراف الأرض بحسب العنايه الأزليّه و الحكمه الإلهيّه،و تبقى آثارها محفوظه و سنتّها قائمه إلى أن يقتضى الحمكمه وجود شخص آخر منهم يقوم ذلک المقام« «رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ لِئَلاّ يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ» » ١قوله من سابق سمّى له من بعده تفضيل للأنبياء،و من هاهنا للتميز و التبيين،و المراد أنّ السابق منهم قد اطّلعه اللّه تعالى على العلم بوجود اللاحق له بعده فبعضهم كالمقدّمه لتصديق البعض كعيسى عليه السّلام حيث قال «وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ» ٢»و بين لاحق سمّاه من قبله كمحمّد صلى اللّه عليه و آله و على ذلک أى على هذه الوتيره و الاسلوب و النظام الإلهى.

قوله مضت الأمم و سلفت الآباء و خلقت الأبناء إلى أن بعث اللّه سبحانه محمّد صلى اللّه عليه و آله إلى قوله من الجهاله ،و اعلم أنّه عليه السّلام ساق هذه الخطبه من لدن آدم عليه السّلام إلى أن انتهى إلى محمّد صلى اللّه عليه و آله كما هو الترتيب الطبيعى إذ هو الغايه من طينه النبوّه و خاتم النبيّين كما نطق به القرآن الكريم « «ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَ لكِنْ رَسُولَ اللّهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ» » ٣ثمّ شرع بعد ذلک فى التنبيه على كيفيّه اهتداء الخلق به و انتظام أمورهم فى معاشهم و معادهم بوجوده كلّ ذلک استدراج لأذهان السامعين و تمهيد لما يريد أن يقرّره عليهم من مصالح دينيّه أو دنيويّه فأشار إلى أنّه الغايه من طينه النبوّه و تمام لها بقوله إلى أن بعث اللّه محمّدا صلى اللّه عليه و آله لإنجاز عدته لخلقه على ألسنه رسله السابقين بوجوده و إتمام نبوّته صلى اللّه عليه و آله.

قوله مأخوذا على النبيين ميثاقه ،النصب هاهنا على الحال من بعث و ذو الحال

محمّد صلى اللّه عليه و آله،و كذلك الحال فى المنصوبين الباقيين،و المراد بأخذ ميثاقه عليهم ما ذكر و قرّر فى فطرتهم من الاعتراف بحقيّه نبوّته صلى اللّه عليه و آله و تصديقه فيما سيجىء به إذ كان ذلك من تمام عباده الحقّ سبحانه فبعث صلى اللّه عليه و آله حال ما كان ذلك الميثاق مأخوذا على الأنبياء و من عداهم و حال ما كانت إمارات ظهوره و البشاره بمقدّمه مشهوره بينهم مع ذكاء أصله و كرم مادّه حملته و شرف وقت سمح به،ثمّ أراد عليه السّلام بعد ذلك أن يزيد بعثه محمّد صلى اللّه عليه و آله تعظيما،و يبيّن فضيله شرعه و كيفيّه انتفاع الخلق به فقال:و أهل الأرض يومئذ ملل متفرّقه و أهواء منتشره و طوائف متشتّته،و الواو فى قوله و أهل الأرض للحال أيضا،و موضع الجمله نصب،و قوله و أهواء خبر مبتداء محذوف تقديره أهوائهم أهواء متفرّقه،و كذلك قوله و طوائف أى و طوائفهم طرائق متشتّته أى بعثه و حال أهل الأرض يوم بعثه ما ذكر من تفرّق الأديان و انتشار الآراء و اختلافها و تشتّت الطرق و المذاهب،و اعلم أنّ الخلق عند مقدم محمّد صلى اللّه عليه و آله إمّا من عليه اسم الشرائع أو غيرهم أمّا الأوّلون فاليهود و النصارى و الصائبه و المجوس،و قد كانت أديانهم اضمحلّت من أيديهم،و إنّما بقوا متشبّهين بأهل الملل،و قد كان الغالب عليهم دين التشبيه،و مذهب التجسيم كما حكى القرآن الكريم عنهم« «وَ قالَتِ الْيَهُودُ وَ النَّصارى نَحْنُ أَبْناءُ اللّهِ وَ أَحِبّاؤُهُ» » ۱« «وَ قالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَ قالَتِ النَّصارى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ» » ۲« «وَ قالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَهٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِما قالُوا» » ۳و المجوس أثبتوا أصلين أسندوا إلى أحدهما الخير و إلى الثانى الشّر،ثمّ زعموا أنّه جرت بينهما محاربه ثمّ إنّ الملائكه توسّطت و أصلحت بينهما على أن يكون العالم السفلى للشرير مدّه سبعه آلاف سنه إلى غير ذلك من هذيانهم و خبطهم،و أمّا غيرهم من أهل الأهواء المنتشره و الطوائف المتشتّته فهم على أصناف شتّى فمنهم العرب أهل مكّه و غيرهم و قد كان منهم معطّله و منهم محصّله نوع تحصيل،أمّا المعطّله فصنف منهم أنكروا الخالق و البعث و الإعاده،و قالوا بالطبع المحيى و الدهر المفنى،و هم الّذين حكى القرآن عنهم« «أَ فَرَأَيْتَ»

إن «هِيَ إِلاّ حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَ نَحْيا وَ ما يُهْلِكُنا إِلاَّ الدَّهْرُ» ١و قصّروا الحياه و الموت على تحلّل الطبائع المحسوسه و تركّبها فالجامع هو الطبع و المهلك هو الدهر« «وَ ما لَهُمْ بِذلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاّ يَظُنُّونَ» ٢و صنف منهم أقرّوا بالخالق و ابتداء الخلق عنه، و أنكروا البعث و الإعاده و هم المحكىّ عنهم فى القرآن الكريم «وَ ضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَ نَسِيَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا» ٣الآيه،و صنف منهم اعترفوا بالخالق و نوع من الإعاده لكنّهم عبدوا الأصنام و زعموا أنّها شفعاؤهم عند اللّه كما قال «وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ ما لا يَضُرُّهُمْ وَ لا يَنْفَعُهُمْ وَ يَقُولُونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللّهِ» ٤و من هؤلاء قبيله يقف و هم أصحاب اللات بالطائف و قريش و بنو كنانه و غيرهم أصحاب العزّى،و منهم من كان يجعل الأصنام على صور الملائكه،و يتوجّه بها إلى الملائكه،و منهم من كان يعبد الملائكه كما قال تعالى «بَلْ كانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ» ٥و أمّا المحصّله فقد كانوا فى الجاهليه على ثلاثه أنواع من العلوم:أحدها علم الأنساب و التواريخ و الأديان،و الثانى علم تعبير الرؤيا و الثالث علم الأنواء،و ذلك بما يتولاّه الكهنه و القافه منهم،و عن النبىّ صلى اللّه عليه و آله من قال:

مطرنا نبنوء كذا فقد كفر بما أنزل على محمّد،و من غير العرب البراهمه من أهل الهند و مدار مقالتهم على التحسين و التقبيح العقليّين و الرجوع فى كلّ الأحكام إلى العقل و إنكار الشرائع و انتسابهم إلى رجل منهم يقال له براهام،و منهم أصحاب البدده و البدّ عندهم شخص فى هذا العالم لا يولد و لا ينكح و لا يطعم و لا يشرب و لا يهرم و لا يموت،و منهم أهل الفكره و هم أهل العلم منهم بالفلك و أحكام النجوم،و منهم أصحاب الروحانيّات الّذين أثبتوا وسائط روحانيّه تأتيهم بالرساله من عند اللّه فى صوره البشر من غير كتاب فتأمرهم و تنهاهم و منهم عبده الكواكب،و منهم عبده الشمس،و منهم عبده القمر و هؤلاء يرجعون بالأخره إلى عباده الأصنام إذ لا يستمرّ لهم طريقه إلاّ بشخص حاضر ينظرون إليه و يرجعون إليه فى مهمّاتهم،و لهذا كان أصحاب الروحانيّات و الكواكب يأخذون أصناما على صورها فكان الأصل فى وضع

الأصنام ذلک إذ یبعد ممّن له أدنی فطنه أن یعمل خشبا بیده ثمّ یتخذّه إلها إلاّ أنّ الخلق لمّا عکفوا علیها و ربطوا حوائجهم بها من غیر إذن شرعیّ و لا حجّه و لا برهان من اللّه تعالی کان عکوفهم ذلک و عبادتهم لها إثباتا لإلهیّتها،و وراء ذلک من أصناف الآراء الباطله و المذاهب الفاسده أکثر من أن تحصی مذکوره فی الکتب المصنّفه فی هذا الفنّ،و إذا عرفت ذلک ظهر معنی قوله علیه السّلام من مشیّئه اللّه بخلقه کالبقیّه من أصحاب الملل السابقه فإنّهم و إن أثبتوا صانعا إلاّ أنّ أذهانهم مکیّفه بکیفیّه بعض مصنوعاته فی نفس الأمر من الجسمیّه و توابعها،و من ملحد فی اسمه کالّذین عدلوا عن الحقّ فی أسماعه بتحریفها عمّا هی علیه إلی أسماء اشتقّوها لأوثانهم و زادوا فیها و نقصوا کاشتقاقهم اللات من اللّه،و العزّی من العزیز و مناه من المنّان،و هذا التأویل مذهب ابن عبّاس،و منهم من فسّر الملحدین فی أسماء اللّه بالکاذبین فی أسمائه و علی هذا کلّ من سمّی اللّه بما لم یسمّ به ذهنه و لم ینطق به کتاب و لا ورد فیه إذن شرعیّ فهو ملحد فی أسمائه،و قوله و من مشیر إلی غیره کالدهریّه و غیرهم من عبده الأصنام،و الانفصال هاهنا لمنع الخلوّ أیضا،فلمّا اقتضت العنایه بعثته صلی اللّه علیه و آله لیهتدوا سبیل الحقّ و یفیئوا من ضلالهم القدیم إلی سلوک الصراط المستقیم،و لینقذهم ببرکه نوره من ظلمات الجهل إلی أنوار الیقین،فقام بالدعوه إلی سبیل ربّه بالحکمه و الموعظه الحسنه و المجادله بالّتی هی أحسن،فجلی اللّه بنوره صداء قلوب الخلق،و أزهق باطل الشیطان بما جاء به من الحقّ و الصدق و انطلقت الألسن بذکر اللّه و استنارت البصائر بمعرفه اللّه و کمل به دینه فی أقصی بلاد العالم،و أتمّ به نعمته علی کافّه عباده کما قال تعالی «اَلْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَیْکُمْ نِعْمَتِی وَ رَضِیتُ لَکُمُ الْإِسْلامَ دِیناً » ۱أحبّ اللّه سبحانه لقاءه کما أحبّ هو لقاء اللّه کما قال صلی اللّه علیه و آله:من أحبّ لقاء اللّه أحب اللّه لقاءه و رضی له ما عنده من الکرامه التامّه و النعمه العامّه فی جواره الأمین «فِی مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِیکٍ مُقْتَدِرٍ » ،فأکرمه عن دار الدنیا و رغب به عن مجاوره البلوی و مقام الأذی فقبضه اللّه إلیه عند انتهاء أجله کریما عن أدناس الذنوب طاهرا فی ولادته الجسمانیّه و الروحانیه صلی اللّه علیه و آله ما برق بارق و ذرّ شارق.

ص:۲۰۷

قوله و خلّف فيكم ما خلّفت الأنبياء فى امممها إذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح و لا علم قائم.

أقول:لمّا كان هذا الشخص الّذى هو النبىّ ليس ممّا يتكوّن وجود مثله فى كلّ وقت لما أنّ المادّه الّتى تقبل كمال مثله إنّما يقع فى قليل من الأمزجه وجب إذن أن يشرع للناس بعده فى امورهم سنّه باقيه بإذن اللّه و أمره و وحيه و إنزاله الروح القدس عليه،و واجب أن يكون قد دبّر لبقاء ما يسنّه و يشرعه فى امور المصالح الإنسانيّه تدبيرا و الغايه من ذلك التدبير هو بقاء الخلق و استمرارهم على معرفه الصانع المعبود و دوام ذكره و ذكر المعاد،و حسم وقوع النسيان فيه مع انقراض القرآن الّذى يلى النبىّ و من بعده فواجب إذن أن يأتيهم بكتاب من عند اللّه و يكون وافيا بالمطالب الإلهيّه و الأذكار الجاذبه إلى اللّه سبحانه و لإخطاره بالبال فى كلّ حال مشتملا على أنواع من الوعد على طاعه اللّه و رسوله بجزيل الثواب عند المصير إليه،و الوعيد على معصيته بعظيم العقاب عند القدوم عليه و لا بدّ أن يعظّم أمره و يسنّ على الخلق تكراره و حفظه،أو بحثه و دراسته و تعلّمه و تعليمه و تفّهم معانيه و مقاصده ليدوم به التذكّر للّه سبحانه،و الملاء الأعلى من ملائكته ثمّ يسنّ عليهم أفعالا و أعمالا تتكرّر فى أوقات مخصوصه تتقارب و يتلو بعضها بعضا مشفوعه بألفاظ تقال و نيّات تنوى فى الخيال ليحصل بها دوام تذكّر المعبود الأوّل و ينتفع بها فى أمر المعاد و إلاّ فلا فائده فيها،و هذه الأفعال كالعبادات الخمس المفروضه على الناس و ما يلحقها من الوظائف و لمّا بدء عليه السّلام هاهنا بذكر الكتاب العزيز لكونه مشتملا على ذكر سائر ما جاء به الرسول صلى اللّه عليه و آله إمّا مطابقه أو التزاما و فى بسط قوانينه الكليّه بحسب السنّه النبويّه وفاء بجميع المطالب الإلهيّه،فنحن نبدء بذكر شرفه و وظائفه و شرائط تلاوته و نؤخّر الكلام فى باقى العبادات إلى مواضعها.

البحث الثانى-فى فضيله الكتاب

أمّا الفضيله فمن وجوه.

الأوّل-قوله تعالى «وَ هٰذا ذِكْرٌ مُبارَكٌ أَنْزَلْناهُ أَ فَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ» ۱«كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ» ۲و قوله «وَ ما كانَ هٰذَا الْقُرْآنُ»

«أَنْ يُفْتَرى مِنْ دُونِ اللّهِ وَ لكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ» ۱الثانى قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:من قرء القرآن ثمّ رأى أنّ أحدا اوتى أفضل ممّا اوتى فقد استصغر ما عظّم اللّه تعالى،الثالث قوله صلى اللّه عليه و آله:ما من شفيع أفضل منزله عند اللّه تعالى يوم القيامه من القرآن لا نبىّ و لا ملك و لا غيره،و يلوح لك من سرّ هذه الإشاره أنّ ذلك إنّما هو فى حقّ من تدّبره، و سلك النهج المطلوب منه المشتمل عليه،و وصل به إلى جناب اللّه فى جوار الملائكه المقرّبين و لا غايه من الشفاعه إلاّ الوصول إلى نيل الرضوان من المشفوع،و علمت أنّ تمام رضوان اللّه بغير سلوك الطريق المشتمل عليها الكتاب العزيز لا يحصل،و لا ينفع فيه شفاعه شافع كما قال تعالى «فَما تَنْفَعُهُمْ شَفاعَةُ الشّافِعِينَ فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ» ۲الرابع قال صلى اللّه عليه و آله:لو كان القرآن فى احاب لما مسّته النار،و المراد أىّ ظرف وعاه و تدبّره و سلك طريقه لم تمسّه النار،أمّا نار الآخره فظاهر،و أمّا نار الدنيا فلأنّ الواصلين من أولياء اللّه الكاملين فى قوّتهم النظريّه و العمليّه يبلغون حدّا تنفعل العناصر عن نفوسهم فتتصرّف فيها كتصرّفها فى أبدانها فلا يكون لها فى أبدانهم تأثير،و قد عرفت أسباب ذلك فى المقدّمات.الخامس قال صلى اللّه عليه و آله:أفضل عباده امّتى قراءه القرآن،و أهل القرآن هم أهل اللّه و خاصّته،و المقصود مع شرائطه الّتى سنذكرها.

البحث الثالث-فى وظائفه

أمّا مداومه الكتاب بالتلاوه و الدرس فيحتاج إلى وظائف و إلاّ لم ينتفع بها كما قال أنس:ربّ تال للقرآن و القرآن يلعنه،و الّذى ينبغى أن يوظّف فى ذلك ما لخصّه الإمام أبو حامد الغزّالىّ فى كتاب الإحياء فإنّه لا مزيد عليه و هى امور عشره:الأوّل أن يتصوّر الإنسان حال سماعه للتلاوه عظمه كلام اللّه سبحانه و إفاضه كماله و لطفه بخلقه فى نزوله عن عرش جلاله إلى درجه أفهام الخلق فى إيصال معانى كلامه إلى أذهانهم،و كيف تجلّت لهم الحقائق الإلهيّه فى طىّ حروف و أصوات هى صفات البشر إذ يعجز البشر عن الوصول إلى مدارج الجلال و نعوت الكمال إلاّ بوسيله،و لو لا استتار كنه جمال كلامه بكسوه الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش و لا ثرى،و لتلاشى ما بينهما من

عظمه سلطانه و سبحات نوره فالصوت و الحرف للحكمه جسد،و هى بالنسبه إليه نفس و روح، و لمّا كان شرف الأجساد و عزّتها بشرف أرواحها فكذلك شرف الحرف و الصوت بشرف الحكمه الّتى فيها.الثانى التعظيم للمتكلّم،و ينبغى أن يحضر فى ذهن القارئ عظمه المتكلّم،و يعلم أنّ ما يقرأه ليس بكلام البشر،و أنّ فى تلاوه كلام اللّه غايه الحظر فإنّه تعالى قال «لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» و كما أنّ ظاهر جلد المصحف و ورقه محروس عن ظاهر بشره الامس الغير المتطّهر فكذلك باطن معناه كلمه عزّه و جلاله محجوب عن باطن القلب إذ لا يستضىء بنوره إلاّ إذا كان متطهّرا عن كلّ رجس مستنيرا بنور التعظيم و التوفير عن ظلمه الشرك،و كما لا تصلح للمس جلد المصحف كلّ يد،فلا يصلح لتلاوه حروفه كلّ إنسان و لا لحمل أنواره كلّ قلب،و لأجل هذا الإخلال كان عكرمه بن أبى جهل إذا نشر المصحف يغشى عليه و يقول:هو كلام ربّى فيعظّم الكلام بتعظيم المتكلّم و علمت أنّ عظمه المتكلّم لا تخطر فى القلب بدون الفكر فى صفات جلاله و نعوت كماله و أفعاله و إذا خطر ببالك الكرسىّ و العرش و السماوات و الأرضون و ما بينهما،و علمت أنّ الخالق لجميعها و القادر عليها و الرازق لها «هُوَ اللّٰهُ الْواحِدُ الْقَهّارُ» ،و أنّ الكلّ فى قبضته «وَ السَّماواتُ مَطْوِيّاتٌ بِيَمِينِهِ» ،و الكلّ سائر إليه و أنه الّذى يقول:هؤلاء فى الجنّه،و لا ابالى فإنّك تستحضر من ذلك عظمه المتكلّم ثمّ عظمه الكلام.الثالث حضور القلب و ترك حديث النفس.قيل فى تفسير قوله «يا يَحْيى خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ» أى بجدّ و اجتهاد و أخذه بالجدّ أن يتجرّد عند قراءته بحذف جميع المشغلات و الهموم عنه،و هذه الوظيفه تحصل ممّا قبلها فإنّ المعظم للكلام الّذى يتلوه يستبشر به و يستأنس إليه و لا يغفل فإنّ فى القرآن ما يستأنس به القلب إن كان التالى له أهلا،و كيف يطلب الانس بالفكر فى غيره و فيه بساتين العارفين،و رياض الأولياء و ميادين اولى الألباب.الرابع التدبير و هو طور وراء حضور القلب فإنّ الإنسان قد لا يتفكّر فى غير القرآن،و لكنّه يقتصر على سماع القرآن من نفسه و هو لا يتدبّره،و المقصود من التلاوه التدبّر قال سبحانه «أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها» ١« «أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللّٰهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً»

«كَثِيراً» ۱و قال «وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً» تمكّن الإنسان من تدبّر الباطن و قال صلى اللّه عليه و آله:

لا خير فى عباده لا فقه فيها،و لا فى قراءه لا تدبّر فيها،و إذا لم يمكن التدبّر إلاّ بالترديد فليردّد قال أبو ذر:قام رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ليله يردّد قوله تعالى «إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُكَ وَ إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» ۲الخامس التفهّم و هو أن يستوضح من كلّ آيه ما يليق بها إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات اللّه تعالى و أفعاله و أحوال أنبيائه و المكذّبين لهم و أحوال ملائكته و ذكر أوامره و زواجره و ذكر الجنّه و النار و الوعد و الوعيد،فليتأمّل معانى هذه الأسماء و الصفات لتنكشف له أسرارها فتحتها دفائن الأسرار و كنوز الحقائق و إلى ذلك أشار علىّ عليه السلام بقوله ما أسرّ إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله شيئا كتمه عن الناس إلاّ أن يؤتى اللّه عبدا فهما فى كتابه فليكن حريصا فى طلب ذلك الفهم،و قال ابن مسعود:من أراد علم الأوّلين و الآخرين فعليه بالقرآن،و اعلم أنّ أعظم علوم القرآن تحت أسماء اللّه تعالى و صفاته و لم يدرك الخلق منها إلاّ بقدر أفهامهم و إليه الإشاره بقوله «أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رابِياً» ۳فالماء هو العلم أنزله من سماء جوده أوديه القلوب كلّ على حسب استعداده و إمكانه و إن كان وراء ما أدركوه أطوار اخرى لم يقفوا عليها،و كنوز لم يعثروا على أغوارها أمّا أفعاله تعالى و ما أشار إليه من خلق السماوات و الأرض و غيرها فالّذى ينبغى أن يفهم التالى منها و هو صفات اللّه و جلاله لاستلزام الفعل الفاعل فيستدلّ بعظمه فعله على عظمته ليلاحظ بالأخره الفاعل دون الفعل فيقرأ فى المقام الأوّل« «هذا خَلْقُ اللّهِ فَأَرُونِي ما ذا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ» ۴و يقرأ فى المقام الثانى « «كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلاّ وَجْهَهُ» »فمن عرف الحقّ رآه فى كلّ شيء،و من بلغ إلى حدّ العرفان عن درجه الاعتبار لم ير معه غيره فإذا تلا قوله «أَ فَرَأَيْتُمْ ما تُمْنُونَ» - «أَ فَرَأَيْتُمُ الْماءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ» «أَ فَرَأَيْتُمُ النّارَ الَّتِي تُورُونَ» فلا ينبعى أن يقصر نظره على النطفه و الماء و النار بل ينظر فى المنى و هو نطفه،ثمّ فى كيفيّه انقسامها إلى اللحم و العظم و العصب و العروق و غيرها،ثمّ

فى كيفيّه أشكال أعضائها المختلفه من المستدير و الطويل و العريض و المستقيم و المنحنى و الرخوه و الصلب و الرقيق و الغليظ،و ما أودع فى كلّ من القوّه وهبا له من المنفعه الّتى لو اختلّ شىء منها لاختلّ أمر البدن و مصالح الإنسان،فليتأمّل فى هذه العجائب و أمثالها يترقىّ فيها إلى عجيب قدره اللّه تعالى و المبدأ الّذى صدرت عنه هذه الآثار،فلا يزال مشاهدا لكمال الصانع فى كمال صنعه،و أمّا أحوال الأنبياء عليهم السلام فليفهم من سماع كيفيّه تكذيبهم و قتل بعضهم صفه استغناء اللّه تعالى عنهم،و لو هلكوا بأجمعهم لم يتضرّر بذلك و لم يؤثّر فى ملكه فإذا سمع نصرتهم فليفهم أنّ ذلك بتأييد إلهىّ كما قال تعالى «حَتّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جاءَهُمْ نَصْرُنا فَنُجِّيَ مَنْ نَشاءُ» ١و أمّا أحوال المكذّبين لهم كعاد و ثمود و كيفيّه إهلاكهم فليتبّه من سماعه لاستشعار الخوف من سطوه اللّه و نقمته و ليكن حظّه منه الاعتبار فى نفسه،و أنّه إن غفل و أساء الأدب فربّما أدركته النقمه و نفذت فيه القضيّه حيث لا ينفع مال و لا بنون،و كذلك إذا سمع أحوال الجنّه و النار فليحصل منهما على خوف و رجاء و ليتصوّر أنّه بقدر ما يبعد عن أحدهما يقرب من الآخر،و ليفهم منها و من سائر القرآن أنّ استقصاء ما هناك من الأسرار الإلهيّه غير ممكن لعدم نهايته قال تعالى «قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً» ٢و قال علىّ عليه السّلام:لو شئت لأوفرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحه الكتاب،فمن لم يتفهّم معانى القرآن فى تلاوته و سماعه و لو فى أدنى المراتب دخل فى قوله تعالى «أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَ أَعْمى أَبْصارَهُمْ أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها» ٣و تلك الأقفال هى الموانع الّتى سنذكرها.السادس التخلّى عن موانع الفهم فإنّ أكثر الناس منعوا من فهم القرآن لأسباب و حجب استدّلها الشيطان على قلوبهم فحجبت عن عجائب أسراره قال صلى اللّه عليه و آله:لو لا أنّ الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لتنظروا إلى الملكوت،و معانى القرآن و أسراره من جمله الملكوت و الحجب المانعه.

أوّلها الاشتغال بتحقيق الحروف و إخراجها و الشدق بها عن ملاحظه المعنى،و قيل:إنّ

المتولّى لحفظ ذلك شيطان و كلّ بالقرّاء ليصرف عن معانى كلام اللّه فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف و يحيل إليهم أنّه لم يخرج من مخرجه فيكون تأمّله مقصور على مخارج الحروف:فمتى تنكشف له المعانى،و أعظم ضحكه للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس، و ثانيها أن يقلّد مذهبا سمعه و تفسيرا ظاهرا نقل إليه عن ابن عبّاس أو مجاهد أو غيرهما فيحمل على التعصّب له من غير علم فيصير نظره موقوفا على مسموعه حتّى لو لاح له بعض الأسرار حمل عليه شيطان التقليد جهله،و لم يسوّغ له مخالفه آبائه و معلميّه فى ترك ما هو عليه من الاعتقاد،و إلى مثل هذا أشارت الصوفيّه بقولهم:العلم حجاب،و عنوا بالعلم العقائد الّتى استمرّ عليها أكثر الناس بالتعليم و التقليد أو بمجرّد كلمات جدليّه حرّرها المتعصبّون للمذاهب و ألقوها إليهم لا العلم الحقيقىّ الّذى هو المشاهده بأنوار البصيره،ثمّ ذلك التقليد قد يكون باطلا كمن يحمل الاستواء على العرش على ظاهره فإن خطر له فى القدّوس أنّه المقدّس عن كلّ ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من استقرار ذلك الخاطر فى نفسه حتّى ينساق إلى كشف ثان و ثالث،و لكن يتسارع إلى دفع ذلك عن خاطره و يجعله وسوسه،و قد يكون حقّا و يكون أيضا مانعا من الفهم لأنّ الحقّ الّذى كلّف الخلق طلبه له مراتب و درجات و ظاهر و باطن فجمود الطبع على ظاهره يمنع من الوصول إلى الباطن،فإن قلت:كيف يجوز أن يتجاوز الإنسان المسموع و قد قال صلى اللّه عليه و آله:

من فسّر القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار،و فى النهى عن ذلك آثار كثيره،قلت:

الجواب عنه من وجوه:الأوّل أنّه معارض بقوله صلى اللّه عليه و آله:إنّ للقرآن ظهرا و بطنا و حدّا و مطلعا،و بقوله علىّ عليه السّلام:إلاّ أن يؤتى اللّه عبدا فهما فى القرآن،و لو لم يكن سوى الترجمه المنقوله فما فائده ذلك الفهم،الثانى أنّه لو لم يكن غير المنقول لاشترط أن يكون مسموعا من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و ذلك ممّا لا يصادف إلاّ فى بعض القرآن،و أمّا ما بقوله ابن عبّاس و ابن مسعود و غيرها من أنفسهم فينبغى أن لا يقبل و يقال هو تفسير بالرأى.الثالث أنّ الصحابه و المفسّرين اختلفوا فى تفسير بعض الآيات فقالوا فيها أقاويل مختلفه لا يمكن الجمع بينها،و سماع ذلك عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله محال فكيف يكون الكلّ مسموعا.الرابع أنّه عليه السّلام دعا لابن عبّاس فقال:اللهمّ فقّهه فى الدين،و علّمه التأويل فإن كان التأويل

مسموعا كالتنزيل و محفوظا مثله فلا معنى لتخصيص ابن عبّاس بذلك.الخامس قوله تعالى «لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ» فأثبت للعلماء استنباطا،و معلوم أنّه وراء المسموع فإذن الواجب أن يحمل النهى عن التفسير بالرأى على أحد معنيين:أحدهما أن يكون للإنسان فى الشىء رأى و له إليه ميل بطبعه فيتأوّل القرآن على وفق رأيه حتّى لو لم يكن له ذلك الميل لما خطر ذلك التأويل له،و سواء كان ذلك الرأى مقصدا صحيحا أو غير صحيح،و ذلك كمن يدعو إلى مجاهده القلب القاسى فيستدّل على تصحيح غرضه من القرآن بقوله تعالى «اذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى» و يشير إلى أنّ قلبه هو المراد بفرعون كما يستعمله بعض الوعّاظ تحسينا للكلام و ترغيبا للمستمع و هو ممنوع.الثانى أن يتسرّع إلى تفسير القرآن بظاهر العربيّه من غير استظهار بالسماع و النقل فيما يتعلّق بغرائب القرآن و ما فيها من الألفاظ المبهمه و ما يتعلّق من الاختصار و الحذف و الإضمار و التقديم و التأخير و المجاز فمن لم يحكم ظاهر التفسير و بادر إلى استنباط المعانى بمجرّد فهم العربيّه كثر غلطه و دخل فى زمره من يفسّر بالرأى مثاله قوله تعالى «وَ آتَيْنا ثَمُودَ النّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِها» ۱فالناظر إلى ظاهر العربيّه ربّما يظنّ أنّ المراد أنّ الناقه كانت مبصره،و لم تكن عمياء و المعنى آيه مبصره، ثمّ لا يدرى أنّهم إذا ظلموا غيرهم و من ذلك المنقول المنقلب كقوله تعالى «وَ طُورِ سِينِينَ» و كذلك باقى أجزاء البلاغه فكلّ مكتف فى التفسير بظاهر العربيّه من غير استظهار بالنقل فهو مفسّر برأيه،فهذا هو النهى عنه دون التفهم لأسرار المعانى و ظاهر أنّ النقل لا يكفى فيه،و إنّما ينكشف للراسخين فى العلم من أسراره بقدر صفاء عقولهم،و شدّه استعدادهم له و للطلب و الفحص و التفهّم و ملاحظه الأسرار و العبر،و يكون لكلّ واحد منهم جدّ فى الترقىّ إلى درجه منه بعد الاشتراک فى الظاهر و مثاله ما فهم بعض العارفين من قوله صلى اللّه عليه و آله فى سجوده:أعوذ برضاک من سخطک،و أعوذ بمعافاتک من عقوبتک، و أعوذ بک منک لا احصى ثناء عليک أنت كما أثنيت على نفسک إنّه قيل له اسجد و اقترب فوجد القرب فى السجود فنظر إلى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض،فإنّ الرضا و السخط وصفان متضادّان ثمّ زاد قربه فاندرج القرب الأوّل فيه فرقى إلى اللذّات،فقال:أعوذ

بکَ منک ثمّ زاد قربه ممّا استحیا به علی سائر القرب فالتجأ إلی الثناء،فأثنی بقوله:

لاـ احصی ثناء علیک،ثمّ علم أنّ ذلک قصور،فقال:أنت کما اثنیت علی نفسک،فهـذه خواطر نسـخ للعارفین لا یفهم من تفسیر الظـاهر و لیس مناقضـا له،و إنّمـا هو اسـتکمال لما تحته من الأسـرار.الثالث من الموانع أن یکون مبتلی من الـدنیا بهوی متاع فإنّ ذلـک سـبب لظلمه القلب و کالصـداء علی المرآه فیمنع جلیّه الحقّ یتجلّی فیه و هو أعظم حجـاب للقلب و به حجب الأکثرون:و کلّما کانت الشـهوات أکثر تراکما علی القلب کان البعـد عن أسـرار اللّه أکثر،و لـذلک قال صـلی اللّه علیه و آله:الدنیا و الآخره ضرّتان بقدر ما تقرب من إحداهما تبعد من الاخری.السابع أن یخصّـِص نفسه بکلّ خطاب فی القرآن من أمر أو نهی أو وعد أو وعیـد،و یقـدّر أنّه هـو المقصـود به کـذلک إن سـمع قصـص الأـوّلین و الأنبیـاء علیهم السـلام علم أنّ السـمر غیر مقصود و إنّما المقصود الاعتبـار فلاـ یعتقـد أنّ کلّ خطاب خاصّ فی القرآن فالمراد به الخصوص فإنّ القرآن و سائر الخطابات الشـرعیّه وارده بإیّاک أعنی و اسمعی یا جاره،و هی کلّها نور و هدی و رحمه للعالمین،و لذلک أمر الحقّ تعالی الکافّه بشکر نعمه الکتاب فقال «وَ اذْکُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ عَلَیْکُمْ وَ ما أَنْزَلَ عَلَیْکُمْ مِنَ الْکِتابِ وَ الْحِکْمَهِ یَعِظُکُمْ بِهِ» ۱و إذا قـدر أنّه المقصود لم یتخذ دراسه القرآن عملا بل قراءه کقرائه العبـد کتاب مولاه الّـذی کتبه إلیه لیتـدبّره و یعمل بمقتضاه کما قال حکیم:هذا القرآن وسائل أتتنا من قبل ربّنا بعهوده نتدبّرها فی الصلوات،و نقف علیها فی الخلوات،و نعدّها فی الطاعات بالسـنن المتبعات.الثانی التأثّر و هو أنّ یتأثّر قلبه بآثـار مختلفه بحسب اختلاـف الآیـات، فیکون له بحسب کـلّ فهم حـال و وجـد یتصّف به عنـد ما یوجّه نفسه فی کلّ حاله إلی الجهه الّتی فهمهـا من خوف أو حزن أو رجاء أو عبره فیسـتعدّ بـذلک و ینفعل و یحصل له التأثّر و الخشـیه،و مهما قویت معرفته کانت الخشیه أغلب الأحوال علی قلبه فإنّ التضـییق غالب علی العارفین فلا یری ذکر المغفره و الرحمه إلّا مقرونا بشروط یقصر العارف عن نیلها کقوله تعالی «وَ إِنِّی لَغَفّارٌ لِمَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدی» ۲فإنّه قرن المغفره بهذه الشروط الأربعه و کذلک قوله تعالی «وَ الْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِی خُسْرٍ» السوره ذکر

فیها أربعه شروط و حیث أوجزه و اقتصر ذکر شرطا واحدا جامعا للشرائط فقال تعالی «إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِیبٌ مِنَ الْمُحْسِنِینَ» إذ کان الإحسان جامعا لکلّ الشرائط،و تأثّر العبد بالتلاوه أن یصیر بصفه الآیه المتلوّه فعند الوعید یتضاءل من خشیه اللّه و عند الوعد یستبشر فرحا باللّه و عند ذکر صفات اللّه و أسمائه یتطأطأ خضوعا لجلاله و عند ذکر الکفّار فی حقّ اللّه ما یمتنع علیه کالصاحبه و الولد یعضّ صورته(صوته)و ینکسر فی باطنه من قبح أفعالهم و یکبر اللّه و یقدّسه عمّا یقول الظالمون،و عند ذکر الجنّه ینبعث بباطنه شوقا إلیها،و عند ذکر النار ترعد فرائصه خوفا منها،و لمّا قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله لابن مسعود:اقرأه علیّ قال:فافتتحت سوره النساء فلمّا بلغت« «فَکَیْفَ إِذا جِئْنا مِنْ کُلِّ أُمَّهٍ بِشَهِیدٍ وَ جِئْنا بِکَ عَلی هؤُلاءِ شَهِیداً» »رأیت عینیه تذرفان من الدمع،فقال لی:حسبک الآن،و ذلک لاستغراق تلک الحاله بقلبه بالکلّیه،و بالجمله فالقرآن إنّما یراد بهذه الأحوال و استجلابها إلی القلب و العمل بها قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله:اقرءوا القرآن ما ائتلفت علیه قلوبکم و لانت علیه جلودکم،فإذا اختلفتم فلستم تقرءونه،و قال تعالی «الَّذِینَ إِذا ذُکِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَ إِذا تُلِیَتْ عَلَیْهِمْ آیاتُهُ زادَتْهُمْ إِیماناً» ۱و إلاّ فالمئونه فی تحریک اللسان خفیفه قال بعضهم قرأت علی شیخ لی،ثمّ رجعت أقرء علیه ثانیا فانتهرنی و قال:جعلت القرآن علیّ.عملا.اذهب فاقرء علی اللّه تعالی،و انظر ما ذا یأمرک،و ما ذا یفهمک،و مات رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله عن عشرین ألفا من الصحابه لم یکن لیحفظ القرآن منهم غیر ستّه و اختلف منهم فی إثنین و کان أکثرهم یحفظ السوره و السورتین،و کان الّذی یحفظ البقره و الأنعام من علمائهم کلّ ذلک لاشتغالهم بتفهّم معانی القرآن عن حفظه کلّه،و جاء إلیه واحد لیعلّمه القرآن فانتهی إلی قوله تعالی «فَمَنْ یَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ خَیْراً یَرَهُ وَ مَنْ یَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّهٍ شَرًّا یَرَهُ» ۲فقال:یکفینی هذا و انصرف فقال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله انصرف الرجل و هو فقیه فالعزیز مثل تلک الحاله الّتی یمنّ اللّه تعالی بها علی القلب عقیب تفهّم الآیه،و امّا التالی باللسان المعرض عن العمل فجدیر بأن یکون المراد بقوله تعالی «وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِکْرِی فَإِنَّ لَهُ»

«مَعِيشَةً ضَنْكاً وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَهِ أَعْمى» الآيه و إنّما حظّ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل و حظّ العقل تفسير المعانى،و حظّ القلب الاتّعاظ و التأثّر بالانزجار و الايتمار.التاسع الترقّى و هو أن يوجّه قلبه و عقله إلى القبله الحقيقيّه فيسمع الكلام من اللّه تعالى لا من نفسه.و درجات القراءه ثلاث:أدناها أن يقدّر العبد كأنّه يقرأ على اللّه واقفا بين يديه و هو ناظر إليه و مستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال و التضرّع و الابتهال.الثانيه أن يشهد بقلبه كأنّه سبحانه يخاطبه بألطافه و يناجيه بإنعامه و إحسانه،و هو فى مقام الحياء و التعظيم لمنن اللّه و الاصغآء إليه و الفهم عنه.الثالثه أن يرى فى الكلام المتكلّم،و فى الكلمات الصفات و لا ينظر إلى قلبه و لا إلى قراءته و لا إلى التعلّق بالإنعام من حيث هو منعم عليه بل يقصر الهمّ على المتكلّم و يوقف فكره عليه و يستغرق فى مشاهدته.هذه درجه المقرّبين،عنها أخبر الصادق جعفر بن محمّد عليه السّلام فقال:لقد تجلّى اللّه تعالى لخلقه فى كلامه و لكنّهم لا يبصرون،و قال أيضا و قد سألوه عن حاله لحقته فى الصلاه حتّى خرّ مغشيّا عليه، فلمّا أفاق قيل له فى ذلك فقل:ما زلت اردّد هذه الآيه على قلبى حتّى سمعتها من المتكلّم بها فلم يثبت جسمى لمعاينه قدرته.ففى مثل هذه الدرجه تعظم الحلاوه،و بهذا الترقّى يكون العبد ممتثلا لقوله تعالى «فَفِرُّوا إِلَى اللّهِ» و بمشاهده المتكلّم دون ما عداه يكون ممتثلا لقوله تعالى «وَ لا تَجْعَلُوا مَعَ اللّهِ إِلهاً آخَرَ» فإنّ رؤيه غير اللّه معه شرك خفىّ لا مخلص منه إلاّ برؤيته وحده.العاشر التبرىّ،و المراد به أن يبرء من حوله و قوّته و لا يلتفت إلى نفسه بعين الرضا و التزكيه،فإذا تلا آيات الوعد و مدح الصالحين حذف نفسه عن درجه الاعتبار و شهد فيها الموقنين و الصديقين،و يتشوّق إلى أن يلحقه اللّه تعالى بهم،و إذا تلا آيات المقت و الذّم فى المقصّرين شهد نفسه هناك و قدّر أنّه المخاطب خوفا و إشفاقا.قيل ليوسف بن أستاط إذا قرأت القرآن بماذا تدعو.قال:بما ذا أدعو أستغفر اللّه عن تقصيرى سبعين مرّه،و من رأى نفسه بصوره التقصير فى القراءه كان ذلك سبب قربه فإنّ من شهد البعد فى القرب لطف له بالخوف حتّى يسوقه إلى درجه أعلى فى القرب و من شهد القرب فى البعد ردّه أمنه إلى درجه أدنى فى البعد ممّا هو فيه،و مهما شاهد نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه فإذا جاوز حدّ الالتفات إلى نفسه و لم يشاهد إلاّ اللّه فى قراءته انكشف له الملكوت،و المكاشفات تابعه لحال

المکاشف،فحیث یتلو آیات الرجاء یغلب علیه استبشار و ینکشف له صوره الجنّه فیشاهدها کأنّه یراها،و إن غلب علیه الخوف کوشف بالنار حتّی یری أنواع عذابها،و ذلک لأنّ کلام اللّه تعالی وارد باللطف و السهوله و الشدّه و العسف و الرجاء و الخوف و ذلک بحسب أوصافه إذ منها الرحمه و اللطف و الإنعام و البطش،فبحسب مشاهده الکمالات و الصفات یتقلّب القلب فی اختلاف الحالات،و بحسب کلّ حاله منها یستعدّ لنوع من المکاشفه مناسب لتلک الحاله إذ یستحیل أن یکون حال المستمع واحد و المسموع مختلف،إذ فیه کلام رضی و کلام غضب و کلام إنعام و کلام انتقام و کلام جبروت و تکبّر و کلام جنّه و تعطّف، فهذه هی وظائف التلاوه. و لنرجع إلی المتن فنقول:

قوله و خلّف فیکم ما خلّف الأنبیاء فی اممها إذ لم یترکوهم هملا بغیر طریق واضح و لا علم قائم

استعاره قوله: و خلّف فیکم ما خلّف الأنبیاء فی اممها إذ لم یترکوهم هملا بغیر طریق واضح و لا علم قائم .إشاره إلی وضع ما یجب فی الحکمه الإلهیّه علی ألسنه الرسل علیهم السلام من العبادات الشرعیّه و القوانین الکلّیّه الّتی بها یبقی ذکر اللّه سبحانه محفوظا،و استعمال لفظ العلم القائم هاهنا استعاره حسنه للآثار الباقیه عن الأنبیاء الّتی یهتدی بها الأوصیاء و الأولیاء الّذین یرجع إلیهم الخلق .

قوله کتاب ربّکم

قوله: کتاب ربّکم .عطف بیان لما فی قوله ما خلّفت الأنبیاء ،و لا ینبغی أن یفهم ممّا شخص الکتاب حتّی یکون ما أتی به محمّد صلی اللّه علیه و آله من الکتاب هو عین ما أتت به الأنبیاء السابقون علیهم السّلام و شخصه فإنّ ذلک محال،بل المراد بما نوع ما خلّفت الأنبیاء فی اممها من الحقّ،و ما جاء به محمّد صلی اللّه علیه و آله شخص من أشخاص ذلک النوع،و بیان ذلک أنّ القوانین الکلّیّه الّتی اشترکت فی الإتیان بها جمیع الأنبیاء علیهم السّلام من التوحید و التنزیه للّه تعالی و أحوال البعث و القیامه و سائر القواعد الکلیّه الّتی بها یکون النظام الکلّی للعالم کتحریم الکذب و الظلم و القتل و الزنا و غیر ذلک ممّا لم یخالف فیه نبیّ نبیّا بمنزله مهیّه واحده کلّیه وجدت فی أشخاص،و کما تعرض لبعض أشخاص المهیّه عوارض لا تکون لشخص الآخر و بها یکون اختلاف بین الأشخاص بحسب الموادّ الّتی نشأت منها الصور الشخصیّه کذلک الکتب المنزله علی ألسنه الأنبیاء علیهم السّلام بمنزله أشخاص اشتملت علی مهیّه واحده تختلف بحسب الزیادات و العوارض علی تلک المهیّه بحسب اختلاف الامم

و الأوقات المشتمله على المصالح المختلفه باختلافها .

قوله:مبيّنا

قوله:مبيّنا .منصوب على الحال و العامل خلّف و ذو الحال الفاعل و هو ضمير النبيّ صلى اللّه عليه و آله.

قوله و حلاله و حرامه و فضائله و فرائضه

قوله و حلاله و حرامه و فضائله و فرائضه إشاره إلى الأحكام الخمسه الشرعيّه الّتى يدور عليها علم الفقه،و هى الوجوب و الندب و الحظر و الكراهه و الإباحه،و عبّر بالحلال عن المباح و المكروه،و بالحرام عن المحظور و بالفضائل عن المندوب،و بالفرائض عن الواجب، و بالنسخ عن رفع الحكم الثابت بالنصّ المتقدّم بحكم آخر مثله،فالناسخ هو الحكم الرافع كقوله «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ» و المنسوخ هو الحكم المرفوع كقوله «لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ» و بالرخص عمّا اذن فى فعله مع قيام السبب المحرّم لضروره أو غيرها كقوله «فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَ لا عادٍ» الآيه و بالعزائم عمّا كان من الأحكام الشرعيّه جاريا على وفق سببه الشرعى كقوله «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا اللّهُ» و بالعامّ هاهنا عن اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح به بحسب وضع واحد كقوله تعالى «وَ اللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» و كقوله «وَ لِلّهِ عَلَى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ» و بالخاصّ عما لم يتناول الجميع بالنسبه إلى ما يتناوله كقوله «مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً» و الخاصّ المطلق هو ما يمنع تصوّر مفهومه من وقوع الشركه فيه كما عرفته،و العبر جمع عبره و هى الاعتبار و اشتقاقها من العبور و هو انتقال الجسم من موضع إلى آخر،و لمّا كان الذهن ينتقل من الشىء إلى غيره حسن إطلاق العبره عليه،و أكثر ما يختصّ إطلاق العبره بانتقال ذهن الإنسان من المصائب الواقعه بالغير أو الامور المكروهه له إلى نفسه فيقدّرها كأنّها نازله به فيحصل له بسبب ذلك انزعاج عن الدنيا و انتقال ذهن إلى ما ورائها من أمر المعاد و الرجوع الى بارئه و يسمّى ذلك عبره،و كذلك من المصائب اللاحقه فى نفسه المذكره له بجناب العزّه و الملفته له بتكرارها عن دار البلوى و المحن،فينتقل ذهنه بسببها إلى أنّ الدنيا دار البوار و أنّ الآخره هى دار القرار،و ذلك كقصّه أصحاب الفيل،و كقوله «فَقالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى فَأَخَذَهُ اللّهُ نَكالَ الْآخِرَهِ وَ الْأُولى إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَهً لِمَنْ يَخْشى» ۱و قوله تعالى «وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ» و إن كان قد تستعمل العبره فى كلّ ما يفيد

اعتبارا من طرف الإحسان أيضا كقوله تعالى «وَ إِنَّ لَكُمْ فِی الْأَنْعام لَعِبْرَةً نُسْقِیكُمْ مِمّا فِی بُطُونِها» ۱الآیه و كقوله تعالى «فِئَةٌ تُقاتِلُ فِی سَبِیلِ اللّهِ وَ أُخْرى كافِرَةٌ یَرَوْنَهُمْ مِثْلَیْهِمْ رَأْیَ الْعَیْنِ وَ اللّهُ یُؤَیِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ یَشاءُ إِنَّ فِی ذلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِی الْأَبْصارِ» ۲فجعل سبحانه نصر المؤمنین على ملّتهم و خذلان المشركین على كثرتهم و مشاهده المسلمین لكونهم مثلیهم محلاّ للعبره إذ یحصل بذلك انتقال الذهن من نعمه إلى أنّه الإله المطلق المستحقّ للعباده المتفرّد بالقدره على ما یشاء أهل الرحمه و الجود و إفاضه تمام الوجود،و أمّا الأمثال فظاهره كقوله تعالى «ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لا یَقْدِرُ عَلى شَیْءٍ» الآیه و كقوله «مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِی اسْتَوْقَدَ ناراً» و نحوه،و أراد بالمرسل الألفاظ المطلقه و المهمله و هی الألفاظ الّتی لا تمنع نفس مفهوماتها وقوع الشركه فیها لكنّها لم یبیّن فیها كمیّه الحكم و مقداره و لم تقیّد بقید یفید العموم و لا الخصوص و هو محتمله لهما كأسماء الجموع فی النكرات كقوله تعالى «وَ عَلَى الْأَعْرافِ رِجالٌ» و كالمفرد المعرّف باللام أو المنكّر كقوله «وَ الْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِی خُسْرٍ» و كقوله«إِنْ «جاءَكُمْ فاسِقٌ» و قوله «فَكُّ رَقَبَةٍ» فإنّ كلّ هذه الألفاظ یراد بها الطبیعه دون الكلّ أو البعض إلاّ بدلیل منفصل،و الفرق بینها و بین العامّ أنّ لكلّ شیء مهیّه هو بها ما هو و هی مغایره لكلّ ما عداها فإنّ مفهوم الإنسان مثلا لیس إلاّ أنّه الإنسان و أمّا أنّه واحد أو كثیر أو لیس أحدهما فمفهوم آخر مغایر لمهیّته.إذا عرفت ذلك فاللفظ الدالّ على الحقیقه من حیث هی من غیر دلاله على شیء آخر معها هو اللفظ المطلق و المهمل،و الدالّ معها على قید العموم بحیث یفهم منه تعدّد المهیّه و تكثّرها فی جمیع مواردها فهو اللفظ العامّ،أو فی بعض مواردها و هو الخاصّ و إن كان العموم و الخصوص بالذات للمعانی،و أراد بالمحدود المقیّد كقوله تعالى فی الكفّاره فی موضع آخر «فَتَحْرِیرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ» و أمّا المحكم و المتشابه و المجمل و المبیّن فقد سبق بیانها فی المقدّمه مثال المحكم قوله تعالى «قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ» مثال المتشابه قوله «الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى» مثال المجمل قوله «إِلاّ ما یُتْلى عَلَیْكُمْ» و قوله «وَ أُحِلَّ لَكُمْ ما وَراءَ ذلِكُمْ» مثال المبیّن قوله بعد ذلك

«أَنْ تنفقوا بِأَمْوالِكَمْ»الآيه،و التفسير هو التبيين و الغوامض دقائق المسائل،و إنّما أضاف هذه المعانى كلّها إلى الكتاب لاشتماله عليها،و كونه مبدءا لها،و لمّا كانت محتاجه إلى البيان كان الرسول صلى اللّه عليه و آله هو المبيّن لها بسنّته الكريمه .

و قوله بين مأخوذ ميثاق علمه و موسّع على العباد فى جهله إلى آخره

و قوله بين مأخوذ ميثاق علمه و موسّع على العباد فى جهله إلى آخره الضمائر تعود إلى الأحكام المذكوره المشتمل عليها الكتاب العزيز و ذكر منها أنواعا:

أحدها-ما يجب تعلّمه و غير موسّع للخلق فى جهله كوحدانيّه الصانع و أمر المعاد و العبادات الخمس و شرائطها.

و ثانيها-ما لا يتعيّن على كافّه الخلق العلم به بل يعذر بعضهم فى الجهل و يوسّع لهم فى تركه كالآيات المتشابهات،و كأوائل السور كقوله تعالى «كهيعص» -و «حم عسق» و نحوهما.

و ثالثها-ما هو مثبت فى الكتاب فرضه معلوم فى السنّه نسخه و ذلك كقوله تعالى «وَ اللاّتِي يَأْتِينَ الْفاحِشَةَ مِنْ نِسائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتّى يَتَوَفّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً وَ الَّذانِ يَأْتِيانِها مِنْكُمْ فَآذُوهُما فَإِنْ تابا وَ أَصْلَحا فَأَعْرِضُوا عَنْهُما» ۱فكانت الثّيب إذا زنت فى بدو الإسلام تمسّك فى البيوت إلى الممات،و البكر تؤذى بالكلام و نحوه بمقتضى هاتين الآيتين،ثمّ نسخ ذلك فى حقّ الثّيب بالرجم و فى حقّ البكر بالجلد و التعذيب بحكم السنّه.

و رابعها-ما هو بعكس ذلك أى مثبت فى السنّه أخذه مأذون فى الكتاب تركه و ذلك كالتوجّه إلى بيت المقدس فى ابتداء الإسلام فإنّه كان ثابتا فى السنّه ثمّ نسخ بقوله تعالى «فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ» ۲و كثبوت صلاه الخوف فى القرآن حال القتال الرافع لجواز تأخيرها فى السنّه إلى انجلاء القتال.

و خامسها-ما يجب لوقته و يزول فى مستقبله كالحجّ الواجب فى العمر مرّه و كالنذور المقيّده بوقت معيّن و أمثالها فإنّ وجوبها تابع لوقتها المعيّن و لا يتكرّر بتكرّر أمثالها.

قوله و مباين بين محارمه عطف على المجرورات السابقه و الياء مفتوحه و فى معنى الكلام و تقديره لطف فإنّ المحارم لمّا كانت هى محالّ الحكم المسمّى بالحرمه صار المعنى و بين حكم مباين بين محالّه هو الحرمه،و قوله من كبير أو عد عليه نيرانه أو صغير أرصد له غفرانه بيان لتلك المحالّ و أشاره إلى تفاوتها بالشدّه و الضعف فى كونها مبّعده عن رحمه اللّه على سبيل الجمله،فالأوّل كالقتل فى قوله تعالى «وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ» الآيه و كذلك سائر الكبائر من الظلم و الزنا و غيرها،و الثانى قال الفقهاء كالتطفيف بالحبّه و سرقه بافه من بصل و نحو ذلك و إرصاد الغفران بإزاء هذه و أمثالها فى الكتاب العزيز كقوله تعالى «وَ إِنَّ رَبَّکَ لَذُو مَغْفِرَهٍ لِلنّاسِ عَلى ظُلْمِهِمْ» و سائر آيات الوعد بالمغفره فإنّها إن كانت عامّه فى كلّ الذنوب فالصغائر داخله بطريق أولى و إلاّ كانت محموله على الصغائر و سرّ أولويّتها بالغفران أنّها لا تكاد تكسب النفس ملكه الإفراط و الجور إلاّ عن بعد بعيد و تكرار طويل بخلاف الكبائر فإنّ الأحوال لا يقع إلاّ عن نفس مستعدّه للشرّ بعيده عن رحمه اللّه،و باللّه العصمه و التوفيق.

الفصل الخامس منها.قوله: فى ذكر الحج

اشاره

وَ فَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ- الَّذِى جَعَلَهُ قِبْلَهً لِلْأَنَامِ- يَرِدُونَهُ وُرُودَ الْأَنْعَامِ وَ يَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وُلُوهَ الْحَمَامِ- وَ جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلاَمَهً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ- وَ إِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ- وَ اخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَّاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ- وَ صَدَّقُوا كَلِمَتَهُ وَ وَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ- وَ تَشَبَّهُوا بِمَلاَئِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ- يُحْرِزُونَ الْأَرْبَاحَ فِى مَتْجَرِ عِبَادَتِهِ- وَ يَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ- جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى لِلْإِسْلاَمِ عَلَماً- وَ لِلْعَائِذِينَ حَرَماً فَرَضَ حَقَّهُ وَ أَوْجَبَ حَجَّهُ- وَ كَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفَادَتَهُ- فَقَالَ سُبْحَانَهُ «وَ لِلّهِ عَلَى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ»

ص:۲۲۲

اللغه

أقول: يألهون إليه أى يشتدّ وجدهم و شوقهم إليه و أصل الهمزه هاهنا الواو من و له إذا تحيّر من شدّه الوجد ،و السماع جمع سامع كسامر و سماع و المبادره المسارعه ، و الوفاده القدوم للاسترفاد و الانتفاع ،

المعنى

اشاره

و اعلم أنّا لمّا بيّنا وجوب العبادات و أشرنا إلى وجه الحكمه فيها فبالحرىّ أن نشير إلى وجه الحكمه فى خصوص الحجّ من جملتها،و نؤخّر تفصيل باقيها إلى مواضعه،و إنشاء اللّه فأمّا الحجّ فإنّك لمّا عرفت أنّ الغرض الأوّل من العبادات هو جذب الخلق إلى جناب الحقّ بالتذكير له و دوام إخطاره بالبال لتجلّى لك الأسرار على طول التذكار،و ينتهى فى ذلك من أخذت العنايه بيده إلى مقام المخلصين فمن جمله أسرار اللّه سبحانه المنزله على لسان رسوله تعيين موضع من البلاد أنّه أصلح المواضع لعباده اللّه،و أنّه خاصّ له و لا بدّ أنّ تبنى مثل هذه الأوضاع على إشارات و رموز إلى مقاصد حقيقيّه يتنبّه لها من أخذ التوفيق بزمام عقله إليها،و لا بدّ من تعيين أفعال تفعل فى ذلك المكان و أنّها إنّما تفعل فى ذات اللّه سبحانه،و أنفع المواضع المعيّنه فى هذا الباب ما كان مأوى الشارع و مسكنه فإنّ ذلك مستلزم لذكره،و ذكره مستلزم لذكر اللّه سبحانه و ذكر ملائكته و اليوم الآخر،و لمّا لم يمكن فى المأوى الواحد أن يكون مشاهدا لكلّ أحد من الامه فالواجب إذن أن يفرض إليه مهاجره و سفر و إن كان فيه نوع مشقّه و كلفه من تعب الأسفار و إنفاق المال و مفارقه الأهل و الولد و الوطن و البلد،و نحن نذكر فضيلته من جهه السمع ثمّ نشير إلى ما ينبغى أن يوظّف فيه من الآداب الدقيقه و الاعمال الباطنه عند كلّ حركه و ركن من أركان الحجّ مما يجرى من تلك الأركان مجرى الأرواح للأبدان فإذن

هاهنا أبحاث.

البحث الأوّل-أمّا الفضيله

فمن وجوه:الأوّل قوله تعالى «وَ أَذِّنْ فِي النّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجالاً وَ عَلى كُلِّ ضامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ» ١قال قتاده:لمّا أمر اللّه عزّ و جلّ خليله إبراهيم عليه السّلام أن يؤذّن فى الناس و نادى أيّها الناس إنّ للّه بيتا فحجوّه،و قال تعالى «لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ» ٢قيل:التجاره فى المواسم و الأجر فى الآخره،و لمّا سمع بعض السلف هذا قال غفر لهم و ربّ الكعبه،الثانى قال عليه السّلام:من حجّ و لم يرفث و لم يفسق خرج

من ذنوبه كيوم ولدته امّه،و قد عرفت كيفيّه نفع العبادات فى الخلاص من الذنوب.الثالث قال صلى اللّه عليه و آله:ما رأى الشيطان فى يوم هو أصغر و لا أحقر و لا أغيض منه يوم عرفه،و ما ذلك إلاّ لما يرى من نزول الرحمه و تجاوز اللّه عن الذنوب العظام إذ يقال من الذنوب ما لا يكفّرها إلاّ الوقوف بعرفه.أسنده الصادق عليه السّلام إلى الرسول صلى اللّه عليه و آله و كان سرّ ذلك ما يحصل من رحمه اللّه و يفاض على أسرار العباده الّتى قد صفت بشدّه الاستعداد الحاصل من ذلك الموقف العظيم الّذى يجتمع فيه العالم أشدّ اجتماع،فإنّ الاجتماع سبب عظيم فى الانفعال و الخشيه للّه و قبول أنواره كما سنبيّنه إنشاء اللّه.الرابع قال صلى اللّه عليه و آله:حجّه مبروره خير من الدنيا و ما فيها،و حجّه مبروره ليس لها أجر إلاّ الجنّه قال صلى اللّه عليه و آله:الحجّاج و العمّار وفد اللّه و زوّاره إن سألوه أعطاهم،و إن استغفروه غفر لهم،و إن دعوه استجاب لهم،و إن شفعوا إليه شفّعهم.السادس روى عنه صلى اللّه عليه و آله من طرق أهل بيته عليهم السّلام أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفه و ظنّ أنّ اللّه لم يغفر له،و فى فضل جزئيّات الحجّ أخبار كثيره تطلب من مظانّها.

البحث الثانى-فى الآداب الدقيقه

و هى عشره:الأوّل أن تكون النفقه حلالا و يخلو القلب عن تجاره تشغله سوى اللّه تعالى،و فى الخبر من طريق أهل البيت إذا كان آخر الزمان خرج الناس إلى الحجّ على أربعه أصناف سلاطينهم للنزهه،و أغنيائهم للتجاره،و فقراؤهم للمسأله و قرّاؤهم للسمعه،و فى الخبر إشاره إلى جمله أغراض الدنيا الّتى يتصوّر أن يتّصل بالحجّ،فكلّ ذلك مانع لفضيله الحجّ و مقصود الشارع منه،الثانى أن لا يساعد الصادّين عن سبيل اللّه و المسجد الحرام بتسليم المكوس إليهم فإنّ ذلك إعانه على الظلم و تسهيل لأسبابه و جرأه على سائر السالكين إلى اللّه،و ليحتل فى الخلاص فإن لم يقدر فالرجوع أولى من إعانه الظالمين على البدعه و جعلها سنّه،الثالث التوسّع فى الزاد و طيب النفس فى البذل،و الإنفاق بالعدل دون البخل و التبذير،فإنّ بذل الزاد فى طريق مكّه إنفاق فى سبيل اللّه قال صلى اللّه عليه و آله:الحجّ المبرور ليس له أجر إلاّ الجنّه فقيل يا رسول اللّه ما برّ الحجّ؟قال:طيب الكلام و إطعام الطعام،الرابع ترك الرفث و الفسوق و الجدال كما قال تعالى «فَلا رَفَثَ وَ لا فُسُوقَ وَ لا جِدالَ فِي الْحَجِّ» ۱و الرفث كلّ لغو و فحش من الكلام،

و یدخل فی ذلک محادثه النساء بشأن الجماع المحرّم فإنّها تهیّج داعیته و هی مقدّمه له فتحرم،و من لطف الشارع إقامه مظنّه الشیء مقام الشیء حسما لمادّته،و الفسوق الخروج عن طاعه اللّه،و الجدال هو المماراه و الخصومه الموجبه للضغائن و الأحقاد و افتراق کلمه الخلق(الحقّ)،و کلّ ذلک ضدّ مقصود الشارع من الحجّ و شغل عن ذکر اللّه،الخامس أن یحجّ ماشیا مع القدره و نشاط النفس فإنّ ذلک أفضل و أدخل للنفس فی الإذعان لعبودیّه اللّه،و قال بعض العلماء:الرکوب أفضل لما فیه من مئونه الإنفاق،و لأنّه أبعد من الملال و أقلّ للأذی و أقرب إلی السلامه و أداء الحجّ،و هذا التحقیق غیر مخالف لما قلناه، و الحقّ التفصیل،فیقال:من سهل علیه المشی فهو أفضل فإن أضعف و أدّی إلی سوء خلق و قصور عن العمل فالرکوب أفضل لأنّ المقصود توفّر القوی علی ذکر اللّه تعالی و عدم المشتغلات عنه.السادس أن یرکب الزامله دون المحمل لاشتماله علی زیّ المترفین و المتکبرین و لأنّه أخفّ علی البعیر اللهمّ إلاّ لعذر.حجّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله علی راحلته و کان تحته رحل رثّ و قطیفه خلقه قیمته أربعه دراهم و طاف علی الراحله لینظر الناس إلی هیئته و شمائله،و قال:خذوا عنّی مناسککم.السابع أن بخرج رثّ الهیئه أقرب إلی الشعث غیر مستکثر من الزینه و أسباب التفاخر فیخرج بذلک عن حزب السالکین و شعار الصالحین.و روی عنه صلی اللّه علیه و آله أنّه قال:إنّما الحاجّ الشعث التفث یقول اللّه تعالی لملائکته انظروا إلی زوّار بیتی قد جاءونی شعثا غیرا من کلّ فج.و قال تعالی «ثُمَّ لْیَقْضُوا تَفَثَهُمْ» و التفث الشعث و الاغبرار و قضاؤه بالحلق و تقلیم الأظفار.الثامن أن یرفق بالدابّه و لا یحملها ما لا تطیق کان أهل الورع لا ینامون علی الدابّه إلاّ عفوه من قعود قال صلی اللّه علیه و آله:لا تتّخذوا ظهور دوّابکم کرسیّ،و یستحبّ أن ینزل عن دابّته غدوّه و عشیّه یروّحها بذلک فهو سنّه، و سرّ ذلک مراعاه الرقّه و الرحمه و التخلّی عن القسوه و الظلم و لأنّه یخرج بالعسف عن قانون العدل و مراعاه عنایه اللّه و شمولها فإنّها کما لحقت الإنسان لحقت سائر الحیوان التاسع أن یتقرّب بإراقه دم و یجتهد أن یکون سمینا ثمینا روی أنّ عمر أهدی نجیبه فطلبت منه بثلاثه مائه دینار فسأل رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله أن یبیعها و یشتری بثمنها بدنا فنهاه رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و قال:بل اهدها و ذلک لأنّ المقصود لیس تکثیر اللحم و إنّما المقصود تزکیه

النفس و تطهيرها عن رذيله البخل و تزيينها بجمال التعظيم للّه «لَنْ يَنالَ اللّهَ لُحُومُها وَ لا دِماؤُها وَ لكِنْ يَنالُهُ التَّقْوى مِنْكَمْ» قال صلى اللّه عليه و آله:ما من عمل آدمىّ يوم النحر أحبّ إلى اللّه عزّ و جلّ من إهراقه دما و إنّها لتأتى يوم القيامه بقرونها و إطلافها و إنّ الدم ليقع من اللّه بمكان قبل أن يقع الأرض فطيّبوا بها نفسا.العاشر أن يكون طيّب النفس بما أنفقه من هدى و غيره،و بما أصابه من خسران و نقيصه مال إن أصابه ذلك فإنّه بذلك يكون مكتفيا إلى اللّه سبحانه عن كلّ ما أنفقه متعوّضا عنه ما عند اللّه و ذلك علامه لقبول حجّه.

البحث الثالث-فى الوظائف القلبيّه عند كلّ عمل من أعمال الحجّ.

اعلم أنّ أوّل الحجّ فهم موقع الحجّ فى الدين ثمّ الشوق إليه ثمّ العزم عليه ثمّ قطع العلائق المانعه عنه ثمّ تهيئه أسباب الوصول إليه من الزاد و الراحله ثمّ السير ثمّ الإحرام من الميقات بالتلبيه ثمّ دخول مكّه ثمّ استتمام الأفعال المشهوره،و فى كلّ حاله من هذه الحالات تذكره للمتذكّر و عبره للمعتبر و نيّه للمريد الصادق و إشاره للفطن الحاذق إلى أسرار يقف عليها بصفاء قلبه و طهاره باطنه إن ساعده التوفيق.أمّا الفهم فاعلم أنّه لا وصول إلى اللّه إلاّ بتنحيه ما عداه عن القصد من المشتهيات البدنيّه و اللذّات الدنيويّه و التجريد فى جميع الحالات و الاقتصار على الضروريّات،و لهذا انفرد الرهبان فى الأعصار السالفه عن الخلق فى قلل الجبال توحّشا من الخلق و طلبا للانس بالخالق و اعرضوا عن جميع ما سواه،و لذلك مدحهم بقوله «ذلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَ رُهْباناً وَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ» فلمّا اندرس ذلك و أقبل الخلق على اتّباع الشهوات و الإقبال على الدنيا و الالتفات عن اللّه بعث نبيّه صلى اللّه عليه و آله لإحياء طريق الآخره و تجديد سنّه المرسلين فى سلوكها فسأله أهل الملل عن الرهبانيّه و السياحه فى دينه فقال:أبدلنا بها الجهاد و التكبير على كلّ شرف يعنى الحجّ.و سئل عن السائحين فقال:هم الصائمون فجعل سبحانه الحجّ رهبانيّه لهذه الامه فشرّف البيت العتيق بإضافته إلى نفسه و نصبه مقصدا لعباده و جعل ما حوله حرما لبيته تفخيما لأمره و تعظيما لشأنه،و جعل عرفات كالميدان على باب حرمه و أكدّ حرمه الموضع بتحريم صيده و شجره،و وضعه على مثال حضره الملوك يقصده الزوّار «مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ» شعثا غبرا متواضعين لربّ البيت مستكينين له خضوعا بجلاله و استكانه لعزّته مع الاعتراف بتنزيهه عن أن

يحومه مكـان ليكون ذلـك أبلغ فى رقّهم و عبوديّتهم،و لـذلك وظّف عليهم فيهـا أعمالاـ لاـ تأنس بها النفوس و لا تهتـدى إلى معانبهـا العقول كرمى الجمـار بالأحجار و التردّد بين الصـفا و المروه على سبيل التكرار،و بمثل هـذه الأعمال يظهر كمال الرّق و العبوديّه بخلاف سائر العبادات كالزكاه الّتى هى إنفاق فى وجه معلوم و للعقل إليه ميل،و الصوم الّذى هو كسـر للشهوه الّتى هى عـدوّ للّه و تفرّغ للعبـاده بـالكفّ عن الشواغل،و كالركوع و السـجود فى الصـلاه الّـذى هو تواضع للّه سـبحانه بأفعال على هيئات التواضع و للنفوس انس بتعظيم اللّه تعـالى.و أمّـا أمثـال هـذه الأعمـال فإنّه لا اهتـداء للعقل إلى أسـرارها فلا يكون للإقـدام عليها بـاعث إلاّ الأمر المجرّد و قصـد امتثاله من حيث هو واجب الاتّباع فقط و فيه عزل للعقل عن تصـرّفه و صـرف النفس و الطبع عن محـلّ انسه المعين على الفعـل من حيث هو فـإنّ كلّ ما أدرك العقل وجه الحكمه فى فعله مال الطبع إليه ميلا تامّا فيكون ذلك الميـل معينـا للأـمر و باعثـا على الفعـل فلا يكاد يظهر به كمال الرقّ و الانقياد،و لـذلك قال صـلى اللّه عليه و آله فى الحـجّ على الخصوص:لبّيـك بحجّه حقّـا تعبّـدا و رقّـا،و لم يقل ذلك فى الصـلاه و غيرها،و إذا اقتضت حكمه اللّه سـبحانه ربط نجاه الخلق بكون أعمـالهم على خلاـف أهويه طبـاعهم و أن يكون أزّمتهـا بيـد الشـارع فيتردّدون فى أعمالهم على سـنن الانقياد و مقتضـى الاسـتبعاد كان مالا يهتدى إلى معانيه أبلغ أنواع التعبّدات و صـرفها عن مقتضـى الطبع إلى مقتضى الاسترقاق،و لهذا كان مصدر تعجّب النفوس من الأفعـال العجيبه هو الـذهول عن أسـرار التعبّـدات،و أمّا الشوق فباعثه الفهم أنّ البيت بيت اللّه و أنّه وضع على مثال حضـره الملوك فقاصده قاصد اللّه تعالى و من قصد حضره اللّه تعالى بالمثال المحسوس فجدير أن يترقّى منه بحسب سوق شوقه إلى الحضـره العلويّه و الكعبه الحقيقيّه الّتى هى فى السـماء و قد بنى هذا البيت على قصدها فيشاهد وجه ربّه الأعلى بحكم وعده الكريم،و أمّا العزم فليستحضر فى ذهنه أنّه لعزمه مفارق للأهل و الولد،هاجر للشهوات و اللذّات مهاجر إلى ربّه،متوجّه إلى زياره بيته و ليعظّم قـدر البيت لقـدر ربّ البيت و ليخلّص عزمه للّه و يبّعده عن شوائب الرياء و السـمعه فإنّ ذلك شـرك خفىّ،و ليتحقّق أنّه لا يقبل من عمله و قصـده إلاّ الخالص و أنّ من أقبـح المقابـح أن يقصد بيت الملك و حرمه مع اطّلاع ذلك الملك على

«خائِنَهَ الْأَعْيُنِ وَ ما تُخْفِی الصُّدُورُ» و یکون قصده غیره فإنّ ذلک استبدال للّذی هو أدنی بالّذی هو خیر،أمّا قطع العلائق فحذف جمیع الخواطر عن قلبه غیر قصد عباده اللّه و التوبه الخالصه له عن الظلم و أنواع المعاصی فکلّ مظلمه علاقه و کلّ علاقه خصم حاضر متعلّق به ینادی علیه و یقول أتقصد بیت الملوک و هو مطّلع علی تضییع أمره لک فی منزلک هذا و تستهین به و لا تلتفت إلی نواهیه و زواجره و لا ـ تستحیی أن تقدم علیه قدوم العبد العاصی فیغلق دونک أبواب رحمته و یلقیک فی مهاوی نقمته فإن کنت راغبا فی قبول زیارتک فأبرز إلیه من جمیع معاصیک و أقطع علاقه قلبک عن الالتفات إلی ما وراءک لتتوجّه إلیه بوجه قلبک کما أنت متوجّه إلی بیته بوجه ظاهرک،و لیذکر عند قطعه العلائق لسفر الحجّ قطع العلائق لسفر الآخره فإنّ کلّ هذه أمثله قریبه یترقّی منها إلی أسرارها،و أمّا الزاد فلیطلبه من موضع حلال فإذا أحسّ من نفسه بالحرص علی استکثاره و طیبه و طلب ما یبقی منه علی طول السفر و لا یتغیّر قبل بلوغ المقصد فلیذکر أنّ سفر الآخره أطول من هذا السفر و أنّ زاده التقوی،و أمّا ما عداه لا ـ یصلح زادا و لا یبقی معه إلّا رثیما هو فی هذا المنزل و لیحذر أن یفسد أعماله الّتی هی زاده إلی الآخره بشوائب الریاء و کدورات التقصیر فیدخل فی قوله تعالی «هَلْ نُنَبِّئُکُمْ بِالْأَخْسَرِینَ أَعْمالاً اَلَّذِینَ ضَلَّ سَعْیُهُمْ فِی الْحَیاهِ الدُّنْیا وَ هُمْ یَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ یُحْسِنُونَ صُنْعاً» ۱و کذلک فلیلاحظ عند رکوب دابّته تسخیر الحیوان له و حمله عنه الأذی،و یتذکّر منّته تعالی لشمول عنایته و رأفته حیث یقول « «وَ تَحْمِلُ أَثْقالَکُمْ إِلی بَلَدٍ لَمْ تَکُونُوا بالِغِیهِ إِلاّ ـ بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّکُمْ لَرَؤُفٌ رَحِیمٌ» » ۲فیشکره سبحانه علی جزیل هذه النعمه و عظیم هذه المنّه،و یستحضر نقلته من مرکبه إلی منازل الآخره الّتی لا شکّ فیه،و لعلّه أقرب من رکوبه الحاضر فتحتاط فی أمره،و لیعلم أنّ هذه أمثله محسوسه یترقّی منها إلی مراکب النجاه من الشقّه الکبری و هی عذاب اللّه سبحانه،و أمّا ثوب الإحرام و شراؤه و لبسه فلیتذکّر معه الکفن و درجه فیه و لعلّه أقرب إلیه ولیتذکّر منها التسربل بأنوار اللّه الّتی لا مخلص من عذابه إلّا بها فیجهد

فى تحصيلها بقدر إمكانه،و أمّا الخروج من البلد فليستحضر عنده أنّه يفارق الأهل و الولد متوجّها إلى اللّه سبحانه فى سفر غير أسفار الدنيا،و يستحضر أيضا غايته من ذلك السفر و أنّه متوجّه إلى ملك الملوك.و جبّار الجبابره فى جمله الزائرين الّذين نودوا فأجابوا و شوّقوا ما اشتاقوا و قطعوا العلائق و فارقوا الخلائق و أقبلوا على بيت اللّه طلبا لرضى اللّه و طمعا فى النظر إلى وجهه الكريم و ليحضر أيضا فى قلبه رجاء الوصول إلى الملك و القبول له بسعه فضله و ليعتقد أنّه إن مات دون الوصول إلى البيت لقى اللّه وافدا عليه لقوله تعالى «وَ مَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِراً إِلَى اللّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللّهِ» ١و ليتذكّر فى أثناء طريقه من مشاهده عقبات الطريق عقبات الآخره و من السباع و الحيّات حشرات القبر،و من وحشه البرارى وحشه القبر و انفراده عن الانس فإنّ كلّ هذه الامور جاذبه إلى اللّه سبحانه و مذكّره له أمر معاده،و أمّا الإحرام و التلبيه من الميقات فليستحضر أنّه إجابه نداء اللّه تعالى و ليكن فى قبول إجابته بين خوف و رجاء مفوّضا أمره إلى اللّه متوكّلا على فضله.قال سفيان بن عيينه حجّ زين العابدين علىّ بن الحسين عليه السّلام فلمّا أحرم و استوت به راحلته اصفرّ لونه و وقعت عليه الرعده و لم يستطع أن يلبّى فقيل له ألا تلبّى فقال:أخشى أن يقول لا لبّيك و لا سعديك فلمّا لبّى غشى عليه و سقط عن راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتّى قضى حجّه فانظر-رحمك اللّه-إلى هذه النفس الطاهره حيث بلغ بها الاستعداد لإفاضه أنوار اللّه لم تزل الغواشى الإلهيّه و النفخات الربّانيّه تغشيها فيغيب عن كلّ شىء سوى جلال اللّه و عظمته،و ليتذكّر عند إجابته نداء اللّه سبحانه إجابه ندائه بالنفخ فى الصور و حشر الخلق من القبور و ازدحامهم فى عرصات القيامه مجيبين لندائه منقسمين إلى مقرّبين و ممقوتين و مقبولين و مردودين و مردّدين فى أوّل الأمر بين الخوف و الرجاء تردّد الحاجّ فى الميقات حيث لا يدرون أيتيسّر لهم إتمام الحجّ؟أم لا،أمّا دخول مكّه.فليستحضر عنده أنّه قد انتهى إلى حرم اللّه الأمن و ليرج عنده أن يأمن بدخوله من عقاب اللّه و ليخش أن لا يكون من أهل القرب،و ليكن رجاؤه أغلب فإنّ الكريم عميم و شرف البيت عظيم و حقّ الزائر مرعىّ و ذمام اللائذ المستجير غير مضيّع خصوصا عند أكرم

الأكرمين و أرحم الراحمين،و يستحضر أنّ هذا الحرم مثال للحرم الحقيقىّ لترقّى من الشوق إلى دخول هذا الحرم و الأمن بدخوله من العقاب إلى الشوق إلى دخول ذلك الحرم و المقام الأمين،و إذا وقع بصره على البيت فليستحضر عظمته فى قلبه و ليترّق بفكره إلى مشاهده حضره ربّ البيت فى جوار الملائكه المقرّبين و ليتشوّق أن يرزقه النظر إلى وجهه الكريم كما رزقه الوصول إلى بيته العظيم و ليتكثّر من الذكر و الشكر على تبليغ اللّه إيّاه هذه المرتبه،و بالجمله فلا يغفل عن تذكير أحوال الآخره فى كلّ ما يراه فإنّ كل أحوال الحجّ و منازله دليل يترقّى منه إلى مشاهده أحوال الآخره،و أما الطواف بالبيت.فليستحضر فى قلبه التعظيم و الخوف و الخشيه و المحبّه،و ليعلم أنّه بذلك متشبّه بالملائكه المقرّبين الحافّين حول العرش الطائفين حوله و لا تظنّن أنّ المقصود طواف جسمك بالبيت بل طواف قلبك بذكر ربّ البيت حتّى لا تبتدىء بالذكر إلاّ منه و لا تختم إلاّ به كما تبدأ بالبيت و تختم به،و اعلم أنّ الطواف المطلوب هو طواف القلب بحضره الربوبيّه و أنّ البيت مثال ظاهر فى عالم الشهاده لتلك الحضره الّتى هى عالم الغيب كما أنّ الإنسان الظاهر مثال الظاهر فى عالم الشهاده للإنسان الباطن الّذى لا يشاهد بالبصر و هو فى عالم الغيب و أنّ عالم الملك و الشهاده مرقاه و مدرج إلى عالم الغيب و الملكوت لمن فتح له باب الرحمه و أخذت العنايه الإلهيّه بيده لسلوك الصراط المستقيم،و إلى هذه الموازنه وقعت الإشاره الإلهيّه بأنّ البيت المعمور فى السماء بإزاء الكعبه،و أنّ طواف الملائكه به كطواف الإنس بهذا البيت،و لمّا قصرت مرتبه أكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف امروا بالتشبّه بهم بحسب الإمكان و وعدوا بأنّ من تشبّه بقوم فهو منهم ثمّ كثيرا ما يزداد ذلك التشبيه إلى أن يصير فى قوّه المشبّه به و الّذى يبلغ تلك المرتبه فهو الّذى يقال إنّ الكعبه تزوره و تطوف به على ما رواه بعض المكاشفين لبعض أولياء اللّه،و أمّا الاستلام فليستحضر عنده أنّه مبائع للّه على طاعته مصمّم عزيمته على الوفاء ببيعته« «فَمَنْ نَکَثَ فَإِنَّما يَنْکُثُ عَلى نَفْسِهِ وَ مَنْ أَوْفى بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً» » ١و لذلك قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:الحجر الأسود يمين اللّه فى الأرض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل أخاه،و لمّا قبّله عمر قال:إنّى لأعلم أنّك

حجر لا تضرّ و لا تنفع و لو لا أنّى رأيت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يقبّلك لما قبّلتك فقال له علىّ عليه السّلام مه يا عمر بل يضرّ و ينفع فإنّ اللّه سبحانه لمّا أخذ الميثاق على بنى آدم حيث يقول« «وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ» »١الآيه ألقمه هذا الحجر ليكون شاهدا عليهم بأداء أمانتهم و ذلك معنى قول الإنسان عند استلامه أمانتى أدّيتها و ميثاقى تعاهدته لتشهد لى عند ربّك بالموافاه،و أمّا التعلّق بأستار الكعبه و الالتصاق بالملتزم.فليستحضر فيه طلب القرب حبّا للّه و شوقا إلى لقائه تبرّكا بالمماسّه و رجاء للتحصّن من النار فى كلّ جزء من البيت و لتكن النيّه فى التعلّق بالستر الالحاح فى طلب الراحه (الرحمه)و توجيه الذهن إلى الواحد الحقّ،و سؤال الأمان من عذابه كالمذنب المتعلّق بأذيال من عصاه المتضرّع إليه فى عفوه عنه المعترف له بأنّه لا ملجاء إلاّ إليه و لا مفزع له إلاّ عفوه و كرمه،و أنّه لا يفارق ذيله إلاّ بالعفو و بذل الطاعه فى المستقبل،و أمّا السعى بين الصفا و المروه فى فناء البيت فمثال التردّد العبد بفناء دار الملك جائيا و ذاهبا مرّه بعد اخرى إظهارا للخلوص فى الخدمه و رجاء لملاحظته بعين الرحمه كالّذى دخل على الملك و خرج و هو لا يدرى ما الّذى يقضى الملك فى حقّه من قبول أوردّ فيكون تردّده رجاء أن يرحمه فى الثانيه إن لم يكن رحمه فى الاولى،و ليتذكر عند تردّده بين الصفا و المروه تردّده بين كفتّى الميزان فى عرصه القيامه و ليمثّل الصفا بكفّه الحسنات و المروه بكفّه السيّئات و ليتذكّر تردّده بين الكفّتين ملاحظا للرجحان و النقصان متردّدا بين العذاب و الغفران، و أما الوقوف بعرفه.فليتذكّر بما يرى من ازدحام الناس و ارتفاع الأصوات و اختلاف اللغات و اتّباع الفرق أئمتّهم فى التردّدات على المشاعر اقتفاء لهم و سيرا بسيرتهم عرصات القيامه و اجتماع الامم مع الأنبياء و الأئمّه و اقتفاء كلّ امّه أثر نبيّها و طمعهم فى شفاعتهم و تجرّهم فى ذلك الصعيد الواحد بين الرّد و القبول،و إذا تذكّر ذلك فيلزم قلبه الضراعه و الابتهال إلى اللّه أن يحشره فى زمره الفائزين المرحومين،و لكن رجاؤه أغلب فإنّ الموقف شريف و الرحمه إنّما تصل من حضره الجلال إلى كافّه الخلائق بواسطه النفوس الكامله من أوتاد الأرض و لا يخلو الموقف عن طائفه من الأبدال و الأوتاد و طوائف من الصالحين و أرباب

القلوب فإن اجتمعت همّهم و تجرّدت للضراعه نفوسهم،و ارتفعت إلى اللّه أيديهم و امتدّت إليه أعناقهم يرمقون بأبصارهم جهه الرحمه طالبين لها فلا تظنّن أنّه يخيّب سعيهم من رحمه تغمرهم و يلوح لك من اجتماعهم الامم بعرفات و الاستظهار بمجاوره الأبدال و الأوتاد المجتمعين من أقطار البلاد و هو السرّ الأعظم من الحجّ و مقاصده فلا طريق إلى استنزال رحمه اللّه و استدرارها أعظم من اجتماع الهمم و تعاون القلوب فى وقت واحد على صعيد واحد،و أمّا رمى الجمار.فليقصد به الانقياد لأمر اللّه و إظهار الرقّ و العبوديه ثمّ ليقصد به التشبّه بإبراهيم عليه السّلام حيث عرض له إبليس فى ذلك الموضع ليدخل على حجّه شبهه أو يفتنه بمعصيه فأمره اللّه تعالى أن يرميه بالحجاره طردا له و قطعا لأمله فإن خطر له أنّ الشيطان عرض لإبراهيم عليه السّلام و لم يعرض له فليعلم أنّ هذا الخاطر من الشيطان و هو الّذى ألقاه على قلبه ليخيّل إليه أنّه لا فائده فى الرمى،و أنّه يشبه اللعب و ليطرده عن نفسه بالجدّ و التشمير فى الرمى فيه يرغم فيه برغم أنف الشيطان فإنّه و إن كان فى الظاهر رميا للعقبه بالحصى فهو فى الحقيقه رمى لوجه إبليس و قصم لظهره إذ لا يحصل إرغام أنفه إلاّ بامتثال أمر اللّه تعظيما لمجرد الأمر، و أمّا ذبح الهدى.فليعلم أنّه تقرب إلى اللّه تعالى بحكم الامتثال فليكمل الهدى و أجزاه و ليرج أن يعتق اللّه بكلّ جزء منه جزءا من النار.هكذا ورد الوعد فكلّما كان الهدى أكثر و أوفر كان الفداء به من النار أتمّ و أعمّ و هو يشبه التقرب إلى الملك بالذبح له و إتمام الضيافه و القرى و الغايه منه تذكّر المعبود الأوّل سبحانه عند النيّه فى الذبح و اعتقاد أنّه متقرب به بأجزائه إلى اللّه فهذه هى الإشاره إلى أسرار الحجّ و أعماله الباطنه. إذا عرفت ذلك فلنرجع إلى المتن .

قوله و فرض عليكم حجّ بيته الحرام إشاره.إلى وجوب الحجّ على الخلق و هو معلوم بالضروره من الدين و وصفه بالحرام لأنّه يحرم على الخلق أن يفعلوا فيه ما لا ينبغى من مناهى الشرع،و قوله الّذى جعله قبله للأنام مستنده قوله تعالى «فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ» ١استعاره و قوله يردونه ورود الأنعام مبالغه فى تشبيه ورود الخلق البيت بورود الأنعام،و وجه الشبه أنّ الخلق يردّون البيت

بازدحام عن حرص و شوق إليه كحال الأنعام عند ورودها الماء،و قيل:إنّ وجه الشبه هو ما بيّناه من عدم اطّلاع الخلق على أسرار الحجّ و على ما يشتمل عليه المناسک من الحکمه الإلهيّه،و لمّا کان العقل الّذی به تميّز الإنسان عن الأنعام و سائر الحيوان معزولا عن إدراک هذه الأسرار کاد أن لا يکون بين الإنسان و بين مرکوبه فرق فی الورود إلی البيت و سائر المناسک و فيه بعد ،و قوله و يألهون إليه ولوه الحمام إشاره إلی شوق الخلق فی کلّ عام إلی ورود البيت کما يشتاق إليه الحمام الّذی يسکنه، السجع و قد راعی عليه السّلام فی هذه القرائن الأربع السجع .قوله جعله علامه لتواضعهم لعظمته و إذعانهم لعزّته إشاره إلی ما ذکرنا من أنّ العقل لمّا لم يکن ليهتدی إلی أسرار هذه الأعمال لم يکن الباعث عليها إلاّ الأمر المجرّد و قصد امتثاله من حيث هو واجب الإتّباع فقط،و فيه کمال الرقّ و خلوص الانقياد فمن فعل ما أمر به من أعمال الحجّ کذلک فهو المخلص الّذی ظهرت عليه علامه المخلصين و المذعن المتواضع لجلال ربّ العالمين،و لمّا کان الحقّ سبحانه عالم الغيب و الشهاده لم يمکن أن يقال إنّ تلک العلامه ممّا يستفيد بها علما بأحوال عبيده من طاعتهم و معصيتهم فإذن يتعيّن أن يکون معناها راجعا إلی ما به تتميّز النفوس الکامله الّتی انقادت لأوامر اللّه و أخلصت له العباده عمّا عداها فإنّ هذه العباده من أشرف ما استعدّت به النفس الإنسانيّه و إفادتها کمالا تميّزت به عن أبناء نوعها فهی إذن علامه بها تميّز من اتّسم بها عن غيره، و قوله و اختار من خلقه سماعا أجابوا إليه دعوته .إشاره إلی الحاج فی قوله تعالی «وَ أَذِّنْ فِی النّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوکَ رِجالاً وَ عَلی کُلِّ ضامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ کُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ» ١و فی الآثار أنّ إبراهيم عليه السّلام لمّا فرغ من بناء البيت جاءه جبرئيل عليه السّلام فأمره أن يؤذّن الناس بالحجّ فقال إبراهيم عليه السّلام:يا ربّ و ما يبلغ صوتی قال اللّه أذّن و علیّ البلاغ فعلا إبراهيم عليه السّلام المقام و أشرف به حتّی صار کأطول الجبال و أقبل بوجهه يمينا و شمالا و شرقا و غربا و نادی يا أيّها الناس کتب عليکم الحجّ إلی البيت العتيق فأجيبوا ربّکم فأجابه من کان فی أصلاب الرجال و أرحام النساء لبيّک اللهمّ لبّيک،و فی الأثر إشارات لطيفه فإنّه يحتمل أن يراد بقول إبراهيم و ما يبلغ صوتی إشاره إلی حکم الوهم الإنسانیّ باستبعاد عموم

هذه الدعوه و انقياد الخلق لها و قصور الطبع عن ذلك،و بقول الحقّ سبحانه و علىّ البلاغ الإشاره إلى تأييد اللّه سبحانه بما أوحى إليه من العلم ببسط دعوته و إبلاغها إلى من علم بلوغها إليه،و بعلوّ إبراهيم المقام حتّى صار كأطول الجبال،و إقباله بوجهه يمينا و شمالا و شرقا و غربا و دعوته إشاره إلى اجتهاده فى التبليغ للدعوه و جذب الخلق إلى هذه العباده بحسب إمكانه و استعانته فى ذلك بأولياء اللّه التابعين له،و أمّا إجابه من كان فى أصلاب الرجال و أرحام النساء له فإشاره إلى ما كتبه اللّه سبحانه بقلم قضائه فى اللوح المحفوظ من طاعه الخلق و إجابتهم لهذه الدعوه على لسان إبراهيم عليه السّلام و من بعده من الأنبياء و هم المراد بالسماع الّذين اختارهم اللّه سبحانه من خلقه حتّى أجابوا دعوته إلى بيته بحجّهم إليه بعد ما أهّلهم لذلك قرنا بعد قرن و امّه بعد اخرى ،و قوله و صدّقوا كلمته إشاره إلى مطابقه أفعالهم لما جاءت به الأنبياء من كلام اللّه سبحانه و عدم مخالفتهم و تكذيبهم لهم،و قوله و وقفوا مواقف الأنبياء إشاره إلى متابعتهم لهم أيضا فى مواقف الحجّ و فى ذكر الأنبياء هاهنا استدراج حسن للطباع اللطيفه المتشوّقه إلى لقاء اللّه و التشبّه بأنبيائه عليهم السّلام و ملائكته و قوله و تشبّهوا بملائكته المطيفين بعرشه إشاره إلى ما ذكرناه من أنّ البيت المعمور بإزاء الكعبه فى السماء و أنّ طواف الخلق بهذا البيت يشبه طواف الملائكه و إحداقهم بالبيت المعمور و العرش فهم متشبّهون بالملائكه فى الطواف،و الغايه أن يترقّى من أخذ العنايه بيده من هذا الطواف إلى أن يصير من الطائفين بالعرش و البيت المعمور ، تشبيه و قوله يحرزون الأرباح فى متجر عبادته و يبادرون عنده موعد مغفرته شبّه عليه السّلام العباده بالبضاعه الّتى يتّجر بها فالتاجر هو النفس و رأس المال هو العقل،و وجوه تصرّفاته حركاته و سكناته الحسيّه و العقليّه المطلوبه منه بالأوامر الشرعيّه و العقليّه و الأرباح هى ثواب اللّه و ما أعدّه للمحسنين فى جنّات النعيم و أقبح بمملوك يعدّ تصرّفه فى خدمه سيّده متجرا يطلب به التكسّب و الربح و أحسن به إذا نظر إلى أنّه أهل العباده فحذف جميع الأعراض و الخواطر فى خدمته عن درجه الاعتبار و جعلها خالصه له لأنّه هو فأمّا كلامه عليه السّلام بذكر الربح هاهنا فاستدراج حسن لطباع الخلق بما يفهمونه و يميلون إليه من حبّ الأرباح فى الحركات ليشتاقوا فيعبدوا ،و قوله و جعله للإسلام علما أى علما للطريق إلى اللّه و سلوك صراطه المستقيم،و هى الإسلام الحقيقىّ يهتدى عليها كما يهتدى بالعلم المرفوع

للعسکر و المارّه علی مقاصدهم،و قوله فرض علیکم حجّه و أوجب حقّه و کتب علیکم وفادته إلی آخره تأکید لما سبق و ذکر للخطاب الموجب للحجّ و هو قوله «وَ لِلّهِ عَلَی النّاسِ حِجُّ الْبَیْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَیْهِ سَبِیلاً» ۱و باللّه العصمه و التوفیق.

۲-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

بعد انصرافه من صفین

القسم الأول

اشاره

أَحْمَدُهُ اسْتِتْمَاماً لِنِعْمَتِهِ وَ اسْتِسْلَاماً لِعِزَّتِهِ- وَ اسْتِعْصَاماً مِنْ مَعْصِیَتِهِ- وَ أَسْتَعِینُهُ فَاقَهً إِلَی کِفَایَتِهِ- إِنَّهُ لَا یَضِلُّ مَنْ هَدَاهُ وَ لَا یَئِلُ مَنْ عَادَاهُ- وَ لَا یَفْتَقِرُ مَنْ کَفَاهُ- فَإِنَّهُ أَرْجَحُ مَا وُزِنَ وَ أَفْضَلُ مَا خُزِنَ- وَ أَشْهَدُ أَنْ «لا إِلهَ إِلَّا اللّهُ» وَحْدَهُ لَا شَرِیکَ لَهُ- شَهَادَهً مُمْتَحَناً إِخْلَاصُهَا مُعْتَقَداً مُصَاصُهَا- نَتَمَسَّکُ بِهَا أَبَداً مَا أَبْقَانَا- وَ نَدَّخِرُهَا لِأَهَاوِیلِ مَا یَلْقَانَا- فَإِنَّهَا عَزِیمَهُ الْإِیمَانِ وَ فَاتِحَهُ الْإِحْسَانِ- وَ مَرْضَاهُ الرَّحْمَنِ وَ مَدْحَرَهُ الشَّیْطَانِ وَ أَشْهَدُ أَنَّ؟مُحَمَّداً؟ عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ- أَرْسَلَهُ بِالدِّینِ الْمَشْهُورِ وَ الْعَلَمِ الْمَأْثُورِ- وَ الْکِتَابِ الْمَسْطُورِ وَ النُّورِ السَّاطِعِ- وَ الضِّیَاءِ اللَّامِعِ وَ الْأَمْرِ الصَّادِعِ- إِزَاحَهً لِلشُّبُهَاتِ وَ احْتِجَاجاً بِالْبَیِّنَاتِ- وَ تَحْذِیراً بِالْآیَاتِ وَ تَخْوِیفاً بِالْمَثُلَاتِ- وَ النَّاسُ فِی فِتَنٍ انْجَذَمَ فِیهَا حَبْلُ الدِّینِ- وَ تَزَعْزَعَتْ سَوَارِی الْیَقِینِ- وَ اخْتَلَفَ النَّجْرُ وَ تَشَتَّتَ الْأَمْرُ- وَ ضَاقَ الْمَخْرَجُ وَ عَمِیَ الْمَصْدَرُ- فَالْهُدَی

خَامِلٌ وَ الْعَمَى شَامِلٌ- عُصِىَ الرَّحْمَنُ وَ نُصِرَ الشَّيْطَانُ وَ خُذِلَ الْإِيمَانُ- فَانْهَارَتْ دَعَائِمُهُ وَ تَنَكَّرَتْ مَعَالِمُهُ- وَ دَرَسَتْ سُبُلُهُ وَ عَفَتْ شُرُكُهُ- أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ وَ وَرَدُوا مَنَاهِلَهُ- بِهِمْ سَارَتْ أَعْلَامُهُ وَ قَامَ لِوَاؤُهُ- فِى فِتَنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا وَ وَطِئَتْهُمْ بِأَظْلَافِهَا- وَ قَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا- فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ- فِى خَيْرِ دَارٍ وَ شَرِّ جِيرَانٍ- نَوْمُهُمْ سُهُودٌ وَ كُحْلُهُمْ دُمُوعٌ- بِأَرْضٍ عَالِمُهَا مُلْجَمٌ وَ جَاهِلُهَا مُكْرَمٌ

اللغه

أقول: صفين اسم موضع بالشام و الاستسلام الانقياد و وال فلان يئل والا و على فعول إذا لجأ فنجا و منه الموئل الملجأ ،و الفاقه الفقر و لا فعل لها ،و مصاص كلّ شىء خالصه و الذخيره الجنيئه ،و الأهاويل الامور المخوّفه الّتى يعظم اعتبار النفس لها ،و عزيمه الإيمان عقد القلب عليه ،و المدحره محلّ الدحر و هو الطرد و الإبعاد ،و المأثور المقدّم على غيره،و المأثور أيضا المنقول ،و المثلات جمع مثله بفتح الميم و ضمّ الثاء و هى العقوبه ،و الفتن جمع فتنه هى كلّ أمر صرف عن قصد اللّه و اشتغل عنه من بلاء و محنه و هوى متّبع ،و انجذم انقطع ، و الزعزعه الاهتزاز و الاضطراب ،و السوارى الأساطين ،و النجر الطبع و الأصل ،و الخامل الساقط ،و انهارت انهدمت ،و المعالم الآثار لأنّ بها يعلم الشىء و يستدلّ عليه ،و الشرك جمع شركه بفتح الشين و الراء و هى معظم الطريق و وسطها ،و المناهل المشارب ،و السنابك أطراف مقدّم الحوافر.الواحد سنبكه ،و السهود مصدر كالجمود مرادف للسهاد و الأرق

المعنى

و اعلم أنّ المراد بالحمد هاهنا الشكر،و استتماما و ما بعدها من المنصوبات منصوبات على المفعول له،و قد جعل عليه السّلام لحمده هاهنا غايتين،الاولى منهما الاستتمام لنعمه اللّه و ذلك لأنّ العبد يستعدّ بمزيد الشكر لمزيد النعمه و هو فى ذلك ناظرا إلى قوله تعالى«وَ «لَئِنْ»

ص:۲۳۶

«شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكَمْ» لما يشتمل عليه الآيه من البعث على رجاء المزيد،و الثانيه الاستسلام لعزّته فإنّ العبد أيضا يستعدّ بكمال الشكر لمعرفه المشكور و هو اللّه سبحانه و هى مستلزمه للانقياد لعزّته و الخشوع لعظمته و هو فى ذلك ناظر إلى قوله «وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِى لَشَدِيدٌ» لما يشتمل عليه الآيه من التخويف المانع من مقابله نعم اللّه تعالى بالكفر، ثمّ لمّا كان الاستعداد لتمام النعم و التأهّل لكمال الخضوع و الانقياد لعزّه اللّه سبحانه إنّما يتمّ بعد أن يكون العنايه الإلهيّه آخذه بضبعى العبد و جاذبه له عن ورطات المعاصى مبّعده له عن أسباب التورّط فيها بكفايه المؤن و الأسباب الداعيه إلى ارتكاب أحد طرفى الإفراط و التفريط جعل عليه السّلام للحمد غايه اخرى هى الوسيله إلى الغايتين المذكورتين و هى الاستعصام باللّه سبحانه من معصيته،و عقّب ذلك الشكر بطلب المعونه منه على تمام الاستعداد لما سأل و شكر لأجله،و جعل لتلك الاستعانه علّه حامله و هى الفاقه نحو غايه هى كفايه دواعى التفريط و الإفراط بالجذبات الإلهيّه و لا شكّ أنّ الغايتين المذكورتين لا يتمّ بدون عصمته و المعونه بكفايته و ذلك قوله و استعصاما من معصيته و أستعينه فاقه إلى كفايته.

مجاز قوله إنّه لا يضلّ من هداه و لا يئل من عاداه و لا يفتقر من كفاه تعليل لطلبه المعونه على تحصيل الكفايه فإنّه لمّا كان حصول الكفايه مانعا من دواعى طرفى التفريط و الإفراط كان العبد مستقيم الحركات على سواء الصراط و ذلك هدى اللّه يهدى به من يشاء فكأنّه قال:

و أستعينه على أن يرزقنى الكفايه المستلزمه للهدايه الّتى هى الغنى الحقيقى و الملك الأبدىّ فإنّه لا يضلّ من هداه و لا ينجو من عذابه من عاداه و أعرض عن شكره و الاستعانه به و قد أطلق عليه السّلام هاهنا لفظ المعاداه اللّه كما أطلقها القرآن الكريم على ما هو من لوازمها و هو الإعراض عن عبادته و البغض لها و لمن تلبّس بها من عباده مجازا.

قوله فإنّه أرجح ما وزن و أفضل ما خزن الضمير يعود إلى اللّه سبحانه و لمّا كانت ذاته مقدّسه عن الوزن و الخزن اللّذين هما من صفات الأجسام فبالحرىّ أن يكون المقصود رجحان عرفانه فى ميزان العقل إذ لا يوازنه عرفان ما عداه بل لا يخطر ببال العارف عند الإخلاص سواه حتّى يصدق هناك موازنه يقال فيها أرجح،و يكون المراد بالخزن خزن

ذلک العرفان فی أسرار النفوس القدسیّه،و قیل:الضمیر یرجع إلی ما دلّ علیه قوله أحمده من الحمد علی طریقه قولهم من کذب کان شرّا له.

قوله و أشهد أن «لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ» هذه الکلمه أشرف کلمه وحّد بها الخالق عزّ اسمه و قد أشرنا فی الخطبه الاولی إلی ما تضمّنه ترکیبها من حسن الوضع المؤدیّ للمقصود التامّ منها،و بالجمله هی منطبقه علی جمیع مراتب التوحید،و قد زعم النحویّون أنّ فیها شیئا مقدّرا یکون خبرا للا.قالوا:و تقدیره «لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ» أولا إله موجود إلاّ اللّه،و اعلم أنّ کلّ تقدیر یقدّر هاهنا فهو مخرج لهذه الکلمه عمّا یفید إطلاقها و یفیدها تخصیصا لم یکن و هو ممّا یجده الإنسان من نفسه عند الاعتبار فالأولی أن یکون خبر لا قولنا إلاّ اللّه و لا حاجه إلی تقدیر أمر زائد،و قد وردت لهذه الکلمه فضائل:الاولی قوله صلی اللّه علیه و آله:أفضل الذکر «لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ» و أفضل الدعاء الحمد للّه.الثانیه عن ابن عمر قال:قال صلی اللّه علیه و آله:لیس علی أهل «لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ» وحشه فی الموت و لا عند النشر و کأنّی أنظر إلی أهل «لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ» عند الصیحه ینفضون شعورهم من «اَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِی أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ» .الثالثه یروی أنّ المأمون لمّا انصرف من مرو یرید العراق و احتاز بنیسابور و کان علی مقدّمته علیّ بن موسی الرضا علیه السّلام فقام إلیه قوم من المشایخ،و قالوا:نسألک بحقّ قرابتک من رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله أن تحدّثنا بحدیث ینفعنا فروی عن أبیه عن آبائه رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله عن جبرئیل عن ربّه أنّه قال: «لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ» حصنی فمن دخل حصنی أمن من عذابی.الرابعه قال صلی اللّه علیه و آله:أن أقاتل الناس حتّی یقولوا «لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ» فإذا قالوها عصموا منّی دماءهم و أموالهم إلاّ بحقّها و حسابهم علی اللّه.قال بعض العلماء:إنّ اللّه تعالی جعل العذاب عذابین:أحدهما السیف فی ید المسلمین،و الثانی عذاب الآخره،و السیف فی غلاف یری و النار فی غلاف لا یری فقال تعالی لرسول اللّه صلی اللّه علیه و آله:من أخرج لسانه من الغلاف المرئیّ و هو الفم فقال: «لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ» أدخلنا السیف فی الغمد المرئیّ،و من أخرج لسان قلبه من الغلاف الّذی لا یری و هو غلاف الشرک فقال: «لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ» أدخلنا سیف عذاب الآخره فی غمد الرحمه واحده بواحده جزاء، و لا ظلم الیوم.

قوله شهاده ممتحنا إخلاصها معتقدا مصاصها .مصدر وصف بوصفین جریا علی غیر من

ص:۲۳۸

هماله،و الممتحن المختبر أراد أنّه مختبر نفسه فى إخلاص هذه الشهاده واجد لها عريّه عن شبهات الباطل،معرضه عن كلّ خاطر سوى الحقّ سبحانه متمثّله فيها حليه التوحيد و خالصه مبرّاه عن شوائب الشرك الخفىّ كما عرفت من التوحيد المطلق و الإخلاص المحقّق.

قوله نتمسّك بها أبدا ما أبقانا و ندّخرها لأهاويل ما يلقانا فإنّها عزيمه الإيمان إلى قوله و مدحره الشيطان .إشاره إلى أنّه يجب التمسّك بها مدّه البقاء فى دار الدنيا لعزائم الامور و الاستعداد بها لأحوال الآخره و شدائدها ثمّ عقّبها بذكر علّه التمسّك بها و ادّخارها،و ذكر أربعه أوصاف يوجب ذلك:أوّلها أنّها عقيده الإيمان و عزيمته المطلوبه للّه سبحانه من خلقه و كلّ ما عداها ممّا وردت به الشريعه من قواعد الدين و فروعه فهى حقوق لها و توابع و متمّمات و معيّنات على الوقوف على سرّها و الوصول إلى إخلاصها.

و ثانيها أنّها فاتحه الإحسان فإنّها أوّل كلمه افتتحت به الشريعه و استعدّ العبد بالسلوك فى طريق إخلاصها لإفاضه إحسان اللّه و نعمه شيئا فشيئا،و كما أنّها أوّل مطلوب للّه من خلقه فى فطرتهم الأصليّه و على ألسنه رسله عليهم السّلام فهى أيضا غايتهم الّتى ينالون بإخلاصها و استصحاب مصاصها السعاده الباقيه.و ثالثها أنّها مرضاه الرحمن،و ذلك ظاهر إذ هى محلّ رضوان اللّه و السبب المستنزل لتمام رحمته و مزيد نعمته على محلّ تنور بها و رفع السخط عنه كما قال:امرت أن اقاتل الناس حتّى يقولوا «لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ» الخبر.و رابعها أنّها مدحره الشيطان و ذلك أيضا ظاهر فإنّ غايه دعوه الشيطان هو الشرك الظاهر أو الخفىّ، و هذه الكلمه إنّما وضعت فى مقابله دعوته فظاهرها دافع لظاهر ما يدعو إليه،و باطنها قامع لباطن ما يدعو إليه،و كما أنّ الشرك على مراتب لا تتناهى فكذلك الإخلاص فى هذه الكلمه فبقدر كلّ مرتبه من السلوك فى إخلاصها يسقط فى مقابلته مرتبه من الشرك،و يبطل سعى الشيطان فى بناء تلك المرتبه إلى أن يتمّ الإخلاص بقدر الإمكان،و قد انهدمت قواعد الشيطان بكلّيّتها و صار أبعد مطرود عن قبول ما يقول «رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا وَ هَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَهً إِنَّکَ أَنْتَ الْوَهّابُ» ١.

ص:٢٣٩

قوله و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله .قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:من قال أشهد أن «لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ» و أشهد أنّ محمّدا رسول اللّه فجرى بها لسانه و أطمأنّ بها قلبه حرمت النار عليه،و إنّما قرنت هذه الكلمه بكلمه التوحيد لأنّك عرفت أنّ غرض الشريعه إنّما هو إخلاص تلك الكلمه،و لن يحصل إخلاصها إلاّ بسلوك مراتبها،و لن يحصل ذلك إلاّ بمعرفه كيفيّه السلوك،و علمت أنّ مدار إرسال الرسل و وضع الشرائع كيفيّه السلوك فى درجات الإخلاص فكانت الشهاده و الإقرار بصدق المبلّغ لهذه الرساله و المبيّن لطريق الإخلاص أجلّ كلمه بعد كلمه الإخلاص لأنّها بمنزله الباب لها فلأجل ذلك قرنت بها.

قوله أرسله بالدين المشهور إلى قوله و الأمر الصادع .إشاره إلى تعظيم الرسول صلى اللّه عليه و آله بما جاء به،و أشار بالدين المشهور إلى دينه المشتمل على تعريف كيفيّه سلوك الصراط المستقيم،و بالعلم المأثور إلى اعتبار كون ذلك الدين هاديا قائدا للخلق يهتدون به إلى حضره القدس الّتى هى مقصد جميع الشرائع إذ ذلك هو شأن العلم،و كونه مأثورا إشاره إمّا إلى كونه مقدّما على سائر الأديان كما يقدّم العلم و يهتدى به قوم بعد قوم أو إلى نقله من قرن إلى قرن،و بالكتاب المسطور إلى القرآن المسطوره حقائقه فى ألواح النفوس،و بالنور الساطع و الضياء اللامع إلى السرّ الّذى جاء به الرسول صلى اللّه عليه و آله يحبّ هذه الطريقه و أمر بقصده منها و هو نور يستشرفه مرأى النفوس الصافيه عن صداء الشبهات و كدورات الشرك بخصوصيّه الأمر،و وصفه بكونه صادعا إلى اعتبار قهره بأوامر اللّه و ردعه لمن لم يسلك الطريق المأمور بسلوكها عن رغبه و اختيار حتّى شقّ بالأمر الإلهىّ وجه باطله و صدع ما كان ملتئما من بناء فساده كما قال تعالى «فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ » »
۱قوله إزاحه للشبهات إلى قوله و تخويفا بالمثلات إشاره إلى الوجوه القريبه لمقاصد البعثه،و ذكر عليه السّلام منها ثلاث مقاصد:أوّلها إزاحه الشبهات و هو أهمّها فإنّ حذف شواغل الدنيا و شبهات الباطل عن قلوب الخلق أهمّ مقاصد الشارع.الثانى سبب تلك الإزاحه و هو الاحتجاج على الخلق بالحجج الواضحه لهم و الخطابات الواصله إلى أقصى أذهانهم كما قال تعالى «وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ» .الثالث التحذير بالآيات النازعه بالعصاه،

و التخويف بالعقوبات الواقعه بأهل الجنايات كما قال تعالى «أَ فَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَساكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذلِكَ لَآياتٍ لِأُولِى النُّهى» ۱و هذا الإنذار مؤيّد للحجج و الخطابات الشرعيّه فى حقّ من لم يرزق صفاء ذهن يؤثّر فيه مجرّد الخطابات فيحتاج إلى التحذير و ار.

قوله و الناس فى فتن انجذم فيها حبل الدين إلى قوله و قام لواؤه.

أقول:يحتمل أن يكون الواو فى قوله و الناس للابتداء،و يكون ذلك منه عليه السّلام شروعا فى ذمّ أحوال زمانه و ما هم فيه من البلاء و المحنه و المخاوف و الحروب بسبب تشتّت أهوائهم و اختلاف آرائهم،و غرضه عليه السّلام تنبيه السامعين على ما عساهم غافلين عنه ممّا فيه من الفتن المشتمله على المذامّ الّتى عدّدها لينّبهوا من رقده الغفله،و يشمّروا فى سلوك سبيل الحقّ عن ساق الجدّ و الاجتهاد،و ذكر من المذامّ الّتى حصل الناس عليها بسبب ما هم فيه من الفتن امورا يرجع حاصلها و إن تعدّدت إلى ترك مراسم الشريعه،و عدم سلوك سبيل الحقّ،و ارتكاب طريق الباطل فانقطاع حبل الدين إشاره إلى انحراف الخلق عن سواء السبيل و عدم تمسّكهم بأوامر اللّه سبحانه حال وقوع تلك الفتن، استعاره و استعمال لفظ الحبل هاهنا و فى التنزيل الإلهىّ« «وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً» »استعاره لقانون الشريعه المطلوب منها لزومه و التمسّك به،و كذلك استعمال السوارى إمّا لقواعد الدين و أركانه المأمور بتشييدها كالجهاد الّذى هو أقوى مطالبه لذلك الوقت من الناس،و يكون المراد بتزعزعها عدم استقامتها و استقرار الناس عليها مجازا.و إمّا لأهل الدين الّذى به يقوم و رجاله العاملين به الّذين لم يأخذهم فى اللّه لومه لائم،و تزعزعها موت اولئك أو خوفهم من الأعداء المارقين و كلّ ذلك استعاره لطيفه و وجوه المشابهه فيها ظاهره ،و أشار باختلاف النجر إلى اختلاف الأصل الّذى كان يجمع الخلق و الفطره الّتى فطر الناس عليها و وردت الشريعه بلزومها فإنّها كانت متّفقه بوجود الرسول صلى اللّه عليه و آله فاختلف بعده بسلوك كلّ فرقه مذهبا غير الاخرى على أنّ النجر هو الحسب أيضا،و الحسب هو الدين،فيحتمل أن يريد و اختلف الدين،و أشار بتشتّت الأمر إلى تفرّق كلمه المسلمين، استعاره و بقوله و ضاق المخرج و عمى المصدر إلى أنّ الخلق بعد

تورّطهم فی فتن الشبهات الموجبه لتفرّق کلمتهم ضاق مخرجهم منها و عمی علیهم طریق صدورهم منها،و العمی هاهنا هو المشار إلیه بقوله تعالی «فَإِنَّها لا تَعْمَی الْأَبْصارُ وَ لکِنْ تَعْمَی الْقُلُوبُ الَّتِی فِی الصُّدُورِ» ۱و هو استعاره حسنه إذ العمی حقیقه عباره عن عدم ملکه البصر،و وجه المشابهه أنّ الأعمی کما لا یهتدی لمقاصده المحسوسه بالبصر لعدمه کذلک أعمی البصیره لا یهتدی لمقاصده المعقوله لاختلال بصیرته و عدم عقله لوجوه رشده ،و أشار بخمول الهدی إلی عدم ظهوره بینهم حال عمّاهم عن مصدرهم من ضلالهم إذ کان ضوءه ساقطا بینهم غیر موجود،و الفاء لعطف الجمله الاسمیّه علی الفعلیّه و أشار بشمول العمی إلی اشتراکهم فی عدم رؤیتهم لسبیل الحقّ الّذی به یخرجون من شبهات الباطل و ظلمته ثمّ أشار بعصیانهم للرحمن و نصرهم للشیطان إلی أنّ ما هم فیه جور عن الحقّ و نصره للباطل الّذی هو مأمول الشیطان فبالحریّ أن یکون نصره للشیطان و عصیانا للرحمن و من نصر الشیطان بالذّب علی الباطل فقد خذل الإیمان بترکه تشیید قواعده و الذّب عنه،و بترک الإیمان و خذلانه لا یبقی له دعامه یقوم بها و تحمله،و الإشاره بالدعائم و المعالم إلی دعاه الحقّ و حمله الإیمان و بانهیارها إلی عدمهم أو عدم قبول قولهم،و بتنکّر المعالم إلی عدم معرفتهم فی الخلق لقلّتهم،و یحتمل أن یراد بالدعائم القواعد الّتی للدین کالجهاد و غیره و انهیارها عدم القیام بها،و بتنکّر المعالم إلی انمحائه من القلوب الّتی هی معالم الدین و محالّه و بدروس سبله و عفاء شرکه إلی أنّه لم یبق له أثر یعرف به،و کلّ ذلک مبالغه فی ضعف الدین و مسالک الشیطان و مناهله ما یجرّهم إلیه من مناهی اللّه سبحانه فیتّبعونه فیها،و أعلام الشیطان و لواؤه إمّا القاده إلیه و الدعاه إلی باطله المقتدی بهم أو صور الباطل الّتی تصوّرت فی أذهان الخلق و صارت غایات لهم فانقادوا لها و اتّبعوها فهم کالأعلام و الألویه فی الحروب و غیرها.

استعاره-مجاز فی الاسناد قوله فی فتن داستهم بأخفافها و وطئتهم بأظلافها و قامت علی سنابکها یحتمل أن یکون فی فتن متعلّقا بقوله بهم سارت أعلامه و قام لواؤه ،و یحتمل أن یتعلّق بمقدّر یکون

خبرا ثانيا لقوله و الناس ،و هذه الفتن هى الّتى أشار إليها أوّلا و إنّما أوردها ثانيا بزياده أوصاف فبالغ عليه السّلام فى تشبيهها بأنواع الحيوان فاستعار لها أخفافا و أظلافا و حوافرا و جعل لها دوسا و وطئا و قياما على الحوافر،و يحتمل أن يكون هناك إضمار أى داستهم بأخفاف إبلها و وطئتهم بأظلاف بقرها و قامت على سنابك خيلها فحذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه و حينئذ يكون التجوّز فى نسبه الوطى و الدروس و القيام إليها فقط و هو المجاز فى الإسناد.

قوله فهم فيها تائهون .الفاء للتعقيب و أشار بتيههم إلى ضلالهم عن القصد فى ظلمات الفتن و بحيرتهم إلى تردّدهم فى أنّ الحقّ فى أىّ جهه و عدم درايتهم أهو مع علىّ أمّ مع معاويه و بجهلهم إلى عدم علمهم بالحقّ و اعتقاد بعضهم الباطل عن شبهه تحكيم الحكمين و اعتقاد آخرين له عن شبهه دم عثمان،و أمثال ذلك ممّا هو جهل مركّب و بكونهم مفتونين إلى فتنه غيرهم لهم و إضلاله عن الحقّ و هو الشيطان و اتباعه.

قوله فى خير دار و شرّ جيران هذا الظرف يجوز أن يكون كالّذى قبله فى كونه خبرا ثالثا و يجوز أن يتعلّق بقوله تائهون أو ما بعده من الأفعال،و قد اختلف الشارحون لكلام علىّ عليه السّلام فى مراده بخير دار فقال بعضهم:أراد الشام لأنّها الأرض المقدّسه و أهلها القاسطون،و قال معنى قوله نومهم سهود و كحلهم دموع أنّهم لا ينامون اهتماما بامورهم و إعداد أنفسهم للقتال و يبكون قتلاهم،و قوله بأرض عالمها ملجم يريد نفسه و الناصرين للحقّ،و جاهلها مكرم يريد معاويه، و قال آخرون:أراد بخير دار العراق و شرّ جيران يعنى أصحابه المستصرخ بهم للجهاد،و إنّما كانوا شرّ جيران أى شرّ متجاورين لتخاذلهم عن الحقّ و نصره الدين لأنّ خير المتجاورين المتعاضدون فى اللّه،و قوله و نومهم سهود أى خوفا من الحرب و حيره فى التدبير، و كحلهم دموع أى يبكون قتلاهم أيضا،و قيل نفاقا لأنّ من تمّ نفاقه ملك عينيه،و قال آخرون أراد بها دار الدنيا لأنّها دار العمل و أكثر الخلق بها أشرار جهّال و ليس المقصود بكونها خيرا تفضيلها على غيرها ليوهم أنّها أفضل من الآخره بل إثبات فضيلتها فقط فإنّ أفعل التفضيل كما يرد الإثبات الأفضليّه كذلك يرد لإثبات الفضيله و الدنيا دار فاضله لمن قام فيها بأوامر اللّه وراعى ما خلق لأجله و هى مزرعه الآخره كما ورد به الحديث و كون

ص:۲۴۳

أهلها شرّ جيران فأمّا شرّ متجاورين كما سبق أو شرّ جيران لمن التجأ إليهم و جاورهم للانتصار بهم على أعداء الدين و ذلك لعدم نصرتهم له و القيام معه،و قوله نومهم سهود،و كحلهم دموع ظاهره عموم لفظ الناس فى أصحابه و أصحاب معاويه و من عناه أمر الحرب و دخل فيها، استعاره و قد بالغ عليه السّلام فى وصفهم بقلّه النوم لخوف الحرب و هجوم بعضهم على بعض و شدّه اهتمامهم بأمر القتال و حيرتهم فى تيه الباطل حتى ألحق قلّه نومهم بالسهد لاستلزامه عدم النوم فاستعار له لفظه و صيّره هو هو،و قوله و كحلهم دموع بالغ فى تشبيه دموعهم بالكحل و صيّره هو هو.و وجه المشابهه أنّ الدموع لكثرته منهم و ملازمته أجفانهم أشبه فى ذلك الأمر الكثير المعتاد لعيونهم و هو الكحل فلذلك استعار لفظ الكحل له ،و قوله بأرض عالمها ملجم و جاهلها مكرّم الجار و المجرور حكمه حكم الظرف الّذى قبله فيما يتعلّق به ثمّ إن حملنا خير دار على الدنيا كان قوله بأرض تخصيصا لمكان الناس من الدنيا فكأنّه قال و الناس فى خير دار هى الدنيا و هم منها بأرض من حالها أنّ عالمها ملجم بلجام الذلّ من أهلها عن الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر لعدم العلم بينهم و غلبه الجهل عليهم، و جاهلها مكرّم لمناسبته لهم فى الجهل و موافقته لهم على الباطل،و يكون المراد بتلك الأرض إمّا الشام أو العراق،و إن حملنا خير دار على الشام أو العراق كان قوله بأرض من حالها كذا يجرى مجرى البيان،و يكون الذّم اللاحق من هذا الكلام راجعا إلى أهل تلك الأرض لتعلّق إلجام العالم،و إكرام الجاهل بهم و إن نسب ذلك إليها لكونهم بها إذ لو رددنا الذّم إلى الأرض لنا فى ذلك وصفه لها بأنّها خير دار،و يحتمل أن يكون الواو فى قوله و الناس للحال و العامل أرسله،و الفتن المشاهر إليها فى فتن العرب فى الجاهليّه و حال البعثه و خير دار يعنى مكّه و شرّ جيران يعنى قريشا،و العالم الملجم هو من كان حينئذ عالما بصدق الرسول و حقّ بعثته فهم ملجم بلجام التقيّه و الخوف،و الجاهل المكرّم هو من كذّبه و هذا الاحتمال حسن،و اعلم أنّ الّذى يتبادر إلى الذهن أنّ هذا القدر الّذى أورده السيّد من هذه الخطبه فصول ملفّقه ليست على نظامها الّتى خرجت عليه و إن كان كذلك فربّما يلوح لها لو انتظمت مقاصد توضح ما أورده الناس،و اختلفوا فيه منها،و اللّه أعلم،

القسم الثانی و منها یعنی آل النبی علیه الصلاه و السّلام

اشاره

:

هُمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ وَ لَجَأُ أَمْرِهِ- وَ عَيْبَهُ عِلْمِهِ وَ مَوْئِلُ حُكْمِهِ- وَ كُهُوفُ كُتُبِهِ وَ جِبَالُ دِينِهِ- بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِهِ وَ أَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِهِ

اللغه

أقول:و اللجأ الملجأ ،و الموئل المرجع من آل یؤول إلی کذا إذا رجع و انتهی إلیه ، و الانحناء الاعوجاج ،و الفرائض جمع فریضه و هی اللحمه الّتی بین الجنب و الکتف لا تزال ترعد من الدابّه ،

المعنی

و قد وردت هذه القرائن الأربع بالسجع المتوازی،و الضمائر المفرده هاهنا کلّها راجعه إلی اللّه تعالی إلاّ الضمیر فی ظهره و فرائضه فإنّهما للرسول صلی اللّه علیه و آله کما سبق ذکر اللّه و رسوله فی صدر الخطبه،و قیل الکلّ للرسول صلی اللّه علیه و آله،و أشار بکونهم موضع سرّه إلی کمال استعداد نفوسهم علیهم السّلام لأسرار اللّه و حکمته إذ الموضع الحقیقی للشیء هو ما قبله و استعدّ له،و بکونهم ملجأ أمره إلی أنّهم الناصرون له و القائمون بأوامر اللّه و الذابّون عن الدین فإلیهم یلتجیء و بهم یقوم سلطانه، استعاره و کونهم عیبه علمه مرادف لکونهم موضع سرّه إذ یقال فی العرف فلان عیبه العلم إذا کان موضع أسراره،و لفظ العیبه استعاره لنفوسهم الشریفه و وجه المشابهه ظاهر إذ العیبه لمّا کان من شأنها حفظ ما یودع فیها و صائنه عن التلف و الأدناس،و کانت أذهانهم الطاهره حافظه للعلم عن عدمه و صائنه له عن تدنّسه بأذهان غیر أهله لا جرم حسنت استعاره لفظ العیبه لأذهانهم، و بکونهم موئل حکمه إلی کونهم مرجعا لحکمته إذا ضلّت عن أذهان غیرهم فمنهم تطلب و عنهم تکتسب،و بکونهم کهوف کتبه إلی أنّهم أهل حفظها و دراستها و تفسیرها و عندهم علمها و تأویلها،و الکتب إشاره إلی القرآن و ما قبله من کتب اللّه کما نقل عنه علیه السّلام فی موضع آخر لو کسرت إلی الوساده ثمّ جلست علیها لحکمت بین أهل التوراه بتوراتهم و بین أهل الإنجیل بإنجیلهم و بین أهل الزبور بزبورهم و بین أهل الفرقان بفرقانهم،و اللّه ما من آیه نزلت فی برّ أو بحر أو سهل أو جبل أو سماء أو أرض أو لیل أو نهار إلاّ و أنا أعلم فیمن نزلت و فی أیّ وقت نزلت، استعاره و استعاره لفظ الکهف قریبه من استعاره لفظ العیبه،و بکونهم جبال دینه إلی دین اللّه سبحانه

ص:۲۴۵

بهم يعتصم عن و صمات الشياطين و تبديلهم و تحريفهم كما يعتصم الخائف بالجبل ممّن يؤذيه و هى استعاره لطيفه ، كنايه و قوله بهم أقام انحناء ظهره إشاره إلى أنّ اللّه سبحانه جعلهم له أعضادا يشدّون أزره و يقوّمون ظهره و يؤيّدون أمره،و انحناء الظهر كنايه عن ضعفه فى بدؤ الإسلام فبالحرىّ أن يكون إقامتهم لانحناء ظهره تقويتهم ذلك الضعف بالنصره للدين و الذبّ عنه،و قوله و أذهب ارتعاد فرائضه أى أنّ اللّه أزال عنه بمعونتهم خوفه الّذى كان يتوقّعه من المشركين على حوزه الدين و هو كنايه عن الشىء ببعض لوازمه إذ كان ارتعاد الفرائض من لوازم شدّه الخوف ،و كلّ هذه الامور ظاهره لأهله الأدنين من بنى هاشم كالعبّاس و حمزه و جعفر و علىّ بن أبى طالب فى الذبّ عن الرسول صلى اللّه عليه و آله و الهدايه إليه و البلاء فى الدين و اللّه أعلم.

القسم الثالث و منها يعنى قوما آخرين:

اشاره

زَرَعُوا الْفُجُورَ وَ سَقَوْهُ الْغُرُورَ وَ حَصَدُوا الثُّبُورَ- لاَ يُقَاسُ ؟بِآلِ مُحَمَّدٍ ص؟ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّهِ أَحَدٌ- وَ لاَ يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَداً- هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ وَ عِمَادُ الْيَقِينِ- إِلَيْهِمْ يَفِیءُ الْغَالِي وَ بِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي- وَ لَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلاَيَهِ- وَ فِيهِمُ الْوَصِيَّهُ وَ الْوِرَاثَهُ- الْآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ وَ نُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ

اللغه

أقول: الغرور الغفله ،و الثبور الهلاک ،و القياس نسبه الشىء إلى الشىء و إلحاقه به فى الحكم ،و فاء يفىء رجع ،و الغلوّ تجاوز الحدّ الّذى ينبغى إلى ما لا ينبغى ،و التالى التابع ،و الولايه الاسم من قولک و ليت الأمر إليه وليّا،و أصله القرب من الشىء و الدنوّ منه ،و الخصائص جمع خصيصه و هى فعيله بمعنى فاعله أى خاصّه أو مختصّه ،

المعنى

و اعلم أنّ استعاره الترصيع قوله زرعوا الفجور و سقوه

ص:۲۴۶

الغرور استعاره لطيفه فإنّ الفجور لمّا كان هو الخروج عن ملكه العفّه و الزهد و تجاوزها إلى طرف الإفراط منهم،و كان معنى الزرع إلقاء الحبّ فى الأرض استعار عليه السّلام لفظ الزرع لبذر الفجور فى أراضى قلوبهم،و لأنّ انتشاره عنهم و نموّه فيهم يشبه نموّ الزرع و انتشاره فى الأرض،و لمّا كان غرورهم و غفلتهم عن الطريق المستقيم بسبب عدولهم عنها و تجاوزهم إلى طرف الإفراط و مهاوى الهلاك و هو مادّه تماديهم فى غيّهم و زياده فجورهم و عدولهم عن سواء السبيل أشبه الماء الّذى هو سبب حياه الزرع و نموّه و مادّه زيادته و لأجلها يناسب استعاره لفظ السقى الّذى هو خاصّه الماء له و نسبته إليهم،ثمّ لمّا كانت غايه ذلك الفجور هلاكهم فى الدنيا بالسيف و فى الآخره بعذابها لا جرم أشبهت تلك الغايه الثمره فاستعير لكونها غايه لهم لفظ الحصاد و نسب إليهم و قد اشتملت لفظ هذه الألفاظ مع حسن الاستعاره على الترصيع قال الوبرى-رحمه اللّه-الإشاره بهذا الكلام إلى الخوارج،و قيل فى المنافقين كما ورد مصرّحا به فى بعض النسخ،و أقول:يحتمل أن يكون متناولا لكلّ من نابذه عليه السّلام و خرج عن طاعته زاعما أنّه بذلك متعصّب للدين و ناصر له،و ذلك لأنّ الفجور كما عرفت عبور و تجاوز إلى طرف الإفراط و كلّ من نابذه و هو مدّعى أنّه طالب للحقّ فقد خرج فى طلبه للحقّ عن حاقّ العدل و تعدّاه إلى طرف الفجور و الغلوّ و يدخل فى ذلك القاسطون و هم أصحاب معاويه،و المارقون و هم الخوارج و من فى معناهم إذ زعم الكلّ أنّهم بقتاله طالبون للحقّ ناصرون له.

قوله لا يقاس بآل محمّد عليهم السّلام من هذه الأمّه أحد .إلى آخره.مدح لهم مستلزم لإسقاط غيرهم عن بلوغ درجتهم و استحقاق منزلتهم،و الكلام و إن كان عامّا فى تفضيل آل محمّد على كلّ من عداهم من امّته إلاّ أنّه خرج على سبب و هو قتاله عليه السّلام مع معاويه فهو إذن مشير إلى تفضيل نفسه على معاويه و عدم ترشّحه للخلافه،فقوله لا يقاس بآل محمّد من هذه الامّه أحد و لا يسوىّ بهم من جرت نعمتهم عليه أبدا .إشاره إلى عدم مناسبه غيرهم لهم فى الفضل،و النعمه هاهنا نعمه الدين و الإرشاد إليه،و الحكم ظاهر الصدق فإنّ المنعم عليه بمثل هذه النعمه الّتى لا يمكن أحدا أن يقابلها بجزاء لا يتأهّل أبدا أن يصير فى قوّه المنعم،و خواصّه الّذين اختصّهم بمزيدها على حسب استحقاقهم و استعدادهم التامّ الوافر

على تأهّل غيرهم لها،و لا يبلغ درجتهم حتّى يقوم مقامهم مع وجودهم فى إفاضه هذه النعمه و إعداد سائر الأمّه لها و تعليمهم و إرشادهم إلى كيفيّه الوصول بها إلى اللّه سبحانه،و قوله هم أساس الدين إشاره إلى أنّ بهم استقامته و ثباته،و تفرّعه عنهم كما يقوم البناء على أساسه، و كذلك قوله و عماد اليقين ،و قوله إليهم يفىء الغالى إشاره إلى أنّ المتجاوز للفضائل الإنسانيّه الّتى مدارها على الحكمه و العفّه و الشجاعه و العداله إلى طرف الإفراط منها يرجع إليهم و يهتدى بهم فى تحصيل هذه الفضائل لكونهم عليها إذا أخذ التوفيق بيده،و أشار بقوله و بهم يلحق التالى إلى أنّ المقصّر عن بلوغ هذه الفضائل المرتكب لطرف التفريط فى تحصيلها يلحق بهم عند طلبه لها و معونه اللّه له بالهدايه إلى ذلك،و قوله و لهم خصائص حقّ الولايه .إشاره إلى أنّ ولايه امور المسلمين و خلافه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله لها خصائص هى موجوده فيهم و شروط بها يتأهّل الشخص لها و يستحقّها،و تلك الخصائص ما نبّهنا عليه من الفضائل الأربع النفسانيّه،و لا شكّ فى صدقه عليه السّلام فى ذلك فإنّ هذه الفضائل و إن وجد بعضها أو كلّها فى غيرهم فعنهم اخذ و إليهم فيها انتسب،و هل يقائس بين البحر و الوشل،و قوله و فيهم الوصيّه و الوراثه إشاره إلى اختصاصه عليه السّلام بوصيّه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و اختصاص أهله بوراثته و قيل أراد بالوراثه.ما يراه هو أنّه أولى به من أمر الخلافه،و قوله الآن إذ رجع الحقّ إلى أهله و نقل إلى منتقله (فى بعض النسخ قد رجع)و ذلك إشاره منه عليه السّلام إلى أنّ الإمامه كانت فى غير أهلها و أنّه هو أهلها و الآن وقت رجوعها إليه بعد انتقالها عنه،و لفظ الحقّ و إن كان يحتمل حقّا آخر غير الإمامه إلاّ أنّها المتبادره إلى الذهن من اللفظ هاهنا و باللّه التوفيق و العصمه.

ص:۲۴۸

۳-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

و هی المعروفه بالشّقشقیه

أَمَا وَ اللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلاَنٌ وَ إِنَّهُ لَیَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّی مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَی- یَنْحَدِرُ عَنِّی السَّیْلُ وَ لاَ یَرْقَی إِلَیَّ الطَّیْرُ- فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً وَ طَوَیْتُ عَنْهَا کَشْحاً- وَ طَفِقْتُ أَرْتَئِی بَیْنَ أَنْ أَصُولَ بِیَدٍ جَذَّاءَ- أَوْ أَصْبِرَ عَلَی طَخْیَهٍ عَمْیَاءَ- یَهْرَمُ فِیهَا الْکَبِیرُ وَ یَشِیبُ فِیهَا الصَّغِیرُ- وَ یَکْدَحُ فِیهَا مُؤْمِنٌ حَتَّی یَلْقَی رَبَّهُ- فَرَأَیْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَی هَاتَا أَحْجَی- فَصَبَرْتُ وَ فِی الْعَیْنِ قَذًی وَ فِی الْحَلْقِ شَجًا أَرَی تُرَاثِی نَهْباً حَتَّی مَضَی الْأَوَّلُ لِسَبِیلِهِ- فَأَدْلَی بِهَا إِلَی فُلاَنٍ بَعْدَهُ- ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الْأَعْشَی شَتَّانَ مَا یَوْمِی عَلَی کُورِهَا وَ یَوْمُ؟حَیَّانَ؟أَخِی جَابِرِ

-فَیَا عَجَباً بَیْنَا هُوَ یَسْتَقِیلُهَا فِی حَیَاتِهِ- إِذْ عَقَدَهَا لِآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَیْهَا- فَصَیَّرَهَا فِی حَوْزَهٍ خَشْنَاءَ یَغْلُظُ کَلْمُهَا- وَ یَخْشُنُ مَسُّهَا وَ یَکْثُرُ الْعِثَارُ فِیهَا وَ الاِعْتِذَارُ مِنْهَا- فَصَاحِبُهَا کَرَاکِبِ الصَّعْبَهِ- إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ وَ إِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ- فَمُنِیَ النَّاسُ لَعَمْرُ اللَّهِ بِخَبْطٍ وَ شِمَاسٍ وَ تَلَوُّنٍ وَ اعْتِرَاضٍ- فَصَبَرْتُ عَلَی طُولِ الْمُدَّهِ وَ شِدَّهِ الْمِحْنَهِ حَتَّی إِذَا مَضَی لِسَبِیلِهِ- جَعَلَهَا فِی جَمَاعَهٍ زَعَمَ أَنِّی أَحَدُهُمْ فَیَا لَلَّهِ وَ لِلشُّورَی- مَتَی

ص:۲۴۹

اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ- حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ- لَكِنِّی أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا وَ طِرْتُ إِذْ طَارُوا- فَصَغَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ- وَ مَالَ الْآخَرُ لِصِهْرِهِ مَعَ هَنٍ وَ هَنٍ إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنَيْهِ- بَيْنَ نَثِيلِهِ وَ مُعْتَلَفِهِ- وَ قَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ اللَّهِ- خِضْمَهَ الْإِبِلِ نِبْتَهَ الرَّبِيعِ- إِلَى أَنِ انْتَكَثَ عَلَيْهِ فَتْلُهُ وَ أَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ- وَ كَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ فَمَا رَاعَنِی إِلَّا وَ النَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ- إِلَيَّ يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ- حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ وَ شُقَّ عِطْفَایَ مُجْتَمِعِينَ حَوْلِی كَرَبِيضَهِ الْغَنَمِ- فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَهٌ- وَ مَرَقَتْ أُخْرَى وَ قَسَطَ آخَرُونَ- كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللَّهَ حَيْثُ يَقُولُ- «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَهُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِی الْأَرْضِ وَ لا فَساداً وَ الْعاقِبَهُ لِلْمُتَّقِينَ» - بَلَى وَ اللَّهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَ وَعَوْهَا- وَ لَكِنَّهُمْ حَلِيَتِ الدُّنْيَا فِی أَعْيُنِهِمْ وَ رَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا أَمَا وَ الَّذِی فَلَقَ الْحَبَّهَ وَ بَرَأَ النَّسَمَهَ- لَوْ لَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَ قِيَامُ الْحُجَّهِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ- وَ مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ- أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّهِ ظَالِمٍ وَ لَا سَغَبِ مَظْلُومٍ- لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا- وَ لَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا- وَ لَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِی مِنْ عَفْطَهِ عَنْزٍ قالوا:و قام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه إلى هذا الموضع

ص:٢٥٠

من خطبته فناوله كتابا،فأقبل ينظر فيه،قال له ابن عباس رضى اللّه عنهما:

يا أمير المؤمنين،لو اطردت خطبتك من حيث أفضيت قال ابن عباس:فو اللّه ما أسفت على كلام قط كأسفى على هذا الكلام أن لا يكون أمير المؤمنين عليه السّلام بلغ منه حيث أراد ب ئ أقول:اعلم أنّ هذه الخطبه و ما فى معناها ممّا يشتمل على شكايته عليه السّلام و تظلّمه فى أمر الإمامه هو محلّ الخلاف بين الشيعه و جماعه من مخالفيهم فإنّ جماعه من الشيعه ادّعوا أنّ هذه الخطبه و ما فى حكمها ممّا اشتمل عليه هذا الكتاب منقول على سبيل التواتر و جماعه من السنه بالغوا فى إنكار ذلك حتّى قالوا:إنّه لم يصدر عن علىّ عليه السّلام شكايه فى هذا الأمر و لا تظلّم أصلا،و منهم من أنكر هذه الخطبه خاصّه و نسبها إلى السيّد الرضىّ و التصدّر للحكم فى هذا الموضع هو محلّ التهمه للشارحين،و أنا مجدّد لعهد اللّه على أنّى لا أحكم فى هذا الكلام إلاّ بما أجزم به أو يغلب على ظنّى أنّه من كلامه أو هو مقصوده عليه السّلام،فأقول:إنّ كلّ واحد من الفريقين المذكورين خارج عن العدل أمّا المدّعون لتواتر هذه الألفاظ من الشيعه فإنّهم فى طرف الإفراط و أمّا المنكرون لوقوعها أصلا فهم فى طرف التفريط،أمّا ضعف كلام الأوّلين فلأنّ المعتبرين من الشيعه لم يدّعوا ذلك و لو كان كلّ واحد من هذه الألفاظ منقولا بالتواتر لما اختصّ به بعض الشيعه دون بعض،و أمّا المنكرون لوقوع هذا الكلام منه عليه السّلام فيحتمل إنكارهم وجهين:أحدهما أن يقصدوا بذلك توطيه العوامّ،و تسكين خواطرهم عن إثاره الفتن و التعصّبات الفاسده ليستقيم أمر الدين و يكون الكلّ على نهج واحد فيظهروا لهم أنّه لم يكن بين الصحابه الّذين هم أشراف المسلمين و ساداتهم خلاف و لا نزاع ليقتدى بحالهم من سمع ذلك،و هذا مقصد حسن و نظر لطيف لو قصد،و الثانى أن ينكروا ذلك عن اعتقاد أنّه لم يكن هناك خلاف من الصحابه و لا منافسه فى أمر الخلافه و الإنكار على هذا الوجه ظاهر البطلان لا يعتقده إلاّ جاهل

بسماع الأخبار لم يعاشر أحدا من العلماء فإنّ أمر السقيفه و ما جرى بين الصحابه من الاختلاف و تخلّف علىّ عليه السّلام عن البيعه أمر ظاهر لا يدفع و مكشوف لا يتقنّع حتّى قال أكثر الشيعه إنّه لم يبايع أصلا،و منهم من قال إنّه بايع بعد ستّه أشهر كرها،و قال مخالفهم إنّه بايع بعد أن تخلّف فى بيته مدّه و دافع طويلا،و كلّ ذلک ممّا تقضى الضروره معه بوقوع الخلاف و المنافسه بينهم و الحقّ أنّ المنافسه كانت ثابته بين على عليه السّلام و بين من تولّى أمر الخلافه فى زمانه،و الشكايه و التظلّم الصادر عنه فى ذلک أمر معلوم بالتواتر المعنوىّ فإنّا نعلم بالضروره أنّ الألفاظ المنقوله عنه المتضمّنه للتظلّم و الشكايه فى أمر الخلافه قد بلغت فى الكثره و الشهره بحيث لا يكون بأسرها كذبا بل لا بدّ و أن يصدق واحد منها،و أيّها صدق ثبتت فيه الشكايه أمّا خصوصيّات الشكايات بألفاظها المعيّنه فغير متواتره و إن كان بعضها أشهر من بعض،فهذا ما عندى فى هذا الباب بعد التحرىّ و الاجتهاد،و على هذا التقرير لا يبقى لإنكار كون هذه الخطبه صادره عنه عليه السّلام و نسبتها إلى الرضىّ معنى فإنّ مستند هذا الإنكار هو ما يشتمل عليه من التصريح بالتظلّم و الشكايه،و مستند إنكار ذلک منه عليه السّلام هو اعتقاد أنّه لم تكن له منافسه فى هذا الأمر،و أنت تعلم أنّ ذلک اعتقاد فاسد على أنّ هذه الخطبه خاصّه قد اشتهرت بين العلماء قبل وجود الرضىّ روى عن مصدّق بن شبيب النحوىّ قال:لمّا قرأت هذه الخطبه على شيخى أبى محمّد بن الخشّاب و وصلت إلى قول ابن عبّاس ما أسفت على شىء قط كأسفى على هذا الكلام قال:لو كنت حاضر القلت لابن عبّاس و هل ترک ابن عمّک فى نفسه شيئا لم يقله فى هذه الخطبه فإنّه ما ترک لا الأوّلين و لا الآخرين.قال مصدّق:و كانت فيه دعابه،فقلت له يا سيّدى فلعلّها منحوله إليه فقال:لا و اللّه إنّى أعرف أنّها من كلامه كما أعرف أنّک مصدّق قال:فقلت:إنّ الناس ينسبونها إلى الشريف الرضىّ فقال:لا و اللّه و من أين للرضىّ هذا الكلام،و هذا الاسلوف فقد رأيناه كلامه فى نظمه و نثره لا يقرب من هذا الكلام و لا ينتظم فى سلكه على أنّى قد رأيت هذه الخطبه بخطوط العلماء الموثوق بنقلهم من قبل أن يخلق أبو الرضىّ فضلا عنه،و أقول:و قد وجدتها فى موضعين تاريخها قبل مولد الرضىّ بمدّه:أحدهما أنّها مضمّنه كتاب الإنصاف لأبى جعفر بن قبه تلميذ أبى القسم الكعبى أحد شيوخ المعتزله و كانت وفاته قبل مولد الرضىّ،الثانى أنّى وجدتها بنسخه

عليها خطّ الوزير أبى الحسن علىّ بن محمّد بن الفرات و كان وزير المقتدر باللّه و ذلك قبل مولد الرضىّ بنيّف و ستّين سنه،و الّذى يغلب على ظنّى أنّ تلك النسخه كانت كتبت قبل وجود ابن الفرات بمدّه.إذا عرفت ذلك فلنرجع إلى المتن فنقول:

اللغه

قوله تقمصّها. أى لبسها كالقميص ،و قطب الرحا مسمارها الّذى عليه تدور ،و سدلت الثوب أرخيته ،و الكشح بفتح الكاف الخاصره ،و طفقت أخذت و جعلت ،و ارتئى فى الأمر إذا فكّر طلبا للرأى الأصلى ،و صال حمل نفسه على الأمر بقوّه،و يد جدّاء بالدال المهمله و المعجمه مقطوعه أو مكسوره ،و الطخيه الظلمه كقولهم ليله طخياء أى مظلمه،و تركيب هذه الكلمه يدلّ على ظلمه الامور و انغلاقها،و منه كلمه طخياء أى أعجميّه لا تفهم ،و الهرم شدّه كبر السنّ ،و الكدح السعى و العمل ،و هاتا لغه فى هاتى و هى لغه فى هذى و هذه ،و أحجى أولى بالحجى أو خلق و هو العقل ،و القذى هو ما تتأذىّ به العين من غبار و نحوه ،و الشجى ما نشب فى الخلق من غصّه غبن أو غمّ ،و التراث كالميراث و هو اسم ما يورث ، و أدلى فلان بكذا تقرّب به و ألقاه ،و شتّان ما هما أى بعد،و شتّان ما عمرو و زيد أى بعد ما بينهما ،و كور الناقه رحلها ،و الإقاله فكّ عقد البيع و نحوه و الاستقاله طلب ذلك ،و شدّ الأمر صعب و عظم ،و تشطّرا أى أخذ كلّ شطرا و هو البعض ،و الحوزه الطبيعه و الحوزه الناحيه ،و الكلم بفتح الكاف الجرح ،و عثر يعثر عثورا و عثارا إذا أصابت رجله فى المشى حجرا و نحوه ،و الصعبه الناقه لم تذلّل بالمحمل و لا بالركوب ،و شنق الناقه بالزمام و أشنق لها إذا جذبه إلى نفسه و هو راكب ليمسكها عن الحركه العنيفه ،و الخرم الشقّ ، و أسلس لها أى أرخى ،و تقحّم فى الأمر إذا ألقى نفسه فيه بقوّه ،و منى الناس أى ابتلوا ، و الخبط الحركه على غير استقامه ،و الشماس بكسر الشين كثره النفار و الاضطراب ،و التلوّن اختلاف الأحوال ،و الاعتراض ضرب من التلوّن،و أصله المشى فى عرض الطريق خابطا عن فرح و نشاط ،و الشورى مصدر كالنجوى مرادف للمشاوره ،و أسف الطائر إذا دنا من الأرض فى طيرانه ،و الصغو الميل بكسر الصاد ،و الضغن بكسر الضاد و سكون الغين و فتحها أيضا الحقد ،و الأصهار عن ابن الأعرابى المتحرمون بجوار أو نسب أو تزوّج،و بعض العرب لا يطلقه إلاّ على أهل بيت الزوجين،و عن الخليل أنّه لا يطلق إلاّ على من كان من أهل المرأه ،و هن على

وزن أخ كلمه كنايه من شىء قبيح و أصله هنو تقول هذا هنك أى شينك ،و الحضن الجانب ما بين الإبط و الخاصره ،و النفج قريب من النفخ ،و النثيل الروث ،و المعتلف موضع الاعتلاف ، و الخضم الأكل بجميع الفم،و قيل:المضغ بأقصى الأضراس يقول خضم بكسر الضاد يخضم ،و النبته بكسر النون النبات ،و انتكث انتقض ،و أجهز على الجريح قتله و أسرع ، و كبا الفرس سقط لوجهه ،و البطنه شدّه الامتلاء من الطعام ،و الروع الخلد و الذهن و راعنى أفزعنى ،و انثال الشىء إذا وقع يتلو بعضه بعضا ،و العطاف الرداء و روى عطفاى و عطفا الرجل جانباه من لدن رأسه إلى ركبته ،و الربيض و الربيضه الغنم برعاتها المجتمعه و مرابضها ،و مروق السهم خروجه من الرميه و راقه الأمر أعجبه ،و الزبرج بكسر الزاء و الراء الزينه ،و النسمه الإنسان،و قد يستعمل فيما عداه من الحيوان ،و المقارّه إقرار كلّ واحد صاحبه على الأمر و تراضيهما به ،و الكظّه البطنه ،و الغارب أعلى كتف الناقه ،و العفطه من الشاه كالعطاس من الإنسان،و قيل:هى الجيفه ،و الشقشقه لها البعير،و يقال:

للخطيب شقشقه إذا كان صاحب وربه و بضاعه من الكلام ،

المعنى

و اعلم أنّ المشار إليه بقوله فلان هو ابو بكر كما هو مصرّح به فى بعض النسخ، استعاره بالكنايه و لمّا بلغ عليه السّلام فى تلبّس أبى بكر بالخلافه استعار لها وصف القميص و كنّى عن تلبّسه بها بالتقمّص، و الضمير المنصوب راجع إلى الخلافه،و لم يذكرها لظهورها كقوله تعالى «حَتّى تَوارَتْ بِالْحِجابِ» و يحتمل أن يكون ذكرها فيما قبل ذلك،و الواو فى قوله و إنّه ليعلم أنّ محلىّ منها واو الحال، تشبيه و لمّا كان قطب الرحى هو الّذى به نظام حركاتها و به يحصل الغرض منها و كان هو عليه السّلام الناظم لأمور المسلمين على وفق الحكمه الإلهيّه و العالم بكيفيّه السياسه الشرعيّه لا جرم شبّه محلّه من الخلافه بمحلّ القطب من الرحى،و قد جمع هذا التشبيه أنواع التشبيه الموجوده فى الكلام العرب و هى ثلاثه:أحدها تشبيه محلّه بمحلّ القطب من الرحى و هو تشبيه للمعقول بالمعقول فإنّ محلّ القطب هو كونه نظام أحوال الرحى و ذلك أمر معقول،و ثانيها تشبيه نفسه بالقطب و هو تشبيه للمحسوس بالمحسوس،و ثالثها تشبيه الخلافه بالرحى و هو تشبيه المعقول بالمحسوس، و لمّا كانت حاجه الرحى إلى القطب ضروريّه و لا يظهر نفعها إلاّ به فهم من تشبيه محلّه بمحلّه أنّه قصد أنّ غيره لا يقوم مقامه فى أمر الإمامه،و لا يتأهّل لها مع وجوده كما لا يقوم غير القطب

ص:۲۵۴

مقامه فى موضعه ثمّ أكّد ذلك استعاره بالكنايه بقوله ينحدر عنّى السيل و لا يرقى إلىّ الطير فاستعار لنفسه و صفين:أحدهما كونه ينحدر عنه السيل و هو من أوصاف الجبل و الأماكن المرتفعه،و كنّى به عن علوّه و شرفه مع فيضان العلوم و التدبيرات السياسيّه عنه،و استعار لتلك الكمالات لفظ السيل،و الثانى أنّه لا يرقى إليه الطير و هو كنايه عن غايه اخرى من العلوّ إذ ليس كلّ مكان علا بحيث ينحدر عنه السيل وجب أن لا يرقى إليه الطير فكان ذلك علوّا أزيد كما قال أبو تمام:

مكارم لجتّ فى علوّ كأنّما تحاول ثارا عند بعض الكواكب .

استعاره بالكنايه قوله فسدلت دونها ثوبا .كنايه عن احتجابه عن طلبها،و المبالغه فيها بحجاب الإعراض عنها،و استعار لذلك الحجاب لفظ الثوب استعاره لفظ المحسوس للمعقول،و كذلك قوله و طويت عنها كشحا تنزيل لها منزله المأكول الّذى منع نفسه من أكله فلم يشتمل عليه كشحه،و قيل:أراد بطىّ الكشح التفاته عنها كما يفعل المعرض عمّن إلى جانبه قال:طوى كشحه عنّى و أعرض جانبا .

استعاره بالكنايه قوله و طفقت أرتئى بين أن أصول بيد جذّاء أو أصبر على طخيه عمياء يريد أنّى جعلت اجيل الفكر فى تدبير أمر الخلافه و أردّه بين طرفى نقيض إمّا أن أصول على من حازها دونى أو أن أترك،و فى كلّ واحد من هذين القسمين خطر أمّا القيام فبيد جذّاء و هو غير جائز لما فيه من التغرير بالنفس و تشويش نظام المسلمين من غير فائده،استعارهو استعار وصف الجذّاء لعدم الناصر،و وجه المشابهه أنّ قطع اليد لمّا كان مستلزما لعدم القدره على التصرّف بها و الصوله و كان عدم الناصر بها و المؤيّد مستلزما لذلك لا جرم حسنت الاستعاره،و أمّا الترك ففيه الصبر على مشاهد التباس الامور و اختلاطها و عدم تمييز الحقّ و تجريده عن الباطل و ذلك فى غايه الشدّه و البلاء أيضا،و استعار لذلك الالتباس لفظ الطخيه و هو استعاره لفظ المحسوس للمعقول،و وجه المشابهه أنّ الظلمه كما لا يهتدى فيها للمطلوب كذلك اختلاط الامور هاهنا لا يهتدى معها لتمييز الحقّ و كيفيّه السلوك إلى اللّه،و وصف الطخيه بالمعنى أيضا على وجه الاستعاره فإنّ الأعمى لمّا لم يكن ليهتدى لمطالبه كذلك هذه الظلمه لا يهتدى فيها للحقّ و لزومه،ثمّ كنّى عن شدّه ذلك الاختلاط و مقاساه الخلق بسبب عدم انتظام الأحوال و طول مدّه ذلك بأوصاف :

أحدها أنّه يهرم فيها الكبير،و الثانى أنّه يشيب فيها الصغير.و الثالث أنّ المؤمن المجتهد فى لزوم الحقّ و الذبّ عنه يقاسى من ذلك الاختلاط شدائد و يكدح فيها حتّى يلقى ربّه ،و قيل:

يد أب و يجتهد فى الوصول إلى حقّه فلا يصل حتّى يموت،ثمّ أشار بعد ذلك إلى ترجّح رأيه فى اختيار القسم الثانى و هو الصبر و ترك القيام فى هذا الأمر بقوله : فرأيت أنّ الصبر على هاتا أحجى و أليق بنظام الإسلام،و وجه الترجيح ظاهر فإنّه لمّا كان مقصود علىّ عليه السّلام من هذه المنافسه إنّما هو إقامه الدين و إجراء قواعده على القانون المستقيم و نظام امور الخلق كما هو المقصود من مقالات الشارعين صلوات اللّه عليهم أجمعين،و كانت صولته و محاربته لمنا فسيه فى الإمامه بغير ناصر لا تثمر القيام به و مع ذلك ففيه انشعاب امور المسلمين و تفرّق كلمتهم و ثوران الفتن بينهم خصوصا،و الإسلام غضّ لم ترسخ محبّته فى قلوب كثير الخلق و لم يطعموا حلاوته و فيهم منافقون و الأعداء المشركون فى غايه القوّه من كلّ الأقطار لا جرم لم يمكنه مع ملاحظه هذه الأحوال إثاره الحرب و المنازعه لأداء ذلك إلى ضدّ ما هو مقصود له بحركته و محاربته،و أمّا الصبر و ترك المقاومه و إن كان فيه بحسب رأيه ما ذكره من اختلال الدين و أنّه لو كان هو القائم لهذا الأمر لكان انتظامه به أتمّ و قوامه أكمل إلاّ أنّه أقلىّ بالنسبه إلى الاختلال الّذى كان يحصل لو نازع فى هذا الأمر و قام فى طلبه و بعض الشرّ أهون من بعض.

كنايه قوله فصبرت و فى العين قذى و فى الحلق شجى. الواو للحال و الجملتان كنايتان عن شدّه ما أضمره من التأذّى و الغبن بسبب سلبه ما يرى أنّه أولى به من غيره و ما يعتقده من الخبط فى الدين بيد غيره.

قوله أرى تراثى نهبا قيل أراد بتراثه ما خلّفه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله لابنته كفدك فإنّه يصدق عليها أنّه ميراثه لأنّ مال الزوجه فى حكم مال الزوج،و النهب إشاره إلى منع الخلفاء الثلاثه لها بالخبر الّذى رواه أبو بكر نحن معاشر الأنبياء لا نورّث ما تركناه فهو صدقه، و قيل:أراد منصب الخلافه و يصدق عليه لفظ الإرث كما صدق فى قوله تعالى حكايه عن زكريّا عليه السّلام«يَرِثُنِي «مِنْ آلِ يَعْقُوبَ» فإنّه أراد يرث علمى و منصبى فى نبوّته فكان اسم الميراث صادقا على ذلك.

ص:٢٥٦

قوله حتّى مضى الأوّل لسبيله فأدلى بها إلى فلان بعده .أراد بالأوّل ابا بكر و بفلان عمر،و أشار بالإدلاء إلى نصّ أبى بكر على أن يكون عمر هو الخليفه بعده و مضيّه لسبيله انتقاله إلى دار الآخره و سلوكه السبيل الّذى لا بدّ منه لكلّ إنسان،و أمّا البيت فهو لأعشى قيس،و اسمه ميمون بن جندل من بنى قيس من قصيده أوّلها.

علقم ما أنت إلى عامر الناقص الأوتار و الواتر

و حيّان و جابر ابنا السمين بن عمرو من بنى حنيفه،و كان حيّان صاحب الحصن باليمامه و كان سيّدا مطاعا يصله كسرى فى كلّ سنه و كان فى نعمه و رفاهيّته مصونا من و عثاء السفر لأنّه ما كان يسافر أبدا،و كان الأعشى ينادمه و أراد ما أبعد ما بين يومىّ يومى على كور المطيّه أداب و أنصب فى الهواجر و بين يومى منادما حيّان أخى جابر،و ادعا فارانى نعمه و خفض،و يروى أنّ حيّان عاتب الأعشى فى تعريفه بنسبته إلى أخيه فاعتذر إليه الأعشى بأنّ القافيه قادته إلى ذلک فلم يقبل عذره،و اليوم الأوّل فى موضع رفع باسم الفعل،و الثانى بالعطف عليه،و أمّا غرض التمثيل بالبيت فأفاد السيّد المرتضى أراد بذلک أنّ القوم لمّا فازوا بمقاصدهم و رجعوا بمطالبهم فظفروا بها و هو فى أثناء ذلک كلّه محقّق فى حقّه مكذّب فى نصيبه كما أشار إليه بقوله: و فى العين قذى و فى الحلق شجى كان بين حالهم و حاله بعد بعيد و افتراق شديد فاستشهد عليه السّلام بهذا البيت استعاره بالكنايه و استعار لفظ اليومين ، و كنّى بهما عن حاله و حالهم،و وجه المشابهه فى هذا المثل أنّ حالهم استلزم حصول المطالب و الرفاهيّه كيوم حيّان و حاله عليه السّلام استلزم المتاعب كيومه على كور الناقه مسافرا قلت:و يحتمل أن يكون قد استعار يوم حيّان لعهده مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و ما كان يحصل له فى مدّه صحبته من الفوائد الجسميّه و الكمالات من العلوم و الأخلاق،و يوم كونه على كور الناقه لزمانه بعد الرسول صلى اللّه عليه و آله و ما لحقه فيه من مقاساه المحن و متاعب الصبر على الأذى،و وجه المشابهه ما يشتمل عليه يوم حيّان و عهد الرسول من المسارّ و ما يشترک فيه يوم كونه على كور الناقه و أوقاته بعد الرسول من المضارّ.

قوله فيا عجبا بينا هو يستقيلها فى حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته .إشاره إلى أبى بكر، و طلبه الإقاله هو قوله:أقيلونى فلست بخيركم،و وجه التعجّب هاهنا أنّ طلب أبى بكر

للإقـاله من هـذا الأـمر إنّما هو لثقله و كثره شـرائطه و شـدّه مراعاه إجراء أحوال الخلق مع اختلاف طباعهم و أهوائهم على قانون واحـد و خوفه أن تعثر به مطايـا الهوى فترديه فى موارد الهلاـك،و على هـذا التقـدير فكلّما كانت مـدّه ولايه الإنسان لهـذا الأمر أقصـر كان خوفه أقلّ و كانت متاعبه أيسـر و أسـهل،و سبيل طالب الإقاله من هذا الأمر و أمثاله و مقتضى طلبه لذلك أن يتحرّى قلّه متاعب هـذا الأمر و يجتهـد فى الخلاص منه مهما أمكنه ذلك فإذا رأيناه متمسّـكا بهـذا الأمر مـدّه حياته و عنـد وفاته يعقـده لآـخر بعـده فيتحملّ مضارّ هـذا الأمر فى حال الحياه و بعـد الوفاه فلا بـدّ و أن يغلب على الظنّ أنّ طلبه للإقاله لم يكن عن قصـد صحيح فيصـير ذلك الظنّ مقابلا لما اشـتهر عنه من العداله و ذلك محلّ التعجّب،و هذا بخلاف ما اشتهر بالفسق و النفاق فإنّه لا يتعجّب من فعله لو خالف قوله.

استعاره قوله لشدّ ما تشطّرا ضـرعيها .اللام للتأكيـد و ما مع الفعل بعـدها فى تقـدير المصـدر و هو فاعل شـدّ و الجمله من تمام التعجّب،و قد اسـتعار عليه السّـلام لفظ الضرع هاهنا للخلافه،و هى استعاره مستلزمه لتشبيهها بالناقه،و وجه المشاركه المشابهه فى الانتفـاع الحاصل منها،و المقصود وصف اقتسامهما لهـذا الأمر المشبّه لاقتسام الحالبين أخلاف الناقه بالشـدّه على من يعتقـد أنّه أحقّ بها منهما أو على المسلمين الّذين يشـبهون الأولادلها ، كنايه و قوله فصيّرها فى حوزه خشـناء كنّى بالحوزه عن طباع عمر فإنّها كانت توصف بالجفاوه و الغلظ فى الكلام و التسرّع إلى الغضب و ذلك معنى خشونتها.

استعاره بالكنـايه قوله يغلـظ كلامهـا و يخشن مسّـها .اسـتعار لتلـك الطـبيعه وصـفين:أحـدهما غلـظ الكلم و هو كنـايه عن غلظ المواجهه بالكلام و الجرح به فإنّ الضـرب باللسان أعظم من و خز و السـنان،و الثانى جفاوه المسّ و هى كنايه عن خشونه طباعه المانعه من ميل الطباع إليه المستلزمه للأذى كما يستلزم مسّ الأجسام الخشنه.

قوله و يكثر العثار و الاعتـذار منها .إشاره إلى ما كان يتسرّع إليه عمر من الأحكام ثمّ يعاود النظر فيها فيجـدها غير صائبه فيحتاج إلى الاعتـذار،و الضـمير فى منهـا يعود إلى الطبيعه المعبّر عنهـا بـالحوزه فمن ذلك ما روى أنّه أمر برجم امراه زنت و هى حامل فعلم علىّ عليه السّلام بذلك فجاء إليه و قال له:إن كان لك سلطان عليها فما سلطانك على ما فى بطنها،دعها

حتّى تضع ما فى بطنها ثمّ ترضع ولـدها فعنـدها قال عمر:لو لا علىّ لهلك عمر و تركها،و كذلك ما روى أنّه أمر أن يؤتى بامراه لحـال اقتضت ذلـك و كـانت حاملاـ فـانزعجت من هيبته فـاجهزت جنينـا فجمع جمعـا من الصـحابه و سـألهم ما ذا يجب عليهم فقالوا:أنت مجتهد و لا ترى أنّه يجب عليك شىء فراجع عليّا عليه السّلام فى ذلك و أعلمه بما قال بعض الصحابه فأنكر ذلك و قـال:إن كـان ذلـك عن اجتهاد منهم فقـد أخطئوا و إن لم يكن عن اجتهاد فقـد غشّوك.أرى عليك العزّه فعنـدها قال لا عشـت لمعضله لا تكون لها يا أبا الحسن،و منشأ ذلك و أمثاله غلبه القوّه الغضبيّه و غلظ الطبيعه.

استعاره بالكنايه قوله فصاحبها كراكب الصعبه إن أشنق لها خرم و إن أسلس لها تقحّم قيل الضمير فى صاحبها يعود إلى الحوزه المكنّى بها عن طبيعه عمر و أخلاقه،و المراد على هذا الوجه أنّ للصاحب لتلك الأخلاق فى حاجه إلى المداراه فى صعوبه حاله كراكب الصعبه،و وجه المشابهه أنّ راكب الصعبه كما يحتاج إلى الكلفه الشاقّه فى مداراه أحوالها فهو معها بين خطرين إن والى الجذبات فى وجهها بالزمام خرم أنفها،و إن أسـلس لها فى القياد تقحّمت به المهالك كذلك مصاحب أخلاق الرجل و المبتلى بها إن أكثر عليه إنكار ما يتسرّع إليه أدّى ذلك إلى مشاقّته و فساد الحال بينهما،و إن سـكت عنه و تركه و ما يصـنع أدّى ذلك إلى الإخلال بـالواجب و ذلـك من موارد الهلكه،و قيـل الضـمير فى صاحبها للخلافه و صاحبها هو كلّ من تولّى أمرها إذا كان عادلاـ مراعيا لحقّ اللّه،و وجه شبـهه براكب الصـعبه أنّ المتولّى لأمر الخلافه يضـطرّ إلى الكلفه الشاقّه فى مـداراه أحوال الخلق و نظام امورهم على القانون الحقّ و أن يسلك بهم طريق العدل المحفوشه(المحسوسه)بطرف التفريط و التقصير المشبّه لإسلاس قيـاد الصـعبه، و بطرف الإفراط فى طلب الحقّ و اسـتقصاء فيه الّذى يشبه شـنقها فإنّ المتولّى لأمر الخلافه إن فرّط فى المحافظه على شـرائطها و أهمـل أمرهـا ألقـاه التفريط فى موارد الهلكه كما نسبه الصـحابه إلى عثمان حتّى فعل به ما فعل،فكان فى ذلك كراكب صعبه أسلس قيادها،و إن أفرط فى حمل الخلق على أشدّ مراتب الحقّ و بالغ فى الاستقصاء عليهم فى طلبه أوجب ذلك تضـجّرهم منه و نفـار طبـاعهم و تفرّقهم عنه و فسـاد الأـمر عليه لميـل أكـثرهم إلى حبّ الباطـل و غفلتهم عن فضـيله الحقّ،و إن صعب،فيكون فى ذلك كمن أشنق المصعبه الّتى هو راكبها

حتّى خرم أنفها،و هو من التشبيهات اللطيفه،و قيل:أراد بصاحبها نفسه و تشبّه براكب الصعبه لأنّه أيضا بين خطرين إمّا أن يبقى ساكتا عن طلب هذا الأمر و القيام فيتقحّم بذلك فى موارد الذلّ و الصغار كما يتقحّم راكب الصعبه المسلس لها قيادها،و إمّا أن يقوم فيه و يتشدّد فى طلبه فينشعب أمر المسلمين بذلك و ينشقّ عصاهم فيكون فى ذلك كمن أشنق لها فخرم أنفها،و الأوّل أليق بسياق الكلام و نظامه،و الثانى أظهر،و الثالث محتمل.

استعاره بالكنايه قوله فمنى الناس لعمر اللّه بخبط و شماس و تلوّن و اعتراض إشاره إلى ما ابتلوا به من اضطراب الرجل و حركاته الّتى كان ينقمها عليه فكنّى بالخبط عنها و بالشماس عن جفاوه طباعه و خشونتها و بالتلوّن و الاعتراض عن انتقاله من حاله إلى اخرى فى أخلاقه،و هى استعارات،و وجه المشابهه فيها أنّ خبط البعير و شماس الفرس و اعتراضها فى الطريق حركات غير منظومه فأشبهها ما لم يكن منظوما من حركات الرجل الّتى ابتلى الناس بها، و لا شكّ أنّه كان صعبا عظيم السطوه و الهيبه و كان أكابر الصحابه يتحامونه،و قيل لابن عبّاس لمّا أظهر قوله فى مسئله العقول بعد موت عمر:هلاّ قلت ذلك و عمر حىّ قال هيبته، و كان رجلا مهيبا،و قيل:إنّ ذلك إشاره إلى ما ابتلى به الناس من اضطراب الأمر و تفرّق الكلمه و جرى امورهم على غير نظام بسبب تفرّق كلمتهم،ثمّ أردف ذلك بتكرير ذكر صبره على ما صبر عليه مع الثانى كما صبر مع الأوّل،و ذكر أمرين:أحدهما طول مدّه تخلّف الأمر عنه،و الثانى شدّه المحنه بسبب فوات حقّه و ما يعتقد من لوازم ذلك الفوت و هو عدم انتظام أحوال الدين و إجرائه على قوانينه الصحيحه،و لكلّ واحد من هذين الأمرين حصّه فى استلزام الأذى الّذى يحسن فى مقابلته الصبر.

قوله حتّى إذا مضى لسبيله جعلها فى جماعه زعم أنى أحدهم.

أقول:حتّى هنا لانتهاء الغايه،و الغايه لزوم تالى الشرطيّه لمقدّمها أعنى جعله لها فى جماعه لمضيّه لسبيله،و أشار بالجماعه إلى أهل الشورى،و خلاصه حديث الشورى أنّ عمر لمّا طعن دخل عليه وجوه الصحابه،و قالوا له:ينبغى لك أن تعهّد عهدك أيّها الرجل و يستخلف رجلا ترضاه،فقال:لا احبّ أن أتحمّلها حيّا و ميّتا،فقالوا:أفلا تشير علينا فقال:أمّا أن اشير فإن أجبتم قلت فقالوا:نعم فقال:الصالحون لهذا الأمر سبعه نفر

ص:٢٦٠

سمعت رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله یقول:إنّهم من أهل الجنّه أحدهم سعید بن زید و أنا مخرجه منهم لأنّه من أهل بیتی،و سعد بن أبی وقّاص و عبد الرحمن بن عوف و طلحه و زبیر و عثمان و علیّ، فأمّا سعد فلا یمنعنی منه إلاّ عنفه و فظاظته،و أمّا من عبد الرحمن بن عوف فلأنّه قارون هذه الأمّه،و أمّا من طلحه فتکبّره و نخوته،و أمّا من الزبیر فشحّه و لقد رأیته بالبقیع یقاتل علی صاع من شعیر و لا یصلح لهذا الأمر إلاّ رجل واسع الصدر،و أمّا من عثمان فحبّه لقومه و عصبیّته لهم و أمّا من علیّ فحرصه علی هذا الأمر و دعابته فئته،ثمّ قال:یصلّی صهیب بالناس ثلاثه أیّام و تخلو الستّه نفر فی البیت ثلاثه أیّام لیتّفقوا علی رجل منهم فإن استقام أمر خمسه و أبی رجل فاقتلوه و إن استقرّ أمر ثلاثه و أبی ثلاثه فکونوا مع الثلاثه الّذین فیهم عبد الرحمن بن عوف،و یروی فاقتلوا الثلاثه الّذین لیس فیهم عبد الرحمن بن عوف، و یروی فتحاکموا إلی عبد اللّه بن عمر فأیّ الفریقین قضی له فاقتلوا الفریق الآخر،فلمّا خرجوا عنه و اجتمعوا لهذا الأمر قال عبد الرحمن:إنّ لی و لابن عمی من هذا الأمر الثلث فنحن نخرج أنفسنا منه علی أن نختار رجلا هو خیرکم للأمّه فقال القوم:رضینا،غیر علیّ فإنّه أتّهمه فی ذلک،و قال:أری و أنظر،فلمّا آیس من رضی علیّ رجع إلی سعد فقال:هلّم نعیّن رجلا و نبایعه،فالناس یبایعون من بایعته فقال سعد:إن بایعک عثمان فأنا لکم ثالث،و إن أردت أن تولّی عثمان فعلیّ أحبّ إلیّ،فلمّا آیس من مطاوعه سعد کفّ عنهم و جاءهم أبو طلحه فی خمسین رجلا من الأنصار یحثّهم علی التعیین فأقبل عبد الرحمن إلی علیّ علیه السّلام و أخذ بیده،و قال:ابایعک علی أن تعمل بکتاب اللّه و سنّه رسوله و سیره الخلیفتین أبی بکر و عمر فقال علیّ علیه السّلام:تبایعنی علی أن أعمل بکتاب اللّه و سنّه رسوله و أجتهد رأیی فترک یده،ثمّ أقبل علی عثمان فأخذ بیده و قال له مثل مقاله لعلیّ علیه السّلام فقال:نعم فکرّر القول علی کلّ منهما ثلاثا فأجاب کلّ بما أجاب به أوّلا فبعدها قال عبد الرحمن:هی لک یا عثمان و بایعه ثمّ بایعه الناس،و فی النسخ زعم أنّی سادسهم،ثمّ أردف حکایه الحال بالاستغاثه باللّه للشوری،و الواو إمّا زائده أو للعطف علی محذوف مستغاث له أیضا کأنّه قال:فیاللّه لعمر و للشوری،أولی و للشوری و نحوه،و الاستفهام عن وقت عروض الشکّ لأذهان الخلق فی أنّ الأوّل هل یساویه فی الفضل أو لا یساویه استفهاما علی سبیل

الإنكـار و التعجّـب مـن عروضـه لأذهـانهم إلى غـايه أن قـاسوه بـالخمسه المـذكورين و جعلـوهم نظراء و أمثالاـ له فى المنزله و استحقاق هذا الأمر .

استعاره قوله لكنّى أسففت إذ أسفّوا و طرت إذ طاروا .استعاره لأحوال الطائر من الإسفاف و الطيران لأحواله من مقارنته لمراده و تصرّفه على قدر اختيارهم أوّلا و آخرا.

قوله فصغار رجل منهم لضغنه .إشاره إلى سعد بن أبى وقّاص فإنّه كان منحرفا عنه عليه السّـلام و هو أحـد المتخلّفين عن بيعته بعد قتل عثمان،و قوله و مال الآخر لصهره. إشاره إلى عبد الرحمن بن عوف فإنّه مال إلى عثمان لمصاهره كانت بينهما و هى أنّ عبـد الرحمن كـان زوجا لامّ كلثوم بنت عقبه ابن أبى معيط و هى اخت عثمان لامّه أروى بنت كريز.قوله مع هن و هن يريـد أنّ ميله إليه لم يكن لمجرّد المصاهره بل لأشياء اخرى يحتمل أن يكون نفاسه عليه و غبطه له بوصول هـذه الأمر إليه أو غير ذلك، استعاره بالكنايه و قوله إلى أن قام ثالث القوم نافجا حضـنيه بين نثيله و متعلفه .أراد به عثمان و كنّى بقيامه عن حركته فى ولايته أمر الخلافه و أثبت له حالا يستلزم تشبيهه بالبعير،و استعاره وصـفه و هو نفج الحضـين،و كنّى بذلك عن استعداده للتوسّع ببيت مـال المسلمين و حركته فى ذلـك كمـا نسب إليه تشبيهـا له بـالبعير ينتفـج جنبـاه بكـثره الأكـل،كـذلك المتوسّـع فى الأكـل و الشـرب،و ربّما قيل ذلك لمتكبر المنتفـج كبرا،و كـذلك قوله بين نثيله و معتلفه و هو متعلّق بقام أى قام بين معتلفه و روثه و هو من أوصاف البهائم،و وجه الاستعاره أنّ البعير و الفرس كما لا اهتمام له أكثر من أن يكون بين أكل و روث،كـذلك نسبه إلى أنّه لم يكن أكـبر همّه إلاّـ الترفّه و التوفّر فى المطعم و المشرب و سـائر مصالـح نفسه و أقـاربه دون ملاـحظه امور المسلمين و مراعات مصالحهم كما نقم عليه.

كنـايه قوله و قـام معه بنو اميّه يخضـمون مـال اللّه تعالى خضم الإبل نبته الربيع. يخضـمون فى موضع الحال،و عنى بمال اللّه بيت المال،و أراد ببنى أبيه بنى اميّه بن عبد شـمس،و يحتمل أن يريد أقرباه مطلقا و خصّ بنى أبيه تغليبا للذكوره،و كنّى بالخضم عن كثره توسّـعهم بمـال المسـلمين من يـد عثمـان ،و قـد نقلت عنه من ذلك صور:أحـدها أنّه رفع إلى أربعه نفر من قريش زوّجهم ببناته أربع مائه ألف دينار،و ثانيها أنّه لمّا فتح إفريقيّه أعطى مروان بن

الحکم مائه ألف دینار و یروی خمس إفریقیّه،و ثالثها روی من عدّه طرق أن أبا موسی الأشعریّ بعث إلیه بمال عظیم من البصره فجعل یفرّقه فی ولده و أهله و کان ذلک بحضره زیاد بن عبید مولی حرث بن کلاه الثقفیّ فبکی زیاد لما رأی فقال له:لا تبک فإنّ عمر کان یمنع قرابته ابتغاء وجه اللّه و أنا أعطی أهلی و قرابتی ابتغاء وجه اللّه،و رابعها روی أنّه ولّی الحکم بن أبی العاص صدقات قضاعه فبلغت ثلاث مائه ألف فوهبها له حین أتاه بها،و خامسها روی أبو مخنف أنّ عبد اللّه بن خالد بن اسید قدم علی عثمان من مکّه و معه ناس فأمر لعبد اللّه بثلاث مائه ألف و لکلّ واحد منهم بمائه ألف و صکّ بذلک علی عبد اللّه بن الأرقم و کان حینئذ خازن بیت المال فاستکثر ذلک و ردّ الصکّ فقال له عثمان:ما حملک علی ردّه؟ و إنّما أنت خازن قال:کنت أرابی بیت مال المسلمین و إنّما خازنک غلامک و أنّه لا ألی لک بیت المال أبدا،و جاء بالمفاتیح فعلّقها علی المنبر فدفعها عثمان إلی مولاه نائل،و روی الواقدی أنّ عثمان أمر زید بن ثابت أن یحمل من بیت المال إلی عبد اللّه بن أرقم عقیب ما فعل ثلاث مائه ألف درهم فلمّا دخل علیه بها قال له:یا أبا محمّد إنّ أمیر المؤمنین أرسل إلیک یقول إنّا شغلناک عن التجاره و لک ذوو رحم أهل حاجه ففرّق هذا المال فیهم و استغن به علی عیالک،فقال عبد اللّه:ما لی إلیک حاجه،و ما عملت لأن یثیبنی عثمان فإن کان هذا من بیت المال لما بلغ قدر عملی أن اعطی ثلاث مأئه ألف درهم،و إن کان من ماله فلا حاجه لی به، و بالجمله فمواهبه لأهله و ذویه مشهوره، تشبیه و قد شبّه علیه السّلام خضمهم لمال اللّه بخضم الإبل نبت الربیع ،و وجه التشبیه أنّ الإبل لمّا کانت تستلذّ نبت الربیع بشهوه صادقه و تملاء منه أحناکها،و ذلک لمجیئه عقیب یبس الأرض و طول مدّه الشتاء،و مع ذلک طیبه و نضارته، کان ما أکله أقارب عثمان من بیت المال مشبّها لذلک من جهه کثرته و طیبه لهم عقیب ضرّهم و فقرهم،و کلّ ذلک فی معرض الذّم و التوبیخ المستلزم لارتکاب مناهی اللّه المستلزم لعدم التأهّل لأمر الخلافه.

استعاره بالکنایه قوله إلی انتکث علیه فتله و أجهز علیه عمله و کبت به بطنته .إشاره إلی غایات من قیامه فی الحال المذکوره و استعار لفظ الفتل و هو برم الحبل لما کان یبرمه من الرأی و التدبیر و یستبدّ به دون الصحابه و کنّی به عنه،و کذلک لفظ الانتکاث لانتقاض ذلک التدابیر و رجوعها

علیه بالفساد و الهلاک ، مجاز فی الإفراد و الترکیب-الکنایه و قوله و أجهز علیه عمله یشتمل علی مجاز فی الإفراد و الترکیب أمّا فی الإفراد فلأنّ استعمال الإجهاز إنّما یکون حقیقه فی قتل تقدّمه جرح المقتول و إثخان بضرب و نحوه،و لمّا کان قتل عثمان مسبوقا بطعن أسنّه الألسنه و الجرح بحدّ أو سیوفها لا جرم أشبه قتله الإجهاز فأطلق علیه لفظه،و أمّا فی الترکیب فلأنّ إسناد الإجهاز إلی العمل لیس حقیقه لصدور القتل عن القاتلین لکن لمّا کان عمله هو السبب الحاصل لهم علی قتله صحّ إسناد الإجهاز إلیه إسناد الفعل إلی السبب الفاعلیّ أی إلی السبب الحامل و هو من وجوه المجاز،و کذلک قوله و کبت به بطنته مجاز أیضا فی الإسناد و الترکیب،و ذلک لأنّ الکبو إنّما هو حقیقه فی الإسناد إلی الحیوان و لمّا کان ارتکابه للامور الّتی نقمت علیه و توسّعه ببیت المال المکنّی عن ذلک بالبطنه و استمراره علی ذلک مدّه خلافته سلیما یشبه رکوب الفرس و استمرار مشیه سلیما من العثار و الکبو کانت البطنه مشبّهه للمرکوب من هذه الجهه فلذلک صحّ إسناد الکبو إلیها مجازا.

قوله فما راعنی إلاّ و الناس کعرف الضبع إلیّ ینثالون علیّ من کل جانب .إلیّ متعلّق بمحذوف تقدیره مقبلون إلیّ و فاعل راعنی إمّا الجمله الإسمیّه و هو مقتضی قول الکوفیین إذ جوّز و اکون الجمله فاعلا أو ما دلّت علیه هذه الجمله و کانت مفسّره له من المصدر أی فما راعنی إلاّ إقبال الناس إلیّ و هو فرع مذهب البصریین إذ منعوا کون الجمله فاعلا،و نظیره قوله تعالی «ثُمَّ بَدا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الْآیاتِ لَیَسْجُنُنَّهُ حَتّی حِینٍ» ١و ینثالون إمّا خبر ثان للمبتدأ أو حال عن راعنی أو العامل فی إلیّ و الإشاره إلی وصف ازدحام الناس علیه للبیعه بعد قتل عثمان، تشبیه و قد شبّههم فی إقبالهم إلیه،و ازدحامهم علیه بعرف الضبع ، و وجه ذلک أنّ الضبع ذات عرف کثیر قائم الشعر و العرب یسمّی الضبع عرفا لعظم عرفها فکان حال الناس فی إقبالهم علیه متتابعین یتلو بعضهم بعضا قیاما یشبه عرف الضبع.

قوله حتّی لقد وطیء الحسنان و شقّ عطفای .إشاره إلی غایه ازدحامهم علیه،و هی وطی ولدیه الحسن و الحسین علیهما السّلام و شقّ ردائه بالجذب عند خطابه و الجلوس علی جانبیه.

و أمّا علی الروایه الاخری فالمراد بالشقّ إمّا الأذی الحاصل للصدر و المنکبین،أو شقّ

قمیصه بالجلوس علی جانبیه، مجاز إطلاقا لاسم المجاور علی مجاوره و إطلاق لفظ العطفین علی جانبی القمیص مجاز إطلاقا لاسم المجاور علی مجاوره أو المتعلّق علی متعلّقه ،و من عاده العرب أن یکون أمراؤهم کسائرهم فی قلّه التوقیر و التعظیم فی المخاطبات،و فعلهم ذلک إمّا فرح به علیه السّلام،أو لجلاقه طباع رعاعهم.

و حکی السیّد المرتضی-رضوان اللّه علیه-أنّ أبا عمر محمّد بن عبد الواحد غلام ثعلب روی فی قوله علیه السّلام وطیء الحسنان إنّهما الإبهامان،و أنشد المشنفریّ مهضومه الکشحین خرماء الحسن،و روی أنّ أمیر المؤمنین علیه السّلام إنّما کان یومئذ جالسا محتبیا و هی جلسه رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله المسمّاه بالقرفصاء و هی جمع الرکبتین و جمع الذیل فلمّا اجتمعوا لیبایعوه زاحموه حتّی وطئوا إبهامیه و شقّوا ذیله بالوطی و لم یعن الحسن و الحسین علیهما السّلام و هما رجلان کسائر الحاضرین،و هذا القول یؤیّد الروایه الاولی،و اعلم أنّ إرادته للحسن و الحسین أظهر.

تشبیه قوله مجتمعین حولی کربیضه الغنم .مجتمعین منصوب علی الحال کالّذی قبله و العامل واحد أو بقوله وطیء و شقّ ،و قد شبّه اجتماعهم حوله بربیضه الغنم و وجه التشبیه ظاهر،و یحتمل أن یلاحظ فی وجه التشبیه مع الهیئه زیاده و هی أنّه شبّهم بالغنم لغفلتهم عن وضع الأشیاء فی مواضعها،و قلّه فطانتهم و عدم استعمالهم للأدب معه أو مطلقا و العرب تصف الغنم بالغباوه و قلّه الفطانه.

استعاره قوله فلمّا نهضت بالأمر نکثت طائفه و مرقت اخری و فسق آخرون .أراد بالناکثین طلحه و الزبیر لأنّهما بایعاه و نقضا بیعته بخروجهما علیه و کذلک من تبعهما ممّن بایعه، و بالمارقین الخوارج،و بالقاسطین أو الفاسقین أصحاب معاویه،و هذه الأسماء سبقت من الرسول صلی اللّه علیه و آله إذ حکی فی موضع آخر أنّه أخبره بأنّه سیقاتل الناکثین و المارقین و القاسطین بعده،و إنّما خصّ الخوارج بالمروق لأنّ المروق و هو مجاوزه السهم للرمیه و خروجه منها،و لمّا کانت الخوارج أوّلا منتظمون فی سلک الحقّ إلاّ أنّهم بالغوابز عمهم فی طلبه إلی أن تعدّوه و تجاوزوه لا جرم حسن أن یستعار لهم لفظ المروق لمکان المشابهه و قد أخبر الرسول صلی اللّه علیه و آله عنهم بهذا اللفظ إذ قال:یمرقون من الدّین کما یمرق السهم من الرمیّه و أمّا تخصیص أهل الشام بالفاسقین فلأنّ مفهوم الفسق أو القسط هو الخروج عن سنن الحقّ

و قد كانوا كذلك بمخالفته عليه السّلام و الخروج عن طاعته فكان إطلاق أحد اللفظين عليهم لذلك.

قوله كأنّهم لم يسمعو اللّه يقول «تِلْكَ الدّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَ لا فَساداً وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» ١.تنبيه لأذهان الطوائف الثلاث المذكوره و من عساه يتخيّل أنّ الحقّ فى سلوك مسالكهم على أنّ ما فعلوه من المخالفه عليه و القتال له إنّما هو طلب للعلوّ و المفاخره فى الدنيا المستلزم للسعى فى الأرض بالفساد و إعراض عن الدار الآخره و حسم لمادّه إعذارهم أن يقولوا يوم القيامه إنّا كنّا عن هذا غافلين فيقولوا عند لقاء ربهم لو سمعنا هذه الآيه و وعيناها لما ارتكبنا هذه الأفعال،و يزعمون أنّ الحقّ فى هذه المتّصله هو استثناء نقيض تاليها لينتج لهم نقيض مقدّمها،و تقديره عليه السّلام لهذا العذر لهم،على سبيل التهكّم بهم و أنّه لا عذر لهم فى الحقيقه ممّا فعلوه ثمّ أراد عليه السّلام تكذيبهم فى ذلك العذر على تقدير اعتذارهم به فأشار إلى مكذّب النتيجه بوضع نقيضها مؤكّدا بالقسم البارّ،و إلى منع لزوم هذه المتّصله بقوله بلى و اللّه لقد سمعوها و وعوها و لكنّه حليت الدنيا فى أعينهم ،و نبّه على أنّ وضع المقدّم المذكوره فى المتّصله لا يستلزم تاليها مطلقا بل استلزامه له موقوف على زوال مانع هو حاصل لهم الآن و ذلك المانع هو غرور الدنيا لهم بزينتها و إعجابهم بها و على تقدير حصول المانع المذكور جاز أن يجتمع هذا المقدّم مع نقيض التالى المذكور و هو ارتكاب ما ارتكبوه من الأفعال.

قوله أما و الّذى فلق الحبّه و برء النسمه لو لا حضور الحاضر و قيام الحجّه بوجود الناصر و ما أخذ اللّه على العلماء إلى آخره.

أقول:لمّا ذكر من حال القوم و حاله معهم ما ذكر من الشكايه و التظلّم فى أمر الخلافه و ذمّ الشورى و ما انتهى إليه من الحال الّتى أوجبت نزوله عن مرتبته إلى أن قرن بالجماعه المذكورين أردف ذلك ببيان الأعذار الحامله على قبول هذا الأمر و القيام به بعد تخلّفه عنه إلى هذه الغايه،و قدّم على ذلك شاهدا هذا القسم العظيم بهاتين الإضافتين و هما فالق الحبّه و بارىء النسمه،و اعلم أنّ الوصف الأوّل قد ورد فى القرآن الكريم و هو قوله «فالِقُ»

«الْحَبِّ وَ النَّوى» و إنّما خصّ الحبّه و النسمه بالتعظيم بالنسبه إلى اللّه تعالى لما يشتملان عليه من لطف الخلقه و صغر الحجم من أسرار الحكمه و بدائع الصنع الدالّه على وجود الصانع الحكيم،أمّا «فالِقُ الْحَبِّ» ففيه قولان:أحدهما قال ابن عبّاس و الضحاك: «فالِقُ الْحَبِّ» أى خالقه فعلى هذا يكون معنى قوله عليه السّلام فلق الحبّه كقوله فطر الخلائق بقدرته ،الثانى و هو الّذى عليه جمهور المفسّرين أنّ فلق الحبّه هو الشقّ الّذى فى وسطها،و تقرير هذا القول أنّ الحبّه من الحنطه مثلا لمّا كانت من غايتها أن تكون شجره مثمره تنتفع بها الحيوان جعل اللّه سبحانه فى وسطها ذلك الشقّ حتّى إذا وقعت فى الأرض الرطبه ثمّ مرّت بها مدّه من الزمان جعل سبحانه الطرف الأعلى من ذلك الشقّ مبدء لخروج الشجره الصاعده إلى الهواء و الطرف الأسفل مبدء للعروق الهابطه إلى الأرض الّتى منها مادّه تلك الشجره،و فى ذلك بدائع من الحكمه شاهده بوجود المدبّر الحكيم:أحدها أن تكون طبيعه تلك الحبّه إن كانت تقتضى الهوى فى عمق الأرض فكيف تولّدت منها الشجره الصاعده فى الهواء و على العكس،فلمّا تولّد منها أمران متضادّان علمنا أنّ ذلك ليس لمجرّد الطبيعه بل بمقتضى الحكمه الإلهيّه،و ثانيها أنّا نشاهد أطراف تلك العروق فى غايه الدقّه و اللطافه بحيث لو دلكها الإنسان بأدنى قوّه دلكا لصارت كالماء ثمّ إنّها مع غايه تلك اللطافه تقوى على خرق الأرض الصلبه و تنفذ فى مسام الأحجار فحصول هذه القوّه الشديده لهذه الأجرام اللطيفه الضعيفه لا بدّ و أن يكون بتقدير العزيز الحكيم،و ثالثها أنّك قد تجد الطبائع الأربع حاصله فى الفاكهه الواحده كالاترج فإنّ قشره حارّ يابس،و لحمه بارد رطب، و حماضه بارد يابس،و برزه حار يابس.فتولّد هذه الطبائع المتضادّه من الحبّه الواحده لابدّ و أن يكون بتقدير الفاعل الحكيم،و رابعها أنّك إذا نظرت إلى ورقه من أوراق الشجره المبدعه عن الحبّه وجدت فى وسطه خطّا مستقيما كالنخاع بالنسبه إلى بدن الإنسان ثمّ لا يزال ينفصل عنه شعب و عن الشعب شعب اخرى إلى أن يستدقّ،و يخرج تلك الخطوط عن إدراك البصر،و الحكمه الإلهيّه إنّما اقتضت ذلك لتقوى القوّه الجاذبه المركوزه فى جرم تلك الورقه على جذب الأجزاء اللطيفه الأرضيّه فى تلك المجارى الضيّقه،و إذا وقفت على عنايه اللّه سبحانه فى تكوّن تلك الورقه الواحده الواقعه علمت أنّ عنايته فى جمله الشجره

أكمل،و أنّ عنايته فى جمله النبات أكمل،ثمّ إذا علمت أنّه إنّما خلق جمله النبات لمصلحه الحيوانات علمت أنّ عنايته فى خلق الحيوان أكمل،و إذا علمت أنّ المقصود من خلق الحيوان إنّما هو الإنسان علمت أنّ الإنسان هو أعزّ مخلوقات هذا العالم عند اللّه و أكرمه عليه و أنّه قد أكرمه بأنواع الإكرام كما قال تعالى «وَ لَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ» الآيه «وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللّهِ لا تُحْصُوها» و أمّا النسمه فعليك فى مطالعه عجائب صنع اللّه ببدن الإنسان بكتب التشريح،و قد أشرنا إلى طرف من ذلك فى الخطبه الاولى.إذا عرفت ذلك فاعلم أنّه عليه السّلام ذكر من تلك الأعذار ثلاثه:أحدها حضور الحاضرين لمبايعته، و الثانى قيام الحجّه عليه بوجود الناصر له فى طلب الحقّ لو ترك القيام،الثالث ما أخذ اللّه على العلماء من العهد على إنكار المنكرات و قمع الظالمين و دفع الظلامات عند التمكّن و العذران الأوّلان هما شرطان فى الثالث إذ لا ينعقد و لا يجب إنكار المنكر بدونهما كنايه و كنّى بكظّه الظالم عن قوّه ظلمه و بسغب المظلوم عن قوّه ظلامته.

استعاره بالكنايه قوله لألقيت حبلها على غاربها .استعاره وصف من أوصاف الناقه للخلافه أو للامّه كنّى بها عن تركه لها و إهماله لأمرها ثانيا كإهماله أوّلا،و لمّا استعار لها لفظ الغارب جعل لها حبلا تلقى عليه و هو من ترشيح الاستعاره و أصله أنّ الناقه يلقى زمامها على غاربها و تترك لترعى.

استعاره مرشحه قوله و لسقيت آخرها بكأس أوّلها ،استعار لفظ السقى للترك المذكور أيضا و رشّح تلك الاستعاره بذكر الكأس،و وجه تلك الاستعاره أنّ السقى بالكأس لمّا كان مستلزما لوجود السكر غالبا و كان إعراضه أوّلا مستلزما لوقوع الناس فيما ذكر من الطخيه العمياء المستلزمه لحيره كثير من الخلق و ضلالهم الّذى يشبه السكر و أشدّ منه لا جرم حسن أن يعبّر عن ذلك الترك بالسقى بالكأس.

قوله و لألفيتم دنياكم هذه أهون عندى من عطفه عنز عطف على ما قبله و يفهم منه أنّه عليه السّلام طالب للدنيا و لها عنده قيمه إلاّ أنّ طلبه لها و الحرص على الإمره فيها ليس لأنّها هى،بل لما ذكرنا من نظام الخلق و إجراء امورهم على القانون العدل المأخوذ على العلماء كما أشار إليه،و نظم هذا الكلام فى صوره متّصله هكذا:لو لم يحضر الحاضر،و

لم يقم الناصر،و ما أخذ اللّه على العلماء ما أخذ عليهم من إنكار المنكر إذا تمكّن لتركت آخرا كما تركت أوّلا و لو جدتم دنياكم هذه أهون عندى مما لا قيمه له و هو عفطه العنز،و أمّا الحكايه المتعلّقه بهذه الخطبه فأراد بأهل السواد سواد العراق.قال أبو الحسن الكيدرى -رحمه اللّه-وجدت فى الكتب القديمه أنّ الكتاب الّذى دفعه الرجل إلى أمير المؤمنين عليه السّلام كان فيه عدّه مسائل:أحدها ما الحيوان الّذى خرج من بطن حيوان آخر و ليس بينهما نسب؟فأجاب عليه السّلام بأنّه يونس بن متى عليه السّلام خرج من بطن الحوت،الثانيه ما الشىء الّذى قليله مباح و كثيره حرام؟فقال عليه السّلام هو نهر طالوت لقوله تعالى «إِلاّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ» الثالثه ما العباده الّذى لو فعلها واحد استحقّ العقوبه و إن لم يفعلها استحقّ أيضا العقوبه؟فأجاب بأنّها صلاه السكارى.الرابعه ما الطائر الّذى لا فرخ له و لا فرع و لا أصل؟فقال:هو طائر عيسى عليه السّلام فى قوله «وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي» ١الخامسه رجل عليه من الدين ألف درهم و له فى كيسه ألف درهم فضمنه ضامن بألف درهم فحال عليه الحول فالزكاه على أى المالين تجب.فقال:إن ضمن الضامن بإجازه من عليه الدين فلا يكون عليه،و إن ضمنه من غير إذنه فالزكاه مفروضه فى ماله،السادسه حجّ جماعه و نزلوا فى دار من دور مكّه و أغلق واحد منهم باب الدار و فيها حمام فمتن من العطش قبل عودهم إلى الدار فالجزاء على أيّهم يجب؟فقال عليه السّلام:على الّذى أغلق الباب و لم يخرجهّن و لم يضع لهنّ ماء،السابعه شهد شهداء أربعه على محضر بالزنا فأمرهم الإمام برجمه فرجمه واحد منهم دون الثلاثه الباقين و وافقهم قوم أجانب فى الرجم فرجع من رجمه عن شهادته و المرجوم لم يمت ثمّ مات فرجع الآخرون عن شهادتهم عليه بعد موته فعلى من يجب ديته؟فقال:يجب على من رجمه من الشهود و من وافقه.الثامنه شهد شاهدان من اليهود على يهودىّ أنّه أسلم فهل يقبل شهادتهما أم لا؟فقال:لا تقبل شهادتهما لأنّهما يجوّز ان تغيير كلام اللّه و شهاده الزور.التاسعه شهد شاهدان من النصارى على نصرانىّ أو مجوسىّ أو يهودىّ أنّه أسلم فقال:تقبل شهادتهما لقول اللّه سبحانه «وَ لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قالُوا إِنّا نَصارى» ٢الآيه،و من لا يستكبر عن عباده اللّه لا يشهد

شهاده الزور.العاشره قطع إنسان يد آخر فحضر أربعه شهود عند الإمام و شهدوا على قطع يده،و أنّه زنا و هو محصن فأراد الإمام أن يرجمه فمات قبل الرجم فقال علىّ من قطع يده ديه يد حسب و لو شهدوا أنّه سرق نصابا لم يجب ديه يده على قاطعها،و اللّه أعلم.

۴-و من خطبه له عليه السلام

اشاره

بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِى الظَّلْمَاءِ وَ تَسَنَّمْتُمْ ذُرْوَهَ الْعَلْيَاءَ- وَ بِنَا انْفَجَرْتُمْ عَنِ السِّرَارِ- وُقِرَ سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهِ الْوَاعِيَهَ- وَ كَيْفَ يُرَاعِى النَّبْأَهَ مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَهُ- رُبِطَ جَنَانٌ لَمْ يُفَارِقْهُ الْخَفَقَانُ- مَا زِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ عَوَاقِبَ الْغَدْرِ- وَ أَتَوَسَّمُكُمْ بِحِلْيَهِ الْمُغْتَرِّينَ- سَتَرَنِى عَنْكُمْ جِلْبَابُ الدِّينِ- وَ بَصَّرَنِيكُمْ صِدْقُ النِّيَّهِ- أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سَنَنِ الْحَقِّ فِى جَوَادِّ الْمَضَلَّهِ- حَيْثُ تَلْتَقُونَ وَ لَا دَلِيلَ- وَ تَحْتَفِرُونَ وَ لَا تُمِيهُونَ- الْيَوْمَ أُنْطِقُ لَكُمُ الْعَجْمَاءَ ذَاتَ الْبَيَانِ- عَزَبَ رَأْىُ امْرِئٍ تَخَلَّفَ عَنِّى- مَا شَكَكْتُ فِى الْحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ- لَمْ يُوجِسْ؟مُوسَى؟ع خِيفَهً عَلَى نَفْسِهِ- أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَهِ الْجُهَّالِ وَ دُوَلِ الضَّلَالِ- الْيَوْمَ تَوَاقَفْنَا عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ- مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ

أقول:روى أنّ هذه الخطبه خطب بها أمير المؤمنين عليه السّلام بعد قتل طلحه و الزبير

اللغه

تسنّمتم أى ركبتم سنامها،و سنام كلّ شىء أعلاه ،و السرار الليله أو الليلتان يكون فى آخر الشهر يستتر فيها القمر و يخفى ،و الوقر الثقل فى السمع ،و فقهت الأمر فهمته ،و الواعيه الصارخه ،و النبأ الصوت الخفىّ ،و السمه العلامه ،و سنن الحقّ وجهه و طريقه ، و ماهت البئر خرج ماؤها ،و غرب أى غاب ،و أوجس هجس و أهسّ ،و الظماء العطش ،

المعنى

و اعلم أنّ هذه الخطبه من أفصح كلامه عليه السّلام و هى مع اشتمالها على كثره المقاصد الواعظه المحرّكه للنفس فى غايه و جازه اللفظ،ثمّ من عجيب فصاحتها و بلاغتها أنّ كلّ كلمه منها تصلح لأن تفيد على سبيل الاستقلال و هى على ما نذكره من حسن النظم و تركيب بعضها مع بعض.قوله بنا اهتديتم فى الظلماء الضمير المجرور راجع إلى آل الرسول صلى اللّه عليه و آله و الخطاب لحاضرى الوقت من قريش المخالفين له مع طلحه و الزبير و إن صدق فى حقّ غيرهم،و المراد أنّا سبب هدايتكم بأنوار الدين و ما أنزل اللّه من الكتاب و الحكمه «هُدىً لِلنّاسِ وَ بَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى وَ الْفُرْقانِ» حيث كنتم فى ظلمات الجهل و تلك الهدايه هى الدعوه إلى اللّه و تعليم الخلق كيفيّه السلوك إلى حضره قدسه. استعاره مرشحه و قوله تسنّمتم العلياء .أى بتلك الهدايه و شرف الإسلام علا قدركم و شرّف ذكركم،و لمّا استعار وصف السنام للعلياء ملاحظه لشبهها بالناقه رشّح تلك الاستعاره بذكر التسنّم و هى ركوب السنام و كنّى به عن علوّهم.

استعاره قوله و بنا انفجرتم عن السرار .استعار لفظ السرار لما كانوا فيه من ليل الجهل فى الجاهليه و خمول الذكر،و لفظ الانفجار عنه لخروجهم من ذلك إلى نور الإسلام و اشتهارهم فى الناس و ذلك لتشبيهم بالفجر الطالع من ظلمه السرار فى الضياء و الاشتهار ،قوله وقر سمع لم يفقه الواعيه كالتفات إلى الدعاء بالوقر على سمع لا يفقه صاحبه بواسطته علما و لا يستفيد من السماع به مقاصد الكتب الإلهيّه و كلام الأنبياء عليهم السّلام و الدعاه إلى اللّه،و حقّ لذلك السمع أن يكون أصمّ إذ كانت الفائده منه المقصوده إلى الحكمه الإلهيّه اكتساب النفس من جهته ما يكون سببا لكمالها و قوّتها على الوصول إلى جناب اللّه و ساحل عزّته،فإذا كانت النفس معرضه عمّا يحصل من جهته من الفائده و ربّما كانت مع ذلك متلقّيه منه ما يؤدّيه من الشرور الجاذبه لها إلى الجهه السافله فحقيق به أن يكون موقورا،و من روى وقر على ما لم يسمّ فاعله فالمراد و قره اللّه و هو كلام على سبيل التمثيل أورده فى معرض التوبيخ لهم و التبكيت بالإعراض عن أوامر اللّه و طاعته، كنايه و كنّى بالواعيه عن نفسه إذ صاح فيهم بالموعظه الحسنه و الحثّ على الألفه و أن لا يشقوا عصى الإسلام فلم يقلبوا ،و وجه نظام هذه الكلمه مع ما قبلها أنّه لمّا أشار أوّلا إلى وجه شرفه عليهم و أنّه ممّن اكتسب عنه الشرف و الفضيله و كان ذلك فى مقابله

نفارهم و استكبارهم عن طاعته أردف ذلك بهذه الكلمه المستلزمه للدعاء عليهم كيف لم يفقهوا بيانه للوجوه الموجبه لاتّباعه و يقبلوه بعد أن سمعوه،و هذا كما يقول أحد العلماء لبعض تلاميذه المعاند له المدّعى لمثله فضيلته:إنّك بى اهتديت من الجهل و علا قدرك فى الناس و أنا سبب لشرفك أفتكبّر علىّ وقر سمعك لم لا تفقه قولى و تقبّله، استعاره بالكنايه-استعاره مرشحه و قوله كيف يراعى النبأه من أصمّته.الصيحه استعار لفظ النبأه لدعائه لهم و ندائه إلى سبيل الحقّ و الصيحه لخطاب اللّه و رسوله و هى استعاره على سبيل الكنايه عن ضعف دعائه بالنسبه إلى قوّه دعاء اللّه و رسوله لهم،و تقرير ذلك أنّ الصوت الخفىّ لمّا كان لا يسمع عند الصوت القوىّ إذ من شأن الحواس أن لا يدرك الأضعف مع وجود الأقوى المماثل فى الكيفيّه لاشتغالها به و كان كلامه عليه السّلام أضعف فى جذب الخلق و فى قبولهم له من كلام اللّه و كلام رسوله و كلامهما مجرى الصوت القوىّ فى حقّهم،و كلامه مجرى الصوت الخفىّ بالنسبه إليه،و إسناد الإصمام إلى الصيحه من ترشيح الاستعاره و كنّى به عن بلوغ تكرار كلام اللّه على أسماعهم إلى حدّ أنّها محلّه و ملّت سماعه بحيث لا تسمع بعد ما هو فى معناه خصوصا ما هو أضعف كما لا يسمع الصوت الخفىّ من أصمّته الصيحه،و قد وردت هذه الكلمه مورد الاعتذار لنفسه فى عدم فائده وعظه لهم،و الاعتذار لهم فى ذلك أيضا على سبيل التهكّم و الذّم،وجه نظامها مع ما قبلها أنّه لمّا كان تقدير الكلمه الاولى و قرت أسماعكم كيف لا تقبلون قولى التفت عنه و قال كيف يسمع قولى من لم يسمع كلام اللّه و رسوله على كثره تكراره على أسماعهم و قوّه اعتقادهم وجوب قبوله،و كيف يؤاخذون بسماعه و قد أصمّهم نداء اللّه .قوله ربط جنان لم يفارقه الخفقان الخفقان دعاء للقلوب الخائفه الوجله الّتى لا تزال تخفق من خشيه اللّه و الإشفاق من عذابه بالثبات و السكينه و الاطمينان،و التقيّه ربط جنان نفسه،و من روى بضمّ الراء على ما لم يسمّ فاعله فالتقدير رابط اللّه جنانا كذلك،و هو جذب لهم إلى درجه الخائفين و تنبيه على ملاحظه نواهى اللّه فيفيئوا على طاعته،و وجه اتّصاله بما قبله أنّ ذكر الشريف و صاحب الفضيله فى معرض التوبيخ لمن يراد منه أن يسلك مسلكه و يكون بصفاته من أعظم الجواذب له إلى التشبّه به،و من أحسن الاستدراجات له فكأنّه قال و كيف يلتفت إلى

قولى من لا يلتفت إلى كلام اللّه لله درّ الخائفين من اللّه المراعين لأوامره الوجلين من وعيده ما ضرّكم لو تشبّهتم فرجعتم إلى الحقّ و قمتم به قيام رجل واحد.

قوله ما زلت أنتظر بكم عواقب الغدر و أتوسّمكم بحليه المغترّين .إشاره إلى أنّه عليه السّلام كان يعلم عاقبه أمرهم إمّا باطّلاع الرسول صلى اللّه عليه و آله على أنّهم بعد بيعتهم له يغدرون به،أو لأنّه كان يلوح له من حركاتهم و أحوالهم بحسب فراسته الصائبه فيهم كما أشار إليه بقوله و أتوسّمكم بحليه المغترّين ،و ذلک لأنّه فهم أنّهم من أهل الغرّه و قبول الباطل عن أدنى شبهه بما لاح له من صفاتهم الدالّه على ذلک،و كان علمه بذلک منهم مستلزما لعلمه بغدرهم بعهده و نقضهم لبيعته فكان ينتظر ذلک منهم.

استعاره قوله سترنى عنكم جلباب الدين .وارد مورد الوعيد للقوم فى قتالهم و مخالفتهم لأمره و المعنى أنّ الدين حال بينى و بينكم و سترنى عن أعين بصائركم أن تعرفونى بما أقوى عليه من العنف بكم و الغلظه عليكم و سائر وجوه تقويمكم و ردعكم عن الباطل وراء ما وفّقنى عليه الدين من الرفق و الشفقّه و شهب ذيل العفو عن الجرائم فكان الدين غطاء حال بينهم و بين معرفته فاستعار له لفظ الجلباب ،و روى ستركم عنّى أى عصم الإسلام منّى دمائكم و اتّباع مدبركم و أن أجهز على جريحكم و غير ذلک ممّا يفعل من الأحكام فى حقّ الكفّار و قوله و بصّرنيكم صدق النيّه أراد بصدق النيّه إخلاصه للّه تعالى و صفاء مرآه نفسه و أنّه بحسب ذلک افيض على بصر بصيرته نور معرفه أحوالهم و ما تؤول إليه عاقبه أمرهم كما قال النبىّ صلى اللّه عليه و آله:المؤمن ينظر بنور اللّه،و قوله أقمت لكم على سنن الحقّ فى جوادّ المضلّه تنبيه لهم على وجوب اقتفاء أثره و الرجوع إلى لزوم أشعّه أنواره فى سلوک سبيل اللّه و إعلام لهم على سواء السبيل الحقّ و فى الطريق الّتى هى مزالّ الأقدام ليردّهم عنها،و لنبيّن ذلک فى المثل المشهور عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله روى أنّه قال:ضرب اللّه مثلا صراطا مستقيما و على جنبتى الصراط سور فيه أبواب مفتّحه و على تلک الأبواب ستور مرخاه و على رأس الصراط داع يقول:ادخلوا الصراط و لا تعرجوا،قال:فالصراط هو الإسلام و الستور حدود اللّه و الأبواب المفتّحه محارم اللّه و ذلک الداعى هو القرآن.فنقول:لمّا كان علىّ عليه السّلام هو الواقف على أسرار الكتاب و الملىّ بجوامع علمه و حكمته و المطّلع على اصول الدين

و فروعه كان هو الناطق بالكتاب و الداعى به الواقف على رأس سبيل اللّه و المقيم عليها،و لمّا كان سبيل اللّه و صراطه المستقيم فى غايه الوضوح و البيان له و كان مستبينا مالها من الحدود و المقدّمات مستجلبا لمزالّ الأقدام فيها و ما ينشأ عليها من الشكوك و الشبهات كان بحسب قوّته المدبره لهذا العالم بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله هو الواقف على تلك الأبواب المفتّحه الّتى هى موارد الهلاك و أبواب جهنّم و جوادّ المضلّه و السائر لها بحدود اللّه و بيان نواهيه و التذكير بعظيم وعيده و القائد لأذهان السالكين للصراط عنها،و ذلك حيث يلتفت أذهانهم فى ظلمات الجهل فلا تبصر دليلا هناك سواه و يطلبون ماء الحياه بالبحث و الفحص من أوديه القلوب فلا يجدون بها ماء إلاّ معه، استعاره و استعار لفظ الاحتفار للبحث من مظانّ العلم و لفظ الماء للعلم كما سبق بيان وجه المشابهه.

استعاره بالكنايه قوله اليوم انطق لكم العجماء ذات البيان .كنّى بالعجماء ذات البيان على الحال الّتى يشاهدونها من العبر الواضحه و المثلات الّتى حلّت بقوم فسقوا أمر ربّهم و عمّا هو واضح من كمال فضله عليه السّلام بالنسبه إليهم و ما ينبغى لهم أن يعتبرون من حال الدين،و مقتضى أوامر اللّه الّتى يحثّهم على اتّباعها،فإنّ كلّ هذه الأحوال امور لانطق لها مقالى فشبّهها لذلك بالعجماء من الحيوان،و استعار لها لفظها و وصفها بكونها ذات البيان لأنّ لسانها الحال مخبر بمثل مقاله عليه السّلام ناطق بوجوب اتّباعه شاهد لهم،و دليل على ما ينبغى أن يفعلوه فى كلّ باب و ذلك هو البيان فكأنّه عليه السّلام انطق العجماء إذ عبّر هو بلسان مقاله عنها ما كانت تقتضيه،و يشاهده من نظر إليها بعين بصيرته و هو كقولهم سل الأرض من شقّ أنهارك و أخرج ثمارك فإن لم تجبك لسانا إجابتك اعتبارا،و كقولهم قال الحائط للوتد،لم تشقّنى قال سل من يدقّنى،و قال بعضهم العجماء صفه لمحذوف تقديره الكلمات العجماء و أراد بها ما ذكر فى هذه الخطبه من الرموز و شبّهها بالحيوان إذ لا نطق لها فى الحقيقه و مع ذلك يستفيد الناظر فيها أعظم الفوائد فهى ذات بيان عند اعتبارها.

قوله غرب رأى امرىء تخلّف عنّى .إشاره إلى ذمّ من تخلّف عنه و حكم عليه بالسفه و عدم إصابه الرأى حال تخلّفه عنه و ذلك أنّ المتخلّف لمّا فكّر فى أىّ الامور أنفع له إن يكون متابعيه أو المتخلّفين عنه ثمّ رأى أنّ التخلّف عنه أوفق له كان ذلك أسوء الآراء

ص:۲۷۴

و أقبحها،فهو فى الحقيقه كمن أقـدم على ذلك بغير رأى يحضـره أو لأنّ الرأى الحقّ كان غاربا عنه،و هو ذم فى معرض التوبيخ للقوم على طريقه قولهم إيّاك أعنى و اسمعى يا جاره.

قوله ما شـككت فى الحقّ مـذ اريته .بيان لبعض أسـباب وجوب اتّباعه و عدم التخلّف عنه،و اعلم أنّ التمدح بعد الشكّ ممّا أراه اللّه من الحقّ و ما أفاضه على نفسه القدسيّه من الكمال مسـتلزم للإخبار بكمال قوّته على اسـتثبات الحقّ الّذى رآه و شدّه جلائه له بحيث لا يعرض له شبهه فيه،و الإماميّه تستدلّ بذلك على وجوب عصمته و طهارته عن الأرجاس الّتى منشأوها ضعف اليقين.

قوله لم يوجس موسـى خيفه على نفسه أشـفق من غلبه الجهّال و دول الضـلاّل .أشـفق أفعل التفضـيل منصوب على الصفه لخيفه لأنّ الإشفاق خوف،و التقدير و لم يوجس موسى إشفاقا على نفسه أشدّ من غلبه الجهّال،و المقصود التنبيه على أنّ الخوف الّذى يخـافه عليه السّـلام منهم ليس على مجرّد نفسه بل كان أشـدّ خوفه من غلبه أهل الجهل على الـدين و فتنه الخلق بهم و قيام دول الضـلاّل،فتعمى طريق الهـدى و تنسـدّ مسالك الحقّ كما خاف موسـى عليه السّـلام من غلبه جهّال السـحره حيث ألقوا حبالهم و عصـيّهم« «وَ قالُوا بِعِزَّهِ فِرْعَوْنَ إِنّا لَنَحْنُ الْغالِبُونَ» »و قيل إنّ أشفق فعل ماض و المعنى أنّ خوف موسى عليه السّلام من السحره لم يكن على نفسه،و إنّما خاف من غلبه الجهّال فكأنّه قال لكن أشـفق و إنّما الشـفق،و دول الضلاّل كدوله فرعون و أتباعه الضالّين عن سبيل اللّه،و قوله اليوم توافقنا على سبيل الحقّ و الباطل الموافقه مفاعله من الطرفين و الخطاب لمقابليه فى القتال،و المراد أنّى واقف على سبيل الحقّ و أنتم واقفون على سبيل الباطل داعون إليه و هو تنفير لهم عمّا هم عليه إلى ما هو عليه .

كنايه قوله من وثق بماء لم يظمأ .مثل نبّه به على وجوب الثقه بما عنده أى إنّكم إن سكنتم إلى قولى و وثقتم به كنتم أقرب إلى اليقين و الهـدى و أبعـد عن الضـلال و الردى كمـا أنّ الواثـق بالمـاء فى أداوته آمن من العطش و خوف الهلاـك و بعيـد عنهما بخلاف من لم يثق بذلك و كنّى بالماء عمّا اشتمل عليه من العلم بكيفيّه الهدايه إلى اللّه فإنّه الماء الّذى لا ظمأ معه ،

۵–و من كلام له عليه السّلام

اشاره

لما قبض رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلم و خاطبه العباس و أبو سفیان ابن حرب فی أن یبایعا له بالخلافه أَیُّهَا النَّاسُ شُقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاهِ- وَ عَرِّجُوا عَنْ طَرِیقِ الْمُنَافَرَهِ- وَضَعُوا تِیجَانَ الْمُفَاخَرَهِ- أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ أَوِ اسْتَسْلَمَ فَأَرَاحَ- هَذَا مَاءٌ آجِنٌ وَ لُقْمَهٌ یَغَصُّ بِهَا آکِلُهَا- وَ مُجْتَنِی الثَّمَرَهِ لِغَیْرِ وَقْتِ إِینَاعِهَا- کَالزَّارِعِ بِغَیْرِ أَرْضِهِ.فَإِنْ أَقُلْ یَقُولُوا حَرَصَ عَلَی الْمُلْکِ- وَ إِنْ أَسْکُتْ یَقُولُوا جَزِعَ مِنَ الْمَوْتِ- هَیْهَاتَ بَعْدَ اللَّتَیَّا وَ الَّتِی- وَ اللَّهِ؟لَابْنُ أَبِی طَالِبٍ؟ آنَسُ بِالْمَوْتِ- مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْیِ أُمِّهِ- بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَی مَکْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَاضْطَرَبْتُمْ- اضْطِرَابَ الْأَرْشِیَهِ فِی الطَّوِیِّ الْبَعِیدَهِ أقول:سبب هذا الکلام ما روی أنّه لمّا تمّ فی سقیفه بنی ساعده لأبی بکر أمر البیعه أراد أبو سفیان بن حرب أن یوقع الحرب بین المسلمین لیقتل بعضهم بعضا فیکون ذلک دمارا للدین فمضی إلی العبّاس،فقال له:یا أبا الفضل إنّ هؤلاء القوم قد ذهبوا بهذا الأمر من بنی هاشم و جعلوه فی بنی تیم و أنّه لیحکم فیناغدا هذا الفظّ الغلیظ من بنی عدی فقم بنا حتّی ندخل علی علیّ و نبایعه بالخلافه و أنت عمّ رسول اللّه و أنا رجل مقبول القول فی قریش فإن دافعونا عن ذلک قاتلناهم و قتلناهم فأتیا أمیر المؤمنین علیه السّلام فقال له أبو سفیان:یا أبا الحسن لا تغافل عن هذا الأمر متی کنّا تبعا لتیم الأرذال،و کان علیه السّلام یعلم من حاله أنه لا یقول ذلک غضبا للدین بل للفساد الّذی رآه فی نفسه فأجابه علیه السّلام بهذا

ص:۲۷۶

الکلام

اللغه

عرّجوا أی میلوا و انحرفوا ،و الفلاح الفوز و النجاه ،و الأجون تغیّر الماء و فساده ، و غصّ باللقمه یغصّ بفتح الغین إذا وقفت فی حلقه فلم یسغها ،و إیناع الثمره إدراکها ، و اندمجت علی کذا انطویت علیه و سترته فی باطنی ،و باح بالشیء أظهره ،و الطویّ البرء ،و الرشا حبلها .

المعنی

استعاره بالکنایه قوله شقّوا أمواج الفتن بسفن النجاه .

شبّه علیه السّلام الفتنه بالبحر المتلاطم فلذلک استعار له لفظ الأمواج و کنّی بها عن حرکه الفتنه و قیامها،و وجه المشابهه ظاهر لاشتراک البحر و الفتنه عندهیا جهما فی کونهما سببا لهلاک الخائضین فیهما،و استعار بسفن النجاه لکلّ ما یکون وسیله إلی الخلاص من الفتنه من مهادنه أو حیله مخلّصه أو صبر،و وجه المشابهه کون کلّ منهما وسیله إلی السلامه إذ آحاد الطرق المذکوره طرق إلی السلامه من ثوران الفتنه و الهلاک فیها کما أنّ السفینه سبب للخلاص من أمواج البحر ،قوله و عرّجوا عن طریق المنافره أمر لهم بالعدول عن طریق المنافره إلی السکون و السلامه و ما یوجب سکون الفتنه ،و کذلک استعاره قوله وضعوا تیجان المفاخره أمر بطریق آخر من طرق النجاه و هی ترک المفاخره،فإنّ المفاخره ممّا یهیّج الأضغان و تثیر الأحقاد و توجب قیام الفتنه،و لمّا کان أکبر ما ینتهی إلیه أرباب الدنیا من المفاخره هو لبس التیجان و کانت الاصول الشریفه و الأبوات الکریمه و القنیات السنه هی أسباب الافتخار الدنیویّ و منشاءه کانت المشابهه بینها و بین التیجان حاصله فاستعار علیه السّلام لفظها لها و أمرهم بوضعها .

استعاره قوله أفلح من نهض بجناح أو استسلم فأراح .لمّا نهی علیه السّلام عن الفتنه و بیّن أنّ المفاخره و المنافره لیسا طریقین محمودین أردف ذلک بالإشاره إلی أنّه کیف ینبغی أن یکون حال المتصدّی لهذا الأمر،و کیف یکون طریق فوزه بمقاصده أو النجاه له،فحکم بالفوز لمن نهض بجناح،و استعار لفظ الجناح للأعوان و الأنصار،و وجه المشابهه ظاهر فإنّ الجناح لمّا کان محلّ القدره علی الطیران و التصرّف و کانت الأعوان و الأنصار بهم القوه علی النهوض إلی الحرب و الطیران فی میدانها لا جرم حصلت المشابهه فاستعیر لهم لفظ الجناح،و حکم بالنجاه للمستسلم عند عدم الجناح و کلاهما یشملهما اسم الفلاح،و فی هذا الکلام تنبیه علی قلّه ناصره فی هذا الأمر .تقدیر الکلام أنّه لیس الطریق ما ذکرتم بل الصواب فیما

يفعل ذو الرأى فى هذا الأمر أنّه إمّا أن يكون ذا جناح فينهض به فيفوز بمطلوبه أو لا يكون فيستسلم و ينقاد فينجو و يريح نفسه من تعب الطالب.

استعاره بالكنايه قوله ماء آجن و لقمه يغصّ بها آكلها .تنبيه إلى أنّ المطالب الدنيويّه و إن عظمت فهى مشوبه بالكدر و التغيّر و النقص،و أشار إلى أمر الخلافه فى ذلك الوقت،و تشبّهها بالماء و اللقمه ظاهر إذ عليهما مدار الحياه الدنيا،و أمر الخلافه أعظم أسباب الدنيا فتشابها فاستعار لفظهما لما يطلب منها و كنّى بهما عنه،و لمّا كان أجون الماء و الغصص باللقمه ينقضهما و يوجب نفار النفس عن قبولهما،و كانت المنافسه فى أمر الخلافه و التجاذب و المنافره بين المسلمين فيها و كونها فى معرض الزوال ممّا يوجب التنفير عنها و تنقيصها و عدم الالتذاذ بها نبّه عليه السّلام بالأجون و الغصص باللقمه على تلك الامور،و كنّى بهما عنها ليسكن بذلك فوره من استنهضه فى هذا الأمر من بنى هاشم فكأنّه قال إنّها لقمه منغصّه و جرعه لا يسيغها شاربها.

استعاره بالكنايه قوله و مجتنى الثمره لغير وقت إيناعها كالزارع بغير أرضه .تنبيه على أنّ ذلك الوقت ليس وقت الطلب لهذا الأمر إما لعدم الناصر أو لغير ذلك،و كنّى لمجتنى الثمره عن طالبها فاستلزم ذلك تشبيهها بالثمره أيضا لاشتراكهما فى كونهما محلّا للالتذاذ أو نحوه،ثمّ شبّه مجتنى الثمره لغير وقتها بالزارع بغير أرضه و وجه الشبه عدم الانتفاع فى الموضعين إذ كان الزارع بغير أرضه فى محلّ أن يمنع من ذلك التصرّف فيبطل سعيه و لا ينتفع بزرعه فكذلك مجتنى الثمره لغير وقتها لا ينتفع بها فكذلك طلبه للخلافه فى ذلك الوقت.

قوله فإن أقل يقولوا:حرص على الملك و إن أسكت يقولوا:جزع من الموت .شكايه من الألسنه و الأوهام الفاسده فى حقّه وردت فى معرض الكلام،و إشاره إلى أنّه سواء طلب الأمر و سكت عنه فلا بدّ من أن يقال فى حقّه و ينسب إلى أمر،ففى القيام و الطلب ينسب إلى الحرص و الاهتمام بأمر الدنيا،و فى السكوت ينسب إلى الذلّه و العجز و خوف الموت.

و أوهام الخلق و ألسنتهم لا تزال مولعه بأمثال ذلك بعضهم فى حقّ بعض فى المنافسات.

قوله هيهات بعد اللتيا و الّتى و اللّه لابن أبى طالب آنس بالموت من الطفل بثدى أمّه .ورد مورد التكذيب للأوهام الحاكمه فى سكوته بجزعه أى بعد ما يقولون، كنايه و اللتيا

و الّتی کنایتان عن الشدائد و المصائب العظیمه و الحقیره،و أصل المثل أنّ رجلا تزوّج امرأه قصیره صغیره سیّئه الخلق فقاسی منها شدائد فطلّقها و تزوّج طویله فقاسی منها أضعاف ما قاسی من الصغیره فطلّقها و قال بعد اللتیا و الّتی لا أتزوّج أبدا،فصار ذلک مثلا للداهیه الکبیره و الصغیره، و تقدیر مراده بعد ملاقاه کبار الشدائد و صغارها انسب إلی الجزع من الموت .بعد ما یقولون ثمّ أکّد تکذیبهم فی دعوی جزعه من الموت بالقسم البارّ أنّه آنس بالموت من الطفل بثدی امّه و ذلک أمر بیّن من حاله علیه السّلام إذ کان سیّد العارفین بعد رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و رئیس الأولیّاء،و قد عرفت أنّ محبّه الموت و الإنس به متمکّن من نفوس أولیاء اللّه لکونه وسیله لهم إلی لقاء أعظم محبوب و الوصول إلی أکمل مطلوب،و إنّما کان آنس به من الطفل بثدی امّه لأنّ محبّه الطفل للثدی و انسه به و میله إلیه طبیعیّ حیوانیّ فی معرض الزوال، و میله إلی لقاء ربّه و الوسیله إلیه میل عقلیّ باق فأین أحدهما من الآخر .قوله بل اندمجت علی مکنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشیه فی الطویّ البعیده .إشاره إلی سبب جملیّ لتوقفه عن الطلب و القیام غیر ما نسبوه إلیه من الجزع و الخوف من الموت و هو العلم الّذی انطوی علیه فإنّ علمه بعواقب الامور و أدبارها و تطلّعه إلی نتائج الحرکات بعین بصیرته الّتی هی کمرآه صافیه حوذی بها صور الأشیاء فی المرآه العالیه فارتسمت فیها کما هی.ممّا یوجب توقّفه عمّا یعلم أنّ فیه فسادا،و تسرّعه إلی ما یعلم فیه مصلحه بخلاف الجاهل الّذی یقدم علی عظائم الامور بقصر الرأی لا عن بصیره قادته إلی ذلک ثمّ نبّه علی عظیم قدر العلم الّذی اندمج علیه بقوله لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشیه فی الطویّ البعیده ، و الجمله الشرطیّه فی موضع الجرّ صفه لعلم،و أشار باضطرابهم علی ذلک التقدیر إلی تشتّت آرائهم عند أن یکشف لهم ما یکون من أمر الخلافه و إلی من ینتهی و إلی ما یؤول إلیه حال الناس إذ کان ذلک ممّا وقّفه علیه الرسول صلی اللّه علیه و آله و أعدّه لفهمه فإنّ کثیرا منهم فی ذلک الوقت کان نافرا عن عمر و آخرون عن عثمان فضلا عن معاویه،و منهم من کان یؤهّل نفسه للخلافه فی ذلک الوقت و یطلبها لنفسه و بعد عقدها لأبی بکر کان یرجوا أن یؤول إلیه بعده،و إذا کان الأمر کذلک فظاهر أنّه علیه السّلام لو باح لهم بما علمه من عاقبه هذا الأمر لم یکن لهم ذلک النظام الحاصل فی ذلک الوقت لیأس بعضهم من وصول هذا الأمر إلیه و

خوف بعضهم من غلظه عمر و نفرتهم منه و نفار آخرين من بنى اميّه و ما يكون منهم، تشبيه المعقول بالمحسوس و شبّه اضطراب آرائهم على ذلك التقدير باضطراب الأرشيه فى الطوىّ البعيده مبالغه،و هو تشبيه للمعقول بالمحسوس،و ذلك أنّ الطوىّ كلّما كانت أعمق كان اضطراب الحبل فيها أشدّ لطوله فكذلك حالهم حينئذ أى يكون لكم اضطراب قوىّ و اختلاف شديد ،و قيل:

أراد أنّ الّذى يمنعنى من المنافسه فى هذا الأمر و القتال عليه شغلى بما انطويت عليه من العلم بأحوال الآخره و ما شاهدته من نعيمها و بؤسها ممّا لو كشفته لاضطربتم اضطراب الأرشيه فى الطوىّ البعيده خوفا من اللّه و وجلا من عتابه و شوقا إلى ثوابه و لذهلتم عمّا أنتم فيه من المنافسه فى أمر الدنيا،و هذا الوجه محتمل الإراده من هذا الكلام،و لعلّ فى تمام هذا الكلام لو وجد ما يوضح المقصود منه و لم أقف عليه.

۶-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

لما أشير عليه بأن لا يتبع طلحه و الزبير و لا يرصد لهما القتال وَ اللَّهِ لاَ أَكُونُ كَالضَّبُعِ تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ- حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا وَ يَخْتِلَهَا رَاصِدُهَا- وَ لَكِنِّى أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ الْمُدْبِرَ عَنْهُ- وَ بِالسَّامِعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِىَ الْمُرِيبَ أَبَداً- حَتَّى يَأْتِىَ عَلَىَّ يَوْمِى- فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ مَدْفُوعاً عَنْ حَقِّى- مُسْتَأْثَراً عَلَىَّ مُنْذُ قَبَضَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ- حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ ب ئ هَذَا أقول:روى أبو عبيد قال:أقبل أمير المؤمنين عليه السّلام الطواف و قد عزم على اتّباع طلحه و الزبير و قتالهما فأشار إليه ابنه الحسن عليه السّلام أن لا يتبعهما و لا يرصد لهما القتال فقال فى جوابه هذا الكلام،و روى فى سبب نقضهما لبيعته أنّهما دخلا عليه بعد أن بايعاه بأيّام و قالا:

قد علمت جفوه عثمان لنا و ميله إلى بنى اميّه مدّه خلافته،و طلبا منه أن يولّيهما المصرين،الكوفه و البصره،فقال لهما حتّى أنظر ثمّ استشار عبد اللّه بن عبّاس فمنعه من ذلك فعاوداه فمنعهما

فسخطا و فعلا ما فعلا،

اللغه

قال الأصمعی: اللدم بسکون الدال ضرب الحجر أو غیره علی الأرض .

و لیس بالقویّ،و یحکی أنّ الضبع تستغفل فی حجرها بمثل ذلک فتسکن حتّی تصاد،و یحکی فی کیفیّه صیدها أنّهم یصنعون فی حجرها حجرا و یضربون بأیدیهم بابه فتحسب الحجر شیئا تصیده فتخرج فتصاد،و یقال إنّها من أحمق الحیوان و یبلغ من حمقها أن یدخل علیها فیقال هذه لیست امّ عامر أو یقال خامر امّ عامر فتسکن حتّی توثق رجلها بحبل معد لصیدها،و الختل الخدیعه ،و استأثرت بالشیء انفردت به ،

المعنی

و أشار أوّلا إلی ردّما اشیر علیه به من تأخّر القتال،و مفهوم التشبیه أنّه لو تأخّر لکان ذلک سببا لتمکّن الخصم ممّا قصده فیکون هو فی ذلک شبیها بالضبع الّتی تنام و تسکن علی طول حیله راصدها فأقسم علیه السّلام أنّه لا یکون کذلک أی لا یسکن علی کثره الظلم و البغی و طول دفاعه عن حقّه ثمّ أردف ذلک بما هو الصواب عنده و هو المقاومه و القتال بمن أطاعه لمن عصاه فقال لکنّی أضرب بالمقبل إلی الحقّ وجه المدبر عنه و بالسامع المطیع وجه العاصی المریب أبدا ،و راعی المقابله هاهنا فالعاصی فی مقابله المطیع و المریب فی مقابله السامع لأنّ المرتاب فی الحقّ مقابل للقابل له ثمّ فسّر الأبد بغایه عمره لأنّه الأبد الممکن له،و ذلک قوله حتّی یأتی علیّ یومی ،و أشار بیومه إلی وقت ضروره الموت کنایه،ثمّ أردف ذلک بالتظلّم و الشکایه فی دفاعه عن هذا الأمر و الاستیثار علیه المحوج له إلی هذه المقاومات و الشکایات و أشار إلی مبدء ذلک الدفاع و منتهاه و أکّد ذلک بالقسم البارّ و الإشاره بالحقّ المدفوع عنه إلی أمر الخلافه و هی شکایه مؤکّده للشکایات السابقه،و باللّه التوفیق.

۷-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

اِتَّخَذُوا الشَّیْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مِلاَکاً- وَ اتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاکاً- فَبَاضَ وَ فَرَّخَ فِی صُدُورِهِمْ- وَ دَبَّ وَ دَرَجَ فِی حُجُورِهِمْ- فَنَظَرَ بِأَعْیُنِهِمْ وَ نَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ-

فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَلَ وَ زَيَّنَ لَهُمُ الْخَطَلَ- فِعْلَ مَنْ قَدْ شَرِكَهُ الشَّيْطَانُ فِى سُلْطَانِهِ- ب ئ وَ نَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ

اللغه

أقول: ملاک الأمر ما یقوم به و منه القلب ملاک الجسد ،و الأشراک یجوز أن یکون جمع شریک کشریف و أشراف،و یجوز أن یکون جمع شرک و هو حبائل الصید کحبل و أحبال ،و الدبیب المشی الضعیف و المدرج أقوی منه ،و الخطل من الفاسد من القول ،و شرکه بفتح الشین و کسر الراء شارکه ،

المعنی

و هذا الفصل من باب المنافره و هو ذمّ للمنابذین له و المخالفین له و المخالفین علیه فأشار أوّلا إلی انقیاد نفوسهم لشیاطینهم إلی حدّ جعلوها مدبّره لامور فیها قوام أحوالهم و عزلوا عقولهم عن تلک المرتبه فهم أولیاؤهم کما قال تعالی «إِنّا جَعَلْنَا الشَّیاطِینَ أَوْلِیاءَ لِلَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ» ۱ثمّ أردف ذلک بالإشاره إلی بعض لوازم تملیک الشیطان لأمورهم بقوله استعاره و اتّخذهم له أشراکا ،و ذلک أنّه إذا ملک امورهم و کان قیامه بتدبیرها صرفهم کیف شاء،و استعمال الأشراک هاهنا علی تقدیر کونها جمع شرک استعاره حسنه،فإنّه لمّا کانت فائده الشرک اصطیاد ما یراد صیده و کان هؤلاء القوم بحسب ملک الشیطان لآرائهم و تصرّف فیهم علی حسب حکمه أسبابا لدعوه الخلق إلی مخالفه الحقّ و منابذه إمام الوقت و خلیفه اللّه فی أرضه أشبهوا الأشراک لاصطیادهم الخلق بألسنتهم و أموالهم و جذبهم إلی الباطل بالأسباب الباطله الّتی ألقاها إلیهم الشیطان و نطق بها علی ألسنتهم فاستعار لهم لفظ الأشراک و أمّا علی التقدیر الثانی فظاهر،ثمّ أردف ذلک ببیان ملازمته لهم فشبّهه بالطائر الّذی بنی عشّه فی قلوبهم و صدورهم،و استعار لفظ البیض و الأفراخ ،و وجه المشابهه أنّ الطائر لمّا کان یلازم عشّه فیبیض و یفرخ فیه أشبهه الشیطان فی إقامته فی صدورهم و ملازمته لهم ، کذلک استعاره بالکنایه قوله و دبّ و درج فی حجورهم استعاره کنّی بها أیضا عن تربیتهم للباطل و ملازما إبلیس و عدم مفارقته لهم و نشوه معهم کما یتربّی الولد فی حجر والدیه ، السجع المطرّف-السجع المتوازی و راعی فی هذا القرائن الأربع السجع ففی الاولیین السجع المسمّی مطرّفا و فی الأخیرین المسمّی

متوازيا ،قوله فنظر بأعينهم و نطق بألسنتهم إشاره إلى وجود تصرّفه فى أجزاء أبدانهم بعد إلقائهم مقاليد امورهم إليه و عزل عقولهم عن التصرّف فيها بدون مشاركته و متابعته.قوله فركب بهم الزلل و زيّن لهم الخطل .إشاره إلى ثمره متابعته و هى إصابه مقاصده منهم من الخروج عن أوامر اللّه فى الأفعال و هو المراد بارتكابه بهم الزلل،و فى الأقوال و هو المشار إليه بتزيينه لهم الخطل.قوله فعل من قد شركه الشيطان فى سلطانه و نطق بالباطل على لسانه .إشاره إلى أنّ الأفعال و الأقوال الصادره عنهم على خلاف أو امر اللّه إنّما تصدر عن مشاركه الشيطان و متابعته،و الضمير فى سلطانه يعود إلى من قد شاركه الشيطان فى سلطانه الّذى جعله اللّه له على الأعمال و الأقوال،و انتصاب فعل على المصدر إمّا عن فعل محذوف تقديره فعلوا ذلك فعل،أو عن قوله اتّخذوا لأنّه فى معنى فعلوا فهو مصدر له من غير لفظه، السجع المطرّف و راعى فى هاتين القرينتين أيضا السجع المطرّ ،و اللّه أعلم بالصواب،

۸-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

يعنى به الزبير فى حال اقتضت ذلك

يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ وَ لَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ- فَقَدْ أَقَرَّ بِالْبَيْعَهِ وَ ادَّعَى الْوَلِيجَهَ- فَلْيَأْتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ- وَ إِلاَّ فَلْيَدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ

اللغه

أقول: الوليجه الدخيله فى الأمر ،

المعنى

و هذا الفصل صوره مناظره له مع الزبير و هو مشتمل على تقرير حجّه سابقه له عليه،و صوره نقض لتلك الحجّه من الزبير،و صوره جواب له عليه السّلام عن ذلك،أمّا الحجّه فكأنّه عليه السّلام لمّا نكث الزبير بيعته و خرج لقتاله احتجّ عليه بلزوم البيعه له أوّلا فكان جواب الزبير ما حكاه عنه بقوله إنّه بايع بقلبه إشاره إلى

التوریه و التعریض فی العهود و الأیمان و نحوهما و هما من الزبیر أنّ ذلک أمر یقبله الشریعه فأجابه علیه السّلام بقیاس حذف کبراه کما علمت من قیاس الضمیر،و هو ما أشار إلیه بقوله فقد أقرّ بالبیعه و ادّعی الولیجه أی أقرّ بما هو مقبول و محکوم بلزومه له شرعا و ادّعی أنّه ادّخر فی باطنه ما یفسده من الولیجه فهذه صغری القیاس،و تقدیر الکبری و کلّ من فعل ذلک احتاج فی بیان دعواه إلی بیّنه تعرف صحّتها فینتج أنّه محتاج إلی بیّنه کذلک،و أشار إلی هذه النتیجه بقوله فلیأت علیها بأمر یعرف أی علی دعواه الولیجه،و هیهات له ذلک إذ التوریه أمر باطن لا یمکن الاحتجاج و لا إقامه البرهان علیه،ثمّ أشار بقوله و إلاّ فلیدخل فیما خرج منه أمر بالدخول فی طاعته و حکم بیعته الّتی خرج منها علی تقدیر عدم قدرته علی برهان دعواه.و باللّه التوفیق.

۹-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

وَ قَدْ أَرْعَدُوا وَ أَبْرَقُوا- وَ مَعَ هَذَیْنِ الْأَمْرَیْنِ الْفَشَلُ- وَ لَسْنَا نُرْعِدُ حَتَّی ب ئ نُوقِعَ وَ لاَ نُسِیلُ حَتَّی نُمْطِرَ

اللغه

الفشل الجبن و الضعف ،

المعنی

و الإشاره إلی طلحه و الزبیر و أتباعهما،و الکلام فی معرض الذّم، استعاره و استعار لفظ الإرعاد و الإبراق لوعیدهم و تهدیدهم له بالحرب.یقال أرعد الرجل و أبرق إذا تهدّد و توعّد .قال الکمیت:أرعد و أبرق یا یزید فما و عیدک لی بضائر و وجه الاستعاره کون الوعید من الامور المزعجه کما أنّ الرعد و البرق کذلک.

قوله و مع هذین الأمرین الفشل إشاره إلی وجه الرذیله و ذلک أنّ التهدید و التوعد قبل إیقاع الحرب و الضوضاء،و الجلبه أماره للجبن و العجز،و الصمت و السکون أماره الشجاعه کما أشار إلیه علیه السّلام فی تعلیم کیفیّه الحرب مخاطبا لأصحابه و أمیتوا أصواتکم فإنّه أطرد للفشل،و روی أنّ أبا طاهر الجبائیّ سمع جلبه عسکر المقتدر و هو فی ألف و خمسمائه فارس و المقتدر فی عشرین ألفا فقال لبعض أصحابه ما هذا الرجل؟قال:فشل.قال أجل و کانت الغلبه له فاستدلّ علیه السّلام بتلک الأماره علی الفشل.

استعاره قوله و لسنا نرعد حتّی نوقع و لا نسیل حتّی نمطر .إشاره إلی نفی تلک الرذیله عن

نفسه و أصحابه و إثبات الفضيله لهم،و كما أنّ فضيله السحاب أن يقترن وقوع المطر منه برعده و برقه و إسالته بإمطاره كذلك أقواله مقرونه بأفعاله لا خلف فيها و إساله عذابه مقرونه بإمطاره و مفهوم ذلك أنّ خصمه يهدّده بالحرب من غير قوّه نفس و لا إيقاع لها فأشبه ذلك الرعد من غير إيقاع للمطر،و السيل من غير مطر.فكأنّه قال:كما لا يجوز سيل بلا مطر فكذلك ما يوعّدونه و يهدّدون به من إيقاع الحرب بلا شجاعه و لا قوّه عليها،و فى ذلك شميمه التحدّى .

۱۰-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

أَلاَ-وَ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ- وَ اسْتَجْلَبَ خَيْلَهُ وَ رَجِلَهُ- وَ إِنَّ مَعِی لَبَصِیرَتِی مَا لَبَّسْتُ عَلَی نَفْسِی وَ لاَ لُبِّسَ عَلَیَّ- وَ ایْمُ اللَّهِ لَأُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ- لاَ یَصْدُرُونَ عَنْهُ وَ لاَ یَعُودُونَ إِلَیْهِ أقول:هذا الفصل ملتقط ملفّق من خطبه له عليه السّلام لمّا بلغه أنّ طلحه و الزبير خلعا بيعته و هو غير منتظم،و قد أورد السيّد منها فصلا آخر و سنذكرها بتمامها إذا انتهينا إليه إنشاء اللّه تعالى.

اللغه

الاستجلاب فى معنى الجمع ،و البصيره العقل ،و أفرطت الحوض افرطه بضم الهمزه ملأته و الماتح بالتاء المستقى،و ربّما يلتبس بالمائح و هو الّذى ينزل البئر فيملأ الدلو،و الفرق بينهما أنّ نقطتى الفوق للفوقانىّ ،و الصدور الرجوع عن الماء و غيره و يقابله الورود و هو العود إليه ،

المعنى

و مدار هذا الفصل على ثلاثه امور:أوّلها الذمّ لأصحاب الجمل و التنفير عنهم،و الثانى التنبيه على فضيله نفسه،و الثالث الوعيد لهم،و أشار إلى الأوّل بقوله الا و إنّ الشيطان قد جمع حزبه و استجلب خيله و رجله و أراد أنّ الباعث لهم و الجامع على مخالفه الحقّ إنّما هو الشيطان بوسوسه لهم و تزيينه الباطل فى قلوبهم،و قد عرفت كيفيّه وسوسته و إضلاله فكلّ من خالف الحقّ و نابذه فهو من حزب الشيطان و جنده خيلا و رجلا،و أمّا الثانى فأشار أوّلا إلى كمال عقله و تمام استعداده لاستجلابه الحقّ و استيضاحه بقوله و إنّ معى لبصيرتى ثمّ أكّد ذلك بالإشاره إلى عدم انخداع نفسه القدسيّه للشيطان

فيما يلبس به من الحقّ من الشبه الباطله على البصائر الضعيفه فيعميها بذلك عن إدراكه و تمييزه من الباطل سواء كانت مخادعه الشيطان و تلبيسه بغير واسطه،و هو المشار إليه بقوله و ما لبّست على نفسى أى لا يلتبس على نفسى المطمئنّه ما يلقيه إليها نفسى الأمّاره أو بواسطه و هو المشار إليها بقوله و لا لبّس علىّ أى إنّ أحدا ممّن تبع إبليس و تلقف عنه الشبه و صار فى قوّه أن يلبّس الحقّ صوره الباطل لا-يمكنه أن يلبّس علىّ،و أمّا الثالث فأشار إليه بقوله و أيم اللّه لا افرطنّ لهم حوضا أنا ماتحه إلى آخره ،و استعار إفراط الحوض لجمعه الجند و تهيّئه أسباب الحرب، استعاره بالكنايه-استعاره مرشحه و كنّى بقوله أنا ماتحه أنّه هو المتولّى لذلك،و لمّا كانت الحرب قد يشبه بالبحر و بالماء الجمّ فيستعار لها أوصافه فيقال فلان خوّاص غمرات و فلان منغمس فى الحرب جاز أن يستعار هاهنا لفظ الحوض و ترشح تلك الاستعاره بالمتح و الفرط و الإصدار و الإيراد ،و فى تخصيص نفسه بالمتح تأكيد تهديد لعلمهم بداسه(ببأسه خ م)و شجاعته و قد حذف المضاف إليه ماتح فى الحقيقه،و تقديره أنّه ماتح ماؤه إذ الحوض لا يوصف بالمتح ثمّ أردف ذلك بوصف استعداد لهم بالشدّه و الصعوبه عليهم كنايه فكنّى بقوله لا يصدرون عنه عن أنّ الوارد منهم إليه لا ينجو منه فهو بمنزله من يغرق منه فلا يصدر عنه و يقول و لا يعودون إليه أى إنّ من نجا منهم لا يطمع فى الحرب مرّه اخرى فلا يردّون إلى ما أعدّ لهم مرّه ثانيه و أكّد ذلك الوعيد بالقسم البارّ،و أصل أيم أيمن جمع يمين حذف النون تخفيفا كما حذفت فى لم يك،و قيل هو اسم برأسه وضع للقسم و تحقيقه فى مسائل النحو.

۱۱-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

لابنه محمد بن الحنفيه لما أعطاه الرايه يوم الجمل

تَزُولُ الْجِبَالُ وَ لاَ تَزُلْ- عَضَّ عَلَى نَاجِذِكَ أَعِرِ اللَّهَ جُمْجُمَتَكَ- تِدْ فِي الْأَرْضِ قَدَمَكَ- ارْمِ بِبَصَرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ وَ غُضَّ بَصَرَكَ- وَ اعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ب ئ

ص:۲۸۶

اللغه

أقول: الناجذ السن بين الناب و الضرس،و قال الجوهری:هو أقصى الأضراس،و قيل الأضراس كلّها نواجذ ،

المعنی

و اعلم أنّه عليه السّلام أشار فی هذا الفصل إلی أنواع آداب الحرب و كيفيّه القتال،فنهاه أوّلا عن الزوال و أكّد عليه ذلک بقوله تزول الجبال و لا تزل ،و الكلام فی صوره شرطيّه متّصله محرّفه تقديرها لو زالت الجبال لا تزل و هو نهی عن الزوال مطلقا لأنّ النهی عنه علی تقدير زوال الجبال مستلزم للنهی عنه علی تقدير آخر بطريق الأولی إذ القصد به المبالغه فی النهی،ثمّ أردف ذلک بخمسه أوامر:أحدها أن يعضّ علی ناجذه و ذلک لاستلزامه أمرين:أحدهما ربط الجأش عن الفشل و الخوف،و الإنسان يشاهد ذلک فی حال البرد و الخوف الموجبين للرعده فإنّه إذ عضّ علی أضراسه تسكن رعدته و يتمالک بدنه.

الثانی أنّ الضرب مع ذلک فی الرأس لا يؤثّر كثير ضرر كما قاله عليه السّلام فی مواضع اخر و عضوّ للنواجذ فإنّه أبنا للسيوف عن الهام ،و كان ذلک لما فيه من جمع القوّه و التصلّب.الثانی استعاره أن يعير اللّه جمجمته و هی استعاره لطيفه و تشبيه لجمجمته بالآله التی تستعار للانتفاع بها ثمّ تردّ،فانتفاع دين اللّه و حزبه بمحمّد-رضی اللّه عنه-علی هذا الوجه يشبه للانتفاع بالعاريه .قال بعض الشارحين:و فی ذلک تنبيه لمحمّد-رضی اللّه عنه-علی أنّه لا يقتل فی ذلک الحرب إذ ما اعير اللّه لابد من رده بكمال السلامه،و فيه تثبيت لجأشه و ربط لقلبه-الثالث أن يلزم قدمه الأرض.و يجعلها كالوتد و ذلک لاستلزام أمرين:أحدهما ربط الجأش و استصحاب العزم علی القتال.الثانی أنّ ذلک مظنّه الشجاعه و الصبر علی المكاره فيكون من موجبات انفعال العدوّ و انقهاره.الرابع أن يرمی ببصره أقصی القوم و ذلک ليعلم علی ما ذا يقدم و لينظر مخاتل المخاتل و مقاتل المقاتل.الخامس أن يغضّ بصره بعد مدّه و ذلک لكونه علامه السكينه و الثبات و عدم الطيش،و لأنّ مدّ النظر إلی بريق السيوف مظنّه الرهبه،و ربما خيف علی البصر أيضا،و النظر المحمود فی الحرب أن يلحظ شزرا فعل الحنق المترصّد للفرصه كما قال عليه السّلام فی غير هذا الموضع و لاحظوا الشزر.ثمّ لمّا نبّه بهذه الأوامر الخمسه أمره أن يعلم أنّ النصر من عند اللّه كما قال «وَ مَا النَّصْرُ إِلاّ مِنْ عِنْدِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ» ١ليتأكّد ثباته بثقته باللّه عنه ملاحظه قوله تعالی «إِنْ تَنْصُرُوا اللّهَ يَنْصُرْكُمْ وَ»

«يُثَبِّتْ أَقْدامَكَمْ» ١

١٢-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

لما أظفره اللّه بأصحاب الجمل،و قد قال له بعض أصحابه:وددت أن أخى فلانا كان شاهدنا ليرى ما نصرك اللّه به على أعدائك فَقَالَ لَهُ ع أَ هَوَى أَخِيكَ مَعَنَا فَقَالَ نَعَمْ- قَالَ فَقَدْ شَهِدَنَا- وَ لَقَدْ شَهِدَنَا فِي عَسْكَرِنَا هَذَا أَقْوَامٌ فِي أَصْلاَبِ الرِّجَالِ- وَ أَرْحَامِ النِّسَاءِ- سَيَرْعَفُ بِهِمُ الزَّمَانُ وَ يَقْوَى بِهِمُ الْإِيمَانُ ب ئ

المعنى

ب ئ أقول : أ هوى أخيك معنا أى محبّته و ميله.

قوله فقد شهدنا .حكم بالحضور بالقوّه أو بحضور نفسه و همّته على تقدير محبّته للحضور و كم إنسان يحضر بحضور همّته و إن لم يحضر ببدنه كثير نفع إمّا باستجلاب الرجال أو بتأثير الهمّه فى تفريق أعداء اللّه كما تفعله همم أولياء اللّه بحيث لا يحصل مثل ذلك النفع من أبدان كثيره حاضره و إن قويت و عظمت.

قوله و لقد شهدنا فى عسكرنا هذا أقوام فى أصلاب الرجال و أرحام النساء. تأكيد لحضور أخ القائل بالإشاره إلى من سيوجد من أنصار الحقّ الذابّين عنه و عباد اللّه الصالحين الشاهدين معه عليه السّلام أيضا،و الشهاده شهاده بالقوّه أى أنّهم موجودون فى أكمام الموادّ بالقوّه، و من كان فى قوّه أن يحضر من أنصار اللّه فهو بمنزله الحاضر الموجود بالفعل فى نصرته إذا وجد.

استعاره قوله سيرعف بهم الزمان .استعار لفظ الرعاف و هو الدم الخارج من أنف الإنسان لوجودهم و فيه تشبيه للزمان بالإنسان و إنّما نسب وجودهم إلى الزمان لأنّه من الأسباب المعدّه لقوابل وجودهم ،و نحوه قول الشاعر:

و ما رعف الزمان بمثل عمرو و لا تلد النساء له ضريبا

قوله و يقوى بهم الإيمان ظاهر.و باللّه التوفيق.

ص:٢٨٨

أقول:هـذا الفصل مع فصول بعده من خطبه خطبها عليه السّلام بالبصـره بعد ما فتحها روى أنّه لمّا فرغ من حرب أهل الجمل أمر مناديا ينادى فى أهل البصره أنّ الصلاه الجامعه لثلاثه أيّام من غد إنشاء اللّه و لا عذر لمن تخلّف إلّا من حجّه أو علّه فلا تجعلوا على أنفسكم سبيلا فلمّا كان فى اليوم الّذى اجتمعوا فيه خرج فصلّى فى الناس الغداه فى المسجد الجامع فلمّا قضى صلوته قام فأسند ظهره إلى حائط القبله عن يمين المصلّى فخطب الناس فحمد اللّه و أثنى عليه بما هو أهله و صلّى على النبىّ صلى اللّه عليه و آله و استغفر للمؤمنين و المؤمنات و المسلمين و المسلمات ثمّ قال يا أهل المؤتفكه ائتكفت بأهلها ثلاثا و على اللّه تمام الرابعه يا جند المرأه و أعوان البهيمه رغا فأجبتم و عقر فانهزمتم أخلاقكم دقاق و ماؤكم زعاق بلادكم أنتن بلاد اللّه تربه و أبعد من السماء،بها تسعه أعشار الشرّ،المحتبس فيها بذنبه،و الخارج منها بعفو اللّه

۱۳-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

فى ذم أهل البصره

القسم الأول

اشاره

كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَهِ وَ أَتْبَاعَ الْبَهِيمَهِ- رَغَا فَأَجَبْتُمْ وَ عُقِرَ فَهَرَبْتُمْ- أَخْلَاقُكُمْ دِقَاقٌ وَ عَهْدُكُمْ شِقَاقٌ- وَ دِينُكُمْ نِفَاقٌ وَ مَاؤُكُمْ زُعَاقٌ- وَ الْمُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ- وَ الشَّاخِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارَكٌ بِرَحْمَهٍ مِنْ رَبِّهِ- كَأَنِّى بِمَسْجِدِكُمْ كَجُؤْجُؤِ سَفِينَهٍ- قَدْ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا وَ مِنْ تَحْتِهَا- وَ غَرِقَ مَنْ فِى ضِمْنِهَا وَ فِى رِوَايَهٍ وَ ايْمُ اللَّهِ لَتَغْرَقَنَّ بَلْدَتُكُمْ- حَتَّى كَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَى مَسْجِدِهَا كَجُؤْجُؤِ سَفِينَهٍ- أَوْ نَعَامَهٍ جَاثِمَهٍ وَ فِى رِوَايَهٍ كَجُؤْجُؤِ طَيْرٍ فِى لُجَّهِ بَحْرٍ-

كأنّى أنظر إلى قريتكم هذه و قد طبّقها الماء حتّى ما يرى منها إلاّ شرف المسجد كأنّه جؤجؤ طير فى لجّه بحر فقام إليه الأحنف بن قيس فقال:يا أمير المؤمنين متى ذاك؟فقال إذا صارت أجمتكم قصورا، و اعلم أنّ بعد هذا الفصل من الخطبه فصول لا تعلّق لها بهذا الموضع و ربّما تعلّقت بفصول أوردها السيّد بعد هذا الفصل و سنذكرها معها «إِنْ شاءَ اللّهُ» .

اللغه

أصل البصره الحجاره البيض الرخوه،و صارت علما للبلده لوجدان تلك الحجاره بها.قيل إنّها بالمربد كثيره ،و ائتفكت البلده بأهلها انقلبت بهم،و المؤتفكه من الأسماء القديمه للبصره كما سنذكره فى تمام هذه الخطبه ،و الرغا صوت الإبل خاصّه ،و العقر الجرح ،و الدّق من كلّ شىء حقيره و صغيره ،و الشقاق الخلاف و الافتراق ،و النفاق الخروج من الإيمان بالقلب و أصله أنّ اليربوع يرقق موضعا من الأرض من داخل جحره فإذا اوتى من قبل بابه و هو القاصعاء ضرب ذلك الموضع برأسه فاتفق أى خرج،و يسمّى ذلك النافقاء فاشتقّ لفظ النفاق منه و الرغاق المالح ،و طبّقها الماء أى عمّا و أتى على جميعها و جؤجؤ السفينه صدرها و كذلك الطائر ،

المعنى

و اعلم أنّه عليه السّلام ذكر فى معرض ذمّهم امورا نبّه فيها على وجوه ارتكابهم الزلل، أوّلها كونهم أهل المؤتفكه ائتفكت أهلها ثلاثا و معلوم أنّه ائتفاك البلد بأهلها و خسفها بهم إنّما يكون لفسادهم و استحقاقهم بذلك عذاب اللّه،و قوله و على اللّه تمام الرابعه دعاء عليهم بايقاع الخسف بهم .الثانى كونهم جند المرأه و أراد عايشه فإنّهم جعلوها عقد نظامهم، و لمّا كانت قول النساء و آراؤهنّ امورا مذمومه بين العرب و سائر العقلاء لضعف آرائهنّ و نقصان عقولهنّ كما قال الرسول صلى اللّه عليه و آله:إنّهنّ ناقصات العقول ناقصات الدين ناقصات الحظّ أمّا نقصان عقولهنّ فلأنّ شهاده ثنتين منهنّ بشهاده رجل واحد لتذكّر إحداهما الاخرى، و أمّا نقصان دينهنّ فلأنّ إحديهنّ تقعد فى بيتها شطرد هرها أى فى أيّام حيضها لا تصوم و لا تصلّى،و أمّا نقصان حظّهنّ فلأنّ ميراثهنّ على النصف من ميراث الرجال،و كان مع ذلك مستشيرهنّ و بايعهنّ أضعف رأيا منهنّ كما هو شأن التابع بالنسبه إلى متبوعه لا جرم حسن توبيخه لهم بكونهم جندا و أعوانا .الثالث كونهم اتباع البهيمه و أراد بالبهيمه الجمل الّذى كان تحت عايشه فإنّ حالهم شاهده باتّباعه مجيبين لرغائه و هاربين لعقره،و هو أشنع من الأوّل و أدخل فى الذمّ،و كنّى برغائه عن دعوتها لهم إلى القتال إذ قدمت

علیهم راکبه له.الرابع دقّه أخلاقهم و أشار بها إلی کونهم علی رذائل الأخلاق دون حاقّ الوسط،و لمّا کانت اصول الفضائل الخلقیّه کما علمت ثلاثه:الحکمه و العفّه و الشجاعه و کانوا علی طرف الجهل بوجوه الأراء المصلحیّه و هو طرف التفریط من الحکمه العملیّه و علی طرف الجبن و هو طرف التفریط من الشجاعه،و علی طرف الفجور و هو طرف الإفراط من ملکه العفّه و العداله لا جرم صدق أنّهم علی رذائل الأخلاق و دقاقها.الخامس الشقاق فی العهود و النکث لها و مصداق ذلک نکثهم لعهده و خلافهم لبیعته و ذلک من الغدر الّذی هو رذیله بإزاء ملکه الوفاء.السادس النفاق فی الدین،و لمّا کانوا خارجین علی الإمام العادل محاربین له لا-جرم کانوا خارجین عن الدین،و ربّما کان ذلک خطابا خاصّا لبعضهم إذا المنافق العرفی هو الخارج من الإسلام بقلبه المظهر له بلسانه فیکون ذلک خطابا لمن کان منهم بهذه الصفه.السابع ما یتعلّق بذمّ بلدهم و هو کون مائهم مالحا و سبب ملوحته قربه من البحر و امتزاجه به،و دخول ذلک فی معرض ذمّهم ربّما یکون لسوء اختیارهم ذلک المکان و الإقامه به مع کون مائهم بهذه الحال المستلزمه لأمراض کثیره فی استعماله کسوء المزاج و البلاده و فساد الطحال و الحکّه و غیر ذلک ممّا یذکره الأطبّاء، و لأنّ ذلک من أسباب التنفیر عن المقام معهم و تکثیر سوادهم.الثامن کونها أنتن البلاد تربه و ذلک لکثره رکوب الماء لها و تعفّنها به.التاسع کونها أبعد البلاد عن السماء و سیجیء بیانه.العاشر کنایه کونها بها تسعه أعشار الشرّ و یحتمل أن یرید به المبالغه فی ذمّها دون الحصر و ذلک أنّه لمّا عدّد بها شرورا لا یکاد تجتمع فی غیرها حکم بأنّ فیها تسعه أعشار الشرّ مبالغه کنّی به عن معظم الشرّ ،و یحتمل أن یرید بالشرّ مجموع الرذائل الخلقیّه المقابله لاصول الفضائل النفسانیّه الّتی هی العلم و الشجاعه و العفّه و السخاء و العدل و کلّ منها مقابل برذیلتین کما علمت فتلک عشر رذائل،و أشبه ما یخرج عنهم ما لا یناسب غرضه هاهنا ذمّهم به کالتبذیر أو نحوه و هذا الاحتمال و إن کان لطیفا إلاّ أنّ فیه بعدا.

الحادی عشر کون المقیم بین أظهرهم مرتهنا بذنبه و ذلک أنّ المقیم بینهم لا بدّ و أن ینخرط فی سلکهم و یستعدّ لقبول مثل طباعهم و ینفعل عن رذائل أخلاقهم و حینئذ یکون موثوقا بذنوبه.الثانی عشر کون الشاخص عنهم متدارکا برحمه من ربّه و ذلک لإعانه اللّه له

بالخروج ليسلم من الذنوب الّتى يكتسبها المقيم بينهم و تلك رحمه من اللّه و أيّه رحمه، و كلّ ذلك فى معرض التنفير عنهم،و المفهوم من الروايه الثانيه و هى قوله المحتبس فيها بذنبه و الخارج منها بعفو اللّه غير ما ذكرناه إذ يفهم من قوله المحتبس فيها بذنبه أنّ احتباسه بينهم يجرى مجرى العقوبه له بدنب سبق،منه و الخارج منها قد عفا اللّه عنه بخروجه،و قد السجع المتوازى راعى فى هاتين القرينتين السجع المتوازى و كذلك فى القرائن الأربع قبلهما . تشبيه ثمّ أشار بعد ذلك إلى أنّ بلدتهم سيخربها الماء ،و شبّه يقينه بذلك مشاهدته بنور بصيرته القدسيّه لمسجدهم مغمورا بالماء و قد طبّق أرضهم بمشاهدته الحسيّه فى الجلاء و الظهور .و قد حكى توقيف الرسول صلى اللّه عليه و آله على أحوالهم فى فصل آخر من هذه الخطبه و ذلك أنّه عقيب ذمّه لأهل البصره و جوابه للأحنف فى الفصل الّذى ذكرناه قال مادحا لهم يا أهل البصره إنّ اللّه لم يجعل لأحد من أمصار المسلمين خطّه شرف و لا كرم إلاّ و قد جعل فيكم أفضل ذلك و زادكم من فضله بمنّه ما ليس لهم أنتم أقوم الناس قبله قبلتكم عن المقام حيث يقوم الإمام بمكّه، و قاريكم أقرء الناس،و زاهدكم أزهد الناس،و عابدكم أعبد الناس،و تاجركم أتجر الناس و أصدقهم فى تجارته،و مصدّقكم أكرم الناس صدقه،و غنيّكم أشدّ الناس بدلا و تواضعا، و شريفكم أحسن الناس خلقا،و أنتم أكرم الناس جوارا و أقلّهم تكلّفا لما لا يعنيه و أحرصهم على الصلاه فى جماعه،ثمرتكم أكثر الثمار و أموالكم أكثر الأموال و صغاركم أكيس الأولاد و نساؤكم أقنع النساء و أحسنهنّ تبعّلا،سخّر لكم الماء يغدو عليكم و يروح صلاحا لمعاشكم و البحر سببا لكثره أموالكم فلو صبرتم و استقمتم لكانت شجره طوبى لكم مقيلا و ظلاّ ظليلا غير أنّ حكم اللّه فيكم ماض و قضائه نافذ لا معقّب لحكمه و هو سريع الحساب يقول اللّه «وَ إِنْ مِنْ قَرْيَهٍ إِلاّ نَحْنُ مُهْلِكُوها قَبْلَ يَوْمِ الْقِيامَهِ أَوْ مُعَذِّبُوها عَذاباً شَدِيداً كانَ ذلِكَ فِي الْكِتابِ مَسْطُوراً» ۱و اقسم لكم يا أهل البصره ما الّذى ابتدأتكم به من التوبيخ إلاّ تذكيرا و موعظه لما بعد لكيلا تسرعوا إلى الوثوب فى مثل الّذى و ثبتم و قد قال اللّه تعالى لنبيّه صلى اللّه عليه و آله «وَ ذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ» ۲و لا الّذى ذكرت فيكم من المدح و النظريه بعد التذكير و

الموعظه رهبه منّی لکم و لا رغبه فی شیء ممّا قبلکم فإنّی لا ارید المقام بین أظهرکم «إِنْ شاءَ اللّٰهُ» لامور تحضرنی قد یلزمنی القیام بها فیما بینی و بین اللّه لا عذر لی فی ترکها و لا علم لکم بشیء منها حتّی بقع ممّا ارید أن أخوضها مقبلا و مدبرا فمن أراد أن یأخذ بنصیبه منها فلیفعل فلعمری إنّه للجهاد الصافی صفّاه لنا کتاب اللّه،و لا الّذی أردت به من ذکر بلادکم موجده منّی علیکم لما شافهتمونی غیر أنّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله قال لی یوما و لیس معه غیری:یا علیّ إنّ جبرئیل الروح الأمین حملنی علی منکبه الأیمن حتّی أرانی الأرض و من علیها و أعطانی أقالیدها و علّمنی ما فیها و ما قد کان علی ظهیرها و ما یکون إلی یوم القیامه و لم یکبر ذلک علیّ کما لم یکبر یعلّمه الملائکه المقرّبون و إنّی رأیت بقعه علی شاطیء البحر تسمّی البصره فإذن هی أبعد الأرض من السماء و أقربها من الماء و أنّها لأسرع الأرض خرابا و أخبثها ترابا و أشدّها عذابا،و لقد خسف بها فی القرون الخالیه مرارا و لیأتین علیها زمان،و إنّ لکم یا أهل البصره و ما حولکم من القری من الماء لیوما عظیما بلاؤه،و إنّی لأعرف موضع منفجره من قریتکم هذه ثمّ امور قبل ذلک تدهمکم عظیمه أخفیت عنکم و علمناها فمن خرج عنها عند دنوّ غرقها فبرحمه من اللّه سبقت له و من بقی فیها غیر مرابط بها فبذنبه«و ما اللّه بظلاّم للعبید»، و أمّا تشبیه ما یخرج من الماء من شرفات المسجد بصدر السفینه و فی الروایه الاخری بالنعامه الجاثمه و فی الروایه الثالثه بالطائر فی لجّه البحر فتشبیهات ظاهره،و أمّا وقوع ذلک الغرق المخبر فالمنقول أنّها غرقت مرّه فی أیّام القادر باللّه،و مرّه فی أیّام القائم بأمر اللّه غرقت بأجمعها و غرق من فی ضمنها و خربت مع دورها و لم یبق منها إلاّ علوّ مسجدها الجامع حسب ما أخبر به علیه السّلام و کان غرقها من قبل بحر فارس و من ناحیه الجبل المعروف بجبل الشام،فکان ذلک مصداق کلامه علیه السّلام،و فی ذلک نظر و ذلک لأنّه أشار إلی أنّ ذلک الماء ینفجر من أرضهم بقوله: و إنّی لأعرف موضع منفجره من قریتکم هذه ،و ظاهر ذلک یقتضی أنّه لا یکون من ناحیه اخری و اللّه أعلم.

القسم الثانی

اشاره

أَرْضُکُمْ قَرِیبَهٌ مِنَ الْمَاءِ بَعِیدَهٌ مِنَ السَّمَاءِ- خَفَّتْ عُقُولُکُمْ وَ سَفِهَتْ حُلُومُکُمْ- فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ وَ أُکْلَهٌ لِآکِلٍ وَ فَرِیسَهٌ لِصَائِلٍ

اللغه

أقول: السفه رذیله تقابل الحلم و تعود إلی الطیش و عدم الثبات ،و الاکله اسم للمأکول ،

المعنی

و قد علمت أنّ قوله أرضکم قریبه من الماء بعیده من السماء ممّا حکاه عن رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فی الفصل المتقدّم أمّا قرب أرضهم من الماء فإشاره إلی أنّها موضع ها بط مستقل من الأرض و قریب من البحر فهو بصدد أن یعلوها بملاقاه دجله و ذلک مشاهد فی دخول الماء حدائقهم و سقیه بساتینهم فی کلّ یوم مرّه أو مرّتین،أمّا کونها بعیده من السماء فبحسب استفالها عن غیرها من الأرض،و قیل إنّ من أبعد موضع فی الأرض عن السماء الابلّه،و أنّ ذلک مما دلّت علیه الأرصاد و برهن علیه أصحاب علم الهیئه،و قال بعضهم:إنّ کون ذلک فی معرض الذّم یصرفه عن مظاهره و إنّما الإشاره إلی أنّهم لمّا کانوا بالأوصاف المذمومه الّتی عددها فیهم کانوا بعداء عن نزول الرحمه علیهم من سماء الجود الإلهیّ مستعدّین لنزول العذاب،و یصدق فی العرف أن یقال فلان بعید من السماء إذا کان کما ذکرناه ، قوله خفّت عقولکم إشاره إلی قلّه استعدادهم لدرک وجوه المصالح و ضعف عقولهم عن تدبیر أحوالهم و تسرّعهم إلی مالا ینبغی لغفلتهم عمّا ینبغی و هو وصف لهم برذیله الغباوه،قوله و سفهت حلومکم إشاره إلی وصفهم برذیله السفه و الخفّه المقابله للحلم،قوله فأنتم غرض لنابل و اکله لآکل و فریسه لصائل هذه الأوصاف الثلاثه لازمه عن خفّه عقولهم و سفه حلومهم و لذلک عقّبها بها لأنّ طمع القاصد لهم بأنواع الأذی إنّما ینشأ من العلم بقلّه عقلیّتهم لوجوه المصالح و سفههم فیقصدهم بحسن تدبیره، استعاره بالکنایه السجع المطرّف-السجع المتوازی و الأوّل من هذه الأوصاف کنایه عن کونهم مقصدا لمن یرید أذاهم ،و الثانی کنایه عن کونهم فی معرض أن یطمع فی أموالهم و نعمتهم و یأکلها من یقصد أکلها ،و الثالث عن کونهم بصدد أن یفترسهم من یقصد قتلهم و إهلاکهم،و استعار لفظ الغرض و الاکله و الفریسه لهم،و وجوه المشابهه فیها ظاهره.و قد راعی فی هذه القرائن السجع ففی الاولیین السجع المطرّف و فی الاخریین بعدهما و الثلاث السجع المتوازی .

۱۴-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان

وَ اللَّهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّسَاءُ وَ مُلِكَ بِهِ الْإِمَاءُ- لَرَدَدْتُهُ- فَإِنَّ فِی الْعَدْلِ سَعَهً- وَ مَنْ ضَاقَ عَلَیْهِ الْعَدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَیْهِ أَضْیَقُ

اللغه

أقول:هذا الفصل مع فصول بعده من خطبه خطبها بالمدینه لمّا قتل عثمان و بویع له،و قد ورد هنا بزیاده و نقصان ،و أوّل هذا الفصل من الخطبه ألا-و إنّ کلّ قطیعه قطعها عثمان أو مال أخذه من بیت مال المسلمین فمردود علیهم فی بیت مالهم،و لو وجدته قد تزوّج به النساء و فرّق فی البلدان فإنّه إن لم یسعه الحقّ فالباطل أضیق عنه.و سنورد الخطبه بتمامها فی أحد الفصول الّتی یجیء منها إنشاء اللّه تعالی،و أعلم أنّه أشار إلی العزم الجازم المؤکّد بالقسم علی ردّ القطائع الّتی کان عثمان أقطعها أقاربه کنایه ثمّ نبّه المقتطعین بقوله فإنّ فی العدل سعه ألا إنّ عدل اللّه یسعهم فی ردّ ما اقتطعوه،و کنّی بسعته عن اقتضاء أمر العدل ردّ ذلک و غیره من المظالم فعلیهم أن یدخلوا فی مقتضی أوامر اللّه و عدله،فإنّ فیه سعه لهم إذ به نظام العالم بأسره و هو محلّ لرضا المظلوم بإیصال حقّه إلیه و لرضا الظالم لعلمه بأنّه عند الانتزاع منه أخذ لما لیس له ،و تأکّد ذلک العلم بالوعید الصادق فهو و إن قام شیطانه حال انتزاع الظلامه و ضاق علیه العدل فهو فی محلّ الرضا فإن لم یرض لضیق العدل علیه فالجور علیه أضیق فی الدنیا و الآخره لأنّه ربّما انتزعت منه قهرا و کان جوره سببا للتضییق علیه فی ذلک،و لأنّ الأوامر و النواهی الإلهیّه محیطه به سادّه علیه وجوه التصرّف الباطل،و لأنّه إذا نزل علیه عدل اعتقد أنّه قد اخذ منه ما ینبغی أخذه منه و إذا نزل علیه جور اعتقد أنّه اخذ منه ما لا-ینبغی أخذه،و لا-شکّ أنّ أخذ ما لا-ینبغی أخذه أصعب علی النفس و أضیق من أخذ ما ینبغی و هو أمر وجدانیّ،و المعنی فی الألفاظ الّتی أوردناها من الخطبه قریب ممّا ذکرناه هاهنا غیر أنّ الضمائر فی قوله فإنّه

إن لم يسعه تعود إلى المال ،و اعلم أنّه قد كان عثمان أقطع جماعه من بنى اميّه و غيرهم من أصحابه كثيرا من أرض بيت المال،و كذلك فعل عمر ذلك مع قوم لهم وقائع مشهور، فى الجهاد فى سبيل اللّه و ترغيبا فى الجهاد،لكن لمّا اختلف غرضا الإمامين لم يردّ علىّ عليه السّلام إلاّ ما أقطعه عثمان،و باللّه التوفيق.

۱۵-و من خطبه له عليه السّلام لما بويع بالمدينه

القسم الأول

اشاره

ذِمَّتِی بِمَا أَقُولُ رَهِینَهٌ وَ أَنَا بِهِ زَعِیمٌ- إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ الْعِبَرُ عَمَّا بَیْنَ یَدَیْهِ مِنَ الْمَثُلاَتِ- حَجَزَتْهُ التَّقْوَی عَنْ تَقَحُّمِ الشُّبُهَاتِ- أَلاَ وَ إِنَّ بَلِیَّتَکُمْ قَدْ عَادَتْ کَهَیْئَتِهَا یَوْمَ بَعَثَ اللَّهُ نَبِیَّهُ- ص وَ الَّذِی بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَهً- وَ لَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَهً وَ لَتُسَاطُنَّ سَوْطَ الْقِدْرِ- حَتَّی یَعُودَ أَسْفَلُکُمْ أَعْلاَکُمْ وَ أَعْلاَکُمْ أَسْفَلَکُمْ- وَ لَیَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ کَانُوا قَصَّرُوا- وَ لَیُقَصِّرَنَّ سَبَّاقُونَ کَانُوا سَبَقُوا- وَ اللَّهِ مَا کَتَمْتُ وَشْمَهً وَ لاَ کَذَبْتُ کِذْبَهً- وَ لَقَدْ نُبِّئْتُ بِهَذَا الْمَقَامِ وَ هَذَا الْیَوْمِ- أَلاَ وَ إِنَّ الْخَطَایَا خَیْلٌ شُمُسٌ حُمِلَ عَلَیْهَا أَهْلُهَا- وَ خُلِعَتْ لُجُمُهَا فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِی النَّارِ- أَلاَ وَ إِنَّ التَّقْوَی مَطَایَا ذُلُلٌ حُمِلَ عَلَیْهَا أَهْلُهَا- وَ أُعْطُوا أَزِمَّتَهَا فَأَوْرَدَتْهُمُ الْجَنَّهَ- حَقٌّ وَ بَاطِلٌ وَ لِکُلٍّ أَهْلٌ- فَلَئِنْ أَمِرَ الْبَاطِلُ لَقَدِیماً فَعَلَ- وَ لَئِنْ قَلَّ الْحَقُّ فَلَرُبَّمَا وَ لَعَلَّ وَ لَقَلَّمَا أَدْبَرَ شَیْءٌ فَأَقْبَلَ قال؟السید الشریف؟و أقول- إن فی هذا الکلام الأدنی من مواقع الإحسان- ما لا تبلغه مواقع

ص:۲۹۶

الاستحسان- و إن حظ العجب منه أكثر من حظ العجب به- و فيه مع الحال التى وصفنا زوائد من الفصاحه- لا يقوم بها لسان و لا يطلع فجها إنسان- و لا يعرف ما أقول إلا من ضرب فى هذه الصناعه بحق- و جرى فيها على عرق- «وَ ما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ»

أقول:فى هذا الفصل فصول من الخطبه الّتى أشرنا إليها فى الكلام الّذى قبله،و كذلك فى الفصل الّذى بعده،و نحن نوردها بتمامها ليتّضح ذلك،و هى الحمد للّه أحقّ محمود بالحمد و أولاه بالمجد إلها واحدا صمدا أقام أركان العرش فأشرق لضوء شعاع الشمس خلق فأتقن و أقام فذلّت له وطاه المستمكن،و أشهد «لا إِلهَ إِلَّا اللّهُ» وحده لا شريك له و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله أرسله بالنور الساطع و الضياء المنير أكرم خلق اللّه حسبا و أشرفهم نسبا لم يتعلّق عليه مسلم و لا معاهد بمظلمه بل كان يظلم.أمّا بعد فإنّ أوّل من بغى على الأرض عناق ابنه آدم كان مجلسها من الأرض جريبا و كان لها عشرون إصبعا،و كان لها ظفران كالمخلبين فسلّط اللّه عليها أسدا كالفيل و ذئبا كالبعير و نسرا كالحمار،و كان ذلك فى الخلق الأوّل فقتلها و قد قتل اللّه الجبابره على أسوء أحوالهم،و إنّ اللّه أهلك فرعون و هامان و قتل هارون بذنوبهم ألا و إنّ بليّتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث اللّه نبيّكم صلى اللّه عليه و آله و الّذى بعثه بالحقّ لتبلبلنّ بلبله و لتغربلنّ غربله و لتساطنّ سوط القدر حتّى يعود أسفلكم أعلاكم و أعلاكم أسفلكم و ليسبقنّ سابقون كانوا قصّروا و ليقصّرنّ سبّاقون كانوا سبقوا و اللّه ما كتمت و شمه و لا كذبت كذبه و لقد نبّئت بهذا اليوم و هذا المقام ألا و إنّ الخطا يا خيل شمس حمل عليها أهلها و خلعت لجمها فتقحّمت بهم فى النار فهم فيها كالحون ألا و إنّ التقوى مطايا ذلل حمل عليها أهلها فسارت بهم تأوّدا «حَتّى إِذا جاؤُها» ظلاّ ظليلا« «فُتِحَتْ أَبْوابُها وَ قالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خالِدِينَ» » ١ألا و قد سبقنى هذا الأمر من لم اشركه

فيه و من ليست له منه توبه إلّا بنبيّ مبعث و لا نبيّ بعد محمّد صلى اللّه عليه و آله أشفى منه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنّم أيّها الناس كتاب اللّه و سنّه نبيّه لا يرعى مرع إلّا على نفسه شغل من الجنّه و النار أمامه ساع نجا و طالب يرجو و مقصّر فى النار و لكلّ أهل،و لعمرى لئن أمر الباطل لقد يما فعل و لئن قلّ الحقّ لربّما و لعلّ،و لقلّما أدبر شيء فأقبل و لئن ردّ أمركم عليكم إنّكم السعداء و ما علينا إلّا الجهد قد كانت أمور مضت ملتم فيها ميله كنتم عندى فيها غير محمودى الرأى و لو أشاء أن أقول لقلت «عَفَا اللّٰهُ عَمّا سَلَفَ» سبق الرجلان و قام الثالث كالغراب همّه بطنه ويله لو قصّ جناحاه و قطع رأسه كان خيرا له شغل من الجنّه و النار أمامه ساعى مجتهد و طالب يرجو و مقصّر فى النار ثلاثه و إثنان خمسه،و ليس فيهم سادس ملك طائر بجناحيه و نبى آخذ بضبعيه هلك من ادّعى و خاب من افترى اليمين و الشمال مضلّه و وسط الطريق المنهج عليه باقى الكتاب و آثار النبوّه ألا و إنّ اللّه قد جعل أدب هذه الامّه السوط و السيف ليس عند إمام فيهما هواده فاستتروا بيوتكم «وَ أَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ» ،و التوبه من ورائكم من أبدأ صفحته للحقّ هلك ألا و إنّ كلّ قطعيه أقطعها عثمان و ما أخذه من بيت مال المسلمين فهو مردود عليهم فى بيت مالهم و لو وجدته قد تزوّج به النساء و فرّق فى البلدان فإنّه إن لم يسعه الحقّ فالباطل أضيق عنه أقول قولى هذا و استغفر اللّه لى و لكم ١.

و لقد ذكرنا هذا الفصل فيما قبل و لنرجع إلى التفسير فنقول:

اللغه

الذّمه الحرمه و الذمّه أيضا العهد ،و الرهينه المرهونه ،و الزعيم الكفيل،و فى الحديث الزعيم غارم ،و المثلات العقوبات ،و الحجز المنع ،و قحّم فى الأمر و تقحّمه رمى بنفسه فيه،و الهيئه الصفه ،و البلبله الاختلاط ،و الغربله نخل الدقيق و غيره و الغربله القتل أيضا ،و ساط القدر إذا قلّب ما فيها من طعام بالمحراك،و أداره ،و الوشمه بالشين المعجمه الكلمه و بغير المعجمه العلامه و الأثر ، و الشمس جمع شموس و هى الدابّه تمنع ظهرها ،و التأوّد السير الثقيل بالثبات ،و الذلول الساكنه ،و الكلوح تكسّر فى عبوس ،و أمر الباطل بكسر الميم كثر و فلان يرعى على نفسه إذا كان يتفقّد أحوالها

المعنى

و اعلم أنّه أشار أوّلا فى هذا الفصل إلى وجوب الاعتبار لوجوب التقوى و نبّه على أنّه وسيله إليه و مستلزم له فى صوره شرطيّه متّصله و هى قوله

من صرّحت له العبر عمّا بين يديه من المثلات حجزه التقوى عن تقحّم الشبهات،و بيان الملازمه أنّ من أخذت العنايه بزمام عقله فأعدّت نور بصيرته لمشاهده ما صرّحت به آفات الدنيا،و كشفت عبرها من تبدّل حالاتها و تغيّراتها على من أوقف عليها همّه و أتخذها دار الإقامه فشاهد أنّ كلّ ذلك امور باطله و أطلال زائله،فلا بدّ أن يفيض اللّه على قلبه صوره خشيته و تقواه فتستلزم تلك الخشيه توقّفه و امتناعه عن أن يلقى نفسه فى تلك الامور الزائله و الشبهات الباطله لإشراق نور الحقّ الواضح على لوح نفسه بالاعتبار،فالتقوى اللازم له هو الحاجز عن ذلك التقحّم،و أشار بالشبهات إلى ما يتوهّم كونه حقّا ثابتا باقيا من الامور الفانيه الزائله و اللذّات الدنيويّه الباطله فالوهم يصوّرها و يشبّهها بالحقّ فلذلك سمّيت شبهات،و العقل الخارج من أسر الهوى قوّى على نقد الحقّ و تمييزه عن الشبهه، و أكّد هذه الملازمه برهن ذمّته على صحّتها و كفالته بصدقها،و ذلك استعاره قوله ذمّتى بما أقول رهينه و أنا به زعيم و استعمال الرهن استعاره كقوله تعالى «كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ» و اعلم أنّه ربّما التبس عليك حقيقه التقوى،فنقول:التقوى بحسب العرف الشرعىّ يعود إلى خشيه الحقّ سبحانه المستلزم للإعراض عن كلّ ما يوجب الالتفات عنه من متاع الدنيا و زينتها و تنحيه مادون وجهه عن جهه القصد،و لمّا كان الترك و الإعراض المذكور هو الزهد الحقّقى كما علمت،و كان التقوى وسيله إليه علمت أنّه من أقوى الجواذب إلى اللّه الرادعه عن الالتفات إلى ما سواه و قد ورد التقوى بمعنى الخشيه من اللّه تعالى فى أوّل النساء «يا أَيُّهَا النّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ» و مثله فى أوّل الحجّ،و فى الشعراء «إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَ لا تَتَّقُونَ» و كذلك قول هود و صالح و لوط و شعيب لقومهم،و فى العنكبوت و إبراهيم «إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللّهَ وَ اتَّقُوهُ» و قوله «اتَّقُوا اللّهَ حَقَّ تُقاتِهِ» و قوله «وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوى» و كذلك فى سائر آيات القرآن و إن كان قد حمله بعض المفسّرين تاره على الإيمان كما فى قوله تعالى «وَ أَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوى» و تاره على التوبه كما فى قوله «وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا» و تاره على ترك المعصيه كما فى قوله «وَ أْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها وَ اتَّقُوا اللّهَ» و إذا عرفت ذلك فاعلم أنّه لمّا نبّههم على لزوم التقوى و أنّه مخلص من تقحّم الشبهات نبّههم بعده على أنّهم فى الشبهات مغمورون بقوله ألا و إنّ بليّتكم قد عادت

كهيئتها يوم بعث اللّه نبيّه ،و أشار ببليّتهم إلى ما هم عليه من اختلاف الأهواء و تشتّت الآراء و عدم الالفه و الاجتماع فى نصره اللّه عن شبهات يلقيها الشيطان على الأذهان القابله لوسوسته المقهوره فى يده.و ذلك من أعظم الفتن الّتى بها يبتلى اللّه عباده «وَ نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً وَ إِلَيْنا تُرْجَعُونَ» و هى امور تشبه ما كان الناس عليه حال بعثه الرسول صلى اللّه عليه و آله و فى ذلك تنبيه لهم على أنّهم ليسوا من تقوى اللّه فى شىء إذ عرفت أنّ مجانبه الشبهه من لوازم التقوى فكان وقوعهم فيها مستلزما لسلب التقوى عنهم ثمّ لمّا بيّن وقوعهم فى البليّه كما كانت أقسم بالقسم البارّ لينزلنّ بهم ثمره ما هم فيه من عدم التناصر و اتّباع الأهواء الباطله و ذكر امورا ثلاثه:أحدها كنايه البلبله و كنّى بها عمّا يوقع بنو اميّه و غيرهم من امراء الجور من الهموم المزعجه و خلط بعضهم ببعض و رفع أراذلهم و حطّ أكابرهم عمّا يستحقّ كلّ من المراتب . الثانى استعاره بالكنايه السجع المتوازى الغربله و كأنّها كنايه عن التقاط آحادهم و قصدهم بالأذى و القتل كما فعل بكثير من الصحابه و التابعين و فى ذلك تشبيه لفعلهم ذلك بغربله الدقيق و نحوه لتمييز شىء منه عن شىء و لذلك استعير له لفظها و فى هذين القرينتين السجع المتوازى .الثالث أن تساطوا كما تساط القدر إلى أن يعود أسفلهم أعلاهم و بالعكس و استعار لفظ السوط هاهنا مع غايته المذكوره لتصريف أئمّه الجور لهم ممّن يأتى بعده بسائر أسباب الإهانه و تغيير القواعد عليها فى ذلك الوقت و هو قريب من الأوّل .قوله و ليسبقنّ سابقون كانوا قصّروا و ليقصّرنّ سبّاقون كانوا سبقوا إشاره إلى بعض نتائج تقلّب الزمان بهم قال بعض الشارحين:إنّه أشار بالمقصّرين الّذين يسبقون إلى قوم قصّروا عن نصرته فى مبدء الأمر حين وفاه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ثمّ نصروه فى ولايته و قاتلوا معه فى سائر حروبه و بالسابقين الّذين يقصّرون إلى من كانت له فى الإسلام سابقه ثمّ يخذله و ينحرف عنه و يقاتله و يشبه أن يكون مراده أعمّ من ذلك فالمقصّرون الّذين يسبقون كلّ من أخذت العنايه الإلهيّه بيده و قاده زمام التوفيق إلى الجدّ فى طاعه اللّه و اتّباع سائر أوامره و الوقوف عند نواهيه و زواجره بعد تقصيره فى ذلك،و عكس هؤلاء من كان فى مبدء الأمر مشمرا فى سلوك سبيل اللّه ثمّ جذبه هواه إلى غير ما كان عليه و سلك به الشيطان مسالكه فاستبدل بسبقه فى الدين تقصيرا و انحرافا عنه .قوله و اللّه ما كتمت و شمه و لا كذبت كذبه

أقسم أنّه لم يكتم أثرا سمعه من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فى هذا المعنى و كلمه ممّا يتعيّن عليه أن يبوح به و أنّه لم يكذب قط،و هذا القسم شهاده لما قبله من الإخبار بما سيكرن أنّه كان قال ،و توطيه لما بعده أنّه كما هو ذلك قوله، و لقد نبّئت بهذا المقام أى مقام بيعه الخلق له و هذا اليوم أى يوم اجتماعهم عليه و كلّ ذلك تنفير لهم عن الباطل إلى الحقّ و تثبيت لهم على اتّباعه ثمّ لمّا أمرهم بالتقوى و أنبأهم بما سيكون عاقبه أمرهم فى لزومهم لبلّيتهم و تورّطهم فى الشبهات أردف ذلك بالتنفير عن الخطايا و الترغيب فى التقوى بالتنبيه على ما يقود إليه كلّ منهما . استعاره قوله ألا و إنّ الخطايا خيل شمس حمل عليها أهلها و خلعت لجمها فتقحّمت بهم فى النار .استعمال لفظ الخيل للخطايا ثمّ وصفها بالوصف المنفر و هو الشموس و الهيئه المانعه لذى العقل من ركوبها و هى كونها مع شموسها مخلوعه اللجم،و وجه الاستعاره ظاهر فإنّ الفرس الشموس الّتى خلع لجامها لمّا كانت تتقحّم براكبها المهالك و تجرى به على غير نظام فكذلك راكب الخطيئه لمّا جرى به ركوبها على غير نظام الشريعه و خلع بذلك لجام الأوامر الشرعيه و حدود الدين لا جرم كانت غايته من ركوبه لها أن يتقحّم أعظم موارد الهلاك و هى نار جهنّم و ذلك من لطيف الاستعاره ،قوله ألا و إنّ التقوى مطايا ذلل حمل عليها أهلها و اعطوا أزمّتها فأوردتهم الجنّه استعار أيضا لفظ المطايا بالوصف الحسن الموجب للميل إليها و هو كونها ذللا،و بالهيئه الّتى ينبغى للراكب و هو أخذ الزمام و أشار بالأزمّه إلى حدود الشريعه الّتى يلزمها صاحب التقوى و لا يتجاوزها،و لمّا كانت المطيّه الذلول من شأنها أن تتحرّك براكبها على وفق النظام الّذى ينبغى و لا يتجاوز الطريق المستقيم بل يصرفها بزمامها و تسير به على تؤوده فيصل بها إلى المقاصد كذلك التقوى فسهوله طريق السالك إلى اللّه بالتقوى و راحته عن جموح الهوى به فى موارد الهلكه يشبه ذلّه المطيّه، و حدود اللّه الّتى بها يملك التقوى و يستقر عليه يشبه أزمّه المطايا الّتى بها تملك و كون التقوى موصلا لصاحبه بسلامه إلى السعاده الأبديّه الّتى هى أسنى المطالب يشبهها غايه سير المطيّ الذلول براكبها،و الاستعاره فى الموضعين استعاره لفظ المحسوس للمعقول ثمّ لمّا بيّن أنّ هاهنا طريقين مركوبين مسلوكين طريق الخطايا و طريق التقوى ذكر بعده أنّهما حقّ و باطل فكأنّه قال و هما حقّ و هو التقوى و باطل و هو الخطايا ،ثمّ قال و لكلّ أهل

أى و لكلّ من طريقى الحقّ و الباطل قوم أعدّهم القدر لسلوكها بحسب ما جرى فى اللوح المحفوظ بقلم القضاء الإلهىّ كما قال الرسول صلى اللّه عليه و آله:كلّ ميسّر لما خلق له قوله فلئن أمر الباطل لقديما فعل و لئن قلّ الحقّ فلربّما و لعلّ ،أردف لذلك بما يشبه الاعتذار لنفسه و لأهل الحقّ فى قلّته،و ذمّ و توبيخ لأهل الباطل على كثره الباطل،و قلّه الحقّ فى ذلك الوقت ليس بديعا حتّى أجهد نفسى فى الإنكار على أهله ثمّ لا يسمعون و لا ينتهون،و فى قوله لربّما و لعلّ تنبيه على أنّ الحقّ و إن قلّ فربّما يعود يسيرا ثمّ أردف حرف التقليل و هو ربّما بحرف التمنّى،و كان فى هذه الأحرف الوجيزه إخبار بقلّه الحقّ و وعد بقوّته مع نوع تشكيك فى ذلك و تمنّى لكثرته .قوله و لقلّما أدبر شىء فأقبل استبعاد لرجوع الحقّ إلى الكثره و القوّه بعد قلّته و ضعفه على وجه كلّى فإنّ زوال الاستعداد للأمر مستلزم لزوال صورته و صوره الحقّ إنّما افيضت على قلوب صفت و استعدّت لقبوله فإذا أخذ ذلك الاستعداد فى النقصان بموت أهله أو بموت قلوبهم و تسوّد ألواح نفوسهم بشبه الباطل فلا بدّ أن ينقض نور الحقّ و تكثر ظلمه الباطل بسبب قوّه الاستعداد لها و ظاهر أنّ عود الحقّ و إصاءه نوره بعد إدباره و إقبال ظلمه الباطل أمر بعيد و قلّ ما يعود مثل ذلك الاستعداد لقبول مثل تلك الصوره للحقّ و لعلّه يعود بقوّه فيصبح ألواح النفوس و أرضها مشرقه بأنوار الحقّ و يكرّ على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق،و ما ذلك على اللّه بعزيز،و فى ذلك تنبيه لهم على لزوم الحقّ و بعث على القيام به كيلا يضمحلّ بتخاذلهم عنه فلا يمكنهم تداركه،و باللّه التوفيق.

القسم الثانى

اشاره

شُغِلَ مَنِ الْجَنَّهُ وَ النَّارُ أَمَامَهُ- سَاعٍ سَرِيعٌ نَجَا وَ طَالِبٌ بَطِیءٌ رَجَا- وَ مُقَصِّرٌ فِی النَّارِ هَوَی- الْیَمِینُ وَ الشِّمَالُ مَضَلَّهٌ وَ الطَّرِیقُ الْوُسْطَی هِیَ الْجَادَّهُ- عَلَیْهَا بَاقِی الْکِتَابِ وَ آثَارُ النُّبُوَّهِ- وَ مِنْهَا مَنْفَذُ السُّنَّهِ وَ إِلَیْهَا مَصِیرُ الْعَاقِبَهِ- هَلَکَ مَنِ ادَّعَی وَ «خابَ مَنِ افْتَری» - مَنْ أَبْدَی صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَکَ وَ کَفَی بِالْمَرْءِ

جَهْلًا أَلَّا يَعْرِفَ قَدْرَهُ- لَا يَهْلِكُ عَلَى التَّقْوَى سِنْخُ أَصْلٍ- وَ لَا يَظْمَأُ عَلَيْهَا زَرْعُ قَوْمٍ- فَاسْتَتِرُوا فِی بُیُوتِکُمْ «وَ أَصْلِحُوا ذاتَ بَیْنِکُمْ» - وَ التَّوْبَهُ مِنْ وَرَائِکُمْ- وَ لَا یَحْمَدْ حَامِدٌ إِلَّا رَبَّهُ وَ لَا یَلُمْ لَائِمٌ إِلَّا نَفْسَهُ أقول:قد عرفت كون هذا الفصل من الخطبه الّتى ذكرناها،

اللغه

و الجادّه معظم الطريق ، و الصفحه الجانب ،و السنخ الأصل ،و ذات البين حقيقته ،و الخيبه عدم حصول المطلوب .

المعنى

و اعلم أنّ تقدير القضيّه الاولى أنّ من كانت النار و الجنّه أمامه فقد جعل له بهما شغل يكفيه عن كلّ ما عداه فيجب عليه أن لا يشتغل إلاّ به،و أشار بذلك الشغل إلى ما يكون وسيله إلى الفوز بالجنّه و النجاه من النار ممّا نطقت به الكتب المنزله و حثّ على لزومه الرسل،و أشار بكون الجنّه و النار أمامه إلى أحد أمرين:أحدهما أن يكون المراد كون الجنّه و النار ملاحظتين له متذكّرا لهما مدّه وقته فهما أمامه و نصب خياله و من كان كذلك فهو فى شغل بهما عن غيرهما.الثانى أن يكون كونهما أمامه أى أنّه لمّا كان الإنسان من مبدء عمره إلى منتهاه مسافرا إلى اللّه تعالى فهو فى انقطاع سفره لا بدّ و أن ينتهى إمّا إلى الجنّه أو إلى النار فكانتا أمامه فى ذلك السفر و غايتين يؤمّهما الإنسان و ينتهى إليهما و من كان أبدا فى السفر إلى غايه معيّنه فكيف يليق به أن يشتغل بغير مهمّات تلك الغايه و الوسيله إليهما،و إنّما قال شغل بالبناء للمفعول لأنّ المقصود هاهنا ليس إلاّ ذكر الشغل أو لأنّه لمّا كان الشاغل هو اللّه تعالى بإيجاد الجنّه و النار و الترغيب فى إحداهما و الترهيب من الاخرى كان ترك ذكره للتعظيم و الإجلال أو لظهوره ثمّ أنّه لمّا نبّه على وجوب الاشتغال بالجنّه و النار عن غيرهما قسّم الناس بالنسبه إلى ذلك الاشتغال إلى ثلاثه أقسام و ذلك قوله ساع سريع نجا،و طالب بطىء رجا،و مقصّر فى النار هوى، و وجه الحصر فى هذه القسمه أنّ الناس بعد الأنبياء عليهم السّلام إما طالبون للّه أو تاركون و الطالبون إمّا بغايه جدّهم و اجتهادهم و بذل وسعهم و طاقتهم فى الوصول إلى رضوانه أو بالبطؤ و التأنّى فهذه ثلاثه

أقسام لا مزيد عليها و إن كان قسما الطالبين على مراتب و درجات متفاوته،و القسم الأوّل هم الفائزون بقصب السبق و الناجون من عذاب النار كما قال تعالى «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنّاتٍ وَ نَعِيمٍ فاكِهِينَ بِما آتاهُمْ رَبُّهُمْ وَ وَقاهُمْ رَبُّهُمْ عَذابَ الْجَحِيمِ» ۱و هذا القسم يشمل الأنبياء لولا إفرازه لهم فى قسم رابع إذ قسّم الخلق فى الخطبه إلى خمسه أقسام،و الثالث المقصّر الّذى وقف به الشيطان حيث أراد آخذا بحجزته عن سلوك سبيل اللّه قاذفا به فى موارد الهلاك و منازل الشقاء،و ظاهر أنّه فى النار« «فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النّارِ لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَ شَهِيقٌ » » ۲أمّا القسم الثانى فذو وصفين يتجاذبانه من جهتى السفاله و العلوّ فطلب الجنّه إلى جهه بحركته و سلوكه إلى اللّه و إن ضعف جاذب له إلى جهه العلوّ،و يد الشيطان جاذبه إلى جهه السفاله إلاّ أنّ رجاه لعفو اللّه و نظره إليه بعين رحمته إذا انضاف إلى حركته البطيئه كانت السلامه عليه أغلب وجهه العلوّ منه أقرب،و ينبغى أن نشير إلى حقيقه الرجاء ليتّضح ما قلناه،فنقول:

الرجاء هو ارتياح النفس لانتظار ما هو محبوب عندها فهو حاله لها تصدر عن علم،و تقتضى عملا بيان ذلك أنّ ما يتصوره النفس من محبوب أو مكروه فإمّا أن يكون موجودا فى الماضى أو فى الحال أو يوجد فى الاستقبال،و الأوّل يسمّى ذكرا و تذكيرا،و الثانى يسمّى وجدا لوجدان النفس له فى الحال،و الثالث و هو أن يغلب على ظنّك وجود شىء فى الاستقبال لنفسك به تعلّق فسمّى ذلك انتظارا و توقّعا فإن كان مكروها حدث منه فى القلب تألّم يسمّى خوفا و إن كان محبوبا حصل من انتظاره و تعلّق القلب به لذّه للنفس و ارتياح بإخطار وجوده بالبال يسمّى ذلك الارتياح رجاء و لكن ذلك المتوقّع لا بدّ و أن يكون لسبب فإن كان توقّعه لأجل حصول أكثر أسبابه فاسم الرجاء صادق عليه،و إن كان انتظاره مع العلم بانتفاء أسبابه فاسم الغرور و الحمق عليه أصدق،و إن كانت أسبابه غير معلومه الوجود و لا الانتفاء فاسم التمنّى أصدق على انتظاره.إذا عرفت ذلك،فاعلم أنّ أرباب العرفان قد علموا أنّ الدنيا مزرعه الآخره فالنفس هى الأرض و بذرها حبّ المعارف الإلهيّه،و سائر أنواع الطاعات جاريه مجرى إصلاح هذه الأرض من تقليبها و إعدادها للزراعه،و سياقه الماء إليها،و النفس المستغرقه بحبّ الدنيا

و الميـل إليهـا كالأرض السـبخه الّتى لا تقبل الزرع و الإنبات لمخالطه الأجزاء الملحيّه،و يوم القيامه يوم الحصاد إلّا من زرع.و لا زرع إلاّـ من بـذر،و كمـا لا ينفع الزرع فى أرض سـبخه كـذلك لا ينفع إيمان مع خبث النفس و سوء الأخلاق،فينبغى أن يقاس رجـاء العبـد لرضـوان اللّه برجـاء صـاحب الزرع،و كمـا أنّ من طلب أرضـا طيّبه،و بـذرها فى وقت الزراعه بـذرا غير متعفّن و لا يتكاهـل ثمّ أمـدّه بالماء العـذب و سائر ما يحتاج إليه فى أوقاته ثمّ طهّره عن مخالفه ما يمنع نباته من شوك و نحوه ثم انتظر من فضل اللّه رفع الصواعق و الآفات المفسده إلى تمام زرعه و بلوغ زرعه غايته،كان ذلك رجاء فى موضعه و استحقّ اسم الرجاء إذ كان فى مظنّه أن يفوز بمقاصـده من ذلك الزرع،و من بـذر فى أرض كـذلك إلاّ أنّه بـذر فى اخريات الناس و لم يبادر إليه فى أوّل وقته أو قصّر فى بعض أسبابه ثمّ أخذ ينتظر ثمره ذلك الزرع و يرجو اللّه فى سلامته له فهو من جمله الراجين أيضا،و من لم يحصل على بذر أو بذر فى أرض سبخه أو ذات شاغل من الإنبات ثمّ أخذ ينتظر الحصاد فذلك الانتظار حمق.فكان اسم الرجاء إنّما يصـدق على انتظار ما حصل جميع أسـبابه أو أكثرها الـداخله تحت اختيار العبد و لم يبق إلاّ ما لا يدخل تحت اختياره و هو فضل اللّه تعالى بصرف القواطع و المفسـدات،كـذلك حال العبـد إن بـذر المعارف الإلهيّه فى أرض نفسه فى وقته و هو مقتبل العمر و مبتـدأ التكليف،و دام على سـقيه بالطاعـات و اجتهـد فى طهـاره نفسه عن شوك الأخلاـق الرديئه الّتى تمنع نماء العلم و زياده الإيمان و انتظر من فضل اللّه تعالى أن يثبته على ذلك إلى زمان وصوله و حصاد عمله فذلك الانتظار هو الرجاء المحمود و هو درجه السابقين،و إن ألقى بذر الايمان فى نفسه لكنّه قصّـر فى بعض أسـبابه إمّا ببطؤه فى البذر أو فى السقى إلى غير ذلك ممّا يوجب ضـعفه ثمّ أخذ ينتظر وقت الحصاد و يتوقّع من فضل اللّه تعالى أن يبارك له فيه و يعتمد على أنّه هو الرزّاق ذو القوّه المتين فيصدق عليه أيضا أنّه راج إذ أكثر أسـباب المطلوب الّتى من جهته حاصله و هذه درجه القسم الثانى و هو الطالب الراجى البطىء،و إن لـم يزرع مـن قواعـد الإيمـان فى نفسه شـيئا أصـلا أو زرع و لم يسـقه بمـاء الطـاعه أو ترك نفسه مشغوله بشـوك الأخلاـق الرديئـه و انهمـك فى طلب آفـات الـدنيا ثمّ انتظر المغفره و الفضـل من اللّه فـذلك الانتظـار غرور و ليس برجـاء فى الحقيقه و ذلك هو القسم الثالث و هو المقصّر فى أسباب الزراعه و تحصيل

زاد الآخره الهالک أسفا یوم الحسره و الندامه یقول« «لا یُوثِقُ وَثاقَهُ أَحَدٌ » »۱و فی المعنی ما قیل: إذا أنت لم تزرع و عاینت حاصدا ندمت علی التفریط فی زمن البذر.

قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله:الأحمق من اتّبع نفسه هواها و تمنّی علی اللّه.و قال «فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْکِتابَ یَأْخُذُونَ عَرَضَ هذَا الْأَدْنی وَ یَقُولُونَ سَیُغْفَرُ لَنا» و إنّما خصّص علیه السّلام القسم الثانی بالرجاء إذ کان کما علمت عمدته لضعف عمله و قلّه الأسباب من جهته،و إلی هذه الأقسام الثلاثه أشار القرآن الکریم بقوله «فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَیْراتِ بِإِذْنِ اللّهِ ذلِکَ هُوَ الْفَضْلُ الْکَبِیرُ» ۲و إن اختلفت مبدء الرتبتین.

قوله الیمین و الشمال مضلّه و الطریق الوسطی هی الجادّه .لمّا قسّم الناس إلی سابقین و لا حقین و مقصّرین أشار لهم إلی الطریق الّتی أخذ اللّه علیهم سلوکها و نصب لهم علیها أعلام الهدی لیصلوا بها إلی جناب عزّته سالمین عن تخطّفات الشیاطین،و میّزها عن طریق الضلال.

و لمّا علمت أنّ طریق السالکین إلی اللّه إمّا العلم أو العمل،فالعلم طریق القوّه النظریّه، و العمل طریق القوّه العملیّه و کلّ منهما محتو برذیلتین هما طرفا التفریط و الإفراط کما علمته و الوسط منهما هو العدل و الطریق الوسطی و هی الجادّه الواضحه لمن اهتدی و هی الّتی علیها ما فی الکتاب الإلهیّ من المقاصد الحکمیّه علیها آثار النبوّه و منفذ السنّه أی طریقها و مبدءها الّذی منه تخرج و إلیها مصیر عاقبه الخلق فی الدنیا و الآخره فإنّ من العدل بدأت السنّه و انتشرت فی الخلق،و إلیه مرجع امورهم أمّا فی الدنیا فلأنّ نظام امورهم فی حرکاتهم و سکناتهم مبنّی علیه فی القوانین الشرعیّه و إلی تلک القوانین و القواعد ترد عواقب امورهم و علیها یحملون،و أمّا فی الآخره فبالنسبه إلیه یتبیّن خسران الخاسرین و فوز الفائزین فتحکم لمن سلک و تمسّک به أوقات سفره إلی اللّه بجنّات النعیم و لمن انحرف عنه و تجاوزه بالعذاب الألیم فی نار الجحیم و کلّ واحد من طرفی الإفراط و التفریط بالنسبه إلیه هو المراد بالیمین و الشمال من ذلک الوسط و هما طریقا المضلّه لمن عدل إلیهما،و مورد الهلاک لمن سلکهما .

ص:۳۰۶

قوله هلك من ادّعى و «خابَ مَنِ افْتَرى» يحتمل أن يكون القضيّتان دعاء،و يحتمل أن يكون إخبارا أى هلك من ادّعى ما ليس له أهلا و عنى الهلاك الاخروى،و خاب من كذب أى لن يحصل مطلوبه إذا جعل الكذب وسيله إليه،و أعلم أنّ الدعوى إمّا أن يكون مطابقه لما فى نفس الأمر أو ليس كذلك،و الثانيه محرّمه مطلقا،و أمّا الاولى فإمّا أن يدعو إليها حاجه أو ليس،و القسم الأوّل هو المباح فقط دون الثانى،و إنّما حرم هذان القسمان أمّا الأوّل و هى الدعوى غير المطابقه فلأنّها تصدر عن ملكه الكذب تاره و عن الجهل المركّب تاره كالجهل بالأمر المدّعى لحصوله عن شبهه رسخت فى ذهنه و كلاهما من أكبر الرذائل و أعظم المهلكات فى الآخره،و أمّا الثانيه و هى المطابقه لا عن حاجه فلأنّها تكاد لا تصدر عن الإنسان إلاّ عن رذيله العجب و ستعلم أنّه من المهلكات.قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:ثلاث مهلكات:شحّ مطاع،و هوى متّبع،و إعجاب المرء بنفسه.و أمّا خيبه المفترى فلأنّ الفريه اختلاف ما ليس بحقّ و ظاهر أنّ الكذب لا ثمره له أمّا فى الآخره فظاهر و أمّا فى الدنيا فقد يكون و قد لا يكون و إن كانت ففى معرض الزوال و مستلزمه لسخط اللّه فهى بمنزله ما لم يكن و صاحبها أشدّ خيبه من عادمها و طالب الأمر بالفريه على كلّ تقدير خاسر خائب.قال بعض الشارحين:أراد هلك من ادّعى الإمامه من غير استحقاق،و «خابَ مَنِ افْتَرى» فى دعواه لها لأنّ كلامه فى هذه الخطبه كثيرا ما يعرض فيه بأمر الإمامه.

قوله من أبدى صفحته للحقّ هلك[عند جمله(جهله خ)الناس]و كفى بالمرء جهلا أن لا يعرف قدره .تنبيه على أنّ المتجرّد لإظهار الحقّ فى مقابله كلّ باطل ورد من الجهال،و حملهم على مرّ الحقّ و صعبه فى كلّ وقت يكون فى معرض الهلاك بأيديهم و ألسنتهم إذ لا يعدّ منهم من بوليه المكروه و يسعى فى دمه،ثمّ أراد التنبيه على الجهل فذكر أدنى مراتبه و نبّه بها على أنّ أقلّ الجهل كاف فى الرذيله فكيف بكثيره و ذلك قوله و كفى بالمرء جهلا أن لا يعرف قدره و أراد مرتبته فى الناس و عدم تصوّره لدرجه نفسه و منزلتها بالنسبه إلى آحادهم و كفى بهذا القدر مهلكا فإنّه منشأ كثير من الرذائل المهلكه كالكبر و العجب و قول الباطل و ادّعاء الكمال للناقصين و تعدّى الطور فى أكثر الأحوال كما قال عليه السّلام فى موضع آخر،رحم اللّه امرء عرف قدره و لم يتعدّ طوره،و فى هذه الكلمه تنفير للسامعين عن الجهل بقدر ما يتصوّرونه

من وجوب التجرّد للحقّ و نصرته،و ربّما يستفهم منها تعليم كيفيّه استجلاب طباع الجهّال و تأنيسهم و هو أنّهم لا ينبغى أن يقابلوا بالحقّ دفعه و يتجرّد فى مقابلتهم به على كلّ وجه فإنّ ذلك ممّا يوجب نفارهم و عدم نظام أحوالهم بل ينبغى أن يؤنسوا به على التدريج قليلا-قليلا-و ربّما لم يكن تأنيسهم بالحقّ فى بعض الامور إمّا لغموض الحقّ بالنسبه إلى أفهامهم أو لقوّه اعتقادهم الباطل فى مقابلته فينخدعوا عن ذلك بالحقّ فى صوره الباطل و ظاهره و ذلك كما ورد فى القرآن الكريم و السنن النبويّه من صفات التجسيم و ما لا يجوز أن يحمل على ظاهره فى حقّ الصانع الحكيم فإنّ حمله على ظاهره كما يتصوّره جهّال الناس أمر باطل لكنّه لمّا كان سبب إيناسهم و جمع قلوبهم على اعتقاد الصانع و به نظام امورهم ورد الشرع به.

كنايه قوله لا يهلك على التقوى سنخ أصل و لا يظمأ عليها زرع قوم .تنبيه على لزوم التقوى باعتبارين:أحدهما أنّ كلّ أصل بنى على التقوى فمحال أن يهلك و يلحق بانيه خسران كما قال تعالى «أَ فَمَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى تَقْوى مِنَ اللّهِ وَ رِضْوانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى شَفا جُرُفٍ هارٍ» ١الثانى أنّ من زرع زرعا اخرويّا كالمعارف الإلهيّه فى أرض نفسه مثلا أو دنيويّا كالأعمال الّتى بها تقوم مصالح الإنسان فى الدنيا و سقاها ماء التقوى و جعله مادّتها فإنّه لا يلحق ذلك الزرع ظمأ بل عليه ينشأ بأقوى ساق و أزكى ثمره،و استعمال الزرع و الأصل كنايه عمّا ذكرناه .

قوله فاستتروا ببيوتكم «وَ أَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ» و التوبه من ورائكم .قد عرفت أنّ هذا الفصل مقدّم فى الخطبه على قوله من أبدى صفحته للحقّ هلك ،و هو مسبوق بالتهديد و وارد فى معرضه و هو قوله ألا و إنّ اللّه قد جعل أدب هذه الامّه السوط و السيف ليس عند إمام فيهما هواده أى مصالحه و سكون فاستتروا ببيوتكم و هو حسم لمادّه الفتنه بينهم بلزوم البيوت عن الاجتماع للمنافرات و المفاخرات و المشاجرات،و لذلك أردفه بقوله «وَ أَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ» فإنّ قطع مادّه الفتنه سبب لإصلاح ذات البين قوله و التوبه من ورائكم تنبيه للعصاه على الرجوع إلى التوبه عن الجرى فى ميدان المعصيه و اقتفاء أثر الشيطان و كونها وراء

لأنّ الجواذب الإلهيّه إذا أخذت بقلب العبد فجذبته عن المعصيه حتّى أعرض عنها و التفت بوجه نفسه.إلى ما كان معرضا عنه من الندم على المعصيه و التوجّه إلى القبله الحقيقيّه فإنّه يصدق عليه إذن أنّ التوبه ورائه أى وراء عقليّا و هو أولى من قول من قال من المفسّرين إنّ ورائكم بمعنى أمامكم.

قوله و لا يحمد حامد إلاّ ربّه و لا يعلم لائم إلاّ نفسه .تأديب لهم بالتنبيه على قصر الحمد و الثناء على اللّه دون غيره و أنّه مبدء كلّ نعمه يستحقّ بها الحمد كما سبقت إليه الإشاره،و على قصر اللائمه على النفس عند انحرافها عن جهه القبله الحقيقيّه إلى متابعه إبليس و قبولها لدعوته من غير سلطان،و إلى أصل هاتين الكلمتين أشار القرآن الكريم «ما أَصابَكَ مِنْ حَسَنَهٍ فَمِنَ اللّهِ وَ ما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَهٍ فَمِنْ نَفْسِكَ» ۱فكلّ حسنه أصابت العبد من ربّه فهى مبدء لحمده و شكره،و كلّ سيّئه أصابته من نفسه فهو مبدء للائمّه نفسه،فأمّا قول السيّد-رحمه اللّه-إنّ فى الكلام من مواقع الإحسان ما لا تبلغه مواقع الاستحسان إلى آخره،فالإحسان مصدر قولك أحسن الرجل إحسانا إذا فعل فعلا-حسنا و مواقع الإحسان محاسن الكلام الّتى أجاد فيها و أحسن و مواقع الاستحسان إمّا سائر محاسن كلام العرب أى أنّ شيئا من محاسن كلام العرب و ما يقع عليه الاستحسان منها لا يوازى هذا الكلام و لا يبلغه،أو يشير بمواقع الاستحسان إلى الفكر من الناس فإنّها محالّ الاستحسان أيضا إذ الاستحسان من صفات المستحسن أى أنّ الفكر لا-يصل إلى محاسن هذا الكلام،و قوله و إنّ حظّ العجب منه أكثر من حظّ العجب به يريد أنّ تعجّب الفصحاء من حسنه و بدائعه أكثر من عجبهم باستخراج محاسنه و ذلك لأنّ فيه من المحاسن وراء ما يمكنهم التعبير عنها امور كثيره فهم يجدونها من أنفسهم و إن لم يمكنهم التعبير عنها فيكون تعجّبهم من محاسنه أكثر من إعجابهم من أنفسهم بما يقدرون على استخراجه منها.أو اريد بأكثر من عجبهم به أى أكثر من محبّتهم له و ميلهم إليه،و باقى كلامه ظاهر و باللّه التوفيق.

ص:۳۰۹

۱۶–و من كلام له عليه السّلام

اشاره

فی صفه من يتصدی للحكم بين الأمه و ليس لذلك بأهل

ص:۳۱۰

اللغه

أقول: وكلّه إلى نفسه جعل توكّله عليها ،و الجائر العادل عن الطريق و فلان مشغوف بكذا بالغين المعجمه إذا بلغ حبّه إلى شغاف قلبه و هو غلافه،و بغير المعجمه إذا بلغ إلى شعفه قلبه و هى عند معلّق النّيات ،و القمش جمع الشىء المتفرّق و المجموع قماش ، و الموضع بفتح الضاد المطرح و بكسرها المسرع ،و الغارّ الغافل ،و أغباش الليل ظلمته،و قال ابو زيد:الغبش البقيّه من الليل و روى أغطاش الفتنه و الغطش الظلمه ،و الهدنه الصلح ، و المبهمات المشكلات و أمر مبهم إذا لم يعرف ،و الرثّ الضعيف البالى ،و عشوت الطريق بضوء النار إذا تبيّنته على ضعف ،و الهشيم اليابس من نبت الأرض المتكسّر ،و العجّ رفع الصوت ،و البائر الفاسد .

المعنى

و اعلم أنّه أخذ أوّلا ـ فى التنفير على الرجلين المشار إليهما بذكر أنّهما من أبغض الخلائق إلى اللّه تعالى و لمّا كانت إراده اللّه للشىء و محبّته له عائده إلى علمه بكونه على وفق النظام الكلىّ التامّ للعالم كانت كراهيّته و بغضه له عائده إلى علمه بكونه على ضدّ مصلحه العالم و خارجا عن ذين الرجلين علمه بكون أفعالهما و أقوالهما خارجه عن المصلحه.

قوله رجل وكلّه اللّه إلى نفسه فهو و جائر عن قصد السبيل إلى قوله بخطيئته .بيان لأحد رجلين و تمييز له،و ذكر له أوصافا:الأوّل أنّه و كلّه اللّه إلى نفسه أى جعله متوكّلا ـ عليها دونه،و اعلم أنّ التوكيل مأخوذ من الوكاله يقال:وكلّ فلان أمره إلى فلان إذا فوضّه إليه و اعتمد عليه فالتوكّل عباره عن اعتماد القلب على الوكيل وحده.إذا

ص:٣١١

عرفت ذلک فنقول:من اعتقد جزما و ظنّا بأنّ نفسه أو أحدا غير اللّه تعالى ممّن ينسب إليه التأثير و القدره هو المتمکّن من الفعل و أنّه تامّ القدره على تحصيل مراده و الوفاء به فإنّ ذلک من أقوى الأسباب المعدّه لأن يفيض اللّه على قلبه صوره الاعتماد على المعتقد فيه و التوکّل عليه فيما يريده،و ذلک معنى قوله وکّله اللّه إلى نفسه ،و کذلک معنى الوکول إلى الدنيا و ذلک بحسب اعتقاد الإنسان أنّ المال و القينات الدنيويّه وافيه بمطالبه و تحصيلها مغنيه له عمّا وراءها،و بحسب قوّه ذلک التوکّل و ضعفه يکون تفاوت بغض اللّه تعالى للعبد و محبّته له،و بعده و قربه منه فلن يخلص إذن العبد من بغض اللّه إلاّ بالتوکّل عليه حقّ توکّله.قال اللّه تعالى «إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ» و هو أعظم مقام وسم صاحبه بمحبّه اللّه فمن کان اللّه حسبه و کافيه و محبّه و مراعيه فقد فاز الفوز العظيم،فإنّ المحبوب لا يبغض و لا يعذّب و لا يبعّد و لا يحجب.و قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:من انقطع إلى اللّه کفاه کلّ مؤنه و رزقه من حيث لا يحتسب،و من انقطع إلى الدنيا وکّله اللّه تعالى إليها،و صوره المتوکّل عليه أن تثبت فی نفسک بکشف أو اعتقاد جازم أنّ استناد جميع الأسباب و المسبّبات إليه سبحانه و أنّه الفاعل المطلق تامّ العلم و القدره على کفايه العباد تامّ العفو و الرحمه و العنايه بخلقه حيث لا يکون وراء قدرته و علمه و عنايته رحمه و عنايه،و لم يقع فی نفسک التفات إلى غيره بوجه حتّى نفسک و حولک و قوّتک فإنّک و الحال هذه تجد من نفسک تسليم امورها بالکلّيّه إليه و البراءه من التوکّل على أحد إلاّ عليه،فإن لم تجد من نفسک هذه الحال فسبب ذلک ضعف الأسباب المذکوره أو بعضها و غلبه الوهم على النفس فی معارضته لذلک اليقين،و بحسب ضعف تلک الأسباب و شدّتها و زيادتها و نقصانها يکون تفاوت درجات التوکّل على اللّه تعالى.الثانی کونه جائرا عن قصد السبيل أی قصد سبيل اللّه العدل و صراطه المستقيم،و علمت أنّ الجور هو طرف الإفراط من فضيله العدل،الثالث کونه مشعوفا بکلام بدعه أی معجب بما يخطر له و يبتدعه من الکلام الّذی لا أصل له فی الدين و يدعو به الناس إلى الضلاله و الجور عن القصد،و هذا الوصف لازم عمّا قبله فإنّ من جار عن قصد السبيل بجهله فهو يعتقد أنّه على سواء السبيل فکان ما يتخيّله من ذلک الکمال الّذی هو نقصان فی الحقيقه مستلزما لمحبّه قول الباطل و ابتداع المحال فهو من الأخسرين

أعمالا« اَلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى الْحَياهِ الدُّنْيا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ » ۱الرابع كونه فتنه لمن افتتن به و هو أيضا لازم عن الوصف الثالث فإنّ محبّه قول الباطل و الدعوه إلى الضلاله سبب لكونه فتنه لمن اتّبعه.الخامس كونه ضالاّ عن هدى من كان قبله و هذا الوصف كالثانى فإنّ الضالّ عن الهدى جائر عن قصد السبيل إلاّ أنّ هاهنا زياده إذ الجائر عن القصد قد يجور و يضلّ حيث لا هدى يتبعه و الموصوف هاهنا جائر و ضالّ مع وجود هدى قبله مأمور باتّباعه و هو كتاب اللّه و سنّه رسوله و إعلام هداه الحاملون لدينه الناطقون عن مشكاه النبوّه و ذلك أبلغ فى لائمته و آكد فى وجوب عقوبته.السادس كونه مضلاّ لمن اهتدى به فى حياته و بعد وفاته و هذا الوصف مسبّب عمّا قبله إذ ضلال الإنسان فى نفسه سبب لإضلاله غيره و يفهم منه ما يفهم من الرابع مع زياده فإنّ كونه فتنه لغيره و هو كونه مضلاّ لمن اهتدى به و أمّا الزياده فكون ذلك الإضلال فى حياته و هو ظاهر و بعد موته لبقاء العقائد الباطله المكتسبه عنه فهى سبب ضلال الضالّين بعده.السابع كونه حمّالا لخطايا غيره و هو لازم عن السادس فإنّ حمله لأوزار من يضلّه إنّما هو بسبب إضلاله له.الثامن كونه رهنا بخطيئته أى موثوق بها عن الصعود إلى حضره جلال اللّه و إلى هذين الوصفين أشار القرآن الكريم بقوله «لِيَحْمِلُوا أَوْزارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ الْقِيامَهِ وَ مِنْ أَوْزارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا ساءَ ما يَزِرُونَ» ۲و قول الرسول صلى اللّه عليه و آله:أيّما داع دعا إلى الهدى فاتّبع كان له مثل أجر من تبعه لا ينقص من أجرهم شىء و أيّما داع دعا إلى الضلاله فاتّبع كان عليه مثل وزر من تبعه و لا ينقص منه شىء،و اعلم أنّه ليس المراد من ذلك أنّه تعالى يوصل العقاب الّذى يستحقّه الأتباع إلى القاده و الرؤساء لقوله تعالى «وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلاّ ما سَعى» «أَلاّ تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى» ۳و لما دخل أحد من الناس النار أبدا بل كانت مقصوره على إبليس وحده بل المعنى أنّ الرئيس المضلّ إذا وضع سيّئه تكون فتنه للناس و ضلالا لهم لم تصدر تلك السيّئه إلاّ عن نفس قد استولى عليها الجهل المركب

المضادّ لليقين و صار ملكه من ملكاتها فيسود لوحها به عن قبول الأنوار الإلهيّه و صار ذلك حجابا بينها و بين الرحمه بحيث يكون ذلك الحجاب فى القوّه و الشدّه أضعاف حجب التابعين له و المقتدين به الناشئه عن فتنته فإنّ تلك الحجب الطاريه على قلوب التابعين مستنده إلى ذلك الحجاب و هو أصلها فلا جرم يكون وزره و سيّئته فى قوّه أوزار أتباعه و سيّئاتهم الّتى حصلت بسبب إضلاله لا كلّ سيّئاتهم من كلّ جهه و لذلك قال تعالى «وَ مِنْ أَوْزارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ» أى بعض أوزارهم و هى الحاصله بسبب المضلّين.و قال الواحدى:إنّ من فى هذه الآيه ليست للتبعيض بل لبيان الجنس و إلاّ لخفّ عن الأتباع بعض أوزارهم و ذلك يناقض قوله صلى اللّه عليه و آله من غير أن ينقص من أوزارهم شىء.قلت:هذا و إن كان حسنا إلاّ أنّ الإلزام الّذى ذكره غير لازم على كونها للتبعيض لأنّ القائل بكونها كذلك يقول إنّ المراد و ليحملوا بعض أمثال أوزار التابعين لا بعض أعيان أوزارهم،و إذا فهمت ذلك فى جانب السيّئات فافهم مثله فى جانب الحسنات و هو أنّ الواضع لحسنه و هدى يهتدى به إنّما تصدر عن نفس ذات صفاء و إشراق فأشرق على غيرها من النفوس التابعه لها فاستضائت به و تلك السنّه المأخوذه من جمله أنوارها الفائضه عنها على نفس اقتبسها فكان للنفس المتبوعه من الاستكمال بنور اللّه الّذى هو رأس كلّ هدى ما هو فى قوّه جميع الأنوار المقتبسه عن تلك السنّه و مثل لها فكان لها من الأجر و الثواب مثل ما للتابعين لها من غير نقصان فى أجر التابعين و هداهم الحاصل لهم،و إلى هذا المعنى الإشاره الوارده فى الخبر إنّ حسنات الظالم تنقل إلى ديوان المظلوم،و سيّئات المظلوم تنقل إلى ديوان الظالم فإنّك إن علمت أنّ السيّئه و الحسنه أعراض لا يمكن نقلها من محلّ إلى محلّ فليس ذلك نقلا حقيقيّا بل على وجه الاستعاره كما يقال:انتقلت الخلافه من فلان إلى غيره،و إنّما المقصود عن نقل سيّئات المظلوم إلى الظالم حصول أمثالها فى قلب الظالم و نقل حسنات الظالم إلى المظلوم حصول أمثالها فى قلبه،و ذلك لأنّ للطاعه تأثيرا فى النفس بالتنوير،و للمعاصى تأثيرا بالقسوه و الظلمه و بأنوار الطاعه تستحكم مناسبه النفس من استعدادها لقبول المعارف الإلهيّه و مشاهده حضره الربوبيّه،و بالقسوه و الظلمه تستعدّ للبعد و الحجاب عن مشاهده الجمال الإلهىّ فالطاعه مولّده لذّه المشاهده بواسطه الصفاء و النور الّذى يحدث فى النفس،و المعصيه مولّده للحجاب بواسطه القسوه و الظلمه

الّتى تحدث فيها،و بين الحسنات و السيّئات تضادّ و تعاقب على النفس كما قال تعالى «إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ» و قال «لا تُبْطِلُوا أَعْمالَكُمْ» و قال صلى اللّه عليه و آله:أتبع السيّئه بالحسنه تمحها و الآلام ممحّصات للذنوب،و لذلك قال صلى اللّه عليه و آله:إنّ الرجل يثاب حتى بالشوكه الّتى تصيب رجله،و قال:الحدود كفّارات لأهلها فالظالم يتبع شهوته بالظلم،و فيه ما يقسى القلب و يسوّد لوح النفس فيمحو أثر النور الّذى فيه من طاعته فكأنّه أحبط طاعته،و المظلوم يتألّم و تنكسر شهوته و يستكن قلبه،و يرجع إلى اللّه تعالى فتفارقه الظلمه و القسوه الّتى حصلت له من اتّباع الشهوات،فكأنّ النور انتقل من قلب الظالم إلى قلب المظلوم و انتقل السواد و الظلمه من قلب المظلوم إلى قلب الظالم،و ذلك انتقال على سبيل الاستعاره كما علمت و كما يقال انتقل ضوء الشمس من مكان إلى مكان،و قد تلخّص من هذا التقرير أن الحسنات المنقوله إلى المظلوم من ديوان الظالم هى استعداداته لقبول الرحمه و التنوير الحاصل له بسبب ظلم الظالم،و السيّئات المنقوله من ديوان المظلوم إلى الظالم هى استعداداته بالحجب و القسوه عن قبول أنوار اللّه،و الثواب و العقاب الحاصلان لهما هو ما استعدّ له من تلك الأنوار و الظلمات،و اعلم أنّ ذلك النقل و حمل الظالم أوزار المظلوم و إن كان أمرا حاصلا فى الدنيا إلاّ أنّه لمّا لم ينكشف للبصائر إلاّ فى يوم القيامه لا جرم خصّص بيوم القيامه،و إنّما قال حمّال وزن فعّال للمبالغه كثيرا ما يحمل خطايا غيره.و أمّا الرجل الثانى فميّزه بعشرين وصفا أ كونه استعاره قمش جهلا.و هى استعاره لفظ الجمع المحسوس للجمع المنقول (ب)كونه موضعا فى جهّال الامّه مطرحا ليس من أشراف الناس،و يفهم من هذا الكلام أنّه خرج فى حقّ شخص معيّن و إن عمّه و غيره(ج)كونه غاديا فى اغباض الفتنه أى سائرا فى أوائل ظلماتها،و روى غارّا أى غافل فى ظلمات الخصومات لا يهتدى لوجه تخليصها (د)كونه أعمى البصيره بما فى عقد الصلح و المسالمه بين الناس من نظام امورهم و مصالح العالم فهو جاهل بوجوه المصالح مشير للفتن بينهم(ه)كونه قد سمّاه أشباه الناس عالما و ليس بعالم،و الواو للحال و أشباه الناس الجهّال و أهل الضلال و هم الّذين يشبهون الناس الكاملين فى الصوره الحسيّه دون الصور التماميّه الّتى هى كمال العلوم و الأخلاق (و)كونه بكّر فاستكثر من جمع ما قلّ منه خير ممّا كثر.روى من جمع منوّنا و غير منوّن

أمّا بالتنوين فالجمله بعده صفه له و استعمال المصدر و هى جمع فى موضع اسم المفعول أى من مجموع،و يحتمل أن يكون المقصود هى المصدر نفسه،و أمّا مع الإضافه فقيل:إنّ ما هاهنا يحتاج فى تمام الكلام إلى تقدير مثلها معها حتّى يكون ما الأوّل هى المضاف و الثانيه هى المبتدأ،و التقدير من جمع ما الذى قلّ منه خير ممّا كثر لكنّه لمّا كان إظهار ما الثانيه يشبه التكرار و يوجب هجنه فى الكلام و كانت ما الواحده تعطى المعنى عن المقدّره كان حذفها أولى،و قيل:إنّ المقدّر المحذوف أن على طريقه تسمع بالمعيدى خير من أن تراه أى من جمع ما أن قلّ منه خير ممّا كثر،و عنى بالتكسير إلى الاستكثار من ذلك السبق فى أوّل العمر إلى جمع الشبهات و الآراء الّتى قليلها خير من كثيرها و باطلها أكثر من حقّها(ز) استعاره مرشحه كونه إذا ارتوى من ماء آجن و أكثر من غير طائل جلس بين الناس قاضيا ،و لمّا كان الاجون صفه للماء و الكمالات النفسانيّه الّتى هى العلوم كثيرا ما يعبّر عنها بالماء الصافى و الزلال و كان الجهل و الآراء الّتى حصل عليها يجمعها مع العلم جامع الاعتقاد فهى و العلم داخلان تحت جنس الاعتقاد كان الماء الآجن أشبه ما يستعار لتلك الآراء الّتى ليست بنصيحه و لا متينه فهى تشبه الماء الآجن الّذى لا غناء فيه للشارب،و رشّح،تلك الاستعاره بذكر الارتواء و جعل غايته المشار إليها من ذلك الاستكثار جلوسه بين الناس قاضيا (ح)كونه ضامنا لتلخيص ما التبس على غيره أى واثق من نفسه بفصل ما يعرض بين الناس من القضايا المشكله، و ضامنا حال ثان أو صفه للأوّل(ط)كونه إذا نزلت به إحدى القضايا المبهمه الملتبس وجه فصلها هيّألها حشوا ضعيفا من رأيه ثمّ جزم به و الحشو الكلام الكثير الّذى لا طائل تحته و ليس حلا لتلك المبهمه(ى) تشبيه كونه من لبس الشبهات فى مثل نسج العنكبوب .نسج العنكبوت مثل للامور الواهيه،و وجه هذا التمثيل أنّ الشبهات الّتى تقع على ذهن مثل هذا الموصوف إذا قصد حلّ قضيّه مبهمه تكثر فيلبس على ذهنه وجه الحقّ منها فلا يهتدى له لضعف ذهنه، فتلك الشبهات فى الوها يشبه نسج العنكبوت و ذهنه فيها يشبه الذباب الواقع فيه فكما لا يتمكّن الذباب من خلاص نفسه من شبّاك العنكبوت لضعفه كذلك ذهن هذا الرجل إذا وقع فى الشبهات لا يخلص وجه الحقّ منها لقلّه عقله و ضعفه عن إدراك وجوه الخلاص (يا) أنّه لا يدرى أصاب فيما حكم به أم أخطأ فإن أصاب خاف أن يكون قد أخطأ و إن أخطأ

رجأ أن يكون قد أصاب،و خوف الخطأ و رجاء الإصابه من لوازم الحكم مع عدم الدرايه(يب) كنايه كونه جاهلا خبّاط جهالات ،و الجهالات جمع جهله فعله من الجهل،و قد تقدم أنّ وزن فعّال يبنى للفاعل من الامور المعتاده الّتى يكثر فعلها،و ذكر الجهل هاهنا بزياده و هى كثره الخبط فيه و كنّى بذلك عن كثره الأغلاط الّتى يقع فيها فى القضايا و الأحكام فيمشى فيها على غير طريق حقّ من القوانين الشرعيّه و ذلك معنى خبطه (يج)كونه عاشيا ركّاب عشوات،و هى إشاره إلى أنّه لا يستليح نور الحقّ فى ظلمات الشبهات إلاّ على ضعف لنقصان ضوء بصيرته فهو يمشى فيها على ما يتخيّله دون ما يتحقّقه و كثيرا ما يكون حاله كذلك،و لمّا كان من شأن العاشى إلى الضوء فى الطرق المظلمه تاره يلوح له فيمشى عليه و تاره يخفى عنه فيضلّ عن القصد و يمشى على الوهم و الخيال كذلك حال السالك فى طرق الدين من غير أن يستكمل نور بصيرته بقواعد الدين و يعلم كيفيّه سلوك طرقه فإنّه تاره يكون نور الحقّ فى المسأله ظاهرا فيدركه و تاره يغلب عليه ظلمات الشبهات فتعمى عليه الموارد و المصادر فيبقى فى الظلمه خابطا و عن القصد جائرا(يد) كنايه كونه لم يعضّ على العلم بضرس قاطع كنايه عن عدم إتقانه للقوانين الشرعيّه و إحاطته بها يقال فلان لم يعضّ على الأمر الفلانى بضرس إذا لم يحكمه،و أصله أنّ الإنسان يمضغ الشىء ثمّ لا يجيد مضغه فمثّل به من لم يحكم ما يدخل فيه من الأمور (يه) تشبيه كونه يذرى الروايات إذراء الريح الهشيم ،و وجه التشبيه أنّ الريح لمّا كانت تذرى الهشيم و هو ما تكسّر من نبت الأرض و يبس فتخرجه عن حدّ الانتفاع به كذلك المتصفّح للروايات لمّا لم يهتد إلى وجه العمل بها و لم يقف على الفائده منها فهو يقف على روايه اخرى و يمشى عليها من غير فائده (يو)أنّه غير ملىّ بإصداره ما يرد عليه إشاره إلى أنّه ليس له قوّه على إصدار الأجوبه عمّا يرد عليه من المسائل فهو فقير منها(يز)كونه لا يحسب العلم فى شىء ممّا أنكره يقال فلان لا يحسب فلانا فى شىء بالضمّ من الحساب أى لا يعدّه شيئا و يعتبره خاليا من الكمال و الفضيله،و المراد أنّه ينكر العلم كسائر ما أنكره فهو لا يعدّه شيئا و لا يفرده بالحساب و الاعتبار و عنى بالعلم الحقيقىّ الّذى ينبغى أن يطلب و يجتهد فى تحصيله لا ما يعتقده الموصوف علما ممّا قمشه و جمعه فإنّ كثيرا من الجهّال ممّن يدعى العلم

بفنّ من الفنون قد ينكر غيره من سائر الفنون و يشنّع على معلّميه كأكثر الناقلين للأحكام الفقهيّه و المتصدّرين للفتوى و القضاء بين الخلق فى زماننا و ما قبله فإنّهم يبالغون فى إنكار العلوم العقليّه و يفتون بتحريم الخوض فيها و تكفير من يتعلّمها و هم غافلون عن أنّ أحدهم لا يستحقّ أن يسمّى فقيها إلاّ أن يكون له مادّه من العلم العقلىّ المتكفّل ببيان صدق الرسول صلى اللّه عليه و آله و إثبات النبوّه الّذى لا يقوم شىء من الأحكام الفقهيّه الّتى يدّعون أنّها كلّ العلم إلاّ بعد ثبوتها،و روى يحسب بكسر السين من الحسبان و هو الظنّ أى لا يظنّ العلم ذا فضيله يجب اعتقادها و اعتباره بها فهو ممّا أنكره(يح)كونه لا يرى أنّ من وراء ما بلغ منه مذهبا لغيره أى أنّه إذا غلب على ظنّه حكما فى القضيّه جزم به،و ربّما كان لغيره فى المسأله قول أظهر من قوله يعضده دليل فلا يعتبره و يمضى على ما بلغ فهمه إليه(يط)كونه إن أظلم عليه أمرا اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه و كثيرا ما يراعى قضاه السوء و علماؤه اكتتام ما يشكل عليهم أمره من المسائل و التغافل عن سماعها إذا اوردت عليهم لئلاّ يظهر جهلهم بين أهل الفضل مراعاه لحفظ المناصب(ك) استعاره كونه تصرخ من جور قضائه الدماء و تعجّ منه المواريث نسبت الصراخ إلى الدماء و العجيج إلى المواريث إمّا على سبيل حذف المضاف و إقامه المضاف إليه مقامه أى أهل الدماء و أولياء المواريث فيكون حقيقه،أو على سبيل استعاره لفظ الصراخ و العجّ لنطق الدماء و المواريث بلسان حالها المفصح عن مقالها،و وجه الاستعاره عن الصراخ و العجيج لمّا كانا إنّما يصدر عن تظلّم و شكايه و كانت الدماء المهراقه بغير حقّ و المواريث المستباحه بالأحكام الباطله ناطقه بلسان حالها مفصحه بالشكايه و التظلّم لا جرم حسنت استعاره اللفظين هاهنا ،ثمّ بعد أن خصّ الرجلين المذكورين بما ذكر فيها من الأوصاف المنفره على سبيل التفصيل أردف ذلك بالتنفير عنهما على سبيل الجمله ما يعمّها و غيرهما من الجهّال من التشكّى و البراءه و ذلك قوله إلى اللّه من معشر أى إلى اللّه أشكو كما فى بعض النسخ أو إلى اللّه أبرء،و ذكر أوصافا مبدءها البقاء على الجهل و العيش فيه كنايه مقابله و كنّى بالعيش عن الحياه و قابله بذكر الموت ،و قوله يموتون ضلاّلا وصف لازم عن الوصف الأوّل فإنّ من عاش جاهلا مات ضالاّ .

استعاره قوله ليس فيهم سلعه أبور من الكتاب إذا تلى حقّ تلاوته إلى آخره .أى إذا فسرّ

الکتاب و حمل على الوجه الّذى انزل اعتقدوه فاسدا و أطرحوه بجهلهم عن درجه الاعتبار على ذلک الوجه،و إذا حرّف عن مواضعه و مقاصده و نزّل على حسب أغراضهم و مقاصدهم شروه على ذلک الوجه بأغلى ثمن و کان من أنفق السلع بينهم،و استعار له لفظ السلعه،و وجه المشابهه ظاهر و منشأ کلّ ذلک هو الجهل ،و کذلک ليس عندهم أنکر من المعروف،و ذلک أنّه لمّا خالف أغراضهم و مقاصدهم أطرحوه حتّى صار بينهم منکرا يستقبحون فعله،و لا أعرف من المنکر لموافقه أغراضهم و محبّتهم له لذلک،و أعلم أنّه عليه السّلام قسّم الناس فى موضع آخر إلى ثلاثه أقسام عالم و متعلّم و همج رعاع أتباع کلّ ناعق،و الرجلان المشار إليهما بالأوصاف المذکوره هاهنا ليسا من القسم الأوّل لکونهما على طرف الجهل المضادّ للعلم،و لا من القسم الثالث لکونهما متبوعين داعيين إلى اتّباعهما و کون الهمج تابعين کما صرّح به فتعيّن أن يکونا من القسم الثانى و هم المتعلّمون،و إذا عرفت ذلک فنقول:المراد بالمتعلّم هو من ترفّع عن درجه الهمج من الناس بطلب العلم و اکتسب ذهنه شيئا من الاعتقادات عن مخالطه من اشتهر بسمه العلم و مطالعه الکتب و نحو ذلک و لم ينته إلى درجه العلماء الّذين يقتدرون على التصرّف و القيام بالحجّه فاعتقاداته حينئذ إمّا أن يکون مطابقه کلّها أو بعضها أو غير مطابقه أصلا و على التقديرات فإمّا أن لا ينصب نفسه لشىء من المناصب الدينيّه کالفتوى و القضاء و نحوهما أو يتصدّر لذلک فهذه أقسام ستّه:أحدها من اعتقد اعتقادا مطابقا و لم يعرض نفسه لشىء من المناصب الدينيّه.الثانى من کان اعتقاده کذلک لکنّه نصب نفسه للإفاضه.الثالث من اعتقد جهلا-و لم ينصب نفسه لها الرابع من اعتقد جهلا-و عرض نفسه لها.الخامس من اعتقد جهلا-و غير جهل و لم ينصب نفسه للإفاده.السادس من کان اعتقاده کذلک و نصب نفسه لها.

و القسم الأوّل وحده هو الخارج عن هذين الرجلين بأوصافهما،و الثانى و الرابع و السادس منهم يکون الرجلان المذکوران فالأوّل منهما فى ترتيبه هو من نصب نفسه لسائر مناصب الإفاده دون منصب القضاء،و الثانى هو من نصب نفسه له.و إنّما بالغ فى ذمّهما و نسبتهما إلى الجهل و الضلال و إن کان بعض اعتقاداتهما حقّا لکون القدر الّذى حصلا عليه مغمورا فى ظلمه الجهل فضلا لهما و إضلالهما أغلب و انتشار الباطل فيهما أکثر،و أمّا القسم الثالث

و الخامس فداخلان فيمن برء إلى اللّه منهم و ذمّهم أخيرا بالعيش فى الجهل و الموت على الضلال و ما بعده،و اللّه أعلم بالصواب.

۱۷–و من كلام له عليه السّلام

اشاره

فى ذم اختلاف العلماء فى الفتيا

تَرِدُ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّهُ فِى حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ- فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ- ثُمَّ تَرِدُ تِلْكَ الْقَضِيَّهُ بِعَيْنِهَا عَلَى غَيْرِهِ- فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلَافِ قَوْلِهِ- ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقُضَاهُ بِذَلِكَ عِنْدَ الْإِمَامِ الَّذِى اسْتَقْضَاهُمْ- فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعاً وَ إِلَهُهُمْ وَاحِدٌ- وَ نَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ وَ كِتَابُهُمْ وَاحِدٌ- أَ فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالِاخْتِلَافِ فَأَطَاعُوهُ- أَمْ نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِيناً نَاقِصاً- فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ- أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَ عَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى- أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِيناً تَامّاً- فَقَصَّرَ ؟الرَّسُولُ ص؟ عَنْ تَبْلِيغِهِ وَ أَدَائِهِ- وَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ «ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ» - وَ فِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ لِكُلِّ شَيْءٍ- وَ ذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً- وَ أَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ- فَقَالَ سُبْحَانَهُ «وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً» - وَ إِنَّ؟الْقُرْآنَ؟ ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ وَ بَاطِنُهُ عَمِيقٌ- لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ وَ لَا تَنْقَضِي غَرَائِبُهُ- وَ لَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِهِ

ص:۳۲۰

اللغه

أقول: الأنيق الحسن المعجب ،

المعنى

و فى هذا الكلام تصريح بأنّه عليه السّلام كان يرى أنّ الحقّ فى جهه و أن ليس كلّ مجتهد مصيبا،و هذه المسأله ممّا انتشر الخلاف فيها بين علماء أصول الفقه فمنهم من يرى أنّ كلّ مجتهد مصيب إذا راعى شرائط الاجتهاد و أنّ الحقّ بالنسبه إلى كلّ واحد من المجتهدين ما أدّى إليه اجتهاده و غلب فى ظنّه فجاز أن يكون فى جهتين أو جهات و عليه الإمام الغزّالىّ-رحمه اللّه-و جماعه من الاصوليّين،و منهم من ينكر ذلك و يرى أنّ الحقّ فى جهه و المصيب له واحد و عليه اتّفاق الشيعه و جماعه من غيرهم،و ربّما فصّل بعضهم.و المسأله فقه.و اعلم أنّ قوله ترد على أحدهم القضيّه إلى قوله فيصوّب آرائهم جميعا بيان لصوره حالهم الّتى ينكرها،و قوله و إلههم واحد و كتابهم واحد و نبيّهم واحد شروع فى دليل بطلان ما يرونه،و هذه هى المقدّمه الصغرى من قياس الضمير، و تقدير كبراه فى حكم شرعىّ،و قوله أ فأمرهم اللّه سبحانه بالاختلاف فأطاعوه إلى آخره حجّه فى تقدير المقدّمه الكبرى إذ الصغرى مسلّمه، و تقريرها أنّ ذلك الاختلاف إمّا أن يكون بأمر من اللّه أطاعوه فيه،أو بنهى منه عصى فيه،أو بسكوت منه عن الأمرين،و على التقدير الثالث فجواز اختلافهم فى دينه و الحاجه إلى ذلك إمّا أن يكون مع نقصانه أو مع تمامه و تقصير الرسول فى أدائه،و على الوجه الأوّل فذلك الاختلاف إنّما يجوز على أحد وجهين:أحدهما أن يكون إتماما لذلك النقصان أو على وجه أعمّ من ذلك و هو كونهم شركاؤه فى الدين فعليه أن يرضى بما يقولون و لهم أن يقولوا إذ شأن الشريك ذلك فهذه وجوه خمسه،و حصر الأقسام الثلاثه الأخير ثابت بحسب استقراء وجوه الحاجه إلى الاختلاف و الأقسام كلّها باطله و أشار إلى بطلانها ببقيّه الكلام:أمّا بطلان الأوّل فلأنّ مستند الدين هو كتاب اللّه تعالى و معلوم أنّه يصدّق بعضه بعضا و أنّه لا اختلاف فيه و لا يتشعّب عنه من الأقوال و الأحكام إلاّ ما يكون كذلك و لا شىء من أقوالهم المختلفه كذلك فينتج أنّه لا شىء ممّا استند إلى كتاب اللّه تعالى بقول لهم فلا يكون أقوالهم من الدين،و أمّا بطلان القسم الثانى فلأنّ عدم جواز المعصيه للّه بالاختلاف مستلزم لعدم جواز الاختلاف و هو غنىّ عن الدليل،و أمّا بطلان الثالث و هو نقصان دين اللّه فلقوله

تعالی «ما فَرَّطْنا فِی الْکِتابِ مِنْ شَیْءٍ» ۱و قوله «وَ نَزَّلْنا عَلَیْکَ الْکِتابَ تِبْیاناً لِکُلِّ شَیْءٍ» ۲و أمّا الرابع و الخامس فظاهر البطلان فلا یمکنهم دعواهما فلـذلک لم یورد فی بطلانهما حجّه ثمّ أردف بتنبیههم علی أنّ الکتاب واف بجمیع المطالب إذا تدبّروا معناه و لاحظوا أسراره و تطّلعوا علی غوامضه فیحرم علیهم أن یتسرّعوا إلی قول ما لم یستند إلیه و ذلک فی قوله ظاهره أنیق حسن معجب بأنواع البیان و أصنافه و باطنه عمیق لا ینتهی إلی جواهر أسراره إلاّ اولو الألباب،و من ایّد من اللّه بالحکمه و فصل الخطاب و لا تفنی الامور المعجبه منه و لا تنقضی النکت الغریبه فیه علی توارد صوارم الأذهان و خواطف الأبصار و لا تکشف ظلمات الشبه الناشئه من ظلمه الجهل إلاّ بسواطع أنواره و لوامع أسراره السجع المتوازی و قد راعی فی هذه القرائن الأربع السجع المتوازی و باللّه التوفیق.

۱۸-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

قاله للأشعث بن قیس و هو علی منبر الکوفه یخطب،فمضی فی بعض کلامه شیء اعتراضه الأشعث فقال:یا أمیر المؤمنین هذه علیک لا لک فخفض علیه السّلام إلیه بصره ثم قال:

مَا یُدْرِیکَ مَا عَلَیَّ مِمَّا لِی- عَلَیْکَ لَعْنَهُ اللَّهِ وَ لَعْنَهُ اللاَّعِنِینَ- حَائِکٌ ابْنُ حَائِکٍ مُنَافِقٌ ابْنُ کَافِرٍ- وَ اللَّهِ لَقَدْ أَسَرَکَ الْکُفْرُ مَرَّهً وَ الْإِسْلاَمُ أُخْرَی- فَمَا فَدَاکَ مِنْ وَاحِدَهٍ مِنْهُمَا مَالُکَ وَ لاَ حَسَبُکَ- وَ إِنَّ امْرَأً دَلَّ عَلَی قَوْمِهِ السَّیْفَ- وَ سَاقَ إِلَیْهِمُ الْحَتْفَ- لَحَرِیٌّ أَنْ یَمْقُتَهُ الْأَقْرَبُ وَ لاَ یَأْمَنَهُ الْأَبْعَدُ قال السید الشریف:أراد بقوله: دل علی قومه السیف :ما جری

له مع خالـد بن الوليد باليمامه،فانه غرّ قومه و مكر بهم حتى أوقع بهم خالد و كان قومه بعد ذلك يسـمونه عرف النار و هو اسـم للغادر عندهم .

المعنى

أقول:الكلام الّذى اعترضه الأشعث أنّه عليه السّـلام كان فى خطبه يذكر أمر الحكمين فقام إليه رجل من أصحابه و قال له:نهيتنا عن الحكومه ثمّ أمرتنا بها فما نـدرى أىّ الأمرين أرشد فصـفق عليه السّـلام بإحدى يديه على الاخرى،و قال:هذا جزاء من ترک العقـده أى جزائى حيث وافقتكم على مـا ألزمتمونى به من التحكيم،و تركت الحزم.فوجـد الأشـعث بـذلک شـبهه فى تركه عليه السّـلام وجه المصـلحه و اتّباع الآراء الباطله،و أراد إفهامه فقال:هذه عليک لا لک،و جهل أو تجاهل أنّ وجه المصلحه قد يترک محـافظه على أمر أعظم منه و مصـلحه أهمّ فـإنّه عليه السّـلام لم يترک العقـده إلاّ ـ خوفا من أصـحابه أن يقتلوه كما سـنذكره فى قصّتهم،و قيل:

كان مراده عليه السّـلام هذا جزاؤكم حيث تركتم الحزم فظنّ الأشعث هذا جزائى فقال الكلمه، و الحتف بالتاء الهلاک،و روى و المقت البغض ،قوله و مـا يـدريک مـا على ممّـا لى إشاره إلى أنّه جاهل و ليس للجاهل أن يعترض عليه و هو اسـتاد العلماء بعد رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله و أمّا استحقاقه اللعن فليس بمجرّد اعتراضه و لا لكونه ابن كافر بل لكونه مع ذلک من المنافقين بشـهادته عليه السّـلام و المنـافق مسـتحقّ للّعن و الإبعـاد عن رحمه اللّه بشـهاده قوله تعـالى «أُولئِکَ جَزاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَهَ اللّهِ وَ الْمَلائِكَهِ وَ النّاسِ أَجْمَعِينَ خالِدِينَ فِيها لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ وَ لا هُمْ يُنْظَرُونَ» ١.

استعاره بالكنايه قوله حائک بن حائک .اسـتعاره أشار بها إلى نقصان عقله و قلّه اسـتعداده لوضع الأشـياء فى مواضـعها،و تأكيد لعدم أهليّته للاعتراض عليه إذ الحياكه مظنّه نقصان العقل،و ذلک لأنّ ذهن الحائک عامّه وقته متوجّه إلى جهه صـنعته مصـبوب الفكر إلى أوضـاع الخيوط المتفرّقه،و ترتيبهـا و نظامهـا يحتـاج إلى حركه رجليه و يـديه،و بالجمله فالشاهـد له بعلم من حاله أنّه مشـغول الفكر عمّا وراء ما هو فيه،فهو أبله فيما عداه،و قيل لأنّ معامله الحائک و مخالطته لضـعفاء العقول من النساء و الصبيان،و من كانت معاملته لهؤلاء فلا شکّ فى

فی ضعف رأیه و قلّه عقله للأمور.روی عن الصادق جعفر بن محمّد علیهما السّلام أنّه قال:عقل أربعین معلّما عقل حائک و عقل حائک عقل امراه و المرأه لا عقل لها،و عن موسی بن جعفر علیه السّلام أنّه قال:لا تستشیروا المعلّمین و لا الحوکه فإنّ اللّه تعالی قد سلبهم عقولهم،و ذلک محمول علی المبالغه فی نقصان عقولهم،و قیل:إنّما عیّره بهذه الصنعه لأنّها صنعه دنیّه تستلزم صغر الهمّه و خسّتها و تشتمل علی رذائل الأخلاق فإنّها مظنّه الکذب و الخیانه.روی أنّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله دفع إلی حائک من بنی النجّار غزلا لینسج له صوفا فکان یماطله و یأتیه صلی اللّه علیه و آله متقاضیا و یقف علی بابه فیقول ردّوا علینا ثوبنا لنتجمّل به فی الناس و لم یزل یماطله حتّی توفّی صلی اللّه علیه و آله،و قد علمت أنّ الکذب رأس النفاق و من کانت لوازم هذه الصنعه أخلاقه فلیس له أن یعترض فی مثل ذلک المقام،و قد اختلف فی أنّ الأشعث هل کان حائکا أو لیس فروی قوم أنّه کان هو و أبوه ینسجان برود الیمن،و قال آخرون:إنّ الأشعث لم یکن حائکا فإنّه کان من أبناء ملوک کنده و أکابرها و إنّما عیّره بذلک لأنّه کان إذا مشی یحرّک منکبیه و یفحج بین رجلیه،و هذه المشیه،تعرف بالحیاکه یقال:حاک یحیک و حیکانا و حیاکه فهو حائک إذا مشی تلک المشیه،و امراه حائکه إذا تبخترت فی مشیها و الأقرب أنّ ذلک له علی سبیل الاستعاره کنّی بها نقصان عقله کما سبق أوّلا فأمّا قوله و اللّه لقد أسرک الکفر مرّه و الإسلام اخری فما فداک من واحده منهما مالک و لا حسبک فتأکید لنقصان عقله و إشاره إلی أنّه لو کان له عقل لما حصل فیما حصل فیه من الأسر مرّتین،ما فداه أی ما نجاه من الوقوع فی واحده منهما ماله و لا حسبه و لم یرد الفداء بعد الأسر فإنّ الأشعث فدی فی الجاهلیّه و ذلک أنّ مرادا لمّا قتل أباه خرج ثائرا طالبا بدمه فاسر ففدی نفسه بثلاثه آلاف بعیر،و وفد علی النبیّ صلی اللّه علیه و آله فی سبعین رجلا من کنده فأسلم علی بدیه و ذلک الأسر هو مراده علیه السّلام بأسر الکفر له،و أمّا أسره فی الإسلام فإنّه لمّا قبض رسول اللّه ارتدّ بحضر موت و منع أهلها تسلیم الصدقه و أبی أن یبایع لأبی بکر فبعث إلیه زیاد بن لبید بعد رجوعه عنهم و قد کان عاملا قبل ذلک علی حضرموت ثمّ أردفه بعکرمه بن أبی جهل فی جمع عظیم من المسلمین فقاتلهم الأشعث بقبائل کنده قتالا شدیدا فی وقائع کثیره،و کانت الدائره علیه فالتجأ قومه إلی حصنهم فحصرهم زیاد حصرا شدیدا

و بلغ بهم جهد العطش فبعث الأشعث إلى زياد و يطلب منه الأمان لأهله و لبعض قومه و كان من غفلته أنّه لم يطلب لنفسه بالتعيين فلمّا نزل أسره و بعث به مقيّدا إلى أبى بكر بالمدينه فسأل أبا بكر أن يستبقيه لحربه و يزوجه أمّ فروه ففعل ذلک أبو بكر،و ممّا يدلّ على عدم مراعاته لقواعد الدين أنّه بعد خروجه من مجلس عقده بأمّ فروه أصلت سيفه فى أزّقه المدينه،و عقر كلّ بعير رآه و ذبح كلّ شاه استقبلها للناس و التجأ إلى دار من دور الأنصار فصاح به الناس من كلّ جانب و قالوا:قد ارتدّ الأشعث مرّه ثانيه فأشرف عليهم من السطح و قال:يا أهل المدينه إنّى غريب ببلدكم و قد أو لمت بما نحرت و ذبحت فليأكل كلّ إنسان منكم ما وجد و ليغد إلىّ من كان له علىّ حقّ حتّى ارضيه و فعل ذلک فلم يبق دار من دور المدينه إلاّ و قد أوقد فيها بسبب تلک الجهله فضرب أهل المدينه به المثل،و قالوا:أو لم من الأشعث،و فيه قال الشاعر:

لقد أولم الكندىّ يوم ملاكه وليمه حمّال لثقل العظائم

قوله و إنّ امرأ دلّ على قومه السيف و قاد إليهم الحتف لحرىّ أن يمقته الأقرب و لا يأمنه الأبعد .إشاره إلى غدره بقومه،و ذلک أنّه لمّا طلب الأمان من زياد بن لبيد طلبه لنفر يسير من وجوه قومه فظنّ الباقون أنّه أخذ الأمان لجميعهم فسكتوا و نزلوا من الحصن على ذلک الظنّ فلمّا خرج الأشعث و من طلب الأمان له من قومه دخل زياد إلى الحصن فقتل المقاتله صبرا فذكروه الأمان فقال لهم:إنّ الأشعث لم يطلب الأمان إلاّ لعشره من قومه فقتل من قتلهم منهم ثمّ وافاه كتاب أبى بكر بالكفّ عنهم و حملهم إليه فحملهم،و ذلک معنى قوله عليه السّلام دلّ على قومه السيف و قاد إليهم الحتف إذ قادهم إلى الحرب و أسلمهم للقتل،و لا شکّ أنّ من كان كذلک فحقيق أن يمقته قومه و لا يأمنه غيرهم فأمّا ما حكاه السيّد-رحمه اللّه-من أنّه أراد به حديثا كان للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامه و أنّه غرّ قومه و مكّر بهم حتّى أوقع بهم خالد فلم أقف على شىء من ذلک فى وقائع خالد باليمامه،و حسن الظنّ بالسيّد يقتضى تصحيح نقله و لعلّ ذلک فى وقعه لم أقف على أصلها.

و أعلم أنّه عليه السّلام ذمّه فى هذا الفصل بجميع الرذائل النفسانيّه و نسبه إلى الجهل و الغباوه الّذى هو طرف التفريط من الحكمه بالحياكه الّتى هى مظنّه لقلّه العقل،و أشار إلى

ص:۳۲۵

الفجور الّذى هو طرف الإفراط من فضيله العفّه بكونه منافقا،و كونه ابن كافر تأكيد لنسبه النفاق إليه،و أشار إلى الفشل و قلّه التثبت الّتى هى طرف التفريط و الإفراط من فضيله الشجاعه بكونه قد اسر مرّتين،و كما أنّ فيه إشاره إلى ذلك ففيه أيضا إشاره إلى نقصان عقله كما قلناه،و أشار إلى الظلم و الغدر الّذى هو رذيله مقابله لفضيله الوفاء بقوله و إنّ امرأ دلّ على قومه السيف و ساق إليهم الحتف ،و باستجماعه لهذه الرذائل كان مستحقّا للّعن استعاره و أمّا استعارتهم له عرف النار فلأنّ العرف عباره عن كلّ عال مرتفع،و الأعراف فى القرآن الكريم سور بين الجنّه و النار،و لمّا كان من شأن كلّ مرتفع عال أن يستر ما ورائه و كان الغادر يستر بمكره و حيلته امورا كثيره و كان هو قد غرّ قومه بالباطل و غدر بهم صدق عليه بوجه الاستعاره لفظ عرف النار لستره عليهم لما ورائه من نار الحرب أو نار الآخره إذ حملهم على الباطل و اللّه أعلم.

۱۹-و من خطبه له عليه السّلام

اللغه

أقول: الوهل بالتحريک الفزع يقال و هل يوهل وهلا:فزع ،

المعنى

و اعلم أنّ الإنسان ما دام ملتحفا بجلباب البدن فإنّه محجوب بظلمه الهيئات البدنيّه و المعارضات الوهميّه و الخياليّه عن مشاهده أنوار عالم الغيب و الملكوت و ذلک الحجاب أمر قابل للزياده و النقصان و القوّه و الضعف،و الناس فيها على مراتب فأعظمهم حجبا و أكثفهم حجابا الكفّار كما

ص:۳۲۶

أشار إليه القرآن الكريم مثلا في حجبهم «أَوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ» ١الآيه فمثل الكافر كرجل وقع في بحر لجّيّ صفته كذلك فأشار بالبحر اللجّيّ إلى الدنيا بما فيها من الأخطار المهلكه،و الموج الأوّل موج الشهوات الداعيه إلى الصفات البهيميّه،و بالحريّ أن يكون هذا الموج مظلما إذ حبّك الشيء يعمى و يصمّ،و الموج الثاني موج الصفات السبعيّه الباعثه على الغضب و العداوه و الحقد و الحسد و المباهات فبالحريّ أن يكون مظلما لأنّ الغضب غول العقل و بالحريّ أن يكون هو الموج الأعلى لأنّ الغضب في الأكثر مستول على الشهوات حتّى إذا هاج أذهل عنها،و السحاب هو الاعتقادات الباطله و الخيالات الفاسده الّتي صارت حجابا لبصيره الكافر عن إدراك نور الحقّ إذ خاصيّه الحجاب أن يحجب نور الشمس عن الأبصار الظاهره و إذا كانت هذه كلّها مظلمه فبالحريّ أن يكون ظلمات بعضها فوق بعض،و أمّا أخفّهم حجبا و أرّقهم حجابا فهم الّذين بذلوا جهدهم في لزوم أوامر اللّه و نواهيه و بالغوا في تصفيه بواطنهم و صقال ألواح نفوسهم و إلقاء حجب الغفله و أستار الهيئات البدنيّه فأشرقت عليهم شموس المعارف الإلهيّه و سالت إلى أوديه قلوبهم مياه الجود الربانيّ المعطي لكلّ قابل ما يقبله، فهؤلاء و إن كانوا قد بلغوا الغايه من الجهد في رفع الحجب و غسل دون الباطل عن نفوسهم إلاّ أنّهم ما داموا في هذه الأبدان فهم في أغطيه من هيئاتها و حجب من أستارها و إن ضعفت تلك الحجب و رقّت تلك الأغشيه،و ما بين هاتين المرتبتين درجات من الحجب متفاوته و مراتب متصاعده متنازله و بحسب تفاوتها يكون تفاوت النفوس في الاستضاءه بأنوار العلوم و قبول الانتقاش بالمعارف الإلهيّه و الوقوف على أسرار الدين،و بحسب تفاوت هذه الحجب تكون تفاوت ورود النار كما قال تعالى «وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلاّ وارِدُها» ٢و لن يخلص الإنسان من شوائب هذه الحجب و ظلمتها إلاّ بالخلاص عن هذا البدن،و طرحه،و حينئذ «تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَ ما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَ بَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً» ٣فتكون

مشاهده بعين اليقين ما أعدّ لها من خير و ماهيّىء لها من شرّ بحسب استعدادها بما كسبت من قبل،فأمّا قبل المفارقه فإنّ حجاب البدن مانع لها عن مشاهده تلك الامور كما هى و إن حصلت على اعتقاد جازم برهانىّ أو نوع من المكاشفه الممكنه كما فى حقّ كثير من أولياء اللّه إلاّ أنّ ذلك الوقوف و الاطّلاع يكون كالمشاهده لا أنّها مشاهده حقيقيّه خالصه إذ لا تنفكّ عن شائبه الوهم و الخيال،و لذلك قال صلى اللّه عليه و آله حاكيا عن ربّه:أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت و لا اذن سمعت و لا خطر على قلب بشر بل ما اطّلعتهم عليه أى وراء ما اطّلعتهم عليه،و هو إشاره إلى طور المشاهده الخالصه عن الشوائب الّتى هى عين اليقين بعد الموت، و قد يسمّى ما أدركه أهل المكاشفات بمكاشفاتهم فى حياتهم الدنيا عين اليقين،فأمّا إدراك من دون هؤلاء لتلك الامور فما كان منها مؤكّدا بالشعور بعدم إمكان النقيض فهو علم اليقين،و قد يختصّ علم اليقين فى عرف الصوفيّه بما تميل النفس إلى التصديق به و يغلب عليها و يستولى حتّى يصير هو المتحكّم المتصرّف فيها بالتحريص و المنع فيقال فلان ضعيف اليقين بالموت إذا لم يهتمّ بالاستعداد له فكأنّه غير موقن به مع أنّه لا يتطرّق إليه فيه شكّ،و قوىّ اليقين به إذا غلب ذلك على قلبه حتّى استغرق همّته بالتهيّؤ له. إذا عرفت ذلك فاعلم أنّ قوله عليه السّلام فإنّكم لو عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم و وهلتم .شرطيّه متّصله نبّه فيها على أنّ ورائهم من أهوال الآخره و عذابها ممّا شاهده من سبق منهم إلى الآخره ما لا يشاهدونه الآن بعين و إن علموه يقينا،و بيّن فيها لزوم جزعهم و فزعهم و سمعهم و طاعتهم لداعى اللّه على تقدير مشاهدتهم بعين اليقين لتلك الامور،و هذه الملازمه ممّا شهد البرهان بصحّتها و أشار التنزيل الإلهىّ إلى حقيقتها،و ذلك قوله تعالى «رَبَّنا أَبْصَرْنا وَ سَمِعْنا فَارْجِعْنا نَعْمَلْ صالِحاً إِنّا مُوقِنُونَ» ۱و ذلك مقتضى شهادتهم لأهوال الآخره،و جزعهم من تلك المشاهده فيجيبهم لسان العزّه«أو لم نعمّركم ما يتذكّر فيه من تذكّر و جائكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير» ۲قوله و لكن محجوب عنكم ما قد عاينوا .استثناء لملزوم نقيض تالى هذه المتّصله إذ

حجب تلك الأحوال عن بصائرهم مستلزم لعدم فزعهم و جزعهم و هو فى صوره اعتذار منهم نطق به لسان حالهم .قوله و قريب ما يطرح الحجاب .ما مصدريّه فى موضع رفع بالابتداء و قريب خبره،و هو إشاره إلى نحو تزييف لذلك العذر فى صوره التهديد لهم إن جعلوا ذلك الخيال عمده فى التقصير عن العمل فإنّه عمّا قليل يرفع حجب الأبدان عن أحوالهم القيامه و أهوال يوم الطامّه،و تكشط سماء أغطيتها من بصائر النفوس فتشاهد الجحيم قد سعّرت و الجنّه قد ازلفت«و إذا السماء كشطت و إذا الجحيم سعّرت و إذا الجنّه ازلفت علمت نفس ما أحضرت» ١و كما قال تعالى «فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ» ٢قوله و لقد بصّرتم إن أبصرتم و اسمعتم إن سمعتم و هديتم إن اهتديتم .إشاره إلى ما يشبه جوابا ثانيا عن صوره العذر السابق لحالهم و هو وجود الحجاب المانع عن مشاهده ما يوجب الجزع و الفزع،و ذلك أنّ الحجاب و إن كان قائما الآن و سائرا لتلك الامور عنكم فقد نصّرتم بها و أوضحت لكم بالعبر و الأمثال على ألسنه الرسل عليهم السّلام،و اسمعتم إيّاها فى الكتب الإلهيّه و السنن النبويّه،و هديتم عليها بالدلائل الواضحه و الحجج القاطعه بحيث صارت كالمشاهده لكم و المعلومه عيانا لا شكّ فيها،فلا عذر إذن بالحجاب، و تخصيص السمع و البصر بالذكر لأنهما الآلتان اللتان عليهما مدار الاعتبار بامور الآخره، و أشار بالهدايه إلى حظّ العقل من غير نظر إلى آله،و نبّه بإيراد إن الشرطيّه فى المواضع الثلاثه على أنّه يجد الشكّ فى إبصارهم لما بصّروا به و سماعهم لما اسمعوا و اهتدائهم بما هدوا به،و كلّ ذلك تنفير لهم على القرار على الغفله و تنبيه على الفرار إلى اللّه فى طرق الاعتبار.

قوله بحقّ أقول لكم لقد جاهرتكم العبر و زجرتم بما فيه مزدجر .لمّا قدّم أنّهم بصّروا و اسمعوا أردف ذلك ببيان ما بصّروا به و اسمعوا إلى ما بصّروا به بمجاهره العبر بالمصائب الواقعه بهم و بمن خلا قبلهم من القرون،و إلى ما اسمعوا به بالزجر بما فيه مزدجر، و هى النواهى المؤكّده المردفه بالوعيدات الهائله و العقوبات الحاضره الّتى فى أقلّها ازدجار لذوى الألباب كما قال تعالى «وَ لَقَدْ جاءَهُمْ مِنَ الْأَنْباءِ ما فِيهِ مُزْدَجَرٌ حِكْمَةٌ بالِغَةٌ فَما تُغْنِ النُّذُرُ» ٣و قوله و ما يبلغ عن اللّه بعد رسل السماء إلّا البشر .إشاره إلى أنّه ليس فى الإمكان

وراء ما جذبتم به إلى اللّه تعالى على ألسنه رسله طريقه اخرى تدعون بها،إذ ما يمكن دعوتكم إلّا بالوعد و الوعيد و الأمثال و التذكير بالعبر اللاحقه لقوم حقّت عليهم كلمه العذاب،و نحو ذلك لا يمكن إيضاحه لكم مشاهده إلّا على ألسنه الرسل البشريّه عليهم السّلام فلا يمكن أن يبلغ إليكم رسالات ربّكم بعد رسل السماء الّتى هى الملائكه إلّا هم فينبغى أن يكون ذلك أمرا كافيا لكم فى الالتفات إلى اللّه.

۲۰-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

فَإِنَّ الْغَايَهَ أَمَامَكُمْ وَ إِنَّ وَرَاءَكُمُ السَّاعَهَ تَحْدُوكُمْ- تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ قال الشريف:أقول:إن هذا الكلام لو وزن،بعد كلام اللّه سبحانه و بعد كلام رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله،بكل كلام لمال به راجحا،و برّز عليه سابقا.فأما قوله عليه السّلام «تخففوا تلحقوا» فما سمع كلام أقل منه مسموعا و لا أكثر محصولا و ما أبعد غورها من كلمه،و أنقع نطفتها من حكمه،و قد نبهنا فى كتاب الخصائص على عظم قدرها و شرف جوهرها

المعنى

أقول:لا شكّ أنّ هذه الكلمات اليسيره قد جمعت وجازه الألفاظ و جزاله المعنى المشتمل على الموعظه الحسنه و الحكمه البالغه و هى أربع كلمات:الاولى أنّ الغايه أمامكم .و اعلم أنّه لمّا كانت الغايه من وجود الخلق أن يكونوا عباد اللّه كما قال تعالى «وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ» ۱و كان المقصود من العباده إنّما هو الوصول إلى جناب عزّته و الطيران فى حظائر القدس بأجنحه الكمال مع الملائكه المقرّبين،و كان ذلك هو غايه الإنسان المطلوبه منه و المقصوده له و المأمور بالتوجّه إليها بوجهه الحقيقى فإن سعى لها سعيها أدركها و فاز بحلول جنّات النعيم و إن قصّر فى طلبها و انحرف سواء الصراط الموصل إليها و قد علمت أنّ أبواب جهنّم عن جنبتى الصراط مفتّحه كان فيها من الهاوين،و كانت غايته فدخلها مع الداخلين.

فـإذن ظهر أن غايه كلّ إنسان أمامه إليها يسـير و بها يصـير .الثانيه اسـتعاره قوله و إنّ ورائكم الساعه تحـدوكم ،و المراد بالساعه القيامه الصـغرى و هى ضروره الموت،فأمّا كونها ورائهم فلأنّ الإنسان لمّا كان بطبعه ينفر من الموت و يفرّ منه و كانت العاده فى الهـارب من الشـىء أن يكـون ورائه مهروب منه و كـان المـوت متـأخّرا عن وجود الإنسـان و لاحقـا تـاخّرا و لحوقـا عقليّـا أشـبه المهروب منه المتأخّر اللاحق تأخّرا و لحوقا حسيّا،فلا جرم اسـتعير لفظ الجهه المحسوسه و هى الوراء.و أمّا كونها تحدوهم فلأنّ الحـادى لمّـا كـان من شأنه سوق الإبل بالحـداء و كان تـذكّر الموت و سـماع نواد به مقلقا مزعجا للنفوس إلى الاسـتعداد لامور الآـخره و الاـهبّه للقـاء اللّه سـبحانه فهو يحملهـا على قطع عقبات طريق الآخره كما يحمل الحادى الإبل على قطع الطريق البعيـده الوعره لا جرم أشبه الحادى فأسـند الحداء إليه .الثالثه قوله تخفّفوا تلحقوا .و لمّا نبّههم بكون الغايه أمامهم و أنّ الساعه تحدوهم فى سـفر واجب و كـان السـابق إلى الغـايه من ذلـك السـفر هـو الفـائز برضوان اللّه،و قـد علمت أنّ التخفيف و قطع العلاـئق فى الأسـفار سـبب للسـبق و الفوز بلحوق السـابقين لا جرم أمرهم بالتخفيف لغايه اللحوق فى كلمتين:فالاولى منهما استعاره بالكنايه قوله تخفّفوا و كنّى بهـذا الأمر عن الزهـد الحقيقىّ الّـذى هو أقوى أسـباب السـلوك إلى اللّه سـبحانه و هو عباره عن حذف كلّ شاغل عن التوجّه إلى القبله الحقيقيّه و الإعراض عن متاع الـدنيا و طيّباتها و تنحيه كلّ ما سوى الحقّ الأوّل عن مسـتن الإيثار فإنّ ذلك تخفيف لأثقال الأوزار المانعه عن الصعود فى درجات الأبرار الموجبه لحلول دار البوار و هى كنايه باللفظ المستعار،و هذا الأمر فى معنى الشرط ،و الثانيه قوله تلحقوا و هو جزاء الشرط أى أن تخفّفوا تلحقوا،و المراد تلحقوا بدرجات السابقين الّذين هم أولياء اللّه و الواصـلون إلى ساحل عزّته،و ملازمه هذه الشرطيّه قد علمت بيانها فإنّ الجود الإلهىّ لا بخل فيه و لا قصور من جهته و الزهد الحقيقىّ أقوى أسـباب السلوك إلى اللّه كما سبق فإذا استعدّت النفس بالإعراض عمّا سوى الحقّ سبحانه و توجّهت إلى استشـراق أنوار كبريائه فلا بـدّ أن يفاض عليها ما تقبله من الصوره التماميّه فيلحق بدرجه السابقين و يتّصل بساحل العزّه فى مقام أمين .الرابعه اسـتعاره فإنّمـا ينتظر بأوّلكم آخركم أى إنّما ينتظر بالبعث الأكبر و القيامه الكبرى للّـذين ماتوا أوّلا وصول الباقين و موتهم،و تحقيق ذلك الانتظار أنّه لمّا كان نظر العنايه الإلهيّه إلى الخلق نظرا واحدا و المطلوب

منهم واحد و هو الوصول إلى جناب عزّه اللّه الّذى هو غايتهم أشبه طلب العنايه الإلهيّه وصول الخلق إلى غايتهم انتظار الإنسان لقوم يريد حضور جميعهم و ترقّبه بأوائلهم وصول أواخرهم فاطلق عليه لفظ الانتظار على سبيل الاستعاره ،و لمّا صوّر هاهنا صوره انتظارهم لوصولهم جعل ذلك علّه لحثّهم على التخفيف و قطع العلائق،و لا شكّ أنّ المعقول لاولى الألباب من ذلك الانتظار حاثّ لهم أيضا على التوجّه بوجوه أنفسهم إلى اللّه و الإعراض عمّا سواه.

فهذا ما حضرنى من أسرار هذه الكلمات .و كفى بكلام السيّد-رحمه اللّه-مدحا لها و تنبيها على عظم قدرها، استعاره و قد استعار لفظ النطفه و هو الماء الصافى للحكمه .و باللّه التوفيق و العصمه

۲۱-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

أَلاَ وَ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَرَ حِزْبَهُ وَ اسْتَجْلَبَ جَلَبَهُ- لِيَعُودَ الْجَوْرُ إِلَى أَوْطَانِهِ وَ يَرْجِعَ الْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ- وَ اللَّهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَراً- وَ لاَ جَعَلُوا بَيْنِى وَ بَيْنَهُمْ نَصِفاً وَ إِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقّاً هُمْ تَرَكُوهُ وَ دَماً هُمْ سَفَكُوهُ- فَلَئِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ لَنَصِيبَهُمْ مِنْهُ- وَ لَئِنْ كَانُوا وَلُوهُ دُونِى فَمَا التَّبِعَهُ إِلاَّ عِنْدَهُمْ- وَ إِنَّ أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَى أَنْفُسِهِمْ- يَرْتَضِعُونَ أُمّاً قَدْ فَطَمَتْ وَ يُحْيُونَ بِدْعَةً قَدْ أُمِيتَتْ- يَا خَيْبَهَ الدَّاعِى مَنْ دَعَا وَ إِلاَمَ أُجِيبَ- وَ إِنِّى لَرَاضٍ بِحُجَّهِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَ عِلْمِهِ فِيهِمْ- فَإِنْ أَبَوْا أَعْطَيْتُهُمْ حَدَّ السَّيْفِ- وَ كَفَى بِهِ شَافِياً مِنَ الْبَاطِلِ وَ نَاصِراً لِلْحَقِّ- وَ مِنَ الْعَجَبِ بَعْثُهُمْ إِلَيَّ أَنْ أَبْرُزَ لِلطِّعَانِ وَ أَنْ أَصْبِرَ لِلْجِلاَدِ- هَبِلَتْهُمُ الْهَبُولُ- لَقَدْ كُنْتُ وَ مَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ وَ لاَ أُرْهَبُ بِالضَّرْبِ- وَ إِنِّى لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّى وَ غَيْرِ شُبْهَهٍ مِنْ دِينِى

أقول:أكثر هذا الفصل من الخطبه الّتى ذكرنا أنّه عليه السّلام خطبها حين بلغه أنّ طلحه و الزبير خلعا بيعته،و فيه زياده و نقصان،و قد أورد السيّد بعضه فيما قبل و إن كان قد نبّه فى خطبته على سبب التكرار و الاختلاف بالزياده و النقصان،و نحن نورد الخطبه بتمامها ليتّضح المقصود و هى بعد حمد اللّه و الثناء عليه و الصلاه على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أيّها الناس إنّ اللّه افترض الجهاد فعظّمه و جعله نصرته و ناصره و اللّه ما صلحت دنيا و لا دين إلاّ به،و قد جمع الشيطان حزبه و استجلب خيله و من أطاعه ليعود له دينه و سنّته و خدعه و قد رأيت امورا قد تمحّضت،و اللّه ما أنكروا علىّ منكرا و لا جعلوا بينى و بينهم نصفا،و إنّهم ليطلبون حقّا تركوه و دما سفكوه فإن كنت شريكهم فيه فإنّ لهم لنصيبهم منه،و إن كانوا ولّوه دونى فما الطلبه إلاّ قبلهم،و إنّ أوّل عدلهم لعلى أنفسهم،و لا أعتذر ممّا فعلته و لا أتبرء ممّا صنعت،و إنّ معى لبصيرتى ما لبست و لا لبّس علىّ و إنّها للفئه الباغيه،فيها الحمّ و الحمه طالت جلبتها و انكفت جونتها ليعودنّ الباطل فى نصابه يا خيبه الداعى من دعا لو قيل ما أنكر فى ذلك،و ما أمامه و فيمن سنّته،و اللّه إذن لزاح الباطل عن نصابه و أنقطع لسانه،و ما أظنّ الطريق له فيه واضح حيث نهج،و اللّه ما تاب من قتلوه قبل موته و لا تنصّل من خطيئته و ما اعتذر إليهم فعذّروه و لا دعا فنصروه،و أيم اللّه لأفرطنّ لهم حوضا أنا ماتحه لا يصدرون عنه برىّ و لا يعبّون حسوه أبدا،و إنّها لطيّبه نفسى بحجّه اللّه عليهم و علمه فيهم،و إنّى داعيهم فمعذّر إليهم فإن تابوا و قبلوا و أجابوا و أنابوا فالتوبه مبذوله و الحقّ مقبول و ليس علىّ كفيل،و إن أبوا أعطيتهم حدّ السيف و كفى به شافيا من باطل و ناصر المؤمن و مع كلّ صحيفه شاهدها و كاتبها و اللّه إنّ الزبير و طلحه و عائشه ليعلمون أنّى على الحقّ و هم مبطلون.

اللغه

ذمر مخفّفا و مشدّدا أى حثّ ،و الجلب الجماعه من الناس و غيرهم تجمع و تؤلّف ،و تمحضّت تحرّكت ،و النصف بكسر النون و سكون الصاد النصفه و هى الاسم من الإنصاف ،و التبعه ما يلحق الإنسان من درك ،و الحمّ بفتح الحاء و تشديد الميم بقيّه الإليه الّتى اذيبت و اخذ دهنها ،و الحمه السواد و هما استعارتان لأرذال الناس و عوامهم،و الجبله الأصوات ،و جونتها بالضمّ سوادها ،و انكفت و استكفت أى استدارت ،و زاح و انزاح تنحى ،و النصاب الأصل ،و تنصلّ من الذنب تبرّأ منه ،و العب

الشرب من غير مصّ ،و الحسوه بضم الحاء قدر ما يحسى مرّه ،و الجلاد المضاربه بالسيف ، و الهبول الثكلى،و الهبل الثكل .

المعنى

و اعلم أنّه عليه السّلام نبّه أوّلا على فضل الجهاد لأنّ غرضه استنفارهم لقتال أهل البصره فأشار أوّلا إلى وجوبه من اللّه تعالى و الكتاب العزيز مشحون بذلك كقوله تعالى «وَ جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ» ١و نحوه،ثمّ أردفه بذكر تفضيل اللّه تعالى له و ذلك كقوله تعالى «لا يَسْتَوِى الْقاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِى الضَّرَرِ وَ الْمُجاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجاهِدِينَ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقاعِدِينَ دَرَجَةً وَ كُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنى وَ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجاهِدِينَ عَلَى الْقاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً دَرَجاتٍ مِنْهُ وَ مَغْفِرَةً وَ رَحْمَةً وَ كانَ اللّهُ غَفُوراً رَحِيماً» ٢ثمّ يذكر أنّ اللّه جعله نصره له و ناصرا و ذلك كقوله تعالى «إِنْ تَنْصُرُوا اللّهَ يَنْصُرْكُمْ» و المراد نصره دين اللّه و عباده الصالحين إذ هو الغنىّ المطلق الّذى لا حاجه به إلى معين و ظهير،ثمّ بالقسم الصادق أنّه ما صلحت دنيا و لا دين إلاّ به أمّا صلاح الدنيا به فلأنّه لولا الجهاد فى سبيل اللّه و مقاومه أهل الغلبه لخربت الأرض و البلاد كما قال اللّه تعالى «وَ لَوْ لا دَفْعُ اللّهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَ لكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعالَمِينَ» ٣و أمّا صلاح الدين فظاهر أنّه إنّما يكون بمجاهده أعداء دين اللّه الساعين فى هدم قواعده،فأمّا قوله و قد ذمر الشيطان حزبه و استجلب جلبه و من أطاعه .فقد سبق بيانه،و قوله ليعود له دينه و سنّته و خدعه فظاهر أنّ غايه سعى الشيطان من وسوسته تمكّنه من الخداع و عود المذاهب الباطله الّتى كانت قبل الرسول صلى اللّه عليه و آله دينه و طريقته، و كلّ ذلك تنفير للسامعين عمّا له من خالقه و جذب لهم إلى الحرب.

قوله و قد رأيت امورا قد تمحضت .إشاره إلى تعيين ما يستنفرهم إليه،و تلك الامور يحسّ به من مخالفه القوم و اهبّتهم لقتاله.قوله و اللّه ما أنكروا علىّ منكرا و لا جعلوا بينى و بينهم نصفا و إنّهم إلى قوله سفكوه .إشاره إلى إنكار ما إدّعوه منكرا و نسبوه إليه من قتل عثمان و السكوت عن النكير على قاتليه فأنكر أوّلا إنكارهم عليه تخلّفه عن عثمان الّذى زعموا أنّه منكر، و لمّا لم يكن منكرا كما ستعلم ذلك كان الإنكار عليه هو المنكر،و أشار بقوله و لا جعلوا

بینی و بینهم نصفا إلی أنّهم لو وضعوا العدل بینهم و بینه لظهر أنّ دعواهم باطله،و قوله و إنّهم لیطلبون حقّا هم ترکوه و دما هم سفکوه .إشاره إلی طلبهم لدم عثمان مع کونهم شرکاء فیه.روی أبو جعفر الطبریّ فی تاریخه أنّ علیا علیه السّلام کان فی ماله بخیر لمّا أراد الناس حصر عثمان فقدم المدینه و الناس مجتمعون علی طلحه فی داره فبعث عثمان إلیه یشکو أمر طلحه فقال علیه السّلام:أنا أکفیکه فانطلق إلی دار طلحه و هی مملوّه بالناس فقال له:یا طلحه ما هذا الأمر الّذی صنعت بعثمان فقال طلحه:یا أبا الحسن بعد ما مسّ الحزام طبیین فانصرف علیّ علیه السّلام إلی بیت المال فأمر بفتحه فلم یجدوا المفتاح فکسّر الباب و فرّق ما فیه علی الناس فانصرفوا من عند طلحه حتّی بقی وحده فسرّ عثمان بذلک،و جاء طلحه إلی عثمان فقال له:یا أمیر المؤمنین إنّی أردت أمرا فحال اللّه بینی و بینه و قد جئتک تائبا فقال:و اللّه ما جئت تائبا و لکن جئت مغلوبا اللّه حسیبک یا طلحه،و روی أبو جعفر أیضا أنّه کان لعثمان علی طلحه بن عبد اللّه خمسون ألفا فقال له یوما قد تهیّیء مالک فاقبضه فقال هو لک معونه علی مرّوتک فلمّا حصر عثمان قال علیّ علیه السّلام بطلحه أنشدک اللّه إلاّ کففت عن عثمان فقال لا و اللّه حتّی تعطی بنی امیّه الحقّ من أنفسها فکان علیّ علیه السّلام یقول بعد ذلک ألحا اللّه ابن الصعبه أعطاه عثمان ما أعطاه و فعل به ما فعل،و روی أنّ الزبیر لمّا برز لعلیّ علیه السّلام یوم الجمل قال له:ما حملک یا عبد اللّه علی ما صنعت؟قال:أطلب بدم عثمان فقال له:أنت و طلحه و لّیتماه و إنّما توبتک من ذلک أن تقدّم نفسک و تسلّمها إلی ورثته،و بالجمله فدخولهم فی قتل عثمان ظاهر و هذه مقدّمه من الحجّه علیهم.

و قوله فلئن کنت شریکهم فیه فإنّ لهم لنصیبهم منه و لئن کانوا ولّوه دونی فما التبعه إلاّ عندهم .تمام للحجّه و تقریرها أنّهم دخلوا فی دم عثمان و کلّ من دخل فیه فإمّا بالشرکه أو بالاستقلال و علی التقدیرین فلیس لهم أن یطلبوا بدمه،و أشار إلی القسم الأوّل بقوله فإن کنت شریکهم فیه فإنّ لهم لنصیبهم منه أی علی تقدیر کونهم شرکائی فی ذلک فعلیهم أن یبدئوا بتسلیمهم أنفسهم إلی أولیائه،و أشار إلی الثانی بقوله و إن کانوا ولّوه دونی فما الطلبه إلاّ قبلهم ،و قوله و إنّ أوّل عدلهم لعلی أنفسهم زیاده تقریر للحجّه أی أنّ العدل الّذی یزعمون أنّهم یقیمونه فی الدم المطلوب ینبغی أن یصنعوه أوّلا علی أنفسهم،و قوله و لا أعتذر ممّا فعلت

ص:۳۳۵

و لا أبرء ممّا صنعت أى أنّ الاعتزال الّذى فعلته فى وقت قتل عثمان لم يكن على وجه تقصير فى الدين يوجب الاعتذار و التبرّء منه فاعتذروا تبرّء كما سنبيّن وجه ذلك «إِنْ شاءَ اللّهُ» قوله و إنّ معى لبصيرتى ما لبست و لا لبّس علىّ .تقدّم بيانه، استعاره و قوله و إنّها للفئه الباغيه فيها الحمّ و الحمه .استعار هاتين اللفظتين لاسقاط الناس و أرذا لهم الّذين جمعوا لقتاله،و وجه الاستعاره مشابهتهم فحم الإليه و ما اسوّد منها فى قلّه المنفعه و الخير ، كنايه و قوله طالت جلبتها أى ارتفعت أصواتها،و هى كنايه عمّا ظهر من القوم من تهديدهم و توعيدهم بالقتال،و قوله و انكفت جونتها أى استدار سوادها و اجتمع و هو كنايه أيضا عن مجمع جماعتهم لما يقصدون ، استعاره بالكنايه و قوله يرتضعون أمّا قد فطمت استعار لفظ الامّ لنفسه عليه السّلام أو للخلافه فبيت المال لبنها،و المسلمون أولادها المرتضعون،و كنّى بارتضاعهم لها و قد فطمت عن التماسهم منه عليه السّلام من الصلات و التفصيلات مثل ما كان عثمان يصلهم به و يفضل بعضهم على بعض و منعه لهم من ذلك ،و قوله و يحيون بدعه قد اميتت إشاره إلى ذلك التفضيل فإنّه كان بخلاف سنّه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سنّه الشيخين و البدعه مقابله للسنّه،و إماتتها تركه عليه السّلام فى ولايته و قوله ليعودنّ الباطل فى نصابه توعّد لهم بعود ما كانوا عليه من الباطل فى الجاهليّه و استنفار للسامعين إلى القتال، استفهام تعجبى-استفهام تحقيرى و قوله يا خيبه الداعى من دعا خرج مخرج التعجّب من عظم خيبه الدعاه إلى قتاله و من دعا ، و إلى ما اجيب استفهام على سبيل الاستحقار للمدعوّين لقتاله و الناصرين إذ كانوا عوامّ الناس و رعاعهم و للمدعوّ إليه و هو الباطل الّذى دعوا لنصرته ،و قوله لو قيل ما أنكر فى ذلك و ما إمامه و فيمن سنّته و اللّه إذن لزاح الباطل عن نصابه و انقطع لسانه متّصله معناها لو سأل سائل مجادلا لهؤلاء الدعاه إلى الباطل عمّا أنكروه من أمرى و عن إمامهم الّذى به يقتدون و فيمن سنّتهم الّتى إليها يرجعون لشهد لسان حالهم فأنّى أنا إمامهم و فىّ سنّتهم فانزاح باطلهم الّذى أتوابه استعاره-مجاز و انقطع لسانه ،و استعمال لفظ اللسان هاهنا حقيقه على تقدير حذف المضاف أى انقطع لسان صاحبه عن الجواب به و تكون الاستعاره فى لفظ الانقطاع للسكوت،أو مجاز فى العباره عن الباطل و التكلّم به أى انقطع الجواب الباطل ،و قوله و ما أظنّ الطريق له فيه واضح حيث نهج الجمله عطف على قوله و انقطع لسانه ،و واضح مبتدأ و فيه خبره و الجمله فى موضع النصب مفعول ثان لأظنّ أى و ما أظنّ

ص:۳۳۶

لو سأل السائل عن ذلک أنّ الطريق الّذی يرتکبه المجيب له فيه مجال بيّن و مسلک واضح حيث سلک بل کيف توجّه فی الجواب انقطع،و قوله و اللّه ما طاب من قتلوه إلی قوله فنصروه .إشاره إلی عثمان و ذمّ لهم من جهه طلبهم بدم من اعتذر إليهم قبل موته فلم يغدروه،و دعاهم إلی نصرته فی حصاره فلم ينصروه مع تمکّنهم من ذلک،و قوله و ايم اللّه لأفرطنّ لهم حاضا أنا ماتحه ثمّ لا يصدرون عنه بریء .قد تقدّم تفسيره، کنايه و قوله و لا يعبّون حسوه أبدا کنايه عن عدم تمکينه لهم من هذا الأمر أو شیء منه کما تقول لخصمک فی شیء و اللّه لا تذوق منه و لا تشرب منه جرعه ،و قوله أنّها لطيّبه نفسی بحجّه اللّه عليهم و علمه فيهم. نفسی منصوب بدلا من الضمير المتّصل بأن أو بإضمار فعل تفسيرا له،و حجّه اللّه إشاره إلی أوامر اللّه الصادره بقتال الفئه الباغيه کقوله تعالی «فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَی الْأُخْری فَقاتِلُوا الَّتِی تَبْغِی حَتّی تَفِیءَ إِلی أَمْرِ اللّهِ» ١و کذلک کلّ أمر للّه أو نهی عصی فيه فهو حجّه للحقّ و کلّ حجّه للحقّ فهی حجّه للّه أی أنّی راض بقيام حجّه اللّه عليهم و علم بما يصنعون،و أیّ رضی للعاقل أتمّ و طيبه نفس أعظم من کونه لازما للحقّ و کون خصمه علی الباطل خارجا من طاعه اللّه و هو القائم علی کلّ نفس بما کسبت،و قوله و إنّی داعيهم فمعذّر إلی قوله و ناصر المؤمن واضح بيّن،و قوله و ليس علیّ کفيل أی لا أحتاج فيما أبذله لهم من الصفح و الأمان علی تقدير إنابتهم إلی ضامن،و شافيا و ناصرا منصوبان علی التمييز،و قوله و مع کلّ صحيفه شاهدها و کاتبها الواو للحال أی أنّهم إن لم يرجعوا اعطيتهم حدّ السيف،و الملائکه الکرام الکاتبون الّذين يعلمون ما نفعل يکتب کلّ منهم أعمال من وکلّ به فی صحيفه و يشهد بها فی محفل القيامه،و قوله و من العجب بعثتهم إلیّ أن أبرز للطعان و أن أصبر للجلاد تعجّب من تهدّدهم له بذلک مع علمهم بحاله فی الشجاعه و الحرب و الصبر علی المکاره،و هو محلّ الاستهزاء و التعجّب منهم،و قوله هبلتهم الهبول أی ثکلتهم الثواکل،و هی من الکلمات الّتی تدعو بها العرب،و قوله لقد کنت و ما أهدّد بالحرب و لا أرهب بالضرب أی من حيث أنا کنت کذلک،و قوله و إنّی لعلی يقين من ربّی و فی غير شبهه من أمری تأکيد لقوّته علی الحرب و إقدامه علی الجلاد و جذب لقلوب السامعين إلی الثقه بأنّهم

على بيّنه من اللّه و بصيره فى متابعته على القتال و الحرب فإنّ الموقن بأنّه على الحقّ ناصر للّه ذابّ عن دينه عار عن غبار الشبه الباطله فى وجه يقينه يكون أشدّ صبرا و أقوى جلدا و أثبت فى المكاره ممّن لا يكون كذلك فيقدم على القتال بشبهه عظّت على عين بصيرته أو هوى لزخرف الدنيا و باطلها قاده إلى ذلك،و باللّه التوفيق هذا آخر الجلد الأوّل و يتلوه أوّل الجلد الثانى من هذا الكتاب

ص:٣٣٨

الفهرست

العنوان الصفحه

ترجمه أحوال الشارح المحقّق ١

مقدّمه الشارح المحقّق ٢

إشاره إلى بعض مباحث الألفاظ ٥

فيما تلحق الألفاظ من الكيفيّات و ما تعرضها بالنسبه إلى معانيها ١٨

فيما تعرض الألفاظ من المحاسن العائده إلى آحاد الحروف ٢١

فيما تعرض الألفاظ من المحاسن العائده إلى مفردات الكلام ٢٣

فى أقسام المحاسن الكلاميّه ٢٥

الفرق بين الإخبار بالجمل الاسميه و الإخبار بالجمل الفعليه ٢٩

معنى الحقيقه و المجاز و أقسام المجاز ٣٠

معنى التشبيه و أقسامه ٣٤

حقيقه الاستعاره و أقسامها ٤٢

حقيقه النظم و أقسامه ٤٧

تعريف الخطابه و فائدتها ٦٠

موضوع الخطابه و أجزائه ٦١

مبادئ الخطابه ٦٢

اقتسام الخطابه باعتبار اقتسام الأغراض ٦٥

فى ذكر بعض محسّنات الخطابه ٧١

مبلغ بلوغه عليه السّلام فى الخطابه ٧٣

فی أنّه علیه السّلام مستجمع للفضائل ۷۵

ذکر الروایات الوارده عن المسلمین فی فضائله علیه السّلام ۷۷

بیان فضائله النفسانیّه ۷۹

صدور الکرامات عنه علیه السّلام ۸۱

فیما صدر عنه علیه السّلام من الإخبار بالأمور الغیبه و الملاحم ۸۳

ص:۳۳۹

العنوان الصفحه

فيما وقع عنه عليه السّلام من الأفعال الخارقه للعاده ٨٨

خطبه السيّد الرضىّ عليه الرحمه ٨٩

شرح مفردات الخطبه ٩١

معنى الحمد و الشكر و بيان الفرق بينهما ٩۶

بيان أشرفيّه النبىّ صلى اللّه عليه و آله و فضائله ٩٨

بيان المراد من أهل بيت النبىّ ١٠١

ما يرتقى به الأنبياء و الأولياء ١٠۴

١-الخبطه يذكر فيها ابتداء خلق السماء و الأرض ١٠۶

شرح مفردات الخطبه ١٠٨

وجه تقدم الصفات السلبيّه على الثبوتيّه فى كلامه عليه السّلام ١٠٩

فى أنّ القدره على الشكر نعمه ١١٣

فى بيان نسبه نظام الأرض إلى قدرته سبحانه ١١٧

فى بيان معنى الدين لغه و اصطلاحا ١١٩

فى حقيقه التوحيد و مراتبه ١٢٧

بيان كونه تعالى بصيرا ١٢٩

بيان نسبه إيجاد العالم إليه تعالى ١٣۵

كيفيّه تعلّق علمه بالأشياء قبل وجودها ١٣٧

أقوال الحكماء فى خلق السماوات و الأرض ١٣٩

فيما تكوّنت السماء منه ١۴١

کیفیّه خلق العرش و الکرسیّ ۱۴۵

کیفیّه خلق الأفلاک و السماوات ۱۵۱

کیفیّه خلق الملائکه ۱۵۵

بیان جوهر الملک و حقیقته ۱۵۷

العنوان الصفحه

فى أصناف الملائكه ۱۵۹

كيفيّه خلق آدم ۱۷۱

فى حقيقه إبليس أهو من الملائكه أم لا؟۱۷۵

فى حقيقه التوبه ۱۷۷

فيما يتركّب منه الإنسان ۱۸۱

تحقيق فى الحواسّ الظاهره و الباطنه ۱۸۳

حقيقه الجنّ و ماهيته ۱۸۵

علّه استكبار الشيطان عن السجود ۱۹۱

وجه عداوه إبليس مع آدم ۱۹۳

فى معنى الوسوسه ۱۹۵

ذكر مبعث الأنبياء و ذكر ما اختار اللّه لنبيّه ۱۹۹

فى أنّه لم يخل اللّه امّه من نبىّ مرسل ۲۰۳

بيان مذاهب الناس قيل بعثت نبيّنا ۲۰۵

ذكر آراء العرب قبل الإسلام ۲۰۷

فى وظائف تالى القرآن ۲۰۹

تجريد النفس عمّا منع عن نيل الحقيقه ۲۱۳

ذكر أنواع أحكام الكتاب ۲۲۱

بيان فريضه الحجّ و وجوه فضيلته ۲۲۳

بيان آداب الحجّ ۲۲۵

بيان أنّ سفر الحجّ غير سائر الأسفار ۲۲۹

بيان توجه القلب إلى المعبود حين الطواف ۲۳۱

ذكر بعض ما يشتمل عليه المناسك من الحكمه ۲۳۳

۲-الخطبه ألقاها بعد انصرافه من صفيّن ۲۳۵

ص:۳۴۱

العنوان الصفحه

ترغیب الناس إلی التمسک بکلمه التوحید ۲۳۹

ذکر ما هم فیه من الفتن للغفله عن ذکر اللّه و ترغیبهم بتمسک بکلمه التوحید ۲۴۱

لوصیف نفسه علیه السّلام بأنّه عیبه علم اللّه و موضع سرّه و حکمته ۲۴۵

تفضیل نفسه بمدح آل محمّد علیهم السّلام تلویحا ۲۴۷

۳-الخطبه و هی المعروفه بالشقشقیّه ۲۴۹

ذکر بعض ما کان فیه علیه السّلام من المکاره و الشدائد.۲۵۵

ذکر ما رآه من ابتلاء الناس بالتخبط و الشماس.۲۶۱

فی ما حمله علی قبول الأمر و القیام به ۲۶۷

فی أنّ قیامه بالأمر لحفظ العدل لا حرصا علی الدنیا ۲۶۹

۴-الخطبه خطبها بعد قتل طلحه و الزبیر ۲۷۰

إشاره إلی صغاء مرآه نفسه ۲۷۳

إرشاد المخالف إلی طریق الحقّ ۲۷۵

۵-و من کلام له علیه السّلام ألقاها بعد وفاه رسول اللّه ۲۷۶

إرشاد الناس إلی کیفیّه دفع الفتن ۲۷۷

بیان ما یوجب توقفه علیه السّلام عن طلب الخلافه ۲۷۹

۶-و من کلام له علیه السّلام فی جواب ابنه ۲۸۰

مبلغ تسلّط الشیطان علی الإنسان ۲۸۱

۷-الخطبه ألقاها فی ذمّ المنابذین و المخالفین له ۲۸۲

۸-و من کلام له علیه السّلام یعنی به الزبیر فی حال افتضت ذلک ۲۸۳

۹-و من کلام له علیه السّلام فی ذمّ اتباع المخالفین ۲۸۴

۱۰-الخطبه ألقاها حین بلغه أنّ طلحه و الزبیر خلعا بیعته ۲۸۵

۱۱-و من کلام له علیه السّلام لابنه محمّد بن حنفیّه.۲۸۶

إشاره منه إلی أنواع اداب الحرب ۲۸۷

ص:۳۴۲

العنوان الصفحه

۱۲-و من كلام له عليه السّلام لمّا ظفر بأصحاب الجمل ۲۸۸

۱۳-و من كلام له عليه السّلام فى ذمّ أهل البصره ۲۸۹

۱۴-و من كلام له عليه السّلام فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان ۲۹۵

۱۵-الخطبه الّتى خطبها لمّا بويع بالمدينه ۲۹۶

بيان أنّ التقوى حاجز عن التقحم فى الشبهات ۲۹۹

إشاره إلى ما نبّهه رسول اللّه فى مآل أمر الخلافه ۳۰۱

فيما هو وسيله إلى الفوز بالجنّه و النجاه من النار ۳۰۳

إشاره إلى أنّ أدنى مراتب الجهل يوجب اكتساب الرذائل ۳۰۷

بيان أنّ الحسنه من اللّه و السيّئه من قبل العبد ۳۰۹

۱۶-و من كلام له عليه السّلام فى ذمّ من يتصدّى للحكم بين الأمّه و ليس لذلك بأهل ۳۱۰

۱۷-و من كلام له عليه السّلام فى ذمّ اختلاف العلماء فى الفتيا ۳۲۰

بيان أنّه عليه السّلام كان يرى أنّ الحقّ فى جهه و أن ليس كلّ مجتهد مصيبا ۳۲۱

۱۸-و من كلام له عليه السّلام لأشعث بن قيس ۳۲۲

۱۹-الخطبه ألقاها فى العذاب القبر و ازدجار بالعبر ۳۲۶

فى أنّ الاعتقادات الباطله كانت حجابا لبصر الكافر ۳۲۷

بيان العبر الّتى منها يزدجر الإنسان ۳۲۹

۲۰-الخطبه ألقاها لموعظه الناس و حشّهم على التقوى ۳۳۰

۲۱-الخطبه ألقاها حين بلغه خبر الناكثى بيعته ۳۳۲

إقامه الحجّه على الناكثين بدخولهم فى قتل عثمان ۳۳۵

فهرست المطالب ٣٣٩

ص:٣٤٣

خرج الكتاب و الحمد للّه-بشكل بديع متناسب العصر

بحسن الترتيب و كمال التنظيم و الخلوّ من الأخطاء إلاّ ما

زاغ عنه البصر و ما لا يخفى على أهل النظر كزياده نقطه أو

ألف أو نقصانهما و نثق من القراء الكرام تقدير مبذول

جهدنا و ما لاقيناه من الصعوبه فى سبيل التنقيح و ستصدّر الأجزاء

متتاليه إنشاء اللّه

ص:۳۴۴

المجلد ۲

اشاره

ص :۱

اشاره

«بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ» نحمد اللّه على ما فتح لنا أبواب المعرفه،و نشكره على ما ألهمنا من شكر النعمه.و نصلّى و نسلّم على من بعثه إلى عباده ليتلو عليهم الكتاب و الحكمه،و على آله المعصومين الكرام البرره.و نسأله أن يسعد حظّنا و يثبّت أقدامنا لليسر فى سبيله و للسعى وراء مرضاته،و أن يجعل صحائف أعمالنا بسعد الجدّ متواليه،و بصالح الأعمال متواصله.إنّه بعباده رؤف رحيم.

و بعد فهذا هو الجزء الثانى من كتاب شرح نهج البلاغه للعلاّمه المحقّق الحكيم:ميثم بن علىّ البحرانى على حسب ما رتّب كتابه،مبتدئا فى شرح الثانيه و العشرين من الخطب و ما يجرى مجراها على حسب ما جمعه الشريف الرضّى-جزاهما اللّه أحسن الجزاء-.

و هى:

ص:٢

* تتمه باب المختار من الخطب

۲۲–و من خطبه له علیه السّلام

القسم الأول

اشاره

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ- كَقَطَرَاتِ الْمَطَرِ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قُسِمَ لَهَا- مِنْ زِيَادَهٍ أَوْ نُقْصَانٍ- فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ غَفِيرَهً- فِی أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ- فَلاَ تَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَهً- فَإِنَّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ مَا لَمْ يَغْشَ دَنَاءَهً تَظْهَرُ- فَيَخْشَعُ لَهَا إِذَا ذُكِرَتْ وَ يُغْرَى بِهَا لِئَامُ النَّاسِ- كَانَ كَالْفَالِجِ الْيَاسِرِ الَّذِی يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَهٍ- مِنْ قِدَاحِهِ تُوجِبُ لَهُ الْمَغْنَمَ وَ يُرْفَعُ بِهَا عَنْهُ الْمَغْرَمُ- وَ كَذَلِكَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ الْبَرِیءُ مِنَ الْخِيَانَهِ- يَنْتَظِرُ مِنَ اللَّهِ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ- إِمَّا دَاعِیَ اللَّهِ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ- وَ إِمَّا رِزْقَ اللَّهِ فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلٍ وَ مَالٍ- وَ مَعَهُ دِينُهُ وَ حَسَبُهُ- إِنَّ الْمَالَ وَ الْبَنِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا- وَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ حَرْثُ الْآخِرَهِ- وَ قَدْ يَجْمَعُهُمَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَقْوَامٍ- فَاحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ- وَ اخْشَوْهُ خَشْيَهً لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ- وَ اعْمَلُوا فِی غَيْرِ رِيَاءٍ وَ لاَ سُمْعَهٍ- فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِغَيْرِ اللَّهِ يَكِلْهُ اللَّهُ لِمَنْ عَمِلَ لَهُ- نَسْأَلُ اللَّهَ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَ مُعَايَشَهَ السُّعَدَاءِ

ص: ۳۰

وَ مُرَافَقَهَ الْأَنْبِيَاءِ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لاَ يَسْتَغْنِى الرَّجُلُ- وَ إِنْ كَانَ ذَا مَالٍ عَنْ عَشِيرَتِهِ وَ دِفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَ أَلْسِنَتِهِمْ- وَ هُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ حَيْطَهً مِنْ وَرَائِهِ وَ أَلَمُّهُمْ لِشَعَثِهِ- وَ أَعْطَفُهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ نَازِلَهٍ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ- وَ لِسَانُ الصِّدْقِ يَجْعَلُهُ اللَّهُ لِلْمَرْءِ فِى النَّاسِ- خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يُوَرِّثُهُ غَيْرَهُ

اللغه

أقول: الغفيره : الكثره و الزياده.و روى عفوه بكسر العين،و عفوه كلّ شىء صفوته.

و غرى يغرى بالأمر إذا ولع به ،و أغريته به : إذا حثثت له الدخول فيه .و الفالج : الفائز .

و الياسر : اللاعب بالميسر.و سنذكر كيفيّته .و القداح : سهام الميسر الّتى يلعب بها ،و التعذير اظهار العذر ممّن لا عذر له فى الحقيقه ،و عشيره الرجل : قبيلته و المعاشرون له ،و الحيطه بالكسر : الحفظ و الرعايه ،و اللمّ : الجمع .و الشعث : تفرّق الأمر و انتشاره .

المعنى

اشاره

و اعلم أنّ مدار هذا الفصل على تأديب الفقراء بترك الحسد و نحوه أوّلا،و على تأديب الأغنياء بالشفقه على الفقراء و مواساتهم بالفضل من المال و تزهيدهم جمعه ثانيا .

فقوله:أمّا بعد فإنّ الأمر ينزل إلى قوله:أو نقصان

فقوله: أمّا بعد فإنّ الأمر ينزل إلى قوله: أو نقصان .صدر الخطبه.أورده ليبنى عليه غرضه،و حاصله الإشاره إلى أنّ كلّ ما يحدث من زياده أو نقصان و يتجدّد فيما يكون به صلاح حال الخلق فى معاشهم و معادهم من صحّه أو مال أو علم أو جاه أو أهل فإنّه صادر عن القسمه الربّانيّه المكتوبه بقلم القضاء الإلهىّ فى اللوح المحفوظ الّذى هو خزانه كلّ شىء.و المراد بالأمر حكم القدره الإلهيّه على الممكنات بالوجود و هو المعبّر عنه بقوله تعالى:

«كُنْ» :فى قوله: «إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ» و بنزوله نسبه حصوله إلى كلّ نفس بما قسم لها و هى النسبه المسمّاه بالقدر فى قوله تعالى «وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَ ما نُنَزِّلُهُ إِلاّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ»(۱) و استعاره-حقيقت المراد بالسماء سماء الجود الإلهىّ و بالأرض عالم الكون و الفساد على سبيل استعاره هذين اللفظين للمعنيين المعقولين من المحسوسين،و وجه الاستعاره فى الموضعين

۱- ۲۱-۱۵.

مشارکه المعنیین المذکورین للسماء و الأرض فی معنیی العلوّ و الاستفال کلّ بالنسبه إلی الآخر،و إنّما لم تکن الحقیقه مراده لأنّ الأمر النازل لیس له جهه هی مبدء نزوله و إلاّ لکان الأمر فی جهته-تعالی اللّه عن ذلک-و یحتمل أن یراد حقیقه السماء و الأرض علی معنی أنّ الحرکات الفلکیه لمّا کانت شرائط معدّه یصدر بواسطتها ما یحدث فی الأرض کانت السماء مبادئ علی بعض الوجوه لنزول الأمر . تشبیه فأمّا تشبیهه بقطر المطر فوجه التشبیه أنّ حصول الرزق و الأهل و نحوهما لکلّ نفس و قسمها منها مختلف بالزیاده و النقصان کما أنّ قطر المطر بالقیاس إلی کلّ واحده من البقاع کذلک.و هو تشبیه للمعقول بالمحسوس .

و قوله:فإذا رأی أحدکم لأخیه المسلم غفیره فی أهل أو مال أو نفس فلا تکوننّ له فتنه

و قوله: فإذا رأی أحدکم لأخیه المسلم غفیره فی أهل أو مال أو نفس فلا تکوننّ له فتنه.

شروع فی تأدیب من حصل فی حقّه النقصان فی أحد الامور المذکوره بالنهی لهم عن الافتتان بحال من حصلت له الزیاده و النفاسه فی أحدها:من المال أو الأهل أو النفس.قال بعض الشارحین:إنّه أراد بالنهی عن الفتنه هاهنا النهی عن الحسد.و التحقیق أن یقال:

إنّ الفتنه هی الضلال عن الحقّ بمحبّه أمر ما من الامور الباطله،و الاشتغال به عمّا هو الواجب من سلوک سبیل اللّه.و لمّا کان حال الفقراء من أحد الامور المذکوره بالنسبه إلی من عرضت له الزیاده فی أحدها،فمنهم من یؤهّل نفسه لتلک الزیاده فیری أنّه أحقّ بها ممّن عرضت له فیعرض له أن یحسده،أو یری أنّه یستحقّ مثلها فیعرض له أن یغبطه،و منهم من یقصّر نفسه عن ذلک لکن یمیل بطبعه إلی خدمه من له تلک الزیاده،و ینجذب بکلّیته إلی موالاتهم ککثیر من الفقراء الّذین یمیلون بطباعهم إلی خدمه الأغنیاء،و یخلصون السعی لهم لیس لأمر سوی ما حصلوا علیه من مال أو جاه أو نحو ذلک.و لعلّ تلک الغایه یشوبها توهّم الانتفاع بهم ممّا حصلوا علیه.و لمّا کانت هذه الامور و نحوها أعلی الحسد و الغبطه،و المیل إلیهم لأجل ما حصلوا علیه من الزیاده فی أحد الامور المذکوره رذائل أخلاق مشغله عن التوجّه إلی اللّه تعالی و مقبله عن سواء السبیل کان المنهیّ عنه فی الحقیقه هو الضلال بأحد الرذائل ه هاهنا .

و قوله:فإنّ المرء المسلم.إلی قوله:و معه دینه و حسبه.

و قوله : فإنّ المرء المسلم. إلی قوله: و معه دینه و حسبه.

أقول:إعراب هذا الفصل أنّ ما هاهنا بمعنی المدّه.و کالفالج خبر أنّ و تظهر صفه

لدناءه و قوله فيخشع إن حملنا الخشوع على المعنى اللغوى و هو غضّ الطرف مثلا و التطأمن.

كان عطفا على يظهر،و إن حملناه على المعنى العرفىّ و هو الخضوع للّه و الخشيه منه فالفاء للابتداء.و الياسر صفه للفالج.و إذا للمفاجاه.إذا عرفت ذلك.

تشبيه فاعلم أنّه عليه السّلام لمّا نهى عن الفتنه بأحد الامور المذكوره و الشغل بها أراد أن يتبّه على فضيله الانتهاء عنه فتبّه على كونها دنايا بقوله: ما لم يغش دناءه ،ثمّ عقّب بالتنفير عن الدناءه و الترغيب فى التنزّه عنها بما ذكره.و معناه أنّ المسلم مهما لم يرتكب أمرا خسيسا يظهر عنه فيكسب نفسه خلقا رديئا،و يلزمه بارتكابه الخجل من ذكره بين الخلق إذا ذكر و الحياء من التعيير به،و يغرى به لئام الناس و عوامّهم فى فعل مثله.و قيل:

فى هتك ستره.فإنّه يشبه الفالج الياسر.هذا إن حملنا الخشوع على معناه اللغوىّ،و إن حملناه على المعنى العرفى الشرعىّ كان المراد أنّه ما لم يغش دناءه فيخشع لها:أى بل يخشع للّه و يخضع له عند ذكرها و يتضرّع إليه هربا من الوقوع فى مثلها و خوفا من وعيده على المعاصى فيكون كالفالج الياسر.

فلنشرت أوّلا- إلى كيفيّه اللعب المسمّى ميسرا ليتّضح به وجه التشبيه.فنقول:إنّ الخشبات المسمّيات قداحا و هى الّتى كانت لايسار الجزور سبعه:أوّلها:الفذّ بالذال المعجمه و فيه فرض واحد.و ثانيها:التوأم.و فيه فرضان.و ثالثها:الضريب بالضاد المعجمه و فيه ثلاثه فروض.و رابعها:الحلس بكسر الحاء،و نقل أحمد بن فارس فى المجمل:الحلس بفتح الحاء و كسر اللام.و فيه أربعه فروض.و خامسها:النافس و فيه خمسه فروض.و سادسها:

المسيل.و هى ستّه فروض.و سابعها:المعلّى و له سبعه فروض.و ليس بعده قدح فيه شىء من الفروض،إلاّ أنّهم يدخلون مع هذه السبعه أربعه اخرى تسمّى أوغادا.لا- فروض فيها.و إنّما تثقل به القداح.و أسماءها:المصدر،ثمّ المضعف،ثمّ المنبح،ثمّ الصفيح.فإذا اجتمع أيسار الحىّ أخذ كلّ منهم قدحا:و كتب عليه اسمه أو علّم بعلامه،ثمّ أتوا بجزور فينحرها صاحبها و يقسّمها عشره أجزاء:على الوركين،و الفخذين،و العجز،و الكاهل،و الزور، و الملحاء،و الكتفين.ثمّ يعمد إلى الطفاطف و حرز الرقبه فيقسّمها على تلك الأجزاء بالسويّه.فإذا استوت و بقى منها عظم أو بضعه لحم انتظر به الجازر من أراده ممّن

بفوز قدحه فإن أخذه عيّر به و إلاّ فهو للجازر،ثمّ يؤتى برجل معروف أنّه لم يأكل لحما قطّ بثمن إلاّ أن يصيبه عند غيره و يسمّى الحرضه.فيجعل على يديه ثوب، و تعصّب رءوس أصابعه بعصابه كيلا يجد مسّ الفروض،ثمّ يدفع إليه القداح،و يقوم خلفه رجل يقال له الرقيب.فيدفع إليه قدحا قدحا منها من غير أن ينظر إليها.فمن خرج قدحه أخذ من أجزاء الجزور بعدد الفروض الّتى فى قدحه،و من لم يخرج قدحه حتّى استوفيت أجزاء الجزور غرم بعدد فروض قدحه كأجزاء تلك الجزور من جزور اخرى لصاحب الجزور الّذى نحرها.فإن اتّفق أن خرج المعلّى أوّلا فأخذ صاحبه سبعه أجزاء من الجزور،ثمّ خرج المسيل فلم يجد صاحبه إلاّ ثلاثه أجزاء أخذها،و غرم له من لم يفز قدحه ثلاثه أجزاء من جزور اخرى.و أمّا القداح الأربعه الأوغاد فليس فى خروج أحدها غنم،و لا فى عدم خروجه غرم.و المنقول عن الأيسار أنّهم كانوا يحرّمون ذلك اللحم على أنفسهم،و يعدّونه للضيافه.إذا عرفت ذلك.

فاعلم أنّ وجه الشبه هو ما ذكره عليه السّلام و ذلك أنّ الفائز الياسر الّذى ينتظر قبل فوزه أوّل فوزه من قداحه أوجب له فوزه المغنم و نفى عنه المغرم فكذلك المسلم البرىء من الخيانه الضابط لنفسه عن ارتكاب مناهى اللّه لمّا كان لا بدّ له فى انتظاره لرحمه اللّه و صبره عن معصيته أن يفوز بإحدى الحسنيين:و هى إمّا أن يدعوه اللّه إليه بالقبض عن الشقاء فى هذه الدار .فما عند اللّه ممّا أعدّه لأوليائه الأبرار خير له .فيفوز إذن بالنعيم المقيم.و لمّا كان فوزه مستلزما لعدم خسرانه ظهر حسن تشبيهه بالياسر الفالج فى فوزه المستلزم لعدم غرمه.و يحتمل أن يريد بداعى اللّه لا الموت،بل الجواذب الإلهيّه، و الخواطر الربّانيّه الّتى تسنح له فتجذبه إلى طرف الزهد الحقيقىّ و الالتفات عن خسائس هذه الدار إلى ما وعد به المتقوّن،و إمّا أن يفتح اللّه عليه أبواب رزقه فيصبح و قد جمع اللّه له بين المال و البنين مع حفظ الحسب و الدين.فيفوز الفوز العظيم و يأمن العقاب الأليم.فالتشبيه أيضا هاهنا واقع موقعه،و كلا الوصفين أفضل عند العاقل من الفتنه بالغير،و الالتفات عن اللّه تعالى،و تدنيس لوح النفس برذائل الأخلاق من الحسد و نحوه.و كما أنّ الفصل مستلزم للنهى عن الحسد و نحوه من الفتن المضلّه كذلك

هو مستلزم للأمر بالصبر على بلاء اللّه و انتظار رحمته .

قوله:إنّ المال و البنين حرث الدنيا.إلى قوله:لأقوام.

قوله: إنّ المال و البنين حرث الدنيا. إلى قوله: لأقوام .

أقول:لمّا بيّن فيما سبق من التشبيه و غيره أنّ تارك الرذائل المذكوره و نحوها المنتظر للحسنى من اللّه فائز.أردف ذلك بالتنبيه على تحقير المغشيات الّتى ينشأ منها التنافس،و منها الرذائل المذكوره.فذكر أعظمها و أهمّها عند الناس و هو المال و البنون.

فإنّهما أعظم الأسباب الموجبه لصلاح الحال فى الحياه الدنيا و أشرف القينات الحاضره.

كما قال اللّه تعالى «الْمالُ وَ الْبَنُونَ زِينَهُ الْحَياهِ الدُّنْيا» و نبّه على تحقيرهما بالنسبه إلى العمل بكونهما من حرث الدنيا و العمل الصالح حرث الآخره .و المقدّمه الاولى من هذا الاحتجاج صغرى كبراه ضمير تقديرها و حرث الدنيا حقير عند حرث الآخره.فينتج أنّ المال و البنين حقيران بالنسبه إلى حرث الآخره.و قد ثبت فى المقدّمه الثانيه أنّ حرث الآخره هو العمل الصالح.فإذن المال و البنون حقيران بالنسبه إلى العمل الصالح.

أمّا المقدّمه الاولى فظاهره إذ لا حصول للمال و البنين فى غير الدنيا.

و أمّا بيان الثانيه فمن وجهين:أحدهما:قوله تعالى «فَما مَتاعُ الْحَياهِ الدُّنْيا فِي الْآخِرَهِ إِلاّ قَلِيلٌ» و ظاهر أنّه لا يريد قلّه الكميّه،بل المراد حقارته بالنسبه إلى متاع الآخره و لذّتها.الثانى:أنّ حرث الدنيا من الامور الفانيه،و حرث الآخره من الامور الباقيه الموجبه للسعاده الأبديّه،و الفانيات الصالحات ظاهره الحقاره بالنسبه إلى الباقيات الصالحات كما قال تعالى «وَ الْباقِياتُ الصّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً وَ خَيْرٌ أَمَلاً» ثمّ نبّه السامعين بقوله: و قد يجمعهما اللّه لأقوام .على وجوب الالتفات إلى اللّه تعالى و التوكّل عليه.و ذلك أنّ الجمع بين حرث الدنيا و الآخره لمّا كان فى طباع كلّ عاقل طلب تحصيله،و كان حصوله إنّما هو من اللّه دون غيره لمن يشاء من عباده.ذكر عليه السّلام ذلك ليفرغ الطالبون للسعاده إلى جهه تحصيلها و هو التقرّب إلى اللّه بوجوه الوسائل، و الإعراض عمّا لا يجدى طائلا من الحسد و نحوه ،ثمّ أكّد ذلك الجذب بالتحذير ممّا حذّره اللّه من نفسه،و الأمر بالخشيه الصادقه البريئه من التعذير المستلزمه لترك محارمه،و لزوم حدوده الجاذبه إلى الزهد الحقيقى،ثمّ أردف ذلك بالأمر بالعمل للّه

البرىء من الرياء و السمعه و هو إشاره إلى العباده الخالصه للّه،و المستلزم لتطويع النفس الأمّاره بالسوء للنفس المطمئنّه،و قد ثبت فى علم السلوک إلى اللّه تعالى أنّ الزهد و العباده کيف يوصلان إلى السعاده التامّه الأبديّه .

و قوله:فإنّه من يعمل لغير اللّه يکله اللّه لمن عمل له.

و قوله: فإنّه من يعمل لغير اللّه يکله اللّه لمن عمل له.

تعليل لوجوب ترک الرياء و السمعه فى العمل.فإنّ العامل للرياء و السمعه قاصد أن يراه الناس و يسمعوا بحاله ليعود إليه منهم ما يتوقّعه من مال أو جاه و نحوه من الأغراض الباطله و الأعراض الزائله.و قد علمت أنّ التفات النفس إلى شیء من ذلک شاغل لها عن تلقّى رحمه اللّه و الاستعداد لها،محجوبه به عن قبول فضله.و لمّا کان هو مسبّب الأسباب و منتهى سلسله الممکنات لا جرم کانت المطالب منه لا من غيره فجرى منه التحديد بالوکول إلى من سواه ممّن عمل له العاملون لاستلزامه الخيبه و الحرمان.

و خسر العاملون إلّا له،و خاب المتوکّلون إلّا عليه.و قد سبق منّا بيان معنى کون العامل لغير اللّه موکولا إلى نفسه و إلى من عمل له فى الفصل الّذى ذمّ فيه عليه السّلام من يتصدّى للحکم بين الامّه و ليس من أهله.

قوله:نسأل اللّه منازل الشهداء و معايشه السعداء و مرافقه الأنبياء .

قوله: نسأل اللّه منازل الشهداء و معايشه السعداء و مرافقه الأنبياء.

لمّا کانت همّته عليه السّلام مقصوره على طلب السعاده الاخرويّه طلب هذه المراتب الثلاث.و فى ذلک جذب للسامعين إلى الاقتداء به فى طلبها و العمل بها.و بدء عليه السّلام بطلب أسهل المراتب الثلاث للإنسان،و ختم بأعظمها.فإنّ من حکم له بالشهاده غايته أن يکون سعيدا،و السعيد غايته أن يکون فى زمره الأنبياء رفيقا لهم.و هذا هو الترتيب اللائق من المؤدّب الحاذق.فإنّ المرتبه العاليه لا تنال دفعه دون نيل ما هو أدون منها .

قوله:أيّها الناس.إلى قوله:يورّثه غيره.

قوله: أيّها الناس .إلى قوله: يورّثه غيره.

أقول:لمّا أشار إلى تأديب الفقراء عن التعرّض للأغنياء بما يوجب لهم ملکات السوء من الحسد و نحوه أردف ذلک بتأديب الأغنياء و استدراجهم فى حقّ الفقراء ذوى الأرحام و أهل القبيله و نحوهم من الأصحاب بالأمر بالمواساه فى المال و المئونه لهم لينتظم شمل المصلحه من الطرفين.فاستدرجهم بأمرين:

أحدهما:ببيان أنّهم لا يستغنون عنهم و إن كانوا أصحاب ثروه.فإنّ الرجل لا يستغنى بماله عن أعوان له يذبّون عنه بأيديهم صوله قبائل،و يدفعون عنه بألسنتهم مسبّه قائل،بل من المعلوم أنّ أشدّ الناس حاجه إلى الأعوان و الأصحاب و المعاضدين هم أكثر الناس ثروه،و انظر إلى الملوك و المتشبّهين بهم من أرباب الأموال.و أحقّ الناس بعدم الاستغناء عنهم عشيره الرجل و أصحابه.فإنّهم أعظم الناس شفقه عليه، و أشدّهم دفاعا عنه و حفظا لجانبه ،و ألمّهم لشعثه أى أشدّهم جمعا لمتفرّق حاله، و أعطفهم عليه إن نزلت به نازله من فقر و نحوه.و ذلك أنّ قربهم منه باعث لدواعى الشفقه عليه.

الثانى:التنبيه بذكر غايتى إنفاق المال و جمعه،و تفضيل أحدهما على الآخر.

و ذلك قوله: و لسان الصدق يجعله اللّه للمرء إلخ.فلسان الصدق هو الذكر الجميل بين الناس و هو من غايات البذل و الانفاق،و غايه جمع المال هى توريثه للغير.و أمّا أفضليّه البذل على الجمع فظاهره من تصوّر هاتين الغايتين.و إنّما رغّب عليه السّلام فى البذل بما يستلزمه من غايه الذكر الجميل بين الناس و إن لم يكن مقصوده من الحثّ على البذل إلاّ مصلحه الفقراء و سداد خلّتهم،و تأديب الأغنياء و تعويدهم بالبذل و النزول عن محبّه المال.

لأنّ توقّع الذكر الجميل من الناس أدعى إلى البذل و أكثر فعلا فى النفوس من الغايات الّتى يقصدها عليه السّلام.و ذلك من الاستدراجات الحسنه.حتّى إذا انفتح باب البذل و تمرّنت النفوس عليه وجدت أنّ أولى المقاصد الّتى يصرف فيها المال هى المقاصد الّتى يقصدها الشارع و يحّث عليها من سدّ خلّه الفقراء الّتى ينتظم بها شمل المصلحه و يتّحد الناس بعضهم ببعض خصوصا العشيره.فإنّه من الواجب فى السيره العادله الّتى بها صلاح حال الإنسان فى الدارين أنّه لمّا كان لا غناء له عن عشيرته و أصحابه،و كان إكرامهم و مواساتهم بالمال هو الّذى يؤكّد الانتفاع بهم و يستحقّونه فى مقابله حفظهم لجانبه و حياطتهم له فبالحرىّ أن يجب مواساتهم و إكرامهم بما ينتظم أحوالهم من فضل المال،و كفى بذكر غايه جمع المال و هى توريث الغير المستلزمه لذكر هادم اللذّات باعثا على بذل المال و النزول عن محبّته و جمعه لمن لمح بعين بصيرته عاقبه أمره.و باللّه التوفيق.

القسم الثانی

اشاره

و منها أَلَا لَا یَعْدِلَنَّ أَحَدُکُمْ عَنِ الْقَرَابَهِ یَرَی بِهَا الْخَصَاصَهَ- أَنْ یَسُدَّهَا بِالَّذِی لَا یَزِیدُهُ إِنْ أَمْسَکَهُ- وَ لَا یَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَکَهُ- وَ مَنْ یَقْبِضْ یَدَهُ عَنْ عَشِیرَتِهِ- فَإِنَّمَا تُقْبَضُ مِنْهُ عَنْهُمْ یَدٌ وَاحِدَهٌ- وَ تُقْبَضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَیْدٍ کَثِیرَهٌ- وَ مَنْ تَلِنْ حَاشِیَتُهُ یَسْتَدِمْ مِنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّهَ قال الشریف:أقول:الغفیره ههنا الزیاده و الکثره،من قولهم للجمع الکثیر:الجم الغفیر،و الجماء الغفیر.و یروی«عفوه من أهل أو مال» و العفوه الخیار من الشیء،یقال:أکلت عفوه الطعام،أی:خیاره،و ما أحسن المعنی الذی أراده علیه السّلام بقوله:«و من یقبض یده عن عشیرته إلی تمام الکلام»فإن الممسک خیره عن عشیرته إنما یمسک نفع ید واحده- فإذا احتاج إلی نصرتهم و اضطر إلی مرافدتهم- قعدوا عن نصره و تثاقلوا عن صوته- فمنع ترافد الأیدی الکثیره و تناهض الأقدام الجمه

اللغه

أقول: العدول : الانحراف ،و الخصاصه : الفقر و الحاجه ،و حاشیه الرجل : جانبه و حاشیته:أیضا أخدامه و أتباعه الّذین هم حشو بیته ،و قوله: یری .فی موضع النصب علی الحال، و أن یسدّها.فی موضع الجرّ بدلا من القرابه.

المعنی

و اعلم أنّ المقصود بهذا الفصل هو ما ذکرناه قبله،و لو وصلناه به لصلح تتمّه.له.و حاصله إلی قوله:أید کثیره .النهی عن العدول عن سدّ خلّه الأقرباء و اولی الأرحام ذوی الحاجه بالفضل من المال،و صرفه فی غیر وجهه من المصارف الغیر المرضیّه للّه سبحانه، استعاره بالکنایه و کنّی بالسدّ الّذی هو حقیقه فی منع جسم لجسم عن المنع المعقول و هو منع الاختلال فی حال الإنسان کنایه بالمستعار.

و قوله: لا یزیده إن أمسکه و لا ینقصه إن أهلکه .علی ظاهره إشکال فإنّه یحتمل أن یقال:کلّ

جزء من المـال فـإنّ بقائه زياده فيه و عـدمه نقصان منه.و جوابه من وجهين:أحـدهما أن يقال إنّه عليه السّـلام لم يرد هاهنا مطلق الزيـاده و النقصـان فى المـال بالنسـبه إلى المال.فـإنّ الضـميرين المنصوبين فى يزيـده و ينقصه عايـدان إلى الشـخص المعبّر عنه بأحـدكم المأمور بالإنفاق،و إنّما أراد الزياده و النقصان فيه الّذين لا يعتبر تأثيرهما فى صـلاح حال الإنسان و عـدم صـلاحه،فإنّ الفضل الزائـد فى مال الإنسان على القـدر الّـذى يدفع ضـرورته بحسب الشـريعه ليس زيادته معتبره فى صـلاح حاله،و لا نقصانه معتبرا فى فساد حاله فلا يزيده إذن إن أمسكه،و لا ينقصه إن أهلكه.و هذا كما يقول الإنسان لمن يريد أن يسّهل عليه أمرا حقيرا يتشدّد فى طلبه:إنّ هذا الأمر لا يضرّك إن تركته و لا ينفعك إن أخذته أى بالنسبه إلى صلاح حالك.الثانى أنّه يحتمل أن يريد الزياده و النقصان فى الثواب و الأجر فى الآجل،و الثناء و الذكر فى العاجل أى لا يزيده صلاح حال عند اللّه، و عند الناس يكون سببا لفساد حاله:أمّا عند اللّه فلأنّ إمساك الفضل من المال عمّن له إليه ضروره من عباد اللّه سبب للشقاء العظيم و العذاب الأليم فى الآـخره لقوله تعـالى «وَ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الـذَّهَبَ وَ الْفِضَّهَ وَ لا يُنْفِقُونَها فِى سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَـذابٍ أَلِيمٍ» (١)و أمّا عند الناس فعليك بمطالعه مقالاتهم فى ذمّ البخل و البخلاء.و كذلك لا ينقصه أى لا المعطى ينقص من صـلاح حاله:أمّا عند اللّه فلمّا وعد به أهـل الإنفـاق فى سبيله من الأـجر الجميـل و الثواب الجزيـل كقوله تعالى «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِى سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ ما أَنْفَقُوا مَنًّا وَ لاـ أَذىً» الآيه (٢)و نحوها،و أمّا عنـد الناس فلمّا اتّفقوا عليه من مـدح أهل الكرم و السـخاء و ملاؤا به الصـحف من النظم و النثر فيهم.فأمّا قوله : و من يقبض يده عن عشيرته .إلى آخره.فمعناه ما ذكره السـيّد الرضـىّ و هو أنّ الممسك خيره عن عشيرته إنّما يمسك عنهم نفع يد واحده،فإذا احتاج إلى نصرتهم قعدوا عن نصرته و تثاقلوا عنه.فمنع ترافد الأيدى الكثيره،إلّا أنّ هذا البيان يحتاج إلى تقرير،و هو أنّ الإنسان لمّا كان انتفاعه بالأيدى الكثيره أتمّ و أولى بصـلاح حاله،و أكثر من النفع الحاصـل له بقبض يده عن النفع بها.وجب عليه أن يستجلب بمدّ يده بالنفع مدّ الأيدى الكثيره إلى

١- ١) ٩-٣۴

٢- ٢) ٢-٢۶۴

نفعه و إلّا لكان بسبب طلبه لنفع ما من إمساك يده الواحده عنهم المستلزم لإمساك أيديهم الكثيره عنه مضيّعا على نفسه منافع عظيمه فيكون بحسب قصده لنفع ما مضيّعا لما هو أعظم منه فيكون مناقضا لغرضه،و ذلك جهل و سفه.و قوله : و من تلن حاشيته يستدم من قومه الموده .من تمام تأديب الأغنياء بما يعود عليهم منافعه و ينتظم به شمل المصلحه فى العالم من التواضع و لين الجانب للخلق فاستدرجهم إلى التواضع بذكر ثمرته اللازمه عنه الّتى هى مطلوبه لكلّ عاقل،و هى استدامه مودّه الناس المستلزمه لنفعهم و لعدم نفرتهم المستلزمين لصلاح حال التواضع فيما يقصده،و بمثل ذلك أدّب اللّه تعالى نبيّه صلى اللّه عليه و آله و سلم حيث قال: «وَ اخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» و قد عرفت أنّ سرّ ذلك استجلاب الالفه لهم و المحبّه بينهم عند سكونهم إليه ليجتمعوا على قبول أقواله،و ظهر أنّ شيئا من ذلك لا يحصل عند جفاوه الخلق و التكبر كما قال اللّه تعالى «وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَ شاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ» (1)و إن حمل لفظ الحاشيه على الأتباع و الأخدام كان ذلك تأديبا لهم بالتواضع من جهه اخرى،و ذلك أنّ حاشيه الرجل و خاصّته هم حرسه عرضه و ميزان عقله و عليهم يدور تدبير صلاح حاله فبحسب شدّتهم و غلظتهم و لينتهم و تواضعهم للناس يكون قرب الناس و بعدهم منه،و بغضهم و محبّتهم له،و انسهم و نفارهم عنه.و قال بعض الحكماء:إنّ سبيل الخدم و القوم من الإنسان سبيل الجوارح من الجسد،فحاجب الرجل وجهه،و كاتبه قلبه و رسوله لسانه،و خادمه يده و رجله و عينه.لأنّ من كفاه تعاطى كلّ واحد من الأفعال المحتاج إليها فقد قام مقامه فيها،و كما يلحقه الذمّ من العقلاء بترك إصلاح أفعاله الصادره عن أحد جوارحه كذلك يلحقه الذمّ منهم على ترك إصلاح من يقوم مقامه فى تلك الأفعال بتوليته إيّاها،و كما يستديم مودّه إخوانه و يستجلب مودّه الناس بتواضعه بنفسه و لين جانبه لهم كذلك يستديمها بتأديب حاشيته و خدمه بالآداب المتّفق على حسنها بين الناس.و أهمّها و أنفعها فى ذلك لين الجانب و ترك الكبر المنفّر فإنّ أوهام الخلق حاكمه بنسبه كلّ خير و شرّ يجرى من حاشيه الرجل إليه.و إن كان صدق هذا الحكم

ص:١٣

١- ١) ٣-١٥٣

اكثريّا،و باللّه التوفيق.

٢٣-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

وَ لَعَمْرِی مَا عَلَیَّ مِنْ قِتَالِ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ وَ خَابَطَ الْغَیَّ- مِنْ إِدْهَانٍ وَ لاَ إِیهَانٍ- فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَ فِرُّوا إِلَی اللَّهِ مِنَ اللَّهِ- وَ امْضُوا فِی الَّذِی نَهَجَهُ لَکُمْ- وَ قُومُوا بِمَا عَصَبَهُ بِکُمْ- ؟فَعَلِیٌّ؟ ضَامِنٌ لِفَلْجِکُمْ آجِلاً إِنْ لَمْ تُمْنَحُوهُ عَاجِلاً

اللغه

أقول: الإدهان و المداهنه : المصانعه ،و الإیهان مصدر أوهنه أی أضعفه ،و خابط الغیّ بلفظ المفاعله : یخبط کلّ منهما فی الآخر.و قد مرّ أنّ الخبط:هو المشی علی غیر استقامه ،و الغیّ : الجهل .و نهجه : أی أوضحه .و عصبه بکم أی علقه بکم و ربطه .و الفلج الفوز ، و المنحه : العطیّه

المعنی

.و فی هذا الفصل ردّ لقول من قال إنّ متابعته علیه مخالفیه و مداهنتهم أولی من محاربتهم فردّ ذلک بقوله: لعمری ما علیّ إلی قوله: و لا إیهان .أی لیس مصانعتهم بواجبه علیّ من طریق المصلحه الدینیّه،و لیسوا بمضعفین لی،و لا علیّ فی قتالهم عجز.

و فی ذکره علیه السّلام لهم بصفه مخالفه الحقّ و مخابطه الغیّ و البغی تنبیه للسامعین و استدراج لهم لقیام عذره فی قتالهم إذ کانت مقاتله من هذه صفته واجبه فلا یمکن إنکار وقوعها منه.

ثمّ أردف ذلک بأوامر:

أوّلها :الأمر بتقوی اللّه،و قد علمت أنّ تقوی اللّه هی خشیته المستلزمه للإعراض عن کلّ مناهیه المبعّده عنه و هو الزهد الحقیقی کما سبقت الإشاره إلیه.

الثانی:الأمر بالفرار إلی اللّه و هو أمر بالإقبال علی اللّه و توجیه وجه النفس إلی کعبه وجوب وجوده،و اعلم أنّ فرار العبد إلی اللّه تعالی علی مراتب:

فاولیها:الفرار عن بعض آثاره إلی بعض کما یفرّ من أثر غضبه إلی أثر رحمته کما قال تعالی حکایه عن المؤمنین فی التضرّع إلیه «رَبَّنا وَ لا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَهَ لَنا بِهِ وَ اعْفُ»

«عَنّا وَ اغْفِرْ لَنا وَ ارْحَمْنا» (۱)فكأنّهم لم يروا إلاّ اللّه و أفعاله ففرُّوا إلى اللّه من بعضها إلى بعض.

الثانيه:أن يفنى العبد عن مشاهده الأفعال و يترقّى فى درجات القرب و المعرفه إلى مصادر الأفعال،و هى الصفات فيفرّ من بعضها إلى بعض كما ورد عن زين العابدين عليه السّلام،اللّهم اجعلنى اسوه من قد أنهضته بتجاوزك من مصارع المجرمين فأصبح طليق عفوك من اسر سخطك،و العفو و السخط صفتان فاستعاذ بإحديهما من الاخرى.

الثالثه:أن يترقّى عن مقام الصفات إلى ملاحظه الذات فيفرّ منها إليها كقوله تعالى «لا مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاّ إِلَيْهِ» (۲)و كالوارد فى الدعاء فى القيام إلى الصلاه:منك و بك و لك و إليك.أى منك بدء الوجود،و بك قيامه،و لك ملكه،و إليك رجوعه.ثمّ أكّد ذلك بقوله لا ملجأ و لا منجأ و لا مفرّ منك إلاّ إليك.و قد جمع الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم هذه المراتب حين امر بالقرب فى قوله تعالى «وَ اسْجُدْ وَ اقْتَرِبْ» (۳)و قال فى سجوده:أعوذ بعفوك من عقابك.و هو كلام من شاهد فعل اللّه فاستعاذ ببعض أفعاله من بعض،و العفو كما يراد به صفه العافى كذلك قد يراد به الأثر الحاصل عن صفه العفو فى المعفوّ عنه كالخلق و الصنع،ثمّ لمّا قرب فغنى عن مشاهده الأفعال و ترقّى إلى مصادرها و هى الصفات قال:و أعوذ برضاك من سخطك و هما صفتان،ثمّ لمّا رأى ذلك نقصانا فى التوحيد اقترب و ترقّى عن مقام مشاهده الصفات إلى ملاحظه الذات فقال:و أعوذ بك منك،و هذا فرار إليه منه مع قطع النظر عن الأفعال و الصفات،و هو أوّل مقام الوصول إلى ساحل العزّه.ثمّ للسباحه فى لجّه الوصول درجات اخر لا تتناهى.و لذلك لمّا ازداد صلى اللّه عليه و آله و سلّم قربا قال:لا احصى ثناء عليك.فكان ذلك حذفا لنفسه عن درجه الاعتبار فى ذلك المقام و اعترافا منه بالعجز عن الإحاطه بما له من صفات الجلال و نعوت الكمال،و كان قوله بعد ذلك:أنت كما أثنيت على نفسك.كمالا للإخلاص و تجريدا للكمال المطلق الّذى به هو هو أجلّ من أن يلحقه لغيره حكم و همىّ أو عقلىّ.إذا عرفت ذلك ظهر أنّ مقصوده عليه السّلام بقوله: و فرّو إلى اللّه من اللّه .أمر بالترقّى إلى المرتبه الثالثه من المراتب المذكوره .

ص:۱۵

۱- (۱) ۲۸۶-۲

۲- (۲) ۱۱۹-۹

۳- (۳) ۱۹-۹۶

الثالث:الأمر بالمضىّ فيما نهجه لهم من السبيل الواضح العدل الّذى هو واسطه بين طرفى الإفراط و التفريط،و الصراط المستقيم المدلول عليه بالأوامر الشرعيّه.و قد علمت أنّ الغرض من سلوك هذا السبيل و امتثال التكاليف الّتى الزم الإنسان بها و عصبت به إنّما هو تطويع النفس الأمّاره بالسوء للنفس المطمئنّه بحيث تصير مؤتمره لها و متصرّفه تحت حكمها العقلىّ منقاده لها عن الانهماك فى ميولها الطبيعيّه و لذّاتها الفانيه.و حينئذ تعلم أنّ هذه الأوامر الثلاثه هى الّتى عليها مدار الرياضه و السلوك إلى اللّه تعالى، فالأمر الأوّل و الثالث أمر بما هو معين على حذف الموانع عن الالتفات إلى اللّه تعالى، و على تطويع النفس الأمّاره،و الأمر الثانى أمر بتوجيه السير إلى اللّه.و قد تبيّن فيما مرّ أنّ هذه الامور الثلاثه هى الأغراض الّتى يتوجّه نحوها الرياضه المستلزمه لكمال الاستعداد المستلزم للوصول التامّ.و لذلك قال عليه السّلام :فعلىّ ضامن لفلحكم آجلا إن لم تمنحوه عاجلا .أى إذا قمتم بواجب ما امرتم به من هذه الأوامر كان ذلك مستلزما لفوزكم فى دار القرار بجنّات تجرى من تحتها الأنهار الّتى هى الغايات الحقيقيه و لمثلها يعمل العاملون و فيها يتنافس المتنافسون إن لم يتمّ تأهّلكم للفوز فى الدار العاجله فمنحوه فيها،و قد يتمّ الفوز بالسعادتين العاجليّه و الآجليّه لمن وفت قوّته بالقيام بهما و كمل استحقاقه لذلك فى علم اللّه.و لمّا كان حصول السعاده و الفوز عن لزوم الأوامر المذكوره أمرا واجبا واضح الوجوب فى علمه عليه السّلام لا جرم كان ضامنا له.فإن قلت:فما وجه اتّصال هذه الأوامر بصدر هذا الفصل قلت:لمّا كان مقتضى صدر الفصل إلى قوله :و لا إيهان .هو الإعذار إلى السامعين فى قتال مخالفى الحقّ،و كان مفهوم ذلك هو الحثّ على جهادهم و التنفير عمّا هم عليه من الطريق الجائر كان تعقيب ذلك بذكر الطريق الواضح المأمور بسلوكه و لزوم حدود اللّه فيه لهو اللايق الواجب.و باللّه التوفيق.

۲۴ و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

و قد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاويه على البلاد و قدم عليه عاملاه على اليمن،و هما عبيد اللّه بن عباس و سعيد بن نمران لما غلب

ص:۱۶

عليهما بسر بن أبى أرطاه،فقام عليه السّلام على المنبر ضجرا بتثاقل أصحابه عن الجهاد و مخالفتهم له فى الرأى،فقال :

مَا هِیَ إِلاَّ؟الْکُوفَهُ؟ أَقْبِضُهَا وَ أَبْسُطُهَا- إِنْ لَمْ تَکُونِی إِلاَّ أَنْتِ تَهُبُّ أَعَاصِیرُکِ فَقَبَّحَکِ اللَّهُ- وَ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ- لَعَمْرُ أَبِیکَ الْخَیْرِ یَا؟عَمْرُو؟ إِنَّنِی عَلَی وَضَرٍ مِنْ ذَا الْإِنَاءِ قَلِیلِ

ثُمَّ قَالَ ع أُنْبِئْتُ؟بُسْراً؟ قَدِ اطَّلَعَ؟الْیَمَنَ؟- وَ إِنِّی وَ اللَّهِ لَأَظُنُّ أَنَّ هَؤُلاَءِ الْقَوْمَ سَیُدَالُونَ مِنْکُمْ- بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَی بَاطِلِهِمْ وَ تَفَرُّقِکُمْ عَنْ حَقِّکُمْ- وَ بِمَعْصِیَتِکُمْ إِمَامَکُمْ فِی الْحَقِّ وَ طَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِی الْبَاطِلِ- وَ بِأَدَائِهِمُ الْأَمَانَهَ إِلَی صَاحِبِهِمْ وَ خِیَانَتِکُمْ- وَ بِصَلاَحِهِمْ فِی بِلاَدِهِمْ وَ فَسَادِکُمْ- فَلَوِ ائْتَمَنْتُ أَحَدَکُمْ عَلَی قَعْبٍ- لَخَشِیتُ أَنْ یَذْهَبَ بِعِلاَقَتِهِ- اللَّهُمَّ إِنِّی قَدْ مَلِلْتُهُمْ وَ مَلُّونِی وَ سَئِمْتُهُمْ وَ سَئِمُونِی- فَأَبْدِلْنِی بِهِمْ خَیْراً مِنْهُمْ وَ أَبْدِلْهُمْ بِی شَرّاً مِنِّی- اللَّهُمَّ مِثْ قُلُوبَهُمْ کَمَا یُمَاثُ الْمِلْحُ فِی الْمَاءِ- أَمَا وَ اللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ لِی بِکُمْ أَلْفَ فَارِسٍ- مِنْ؟بَنِی فِرَاسِ بْنِ غَنْمٍ؟- هُنَالِکَ لَوْ دَعَوْتَ أَتَاکَ مِنْهُمْ فَوَارِسُ مِثْلُ أَرْمِیَهِ الْحَمِیمِ

ثم نزل عليه السّلام من المنبر

ص:۱۷

قال الشريف أقول:الأرميه جمع رمى و هو السحاب،و الحميم ههنا:

وقت الصيف،و إنما خص الشاعر سحاب الصيف بالذكر لأنه أشد جفولا و أسرع خفوفا لأنه لا ماء فيه.و إنما يكون السحاب ثقيل السير لامتلائه بالماء،و ذلك لا يكون فى الأكثر إلا زمان الشتاء،و إنما أراد الشاعر وصفهم بالسرعه إذا دعوا،و الإغاثه إذا استغيثوا،و الدليل على ذلك.

قوله هنا لك لو دعوت أتاك منهم أقول:السبب:أنّ قوما بصنعاء كانوا من شيعه عثمان يعظّمون قتله فبايعوا عليّا عليه السّلام على دغل.فلمّا اختلف الناس عليه بالعراق،و كان العامل له يومئذ على صنعاء عبيد اللّه بن عباس،و على الجند بها سعيد بن نمران.ثمّ قتل محمّد بن ابى بكر بمصر و كثرت غارات أهل الشام.تكلّم هؤلاء و دعوا إلى الطلب بدم عثمان فأنكر عليهم عبيد اللّه ابن عباس فتظاهروا بمنابذه علىّ عليه السّلام فحبسهم فكتبو إلى أصحابهم:الجند.فعزلوا سعيد بن نمران عنهم و أظهروا أمرهم فانضمّ إليهم خلق كثير إراده منع الصدقه.فكتب عبيد اللّه و سعيد إلى أمير المؤمنين عليه السّلام يخبر انه الخبر فكتب إلى أهل اليمن و الجند كتابا يهدّدهم فيه و يذكّرهم اللّه تعالى فأجابوه بأنّا مطيعون إن عزلت عنّا هذين الرجلين:عبيد اللّه و سعيدا.ثمّ كتبوا إلى معاويه فأخبروه فوجّه إليهم بسر بن أرطاه و كان فظّا سفّاكا للدماء فقتل فى طريقه بمكّه داود و سليمان ابنى عبيد اللّه بن عباس،و بالطائف عبد اللّه بن المدان و كان صهرا لابن عبّاس ثمّ انتهى إلى صنعاء و قد خرج منها عبيد اللّه و سعيد،و استخلفا عليها عبد اللّه بن عمرو بن أراكه الثقفىّ فقتله بسر،و أخذ صنعاء فلمّا قدم ابن عبّاس و سعيد على علىّ عليه السّلام بالكوفه عاتبهما على تركهما قتال بسر فاعتذرا إليه بضعفهما عنه.فقام عليه السّلام إلى المنبر ضجرا من مخالفه أصحابه له فى الرأى فقال :ما هى إلاّ الكوفه .الفصل.

إذا عرفت ذلك فنقول

اللغه

:

الإعصار : ريح تهّب فتثير التراب .و الوضر:بفتح الضاد الدرن الباقى فى الإناء بعد الأكل،و يستعار لكلّ بقيّه من شىء يقلّ الانتفاع بها .و الأناء:بالفتح

ص:۱۸

شجر حسن المنظر مرّ الطعم .و اطّلع اليمن : أى غشيها . سيدالون أى:يصير الأمر إليهم و الدوله لهم .و القعب : القدح الضخم .و ماث الشىء أذابه .

المعنى

اشاره

و اعلم أنّ الضمير فى قوله ما هى إلاّ ـ الكوفه و إن لم يجر لها ذكر فى اللفظ إلاّ ـ أن تضجّره من أهلها قبل ذلك و خوضه فى تدبيرها مرارا،و حضورها فى ذهنه يجرى مجرى الذكر السابق لها،و أقبضها خبر ثان لمبتدأ محذوف تقديره:أنا،و يحتمل أن يكون هى ضمير القصّه و أقبضها خبر عن الكوفه.

و نظيره فى الاحتمالين قوله تعالى «كَلّا إِنَّها لَظى نَزّاعَةً لِلشَّوى» (۱)و يفهم من هذا الكلام حصر ما بقى له من البلاد الّتى يعتمد عليها فى الحرب و مقابله العدوّ فى الكوفه.و هو كلام فى معرض التحقير لما هو فيه من أمر الدنيا و ما بقى له من التصرّف الحقّ بالنسبه إلى ما لغيره من التصرّف الباطل.و كنايه أقبضها و أبسطها كنايتان عن وجوه التصرّف فيها أى إنّ الكوفه و التصرّف فيها بوجوه التصرّف حقير بالنسبه إلى سائر البلاد الّتى عليها الخصم.فما عسى أصنع بتصرّفى فيها،و ما الّذى أبلغ به من دفع الخصم و مقاومته.

و هذا كما يقول الرجل فى تحقير ما فى يده من الماء القليل إذا رام به أمرا كبيرا:إنّما هو هذا الدينار فما عسى أبلغ به من الغرض ، التفات و قوله. إن لم تكونى إلاّ أنت تهّب أعاصيرك.

عدول من الغيبه إلى الخطاب ،و الضمير بعد إلاّ تأكيد للّذى قبلها و الجمله الفعليّه بعده فى موضع الحال،و خبر كان محذوف. حقيقت-استعاره و لفظ الأعاصير يحتمل أن يحمل على حقيقته فإنّ الكوفه معروف بهبوب الأعصار فيها،و يحتمل أن يكون مستعارا لما يحدث من آراء أهلها المختلفه الّتى هى منبع الغدر به،و التثاقل عن ندائه.و وجه المشابهه ما يستلزمه المستعار منه و له من الأذى و الإزعاج.و تقدير الكلام فإن لم تكونى إلاّ أنت عدّه لى و جنّه ألقى بها العدوّ،و حظّا من الملك و الخلافه مع ما عليه حالك من المذامّ فقبحا لك.و هو ذمّ لها بعد ذكر وجه الذمّ .و لأجل استصغاره لأمرها تمثّل بالبيت :لعمر ابيك.الخبر.و معنى تمثيله به أنّى على بقيّه من هذا الأمر كالوضر القليل فى الإناء،و هو تمثيل على وجه الاستعاره فاستعار لفظ الإناء للدنيا و لفظ الوضر القليل فيه للكوفه،و وجه المشابهه ما يشرك فيه الكوفه و الوضر من الحقاره بالنسبه إلى ما استولى عليه خصمه من الدنيا و ما اشتمل عليه

ص:۱۹

۱- ۱) ۱۵-۷۰

الإنـاء من الطعـام،و من روى الأناء فإنّما أراد أنّى على بقيّه من هـذا الأمر كالقـدر الحاصل لناظر الأناء من حسن المنظر مع عـدم انتفاعه منه بشىء آخر،و يكون قد استعار لفظ الأناء لسائر بلاد الإسلام،و لفظ الوضر لما فى يده هو من حسن المنظر استعاره فى الـدرجه الثـانيه، و إنّما خصّـص الكوفه دون البصـره و غيرها لأنّ جمهور من كان يعتمـد عليه فى الحرب إذن هم أهل الكوفه ،و قوله انبئت بسـرا .إلى قوله: منكم .شروع فى استنفارهم إلى الجهاد.فأعلمهم أوّلا بحال بسر و خروج اليمن من أيديهم،ثمّ خوّفهم بما حكم به من الظنّ الصادق أن سـيدال القوم منهم،ثمّ أعقب ذلك بذكر أسـباب توجب وقوع ما حكم به و هى الإمارات الّتى عنها حكم،فذكر أربعه امور من قبلهم هى أسـباب الانقهار،و أربعه امور من قبل الخصم مضادّه لها هى أسـباب القهر،و رتّب كلّ أمر عقيب ضدّه ليظهر لهم المناسبه بين أفعالهم و أفعال خصومهم فيدعوهم داعى الدين و المروّه إلى الفرار من سوء الرأى.

فالأـول من أفعـال الخصم:الاجتمـاع و التوازر و إن كـانوا على الباطل و هو التصـرّف الغير الحقّ فى البلاد،و الأوّل من أفعالهم ما يضادّ ذلك:و هو تفرّقهم عن حقّهم أى تصرّفهم المستحقّ لهم بإذن ولىّ الأمر:

الثانى من أفعال الخصم:الطاعه للإمام الجائر فيما يأمر به من الباطل،و من أفعالهم:

معصـيه إمام الحقّ فى أمره بالحقّ الثالث للخصم :تأديتهم للأمانه إلى صاحبهم و هى لزوم عهده و الوفاء ببيعته،و من أفعالهم:ضدّ ذلك من الغدر و الخيانه فى العهد بتركهم لموازرته فى القتال و عصيانهم لأمره حتّى صار الغدر مثلا لأهل الكوفه الرابع :صلاح القوم فى بلادهم أى انتظام امورهم فيها الناشى عن طاعه إمامهم، و من إفعالهم:ما يضادّ ذلك من فسادهم فى بلادهم لخروجهم عن طاعه إمامهم.و ظاهر أنّ الامور الأربعه المذكوره من أفعال الخصم من أسباب صلاح الحال و انتظام الدوله و الغلبه و القهر،و أنّ الاـمور الأـربعه المضادّه لها من أفعالهم من أقوى الأسـباب الموجبه للانقلاب و الانقهار، كنايه و قوله : و لو ائتمنت أحـدكم على قعب لخشيت أن يذهب بعلاقته .مبالغه فى ذمّهم بالخيانه على سبيل الكنايه عن خيانتهم لأمانتهم فى عهده على

قبول أوامر اللّه .و قوله : اللهمّ إنى قد مللتهم و ملّونى .شكايه إلى اللّه سبحانه منهم و عرض لما فى ضميره و ضمائرهم بحسب ما شهدت به قرائن أحوالهم،و الملال و السأم مترادفان.

و حقيقته إعراض النفس عن شىء إمّا لفتور القوى البدنيّه و كلالها عن كثره الأفاعيل، و إمّا لاعتقاد النفس عن دليل و إماره يتبيّن لها أنّ ما يطلبه غير ممكن لها.و هذان السببان كانا موجودين:أمّا سأمه عليه السّلام من أفعالهم(أفعاله خ)فإنّه لم يشك منهم و لم يدع عليهم حتّى عجزت قواه عن التطلّع إلى وجوه إصلاحهم و انصرفت نفسه عن معالجه أحوالهم لاعتقاد أنّ تقويمهم غير ممكن له،و أمّا سأمهم منه فإمّا لاعتقادهم أنّ مطلوباتهم الّتى كانوا أرادوه لها غير ممكنه منه،أو لكثره تكرار أوامره بالجهاد و الذبّ عن دين اللّه و المواظبه على أوامر اللّه و زيادتها على قواهم الضعيفه الّتى هى مع ضعفها مشغوله بغير اللّه.فلذلك تنصرف نفوسهم عن قبول قوله و امتثال أوامره،ثم أردف تلك الشكايه بالتضرّع إلى اللّه تعالى فى الخلاص منهم،ثمّ الدعاء عليهم فدعا اللّه لنفسه أوّلا أن يبدله خيرا منهم أمّا فى الدنيا:

قوما صالحين ينظرون بنور اللّه نعمه عليهم فيخلصوا له الدين،و أمّا فى الآخره:قوما غرقوا فى مطالعه أنوار كبرياء اللّه فأعطاهم أعلى منازل جنّته و أسنى مراتب كرامته:قوما «أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَداءِ وَ الصّالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً» .و طلبه الخير منهم فى الدنيا هو الأرجح فى الذهن.لما يتمنّاه بعد من فوارس بنى فرس.ثمّ دعا اللّه عليهم أن يبدلهم شرّا منه.فإن قلت:إنّ صدور مثل هذا الدعاء منه عليه السّلام مشكل من وجهين:

أحدهما:أنّه يقتضى أن يكون هو ذا شرّ.و قد ثبت أنّه كان منزّها عن الشرور،الثانى أنّه كيف يجوز منه أن يدعو بوجود الشرور و وجود الأشرار.قلت:الجواب عن الأوّل من وجهين:أحدهما:أنّ صيغه أفعل التفصيل كما ترد لإثبات الأفضليه كذلك قد ترد لإثبات الفضيله.و حينئذ يحتمل أن يكون مراده من قوله: شرا منّى :أى أبدلهم بمن فيه شرّ غيرى،الثانى:أن يكون شرّا منّى على عقائدهم أنّ فيه شرّا عليهم.و اعتقادهم أنّه ذو شرّ لا يوجب كونه كذلك،و عن الثانى من وجهين:أحدهما:أنّه لمّا كان فى دعاء اللّه أن يبدلهم من هو شرّ منه مصلحه تامّه حسن منه ذلك،و بيان المصلحه من وجهين:أحدهما:

أنّ ذلك الدعاء منه عليهم بمشهد منهم و مسمع من أعظم الأسباب المخوّفه الجاذبه لأكثرهم

إلى اللّه تعالى و ذلک مصلحه ظاهره،الثانی أنّ نزول الأمر المدعوّ به علیهم بعده مما ینبّههم علی فضله،و یذکّرهم أنّه لم یصبهم ذلک إلاّ لترکهم أوامر اللّه تعالی و خروجهم عن طاعته فیتقهقروا عن مسالک الغیّ و الفساد إلی واضح سبیل الرشاد،و یکون ذلک بلاء من اللّه لهم.الثانی:لعلّه إنّما دعا علیهم لعلمه أنّه لا یرجی صلاحهم فیما خلقوا لأجله ممّا یدعوهم إلیه.و من لا یرجی صلاح حاله مع فساد نظام العالم بوجوده و لزومه لما یضادّ مطلوب اللّه منه فعدمه أولی من وجوده.فکان دعاءهم علیهم إذن مندوبا إلیه.و علی ذلک یحمل أیضا دعائه علیهم :اللهمّ مث قلوبهم کما یماث الملح فی الماء .و نحوه.و ذلک تأسّ منه علیه السّلام بالسابقین من الأنبیاء علیهم السّلام فی التضجّر من قولهم و الشکایه منهم إلی اللّه تعالی و دعائهم علیه کنوح علیه السّلام إذ قال: «رَبِّ إِنِّی دَعَوْتُ قَوْمِی لَیْلاً وَ نَهاراً فَلَمْ یَزِدْهُمْ دُعائِی إِلاّ فِراراً» إلی قوله «إِنَّهُمْ عَصَوْنِی» ،ثمّ ختم بالدعا علی من لم یرج له صلاح،فقال: «رَبِّ لا تَذَرْ عَلَی الْأَرْضِ مِنَ الْکافِرِینَ دَیّاراً» الآیه.و کلوط إذ قال لقومه: «إِنِّی لِعَمَلِکُمْ مِنَ الْقالِینَ» ،و غیرهما من الأنبیاء کنایه و المراد بالمیث المدعوّ به یشبه أن یکون ما یحصل فی القلب من الانفعال عن الغمّ و الخوف و نحوهما،و ذلک أنّ الغمّ إذا وقع لزمه تکاثف الروح القلبی للبرد الحادث عند انطفاء الحراره الغریزّیه لشدّه انقباض الروح و اختناقه فیحسّ فی القلب بانفعال شبیه بالعصر و المرس.و ذلک فی الحقیقه ألم أو مستلزمه له فیحسن أن یکون مرادا له،و یحتمل أن یکون کنایه عن أسبابه من الغمّ و الخوف فکأنّه طلب من اللّه أن یقتصّ له منهم إذ ماثوا قلبه بفساد افعالهم ،و یروی أنّ الیوم الّذی دعا علیهم فیه ولد فیه الحجّاج بن یوسف، و روی أنّه ولد بعد الیوم بأوقات یسیره.و فعل الحجّاج بأهل الکوفه ظاهر،و دماره لها مشهور .

قوله:أما و اللّه لوددت أنّ لی بکم ألف فارس من بنی فرس بن غنم

و قوله: أما و اللّه لوددت أنّ لی بکم ألف فارس من بنی فرس بن غنم.

یصلح تعیینه لمن ذکر بیانا للخیر منهم الّذی طلبه أوّلا من اللّه مجملا عوضا بهم.و بنو فرس حیّ من تغلب أبوهم غنم بفتح الغین و سکون النون،و هو غنم بن تغلب بن وائل،و إنّما خصّ هذا البطن لشهرتهم بالشجاعه و الحمیّه و سرعه إجابه الداعی،و أمّا البیت:هنالک لو دعیت.

فمعناه ما ذکره السیّد الرضیّ-رضوان اللّه علیه-و وجه تمثیله علیه السّلام بهذا البیت أنّ

هؤلاء القوم الّذين ودّ أنّهم كانوا له عوضا عن قومه هم بصفه الفوارس الّذين أشار إليهم الشاعر فی المبادره إلی إجابه الداعی و الاجتماع علی دفع الضيم عنهم و نصره حقّهم فلذلک تمنّاهم عوضا،و مقصوده فی جميع ذلک ذمّهم و توبيخهم و تحقيرهم بتفضيل غيرهم عليهم تنفيرا لطباعهم عمّا هی عليه من التثاقل عن دعوته للذبّ عن دين اللّه،و باللّه التوفيق و العصمه.

۲۵-و من خطبه له عليه السّلام

القسم الأول

اشاره

إِنَّ اللَّه بَعَثَ؟مُحَمَّداً ص؟ نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ- وَ أَمِيناً عَلَى التَّنْزِيلِ- وَ أَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وَ فِی شَرِّ دَارٍ- مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَهٍ خُشْنٍ وَ حَيَّاتٍ صُمٍّ- تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ وَ تَأْكُلُونَ الْجَشِبَ- وَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَ تَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ- الْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَهٌ وَ الْآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَهٌ

اللغه

أقول: الإناخه : المقام بالمكان .و الحيّه الصمّاء : هی الّتی لا تنزجر بالصوت كأنّها لا تسمع،و ربّما يراد بها الصلبه الشديده .و الجشب : هو الطعام الغليظ الخشن،و يقال:

هو الّذی لا إدام معه ،و معصوبه : مشدوده .

المعنى

و اعلم أنّه عليه السّلام اقتصّ امورا وقعت ليحسن مدحها و ذمّها .فبدأ بذكر النبیّ صلی اللّه عليه و آله و سلّم و ذكر بعض أسباب غايه البعثه فإنّه.لمّا كانت الغايه منها هو جذب الخلق عن دار الغرور إلی الواحد الحقّ و كان ذلک الجذب تاره بالنذاره و تاره بالبشاره.و ذكر هنا النذاره،و خصّها بالذكر لأنّها السبب الأقوى فی الردع فإنّ عامّه الخلق و جمهورهم قلّما يلتفتون إلی ما وعدوا به فی الآخره إذا قابلوا ذلک بلذّاتهم الحاضره فإنّ تلک امور غير متصوّره لهم إلّا بحسب الوصف الّذی إنّما ينكشف لهم عن امور محسوسه تشبه ما هم فيه أو أضعف عندهم.ثمّ إنّ نيلها مشروط بشرائط صعبه فی الدنيا تكدّر

عليهم ما هم فيه من حاضر لذّتهم مع براءتها عن الشروط و التكاليف الشاقّه فلذلك قلّما يلتفتون إلى الوعد عمّا هم فيه.فكان السبب الأقوى فى الردع و الالتفات إلى اللّه إنّما هو الإنذار و التخويف فإذا انضمّ إليه الوعد أفاد المجموع الغايه.و لمّا كان مقصوده عليه السّلام فى هذا الموضع التوبيخ المطلق للعرب و ترقيق قلوبهم المشتمله على الفظاظه و القسوه كان الأليق هاهنا ذكر إنذار النبىّ للعالمين ليتذكّروا بذلك تفصيل الإنذارات الوارده فى القرآن و السنّه،ثمّ أردف ذلك بذكر كونه أمينا على التنزيل ليتذكّروا أنّ الإنذارات الوارده هى من عند اللّه تعالى أتى بها الرسول غير خائن فيها بتبديل أو زياده أو نقصان فيتأكّد فى قلوبهم ما قد علموه من ذلك ليكون أدعى لهم إلى الانفعال عن أقوله،ثمّ شرع بعده فى اقتصاص أحوالهم الّتى كانوا عليها ،و الواو فى قوله: و أنتم.

للحال أى حال ما كنتم بهذه الصفات بعث محمّدا،و ذكر أحوالهم فى معرض الذمّ لهم.

فذكر أنّهم كانوا على شرّ دين ،و هو عباده الأصنام من دون اللّه.و أعظم بذلك افتضاحا لمن عقل منهم أسرار الشريعه و عرف اللّه سبحانه.فلا أحسبه عند سماع هذا التوبيخ إلاّ خجلا ممّا فرّط فى جنب اللّه و يقول: «يا لَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّى أَحَداً» ،ثمّ أردف ذلك بتذكيرهم ما كانوا فيه من شرّ دار .و أراد نجد أو تهامه و أرض الحجاز،و بيّن كونها شرّا ببيان فساد أحوالهم،أمّا فى مساكنهم فبانا ختهم بين الحجاره السود الخشن الّتى لا نداوه بها و لا نبات، و الحيّات الصمّ الّتى لا علاج لسمومها.و وصفها بالصمّ.لأنّ حيات تلك الأرض على غايه من القوّه و حدّه السموم لاستيلاء الحراره و اليبس عليها ،و أمّا فى مشربهم فلأنّ الغالب على المياه الّتى يشربونها أن يكون كدره لا يكاد غير المعتاد بها أن يقبل عليها مع العطش إلاّ عند الضروره،و السبب الغالب فى ذلك عدم إقامتهم بالمكان الواحد بل هم أبدا فى الحلّ و الارتحال،و لا يحتفرون المياه و يصلحونها إلاّ ريثماهم عليها.فربما كان بعضهم يحتفر و بعضهم يشرب.و مشاهدتهم توضح ذلك،و أمّا فى مأكلهم فجشوبتها ظاهره فإنّك تجد عامّتهم يأكل ما دبّ من حيوان،و سئل بعض العرب أىّ الحيوانات تأكلون فى الباديه؟فقال:نأكل كلّ ما دبّ و درج إلاّ امّ حيين(امّ جبين خ)فقال السائل:ليت تدرى أمّ حيين السلامه.قال صاحب الجمل:و أمّ جبين:دويبه قدر كفّ الإنسان.و بعضهم يخلط الشعر بنوى التمر و يطحنها

و يتخذ منهما خبزا،و روى أنّهم كانو فى أيّام المجاعه يلوّثون أوبار الإبل بدم القراد و يجفّفونها فإذا يبست و قوها و صنعوها طعاما،و أمّا فى سفكهم الدماء بعضهم لبعض و قطع أرحامهم فظاهر أيضا فإنّ الولد كان يقتل أباه و بالعكس ،و أمّا نصبهم للأصنام و عصب الآثام بهم فى جاهليّتهم فغنى عن البيان، استعاره و لفظ العصب مستعار للزوم الآثام لهم فى تلك الحال عن معناه الأصلى و هى استعاره لفظ للنسبه بين محسوسين للنسبه بين معقولين أو بين معقول و محسوس ،و إنّما ذكرهم عليه السّلام بهذه الأحوال ليتبّههم لنسبه ما كانو عليه فى الجاهليّه إلى ما هم عليه فى تلك الحال من أضداد ذلك كلّه.إذ بدّلوا ممّا كانوا فيه من فساد أحوالهم فى الدنيا إلى صلاح حالهم فيها ففتحو المدن و كسروا الجيوش و قتلوا الملوك و غنموا أموالهم كما قال تعالى فى المنّه عليهم و تذكيرهم أنواع ما أنعم عليهم به «وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيارَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ وَ أَرْضاً لَمْ تَطَؤُها» و جعل لهم الذكر الباقى و الشرف الثابت.كلّ ذلك زياده على هدايته لهم إلى الإسلام الّذى هو طريق دار السلام و سبب السعاده الباقيه.

و إنّما كان ذلك لسبب مقدم محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلّم إليهم و اعلم أنّ سياق هذا الكلام يقتضى مدح النبىّ صلى اللّه عليه و آله و سلّم فيما حذف من الفصل بعده ليبنى عليه مقصودا له،و فيه تنبيه على دوام ملاحظه السامعين لنعماء اللّه عليهم فيلاحظوا استحقاقه لتمام العباده عامّه أحوالهم،و يكونون فى و جل من خوفه و فى و شوق إليه. «وَ اللّهُ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ» .

القسم الثانى و منها.

اشاره

فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِى مُعِينٌ إِلاَّ أَهْلُ بَيْتِى- فَضَنِنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ- وَ أَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى وَ شَرِبْتُ عَلَى الشَّجَا- وَ صَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ الْكَظَمِ- وَ عَلَى أَمَرَّ مِنْ طَعْمِ الْعَلْقَمِ

اللغه

أقول: ضننت بكسر النون : أى بخلت،و نقل الفرّاء بالفتح أيضا .و أغضيت على كذا:

أى اطبقت عليه جفنى .و القذى : ما يسقط فى العين فيؤذيها .و الشجى : ما يعرض فى الحلق عند الغبن و نحوه لا يكاد يسيغ الإنسان معه الشراب،و قد مرّ تفسيرهما .و أخذ بكظمه:

أى بمجرى نفسه ،و العلقم : شجر بالغ المراره،و يصدق بالعرف على كلّ مرّ .

ص:۲۵

المعنى

و اعلم أنّ هـذا الفصـل يشـمل على اقتصـاص صوره حاله بعـد وفاه رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله و سـلّم فى أمر الخلافه و هو اقتصـاص فى معرض التظلّم و الشـكايه ممّن يرى أنّه أحقّ منه بالأمر.فأشـار إلى أنّه فكّر فى أمر المقـامه و الـدفاع عن هـذا الحقّ الّذى يراه أولى فرأى أنّه لا ناصـر له إلاّ أهل بيته و هم قليلون بالنسبه إلى من لا يعينه و من يعين عليه.فإنّه لم يكن له معين يغلب على الظنّ إلاّـ بنى هـاشم كالعبّـاس و بنيه و أبى سـفيا بن الحرث بن عبـد المطلب و من يخصّـهم،و ضـعفهم و قلّتهم عن مقاومه جمهور الصحابه ظاهر،فضنّ بهم على الموت لعلمه أنّهم لو قاوم بهم لقتلوا ثمّ لا يحصل على مقصوده،و لمّا ضنّ بهم عن الموت لزمه مـا ذكر من الامـور و هى الإغضاء على القـذى، اسـتعاره بالكنايه و كنّى بالإغضاء على القـذى عن صبره عن المقاومه كنايه بالمسـتعار،و وجه المشـابهه بينهمـا اسـتلزامهما للألـم البـالغ،و بالقـذى عمّا يعتقـده ظلما فى حقّه ،و كـذلك قوله: و شـربت على الشجى .ملاحظه لوجه الشبه بين ما يجرى له من الامور الّتى توجب له الغضب و الغبن و بين الماء الّذى يشرب على الشجى و هو اسـتلزامهما الأذى و عدم التلذّذ و الاساغه.و لذلك اسـتعار له لفظه الشرب ،و كذلك قوله و صبرت على أخذ الكظم و على أمرّ من طعم العلقم .فيه استعارات حسنه للفظ أخذ الكظم كنّى بها عن أخذ الوجوه عليه و تضييق الأمر فيما يطلبه،و لفظ المراره الّتى هى حقيقه فى الكيفيّه المخصوصه للأجسام لما يجده من التألّم بسـبب فوت مطلوبه،و وجه المشابهه فى هاتين الاسـتعارتين لزوم الأـذى أيضـا ،و أمّـا أنّ الّـذى وجـده أمرّ من العلقم فظـاهر إذ لا نسبه للألم البـدنىّ فى الشـدّه إلى الألم النفسانىّ.و أعلم أنّه قد اختلف الناقلون لكيفيّه حاله بعـد وفاه رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله و سـلّم فروى المحـدّثون من الشـيعه و غيرهم أخبارا كثيره ربمـا خـالف بعضـها بعضا بحسب اختلاف الأهواء:منها و هو الّـذى عليه جمهور الشـيعه أنّ عليّا عليه السّـلام امتنع من البيعه لأبى بكر بعد وفاه الرسول صـلى اللّه عليه و آله و سلّم و امتنع معه جماعه بنى هاشم كالزبير و أبى سفيان بن الحرث و العبّاس و بنيه و غيرهم و قالوا:لا نبايع إلاّ عليّا عليه السّـلام و أنّ الزبير شـهر سـيفه فجاء عمر فى جماعه من الأنصار فأخذ سـيفه فضـرب به الحجر فكسـره و حملت جمـاعتهم إلى أبى بكر فبـايعوه و بـايع معهم علىّ إكراهـا،و قيـل:إنّ عليّا عليه السّـلام اعتصم ببيت فاطمه عليها السّلام و علموا أنّه مفرد فتركوه،و روى نصر بن مزاحم فى كتاب صفّين أنّه كان

يقول.لو وجدت أربعين ذوى عزم لقاتلت،و منها و هو الّذى عليه جمهور المحدّثين من غير الشيعه أنّه امتنع من البيعه ستّه أشهر حتّى ماتت فاطمه فبايع بعد ذلك طوعا،و فى صحيحى مسلم و البخارى:كانت وجوه الناس مختلف إليه و فاطمه لم تمت بعد فلمّا ماتت انصرفت وجوه الناس عنه.فخرج و بايع ابا بكر،و على الجمله فحال الصحابه فى اختلافهم بعد وفاه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم و ما جرى فى سقيفه بنى ساعده و حال علىّ فى طلب هذا لأمر ظاهر،و العاقل إذا طرح العصبيّه و الهوى عن نفسه و نظر فيما نقله الناس فى هذا المعنى علم ما جرى بين الصحابه من الاختلاف و الاتّفاق،و هل بايع علىّ طوعا أو كرها و هل ترك المقاومه عجزا أو اختيارا.و لمّا لم يكن غرضنا إلاّ تفسير كلامه كان الاشتغال بغير ذلك تطويلا و فضولا خارجا عن المقصود.و من رام ذلك فعليه بكتب التواريخ.

القسم الثالث و منها:

اشاره

وَ لَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَهِ ثَمَناً- فَلاَ ظَفِرَتْ يَدُ الْبَائِعِ وَ خَزِيَتْ أَمَانَهُ الْمُبْتَاعِ- فَخُذُوا لِلْحَرْبِ أُهْبَتَهَا وَ أَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا- فَقَدْ شَبَّ لَظَاهَا وَ عَلاَ سَنَاهَا- وَ اسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى النَّصْرِ

اللغه

أقول: خزيت : أى ذلّت و هانت ،و الاهبه : الاستعداد ،و اعدّوا : أى هيّؤوا ،و عدّه الحرب :

ما يعدّ لها من الآلات و السلاح .و شبّ لظاها : أى أوقدت نارها و اثيرت،و روى شبّ بالبناء للفاعل أى ارتفع لهبها .و السنا مقصورا : الضؤ .و الشعار : ما يلى الجسد من الثياب، و يلازمه .

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل من الكلام اقتصاص ذكر عليه السّلام فيه حال عمرو بن العاص مع معاويه.فذكر أنّه لم يبايعه حتّى شرط أن يؤتيه على بيعته ثمنا،و ذلك أنّه لمّا نزل عليه السّلام بالكوفه بعد فراغه من أمر البصره كتب إلى معاويه كتابا يدعوه فيه إلى البيعه فأهمّه ذلك.فدعا قوما من أهل الشام إلى الطلب بدم عثمان فأجابوه و أراد الاستظهار فى أمره فأشار عليه أخوه عتبه بن أبى سفيان بالاستعانه بعمرو بن العاص و كان بالمدينه فاستدعاه فلمّا قدم عليه و عرف حاجته إليه تباعد عنه و جعل يمدح عليّا عليه السّلام فى وجهه و يفضّله

ليخدعه عمّا يريد منه.فمن ذلك أنّ معاويه قال له يوما:يا أبا عبد اللّه إنى أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الّذى عصى اللّه و شقّ عصا المسلمين و قتل الخليفه و أظهر الفتنه و فرّق الجماعه و قطع الرحم.فقال عمرو:من هو؟.قال:علىّ.فقال:و اللّه يا معاويه ما أنت و علىّ حملى بعير،ليس لك هجرته و لا سابقته و لا صحبته و لا جهاده و لا علمه و اللّه إنّ له مع ذلك لحظّا فى الحرب ليس لأحد غيره.و لكنّى قد تعوّدت من اللّه إحسانا و بلاء جميلا.فما تجعل لى إن بايعتك على حربه و أنت تعلم ما فيه من الغرور و الخطر؟قال له:حكمك.قال له:

مصر الطعمه.فلم يزل معاويه يتلكّأ عليه و يماطله و هو يمتنع عن مساعدته حتّى رضى معاويه أن يعطيه مصر.فعاهده على ذلك و بايع عمر و معاويه،و كتب له بمصر كتابا.

فذلك معنى قوله عليه السّلام: و لم يبايع معاويه حتّى شرط أن يؤتيه على البيعه ثمنا ، ثمّ أردف ذلك بالدعاء على البايع لدينه و هو عمرو بعدم الظفر فى الحرب أو بالتمن بقوله : فلا ظفرت يد البايع ،و ألحقه بالتوبيخ و الذّم للمبتاع بذكر هو ان أمانته عليه و هى بلاد المسلمين و أموالهم الّتى أفاءها اللّه عليهم ، اسناد مجازى و يحتمل أن يكون إسناد الخزى إلى الأمانه إسنادا مجازّيا أو على سبيل إضمار الفاعل يفسّره المبتاع أى و الخزى المبتاع فى أمانته بخيانته لها،و ذهب بعض الشارحين إلى أنّ المراد بالبايع معاويه و بالمبتاع عمرو.

و هو ضعيف.لأنّ الثمن إذا كان مصرا فالمبتاع هو معاويه.ثمّ لمّا ظهرت دعوه معاويه لأهل الشام و مبايعه عمرو له كان ذلك من دلائل الحرب فلذلك أمر عليه السّلام أصحابه بالتأهّب لها و إعداد عدّتها ، استعاره بالكنايه-استعاره مرشحه و كنّى عمّا ذكرناه من إمارات وقوعها بقوله: و قد شبّ لظاها و علا سناها .كنايه بالمستعار.و وجه المشابهه بين لهب النار و سناها و أمارات الحرب كونها علامات على أمرين هما مظنّه الهلاك و محلّ الفتنه،و يحتمل أن يكون إطلاق لفظ السنا ترشيحا للاستعاره ،ثمّ أردف ذلك بالأمر بالصبر فى الحرب و استشعاره إمّا أن يراد به اتّخاذه شعارا على وجه استعارته من الثوب لملازمته الجسد،أو يراد اتّخاذه علامه لأنّ شعار القوم علامتهم أيضا،و يحتمل أن يكون اشتقاقه من الشعور أى ليكن فى شعوركم الصبر و إن كان الأشتقاقيّون يردّون الشعار بالمعنى الثانى إلى الشعور .

و قوله: فإنّ ذلك أدعى إلى النصر .بيان لفائده اتّخاذ الصبر شعارا أو علامه،أمّا

إن كان المقصود ألزموا أنفسكم الصبر فظاهر أنّ لزوم الصبر من أقوى أسباب النصر،و إن كان المقصود اتّخذوه علامه فلأنّ من كان الصبر فى الحرب علامه له يعرفه الخصم بها كان الخصم يتصوّرها منه أدعى إلى الانقهار فكان المستشعر لتلك العلامه أدعى إلى القهر و النصر، و إن كان المراد إخطاره بالبال فلأنّه سبب لزومه.و باللّه التوفيق.

۲۶-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّهِ- فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّهِ أَوْلِيَائِهِ و هُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى- وَ دِرْعُ اللَّهِ الْحَصِينَهُ وَ جُنَّتُهُ الْوَثِيقَهُ- فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَهً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الذُّلِّ و شَمِلَهُ الْبَلَاءُ- وَ دُيِّثَ بِالصَّغَارِ وَ الْقَمَاءَهِ- وَ ضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْإِسْهَابِ- وَ أُدِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ- وَ سِيمَ الْخَسْفَ وَ مُنِعَ النَّصَفَ أَلَا وَ إِنِّى قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ- لَيْلًا وَ نَهَاراً وَ سِرّاً وَ إِعْلَاناً- وَ قُلْتُ لَكُمُ اغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ- فَوَاللَّهِ مَا غُزِىَ قَوْمٌ قَطُّ فِى عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا- فَتَوَاكَلْتُمْ وَ تَخَاذَلْتُمْ- حَتَّى شُنَّتْ عَلَيْكُمُ الْغَارَاتُ- وَ مُلِكَتْ عَلَيْكُمُ الْأَوْطَانُ- وَ هَذَا أَخُو؟غَامِدٍ؟ وَ قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ؟الْأَنْبَارَ؟- وَ قَدْ قَتَلَ ؟حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ الْبَكْرِيَّ؟- وَ أَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا- وَ لَقَدْ بَلَغَنِى أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ- عَلَى الْمَرْأَهِ الْمُسْلِمَهِ وَ الْأُخْرَى الْمُعَاهِدَهِ- فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَ قُلُبَهَا وَ قَلَائِدَهَا وَ رُعُثَهَا- مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ وَ الِاسْتِرْحَامِ- ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِينَ- مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلْمٌ وَ لَا أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ- فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِماً مَاتَ

ص:۲۹

مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسَفاً- مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِی جَدِيراً- فَيَا عَجَباً وَ اللَّهِ يُمِيتُ الْقَلْبَ وَ يَجْلِبُ الْهَمَّ- مِنَ اجْتِمَاعِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ- وَ تَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ- فَقُبْحاً لَكُمْ وَ تَرَحاً حِينَ صِرْتُمْ غَرَضاً يُرْمَى- يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَ لَا تُغِيرُونَ- وَ تُغْزَوْنَ وَ لَا تَغْزُونَ وَ يُعْصَى اللَّهُ وَ تَرْضَوْنَ- فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِی أَيَّامِ الْحَرِّ- قُلْتُمْ هَذِهِ حَمَارَّةُ الْقَيْظِ- أَمْهِلْنَا يُسَبَّخْ عَنَّا الْحَرُّ- وَ إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِی الشِّتَاءِ- قُلْتُمْ هَذِهِ صَبَارَّةُ الْقُرِّ- أَمْهِلْنَا يَنْسَلِخْ عَنَّا الْبَرْدُ- كُلُّ هَذَا فِرَاراً مِنَ الْحَرِّ وَ الْقُرِّ- (۱)فَأَنْتُمْ وَ اللَّهِ مِنَ السَّيْفِ أَفَرُّ- يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَ لَا رِجَالَ- حُلُومُ الْأَطْفَالِ وَ عُقُولُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ- لَوَدِدْتُ أَنِّی لَمْ أَرَكُمْ وَ لَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً- وَ اللَّهِ جَرَّتْ نَدَماً وَ أَعْقَبَتْ سَدَماً- قَاتَلَكُمُ اللَّهُ لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِی قَيْحاً- وَ شَحَنْتُمْ صَدْرِی غَيْظاً- وَ جَرَّعْتُمُونِی نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاساً- وَ أَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِی بِالْعِصْيَانِ وَ الْخِذْلَانِ- حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ؟قُرَيْشٌ؟- إِنَّ؟ابْنَ أَبِی طَالِبٍ؟ رَجُلٌ شُجَاعٌ- وَ لَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ- لِلَّهِ أَبُوهُمْ- وَ هَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً وَ أَقْدَمُ فِيهَا مَقَاماً مِنِّی- لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَ مَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ- وَ هَا أَنَا ذَا قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَى السِّتِّينَ- وَ لَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ

۱- ۱) فإذا كنتم من الحر و البرد تفرون ن خ

أقول:هذه الخطبه مشهوره ذكرها أبو العباس المبرّد و غيره،و السبب المشهور لها أنّه ورد عليه علج من أهل الأنبار فأخبره أنّ سفيان بن عوف الغامدىّ قد ورد فى خيل المعاويه إلى الأنبار و قتل عامله حسّان بن حسّان البكرىّ.فصعد عليه السّلام المنبر و خطب الناس و قال:إنّ أخاكم البكرىّ قد اصيب بالأنبار و هو مغترّ لا يخاف ما كان،و اختار ما عند اللّه على الدنيا.فانتدبوا إليهم حتّى تلاقوهم فإن أصبتم منهم طرفا انكلتموهم عن العراق أبدا ما بقوا.ثمّ سكت رجاء أن يجيبوه بشىء فلم يفه أحد منهم بكلمه.فلمّا رأى صمتهم نزل و خرج يمشى راجلا حتّى أتى النخيله و الناس يمشون خلفه حتى أحاط به قوم من أشرافهم و قالوا:ترجع يا أمير المؤمنين و نحن نكفيك.فقال:ما تكفونى و لا تكفون أنفسكم.فلم يزالوا به حتّى ردّوه إلى منزله.فبعث سعيد بن قيس الهمدانى فى ثمانيه آلاف فى طلب سفيان بن عوف فخرج حتّى انتهى إلى أدانى أرض قنّسرين و قد فاتوه.فرجع و كان علىّ عليه السّلام فى ذلك الوقت عليلا فلم يقو على القيام فى الناس بما يريده من القول.

فجلس بباب السدّه الّتى تصل إلى المسجد و معه الحسن و الحسين عليهما السّلام و عبد اللّه بن جعفر،و دعى سعدا مولاه فدفع إليه كتابا كتب فيه هذه الخطبه و أمره أن يقرأها على الناس بحيث يسمع عليه السّلام و يسمعون،و فى روايه المبرّد أنّه لمّا انتهى إليه ورود خيل معاويه الأنبار و قتل حسّان بن حسّان خرج مغضبا فجرّ ردائه حتّى أتى النخيله و معه الناس فرقى رباوه من الأرض فحمد اللّه و أثنى عليه و صلّى على النبى صلى اللّه عليه و آله و سلّم ثمّ قال الخطبه.

و روايه المبرّد أليق بصوره الحال و أظهر،و روى أنّه قام إليه رجل فى آخر الخطبه و معه ابن أخ له فقال:يا أمير المؤمنين:إنّى و ابن أخى هذا كما قال تعالى «رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاّ نَفْسِي وَ أَخِي» (1)فمرنا بأمرك فو اللّه لننهيّن إليه و لو حال بيننا و بينه جمر الغضا و شوك القتاد فدعا لهما بخير،و قال:و أين أنتما مما اريد.

اللغه

و لنرجع إلى التفسير فنقول: الجنّه : ما استترت به من سلاح أو غيره ،و دّيث : أى ذلّل،و منه الديوث:الّذى لا غيره له .و الصغار : الذلّ و الضيم ،و القماء ممدود مصدر قمأ قمأه فهو قمىء : الحقاره و الذلّ،و روى الراوندى القما بالقصر و هو غير معروف ،و اسدل الرجل بالبناء للمفعول إذ ذهب عقله من أذى يلحقه .و اديل الحقّ من فلان أى غلبه عليه عدوّه ،

1- 1) 28-5

و سامه خسفا بضمّ الخاء و فتحها : أى أولاه ذلّا و كلّفه المشقّه ،و النصف بكسر النون و سكون الصاد : الاسم من الانصاف،و ضمّ النون لغه فيه ،و عقر الشىء : أصله ،و التواكل : أن يكل كلّ واحد منهم الأمر إلى صاحبه و يعتمد عليه فيه .و شنّ الغاره و أشنّها : فرّقها عليهم من كلّ وجه .و غامد : قبيله من اليمن و هى من الأزد ازد شنوءه ،و المسالح جمع مسلحه و هى الحدود الّتى ترتّب فيها ذوو الأسلحه مخافه عاديه العدوّ كالثغر ،و المعاهده : الذميّه ،و الحجل بكسر الحاء و فتحها : الخلخال ،و القلب السوار المصمت ،و الرعاث جمع رعثه بفتح الراء و سكون العين و فتحها:و هى القرط،و الرعاث أيضا:ضرب من الخرز و الحلى ،و الاسترجاع قول: «إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ» ،و الاسترحام : مناشده الرحم ،و الوافر : التامّ ،و الكلم :

الجرح .و الترح : الحزن .و الغرض : الهدف ،و حمارّه القيظ بتشديد الراء : شدّه حرّه :

و سبخ الحرّ : فتر،و خفّ ،و صبارّه القرّ بتشديد الراء أيضا:شدّه البرد ،و ينسلخ : ينقضى ، و ربّات الحجال : النساء ،و الحجال جمع حجله:و هى بيت العروس يزّين بالستور و الثياب ، و السدم : الحزن عن الندم ،و القيح : ما يكون فى القرحه من المدّه و الصديد ،و شحنتم :

ملأتم و النغب جمع نغبه بضم النون و هى الجرعه ،و التهمام بالفتح التهمّ ،و المراس العلاج،و بتشديد الراء أى زدت .

المعنى

اشاره

و اعلم أنّ قوله: أمّا بعد .إلى قوله: و منع النصف .صدر الخطبه بيّن فيه غرضه إجمالا و هو الحثّ على الجهاد،فإنّه ممّا ذكر من أمر الجهاد و تعظيمه و خطأ من قصر عنه علم أنّه يريد أن يحثّ السامعين على جهاد عدوّهم

فذكر من مدائح الجهاد امورا .

أحدها:أنّه باب من أبواب الجنّه.

و بيانه أنّ الجهاد تاره يراد به جهاد العدوّ الظاهر كما هو الظاهر هاهنا،و تاره يعنى به جهاد العدوّ الخفىّ و هو النفس الأماره بالسوء.

و كلاهما بابان من أبواب الجنّه،و الثانى منهما مراد بواسطه الأوّل إذ هو لازمه له،و ذلك أنّك علمت أنّ لقاء اللّه سبحانه و مشاهده حضره الربوبيّه هى ثمره الخلقه و غايه سعى عباد اللّه الأبرار،ثمّ.قد ثبت بالضروره من دين محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلّم أنّ الجهاد أحد العبادات الخمس،و ثبت أيضا فى علم السلوك إلى اللّه أنّ العبادات الشرعيّه هى المتمّه و المعينه على تطويع النفس الأمّاره بالسوء للنفس المطمئنّه،و أنّ التطويع كيف يكون

وسیله إلى الجنّه الّتی وعد المتّقون.فیعلم من هذه المقدّمات أنّ الجهاد الشرعیّ باب من أبواب الجنّه إذ منه یعبر المجاهد السالک إلى اللّه إلى الباب الأعظم للجنّه و هو الریاضه و قهر الشیطان.و من وقوفک على هذا السرّ تعلم أنّ الصلاه و الصوم و سائر العبادات کلّها أبواب للجنّه إذ کان امتثالها على الوجه المأمور بها مستلزما للوصول إلى الجنّه.فإنّ باب کلّ شیء هو ما یدخل إلیه منه و یتوصّل به إلیه.و نحوه قول الرسول صلى اللّه علیه و آله و سلّم فی الصلاه:إنّها مفتاح الجنّه،و فی الصوم إنّ للجنّه بابا یقال له الریّان لا یدخله إلاّ الصائمون .

الثانی من أوصاف الجهاد

:أنّه باب فتحه اللّه لخاصّه أولیائه.و المراد بخواصّ الأولیاء المخلصون له فی المحبّه و العباده.و ظاهر أنّ المجاهده للّه لا لغرض آخر من خواصّ الأولیاء، و ذلک أنّ المرء المسلم إذا فارق أهله و ولده و ماله و أقدم على من یغلب على ظنّه أنّه أقوى منه کما امر المسلمون بأن یثبت أحدهم لعشره من الکفّار،ثمّ یعلم أنّه لو قهره لقتله و استباح ذرّیته و هو فی کلّ تلک الأحوال صابر شاکر و معترف بالعبودیّه للّه مسلّم أمره إلى اللّه فذلک هو الولیّ الحقّ الّذی قد أعرض عن غیر اللّه رأسا،و قهر شیطانه قهرا،و آیسه أن یطیع له أمرا.

فإن قلت:إذا کان الغرض من العبادات هو جهاد الشیطان و الإخلاص للّه و کان التخصیص بالوصفین المذکورین لاستلزامه ذلک المعنى لم یبق حینئذ لسائر العبادات مزیّه علیه فما معنى قول الصحابه و قد رجعوا من جهاد المشرکین:رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأکبر؟.

قلت:یحتمل معنیین:

أحدهما:أنّ الجهاد الظاهر لیس کلّ غرضه الذاتیّ هو جهاد النفس،بل ربّما کان من أعظم أغراضه الذاتیّه هو قهر العدوّ الظاهر لیستقیم الناس على الدین الحقّ، و ینتظم أمرهم فی سلوکه.و لذلک دخل فیه من أراد منه إلاّ ذلک کالمؤلّفه قلوبهم و إن کانوا کفّارا.و ذلک بخلاف سائر العبادات إذ غرضها لیس إلاّ جهاد النفس و لا شکّ أنّه هو الجهاد الأکبر:أمّا أوّلا فباعتبار مضرّه العدّوین فإنّ مضرّه العدّو الظاهر مضرّه دنیاویّه فانیه،و مضرّه الشیطان مضرّه اخرویّه باقیه.و من کانت مضرّته أعظم کان جهاده

أكبر و أهمّ،و أمّا ثانيا فلأنّ مجاهده الشيطان مجاهده عدوّ لازم و مع ذلك فلا يزال مخادعا غرّارا لا ينال غرضه إلّا بالخروج فی ذیّ الناصحين الأصدقاء،و لا شكّ أنّ الاحتراز من مثل هذا العدّو أصعب،و جهاده أكبر من جهاد عدوّ مظهر لعداوته يقاتله الإنسان فی عمره مرّه أو مرّتين.فحسن لذلک تخصيص الجهاد بالأصغر،و مجاهده النفس بالأكبر.

المعنی الثانی:أنّا و إن قلنا:إنّ الغرض من الجهاد الأصغر هو جهاد النفس إلّا أنّ جهادها فی حال جهاد العدوّ الظاهر قد يكون أسهل و ذلک أنّ القوی البدنيّه كالغضب و الشهوه يثوران عند مناجزه العدّو طلبا لدفعه،و تصيران مطيعين للنفس الإنسانيّه فيما تراه و تأمر به فلا يكون عليها كثير كلفه فی تطويع تلک القوی.بخلاف سائر العبادات فإنّ طباع تلک القوی معاكسه فيها لرأی النفس.فلذلک كان جهادها فی سائر العبادات أصعب و أكبر من جهادها فی حال الحرب.و اللّه أعلم .

الثالث:

استعاره كونه لباس التقوی،و درع اللّه الحصينه،و جنّته الوثيقه .و استعار لفظ اللباس و الدرع و الجنّه ثمّ رشّح الاستعارتين الأخيرتين بوصفی الحصانه و الوثاقه.

و وجه المشابهه أنّ الإنسان يتّقی شرّ العدوّ أو سوء العذاب يوم القيامه كما يتّقی بثوبه ما يؤذيه من حرّ أو برد،و بدرعه و جنّته ما يخشاه من عدوّه ،ثمّ أردف عليه السّلام مادح الجهاد بتوعيد من تركه رغبه عنه من غير عذر يوجب تخلّفه بامور منفور عنها طبعا:

منها:أنّه يستعدّ بالترک لأن يلبسه اللّه ثوب الذلّ.و استعار لفظ الثوب للذلّ و لفظ اللباس لشموله له.و وجه المشابهه إحاطه الذلّ به إحاطه الصفه بالموصوف كإحاطه الثوب بملابسه ، و أن يشمله بلاء العدوّ فيذلّله بالصغار و القماء،و أن يضرب علی قلبه بالأسهاب أی يذهب وجه عقله العملیّ فی تدبير مصالحه:أمّا لحوق الذلّ به فذلک أنّ كثره غارات العدوّ و تكرّرها منه موجب لتوهّم قهره و قوّته و ذلک ممّا ينفعل عنه النفس بالانقهار و الذلّ.

و حينئذ تذعن لشمول بلائه،و تذهب وجه عقلها فی استخراج وجوه المصالح فی دفعه و مقاومته إمّا لقلّه اهتمامها بذلک عن عدم طمعها فی مقاومته أو لتشويشها لخوفه عن ملاحظه وجه المصلحه .

استعاره و فی إطلاق لفظ الضرب علی قلبه استعاره كقوله تعالی «وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّهُ وَ الْمَسْكَنَهُ» (۱)

۱- (۱) ۲-۵۸

و وجه الشبه فيها إحاطه القبّه المضروبه بمن فيها،أو لزوم قلّه العقل له كلزوم الطين المضروب على الحائط .و يحتمل أن يراد بالأسهاب كثره الكلام من غير فائده فإنّ الإنسان حال الخوف و الذلّ كثيرا ما يخبط فى القول و يكثر من غير إصابه فيه.و كذلك لحوق باقى الامور به كإداله الحقّ منه،و غلبه العدوّ له،و عدم انتصافه منه أمر ظاهر عن ترك جهاد عدوّه مع التمكن من ذلك.و هى امور منفور عنها طبعا و مضرّه بحال من تلحقه فى الدارين.و قد ورد فى التنزيل الإلهىّ من فضل الجهاد و الحثّ عليه امور كثيره كقوله تعالى «لا يَسْتَوِى الْقاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِى الضَّرَرِ وَ الْمُجاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجاهِدِينَ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقاعِدِينَ دَرَجَةً» إلى قوله «فَضَّلَ اللّهُ الْمُجاهِدِينَ عَلَى الْقاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً دَرَجاتٍ مِنْهُ وَ مَغْفِرَةً وَ رَحْمَةً» (١)و قوله «وَ جاهِدُوا فِى اللّهِ حَقَّ جِهادِهِ» (٢)و قوله «وَ مَنْ جاهَدَ فَإِنَّما يُجاهِدُ لِنَفْسِهِ» (٣)و نحو ذلك.

قوله : ألا و إنّى قد دعوتكم .إلخ.لمّا ذكر صدر الخطبه أردفه بتفصيل غرضه ممّا أجمله فيه و هو حثّهم على الجهاد و توبيخهم على تركه.فتبّهم أوّلا على ما كان دعاهم إليه قبل من قتال معاويه و أصحابه مرارا كثيره،و ذكّرهم نصيحه السابقه لهم فى أمرهم بغزو عدوّهم قبل أن يغزوهم،و يذكّرهم بما كان أعلمهم أوّلا من القاعده الكلّيّه المعلومه بالتجربه و البرهان و هو أنّه ما غزى قوم قطّ فى عقر دارهم إلاّ ذلّوا .و قد أشرنا إلى علّه ذلك:و هو أنّ للأوهام أفعالا عجيبه فى الأبدان تاره بزياده القوّه و تاره بنقصانها حتّى أنّ الوهم ربّما كان سببا لمرض الصحيح لتوهّمه المرض،و بالعكس.فكان السبب فى ذلّ من غزى فى داره و إن كان معروفا بالشجاعه هو الأوهام:إمّا أوهامهم فلأنّها تحكم بأنّها لم تقدم على غزوهم إلاّ لقوّه غازيهم،و اعتقادهم فيهم الضعف بالنسبه إليهم.

فينفعل إذن نفوسهم عن تلك الأوهام و تنقهر عن المقاومه و تضعف عن الانبعاث و تزول غيرتها و حميّتها.فتحصل على طرف رذيله الذلّ،و إمّا أوهام غيرهم فلأنّ الغزو الّذى يلحقهم يكون باعثا لكثير الأوهام على الحكم بضعفهم و محرّكا لطمع كل طامع فيهم فيثى لهم أحكاما وهميه بعجزهم عن المقاومه .ثم إنّه أردف ذلك بما قابلوا به نّصيحته من

ص:٣٥

١- ٤-٩٧ (١

٢- ٢٣-٧٧ (٢

٣- ٢٩-٥ (٣

تواكلهم و تخاذلهم عن العمل بمقتضى أمره إلى غايه ظهور العدوّ عليهم و تفريق الغارات من كلّ جانب على أوطانهم و حدودهم.ثمّ عقّب ذكر العدوّ المطلق بذكره فى شخص معيّن مشاهد،و نبّههم عليه ليكونوا إلى التصديق بظهور العدوّ عليهم أقبل،و قصّ عليهم ما أحدث من ورود خيله ديارهم و قتله لعاملهم و إزاله خيلهم عن ثغورهم و مسالحهم و هتك المسلمات و المعاهدات و سلب أموال المسلمين و سائر ما عدّده على الوجه المذكور ممّا هو مستغن عن الايضاح .ثمّ ختم ذلك القصص بما الأولى أن يلحق المسلم الحقّ ذا الغيره و الحميّه للّه من الأسف و الحزن المميت له بسبب ما يشاهد من الأحوال المنكره الواقعه بالمسلمين مع تقصيرهم عن مقاومه عدوّهم.كلّ ذلك التقرير ليمهّد قانونا يحسن معه توبيخهيم و ذمّهم على التقصير فيما ينبغى لهم من امتثال أمره و قبول شوره فيما هو الأولى و الأصحّ لهم.ثم أردف ذلك بالتعجّب من حالهم تأكيدا لذلك التمهيد.فنادى:العجب من حالهم منكّرا ليحضر له كأنّه غير متعيّن فى حال ندائه،ثمّ تعيّن بندائه و حضر فكرّره ليصفه بالشدّه.و نصبه على المصدر كأنّه لمّا حضر و تعيّن قال عجبت عجبا من شأنه كذا.و نحو هذا المنادى قوله تعالى: «يا بُشْرى» فى قراءه من قرء بغير إضافه،و يحتمل أن يكون العجب الأوّل نصبا على المصدر أيضا و الثانى للتأكيد أو لما ذكرناه،و يكون المنادى محذوفا تقديره يا قوم أو نحوه ، مجاز و أمّا وصفه له بأنّه يميت القلب و يجلب الهمّ :فاعلم أنّ السبب فى التعجّب من الامور عدم اطّلاع النفس على أسبابه لغموضها مع كونه فى نفسه أمرا غريبا.

و لذلك وضع أهل اللغه قولهم ما أفعله صيغه للتعجّب كقولك ما أحسن زيدا،و علمت أن التقدير فيها السؤال عن أسباب حسنه.و كلّما كان الأمر أغرب و أسبابه أخفى كان أعجب.فإذا كان أمرا خطرا مهمّا و انبعثت النفس فى طلب سببه فقد تعجز من تحصيله و تكلّ القوّه المتخيلّه عن تعيينه فيحدث بسبب عدم الاطّلاع على سببه همّ و غمّ لأنّه كالمرض الّذى لا يمكن علاجه إلاّ بالوقوف على سببه فيسمّى ذلك الهمّ موتا للقلب تجوّزا بلفظ الموت فى الهمّ و الغمّ تسميه للشىء باسم ما يؤول إليه،و إطلاقا لاسم المسبّب على السبب.

إذا عرفت ذلك فنقول:إنّ حال قومه عليه السّلام فى تفرّقهم عن حقّهم مع علمهم بحقيّته،

و حال اجتماعهم على باطلهم مع اشتراكهم فى الشجاعه و كون قومه واثقين برضاء اللّه لو امتثلوا أمره من العجب المميت للقلب الّذى لا يهتدى بسببه.

و أمّا أنّه يجلب الهمّ فظاهر إذ كان حاله عليه السّلام معهم كحال طبيب لمرضى الزم بعلاجهم مع خطر أمراضهم و عدم لزومهم لما يأمر به من حميه أو شرب دواء.و ظاهر أنّ تلك الحال ممّا يجلب همّ الطبيب.ثمّ لمّا أظهر لهم التعجّب و وصفه بالشدّه أعقبه بذكر الأمر المتعجّب منه ليكون فى نفوسهم أوقع.ثمّ أردف ذلك المتعجّب بالدعاء عليهم بالبعد عن الخير و بالحزن بسبب تفريطهم ،و أعقبه بالتوبيخ لهم و التبكيت بما يأنف منه أهل المروّه و الحميّه و يوجب لهم الخجل و الاستحياء من صيرورتهم بسبب تقصيرهم غرضا للرماه يغار عليهم و قد كان الأولى بهم أن يغزوا،و يغزون و قد كانوا هم أولى بأن يغزوا،و يعصى اللّه مع رضاهم بذلك .ثمّ حكى صور أعذارهم فى التخلّف عن أمره و هى تاره شدّه الحرّ و تاره شدّه القرّ و نحوها من الأعذار الّتى يذوق العاقل منها طعم الكسل و الفتور،و أنّه لم يكن لهم بها مقصود الاّ المدافعه.ثمّ تسلّم تلك الأعذار منهم و استثبتها و جعلها مهادا للاحتجاج عليهم بقوله : فأنتم و اللّه من السيف أفرّ .و ذلك أنّ الفارّ من الأهون فارّ من الأشدّ بطريق الأولى إذ لا مناسبه لشدّه الحرّ و البرد مع القتل و المجالده بالسيف.ثمّ أردف ذلك التبكيت بالذمّ لهم بثلاثه أوصاف:

أحدها:أنّه نفى عنهم صفه الرجوليّه.لاستجماعها ما ينبغى من صفات الكمال الأنسا ىّ كالشجاعه و الأنفه و الحميّه و الغيره.و عدم هذه الكمالات فيهم و إن كانوا بالصوره المحسوسه للرجال الموجبه لشبههم بهم.و ذلك قوله : يا أشباه الرجال و لا رجال.

تشبيه و ثانيها:أنّه وصفهم بحلوم الأطفال .و ذلك أنّ ملكه الحلم ليس بحاصل للطفل و إن كانت قوّه الحلم حاصله له لكن قد يحصل لهم ما يتصوّر بصوره الحلم كعدم التسرّع إلى الغضب عن خيال يرضيه و أغلب أحواله أن يكون ذلك فى غير موضعه، و ليس تحصل له ملكه تكسب نفسه طمأنينه كما فى حقّ الكاملين.فهو إذن نقصان.

و لمّا كان تاركوا أمره عليه السّلام بالجهاد قد تركو المقاومه حلما عن أدنى خيال

ص:۳۷

كتركهم الحرب بصفّين عن خدعه أهل الشام لهم بالمسالمه و طلب المحاكمه إلى كتاب اللّه و رفع المصاحف فقالوا:إخواننا فى الدين فلا يجوز لنا قتالهم.كان ذلك حلما فى غير موضعه حتّى كان من أمرهم ما كان.فأشبه رضى الصبيان فأطلق اسمه عليه.

و ثالثها :إلحاق عقولهم بعقول النساء.و ذلك للمشاركه فى النقصان و عدم عقليّتهم لوجوه المصالح المختصّه بتدبير المدن و الحرب.ثمّ عرّفهم محبّته لعدم رؤيتهم و عدم معرفتهم لاستلزامها ندمه على الدخول فى أمرهم و الحزن من تقصيرهم فى الذّب عن الدين لأنّ المتولّى لأمر يغلب على ظنّه استقامته حتّى إذا دخل فيه و طلب انتظامه و وجده غير ممكن له لا بدّ و أن يندم على تضييع الوقت به،و يحزن على عدم إمكانه له.و هذه حاله عليه السّلام مع أصحابه.و لذلك حزنت الأنبياء عليه السّلام على تقصير اممهم حتّى عاتبهم اللّه تعالى على ذلك كقوله لمحمّد صلى اللّه عليه و آله و سلّم «وَ لا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ لا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِمّا يَمْكُرُونَ» . «لَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ أَلاّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ» . مجاز ثمّ عاد إلى الدعاء عليهم و الشكايه منهم،و ذلك قاتلكم اللّه .إلى آخره.و أعظم بما دعا عليهم به فإنّ المقاتله لمّا كانت مستلزمه للعداوه،و العداوه مستلزمه لأحكام كاللعن و الطرد و البعد من الشفقه و الخير من جهه العدوّ،و كان إطلاق المقاتله و العداوه على اللّه بحسب حقيقتهما غير ممكن كان إطلاق لفظ المقاتله و العداوه مقصودا به لوازمهما كالإبعاد عن الرحمه مجازا .قال المفسّرون:معنى قول العرب:قاتلكم اللّه:أى لعنكم.و قال ابن الأنبارى:

المقاتله من القتل.فإذا أخبر اللّه بها كان معناها اللعنه منه لأنّ من لعنه اللّه فهو بمنزله المقتول الهالك.

مجاز و قوله: لقد ملأتم قلبى قيحا إشاره.إلى بلوغ الغايه فى التألّم الحاصل له من شدّه الاهتمام بأمرهم مع تقصيرهم و عدم طاعتهم لأوامره.فعبّر بالقيح عن ألم قلبه مجازا من باب إطلاق اسم الغايه على ذى الغايه.إذ كان غايه ألم العضو أن يتقّيح.و كذلك إطلاق لفظ الشحن على فعلهم المولم لقلبه مجاز لأنّ الشحن حقيقه فى نسبه بين جسمين، و كذلك قوله : و جرّعتمونى نغب التهمام أنفاسا :أى جلبتم لى الهمّ وقتا فوقتا.مجاز لأنّ التجريع عباره عن إدخال الماء أو نحوه فى الحلق.و طريان الهمّ على نفسه و ما

يلزم الهمّ من الآلام البدنيّه على بدنه،و تكرار ذلك منهم يشبه طريان المشروب و تجريعه.و قوله: أنفاسا .مجاز فى الدرجه الثانيه فإنّ النفس حقيقه لغويّه فى الهواء الداخل و الخارج فى الحيوان من قبل الطبيعه.ثمّ استعمل عرفا لمقدار ما يشرب فى مدّه إدخال الهواء بقدر الحاجه إطلاقا لاسم المتعلّق على المتعلّق،ثمّ استعمل هاهنا فى كلّ مقدار من الهمّ يرد عليه من قبل أصحابه وقتا فوقتا و هى درجه ثانيه من المجاز.

و قوله : و أفسدتم رأيى بالعصيان .من تمام شكايته منهم.و معنى إفسادهم له خروجه بسبب عدم التفاتهم إليه عن أن يكون منتفعا به لغيرهم حتّى قالت قريش:إنّه و إن كان رجلا شجاعا إلّا أنّه غير عالم بالحرب.فإنّ الخلق إذا رأوا من قوم سوء تدبير أو مقتضى رأى فاسد كان الغالب أن ينسبوه إلى رئيسهم و مقدّمهم و لا يعلمون أنّه عليه السّلام الألمعىّ الّذى يرى الرأى كأن قد رأى و قد سمع،و أنّ التقصير من قومه.ثمّ أردف ذلك نسبتها له إلى قلّه العلم بالحرب بقوله : للّه أبوهم .إلى آخره.

و هى كلمه من ممادح العرب.ثمّ سألهم عن وجود من هو أشدّ للحرب معالجه أو أقدم منه فيها مقاما سؤالا على سبيل الإنكار عليهم،و نبّه على صدقه بنهوضه فى الحرب و معاناه أحوالها عامّه عمره و هو من قبل بلوغ العشرين إلى آخر عمره.ثمّ بيّن أنّ السبب فى فساد حال أصحابه ليس ما تخيّله قريش فيه من ضعف الرأى فى الحرب كما يزعمون،بل عدم طاعتهم له فيما يراه و يشير عليهم به و ذلك قوله : و لكن لا رأى لمن لا يطاع .فإنّ الرأى الّذى لا يقبل بمنزله الفاسد و إن كان صوابا.و المثل له عليه السّلام.

۲۷–و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ وَ آذَنَتْ بِوَدَاعٍ- وَ إِنَّ الْآخِرَهَ قَدْ أَشْرَفَتْ بِاطِّلَاعٍ- أَلَا وَ إِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ وَ غَداً السِّبَاقَ- وَ السَّبَقَهُ الْجَنَّهُ وَ الْغَايَهُ النَّارُ- أَ فَلَا تَائِبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ- أَ لَا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ

ص:۳۹

بُؤْسِهِ- أَلاَ وَ إِنَّكَمْ فِی أَیَّام أَمَلٍ مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ- فَمَنْ عَمِلَ فِی أَیَّام أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ- فَقَدْ نَفَعَهُ عَمَلُهُ وَ لَمْ یَضْرُرْهُ أَجَلُهُ- وَ مَنْ قَصَّرَ فِی أَیَّام أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ- فَقَدْ خسِرَ عَمَلُهُ وَ ضَرَّهُ أَجَلُهُ- أَلاَ فَاعْمَلُوا فِی الرَّغْبَهِ کَمَا تَعْمَلُونَ فِی الرَّهْبَهِ- أَلاَ وَ إِنِّی لَمْ أَرَ کَالْجَنَّهِ نَامَ طَالِبُهَا وَ لاَ کَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا- أَلاَ وَ إِنَّهُ مَنْ لاَ یَنْفَعُهُ الْحَقُّ یَضُرُّهُ الْبَاطِلُ- وَ مَنْ لاَ یَسْتَقِیمُ بِهِ الْهُدَی یَجُرُّ بِهِ الضَّلاَلُ إِلَی الرَّدَی- أَلاَ وَ إِنَّکُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ وَ دُلِلْتُمْ عَلَی الزَّادِ- وَ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَیْکُمُ اتِّبَاعُ الْهَوَی وَ طُولُ الْأَمَلِ- فَتَزَوَّدُوا مِنَ الدُّنْیَا- مَا تَحْرُزُونَ بِهِ أَنْفُسَکُمْ غَداً قال الشریف:أقول:لو کان کلام یأخذ بالأعناق إلی الزهد فی الدنیا و یضطر إلی عمل الآخره لکان هذا الکلام،و کفی به قاطعا لعلائق الآمال،و قادحا زناد الاتعاظ و الازدجار،و من أعجبه قوله علیه السّلام«ألا و إنّ الیوم المضمار و غدا السّباق و السّبقه الجنّه و الغایه النّار»فإن فیه-مع فخامه اللفظ،و عظم قدر المعنی،و صادق التمثیل،و واقع التشبیه- سرا عجیبا،و معنی لطیفا، و هو قوله علیه السّلام:«و السبقه الجنه،و الغایه النار»فخالف بین اللفظین لاختلاف المعنیین،و لم یقل«السبقه النار»کما قال«السبقه الجنه»،لأن الاستباق إنما یکون إلی أمر محبوب،و غرض مطلوب،و هذه صفه الجنه و لیس هذا المعنی موجودا فی النار نعوذ باللّه منها،فلم یجز أن یقول«و السبقه

النار»بل قال «و الغايه النار» ،لأن الغايه ينتهى إليها من لا يسره الانتهاء و من يسره ذلك،فصلح أن يعبر بها عن الأمرين معا،فهى فى هذا الموضع كالمصير و المآل،قال اللّه تعالى: «قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النّارِ» و لا يجوز فى هذا الموضع أن يقال:سبقتكم-بسكون الباء-إلى النار،فتأمل ذلك فباطنه عجيب و غوره بعيد.و كذلك أكثر كلامه عليه السّلام،و فى بعض النسخ،و قد جاء فى روايه أخرى«و السبقه الجنه»-بضم السين-و السبقه عندهم:اسم لما يجعل للسابق إذا سبق من مال أو عرض،و المعنيان متقاربان لأن ذلك لا يكون جزاء على فعل الأمر المذموم،و إنما يكون جزاء على فعل الأمر المحمود.

أقول:هذا الفصل من الخطبه الّتى فى أوّلها الحمد للّه غير مقنوط من رحمته.

و سيجىء بعد،و إنّما قدّمه الرضىّ عليها لما سبق من اعتذاره فى خطبه الكتاب أنّه لا يراعى التتالى و النسق فى كلامه عليه السّلام.

اللغه

و قوله: قد أدبرت أى ولىّ دبره .و آذنت أى أعلمت .و أشرفت أى أطّلعت ،و المضمار : المدّه الّتى يضمر فيها الخيل للمسابقه أى تعلف حتّى تسمن ثمّ تردّ إلى القوت و المدّه أربعون يوما،و قد يطلق على الموضع الّذى يضمر فيه أيضا .و السباق : مصدر مرادف للمسابقه و هو أيضا جمع سبقه كنظفه و نظاف،أو سبقه كحجله و حجال،أو سبق كجمل و جمال .و الثلاثه اسم لما يجعل للسابق من مال أو غرض ،و المنيّه : الموت ،و البؤس : شدّه الحاجه ،و تحرزون : تحفظون .

و اعلم انّ هذا الفصل يشتمل على أحد عشر تنبيها :

الأوّل:على وجوب النفار عن الدنيا و عدم الركون إليها.

و ذلك بقوله: استعاره بالكنايه ألا و إنّ الدنيا قد أدبرت و آذنت بوداع .و أشار بإدبار الدنيا و إعلامها بالوداع إلى تقضّى الأحوال الحاضره بالنسبه إلى كلّ شخص من الناس من صحّه و شباب و جاه و مال و كلّ ما يكون سببا لصلاح حال الإنسان،و أنّ كلّ ذلك فى هذا الحياه الدنيا لدنوّها

من الإنسان.و لمّا كانت هذه الامور أبدا فى التغيّر و التقضّى المقتضى لمفارقه الإنسان لها و بعدها عنه لا جرم حسن إطلاق اسم الإدبار على تقضّيها و بعدها استعاره تشبيها لها بالحيوان فى إدباره.فقيل لكلّ أمر يكون الإنسان فيه من خير و شرّ إذا كان فى أوّله:

أقبل،و إذا كان فى آخره و بعد تقضيّه:أدبر،و كذلك اسم الوداع فإنّ التقضّى لمّا استلزم المفارقه و كانت مفارقه الدنيا مستلزمه لأسف الإنسان عليها و وجده لها أشبه ذلك ما يفعله الإنسان فى حقّ صديقه المرتحل عنه فى وداعه له من الأسف على فراقه و الحزن و البكاء و نحوه.فاستعير اسم الوداع له،و كنّى بإعلامها بذلك عن الشعور الحاصل بمفارقتها من تقضّيها شيئا فشيئا،أو هو إعلام بلسان الحال .

الثانى:التنبيه على الإقبال على الآخره و التيقّظ للاستعداد لها

بقوله: مجاز ألا و إنّ الآخره-قد أقبلت-و أشرفت باطّلاع .و لمّا كانت الآخره عباره عن الدار الجامعه للأحوال الّتى يكون الناس عليها بعد الموت من سعاده و شقاوه و ألم و لذّه،و كان تقضّى العمر مقرّبا للوصول إلى تلك الدار و الحصول فيما يشمل عليه من خير أو شرّ حسن إطلاق لفظ الإقبال عليها مجازا .ثمّ نزّلها لشرفها على الدنيا فى حال إقبالها منزله حال عند سافل.فأسند إليها لفظ الإشراف.و لأجل إحصاء الأعمال الدنيويّه فيها منزله عالم مطّلع.

فأطلق عليها لفظ الاطّلاع،و يحتمل أن يكون إسناد الإشراف بكيفيّه الاطّلاع إلى ربّ الآخره،و إنّما عبّر بالآخره عنه تعظيما لجلاله كما يكنّى عن الرجل الفاضل بمجلسه و حضرته و يكون كيفيّه الاطّلاع قرينه ذلك .

الثالث:التنبيه على وجوب الاستعداد بذكر ما يستعدّ لأجله

و هو السباق ،و ذكر ما يستبق إليه و ما هو غايه المقصّر المتخلّف عن نداء اللّه.و ذلك قوله: كنايه و إنّ اليوم المضمار.

إلى قوله: و الغايه النار .كنّى باليوم عن عمر الإنسان الباقيه له و أخبر بالمضمار عنها.

و اعلم أنّه قد ورد المضمار و السباق مرفوعين و منصوبين:فأمّا رفع المضمار فلأنّه خبر أنّ.و اليوم اسمها،و إنّما اطلق اسم المضمار على تلك المدّه لما بينهما من المشابهه فإنّ الإنسان فى مدّه عمره يستعدّ بالتقوى و يرتاض بالأعمال الصالحه لتكميل قوّته فيكون من السابقين إلى لقاء اللّه و المقرّبين فى حضرته كما يستعدّ الفرس بالتضمير

لسبق مثله،و أمّا نصبه ففيه شكّ.إذ يحتمل أن يقال:إنّ المضمار زمان و اليوم زمان فلو أخبرنا عنه باليوم لكان ذلك إخبارا بوقوع الزمان فى الزمان فيكون الزمان محتاجا إلى زمان آخر.و ذلك محال.و جوابه:لا نسلّم أنّ الإخبار بوقوع الزمان فى الزمان محوج للزمان إلى زمان آخر.فإنّ بعض أجزاء الزمان قد يخبر عنها بالزمان بمعنى أنّها أجزاؤه و الجزء فى الكلّ لا بمعنى أنّها حاصله فى زمان آخر.و إن كان إنّما يحسن الإخبار عنها به إذا قيّدت بوصف و اشتملت على أحداث يتخصّص بها كما تقول:

أنّ مصطبح القوم اليوم.فكذلك المضمار لمّا كان وقتا مشتملا على التضمير و هو حدث صحّ الإخبار عنه باليوم.و أمّا نصب السباق فلأنّه اسم إنّ أى كنايه-استعاره و إنّ غدا السباق و كنّى بغد عمّا بعد الموت ،و أمّا رفعه فلا وجه له إلاّ أن يكون مبتدأ خبره غدا و يكون اسم إنّ ضمير الشأن.و قال بعض الشارحين:يجوز أن يكون خبر إنّ.و هو ظاهر الفساد لأنّ الحكم بشىء على شىء إمّا بمعنى أنّه هو هو كما يقال:الإنسان هو الضحّاك.و هو ما يسمّيه المنطقيّون حمل المواطاه،أو على أنّ المحكوم عليه ذو المحكوم به كما يقال:الجسم أبيض أى ذو بياض.و هو ما يسمّونه حمل الاشتقاق.و لا واحد من المعنيين بحاصل فى الحكم بالسباق على غد.فيمتنع أن يكون خبر إنّ،اللّهم إلاّ على تقدير حذف المضاف و إقامه المضاف إليه مقامه:أى و إنّ غدا وقت السباق.لكن لا يكون السباق هو الخبر فى الحقيقه.

ثمّ إن قلنا:إنّ السباق مصدر.كان التقدير ضمّروا أنفسكم اليوم فإنّكم غدا تستبقون.

و تحقيق ذلك أنّ الإنسان كلّما كان أكمل فى قوّتيه النظريّه و العمليّه كان وصوله إلى حضره القدس قبل وصول من هو أنقص منه و لمّا كان مبدء النقصان فى هاتين القوّتين إنّما هو محبّه ما عدا الواحد الحقّ،و اتّباع الشهوات،و الميل إلى أنواع اللذّات الفانيه، و الإعراض بسبب ذلك عن تولّى القبله الحقيقيّه.و مبدء الكمال فيهما هو الإعراض عمّا عدا الواحد الحقّ من الامور المعدوده،و الإقبال عليه بالكلّيه.و كان الناس فى محبّه الدنيا و فى الإعراض عنها و الاستكمال بطاعه اللّه على مراتب مختلفه و درجات متفاوته كان كون اليوم هو المضمار و غدا السباق متصوّرا جليّا.فإنّ كلّ من كان أكثر استعدادا و أقطع لعلائق الدنيا عن قلبه لم يكن له بعد الموت عائق يعوقه عن الوصول إلى اللّه

و ما أعـدّ له فی الجنّه من الثواب الجزیل،بل کان خفیف الظهر ناجیا من ثقل الوزر کما أشار إلیه الرسول صـلی اللّه علیه و آله و سلّم بقوله:نجا المخفّفون.و کما سبق من إشاره علیّ علیه السّـلام إلی ذلک بقوله :تخفّفوا تلحقوا .فیکون بعد الموت سابقا ممّن کـان أضـعف اسـتکمالا منـه،و ممّن لسعت عقـارب الهیئـات البـدنیّه و الملکـات الردیئه قلبه و أثقلت الأـوزار ظهره و أوجب له التخلّف عن درجه السابقین الأوّلین.و کذلک یکون سبق هذا بالنسبه إلی من هو أقلّ استعدادا منه و أشدّ علاقه للدنیا بقلبه.فکان معنی المسابقه ظاهرا إن کان استعاره من السباق المتعارف بین العرب.و إن قلنا:إنّ السباق جمع سبقه:اسم لمّا یستبق إلیه و یجعل للسابق.فـالمعنی أیضـا ظـاهر فـإنّ مـا یسـتبق إلیه إنّمـا یکمل الوصول إلیه بعـد المفارقه، و یکون الاسـتباق إمّا قبل المفارقه و هو السـعی فی درجـات الریاضات کما أشار إلیه سبحانه بقوله «سابِقُوا إِلی مَغْفِرَهٍ مِنْ رَبِّکُمْ وَ جَنَّهٍ عَرْضُـها کَعَرْضِ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِینَ آمَنُوا» (۱)الآیه،و قوله «فَاسْـتَبِقُوا الْخَیْراتِ» .أو بعد المفارقه کما أشـرنا إلیه.و یکون قوله بعد ذلک: و السـبقه الجنّه .تعیینـا للمسـتبق إلیه بعـد التنبیه علیه إجمالا و أمّا قوله: و الغایه النار .فالّـذی ذکره الرضـیّ-رضوان اللّه علیه-فی تخصـیص الجنّه بالسبقه و النار بالغایه حسن و کاف فی بیان مراده علیه السّلام إلاّ أنّه یبقی هاهنا بحث و هو أنّ هذه الغایه من أیّ الغایات هی؟و هل هی غایه حقیقیّه أو لازمه لغایه؟ فنقول:إنّ ما ینتهی إلیه قـد یکون بسوق طبیعیّ،و قـد یکون بسوق إرادیّ.و کلّ واحد منهما قـد یکون ذاتیّـا،و قـد یکون عرضـیّا.فالسوق الـذّاتی منهمـا یقـال له غایه إمّا طبیعیّه کاسـتقرار الحجر فی حیّزه عن حرکته بسوق طبیعته له إلیه و إمّـا إرادیّه کغایـات الإنسـان من حرکـاته المنتهی إلیهـا بسوق إرادته.و أمّا المنتهی إلیه بالسوق العرضـیّ فهو من لوازم إحـدی الغـایتین و قـد یسـمّی غـایه عرضـیّه.فاللازم عن الطبیعیّه کمنع الحجر غیره أن یحـلّ بحیث هو فإنّ ذلک من لوازم استقراره فی حیّزه،و عن الإرادیّه کاستضاءه الجار بسراج جاره فإنّ ذلک من لواحق استضاءته و کهلاک الطائر فی حبائل الصیّاد عن المیل إلی التقاط حبّه.إذا عرفت ذلک فنقول:إنّ کون النار غایه بهذا المعنی الرابع.

ص:۴۴

۱- ۱) ۲۱-۵۷

و بيانه:أن محبّه الدنيا و الميل إليها و الانهماك فى مشتهياتها.سواء كان معها مسكه للإنسان باللّه تعالى أو لم يكن فإنّ من لوازمها الانتهاء إلى النار إلاّ أن يشاء اللّه كما قال تعالى «مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَ ما لَهُ فِي الْآخِرَهِ مِنْ نَصِيبٍ» (۱)و كان المقصود الأوّل للإنسان هو تناول اللذّات الحاضره لكن لمّا كان من لوازم الوصول إلى تلك اللذّات و الإقبال عليها دخول النار و الانتهاء إليها كانت عرضيّه .

الرابع:التنبيه على التوبه قبل الموت

و هو قوله: أفلا تائب من خطيئه قبل منيّته.

و لا شكّ أنّها يجب أن تكون مقدّمه على الأعمال لأنّك علمت أنّ التوبه هى انزجار النفس العاقله عن متابعه النفس الأمّاره بالسوء لجاذب إلهىّ اطّلعت معه على قبح ما كانت عليه من اتّباع شياطينها و هو من مقام الزهد و التخلّى.و قد علمت فى بيان كيفيّه السلوك إلى اللّه تعالى أنّ مقام التخليه مقدّم على مقام التحليه.فكان الأمر بها مقدّما على الأمر بساير الطاعات .

الخامس:التنبيه على العمل للنفس قبل يوم البؤس

،و الإشاره إلى ما بعد الموت من العذاب اللازم للنقصان اللازم عن التقصير فى العمل إذ الواصل إلى يوم بؤسه على غير عمل أسير فى يد شياطينه.و قد علمت أن غايه الاسترسال فى يد الشيطان دخول النار و الحجب عن لقاء ربّ العالمين.و لمّا كان العمل هو المعين على قهر الشياطين و المخلص من أسره نبّه عليه،ثمّ أردفه بالتنبيه على وجود الزمان الّذى يمكنهم فيه العمل و هو أيّام آمالهم للعمل و غيره على أنّ ذلك الزمان منقطع بلحوق الأجل،ثمّ أردفه ببيان فايده العمل فى ذلك الزمان و هى المنفعه بالثواب فى الآخره و ما يلزمها من عدم مضرّه الأجل، و استعاره بيان ثمره التقصير فى العمل فيه و هى خسران العمل المستلزم لمضرّه الأجل.و أحسن باستعارته عليه لفظ الخسران لفوات العمل فإنّ الخسران فى البيع لمّا كان هو النقصان فى رأس المال أو ذهاب جملته،و كان العمل هو رأس مال العامل الّذى يكتسب الكمال و السعاده الاخرويّه لا جرم حسنت استعاره لفظ الخسران لعدم العمل، و أمّا استلزام المنفعه لعدم مضرّه الموت و استلزام الخسران لمضرّته فهو أمر ظاهر إذ كان الكامل فى

۱- ۱) ۱۹-۴۲

قوّتيه المعرض عن متاع الدنيا غير ملتفت إليها بعد المفارقه فلم يحصل له بسببها تعذيب.

فكانت المضرّه منفيّه عنه.و كان المقصّر عن الاستكمال فيهما من ضروره طباعه الميل إلى اللذّات الحسّيه.فإذا قصر عن العمل و التعلّق بطاعه اللّه الجاذبه إليه فلا بدّ و أن يستضرّ بحضور الأجل إذ كان الأجل قاطعا لزمان الاستكمال و حائلا بين الإنسان و بين ما هو معشوق له من حاضر اللذّات .

السادس:التنبيه على وجوب التسويه للعامل بين العمل فى الرغبه و العمل فى

الرهبه .

و فيه شميمه التوبيخ للعبد على غفلته عن ذكر اللّه و إعراضه عن عبادته فى حال صفاء اللذّات الحاضره له،و لجأه إليه و فزعه عند نازله إن نزلت به.فإنّ ذلك ليس من شأن العبوديّه الصادقه للّه.و إلى مثل هذا التوبيخ أشار التنزيل الإلهيّ بقوله «وَ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاّ إِيّاهُ فَلَمّا نَجّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَ كانَ الْإِنْسانُ كَفُوراً» (١)و غيره من الآيات،بل من شأن العابد للّه القاصد له أن يتساوى عبادته فى أزمان شدّته و رخائه.فيقابل الشدّه بالصبر،و الرخاء بالشكر،و أن يعبده لا لرغبه و لا رهبه و أن يعبده فيهما من غير فرق .

السابع:

تشبيه قوله: ألا و إنّي لم أر كالجنّه نام طالبها و لا كالنار نام هاربها .و اعلم أنّ الضمير فى طالبها و هاربها يعود إلى المفعول الأوّل لرأيت المحذوف المشبّه فى الموضعين و التقدير لم أر نعمه كالجنّه نام طالبها و لا نقمه كالنار نام هاربها،و نام فى محلّ النصب مفعولا ثانيا.و مغزى هذا الكلام أنّه نفى علمه بما يشبه الجنّه و ما يشبه النار و لم ينف علمه بذات التشبيه بل علمه من جهه الشبه و هى نوم الطالب و الهارب.و لذلك استدعت أرى بمعنى أعلم هنا مفعولين أى لم أر نعمه كالجنّه بصفه نوم الطالب لها.فنبّه على وجه الشبه بقوله: نام طالبها ،ثمّ نفى التشبيه من تلك الجهه.و كذلك قوله: و لا كالنار بصفه نوم هاربها .و المفعول الثانى فى الجملتين صفه جاريه على غير من هى له.و هى تنبيه للموقنين بالجنّه و النار على كونهم نائمين فى مراقد الطبيعه لينتبهوا منها و يتفطّنوا[يتّعظوا خ]للاستعداد بالعمل التامّ لما ورائهم

ص:۴۶

۱- (۱) ۶۹-۱۷

من مرغوب و مرهوب.و فيه شـميمه التعجّب من جمع الموقن بـالجنّه و النار بين علمه بما فى الجنّه من تمام النعمه و تقصـيره عن طلبهـا بمـا يؤدّى إليها من الأعمال الصالحه، و جمع الموقن بالنار بين علمه بما فيها من عظيم العـذاب و بين تقصـيره و غفلته عن الهرب إلى ما يخلص منها.

الثامن :

قوله ألا و إنّه من لم ينفعه الحقّ يضـرّه الباطل .فالضـمير فى إنّه ضمير الشأن.و أراد بالحقّ الإقبال على اللّه بلزوم الأعمال الصالحه المطابقه للعقايـد المطابقه، و بالباطل الالتفات عنه إلى غير ذلك ممّا لا يجدى نفعا فى الآخره.و هو تنبيه على اسـتلزام عدم منفعه الحقّ لمضـرّه الباطل فى صوره شـرطيّه متّصله،و بيان الملازمه فيها ظاهر فإنّ وجود الحقّ مستلزم لمنفعته فعدم منفعته إذن مستلزم لعدمه و عدمه مستلزم لوجود الباطل لأن اعتقاد المكلّف و عمله إمّا أن يطابقا أوامر اللّه تعالى،أو ليس.

و الأوّل هو الحق،و الثانى هو الباطل.و ظاهر أنّ عدم الأوّل مسـتلزم لوجود الثانى.ثمّ إنّ وجود الباطل مسـتلزم لمضرّته.فيظهر بهذا البيـان أنّ عـدم منفعه الحقّ مسـتلزم لوجود مضـرّه الباطـل.و إذا ثبت ذلـك فنقول:مراده عليه السّـلام بلزوم الحقّ ما هو المسـتلزم لمنفعته و بنفى الباطل ما هو المسـتلزم لعدم مضـرّته.فإنّ لزوم الطاعه للّه بامتثال أوامره و الإقبال عليه مسـتلزم للوصول إلى جواره المقـدّس،و الالتفـات إلى مـا عـداه المعبّر عنـه بالباطـل مسـتلزم للنقصـان المـوجب للتخلّـف عـن السـابقين و الهـوى فى درك الهالكين.و ذلك محض المضـرّه.فظهر أذن سـرّ قوله:عليه السّـلام من لم ينفعه الحقّ يضـرره الباطل .و من غفله بعض من يـدّعى العلم عن بيان هذه الملازمه ذهب إلى أنّ الوعيدات الوارده فى الكتب الإلهيّه إنما جاءت للتخويف دون أن يكون هناك شقاوه للعصاه.

محتجّا على ذلك بتمثيلات خطابيّه عن مشهورات فى بادىء الرأى إذا تعقّبها النظر زالت شهرتها .

التاسع و من لا يستقم به الهدى يجرّ به الضلال إلى الردى

:و من لا يسـتقم به الهدى يجرّ به الضلال إلى الردى .أراد بالهدى نور العلم و الإيمان،و بالضلال الجهل و الخروج عن أمر اللّه.و المعنى أنّ من لم يكن الهدى دليله القائد له بزمام عقله فى سبيل اللّه و يستقيم به فى سلوك صراطه المستقيم

فلا بدّ و أن ينحرف به الضلال عن سواء الصراط إلى أحد جانبى التفريط و الإفراط.

و ملازمه هذه الشرطيّه أيضا ظاهره.لأنّ وجود الهدى لمّا استلزم وجود استقامه بالإنسان على سواء السبيل كان عدم استقامه الهدى به مستلزما لعدم الهدى المستلزم لوجود الضلال المستلزم للجرّ بالإنسان إلى مهاوى الردى،و العدول به عن الصراط المستقيم إلى سواء الجحيم .

العاشر: ألا و إنّكم قد امرتم بالظعن و دللتم على الزاد

استعاره قوله: ألا و إنّكم قد امرتم بالظعن و دللتم على الزاد .و هو تنبيه على ملاحظه الأوامر الوارده بالظعن كقوله تعالى «فَفِرُّوا إِلَى اللّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ» (۱)و كقوله تعالى «سابِقُوا إِلى مَغْفِرَهٍ مِنْ رَبِّكُمْ» (۲)على الأمر باتّخاذ الزاد كقوله تعالى «وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوى» (۳)و أحسن باستعارته الظعن للسفر إلى اللّه و استعاره الزاد لما يقرّب إليه.و وجه درجه الاستعاره الاولى:أنّ الظعن لمّا كان عباره عن قطع المراحل المحسوسه بالرجل و الجمل و نحوه فكذلك السفر إلى اللّه عباره عن قطع المراحل المعقوله بقدم العقل،و وجه الثانيه أنّ الزاد لمّا كان إنّما يعدّ لتقوى به الطبيعه على الحركه الحسّيه و كانت الامور المقرّبه إلى اللّه تعالى ممّا تقوى به النفس على الوصول إلى جنابه المقدّس كان ذلك من أتمّ المشابهه الّتى يقرّب معها اتّحاد المتشابهين.و بحسب قوّه المشابهه يكون قوّه حسن الاستعاره .

الحادى عشر:التنبيه على أخوف الامور

الّتى ينبغى أن تخاف لتجتنب و هو الجمع بين اتّباع الهوى و طول الأمل.و سيذكر عليه السّلام هذا الكلام فى موضع آخر مع ذكر علّه التحذير من هذين الأمرين،و سنوضح معناه هناك.و يكفى هاهنا أن يقال:

إنّما حذّر منهما عقيب التنبيه على الظعن و الأمر باتّخاد الزاد لكون الجمع بينهما مستلزما للإعراض عن الآخره فيكون مستلزما لعدم الظعن و عدم اتّخاذ الزاد.فخوّف منهما ليجتنبا.فيحصل مع اجتنابهما الإقبال على اتّخاذ الزاد و الاهبّه للظعن و لذلك أردف التخويف منهما بالأمر باتّخاذ الزاد .و فى قوله: من الدنيا فى الدنيا لطف.فإنّ الزاد الموصل إلى اللّه تعالى إمّا علم أو عمل و كلاهما يحصلان من الدنيا:أمّا العمل

۱- (۱) ۵۰-۵

۲- (۲) ۲۱-۵۷

۳- (۳) ۱۹۳-۲

فلا شكّ أنّه عباره من حركات و سكنات تستلزم هيئات مخصوصه إنّما تحصل بواسطه هذا البدن و كلّ ذلك من الدنيا فى الدنيا،و أمّا العلم فلأنّ الاستكمال به إنّما يحصل بواسطه هذا البدن أيضا إمّا بواسطه الحواسّ الظاهره و الباطنه،أو بتفطّن النفس لمشاركات بين المحسوسات و مباينات بينها و ظاهر أنّ ذلك من الدنيا فى الدنيا و أشار بقوله: ما تحرزون أنفسكم به غدا .أنّ كلّ زاد عدّ به الإنسان نفسه للوصول إلى جوا اللّه فقد تدرع به من غدا به و حفظ به نفسه «يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَ لا بَنُونَ» .و قد اشتمل هذا الفصل على استدراجات لطيفه لانفعالات عن أوامر للّه و زواجره،و إذا تأمّلت اسلوب كلامه عليه السّلام،و راعيت ما فيه:من فخامه الألفاظ،و جزاله المعانى المطابقه للبراهين العقليّه،و حسن الاستعارات و التشبيهات و مواقعها،و صحّه ترتيب أجزائه.و وضع كلّ مع ما يناسبه.وجدته لا يصدر إلاّ عن علم لدنيّ و فيض ربّانيّ.و أمكنك حينئذ الفرق بين كلامه عليه السّلام و كلام غيره و التمييز بينهما بسهوله.و باللّه العصمه و التوفيق.

۲۸-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

أَيُّهَا النَّاسُ الْمُجْتَمِعَهُ أَبْدَانُهُمْ- الْمُخْتَلِفَهُ أَهْوَاؤُهُمْ- كَلاَمُكُمْ يُوهِي الصُّمَّ الصِّلاَبَ- وَ فِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمُ الْأَعْدَاءَ- تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ كَيْتَ وَ كَيْتَ- فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ حِيدِي حَيَادِ- مَا عَزَّتْ دَعْوَهُ مَنْ دَعَاكُمْ- وَ لاَ اسْتَرَاحَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ- أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلَ دِفَاعَ ذِي الدَّيْنِ الْمَطُولِ- لاَ يَمْنَعُ الضَّيْمَ الذَّلِيلُ- وَ لاَ يُدْرَكُ الْحَقُّ إِلاَّ بِالْجِدِّ- أَيَّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ- وَ مَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ- الْمَغْرُورُ وَ اللَّهِ مَنْ غَرَرْتُمُوهُ- وَ مَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ وَ اللَّهِ بِالسَّهْمِ الْأَخْيَبِ- وَ مَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ-

أَصْبَحْتُ وَ اللّهِ لاَ أُصَدِّقُ قَوْلَكُمْ- وَ لاَ أَطْمَعُ فِى نَصْرِكُمْ- وَ لاَ أُوعِدُ الْعَدُوَّ بِكُمْ- مَا بَالُكُمْ مَا دَوَاؤُكُمْ مَا طِبُّكُمْ- الْقَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالُكُمْ- أَ قَوْلاً بِغَيْرِ عِلْمٍ- وَ غَفْلَةً مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ- وَ طَمَعاً فِى غَيْرِ حَقٍّ أقول:روى أنّ السبب فى هذه الخطبه هو غاره الضحّاك بن قيس بعد قصّه الحكمين و عزمه على المسير إلى الشام.و ذلك أنّ معاويه لمّا سمع باختلاف الناس على علىّ عليه السّلام،و تفرّقهم عنه،و قتله من قتل من الخوارج بعث الضحّاك بن قيس فى نحو من أربعه آلاف فارس و أوعز عليه بالنهب و الغاره.فأقبل الضحّاك يقتل و ينهب حتّى مرّ بالثعلبيّه.فأغار على الحاجّ فأخذ أمتعتهم.و قتل عمرو بن عميس بن مسعود ابن أخى عبد اللّه بن مسعود صاحب رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم و قتل معه ناسا من أصحابه.فلمّا بلغ عليّا عليه السّلام ذلك استصرخ أصحابه على أطراف أعماله و استشارهم إلى لقاء العدوّ فتلكّؤوا.

و رأى منهم تعاجزا و فشلا.فخطبهم هذه الخطبه.و لنرجع إلى المتن.

اللغه

فالأهواء : الآراء ،و الوهى : الضعف ، كنايه و كيت و كيت :كنايه عن الحديث .و حاد عن الأمر : عدل عنه.قال الجوهرى:قولهم حيدى حياد كقولهم:فيحى فياح،و نقل أنّ فياح اسم للغاره كقطام.فحياد أيضا اسم لها.و المعنىّ:اعزلى عنّا[عنها خ]أيّتها الحرب، و يحتمل أن يكون حياد من أسماء الأفعال كنزال.فيكون قد أمر بالتنحّى مرّتين بلفظين مختلفين .و أعاليل و أضاليل : جمع أعلال و أضلال و هما جمع علّه:اسم لما يتعلّل به من مرض و غيره ،و ضلّه : اسم من الضلال بمعنى الباطل ،و المطول : كثير المطال و هو تطويل الوعد و تسويفه ،و الجدّ : الاجتهاد ،و الأخيب : أشدّ خيبه و هى الحرمان ، الأفوق : السهم المكسور الفوق و هو موضع الوتر منه ،و الناصل : الّذى لا نصل فيه .

المعنى

و المقصود أنّه عليه السّلام نبّههم على ما يستقبح فى الدين،و مراعاه حسن السيره من أحوالهم و أقوالهم و أفعالهم:أمّا أحوالهم فاجتماع أبدانهم مع تفرّق آرائهم الموجب لتخاذلهم عن الذبّ عن الدين و المفرّق لشمل مصالحهم.و أمّا أقوالهم فكلامهم الّذى يضعف عند

سماعه القلوب الصلبه الثابته و يظنّ سامعه أن تحته نجده و ثباتا و هو قولهم مثلا فى مجالسهم:إنّه لا محلّ لخصومنا،و إنّا سنفعل بهم كذا،و سيكون منّا كذا.و أمثاله.

استعاره و استعار لفظى الصمّ الصلاب من أوصاف الحجاره للقلوب الّتى تضعف من سماع كلامهم كما شبّه القرآن الكريم بها: «فَهِيَ كَالْحِجارَهِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَهً» .و أمّا أفعالهم فهو تعقيب هذه الأقوال عند حضور القتال و دعوتهم إلى الحرب بالتخاذل و عدم التناصر و التقاعد عن إجابه داعى اللّه و كراهيّه الحرب و الفرار عن مقاتله العدوّ، كنايه و كنّى بقوله : قلتم حيدى حياد .عن ذلک،و هى كلمه كانت تستعملها العرب عند الفرار. ثمّ أردف ذلک بما العاده أن يأنف منه من يطلب الانتصار به على وجه التضجّر منهم عن كثره تقاعدهم عن صوته .و ذلک قوله: ما عزّت دعوه من دعاكم .المستلزم للحكم بذلّه داعيهم ،و لا استراح قلب من قاساكم .المتلزم للحكم بتعبه ،و قوله: أعاليل بأضاليل .خبر مبتدأ محذوف أى و إذا دعوتكم إلى القتال تعلّلتم بأعاليل هى باطله ضلالا عن سبيل اللّه و سألتمونى التأخير و تطويل المدّه دفاعا ، تشبيه-استعاره و قوله: دفاع ذى الدين المطول .يحتمل أن بكون تشبيها لدفاعهم له بدفاع ذى الدين فيكون منصوبا محذوف الجار،و يحتمل أن يكون قد استعار دفاع ذى الدين المطول لدفاعهم فيكون مرفوعا،و وجه الاستعاره أنّ المدين المطول أبدا مشتهى لعدم المطالبه و تودّ نفسه أن لا يراه غريمه فكذلک فهم عليه السّلام منهم أنّهم كانوا يحبّون أن لا يعرض لهم بذكر القتال و لا يطالبهم به.فاستعار لدفاعهم الدفاع المذكور لمكان المشابهه ،ثمّ نبّههم على قبح الذلّ ليفيؤوا إلى فضيله الشجاعه بذكر بعض لوازمه المنفره و هو أنّ صاحبه لا يتمكّن من رفع الضيم عن نفسه،و على قبح التوانى و التخاذل بأنّه لا يدرک الإنسان حقّه إلاّ بضدّ ذلک و هو الجدّ و التشمير فى طلبه،ثمّ أعقب ذلک بالسؤال على جهه الإنكار و التقريع عن تعبين الدار الّتى ينبغى لهم حمايتها بعد دار الإسلام الّتى لا نسبه لغيرها إليها فى العزّ و الكرامه عند اللّه و وجوب الدفع عنها و الّتى هى موطنهم و محلّ دولتهم .كذلک قوله: و مع أىّ إمام بعدى تقاتلون .و فيه تنبيه لهم على أفضليّته و ما وثق به من إخلاص نفسه للّه فى جميع حركاته،و تثبيت لهم على طاعته إذ كان عليه السّلام يتوهّم فى بعضهم الميل إلى معاويه و الرغبه

فيما عنده من الدنيا.ثمّ أردف ذلك بذمّ من اغترّ بكلامهم و نسبه إلى الغرور و الغفله.

ثمّ بالإخبار عن سوء حال من كانوا حزبه و من يقاتل بهم :

أمّا الأوّل:فهو قوله: المغرور و اللّه من غرّرتموه .و المقصود بالحقيقه ذمّهم و توبيخهم على خلف المواعيد و المماطله بالنفار إلى الحرب لأنّه إنّما ينسب من وثق بهم إلى الغرور بعد خلفهم فى وعدهم له بالنهوض معه.و جعل المغرور مبتدأ و من خبره أبلغ فى إثبات الغرّه لمن اغترّ بهم من العكس لاقتضاء الكلام إذن انحصار المغرور فى من اغترّ بهم.و لا كذلك لو كان من مبتدأ .

و أمّا الثانى:فهو استعاره-مجاز فهو قوله: و من فاز بكم فقد فاز بالسهم الأخيب و من رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل .و قد شبّه نفسه و خصومه باللاعبين بالميسر،و لا حظ شبه حصولهم فى حقّه.بخروج أحد السهام الخائبه الّتى لا غنم لها أو الأوغاد الّتى فيها غرم كالّتى لم يخرج حتّى استوفيت أجزاء الجزور فحصل لصاحبها غرم و خيبه.فلأجل ملاحظه هذا الشبه استعار لهم لفظ السهم بصفه الأخيب،و إطلاق الفوز هنا مجاز فى حصولهم له من باب إطلاق اسم أحد الضدّين على الآخر كتسميه السيّئه جزاء.كذلك لاحظ المشابهه بين رجال الحرب و بين السهام فى كون كلّ منهما عدّه للحرب و دفع العدوّ و لاحظها أيضا بين إرسالهم فى الحرب و بين الرمى بالسهام.فلأجل ذلك استعار أوصاف السهم من الأفوق و الناصل،و استعار لفظ الرمى لمقاتلته بهم ثمّ خصّصهم بأرداء أوصاف السهم الّتى يبطل معها فائدته لمشابتهم ذلك السهم فى عدم الانتفاع بهم فى الحرب.و كأنّه أيضا خصّص بعثه لهم إلى الحرب باستعاره الرمى بالسهم الموصوف لزياده الشبه و هى عدم انبعاثهم عن أمره.و تجاوزهم أوطانهم كالرمى بالسهم الّذى لا فوق له و لا نصل فإنّه لا يكاد يتجاوز عن القوس مسافه.و هى من لطائف ملاحظات المشابهه و الاستعاره عنها.و المعنى أنّ من حصلتم فى حربه فالخيبه حاصله له فيما يطلب بكم،و من قاتل بكم عدوّه فلا نفع له فيكم .ثمّ أردفه بالإخبار عن نفسه بامور نشأت عن إساءه ظنّه بهم و عدم وثوقه بأقوالهم بكثره خلفهم و مواعيدهم الباطله بالنهوض معه و هى أنّه لا يصدّقهم لأنّه من أكثر من شيء عرف به.و من أمثالهم:إنّ الكذوب

لا یصدّق و أنّه لا یطمع فی نصرهم و أنّه لا یوعد بهم عدوّهم إذ کان وعیده بهم مع طول تخلّفهم و شعور العدوّ بذلک ممّا یوجب جرأته و تسلّطه و أمانه من المقاومه. استفهام انکاری ثمّ أردفه بالاستفهام علی سبیل الاستنکار و التقریع عن حالهم الّتی توجب لهم التخاذل و التصامم عن ندائه و هو قوله: ما بالکم .ثمّ عن دوائهم الصالح للمرض الّذی هم فیه .

ثمّ عن کیفیّه علاجهم منه بقوله :ما دوائکم ما طبّکم .و قیل أراد بقوله ما طبّکم أی ما عادتکم و الأوّل أظهر و ألیق.ثمّ نبّههم علی ما عساهم یتوهّمونه من قوّه خصومهم و بأسهم بأنّهم رجال أمثالکم فی الرجولیّه الّتی هی مظنّه الشجاعه و البأس فلا مزیّه لهم علیکم فلا معنی للخوف منهم.ثمّ عاد إلی سؤالهم علی جهه التقریع و نبّههم به علی امور لا ینبغی،منفور عنها،مستقبحه فی الشریعه و العاده .

فأوّلا:عن قولهم ما لا یفعلون و هو إشاره إلی ما یعدون به من النهوض إلی الحرب ثمّ لا یفعلون و ذلک بقوله: أ قولا بغیر عمل کیرا لهم بما یستلزم ذلک من المقت عند اللّه کما اشیر إلیه فی القرآن الکریم «یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ بُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ» (۱)و علی الروایه الثانیه و هی أ قولا بغیر علم؟أی أ تقولون بألسنتکم ما لیس فی قلوبکم و لا تعتقدونه و تجزمون به من أنّا سنفعل کذا.و یحتمل أن یکون معناه أ تقولون إنّا مخلصون للّه و إنّا مسلمون و لا تعلمون شرائط الإسلام و الایمان.

و ثانیا :عن غفلتهم الّتی لیست عن ورع و هی عدم تعقّلهم للمصالح الّتی ینبغی أن یکونوا علیها و هی طرف التفریط من فضیله الفطانه.و هذه بخلاف الغفله مع الورع.

فإنّ تلک نافعه فی المعاد إن کان الورع عباره عن لزوم الأعمال الجمیله المستعدّه فی الآخره فالغفله معه عن الامور الدنیویّه و المصالح المتعلّقه بجزئیّاتها لیست بضارّه،بل ربما کانت سببا للخلاص من عذاب ما فی الآخره.

و ثالثا :عن طمعهم فی غیر حقّ أی فی أن یمنحهم ما لا یستحقّونه لینهضوا معه و یجیبوا دعوته،و کأنّه علیه السّلام عقل من بعضهم أنّ أحد أسباب تخلّفهم من ندائه

۱- ۱) ۳-۶۱

إنّما هو طمعهم فى أن يوفر عطيّاتهم و يمنحهم زياده على ما يستحقّون كما فعل غيره مع غيرهم فأشار إلى ذلک و نبّههم على قبحه من حيث إنّه طمع فى غير حقّ.

و اللّه أعلم.

۲۹-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

فى معنى قتل عثمان

:لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلًا- أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِراً- غَيْرَ أَنَّ مَنْ نَصَرَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ خَذَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ- وَ مَنْ خَذَلَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّى- وَ أَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَهُ اسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ الْأَثَرَهَ- وَ جَزِعْتُمْ فَأَسَأْتُمُ الْجَزَعَ- وَ لِلَّهِ حُكْمٌ وَاقِعٌ فِى الْمُسْتَأْثِرِ وَ الْجَازِعِ

اللغه

أقول: المستأثر بالشىء : المستبدّ به

المعنى

.و مقتضى هذا الفصل تبرّؤه عليه السّلام من الدخول فى دم عثمان بأمر أو نهى كما نسبه إليه معاويه و غيره .

و قوله: لو أمرت به لكنت قاتلا .قضيّه شرطيّه بيّن فيها لزوم كونه قاتلا لكونه آمرا.و هذا اللزوم عرّفى.إذ يقال فى العرف للآمر بالقتل قاتل.و الآمر شريک الفاعل و إن كان القاتل فى اللغه هو المباشر للفعل و الّذى صدر عنه.و كذلک بيّن فى قوله:

أو نهيت عنه لكنت ناصرا لزوم كونه ناصرا لكونه ناهيا.و هو ظاهر،و قد عرفت أنّ استثناء نقيض اللازم يستلزم نقيض الملزوم،و اللازمان فى هاتين القضيّتين هما القتل و النصره، و معلوم أنّ القتل لم يوجد منه عليه السّلام بالاتّفاق فإنّ غايه ما يقول الخصم أنّ قعوده عن نصرته دليل على إرادته لقتله.و ذلک باطل.لأنّ القعود عن النصره قد يكون لأسباب اخرى كما سنبيّنه.ثمّ لو سلّمنا أنّ القعود عن النصره دليل إراده القتل لكن إراده القتل ليس بقتل.فإنّ كلّ أحد يحبّ قتل خصمه لكن لا يكون بذلک قاتلا.و كذلک

ص:۵۴

ظاهر كلامه يقتضى أنّ النصره لم توجد منه،و إذا انتقى اللازمان استلزم نفى أمره بقتله و نهيه عنه.و يحتمل أن يريد فى القضيّه الثانيه استثناء عين مقدّمها لينتج تاليها:أى لكنّى نهيت عنه فكنت ناصرا.لا يقال:لا يخلو إمّا أن يكون مرتكب المنكر هو عثمان أو قاتليه و على التقديرين فيجب على علىّ عليه السّلام القيام و الإنكار إمّا على عثمان بالمساعده عليه إن كان هو مرتكب المنكر،أو على قاتليه بالإنكار عليهم و نصرته.فقعوده عن أحد الأمرين يستلزم الخطأ،لكنّه لم يخطأ فلم يكن تاركا لأحد الأمرين.فلا يثبت التبرّء.و الجواب البرىء من العصبيّه فى هذا الموضع:أنّ عثمان أحدث امورا نقمها جمهور الصحابه عليه،و قاتلوه أحدثوا حدثا يجب إنكاره:أمّا أحداث عثمان فلم ينته فى نظر على عليه السّلام إلى حدّ يستحقّ بها القتل و إنّما استحقّ فى نظره أن يتبّه عليها.فلذلك ورد فى النقل أنّه أنكرها عليه و حذّره من الناس غير مرّه كما سيجىء فى كلامه عليه السّلام.فإن صحّ ذلك النقل ثبت أنّه أنكر عليه ما أحدثه لكنّه لا يكون بذلك داخلا فى دمه لاحتمال أنّه لمّا حذّره الناس و لم ينته اعتزله.و إن لم يثبت ذلك النقل فالإنكار ليس من فروض الأعيان بل هو من فروض الكفايات إذا قام به البعض سقط عن الباقين،و قد ثبت أنّ جمهور الصحابه أنكروا تلك الأحداث من عثمان فلا يتعيّن وجوب الإنكار على علىّ عليه السّلام،و أمّا حدث قاتليه فهو قتله.فإن ثبت أنّه عليه السّلام ما أنكر عليهم.قلنا:إنّ من جمله شروط إنكار المنكرات أن يعلم المنكر أو يغلب على ظنّه قبول قوله،أو تمكّنه من الدفع بيده فلعلّه عليه السّلام علم من حالهم أنّه لا يفيد إنكاره معهم.و ظاهر أنّ الأمر كان كذلك:أمّا عدم فائده إنكاره بالقول معهم فلأنّه نقل عنه عليه السّلام أنّه كان يعد الناس بإصلاح الحال بينهم و بين عثمان و إزالته عمّا نقموه عليه و تكرّر منه وعده لهم بذلك و لم يتمكّن منه،و ظاهر أنّهم بعد تلك المواعيد لا يلتفتون إلى قوله،و أمّا إنكاره بيده فمعلوم بالضروره أنّ الإنسان الواحد أو العشره لا يمكنهم دفع الجمع العظيم من عوامّ العرب و دعاتهم خصوصا عن طباع ثارت و تألّفت و جمعها أشدّ جامع و هو ما نسبوه إليه حقّا و باطلا.ثمّ من المحتمل من تفرّقه مال المسلمين الّذى هو

قوام حياتهم سواء كان ما نسبوه إليه حقّا أم لا أن يكون قد غلب على ظنّه أنّه لو قام فى نصرته لقتل معه و لا يجوز للإنسان أن يعرض نفسه للأذى و القتل فى دفع بعض المنكرات الجزئيّه.و أمّا إن ثبت أنّه أنكر عليهم كما نقلنا حملنا ذلك النهى على نهيه لهم حال اجتماعهم لقتله قبل حال قتله،و قوله : و لو نهيت عنه لكنت ناصرا.

على عدم المنع من قتله حال قتله لعدم تمكّنه من ذلك و عدم إفاده قوله.قال بعض الشارحين:هذا الكلام بظاهره يقتضى أنّه ما أمر بقتله و لا نهى عنه.فيكون دمه عنده فى حكم الامور المباحه الّتى لا يؤمر بها و لا ينهى عنها.قلت:هذا سهو لأنّ التبرّء من الأمر بالشىء و النهى عنه غايه ما يفهم منه عدم الدخول فيه و السكوت عنه و لا يلزم من ذلك الحكم بأنّه من الامور المباحه لاحتمال أنّ اعتزاله هذا الأمر كان لأحد ما ذكرناه.و بالجمله فإنّ أهل التحقيق متّفقون على أنّ السكوت على الأمر لا يدلّ على حال الساكت بمجرّده و إن دلّ بقرينه اخرى.

و ممّا يدلّ على أنّه كان متبرّئا من الدخول فى دم عثمان بأمر أو نهى ما نقل عنه لمّا سئل:أساءك قتل عثمان أم سرّك؟فقال:ما ساءنى و لا سرّنى.و قيل:أرضيت بقتله؟فقال:لم أرض.فقيل:أسخطت قتله.فقال:لم أسخط.و هذا كلّه كلام حقّ يستلزم عدم التعرّض بأمره فإنّ من أعرض عن شىء و لم يدخل فيه يصدق أن يقول:

إنّى لم أسخط به و لم أرض و لم أسأ به و لم أسرّ،فإنّ السخط و الرضا و الإساءه و السرور حالات تتوارد على النفس بأسباب تتعلّق بها فخالع تلك الأسباب عن نفسه فى أمر من الامور كيف يعرض له أحد هذه الحالات فيه.فإن قلت:إن كان قتل عثمان منكرا كان مستلزما لسخطه عليه السّلام و مساءته منه و قد نقل عنه أنّه لم يسخط له و ذلك يقتضى أحد الأمرين:أحدهما أنّه عليه السّلام لا يسخط للمنكر و هو باطل بالاتّفاق،و الثانى أن قتل عثمان لم يكن عنده منكرا،و التقدير أنّه منكر.

قلت:إنّ قتل عثمان يستلزم سخطه لكن لا من حيث إنّه قتل عثمان بل من جهه كونه منكرا،و المنقول أنّه لم يسخط لقتل عثمان و لا سائه ذلك أى من جهه كونه قتل عثمان و ذلك لا ينافى أن يسوئه و يسخطه من جهه كونه منكرا.و فى الجواب

غموض.فليتفّطن.و لأجل اشتباه الحال خبط الجهّال.و فيها يقول شاعر أهل الشام:

و ما فى علىّ لمستعتب مقال سوى صحبه المحدثينا

و ايثاره اليوم أهل الذنوب و رفع القصاص عن القاتلينا

إذا سئل عنه حدا شبهه و عمّى الجواب على السائلينا

و ليس براض و لا ساخط و لا فى النهاه و لا الآمرينا

و لا هو سائه و لا[هو]سرّه و لا بدّ من بعض ذا أن يكونا

فأمّا تفصيل الاعتراضات و الأجوبه فى معنى قتل عثمان و ما نسب إلى علىّ عليه السّلام من ذلك فمبسوط فى كتب المتكلّمين كالقاضى عبد الجبّار و أبى الحسين البصرىّ و السيّد المرتضى و غيرهم فلا نطول بذكرها،و ربّما أشرنا إلى شىء من ذلك فيما بعد.

و قوله : غير أنّ من نصره لا يستطيع.إلى قوله:خير منّى .فأعلم أنّ هذا الفصل ذكره عليه السّلام جوابا لبعض من أنكر بحضرته قعود من قعد عن نصره عثمان و جعلهم منشأ الفتنه،و قال:إنّهم لو نصروه و هم أكابر الصحابه لما اجترىء عليه طغام الامّه و جهّالها،و إن كانوا رأوا أنّ قتله و قتاله هو الحقّ فقد كان يتعيّن عليهم أن يعرّفوا الناس ذلك حتّى يرتفع عنهم الشبهه،و فهم عليه السّلام أنّ القائل يعنيه بذلك.فأجابه بهذا الكلام تلويحا لا تصريحا.إذ كان فى محلّ يلزمه التوقّى.فقرّر أوّلا أنّه ما أمر فى ذلك بأمر و لا نهى ثمّ عاد إلى الاستثناء فقرّرها فى هاتين القضيّتين:

إنّ الّذين خذلوه كانوا أفضل من الناصرين له إذ لا يستطيع ناصروه كمروان و أشباهه أن يفضّلوا أنفسهم على خاذليه كعلىّ عليه السّلام بزعم المنكر و كطلحه و سائر أكابر الصحابه إذا العقل و العرف يشهد بأفضليّتهم،و كذلك لا يستطيع الخاذلون أن يفضّلوا الناصرين على أنفسهم اللّهمّ إلاّ على سبيل التواضع.و ليس الكلام فيه.فكأنّه عليه السّلام سلّم تسليم جدل أنّه دخل فى أمر عثمان و كان من الخاذلين له.

ثمّ أخذ فى الردّ على المنكر بوجه آخر فقال:غير أنّى لو سلّمت أنّى ممّن خذله

لكنّ الخاذلون له أفضل من الناصرين و أثبت المقدّمه بهاتين القضيّتين و حذف التاليه للعلم بها،و تقديرها:و الأفضل يجب على من عداه اتّباعه و الاقتداء به، فينتج هذا القياس أنّه كان يتعيّن على من نصره أن يتبع من خذله.و هذا عكس اعتقاد المنكر.و قال بعض النقّاد:إنّ هذه كلمه قرشيّه،و أراد بذلك أنّه عمّى على الناس فى كلامه.قال:و لم يرد التبرّء من أمره.و إنّما أراد أنّ الخاذلين لا يلحقهم المفضوليّه بكونهم خاذلين له،و إنّ الناصرين له لا يلحقهم الأفضليّه بنصرته.و الّذى ذكره بعيد الفهم من هذا الكلام.و يمكن أن يحمل على وجه آخر و ذلك أنّه إنّما قرّر أفضليّه الخاذلين على الناصرين ليسلم هو من التخصيص باللائمه فى القعود عن النصره فكأنّه قال:و إذا كان الخاذلون له أفضل ممّن نصره.تعيّن عليهم السؤال عن التخلّف،و أن يستشهد عليهم بحال الناصرين له مع كونهم مفضولين.فلم خصّصت باللائمه من بينهم و المطالبه بدمه؟لو لا الأغراض الفاسده.

و قوله : و أنا جامع لكم أمره.إلى قوله:الأثره.

أشار عليه السّلام فى هذا اللفظ الوجيز إجمالا إلى أنّ كلّ واحد.من عثمان و قاتليه كانا على طرف الإفراط من فضيله العداله:أمّا عثمان فاستيثاره و استبداده برأيه فيما الامّه شركاء فيه و الخروج فى ذلك إلى حدّ الإفراط الّذى فسد معه نظام الخلافه عليه و أدّى إلى قتله،و أمّا قاتلوه فلخروجهم فى الجزع من فعله إلى طرف التفريط عمّا كان ينبغى لهم من التثبّت و انتظار صلاح الحال بينهم و بينه بدون القتل،حتّى استلزم ذلك الجزع ارتكابهم لرذيله الجور فى قتله.فلذلك كان فعله إساءه للاستيثار، و فعلهم إساءه للجزع،و قيل:أراد أنّكم أسأتم الجزع عليه بعد القتل.و قد كان ينبغى منكم ذلك الجزع له قبل قتله و قوله : و للّه حكم واقع فى المستأثر و الجازع.

المفهوم من ذلك أنّه يريد بالحكم الواقع للّه فى المستأثر هو الحكم المقدّر اللاحق لعثمان بالقتل المكتوب بقلم القضاء الإلهىّ فى اللوح المحفوظ،و فى الجازغ هو الحكم اللاحق لقاتليه من كونهم قاتلين،أو قالين و جازعين.و فى نسبه هذه الأحكام إلى اللّه تنبيه على

ص:۵۸

تبرّئه من الدخول فی أمر عثمان و قاتلیه بعد الإشاره إلی السبب المعدّ لوقوعها فی حقّهم و هو الاسائه فی الاستیثار و الجزع،و یحتمل أن یرید الحکم فی الآخره اللاحق للکلّ:من ثواب أو عقاب عمّا ارتکبه.و باللّه التوفیق و العصمه.

۳۰-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

لابن العباس لما أرسله إلی الزبیر یستفیئه إلی طاعته قبل حرب الجمل

لاَ تَلْقَیَنَّ؟طَلْحَهَ؟- فَإِنَّکَ إِنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ کَالثَّوْرِ عَاقِصاً قَرْنَهُ- یَرْکَبُ الصَّعْبَ وَ یَقُولُ هُوَ الذَّلُولُ- وَ لَکِنِ الْقَ؟الزُّبَیْرَ؟ فَإِنَّهُ أَلْیَنُ عَرِیکَهً- فَقُلْ لَهُ یَقُولُ لَکَ ابْنُ خَالِکَ- عَرَفْتَنِی؟بِالْحِجَازِ؟ وَ أَنْکَرْتَنِی؟بِالْعِرَاقِ؟- فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا قال الشریف:أقول:هو أول من سمعت منه هذه الکلمه،أعنی«فما عدا مما بدا»

اللغه

أقول: یستفیئه : أی یسترجعه من فاء إذا رجع.و فی روایه إن تلقه تلقه من الفیئه علی کذا إذا وجدته علیه .و العقص : الاعوجاج،و عقص الثور قرنیه:بالفتح متعدّ،و عقص قرنه:بالکسر لازم .و الصعب : الدابّه الجموح السغبه .و الذلول: السهله الساکنه .

و العریکه : فعیل بمعنی مفعول و التاء لنقل الاسم من الوصفیّه إلی الاسمیّه الصرفه، و أصل العرک دلک الجلد بالدباغ و غیره .و عدا : جاوز .و بدا : ظهر .

المعنی

استعاره بالکنایه-تشبیه و اعلم أنّه علیه السّلام لمّا نهی ابن عبّاس عن لقاء طلحه بحسب ما رأی فی ذلک من المصلحه نبّهه علی علّه وجه عنه بقوله: فإنّک إن تلقه تجده کذا .و قد شبّهه بالثور، و أشار إلی وجه الشبه بعقص القرن.استعار لفظ القرن و کنّی به عن شجاعته،و لفظ العقص لما یتبع تعاطیه بالقوّه و الشجاعه من منع الجانب و عدم الانقیاد تحت طاعه الغیر اللازم عن الکبر و العجب بالنفس الّذی قد تعرض للشجاع.و وجه الاستعاره الاولی أنّ القرن آله للثور بها یمنع ما یراد به عن نفسه.و کذلک الشجاعه یلزمها الغلبه و القوّه و منع الجانب.و وجه الاستعاره الثانیه أنّ الثور عند إراده الخصام یعقص قرنیه

ص:۵۹

أی یرخی رأسه و یعطف قرنیه لیصوّبهما إلی جهه خصمه.و یقارن ذلک منه نفح صادر عن توهّم غلبته لمقاومه و شدّته علیه و أنّه لا قدر له عنده کذلک المشبّه هینها علم منه علیه السّلام أنّه عند لقاء ابن عباس له یکون مانعا جانبه،متهیّئا للقتال،مقابلا للخشونه و عدم الانقیاد له الصادر عن عجبه بنفسه و غروره لشجاعته.فذلک حسن التشبیه،و یحتمل أن یکون وجه الشبه هو التواء طلحه فی آرائه و انحرافه عنه علیه السّلام الشبیه بالتواء القرن.

و هو تشبیه للمعقول بالمحسوس .و یقال:إنّ الکبر الّذی تداخل طلحه لم یکن فیه قبل یوم احد.و إنّما حدث به فی ذلک الیوم و ذلک أنّه أبلی فیه بلاء حسنا.ثم أشار إلی بن عبّاس بلقاء الزبیر،و أشار إلی وجه الرأی فی ذلک،و هو کونه استعاره بالکنایه ألین عریکه ، و یکنّی بالعریکه عن الطبع و الخلق کنایه بالمستعار.فیقال:فلان لیّن العریکه إذا کان سهل الجانب لا یحتاج فیما یراد منه إلی تکلّف و مجاذبه قویّه کالجلد اللیّن الّذی یسهل عرکه.و فلان شدید العریکه:إذا کان بالضدّ بذلک.و ظاهر أنّ الزبیر کان سهل الجانب .فلأجل ذلک أمره بلقائه لما عهد من طبیعته أنّها أقبل للاستدراج،و أقرب إلی الانفعال عن الموعظه،و تذکّر الرحم.و أحسن بهذه الاستماله له بذکر النسب المستلزم تصوّره للمیل و الانعطاف من الطبایع السلیمه:و نحوه قوله تعالی حکایه قول هرون لموسی علیه السّلام «یَا بْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْیَتِی وَ لا بِرَأْسِی» قال یا «ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِی» فإنّ فیه من الاستماله و الاسترقاق بتذکیره حقّ الاخوّه ممّا یدعو إلی عطفه علیه ممّا لم یوجد فی کلام آخر.و أمّا کون علیّ علیه السّلام ابن خال الزبیر فإنّ أبا طالب وصفیّه امّ الزبیر من أولاد عبد المطلب بن هاشم.

و قوله : فما عدا ممّا بدا.

قال ابن أبی الحدید.عدا بمعنی صرف.و من:هینها بمعنی عن.و معنی الکلام فما صرفک عمّا کان بدا منک أی ظهر:أی ما الّذی صدّک عن طاعتی بعد إظهارک لها، و حذف الضمیر المفعول کثیر کقوله تعالی «وَ سْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ» أی أرسلناه.

و قال القطب الراوندی:له معنیان:أحدهما:ما الّذی منعک ممّا کان قد بدا منک من البیعه قبل هذه الحاله،الثانی:ما الّذی عاقک من البداء الّذی یبدو للإنسان،و

ص:۶۰

يكون المفعول الثانى لعدا محذوفا يدلّ عليه الكلام أى ما عداك.يريد ما شغلك و ما منعك عمّا كان بدا لك من نصرتى.

قال ابن أبى الحديد:ليس فى الوجه الثانى ممّا ذكره القطب زياده على الوجه الأوّل إلاّ زياده فاسده،أمّا أنّه لا زياده.فلأنّه فسّر عدا فى الوجهين بمعنى منع، و فسّر قوله ممّا كان بدا منك فى الوجهين أيضا بتفسير واحد.فلم يبق بينهما تفاوت، و أمّا الزياده الفاسده فظنّه أنّ عدا يتعدّى إلى مفعولين و هو باطل باجماع النحاه.

و أقول:الوجه الّذى ذكره ابن أبى الحديد هو الوجه الأوّل من الوجهين اللذين ذكرهما الراوندى لأنّ الصرف و المنع لا كثير تفاوت بينهما و إن كان قد يفهم أنّ المنع أعمّ.و أمّا اعتراضه عليه بأنّه لا فرق بين الوجهين اللّذين ذكرهما فهو سهو.لأنّ معنى بدا فى الوجه الأوّل ما ظهر للناس منك من البيعه لى.و مراده به فى الثانى ما ظهر لك فى الرأى من نصرتى و طاعتى.و فرق بين ما يظهر.من الإنسان لغيره،و بين ما يظهر له من نفسه أو من غيره،و أمّا ما ذكره من أنّه زياده فاسده فالأظهر أنّ لفظه الثانى فى قوله المفعول الثانى زياده من قلمه أو قلم الناسخ سهوا،و يؤيّده إظهاره للمفعول الأوّل تفسيرا لقوله و يكون المفعول لعدا محذوفا.

ثمّ أقول:و هذه الوجوه و إن احتملت أن يكون تفسيرا إلاّ أنّ فى كلّ واحد عدولا عن الظاهر من وجه:أمّا الوجه الّذى ذكره المدائنى فلأنّه لمّا حمل عدا على حقيقتها و هى المجاوزه،و حمل ما بدا على الطاعه السابقه.احتاج أن يجعل من بمعنى عن.و هو خلاف الظاهر.و أمّا الراوندى فإنّه فسّر عدا بمعنى منع أو عاق و شغل،و حمل ما بدا على الطاعه السابقه أو على البيعه.و لا يتمّ ذلك إلاّ أن يكون من بمعنى عن.

و الحقّ أن يقال:إنّ عدا بمعنى جاوز.و من لبيان الجنس.و المراد ما الّذى جاوز بك عن بيعتى ممّا بدا لك بعدها من الامور الّتى ظهرت لك.و حينئذ يبقى الألفاظ على أوضاعها الأصليّه مع استقامه المعنى و حسنه.و روى عن الصادق جعفر بن محمّد عليهما السّلام عن أبيه عن جدّه قال:سألت ابن عباس-رضوان اللّه عليه-عن تلك الرساله فقال:بعثنى فأتيت الزبير فقلت له.فقال:إنّى اريد ما يريد.كأنّه يقول:الملك.و لم يزدنى على

ذلک.فرجعت إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام فأخبرته.و عن ابن عباس أیضا أنّه قال:قلت الکلمه لزبیر فلم یزدنی علی أن قال:أنا مع الخوف الشدید لنطمع.و سئل ابن عباس عمّا یعنی الزنیر بقوله هذا.فقال:یقول:أنا علی الخوف لنطمع أن نلی من الأمر ما ولّیتم،و قد فسرّ غیره ذلک بتفسیر آخر.فقال:أراد أنا مع الخوف الشدید من اللّه نطمع أن یغفر لنا هذا الذنب.

۳۱-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

أَیُّهَا النَّاسُ- إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِی دَهْرٍ عَنُودٍ وَ زَمَنٍ کَنُودٍ یُعَدُّ فِیهِ الْمُحْسِنُ مُسِیئاً- وَ یَزْدَادُ الظَّالِمُ فِیهِ عُتُوّاً- لاَ نَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا وَ لاَ نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا- وَ لاَ نَتَخَوَّفُ قَارِعَهً حَتَّی تَحُلَّ بِنَا- وَ النَّاسُ عَلَی أَرْبَعَهِ أَصْنَافٍ- مِنْهُمْ مَنْ لاَ یَمْنَعُهُ الْفَسَادَ فِی الْأَرْضِ- إِلاَّ مَهَانَهُ نَفْسِهِ وَ کَلاَلَهُ حَدِّهِ- وَ نَضِیضُ وَفْرِهِ- وَ مِنْهُمْ الْمُصْلِتُ لِسَیْفِهِ وَ الْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ- وَ الْمُجْلِبُ بِخَیْلِهِ وَ رَجِلِهِ- قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ وَ أَوْبَقَ دِینَهُ- لِحُطَامٍ یَنْتَهِزُهُ أَوْ مِقْنَبٍ یَقُودُهُ- أَوْ مِنْبَرٍ یَفْرَعُهُ- وَ لَبِئْسَ الْمَتْجَرُ أَنْ تَرَی الدُّنْیَا لِنَفْسِکَ ثَمَناً- وَ مِمَّا لَکَ عِنْدَ اللَّهِ عِوَضاً- وَ مِنْهُمْ مَنْ یَطْلُبُ الدُّنْیَا بِعَمَلِ الْآخِرَهِ- وَ لاَ یَطْلُبُ الْآخِرَهَ بِعَمَلِ الدُّنْیَا- قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ- وَ قَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ وَ شَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ- وَ زَخْرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلْأَمَانَهِ- وَ اتَّخَذَ سِتْرَ اللَّهِ ذَرِیعَهً إِلَی الْمَعْصِیَهِ- وَ مِنْهُمْ مَنْ أَبْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ الْمُلْکِ ضُئُولَهُ نَفْسِهِ- وَ انْقِطَاعُ سَبَبِهِ فَقَصَرَتْهُ الْحَالُ عَلَی حَالِهِ- فَتَحَلَّی بِاسْمِ الْقَنَاعَهِ-

وَ تَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ الزَّهَادَهِ- وَ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَاحٍ وَ لاَ مَغْدًى- وَ بَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ- وَ أَرَاقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ- فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍّ- وَ خَائِفٍ مَقْمُوعٍ وَ سَاكِتٍ مَكْعُومٍ- وَ دَاعٍ مُخْلِصٍ وَ ثَكْلاَنَ مُوجَعٍ- قَدْ أَخْمَلَتْهُمُ التَّقِيَّهُ وَ شَمِلَتْهُمُ الذِّلَّهُ- فَهُمْ فِي بَحْرٍ أُجَاجٍ- أَفْوَاهُهُمْ ضَامِزَهٌ وَ قُلُوبُهُمْ قَرِحَهٌ- قَدْ وَعَظُوا حَتَّى مَلُّوا- وَ قُهِرُوا حَتَّى ذَلُّوا وَ قُتِلُوا حَتَّى قَلُّوا- فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ- أَصْغَرَ مِنْ حُثَالَهِ الْقَرَظِ- وَ قُرَاضَهِ الْجَلَمِ- وَ اتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ- قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ- وَ ارْفُضُوهَا ذَمِيمَهً- فَإِنَّهَا قَدْ رَفَضَتْ مَنْ كَانَ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ قال الشريف:أقول:هذه الخطبه ربما نسبها من لا علم له إلى معاويه،و هى من كلام أمير المؤمنين عليه السّلام الذى لا يشك فيه،و أين الذهب من الرغام،و العذب من الأجاج؟و قد دل على ذلك الدليل الخرّيت،و نقده الناقد البصير عمرو بن بحر الجاحظ،فإنه ذكر هذه الخطبه فى كتاب البيان و التبيين،و ذكر من نسبها إلى معاويه،ثم قال:هى بكلام على عليه السّلام أشبه و بمذهبه فى تصنيف الناس،و بالإخبار عما هم عليه من القهر و الإذلال،و من التقيه و الخوف-أليق قال:و متى وجدنا معاويه فى حال من الأحوال يسلك فى كلامه مسلك الزهاد،و مذاهب العباد؟؟!!

اللغه

أقول: عنود : جائر .و كنود : كفور .و العتوّ : الكبر .و القارعه : الخطب العظيم .

و مهانه النفس : حقارتها .و كلّ حدّ السيف و غيره : إذا وقف عن القطع .و نضيض وفره :

ص:۶۳

قلّه ماله .و المصلت بسيفه : الماضى فى الامور بقوّته .و المجلب . المستعين على الأمر بالجمع .و الرجل : جمع راجل .و أشرط نفسه لكذا : أى أعلمها و أعدّها له .و أوبق دينا:

أى أهلكه .و الحطام : متاع الدنيا،و أصله ما تكسر من اليبس .و الانتهار : الاختلاس و الاستلاب بقدر الامكان .و المقنب بكسر الميم و فتح النون : الجمع من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين .و فرع المنبر يفرعه : أى علاه .و طأمن من شخصه : أى خفض، و الاسم الطمأنينه .و شمّر من ذيله : إذا رفعه .و زخرف : أى زيّن و نمّق .و ضؤوله نفسه:

حقارتها . المراح : المكان الّذى يأوى إليه الماشيه بالليل .و المغدى : هو الّذى يأوى إليه بالغداه .و الشريد . المشرّد:و هو المطرود .و النادّ : الذاهب على وجهه .و القمع : الإذلال .

و المكعوم : الّذى لا يمكنه الكلام كأنّه سدّ فوه بالكعام،و هو شىء يجعل فى فم.

البعير عند الهياج .و الثكل : الحزن على فقد بعض المحابّ .و اخملتهم : أى اسقطتهم و أرذلتهم بين الناس .و التقيّه و التقوى : الخوف .و الاجاج : الملح .و الضامز.بالزاء :

الساكته .و الحثاله الثفل .و القرظ ، ورق السلم يدبغ به .و الجلم : المقراض تجزّ به أوبار الإبل ،و قراضته ما تساقط من قرضه .

المعنى

اشاره

و أعلم أن نسبه الخير إلى بعض الأزمنه و الشرّ إلى بعض آخر،و تفضيل بعض الأزمنه على بعض نسبه صحيحه لما أنّ الزمان من الأسباب المعدّه لحصول ما يحصل فى هذا العالم من الامتزاجات و ما يتبعها ممّا يعدّ خيرا أو شرّا.و قد يتفاوت الأزمنه فى الإعداد لقبول الخير و الشرّ ففى بعضها يكون بحسب الاستقراء ما يعدّ شرا كثيرا فيقال:زمان صعب و زمان جائر.و خصوصا زمان ضعف الدين و النواميس الشرعيّه الّتى هى سبب نظام العالم و بقاؤه و سبب الحياه الأبديّه فى الدار الآخره، و فى بعضها يكون ما يعدّ خيرا كثيرا فيقال:زمان حسن و زمان عادل،و هو الزمان الّذى يكون أحوال الخلق فيه منتظمه صالحه خصوصا زمان قوّه الدين و ظهوره و بقاء ستر ناموس الشريعه مسدولا.هذا.و إن كنّا إذا اعتبرنا أجزاء الخير و أجزاء الشرّ الواقعه فى كلّ العالم بحسب كلّ زمان لم يكن هناك كثير تفاوت بين الأزمنه فيما يعدّ خيرا فيها و شرّا.و لذلك قال أفلاطون:الناس يتوهّمون بكلّ زمان أنّه آخر

ص:۶۴

الأزمنه و يثبتون تقصيرا عمّا تقدّمه و ليس يوفون الزمان الماضى و المقيم حقّيهما من التأمّل.و ذلك أنّهم يقيسون الأحداث فى الزمان المقيم إلى من تناهت سنّه و تجاريبه فى الزمان الماضى،و ينظرون إلى قصور المروّات فى الزمان المقيم و اتّساعها فى الماضى من غير أن ينظروا إلى الأغراض فى الزمانين و ما يوجبه كلّ واحد منهما.و إذا تتّبع هذا بعدل و استقصى تصريف الزمانين من القوى و الجدات،و الأمن و الخوف،و الأسباب و الأحوال كانا متقاربين.إذا عرفت هذا فتقول:

قوله عليه السّلام إنّا قد أصبحنا.إلى قوله:حتّى تحلّ بنا

قوله عليه السّلام إنّا قد أصبحنا. إلى قوله: حتّى تحلّ بنا.

ذمّ للزمان بوصفى الجور و الشدّه لمّا أعدله ممّا عدّد فيه من الأوصاف المعدوده شرّا بالقياس إلى نظام العالم و بقائه.و ذكر من تلك الأوصاف خمسه:

أوّلها:أنّه يعدّ فيه المحسن مسيئا .و ذلك من حساب المسيئين الكسالى عن القيام بطاعه اللّه فيعدّون إنفاق المحسن لما له رياء و سمعه أو خوفا أو رغبه فى مجازاه،و كذلك ساير فضايله رذايل.كلّ ذلك طعنا فى فضيلته و حسدا أن ينال رتبه أعلى.فيلحقونه بدرجاتهم فى الإساءه.

و ثانيها:أنّه يزداد الظالم فيه عتوّا .و ذلك أنّ منشأ الظلم هو النفس الأمّاره بالسوء و هى فى زمان العدل تكون مقهوره دائما أو فى أكثر الأحوال.و ثورانها فى ذلك الوقت طالبه للظلم يكون فلته و انتهاز فرصه.فالظالم فى زمان العدل إن ظلم أو تجاوز حدّه فكالسارق الّذى لا يأمن فى كلّ لحظه أن يقع به المكروه فكذلك الظالم فى زمن العدل مقموع بحرسه الشريعه مرصود بعيون طلايعها.أمّا فى زمان ضعف الشريعه فالظالم فيه كالناهب معط لقوّته سؤلها،غير ملتفت إلى وازع الدين فلا جرم كان عتوّه فيه أزيد.و قد كان فى زمانه بالنسبه إلى عهد الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم كذلك.

و ثالثها :أنّه لا ينتفع أهله فيه بما علموا.و هو توبيخ للمقصّرين فى أعمال الآخره على وفق ما علموا من الشريعه ممّا ينبغى أن يعمل لها إذ الانتفاع بالعلم إنّما يكون إذا وافقه العمل،و إليه الإشاره بقوله عليه السّلام فى موضع آخر :العلم مقرون بالعمل،و العلم يهتف بالعمل فإن أجابه و إلاّ ارتحل .فإنّ المراد بارتحال العلم

ص:۶۵

هو عدم الانتفاع به و بهتفه بالعمل اقتضاؤه ما ینبغی من مقارنه العمل له.

و رابعها :أنّهم لا یسئلون عمّا جهلوا.و هو توبیخ للمقصّرین فی طلب العلم بعدم السؤال عمّا جهلوا منه،و قلّه الالتفات لقصور أفهامهم عن فضیلته،و اشتغالهم بحاضر اللذّات الحسیّه.

و خامسها :کونهم لا یتخوّفون قارعه حتّی تحلّ بهم.و ذلک لعدم فکرهم فی عواقب امورهم و اشتغالهم بحاضرها عن الالتفات إلی مصالحهم و تدبیرها و هو توبیخ للمقصّرین فی أمر الجهاد و تنبیه لهم بذکر القارعه و حلولها بهم.و کلّ هذه امور مضادّه لمصلحه العالم.فلذلک عدّ الزمان الواقعه فیه عنودا و شدیدا .

قوله:فالناس علی أربعه أصناف.إلی قوله:قلّوا.

اشاره

قوله: فالناس علی أربعه أصناف.إلی قوله:قلّوا .

أقول:وجه هذه القسمه أنّ الناس إمّا مریدون للدنیا أو للّه.و المریدون لها فإمّا قادرون علیها أو غیر قادرین.و غیر القادرین إمّا غیر محتالین لها،أو محتالون.

و المحتالون إمّا أن یؤهّلوا نفوسهم للإمره و الملک،أو لما هو دون ذلک.فهذه أقسام خمسه مطابقه لما ذکره علیه السّلام من الأوصاف الأربعه الّذین عرضهم للذمّ مع الصنف الخامس الّذین أفردهم بالمدح .

فالصنف الأوّل.فهم المریدون للدنیا القادرون علیها

المشار إلیه فی القسم الثانی من قسمته کنایه بقوله: و منهم المصلت لسیفه و المعلن بشرّه.إلی قوله:یفرعه .و المقصود بهذا الصنف القادرون علی الدنیا المطلقون لعنان الشهوه و الغضب فی تحصیل ما یتخیّل کمالا من القینات الدنیویّه.فإصلات السیف کنایه عن التغلّب و تناول ما أمکن تناوله بالغلبه و القهر و إعلان الشرّ و المجاهره بالظلم و غیره من رذائل الأخلاق.و الإجلاب بالخیل و الرجل کنایه عن جمع أسباب الظلم و الغلبه و الاستعلاء علی الغیر .و إشراط نفسه:تأهیلها و إعدادها للفساد فی الأرض.و ظاهر أنّ من کان کذلک فقد أوبق دینه و أفسده استعاره و قوله: لحطام ینتهزه أو مقنب یقوده أو منبر یفرعه.

إشاره إلی بعض العلل الغائیّه للصنف المذکور من کونهم بالأوصاف المذکوره.

و استعار لفظ الحطام للمال.و وجه المشابهه أنّ الیبس من النبات کما أنّه لا نفع له

بالقياس إلى ما يبقى خضرته و نضارته أو يكون ذا ثمره كذلك المال بالنسبه إلى الأعمال الصالحه الباقى نفعها فى الآخره،و إنّما خصّ هذه الامور الثلاثه لأنّها الأغلب فيما يسعى أهل الدنيا لأجله إذ الغالب أنّ السعى فيها إمّا لجمع المال أو لرياسه دنيويّه باقتناء الخيل و النعم،أو دينيّه كافتراع المنابر و الترأس بناموس الدين مع قصد الدنيا.

استعاره و قوله : و لبئس المتجر. إلى آخره.

تنبيه لهذا الصنف من الناس على خسرانهم فى أفعالهم الشبيهه بالتجاره الخاسره فإنّ طالب الدنيا المحصّل لها كيف ما اتّفق هالك فى الآخره.فهو كالبائع لها بما حصل له من دنياه،و المعتاض بما له عند اللّه من الأجر الجزيل لو أطاعه حطاما تفنى عينه و تبقى تبعته.و لذلك استعار لفظ التجاره لها .

الصنف الثانى:و هم المريدون لها غير القادرين عليها و غير المحتالين لها

و هو المشار إليه بقوله: منهم من لا يمنعه من الفساد[فى الأرض]إلاّ مهانه نفسه و كلاله حدّه و نضيض وفره . كنايه و كنّى بقوله: كلاله حدّه .عن عدم صراحته فى الامور و ضعفه عنها.و ظاهر أنّ المريد للدنيا المعرض عن اللّه لو خلّى عن الموانع المذكوره و وجد الدنيا لم يكن سعيه فيها إلاّ فسادا .

الصنف الثالث:الغير القادرين على الدنيا مع احتيالهم لها و إعداد أنفسهم لامور

دون الملك

و هو المشار إليه بقوله: و منهم من يطلب الدنيا بعمل الآخره و لا يطلب الآخره بعمل الدنيا .إلى آخره.

و قوله: يطلب الدنيا بعمل الآخره إشاره إلى الحيله للدنيا كالرياء و السمعه.

و قوله: و لا يطلب الآخره الدنيا إشاره إلى أنّه مريد للدنيا فقط.

قوله :قد طأمن من شخصه .إلى آخره.

تفصيل لكيفيّه الحيله فإنّ خضوع الإنسان و تطأمن شخصه و المقاربه بين خطوه و تشمير ثوبه و زخرفته لنفسه بما هو شعار الصالحين من عباد اللّه و ستر اللّه الّذى حمى به أهل التقوى أن يردوا موارد الهلكه يقع من صنف من الناس التماسا لدخولهم فى عيون أهل الدنيا و أرباب أهل القينات ليسكنوا إليهم فى الأمانات و نحوها و يجعلون

ذلک ذریعه لهم إلی ما أمّلوه من الدنیا الفانیه فیکونون قد اتّخذوا ستر اللّه و ظاهر دینه وسیله إلی معصیته .

الصنف الرابع:الغیر القادرین علیها المحتالون لها المؤهّلون أنفسهم للملک

و الإمره

،و هم المشار إلیهم بقوله:

و منهم من أقعدهم عن طلب الملک ضؤوله نفسه .إلی آخره.و ذکر من موانع هذا الصنف عمّا رامه مانعین:أحدهما ضؤوله نفسه و قصورها عن المناواه و تخیّلها العجز عن طلب الملک و إن کان مطلوبا له،الثانی سبب ذلک الضعف و هو انقطاع سببه من قلّه المال و عدم الأعوان و الأنصار فی الطلب.فلذلک وقفت به حال القدر علی حالته الّتی لم یبلغ معها ما أراد،و قصّرته علیها.فعدل لذلک إلی الحیله الجاذبه لرغبات الخلق إلیه من التحلّی بالقناعه و التزیّن بلباس أهل الزهاده من المواظبه علی العبادات و لزوم ظواهر أوامر اللّه و إن لم یکن ذلک عن أصل و اعتقاد قاده إلیه.

و قوله : و لیس[هو]من ذلک فی مراح و لا مغدی .کنایه عن أنّه لیس من القناعه و الزهد فی شیء أصلا،و یحتمل أن یکون هذا الصنف من غیر القادرین و غیر المحتالین.

الصنف الخامس:و هم المریدون للّه تعالی

و هم المشار إلیهم بقوله علیه السّلام:و بقی رجال .إلی آخره.و ذکر لهم أوصافا:

الأوّل:کونهم قد غضّ أبصارهم ذکر المرجع .و ذلک أنّ المرید للّه إذا التفت إلی جنابه المقدّس و استحضر أنّه راجع إلیه بل مایل بین یدیه.فلا بدّ أن یعرض عن غیره حیاء منه و ابتهاجا بمطالعه أنواره و خوفا أن یحمّج به بصره عن صعود مراتب الأملاک إلی مهاوی الهلاک،و لأنّ الحسّ تابع للقلب فإذا کان بصر القلب مشغولا غریقا فی جلال اللّه کان مستتبعا للحسّ فلم یکن له التفات من طریقه إلی أمر آخر.

و هو المراد بالغضّ.

الثانی:کونهم قد أراق دموعهم خوف المحشر.

و اعلم أنّ خوف الخائفین قد یکون لامور مکروهه لذاتها،و قد یکون لامور

مکروهه لأدائها إلى ما هو مکروه لذاته،و أقسام القسم الثانی کثیره کخوف الموت قبل التوبه،أو خوف نقض القربه،أو خوف الانحراف عن القصد فی عباده اللّه،أو خوف استیلاء القوی الشهوانیّه بحسب مجری العاده فی استعمال الشهوات المألوفه،أو خوف تبعات الناس عنده،أو خوف سوء الخاتمه،أو خوف سبق الشقاوه فی علم اللّه تعالی.و کلّ هذه و نحوها مخاوف عباد اللّه الصالحین.و أغلبها علی قلوب المتّقین خوف الخاتمه فإنّ الأمر فیه خطر،و أعلی الأقسام و أدّلها علی کمال المعرفه خوف السابقه لکون الخاتمه تبعا لها و مظهره لما سبق فی اللوح المحفوظ.و قد مثّل من له خوف السابقه و من له خوف الخاتمه برجلین وقع لهما ملک بتوقیع یحتمل أن یکون لهما فیه غناء أو هلاک فتعلّق قلب أحدهما بحال نشر التوقیع و ما یظهر فیه من خیر أو شرّ،و تعلّق قلب الآخر بما خطر للملک حاله التوقیع من رحمه أو غضب.و هذا التفات إلی السبب.فکان أعلی.فکذلک الالتفات إلی القضاء الأزلیّ الّذی جری بتوقیعه القلم الإلهیّ فی اللوح المحفوظ أعلی من الالتفات إلی الأبد.و إلی ذلک أشار الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم حیث کان علی المنبر فقبض کفّه الیمنی ثمّ قال:هذا کتاب اللّه کتب فیه أهل الجنّه بأسمائهم و أسماء آبائهم لا یزاد فیه و لا ینقض.

و لیعمل أهل السعاده بعمل أهل الشقاوه حتّی یقال:کأنّهم منهم بل هم ثمّ یستخرجهم (یستنقذهم خ)اللّه قبل الموت و لو بفواق ناقه،و لیعمل أهل الشقاوه بعمل أهل السعاده حتّی یقال:کأنّهم منهم بل هم هم ثمّ یستخرجهم اللّه قبل الموت و لو بفواق ناقه.السعید من سعد بقضاء اللّه،و الشقیّ من شقی بقضاء اللّه،و الأعمال بالخواتیم.و أمّا أقسام القسم الأوّل فمثل أن یتمثّل فی نفوسهم ما هو المکروه لذاته کسکرات الموت و شدّته،أو سؤال منکر و نکیر،أو عذاب القبر،أو هول الموقف بین یدی اللّه تعالی و الحیاء من کشف السرّ و السؤال عن النقیر و القطمیر،أو الخوف من الصراط و حدّته و کیفیّه العبور علیه،أو من النار و أغلالها و أحوالها،أو من حرمان الجنّه،أو من نقصان الدرجات فیها،أو خوف الحجاب من اللّه تعالی.و کلّ هذه الأسباب مکروهه فی نفسها و مختلف حال السالکین إلی اللّه فیها،و أعلاها رتبه خوف الفراق و الحجاب عن اللّه تعالی و هو خوف العارفین،و ما قبل ذلک و هو خوف العابدین و الصالحین و الزاهدین و من لم تکمل معرفته بعد.

إذا عرفت ذلک فنقول:الخوف الّذی أشار إلیه علیه السّلام من هذا القسم إذ خوف المحشر یشمل ما ذکرناه من أقسامه.

الثالث:کونهم بین شرید نادّ .أی مشرّد فی البلاد مطرود إمّا لکثره إنکاره المنکر أو لقلّه صبره علی مشاهده المنکر استعاره ،و خائف مقموع و ساکت مکعوم :أی کأنّ التقیّه سدّت فاه عن الکلام.و هو من باب الاستعاره ،وداع مخلص للّه و ثکلان موجع إمّا لمصابه فی الدین أو من کثره أذی الظالمین.و هذا تفصیل حال آحاد المتّقین، و یحتمل أن یکون ذلک تفصیلا لحالهم بالنسبه إلی خوف المحشر أی أنّ خوف المحشر أراق دموعهم و فعل بکلّ واحد منهم ما ذکر عنه من الحاله الّتی هو علیها .

الرابع:کونهم قد أخملتهم التقیّه :أی تقیّه الظالمین و هو تأکید لما سبق .

الخامس:کونهم قد شملتهم الذلّه :أی بسبب التقیّه .

السادس: استعاره کونهم فی بحر اجاج ،و استعار لفظ البحر بوصف الاجاج لما فیه من أحوال الدنیا الباطله.و وجه المشابهه أنّ الدنیا کما لا تصلح للاقتناء و الاستمتاع بها بل یکون سببا للعذاب فی الآخره کذلک البحر لا یمکن سابحه و إن بلغ به جهد العطش مبلغه شربه و التروّی به .

و قوله: أفواههم ضامره و قلوبهم قرحه.

أی إنّهم لمّا فطموا أنفسهم عن لذّاتها و مخالطه أهلها فیما هم فیه من الانهماک فیها لا-جرم کانت أفواههم ضامره لکثره صیامهم بعیده العهد بالمضغ،و قلوبهم قرحه جوعا أو خوفا من اللّه أو عطشا إلی رحمته و رضوانه أو لما یشاهدونه من کثره المنکرات و عدم تمکّنهم من إنکارها.و من روی ضامزه بالزای المعجمه أراد سکوتهم و قلّه کلامهم.

السابع:کونهم قد وعظوا حتّی ملّوا:

أی ملّوا وعظ الخلق لعدم نفعه فیهم.

الثامن:کونهم قد قهروا حتّی ذلّوا.

التاسع: مجاز در اسناد کونهم قد قتلوا حتّی قلّوا :أی قتلهم الظالمون لعدم سلکهم فی انتظامهم فان قلت:کیف یقال قتلوا مع بقائهم.قلت:إسناد الفعل إلی الکلّ لوجود القتل فی

البعض مجازا من باب إسناد حكم الجزء إلى الكلّ،و لأنّ الكلّ لمّا كان مقصودا بالقتل كان كونهم مقتولين علّه غائيّه فجاز إسناد القتل إليهم و إن كان المقتول بعضهم .

و قوله:فلتكن الدنيا فى أعينكم.إلى آخره

و قوله: فلتكن الدنيا فى أعينكم .إلى آخره.

أمر للسامعين باستصغار الدنيا و احتقارها إلى حدّ لا يكون فى أعينهم ما هو أحقر منها فإنّ حثاله القرظ و قراضه الجلم فى غايه الحقاره،و المراد من هذا الأمر.

و غايته الترك لها فإنّ استحقار الشىء و استصغاره يستتبع تركه و الإعراض عنه،ثمّ أمرهم بالاتّعاظ بالامم السابقه فإنّ فى الماضين عبره لاولى الأبصار،و محلّ الاعتبار ما كانوا فيه من نعيم الدنيا و لذّاتها و المباهاه بكثره قيناتها ثمّ مفارقتهم لذلك كلّه بالموت و بقاء الحسره و الندامه للمستكثرين منها حجبا حايله بينهم و بين الوصول إلى حضره جلال اللّه ،و نبّههم بقوله: قبل أن يتّعظ بكم من بعدكم .على أنّهم مضطرّون إلى مفارقه ما هم فيه و سيصيرون عبره لغيرهم،و فايده الأمر بالاتّعاظ أيضا الإعراض عنها و الاقلاع و الاغترار بها ،ثمّ لمّا أمرهم بهذه الأوامر الّتى ليست صريحه فى الترك أردف ذلك بالأمر الصريح بالترك فقال :و ارفضوها ذميمه :أى أتركوا ما حاله الحقاره و الذمامه،ثمّ نبّه بعده على ما يصلح علّه لتركها و هو عدم دوام صحبتها و ثباتها لمن كان أحبّ منهم لها:أى و لو دام سرورها و نعيمها لأحد لدام لأحبّ الخلق لها و أحرصهم على المحافظه عليها فلمّا لم تدم لمن هو أشدّ حبّا لها منكم فبالأولى أن لا تدوم لكم،و إذا كان طباعها رفض كلّ محبّ فالأحرى بذى المروّه اللبيب الترفّع و الإعراض عمّن لا تدوم صحبته و لا تصفو محبّته.و باللّه التوفيق.

٣٢-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

عند خروجه لقتال أهل البصره

قال عبد اللّه بن العباس:دخلت على أمير المؤمنين عليه السّلام بذى قار و هو يخصف نعله فقال لى:ما قيمه هذه النعل؟فقلت:لا قيمه لها.فقال

عليه السّلام:و اللّه لهی أحب إلی من إمرتكم إلاـ أن أقيم حقا،أو أدفع باطلا، ثم خرج فخطب الناس فقال:- إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ؟مُحَمَّداً ص؟- وَ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً وَ لاَ يَدَّعِي نُبُوَّةً- فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ- وَ بَلَّغَهُمْ مَنْجَاتَهُمْ- فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ وَ اطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُمْ- أَمَا وَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا- حَتَّى وَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا مَا ضَعُفْتُ وَ لاَ جَبُنْتُ- وَ إِنَّ مَسِيرِي هَذَا لِمِثْلِهَا- فَلَأَنْقُبَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ- مَا لِي وَ؟لِقُرَيْشٍ؟- وَ اللَّهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ- وَ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ- وَ إِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمُ الْيَوْمَ

اللغه

أقول: ذوقار : موضع قريب من البصره،و هو الموضع الّذى نصرت فيه العرب على الفرس قبل الإسلام .و يخصف نعله : أى يخرزها .و بوّأهم : أسكنهم .و المحلّه:

المنزله .و المنجاه : موضع النجاه .و القناه : الرمح،و عمود الظهر المنتظم للفقار .

و الصفاه : الحجر الأملس المنبسط .و الساقه : جمع سائق .و تولّت بحذافيرها : أى بأسرها .

و البقر : الشقّ .

المعنی

اشاره

و اعلم أنّه عليه السّلام قدّم لنفسه مقدّمه من الكلام أشار فيها إلى فضيله الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم فى مبعثه و هو سوقه للخلق إلى الدين الحقّ ليبنى عليها فضيله نفسه.و كانت غايته من ذلك توبيخ من خرج من قريش و الاستعداد عليهم .

فقوله:إنّ اللّه بعث محمّدا.إلى قوله:صفاتهم.

فقوله: إنّ اللّه بعث محمّدا.إلى قوله:صفاتهم.

صدر الكلام.أشار فيه إلى فضيله الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم.و الواوان الداخلتان على حرفى النفى للحال.فإن قلت:كيف يجوز أن يقال إنّه لم يكن أحد من العرب فى ذلك

الوقت يقرأ كتابا و كانت اليهود يقرءون التوراه و النصارى الإنجيل.قلت:إنّ الكتاب الّذى تدعيّه اليهود و تسميّه فى ذلك الوقت التوراه ليس هو الكتاب الّذى انزل على.موسى عليه السّلام فإنّهم كانوا حرّفوه و بدلوه فصار كتابا آخر بدليل قوله تعالى «قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتابَ الَّذِی جاءَ بِهِ مُوسی نُوراً وَ هُدیً لِلنّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَراطِیسَ تُبْدُونَها وَ تُخْفُونَ کَثِیراً» (۱)و ظاهر أنّه من حيث هو مبدّل و محرّف ليس هو المنزّل على موسى عليه السّلام،و أمّا الكتاب الّذى تدّعى النصارى بقاءه فى أيديهم فغير معتمد على نقلهم فيه لكونهم كفّارا بسبب القول بالتثليث،و أمّا النافون للتثليث فهم فى غايه القلّه فلا يفيد قولهم:إنّ ما فى أيديهم هو إنجيل عيسى.علم فإذن لا يكون المقرّ و لهم حال مبعث محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلّم كتابا هو من عند اللّه.سلّمناه لكن يحتمل أن يريد بالعرب جمهورهم فإنّ أكثرهم لم يكن له دين و لا كتاب و إنّما كان بعضهم يتمسّک بآثار من شريعه إسماعيل و بعضهم برسوم لهم .

و قوله:فساق الناس حتّى بوّأهم محلّتهم

و قوله: فساق الناس حتّى بوّأهم محلّتهم .

الإشاره بسوقه لهم إلى سوقه العقلىّ لأذهانهم بحسب المعجزات إلى تصديقه فيما جاء به بحسب ما جاءهم من القرآن الكريم و السنّه النبويّه و إلى معرفه سبيل اللّه،ثمّ بحسب الترغيب لبعضهم و الترهيب للبعض إلى سلوک تلک السبيل.فأصبحوا و قد تبوّؤوا محلّتهم:أى منزلتهم و مرتبتهم الّتى خلقوا لأجلها،و كانت هى مطلوب العنايه الأزليّه بوجودهم فى هذا الدار و هى لزوم القصد فى سبيل اللّه المسمّى إسلاما و دينا و إيمانا و هو فى الحقيقه المنجاه الّتى لا خوف على سالكها و لا سلامه للمنحرف عنها،و ذلک معنى قوله: و بلّغهم منجاتهم.

و قوله:و استقامت قناتهم.

مجاز من باب إطلاق اسم السبب على المسبّب و قوله: و استقامت قناتهم.

و المراد بالقناه:القوّه و الغلبه و الدوله الّتى حصلت لهم مجازا و هو من باب إطلاق اسم السبب على المسبّب فإنّ الرمح أو الظهر سبب للقوّه و الشدّه،و معنى إسناد الاستقامه إليها انتظام قهرهم و دولتهم.

ص:۷۳

۱- (۱) ۹۱-۶

و قوله:و اطمأنّت صفاتهم.

استعاره و قوله: و اطمأنّت صفاتهم.

استعاره للفظ الصفاه لحالهم الّتى كانوا عليها،و وجه المشابهه أنّهم كانوا قبل الإسلام فى مواطنهم و على أحوالهم متزلزلين لا يقرّ بعضهم بعضا فى موطن و لا ـ على حال بل كانوا أبدا فى الغاره و النهب و الجلاء.فكانوا كالواقف على حجر أملس متزلزل مضطرب.فاطمأنّت أحوالهم و سكنوا فى مواطنهم.كلّ ذلك بسبب مقدم محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلّم .

و قوله:أمّا و اللّه إن كنت لفى ساقتها.إلى قوله:و لا جبنت.

و قوله: أمّا و اللّه إن كنت لفى ساقتها. إلى قوله: و لا جبنت.

تقرير لفضيلته.فأثبت لنفسه أنّه كان من ساقتها إلى أن تولّت بأسرها من غير عجز اعتراه و لا جبن،و الضمير فى ساقتها لكتائب الحرب و إن لم يجر لها ذكر صريح بل ما يحصل منه معنى الذكر و هو الناس فكأنّه قال:فساق الناس و هم يومئذ كتائب عليه فكنت فى ساقتها حتّى تولّت تلك الكتائب بأسرها لم يبق منها من يغالبه، و قد علمت أنّ السوق قد يكون سوق طرد و هزيمه،و الأوّل هو غايته عليه السّـلام من السوق الثانى إذ لم يكن مقصوده من حروبه إلاّ السوق إلى الدين،و لمّا لم يمكن حصول الهدايه للخلق إلاّ ـ بوجود النبىّ صلى اللّه عليه و آله و سلّم،و إيضاح سبيل الحقّ كان ذبّه و طرده الكتائب حتّى تولّت بحذافيرها حمايه عن النبىّ صلى اللّه عليه و آله و سلّم و عن حوزه الدين أمرا واجبا لا لذاته لكن لغرض تمام الهدى الّذى هو غايه وجود النبىّ صلى اللّه عليه و آله و سلّم.

و قوله:ما عجزتما ضعفت خو لا جبنت.

و قوله: ما عجزت[ما ضعفت خ]و لا جبنت.

تمام لإثبات الفضيله المذكوره له،و تقرير لما علم من شجاعته،و تأكيد لعدم العجز و الجبن الّذى هو طرف التفريط من فضيله الشجاعه .

و قوله:و إنّ مسيرى هذا لمثلها.

و قوله: و إنّ مسيرى هذا لمثلها.

أى لمثل تلك الحال الّتى كنت عليها معهم زمان كفرهم من سوق كتائبهم و طردها من غير جبن و لا ضعف.و هو فى معنى التهديد الّذى عساه أن يبلغ خصومه و تقوى به نفوس أوليائه، استعاره و كذلك قوله:و لأبقرنّ الباطل حتّى أخرج الحقّ من خاصرته.

أيضا فى معنى التهديد،و تنبيه على ما عليه خصومه من الباطل.و استعار هنا لفظ الخاصره للباطل و البقر لتفريق الباطل و تمييز

الحقّ منه تشبيها له فی استتار الحقّ فيه و عدم

ص:۷۴

تمییزه منه بحیوان ابتلع جوهرا ثمینا أعزّ منه قیمه و أتمّ فایده فاحتیج إلی شقّ بطنه فی استخلاص ما ابتلع .

و قوله:ما لی و لقریش.

استفهام علی سبیل الإنکار و قوله: مالی و لقریش.

استفهام علی سبیل الإنکار لما بینه و بینهم ممّا یوجب الاختلاف و جحد فضیلته، و حسم لاعذار هم فی حربه.

و قوله:و اللّه لقد قاتلتهم کافرین .

و قوله: و اللّه لقد قاتلتهم کافرین.

إظهار للمنّه علیهم بسوقه لهم إلی الدین أوّلا و تعییر لهم بما کانوا علیه من الکفر لیعترفوا بفضیلته و نعمه اللّه علیهم به و لیخجلوا من مقابلته بالباطل و هو إظهار الإنکار علیه إذ کانوا أولی باتیان المنکر منه و هو أولی بردّهم عنه آخرا کما کان أوّلا.و کذلک قوله: و قاتلتهم مفتونین .علی أحد الروایتین،و أمّا علی روایه و لاقاتلنّهم مفتونین فهو تهدید بأن یوقع بهم القتال علی فتنتهم و ضلالتهم علی الدین.و کافرین و مفتونین نصبا علی الحال،و فی ذکر هذین الحالین تنبیه علی علّه قتاله لهم فی الحالتین و هو طلبه لاستقامتهم علی الدین و رجوعهم إلی الحقّ عن الضلال و إغراء السامعین بهم .

و قوله:و إنّی لصاحبهم بالأمس کما أنا صاحبهم الیوم.

و قوله: و إنّی لصاحبهم بالأمس کما أنا صاحبهم الیوم.

إشاره إلی أنّه لم تتغیّر حالته الّتی بها قاتلهم کافرین،و فائدته تذکیر الخصم الان بابتلاء الکفّار به فی ذلک الوقت لیتقهقروا عن محاربته إذ فی تذکّر وقایعه فی بدو الإسلام و شدّه بأسه ما تطیر منه القلوب و تقشعرّ منه الجلود.و قد نقلت فی تمام هذه الخطبه فی بعض النسخ:

لتضجّ قریش ضجیجها إن تکن فینا النبوّه و الخلافه،و اللّه ما أتینا إلیهم إلاّ أنّا اجترأنا علیهم.

و ذلک إشاره إلی السبب الأصلیّ لخروج طلحه و الزبیر و غیرهما من قریش علیه.

و هو الحسد و المنافسه إن تکن الخلافه و النبوّه فی بنی هاشم دونهم. کنایه و الضجیج :الصراح القوّی.و هو کنایه عن أشد مخاصماتهم و منافراتهم معه علی هذا الأمر.

و قوله:و اللّه ما آتینا.إلی آخره

و قوله: و اللّه ما آتینا .إلی آخره.

تأکید لما نسبه إلیهم من سبب الخروج بالقسم البارّ علی أنّه لم یکن الباعث لهم علی قتاله أو علی حسده و البغی علیه أمرا من قبله سوی الاجتراء علیهم أی الشجاعه و الإقدام علیهم فی منعهم عمّا یریدون من قول أو فعل لا تسوّغه الشریعه فإنّه لمّا لم یکن ذلک فی الحقیقه إساءه فی حقّهم یستحقّ بها المکافاه منهم بل إحسان و ردع عن سلوک طرق الضلال تعیّن أنّ السبب فی الخروج علیه و نکث بیعته هو الحسد و المنافسه و باللّه التوفیق.

۳۳–و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

فی استنفار الناس إلی أهل الشام

أُفٍّ لَکُمْ لَقَدْ سَئِمْتُ عِتَابَکُمْ- «أَ رَضِیتُمْ بِالْحَیاهِ الدُّنْیا مِنَ الْآخِرَه» عِوَضاً- وَ بِالذُّلِّ مِنَ الْعِزِّ خَلَفاً- إِذَا دَعَوْتُکُمْ إِلَی جِهَادِ عَدُوِّکُمْ دَارَتْ أَعْیُنُکُمْ- کَأَنَّکُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِی غَمْرَهٍ- وَ مِنَ الذُّهُولِ فِی سَکْرَهٍ- یُرْتَجُ عَلَیْکُمْ حَوَارِی فَتَعْمَهُونَ- فَکَأَنَّ قُلُوبَکُمْ مَأْلُوسَهٌ فَأَنْتُمْ لاَ تَعْقِلُونَ- مَا أَنْتُمْ لِی بِثِقَهٍ سَجِیسَ اللَّیَالِی- وَ مَا أَنْتُمْ بِرُکْنٍ یُمَالُ بِکُمْ- وَ لاَ زَوَافِرُ عِزٍّ یُفْتَقَرُ إِلَیْکُمْ- مَا أَنْتُمْ إِلاَّ کَإِبِلٍ ضَلَّ رُعَاتُهَا- فَکُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ آخَرَ- لَبِئْسَ لَعَمْرُ اللَّهِ سُعْرُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ- تُکَادُونَ وَ لاَ تَکِیدُونَ- وَ تُنْتَقَصُ أَطْرَافُکُمْ فَلاَ تَمْتَعِضُونَ- لاَ یُنَامُ عَنْکُمْ وَ أَنْتُمْ فِی غَفْلَهٍ سَاهُونَ- غُلِبَ وَ اللَّهِ الْمُتَخَاذِلُونَ- وَ ایْمُ اللَّهِ- إِنِّی لَأَظُنُّ بِکُمْ أَنْ لَوْ حَمِسَ الْوَغَی- وَ اسْتَحَرَّ الْمَوْتُ- قَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنِ؟ابْنِ أَبِی طَالِبٍ؟ انْفِرَاجَ الرَّأْسِ- وَ اللَّهِ إِنَّ امْرَأً یُمَکِّنُ

عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ- يَعْرُقُ لَحْمَهُ وَ يَهْشِمُ عَظْمَهُ- وَ يَفْرِى جِلْدَهُ لَعَظِيمٌ عَجْزُهُ- ضَعِيفٌ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ- أَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ إِنْ شِئْتَ- فَأَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ دُونَ أَنْ أُعْطِىَ ذَلِكَ ضَرْبٌ بِالْمَشْرَفِيَّهِ- تَطِيرُ مِنْهُ فَرَاشُ الْهَامِ- وَ تَطِيحُ السَّوَاعِدُ وَ الْأَقْدَامُ- «وَ يَفْعَلُ اللّهُ» بَعْدَ ذَلِكَ «ما يَشاءُ» أَيُّهَا النَّاسُ- إِنَّ لِى عَلَيْكُمْ حَقّاً وَ لَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ- فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيحَهُ لَكُمْ- وَ تَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيْكُمْ- وَ تَعْلِيمُكُمْ كَيْلاَ تَجْهَلُوا وَ تَأْدِيبُكُمْ كَيْمَا تَعْلَمُوا- وَ أَمَّا حَقِّى عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَهِ- وَ النَّصِيحَهُ فِى الْمَشْهَدِ وَ الْمَغِيبِ- وَ الْإِجَابَهُ حِينَ أَدْعُوكُمْ وَ الطَّاعَهُ حِينَ آمُرُكُمْ أقول:روى أنّه عليه السّلام خطب بهذه الخطبه بعد فراغه من أمر الخوارج و قد كان قام بالنهروان فحمد اللّه و أثنى عليه و قال:أمّا بعد فإنّ اللّه تعالى قد أحسن بنا نصرتكم فتوجّهوا من فوركم هذا إلى عدوّكم من أهل الشام.فقالوا له:قد نفدت نبالنا و كلّت سيوفنا ارجع بنا إلى مصرنا لنصلح عدّتنا،و لعلّ أمير المؤمنين يزيد فى عددنا مثل من هلك منّا لنستعين به.فأجابهم «يا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَهَ الَّتِى كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَ لا تَرْتَدُّوا عَلى أَدْبارِكُمْ» (1)الآيه فتلكّؤوا عليه و قالوا:إنّ البرد شديد.فقال:إنّهم يجدون البرد كما تجدون افّ لكم ثمّ تلا قوله تعالى «قالُوا يا مُوسى إِنَّ فِيها قَوْماً جَبّارِينَ» (2)الآيه.فقام منهم ناس و اعتذروا بكثره الجراح فى الناس و طلبوا أن يرجع بهم إلى الكوفه أيّاما.ثمّ يخرج بهم.فرجع بهم غير راض و أنزلهم نخيله.و أمرهم أن يزمّلوا معسكرهم و يوّطنوا على الجهاد أنفسهم و يقلّوا زياره أهلهم.فلم يقبلوا و جعلوا

۱- (۱) ۲۴-۵

۲- (۲) ۲۵-۵

يتسلّلون و يدخلون الكوفه حتّى لم يبق معه إلاّ القليل منهم.فلمّا رأى ذلك دخل الكوفه فخطب الناس.فقال:أيّها الناس استعدّوا لقتال عدوّ فى جهادهم القربه إلى اللّه و درك الوسيله عنده قوم حيازى عن الحقّ لا ينصرونه،موزعين بالجور و الظلم لا يعدلون به.

جفاه عن الكتاب نكب عن الدين يعمهون فى الطغيان،و يتسكّعون فى غمره الضلال ف «أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّهٍ وَ مِنْ رِباطِ الْخَيْلِ» و تَوَكَّلوا «عَلَى اللّهِ وَ كَفى بِاللّهِ وَكِيلاً» قال:فلم ينفروا.فتركهم أيّاما ثمّ خطبهم هذه الخطبه فقال :افّ لكم .الفصل.

اللغه

افّ : كلمه تضجّر من الشىء .و غمرات الموت : سكراته الّتى يغمر فيها العقل.

و الذهول : النسيان و السهو .و يرتج عليكم : أى يفلق .و الحوار . المخاطبه .و تعمهون:

تتحيّرون و تتردّدون .و المألوس : المجنون و المختلط العقل .و سجيس الليالى و سجيس الأوجس : أى أبدا مدى الليالى .و الزوافر : جمع زافره،و زافره الرجل أنصاره و عشيرته .

و سعر : جمع ساعر،و إسعار النار تهييجها و إلهابها .و الامتعاض : الغضب .و حمس الوغى : اشتداد الحرب و جلبه الأصوات .و عرقت اللحم أعرقه : إذا لم أبق على العظم منه شيئا .و المشرّفيه : سيوف منسوبه إلى مشارف:قرى من أرض العرب تدنوا من الريف .

و فراش الهام : العظام الرقيقه تلى القحف .

المعنى

اشاره

و اعلم أنّه عليه السّلام لمّا أراد استنفارهم إلى الحرب.و كانوا كثيرا ما يتثاقلون عن دعوته استقبلهم بالتأنيف و التضجّر بما لا يرتضيه من أفعالهم.

و قوله:لقد سئمت عتابكم .

و قوله: لقد سئمت عتابكم.

تفسير لبعض ما تأنف منه.

و قوله: «أَ رَضِيتُمْ بِالْحَياهِ الدُّنْيا مِنَ الْآخِرَهِ» عوضا،و بالذلّ من العزّ خلفا .

استفهام على سبيل الإنكار و قوله: أرضيتم بالحياه الدنيا من الآخره عوضا،و بالذلّ من العزّ خلفا.

استفهام على سبيل الإنكار عليهم يستلزم الحثّ على الجهاد فإنّ الجهاد لمّا كان مستلزما لثواب الآخره و لعزّه الجانب،و خوف الأعداء،و القعود عنه يستلزم فى الأغلب السلامه فى الدنيا و البقاء فيها لكن مع طمع العدوّ فيهم و ذلّتهم له كانوا بقعودهم عنه كمن اعتاض الدنيا من الآخره،و استخلف الذلّ من العزّه.و ذلك ممّا لا يرضى به ذو عقل سليم .و عوضا و خلفا منصوبان على التمييز.

ص:۷۸

قوله إذا دعوتكم إلى جهاد عدوّكم.إلى قوله:لا تعقلون .

قوله: إذا دعوتكم إلى جهاد عدوّكم. إلى قوله: لا تعقلون.

تبكيت لهم و توبيخ برذائل تعرض لهم عند دعائه لهم إلى الجهاد.

الاولى: تشبيه بأنّه تدور أعينهم حيره و تردّدا و خوفا من أحد أمرين:إمّا مخالفه دعوته،أو الإقدام على الموت.و فى كلا الأمرين خطر.ثمّ شبّه حالتهم تلك فى دوران أعينهم و حيرتهم بحال المغمور فى سكرات الموت،الساهى فيها عن حاضر أحواله،المشغول بما يجده من الألم.و نحوه قوله تعالى «يَنْظُرُونَ إِلَيْکَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِی يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ» (۱).

الثانيه:أنّه يرتج عليهم حواره، و يرتج فى موضع الحال و تعمهون عطف عليه أى يرتج عليكم فيتحيّرون.ثمّ شبّه حالهم عند دعائه إلى الجهاد تشبيها ثانيا بحال من اختلط عقله أى أنّهم فى حيرتهم و تردّدهم فى جوابه كمختلط العقل ما يفقه ما يقول .

الثالثه:أنّهم ليسوا له بثقه أبدا.و هو وصف لهم برذيله الخلف و الكذب المستلزم لعدم ثقته بأقوالهم .

الرابعه: استعاره كونهم ليسوا بركن يميل به المستند إليه فى خصمه.يقال:فلان ركن شديد.استعاره له من ركن الجبل و هو جانبه لما بينهما من المشاركه فى الشدّه و امتناع المعتصم به.و نحوه قوله تعالى «لَوْ أَنَّ لِی بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِی إِلى رُكْنٍ شَدِيدٍ» (۲)أى قوىّ يمنعنى منكم و هو وصف بالتخاذل و العجز .

الخامسه:و لا زوافر عزّ يفتقر إليهم.و هو وصف لهم برذيله الذلّ و الحقاره .

السادسه: تشبيه تشبيههم بإبل ضلّ رعاتها ،و الإيماء إلى وجه الشبه و هو أنّها كلّما جمعت من جانب انتشرت من جانب.إشاره إلى أنّهم ضعيفوا العزوم متشتّتوا الآراء لا يجتمعون على مصلحه بها يكون نظام أحوالهم فى الدارين.و قد علمت أنّ ذلك من نقصان القوّه العلميّه فكانوا منها على رذيله البله .

السابعه: استعاره كونهم ليسوا بسعر نار الحرب :أى ليسوا من رجالها.و ذلك أنّ مدار الحرب على الشجاعه و الرأى.و قد سبقت منه الإشاره إلى ذمّهم بالفشل و ضعف الرأى.

۱- ۱) ۱۹-۳۳

۲- ۲) ۲۸-۱۱

فإذن ليسوا من رجال الحرب،و لمّا استعار لهيجان الحرب لفظ النار لما يستلزمانه من الأذى الشديد رشّح تلك الاستعاره بذكر الإسعار و وصف رجالها به .

الثامنه:كونهم يكادون و لا يكيدون:أى يخدعون و يمكر بهم عدوّهم فى ايقاع الحيله،و ليس لهم قوّه المكر و الحيله به.و ذلك أيضا من رذيله ضعف الرأى .

التاسعه:كونهم تنقص أطرافهم فلا يمتعضون:أى يغار العدوّ فى كلّ وقت على بعض بلادهم فيحوزها فلا يشقّ ذلك عليكم و لا يدرككم منه أنفه و لا حميّه،و هو وصف لهم برذيله المهانه .

العاشره:كونهم فى غفله ساهون مع انتباه عدوّهم.و هو وصف لهم برذيله الغفله أيضا عمّا يراد بهم،و قلّه عقليّتهم لمصالح أنفسهم،و كلّ هذا التوبيخ تثقيف لهم و تنبيه لنفوسهم الراقده فى مراقد طبائعها على ما ينبغى لهم من المصالح الّتى يكون بها نظام أحوالهم على قانون الدين.

و قوله:غلب و اللّه المتخاذلون .

و قوله: غلب و اللّه المتخاذلون.

تنبيه على أنّهم بتخاذلهم سيغلبون.و أورد الغلب المطلق بعلّه التخاذل لأنّهم للحكم العامّ أشدّ قبولا منهم له على أنفسهم إذ لو خصّصهم به فقال غلبتم و اللّه أو تخاذلتم لم يكن وقعه فى الذوق كوقعه عامّا .

و قوله:و أيم اللّه.إلى قوله:انفراج الرأس.

و قوله: و أيم اللّه.إلى قوله:انفراج الرأس.

أقسم أنّه ليظنّ بهم أنّهم عند اشتداد الحرب و حراره الموت ينفرجون عند انفراج الرأس:أى يتفرّقون أشدّ تفريق.و انفراج الرأس مثل.قيل:أوّل من تكلّم به أكثم بن صيفى فى وصيّه له:يا بنىّ لا تنفرجوا عند الشدائد انفراج الرأس فإنّكم بعد ذلك لا تجتمعون على عزّ.و فى معناه أقوال.

أحدها:قال ابن دريد:معناه أنّ الرأس إذا انفرج عن البدن لا يعود إليه و لا يكون بعده اتّصال و ذلك أشدّ انفراج.

الثانى:قال المفضل،الرأس اسم رجل ينسب إليه قريه من قرى الشام يقال لها بيت الرأس و فيها يباع الخمر.قال حسّان:كان سببه من بيت رأس يكون مزاجها

عسلا و ماء و هذا الرجل قد انفرج عن قومه و مكانه فلم يعد إليه فضرب به المثل فى المباينه و المفارقه.

الثالث:قال بعضهم:معناه أنّ الرأس إذا انفرج بعض عظامه عن بعض كان ذلك بعيد الالتيام و العود إلى الصحّه.

الرابع:قال بعضهم:معناه انفرجتم عنّى رأسا أى بالكلّيّه.

الخامس:قيل معناه:انفراج من يريد أن ينجو برأسه.

السادس:قيل معناه:انفراج المرأه عن رأس ولدها حاله الوضع فإنّه يكون فى غايه من الشدّه و تفرّق الاتّصال و الانفراج.و نحوه قوله عليه السّلام فى موضع آخر: انفراج المرأه عن قبلها ،و على كلّ تقدير فمقصوده شدّه انفصالهم و تفرّقهم عنه لهم أحوج ما يكون إليهم، مجاز و استحرار الموت يحتمل أن يراد به شدّته الشبيهه بالحراره مجازا كما سبق، و يحتمل أن يراد به خلوصه و حضوره فيكون اشتقاقه من الحريّه،و الجمله الشرطيه خبر أن المخفّفه من المثقّله.و اسمها الضمير الشأن و هى مع اسمها و خبرها قائمه مقام مفعولى ظنّ،توبيخ لهم على التقصير البالغ فى حقّه إلى حدّ أن يظنّ بهم الظنّ المذكور .

و قوله:و اللّه إنّ امرأ.إلى قوله:إن شئت.

و قوله: و اللّه إنّ امرأ. إلى قوله: إن شئت.

من لطيف الحيله فى الخطاب الموجب للانفعال عنه،و ذلك أنّه صوّر لهم أفعالهم من التخاذل على العدوّ و الضعف و سائر أفعالهم المذمومه الّتى الفوا التوبيخ و التعنيف بعباره تريهم إيّاها فى أقبح صوره و أشدّها كراهه إليهم و أبلغها نكايه فيهم و هو تمكينهم للعدوّ من أنفسهم فإنّ أفعالهم من التخاذل و نحوه.و هى بعينها تمكين للعدوّ فيما يريد بهم و إعداد له و تقويه لحاله، استعاره بالكنايه و لمّا كان من عاده ظفر العدوّ احتياج المال و القتل و تفريق الحال كنّى عن الأوّل بقوله: يعرق لحمه ،و وجه استعاره عرق اللحم لسلب المال بكلّيّته ظاهر،و كذلك كنّى عن القتل و سائر أسباب الهلاك من فعل العدوّ بهشم العظم ،و عن تمزيق الحال المنتظم بفرى الجلد .ثمّ لمّا كان من البيّن أنّ تخاذلهم تمكين لعدوّهم منهم و كان تمكين الإنسان لعدوّ من نفسه يفعل به الأفعال المنكره لا يكون إلاّ

عن عجز عظيم و ضعف فى القلب عن مقاومته لا جرم أثبت العجز و ضعف القلب لامرء مكّن عدوّه من نفسه و أكدّ ذلك بأنّ،و بالقسم البارّ،و كنّى بضعف القلب عن الجبن و أتى بذلك الإثبات على وجه عامّ لكلّ امرء فعل ذلك و لم يخصّهم بالخطاب و لا نسب تمكين العدوّ إليهم صريحا و إن كانوا هم المقصودين بذلك رجاء لنفارهم عن الدخول تحت هذا العموم بالانقياد لأمره و الجهاد.ثمّ أردفه بالأمر أن يكونوا ذلك المرء الّذى وصفه بما وصفه أمرا على سبيل التهديد و التنفير،و ذلك قوله: أنت فكن ذاك إن شئت.

أى ذاك المرء الموصوف بالعجز و الضعف.خطاب للشخص المطلق الصادق على أىّ واحد منهم كان و أمر له أن يكون بصفه المرء الموصوف أوّلا تنفيرا له عمّا ذكره ممّا يلزم الإنسان من الأحوال الرديئه عند تمكينه عدوّه من نفسه.و روى:أنّه خاطب بقوله:

أنت فكن ذاك .الأشعث بن قيس.فإنّه روى:أنّه قال و هو يخطب و يلوم الناس عن تقاعدهم عن الحرب:هلاّ فعلت فعل ابن عفان فقال عليه السّلام له:إنّ فعل ابن عفان مخزاه على من لا دين له و لا وثيقه معه،و إنّ امرء أمكن عدوّه من نفسه يهشم عظمه و يفرى جلده لضعيف رأيه ما فوق عقله أنت فكن ذاك إن شئت.الفصل .

و قوله.فأمّا أنا.إلى قوله:ما يشاء.

كنايه و قوله. فأمّا أنا. إلى قوله: ما يشاء.

لما خيّرهم أن يكونوا ذلك المرء على سبيل التهديد أردف ذلك بالتبرّء من حال المرء المذكور ليكون لهم به عليه السّلام اسوه فى النفار عن تمكين العدوّ من أنفسهم إلاّ بعد بذل النفس فى الجهاد أى على تقدير اختيار المخاطب تلك الحال فإنّه هو لا يختار ذلك الحال بل دون أن يعطى عدوّه من نفسه ذلك التمكين ضرب بالمشرّفيه يطير منه الهام و تطيح منه السواعد و الأقدام،و كلّ ذلك كنايه عن أشدّ المجاهده،و يفعل اللّه بعد ذلك الجهاد و المناجزه ما يشاء من تمكين العدوّ أو عدم تمكينه فإنّ إليه مصير الامور و عواقبها .

و قوله:أيّها الناس.إلى آخره.

و قوله: أيّها الناس .إلى آخره.

ذكر ما لهم عليه من الحقّ و ما له عليهم منه ليعرفهم أنّه أدّى ما عليه من الواجب لهم فينبغى لهم أن يخرجوا إليه من واجب حقّه الّذى فرض اللّه عليهم فبدء ببيان حقّهم

عليه أدبا و استدراجا لطباعهم فإنّ البداءه بحقّ الغير قبل حقّ النفس أليق بالأدب و هم لسماعه أقبل.فذكر منها أربعه امور بها يكون صلاح حالهم فى الدارين.

أحدها :النصيحه لهم و هى حثّهم على مكارم الأخلاق و جذبهم إلى ما هو الأليق بهم فى معاشهم و معادهم.

الثانى :توفير فيئهم عليهم بترك ظلمهم فيه و تفريقه فى غير وجوهه ممّا ليس بمصلحه لهم كما نسبوه إلى من كان قبله.

الثالث :تعليمهم كيلا يجهلوا.و إنّما لم يقل كيما يعلموا لأنّ ظهور المنّه عليهم بذكر نفى الجهل عنهم أشدّ من ظهورها فى ذكر عرض إيجاد العلم لهم و لذلك كان تأذّى الرجل و أنفته من أن يقال له:يا جاهل.أشدّ بكثير من نفار من يقال له:لست بعالم.

الرابع :تأديبهم كيما يعملوا.فهذه الامور الأربعه هى الواجبه على الإمام للرعيّه واحد منها يرجع إلى صلاح أبدانهم و قوامها:و هو توفير فيئهم عليهم بضبطه،و عدم التصرف فيه لغير وجوه مصالحهم.و إثنان يرجعان إلى صلاح حال نفوسهم إمّا من جهه إصلاح القوّه النظريّه:و هو التعليم لغرض العلم أو من جهه إصلاح القوّه العمليّه و هو التأديب لغرض العمل.و واحد مشترك بين مصلحتى البدن و النفس و نظام أحوالهما و هو النصيحه لهم .ثمّ أردف ذلك بيان حقّه عليه السّلام و ذكر أيضا أربعه.

الأوّل:الوفاء بالبيعه و هى أهمّ الامور إذ بها النظام الكلّىّ الجامع لهم معه.

الثانى :النصيحه له فى غيبته و حضوره و الذبّ عنه إذ بذلك نظم شمل المصلحه بينهم و بينه أيضا.

الثالث :إجابته حين يدعوهم من غير تثاقل عن ندائه فإنّ للتثاقل عن دعوته ما علمت من قهر العدوّ.و غلبته عليهم و فوات مصالح عظيمه.

الرابع :طاعتهم له حين يأمرهم،و ظاهر أنّ شمل المصلحه لا ينتظم بدون ذلك.

و أنت تعلم بأدنى تأمّل أنّ هذه الامور الأربعه و إن كانت حقوقا له عليهم إلاّ أنّه إنّما يطلبها منهم لما يعود عليهم به من النفع فى الدنيا و الآخره فإنّ الوفاء ملكه تحت العفّه و النصيحه له سبب لانتظام امورهم به و إجابه دعوته إجابه لداعى اللّه الجاذب

إلى الخير و المصلحه،و كذلك طاعه أمره طاعه لأمر اللّه إذ هو الناطق به،و قد علمت ما تستلزمه إطاعه اللّه من الكرامه عنده.و باللّه التوفيق و العصمه.

۳۴-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

بعد التحكيم

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ وَ إِنْ أَتَى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ الْفَادِحِ- وَ الْحَدَثِ الْجَلِيلِ- وَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ- لَيْسَ مَعَهُ إِلَهٌ غَيْرُهُ- وَ أَنَّ؟مُحَمَّداً؟ عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ ص أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مَعْصِيَهَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجَرِّبِ- تُورِثُ الْحَيرَه وَ تُعْقِبُ النَّدَامَهَ- وَ قَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَهِ أَمْرِي- وَ نَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي- لَوْ كَانَ يُطَاعُ؟لِقَصِيرٍ؟ أَمْرٌ- فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجُفَاهِ وَ الْمُنَابِذِينَ الْعُصَاهِ- حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ وَ ضَنَّ الزَّنْدُ بِقَدْحِهِ- فَكُنْتُ أَنَا وَ إِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو؟هَوَازِنَ؟ أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي؟بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى؟ فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إِلاَّ ضُحَى الْغَدِ

أقول:روى أنّ عمرو بن العاص و أبا موسى الأشعرىّ لمّا التقيا بدومه الجندل و قد حكما فى أمر الناس كان علىّ يومئذ قد دخل الكوفه ينتظر ما يحكمان به.فلمّا تمّت خدعه عمرو لأبى موسى و بلغه ذلك عليه السّلام اغتمّ له غمّا شديدا و وجم منه و قام فخطب الناس.فقال:الحمد للّه.الفصل.و زاد بعد الاستشهاد ببيت دريد فى بعض الروايات:

ألا إنّ هذين الرجلين اللذين اخترتموهما قد نبذا حكم الكتاب و أحيا ما أمات

ص:۸۴

و اتّبع كلّ واحد منهما هواه و حكم بغير حجّه و لا-بيّنه ماضيه و اختلفا فيما حكما فكلاهما لم يرشدا للّه.فاستعدّوا للجهاد و تأهّبوا للمسير و أصبحوا فى معسكر كم يوم كذا.و أمّا قصّه التحكيم و سببها فمذكور فى التواريخ.

اللغه

و الخطب : الأمر العظيم .و فدحه الأمر : إذا عاله و أبهظه .و الجافى : خشن الطباع الّذى ينبوا طبعه عن المؤانسه فيقاطع و يباين .

المعنى

فقوله:الحمد للّه.إلى قوله:الجليل .

فقوله: الحمد للّه. إلى قوله: الجليل.

قد عرفت نسبه الخير و الشرّ إلى الدهر على أىّ وجه هى،و مراده أحمد اللّه على كلّ حال من السرّاء و الضرّاء.و إن هنا للغايه.و يفهم من هذا الصدر وقوع الخطب الفادح و هو ما وقع من أمر الحكمين.و حمد اللّه عليه .

و قوله:ليس معه إله غيره.

و قوله: ليس معه إله غيره.

تأكيد لمعنى كلمه التوحيد و تقرير لمقتضاها.

و قوله:أمّا بعد.إلى قوله:الندامه .

و قوله: أمّا بعد .إلى قوله: الندامه.

القيود الأربعه الّتى ذكرها من صفات المشير معتبره فى حسن الرأى و وجوب قبوله:أمّا كونه ناصحا فلأنّ الناصح يصدق الفكر و يمحض الرأى و غير الناصح ربّما يشير بفطير الرأى فيوقع فى المضرّه،و أمّا كونه شفيقا فلأنّ الشفقه تحمل على النصح فتحمل على حسن التروّى فى الأمر و ايقاع الرأى فيه من تثبّت و اجتهاد.

و الباعث على هذين أعنى النصح و الشفقه إمّا الدين أو محبّه المستشير،و أمّا كونه عالما ففائدته إصابته لعلمه وجه المصلحه فى الأمر فإنّ الجاهل أعمى لا يبصر وجه المصلحه فيه.قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم:استرشدوا العاقل ترشدوا و لا تعصوه فتندموا،و قال عبد اللّه بن الحسن لابنه محمّد:احذر مشوره الجاهل و إن كان ناصحا كما تحذر عداوه العدوّ العاقل فإنّه كما يوشك أن يقع بك مكر العاقل كذلك يوشك أن يورّطك شور الجاهل، و أمّا كونه مجرّبا فلأنّه لا يتمّ رأى العالم ما لم ينضمّ إليه التجربه.و ذلك أنّ العالم و إن علم وجه المصلحه فى الأمر إلاّ أنّ ذلك الأمر قد يشتمل على بعض وجوه المفاسد لا يطّلع عليه إلاّ بالتجربه مرّه و مرّه فالمشوره من دون تجربه مظنّه الخطاء،و قيل

فی منثور الحکم:کلّ شیء محتاج إلی العقل و العقل محتاج إلی التجارب.و إذا عرفت أنّ طاعه المشیر الموصوف بالصفات المذکوره مستلزمه فی أغلب الأحوال للسرور بحسن ثمره رأیه و الفوز بها لا جرم کان معصیته و مخالفه رأیه مستلزمه للحسره مستعقبه للندامه .

و قوله:و قد کنت أمرتکم فی هذه الحکومه أمری.

و قوله: و قد کنت أمرتکم فی هذه الحکومه أمری.

لمّا قدّم أنّ معصیه المشیر المذکور تعقّب الحسره و الندامه أردف ذلک ببیان أنّه هو المشیر و أنّه أشار علیهم فخالفوه لیتّضح لهم أنّهم عصوا مشیرا قد استکمل شرائط الرأی فیتوقّعوا الندم علی معصیته .

و قوله:و نخلت لکم مخزون رأیی.

استعاره و قوله: و نخلت لکم مخزون رأیی.

استعاره للفظ النخل لاستخلاص أسدّ آرائه و أجودها لهم بحسب اجتهاده،و وجه المشابهه أنّ أجود ما ینتفع به ممّا ینخل من دقیق و نحوه هو المنخول کذلک الرأی أجوده و أنفعه ما استخلص وصفی من کدورات الشهوه و الغضب .

و قوله:لو کان یطاع لقصیر أمر.

و قوله: لو کان یطاع لقصیر أمر.

مثل.و قصیر هذا هو قصیر بن سعد اللخمیّ مولی جذیمه الأبرش بعض ملوک العرب.و أصل المثل أنّ جذیمه کان قتل أبا الزباء ملکه الجزیره فبعثت إلیه عن حین لیتزوّج بها خدعه و سألته القدوم فأجابها إلی ذلک،و خرج فی ألف فارس و خلّف باقی جنوده مع ابن اخته عمرو بن عدّی،و کان قصیر أشار إلی جذیمه أن لا یتوجّه إلیها فلم یقبل رأیه فلمّا قرب جذیمه من الجزیره استقبله جنود الزباء بالعدّه و لم یر منهم إکراما له فأشار علیه قصیر بالرجوع عنها،و قال:إنّها امرأه و من شأن النساء الغدر.

فلم یقبل.فلمّا دخل إلیها غدرت به و قتلته.فعندها قال قصیر:لا یطاع لقصیر أمر.

فذهبت مثلا لکلّ ناصح عصی و هو مصیب فی رأیه.و قد یتوهّم أنّ جواب لو هاهنا متقدّم،و الحقّ أنّ جوابها محذوف و المعنی یتّضح بترتیب الکلام،و التقدیر إنّی کنت أمرتکم أمری فی هذه الحکومه و نصحت لکم فلو اطعتمونی لفعلتم ما أمرتکم به و محّضت لکم النصیحه فیه،فقولنا:لفعلتم هو تقدیر الجواب،و ممّا یتبّه علیه أنّ قوله :

فأبیتم علیّ إباء المخالفین الجفاه و المنابذین العصاه .و هو فی تقدیر استثناء نقیض ذلک

التالى،و تقديره لكنّكم أبيتم علىّ إباء من خالف الأمر و جفا المشير و عصاه حتّى شكّ فى نصحه هل كان صوابا أو خطاء.و هذا الحكم حقّ فإنّ المشير بالرأى الصواب إذ اكثر مخالفوه فيه قد يتّهم نفسه فى صحّه ذلك الرأى و صوابه لأنّ استخراج وجه المصلحه فى الأمر أمر اجتهادىّ يغلب على الظنّ بكثره الأمارات اللايحه للمشير فإذا جوّز المشير أن يكون خلاف ما رآه هو المصلحه فلا مانع إذن أن يعرض لغيره.

أمارات اخرى يغلب على ظنّه أنّ ما رآه هو ليس بمصلحه فيعارض بها ما رآه الأوّل حقّا و يخالفه فى رأيه فإذا كثرت تلك المخالفه من جمع عظيم جاز أن يتشكّك الإنسان فيما ظنّه من المصلحه أنّه ليس بمصلحه و أنّ الأمارات الّتى اقتضت ذلك الظنّ غير صحيحه فلذلك قال عليه السّلام :حتّى ارتاب الناصح بنصحه .و عنى بالناصح نفسه أو من رأى رأيه لإطباق أكثر أصحابه على مخالفتهم،و قال بعض الشارحين:يحمل ذلك على المبالغه لأنّه عليه السّلام منزّه عن أن يشكّ فيما يراه صوابا بعد شوره به .

و قوله:و ضنّ الزند بقدحه.

و قوله: و ضنّ الزند بقدحه.

قيل:هو مثل يضرب لمن يبخل بفوائده إذا لم يجد لها قابلا عارفا بحقّها أو لم يتمكّن من إفادتها فإنّ المشير إذا اتّهم و استغّش أو خطىء فى رأيه ربما لا ينقدح له بعد ذلك رأى صالح لحكم الغضب عليه من جهه مخالفته و عدم قبول رأيه.

و لمّا كان غرضه أن يقرّر عليهم الندامه فى مخالفه رأيه و يريهم ثمره عصيان أمره الصادر عن معاينه وجه المصلحه كما هو قال :فكنت و إيّاكم كما قال اخو هوازن:أمرتهم أمرى .البيت،و هو لدريد بن الصمه من قصيده له فى الحماسه أوّلها:

نصحت لعارض و أصحاب عارض و رهط بنى السوداء و القوم سهّد

و قصّته فى هذه القصيده أنّ أخاه عبد اللّه بن الصمه غزا بنى بكر بن هوازن بن غطفان فغنم منهم و استاق إبلهم فلمّا كان بمنعرج اللوى قال:لا و اللّه لا أبرح حتّى أنحر البقيعه و هى ما ينحر من النهب قبل القسمه،و احيل السهام.فقال له أخوه دريد:

لا تفعل.فإنّ القوم فى طلبك.فأبى عليه و أقام و أنحر البقيعه و بات فلمّا أصبح هجم القوم عليه و طعن عبد اللّه بن صمه فاستغاث بأخيه دريد فنهنه عنه القوم حتّى طعن هو

أیضا و صرع و قتل عبد اللّه و حال اللیل بین القوم فنجا درید بعد طعنات و جراح حصل له فقال القصیده، مجاز و إنّما قال علیه السّلام :أخو هوازن .لنسبته إلیهم فإنّ دریدا ابن الصمه بن بنی جشم بن معاویه بن بکر بن هوازن.و نحوه قوله تعالی «وَ اذْکُرْ أَخا عادٍ» لنسبته فیهم و کذلک قال لهم أخوهم لوط و یکفی فی إطلاق لفظ الأخوّه مجازا مجرّد الاتّصال بهم و الملابسه لهم و قد عرفت ذلک ،و وجه تمثّله علیه السّلام بالبیت:إنّی کنت و إیّاکم فی نصیحتی و نهیی من الحکومه و مخالفتکم أمری المستلزمه لندامتکم علی التفریط کهذا القائل مع قومه حیث نصح لهم فعصوه فلحقهم من الندامه و الهلاک.

و اعلم أنّ الّذی کان أشار به علی أصحابه:هو ترک الحکومه و الصبر علی قتال أهل الشام.و مجمل السبب أنّ أمارات الغلبه لیله الهرّیر کانت لائحه علی أهل الشام فلمّا عاینوا الهلاک استشار معاویه بعمرو بن العاص فی کیفیّه الخلاص فقال عمرو:إنّ رجالک لا تقوم لرجاله،و لست مثله إنّه یقاتلک علی أمر و أنت تقاتله علی غیره و أنت ترید البقاء و هو یرید الفناء،و أهل العراق یخافون منک إن ظفرت بهم و أهل الشام لا یخافون علیّا إن ظفر بهم،و لکن ألق إلی القوم أمرا إن قبلوه اختلفوا و إن ردّوه اختلفوا:ادعهم إلی کتاب اللّه حکما فیما بینک و بینهم فإنّک بالغ به حاجتک فإنّی لم أزل ادّخر هذا الأمر لوقت حاجتک إلیه فعرف معاویه ذلک فلمّا أصبحوا رفعوا المصاحف علی أطراف الرماح و کان عددها خمس مائه مصحف و رفعوا مصحف المسجد الأعظم علی ثلاثه رماح مشدوده یمسکها عشره رهط و نادوا بأجمعهم:اللّه اللّه معشر العرب فی النساء و البنات اللّه اللّه دینکم هذا کتاب اللّه بیننا و بینکم.فقال علیه السّلام:اللّهمّ إنّک تعلم أنّهم ما الکتاب یریدون فاحکم بیننا و بینهم إنّک أنت الحکم الحقّ المبین،و حینئذ اختلف أصحابه فقالت طائفه:القتال القتال،و قال أکثرهم:المحاکمه إلی الکتاب و لا یحلّ لنا الحرب و قد دعینا إلی حکم الکتاب و تنادوا من کلّ جانب الموادعه فقال علیه السّلام فی جوابهم:أیّها الناس إنّی أحقّ من أجاب إلی کتاب اللّه و لکن معاویه و عمرو بن العاص و ابن أبی معیط لیسوا بأصحاب دین و لا قرآن إنّی أعرف بهم منکم صحبتهم صغارا و رجالا فکانوا شرّ صغار و شرّ رجال و یحکم إنّها کلمه حقّ یراد بها

الباطل إنّهم ما رفعوها إنّهم يعرفونها و لا يعلمون بها و لكنّها الخديعه و المكيده و الوهن أعيرونى سواعدكم و جماجمكم ساعه واحده فقد بلغ الحقّ مقطعه و لم يبق إلّا أن يقطع دابر القوم الظالمين،فجاءه عشرون ألفا من أصحابه و نادوه باسمه دون إمره المؤمنين:

أجب اليوم إلى كتاب اللّه إذا دعيت و إلّا قتلناك كما قتلنا عثمان.فقال عليه السّلام:و يحكم أنا أوّل من أجاب إلى كتاب اللّه،و أوّل من دعا إليه فكيف لا أقبله و إنّما قاتلتهم ليدينو بحكم القرآن و لكنّى قد أعلمتكم أنّهم قد كادوكم و ليس العمل بالقرآن يريدون.

فقالوا:ابعث إلى الأشتر يأتيك.و قد كان الأشتر صبيحه ليله الهرير قد أشرف على عسكر معاويه ليدخله و لاح له الظفر فبعث إليه فرجع على كره منه و وقع بينه و بين من أجاب إلى الحكومه من أصحاب علىّ عليه السّلام مسابّ و مجادلات على ما اختاروا من ترك الحرب و تنادوا من كلّ جانب رضى أمير المؤمنين بالتحكيم و كتبوا عهدا على الرضا به،و سنذكر كيفيّته إجمالا إنشاء اللّه تعالى.و باللّه التوفيق.

۳۵-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

(فى تخويف أهل النهروان)

فَأَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرْعَى بِأَثْنَاءِ هَذَا النَّهَرِ- وَ بِأَهْضَامِ هَذَا الْغَائِطِ عَلَى غَيْرِ بَيِّنَهٍ مِنْ رَبِّكُمْ- وَ لاَ سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ- قَدْ طَوَّحَتْ بِكُمُ الدَّارُ وَ احْتَبَلَكُمُ الْمِقْدَارُ- وَ قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هَذِهِ الْحُكُومَهِ- فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ- حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَى هَوَاكُمْ- وَ أَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخِفَّاءُ الْهَامِ- سُفَهَاءُ الْأَحْلاَمِ وَ لَمْ آتِ لاَ أَبَا لَكُمْ بُجْراً- وَ لاَ أَرَدْتُ لَكُمْ ضُرّاً أقول:الخطاب للخوارج الّذين قتلهم عليه السّلام بالنهروان،و قد كان القضاء الالهىّ

سبق فیهم بما کان منهم من الخروج.روی فی صحیح الأخبار أنّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم بینا هو یقسم قسما جاءه رجل من بنی تمیم یقال له ذو الخویصره فقال:اعدل یا محمّد فقال صلی اللّه علیه و آله و سلّم:

قد عدلت.فقال له ثانیه:اعدل یا محمّد فإنّک لم تعدل.فقال صلی اللّه علیه و آله و سلّم:ویلک من یعدل إذا لم أعدل.فقام عمر و قال:یا رسول اللّه ائذن لی فی ضرب عنقه.فقال:دعه فسیخرج من ضئضئ هذا قوم یمرقون من الدین کما یمرق السهم من الرمیه یخرجون علی خیر فرقه من الناس تحتقر صلاتکم عند صلاتهم و صومکم عند صومهم یقرءون القرآن لا یجاوز تراقیهم فیهم رجل أسود مخدج الید إحدی یدیه کأنّها ثدی امرأه أو بضعه یقتله أولی الفریقین بالحقّ.و فی مسند أحمد عنه عن مسروق قال:قالت لی عایشه:إنّک من ولدی و أحبّهم إلیّ فهل عندک علم من المخدج.فقلت:نعم قتله علیّ بن أبی طالب علی نهر یقال لأعلاه تأمر و لأسفله النهروان بین لخاقیق و طرفاء.فقالت:ایتنی علی ذلک بیّنه.فأقمت علی ذلک رجالا شهدوا عندها بذلک ثمّ قلت لها:سألتک بصاحب القبر ما الّذی سمعت منه فیهم.فقالت:سمعته یقول:إنّهم شرّ الخلق و الخلیقه یقتلهم خیر الخلق و الخلیقه،و أقربهم عند اللّه وسیله.فأمّا سبب خروج هؤلاء القوم فهو أنّه علیه السّلام لمّا قهره أصحابه علی التحکیم و أظهروا عنه الرضی به بعد أنّ حذّرهم و وعظهم فلم یلتفوا کتبوا کتاب التحکیم و أخذه الأشعث بن قیس فطاف به علی أصحاب معاویه فرضوا به، و طاف به علی أصحاب علیّ فرض را به حتّی مرّ برایات عنزه و کان مع علیّ علیه السّلام منهم بصفّین أربعه آلاف فارس فلمّا قرء الکتاب علیهم قال فتیان منهم:لا حکم إلاّ للّه ثمّ حملا علی أصحاب معاویه فقتلا فهما أوّل من حکم،ثمّ مرّ علی مراد،ثمّ علی رایات بنی راسب،ثمّ علی بنی تمیم فکلّ فرقه فرأه علیهم قالوا:لا حکم إلاّ للّه لا نرضی و لا نحکّم الرجال فی دین اللّه فرجع الأشعث فأخبر علیّا علیه السّلام بذلک فاستصغر أمرهم و ظنّ أنّهم قلیلون،فلمّا بلغهم أمر الحکمین ما راعه إلاّ و الناس یتنادون من کلّ جانب لا حکم إلاّ للّه الحکم للّه یا علیّ لا لک و قد کنّا أخطأنا حین رضینا بالحکمین فرجعنا إلی اللّه و تبنا فارجع أنت و تب إلی اللّه کما تبنا و إلاّ برئنا منک.فأبی علیه السّلام الرجوع،و قال:و یحکم أبعد العهد نرجع فما نصنع بقوله تعالی «أَوْفُوا بِعَهْدِ اللّهِ إِذا عاهَدْتُمْ» (1)الآیه و أبت الخوارج إلاّ تضلیل التحکیم

۱- ۱) ۹۳-۱۶

و الطعن فيه فبرئوا من علىّ و برىء منهم ثمّ كان اجتماعهم بحرور فسمّاهم عليه السّلام لذلك الحروريّه فناظرهم بها فرجع منهم ألفان ثمّ مضوا إلى النهروان و كان أميرهم يومئذ عبد اللّه بن الكوّا،و حين القتال عبد اللّه بن وهب الراسبى فسار إليهم فخطبهم و قال:نحن أهل بيت النبوّه و موضع الرساله و مختلف الملائكه و عنصر الرحمه و معدن العلم و الحكمه أيّها القوم إنّى نذير لكم.الفصل،و روى أنّه عليه السّلام لمّا قتلهم طلب ذو الثديه فيهم طلبا شديدا فلم يجده فجعل يقول:و اللّه ما كذب و لا كذبت اطلبوا الرجل و إنّه لفى القوم.

فلم يزل يطلبه حتّى وجده فى و هده من الأرض تحت القتلى و هو رجل مخدج اليد كأنّها ثدى فى صدره و عليها شعرات كسبال الهرّه فكبّر علىّ عليه السّلام و كبّر الناس معه و سرّوا بذلك.

اللغه

الأهضام : جمع هضم و هو المطمئنّ من الوادى .و الغائط : ما سفل من الأرض .

و طوّحت بكم : أى توّهتكم فى اموركم و رمت بكم المرامى .و احتبلكم : أوقعكم فى الحباله .و النكر : المنكر،و يروى بحرا.و البحر:الأمر العظيم و الداهيه، و يروى هجرا:و هو الساقط من القول،و يروى عرّا.و العرّ و المعرّه:الإثم،و العرّ أيضا:داء يأخذ الإبل فى مشافرها و يستعار للداهيه .

المعنى

اشاره

و اعلم أنّ حاصل هذا الفصل تحذير للقوم من الهلاك و هم على غير بيّنه من ربّهم و لا حجّه واضحه يحتجّون بها على ما يدّعونه حقّا و يقاتلون عليه و ذلك ممّا يجب الحذر منه إذ فيه حرمان سعاده الدارين، استعاره و إنّما سمّيت الحجّه نفسها سلطانا لأنّ بها الغلبه و التسلّط و هو من باب الاستعاره.

و قوله:قد طوّحت بكم الدار .

استعاره و قوله:قد طوّحت بكم الدار.

كنّى بالدار عن الدنيا و إنّما نسب هلاكهم أو إبعادهم و رميهم إليها لأنّ المهلك لهم و الموجب لتيههم إنّما هو اتّباع أهوائهم الباطله الّتى منشاؤها إنّما هو تحصيل أمر دنيوىّ من مال أو جاه و نحوه فكانت الدنيا هى الّتى رمت بهم المرامى عن رحمه اللّه و أخرجتهم عن طاعته.

و قوله:و احتبلكم المقدار .

استعاره و قوله: و احتبلكم المقدار .

استعاره حسنه لإحاطه القدر النازل عن قضاء اللّه بهم فهو كحباله الصايد الّتى لا يخرج للطائر منها إذا نزلت به.

و قوله:كنت نهيتكم عن هذه الحكومه.إلى قوله:إلى هواكم .

و قوله: كنت نهيتكم عن هذه الحكومه.إلى قوله:إلى هواكم.

تقرير للحجّه عليهم و كأنّه يقول لهم:إن كان الحقّ هو عدم الحكومه فلم طلبتموها و أبيتم علىّ إباء المخالفين المنابذين لمّا نهيتكم عنها حتّى صرت إلى أهوائكم فيها،و إن كان الحقّ هو ايقاعها فلم شاققتمونى الآن لمـّا أوقعتها و جعلت للّه علىّ بها عهدا.و على التقديرين يلزمهم الخطاء،

و قوله:و أنتم معاشر أخفّاء الهام سفهاء الأحلام .

و قوله: و أنتم معاشر أخفّاء الهام سفهاء الأحلام.

الواو للحال و العامل صرفت،و الإضافه فى أخفّاء و سفهاء غير محضه و لذلك صحّ كونهما و صفين لمعاشر، كنايه و خفّه الهامه كنايه عن رذيله الطيش المقابله لفضيله الثبات، و السفه رذيله مقابله للحلم،و الثبات و الحلم فضيلتان تحت ملكه الشجاعه،و لمّا كانت لهاتين الرذيلتين نسبه إلى الفضيلتين صحّ إضافتها إليهما.

و قوله:و لم آت-لا أبالكم-نكرا و لا أردت بكم ضرّا .

و قوله: و لم آت-لا أبالكم-نكرا و لا أردت بكم ضرّا.

خرج مخرج الاعتذار إليهم و استدراجهم ببيان تحسين فعله و نفى المنكر عنه و عدم قصد الإساءه إليهم ليرجعوا عمـّا شبّه إليهم،و قوله: لا أبا لكم كلمه اعتيدت فى ألسنه العرب.قال الجوهرى:يراد بها المدح،و قال غيره:يراد بها الذمّ فإنّ عدم اللحوق بأب يستلزم العار و السبّه،و قيل:هى دعاء على المرء أن لا يكون له أب يعزّه و يشدًّ ظهره و نفى الأب يستلزم نفى العشيره له فكأنّه دعاء بالذلّ و عدم الناصر.

و اللّه أعلم.

۳۶-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

يجرى مجرى الخطبه

فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا- وَ تَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا- وَ نَطَقْتُ حِينَ تَمْنَعُوا-

وَ مَضَيْتُ بِنُورِ اللَّهِ حِينَ وَقَفُوا- وَ كُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتاً وَ أَعْلاَهُمْ فَوْتاً- فَطِرْتُ بِعِنَانِهَا وَ اسْتَبْدَدْتُ بِرِهَانِهَا- كَالْجَبَلِ لاَ تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ- وَ لاَ تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ- لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ وَ لاَ لِقَائِلٍ فِيَّ مَغْمَزٌ- الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ لَهُ- وَ الْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ- رَضِينَا عَنِ اللَّهِ قَضَاءَهُ وَ سَلَّمْنَا لِلَّهِ أَمْرَهُ- أَ تَرَانِي أَكْذِبُ عَلَى؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟- وَ اللَّهِ لَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ- فَلاَ أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ- فَنَظَرْتُ فِي أَمْرِي- فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي- وَ إِذَا الْمِيثَاقُ فِي عُنُقِي لِغَيْرِي

اللغه

أقول: التعتعه : الاضطراب فى الكلام عند الحصر .و تطلّع الأمر : اختباره و تعرّفه .

و التقبّع : التقبّض.يقال:قبع القنفذ إذا قبض رأسه بين كتفيه .و الاستبداد : الانفراد .

و الرهان : ما يرهن و يستبق عليه .و الهمز : الغيبه بالعيب،و كذلك الغمز .

قال بعض الشارحين:هذا الفصل فيه فصول أربعه

اشاره

التقطها الرضىّ رحمه اللّه من كلام طويل له عليه السّلام قاله بعد وقعه النهروان ذكر فيه حاله منذ توفّى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم إلى آخر وقته.

الفصل الأوّل :فقمت بالأمر حين فشلوا.إلى قوله:برهانها.

هذا الكلام ورد فى معرض افتخاره و إثبات فضيلته على سائر الصحابه لغايه قبول رأيه.فقيامه بالأمر حين فشلهم إشاره إلى فضيله شجاعته:أى فقمت بأمر اللّه بين يدى رسوله و بعده فى الحروب و المقامات الصعبه الّتى ضعفوا عنها و الأوقات الّتى فشلوا فيها و أمره فى ذلك ظاهر.

كنايه و قوله: و نطقت حين تعتعوا[تمنّعوا خ].

إشاره إلى ملكه الفصاحه المستتبعه لملكه العلم:أى نطقت فى القضايا المهمّه

ص:93

و الأحكام المشكله و المقاول الّتى حصرت فيها بلغاؤهم،فكنّى بنطقه و تعتعتهم عن فصاحتهم و عيّهم.

استعاره بالكنايه و قوله تطلّعت حين تقبّعوا.

إشاره إلى كبر الهمّه فى تحصيل ما ينبغى للإنسان أن يحصّله من تعرّف الامور و اختبارها و النظر فى مصادرها و مواردها،و هى ملكه تحت الشجاعه،و لمّا كان التطّلع على الأمر يحتاج الإنسان فيه إلى نحو من التطاول و مدّ العنق و تحديق العين و نحوه،و كان تعرّف الامور و اختبارها لابدّ فيه من بعث رائد الفكر الّذى هو عين النفس الّتى بها يبصر و تحديقه نحو الامور المعقوله و إرسال المتخيّله لتفتيش خزائن المحسوسات أشبه ذلك التطلّع فاستعار له لفظ التطلّع و كنّى به عنه،و قوله:

حين تقبّعوا .أى كان تعرّفى للأمور حين قصورهم عن ذلك،و لمّا كان التقبّع يقابل مدّ العين و التطاول إلى رؤيه الأشياء المسمّى تطلّعا،و كان قصور أفكارهم و عدم اعتبارهم للأشياء يقابل مدّ الفكر و تطاول الذهن إلى معرفه الامور و كان قصور الفكر أيضا و العجز عن المعرفه يشبه التقبّع استعار لفظ التقبّع و كنّى به عنه.

و قوله : و مضيت بنور اللّه حين وقفوا.

إشاره إلى فضيله العلم أى كان سلوكى لسبيل الحقّ على وفق العلم و هو نور اللّه الّذى لا يضلّ من اهتدى به.و ذلك حين وقفوا حائرين متردّدين جاهلين بالقصد و كيفيّه سلوك الطريق.و إنّما أثبت لنفسه هذه الفضائل و قرن كلّ فضيله له برذيله فيهم يقابلها لتبيّن فضله بالنسبه إليهم إذ كان الغرض ذلك.

كنايه و قوله : و كنت أخفضهم صوتا و أعلاهم صوتا.

كنّى بخفض الصوت عن ربط الجأش فى الامور و الثبات فيها و التصميم على فعل ما ينبغى من غير التفات إلى الحوادث[الجواذب خ]و الموانع على فعل ما هو خير و مصلحه فإنّ كثره الأصوات و علوّها فى الأفعال الّتى هى مظنّه الخوف دليل الفشل، و لا شكّ أنّ من كان أشدّ فى ذلك كان أعلى صوتا و أشدّ سبقا إلى مراتب الكمال و درجات السعاده ممّن كان أضعف فيه .

ص:۹۴

استعاره و قوله: فطرت بعنانها و استبددت برهانها.

الضميران يعودان إلى الفضيله و إن لم يجر لها ذكر لفظىّ فاستعار هاهنا لفظ الطيران للسبق العقلىّ لما يشتركان فيه من معنى السرعه،و استعار لفظى العنان و الرهان اللذين هما من متعلّقات الخيل للفضيله الّتى استكملتها نفسه تشبيها لها مع فضائل نفوسهم بخيل الحلبه،و وجه المشابهه أنّ الصحابه-رضى اللّه عنهم-لمّا كانوا يقتنون الفضائل و يستبقون بها إلى رضوان اللّه و سعادات الآخره كانت فضائلهم الّتى عليها يستبقون كخيل الرهان،و لمّا كانت فضيلته عليه السّلام أكمل فضايلهم و أتمّها كانت بالنسبه إلى فضائلهم كالفرس الّذى لا يشقّ غباره.فحسن منه أن يستعير لسبقه بها لفظ الطيران، و يجرى عليها لفظ العنان و الرهان.

الفصل الثانى :قوله:لا تحرّكه القواصف.إلى قوله:آخذ الحقّ منه.

و هذا الفصل يحكى فيه قيامه بأعباء الخلافه حين انتهائها إليه و جريه فيها على القانون العدل و الأوامر الإلهيّه. تشبيه فقوله: كالجبل .تشبيه له فى الثبات على الحقّ بالجبل فكما لا تحرّكها قواصف الرياح و عواصفها كذلك هو لا تحرّكه عن سواء السبيل مراعاه هوى لأحد أو اتّباع طبع يخالف ما يقتضيه سنّه اللّه و شرعه بل هو ثابت على القانون العدل و موافقه الأمر الإلهىّ.

و قوله : لم يكن لأحد فىّ مهمز و لا لقائل فىّ مغمز.

أى لم يكن فىّ عيب اعاب به.و قد راعى فى هذه القرائن الأربع مع الأربع الأخيره من الفصل الأوّل السجع المتوازى.

و قوله : الذليل عندى عزيز حتّى آخذ الحقّ له.

إعزازه للذليل اعتناؤه بحاله و اهتمامه بأمر ظلامته،و من اعتنى بحال إنسان فقد أعزّه ثمّ جعل لإعزازه غايه هى أخذ الحقّ له،و كذلك قوله : و القوىّ عندى ضعيف حتّى آخذ الحقّ منه ،فإنّ ضعف القوى هو قهره تحت حكمه إلى غايه يستوفى منه حقّ المظلوم.

فإن قلت:يفهم من هاتين الغايتين أنّ نظره إلى الذليل بعد استيفاء حقّه و إلى

القویّ بعد أخذ الحقّ منه لا یکون علی السواء بل یکون التفاته إلی القویّ أکثر و ذلک لیس من العدل.

قلت:إنّه لمّا لم یکن الغرض من الأمر بمساواه النظر بین الخلق إلّا أخذ حقّ الضعیف من القویّ و عدم التظالم بینهم لم تجب مساواه النظر بین الضعیف و القویّ إلّا من تلک الجهه.و لم یکن إعزازه المقویّ و إکرامه فی غیر وجه الظلم قبیحا لجواز انفراده بفضیله یوجب إعزازه من جهه الدین أیضا.

الفصل الثالث :قوله:رضینا عن اللّه قضاؤه و سلّمنا له أمره.إلی قوله:من

کذب علیه.

قیل:ذکر ذلک علیه السّلام لما تفرّس فی طائفه من قومه أنّهم یتّهمونه فیما یخبرهم به عن النبیّ صلی اللّه علیه و آله و سلّم من أخبار الملاحم فی الامور المستقبله،و قد کان منهم من یواجهه بذلک کما روی أنّه لمّا قال:سلونی قبل أن تفقدونی فو اللّه لا تسألونی عن فئه تضلّ مائه و تهدی مائه إلّا أنبأتکم بناعقها و سائقها.قام إلیه أنس النخعیّ فقال:أخبرنی کم فی رأسی و لحیتی طاقه شعر.فقال علیه السّلام:و اللّه لقد حدّثنی حبیبی أنّ علی کلّ طاقه شعر من رأسک ملک یلعنک،و أنّ علی کلّ طاقه شعر من لحیتک شیطانا یغویک،و أنّ فی بیتک سخلا یقتل ابن رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم و کان ابنه سنان بن أنس قاتل الحسین علیه السّلام یومئذ طفلا یحبو،و سیأتی بعض تلک الأخبار.

فقوله: رضینا عن اللّه قضاءه و سلّمنا له أمره.

قد عرفت أنّ الرضا بقضاء اللّه و التسلیم لأمره باب من أبواب الجنّه یفتحه اللّه لخواصّ أولیائه،و لمّا کان علیه السّلام سیّد العارفین بعد رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم و کان قلم القضاء الإلهیّ قد جری علی قوم بالتکذیب له و التهمه فیما یقول لا جرم هو کان علیه السّلام أولی الناس بلزوم باب الرضا.

و قوله: أ ترانی أکذب.إلی قوله:علیه.

استنکار لما صدر منهم فی حقّه من التکذیب،و إیراد حجّه لبطلان أوهامهم فی حقّه بصوره قیاس الضمیر مع نتیجته،و تقدیره و اللّه لأنا أوّل من صدّقه و کلّ من کان

أوّل مصدّق له فلن يكون أوّل مكذّب له ينتج أنّى لا أكون أوّل مكذّب له

الفصل الرابع :قوله:فنظرت فى أمرى إلى آخره.

فيه إحتمالان:أحدهما قال بعض الشارحين:إنّه مقطوع من كلام يذكر فيه حاله بعد وفاه الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم و أنّه كان معهودا إليه أن لا ينازع فى أمر الخلافه بل إن حصل له بالرفق و إلّا فليمسک.فقوله : فنظرت فإذا طاعتى قد سبقت بيعتى :أى طاعتى لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم فيما أمرنى به من ترك القتال قد سبقت بيعتى للقوم فلا سبيل إلى الامتناع منها.

و قوله : و إذا الميثاق فى عنقى لغيرى.

أى ميثاق رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم و عهده إلىّ بعدم المشاقّه،و قيل:الميثاق ما لزمه من بيعه أبى بكر بعد ايقاعها:أى فإذا ميثاق القوم قد لزمنى فلم يمكننى المخالفه بعده.

الاحتمال الثانى:أن يكون ذلك فى تضجّره و تبرّئه من ثقل أعباء الخلافه،و تكلّف مداراه الناس على اختلاف أهوائهم.و يكون المعنى إنّى نظرت فإذا طاعه الخلق لى و اتّفاقهم علىّ قد سبقت بيعتهم لى،و إذا ميثاقهم قد صار فى عنقى فلم أجد بدّا من القيام بأمرهم و لم يسعنى عند اللّه إلّا النهوض بأمرهم و لو لم يكن كذلك لتركت كما قال من قبل :أما و اللّه لو لا حضور الحاضر و قيام الحجّه بوجود الناصر و ما أخذ اللّه على العلماء أن لا يقارّوا على كظّه ظالم و لا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها،و لسقيت آخرها بكأس أوّلها .و الأوّل أشهر بين الشارحين،و اللّه أعلم بالصواب.

۳۷-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

وَ إِنَّمَا سُمِّيَتِ الشُّبْهَهُ شُبْهَهً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ الْحَقَّ- فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ فَضِيَاؤُهُمْ فِيهَا الْيَقِينُ- وَ دَلِيلُهُمْ سَمْتُ الْهُدَى- وَ أَمَّا أَعْدَاءُ اللَّهِ فَدُعَاؤُهُمْ فِيهَا الضَّلاَلُ- وَ دَلِيلُهُمُ الْعَمَى- فَمَا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ وَ لاَ يُعْطَى الْبَقَاءَ مَنْ أَحَبَّهُ

المعنى

أقول:يحتمل أن يكون هذا الكلام فصلين :

أحدهما:قوله: و إنّما سمّيت الشبهه .إلى قوله: و دليلهم العمى ،و الثانى:و الباقى.

فالفصل الأوّل إشاره إلى علّه تسميه الشبهه شبهه،ثمّ إلى بيان حال الناس فيها.

أمّا الأوّل:فالشبهه عباره عمّا يشبه الحقّ ممّا يحتجّ به إمّا فى صورته أو فى مادّته أو فيهما معا،و ظاهر أنّ علّه تسميتها شبهه هو ذلك الشبه.فلذلك حصرها فيه.

و أمّا الثانى:فلأنّ الناس إمّا أولياء اللّه أو أعداء له.أمّا أولياؤه فلمّا كانت نفوسهم مشرقه بنور اليقين مستضيئه بمصباح النبوّه فى سلوك الصراط المستقيم كان بتلك الأنوار هدى أذهانهم فى ظلمات الشبهات و حرزهم عن الهوى فى مهاوى الجهالات كما قال تعالى «يَسْعى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمانِهِمْ بُشْراكُمُ الْيَوْمَ جَنّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ» (۱)الآيه.و هو الهدى المأمور بلزوم سمته و السلوك إلى المطالب الحقّه،و هو المراد بقوله: فضياؤهم فيها اليقين،و دليلهم سمت الهدى ،و أمّا أعداؤه فليس دعاؤهم إلى ما يدعون إليه إلاّ ضلالا عن القصد القويم،و إضلالا للخلق عن الطريق الحقّ و ليس ما يعتمدونه دليلا يزعمون أنّهم يهدون به السبيل إلاّ شبهه هى فى نفسها عمى لأبصارهم [لبصائرهم خ]عن مطالعه نور الحقّ و طمس لأذهان من استجاب لهم عند اهتداء سلوك سبيل اللّه «وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ »

و أمّا الفصل الثانى:و هو قوله:فما ينجو.إلى آخره.

فصدق القضيّه الاولى قوله تعالى «قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ» (۲)و قوله «أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ» (۳)الآيه.و حاصله التذكير بها دم اللذّات،و التخويف بذكره،و التنفير عن محبّه ما لا بدّ من زواله ليفرغ السامعون إلى العمل لما بعده إن أخذ التوفيق بأزمّه عقولهم فإنّ خوفه و محبّه ضدّه و هو البقاء لا ينفعان فى الخلاص منه لكونه ضروريّا فى الطبيعه،و يحتمل أن يكون الكلام متّصلا و يكون الفصل الثانى قد سبق له قبل الأوّل كلام يحسن تعلّقه به،و باللّه التوفيق.

ص:۹۸

۱- (۱) ۱۲-۵۷

۲- (۲) ۸-۶۳

۳- (۳) ۸۰-۴

۳۸-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

مُنِیتُ بِمَنْ لاَ یُطِیعُ إِذَا أَمَرْتُ- وَ لاَ یُجِیبُ إِذَا دَعَوْتُ- لاَ أَبَا لَکُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِکُمْ رَبَّکُمْ- أَ مَا دِینٌ یَجْمَعُکُمْ وَ لاَ حَمِیَّهَ تُحْمِشُکُمْ- أَقُومُ فِیکُمْ مُسْتَصْرِخاً وَ أُنَادِیکُمْ مُتَغَوِّثاً- فَلاَ تَسْمَعُونَ لِی قَوْلاً وَ لاَ تُطِیعُونَ لِی أَمْراً- حَتَّی تَکَشَّفَ الْأُمُورُ عَنْ عَوَاقِبِ الْمَسَاءَهِ- فَمَا یُدْرَکُ بِکُمْ ثَارٌ وَ لاَ یُبْلَغُ بِکُمْ مَرَامٌ- دَعَوْتُکُمْ إِلَی نَصْرِ إِخْوَانِکُمْ- فَجَرْجَرْتُمْ جَرْجَرَهَ الْجَمَلِ الْأَسَرِّ- وَ تَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ النِّضْوِ الْأَدْبَرِ- ثُمَّ خَرَجَ إِلَیَّ مِنْکُمْ جُنَیْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِیفٌ- «کَأَنَّما یُساقُونَ إِلَی الْمَوْتِ وَ هُمْ یَنْظُرُونَ» أقول:یروی أنّ هذه الخطبه خطب بها علیه السّلام فی غاره النعمان بن بشیر بعین التمر.و السبب أنّ معاویه بعث النعمان بن بشیر فی ألفی فارس لإرهاب أهل العراق فأقبل حتّی دنا من عین التمر،و کان عاملها یومئذ من قبل علیّ علیه السّلام مالک بن کعب الأرجیّ و لم یکن معه إذ ذاک سوی مائه رجل و نحوها فکتب مالک إلیه علیه السّلام یعلمه الخبر.فصعد المنبر فحمد اللّه و أثنی علیه ثمّ قال:اخرجوا هداکم اللّه إلی مالک بن کعب أحنیکم فإنّ نعمان بن بشیر قد نزل به فی جمع من أهل الشام لیس بالکثیر فانهضوا إلی إخوانکم لعلّ اللّه یقطع بکم طرفا من الکافرین.ثمّ نزل فتثاقلوا فأرسل إلی وجوههم فأمرهم بالنهوض فتثاقلوا و لم یجتمع منهم إلاّ نفر یسیر نحو ثلاث مائه رجل فقام علیه السّلام و قال:[ألا إنّی]منیت.الفصل،و یروی أنّ الدایره کانت لمالک بمن معه علی النعمان و جمعه.

اللغه

منیت : أی ابتلیت .و یحمشکم : أی یغضبکم .و المستصرخ : المستجلب بصوته من ینصره .و الغوث : الصوت یستصرخ به،و قیل:هو قول الرجل:وا غوثاه .و الثار : الذحل .

ص:۹۹

و الجرجره : ترديد صوت البعير فى ضجرته عند عسفه .و السرّ : داء يأخذ البعير فى سرّته يقال منه جمل أسرّ .و النضو من الإبل : البالى من تعب السير .و الأدبر : الّذى به دبر و هى القروح فى ظهره .

و فى الفصل مطالب :

الأوّل:قوله:منيت بمن لا يطيع.إلى قوله:دعوت.

و هو إظهار لغدر نفسه على أصحابه لينسب إليهم التقصير دونه و يقع عليهم لائمه غيرهم .

الثانى: استفهام على سبيل الإنكار

قوله: لا أبا لكم.إلى قوله:مرام.

و هو استنهاض لهم إلى نصره اللّه بسؤالهم عن سبب تثاقلهم عن نصرته و الذبّ عن دينه سؤالا على سبيل الإنكار للسبب،و تنبيه لهم على الأسباب الّتى توجب اجتماعهم لنصره اللّه و الغضب له بسؤالهم عنها هل هى موجوده لهم أم لا-سؤالا-على سبيل الإنكار أيضا إذ هم يدّعون وجودها لهم و هى الدين الّذى امروا بلزومه و الاتّحاد فيه كما قال تعالى «وَ ما أُمِرُوا إِلاّ لِيَعْبُدُوا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفاءَ» (۱)الآيه.ثمّ الحميّه و هى ملكه تحت الشجاعه ،و كذلك قوله: أقوم فيكم .إلى قوله: أمرا .من الأسباب الباعثه لهم أيضا على الاجتماع فإنّ ذكر حاله من استصراخه لهم و استغاثته بهم مع ذكر حالهم فى مقابله ذلك من تثاقلهم عن ندائه و عدم طاعتهم له ممّا يتبّهم على خطأهم و تقصيرهم .

و قوله: حتّى تكشّف الامور عن عواقب المسائه.

ذكر لغايه تثاقلهم عن دعوته و تنبيه بذكر استعقابه للمساءه على خطأهم فيه،و كذلك قوله: فما يدرك بكم ثار و لا يبلغ بكم مرام .عتاب و توبيخ يبعث طباع العرب على التآلف فى النصره إذ من شأنهم ثوران الطباع بمثل هذه الأقوال.

و قوله:دعوتكم.إلى قوله:الأدبر .

استعاره و قوله: دعوتكم.إلى قوله:الأدبر.

استعار لفظ الجرجره لكثره تملّلهم و قوّه تضجّرهم من ثقل ما يدعوهم إليه،و لمّا كانت جرجره الجمل الأسرّ أشدّ من جرجره غيره لاحظ شبه ما نسبه إليهم من التضجّر بها.و كذلك تشبيهه تثاقلهم بتثاقل النضو الأدبر و ذكرهم ما دعاهم إليه من

ص:۱۰۰

۱- (۱) ۴-۹۸

نصره أخوانهم أعنى أصحاب مالك بن كعب المذكور و جوابهم له بالتبرّم من ذلك و التثاقل ثمّ أردف ذلك بتصغير من خرج منهم من الجند و وصفه بالاضطراب و الضعف.و تشبيههم بمن يساق إلى الموت و هو ينظر فى تثاقله و اضطرابه و ضعفه عن الحركه إلى ما يساق إليه لشدّه خوفه.كلّ ذلك ذمّ و توبيخ يستثير به طباعهم عمّا هى عليه من التثاقل عن ندائه و التقصير فى إجابه دعائه.و باللّه التوفيق.

۳۹-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

فى الخوارج لما سمع قولهم:لا حكم إلا للّه،

قال عليه السّلام كَلِمَهُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ- نَعَمْ إِنَّهُ لاَ حُكْمَ إِلاَّ لِلَّهِ- وَ لَكِنَّ هَؤُلاَءِ يَقُولُونَ لاَ إِمْرَهَ- إِلاَّ لِلَّهِ- وَ إِنَّهُ لاَ بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ- يَعْمَلُ فِى إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ- وَ يَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ- وَ يُبَلِّغُ اللَّهُ فِيهَا الْأَجَلَ وَ يُجْمَعُ بِهِ الْفَىْءُ- وَ يُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ وَ تَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ- وَ يُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِىِّ- حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ وَ يُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ- وَ فِى رِوَايَهٍ أُخْرَى أَنَّهُ ع لَمَّا سَمِعَ تَحْكِيمَهُمْ قَالَ حُكْمَ اللَّهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ- وَ قَالَ أَمَّا الْإِمْرَهُ الْبَرَّهُ فَيَعْمَلُ فِيهَا التَّقِىُّ- وَ أَمَّا الْإِمْرَهُ الْفَاجِرَهُ فَيَتَمَتَّعُ فِيهَا الشَّقِىُّ- إِلَى أَنْ تَنْقَطِعَ مُدَّتُهُ وَ تُدْرِكَهُ مَنِيَّتُهُ

المعنى

قوله:كلمه حقّ يراد بها الباطل

أقول:قوله: كلمه حقّ يراد بها الباطل .هذه كلمه ردّ لما انغرس فى أذهان الخوارج من حقيّه دعاء أصحاب معاويه إلى كتاب اللّه:أى أنّ دعائهم لكم إلى كتاب اللّه كلمه حقّ

لکن لیس مقصودهم بها کتاب اللّه بل غرض آخر باطل و هو فتور الحرب عنهم و تفرّق أهوائکم و نحوه ممّا لا یجوز أن یفعل .

قوله:لا حکم إلاّ للّه.

قوله: لا حکم إلاّ للّه.

تصدیق لقولهم لکن لما علیه الکلمه فی نفس الأمر لا لما رأوه حقّا من ظاهرها فإنّ حصر الحکم لیس بحقّ علی معنی أنّه لیس للعبد أن یحکم بغیر ما نصّ کتاب اللّه علیه فإنّ أکثر الأحکام الفروعیّه غیر منصوص علیها مع أنّها أحکام اللّه بل تکون منتزعه بحسب الاجتهاد و سایر طرقها لمن کان أهلا لذلک،و یجب علی من لیس له أهلیّه الاجتهاد امتثالها،و لمّا تصوّر الخوارج تلک الکلمه بمعنی أنّه لا یصحّ حکم لم یوجد فی کتاب اللّه و لا یجوز امتثاله و العمل به لا جرم قال :نعم لا حکم إلاّ للّه لکن هؤلاء القوم یقولون:

لا إمره:أی لمّا نفوا أن یکون لغیر اللّه حکم لم ینصّ علیه فقد نفوا الإمره لأنّ استنباط الأحکام و النظر فی وجوه المصالح من لوازم الإمره الّتی هی حال الأمیر فی رعیّته،و نفی اللازم یستلزم نفی الملزوم،و لمّا کانوا قد نفوا الإمره کذّبهم علیه السّلام بقوله : و لا بدّ للناس من أمیر برّ أو فاجر .فکان جمله الکلام فی معنی شرطیّه متّصله هکذا:إذا قالوا لا حکم إلاّ للّه کما تصوّروه فقد قالوا بنفی الإمره لکنّ القول بنفی الإمره باطل فالقول بنفی الحکم إلاّ للّه کما تصوّروه باطل.فقوله: و لا بدّ للناس من أمیر .فی معنی استثناء نقیض تالی المتّصله،و تقریره:أنّ الإنسان خلق ممنوّا بمقارنه النفس الأمّاره بالسوء محتاجا إلی مجموع قوی فی بدنه هی منابع الشرّ.فأهواء الخلق لذلک مختلفه،و قلوبهم متفرّقه فکانت طبیعه نظام أحوالهم فی معاشهم و بقائهم محوجه إلی سلطان قاهر تأتلف برهبته الأهواء،و تجتمع بهیبته القلوب،و تنکفّ بسطوته الأیدی العادیه إذ فی طباع الخلق من حبّ المغالبه علی ما آثروه،و القهر لمن عاندوه ما لا ینکفّون عنه إلاّ بمانع قویّ و رادع ملیّ.و قد أفصح المتنبّی عن ذلک حیث یقول:

لا یسلم الشرف الرفیع من الأذی حتّی یراق علی جوانبه الدم

و الظلم من شیم النفوس فإن تجد ذاعفه فلعلّه لا یظلم

و هذه العلّه المانعه من الظلم عند الاستقراء یرجع إلی امور أربعه:إمّا عقل زاجر،

أو دين حاجز،أو عجز مانع،أو سلطان رادع.و السلطان القاهر أبلغها نفعا لأنّ العقل و الدين ربّما كانا مغلوبين بدواعى الهوى فيكون رهبه السلطان أقوى ردعا و أعمّ نفعا و إن كان جائرا فإنّه روى عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم:إنّ اللّه ليؤيّد هذا الدين بقوم لا خلاق لهم فى الآخره،و روى:بالرجل الفاسق،و روى عنه أنّه قال:الإمام الجائر خير من الفتنه فكلّ لا خير فيه فى،و بعض الشرّ خيار:أى و أنّ وجود الإمام و إن كان جائرا خير من عدمه المستلزم لوجود الفتنه و وقوع الهرج و المرج بين الخلق إذ كان بوجوده صلاح بعض الامور على أنّه و إن كان لا خير فيه أيضا من جهه ما هو جائر كما قال:

و كلّ لا خير فيه إلاّ أنّ هيبته و وجوده بين الخلق ممّا يوجب الانزجار عن إثاره الفتن و يكون ذلك خيرا وقع فى الوجود بوجوده لا يحصل مع عدمه فوجوده مطلقا واجب و ذلك معنى قوله عليه السّلام:لا بدّ للناس من أمير برّ أو فاجر.

و قوله:يعمل فى إمرته المؤمن و يستمتع فيها الكافر.

و قوله: يعمل فى إمرته المؤمن و يستمتع فيها الكافر.

الضمير فى إمرته لمّا عاد إلى الأمير،و كان لفظ الأمير محتملا للبرّ و الفاجر كان المراد بالإمره الّتى يعمل فيها المؤمن إمره الأمير من حيث هو برّ،و بالّتى يستمتع فيها الكافر إمرته من حيث هو فاجر،و هذا أولى من قول بعض الشارحين:إنّ الضمير يعود إلى الفاجر فإنّ إمره الفاجر ليست مظنّه تمكّن المؤمن من عمله،و المراد يعمل المؤمن فى إمره البرّ عمله على وفق أوامر اللّه و نواهيه إذ ذلك وقت تمكّنه منه،و المراد باستمتاع الكافر فى إمره الفاجر انهما كه فى اللذّات الحاضره الّتى يخالف فيها أوامر اللّه و ذلك فى وقت تمكّنه من مخالفه الدين .

و قوله:يبلّغ اللّه فيها الأجل.

و قوله: يبلّغ اللّه فيها الأجل.

أى فى إمره الأمير سواء كان برّا أو فاجرا،و فائده هذه الكلمه تذكير العصاه ببلوغ الأجل و تخويفهم به .

و قوله:و يجمع به الفىء.إلى قوله:القوىّ.

و قوله: و يجمع به الفىء.إلى قوله:القوىّ.

الضمائر المجروره كلّها راجعه إلى الأمير المطلق إذ قد تحصل الامور المذكوره كلّها من وجوده كيف كان برّا أو فاجرا.و ممّا يؤيّد ذلك أنّ أكثر الخلق متّفقون على أنّ

ص:۱۰۳

امراء بنی امیّه کانوا فجّارا عدا رجلین أو ثلاثه:کعثمان و عمر بن عبد العزیز و کان الفیء یجمع بهم،و البلاد تفتح فی أیّامهم،و الثغور الإسلامیّه محروسه،و السبل آمنه، و القویّ مأخوذ بالضعیف،و لم یضرّ جورهم شیئا فی تلک الامور .

و قوله:حتّی یستریح برّ و یستراح من فاجر.

و قوله :حتّی یستریح برّ و یستراح من فاجر.

غایه من الامور المذکوره:أی غایه صدور هذه الامور أن یستریح برّ بوجودها و یستراح من تعدّی الفاجر و بغیه،و قیل:أراد أنّ هذه الامور لا تزال تحصل بوجود الأمیر برّا کان جرا إلی أن یستریح برّ بموته،و یستراح من فاجر بموته أو بعزله، و أمّا الروایه الاخری فمعنی الکلام فیها ظاهر،و باللّه التوفیق.

۴۰-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصِّدْقِ وَ لاَ أَعْلَمُ جُنَّهً أَوْقَی مِنْهُ- وَ مَا یَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ کَیْفَ الْمَرْجِعُ- وَ لَقَدْ أَصْبَحْنَا فِی زَمَانٍ قَدِ اتَّخَذَ أَکْثَرُ أَهْلِهِ الْغَدْرَ کَیْساً- وَ نَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِیهِ إِلَی حُسْنِ الْحِیلَهِ- مَا لَهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ- قَدْ یَرَی الْحُوَّلُ الْقُلَّبُ وَجْهَ الْحِیلَهِ وَ دُونَهَا مَانِعٌ- مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَ نَهْیِهِ- فَیَدَعُهَا رَأْیَ عَیْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَهِ عَلَیْهَا- وَ یَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لاَ حَرِیجَهَ لَهُ فِی الدِّینِ

اللغه

أقول:الجنّه : ما استترت به من سلاح و نحوه .و القلّب الحوّل : الّذی یکثر تحوّله و تقلّبه فی اختیار الامور،و تعرّف وجوهها .و الانتهاز : المبادره إلی الأمر .

و الفرصه : وقت الإمکان .و الحریجه : التخرّج و هو التحرّز من الحرج و الإثم .

المعنی

اشاره

استعاره و اعلم أنّ الوفاء ملکه نفسانیّه ینشأ من لزوم العهد کما ینبغی،و البقاء علیه، و الصدق ملکه تحصل من لزوم الأقوال المطابقه،و هما فضیلتان داخلتان تحت فضیله

العفّه متلازمتان،و لمّا كان التوأم هو الولـد المقارن لولـد آخر فى بطن واحـد اشـبهه الوفاء لمقارنته الصـدق تحت العفّه،فاستعار لفظه له. ثمّ لمّـا كانت فضيله الوفاء مقابله برذيله الغدر و فضيله الصـدق مقابله برذيله الكـذب و رذيلتا الغـدر و الكـذب أيضـا توأمين تحت رذيله الفجور المقابله لفضيله العفّه .

قوله:و لا أعلم جنّه أوقى منه.

قوله: و لا أعلم جنّه أوقى منه.

حكم ظاهر فإنّ الوفاء وقايه تامّه للمرء أمّـا فى آخرته فللاستتاره به من عذاب اللّه الّذى هو أعظم محذور،و أمّـا فى دنياه فللاستتاره به من السبّ و العار و ما يلزمه عدم الوفاء من الغدر و الكذب الملطخين لوجه النفس.و إذا علمت أنّه لا نسبه لشىء ممّا يجتنّ منه بالأسلحه و غيرها إلى ما يتوقّى بالوفاء علمت أنه لا جنّه أوقى من الوفاء،و ممادح الوفاء و مذامّ الغدر كثيره قال اللّه تعالى «الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَ لا يَنْقُضُونَ الْمِيثاقَ» (۱)وَ الـذين يوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُواالآيه و قال فى تمدّحه بالوفاء «وَ مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ» قال و مَنْ «نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ وَ مَنْ أَوْفى بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً» (۲)و من الخبر فى ذمّ الغدر:لكلّ غادر لواء يعرف به يوم القيامه .

و قوله:و لا يغدر من علم كيف المرجع.

و قوله: و لا يغدر من علم كيف المرجع.

أقول:العلم بكيفيّه المرجع إلى اللّه تعالى و الاطّلاع على منازل السفر إليه و على أحوال الآخره الّتى هى المستقرّ صارف قوىّ عن ارتكاب الرذائل الّتى من جملتها الغدر و إنّما خصّ الغدر بنسبه أهله إلى الجهل بأمر المعاد لكونه فى معرض مدح الوفاء و الترغيب فيه .

قوله:و لقد أصبحنا فى زمان.إلى قوله:الحيله

قوله: و لقد أصبحنا فى زمان. إلى قوله: الحيله.

أقول:إنّما اتّخذ أهل الزمان الغدر كيسا و نسبهم كثير إلى حسن الحيله لجهل الفريقين بثمره الغدر و لعدم تمييزهم بين الغدر و الكيس فإنّه لمّـا كان الغدر كثيرا ما يستلزم الذكاء و الفطنه لوجه الحيله و ايقاعها بالمغدور به و كان الكيس أيضا عباره عن الفطانه و الذكاء وجوده الرأى فى استخراج وجوه المصالح الّتى تنبغى كانت بينهما مشاركه فى استلزام مفهوميها للتفطّن و الذكاء فى استخراج وجه الحيله و ايقاع الآراء

ص:۱۰۵

۱- ۱) ۲۰-۱۳

۲- ۲) ۱۰-۴۸

إلاّ أنّ تفطّن الغادر يستعمله فی استنباط الحیله و إن خالفت القوانین الشرعیّه و فاتت المصالح الکلیّه فی جنب مصلحه جزئیّه تخصّه،و تفطّن الکیّس إنّما یستعمله فی ایقاع رأی أو حیله تنتظم مصلحه العالم و توافق القوانین الشرعیّه،و لدقّه الفرق بینهما استعمل الغادرون غدرهم فی موضع الکیس،و نسبهم أیضا الجاهلون فی غدرهم إلی حسن حیلتهم کما نسب ذلک إلی عمرو بن العاص و المغیره بن شعبه و نحوهما،و لم یعلموا أنّ حیله الغادر تخرجه إلی رذیله الفجور،و لا حسن فی حیله جرّت إلی رذیله .

و قوله:ما لهم قاتلهم اللّه قد یری.إلی آخره.

کنایه و قوله: ما لهم قاتلهم اللّه قد یری .إلی آخره.

دعاء علیهم بقتال اللّه لهم بعد استفهامه عن خوضهم فی أمره استفهاما علی سبیل الإنکار،و قد علمت أن قتال اللّه کنایه عن عداوته و البعد عن رحمته،و ظاهر أنّ أهل الغدر بعداء عن رحمه اللّه ،ثمّ أردف ذلک الدعاء بالإشاره إلی أنّه لا فضیله لهم فیما یفتحزون به من الذکاء فی استنباط وجوه الحیله إذ کانت غایتهم الغدر و الخیانه فإنّ الحوّل القلّب فی الامور قد یری وجه الحیله عیانا إلاّ أنّه یلاحظ فی العمل بها مانع من اللّه و نهیه عن ارتکابها لما یؤدّی إلیه من ارتکاب الرذائل الموبقه فیترکها رأی عینه:أی حال ما هی مرئیّه له و بعد القدره علیها خوفا من اللّه تعالی.ثمّ یراها من لا یعتقد إثما فی حزم قواعد الدین فیبادر إلیها حال إمکانها و لیس ذلک لفضیله بل الفضل فی الحقیقه لتارکها عن وازع الدین،و الإشاره بالحوّل القلّب إلی نفسه فإنّ شیمه الکریمه کانت کذلک.

۴۱-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

:أَیُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَیْکُمُ إثْنَانِ اتِّبَاعُ الْهَوَی وَ طُولُ الْأَمَلِ- فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَی فَیَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ- وَ أَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَیُنْسِی الْآخِرَهَ- أَلَا وَ إِنَّ الدُّنْیَا قَدْ وَلَّتْ حَذَّاءَ- فَلَمْ یَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَهٌ کَصُبَابَهِ الْإِنَاءِ- اصْطَبَّهَا صَابُّهَا- أَلَا وَ إِنَّ الْآخِرَهَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَ لِکُلٍّ مِنْهُمَا بَنُونَ- فَکُونُوا

مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَهِ وَ لاَ تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا- فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأَمِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَهِ- وَ إِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَ لاَ حِسَابَ وَ غَداً حِسَابٌ وَ لاَ عَمَلَ

اللغه

أقول: حذّاء : خفيفه مسرعه لا يتغلّق أحد منهما بشىء .و الصبابه : بقيّه الماء فى الإناء .

المعنى

اشاره

و المقصود بهذا الفصل النهى عن الهوى و طول الأمل فى الدنيا فإنّهما من أشدّ أسباب الهلاك فكان الجلاء عنهما من أشدّ أسباب النجاه كما قال تعالى «فَأَمّا مَنْ طَغى وَ آثَرَ الْحَياهَ الدُّنْيا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوى وَ أَمّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى فَإِنَّ الْجَنَّهَ هِيَ الْمَأْوى» (۱)ثمّ التذكير بامور الآخره.

فاعلم أنّ الهوى هو ميل النفس الأمّاره بالسوء إلى مقتضى طباعها من اللذّات الدنيويّه إلى حدّ الخروج عن حدود الشريعه،و أمّا الأمل فقد سبق بيانه،و لمّا كانت السعاده التامّه إنّما هى فى مشاهده حضره الربوبيّه و مجاوره الملأ الأعلى «فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ» ،و كان اتّباع النفس الأمّاره بالسوء فى ميولها الطبيعيّه و الانهماك فى ملذّاتها الفانيه أشدّ مهلك جاذب للإنسان عن قصد الحقّ،و صادّ له عن سلوك سبيله و عن الترقىّ فى ملكوت السماوات إلى حضيض جهنّم كما قال سيّد المرسلين صلى اللّه عليه و آله و سلّم:

ثلاث مهلكات:شحّ مطاع،و هوى متّبع،و إعجاب المرء بنفسه،و كما قال:حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئه،و قال:الدنيا و الآخره ضرّتان بقدر ما يقرب من إحداهما يبعد من الاخرى.لا جرم كان أخوف ما ينبغى أن يخاف من الامور المهلكه اتّباع الهوى، و أمّا الأمل فمراده به أيضا الأمل لما لا ينبغى أن يمدّ الأمل فيه من المقتنيات الفانيه و ظاهر أنّ طول الأمل فيها يكون مطابقا لاتّباع الهوى و به يكون نسيان الآخره لأنّ طول توقّع الامور المحبوبه الدنيويّه يوجب دوام ملاحظتها،و دوام ملاحظتها مستلزم لدوام إعراض النفس عن ملاحظه أحوال الآخره و هو مستعقب لا نمحاء ما تصوّر فى

۱- ۱) ۳۷-۷۹

الذهن منها و ذلك معنى النسيان لها و بذلك يكون الهلاك الأبدىّ و الشقاء الأشقى، و لمّا كان عليه السّلام هو المتولّى لإصلاح حال الخلق فى امور معاشهم و معادهم كان الاهتمام بصلاحهم منوطا بهمّته العلّيه فلا جرم نسب الخوف عليهم إلى نفسه .

قوله:ألا و إنّ الدنيا قد ولّت.إلى قوله:صابّها.

استعاره قوله: ألا و إنّ الدنيا قد ولّت.إلى قوله:صابّها .

أقول:الدنيا بالنسبه إلى كلّ شخص مفارقه له و خفيفه سريعه الأجفال لم يبق منها بالقياس إليه إلّا اليسير،و إطلاق الصبابه هاهنا استعاره لبقيّتها القليله،و القلّه هى وجه تشبيهها بصبابه الإناء أيضا .

و قوله:ألا و إنّ الآخره قد أقبلت.

و قوله: ألا و إنّ الآخره قد أقبلت.

لمّا نبّه على أنّ الدنيا سريعه الأجفال أردف ذلك بالتنبيه على سرعه لحوق الآخره و إقبالها،و كلّ ذلك قطع للآمال الفانيه و ردع عن اتّباع الهوى.و من آثار الصالحين :إذا كان العمر فى إدبار و الموت فى إقبال فما أسرع الملتقى .و الموت هو دهليز الآخره .

و قوله:و لكلّ منهما بنون.إلى قوله:يوم القيامه

استعاره و قوله: و لكلّ منهما بنون.إلى قوله:يوم القيامه .

من لطائف كلامه.فاستعار لفظ الأبناء للخلق بالنسبه إلى الدنيا و الآخره،و لفظ الأب لهما،و وجه الاستعاره أنّ الابن لمّا كان من شأنه الميل إلى والده إمّا ميلا طبيعيّا أو بحسب تصوّر المنفعه منه.و كان الخلق منهم من يريد الدنيا.و منهم من يريد الآخره، و يميل كلّ منهما إلى مراده مع ما يحصل من طرف الدنيا للراغبين فيها ممّا يتوهّمونه لذّه و خيرا،و ما يحصل من طرف الآخره للراغبين فيها من اللذّه و السعاده أشبه كلّ بالنسبه إلى ما رغب فيه و استفاد منه الخير الابن بالنسبه إلى الأب.فاستعير لفظه لتلك المشابهه، و لمّا كان غرضه حثّ الخلق على السعى للآخره و الميل إليها و الإعراض عن الدنيا،قال عليه السّلام :فكونوا من أبناء الآخره و لا تكونوا من أبناء الدنيا ثمّ ذكر فايده رأيه عليهم بأن يكونوا كذلك.و هى أنّ كلّ ولد سيلحق بامّه يوم القيامه،و أشار:إلى أنّ أبناء الآخره و الطالبين لها و العاملين لأجلها مقرّبون فى الآخره لا حقوق لمراداتهم فيها،و لهم فيها ما تشتهى أنفسهم و لهم ما يدّعون «نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ» ،و أمّا أبناء الدنيا فانّ نفوسهم لمّا كانت مستغرقه فى محبّتها و ناسيه لطرف الآخره و معرضه عنها لا جرم

كانت يوم القيامه مغموره فى محبّه الباطل مغلوله بسلاسل السيئات البدنيّه و الملكات الرديئه المتمكّنه من جواهرها فهى لتعلّقها بمحبّه الدنيا حيث لا يتمكّن من محبوبها بمنزله ولد لا تعلّق له و لا مسكه إلاّ بوالده و لا إلف له إلاّ هو و لا انس إلاّ معه،ثمّ حيل بينه و بينه مع شدّه تعلّقه به و شوقه إليه و اخذ إلى أضيق الأسجان،و بدّل بالعزّ الهوان فهو فى أشدّ و له و يتم و أعظم حسره و غمّ،و أمّا أبناء الآخره ففى حضانه أبيهم و نعيمه قد زال عنهم بؤس الغربه و شقاء اليتم و سوء الحضن.فمن الواجب إذن تعرّف أحوال الوالدين و اتّباع أبرّهما و أدومهما شفقه و أعظمهما بركه و ما هى إلاّ الآخره فليكن ذو العقل من أبناء الآخره و ليكن برّا بوالده متوصّلا إليه بأقوى الأسباب و أمتنها .

و قوله:و إنّ اليوم عمل.إلى آخر.

استعاره مقابله و قوله: و إنّ اليوم عمل .إلى آخر.

كنّى باليوم عن مدّه الحياه و بعد عمّا بعد الموت،و راعى المقابله فقابل اليوم بالغد،و العمل بلا عمل،و لا حساب بالحساب .و اليوم:اسم إنّ،و عمل:قام مقام الخبر استعمالا للمضاف إليه مقام المضاف:أى و اليوم يوم العمل،و يحتمل أن يكون اسم إنّ ضمير الشأن،و اليوم عمل جمله من مبتدأ و خبر هى خبرها،و كذلك قوله: و غدا حساب و لا عمل ،و صدق هذين الحكمين ظاهر و فايدتهما التنبيه على وقتى العمل و عدمه ليبادروا إلى العمل الّذى به يكونون من أبناء الآخره فى وقت إمكانه قبل مجىء الغد الّذى هو وقت الحساب دون العمل،و باللّه التوفيق.

۴۲-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

و قد أشار عليه أصحابه بالاستعداد للحرب بعد إرساله جرير ابن عبد اللّه البجلى إلى معاويه إِنَّ اسْتِعْدَادِى لِحَرْبِ أَهْلِ؟الشَّامِ؟ وَ؟جَرِيرٌ؟ عِنْدَهُمْ- إِغْلاَقٌ؟لِلشَّامِ؟ وَ صَرْفٌ لِأَهْلِهِ عَنْ خَيْرٍ إِنْ أَرَادُوهُ- وَ لَكِنْ قَدْ وَقَّتُّ؟لِجَرِيرٍ؟ وَقْتاً لاَ يُقِيمُ بَعْدَهُ- إِلاَّ مَخْدُوعاً

ص:۱۰۹

أَوْ عَاصِيًا- وَ الرَّأْىُ عِنْدِى مَعَ الْأَنَاهِ فَأَرْوِدُوا- وَ لاَ أَكْرَهُ لَكُمُ الْإِعْدَادَ- وَ لَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هَذَا الْأَمْرِ وَ عَيْنَهُ- وَ قَلَّبْتُ ظَهْرَهُ وَ بَطْنَهُ- فَلَمْ أَرَ لِى إِلاَّ الْقِتَالَ أَوِ الْكُفْرَ- إِنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَى الْأُمَّهِ وَالٍ أَحْدَثَ أَحْدَاثاً- وَ أَوْجَدَ النَّاسَ مَقَالاً فَقَالُوا- ثُمَّ نَقَمُوا فَغَيَّرُوا أقول:و قد كان فى ظنّ كثير من الصحابه بعد ولايه علىّ عليه السّلام أنّ معاويه لا يطيع له بأمارات كثيره،و لذلك أشار عليه أصحابه و بعد إرسال جرير إليه بالاستعداد لحربه،و روى أنّ جريرا لمّا أراد بعثه قال:و اللّه يا أمير المؤمنين ما أدّخرك من نصرتى شيئا،و ما أطمع لك فى معاويه فقال عليه السّلام:قصدى حجّه أقمتها.ثمّ كتب معه:

أمّا بعد فإنّ بيعتى بالمدينه لزمتك و أنت بالشام لأنّه بايعنى القوم الّذين بايعوا أبا بكر و عمر و عثمان على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد أن يختار و لا للغائب أن يردّ، و إنّما الشورى للمهاجرين و الأنصار إذا اجتمعوا على رجل فسمّوه إماما كان ذلك رضا فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبه ردّوه إلى ما خرج منه فإن أبى قاتلوه على اتّباع غير سبيل المؤمنين و ولاّه اللّه ما تولّى و يصليه جهنّم و ساءت مصيرا، و إنّ طلحه و الزبير بايعانى ثمّ نقضا بيعتى فكان نقضهما كردّتهما فجاهدتهما على ذلك حتّى جاء الحقّ و ظهر أمر اللّه و هم كارهون.فادخل فيما دخل فيه المسلمون فإنّ أحبّ الامور إلىّ فيك العافيه إلاّ أن تتعرّض للبلاء فإن تعرّضت له قاتلتك و استعنت باللّه عليك.و قد أكثرت فى قتله عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثمّ حاكموا القوم إلىّ أحملك و إيّاهم على كتاب اللّه فأمّا تلك الّتى تريدها فخدعه الصبّى عن اللبن،و لعمرى و إن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنى أبرء قريش من دم عثمان،و اعلم أنّك من الطلقاء الّذين لا يتحلّى لهم الخلافه و لا يتعرّض فيهم الشورى،و قد أرسلت إليك جرير بن عبد- اللّه و هو من أهل الايمان و الهجره فبايع و لا قوّه إلاّ باللّه.و ربّما جاء شىء من هذا الكتاب فى كتبه عليه السّلام إلى معاويه.فأجابه معاويه أمّا بعد فلعمرى لو بايعك القوم

الّذين بـايعوك و أنـت برىء مـن دم عثمـان كنت كـأبى بكر و عمر و عثمـان و لكنّـك أغريت بعثمـان و خـذلت عنه الأنصـار فأطاعك الجاهل و قوى بك الضـعيف،و قـد أبى أهل الشام إلاّ قتالك حتّى تـدفع إليهم قتله عثمان فإن فعلت كانت شورى بين المسلمين.و لعمرى مـا حجّتك علىّ كحجّتـك على طلحه و الزبير لأنّهمـا بايعـاك و لم ابايعـك،و مـا حجّتك على أهل الشام كحجّتك على أهل البصـره لأنّهم أطاعوك و لم يطعك أهل الشام.فأمّا شرفك فى الإسلام و قرابتك من النبىّ صلى اللّه عليه و آله و سلّم و موضعك من قريش فلست أدفعه،و كتب فى آخر الكتاب قصيده كعب بن جميل.

أرى الشام تكره أهل العراق و أهل العراق لها كارهونا

و قد ذكرنا بعضـها قبل،و يروى أنّ الكتاب الّذى كتبه عليه السّلام مع جرير كانت صورته:إنّى قد عزلتك ففوّض الأمر إلى جرير و السلام.و قال لجرير:صن نفسك عن خداعه فإن سلّم إليك الأمر و توجّه إلىّ فاقم أنت بالشام،و إن تعلّل بشىء فارجع.

فلمّا عرض جرير الكتاب على معاويه تعلّل بمشاوره أهل الشام و غير ذلك فرجع جرير.

فكتب معاويه فى أثره على ظهر كتاب علىّ عليه السّلام:من ولّاك حتّى تعزلنى و السلام.

اللغه

و أقول: الاسـتعداد : التهيّؤ للأمـر .و الخـداع : الأخـذ بـالحيله .و الأناه . الاسم من التأنّى و الرفق .و أرودوا : أمهلوا .و نقمت الأمر بفتح القاف : أنكرته .

المعنى

فقوله:إنّ استعدادى.إلى قوله:إن أرادوه .

فقوله: إنّ استعدادى .إلى قوله: إن أرادوه.

المراد أنّ أهـل الشـام فى زمـان كـون جرير عنـدهم هـم فى مقـام الـتروّى و التفكّر فى أىّ الأمرين يتّبعون.و إن لـم يكن كلّهم فبعضـهم كـذلك فلو اعتـدّ هو للحرب فى تلـك الحـال لبلغهم ذلـك فاحتاجوا إلى الاسـتعداد أيضا و التأهّب للقائه فكان ذلك الاسـتعداد سـببا لغلق الشام بالكلّيّه ،و صرفا لمن يكون فى ذهنه تردّد فى هذا الأمر أوفى قلبه اللحقوق به عمّا يريد و ذلك مناف للحزم.

و قوله:قد وقّت.إلى قوله:عاصيا .

و قوله: قد وقّت.إلى قوله:عاصيا.

أى قـد وقّت له وقتا يصل إلينا فيه لا يتخلّف عنه إلاّ لأحـد مانعين إمّا خداع فيهم له و مواعيد مخلّفه بالجواب ليهيّؤوا امورهم فى تلك المدّه،و إمّا عصيان منه و مخالفه.

فإن قلت:حصر تخلّف جرير فى هذين المانعين غير صحيح لجواز أن يتخلّف لمرض أو موت أو غرض آخر.

قلت:إنّه عليه السّلام لم يقصد الحصر اليقينىّ و إنّما أراد الحصر بحسب غلبه الظنّ الناشىء من الأمارات و القرائن الحاليّه ثمّ كلامه عليه السّلام ليس فى الأسباب الاضطراريّه الّتى من قبل اللّه تعالى فإنّ ذلك أمر مفروغ منه لا يحسن ذكره،و أمّا الموانع الاختياريّه فأمّا منهم و غالب الظنّ هو الخداع،و أمّا منه و غالب الظنّ أنّه العصيان إذ لا يتصوّر من مثل جرير و قد أرسل فى مثل هذا الأمر المهمّ أن يعدل عنه إلى شغل اختيارىّ لنفسه أو لغيره إلاّ أن يكون عاصيا .

و قوله:و الرأى مع الأناه.

و قوله: و الرأى مع الأناه.

رأى حقّ أجمع الحكماء على صوابه فإنّ إصابه المطالب و الظفر بها فى الغالب إنّما هو مع التثبّت و التأنّى فى الطلب،و ذلك أنّ أناه الطالب هى مظنّه فكره فى الاهتداء إلى تلخيص الوجه الأليق و الأقيس و الأشمل للمصلحه فى تحصيل مطلوبه،و لذلك أكّد بعض الحكماء الأمر بالتأنّى بقوله:من لم يتثبّت فى الامور لم يعد مصيبا و إن أصاب.فالغرض و إن كان هو الإصابه إلاّ أنّها و إن حصلت من غير التأنّى كان مفرطا و ثمره التفريط غالبا الندامه و عدم الإصابه،و الإصابه منه نادره و النادر غير منتفع به و لا ملتفت إليه .

و قوله:فأرودوا و لا أكره لكم الإعداد.

و قوله: فأرودوا و لا أكره لكم الإعداد.

لمّا نبّههم على فضيله الأناه أمرهم بها و إن لم يأمرهم مطلقا بل نبّههم بقوله:

و لا أكره لكم الإعداد على امور ثلاثه:

أحدها:أنّه ينبغى لهم أن يكونوا على يقظه من هذا الأمر حتّى يكونوا حال إشارته إليهم قريبين من الاستعداد.

الثانى:أن لا يتوهّم أحد منهم فيه مداخله ضعف عن مفارقه أهل الشام فيداخلهم بسبب ذلك فشل و ضعف عزيمه.

الثالث:ذكر شارح ابن أبى الحديد هو أنّه عليه السّلام و إن كان كره الاستعداد

الظاهر إلّا أنّ قوله: و لا أكره لكم الإعداد .تنبيه لهم على الاستعداد الباطن و التهيّؤ فى السرّ و ربما كان فرار الشارح بهذا الوجه ممّا يتوهّم تناقضا و هو كونه قد أشار بترك الاستعداد،ثمّ قال لأصحابه :و لا أكره لكم الإعداد ،و قد علمت أنّ تركه للاستعداد فى ذلك الوقت و اختياره تركه لا ينافى تنبيههم على عدم كراهيّته له ليكونوا منه على يقظه كما أو مأنا إليه .

و قوله:و لقد ضربت.إلى قوله:أو الكفر.

استعاره بالكنايه و قوله: و لقد ضربت.إلى قوله:أو الكفر.

أقول:استعار لفظ العين و الأنف و الظهر و البطن الّتى حقايق فى الحيوان لحاله مع معاويه فى أمر الخلافه و خلاف أهل الشام له استعاره على سبيل الكنايه.

فكنّى بالعين و الأنف عن المهمّ من هذا الأمر و خالصه فإنّ العين و الأنف أعزّ ما فى الوجه،و كنّى بالضرب بهما عن قصده للمهمّ منه على سبيل الاستعاره أيضا،و كنّى بلفظ الظهر و البطن لظاهر هذا الأمر و باطنه و وجوه الرأى فيه،و لفظ التقليب لتصفّح تلك الوجوه و عرضها على العقل واحدا واحدا .

قوله:فلم أر لى إلّا القتال أو الكفر.

قوله: فلم أر لى إلّا القتال أو الكفر.

تعيين لما اختاره بعد التقليب و التصفّح لوجوه المصلحه فى أمر مخالفيه و هو قتالهم، و نبّه على وجه اختياره له بقوله: أو الكفر :أى أنّ أحد الأمرين لازم إمّا القتال أو الكفر،و ذلك أنّه إن لم يختر القتال لزم تركه و تركه مستلزم للكفر لكن التزام الكفر منه محال فتعيّن اختياره للقتال،و مراده بالكفر الكفر الحقيقىّ فإنّه صرّح بمثله فيما قبل حيث يقول :و قد قلّبت هذا الأمر بطنه و ظهره حتّى منعنى القوم فما وجدتنى يسعنى إلّا قتالهم أو الجحود بما جاء به محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلّم.

فإن قلت:ما وجه الحصر فى القتال و الجحود مع أنّ ترك القتال بدون الجحد ممكن.

قلت:بيانه من وجهين.

أحدهما:قال الشارحون:إنّ الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم كان قد أمره بقتال من خالفه، لقوله :امرت أن اقاتل الناكثين و القاسطين و المارقين .فلو ترك قتالهم مع ما عليه أمر الإسلام من الخطر لكان قد خالف أمر الرسول و ظاهر أنّ مخالفه مثله عليه السّلام لأوامر

الرسول لا يتصوّر إلا عن عدم اعتقاد صحّتها و ذلک جحد به و کفر.

الثانی:یحتمل أن یکون قد تجوّز بلفظ الجحود فی التهاون بهذا الأمر تعظیما له فی نفوس السامعین و هو من المجازات الشائعه .

و قوله:إنّه قد کان.إلی آخره.

و قوله: إنّه قد کان .إلی آخره.

تنبیه علی وجه عذره عمّا نسبه إلیه معاویه و جعله سببا لعصیانه له و هو الطلب بدم عثمان و تهمته له بذلک،و أراد بالوالی عثمان.و الأحداث الّتی أحدثها هو ما نسب إلیه من الأمور الّتی أنکروها علیه کما سنذکرها .و أوجد الناس مقالا :أی جعل لهم بتلک الأحداث طریقا إلی القول علیه فقالوا ،ثمّ أنکروا ما فعل فغیّروه و أزالوه.فأمّا الأحداث المنقوله عنه فالمشهور منها بین أهل السیر عشره:

الاولی:تولیته امور المسلمین من لیس أهلا من الفسّاق مراعاه للقرابه دون حرمه الإسلام کالولید بن عقبه حتّی ظهر منه شرب الخمر،و سعید بن العاص حتّی ظهرت عنه الامور الّتی أخرجه أهل الکوفه منها بسببها،و عبد اللّه بن أبی سرح مع قوّه ظلمه و تظلّم المصریّین منه و هو الّذی اتّهمه المسلمون بمکاتبته بقتل محمّد بن أبی بکر،و نقل أنّهم ظفروا بالکتاب و لأجله عظم التظلّم و کثر الجمع و اشتدّ الحصار علیه.

الثانیه:ردّه للحکم بن أبی العاص إلی المدینه بعد طرد رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم،و بعد امتناع أبی بکر و عمر من ردّه.فخالف فی ذلک سنّه الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم و سیره الشیخین،و عمل بدعواه مجرّده من البیّنه.

الثالثه:أنّه کان یؤثر أهله بالأموال العظیمه من بیت المال من غیر استحقاق و ذلک فی صور:منها أنّه دفع إلی أربعه نفر من قریش زوّجهم بناته أربع مائه ألف دینار،و منها أنّه أعطی مروان مائه ألف دینار،و روی خمس إفریقیّه و ذلک مخالف لسنّه الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم و من بعده من الخلفاء.

الرابعه:أنّه حمی الحمی عن المسلمین بعد تسویه الرسول بینهم فی الماء و الکلاء.

الخامسه:أنّه أعطی من بیت مال الصدقه المقاتله و غیرها و ذلک ممّا لا یجوز فی الدین.

السادسه:أنّه ضرب عبد اللّه بن مسعود-رضی اللّه عنه-و هو من أکبر الصحابه،

و علمائها حتّى كسر بعض أضلاعه و ذلك ظلم ظاهر.

السابعه:أنّه جمع الناس على قراءه زيد بن ثابت خاصّه و أحرق المصاحف و أبطل ما لا شكّ أنّه من القرآن المنزل و ذلك مخالفه للّه و للرسول و لمن بعده.

الثامنه:أنّه أقدم على عمّار بن ياسر-رحمه اللّه-بالضرب مع أنّه من أشرف الصحابه، و مع علمه بما قال الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم:عمّار جلده ما بين عينيّ تقتله الفئه الباغيه لا أنالها اللّه شفاعتى.حتّى أصابه الفتق،و لذلك صار عمّار مظاهرا لبعض المتظلّمين منه على قتله،و روى أنّه كان يقول:قتلناه كافرا.

التاسعه:إقدامه على أبى ذر مع ثناء الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم و صحبته له،و قوله فيه:ما أقلّت الغبراء و لا أظلّت الخضراء على ذى لهجه أصدق من أبى ذر.حتّى نفاه إلى الربذه العاشره:تعطيله الحدّ الواجب على عبيد اللّه بن عمر بن الخطاب فإنّه قتل الهرمزان مسلما بمجرّد تهمته أنّه أمر أبا لؤلؤه بقتل أبيه ثمّ لم يقده به و قد كان علىّ عليه السّلام يطلبه بذلك.فهذه هى المطاعن المشهوره فيه.و قد أجاب الناصرون لعثمان عن هذه الأحداث بأجوبه مستحسنه و هى مذكوره فى المطوّلات من مظانّها و إنّما ذكرنا هذه الأحداث و أوردناها مختصره لتعلّق المتن بذكرها.

۴۳-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

لما هرب مصقله بن هبيره الشيبانى إلى معاويه،و كان قد ابتاع سبى بنى ناجيه من عامل أمير المؤمنين عليه السّلام و أعتقه،فلما طالبه بالمال خاس به و هرب إلى الشام:

قَبَّحَ اللَّهُ؟مَصْقَلَةَ؟- فَعَلَ فِعْلَ السَّادَةِ وَ فَرَّ فِرَارَ الْعَبِيدِ- فَمَا أَنْطَقَ مَادِحَهُ حَتَّى أَسْكَتَهُ- وَ لاَ صَدَّقَ وَاصِفَهُ حَتَّى بَكَّتَهُ- وَ لَوْ أَقَامَ لَأَخَذْنَا مَيْسُورَهُ- وَ انْتَظَرْنَا بِمَالِهِ وُفُورَهُ

ص:۱۱۵

أقول :مصقله هذا كان عاملا لعلىّ عليه السّلام على أردشير خرّه.و بنو ناجيه:قبيله نسبوا أنفسهم إلى سامه بن لوىّ بن غالب فدفعتهم قريش عن هذا النسب و سمّتهم بنى ناجيه و هى امّهم امرأه سامه،و أمّا سبب هربه إلى الشام فهو أنّ الحريث أحد بنى ناجيه كان قد شهد مع علىّ عليه السّلام صفّين ثمّ استهواه الشيطان فصار من الخوارج بسبب التحكيم،و خرج هو و أصحابه إلى المداين مفارقا لعلىّ عليه السّلام فوجّه إليهم معقل بن قيس فى ألفى فارس من أهل البصره و لم يزل يتبعهم بالعسكر بعد العسكر حتّى ألحقوهم بساحل فارس،و كان به جماعه كثيره من قوم الحريث و كان فيهم من أسلم عن النصرانيّه فلمّا رأوا ذلك الاختلاف ارتدّوا و اجتمعوا عليه فزحف إليهم معقل بمن معه فقتل الحريث و جماعه منهم و سبا من كان أدرك فيهم من الرجال و النساء،و نظر فيهم فمن كان مسلما أخذ بيعته و خلّى سبيله و احتمل الباقين من النصارى و عيالهم معه و كانوا خمسمائه نفر حتّى مرّوا بمصقله فاستغاث إليه الرجال و النساء و مجّدوه و طلبوا منه أن يعتقهم فأقسم ليتصدّقن عليهم بذلك ثمّ بعث إلى معقل بن قيس فابتاعهم منه بخمسمائه ألف درهم ثمّ وعده أن يحمل المال فى أوقات مخصوصه فلمّا قدم معقل على علىّ عليه السّلام و أخبره القصّه شكر سعيه و انتظر المال من يد مصقله فابطأ به فكتب إليه باستعجاله أو بقدومه عليه فلمّا قرأ كتابه قدم عليه و هو بالكوفه فاقراه أيّاما ثمّ طالبه بالمال فأدّى منه مائتى ألف درهم و عجز عن الباقى و خاف فلحق بمعاويه فبلغ عليّا عليه السّلام فقال الفصل.و لنرجع إلى المتن.

اللغه

قبحّه اللّه : أى نحّاه عن الخير .و التبكيت : كالتقريع و اللائمه .و الوفور : مصدر وفر المال أى نما و زاد،و يروى موفوره .

المعنى

و مقصوده عليه السّلام بعد أن قدّم الدعاء على مصقله بيان خطأه فإنّه أشار إلى جهه الخطأ و هى جمعه بين أمرين متنافيين فى العرف:و هما فعل الساده و ذى المروّه و الحميّه حيث اشترى القوم و اعتقهم ،مع الفرار الّذى هو شيمه العبيد.ثمّ أكّد عليه السّلام ذلك بمثلين.

أحدهما :ما أنطق مادحه حتّى أسكته،و يفهم منه معنيان.

أحدهما:أن يكون حتّى بمعنى اللام:أى إنّه لم ينطق مادحه حتّى يقصد إسكاته بهربه فإنّ إسكات المادح لا يتصوّر قصده لو قصد إلّا بعد إنطاقه و هو لم يتمّم فعله

الّذى يطلب به إنطاق مادحه بمدحه من الكرم و الحميّه و الرقّه و نحوها،فكأنّه قصد إسكات مادحه بهروبه فأزوى عليه ذلک،و قال:إنّه لم ينطقه بمدحه فكيف يقصد إسكاته بهروبه،و إن كان العاقل لا يتصوّر منه قصد إسكات مادحه عن مدحه إلاّ أنّه لاختياره الهروب المستلزم لإسكات المادح صار كالقاصد له فنسب إليه.

الثانى:أن يكون المراد أنّه قد جمع بين غايتين متنافيتين:إنطاقه لمادحه بفداء للأسرى،مع إسكاته بهربه قبل تمام إنطاقه.و هو وصف له بسرعه إلحاقه لفضيلته برذيلته حتّى كأنّه قصد الجمع بينهما،و هذا كما تقول فى وصف سرعه تفرّق الأحباب عن اجتماعهم:ما اجتمعوا حتّى افترقوا:أى لسرعه افتراقهم كأنّ الدهر قد جمع لهم بين الاجتماع و الافتراق.

الثانى:قوله: و لا صدّق واصفه حتّى بكّته.

و المفهوم منه كالمفهوم من الّذى قبله.

قوله : و لو أقام .إلى آخره.

لمّا أشار إلى خطأه أردفه بما يصلح جوابا لما عساه يكون عذرا له لو اعتذر و هو توهّمه التشديد عليه فى أمر الباقى من المال حتّى كان ذلک الوهم سبب هزيمته،و فى بعض الروايات:لو أقام لأخذنا منه ما قدر عليه فإن أعسر أنظرناه فإن عجز لم نأخذ بشىء.و الأوّل هو المشهور.و باللّه التوفيق.

۴۴-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ- وَ لاَ مَخْلُوٍّ مِنْ نِعْمَتِهِ- وَ لاَ مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ- وَ لاَ مُسْتَنْكَفٍ عَنْ عِبَادَتِهِ- الَّذِى لاَ تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ- وَ لاَ تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ- وَ الدُّنْيَا دَارٌ مُنِىَ لَهَا الْفَنَاءُ- وَ لِأَهْلِهَا مِنْهَا الْجَلاَءُ- وَ هِىَ حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ- وَ قَدْ عَجِلَتْ لِلطَّالِبِ- وَ الْتَبَسَتْ بِقَلْبِ النَّاظِرِ- فَارْتَحِلُوا مِنْهَا

ص:۱۱۷

بِأَحْسَنِ مَا بِحَضْرَتِكَمْ مِنَ الزَّادِ- وَ لاَ تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ الْكَفَافِ- وَ لاَ تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلاَغِ أقول:هذا الفصل ملتقط من خطبه طويله له عليه السّلام خطب بها يوم الفطر.و هو غير متّسق بل بين قوله: نعمه ،و قوله: و الدنيا .فصل طويل.و هذه الخطبه تنتظم الفصل المتقدّم،و هو قوله :أمّا بعد فإنّ الدنيا قد أدبرت و هو فيها بعد هذا الفصل و لم نذكرها كراهه التطويل،و لنعد إلى الشرح فنقول:

اللغه

القنوط . اليأس .و الاستنكاف : الاستكبار .و منى لها :أى قدر .و الجلاء بالفتح و المدّ : الخروج عن الوطن .و التبست : امتزجت .و الكفاف : ما كفّ عن الناس أى أغنى عنهم من المال .و البلاغ : ما بلغ مدّه الحياه منه و كفى .

المعنى

و أعلم أنّه نبّه على استحقاق اللّه تعالى للحمد و دوامه باعتبار ملاحظه ستّه أحوال :

فأشار إلى الحاله الاولى بقوله: غير مقنوط من رحمته مقررّا لقوله تعالى «وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ» (۱)و لقوله «لا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ» (۲)و هذه الحال ممّا يشهد بإثباتها العقل إذ كان العبد عند أخذ العنايه الإلهيّه بضبعيه يعلم استناد جميع الموجودات كلّيها و جزئيّها إلى مدبّر حكيم،و أنّه ليس شيء منها خاليا عن حكمه فيستليح من ذلك أنّ ايجاده له و أخذ العهد إليه بالعباده ليس إلاّ لينجذب إلى موطنه الأصليّ و مبدئه الأوّلى بالتوحيد المحقّق و الحمد المطلق عن نار اجّجت و جحيم سعّرت، «وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ» ،ف «لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللّهِ» عند نزول أمر واجب النزول به ممّا يعدّه شرّا بل يكون برجائه أوثق و قلبه بشموله العنايه له أعلق ف «إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللّهِ إِلاّ» الّذين عميت أبصار بصائرهم عن أسرار اللّه،فهم «فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ» «وَ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ» .

و أشار إلى الحاله الثانيه بقوله : و لا مخلوّ من نعمته .تقريرا لقوله تعالى «وَ ما بِكُمْ مِنْ نِعْمَهٍ» فسبوغ نعمته دائم لآثار قدرته الّتى استلزمت طبائعها الحاجه إليه فوجب لها

۱- ۱) ۵۵-۷

۲- ۲) ۸۷-۱۲

فیض جوده فاستلزم ذلک وجوب تصریحها بلسان حالها و مقالها بالثناء المطلق علیه و دوام الشکر له «وَ إِنْ مِنْ شَیْءٍ إِلاّ یُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لکِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِیحَهُمْ» .

و أشار إلی الحاله الثالثه بقوله : و لا مأیوس من مغفرته .تقریرا لقوله تعالی «یا عِبادِیَ الَّذِینَ أَسْرَفُوا عَلی أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَهِ اللّهِ» (۱)الآیه و هی شهاده بشمول ستره و جمیل عفوه و غفره لمن جذبت بعقله أیدی شیاطینه لتحطّه إلی مهاوی الهلاک فعجز عن مقاومتها بعد أن کانت له مسکه بجناب اللّه فضعفت تلک المسکه عن أن تکون منجاه له حال مجاذبته لهواه و إن کان ذلک الغفران متفاوتا بحسب قوّه تلک المسکه و ضعفها،و العقل ممّا یؤیّد ذلک و یحکم بصحّه هذه الشهاده فإنّ کلّ ذی علاقه بجناب اللّه سیخلص من العقاب و إن بعد خلاصه علی ما نطق به البرهان فی موضعه، و ذلک یستلزم الاعتراف بالإحسان و دوام الثناء و الحمد.

ثمّ أشار إلی الرابعه بقوله : و لا مستنکف عن عبادته تقریرا لقوله تعالی لا یستنکفون عن عبادته و لا یستکبرون!! و قوله «لَنْ یَسْتَنْکِفَ الْمَسِیحُ أَنْ یَکُونَ عَبْداً لِلّهِ وَ لاَ الْمَلائِکَهُ الْمُقَرَّبُونَ» الآیه و کونه تعالی غیر مستنکف عن عبادته شاهد عظیم علی کمال عظمته و أنّه المستحقّ للعباده دون ما عداه إذ هو المجتمع للکمال المطلق فلا جهه نقصان فیه إلیها یشار فیکون سببا للاستنکاف و الاستکبار.و غیر،مع محالّ السلوب الثلاثه بعدها منصوبات علی الحال.

و قوله : الّذی لا تبرح فیه رحمه و لا تفقد له نعمه.

اعتباران آخران یستلزمان فی ملاحظتهما وجوب شکره تعالی.و نبّه بقوله:

لا تبرح علی دوام رحمه اللّه لعباده ،و قوله: لا تفقد له نعمه کقوله: و لا مخلوّ من نعمته ،ثمّ أعقب ذلک بالتنبیه علی معایب الدنیا للتنفیر عنها فذکر وجوب الفناء لها ثمّ حذّر بذکر العیب الأکبر لها الّذی ترغب مع ذکره و ملاحظته من له أدنی بصیره عن الرکون إلیها و محبّه قیناتها و هو مفارقتها الواجبه و الجلاء عنها،ثمّ أردف ذلک بذکر جهتین من جهات المیل إلیها :

۱- ۱) ۳۹-۵۴

إحداهما منسوبه إلى القوّه الذائقه و هى حلاوتها،و الاخرى إلى القوّه الباصره و هى خضرتها. مجاز بالكنايه و إطلاق لفظيهما مجاز كنّى به عن جهات الميل إليها من باب إطلاق لفظ الجزء على الكلّ .و ايراده لهذين الوصفين اللذين هما و صفا مدح فى معرض ذمّها كتقدير اعتراض على ذمّها لغرض أن يجيب عنه،و لهذا عقّب ذكرهما بما يصلح جوابا و بيّنه على ما يصرف عن الميل إليها من هاتين الجهتين و هو كونها معجّله للطالب.إذ كان من شأن المعجّل أن ينتفع به فى حال تعجيله دون ما بعده خصوصا فى حقّ من أحبّ ذلك المعجّل و لم يلتفت إلى ما سواه.و الدنيا كذلك كما أشار إليه بقوله : و التبست بقلب الناظر ، و إنّما خصّ الناظر لتقدّم ذكر الخضره الّتى هى من حظّ النظر فمن عجّلت له منحه و التبست بقلبه و كان لا بدّ من مفارقتها لم ينتفع بما بعدها بل بقى فى عذاب الفراق منكوسا و فى ظلمه الوحشه محبوسا،و إليه أشار التنزيل الإلهىّ «مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعاجِلَهَ عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها مَذْمُوماً مَدْحُوراً» (1)ثمّ لمّا نبّه على معايبها أمر بالارتحال عنها و لم يأمر به مطلقا بل لا بدّ معه من استصحاب أحسن الأزواد إذ كانت الطريق المأمور بسلوكها فى غايه الوعاره مع طولها و قصر المدّه الّتى يتّخذ فيها الزاد فلا ينفع إذن إلاّ التقوى الأبقى الّذى لا يتطرّق إليه فناء.و لا تفهمن-أعدّك اللّه لافاضه رحمته-من هذا الارتحال الحسّى الحاصل لك من بعضها إلى بعض،و لا من الزاد المأكول الحيوانىّ فإنّ أحسن ما يحضرنا منه ربّما كان منهيّا عنه،بل المأمور به ارتحال آخر يتبيّنه من تصوّر سلوك طريق الآخره.فإنّك لمّا علمت أنّ الغايه من التكاليف البشريّه هى الوصول إلى حضره اللّه و مشاهده جلال كبريائه علمت من ذلك أنّ الطريق إلى هذا المطلوب هى آثار جوده و شواهد آلائه و أنّ القاطع لمراحل تلك الطريق و منازلها هو قدم عقلك مقتديا بأعلامها الواضحه كلّما نزل منها منزلا أعدّته المعرفه به لاستلاحه أعلام منزل آخر أعلى و أكرم منه كما قال تعالى «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ» إلى أن يستقرّ «فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ» ،و إذا تصوّرت معنى الارتحال و قد علمت أنّ لكلّ ارتحال و سفر زادا علمت أنّ أكرم الزاد و أحسنه فى هذا الطريق

---

1) 1- 19-17

ليس إلاّ التقوى و الأعمال الصالحه الّتى هى غذاء للعقول و مادّه حياتها،و إليه الإشاره بقوله «وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوى» و أشار بقوله: ما بحضرتكم .إلى ما يمكننا أن نأتى به من الأعمال الصالحه فى حياتنا الدنيا،ثمّ عقّب الأمر باتّخاذ الزاد بالنهى عن طلب الزياده على ما يقوّم به صوره البدن من متاع الدنيا إذ كان البدن بمنزله مركوب تقطع به النفس مراحل طريقها فالزياده على المحتاج إليه ممّا يحوج الراكب إلى الاهتمام به و العنايه بحفظه المستلزم لمحبّته.و كلّ ذلك مثقل للظهر و مشغل عن الجهه المقصوده.

و ذلك معنى قوله : و لا تسألوا منها فوق الكفاف،و لا تطلبوا منها أكثر من البلاغ، و لا تمدّن أعينكم فيها إلى ما متّع المترفون فتقصروا فى الرحيل و تشغلوا بطلب مثل ما شاهدتم، و باللّه التوفيق.

۴۵-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

عند عزمه على المسير إلى الشام

اَللَّهُمَّ إِنِّی أَعُوذُ بِکَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ- وَ کَآبَهِ الْمُنْقَلَبِ وَ سُوءِ الْمَنْظَرِ- فِی الْأَهْلِ وَ الْمَالِ وَ الْوَلَدِ- اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِی السَّفَرِ- وَ أَنْتَ الْخَلِیفَهُ فِی الْأَهْلِ- وَ لاَ یَجْمَعُهُمَا غَیْرُکَ- لِأَنَّ الْمُسْتَخْلَفَ لاَ یَکُونُ مُسْتَصْحَباً- وَ الْمُسْتَصْحَبُ لاَ یَکُونُ مُسْتَخْلَفاً
أقول:روى:أنّه عليه السّلام دعا هذا الدعاء عند وضعه رجله فى الركاب متوجّها إلى حرب معاويه.

اللغه

و وعثاء السفر مشقّته،و أصله المكان ب لكثره رمله،و غوص الأرجل فيه .

و الكابه : الحزن .

المعنى

يشتمل هذا الفصل على اللجأ إلى اللّه فى خلاص طريقه المتوجّه فيها بدءا و عودا

ص:۱۲۱

من الموانع الصارفه عن تمام المقصود،و فی سلامه الأحوال المهمّه الّتی تتعلّق النفس بها عن المشتغلات البدنیّه المعوّقه عن عباده اللّه.و أعظمها أحوال النفس،ثمّ ما یصحبها من أهل و مال و ولد .ثمّ عقّب ذلک بالإقرار بشمول عنایته و جمیل رعایته و صحبته تقریرا لقوله تعالی «وَ هُوَ مَعَکُمْ أَیْنَ ما کُنْتُمْ» إذ شأن الصاحب العنایه بامور صاحبه،و شأن الخلیفه علی الشیء العنایه بذلک و حفظه ممّا یوجب له ضررا،و استلزم جمعه له بین هذین الحکمین و هما الخلافه و الاستصحاب بقوله : و لا یجمعهما غیرک .کونه تعالی بریئا عن الجهه و الجسمیّه إذ کان اجتماعهما ممتنعا للأجسام.إذ لا یکون جسم مستصحبا مستخلفا فی حال واحد، و أکّد ذلک و بیّنه بقوله : لأنّ المستخلف لا یکون مستصحبا،و المستصحب لا یکون مستخلفا فإن قلت:هذا الحصر إنّما یتمّ لو قلنا:إنّ کلّ ما لیس بذی جهه هو واجب الوجود.و هذا مذهب خاصّ.فما وجه صحّته مطلقا؟.

قلت:الحصر صادق علی کلّ تقدیر فإنّه علی تقدیر ثبوت امور مجرّده عن الجسمیّه و الجهه سوی الحقّ سبحانه فالمستحقّ للجمع بین هذین الأمرین بالذات و الأولی هو اللّه تعالی،و ما سواه فبالعرض.فیحمل الحصر علی ذلک الاستحقاق.

و لنبحث عن فایده الدعاء و سبب إجابته فإنّه ربما تعرض لبعض الأذهان شبهه فیقول:

إمّا أن یکون المطلوب بالدعاء معاوم الوقوع للّه أو معلوم اللاوقوع.و علی التقدیرین لا فایده فی الدعاء لأنّ ما علم اللّه وقوعه وجب و ما علم عدمه امتنع.فنقول فی الجواب عن هذا الوهم:إنّ کلّ کاین فاسد موقوف فی کونه و فساده علی شرائط توجد و أسباب تعدّ لأحدهما لا یمکن بدونها کما علمت ذلک فی مظانّه.و إذا جاز ذلک فلعلّ الدعاء من شرائط ما یطلب به.و هما و إن کانا معلومی الوقوع للّه و هو سببهما و علّتهما الاولی إلاّ أنّه هو الّذی ربط أحدهما بالآخر فجعل سبب وجود ذلک الشیء الدعاء کما جعل سبب صحّه المریض شرب الدواء و ما لم یشرب الدواء لم یصحّ.و أمّا سبب إجابته فقال العلماء:هو توافی الأسباب.و هو أن یتوافی سبب دعاء رجل مثلا فیما یدعو فیه و سایر أسباب وجود ذلک الشیء معا عن الباری تعالی،لحکمه إلهیّه علی ما قدّر و قضی.ثمّ الدعاء واجب،و توقّع الإجابه واجب.فإنّ انبعاثنا للدعاء سببه من هناک و یصیر

دعانا سببا للإجابه.و موافاه الدعاء لحدوث الأمر المدعوّ لأجله هما معلولا علّه واحده، و قد يكون أحدهما بواسطه الآخر،و قد يتوهّم أنّ السماويّات تنفعل عن الأرضيّه، و ذلك أنّا ندعو فيستجاب لنا.و ذلك باطل لأنّ المعلول لا يفعل فى علّته البتّه.و إذا لم يستجب الدعاء لداع و إن كان يرى أنّ العايه الّتى يدعو لأجابتها نافعه فالسبب فى عدم الإجابه أنّ الغايه النافعه ربّما لا تكون نافعه بحسب مراده بل بحسب نظام الكلّ فلذلك تتأخّر إجابه دعائه أو لا يستجاب له،و بالجمله يكون عدم الإجابه لفوات شرط من شروط ذلك المطلوب حال الدعاء.

و أعلم أنّ النفس الزكيّه عند الدعاء قد يفيض عليها من الأوّل قوّه تصير بها مؤثّره فى العناصر فتطاوعها متصرّفه على إرادتها فيكون ذلك إجابه للدعاء فإنّ العناصر موضوعه لفعل.النفس فيها.و اعتبار ذلك فى أبداننا فإنّا ربّما تخيّلنا شيئا فتتغيّر أبداننا بحسب ما يقتضيه أحوال نفوسنا و تخيّلاتها،و قد يمكن أن تؤثّر النفس فى غير بدنها كما تؤثّر فى بدنها،و قد تؤثّر فى نفس غيرها،و قد أشرنا إلى ذلك فى المقدّمات.

و قد يستجيب اللّه لتلك النفس إذا دعت فيما تدعو فيه إذا كانت الغايه الّتى تطلبها بالدعاء نافعه بحسب نظام الكلّ،و باللّه التوفيق.

۴۶-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

فى ذكر الكوفه

كَأَنِّى بِكِ يَا؟كُوفَهُ؟ تُمَدِّينَ مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاظِيِّ- تُعْرَكِينَ بِالنَّوَازِلِ- وَ تُرْكَبِينَ بِالزَّلاَزِلِ- وَ إِنِّى لَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكِ جَبَّارٌ سُوءاً- إِلاَّ ابْتَلاَهُ اللَّهُ بِشَاغِلٍ وَ رَمَاهُ بِقَاتِلٍ

اللغه

أقول: عكاظ بالضمّ : اسم موضع بناحيه مكّه كانت العرب تجتمع به فى كلّ

سنه و يقيمون به سوقا مدّه شهر،و يتبايعون و يتناشدون الأشعار،و يتفاخرون.و فى ذلك قول أبى ذويب:

إذا بنى القباب على عكاظ و قام البيع و اجتمع الالوف.

فلمّـا جاء الإسلام رفع ذلك،و أديم عكاظىّ منسوب إليها لكثره ما كان يباع منه بها .و الأديم : واحد و جمعه أدم،و ربّما جمع على آدمه كرغيف و أرغفه .و العرک .

الدلک .و النوازل : المصائب

المعنى

و الخطاب هنا لشاهد حال المدينه الّتى هى الكوفه.و بک هو خبر كأنّ،و تمدّين و تعركين و تركبين فى موضع النصب على الحال،و تقدير الخطاب كأنّى حاضر بک و مشاهد لحالک المستقبله حال تجاذب أيدى الظالمين لأهلک بأنواع الظلم،و هو المكنّى عنه بمدّها.و شبّه ذلک بمدّ الأديم،و وجه الشبه شدّه ما يقع بهم من الظلم و البلاء كما أنّ الأديم مستحكم الدباغ يكون شديد المدّ. استعاره بالكنايه و استعار العرک ملاحظه لذلک الشبه،و لفظ الركوب ملاحظه لشبهها بشقىّ المطايا و كذلک لفظ الزلازل ملاحظه لشبهها فيما يقع لهم من الظلم الموجب لاضطراب الحال بالأرض ذات الزلازل .ثمّ أشار إلى مشاهده ثانيه لما يقع لمن أراد بهم سوء و أوقع بهم ما أوقع من البلاء فأشار إلى كونهم جبابره ثمّ إلى ابتلاء اللّه بعضهم بشاغل فى نفسه عمّا يريد من سوء أو يهمّ به من حادث خراب و رمى بعضهم بقاتل.فأمّـا المصائب الّتى ابتلى بها أهل الكوفه و النوازل الّتى عركوا بها فكثيره مشهوره فى كتب التواريخ،و أمّـا الجبابره الّتى أرادوا بها سوءا و طغوا فيها «فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّکَ سَوْطَ عَذابٍ» و أخذهم «بِذُنُوبِهِمْ وَ ما كانَ لَهُمْ مِنَ اللّهِ مِنْ واقٍ» فجماعه فممّن ابتلى بشاغل فيها زياد.روى أنّه كان قد جمع الناس فى المسجد ليأمرهم بسبّ علىّ عليه السّلام و البراءه منه و يبتليهم بذلک فيقتل من يعصيه فيه فبيناهم مجتمعين إذ خرج حاجبه فأمرهم بالانصراف،و قال:إنّ الأمير مشغول عنكم و كان فى تلک الساعه قد رمى(أصاب خ)بالفالج،و منهم ابنه عبد اللّه و قد أصابه الجذام،و منهم الحجّاج.و قد تولّدت فى بطنه الحيّات و احترق دبره حتّى هلک،و منهم عمرو بن هبيره و ابنه يوسف و قد أصابهما البرص،و منهم خالد القسرىّ و قد ضرب و حبس حتّى مات جوعا،و أمّا الّذين رماهم اللّه بقاتل فعبيد اللّه بن زياد،

و مصعب بن الزبير،و المختار بن أبى عبيده الثقفىّ،و يزيد بن المهلّب.و أحوالهم مشهوره من رامها طالع التاريخ.

۴۷-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

عند المسير إلى الشام

اَلْحَمْـدُ لِلَّهِ كُلَّمـا وَقَبَ لَيْـلٌ وَ غَسَقَ- وَ الْحَمْـدُ لِلَّهِ كُلَّمَا لاَحَ نَجْمٌ وَ خَفَقَ- وَ الْحَمْـدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَفْقُودِ الْإِنْعَامِ وَ لاَ مُكَافَإِ الْإِفْضَالِ- أَمَّا بَعْـدُ فَقَـدْ بَعَثْتُ مُقَـدِّمَتِى- وَ أَمَرْتُهُمْ بِلُزُومِ هَـذَا الْمِلْطَاطِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِى- وَ قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَقْطَعَ هَذِهِ النُّطْفَهَ إِلَى شِـرْذِمَهٍ مِنْكُمْ- مُوَطِّنِينَ أَكْنَـافَ دِجْلَـهَ- فَأُنْهِضَـهُمْ مَعَكُمْ إِلَى عَـدُوِّكُمْ- وَ أَجْعَلَهُمْ مِنْ أَمْـدَادِ الْقُوَّهِ لَكُمْ قـال الشـريف:أقـول:يعنى عليه السّلام بالملطـاط السـمت الـذى أمرهم بنزوله و هو شـاطى الفرات،و يقـال ذلـك الشاطىء البحر،و أصـله ما اسـتوى من الأرض.و يعنى بالنطفه ماء الفرات.و هو من غريب العبارات و أعجبها أقول:روى أنّ هذه الخطبه خطب بها عليه السّلام و هو بالنخيله خارجا من الكوفه متوجّها إلى صفّين لخمس بقين من شوال سنه سبع ثلاثين

اللغه

وقب الليل : دخل .و غسق : أظلم .و خفق النجم : غاب .و مقدّمه الجيش:

أوّله .و الشرذمه : النفر اليسير .و الأكناف : النواحى . وطن البقعه و استوطنها :

اتّخذها وطنا .و الأمداد : جمع مدد،و هو ما يمدّ به الجيش من الجند .

المعنى

و اعلـم أنّه قيّـد حمـد اللّه باعتبـار تكرّر وقـتين و دوام حـالين.و المقصـود و إن كـان دوام الحمـد للّه إلاّ أنّ فى التقييـد بـالقيود المذكوره فوايد :

الأوّل:قوله: كلّما وقب ليل و غسق .فيه تنبيه على كمال قدره اللّه تعالى فى تعاقب الليل و النهار و استحقاقه دوام الحمد بما يلزم ذلك من ضروب الامتنان .

الثاني:قوله: كلّما لاح نجم و خفق .فيه تنبيه على ما يلزم طلوع الكواكب و غروبها من الحكمه و كمال النعمه كما سبقت الإشاره إليه .

الثالث: الحمد لله حال كونه غير مفقود الإنعام .و قد تكرّرت الإشاره إلى فائده هذا القيد .

الرابع:كونه غير مكافىء الإفضال.و فايدته التنبيه على أنّ إفضاله لا يمكن أن يقابل بجزاء.إذ كانت القدره على الحمد و الثناء نعمه ثانيه.و قد سبق بيان ذلك أيضا .

فأمّا قوله: أمّا بعد .إلى آخره.

فخلاصته أنّه عليه السّلام لمّا أراد التوجّه إلى صفّين بعث زياد بن النصر و شريح بن هانى فى اثنى عشر ألف فارس مقدّمه له و أمرهم أن يلزموا شاطىء الفرات فأخذوا شاطئها من قبل البرّ ممّا يلى الكوفه حتّى بلغوا عانات.فذلك معنى أمره لهم بلزوم الملطاط و هو سمت شاطىء الفرات،و أمّا هو عليه السّلام فلمّا خرج من الكوفه انتهى إلى المدائن فحذّرهم و وعظهم ثمّ سار عنهم و خلّف عليهم عدىّ بن حاتم فاستخلص منهم ثمان مائه رجل فسار بهم و خلّف معهم ابنه زيدا فلحقه فى أربعمائه رجل منهم فذلك قوله : و قد رأيت[أردت خ]أن أقطع هذه النطفه :أى الفرات إلى شرذمه منكم موطنين أكناف دجله و هم أهل المدائن.فأمّا المقدّمه فإنّه لمّا بلغهم أنّه عليه السّلام ساق على طريق الجزيره و أنّ معاويه خرج فى جموعه لاستقباله كرهوا أن يلقوهم و بينهم و بين علىّ عليه السّلام الفرات مع قلّه عددهم فرجعوا حتّى عبروا الفرات من هيت و لحقوا به فصوّب آرائهم فى الرجوع إليه.و باقى الكلام ظاهر.

۴۸-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

«الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى» بَطَنَ خَفِيَّاتِ الْأَمُوُرِ- وَ دَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلاَمُ الظُّهُورِ-

ص:۱۲۶

وَ امْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ الْبَصِيرِ- فَلاَ عَيْنُ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ- وَ لاَ قَلْبُ مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ- سَبَقَ فِي الْعُلُوِّ فَلاَ شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ- وَ قَرُبَ فِي الدُّنُوِّ فَلاَ شَيْءَ أَقْرَبُ مِنْهُ- فَلاَ اسْتِعْلاَؤُهُ بَاعَدَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ- وَ لاَ قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ فِي الْمَكَانِ بِهِ- لَمْ يُطْلِعِ الْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ- وَ لَمْ يَحْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ- فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلاَمُ الْوُجُودِ- عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ- تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُهُ الْمُشَبِّهُونَ بِهِ- وَ الْجَاحِدُونَ لَهُ عُلُوّاً كَبِيراً

اللغه

أقول: يقال بطنت الوادى : دخلته .و بطنت الأمر : علمت باطنه

.و فى هذا الفصل

اشاره

مباحث جليله من العلم الإلهىّ و جمله من صفات الربوبيّه :

أوّلها:كونه تعالى بطن خفيّات الامور

و يفهم منه معنيان:

أحدهما:كونه داخلا فى جمله الامور الخفيّه،و لمّا كان بواطن الامور الخفيّه أخفى من ظواهرها كان المفهوم من كونها بطنها أنّه أخفى منها عند العقول.

الثانى:أن يكون المعنى أنّه نفذ علمه فى بواطن خفيّات الامور أمّا المعنى الأوّل فبرهانه أنّك علمت أنّ الإدراك إمّا حسىّ أو عقلىّ،و لمّا كان البارى تعالى مقدّسا عن الجسميّه منزّها عن الوضع و الجهه استحال أن يدركه شيء من الحواسّ الظاهره و الباطنه،و لمّا كانت ذاته بريئه عن أنحاء التركيب استحال أن يكون للعقل اطّلاع عليها بالكنه فخفاؤه إذن على جميع الإدراكات ظاهر،و كونه أخفى الامور الخفيّه واضح.

و أمّا الثانى:فقد سبق منّا بيان أنّه عالم الخفيّات و السرائر .

و ثانيها:كونه تعالى قد دلّت عليه أعلام الظهور

، استعاره بالكنايه و كنّى بأعلام الظهور عن آياته و آثاره فى العالم الدالّه على وجوده الظاهر فى كلّ صوره منها كما قال:

و فى كلّ شيء له آيه تدلّ على أنّه واحد.

و هى كنايه بالمستعار،و وجه المشابهه ما بينهما من الاشتراك فى الهدايه.و إلى هذا

الأعلام الإشاره بقوله تعالی «سَنُرِیهِمْ آیاتِنا فِی الْآفاقِ وَ فِی أَنْفُسِهِمْ حَتّی یَتَبَیَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ» (۱).

و أعلم أنّ هذا الطریق من الاستدلال هی طریق الملّیین و سائر فرق المتکلّمین فإنّهم یستدلّون أوّلا علی حدوث الأجسام و الأعراض،ثمّ یستدلّون بحدوثها و تغیّراتها علی وجود الخالق،ثمّ بالنظر فی أحوال المخلوقات علی صفاته واحده واحده.مثلا بإحکامها و إتقانها علی کون فاعلها عالما حکیما.و بتخصیص بعضها بأمر لیس للآخر علی کونه مریدا.و نحو ذلک،و کذلک الحکماء الطبیّعیّون یستدلّون أیضا بوجود الحرکه علی محرّک،و بامتناع اتّصال المتحرّکات لا إلی أوّل علی وجود محرّک أوّل غیر متحرّک،ثمّ یستدلّون من ذلک علی وجود مبدء أوّل،و أمّا الإلهیّون فلهم فی الاستدلال طریق آخر و هو أنّهم ینظرون أوّلا فی مطلق الوجود أ هو واجب أو ممکن،و یستدلّون من ذلک علی إثبات واجب،ثمّ بالنظر فی لوازم الوجوب من الوحده الحقیقیّه علی نفی الکثره بوجه ما المستلزمه لعدم الجسمیّه و العرضیّه و الجهه و غیرها،ثمّ یستدلّون بصفاته علی علی کیفیّه صدور أفعاله عنه واحدا بعد آخر،و ظاهر أنّ هذا الطریق أجلّ و أشرف من الطریق الاولی،و ذلک لأنّ الاستدلال بالعلّه علی المعلول أولی البراهین بإعطاء الیقین لکون العلم بالعلّه المعیّنه مستلزما للعلم بالمعلول المعیّن من غیر عکس.و لمّا کان صدر الآیه المذکوره إشاره إلی الطریقه الاولی فتمامها إشاره إلی هذه الطریقه و هو قوله تعالی «أَ وَ لَمْ یَکْفِ بِرَبِّکَ أَنَّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ شَهِیدٌ» قال بعض العلماء:و إنّه طریق الصدّیقین الّذین یستشهدون به لا علیه:أی یستدلّون بوجوده علی وجود کلّ شیء إذ هو منه،و لا یستدلّون علیه بوجود شیء،بل هو أظهر وجودا من کلّ شیء فإن خفی مع ظهوره فلشدّه ظهوره،و ظهوره سبب بطونه،و نوره هو حجاب نوره إذ کلّ ذرّه من ذرّات مبدعاته و مکوّناته فلها عدّه ألسنه تشهد بوجوده و بالحاجه إلی تدبیره و قدرته.

لا یخالف شیء من الموجودات شیئا فی تلک الشهادات و لا یتخصّص أحدها بعدم الحاجات، و قد ضرب العلماء الشمس مثلا لنوره فی شدّه ظهوره فقالوا:إنّ أظهر الإدراکات الّتی

۱- ۱) ۴۱-۵۳

يساعد عليها الوهم إدراكات الحواسّ،و أظهرها إدراك البصر و أظهر مدرك للبصر نور الشمس المشرق على الأجسام،و قد اشكل ذلك على جماعه حتّى قالوا:الأشياء الملوّنه ليس فيها إلاّ ألوانها فقط من سواد و نحوه فأمّا أنّ فيها مع ذلك ضوء يقارن اللون فلا.

فإذن اريد تنبيه هؤلاء على سهوهم.فطريقه التنبيه بالتفرقه الّتى يجدونها بين غيبه الشمس بالليل و احتجابها عن الملوّنات،و بين حضورها بالنهار و إشراقها عليها مع بقاء الألوان فى الحالين.فإنّ التفرقه بين المستضىء بها و بين المظلم المحجوب عنها جليّه ظاهره فيعرف وجود النور إذن بعدمه.و لو فرضت الشمس دائمه الإشراق على الجسم الملوّن لا تغيب عنه لتعذّر على هؤلاء معرفه كون النور شيئا موجودا زايدا على الألوان مع أنّه أظهر الأشياء و به ظهورها،و لو تصوّر للّه تعالى و تقدّس عدم أو غيبه لانهدمت السماوات و الأرض،و كلّ ما انقطع نوره عنه لادركت التفرقه بين الحالين و علم وجوده قطعا،و لكن لمّا كانت الأشياء كلّها فى الشهاده به متّفقه،و الأحوال كلّها على نسق واحد مطّرده متّسقه كان ذلك سببا لخفائه.فسبحان من احتجب عن الخلق بنوره و خفى عليهم بشدّه ظهوره .

ثالثها:إشاره إلى سلوب توجب ملاحظه تركيبها تعظيمه تعالى.

أحدها:كونه ممتنعا على عين البصير:أى لا يصحّ أن يدرك بحاسّه البصر.

و صدق هذا السلب ظاهر بدليل.هكذا البارى تعالى هو غير جسم و غير ذى وضع، و كلّ ما كان كذلك فيمتنع رؤيته بحاسّه البصر فينتج أنّه تعالى ممتنع الرؤيه بحاسّه البصر.و المقدّمه الاولى استدلاليّه،و الثانيه ضروريّه،و ربّما استدلّ عليها.و المسأله مستقصاه فى الكلام.و إلى ذلك أشار القرآن الكريم «لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ» (۱)و ثانيها:قوله : فلا عين من لم يره تنكره :أى إنّه سبحانه مع كون البصر لا يدركه بحاسّه بصره لا ينكره من جهه أنّه لا يبصره.إذ كانت فطرته شاهده بظهور وجوده فى جميع آثاره و مع ذلك ليس له سبيل إلى إنكاره من جهه عدم إبصاره إذ كان حظّ العين

۱- (۱) ۶-۱۰۳

أن يدرك بها ما صحّ إدراكه.فأمّا أن ينفى بها ما لا يدرك من جهتها فلا.

و ثالثها:قوله: و لا قلب من أثبته يبصره :أى من أثبته مع كونه مثبتا له بقلب لا يبصره،و إنّما أكّد عليه السّلام بهذين السلبين الأخيرين لأنّهما يشتملان عند الوهم فى مبدء سماعها على منافات و كذب إلى أن يقهره العقل على التصديق بهما فكأنّ الوهم يقول فى جواب قوله: فلا عين من لم يره تنكره :كيف لا تنكر العين شيئا لا تراه،و فى جواب السلب الثانى:كيف يثبت بالقلب ما لم يبصر.فلمّا كان فى صدق هذين السلبين إزعاج لأوهام السامعين مفرغ لهم إلى ملاحظه جلال اللّه و تنزيهه و عظمته عمّا لا يجوز عليه كان ذكرهما من أحسن الذكر،و يحتمل أن يريد بقوله: و لا قلب من أثبته يبصره :أى إنّه و إن أثبته من جهه وجوده فيستحيل أن يحيط به علما .

و رابعها:كونه تعالى قد سبق فى العلوّ فلا شىء أعلى منه،

و تقريره أنّ العلوّ يقال بالاشتراك على معان ثلاثه:

الأوّل:العلوّ الحسّى المكانىّ كارتفاع بعض الأجسام على بعض.

الثانى:العلوّ التخيّلى كما يقال للملك الإنسانىّ:إنّه أعلى الناس:أى أعلاهم فى الرتبه المتخيّله كمالا.

الثالث:العلوّ العقلىّ كما يقال فى بعض الكمالات العقليّه الّتى بعضها أعلى من بعض،و كما يقال:السبب أعلى من المسبّب.

إذا عرفت ذلك فنقول:يستحيل أن يكون علوّه تعالى بالمعنى الأوّل لاستحاله كونه فى المكان،و يستحيل أن يكون بالمعنى الثانى لتنزّهه سبحانه عن الكمالات الخياليّه الّتى يصدق بها العلوّ الخيالىّ إذ هى كمالات إضافيّه تتغيّر و تتبدّل بحسب الأشخاص و الأوقات،و قد يكون كمالات عند بعض الناس و نقصانات عند آخرين كدول الدنيا بالنسبه إلى العالم الزاهد،و يتطرّق إليه الزياده و النقصان و لا شىء من كمال الأوّل الواجب سبحانه كذلك لتنزّهه عن النقصان و التغيّر بوجه ما.فبقى أن يكون علوّه علوّا عقليّا مطلقا بمعنى أنّه لا رتبه فوق رتبته بل جميع المراتب العقليّه منحطّه عنه.و بيان ذلك أنّ أعلى مراتب الكمال العقلىّ هو مرتبه العلّيّه،و لمّا كانت

ذاته المقدّسه هى مبدء كلّ موجود حسّى و عقلىّ و علّته التامّه المطلقه لا يتصوّر النقصان فيها بوجه ما لا جرم كانت مرتبته أعلى المراتب العقليّه مطلقا،و له الفوق المطلق فى الوجود العارى عن الإضافه إلى شىء و عن إمكان أن يكون فوقه ما هو أعلى منه.و ذلك معنى قوله: سبق فى العلوّ فلا شىء أعلى منه ،فسبقه فى علوّه تفرّده فى العلوّ المطلق و فواته لغيره أن يلحقه فيه .

و خامسها:قربه فى الدنوّ فلا شىء أدنى منه

.و قد أورد عليه السّلام القرب هاهنا مقابلا للبعد اللازم عن السبق فى العلوّ فإنّه مستلزم للبعد عن الغير فيه،و أورد الدنوّ مقابلا للعلوّ،و كما علمت أنّ العلوّ يقال على المعانى الثلاثه المذكوره بحسب الاشتراك فكذلك الدنوّ يقال على معان ثلاثه مقابله لها.فيقال مكان فلان أدنى من مكان فلان إذا كان أسفل منه.و إن كان يقال بمعنى القرب أيضا،و يقال رتبه الملك الفلانىّ أدنى من رتبه السلطان الفلانىّ إذا كان فى مرتبته أقلّ منه،و يقال رتبه المعلول أدنى من رتبه علّته.

و يقال على معنى رابع فيقال فلان أدنى إلى فلان و أقرب إليه إذا كان خصّيصا به مطّلعا على أحواله أكثر من غيره،و البارى تعالى منزّه عن أن يراد بدنوّه أحد المفهومات الثلاثه الاول بل المراد هو المفهوم الرابع فقربه فى دنوّه إذن بحسب علمه الّذى «لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ» «فِي الْأَرْضِ وَ لا فِي السَّماءِ وَ لا أَصْغَرَ مِنْ ذلِكَ وَ لا أَكْبَرَ» ،و بهذا الاعتبار هو أقرب كلّ قريب و أدنى كلّ دانى كما قال تعالى «وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ» و هو أدنى إلى العبد من نفسه إذ نفس كلّ إنسان لا تعرف نفسها،و هو سبحانه العالم بها الموجد لها فهو إذن القريب فى دنوّه الّذى لا شىء أقرب منه،و إنّما أورده بلفظ الدنوّ لتحصل المقابله فتنزعج النفوس السليمه عند إنكار الوهم لاجتماع القرب و البعد و العلوّ و الدنوّ فى شىء واحد إلى توهّم[تفهّم خ]،المقاصد بها و تطّلع على عظمه الحقّ سبحانه منها.

و قوله : فلا استعلاؤه باعده من شىء من خلقه،و لا قربه ساواهم فى المكان به.

تأكيد لردّ الأحكام الوهميّه بالأحكام العقليّه فإنّ الوهم يحكم بأنّ ما استعلى على الأشياء كان بعده عنها بقدر علوّه عليها.و ما قرب منها فقد ساواها فى أمكنتها،

و ذلک لکونه مقصورا لحکم علی المحسوسات،و نحن لمّا بیّنا أنّ علوّه علی خلقه و قربه منهم لیس علوّا و قربا مکانیّین بل بمعان اخری لا جرم لم یکن استعلاؤه بذلک المعنی علی مخلوقاته مباعدا له عن شیء منها و لم یکن منافیا لقربه بالمعنی الّذی ذکرناه بل کان الاستعلاء و القرب مجتمعین له،و لم یکن قربه منها أیضا موجبا لمساواته لها فی المکان عنادا للوهم و ردّا لأحکامه الفاسده فی صفات الجلال و نعوت الکمال .

و سادسها:کونه لم تطّلع العقول علی تحدید صفته و لم یحجبها عن واجب

معرفته.

و یفهم من صفته معنیان:أحدهما شرح حقیقه ذاته،و الثانی شرح ما لها من صفات الکمال المطلق.و ظاهر أنّ العقول لم تطّلع علی حصر صفته و تحدیدها بالمعنی الأوّل إذ لا حدّ لحقیقته،و لا بالمعنی الثانی أیضا إذ لیس لما یعتبره العقول من کماله سبحانه نهایه یقف عندها فتکون حدّا له،و أمّا أنّه سبحانه مع ذلک لم یحجبها عن و أحب معرفته فلأنّه تعالی وهب لکلّ نفس قسطا من معرفته هو الواجب لها بحسب استعدادها لقبوله حتّی نفوس الجاحدین له فإنّها أیضا معترفه بوجوده لشهاده أعلام الوجود و آیات الصنع له علی نفس کلّ جاحد بصدورها عنه بحیث یحکم صریح عقلها و بدیهتها بالحاجه لما یشاهده من تلک الآیات إلی صانع حکیم فهو الّذی تشهد له أعلام الوجود علی إقرار قلب کلّ من جحده بأنّ جحده له إنّما هو رأی اتّبع فیه وهمه مع إقرار قلبه بالتصدیق به و شهاده آیات الصنع و شواهد الآثار علی صحّه ذلک الإقرار.

و اعلم أنّ الجحود علی نوعین:أحدهما جحود تشبیه إذا المشبّهون للّه بخلقه و إن اختلفوا فی کیفیّه التشبیه بأسرهم جاحدون له فی الحقیقه.و ذلک أنّ المعنی الّذی یتصوّرونه و یبتّتونه إلها لیس هو نفس الإله مع أنّهم ینفون ما سوی ذلک فکانوا نافین للإله الحقّ فی المعنی الّذی یتصوّرونه،و الثانی جحود من لم یثبت صانعا.و کلا الفریقین جاحد له من وجه،مثبت له من وجه.أمّا المشبّهون فمثبتون له صریحا جاحدون له لزوما،و أمّا الآخرون فبالعکس إذ کانوا جاحدین له صریحا من الجهه الّتی تثبته العقلاء بها و مقرّون به التزاما و اضطرارا،و لذلک نزّهه علیه السّلام علی أحوال الفریقین فقال علیه السّلام :تعالی اللّه عمّا یقول المشبّهون به و الجاحدون له علوّا کبیرا ،و حکی أنّ زندیقا دخل علی

الصادق جعفر بن محمّد علیهما السّلام فسأله عن دلیل إثبات الصانع فأعرض علیه السّلام عنه،ثمّ التفت إلیه،و سأله من أین أقبلت و ما قصّتک.فقال الزندیق:إنّی کنت مسافرا فی البحر فعصفت علینا الریح ذات یوم و تلعّبت بنا الأمواج من کلّ جانب فانکسرت سفینتنا فتعلّقت بخشبه منها و لم تزل الأمواج تقلّبها حتّی قذفت بها إلی الساحل و سلمت علیها.فقال له علیه السّلام:أرأیت الّذی کان قلبک إذا تکسّرت السفینه و تلاطمت علیکم أمواج البحر فزعا إلیه مخلصا فی التضرّع له طالبا للنجاه منه فهو إلهک،فاعترف الزندیق بذلک و حسن اعتقاده.و بالجمله فاتّفاق العقول علی الشهاده بوجود الصانع سبحانه أمر ظاهر و إن خالطها غواشی الأوهام و إلیه الإشاره بقوله «وَ إِذا مَسَّکُمُ الضُّرُّ فِی الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاّ إِیّاهُ فَلَمّا نَجّاکُمْ إِلَی الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَ کانَ الْإِنْسانُ کَفُوراً» (۱)و قوله تعالی «حَتّی إِذا کُنْتُمْ فِی الْفُلْکِ وَ جَرَیْنَ بِهِمْ بِرِیحٍ طَیِّبَهٍ وَ فَرِحُوا بِها جاءَتْها رِیحٌ عاصِفٌ وَ جاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ کُلِّ مَکانٍ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِیطَ بِهِمْ دَعَوُا اللّهَ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ لَئِنْ أَنْجَیْتَنا مِنْ هذِهِ لَنَکُونَنَّ مِنَ الشّاکِرِینَ فَلَمّا أَنْجاهُمْ إِذا هُمْ یَبْغُونَ فِی الْأَرْضِ بِغَیْرِ الْحَقِّ» (۲)و باللّه التوفیق.

۴۹-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وَ أَحْکَامٌ تُبْتَدَعُ- یُخَالَفُ فِیهَا کِتَابُ اللَّهِ- وَ یَتَوَلَّی عَلَیْهَا رِجَالٌ رِجَالاً عَلَی غَیْرِ دِینِ اللَّهِ- فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ- لَمْ یَخْفَ عَلَی الْمُرْتَادِینَ- وَ لَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ- انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِینَ- وَ لَکِنْ یُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ وَ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ فَیُمْزَجَانِ- فَهُنَالِکَ یَسْتَوْلِی الشَّیْطَانُ عَلَی أَوْلِیَائِهِ- وَ یَنْجُو «إِنَّ الَّذِینَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنی»

۱- ۱) ۶۹-۱۷

۲- ۲) ۲۲-۱۰

اللغه

أقول: المرتاد : الطالب .و الضغث : القبضه من الحشيش .

المعنى

و اعلم أنّ مبدء وقوع الفتن المؤدّيه إلى خراب العالم و فساده إنّما هو اتّباع الهوى و الآراء الباطله و الأحكام المبتدعه الخارجه عن أوامر اللّه،و ذلك أنّ المقصود من بعثه الرسل و وضع الشريعه إنّما هو نظام أحوال الخلق فى أمر معاشهم و معادهم فكان كلّ رأى ابتدع أو هوى اتّبع خارجا عن كتاب اللّه و سنّه رسوله سببا لوقوع الفتنه و تبدّد نظام الموجود فى هذا العالم.و ذلك كأهواء البغاه و آراء الخوارج و نحوها.

و قوله : فلو أنّ الباطل خلّص من مزاج الحقّ. إلى آخره.

إشاره إلى أسباب تلك الآراء الفاسده.و مدار تلك الأسباب على امتزاج المقدّمات الحقّه بالباطله فى الحجج الّتى يستعملها المبطلون فى استعلام المجهولات فبيّن أنّ السبب هو ذلك الامتزاج بشرطيّتين متّصلتين.

إحداهما:قوله: فلو أنّ الباطل خلّص من مزاج الحقّ لم يخف على المرتادين.

و وجه الملازمه فى هذه المتّصله ظاهر فإنّ مقدّمات الشبهه إذا كانت كلّها باطله أدرك طالب الحقّ وجه فسادها بأدنى سعى و لم يخف عليه بطلانها،و أمّا استثناء نقيض تاليها فلأنّه لمّا خفى وجه البطلان فيها على طالب الحقّ لم يكن الباطل فيها خالصا من مزاج الحقّ فكان ذلك هو سبب الغلط و اتّباع الباطل لأنّ النتيجه تتبع أخسّ المقدّمتين.

و الثانيه:قوله : و لو أنّ الحقّ خلّص من[لبس خ]الباطل انقطعت عنه ألسن المعاندين ،و وجه الملازمه أيضا كما مرّ:أى إنّ مقدّمات الحجّه الّتى استعملها المبطلون لو كانت كلّها حقّه مرتّبه ترتيبا حقّا لكانت النتيجه حقّا تنقطع ألسنتهم عن العناد فيه و المخالفه له.و قد حذف عليه السّلام كبرى هذين القياسين لأنّهما قياسا ضمير كما سبق،ثمّ أتى بالنتيجه أو ما فى معناها و هو استعاره قوله : و لكن يؤخذ من هذا ضغث،و من هذا ضغث :أى من الحقّ و الباطل فيمزجان،و لفظ الضغث مستعار،و مقصوده بذلك التصريح بلزوم الآراء الباطله و الأهواء المبتدعه لمزج الحقّ بالباطل.و لذلك قال :

و هنا لك يستولى الشيطان على أوليائه :أى إنّه يزيّن لهم اتّباع الأهواء و الأحكام الخارجه عن كتاب اللّه بسبب إغوائهم عن تمييز الحقّ من الباطل فيما سلكوه من الشبهه

ص:١٣۴

و ينجو الّذين سبقت لهم منّا الحسنى:أى من أخذت عنايه اللّه بأيديهم فى ظلمات الشبهات فقادتهم فيها بإضافه نور الهدايه عليهم إلى تميّز الحقّ من الباطل و أولئك هم عن النار مبعدون

۵۰-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

لما غلب أصحاب معاويه أصحابه عليه السّلام على شريعه الفرات بصفين و منعوهم الماء قَدِ اسْتَطْعَمُوكُمُ الْقِتَالَ- فَأَقِرُّوا عَلَى مَذَلَّهٍ وَ تَأْخِيرِ مَحَلَّهٍ- أَوْ رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرْوَوْا مِنَ الْمَاءِ- فَالْمَوْتُ فِی حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ- وَ الْحَيَاهُ فِی مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ- أَلَا وَ إِنَّ؟مُعَاوِيَهَ؟ قَادَ لُمَهً مِنَ الْغُوَاهِ- وَ عَمَّسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ- حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَنِيَّهِ

اللغه

أقول: اللمه بالتخفيف : الجماعه القليله .و عمس بالتخفيف و التشديد : عمّى و ابهم،و منه عمس الليل أظلم .و المحلّه : المنزله .

و فى الفصل لطائف .

الاولى:قوله:قد استطعموكم القتال.

استعاره استعار لفظ الاستطعام لتحرّشهم بالقتال فى منعهم للماء.و وجه الاستعاره استسهالهم للقتال و طلبهم له بمنع الماء الّذى هو فى الحقيقه أقوى جذبا للقتال من طلب المأكول بالأقوال.

و لأنّهم لمّا حازوا الماء أشبهوا فى ذلك من طلب الطعام له،و لمّا استلزم ذلك المنع طلبهم للقتال تعيّن أن يشبه ما طلبوا إطعامه .

الثانيه:قوله:فأقرّوا على مذلّه،و تأخير محلّه.إلى قوله:الماء.

أمر لهم بأحد لازمين عن منعهم الماء و استطعامهم القتال:إمّا ترك القتال، أو إيقاعه.و إنّما أورد الكلام بصوره التخيير بين هذين اللازمين و إن لم يكن مراده إلاّ القتال لعلمه بأنّهم لا يختارون ترك القتال مع ما يلزم من الإقرار بالعجز و المذلّه

و الاستسلام للعدوّ و تأخير المنزله عن رتبه أهل الشرف و الشجاعه،و إنّما أورد الوصفين اللازمين لترك القتال.و هما الإقرار على المذلّه و على تأخير المحلّه لينفّر بهما عنه و يظهره لهم فى صوره كريهه،و إنّما جعل الريّ من الماء الّذى هو مشتهى أصحابه فى ذلك الوقت لازما لترويتهم السيوف من الدماء الّتى يلزمها القتال ليريهم القتال فى صوره محبوبه تميل طباعهم إليها.و نسبه الترويّ إلى السيوف نسبه مجازيّه .

الثالثه:

مجاز قوله: فالموت فى حياتكم مقهورين،و الحياه فى موتكم قاهرين.

من لطائف الكلام و محاسنه و هو جذب إلى القتال بأبلغ ما يكن من البلاغه فجذبهم إليه بتصويره لهم أنّ الغايه الّتى عساهم يفرّون من القتال خوفا منها و هى الموت موجوده فى الغايه الّتى عساهم يطلبونها من ترك القتال و هى الحياه البدنيّه حال كونهم مقهورين.و تجوّز بلفظ الموت فى الشدائد و الأهواء الّتى تلحقهم من عدوّهم لو قهرهم و هى عند العاقل أشدّ بكثير من موت البدن و أقوى مقاساه فإنّ المذلّه و سقوط المنزله و الهضم و الاستنقاص عند ذى اللبّ موتات متعاقبه،و يحتمل أن يكون مجازا فى ترك عباده اللّه بالجهاد فإنّه موت للنفس و عدم لحياتها برضوان اللّه،و كذلك جذبه لهم أنّ الغايه الّتى تفرّون إليها بترك القتال و هى الحياه موجوده فى الغايه الّتى تفرّون منها و هى الموت البدنىّ حال كونهم قاهرين أمّا فى الدنيا فمن وجهين:أحدهما الذكر الباقى الجميل الّذى لا يموت و لا يفنى.الثانى أنّ طيب حياتهم الدنيا إنّما يكون بنظام أحوالهم بوجود الإمام العادل و بقاء الشريعه كما هى،و ذلك إنّما يكون بإلقاء أنفسهم فى غمرات الحرب محافظه على الدين و موت بعضهم فيها. و لفظ الموت مهمل تصدق نسبته إلى الكلّ و إن وجد فى البعض،و أمّا فى الآخره فالبقاء الأبدى بالمحافظه على وظائف اللّه و الحياه التامّه فى جنّات عدن كما قال تعالى «وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ» (۱)و فى القرينتين الاولیين السجع المتوازى و فى اللتين بعدهما السجع المطرف،و فى اللتين بعدهما المقابله .

الرابعه:قوله:ألا و إنّ معاويه.

۱- ۱) ۳-۱۶۳

ذكر للعدوّ برذيلتين،و لأصحابه برذيلتين أمّا الأوليان فكونه قائد غواه،و كونه قد لبّس عليهم الحقّ بالباطل و أراهم الباطل فى صوره الحقّ،و أمّا الاخريان لكونهم غواتا عن الحقّ،و كونهم قد انقادوا للباطل عن شبهه حتّى صار جهلهم مركّبه، و الغرض من ذلك التنفير عنهم، استعاره بالكنايه و قوله: حتّى جعلوا نحورهم أغراض المتيّه غايه لأصحاب معاويه من تلبيسه الحقّ عليهم.و كنّى بذلك عن تصديّهم للموت،و لفظ الغرض مستعار لنحورهم،و وجه المشابهه جعلهم لنحورهم بصدد أن تصيبها سهام المنيّه من الطعن و الضرب و الذبح و وجوه القتل فأشبهت ما ينصبه الرامى هدفا.و هى استعاره بالكنايه كأنّه حاول أن يستعير للمنيّه لفظ الرامى .و باللّه التوفيق.

۵۱-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

أَلاَ وَ إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ وَ آذَنَتْ بِانْقِضَاءٍ- وَ تَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا وَ أَدْبَرَتْ حَذَّاءَ- فَهِيَ تَحْفِزُ بِالْفَنَاءِ سُكَّانَهَا- وَ تَحْدُو بِالْمَوْتِ جِيرَانَهَا- وَ قَدْ أَمَرَّ فِيهَا مَا كَانَ حُلْواً- وَ كَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفْواً- فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلاَّ سَمَلَةٌ كَسَمَلَهِ الْإِدَاوَهِ- أَوْ جُرْعَةٌ كَجُرْعَهِ الْمَقْلَهِ- لَوْ تَمَزَّزَهَا الصَّدْيَانُ لَمْ يَنْقَعْ- فَأَزْمِعُوا عِبَادَ اللَّهِ- الرَّحِيلَ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ الْمَقْدُورِ عَلَى أَهْلِهَا الزَّوَالُ- وَ لاَ يَغْلِبَنَّكُمْ فِيهَا الْأَمَلُ- وَ لاَ يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ فِيهَا الْأَمَدُ- فَوَاللَّهِ لَوْ حَنَنْتُمْ حَنِينَ الْوُلَّهِ الْعِجَالِ- وَ دَعَوْتُمْ بِهَدِيلِ الْحَمَامِ- وَ جَأَرْتُمْ جُؤَارَ مُتَبَتِّلِي الرُّهْبَانِ- وَ خَرَجْتُمْ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلاَدِ- الْتِمَاسَ الْقُرْبَهِ إِلَيْهِ فِي ارْتِفَاعِ دَرَجَهٍ عِنْدَهُ- أَوْ غُفْرَانِ سَيِّئَهٍ أَحْصَتْهَا كُتُبُهُ- وَ حَفِظَتْهَا رُسُلُهُ لَكَانَ قَلِيلاً فِيمَا أَرْجُو لَكُمْ

مِنْ ثَوَابِهِ- وَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ- وَ اللَّهِ لَوِ انْمَاثَتْ قُلُوبُكُمُ انْمِيَاثاً- وَ سَالَتْ عُيُونُكُمْ مِنْ رَغْبَةٍ إِلَيْهِ أَوْ رَهْبَةٍ مِنْهُ دَماً- ثُمَّ عُمِّرْتُمْ فِي الدُّنْيَا- مَا الدُّنْيَا بَاقِيَةٌ مَا جَزَتْ أَعْمَالُكُمْ عَنْكُمْ- وَ لَوْ لَمْ تُبْقُوا شَيْئاً مِنْ جُهْدِكُمْ- أَنْعُمَهُ عَلَيْكُمُ الْعِظَامَ- وَ هُدَاهُ إِيَّاكُمْ لِلْإِيمَانِ

اللغه

أقول: آذنت : أعلمت .و تنكّر معروفها : جهل .و حذّاء : سريعه خفيفه،و يروى بالجيم:أى مقطوعه الخبر و العلاقه .و الحفز : السوق الحثيث.و الحفز أيضا الطعن ، و السمله بفتح الميم : البقيّه من الماء فى الإناء .و المقله بفتح الميم و سكون القاف : حصاه يقسم بها الماء عند قلّته يعرف بها بها مقدار ما يسقى كلّ شخص .و التمزّز : تمصّص الشراب قليلا قليلا .و الصديان : العطشان .و نقع ينقع : أى سكن عطشه .و أزمعت الأمر و أزمعت عليه : أى ثبت عزمى على فعله .و المقدور : المقدّر الّذى لا بدّ من كونه .و الأمد : الغايه .و الولّه العجال : جمع واله و عجول،و هما من الإبل النوق تفقد أولادها .و هديل الحمامه:

نوحها .و الجوار : الصوت المرتفع .و التبتّل : الانقطاع إلى اللّه بإخلاص النيّه .و انماث الشىء : تحلّل و ذاب .

و اعلم أنّ مدار هذا الفصل على امور ثلاثه:

اشاره

أحدها:التنفير عن الدنيا و التحذير منها و النهى عن تأميلها و الأمر بالرحيل عنها.

الثانى:التنبيه على عظيم ثواب اللّه و ما ينبغى أن يرجى منه و يلتفت إليه و يقصد بالرحيل بالنسبه إلى ما الناس فيه ممّا يتوهّم خيرا فى الدنيا ثمّ على عظيم عقابه و ما ينبغى أن يخاف منه.

الثالث:التنبيه على عظمه نعمه على الخلق،و أنّه لا يمكن جزاءها بأبلغ المساعى و أكثر الاجتهاد .

أمّا الأوّل: التنفير عن الدنيا و التحذير منها

فأشار بقوله: الا و إنّ الدنيا قد تصرمّت.إلى قوله:فيها الأمد.

و قد علمت أن تصرّمها هو تقضّى أحوالها الحاضره شيئا فشيئا بالنسبه إلى من

وجـد فيهـا فى كـلّ حيـن،و أنّ إذنهـا بالانقضـاء هـو إعلامهـا بلسـان حالهـا لأذهـان المعتـبرين أنّهـا لا ـ تبقى لأحـد ،فأمّـا تنكّر معروفها:فمعناه تغيّره و تبـدّله،و مثاله أنّ الإنسان إذا أصاب لـذّه من لذّات الدنيا كصـحّه أو أمن أو جاه و نحوه أنس إليه و توهّم بقاءه له و كان ذلك معروفها الّذى أسدته إليه و عرفه و ألفه منها،ثمّ إنّه عن قليل يزول و يتبدّل بضدّه فيصير بعد أن كان معروفا مجهولا.و تكون الدنيا كصديق تنكّر فى صداقته و مزّجها بعداوته.

استعاره و قوله : و أدبرت حذّاء.

أى ولّت حال ما لا تعلّق لأحـد بشـىء منها مسرعه،و اسـتعار لفظ الإدبار لانتقال خيراتها عمّن انتقلت عنه بموته أو غير ذلك من وجوه زوالها ملاحظه لشبهها بملك أعرض عن بعض رعيّته برفده و ماله و برّه.

استعاره بالكنايه قوله : فهى تحفز بالفناء سكّانها و تحدو بالموت جيرانها.

اسـتعار لهـا وصـفى السائق و الحادى اسـتعاره بالكنايه.و وجه المشابهه كونهم قاطعين لمـدّه العمر بالفناء و الموت فهى مصاحبته لهم بـذلك كمـا يصـحب السائق و الحادى للإبل بالسوق و الحـداء،و إن اريـد بالحفز الطعن فيكون قـد تجوّز بنسـبته إلى البلاء ملاـحظه لشـبه مصائب الـدنيا بالرماح،و كـذلك اسـتعار لفظ الفناء و الموت لآله السوق و الحـداء و نزّلهما منزله الحقيقه.و وجه المشابهه كون الموت هو السبب فى انتقال الإنسان إلى دار الآخره كما أنّ الصوت و السوط مثلا للذين هما آلتا الحداء و السوق هما اللذان بهما يحصل انتقال الإبل من موضع إلى موضع.

و قوله : و قد أمرّ منها ما كان حلوا،و كدر منها ما كان صفوا.

كقوله: و تنكّر معروفهـا :أى إنّ الاـمور الّتى تقع لذيـذه فيهـا و يجـدها الإنسان فى بعض أوقاته صافيه حلوه خاليه عن كـدورات الأمراض و مراره التنغيص بالعوارض الكريهه هى فى معرض التغيّر و التبدّل بالمراره و الكدر فما من شخص يخاطبه بما ذكر إلّا و يصـدق عليه أنّه قـد عرضت له من تلك اللذّات ما اسـتعقب صـفوها كدرا و حلاوتها مراره إمّا من شـباب يتبدّل بكبر،أو غنى بفقر،أو عزّ بذلّ،أو صحّه بسقم.

استعاره و قوله : فلم یبق منها إلا سمله.إلی قوله:لم ینقع.

تقلیل و تحقیر لما بقی منها لکلّ شخص شخص من الناس فإنّ بقائها له علی حسب بقائه فیها،و بقاء کلّ شخص فیها یسیر و وقته قصیر.و استعار لفظ السمله لبقیّتها، و شبّها ببقیّه الماء فی الإداوه،و بجرعه المقله،و وجه الشبه ما أشار بقوله: لو تمزّزها الصدیان لم ینقع :أی کما أنّ العطشان الواجد لبقیّه الإداوه و الجرعه لو تمصّصها لم ینقع عطشه کذلک طالب الدنیا المتعطّش إلیها الواجد لبقیّه عمره و للیسیر من الاستمتاع فیه بلذّات الدنیا لا یشفی ذلک غلیله و لا یسکن عطشه منها،فالأولی إذن تعوید النفس بالفطام عن شهواتها.

و قوله : فأزمعوا عباد اللّه الرحیل عن هذه الدار.

أمر لهم بعد تحقیرها و التنفیر عنها بالإزماع،و تصمیم العزم علی الرحیل عنها بالالتفات إلی اللّه و الإقبال علی قطع عقبات الطریق إلیه و هو الرحیل عن الدنیا.

و قوله : المقدور علی أهلها الزوال.

تذکیر بما لا بدّ من مفارقتها لتحفّ الرغبه فیها ثمّ أعقب ذلک بالنهی عن متابعه الأمل فی لذّاتها فإنّه ینسی الآخره کما سبقت الإشاره إلیه،و ذکر لفظ المغالبه تذکیر بالأنفه و استثاره للحمیّه من نفوسهم ثمّ بالنهی عن توهّم طول مدّه الحیاه و استبعاد الغایه الّتی هی الموت فإنّ ذلک یقسی القلب فیورث الغفله عن ذکر اللّه کما قال تعالی «فَطالَ عَلَیْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَ کَثِیرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ » (۱).

و أمّا الثانی:فهو التنبیه علی عظیم ثواب اللّه و عقابه.

فاعلم أنّه لمّا حقّر الدنیا،و حذّر منها،و أمر بالارتحال عنها.أشار بعد ذلک إلی ما ینبغی أن یعظّم و یلتفت إلیه و یرجی و یخشی،و هو ثواب اللّه و عقابه،فأشار إلی تعظیمها بتحقیر الأسباب و الوسائل الّتی یعتمد علیها العباد و هی غایات جهدهم بالنسبه إلی ما ینبغی أن یرجی من ثوابه و یخشی من عقابه و تلک الأسباب من شدّه الحنین و الوله إلی اللّه و الدعاء المستمرّ و التضرّع المشبه بتبتّل الرهبان.هذا فی طرف العباده.

۱- ۱) ۱۵-۵۷

و إنّما خصّ التشبيه بمتبتّلى الرهبان لشـهرتهم بشدّه التضرّع،و كذلك الخروج إلى من الأموال:و الأولاد و هو أشدّ الزهد،و رتّب ذلك فى صوره متصّله مقدّمها قوله :

و لو حننتم إلى قوله:رسله ،و تاليها قوله : لكان ذلك قليلا.إلى قوله:من عقابه. و التماس:

مفعول له.و خلاصه هذا المقصود بوجيز الكلام إنّكم لو أتيتم بجميع أسباب التقرّب إلى اللّه الممكنه لكم من عباده و زهد ملتمسين بذلك التقرّب إليه فى أن يرفع لكم عنده درجه أو يغفر لكم سيّئه أحصتها كتبه و ألواحه المحفوظه لكان الّذى أرجوه من ثوابه للمتقرّب إليه فى أن يرفع منزلته من حضره قدسه أكثر ممّا يتصوّر المتقرّب أنّه يصل إليه بتقرّبه،و لكان الّذى أخافه من عقابه على المتقرّب فى غفران سيّئه عنده أكثر من العقاب الّذى يتوهّم أنّه يدفعه عن نفسه بتقرّبه.فينبغى لطالب الزياده فى المنزله عند اللّه أن يخلص بكلّيته فى التقرّب إليه ليصل هو إلى ما هو أعظم ممّا يتوهّم أنّه يصل إليه من المنزله عنده،و ينبغى للهارب من ذنبه إلى اللّه أن يخلص بكلّيّته فى الفرار إليه ليخلص من هول ما هو أعظم ممّا يتوهّم أنّه يدفع عن نفسه بوسيلته إليه فإنّ الأمر فى معرفه ما أعدّ اللّه لعباده الصالحين من الثواب العظيم،و ما أعدّه لأعدائه الظالمين من العقاب الأليم أجّل ممّا يتصوّره عقول البشر ما دامت فى عالم الغربه و إن كان عقولهم فى ذلك الإدراك متفاوته،و لمّا كانت نفسه القدسيّه أشرف نفوس الخلق فى ذلك الوقت لا جرم نسب الثواب المرجوّ لهم و العقاب المخوف عليهم إلى رجائه هو و خوفه.فقال :ما أرجو لكم من ثوابه و أخاف عليكم من عقابه .و ذلك لقوّه اطّلاعه من ذلك على ما لم يطّلعوا عليه .

و أمّا الثالث:و هو التنبيه على عظيم نعمه اللّه تعالى على العباد

فتبّه عليه أنّ كلّ ما أتوا به من الأعمال الّتى بذلوا جهدهم فيها فى طاعه اللّه و ما عساه يمكنهم أن يأتوا به منها فهو قاصر عن مجازاته نعمه العظام.و قد سبق بيان ذلك.و رتّب المطلوب فى صوره شرطيّه متّصله أيضا مقدّمها مركّب من امور:

أحدها:قوله: لو انماثت قلوبكم .أى ذابت خوفا منه و وجدا منه،و كنّى بذلك عن أقصى حال الخائف الراجى لربّه فى عبادته.

الثانی قوله : و سالت عیونکم دما، و هو کالأوّل.

الثالث قوله : ثمّ عمّرتم فی الدنیا ما الدنیا باقیه أی مدّه بقاء الدنیا.و تالیها قوله : و ما جزت أعمالکم .إلی آخره.و أنعمه منصوب مفعول جزت .و هداه فی محلّ النصب عطفا علیه،و إنّما أفرد الهدی بالذکر و إن کان من الأنعم لشرفه إذ هو الغایه المطلوبه من العبد بکلّ نعمه افیضت علیه فإنّه لم یخلق و لم یفض علیه أنواع النعم.

الإلهیّه إلاّ لتأهّل[لیستأهل خ]قلبه،و یستعدّ نفسه لقبول صوره الهدی من واهبها فیمشی بها فی ظلمات الجهل إلی ربّه و یجوز بها عقبات صراطه المستقیم،و أکّد ملازمه هذه المتّصله بالقسم البارّ،و کذلک المتّصله السابقه،و فایده هذا التنبیه بعث الخلق علی الشکر و توفیر الدواعی علی الاجتهاد فی الإخلاص للّه حیاء من مقابله عظیم إنعامه بالتقصیر فی شکره و التشاغل بغیره.و باللّه التوفیق.

۵۲-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

فی ذکر یوم النحر

وَ مِنْ تَمَامِ الْأُضْحِیَّهِ اسْتِشْرَافُ أُذُنِهَا وَ سَلاَمَهُ عَیْنِهَا- فَإِذَا سَلِمَتِ الْأُذُنُ وَ الْعَیْنُ سَلِمَتِ الْأُضْحِیَّهُ وَ تَمَّتْ- وَ لَوْ کَانَتْ عَضْبَاءَ الْقَرْنِ تَجُرُّ رِجْلَهَا إِلَی الْمَنْسَکِ

اللغه

أقول: الاضحیه : منصوبه إلی الأضحی إذ کان ذبحها فی ضحی ذلک الیوم،و قیل إنّه مشتقّ منها . کنایه و استشراف اذنها :طولها،و کنّی بذلک عن سلامتها من القطع أو نقصان الخلقه .و العضباء : مکسوره القرن،و قیل القرن الداخل . کنایه و کنّی بجرّ رجلها إلی المنسک جها .و المنسک : موضع النسک،و هو العباده و التقرّب بذبحها .

المعنی

و اعلم أنّ المعتبر فی الاضحیّه سلامتها عمّا ینقّص قیمتها،و ظاهر أنّ العمی و العور و الهزال و قطع الاذن تشویه فی خلقتها و نقصان فی قیمتها دون العرج و کسر القرن.

و فی فضل الاضحیّه أخبار کثیره روی عن رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم قال:ما من عمل یوم النحر أحبّ إلی اللّه عزّ وجلّ من إراقه دم،و إنّها لتأتی یوم القیامه بقرونها و أظلافها و أنّ الدم لیقع من اللّه بمکان قبل أن یقع الأرض فطیّبوا بها نفسا.

و روی عنه أیضا أنّ لکم بکلّ صوفه من جلدها حسنه،و بکلّ قطره من دمها حسنه،و أنّها لتوضع فی المیزان فابشروا،و قد کانت الصحابه یبالغون فی أثمان الهدی و الأضاحی،و یکرهون المماکسه فیها فإنّ أفضل ذلک أغلاه ثمنا و أنفسه عند أهله.

روی أن عمر اهدی نجیبه فطلبت منه بثلاثمائه دینار فسأل رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم أن یبیعها و یشتری بثمنها بدنا فنهاه عن ذلک،و قال:بل اهدها.و سرّ ذلک أنّ الجیّد القلیل خیر من الکثیر الدون.فثلاث مائه دینار و إن کان قیمه ثلاثین بدنه و فیها تکثیر اللحم و لکن لیس المقصود اللحم.بل المقصود تزکیه النفس و تطهیرها عن صفه البخل و تزیینها بجمال التعظیم للّه ف «لَنْ یَنالَ اللّهَ لُحُومُها وَ لا دِماؤُها وَ لکِنْ یَنالُهُ التَّقْوی مِنْکُمْ» ،و ذلک بمراعاه النفاسه فی القیمه کثر العدد أم قلّ.

و اعلم أنّه ربما لاح من أسرار وضع الاضحیّه سنّه باقیه هو أن یدوم بها التذکّر لقصّه إبراهیم علیه السّلام و ابتلائه بذبح ولده و قوّه صبره علی تلک المحنه و البلاء المبین، ثمّ یلاحظ من ذلک حلاوه ثمره الصبر علی المصائب و المکاره فیتأسّی الناس به فی ذلک مع ما فی نحر الاضحیّه من تطهیر النفس عن رذیله البخل و استعداد النفس بها للتقرّب إلی اللّه تعالی.و باللّه التوفیق.

۵۳-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

فَتَدَاکُّوا عَلَیَّ تَدَاکَّ الْإِبِلِ الْهِیمِ یَوْمَ وِرْدِهَا- وَ قَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِیهَا وَ خُلِعَتْ مَثَانِیهَا- حَتَّی ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِیَّ أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَیَّ- وَ قَدْ قَلَّبْتُ هَذَا الْأَمْرَ بَطْنَهُ وَ ظَهْرَهُ حَتَّی مَنَعَنِی النَّوْمَ- فَمَا وَجَدْتُنِی یَسَعُنِی إِلاَّ قِتَالُهُمْ- أَوِ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَنِی

بِهِ؟مُحَمَّدٌ ص؟- فَكَانَتْ مُعَالَجَهُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَهِ الْعِقَابِ- وَ مَوْتَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ الْآخِرَهِ

اللغه

أقول: تداكّوا : دكّ بعضهم بعضا:أى دقّه بالضرب و الدفع .و الهيم : الإبل العطاش .و المثانى : جمع مثناه و هى الحبل يثنّى و يعقل به البعير .

المعنى

و اعلم أنّ قوله: فتداكّوا .إلى قوله: لدىّ.

إشاره إلى صفه أصحابه بصفّين لمّا طال منعه لهم من قتال أهل الشام،و كان عليه السّلام يمنعهم من قتالهم لأمرين:أحدهما أنّه كانت عادته فى الحرب ذلك ليكون خصمه البادى فتركبه الحجّه،و الثانى أنّه كان يستخلص وجه المصلحه فى كيفيّه قتالهم لا على سبيل شكّه فى وجوب قتال من خالفه فإنّه عليه السّلام كان مأمورا بذلك بل على وجه استخلاص الرأى الأصلح أو انتظارا لا- نجذا بهم إلى الحقّ و رجوعهم إلى طاعته لحقن دماء المسلمين كما سيصرّح به فى الفصل الّذى يأتى،ثمّ أكدّ وصفهم بالزحام عليه بأمرين:أحدهما تشبيهه بزحام الإبل العطاش حين يطلقها رعاتها من مثانيها يوم توردها الماء.و وجه الشبه مالهما من شدّه الزحام،الثانى غايه ذلك الزحام و هو ظنّه عليه ن يقتلوه أو يقتل بعضهم بعضا.

و قوله : و قد قلّبت هذا الأمر .إلى آخره.

إشاره إلى بعض علل منعه لهم من القتال،و هو تقليبه لوجوه الآراء فى قتالهم حتّى تبيّن له ما يلزم فى ترك القتال من الخطر و هو الكفر.على أنّ فى الأمرين خطرا أمّا القتال ففيه بذل نفسه للقتل و هلاك جمله من المسلمين،و أمّا تركه ففيه مخالفه أمر اللّه و رسوله المستلزمه للعقاب الأليم،لكن قد علمت أنّ الدنيا لا قيمه لسعادتها و لا نسبه لشقاوتها إلى سعاده الآخره و شقاوتها عند ذوى البصاير خصوصا مثله عليه السّلام فلذلك قال:

استعاره فكانت معالجه القتال أهون علىّ من معالجه العقاب،و موتات الدنيا أهون علىّ من موتات الآخره .و استعار لفظ الموتات للأهوال و الشدائد فى الدنيا و الآخره لما بين الموت و بينها من المناسبه فى الشدّه.

ص:۱۴۴

۵۴-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

و قد استبطأ أصحابه إذنه لهم فى القتال بصفين

أَمَّا قَوْلُكُمْ أَ كُـلَّ ذَلِـكَ كَرَاهِيَـهَ الْمَـوْتِ- فَـوَاللَّهِ مَـا أُبَـالِى- دَخَلْتُ إِلَى الْمَـوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَـوْتُ إِلَيَّ- وَ أَمَّا قَـوْلُكُمْ شَـكّاً فِى أَهْلِ؟الشَّامِ؟- فَوَاللَّهِ مَـا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْمـاً- إِلَّا وَ أَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِى طَائِفَهٌ فَتَهْتَـدِىَ بِى- وَ تَعْشُوَ إِلَى ضَوْئِى- وَ ذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلَالِهَا- وَ إِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا

اللغه

أقول: عشا إلى النار : استدلّ عليها ببصر ضعيف .و باء بإثمه : أى رجع به .

المعنى

و هـذا الفصـل منـاسب للّـذى قبله.و السـبب فيه أنّ أصـحابه لمّا طال منعه لهم عن قتال أهل الشام ألحّوا عليه فى طلبه حتّى نسـبه بعضـهم إلى العجز و كراهيّه الموت، و نسبه بعضـهم إلى الشـكّ فى وجوب قتال هؤلاء .فأورد عليه السّـلام شـبهه الأوّلين و هى قوله:

أ كلّ ذلك كراهيه الموت ،و روى كراهيّه بالنصب على المفعول و سدّ مسدّ الخبر.

و أجاب عنها بقوله : فو اللّه ما ابالى.إلى قوله:إليّ ،و صـدق هـذا الـدعوى المؤكّده بالقسم البارّ ظاهر منه فإنّ العارف بمعزل عن تقيّه الموت خصوصـا نفسه القدسيّه كما سبق، مجاز و نسبه الـدخول على الموت و الخروج إليه نسبه مجازيّه تسـتلزم ملاحظه تشبيهه بحيوان مخوف .ثمّ أورد الشـبهه الثـانيه و هى قوله: و أمّا قولكم شـكّا فى أهل الشام و أجاب عنها بقوله: فو اللّه ما دفعت الحرب :إلى آخره،و تقريره أنّ المطلوب الأوّل من الأنبياء و الأولياء إنّما هو اهتداء الخلق بهم من ظلمه الجهل،و استقامه امورهم فى معاشـهم و معادهم بوجودهم،و إذا كـان هـذا هو المطلوب الـذّاتى له عليه السّـلام من طلب هـذا الأمر و القتـال عليه و كان تحصـيل المطالب كلّما كان ألطف و أسـهل من القتل و القتال كان أولى لا جرم كان انتظاره بالحرب و مـدافعتها يوما فيوما إنّما هو انتظار و طمع أن يلحق به منهم من تجذب العنايه الإلهيّه بذهنه إلى الحقّ فيهتدى به فى طريق اللّه و يعشو

إلى ضوء عمله و كماله،و كان ذلك أحبّ إليه من قتلهم على ضلالتهم و إن كان كلّ ضالّ إنّما يرجع بإثمه إلى ربّه و يكون رهين عمله كما قال تعالى «كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ» . «وَ لا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاّ عَلَيْها وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى» .

۵۵–و من كلام له عليه السّلام

اشاره

وَ لَقَدْ كُنَّا مَعَ ؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟- نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَ أَبْنَاءَنَا وَ إِخْوَانَنَا وَ أَعْمَامَنَا- مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَاناً وَ تَسْلِيماً- وَ مُضِيّاً عَلَى اللَّقَمِ وَ صَبْراً عَلَى مَضَضِ الْأَلَمِ- وَ جِدّاً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ- وَ لَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَ الْآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا- يَتَصَاوَلَانِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا- أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمَنُونِ- فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا وَ مَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا- فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا الْكَبْتَ- وَ أَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ- حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِياً جِرَانَهُ وَ مُتَبَوِّئاً أَوْطَانَهُ- وَ لَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ- مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ وَ لَا اخْضَرَّ لِلْإِيمَانِ عُودٌ- وَ ايْمُ اللَّهِ لَتَحْتَلِبُنَّهَا دَماً وَ لَتُتْبِعُنَّهَا نَدَماً أقول:المنقول أنّ هذا الكلام صدر عنه يوم صفّين حين أقرّ الناس بالصلح.و أوّله:

إنّ هؤلاء القوم لم يكونوا ليفيئوا إلى الحقّ،و لا ليجيبوا إلى كلمه سواء حتّى يرموا بالمناشر تتبعها العساكر،و حتّى يرجموا بالكتائب تقفوها الجلائب،و حتّى يجرّ ببلادهم الخميس يتلوه الخميس،و حتّى تدعق الخيول فى نواحى أراضيهم و بأعناء مشاربهم و مسارحهم،حتّى تشنّ عليهم الغارات من كلّ فجّ عميق،و حتّى يلقاهم قوم صدق صبر لا يزيدهم هلاك من هلك من قتلاهم و موتاهم فى سبيل اللّه إلاّ جدّا فى طاعه اللّه و حرصا على لقاء اللّه.و لقد كنّا مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم الفصل.

ص:۱۴۶

اللغه

كلمه سواء : أى عـادله .و المنشر : خيـل من المأه إلى المأتين،و يقال بل الجيش ما يمرّ بشـىء إلّا اقتلعه ،و الخميس : الجيش .و تدعق : تغار على أرضهم فتؤثّر فيها حوافرها .و شنّ الغاره : آثارها .و اللقم : منهج الطريق .و المضض : حرقه الألم .

و يتصاولـن : يتحاملان و يتطاولان .و يتخالسان : ينتهز كلّ منهما فرصه صاحبه ، و المنون : المنيّه .و الكبت : الصرف و الإذلال .و جران البعير : مقدّم عنقه من مذبحه إلى منخره .و تبوّء وطنه : سكن فيه .

المعنى

اشاره

و مقصوده فى هذا الفصل توبيخ أصحابه على ترك الحرب و التقصير فيه.

فقوله:و لقد كنّا.إلى قوله:أوطانه .

فقوله: و لقد كنّا .إلى قوله: أوطانه .

بيان لفظه و كيفيّه صـنيعه هو و ساير الصـحابه فى الجهاد بين يدى رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله و سـلّم لغرض قيام الإسـلام و ظهور أمر اللّه ليتبيّن للسـامعين تقصـيرهم بالنسبه إلى مـا كان اولئك عليه فى جهادهم يومئذ.فبـدء بـذكر ما كانوا يكافحونه من الشدائد،و أنّ أحـدهم كان يقتل أباه و ولـده طلبا لرضا اللّه و ذبّا عن دينه ثمّ لا يزيـده ذلك إلّا إيمانا و تسـليما لقضائه،و مضـيّا على واضـح سبيله ،و صبرا فى طاعته على مضـض الآلام المتواتره ،و أنّ أحدهم كان يصاول عدوّه ليختطف كلّ روح صاحبه .و تجوّز بلفـظ الكـأس فيمـا يتجرّعه الإنسـان من مضـض الألم حال القتل،و نبّه بقوله : مرّه لنا و مرّه لعـدوّنا .على أنّ إقـدامهم على القتال يومئـذ لم يكن عن قوّه منهم على العـدوّ و يقين بغلبه بل مع غلب العـدوّ لهم و قهره.و مرّه منصوب على الظرف و تقـديره فمرّه الإداله تكون لنا من عدوّنا و مرّه تكون له منّا .

و قوله:فلمّا رأى اللّه صدقنا.إلى قوله:النصر.

و قوله: فلمّا رأى اللّه صدقنا.إلى قوله:النصر.

فيه تنبيه على أنّ الجود الإلهىّ لا بخل فيه و لا منع من جهته و إنّما هو عامّ الفيض على كلّ قابل اسـتعدّ لرحمته،و أشار برؤيه اللّه صدقهم إلى علمه باستحقاقهم و استعدادهم بالصبر الّذى أعدّهم به ،و بإنزال النصر عليهم و الكبت لعدوّهم إلى إفاضته على كلّ منهم ما استعدّ له .

و قوله:حتّى استقرّ الإسلام.إلى قوله:أوطانه.

و قوله: حتّى استقرّ الإسلام.إلى قوله:أوطانه .

ص:۱۴۷

إشاره إلى حصول غايتهم الّتى قصدوها بجهاد العدوّ(اللّه خ)و هى استقرار الإسلام فى قلوب عباد اللّه. استعاره مرشحه و استعار لفظ الجران ،و رشحّ تلك الاستعاره بالإلقاء ملاحظه لشبهه بالبعير الّذى أخذ مكانه ، استعاره بالكنايه و كذلك استعار لفظ التبوّء و نسبه إلى الأوطان تشبيها له بمن كان من الناس خائفا متزلزلا لا مستقر له ثمّ اطمأنّ و استقرّ فى وطنه.و استعار لفظ الأوطان لقلوب المؤمنين،و كنّى بتبوّء أوطانه عن استقراره فيها .

و قوله:و لعمرى لو كنّا نأتى.إلى قوله:عود.

و قوله: و لعمرى لو كنّا نأتى.إلى قوله:عود.

رجوع إلى مقصوده الأصلىّ و هو تنبيه أصحابه على تقصيرهم.و المعنى لو قصّرنا يومئذ كتقصيركم الآن و تخاذلكم لما حصل ما حصل من استقامه الدين، استعاره بالكنايه و كنّى بالعمود للدين عن قوّته و معظمه كنايه بالمستعار،و كذلك باخضرار العود للايمان عن نضارته فى النفوس،و لاحظ فى الاولى تشبيه الإسلام بالبيت ذى العمود،و فى الثانيه تشبيهه الايمان بالشجره ذات الأغصان .

و قوله:و أيم اللّه لتحتلبنّها دما.

استعاره و قوله: و أيم اللّه لتحتلبنّها دما.

استعار لفظ حلب الدم لثمره تقصيرهم و تخاذلهم عمّا يدعوهم إليه من الجهاد، و لاحظ فى تلك الاستعاره تشبيههم لتقصيرهم فى أفعالهم بالناقه الّتى اصيب ضرعها بآفه من تفريط صاحبها فيها ،و الضمير المؤنّث مبهم يرجع فى المعنى إلى أفعالهم،و كذلك الضمير فى قوله : و لتتبعنّها ندما فإنّ ثمره التفريط الندامه.و دما و ندما منصوبان على التميز.

و قد اتّفق فى هذا الفصل نوعان من السجع فاللقم و الألم سجع متوازى،و جرانه و أوطانه مطرّف،و كذلك عمود و عود و دما و ندما.و باللّه التوفيق.

۵۶-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

لأصحابه

أَمَّا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِى رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ- مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ يَأْكُلُ مَا يَجِدُ وَ يَطْلُبُ مَا لاَ يَجِدُ- فَاقْتُلُوهُ وَ لَنْ تَقْتُلُوهُ- أَلاَ وَ إِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّى

ص:۱۴۸

وَ الْبَرَاءَهِ مِنّی- فَأَمَّا السَّبُّ فَسُبُّونِی فَإِنَّهُ لِی زَکَاهٌ وَ لَکُمْ نَجَاهٌ- وَ أَمَّا الْبَرَاءَهُ فَلاَ تَتَبَرَّءُوا مِنِّی- فَإِنِّی وُلِدْتُ عَلَی الْفِطْرَهِ وَ سَبَقْتُ إِلَی الْإِیمَانِ وَ الْهِجْرَهِ

اللغه

أقول: رحب البلعوم : واسع مجری الحلق .و بطن مندحق ناتیء بارز .

المعنی

و فی هذا الفصل إخبار بما سیکون لأصحابه من الابتلاء بسبّه.و الخطاب لأهل الکوفه.

فقوله : أمّا.

یحتمل أن یکون المشدّده.و التقدیر أمّا بعد أنّه کذا،و یحتمل أن یکون مخفّفه و هی ما النافیه دخلت علیها همزه الاستفهام،و التقدیر أما أنّه سیظهر،و اختلف فی مراده بالرجل.فقال أکثر الشارحون :المراد معاویه لأنّه کان بطینا کثیر الأکل.

روی أنّه کان یأکل فیمیل فیقول:ارفعوا فو اللّه ما شبعت و لکن مللت و تعبت،و کان ذلک داء أصابه بدعاء الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم.روی:أنّه بعث إلیه مرّه فوجده یأکل فبعث إلیه ثانیه فوجده کذلک.فقال:اللهم لا تشبع بطنه.و لبعضهم فی وصف آخر.

و صاحب لی بطنه کالهاویه کأنّ فی أمعائه معاویه

و قیل:هو زیاد بن أبی سفیان،و هو زیاد بن أبیه،و قیل:هو الحجّاج،و قیل:

المغیره بن شعبه.و و ظهوره علیهم بعده.استعلاؤه و تأمّره علیهم. کنایه و أکله ما یجد مع طلبه لما لا یجد کنایه عن کثره أکله،و جعل ذلک علامه له.

و قوله : فاقتلوه.

أی لما هو علیه من الفساد فی الأرض ،و لن تقتلوه .حکم لدنیّ اطلّع علیه.

و قوله : ألا و إنّه سیأمرکم بسبیّ .إلی آخره.

إشاره إلی ما سیأمرهم به فی حقّه من السبّ و البراءه ،و وصیّه لهم بما هو المصلحه إذن.و فرّق علیه السّلام بین سبّه و البراء منه بأن رخصّ فی سبّه عند الإکراه علیه و لم یرخّص فی التبرّی منه،و فی الفرق بینهما لطف،و ذلک أنّ السبّ من صفات القول اللسانیّ و هو أمر یمکن إیقاعه من غیر اعتقاده مع احتماله التعریض و مع ما یشتمل علیه

من حقن دماء المأمورين و نجاتهم بامتثال الأمر به.و أمّا التبرّء فليس بصفه قوليّه فقط بل يعود إلى المجانبه القلبيّه و المعاداه و البغض و هو المنهّى عنه هاهنا فإنّه أمر باطن يمكنهم الانتهاء عنه و لا يلحقهم بسبب تركه و عدم امتثال الأمر به ضرر.و كأنّه لحظ فيها قوله تعالى «إِلّا مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ وَ لكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ» (۱)الآيه و قوله في السبّ : فإنّه لى زكاه و لكم نجاه .إشاره إلى أسباب ترخيصه في سبّه أمّا نجاتهم بسبّه فظاهره و أمّا كونه زكاه له فلوجهين:

أحدهما:ما روى في الحديث أنّ ذكر المؤمن بسوء هو زكاه له،و ذمّه بما ليس فيه زياده في جاهه و شرفه.

الثاني:أنّ الطباع تحرص على ما تمنع منه و تلحّ فيه.فالناس لمّا منعوا من ذكر فضائله و الموالاه له و الزموا سبّه و بغضه ازدادوا بذلك محبّه له و إظهارا لشرفه،و لذلك إنّه عليه السّلام سبّه بنو اميّه ألف شهر على المنابر فما زاد ذكره على ذلك إلّا علوّا و لا ازداد الناس في محبّته إلّا غلوّا.و المنقول أنّ الّذى أمر بقطع سبّه عمر بن عبد العزيز،و وضع مكان سبّه من الخطبه «إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ» الآيه،و لذلك قال كثير بن عبد الرحمن يمدحه:

و ليت فلم تشتم عليّا و لم تخف بريّا و لم تقبل إساءه مجرم

و فيه يقول الرضيّ الموسوى:

يا ابن عبد العزيز لو بكت العين فتى من اميّه لبكيتك

أنت نزّهتنا عن الشتم و السبّ و لو كنت مجزيا لجزيتك

غير أنّي أقول إنّك قد طبت و إن لم يطب و لم يزك بيتك

و قوله : فإنّي ولدت على الفطره .إلى آخره.

تعليل لحسن الانتهاء عن البراءه منه و وجوبه.و أراد بالفطره فطره اللّه الّتي فطر الناس عليها و هي بعثهم إلى عالم الأجسام مأخوذا عليهم ميثاق العبوديّه و الاستقامه على سنن العدل في سلوك صراطه المستقيم ،و أراد بسبقه إلى الإسلام و الهجره سبقه إلى طاعه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم فيما جاء به من الدين و صحبته له و مهاجرته معه مستقيما في كلّ ذلك

۱- ۱) ۱۰۸-۱۶

على فطره اللّه لم يدنّس نفسه بشىء من الملكات الرديئه مدّه وقته.أمّا زمان صغره فللخبر المشهور:كلّ مولود يولد على الفطره،و أمّا بعده فلأنّ الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم كان هو المتولّى لتربيته و تزكيه نفسه بالعلوم و الإخلاص من أوّل وقته إلى أن توفّى صلى اللّه عليه و آله و سلّم كما أشرنا إليه قبل،و كما سيذكر هو بعد كيفيّته،و كان قبوله و استعداده لأنوار اللّه أمرا فطرت عليه نفسه،و جبلّت عليه طبيعته حتّى لم يلحقه فى ذلك أحد من الصحابه،و ظاهر أنّ من كان بهذه الصفه من خلفاء اللّه و أولياءه كان التبرّء منه تبرّء من اللّه و رسوله.فوجب الانتهاء عنه.و باللّه التوفيق.

۵۷-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

كلم به الخوارج

أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ وَ لاَ بَقِيَ مِنْكُمْ آبِرٌ- أَ بَعْدَ إِيمَانِي بِاللَّهِ وَ جِهَادِي مَعَ ؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟- أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكُفْرِ- لَ «قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَ ما أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ» - فَأُوبُوا شَرَّ مَآبٍ وَ ارْجِعُوا عَلَى أَثَرِ الْأَعْقَابِ- أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلاًّ شَامِلاً وَ سَيْفاً قَاطِعاً- وَ أَثَرَةً يَتَّخِذُهَا الظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً قال الشريف:قوله عليه السّلام «و لا بقى منكم آبر» يروى بالباء و الراء من قولهم للذى يأبر النخل- أى:يصلحه-و يروى «آثر» و هو الذى يأثر الحديث،أى:يرويه و يحكيه،و هو أصح الوجوه عندى،كأنه عليه السّلام قال:لا بقى منكم مخبر.و يروى«آبز»-بالزاى المعجمه-و هو الواثب.

و الهالك أيضا يقال له آبز

ص:۱۵۱

أقول:المرویّ فی السبب أنّه لمّا کتب عهد التراضی بین الحکمین بین علیّ و معاویه اعتزلت الخوارج و تنادوا من کلّ ناحیه لا حکم إلّا للّه،الحکم للّه یا علی لا لک،إنّ اللّه قد أمضی حکمه فی معاویه و أصحابه أن یدخلوا تحت حکمنا و قد کنّاز للنا و أخطأنا حین رضینا بالتحکیم و قد بان زللنا و خطأنا و رجعنا إلی اللّه و تبنا فارجع أنت کما رجعنا و تب إلیه کما تبنا.و قال بعضهم:إنّک أخطأت فاشهد علی نفسک بالکفر ثمّ تب منه حتّی نطیعک.فأجابهم بهذا الکلام.

اللغه

و الحاصب : ریح شدیده ترمی بالحصباء و هی صغار .و الأثره بالتحریک:

الاستبداد .

المعنی

فدعا علیهم أوّلا بریح تحصبهم ،ثمّ بالفناء غضبا من مقالتهم ،ثمّ أخذ فی تقریعهم و إنکار مقالتهم و طلبهم شهادته علی نفسه بالکفر فی صوره سؤال أعقبه تنبیههم علی خطأهم فی حقّه ببیان غلطه علی نفسه لو أجابهم إلی ما سئلوا فإنّ شهاده الإنسان علی نفسه بالکفر ضلال عن الحقّ و عدم اهتداء فی سبیل اللّه.

ثمّ أردف ذلک بأمرین:

أحدهما:جذبهم بالغضب و القهر و أمرهم بالرجوع إلی الحقّ علی أعقابهم:أی من حیث خرجوا من الحقّ و فارقوه.

الثانی: کنایه أخبارهم بما سیلقون بعده من الذلّ الشامل و السیف القاطع .و هو کنایه عمّن تقتلهم بعده کالمهلّب بن أبی صفره و غیره،و هذا الإخبار لغرض استفاءتهم إلیه و جذب لهم برذیله غیره. و الأثره الّتی تتّخذها الظالمون فیهم سنّه.إشاره إلی ما یستأثر به الملوک و العمّال علیهم من الفیء و الغنایم و إهانتهم،و قد کانت دعوته علیه السّلام استجیبت فیهم فإنّهم لم یزالوا بعده فی ذلّ شامل و قتل ذریع حتّی أفناهم اللّه تعالی.و أحوالهم فی کیفیّه قتالهم و قتلهم من قتلهم مستوفی فی کتاب الخوارج.و باللّه التوفیق.

۵۸-و قال علیه السّلام

اشاره

لما عزم علی حرب الخوارج و قیل له:إنهم قد عبروا جسر النهروان

ص:۱۵۲

القسم الأول

اشاره

مَصارِعُهُمْ دُونَ النُّطْفَهِ- وَ اللّهِ لاَ يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَهٌ وَ لاَ يَهْلِکُ مِنْکُمْ عَشَرَهٌ قال الشريف:يعنى بالنطفه ماء النهر،و هو أفصح،كنايه و إن كان كثيرا جما.

المعنى

أقول:خلاصه هذا الخبر أنّه عليه السّلام لمّا خرج إلى أصحاب النهر جاءه رجل من أصحابه فقال:البشرى يا أمير المؤمنين إنّ القوم عبروا النهر لمّا بلغهم و صولك فابشر فقد منحك اللّه اكتافهم.فقال:اللّه أنت رأيتهم قد عبروا.فقال:نعم.فقال عليه السّلام :و اللّه ما عبروه و لن يعبروه و إنّ مصارعهم دون النطفه و الّذى فلق الحبّه و برء النسمه لم يبلغوا إلاّ ثلاث و لا قصر توران حتّى يقتلهم اللّه «وَ قَدْ خابَ مَنِ افْتَرى» .قال:ثمّ جاءه جماعه من أصحابه واحدا بعد آخر كلّهم يخبره بما أخبره الأوّل فرك ؟؟؟عليه السّلام و سار حتّى انتهى إلى النهر فوجد القوم بأسرهم قد كسر؟؟؟ون سيوفهم و عرقبوا خيولهم و جثوا على الركب و حكموا تحكيمه واحده بصوت عظيم له زجل،و روى أنّ شابّا من أصحابه قال فى نفسه حين حكم عليه السّلام بما حكم من أمرهم و سار إلى النهر لبيان صدق حكمه:و اللّه لأكوننّ قريبا منه فإن كانوا عبروا النهر لأجعلنّ سنان رمحى فى عينه أيّدعى علم الغيب،فلمّا وجدهم لم يعبروا نزل عن فرسه و أخبره بما روّى فى نفسه،و طلب منه أن يغفر له.فقال عليه السّلام:

إنّ اللّه هو الّذى يغفر الذنوب جميعا فاستغفره .فأمّا حكمه بأنّه لا يفلت منهم عشره و لا يقتل من أصحابه عشره.فروى أنّه قال لأبى أيّوب الأنصارى و كان على ميمنته:لما بدأت الخوارج بالقتال احملوا عليهم فو اللّه لا يفلت منهم عشره و لا يهلك منكم عشره فلمّا قتلهم وجد المفلت منهم تسعه و المقتول من أصحابه ثمانيه.و هذان الحكمان من كراماته عليه السّلام.

و قال عليه السّلام:

اشاره

[القسم الثانى]

لما قتل الخوارج قيل له:يا أمير المؤمنين،هلك القوم بأجمعهم كَلاَّ وَ اللّهِ إِنَّهُمْ نُطَفٌ فِى أَصْلاَبِ الرِّجَالِ وَ قَرَارَاتِ النِّسَاءِ- كُلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ- حَتَّى يَکُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلاَّبِينَ

ص:۱۵۳

اللغه

أقول: نجم : طلع .و السلاّب : المختلس .و كلاّ:ردّ لمقاله من حكم بهلاكهم جميعا.

المعنى

كنايه و أشار بكونهم نطفا فى أصلاب الرجال و قرارات النساء إلى أنّه لا بدّ من وجود قوم منهم يقولون بمثل مقالتهم و أنّهم الآن موجودون فى الأصلاب و الأرحام بالقوّه.فمنهم نطف برزت إلى الأرحام،و كنّى بالقرارات عنها.و منهم نطف بعد فى الأصلاب،ثمّ ألحقهم أحكاما اخر تقريرا لبقائهم .منها: استعاره مرشحه أنّه سيقوم منهم رؤساء ذوو أتباع ،و عبّر عمّن يظهر منهم بالقرن استعاره مرشّحا لتلك الاستعاره بقوله: نجم و قطع .لكونهما حقيقتين فى النبات و جعل لتراذ لهم غايه هى كون أواخرهم لصوصا سلاّبين:أى قطّاعا للطريق،و أمّا الّذين ظهروا بعده من رؤسائهم فجماعه كثيره و ذلك أنّ التسعه الّذين سلموا يوم النهر تفرّقوا فى البلاد فانهزم اثنان منهم إلى عمّان،و إثنان إلى كرمان،و إثنان إلى سجستان،و إثنان إلى الجزيره و واحد إلى تلّ مورون،و قد كان منهم جماعه لم يظفر عليه السّلام بهم فظهرت بدعتهم فى أطراف البلاد بعده فكانوا نحوا من عشرين فرقه و كبارها ستّ:

إحداها:الأزارقه أصحاب نافع بن الأزرق،و كان أكبر الفرق.خرجوا من البصره إلى الأهواز و غلبوا عليها و على كورها و ما ءاها من بلدان فارس و كرمان فى أيّام عبد اللّه بن الزبير، و كان مع نافع من أمراء الخوارج عشره:عطيّه بن الأسود الحنفىّ،و عبد اللّه بن ما خول،و أخواه:

عثمان بن الزبير،و عمر بن عمير العميرى،و قطرى بن فجاه المازنىّ،و عبده بن الهلال الشيبانى، و صخر التميمىّ،و صالح العبدىّ،و عبد ربّه الكبير،و عبد ربّه الصغير فى ثلاثين و نيّف ألف فارس منهم فانفذ إليهم المهلّب بن أبى صفره،و لم يزل فى حربهم هو و أولاده تسع عشره سنه إلى أن فرغ من أمرهم فى أيّام الحجّاج،و مات نافع قبل وقايع المهلّب و بايعوا قطريّا و سمّوه أمير المؤمنين.

الثانيه:النجدات رئيسهم نجده بن عامر الحنفىّ،و كان معه أميران يقال لأحدهما عطيّه،و الآخر أبو فديك.ففارقاه بشبهه ثمّ قتله أبو فديك و صار لكلّ واحد منهما جمع عظيم و قتلا فى زمن عبد الملك بن مروان.

الثالثه:البيهسيّه أصحاب أبى بيهس الهيصم بن جابر،و كان بالحجاز و قتله عثمان بن حيّان المزنىّ بالمدينه بعد أن قطع يديه و رجليه.و ذلك فى زمن الوليد بإشاره منه.

الرابعه:العجارده أصحاب عبد الكريم بن عجرد،و تحت هذه الفرقه فرق كثيره لكلّ منهم رئيس منهم مشهور.

الخامسه:الأباضيّه أصحاب عبد اللّه بن أباض فى أيّام مروان بن محمّد فوجّه إليه عبد اللّه بن محمّد بن عطيّه فقاتله فقتله.

السادسه:الثعالبه أصحاب ثعلبه بن عامر،و تحت هذه الفرقه أيضا فرق كثيره، و لكلّ منها رئيس مشهور.و تفصيل رؤسائهم و فرقهم و أحوالهم و من قتلهم مذكور فى كتب التواريخ.و أمّا كون آخرهم لصوصا سلاّبين فإشاره إلى ما كانوا يفعلونه فى أطرف البلاد بإصبهان و الأهواز و سواد العراق يعيشون فيها بنهب أموال الخراج و قتل من لم يدن بدينهم جهرا و غيله و ذلك بعد ضعفهم و تفرّقهم بوقايع المهلّب و غيرها كما هو مذكوره فى مظانّه.

و قال عليه السّلام:

اشاره

[القسم الثالث]

لَا تُقَاتِلُوا؟الْخَوَارِجَ؟ بَعْدِى- فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ- كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ (يعنى معاويه و أصحابه)

المعنى

أقول:نهى عن قتل الخوارج بعده،و أومى إلى علّه استحقاق القتل بأنّها طلب الباطل لأنّه باطل ليتبيّن أنّها منفيّه فى حقّهم فينتفى لازمها و هو استحقاق القتل،و أشار إلى أنّ الخوارج لم يطلبوا الباطل مع العلم بكونه باطلا بل طلبوا الحقّ بالذات فوقعوا بالباطل بالعرض.و من لم يكن غرضه إلاّ الحقّ لم يجز قتله،و حسن الكلام يظهر فى تقدير متّصله هكذا:لو استحقّوا:القتل بسبب طلبهم لاستحقّوه بسبب طلبهم للباطل من حيث هو باطل لكنّهم لا يستحقّونه من تلك الجهه لأنهم ليسوا طالبين للباطل من حيث هو باطل فلا يستحقّون القتل، و فرق بين من يطلب الحقّ لذاته فيظهر عنه فى صوره باطل،و بين من يطلب الباطل لذاته فيظهره فى صوره الحقّ حتّى يدركه،فإنّ الثانى هو المستحقّ للقتل دون الأوّل،و و أومى بمن طلب الباطل فأدركه إلى معاويه.

ع و اعلم:أنّ هذا نصّ منه عليه السّلام بأنّهم كانوا طالبين للحقّ،و بيانه أنّ معظم رؤسائهم كانوا على غايه من المحافظه على العبادات كما نقل عن الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم حيث وصفهم فقال:حتّى أنّ صلاه أحدكم لتحتقر فى جنب صلاتهم.و كانوا مشهورين بالصلاح و المواظبه على حفظ القرآن و درسه إلاّ أنّهم بالغوا فى التجرّى و شدّه الطلب للحقّ حتّى عبروا عن فضيله العدل فيه إلى رذيله الإفراط فوقعوا فى الفسق و مرقوا من الدين.

فإن قلت:كيف نهى عن قتلهم.

قلت:جوابه من وجهين:

أحدهما:أنّه عليه السّلام إنّما نهى عن قتلهم بعده على تقدير أن يلزم كلّ منهم نفسه و يشتغل بها و لا يعيث فى الأرض فسادا و هو إنّما قتلهم حيث أفسدوا فى زمانه و قتلوا جماعه من الصالحين كعبد اللّه بن خبّاب،و شقّوا بطن امرأته و كانت حاملا و دعوا الناس إلى بدعتهم و مع ذلك كان يقول لأصحابه حين سار إليهم:لا تبدءوهم بالقتال حتّى يبدءوكم به و لم يشرع فى قتلهم حتّى بدءوه بقتل جماعه من أصحابه.

الثانى:أنّه يحتمل أن يقال:إنّه إنّما قتلهم لأنّه إمام عادل رأى الحقّ فى ذلك، و إنّما نهى عن قتلهم بعده لأنّه علم أنّه لا يلى هذا الأمر بعده من له بحكم الشريعه أن يقتل و يتولّى أمر الحدود،و من لا يعرف مواضعها.و باللّه التوفيق.

۵۹-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

لما خوف من الغيله

وَ إِنَّ عَلَيَّ مِنَ اللَّهِ جُنَّهً حَصِينَهً- فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي انْفَرَجَتْ عَنِّي وَ أَسْلَمَتْنِي- فَحِينَئِذٍ لَا يَطِيشُ السَّهْمُ وَ لَا يَبْرَأُ الْكَلْمُ أقول:قد كان عليه السّلام خوّف من غيله ابن ملجم-لعنه اللّه-مرارا.روى:أنّ الأشعث لقيه متقلّدا سيفه فقال له:ما يقلّدك السيف و ليس بأوان حرب؟فقال:أردت أنحربه جزور القريه.فأتى الأشعث عليّا عليه السّلام فأخبره و قال:قد عرفت ابن ملجم و فتكه فقال عليه السّلام:ما

ص:۱۵۶

قتلنی بعد،و روی:أنّ علیّا علیه السّلام کان یخطب مرّه و یذکر أصحابه و ابن ملجم تلقاء المنبر فسمع و هو یقول:و اللّه لاریحنّهم منک.فلمّا انصرف علیّ أتوا به ملبّسا.فأشرف علیهم و قال:ما تریدون.فأخبروه بما سمعوا منه.فقال:فما قتلنی بعد،خلّوا عنه،و إنّ علیّ من اللّه جنّه.الفصل.

اللغه

و الغیله : القتل علی غفله .و الجنّه : ما تستر به من سلاح .و طاش السهم : انحرف عن الغرض .و الکلم : الجرح .

المعنی

استعاره بالکنایه-استعاره مرشحه و کنّی بالجنّه عن عنایه اللّه بحفظ أسباب حیاته فی المدّه الممکنه له فی القضاء الإلهیّ کنایه بالمستعار.و وجه الاستعاره أنّ مع بقاء أسباب الحیاه محفوظه لا یؤثّر فی الإنسان شیء من سهام المنیّه أبدا کما أنّ لابس الجنّه محفوظ بها من آثار السهام و نحوها.و وصفها بالحصینه ترشیحا للاستعاره،و کنّی بها أیضا عن قوّه ذلک الحفظ.

و کنّی بیومه عن وقت ضروره موته،و بانفراج الجنّه عنه عن عدم بعض أسباب الحیاه المستلزم لعدم الحیاه و لحوق سهام الأمراض و هو ترشیح للاستعاره أیضا،و نسب إلیها إسلامها له ملاحظه لتشبیهها بمن یحفظه ثمّ یسلّمه للقتل.

استعاره بالکنایه و قوله : و حینئذ لا یطیش السهم.

استعار لفظ السهم للأمراض الّتی هی أسباب الموت،و کنّی بعدم طیشه عن إنکائه و حصول الموت عنه،و لفظ الکلم للأثر الحاصل عن تلک الأسباب،و وجه الشبه فی الاولی کونهما سببین للهلاک،و فی الثانیه ما یستلزمانه من التألّم،و رشّح الاولی بذکر الطیش و الثانیه بذکر البرء.و من الشعر المنسوب إلیه فی ذلک.

أیّ یومیّ من الموت أفرّ یوم لم یقدر أم یوم قدر

یوم لم یقدر فلا أرهبه یوم قد قدّر لا یغنی الحذر

و هو فی ذلک ملاحظ لقوله تعالی «وَ ما کانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاّ بِإِذْنِ اللّهِ کِتاباً مُؤَجَّلاً» (۱)«وَ لِکُلِّ أُمَّهٍ أَجَلٌ فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا یَسْتَأْخِرُونَ ساعَهً وَ لا یَسْتَقْدِمُونَ» (۲)و

۱- (۱) -۱۳۹

۲- (۲) ۳۲-۷

باللّه التوفيق.

۶۰-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لَا يُسْلَمُ مِنْهَا إِلَّا فِيهَا- وَ لَا يُنْجَى بِشَيْءٍ كَانَ لَهَا- ابْتُلِيَ النَّاسُ بِهَا فِتْنَةً- فَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لَهَا أُخْرِجُوا مِنْهُ وَ حُوسِبُوا عَلَيْهِ- وَ مَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لِغَيْرِهَا قَدِمُوا عَلَيْهِ وَ أَقَامُوا فِيهِ- فَإِنَّهَا عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ كَفَيْءِ الظِّلِّ- بَيْنَا تَرَاهُ سَابِغاً حَتَّى قَلَصَ وَ زَائِداً حَتَّى نَقَصَ

اللغه

أقول: بينا : أصله بين بمعنى التوسّط فاشبعت الفتحه فحدثت ألف،و قد تزاد ما فيقال بينما و المعنى واحد،و تحقيق الظرفيّه هنا أنّ الظلّ دائر بين السبوغ و التقلّص و الزياده و النقصان .و قلص الظلّ نقص .

المعنى

و الغرض من هذا الفصل التحذير من الدنيا و التنبيه على وجوب لزوم أوامر اللّه فيها.

و أشار إلى ذلك فى أوصاف لها :

الأوّل:كونه لا يسلم منها إلاّ فيها .و تحقيق ذلك أنّه لا دار إلاّ الدنيا و الآخره،و قد علمت أنّ أسباب السلامه هى الزهد و العباده و سائر أجزاء الرياضه و شىء منها لا يمكن فى الآخره بل كلّها أعمال متعلّقه بالبدن فإذن لا يتحقّق ما يلزمها من السلامه من الدنيا إلاّ فى الدنيا.

الثانى:كونها لا ينجى بشىء كان لها .و فيه إيماء إلى ذمّ الرياء فى الأقوال و الأفعال و تحذير من كلّ عمل و قول قصد به الدنيا فإنّ شيئا من ذلك لا حظّ له فى استلزام النجاه فى الآخره بل ربّما كان سببا للهلاک فيها لما أنّ الاشتغال بمهمّات الدنيا منس للآخره.

الثالث :كونها قد ابتلى الناس بها فتنه.و فتنه منصوب بالمفعول له،و يحتمل

أن يكون مصدرا سدّ مسدّ الحال.و نحوه قوله تعالى «وَ نَبْلُوكُمْ» بِالْخَيْرِ وَ الشَّرِّ «فِتْنَةً وَ إِلَيْنا تُرْجَعُونَ» (۱)و لنبحث عن معنى الابتلاء بالدنيا و كونها فتنه.

و اعلم أنّه ليس المراد أنّ اللّه تعالى لا يعلم ما يؤول إليه أحوال العباد و ما يكون منهم بعد خلقهم و ابتلائهم بالدنيا فإنّه تعالى هو العالم بما كان و ما يكون قبل كونه كما قال تعالى «وَ ما مِنْ غائِبَةٍ فِي السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إِلاّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ» (۲)»و قوله تعالى «ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاّ فِي كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ» (۳)بل الكشف عن حقيقه الابتلاء أنّه لمّا كان الإنسان إنّما يكون إنسانا بما خلق فيه من القوى الشهويّه و الغضبيّه و ما يتبعهما،و كان لهذه القوى ميول طبيعيّه إلى حاضر اللذّات الدنيويّه فهى مشتهياتها و لا ابتهاج لها إلاّ بها و لا حظّ لها من غيرها،و كانت النفوس الإنسانيّه مخالطه لهذه القوى و هى آلاتها،و لا وجه لها فى تصرّفاتها غالب الأحوال إلاّ هى،و كانت تلك القوى فى أكثر الخلق جاذبه لنفوسها إلى مشتهياتها الطبيعيّه بالطبع،و كانت تلك النفوس فى أكثر الناس منقاده لقواها معرضه عن الآخره مشغوله بحاضر ما وجدته من لذّات الدنيا عن تصوّر ما ورائها.ثمّ مع ذلك كان المطلوب منها ما يضادّ ذلك و هو ترك حاضر الدنيا،و منازعه هذه القوى فى مشتهياتها، و جذبها عن التوجّه بكليّتها إليها لمتابعه النفس فى التفاتها عن ذلك إلى أمر لا يتصوّر فى الدنيا إلاّ بالأوصاف الخياليّه كما هو وظيفه الأنبياء عليهم السّلام مع الخلق كانت إرادته تعالى لذلك الالتفات مع ما هم فيه من منازعه الهوى فإن أطاعوه هلكوا و إن عصوه نجوا صوره امتحان.فاشبه ذلك ما يعتمده أحدنا عند عبده إذا أراد مثلا اختبار صبره و محنته له فوهب له جميع ما يشتهيه ثمّ كلّفه مع ذلك بتكاليف شاقّه لا يتمكّن من فعلها إلاّ بالتفاته عن مشتهاه و تنغيصه عليه.فلا جرم صدقت صوره الابتلاء و الاختبار من اللّه فى الوجود، و كذلك ظهر معنى كونها فتنه.فإنّ الفتنه الامتحان و الاختبار.و إنّ قدّرناها حالا فهى بمعنى الضلال و يعود إلى جذبها للنفوس إلى حاضر لذّاتها عن سنن الحقّ.

الرابع :كونهم ما أخذوه منها اخرجوا منه و حوسبوا عليه .و هو تنبيه على

ص:۱۵۹

۱- ۱) ۲۱-۳۶

۲- ۲) ۲۷-۷۷

۳- ۳) ۵۷-۲۲

وجوب قصد الآخره بما يؤخذ من الدنيا و يتصرّف فيه،و تنفير أن يجعل المأخوذ منها لمجرّد التمتّع بها بذكر وصفين:أحدهما:وجوب مفارقه المأخوذ منها و الإخراج منه، و الثانى:الحساب عليه فى الآخره.

و اعلم أن الحساب على رأى الملّيّين ظاهر،قالوا:إنّ اللّه تعالى قادر على حساب الخلق دفعه واحده و لا يشغله كلام عن كلام كما قال: «وَ هُوَ سَرِيعُ الْحِسابِ» .أمّا الحكماء فقالوا:إنّ للحساب معنى،و تقريره بتقديم مقدّمات.

الاولى أنّ كثره الأفعال و تكرّرها يوجب حدوث الملكات فى النفوس،و الاستقراء التامّ يكشف عن ذلك،و من كان مواظبته على عمل من الأعمال أكثر كان رسوخ تلك الملكه الصادره عن ذلك الفعل فى نفسه أقوى.

الثانيه:أنّه لمّا كان تكرّر العمل يوجب حصول الملكه وجب أن يكون لكلّ عمل يفعله الإنسان أثر فى حصول تلك الملكه بل يجب أن يكون لكلّ جزء من أجزاء العمل الواحد أثر فى حصول لها بوجه ما و ضربوا لذلك مثالا فقالوا:لو فرضنا سفينه عظيمه بحيث لو القى فيها مائه ألف منّ فإنّها تغوص فى الماء قدر شبر واحد و لو لم يكن فيها إلا حبّه واحده من الحنطه فذلك القدر من الجسم الخفيف فيها يوجب غوصها فى الماء بمقدار ماله من الثقل و إن بلغ فى القلّه إلى حيث لا يدركه الحسّ.إذا عرفت ذلك فنقول:

ما من فعل من الخير و الشر قليل و لا كثير إلاّ و يفيد حصول أثر فى النفس إمّا سعاده أو شقاوه.و عند هذا ينكشف سرّ قوله تعالى «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» و كذلك لمّا ثبت أنّ الأفعال إنّما تصدر بواسطه الجوارح من اليد و الرجل و غيرهما لا جرم كانت الأيدى و الأرجل شاهده على الإنسان يوم القيامه بلسان حالها على معنى أنّ تلك الآثار النفسانيّه إنّما حصلت فى جواهر النفوس بواسطه الأفعال الصادره عنها فكان صدور تلك الأفعال من تلك الجوارح جاريا مجرى الشهاده على النفس بما اكتسبه بها.إذا عرفت ذلك فنقول:لمّا كانت حقيقه المحاسبه تعود إلى تعريف الإنسان ماله و ما عليه من مال و نحوه.و كان ما يحصل من النفوس من الملكات الخيريّه و الشرّيّه امورا مضبوطه فى جوهرها محصاه عليها و إنّما تنكشف لها كثره تلك الهيئات و تمكّنها

من ذواتها و تضرّرها بها فى الآن الّذى تنقطع فيه علاقه النفس مع البدن أشبه ذلك ما تبيّن للإنسان عند المحاسبه ممّا احصى عليه و له.فاطلق عليه لفظ الحساب.و ذلك اليقين و الاطّلاع هو المشار إليه بقوله عليه السّلام : و قدّموا عليه ،و ليس المقصود أنّ ما يقدم عليه فى الآخره هو عين ما اخذ من الدنيا بل ثمرته فى النفوس من خير أو شرّ فالّذى يتناوله الجاهلون منها لمجرّد التنعم بها فهو الّذى يتمكّن عنه هيئات السوء فى جواهر نفوسهم فيقدمون عليها و يقيمون بها «فِي عَذابِ جَهَنَّمَ خالِدُونَ لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَ هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ» .

الخامس: تشبيه كونها عند ذوى العقول كفىء الظلّ ،و نبّه بهذا الوصف على سرعه زوالها،و إنّما خصّص ذوى العقول بذلك لأمرين:أحدهما:أنّ المعتبر لزوالها عامل بمجرّد عقله دون هواه فلذلك نسب إلى العقل.الثانى:أنّ حال ذوى العقول مرغوب فيه لمن سمعه.و لمّا كان مقصوده تحذير السامعين من سرعه زوالها ليعملوا فيها لما بعدها نسب ذلك إلى ذوى العقول ليقتفى السامعون أثرهم.ثمّ أشار إلى وجه شبهها للظلّ بقوله : بينا تراه .إلى آخره:أى أنّها يسرع زوالها كما يسرع زواله،و هو من التشبيهات السائره،و مثله قول الشاعر.

ألا إنّما الدنيا كظلّ غمامه أظلّت يسيرا ثمّ حفّت فولّت

۶۱-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

وَ اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَ بَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ- وَ ابْتَاعُوا مَا يَبْقَى لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ- وَ تَرَحَّلُوا فَقَدْ جُدَّ بِكُمْ- وَ اسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظَلَّكُمْ- وَ كُونُوا قَوْماً صِيحَ بِهِمْ فَانْتَبَهُوا- وَ عَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَاسْتَبْدَلُوا- فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً وَ لَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى- وَ مَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَ بَيْنَ الْجَنَّهِ أَوِ النَّارِ- إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ- وَ إِنَّ غَايَةً تَنْقُصُهَا اللَّحْظَهُ وَ تَهْدِمُهَا

السَّاعَهُ- لَجَدِيرَهٌ بِقِصَرِ الْمُدَّهِ- وَ إِنَّ غَائِباً يَحْدُوهُ الْجَدِيدَانِ- اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ لَحَرِيٌّ بِسُرْعَهِ الْأَوْبَهِ- وَ إِنَّ قَادِماً يَقْدُمُ بِالْفَوْزِ أَوِ الشِّقْوَهِ- لَمُسْتَحِقٌّ لِأَفْضَلِ الْعُدَّهِ- فَتَزَوَّدُوا فِی الدُّنْیَا مِنَ الدُّنْیَا- مَا تَحْرُزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَداً- فَاتَّقَی عَبْدٌ رَبَّهُ نَصَحَ نَفْسَهُ وَ قَدَّمَ تَوْبَتَهُ وَ غَلَبَ شَهْوَتَهُ- فَإِنَّ أَجَلَهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ وَ أَمَلَهُ خَادِعٌ لَهُ- وَ الشَّیْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ یُزَیِّنُ لَهُ الْمَعْصِیَهَ لِیَرْكَبَهَا- وَ یُمَنِّیهِ التَّوْبَهَ لِیُسَوِّفَهَا- إِذَا هَجَمَتْ مَنِیَّتُهُ عَلَیْهِ أَغْفَلَ مَا یَكُونُ عَنْهَا- فَیَا لَهَا حَسْرَهً عَلَی كُلِّ ذِی غَفْلَهٍ أَنْ یَكُونَ عُمُرُهُ عَلَیْهِ حُجَّهً- وَ أَنْ تُؤَدِّیَهُ أَیَّامُهُ إِلَی الشِّقْوَهِ- نَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ- أَنْ یَجْعَلَنَا وَ إِیَّاكُمْ مِمَّنْ لاَ تُبْطِرُهُ نِعْمَهٌ- وَ لاَ تُقَصِّرُ بِهِ عَنْ طَاعَهِ رَبِّهِ غَایَهٌ- وَ لاَ تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَهٌ وَ لاَ كَآبَهٌ

اللغه

أقول: المبادره : المسارعه .و السدی : المهمل .و جدیر بكذا : أی أولی به .و حرّی :

حقیق . كنایه و التسویف : قول الإنسان سوف أفعل،و هو كنایه عن التمادی فی الأمر .و البطر:

تجاوز الحدّ فی الفرح .و الكآبه : الحزن .

المعنی

اشاره

و حاصل هذه الموعظه التنفیر من الدنیا و الترغیب فی الآخره و ما یكون وسیله إلی نعیمها و الترهیب ممّا یكون سببا للشقاء فیها.

فقوله:فاتّقوا اللّه.إلی قوله:بأعمالكم

فقوله: فاتّقوا اللّه .إلی قوله: بأعمالكم .

فیه تنبیه علی وجوب لزوم الأعمال الصالحه،و حثّ علیها بالأمر بمسابقه الآجال و علی توقّع سرعه الأجل و إخطاره بالبال،و هو من الجواذب القویّه إلی اللّه تعالی.

تشبیه و نسب المسابقه إلی الآجال ملاحظه لشبهها بالمراهن إذ كان لحوقها حائلا بینهم و بین

ص:۱۶۲

الأعمال الصالحه الشبيهه بما يسبق عليه من رهن .

فقوله:و ابتاعوا ما بقى.إلى قوله:عنكم.

فقوله: و ابتاعوا ما بقى.إلى قوله:عنكم.

إشاره إلى لزوم الزهد فى الدنيا،و التخلّى عن متاعها الفانى،و أن يشترى به ما يبقى من متاع الآخره.و قد عرفت غير مرّه إطلاق لفظ البيع هنا.و قيّد المشترى بما يبقى،و الثمن بما يزول ليكون المشترى أحبّ إلى النفوس لبقائه .

و قوله:فترحّلوا فقد جدّ بكم.

تشبيه و قوله: فترحّلوا فقد جدّ بكم.

أمر بالترحّل،و هو قطع منزل منزل من منازل السفر إلى اللّه تعالى فى مراتب السلوك لطريقه،و نبّه على وجوب الترحّل بقوله: فقد جدّ بكم :أى فى السير إلى آجالكم بقوّه و ذلك الجدّ يعود إلى سرعه توارد الأسباب الّتى تعدّ المزاج للفساد و تقرّبه إلى الآخره ملاحظه لشبهها بسابق الإبل و نحوها .

و قوله:و استعدّوا للموت فقد أظلّكم.

استعاره و قوله: و استعدّوا للموت فقد أظلّكم.

الاستعداد له هو باستكمال النفوس كما لها الّذى ينبغى حتّى لا يبقى للموت عندها كثير وقع بل يكون محبوبا لكونه وسيله إلى المحبوب و هو لقاء اللّه و السعاده الباقيه فى حضره الملأ الأعلى،و نبّه بقوله: فقد أظلّكم .على قربه.و استلزم ذلك تشبيهه بالسحاب و الطير فاستعير له وصف الإظلال .

و قوله:و كونوا قوما صيح بهم فانتبهوا.

و قوله: و كونوا قوما صيح بهم فانتبهوا.

تنبيه لهم على الالتفات إلى منادى اللّه،و هو لسان الشريعه و الانتباه بندائه من مراقد الطبيعه .

و قوله:و علموا.إلى قوله:سدى.

و قوله: و علموا.إلى قوله:سدى.

تنبيه لهم على أنّ الدنيا ليست بدار لهم ليلتفتوا عن الركون إليها و يتوقّعوا الإخراج منها.ثمّ أمرهم بالاستبدال بها ليذكّروا أنّ هناك عوضا منها يجب أن يلتفت إليه و هو الدار الآخره،و نبّه بقوله : فإنّ اللّه لم يخلقكم عبثا .إلى آخره على وجوب العمل

لذلک البدل فإنّهم لم یخلقوا إلاّ لأمر وراء ما هم فیه .

و قوله:ما بین أحدکم.إلی قوله:ینزل به

و قوله: ما بین أحدکم.إلی قوله:ینزل به .

ص:۱۶۳

تعيين لما خلقوا له و وعدوا بالوصول إليه و أنّه لا حايل بينهم و بينه إلّا الموت.

قال بعض الشارحين:و هذا الكلام ممّا يصلح متمسّكا للحكماء فى تفسيرهم للجنّه و النار فإنّهم لمّا قالوا:إنّ الجنّه تعود إلى المعارف الإلهيّه و لوازمها،و النار تعود إلى حبّ الدنيا و الميل إلى مشتهياتها.و تمكّن الهيئات الرديئه فى جوهر النفس و عشقها بعد المفارقه لما لا يتمكّن من العود إليه كمن نقل عن مجاوره معشوقه و الالتذاذ به إلى موضع ظلمانىّ شديد الظلمه مع عدم تمكّنه من العود إليه كما قال تعالى «قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّی أَعْمَلُ صالِحاً فِیما تَرَکْتُ کَلاّ» (۱)الآيه.و كان إدراك لذّه المعارفه التامّه، و إدراك ألم النار بالمعنى أمرا يتحقّق حال مفارقه هذا البدن.إذ كان الإنسان فى عالم الشهاده فى إدراكه لما حصل فى نفسه و تمكّن من الهيئات كعضو مفلوج غطّى خدره على ألمه فإذا أزال الخدر أحسّ بالألم فكذلك النفس بعد الموت تدرك مالها من لذّه أو ألم كما هو لزوال الشواغل البدنيّه عنها.

قلت:و هذا الكلام أيضا ظاهر على مذهب المتكلّمين إذ جاء فى الخبر أنّ العبد يكشف له الموت عمّا يستحقّه من جنّه أو نار ثمّ يؤجّل ذلك إلى قيام القيامه الكبرى .

و قوله:و إنّ غايه.إلى قوله:المدّه.

كنايه و قوله: و إنّ غايه.إلى قوله:المدّه.

كنّى بالغايه عن الأجل المعلوم للإنسان ثمّ نبّه على قصره و حقارته بأمرين:

أحدهما:كونه تنقصه اللحظه:أى النظره.و هو ظاهر فإنّ كلّ جزء من الزمان فرصه قد مضى من مدّه الإنسان منقص لها.

الثانى: استعاره بالكنايه كونه تهدمها الساعه .كنّى بالساعه عن وقت الموت،و لا شكّ أنّ الآن الّذى تنقطع فيه علاقه النفس مع البدن غايه لأجل الإنسان.و غايه الشىء هى ما يتعلّق عندها الشىء فكنّى بالهدم عن ذلك الانقطاع و الانتهاء كنايه بالمستعار.و ظاهر أنّ مدّه هذا شأنها فى غايه القصر .

و قوله:و إنّ غائبا.إلى قوله:الأوبه

و قوله: و إنّ غائبا.إلى قوله:الأوبه.

أشار بالغائب إلى الإنسان إذ كانت الدنيا عالم غربته و محلّ سفره،و منزله الحقيقىّ

۱- ۱) ۱۰۱-۲۳

إنّما هو منشأه و ما إليه مرجعه،و إنّما سمّی اللیل و النهار جدیدان لتعاقبهما فلیس أحدهما مختلفا للآخر. استعاره و استعار لفظ الحدو لما یستلزمانه من إعداد الإنسان لقرب أجله المشبه لصوت الحادی الّذی یحدو الإبل لسرعه سیرها و قربها من المنزل المقصود لها.

و ظاهر أنّ من کان اللیل و النهار حادییه فهو فی غایه سرعه الرجوع إلی مبدئه و وطنه الأصلی .و قال بعض الشارحین:أراد بالغائب الموت.و هو و إن کان محتملا إلا أنّه لا یطابقه لفظ الأوبه لأنّ الموت لم یکن جائیا أو ذاهبا حتّی یرجع .

و قوله:و إنّ قادما.إلی قوله:العدّه

و قوله: و إنّ قادما.إلی قوله:العدّه.

أشار بالقادم بالفوز أو الشقوه إلی الإنسان حین قدومه علی ربّه بعد المفارقه فإنّه إمّا الفوز بالسعاده الباقیه،أو الحصول علی الخیبه و الشقوه.و نبّه بذکر القدوم علی أنّ من هذا شأنه فالواجب علیه أن یستعدّ بأفضل عدّه لیصل بها إلی أحبهما لدیه، و یتباعد بها عن أکرههما عنده .

و قوله:فتزوّدوا.إلی قوله:غدا

استعاره و قوله: فتزوّدوا.إلی قوله:غدا.

فصّل نوع تفصیل أفضل العدّه و هو الزاد الّذی یحرز الإنسان به نفسه یوم القیامه من السقب فی نار جهنّم و غلیل حرّها،و أشار بذلک الزاد إلی تقوی اللّه و خشیته.و قد علمت حقیقه الخشیه و الخوف و أنّه إنّما یحصل فی الدنیا.و أمّا کونه من الدنیا فلأنّ الآثار الحاصله للنفس من الحالات و الملکات کالخشیه و الخوف و سایر ما یتزوّده و یستصحبه بعد المفارقه امور إنّما حصلت عن هذا البدن و استفیدت من الدنیا بواسطته.و المشابهه الّتی لأجلها استعار لفظ الزاد هنا هو ما یشترک فیه الزاد المحسوس و التقوی من سلامه المتزوّد بهما کلّ فی طریقه فذاک فی المنازل المحسوسه من عذاب الجوع و العطش المحسوسین،و هذا فی المنازل المعقوله و مراتب السلوک و مراحل السفر إلی اللّه تعالی من عذاب الجوع المعقول .

و قوله:فاتّقی عبد ربّه.إلی قوله شهوته

و قوله: فاتّقی عبد ربّه.إلی قوله شهوته.

أو امر وردت بلفظ الماضی خالیه عن العطف و هی بلاغه تریک المعنی فی أحسن صوره.

فالأمر بالتقوی تفسیر للأمر بالزاد کما قال تعالی «وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوى» (۱)

و الأمر بنصيحه النفس أمر بالنظر فى مصالحها،و الشعور عليها أن تعمل ما هو الأولى بها من التمسّك بحدود اللّه و الوقوف عندها،و الأمر بتقديم التوبه و غلب الشهوه هو من جمله الأمر بالنصيحه كالتفسير له و من لوازم التقوى أردفه بهما،و أراد تقديم التوبه على الموت أو بالنسبه إلى كلّ وقت سيحضر .

و قوله:فإنّ أجله.إلى قوله:شقوه

و قوله: فإنّ أجله.إلى قوله:شقوه.

حثّ على امتثال أو امره السائقه إلى التوبه و غيرها،و تحذير من هجوم المنيّه على غفله لما يستلزمه ذلك من شدّه الحسره و طول الندم على التفريط،و ذلك أنّ ستر الأجل عن الإنسان موجب للغفله عنه فإذا انضاف إلى ذلك خداع الأمل الناشىء عن وساوس الشيطان فى تزيينه المعصيه و تسويفه التوبه مع كون موكّلا به و قرينا له كما قال سيّد المرسلين صلى اللّه عليه و آله و سلّم:ما من مولود إلّا و يولد معه قرين من الشيطان.كانت الغفله أشدّ و النسيان أكدّ، استعاره و استعار لفظ الخداع لصورته من النفس الأمّاره بالسوء و هو قولها للإنسان مثلا:تمتّع من شبابك و اغتنم لذّه العيش ما دمت فى مهله و مستقبل من عمرك و ستلحق للتوبه،و نحو ذلك من الأضاليل فإنّ هذه الصوره خداع من الشيطان،و أمّا نسبه ذلك إلى الأمل فلأنّ الأمل هو عزم النفس على فعل تلك الامور و أمثالها فى مستقبل الأوقات عن توهّم طول مدّه الحياه و اتّساعها لما تفعله فيها من معصيه و توبه،و ذلك العزم من أسباب الانخداع للشيطان و غروره فلذلك نسب الخداع إلى الأمل مجازا ،و جعل غايه ذلك الخداع هو أن تهجم على المخدوع منيّته حال ما هو فى أشدّ غفله عنها و اشتغال بما يؤمّله فيكون ذلك مستلزما لأعظم حسره و أكبر ندامه على أن يكون عمره عليه حجّه شاهدا بلسان حاله على ما اكتسب فيه من الآثام فصار بعد أن كان وسيله لسعادته سببا لشقاوته .و أغفل نصب على الحال .و حسره على التميز للمتعجّب منه المدعوّ.و اللام فى لها قيل:للاستغاثه.كأنّه قال:يا للحسره على الغافلين ما أكثرك،و قيل:بل لام الجرّ فتحت لدخولها على الضمير و المنادى محذوف و تقديره يا قوم أدعوكم لها حسره،و أن فى موضع النصب بحذف الجارّ كأنّه قيل:فعلام يقع عليهم الحسره؟فقال:على كون أعمارهم حجّه عليهم يوم القيامه .

ص:۱۶۶

و قوله:نسأل اللّه تعالی.إلی قوله:کأبه.

و قوله: نسأل اللّه تعالی.إلی قوله:کأبه.

خاتمه الخطبه،و سأل اللّه الخلاص عن امور ثلاثه:

الأوّل:أن یخلّصه من شدّه الفرح بنعمه الدنیا فإنّ ذلک من لوازم محبّتها المستلزمه للهلاک الأبدیّ.

الثانی :أن لا تقصر به غایه عن طاعه ربّه:أی لا یقصر عن غایه من غایات الطاعه یقال قصرت هذه الغایه بفلان إذا لم یبلغها.

الثالث :أن لا تحلّ به بعد الموت ندامه و لا حزن و ذلک سؤال لحسم أسبابها و هو اتّباع الهوی فی الدنیا و العدول عن طاعه اللّه.و باللّه العصمه.

۶۲-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی» لَمْ تَسْبِقْ لَهُ حَالٌ حَالاً- فَیَکُونَ أَوَّلاً قَبْلَ أَنْ یَکُونَ آخِراً- وَ یَکُونَ ظَاهِراً قَبْلَ أَنْ یَکُونَ بَاطِناً- کُلُّ مُسَمًّی بِالْوَحْدَهِ غَیْرَهُ قَلِیلٌ- وَ کُلُّ عَزِیزٍ غَیْرَهُ ذَلِیلٌ وَ کُلُّ قَوِیٍّ غَیْرَهُ ضَعِیفٌ- وَ کُلُّ مَالِکٍ غَیْرَهُ مَمْلُوکٌ وَ کُلُّ عَالِمٍ غَیْرَهُ مُتَعَلِّمٌ- وَ کُلُّ قَادِرٍ غَیْرَهُ یَقْدِرُ وَ یَعْجَزُ- وَ کُلُّ سَمِیعٍ غَیْرَهُ یَصَمُّ عَنْ لَطِیفِ الْأَصْوَاتِ- وَ یُصِمُّهُ کَبِیرُهَا وَ یَذْهَبُ عَنْهُ مَا بَعُدَ مِنْهَا- وَ کُلُّ بَصِیرٍ غَیْرَهُ یَعْمَی عَنْ خَفِیِّ الْأَلْوَانِ وَ لَطِیفِ الْأَجْسَامِ- وَ کُلُّ ظَاهِرٍ غَیْرَهُ بَاطِنٌ وَ کُلُّ بَاطِنٍ غَیْرَهُ غَیْرُ ظَاهِرٍ- لَمْ یَخْلُقْ مَا خَلَقَهُ لِتَشْدِیدِ سُلْطَانٍ- وَ لاَ تَخَوُّفٍ مِنْ عَوَاقِبِ زَمَانٍ- وَ لاَ اسْتِعَانَهٍ عَلَی نِدٍّ مُثَاوِرٍ وَ لاَ شَرِیکٍ مُکَاثِرٍ وَ لاَ ضِدٍّ مُنَافِرٍ- وَ لَکِنْ خَلاَئِقُ مَرْبُوبُونَ وَ عِبَادٌ دَاخِرُونَ- لَمْ یَحْلُلْ فِی الْأَشْیَاءِ

فَيُقَالَ هُوَ فِيهَا كَائِنٌ- وَ لَمْ يَنْأَ عَنْهَا فَيُقَالَ هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ- لَمْ يَؤُدْهُ خَلْقُ مَا ابْتَدَأَ- وَ لاَ تَدْبِيرُ مَا ذَرَأَ وَ لاَ وَقَفَ بِهِ عَجْزٌ عَمَّا خَلَقَ- وَ لاَ وَلَجَتْ عَلَيْهِ شُبْهَةٌ فِيمَا قَضَى وَ قَدَّرَ- بَلْ قَضَاءٌ مُتْقَنٌ وَ عِلْمٌ مُحْكَمٌ- وَ أَمْرٌ مُبْرَمٌ الْمَأْمُولُ مَعَ النِّقَمِ- الْمَرْهُوبُ مَعَ النِّعَمِ

اللغه

أقول: المثاور : المواثب .و الداخر : الذليل ،و آده الأمر : أثقله .و ذرء : خلق .

و المبرم : المحكم .

المعنى

و قد اشتملت هذه الخطبه على مباحث لطيفه من العلم الإلهىّ أيضا لا يطّلع عليها

اشاره

إلّا المتبحّرون فيه .

الأوّل:الّذى لم يسبق.إلى قوله:باطنا.

أقول:إنّه لمّا ثبت أنّ السبق و المقارنه و القبليّه و البعديّه امور تلحق الزمان لذاته و تلحق الزمانيّات به،و ثبت أنّه تعالى منزّه عن الزمان إذ كان من لواحق الحركه المتأخّره عن وجود الجسم المتأخّر عن وجود اللّه سبحانه كما علم ذلك فى موضعه لا جرم لم تلحق ذاته المقدّسه و مالها من صفات الكمال و نعوت الجلال شىء من لواحق الزمان.فلم يجز إذن أن يقال مثلا كونه عالما قبل كونه قادر و سابقا عليه،و كونه قادرا قبل كونه عالما،و لا كونه أوّلا للعالم قبل كونه آخرا له قبليّه و سبقا زمانيّا.بقى أن يقال:إنّ القبليّه و البعديّه قد تطلق بمعان اخر كالقبليّه بالشرف و الفضيله و الذات و العليّه،و قد بيّنا فى الخطبه الاولى أنّ كلّ ما يلحق ذاته المقدّسه من الصفات فاعتبارات ذهنيّه تحدثها العقول عند مقايسته إلى مخلوقاته،و شىء من تلك الاعتبارات لا تتفاوت أيضا بالقبليّه و البعديّه بأحد المعانى المذكوره بالنظر إلى ذاته المقدّسه فلا يقال مثلا هو المستحقّ لهذا الاعتبار قبل هذا الاعتبار أو بعده و إلّا لكان كمال ذاته قابلا للزياده و النقصان،بل استحقاقه بالنظر إلى ذاته لمّا يصحّ أن يعبّر لها استحقاق واحد لجميعها دائما فلا حال يفرض إلّا و هو يستحقّ فيه أن يعتبر له الأوّليّه و الآخريّه معا استحقاقا أوّليا ذاتيّا لا على وجه الترتّب

و إن تفاوتت الاعتبارات بالنظر إلى اعتبارنا،و هذا بخلاف غيره من الامور الزمانيّه فإنّ الجوهر مثلا يصدق عليه كونه أوّلا من العرض و لا يصدق عليه مع ذلك أنّه آخر له حتّى لو فرضنا عدم جميع الأعراض و بقاء الجوهر بعدها لم يكن استحقاقه للاعتبارين معا بل استحقاقه لاعتبار الأوّليّه متقدّم إذ كانت بعض أحواله سابقه على بعض،و لا استحقاقه لهما لذاته بل بحسب بقاء أسبابه.و لا العرض لما صدق عليه أنه بعد الجوهر يصدق عليه أنّه قبله باعتبار ما،و خلاف المختلفين فى أىّ الصفات أقدم مبنىّ على سوء تصوّرهم لصانعهم «سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيراً» .

إذا عرفت ذلك فنقول:أوّليّته هو اعتبار كونه مبدء لكلّ موجود،و آخريّته هو كونه غايه لكلّ ممكن ،و قد سبق معنى كونه ظاهرا و باطنا فى الخطبه الّتى أوّلها:

«الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى» بطن خفيّات الامور .

الثانى:كلّ مسمّى بالوحده غيره قليل.

مقصود هذه الكلمه أنّه تعالى لا يوصف بالقلّه و إن كان واحدا،و تقرير ذلك أنّ الواحد يقال بمعان و المشهور منها المتعارف بين الخلق كون الشىء مبدءا لكثره يكون عادّا لها و مكيالا و هو الّذى تلحقه القلّه و الكثره الإضافيّتان فإنّ كلّ واحد بهذا هو قليل بالنسبه إلى الكثره الّتى يصلح أن يكون مبدءا لها و المتصوّر لأكثر أهل العالم صدق هذا الاعتبار على اللّه بل ربّما لا يتصوّر بعضهم كونه تعالى واحدا إلاّ بهذا الوجه،و لمّا كان تعالى منزّها عن الوصف بالقلّه و الكثره لما يستلزمانه من الحاجه و النقصان اللازمين لطبيعه الإمكان أثبت القلّه لكلّ ما سواه فاستلزم إثباتها لغيره فى معرض المدح له و نفيهما عنه.و استلزم ذلك تنزيهه تعالى عن الواحديّه بالمعنى المذكور.إذ سلب اللازم يستلزم سلب ملزومه،و ليس إذا بطل كونه واحدا بهذا المعنى بطل كونه واحدا.فإنّا بيّنا صدق الواحد عليه بمعان اخر فى الخطبه الاولى،و قد يفهم من هذا أنّه لمّا نفى عنه القلّه استلزم ذلك أن يثبت له الكثره،و هو من سوء الفهم و قلّه العلم فإنّ عدم القلّه إنّما يستلزم ثبوت الكثره عند تعاقبها على محلّ من شأنه قبولهما.و ربّما قيل:

إنّ المراد بالقليل هنا الحقير،و هو غير مناسب لذكر الوحده و إنّما قال عليه السّلام:كلّ

مسمّى بالوحده،و لم يقل كلّ واحد ليشعر بأنّ قول الوحده على واحديّته تعالى و على واحديّه غيره قول بحسب اشتراك الاسم .

الثالث:و كلّ عزيز غيره ذليل.

أقول:رسّم العزيز بأنّه الخطير الّذى يقلّ وجود مثله و تشتدّ الحاجه إليه و يصعب الوصول إليه.ثمّ فى كلّ واحد من هذه القيود الثلاثه كمال و نقصان فالكمال فى قلّه الوجود أن يرجع إلى واحد و يستحيل أن يوجد مثله و ليس ذلك إلاّ اللّه سبحانه،و الكمال فى النفاسه و شدّه الحاجه أن يحتاج كلّ شىء فى كلّ شىء،و ليس ذلك على الكمال إلاّ اللّه تعالى،و الكمال فى صعوبه المنال أن لا يوصل إلى حقيقته على معنى الإحاطه بها، و ليس ذلك على كمال إلاّ اللّه تعالى فهو إذن العزيز المطلق الّذى كلّ موجود سواه ففى ذلّ الحاجه إليه و حقاره العبوديّه بالنسبه إلى كمال عزّه.فأمّا العزيز من الخلق فهو الّذى توجد له تلك الاعتبارات لكن لا مطلقا بل بقياسه إلى من هو دونه فى الاعتبارات المذكوره فهو إذن و إن صدق عليه أنّه عزيز بذلك الاعتبار إلاّ أنّه فى ذلّ الحاجه إلى من هو أعلى رتبه منه و أكمل فى تلك الاعتبارات،و كذلك من هو أعلى منه إلى أن ينتهى إلى العزيز المطلق الّذى لا يلحقه ذلّ باعتبار ما.فلذلك أثبت عليه السّلام الذلّ لكلّ عزيز سواه .

الرابع:و كلّ قوىّ غيره ضعيف.

القوّه تعودن إلى تمام القدره،و يقابلها الضعف،و لمّا كان استناد جميع الموجودات إلى تمام قدرته علمت أنّه لا أتمّ من قدرته فكلّ قوّه وصف بها غيره فبالنسبه إلى ضعف يقابلها لمن هو دونه و إذا قيس بالنسبه إلى من هو فوقه كان ضعيفا بالنسبه إليه،و كذلك من هو فوقه إلى أن ينتهى إلى تمام قدره اللّه فهو القوىّ الّذى لا يلحقه ضعف بالقياس إلى أحد غيره و كذلك قوله : و كلّ مالك غيره مملوك .فإنّ معنى المالك يعود إلى القادر على الشىء الّذى تنفذ مشيّته فيه باستحقاق دون غيره،و غيره بإذنه.و لمّا ثبت أنّ كلّ موجود سواه فهو فى تصريف قدرته و مشيّته إذ هما مستند وجوده ثبت أنّه هو المالك المطلق الّذى لست له مملوكيه بالقياس إلى شىء آخر و أنّ كلّ ما سواه فهو مملوك له و إن صدق عليه

بالعرف أنّه مالك بالقياس إلى هو دونه.ثمّ لا-يخفى عليك ممّا سلف أنّ قول القوّى و المالك عليه و على غيره قول بحسب اشتراك الاسم أيضا.

الخامس:و كلّ عالم غيره متعلّم.

لمّا ثبت أنّ علمه تعالى بالأشياء على ما مرّ من التفصيل إنّما هو لذاته،و لم يكن شىء منه بمستفاد من أمر آخر،و كان علم من سواه إنّما هو مستفاد بالتعلّم من الغير ثمّ الغير.من الغير إلى أن ينتهى إلى علمه تعالى الفايض بالخيرات لا جرم كان كلّ عالم سواه متعلّما و إن سمّى عالما بحصول العلم له،و كان هو العالم المطلق الّذى لا حاجه به فى تحصيل العلم إلى أمر آخر .

السادس:و كلّ قادر غيره يقدر و يعجز.

أقول:قدره اللّه تعالى تعود إلى اعتبار كونه مصدرا لآثاره.فأمّا قدره الغير فقد يراد بها قوّه جسمانيّه متبثّه فى الأعضاء محرّكه لها نحو الأفاعيل الاختياريّه.و العجز ما يقابل القدره بهذا المعنى و هو عدمها عمّا من شأنه أن يقدر كما فى حقّ الواحد منّا، و قد يراد بهما اعتباران آخران يتقابلان.إذا عرفت ذلك فنقول:القادر المطلق على كلّ تقدير هو مستند كلّ مخترع و موجود اختراعا ينفرد به و يستغنى فيه عن معاونه غيره و ذلك إنّما يتحقّق فى حقّ اللّه سبحانه فأمّا كلّ منسوب إلى القدره سواه فهو و إن كان بالجمله ذا قدره إلاّ-أنّها ناقصه لتناولها بعض الممكنات فقط و قصورها عن البعض الآخر و عدم تناولها له إذا كانت لا تصلح للمخترعات و إن نسب إليه إيجاد شىء فلأنّه فاعل أقرب و واسطه بين القادر الأوّل سبحانه و بين ذلك الأثر لا لذاته استقلالا و تفرّدا به على ما علم فى مظانّه.فكلّ قادر سواه فلذاته يستحقّ العجز و عدم القدره بالنسبه إلى ما يمكن تعلّق قدرته به من سائر المخترعات و الممكنات و إنّما يستحقّ القدره من وجوده.فهو إذن الفاعل المطلق الّذى لا يعجزه شىء عن شىء و لا يستعصى على قدرته شىء .

السابع:

استعاره و كلّ سميع غيره يصمّ عن لطيف الأصوات،و يصمّه كبيرها،و يذهب عنه ما بعد منها.

أقول:حسّ السمع فى الحيوان عباره عن قوّه تنفذ من الدماغ إلى الاذن فى

عصبته ثابته منه إلى الصماخ مبسوطه عليه كجلد الطبل،و هذه العصبه آله هذه القوّه.

و الصوت هيئه تحصل فى الهواء عن تموجّه بحركه شديده إمّا من قرع يحصل من اصطكاك جسمين صلبين فيضغط الهواء بينهما و ينفلت بشدّه،و إمّا من قلع شديد فيلج الهواء بين الجسمين المنفصلين الصلبين و يحصل عن السببين تموّج الهواء على هيئه مستديره كما يفعل وقوع الحجر فى الماء فإذا انتهى ذلك التموّج إلى الهواء الّذى فى الاذن تحرّك ذلك الهواء الراكد حركه مخصوصه بهيئه مخصوصه فتنفعل العصبه المفروشه على الصماخ عن تلك الحركه و تدركها القوّه السامعه هناك فهذا الإدراك يسمّى سماعا.

إذا عرفت ذلك فاعلم أنّ إدراك هذه القوّه للصوت يكون على قرب و بعد و حدّ من القوّه و الضعف مخصوص فإنّه إن كان الصوت ضعيفا أو بعيدا جدّا لم يحصل بسببه تموّج الهواء فلم يصل إلى الصماخ فلم يحصل السماع و ذلك معنى قوله: يصمّ عن لطيف الأصوات، و يذهب عليه ما بعد منها.

فإن قلت:لم خصّص اللطيف بالصمّ عنه و البعيد بالذهاب عليه.

قلت:يشبه أن يكون لأنّ البعيد فى مظنّه أن يسمع و إنّما يفوته بسبب عدم وصول الهواء الحامل له إليه،و أمّا الخفىّ فلمّا فلم يكن من شأنه أن تدركه القوّه السامعه أشبه عجزها عن إدراكه الصمّ فاستعير لفظه له،و أمّا إن كان الصوت فى غايه القوّه و القرب فربّما أحدث الصمّ و ذلك لشدّه قرعه للصماخ و تفرّق اتّصال الروح الحامل لقوّه السمع عنه بحيث يبطل استعدادها لتأديه القوّه إلى الصماخ و كلّ ذلك من نقصان الحيوان و ضعفه،و لمّا كان البارى تعالى منزّها عن الجسميّه و توابعها لا جرم كانت هذه اللواحق من الصمم عن لطيف الأصوات،و ذهاب بعيدها،و الصمّ من كبيرها مخصوصه بمن له تلك القوّه المذكوره و السمع المخصوص فكلّ سامع غيره فهو كذلك.و استلزم ذلك فى معرض مدحه بتنزيهه سبحانه عنها.و إذ ليس سميعا بالمعنى المذكور و قد نطق القرآن بإثبات هذه الصفه له فهو سميع بمعنى أنّه لا يعزب عن إدراكه مسموع و إن خفى فيسمع السرّ و النجوى بل ما يسمع هو أدّق و أخفى حمد الحامدين و دعاء الداعين،و ذلك هو السميع الّذى لا يتطرّق إليه الحدثان إذ لم يكن بآله و آذان .

الثامن:

مجاز من باب إطلاق اسم السبب على المسبّب و كل بصير غيره يعمى عن خفىّ الألوان و لطيف الأجسام .

أقول:خفىّ الألوان مثلا- كاللون فى الظلم،و اللطيف قد يكون بمعنى عديم اللون كما فى الهواء،و قد يكون بمعنى رقيق القوام كالجوهر الفرد عند المتكلّمين، و كالذّره،و اللطيف بالمعنيين غير مدرك للحيوان،و اطلق لفظ.العمى مجازا إذ كان عباره إمّا عن عدم البصر مطلقا أو عن عدمه عمّا من شأنه أن يبصر و لا واحد من هذين الاعتبارين بموجود للبصير غير اللّه فلم يكن عدم إدراكها عمى حقيقيّا بل لكون العمى من أسباب عدم الرؤيه اطلق لفظه عليه إطلاقا لاسم السبب على المسبّب،و هذا الحكم فى معرض مدحه إن يستلزم تنزيه بصره عن لاحق العمى و مظنّته إذ كان سبحانه منزّها عن معروض العمى و البصر و متعاليا عن أن يكون إدراكه بحدقه و أجفان و انطباع الصور و الألوان و إن كان يشاهد و يرى حتّى لا- يعزب عنه ما تحت الثرى.و إذ ليس بصيرا بالمعنى المذكور فهو البصير باعتبار أنّه مدرك لكمال صفات المبصرات،و ذلک الاعتبار أوضح و أجلى ممّا يفهم من إدراک البصر القاصر على ظواهر المرئيّات.

التاسع:و كلّ ظاهر غيره باطن .

أقول:ظهور الأشياء هو انكشافها للحسّ أو للعقل انكشافا بيّنا،و يقابله بطونها و هو خفاؤها عن أحدهما،و لمّا ثبت أنّه تعالى منزّه عن الجسميّه و لو احقها علم كونه منزّها عن إدراک الحواسّ،و لمّا قام البرهان على أنّه تعالى برىء عن أنحاء التراكيب الخارجيّه و العقليّه وجب تنزّه ذاته المقدّسه عن اطّلاع العقول عليها فعلم من هذا الترتيب أنّه لا يشارک الأشياء فى معنى ظهورها و قد وصف نفسه بالظهور فيجب أن يكون ظهوره عباره عن انكشاف وجوده فى جزئيّات آثاره كما قال تعالى «سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ» (۱)و إن كانت مشاهده الحقّ له على مراتب متفاوته و درجات متصاعده كما أشار إليه بعض مجرّدى السالكين:ما رأينا اللّه بعده.فلمّا ترقّوا عن تلک المرتبه درجه من المشاهده و الحضور قالوا:ما رأينا شيئا إلّا و رأينا اللّه فيه.فلمّا ترقّوا قالوا:ما رأينا شيئا إلّا و رأينا اللّه قبله.فلمّا ترقوا قالوا:ما رأينا شيئا سوى اللّه.

۱- ۱) ۵۳-۳۱

و الاولى مرتبه الفكر و الاستدلال عليه،و الثانيه مرتبه الحدس،و الثالثه مرتبه المستدلّين به لا عليه،و الرابعه مرتبه الفناء فى ساحل عزّته و اعتبار الوحده المطلقه محذوفا عنها كلّ لاحق.و إذا عرفت معنى ظهوره علمت أنّ شيئا من الممكنات لا يكون له الظهور المذكور فإنّه و إن كان لبعض الأشياء فى عقل أو حسّ إلاّ أنّه ليس فى كلّ عقل و فى كل حسّ إذ كلّ مطّلع على شىء فالّذى خفى عته أكثر ممّا اطّلع عليه فكلّ ظاهر غيره فهو باطن بالقياس إليه و هو تعالى الظاهر لكلّ شىء و فى كلّ شىء لكونه مبدء كلّ شىء و مرجع كلّ شىء .

العاشر:و كلّ باطن غيره فهو ظاهرفهو غير ظاهر خ.

و قد علمت معنى البطون للممكنات و ظهورها،و علمت أيضا ممّا سبق أنّ كونه باطنا يقال بمعنيين:أحدهما:أنّه الّذى خفى قدس ذاته عن اطّلاع العقول عليه.و الثانى:

أنّه الّذى بطن جميع الأشياء خبره و نفذ فيها علمه.ثمّ علمت الظهور المقابل للمعنى الأوّل، و أمّا المقابل للثانى فهو الّذى لم يطّلع إلاّ على ظواهر الأشياء لم يكن له اطّلاع على بواطنها يقال فلان ظاهر و ظاهرى.

إذا عرفت ذلك فنقول:إنّ كلّ باطن غيره سوا كان المراد بالبطون خفاء المتصوّر أو نفوذ العلم فى البواطن.فهو ظاهر بالقياس إليه تعالى ظهورا بالمعنى الّذى يقابله.أمّا الأوّل فلأنّ كلّ ممكن و إن خفى على بعض العالمين لم يخف على غيره و إن خفى على الكلّ فهو ظاهر فى علمه تعالى و ممكن الظهور فى علم غيره فليس إذن بخفى مطلقا و هو تعالى الباطن الّذى لا أبطن منه و كلّ باطن غيره فهو ظاهر بالقياس إليه.و أمّا الثانى فلأنّ كلّ عالم و إن جلّ قدره فلا إحاطه له ببعض المعلومات و هو قاصر عن بعضها،و بعضها غير ممكن له و هو تعالى الّذى لا يعزب عن علمه «مِثْقالِ ذَرَّةٍ فِي اَلْأَرْضِ وَ لا فِي اَلسَّماءِ وَ لا أَصْغَرَ مِنْ ذلِكَ وَ لا أَكْبَرَ» و كلّ ظاهر بالقياس إليه،و فى بعض النسخ و كلّ ظاهر غيره غير باطن و كلّ باطن غيره غير ظاهر،و معنى القضيّتين أنّ كلّ ممكن إن كان ظاهرا منكشفا لعقل أو حسّ لم يوصف مع ذلك بأنّه باطن كالشمس مثلا و إن كان باطنا خفيّا عن العقل و الحسّ لم يوصف مع ذلك بأنّه ظاهر،و هو تعالى الموصوف بأنّه الباطن الظاهر معا.و فى هذه النسخه نظر.فإنّا إنّما أثبتنا كونه تعالى ظاهرا و باطنا معا باعتبارين

ص:١٧۴

و فى بعض الممكنات ما هو كـذلك كالزمان مثلا فإنّ كلّ عاقل يعلم بالضـروره وجود الزمان و إن خفيت حقيقته على جمهور الحكمـاء و اضـطربت عليه أقوال العلماء و كـذلك العلم فليس إذن كلّ ظاهر غيره غير باطن و لا كلّ باطن غيره غير ظاهر.و اللّه أعلم .

الحادى عشر:لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان.إلى قوله:منافر.

أقول:إنّه تعالى لا يفعل لغرض و متى كان كذلك كان منزّها عن خصوصيّات هذه الأغراض.أمّا الأوّل فبرهانه أنّه لو فعل لغرض لكان وجود ذلك الغرض و عدمه بالنسبه إليه تعالى إمّا أن يكونا على سواء،أو ليس.و الأوّل باطل و إلاّ لكان حصول الغرض له ترجيحا من غير مرجّح،و الثانى باطل لأنّهما إذ الم يستويا كان حصول الغرض أولى به فحينئذ يكون حصول ذلك الغرض معتبرا فى كماله فيكون بدونه ناقصا تعالى اللّه عن ذلك.

لا يقال:ليست أولوّيه الغرض بالنسبه إلى ذاته بل بالنسبه إلى العبد إذ غرضه الإحسان إلى الغير.

لأنّا نقول:غرض إحسانه إلى الغير و عدمه إن كانا بالنسبه إليه على سواء عاد حديث الرجحان بلا مرجّح،و إن كان أحدهما أولى به عـاد حـديث الكمال و النقصان.و إذا عرفت أنّه تعالى لا يفعل لغرض،و كلّ ما ذكره عليه السّـلام فى هـذا الفصل من تشـديد سلطان و تقويته أو تخوّف عاقبه زمان أو استعانه على ندّو شريك و ضدّ أغراض علمت صدق قوله:

إنّه لم يخلق شيئا من خلقه لشىء من هذه الامور.و هذا تنزيه من طريق نفى الغرض المطلق.

و أمّا تنزيهه تعالى عن خصوصـيّات هـذه الأغراض فلأنّ تشديـد السـلطان إنّما يحتاج إليه ذو النقصان فى ملكه،و لمّا كان تعالى هو الغنىّ المطلق فى كلّ شىء عن كلّ شىء صدق أنّ ذلك بغرض له ممّا خلق،و أمّا التخوّف عن عواقب الزمان فلأنّ التضرّر و الانتفـاع و لواحقهمـا من الخوف و الرجـاء و نحوهما إنّما هى من لواحق الممكنات القابله للنقصان و الكمال و ما هو فى معرض التغيّر و الزوال،و لمّا ثبت تنزيهه تعالى عن الانفعال عن شـىء لم يتصوّر أن يكون أحـد هـذه الامور غرضا له،و لذلك الاسـتعانه على النّدو الضدّ و الشريك فإنّ الاستعانه هى طلب العون من الغير و ذلك من لوازم الضعف

و العجز و الخوف و أنّه لا عجز فلا استعانه فلا ندّ و لا شريک و لا ضدّ،و كذلک نقول:لا ندّ و لا شريک و لا ضدّ فلا استعانه و الغرض تنزيهه سبحانه عن صفات المخلوقين و خواصّ المحدثين .

و قوله:و لكن خلايق مربوبون و عباد داخرون.

و قوله: و لكن خلايق مربوبون و عباد داخرون.

أى بل خلايق خلقهم بمحض جوده و هو فيضان الخير عنه على كلّ قابل بقدر ما يقبله من غير بخل و لا منع و تعويق،و بذلک الاعتبار كان كلّ شىء و كلّ عبد ذليل و هو مالكه و مولاه :

و قوله:لم يحلل فى الأشياء فيقال هو فيها كائن.

و قوله: لم يحلل فى الأشياء فيقال هو فيها كائن.

إشاره إلى وصفه بسلب كونه ذا محلّ.و للناس فى تنزيهه تعالى عن المحلّ كلام طويل.و المعقول من الحلول عند الجمهور قيام موجود بموجود على سبيل التعبيه له،و ظاهر أنّ الحلول بهذا المعنى على الواجب الوجود محال لأنّ كونه تبعا للغير يستلزم حاجته إليه و كلّ محتاج ممكن.قال أفضل المتأخّرين نصير الدين الطوسى-أبقاه اللّه-:

و الحق أنّ حلول الشىء فى الشىء لا يتصوّر إلاّ إذا كان الحال بحيث لا يتعيّن إلاّ بتوسّط المحل و إذ لا يمكن أن يتعيّن واجب الوجود بغيره فإذن يستحيل حلوله فى غيره.

إذا عرفت ذلک فنقول:لمّا كان الكون فى المحلّ و النائى عنه و المباينه له امورا إنّما يقال على ما يصحّ حلوله فيه و يحلّه و كان هو تعالى منزّها عن الحلول وجب أن يمتنع عليه إطلاق هذه الامور.فإذ ليس هو بحالّ فى الأشياء فليس هو بكائن فيها،و إذ ليس بكائن فيها فليس بنائى عنها و لا مباين لها .

و قوله:لم يؤده خلق ما ابتدء و لا تدبير ما ذرء

و قوله: لم يؤده خلق ما ابتدء و لا تدبير ما ذرء.

الإعياء إنّما يقال لذى الأعضاء من الحيوان و إذ ليس تعالى بجسم و لا ذى آله جسمانيّه لم يلحقه بسبب فعله إعياء،و إنّما قال:ما ابتدء.ليكون سلب الإعياء عنه أبلغ إذ ما ابتدء من الأفعال يكون المشقّه فيه أتمّ و تدبيره يعود إلى تصريفه لجميع الذوات و الصفات دائما تصريفا كلّيا و جزئيّا على وفق حكمته و عنايته،و نحوه قوله تعالى «أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللّهَ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ لَمْ يَعْیَ بِخَلْقِهِنَّ » (1).

۱- ۱) ۳۲-۴۶

و قوله:و لا وقف به عجز عمّا خلق.

و قوله: و لا وقف به عجز عمّا خلق.

إشاره إلى كمال قدرته و أنّ العجز عليه محال.و قد سبق بيانه.

و قوله:و لا ولجت عليه شبهه فيما قضى و قدّر.

و قوله : و لا ولجت عليه شبهه فيما قضى و قدّر.

إشاره إلى كمال علمه و نفى الشبهه إن تعرض له.و أعلم أنّ الشبهه إنّما تدخل على العقل فى الامور المعقوله الصرفه غير الضروريّه.و ذلك أنّك علمت أنّ الوهم لا يصدق حكمه إلّا فى المحسوسات فأمّا الامور المعقوله الصرفه فحكمه فيها كاذب فالعقل حال استفصاله وجه الحقّ فيها يكون معارضا بالأحكام الوهميّه فإذا كان المطلوب غامضا فربّما كان فى الأحكام الوهميّه ما يشبه بعض أسباب المطلوب فتتصوّره النفس بصورته و تعتقده مبدءا فينتج الباطل فى صوره المطلوب و ليس به،و لمّا كان البارى تعالى منزّها عن القوى البدنيّه و كان علمه لذاته لم يجز أن تعرض لقضائه و لا قدره شبهه،أو يدخل عليه فيه شكّ لكونهما من عوارضيها.و قد عرفت معنى القضاء و القدر فيما سبق.

و قوله:بلا قضاء متقن و علم محكم .

و قوله: بلا قضاء متقن و علم محكم.

أى برىء من فساد الشبهه و الغلط.

و قوله:و أمر مبرم .

و قوله: و أمر مبرم.

إشاره إلى قدره الّذى هو تفصيل قضاءه المحكم،و ظاهر أنّ تفضيل المحكم لا يكون إلّا محكما:

و قوله:المأمول مع النقم المرهوب مع النعمالمرجوّ من النعم خ .

و قوله: المأمول مع النقم المرهوب مع النعم[المرجوّ من النعم خ].

أقول:منبع هذين الوصفين هو كمال ذاته و عموم فيضه و أنّه لا غرض له و إنّما الجود المطلق و الهبه لكلّ ما يستحقّه،و لمّا كان العبد حال حلول نقمته به قد يستعدّ بالاستغفار و الشكر لإفاضه الغفران و رفع النقمه فيفيضها عليه مع بقاء كثير من نعمه لديه كان تعالى مظنّه الأمل و الفزع إليه فى رفع ما القى فيه و إبقاء ما أبقى حتّى أنّه تعالى هو المفيض لصوره الأمل،و إليه أشار بقوله تعالى «وَ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاّ إِيّاهُ» و كذلك حال إفاضه نعمته لمّا كان العبد قد يستعدّ بالغفله

للإعراض عن شكرها كان تعالى فى تلك الحال أهلا أن يفيض عليه بوادر نقمته بسلبها

ص:١٧٧

فکان هو المأمول مع النقم المرهوب مع النعم فهو المستعان به علیه و هو الّذی لا مفرّ منه إلاّ إلیه،و من عداه مخلوق نقمته غیر مجامع لأمل رحمته،و قیام نعمته معاند لشمول رهبته.فلا مأمول و لا مرهوب فی کلا الحالین سواه.و باللّه العصمه و التوفیق.

۶۳-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

کان یقوله لأصحابه فی بعض أیام صفین

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِینَ اسْتَشْعِرُوا الْخَشْیَهَ- وَ تَجَلْبَبُوا السَّکِینَهَ وَ عَضُّوا عَلَی النَّوَاجِذِ- فَإِنَّهُ أَنْبَی لِلسُّیُوفِ عَنِ الْهَامِ وَ أَکْمِلُوا اللَّأْمَهَ- وَ قَلْقِلُوا السُّیُوفَ فِی أَغْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا- وَ الْحَظُوا الْخزْرَ وَ اطْعُنُوا الشَّزْرَ- وَ نَافِحُوا بِالظُّبَی وَ صِلُوا السُّیُوفَ بِالْخُطَا- وَ اعْلَمُوا أَنَّکُمْ بِعَیْنِ اللَّهِ وَ مَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ- فَعَاوِدُوا الْکَرَّ وَ اسْتَحْیُوا مِنَ الْفَرِّ- فَإِنَّهُ عَارٌ فِی الْأَعْقَابِ وَ نَارٌ یَوْمَ الْحِسَابِ- وَ طِیبُوا عَنْ أَنْفُسِکُمْ نَفْساً- وَ امْشُوا إِلَی الْمَوْتِ مَشْیاً سُجُحاً- وَ عَلَیْکُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ وَ الرِّوَاقِ الْمُطَنَّبِ- فَاضْرِبُوا ثَبَجَهُ فَإِنَّ الشَّیْطَانَ کَامِنٌ فِی کِسْرِهِ- وَ قَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَهِ یَداً وَ أَخَّرَ لِلنُّکُوصِ رِجْلاً- فَصَمْداً صَمْداً حَتَّی یَنْجَلِیَ لَکُمْ عَمُودُ الْحَقِّ- «وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَ اللّهُ مَعَکُمْ وَ لَنْ یَتِرَکُمْ أَعْمالَکُمْ» أقول:المشهور أنّ هذا الکلام قاله علیه السّلام لأصحابه فی الیوم الّذی کان مساؤه لیله الهریر،و روی أنّه قال فی أوّل اللقاء بصفّین و ذلک فی صفر سنه سبع و ثلاثین.

ص:۱۷۸

اللغه

استشعرت الشیء: اتّخذته شعارا:و هو ما یلی الجسد من الثیاب .و الجلباب: الملحفه .

و السکینه: الثبات و الوقار .و النواجذ : أقاصی الأضراس .و نبا السیف : إذا رجع فی الضربه و لم یعمل و اللأمه بالهمزه الساکنه : الدرع،و بالمدوده مع تضعیف المیم جمیع آلات الحرب و القلقله : التحریک الخزر بفتح الزاء : ضیق العین و صغرها،و کذلک تضییقها و النظر بمؤخّرها عند الغضب .و الطعن الشزر بسکون الزاء : الضرب علی غیر استقامه بل یمینا و شمالا .و الظبی : جمع ظبّه:و هو طرف السیف و المنافحه : التناول بأطراف السیوف .

و الأعقاب : جمع عقب أو جمع عقب و هو العاقبه .و سجحا : أی سهلا .و السواد : العدد الکثیر .و الرواق : بیت کالفسطاط یعمل علی عمود واحد .و ثبجه : وسطه .و الکسر : جانب الخباء و النکوص : الرجوع .و الصمد . القصد .و لن یترکم : أی ینقصکم .

المعنی

اشاره

و اعلم أنّ هذه الأوامر مشتمله علی تعلیم الحرب و المقاتلهو هی کیفیّه یستلزم الاستعداد بها إفاضه النصر لا محاله.

فأوّلها:

استعاره الأمر باستشعار خشیه اللّه کما یلزم الشعار الجسد.و هو استعاره کما سبق.

و فایده هذا الأمر الصبر علی الحرب و امتثال جمیع امور الباقیه.إذ خشیه اللّه مستلزمه لامتثال أوامره و لذلک قدّمه .

الثانی:

استعاره الأمر باتّخاذ السکینه جلبابا تنزیلا للثیاب الشامل للإنسان منزله الملحفه فی شمولها للبدن.و الشمول هو وجه الاستعاره،و فایده هذا الأمر طرد الفشل و إرهاب العدوّ فإنّ الطیش و الاضطراب یستلزمان الفشل و طمع العدوّ .

الثالث:الأمر بالعضّ علی النواجذ

و فایدته ما ذکر و هو أن ینبو السیف عن الهامه.و علّته أنّ العضّ علی الناجذ یستلزم تصلّب العضلات و الأعصاب المتّصله بالدماغ فیقاوم ضربه السیف و یکون نکایته فیه أقلّ،و الضمیر فی قوله : فإنّه .یعود إلی الصدر الّذی دلّ علیه عضوّا کقولک:من أحسن کان خیرا له.و قال بعض الشارحین:عضّ الناجذ کنایه عن تسکین القلب و طرد الرعده و لیس المراد حقیقته.قلت:هذا و إن کان محتملا لو قطع عن التعلیل إلّا أنّه غیر مراد هنا لأنّه یضیع تعلیله بکونه أنبا للسیوف عن الهامّ .

الرابع:الأمر بإكمال اللأمه،و إكمال الدرع

البيضه و السواعد،و يحتمل أن

ص:۱۷۹

يريد باللامه جميع آلات الحرب و ما يحتاج إليه فيه و فايدته شده التحصّن.

الخامس:الأمر بقلقله السيوف فى الأغماد

،و فايدته سهوله جذبها حال الحاجه إليها فإنّ طول مكثها فى الأغماد يوجب صداها و صعوبه مخرجها حال الحاجه

السادس:الأمر بلحظ الخزر

،و ذلک من هيئات الغضب فإنّ الإنسان إذا نظر من غضب عليه نظره خزرا،و فائدته امور:أحدها:إحماء الطبع و استثاره الغضب،و الثانى:أنّ النظر بكلّيه العين إلى العدوّ أماره الفشل و من عوارض الطيش و الخوف،و ذلک يوجب طمع العدوّ.الثالث:أنّ النظر بكلّيتها إليه يوجب له التفطّن و الحذر و أخذ الاهبّه و التحرّز،و النظر خزرا استغفال له و مظنّه لأخذ عزّته.

السابع:الأمر بالطعن الشرز

،و ذلک أنّ الطعن يمينا و شمالا يوسّع المجال على الطاعن و لأن أكثر المناوشه للخصم فى الحرب يكون عن يمينه و شماله .

الثامن:الضرب بأطراف السيوف.

و فائدته أنّ مخالطه العدوّ و القرب الكثير منه يشغل عن التمكّن من ضربه .

التاسع:الأمر بوصل السيوف بالخطا.

و له فايدتان:إحداهما أنّ السيف ربّما يكون قصيرا فلا ينال الغرض به فإذا انصاف إليه مدّ اليد و الخطوات بلغ به المراد.و فيه قول الشاعر.

إذا قصرت أسيافنا كان وصلها خطانا إلى أعدائنا فنضارب

و قول الآخر:

نصل السيوف إذا قصرن بخطونا يوما و نلحقها إذا لم تلحق

و قيل له عليه السّلام:ما أقصر سيفک؟فقال:اطوّله بخطوه.الثانيه:أنّ الزحف فى الحرب إلى العدوّ و التقدّم إليه خطوات فى حال المكافحه يكسر توهّمه الضعف فى عدوّه و يلقى فى قلبه الرعب و يداخله الرهبه،و إليه أشار حميد بن ثور الهذلىّ.

و وصل الخطا بالسيف و السيف بالخطا إذا ظنّ أنّ المرء ذا السيف قاصر

ثمّ لمّا أراد تأكيد تلک الأوامر فى قلوبهم و أن يزيدهم أوامر اخرى أردف ذلک بأمرين:أحدهما :أنّ اللّه تعالى يراهم و ينظر

كيف يعملون،و ذلك قوله: و اعلموا أنّكم

ص:۱۸۰

بعين اللّه ،و الباء هنا كهى فى قولك:أنت منّى بمرأى و مسمع.الثانى:تذكيرهم بكونهم مع ابن عمّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم تنبيها لهم على فضيلته،و أنّ طاعه كطاعته رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم، و حربه كحربه كما هو المنقول عنه:حربك يا علىّ حربى.فيثبتوا على قتال عدوّهم كما ثبتوا مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم

العاشر:الأمر بمعاوده الكرّ.

و ذلك عند التحرّف للقتال و الانحياز إلى الفئه، و أن يستحيوا من الفرار. ثمّ نبّههم على قبحه بأمرين:أحدهما:أنّه عار فى الأعقاب:أى أنّه عار فى عاقبه أمركم و سبّه باقيه خلفكم،و العرب تستقبح الفرار كثيرا،الثانى: مجاز تسميه للشىء باسم غايته كونه نارا يوم الحساب :أى يوجب استحقاق النار،و هو من كبائر المعاصى،و جعله نارا مجازا تسميه له باسم غايته و هو تذكير لهم بوعيده تعالى «وَ مَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاّ مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلى فِئَهٍ فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللّهِ وَ مَأْواهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ» .

الحادى عشر قوله:و طيّبوا عن أنفسكم نفسا

.و هو تسهيل للموت عليهم الّذى هو غايه ما يلقونه من الشدائد فى الحرب بالبشاره بما هو أعظم و أجلّ من الحياه الدنيا المطلوبه بترك القتال و هو ما أعدّ لهم من الثواب الباقى،و هذا كما يقول أحدنا للمنفق ماله مع حبّه له طب نفسا عمّا ذهب منك فإنّ الصدقه مضاعفه لك عند اللّه و تجدها خيرا و أعظم أجرا.و نفسا منصوب على التمييز،و أشار بها إلى النفس المدّبره لهذا البدن،و بالاولى إلى الشخص الزايل بالقتل.

الثانى عشر:الأمر بالمشى إلى الموت سجحا:

أى مشيا سهلا لا تكلّف فيه و لا تخشّع فإنّ المتكلّف سريع الفرار،و هو أمر لهم بالمشى إلى غايه ما يخافون من القتال ليوطّنوا نفوسهم عليه إو لنفروا بسرعه إلى الحرب إذ من العاده أن يستنفر الشجاع بمثل ذلك فيسارع إلى داعيه لما يتصوّره فيه من جميل الذكر و حسن الاحدوثه،و روى سمحا و المعنى واحد.

و قوله: عليكم بهذا السواد الأعظم.إلى قوله:رجلا.

أقول لمّا شحذهم بالأوامر المذكوره عيّن مقصدهم،و أشار بالسواد الأعظم إلى أهل الشام مجتمعين، و بالرواق المطنّب إلى مضرب معاويه،و كان معاويه إذن فى مضرب

علیه قبّه عـالیه بأطنـاب عظیمه و حوله من أهـل الشـام مـائه ألف کانوا تعاهـدوا أن لا ینفرجوا عنه حتّی یقتلوا .و عیّن لهم وسـط الرواق و أغراهم به اسـتعاره بقوله : إنّ الشـیطان کـامن فی کسـره .و أراد بالشـیطان معـاویه،و قیـل عمرو بن العـاص،و ذلک أنّ الشـیطان لمّا کان عباره عن شـخص یضلّ الناس عن سبیل اللّه،و کان معاویه فی أصـحابه کذلک عنده علیه السّلام لا جرم أطلق علیه لفظ الشیطان،و قد سبقت الإشاره إلی معنی الشیطان.و یحتمل أن یرید الشیطان،و لمّا کانت محالّ الفساد هی مظنّه إبلیس،و کان المضـرب قد ضرب علی غیر طاعه اللّه کان محلاّ للشیطان فلذلک استعار له لفظ الجلوس فی کسره استعاره بالکنایه و قوله: و قد قدّم للوثبه یدا و أخّر للنکوص رجلا.

کنـایه عن تردّد معـاویه و انتظاره لأمرهم إن جبنوا وثب،و إن شـجعوا نکص و هرب،أو عن الشـیطان علی سبیل اسـتعاره الوثبه و النکوص و الید و الرجل،و یکون تقدیم یده للوثبه کنایه عن تزیینه لأصحاب معاویه الحرب و المعصیه و تأخیره الرجل للنکوص کنایه عن تهیّته للفرار إذا التقی الجمعان کما حکی اللّه سبحانه عنه «فَلَمّا تَراءَتِ الْفِئَتانِ نَکَصَ عَلی عَقِبَیْهِ وَ قالَ إِنِّی بَرِیءٌ مِنْکُمْ» (۱)الایه.

فإن قلت:فما معنی نکوص الشیطان علی رأی من فسرّه بالقوّه الواهمه و نحوها.

قلت:لمّا کانت وسوسته تعود إلقائه إلی النفس صوره ما یحکم بحسنه لها فقط دون أمر آخر کما حکی اللّه تعالی عنه «وَ ما کانَ لِی عَلَیْکُمْ مِنْ سُـلْطانٍ إِلاّ أَنْ دَعَوْتُکُمْ» (۲)الآیه کان نکوصه یعود إلی إعراض الوهم عنـد عضّ الحرب و مشاهـده المکروه عن ذلـک الحکم و رجوعه عنه،و هو معنی قوله: «إِنِّی بَرِیءٌ مِنْکُمْ إِنِّی أَری ما لا تَرَوْنَ» ،و ذلـک أنّ الوهم إذن یحکم بـالهرب و الاندفاع من المخوف بعد أن کان قد زیّن الدخول فیه فیکون إذن قوله «إِنِّی أَخافُ اللّهَ وَ اللّهُ شَدِیدُ الْعِقابِ» موافقه لحکم العقل فیما کان یراه من طاعه اللّه بترک المعصیه بالحرب.و کلّ ذلک من تمام إغراء أصحابه بأهل الشام و تنبیههم علی أنّ باعثهم فی الحرب لیس إلاّ الشیطان و أنّه لا غرض له إلاّ فتنتهم ثمّ الرجوع و الإعراض عنهم.

الثالث عشر:أمرهم بقصد عدوّهم مؤکّدا له بتکریره

:أی اصمد و لهم صمدا إلی غایه

ص:۱۸۲

۱- ۱) ۸-۵۰

۲- ۲) ۲۶-۱۴

أن يظهر لكم نور الحقّ بالنصر، استعاره مرشحه و استعار لفظ العمود للحقّ الظاهر عن الصبح للمشاركه بينهما فی الوضوح و الجلاء فالصبح للحسّ،و الحقّ للعقل،و لفظ التجلّی ترشيح الاستعاره كنّی به عن ظهوره و وضوحه،و المعنی:الی أن يتّضح لكم أنّ الحقّ معكم يظفركم بعدوّكم و قهره.

إذا الطالب لغير حقّه سريع الانفعال قريب الفرار فی المقاومه .و قوله: «وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ» .الايه.

تسكين لنفوسهم و بشاره بالمطلوب بالحرب،و هو العلوّ و القهر كما بشّر اللّه تعالی به الصحابه فی قتال المشركين و تثبيت لهم علی المضیّ فی طاعته «فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغالِبُونَ» .

و قوله: «وَ لَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمالَكُمْ» .

تذكير لهم بجزاء اللّه لهم أعمالهم فی الآخره،و بعث لهم بذلك علی لزوم العمل له.و باللّه التوفيق.

۶۴-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

فی معنی الأنصار

،قالوا:لما انتهت إلی أمير المؤمنين عليه السّلام أنباء السقيفه بعد وفاه رسول اللّه صلی اللّه عليه و آله و سلّم.قال عليه السّلام::

فَهَلاَّ احْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ- بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص وَصَّی بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَی مُحْسِنِهِمْ- وَ يُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ- قَالُوا وَ مَا فِي هَذَا مِنَ الْحُجَّهِ عَلَيْهِمْ- فَقَالَ ع لَوْ كَانَ الْإِمَامَهُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّهُ بِهِمْ- ثُمَّ قَالَ ع

ص:۱۸۳

فَمَا ذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ -قَالُوا احْتَجَّتْ بِأَنَّهَا شَجَرَهُ الرَّسُولِ ص- فَقَالَ ع احْتَجُّوا بِالشَّجَرَهِ وَ أَضَاعُوا الثَّمَرَهَ

المعنى

أقول:الأنباء الّتى بلغته عليه السّلام هى أخبار ما جرى بين الأنصار و المهاجرين من المشاجره فى أمر الإمامه و ايقاعهم البيعه لأبى بكر،و خلاصه القصّه أنّه لمّا قبض رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم اجتمعت الأنصار فى سقيفه بنى ساعده:و هى صفّه كانوا يجتمعون بها فخطبهم سعد بن عباده،و مدحهم فى خطبته و أغراهم بطلب الإمامه.و قال:إنّ لكم سابقه فى الإسلام ليست لقبيله من العرب.إنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم لبث فى قومه بضع عشره سنه يدعوهم إلى عباده الرحمن فما آمن به من قومه إلّا قليل،و اللّه ما كانوا يقدرون أن يمنعوه و لا يدفعوا عنه ضيما حتّى أراد اللّه بكم خير الفضيله،و ساق إليكم الكرامه،و رزقكم الايمان به و الإقرار بدينه.فكنتم أشدّ الناس على من تخلّف عنه منكم،و أثقله على عدوّه من غيركم حتّى استقاموا لأمره و دانت لأسيافكم العرب،و انجز اللّه لنبيّكم الوعد و توفّاه و هو عنكم راض.فشدّوا أيديكم لهذا الأمر.فأنتم أحقّ الناس به.فأجابوه جميعا إن وفّقت و أصبت لم نعد و أن نولّيك هذا الأمر.و أتى الخبر أبا بكر و عمر فجاء امسرعين إلى السقيفه فتكلّم أبو بكر فقال للأنصار:ألم تعلموا أنّا معاشر المهاجرين أوّل الناس إسلاما؟ و نحن عشيره رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم و أنتم أنصار الدين و وزراء رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم و إخواننا فى كتاب اللّه،و أنتم المؤثرون على أنفسهم و أحقّ الناس بالرضاء بقضاء اللّه و التسليم لما ساق اللّه إلى إخوانكم،و أن لا يكون انتقاض هذا الدين على أيديكم،و أنا أدعوكم إلى بيعه أبى عبيده أو عمر فكلاهما قد رضيت لهذا الأمر.فقال عمرو أبو عبيده:ما ينبغى لأحد من الناس أن يكون فوقك أنت صاحب الغار،و ثانى اثنين،و أمرك رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم بالصلوه.

فأنت أحقّ بهذا الأمر.فقالت الأنصار:نحن أنصار الدار و الايمان لم يعبد اللّه علانيه إلّا عندنا و فى بلادنا،و لا عرف الايمان إلّا من أسيافنا،و لا جمعت الصلاه إلّا فى مساجدنا.فنحن أولى بهذا الأمر.فإن أبيتم فمنّا أمير و منكم أمير.فقال عمر:هيهات لا يجمع سيفان فى غمد إنّ العرب لا ترضى أن تؤمّركم و بينها من غيركم.فقال الحباب بن المنذر:نحن

و اللّه أحقّ بهذا الأمر إنّه قددان لهذا الأمر بأسيافنا من لم يكن يدين له و إن لم ترضوا اجليناكم عن بلادنا إنّا جذيلها المحلّك و عذيقها المرجّب إن شئتم لنعيدنّها جذعه.و اللّه لا يردّ عليّ أحد ما أقول إلاّ حطمت أنفه بسيفى هذا.فقام بشر بن سعد الخزرجىّ و كان يحسد سعد بن عباده أن يصل إليه هذا الأمر و كان سيّدا فى الخزرج و قال:إنّا لم نرد بجهادنا و إسلامنا إ؟؟؟ وجه ربّنا لا غرضا من الدنيا،و إنّ محمّدا رجل من قريش و قومه أحقّ بميراث أمره و اتّقو اللّه و لا تنازعوهم معشر الأنصار.فقام أبو بكر فقال:هذا عمرو أبو عبيده بايعوا أيّهما شئتم فقالا:لا يتولّى هذا الأمر غيرك و أنت أحقّ به ابسط يدك فبسط يده فبايعاه و بايعه بشر بن سعد و بايعته الأوس كلّهم،و حمل سعد بن عباده و هو مريض فأدخل منزله،و قيل:إنّه بقى ممتنعا من البيعه حتّى مات بحوران فى طريق الشام.

و لنرجع إلى المتن فنقول:أمّا الخبر الّذى رواه عليه السّلام عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم حجّه عليهم فهو صحيح أخرجه مسلم و البخارى فى مسنديهما عن أنس قال أبو بكر و العبّاس بمجلس من مجالس الأنصار فى مرض رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم و هم يبكون فقالا:ما يبكيكم.

فقالوا:ذكرنا مجلس رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم فدخلا على الرسول فأخبراه بذلك فخرج رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم معصّبا على رأسه حاشيه برد فصعد المنبر و لم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال:اوصيكم بالأنصار فإنّهم كرشى و عيبتى و قد قضوا الّذى عليهم و بقى الّذى لهم فاقبلوا من محسنهم و تجاوزوا عن مسيئهم .فأمّا وجه احتجاجه بهذا الخبر فهو فى صوره شرطيّه متّصله يستثنى فيها نقيض تاليها.و تقريرها:لو كانت الإمامه حقّا لهم لمّا كانت الوصيّه بهم لكنّها بهم فليست الإمامه لهم.بيان الملازمه أنّ العرف قاض بأنّ الوصيّه و الشفاعه و نحوها إنّما يكون إلى الرئيس فى حقّ المرءوس من غير عكس،و أمّا بطلان التالى للخبر المذكور.

استعاره و أمّا قوله : احتجّوا بالشجره و أضاعوا الثمره.

فأشار بالثمره إمّا إلى نفسه و أهل بيته فإنّهم ثمره الغصن المورق المثمر لتلك الشجره،و لمّا استعير لفظ الشجره لقريش استعار لفظ الثمره لنفسه.و قد عرفت فرعيّته عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم و كونه ثمره .و إضاعتهم لها إهمالهم له من هذا الأمر،و يحتمل

أن يريد بالثمره الّتى أضاعوها سنّه اللّه الموجبه فى اعتقاده استحقاقه لهذا لأمر و ظاهر كونها ثمره الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم و إهمالهم لها تركهم العمل بها فى حقّه،و هو كلام فى قوّه احتجاج له على قريش بمثل ما احتجّوا به على الأنصار.و تقديره:أنّهم إن كانوا أولى من الأنصار لكونهم شجره رسول اللّه فنحن أولى لكوننا ثمره،و للثمره اختصاص بالمثمر من وجهين:

أحدهما:القرب و مزيّته ظاهره.

و الثانى:أنّ الثمره هى المطلوبه بالذات من الشجره و غرسها فإن كانت الشجره معتبره فبالأولى اعتبار الثمره،و إن لم يلتفت إلى الثمره فبالأولى لا التفات إلى الشجره.

و يلزم من هذا الاحتجاج أحد أمرين:إمّا بقاء الأنصار على حجّتهم لقيام هذه المعارضه،أو كونه عليه السّلام أحقّ بهذا الأمر و هو المطلوب.و اللّه أعلم بالصواب.

۶۵-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

لما قلد محمد بن أبى بكر مصر فملكت عليه فقتل

وَ قَدْ أَرَدْتُ تَوْلِيَهَ؟مِصْرَ؟ ؟هَاشِمَ بْنَ عُتْبَهَ؟- وَ لَوْ وَلَّيْتُهُ إِيَّاهَا لَمَّا خَلَّى لَهُمُ الْعَرْصَهَ- وَ لاَ أَنْهَزَهُمُ الْفُرْصَهَ- بِلاَ ذَمٍّ؟لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِى بَكْرٍ؟- فَلَقَدْ كَانَ إِلَيَّ حَبِيباً وَ كَانَ لِي رَبِيباً أقول:كان عليه السّلام ولىّ محمّد بن أبى بكر مصر فلمّا اضطرب الأمر عليه بعد صفّين و قوى أمر معاويه طمع فى مصر.و قد كان عمرو بن العاص بايعه على أن يكون معه فى قتال علىّ و بكون مصر له طعمه.فبعثه إليها بعد صفّين فى ستّه آلاف فارس و قد كان فيها جماعه عظيمه ممّن يطلب بدم عثمان،و كانوا يزعمون أنّ محمّدا قتله فانضافوا إلى عمرو،و كان معاويه كتب إلى وجوه أهل مصر أمّا إلى شيعته فبالترغيب،و أمّا إلى أعدائه فبالترهيب، و كتب محمّد بن أبى بكر إلى علىّ بالقصّه يستمدّه بالمال و الرجال فكتب إليه بعده بذلك.

فجعل محمّد يدعو أهل مصر لقتال عمرو فانتدب معه منهم أربعه آلاف رجل فوجّه منهم ألفين

عند كنانه بن بشر لاستقبال عمرو،و بقى هو فى ألفين فابتلى كنانه فى ذلك اليوم بلاء حسنا و قتل من عسكر عمرو خلقا كثيرا،و لم يزل يقاتل حتّى قتل هو و من معه فلمّا قتل تفرّق الناس عن محمّد،و أقبل عمرو يطلب محمّدا فهرب منه مختفيا فالتجئ إلى حزبه اختبى فيها فدخل عمرو فسطاطه.و خرج معاويه بن خديج الكندى و كان من امراء جيش عمرو فى طلب محمّد فطفر به و قد كاد يموت عطشا فقدّمه فضرب عنقه ثمّ أخذ جثّته فحشاها فى جوف حمار ميّت و أحرقه،و قد كان على عليه السّلام وجّه لنصرته مع مالك بن كعب إلى مصر نحو من ألفى رجل فصار بهم خمس ليال و ورد الخبر إلى علىّ عليه السّلام بقتله و أخذ مصر.فخرج عليه السّلام عليه جزعا ظهر أثره فى وجهه ثمّ قال:رحم اللّه محمّدا كان غلاما حدثا، و قد كنت أردت.الفصل.

اللغه

و النهز : النهوض لتناول الشيء .و الفرصه : النهضه،و هى ما أمكنك من نفسك .

المعنى

و إنّما أراد توليه هاشم لقوّته على هذا الأمر و كثره تجاربه،و هاشم هذا ابن عتبه بن أبى وقّاص الّذى كسر رباعيه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم يوم احد و كلم شفته،و كان هاشم من شيعه علىّ و المخلصين فى ولائه شهد معه حرب صفّين و ابلى فيه بلاء حسنا و استشهد بين يديه بها .

و قوله: لما خلّى لهم العرصه.

أى عرصه الحرب كما فرّ محمّد،و ظنّ أنّه ينجو بفراره.و لو ثبت لثبت معه الناس و قتل كريما .

كنايه و قوله: و لا أنهزهم الفرصه.

كنّى بالفرصه عن مصر:أى و لم يمكنهم من تناولها كما تمكّنوا مع محمّد .

و قوله: بلا ذمّ لمحمّد.

أى لست فى مدحى لهاشم ذامّا لمحمّد.و نبّه على براءته من استحقاق الذمّ بوجهين .

الأوّل:أنّه كان لى حبيبا.و ظاهر أنّه عليه السّلام لا يحبّ إلاّ مرضيّا للّه و رسوله بريئا من العيوب الفاضحه.و قد كان محمّد-رضى اللّه عنه-من نسّاك قريش و عبّادها .

الثانى:أنّه كان ربيبا له.و ذلك ممّا يستلزم محبّته و عدم ذمّه فأمّا كونه ربيبا

فلأنّ ام محمّد هى أسماء بنت عميس و كانت تحت جعفر بن أبى طالب و هاجرت معه إلى الحبشه فولدت له عبد اللّه بن جعفر و قتل عنها يوم موته فتزوّجها أبو بكر فأولدها محمّدا ثمّ لمّا مات عنها تزوجها علىّ عليه السّلام فكان محمّد ربيبته و نشأ على ولائه منذ صباه،و كان علىّ عليه السّلام يحبّه و يكرمه و يقول:محمّد ابنى من ظهر أبى بكر.و باللّه التوفيق.

۶۶-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

كَمْ أُدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارَى الْبِكَارُ الْعَمِدَهُ- وَ الثِّيَابُ الْمُتَدَاعِيَهُ- كُلَّمَا حِيصَتْ مِنْ جَانِبٍ تَهَتَّكَتْ مِنْ آخَرَ- كُلَّمَا أَطَلَّ عَلَيْكُمْ مَنْسِرٌ مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ؟الشَّام؟- أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ- وَ انْجَحَرَ انْجِحَارَ الضَّبَّهِ فِی جُحْرِهَا وَ الضَّبُعِ فِی وِجَارِهَا- الذَّلِيلُ وَ اللَّهِ مَنْ نَصَرْتُمُوهُ- وَ مَنْ رُمِیَ بِكُمْ فَقَدْ رُمِیَ بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ- إِنَّكُمْ وَ اللَّهِ لَكَثِيرٌ فِی الْبَاحَاتِ قَلِيلٌ تَحْتَ الرَّايَاتِ- وَ إِنِّی لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ وَ يُقِيمُ أَوَدَكُمْ- وَ لَكِنِّی لَا أَرَی إِصْلَاحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِی- أَضْرَعَ اللَّهُ خُدُودَكُمْ وَ أَتْعَسَ جُدُودَكُمْ- لَا تَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ الْبَاطِلَ- وَ لَا تُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ كَإِبْطَالِكُمُ الْحَقَّ

اللغه

أقول البكار : جمع بكر و هو الفتى من الإبل .و العمده : هى الّتى شدخ أسنمتها ثقل الحمل .و الحوص : الخياطه .و تهتّكت : تخرّقت .و أطلّ : أشرق .و المنسر بكسر الميم و فتح السين،و العكس : القطعه من الجيش من الماءه إلى المائتين .و قد سبق.

و انجحر الضبّ : دخل جحره و هو فى بيته .و بيت الضبع : وجاره .و الأفوق الناصل:

السهم لا فوق له و لا نصل .و الباحه : ساحه الدار .و الأود . الاعوجاج .و أضرع : أذلّ .

و أتعس : أهلكك .

ص:۱۸۸

المعنى

و هذا الفصل يشتمل على توبيخ أصحابه لتقاعدهم عن النهوض معه إلى حرب أهل الشام،و ذكر وجوه التوبيخ :

الأوّل:حاجتهم إلى المداراه الكثيره.و ليس ذلك من شيم الرجال ذوى العقول بل من شأن البهايم و من لا عقل له،و نبّههم فى حاجتهم إلى المداره بتشبيهين. تشبيه أحدهما: بالبكاره الّتى قد انهكها حملها.و وجه الشبه بينهما و بينهم هو قلّه صبرهم و شدّه إشفاقهم و فرارهم من التكليف بالجهاد و استغاثتهم كما يشتدّ جرجره البكر العمد، و فراره من معاوده الحمل.

الثانى : بالثياب المتداعيه ،و هى الّتى يتبع ما لم يتخرّق منها ما انخرق فى مثل حاله.و وجه الشبه ما ذكره،و هو قوله :كلّما حيصت من جانب تهتّكت من آخر :أى كما أنّ الثياب المتداعيه كذلك.فكذلك أصحابه كلّها أصلح حال بعضهم و جمعهم للحرب فسد بعض آخر عليه.

الثانى:شهاده حالهم عليهم بالجبن و الخوف و هو قوله : كلّما أطلّ.إلى قوله:

و جارها ، كنايه و كنّى بإغلاق كلّ منهم بابه عند سماعهم بقرب بعض جيوش الشام منهم عن فرارهم من القتال و كراهيه سماعهم للحرب،و شبّههم فى ذلك الخوف و الفرار بالضبّه و الضبع حين ترى الصائد أو أمرا تخافه .و إنّما خصّ الإناث لأنّها أولى بالمخافه من الذكران.

الثالث:وصفهم بالذلّه و قلّه الانتفاع بهم.فتبّه على وصف الذلّ بقوله : الذليل و اللّه من نصرتموه .فإنّه إنّما يكون ذليلا لكونهم كذلك،و يحتمل أن يشير بذلك إلى سوء آرائهم فى التفرّق و الاختلاف،ثمّ بالغ فى ذلك بحصر الذلّ لكلّ منتصر بهم فيمن نصروه،و نبّه على قلّه الانتفاع بهم استعاره بالكنايه بقوله : و من رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل .استعار لهم من أوصاف السهم أرداها،و كنّى بذلك عن عدم فايدتهم و نكايتهم فى العدوّ كما لا فايده فى الرمى بالسهم الموصوف.

الرابع :وصفهم بالكثره فى المجامع و الأنديه مع قلّتهم فى الحرب و تحت الألويه.

و ذلك يعود إلى الذمّ بالجبن أيضا و العار به فإن قلّه الاجتماع فى الحرب و التفرّق عنه من لوازم الخوف،و كما أنّ مقابل هذا الوصف و هو الاجتماع و الكثره فى الحرب مع القلّه

ص:۱۸۹

فى غيره مدح كما قال أبو الطيّب.

ثقال إذا لاثوا خفاف إذا دعوا قليل إذا عدّوا كثير إذا شدّوا

فبالحرىّ أن كان هذا الوصف ذمّا كما قال عويف القوافى.

أ لستم أقلّ الناس عند لوائهم و أكثرهم عند الذبيحه و القدر

و قوله : و إنّى لعالم إلى قوله:أودكم.

أراد أنّه لا يصلحهم إلاّ السياسه بالقتل و نحوه كما فعل الحجّاج حين أرسل المهلبّ إلى الخوارج.روى أنّه نادى فى الكوفه من تخلّف عن المهلبّ بعد ثلاث فقد أحلّ دمه،و قتل جماعه فخرج الناس إلى المهلّب يهرعون،و كما يفعله كثير من الملوك.و قوله :

و لكنّى لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسى :أى لمّا لم يكن ليستحلّ من دماء أصحابه ما يستحلّ ملوك الدنيا من رعيّتهم إذا أراد و إثبات ملكهم و لو بفساد دينهم لا جرم لم ير إصلاحهم بالقتل إذ كان إصلاحهم بذلك سببا لفساد نفسه بلزوم آثامهم لها.و لمّا كان من الواجب فى الحكمه أن يكون إصلاح الإنسان للغير فرعا على إصلاح نفسه أوّلا لم يتصوّر من مثله عليه السّلام أن يفعل فعلا يستلزم فساد نفسه و إن اشتمل على وجه من المصلحه.

فإن قلت:الجهاد بين يدى الإمام العادل واجب و له أن يحملهم عليه.فلم لا يستجيز قتلهم؟.

قلت:الجواب من وجهين:

أحدهما:أنّه ليس كلّ واجب يجب فى تركه القتل كالحجّ.

الثانى:لعلّه عليه السّلام لو شرع فى عقوبتهم بالقتل على ترك الجهاد معه لتفرّقوا عنه إلى خصمه أو سلّموه إليه و اتّفقوا على قتله.و كلّ هذه مفاسد أعظم من تقاعدهم عن دعوته لهم فى بعض الأوقات.

و قوله : أضرع اللّه.إلى آخره.

دعا عليهم بالذلّ و هلاك الحظّ،ثمّ نبّهم على علّه استحقاقهم لدعائه و هى الجهل، ثمّ ما ينشأ عنه من ظلم أنفسهم .أمّا الجهل فعدم معرفتهم للحقّ كمعرفتهم الباطل،و أراد به ما يلزمهم من أوامر اللّه،و أراد بمعرفتهم الباطل معرفتهم بأحوال الدنيا و باطلها

و الاشتغال به عن أوامر اللّه،و يحتمل أن يشير به إلى ما يعرض لبعضهم من الشبه الباطله فى قتال أهل القبله فيوجب لهم التوقّف و التخاذل عن الحرب،و يكون مكاثرته بين معرفتهم للباطل و الحقّ تنبيها على قوّه جهلهم المركّب و هو أشدّ الجهل،و غايته توبيخهم بكونهم على قسمى الجهل.فالبسيط هو عدم معرفتهم للحقّ،و المركّب هو تصديقهم بالباطل.و أمّا الظلم فهو إبطالهم للحقّ و ذلك إشاره إلى تعاميهم عن طاعه اللّه و تصاممهم عن سماع مناديه و إجابته،و عدم إبطالهم للباطل إشاره إلى عدم إنكارهم للمنكر من أنفسهم و غيرهم.و باللّه التوفيق.

۶۷-و قال عليه السّلام

اشاره

فى سحره اليوم الذى ضرب فيه

مَلَكَتْنِى عَيْنِى وَ أَنَا جَالِسٌ- فَسَنَحَ لِى؟رَسُولُ اللَّهِ ص؟ فَقُلْتُ يَا؟رَسُولَ اللَّهِ؟- مَا ذَا لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِکَ مِنَ الْأَوَدِ وَ اللَّدَدِ فَقَالَ ادْعُ عَلَيْهِمْ- فَقُلْتُ أَبْدَلَنِى اللَّهُ بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ- وَ أَبْدَلَهُمْ بِى شَرّاً لَهُمْ مِنِّى قال الشريف:يعنى بالأود الاعوجاج،و باللدد الخصام و هذا من أفصح الكلام

المعنى

أقول:السحره:السحر الأعلى،و أمّا كيفيّه قتله عليه السّلام فمذكور فى التواريخ.

استعاره-مجاز فى التركيب و قوله : ملكتنى عينى.

استعاره حسنه و تجوّز فى التركيب أمّا الاستعاره فلفظ الملك للنوم،و وجه الاستعاره دخول النائم فى غلبه النوم و قهره و منعه له أن يتصرّف فى نفسه كما يمنع الملك العبد من التصرّف فى أمره،و أمّا التجوّز ففى العين و فى الإسناد إليها.أمّا الأول فأطلق لفظ العين على النوم لما بينها من الملابسه إذ إطباق الجفون من عوارضها،و أمّا الثانى فإسناد الملك إلى النوم المتجوّز فيه بلفظ العين .و الواو فى قوله:و أنا.للحال.

و قوله : فسنح إلى آخره.

أراد بالسنح حضور صوره رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم فى لوح خياله كما علمت و شكايته منهم و جواب الرسول له يستلزم أمرين :أحدهما أنّه عليه السّلام كان فى غايه الكرب من تقصيرهم فى إجابه ندائه و دعوته إلى الجهاد حتّى انتهت الحال إلى قتله.الثانى عدم رضا رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم عنهم.

و قوله : أبدلهم بى شرّا لهم منّى.

لا يستلزم أنّ فيه شرّا كما قدّمنا بيانه.و باللّه التوفيق.

۶۸-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

فى ذم أهل العراق

أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ؟الْعِرَاقِ؟ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَهِ الْحَامِلِ- حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ وَ مَاتَ قَيِّمُهَا- وَ طَالَ تَأَيُّمُهَا وَ وَرِثَهَا أَبْعَدُهَا-.أَمَا وَ اللَّهِ مَا أَتَيْتُكُمُ اخْتِيَاراً- وَ لَكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ سَوْقاً- وَ لَقَدْ بَلَغَنِى أَنَّكُمْ تَقُولُونَ؟عَلِيٌّ؟ يَكْذِبُ قَاتَلَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى- فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ أَ عَلَى اللَّهِ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ- أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ- كَلَّا وَ اللَّهِ لَكِنَّهَا لَهْجَهٌ غِبْتُمْ عَنْهَا- وَ لَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا- وَيْلُ أُمِّهِ كَيْلًا بِغَيْرِ ثَمَنٍ لَوْ كَانَ لَهُ وِعَاءٌ- «وَ لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ»

اللغه

أقول:أملصت:أسقطت.و الأيّم:الّتى.لا بعل لها.و اللهجه:اللسان و القول الفصيح .

و هذا الكلام صدر عنه بعد حرب صفّين.و فيه مقصودان :

الأوّل:

تشبيه توبيخهم على تركهم للقتال بعد أن شارفوا النصر على أهل الشام،و تخاذلهم إلى التحكيم .و أبرز هذا المقصود فى تشبيههم بالمرأه الحامل ،و ذكر لها أوصافا

ص:۱۹۲

خمسه،و هی وجود الشبه بینها و بینهم فالحمل یشبه استعدادهم و تعبیتهم للحرب،و الاتمام یشبه مشارفتهم للظفر،و الإملاص یشبه رجوعهم عن عدوّهم بعد طمعهم فی الظفر به و ذلک رجوع غیر طبیعیّ و لا معتاد للعقلاء کما أنّ الإملاص أمر غیر طبیعیّ للحامل و لا معتاد لها ،ثمّ موت القیّم بامورها و هو زوجها و طول غربتها،و ذلک یشبه عدم طاعتهم له الجاری مجری موته عنهم و طول ضعفهم لذلک و دوام عجزهم و ذلّتهم بعد رجوعهم لتفرّقهم إلی خوارج و ؟؟؟رهم فإنّ موت قیّم المرأه مستلزم لضعفها و دوام عجزها و ذلّتها ، ثمّ کونها قد استحقّ میراثها البعید عنها لعدم ولدها و زوجها و ذلک یشبه من حالهم أخذ عدوّهم الّذی هو أبعد الناس عنهم ما لهم من البلاد،و استحقاقه ذلک بسبب تقصیرهم عن مقاومته.و بهذه الوجوه من الشبه اشبهوا المرأه المذکوره و تمّ توبیخهم من هذه الجهه ،ثمّ أخبرهم علی التضجّر من حاله معهم بأنّه لم یأتهم إیثارا للمقام بینهم و لکن سوقا قدریّا اضطرّه إلی ذلک.و صدق.إذ لم یکن خروجه من المدینه الّتی هی دار الهجره و مفارقه منزل رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم و قبره إلی الکوفه إلاّ لقتال أهل البصره،و حاجته إلی الاستنصار بأهل الکوفه علیهم إذ لم یکن جیش الحجاز وافیا بمقاتلتهم ثمّ اتّصلت تلک الفتنه بفتنه أهل الشام فدامت حاجته إلی المقام بینهم،و روی و لا حبئت إلیکم شوقا بالشین المعجمه .

و المقصود الثانی:

توبیخهم علی ما بلغه من تکذیبهم له،و مقابلته لهم علی ذلک بردّ أحکام أوهامهم الفاسده فی حقّه،و ذمّهم بجهلهم و قصور أفهامهم عمّا یفیده من الحکمه:

و هو قوله: و لقد بلغنی أنّکم تقولون .یکذّب صوره دعواهم المقوله و قد کان جماعه من منافقی أصحابه إذا أخبر عن امور ستکون،أو کانت ثمّ أخبر عنها و أسند ذلک إلی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم یتحادثون فیما بینهم بتکذیبه فیبلغه ذلک کإخباره عن قصّه الخوارج و ما یکون منهم،و عن ذی الثدیه،و أنّه سیقاتل الناکثین و القاسطین و المارقین و نحو ذلک من الامور الغریبه الّتی تستنکرها طباع العوامّ و لا یعقل أسرارها إلاّ العالمون بل کانوا یکذّبونه بمحضره.روی أنّه لمّا قال:لو کسرت لی الوساده لحکمت بین أهل التوراه بتوراتهم، و بین أهل الإنجیل بإنجیلهم،و بین أهل الفرقان بفرقانهم،و اللّه ما من آیه نزلت فی

برّ أو بحر أو سهل أو جبل و لا سماء و لا أرض إلاّ و أنا أعلم فيمن نزلت و فى أىّ شىء انزلت.قال رجل من تحت المنبر:يا للّه و للدعوى الكاذبه.و كذلك لمّا قال:سلونى قبل أن تفقدونى أما و اللّه لتشعرنّ الفتنه الغماء برجلها و يطأ فى خطامها يا لها فتنه شبّت نارها بالحطب الجزل مقبله من شرق الأرض رافعه ذيلها داعيه ويلها بدجله أو حولها ذاك إذا استدار الفلك و قلتم مات أو هلك بأىّ واد سلك.فقال قوم من تحت منبره:للّه أبوه ما أفصحه كاذبا.و كأنّها إشاره إلى واقعه التتار .و قابل دعواهم بأمرين:

أحدهما:الدعاء عليهم بقتال اللّه لهم،و قد علمت أنّ قتاله يعود إلى مقته و إبعادهم عن رحمته .

الثانى:الحجّه و تقريرها:أنّ الّذى أخبركم به من هذه الامور إنّما هو عن اللّه و عن رسوله صلى اللّه عليه و آله و سلّم فلو كذبت فيه لكذبت إمّا على اللّه و هو باطل لأنّى أوّل من آمن به و أوّل مؤمن به لا يكون أوّل مكذّب له،أو على نبيّه و هو باطل لأنّى أوّل من صدّقه و اتّبع ملته .

و قوله: كلاّ و اللّه.

ردّ لصدق دعواهم بعد الحجّه كأنّه قال:فإذن دعواكم علىّ الكذب فيما اخبركم به باطله .

و قوله: و لكنّها لهجه غبتم عنها و لم تكونوا من أهلها.

يريد به بيان منشأ دعويهم الفاسده لتكذيبه،و ذلك كون ما يقوله و يخبر به من الامور المستقبله و نحوها طورا وراء عقولهم الضعيفه الّتى هى بمنزله أوهام ساير الحيوان و ليسوا لفهم أسرارها بأهل.و أشار باللهجه إلى تلك الأقوال و أسرارها و بغيبتهم عنها إلى غيبه عقولهم عن إدراكها و معرفه إمكانها فى حقّ مثله أو إلى غيبتهم عنها عند إلقاء الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم قوانينها الكلّيه إليه و تعليمه لأبوابها و تفصيل ما فصّل منها له.و ظاهر أنّه لمّا كانت عقول اولئك و أمثالهم مقهوره تحت سلطان أوهامهم و كان الوهم مكذّبا و منكرا لمثل هذه الأحكام لا جرم لم تنتهض عقولهم لتصديقه عليه السّلام فيها و لم تجوّز اطّلاعه عليها بل تابعت أوهامهم فى الحكم بتكذيبه.و حاله فى ذلك مختصره من حال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم

مع منافقى قومه .

و قوله: ويل امّه.

فالويل فى الأصل دعاء بالشرّ،أو خبر به:و إضافته إلى الامّ دعاء عليها أن تصاب بأولادها،و قيل:إنّها تستعمل للرحمه،و قيل تستعمل للتعجّب و استعظام الأمر .

استعاره بالكنايه و قوله: كيلا بغير ثمن.

إشاره إلى ما يفيضه عليهم من الأخلاق الكريمه و الحكم البالغه الّتى لا يريد بها جزاء و لا ثمنا ثمّ لا يفقهونها و لا يهذّبون بها أنفسهم لكون نفوسهم غير مستعدّه لقبولها فليس لها إذن من تلك الأنفس وعاء يقبلها.و استعار لفظ الكيل و كنّى به عن كثره ما يلقيه إليهم منها و هو مصدر استغنى به عن ذكر فعله .فعلى هذا يحتمل أن يكون ويل امّه دعاء بالشرّ على من لم يفقه مقاله و لم يقتبس الحكمه منه،و الضمير لإنسان ذلک الوقت و إن لم يجر له ذكر سابق مفرد يعود إليه لكنّه موجود فى كلّ شخص منهم و كأنّه قال:ويل لامّهم،و يحتمل أن يكون ترحّما لهم فإنّ الجاهل مرحوم،و يحتمل أن يكون تعجّبا من قوّه جهلهم أو من كثره كيله للحكم عليهم مع إعراضهم عنها .

اقتباس و قوله: «وَ لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ» .

اقتباس لهذه الآيه المفصحه عن مقصوده:أى و لتعلمّن نبأ جهلكم و إعراضكم عمّا أمركم به و ألقاه إليكم من الحكم و الآراء الصالحه،و ينكشف لهم ثمره ذلک بعد حين.

و أشار بالحين إمّا إلى مدّه الحياه الدنيا. و ثمره أفعالهم إذن الندامه و الحسره على ما فرّطوا فى جنب اللّه حيث لا ينفع إلّا الأعمال الصالحه و ذلک حين تزول عنهم غواشى أبدانهم و تطرح نفوسهم جلابيبها بالموت،و إمّا إلى مدّه حياته هو:أى ستعلمون عاقبه فعلكم هذا بعد مفارقتى لكم.و العاقبه إذن ابتلاؤهم بمن بعده من بنى اميّه و غيرهم بالقتل و الذلّ و الصغار.و باللّه العصمه و التوفيق.

۶۹-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

علم فيها الناس الصلاه على النبى صلى اللّه عليه و آله

ص:۱۹۵

اَللَّهُمَّ دَاحِیَ الْمَدْحُوَّاتِ وَ دَاعِمَ الْمَسْمُوکَاتِ- وَ جَابِلَ الْقُلُوبِ عَلَی فِطْرَتِهَا شَقِیِّهَا وَ سَعِیدِهَا اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِکَ- وَ نَوَامِیَ بَرَکَاتِکَ عَلَی؟مُحَمَّدٍ؟ عَبْدِکَ وَ رَسُولِکَ- الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ وَ الْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ- وَ الْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ وَ الدَّافِعِ جَیْشَاتِ الْأَبَاطِیلِ- وَ الدَّامِغِ صَوْلاَتِ الْأَضَالِیلِ- کَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ قَائِماً بِأَمْرِکَ مُسْتَوْفِزاً فِی مَرْضَاتِکَ- غَیْرَ نَاکِلٍ عَنْ قُدُمٍ وَ لاَ وَاهٍ فِی عَزْمٍ- وَاعِیاً لِوَحْیِکَ حَافِظاً لِعَهْدِکَ- مَاضِیاً عَلَی نَفَاذِ أَمْرِکَ حَتَّی أَوْرَی قَبَسَ الْقَابِسِ- وَ أَضَاءَ الطَّرِیقَ لِلْخَابِطِ- وَ هُدِیَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ وَ الْآثَامِ- وَ أَقَامَ بِمُوضِحَاتِ الْأَعْلاَمِ وَ نَیِّرَاتِ الْأَحْکَامِ- فَهُوَ أَمِینُکَ الْمَأْمُونُ وَ خَازِنُ عِلْمِکَ الْمَخْزُونِ- وَ شَهِیدُکَ یَوْمَ الدِّینِ وَ بَعِیثُکَ بِالْحَقِّ- وَ رَسُولُکَ إِلَی الْخَلْقِ- اللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ مَفْسَحاً فِی ظِلِّکَ- وَ اجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَیْرِ مِنْ فَضْلِکَ- اللَّهُمَّ وَ أَعْلِ عَلَی بِنَاءِ الْبَانِینَ بِنَاءَهُ- وَ أَکْرِمْ لَدَیْکَ مَنْزِلَتَهُ وَ أَتْمِمْ لَهُ نُورَهُ- وَ اجْزِهِ مِنِ ابْتِعَاثِکَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهَادَهِ- مَرْضِیَّ الْمَقَالَهِ ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ وَ خُطْبَهٍ فَصْلٍ- اللَّهُمَّ اجْمَعْ بَیْنَنَا وَ بَیْنَهُ فِی بَرْدِ الْعَیْشِ وَ قَرَارِ النِّعْمَهِ- وَ مُنَی الشَّهَوَاتِ وَ أَهْوَاءِ اللَّذَّاتِ وَ رَخَاءِ الدَّعَهِ- وَ مُنْتَهَی الطُّمَأْنِینَهِ وَ تُحَفِ الْکَرَامَهِ

ص:۱۹۶

اللغه

أقول:المدحوّات:المبسوطات.و المسموكات:المرفوعات.و دعمها:حفظها بالدعامه.

جبل:خلق.و الفطرات:جمع فطره و هى الخلقه.و الدمغ:كسر عظم الدماغ.و جيشات:

جمع جيشه من جاشت القدر إذا ارتفع غليانها.و اضطلع بالأمر:قوى على حمله و القيام به من الضلاعه و هى القوّه.و الاستيفاز:الاستعجال.و النكول:الرجوع.و القدم:

التقدّم.و الوهى:الضعف.و وعى الأمر:فقهه.و القبس:شعله النار.و أورى:زكى و اشتعل .

و قد اشتملت هذه الخطبه على ثلاثه فصول .

الاوّل:فى صفات المدعوّ و تمجيده و هو اللّه سبحانه.

الثانى:فى صفات المدعوّ له و هو النبىّ صلى اللّه عليه و آله و سلّم.

الثالث:فى صفات أنواع المدعوّ به.و ذلك هو الترتيب الطبيعىّ.

فبدأه ممجّدا للّه تعالى باعتبارات ثلاثه:

أحدهما:كونه داحى المدحوّات :أى باسط الأرضين السبع و ظاهر كونها مدحوّات فإنّ كلّ طبقه منها إذا اعتبرت كانت مبسوطه فأمّا صدق البسط على جمله الأرض مع أنّها كره و شهاده قوله:و الأرض بعد ذلك دحيها.بذلك،و قوله:و الأرض مددناها.فهو باعتبار طبقاتها.و قد يصدق عليها البسط باعتبار سطحها البارز من الماء الذى يتصرّف عليه الحيوان فإنّه فى الأوهام سطح مبسوط و إن كان عند الاعتبار العقلىّ محدّبا،و إليه الإشاره بقوله تعالى «الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ فِراشاً» «وَ اللّهُ جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ بِساطاً»
الثانى : داعم المسموكات :أى حافظ السماوات أن تقع على الأرض.

فإن قلت:قد قال فى الخطبه الاولى:بلا عمد تدعمها ثمّ جعلها هنا مدعومه فما وجه الجمع؟.

قلت:لم ينف هناك إلاّ كونها مدعومه بعمد و هذا لا ينافى كونها مدعومه بغير العمد،و قد بيّنا هناك أنّ الدعامه الّتى تقوم بها السماوات قدرته تعالى.

الثالث:كونه جابل القلوب على فطراتها شقيّها و سعيدها :أى خالق النفوس على ما خلقها عليه من التهيّوء و الاستعداد لسلوك سبيلى الخير و الشرّ و استحقاق الشقاوه و السعاده

بحسب القضاء الإلهیّ کما قال تعالی «وَ نَفْسٍ وَ ما سَوّاها فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَ تَقْواها قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَکّاها وَ قَدْ خابَ مَنْ دَسّاها» (۱)و قوله «وَ هَدَیْناهُ النَّجْدَیْنِ» أی ألهمناه معرفه سلوک طریقی الخیر و الشرّ.و أهل العرفان کثیرا ما یعتبرون عن النفس بالقلب.و شقیّها.

بدل من القلوب:أی خالق شقیّ القلوب و سعیدها علی فطراتها المکتوبه فی اللوح المحفوظ فمن أخذت العنایه الإلهیّه بزمام عقله علی وفق ما کتب له فأعدّته لقبول الهدایه لسلوک سبیل اللّه فهو السعید،و من لحقته حبایل القضاء الإلهیّ فحطّته إلی مهاوی الهلکه فذلک هو الشقّی البعید.و إلیه الإشاره بقوله تعالی «فَمِنْهُمْ شَقِیٌّ وَ سَعِیدٌ» (۲)الآیه.و قوله : و اجعل شرائف صلواتک و نوامی برکاتک علی محمّد عبدک و رسولک .بعض مطلوباته من هذا الدعاء.و شرایف صلواته ما عظم من رحمته و کمال جوده علی النفوس المستعدّه لها،و نوامی برکاته ما زاد منها.

الفصل الثانی:ذکر للنبیّ صلی اللّه علیه و آله و سلّم أحد و عشرین وصفا

اشاره

علی جهات استحقاق الرحمه من اللّه و زیاده البرکه المدعوّ بها.

الأوّل:کونه عبدا للّه

و ظاهر کون العبودیّه جهه لاستحقاق الرحمه.

الثانی:کونه رسولا له

،و الرساله نوع خاصّ من الاستعباد توجب مزید الرحمه و الشفقه .

الثالث:کونه خاتما لما سبق

من أنوار الوحی و الرساله بنوره و ما جاء من الدین الحقّ.و ظاهر کون ذلک جهه استعداد منه لقبول الرحمه و درجات الکمال .

الرابع:کونه فاتحا لما انغلق من سبیل اللّه قبله

و طریق جنّته و حضره قدسه باندراس الشرائع ففتح صلی اللّه علیه و آله و سلّم تلک السبیل بشرعه و کیفیّه هدایته للخلق فیها .

الخامس:كونه قد أظهر الحقّ بالحقّ.

و الأوّل هو الدين و ما يدعو إليه،و الثانى فيه أقوال:فقيل:هو المعجزات إذ بسببها تمكّن من إظهار الدين،و قيل:الحرب و الخصومه يقال فلان حاقّ فلانا فحقّه:أى خاصمه فغلبه،و قيل:هو البيان:أى أظهر الدين بالبيان الواضح.و أقول:الأشبه أنّه أراد:أظهر الحقّ بعضه ببعض.و كلّ جزئىّ

ص:۱۹۸

۱- ۱) ۸-۹۱

۲- ۲) ۱۰۷-۱۱

من الحقّ حقّ،و ذلک أنّ الـدین لم یظهر دفعه و إنّما بنی الإسـلام علی خمس ثمّ کثرت فروعه و هو بالأصل یظهر الفرع،و ظاهر کون إظهاره للحقّ جهه لاستحقاقه الرحمه .

السادس:کونه دافعا لجیشات الأباطیل:

أی لثوران فتن المشـرکین و انبعـاثهم لإطفاء أنوار اللّه،أو لفتنتهم السابقه الّتی کانت معتاده من الغارات و حروب بعضـهم لبعض فإنّ کلّ ذلک امور باطله علی غیر قانون عدلیّ من اللّه،و ذلک الدفع من جهات قبول الرحمه .

السابع:

اسـتعاره کونه دامغا لصولات الأضالیل ،و هو قریب من السادس،و اسـتعار لفظ الدمغ لهلاک الضـلّال بالکلّیّه ببرکه مقدمه صلی اللّه علیه و آله و سلّم،و وجه الاستعاره کون الدمغ مهلکا للإنسان فأشبه ما أهلک الباطل و محاه من أفعال الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم.و الضـلال هنـا الانـحراف عن طریق اللّه اللازم عن الجهـل بهـا،و اسـتعار لفظ وصف الصولات له ملاحظه لشـبه المنحرفین عن سبیل اللّه إلی الفساد فی قوّه انحرافهم و شدّه فسادهم بالفحل الصایل .

الثامن:کونه حمل الرساله

فقام بما کلّف به و قوی علیه،و قائما.نصب علی الحال، و کذلک المنصوبات بعده و هی مسـتوفزا،و غیر ناکل،و کذلک محلّ لا واه،و واعیا،و حافظا،و ماضیـا.و فی قوله: کما حمّل .لطف:أی صلّ علیه صـلاه مناسـبه مشابهه لتحمیلک له الرساله و قیامه بأمرها لأنّ الجزاء من الحکیم العدل یکون مناسبا للفعل المجزّی و لأجل کونها جهه استحقاق طلب ما یناسبها.

التاسع:کونه عجلا فی رضا اللّه

بامتثال أوامره .

العاشر:

کونه غیرنا کل ما یتقدّم فیه من طاعه اللّه .

الحادی عشر:کونه ماضی العزم

فی القیام بأمر اللّه غیر و ان فیه .

الثانی عشر:

کونه واعیا لوحیه،ضابطا،قویّ النفس علی قبوله .

الثالث عشر:کونه حافظا لعهده

المأخوذ علیه من تبلیغ الرساله و أداء الأمانه، و قد سبق بیان معنی العهد فی الخطبه الاولی .

الرابع عشر:کونه ماضیا علی إنفاذ أمره

فی العالم و جذب الخلق إلی سلوک سبیله .

الخامس عشر:

ما انتهی إلیه من الغایه باجتهاده فی إرضاء اللّه،و هو استعاره کونه أوری

قبس القابس :أی اشتعل أنوار الدین و قدح زناد الأفکار حتّی أظهر أنوار العلوم منها للمقتبسین،و استعار لفظ القبس لنور العلم و الحکمه،و لفظ الوری لإظهار الرسول لتلک الأنوار فی طریق اللّه،و قد سبق وجه الاستعاره .

السادس عشر:

کونه أضاء الطریق للخابط.فالطریق هی طریق الجنّه و الحضره الالهیّه،و إضاءته لها بإظهار تلک الأنوار و بیانها بتعلیم کیفیّه سلوکها و الإرشاد إلیها، و الخابط هو الجاهل الّذی قصدت الحکمه الالهیّه إرشاده حیث کان یخبط فی ظلمات الجهل .

السابع عشر:

کونه قد هدیت به القلوب إلی موضحات الأعلام:أی الأدلّه الواضحه علی الحقّ.و نیّرات الأحکام هی المطالب الحقّه الواضحه اللازمه من تلک الأدلّه بعد ما کانت القلوب فیه من خوضات الفتن و الآثام اللازمه عمّا اجترحته من السیّئات.

و ذلک أمر ظاهر .

الثامن عشر:کونه أمین اللّه:

أی علی وحیه و رسالته،و المأمون تأکید لأمانته.

و قد عرفت معنی الأمانه .

التاسع عشر:کونه خازن علمه المخزون:

أی علومه اللدنیّه الغیبیّه الّتی لا یتأهّل لحملها کلّ البشر المشار إلیها بقوله تعالی «عالِمُ الْغَیْبِ فَلا یُظْهِرُ عَلی غَیْبِهِ أَحَداً إِلاّ مَنِ ارْتَضی مِنْ رَسُولٍ » (۱).

العشرون:کونه شهیدا یوم الدین

کقوله تعالی «فَکَیْفَ إِذا جِئْنا مِنْ کُلِّ أُمَّهٍ بِشَهِیدٍ وَ جِئْنا بِکَ عَلی هؤُلاءِ شَهِیداً» (۲)أی شاهدا یقوم القیامه علی امّته بما علم منهم من خیر و شرّ.

فإن قلت:ما حقیقه هذه الشهاده و ما فایدتها مع أنّ اللّه تعالی عالم الغیب و الشهاده؟.

قلت:أمّا حقيقتها فيعود إلى اطّلاعه صلى اللّه عليه و آله و سلّم على أفعال امّته،و بيان ذلك أنّك علمت فيما سلف أنّ للنفوس القدسيّه الاطّلاع على الامور الغايبه و الانتقاش بها مع كونه فى جلابيب فى أبدانها فكيف بها إذا فارقت هذا العالم و الجسم المظلم فإنّها إذن تكون

١- ١) ١٠٧-١١

٢- ٢) ٣٥-٤

مطّلعه على جميع أفعال اممها و مشاهده لها من خير أو شرّ،و أمّا فايدتها فقد علمت أنّ أكثر أحكام الناس وهميّه،و الوهم منكر للإله على الوجه الّذى هو اله فبالحرىّ أن ينكر كونه عالما بجزئيّات أفعال عباده و دقايق خطرات أوهامهم،و ظاهر أنّ ذلك الإنكار يستتبع عدم المبالات بفعل القبيح و الانهماك فى الامور الباطله الّتى نهى اللّه تعالى عنها فإذا ذكر لهم أنّ عليهم شهداء و رقباء و كتّابا لما يفعلون مع صدق كلّ ذلك بأحسن تأويل كان ذلك ممّا يعين العقل على كسر النفس الأمّاره بالسوء و قهر الأوهام الكاذبه،و يردع النفس عن متابعه الهوى ثمّ لا بدّ لكلّ رسول من امناء على دينه و حفظه له هم شهداء أيضا على من بعده إلى قيام الساعه،و إذا كان معنى الشهاده يعود إلى اطّلاع الشاهد على ما فى ذمّه المشهود عليه و علمه بحقيقته و فائدتها حفظ ما فى ذمّه المشهود عليه و تخوّفه أن جحده أو لم يوصله إلى مستحقّه أن يشهد عليه الشاهد فيفضحه و ينتزع منه على أقبح وجه،و كان هذا المعنى و الفائده قائمين فى شهاده الأنبياء عليهم السّلام إذ بها تتحفّظ أو امر اللّه و تكاليفه الّتى هى حقوقه الواجبه،و يحصل الخوف للمقصّرين فيها بذكر شهاده الرسل عليهم بالتقصير فيفتضحوا فى محفل القيامه و يستوفى منهم جزاء ما كلّفوا به فقصروا فيه بالعقاب الأليم لا جرم ظهر معنى كونهم شهداء اللّه على خلقه .

الحادى و العشرون:كونه مبعوثا بالحقّ

،و هو الدين الثابت الباقى نفعه و ثمرته فى الآخره ،ثمّ أعاد ذكر كونه رسول اللّه إلى خلقه.و إنّما كرّره لأنّه الأصل فى باقى الأوصاف،و ظاهر أنّ كلّ هذه الأوصاف جهات استحقاق الرحمه و البركه و إفاضه الصلوات الالهيّه على نفسه القدسيّه .

الفصل الثالث:فى تفصيل المطلوب من هذا الدعاء

و هو قوله: اللّهم افسح .إلى آخره،و طلب امورا:

أحدها: استعاره أن يفسح له مفسحا فى ظلّه :أى مكانا متّسعا فى حضره قدسه و ظلّ وجوده،و لفظ الظلّ مستعار للجود،و وجه المشابهه راحه المستظلّ بالظلّ من حرّ الشمس فأشبهها راحه الملتجىء إلى جود اللّه المستظلّ به من حراره جهنّم و سعير عذابه ،و إليه الإشاره بقوله تعالى «وَ ظِلٍّ مَمْدُودٍ » .

الثانى:أن يجزيه مضاعفات الخير من فضله:أى يضاعف له الكمالات من نعمه، و قد علمت أنّ مراتب استحقاق نعم اللّه غير متناهيه .

الثالث:أن يعلى على بناء البانين بناءه،و يحتمل أن يريد ببنائه ما شيّده من الدين فيكون أعلاه المطلوب هو إتمام دينه و إظهاره بعده على الأديان كلّها،و يحتمل أن يريد به ما شيّده من الملكات الخيريّه و استحقّه من مراتب الجنّه و قصورها .

الرابع:أن يكرّم لديه منزلته و هو إنزاله المنزل المبارك الموعود،و قل ربّ انزلنى منزلا مباركا .

الخامس:أن يتمّ له نوره و هو إمّا النور الّذى بعث به و إتمامه انتشاره فى قلوب العالمين،و إمّا النور الّذى فى جوهر ذاته.و تمامه زياده كماله .

السادس:أن يجزيه عن بعثته قبول شهادته و رضا مقالته،و مقبول مفعول آخر.

و ذا منطق.نصب على الحال. كنايه و قبول شهادته .كنايه عن تمام الرضى عنه إذ من كان مقبول الشهاده مرضىّ القول فلا بدّ و أن يكون بريئا من جهات الرذائل المسخطه،أو كنايه عن كون معتقداته و مشاهداته من أعمال امّته و غيرها بريئه عن كدر الأغاليط و شوائب الأوهام،و كذلك رضا أقواله فى شفاعته و غيرها .و كونه ذا منطق عدل :أى لا جور فيه عن الحقّ ،و خطبه فصل :أى مميّزه للحقّ فاصله له من الباطل،و كلّ هذه الاعتبارات و إن اختلفت مفهوماتها ترجع إلى مطلوب واحد و هو طلب زياده كمالاته عليه السّلام و قربه من اللّه تعالى ،و قوله: اللهمّ اجمع .إلى آخر سأل اللّه أن يجمع بينه و بين الرسول فى امور:

أحدها:برد العيش.و العرب يقول:عيش بارد إذا كان لا كلفه فيه من حرب و خصومه.و هو فى الآخره يعود إلى ثمرات الجنّه البريئه من كدر الأتعاب.

الثانى:قرار النعمه:أى مستقرّها و هو الجنّه و حضره ربّ العالمين .

الثالث:منى الشهوات،و هو ما تتمنّاه النفس من المشتهيات و تهواه من اللذّات بنعيم الأبد .

الرابع:رخاء الدعه و منتهى الطمأنينه:أى اتّساع سكون النفس بلذّه مفارقه الحقّ و الانس بالملأ الأعلى و أمنها من مزعجات الدنيا و راحتها من معافاه آفاتها .

ص:٢٠٢

الخامس: تحف الكرامه .و هی ثمرات الجنّه و قطوفها الدانیه و سایر ما أعدّه لتحف أولیائه الأبرار ممّا لا عین رأت و لا اذن سمعت و لا خطر علی قلب بشر.

۷۰-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

قاله لمروان بن الحکم بالبصره قالوا:أخذ مروان بن الحکم أسیرا یوم الجمل،فاستشفع الحسن و الحسین علیهما السلام إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام فکلماه فیه،فخلی سبیله،فقالا له:یبایعک یا أمیر المؤمنین؟فقال علیه السّلام:

أَ وَ لَمْ یُبَایِعْنِی بَعْدَ قَتْلِ ؟عُثْمَانَ؟- لاَ حَاجَهَ لِی فِی بَیْعَتِهِ إِنَّهَا کَفٌّ یَهُودِیَّهٌ- لَوْ بَایَعَنِی بِکَفِّهِ لَغَدَرَ بِسَبَّتِهِ- أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَهً کَلَعْقَهِ الْکَلْبِ أَنْفَهُ- وَ هُوَ أَبُو الْأَکْبُشِ الْأَرْبَعَهِ- وَ سَتَلْقَی الْأُمَّهُ مِنْهُ وَ مِنْ وَلَدِهِ یَوْماً أَحْمَرَ

اللغه

أقول: السّبه : الاست .و الإمره بالکسر : الولایه .و کبش القوم : رئیسهم .

المعنی

و لمّا امتنع من بیعه مروان نبّه علی سبب امتناعه من ذلک و هو أنّه مظنّه الغدر و ذلک کنایه قوله: إنّها کفّ یهودیّه .إذ من شأن الیهود الخبث و المکر و الغدر،ثمّ فسّر تلک الکنایه بقوله: لو بایعنی بیده لغدر بسبّته ،و ذکر السّبه إهانه له لأنّ الغدر من أقبح الرذائل فنسبته إلی السّبه أولی النسب .و العرب تسلک مثل ذلک فی کلامها.قال المتوکّل یوما لأبی العیناء:إلی متی تمدح الناس و تذمّهم.فقال:ما أحسنوا و أساءوا،ثمّ قال:یا أمیر المؤمنین:إنّ اللّه تعالی رضی فمدح فقال «نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوّابٌ» و سخط فذمّ فقال «عُتُلٍّ بَعْدَ ذٰلِکَ زَنِیمٍ» و الزنیم ولد الزنا.ثمّ ذکر ممّا سیکون من أمر مروان ثلاثه امور:

أحدها : تشبیه أنّه سیصیر أمیرا للمسلمین و نبّه علی قصر مدّه إمارته بتشبیهها بلعقه الکلب أنفه ،و وجه الشبه هو القصر،و کانت مدّه إمرته أربعه أشهر و عشرا،و روی ستّه

أشهر،و إنّما خصّه بلعقه الكلب لأنّه فى معرض الذمّ ،و البحث فى أمّا كهو فى قوله:

أمّا أنّه سيظهر عليكم.

الثانى :أنّه سيكون أبا للأكبش الأربعه.و كان له أربعه ذكور لصلبه و هم عبد الملك و ولى الخلافه،و عبد العزيز و ولى مصر،و بشر و ولى العراق،و محمّد و ولى الجزيره، و يحتمل أن يريد بالأربعه أولاد عبد الملك و هم الوليد و سليمان و يزيد و هشام كلّهم و لوا الخلافه و لم يلها أربعه إخوه إلاّ هم.

الثالث :ما يصدر منه و من ذريّته من الفساد فى الأرض،و ما يلقى الناس منهم من القتل و انتهاك الحرمه. كنايه و كنّى عن قتلهم للناس و شدايد ما يلقون منهم بالموت الأحمر .

و من لسان العرب وصف الأمر الشديد بالأحمر،و لعلّه لكون الحمره وصف الدم كنّى به عن القتل،و روى يوما أحمر.و هو كنايه عن مدّه أمرهم و وصفه بالحمره كنايه عن شدّته.

و فساد بنى اميّه و دمارهم للإسلام و أهله مشهور،و فى كتب التواريخ مسطور.

۷۱-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

لما عزموا على بيعه عثمان

لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّی أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَیْرِی- وَ وَ اللَّهِ لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِینَ- وَ لَمْ یَکُنْ فِیهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَیَّ خَاصَّهً- الْتِمَاساً لِأَجْرِ ذَلِکَ وَ فَضْلِهِ- وَ زُهْداً فِیمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَ زِبْرِجِهِ

اللغه

أقول: الزخرف : الزينه،و يقال:الذهب .و الزبرج : النقش و الزينه بالحليه أيضا .

المعنى

و قوله: لقد علمتم أنّى أحقّ بها.

يشير إلى ما علموه من وجه استحقاقه للخلافه و هو استجماعه للفضايل الداخليّه و الخارجيّه،و الضمير فى بها للخلافه و هو إمّا أن يعود إلى ذكرها فى فصل تقدّم متّصلا بهذا الفصل أو لشهرتها،و كون الحديث فيها قرينه معيّنه لها كما قال قبل:لقد تقمّصها.

و قوله : و اللّه لاسلّمنّ ما سلمت امور المسلمين.

أى لأتركنّ المنافسه فى هذا الأمر مهما سلمت امور المسلمين من الفتنه.و فيه إشاره إلى أنّ غرضه عليه السّلام من المنافسه فى هذا الأمر هو صلاح حال المسلمين و استقامه امورهم و سلامتهم عن الفتن و قد كان لهم بمن سلف من الخلفاء قبله استقامه أمر و إن كانت لا تبلغ عنده كمال استقامتها لو ولى هو هذا الأمر فلذلك أقسم ليسلمنّ ذلك الأمر و لا ينازع فيه إذ لو نازع فيه لثارت الفتنه بين المسلمين و انشقّت عصا الإسلام و ذلك ضدّ مطلوب الشارع،و إنّما يتعيّن عليه النزاع و القتال عند خوف الفتنه و قيامها.

فإن قلت:السؤال من وجهين:

الأوّل:ما وجه منافسته فى هذا الأمر مع أنّه منصب يتعلّق بامور الدنيا و صلاحها مع ما اشتهر منه عليه السّلام من الزهد فيها و الإعراض عنها و ذمّها و رفضها؟.

الثانى:كيف سلّم هاهنا خوف الفتنه و لم يسلّم لمعاويه و لطلحه و الزبير مع قيام الفتنه فى حربهم.

قلت:الجواب عن الأوّل:أنّ منصب رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم ليس منصبا دنيا ويّا و إن كان متعلّقا بإصلاح أحوال الدنيا لكن لا لكونها دنيا بل لأنّها مضمار الآخره و مزرعتها و الغرض من إصلاحها إنّما هو نظام أحوال الخلق فى معاشهم و معادهم فمنافسته عليه السّلام فى هذا الأمر على هذا الوجه من الامور المندوب إليها إذا اعتقد أنّ غيره لا يغنى غناه فى القيام به فضلا أن يقال:إنّها لا تجوز.

و عن الثانى:أنّ الفرق بين الخلفاء الثلاثه و بين معاويه فى إقامه حدود اللّه و العمل بمقتضى أوامره و نواهيه ظاهر.

و قوله : و لم يكن فيها جور إلاّ علىّ خاصّه.

تظلّم ممّن عدل بها عنه،و نسبه لهم إلى الجور دون من استحقّها فى أنظارهم.فأوصلوها إليه من ساير الخلفاء.و خاصّه نصب على الحال .

و قوله: إليها التماسا لأجر ذلك .إلى آخره.

التماسا مفعول له و العامل لاسلمنّ:أى ألتمس ثواب اللّه و فضله بتسليمى و صبرى

و کـذلک قوله: و زهـدا .مفعول له،و فیه إیماء إلی أنّ مقصود غیره من طلب هـذا الأمر و المنافسه فیه لیس إلاّ الدنیا و زخرفها.و باللّه التوفیق.

۷۲-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

لما بلغه اتهام بنی أمیه له بالمشارکه فی دم عثمان

أَ وَ لَمْ یَنْهَ؟بَنِی أُمَیَّهَ؟ عِلْمُهَا بِی عَنْ قَرْفِی- أَ وَ مَا وَزَعَ الْجُهَّالَ سَابِقَتِی عَنْ تُهَمَتِی- وَ لَمَا وَعَظَهُمُ اللَّهُ بِهِ أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِی- أَنَا حَجِیجُ؟الْمَارِقِینَ؟ وَ خَصِیمُ ؟النَّاکِثِینَ؟ الْمُرْتَابِینَ- وَ عَلَی کِتَابِ اللَّهِ تُعْرَضُ الْأَمْثَالُ- وَ بِمَا فِی الصُّدُورِ تُجَازَی الْعِبَادُ

اللغه

أقول: قرفنی بکذا : أی اتّهمنی به و نسبه إلیّ .و وزع : کفّ .و حجیجهم :

محاجّهم .و الخصیم : المخاصم .

المعنی

استفهاما علی سبیل الإنکار و قوله: أ و لم ینه.إلی أ و ما وزع .

استفهام من عـدم انتهائهم عن نسبته إلی دم عثمان مع علمهم بحاله و قوّته فی الدین و عصـمته عن دم حرام فضـلا عن مثل دم عثمـان استفهاما علی سبیـل الإنکـار علیهم و التعجّب منهم،و نسـبه لهم إلی الجهـل لجهلهم بمناسبه حـاله و سابقته فی الإسـلام لبراءته عمّا قرفوه به .

و قوله: و لما وعظهم اللّه به أبلغ من لسانی؟.

تعـذیر لنفسه فی عـدم ردعه لهم عن الغیبه و أمثالهـا:أی إذا کـان وعـظ اللّه لهم مع کونه أبلغ من کلامی لاـ یرد عهم فکلامی بطریق الأولی و زواجر کتـاب اللّه کقوله «إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ» و قوله «وَ لاـ یَغْتَبْ بَعْضُکُمْ بَعْضاً أَ یُحِبُّ أَحَدُکُمْ أَنْ یَأْکُلَ لَحْمَ أَخِیهِ مَیْتاً» (۱)الآیه و قوله «وَ الَّذِینَ یُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِینَ وَ الْمُؤْمِناتِ بِغَیْرِ مَا اکْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتاناً وَ إِثْماً مُبِیناً» (۲)و نحوه من القرآن کثیر، مجاز إمن باب اطلاق اسم السبب علی المسبّب. و أراد بلسانه وعظه مجازا إطلاقا لاسم السبب علی المسبّب.

۱- ۱) ۱۲-۴۹ [۱]

۲- ۲) ۵۸-۳۳

و قوله : أنا حجيج المارقين.

أى الخوارج أو كلّ من خرج عن دين اللّه ، و خصيم المرتابين :أى الشاكّين فى نسبه هذا الأمر إلىّ،و قيل:المنافقين الشاكّين فى صحّه الدين.

و قوله : و على كتاب اللّه تعرض الامثال .إلى آخره.

إشاره إلى الحجّه الّتى يحجّ بها.و يخاصهم،و تقريرها:أنّ تعلّق هذا المنكر به إمّا من جهه أقواله،و أفعاله،و اعتقاداته و إرادته،و الثلاثه باطله فتعلّق هذا المنكر به و نسبته إليه باطله.بيان الحصر أنّ هذه الجهات هى جهات صدور المنكر عن الإنسان.

بيان بطلان الأوّل و الثانى أنّه إن كان قد حصل فى أقواله و أفعاله ما يشبه الأمر بالقتل أو فعله فأوقع فى نفوس الجهّال شبهه القتل نحو ما روى منه لمّا سئل عن قتل عثمان:اللّه قتله و أنا معه،و كتخلّفه فى داره يوم قتل عن الخروج.فينبغى أن يعرض ذلك على كتاب اللّه تعالى فإنّه عليه تعرض الأمثال و الأشباه فإن دلّ على كون شىء من ذلك قتلا فليحكم به و إلاّ فلا.و لن يدلّ أبدا.فليس لهم أن يحكموا بالقتل من جهه قول أو فعل،و أمّا بطلان الثالث فلأنّ علم ما فى القلوب إلى اللّه و هو الجازى بما فيها من خير أو شرّ و ليسوا مطّلعين على ما هناك حتّى يحكموا بالقتل من جهتها فإذن حكمهم بتعلّق هذا المنكر به باطل.و باللّه التوفيق.

۷۳-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

رَحِمَ اللّهُ امْرَأً سَمِعَ حُكْماً فَوَعَى- وَ دُعِيَ إِلَى رَشَادٍ فَدَنَا وَ أَخَذَ بِحُجْزَهِ هَادٍ فَنَجَا- رَاقَبَ رَبَّهُ وَ خَافَ ذَنْبَهُ قَدَّمَ خَالِصاً وَ عَمِلَ صَالِحاً- اكْتَسَبَ مَذْخُوراً وَ اجْتَنَبَ مَحْذُوراً- وَ رَمَى غَرَضاً وَ أَحْرَزَ عِوَضاً وَ كَابَرَ هَوَاهُ وَ كَذَّبَ مُنَاهُ- جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّهَ نَجَاتِهِ وَ التَّقْوَى عُدَّهَ وَفَاتِهِ- رَكِبَ الطَّرِيقَهَ

الْغَرَّاءَ وَ لَزِمَ الْمَحَجَّهَ الْبَيْضَاءَ- اغْتَنَمَ الْمَهَلَ وَ بَادَرَ الْأَجَلَ وَ تَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ

اللغه

أقول: الحجزه : معقد الإزار .و المراقبه : المحافظه .و الغرّاء : البيضاء .

المعنى

و اعلم أنّ هذا الفصل يشتمل على استنزاله عليه السّلام الرحمه لعبد استجمع ما ذكر من الامور،و هى عشرون وصفا :

الأوّل يسمع الحكم فيعيه،و الحكم الحكمه،و دعاؤه لسامعها و واعيها يستلزم أمره بتعلّمها و تعليمها،و هى أعمّ من العلميّه و العمليّه.و وعاها:أى فهمها كما القيت إليه.

الثانى :كونه إذا دعى إلى رشاد دنا من الداعى إليه و أجاب دعاؤه.و الرشاد يعود إلى ما يهديه و يرشده إلى طريق معاشه و معاده من العلوم و الأعمال الّتى وردت بها الشريعه.

الثالث : استعاره أن يأخذ بحجزه هاد فينجو به :أى يكون فى سلوكه لسبيل اللّه مقتديا باستاد مرشد عالم لتحصل به نجاته،و استعار لفظ الحجزه لأثر الاستاد و سنّته.و وجه المشابهه كون ذهن المقتدى لازما لسنّه شيخه فى مضايق طريق اللّه و ظلماتها لينجو به كما يلزم السالك لطريق مظلم لم يسلكه قبل بحجزه آخر قد سلك تلك الطريق و صار دليلا فيها ليهتدى به و ينجو من التيه فى ظلماتها .و بين أهل السلوك حلاف أنّه هل يضطرّ المريد إلى الشيخ فى سلوكه؟أم لا.و أكثرهم يرى وجوبه.و يفهم من كلامه عليه السّلام وجوب ذلك و بمثل شهادته يتبجّح الموجبون له إذ كان لسان العارفين و منتهى طبقاتهم.و ظاهر أنّ طريق المريد مع الشيخ أقرب إلى الهدايه،و بدونه أطول و أقرب إلى الضلال عنها.فلذلك قال عليه السّلام: فنجا :أى أنّ النجاه معلّقه به،و قد ذكرنا ما احتجّ به الفريقان فى كتاب مصباح العارفين.

الرابع :أن يراقب ربّه.

و أعلم أنّ المراقبه إحدى ثمرات الإيمان و هى رتبه عظيمه من رتب السالكين قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم:اعبد اللّه كأنّك تراه فإن لم تک تراه فإنّه يراک قال تعالى «أَ فَمَنْ»

«هُوَ قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ» (۱)و قال «إِنَّ اللّٰهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً» (۲)قال الإمام الغزّالیّ:و حقیقتها أنّها حاله للنفس بثمرها نوع من المعرفه،و تثمر أعمالا فی الجوارح و القلب:أمّا الحاله فهی مراعاه القلب للرقیب و اشتغاله به،و أمّا العلم المثمر لها فهو العلم بأنّ اللّٰه تعالی مطّلع علی الضمائر و السرائر قائم «عَلی کُلِّ نَفْسٍ بِما کَسَبَتْ» و أنّ سرّ القلوب مکشوف له کظاهر البشره للخلق بل هو أشدّ فهذه المعرفه إذا استولت علی القلب و لم یبق فیها شبهه فلا بدّ أن تجذبه إلی مراعات الرقیب.و الموقنون بهذه المعرفه فمنهم الصدّیقون و مراقبتهم التعظیم و الإجلال و استغراق القلب بملاحظه ذلک الجلال و الانکسار تحت الهیبه و العظمه بحیث لا یبقی فیه متّسع للالتفات إلی الغیر أصلا.و هی مراقبه مقصوره علی القلب.أمّا الجوارح فإنّها تتعطّل عن التلفّت إلی المباحات فضلا عن المحظورات،و إذا تحرّکت بالطاعه کانت کالمستعمل لها فلا تصلح لغیرها و لا یحتاج إلی تدبیر فی ضبطها علی سنن السداد،و من نال هذه الرتبه فقد یغفل عن الخلق حتّی لا یبصرهم و لا یسمع أقوالهم.و مثّل هذا بمن یحضر فی خدمه ملک عظیم فإنّ بعضهم قد لا یحسّ بما یجری فی حضره الملک من استغراقه بهیبته،و بمن یشغله أمر مهمّ یفکّر فیه.

و روی:أنّ یحیی بن زکریّا علیه السّلام مرّ بامراه فدفعها علی وجهها.فقیل له:لم فعلت؟فقال:

ما ظننتها إلاّ جدارا.الثانیه مراقبه الورعین من أصحاب الیمین و هم قوم غلب بعض اطّلاع اللّٰه تعالی علی قلوبهم و لکن لم تدهشهم ملاحظه الجلال بل بقیت قلوبهم علی الاعتدال متّسعه للتلفّت إلی الأقوال و الأعمال إلاّ أنّها مع مدارستها للعمل لا تخلو عن المراقبه،و قد غلب الحیاء من اللّٰه علی قلوبهم فلا یقدمون و لا یجمحون إلاّ عن تثبّت فیمتنعون عن کلّ أمر فاضح فی القیامه إذ یرون اللّٰه تعالی مشاهدا لأعمالهم فی الدنیا کما یرونه فی القیامه.و من کان فی هذه الدرجه فیحتاج أن یراقب جمیع حرکاته و سکناته و لحظاته و جمیع اختیاراته و یرصد کلّ خاطر یسنح له فإن کان إلهیّا یعجّل مقتضاه و إن کانت شیطانیّا بادر إلی قمعه و استحیا من ربّه و لام نفسه علی اتّباع هواه فیه و إن شکّ فیه توقّف إلی أن یظهر له بنور اللّٰه سبحانه من أیّ جانب هو کما قال علیه السّلام:الهوی شریک

۱- ۱) ۳۳-۱۳

۲- ۲) ۱-۴.

العمی.و من التوفیق التوقّف عند الحیره و لا یهمل شیئا من أعماله و خواطره و إن قلّ لیسلم من مناقشه الحساب.فقد قال الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم:الرجل لیسئل عن کحل عینیه و عن فتله الطین بإصبعه و عن لمسه ثوب أخیه.

الخامس :أن یخاف ذنبه.و اعلم أنّ الخوف لیس ممّا هو ذنب بل من المعاقب علی الذنب لکن لمّا کان الذنب سببا موجبا لسخط المعاقب و عقابه نسب الخوف إلیه.و قد سبق منّا بیان حقیقتی الخوف و الرجاء.

السادس :أن یقدّم خالصا بأن یکون أحواله کلّها خالصه للّه من قول أو عمل، و خاطره بریئه عن الالتفات إلی غیره فیها.و قد سبق معنی الإخلاص فی الخطبه الاولی.

السابع :أن یعمل صالحا.و صلاح العمل الإتیان به کما امر به و هو نوع ممّا تقدّمه.

الثامن :أن یکتسب مذخورا.و هو أمر بسایر ما أمرت الشریعه باکتسابه.و نبّه علی وجوب السعی فیه بأنّه یبقی ذخرا لیوم الفاقه إلیه.

التاسع :أن یجتنب محذورا.و هو أمر باجتناب ما نهت الشریعه عنه،و نبّه علی وجوب اجتنابه بکونه محذورا یستلزم العقاب فی الآخره.

العاشر :أن یرمی غرضا:أی یحذف أعراض الدنیا عن درجه الاعتبار،و هو إشاره إلی الزهد و التخلّی عن موانع الرحمه.

الحادی عشر :أن یحرز عوضا:أی یذخر فی جوهر نفسه ملکات الخیر و یوجّه سرّه إلی مطالعه أنوار کبریاء اللّه و یحرز ما یفاض علیه من الحسنات و یثبتها بتکریرها.

فنعم العوض من متاع الدنیا و أعراضها الفانیه.

الثانی عشر :أن یکابر هواه:أی یطوّع نفسه الأمّاره بالسوء بالأعمال الدینیّه و یراقبها فی کلّ خاطر یلقیه إلی نفسیه و یقابلها بکسره و قمعه.

الثالث عشر :أن یکذب مناه:أی یقابل ما یلفته إلیه الشیطان من الأمانی و یعده به بالتکذیب و القمع له بتجویز عدم نیلها.و یحسم مادّه ذلک بالمراقبه فإنّ الوساوس الشیطانیّه یتبع بعضها بعضا،و من إشاراته علیه السّلام إلی ذلک:إیّاکم و المنی فإنّها بضایع

النوكى:أى الحمقى.

الرابع عشر :أن يجعل الصبر مطيّه نجاته.و الصبر هو مقاومه النفس لئلاّ تنقاد إلى قبايح اللذّات.و لمّا علمت أنّ الانقياد فى مسلكها إلى اللذّات القبيحه هو سبب الهلاك فى الآخره علمت أنّ مقاومتها و دفعها عنها هو سبب النجاه هناك،و قد استعار لفظ المطيّه للصبر،و وجه المشابهه كون لزومه سببا للنجاه كما أنّ ركوب المطيّه و الهرب عليها سبب النجاه من العدوّ.

الخامس عشر :أن يجعل التقوى عدّه وفاته.و لمّا كان التقوى قد يراد به الزهد، و قد يراد به الخوف من اللّه المستلزم للزهد كما علمت و كانت العدّه هو ما استعدّ به الإنسان للقاء الحوادث،و كان الموت أعظم حادث يسبق إلى الإنسان من أحوال الآخره كان التقوى عدّه للموت.إذ كان المتّقى مشغول السرّ بعظمه اللّه و هيبته عن كلّ حاله تلحقه فلا يكون للموت.عنده كثير وقع و لا عظيم كرب،و قد يراد بالتقوى مطلق الإيمان،و بالوفاه ما بعدها مجازا،و ظاهر كون الإيمان عدّه واقيه من عذاب اللّه.

السادس عشر :أن يرتكب الطريقه الغرّاء.و هو أن يسلك إلى اللّه تعالى الطريقه الواضحه المستقيمه و هى سريعه.

السابع عشر :و أن يلزم المحجّه البيضاء.و الفرق بين هذا الأمر و الّذى قبله أنّ الأوّل أمر بركوب الطريقه الغرّاء،و الثانى أمر بلزومها و عدم مفارقتها و أنّها و إن كانت واضحه إلاّ أنّها طويله كثيره المخاوف و سالكها أبدا محارب للشيطان و هو فى معرض أن يستزلّه عنها.

الثامن عشر :أن يغتنم المهل:أى أيّام مهلته و هى حياته الدنيا و اغتنامه العمل فيها قبل يوم الحساب.

التاسع عشر :أن يبادر الأجل:أى يسابقه إلى العمل قبل أن يسبقه فيقتطعه عنه.

العشرون : استعاره السجع المتوازى أن يتزوّد من العمل .و هو الأمر بما يتبادر إليه من اتّخاذ العمل زادا.

و قد سبق وجه استعاره الزاد له.و قد راعى عليه السّلام فى كلّ مرتبتين من هذا الكلام السجع المتوازى،و جعل الصدر ثلاثا و الآخر ثلاثا و عطف كلّ قرينه على مشاركتها فى

الحرف الأخير منها،و حذف حرف العطف من الباقى ليتميّز ما يتناسب منها عن غيره.

و كلّ ذلک بلاغه.

۷۴-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

:إِنَّ؟بَنِی أُمَیَّهَ؟ لَیُفَوِّقُونَنِی تُرَاثَ؟مُحَمَّدٍ ص؟ تَفْوِیقاً- وَ اللَّهِ لَئِنْ بَقِیتُ لَهُمْ- لَأَنْفُضَنَّهُمْ نَفْضَ اللَّحَّامِ الْوِذَامَ التَّرِبَهَ و یروی«التراب الوذمه».و هو على القلب.

قال الشریف:و قوله علیه السّلام«لیفوقوننی»أی.یعطوننی من المال قلیلا کفواق الناقه،و هو الحلبه الواحده من لبنها،و الوذام:جمع و ذمه و هی:الحزه من الکرش أو الکبد تقع فی التراب فتنفض .

المعنى

أقول: استعاره استعار لفظ التفویق لعطیّتهم له المال قلیلا،و وجه المشابهه هو قلّه ما یعطونه منه مع کونه فی دفعات کما یعطى الفصیل ضرع امّه لتدرّ،ثم یدفع عنها لتحلب، ثمّ یعاد إلیها لتدرّ .و تراث محمّد إشاره إلى الفیء الحاصل ببرکه محمّد صلى اللّه علیه و آله و سلّم و هو التراث اللغویّ المکتسب عن المیّت بوجه ما،ثمّ أقسم إن بقى لبنى امیّه لیحرمنّهم التقدّم فی الامور، استعاره و استعار لفظ النفض لإبعادهم عن ذلک،و شبّه نفضه لهم بنفض القصّاب القطعه من الکبد أو الکرش من التراب إذا أصابته .و هذه الروایه هو الحقّ،و الثانیه سهو من الناقلین.

و قد ورد عنه هذا الکلام بزیاده و نقصان فی روایه اخرى و ذلک أنّ سعید بن العاص حیث کان أمیر الکوفه من قبل عثمان بعث إلیه بصله فقال:و اللّه لا یزال غلام من عثمان بنی امیّه یبعث إلینا ما أفاء اللّه على رسوله بمثل قوت الأرمله،و اللّه لئن بقیت لأنفضنّها نفض القصّاب الوذام التربه.

ص:۲۱۲

۷۵-و من كلمات كان يدعو بها

اشاره

اَللَّهُمَّ اغْفِرْ لِی مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّی- فَإِنْ عُدْتُ فَعُدْ عَلَیَّ بِالْمَغْفِرَهِ- اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِی مَا وَأَیْتُ مِنْ نَفْسِی وَ لَمْ تَجِدْ لَهُ وَفَاءً عِنْدِی- اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِی مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَیْکَ بِلِسَانِی- ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبِی اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِی رَمَزَاتِ الْأَلْحَاظِ- وَ سَقَطَاتِ الْأَلْفَاظِ وَ شَهَوَاتِ الْجَنَانِ وَ هَفَوَاتِ اللِّسَانِ

اللغه

أقول: الوأى : الوعد .و الرمزات : جمع رمزه و هى الإشاره بالعين أو الحاجب أو الشفه .و السقط من الشىء : رديئه .و الهفوه : الزلّه .

المعنى

و قد سأل اللّه سبحانه فى جميع هذا الفصل المغفره.و مغفره اللّه للعبد تعود إلى ستره عليه أن يقع فى مهاوى الهلكه فى الآخره أو يكشف مقابحه لأهل الدنيا فيها و كلّ ذلک يعود إلى توفيقه لأسباب السعاده و جذبه بها عن متابعه الشيطان فى المعاصى قبل صدورها منه أو قبل صيرورتها ملكات فى جوهر نفسه و المطلوب غفره امور:

الأوّل :ما اللّه أعلم به منه ممّا هو عند اللّه معصيه و سيّئه فى حقّه و هو لا يعلمها فيفعلها ،ثمّ طلب تكرار مغفره اللّه لما يعاوده و يتكرّر منه كذلک.و إذا تصوّرت معنى المغفره تصوّرت كيف تكرارها.

الثانى :ما وعد نفسه أن يفعله للّه ثمّ لم يوف به.و ما هاهنا مصدريّه.و لا شکّ أنّ مطال النفس بفعل الخير و عدم الوفاء به إنّما يكون عن خاطر شيطانىّ يجب أن يستغفر اللّه له و يسأل ستره ببعث الدواعى الجاذبه عن متابعه الشيطان المحرّک له.

الثالث :شوب النفس ما يتقرّب به من الأعمال إلى اللّه بالرياء و السمعه و مخالفه نيّه القربه إليه بقصد غيره لها.و لا شکّ أنّ ذلک شرک خفىّ جاذب عن الترقّى فى درجات العلى،و يحتاج إلى تدارک اللّه بالمغفره و الجذب عنه قبل تمكّنه من النفس.

الرابع :الإشاره باللحظ.و هو الايماء الخارج عن الحدود الشريعه كما يفعل

عند التنبیه علی شخص لیعاب أو لیضحک منه أو یظلم.و کلّ تلک عن خواطر شیطانیّه ینبغی أن یسأل اللّه تعالی رفع أسبابها و ستر النفس عن التدنّس بها .

الخامس: سقطات الألفاظ و الردیء من القول.هو ما تجاوز حدود اللّه و خرج بها الإنسان عن مستقیم صراطه .

السادس:شهوات القلوب.فمن روی بالشین المعجمه فالمراد جذب القوّه الشهویّه للنفس:أی مشتهیاتها،و من روی بالسین فسهوات القلب خواطره الّتی لا یشعر بتفصیلها إذا خالفت أو امر اللّه و قد تستتبع حرکه بعض الجوارح إلی فعل خارج عن حدود اللّه أیضا و ذلک و إن کان لا یوجب أثرا فی النفس و لا یؤخذ به إلاّ أنّه ربّما یقوی بقوّه أسبابه و کثرتها فیقطع العبد عن سلوک سبیل اللّه کما فی حقّ المنهمکین فی لذّات الدنیا المتجرّ دین لها فإنّ أحدهم ربّما رام أن یصلّی الفرض فیصلّی الصلاه الواحده مرّتین أو مرارا و لا یستثبت عدد رکعاتها و سجداتها،و غفر مثل ذلک بجذب العبد عن الأسباب الموجبه له.

السابع : هفوات اللسان :أی الزلل الحاصل من قبله.و مادّته أیضا خاطر شیطانیّ، و غفره بتوفیقه لمقاومه هواه.

و أعلم أنّ الشیعه لمّا أوجبوا عصمته علیه السّلام عن المعاصی حملوا طلبه لمغفره هذه الامور علی وجهین:

أحدهما:و هو الأدّق أنّ طلبه لغفرانها إنّما هو علی تقدیر وقوعها منه فکأنّه قال:اللهمّ إن صدر عنّی شیء من هذه الامور فاغفره لی،و قد علمت أنّه لا یلزم من صدق الشرطیّه صدق کلّ واحد من جزئیها فلا یلزم من صدق کلامه صدور شیء منها حتّی یحتاج إلی المغفره.

الثانی:أنّهم حملوا ذلک علی تأدیب الناس و تعلیمهم کیفیّه الاستغفار من الذنوب أو علی التواضع و الاعتراف بالعبودیّه و أنّ البشر فی مظنّه التقصیر و الإساءه.و أمّا من لم یوجب عصمته فالأمر معه ظاهر.و باللّه التوفیق.

ص:۲۱۴

۷۶–و من كلام له عليه السّلام

اشاره

قاله لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج،فقال له:يا أمير المؤمنين،إن سرت فى هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك،من طريق علم النجوم.

فقال عليه السّلام:

أَ تَزْعُمُ أَنَّکَ تَهْدِی إِلَی السَّاعَهِ- الَّتِی مَنْ سَارَ فِیهَا صُرِفَ عَنْهُ السُّوءُ- وَ تُخَوِّفُ مِنَ السَّاعَهِ الَّتِی مَنْ سَارَ فِیهَا حَاقَ بِهِ الضُّرُّ- فَمَنْ صَدَّقَکَ بِهَذَا فَقَدْ کَذَّبَ ؟الْقُرْآنَ؟- وَ اسْتَغْنَی عَنِ الِاسْتِعَانَهِ بِاللَّهِ- فِی نَیْلِ الْمَحْبُوبِ وَ دَفْعِ الْمَکْرُوهِ- وَ تَبْتَغِی فِی قَوْلِکَ لِلْعَامِلِ بِأَمْرِکَ- أَنْ یُولِیَکَ الْحَمْدَ دُونَ رَبِّهِ- لِأَنَّکَ بِزَعْمِکَ أَنْتَ هَدَیْتَهُ إِلَی السَّاعَهِ- الَّتِی نَالَ فِیهَا النَّفْعَ وَ أَمِنَ الضُّرَّ ثم أقبل ع على الناس فقال أَیُّهَا النَّاسُ- إِیَّاکُمْ وَ تَعَلُّمَ النُّجُومِ إِلَّا مَا یُهْتَدَی بِهِ فِی بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ- فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَی الْکَهَانَهِ- وَ الْمُنَجِّمُ کَالْکَاهِنِ وَ الْکَاهِنُ کَالسَّاحِرِ وَ السَّاحِرُ کَالْکَافِرِ- وَ الْکَافِرُ فِی النَّارِ سِیرُوا عَلَی اسْمِ اللَّهِ

اللغه

أقول: حاق به : أحاط .و يوليه كذا : يعطيه إيّاه و يجعله أولى به .

المعنى

و روى أنّ المشير عليه بذلك كان عفيف بن قيس أخا لأشعث بن قيس و كان يتعاطى

علم النجوم.

و اعلم أنّ الّذى يلوح من سرّ نهى الحكمه النبوّيه عن تعلّم النجوم أمران:

أحدها:اشتغال متعلّمها بها،و اعتماد كثير من الخلق السامعين لأحكامها فيما يرجون و يخافون عليه فيما يسنده إلى الكواكب و الأوقات،و الاشتغال بالفزع إليه و إلى ملاحظه الكواكب عن الفزع إلى اللّه و الغفله عن الرجوع إليه فيمايهمّ من الأحوال و قد علمت أنّ ذلك يضادّ مطلوب الشارع إذ كان غرضه ليس إلاّ دوام التفات الخلق إلى اللّه و تذكّرهم لمعبودهم بدوام حاجتهم إليه.

الثانى:أنّ الأحكام النجوميّه إخبارات عن امور سيكون و هى تشبه الاطّلاع على الامور الغيبيّه.و أكثر الخلق من العوامّ و النساء و الصبيان لا يتميّزون بينها و بين علم الغيب و الإخبار به.فكان تعلّم تلك الأحكام و الحكم بها سببا لضلال كثير من الخلق موهنا لاعتقاداتهم فى المعجزات إذ الإخبار عن الكائنات منها،و كذلك فى عظمه بارئهم.و يسلكهم فى عموم صدق قوله تعالى «قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللّهُ» «وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُها إِلاّ هُوَ» (١)و قوله «إِنَّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَهِ وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ ما فِي الْأَرْحامِ وَ ما تَدْرِى نَفْسٌ ما ذا تَكْسِبُ غَداً وَ ما تَدْرِى نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ» (٢)فالمنجّم إذا حكم لنفسه بأنّه يصيب كذا فى وقت كذا فقد ادّعى أنّ نفسه تعلم ما تكسب غدا و «بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ» .و ذلك عين التكذيب للقرآن،و كأنّ هذين الوجهين هما المقتضيان لتحريم الكهانه و السحر و العزائم و نحوها،و أمّا مطابقه لسان الشريعه للعقل فى تكذيب هذه الأحكام فبيانها أنّ أهل النظر أمّا متكلّمون فإمّا معتزله أو أشعريّه.

أمّا المعتزله فاعتمادهم فى تكذيب المنجّم على أحد أمرين:أحدهما:أنّ الشريعه كذّبته.و عندهم أنّ كلّ حكم شرعىّ فيشتمل على وجه عقلىّ و إن لم يعلم عين ذلك الوجه، و الثانى مناقشته فى ضبطه لأسباب ما اخبر عنه من كون أو فساد.

و أمّا الاشعريّه فهم و إن قالوا:إنّه لا مؤثّر له إلاّ اللّه و زعم بعضهم أنّهم خلصوا بذلك من إسناد التأثيرات إلى الكواكب إلاّ أنّه لا مانع على مذهبهم أن يجعل اللّه

١- ١) (٢)٣۴-٣١

٢- ٢) ٣۴-٣١

تعالى اتّصال نجم بنجم أو حركته علامه على كون كاين أو فساده و ذلك ممّا لا يبطل على منجّم قاعده.فيرجعون أيضا إلى بيان عدم إحاطته بأسباب كون ما اخبر عنه.و مناقشته فى ذلك.

و أمّا الحكماء فاعلم أنّه قد ثبت فى اصولهم أنّ كلّ كائن فاسد فى هذا العالم فلا بدّ له من أسباب أربعه:فاعلىّ،و مادّىّ،و صورىّ،و غائىّ:أمّا السبب الفاعلىّ القريب فالحركات السماويه و الّذى هو أسبق منها فالمحرّك لها إلى أن ينتهى إلى الجود الإلهىّ المعطى لكلّ قابل ما يستحقّه،و أمّا سببه المادىّ فهو القابل لصورته و تنتهى القوابل إلى القابل الأوّل و هو مادّه العناصر المشتركه بينها،و أمّا الصورىّ فصورته الّتى يقبلها مادّته،و أمّا الغائىّ فهى الّتى لأجلها وجد.أمّا الحركات السماويّه فإنّ من الكاينات ما يحتاج فى كونه إلى دوره واحده للفلك،و منها ما يحتاج إلى جمله من أدواره و اتّصالاته.و أمّا القوابل للكائنات فقد تقرّر عندهم أيضا أنّ قبولها لكلّ كاين معيّن مشروط باستعداد معيّن له و ذلك الاستعداد يكون بحصول صوره سابقه عليه و هكذا قبل كلّ صوره صوره معدّه لحصول الصوره بعدها و كلّ صوره منها أيضا تستند إلى الاتّصالات و الحركات الفلكيه،و لكلّ استعداد معيّن زمان معيّن و حركه معيّنه و اتّصال معيّن يخصّه لا يفى بدركها القوّه البشريّه.

إذا عرفت ذلك فنقول:الأحكام النجوميّه إمّا أن تكون جزئيّه و إمّا كلّيّه.

أمّا الجزئيّه فأن يحكم مثلا بأنّ هذا الإنسان يكون من حاله كذا و كذا،و ظاهر أنّ مثل هذا الحكم لا سبيل إلى معرفته إذ العلم به إنّما هو من جهه أسبابه أمّا الفاعليّه فأن يعلم أنّ الدوره المعيّنه و الاتّصال المعيّن سبب لملك هذا الرجل البلد المعيّن مثلا و أنّه لا سبب فاعلىّ لذلك إلاّ هو،و الأوّل باطل لجواز أن يكون السبب غير ذلك الاتّصال أو هو مع غيره.أقصى ما فى الباب أن يقال:إنّما كانت هذه الدوره و هذه الاتّصال سببا لهذا الكاين لأنّها كانت سببا لمثله فى الوقت الفلانىّ لكن هذا أيضا باطل لأنّ كونها سببا للكائن السابق لا يجب أن يكون لكونها مطلق دوره و اتّصال بل لعلّه أن يكون لخصوصيّه كونه تلك المعيّنه الّتى لا تعود بعينها فيما بعد،و حينئذ لا يمكن الاستدلال بحصولها على كون هذا الكاين لأنّ المؤثرات المختلفه لا يجب تشابه آثارها،و الثانى

أيضا باطل لأنّ العقل يجزم بأنّه لا اطّلاع له على أنّه لا يقتضى لذلك الكاين من الأسباب الفاعله إلّا الاتّصال المعيّن.كيف و قد ثبت أنّ من الكاينات ما يفتقر إلى أكثر من اتّصال واحد و دوره واحده أو أقلّ،و أمّا القابليّه فأن يعلم أنّ المادّه قد استعدّت لقبول مثل هذا الكاين و استجمعت جميع شرائط قبوله الزمانيّه و المكانيّه و السماويّه و الأرضيّه.و ظاهر أنّ الإحاطه بذلك ممّا لا يفى به القوّه البشريّه،و أمّا الصوريّه و الغائيّه فأن يعلم ما يقتضيه استعداد مادّه ذلك المعيّن و قبولها من الصوره و ما يستلزمه من الشكل و المقدار،و أن يعلم ما غايه وجوده و ما أعدّته العنايه له،و ظاهر أنّ الإحاطه بذلك غير ممكنه للإنسان.و أمّا أحكامهم الكلّيّه فكأن يقال كلّما حصلت الدوره الفلانيّه كان كذا.و المنجّم إنّما يحكم بذلك الحكم من جزئيّات من الدورات تشابهت آثارها فظنّها متكرّره و لذلك يعدلون إذا حقّق القول عليهم إلى دعوى التجربه،و قد علمت أنّ التجربه تعود إلى تكرّر مشاهدات يضبطها الحسّ.و العقل يحصل منها حكما كليّا كحكمه بأنّ كلّ نار محرقه فإنّه لمّا أمكن العقل استثبات الإحراق بواسطه الحسّ أمكنه الجزم الكلّى بذلك.فأمّا التشكّلات الفلكيّه و الاتّصالات الكوكبيّه المقتضيه لكون ما يكون فليس شىء منها يعود بعينه كما علمت و إن جاز أن يكون تشكّلات و عودات متقاربه الأحوال و متشابهه إلّا أنّه لا يمكن الإنسان ضبطها و لا الاطّلاع على مقدار ما بينها من المشابهه و التفاوت،و ذلك أنّ حساب المنجّم مبنىّ على قسمه الزمان بالشهور و الأيّام و الساعات و الدرج و الدقايق و أجزائها،و تقسيم الحركه بإزائها و رفعهم بينها نسبه عدديّه و كلّ هذه امور غير حقيقيّه و إنّما تؤخذ على سبيل التقريب.أقصى ما فى الباب أنّ التفاوت فيها لا يظهر فى المدد المتقاربه لكنّه يشبه أن يظهر فى المدد المتباعده،و مع ظهور التفاوت فى الأسباب كيف يمكن دعوى التجربه و حصول العلم الكلّى الثابت الّذى لا يتغيّر باستمرار أثرها على و تيره واحده.ثمّ لو سلّمنا أنّه لا يظهر تفاوت أصلا إلّا أنّ العلم بعود مثل الدوره لا يقتضى بمجرّده العلم بعود مثل الأثر السابق لتوقّف العلم بذلك على عود أمثال الباقيه للأثر السابق من الاستعداد و ساير أسبابه العلويّه و السفليّه،و على ضبطها فإنّ العلم التجربىّ إنّما يحصل

بعد حصرها ليعلم عودها و تكرّرها و كلّ ذلك ممّا لا سبيل للقوّه البشريّه إلى ضبطه فكيف يمكن دعوى التجربه.إذا عرفت ذلك فنقول:

قوله : أ تزعم إلى قوله:الضرّ.

استثبات لما فى العاده أن يدّعيه الأحكاميّون كما ادّعاه المنجّم المشير بعدم المسير فى ذلك الوقت.

و قوله : فمن صدّقك[صدّق خ]بهذا إلى قوله:الضرر.

إلزامات له على ما يعتقده عن نفرتها عن قبول أحكام المنجّم و الاعتقاد فيه.

أوّلها:أنّ من صدّقه فقد كذّب القرآن،و وجه التكذيب ما ذكرناه.

الثانى :كون مصدّقه يستغنى عن الاستعانه باللّه فى نيل محبوبه و رفع مكروهه:

أى يفزع إليه فى كلّ أمريهمّ به و يجعلهم عمده له فيعرض عن الفزع إلى اللّه كما سبق.

الثالث :أنّه ينبغى للعامل أن يوليه الحمد دون ربّه.و علّل هذا الإلزام بقياس ضمير من الشكل الأوّل.صورته :تزعم أنّك تهدى إلى ساعه النفع و الضرر،و كلّ من زعم ذلك فقد أهّل نفسه لاستحقاق الحمد من مصدّقه دون اللّه.فينتج أنّه قد أهّل نفسه لاستحقاق الحمد من مصدّقه دون اللّه.و الكبرى من المخيّلات،و قد يستعملها الخطيب للتنفير عن بعض الامور الّتى يقصد النهى عنها.

و قوله : أيّها الناس.إلى قوله:برّ أو بحر.

تحذير عن تعلّمها لما ذكرناه،و استثنى من ذلك تعلّمها للاهتداء بها فى السفر.

و اعلم أنّ الّذى ذكرناه ليس إلاّ بيان أنّ الاصول الّتى ينبىء عليها الأحكاميّون و ما يخبرون به فى المستقبل اصول غير موثوق بها فلا يجوز الاعتماد عليها فى تلك الأحكام و الجزم بها.و هذا لا ينافى كون تلك القواعد ممهّده بالتقريب كقسمه الزمان و حركه الفلك بالسنه و الشهر و اليوم مأخوذا عنها حساب يبنى عليه مصالح دينيّه كمعرفه أوقات العبادات كالصوم و الحجّ و نحوهما أو دنيويّه كآجال المداينات و ساير المعاملات و كمعرفه الفصول الأربعه ليعمل فى كلّ منها ما يليق به من الحراثه و السفر و أسباب المعاش، و كذلك معرفه قوانين تقريبيّه من أوضاع الكواكب و حركاتها يهتدى بقصدها و على

سمتها المسافرون فی برّ أو بحر فإنّ ذلک القدر منها غیر محرّم بل لعلّه من الامور المستحبّه لخلوّ المصالح المذکوره فیه عن وجوه المفاسد الّتی تشتمل علیها الأحکام کما سبق.و لذلک أمتن اللّه سبحانه علی عباده بخلق الکواکب فی قوله «وَ هُوَ الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِی ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ» (۱)و قوله «لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِینَ وَ الْحِسابَ» (۲)و قوله : فإنّها .إلی آخره.

تعلیل للتحذیر عن تعلّمها و تنفیر عنها بقیاس آخر موصول یستنتج منه أنّ المنجّم فی النار.و علی تقدیر تفصیله فالنتیجه الاولی کون المنجّم کالساحر و هی مع قوله : و الساحر کالکافر .و هذه النتیجه مع قوله : و الکافر فی النار ینتج المطلوب،و هو أنّ المنجّم فی النار، و القیاسان الأوّلان من قیاس المساواه.و قد علمت أنّه عسر الانحلال إلی الحدود المرتّبه فی القیاس المنتج لأنّ موضوع الکبری جزء من محمول الصغری فلیس الأوسط بمشترک فهو معدول عن وجهه إلی وقوع الشرکه فی بعض الأوسط.و لذلک یستحقّ أن یفرد باسم و یجعل لتحلیله قانون یرجع إلیه فی أمثاله.و قد سبق مثله فی الخطبه الاولی.و إذا حمل علی القیاس الصحیح کان تقدیره المنجّم یشبه الکاهن المشبه للساحر و مشبه الکاهن المشبه للساحر مشبه للساحر فینتج أنّ المنجّم یشبه الساحر،و هکذا فی القیاس الثانی المنجّم یشبه الساحر المشبه للکافر و مشبه الساحر المشبه للکافر یشبه الکافر فالمنجّم یشبه الکافر و الکافر فی النار فالمنجّم کذلک و هو القیاس الثالث و نتیجته.فأمّا بیان معنی الکاهن و الساحر و الإشاره إلی وجوه التشبیهات المذکوره:

فاعلم أنّا قد أشرنا فی المقدّمه إلی مکان وجود نفس تقوی علی اطّلاع ما سیکون و علی التصرّفات العجیبه فی هذا العالم فتلک النفس إن کانت کامله خیّره مجذوبه من اللّه تعالی بدواعی السلوک إلی سبیله و ما یقود إلیه فهی نفوس الأنبیاء و الأولیاء ذوی المعجزات و الکرامات،و إن کانت ناقصه شریره منجذبه عن تلک الجهه و غیر طالبه لتلک المرتبه بل مقتصره علی رذایل الأخلاق و خسائس الامور کالتکهّن و نحوه فهی نفوس الکهنه و السحره.

و أعلم أنّ أکثر ما تظهر قوّه الکهانه و نحوها من قوی النفوس فی أوقات الأنبیاء

۱- ۱) ۹۷-۶

۲- ۲) ۵-۱۰

و قبل ظهورهم.و ذلک أنّ الفلک إذا أخذ فی التشکّل بشکل یتمّ به فی العالم حدث عظیم عرض من ابتداء ذلک الشکل و غایته أحداث فی الأرض شبیهه بما یرید أن یتمّ و لکنّها تکون غیر تامّه فإذا استکمل ذلک الشکل فی الفلک و تمّ وجد به فی العالم ما یقتضیه فی أسرع زمان لسرعه تبدّل أشکال الفلک فتظهر تلک القوّه الّتی یوجبها ذلک الشکل فی شخص واحد أو شخصین أو أکثر علی حسب ما یقتضیه العنایه الإلهیّه و یستوعب ذلک الشخص تلک القوّه علی الکمال.فأمّا من قرب من ذلک الشکل و لم یستوفه فإنّه یکون ناقص القوّه بحسب بعده من الشکل.و یظهر ذلک النقصان بظهور النبوّه المقصوده من ذلک الشکل.

فتبیّن قصور القوی المتقدّمه علی النبیّ و المتأخّره عنه و نقصانهما عن ذلک التمام.

فأمّا صفه الکاهن من أصحاب تلک القوی فإنّ صاحب قوّه الکهانه إذا أحسّ بها من نفسه تحرّک إلیها بالإراده لیکملها فیبرزها فی امور حسیّه و یثیرها فی علامات تجری مجری الفال و الزجر و طرق الحصی،و ربّما استعان بالکلام الّذی فیه سجع و موازنه أو بحرکه عنیفه من عدو حثیث کما حکی عن کاهن من الترک،و کما نقل إلیّ من شاهد کاهنا کان فی زماننا و توفّی مند عشرین سنه یکنّی بأبی عمرو کان بناحیه من ساحل البحر یقال لها قلهات،و إنّه کان إذا سئل عن أمر استعان بتحریک رأسه تحریکا یقوی و یضعف بحسب الحاجه و أجاب عقیب ذلک،و قیل إنّه کان قد یستغنی فی بعض الإخبارات عن تلک الحرکه.و الغرض من ذلک اشتغال النفس عن المحسوسات فتداخل نفسه و یقوی فیها ذلک الأثر و یهجس فی نفسه عن تلک الحرکه ما تقذفه علی لسانه،و ربّما صدق الکاهن،و ربّما کذب.و ذلک أنّه یتمّم نقصه بأمر مباین لکماله غیر داخل فیه فیعرض له الکذب و یکون غیر موثوق به،و ربّما تعمد الکذب خوفا من کساد بضاعته فیستعمل الزرق و یخبر بمالا أثر له فی نفسه و یضطرّ إلی التخمین.و درجات هؤلاء متفاوته بحسب قربهم من الافق الإنسانیّ و بعدهم منه و بقدر قبولهم للأثر العلویّ.و یتمیّزون عن الأنبیاء بالکذب و ما یدّعونه من المحالات فإن اتّفق أن یلزم أحدهم الصدق فإنّه لا یتجاوز قدره فی قوّته و یبادر إلی التصدیق بأوّل أمر یلوح من النبیّ صلی اللّه علیه و آله و سلّم و یعرف فضله کما روی عن طلحه و سواد بن قارب و نحوهما من الکهنه فی زمان الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم.

إذا عرفت ذلک فنقول: تشبیه أمّا قوله: فإنّها تدعو إلی الکهانه.

أیّ أنّها تدعو المنجّم فی آخر أمره إلی أن یصّیر نفسه کالکاهن فی دعوی الإخبار عمّا سیکون،ثمّ أکّد کونها داعیه إلی التمکین بتشبیهه بالکاهن.

و أعلم أنّ الکاهن یتمیّز عن المنجّم بکون ما یخبر به من الأمور الکاینه إنّما هو عن قوّه نفسانیّه له،و ظاهر أنّ ذلک أدعی إلی فساد أذهان الخلق و إغوائهم لزیاده اعتقادهم فیه علی المنجّم،و أمّا الساحر فیتمیّز عن الکائن بأنّ له قوّه علی التأثیر فی أمر خارج عن بدنه آثارا خارجه عن الشریعه موذیه للخلق کالتفریق بین الزوجین و نحوه و تلک زیاده شرّ آخر علی الکاهن أدعی إلی فساد أذهان الناس و زیاده اعتقادهم فیه و انفعالهم عنه خوفا و رغبه،و أمّا الکافر فیتمیّز عن الساحر بالبعد الأکبر عن اللّه تعالی و عن دینه و إن شارکه فی أصل الانحراف عن سبیل اللّه.و حینئذ صار الضلال و الفساد فی الأرض مشترکا بین الأربعه إلاّ أنّه مقول علیهم بالأشدّ و الأضعف فالکاهن أقوی فی ذلک من المنجّم،و الساحر أقوی من الکاهن،و الکافر أقوی من الساحر.و لذلک التفاوت جعل علیه السّلام الکاهن أصلا فی التشبیه للمنجّم لزیاده فساده علیه ثمّ ألحقه به،و جعل الساحر أصلا للکاهن،و الکافر أصلا للساحر.لأنّ التشبیه یستدعی کون المشبّه به أقوی فی الوصف الّذی فیه التشبیه و أحقّ به.و قد لاح من ذلک أنّ وجه الشبه فی الکلّ هو ما یشترکون فیه من العدول و الانحراف عن طریق اللّه بالتنجیم و الکهانه و السحر و الکفر و ما یلزم من ذلک من صدّ کثیر من الخلق عن سبیل اللّه و إن اختلف جهات هذا العدول بالشدّه و الضعف کما بیّناه.

و لمّا فرغ علیه السّلام من تنفیر أصحابه عن تعلّم النجوم و قبول أحکامها و غسّل أذهانهم من ذلک بالتخویف المذکور أمرهم بالمسیر إلی الحرب.و روی:أنّه سار فی تلک الساعه إلی الخوارج و کان منه ما علمت من الظفر بهم و قتلهم حتّی لم یفلت منهم غیر تسعه نفر، و لم یهلک من رجاله غیر ثمانیه نفر کما سبق بیانه،و ذلک یستلزم خطأ ذلک المنجّم و تکذیبه فی مقاله.و باللّه التوفیق.

۷۷–و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

بعد حرب الجمل،فی ذم النساء

مَعَاشِرَ النَّاسِ إِنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ الْإِيمَانِ- نَوَاقِصُ الْحُظُوظِ نَوَاقِصُ الْعُقُولِ- فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيمَانِهِنَّ- فَقُعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلَاهِ وَ الصِّيَامِ فِی أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ- وَ أَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ- فَشَهَادَهُ امْرَأَتَيْنِ كَشَهَادَهِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ- وَ أَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ- فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى الْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرِّجَالِ- فَاتَّقُوا شِرَارَ النِّسَاءِ وَ كُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ- وَ لَا تُطِيعُوهُنَّ فِی الْمَعْرُوفِ حَتَّى لَا يَطْمَعْنَ فِی الْمُنْكَرِ

المعنی

اشاره

أقول:لمّا كانت واقعه الجمل و ما اشتملت عليه من هلاك جمع عظيم من المسلمين منسوبا إلی رأی امرأه أراد أن ينبّه على وجوه نقصان النساء و أسبابه

فذكر نقصانهنّ من وجوه ثلاثه :

أحدها:كونهنّ نواقص الايمان

،و أشار إلی جهه النقص فيه بقعود إحديهنّ عن الصلاه و الصوم أيّام الحيض،و لمّا كان الصوم و الصلاه من كمال الإيمان و متمّمات الرياضه كان قعودهنّ عن الارتياض بالصوم و الصلاه فی تلك الأيّام نقصانا لايمانهنّ، و إنّما رفعت الشريعه التكليف عنهنّ بالعبادتين المذكورتين لكونهنّ فی حال مستقذره لا يتأهّل صاحبها للوقوف بين يدی الملك الجبّار،و يعقل للصوم وجه آخر و هو أنّه يزيد الحائض إلی ضعفها ضعفا بخروج الدم.و أسرار الشريعه أدقّ و أجلّ أن يطّلع عليها عقول ساير الخلق .

الثانی:كونهنّ نواقص حظّ

،و أشار إلی جهه نقصانه بأنّ ميراثهنّ على النصف من ميراث الرجال كما قال تعالی «يُوصِيكُمُ اللّهُ فِی أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ»

ص:۲۲۳

«الْأُنْثَيَيْنِ» (۱)و الّذى يلوح من سرّ ذلك كثره المئونه على الرجل و هو أهل التصرّف و كون المرأه من شأنها أن تكون مكفوله محتاجه إلى قيّم هولها كالخادم .

الثالث:كونهنّ نواقص عقول

.و لذلك سبب من داخل و هو نقصان استعداد أمزجتهنّ،و قصورهنّ عن قبول تصرّف العقل كما يقبله مزاج الرجل كما نبّه تعالى عليه بقوله «فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَداءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما فَتُذَكِّرَ إِحْداهُمَا الْأُخْرى» (۲)فإنّه نبّه على ضعف القوّه الذاكره فيهنّ،و لذلك جعل شهاده امرأتين بشهاده رجل واحد،و له أيضا سبب عارض من خارج و هو قلّه معاشرتهنّ لأهل العقل و التصرّفات و قلّه رياضتهنّ لقواهنّ الحيوانيّه بلزوم القوانين العقليّه فى تدبير أمر المعاش و المعاد و لذلك كانت أحكام القوى الحيوانيّه فيهنّ أغلب على أحكام عقولهنّ فكانت المرأه أرّق و أبكى و أحسد و ألجّ و أبغى و أجزع و أوقح و أكذب و أمكر و أقبل للمكر و أذكر لمحقّرات الامور و لكونها بهذه الصفه اقتضت الحكمه الإلهيّه أن يكون عليها حاكم و مدبّر تعيش بتدبيره و هو الرجل فقال تعالى «الرِّجالُ قَوّامُونَ عَلَى النِّساءِ بِما فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ وَ بِما أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوالِهِمْ» (۳)و لشدّه قبولها للمكر و قلّه طاعتها للعقل مع كونها مشتركه و داعيه إلى نفسها اقتضت أيضا أن يسنّ فى حقّها التستّر و التخدّر.

و قوله:فاتّقوا شرار النساء و كونوا من خيارهنّ على حذر .

و قوله: فاتّقوا شرار النساء و كونوا من خيارهنّ على حذر.

لمّا نبّه على جهه نقصانهنّ،و قد علمت أنّ النقصان يستلزم الشرّ لا جرم نفّر عنهنّ فأمر أوّلا بالخشيه من شرارهنّ و هو يستلزم الأمر بالهرب منهنّ و عدم مقاربتهنّ فأمّا خيارهنّ فإنّه أمر بالكون منهنّ على حذر.و يفهم من ذلك أنّه لا بدّ من مقاربتهنّ،و كان الإنسان إنّما يختار مقاربه الخيره منهنّ فينبغى أن يكون معها على تحرّز و تثبّت فى سياستها و سياسه نفسه معها إذ لم تكن الخيره منهنّ خيره إلاّ بالقياس إلى الشريره.

ثمّ نهى عن طاعتهنّ بالمعروف كيلا يطمعن فى المنكر،و أشار به إلى طاعتهنّ فيما يشرن به و يأمرن مطلقا و إن كان معروفا صوابا،و فيما يطلبنه من زياده المعروف و الإحسان إليهنّ و إكرامهنّ بالزينه و نحوها فإنّ طاعه امرائهنّ فيما يشرون من معروف تدعوهنّ

۱- (۱) ۱۲-۴

۲- (۲) ۲۸۲-۲

۳- (۳) ۳۸-۴

إلى الشور بما لا ينبغى،و التسلّط على الأمر به فإن فعل فليفعل لأنّه معروف لا لأنّه مقتضى رأيهنّ.و زياده إكرامهنّ من مقوّيات دواعى الشهوه و الشرّ فيهنّ حتّى ينتهى بهنّ الطمع إلى الاقتراح و طلب الخروج إلى المواضع الّتى يرى فيها زينتهنّ و نحو ذلك إذ العقل مغلوب فيهنّ بدواعى الشهوات.و فى المثل المشهور:لا تعط عبدك كراعا فيأخذ ذراعا.و روى:أنّ رسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم كان يخطب يوم عيد فالتفت إلى صفوف النساء فقال:معاشر النساء تصدّقن فإنّى رأيتكنّ أكثر أهل النار عددا.فقالت واحده منهنّ:و لم يا رسول اللّه؟ فقال صلى اللّه عليه و آله و سلّم:لأنكنّ تكثرن اللعن،و تكفرن العشير،و تمكث إحديكنّ شطر عمرها لا تصوم و لا تصلّى.

٧٨-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

أَيُّهَا النَّاسُ الزَّهَادَهُ قِصَرُ الْأَمَلِ- وَ الشُّكْرُ عِنْدَ النِّعَمِ وَ التَّوَرُّعُ عِنْدَ الْمَحَارِمِ- فَإِنْ عَزَبَ ذَلِكَ عَنْكُمْ فَلَا يَغْلِبِ الْحَرَامُ صَبْرَكُمْ- وَ لَا تَنْسَوْا عِنْدَ النِّعَمِ شُكْرَكُمْ- فَقَدْ أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ بِحُجَجٍ مُسْفِرَهٍ ظَاهِرَهٍ- وَ كُتُبٍ بَارِزَهِ الْعُذْرِ وَاضِحَهٍ

اللغه

أقول: عزب : ذهب و بعد .و أعذر : أظهر عذره .و مسفره : مشرقه .

المعنى

و أعلم أنّ قوله:أيّها الناس.إلى قوله:عند المحارم.تفسير للزهد

،و قد رسمه بثلاثه لوازم له:

الأوّل:قصور الأمل.و لمّا علمت فيما سلف أنّ الزهد هو إعراض النفس عن متاع الدنيا و طيّباتها و قطع الالتفات إلى ما سوى اللّه تعالى ظهر أنّ ذلك الإعراض مستلزم لقصر الأمل فى الدنيا إذ كان الآمل إنّما يتوجّه نحو مأمول،و المتلفت إلى اللّه من الدنيا كيف يتصوّر طول أمله لشىء منها.

الثانى :الشكر على النعمه.و ذلك أنّ العبد بقدر التفاته عن أعراض الدنيا يكون

محبّته للّه و إقباله عليه و اعترافه الحقّ بالآيه،و ذلک أنّ الشكر حال للقلب يثمرها العلم بالمشكور و هو فی حقّ اللّه أن يعلم أنّه لا منعم سواه،و أنّ كلّ منعم يقال فی العرف فهو واسطه مسخّره من نعمته.و تلک الحال تثمر العمل بالجوارح.

الثالث : الورع و هو لزوم الأعمال الجميله و الوقوف على حدود عن التوّرط فی محارمه و هو ملكه تحت العفّه،و قد علمت أنّ الوقوف على التوّرط فی المحارم و لزوم الأعمال الجميله لازمه للالتفات عن محابّ الدنيا و لذّاتها المنهیّ عن الميل إليها.و هذا التفسير منه عليه السّلام مستلزم للأمر به.

و قوله:بعد ذلک:فإن عزب عنكم

و قوله:بعد ذلک: فإن عزب عنكم .إلى آخره يحتمل معنيين:

أحدهما:و هو الظاهر أنّه إن بعد عليكم و شقّ استجماع هذه الامور الثلاثه فالزموا منها الورع و الشكر.و كأنّه رخّص لهم فی طول الأمل،و ذلک أنّه قد يتصوّر طوله فيما ينبغی من عماره الأرض لغرض الآخره،و لأنّ قصر الأمل لا يصدر إلاّ عن غلبه الخوف من اللّه تعالى على القلب و الإعراض بالكلّيّه عن الدنيا و ذلک فی غايه الصعوبه فلذلک نبّه على لزوم الشكر و الورع و رخّص فی طول الأمل،و فسّر الورع بالصبر إذ كان لازما للورع،و هما تحت ملكه العفّه،ثمّ شجّعهم بذكر الغلب عن مقاومه الهوى، و نبّهم بذكر النسيان على لزوم التذكّر.

الثانی:يحتمل أن يكون لمّا فسّر الزهد باللوازم الثلاثه فی معرض الأمر بلزومها قال بعدها:فإن صعب عليكم لزوم الشكر و الثناء للّه و لزوم الأعمال الجميله فاعدلوا إلى امور أسهل منها.فرخّص لهم فی طول الأمل لما ذكرناه ،ثمّ فی التذكّر لنعم اللّه بحيث لا ينسى بالكلّيّه و يلتفت عنها عوضا عن دوام الحمد و الثناء،ثمّ فی الصبر عند المحارم و عند الانقهار لغلبه دواعی الشيطان عوضا من لزوم الأعمال الجميله عندها فإنّ الصبر عند شرب الخمر مثلا عند حضورها أهون على الطبع من الصوم عن ساير المباحات حينئذ و لزوم ساير الأعمال الجميله.

و قوله:فقد أعذر إلى آخره .

و قوله: فقد أعذر .إلى آخره.

تأكيد لما سبق من أمره بالزهد،و جذب إليه.و أشار بالحجج إلى الرسل لقوله تعالى

ص:۲۲۶

«رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ لِئَلّا يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّهٌ بَعْدَ الرُّسُلِ» (۱) استعاره و لفظ الحجج مستعار،و وجه المشابهه أنّه لمّا كان ظهور الرسل قاطعا ألسنه حال الظالمين لأنفسهم فى محفل القيامه عن أن يقولوا «رَبَّنا لَوْ لا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آياتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَ نَخْزى» (۲)أشبه الحجّه القاطعه فاستعير لفظها له،و بإسفارها و ظهورها إلى إشراق أنوار الدين عن نفوسهم الكامله على نفوس الناقصين و هو استعاره أيضا،و أشار ببروز عذر الكتب إلى ظهورها أعذارا للّه إلى خلقه بتخويفهم و ترغيبهم و إرشادهم إلى طريق النجاه،و إسناد الأعذار إلى اللّه تعالى استعاره من الأقوال المخصوصه الّتى يبديها الإنسان عذرا لأفعال اللّه و أقواله الّتى عرّف خلقه فيها صلاحهم و أشعرهم فيها بلزوم العقاب لهم لو لم يلتفتوا إليها .و باللّه التوفيق.

۷۹-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

فى صفه الدنيا

مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ وَ آخِرُهَا فَنَاءٌ- فِي حَلاَلِهَا حِسَابٌ وَ فِي حَرَامِهَا عِقَابٌ- مَنِ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ- وَ مَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ وَ مَنْ سَاعَاهَا فَاتَتْهُ- وَ مَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ وَ مَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ- وَ مَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ قال الشريف:أقول:و إذا تامل المتأمل قوله عليه السّلام«من أبصر بها بصرته»وجد تحته من المعنى العجيب و الغرض البعيد ما لا تبلغ غايته و لا يدرك غوره،و لا سيما إذا قرن إليه قوله«و من أبصر إليها أعمته»،فإنه يجد الفرق بين«أبصر بها»و«أبصر إليها»واضحا نيرا و عجيبا باهرا

اللغه

أقول: العناء : التعب ،

و قد ذكر للدنيا فى معرض ذمّها و التنفير عنها أوصافا عشره :

الأوّل:كون أوّلها عناء

.و هو إشاره إلى أنّ الإنسان من لدن ولادته فى تعب

ص:۲۲۷

۱- (۱) ۴-۱۶۳

۲- (۲) ۲۱-۱۳۴

و شقاء،و يكفى فى الإشاره إلى متاعب الإنسان فيها ما ذكره الحكيم برزويه فى صدر كتاب كليله و دمنه فى معرض تطويع نفسه بالصبر على عيش النسّاك:أو ليست الدنيا كلّها أذى و بلاء؟أو ليس الإنسان يتقلّب فى ذلك من حين يكون جنينا إلى أن يستوفى أيّامه؟فإنّا قد وجدنا فى كتب الطبّ أنّ الماء الّذى يقدّر منه الولد السوىّ إذا وقع فى رحم المرأه اختلط بمائها و دمها و غلظ ثمّ الريح تمحص ذلك الماء و الدم حتّى تتركه كالرائب الغليظ ثمّ تقسمه فى أعضائه لآناء أيّامه فإن كان ذكرا فوجهه قبل ظهر امّه و إن كان انثى فوجهها قبل بطن امّها،و ذقنه على ركبتيه و يداه على جنبيه مقبض فى المشيمه كأنّه مصرور، و يتنفّس من متنفّس شاقّ،و ليس منه عضو إلاّ كأنّه مقموط،فوقه حرّ البطن و تحته ما تحته،و هو منوط بمعاء من سرّته إلى سرّه امّه منها يمصّ و يعيش من طعام امّه و شرابها فهو بهذه الحاله فى الغمّ و الظلمات و الضيق حتّى إذا كان يوم ولادته سلّط اللّه الريح على بطن امّه و قوى عليه التحريك فتصوّب رأسه قبل المخرج فيجد من ضيق المخرج و عصره ما يجده صاحب الرهق[الرمق خ]فإذا وقع على الأرض فأصابته ريح أو مسّته يد وجد من ذلك من الألم ما لم يجده من سلخ جلده ثمّ هو فى ألوان من العذاب إن جاع فليس له استطعام،و إن عطش فليس له استقاء،أو وجع فليس له استغاثه مع ما يلقى من الرفع و الوضع و اللفّ و الحلّ و الدهن و المرخ،إذا انيم على ظهره لم يستطع تقلّبا.فلا يزال فى أصناف هذا العذاب ما دام رضيعا.فإذا أفلت من ذلك اخذ بعذاب الأدب فاذيق منه ألوانا،و فى الحميّه و الأدواء و الأوجاع و الأسقام.فإذا أدرك فهمّ المال و الأهل و الولد و الشره و الحرص و مخاطره الطلب و السعى.و كلّ هذا يتقلّب معه فيها أعداؤه الأربعه:المرّه و البلغم و الدم و الريح،و السمّ المميت و الحيّات اللادغه مع و خوف السباع و الناس و خوف البرد و الحرّ ثمّ ألوان عذاب الهرم لمن بلغه .

الثانى:كون آخرها فناء.

هو تنفير عنها بذكر غايتها و هو الموت و ما يستصحبه من فراق الأهل و الأحبّه،و الإشراف على أهوانه العظيمه المعضله .

الثالث:كونها فى حلالها حساب.

و هو إشاره إلى ما يظهر فى صحيفه الإنسان يوم القيامه من الآثار المكتوبه عليه ممّا خاض فيه من مباحات الدنيا،و توسّع فيه من المآكل

و المشارب و المناكح و المراكب،و ما يظهر فى لوح نفسه من محبّه ذلك فيعوقه عن اللحوق بالمجرّدين عنها الّذين لم يتصرّفوا فيها تصرّف الملاّك فلم يكتب عليه فى شىء منها ما يحاسبون عليه.و إليه إشاره سيّد المرسلين صلى اللّه عليه و آله و سلّم:إنّ الفقراء ليدخلون الجنّه قبل الأغنياء بخمس مائه عام،و إنّ فقراء امّتى ليدخلون الجنّه سعيا،و عبد الرحمن يدخلها حبوا.و ما ذاك إلاّ لكثره حساب الأغنيا بتعويقهم بثقل ما حملوا من محبّه الدنيا و قيناتها عن اللحوق بدرجه المخفّين منها.و قد عرفت كيفيّه الحساب .

الرابع:كونها فى حرامها عقاب.

و هو تنفير عمّا يوجب العقاب من الآثام بذكره .

الخامس:كونها من استغنى فيها فتن

:أى كانت محبّته لما اقتنى فيها سببا لفتنته و ضلاله عن سبيل اللّه كما قال تعالى «أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَ أَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ » (١).

السادس:كونها من افتقر فيها حزن.

و ظاهر أنّ الفقير الطالب للدنيا غير الواجد لها فى غايه المحنه و الحزن على ما يفوته منها،و خاصّه ما يفوته بعد حصوله له .

السابع:من ساعاها فاتته.

و أقوى أسباب هذا الفوات أنّ تحصيلها أكثر ما يكون بمنازعه أهلها عليها و مجاذبتهم إيّاها،و قد علمت ثوران الشهوه و الغضب و الحرص عند المجاذبه للشىء و قوّه منع الإنسان له.و تجاذب الخلق للشىء و عزّته عندهم سبب لتفويت بعضهم له على بعض،و فيه تنبيه على وجوب ترك الحرص عليها و الإعراض عنها.

إذ كان فواتها اللازم عن شدّه السعى فى فضلها مكروها للسامعين .

الثامن:كونهامن قعد عنها و اتته.

و هو أيضا جذب إلى القعود عنها و تركها و إن كان الغرض مواتاتها كما يفعله أهل الزهد الظاهرىّ المشوب بالرياء،و قد علمت أنّ الزهد الظاهرىّ مطلوب أيضا للشارع إذ كان وسيله إلى الزهد الحقيقىّ كما قال الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم:الرياء قنطره الإخلاص.و قد راعى فى القرائن السجع المتوازى .

التاسع:من أبصر بها بصّرته:

أى من جعلها سبب هدايته و بصره استفاد منها البصر و الهدايه،و ذلك أنّك علمت أنّ مقصود الحكمه الإلهيّه من خلق هذا البدن و ما فيه من الآلات و المنافع إنّما هو استكمال نفسه باستخلاص العلوم الكلّيّه و فضايل

۱- ۱) ۲۸-۸

الأخلاق من تصفّح جزئيّات الدنيا و مقايسات بعضها إلى بعض كالاستدلال بحوادثها و عجائب مخلوقات اللّه فيها على وجوده و حكمته وجوده،و تحصيل الهدايه بها إلى أسرار ملكه فكانت سببا مادّيا لذلك فلأجله صدق أنّها تبصّر من أبصر بها .

العاشر:و من أبصر إليها أعمته:

أى من مدّ إليها بصر بصيرته،و تطّلع إليها بعين قلبه محبّه و عشقا أعمت عين بصيرته عن إدراك أنوار اللّه و الاهتداء لكيفيّه سلوك سبيله.

و إليه الإشاره بالنهى فى قوله تعالى «وَ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ» (۱)و قد ظهر الفرق بين قوله:من أبصر بها،و من أبصر إليها، و مدح السيّد لهذا الفصل مدح فى موضعه.

۸۰-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

و هى من الخطب العجيبه و تسمّى الغرّاء.

اعلم أنّ فى هذه الخطبه فصولا:

الفصل الأوّل قوله: «الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى» عَلاَ بِحَوْلِهِ...

اشاره

«الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى» عَلاَ بِحَوْلِهِ وَ دَنَا بِطَوْلِهِ- مَانِحِ كُلِّ غَنِيمَهٍ وَ فَضْلٍ وَ كَاشِفِ كُلِّ عَظِيمَهٍ وَ أَزْلٍ- أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ وَ سَوَابِغِ نِعَمِهِ- وَ أُومِنُ بِهِ أَوَّلاً بَادِياً وَ أَسْتَهْدِيهِ قَرِيباً هَادِياً- وَ أَسْتَعِينُهُ قَاهِراً قَادِراً وَ أَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِياً نَاصِراً- وَ أَشْهَدُ أَنَّ؟مُحَمَّداً ص؟ عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ- أَرْسَلَهُ لِإِنْفَاذِ أَمْرِهِ وَ إِنْهَاءِ عُذْرِهِ وَ تَقْدِيمِ نُذُرِهِ

اللغه

أقول: الحول : القوّه . الطول : الفضل .و المنحه : العطيّه .و الأزل : الشدّه .

و النذر : النذاره .

ص:۲۳۰

۱- ۱) ۲۰-۱۳۱

المعنى

اشاره

و قد أثنى على اللّه تعالى فى هذا الفصل باعتبارات أربعه من نعوت جلاله :

الأوّل:كونه عليّا،و إذ ليس المراد به العلوّ المكانىّ لتقدّسه تعالى عن الجسميّه كما سبق فالمراد العلوّ المعقول له باعتبار كونه مبدء كلّ موجود و مرجعه فهو العلىّ المطلق الّذى لا أعلى منه فى وجود و كمال رتبه و شرف كما سبق بيانه،و لمّا عرفت أنّ معنى الدنوّ إلى كلّ موجود صدر عن قدرته و قوّته لا جرم جعل للحوقه له مبدءا هو حوله.

الثانى :كونه دانيا بطوله.و لمّا عرفت أنّ معنى الدنوّ و القرب فى حقّه تعالى ليس مكانيّا أيضا كان اعتبارا تحدثه عقولنا له من قرب إفاضه نعمه على قوابلها و قربه من أبصار البصائر فى صوره نعمه منها و لذلك جعل طوله مبدءا لدنوّه.

الثالث:كونه مانح كلّ غنيمه و فضل.

الرابع:كونه كاشف كلّ عظيمه و أزل .هما إشاره إلى كلّ نعمه صدرت عنه على قابلها فمبدءها جوده و رحمته سواء كانت وجوديّه كالصحّه و المال و العقل و غيرها أو عدميّه كدفع البأساء و الضرّاء،و إليه الإشاره بقوله «وَ ما بِكُمْ مِنْ نِعْمَهٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمَّ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْئَرُونَ ثُمَّ إِذا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ» (۱)الآيه،و قوله «أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَ يَكْشِفُ السُّوءَ وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الْأَرْضِ» (۲).

و قوله:أحمده.إلى قوله:نعمه .

و قوله: أحمده.إلى قوله:نعمه.

تنبيه للسامعين على مبدء استحقاقه لاعتبار الحمد،و هو كرمه.قال بعض الفضلاء:

الكريم هو الّذى إذا قدر عفا،و إذا وعد وفا،و إذا أعطى زاد على منتهى الرجاء و لم يبال كم أعطى و لا لمن أعطى،و إن رفع إلى غيره حاجه لا يرضى،و إذا جفى عاتب و ما استقصى، و لا يضيع من لاذبه و التجا و يغنيه عن الوسائل و الشفعاء.فمن اجتمعت له هذه الاعتبارات حقيقه من غير تكلّف فهو الكريم المطلق.و ليس ذلك إلاّ اللّه تعالى.قلت:و الأجمع الأمنع فى رسم هذا الاعتبار يعود إلى فيضان الخير عنه من غير بخل و منع و تعويق على كلّ من يقدر أن يقبله بقدر ما يقبله.و عواطف كرمه هى نعمه و آثاره الخيريّه الّتى تعود على عباده مرّه بعد اخرى،و سوابغ نعمه السابغه الّتى لا قصور فيها عن قبول قابلها .

۱- ۱) ۵۵-۱۶

۲- ۲) ۶۳-۲۷

و قوله:و أومن به أوّلا باديا.

و قوله: و أومن به أوّلا باديا.

نصب أوّلاـ باديا على الحال،و أشار بهذين الوصفين إلى الجهه الّتى هى مبدء الإيمان إذ كان منه باعتبار كونه أوّلا هو مبدءا لجميع الموجودات،و كونه باديا هو كونه ظاهرا فى العقل فى جميع آثاره.فباعتبار ظهوره مع كونه مبدءا لكلّ موجود و أوّلا له يجب الايمان به و التصديق بإلهيّته .

و قوله:و أستهديه قريبا هاديا.

و قوله: و أستهديه قريبا هاديا.

فاستهداؤه طلب الهدايه منه،و قربه هو دنوّه بجوده من قابل فضله،و هدايته هبته الشعور لكلّ ذى إدراك بما هو أليق به ليطلبه دون ما ليس أليق به.و ظاهر أنّه باعتبار هذين الوصفين مبدء لطلب الهدايه منه.

و قوله:و أستعينه قاهرا قادرا .

و قوله: و أستعينه قاهرا قادرا.

استعانته طلب المئونه منه على ما ينبغى من طاعته و سلوك سبيله،و القاهر هو الّذى لا يجرى فى ملكه بخلاف حكمه نفس،بل كل موجود مسخّر تحت حكمه و قدرته و حقير فى قبضته،و القادر هو الّذى إذا شاء فعل و إذا لم يشأ لم يفعل و إن لم يلزم أنّه لا يشأ فلا يفعل كما سبق بيانه.و ظاهر أنّه باعتبار هذين الوصفين مبدء للاستعانه.

و قوله:و أتوكّل عليه كافيا ناصرا .

و قوله: و أتوكّل عليه كافيا ناصرا.

التوكّل كما علمت يعود إلى اعتماد الإنسان فيما يرجو أو يخاف على غيره، و الكافى اعتبار كونه معطيا لكلّ قابل من خلقه ما يكفى استحقاقه من منفعه و دفع مضرّه، و الناصر هو اعتبار إعطائه النصر لعباده على أعدائهم بإفاضه هدايته و قوّته.و ظاهر أنّه تعالى باعتبار هذين الوصفين مبدء لتوكّل عباده عليه و إلقاء مقاليد امورهم إليه.

و قوله:و أشهد إلى آخره .

و قوله: و أشهد .إلى آخره.

تقرير للرساله و تعيين لأغراضها و ذكر منها ثلاثه:

أحدها :إنفاذ أمره.و الضمائر الثلاثه للّه.و إنفاذ أمره إجراؤه لأحكامه على قلوب الخلق ليقرّوا بالعبودّيه له.

ص:۲۳۲

الثانی :إنهاء عذره فی أقواله و أفعاله.و قد سبق بیان وجه استعاره العذر.

الثالث :تقدیم نذره و هو التخویفات الوارده علی ألسنه الرسل علیهم السّلام إلی الخلق قبل لقائه الجاذبه لهم إلی لزوم طاعته.و ظاهر کون الثلاثه أعراضا للبعثه.

الفصل الثانی:قوله: أُوصِیکُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَی اللَّهِ

اشاره

أُوصِیکُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَی اللَّهِ الَّذِی ضَرَبَ الْأَمْثَالَ- وَ وَقَّتَ لَکُمُ الْآجَالَ وَ أَلْبَسَکُمُ الرِّیَاشَ وَ أَرْفَغَ لَکُمُ الْمَعَاشَ- وَ أَحَاطَ بِکُمُ الْإِحْصَاءَ وَ أَرْصَدَ لَکُمُ الْجَزَاءَ- وَ آثَرَکُمْ بِالنِّعَمِ السَّوَابِغِ وَ الرِّفَدِ الرَّوَافِغِ- وَ أَنْذَرَکُمْ بِالْحُجَجِ الْبَوَالِغِ فَأَحْصَاکُمْ عَدَداً- وَ وَظَّفَ لَکُمْ مُدَداً فِی قَرَارِ خِبْرَهٍ وَ دَارِ عِبْرَهٍ- أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِیهَا وَ مُحَاسَبُونَ عَلَیْهَا

اللغه

أقول: الریاش : اللباس الفاخر.و قیل:الغنی بالمال .و أرصد : أعدّ .و الرفد :

جمع رفده و هی العطیّه .و الروافع : الواسعه الطیّبه

المعنی

اشاره

و هذا الفصل مشتمل علی الوصیّه بتقوی اللّه و خشیته و الانجذاب إلیه باعتبار امور:

الأول:ضرب الأمثال

.و الأمثال الّتی ضربها اللّه لعباده فی القرآن کثیره منها:

قوله تعالی «کَمَثَلِ الَّذِی اسْتَوْقَدَ ناراً فَلَمّا أَضاءَتْ ما حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ» إلی قوله «یَرْجِعُونَ» (۱)و الإشاره بهذا المثل إلی من کان قد طلب إظهار المعجزات من الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم فلمّا ظهرت لهم لم یقبلوها و رجعو إلی ظلمه جهلهم فهم صمّ عن سماع دواعی اللّه بآذان قلوبهم،بکم عن مناجات اللّه بأسرارهم،عمی عن مشاهده أنوار اللّه بإبصار بصائرهم فهم لا یرجعون عن تمادیهم فی غیّهم و کفرهم.و منها:قوله «أَوْ کَصَیِّبٍ مِنَ السَّماءِ» إلی قوله «قامُوا» و هو مثل شبّه فیه القرآن بالمطر نزل من السماء،و شبّه ما فی القرآن من الوعد و الوعید بما فی المطر من الرعد و البرق،و شبّه تباعد المنافقین عن الإصغاء إلی

۱- ۱) ۱۶-۲

القرآن و تغافلهم عن سماع الوعظ بمن يجعل أصابعه فی آذانه خوف الصواعق،و قوله:

«یَکادُ الْبَرْقُ» .إلی آخره.إشاره إلی من کان یرقّ قلبه بسماع الوعظ البالغ إذا قرعه و یمیل إلی التوبه و یتجلّی عن قلبه بعض الظلمه فإذا رجعوا إلی قرنائهم أشاروا علیهم بالعود إلی دنیاهم و بذلوا لهم الجهد فی النصیحه و خوّفوهم بالعجز فتضعف قصودهم،و تظلم علیهم شبهات الباطل فتغطّی ما کان ظهر لهم من نور الحقّ.و کذلک باقی أمثال اللّه فی کتابه الکریم .

الثانی:قوله:و وقّت لکم الآجال:

أی کتبها بقلم القضاء الإلهیّ فی اللوح المحفوظ کلّ إلی إجل مسمّی ثمّ یرجع إلیه فیحاسبه بإعلانه و إسراره.فبالحرّی أن یقتّته و یعمل للقائه .

الثالث:کونه قد ألبسهم الریاش.

و هو إظهار للمنّه علیهم کما قال «یا بَنِی آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَیْکُمْ لِباساً یُوارِی سَوْآتِکُمْ وَ رِیشاً وَ لِباسُ التَّقْوی» (۱)الآیه.لیذکّروا أنواع نعمه فیستحیوا من مجاهرته بالمعصیه .

الرابع:کونه قد أرفع لهم المعاش

:أی أطاب معایشهم فی الدنیا کما قال تعالی «وَ رَزَقَکُمْ مِنَ الطَّیِّباتِ» ،و هو کالثالث .

الخامس:إحاطته بهم إحصاء

کقوله تعالی «لَقَدْ أَحْصاهُمْ وَ عَدَّهُمْ عَدًّا» أی أحاط بهم علمه.و إحصاء منصوب علی المصدر من غیر لفظ فعله،أو علی التمییز.و ظاهر أنّ علم العصاه بأنّه لا یشذّ أحد منهم عن إحاطه علمه جاذب لهم إلی تقواه .

السادس:کونه قد أرصد لهم الجزاء.

کقوله «مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَهِ فَلَهُ خَیْرٌ مِنْها وَ هُمْ مِنْ فَزَعٍ یَوْمَئِذٍ آمِنُونَ وَ مَنْ جاءَ بِالسَّیِّئَهِ فَکُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِی النّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاّ ما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » (۲).

السابع:ایثارهم بالنعم السوابغ

و الرفد الروافع .كقوله تعالى «وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَ باطِنَةً » (۳).

الثامن:إنذارهم بالحجج البوالغ

و هی رسله و مواعظه و سایر ما جذب به عباده إلی

ص:۲۳۴

۱- ۱) ۲۵-۷

۲- ۲) ۹۱-۲۷۱

۳- ۳) ۱۹-۳۱

سلوك سبيله،و هو حجّه على عصاه أمره أن يقولوا يوم القيامه إنّا كنّا عن هذا غافلين .

التاسع:إحصاؤه لعددهم

كقوله تعالى «وَ أَحْصى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً » .

العاشر:توظيفه لهم المدد،

و هو كتوقيته لهم الآجال،و إنّما كرّر وصف الإحصاء و العدّ و هذين الوصفين أيضا لأنّ الوهم كثيرا ما ينكر إحاطته تعالى بالجزئيّات مع عدم تناهيها فيكون ذلك مشبّها على النفس توقيت الآجال لكلّ شخص شخص و يقدح فى أمر المعاد العقوبات اللازمه لكلّ آحاد الخلق بحسب كلّ ذرّه من الأعمال الطالحه فكرّرهما طردا للوهم و كسرا لحكمه،و لأنّ ذكر توقيت الآجال من أشدّ الجواذب عن الدنيا إلى اللّه.و قوله : فى قرار خبره و دار عبره :أى محلّ اختبار اللّه خلقه و محلّ عبرتهم:أى انتقال أذهانهم فيما تجرى فيها من آيات العبره و آثار القدره.

و الاستدلال بها على وحدانيّه مبدعها كما سبقت الإشاره إلى معنى الاختبار و الاعتبار و كذلك قوله : فأنتم فيها مختبرون و عليها محاسبون قد سبقت الإشاره إليه فى قوله: ألا و إنّ الدنيا دار لا يسلم منها إلّا فيها .و فى هذين القرينتين مع السجع المتوازى نوع من التجنيس بين خبره و عبره.و الاختلاف بالحرف الأوّل.

الفصل الثالث قوله: فَإِنَّ الدُّنْيَا رَنِقٌ مَشْرَبُهَا رَدِغٌ مَشْرَعُهَا...

اشاره

فَإِنَّ الدُّنْيَا رَنِقٌ مَشْرَبُهَا رَدِغٌ مَشْرَعُهَا- يُونِقُ مَنْظَرُهَا وَ يُوبِقُ مَخْبَرُهَا- غُرُورٌ حَائِلٌ وَ ضَوْءٌ آفِلٌ وَ ظِلٌّ زَائِلٌ وَ سِنَادٌ مَائِلٌ- حَتَّى إِذَا أَنِسَ نَافِرُهَا وَ اطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا- قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا وَ قَنَصَتْ بِأَحْبُلِهَا- وَ أَقْصَدَتْ بِأَسْهُمِهَا وَ أَعْلَقَتِ الْمَرْءَ أَوْهَاقَ الْمَنِيَّهِ- قَائِدَهً لَهُ إِلَى ضَنْكِ الْمَضْجَعِ وَ وَحْشَهِ الْمَرْجِعِ- وَ مُعَايَنَهِ الْمَحَلِّ وَ ثَوَابِ الْعَمَلِ-.وَ كَذَلِكَ الْخَلَفُ بِعَقْبِ السَّلَفِ- لاَ تُقْلِعُ

ص:۲۳۵

الْمَنِيَّهُ اخْتِرَاماً- وَ لاَ يَرْعَوِی الْبَاقُونَ اجْتِرَاماً يَحْتَذُونَ مِثَالاً- وَ يَمْضُونَ أَرْسَالاً إِلَی غَايَهِ الاِنْتِهَاءِ وَ صَيُّورِ الْفَنَاءِ

اللغه

قوله: الرنق : الكدر .و الردغ : الوحل و التراب المختلط بالماء .و يونق : يعجب .

و يوبق : يهلكک .و غرور : خدعه مستغفله للأذهان .و الحائل : المنتقله المحتوله .و قمصت الدابّه : رفعت يديها و طرحتهما و عجنت برجليها .و قنصت : صادت .و أقصدت : أصابت القصد .

و الأوهاق : جمع وهق بالفتح و هو الحبل .و الضنک : الضيق .و أقلع عن الشیء : امتنع منه .

و الاخترام : الموت دون المدّه الطبيعيّه .و ارعوی : كفّ و رجع و حذا حذو فلان : فعل فعله .

و أرسال : جمع رسل بالفتح و هو القطيع من الغنم يتبع القطيع .و صيّور الأمر : ما يرجع إليه منه .

المعنی

اشاره

و مدار هذا الفصل علی التنفير عن الدنيا بذكر معايبها و ما يؤول إليه،و ذكر لها أوصافا:

الأوّل:كونها رنق مشربها.

و هو كنايه عن كدر لذّاتها بشوائب المصائب من الهموم و الأحزان و الأعراض و الأمراض .

الثانی:

استعاره كونها ردغ مشرعها .و مشرعها محلّ الشروع فی تناولها و الورود فی استعمالها،و كونه ردغا وصف للطريق المحسوس استعير له.و وجه المشابهه كون طريق الإنسان فی استعمال الدنيا و التصرّف فيها ذات مزالق و مزالّ أقدام تهوی به إلی جهنّم لا يثبت فيها إلاّ قدم عقل قد هجّر فی ضبط قواه و قهر سطوه شياطينه كما أنّ الطريق ذات الوحل كذلک.و هو من لطائف إشاراته عليه السّلام .

الثالث:

کونها یونق منظرها،و یوبق مخبرها .و هو إشاره إلی إعجابها لذوی الغفله بزینتها الحاضره مع هلاکهم باختبارها و ذوقهم لحلاوتها و غرض الالتذاذ بها .

الرابع:

کونها غرورا حائلا .یروی بفتح الغین و ضمّها.و معنی الأوّل ذات غرور:أی تغرّ الخلق بزخارفها فیتوهّمون بقاءها ثمّ تنتقل عنهم و تحوّل،و من روی بالضمّ جعلها نفسها غرورا:و الغرور یطلق علی ما یغترّ به حقیقه عرفیّه .

الخامس:

کونها استعاره ضوء آفلا استعار لفظ الضوء لما یظهر منها من الحسن فی عیون الغافلین یقال علی فلان ضوء:أی له منظر حسن،أو لما ظهر لهم من وجوه مسالکها

ص:۲۳۶

فاهتدوا به إلى تحصيلها و مداخلها و مخارجها.و على التقديرين فهو ضوء آفل لا يدوم.

و لفظ الافول أيضا مستعار .

السادس:

استعاره و ظلّ زائل .استعار لفظ الظلّ لما يأوى إليه الإنسان من نعيمها فيستظلّ به من حراره بؤسها.و ظاهر كونه زائلا .

السابع:

استعاره مرشحه كونه سنادا مايلا .استعاره أيضا للفظ اسناد فيما يعتمد الغافلون عليه من قيناتها و خيراتها الّتى لا أصل لها و لا ثبات بل هى «كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ اَلْأَرْضِ ما لَها مِنْ قَرارٍ» ،و ذكر الميل ترشيح للاستعاره .

الثامن:

كونهاتغرّ الناس بضوئها و ظلّها و بهجه منظرها إلى غايه أن يستأنس بها من كان بعقله نافرا عنها و يطمئنّ إليها من كان بمقتضى فطرته منكرا لها حتّى إذا كان ذلک منه طوعا لها فعلت به أفعال العدوّ الخدوع،و نسب إليها من الأفعال امورا :

أحدها: استعاره مرشحه قمصها بالأرجل .و استعار لفظ القمص لامتناعها على الإنسان حين حضور أجله كأنّها تدفعه برجليها مولّيه عنه كما تفعل الدابّه،و رشّح بذكر الأجل.و إنّما جمع لاعتبار اليدين مع الرجلين،و ذكره بلفظ الرجلين لأنّ القمص إليها أنسب .

الثانى: استعاره بالكنايه قنصها له بأحبلها .و هو كنايه عن تمكّن حبائل محبّتها.و الهيئات الرديئه المكتسبه منها فى عنق نفسه كنايه بالمستعار .

الثالث: استعاره بالكنايه كونها أقصدت له بأسهمها .و استعار لفظ الأسهم للأمراض و أسباب الموت،و إقصادها كنايه عن إصابتها بالمستعار لأوصاف الرامى تنزيلا للدنيا منزلته .

الرابع: استعاره كونها أعلقته حبال المنيّه .و حبالها استعاره لما تجذب به إلى الموت من ساير أسبابه أيضا ، استعاره بالكنايه و كذلک لفظ القائد استعاره كنّى بها عن انسياق المريض فى حبال مرضه الحاصل فيها إلى الامور المذكور من ضنک المضطجع و هو القبر و وحشه المرجع، و هو إشاره إلى ما تجده النفوس الجاهله عند رجوعها من وحشه فراق ما كان محبوبا لها فى الدنيا و ما كانت الفتنه من مال و أهل و ولد.و هى استعارات لأوصاف الصايد تنزيلا للدنيا منزلته . و معاينه المحلّ :أى مشاهده الآخره الّتى هى محلّ الجزاء . و ثواب العمل :

أی جزاءه من خیر أو شرّ.

ص:۲۳۷

و قوله:و کذلک الخلف.إلی آخره

و قوله: و کذلک الخلف .إلی آخره.

أی علی الأحوال المذکوره للدنیا مضی الخلق یتبع خلفهم من سلف منهم لا المنیّه تقصر عن اخترام نفوسهم و لا الباقون منهم یرجعون عمّا هم علیه من ارتکاب الجرائم فیها و الغرور بها بل یقتدون بأمثالهم الماضین فی ذلک و یمضون علیه اتّباعا إلی غایه مسیرهم بمطایا الأبدان و مصیر أمرهم و هو الفناء و العرض علی الملک الدیّان. تجنیس و قد راعی أیضا مع السجع التجنیس فی قوله: یونق و یوبق ،و نافرها و ناکرها ،و قمصت و قنصت ،و الاختلاف بحرف الوسط .و باللّه التوفیق.

الفصل الرابع:فی الإشاره إلی ما یلحق الناس بعد الموت من أحوال القیامه

اشاره

تذکیرا لهم.

قوله:

حَتَّی إِذَا تَصَرَّمَتِ الْأُمُورُ- وَ تَقَضَّتِ الدُّهُورُ وَ أَزِفَ النُّشُورُ- أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَائِحِ الْقُبُورِ وَ أَوْکَارِ الطُّیُورِ- وَ أَوْجِرَهِ السِّبَاعِ وَ مَطَارِحِ الْمَهَالِکِ سِرَاعاً إِلَی أَمْرِهِ- مُهْطِعِینَ إِلَی مَعَادِهِ رَعِیلًا صُمُوتاً قِیَاماً صُفُوفاً- یَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ وَ یُسْمِعُهُمُ الدَّاعِی- عَلَیْهِمْ لَبُوسُ الِاسْتِکَانَهِ وَ ضَرَعُ الِاسْتِسْلَامِ وَ الذِّلَّهِ- قَدْ ضَلَّتِ الْحِیَلُ وَ انْقَطَعَ الْأَمَلُ وَ هَوَتِ الْأَفْئِدَهُ کَاظِمَهً- وَ خَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ مُهَیْنِمَهً- وَ أَلْجَمَ الْعَرَقُ وَ عَظُمَ الشَّفَقُ وَ أُرْعِدَتِ الْأَسْمَاعُ- لِزَبْرَهِ الدَّاعِی إِلَی فَصْلِ الْخِطَابِ وَ مُقَایَضَهِ الْجَزَاءِ- وَ نَکَالِ الْعِقَابِ وَ نَوَالِ الثَّوَابِ

اللغه

أقول: تصرّمت : تقضّت .و أزف : دنا .و الضرائح : جمع ضریح.و هو الشقّ فی

وسط القبر .و أوكار الطيور : أعشاشها .و أوجره : جمع وجار و هو بيت السبع . مهطعين :

مقبلين .و رعيلا : مجتمعين . اللبوس : ما يلبس .و الضرع : الخضوع و الانكسار .و كاظمه :

ساكنه .و الهينمه : صوت خفيّ .و ألجم العرق : بلغ الفم فصار كاللجام .و الشفق :

الإشفاق و هو الخوف .و الزبره : الانتهار .و المقايضه : المعاوضه .و النكال : تنويع العقوبه .

المعنى

اشاره

و اعلم أنّه قد تطابقت ألسنه الأنبياء و الرسل عليهم السّلام على القول بالمعاد الجسمانيّ، و نطق به الكتاب العزيز كقوله تعالى «يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ سِراعاً كَأَنَّهُمْ إِلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ خاشِعَةً أَبْصارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ» (۱)الايه و نحوه،و اتّفق المسلمون على القول به،و أمّا الحكماء فالمشهور من مذهبهم منع المعاد الجسمانيّ بناء على أنّ المعدوم لا يعاد بعينه لامتناع عود أسبابه بأعيانها من الوقت و الدوره الفلكيّه المعينّه و غيرهما.و ربّما قال بعض حكماء الإسلام بجواز عود المثل و ربّما قلّد بعضهم ظاهر الشريعه فى أمر المعاد الجسمانىّ و إثبات السعاده و الشقاوه البدنيّه مع الروحانيّه،و قال الرئيس أبو علىّ بن سينا فى كتاب الشفاء ما هذه حكايه ألفاظه:

«يجب أن يعلم أنّ المعاد منه ما هو المقبول من الشرع و لا سبيل إلى إثباته إلّا من طريق الشريعه و تصديق خبر النبوّه و هو الّذى للبدن عند البعث و خيرات البدن و شروره معلومه لا تحتاج أن تعلم.و قد بسطت الشريعه الحقه الّتى أتانا بها سيّدنا و مولانا محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلّم حال السعاده و الشقاوه اللتين بحسب البدن،و منه ما هو مدرك بالعقل و القياس البرهانىّ، و قد صدّقه النبوّه و هو السعاده و الشقاوه البالغتان الثابتتان بالمقاييس اللتان للأنفس و إن كانت الأوهام منّا يقصر عن تصوّرها الآن لما توضح من العلل،و الحكماء الالهيّون رغبتهم فى إصابه هذه السعاده أعظم من رغبتهم فى إصابه السعاده البدنيّه بل كأنّهم لا يلتفتون إلى تلك و إن اعطوها و لا يستعظمونها فى جنبه هذه السعاده الّتى هى مقاربه الحقّ الأوّل» و اعلم أنّ الّذى ذكره عليه السّلام هنا صريح فى إثبات المعاد الجسمانىّ و لواحقه.

فقوله: أخرجهم من ضرايح القبور و أوكار الطيور و أوجره السباع و مطارح المهالك .

إشاره إلى جمعه لأجزاء أبدان الناس بعد تشذّ بها و تفرّقها فيخرج من كان قبر

۱- ۱) ۴۳-۷۰

من ضريح قبره و من كان اكيل طير أو سبع أو مقتولا فى مطرح الهلاک من معركه الحرب أو غيرها أخرجه من ذلك المكان و جمع أجزاءه و ألّف بينها.

فإن قلت:إذا أكل إنسان إنسانا و اغتذى به فصارت أجزاء بدنه أجزاء بدن آكله فكيف يمكن إعادتهما لأنّ تلك الأجزاء فى أىّ بدن منهما اعيدت لزم نقصان الآخر و بطلانه.

قلت:مذهب محقّقى المتكلّمين أنّ فى كلّ بدن واحد أجزاء أصليّه باقيه من أوّل العمر إلى آخره لا تتغيّر و لا تتبدّل،و أجزاء فضيله فإذا اعيدا يوم القيامه فما كان أصليّا من الأجزاء لبدن المأكول فهو فضلىّ لبدن الآكل فيردّ إليه من غير أن ينقص من الأجزاء الأصليّه للآكل شيء و لا عبره بالفاضله.و باقى الفصل غنىّ عن البيان،و قال بعض الفضلاء:إنّه ربّما احتملت هذه الألفاظ أن يسلّط عليها من التأويل ما يناسب مذهب القائلين بالمعاد الروحانىّ.

فقوله:حتّى إذا تصرّمت الامور .

فقوله: حتّى إذا تصرّمت الامور.

أى أحوال كلّ واحد من الخلق فى الدنيا.

و قوله:و تقضّت الدهور .

و قوله: و تقضّت الدهور.

أى انقضت مدّه كلّ شخص منهم.

و قوله:و أزف النشور .

و قوله: و أزف النشور.

أى دنا انتشار كلّ واحد فى عالم الآخره من قبور الأبدان.

و قوله:أخرجهم من ضرائح القبور .

استعاره مرشحه و قوله: أخرجهم من ضرائح القبور.

استعار لفظه القبور للأبدان و ضرايحها تشريح للاستعاره.و وجه المشابهه أنّ النفس تكون منغمسه فى ظلمه البدن و كدر

الحواسّ متوحّشه عن عالمها كما أنّ المقبور متوهّم لظلمه القبر و وحشه،منقطع عن الأهل و المال .و ضمير المخرج يعود إلى اللّه فى صدر الخطبه.

و قوله:و أوكار الطيور .

استعاره و قوله: و أوكار الطيور.

فاعلم أنّ العارفين و أهل الحكمه كثيرا ما يستعيرون لفظ الطير و أوصافه للنفس

ص:۲۴۰

النـاطقه و للملائكه كمـا أشار إليه سيّد المرسلين صلـى اللّه عليه و آله و سلّم فى قوله:حتّى إذا حمل الميّت على نعشه رفرفت روحه فوق النعش ،و يقول:يـا أهلى و يـا ولـدى لاـ تلعبنّ بكم الـدنيا كما لعبت بى.و الرفرقه إنّما يكون لـذى الجناح من الطير،و كمـا جاء فى التنزيـل الإلـهىّ فى وصف الملائكه «أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ» و كما أشار إليه أبو على فى قصيده أوّلها ألقى:

هبطت إليك من المكان الأرفع و رقاء ذات تعزّز و تمنّع

و أشـار بالورقـاء إلى النفس النـاطقه،و كمـا أشار اليه فى رسالته المسـمّاه برساله الطير بقوله:برزت طائفه تقنص فنصـبوا الحبال و رتّبوا الشـرك و هيّأوا الطعم،و تواروا فى الحشـيش و أنا فى سـربه طير.و نحوه.و وجه المشابهه فى هذه الاسـتعاره ما تشترك فيه النفس و الطير من سرعه التصـرّف و الانتقال فالنفس بانتقال عقلىّ،و الطير بانتقال حسّـى و إذا استعير لفظ الطير للنفس فبالحرىّ أن يستعار لفظ الوكر للبدن لما بينهما من المشاركه و هو كونهما مسكنا لا تسهل مفارقته.

و قوله و أوجره السباع .

استعاره و قوله و أوجره السباع.

استعاره للأبدان أيضا.و السباع إشاره إلى النفوس المطيعه لقواها الغضبيّه الّتى شأنها محبّه الغلبه و الانتقام كما أنّ السبع كذلك.

و قوله:و مطارح المهالک .

و قوله: و مطارح المهالک.

إشاره إلى الأبدان أيضا فإنّها مطارح مهالك الغافلين الّذين اتّبعو الشهوات أعنى أبدانهم .

و قوله:سراعا إلى أمره.

و قوله: سراعا إلى أمره.

نصب على الحال بقوله:أخرجهم،و كـذلك ما بعـده من المنصوبات.و أمره هو حكم قضائه الأزلىّ عليهم بالرجوع إليه و عودهم إلى مبدئهم و سرعتهم إليه إشاره إلى قرب وصولهم و هو فى آن انقطاع علاقه النفس مع البدن و هو على غايه من السرعه.

و قوله:مهطعين إلى معاده .

و قوله: مهطعين إلى معاده.

إشاره إلى إقبال النفوس بوجوهها على محلّ عودها و ما أعدّ لها فيه من خير و شرّ .

ص:۲۴۱

و قوله:رعيلا.

و قوله: رعيلا.

إشاره إلى اجتماعهم فى حكم اللّه و قبضته و محلّ الاستحقاق لثوابه و عقابه.

و قوله:صموتا

كنايه و قوله: صموتا إذ لا ألسنه لهم إذن ينطقون بها،و يحتمل أن يكون الصمت كنايه عن خضوعهم و انقيادهم فى ذلّ الحاجه و هيبه الجلال.

و قوله:قياما صفوفا .

استعاره و قوله: قياما صفوفا.

فقيامهم استعاره لاستشعار النفوس هيبه اللّه لعظمته،و قيامها بتصوّر كماله على مساق العبوديّه و ذلّ الإمكان،و صفوفا استعاره لانتظامهم إذن فى سلك علمه تعالى إذ الكلّ بالنسبه إلى علمه على سواء كما يستوى الصفّ المحسوس،و يحتمل أن يكون الصفّ استعاره لترتّبهم فى القرب إلى اللّه تعالى متنازلين متصاعدين .

و قوله:ينفذهم البصر .

و قوله: ينفذهم البصر.

إشاره إلى علمه تعالى بهم.

و قوله:و يسمعهم الداعى .

و قوله: و يسمعهم الداعى.

فالداعى هو حكم القضاء عليهم بالعود،و إسماعهم:عموم ذلك الحكم لهم بحيث لا يمكن أن يخرج عنه منهم أحد.

و قوله:عليهم لبوس الاستكانه و ضرع الاستسلام و الذلّه .

و قوله: عليهم لبوس الاستكانه و ضرع الاستسلام و الذلّه.

إشاره إلى حالهم الّتى يخرجون من الأجداث عليها من ذلّ الإمكان و رقّ الحاجه و الخوف فى قبضه اللّه و هو كقوله تعالى «يَوْمَ يَدْعُ الدّاعِ إِلى شَيْءٍ نُكُرٍ خُشَّعاً أَبْصارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ اَلْأَجْداثِ» (۱).

و قوله:قد ضلّت الحيل .

و قوله: قد ضلّت الحيل.

أى حيل الدنيا.فلا حيله لهم فى الخلاص ممّا هم فيه كما كانوا يخلصون بحيل الدنيا من بعض شرورها،و انقطع الأمل:أى أملهم فيها لامتناع عودهم إليها و انقطاع طمعهم فى ذلك.

ص:۲۴۲

۱- ۱) ۶-۵۴

و قوله:و هوت الافئده كاظمه.

استعاره و قوله: و هوت الافئده كاظمه.

أی سقطت النفوس فی حضيض الذلّ و الفاقه إلی رضا اللّه و عفوه،و لفظ الكظم مستعار كما سبق.

و قوله:و خشعت الأصوات

و قوله: و خشعت الأصوات .هو كقول اللّه «وَ خَشَعَتِ الْأَصْواتُ لِلرَّحْمنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاّ هَمْساً» و هو إشاره إلی سؤالهم بلسان حالهم عفو اللّه و رحمته علی وجه الذلّه و الضعف و رقّ العبوديّه فی ملاحظه جلال اللّه.

و قوله:و ألجم العرق و عظم الشفق .

استعاره بالكنايه و قوله: و ألجم العرق و عظم الشفق.

استعار لفظ العرق و كنّی به عن غايه ما تجده النفس من كرب ألم الفراق و هيبه اللّه و عدم الانس بعد الموت إذ غايه الخائف التاعب أن يعرق و يشفق من نزول العقاب به.

مجاز و نسبه الإلجام إلی العرق نسبه مجازيّه .

و قوله:و ارعدت الأسماع لزبره الداعی.

استعاره و قوله: و ارعدت الأسماع لزبره الداعی.

إشاره إلی ما تجده النفس عند تيقّنها المفارقه.و استعار لفظ الزبره لقهر حكم القضاء للأنفس علی مرادها قهرا لا يتمكّن معه من الجواب بالامتناع ،و فصل الخطاب هو إمضاء أحكام اللّه علی نفوس عباده.عند الرجوع إليه بتوفيه مالها،و استيفاء ما عليها .

و مقايضه الجزاء :معاوضتها بما أتت به إمّا من الملكات الرديئه فبنكال العقاب،و إمّا من الملكات الفاضله فبنوال الثواب،و هبه كلّ بقدر استعداده و قبوله.و اعلم أنّ العدول إلی المجازات و الاستعارات عن حقايق الألفاظ،و إلی التأويل عن الظواهر إنّما يجوز خصوصا فی كلام اللّه و كلام رسوله و أولياءه إذا عضده دليل عقلیّ يمنع من إجراء الكلام علی ظاهره.و لمّا اعترف القوم بجواز المعاد الجسمانیّ تقليدا للشريعه و لم يقم دليل عقلیّ يمنع منه لم يمكننا الجزم إذن بصحّه هذه التأويلات و أمثالها.و باللّه التوفيق و العصمه.

الفصل الخامس:فی تنبيه الخلق علی أوصاف حالهم المنافيه لما هم عليه من التجبّر

اشاره

و الإعراض عمّا خلقوا لأجله لعلّهم يتذكّرون

بقوله:

ص:۲۴۳

عِبَادٌ مَخْلُوقُونَ اقْتِدَاراً وَ مَرْبُوبُونَ اقْتِسَاراً- وَ مَقْبُوضُونَ احْتِضَاراً وَ مُضَمَّنُونَ أَجْدَاثاً وَ كَائِنُونَ رُفَاتاً- وَ مَبْعُوثُونَ أَفْرَاداً وَ مَدِينُونَ جَزَاءً وَ مُمَيَّزُونَ حِسَاباً- قَدْ أُمْهِلُوا فِي طَلَبِ الْمَخْرَجِ وَ هُدُوا سَبِيلَ الْمَنْهَجِ- وَ عُمِّرُوا مَهَلَ الْمُسْتَعْتِبِ وَ كُشِفَتْ عَنْهُمْ سُدَفُ الرِّيَبِ- وَ خُلُّوا لِمِضْمَارِ الْجِيَادِ وَ رَوِيَّهِ الِارْتِيَادِ- وَ أَنَاهِ الْمُقْتَبِسِ الْمُرْتَادِ فِي مُدَّهِ الْأَجَلِ وَ مُضْطَرَبِ الْمَهَلِ

اللغه

أقول: القسر : القهر و الجبر .و الأجداث : القبور واحده جدث .و الرفات :

القنات من العظم و نحوه .و مدينون : مجزيّون .و المستعتب : المسترضى .و السدف :

جمع سدفه و هى ظلمه الليل .و الريب : الشبه و الشكوك .و الارتياد : الطلب .

المعنى

اشاره

و ذكر من تلك الأوصاف ثلاثه عشر وصفا :

الأوّل:كونهم مخلوقون اقتدارا

:أى خلقهم ليس لذواتهم بل بقدره قادر مستقلّه عن مشاركه الغير و ذلك مناف لعصيانهم له .

الثانى:كونهم مربوبون اقتسارا:

أى ليس ملك مالكهم لهم عن اختيار منهم حتّى يكون لهم الخيره فى معصيته و طاعته .

الثالث:كونهم مقبوضون احتضارا:

أى مستحضرون بالموت مقبوضون به إلى حضره جلال اللّه .

الرابع:

كونهم من شأنهم أن يضمّنوا الأجداث .

الخامس:

من شأنهم أن يصيرو ارفاتا .

السادس:

من شأنهم أن يبعثوا أفرادا كما قال تعالى «وَ كُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيامَهِ»

ص:۲۴۴

«فَرْداً» (۱)إی مجرّدا عن استصحاب غیره معه من أهل و مال .

السابع:أنّهم مدینون أجزاء

و من شأنهم ذلک.و الجزاء مصدر نصب بغیر فعله .

الثامن:أنّ من شأنهم أن یمیّزوا حسابا:

أی یحصون عددا کقوله تعالی «لَقَدْ أَحْصاهُمْ وَ عَدَّهُمْ عَدًّا» (۲)و حسابا أیضا مصدر نصب عن غیر فعله .

التاسع:کونهم قد امهلوا فی طلب المخرج:

أی إنّما امهلوا فی الدنیا لطلب خلاصهم و خروجهم من ظلمات الجهل و ورطات المعاصی إلی نور الحقّ و متّسع الجود.

العاشر:کونهم قدهدوا سبیل المنهج:

أی الهموا بأصل فطرتهم،و دلّوا بالأعلام الواضحه من الأنبیاء و الشرائع علی الطریق إلی حضره قدس اللّه و الجنّه .

الحادی عشر:

تشبیه کونهم قد عمّروا مهل المستعتب .لمّا کان من یطلب استعتابه و یقصد رجوعه عن غیّه یمهل و یداری طویلا کانت مهله اللّه سبحانه لخلقه مدّه أعمارهم لیرجعوا إلی طاعته و یعملوا صالحا تشبه ذلک فنزّلت منزلته .و مهل نصب علی المصدر لأنّ التعمیر إمهال .

الثانی عشر:کونهم قد کشفت عنهم سدف الریب:

أی أزال عن أبصار بصائرهم ظلم الشکوک و الشبهات و الجهالات بما وهبه لهم من العقول و أیّدهم من بعثه الرسل .

الثالث عشر:

استعاره مرشحه کونهم قد خلّوا لمضمار الجیاد :أی ترکوا فی الدنیا لیضمروا أنفسهم بأزواد التقوی،و لمّا استعار لفظ المضمار

رشّح بذكر الجياد.إذ شرف المضمار أن تحلّ به جياد الخيل.و فيه تنبيه لهم على أن يكونوا من جياد مضمارهم .و قد سبق وجه الاستعاره،و معنى التضمير فى قوله: ألا و إنّ اليوم المضمار و غدا السباق .و كذلك خلّوا لرويّه الارتياد :أى ليتفكّروا فى طلب ما يتخلّصون به إلى اللّه تعالى من ساير طاعاته ،و كذلك ليتأنّوا أناه المقتبس للأنوار الإلهيّه الطالب للاستناره بها فى مدّه آجالهم و محلّ اضطرابهم فى مهلتهم و تحصيلهم لما ينبغى لهم من الكمالات.و من ملك من عبيده هذه الحالات و أفاض عليهم ضروب هذه الإنعامات فكيف يليق بأحدهم أن

۱- ۱) ۹۶-۱۹

۲- ۲) ۹۵-۱۹

يجاهره بالعصيان أو يتجاسر أن يقابله بالكفران إنّ الإنسان لكفور مبين.

الفصل السادس:فى التنبيه على فضل موعظته و تذكيره و مدحها بالبلاغه و التعريض

اشاره

بعدم القلوب الحامله لها،ثمّ الحثّ على التقوى

بقوله.

فَيَا لَهَا أَمْثَالاً صَائِبَةً وَ مَوَاعِظَ شَافِيَةً- لَوْ صَادَفَتْ قُلُوباً زَاكِيَةً وَ أَسْمَاعاً وَاعِيَةً- وَ آرَاءً عَازِمَةً وَ أَلْبَاباً حَازِمَةً- فَاتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةَ مَنْ سَمِعَ فَخَشَعَ وَ اقْتَرَفَ فَاعْتَرَفَ- وَ وَجِلَ فَعَمِلَ وَ حَاذَرَ فَبَادَرَ وَ أَيْقَنَ فَأَحْسَنَ وَ عُبِّرَ فَاعْتَبَرَ- وَ حُذِّرَ فَحَذِرَ وَ زُجِرَ فَازْدَجَرَ وَ أَجَابَ فَأَنَابَ وَ رَاجَعَ فَتَابَ- وَ اقْتَدَى فَاحْتَذَى وَ أُرِيَ فَرَأَى فَأَسْرَعَ طَالِباً وَ نَجَا هَارِباً- فَأَفَادَ ذَخِيرَةً وَ أَطَابَ سَرِيرَةً وَ عَمَّرَ مَعَاداً- وَ اسْتَظْهَرَ زَاداً لِيَوْمِ رَحِيلِهِ وَ وَجْهِ سَبِيلِهِ وَ حَالِ حَاجَتِهِ- وَ مَوْطِنِ فَاقَتِهِ وَ قَدَّمَ أَمَامَهُ لِدَارِ مُقَامِهِ- فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ جِهَةَ مَا خَلَقَكُمْ لَهُ- وَ احْذَرُوا مِنْهُ كُنْهَ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ- وَ اسْتَحِقُّوا مِنْهُ مَا أَعَدَّ لَكُمْ بِالتَّنَجُّزِ لِصِدْقِ مِيعَادِهِ- وَ الْحَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعَادِهِ

المعنى

فقوله:فيا لها أمثالا صايبه و مواعظ شافيه

فقوله: فيا لها أمثالا صايبه و مواعظ شافيه .أمثالا و مواعظ نصب على التميز.و صواب الأمثله:مطابقتها للممّثل به.و شفاء الموعظه:تأثيرها فى القلوب إزاله مرض الجهل و الرذائل الخلقيه و رجوع المتعّظ بها منيبا إلى ربّه .

و قوله:لو صادفت قلوبا زاكيه و أسماعا واعيه و آراء عازمه و ألبابا حازمه

و قوله: لو صادفت قلوبا زاكيه و أسماعا واعيه و آراء عازمه و ألبابا حازمه .

فزكاء القلوب:استعدادها لقبول الهدايه و قربها من ذلك.و وعى الأسماع:فهم القلوب عنها،و إنّما وصفها بالوعى لأنّها أيضا قابله لقشور المعانى مؤدّيه لها إلى قوّه

ص:۲۴۶

الحسّ ثمّ الخيال ،و عزم الآراء:توجيه الهمّه إلى ما ينبغى و الثبات على ذلك.و حزامه الألباب:جوده رأى العقول فيما يختاره.و ظاهر أن هذه الثلاثه هى أسباب نفع الموعظه .

و قوله:فاتّقوا اللّه.إلى قوله:مقامه

و قوله: فاتّقوا اللّه.إلى قوله:مقامه.

أمر بتقوى اللّه تقيّه كتقوى من استجمع جميع هذه الأوصاف.

أحدهما:تقيّه من سمع فخشع :أى تقيّه من استعدّ قلبه لسماع الموعظه فخشع عنها للّه.

الثانى:تقيّه من اقترف فاعترف :أى اكتسب الذنوب فاعترف بها و أناب إلى اللّه.

الثالث:تقيّه من وجل :أى خاف ربّه.فأقلقه خوفه فعمل :أى فالتجأ إلى الأعمال الصالحه لينجوا بها.

الرابع:تقيّه من حاذر :أى عقاب ربّه. فبادر إلى إطاعته.

الخامس:تقيّه من أيقن :أى بالموت و لقاء ربّه. فأحسن :أى فأحسن عمله و أخلص له.

السادس:تقيّه من عبّر :أى رمى بالعبر و ذكّر بها. فاعتبر :أى فجعلها سلّما يعبر فيها ذهنه إلى العلم بما ينبغى له.

السابع : و حذرّ :أى من سخط اللّه و عقابه . فازدجر :أى فرجع عن معصيته.

الثامن:تقيّه من أجاب :أى أجاب داعى اللّه. فأناب :أى رجع إليه بسرّه و امتثل أمره.

التاسع:تقيّه من راجع فكره و عقله فتاب:أى فاستعان به على شياطينه و قهر نفسه الأمّاره بالسوء. فتاب من متابعتها.

العاشر:تقيّه من اقتدى :أى بأنبياء اللّه و أوليائه و هديهم الّذى أتوابه: فاحتذى :

أى حذاحذوهم فى جميع أحوالهم فطلب قصدهم و فعل فعلهم.

الحادى عشر:تقيّه من ارى :أى ارى الخلق فأظهرت بعين بصيرته طريق اللّه و سبيله. فرأى :

أى فعرفها و أسرع طالبا لما يسلك له و ينتهى إليه و نجا فيها هاربا من ظلمات جهله و ثمراته فأفاد ذخيره :أى فاستفاد سلوكه لها و طاعته لربّه فى ذلك ذخيره لمعاده ،و أطاب بسلوكها سريرته عن نجاسات الدنيا و عمّر بما يكتسبه فى سلوكها من الكمالات المستعدّه معاده .

و استظهر به زادا ليوم رحيله من دنياه و استعدّ به لوجه سبيله الّتى هو سالكها و مسافر فيها و لحال حاجته و لموطن فاقته.فإنّ كلّ مرتبه من الكمالات حصلت للإنسان فهى تعدّه لرتبه أعلى منها لو لم يحصّلها لظهرت له حاجته فى الآخره إلى أقل منها حيث لا يجد إليها سبيلا.و كذلك قوله : قدّم :أى ما استظهر به زادا أمامه :أى تلقاء وجهه الّتى هو مستقبلها و منته إليها لدار مقامه :أى الآخره .

و قوله:فاتّقو اللّه عباد اللّه جهه ما خلقكم له.

و قوله: فاتّقو اللّه عباد اللّه جهه ما خلقكم له.

أى باعتبار ما خلقكم له.و لمّا كان ما خلقهم له إنّما هو عرفانه و الوصول إليه كان المعنى:اجعلوا تقواكم اللّه نظرا إلى تلك الجهه و الاعتبار لا للرياء و السمعه.و جهه منصوب على الظرف،و يحتمل أن يكون مفعولا به لفعل مقدّر:أى و اقصدوا بتقويكم جهه ما خلقكم .

و قوله:و احذروا منه كنه ما حذّركم من نفسه.

و قوله: و احذروا منه كنه ما حذّركم من نفسه.

أى اسلكوا فى حذركم منه حقيقه تحذيره لكم من نفسه بما توعّد به.و ذلك الحذر إنّما يحصل بالبحث عن حقيقه المحذور منه.و السالكون إلى اللّه فى تصوّر ذلك على مراتب متفاوته .

و قوله:و استحقّوا منه ما أعدّ لكم بالتنجّز لصدق ميعاده.

و قوله: و استحقّوا منه ما أعدّ لكم بالتنجّز لصدق ميعاده .استحقاق ما وعد به اللّه تعالى من جزيل الثواب إنّما يحصل بالاستعداد له فهو أمر بالاستعداد له و الاستعداد يحتاج إلى أسباب فذكرها عليه السّلام فى أمرين:

أحدهما:التنجّز لصدق ميعاده.و التنجّز طلب إنجاز الوعد و قضائه و ذلك إنّما هو بالإقبال على طاعته كما قال تعالى «وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ جَنّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ» (۱)الآيه،و نحوها.

و الثانى :الحذر من أهوال معاده ز.و ذلك باجتناب مناهيه و الارتداع بزواجره و نواهيه منها.

الفصل السابع قوله:جعل لكم أسماعا...

اشاره

قوله: جعل لكم أسماعا .اعلم أنّ فی هذا الفصل فصلين:

ص:۲۴۸

۱- ۱) ۷۲-۹

الفصل الأوّل:فی تذکیر عباد اللّه بضروب نعمته علیهم،و التنبیه علی الغایه منها،

اشاره

ثمّ التذکّر بحال الماضین من الخلق و التنبیه علی الاعتبار بهم.و هو فی معرض الامتنان و ذلک قوله علیه السّلام:

جَعَلَ لَکُمْ أَسْمَاعاً لِتَعِیَ مَا عَنَاهَا- وَ أَبْصَاراً لِتَجْلُوَ عَنْ عَشَاهَا وَ أَشْلاَءً جَامِعَهً لِأَعْضَائِهَا- مُلاَئِمَهً لِأَحْنَائِهَا فِی تَرْکِیبِ صُوَرِهَا وَ مُدَدِ عُمُرِهَا- بِأَبْدَانٍ قَائِمَهٍ بِأَرْفَاقِهَا وَ قُلُوبٍ رَائِدَهٍ لِأَرْزَاقِهَا- فِی مُجَلِّلاَتِ نِعَمِهِ وَ مُوجِبَاتِ مِنَنِهِ وَ حَوَاجِزِ عَافِیَتِهِ- وَ قَدَّرَ لَکُمْ أَعْمَاراً سَتَرَهَا عَنْکُمْ- وَ خَلَّفَ لَکُمْ عِبَراً مِنْ آثَارِ الْمَاضِینَ قَبْلَکُمْ- مِنْ مُسْتَمْتَعِ خَلاَقِهِمْ وَ مُسْتَفْسَحِ خَنَاقِهِمْ- أَرْهَقَتْهُمُ الْمَنَایَا دُونَ الْآمَالِ وَ شَذَّبَهُمْ عَنْهَا تَخَرُّمُ الْآجَالِ- لَمْ یَمْهَدُوا فِی سَلاَمَهِ الْأَبْدَانِ- وَ لَمْ یَعْتَبِرُوا فِی أُنُفِ الْأَوَانِ فَهَلْ یَنْتَظِرُ أَهْلُ بَضَاضَهِ الشَّبَابِ إِلاَّ حَوَانِیَ الْهَرَمِ- وَ أَهْلُ غَضَارَهِ الصِّحَّهِ إِلاَّ نَوَازِلَ السَّقَمِ- وَ أَهْلُ مُدَّهِ الْبَقَاءِ إِلاَّ آوِنَهَ الْفَنَاءِ مَعَ قُرْبِ الزِّیَالِ- وَ أُزُوفِ الاِنْتِقَالِ وَ عَلَزِ الْقَلَقِ وَ أَلَمِ الْمَضَضِ وَ غُصَصِ الْجَرَضِ- وَ تَلَفُّتِ الاِسْتِغَاثَهِ بِنُصْرَهِ الْحَفَدَهِ وَ الْأَقْرِبَاءِ- وَ الْأَعِزَّهِ وَ الْقُرَنَاءِ فَهَلْ دَفَعَتِ الْأَقَارِبُ- أَوْ نَفَعَتِ النَّوَاحِبُ وَ قَدْ غُودِرَ فِی مَحَلَّهِ الْأَمْوَاتِ رَهِیناً- وَ فِی ضِیقِ الْمَضْجَعِ وَحِیداً قَدْ هَتَکَتِ الْهَوَامُّ جِلْدَتَهُ-

ص:۲۴۹

وَ أَبْلَتِ النَّوَاهِكُ جِدَّتَهُ وَ عَفَتِ الْعَوَاصِفُ آثَارَهُ- وَ مَحَا الْحَدَثَانُ مَعَالِمَهُ وَ صَارَتِ الْأَجْسَادُ شَحِبَةً بَعْدَ بَضَّتِهَا- وَ الْعِظَامُ نَخِرَةً بَعْدَ قُوَّتِهَا- وَ الْأَرْوَاحُ مُرْتَهَنَةً بِثِقَلِ أَعْبَائِهَا- مُوقِنَةً بِغَيْبِ أَنْبَائِهَا لاَ تُسْتَزَادُ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهَا- وَ لاَ تُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّئِ زَلَلِهَا أَ وَ لَسْتُمْ أَبْنَاءَ الْقَوْمِ وَ الْآبَاءَ وَ إِخْوَانَهُمْ وَ الْأَقْرِبَاءَ- تَحْتَذُونَ أَمْثِلَتَهُمْ وَ تَرْكَبُونَ قِدَّتَهُمْ وَ تَطَئُونَ جَادَّتَهُمْ- فَالْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّهَا لاَهِيَةٌ عَنْ رُشْدِهَا- سَالِكَةٌ فِي غَيْرِ مِضْمَارِهَا كَأَنَّ الْمَعْنِيَّ سِوَاهَا- وَ كَأَنَّ الرُّشْدَ فِي إِحْرَازِ دُنْيَاهَا

اللغه

أقول: عناها : أهمّها :و العشى : ظلمه تعرض للعين بالليل . كنايه و الأشلاء : جمع شلو و هو العضو و هو أيضا القطعه من اللحم،و كنّى به عن الجسد . و الحنو : الجانب .و الأرفاق :

المنافع،و يروى بأرماقها .و الرمق : بقيّه الروح :و الخلاق : النصيب . الخناق : بالكسر حبل يخنق به .و الإرهاق : الإعجال .و التشذّب : التفرّق .و مهد الأمر.مخفّفا و مشدّدا : أى هيّأه .و انف الأوان : أوّله .و البضاضه : امتلاء البدن و قوّته .و الهرم : الكبر .و غضاره العيش : طيبه .و آونه : جمع أوان كأزمنه جمع زمان و الزيال : المزايله .و أزف : قرب .و العلزه :

كالرعده يأخذ المريض .و الجرض : أن يتبلع ريقه على همّ و حزن .و الحفده : الأعوان .

و غودر : ترك .و أنهكه : أخلقه و أبلاه .و المعالم : الآثار .و الشحب : البعير الهالك الناحل .

و النخره : الباليه .و الأعباء : الأثقال .و القدّه بكسر القاف و الدال المهمله : الطريقه،و روى بضمّ القاف و الذال المعجمه،و الأوّل أصحّ .

و لنرجع إلى معنى.

فقوله:جعل لكم.إلى قوله:بأرفاتها

فقوله: جعل لكم .إلى قوله: بأرفاتها .

ص:٢٥٠

تذكير بنعمه اللّه تعالى بخلق الأبدان،و ما تشتمل عليه من المنافع.ففائده الأسماع أن تعى ما خلقت لأجله،و فايده الأبصار أن يدرك بها الإنسان عجايب مصنوعات اللّه تعالى فيحصل له منها عبره. استعاره و لفظ العشا يحتمل أن يكون مستعارا لظلمه الجهل العارض لإبصار القلوب حتّى يكون التقدير لتجلو عشا قلوبها،و حينئذ فإدراك البصر المحصّل عبره يحصل للقلب به جلاء لذلك العشا فصحّ إذن إسناد الجلاء إلى الأبصار،و يحتمل أن يكون مستعارا لعدم إدراكها ما تحصل منه العبره إذ كانت فايدتها ذلك فإذا لم يحصل منها ذلك الإدراك كانت كمبصر أصابه العشا،و وجه المشابهه عدم الفائده.و نسبه الجلاء إليها بوجود الإدراك المفيد عبره عنها و هو استعاره أيضا .و عن ليست بزايده لأنّ الجلاء يستدعى مجلوّا و مجلوّا عنه فذكر عليه السّلام المجلوّ و أقامه مقام المجلوّ عنه فكأنّه قال:لتجلو عن قواها عشاها .و أمّا فايده البدن و أعضائه فقد أشرنا إليه قبل مفصّلا،و قوله : قائمه بأرفاقها :أى أنّ كلّ بدن قائم فى الوجود بحسب ما عنى له من ضروب المنافع .

و قوله:و قلوب رائده.إلى قوله:سترها عنكم.

و قوله: و قلوب رائده.إلى قوله:سترها عنكم .إظهار لمنّه اللّه تعالى على عباده بخلقه لهم و هدايته لنفوسهم لارتياد أرزاقهم الّتى بها قوام حياتها الدنيا و تمكّنها من إصلاح معادها ثمّ باعتبار كونهم فى مجلّلات نعمه و سوابغها.فمنها:ستره عليهم قبائح أعمالهم أن تظهر،و هو اجس خواطرهم بعضهم لبعض بحيث لو اطّلع كلّ على ماله فى ضمير صاحبه من الغلّ و الحسد و تمنّى زوال نعمته لأفنى بعضهم بعضا و خرب نظام وجودهم . و موجبات مننه :نعمه الّتى يستوجب أن يمنّ بها.و من روى بفتح الجيم فالمراد بالمنن إذن النعم و موجبات ما سقط منها و افيض على العباد . و حواجز عافيته :ما منع منها عوامل الأمراض و المضارّ المندفعه بها،و إنّما ذكر ستر كميّه الأعمار فى معرض المنّه لأنّه من النعم العظيمه على العبد إذ كان اطّلاع الإنسان على كميّه عمره ممّا يوجب اشتغال خاطره بخوفه من الموت من عماره الأرض و يبطل بسببه نظام هذا العالم .

و قوله:و خلّف لكم عبرا.

و قوله: و خلّف لكم عبرا.

وجه من منن اللّه تعالى على عباده فإنّ إبقائه أحوال الماضين و ما خلّفوه عبره للّاحقين سبب عظيم لجذبهم عن دار الغرور و مهاوى الهلاك إلى سعاده الأبد.و مستمتع خلاقهم :ما

استمتعوا به ممّا كان نصيبا لكلّ منهم فى مدّه بقائه من متاع الدنيا . و مستفسح خناقهم:

محلّ الفسحه لأعناقهم من ضيق حبائل الموت و أغلال الجحيم،و ذلك المستفسح هو مدّه حياتهم أيضا ثمّ أردف ذلك بوصف حال الماضين فى غرورهم ،و ذكر إعجال الموت لهم عن بلوغ آمالهم و تشذيبه لهم باخترامهم عنها و نبّه به على وجوب تقصير الأمل و الاستعداد للموت و كذلك نبّهم بقوله: لم يمهدوا.إلى قوله:الاوان .على تقصير الماضين فى إصلاح معادهم حيث أمكنهم ذلك فى سلامه أبدانهم و أوّل زمانهم ليحصل لهم بذلك التذكّر نفره عن حال السابقين و انزعاج عن الغرور إلى الاستعداد بالتقوى و الأعمال الصالحه ، استفهام انكارى ثمّ استفهمهم عمّا ينتظر الشباب بشبابهم غير حوانى الهرم،و أهل الصحّه بصحّتهم غير الأسقام و المعمّرون بطول أعمارهم غير الفناء استفهاما على سبيل الإنكار لما ينتظرونه غير هذه الامور و تقريعا على ذلك الانتظار و تنفيرا عنه بذكر غاياته الّتى حصره فيها.

استعاره و أعلم أنّ ذلك ليس انتظارا حقيقيّا لكن لمّا كان المنتظر لأمر و المترقّب له تاركا فى أحواله لما يعنيه من الاشتغال إلى غايه أن يصل إليه ما ينتظره،و كانت غايه الشباب أن يحنى ظهورهم الهرم.و غايه الصحيح أن يسقم،و غايه المعمّر أن يفنى أشبه تركهم للعمل و عباده اللّه إلى غاياتهم المذكوره لانتظار لها.فاستعير له لفظ الانتظار . كنايه ثمّ كنّى عن شدّه حال المفارق فى سكرات الموت بأوصاف تعرض له حينئذ كالرعده و الغلق و الغمّ و الخوف و الغصص بالريق و التلفّت للاستغاثه بالأعوان و الأقرباء و الأعزّه .ثمّ استفهام انكارى نبّه بقوله: فهل دفعت الأقارب أو نفعت النواحب :أى البواكى.على أنّ ما يقع عند نزول الموت من تلك الأحوال لا ينفع فى دفعه قريب و لا حبيب على طريق الاستفهام و الإنكار .

و قوله:قد غودر.

و قوله: قد غودر.

الجمله فى محل النصب على الحال و العامل نفعت:أى لم ينفعه البكاء حال ما غودر فى محلّ الأموات بالأوصاف الكريهه تنفيرا عن أحواله و جذبا إلى الخلاص من أهوالها بالعمل للّه و الإخلاص له.و رهينا :إى مقيما أو مرتهنا بذنوبه و موثوقا بها.و نصبه على الحال، و كذلك وحيدا ،و موضع قوله: قد هتكت ،و باقى الأفعال المعطوفه عليه.و الهوام :الديدان المتولّده من جيفه أو غيرها .

ص:٢٥٢

و قوله:و الأرواح مرتهنه بثقل أعبائها.

و قوله: و الأرواح مرتهنه بثقل أعبائها.

إشاره إلى اشتغال النفوس و انحطاطها إلى الجنبه السافله بثقل ما حملته من الأوزار و اكتسبته من الهيئات الرديئه .و ما يتحقّق غيبه من الأنباء هناك هو الأخبار عن الأحوال اللاحقه بها بعد الموت من خير و شرّ فإنّها يتيقّن غيبتها عن أهل الدنيا،أو أنباء ما خلّفته من اللواحق الدنيويّه فإنّها يتيقن بعد الموت غيبتها و انقطاعها عنها.و الاوّل أولى .

و قوله:لا تستزاد من صالح عملها و لا تستعتب من سيّء زللها.

و قوله: لا تستزاد من صالح عملها و لا تستعتب من سيّء زللها.

أى لا-يطلب منها زياده من العمل الصالح و لا-يقال من سيّء زللها و يرضى عنها كقوله تعالى «وَ إِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَما هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ» (۱)و ذلك لعدم آله العمل و امتناع الرجوع إليه و عدم تمكّنها من نزع ما صار فى عنقها من أطواق الهيئات البدنيّه كما قال تعالى «قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّی أَعْمَلُ صالِحاً فِیما تَرَكْتُ كَلّا إِنَّها كَلِمَهٌ هُوَ قائِلُها وَ مِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ » (۲).

و قوله:أو لستم آباء القوم و الأبناء و إخوانهم و الأقرباء.

و قوله: أو لستم آباء القوم و الأبناء و إخوانهم و الأقرباء.

أى أو ليس فيكم من هو أب لأحد اولئك أو ابن له أو أخوه أو قريبه،و هو تنبيه للسامعين على وجه العبره فإنّه لمّا شرح حال الماضين فى الموت و ما بعده نبّههم على أنّهم أمثالهم فى كلّ تلك الأحوال ليرجعوا إلى تقوى اللّه الّذى هو سبب النجاه من تلك الأهوال .

و قوله:تحتذون أمثلتهم.

و قوله: تحتذون أمثلتهم.

أى تقتدون بهم فى أفعالهم و تسلكون مسالكهم فى غرورهم و نحوه كما قال تعالى حكايه «إِنّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّهٍ وَ إِنّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ » (۳).

و قوله:فالقلوب قاسيه عن حظّها.

و قوله: فالقلوب قاسیه عن حظّها.

أی لا استعداد لها تقبل به حظّها الّذی ینبغی لها طلبه لاهیه عن رشدها غافله عن طلب هدایتها سالکه فی غیر مضمارها .المضمار هاهنا:هو الشریعه و أوامر اللّه،و سلوکها لغیره:

ارتکابها لمناهی اللّه،و ریاضتها:هی الأعمال الصالحه الّتی هی طریق الجحیم .

و قوله:کأنّ المعنیّ سواها و کأنّ الرشد فی إحراز دنیاها.

و قوله: کأنّ المعنیّ سواها و کأنّ الرشد فی إحراز دنیاها.

ص:۲۵۳

۱- ۱) ۲۳-۴۱

۲- ۲) ۲۰۱-۲۳

۳- ۳) -۲۲-۴۳.

مبالغه فی ذکر إعراض القلوب و غفلتها عن المواعظ و إنّهما کها فی تحصیل الدنیا إلی غایه أن اشبهت من لم یکن معیّنا بالخطاب بها،أو أنّ الرشد الّذی جذبت إلیه إنّما هو تحصیل الدنیا و جمعها الّذی جذبت عنه و حذّرت منه.

الفصل الثانی:فی التذکیر بأمر الصراط و التحذیر من أهواله،و الحثّ علی

اشاره

التقوی

و ذلک قوله:

وَ اعْلَمُوا أَنَّ مَجَازَکُمْ عَلَی الصِّرَاطِ وَ مَزَالِقِ دَحْضِهِ- وَ أَهَاوِیلِ زَلَلِهِ وَ تَارَاتِ أَهْوَالِهِ- فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ- تَقِیَّهَ ذِی لُبٍّ شَغَلَ التَّفَکُّرُ قَلْبَهُ- وَ أَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ وَ أَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ- وَ أَظْمَأَ الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ یَوْمِهِ وَ ظَلَفَ الزُّهْدُ شَهَوَاتِهِ- وَ أَوْجَفَ الذِّکْرُ بِلِسَانِهِ وَ قَدَّمَ الْخَوْفَ لِأَمَانِهِ- وَ تَنَکَّبَ الْمَخَالِجَ عَنْ وَضَحِ السَّبِیلِ- وَ سَلَکَ أَقْصَدَ الْمَسَالِکِ إِلَی النَّهْجِ الْمَطْلُوبِ- وَ لَمْ تَفْتِلْهُ فَاتِلَاتُ الْغُرُورِ- وَ لَمْ تَعْمَ عَلَیْهِ مُشْتَبِهَاتُ الْأُمُورِ- ظَافِراً بِفَرْحَهِ الْبُشْرَی وَ رَاحَهِ النُّعْمَی- فِی أَنْعَمِ نَوْمِهِ وَ آمَنِ یَوْمِهِ- وَ قَدْ عَبَرَ مَعْبَرَ الْعَاجِلَهِ حَمِیداً وَ قَدَّمَ زَادَ الْآجِلَهِ سَعِیداً- وَ بَادَرَ مِنْ وَجَلٍ وَ أَکْمَشَ فِی مَهَلٍ وَ رَغِبَ فِی طَلَبٍ- وَ ذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ وَ رَاقَبَ فِی یَوْمِهِ غَدَهُ- وَ نَظَرَ قُدُماً أَمَامَهُ- فَکَفَی بِالْجَنَّهِ ثَوَاباً وَ نَوَالاً- وَ کَفَی بِالنَّارِ عِقَاباً وَ وَبَالاً- وَ کَفَی بِاللَّهِ مُنْتَقِماً وَ نَصِیراً- وَ کَفَی بِالْکِتَابِ حَجِیجاً وَ خَصِیماً أُوصِیکُمْ بِتَقْوَی اللَّهِ الَّذِی أَعْذَرَ بِمَا أَنْذَرَ

وَ احْتَجَّ بِمَا نَهَجَ- وَ حَذَّرَكُمْ عَدُوّاً نَفَذَ فِي الصُّدُورِ خَفِيّاً- وَ نَفَثَ فِي الْآذَانِ نَجِيّاً فَأَضَلَّ وَ أَرْدَى وَ وَعَدَ فَمَنَّى- وَ زَيَّنَ سَيِّئَاتِ الْجَرَائِمِ وَ هَوَّنَ مُوبِقَاتِ الْعَظَائِمِ- حَتَّى إِذَا اسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ وَ اسْتَغْلَقَ رَهِينَتَهُ- أَنْكَرَ مَا زَيَّنَ وَ اسْتَعْظَمَ مَا هَوَّنَ وَ حَذَّرَ مَا أَمَّنَ

اللغه

أقول: المزلق : الموضع الّذى لا تثبت عليه قدم .و الدحض : الزلق .و التهجدّ : العباده بالليل .و الغرار : النوم القليل ،و أرجف : أسرع .و المخالج : الامور المشغله الجاذبه ، و أكمش : أمضى عزمه و مضى قدما لم يعرج .

المعنى

و اعلم أنّ الصراط الموعود به فى القرآن الكريم حقّ يجب الإيمان به و إن اختلف الناس فى حقيقته،و ظاهر الشريعه و الّذى عليه جمهور المسلمين و من أثبت المعاد الجسمانىّ يقتضى أنّه جسم فى غايه الدقّه و الحدّه ممدود على جهنّم و هو طريق إلى الجنّه يجوزه من أخلص للّه.و من عصاه سلك عن جنبتيه أحد أبواب جهنّم،و أمّا الحكماء فقالوا بحقيّته.و ما يقال فى حقّه:إنّه كالشعر فى الدقّه فهو ظلم بل نسبه الشعره إليه كنسبتها إلى الخطّ الهندسى الفاصل بين الظلّ و الشمس الّذى ليس من أحدهما فهو كذلك الخط الّذى لا عرض له أصلا،و حقيقته هو الوسط الحقيقىّ بين الأخلاق المتضادّه كالسخاوه بين التبذير و البخل،و الشجاعه بين التهوّر و الجبن،و الاقتصاد بين الإسراف و التقتير،و التواضع بين التكبّر و المهانه،و العفّه بين الشهوه و الخمود، و العداله بين الظلم و الانظلام.فالأوساط بين هذه الأطراف المتضادّه هى الأخلاق المحموده،و لكلّ واحد منها طرفا تفريط و إفراط هما مذمومان،و كلّ واحد منها هو غايه البعد بين طرفيه و ليس من طرف الزياده و لا من طرف النقصان.قالوا:و تحقيق ذلك أنّ كمال الإنسان فى التشبّه.بالملائكه و هم منفكّون عن هذه الأوصاف المتضادّه و ليس فى إمكان الإنسان الانفكاك عنها بالكلّيه فغايته التباعد عنها إلى الوسط تباعدا يشبه

ص:٢٥٥

الانفكاک عنها.فالسّخی کأنّه لا بخیل و لا مبذّر.فالصراط المستقیم هو الوسط الحقّ الّذی لا میل له إلی أحد الجانبین و لا عرض له و هو أدقّ من الشعر.و لذلک قال تعالی «وَ لَنْ تَسْتَطِیعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَیْنَ النِّساءِ وَ لَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِیلُوا کُلَّ الْمَیْلِ» (۱)و روی عن الصادق علیه السّلام و قد سئل عن قوله تعالی «اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِیمَ» قال:یقول:أرشدنا للزوم الطریق المؤدّی إلی محبّتک و المبلّغ دینک و المانع من أن نتّبع أهوائنا فنعطب أو نأخذ بآرائنا فنهلک.و عن الحسن العسکری علیه السّلام:الصراط صراطان:صراط فی الدنیا، و صراط فی الآخره.فأمّا الصراط المستقیم فی الدنیا فهو ما قصر عن الغلوّ و ارتفع عن التقصیر و استقام فلم یعدل إلی شیء من الباطل،و الصراط الآخر هو طریق المؤمنین إلی الجنّه لا یعدلون عن الجنّه إلی النار و لا إلی غیر النار سوی الجنّه.و الناس فی ذلک متفاوتون فمن استقام علی هذا الصراط و تعوّد سلوکه مرّ علی صراط الآخره مستویا و دخل الجنّه آمنا.

إذا عرفت ذلک فنقول: مزالق الصراط کنایه عن المواضع الّتی هی مظانّ انحراف الإنسان عن الوسط بین الأطراف المذمومه،و تلک المواضع هی مظانّ الشهوات و المیول الطبیعیّه ، و أهاویل زلله هی ما یستلزمه العبور إلی أحد طرفی الإفراط و التفریط من العذاب العظیم فی الآخره . و تارات أهواله تکرار ذلک تاره بعد اخری .

و قوله:فاتّقوا اللّه

و قوله: فاتّقوا اللّه .عود إلی الأمر بتقوی اللّه تقیّه من استجمع أوصاف الایمان:

أحدها: تقیّه من شغل التفکّر قلبه :أی فی أمر معاده عن محبّه الدنیا و باطلها .

الثانی: و أنصب الخوف بدنه :أی أتعبه و أنحله خوف اللّه تعالی و ما أعدّ للعصاه من الأهوال .

الثالث: و أسهرت العباده غرار نومه :أی لم تترک له نوما .

الرابع: کنایه و اظمأ الرجاء هو اجر یومه :أی اظمأه رجاء ما أعدّ اللّه لأولیائه الأبرار عوضا من طیّبات هذه الدار.و ظمأه فی جواهر یومه کنایه عن کثره صیامه فی أشدّ أوقاته

۱- ۱) ۴-۱۲۸.

حراره ،و إنّما جعل الهواجر مفعولا إقامه للظرف مقام المظروف،و هو من وجوه المجاز.

الخامس: استعاره و ظلف الزهد شهواته .استعار لفظ الإطفاء للزهد و هو من أوصاف الماء و نسبته إلى النار نسبه الزهد إلى الشهوات فلاحظ الشبه بين الشهوات و النار فى تأثيرهما المؤذى،و بين الزهد و الماء لما يستلزمانه من كون الإعراض عن الدنيا يستتبع قهر الشهوات و دفع مضارّها كما يفعله الماء بالنار.

السادس: و أسرع[أرجف خ]الذكر إلى لسانه :أى لتعوّده إيّاه و إدمانه فيه.

السابع: و قدّم الخوف لأمانه[لإبّانه خ] :أى خوف ربه.فعمل مخلصا له ليأمن عذابه.

الثامن: و تنكّب المخالج :أى عدل عن الامور المشغله إلى واضح سبيل اللّه.

التاسع: و سلك أقصد المسالك :أى أولاها بالقصد إلى النهج الواضح و الطريق المطلوب للّه من خلقه،و هو سبيله المستقيم فإنّ للناس فى سلوك سبيل اللّه مذاهب كثيره و لكن أحبّها إليه أولاها بالقصد إلى طريقه الموصل إليه.

العاشر: و لم تفتله فاتلات الغرور :أى لم تهلكه غفلاته فى لذّات الدنيا عن ربّه إذ لم يغفل عن طاعته.

الحادى عشر: و لم تعم عليه مشتبهات الامور :أى لم تظلم فى وجهه شبهه على حقّ فيسدّ عليه وجه تخليصه.

الثانى عشر: ظافرا بفرحه البشرى :أى بشرى الملائكه يومئذ: «بُشْراكُمُ الْيَوْمَ جَنّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ» .

الثالث عشر: و راحه النعمى ،و الراحه فى مشاقّ الدنيا و متاعبها بنعمى الآخره.

و نعيم اللّه فى الآخره الجنّه.

الرابع عشر: مجازا إطلاقا لاسم الملزوم على لازمه فى أنعم نومه :أى فى أطيب راحته،و أطلق لفظ النوم على الراحه فى الجنّه مجازا إطلاقا لاسم الملزوم على لازمه.

الخامس عشر: مجازا إطلاقا لاسم الجزء على الكلّ و آمن يومه :أى آمن أوقاته،و أطلق لفظ اليوم على مطلق الوقت مجازا إطلاقا لاسم الجزء على الكلّ .

السادس عشر: قد عبر معبر العاجله :أى الدنيا. حميدا :أى محمود الطريقه.

السابع عشر: و قدم ذات الآجله سعيدا :أى عمله للآخره فحصل على السعاده الأبديّه،و حميدا و سعيدا حالان.

الثامن عشر: و بادر من وجل :أى إلى الأعمال الصالحه من وجل خوف اللّه.

التاسع عشر: و أسرع فى مهل .أى إلى طاعه ربّه أيّام مهلته،و هى حياته الدنيا.

العشرون: و رغب فى طلب :أى كان طلبه للّه عن رغبته له.

الحادى و العشرون: و ذهب عن هرب :أى كان ذهابه عمّا يبعّد عن اللّه عن هرب من خوف اللّه.و فى كلّ قرينتين من هذه العشره السجع المتوازى.

الثانى و العشرون: و راقب فى يومه غده :أى توقّع فى أيّام حياته هجوم آخرته.

الثالث و العشرون: و نظر قدما أمامه :أى لم يلتفت فى نظره عن قصد اللّه إلى غيره.

ثمّ نبّه بقوله: فكفى بالجنّه ثوابا و نوالا .على وجوب السعى لها دون غيرها،ثمّ تكون النار و بالا و عقابا على وجوب الهرب منها دون غيرها ، و كفى باللّه منتقما و نصيرا على وجوب الاقتصار على خشيته و الاستعانه به، و بقوله: و كفى بالكتاب حجيجا :أى محتجّا و خصيما على وجوب الانفعال عنه و ملاحظه شهادته فى الآخره على من لم يتّبعه. مجاز و نسب الاحتجاج و الخصام إلى الكتاب مجازا ،و المنصوبات بكفى على التمييز.

و قوله:اوصيكم بتقوى اللّه.

و قوله: اوصيكم بتقوى اللّه.

عود إلى الحثّ على تقوى اللّه باعتبار امور ثلاثه:

أحدها:إعذاره إلى الخلق بما أنذرهم به من العقوبات.

الثاني:احتجاجه عليهم بما أوضحه بالدلائل و البيّنات.

الثالث:تحذيره لهم إبليس و عداوته،و قد سبق معناه فى الخطبه الاولى.و ذكر له أوصافا هى كونه مجاز إطلاقا لاسم المكان على المتمكّن نفذ فى الصدور خفيّا .و الإشاره به إلى النفس الأمّاره بالسوء،و تجوّز بلفظ الصدور فى القلوب إطلاقا لاسم المكان على المتمكّن ، و كونه نفث فى الآذان نجيّا.

و هو إشاره إلى ما تلقيه شياطين الإنس بعضهم إلى بعض من زخرف القول و غروره.و قد سبق ذلك فى الخطبه الاولى،و كونه أضلّ :أى جذب عن طريق الحقّ و أردى :أى فأرادهم فى قرار الجحيم ، و وعد و منّى :أى ببلوغ الآمال الكاذبه ، و زيّن سيّئات

الجرائم :أى

ص:۲۵۸

قبايح المعاصى ، و هوّن موبقات العظائم :أى ما يهلك من عظيم الذنوب.و تهوينه لها بمثل تمنّيه التوبه و مساعده العقل له بقوله «إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» و بمثل الاقتداء بالغير الّذى هو أولى بالعفّه مثلا- أو أكثر قدرا فى الدنيا،و ساير أوصاف الوساوس كما عرفت حقيقتها .

و قوله:حتّى إذا استدرج قرينته و استغلق رهينته

استعاره و قوله: حتّى إذا استدرج قرينته و استغلق رهينته فقرينته هى النفس الناطقه باعتبار موافقته و هى رهينته باعتبار إحاطه الذنوب بها من قبله كما يستغلق الرهن بما عليه من المال و لفظ الرهينه مستعار.و استدراجه لها تزيينه حالا بعد حال و تعويدها بطاعته .

و قوله:أنكر ما زيّن.إلى آخره .

و قوله: أنكر ما زيّن .إلى آخره.

إشاره إلى غايته من وسوسته و عود من النفس الأمّاره بالسوء إلى موافقتها لحكم العقل فى قبح ما كانت أمرت به ،و استعظام خطره و مساعدتها على التحذير منه بالامتناع من تحسينه بعد أن كانت تحثّ عليه و تزيّنه و تؤمن منه.و ذلك إمّا عند التوبه و قهر العقل لها أو عند معاينه المكروهات الجزئيّه من العقوبات و الآلام إمّا فى الدنيا أو بعد المفارقه و الحصول فى عذاب الجحيم بسبب الانهماك فيما كانت زيّنته من الباطل، و ذلك أنّ النفس إذا فارقت البدن حملت معها القوّه المتوهّمه فتدرك ما يلحقها من جزئيّات العقوبات كعذاب القبر و ما يتنوّع منه كما سبقت الإشاره إليه،و قد يتصوّر ذلك من شياطين الإنس فى تزيينهم الجرائم،و أمّا من الشيطان الظاهر فظاهر.

الفصل الثامن و منها فى صفه خلق الإنسان،

اشاره

و فى هذا الفصل فصلان.

الفصل الأوّل

اشاره

قوله:

أَمْ هَذَا الَّذِى أَنْشَأَهُ فِى ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ وَ شُغُفِ الْأَسْتَارِ- نُطْفَهً دِهَاقاً وَ عَلَقَهً مِحَاقاً- وَ جَنِيناً وَ رَاضِعاً وَ وَلِيداً وَ يَافِعاً- ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْباً

حَافِظاً وَ لِسَاناً لاَفِظاً وَ بَصَراً لاَحِظاً- لِيَفْهَمَ مُعْتَبِراً وَ يُقَصِّرَ مُزْدَجِراً- حَتَّى إِذَا قَامَ اعْتِدَالُهُ وَ اسْتَوَى

مِثَالُهُ- نَفَرَ مُسْتَكْبِراً وَ خَبَطَ سَادِراً مَاتِحاً فِی غَرْبِ هَوَاهُ- كَادِحاً سَعْياً لِدُنْيَاهُ فِی لَذَّاتِ طَرَبِهِ وَ بَدَوَاتِ أَرَبِهِ- ثُمَّ لاَ يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً وَ لاَ يَخْشَعُ تَقِيَّةً- فَمَاتَ فِی فِتْنَتِهِ غَرِيراً وَ عَاشَ فِی هَفْوَتِهِ يَسِيراً- لَمْ يُفِدْ عِوَضاً وَ لَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضاً- دَهِمَتْهُ فَجَعَاتُ الْمَنِيَّةِ فِی غُبَّرِ جِمَاحِهِ وَ سَنَنِ مِرَاحِهِ- فَظَلَّ سَادِراً وَ بَاتَ سَاهِراً فِی غَمَرَاتِ الْآلاَمِ- وَ طَوَارِقِ الْأَوْجَاعِ وَ الْأَسْقَامِ بَيْنَ أَخٍ شَقِيقٍ وَ وَالِدٍ شَفِيقٍ- وَ دَاعِيَةٍ بِالْوَيْلِ جَزَعاً وَ لاَدِمَةٍ لِلصَّدْرِ قَلَقاً- وَ الْمَرْءُ فِی سَكْرَةٍ مُلْهِثَةٍ وَ غَمْرَةٍ كَارِثَةٍ- وَ أَنَّةٍ مُوجِعَةٍ وَ جَذْبَةٍ مُكْرِبَةٍ وَ سَوْقَةٍ مُتْعِبَةٍ- ثُمَّ أُدْرِجَ فِی أَكْفَانِهِ مُبْلِساً وَ جُذِبَ مُنْقَاداً سَلِساً- ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى الْأَعْوَادِ رَجِيعَ وَصَبٍ وَ نِضْوَ سَقَمٍ- تَحْمِلُهُ حَفَدَةُ الْوِلْدَانِ وَ حَشَدَةُ الْإِخْوَانِ إِلَى دَارِ غُرْبَتِهِ- وَ مُنْقَطَعِ زَوْرَتِهِ وَ مُفْرَدِ وَحْشَتِهِ- حَتَّى إِذَا انْصَرَفَ الْمُشَيِّعُ وَ رَجَعَ الْمُتَفَجِّعُ- أُقْعِدَ فِی حُفْرَتِهِ نَجِيّاً لِبَهْتَةِ السُّؤَالِ وَ عَثْرَةِ الاِمْتِحَانِ- وَ أَعْظَمُ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةً نُزُولُ الْحَمِيمِ- وَ تَصْلِيَةُ الْجَحِيمِ وَ فَوْرَاتُ السَّعِيرِ- وَ سَوْرَاتُ الزَّفِيرِ لاَ فَتْرَةٌ مُرِيحَةٌ- وَ لاَ دَعَةٌ مُزِيحَةٌ وَ لاَ قُوَّةٌ حَاجِزَةٌ وَ لاَ مَوْتَةٌ نَاجِزَةٌ وَ لاَ سِنَةٌ مُسَلِّيَةٌ- بَيْنَ أَطْوَارِ الْمَوْتَاتِ وَ عَذَابِ السَّاعَاتِ- إِنَّا بِاللَّهِ عَائِذُونَ

أقول:اعلم أنّ مدار هذا الفصل على وصف حال الإنسان من مبدء عمره بالنقصان و بيان نعم اللّه بترديده فى أطوار الخلقه،و تبكيته بمقابله نعمه بالكفر و الغفله فى متابعه الشيطان،و تذكيره بما يكون غايته من حياه الدنيا و هو الموت و ما يتبعه من أحوال الميّت بين أهله و أقاربه،و حالهم معه و ما يكون بعد الموت من العذاب فى القبر و السؤال و الحساب و سائر ما ينّفر طبعه منه،و يوجب له الالتفات إلى إصلاح معاده و تذكير مبدئه «لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى» .

اللغه

و الشغف بالغين المعجمه : جمع شغاف بالفتح و هو غلاف القلب .و الدفاق : المفرغه .

و المحاق : الناقصه .و اليافع : الغلام المرتفع .و السادر : اللاهى الّذى لا يهتمّ بشىء و الماتح : الجاذب للدلو من البئر .و البدوات : الخطرات الّتى تبدو:أى تظهر للخاطر .

و دهمه بالكسر : أى غشيه .و غبر شىء : بقيّته و جماحه : سعيه فى ركوب هواه .

و السادر ثانيا : المتحيّر .و اللدم : ضرب الصدر .و كارثه : موجبه لشدّه الغمّ .و الإبلاس : اليأس .

و الرجيع : من الإبل المردّد فى الأسفار .و النضو : الّذى قد هزلته .و حفده الولدان :

أعوانهم .و الحشده بفتح الحاء و الشين : المجتمون .و التفجّع : التوجّع .

و فى تفصيل هذا الفصل نكت :

الاولى:

أم للاستفهام.و هو استفهام فى معرض التقريع للإنسان و أمره باعتبار حال نفسه،و دلاله خلقته على جزئيات نعم اللّه عليه مع كفرانه لها.و كان أم معادله لهمزه الاستفهام قبلها،و التقدير أليس فيما أظهره اللّه لكم من عجائب مصنوعاته عبره؟أم هذا الإنسان و تقلّبه فى أطوار خلقته و حالاته إلى يوم نشوره؟كقوله تعالى «وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ» و فى بعض النسخ:أو هذا.و المعنى واحد.

اعلم أنّ فى ملاحظه خلقه الإنسان و ما جمع فيها من لطائف الأسرار عبره تامّه حتّى كان عالما مختصرا كما أو مأنا إليه قبل،و سيأتى .

الثانيه:

قيـل أوّل أحوال تكوّن الإنسان زبـديّه المنىّ و انتفاخ يظهر فيه فينمو به،و أوّل ما يتكوّن فيه وعاء الروح بفعل الملك المصوّر ثمّ تحدث ريح من قبل الطبيعه فتثقب ثقبا أمام فوهات العروق بحيث إذا تخلّقت محسوسه صارت عروقا ثمّ يبسط النطفه

ص:٢٦١

فی أقطارها و تحدث فی الغشاء ثقبا موازیه لثقب العروق الّتی فی الرحم ینفتح عند الحیض،و یحصل لجمیعها مجاری فی الغشاء المذکور یؤدّی إلی مجری واحد نافذ إلی عمق النطفه مؤدّیا إلی باطنه الدم فی عرقین أو عرق و النفس فی عرقین فإذا تخلّقت هذه المجاری امتصّت النطفه حینئذ الغذاء من فوهات تلک العروق،و نفذ فی الصفاق دم یستحیل عن قریب إلی جوهر المنیّ و حدث لها خطوط لها مبادئ دمویّه،و نقطه اولی هی القلب ثمّ لا- تزال الدمویّه تزداد فی النطفه حتّی تصیر علقه و تکون مثل الرغوه فی الأکثر لسته أیّام،و ابتداء الخطوط الحمر و النقطه بعد ثلاثه أیّام اخری ثمّ بعد ستّه أیّام و هو الخامس عشر من حین العلوق تنفذ الدمویّه فی الجمیع فتصیر علقه، و بعد ذلک باثنی عشر یوما تصیر لحما و تتمیّز قطعه لحم المضغه و تمیّز الأعضاء الرئیسه،و تمتدّ رطوبه النخاع ثمّ بعد تسعه أیّام ینفصل الرأس عن المنکبین و الأطراف عن الضلوع و البطن تمیّزا یحسّ به فی بعضهم و یخفی فی بعض حتّی یحسّ به بعد أربعه أیّام اخری تمام الأربعین فیصیر جنینا،و قد یتمّ ذلک فی ثلاثین یوما و قد یتمّ فی خمس و أربعین یوما،و قیل:العدل فی ذلک خمسه و ثلاثون یوما فیتحرّک فی سبعین یوما،و یولد فی مائتین و عشره أیّام و ذلک سبعه أشهر،و إذا کان الأکثر لخمسه و أربعین یوما فتحرّک فی تسعین یوما،و یولد فی مائتین و سبعین یوما،و ذلک تسعه أشهر.فهذه إشاره إلی تنقّله فی ظلمات الرحم بتدبیر الملک المقتدر و واسطه الملک المصوّر، و لو کشف الغطاء لرأینا هذه التخطیط و التصویر یظهر علیه شیئا فشیئا مع أنّا لا نری المصوّر و لا آلته.فسبحان المقتدر علی ما یشاء .

الثالثه:

إنّما وصف العلقه بالمحاق لأنّها لم تفض علیها بعد صوره شخص الإنسان فهی بعد منمحقه .

الرابعه:

الولد ما دام یرضع فهو رضیع،و بعده ولید،فإذا ارتفع قیل:یافع.فإذا طرّشا ربه فهو غلام،فإذا أدرک فهو رجل،و للرجولیّه ثلاثه حدود:الشباب و هو إلی تمام النموّ،و بعده الکهوله،و بعدها الشیخوخه .

الخامسه:

ذکر الحفظ للقلب و اللفظ للسان و اللحظ للبصر بیان لفوایدها ،ثمّ ذکر

غايه تلك الفوايد و مقصودها،و هو أن يفهم الإنسان معتبرا أى يستنبط من شواهد آلاء اللّه دلايل وحدانيّته و ساير نعوت جلاله و يعبر فيها إلى استكمال الفضايل النفسانيّه و يقصر مزدجرا:

أى يكفّ عمّا لا ينبغى من موبقات الأيّام و عن الخوض فيما لا يعنيه مزدجرا عنها .

السادسه:

قوله حتّى إذا قام اعتداله و استوى مثاله نفر مستكبرا إلى آخر الأوصاف.ربّما يعترض فيقال:إنّ كثيرا من الناس لا يكون بهذه الصفه و حينئذ لا تصدق عليهم هذه الأحكام.فجوابه:أنّ إشارته عليه السّلام إلى الإنسان المطلق الّذى هو فى قوّه البعض لا الإنسان العامّ،و ذلك أنّ الأوصاف المذكوره إذا صدقت على المطلق فقد صدقت على بعض الناس،و ذلك البعض هم العصاه المرادون بهذه الأوصاف،و التوبيخ بها لهم،و فيه تنبيه للباقين على وجوب دوام شكر اللّه و البقاء على امتثال أوامره و نواهيه .

السابعه:

استعاره مرشحه ماتحا فى غرب هواه .لمّا استعار لفظ الغرب لهواه الّذى يملأ به صحايف أعماله من المآثم كما يملأ ذو الغرب غربه من الماء رشّح تلك الاستعاره بذكر المتح .

الثامنه:

المنصوبات العشرون: نطفه و علقه و جنينا و راضعا و وليدا و يافعا و معتبرا و مزدجرا و مستكبرا و سادرا و ماتحا و كادحا و غريرا و مبلسا و منقادا و سلسا و رجيع و صب و نضو سقم و نجيّا .كلّها أحوال،و العامل فى كلّ حال ما يليه من الأفعال.و سعيا إمّا مفعول به و العامل كادحا أو مصدر استغنى عن ذكر فعله،و يسيرا صفه ظرف محذوف اقيمت مقامه:أى زمانا يسيرا،و روى أسيرا فعلى هذا يكون حالا،و جزعا و قلقا و تقيّه مفعول به،و استعار أسيرا للعاصى على الروايه الثانيه،و وجه المشابهه أن صاحب الزلّه يقوده هواه إلى هوانه كما يقاد الأسير إلى ما يكره .

التاسعه:

لم يفد عوضا :أى لم يستفد فى الدنيا عوضا ممّا يفوته منها فى الآخره، و العوض الّذى ضيّعه هو الكمالات الّتى خلق ليستفيدها و فرضت عليه من الطاعات و لم يقضها من العلوم و الأخلاق .

العاشره:

الواو فی المرء للحال و العامل لادمه .و الأنّه الموجعه أی لقلوب الواجدین علیه و الجذبه المکربه:أی جذب الملائکه للروح کما قال تعالی «وَ لَوْ تَری إِذِ الظّالِمُونَ فِی غَمَراتِ الْمَوْتِ وَ الْمَلائِکَهُ باسِطُوا أَیْدِیهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَکُمُ» (۱)الآیه،و روی عن رسول اللّه

ص:۲۶۳

۱- ۱) ۹۳-۶.

صلى اللّه عليه و آله و سلّم قال:إنّ المؤمن إذا احتضر أتته الملائكه بحريره فيها مسك و ضبائر الريحان فينسلّ روحه كما تسلّ الشعره من العجين و يقال: «أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً» إلى روح اللّه و كرامته فإذا خرجت روحه وضعت على ذلک المسک و الريحان و طويت عليه الحريره و بعث بها إلى علّيين،و إنّ الكافر إذا احتضر أمر اللّه الملائكه بمسح فيه جمره فنزع روحه انتزاعا شديدا و يقال:ايّتها النفس الخبيثه ارجعى ساخطه مسخوطا عليک إلى هوان اللّه و عذابه فإذا خرجت روحه وضعت على تلک الجمره و كان لها نشيش،و يطوى عليها ذلک المسح،و يذهب بها إلى سجّين.

و اعلم أنّ تلک الجذبه تعود إلى ما يجده الميّت حال النزع و هو عباره عن ألم ينزل بنفس الروح يستغرق جميع أجزائه المنتشره فى أعماق البدن و ليس هو كسائر ما يجده الروح المختصّ ببعض الأعضاء كعضو شاكته شوكه و نحوه لاختصاص ذلک بموضع واحد فألم النزع يهجم على نفس الروح و يستغرق جميع أجزائه و هو المجذوب من كلّ عرق و عصب و جزء من الأجزاء و من أصل كلّ شعره و بشره.و لا تسئلنّ عن بدن يجذب منه كلّ عرق من عروقه،و قد يمثّل ذلک بشجره شوک كانت داخل البدن ثمّ جذبت منه فهى الجذبه المكربه ،و لمّا كان موت كلّ عضو من البدن عقيب الأمراض الّتى ربّما طالت تدريجا فتلک هى السوقه المتعبه .

الحادى عشر:

استعاره قوله: رجيع و صب و نضو سقم .استعار له وصفى الجمل فالرجيع باعتبار كونه قد ردّد فى أطوار المرض و تواتر عليه كما يردّد الجمل فى السفر مرّه بعد اخرى، و لفظ حو له من الأسقام كما ينحل الأسفار الجمل .

الثانيه عشر:

قوله: اقعد فى حفرته نجيّا لبهته السؤال.إلى آخره.

أقول:القول بعذاب القبر و سؤال منكر و نكير حقّ روى عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال لعمر:يابن الخطّاب كيف بک إذا أنت متّ فانطلق بک قومک فقاسوا لک ثلاثه أذرع فى ذراع و شبر ثمّ رجعوا إليک فغسّلوک و كفنّوک ثمّ احتملوک حتّى يضعوک فيه ثمّ يهيلوا عليک التراب فيدفنوک فإذا انصرفوا عنک أتاک فتّانا القبر منكرا و نكيرا أصواتهما كالرعد القاصف و أبصارهما كالبرق الخاطف يجرّان أشعارهما و يحثان

القبر بانيا بهما فيبلبلانك و يزلزلانك فيقولان لك:من ربّك؟و من نبيّك؟و ما دينك؟ كيف بك عند ذاك يا عمر.فقال عمر:فيكون معى عقلى الآن؟قال صلى اللّه عليه و آله و سلّم:نعم قال:

فإذن أكفيهما.و فى وصفهما عنه صلى اللّه عليه و آله و سلّم أنّهما ملكان أسودان أرزقان أحدهما منكر و الآخر نكير.

و اعلم أنّ الإيمان بما جاء من ذلك على ثلاث مراتب:

أحدها:و هو الأظهر الأسلم أن يصدّق بأنّها موجوده و أنّ هناك ملكين على الصوره المحكيّه،و حيّات و عقارب تلدغ الميّت،و إن كنّا لا نشاهدها إذ لا تصلح هذه العين لمشاهده الامور الملكوتيّه،و كلّ ما يتعلّق بالآخره فهو من عالم الملكوت كما كانت الصحابه يؤمنون بنزول جبرئيل،و كان النبىّ صلى اللّه عليه و آله و سلّم يشاهده و إن لم يكونوا يشاهدونه،و كما أنّ جبرئيل لا يشبه الناس فكذلك منكر و نكير و فعلهما و الحيّات و العقارب فى القبر ليس من جنس حيّات عالمنا.فتدرك بمعنى آخر.

المقام الثانى:أن يتذكّر ما قد يراه النايم من صوره شخص هايل يضربه أو يقتله أو حيّه تلدغه و قد يتألّم بذلك حتّى تراه فى نومه يصيح و يعرق جبينه و ينزعج من مكانه كلّ ذلك يدرك من نفسه و يشاهده و يتأذّى به كما يتأذّى اليقظان و أنت ترى ظاهره ساكنا و لا ترى حوله شخصا و لا حيّه،و الحيّه موجوده فى حقّه متخيّله له و لا فرق بين أن يتخيّل عدوّا أو حيّه أو يشاهده.

المقام الثالث:أن تعلم أنّ منكرا و نكيرا و ساير أحوال القبر غايته الايلام و المولم فى حقّه ليس هو الشخص المشاهد و لا الحيّه بل ما حصل فيه من العذاب فالنفس العاصيه إذا فارقت البدن حملت القوّه المتخيّله معها و لم يتجرّد عن البدن منزّهه عن الهيئات البدنيّه و الأخلاق الرديئه المهلكه من الكبر و الرياء و الحسد و الحقد و الحرص و غيرها،و هى عند الموت عالمه بمفارقه البدن متوهّمه لنفسها الإنسان الّذى مات و على صورته كما كان فى الرؤيا يتخيّل و يتوهّم بدنها مقبوره و يتخيّل الآلام الواصله إليها عن كلّ خلق ردىء على سبيل العقوبه الحسّيّه لها كما قرّرته الشريعه الصادقه،و انغرس فى الأذهان عنها على صوره شخص منكر هائل الصوره يعنفه فى السؤال و يبهته بسوء

منظره و هول أصواته و يمتحنه فيتلجلج لسانه فيضربه و يعذّبه،و على مثال تتيّن يلدغه،و إن كانت النفس سعيده تخيّلت اللّذات الحاصله لها من كلّ خلق حسن و عمل صالح قدّمته فى صوره ملائمه فوق ما كانت يعتقده ممّا كان وصف لها من صور أشخاص بهيّه يدخل عليهم و يتلقّاهم بالبشاره كمبشّر و بشير و ساير الملائكه الّذين يدخلون عليهم من كلّ باب سلام عليكم و من فسحه القبر و الروح و الريحان و ساير ما وعد فيه.

فهذا عذاب القبر و ثوابه و إليه الإشاره بقول الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم:القبر روضه من رياض الجنّه أو حفره من حفر النار.

فإن قلت:لم جعل أوّل داخل على الإنسان فى قبره سواء كان سعيدا أو شقيّا ملكين و لم يكن ثلاثه أو واحد مثلا.

قلت:قال بعض العلماء:إنّه لمّا كانت السعاده و الشقاوه الحاصلتين للنفس إنّما يحصل من جهه قوّتين نظريّه و عمليّه بهما جعل ما يكتسب عن كلّ واحده منهما ملكا.

فإن كان المكتسب جهلا مركّبا و رذائل أخلاق فمنكر و نكير و إن كان علما و مكارم فمبشّر و بشير.و اللّه أعلم بأسرار شريعته.

و اعلم أنّك متى تصوّرت معنى ثواب القبر و عذابه فى المقامات تصوّرت معنى ثواب الجنّه و عذاب النار .

الثالث عشر:

قوله لا فتره مزيحه و لا قوّه حاجزه .يجرى مجرى آيات الوعيد الناطقه بالتخليد،و هى مخصوصه بالكفّار الّذين لا مسكه لنفوسهم بعالم الملكوت و نحوه قوله تعالى «إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذابِ جَهَنَّمَ خالِدُونَ لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَ هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ» (1)و أمّا أنّه ليس لهم قوّه حاجزه فلأنّ القوّه الحاجزه بينهم و بين العذاب مفقوده فى حقّهم و هى المسكه باللّه تعالى و محبّه الالتفات إلى عالم الغيب و الملأ الأعلى ،و أمّا عدم الموته الناجزه فلأنّ الإنسان غير قابل للفناء مرّه اخرى كما علم ذلك فى موضعه و أمّا سلب السنه عنهم إشاره إلى شدّه آلامهم و ما يلقونه من أليم العذاب لما أنّ الألم الشديد يستلزم عدم النوم فلا سلوه إذن بين حالات سكرات العذاب ، مجاز إطلاقا لذى الغايه على ما يصلح غايه له و إطلاق لفظ الموتات مجاز

ص:٢۶۶

١- ١) ۷۴-۴۳.

فی شدّه العذاب إطلاقا فذی الغایه علی ما یصلح غایه له السجع المتوازی و قد لاحظ فی أکثر هذا الفصل السجع المتوازی و باللّه التوفیق.

الفصل الثانی

اشاره

قوله:

عِبَادَ اللَّهِ أَیْنَ الَّذِینَ عُمِّرُوا فَنَعِمُوا وَ عُلِّمُوا فَفَهِمُوا- وَ أُنْظِرُوا فَلَهَوْا وَ سُلِّمُوا فَنَسُوا- أُمْهِلُوا طَوِیلًا وَ مُنِحُوا جَمِیلًا- وَ حُذِّرُوا أَلِیماً وَ وُعِدُوا جَسِیماً- احْذَرُوا الذُّنُوبَ الْمُوَرِّطَهَ وَ الْعُیُوبَ الْمُسْخِطَهَ- أُولِی الْأَبْصَارِ وَ الْأَسْمَاعِ وَ الْعَافِیَهِ وَ الْمَتَاعِ- هَلْ مِنْ مَنَاصٍ أَوْ خَلَاصٍ- أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلَاذٍ أَوْ فِرَارٍ أَوْ مَحَارٍ أَمْ لَا- «فَأَنَّی تُؤْفَکُونَ» أَمْ أَیْنَ تُصْرَفُونَ أَمْ بِمَا ذَا تَغْتَرُّونَ- وَ إِنَّمَا حَظُّ أَحَدِکُمْ مِنَ الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّوْلِ وَ الْعَرْضِ- قِیدُ قَدِّهِ مُتَعَفِّراً عَلَی خَدِّهِ- الْآنَ عِبَادَ اللَّهِ وَ الْخِنَاقُ مُهْمَلٌ وَ الرُّوحُ مُرْسَلٌ- فِی فَیْنَهِ الْإِرْشَادِ وَ رَاحَهِ الْأَجْسَادِ وَ بَاحَهِ الِاحْتِشَادِ- وَ مَهَلِ الْبَقِیَّهِ وَ أُنُفِ الْمَشِیَّهِ وَ إِنْظَارِ التَّوْبَهِ- وَ انْفِسَاحِ الْحَوْبَهِ قَبْلَ الضَّنْکِ وَ الْمَضِیقِ- وَ الرَّوْعِ وَ الزُّهُوقِ وَ قَبْلَ قُدُومِ الْغَائِبِ الْمُنْتَظَرِ- وَ إِخْذَهِ الْعَزِیزِ الْمُقْتَدِرِ

اللغه

أقول: ورّطته فی الأمر : خلّصته فیه .و المناص : الملجأ .و المحار : المرجع .

و أفکک : صرف .و قید : قدّه مقدار قامته .و المعفر : المترب .و العفر : التراب .و الفینه :

ص:۲۶۷

الجبن .و أنف الشىء : أوّله .و الحوبه : الحاجه و المسكنه .و الضنک : الضيق .

و فى هذا

الفصل فوائد :

الاولى:

التنبيه و التقريع على كفران جمله من نعم اللّه،فمنها أن عمّرهم فنعموا ، و علّمهم ففهموا ،و أنظرهم و سلّمهم من الآفات و أمهلهم طويلا ،و منحهم الجميل ، و حذّرهم أليم العذاب ،و وعدهم وعدا حسنا.و من كفرانهم لتلک النعمه أن اشتغلوا بلذّات الدنيا عن أوامره و لهوا عن الالتفات إليه و نسوا ما ذکّرهم به و دعاهم إليه .

الثانيه:

التحذير من الذنوب المورّطهفى موارد الهلکه و أنواع العذاب ثمّ من العيوب المسخطه للّه و هى اکتساب رذائل الأخلاق .

الثالثه:

تنبيه اولى الأبصار و الأسماع و العافيه و المتاع فى الدنيا على أنّه لا مناص:أى من أمر اللّه،و لا خلاص:أى من عذابه لمن حصل فيه ،و کذلک لا معاذ و لا ملاذ منه لمن استعدّ له .و لا فرار:أى من حکمه،و لا مرجع:أى بعد الموت.و إنّما خصّ اولى الأبصار و الأسماع و العافيه لکونهم أهل التکاليف التامّه، مجاز و العقول داخله فى إشارته إمّا بالإبصار و الإسماع مجازا أو فى العافيه، و إنّما خصّ اولى المتاع لأنّ أهل الاستمتاع بالدنيا هم المجذوبون عنها من جهه اشتغالهم بمتاعها عن سلوک سبيل اللّه، و هل استفهام عن الامور المذکوره على سبيل الإنکار لها ثمّ استفهمهم عن وقت صرفهم، و عن مکان ذلک على سبيل التقريع لهم،ثمّ عمّا يعتذرون به بعد لقاء اللّه فى ترک أو امره على سبيل الإنکار للأعذار أيضا.و أم معادله لهل الاستفهاميّه .

الرابعه:التذکير بأمر القبر و تعفير الخدّ

فيه ممّا هو منفور عنه طبعا و فيه تنبيه على وجوب الانتهاء عن الاستکثار من قينات الدنيا و جناتها لوجوب مفارقتها و أنّه لا نصيب للمجدّ فى تحصيلها منها إلّا مقدار قامته و هو کنايه عن قبره .

الخامسه:التنبيه على وقت العمل و الأحوال:

الّتی یمکنهم فیها. استعاره بالکنایه-استعاره مرشحه و کنّی ب الآن عن زمان الحیاه الدنیا،و ب الخناق عمّا تؤخذ به أعناق النفوس إلی بارئها و هو الموت کنایه بالمستعار،و وجه المشابهه کون کلّ واحد منهما مکروها یقاد به إلی مکروه و رشّح الاستعاره بذکر الإهمال،و کنّی به عن مدّه الإمهال فی الحیاه الدنیا و کذلک

ص:۲۶۸

أراد بإرسال الروح إهمالها،و يكون ذلك الإرسال فى فينه الارتياد :أى فى زمان ارتياد النفوس و طلبها لما تستعدّ به من الكمال للقاء اللّه،و روى الإرشاد:أى إرشاد النفوس إلى سبيل اللّه و جهه السعاده الأبديّه و كذلك مهل البقيّه :أى بقيّه الأعمار .

السادسه قوله:و انف المشيّه:

أى أوّل الإرادات للنفوس،و ذلك أنّه ينبغى أن يكون أوّل زمان الإنسان و أوائل ميول قلبه إلى طاعه اللّه و الانقياد لأوامره ليكون ما يرد على لوح نفسه من الكمالات المسعده فى الآخره واردا على لوح صاف عن كدر الباطل و أنّه متى عكس ذلك فجعل أوائل ميوله و إرادته لمعاصى اللّه تسوّد وجه نفسه بملكات السوء فلم يكد يقبل بعد ذلك الاستضاءه بنور الحقّ فكان من الأخسرين أعمالا .

السابعه:إنظار التوبه

إمهال اللّه العصاه لأجلها و لمّا كان غرض العنايه الإلهيّه سوق كلّ ناقص إلى كماله حسن أن يعبّر عن بقاء العاصى بأنّه إنظار للتوبه .

الثامنه:و انفساح الحوبه

اتّساع زمان العمل للحاجه فى الآخره.و الإضافه يكفى فيها أدنى ملابسه و ذلك أنّ كلّ حاجه فرضها الإنسان فى الدنيا فقد لا يكون فى محلّ الضروره،و الضيق الكلّى منها و إن كانت فى محلّ الضروره لكنّها فى مظنّه أن يرجى زوالها بخلاف الحاجه و الضروره فى الآخره إلى صالح الأعمال فإنّها لا يمكن زوالها بعد المفارقه و لا متّسع للعمل إلاّ فى الدنيا و كان أهلها منها فى أشدّ ضروره و أضيق حال و أقبح صوره ،و أشار بالضنك و الضيق إلى انحصار الإنسان فى أغلال الهيئات البدنيّه و سجن جهنّم،و بالروع و الزهوق إلى الفزع الأكبر من أهوال الموت و ما بعده .

التاسعه:

كنايه-استعاره مرشحه الغائب المنتظر كنايه عن الموت،و قدومه:هجومه،و لمّا استعار له لفظ الغائب مراعاه لشبهه بمسافر ينتظر رشّح تلك الاستعاره بلفظ القدوم .

العاشر:أخذه العزيز المقتدر

جذب الأرواح بحكم قدره اللّه العزيز الّذى لا يلحقه إذلال قاهر،المقتدر الّذى لا امتناع له لقدره قادر.و باللّه التوفيق.

۸۱–و من کلام له علیه السّلام

اشاره

فی ذکر عمرو بن العاص

عَجَباً؟لاِبْنِ النَّابِغَهِ؟ یَزْعُمُ لِأَهْلِ؟الشَّامِ؟ أَنَّ فِیَّ دُعَابَهً- وَ أَنِّی امْرُؤٌ تِلْعَابَهٌ

ص:۲۶۹

أَعَافِسُ وَ أُمَارِسُ- لَقَدْ قَالَ بَاطِلًا وَ نَطَقَ آثِماً- أَمَا وَ شَرُّ الْقَوْلِ الْكَذِبُ إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ وَ يَعِدُ فَيُخْلِفُ- وَ يَسْأَلُ فَيُلْحِفُ وَ يُسْأَلُ فَيَبْخَلُ وَ يَخُونُ الْعَهْدَ وَ يَقْطَعُ الْإِلَّ- فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْحَرْبِ فَأَيُّ زَاجِرٍ وَ آمِرٍ هُوَ- مَا لَمْ تَأْخُذِ السُّيُوفُ مَآخِذَهَا- فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ أَكْبَرُ مَكِيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ الْقَرْمَ سَبَّتَهُ- أَمَا وَ اللَّهِ إِنِّي لَيَمْنَعُنِي مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ- وَ إِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ نِسْيَانُ الْآخِرَهِ- إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ؟مُعَاوِيَهَ؟ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ أَتِيَّهً- وَ يَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيخَهً

اللغه

أقول: نبغ الشيء : ظهر و سميّت امّ عمرو النابغه لشهرتها بالفجور و تظاهرها به .و الدعابه : المزاح .و التلعابه : كثيرا للعب و التاء للمبالغه .و المعافسه : المداعبه .

و الممارسه : المعالجه بالمصارعه و القرص و نحوه .و الإلّ : القرابه .و سبّته : سوءته .

و الأتيّه : العطيّه و الوزن واحد و كذلك الرضيخه .

و اعلم أنّ فى هذا الفصل ثلاثه فصول :

الأوّل ذكر دعوى عمرو فى حقّه عليه السّلام

من كونه لعّابا مزّاحا يكثر المعالجه بالمصارعه و ذكر هذه الدعوى مصدّره بالتعجّب من صدورها فى حقّه مختومه بالكذب لمدعيها و الرد لمقاله و ذلك قوله: عجبا إلى قوله:و نطق آثما و باطلا وصف للمصدر، و آثما حال و إنّما كنّى عنه بامّه لأنّ من عاده العرب النسبه إلى الامّ إذا كانت مشهوره بشرف أو خسّه و نحوها.

و اعلم أنّه عليه السّلام قد كان يصدر عنه المزاح بالقدر المعتدل الّذى لا يخرج به إلى حدّ رذيله الإفراط فيه فمن ذلك ما روى أنّه كان جالسا يوما على رباوه من الأرض و كان أبو هريره جالسا معه و أخذ منه لفته و حذفه بنواه فالتفت إليه أبو هريره فتبسّم عليه السّلام

فقال أبو هريره:هذا الّذى أخّرک عن الناس،و قد علمت أنّ ذلک من توابع حسن الخلق و لين الجانب فهو إذن فضيله و ليس برذيله و المدّعى لعمرو إنّما هو عبوره فى ذلک إلى حدّ الإفراط الّذى يصدق عليه أنّه لعب و هزل،و روى أنّه کان يقول لأهل الشام:

إنّا إنّما أخّرنا عليّا لأنّ فيه هزلا لا جدّ معه و نحوه ما کان يقوله أبوه العاص لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم إنّه لساحر و من أشبه أباه فما ظلم و تکذيبه عليه السّلام لعمرو إنّما هو فيما ادّعاه من الخروج إلى اللعب و أمّا أصل المزاح فلم ينکره و کيف و قد کان يصدر عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم کما صروى أنّه قال يوما لعجوز:إنّ العجايز لا يدخلن الجنّه فبکت فتبسّم و قال إنّ اللّه يجعلهنّ شوابّ ثمّ يدخلهنّ الجنّه و أهل الجنّه شباب جرد مرد و إنّ الحسن و الحسين عليهما السّلام سيّدى شباب أهل الجنّه.و کان يقول:أمزح و لا أقول إلاّ حقّا .

الثانى:قوله:أمّا و شرّ القول إلى قوله سبّته

و يشتمل على ذکر ما اجتمع فى هذا المدّعى من الرذائل الّتى توجب فسقه و سقوط دعواه لقوله تعالى «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا» (۱)الآيه و ذکر من تلک الرذائل خمسا.

الاولى:الکذب و ظاهر کونه شرّ القول و أنّه مفسده مطلقه فى الدين و الدنيا أمّا الدين فللمنقول و المعقول أمّا المنقول فقول الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم الکذب رأس النفاق،و أمّا المعقول فلأنّ الوجدان شاهد بأنّ الکذب ممّا يسوّد لوح النفس و يمنعه أن ينتقش بصور الحقّ و الصدق و يفسد المنامات و الإلهامات،و أمّا الدنيا فلأنّه سبب عظيم لخراب البلاد و قتل النفوس و سفک الدماء و أنواع الظلم و لذلک اتّفق أهل العالم من أرباب الملل و غيرهم على تحريمه و ادّعى المعتزله قبحه بالضروره و هو رذيله مقابله للصدق داخله تحت رذيله الفجور.

الثانيه :الخلف فى الوعد.

الثالثه :الغدر فى العهد و خيانته و هما رذيلتان مقابلتان للوفاء داخلتان تحت رذيله الفجور أيضا و الغدر يستلزم رذيله الخبث و هر طرف الإفراط من فضيله الذکاء و هما يستلزمان الکذب أيضا.

۱- ۱) ۶-۴۹

الرابعه :قطع الرحم و هى رذيله الإفراط من فضيله صله الرحم و حقيقتها عدم مشاركه ذوى اللحمه فى الخيرات الدنيويّه و هى رذيله تحت الظلم مستلزمه للبخل.

الخامسه :رذيله الجبن و هى طرف التفريط من فضيله الشجاعه و نبّه عليها بقوله:

فإذا كان عند الحرب فأىّ زاجر و آمر هو إلى قوله:سبّته ،و فيه تنبيه على دناءه همّته و مهانه نفسه إذ كان علىّ الهمّه شهم النفس لا يفرّ من قراع الأقران إلى التخلّص من الموت بأقبح فعل يكون من كشف سوءته و بقاء ذلك سبّه فى عقبه على مرور الدهور.و الدناء و المهانه رذيلتان تحت الجبن.

استفهام على سبيل التعجّب و قوله: فأىّ زاجر و آمر.

هو استفهام على سبيل التعجّب و المبالغه فى أمره و نهيه و ذكره فى معرض الذمّ هنا و إن كان من الممادح لغرض أن يردفه برذيلته ليكون ذلك خارجا مخرج الاستهزاء فيكون أبلغ وقعا فى النفوس و أشدّ عارا عليه إذ كان الأمر و النهى فى الحرب إنّما يحسن ممّن يشتهر بالشجاعه و الإقدام لا ممّن يأمر و ينهى فإذا اشتدّ القتال فرّ فرار الحمار من السبع و اجتهد فى البقاء و لو بأقبح مذمّه فإنّ عدم الأمر و النهى و الخمول بمثل هذا أليق و أولى من وجودها و كأنّ أبا الطيّب حكى صوره حاله إذ قال.

و إذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده و النزالا

و أمّا صوره هذه الرذيله منه فروى أنّ عليّا عليه السّلام حمل عليه فى بعض أيّام صفّين فلمّا تصوّر أنّه قاتله ألقى نفسه عن فرسه و كشف سوءته مواجها له عليه السّلام فلمّا رأى ذلك منه غضّ بصره عنه و انصرف عمرو مكشوف العوره و نجا بذلك فصار مثلا لمن يدفع عن نفسه مكروها بارتكاب المذلّه و العار،و فيه يقول أبو فراس.

و لا خير فى دفع الأذى بمذلّه كما ردّها يوما بسوءته عمرو

و روى مثل ذلك لبسر بن أرطاه معه فإنّه عليه السّلام حمل على بسر فسقط بسر على قفاه و رفع رجليه فانكشفت عورته فصرف عليه السّلام وجهه عنه فلمّا قام سقطت البيضه عن رأسه فصاح أصحابه يا أمير المؤمنين إنّه بسر بن أرطاه فقال:ذروه-لعنه اللّه-فلقد كان معاويه.

أولى بذلك منه.فضحك معاويه و قال:لا عليك يا بسر ارفع طرفك و لا تستحى فلك بعمرو

اسوه،و قد أراک اللّه منه و أراه منک.فصاح فتی من أهل الکوفه:ویلکم یا أهل الشام أما تستحیون لقد علّمکم عمرو کشف الأستار ثمّ أنشد:

أ فی کلّ یوم فارس ذو کریهه له عوره وسط العجاجه بادیه

یکفّ لها عنه علیّ سنانه و یضحک منها فی الخلاء معاویه

بدت أمس من عمرو فقنّع رأسه و عوره بسر مثلها حذو حاذبه

فقولا لعمرو و ابن أرطاه ابصرا نشدتکما لا تلقیا اللیث تالیه

و لا تحمدا إلاّ الحیا و خصا کما هما کانتا و اللّه للنفس واقیه

و لو لا هما لم تنجوا من سنانه تلک بما فیها عن العود ناهیه

و کان بسر ممّن یضحک من عمرو فصار ضحکه له

الثالث:بیان وجه فساد مدّعی عمرو فی حقّه

و هو مستند المنع و ذکر وجهین:

أحدهما:یرجع إلیه و هو أنّه علیه السّلام دائم الذکر للموت و التفکّر فی أحوال المعاد و الوجدان شاهد بأنّ المستکثر من إخطار الموت علیه یکون أبدا قصیر الأمل و جلا من اللّه مترصّدا لهجوم الموت علیه مشغولا بذلک عن الالتفات إلی حظّ الشهوات من اللعب و نحوه فکیف یتصوّر اللعب ممّن هذه حاله.

الثانی :یرجع إلی حال عمرو و هو أنّه ممّن نسی الآخره،و ظاهر أنّ نسیانها مستلزم للکذب و سایر وجوه خداع أبناء الدنیا من المکر و الحیله و ما لا ینبغی من مناهی اللّه،و من کانت هذه حاله کیف یوثق بقوله،ثمّ نبّه بقوله : و لم یبایع معاویه.

إلی آخره علی بعض لوازم نسیان الآخره،و هو أخذه لبیعته و قتاله مع الإمام الحقّ الّذی یخرج به عن ربقه الدین عوضا و ثمنا.و تلک العطیّه هی مصر کما سبقت الإشاره الیه.و باللّه العصمه و التوفیق.

۸۲-و من خطبه له علیه السّلام

القسم الأول

اشاره

وَ أَشْهَدُ أَنْ «لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ» وَحْدَهُ لاَ شَرِیکَ لَهُ-الْأَوَّلُ لاَ شَیْءَ قَبْلَهُ وَ الْآخِرُ

لَا غَايَهَ لَهُ- لَا تَقَعُ الْأَوْهَامُ لَهُ عَلَى صِفَهٍ- وَ لَا تُعْقَدُ الْقُلُوبُ مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّهٍ- وَ لَا تَنَالُهُ التَّجْزِئَهُ وَ التَّبْعِيضُ- وَ لَا تُحِيطُ بِهِ الْأَبْصَارُ وَ الْقُلُوبُ

أقول:هذا الفصل يشتمل على إثبات ثمانى صفات من صفات الجلال :

الاولى الوحدانيّه مؤكّده بنفى الشركاء

و ذلك قوله: لا شريك له .و قد أشرنا إلى معقد البرهان العقلىّ على الوحدانيّه،و لمّا لم تكن هذه المسأله ممّا يتوقّف إثبات النبوّه عليها جاز الاستدلال فيها بالسمع كقوله تعالى «لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَهٌ إِلاَّ اللّهُ لَفَسَدَتا» (۱)و قوله «وَ إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ » .

الثانيه:

إثبات كونه أوّلا غير مسبوق بالغير .

الثالثه:إثبات كونه آخرا غير منته وجوده إلى غايه يقف عندها.

و قد سبق البحث عنهما مستقصى و نفى قبليّه شىء له و الغايه عنه تأكيدان .

الرابعه:من السلوب أنّه لا تلحقه الأوهام فيقع منه على صفه.

و قد علمت فيما سبق أنّ الأوهام لا يصدق حكمها إلاّ فيما كان محسوسا أو متعلّقا بمحسوس فأمّا الامور المجرّده من علايق المادّه و الوضع فالوهم ينكر وجودها أصلا فضلا أن يصدّق فى إثبات صفه لها و إنّما الحاكم بإثبات صفه له العقل الصرف،و قد علمت أنّ ما يثبته منها ليست حقيقه خارجيّه بل امورا اعتباريّه محدثها عقولنا عند مقايسته إلى الغير،و لا يفهم من هذا أنّه أثبت له صفه بل معناه أنّ الأوهام لا يصدق حكمها فى وصفه تعالى .

الخامسه:كونه تعالى لا يعقل له كيفيّه يكون عليها

،و بيان ذلك ببيان معنى الكيفيّه فنقول:إنّها عباره عن هيئه قارّه فى المحلّ لا يوجب اعتبار وجودها قسمه و لا نسبه،و لمّا بيّنا أنّه تعالى ليس له صفه تزيد على ذاته و هى محلّ لها استحال أن يعقد القلوب منه على كيفيّه .

السادسه:كونه تعالى لا تناله التجزيه و التبعيض

،و هو إشاره إلى نفى الكميّه عنه إذ كانت التجزيه و التبعيض من لواحقها و قد علمت أنّ الكمّ من لواحق الجسم

۱- ۱) ۲۲-۲۱

و البـارى تعـالى ليس بجسم و ليس بكمّ فليس بقابل للتبعيض و التجزيه و لأنّ كلّ قابل لهما منفعل من غيره و المنفعل عن الغير ممكن على ما مرّ .

السابعه:كونه تعالى لا تحيط به الأبصار

و هو كقوله تعـالى «لاـ تُـدْرِكُهُ الْأَبْصـارُ» و هـذه المسأله ممّـا اختلف فيهـا علماء الإسـلام و قـد سـبق فيها الكلام.و خلاصـته:أنّ المـدرك بحـاسّه البصـر بالـذّات إنّمـا هو الألـوان و الأضواء و بالعرض المتلوّن و المضـىء و لمّا كان اللون و الضوء من خواصّ الجسم و كان تعالى منزّها عن الجسميّه و لواحقها وجب كونه منزّها عن الإدراك بحاسّه البصر.

الثامنه:كونه تعالى لا يحيط به القلوب

،و المراد أنّ العقول البشريّه قاصره عن الإحاطه بكنه ذاته المقدّسه و قد سبق تقرير ذلك.و باللّه التوفيق.

القسم الثانى

اشاره

و منهـا فَاتَّعِظُوا عِبَادَ اللَّهِ بِالْعِبَرِ النَّوَافِعِ- وَ اعْتَبِرُوا بِالْآيِ السَّوَاطِعِ- وَ ازْدَجِرُوا بِالنُّذُرِ الْبَوَالِغِ- وَ انْتَفِعُوا بِالـذِّكْرِ وَ الْمَوَاعِظِ- فَكَأَنْ قَدْ عَلِقَتْكُمْ مَخَالِبُ الْمَنِيَّهِ- وَ انْقَطَعَتْ مِنْكُمْ عَلاَئِقُ الْأُمْنِيَّهِ- وَ دَهِمَتْكُمْ مُفْظِعَاتُ الْأُمُورِ وَ السِّيَاقَهُ إِلَى «الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ» - فَ «كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وَ شَهِيدٌ» - سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى مَحْشَرِهَا وَ شَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا

اللغه

أقول: الآى : جمع آيه .و الساطع : المرتفع .و النذر : جمع نذير .و مفظعات الامور : شدايدها .و الورد : المورد .

المعنى

و فى هذا الفصل فوائد :

الاولى:

مجاز إطلاقا لاسم الحال على المحلّ الأمر بالأتّعاظ بالعبر النوافع ،و اسم العبره حقيقه فى الاعتبار،و قد يطلق مجازا فيما يعتبر به،و يحتمل أن يراد هاهنا إطلاقا لاسم الحال على المحلّ و للاتّعاظ سـبب و حقيقه و ثمره أمّا سـببه فالنظر فى آثار الماضـين و تـدبّر قصصهم و تصريف قضاء اللّه و قدرته لأحوالهم و هو الاعتبار،و أمّا حقيقته فالخوف الحاصل فى نفس المعتبر من اعتباره و تأثّره

عن أن يلحقه ما لحقهم إذ هو مثلهم و أولى بما لحقهم،و أمّا ثمرته

فالانزجار عن مناهى اللّه و إجابه داعيه و الانقياد لسلوك سبيله .

الثانيه:

استعاره الأمر بالاعتبار بالآى السواطع و هو إرداف للأمر بالاتّعاظ بالأمر بسببه و أراد بالآى آيات آثار اللّه و عجايب مصنوعاته أو آيات القرآن المعذره و المنذره، و استعار لها لفظ السطوع،و وجه المشابهه ظهور إشراق أنوار الحقّ منها على مرايا قلوب عباد اللّه كإشراق نور الصبح و سطوعه و هو استعاره لفظ المحسوس للمعقول و اعتباره بها انتقال ذهنه فيها فى مقام النظر و الاستدلال كما سلف بيانه .

الثالثه:الأمر بالازدجار بالنذر البوالغ

و هو أمر بفايده الاتّعاظ و النذر هى زواجر اللّه و وعيداته البالغه حدّ الكمال فى التخويف و الزجر عند اعتبارها .

الرابعه:الأمر بالانتفاع بالذكر و المواعظ

.و هو أمر بتحصيل ثمره الذكر و الموعظه عنهما،و ختم هذه الأمر بذكر الانتفاع ترغيبا و جذبا للنفوس إلى الذكر و قبول المواعظ .

الخامسه:

التخويف و التذكير بالموت و ما يتبعه ليبادروا إلى امتثال أوامره السابقه استعاره بالكنايه-استعاره مرشحه فقوله. فكأن قد علقتكم مخالب المنيّه .استعار لفظ المخالب للمنيّه استعاره بالكنايه و رشّح بذكر العلوق ملاحظا فى ذلك تشبيه المنيّه بالسبع الّذى يهجم و يتوقّع إفراسه و كأن مخفّفه من كأنّ و اسمها ضمير الشأن،و يحتمل أن يكون أن الناصبه للفعل دخلت عليها كاف التشبيه.

و قوله:و انقطعت عنكم علايق الامنيّه .

و قوله: و انقطعت عنكم علايق الامنيّه.

إشاره إلى ما ينقطع عن الميّت بانقطاع أمله من مال و جاه و ساير ما كان يتعلّق به آماله من علايق الدنيا و متاعها.

و قوله:و دهمتكم مفظعات الامور .

و قوله: و دهمتكم مفظعات الامور.

إشاره إلى ما يهجم على الميّت من سكرات الموت و ما يتبعها من عذاب القبر و أهوال الآخره.

و قوله:و السياقه إلى الورد المورود .

و قوله: و السياقه إلى الورد المورود.

فالسياقه هى السوقه المتعبه الّتى سلف ذكرها،و الورد المورود هو المحشر.

ص:۲۷۶

و قوله:و كلّ نفس معها سائق و شهيد .

اقتباس و قوله: و كلّ نفس معها سائق و شهيد.

اقتباس للآيه «وَ جاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وَ شَهِيدٌ » فالسائق الّذى يسوقها إلى المحشر هو حكم القضاء الإلهى و أسباب الموت القريبه الحاكمه على النفس برجوعها إلى معادها فإن كانت من أهل الشقاوه فيا لها من سوقه متعبه و جزيه مزعجه «وَ سِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتّى إِذا جاؤُها فُتِحَتْ أَبْوابُها وَ قالَ لَهُمْ خَزَنَتُها أَ لَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ» الآيات،و إن كانت من أهل السعاده ساقها سايق رؤوف سوقا لطيفا «وَ نُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّهُ أُورِثْتُمُوها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» «وَ سِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّهِ زُمَراً حَتّى إِذا جاؤُها وَ فُتِحَتْ أَبْوابُها وَ قالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خالِدِينَ» و أمّا الشاهد عليها[بعملها]فقد سبقت الإشاره إليه.و باللّه التوفيق.

القسم الثالث و منها فى صفه الجنه:

اشاره

دَرَجَاتٌ مُتَفَاضِلاَتٌ وَ مَنَازِلُ مُتَفَاوِتَاتٌ- لاَ يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا وَ لاَ يَظْعَنُ مُقِيمُهَا- وَ لاَ يَهْرَمُ خَالِدُهَا وَ لاَ يَبْأَسُ سَاكِنُهَا

المعنى

أقول:اعلم أنّ ألذّ ثمار الجنّه هى المعارف الإلهيّه بالنظر إلى وجه اللّه ذى الجلال و الإكرام.و السعداء فى الوصول إلى نيل هذه الثمره على مراتب متفاوته و درجات متفاضله.فالاولى:مرتبه من اوتى الكمال فى حدس القوّه النظريّه حتّى استغنى عن معلّم بشرىّ رأسا و اوتى مع ذلك ثبات قوّته المتفكّره و استقامه وهمه منقادا تحت قلم العقل فلا يلتفت إلى العالم المحسوس بما فيه حتّى يشاهد العالم المعقول بما فيه من الأحوال و يستثبتها فى اليقظه فيصير العالم و ما يجرى فيه متمثّلا فى نفسه فيكون لقوّته النفسانيّه أن يؤثّر فى عالم الطبيعه حتّى ينتهى إلى درجه النفوس السماويّه،و تلك هى النفوس القدسيّه اولات المعارج و هم «السّابِقُونَ السّابِقُونَ أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ» ،و هم أفضل النوع البشرىّ و أحقّه بأعلى درجات السعاده فى الجنّه.

ص:٢٧٧

المرتبه الثانيه مرتبه من له الأمر ان الأوّلان دون الثالث أعنى التأثير فى عالم الطبيعه،و هذه مرتبه أصحاب اليمين و تحتها مراتب.

فأحدها:مرتبه من له استعداد طبيعىّ لاستكمال قوّته النظريّه دون العمليّه الثانيه:من اكتسب ذلك الاستكمال فى قوّته النظريّه اكتسابا تكليفيّا دون تهيّؤ طبيعىّ و لا حصّه له فى أمر القوّه العمليّه.

الثالثه:مرتبه من ليس له تهيّؤ طبيعىّ و لا اكتساب تكليفى فى قوّته النظريّه و له ذلك التهيّؤ فى القوّه العمليّه.

الرابعه:مرتبه من له تكلّف فى إصلاح الأخلاق و اكتساب الملكات الفاضله دون تهيّؤ طبيعىّ لذلك.

إذا عرفت ذلك فاعلم أنّ للمقرّبين البالغين فى الملكات الشريفه لذّات عظيمه فى الجنّه قد فازوا بنعيم الأبد و السرور الدائم فى حضره جلال ربّ العالمين «فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ» غير مخرجين عن لذّاتهم لهم «فِيها ما تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَ تَلَذُّ الْأَعْيُنُ» و هم «فِيها خالِدُونَ» كما قال عليه السّلام: لا يظعن مقيمها .جرد عن عوارض الأبدان و شوائب الموادّ مرد عن مزاحمه القوى المتغالبه المتجاذبه المؤدّيه إلى الهرم و الموت مكحّلين بالأنوار الساطعه ينظرون إلى ربّهم بوجوههم المفارقه،وَ أَمّا «أَصْحابِ الْيَمِينِ فَسَلامٌ لَکَ مِنْ أَصْحابِ الْيَمِينِ» و لهم لذّات دون الوصول إلى مرتبه السابقين،و قد يخالط لذّات هؤلاء شوب من لذّات المقرّبين كما اشير إليه فى التنزيل الإلهىّ فى وصف شراب الأبرار« «وَ مِزاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ» و لكلّ من المراتب كمال يخصّه و درجات من السعاده فى الجنّه تخصّه كما قال«ل «هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اللّهِ» »و قال« «يَرْفَعِ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ» »و قال« «لَهُمْ غُرَفٌ» مبنيّه «مِنْ فَوْقِها غُرَفٌ» «تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ» ».

و إذا عرفت ذلك فلنرجع إلى المتن فنقول:أمّا قوله : لا ينقطع نعيمها فلقوله تعالى «وَ أَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِى الْجَنَّهِ خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلاّ ما شاءَ رَبُّکَ عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ» و قوله «إِنَّ هذا لَرِزْقُنا ما لَهُ مِنْ نَفادٍ» و لأنّ الكمال الّذى حصل للإنسان فاستحقّ به سعاده فى الجنّه ملكات ثابته فى جوهره لا تزول

و لا تتغيّر و مهما دام الاستحقاق القابل لجود اللّه و نعمته وجب دوام ذلك الجود و فيض تلك النعمه إذ هو الجواد المطلق الّذى لا بخل من جهته و لا منع .

و أمّا قوله: و لا يظعن مقيمها فلقوله تعالى «لَهُمْ جَنّاتُ النَّعِيمِ» ... «خالِدِينَ فِيها أَبَداً» و قوله «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ كانَتْ لَهُمْ جَنّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً خالِدِينَ فِيها لا يَبْغُونَ عَنْها حِوَلاً» و لأنّ النعيم الأبدىّ مطلوب بالذات غير ممنوع منه فلا يكون مهروبا عنه بالذات .

و أمّا قوله: و لا يهرم خالدها و لا ييأس ساكنها :أى لا يصيبه بؤس فلأنّ الهرم مستلزم للتعب و النصب و كذلك البؤس عن الضعف،و هذه اللوازم منفيّه عن أهل الجنّه لقوله تعالى «وَ قالُوا الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنا لَغَفُورٌ شَكُورٌ اَلَّذِى أَحَلَّنا دارَ الْمُقامَهِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ وَ لا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ» و بانتفاء هذه اللوازم ينتفى عنهم ملزومها و هو الهرم.و باللّه التوفيق.

۸۳-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

و فيها فصول:

الأوّل:

اشاره

قوله:

قَدْ عَلِمَ السَّرَائِرَ وَ خَبَرَ الضَّمَائِرَ- لَهُ الْإِحَاطَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ وَ الْغَلَبَهُ لِكُلِّ شَيْءٍ- وَ الْقُوَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

و هذا الفصل يشتمل على بعض أوصاف الحقّ سبحانه:

الأوّل :كونه عالما بالسرائرو هو كقوله تعالى «يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَ جَهْرَكُمْ» .

الثانى :كونه خبيرا بالضماير.و هو قريب من المرادف للعالم بالسراير فإنّ الخبير هو الّذى لا يعزب عنه الأخبار الباطنه و لا تضطرب نفس و لا تسكن إلّا و يكون عنده خبرها و ذلك بعينه هو العالم مضافا إلى السرائر و الخفايا الباطنه و إن كان مطلق العلم أعمّ.

الثالث :كونه محيطا بكلّ شىء.و هو إشاره إلى علمه بكلّيّات الأشياء و جزئيّاتها،

و علیه اتّفاق جمهور المتکلّمین و الحکماء:أمّا المتکلّمون فظاهر،و أمّا المحقّقون من الحکماء فملخّص کلامهم إجمالا-فی کیفیّه علمه تعالی أنّه یعلم ذاته بذاته و یتّحد هناک المدرک و المدرک و الإدراک و لا یتعدّد إلاّ بحسب الاعتبارات العقلیّه الّتی تحدثها العقول البشریّه.و أمّا معلولاته القریبه منه فیکون بأعیان ذواتها و یتّحد هناک المدرک و الإدراک و لا یتعدّدان إلاّ باعتبار عقلیّ و یغایرهما المدرک،و أمّا معلولاته البعیده کالمادیّات و المعدومات الّتی من شأنها إمکان أن توجد فی وقت أو یتعلّق بموجود فیکون بارتسام صورها المعقوله من المعلولات القریبه الّتی هی المدرکات لها أوّلا و بالذات و کذلک إلی أن ینتهی إلی إدراک المحسوسات بارتسامها فی آلات مدرکاتها.قالوا:و ذلک لأنّ الموجود فی الحاضر حاضر و المدرک للحاضر مدرک لما یحضر معه فإذن لا یعزب عن علمه «مِثْقالُ ذَرَّهٍ فِی السَّماواتِ وَ لا فِی الْأَرْضِ وَ لا أَصْغَرُ مِنْ ذلِکَ وَ لا أَکْبَرُ» لکون ذوات معلولاته القریبه مرتسمه بجمیع الصور و هی الّتی یعبّر عنها تاره بالکتاب المبین و تاره باللوح المحفوظ و تسمّی عندهم عقولا فعّاله.

الرابع :کونه تعالی غالبا لکلّ شیء.

الخامس :کونه قویّا علی کلّ شیء،و هما إشارتان إلی وصف قدرته تعالی بالتمام علی کلّ مقدور فإنّ القوّه علیها و الغلبه لها من تمام القدره و یفهم من الغالب زیاده علی القویّ و یعود إلی معنی القاهر.و قد سبق بیانه،و أمّا بیان صدق هاتین لقضیّتین فببیان أنّه تعالی مبدء کلّ موجود و أنّ کلّ ممکن مفتقر فی سلسله الحاجه إلیه،و قد فرغ من ذلک فی الکتب الکلامیّه.

الفصل الثانی

اشاره

قوله:

فَلْیَعْمَلِ الْعَامِلُ مِنْکُمْ فِی أَیَّامِ مَهَلِهِ قَبْلَ إِرْهَاقِ أَجَلِهِ- وَ فِی فَرَاغِهِ قَبْلَ أَوَانِ شُغُلِهِ- وَ فِی مُتَنَفَّسِهِ قَبْلَ أَنْ یُؤْخَذَ بِکَظَمِهِ- وَ لْیُمَهِّدْ لِنَفْسِهِ وَ قَدَمِهِ وَ لْیَتَزَوَّدْ مِنْ دَارِ ظَعْنِهِ لِدَارِ إِقَامَتِهِ- فَاللَّهَ اللَّهَ أَیُّهَا النَّاسُ فِیمَا اسْتَحْفَظَکُمْ مِنْ کِتَابِهِ-

ص:۲۸۰

وَ اسْتَوْدَعَكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ- فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً وَ لَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى- وَ لَمْ يَدَعْكُمْ فِي جَهَالَةٍ وَ لاَ عَمًى قَدْ سَمَّى آثَارَكُمْ- وَ عَلِمَ أَعْمَالَكُمْ وَ كَتَبَ آجَالَكُمْ- وَ أَنْزَلَ عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ «تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ» - وَ عَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَزْمَاناً حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَ لَكُمْ- فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ دِينَهُ الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ- وَ أَنْهَى إِلَيْكُمْ عَلَى لِسَانِهِ مَحَابَّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَ مَكَارِهَهُ- وَ نَوَاهِيَهُ وَ أَوَامِرَهُ وَ أَلْقَى إِلَيْكُمُ الْمَعْذِرَةَ- وَ اتَّخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةَ وَ قَدَّمَ «إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ» - وَ أَنْذَرَكُمْ «بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ» فَاسْتَدْرِكُوا بَقِيَّةَ أَيَّامِكُمْ وَ اصْبِرُوا لَهَا أَنْفُسَكُمْ- فَإِنَّهَا قَلِيلٌ فِي كَثِيرِ الْأَيَّامِ الَّتِي تَكُونُ مِنْكُمْ فِيهَا الْغَفْلَةُ- وَ التَّشَاغُلُ عَنِ الْمَوْعِظَةِ وَ لاَ تُرَخِّصُوا لِأَنْفُسِكُمْ- فَتَذْهَبَ بِكُمُ الرُّخَصُ مَذَاهِبَ الظَّلَمَةِ- وَ لاَ تُدَاهِنُوا فَيَهْجُمَ بِكُمُ الْإِدْهَانُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ- عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ- وَ إِنَّ أَغَشَّهُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصَاهُمْ لِرَبِّهِ- وَ الْمَغْبُونُ مَنْ غَبَنَ نَفْسَهُ وَ الْمَغْبُوطُ مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ- وَ السَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ- وَ الشَّقِيُّ مَنِ انْخَدَعَ لِهَوَاهُ وَ اعْلَمُوا أَنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ- وَ مُجَالَسَةَ أَهْلِ الْهَوَى مَنْسَاةٌ لِلْإِيمَانِ وَ مَحْضَرَةٌ لِلشَّيْطَانِ- جَانِبُوا الْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ- الصَّادِقُ عَلَى شَرَفِ مَنْجَاةٍ وَ كَرَامَةٍ- وَ الْكَاذِبُ عَلَى شَرَفِ مَهْوَاةٍ وَ مَهَانَةٍ- وَ لاَ تَحَاسَدُوا-

فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ- وَ لاَ تَبَاغَضُوا فَإِنَّهَا الْحَالِقَهُ- وَ اعْلَمُوا أَنَّ الْأَمَلَ يُسْهِي الْعَقْلَ- وَ يُنْسِي الذِّكْرَ فَأَكْذِبُوا الْأَمَلَ- فَإِنَّهُ غُرُورٌ وَ صَاحِبُهُ مَغْرُورٌ

المعنی

اشاره

أقول:الفصل إلى آخره شروع فى الموعظه و المشوره،و لمّا قدّم الإشعار بأنّ اللّه تعالى عالم بما فى الصدور غالب على كلّ مقدور أمرهم بعده بالعمل و أراد الأعمال الصالحه المطلوبه بالتكاليف الشرعيّه و أن يجعلوها مهادا لثبات أقدامهم على الصراط المستقيم المأمور بسلوكه ثمّ تلطّف بالجذب إلى العمل بتذكيرهم بأنّهم فى أيّام مهله و فراغ و متنفّس خناق يمكنهم فيه العمل و أنّ الّذى يعملونه من الصالحات هو زاد لهم فى سفرهم إلى اللّه و إلى دار إقامتهم و أنّ وراء هذه المهله إدراك أجل بعده شغل بأهوال الآخره كنايه و أخذ بالكظم ، و كنّى به عن عدم التمكّن من العمل إذ لم تكن الآخره دار عمل ثمّ أبّه بالناس و حذّرهم ربّهم أن يخالفوا فيما أمرهم بحفظه و هو كتابه،و عنى بحفظه تدبّر ما فيه و المحافظه على العمل بأوامره و نواهيه و هى حقوقه الّتى استودعهم إيّاها ثمّ علّل ذلك بتنبيههم على أنّ اللّه تعالى لم يخلقهم عبثا خاليا عن وجه الحكمه بل خلقهم ليستكملوا الفضايل النفسانيّه بواسطه الآلات البدنيّه و لم يجعلهم فى وجودهم مهملين بل ضبط آثارهم و أعمالهم و كتب آجالهم فى كتابه المبين و ألواحه المحفوظه إلى يوم الدين و نظم وجودهم برسول كريم عمّره فيهم و كتاب أوضح لهم فيه السبيل الّتى لسلوكها خلقهم و أكمل لهم و لنبيّه دينهم الّذى ارتضى لهم و ما أهّلهم له من الكمالات المسعده فى الآخره كما قال تعالى «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلاَمَ دِيناً » (1)هو بلّغهم على لسانه ما أحبّ لهم من الخيرات الباقيه و كرّهه لهم عن الشرور المشقيه فى الآخره كما اشتملت عليه أوامره و نواهيه و أبان لهم فيه الأعذار و أوضح فيه الحجج و شحنه بالوعيد و النذر استعاره بالكنايه بين يدى عذاب شديد ،و استعار لفظ اليدين للعذاب و كنّى ببين يديه عن

۱- ۱) ۵-۵

الوقت المتقدّم على عذاب الآخره المشارف له،و وجه المشابهه أنّ الإنذار بالمخوف يكون من ذى سطوه و بأس شديد فكأنّه نزّل العذاب الشديد بمنزله المعذّب فاستعار له يدين و جعل الإنذار و التخويف منه متقدّما له بين يديه و ذلک من الجواذب اللطيفه ،ثمّ عاد إلى أمرهم باستدراک بقيّه أوقاتهم فى الدنيا و أن يصبّروا لها أنفسهم:أى يلزموا أنفسهم فيها الصبر على الأعمال الصالحه،و فى لفظ الاستدراک إشعار بتقديم تفريط منهم فى جنب اللّه و لذلک قال : فإنّها قليل فى كثير الأيّام الّتى تكون منكم فيها الغفله و التشاغل عن الموعظه .و إنّما قال:لها.لأنّ كلّ وقت يستحقّ أن يوقع فيه ما ينبغى من الأفعال فصدق عليها أنّ ذلک الفعل لها .

قوله:و لا ترخّصوا لأنفسكم.إلى قوله:المعصيهالمصيبه خ.

قوله: و لا ترخّصوا لأنفسكم.إلى قوله:المعصيه[المصيبه خ].

أقول:ليس المقصود بالرخصه هنا الرخصه الشرعيّه بل ما يتساهل الإنسان فيه مع نفسه من تنويع المآكل و المشارب و المناكح و الخروج فيها إلى ما لا ينبغى فى نفس الأمر و يتأوّل له تأويلا و حيله يخيّل أنّها جايزه فى الشريعه و يروّج بها اتّباعه لهواه،و نحوه الاجتماع فى السماع لغير أهله،و حضور مجالس الفسّاق،و معاشره الظالمين.و الضابط الكلّى فى هذا الباب هو توسّع الإنسان فى الامور المباحه و استيفاؤه حدّه فإنّه من فعل ذلک شارف المكروه ثمّ ربما لحظ أنّه لا عقاب فى فعله فقادته شهوته إلى فعله فاستوفى حدّه فشارف المحظور،و ذلک أنّ العقل إذا أطاع النفس الأمّاره بالسوء فيما تأمر به مرّه و مرّه لم يبق له نفار عمّا تقوده إليه لوقوع الانس به.و ظاهر أنّ ارتكاب بعض مأموراتها يجرّ إلى ارتكاب بعض فيؤدّى ذلک إلى تجاوز الحدود الشرعيّه و عبورها إلى الوقوع فى حبائل الشيطان و التهوّر فى المحظورات الّتى هى مهاوى الهلاک،و لذلک ما ورد فى الخبر:

من رتع حول الحمى أو شک أن يقع فيه و قد شبّه العارفون القلب بالحصن و الشيطان بعدّ و يريد أن يدخله و لم يمكن دفع ذلک العدوّ و التحفّظ منه إلّا بضبط أبواب ذلک الحصن الّتى منها الدخول إليه و حراستها و هى أبواب كثيره كساير المحرّمات و مساهله النفس فى التوسّع فى المباحات و الدخول فى الامور المشتبهه من أعظم تلک الأبواب و دخول الشيطان منه أسهل و هو عليه أقدر و لذلک قال عليه السّلام : فتذهب بكم الرخص فيها مذاهب

الظلمه،و لا ـ تـداهنوا فيهجم بكم الإدهـان على المعصـيه[المصـيبه خ] .و مـذاهب الظلمه مسالكهـا و طرقهـا العادله من العـدول،و روى:أنّ إبليس ظهر ليحيى بن ذكريّا عليه السّـلام فرأى عليه معـاليق كلّ شـىء فقال له:يا إبليس ما هـذه المعاليق؟قال:هـذه هى الشـهوات الّتى اصـيب بهنّ قلوب بنى آدم فقال:هل بى فيها شىء؟قال:نعم ربّما شبعت فشغلناك عن الصلاه و عن الذكر قال:هل غير ذلك؟قال:لا قال:للّه علىّ أن لا أملأ بطنى من طعام أبـدا فقال إبليس:للّه علىّ أن لا أنصـح مسـلما أبـدا . و لا تـداهنوا :أى لا تسالموا الظلمه و تساهلوا معهم فى السكوت عما ترونه من منكراتهم فيهجم بكم الإدهان على المعصيه:

أى إذا آنستم بمشاهده المعاصى و ألفتم تكرارها كنتم بذلك عصاه و ربّما ساقكم ذلك إلى فعل المنكر و مشاركتهم فيه .

و قوله:عباد اللّه.إلى آخره إخبارات فى معنى الأوامر و النواهى

و قوله: عبـاد اللّه .إلى آخره إخبارات فى معنى الأوامر و النواهى و أوامر و نواهى صـريحه مشـتمله على جواذب إلى طاعه اللّه و لزوم دينه .

فالأوّل:قوله:إنّ أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربّه

،و بيانه أنّه لمّا كان غرض الناصح إنّما هو جلب الخير و المنفعه إلى المنصوح،و كان أجّل خير و منفعه هو السعاده الباقيه الأبديّه و مشاهده الحضـره الربوبيّه،و كانت تلك السـعاده إنّما تنال بطاعه اللّه تعالى فكلّ من كانت طاعته للّه أتمّ فكان هو أنصح الناس لنفسه بمبالغته فى طاعته .

الثانى:قوله:و إنّ أغشّهم لنفسه أعصاهم لربّه

.و هو ظاهر ممّا قرّرناه فإنّه لمّا كانت غايه الغشّ إنّما هو جلب الشرّ و المضرّه إلى المغشوش،و كان أعظم شرّ و ضرر يلحق العبد هو الشقاوه الأبديّه فى قرار الجحيم،و كانت تلك إنّما يحصل الإنسان عليها بمعصيه اللّه تعالى فكلّ من كانت معصيته أتمّ كانت شقاوته أتمّ فكانت هو أغشّ الناس لنفسه بمبالغته فى معصـيته.و حاصل القضـيّه الاولى الأمر بالطاعه أتمّ ما يمكن و الثانيه النهى عن المعصيه أتمّ ما يمكن.و رغّب فى الطاعات بذكر نصيحه النفس لما أنّ النصيحه محبوبه و نفّر عن المعصيه بذكر غشها .

الثالث:قوله:و المغبون من غبن نفسه

.و المراد من غبنها بالمعصـيه المستلزمه لدخول النار فكأنّ الإنسان بمتابعه شـيطانه خادع لنفسه،و قد بخسها ما تستحقّه من ثواب اللّه،

و لمّا كانت السعاده الاخرويّه أعظم ما يتنافس فيه لا جرم كان أعظم مغبون من لم يفز بها فلذلك حصر المغبون فيه على طريق المبالغه و هو خبر فى معنى النهى عن المعصيه،و نفّر عنها بذكر غبن النفس .

الرابع:قوله:و المغبوط من سلم له دينه

،و الغبطه أن يتمنّى الإنسان مثل ما لغيره من حال أو مال مع قطع النظر عن تمنّى زوال تلك الحال عمّن هى له،و بهذا القيد يتميّز عن الحسد،و القضيّه ظاهره ممّا قبلها فإنّه لمّا كان من سلم دينه فائزا بالسعاده الكبرى الباقيه مع كونها أجلّ ما يغبط به و يتنافس فيه لا جرم كان هو أعظم مغبوط و لذلك حصر المغبوط فيه مبالغه،و رغّب فى المحافظه على الدين بكون من سلم له مغبوطا .

الخامس:قوله:و السعيد من وعظ بغيره

،و قد صارت هذه القضيّه فى معنى المثل:

أى السعيد فى الآخره من اعتبر حال غيره فشاهد بعين بصيرته مصير الظالمين فخاف عاقبتهم فعدل عن طريقهم و تذكّر حال المتّقين فمال إلى جادّتهم و سلك مسالكهم و رغّب فى الاتّعاظ بالغير بذكر استلزامه للسعاده .

السادس:و كذلک الشقىّ فى الآخره

من انخدع لهواه و غروره و نفّر عن اتّباع الهوى بذكر الخداع و الغرور .

السابع:التنبيه على أنّ يسير الرياء شرک

.و قد سبق منّا بيان أنّ الرياء فى العباده و إن قلّ التفات مع اللّه إلى غيره و إدخال له بالقصد بالعمل و الطاعه و ذلک فى الحقيقه شرک خفىّ اتّفقت عليه أرباب القلوب .

الثامن:قوله:و مجالسه أهل الهوى منساه للايمان و محضره للشيطان

.أراد بأهل الهوى الفسّاق المنقادين لدواعى الشيطان إلى الشهوات الخارجه عن حدود اللّه،و نفّر عن مجالستهم بأنّها محلّ للأمرين:أحدهما:نسيان الإيمان و هو ظاهر فإنّ أهل الهوى أبدا مشغولون بذكر ما هم فيه من لعب و لهو خائضون فى أصناف الباطل و.أنواعه فمجالستهم عن رغبه مظنّه الغفله عن ذكر اللّه و الانجذاب إلى ما هم عليه عن الأعمال الصالحه و تلک أركان الإيمان و قواعده،و قد علمت أنّ كثره الغفلات عن الشىء تؤول إلى نسيانه و انمحائه عن لوح الخيال و الذكر،و ربّما يتجوّز فى مطلق الغفله عن أوقات العباده و

الذكر بالنسيان تسميه للشىء باسم ما يؤول إليه.الثانى:كونها محلّا لحضور الشيطان، و قد علمت معنى الشيطان و أنّ كلّ محلّ عصى اللّه فيه فهو محضر للشيطان و موطن له .

التاسع:الأمر بمجانبه الكذب

و نفّر عنه بقوله: فإنّه مجانب للإيمان ،و هو حديث نبوىّ،و معنى المجانبه كون كلّ منهما فى جانب فإن كانت الأعمال الصالحه داخله فى مسمّى الايمان فالصدق من جملتها و مضادّ الصدق مضادّ للايمان و أحد الضدين مجانب للآخر فالكذب مجانب للايمان،و إن لم يكن كذلك قلنا:إنّ الكذب أعظم الرذائل الموبقه،و الايمان أعظم الفضايل المنقذه،و بين الفضايل و الرذائل منافاه ذاتيّه فالكذب مناف للايمان و مجانب له،و يحتمل أن يكون معنى مجانبته له كونه غير لايق أن يجامعه فى محلّ واحد و غير مناسب له.و بالجمله كونه ليس منه فى شىء،و قد بيّنا ما يشتمل عليه الكذب من المضارّ المهلكه،ثمّ أردف ذلك بالترغيب فى الصدق بكون الصادق على شرف منجاه :أى مشارف لنجاه و كرامه أو لمحلّهما و هو الجنّه إذ الصدق باب من أبوابها ثمّ بالتنفير عن الكذب بكون الكاذب على شرف مهواه و مهانه :أى هوى و هوان أو محلّهما و هو حضيض الجحيم الّذى هو محلّ الهوان إذ الكذب باب من أبوابها،و من انتهى إلى الباب فقد شارف الدخول،و عن الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم:إيّاكم و الكذب فإنّه يهدى إلى الفجور،و إنّ الفجور يهدى إلى النار،و إنّ الرجل ليكذب حتّى يكتب عند اللّه كذّابا،و عليكم بالصدق فإنّ الصدق يهدى إلى البرّ و إنّ البرّ يهدى إلى الجنّه و إنّ الرجل ليتحرّى الصدق حتّى يكتب عند اللّه مصداقا،و قال صلى اللّه عليه و آله و سلّم:الكذب رأس النفاق.و هو ظاهر فإنّ مدار النفاق على المصانعه بالقول الغير المطابق لما فى نفس الأمر و هو حقيقه الكذب .

العاشر:النهى عن الحسد

،و قد اتّفق أرباب القلوب على أنّه من أعظم أبواب الشيطان الّتى يدخل بها على القلب و هو أحد العوارض الرديئه للنفس و يتولّد من اجتماع البخل و الشريّه فى النفس،و أعنى بالشرير من تلتذّ طباعها بمضارّ تقع بالناس و يكره ما يوافقهم و إن كانوا ممّن لا يرونه و لم يسيئوا إليه،و قد علمت أنّ من هذه صفته مستحقّ للمقت من اللّه عزّ و جلّ و ذلك أنّه مضادّ لإرادته إذ هو تعالى المتفضّل على المزيد للخير

المطلق للكلّ.و قد رسّم الحسد بأنّه اغتمام الإنسان بخير يناله غيره من حيث لا مضرّه منه عليه،و قد يوجد الحسد ممّن له نفع ما من المحسود،و يسمّى الحسد البالغ.

و أمّا تعليله وجوب تركه بأنّه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب:

فاعلم أنّ العلماء قد اتّفقوا على أنّ الحسد مضرّ بالنفس و الجسد:أمّا بالنفس فلأنّه يذهلها و يغرق فكرها بالاهتمام بأمر المحسود حتّى لا يفرغ للتصرّف فيما يعود نفعه عليها بل و ينسى ما حصلت عليه من الملكات الخيريّه الّتى هى الحسنات المنقوشه فى جوهرها و يضمحلّ على طول تعوّد الحسد و اشتغال الفكر فيه و طول الحزن و الهمّ لأنّ نعم اللّه على عباده أكثر من أن تحصى فإذا كان الحسد بها دام فانقطع وقت الحاسد به عن تحصيل الحسنات،و أمّا بالجسد فلأنّه يعرض له عند حدوث هذه الأعراض للنفس طول السهر و سوء الاغتذاء و يعقّب ذلك رداءه اللون و سوء السجيّه و فساد المزاج.

إذا عرفت ذلك فنقول:إنّه قد استعار هاهنا لفظ الأكل لكون الحسد ماحيا لما فى النفس من الخواطر الخيريّه الّتى هى الحسنات و مانعا من صيرورتها ملكات و ذلك بسبب استغراقها فى حال المحسود و اشتغالها به،و شبّه ذلك بأكل النار الحطب.و وجه الشبه ما يشترك فيه الحسد و النار من إفناء الحسنات و الحطب و استهلاكهما .

الحادى عشر:النهى عن التباغض

و تعليله ذلك بأنّها الحالقه،و اعلم أنّه لمّا كان أمر العالم لا ينتظم إلاّ بالتعاون و التضافر،و كان التعاون إنّما يتمّ بالالفه و كان أقوى أسباب الالفه هو المودّه و المؤاخاه بين الخلق كانت المودّه من المطالب المهمّه للشارع، و لذلك آخا رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم،بين أصحابه لتخلص محبّتهم و تصفو الفتهم و يصدق بينهم التعاون و التضافر و الاتّحاد فى الدين،و قال صلى اللّه عليه و آله و سلّم:المرء كبير بأخيه و لا خير فى صحبه من لا يرى لك من الحقّ مثل ما ترى له.فلذلك كان التباغض بينهم منهيّا عنه مكروها فى الشريعه لما يستلزمه من التقاطع بينهم و عدم تعاونهم و تضافرهم،و بسبب ذلك تتخطّف كلاّ منهم أيدى حاسديه و تتحكّم فيه أهواء أعاديه فلم تسلم له نعمه و لا تصفو له مدّه بل يكون بذلك بواره و اضمحلال النوع و هلاكه،و لذلك قال عليه السّلام:

استعاره فإنّها الحالقه .و أصل هذا اللفظ مستعار ممّا يحلق الشعر كالموسى و نحوها للدواهى و

أسباب الشرّ ثمّ صار مثلا و قد وقع هاهنا موقعه من الاستعاره،و وجه المشابهه أنّ الموسى مثلا كما أنّها سبب لحلق الشعر و استيصاله كذلك التباغض سبب لاستيصال الخلق بعضهم بعضا .

الثانى عشر:التنبيه على مضارّ الأمل للدنيا

تنفيرا عنه و الأمر بتكذيبه المستلزم للنهى عنه.فأمّا مضارّه:

فأحدها:أنّه يوجب سهو العقل:أى عمّا هو الأولى بالإنسان فى معاشه و معاده و هو ظاهر فإنّ الآمل أبدا مشغول الفكر بما يأمله و يرجوه و فى كيفيّه تحصيله و كيفيّه العمل به بعد حصوله و شغله بذلك يستلزم إعراضه عن غيره إذ ما جعل اللّه لرجل من قلبين فى جوفه.

الثانيه:أنّه ينسى الذكر :أى ذكر اللّه تعالى بعد الموت من أحوال الآخره،و ذلك باستغراقه فيما يأمله من أحوال الدنيا كما مرّ.

الثالثه: مجاز من باب إطلاق اسم اللازم على ملزومه أنّه غرور و صاحبه مغرور ،و روى بفتح الغين من غرور و ضمّها،و وجه الفتح أنّ الأمل ليس هو نفس الغفله عن الذكر و غيره بل مستلزم لها فلذلك صدقت نسبه الغرور إليه،و وجه الضمّ أنّه مجاز من باب إطلاق اسم اللازم على ملزومه ،و أمّا تكذيبه فبذكر الموت و دوام إخطاره بالبال و ملاحظه المرجع و المعاد،و إنّما سمىّ ردّ الأمل تكذيبا له لأنّ النفس حال توقّعها للمأمول تكون حاكمه حكما و هميّا ببلوغه و نيله فإذا رجعت إلى صرف العقل و ملاحظه الموت و جواز الانقطاع به عن بلوغ مارجته كان تجويزها ذلك مكذّبا لما جزم به الوهم من الأحكام و رادّا له.و باللّه التوفيق.

۸۴-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

و فيها فصول.

الفصل الأوّل:فى صفات المتّقين

اشاره

و هو قوله:

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ عَبْداً- أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ فَاسْتَشْعَرَ الْحُزْنَ- وَ تَجَلْبَبَ الْخَوْفَ فَزَهَرَ مِصْبَاحُ الْهُدَى فِى قَلْبِهِ- وَ أَعَدَّ الْقِرَى لِيَوْمِهِ

النَّازِلِ بِهِ- فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ الْبَعِيدَ وَ هَوَّنَ الشَّدِيدَ- نَظَرَ فَأَبْصَرَ وَ ذَكَرَ فَاسْتَكْثَرَ- وَ ارْتَوَى مِنْ عَذْبٍ فُرَاتٍ سُهِّلَتْ لَهُ مَوَارِدُهُ- فَشَرِبَ نَهَلًا وَ سَلَكَ سَبِيلًا جَدَداً- قَدْ خَلَعَ سَرَابِيلَ الشَّهَوَاتِ وَ تَخَلَّى مِنَ الْهُمُومِ- إِلَّا هَمّاً وَاحِداً انْفَرَدَ بِهِ فَخَرَجَ مِنْ صِفَهِ الْعَمَى- وَ مُشَارَكَهِ أَهْلِ الْهَوَى وَ صَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ الْهُدَى- وَ مَغَالِيقِ أَبْوَابِ الرَّدَى- قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ وَ سَلَكَ سَبِيلَهُ وَ عَرَفَ مَنَارَهُ- وَ قَطَعَ غِمَارَهُ وَ اسْتَمْسَكَ مِنَ الْعُرَى بِأَوْثَقِهَا- وَ مِنَ الْحِبَالِ بِأَمْتَنِهَا فَهُوَ مِنَ الْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ- قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ فِي أَرْفَعِ الْأُمُورِ- مِنْ إِصْدَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ وَ تَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلَى أَصْلِهِ- مِصْبَاحُ ظُلُمَاتٍ كَشَّافُ عَشَوَاتٍ مِفْتَاحُ مُبْهَمَاتٍ- دَفَّاعُ مُعْضِلَاتٍ دَلِيلُ فَلَوَاتٍ يَقُولُ فَيُفْهِمُ وَ يَسْكُتُ فَيَسْلَمُ- قَدْ أَخْلَصَ لِلَّهِ فَاسْتَخْلَصَهُ- فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ دِينِهِ وَ أَوْتَادِ أَرْضِهِ- قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ فَكَانَ أَوَّلَ عَدْلِهِ نَفْيُ الْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ- يَصِفُ الْحَقَّ وَ يَعْمَلُ بِهِ لَا يَدَعُ لِلْخَيْرِ غَايَهً إِلَّا أَمَّهَا- وَ لَا مَظِنَّهً إِلَّا قَصَدَهَا قَدْ أَمْكَنَ الْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ- فَهُوَ قَائِدُهُ وَ إِمَامُهُ يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقَلُهُ- وَ يَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُهُ

اللغه

أقول: القرى : الضيافه :و الفرات : صادق العذوبه .و النهل : الشرب فى أوّل الورد .و الجدد : الأرض المستويه .و السرابيل : القمصان .و المنار : الأعلام .و الغمار :

ص:۲۸۹

جمع غمره و هی الزحمه من کثره الناس و الماء و نحوه .و العشوات : جمع عشوه و هی رکوب الأمر علی جهل به .و الغشوه بالغین المعجمه : هی الغطاء .و المبهمه : الأمر الملتبس .

و المعضلات : الشدائد .

المعنی

و ذکر من صفاتهم الّتی هی سبب محبّه اللّه لهم أربعین وصفا

،و قد علمت أنّ محبّه اللّه تعالی تعود إلی إفاضه الکمالات النفسانیّه علی نفس العبد بحسب قربه بالاستعداد لها إلی جوده فمن کان استعداده أتمّ کان استحقاقه أوفی فکانت محبّه اللّه له أکمل .

فالأوّل من تلک الأوصاف:کونه أعانه اللّه علی نفسه

:أی أفاضه قوّه علی استعداد یقوّی به عقله علی قهر نفسه الأمّاره بالسوء .

الثانی:أن یستشعر الحزن

:أی یتّخذه شعارا له.و أراد الحزن علی ما فرّط فی جنب اللّه و اکتسب من الإثم فإنّه من جمله ما أعدّته المعونه الإلهیّه لاستشعاره لیستعدّ به لکمال أعلی .

الثالث:

استعاره أن یتجلبب الخوف و هو اتّخاذه جلبابا.استعار لفظ الجلباب و هو الملحفه للخوف من اللّه و الخشیه من عقابه،و وجه المشابهه ما یشترکان فیه من کون کلّ منهما متلبّسابه،و هو أیضا معونه من اللّه للعبد علی تحصیل السعاده .

الرابع:

استعاره زهره مصباح الهدی فی قلبه ،و هو إشاره إلی شروق نور المعارف الإلهیّه علی مرآه سرّه،و هو ثمره الاستعداد بالحزن و الخوف و لذلک عطفه بالفاء،و استعار لفظ المصباح لنور المعرفه لما یشترکان فیه من کون کلّ منهما سببا للهدی و هو استعاره لفظ المحسوس للمعقول .

الخامس:

استعاره کونه أعدّ القری لیومه النازل به .استعار لفظ القری للأعمال الصالحه و أراد بالیوم النازل به یوم القیامه و استلزمت الاستعاره تشبیهه لذلک الیوم بالضیف أو بیوم القری للضیف المتوقّع نزوله،و وجه المشابهه أنّ القری کما یبیّض به وجه القاری عند ضیفه و یخلص به من ذمّه و یکسبه المحمده و الثناء منه کذلک الأعمال الصالحه فی ذلک الیوم تکون سببا لخلاص العبد من أهواله و تکسبه رضاء الحقّ سبحانه و الثواب الجزیل منه .

ص:۲۹۰

السادس:و قرّب على نفسه البعيد.

يحتمل وجهين:احدهما:أن يشير بالبعيد إلى رحمه اللّه فإنّها بعيده من غير مستحقّها و المستحقّ لقبولها قريبه ممّن حسن عمله و كمل قبوله فالعبد إذا راض بالأعمال الصالحه نفسه و أعدّها قرى يومه كانت رحمه اللّه على غايه من القرب منه كما قال تعالى «إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ» ،الثانى:يحتمل أن يريد بالبعيد أمله الطويل فى الدنيا و بتقريبه له على نفسه تقصيره له بذكر الموت دون بلوغه كما سبق .

السابع:كونه قد هوّن الشديد.

و يحتمل أيضا معنيين:أحدهما:أن يريد بالشديد أمر الآخره و عذاب الجحيم و تهوينه لها بالأعمال الصالحه و استشراف أنوار الحقّ و ظاهر كونها مهوّنه لشديد عذاب اللّه،الثانى:أن يريد بالشدائد شدائد الدنيا من الفقر و الاهتمام بالمصائب الّتى تنزل به من الظلم و فقد الأحبّه و الأقرباء و نحو ذلك و تهوينه لذلك تسهيله على خاطره و استحقاره فى جنب ما يتصوّره من الفرحه بلقاء اللّه و ما أعدّ له من الثواب الجزيل فى الآخره كما قال تعالى «وَ بَشِّرِ الصّابِرِينَ اَلَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ » (۱)

الثامن:كونه نظر:

أى تفكّر فى ملكوت السماوات و الأرض و ما خلق اللّه من شىء فأبصر :أى فشاهد الحقّ سبحانه فى عجائب مصنوعاته بعين بصيرته .

التاسع:و ذكر فاستكثر

:أى ذكر ربّه و معاده فاستكثر من ذكره حتّى صار الذكر ملكه له و يجلّى المذكور فى أطوار ذكره لمرآه سرّه.و الاستكثار من الذكر باب عظيم من أبواب الجنّه .

العاشر:

استعاره مرشحه كونه ارتوى من عذب فرات .شبّه العلوم و الكمالات النفسانيّه الّتى تفاض على العارف بالماء الزلال فاستعار له لفظ العذوبه،و رشّح تلك الاستعاره بذكر الارتواء، و قد سبق وجه هذه الاستعاره مرارا.

(يا)كونه سهلت له موارده.

الفـايزون لقصب السبق فى طرائق اللّه لاـ ينفكّون عن تأييـد إلهىّ بخاصـيّه مزاجيّه لهم بهـا سـرعه الاسـتعداد لقبـول الكمالاـت الموصله إليه.

ص:۲۹۱

۱- ۱) ۲-۱۵۲

إذا عرفت ذلك فنقول:موارد تلك الكمالات من العلوم و الأخلاق هى معادنها و مواطنها المنتزعه منها و هى النفوس الكامله الّتى يهتدى بها و تؤخذ عنها أنوار اللّه كالأنبياء، و تصدق تلك الموارد أيضا على بدايع صنع اللّه الّذى يردّها ذهن العبد و تكسب بها الملكات الفاضله و سهوله تلك الموارد لهم هو سرعه قبولهم لأخذ الكمالات عنها بسهوله بأذهان صافيه هيّأتها العنايه الإلهيّه لقبولها و يسرّ بها لذلك .

(يب) فشرب نهلا

استعاره فشرب نهلا :اى أخذ تلك الكمالات سابقا إليها كثيرا من أبناء نوعه و متقدّما فيها لسهوله موردها عليه،و هى ألفاظ مستعاره لأخذه لها و سبقه إليها ملاحظه لشبهه بشرب السوابق من الأبل إلى الماء .

(يج)كونه قد سلک سبيلا جددا:

أى سبيل اللّه الواضح المستقيم العدل بين طرفى التفريط و الإفراط .

(يد) قد خلع سرابيل الشهوات

استعاره مرشحه-استعاره بالكنايه كونه قد خلع سرابيل الشهوات .أكثر الأوصاف السابقه أشار فيها إلى تحصيل العلم و الاستعداد له،و أشار بهذا الوصف إلى طرف الزهد،و استعار لفظ السرابيل للشهوات،و وجه المشابهه تلبّس صاحبها بها كما يتلبّس بالقميص،و رشّح بلفظ الخلع، و كنّى به عن طرحه لاتّباع الشهوه و التفاته عنها فيما يخرج به عن حدّ العدل .

(يه)و تخلّى من الهموم إلاّ همّا واحدا

:أى من هموم الدنيا و علائق أحوالها و طرح كلّ مقصود عن قصده إلاّ همّا واحدا انفرد به،و هو الوصول إلى مراحل عزّه اللّه و توجيه سرّه إلى مطالعه أنوار كبريائه و استشراقها و هو تمام الزهد الحقيقىّ و ظاهر كونه منفردا عن غيره من أبناء نوعه .

(يو)فخرج عن صفه العمى:

أى عمى الجهل بما حصل عليه من فضيله العلم و الحكمه و عن مشاركه أهل الهوى فى إفراطهم و فجورهم إذ هو على حاقّ الوسط من فضيله العفّه .

(يز) فصار من مفاتيح أبواب الهدى

استعاره فصار من مفاتيح أبواب الهدى .فأبواب الهدى هو طرقه و سبله المعدّه لقبول من واهبه و قد وقف عليها العارفون و دخلوا منها إلى حضره جلال اللّه فوقفوا على مراحلها و منازلها و مخاوفها فصاروا مفاتيح لما انغلق منها على أذهان الناقصين،و مصابيح فيها لنفوس

ص:۲۹۲

الجاهلين،و لفظ المفتاح مستعار للعارف،و وجه المشابهه ظاهر .

(يح)و مغاليق أبواب الردى.

فأبواب الردى هى أطراف التفريط و الإفراط و المسالك الّتى يخرج فيها عن حدود اللّه المردى سلوكها فى قرار الجحيم.و العارف لمّا سدّ أبواب المنكرات الّتى يسلكها الجاهلون و لزم طريق العدل لا جرم أشبه المغلاق الّذى يكون سببا لسدّ الطريق أن يسلك فاستعير لفظه له،و فى القرينتين مطابقه فالمغاليق بإزاء المفاتيح و الردى بإزاء الهدى .

(يط)قد أبصر

:أى بنور بصيرته طريقه :أى المأمور بسلوكها و المجذوب بالعنايه الإلهيّه إليها و هى صراط اللّه المستقيم .

(ك)و سلك سبيله

:أى لمّا أبصر السبيل سلكها إذ كان السلوك هو المقصود الأوّل .

(كا)و قد عرف مناره.

لمّا كان السالك إلى اللّه قد لا يستقيم به طريق الحقّ إتّفاقا و ذلك كسلوك من لم تستكمل قوّته النظريّه بالعلوم و قد يكون سلوكه بعد استكماله بها.فالسالك كذلك قد عرف بالبرهان مناره:أى أعلامه المقصوده فى طريقه الّتى هى سبب هدايته و هى القوانين الكلّيّه العمليّه،و يحتمل أن يريد بالمنار ما يقصده بسلوكه و هو حضره جلال اللّه و ملائكته المقرّبون .

(كب)قد قطع غماره

،و أشار بالغمار إلى ما كان مغمورا فيه من مشاقّ الدنيا و همومها و التألّم بسبب فقدها و مجاذبه أهلها لها فإنّ العارف بمعزل عن ذلك و التألّم بسببه .

(كج) و استمسک من العرى بأوثقها و من الحبال بأمتنها

استعاره و استمسک من العرى بأوثقها و من الحبال بأمتنها .أراد بأوثق العرى و أمتن الحبال سبيل اللّه و أوامره استعاره و وجه المشابهه أنّ العروه كما تكون سببا لنجاه من تمسّك بها و كذلك الحبل،و كان أجودها ما ثبت و تمتن و لم ينفصم كذلك

طريق اللّه المؤدّى إليه يكون لزومه و التمسّـک بأوامره سـببا للنجاه من أهوال الآخره و هى عروه لا انفصام لها و أوامرها حبال لا انقطاع لها،و إليها الإشاره بقوله تعالى «فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطّاغُوتِ وَ يُؤْمِنْ بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَکَ بِالْعُرْوَهِ الْوُثْقى لاَ انْفِصامَ لَها » (۱).

(كد)فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس

:أى فكان بتمسّكه بأوامر اللّه و نواهيه

ص:۲۹۳

۱- (۱) ۲-۲۵۷

و مجاهدته فی سبیله قد استشرق أتمّ أنوار الیقین فصار شاهدا بعین بصیرته عالم الملکوت رائیا بها الجنّه و النار عین الیقین کما یری بصره الظاهر نور الشمس فی الوضوح و الجلاء

(که)قد نصب نفسه للّه سبحانه فی أرفع الامور من إصدار کلّ وارد علیه و تصییر

کلّ فرع إلی أصله

:أی لمّا کمل فی ذاته نصب نفسه لأرفع الامور من هدایه الخلق و إفادتهم لقوانین طریق اللّه فصار کالمصباح یقتبس منه أنوار العلم فهو لکونه متلبّسا بها [ملیّا بها خ]قایم بإصدار الأجوبه عن کلّ ما ورد علیه من الأسئله الّتی استبهم أمرها علی الأذهان،واف بردّ کلّ فرع من فروع العلم إلی أصله المنشعب عنه .

(کو) مصباح ظلمات

استعاره کونه مصباح ظلمات :أی یهتدی به التائهون فی ظلمات الجهل إلی الحقّ.

و لفظ المصباح مستعار له کما سبق .

(کز)کونه کشّاف عشوات:

أی موضح لما اشکل أمره و رکّب فیه الجهل من الأحکام الملتبسه ممیّز وجه الحقّ منها،و من روی بالغین المعجمه فالمراد کشّاف أغطیه الجهالات عن إبصار البصائر .

(کح)و کذلک کونه مفتاح مبهمات:

أی فاتح لما انغلق علی أذهان الخلق و استبهم وجه الحقّ فیه من الأحکام .

(کط)کونه دفّاع معضلات:

أی یدفع کلّ حیره فی معضله من معضلات الشرع صعب علی الطالبین تمیز وجه الحقّ فیه و یجیبهم ببیانه عن التردّی فی مهاوی الجهل .

(ل) دلیل فلوات

استعاره و كذلك كونه دليل فلوات .و استعار لفظ الفلوات لموارد السلوك و هى الامور المعقوله،و وجه المشابهه أنّ الفلوات كما لا يهتدى لسالكها إلاّ الأدلاّء الّذين اعتادوا سلوكها و ضبطوا مراحلها و منازلها حتّى كان من لا قايد له منهم لا بدّ و أن يتيه فيها و يكون جهله بطرقها سببا لهلاكه كذلك الامور المتصوّره المعقوله لا يهتدى لطريق الحقّ فيها إلاّ من أخذت العنايه الإلهيّه بضبعيه فألقت بزمام عقله إلى استاد مرشد يهديه سبيل الحقّ منها و من لم يكن كذلك حتّى حاد عن طريق الحقّ فيها خبط فى ظلمات الجهل خبط عشواء،و سلكت به شياطينه أبواب جهنّم،و العارفون هم أدلاّء هذا الطريق و الواقفون على أخطارها و منازل السلامه فيها بعيون بصايرهم .

ص:۲۹۴

(لا)كونه يقول فيفهم

،و ذلك لمشاهدته عين الحقّ من غير شبهه تعتريه فيما يقول و لا اختلاف عباره عن جهل بالمقول .

(لب)كونه يسكت فيسلم

:أى من خطر القول.و لمّا كانت فايده القول الإفهام و الإفاده،و فايده السكوت السلامه من آفات اللسان و كان كلامه فى معرض المدح لا جرم ذكرهما مع فائدتهما.و المقصود أنّ العارف يستعمل كلّا من القول و السكوت فى موضعه عند الحاجه إليه فقط .

(لج)كونه قد أخلص للّه فاستخلصه

.و قد عرفت أنّ الإخلاص للّه هو النظر إليه مع حذف كلّ خاطر سواه عن درجه الاعتبار،و استخلاص الحقّ للعبد هو اختصاصه من بين أبناء نوعه بالرضى عنه و إفاضه أنواع الكمال عليه و إدنائه إلى حضره قدسه و انفراده بمناجاته.و ظاهر أنّ إخلاصه سبب استخلاصه كما قال تعالى «وَ اذْكُرْ فِی الْکِتابِ مُوسی إِنَّهُ کانَ مُخْلَصاً وَ کانَ رَسُولاً نَبِیًّا وَ نادَیْناهُ مِنْ جانِبِ الطُّورِ الْأَیْمَنِ وَ قَرَّبْناهُ نَجِیًّا » (۱).

(لد) فهو من معادن دينه

استعاره فهو من معادن دينه .استعار لفظ المعدن له،و وجه المشابهه اشتراكهما فى كون كلّ منهما أصلا تنتزع منه الجواهر:من المعادن أنواع الجوهر المحسوسه،و من نفس العارف جواهر العلوم و الأخلاق و سائر ما اشتمل عليه دين اللّه

(له)كونه من أوتاد أرضه

استعار له لفظ الوتد،و وجه المشابهه كون كلّ منهما سببا لحفظ ما يحفظ به فبالوتد يحفظ الموتود،و بالعارف يحفظ نظام الأرض و استقامه امور هذا العالم،و قد سبق مثله فى الخطبه الاولى:و وتّد بالصخور ميدان أرضه .

(لو)كونه لزم نفسه العدل

فكان أول عدله نفى الهوى عن نفسه .لمّا كان العدل ملكه تنشأ من الملكات الثلاث:و هى الحكمه و العفّه و الشجاعه،و كان العارفون قد راضوا أنفسهم بالعباده و غيرها حتّى حصلوا على هذه الملكات الخلقيّه لا جرم كان بسعيه فى حصولها قد ألزم نفسه العدل،و لمّا كان العدل فى القوّه الشهويّه و هو أن يصير عفيفا لا خامد الشهوه و لا فاجرا أصعب من العدل على ساير القوى لكثره موارد الشهوه

۱- ۱) ۲۵-۱۹

و میلها بالإنسان إلی طرف الإفراط و لذلک کان أکثر المناهی الوارده فی الشریعه هی موارد الشهوه لا جرم کان مقتضی المدح أن یبدء بذکر نفی الهوی عن نفسه،و لأنّ السالک أوّل ما یبدء فی تکمیل القوّه العلمیّه بإصلاح القوّه الشهویّه فیقف عند حدود اللّه و لا یتجاوزها فی مأکول أو منکوح أو کسب و نحوه .

(لز)کونه یصف الحقّ و یعمل به

:أی یتبع قول الحقّ بعمله فإنّ الخلف فی القول عند الخلق قبیح و مع اللّه أقبح و لذلک عاتب اللّه المؤمنین «یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ کَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ» (۱)و کانوا قالوا:

لنفعلنّ فی سبیل اللّه ما فیه رضاه.فلمّا کان یوم احد لم یثبتوا.و أکّد عتابه بشدّه مقته لخلفهم و عدم مطابقه أقوالهم لأفعالهم .

(لح)کونه لا یدع للخیر غایه إلاّ أمّها

.لمّا فرغ من جزئیّات أوصاف العارف شرع فیها إجمالا فذکر أنّه طالب لکلّ غایه خیریّه:أی لا یقنع ببعض الحقّ و یقف عنده بل یتناهی فیه و یستقصی غایاته .

(لط)و کذلک هو قاصد لکلّ مظنّه له

:و مظنّته کلّ محلّ أمکنه أن ینتزعه منه و یستفیده کالأولیاء و مجالس الذکر و غیرها .

(م) کونه قد أمکن الکتاب من زمامه فهو قائده.إلی آخره

استعاره بالکنایه کونه قد أمکن الکتاب من زمامه فهو قائده.إلی آخره فتمکینه الکتاب کنایه عن انقیاده لما اشتمل علیه من الأوامر و النواهی،و استعار لفظ الزمام لعقله و وجه المشابهه ما یشترکان فیه کون کلّ منهما آله للانقیاد،و هی استعاره لفظ المحسوس للمعقول،و کذلک استعار لفظ القائد للکتاب لکونه جاذبا بزمام عقله إلی جهه واحده مانعا عن الانحراف عنها و کذلک لفظ الإمام لکونه مقتدیا به ،و قوله: یحلّ حیث حلّ ثقله و ینزل .استعار وصفی الحلول و النزول الّذین هما من صفات المسافر،و کنّی بحلوله حیث حلّ عن لزوم أثره و العمل بمقتضاه و متابعته له فی طریق سفره إلی اللّه بحیث لا ینفکّ عنه وجودا و عدما ،و باللّه التوفیق.

الفصل الثانی:

اشاره

قوله:

ص:۲۹۶

۱- ۱) ۲-۶۱

وَ آخَرُ قَدْ تَسَمَّى عَالِماً وَ لَيْسَ بِهِ- فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَّالٍ وَ أَضَالِيلَ مِنْ ضُلاَّلٍ- وَ نَصَبَ لِلنَّاسِ أَشْرَاكاً مِنْ حَبَائِلِ غُرُورٍ وَ قَوْلِ زُورٍ- قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ- وَ عَطَفَ الْحَقَّ عَلَى أَهْوَائِهِ- يُؤْمِنُ النَّاسَ مِنَ الْعَظَائِمِ وَ يُهَوِّنُ كَبِيرَ الْجَرَائِمِ- يَقُولُ أَقِفُ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ وَ فِيهَا وَقَعَ- وَ يَقُولُ أَعْتَزِلُ الْبِدَعَ وَ بَيْنَهَا اضْطَجَعَ- فَالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ وَ الْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ- لاَ يَعْرِفُ بَابَ الْهُدَى فَيَتَّبِعَهُ- وَ لاَ بَابَ الْعَمَى فَيَصُدَّ عَنْهُ وَ ذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ

أقول:و هذا الفصل من صفات بعض الفسّاق فى مقابله الموصوف السابق

اشاره

،و خصّص من تسمّى عالما و ليس بعالم بالذكر فى معرض الذمّ لأنّه أشدّ فتنه و أقوى فسادا للدين لتعدّى فتنته من نفسه إلى غيره.و ذكر له أوصافا :

الأوّل:كونه قد تسمّى عالما و ليس بعالم.

طلبا للرياسه و تحصيل الدنيا و هذا الصنف من الناس كثير و العلماء فيهم مغمورون .

الثانى:

مجاز كونه قد اقتبس جهائل من جهّال و أضاليل من ضلاّل .و الجهايل:جمع جهاله،و أراد الجهل المركّب،و هو الاعتقاد الغير المطابق لما فى نفس الأمر،و هذا الوصف أحد أسباب الأوّل.و نسبه الاقتباس إلى الجهل نسبه مجازيّه لما أنّ الجهل يشبه العلم فى كونه مستفادا على وجه التعلّم و التعليم،و الأضاليل من لوازم الجهالات و هو الانحراف عن سواء السبيل،و إنّما قال من جهّال و ضلاّل ليكون إثبات الجهل و الضلال له آكد فإنّ تلقّفهما عن الجهّال الضلاّل و اعتقادهما أثبت و أرسخ فى النفس من ساير الجهالات .

الثالث:

استعاره مرشحه كونه نصب للناس أشراكا من حبال غرور و قول زور .استعار لفظ الأشراك و الحبال لما يغرّ علماء السوء به الناس من الأقوال الباطله و الأفعال المزخرفه، و وجه المشابهه ما يشترك فيه الشرك من الحبال و غيره و ساير ما يجذب به الخلق من

أقوالهم و أفعالهم فى كونها محصّله للغرض فالشرک للصيد و غرور هؤلاء لقلوب الخلق، و رشّح تلک الاستعاره بذکر النصب .

الرابع:قد حمل الکتاب على آرائه

للجاهل فى تفسير کتاب اللّه تعالى مذاهب عجيبه و يکفيک منها ما تعتقده المجسّمه من ظواهره المشعره بتجسيم الصانع جلّت قدرته و تفسيرهم للکتاب على ما اعتقدوه من باطلهم .

الخامس:و عطف الحقّ على أهوائه

من فسّر ألفاظ القرآن على حسب عقيدته الفاسده و رأيه الباطل فقد عطف الحقّ على هواه:أى جعل کلّ هوى له حقّا يتّبع بتأويل ما «وَ لَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْواءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ » .

السادس:کونه يؤمّن من العظائم و يهوّن کبير الجرائم

:أى يسهّل على الناس أمر الآخره فى موضع يحتاجون فيه إلى ذکر و عيد اللّه و تذکير هم بأليم عقابه کما يخطى الجاهلون و يعرضون عن أوامر اللّه تعالى و نواهيه فإذا حضروا مجالس جهّال الواعظين و الزهّاد توسّلوا إلى استجلاب قلوبهم و تشييد مناصبهم باجتماعهم عليهم بأن ذکروا لهم مواعيد اللّه کقوله «إِنَّ اللّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً» و نحوه فيهوّن عليهم بذلک عظيم الوعيد و أهوال الآخره و تصغّر عندهم جرائمهم الّتى ارتکبوها فى جنب ما تصوّروه من الوعد الکريم و يساعدهم ميل طباعهم إلى المشتهيات الخارجه عن حدود اللّه فيعاودوا ما اقترفوه و لا کذلک العالم إذ من شأنه أن يستعمل کلاّ من آيات الوعد و الوعيد فى موضعها ليبقى السامعون بين خوف و رجاء فلا ينهمکوا فى اللذّات الفانيه اتّکالا على الوعد و لا يقنطوا من رحمه اللّه نظرا إلى الوعيد .

السابع:يقول:أقف عند الشبهات

أى إذا انتهيت إلى أمر فيه شبهه لا أقدم عليه و فيها وقع و ذلک لجهله بمواقع الشبهه و غيرها .

الثامن:يقول أعتزل البدع:

أى ما يبتدع من الامور المخالفه لقوانين الشريعه استعاره بالکنايه و بينها اضطجع کنّى باضطجاعه بين البدع عن تورّطه فيها کنايه بالمستعار،و ذلک أيضا لجهله باصول الشريعه و کيفيّه تفريعها .

التاسع:فالصوره صوره الإنسان و القلب قلب حيوان

أراد بالحيوان غير الإنسان

ص:٢٩٨

كما هو مختصّ فى العرف.و أطلق قلبه أنّه قلب حيوان كالحمار و نحوه لما بينهما من المناسبه و هو عدم صلاحيّتهما لقبول المعارف و العلوم مع ميلهما إلى الشهوات .

العاشر:كونه لا يعرف باب الهدى فيتّبعه و لا باب الردى فيصدّ عنه

:أى لا يعرف بجهله قانون الهدايه إلى طرق الحقّ فيسلكه و لا وجه دخوله فى الباطل فيعرض عنه، و ذلك أنّ الجاهل الجهل المركّب لمّا حاد عن سبيل اللّه و جزم بما اعتقده من الباطل امتنع مع ذلك الجزم أن يعرف باب الهدى و مبدء الدخول إليه فامتنع منه اتّباعه و لمّا اعتقد أنّ ما جزم به من الباطل هو الحقّ امتنع أن يعرف مبدء دخوله فى الجهل و هو باب العمى فامتنع منه أن يصدّ عنه ثمّ حكم عليه السّلام عن تلك الأوصاف أنّه ميّت الأحياء أمّا كونه ميّتا فلأنّ الحياه الحقيقيّه الّتى تطلب لكلّ عاقل و الّتى وردت الشرائع و الكتب الالهيّه بالأمر بتحصيلها هى حياه النفس باستكمال الفضائل الّتى هى سبب السعاده الباقيه،و قد علمت أنّ الجهل المركّب هو الموت المضادّ لتلك الحياه فالجاهل بالحقيقه ميّت.و أمّا أنّه ميّت الأحياء فلأنّه فى صوره الحيّ

الفصل الثالث:

القسم الأول

اشاره

قوله:

«فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ» وَ أَنَّى تُؤْفَكُونَ- وَ الْأَعْلاَمُ قَائِمَهٌ وَ الْآيَاتُ وَاضِحَهٌ وَ الْمَنَارُ مَنْصُوبَهٌ- فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ وَ كَيْفَ تَعْمَهُونَ وَ بَيْنَكُمْ عِتْرَهُ نَبِيِّكُمْ- وَ هُمْ أَزِمَّهُ الْحَقِّ وَ أَعْلاَمُ الدِّينِ وَ أَلْسِنَهُ الصِّدْقِ- فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ ؟الْقُرْآنِ؟- وَ رِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ- أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوهَا عَنْ؟خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ص؟- إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَ لَيْسَ بِمَيِّتٍ- وَ يَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَ لَيْسَ بِبَالٍ- فَلاَ تَقُولُوا

ص:٢٩٩

بِمَا لَا تَعْرِفُونَ- فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ- وَ اعْذِرُوا مَنْ لَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ وَ هُوَ أَنَا- أَ لَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الْأَكْبَرِ- وَ أَتْرُكْ فِيكُمُ الثَّقَلَ الْأَصْغَرَ- قَدْ رَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ الْإِيمَانِ- وَ وَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ الْحَلَالِ وَ الْحَرَامِ- وَ أَلْبَسْتُكُمُ الْعَافِيَةَ مِنْ عَدْلِي- وَ فَرَشْتُكُمُ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَ فِعْلِي- وَ أَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ الْأَخْلَاقِ مِنْ نَفْسِي- فَلَا تَسْتَعْمِلُوا الرَّأْيَ فِيمَا لَا يُدْرِكُ قَعْرَهُ الْبَصَرُ- وَ لَا تَتَغَلْغَلُ إِلَيْهِ الْفِكَرُ

اللغه

أقول: تؤفكون: تصرفون .و التيه: الضلال .و العمه: الحيره و التردّد .و عتره الرجل: أقاربه من ولده و ولد ولده و أدانى بنى عمّه .و الهيم: الإبل العطاش .

المعنى

و أعلم أنّه لمّا قدّم المتّقين بصفاتهم و الفاسقين بصفاتهم كان فى ذكرهما تنبيه على وصفى طريقى الحقّ و الباطل و لوازمهما فلذلك أعقبهما بالتنبيه على كونهم فى ضلال و تيه و عمى عن الحقّ ثمّ بالتخويف و التبكيت و التذكير بكتاب اللّه و عتره رسوله ليلزموا سمتهم و يسلكوا بهم طريق أهل التقوى و يفيئوا عن ضلالهم إلى اقتباس أنوار الحقّ من أهله .

فقوله:فأين تذهبون.إلى قوله:منصوبه.

فقوله: فأين تذهبون.إلى قوله:منصوبه.

سؤال عمّا يذهبون إليه و عن وقت صرفهم عن ذلك الغيّ سؤالا على سبيل الإنكار لما هم عليه من الطريق الجائره،و الواو فى قوله : و الأعلام .للحال.و أشاره بالأعلام إلى أئمّه الدين،و وضوحها ظهورها بينهم.و كذلك المنار ،و نصبها قيام الأئمّه بينهم و وجودهم فيهم،ثمّ أردف ما أنكره من ذهابهم و تعجّب منه بتفسيره فقال : فأين يتاه بكم و كيف تعمهون ،و نبّه به إلى أنّ الذهاب الّذى سئلهم عنه هو تيه فى الضلال و حيره الجهل و التردّد فى الغيّ،و تبيّن منه أنّ قوله : و أنّى تؤفكون :أى متى تصرفون عن تيهكم و ذهابكم فى الضلاله.!

ص:٣٠٠

و قوله : و بينكم عتره نبيّكم.

الواو للحال أيضا فالعامل تعمهون،أويتاه بكم،و كذلك الواو فى قوله : و هم أزمّه الحقّ :و المعنى كيف يجوز أن تتيهوا فى ظلمات الجهل مع أنّ فيكم عتره نبيّكم، و أراد بعترته أهل بيته عليهم السّلام و إليه الإشاره بقول الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم:و خلّفت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا كتاب اللّه و عترتى أهل بيتى لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض.

استعاره و استعار لهم لفظ الأزمّه ،و وجه المشابهه كونهم قاده للخلق إلى طريق الحقّ كما يقود الزمام الناقه إلى الطريق ،و كذلك استعار لهم لفظ الألسنه ،و وجه المشابهه كونهم تراجمه الوحى الصادق كما أنّ اللسان ترجمان النفس،و يحتمل أن يريد بكونهم ألسنه الصدق أنّهم لا يقولون إلاّ صدقا .

و قوله:فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن.

و قوله: فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن.

فاعلم أنّ للقرآن منازل:

الاولى القلب.و هو فيه بمنزلتين:إحداهما منزله الإكرام و التعظيم،و الثانيه منزله التصوّر فقط من دون تعظيم.الثالثه:منزلته فى الوجود اللسانىّ بالتلاوه.

الرابعه:منزلته فى الدفاتر و الكتب،و أحسن منازله هى الاولى.فالمراد إذن الوصيّه بإكرامهم و محبّتهم و تعظيمهم كما يكرم القرآن بالمحبّه و التعظيم .

و قوله:وردوهم ورود الهيم العطاش.

تشبيه و قوله: وردوهم ورود الهيم العطاش.

إرشاد لهم إلى اقتباس العلوم و الأخلاق منهم إذ كانوا معادنها.و لمّا كانت العلماء و الأئمّه تشبه بالينابيع،و العلم يشبه بالماء العذب،و عادمه بالعطشان حسن منه أن يأمرهم بورودهم و أن يشبه الورود المطلوب منهم بورود الإبل العطاش .

و قوله:أيّها الناس.إلى قوله:ببال

و قوله: أيّها الناس.إلى قوله:ببال .

لمّا كان عليه السّلام فى معرض ذكر الفائده فكأنّها قد تقدّم ذكرها فلذلك أحسن إبراز الضمير فى قوله : خذوها .و إن لم يسبق

لها ذكر،و إشاره النبیّ بهذه الکلمه تقریر لقوله تعالی «وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِینَ قُتِلُوا فِی سَبِیلِ اللّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْیاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ یُرْزَقُونَ»

ص:۳۰۱

«فَرِحِينَ» (۱)و لما اتّفقت علیه کلمه العلماء،و نطقت به البراهین العقلیّه أنّ أولیاء اللّه لا یموتون و لا یبلون و إن بلیت أجسادهم.

قال بعض الخائضین فیما لا یعنیه قوله :و یبلی من بلی منّا نصّ جلیّ علی أنّ أجساد الأولیاء تبلی و ذلک یخالف ما یعتقده الناس من أنّ أجسادهم باقیه إلی یوم القیامه بحالها.

قلت الاعتقاد المذکور لبعض الناس إنّما نشأ من قول الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم فی قتلی بدر زمّلوهم بکلومهم و دمائهم فإنّهم یحشرون یوم القیامه و أوداجهم تشخب دما و قوله تعالی «وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِینَ قُتِلُوا فِی سَبِیلِ اللّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْیاءٌ» الآیه و لیس و لا واحد منهما بدالّ علی أنّ الأجساد لا تموت و لا تبلی أمّا الخبر فلیس مقتضاه أنّها تبقی صحیحه تشخب دما إلی یوم القیامه بل ذلک ممّا یشهد ببطلانه الحسّ بل یحمل علی أنّها کما تعاد یوم القیامه تعاد مجروحه تشخب جراحها دما کهیئتها یوم موتها،و أمّا الآیه فالّذی أجمع علیه علماء المفسّرین أنّ الحیاه المذکوره فیها هی حیاه النفوس و هو ظاهر فی سبب نزولها عن ابن عباس-رضوان اللّه علیه-قال:قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم:لمّا اصیب إخوانکم باحد جعل اللّه أرواحهم فی أجواف طیور خضر ترد أنهار الجنّه و تأکل من ثمارها و تأوی إلی قنادیل من ذهب معلّقه فی ظلّ العرش فلمّا وجدوا طیب مأکلهم و مشربهم و مقیلهم قالوا:من یبلغ إخواننا عنّا أنّا فی الجنّه نرزق لئلاّ یزهد فی الجهاد و لا ینکلوا عند الحرب فقال اللّه عزّ و جلّ أنا أبلغهم عنکم فنزلت «وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِینَ قُتِلُوا» الآیه فإذن لا منافاه بین کلامه علیه السّلام و ما ورد فی القرآن و الخبر و مقصوده بهذه الکلمه تقریر فضیلتهم و أنّهم أولیاء باقون عند ربّهم فی ظلّ کرامته.

و قوله:فلا تقولوا بما لا تعرفون .

و قوله: فلا تقولوا بما لا تعرفون.

تنبیه علی الرجوع إلی العتره العارفین بما ینبغی أن یقال و قوله:فإنّ أکثر الحقّ فیما تنکرون تأکید للأمر بالتثبّت فی الأقوال و النهی عن التسرّع إلیها،و الجاهل قد ینکر الحقّ إذا خالف طبعه أو نبا عنه فهمه أو سبق اعتقاد ضدّه إلیه بشبهه أو تقلید فتبّه علی أنّ أکثر الحقّ فیما ینکرونه لئلاّ یتسرّعوا إلی القول من غیر علم،

ص:۳۰۲

۱- ۱) ۳-۱۶۳.

و لذلک ذکر هذه القضیّه مرتّبه بفاء التعلیل.

و قوله:و أعذروا من لا حجّه لکم علیه و هو أنا .

و قوله: و أعذروا من لا حجّه لکم علیه و هو أنا.

طلب علیه السّلام العذر منهم فیما یلحقهم من عذاب اللّه بسبب تقصیرهم فإنّ الضرر اللاحق لهم قد انذروا به و توعّدوا فلو قصّرهو علیه السّلام فی تذکیرهم بتلک الوعیدات أو الإنذارات مع کون ذلک مأخوذا علیه من اللّه تعالی فکانت حجّتهم علیه قائمه و لمّا کان له عذر لکنّه بلّغ و حذّر و قد أعذر من أنذر و إنّما ذکّرهم بسلب الحجّه عنهم فی ذلک لیتذکّروا خطأهم و لعلّهم یرجعون.

و قوله:أ لم أعمل فیکم إلی قوله:من نفسی .

استفهام تقریعی و قوله: أ لم أعمل فیکم إلی قوله:من نفسی.

تفصیل لما جاءهم به من الجواذب إلی اللّه فأعذر إلیهم بها و أتی بلفظ الاستفهام علی سبیل التقریع و التبکیت و الثقل الأکبر کتاب اللّه،و أشار بکونه أکبر إلی أنّه الأصل المتّبع المقتدی به،و الثقل الأصغر الأئمّه من ولده علیهم السّلام، استعاره بالکنایه- استعاره مرشحه و کنّی برایه الإیمان عن سنّه المتّبعه و طریقه الواضحه فی العمل بکتاب اللّه و سنّه رسوله کنایه بالمستعار،و وجه المشابهه کونه طریقه یهتدی بها إلی سلوک سبیل اللّه کما یهتدی بالأعلام و الرایات أمام الجیش و غیره ،و لفظ الرکز ترشیح للاستعاره کنّی به عن إیضاحها لهم و توقیفه علی حدود الحلال و الحرام تعریفهم إیّاها و أراد بالعافیه السلامه عن الأذی الحاصل من أیدی الظالمین ،و استعار لفظ اللباس لها،و وجه الاستعاره أنّ العافیه تشمل المعافی کالقمیص ،و کذلک استعار لفظ الفرش للمعروف لکونه إذا وطیت قواعده یستراح به کالفراش .

و قوله:و أریتکم کرایم الأخلاق من نفسی

و قوله: و أریتکم کرایم الأخلاق من نفسی :أی أوضحتها لکم و شاهدتموها منّی متکرّره.

و قوله:فلا تستعملوا الرأی إلی آخره .

و قوله: فلا تستعملوا الرأی إلی آخره.

نهی لهم عن الاشتغال بالخوض فی صفات اللّه و البحث عن ذاته علی غیر قانون و استاد مرشد بل بحسب الرأی و التخمین فإنّ تلک الدقایق لمّا کانت لا ساحل لها و لا غایه یقف الفکر عندها و إن تغلغل فی أعماقها و کانت مع ذلک فی غایه العسر و

الدقه و كثره الاشتباه

ص:۳۰۳

كان تداولهم للاشتغال بها مؤدّيا إلى الخبط و افتراق المذاهب و تشتّت الكلمه و الاشتغال بذلك عن الانتظام فى سلك الدين و الاتّحاد فيه كما عليه من ينتسب إلى العلم بعده و كلّ ذلك منه مطلوب الشارع فإنّ الالفه و الاتّحاد فى الدين من أعظم مطلوباته و يحتمل أن يريد مطلق دقايق العلم و تفريع الفقه على غير قانون من إمام هدى بل الرأى عن أدنى وهم.

القسم الثانى

اشاره

منهـا:حَتَّى يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الـدُّنْيا مَعْقُولَهٌ عَلَى؟بَنِى أُمَيَّهَ؟- تَمْنَحُهُمْ دَرَّهـا وَ تُورِدُهُمْ صَـفْوَهَا- وَ لاَـ يُرْفَعُ عَنْ هَـذِهِ الْأُمَّهِ سَوْطُهَا وَ لاَ سَيْفُهَا وَ كَذَبَ الظَّانُّ لِذَلِکَ- بَلْ هِیَ مَجَّهٌ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَهً- ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَهً

اللغه

أقول: معقوله: محبوسه .و المجّه: الفعله من مجّ الشراب إذا قذفه من فيه .و البرهه:

المدّه من الزمان فيها طول .و لفظ كذا:ألقاه من فيه.

المعنى

و هـذا الكلاـم من فصـل يـذكر فيه حـال بنى اميّه و طول مـدّتهم و بلاء الخلق بهم فقوله: يظنّ الظانّ .إلى قوله: سـيفها .غايه من غايات طول عناء الناس معهم استعاره-مجاز استعمالا للفظ السبب فى المسبّب-استعاره بالكنايه و استعار للدنيا أوصافا:

أحدها:كونها معقوله ،و وجه الاستعاره ملاحظه شبهها بالناقه فى كونها محبوسه فى أيديهم كما تحبس الناقه بالعقال.

الثـانى:كونهـا ذات درّ نمنحهم إيّـاه ،و وجه الاسـتعاره أيضـا تشبيههـا بالنـاقه فى كون مـا فيهـا من فوائـدها و خيرهـا مهيّئه لهم و مصبوبه عليهم كما تبذل الناقه درّها حالبها.

الثالث:كونها توردهم صفوها ،و نسبه الايراد إليها مجاز،و تجوّز بالسوط و السيف فيما فيه الامّه معهم من العذاب و القتل و نحوه استعمالا للفظ السبب فى المسبّب و قوله : و كذب الظانّ لذلك. إلى آخره ردّ لما عساه يظنّ من ذلك بتحقير ما حصـلوا عليه من الأمر و لذّتهم به و تحقير مدّته ،و استعار لذلك لفظ المجّه ،و كنّى بكونها مطعومه لهم عن تلذّذهم هامده إمرتهم ،و بكونها ملفوظه عن زوال الآخره عنهم،و أكّد

ص:۳۰۴

ذلک الزوال بقوله:جمله:أی بکلّیتها و هی کنایه بالمستعار تشبیها لها باللقمه الّتی لا یمکن إساغتها ،و باللّه التوفیق.

۸۵-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ یَقْصِمْ جَبَّارِی دَهْرٍ قَطُّ إِلاَّ بَعْدَ تَمْهِیلٍ وَ رَخَاءٍ- وَ لَمْ یَجْبُرْ عَظْمَ أَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ إِلاَّ بَعْدَ أَزْلٍ وَ بَلاَءٍ- وَ فِی دُونِ مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَتْبٍ- وَ مَا اسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ مُعْتَبَرٌ- وَ مَا کُلُّ ذِی قَلْبٍ بِلَبِیبٍ وَ لاَ کُلُّ ذِی سَمْعٍ بِسَمِیعٍ- وَ لاَ کُلُّ نَاظِرٍ بِبَصِیرٍ- فَیَا عَجَباً وَ مَا لِیَ لاَ أَعْجَبُ مِنْ خَطَإِ هَذِهِ الْفِرَقِ- عَلَی اخْتِلاَفِ حُجَجِهَا فِی دِینِهَا- لاَ یَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِیٍّ وَ لاَ یَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِیٍّ- وَ لاَ یُؤْمِنُونَ بِغَیْبٍ وَ لاَ یَعِفُّونَ عَنْ عَیْبٍ- یَعْمَلُونَ فِی الشُّبُهَاتِ وَ یَسِیرُونَ فِی الشَّهَوَاتِ- الْمَعْرُوفُ فِیهِمْ مَا عَرَفُوا وَ الْمُنْکَرُ عِنْدَهُمْ مَا أَنْکَرُوا- مَفْزَعُهُمْ فِی الْمُعْضِلاَتِ إِلَی أَنْفُسِهِمْ- وَ تَعْوِیلُهُمْ فِی الْمُهِمَّاتِ عَلَی آرَائِهِمْ- کَأَنَّ کُلَّ امْرِئٍ مِنْهُمْ إِمَامُ نَفْسِهِ- قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِیمَا یَرَی بِعُرًی ثِقَاتٍ وَ أَسْبَابٍ مُحْکَمَاتٍ

اللغه

أقول: القصم بالقاف : الکسر .و الأزل بفتح الهمزه: الضیق و الشدّه .و اقتصّ أثره : تبعه .

المعنی

اشاره

و مقصود هذا الفصل توبیخ الامّه علی اختلاف آرائهم فی الدین و استبداد کلّ منهم بمذهب بحسب رأیه فی المسایل الفقهیّه و نحوها مع وجوده علیه السّلام بینهم،و إعراضهم عن مراجعته مع علمهم بقیامه بذلک.

ص:۳۰۵

فقوله:أمّا بعد.إلی قوله:ببصیر .

فقوله: أمّا بعد.إلی قوله:ببصیر.

صدر الخطبه و کأنّه علیه السّلام فهم ممّن خرجت هذه الخطبه بسببه أنّهم إنّما یستبدّون بآرائهم من دون مراجعه عن کبر منهم علی التعلّم و الاستفاده و محبّه الراحه من تحمّل کلفه التحرّی فی الدین و التحرّز من الغلط فیه و مشقّه الطلب فلذلک خوّفهم من حال الجبابره و أن تصیبهم بترک قواعد الدین إلی آرائهم المتفرّقه فیستعدّوا للهلاک بقوله : إنّه لم یقصم جبّاری دهر إلاّ بعد إمهالهم و رخائهم فإنّهم إذا امهلوا و انغمسوا فیما هم فیه من الرخاء و الترف أعرضوا عن الآخره و نسوا ذکر اللّه تعالی فاستعدّوا بترکهم لقوانین الدین الّتی بها نظام العالم للهلاک و نحوه قوله تعالی «وَ إِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِکَ قَرْیَهً أَمَرْنا مُتْرَفِیها فَفَسَقُوا فِیها فَحَقَّ عَلَیْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْناها تَدْمِیراً» (1)و کذلک استعاره بالکنایه قوله : و لم یجبر عظم أحد من الامم إلاّ بعد أزل و بلاء .کنّی بجبران العظم عن قوّتهم بعد الضعف کنایه بالمستعار، و صدق هذه القضیّه ظاهر فإنّ أحدا من الامم المتّبعین لأنبیائهم أو لملوکهم فی إظهار دین أو طلب ملک لن یصلوا إلی مطلوبهم إلاّ بعد قوّتهم و تضاعفهم و تظاهر بعضهم ببعض و معناه بلاء أثر بلاء بحیث یستعدّون بذلک للفزع إلی اللّه تعالی فیهیّیء قلوبهم لقبول الالفه و یعدّها باجتماع عزائمها لقبول صوره النصر ،و فیه تنبیه علی وجوب الاتّحاد فی الدین و عدم تشتّت الآراء فیه فإنّ ذلک یدعو إلی التحزّب و التفرّق و یدخل علیهم الوهن و الضعف و کلّ ذلک ضدّ مطلوب الشارع کما سبق، کنایه و یحتمل أن یکنّی بقوله:

لم یقصم جبّاری دهر .عن جبّاری وقته کمعاویه و أصحابه،و بقوله: لم یجبر عظم أحد من الامم إلاّ بعد أزل و بلاء .عن أصحابه فتبههم بالکلمه الاولی علی أنّ اولئک الجبّارین و إن طالت مدّتهم و قویت شوکتهم فإنّما ذلک إملاء من اللّه لهم لیستعدّوا به للهلاک، و بالکلمه الثانیه علی أنّکم و إن ضعفتم و ابتلیتم فذاک عاده اللّه فیمن یرید أن ینصره ثمّ عقّب ذلک بتوبیخهم علی الاختلاف و تشعّب الآراء و المذاهب فی الدین لما أنّ ذلک یؤدّی إلی طول محنتهم و ضعفهم عن مقاومه عدوّهم.

و قوله:و فی دون ما استقبلتم من عتب

و قوله: و فی دون ما استقبلتم من عتب :أی من عتابی لکم و استدبرتم من خطب:

۱- ۱) ۱۷-۱۷.

أی من الأهوال الّتی کنتم ترونها من المشرکین فی مبدء الإسلام حیث کنتم قلیلین و امرتم أن یثبت الواحد منکم لعشره منهم ثمّ أیّدکم اللّه بنصره بالتألیف بین قلوبکم و جبر عظمکم بمن أسلم و دخل فی دینکم و ذلک أیّ معتبر و فیه أیّ اعتبار فإنّکم لو لم تتّحدوا فی الدین و تقاسوا مراره ذلک النصیر و اختلفت آراؤکم فی ذلک الوقت کاختلافها الآن،و کنتم إذن علی غایه من الکثره لم تغن عنکم کثرتکم شیئا فکأنّه قال:فیجب من ذلک الاعتبار أن لا تفترقوا فی الرأی و أن تتّحدوا فی الدین و تراجعوا أعلمکم باصوله و فروعه.

و قوله:فما کلّ ذی قلب بلبیب.إلی قوله:ببصیر .

و قوله: فما کلّ ذی قلب بلبیب.إلی قوله:ببصیر.

أراد بذی القلب الإنسان،و ظاهر أنّ الإنسان قد یخلو عن اللبّ و أراد باللبّ العقل و الذکاء و استعماله فیما ینبغی علی الوجه الّذی ینبغی،و بالجمله فاللبیب من ینتفع بعقله فیما خلق لأجله و کذلک السمیع و البصیر هما اللذان یستعملان سمعهما و بصرهما فی استفاده العبره و إصلاح أمر المعاد و نحوه قوله تعالی «أَ لَهُمْ أَرْجُلٌ یَمْشُونَ بِها أَمْ لَهُمْ أَیْدٍ یَبْطِشُونَ بِها أَمْ لَهُمْ أَعْیُنٌ یُبْصِرُونَ بِها أَمْ لَهُمْ آذانٌ یَسْمَعُونَ بِها» (۱)و قوله «فَإِنَّها لا تَعْمَی الْأَبْصارُ وَ لکِنْ تَعْمَی الْقُلُوبُ الَّتِی فِی الصُّدُورِ» (۲)و فائده هذه الکلمات تحریک النفوس إلی الاعتبار کیلا یعدّ التارک له غیر لبیب و لا سمیع و لا بصیر.

و قوله:یا عجبا.إلی آخره .

و قوله: یا عجبا .إلی آخره.

أردف تعجّبه بما یصلح جواب سؤال مقدّر عمّا یتعجّب منه فکأنّه فهم من تقدیر ذلک السؤال تعجّب السائل من تعجّبه المستلزم لتبرّمه و تضجّره حتّی کأنّ السائل قال:و ممّ تتعجّب و علام هذا التبرّم و الأسف فقال : ما لی لا أعجب من خطأ هذه الفرق .ثمّ شرع فی تفصیل الخطایا و المذامّ الّتی کان اجتماعها فیهم سببا لتعجّبه منهم فأشار إلی ترکهم لما ینبغی و قدّم علی الکلّ ذکر اختلاف حججهم فی دینهم و ذلک هو الأصل الّذی نشأت عنه أکثر هذه الرذائل فأمّا ترکهم لما ینبغی ففی صور:

أحدها :ترکهم لاقتصاص أثر نبیّهم فإنّهم لو اقتصّوا أثره لما اختلفوا إذ لا اختلاف فیما جاء به کما سبق بیانه لکنّهم اختلفوا فلم یقتصّوا أثر نبیّهم.

ص:۳۰۷

۱- ۱) ۱۹۴-۷.

۲- ۲) ۴۵-۲۲.

الثانيه :ترکهم الاقتداء بعمل الوصیّ و هو إشاره إلی نفسه و هذه أقطع لإعذارهم فإنّ الاختلاف فی الدین قد یعرض عن ضروره و هی عدم إصابه الکلّ للحقّ مع عدم الشارع الّذی یرجع إلیه فی التوقیف علی أسرار الشریعه فأمّا إذا کان الموقف موجودا بینهم کمثله علیه السّلام امتنع أن یقعوا فی تلک الضروره فیعتذروا بها فی الاختلاف.

الثالثه :ترکهم الإیمان بالغیب:أی التصدیق به و الطمأنینه فی اعتقاده.و للمفسّرین فی تفسیر الغیب أقوال:

أحدها:عن ابن عبّاس:هو ما جاء به من عند اللّه.

الثانی:عن عطاء:هو اللّه سبحانه.

الثالث:عن الحسن:هو الدار الآخره و الثواب و العقاب و الحساب.

الرابع:قیل:یؤمنون بظهر الغیب کقوله تعالی «یَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَیْبِ» فالمعنی قوله علیه السّلام:أی لا یحفظون شرایط الإیمان فی عقیب بعضهم علی بعض.

الخامس:عن ابن عیسی:الغیب ما غاب عن الحواسّ ممّا یعلم بالدلیل.

السادس:عن الأخفش یؤمنون بما غاب عن أفهامهم من متشابهات القرآن.

الرابعه :ترکهم العفّه عن عیب و هو إشاره إلی الغیبه و ظاهر أنّها فجور و عبور إلی طرف الإفراط من فضیله العفّه.و أمّا فعلهم لما لا ینبغی فامور:

أحدها:أنّهم یعملون فی الشبهات :أی لا یتوقّفون فیما أشبه علیهم أمره و لا یبحثون عن وجه الحقّ فیه بل یعملون فیه بما قادهم إلیه الهوی.

الثانی :کونهم یسیرون فی الشهوات لمّا لحظ مشابهه میل قلوبهم إلی شهواتها الدنیویّه و انهماکها فیها قاطعه مراحل الأوقات بالتلذّذ لسلوک السائر فی الطریق و نحوها استعار لذلک السلوک لفظ السیر.

الثالث:کون المعروف فیهم ما عرفوا و المنکر ما أنکروا :أی أنّ المعروف و المنکر تابعان لإرادتهم و میولهم الطبیعیّه فما أنکرته طباعهم کان هو المنکر بینهم و إن کان معروفا فی الشریعه و ما اقتضته طباعهم و مالت إلیه کان هو المعروف بینهم و إن کان منکرا فی الدین،و الواجب أن یکون إرادتهم و میولهم تابعه لرواسم الشریعه فی اتّباع ما کان فیها

معروفا و إنكار ما كان فيها منكرا.

الرابع: كنـايه كون مفزعهم فى المعضـلات إلى أنفسـهم و تعويلهم فى المبهمات إلى آرائهم و هو كنايه عن كون أحكامهم فى كـلّ ما يرد عليهم من مشـكلات الـدين و يسـتبهم من أحكامه تابعه لأهوائهم لا يجرونها على قانون شـرعىّ يعرف حتّى أشـيهت نفوسـهم الأمّاره بالسوء الّتى هى منبع الأهواء المخالفه للشـريعه الأئمّه الّتى يرجع إليهم فى اسـتفاده الأحكام فكلّ منهم يأخذ عن نفسه:أى يتمسّك فيما يراه و يحكم به بآراء كأنّها عنـده عرى وثيقه:أى لا يضلّ من تمسّك بها و أسـباب محكمات:أى نصوص جليّه و ظواهر واضحه لا اشتباه فيها،و قد عرفت معنى الحكم، استعاره و لفظ العرى مستعار،و قد سبق وجه الاستعاره.

و باللّه العصمه و التوفيق.

۸۶–و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

أَرْسَـلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَهٍ مِنَ الرُّسُـلِ- وَ طُولِ هَجْعَهٍ مِنَ الْأُمَمِ وَ اعْتِزَامٍ مِنَ الْفِتَنِ- وَ انْتِشَارٍ مِنَ الْأُمُورِ وَ تَلَظٍّ مِنَ الْحُرُوبِ- وَ الـدُّنْيَا كَاسِفَهُ النُّورِ ظَاهِرَهُ الْغُرُورِ- عَلَى حِينِ اصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا- وَ إِيَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا وَ اغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا- قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ الْهُدَى وَ ظَهَرَتْ أَعْلاَمُ الرَّدَى- فَهِيَ مُتَجَهِّمَهٌ لِأَهْلِهَا عَابِسَهٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا ثَمَرُهَا الْفِتْنَهُ- وَ طَعَامُهَا الْجِيفَهُ وَ شِعَارُهَا الْخَوْفُ وَ دِثَارُهَا السَّيْفُ- .فَاعْتَبِرُوا عِبَادَ اللَّهِ- وَ اذْكُرُوا تِيكَ الَّتِي آبَاؤُكُمْ وَ إِخْوَانُكُمْ بِهَا مُرْتَهَنُونَ- وَ عَلَيْهَا مُحَاسَبُونَ- وَ لَعَمْرِي مَا تَقَادَمَتْ بِكُمْ وَ لاَ بِهِمُ الْعُهُودُ- وَ لاَ خَلَتْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمُ الْأَحْقَابُ وَ الْقُرُونُ- وَ مَا أَنْتُمُ الْيَوْمَ مِنْ يَوْمَ كُنْتُمْ فِي أَصْلاَبِهِمْ بِبَعِيدٍ-.وَ اللَّهِ مَا أَسْمَعَكُمُ؟الرَّسُولُ؟ شَيْئاً-

إلّاَ وَ هَا أَنَا ذَا مُسْـمِعُکَمُوهُ- وَ مَا أَسْـمَاعُکَمُ الْیَوْمَ بِـدُونِ أَسْـمَاعِکَمْ بِالْأَمْسِ- وَ لاَ شُـقَّتْ لَهُمُ الْأَبْصَارُ- وَ لاَ جُعِلَتْ لَهُمُ الْأَفْئِدَهُ فِی ذَلِـکَ الزَّمَـانِ- إِلاَّ وَ قَـدْ أُعْطِیتُمْ مِثْلَهَا فِی هَـذَا الزَّمَانِ- وَ وَ اللَّهِ مَا بُصِّرْتُمْ بَعْـدَهُمْ شَـیْئاً جَهِلُوهُ- وَ لاَ أُصْـفِیتُمْ بِهِ وَ حُرِمُوهُ- وَ لَقَدْ نَزَلَتْ بِکُمُ الْبَلِیَّهُ جَائِلاً خِطَامُهَا رِخْواً بِطَانُهَا- فَلاَ یَغُرَّنَّکُمْ مَا أَصْبَحَ فِیهِ أَهْلُ الْغُرُورِ- فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ إِلَی أَجَلٍ مَعْدُودٍ

اللغه

أقول: الفتره: ما بین زمانی الرساله .و الهجعه : النومه .و الاعتزام: العزم،و روی:

اعترام الفتن بالراء المهمله:أی کثرتها،و روی:اعتراض من اعترض الفرس الطریق إذا مشی عرضا من غیر قصد .و تلظّت الحرب : تلهبّت .و التجهّم: العبوس .و الأحقاب : جمع حقب بضمّ الحاء و القاف و هو الدهر .و البطان : حزام البعیر للقتب .

المعنی

و صوره هذا الفصل تذکیرهم بنعمه اللّه تعالی الّتی نفت ما کانوا فیه من بؤس و هی بعثه الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم و ما استلزمته من الخیرات لیعتبروا فیشکروا و یخلصوا التوجّه إلی اللّه تعالی فأشار أوّلا إلی النعمه المذکوره ثمّ أردفها بالأحوال المذمومه الّتی تبدلّت بتلک النعمه الجسیمه،و عدّ منها امورا:

أحدها :الفتره من الرسل و ظاهر أنّ خلوّ الزمان عن رسول فیه یستلزم وجود الشرور و وقوع الهرج و المرج،و تلک أحوال مذمومه یلحق ذلک الزمان بها من الذمّ بمقدار ما یلحق زمان وجود الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم من المدح.

الثانی :طول الهجعه من الأمم،و کنّی بالهجعه عن الغفله فی أمر المعاد و سایر المصالح الّتی ینبغی.

الثالث : کنایه الاعتزام من الفتن أمّا علی الروایه الاولی فنسبه العزم إلی الفتن مجاز کنّی به عن وقوعها بین الخلق المشبه لقصدها إیّاهم ،و علی الروایه الثانیه:أی علی

كثره من الفتن،و على الروايه الثالثه فالمعنى أنّ الفتن لمّا كانت غير واقعه على قانون شرعىّ و لا نظام مصلحىّ و لذلك سميّت فتنه لا جرم أشبهت المعترض فى الطريق من الحيوان الماشى على غير استقامه،و لذلك استعير لها لفظ الاعتراض.

الرابع :و على انتشار من الامور:أى تفرّق امور الخلق و أحوالهم و جريان أفعالهم على غير قانون عدلىّ.

الخامس : استعاره بالكنايه التلظّى من الحروب .و قد سبق تشبيه الحرب بالنار فلذلك أسند إليها التلظّى على سبيل الاستعاره،و كنّى بها عن هيجانها و وجودها بينهم زمان الفتره.

السادس: استعاره بالكنايه-استعاره مرشحه و الدنيا كاسفه ،و الواو للحال:أى كاسف نورها،و نور الدنيا كنايه عن وجود الأنبياء و ما يأتون به من الشرائع و ما ينتج عنهم من الأولياء و العلماء كنايه بالمستعار،و وجه المشابهه ما يستلزم النور و وجود الأنبياء و الشرائع من الاهتداء بهما،و رشّح تلك الاستعاره بذكر الكسوف،و عبّر به عن عدم ذلك النور منها ملاحظه لشبهها بالشمس.

السابع : ظاهره الغرور :أى كلّ قد اغترّ بها و انهمك فى مشتهياتها و خدعته بخوادعها.

الثامن: استعاره بالكنايه كونه أرسل على حين اصفرارهن ورقها و إياس من ثمرها و اغورار من ماءها .استعار لفظ الثمره و الورق لمتاعها و زينتها،و لفظ الاصفرار لتغيّر تلك الزينه عن العرب فى ذلك الوقت و عدم طلاوه عيشهم إذن و خشونه مطاعمهم كما يذهب حسن الشجره باصفرار ورقها فلا يتلذّذ بالنظر إليها و عنى بالإياس من ثمرها انقطاع آمال العرب إذن من الملك و الدوله و ما يستلزمه من الحصول على طيّبات الدنيا،و كذلك استعار لفظ الماء لموادّ متاع الدنيا و طرق لذّاتها و لفظ الاغورار لعدم تلك الموادّ من ضعف التجارات و المكاسب و عدم التمليك للأمصار و كلّ ذلك لعدم النظام العدلىّ بينهم و كلّها استعارات بالكنايه و وجه الاستعاره الاولى أنّ الورق كما أنّه زينه للشجره و به كما له كذلك لذّات الدنيا و حياه الدنيا و زينتها،و وجه الثانيه أنّ الثمر كما أنّه مقصود الشجره غالبا و غايتها كذلك متاع الدنيا و الانتفاع به هو مقصودها المطلوب منها لأكثر الخلق،

و وجه الثالثه أنّ الماء كما أنّه مادّه الشجر و به حياتها و قيامها فى الوجود كذلك مولود تلك اللذّات هى المكاسب و التجارات و الصناعات،و قد كانت العرب خاليه من ذلك،و وجوه باقى الاستعارات ظاهره.

التاسع: استعاره بالكنايه دروس أعلام الهدى .و كنّى بأعلام الهدى عن أئمّه الدين،و كتبه الّتى بها يهتدى لسلوك سبيل اللّه و بدروسها عن موت اولئك و عدمهم كنايه بالمستعار كما سبق.

العاشر :ظهور أعلام الردى.و هم أئمّه الضلال الداعين إلى النار.

الحادى عشر: استعاره بالكنايه كون الدنيا متجهّمه لأهلها عابسه فى وجوه طلاّبها ،و كنّى بذلك عن عدم صفائها فإنّ طيب العيس فى الدنيا إنّما يكون مع وجود نظام العدل و التصفيه بين أهلها و عدم التظالم و ذلك فى زمان الفتره مفقود بين العرب،و هو كنايه بالمستعار،و وجه المشابهه ما يلزمه المستعار عنه و له من عدم تحصيل المطلوب معهما.

الثانى عشر: استعاره كون ثمرها الفتنه :أى غايه سعيهم فيها على خبط فى ظلمات جهلهم إنّما هو الفتنه:أى الضلال عن سبيل اللّه و التيه فى ظلمات الباطل.و غايه كلّ شيء هو مقصوده فتشبه الثمره الّتى هى مقصود الشجره فلذلك استعير لها لفظها.

الثالث عشر: استعاره و طعامها الجيفه .يحتمل أن يكون لفظ الجيفه هنا مستعارا لطعام الدنيا و لذّاتها،و وجه المشابهه أنّه لمّا كانت الجيفه عباره عمّا أنتن و تغيّرت رائحته من جثّه حيوان و نحوها فخبث مأكله و نفر الطبع عنه كذلك طعام الدنيا و لذّاتها فى زمان الفتره أكثر ما يكون من النهب و الغاره و السرقه و نحوهما ممّا يخبث تناوله شرعا و ينفر العقل منه و تأباه كرائم الأخلاق فأشبه ما يحصل من متاعها إذن الجيفه فى خبثها و سوء مطعمها و إن كان أحد الخبيثين عقليّا و الآخر حسّيا فاستعير لفظها له،و يحتمل أن يكنّى بالجيفه عمّا كانوا يأكلون فى الجاهليّه من الحيوان غير مذكّى و هو ما حرّمه القرآن الكريم من ذلك فى قوله: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَهُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَ ما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَ الْمُنْخَنِقَهُ وَ الْمَوْقُوذَهُ» : (1)أى المضروبه بالخشب حتّى تموت و يبقى الدم فيها فيكون

١- (١) ٤-٥.

أطيب كما زعم المجوس،و المترديّه:أی الّتی تردّت من علوّ فماتت.فإنّ کلّ ذلک إذا مات فکثیرا ما یتعفّن و یؤکل فیصدق أن طعامهم کان الجیفه .

الرابع عشر:کون شعارها الخوف .

الخامس عشر: استعاره کون دثارها السیف .استعار لفظ الشعار للخوف و الدثار للسیف، و وجه الاستعاره الاولی أنّ الخوف و إن کان من العوارض القلبیّه إلاّ أنّه کثیرا ما یستتبع اضطراب البدن و انفعاله بالرعده فیکون شاملا له شمول ما یتّخذه الإنسان شعارا،و وجه الثانیه أنّ الدثار و السیف یشترکان فی مباشره المدّثر و المضروب من فوقهما .

و قوله: فاعتبروا عباد اللّه شروع فی المقصود.فقوله : و اذکروا تلک. إشاره إلی وجه العبره من قبایح الأعمال:أی تلک الأعمال الّتی کانت علیها آباؤکم و إخوانکم زمان الفتره و زمان دعوه الرسول لکم،و قوله: فهم بها مرتهنون :أی محبوسون فی سلاسل الهیئات البدنیّه و أغلال ما اکتسبوا منها،و محاسبون علیها .و قوله: تشبیه و لعمری.إلی قوله:ببعید.

إلحاق بهم بآبائهم فی تشبیه زمانهم بزمانهم و تقارب ما بین الزمانین و تشبیه أحوالهم بحالهم فی امور:

أحدها:أنّ اولئک کانوا آبائکم و لیس زمان الابن و حاله ببعید من حال أبیه فیما یأتی و یذر .

الثانی:أنّ الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم لم یسمعهم شیئا إلاّ و أسمعتکم إیّاه فلا فرق بینکم و بینهم من هذه الجهه .

الثالث:أنّه لا تفاوت بین إسماعکم و إسماعهم .

الرابع:أنّ سایر الآلات البدنیّه الّتی کانت لاولئک فاکتسبوا بها کما لا و لم تکتسبوا حاصله لکم أیضا.

الخامس :أنّکم لم تعلموا شیئا کان آباؤکم جهلوه حتّی یکون ذلک سببا للفرق بینکم و بینهم.

السادس :و لا اصفیتم من الدنیا بشیء لم یکن لآبائکم مثله،و غرضه من إلحاقهم بآبائهم فی هذه الأحوال أمران:أحدهما:التنفیر عن حال من سبق من العاصین بمخالفه

أو امر اللّه تعالى.الثانى:الجذب و الترغيب فى حال من سبق ممّن أطاع اللّه و الرسول فإنّه إذا حصلت المشابهه بينهم و بين السابقين و المتشابهان يتّحدان فى اللوازم كان من تشبّه بسابق فى عصيانه لزمه ما لزمه من أليم العقاب،و من تشبّه به فى طاعته و انقياده للّه لزمه ما لزمه من الوصول إلى جزيل الثواب .

استعاره بالكنايه و قوله: و لقد نزلت بكم البليّه.

يشبه أن يكون إنذارا بابتلاء الخلق بدوله بنى اميّه و ملوكها ، استعاره بالكنايه و قوله: جائلا خطامها .كنايه بالمستعار عن خطرها و صعوبه حال من يركن إليها فإنّها لمّا كانت دوله خارجه عن نظام الشريعه جاريه على وفق الأوهام كان الراكن إليهم على خطر فى دينه و نفسه كما أنّ من ركن إلى الناقه الّتى جال خطامها،أى لم يثبت فى وجهها و ارتخى حزامها فركبها كان على خطر أن تصرعه فيهلك ، استعاره ثمّ أردف ذلك بالنهى عن الاغترار بما أصبح فيه أهل الغفله من متاع الدنيا و طيّباتها و نفّر عنه باستعاره لفظ الظلّ له،و وجه المشابهه ما يشتركان فيه من كونه ممدودا ينتهى عند أجل و يزول به .و باللّه التوفيق.

۸۷-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

:اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَهٍ وَ الْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّهٍ- الَّذِى لَمْ يَزَلْ قَائِماً دَائِماً إِذْ لاَ سَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ- وَ لاَ حُجُبٌ ذَاتُ إِرْتَاجٍ وَ لاَ لَيْلٌ دَاجٍ وَ لاَ بَحْرٌ سَاجٍ- وَ لاَ جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ وَ لاَ فَجٌّ ذُو اعْوِجَاجٍ- وَ لاَ أَرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ وَ لاَ خَلْقٌ ذُو اعْتِمَادٍ- ذَلِكَ مُبْتَدِعُ الْخَلْقِ وَ وَارِثُهُ وَ إِلَهُ الْخَلْقِ وَ رَازِقُهُ- وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ دَائِبَانِ فِى مَرْضَاتِهِ- يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ وَ يُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ قَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ وَ أَحْصَى آثَارَهُمْ وَ أَعْمَالَهُمْ- وَ عَدَدَ أَنْفُسِهِمْ وَ خَائِنَهَ أَعْيُنِهِمْ- وَ مَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ مِنَ الضَّمِيرِ- وَ مُسْتَقَرَّهُمْ وَ مُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ

الْأَرْحَامِ وَ الظُّهُورِ- إِلَى أَنْ تَتَنَاهَى بِهِمُ الْغَايَاتُ هُوَ الَّذِی اشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ عَلَى أَعْدَائِهِ فِی سَعَهِ رَحْمَتِهِ- وَ اتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لِأَوْلِيَائِهِ فِی شِدَّهِ نِقْمَتِهِ- قَاهِرُ مَنْ عَازَّهُ وَ مُدَمِّرُ مَنْ شَاقَّهُ وَ مُذِلُّ مَنْ نَاوَاهُ- وَ غَالِبُ مَنْ عَادَاهُ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ وَ مَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ- وَ مَنْ أَقْرَضَهُ قَضَاهُ وَ مَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ- عِبَادَ اللَّهِ زِنُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوزَنُوا- وَ حَاسِبُوهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا- وَ تَنَفَّسُوا قَبْلَ ضِيقِ الْخِنَاقِ وَ انْقَادُوا قَبْلَ عُنْفِ السِّيَاقِ- وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعَنْ عَلَى نَفْسِهِ- حَتَّى يَكُونَ لَهُ مِنْهَا وَاعِظٌ وَ زَاجِرٌ- لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا لَا زَاجِرٌ وَ لَا وَاعِظٌ

اللغه

أقول: الأرتاج : الأغلاق .و الساجی : الساکن .و الفجاج : الاتّساع .و الفجّ:

الواسع .و دائبان : مجدّان فی سیرهما .و عازّه : غالبه .و المناواه : المعاداه .

المعنی

و قد صدر هذا الفصل باعتبارات إضافیّه للحقّ سبحانه فی معرض تمجیده :

فالأوّل:کونه تعالی معروفا من غیر رؤیه

،و قد سبق معنی معرفته تعالی و مراتبها و بیان کونه منزّها عن الرؤیه بحاسّه البصر .

الثانی:کونه تعالی خالقا من غیر رویّه

،و قد سبق أیضا بیانه فی قوله فی الخطبه الاولی:بلا رویّه أجالها .

الثالث:کونه لم یزل دائما

،و ذلک لکون وجوب وجوده مستلزما لاستحاله عدمه أزلا و أبدا.

الرابع:کونه قائما.

یجوز أن یرید به معنی الدائم الباقی،و یجوز أن یرید به القائم بامور العالم،و للمفسّرین فیه علی هذا الوجه أقوال:

الأوّل:عن ابن عبّاس-رضی اللّه عنه-کونه عالما بالخلق أینما کانوا و ضابطا

لأحوالهم.

الثانى:قيامه توكيله الحفظه عليهم و هو المشار إليه بقوله تعالى «أَ فَمَنْ هُوَ قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ» .

الثالث:القائم على الشىء هو الحافظ له و المدبّر لأمره.

الرابع:هو المجازى بالأعمال.

الخامس:هوالقاهرلعباده المقتدر عليهم

،و قوله : إذ لا سماء.إلى قوله:ذو اعتماد إشاره إلى جهه اعتبار أزليّه قيامه بذاته و سبقه لكلّ ممكن و دوامه تقريرا لقول الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم:كان اللّه و لا شىء. استعاره بالكنايه فأمّا الحجب ذات الأرتاج فيحتمل أن يريد بها السماوات على ظاهر الشريعه و أنّه تعالى فى السماء فأشبهت الحجب له فأطاق له لفظها عليها،و كونها ذات أرتاج كنايه عن عدم التمكّن من فتحها و الدخول فيها كنايه بالمستعار ،و قال بعض الفضلاء:أراد بها الهيئات البدنيّه و محبّه الدنيا و الظلمات الحاصله للنفس الحاجبه لها عن مشاهده أنوار جلال اللّه حتّى كأنّها أقفال عليها كما قال تعالى «أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها» و قوله : و لا خلق ذو اعتماد :أى ذو قوّه و بطش .

السادس:كونه مبتدع الخلق

:أى مخترعه على غير مثال سبق.

السابع:كونه وارثه:

أى كما أنّه مبدأه فهو مآله و مرجعه،و ذلك إشاره إلى كونه دائما قائما لم يزل و لا يزال .

الثامن:كونه إله الخلق

و هو اعتبار يلحقه بالقياس إلى ايجاده لهم و استعباده إيّاهم.

التاسع:كونه رازقهم

و هو اعتبار له بالقياس إلى إفاضه ساير نعمه عليهم.

أحدها :كون الشمس و القمر دائبين فى مرضاته:أى على وفق إرادته للخير المطلق و النظام الكلّى،و ذكرهما فى معرض تمجيده لكونهما من أعظم آيات ملكه،و قوله :

يبليان كلّ جديد .نسب الإبلاء إليهما لكون حركاتهما من الأسباب لحدوث الحوادث فى هذا العالم و تغيّراته،و كذلك قوله : و يقرّبان كلّ بعيد ،و فيه جذب إلى ذكر المعاد و العمل له فكونهما يبليان كلّ جديد متبّه على عدم الثقه و الاعتماد على ما يروق و يعجب من حسن الأبدان وجدتها،و كذلك ما يحدث و يتجدّد من قينات الدنيا و لذّاتها

ص:۳۱۶

لوجوب دخولها فيما يبلى و كونهما يقرّبان البعيد تنبيه مع ذلك على الحذر ممّا يستبعده أهل الغفله من الموت و الفناء فى صحّه أبدانهم و سلامتهم فى حياتهم الدنيا .

العاشر:كونه تعالى قسم أرزاقهم

كقوله «نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَياهِ الدُّنْيا» (۱)أى وهب لكلّ من الخلق ما كتب له فى اللوح المحفوظ .

الحادى عشر:كونه أحصى آثارهم.

إلى قوله: من الأرحام و الظهور :أى أحصى كلّ ذلك منهم بقلم القضاء الإلهى فى الألواح المحفوظه و إليه الإشاره بقوله تعالى «وَ اللّهُ يَعْلَمُ أَعْمالَكُمْ» و قوله «وَ ما مِنْ غائِبَهٍ فِي السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إِلاّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ» (۲)و قوله «يَعْلَمُ خائِنَهَ الْأَعْيُنِ وَ ما تُخْفِي الصُّدُورُ» (۳)و قوله «وَ ما مِنْ دَابَّهٍ فِي الْأَرْضِ إِلاّ عَلَى اللّهِ رِزْقُها وَ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَ مُسْتَوْدَعَها كُلٌّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ» (۴)و قوله : إلى أن تتناهى بهم الغايات :أى يعلم كلّ أحوالهم من حين ابتدائهم إلى أن يقف كلّ عند غايته المكتوبه له من خير أو شرّ .

الثانى عشر:هو الّذى اشتدّت نقمته على أعدائه فى سعه رحمته و اتّسعت رحمته

لأوليائه فى شدّه نقمته

و أشار بذلك إلى كمال ذاته بالنسبه إلى ملوك الدنيا مثلا فإنّ أحدهم فى حاله غضبه على عدوّه لا يتّسع لرحمته و لا رحمه غيره،و كذلك فى حال رحمته لأوليائه لا يجتمع معها غضبه عليهم،و لمّا ثبت أنّه تعالى هو الغنىّ المطلق المنزّه عن صفات المخلوقين و أنّه المعطى لكلّ قابل ما يستحقّه من غير توقّف فى وجوده على أمر من ذاته و كان أعداء اللّه مستعدّون ببعدهم عنه لقبول سخطه و شدّه نقمته فى الآخره لا جرم أولاهم ذلك و إن كانوا فى الدنيا فى سعه رحمته و شمول نعمته،و كذلك أولياؤه لمّا استعدّوا لقبول رحمته و شمول نعمته أفاضها عليهم فهم فى حضره قدسه على غايه من البهجه و السعاده و ضروب الكرامه و إن كانوا بأجسادهم فى ضروب من العذاب و شقاوه الفقر و الضنك فى الدنيا،و ذلك لا يملكه إلاّ حليم لا يشغله غضب عن رحمته،عدل حكيم لا تمنعه رحمته عن إنزال عقوبته سبحانه ليس إلاّ هو .

۱- ۱) ۳۱-۴۳

۲- ۲) ۷۷-۲۷

۳- ۳) ۲۰-۴۰

۴- ۴) ۷-۱۱

الثالث عشر:قاهر من عازّه.

إنّه تعالى قاهر باعتبار أنّه قاصم ظهور الجبابره من أعدائه فيقهرهم بالموت و الإذلال كفرعون إذ قال: «أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى فَأَخَذَهُ اللّهُ نَكالَ الْآخِرَهِ وَ الْأُولى» .و هو الّذى يلحق هذا الاعتبار مطلقا إذ كلّ موجود فهو مسخّر تحت قدرته و قهره عاجز فى قبضته .

الرابع عشر:

و مدمّر من شاقّه .

الخامس عشر:

و مذّل من ناوأه .

السادس عشر:و غالب من عاداه.

فمشاقّه اللّه اتّباع غير سبيله من بعده ما يتبيّن للمنحرف الهدى،و مناوأته الإعراض عن أوامره و اتّباع الشهوات و إذلاله تعالى حينئذ هو إفاضته لصوره الحاجه إلى غيره .

السابع عشر:

كافى من توكّل عليه .

الثامن عشر:

و معطى من سأله .

التاسع عشر:

و قاضى من أقرضه .

العشرون:

و مجازى من شكره. و هذه الاعتبارات تعود إلى حرف واحد و هو أنّ العبد إذا استعدّ بحسن التوكّل و السؤال و الصدقه و الشكر لنعم اللّه وجب فى جود اللّه و حكمته إفاضه كفايته فيما توكّل عليه فيه فكفايته من الكمالات إفاضه تمامها عليه، و من رفع النقصانات دفعها عنه ثمّ إعطاؤه ما سأل إذا استعدّ لقبوله ثمّ أداؤه عن قرضه أضعافه ثمّ جزاؤه على شكر زياده إنعامه،و أطلق لفظ القرض لما يعطى الفقير مجازا كما قال تعالى «مَنْ ذَا الَّذِی یُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً» (۱)أى بريئا من جهات الرياء و السمعه خالصا لوجه اللّه فيضاعفه له أضعافا كثيره،و وجه المناسبه كون الفقراء أهل اللّه و عياله فكان المعطى هو اللّه تعالى .

و قوله:عباد اللّه إلى آخره.

و قوله: عباد اللّه .إلى آخره.

شروع فى الشصور و الموعظه فقوله : زنوا أنفسكم من قبل أن توزنوا .زنه النفوس فى الدنيا اعتبار أعمالها و ضبطها بميزان العدل:أى مراعاه استقامتها على حاقّ الوسط من طرفى

ص:۳۱۸

۱- ۱) ۲-۲۴۶

الإفراط و التفريط اللذين هما ككفّتى الميزان مهما رجحت إحداهما فالنقصان لازم و الخسران قايم،و أمّا الميزان الاخروى فأمّا على رأى المتكلّمين و ظاهر الشريعه فظاهر و أمّا على رأى محقّقى السالكين من الصوفيّه فما أشار إليه الإمام الغزّالىّ-رضى اللّه عنه-كاف فى بيانه قال:إنّ تعلّق النفس بالجسد كالحجاب لها عن حقايق الامور و بالموت ينكشف الغطاء كما قال تعالى «فَكَشَفْنا عَنْکَ غِطاءَکَ فَبَصَرُکَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ» (۱)و ممّا ينكشف له تأثير أعماله فيما يقرّبه إلى اللّه تعالى و يبعّده عنه،و مقادير تلك الآثار و أنّ بعضها أشدّ تأثيرا من بعض،و فى قدره اللّه تعالى أن يجرى شيئا يعرف الخلق به فى لحظه واحده مقادير الأعمال بالإضافه إلى تأثيراتها فى التقريب و الإبعاد فحدّ الميزان ما به يتميّز الزياده و النقصان و إن اختلف مثاله فى العالم المحسوس فمنه الميزان المعروف و منه القبّان و الاصطرلاب لحركات الفلك،و المسطره لمقادير الخطوط،و العروض لمقادير حركات الأصوات فهذه كلّها أمثله للميزان الحقيقىّ،و هو ما يعرف به الزياده و النقصان و هو موجود فيها بأسرها،و صورته تكون للحسّ عند التشكيك و للخيال بالتمثيل .

و قوله:و حاسبوه قبل أن تحاسبوا.

اشاره

و قوله: و حاسبوه قبل أن تحاسبو.

محاسبه النفس ضبط الإنسان على نفسه أعمالها الخيريّه و الشريّه ليزكّيها بما ينبغى لها و يعاقبها على فعل ما لا ينبغى،و هى باب عظيم من أبواب المرابطه فى سبيل اللّه فإنّ

للعارفين فى سلوک سبيل اللّه و مرابطتهم مع أنفسهم مقامات خمسه:

الاولى:المشارطه ثمّ المراقبه ثمّ المحاسبه ثمّ المعاتبه ثمّ المجاهده و المعاقبه.

و ضربوا لذلك مثالا فقالوا:ينبغى أن يكون حال الإنسان مع نفسه كحاله مع شريكه إذا سلّم إليه ما لا ليتّجر به فالعقل هو التاجر فى طريق الآخره،و مطلبه و ربحه تزكيه النفس إذ بذلك فلاحها كما قال تعالى «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها وَ قَدْ خابَ مَنْ دَسّاها» (۲)و إنّما علاجها بالأعمال الصالحه فالعقل يستعين بالنفس فى هذه التجاره إذا يستسخرها فيما يزكّيها كما يستعين التاجر بشريكه،و كما أنّ الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه فى الربح فيحتاج أن يشارطه أوّلا،و يراقبه ثانيا،و يحاسبه ثالثا،و يعاتبه أو يعاقبه

۱- (۱) ۲۱-۵۰

۲- (۲) ۹-۹۱

رابعا فكذلك العقل يحتاج إلى مشارطه النفس أوّلا فيوظّف عليها الوظايف،و يأمرها بسلوك طريق الحقّ،و يرشدها إليها،و يحرّم عليها سلوك غيرها كما يشترط التاجر على شريكه.

الثانيه:أن لا يغفل عن مراقبتها لحظه فلحظه

عند خوضها فى الأعمال و يلاحظها بالعين الكالئه و إلى مقام المراقبه الإشاره بقوله تعالى «وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَماناتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ راعُونَ وَ الَّذِينَ هُمْ بِشَهاداتِهِمْ قائِمُونَ» (١)و قوله صلى اللّه عليه و آله و سلّم:اعبد اللّه كأنّك تراه،و قد سبق بيان حقيقه المراقبه،و لا بدّ منها فإنّ الإنسان لو غفل عن نفسه و أهملها لم ير منها إلاّ الخيانه و تضييع رأس المال كالعبد الخائن إذا انفرد بمال سيّده.

الثالثه:ثمّ بعد الفراغ من العمل ينبغى أن يحاسبها و يطالبها بالوفاء بما شرط

فإنّ هذه تجاره ربحها الفردوس الأعلى فتدقيق الحساب فى هذا أهمّ من التدقيق فى أرباح الدنيا لحقارتها بالنسبه إلى نعيم الآخره فلا ينبغى أن يهمل من مناقشتها فى ذرّه من حركاتها و سكناتها و خطراتها و لحظاتها فإنّ كلّ نفس من أنفاس العمر جوهره نفيسه لا عوض لها يمكن أن يشترى بما كنزه من كنوز الآخره لا يتناهى.قالوا:و ينبغى للإنسان أن يخلو عقيب فريضه كلّ صبح مع نفسه بالوصيّه و يقول:أى نفس ليس لى بضاعه إلاّ العمر و مهما فنى فقد فنى رأس مالى،و وقع اليأس من التجاره و طلب الربح،و هذا يوم جديد قد أمهلنى اللّه فيه و هو صاحب البضاعه و ربّها و لو توفّانى لقلت: «رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ» :فاحسبى إنّك رددت فإيّاك و تضييع هذا اليوم و الغفله فيه.و اعلمى أنّ اليوم و الليله أربع و عشرون ساعه،و قد ورد فى الخبر أنّه يفتح للعبد فى كلّ يوم و ليله أربع و عشرون خزانه مصفوفه فيفتح لها فيها خزانه فيراها مملوّه نورا من حسناته الّتى عملها فى تلك الساعه فينال من الفرح و الاستبشار بمشاهده تلك الأنوار ما لو قسّم على أهل النار لأغناهم عن الإحساس بآلامها،و يفتح له خزانه اخرى فيراها سوداء مظلمه يفوح نتنها و يغشاهم ظلامها و هى الساعه الّتى عصا اللّه تعالى فيها فينا له من الهول و الفزع ما لو قسّم على أهل الجنّه لتغصّ عليهم نعيمها،و يفتح له خزانه اخرى فارغه

ص:٣٢٠

١- (١) ٣٢-٧٠

لیس فیها ما یسرّه و ما یسوءه و هی الساعه الّتی نام فیها أو غفل فی شیء من مباحات الدنیا فیتحسّر علی خلوّها و یناله من الغبن الفاحش ما ینال من قدر علی ربح کثیر ثمّ ضیّعه،و إلیه الإشاره بقوله تعالی «یَوْمَ یَجْمَعُکُمْ لِیَوْمِ الْجَمْعِ ذٰلِکَ یَوْمُ التَّغابُنِ» (۱)و قال بعضهم:هب أنّ المسیئ قد عفی عنه ألیس فاته ثواب المحسنین.و هو إشاره إلی الغبن و الحسره یومئذ،ثمّ یستأنف وصیّته لأعضائه السبعه:و هی العین و الاذن و اللسان و البطن و الفرج و الید و الرجل،و یسلّمها إلیها فإنّها رعایا خادمه لها فی التجاره و بها یتمّ أعمال هذه التجاره،و أنّ لجهنّم سبعه أبواب لکلّ باب منهم جزء مقسوم،و إنّما یتعیّن تلک الأبواب لمن عصی اللّه تعالی بهذه الأعضاء،و یوصی کلّ عضو بما ینبغی له و ینهاه عمّا لا ینبغی له،و یرجعه فی تفصیل تلک الأوامر و النواهی إلی مراسم الشریعه ثمّ یشترط علیها إن خالفت ذلک عاقبها بالمنع من شهواتها،و هذه الوصیّه قد تکون بعد العمل و قد تکون قبله للتحذیر کما قال تعالی ف «اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ یَعْلَمُ ما فِی أَنْفُسِکُمْ فَاحْذَرُوهُ» (۲).

الرابعه:المجاهده و المعاقبه،

و هو بعد المحاسبه إذا رأی نفسه قد تاقت معصیه فینبغی أن یعاقبها بالصبر عن أمثالها و یضیّق علیها فی مواردها و ما یقود إلیها من الامور المباحه و إن رآها توانت و کسلت عن شیء من الفضایل و ورد من الأوراد فینبغی أن یؤدّ بها بتثقیل الأوراد علیها و یلزمها فنونا من الطاعات جبرا لما فات.روی:أنّ ابن عمر أخّر صلاه المغرب حتّی طلع کوکبان فأعتق رقبتین.

الخامسه:توبیخ النفس و معاتبتها،

و قد علمت أنّ لک نفسا أمّاره بالسوء میّاله إلی الشرّ،و قد امرت بتقویمها و قودها[عودها ج]بسلاسل القهر إلی عباده ربّها و خالقها و بمنعها عن شهواتها و لذّاتها المألوفه فإن أهملتها شردت و جمحت و لم تظفر بها بعد ذلک،و إن لازمتها بالتوبیخ و المعاتبه و اللائمه کانت نفسک هی النفس اللوّامه،و سبیل المعاتبه أن تذکّر النفس عیوبها و ما هی علیه من الجهل و الحمق و ما بین یدیها من مغافصه الموت و ما تؤول إلیه من الجنّه و النار و ما علیه اتّفاق کلمه أولیاء اللّه الّذین هم بتسلیمها سادات

۱- (۱) ۹-۶۴.

۲- (۲) ۲۳۶-۲.

الخلق و رؤساء العالم من وجوب سلوك سبيل اللّه و مفارقه معاصيه،و تذكيرها بآيات اللّه و أحوال الصالحين من عباده.فهذه محاسبات النفس و مرابطاتها،و أمّا حسابها الاخرویّ فقد سبقت الاشاره إليه .

و قوله و تنفّسوا من قبل ضيق الخناق.

استعاره و قوله و تنفّسوا من قبل ضيق الخناق.

استعار لفظ النفس لتحصيل الراحه و البهجه فی الجنّه بالأعمال الصالحه فی الدنيا المستلزمه لها كما يستلزم النفس راحه القلب من الكرب،و استعار لفظ الخناق من الحبل المخصوص للموت،و وجه المشابهه ما يستلزمه ضيق الخناق و الموت من عدم التمكّن و التصرّف و العمل:أی انتهزوا الفرصه للعمل قبل تعذّره بزوال وقته و ضيقه .

و قوله:و انقادوا قبل عنف السياق.

و قوله: و انقادوا قبل عنف السياق.

أی انقادوا لأوامر اللّه إلی طاعته قبل السوق العنيف و هو سوق ملك الموت بالجذبه المكربه كما سبق .

و قوله:و اعلموا أنّه من لم يعن على نفسه إلى آخره.

و قوله: و اعلموا أنّه من لم يعن على نفسه .إلی آخره.

أی من لم يعنه اللّه على نفسه.و إعانته له هو إعداد العنايه الإلهيّه لنفسه الناطقه أن تقبل السوانح الخيريّه،و تأييدها بها على النفس الأمّاره بالسوء لتقوی بتلك السوانح على قهرها و على الانزجار عن متابعتها و الانجذاب إلی ما تدعوها إليه من الشهوات فإنّه متی لم يكن لها ذلك الاستعداد و القبول لم ينفعها وعظ غيرها و لم يقبله إذ لا قبول بدون استعداد للمقبول.و فی ذلك تنبيه على وجوب الاستعانه باللّه فی أحوال النفس و دفع الشيطان عنها.و باللّه التوفيق.

۸۸-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

تعرف بخطبه الأشباح،

و هی من جلائل خطبه،و كان سائل سئله أن يصف اللّه تعالی حتّی كأنّه يراه عيانا فغضب لذلك،و قال الخطبه.روی مسعده بن صدقه عن الصادق جعفر بن محمّد عليهما السّلام أنّه قال:خطب أمير المؤمنين عليه السّلام هذه الخطبه على منبر الكوفه،و ذلك أنّ رجلا أتاه فقال له:يا أمير المؤمنين صف لنا ربّنا لنزداد له حبّا و به معرفه فغضب

و نادى:الصلاه جامعه.فاجتمع الناس حتّى غصّ المسجد بأهله فصعد المنبر و هو مغضب متغيّر اللون فحمد اللّه و أثنى عليه و صلّى على النّبىّ صلى اللّه عليه و آله و سلّم ثمّ خطبها.

و أعلم أنّ فى الخطبه فصولا:

الفصل الأوّل.

اشاره

قوله:

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لاَ يَفِرُهُ الْمَنْعُ وَ الْجُمُودُ- وَ لاَ يُكْدِيهِ الْإِعْطَاءُ وَ الْجُودُ- إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ سِوَاهُ وَ كُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلاَهُ- وَ هُوَ الْمَنَّانُ بِفَوَائِدِ النِّعَمِ وَ عَوَائِدِ الْمَزِيدِ وَ الْقِسَمِ- عِيَالُهُ الْخَلاَئِقُ ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ وَ قَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ- وَ نَهَجَ سَبِيلَ الرَّاغِبِينَ إِلَيْهِ وَ الطَّالِبِينَ مَا لَدَيْهِ- وَ لَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلْ- الْأَوَّلُ الَّذِى لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلٌ فَيَكُونَ شَىْ‌ءٌ قَبْلَهُ- وَ الْآخِرُ الَّذِى لَيْسَ لَهُ بَعْدٌ فَيَكُونَ شَىْ‌ءٌ بَعْدَهُ- وَ الرَّادِعُ أَنَاسِيَّ الْأَبْصَارِ عَنْ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ- مَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفَ مِنْهُ الْحَالُ- وَ لاَ كَانَ فِى مَكَانٍ فَيَجُوزَ عَلَيْهِ الاِنْتِقَالُ وَ لَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ الْجِبَالِ- وَ ضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ الْبِحَارِ مِنْ فِلِزِّ اللُّجَيْنِ وَ الْعِقْيَانِ- وَ نُثَارَةِ الدُّرِّ وَ حَصِيدِ الْمَرْجَانِ مَا أَثَّرَ ذَلِكَ فِى جُودِهِ- وَ لاَ أَنْفَدَ سَعَةَ مَا عِنْدَهُ- وَ لَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخَائِرِ الْأَنْعَامِ مَا لاَ تُنْفِدُهُ مَطَالِبُ الْأَنَامِ- لِأَنَّهُ الْجَوَادُ الَّذِى لاَ يَغِيضُهُ سُؤَالُ السَّائِلِينَ- وَ لاَ يُبْخِلُهُ إِلْحَاحُ الْمُلِحِّينَ

ص:۳۲۳

اللغه

أقول: الأشباح : الأشخاص .و يفره: يزيد ماله وفورا و يتمّمه .و يكديه : ينقص خيره .و تنفّست عنه : انفرجت .و الفلزّ : ما ينقيه الكير ممّا يذاب من جواهر الأرض .و العقيان : الذهب الخالص .و المرجان : صغار اللؤلؤ .و ألحّ فى سؤاله : إذا أدام عليه .

و قد شرع فى وصف اللّه سبحانه باعتبارات له إلى آثاره :

الأوّل:

أنّه لا يتزيّد بما حرمه و منعه من فضله .

الثانى:و لا ينقصه عطاؤه و جوده.

ثمّ ردّ حكم الوهم عليه سبحانه بدخوله فى عموم المنتقصين بالعطايا بقوله: إذ كلّ معط منتقص سواه ،و كذلك قدّسه عن الدخول فى زمره المذمومين بمنعهم ما فى أيديهم عن طالبه بقوله: و كلّ مانع مذموم ما خلاه فكانت هاتان القضيّتان مؤكّدتين للاولیین،و برهانهما أنّ التزيّد بالمنع و التنقّص بالإعطاء إنّما يطلق فى حقّ من ينتفع و يتضرّر بالزياده و النقصان و الانتفاع و التضرّر على اللّه محال فالتزيّد و التنقّص عليه محال،و لأنّهما يقضيان عليه بالحاجه و الإمكان،و لأنّ مقدوراته غير متناهيه،و نبّه بقوله: إذ .على جهه الفرق بينه و بين خلقه،و إنّما انتقص المعطى من خلقه لحاجته إلى ما يعطيه و انتفاعه به،و إنّما استحقّ المانع منهم الذمّ دونه سبحانه لكون ما يصدر عنه من منع و إعطاء مضبوطا[منوطا خ]بنظام الحكمه و العدل دون غيره من المانعين فإنّ غالب منعهم يكون عن شحّ مطاع و هوى متّبع.و اعلم أنّ صدق الكلّيّه فى المنتقصين بالعطاء ظاهر،و أمّا فى المذمومين بالمنع فتحقيقها أنّ كلّ مانع للمال فهو إنّما يمنعه خوف الفقر و نحوه،و ظاهر أنّ الخائف من الفقر فى الدنيا محبّ لها و هو بمعزل عن عباد اللّه المتوكّلين عليه الزاهدين فى متاع الدنيا و قيناتها،و إذا كان العبد مأمورا بأن يكون من هؤلاء و فى زمرتهم فبالحرىّ أن يكون مستحقّا للذمّ على ما يمنعه من ماله فيكون حجابا لوجهه عن النظر إلى وجه اللّه الكريم فصدق الكلّيّه إذن ظاهر.و فى أدعيه زين العابدين عليه السّلام:يا من لا يزيده كثره العطاء إلاّ كرما وجودا.و فيه سرّ لطيف فإنّه لمّا كان جوده سبحانه غير متوقّف إلاّ على وجود الاستحقاق،و كانت كلّ نعمه صدرت عنه معدّه لمحلّها و مهيّئه له لقبول نعمه اخرى كانت كثره عطائه مستلزمه لكثره الاعداد المستلزمه لزياده الجود .

الثالث:أنّه المنّان بفوائد النعم

،و المنّه تذكير المنعم للمنعم عليه بنعمته و التطاول عليه بها كقوله تعالى «يا بَنِی إِسْرائِیلَ اذْکُرُوا نِعْمَتِیَ الَّتِی أَنْعَمْتُ عَلَیْکُمْ» (۱)فی غیر موضع من کتابه و هی صفه مدح للحقّ سبحانه و إن کانت صفه ذمّ لخلقه،و السبب الفارق کون کلّ منعم سواه فیحتمل أن یتوقّع لنعمته جزاء و یستفید کما لا یعود إلیه ممّا أفاده و أیسره توقّع الذکر و یقبح ممّن یقابل بنعمته و یتوقّع لها جزاء أن یمّن بها لما یستلزمه المنّ من التطاول و الکبر،و توقّع الجزاء و الحاجه إلیه مع التطاول و الکبر ممّا لا یجتمعان فی العرف.إذ التطاول و الکبر إنّما یلیقان بالغنیّ عن ثمره ما تطاول به و لأنّ التطاول ممّا یتأذّی به المنعم علیه فیبطل بذلک استعداد نفس المنعم لقبول رحمه اللّه و جزائه و لذلک ورد النهی عن المنّه فی قوله تعالی «یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِکُمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذی» (۲)فجعلهما سببا لبطلان الصدقه:أی عدم استحقاق ثوابها،و فوائد النعم:ما أفاد منها . و عوائد المزید و القسم :معتادهما .

الرابع:

استعاره کون الخلائق عیاله ضمن أرزاقهم و قدّر أقواتهم ،و استعار لفظ العیال للخلق بالنسبه إلی ربّهم،و وجه المشابهه أنّ عیال الرجل هو من جمعهم کیفیّتهم و یصلح حالهم کذلک الخلق إنّما خلقهم و جمعهم تحت عنایته لیصلح أحوالهم فی معاشهم و معادهم،و کذلک استعار لفظ الضمان لما وجب فی الحکمه الإلهیّه من وجود ما لا بدّ منه فی تدبیر إصلاح حالهم من الأقوات و الأرزاق،و تقدیر أقواتهم إعطاء کلّ ما کتب له فی اللوح المحفوظ من زائد و ناقص .

الخامس:کونه نهج سبیل الراغبین إلیه و الطالبین ما لدیه

،و ذکر أوّلا ما یصلح حالهم فی الدنیا و هو ضمان الأرزاق و تقدیر الأقوات ثمّ أردفه بما هو سبب صلاح حالهم فی الآخره من نهج السبیل و ایضاحه و أشار به إلی ایضاح الشریعه لطریق السالکین الراغبین فی النظر إلی وجهه الکریم و الطالبین لما عنده من النعیم المقیم .

السادس:کونه لیس بما سئل بأجود منه بما لم یسئل

،و یستلزم بیان هذا الوصف إشاره لطیفه و هو أنّ فیضان ما صدر عنه سبحانه له اعتباران:أحدهما:بالنظر إلی جوده

۱- (۱) ۴۴-۲.

۲- (۲) ۲۶۶-۲.

و هو من تلك الجهه غير مختلف فى جميع الموجودات بل نسبتها إليه على سواء بذلك الاعتبار.فلا يقال:هو بكذا أجود منه بكذا.و إلاّ لاستلزم ذلك أن يكون ببعض الأشياء أبخل أو إليها أحوج فيلزمه النقصان تعالى اللّه عن ذلك،و الثانى:بالنظر إلى الممكن نفسه و الاختلاف الواقع فى القرب و البعد إلى جوده إنّما هو من تلك الجهه فكلّ ممكن كان أتمّ استعدادا و أقبل للوجود و أقلّ شرطا و معاندا كان أقرب إلى جوده.إذا عرفت ذلك فاعلم أنّ السائل و إن حصل له ما سأل من اللّه تعالى دون ما لم يسئل فليس منعه ما لم يسئله لعزّته عند اللّه و ليس بينه و بين ما سئل بالنسبه إلى جود اللّه تعالى فرق و تفاوت بل إنّما خصّ بما سئل لوجوب وجوده له عند تمام قبوله له بسؤاله دون ما لم يسئله و لو سئل ما لم يسئله و استحقّ وجوده لما كان فى الجود الإلهىّ بخل به و لا منع فى حقّه و إن عظم خطره و جلّ قدره و لم يكن له أثر نقصان فى خزائن ملكه و عموم جوده.و إلى هذا أشار علىّ بن موسى الرضا عليه السّلام و قد سئل عن الجواد فقال:لسؤالك وجهان إن أردت المخلوق فالّذى يؤدّى ما افترض اللّه عليه و البخيل الّذى يمنع ما افترض اللّه عليه و إن أردت الخالق فهو الجواد إن أعطى و إن منع لأنّه إن أعطى أعطى من له و إن منع منع من ليس له.فقوله:له.و ليس له،إشارتان إلى أنّ الجود الإلهىّ إنما يهب.و يتوقّف فى هبته على وجود المستحقّ.و قد نزّهه عليه السّلام بهذا الوصف عن ضنّه الخلق إذ كان من شأنهم أن يكونوا بما سئلوا أجود منهم بما لم يسألوا لكونه أسهل عليهم و من شأن السائل أن لا يسألهم ما هو أعزّ عندهم و لذلك كانوا بما سئلوا أجود .

السابع:

الأوّل الّذى لم يكن له قبل فيكون شىء قبله .

الثامن:و الآخر الّذى ليس له بعد فيكون شىء بعده

،و قد أشرنا إلى هذين الوصفين فيما سلف و نزيدهما بيانا فنقول:الأوليّه و الآخريّه اعتباران إضافيّان تحدثهما العقول لذاته المقدّسه و ذلك أنّك إذا لاحظت ترتيب الوجود فى سلسله الحاجه إليه سبحانه وجدته تعالى بالإضافه إليها أوّل إذ كان انتهائها فى سلسله الحاجه إلى غناه المطلق فهو أوّل بالعليّه و الذات و الشرف،و إذ ليس بذى مكان فالتقدّم بالمكان منفىّ عنه و الزمان متأخّر عنه.إذ هو من لواحق الحركه المتأخّره عن الجسم المتأخّر عن علّته فلم يلحقه القبليّه

ص:۳۲۶

الزمانيّه فضلا أن تسبق عليه فلم يكن شيء قبله مطلقا لا من الزمانيّات و لا من غيرها و إذا اعتبرته بالنظر إلى ترتيب السلوک و لاحظت مراتب السالكين المسافرين فى منازل عرفانه وجدته آخرا إذ هو آخر ما ترتقى إليه درجات العارفين و معرفته هى الدرجه القصوى و المنزل الآخر،و لأنّ كلّ موجود سواه فهو ممكن العدم فله من ذاته أن لا يستحقّ وجودا فضلا أن يستحقّ الآخريّه و البعديّه المطلقه،و هو تعالى الواجب لذاته فهو المستحقّ لبعديّه الوجود و آخريّته لذاته و بالقياس إلى كلّ موجود.فإذن هو الأوّل المطلق الّذى لا شيء قبله و الآخر المطلق الّذى لا شيء بعده .

التاسع:الرادع اناسىّ الأبصار عن أن تناله أو تدركه

،و قد سبق أنّ القوّه الباصره إنّما تتعلّق بذى وضع و جهه و البارى تعالى منزّه عنهما فيستحيل أن يدرک بحاسّه البصر و ردعه لها قهرها بذلّ النقصان عن قبول إدراكه .

العاشر:كونه لم يختلف عليه دهر فيختلف عليه الحال.

لمّا كان الزمان مبدءا للتغيّرات و اختلاف الأحوال،و كان ذاته سبحانه منزّهه عن لحوق الزمان كانت مبرّءه عن تغيّر الأحوال الجاريه على الزمانيّات و اختلافها .

الحادى عشر:و لا كان فى مكان فيجوز عليه الانتقال.

لمّا كان من شأن ذى المكان جواز أن ينتقل من مكانه،و كان سبحانه منزّها عن المكان و إلّا لزمه النقصان اللازم للإمكان لا جرم لم يجز عليه الانتقال .

الثانى عشر:كونه لو وهب ما تنفّست عنه معادن الجبال

و ضحكت عنه أصداف البحار من فلزّ اللجين و العقيان.إلى قوله: مطالب الأنام .إنّما عدّد هذه الأشياء فى معرض المدح له تعالى لكونها أعظم ما يقتدر عليه الإنسان و يقتنيه و أجلّ ما يتنافس فيه أبناء الدنيا تنبيها على كمال قدرته و عدم تناهى مقدوراته إذ سبق أنّه إنّما يتأثّر بهبه مثل ذلک جود المحتاجين الّذين يتعاقب عليهم الانتفاع و التضرّر، استعاره و استعار لفظ الضحک للأصداف، و وجه الشبه انفتاح الصدفتين و إسفارهما عن اللؤلؤ الشبيه فى بدوّه بأسنان الإنسان حال ضحكه و عن لحمه تشبه اللسان فى رقّه طرفه و لطافته .و من صادف الصدفه عند فتحها وجدها كالإنسان يضحک، استعاره و كذلک استعار لفظ الحصيد لصغار اللؤلؤ ملاحظه

لشبهه بما يحصد من الحنطه و غيرها ،و اعلم أنّ الصدف و إن كان حيوانا ذو حسّ و حركه إلّا أنّ له شبها بالنبات و لحوقا به من جهه أنّه ذو عرق فى الأرض يغتذى به.و قد أجمل ما يخرج من معادن البرّ و البحر لتمييز السامعين بينهما،و قوله : لأنّه الجواد الّذى لا يغيضه سؤال السائلين و لا يبخله إلحاح الملحّين .إنّما كان هذا علّه لعدم تأثّر جوده بهبه ما يعظم قدره و نقصان خزائنه بإخراجه منها لأنّ الجواد الّذى شأنه ما ذكر إنّما كان كذلك لكونه ليس من شأنه أن يلحقه النفع و الضرر و النقص بل نعمه غير متناهيه، استعاره و استعار لفظ الغيض لنعمه ملاحظه لشبهها بالماء الّذى له مادّه تامّه لا ينقص بالنزح، و من روى:بغضبه.فلأنّ الغضب من لواحق المزاج،و البارى تعالى منزّه عنه فيتنزّه عن لواحقه،و كذلك البخل رذيله مكتسبه من البدن و المزاج تبعث إليها الحاجه و النقصان فمن لا يتزيّد و لا يتنقّص فلا يؤثّر فى ملكه أن يهب الدنيا لمن سألها.

الفصل الثانى:

اشاره

قوله:

فَانْظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ- فَمَا دَلَّكَ؟الْقُرْآنُ؟ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَائْتَمَّ بِهِ- وَ اسْتَضِئْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ وَ مَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ- مِمَّا لَيْسَ فِی الْکِتَابِ عَلَيْكَ فَرْضُهُ- وَ لاَ فِی سُنَّهِ؟النَّبِیِّ ص؟ وَ أَئِمَّهِ الْهُدَی أَثَرُهُ- فَكِلْ عِلْمَهُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ- فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ- وَ اعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِی الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ- عَنِ اقْتِحَامِ السُّدَدِ الْمَضْرُوبَهِ دُونَ الْغُيُوبِ- الْإِقْرَارُ بِجُمْلَهِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ- فَمَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ- عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْماً- وَ سَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ- فِيمَا لَمْ يُكَلِّفْهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخاً- فَاقْتَصِرْ عَلَى ذَلِكَ- وَ لاَ تُقَدِّرْ عَظَمَهَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ- فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ

ص:۳۲۸

هُوَ الْقَادِرُ الَّذِی إِذَا ارْتَمَتِ الْأَوْهَامُ- لِتُدْرِکَ مُنْقَطَعَ قُدْرَتِهِ- وَ حَاوَلَ الْفِکْرُ الْمُبَرَّأُ مِنْ خَطَرَاتِ الْوَسَاوِسِ- أَنْ یَقَعَ عَلَیْهِ فِی عَمِیقَاتِ غُیُوبِ مَلَکُوتِهِ- وَ تَوَلَّهَتِ الْقُلُوبُ إِلَیْهِ لِتَجْرِیَ فِی کَیْفِیَّهِ صِفَاتِهِ- وَ غَمَضَتْ مَدَاخِلُ الْعُقُولِ فِی حَیْثُ لاَ تَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ- لِتَنَاوُلِ عِلْمِ ذَاتِهِ رَدَعَهَا- وَ هِیَ تَجُوبُ مَهَاوِیَ سُدَفِ الْغُیُوبِ مُتَخَلِّصَهً إِلَیْهِ سُبْحَانَهُ- فَرَجَعَتْ إِذْ جُبِهَتْ مُعْتَرِفَهً- بِأَنَّهُ لاَ یُنَالُ بِجَوْرِ الاِعْتِسَافِ کُنْهُ مَعْرِفَتِهِ- وَ لاَ تَخْطُرُ بِبَالِ أُولِی الرَّوِیَّاتِ خَاطِرَهٌ مِنْ تَقْدِیرِ جَلاَلِ عِزَّتِهِ الَّذِی ابْتَدَعَ الْخَلْقَ عَلَی غَیْرِ مِثَالٍ امْتَثَلَهُ- وَ لاَ مِقْدَارٍ احْتَذَی عَلَیْهِ مِنْ خَالِقٍ مَعْبُودٍ کَانَ قَبْلَهُ- وَ أَرَانَا مِنْ مَلَکُوتِ قُدْرَتِهِ- وَ عَجَائِبِ مَا نَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِکْمَتِهِ- وَ اعْتِرَافِ الْحَاجَهِ مِنَ الْخَلْقِ إِلَی أَنْ یُقِیمَهَا بِمِسَاکِ قُوَّتِهِ- مَا دَلَّنَا بِاضْطِرَارِ قِیَامِ الْحُجَّهِ لَهُ عَلَی مَعْرِفَتِهِ- فَظَهَرَتِ الْبَدَائِعُ- الَّتِی أَحْدَثَتْهَا آثَارُ صَنْعَتِهِ وَ أَعْلاَمُ حِکْمَتِهِ- فَصَارَ کُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّهً لَهُ وَ دَلِیلاً عَلَیْهِ- وَ إِنْ کَانَ خَلْقاً صَامِتاً فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِیرِ نَاطِقَهٌ- وَ دَلاَلَتُهُ عَلَی الْمُبْدِعِ قَائِمَهٌ فَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَکَ بِتَبَایُنِ أَعْضَاءِ خَلْقِکَ- وَ تَلاَحُمِ حِقَاقِ مَفَاصِلِهِمُ الْمُحْتَجِبَهِ لِتَدْبِیرِ حِکْمَتِکَ- لَمْ یَعْقِدْ غَیْبَ ضَمِیرِهِ عَلَی مَعْرِفَتِکَ- وَ لَمْ یُبَاشِرْ قَلْبَهُ الْیَقِینُ بِأَنَّهُ لاَ نِدَّ لَکَ- وَ کَأَنَّهُ لَمْ یَسْمَعْ تَبَرُّؤَ التَّابِعِینَ مِنَ الْمَتْبُوعِینَ- إِذْ یَقُولُونَ «تَاللَّهِ إِنْ کُنّا»

ص:۳۲۹

«لَفِی ضَلالٍ مُبِینٍ إِذْ نُسَوِّیکُمْ بِرَبِّ الْعالَمِینَ» - کَذَبَ الْعَادِلُونَ بِکَ إِذْ شَبَّهُوکَ بِأَصْنَامِهِمْ- وَ نَحَلُوکَ حِلْیَهَ الْمَخْلُوقِینَ بِأَوْهَامِهِمْ- وَ جَزَّءُوکَ تَجْزِئَهَ الْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ- وَ قَدَّرُوکَ عَلَی الْخِلْقَهِ الْمُخْتَلِفَهِ الْقُوَی بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ- وَ أَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاکَ بِشَیْءٍ مِنْ خَلْقِکَ فَقَدْ عَدَلَ بِکَ- وَ الْعَادِلُ بِکَ کَافِرٌ بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْکَمَاتُ آیَاتِکَ- وَ نَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَیِّنَاتِکَ- وَ إِنَّکَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِی لَمْ تَتَنَاهَ فِی الْعُقُولِ- فَتَکُونَ فِی مَهَبِّ فِکْرِهَا مُکَیَّفاً- وَ لاَ فِی رَوِیَّاتِ خَوَاطِرِهَا فَتَکُونَ مَحْدُوداً مُصَرَّفاً

اللغه

أقول: الاقتحام : الدخول فی الأمر بشدّه دفعه .و السدد : جمع سدّه و هی الأبواب و الحجب .و جاب البلاد : أی قطعها .و السدف : جمع سدفه و هی الظلمه :و الجبه : الردّ .

و احتذی علیه : أی سلک مسلکه .و الحقاق : جمع حقّ و هو أطراف عظام المفاصل ،و العادل :

الجاعل للّه عدیلا .و القریحه : قوّه الفکر .

المعنی

و صدر هذا الفصل تأدیب الخلق

فی وصفهم للّه سبحانه و تعلیمهم کیفیّه السلوک فی مدحه و الثناء علیه بما هو أهله و إن کان الخطاب للسائل إذ هو السبب فی هذه الخطبه،و ذلک علی طریقه قولهم:إیّاک أعنی و اسمعی یا جاره .فأرشده فی ذلک إلی کتاب اللّه،و أمره أن یجعله إماما یقتدی به و یستضیء بأنواره فی سلوک سبیل اللّه و کیفیّه وصفه فإنّ أولی ما وصف به تعالی هو ما وصف به نفسه ،و أمره بأن یکل علم ما لم یجده مفروضا علیه علمه فی کتاب اللّه أوفی سنّه رسوله و آثار أئمّه الهدی القائمین مقامه فی إیضاح الدین و حفظه إلی علم اللّه تعالی و هو المراد بالتفویض و ذلک أنّ أئمّه الهدی أعلم بوجوه نسبته تعالی إلی خلقه و بما یناسب تلک الاعتبارات من الألفاظ و یفیدها فیطلق علیه.و نفّر عن طلب ذلک و البحث عنه بإشارته إلی أنّه تکلیف الشیطان و ظاهر

أنّ طلب ما وراء حدود الشريعه الّتى نهيت عن تجاوزها إنّما هو بسبب وسوسه الشيطان و حرص الطبع على ما يمنع منه .ثمّ اعلم أنّ ذلك هو منتهى حقّ اللّه عليه و مطلوبه منه، و لمّا كان مطلوب الشارع حين وضع الشريعه و تقرير قواعدها هو جمع قلوب العالم على قانون واحد و اتّحادهم فيه بحيث لا يفترقوا فى اعتقاد أمر ما لئلاّ يكون ذلك الافتراق سببا لضعف الدين و عدم تعاونهم على تشييده كما سبق بيانه لا جرم وجب فى الحكمه أن يحرم حينئذ عليهم الخوض فيما وراء ذلك لتثبت قواعد الدين فى قلوبهم و ترسخ و لا يخرج بهم البحث عن ما ورائها إلى إطراحها و فساد اعتقاد كثير من الخلق لها و لغيرها ممّا وراها.إذ لم يكن فيهم من يستعدّ لقبول ما وراء تلك الظواهر إلاّ الفرد النادر و إن كنّا نعلم أنّه كان صلى اللّه عليه و آله و سلّم إذا علم من أحد استعدادا لقبول شىء من أسرار الشريعه و وثق به أن يحمله ألقاه إليه كعلىّ عليه السّلام دون أبى هريره و أمثاله ،ثمّ وصف بعد ذلك الراسخين فى العلم الممدوحين فى القرآن الكريم بقوله تعالى «لٰكِنِ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَ الْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ» (۱)الآيه و قوله «وَ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنّا» (۲)و فسّر معنى الرسوخ فقال: هم الّذين أغناهم اللّه عن اقتحام السدد المضروبه دون الغيوب الإقرار بجمله ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب.فمدح اللّه اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما،و سمّى تركهم التعمّق فيما لم يكلّفهم البحث عن كنهه رسوخا ،و ممّا :

إشاره إلى السدد المضروبه و حجب الغيوب.

فلنشر إلى ما كشف عنه بعض العلماء الصوفيّه هاهنا و أشار إليه الخبر عن سيّد المرسلين صلى اللّه عليه و آله و سلّم:

إنّ للّه تعالى سبعين حجابا من نور و ظلمه لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كلّ من أدرك بصره.و لمّا ثبت أن اللّه تعالى متجلّى لذاته بذاته فالحجاب لا بدّ و أن يكون بالنسبه إلى محجوب

فأقسام المحجوبين ثلاثه:

منهم من حجب بمجرّد ظلمه،و منهم من حجب بمجرّد نور،و منهم من حجب بنور مقرون بظلمه،و تحت كلّ قسم من هؤلاء أقسام كثيره لا تحصى فيكفينا الإشاره إلى اصولها فنقول:

۱- (۱) ۴-۱۶۰.

۲- (۲) ۵-۳.

القسم الأوّل:المحجوبون بمجرّد الظلمه

و هؤلاء هم الملحده الّذين لا يؤمنون باللّه و هم صنفان:فصنف منهم طلبوا للعالم سببا فأحالوه على الطبع و قد علمت أنّ الطبع صفه جسمانيّه مظلمه خاليه عن المعرفه و الإدراك،و صنف منهم لم يتفرّغوا لذلك و لم يتنبّهو الطلب السبب بل اشتغلوا بأنفسهم و عاشوا عيش البهايم فكانوا محجوبين بكدورات نفوسهم و شهواتهم المظلمه و لا ظلمه أشدّ من الهوى و لذلك قال اللّه تعالى «أَ فَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَواهُ» (۱)و قال النبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلّم:الهوى أبغض إله عبد على وجه الأرض.

و تحت هؤلاء فرق كثيره لا حاجه إلى ذكرها.

القسم الثاني:المحجوبون بنور مقرون بظلمه

و هم ثلاثه أصناف:

فصنف منهم

منشأ ظلمته الحسّ،

و صنف منهم منشأها الخيال،و صنف منهم منشأها مقايسات عقليّه فاسده.فالأوّلون أيضا طوائف:

الاولى:عبده الأوثان

فإنّهم علموا على سبيل الجمله أنّ لهم ربّا و أوجبوا إيثاره على أنفسهم و اعتقدوا أنّه أعزّ و أنفس من كلّ شيء،و لكنّهم حجبوا بظلمه الحسّ عن أن يتجاوزوا العالم المحسوس في إثبات ربّهم فاتّخذوا من أنفس الجواهر كالفضّه و الذهب و الياقوت أشخاصا مصوّره بأحسن صوره و جعلوها آلهه فهؤلاء محجوبون بنور العزّ و الجلال من صفات اللّه لكنّهم وضعوها في الأجسام المحسوسه فصارت حجبهم أنوارا مكدّره بظلمه الحسّ إذ الحسّ ظلمه بالإضافه إلى عالم المعقولات.

الثانيه:طائفه ترقّوا عن رتبه الأحجار فكانوا أدخل من عبده الأوثان في ملاحظه

الأنوار

كما يحكى عن قوم من أقاصي الترك ليس لهم ملّه و لكن يعتقدون أنّ لهم ربّا هو أجمل الأشياء فإذا رأو إنسانا في غايه الجمال أو فرسا أو شجرا عبدوه،و قالوا:هو ربّنا فهؤلاء محجوبون بنور الجمال مع ظلمه الحسّ أيضا.

الثالثه:طائفه ترقّوا عن هؤلاء و قالوا:ينبغی أن يكون الربّ نورانيّا فی

صورته ذا سلطان فی نفسه مهيبا لا يطاق القرب منه،

و لم يترقّوا عن درجه المحسوس فعبدوا النار إذ وجدوها بهذه الصفات فهؤلاء محجوبون بنور السلطنه و البهاء و كلّ ذلك من

۱- ۱) ۲۲-۴۵.

أنوار اللّه مع ظلمات حسّهم.

الرابعه:طائفه ترقّوا عن ذلک فرأوا أنّ النار تطفى و تقهر فلا تصلح للإلهيّه

فقالوا:

بل ما يكون بهذه الصفات و لكن نكون نحن تحت تصرّفه و يكون مع ذلک موصوفا بالعلوّ.

و كان المشهور بينهم علم النجوم و إضافه التأثيرات إليها فعبدوا النجوم فمنهم عبده المشترى و منهم عبده الشعرى و غيرهم فهؤلاء محجوبون مع ظلمه الحسّ بنور الاستعلاء و الإشراف و هى من أنوار اللّه تعالى.

الخامسه:طائفه ترقّوا عن هؤلاء فقالوا:و إن وجب أن يكون الربّ بالصفات

المذكوره إلاّ أنّه ينبغى أن يكون أكبر الكواكب

فعبدوا الشمس فهؤلاء محجوبون مع ظلمه الحسّ بنور الكبرياء و العظمه مع بقيّه الأنوار.

السادسه:طائفه ترقّوا عن ذلک فقالوا:إنّ الشمس لا تتفرّد بالنور بل لغيرها

أنوار

و الإله لا يجوز أن يكون له شريک فى نورانيّته فعبدوا النور المطلق على كلّ نور، و زعموا أنّه إله العالم و الخيرات كلّها منسوبه إليه ثمّ رأوا فى العالم شرورا فلم يستحسنوا إضافتها إلى ربّهم تنزيها له فجعلوا بينه و بين الظلمه منازعه و أحالوا العالم إلى النور و الظلمه و هؤلاء الثنويّه.

الصنف الثانى:المحجوبون ببعض الأنوار مقرونه بظلمه الخيال

و هم الّذين جاوزوا الحسّ و أثبتوا وراء المحسوس أمرا لكنّهم لم يهتدوا إلى مجاوزه الخيال فعبدوا موجودا قاعدا على العرش و أخسّهم رتبه المجسّمه ثمّ أصناف الكراميّه و أرفعهم درجه من نفى الجسميّه و جميع عوارضها إلاّ الجهه فخصّصوه بجهه فوق،و هؤلاء لم يثبتوا موجودا غير محسوس و لا متخيّل حتّى ينزّهوه عن الجهه.

الصنف الثالث:المحجوبون بأنوار الإلهيّه مقرونه بمقايسات عقليّه فاسده مظلمه

فعبدوا إلها سميعا بصيرا متكلّما عالما قادرا منزّها عن الجهات لكن فهموا هذه الصفات على حسب مناسبه صفاتهم،و ربّما صرّح بعضهم فقال:كلامه صوت مثل كلامنا.

و ربّما ترقّى بعضهم فقال:لا بل هو كحديث أنفسنا و لا صوت و لا حرف.و لذلك إذا حقّق القول عليهم رجعوا إلى التشبيه فى المعنى و إن أنكروه لفظا إذ لم يدركوا كيفيّه

ص:٣٣٣

إطلاق هذه الألفاظ فی حقّ اللّه.فهؤلاء محجوبون بجمل من الأنوار مع ظلمات المقایسات العقلیّه.

القسم الثالث:المحجوبون بمحض الأنوار،

و هم أصناف لا تحصی أیضا لکن نذکر منهم ثلاثه أصناف:

الأوّل:الّذین عرفوا معانی هذه الصفات و فرّقوا بین إطلاق أسمائها علی اللّه تعالی

و بین إطلاقها علی البشر

فتحاشوا من تعریفه بهذه الصفات و عرّفوه بالإضافه إلی المخلوقات فقالوا:ربّنا ربّ السماوات و الأرض لن ندعو من دونه إلها و هو الربّ المنزّه عن هذا المفهوم الظاهر و هو محرّک السماوات و مدبّرها.

الصنف الثانی:الّذین عرفوا أنّ فی السماوات ملائکه کثیره

،و أنّ محرّک کلّ سماء منها موجود آخر یسمّی ملکا،و أنّ هذه السماوات فی ضمن فلک یتحرّک الجمیع بحرکته فی الیوم و اللیله مرّه واحده و الربّ تعالی هو المحرّک للفلک الأقصی منها المشتمل علیها.

الصنف الثالث:الّذین ترقّوا عن هؤلاء و قالوا:إنّ تحریک الأجسام الفلکیّه

من الملائکه یکون خدمه لربّ العالمین و عباده له

،و یکون الربّ تعالی هو المحرّک للکلّ بطریق الأمر.فهؤلاء کلّهم محجوبون بأنوار محضه وقفت بهم عمّا وراءها.و وراء هؤلاء صنف رابع تجلّی لهم أنّ هذا المطاع موصوف بصفه الوحده المطلقه و الکمال البالغ و کشفت عنهم حجب المقایسات و الاعتبارات إلی الغیر و هم الواصلون.فمنهم من أحرق ذلک التجلّی فی تلک الأنوار جمیع ما أدرکه بصره بالکلّیّه و بقی ملاحظا لرتبه الحقّ فیها فانمحقت فیه المبصرات دون المبصر،و منهم من تجاوز هؤلاء و هم خواصّ الخواصّ فأحرقتهم سبحات وجهه و غشیهم سلطان الجلال فانمحقوا و تلاشوا فی أنفسهم فلم یبق لهم إلیها التفات و ملاحظه لفنائهم عن أنفسهم و لم یبق إلاّ الواحد الحقّ و هؤلاء هم الواصلون کما سبقت الإشاره إلیه،و ینتهی الکلّ إلی حجاب الإمکان الّذی یهلک فیه کلّ موجود و لا یبقی إلاّ وجه اللّه ذی الجلال و الإکرام.

إذا عرفت ذلک فنقول:السدد المضروبه و حجب الغیب الّتی أشار إلیها هی درجات

الانتقالات فی مفهومات صفات اللّه تعالی و مراتب عرفانه و معرفه ملائکته و مراتبهم و کمالاتهم و سایر حجب الأنوار الّتی حجب بها أهل القسم الثالث ،و الراسخون الّذین أشار إلیهم هم فی ظاهر کلامه الواقفون فی المرتبه الاولی و هم الّذین اقتصروا فی صفات اللّه و ملائکته و عالم غیبه علی ما وقفتهم الشریعه علیه علی سبیل الجمله کما أوصل إلی أفهامهم الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم و عقلوا فی وصفه تعالی بصفات الکمال و نعوت الجلال أنّه لیس علی حدّ وصف البشر بها و رسخ فی أذهانهم ما تصوّروه إجمالا لو فصّل لکان مطابقا.و من أعدّته العنایه الإلهیّه لقبول التفصیل وصل إلیه.و بقی هاهنا بحث لطیف و هو أنّه لمّا کان التکلیف فی نفس الأمر إنّما هو علی قدر العقول و تفاوت مراتبها و لذلک قال صلی اللّه علیه و آله و سلّم بعثت لأکلّم الناس علی قدر عقولهم.کان کلّ عقل قوی علی رفع حجاب من حجب الغیب و قصر عمّا ورائه و اعترف به و بالعجز عنه فذلک تکلیفه و هو من الراسخین فعلی هذا الرسوخ لیس مرتبه واحده هی تقلید ظواهر الشریعه و اعتقاد حقیّتها فقط بل تقلیدها مرتبه اولی من مراتب الرسوخ و ما ورائها مراتب غیر متناهیه بحسب مراتب السلوک و قوّه السالکین علی رفع حجب الأنوار الّتی أشرنا إلیها و کلامه علیه السّلام لا ینافی ما قلناه بل یصدق إذا نزّل علیه فإنّ قوله : و سمّی ترک التعمّق فیما لم یکلّفهم البحث عن کنهه رسوخا صادق أیضا علی من قطع جمله من منازل السلوک و عجز عمّا ورائها فوقف ذهنه عن التعمّق فیه و البحث إذ لا یکلّف بما لا یفی به قوّته .

و قوله:فاقتصر علی ذلک

و قوله: فاقتصر علی ذلک :أی علی ما نطق به الکتاب العزیز و دلّت علیه السنّه النبویّه و أرشدت إلیه أئمّه الهدی .

و قوله:و لا تقدّر عظمه اللّه تعالی علی قدر عقلک فتکون من الهالکین.

و قوله: و لا تقدّر عظمه اللّه تعالی علی قدر عقلک فتکون من الهالکین.

فالمقدّر لعظمه اللّه بقدر عقله هو المعتقد أنّ عقله قدّره و أحاط به علما و هو تصغیر لعظمه اللّه بحسب عقله الضعیف و عظمه اللّه تعالی أعظم و أجلّ من أن یضبطها عقل بشری، و إنّما ینشأ ذلک الحکم لمن حصل له هو الوهم الحاکم بمثلیّه اللّه تعالی لمدرکاته من الأجسام و الجسمانیّات،و ذلک فی الحقیقه کفر لاعتقاد غیر الصانع صانعا و ضلال عن طریق معرفه اللّه و هو مستلزم للهلاک فی تیه الجهل.

و اعلم أنّ فى إحالته عليه السّلام لطالب المعرفه على الكتاب و السنّه و بيان الأئمّه دلاله على أنّ مقصوده ليس أن يقتصر على ظاهر الشريعه فقط بل يتّبع أنوار القرآن و السنّه و آثار أئمّه الهدى،و قد ورد فى القرآن الكريم و السنّه و كلام الأئمّه من الإشارات و التنبيهات على منازل السلوك و وجوب الانتقال فى درجاتها ما لا يحصى كثره و نبّهوا على كلّ مقام أهله و أخفوه من غير أهله إذ كانوا أطبّاء النفوس و كما أنّ الطبيب يرى أنّ بعض الأدويه لبعض المرضى ترياق و شفاء و ذلك الدواء لشخص آخر سمّ و هلاك كذلك كتاب اللّه و الموضحون لمقاصده من الأنبياء و الأولياء يرون أنّ بعض الأسرار الإلهيّه شفاء لبعض الصدور فيلقونها إليهم و ربّما كانت تلك الأسرار بأعيانها لغير أهلها سببا لضلالهم و كفرهم إذا القيت إليهم.فإذن مقصوده عليه السّلام قصر كلّ عقل على ما هو الأولى به و ما يحتمله،و الجمع العظيم المخاطبون هم أصحاب الظاهر الّذين يجب قصرهم عليه.و اللّه أعلم .

و قوله.:هو القادر الّذى إذا ارتمت.إلى آخره.

و قوله: هو القادر الّذى إذا ارتمت .إلى آخره.

إشاره إلى اعتبارات اخر جمليّه فى وصفه تعالى نبّه على أن غايه استقصاء العقول و تعمّقها و غوص فطنها طالبه لتفصيل صفات كماله و نعوت جلاله أن تقف خاسئه و ترجع حسيره معترفه بالعجز و فقوله: إذا ارتمت إلى قوله :ردعها شرطيّه متّصله فى قوّه شرطيّات متعدّده المقدّمات و تاليها واحد.فالمقدّم الأوّل قوله :إذا ارتمت الأوهام لتدرك منقطع قدرته و ارتماؤها استرسالها مجدّه فى المطالعه و التفتيش و منقطع قدرته منتهاها،و المقدم الثانى قوله :و حاول الفكر المبرّء من خطرات وساوس الشيطان و شوائب الأوهام أن يقع عليه ليكيّف ذاته و يستثبتها بكلّ ما ينبغى لها من الكمالات فى عميقات غيوب ملكوته :أى فى أسرار عالم الغيب العميقه .و المقدّم الثالث قوله: و تولّهت القلوب :أى اشتدّ شوقها إليه لتجرى فى كيفيّه صفاته .و المقدّم الرابع قوله : و غمضت مداخل العقول :أى وقت مواقع دخولها بحيث لا تبلغه الصفات:أى انتهت العقول إلى حدّ أنّها لا تعتبر مع ملاحظه ذات الحقّ صفه له بل يحذف كلّ خاطر و كلّ اعتبار من صفه و غيرها من ملاحظه قدسه لينال علم ذاته بالكنه،و قوله: ردعها .هو تالى هذه

الشرطيّات،و ردعها هو ردّها خاسئه حسيره،و سبب ذلك فى كلّ من هذه المدركات هو خلقها قاصره عن إدراك ما يطلبه من هذه المطالب العظيمه:فالأوهام لقصورها عن إدراك ما ليس بمحسوس و لا متعلّقا بالمحسوس،و ردع الفكر أن يقع عليه و تولّه القلوب أن تجرى فى كيفيّه صفاته فتحدّها و تحصرها لخلقها قاصره عن الإحاطه بما لا نهايه له إذ كانت صفات الكمال و نعوت الجلال كذلك،و ردع العقول أن يحيط بكنه ذاته لخلقها قاصره عن إدراك كنه ما ليس بذى حدّ و تركيب.فكان مستند ذلك الردع هو قدرته فلذلك قدّم على الشرطيّه اعتبار كونه قادرا فقال :هو القادر الّذى من شأنه كذا .

و قوله:و هى تجوب مهاوى سدف الغيوب متخلّصه إليه سبحانه.

استعاره و قوله: و هى تجوب مهاوى سدف الغيوب متخلّصه إليه سبحانه.

الجمله فى موضع الحال و العامل ردعها،و استعار لفظ السدف لظلمات الجهل بكلّ معنى غيبىّ من صفات جلاله و طبقات حجبه:أى ردعها عن تلك المطالب حال ما هى قاطعه لمهاوى تلك الظلمات،و وجه الاستعاره ما يشتركان فيه من عدم الاهتداء فيها.

و متخلّصه حال أيضا و العامل إمّا تجوب أوردعها.و تخلّصها إليه توجّهها بكليّتها فى طلب إدراكه.

و قوله:فرجعت إذ جبهت.إلى قوله:عزّته.

و قوله: فرجعت إذ جبهت.إلى قوله:عزّته.

معترفه حال و العامل رجعت،و جور الاعتساف شدّه جولانها فى تلك المنازل و ظاهر أنّ جور الاعتساف غير نافع فى تحصيل ما لا يمكن،و اولو الرويّات أصحاب الفكر:إى رجعت معترفه بأمرين:أحدهما:أنّه لا ينال كنه معرفته،و الثانى :أنّ الفكر لا يقدر جلال عزّته:أى لا يحيط بكماله خبرا.و ظاهر أن صدق هذه الأحكام للنفس موقوف على ارتماء أفكارها فى طلب هذه المعارف و عجزها عنها .

و قوله:الّذى ابتدع الخلق على غير مثال.إلى قوله:قبله.

و قوله: الّذى ابتدع الخلق على غير مثال.إلى قوله:قبله.

إشاره إلى أنّ الصنائع البشريّه إنّما تحصل بعد أن يرتسم فى الخيال صوره المصنوع بل و كلّ فعل لا يصدر إلاّ عن تصوّر وضعه و كيفيّته أوّلا،و تلك التصوّرات تاره تحصل عن أمثله للمصنوع بل و مقادير له خارجيّه يشاهدها الصانع و يحذو حذوها،و تاره تحصل بمحض الإلهام و الاختراع كما يفاض على أذهان كثير من

الأذكياء صوره شكل لم يسبق إلى تصوّره فيتصوّره و يبرز صورته إلى الخارج،و كيفيّه صنع اللّه للعالم و جزئيّاته منزّهه عن الوقوع على أحد هذين الوجهين:أمّا الأوّل فلأنّا بيّنا أنّه لا قبل له فلا قبل لمصنوعاته فلا مثال امتثله:أى عمل مثله ،و لا مقدار احتذى حذوه.و أمّا الثانى و إن سمّى الفاعل على وفقه مخترعا لكن التحقيق يشهد بأنّه إنّما فعل على وفق ما حصل فى ذهنه من الشكل و الهيئه و هما مستفادان من الصانع الأوّل جلّت عظمته فكان فى الحقيقه فاعلا على غير مثال سابق محتذيا لمقدار غيره،و علم الأوّل سبحانه ليس على النحو المذكور من حصول صوره مساويه للمعلوم فى ذاته كما تحقّقته من قبل فإذن فعله بمحض الإبداع و الاختراع على أبعد ما يكون عن حدّ و مثال.

و قوله:و أرانا من ملكوت قدرته.إلى قوله:معرفته.

و قوله : و أرانا من ملكوت قدرته.إلى قوله:معرفته.

ملكوت قدرته ملكها و إنّما نسبه إلى القدره لأنّ اعتبارها مبدء الوجود كلّه فهى مبدء المالكيّه،و آثار حكمته ما صدر عنها من الأفعال و الأحكام و انقياد كلّ ناقص إلى كماله، استعاره و استعار لفظ النطق للسان حال آثاره تعالى المفصحه عن كمال الحكمه المعجبه بتمام النظام و حسن الترتيب،و وجه المشابهه ما اشترك فيه النطق و حال مصنوعاته من ذلك الإفصاح و البيان ،و اعتراف عطف على عجائب ،و إلى أن متعلّق بالحاجه،و ما فى قوله : و ما دلّنا هى المفعول الثانى لأرانا:أى و أرانا من اعتراف الخلق لحاجتهم إلى أن يقيمهم فى الوجود بمساك قدرته الّتى تمسك السماوات و الأرض أن تزولا ما دلّنا باضطرار قيام الحجّه له على معرفته ،و قوله:على معرفته متعلّق بدلّنا:أى ما دلّنا على معرفته فلزمت قيام الحجّه له بالضروره .

و قوله:و ظهرت فى البدائع.إلى قوله:قائمه.

و قوله: و ظهرت فى البدائع.إلى قوله:قائمه.

استعاره استعار لفظ الأعلام لما يدلّ على حكمه الصانع فى فعله من الإتقان و الإحكام .

و اعلم أنّ كلّ ما ظهرت فيه آثار حكمه اللّه فهو ناطق بربوبيّته و كمال الوهيّته فبعض ناطق.بلسان حاله و مقاله كالإنسان،و بعض بلسان حاله فقط إذ لا عقل له و لا لسان كالجماد و النبات،و الضمير المضاف إليه فى قوله : فحجّته يحتمل عوده إلى اللّه،و يحتمل أن يعود إلى الخلق الصامت.و قد علمت أنّ السالكين فى سماع هذا النطق من آثار اللّه و مشاهدته

فی مصنوعاته علی درجات و منازل متفاوته کما أشرنا إلیه غیر مرّه .

و قوله:و أشهد أنّ من شبّهک.إلی قوله:بربّ العالمین.

و قوله: و أشهد أنّ من شبّهک.إلی قوله:بربّ العالمین.

التفات إلی خطاب اللّه تعالی علی طریق قوله «مالِکِ یَوْمِ الدِّینِ إِیّاکَ نَعْبُدُ» و المشبّه به فی الحقیقه هو الخلق و إنّما جعل المشبّه به هو تباین أعضائهم و تلاحم حقاق مفاصلهم لأنّه فی معرض ذمّ المشبّهه و التنبیه علی وجوه أغلاطهم و تباین الأعضاء و تلاحمها من لوازم المشبّه به و هما مستلزمان للترکیب و اجتماع المفردات المستلزم لظهور الحاجه إلی المرکّب و الجامع و یمتنع علی محلّ یظهر حاجته أن یتشبّه به الصانع المطلق البریء عن الحاجه بوجه ما فقدّمهما لجریانهما مجری الأوسط فی لزوم الترکیب للمشبّه به فیظهر تنزیه الإله عن التشبّه به و إن کان التقدیر من شبّهک بخلقک فی أعضائهم المتباینه المتلاحمه.

و الّذی یقال من وجه الحکمه فی احتجاب المفاصل هو أنّها لو خلقت ظاهره عریّه عن الأغشیه لیبست رباطاتها و قست فیتعذّر تصرّف الحیوان بها کما هو الآن و أنّها کانت معرضه للآفات المفسده لها و غیر ذلک من خفیّ تدبیره و لطیف حکمته و قد شهد علیه السّلام علی المشبّه للّه بخلقه بأمرین:أحدهما :أنّه لم یعرفه،و الثانی :أنّه لم یتیقّن تنزیهه عن المثل.و القرآن و البرهان مصدّقان لشهادته فی الموضعین:أمّا القرآن فما نبّه علیه بقوله :

و کأنّه لم یسمع تبرّؤ التابعین المتبوعین إذ یقولون الآیه،و وجه الاستدلال علی المطلوب الأوّل أنّ المشبّهه و عبده الأصنام ینکشف لهم فی الآخره أنّهم کانوا ضالّین فی تشبیه أصنامهم بربّ العالمین فیترتّب دلیل هکذا:المشبّهه ضالّون من جهه تشبیههم اللّه بخلقه و کلّ من کان کذلک فلیس بعارف باللّه و المقدّمه الاولی ثابته بمنطوق الآیه،و أمّا الثانیه فلأنّه لو کان المشبّه له عارفا به مع تشبیهه له بخلقه لما کان فی ضلال مبین من تلک الجهه لکنّه فی ضلال مبین من تلک الجهه فإذن هو لیس بعارف له.و أمّا البرهان فلأنّ اللّه سبحانه لمّا تقدّس عن أن یشبه خلقا فی شیء کان المشبّه له بخلقه و المکیف له بکیفیّه یحویها وهمه غیر عارف به بل متصوّر لأمر آخر هو فی الحقیقه غیر الإله، و أمّا صدقه فی القضیّه الثانیه فلأنّ المشبّه للّه ضالّ من جهه ما هو مشبّه له و کلّ من کان کذلک فلیس بمنزّه له عن النّد و المثل،و صدق الاولی ظاهر من الآیه،و أمّا

الثانيه فلأنّه لو كان منزّها له عن الندّ بكونه مشبّها له لما كان ضالاّ من تلك الجهه لكنّه ضالّ منها فليس بمنزّه له عنه،و أمّا البرهان العقليّ فلأنّ الندّ و المثل هو الشبيه و كلامنا فى المشبّه و فى الآيه تنفير عن مذهب التشبيه بذكر تبرّؤ التابعين ممّن اتّبعوه و شبّهوا به خالقهم،و ندامتهم على تفريطهم فى ذلك،و حسرتهم على الرجعى لتدارك الأعمال و الاعتقادات الصالحه،و اعترافهم بأنّهم كانوا بتشبيههم فى ضلال مبين .

و قوله:كذب العادلون.إلى قوله:عقولهم.

و قوله: كذب العادلون.إلى قوله:عقولهم.

تكذيب للعادلين به و أشار إلى تفصيل جهات كونهم عادلين و إلى سبب ذلك و هو الوهم،و قد علمت أنّ منشأ التشبيه هو الوهم إذ كان حكمه لا يترفّع[يرتفع خ] عن المحسوسات و ما يتعلّق بها فإنّ حكمه فى المجرّدات بحكم قدرها محسوسه ذات أحجام و ألحقها أحكام المحسوس و لذلك لم يترفّع المشبّهه للّه عن تشبيهه بالأصنام و أشخاص الأجسام كصوره الإنسان و أعضائه و كذلك غير عبده الأوثان من ساير فرق المشبّهه حتّى كانت غايه تنزيه من نزّهه منهم أن توهّمه فى جهه فوق و قد علمت أنّ الجهه و الكون من عوارض الأجسام المخلوقه فكانوا عن آخرهم قد تحلّوه حليه المخلوقين و صفاتهم بأوهامهم الفاسده.فمنهم من أثبت له أعضاء من يدو ساق و عين و وجه و ساير ما ورد فى القرآن الكريم و السنّه النبويّه حملا على ظاهرها،و منهم من تجاسر على وصف هيئته فقال:إنّه مجوّف الأعلى عصمت الأسفل و إنّه قطط الشعر إلى غير ذلك من هذياناتهم و كفرهم تعالى اللّه عمّا يقول الظالمون علوّا كبيرا-و تجزيته بخواطرهم تجزيه المجسّمات و هى إثباتهم الأعضاء المذكوره و ذلك عن تقديرهم له على الخلقه المختلفه القوى بقرائح عقولهم الجامده متابعه لأوهامهم الفاسده و تقليد من سلف من آبائهم فإنّ الأعضاء إنّما تتولّد و تكمل بواسطه قوى طبيعيّه و نباتيّه و حيوانيّه و غيرها و هى قوى مختلفه بحقائقها و متضادّه فى أفعالها محتاجه إلى الجامع و المركّب مؤذنه بالإمكان الّذى تنزّه قدس الصانع أن يتطرّق إليه بوجه .

و قوله:و أشهد أنّ من ساواک بشیء من خلقک.إلى قوله:بيّناتک.

و قوله: و أشهد أنّ من ساواک بشیء من خلقک.إلى قوله:بيّناتک.

شهاده ثانيه على من شبّهه و جعل له مثلا بالكفر و إشاره إلى برهانها بقياس من

الشكل الأوّل أسند بيان كبراه إلى كتاب اللّه و نصوص آياته المحكمه،و بيّناته:الأنبياء.

و شواهد حججهم:هى تلك الآيات:أى حججهم الشاهده هى كقوله تعالى «قُلْ أَ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِی خَلَقَ الْأَرْضَ فِی یَوْمَیْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً» (۱)و قوله «أَ إِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللّهِ آلِهَهً أُخْری قُلْ لا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ وَ إِنَّنِی بَرِیءٌ مِمّا تُشْرِكُونَ» (۲)و الإشراک کفر و نحو ذلک.و أمّا المقدّمه الاولى فلأنّ الشبیه هو المثل و العدیل و قد علمت أنّ البرهان العقلیّ ممّا یشهد بصدق هذه الشهاده فإنّ المشبّه للّه بخلقه مع براءته عن شبهیّه الغیر إذا اعتقد أنّ ذلک الّذی یشیر إلیه بوهمه هو صانع العالم فقد اعتقد غیر الصانع صانعا و ذلک عین الکفر و الضلال .

و قوله:و إنّک أنت اللّه الّذی لم تتناه فی العقول.إلی قوله:مصرّفا.

و قوله: و إنّک أنت اللّه الّذی لم تتناه فی العقول.إلی قوله:مصرّفا.

شهاده ثالثه هی خلاصه الشهادتین الاولیین بتنزیهه عن تناهیه فی العقول البشریّه و أفکارها:أی إحاطتها بحقیقته و ما له من صفات الکمال و نعوت الجلال بحیث لا یکون وراء ما أدرکته شیء آخر و تنبیه فی هذه الشهاده علی ما یلزم ذلک التناهی من کونه ذا کیفیّه تکیّفها له القوی المتخیّله لتستثبته بها العقول،و مهابّ الفکر جهاتها.فیلزم من ذلک کونه محدودا إذ کانت الحقائق إنّما تدرک بکنهها من حدودها .

و قوله:و مصرّفا

و قوله: و مصرّفا :أی محکوما فی ذاته بالتجزیه و التحلیل و الترکیب إذ کان من شأن المحدود ذلک،و لمّا کانت هذه اللوازم باطله لبرائته عن الکیفیّه و الأجزاء و الترکیب کان ملزومها و هو التناهی فی العقول باطلا.

الفصل الثالث:

اشاره

و منها- قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِیرَهُ وَ دَبَّرَهُ فَأَلْطَفَ تَدْبِیرَهُ- وَ وَجَّهَهُ لِوِجْهَتِهِ فَلَمْ یَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ- وَ لَمْ یَقْصُرْ دُونَ الاِنْتِهَاءِ إِلَى غَایَتِهِ- وَ لَمْ یَسْتَصْعِبْ إِذْ أُمِرَ بِالْمُضِیِّ عَلَى إِرَادَتِهِ- فَكَیْفَ وَ إِنَّمَا صَدَرَتِ الْأُمُورُ عَنْ مَشِیئَتِهِ-

---

۱- ۱) ۸-۴۱.

۲- ۲) ۱۹-۶.

الْمُنْشِئُ أَصْنَافَ الْأَشْيَاءِ بِلاَ رَوِيَّةِ فِكْرٍ آلَ إِلَيْهَا- وَ لاَ قَرِيحَهِ غَرِيزَهٍ أَضْمَرَ عَلَيْهَا- وَ لاَ تَجْرِبَهٍ أَفَادَهَا مِنْ حَوَادِثِ الدُّهُورِ- وَ لاَ شَرِيكٍ أَعَانَهُ عَلَى ابْتِدَاعِ عَجَائِبِ الْأُمُورِ- فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ وَ أَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ وَ أَجَابَ إِلَى دَعْوَتِهِ- لَمْ يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ الْمُبْطِئِ وَ لاَ أَنَاهُ الْمُتَلَكِّئِ- فَأَقَامَ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَوَدَهَا وَ نَهَجَ حُدُودَهَا- وَ لاَءَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادِّهَا- وَ وَصَلَ أَسْبَابَ قَرَائِنِهَا وَ فَرَّقَهَا أَجْنَاساً- مُخْتَلِفَاتٍ فِي الْحُدُودِ وَ الْأَقْدَارِ وَ الْغَرَائِزِ وَ الْهَيْئَاتِ- بَدَايَا خَلاَئِقَ أَحْكَمَ صُنْعَهَا وَ فَطَرَهَا عَلَى مَا أَرَادَ وَ ابْتَدَعَهَا

اللغه

أقول: آل : رجع .و أذعن : خضع و ذلّ .و الريث : البطؤ و كذلك الأناه .و المتلكّى التباطؤ عن الأمر و التوقّف فيه .و الأود : الاعوجاج ،و بدايا : جمع بديه و هى الخلقه العجيبه .

المعنى

فقوله:قدّر ما خلق فأحكم تقديره .

فقوله: قدّر ما خلق فأحكم تقديره .إشاره إلى أنّ كلّ مصنوع قدرّه فى الوجود فعلى وفق حكمته بحيث لو زاد على ذلك المقدار أو نقص منه لاختلّت مصلحه ذلك المقدّر و تغيّرت منفعته .

و قوله:و دبّره فألطف تدبيره

و قوله: و دبّره فألطف تدبيره إيجاده على وفق المصلحه و لطفه فى ذلك تصرّفه فى جميع الذوات و الصفات تصرّفات كلّيّه و جزئيّه من غير شعور غيره بذلك .

و قوله:و وجّهه لوجهته.إلى قوله:إلى غايته

و قوله: و وجّهه لوجهته.إلى قوله:إلى غايته :أى ألهم كلاّ و يسّره لما خلق له و لما كتب له فى اللوح فلم يتجاوز مرسوم تلك المنزله المعلومه له:أى لم يعبرها و لم يقصر دونها و إلاّ لزم التغيّر فى علمه سبحانه و إنّه محال .

و قوله:و لم يستعصب إذ امر بالمضىّ على إرادته

و قوله: و لم يستعصب إذ امر بالمضىّ على إرادته :أى لمّا أمر المخلوق بالتوجّه إلى وجهه على وفق إراده اللّه و ساقت الحكمه الإلهيّه كلاّ إلى غايته لم يمكن تخلّفه

و استصعابه عن ذلک الأمر،و أمره له إشاره إلی توجیه أسبابه بحسب القضاء الإلهیّ علیه بذلک .

و قوله:و کیف و إنّما صدرت الامور عن مشیئته

و قوله: و کیف و إنّما صدرت الامور عن مشیئته :أی و کیف یستعصب.ثمّ أشار إلی علّه عدم استصعابه و سرعه طوعه و انقیاده بذکر علّته و هو استناد جمیع الآثار إلی مشیئته.إذ کلّ أثر فهو واجب عن مؤثّره و الکلّ منته فی سلسله الحاجه إلی إرادته واجب عنها و قد علم ذلک فی العلم الإلهیّ .

و قوله:المنشیء أصناف الأشیاء.إلی قوله:عجائب الامور.

و قوله: المنشیء أصناف الأشیاء.إلی قوله:عجائب الامور.

قد سبق فی الخطبه الاولی بیان أنّ الرویّه و الفکر و التجربه ممّا یلحق الإنسان و یخصّه و أنّ الباری سبحانه منزّه عن شیء منها فی کیفیّه إبداعه لخلقه،و أمّا الشریک فمنزّه عنه ببرهان الوحدانیّه کما سبقت الإشاره إلیه أیضا.و قریحه الغریزه قوّه الفکر للعقل .

و قوله:فأتمّفتمّ خخلقه و أذعن لطاعته و أجاب إلی دعوته.

و قوله: فأتمّ[فتمّ خ]خلقه و أذعن لطاعته و أجاب إلی دعوته.

تمام مخلوقاته من جهه جوده بإفادتها ما ینبغی لها فإن عرض لشیء منها فوت کمال فلعدم استعداده و قبوله لذلک و إذعانه ذلّته فی رقّ الحاجه و الإمکان و تصریف القدره و إجابته إلی دعوته کونه فی الوجود عن قوله: «کُنْ » .

و قوله:و لم یعترض دونه ریث المبطئ و لا أناه المتلکّیء.

و قوله: و لم یعترض دونه ریث المبطئ و لا أناه المتلکّیء.

تنزیه لفعله تعالی و أمره أن یعرض فی طاعه الأشیاء له شیء من هذه الکیفیّات إذ کلّ شیء فی قهره و علی غایه من السرعه إلی إجابه أمره و لما کان تعالی «إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَیْئاً أَنْ یَقُولَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ» ،و فی قوله کن هبه ما ینبغی لذلک المأمور و ما یعدّه لإجابه أمره بالکون فی الوجود و یجب عنه فکیف یمکن أن یعرض له فی إجابه الأمر بطوء أو تلکّیء بل یکون کلمح البصر کما قال تعالی «وَ ما أَمْرُنا إِلاّ» «کَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ» و یحتمل أن یکون ذلک تنزیها له تعالی أن یعرض له من جهه ما هو فاعل شیء من هذه الکیفیّات فإنّ البطؤ و الأناه و التلکّیء من عوارض الحرکه الّتی هی من عوارض الجسم، و اعتراضها فیمن یفعل بالآله و تشتدّ حرکته و تضعف،و قد علمت تنزیه اللّه تعالی عن

جميع ذلک .

و قوله:فأقام من الأشياء أودها.إلى قوله:و الهيئات.

و قوله: فأقام من الأشياء أودها.إلى قوله:و الهيئات.

إقامته لأودها رفعه لاعوجاج كلّ شىء بإعداده لما ينبغى له و إفاضه كماله،و نهجه لجددها أو لحدودها على الروايتين هو ايضاحه لكلّ شىء و جهته و غايته الّتى تيسّرها له،و ملائمته بين متضادّها كجمعه العناصر الأربعه على تضادّ كيفيّاتها فى مزاج واحد و قد سبق بيانه،و وصله لأسباب قرائنها إشاره إلى أنّ الموجودات لا تنفكّ عن أشياء تقترن بها من هيئه أو شكل أو غريزه و نحوها و اقتران الشيئين لا محاله مستلزم لاقتران أسبابهما و اتّصالهما لاستحاله قيام الموجود بدون أسبابه،و ذلک الوصل مستند إلى كمال قدرته إذ هو مسبّب الأسباب.و قال بعض الشارحين:أراد بالقرائن النفوس.و على هذا يحتمل أن يكون معنى وصله لأسبابها هدايتها إلى عبادته و ما هو الأولى بها فى معاشها و معادها و سوقها إلى ذلک إذ المفهوم من قول القائل:وصل الملک أسباب فلان.إذا علّقه عليه و وصله إلى برّه و إنعامه،و الأوّل أظهر .

و قوله و فرّقها أجناسا مختلفات فى الحدود و الأقدار و الغرائز و الهيئات.

و قوله. و فرّقها أجناسا مختلفات فى الحدود و الأقدار و الغرائز و الهيئات.

لا يريد بالأجناس و الحدود ما اصطلح عليه قوم فى عرفهم بل ما اختلف بالامور المذكوره كلّها أو بعضها فهو مختلف الجنس لغه،و حدّ الشىء منتهاه و ما يحيط به،و الأقدار المقادير و الأشكال أيضا،و الغرائز القوى النفسانيّه و الأخلاق و الهيئات و الصفات.و إن حملنا الحدود على ما هو المتعارف كان حسنا فإنّ حكمه الخالق سبحانه اقتضت تميز بعض الموجودات عن غيرها بحدودها و حقايقها و بعضها بأشكالها و هيئاتها و مقاديرها و غرائزها و أخلاقها كما يقتضيه نظام الوجود و أحكام الصنع و حكم الإراده الإلهيّه .

و قوله:بدا يا خلايق أحكم صنعها و فطرها على ما أراد و ابتدعها.

و قوله: بدا يا خلايق أحكم صنعها و فطرها على ما أراد و ابتدعها.

أى هى بدايا:أى عجائب مخلوقات أحكم صنعها على وفق إرادته.و باللّه التوفيق.

الفصل الرابع منها فى صفه السماء:

اشاره

وَ نَظَمَ بِلاَ تَعْلِيقٍ رَهَوَاتِ فُرَجِهَا- وَ لاَحَمَ صُدُوعَ انْفِرَاجِهَا

وَ وَشَّجَ بَيْنَهَا وَ بَيْنَ أَزْوَاجِهَا- وَ ذَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ بِأَمْرِهِ- وَ الصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ حُزُونَهَ مِعْرَاجِهَا- وَ نَادَاهَا بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ فَالْتَحَمَتْ عُرَى أَشْرَاجِهَا- وَ فَتَقَ بَعْدَ الاِرْتِتَاقِ صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا- وَ أَقَامَ رَصَداً مِنَ الشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ عَلَى نِقَابِهَا- وَ أَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تُمُورَ فِي خَرْقِ الْهَوَاءِ بِأَيْدِهِ- وَ أَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ- وَ جَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا- وَ قَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوَّةً مِنْ لَيْلِهَا- وَ أَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلِ مَجْرَاهُمَا- وَ قَدَّرَ سَيْرَهُمَا فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا- لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ بِهِمَا- وَ لِيُعْلَمَ عَدَدُ السِّنِينَ وَ الْحِسَابُ بِمَقَادِيرِهِمَا- ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوِّهَا فَلَكَهَا وَ نَاطَ بِهَا زِينَتَهَا- مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيِّهَا وَ مَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا- وَ رَمَى مُسْتَرِقِي السَّمْعِ بِثَوَاقِبِ شُهُبِهَا- وَ أَجْرَاهَا عَلَى أَذْلاَلِ تَسْخِيرِهَا مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا- وَ مَسِيرِ سَائِرِهَا وَ هُبُوطِهَا وَ صُعُودِهَا وَ نُحُوسِهَا وَ سُعُودِهَا

اللغه

أقول: الرهوات : جمع رهوه و هى الفرجه المتّسعه .و أيده : قوّته ،و بايده : هالكه .

و مار : تتحرّك .و ناط : علق و الصدوع : الشقوق .و وشّج بالتشديد : أى شبّك .و الحزونه:

الصعوبه .و الأشراج : جمع شرج بالفتح و هى عرى العيبه الّتى تخاط بها و تنقل و يطلق أيضا على حروفها الّتى تخاط .و الارتتاق : الالتصاق و النقاب : جمع نقب بفتح النون و هو الطريق فى الجبل .و الدرارى : الكواكب المضيئه .

و هذا الفصل يشتمل على كيفيّه خلق السماء

فقوله:و نظم بلا تعليق.إلى قوله:انفراجها

استعاره فقوله: و نظم بلا تعليق.إلى قوله:

انفراجها يقتضى بظاهره أنّ السماء كانت ذات فرج و صدوع،و هذا على رأى المتكلّمين ظاهر فإنّ الأجسام لمّا كانت عندهم مركّبه من الأجزاء الّتى لا تتجزّىء كانت قبل تأليفها

ص:۳۴۵

ذات فرج و صدوع،و أمّا على رأى غيرهم فقالوا:يحتمل أمرين:أحدهما:أنّه لمّا كانت السماوات مركّبه من أجزاء و كانت بين أجزاء كلّ مركّب مباينه لولا المركّب و المؤلّف استعار عليه السّلام لفظ الرهوات و الفرج لما يتصوّر من المباينه بين أجزاء السماء عند قطع النظر عن صانعها و مركّبها سبحانه،و نظامه لرهوات فرجها إفاضته لصورها على قوابلها حتّى تمّت مركّبا منتظما متلاحم الصدوع و الفرج ،و الثانى:يحتمل أن يشير بالفرج إلى ما بين أطباق السماوات من التباين،و نظمه لرهواتها و ملاحمه صدوعها خلقها اكرا متماسّه لا خلاء بينها،و نبّه على كمال قدره اللّه تعالى بقوله: بلا تعليق .فإنّ الأوهام حاكمه بأنّ السماء واقفه فى خلاء كما يقف الحجر فى الهواء و ذلك منشأ حيرتها و تعجّبها فحرّكها بذلك القول إلى التعجّب و الاستعظام .

و قوله:و وشّج بينها و بين أزواجها.

و قوله: و وشّج بينها و بين أزواجها .أراد بأزواجها نفوسها الّتى هى الملائكه السماويّه بمعنى قرائنها و كلّ قرين زوج:أى ربط ما بينها و بين نفوسها بقبول كلّ جرم سماوىّ لنفسه الّتى لا يقبلها غيره .

و قوله:و ذلّل للهابطين بأمره.إلى قوله:انفراجها.

و قوله: و ذلّل للهابطين بأمره.إلى قوله:انفراجها.

قد سبقت الإشاره إلى أنّ الملائكه ليست أجساما كساير الحيوان فإذن ليس هبوطها و صعودها الهبوط و الصعود المحسوسين و إلاّ لكان البارى-جلّ قدسه عن أوهام المتوهّمين-فى جهه إليه يصعد و عنه ينزل فإذن هو استعاره لفظ النزول من الجهه المحسوسه إلى أسفل لنزول العقول من سماء الجود الإلهىّ إلى أراضى الموادّ القابله للإفاضات العاليه،و بذلك المعنى يكون هبوط الملائكه عباره عن إيصالها إلى كلّ ما دونها كماله متوسّطه بينه و بين مبدعه و موجده و هم المرسلون من الملائكه بالوحى و غيره استعاره و كذلك الصاعدون بأعمال الخلق هم الملائكه أيضا،و أمّا معنى الصعود بها فيعود إلى كونها منقوشه فى ذوات الصاعدين بها،و قد لاح فيما سبق أنّ علمه تعالى بمعلولاته البعيده كالزمانيّات و المعدومات الّتى من شأنها أن توجد فى وقت و تتعلّق بزمان يكون بارتسام صورها المعقوله فى تلك الألواح،و هو أيضا مستعار كلفظ الهبوط للمعنى الّذى ذكرناه من أراضى النفوس إلى الألواح المحفوظه .فأمّا الانفراج الّذى ذلّل حزونته لهم و سهل عليهم سلوكه فيعود

ص:۳۴۶

إلى عـدم حجبها و منعها لنفوذ علوم الملائكه بأعمال الخلايق و ما يجرى فى هـذا العالم و كما أنّ الجسم المتصدّع لا يمنع نفوذ جسم آخر فيه من حيث هو متصدّع و الوصول إلى ما رواءه كذلك السماء لا تحجب علوم الملائكه أن تتعلّق بما فى هذا العالم من الموجودات فجرت مجرى المنفرج من الأجسام فاطلق عليه لفظ الانفراج و تـذليله لحزونه ذلك الانفراج لهم هو كونها غير مانعه بوجه ما لجريان علوم الملائكه المقرّبين فى هذا العالم .

و قوله:و ناداها بعد إذ هى دخان فالتحمت عرى أشراجها و افتتق بعد الارتتاق صوامت أبوابها.

و قوله: و ناداها بعد إذ هى دخان فالتحمت عرى أشراجها و افتتق بعد الارتتاق صوامت أبوابها.

فيه احتمالان:الأوّل:أنّك قد علمت ممّا سبق ما معنى كون السماء من دخان فأمّا نداؤه لها فإشاره إلى أمره لها بالإتيان و الكون فى قوله تعالى «فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ اِئْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ » (۱)و أمّا التحامها فاعتبار تركيبها بانضمام جزئها الصورىّ إلى جزئها القابل كما يلتحم طرفا العيبه بتشريج عراها ،و افتتاق صوامت أبوابها بعد ذلك الارتتاق هو جعلها أسبابا لنزول رحمته و مدبّرات تنزل بواسطه حركاتها على هـذا العالم أنواع رحمه اللّه فكانت حركاتها تشبه الأبواب إذ هى أبواب رحمته و مفاتيح جوده.الثانى:أنّ العرب تقول لكلّ ما علاك:فهو سماؤك.فعلى هـذا يحتمل أن يكون المراد بالسماء ما هو أعمّ من السماء المعهوده،و يكون قوله: و ناداها إشاره إلى سماء السحاب استعاره و كونها دخانا هو كونها بخارا قبل الانعقاد يشبه الدخان فاستعير له لفظه و التحام عرى أشراجها إشاره إلى التحام تلك الأجزاء البخاريّه و انعقادها سحابا و افتتاق صوامت أبوابها هو إنزال المطر منها كما.قال تعالى: «فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ » (۲).

و قوله:و أقام رصدا من الشهب الثواقب على نقابها.

استعاره-استعاره مرشحه و قوله: و أقام رصدا من الشهب الثواقب على نقابها.

له معنيان:أحدهما:أن يكون استعار لفظ النقاب لكونها بحيث لا يمنع تعلّق العلوم بما ورائها من الأجسام و المجرّدات،و قد سبق معنى الشهب و إقامتها رصدا.الثانى:أن

۱- ۱) ۱۰-۴۱

۲- ۲) ۱۱-۵۴

یکون استعار لفظ الرصد لهذه الشهب المحسوسه و رشّح بذکر النقاب إذ شأن الرصد و الحرسه حفظ الفرج و الأبواب ،و یکون سرّ ذلک و وجه الحکمه فیه أنّ العرب کانت تعتقد أنّ الشیاطین تصعد إلی السماء فتسترق الغیب من الملائکه ثمّ تلقیه إلی الکهنه و السحره و نحوهم فلمّا آن دور الستر و النهی عن التکهّن و نحوه لما بیّنا فیه من فساد أذهان الخلق و صرف قلوبهم عن غرض الشریعه ألقی الوحی إلیهم أنّ هذه الشهب الّتی تنقضّ إنّما جعلت رجوما للشیاطین مسترقی السمع کلّ من استمع منهم رمی بشهاب منها و حجبت السماوات عنهم فلا یصلون إلیها لینغرس فی أذهان الخلق انقطاع مادّه الکهانه و نحوها فنسبوا اعتقادهم فیه فیکون ذلک کسرا لأوهامهم الّتی بیّنا أنّها شیاطین النفوس و قمعا لها.و باللّه التوفیق .

و قوله:و أمسکها من أن تمور فی خرق الهواء بأیده و أمرها أن تقف مستسلمه لأمره.

و قوله: و أمسکها من أن تمور فی خرق الهواء بأیده و أمرها أن تقف مستسلمه لأمره.

أی حفظها عن أن تحرّکها الریح المخترعه فیها مجیئا و ذهابا و حکمت الحکمه الإلهیّه علیها بالاستقرار انقیادا لقهره،و الأمر الأوّل إشاره إلی حکم القضاء،و الأمر الثانی إشاره إلی اعتبار القدره .

و قوله:و جعل شمسها آیه مبصره لنهارها و قمرها آیه ممحوّه من لیلها.

و قوله: و جعل شمسها آیه مبصره لنهارها و قمرها آیه ممحوّه من لیلها.

کقوله تعالی «وَ جَعَلْنَا اللَّیْلَ وَ النَّهارَ آیَتَیْنِ فَمَحَوْنا آیَهَ اللَّیْلِ وَ جَعَلْنا آیَهَ النَّهارِ مُبْصِرَهً» (۱)و کونهما آیتین:أی لدلالتهما علی کمال قدرته،و نقل عن أئمّه التفسیر فی إبصار آیه النهار و محو آیه اللیل وجوه:

أحدها:أنّ إبصار آیه النهار هو بقاء الشمس بحالها و تمام ضیائها فی کلّ حال، و محو آیه اللیل هو اختلاف أحوال القمر فی إشراقه و محاقه بحیث لا یبقی لیلتین علی حاله واحده بل کلّ لیله فی منزل بزیاده أو نقصان.

الثانی:ما نقل أن ابن الکوّاء سئل علیّا علیه السّلام عن اللطخه الّتی فی وجه القمر فقال:

ذلک محو آیه اللیل.

الثالث:عن ابن کثیر:أنّ الآیتین هما ظلمه اللیل و ضیاء النهار،و التقدیر

۱- ۱) ۱۳-۱۷.

و جعلنا الليل و النهار ذوى آيتين فقوله: «فَمَحَوْنا آيَهَ اللَّيْلِ» :أى لم نجعل للقمر نورا من ذاته بل من ضوء الشمس،و إبصار آيه النهار كون الشمس مضيئه بذاتها و من هنا لابتداء الغايه أو لبيان الجنس متعلّق بممحوّه أو بجعل،و قيل:أراد من آيات ليلها .

و قوله:فأجراهما فى مناقل مجراهما و قدّر سيرهما فى مدارج درجهما.

و قوله: فأجراهما فى مناقل مجراهما و قدّر سيرهما فى مدارج درجهما.

الّتى قدّر سيرهما فينا هى بروجهما و منازلهما.و لنشر إلى مفهومات الدرج و البروج و المنازل و هو أنّ الناس قسموا دور الفلك الّذى يسير منه الكواكب باثنى عشر قسما و سمّوا كلّ قسم برجا و قسّموا كلّ برح قسما و سمّوا كلّ قسم درجه و سمّوا تلك البروج أسماء:

الحمل الثور الجوزاء السرطان الأسد السنبله الميزان العقرب القوس الجدى الدلو الحوت.

و الشمس تسير كلّ برج منها فى شهر واحد،و القمر يسير كلّ برج منها فى أزيد من يومين و نقص من ثلاثه أيّام،و أمّا منازل القمر فثمانيه و عشرون و أسماؤها:

الشرطين البطين الثريّا الدبران الهقعه الهنعه الذراع النثره الطرفه الجبهه الزبره الصرفه العوا.السماك الغفر الزبانا الاكليل القلب الشوله النعايم البلده سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الأخبيه الفرغ المقدّم الفرغ المؤخّر الرشاء.

و القمر يكون كلّ يوم فى منزل منها «وَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ» ... «ذٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ » .

و قوله:ليميّز بين الليل و النهار.إلى قوله:بمقاديرهما.

و قوله: ليميّز بين الليل و النهار.إلى قوله:بمقاديرهما.

أى بمقادير سيرهما،و قد سبق بيانه فى الخطبه الاولى .

و قوله:ثم علّق فى جوّها فلكها.

و قوله: ثم علّق فى جوّها فلكها.

لمّا أشار أوّلا إلى تركيبها أشار إلى إقرارها فى أحيازها و هو المشار إليه بتعليق فلكها فى جوّها.

فإن قلت:فقد قال أوّلا:بلا تعليق ثمّ قال هاهنا:و علّق.فما وجه الجمع؟.

قلت:التعليق أمر إضافىّ يصدق سلبه و إثباته باعتبارين:فالمراد بالأوّل أنّها غير معلّقه بجسم آخر فوقها،و بالثانى أنّه علّقها فى جوّها بقدرته.و لا منافاه،و أراد بالفلك اسم الجنس و هو أجسامها المستديره الّتى يصدق عليها هذا الاسم .

و قوله:و ناط بها زينتها من خفيّات دراريها و مصابيح كواكبها.

و قوله: و ناط بها زينتها من خفيّات دراريها و مصابيح كواكبها.

كقوله تعالى «وَ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ » (۱)و رمى مسترقى السمع بثواقب شهبها كقوله تعالى «فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ» و قد تقدّم بيانه،و إنّما أعاد ذكر الشهب لأنّه ذكر أوّلا أنّه أقامها رصدا و ذكر هنا أنّه جعلها رصدا له:أى لرقى مسترقى السمع بها .

و قوله:و أجراها على إذلال تسخيرها.

و قوله: و أجراها على إذلال تسخيرها.

كقوله تعالى «وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِ» (۲)و الذلّه:ذلّه الإمكان و الحاجه إلى الإيجاد و التدبير .و أمّا الثابت و السائر منها فالساير:هى الكواكب السبعه:زحل و المشترى و المرّيخ و الشمس و الزهره و عطارد و القمر.

و يسمّى الشمس و القمر بالنيّرين و الخمسه الباقيه بالمتحيّره لأنّ لكلّ واحد منها استقامه ثمّ وقوفا ثمّ رجوعا ثم وقوفا ثانيا ثمّ عودا إلى الاستقامه،و ليس للنيّرين غير الاستقامه.و باقى الكواكب الّتى على السماء غير هذه السبعه تسمّى بالثوابت و فلكها الثامن و كلّ واحد من السبعه يتحرّك حركه مخصوصه يخالف حركه الآخر .فأمّا صعودها و هبوطها:فصعودها طلبها لشرفها و شرف الشمس فى الدرجه التاسعه عشر من الحمل، و شرف القمر فى الدرجه الثالثه من الثور،و شرف زحل فى الحاديه و العشرين من الميزان، و شرف المشترى فى الخامسه عشر من السرطان،و شرف المرّيخ فى الثامنه و العشرين من الجدى،و شرف الزهره فى السابعه و العشرين من الحوت،و شرف عطارد فى الخامسه و العشرين من السنبله،و شرف الرأس فى الثالثه من الجوزا،و شرف الذنب فى الثالثه من القوس،و برج الشرف كلّه شرف إلاّ أنّ تلك الدرجات قويّه فما دام الكواكب متوجّها إلى قوّه الشرف فهو فى الازدياد و الصعود فإذا جاز صار فى الانتقاص و الهبوط.و هبوط

۱- (۱) ۱۱-۴۱

۲- (۲) ۱۲-۱۶. [۱]

کلّ کوکب یقابل شرفه و صعوده،و أمّا نحوسها و سعودها فقالوا:زحل و المرّیخ نحسان أکبرهما زحل،و المشتری و الزهره سعدان أکبرهما المشتری،و عطارد سعد مع السعود و نحس مع النحوس،و النیّران سعدان من التثلیث و التسدیس نحسان من المقابله و التربیع و المقاربه،و الرأس سعد،و الذنب و الکبد نحسان،و معنی سعودها و نحوسها کون اتّصالاتها أسبابا لصلاح حال شیء من الأشیاء من أحوال هذا العالم.و باللّه التوفیق

الفصل الخامس و منها فی صفه الملائکه:

اشاره

ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْکَانِ سَمَاوَاتِهِ- وَ عِمَارَهِ الصَّفِیحِ الْأَعْلَی مِنْ مَلَکُوتِهِ- خَلْقاً بَدِیعاً مِنْ مَلَائِکَتِهِ- وَ مَلَأَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِهَا وَ حَشَا بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَائِهَا- وَ بَیْنَ فَجَوَاتِ تِلْکَ الْفُرُوجِ زَجَلُ الْمُسَبِّحِینَ- مِنْهُمْ فِی حَظَائِرِ الْقُدُسِ- وَ سُتُرَاتِ الْحُجُبِ وَ سُرَادِقَاتِ الْمَجْدِ- وَ وَرَاءَ ذَلِکَ الرَّجِیجِ الَّذِی تَسْتَکُّ مِنْهُ الْأَسْمَاعُ- سُبُحَاتُ نُورٍ تَرْدَعُ الْأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا- فَتَقِفُ خَاسِئَهً عَلَی حُدُودِهَا-.وَ أَنْشَأَهُمْ عَلَی صُوَرٍ مُخْتَلِفَاتٍ وَ أَقْدَارٍ مُتَفَاوِتَاتٍ- «أُولِی أَجْنِحَهٍ» تُسَبِّحُ جَلَالَ عِزَّتِهِ- لَا یَنْتَحِلُونَ مَا ظَهَرَ فِی الْخَلْقِ مِنْ صُنْعِهِ- وَ لَا یَدَّعُونَ أَنَّهُمْ یَخْلُقُونَ شَیْئاً مِمَّا انْفَرَدَ بِهِ- «بَلْ عِبادٌ مُکْرَمُونَ لا یَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ» - جَعَلَهُمُ اللَّهُ فِیمَا هُنَالِکَ أَهْلَ الْأَمَانَهِ عَلَی وَحْیِهِ- وَ حَمَّلَهُمْ إِلَی الْمُرْسَلِینَ وَدَائِعَ أَمْرِهِ وَ نَهْیِهِ- وَ عَصَمَهُمْ مِنْ رَیْبِ الشُّبُهَاتِ- فَمَا مِنْهُمْ زَائِغٌ عَنْ سَبِیلِ مَرْضَاتِهِ- وَ أَمَدَّهُمْ بِفَوَائِدِ الْمَعُونَهِ- وَ أَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ تَوَاضُعَ إِخْبَاتِ السَّکِینَهِ- وَ فَتَحَ لَهُمْ

أَبْوَاباً ذُلُلًا إِلَى تَمَاجِيدِهِ- وَ نَصَبَ لَهُمْ مَنَاراً وَاضِحَةً عَلَى أَعْلَامِ تَوْحِيدِهِ- لَمْ تُثْقِلْهُمْ مُؤْصِرَاتُ الْآثَامِ- وَ لَمْ تَرْتَحِلْهُمْ عُقَبُ اللَّيَالِي وَ الْأَيَّامِ- وَ لَمْ تَرْمِ الشُّكُوكُ بِنَوَازِعِهَا عَزِيمَةَ إِيمَانِهِمْ- وَ لَمْ تَعْتَرِكِ الظُّنُونُ عَلَى مَعَاقِدِ يَقِينِهِمْ- وَ لَا قَدَحَتْ قَادِحَةُ الْإِحَنِ فِيمَا بَيْنَهُمْ- وَ لَا سَلَبَتْهُمُ الْحَيْرَةُ مَا لَاقَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمَائِرِهِمْ- وَ مَا سَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَ هَيْبَةِ جَلَالَتِهِ فِي أَثْنَاءِ صُدُورِهِمْ- وَ لَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ الْوَسَاوِسُ فَتَقْتَرِعَ بِرَيْنِهَا عَلَى فِكْرِهِمْ- وَ مِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ الْغَمَامِ الدُّلَّحِ- وَ فِي عِظَمِ الْجِبَالِ الشُّمَّخِ وَ فِي قَتْرَةِ الظَّلَامِ الْأَيْهَمِ- وَ مِنْهُمْ مَنْ قَدْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ تُخُومَ الْأَرْضِ السُّفْلَى- فَهِيَ كَرَايَاتٍ بِيضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ الْهَوَاءِ- وَ تَحْتَهَا رِيحٌ هَفَّافَةٌ- تَحْبِسُهَا عَلَى حَيْثُ انْتَهَتْ مِنَ الْحُدُودِ الْمُتَنَاهِيَةِ- قَدِ اسْتَفْرَغَتْهُمْ أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ- وَ وَصَلَتْ حَقَائِقُ الْإِيمَانِ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَعْرِفَتِهِ- وَ قَطَعَهُمُ الْإِيقَانُ بِهِ إِلَى الْوَلَهِ إِلَيْهِ- وَ لَمْ تُجَاوِزْ رَغَبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ- قَدْ ذَاقُوا حَلَاوَةَ مَعْرِفَتِهِ- وَ شَرِبُوا بِالْكَأْسِ الرَّوِيَّةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ- وَ تَمَكَّنَتْ مِنْ سُوَيْدَاءِ قُلُوبِهِمْ وَشِيجَةُ خِيفَتِهِ- فَحَنَوْا بِطُولِ الطَّاعَةِ اعْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ- وَ لَمْ يُنْفِدْ طُولُ الرَّغْبَةِ إِلَيْهِ مَادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ- وَ لَا أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ الزُّلْفَةِ رِبَقَ خُشُوعِهِمْ- وَ لَمْ يَتَوَلَّهُمُ الْإِعْجَابُ فَيَسْتَكْثِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُمْ- وَ لَا تَرَكَتْ

لَهُمُ اسْتِكَانَهُ الْإِجْلَالِ- نَصِيباً فِی تَعْظِیمِ حَسَنَاتِهِمْ- وَ لَمْ تَجْرِ الْفَتَرَاتُ فِیهِمْ عَلَی طُولِ دُءُوبِهِمْ- وَ لَمْ تَغِضْ رَغَبَاتُهُمْ فَیُخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ رَبِّهِمْ- وَ لَمْ تَجِفَّ لِطُولِ الْمُنَاجَاهِ أَسَلَاتُ أَلْسِنَتِهِمْ- وَ لَا مَلَكَتْهُمُ الْأَشْغَالُ فَتَنْقَطِعَ بِهَمْسِ الْجُؤَارِ إِلَیْهِ أَصْوَاتُهُمْ- وَ لَمْ تَخْتَلِفْ فِی مَقَاوِمِ الطَّاعَهِ مَنَاكِبُهُمْ- وَ لَمْ یَثْنُوا إِلَی رَاحَهِ التَّقْصِیرِ فِی أَمْرِهِ رِقَابَهُمْ-.وَ لَا تَعْدُو عَلَی عَزِیمَهِ جِدِّهِمْ بَلَادَهُ الْغَفَلَاتِ- وَ لَا تَنْتَضِلُ فِی هِمَمِهِمْ خَدَائِعُ الشَّهَوَاتِ- قَدِ اتَّخَذُوا ذَا الْعَرْشِ ذَخِیرَهً لِیَوْمِ فَاقَتِهِمْ- وَ یَمَّمُوهُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْخَلْقِ إِلَی الْمَخْلُوقِینَ بِرَغْبَتِهِمْ- لَا یَقْطَعُونَ أَمَدَ غَایَهِ عِبَادَتِهِ- وَ لَا یَرْجِعُ بِهِمُ الِاسْتِهْتَارُ بِلُزُومِ طَاعَتِهِ- إِلَّا إِلَی مَوَادَّ مِنْ قُلُوبِهِمْ غَیْرِ مُنْقَطِعَهٍ مِنْ رَجَائِهِ وَ مَخَافَتِهِ- لَمْ تَنْقَطِعْ أَسْبَابُ الشَّفَقَهِ مِنْهُمْ فَیَنُوا فِی جِدِّهِمْ- وَ لَمْ تَأْسِرْهُمُ الْأَطْمَاعُ- فَیُؤْثِرُوا وَشِیكَ السَّعْیِ عَلَی اجْتِهَادِهِمْ- لَمْ یَسْتَعْظِمُوا مَا مَضَی مِنْ أَعْمَالِهِمْ- وَ لَوِ اسْتَعْظَمُوا ذَلِكَ لَنَسَخَ الرَّجَاءُ مِنْهُمْ شَفَقَاتِ وَجَلِهِمْ- وَ لَمْ یَخْتَلِفُوا فِی رَبِّهِمْ بِاسْتِحْوَاذِ الشَّیْطَانِ عَلَیْهِمْ- وَ لَمْ یُفَرِّقْهُمْ سُوءُ التَّقَاطُعِ وَ لَا تَوَلَّاهُمْ غِلُّ التَّحَاسُدِ- وَ لَا تَشَعَّبَتْهُمْ مَصَارِفُ الرِّیَبِ- وَ لَا اقْتَسَمَتْهُمْ أَخْیَافُ الْهِمَمِ- فَهُمْ أُسَرَاءُ إِیمَانٍ لَمْ یَفُكَّهُمْ مِنْ رِبْقَتِهِ زَیْغٌ وَ لَا عُدُولٌ- وَ لَا وَنًی وَ لَا فُتُورٌ- وَ لَیْسَ فِی أَطْبَاقِ السَّمَاءِ مَوْضِعُ إِهَابٍ

ص:۳۵۳

إِلاَّ وَ عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ- أَوْ سَاعٍ حَافِدٌ يَزْدَادُونَ عَلَى طُولِ الطَّاعَهِ بِرَبِّهِمْ عِلْماً- وَ تَزْدَادُ عِزَّهُ رَبِّهِمْ فِی قُلُوبِهِمْ عِظَماً

اللغه

أقول: الصفيح : السطح .و الفجاج : الطريق الواسع .و الجوّ : المكان المتّسع العالى .و الفجوه : الفرجه .و الزجل : الأصوات .و السرادق : الستر الّذى يمدّ فوق البيت .و الرجيج : الزلزله و الاضطراب .و تستكّ الأسماع : تصمّ .و خاسئه : متحيّره و الإخبات : التذلّل و الاستكانه .و ذللاـ : سهله .و الموصرات : المثقلات .و العقب: جمع عقبه و هى المدّه من التعاقب :و النوازغ بالغين المعجمه : المفسده.و بالمهمله القسىّ .و الإحن:

جمع أحنه و هى الحقد .و لاق : التصق .و أثناء : جمع ثنى و هى تضاعيف الشىء .و الرين:

الغلبه و التغطيه .و الدلّح : جمع دالحه و هى الثقال .و الشمّخ : العاليه .و قتره الظلام:

سواده و الأبهم : الّذى لا يهتدى فيه .و التخوم جمع تخم بفتح التاء و هى منتهى الأرض و حدودها .و الريح الهفّافه : الساكنه الطيّبه و الوشيجه : عروق الشجره .و الربق : جمع ربقه و هى الحلقه من الحبل ،و الدؤوب : الجدّ فى العمل .و الأسله : طرف اللسان .

و الجؤار : رفع الصوت بالدعاء و نحوه .و الهمس : الخفىّ من الصوت .و الانتضال : الرمى بالسهم .و استهتر بالأمر : أعجبه و تظاهر به . وشيك السعى : مرتبته .و النسخ : الإزاله و الاستحواذ على الشىء : الإحاطه و الغلبه عليه .و أخياف الهمم . مختلفاتها واحده أخيف و الحفد : السرعه .

و اعلم أنّ هذا الفصل يشتمل على وصف الملائكه

اشاره

الّذين هم أشرف الموجودات الممكنه بكمال العبوديّه للّه إذ كان فى معرض تمجيده و وصف عظمته،و قد سبق ذكر أنواع الملائكه و إسكانهم أطباق السماوات،و بيّنا مقاصده بقدر الإمكان.و لنشر هاهنا إلى ما يختصّ بهذا الموضع من المباحث :

الأوّل:ثمّ خلق سبحانه إلى قوله:من الملائكه

يحتمل أن يشير بالصفيح الأعلى إلى الفلك التاسع و هو العرش لكونه أعظم الأجرام و أعلاها و سكّانه الملائكه المدبّرون له،و يحتمل أن يريد به محلّ عباده الملائكه من حضرت جلال ربّ العالمين و عالم الملكوت

و مقعـدهم الصدق من معرفته فإنّ خلقهم إنّما كان لعماره ذلك المحلّ و هو البيت المعمور بجلال اللّه و عبادتهم له،و لمّا كانوا من أشرف الموجودات كانوا هم الخلق البديع التامّ المعجب .

الثانی:

استعاره مرشحه ملأـ بهم فروج فجاجهـا و حشا بهم فتوق أجوائها .اسـتعار لفظ الفروج و الفجاج و الفتوق لما يتصوّر بين أجزاء الفلـك من التبـاين لولاـ الملاـئكه الّـذين هم أرواح الأفلاـک و بهم قـام وجودهـا و بقاء جواهرها محفوظه بهم.و وجه المشابهه ظاهر،و رشّح تلك الاسـتعاره بـذكر الملء و الحشو،و أمّا فجاجها و فروجها فإشاره إلى ما يعقل بين أجزائها و أجوائها المنتظمه على التباين لولا الناظم لها بوجود الملائكه فيكون حشو تلك الفرج بالملائكه كنايه عن نظامها بوجودها و جعلها مدبّره لها .

الثالث:

استعاره و بين فجوات تلـك الفروج.إلى قوله:المجـد. استعار لفـظ الزجـل لكمـال عبادتهم كما أنّ كمال الرجل فی رفع صوته بالتضـرّع و التسبيـح و التهليـل و كـذلك لفـظ الحظـائر لمنازل الملائكه من عالم الغيب و مقامات عبادتهم،و ظاهر كونها حظاير القـدس لطهارتها و براءتها عن نجاسات الجهل و النفس الأمّاره بالسوء ،و كذلك اسـتعار لفظ سترات الحجب و السـرادقات لما نبّهنـا عليه من حجب النور الّتی حجبت بهـا عن الأذهـان أو لتجرّدهم عن الموادّ و الأوضـاع المحسوسه،و وجه المشـابهه كونهم محتجبين بـذلك عن رؤيه الأبصار و الأوهام .و ظاهر كون تلك الحجب سـرادقات المجد لكمال ذواتهم و شـرفهم بها على من دون تلك الحجب.

الرابع:

استعاره مرشحه–استعاره بالكنايه و وراء ذلك الرجيج الّذی تستكّ.إلى قوله:حدودها. استعار لفظ الرجيج لعبادات الملائكه كما اسـتعار لفظ الزجل و رشّح اسـتعاره الرجيج بقوله : تسـتكّ منه الأسـماع و كنّى به من كمال عبادتهم ،و يحتمل أن يشـير بذلك الزجـل و الرجيـج إلى مـا يسـمعه الأنبيـاء من أصوات الملاـئكه كمـا علمت كيفيّته فی سـماع الوحی و بيّناه فی المقـدّمه و أشار بسبحات النور الّتی وراء ذلك الرجيج إلى جلال وجه اللّه و عظمته و تنزيهه أن يصل إليه أبصار البصائر،و نبّه بكون ذلك وراء رجيجهم إلى أنّ معارفهم لا تتعلّق به كما هو،بل وراء علومهم و عباداتهم أطوار اخرى من جلاله تقصر معارفهم عنها

و تردع أبصار البصائر عن إدراكها فترجع حسيره متحيّره واقفه عند حدودها و غاياتها من الإدراک .

الخامس:

أنشأهم على صور مختلفات .إلى قوله: عزّته . كنايه اختلاف صورهم كنايه عن اختلافهم بالحقايق و تفاوت أقدارهم تفاوت مراتبهم فى الكمال و القرب منه استعاره و لفظ الأجنحه مستعار لقواهم الّتى بها حصلوا على المعارف الإلهيّه و تفاوتها بالزياده و النقصان كما قال تعالى «أُولِي أَجْنِحَهٍ مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ» (۱)كنايه عن تفاوت إدراكهم لجلال اللّه و علومهم بما ينبغى له و لذلک جعل الأجنحه هى الّتى تسبّح جلال عزّته فإنّ علمهم بجلاله منزّه عمّا لا ينبغى لكرم وجهه و لا يناسب جلال عزّته .

السادس:

لا ينتحلون إلى قوله: يعملون :أى لا ينسون بعض مصنوعاته إلى قدرهم و إن كانوا وسايط فيها و لا يدّعون أنّهم يقدرون على شيء منها إلاّ بإقداره لهم،بل غايتهم أنّهم وسائط فى إفاضه الجود على مستحقّه و ما لم يجعلهم وسائط فيه بل انفرد بذاته فى إبداعه فلا يدّعون القدره عليه أصلا و ذلک لكمال معارفهم بأقدارهم و نسبتهم إلى بارئهم و قد أكرمهم اللّه تعالى بالتقديس عن النفوس الأمّاره بالسوء الّتى هى مبدء مخالفه أمره و الخروج عن طاعته .

السابع:

جعلهم فيما هنا لک .إلى قوله: و نهيه :أى فى مقاماتهم من حضره قدسه.

و قد سبقت الإشاره إلى كلّ ذلک فى الخطبه الاولى .

الثامن:

و عصمهم .إلى قوله: مرضاته .منشأ الشكوک و الشبهات و الزيغ عن سبيل اللّه هو معارضه النفس الأمّاره للعقل و جذبها له إلى طرق الباطل و الملائكه مبرّؤون عنها فكانوا معصومين ممنوعين ممّا تقود إليه و تأمر به من الزيغ و الانحراف عن قصد اللّه .

و إمدادهم بفوايد المعونه زيادتهم فى كمالاتهم على غيرهم و دوام ذلک بدوام وجوده .

التاسع:

استعاره و أشعر قلوبهم تواضع إخبات السكينه استعار لفظ التواضع و الاستكانه لحالهم من الاعتراف بذلّ الحاجه و الإمكان إلى

جوده و الانقهار تحت عظمته:أی جعل ذلک الاعتراف شعارا لازما لذواتهم،أو من الشعور و هو الإدراک .

۱- ۱) ۱-۳۵.

العاشر:

و فتح لهم أبوابا ذللا إلى تماجيده.الأبواب الذلل وجوه معارفهم الإلهيّه الّتى بها يمجّدونه حقّ تمجيده و هى أبوابهم و وسائلهم إلى تنزيهه و تعظيمه و ظاهر كونها سهله إذ حصولها لهم ليس اكتسابا عن طرق توعّرت بتراكم الشكوك و الشبهات و منازعات الأوهام و الخيالات كما عليه علومنا .

الحادى عشر:

استعاره و نصب لهم منارا واضحه على أعلام توحيده .قيل:استعار المنار الواضحه للوسائط من الملائكه المقرّبين بينهم و بين الحقّ سبحانه إذ أخباره عن الملائكه السماويّه،و لفظ الأعلام لصور المعقولات فى ذواتهم المستلزمه لتوحيده و تنزيهه عن الكثره،و وجه المشابهه أنّ المنار و الأعلام كما يكون وسائط فى حصول العلم بالمطلوب كذلك الملائكه المقرّبون و المعارف الحاصله بواسطتهم يكون وسائط فى الوصول إلى المطلوب الأوّل محرّك الكلّ عزّ سلطانه .

الثانى عشر:

لم تثقلهم موصرات الآثام.لمّا لم يكن النفوس الأمّاره بالسوء موجوده لهم استلزم عدمها نفى آثارها عنهم من الآثام و الشرور .

الثالث عشر:

و لم ترتحلهم عقب الليالى و الأيّام :أى لم يستلزم تعاقب الزمان رحيلهم عن الوجود و ذاك لتجرّدهم و براءه المجرّدات عن لحوق الزمان و التغيّرات الحادثه بسببه .

الرابع عشر:

و لم ترم الشكوك بنوازغها عزيمه إيمانهم و لم تعترك الظنون على معاقد يقينهم .عزيمه إيمانهم ما لزم ذواتهم من التصديق بمبدعهم و ما ينبغى له، و معاقد يقينهم اعتقاداتهم اليقينيّه و اعتراك الشكوك و الظنون منشأه الأوهام و الخيالات و علوم الملائكه المجرّدين مبرّأه عنها، استعاره مرشحه و لفظ الرمى مستعار لانبعاث النفوس الأمّاره بالسوء و إلقائها الخواطر الفاسده إلى النفس المطمئنّه،و من روى النوازع بالعين المهمله فهو ترشيح للاستعاره استعاره و كذلك استعار لفظ الاعتراك لاختلاط الظنون و الأوهام على القلوب و جولانها فى النفوس،و وجه المشابهه ظاهره .

الخامس عشر:

و لا ـ قـدحت قادحه الإحن فيما بينهم :أى لم تثر بينهم الأحقاد شـيئا من الشـرور كما تثير النار قادحا لبراءتهم عن قوى الغضب و الشهوه .

ص:۳۵۷

السادس عشر:

و لا سلبتهم الحيره ما لاق من معرفته بضمائرهم إلى قوله:صدورهم.

لمّا كانت الحيره تردّد العقل فى أىّ الأمرين أولى بالطلب و الاختيار و كان منشأ ذلك هو معارضات الوهم و الخيال للعقل فحيث لا وهم و لا خيال فلا حيره تخالط معارفهم و تزيل هيبه عظمته من صدورهم، كنايه و الهيبه كنايه عن استشعار عظمته استعاره ،و لفظ الصدور مستعار لذواتهم .

السابع عشر:

مجاز و لم تطمع فيهم الوساوس فتقترع برينها على فكرهم .و قد مرّ تفسير الوسوسه،و فاعل الطمع هاهنا إمّا مضمر على تقدير حذف المضاف و إقامه المضاف إليه مقامه:أى أهل الوساوس و هم الشياطين،أو يكون الفاعل هو الوساوس و إسناد الطمع إليه مجازا كقوله تعالى «وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقالَها» (۱)و رينها غلبه الشكوك اللازمه عنها على وجوه عقولهم و أبصار ذواتهم الّتى بها ينظرون إلى وجه ربّهم.

و انتفاؤها عنهم لانتفاء أسبابها و هى النفوس الأمّاره .

الثامن عشر:

منهم من هو فى خلق الغمام إلى قوله: الأبهم .هذا التقسيم يعود إلى جنس الملائكه فأمّا الأوصاف السابقه فكانت خاصّه بسكّان السماوات منهم و قد وردت فى الشريعه أنّ فى الغمام ملائكه تسبّح اللّه و تقدّسه و كذلك فى الجبال و الأماكن المظلمه و هم من الملائكه الأرضيّه،و قد علمت ما قيل فيها فى الخطبه الاولى .

التاسع عشر:

استعاره و منهم من خرقت أقدامهم تخوم الأرض السفلى إلى قوله:المتناهيه .

يشبه أن يكون هذا القسم من الملائكه السماويّه أيضا و استعار لفظ الأقدام لعلومهم المحيطه بأقطار الأرض السفلى و نهاياتها،و وجه المشابهه كون العلوم قاطعه للمعلوم و ساريه فيه واصله إلى نهايته كما أنّ الأقدام تقطع الطريق و تصل إلى الغايه منها و شبّهها بالرايات البيض النافذه فى مخارق الهواء من وجهين:

أحدهما:فى البياض فإنّ البياض لمّا استلزم الصفاء عن الكدر و السواد كذلك علومهم صافيه من كدورات الباطل و ظلمات الشبه.

الثانی:فی نفوذها فی أجزاء المعلوم کما تنفذ الرایات فی الهواء ،و أشار بالریح

ص:۳۵۸

۱- ۱) ۲-۹۹.

الّتی تحبس الأقدام علی حیث انتهت من الحدود إلی حکمه اللّه الّتی أعطت کلاما یستحقّه و قصرت کلّ موجود علی حدّه،و بهفوفها إلی لطف تصرّفها و جریانها فی المصنوعات .

العشرون:

قد استفرغتهم أشغال عبادته إلی قوله:و شیجه خیفته:أی لم یجعل لهم فراغا لغیرها،و قد علمت أنّ تحریک الملائکه السماویّه لأجرام الأفلاک الجاریه لها مجری الأبدان بحرکه إرادیّه و شوقیّه للتشبّه بالملائکه المتوسّطه بینها و بین الحقّ سبحانه فی کمال عبادتهم له و تلک الحرکات الدائمه الواجبه مستفرغه لهم عن الاشتغال بغیرها کما قال «یُسَبِّحُونَ اللَّیْلَ وَ النَّهارَ لا یَفْتُرُونَ » و حقایق الایمان تصدیقهم الحقّ بوجوده عن شاهد وجودهم و ظاهر کونه سببا لإراده معرفته التامّه و الدوام علیها و إبراز ما فی قوّتهم من الکمال بها إلی الفعل فإنّ التصدیق بوجود الشیء الواجب تحصیله أقوی الأسباب الباعثه علی طلبه.فصار الإیمان و التصدیق الحقّ الیقین بوجوده وسیله جامعه بینه و بین معرفته و الاستکمال بها و قاطعا لهم إلی الوله إلیه و العشق له و ثبات الرغبات علی ما عنده دون غیره ، استعاره مرشحه-استعاره بالکنایه و لمّا استعار لفظ الذوق لتعقّلاتهم و لفظ الشرب بما تمکّن فی ذواتهم فی عشقه و کمال محبّته رشّح الاستعاره الاولی بذکر الحلاوه و کنّی بها عن کمال ما یجدونه من اللذّه بمعرفته کما یلتذّ ذایق الحلاوه بها،و الثانیه بذکر الکأس الرویّه إذ من کمال الشرب أن یکون بکأس رویّه:أی من شأنها أن تروی،و کنّی بها عن کمال معرفتهم بالنسبه إلی غیرهم و کذلک رشّح استعاره لفظ القلوب بذکر سویدائها إذ کان من کمال تمکّن العوارض القلبیّه کالمحبّه و الخوف أن یبلغ إلی سویدائه استعاره ،و أشار بوشیجه خیفته إلی العلاقه المتمکّنه من ذواتهم لخیفته و هی کمال علمهم بعظمته،و لفظ الخیفه مستعار کما سبق لانقهارهم فی ذلّ الإمکان عند اعتبار عزّه و قهره .

الحادی و العشرون:

مجاز من باب إطلاق لاسم المسبّب علی السبب فحنوا بطول الطاعه اعتدال ظهورهم .تجوّز بانحناء الظهور فی کمال خضوعهم فی عبادتهم و هو إطلاق لاسم المسبّب علی السبب .

الثانی و العشرون:

و لم ینفذ طول الرغبه إلیه مادّه تضرّعهم .لمّا کان من شأن أحد إذا رغب فی أمر إلی بعض الملوک و فزع فیه إلیه بالتضرّع و الخدمه أن ینقطع تضرّعه

بانقطاع مادّته.و مادّته إمّا دواعی نفسه إلی الطلب و میولها و انقطاعها باستیلاء الملال علی نفسه و ضعفها عن تحمّل المشقّه،أو مطلوبه و تصوّره لإمکان تناوله و انقطاعه إمّا بإیاسه منه أو بإعطائه إیّاه و کانت مادّه تضرّعهم و عبادتهم له تعالی علی التقدیرین بریئه عن القواطع أمّا من ذواتهم فلأنّ الکلال و الملال من عوارض المرکّبات العنصریّه و أمّا مطلوبهم فلأنّه کمال معرفه اللّه بعد تصورّهم لعظمه ذلک المطلوب.و علمت أنّ درجات الوصول إلیه غیر متناهیه لا جرم سلب عنهم فی معرض مدحهم انقطاع مادّه تضرّعهم لیستلزم ذلک سبب انقطاع تضرّعهم و عبادتهم له .

الثالث و العشرون:

استعاره و لا أطلق عنهم عظیم الزلفه ربق خشوعهم .لمّا کان من قرب من السلطان مثلا من شأنه أن یقوی نفسه و یخفّف هیبته منه و کان ذلک لتناهی ملک ملوک الدنیا و کونه مکتسبا لها و تصوّر المتقرّب إلیهم مثلیّه لهم و إمکان وصوله إلی ما وصلوا إلیه.و کان سلطان اللّه لا یتناهی عظمه و عزّه و عرفانا لم یتصوّر من العارف المتقرّب إلیه أن یخفّف هیبته أو ینقص خشوعه و عبادته بل کلّما ازدادت معرفته به ازدادت عظمته فی نفسه إذ کان یقدّر فی سلوکه عظمه اللّه بقدر عرفانه به فکلّما غیّر منزلا من منازل المعرفه علم عظمه خالقه فکمل عقد یقینه بذلک و علم نقصان ذاته فکمل خشوعه و صدن خضوعه،و استعار لفظ الربق لما حصلوا فیه من الخشوع .

الرابع و العشرون:

و لم یتولّهم الإعجاب إلی قوله: حسناتهم :أی لم یستول علیهم،و الإعجاب:هو استعظام الإنسان نفسه عمّا یتصوّر أنّه فضیله له،و منشأ ذلک الحکم هو النفس الأمّاره فیتوهّم الإنسان أنّ تلک الفضیله حصلت له عن استحقاق وجب له بسعیه و کدّه مع قطع النظر عن واهب النعم و مفیضها،و الملائکه السماویّه مبرّؤون عن الأوهام و أحکامها غرقی فی الوله إلیه و دوام مطالعه آلائه و الاستکانه تحت جلال عزّته فلا یستکثرون ما سلف منهم من عباده و لا یستعظمون ما صدر عنهم من خیر .

الخامس و العشرون

و لم تجر الفترات فیهم علی طول دؤوبهم ،قد ثبت أنّ الملائکه السماویّه دائمه التحریک لأجرامها حرکه لا یتخلّلها سکون و لا یکلّها و یفترها إعیاء

ص:۳۶۰

و تعب،و لبيان ذلک بالبرهان اصول ممهّده فی مواضعها،و أمّا بالقرآن فلقوله تعالی «يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لا يَفْتُرُونَ» (۱)و قد سبق .

السادس و العشرون:

استعاره و لم تغض رغباتهم فيخالفوا عن رجاء ربّهم .المخالفه عن الشیء العدول عنه،و قد سبق أنّ رغبات الملائکه السماويّه و أشواقها إلی کمالاتها دائمه ثابته فکانت لذلک دائمه الرجاء لها من واهبها،و لفظ الغيض مستعار کما سبق .

السابع و العشرون:

استعاره مرشحه-کنايه و لم تجفّ لطول المناجاه أسلات ألسنتهم .طول مناجاتهم يعود إلی توجيه وجوههم دائما إليه،و استعار لفظ الألسنه و رشّح بذکر الأسلات ملاحظه للتشبيه بأحدنا فی مناجاته،و کنّی بعدم جفاف ألسنتهم عن عدم فتورهم و عدم لحوق الکلال و الإعياء لهم و ظاهر أنّه لا ألسنه لحمانيّه لهم فلا جفاف .

الثامن و العشرون:

استعاره و لا ملکتهم إلی قوله:أصواتهم :أی لم تضعفهم العباده فتنقطع أصواتهم فتضعف فتخفی بالتضرّع إليه.و هو تنزيه لهم عن الأحوال البشريّه و العوارض البدنيّه من الضعف و الإعياء و کلال الأعضاء عند کثره الأشغال و قوّتها.و قد مرّ أنّ الملائکه السماويّه لا يجوز عليها شیء من تلک العوارض،و استعار لفظ الأصوات کما استعار لفظ الألسنه .

التاسع و العشرون:

استعاره و لم يختلف فی مقاوم الطاعه مناکبهم إلی قوله:رقابهم. استعار لفظ المقاوم من ريش الطائر و هی عشر فی کلّ جناح لما سبق وجوبه من طاعه اللّه و کان أهمّ عباداته کمعرفته فی التوجّه إليه،و لفظ المناکب و هی أربع ريشات بعد المقاوم فی کلّ جناح لذواتهم،و وجه المشابهه أنّ المناکب تاليه للمقادم و علی نظامها و ترتيبها لا يخالف صفّها و نسقها کذلک الملائکه لا تختلف ذواتهم و أجرامهم فی نسق ما أهمّ من عباده ربّهم و معرفته بل صافّون لا يخالف بعضهم بعضا فی استقامه طريقهم إليه و لا يخرجون عن نظام ترتيبه لهم فی التوجّه إليه کما أشار إليه فی الخطبه الاولی:و صافّون لا يتزايلون ،و کذلک استعار لفظ الرقاب و لفظ الثنی:أی لم يلتفتوا إلی الراحه من تعب العباده فيقصروا فی أوامره.و المقصود نفی الأحوال البشريّه عنهم من التعب و الراحه

١- (١ ٢٠-٢١.

لكونهما عن توابع هذه الأبدان .

الثلاثون:

و لا ـ تعدو إلى قوله: الشهوات .قد عرفت معنى الغفله فيما سبق.و البلاده هى طرف التفريط من فضيله الذكاء و كلاهما من عوارض هذا البدن و بواسطته.و كذلك الشهوات و الملائكه السماويّه بريئه عنها فلم يجز أن يطرأ على قصودهم لما توجّهوا له غفله و لا بلاده حتّى يكون ذلك سببا لإعراضهم عن التوجّه فيه و لم يجز أن ترمى الشهوات هممهم بسهام خدايعها، استعاره و لفظ الانتضال مستعار لنوادر جواذب الشهوه على النفس الناطقه مع كونها مؤدّيه لها و مرديه فى قرار الجحيم .

الحادى و الثلاثون:

قد اتّخذوا إلى قوله: برغبتهم .أشار بيوم فاقتهم إلى حال حاجتهم فى الاستكمال إلى جوده و إن كان ذلك دائما فهو ذخرهم الّذى إليه يرجعون و و كذلك الإشاره بقوله: عند انقطاع الخلق إلى المخلوقين .إلى حال الحاجه أيضا فإنّه إنّما يكون ذخيره لهم لرجوعهم إليه فيما يحتاجون و إنّما يتحقّق قصدهم له برغبتهم حال الحاجه إليه .

الثانى و الثلاثون:

لا يقطعون إلى قوله: و مخافته .لمّا كانت غايه عبادته هو الوصول إلى كمال معرفته و كانت درجات المعارف الإلهيّه غير متناهيه لم يكن قطعهم لتلك الغايه ممكنا،و لمّا كانوا غرقى فى محبّته عالمين بكمال عظمته و أنّ ما يرجونه من تمام جوده أشرف المطالب و أربح المكاسب،و ما يخشى من انقطاع جوده و نزول حرمانه أعظم المهالك و المعاطب لا جرم دام رجاؤهم له و خضوعهم فى رقّ الحاجه إليه و الفزع من حرمانه و كان ذلك الرجاء و الخوف هو مادّه استهتارهم بلزوم طاعته الّتى يرجعون إليها من قلوبهم فلم ينقطع استهتارهم بلزومها .

الثالث و الثلاثون:

لم تنقطع أسباب الشفقّه عنهم فيتوانى جدّهم .الشفقّه:الاسم من الإشفاق:أى لم ينقطع أسباب خوفهم له و أسبابه حاجتهم إلى القيام فى الوجود إلى الاستكمال بجوده فإنّ الحاجه الضروريّه إلى الغير فى مطلوب يستلزم الخوف منه فى عدم قضائه و يوجب الإقبال على الاستعداد بجوده بلزوم طاعته.و حاجتهم إليه دائمه فجدّهم فى عبادته دائم فالتوانى فيه مفقود .

ص:۳۶۲

الرابع و الثلاثون:

و لم يأسرهم إلى قوله: اجتهادهم .سلب لبعض أوصاف البشر عنهم فإنّ كثيرا من العابدين قد يصرفهم عن الاجتهاد فى طاعه اللّه سبب ما يظهر لهم من كمالات الدنيا و زينتها فيؤثرون ما قرب من السعى فى تحصيله على ما يستبعدونه من تحصيل السعاده الاخرويّه الباقيه،و قد عرفت أنّ ذلك من جواذب الشهوات و الغفله عمّا وراء هذه الدار و الملائكه مبرّؤون عن الشهوات و ما يلزمها من أسر الأطماع الكاذبه لهم، استعاره و لفظ الأسر استعاره لقود الأطماع إلى ما يطمع فيه .

الخامس و الثلاثون:

و لم يستعظموا ما مضى من أعمالهم إلى قوله:رجلهم.معنى هذه الشرطيّه أنّهم لو استعظموا ذلك لكان رجاؤهم لثواب عبادتهم عظيما فكان لقوّته ماحيا لإشفاقهم و خوفهم منه و هذا كما أنّ الإنسان إذا عمل لبعض الملوك عملا يستعظمه فإنّه يرى فى نفسه استحقاق أتمّ جزاء له و يجد التطاول به و الدالّه عليه فيهوّن ذلك ما يجده من خوفه،و كلّما ازداد استعظامه لخدمته ازداد اعتقاده فى قربه من الملك قوّه و بمقدار ذلك ينقص خوفه و يقلّ هيبته لكنّ الملائكه خائفون أبدا كما قال تعالى «يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ» ... «وَ الْمَلائِكَهُ مِنْ خِيفَتِهِ» فينتج أنّهم لا يستعظمون سالف عبادتهم .

السادس و الثلاثون:

و لم يختلفوا فى ربّهم باستحواذ الشيطان عليهم:أى فى إثباته و استحقاقه كمال العباده و ذلك لعدم سلطان عليهم و هو سلب لبعض أحوال البشر و كذلك قوله: و لم يفرّقهم إلى قوله:أخياف الهمم .تنزيه لهم عن امور من عوارض البشريّه:

سوء التقاطع أحدها:و هو كتقاطع المتعادين و تباينهم الناشى عن الغضب و الشهوه .

الثانى:غلّ الحسد،و قد علمت أنّ الحسد رذيله نفسانيّه تنبعث عن البخل و الشره و منبعهما النفس الأمّاره .

الثالث:تشعّب مصارف الريب لهم و الريب الشكوك و الشبه و مصارفها هى الامور الباطله الّتى تنصرف أذهانهم إليها عن الشبه أو تلك الشبهه و الشكوك أنفسها و تشعّبها لهم اقتسامها يحيث يذهب كلّ واحد من شبهه إلى باطل،و قد علمت أنّ منشأ الشكوك و الشبهات هو الوهم و الخيال،و لمّا كانوا مبرّئين عن النفوس الأمّاره وجب تنزيههم عن هذه الامور الثلاثه ،الرابع:لمّا كان معبودهم واحدا و هو غايه مطلوبهم

کانت هممهم ز فیه واحده فلم یلتفتوا إلی شیء آخر و لم یفترقوا فیها .

السابع و الثلاثون:

استعاره مرشحه فهم اسراء الایمان.إلی قوله:و لا فتور .استعار لفظ الأسر و رشّح بذکر الربقه و نزّههم عن أن یجذبهم عن الایمان أحد الامور الأربعه،و قد سبق وجه تنزیههم عنها .

الثامن و الثلاثون:

استعاره بالکنایه و لیس فی أطباق السماوات إلی قوله:عظما .المراد أنّ السماوات مملوّه بالملائکه فبین ساجد لوجه ربّه و بین ساعی مجدّ فی أمره.و اعلم أنّ فی السماء ملائکه مباشره لتحریکها و ملائکه علی رتبه من اولئک هم الآمرون لهم بالتحریک فیشبه أن یکون الإشاره بالساجدین منهم إلی الأمرین،و السجود کنایه عن کمال عبادتهم کنایه بالمستعار و یکون الإشاره بالساعین المسرعین إلی المتولّین للتحریک فأمّا زیادتهم بطول الطاعه علما بربّهم فلمّا ثبت أن حرکاتهم إنّما هو شوقیّه للتشبه بملائکه أعلی رتبه منهم فی کمالهم بالمعارف الإلهیّه و ظهور ما فی ذواتهم بالقوّه إلی الفعل.و زیاده عزّه ربّهم عندهم عظما بحسب زیادتهم معرفتهم له تابعه لها کما نبّهنا علیه قبل.

و باللّه التوفیق.

الفصل السادس و منها فی صفه الأرض و دحوها علی الماء.

اشاره

کَبَسَ اَلْأَرْضَ عَلَی مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحِلَهٍ- وَ لُجَجِ بِحَارٍ زَاخِرَهٍ تَلْتَطِمُ أَوَاذِیُّ أَمْوَاجِهَا- وَ تَصْطَفِقُ مُتَقَاذِفَاتُ أَثْبَاجِهَا- وَ تَرْغُو زَبَداً کَالْفُحُولِ عِنْدَ هِیَاجِهَا- فَخَضَعَ جِمَاحُ الْمَاءِ الْمُتَلاَطِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا- وَ سَکَنَ هَیْجُ ارْتِمَائِهِ إِذْ وَطِئَتْهُ بِکَلْکَلِهَا- وَ ذَلَّ مُسْتَخْذِیاً إِذْ تَمَعَّکَتْ عَلَیْهِ بِکَوَاهِلِهَا- فَأَصْبَحَ بَعْدَ اصْطِخَابِ أَمْوَاجِهِ سَاجِیاً مَقْهُوراً- وَ فِی حَکَمَهِ الذُّلِّ مُنْقَاداً أَسِیراً- وَ سَکَنَتِ الْأَرْضُ مَدْحُوَّهً فِی لُجَّهِ تَیَّارِهِ- وَ رَدَّتْ مِنْ نَخْوَهِ بَأْوِهِ وَ اعْتِلاَئِهِ

وَ شُمُوخِ أَنْفِهِ وَ سُمُوِّ غُلَوَائِهِ- وَ كَعَمَتْهُ عَلَى كِظَّةِ جَرْيَتِهِ فَهَمَدَ بَعْدَ نَزَقَاتِهِ- وَ لَبَدَ بَعْدَ زَيَفَانِ وَثَبَاتِهِ- فَلَمَّا سَكَنَ هَيْجُ الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْنَافِهَا- وَ حَمْلِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ الشُّمَّخِ الْبُذَّخِ عَلَى أَكْتَافِهَا- فَجَّرَ يَنَابِيعَ الْعُيُونِ مِنْ عَرَانِينِ أُنُوفِهَا- وَ فَرَّقَهَا فِي سُهُوبِ بِيدِهَا وَ أَخَادِيدِهَا- وَ عَدَّلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَاتِ مِنْ جَلاَمِيدِهَا- وَ ذَوَاتِ الشَّنَاخِيبِ الشُّمِّ مِنْ صَيَاخِيدِهَا- فَسَكَنَتْ مِنَ الْمَيَدَانِ لِرُسُوبِ الْجِبَالِ فِي قِطَعِ أَدِيمِهَا- وَ تَغَلْغُلِهَا مُتَسَرِّبَةً فِي جَوْبَاتِ خَيَاشِيمِهَا- وَ رُكُوبِهَا أَعْنَاقَ سُهُولِ الْأَرَضِينَ وَ جَرَاثِيمِهَا- وَ فَسَحَ بَيْنَ الْجَوِّ وَ بَيْنَهَا وَ أَعَدَّ الْهَوَاءَ مُتَنَسَّماً لِسَاكِنِهَا- وَ أَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلَى تَمَامِ مَرَافِقِهَا- ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرُزَ الْأَرْضِ- الَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ الْعُيُونِ عَنْ رَوَابِيهَا- وَ لاَ تَجِدُ جَدَاوِلُ الْأَنْهَارِ ذَرِيعَةً إِلَى بُلُوغِهَا- حَتَّى أَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةَ سَحَابٍ تُحْيِي مَوَاتَهَا- وَ تَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا- أَلَّفَ غَمَامَهَا بَعْدَ افْتِرَاقِ لُمَعِهِ وَ تَبَايُنِ قَزَعِهِ- حَتَّى إِذَا تَمَخَّضَتْ لُجَّةُ الْمُزْنِ فِيهِ وَ الْتَمَعَ بَرْقُهُ فِي كُفَفِهِ- وَ لَمْ يَنَمْ وَمِيضُهُ فِي كَنَهْوَرِ رَبَابِهِ وَ مُتَرَاكِمِ سَحَابِهِ- أَرْسَلَهُ سَحّاً مُتَدَارِكاً قَدْ أَسَفَّ هَيْدَبُهُ- تَمْرِيهِ الْجَنُوبُ دِرَرَ أَهَاضِيبِهِ وَ دُفَعَ شَآبِيبِهِ-.فَلَمَّا أَلْقَتِ السَّحَابُ بَرْكَ بِوَانَيْهَا- وَ بَعَاعَ مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ مِنَ الْعِبْءِ الْمَحْمُولِ عَلَيْهَا- أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ الْأَرْضِ النَّبَاتَ- وَ مِنْ زُعْرِ الْجِبَالِ الْأَعْشَابَ

فَهِیَ تَبْهَجُ بِزِینَهِ رِیَاضِهَا- وَ تَزْدَهِی بِمَا أُلْبِسَتْهُ مِنْ رَیْطِ أَزَاهِیرِهَا- وَ حِلْیَهِ مَا سُمِطَتْ بِهِ مِنْ نَاضِرِ أَنْوَارِهَا- وَ جَعَلَ ذَلِکَ بَلاَغاً لِلْأَنَامِ وَ رِزْقاً لِلْأَنْعَامِ- وَ خَرَقَ الْفِجَاجَ فِی آفَاقِهَا- وَ أَقَامَ الْمَنَارَ لِلسَّالِکِینَ عَلَی جَوَادِّ طُرُقِهَا فَلَمَّا مَهَدَ أَرْضَهُ وَ أَنْفَذَ أَمْرَهُ- اخْتَارَ؟آدَمَ ع؟ خِیرَهً مِنْ خَلْقِهِ- وَ جَعَلَهُ أَوَّلَ جِبِلَّتِهِ وَ أَسْکَنَهُ جَنَّتَهُ- وَ أَرْغَدَ فِیهَا أُکُلَهُ- وَ أَوْعَزَ إِلَیْهِ فِیمَا نَهَاهُ عَنْهُ- وَ أَعْلَمَهُ أَنَّ فِی الْإِقْدَامِ عَلَیْهِ التَّعَرُّضَ لِمَعْصِیَتِهِ- وَ الْمُخَاطَرَهَ بِمَنْزِلَتِهِ- فَأَقْدَمَ عَلَی مَا نَهَاهُ عَنْهُ مُوَافَاهً لِسَابِقِ عِلْمِهِ- فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ التَّوْبَهِ- لِیَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ- وَ لِیُقِیمَ الْحُجَّهَ بِهِ عَلَی عِبَادِهِ- وَ لَمْ یُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ- مِمَّا یُؤَکِّدُ عَلَیْهِمْ حُجَّهَ رُبُوبِیَّتِهِ- وَ یَصِلُ بَیْنَهُمْ وَ بَیْنَ مَعْرِفَتِهِ- بَلْ تَعَاهَدَهُمْ بِالْحُجَجِ- عَلَی أَلْسُنِ الْخِیَرَهِ مِنْ أَنْبِیَائِهِ- وَ مُتَحَمِّلِی وَدَائِعِ رِسَالاَتِهِ- قَرْناً فَقَرْناً- حَتَّی تَمَّتْ بِنَبِیِّنَا؟مُحَمَّدٍ ص؟ حُجَّتُهُ- وَ بَلَغَ الْمَقْطَعَ عُذْرُهُ وَ نُذُرُهُ وَ قَدَّرَ الْأَرْزَاقَ فَکَثَّرَهَا وَ قَلَّلَهَا- وَ قَسَّمَهَا عَلَی الضِّیقِ وَ السَّعَهِ- فَعَدَلَ فِیهَا لِیَبْتَلِیَ- مَنْ أَرَادَ بِمَیْسُورِهَا وَ مَعْسُورِهَا- وَ لِیَخْتَبِرَ بِذَلِکَ الشُّکْرَ وَ الصَّبْرَ مِنْ غَنِیِّهَا وَ فَقِیرِهَا- ثُمَّ قَرَنَ بِسَعَتِهَا عَقَابِیلَ فَاقَتِهَا- وَ بِسَلاَمَتِهَا طَوَارِقَ آفَاتِهَا- وَ بِفُرَجِ أَفْرَاحِهَا غُصَصَ أَتْرَاحِهَا- وَ خَلَقَ الْآجَالَ فَأَطَالَهَا وَ قَصَّرَهَا وَ قَدَّمَهَا وَ أَخَّرَهَا-

ص:۳۶۶

وَ وَصَلَ بِالْمَوْتِ أَسْبَابَهَا- وَ جَعَلَهُ خَالِجاً لِأَشْطَانِهَا- وَ قَاطِعاً لِمَرَائِرِ أَقْرَانِهَا عَالِمُ السِّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ- وَ نَجْوَى الْمُتَخَافِتِينَ وَ خَوَاطِرِ رَجْمِ الظُّنُونِ- وَ عُقَدِ عَزِيمَاتِ الْيَقِينِ- وَ مَسَارِقِ إِيمَاضِ الْجُفُونِ- وَ مَا ضَمِنَتْهُ أَكْنَانُ الْقُلُوبِ- وَ غَيَابَاتُ الْغُيُوبِ- وَ مَا أَصْغَتْ لِاسْتِرَاقِهِ مَصَائِخُ الْأَسْمَاعِ- وَ مَصَايِفُ الذَّرِّ وَ مَشَاتِي الْهَوَامِّ- وَ رَجْعِ الْحَنِينِ مِنَ الْمُولَهَاتِ وَ هَمْسِ الْأَقْدَامِ- وَ مُنْفَسَحِ الثَّمَرَهِ مِنْ وَلَائِجِ غُلُفِ الْأَكْمَامِ- وَ مُنْقَمَعِ الْوُحُوشِ مِنْ غِيرَانِ الْجِبَالِ وَ أَوْدِيَتِهَا- وَ مُخْتَبَإِ الْبَعُوضِ بَيْنَ سُوقِ الْأَشْجَارِ وَ أَلْحِيَتِهَا- وَ مَغْرِزِ الْأَوْرَاقِ مِنَ الْأَفْنَانِ- وَ مَحَطِّ الْأَمْشَاجِ مِنْ مَسَارِبِ الْأَصْلَابِ- وَ نَاشِئَهِ الْغُيُومِ وَ مُتَلَاحِمِهَا- وَ دُرُورِ قَطْرِ السَّحَابِ فِي مُتَرَاكِمِهَا- وَ مَا تَسْفِي الْأَعَاصِيرُ بِذُيُولِهَا وَ تَعْفُو الْأَمْطَارُ بِسُيُولِهَا- وَ عَوْمِ بَنَاتِ الْأَرْضِ فِي كُثْبَانِ الرِّمَالِ- وَ مُسْتَقَرِّ ذَوَاتِ الْأَجْنِحَهِ بِذُرَا شَنَاخِيبِ الْجِبَالِ- وَ تَغْرِيدِ ذَوَاتِ الْمَنْطِقِ فِي دَيَاجِيرِ الْأَوْكَارِ- وَ مَا أَوْعَبَتْهُ الْأَصْدَافُ- وَ حَضَنَتْ عَلَيْهِ أَمْوَاجُ الْبِحَارِ- وَ مَا غَشِيَتْهُ سُدْفَهُ لَيْلٍ أَوْ ذَرَّ عَلَيْهِ شَارِقُ نَهَارٍ- وَ مَا اعْتَقَبَتْ عَلَيْهِ أَطْبَاقُ الدَّيَاجِيرِ- وَ سُبُحَاتُ النُّورِ وَ أَثَرِ كُلِّ خَطْوَهٍ- وَ حِسِّ كُلِّ حَرَكَهٍ وَ رَجْعِ كُلِّ كَلِمَهٍ- وَ تَحْرِيكِ كُلِّ شَفَهٍ وَ مُسْتَقَرِّ كُلِّ نَسَمَهٍ- وَ مِثْقَالِ

ص:۳۶۷

كُلِّ ذَرَّهٍ وَ هَمَاهِمِ كُلِّ نَفْسٍ هَامَّهٍ- وَ مَا عَلَيْهَا مِنْ ثَمَرِ شَجَرَهٍ أَوْ سَاقِطِ وَرَقَهٍ- أَوْ قَرَارَهِ نُطْفَهٍ أَوْ نُقَاعَهِ دَمٍ وَ مُضْغَهٍ- أَوْ نَاشِئَهِ خَلْقٍ وَ سُلاَلَهٍ- لَمْ يَلْحَقْهُ فِي ذَلِكَ كُلْفَهٌ- وَ لاَ اعْتَرَضَتْهُ فِي حِفْظِ مَا ابْتَدَعَ مِنْ خَلْقِهِ عَارِضَهٌ- وَ لاَ اعْتَوَرَتْهُ فِي تَنْفِيذِ الْأُمُورِ وَ تَدَابِيرِ الْمَخْلُوقِينَ مَلاَلَهٌ وَ لاَ فَتْرَهٌ- بَلْ نَفَذَهُمْ عِلْمُهُ وَ أَحْصَاهُمْ عَدَدُهُ- وَ وَسِعَهُمْ عَدْلُهُ وَ غَمَرَهُمْ فَضْلُهُ- مَعَ تَقْصِيرِهِمْ عَنْ كُنْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ الْوَصْفِ الْجَمِيلِ- وَ التَّعْدَادِ الْكَثِيرِ- إِنْ تُؤَمَّلْ فَخَيْرُ مَأْمُولٍ وَ إِنْ تُرْجَ فَخَيْرُ مَرْجُوٍّ- اللَّهُمَّ وَ قَدْ بَسَطْتَ لِي فِيمَا لاَ أَمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ- وَ لاَ أُثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ- وَ لاَ أُوَجِّهُهُ إِلَى مَعَادِنِ الْخَيْبَهِ وَ مَوَاضِعِ الرِّيبَهِ- وَ عَدَلْتَ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ الْآدَمِيِّينَ- وَ الثَّنَاءِ عَلَى الْمَرْبُوبِينَ الْمَخْلُوقِينَ- اللَّهُمَّ وَ لِكُلِّ مُثْنٍ عَلَى مَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ مَثُوبَهٌ مِنْ جَزَاءٍ- أَوْ عَارِفَهٌ مِنْ عَطَاءٍ- وَ قَدْ رَجَوْتُكَ دَلِيلاً عَلَى ذَخَائِرِ الرَّحْمَهِ- وَ كُنُوزِ الْمَغْفِرَهِ- اللَّهُمَّ وَ هَذَا مَقَامُ مَنْ أَفْرَدَكَ بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ لَكَ- وَ لَمْ يَرَ مُسْتَحِقّاً لِهَذِهِ الْمَحَامِدِ وَ الْمَمَادِحِ غَيْرَكَ- وَ بِي فَاقَهٌ إِلَيْكَ لاَ يَجْبُرُ مَسْكَنَتَهَا إِلاَّ فَضْلُكَ- وَ لاَ يَنْعَشُ مِنْ خَلَّتِهَا إِلاَّ مَنُّكَ وَ جُودُكَ- فَهَبْ لَنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ رِضَاكَ- وَ أَغْنِنَا عَنْ مَدِّ الْأَيْدِي إِلَى سِوَاكَ- «إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»

اللغه

أقول: كبسها : أغاصها فى الماء بقوّه .و المور : التردّد فى الحركه .و مستفحله:

صائله :و التلاطم : الترادّ .و الأواذىّ : جمع آذىّ و هو ما عظم من موج البحر .و الاصطفاق:

الترادّ أيضا .و الأثباج : جمع ثبج و هو معظمها و عواليها .و هيج الفرس : إذا غلب صاحبه و لم يملكه .و الارتماء : التقاذف و الترادّ .و الكلكل : الصدر .و المستخذى:

الخاضع .و التمعّك : التمرّغ .و اصطخاب أمواجه : غلبتها و أصواتها .و الساجى : الساكن .

و الحكمه : ما أحاط من اللجام بحنك الدابّه و الدحو : البسط .و التّيار : الموج .

و النخوه : الكبر و الترفّع .و البأو : الفخر .و شمخ بأنفه : تكبّر .و الغلواء : تجاوز الحدّ .

و كعمته : سددت فاه .و الكظّه : شدّه البطنه .و همد : سكن و خمد .و النزق : الخفّه و الطيش .و لبد : لصق بالأرض ساكنا .و الزيفان : التبختر .و البذّخ : العاليه .و العرنين :

أعلى الأنف عند ملتقى الحاجبين .و السهوب : جمع سهب و هو الفلاه الواسعه .و البيد :

جمع بيداء و هى الفلاه أيضا .و الاخدود : الشقّ فى الأرض .و الجلاميد : الصخور .

و الشناخيب : رؤس الجبال و الشمّ : العاليه .و الصيخود : الصخره الصلبه .و أديمها:

سطحها .و تغلغله : دخوله فى أعماقها .و التسرّب : الدخول فى السرب .و الجوبه : الفرجه فى الأرض .و جراثيم الأرض : أعاليها و ما اجتمع منها .و أرض جرز : لا نبات بها لانقطاع الماء عنها .و الروابى : عوالى الأرض .و القزع : قطع السحاب الرقيقه الواحده قزعه .

و الكفّه بالضمّ : ما استطال من السحاب و ما استدار.و بالكسر:الوميض و اللمعان .و الكنهور :

العظيم من السحاب .و الرباب : الغمام الأبيض .و السحّ : الصبّ .و أسفّ : دنا من الأرض لثقله .و هيدبه : ما تهدّب منه إلى الأرض أى تدلى .و تمريه : تستخرج ما فيه من الماء و الدرر جمع درّه بالكسر و هى كثره اللبن و سيلانه .و الأهاضيب : جمع هضاب و هو جمع هضب و هو جلبات القطر بعد القطر .و الشآبيب : جمع شؤبوب و هو الرشقه القويّه من المطر .و البرك : الصدر .و البوانى : ما يلى الصدر من الأضلاع .و بعاع السحاب ثقله بالمطر .و العبء : الثقل .و جبله زعراء : لا نبت بها .و تزدهى : تتكبّر .و الريط : جمع ريطه و هى الأزاهير المنيره .و سمطت : زينت بالسمط و هو العقد،و من روى شمطت بالشين لمعجمه أراد خلطت .و الجبلّه : الخلقه .و أوعز إليه بكذا : تقدّم إليه به .و العقابيل :

بقايا المرض .و الترح : الحزن .و الفاقه : الفقر .و الخلج : الجذب و الانتزاع .و الأشطان :

جمع شطن و هى الحبال .و المرائر : أيضا الحبال اللطيفه الفتل .و التخافت : المسارّه .

و الرجم بالظنّ : القول عنه .و الغيابه : ظلمه قعر البئر .و مصائخ الأسماع : خروقها .

و الإصاخه : التسمّع .و الولائج : المداخل .و الأكمام : جمع كمّ بالكسر و هو غلاف الطلع .و المنقمع : محلّ الانقماع و هو الارتداع .و لحاء الشجره : قشرها .و الأفنان:

الأغصان .و الأمشاج : النطفه المختلطه بالدم ،و تعفو : تمحو .و شناخيب الجبال :

رؤوسها .و ذراها : أعاليها .و التغريد : ترديد صوت الطائر .و الدياجير : جمع ديجور و هو الظلام و السدفه : الظلمه .و ذرّ الشارق : طلع .و رجع الكلمه : جوابها .و النقاعه:

نقره يجتمع فيها الدم .و اعتورته : أحاطت به .و العارفه : المعروف .و الخلّه . الفقر .

و أنعشه : أنهضه من عثرته .

و اعلم أنّ هذا الفصل يشتمل على فصول :

الفصل الأوّل:فى تمجيد اللّه تعالى باعتبار خلقه للأرض فى الماء و جمله من أحوالها

و هو.إلى قوله: جواد طرقها ،و فيه أبحاث:

البحث الأوّل:فى الاستعارات و التشبيهات و أبحاث لفظيّه.

الأوّل:

استعاره استعاره لفظ الكبس لخلقه لها غائصا معظمها فى الماء كما يغوص بعض الزقّ المنفوخ و نحوه بالاعتماد عليه .

الثانى:

استعاره استعاره لفظ الاستفحال للموج،و وجه المشابهه ما اشترك فيه الموج و الفحل من الاضطراب و الهيجان و الصوله .

الثالث:

تشبیه تشبیهه بالفحول أیضا و وجه الشبه ما یظهر علی رؤس الموج عند اضطرابه و غلیانه من رغوه الزبد کما یظهر من فم الفحل عند هیاجه .

الرابع:

استعاره استعار لفظ الجماح لحرکه الماء علی غیر نسق و اضطراب لا یملک معه تصریفه کما یجمح الفرس .

الخامس:

استعاره مرشحه-استعاره بالکنایه استعار أوصاف الناقه من الکلکل و الکاهل للأرض و رشّح تلک الاستعاره بالوطی و التمعّک.و إنّما خصّ الصدر و الکاهل لقوّتهما و کنّی بالمجموع عن إلحاقها بالناقه .

ص:۳۷۰

السادس:

استعاره بالکنایه استعار للماء لفظ الاستخذاء و القهر و لفظ الحکمه و الانقیاد و الأسر و کنّی بها عن إلحاقه بحیوان صایل قهر کالفرس و أضاف الحکمه إلی الذلّ إضافه للسبب إلی المسبّب .

السابع:

استعاره استعار لفظ النخوه ،و البأو،و شموخ الأنف،و الغلواء،و النزق، و الزیفان،و الوثبات للماء فی هیجانه و اضطرابه ملاحظه لشبهه بالإنسان المتجبّر التیّاه فی حرکاته المؤذنه بتکبّره و زهوه .

الثامن:

استعاره استعار لفظ الأکتاف للأرض،و وجه المشابهه کون الأرض محلاّ لحمل ما یثقل من الجبال کما أنّ کتف الإنسان و غیره محلّ لحمل الأثقال .

التاسع:

استعاره بالکنایه استعار لفظ العرنین و الأنف لأعالی رؤس الجبال کنایه عن إلحاقها بالإنسان .

العاشر:

استعاره بالکنایه کنّی بالتغلغل و التسرّب عمّا یتوهّم من نفوذ الجبال فی الأرض و غوصها فیها،و استعار لفظ الخیاشیم لتلک الأسراب الموهومه.و لمّا جعل للجبال انوفا جعل تلک الأسراب المتوهّم قیام الجبال فیها خیاشیم .

الحادی عشر:

استعاره بالکنایه استعار لفظ الرکوب للجبال و الأعناق للأرض کنایه عن إلحاقهما بالقاهر و المقهور .

الثانی عشر:

استعاره بالکنایه استعار لفظ الوجدان و الذریعه للجداول کنایه عن إلحاقها بالإنسان عدیم الوسیله إلی مطلوبه .

الثالث عشر:

الضميران فى تغلغلها و ركوبها و الضمير فى خياشيمها يعود إلى الأرض و باقى الضمائر ظاهر .

الرابع عشر:

مجاز تجوّز فى إسناد لفظ الإحياء و الاستخراج إلى السحاب إذ المخرج هو اللّه تعالى .

الخامس عشر:

كنايه كنّى بعدم النوم عن عدم إخفاء استعاره بالكنايه و ميض البرق فى السحاب كنايه بالمستعار .

السادس عشر:

استعاره استعار لفظ الهدب لقطرات المطر المتّصله يتلو بعضها بعضا ملاحظه لشبهها بالخيوط المتدلّيه[المستدليه خ] .

ص:۳۷۱

السابع عشر:

استعاره بالكنايه استعار لفظ الدرر و الأهاضيب و هى الجلباب للغمام كنايه عن إلحاقها بالناقه .

الثامن عشر:

مجاز أسند المرى إلى الجنوب مجازا أو لأنّ لها سببيّه ما فى نزول الغيث و إنّما خصّ الجنوب لأنّها فى أكثر البلاد حارّه رطبه أمّا الحراره فلأنّها تأتى من الجهه المتسخّنه بمقاربه الشمس،و أمّا الرطوبه فلأنّ البخار أكثرها جنوبيّه و الشمس تفعل فيها بقوّه و يتبخّر عنها أبخره تخالط الرياح و إذا كان كذلك كان الجنوب أولى بالذكر من وجهين:أحدهما:أنّها أكثر استصحابا للأبخره فلذلك كان السحاب أكثر انعقادا معها و مصاحبه لها الثانى:أنّها لحرارتها تفتح المسامّ،و لرطوبتها ترخى فكان درور المطر عنها أكثر .

التاسع عشر:

استعاره بالكنايه استعار لفظ البرك و البوانى للسحاب و أسند إليه الإلقاء كنايه عن إلحاقه بالجمل الّذى أثقله الحمل فرمى بصدره إلى الأرض .

العشرون:

مجاز نسب الابتهاج و الازدهاء و اللبس إلى الأرض ذات الأزاهير مجازا ملاحظه لشبهها بالمرأه المتبجّحه بما عليها من فاخر الملبوس و جميل الثياب .

البحث الثانى:أن مقتضى الكلام أنّ اللّه خلق الماء قبل الأرض ثمّ دحاها فيه

و سكن بها مستفحل أمواجه

،و هذا ممّا شهد به البرهان العقلىّ فإنّ الماء لمّا كان حاويا لأكثر الأرض كان سطحه الباطن المماسّ لسطحه الظاهر مكانا لها و ظاهر أنّ للمكان تقدّما باعتبار ما على المتمكّن فيه و إن كان اللفظ يعطى تقدّم خلق الماء على خلق الأرض تقدّما زمانيّا كما هو المقبول عند السامعين.

البحث الثالث:أنّه اشير إلى كونها مدحوّه فى القرآن الكريم أيضا

«وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذٰلِكَ دَحاها» مع أنّ الأرض كره كما ثبت بيانه فی علم الهیئه.فلا بدّ من التأویل و قد نبّهنا إلیه فی قوله:اللهم داحی المدحوّات،و قد ورد فی الخبر:أنّ الأرض دحیت من تحت الکعبه.قال بعض العارفین:الإشاره بالکعبه إلی کعبه وجود واجب الوجود الّتی هی مقصد وجوه المخلصین الّتی جعلت هذه الکعبه فی عالم الشهاده مثالا لها و دحوها من تحتها عباره عن وجودها عن ذلک المبدأ.

البحث الرابع:الإشاره إلى خلق الجبال فيها و كونها سببا لسكونها

.و للناس فى تكوين ما تكوّن من الجبال فيها وجوه:أحدها:أنّه قد يكون عن بخار زالت مياهها.

الثانى:قد يكون عن زلزله فصلت قطعه على ناحيه فارتفعت.الثالث:قد تكون عن رياح جمعت بهبوبها ترابا فتراكم و علا.الرابع:قد تكون لعمارات تراكمت فتخرّبت.

فأمّا كونها أسبابا لسكون الأرض فقد سبقت الإشاره إليه فى الخطبه الاولى،و اعلم أنّ البرهان مطابق على الشهاده بسكونها كما اشير إليه فى مظانّه.

البحث الخامس:فى تفجير ينابيع العيون فى الجبال و غيرها

،و قد أشار العلماء إلى أسبابه فقالوا:إنّ الأدخنه و الأبخره ما يحتبس منها تحت الأرض و فيه ثقب و فرج فيها هواء تبرّد الأبخره و الهواء فيصير ماء فما له قوّه و مدد يتفجّر عيونا و يجرى على الولاء لعدم مدخل الهواء بين الخارج و ما يتّصل به و يتبعه،و ما لا مدد له من العيون يركد،و ما له مدد إلاّ أنّ أجزاءه مبدّده و الأرض واهيه لا تحتاج إلى مقاومه يتحصّل منه القنوات،و ماء البئر أيضا من قبيل ماله مدد لكنّه لم يجد سبيلا إلى أحد الجوانب لعدم رخاوه أرضه فخالف القنوات.و إنّما خصّ الجبال بتفجّر العيون منها لأنّ العيون أكثر ما يتفجّر من الجبال و الأماكن المرتفعه و ذلك لشدّه احتقان الأبخره تحتها بالنسبه إلى ساير الأماكن الهابطه الرخوه فإنّ الأرض إذا كانت رخوه نفضت البخار عنها فلا يكاد يجتمع منه قدر ما يعتدّ به و لأنّ هذا التخصيص أدلّ على حكمه الصانع و عنايته بالخلق.و هو فى معرض تمجيده و تعديد آلائه .

البحث السادس:أنّه أعدّ الهواء لساكنها

،و اعلم أنّه سبحانه كما جعل الهواء عنصرا لأبدان الحيوان و أرواحه البدنيّه كذلك جعله مددا يصل إلى الأرواح و يكون علّه لصلاحها و بقاءها بالتعديل و ذلك التعديل يكون بفعلين:أحدهما:التزويح، و الثانى:التفتيه.أمّا التزويح فهو تعديل مزاج الروح الحارّ إذا أفرط بالاحتقان فى الأكثر فإنّ الهواء الّذى يحيط بنا أبرد بكثير من ذلك المزاج فإذا وصل إليه باستنشاق الريه و من مسامّ منافس النبض و صدمه و خالطه منعه عن الاستحاله إلى الناريّه الاحتقانيّه المؤديّه إلى سوء مزاج يزول به عن الاستعداد لقبول التأثير النفسانىّ الّذى

هو سبب الحياه،و أمّا التنقيه فهى باستصحابه عند ردّ النّفس لما سلّمته إليه القوّه المميّزه من البخار الدخانىّ الّذى نسبته إلى الروح نسبه الخلط الفضلىّ إلى البدن فكما أنّ التعديل هو بورود الهواء على الروح عند الاستنشاق فالتنقيه بصدوره عنه عند ردّ النفس و ذلك أنّ الهواء المستنشق إنّما يحتاج إليه فى تعديله أوّل وروده لكونه باردا بالفعل فإذا استحال إلى كيفيّه الروح بالتسخّن لطول مكثه بطلت فايدته فاستغنى عنه و احتيج إلى هواء جديد يدخل و يقوم مقامه فدعت الضروره إلى إخراجه لإخلاء المكان لمعاقبه و ليندفع معه فضول جوهر الروح.فهذا معنى قوله عليه السّلام: و أعدّ الهواء متنسّما لساكنها.

و اعتبار إعداده لمنفعه الحيوان أعمّ ممّا ذكرنا فإنّه أيضا معدّ لساير الأمزجه المعدنيّه و النباتيّه و الحيوانيّه الّتى يحتاج الإنسان فى بقائه إليها و كونه عنصرا لها و معتبرا فى بقائها.و عند ملاحظه هذه المنافع عن الهواء يظهر أثر نعمه اللّه به .

البحث السابع:فى إخراجه تعالى أهل الأرض إليها بعد تمام مرافقها

كما قال تعالى «وَ الْأَرْضَ مَدَدْناها وَ أَلْقَيْنا فِيها رَواسِيَ وَ أَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ وَ جَعَلْنا لَكُمْ فِيها مَعايِشَ وَ مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرازِقِينَ» (1)و الإشاره بأهلها المخرجين إليها إلى الحيوان مطلقا.

و أعلم أنّ أوّل ارتفاقهم بها أن جعلها قرارا لهم صالحا للسكنى عليها كما قال تعالى «الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِراشاً» و لكونها فراشا شرايط:

أحدها:أن تكون ساكنه ليصحّ الاستقرار عليها و التصرّف فيها بحسب الاختيار و موافقه المصلحه دون كونها متحرّكه.

الثانى:أن تكون خارجه من الماء و ذلك أنّ الإنسان و غيره من الحيوان البريّه لا يمكنه أن يعيش فى الماء فاقتضت عنايه الحقّ سبحانه بالحيوان أن أبرز بعضها من الماء ليعيش فيه و يتصرّف عليه.

الثالث:أن لا يكون فى غايه الصلابه كالحجر و إلاّ لكان النوم و المشى عليها مولما،و أيضا لم يكن لينبت فيها أنواع النبات و الأشجار،و أيضا لكانت تسخن فى الصيف

۱- (۱) ۱۹-۱۵.

كثيرا و تبرد كثيرا فى الشتاء فما كانت تصلح لسكنى الحيوان،و أيضا كان يتعذّر حفرها و تركيب بعضها ببعض.

الرابع:أن لا يكون فى غايه الرخاوه كالماء و غيره من المايعات الّتى يغوص فيه الإنسان.

الخامس:أنّه سبحانه لم يخلقها فى غايه الشفّافيّه و اللطافه فإنّها إن كانت مع ذلك جسما سيّالا كالهواء لم يتمكّن من الاستقرار عليه و إن كان جسما ثابتا صيقلا برّاقا احترق الحيوان و ما عليها بسبب انعكاس أشعّه الشمس عليها كما يحترق القطن إذا قرب من المرايا المحاذيه للشمس و البلّور لكنّه خلقها غبراء ليستقرّ النور على وجهها فيحصل فيها نوع من السخونه،و خلقها كثيفه لئلّا تنعكس الأشعّه منها على ما فيها فتحرقه فصارت معتدله فى الحرّ و البرد تصلح أن تكون فراشا و مسكنا للحيوان.

المنفعه الثانيه:خلق الجبال فيها و تفجيرها بالماء كما سبقت الإشاره إليه.

المنفعه الثالثه:ما يتولّد فيها من المعادن و النبات و الحيوان و فى أنواع كلّ من هذه الموجودات و اختلاف أصنافه و ألوانه و روايحه و طعومه ولينه و صلابته و ملاسته و خشونته ما لا يحصى من المنافع الّتى يحتاج إليها الإنسان فى بقائه و صلاح حاله.

المنفعه الرابعه:كونها أصلا لبدن الإنسان،و ذلك أنّ الماء لرقّته و رطوبته لا يحفظ الشكل و التصوير فإذا خلط بالتراب حصل له قوام و استمساك و حصل قبول الأشكال و التخطيط كما قال تعالى «إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ» .

المنفعه الخامسه:قبولها للحياه بعد الموت كما قال تعالى «وَ آيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْناها » .

البحث الثامن:فى تمجيده تعالى باعتبار إنشائه للسحاب و البرق

،و النظر فى وجه الحكمه فيه و فى أصله و فى حياه الأرض به :أمّا وجه الحكمه فى إنشائه فكونه مادّه لما ينبت فى الأرض الجرز ممّا هو قوام بدن الحيوان و غذاء له كما أشار إليه عليه السّلام بقوله: ثمّ لم يدع جرز الأرض الّتى تقصر مياه العيون و الأنهار عنها و لا تجد جداول الأرض ذريعه إلى بلوغها إلى قوله:و جعل ذلك بلاغا للأنام و رزقا للأنعام. و نحوه قوله

تعالی «أَ وَ لَمْ یَرَوْا أَنّا نَسُوقُ الْماءَ إِلَی الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْکُلُ مِنْهُ أَنْعامُهُمْ وَ أَنْفُسُهُمْ أَ فَلا یُبْصِرُونَ » (۱)

البحث التاسع:فی تمجیده باعتبار تخریقه للفجاج فی آفاقها:

أی الطرق الواسعه فی نواحیها کما قال تعالی «وَ جَعَلْنا فِیها فِجاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُمْ یَهْتَدُونَ» (۲)ثمّ باعتبار إقامته المنار للسالکین فیها.و الإشاره بالمنار إمّا إلی لنجوم کما قال تعالی «وَ عَلاماتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ یَهْتَدُونَ» أو إلی الجبال.

الفصل الثانی:فی تمجیده تعالی باعتبار خلقه لآدم

و اختیاره له و إتمام نعمته علیه،و مقابلته بالعصیان و مقابله عصیانه بقبول توبته و إهباطه إلی الأرض و إکرام ذریّته بعده ببعثه الأنبیاء منهم و إلیهم و قسمته بینهم معیشتهم و آجالهم بالقلّه و الکثره و ابتلائه لهم بذلک ،و هو من قوله: فلمّا مهّد أرضه و أنفذ أمره.إلی قوله:و قاطعا لمرائر أقرانها ،و اعلم أنّ الکلام فی قصّه آدم علیه السّلام قد سبق فی الخطبه الاولی مستوفی فلا نعیده غیر أنّ فی هذا الکلام فوائد:

الفائده الاولی:

استعاره معنی قوله: مهّد أرضه :أی جعلها مهادا کقوله تعالی «أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً» أو جعلها مهدا کقوله تعالی «جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ مَهْداً» و علی التقدیر الأوّل أراد أنّه لمّا خلقها بحیث یسهل علی العباد أن یتصرّفوا فیها بالقعود و القیام و الزراعه و سایر جهات المنفعه و أنفذ أمره فی خلق آدم خلقه بعد ذلک،و علی التقدیر الثانی یکون لفظ المهد استعاره لها ملاحظه لتشبیهها بمهد الصبیّ فی کونه محلّ الراحه و النوم .

الفائده الثانیه:

قوله: و أنفذ أمره :أی فی إیجاد مخلوقاته و تمامها فحکم علی العالم بالتمام باختیار نوع الإنسان الّذی هو تمام دائره الوجود فقال له کن فکان .

الفائده الثالثه:

قوله: خیره من خلقه نصب علی الحال و یحتمل النصب علی المصدر و الشاهد علی کونه خیره اللّه من خلقه قوله تعالی «إِنَّ اللّهَ اصْطَفی آدَمَ» و قوله «وَ لَقَدْ کَرَّمْنا بَنِی آدَمَ وَ حَمَلْناهُمْ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّیِّباتِ وَ فَضَّلْناهُمْ عَلی کَثِیرٍ»

۱- ۱) ۲۷-۳۲.

۲- ۲) ۳۲-۲۱.

«مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً» (۱)و بيان هذا التكريم من وجهين:

أحدهما:قال أبو يزيد البسطامیّ:إنّ أنواع كرامات اللّه تعالی فی حقّ البشر غير متناهيه كما قال تعالی «وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللّهِ لا تُحْصُوها» هذا علی سبيل الإجمال أمّا التفصيل فمن وجوه:

الأوّل:أنّه سبحانه يمطر كلّ ساعه علی المتوكّلين مطر الكفايه كما قال تعالی «وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» .

الثانی:أنّه يمطر كلّ ساعه علی المطيعين مطر المودّه كما قال تعالی «سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدًّا» (۲).

الثالث:أنّ يمطر علی المجتهدين مطر الهدايه كما قال تعالی «وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا» (۳).

الرابع:أنّه يمطر علی الشاكرين مطر الزياده كما قال «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ» الخامس:أنّه يمطر علی المتذكّرين مطر البصيره كما قال تعالی «إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ» «فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ» (۴)الثانی:أنّ التكريم لآدم عليه السّلام و ذريّته إمّا بأحوال داخله فی الإنسان أو خارجه عنه و الداخله فيها إمّا بدنيّه أو غيرها:أمّا البدنيّه الّتی اكرم بها فامور:

الأوّل:الصوره الحسنه كما قال تعالی: «وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ» .

الثانی:حسن القامه و التعديل كما قال تعالی «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ» و ذلك أنّ الشیء كلّما كان أكثر علوّا و ارتفاعا كان أشرف فی نوعه فإنّ أحسن الأشجار أعلاها امتدادا.

الثالث:أنّه أكرمه بتمكينه من القيام و القعود و الاستلقاء و الانبطاح و الاضطجاع و ذلك أنّه تعالی ركّب الخلق علی أصناف أربعه:أحدها:ما يشبه القائمين كالأشجار، و ثانيها:ما يشبه الراكعين كالبهائم،و ثالثها:ما يشبه الساجدين كالحشرات الّتی تدبّ علی وجوهها و بطونها،و منها ما يشبه القاعدين كالجبال ثمّ إنّه سبحانه خلق الإنسان

۱- ۱) ۷۲-۱۷.

۲- ۲) ۹۶-۱۹.

۳- ۳) ۶۹-۲۹.

۴- ۴) ۶۶-۴۰.

قادرا علی جمیع هـذه الهیئات،و مکنّه من ذکره علی جمیع هـذه الأحوال کما قال تعالی «الَّذِینَ یَذْکُرُونَ اللّهَ قِیاماً وَ قُعُوداً وَ عَلی جُنُوبِهِمْ» (۱)و أمّا الأحوال الّتی اکرم بها غیر بدنیّه فامور:

أحـدها:الروح الّتی هی محلّ العلم بأشـرف الموجودات و مبـدئها و هو اللّه تعالی کما قال «وَ نَفَخَ فِیهِ مِنْ رُوحِهِ» و شـرّفه بإضافه روحه إلیه،و بهذا التشریف تمیّز عن سایر الموجودات فی هذا العالم.

الثانی:العقل و شرفه من وجوه:

الأوّل:روی أنّ اللّه تعالی أوحی إلی داود علیه السّلام إذا رأیت عاقلا فکن له خادما.

الثانی:قول الرسول صـلی اللّه علیه و آله و سـلّم:أوّل مـا خلق اللّه العقـل فقـال له:أقبـل فأقبل ثمّ قال له:أدبر فأدبر فقال:و عزّتی و جلالـی مـا خلقت خلقـا أکرم علیّ منـک،بـک آخـذوا بـک اعطی و بـک اثیب و بک اعاقب.و اعلم أنّ للعقل بـدایه و نهایه و کلاهما یسـمّیان عقلا:أمّا الأوّل:فهو القوّه المهیّئه للعلوم الکلّیّه الضروریّه کما للطفل و هو المشار إلیه بقول النبیّ صلی اللّه علیه و آله و سلّم،و الثانی:العقل المستفاد و هو المشار الیه بقوله صلی اللّه علیه و آله و سلّم لعلیّ علیه السّلام:

إذا تقرّب الناس إلی خالقهم بأبواب البرّ فتقرّب أنت إلیه بعقلک تسبقهم بالدرجات و الزلفی عند الناس فی الدنیا و عند اللّه فی الآخره.

الثـالث:العلم و الحکمه الّتی هی ثمره العقـل کمـا قـال تعالی «یَرْفَعِ اللّهُ الَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ» (۲)و قال «یُؤْتِی الْحِکْمَهَ مَنْ یَشاءُ وَ مَنْ یُؤْتَ الْحِکْمَهَ فَقَدْ أُوتِیَ خَیْراً کَثِیراً وَ ما یَذَّکَّرُ إِلاّ أُولُوا الْأَلْبابِ» (۳)و سـمّاه حیاه و نورا فقال «أَ وَ مَنْ کانَ مَیْتاً فَأَحْیَیْناهُ وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً یَمْشِی بِهِ فِی النّاسِ» (۴)و أمّا التکرمه الخارجه عنه فامور:

أحـدها:أنّه خلق مـا سواه منفعه له فقـال: «هُوَ الَّذِی خَلَقَ لَکُمْ ما فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً» و قال: «وَ سَـخَّرَ لَکُمْ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً» (۵)ففرش الأرض و جعل السـماء سـقفا محفوظا و جعل ما أخرج من الأرض رزقا له و ما أرسـله من السحاب من ماء مادّه لذلک کما قال تعالی «وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَکُمْ»

۱- ۱) ۳-۱۸۸

۲- ۲) ۵۸-۱۲

۳- ۳) ۲-۲۷۲

۴- ۴) ۶-۱۲۲

۵- ۵) ۷-۱۸

«وَ سَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَ سَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهارَ» (۱)و أكرمه بخلق الشمس و القمر و النجوم كما قال «وَ سَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دائِبَيْنِ وَ سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ» و قوله «جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ» و قال:

«وَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ» (۲)و أكرمه بخلق الأنعام فجعل منها غذاءه و ملبوسه و راحته و جماله و زينته فقال «وَ الْأَنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَ مَنافِعُ وَ مِنْها تَأْكُلُونَ وَ لَكُمْ فِيها جَمالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَ حِينَ تَسْرَحُونَ» إلى قوله «وَ الْخَيْلَ وَ الْبِغالَ وَ الْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوها وَ زِينَةً وَ يَخْلُقُ ما لا تَعْلَمُونَ » (۳).

الثاني:روى عن أمير المؤمنين عليه السّلام فى تفسير قوله تعالى «وَ لَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ» أنّه قال:بالدعوه إلى الجنّه كما قال «وَ اللّهُ يَدْعُوا إِلى دارِ السَّلامِ» .

الثالث:أنّه أكرمهم بتخيّر قلوبهم لمعرفته و ألسنتهم لشهادته و أبدانهم لخدمته فشرّفهم بتكليفه و بعثه الأنبياء إليهم من أنفسهم كما قال تعالى «لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ» (۴)ثمّ جعل آدم و الأنبياء من ذريّته أكرم عباده لديه فحباهم بالنبوّه و الرساله كما قال تعالى «إِنَّ اللّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ» (۵)ثمّ فضّل اولى العزم منهم فقال: «فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ» ثمّ فضّل بعضهم على بعض و هو الخليل و الكليم و الروح و الحبيب فقال «تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللّهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجاتٍ وَ آتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ وَ أَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» (۶)ثم فضل محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلّم على الكلّ فقال «وَ كانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً» (۷)و جعله غايه طينتهم و خاتمه كمالهم فقال «وَ لكِنْ رَسُولَ اللّهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ » (۸).

الفائده الرابعه

:قوله: و جعله أوّل جبلّته إشاره إلى أنّ آدم أوّل شخص تكوّن فى الوجود من نوع الإنسان ،و قوله: و المخاطره بمنزلته :أى عند اللّه و كونه مستحقّا للقرب منه ،و قوله: موافاه لسابق علمه إشاره إلى أنّ وقوعه فى الوجود بقدر عن ضابط القلم

۱- ۱) ۳۷-۱۵.

۲- ۲) ۱۳-۱۷.

۳- ۳) ۸-۱۶.

۴- ۴) ۱۲۹-۹.

۵- ۵) ۳۰-۳.

۶- ۶) ۲۵۴-۲.

۷- ۷) ۱۴-۱۲.

۸- ۸) ۴۰-۳۳.

و القضاء الإلهىّ السابق .

الفائده الخامسه:

قوله: فأهبطه بعد التوبه .من قال:إنّ المراد بآدم هو نوع النفوس البشريّه و قد ثبت أنّه حادث أو أنّه هو الشخص الأوّل منها قال:إنّ التوبه قبل الإهباط هى التوبه بالقوّه المعلومه للّه من عصاه أولاد آدم التائبين إليه قبل إهباط نفوسهم من درجات عرفانه،و إلفات وجوههم إلى عماره الأرض،و الاشتغال بالحرث و النسل،و الأنبياء عليهم السّلام يرجعون عن المباحات إلى ما هو الأولى و الأهمّ من عباده اللّه و مطالعه أنوار كبريائه و يعدّون ما رجعوا عنه ذنوبا،و رجوعهم عنه توبه كما قال النبىّ صلى اللّه عليه و آله و سلّم:

إنّه ليغان على قلبى فأستغفر اللّه فى اليوم سبعين مرّه،و ليس ذلك المستغفر منه إلاّ اشتغال ذهنه بتدبير امور الأرض و عمارتها و اشتغاله بذلك عن الخلوه باللّه و استشراق أنوار قدسه .

الفائده السادسه:

قوله: و ليقيم الحجّه به على عباده الّذين بعث آدم حجّه عليهم أمّا أولاده الموجودون فى زمانه و المنقول أنّه مات عن أربعين ولد،أو من بلغته سنّته منهم بعد وفاته و المنقول أنّ اللّه تعالى أنزل من الأحكام تحريم الميته و الدم و لحم الخنزير و حروف المعجم فى أحدى و عشرين ورقه و هو أوّل كتاب كان فى الدنيا أجرى اللّه عليه الألسنه كلّها .

الفائده السابعه:

قوله: و لم يخلهم بعد أن قبضه ممّا يؤكّد عليهم حجّه ربوبيّته :

أى أنّ حجّه ربوبيّته قائمه عليهم فى كيفيّه تخليقه لهم،و خلق ما يستدلّون عليه به من صنعه كما قال تعالى «سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ» (١)الآيه و غيره من الآيات.و إنّما يكون بعثه الأنبياء مؤكّده لتلك الحجج مذكّره للغافلين عنها بها و متبّهه على وجودها و موصله بينهم و بين معرفته بما جاءت به من الكتب المنزله و السنن الشرعيّه ،و قوله: بلغ المقطع عذره و نذره :أى إعذاره إلى الخلق و إنذاره لهم بلغ الغايه.و مقطع كلّ شىء غايته .

الفائده الثامنه:

تقدير اللّه أرزاقهم تقسيمه لهاو إعطاء كلّ مخلوق ما كتب له فى اللوح المحفوظ منها من قليل و كثير و ضيّق و واسع و متيسّر و متعسّر و معاقبه الأضداد

۴۱-۵۳ (۱ -۱

علیهم من تنغیض سعه الغنی بلواحق الفقر و الفاقه کما قال:و بینما الإنسان فی ملکه أصبح محتاجا إلی الفلس.و کذلک إلحاقه السلامه فی النعم بطوارق الآفات من غرق أو حرق أو غصب ظالم و غلب غاشم و کذلک وسعه الأرزاق و فرج أفراحها و تکدیرها بغصص أحزانها و أتراحها ثمّ خلقه الآجال متفاوته بالطول و القصر و التقدّم و التأخّر .

الفائده التاسعه:

تقدیره للموت متّصلا بأسبابها،و لمّا کان الأجل عباره عن وقت ضروره الموت و کانت أسباب حلول تلک الآفات هی بعض الأمراض أو القتل مثلا لا جرم صدق أنّ الموت الّذی هو عباره عن مفارقه الأرواح لأجسادها متّصلا بتلک الأسباب ، استعاره مرشحه و استعار لفظ الخلج و هو الجذب للموت،و رشّح بذکر الأشطان،و وجه المشابهه ما یستلزمه الموت من قرب الأجل کما یستلزمه الجاذب من قرب المجذوب إلیه فقدّر الموت جاذبا للأجل بالحبال کما یجذب بها الإنسان ما یرید ، استعاره و أمّا کونه قاطعا لمرائر أقرانها فاستعار أیضا لفظ المرائر لأسباب العلاقه بین اقتران الآجال و هم المتقاربون فی الزمان الواحد الّذی یتّصل بهم الأجل و تلک الأسباب کالصداقه و الاخوّه و سایر أسباب العلاقه بین الناس،و ظاهر کون الموت قاطعا لتلک المرائر .

الفائده العاشره:

أنّه علیه السّلام جعل قسمه اللّه تعالی للأرزاق و تقدیرها بالکثره و القلّه و الضیق و السعه صوره ابتلاء من اللّه للشکر من الأغنیاء و الصبر من الفقراء و قد أشرنا فی قوله: ألا إنّ الدنیا دار لا یسلم منها إلاّ فیها .إلی أنّ المراد بالإبتلاء من اللّه معاملته تعالی لعباده معامله المبتلین المختبرین لأنّه سبحانه عالم الخفیّات و السرائر فلا یتصوّر فی حقّه الاختبار حقیقه،إلاّ أنا نزیده هاهنا بیانا فنقول:إنّ العبد إذا تمکّن فی خاطره أنّ ما یفعله اللّه من إفاضه نعمه علیه أو حرمانه لها ابتلاء لشکره أو صبره فشکر أو صبر حصل من شکره أو صبره علی ابتلائه ملکات فاضله فی نفسه یستعدّ بها لمزید الکمال و تمام النعمه کما قال تعالی «لَئِنْ شَکَرْتُمْ لَأَزِیدَنَّکُمْ» و قال «وَ بَشِّرِ الصّابِرِینَ اَلَّذِینَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِیبَهٌ قالُوا إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَیْهِ راجِعُونَ أُولئِکَ عَلَیْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَهٌ وَ أُولئِکَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ» (۱)و أمّا التحقیق فی أمثال هذه القسمه من ضیق

ص:۳۸۱

۱- (۱) ۲-۱۵۲

رزق أوسعه أو طول أجل أو قصره أو معاقبته شدّه لرخاء و حزنا لفرح فهو أنّ لكلّ واحد من هذه الامور أسباب قد تخفى على من تعرّض له و لا بدّ من انتهائها إلى قضاء اللّه فما عدّ منها خيرا فهو داخل فى الإراده الكلّيّه للخير المطلق بالذات و ما عدّ منها شرّا فداخل فى القصاء الإلهىّ بالعرض كما علم ذلک فى مظانّه،و باللّه التوفيق .

الفصل الثالث:فى تمجيده سبحانه باعتبار كونه عالما بالأشياء

و عدّ من جزئيّاتها جمله هى من قوله: عالم السرّ من ضماير المضمرين إلى قوله:أو ناشئه خلق و سلاله .و لنشر إلى ما عساه يشكل من ألفاظه:

الأوّل: استعاره خواطر رجم الظنون .لمّا كان الخاطر الظنىّ للإنسان يتعلّق بمظنون لا محاله بعد أن لم يكن أشبه تعلّقه به الرجم و هو الرمى بالحجر و نحوه فاستعير لفظه له و إنّما خصّ الظنّ بذلک دون العلم لما أنّ كثيرا ما يظنّ ما لا يجوز ظنّا غير مطابق كما يظنّ ببعض الناس ما يقبح منه و يصل إليه بسببه أذى و إن لم يكن صدقا فكان أشبه الأشياء برميه بالحجر المستلزم لأذاه.

الثانى : عقد عزيمات اليقين ما انعقد فى النفس من العزم عن يقين.

الثالث: استعاره و مسارق إيماض الجفون :لمّا أشبه شعاع البصر البرق فى وميضه و اختفائه عند فتح الجفون و طبقها استعار لفظ الوميض لبروزه و لفظ المسارق لمخارجه.

الرابع:استعار لفظ الأكنان للقلوب بالنسبه إلى ما أخفته من الأسرار،و لفظ الغيابات للغيوب،و وجه المشابهه كون القلوب حافظه كالبيوت،و كون الظلمات مانعه من إدراک المبصرات كما تمنع الغيوب إدراک ما فيها.

الخامس : مصائف الذرّ و مشاتى الهوامّ :بيوتها و إشرابها الصيفيّه و الشتويّه من بطن الأرض الواقيه لها حرّ الصيف و برد الشتاء .و رجع الحنين من المولهه:ترديد صوت الثكلى فى بكائها و حنينها إلى من فقدته.

السادس : و لائج غلف الأكمام .إنّما حسنت الإضافه هنا لأنّ كلّ كمّ غلاف و لا ينعكس فجاز تخصيص العامّ بالإضافه إلى بعض جزئيّاته.

السابع : محطّ الأمشاج :محلّ نزول النطف من الأصلاب،و مساربها،و هى الأوعيه

الّتی یتسرّب فیها المنی و الأخلاط الّتی تتولّد عنها.

الثامن: استعاره و ما تسقی الأعاصیر بذیولها :أی ما تثیره و تذروه من التراب،و استعار لفظ الذیول لما اخذ الأرض منها.

التاسع :استعار لفظ العوم لدخول عروق النبات فی نواحی الأرض لملاحظه شبهها بالماء ،و روی:بنات الأرض بتقدیم الباء.و هی الهوامّ الّتی تنشأ فی الرمل و تغوص فیه و تسیر کالحلکه،و هی دویبه کالعظاءه دون الشبر صفراء ملساء تستعملها العرب للسمنه و کنوع من الحیّات و غیرها.

العاشر: استعاره و تغرید ذوات المنطق استعار لفظ المنطق للطیر،و وجه المشابهه أنّ مدلول تغریدها معلوم للّه فأشبه النطق المفید من الإنسان.

الحادی عشر : ما أوعبته الأصداف کاللؤلؤ و المرجان و ما حضنت علیه أمواج البحار من لؤلؤ و حیوان و غیرهما،و لفظ الحضن مستعار للأمواج ملاحظه لشبهها بالحواضن فی انطباقها علی البیض و الفراخ.

الثانی عشر : سبحات النور ما تنزّه منه عن کدر الظلمه،و لفظ النور مستعار لمعارف جلال اللّه،و الضمیر فی قوله : علیها .یرجع إلی الأرض،و قراره النطفه :مستقرّها من الأرحام،و لفظ النقاعه استعاره لمحلّ دم الحیض ،و المضغه الولد فی بعض أطوار خلقته کما عرّفناه قبل ،و ناشئه الخلق:ما نشأ من مخلوقاته.

الثالث عشر : لم یلحقه فی ذلک کلفه.إلی قوله:و لا فتره .الکلفه:کون الفعل مستلزما لفاعله نوع مشقّه و تلک المشقّه إمّا لضعف قوّه الفاعل أو ضعف آلته أو قصور علمه عن تصوّر ما یفعل،و الباری تعالی منزّه عن هذه الامور لاستلزمها الحاجه،و کذلک العارضه من عوارض موانع العلوم و نفوذها یستلزم وجود المقام و المثل و قد تنزّه قدس الحقّ عنهما و أمّا الملاله فالمفهوم انصراف النفس عن الفعل بسبب تحلّل الأرواح الدماغیّه و ضعفها عن العمل أو لعارض آخر لها،و قد علمت أنّها من لواحق الأجسام و کذلک الفتره.و الباری منزّه عنهما.

الرابع عشر:قوله : بل نفذ فیهم علمه.إلی قوله:و غمرهم فصله .أثبت کلّ واحده من

هذه القراين الأربع مقابله للأربع الّتى نفاها:فنفاذ علمه فيهم مقابل لما نفاه من لحوق الكلفه فى علمه بهم،و إحصاؤهم بعده مقابل للأعراض العارضه فى حفظ خلقه،و وسع عدله لهم مقابل لنفى اعتوار الملاله فى تنفيذ اموره و تدبير مخلوقاته إذ كان معنى عدله فيهم وضعه لكلّ موجود فى مرتبته و هبته له ما يستحقّه من زياده و نقصان مضبوطا بنظام الحكمه و اعتراض الملاله سبب لاختلاف نظام الفعل،و قوله:و غمرهم فضله مقابل لنفى الفتره فإنّ فتور الفاعل عن الفعل مانع له عن تتمّه فعله و تمام وجوده،و قوله :مع تقصيرهم عن كنه ما هو أهله تنبيه على حقاره عبادتهم فى جنب عظمته و استحقاقه لما هو أهله ليدوم شكرهم و ثنائهم و لا يستكبروا شيئا من طاعتهم،و باللّه التوفيق .

الفصل الرابع:فى تمجيده خطابا له و دعاء و طلبا لجزاء ما سبق من ثنائه

و تعديد أوصافه الجميله و هو رضاه عنه و إغناؤه من غيره.

و فيه إشارات:

الاولى:

قوله: أنت أهل الوصف الجميل و التعداد الكثير .إشاره إلى أنّه تعالى بحسب استحقاقه الوصف بأشرف طرفى النقيض كان أهل الوصف الجميل و باعتبار تعدّد ثنائه و حمده بالنظر إلى كلّ جزئىّ من جزئيّات نعمه هو أهل التعداد الكثير .

الثانيه:

و قد بسطت لى فيما لا أمدح به غيرك و لا أثنى به على أحد سواك إشاره إلى إذنه له فى شكره و الثناء عليه بالأوصاف الجميله الّتى لا يستحقّها حقيقه إلّا هو و لا ينبغى أن تطلق إلّا له.و معنى هذه الإذن إمّا إلهام حسن شكر المنعم و مدحه و إذ لا منعم فى الحقيقه إلّا هو فلا يستحقّ التمجيد المطلق إلّا هو.و مخاطبته له بايجاب الشكر كقوله تعالى «وَ اشْكُرُوا لِلّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيّاهُ تَعْبُدُونَ» و بالتسبيح فى قوله تعالى «وَ مِنْ آناءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَ أَطْرافَ النَّهارِ لَعَلَّكَ تَرْضى» و قوله: «وَ سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ أَصِيلاً » استعاره و استعار لفظ المعادن للخلق،و وجه المشابهه أنّ معدن الشىء كما أنّه مظنّه المطلوب منها كذلك الخلق أرباب النعم الفانيه مظانّ خيبه طالبها من أيديهم و حرمانها ،و كذلك مواضع الريبه أى الشكّ فى منعهم و عطائهم لها و لذلك فسّره بقوله: و عدلت بلسانى من مدايح الآدميّين و الثناء على المربوبين المخلوقين .

الثالثه:

قوله: دليلا نصب على الحال أو المفعول،و المراد برجائه دليلا على ذخاير

الرحمه رجاؤه أن يسوقه بهدايته إلى وجوه الاستعدادات إلى رحمته و يستر عليه بتهيّئه للالتفات إليه عن كلّ خاطر سواه فإنّ كلّ خاطر سوى الحقّ سبحانه ذنب فى حقّ مثله عليه السّلام،و لفظ الذخيره و الكنوز مستعاران لجوده .

الرابعه

:قوله: هذا مقام من أفردك بالتوحيد .إشاره إلى مقامه بين يديه بهذا الذكر و التوحيد فى خطبته،و هو توطئه لذكر مطلوبه و استنزال رحمه اللّه ثمّ قال : و لى فاقه إليك فذكر وجه استحقاقه لجوده أوّلا و قصر سدّ تلك الفاقه على فضله إذ لم تكن فاقه فى أمر دنيوىّ يمكن المخلوقين الإتيان به ثمّ أردفه بذكر مطلوبه و هو رضا اللّه و إغناؤه عمّن سواه و ظاهر أنّ حصولها مستلزم لما رجاه اللّه دليلا عليه من ذخاير رحمته و كنوز مغفرته .و باللّه العصمه و التوفيق.

۸۹-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

لما أريد على البيعه بعد قتل عثمان

دَعُونِی وَ الْتَمِسُوا غَیْرِی- فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً- لَهُ وُجُوهٌ وَ أَلْوَانٌ- لاَ تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ- وَ لاَ تَثْبُتُ عَلَیْهِ الْعُقُولُ- وَ إِنَّ الْآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ- وَ الْمَحَجَّهَ قَدْ تَنَکَّرَتْ-.وَ اعْلَمُوا أَنِّی إِنْ أَجَبْتُکُمْ- رَکِبْتُ بِکُمْ مَا أَعْلَمُ- وَ لَمْ أُصْغِ إِلَی قَوْلِ الْقَائِلِ وَ عَتْبِ الْعَاتِبِ- وَ إِنْ تَرَکْتُمُونِی فَأَنَا کَأَحَدِکُمْ- وَ لَعَلِّی أَسْمَعُکُمْ وَ أَطْوَعُکُمْ- لِمَنْ وَلَّیْتُمُوهُ أَمْرَکُمْ- وَ أَنَا لَکُمْ وَزِیراً- خَیْرٌ لَکُمْ مِنِّی أَمِیراً

المعنى

اشاره

أقول:حاصل هذا الفصل أنّه لا بدّ لكلّ مطلوب على أمر من تعزّز فيه و تمنّع.

و الحكمه فى ذلك أنّ الطالب له يكون بذلك أرغب فيما يطلب فإنّ الطبع حريص على ما منع سريع النفره عمّا سورع إلى إجابته فيه فأراد عليه السّلام التمنّع عليهم لتقوى رغبتهم إليه فإنّه لم يصل إليه هذا الأمر إلاّ بعد اضطراب فى الدين فى قتل عثمان و الجرأه على الدم

فاحتاج فى تقويم الخلق و ردّهم إلى قواعد الحقّ إلى أنّ يزدادوا فيه رغبه بهذا الكلام و مثله فقال : دعونى و التمسوا غيرى .ألا ترى أنّه نبّههم بعد هذه التمنّع على أنّ هاهنا امورا صعبه مختلفه يريد أن ينكرها عليهم و يقاوم ببعضهم فيها بعضا و يحملهم على الصلاح،و جعل استقباله لتلك الامور الصعبه علّه لاستقالته من هذا الأمر فقال :

قوله فإنّا مستقبلون أمرا له وجوه و ألوان لا تقوم له القلوب

استعاره بالكنايه فإنّا مستقبلون أمرا له وجوه و ألوان لا تقوم له القلوب :أى لا تصبر و لا تثبت عليه العقول بل تنكره و تأباه لمخالفته الشريعه و مضادّته لنظام العالم،و ذلک الأمر هو ما كان يعلمه من اختلاف الناس عليه بضروب من التأويلات الفاسده و الشبهات الباطله كتهمه معاويه و أهل البصره له بدم عثمان و كتأويل الخوارج عليه فى الرضا بالتحكيم و نحو ذلک،و هو المكنىّ عنه بالوجوه و الألوان كنايه بالمستعار .

و قوله:و إنّ الآفاق قد أغامت و المحجّه قد تنكّرت.

استعاره و قوله: و إنّ الآفاق قد أغامت و المحجّه قد تنكّرت.

استعار لفظ الغيم لما غشى آفاق البلاد و أقطار القلوب المتغيّره العازمه على الفساد من ظلمات الظلم و الجهل،و وجه المشابهه ما تستلزمه هذه الظلمات من توقّع نزول الشرور منها كما يتوقّع نزول المطر و الصواعق من الغيم،و أشار بالمحجّه إلى واضح طريق الشريعه،و تنكّرها جهل الناس بها و عدم سلوكهم لها .

و قوله:و اعلموا.إلى قوله:عتب العاتب.

و قوله: و اعلموا.إلى قوله:عتب العاتب.

لمّا تمنّع عليهم و علم صدق رغبتهم فيه شرع فى تقرير ما يريد أن يفعله تقريرا إجماليّا عليهم مع تمنّع دوين الأوّل فأعلمهم أنّه على تقدير إجابتهم إلى هذا الأمر لا يركب بهم إلاّ ما يعلم من أمر الشريعه و لا يصغى إلى قول قائل خالف أمر اللّه لمقتضى هواه،و لا عتب عاتب عليه فى أنّه يفضّله أو لم يرضه بما يخالف ما يعلم من الشريعه إذ القائل و العاتب فى ذلک مفتر على اللّه و عاتب عليه و لقد وفى عليه السّلام بما وعدهم به من ذلک كما سنذكره فى قصّه أخيه عقيل لمّا استماحه صاعا من برّ أو شعير فحمى له حديده و قرّبها منه فأنّ عقيل فقال له:ثكلتک الثواكل أتإنّ من حديده حماها إنسان للعبه و لا تأنّ من نار أجّجها جبّار لغضبه. استعاره و لفظ الركوب مستعار لاستوائه على ما يعلم .

و قوله:و إن تركتمونى إلى آخره.

و قوله: و إن تركتمونى .إلى آخره.

أی کنت کأحدکم فی الطاعه لأمیرکم بل لعلّی أکون أطوعکم له:أی لقوّه علمه بوجوب طاعته الإمام،و إنّما قال لعلّی لأنّه علی تقدیر أن یولّوا أحدا یخالف أمر اللّه لا یکون أطوعهم له بل أعصاهم و احتمال تولیتهم لمن هو کذلک قایم فاحتمال طاعته و عدم طاعته له قائم فحسن إیراد لعلّ،و الواو فی قوله : و أنا .للحال،و وزیرا و أمیرا حالان،و العامل ما تعلّق بهما الجار و المجرور،و أراد الوزیر اللغویّ و هو المعین و الظهیر الحامل لوزر من یظاهره و ثقله،و ظاهر أنّه علیه السّلام کان وزیرا للمسلمین و عضدا لهم، و الخیریّه هاهنا تعود إلی سهوله الحال علیهم فی أمر الدنیا فإنّه إذا کان أمیرا لهم حملهم علی ما تکره طباعهم من المصابره فی الحروب و التسویه فی العطایا و منعهم ما یطلبون ممّا فیه للشریعه أدنی منع،و لا کذلک إذا کان وزیرا لهم فإنّ حظّ الوزیر لیس إلاّ الشور و الرأی الصالح و المعاضده فی الحروب و قد یخالف فی رأیه حیث لا یتمکّن من إلزام العمل به و إنّما کان هذا لتمنّع دوین الأوّل لأنّ قوله: إن أجبتکم .فیه إطماع لهم بالاجابه.

و باللّه التوفیق.

۹۰-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

أَمَّا بَعْدَ أَیُّهَا النَّاسُ- فَأَنَا فَقَأْتُ عَیْنَ الْفِتْنَهِ- وَ لَمْ یَکُنْ لِیَجْتَرِئَ عَلَیْهَا أَحَدٌ غَیْرِی- بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَیْهَبُهَا- وَ اشْتَدَّ کَلَبُهَا- فَاسْأَلُونِی قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِی- فَوَ الَّذِی نَفْسِی بِیَدِهِ- لاَ تَسْأَلُونِی عَنْ شَیْءٍ- فِیمَا بَیْنَکُمْ وَ بَیْنَ السَّاعَهِ- وَ لاَ عَنْ فِئَهٍ تَهْدِی مِائَهً وَ تُضِلُّ مِائَهً- إِلاَّ أَنْبَأْتُکُمْ بِنَاعِقِهَا- وَ قَائِدِهَا وَ سَائِقِهَا وَ مُنَاخِ رِکَابِهَا- وَ مَحَطِّ رِحَالِهَا- وَ مَنْ یُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلاً- وَ مَنْ یَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً- وَ لَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِی- وَ نَزَلَتْ بِکُمْ کَرَائِهُ الْأُمُورِ- وَ حَوَازِبُ الْخُطُوبِ- لَأَطْرَقَ

كَثِيرٌ مِنَ السَّائِلِينَ- وَ فَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَسْئُولِينَ- وَ ذَلِكَ إِذَا قَلَّصَتْ حَرْبُكُمْ- وَ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقٍ- وَ ضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ضِيقاً- تَسْتَطِيلُونَ مَعَهُ أَيَّامَ الْبَلَاءِ عَلَيْكُمْ- حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ لِبَقِيَّةِ الْأَبْرَارِ مِنْكُمْ- إِنَّ الْفِتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ- وَ إِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ- يُنْكَرْنَ مُقْبِلَاتٍ- وَ يُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ- يَحُمْنَ حَوْمَ الرِّيَاحِ يُصِبْنَ بَلَداً- وَ يُخْطِئْنَ بَلَداً- أَلَا وَ إِنَّ أَخْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ؟بَنِي أُمَيَّةَ؟- فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ عَمَّتْ خُطَّتُهَا- وَ خَصَّتْ بَلِيَّتُهَا- وَ أَصَابَ الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا- وَ أَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا- وَ ايْمُ اللَّهِ لَتَجِدُنَّ؟بَنِي أُمَيَّةَ؟ لَكُمْ- أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي كَالنَّابِ الضَّرُوسِ- تَعْذِمُ بِفِيهَا وَ تَخْبِطُ بِيَدِهَا- وَ تَزْبِنُ بِرِجْلِهَا وَ تَمْنَعُ دَرَّهَا- لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لَا يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إِلَّا نَافِعاً لَهُمْ- أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ- وَ لَا يَزَالُ بَلَاؤُهُمْ عَنْكُمْ- حَتَّى لَا يَكُونَ انْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ- إِلَّا كَانْتِصَارِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ- وَ الصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحِبِهِ- تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَّةً- وَ قِطَعاً جَاهِلِيَّةً- لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ هُدًى وَ لَا عَلَمٌ يُرَى- نَحْنُ؟أَهْلَ الْبَيْتِ؟ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ وَ لَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ- ثُمَّ يُفَرِّجُهَا اللَّهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ الْأَدِيمِ- بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفاً وَ يَسُوقُهُمْ عُنْفاً- وَ يَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ لَا يُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ- وَ لَا يُحْلِسُهُمْ إِلَّا الْخَوْفَ- فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَدُّ؟قُرَيْشٌ؟ بِالدُّنْيَا- وَ مَا فِيهَا لَوْ يَرَوْنَنِي مَقَاماً

وَاحِداً- وَ لَوْ قَدْرَ جَزْرِ جَزُورٍ- لِأَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا أَطْلُبُ الْيَوْمَ بَعْضَهُ فَلاَ يُعْطُونِيهِ

المعنى

أقول: فقات عينه : عيّرتها .و ماج : اضطرب .و الغيهب : الظلمه :و الكلب : الشرّ و الكلب:داء معروف .و الفئه : الطائفه .و ناعقها : الداعى لها .و المناخ بالضمّ: محلّ البروك و حوازب الخطوب : ما حزب منها:أى أصاب .و التقلّص : التقبّض .و شبّهت : اشتبهت و أوقعت الشبهه .و حام الطائر : دار .و الخطّه . الحال و الأمر .و الناب : الناقه المسنّه .

و الضروس : الّتى تعضّ حالبها .و العذم : العضّ و هو الكدم أيضا :و الزبن : الدفع .

و شوها : جمع شوهاء و هى قبيحه المنظر ،و سامه خسفا . أولاه إلّا .و العنف : شدّه السوق .و تحلسهم:

أى تلبسهم الحلس و هو الكساء تحت بردعه البعير .و الجزر : القطع و منه سميّت الجزور لما ينحر من الإبل .

اللغه

اشاره

و مقصود هذا الفصل التنبيه على فضيلته و شرف وقته به،و على رذيله بنى اميّه بذكر فتنتهم و ما يكون منهم ليشتدّ النفار عنهم و تقوى الرغبه إليه من وجهين:أحدهما:بإخباره عمّا سيكون،و الثانى:بذكر الشرور من غيره .

فقوله:فأنا فقأت عين الفتنه

استعاره مرشحه-استعاره بالكنايه فقوله: فأنا فقأت عين الفتنه .إشاره إلى فتنه أهل البصره و غيرها،و استعار لها لفظ العين،و إنّما خصّ العين لأنّها أشرف عضو فى الوجه،و بها تصرّف الشخص و حركته،و رشّح الاستعاره بذكر الفقاء و كنّى به عن زوال فتنتهم بسيفه ،

و قوله:و لم يكن ليجترئ عليها أحد غيرى

و قوله: و لم يكن ليجترئ عليها أحد غيرى :أى إنّ الناس كانوا لا يتجاسرون على قتال أهل القبله و يخافون من ذلك الحرج و الإثم و لا يعلمون كيفيّه قتالهم هل يتّبعون مدبرهم و هل يجهزون على جريحهم و هل تسبى ذراريهم و تقسم أموالهم إذا بغوا أم لا حتّى أقدم عليه السّلام على فتنتهم ففقأ عينها فسكنت بعد هياجها،و مبدء ذلك حرب عايشه،و قد صرّح عليه السّلام بذلك فى ألفاظ اخرى فقال: أمّا بعد فأنا فقأت عين الفتنه شرقيّها و غربيّها و منافقها و مارقها لم يكن ليجترئ عليها غيرى و لو لم أكن لما قوتل أصحاب الجمل و لا صفّين و لا أصحاب النهر،و يحتمل أن يكون المراد فقأت عين أهل الفتنه فحذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه و يكون فقاؤه لعيونهم كنايه عن قتلهم،و روى أنّ من المتوقّفين عن الحرب الأحنف بن قيس و جماعه معه، كنايه و كنّى بتموّج غيهبها عن انتشار ظلمات الشبهه عن تلك الفتن فى أذهان الناس فجهلوا أنّ خلاف طلحه و خروج عايشه

كان حقّا أو باطلا

ص:٣٨٩

فكان ذلک سببا لاضطرابهم و قتالهم و قتلهم استعاره بالکنایه ،و کذلک کنیّ باشتداد کلبها عن شدّه ما وقع منها من الشرور،و کلب أهلها و حرصهم علی القتل و القتال کنایه بالمستعار فی الموضعین .

و قوله:فاسئلونی.إلی قوله:و من یموت منهم موتا .

و قوله: فاسئلونی .إلی قوله: و من یموت منهم موتا.

تعرّض للأسؤله عمّا سیکون و لم یکن لیجترئ علی ذلک أحد غیره من بین سایر الصحابه و التابعین،و لو ادّعی غیر ذلک لکذّبه العیان و فضّحه الامتحان،و روی أنّ قتاده دخل الکوفه فالتفّت علیه الناس فقال:سلونی عمّا شئتم.و کان أبو حنیفه حاضرا و هو إذن غلام حدث السنّ فقال:سلوه عن نمله سلیمان أ کانت ذکرا أم انثی.فسئلوه فانقطع فقال:

أبو حنیفه کانت انثی فقیل له:بم عرفت ذلک فقال:من کتاب اللّه،و هو قوله: «قالَتْ نَمْلَهٌ» و لو کان ذکرا لقال:قال نمله و ذلک أنّ النمله تقع علی الذکر و الانثی کالحمامه و الشاه،و إنّما یمیّز بینهما بعلامه التأنیث فانظر إلی هذا المعجب بنفسه کیف انقطع عن سؤال یمکن الفطن أن یجیب عنه بأدنی سعی فکیف به إذا سئل عن الامور المستقبله الّتی لا یتنزّلها من عالم الغیب إلّا من أیّد بقوّه إلهیّه تکشف لنور بصیرته معها حجب الأسرار،و قد بیّنا فیما سبق وجه تمکّنه من الإخبار عمّا سیکون و کیفیّه ذلک،و أراد بالساعه القیامه، استعاره و استعار أوصاف الإبل و رعاتها و أصحابها من الناعق و القائد و السائق و المناخ و الرکاب و الرحال للفئه المهدیّه و الضالّه و من یهدیهم و یضلّهم ملاحظه لشبههم بالإبل فی الاجتماع و الانقیاد لقائد و داعی ،و الضمیر فی أهلها یعود إلی الفئه .

و قوله:و لو قد فقدتمونی.إلی قوله:المسئولین.

و قوله: و لو قد فقدتمونی.إلی قوله:المسئولین.

کرائه الامور ما یکرهون منها و حوازب الخطوب ما یصیبهم من الامور العظیمه المهمّه و أطراق السائلین لحیرتهم فی عواقب تلک الخطوب و ما یکون منها و کیفیّه الخلاص و فشل کثیر من المسئولین :أی جنبوا عن ردّ الجواب لجهلهم بعواقبها و ما یسئلون عنه منها .

و قوله:ذلک.

و قوله :ذلک.

إشاره فی أطراق السائلین و فشل المسئولین.

و قوله:إذا قلصت حربكم

استعاره و قوله: إذا قلصت حربكم تفسير لكرائه الامور النازله بهم،و استعار لفظ التقليص و التشمير عن ساق الحرب و وجه الاستعاره تشبيهها بالمجدّ فی الأمر الساعی فيه،و كما أنّه إذا أراد أن يتوجّه قلّص ثيابه و شمّرها عن ساقه لئلّا تعوقه و تهيّأ و أجمع عليه كذلك الحرب فی كونها مجتمعه عن النزول بهم و اللحوق لهم ،و الواو فی قوله: و ضاقت للعطف على شمّرت،و موضع تستطيلون النصب على الحال .

و قوله:حتّى يفتح اللّه لبقيّه الأبرار منكم.

و قوله: حتّى يفتح اللّه لبقيّه الأبرار منكم.

أی الّذين يسلمون بنی اميّه فی دينهم و أعمارهم و يفتح اللّه لهم بهلاكهم و زوال دولتهم .

و قوله:إنّ الفتن إذا أقبلت تشبّهتشبّهت خ.

و قوله: إنّ الفتن إذا أقبلت تشبّهت[شبّهت خ].

أی يكون فی مبدأها متشبّهه بالحقّ فی أذهان الخلق و إذا أدبرت نبّهت لأذهان الخلق على كونها فتنه بعد وقوع الهرج و المرج بين الناس و اضطراب امورهم بسببها و أكثر ما يكون ذلك عند إدبارها كالفساد فی الدول مثلا الّذی يعرف به عامّه الخلق كونها فتنه و ضلالا عن سبيل اللّه أكثر ما يكون فی آخرها فيكون مؤذنا بزوالها و علامه مبشّره .

و قوله:ينكرن مقبلات و يعرفن مدبرات.

و قوله: ينكرن مقبلات و يعرفن مدبرات.

تفسير له:أی لا يعرف فی مبدء الحال كونها فنه و تشتبه بكونها حقّا و دعاء هدى فاذا استعقبت عرفت أنّها عن الحقّ بمعزل و إنّ دعاتها كانوا دعاه ضلاله .

و قوله:و يحمن حومحول خالرياح.

استعاره و قوله: و يحمن حوم[حول خ]الرياح.

استعار لها لفظ الحوم ملاحظه لشبهها فی دورانها الموحوم و وقوعها عن قضاء اللّه من دعاه الضلال فی بلد دون بلد بالطائر و الريح،و لذلك شبّهها بحومها و كذلك لفظ الخطاء .

و قوله:ألا إنّ أخوف الفتن عندی إلی آخر.

استعاره و قوله: ألا إنّ أخوف الفتن عندی إلی آخر.

شروع فی تعیین ما یرید أن یخبر به و هو بعض ما تعرّض للسؤال عنه،و إنّما کانت هذه الفتن أخوف الفتن لشدّتها علی الإسلام و أهله و کثره بلوی أهل الدین فیها بالقتل

ص:۳۹۱

و أنواع الأذى و يكفى فى عظم تلک الفتنه هتکهم حرمه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم و قتل الحسين عليه السّلام و ذرّيّته،و هتک حرمه الإسلام بهدم الکعبه و حرقها،و قتل ابن الزبير و سبّ علىّ عليه السّلام ثمانين سنه،و ما انتشر من البلاء و عمّ بتوليتهم للحجّاج دماء المسلمين إلى غير ذلک من منکراتهم المسطوره فى التواريخ و أشار بکونها فتنه عمياء إلى ذلک، و استعار لفظ العمى لها لجريانها على غير قانون حقّ کالأعمى المتصرّف فى حرکاته فى غير جادّه،أو لکونها لا يسلک فيها سبيل الحقّ کما لا يهتدى بالعين العمياء و کذلک لفظ المظلمه و قوله: عمّت خطّتها لکونها ولايه عامّه ، و خصّت بليّتها :أى بأهل التقوى و شيعه علىّ عليه السّلام و من بقى من الصحابه و التابعين الّذينهم أعيان الإسلام،و قوله: أصاب البلاء من أبصر فيها و أخطأ من عمى عنها :أى من اهتدى لکونها فتنه کان فيها فى بلاء من نفسه و منهم أمّا من نفسه فالحزن الطويل من مشاهده المنکر،و أمّا منهم فلأنّ المتّقى العالم بکونهم أئمّه ضلال منحرف عنهم و غير داخل فى تصرّفهم الباطل،و کان من شأنهم تتبع من هذا حاله بالأذى و القتل فکان البلاء به أخصّ،و أمّا من لم يهتد لکونها فتنه بل کان فى عمى الجهل عنها فهو منقاد لدعوتهم الباطله منساق تحت رايات ضلالهم جار على وفق أوامرهم فکان سالما من بلائهم ثمّ أردف ذلک بالقسم البارّ ليجدنّهم الناس أرباب سوء لهم تشبيه و شبّههم فى أفعالهم المضرّه لهم بالناب الضروس لحالبها،و أشار إلى وجه الشبهه بأوصاف:

فکدمها و عضّها و خبطها بيدها و زبها برجلها و منعها درّها إشاره إلى جميع حرکاتها الموذيه الرديئه و هى تشبه حرکاتهم فى الخلق بالأذى و القتل و منع الوفد و الاستحقاق من بيت المال ثمّ أردف ذلک بذکر غايتين لحرکاتهم الشرّيّه و بلائهم للناس:إحداهما:أنّهم لا يترکون من الأذى و القتل إلاّ أحد رجلين إمّا نافع لهم سالک مسلکهم أو من لا يضرّهم بإنکار منکر عليهم.و لا يخافون على دولتهم من ساير العوامّ و السوقه،الثانيه أنّه لا يکون انتصارهم منهم إلاّ مثل انتصار العبد من سيّده و الصاحب ممّن استصحبه:أى کما لا يمکن العبد أن ينتصر من سيّده و التابع المستصحب الّذى من شأنه الضعف و عدم الاستقلال بنفسه ممّن يستصحبه کذلک لا يمکن بقيّه هؤلاء أن ينتصروا من بنى اميّه أصلا، و يحتمل أن يريد هناک ما يشبه الانتصار من الغيبه و نحوها کما قال عليه السّلام فى موضع

آخر:و یکون نصره أحدکم کنصره العبد من سیّده إذا شهد أطاعه،و إذا غاب اغتابه .ثمّ أردف ذلک بذکر فتنتهم و أنّها مشتمله علی فتن فوق واحده تأتی شآبیب و قطعا کقطع اللیل المظلم،و من روی فتنهم بلفظ الجمع فأراد جزئیّات شرورهم فی دولتهم، استعاره و استعار لفظ الشوهاء لقبحها عقلا و شرعا،و وجه المشابهه کونها منفورا عنها کما أنّ قبیحه المنظر کذلک ،و کذلک استعار لفظ القطع لورودها علیهم دفعات کقطع الخیل المقبله فی الغاره و الحرب ،و أشار بکونها جاهلیّه إلی کونها علی غیر قانون عدلیّ کما أنّ حرکات أهل الجاهلیّه کانت کذلک ،و لذلک قال: لیس فیها منار هدی و لا علم یری :

أی لیس فیها إمام عدل،و لا قانون حقّ یقتدی به .

و قوله:نحن أهل البیت منها بمنجاه و لسنا فیها بدعاه

و قوله: نحن أهل البیت منها بمنجاه و لسنا فیها بدعاه .

أی إنّا ناجون من آثامها و الدخول فیها و الدعوه إلی مثلها،و لیس المراد أنّا سالمون من أذاهم غیر داعین فیها إلی الحقّ بشهاده دعوه الحسین علیه السّلام إلی نفسه و قتله و أولاده و هتک ذریّته،و یحتمل أن یرید أنّا بمنجاه من آثامها و لسنا فیها بدعاه مطلقا و الحسین علیه السّلام لم یکن داعیا منبعثا من نفسه للدعوه،و إنّما کان مدعوّا إلی القیام من أهل الکوفه و مجیبا لهم .

و قوله:ثمّ یفرّجهایفرج خاللّه کتفریج الأدیم.إلی قوله:إلاّ الخوف.

و قوله: ثمّ یفرّجها[یفرج خ]اللّه کتفریج الأدیم.إلی قوله:إلاّ الخوف.

إشاره إلی زوال دولتهم بظهور بنی العبّاس علیهم و قلعهم و استیصالهم و تتّبعهم لآثارهم و حصول الفرج منهم لبقیّه الأبرار من عباد اللّه المقصودین بإذاهم کما یفرج الجلد:أی یشقّ عمّا فیه،و لقد أولاهم بنوا العبّاس من الذلّ و الهوان،و أذا قوهم کأس العذاب طعوما مختلفه،و أروهم عیان الموت ألوانا شتّی کما هو مذکور فی کتب التاریخ ، استعاره و لفظ الکأس و التصبیر و العطیّه مستعار ،و کذلک لفظ التحلیس .و وجه المشابهه جعلهم الخوف شعارا لهم کما أنّ حلس البعیر کذلک .

و قوله:حتّی تودّ قریش إلی آخره.

کنایه و قوله: حتّی تودّ قریش .إلی آخره.

إشاره إلی غایه هذه الفرقه المتقلّبه من قریش علی هذا الأمر أی أنّ حالهم فی التراذل و الضعف عن محاربتهم ینتهی إلی أن یحبّوا رؤیته مقاما واحدا مع أنّه أبغض الخلق

ص:۳۹۳

إليهم ليقبل منهم حينئذ ما يطلب اليوم بغضه من نصرتهم له و اتّباعهم لأمره و انقيادهم لهداه و يمنعونه إيّاه ،و كنّى عن قصر ذلك المقام المتمنّى له بمقدار زمان جزر الجزور ،و صدقه عليه السّلام فى هذا الخبر ظاهر فإنّ أرباب السير نقلوا أنّ مروان بن محمّد آخر ملوك بنى اميّه قال يوم الزاب حين شاهد عبد اللّه بن محمّد بن علىّ بن عبد اللّه بن العبّاس:

مارّا به فى صفّ خراسان لوددت أنّ علىّ بن أبى طالب تحت هذه الرايات بدلا من هذا الفتى.و القصّه مشهوره .و باللّه التوفيق.

٩١-و من خطبه له عليه السّلام

القسم الأول

اشاره

فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِى لَا يَبْلُغُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ- وَ لَا يَنَالُهُ حَدْسُ الْفِطَنِ- الْأَوَّلُ الَّذِى لَا غَايَهَ لَهُ فَيَنْتَهِى- وَ لَا آخِرَ لَهُ فَيَنْقَضِىَ

المعنى

اشاره

أقول: تبارك :قيل:مشتقّ من البروك المستلزم للمقام فى موضع واحد و الثبات فيه،و قيل:من البركه و هو الزياده،و بالاعتبار الأوّل يكون إشاره إلى عظمته باعتبار دوام بقائه و استحقاقه قدم الوجود لذاته و بقاء وجوده لا عن استفتاح و لا إلى انقطاع،و بالاعتبار الثانى إشاره إلى فضله و إحسانه و لطفه و هدايته و وجوه الثناء عليه .

و قوله:الّذى لا يبلغه بعد الهمم و لا يناله حدس الفطن.

و قوله: الّذى لا يبلغه بعد الهمم و لا يناله حدس الفطن.

كقوله فى صدر الخطبه الاولى لا يدركه بعد الهمم و لا يناله غوص الفطن إلّا أنّه أبدل الغوص هنا بالحدس:و الحدس فى اللغه الظنّ،و فى اصطلاح العلماء لمّا كان الفكر عباره عن حركه الذهن منتقلا من المطالب إلى المبادىء ثمّ منها إلى المطالب كان الحدس عباره عن جوده هذه الحركه إلى اقتناص الحدّ الأوسط من غير طلب و تجشّم كلفه،و هو مقول بحسب التشكيك،و هو بجميع اعتباراته و بأعلى رتبته قاصر عن تناول ذات الحقّ تعالى كما سبق .

و قوله:الأوّل إلى آخره.

و قوله: الأوّل .إلى آخره.

و قد مرّ تفسير أوّليّته و آخريّته غير مرّه.و باللّه التوفيق.

ص:۳۹۴

القسم الثانی

اشاره

فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِی أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ- وَ أَقَرَّهُمْ فِی خَیْرِ مُسْتَقَرٍّ- تَنَاسَخَتْهُمْ کَرَائِمُ الْأَصْلَابِ إِلَی مُطَهَّرَاتِ الْأَرْحَامِ- کُلَّمَا مَضَی مِنْهُمْ سَلَفٌ- قَامَ مِنْهُمْ بِدِینِ اللَّهِ خَلَفٌ- حَتَّی أَفْضَتْ کَرَامَهُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَی إِلَی؟مُحَمَّدٍ ص؟- فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتاً- وَ أَعَزِّ الْأَرُومَاتِ مَغْرِساً- مِنَ الشَّجَرَهِ الَّتِی صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِیَاءَهُ- وَ انْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَهُ عِتْرَتُهُ خَیْرُ الْعِتَرِ- وَ أُسْرَتُهُ خَیْرُ الْأُسَرِ وَ شَجَرَتُهُ خَیْرُ الشَّجَرِ- نَبَتَتْ فِی حَرَمٍ وَ بَسَقَتْ فِی کَرَمٍ- لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ وَ ثَمَرٌ لَا یُنَالُ- فَهُوَ إِمَامُ مَنِ اتَّقَی وَ بَصِیرَهُ مَنِ اهْتَدَی- سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ وَ شِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ- وَ زَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ سِیرَتُهُ الْقَصْدُ- وَ سُنَّتُهُ الرُّشْدُ وَ کَلَامُهُ الْفَصْلُ وَ حُکْمُهُ الْعَدْلُ- أَرْسَلَهُ عَلَی حِینِ فَتْرَهٍ مِنَ الرُّسُلِ- وَ هَفْوَهٍ عَنِ الْعَمَلِ وَ غَبَاوَهٍ مِنَ الْأُمَمِ اعْمَلُوا رَحِمَکُمُ اللَّهُ عَلَی أَعْلَامٍ بَیِّنَهٍ- فَالطَّرِیقُ نَهْجٌ «یَدْعُوا إِلی دارِ السَّلامِ» - وَ أَنْتُمْ فِی دَارِ مُسْتَعْتَبٍ عَلَی مَهَلٍ وَ فَرَاغٍ- وَ الصُّحُفُ مَنْشُورَهٌ- وَ الْأَقْلَامُ جَارِیَهٌ- وَ الْأَبْدَانُ صَحِیحَهٌ- وَ الْأَلْسُنُ مُطْلَقَهٌ- وَ التَّوْبَهُ مَسْمُوعَهٌ- وَ الْأَعْمَالُ مَقْبُولَهٌ

اللغه

أقول: النسخ : النقل .و أفضت : انتهت .و الارومه : الأصل .و الصدع : الشقّ .و عتره الرجل : نسله و رهطه الأدنون .و اسرته : قومه .و بسقت : طالت ،و الزند : العود الأعلی یقدح به .و نهج : واضح .

ص:۳۹۵

المعنى

و قوله،و استودعهم.إلى قوله:خلف .

و قوله، و استودعهم .إلى قوله: خلف .

إشاره إلى الأنبياء عليهم السّلام القائمين بدين اللّه.و اعلم أنّ دين اللّه واحد بعثت جميع الأنبياء لتسليك الخلق إيّاه و له أصل و فروع فأصله الطريق إلى معرفته،و الاستكمال بها،و جماع مكارم الأخلاق،و نظام أمر الخلق فى معاشهم و معادهم و هذه الامور هى المراد من الشرع و هو أصل لا يخالف فيه نبىّ نبيّا.فأمّا الاختلاف الواقعه فى الشرائع فهى امور جزئيّه بحسب مصالح جزئيّه يتعلّق بوقت الرسول المعيّن و حال الخلق المرسل إليهم يوقع عليها ذلك الأصل،و تكون كالمشخّصات له و العوارض الّتى يختلف بها الطبيعه الواحده النوعيّه.و أفضل مستودع استودعهم فيه حظائر قدسه و منازل ملائكته و هو خير مستقرّ أقرّهم فيه و محلّ كرامته «فِی مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِیکٍ مُقْتَدِرٍ » و تناسخ الأصلاب لهم إلى مطهّرات الأرحام نقلهم إليها نطفا،و كرائم الأصلاب :ما كرم منها و حقّ لأصلاب سمحت بمثلهم أن توصف بالكرم.و مطهّرات الأرحام:ما طهر منها و حقّ لما استعدّ منها الإنتاج مثل هذه الأمزجه و قبولها أن تكون طاهره من كدر الفساد.و الشيعه يطهّرون اصول الأنبياء من طرف الآباء و الامّهات عن الشرك و نحوه قول الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم:نقلنا من الأصلاب الطاهره إلى الأرحام الزكيه.و يحتمل أن يريد بأفضل مستودع و خير مستقرّ فى مبدئهم أصلاب الآباء و أرحام الامّهات و يكون قوله: تناسختهم تفسيرا له و بيانا .

و قوله:كلّما مضى منهم سلف قام بدين اللّه منهم خلف.

و قوله: كلّما مضى منهم سلف قام بدين اللّه منهم خلف.

إشاره إلى ضروره وجود الأنبياء عند الحاجه إليهم على التعاقب،و قد سبقت الإشاره إليه .

و قوله:حتّى أفضت كرامه اللّه إلى محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلّم.إلى قوله:امناءه.

و قوله: حتّى أفضت كرامه اللّه إلى محمّد صلى اللّه عليه و آله و سلّم.إلى قوله:امناءه.

إشاره إلى غايه سلسله الأنبياء عليهم السّلام،و كنّى بكرامه اللّه عن النبوّه استعاره و استعار لفظ المعدن و المنبت و المغرس لطينه النبوّه و هى مادّته القريبه الّتى استعدّت لقبول مثله،و وجه الاستعاره أنّ تلك المادّه منشأ لمثله كما أنّ الأرض معدن الجواهر و مغرس الشجر الطيّب،و ظاهر أنّ أصلا سمح بمثله أفضل المعادن و أعزّ الاصول ،و قيل:

أراد بذلك مكّه-شرّفها اللّه تعالى-و قيل:بيته و قبيلته ثمّ ميّزه بما هو أخصّ و أشرف استعاره بالكنايه فقال :من الشجره الّتى صدع منها أنبياءه فاستعار لفظ الشجره لصنف الأنبياء،و كما أنّ الشجره أشرف من طينتها كذلك صنف الأنبياء أشرف من قوابل صورهم،و وجه الاستعاره هو ما كنّى بالانصداع عنه من تفرّع أشخاص الأنبياء عن صنفهم كما يتفرّع أغصان الشجره منها .و أمناءه :أى على رسالته .

و قوله:عترته خير العتر و اسرته خير الاسر.

و قوله: عترته خير العتر و اسرته خير الاسر.

بدء بالعتره لما عرفت أنّها أخصّ و أقرب من الاسره،و مصداق أفضليّه عترته قوله صلى اللّه عليه و آله و سلّم:ساده أهل المحشر ساده أهل الدنيا أنا و علىّ و حسن و حسين و حمزه و جعفر.و وجه أفضليّه اسرته قوله صلى اللّه عليه و آله و سلّم:إنّ اللّه اصطفى من العرب معدا،و اصطفى من معد بنى النضر بن كنانه،و اصطفى هاشما من بنى النضر،و اصطفانى من بنى هاشم.

و قوله صلى اللّه عليه و آله و سلّم:قال لى جبرئيل:يا محمّد قد طفت الأرض شرقا و غربا فلم أجد فيها أكرم منك و لا بيتا أكرم من بنى هاشم.و قوله صلى اللّه عليه و آله و سلّم:الناس تبع لقريش برّهم لبرّهم و فاجرهم لفاجرهم .

و قوله:و شجرته خير الشجز.

و قوله: و شجرته خير الشجز.

قيل:أراد بالشجر فى الموضعين إبراهيم عليه السّلام،و قيل:أراد هاشما و ولده بقرينه استعاره مرشحه قوله : نبتت فى حرم و أراد مكّه،و رشّح تلك الاستعاره بوصف الإنبات و البسق ، كنايه و كنّى بالكرم الّذى فيه عن زكاء أصله و ما استلزم من الفضل ،و كنّى بالفروع عن أهله صلى اللّه عليه و آله و سلّم و ذريّته و ساير النجباء من بنى هاشم ، استعاره مرشحه و بوصفهم بالطول عن بلوغهم فى الشرف و الفضل الغايه البعيده ،و هو ترشيح للاستعاره . كنايه و كذلك الثمر ،و كنّى به عن العلوم و الأخلاق المتفرّعه عنه و عن أئمّه امّته،و بكونها لا تنال عن شرفها و غموض أسرارها:أى أنّها لشرفها و علوّها لا يمكن أن يطاول فيها،و أو لغموض أسرارها لا تصل الأذهان إليها .

و قوله:فهو إمام من اتّقى.إلى قوله:لمعه

استعاره مرشحه و قوله: فهو إمام من اتّقى.إلى قوله:لمعه .

استعار لفظ البصيره و السراج و الشهاب و الزند له صلى اللّه عليه و آله و سلّم،و وجه الاستعاره

كونه سبب هدايه الخلق كما أنّ هذه الامور الثلاثه كذلك و رشّح استعاره السراج بلمعان الضوء و الشهاب بسطوع النور و الزند ببروق اللمع،و يحتمل أن يكون وجه استعاره الزند هو كونه مثيرا لأنوار العلم و الهدايه .

و قوله:سيرته القصد.

و قوله: سيرته القصد.

أى طريقته العدل و الاستواء على الصراط المستقيم و عدم الانحراف إلى أحد طرفى الإفراط و التفريط ، و سنّته الرشد :أى سلوك طريق اللّه عن هدايته ، و كلامه الفصل:

أى الفاصل بين الحقّ و الباطل كقوله تعالى «إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ » و حكمه العدل الواسط بين رذيلتى الظلم و الانظلام .

و قوله:أرسله على حين فتره من الرسل و هفوه من العمل.

و قوله: أرسله على حين فتره من الرسل و هفوه من العمل.

أى زلّه عنه و غباوه من الامم :أى جهل منهم و عدم فطنه لما ينبغى،و قد سبق بيان الفتره .

و قوله:اعملوا رحمكم اللّه على أعلام بيّنه.

استعاره بالكنايه و قوله: اعملوا رحمكم اللّه على أعلام بيّنه.

استعار لفظ الأعلام لأئمّه الدين و ما بأيديهم من مصابيح الهدى،و كنّى بكونها بيّنه عن وجودها و ظهورها بين الخلق .

و قوله:و الطريق نهج «يَدْعُوا إِلى دارِ السَّلامِ» .

مجاز و قوله: و الطريق نهج يدعو إلى دار السلام.

فالطريق:الشريعه.و نهجه:وضوحها فى زمانه عليه السّلام و قرب العهد بالرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّم و ظاهر كون الشريعه داعيه إلى الجنّه.و إسناد الدعوه إلى الطريق مجاز إذ الداعى قيّم الطريق و واضعها .

و قوله:و أنتم فى دار مستعتب.

و قوله: و أنتم فى دار مستعتب.

أی دار الـدنيا الّتی يمكن أن يستعتبوا فيعتبوا:أی يطلبوا رضا اللّه بطاعته فرضـی عنكم،و علی مهل :أی إمهال و إنظار و فراغ من عوائق الموت و ما بعده .

و قوله:و الصحف منشوره إلی آخره.

و قوله: و الصحف منشوره .إلی آخره.

الواوات السبع للحال،و المراد صحائف الأعمال و أقلام الحفظه علی الخلق أعمالهم .

و فايده التذكير بهذه الامور التنبيه علی وجوب العمل معها و تذكّر أضدادها ممّا

ص:۳۹۸

لاـ یمکن معه العمل و لا ینفع النـدم من الموت و طیّ الصـحف و جفاف الأقلام و فساد الأبـدان و خرس الألسـنه و عـدم سـماع التوبه کما قال تعالی «فَیَوْمَئِذٍ لا یَنْفَعُ الَّذِینَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَ لا هُمْ یُسْتَعْتَبُونَ» (۱)و باللّه التوفیق.

۹۲-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

بَعَثَهُ وَ النَّاسُ ضُـلَّالٌ فِی حَیْرَهٍ- وَ حَـاطِبُونَ فِی فِتْنَهٍ- قَـدِ اسْـتَهْوَتْهُمُ الْأَهْوَاءُ- وَ اسْتَزَلَّتْهُمُ الْکِبْرِیَاءُ- وَ اسْـتَخَفَّتْهُمُ الْجَاهِلِیَّهُ الْجَهْلَاءُ- حَیَـارَی فِی زَلْزَالٍ مِنَ الْأَمْرِ- وَ بَلَاءٍ مِنَ الْجَهْـلِ- فَبَالَغَ ص فِی النَّصِـیحَهِ- وَ مَضَـی عَلَی الطَّرِیقَهِ- وَ دَعَا إِلَی الْحِکْمَهِ «وَ الْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ »

أقول:الفصل لتقریر فضیله الرسول صلی اللّه علیه و آله و سلّم

اشاره

،و الواو فی و الناس للحال:أی فی حال ما هم ضالّون عن سبیل اللّه فی حیره من أمرهم ما ذا یتبعون .و خابطون فی فتنه :

أی کـانت حرکـاتهم علی غیر نظام فی ضـلال البـدع،و من روی حاطبون فهو استعاره،و وجهها کونهم یجمعون فی ضـلالهم و فتنتهم مـا اتّفق من أقوال و أفعـال کمـا یجمع الحـاطب، و منه المثـل:حـاطب لیل.لمن جمع الغثّ و السـمین،و الحقّ و الباطل فی أقواله .

و قوله:قد استهوتهم الأهواء.

و قوله: قد استهوتهم الأهواء.

أی جذبتهم الآراء الباطله إلی مهاوی الهلاک أو إلی نفسها ، و استزلّتهم الکبریاء:

أی قـادتهم إلی الزلل و الخطل عن طریق العـدل و اقتفاء آثار الأنبیاء فی التواضع و نحوه ، و اسـتخفّتهم الجاهلیّه الجهلاء فطارت بهم إلی ما لا ینبغی من الغارات و الفساد فی الأرض فکانوا ذوی خفّه و طیش،و لفظ الجهلاء تأکیـد للأوّل کما یقال:لیل ألیل و وتدواتد .

ص:۳۹۹

۱- ۱) ۵۷-۳۰.

و قوله:حیاری فی زلزال من الأمر و بلاء من الجهل.

و قوله: حیاری فی زلزال من الأمر و بلاء من الجهل.

أی لا یهتدون لجهلهم إلی مصالحهم فهو منشأ اضطراب امورهم و بلائهم بالغارات و سبی بعضهم بعضا و قتلهم .

و قوله:فبالغ إلی آخره.

و قوله: فبالغ .إلی آخره.

مضیّه علی الطریقه سلوکه لسبیل اللّه من غیر انحراف،و دعوته إلی الحکمه و الموعظه هی دعوته إلی سبیل اللّه بهما إمتثالا لقوله تعالی «ادْعُ إِلی سَبِیلِ رَبِّکَ بِالْحِکْمَهِ وَ الْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ» (۱)فالدعوه بالحکمه الدعوه بالبرهان،و بالموعظه الدعوه بالخطابه، و قد سبقت الإشاره إلی ذلک فی المقدّمات.و اللّه ولیّ التوفیق.

۹۳-و من خطبه له علیه السّلام

القسم الأول

اشاره

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ فَلاَ شَیْءَ قَبْلَهُ- وَ الْآخِرِ فَلاَ شَیْءَ بَعْدَهُ- وَ الظَّاهِرِ فَلاَ شَیْءَ فَوْقَهُ- وَ الْبَاطِنِ فَلاَ شَیْءَ دُونَهُ

المعنی

أقول:أثنی علی اللّه سبحانه باعتبارات أربعه:الأوّلیّه و الآخریّه و الظاهریّه و الباطنیّه،و أکّد کلّ واحد منها بکماله فکمال الأوّلیّه بسلب قبلیّه شیء عنه، و کمال الآخریّه بسلب بعدیّه کلّ شیء له،و الظاهریّه بسلب فوقیّه شیء له،و الباطنیّه بسلب شیء دونه .و المراد بالظاهر هنا العالی فلذلک حسن تأکیده بسلب فوقیّه الغیر له،و بالباطن الّذی بطن خفیّات الامور علما و هو بهذا الاعتبار أقرب الأشیاء إلیها فلذلک حسن تأکیده بسلب ما هو دونه:أی ما هو أقرب إلیها منه و حصلت حینئذ المقابله بین الدانی و العالی،و یحتمل أن یرید بالظاهر البیّن و یکون معنی قوله:

فلا شیء فوقه :أی لا شیء یوازی وجوده و یحجبه عن معرفه خلقه به .و بالباطن الخفیّ و معنی فلا شیء دونه:أی فی الخفاء،و قد سبق بیان هذه الاعتبارات الأربعه غیر مرّه.

۱- ۱) ۱۲۶-۱۶.

و باللّه التوفيق.

القسم الثانى منها فى ذكر الرسول صلى الله عليه و آله و سلّم

اشاره

مُسْتَقَرُّهُ خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ- وَ مَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ- فِی مَعَادِنِ الْكَرَامَهِ- وَ مَمَاهِدِ السَّلاَمَهِ- قَدْ صُرِفَتْ نَحْوَهُ أَفْئِدَهُ الْأَبْرَارِ- وَ ثُنِيَتْ إِلَيْهِ أَزِمَّهُ الْأَبْصَارِ- دَفَنَ اللَّهُ بِهِ الضَّغَائِنَ- وَ أَطْفَأَ بِهِ الثَّوَائِرَ أَلَّفَ بِهِ إِخْوَاناً- وَ فَرَّقَ بِهِ أَقْرَاناً- أَعَزَّ بِهِ الذِّلَّهَ- وَ أَذَلَّ بِهِ الْعِزَّهَ- كَلاَمُهُ بَيَانٌ وَ صَمْتُهُ لِسَانٌ

اللغه

أقول: المماهد : جمع ممهد،و الميم زائده .و ثنيت إليه : أى صرفت .و الضغاين :

الأحقاد .و النوائر : جمع نائره،و هى العداوه و المخاصمه :و الأقران : الأخوان المقترنون .

المعنى

و أشار بمستقرّه إلى مكّه و كونها خير مستقرّ لكونها امّ القرى و مقصد خلق اللّه و محلّ كعبته،و يحتمل أن يريد محلّه من جود اللّه و عنايته و ظاهر كونه خير مستقرّ، استعاره و استعار لفظ المنبت و المعدن ،و قد مرّ بيان وجه استعارتهما ، كنايه و مماهد السلامه محالّ التوطئه لها،و هى كنايه من مكّه و المدينه و ما حولها فإنّها محلّ لعباده اللّه و الخلوه به الّتى هى مهاد السلامه من عذابه،و إنّما كانت كذلك لكونها دار القشف خاليه عن المشتهيات و القينات الدنيويّه،و يحتمل أن يريد بمماهد السلامه ما تقلّب فيه و نشأ عليه من مكارم الأخلاق الممهّده للسلامه من سخط اللّه و فى قوله : و قد صرفت نحوه أفئده الأبرار .تنبيه على أنّ الصارف هو لطف اللّه و عنايته بهم بالفات قلوبهم إلى محبّته و الاستضاءه بأنوار هداه، استعاره مرشحه-استعاره بالكنايه و لمّا استعار لفظ الأزمّه للأبصار ملاحظه لشبهها بمقاود الإبل رشّح تلك الاستعاره بذكر الثنى و كنّى بذلك عن التفات الخلق إليه بأبصار بصايرهم و تلقىّ الرحمه الإلهيّه منه استعاره ثمّ استعار لفظ الدفن لإخفاء الأحقاد به بعد أن كانت ظاهره مجاهرا بها .و لفظ الإطفاء لإزاله العدوات بين العرب بالتأليف بين قلوبهم كما قال تعالى فى إظهار المنّه على عباده «وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ»

ص:۴۰۱

«فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً » (۱)و الأقران المفرّق لهم هم المتألّفون على الشرك.

و قوله : أعزّ به الذلّه.

أى ذلّه الإسلام و أهله ، و أذلّ به العزّه :أى عزّه الشرك و أهله،و بين كلّ قرينتين من هذه الستّ مقابله و مطابقه فقابل بالتفريق التأليف و بالذلّه الإعزاز و بالعزّه الإذلال.

و قوله : و كلامه بيان.

إى لما انغلق من أحكام كتاب اللّه كقوله تعالى «لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ» .

استعاره و قوله : و صمته لسان.

استعار لفظ اللسان لسكوته،و وجه المشابهه أنّ سكوته صلى اللّه عليه و آله و سلّم مستلزم للبيان من وجهين:أحدهما:أنّه يسكت عمّا لا ينبغى من القول فيعلّم الناس السكوت عن الخوض فيما لا يعينهم الثانى:أنّ الصحابه كانوا إذا فعلوا فعلا على سابق عادتهم فسكت عنهم و لم ينكره عليهم علموا بذلك أنّه على حكم الاباحه.فكان سكوته عنهم فى ذلك بيانا له و أشبه سكوته عنه باللسان المعرب عن الأحكام .و باللّه التوفيق.

۹۴-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

وَ لَئِنْ أَمْهَلَ الظَّالِمَ- فَلَنْ يَفُوتَ أَخْذُهُ- وَ هُوَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ عَلَى مَجَازِ طَرِيقِهِ وَ بِمَوْضِعِ الشَّجَا مِنْ مَسَاغِ رِيقِهِ- أَمَا وَ الَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ- لَيَظْهَرَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ- لَيْسَ لِأَنَّهُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْكُمْ- وَ لَكِنْ لِإِسْرَاعِهِمْ إِلَى بَاطِلِ صَاحِبِهِمْ وَ إِبْطَائِكُمْ عَنْ حَقِّى- وَ لَقَدْ أَصْبَحَتِ الْأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا- وَ أَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِى- اسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا- وَ أَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ

۱- ۱) ۹۸-۳.

تَسْمَعُوا- وَ دَعَوْتُكَمْ سِرّاً وَ جَهْراً فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا- وَ نَصَحْتُ لَكَمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا- أَ شُهُودٌ كَغُيَّابٍ وَ عَبِيدٌ كَأَرْبَابٍ- أَتْلُو عَلَيْكَمْ الْحِكَمَ فَتَنْفِرُونَ مِنْهَا- وَ أَعِظُكُمْ بِالْمَوْعِظَهِ الْبَالِغَهِ- فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا- وَ أَحُثُّكُمْ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الْبَغْيِ- فَمَا آتِی عَلَى آخِرِ قَوْلِی- حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَادِیَ سَبَا تَرْجِعُونَ إِلَی مَجَالِسِكُمْ- وَ تَتَخَادَعُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ- أُقَوِّمُكُمْ غُدْوَهً وَ تَرْجِعُونَ إِلَیَّ عَشِيَّهً- كَظَهْرِ الْحَنِيَّهِ عَجَزَ الْمُقَوِّمُ وَ أَعْضَلَ الْمُقَوَّمُ- أَيُّهَا الشَّاهِدَهُ أَبْدَانُهُمْ- الْغَائِبَهُ عُقُولُهُمْ- الْمُخْتَلِفَهُ أَهْوَاؤُهُمْ- الْمُبْتَلَى بِهِمْ أُمَرَاؤُهُمْ- صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اللَّهَ وَ أَنْتُمْ تَعْصُونَهُ- وَ صَاحِبُ أَهْلِ؟الشَّامِ؟ يَعْصِی اللَّهَ- وَ هُمْ يُطِيعُونَهُ- لَوَدِدْتُ وَ اللَّهِ أَنَّ؟مُعَاوِيَهَ؟ صَارَفَنِی بِكُمْ- صَرْفَ الدِّينَارِ بِالدِّرْهَمِ- فَأَخَذَ مِنِّی عَشَرَهَ مِنْكُمْ- وَ أَعْطَانِی رَجُلاً مِنْهُمْ- يَا أَهْلَ؟الْكُوفَهِ؟- مُنِيتُ مِنْكُمْ بِثَلَاثٍ وَ اثْنَتَيْنِ- صُمٌّ ذَوُو أَسْمَاعٍ- وَ بُكْمٌ ذَوُو كَلَامٍ- وَ عُمْیٌ ذَوُو أَبْصَارٍ- لَا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ- وَ لَا إِخْوَانُ ثِقَهٍ عِنْدَ الْبَلَاءِ- يَا أَشْبَاهَ الْإِبِلِ غَابَ عَنْهَا رُعَاتُهَا- كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ- وَ اللَّهِ لَكَأَنِّی بِكُمْ فِيمَا إِخَالُكُمْ- أَنْ لَوْ حَمِسَ الْوَغَى وَ حَمِیَ الضِّرَابُ-

قَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنِ؟ابْنِ أَبِى طَالِبِ؟- انْفِرَاجَ الْمَرْأَهِ عَنْ قُبُلِهَا- وَ إِنِّى لَعَلَى بَيِّنَهٍ مِنْ رَبِّى وَ مِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيِّى- وَ إِنِّى لَعَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ- أَلْقُطُهُ لَقْطاً انْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ- فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ- وَ اتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ- فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى- وَ لَنْ يُعِيدُوكُمْ فِى رَدًى- فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا- وَ إِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا- وَ لاَ تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا- وَ لاَ تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا- لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ؟مُحَمَّدٍ ص؟- فَمَا أَرَى أَحَداً يُشْبِهُهُمْ مِنْكُمْ- لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثاً غُبْراً- وَ قَدْ بَاتُوا سُجَّداً وَ قِيَاماً- يُرَاوِحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وَ خُدُودِهِمْ- وَ يَقِفُونَ عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ- كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكَبَ الْمِعْزَى- مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ- إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ- حَتَّى تَبُلَّ جُيُوبَهُمْ- وَ مَادُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ- خَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ وَ رَجَاءً لِلثَّوَابِ

اللغه

أقول: المرصاد : الطريق يرصد بها،و الرصد الراقب .و الشجى : الغصص بلقمه و غيرها .و الحثّ : السوق الشديد .و أعضل : أشكل .و الحنيّه: القوس .و منى : ابتلى .

و تربت : أصابت التراب دون الخير .و أخال : أحسب .و الوغى : الحرب و أصله من الأصوات .و حمس : اشتدّ .و السمت : الطريقه .و لبد الطائر : لصق بالأرض .

المعنى

فقوله: و لئن أمهل اللّه الظالم .إلى قوله: ريقه.

فى معرض التهديد لأهل الشام بأخذ اللّه لهم و عدم قوّتهم.و أنّه لهم بالرصد على جميع حركاتهم و على مجاز طريقهم الّتى هم سالكوها ضلّالا و على موضع الشجى من مساغ ريقهم و هو الحق،و فى ذكر الشجى و كون اللّه بالرصد تنبيه على أنّ

اللّه تعالی فی مظنّه أن یرمی الظالم بعقوباته عند اطّلاعه علی ظلمه کما قال تعالی «أَوْ یَأْخُذَهُمْ فِی تَقَلُّبِهِمْ فَما هُمْ بِمُعْجِزِینَ أَوْ یَأْخُذَهُمْ عَلی تَخَوُّفٍ » (۱)ثمّ أردف ذلک بالقسم البارّ لیظهرنّ أصحاب معاویه علیهم تنفیرا لهم إلی مقاومتهم،ثمّ نفی ما عساه یتوهّمه أنّه علّه غلبهم لهم کیلا یتخاذلون بسبب ذلک و هو قوله : لیس لأنّهم أولی بالحقّ منکم ،و أردفه بتعیین السبب الحقّ فی ذلک و هو قوله : لکن لإسراعهم إلی باطل صاحبهم :أی أمره الباطل و إبطائکم عن حقّی إذ کانت النصره باجتماع الکلمه و طاعه الإمام لا باعتقاد حقیّه إمرته مع التخاذل عنه،ثمّ أردف ذلک بتوبیخهم و تنفیرهم عمّا هم علیه من مخالفه أمره بقوله : و لقد أصبحت الامم.إلی قوله:رعیّتی .لأن شأن الرعیّه الخوف من سلطانها فإذا کان حاله مع رعیّته بالعکس کانت اللائمه علیهم بعصیانه دون حجّه لهم علیه،و أمّا التنفیر فیذکر أنّهم فی محلّ ظلم نفسه و لقد أشفق علیه السّلام منهم فی مواطن کثیره کیوم التحکیم إذ قالوا له:إن لم ترض فعلنا بک کما فعلنا بعثمان.

و نحو ذلک ،ثمّ أردف وجوه تقصیرهم ببیان ما فعل فی حقّهم من الأیادی الجمیله و الهدایه إلی وجوه المصالح من استنفارهم لجهاد عدوّهم و حفظ بلادهم و إسماعهم الدعوه إلی مصالحهم سرّا و جهرا و نصیحته لهم بالوجوه الصائبه من الرأی و هو کقوله تعالی حکایه عن نوح علیه السّلام «قالَ رَبِّ إِنِّی دَعَوْتُ قَوْمِی لَیْلاً وَ نَهاراً فَلَمْ یَزِدْهُمْ دُعائِی إِلاّ فِراراً وَ إِنِّی کُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا» إلی قوله «إِسْراراً» (۲)تشبیه ثمّ شبّههم بالغیاب مع شهادتهم و بالأرباب مع کونهم عبیدا ،و وجه الشبه أنّ الفایده فی شاهد الموعظه دون الغایب عنها هی سماعها و الانتفاع بها فإذا لیسوا کذلک فهم کالغیاب عنها فی عدم الانتفاع بها،و أمّا الثانیه فلأنّهم رعیّه من شأنهم التعبّد لأوامر امرائهم ثم إنّهم لتعزّزهم و شموخهم کبرا و عدم طاعتهم کالأرباب الّذین من شأنهم أن یأمروا و لا یأتمروا ثمّ وبّخهم بنفارهم عمّا یتلو علیهم من الحکم و تفرّقهم عن مواعظه البالغه.و أهل البغی إشاره إلی أهل الشام.و أیادی سبا :مثل یضرب فی شدّه التفرّق و ضربه لتفرّقهم عن مجالس الذکر و هما لفظان جعلا اسما واحدا کمعدی کرب،و سبا قبیله من أولاد سبا ابن

۱- ۱) ۴۸-۱۶.

۲- ۲) ۵-۷۱.

يشحب بن يعرب بن قحطان،و أصل المثل أنّ هذه القبيله كانت بمأرب فلمّا آن وقت انفتاح سدّ مأرب و رأت طريقه الكاهنه ذلك الأمر و عرفته ألقته إلى عمرو بن عامر الملقب بمزيقيا فباع أمواله بمأرب و ارتحل إلى مكّه فأصابت هولاء الحمى،و كانوا لا- يعرفونها ففزعوا إلى الكاهنه فأخبرتهم بما سيقع،و قالت إنّه مفرّق بيننا فاستشارونها فى أمرهم فقالت:من كان منكم ذاهمّ بعيد،و حمل شديد،و مراد حديد فليلحق بقصر عمّان المشيد،فكانت أزد عمّان،ثمّ قالت:و من كان منكم ذا جلد و قسر،و صبر على أزمات الدهر فعليه بالإدراك من بطن نمر.فكانت خزاعه،ثمّ قالت:و من كان منكم يريد الراسيات فى الوحل المطعمات فى المحل فليلحق بيثرب ذات النخل فكانت الأوس و الخزرج،ثمّ قالت:و من كان منكم يريد الخمر و الخمير و الملك و التأمير و يلبس الديباج و الحرير فليلحق ببصرى و غوير،و هما من أرض الشام فكان الّذين يسكنونها آل جفنيه من غسان،ثمّ قالت:و من كان منكم يريد الثياب الرقاق و الخيل العتاق و كنوز الأرزاق و الدم المهراق فليلحق بأرض العراق فكانت آل جذيمه الأبرش،و من كان بالحيره و آل محرّق.فضربت العرب بتفرّقهم فى البلاد هذا المثل و سار فيمن يتفرّق بعد اجتماع ،ثمّ لمّا كانت المخادعه هى الاستغفال عن المصلحه قال: يتخادعون :أى أنّهم إذا رجعوا من مجلس وعظه أخذ كلّ منهم يستغفل صاحبه عن تذكّر الموعظه و يشغله بغير ذلك من الأحاديث و إن لم يكن عن قصد خداع بل تقع منهم صور المخادعه ،و تقويمه لهم بالغدوه إصلاح أخلاقهم بالحكم و المواعظ تشبيه المعقول بالمحسوس و رجوعهم إليه عشيّه كظهر الحيّه :أى معوّجين كظهر القوس و هو تشبيه للمعقول من اعوجاجهم و انحرافهم عن جميل الأخلاق بالمحسوس.

و قوله : عجز المقوّم.

إشاره إلى نفسه و اعتراف بعجزه عن تقويمهم و أعضل المقوّم :أى أشكل أمرهم و أعيته إدواؤهم علاجا ،ثمّ عاد إلى ندائهم و تنبيههم بذكر معايبهم لينفر عقولهم عنها فوصفهم بشهاده الأبدان مع غيبه العقول ثمّ باختلاف الأهواء ثمّ بكونهم ممّن ابتلى بهم أمراؤهم ثمّ نبّههم على رذيلتهم من مخالفه أمره مع كونه مطيعا للّه،و ما عليه خصومهم من فضيله طاعه إمامهم مع كونه عاصيا للّه،و جعل ذلك مقايسه بينهم ليظهر الفرق

ص:۴۰۶

فیدرکهم الغیره ثمّ أردفه بتحقیرهم و تفضیل عدوّهم علیهم فی البأس و النجده و استقامه الحال فأقسم أنّه لیودّ أن یصارفه معاویه بهم صرف الدینار بالدرهم و ذلک قوله: رجلا منهم .ثمّ أردف ذلک ببیان ما ابتلی به منهم،و أشار إلی خمس خصال،و إنّما قال بثلاث و اثنتین لتناسب الثلاث و کون الثنتین من نوع آخر فالثلاث:الصمم مع کونهم ذوی أسماع و البکم مع کونهم ذوی کلام و العمی مع کونهم ذوی أبصار،و جمعه لهذه الثلاث مع أضدادها هو سبب التعجّب منهم و التوبیخ لهم و أراد بها عدم انتفاعهم فی مصالحهم الدینیّه و نظام امور دولتهم بآله السمع و اللسان و العین فإنّ من لم یفده سمعه و بصره عبره و من لم یکن کلامه فیما لا یعنیه کان کفاقد هذه الآلات فی عدم الانتفاع بها بل کان فاقدها أحسن حالا منه لأنّ وجودها إذا لم یفد منفعه أکسب مضرّه قد أمنها عادمها،و أمّا الثنتان فکونهم لا أحرار صدق عند اللقاء :أی أنّهم عند اللقاء لا تصدق حریّتهم و لا تبقی نجدتهم من مخالطه الجبن و التخاذل و الفرار إذا الحرّ هو الخالص من شوب الرذائل و المطاعن ،ثمّ کونهم غیر أخوان ثقه عند البلاء:أی لیسوا ممّن یوثق باخوّتهم فی الابتلاء بالنوازل،ثمّ عاد إلی الدعاء علیهم علی وجه التضجّر منهم و تشبیههم بالنعم فقوله : تربت أیدیکم دعاء بعدم إصابه الخیر.

تشبیه و قوله : یا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها کلما جمعت من جانب تفرّقت من جانب .

ذکر للتشبیه و المشبّه به،و وجه الشبه أردفه بذکر رذیله یظنّها منهم بإماراتها و هی تفرّقهم عنه علی تقدیره اشتباک الحرب،و شبّه انفراجهم عنه بانفراج المرأه عن قبلها لیرجعوا إلی الأنفه،و تسلیم المرأه لقبلها و انفراجها عنه إمّا وقت الولاده أو وقت الطعان ثمّ عاد إلی ذکر فضیلته لیستثبت قلوبهم و یتألّفها و البیّنه الّتی هو علیها من ربّه آیات اللّه و براهینه الواضحه علی وجوده و الثقه بما هو علیه من سلوک سبیله و هو کقوله تعالی «قُلْ إِنِّی عَلی بَیِّنَهٍ مِنْ رَبِّی» و المنهاج من نبیّه طریقه و سنّته،و الطریق الواضح الّذی هو علیه سبیل اللّه و شریعه دینه،و التقاطه له لقطا تتّبعه و تمیّزه علی طریق الضلال بالسلوک له ثمّ أردف فضیلته بالأمر باعتبار أهل البیت و لزوم سمتهم و اقتفاء أثرهم،

و أشاره إلى جهه وجوب اتّباعهم بكونهم يسلكون بهم سبيل الهدى لا يخرجون عنه و لا يردونهم إلى ردى الجاهليّه و الضلال القديم،و فيه ايماء إلى أنّ اتّباع غيرهم يرد إلى ذلك و قوله : فإن لبدوا :أى إن سكنوا و أحبّوا لزوم البيوت على طلب أمر الخلافه و القيام فيه فتابعوهم فى ذلك فإنّ سكونهم قد يكون لمصلحه يغيب علمها عن غيرهم و إن نهضوا فى ذلك فانهضوا معهم،ثمّ نهاهم عن أن يسبقوا فيضلّوا:أى إلى أمر لم يتقدّموكم فيه فإنّ متقدّم الدليل شأنه الضلال عن القصد و أن لا يتأخّروا عنهم فيهلكوا:أى لا يتأخّروا عن متابعتهم فى أوامرهم و أفعالهم بالمخالفه لهم فيكونوا من الهالكين فى تيه الجهل و عذاب الآخره.و الإماميّه تخصّ ذلك بالاثنى عشر من أهل البيت عليهم السّلام.

و قوله : و لقد رأيت أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم .إلى آخره.

مدح لخواصّ الصحابه و ذكر مكانهم من خشيه اللّه و دينه ترغيبا فى مثل تلك الفضايل،و حرّك بقوله : فما أرى أحدا يشبههم .ما عساه يدرك السامعين من الغيره على تلك الفضايل أن يختصّوا بها دونهم و ذكر من ممادحهم أوصافا:

أحدها :الشعث و الاغبرار و هو إشاره إلى قشفهم و تركهم زينه الدنيا و لذّاتها.

الثانى :بياتهم سجّدا و قياما،و أشار به إلى إحيائهم الليل بالصلاه و هو كقوله تعالى «وَ الَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَ قِياماً» .

الثالث :مراوحتهم بين جباههم و خدودهم،و قد كان أحدهم إذا تعبت جبهته من طول السجود راوح بينها و بين خدّيه.

الرابع :وقوفهم على مثل الجمر من ذكر معادهم و أشار به قلقهم و وجدهم من ذكر المعاد و أهوال يوم القيامه كما يقلق الواقف على الجمر ممّا يجده من حرارته.

الخامس: تشبيه كأنّ بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم ،و وجه المشابهه أنّ محالّ سجودهم من جباههم كانت قد اسودّت و ماتت جلودها و قست كما أنّ ركب المعزى كذلك.

السادس:أنّهم كانوا إذا ذكر اللّه هملت أعينهم حتّى تبلّ جيوبهم ،و من روى جباههم فذلك فى حال سجودهم ممكن . و مادوا كما تميد الشجر بالريح العاصف خوفا

من عقـاب ربّهم و رجـاء لثوابه فتـاره يكون ميـدانهم و قلقهم عن خوف اللّه،و تـاره يكون عن ارتيـاح و اشتياق إلى ما عنـده من عظيم ثوابه و هو كقوله تعالى «الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ» و باللّه التوفيق.

۹۵-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

وَ اللَّهِ لَا يَزَالُونَ- حَتَّى لَا يَدَعُوا لِلَّهِ مُحَرَّماً إِلَّا اسْتَحَلُّوهُ- وَ لَا عَقْداً إِلَّا حَلُّوهُ- وَ حَتَّى لَا يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَ لَا وَبَرٍ- إِلَّا دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ- وَ نَبَا بِهِ سُوءُ رَعْيِهِمْ وَ حَتَّى يَقُومَ الْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ- بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِهِ- وَ بَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ- وَ حَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ- كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ- إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ- وَ إِذَا غَابَ اغْتَابَهُ- وَ حَتَّى يَكُونَ أَعْظَمَكُمْ فِيهَا عَنَاءً أَحْسَنُكُمْ بِاللَّهِ ظَنّاً- فَإِنْ أَتَاكُمُ اللَّهُ بِعَافِيَةٍ فَاقْبَلُوا- وَ إِنِ ابْتُلِيتُمْ فَاصْبِرُوا- فَ «إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ»

اللغه

أقول: نبا به المنزل : إذا لم يوافقه .و العناء : التعب .

المعنى

و الإشاره فى هذا الفصل إلى بنى اميّه فأقسم لا يزالون ظالمين فحذف الخبر للعلم به و ذكر لظلمهم غايات :

إحـداها:أنّهم لاـ يـدعون محرّمـا إلاّـ اسـتحلّوه،و أعظم كبـاير المحرّمـات الظلم و قتـل النفس و حـالهم فيهمـا مشـهور فما ظنّك بغيرهما،و معنى قوله:استحلّوه:استعملوه كاستعمال الحلال فى عدم التحرّج و التأثّم به .

الثانيه:أن لا يدعوا عقدا إلاّ حلّوه:أى من عقود الإسلام الّتى نظم بها أمر العالم من قوانين الشرع و ضوابطه،و حلّه كنايه عن حزم تلك القواعد بمخالفتها .

الثالثه: كنايه أنّه لا يبقى بيت مدر و لا وبر إلاّ دخله ظلمهم ،و هو كنايه عن عموم عداوتهم و بغيهم على جميع الخلق من البدو و الحضر ،و قوله: و نبا به سوء رعيهم :أى أوجب

ص:۴۰۹

سوء رعيهم لأهله نبوّهم عنه .

الرابعه:أن يقوم الباكيان باك يبكى لدينه،و باك يبكى لدنياه .

الخامسه: تشبيه و حتّى تكون نصره أحدكم من أحدهم كنصره العبد من سيّده ،ذكر المشبّه و المشبّه به ثمّ أشار إلى وجه الشبه بقوله: إذا شهد أطاعه و إذا غاب اغتابه .

العاشر: و حتّى يكون أعظمكم فيها عناء أحسنكم باللّه ظنّا ،و إنّما كان كذلك لأنّ من حسن الظنّ باللّه كان أشدّ الناس بعدا منهم و توكّلا عليه فيكونون عليه أشد كلبا و له أقوى طلبا فكان منهم أكثر تعبا ،ثمّ أردف ذلك بأمر من أتته العافيه أن يقبلها، و يشكر اللّه عليها نعمه،و أراد العافيه من الابتلاء بشرورهم لبعض الناس أو بقائم عدل مخلص من بلائهم،و يأمر من ابتلى بهم بالصبر على ما ابتلى به و وعده على ذلك بحسن العافيه لازما للتقوى و الصبر كما قال تعالى «فَاصْبِرْ إِنَّ الْعاقِبَهَ لِلْمُتَّقِينَ»

ص:۴۱۰

فهرست أهمّ مطالب ما فی هذا الجزء

الخطبه الثانیه و العشرین ألقاها لتأدیب الفقراء بترک الحسد و الأغنیاء بالشفقّه علی الفقراء و مواساتهم.۳

ذمّ الریاء و العمل لغیر اللّه تعالی.۹

حسن الاعتضاد بالعشیره و لین الجانب للخلق.۱۳

الخطبه الثالثه و العشرین ألقاها فی ردّ من یقول إنّ متابعته علیه السّلام لمحاربیه و مخالفیه و مداهنتهم أولی من محاربتهم.۱۴

معنی الفرار إلی اللّه،و بیان ما له من المراتب.۱۵

الخطبه الرابعه و العشرین ألقاها حین تواترت علیه الأخبار باستیلاء أصحاب معاویه علی البلاد،و غلبه بسر بن أرطاه علی عاملیه بیمن.۱۶

الخطبه الخامسه و العشرین ألقاها فی ذکر بعض أسباب غایه البعثه.۲۳

شرح حاله علیه السّلام بعد وفات رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم.۲۶

ذکر عمرو بن العاص و مبایعته معاویه.۲۸

الخطبه السادسه و العشرین ألقاها حین بلغه أنّ سفیان بن عوف الغامدی قد ورد فی خیل المعاویه إلی الأنبار و قتل عامله حسّان بن حسّان البکری.۲۹

بیان الفرق بین الجهاد و سائر العبادات.۳۳

الخطبه السابعه و العشرین یذکر فیها تنبیهات لطیفه علی وجوب النفار عن الدنیا و عدم الرکون إلیها.۳۹

بیان أنّ من لم ینفعه الحقّ یضرّه الباطل.۴۷

ص:۴۱۱

الخطبه الثامنه و العشرین ألقاها حین بلغه غاره ضحاک بن قیس بعد قصّه الحکمین.۴۹

کلامه الجاری مجری الخطبه التاسعه و العشرین فی معنی قتل عثمان.۵۴

کلامه الجاری مجری الخطبه الثلاثین لابن العبّاس لمّا أرسله إلی الزبیر.۵۹

الخطبه الإحدی و الثلاثین ألقاها فی بیان حقیقه الزهد،و تصنیف الناس ۶۲

بیان أقسام الخوف و أعلی أقسامه.۶۹

الخطبه الثانیه و الثلاثین ألقاها عند خروجه لقتال البصره.۷۱

الخطبه الثالثه و الثلاثین ألقاها فی استنفار الناس إلی أهل الشام.۷۶

الخطبه الرابعه و الثلاثین ألقاها بعد التحکیم.۸۴

الخطبه الخامسه و الثلاثین ألقاها فی تخویف أهل النهروان.۸۹

کلامه الجاری مجری الخطبه السادسه و الثلاثین ذکر فیه حاله منذ توفّی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلّم إلی آخر وقته.۹۲

الخطبه السابعه و الثلاثین ألقاها فی بیان معنی الشبهه.۹۷

الخطبه الثامنه و الثلاثین خطب بها فی غاره النعمان بن بشیر بعین الثمر.۹۹

کلامه الجاری مجری الخطبه التاسعه و الثلاثین فی الخوارج لمّا سمع لا حکم إلاّ للّه.۱۰۱

الخطبه الأربعین ألقاها فی بیان معنی الوفاء و الصدق.۱۰۴

کلامه الجاری مجری الخطبه الإحدی و الأربعین فی النهی عن الهوی و طول الأمل.۱۰۶

کلامه الجاری مجری الخطبه الثانیه و الأربعین و قد أشار علیه أصحابه بالاستعداد للحرب بعد إرساله جریر ابن عبد اللّه البجلی إلی معاویه.۱۰۹

کلامه الجاری مجری الخطبه الثالثه و الأربعین لمّا هرب مصقله بن هبیره الشیبانی إلی معاویه،۱۱۵

الخطبه الرابعه و الأربعين ألقاها يوم الفطر.۱۱۷

كلامه الجارى مجرى الخطبه الخامسه و الأربعين عند عزمه على المسير إلى الشام.۱۲۱

كلامه الجارى مجرى الخطبه السادسه و الأربعين فى ذكر الكوفه.۱۲۳

الخطبه السابعه و الأربعين ألقاها عند المسير إلى الشام.۱۲۵

الخطبه الثامنه و الأربعين ألقاها فى بيان جمله من الصفات الربوبيّه.۱۲۶

الخطبه التاسعه و الأربعين ألقاها فى بيان بدء وقوع الفتن.۱۳۳

كلامه الجارى مجرى الخطبه الخمسين لمّا غلب أصحاب معاويه أصحابه على الشريعه للفرات بصفّين و منعوهم الماء.۱۳۵

الخطبه الإحدى و الخمسين ألقاها فى المتّقين على الدنيا و التنبيه على عظيم ثواب اللّه و عظمه نعمه.۱۳۷

كلامه الجارى مجرى الخطبه الثانيه و الخمسين فى ذكر يوم النحر.۱۴۲

كلامه الجارى مجرى الخطبه الثانيه و الخمسين أشار فيه إلى صفات أصحابه بصفّين.۱۴۳

كلامه الجارى مجرى الخطبه الرابعه و الخمسين لمّا استبطأ أصحابه إذنه لهم فى القتال بصفّين.۱۴۵

كلامه الجارى مجرى الخطبه الخامسه و الخمسين فى توبيخ أصحابه على ترك الجهاد و التقصير فيه.۱۴۶

كلامه الجارى مجرى الخطبه السادسه و الخمسين فى الإخبار بما سيكون لأصحابه من الابتلاء بسبّه.۱۴۸

كلامه الجارى مجرى الخطبه السابعه و الخمسين كلّم به الخوارج.۱۵۱

كلامه الجارى مجرى الخطبه الثامنه و الخمسين لمّا عزم على حرب الخوارج.۱۵۲

كلامه الجارى مجرى الخطبه التاسعه و الخمسين لمّا خوف من الغيله.۱۵۶

ص:۴۱۳

الخطبه السّتین ألقاها فی التحذیر من الدنیا.۱۵۸

الخطبه الإحدی و السّتین ألقاها فی التنفیر عن الدنیا و الترغیب فی الآخره.۱۶۱

الخطبه الثانیه و السّتین أشار فیها إلی مباحث لطیفه من العلم الإلهیّ.۱۶۸

کلامه الجاری مجری الخطبه الثالثه و السّتین کان یقوله لأصحابه فی بعض أیّام صفّین.۱۷۸

کلامه الجاری مجری الخطبه الرابعه و السّتین فی معنی الأنصار.۱۸۳

کلامه الجاری مجری الخطبه الخامسه و السّتین لمّا قلد محمّد بن أبی بکر مصر فملکت علیه فقتل.۱۸۶

کلامه الجاری مجری الخطبه السادسه و السّتین فی توبیخ أصحابه لتقاعدهم عن النهوض معه إلی حرب أهل الشام.۱۸۸

کلامه الجاری مجری الخطبه السابعه و السّتین فی سحره الیوم الّذی ضرب فیه.۱۹۱

الخطبه الثامنه و السّتین فی ذمّ أهل العراق.۱۹۲

الخطبه التاسعه و السّتین ألقاها لتعلیم الناس الصلاه علی النبیّ صلی اللّه علیه و آله و سلّم.۱۹۵

کلامه الجاری مجری الخطبه السبعین قاله لمروان بن الحکم بالبصره.۲۰۳

کلامه الجاری مجری الخطبه الإحدی و السبعین لمّا عزموا علی بیعه عثمان.۲۰۴

کلامه الجاری مجری الخطبه الثانیه و السبعین لمّا بلغه اتّهام المشارکه فی دم عثمان.۲۰۶

الخطبه الثالثه و السبعین استنزل فیها الرحمه لعبد استجمع ما ذکر فیه من الامور.۲۰۷

کلامه الجاری مجری الخطبه الرابعه و السبعین فی الردّ علی سعید بن العاص ۲۱۲

کلامه الجاری مجری الخطبه الخامسه و السبعین کان علیه السّلام یدعو به.۲۱۳

کلامه الجاری مجری الخطبه السادسه و السبعین قاله لبعض أصحابه لمّا عزم علی المسیر إلی الخوارج.۲۱۵

ذکر ما یلوح من سرّ نهی الحکمه النبویّه عن تعلّم النجوم.۲۱۶

وجوه المشابهه بین المنجّم و الکاهن و الساحر و الکافر.۲۲۱

الخطبه السبعه و السبعین أنشأها بعد حرب الجمل فی ذمّ النساء.۲۲۳

کلامه الجاری مجری الخطبه الثامنه و السبعین فی التفسیر الزهد و لوازمه.۲۲۵

کلامه الجاری مجری الخطبه التاسعه و السبعین فی صفه الدنیا.۲۲۷

الخطبه الثمانین تسمی الغراء یذکر فیها بعض نعوت جلاله،و الوصیّه بتقوی اللّه و التنفیر عن الدنیا،و بعض مباحث المعاد الجسمانیّ.۲۳۰

دفع ما یتوهم من الشبهه فی المعاد الجسمانیّ.۲۴۰

بیان مراتب الایمان بما جاء من عذاب القبر و السئوال.۲۶۵

کلامه الجاری مجری الخطبه الحادیه و الثمانین فی ذکر عمرو بن العاص.۲۶۹

الخطبه الثانیه و الثمانین ألقاها لإثبات ثمانی صفات من صفات الجلال.۲۷۳

الخطبه الثالثه و الثمانین ألقاها فی الموعظه و المشوره.۲۷۹

الخطبه الرابعه و الثمانین ألقاها فی بیان صفات المتّقین.۲۸۸

الخطبه الخامسه و الثمانین ألقاها فی توبیخ الامّه علی اختلاف آرائهم.۳۰۵

الخطبه السادسه و الثمانین ألقاها فی تذکیرهم بنعمه اللّه و منها بعثه الرسول.۳۱۰

الخطبه السابعه و الثمانین ألقاها فی تمجید اللّه سبحانه باعتبارات إضافیّه له.۳۱۵

الخطبه الثامنه و الثمانین تعرف بخطبه الأشباح.۳۲۲

الردّ علی المشبهه بدلیل العقل و النقل.۳۳۹

الردّ علی من تحلّاه سبحانه بحلیه المخلوق.۳۴۱

بیان کیفیّه خلق السماء.۳۴۷

ذکر ما للنیرین من البروج و المنازل.۳۴۹

فی وصف الملائکه الّذین هم أشرف الموجودات الممکنه بکمال العبودیّه للّه.۳۵۴

شرح ما أوهب اللّه تعالی لآدم و شرفه به من العقل و استحقاق القرب إلیه.۳۷۹

الخطبه التاسعه و الثمانین ألقاها لمّا ارید قبل البیعه بعد قتل العثمان.۳۸۵

الخطبه التسعین ألقاها فی بیان فضیلته،و رذیله بنی امیّه.۳۸۷

الخطبه الحادیه و التسعین ألقاها فی بیان وحده الدین و بعض أوصاف عتره النبیّ.۳۹۴

الخطبه الثانیه و التسعین ألقاها فی فضیله النبیّ صلی اللّه علیه و آله و سلّم.۳۹۹

الخطبه الثالثه و التسعین أثنی علی اللّه سبحانه باعتبارات و أشار إلی أوصاف النبیّ ۴۰۰

کلامه الجاری مجری الخطبه الرابعه و التسعین فی أصحابه و أصحاب رسول اللّه.۴۰۲

کلامه الجاری مجری الخطبه الخامسه و التسعین یشیر فیه إلی ظلم بنی امیّه فهرست.۴۰۹

۴۱۱.

المجلد ٣

اشاره

ص :١

تتمه باب الخطب

اشاره

«بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ»

۹۶–و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

نَحْمَدُهُ عَلَی مَا کَانَ- وَ نَسْتَعِینُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلَی مَا یَکُونُ- وَ نَسْأَلُهُ الْمُعَافَاهَ فِی الْأَدْیَانِ- کَمَا نَسْأَلُهُ الْمُعَافَاهَ فِی الْأَبْدَانِ- عِبَادَ اللَّهِ أُوصِیکُمْ بِالرَّفْضِ- لِهَذِهِ الدُّنْیَا التَّارِکَهِ لَکُمْ- وَ إِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرْکَهَا- وَ الْمُبْلِیَهِ لِأَجْسَامِکُمْ وَ إِنْ کُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِیدَهَا- فَإِنَّمَا مَثَلُکُمْ وَ مَثَلُهَا کَسَفْرٍ- سَلَکُوا سَبِیلاً فَکَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ- وَ أَمُّوا عَلَماً فَکَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ- وَ کَمْ عَسَی الْمُجْرِی إِلَی الْغَایَهِ- أَنْ یَجْرِیَ إِلَیْهَا حَتَّی یَبْلُغَهَا- وَ مَا عَسَی أَنْ یَکُونَ بَقَاءُ مَنْ لَهُ یَوْمٌ لاَ یَعْدُوهُ- وَ طَالِبٌ حَثِیثٌ یَحْدُوهُ- فِی الدُّنْیَا حَتَّی یُفَارِقَهَا فَلاَ تَنَافَسُوا فِی عِزِّ الدُّنْیَا وَ فَخْرِهَا- وَ لاَ تَعْجَبُوا بِزِینَتِهَا وَ نَعِیمِهَا- وَ لاَ تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَّائِهَا وَ بُؤْسِهَا- فَإِنَّ عِزَّهَا وَ فَخْرَهَا إِلَی انْقِطَاعٍ- وَ زِینَتَهَا وَ نَعِیمَهَا إِلَی زَوَالٍ- وَ ضَرَّاءَهَا وَ بُؤْسَهَا إِلَی نَفَادٍ- وَ کُلُّ مُدَّهٍ فِیهَا إِلَی انْتِهَاءٍ- وَ کُلُّ حَیٍّ فِیهَا إِلَی فَنَاءٍ- أَ وَ لَیْسَ لَکُمْ فِی آثَارِ الْأَوَّلِینَ مُزْدَجَرٌ وَ فِی آبَائِکُمُ الْأَوَّلِینَ تَبْصِرَهٌ وَ مُعْتَبَرٌ- إِنْ کُنْتُمْ تَعْقِلُونَ- أَ وَ لَمْ تَرَوْا إِلَی الْمَاضِینَ مِنْکُمْ لاَ یَرْجِعُونَ- وَ إِلَی

الْخَلَفِ الْبَاقِینَ لَا یَبْقَوْنَ- أَ وَ لَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْیَا- یُصْبِحُونَ وَ یُمْسُونَ عَلَی أَحْوَالٍ شَتَّی- فَمَیِّتٌ یُبْکَی وَ آخَرُ یُعَزَّی- وَ صَرِیعٌ مُبْتَلًی وَ عَائِدٌ یَعُودُ- وَ آخَرُ بِنَفْسِهِ یَجُودُ- وَ طَالِبٌ لِلدُّنْیَا وَ الْمَوْتُ یَطْلُبُهُ- وَ غَافِلٌ وَ لَیْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ- وَ عَلَی أَثَرِ الْمَاضِی مَا یَمْضِی الْبَاقِی- أَلَا فَاذْکُرُوا هَاذِمَ اللَّذَّاتِ- وَ مُنَغِّصَ الشَّهَوَاتِ- وَ قَاطِعَ الْأُمْنِیَاتِ- عِنْدَ الْمُسَاوَرَهِ لِلْأَعْمَالِ الْقَبِیحَهِ- وَ اسْتَعِینُوا اللَّهَ عَلَی أَدَاءِ وَاجِبِ حَقِّهِ- وَ مَا لَا یُحْصَی مِنْ أَعْدَادِ نِعَمِهِ وَ إِحْسَانِهِ

اللغه

أقول: الرفض : الترک .و السفر:

المسافرون .و أمّوا: قصدوا .و یعدوه:

یتعدّاه .و یحدوه: یسوقه .و المساوره: المواثبه .

المعنی

فقوله:نحمده.إلی قوله:فی الأبدان .

فقوله: نحمده .إلی قوله: فی الأبدان.

خصّص الحمد بما کان لأنّ الشکر علی النعمه مترتّب علی وقوعها.و الاستعانه علی ما یکون لأنّ طلب العون علی أمر هو بصدد أن یفعل.ثمّ سأل العافیه فی الأدیان کما سألها فی الأبدان لأنّ لها سقما هو فی الحقیقه أشدّ،و قیل لأعرابیّ:ما تشتکی؟قال:ذنوبی.فقیل:ما تشتهی؟قال:الجنّه.فقیل:أ فلا ندعو لک طبیبا؟فقال:الطبیب أمرضنی،و سمعت عصره(عنتره خ)العابده البصریّه رجلًا یقول:ما أشدّ العمی علی من کان بصیرا فقالت:یا عبد اللّه غفلت عن مرض الذنوب و اهتممت بمرض الأجساد،و عمی القلب عن اللّه أشدّ.و المعافاه فیها بامداد العنایه الإلهیّه ببقائها سلیمه و بتدارکها للمذنبین بجذبهم إلی التوبه . ثمّ أردف ذلک بالرأی الصالح و الوصیّه الناصحه برفض الدنیا،و نفّر عنها بذکر معایب:

أحدها:ترکها لهم علی کلّ حال و إن لم یحبّوا ترکها،و من أکبر

المصالح ترک محبوب لا ـ بدّ من مفارقته ترکا باستدراج النفس و استغفالها کی لا یقدحها مفارقته دفعه مع تمکّن محبّته عن جوهرها فیبقی کمن نقل من معشوقه إلی موضع ظلمانیّ شدید الظلمه .

الثانی: تشبیه کونها مبلیه لأجسامهم و إن أحبّوا تجدیدها و إبلائها بالأمراض و الهرم،و من شأن الموذی أن یجتنب لا أن یحبّ إصلاحه .ثمّ أردف ذلک بتمثیلهم فی الکون بها فمثّلهم بالسفر و مثّلها بسبیل هم سالکوه،و من سلک سبیلا فکأنّهم قطعوه فالمشبّه هم باعتبار سرعه سیرهم و قرب الآخره منهم و قطع منازل الأعمار، و المشبّه به قاطع ذلک السبیل:أی من سلک سبیلا أشبه فی سرعه سیره من قطعه ثمّ لمّا کان لا بدّ لکلّ طریق سلک من غایه یقصد فمن سلک سبیلا فکأنّهم بلغوا تلک الغایه:أی أشبهوا فی قرب وصولها من بلغها و هو تخویف بالموت و ما بعده و تحقیر لمدّه البقاء فی الدنیا و المقام فیها ،و أکّد ذلک بقوله: و ما عسی المجری إلی الغایه أن یجری إلیها حتّی یبلغها :أی إجرائه إلیها بسیر سریع،و فی بعض النسخ: و کم عسی ،و التقدیر و کم یرجو الّذی یجری إلی غایه من إجرائه إلیها حتّی یبلغها،و هو استفهام فی معنی التحقیر لما یرجوه من مدّه الجری،و هی مدّه الحیاه الدنیا،و مفعول المجری محذوف و التقدیر المجری مرکوبه.و لمّا لم یکن الغرض إلّا ذکر الإجراء لا جرم حذف المفعول.و قد یجیء لازما،و کذلک استعاره بالکنایه قوله: و ما عسی أن یکون بقاء من له یوم لا یعدوه.إلی قوله:یفارقها :أی و ما یرجی و یؤمل أن یکون من ذلک البقاء،و کان هنا تامّه و هو فی الموضعین استفهام علی سبیل التحقیر لما یرجی من البقاء فی الدنیا و الانکار علی المؤمّل الراجی له ، و عنی بالطالب الحثیث الموت و أسند إلیه الطلب مجازا و استعار له لفظ الحد و، و قد علمت وجه هذه الاستعاره،و کنّی بذلک الحد و عمّا یتوهّم من سوق أسباب الموت للبدن إلیه .

و قوله:و لا تنافسوا.إلی قوله:إلی فناء .

و قوله: و لا تنافسوا.إلی قوله:إلی فناء.

نهی عن اعتبار شیء من أحوالها:خیرها و شرّها.فمن خیرها عزّها و فخرها

ص:۴۰

و زينتها و نعيمها،و نهى عن المنافسه فيه و الاعجاب به،و أمّا شرّها فضرّائها و شدائدها ،و نهى عن الجزع منها و علّل وجوب الانتهاء عمّا نهى عنه بانقطاعه و زواله .

و ما كان من شأنه الزوال و الانقطاع فمن الواجب أن لا يتنافس فيه و لا يعجب به و إن عدّ نافعا،و أن لا يجزع من وجوده و إن عدّ ضارّا.

و قوله:أ و ليس لكم فى آثار الأوّلين.إلى قوله:لا يبقون .

و قوله: أ و ليس لكم فى آثار الأوّلين.إلى قوله:لا يبقون.

تذكره لهم بآثار السابقين لهم و الماضين من آبائهم على سبيل استفهامهم عن حصول العبره لهم بهم استفهام إنكار عليهم أن لا يستفيدوا من ذلك عبره على تقدير أنّهم عقلاء كما يزعمون ذلك ثمّ تنبيه لهم على وجه الاعتبار و الاتّعاظ و هو عدم رجوع الماضى منهم و عدم بقاء الباقى فإنّ ذلك محلّ العبره ثمّ تنبيه لهم على ما يرون من أحوال أهل الدنيا المختلفه لستدلّوا على عدم بقائها باختلاف أحوالها و على أنّها لا تصلح قرارا فأهلها بين ميّت يبكى،و آخر يعزّى،و آخر صريع مبتلى بالأمراض و الأسقام ،و آخر يعوده مشغول الخاطر به،و آخر فى المعاوقه و الاحتضار، و السالم من تلك الامور طالب للدنيا و الموت من ورائه طالب له غافل عمّا يراد به و ليس اللّه بغافل عنه ثمّ لا بدّ له أن يمضى على أثر من مضى و إن طال بقائه،و ما فى ما يمضى مصدريّه،و إنّما قدّم الميّت فى أقسام أهل الدنيا لأنّ ذكره أشدّ موعظه، استعاره و استعار لفظ الجود للمحتضر،و وجه المشابهه أنّه يسمح بنفسه و يسلّمها كما يسلّم الجواد ما يعطيه من مال ثمّ أمرهم بذكر الموت و وصفه بلوازمه المنفّره عنه و هى كونه هادما للّذّات الدنيويّه،و منغّصا لشهواتها و قاطعا للامتيّات فيها، و عيّن لهم وقت ذكره و هو عند وثباتهم إلى الأعمال القبيحه ليكون ذكره زاجرا لهم عنها ثمّ بالرغبه إلى اللّه فى طلب معونته بجواذب عنايته و جميل لطفه على أداء واجب حقوقه الّتى كلّفنا القيام بها بالمواظبه عليها و أداء واجب ما لا يحصى من نعمه بدوام شكرها و الاعتراف بها ملاحظين لجلال كبريائه باعتبار كلّ جزئىّ منها .و باللّه التوفيق.

ص:۵

٩٧-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ النَّاشِرِ فِی الْخَلْقِ فَضْلَهُ- وَ الْبَاسِطِ فِیهِمْ بِالْجُودِ یَدَهُ- نَحْمَدُهُ فِی جَمِیعِ أُمُورِهِ- وَ نَسْتَعِینُهُ عَلَی رِعَایَهِ حُقُوقِهِ- وَ نَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ غَیْرُهُ- وَ أَنَّ؟مُحَمَّداً؟ عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ- أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعاً وَ بِذِکْرِهِ نَاطِقاً- فَأَدَّی أَمِیناً وَ مَضَی رَشِیداً- وَ خَلَّفَ فِینَا رَایَهَ الْحَقِّ- مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ- وَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ- وَ مَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ- دَلِیلُهَا مَکِیثُ الْکَلاَمِ- بَطِیءُ الْقِیَامِ سَرِیعٌ إِذَا قَامَ- فَإِذَا أَنْتُمْ أَلَنْتُمْ لَهُ رِقَابَکُمْ- وَ أَشَرْتُمْ إِلَیْهِ بِأَصَابِعِکُمْ- جَاءَهُ الْمَوْتُ فَذَهَبَ بِهِ- فَلَبِثْتُمْ بَعْدَهُ «ما شاءَ اللّهُ» حَتَّی یُطْلِعَ اللَّهُ لَکُمْ مَنْ یَجْمَعُکُمْ وَ یَضُمُّ نَشْرَکُمْ- فَلاَ تَطْمَعُوا فِی غَیْرِ مُقْبِلٍ- وَ لاَ تَیْأَسُوا مِنْ مُدْبِرٍ- فَإِنَّ الْمُدْبِرَ عَسَی أَنْ تَزِلَّ بِهِ إِحْدَی قَائِمَتَیْهِ- وَ تَثْبُتَ الْأُخْرَی فَتَرْجِعَا حَتَّی تَثْبُتَا جَمِیعاً- أَلاَ إِنَّ مَثَلَ ؟آلِ مُحَمَّدٍ ص؟ کَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ- إِذَا خَوَی نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ- فَکَأَنَّکُمْ قَدْ تَکَامَلَتْ مِنَ اللَّهِ فِیکُمُ الصَّنَائِعُ- وَ أَرَاکُمْ مَا کُنْتُمْ تَأْمُلُونَ

اللغه

أقول: مرق: خرج من الدین .و زهق: هلک .و المکیث: البطیء المتأنّی.

و خوی النجم: سقط للمغیب .و الصنیعه: النعمه .

المعنی

اشاره

و هذا الفصل یشتمل علی إعلامهم بما یکون بعده من أمر الأئمّه و تعلیمهم ما ینبغی أن یفعل الناس معهم و یمنّیهم بظهور إمام من آل محمّد عقیب آخر،و وعدهم

ص:۶

بتكامل صنايع اللّه فيهم بما يأمّلونه من ظهور إمام منتظر.

فقوله:الحمد للّه.إلى قوله:حقوقه .

فقوله: الحمد للّه.إلى قوله:حقوقه.

شكر له تعالى باعتبار أمرين:أحدهما:نشره لفضله فى خلقه .الثانى: مجاز من باب إطلاق اسم السبب على المسبّب-استعاره بسطه فيهم بالجود يده ،و يده نعمته مجازا لتقدّسه تعالى عن الجارحه،و هو من باب إطلاق اسم السبب على المسبّب،و ظاهر كون الجود مبدءا للنعمه،و النشر و البسط و إن كانا حقيقه فى الأجسام إلاّ أنّهما من الاستعارات الشائعه الّتى قاربت الحقيقه ثمّ أكّد ذلك الحمد بتعميمه باعتبار كلّ صادر عنه من رخاء و شدّه.إذ الشدائد اللاحقه من نعمه أيضا فإنّها إذا قوبلت بصبر جميل استلزمت ثوابا جزيلا كما قال تعالى «وَ بَشِّرِ الصّابِرِينَ» الآيه،و ظاهر أنّ أسباب النعم نعم و لمّا حمده على ما لحق من نعمائه طلب منه المعونه على رعايه واجب حقوقه ، استعاره و استعار لفظ الصادع للرسول و وجهها أنّه شقّ بأمر اللّه بيضه الشرك و قلوب المشركين فأخرج ما كان فيها من الكفر و الجهل و نطق بذكره تعالى فأودعها إيّاه فأدّى ما امر به أمينا عليه و قبضه اللّه إليه مرشدا له إلى حضره قدسه و منازل الأبرار من ملائكته،و صادعا و ناطقا و أمينا و رشيدا أحوال ،و أشار برايه الحقّ الّتى خلّفها رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم إلى كتاب اللّه و سنّته،و أشار بتقدّمها و التخلّف عنها إلى طرفى الإفراط و التفريط من فضيله الاستقامه عليها:أى أن من كان تحتها لاحقا بها فهو على حاقّ الوسط من الفضائل،و من تقدّمها كان على طرف الإفراط و قد تعدّى فى طلب الدين و أغلى فيه على جهل فمرق منه كما فعلت الخوارج،و من تخلّف عنها كان على طرف التفريط و التقصير فهلك فى طريق الضلال و الحيره، استعاره و لفظ الرايه مستعار،و وجه المشابهه كون الكتاب و السنّه مقصدين لتابعهما يهتدى بهما فى سبيل اللّه كما أنّ الرايه كذلك،و أشار بدليلهاإلى نفسه استعاره،و وجهها أنّ الإمام مظهر و مبيّن لأحكام الكتاب و السنّه و ما خفى منهما للسالكين إلى اللّه كما يرفع الرايه حاملها لتابعيه ليقتدوا به ثمّ أشار إلى صفات ذلك الدليل ، كنايه و كنّى بقوله: مكيث الكلام عن تروّيه و تثبّته فى أقواله و ما يشير به و يحكم ،و بقوله: بطىء القيام عن تأنّيه فى حركته فى وجوه المصالح إلى حين استثباته

الرأی الأصلح و وجه المصلحه ،و بقوله: سریع إذا قام .عن مبادرته إلی وجوه المصلحه و انتهاضه(انتهازه خ)الفرص ثمّ أخذ یذکّرهم بموته ،و کنّی بقوله: ألنتم له رقابکم.

من خضوعهم لطاعته و انقیادهم لأمره ،و بقوله: و أشرتم إلیه بالأصابع عن اشتهاره فیهم و تعیّنه و تعظیمهم له ،و أشار إلی أنّه إذا تمّ الإسلام به توفّی ،و نبّه بقوله: فلبثتم بعده «ما شاءَ اللّهُ» .إلی أنّهم یخلون عن إمام یجمعهم مدّه،و الاشاره إلی مدّه بنی امیّه، و بقوله: حتّی یطلع اللّه لکم.إلی قوله:نشرکم .علی أنّه لابدّ لهم بعد تلک المدّه من شخص یجمعهم،و طلوعه ظهوره و تعیّنه للریاسه بعد اختفاء.فقیل:هو الإمام المنتظر.و قیل:هو قائم بنی العبّاس بعد انقضاء دوله بنی أمیّه.

و قوله:فلا تطمعوا فی غیر مقبل .

و قوله: فلا تطمعوا فی غیر مقبل.

أی من لم یقبل علی طلب هذا الأمر ممّن هو أهله و متعیّن له و آثر ترکه إلی الخلوه باللّه فلا تطمعوا فیه فإنّ له باللّه شغلا عن کلّ شیء.و قیل:المراد بغیر المقبل من انحرف عن الدین بارتکاب منکر فإنّه لا یجوز الطمع فی أن یکون أمیرا لکم،و روی فلا تطعنوا فی عین مقبل:أی من أقبل علیکم من أهل البیت طالبا لهذا الأمر و هو أهل له فکونوا معه، کنایه و کنّی بالطعن فی عینه عن دفعه عمّا یرید .

و قوله:و لا تیأسوا من مدبر.إلی قوله:تثبتا جمیعا .

و قوله: و لا تیأسوا من مدبر.إلی قوله:تثبتا جمیعا.

أراد أنّ من أدبر عن طلب الخلافه ممّن هو أهل لها فلا ینبغی أن یحصل الإیاس من عوده و إقباله علی الطلب فلعلّه إنّما أدبر عن ذلک لاختلال بعض الشرائط الّتی یتعیّن علیه معها القیام، کنایه و کنّی عن اختلال بعض أحواله من قلّه ناصر و نحوه بزوال إحدی قائمتیه و بثبات الاخری من وجود بعض الشرائط کثبات أهلیّته للطلب أو بعض أنصاره معه،و بقوله: فترجعا حتّی تثبتا .عن تکامل شرائط قیامه و لا ینافی النهی عن الیأس هاهنا النهی عن الطمع فی غیر المقبل لجواز أن ینهی عن الطمع فیه حال إعراضه و إدباره عن الطلب لاختلال بعض شرائطه و النهی عن الإیاس منه لجواز حصول شرائط القیام فیه و تکاملها .

و قوله:ألا إنّ مثل آل محمّد.إلی قوله:طلع نجم .

تشبیه و قوله: ألا إنّ مثل آل محمّد.إلی قوله:طلع نجم.

تعیین للأئمّه من آل محمّد.قالت الإمامیّه:هم الاثنی عشر من أهل البیت.

و شبّههم بالنجوم و وجه التشبیه أمران:أحدهما:أنّهم یستضاء بأنوار هداهم فی سبیل اللّه کما یستضیء المسافر بالنجوم فی سفره و یهتدی بها .الثانی: کنایه ما أشار إلیه بقوله: کلما خوی نجم طلع نجم و هو کنایه عن کونهم کلّما خلا منهم سیّد قام سیّد،و الإمامیّه یستدلّون بهذا الکلام منه علیه السّلام علی أنّه لا یخلو زمان من وجود قائم من أهل البیت یهتدی به فی سبیل اللّه .

و قوله:فکأنّکم.إلی آخر .

و قوله: فکأنّکم.إلی آخر.

إشاره إلی منّه اللّه علیهم بظهور الإمام المنتظر و إصلاح أحوالهم بوجوده.

و وجدت له علیه السّلام فی أثناء بعض خطبه فی اقتصاص ما یکون بعده فصلا یجری مجری الشرح لهذا الوعد،و هو أن قال:یا قوم اعلموا علما یقینا أنّ الّذی یستقبل قائمنا من أمر جاهلیّتکم لیس بدون ما استقبل الرسول من أمر جاهلیّتکم و ذلک أنّ الامّه کلّها یومئذ جاهلیّه إلاّ من رحم اللّه فلا تعجلون فیجعل الخرق بکم،و اعلموا أنّ الرفق یمن و فی الإناه بقاء و راحه و الإمام أعلم بما ینکر،و لعمری لینزعنّ عنکم قضاه السوء و لیقبضنّ عنکم المراضین،و لیعزلنّ عنکم امراء الجور،و لیطهرنّ الأرض من کلّ غاش،و لیعملنّ فیکم بالعدل،و لیقومنّ فیکم بالقسطاس المستقیم، و لیتمنّأنّ أحیائکم لأمواتکم رجعه الکرّه عمّا قلیل فیعیشوا إذن فإنّ ذلک کائن.

للّه أنتم بأحلامکم کفّوا ألسنتکم و کونوا من وراء معایشکم فإنّ الحرمان سیصل إلیکم و إن صبرتم و احتسبتم و ائتلفتم أنّه طالب و ترکم و مدرک لثارکم و آخذ بحقّکم،و أقسم باللّه قسما حقا أنّ اللّه مع الّذین اتّقوا و الّذین هم محسنون .

۹۸-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

یشتمل علی ذکر الملاحم.

اَلْأَوَّلِ قَبْلَ کُلِّ أَوَّلٍ وَ اَلْآخِرِ بَعْدَ کُلِّ آخِرٍ- وَ بِأَوَّلِیَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لاَ أَوَّلَ لَهُ- وَ بِآخِرِیَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لاَ آخِرَ لَهُ وَ أَشْهَدُ أَنْ «لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ» شَهَادَهً- یُوَافِقُ فِیهَا السِّرُّ

الْإِعْلاَنَ- وَ الْقَلْبُ اللِّسَانَ- أَيُّهَا النَّاسُ «لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِی» - وَ لاَ يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عِصْيَانِی- وَ لاَ تَتَرَامَوْا بِالْأَبْصَارِ عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَهُ مِنِّی- فَوَالَّذِی فَلَقَ الْحَبَّهَ وَ بَرَأَ النَّسَمَهَ- إِنَّ الَّذِی أُنَبِّئُكُمْ بِهِ عَنِ؟النَّبِیِّ الْأُمِّیِّ ص؟- وَ اللَّهِ مَا كَذَبَ الْمُبَلِّغُ وَ لاَ جَهِلَ السَّامِعُ- لَكَأَنِّی أَنْظُرُ إِلَى ضِلِّيلٍ قَدْ نَعَقَ؟بِالشَّامِ؟- وَ فَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِی ضَوَاحِی؟كُوفَانَ؟- فَإِذَا فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ- وَ اشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ- وَ ثَقُلَتْ فِی الْأَرْضِ وَطْأَتُهُ- عَضَّتِ الْفِتْنَهُ أَبْنَاءَهَا بِأَنْيَابِهَا- وَ مَاجَتِ الْحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا- وَ بَدَا مِنَ الْأَيَّامِ كُلُوحُهَا- وَ مِنَ اللَّيَالِی كُدُوحُهَا- فَإِذَا أَيْنَعَ زَرْعُهُ وَ قَامَ عَلَى يَنْعِهِ- وَ هَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ وَ بَرَقَتْ بَوَارِقُهُ- عُقِدَتْ رَايَاتُ الْفِتَنِ الْمُعْضِلَهِ- وَ أَقْبَلْنَ كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ وَ الْبَحْرِ الْمُلْتَطِمِ- هَذَا وَ كَمْ يَخْرِقُ؟الْكُوفَهَ؟ مِنْ قَاصِفٍ- وَ يَمُرُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ- وَ عَنْ قَلِيلٍ تَلْتَفُّ الْقُرُونُ بِالْقُرُونِ- وَ يُحْصَدُ الْقَائِمُ- وَ يُحْطَمُ الْمَحْصُودُ يشتمل على ذكر الملاحم.

اللغه

أقول: [لا يجرمنّكم: أی لا يحملنّكم خ] . يجرمنّكم: يحقّ عليكم .و استهواه:

أماله .و الضليل: الكثير الضلال .و نعق: صاح .و فحص الطائر الأرض برجله :

بحثها .و الضواحی : النواحی البارزه .و كوفان: اسم للكوفه . فغرفوه: انفتح .

و فلان شديد الشكيمه: إذا كان قوّی النفس أبيّا و الكلوح : تكثر فی عبوس .

ص:۱۰

و الكدح: فوق الخدش .و أينع الزرع : نضج .و الحطم: الدقّ .

المعنى

اشاره

و مضـمون هـذا الفصـل بعـد توحيـد اللّه تحـذير السامعين عن عصـيانه و عن التغامر بتكـذيبه فيما بينهم فيما كان يخبرهم به من الامور المستقبله .فقوله: الأوّل و الآخر قد مضى تفسيرهما.

و قوله:بأوليّته وجب أن لا أوّل له .

و قوله: بأوليّته وجب أن لا أوّل له.

لمّا أراد بأولّيته كونه مبدءا لكلّ شـىء،و بآخريّته كونه غايه ينتهى إليها كلّ شـىء فى جميع أحواله كان بذلك الاعتبار يجب أن لاـ يكون له أوّل هو مبـدئه و لا آخر يقف عنـده و ينتهى ، كنايه و وصف شـهادته بأنّها الّتى يوافق السـرّ الإعلان و القلب اللسان كنايه عن خلوصـها عن شائبه النفاق و الجحود باللّه ثم أبّه بالناس و حذّرهم من شقاقه و عصيانه و تكذيبه فيما يقول و هو تقريع لمن ضعفت عين بصيرته عن إدراك فضله و إمكان الإخبار بما سيكون من مثله ثمّ أسند ما يريد أن يخبر به من ذلك و ما أخبر به إلى النبىّ صـلى اللّه عليه و آله و سـلم ليكون ذلك شـهاده لصـدقه،و أكّد ذلك بتنزيهه صـلى اللّه عليه و آله و سـلم و تنزيه السامع يعنى نفسه من الكذب فيما بلّغ عن ربّه و فيما سمع هو عنه،و قد بيّنا كيفيّه أخذه لهذه العلوم عنه فى المقدّمات .

و قوله:لكأنّى أنظر إلى ضليل قد نعق بالشام .

و قوله: لكأنّى أنظر إلى ضليل قد نعق بالشام.

من جمله إخباراته بما سـيكون،و الضـليل:قيل:إنّه اشار به إلى السفيانّى الدجّال.و قيل:إنّه إشاره إلى معاويه فإنّ مبدء ملكه بالشام و دعوته بها و انتهت غاراته إلى نواحى الكوفه و إلى الأنبار فى حياته عليه السّـلام كما عرفت ذلك من قبل ، استعاره بالكنايه و كنّى بفحصه براياته عن بلوغه إلى الكوفه و نواحيها كنايه بالمستعار ملاحظه لشـبهه بالقطاه المتّخـذه مفحصا ،و كـذلك فغرت فاغرته كنايه عن اقتحامه للناس كنايه بالمسـتعار أيضا ملاحظه لشـبهه بالأسد فى اقتحام فريسـته ،و اشـتداد شكيمته كنايه عن قوّه رأسه و شدّه بأسه.و أصله أنّ الفرس الجموح قوّى الرأس محتاج إلى قوّه الشكيمه و شدّتها ،و كذلك ثقل وطأته كنايه عن شدّه بأسه فى الأرض على الناس ، و الأشبه أنّه إشاره إلى عبد الملك،و قد عرفت أحواله،و ثقل وطأته فى الأرض

فيما سبق ، استعاره مرشحه و استعار لفظ العضّ للفتنه و وجه المشابهه ما يستلزمانه من الشدّه و الألم،و رشّح تلك الاستعاره بذكر الأنياب،و أبناء الفتنه أهلها ، استعاره بالكنايه و كذلك استعار لفظ الموج للحرب ،و كنّى به عن الاختلاط الواقع فيها من القتل و الأهوال.و للأيّام لفظ الكلوح ،و كنّى به عن شدّه ما يلقى فيها من الشرّ كما يلقى من المعيس المكثر ، و كذلك لفظ الكدوح استعاره لما يلقى فيها من المصائب الشبيهه بها ،و لفظ الزرع استعاره لأعماله و لفظ الإيناع كنايه عن بلوغه غايه أفعاله و لفظ الشقاشق و البروق استعاره لحركاته الهائله و أقواله المخوفه تشبيها بالسحاب ذى الشقاشق و البروق .

و قوله:عقدت رايات الفتن المعضله .

تشبيه و قوله: عقدت رايات الفتن المعضله.

أى:أنّ هذه الفتنه إذا قامت أثارت فتنا كثيره بعدها يكون فيها الهرج و المرج ، و شبّه تلك الفتن فى إقبالها بالليل المظلم،و وجه المشابهه كونها لا يهتدى فيها لحقّ كما لا يهتدى فى ظلمه الليل لما يراد،و بالبحر الملتطم فى عظمها و خلطها للخلق بعضهم ببعض و انقلاب قوم على قوم بالمحقّ لهم و الهلاك كما يلتطم بعض أمواج البحر ببعض ، ثمّ أشار إلى ما يلحق الكوفه بسبب تلك الفتنه بعدها من الوقائع و الفتن،و قد وقع فيها وفق أخباره وقائع جمّه و فتن كثيره كفتنه الحجّاج و المختار بن أبى عبيده و غيرهما ، استعاره و استعار لفظى القاصف و العاصف من الريح لما يمرّ بها من ذلك و يجرى على أهلها من الشدائد .

و قوله:و عن قليل تلتفّ القرون بالقرون.إلى آخره .

استعاره بالكنايه و قوله: و عن قليل تلتفّ القرون بالقرون.إلى آخره.

أى عن قليل يلحق قرن من الناس بقرون،و كنّى بالتفاف بعضهم ببعض عن اجتماعهم فى بطن الأرض،و استعار لهم لفظ الحصد و الحطم لمشابهتهم الزرع يحصد قائمه و يحطم محصوده فكنّى بحصدهم عن موتهم أو قتلهم،و بحطم محصودهم عن فنائهم و تفرّق أوصالهم فى التراب.

و أعلم أنّه ليس فى اللفظ دلاله واضحه على أنّ المراد بالضليل المذكور معاويه بل يحتمل أن يريد به شخصا آخر يظهر فيما بعد بالشام كما قيل:إنّه السفيانىّ الدجّال و إن كان الاحتمال الأوّل أغلب على الظنّ.و باللّه التوفيق.

ص:١٢

۹۹-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

يجرى هذا المجرى.

القسم الأول

اشاره

وَ ذَلِکَ يَوْمٌ يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَ الْآخِرِينَ- لِنِقَاشِ الْحِسَابِ وَ جَزَاءِ الْأَعْمَالِ- خُضُوعاً قِيَاماً قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ- وَ رَجَفَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ- فَأَحْسَنُهُمْ حَالاً مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعاً- وَ لِنَفْسِهِ مُتَّسَعاً

اللغه

أقول:أشار باليوم إلى يوم القيامه .و نقاش الحساب: المناقشه و التدقيق فيه .

المعنى

اشاره

و قد عرفت كيفيّه ذلك اليوم فيما سبق و نحوه قوله تعالى «يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النّاسُ أَشْتاتاً لِيُرَوْا أَعْمالَهُمْ» (۱)الآيه.و خضوعا كقوله تعالى «خُشَّعاً أَبْصارُهُمْ» (۲)و قياما كقوله تعالى «يَوْمَ يَقُومُ النّاسُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ» و هما كنايه عن كمال براءتهم من حولهم و قوّتهم إذن و تيقّنهم أن لا سلطان إلاّ سلطانه . كنايه و ألجمهم العرق: بلغ منهم مكان اللجام، و هو كنايه عن بلوغهم الغايه من الجهد.إذ كانت غايه التاعب أن يكثر عرقه .

و قوله:و رجفت بهم الأرض .

و قوله: و رجفت بهم الأرض.

كقوله تعالى «يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَ الْجِبالُ» (۳)و «إِذا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا وَ بُسَّتِ الْجِبالُ بَسًّا» (۴)قال بعضهم:المراد بالأرض الراجفه و المرتجّه أرض القلوب عن نزول خشيه اللّه عليها و شدّه أهوال يوم القيامه،و قال آخرون:إنّ ذلك صرف الكلام عن ظاهره من غير ضروره فلا يجوز.إذ كلّ ما أخبر الصادق عنه من جزئيّات أحوال القيامه امور ممكنه،و القدره الإلهيّه وافيه بها.

و قوله:فأحسنهم حالاً من وجد لقدميه موضعا و لنفسه متّسعا .

و قوله: فأحسنهم حالاً من وجد لقدميه موضعا و لنفسه متّسعا.

قيل المراد من وجدت لقدما عقله موضعا من معرفه اللّه تعالى و عبادته،و من وجد لنفسه متّسعا فی حظائر قدس اللّه وسعه رحمته.و ظاهر أنّ أولئك أحسن الخلق حالا یوم القیامه،و حمله علی ظاهره موافقه لظاهر الشریعه ممکن.

۱- ۱) ۶-۹۹

۲- ۲) ۷-۴۵.

۳- ۳) ۱۴-۷۳

۴- ۴) ۴-۵۶.

القسم الثانی

اشاره

و منها :فِتَنٌ کَقِطَعِ اللَّیْلِ الْمُظْلِمِ- لَا تَقُومُ لَهَا قَائِمَهٌ وَ لَا تُرَدُّ لَهَا رَایَهٌ- تَأْتِیکُمْ مَزْمُومَهً مَرْحُولَهً- یَحْفِزُهَا قَائِدُهَا وَ یَجْهَدُهَا رَاکِبُهَا- أَهْلُهَا قَوْمٌ شَدِیدٌ کَلَبُهُمْ- قَلِیلٌ سَلَبُهُمْ- یُجَاهِدُهُمْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ قَوْمٌ أَذِلَّهٌ عِنْدَ الْمُتَکَبِّرِینَ- فِی الْأَرْضِ مَجْهُولُونَ- وَ فِی السَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ- فَوَیْلٌ لَکِ یَا؟بَصْرَهُ؟ عِنْدَ ذَلِکِ- مِنْ جَیْشٍ مِنْ نِقَمِ اللَّهِ- لَا رَهَجَ لَهُ وَ لَا حَسَّ- وَ سَیُبْتَلَی أَهْلُکِ بِالْمَوْتِ الْأَحْمَرِ- وَ الْجُوعِ الْأَغْبَرِ

اللغه

أقول: یحفزها: یدفعها من خلف .و الکلب: الشرّ .و الأذّله: جمع ذلیل .

و الرهج: الغبار .و الحسّ: الصوت الخفیّ .

المعنی

اشاره

و قد نبّه فی هذا الفصل علی ما سیقع بعده من الفتن،و یخصّ منها فتنه صاحب الزنج بالبصره و شبّه تلک الفتن بقطع اللیل المظلم،و وجه الشبه ظاهر . و لا- تقوم لها قائمه :أی لا یمکن مقابلتها بما یقاومها و یدفعها،و إنّما أنّث لکون القائمه فی مقابله الفتنه.و قیل:لا- تثبت لها قائمه فرس ، استعاره بالکنایه و استعار لفظ الزمام و الرحل و الحفز و القائد و الراکب و جهده لها ملاحظه لشبهها بالناقه،و کنّی بالزمام و الرحل عن تمام إعداد الفتنه و تعبیتها کما أنّ کمال الناقه للرکوب أن تکون مزمومه مرحوله،و بقائدها عن أعوانها،و براکبها عن منشئها المتبوع فیها،و بحفزها و جهدها عن سرعتهم فیها ،و أهلها إشاره إلی الزنج و ظاهر شدّه کلبهم و قلّه سلبهم.إذ یکونوا أصحاب حرب و عدّه و خیل کما یعرف ذلک من قصّتهم المشهوره کما سنذکر طرفاً منها فیما یستقبل من کلامه فی فصل آخر ،و قد وصف مقاتلیهم فی اللّه بکونهم أذلّه عند المتکبرین ،و کونهم مجهولین فی الأرض:أی لیسوا من أبناء الدنیا المشهورین بنعیمها ،و کونهم معروفین فی السماء هو إشاره إلی کونهم من أهل العلم و الایمان

يعرفهم ربّهم بطاعتهم و تعرفهم ملائكته بعباده ربّهم ثمّ أردف ذلك بأخبار البصره مخاطبا لها و الخطاب لأهلها بما سيقع بها من فتنه الزنج،و ظاهر أنّه لم يكن لهم غبار و لا أصوات.إذ لم يكونوا أهل خيل و لا قعقعه لجم فإذن لا رهج لهم و لا حسّ، و ظاهر كونهم من نقم اللّه للعصاه و إن عمّت الفتنه.إذ قلّما تخصّ العقوبه النازله بقوم بعضهم كما قال تعالى «وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً» (۱)

و قوله:و سيبتلى أهلك بالموت الأحمر و الجوع الأغبر .

و قوله: و سيبتلى أهلك بالموت الأحمر و الجوع الأغبر.

قيل:فالموت الأحمر إشاره إلى قتلهم بالسيف من قبل الزنج أو من قبل غيرهم، كنايه و وصفه بالحمره كنايه عن شدّته و ذلك لأنّ أشدّ الموت ما كان بسفك الدم .و أقول:

قد فسّره عليه السّلام بهلاكهم من قبل الغرق كما نحكيه عنه و هو أيضا فى غايه الشدّه لاستلزامه زهوق الروح،و كذلك وصف الأغبر لأنّ أشدّ الجوع ما أغبرّ معه الوجه و غبر السحنه الصافيه لقلّه مادّه الغذاء أو ردائه فذلك سمّى أغبر،و قيل:لأنّه يلصق بالغبراء و هى الأرض،و قد أشار إلى هذه الفتنه فى فصل من خطبته خطب بها عند فراغه من حرب البصره و فتحها و هى خطبه طويله حكينا منها فصولا تتعلّق بالملاحم.

من ذلك فصل يتضمن حال غرق البصره.فعند فراغه عليه السّلام من ذلك الفصل قام إليه الأحنف بن قيس فقال له:يا أمير المؤمنين و متى يكون ذلك.قال:يا أبا بحر إنّك لن تدرك ذلك الزمان و إنّ بينك و بينه لقرونا و لكن ليبلغ الشاهد منكم الغائب عنكم لكى يبلغوا إخوانهم إذا هم رأوا البصره قد تحوّلت أخصاصها دورا و آجامها قصورا فالهرب الهرب فإنّه لا بصيره لكم يومئذ ثمّ التفت عن يمينه فقال:كم بينكم و بين الإبلّه.فقال له المنذر بن الجارود:فداك أبى و أمّى أربعه فراسخ.قال له صدّقت فو الّذى بعث محمّدا و أكرمه بالنبوّه و خصّه بالرساله و عجّل بروحه إلى الجنّه لقد سمعت منه كما تسمعون منّى أن قال:يا علىّ هل علمت أن بين الّتى تسمّى البصره و الّتى تسمّى الإبلّه أربعه فراسخ و قد يكون فى الّتى تسمّى الإبلّه موضع أصحاب القشور يقتل فى ذلك الموضع من امّتى سبعون ألفا شهيدهم يومئذ بمنزله شهداء بدر فقال

ص:۱۵

۱- ۱) ۳۵-۸.

له المنذر:یا أمیر المؤمنین و من یقتلهم فداک أبی و امی؟قال:یقتلهم إخوان الجنّ و هم اجیل کأنّهم الشیاطین سود ألوانهم منتنه أرواحهم شدید کلبهم قلیل سلبهم طوبی لمن قتلهم و طوبی لمن قتلوه ینفر لجهادهم فی ذلک الزمان قوم هم أذلّه عند المتکبّرین من أهل ذلک الزمان مجهولون فی الأرض معروفون فی السماء تبکی السماء علیهم و سکّانها و الأرض و سکّانها ثمّ هملت عیناه بالبکاء ثمّ قال:ویحک یا بصره ویلک یا بصره من جیش لا رهج له و لا حسّ قال له المنذر یا امیر المؤمنین:و ما الّذی یصیبهم من قبل الغرق ممّا ذکرت،و ما الویح،و ما الویل؟فقال:هما بابان فالویح باب الرحمه،و الویل باب العذاب یا ابن الجارود نعم ثارات عظیمه منها عصبه یقتل بعضها بعضا،و منها فتنه تکون بها خراب منازل و خراب دیار و انتهاک أموال و قتل رجال و سبی نساء یذبّحن ذبحا یا ویل أمرهن حدیث عجب منها أن یستحلّ بها الدجّال الأکبر الأعور الممسوح العین الیمنی و الأخری کأنّها ممزوجه بالدم لکأنّها فی الحمره علقه تأتی الحدقه کهیئه حبّه العنب الطافیه علی الماء فیتبعه من أهلها عدّه،من قتل بالإبلّه من الشهداء أناجیلهم فی صدورهم یقتل من یقتل و یهرب من یهرب ثمّ رجف ثمّ قذف ثمّ خسف ثمّ مسخ ثمّ الجوع الأغبر ثمّ الموت الأحمر و هو الغرق.یا منذر إنّ للبصره ثلاثه أسماء سوی البصره فی الزبر الأوّل لا یعلمها إلّا العلماء منها الخریبه،و منها تدمر، و منها المؤتفکه یا منذر و الّذی فلق الحبّه و برىء النسمه لو أشاء لأخبرتکم بخراب العرصات عرصه عرصه و متی تخرب و متی تعمر بعد خرابها إلی یوم القیامه، و إنّ عندی من ذلک علما جمّا و إن تسألونی تجدونی به عالما لا أخطىء منه علما و لا وافیا، و لقد استودعت علم القرون الأولی و ما کائن إلی یوم القیامه.قال:فقام إلیه رجل فقال یا أمیر المؤمنین:أخبرنی من أهل الجماعه و من أهل الفرقه و من أهل السنّه و من أهل البدعه؟فقال:ویحک إذا سألتنی فافهم عنّی و لا علیک أن لا تسأل أحدا بعدی:أمّا أهل الجماعه فأنا و من اتّبعنی و إن قلّوا و ذلک الحقّ عن أمر اللّه و أمر رسوله،و أمّا أهل الفرقه فالمخالفون لی و لمن اتّبعنی و إن کثروا،و أمّا أهل السنّه فالمتمسّکون بما سنّه اللّه و رسوله لا العاملون برأیهم و أهوائهم و إن کثروا،

و قد مضى الفوج الأوّل و بقيت أفواج و على اللّه قصمها و استيصالها عن جديد الأرض.

و باللّه التوفيق.

۱۰۰-و من خطبه له عليه السّلام

القسم الأول

اشاره

أُنْظُرُوا إِلَى الدُّنْيَا نَظَرَ الزَّاهِدِينَ فِيهَا- الصَّادِفِينَ عَنْهَا- فَإِنَّهَا وَ اللَّهِ عَمَّا قَلِيلٍ تُزِيلُ الثَّاوِيَ السَّاكِنَ- وَ تَفْجَعُ الْمُتْرَفَ الْآمِنَ- لَا يَرْجِعُ مَا تَوَلَّى مِنْهَا فَأَدْبَرَ- وَ لَا يُدْرَى مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا فَيُنْتَظَرَ سُرُورُهَا مَشُوبٌ بِالْحُزْنِ- وَ جَلَدُ الرِّجَالِ فِيهَا إِلَى الضَّعْفِ وَ الْوَهْنِ- فَلَا يَغُرَّنَّكُمْ كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا- لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا- رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ- وَ اعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ- فَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ- وَ كَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الْآخِرَهِ- عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزَلْ- وَ كُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ- وَ كُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ- وَ كُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دَانٍ

اللغه

أقول: صدف: أعرض .و ثوى بالمكان: أقام به .و الفجيعه: المصيبه .

و الجلد: القوّه .

المعنى

و حاصل الفصل تزهيد الدنيا و التحذير منها فأمرهم أن ينظروا إليها نظر الزاهدين فيها المعرضين عنها أمر لهم بتركها و احتقارها إلّا بمقدار الضروره إلى ما تقوم به الضروره ثمّ أردفه بذكر معايبها المنفرّه :

فالأوّل:إزالتها للمقيم بها المطمئنّ إليها عمّا ركن إليه منها .

الثانى:فجيعتها للمترف المتنعّم بها الّذى خدعته بأمانيها حتّى أمن فيها بسلب ما ركن إليه و أمن عليه .

الثالث:کونها لا یرجع ما تولّی منها فأدبر من شباب و صحّه و مال و عمر و نحوه .

الرابع:کونها لا یدری ما هو آت من مصائبها فینتظر و یحترز منه .

الخامس:شوب سرورها بالحزن.إذ کان مسرورها لا یعدم فی کل أوان فوت مطلوب أو فقد محبوب .

السادس:انتهاء قوّه أهلها و جلدهم إلی الضعف کما قال تعالی «ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّهٍ ضَعْفاً وَ شَیْبَهً» (1)و زهّد بعض الصالحین فی الدنیا فقال:عیش مشوب بسقم منساق إلی هرم مختوم بعدم مستعقب بندم هل یجوز التنافس فیه .ثمّ نهی عن الاغترار بکثره ما یعجبهم منها و علّل حسن ذلک الانتهاء بقلّه ما یصحبهم منها فإنّ المنافسه إنّما ینبغی أن یکون باقیلا للإنسان حیث کان،و أشار بقلیل ما یصحبهم منها إلی الکفن و نحوه .ثمّ دعا لمن تفکّر فأفاده فکره عبره:أی انتقال ذهن إلی ما هو الحقّ من وجوب ترک الدنیا و العمل للآخره فإفاده ذلک الانتقال إدراکا للحقّ و مشاهده ببصر البصیره له تشبیه ثمّ أردفه بتشبیه وجود متاع الدنیا الحاضر بعدمه تنبیها علی سرعه لحوق عدمه بوجوده فکأنّ وجوده شبیه بأن لم یکن لسرعه زواله و کذلک تشبیه عدم الآخره الآن و ما یلحق فیها من الثواب و العقاب بوجودها الدائم:أی کأنّها لسرعه وجودها و لحوقها لم تزل موجوده ، و نبّه بقوله: و کلّ معدود منقض .علی انقضاء مدد الأعمار لکونها معدوده الأیّام و الساعات و الأنفاس .

و قوله: و کلّ متوقّع آت و کلّ آت قریب دان.

فی صوره الضرب الأوّل من الشکل الأوّل.و نتیجته فکلّ متوقّع قریب دان.

و الإشاره به إلی الموت و ما بعده.

القسم الثانی

اشاره

:اَلْعَالِمُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ- وَ کَفَی بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَلَّا یَعْرِفَ قَدْرَهُ- وَ إِنَّ مِنْ أَبْغَضِ الرِّجَالِ إِلَی اللَّهِ تَعَالَی لَعَبْداً- وَکَلَهُ اللَّهُ إِلَی نَفْسِهِ- جَائِراً عَنْ قَصْدِ السَّبِیلِ-

ص:۱۸

۱- ۱) ۵۳-۳۰.

سَائِراً بِغَيْرِ دَلِيلٍ- إِنْ دُعِیَ إِلَی حَرْثِ الدُّنْیَا عَمِلَ- وَ إِنْ دُعِیَ إِلَی حَرْثِ الْآخِرَهِ کَسِلَ- کَأَنَّ مَا عَمِلَ لَهُ وَاجِبٌ عَلَیْهِ- وَ کَأَنَّ مَا وَنَی فِیهِ سَاقِطٌ عَنْهُ

المعنی

أقول:حصر العالم فیمن عرف قدره،و أراد بقدره مقداره من ملک اللّه و محلّه من الوجود،و لمّا کان عرفانه بذلک مستلزما لمعرفته بنسبته إلی مخلوقات اللّه فی العالمین و أنّه أیّ شیء هو منها،و لأیّ شیء وجد لا جرم کان هو العالم اللازم لحدّه السالک لما امر به غیر المتعدّی طوره المرسوم له فی کتاب ربّه و سنن أنبیائه .

و قوله: و کفی بالمرء جهلا أن لا یعرف قدره.

لمّا کان العلم مستلزما لمعرفه القدر کان عدم معرفه القدر مستلزما لعدم العلم و هو الجهل لأنّ نقیض اللازم یستلزم نقیض الملزوم،و قوله: و کفی بذلک الجهل .إشاره إلی قوّته و استلزامه للعذاب .

و قوله: و إنّ من أبغض الرجال إلی اللّه.إلی قوله:قصد السبیل.

قد سبق بیانه .

کنایه و قوله: سائرا بغیر دلیل.

کنّی بالدلیل عن أئمّه الهدی و المرشدین إلی اللّه،و یدخل فی ذلک الکتاب و السنّه.فإنّ من سار فی معاملته للّه أو لعباده بغیر دلیل منهما کان من الهالکین .

استعاره و قوله: إن دعی.إلی آخره.

استعار لفظ الحرث لأعمال الدنیا و أعمال الآخره،و وجه المشابهه کونها مستلزمه للمکاسب الاخرویّه و الدنیویّه کما أنّ الحرث کذلک ،ثمّ شبّه ما عمل له من حرث الدنیا بالواجب علیه فی مبادرته إلیه و مواظبته علیه ،و شبّه ما قصّر عنه من حرث الآخره بالساقط عنه فرضه فی تکاسله و قعوده عنه مع أنّ الأمر منه ینبغی أن یکون بالعکس .و باللّه التوفیق.

القسم الثالث

اشاره

و منها :وَ ذَلِکَ زَمَانٌ لاَ یَنْجُو فِیهِ إِلاَّ کُلُّ مُؤْمِنٍ نُوَمَهٍ- إِنْ شَهِدَ لَمْ یُعْرَفْ وَ إِنْ غَابَ لَمْ یُفْتَقَدْ- أُولَئِکَ مَصَابِیحُ الْهُدَی وَ أَعْلاَمُ السُّرَی-

لَيْسُوا بِالْمَسَايِيحِ وَ لاَ الْمَذَايِيعِ الْبُذُرِ- أُولَئِكَ يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ- وَ يَكْشِفُ عَنْهُمْ ضَرَّاءَ نِقْمَتِهِ- أَيُّهَا النَّاسُ سَيَأْتِی عَلَيْكُمْ زَمَانٌ- يُكْفَأُ فِيهِ الْإِسْلاَمُ كَمَا يُكْفَأُ الْإِنَاءُ بِمَا فِيهِ- أَيُّهَا النَّاسُ- إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَاذَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ- وَ لَمْ يُعِذْكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ- وَ قَدْ قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ- «إِنَّ فِی ذلِكَ لَآياتٍ وَ إِنْ كُنّا لَمُبْتَلِينَ» قال الشريف:قوله عليه السّلام:«كل مؤمن نومه»فانما أراد به الخامل الذكر القليل الشر،و المساييح:جمع مسياح،و هو الذى يسيح بين الناس بالفساد و النمائم،و المذاييع:جمع مذياع،و هو الذى إذا سمع لغيره بفاحشه أذاعها و نوه بها،و البذر:جمع بذور و هو الذى يكثر سفهه و يلغو منطقه.

اللغه

أقول: النومه : كثير النوم،و روى نومه بسكون الواو.و هو ضعيف .

و كفأت الإناء: قلّبته لوجهه ،

المعنى

كنايه و كنّى بالنومه عن خامل الذكر بين الناس المشتغل بربّه عنهم كما فسّره عليه السّلام استعاره بقوله: إن شهد لم يعرف و إن غاب لم يفتقد ،و أشار بأولئك إلى كلّ مؤمن كذلك ،و استعار لهم لفظ المصابيح و الأعلام لكونهم أسباب الهدايه فى سبيل اللّه ،و قد سبق ذلك .

و قوله: ليسوا بالمساييح.إلى قوله:ضرّاء نقمته .ظاهر.و قد فسّر السيّد -رضوان اللّه عليه-مشكله .

تشبيه و قوله: أيّها الناس.إلى قوله:الإناء بما فيه.

إخبار بما سيكون من فساد أهل الزمان و ما يكون فيه من الفتن و ترك الدين كما سبق إشاراته،و شبّه قلبهم للزمان بقلب الإناء بما فيه و وجه الشبه خروج الإسلام عن كونه منتفعا به بعد تركهم للعمل به كما يخرج ما فى الإناء الّذى كبّ عن الانتفاع.و أحسن بهذا التشبيه.فإنّ الزمان للإسلام كإناء للماء ،و أشار إلى

أنّ ذلک لیس بظلم بقوله: إنّ اللّه قد أعاذکم من أن یجور علیکم فی قوله تعالی «وَ ما رَبُّکَ بِظَلّامٍ لِلْعَبِیدِ» (۱)إنّ ذلک ابتلاء منه یبتلی به عباده کما قال تعالی «إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیاتٍ وَ إِنْ کُنّا لَمُبْتَلِینَ» (۲)فمن صبر نفعه صبره و من کفر فعلیه کفره، و قد عرفت معنی ابتلاء اللّه لخلقه و فائدته فلا وجه لإعادته.و باللّه التوفیق.

۱۰۱-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

و قد تقدم مختارها بخلاف هذه الروایه أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ؟مُحَمَّداً ص؟- وَ لَیسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ یَقْرَأُ کِتَاباً- وَ لاَ یَدَّعِی نُبُوَّهً وَ لاَ وَحْیاً- فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مَنْ عَصَاهُ- یَسُوقُهُمْ إِلَی مَنْجَاتِهِمْ- وَ یُبَادِرُ بِهِمُ السَّاعَهَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ- یَحْسِرُ الْحَسِیرُ وَ یَقِفُ الْکَسِیرُ- فَیُقِیمُ عَلَیْهِ حَتَّی یُلْحِقَهُ غَایَتَهُ- إِلَّا هَالِکاً لاَ خَیْرَ فِیهِ- حَتَّی أَرَاهُمْ مَنْجَاتَهُمْ- وَ بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ- فَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ- وَ اسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ- وَ ایْمُ اللَّهِ لَقَدْ کُنْتُ مِنْ سَاقَتِهَا- حَتَّی تَوَلَّتْ بِحَذَافِیرِهَا- وَ اسْتَوْسَقَتْ فِی قِیَادِهَا- مَا ضَعُفْتُ وَ لاَ جَبُنْتُ- وَ لاَ خُنْتُ وَ لاَ وَهَنْتُ- وَ ایْمُ اللَّهِ لَأَبْقُرَنَّ الْبَاطِلَ- حَتَّی أُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ أقول:لنشرح ما انفردت هذه الروایه من الزیاده علی الفصل المتقدّم:

اللغه

فالحسیر: الّذی أعیا فی طریقه .و الرحا: قطعه من الأرض تستدیر و ترفع علی ما حولها .و استوسقت: اجتمعت و انتظمت .و خمت: جنبت .

المعنی

فقوله: فقاتل بمن أطاعه من عصاه .معناه ظاهر .

ص:۲۱

۱- ۱) ۴۶-۴۱

۲- ۲) ۳۱-۲۳.

و قوله: و يبادر بهم الساعه أن تنزل بهم.

أى يسارع إلى هديهم و تسليكهم لسبيل اللّه كيلا تنزل بهم الساعه على عمى منهم عن صراط اللّه فيقعوا فى مهاوى الهلاك .

و قوله: يحسر الحسير و يقف الكسير.إلى قوله:لا خير فيه.

إشاره إلى وصفه عليه السّلام بالشفقّه على الخلق فى حال أسفارهم معه فى الغزوات و نحوها:أى أنّه كان يسير فى آخرهم و يفتقد المنقطع منهم عن عياء و انكسار مركوب فلا يزال يلطف به حتّى يبلّغه أصحابه إلاّ ما لا يمكن إيصاله و لا يرجى.قال بعض السالكين:كنّى بالحسير و الكسير عمن عجز و وقف قدم عقله فى الطريق إلى اللّه لضعف فى عين بصيرته و اعوجاج فى آله إدراكه ،و بقيامه عليه حتّى يلحقه إلى غايته عن أخذه له بوجوه الحيل و الجواذب إلى الدين حتّى يوصله إلى ما يمكن من العقيده المرضيّه و الأعمال الزكيه الّتى هى الغايه من طريق الشريعه المطلوب سلوكها.

و قوله: إلاّ هالكا لا خير فيه.

أراد به من كان مأيوسا من رشده لعلمه بأنّ تقويمه غير ممكن كأبى لهب و أبى جهل و نحوهما .

استعاره و قوله: فاستدارت رحاهم .

استعار لهم لفظ الرحا لاجتماعهم و ارتفاعهم على غيرهم كما يرتفع القطعه من الأرض عن تألّف التراب و نحوه .

استعاره مرشحه-استعاره بالكنايه و قوله: و استوسقت فى قيادها.

إشاره إلى طاعه من أطاع من العرب و انقاد للإسلام،و استعار لفظ الاتّساق و القياد ملاحظه لتشبيههم بالإبل المجتمعه لسائقها و المنتظمه فى قياده لها ،و استعار لفظ الخاصره للباطل،و رشّح تلك الاستعاره بذكر البقر ملاحظه لشبهه بالحيوان المبتلع ما هو أعزّ قيمه منه،و كنّى به عن تميّز الحقّ منه .و باللّه التوفيق.

۱۰۲-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ؟مُحَمَّداً ص؟- شَهِيداً وَ بَشِيراً وَ نَذِيراً-

ص:۲۲

خَيْرَ الْبَرِيَّهِ طِفْلاً- وَ أَنْجَبَهَا كَهْلاً- وَ أَطْهَرَ الْمُطَهَّرِينَ شِيمَهً- وَ أَجْوَدَ الْمُسْتَمْطَرِينَ دِيمَهً فَمَا احْلَوْلَتْ لَكُمُ الدُّنْيَا فِى لَذَّتِهَا- وَ لَا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رَضَاعِ أَخْلَافِهَا- إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا صَادَفْتُمُوهَا جَائِلاً خِطَامُهَا- قَلِقاً وَضِينُهَا- قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ- بِمَنْزِلَهِ السِّدْرِ الْمَخْضُودِ- وَ حَلَالُهَا بَعِيداً غَيْرَ مَوْجُودٍ- وَ صَادَفْتُمُوهَا وَ اللَّهِ ظِلًّا مَمْدُوداً- إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ- فَالْأَرْضُ لَكُمْ شَاغِرَهٌ- وَ أَيْدِيكُمْ فِيهَا مَبْسُوطَهٌ- وَ أَيْدِى الْقَادَهِ عَنْكُمْ مَكْفُوفَهٌ- وَ سُيُوفُكُمْ عَلَيْهِمْ مُسَلَّطَهٌ- وَ سُيُوفُهُمْ عَنْكُمْ مَقْبُوضَهٌ- أَلَا وَ إِنَّ لِكُلِّ دَمٍ ثَائِراً- وَ لِكُلِّ حَقٍّ طَالِباً- وَ إِنَّ الثَّائِرَ فِى دِمَائِنَا كَالْحَاكِمِ فِى حَقِّ نَفْسِهِ- وَ هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَا يُعْجِزُهُ مَنْ طَلَبَ- وَ لَا يَفُوتُهُ مَنْ هَرَبَ- فَأُقْسِمُ بِاللَّهِ يَا؟بَنِى أُمَيَّهَ؟ عَمَّا قَلِيلٍ- لَتَعْرِفُنَّهَا فِى أَيْدِى غَيْرِكُمْ- وَ فِى دَارِ عَدُوِّكُمْ أَلَا إِنَّ أَبْصَرَ الْأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِى الْخَيْرِ طَرْفُهُ- أَلَا إِنَّ أَسْمَعَ الْأَسْمَاعِ مَا وَعَى التَّذْكِيرَ وَ قَبِلَهُ أَيُّهَا النَّاسُ- اسْتَصْبِحُوا مِنْ شُعْلَهِ مِصْبَاحٍ وَاعِظٍ مُتَّعِظٍ- وَ امْتَاحُوا مِنْ صَفْوِ عَيْنٍ قَدْ رُوِّقَتْ مِنَ الْكَدَرِ- عِبَادَ اللَّهِ لَا تَرْكَنُوا إِلَى جَهَالَتِكُمْ- وَ لَا تَنْقَادُوا إِلَى أَهْوَائِكُمْ فَإِنَّ النَّازِلَ بِهَذَا الْمَنْزِلِ نَازِلٌ بِشَفَا جُرُفٍ هَارٍ- يَنْقُلُ الرَّدَى عَلَى ظَهْرِهِ مِنْ

مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ- لِرَأْيٍ يُحْدِثُهُ بَعْدَ رَأْيٍ- يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ مَا لاَ يَلْتَصِقُ- وَ يُقَرِّبَ مَا لاَ يَتَقَارَبُ- فَاللَّهَ اللَّهَ أَنْ تَشْكُوا إِلَى مَنْ لاَ يُشْكِي شَجْوَكُمْ- وَ لاَ يَنْقُضُ بِرَأْيِهِ مَا قَدْ أَبْرَمَ لَكُمْ- إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلاَّ مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ- الْإِبْلاَغُ فِي الْمَوْعِظَهِ- وَ الاِجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَهِ- وَ الْإِحْيَاءُ لِلسُّنَّهِ- وَ إِقَامَهُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحِقِّيهَا- وَ إِصْدَارُ السُّهْمَانِ عَلَى أَهْلِهَا- فَبَادِرُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصْوِيحِ نَبْتِهِ- وَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ- عَنْ مُسْتَثَارِ الْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ- وَ انْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَ تَنَاهَوْا عَنْهُ- فَإِنَّمَا أُمِرْتُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي

اللغه

أقول: الشيمه: الخلق .و احلولى: حلا .و الخلف: حلمه ضرع الناقه .

و الوضين: حزام الهودج .و المخضود: الّذى لا شوك فيه .و الماتح: الجاذب للدلو من البئر .و شغر الكلب: رفع إحدى رجليه ليبول .و الترويق: التصفيه .

و الجرف: المكان يأكله السيل .و هار: أصله هائر و هو المنهدم نقلت من الثلاثى إلى الرباعى كشائك و شاكى .و الشجو: الهمّ و الحزن .و صوّح النبت: يبس .

المعنى

و قوله:حتّى بعث محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلم.إلى قوله:من بعده .

و قوله: حتّى بعث محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلم.إلى قوله:من بعده.

افتخار به صلّى اللّه عليه و آله و سلم و مدح له بالقوّه فى الدين و توبيخ لجمّع الدنيا و محبّيها بعده،و هو غايه لفصل سابق كأنّه ذكر فيه ما كانوا عليه من سوء الحال و القشف و الفقر،و منّ عليهم بذكر هذه الغايه الحسنه لتلك الأحوال،و وصّفه بأوصاف:

أحدها:كونه شهيدا،أى على الخلق بأعمالهم يوم القيامه كما قال تعالى «فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّهٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً» (۱)و قد عرفت كيفيّه هذه الشهاده.

ص:۲۴

۱- ۱) ۴۵-۴.

الثانی: و بشیرا للخلق بما أعدّهم من الثواب العظیم.

الثالث: و نـذیرا لهم بما أعـدّ للعصاه من العـذاب الألیم.و ینتظم هذه الأوصاف قوله تعالی «إِنّا أَرْسَـلْناکَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِیراً» (۱)و الثلاثه أحوال .

الرابع: خیر البریّه طفلاـ ،و لمّا علمت أنّ الأفضـلیّه إنّما هی بالأعمال الصالحه و التسدیـد لسلوک سبیل اللّه و کان هو صـلّی اللّه علیه و آله و سلم منذ صباه و طفولیّته أفضل الخلق فی لزوم ذلک لا جرم کان خیر الناس طفلا .

الخامس: و أنجبها کهلا ،و لمّا کانت النجابه مسـتلزمه لکرم الخصال و التقاط الفضائل و تتبّعها و کان هو صـلّی اللّه علیه و آله و سلم فی کهولته و زهوته منبع کلّ فضیله لا جرم کان أنجبهم کهلا.و طفلا و کهلا منصوبان علی الحال أیضا .

السادس:کونه أطهر المطهّرین شـیمه ،و لمّا کان صـلّی اللّه علیه و آله و سلم متمّم مکارم الأخلاق الظاهره و کلّ خلق عدل فمنه مکتسب لا جرم کان أطهر الشیمه و أکرم الخلق .

السابع: استعاره مرشحه-استعاره بالکنایه أجود المستمطرین دیمه .استعار له وصف السحاب المرجوّ منه نزول الدیمه و هی المطر الّذی لا رعـد فیه و لا برق،و رشّح بلفظ الدیمه و کنّی بذلک عن غایه جوده و کرمه،و قد کان صـلّی اللّه علیه و آله و سـلم إذا أمسی آوی إلی البیت فلا یجد فیه شیئا من فضّه أو ذهب إلاّ تصدّق به و لم یبت فی بیته منه شیء .و شیمه و دیمه تمیزان .

و قوله:فما احلولت لکم الدنیا فی لذّاتها.إلی قوله:من بعده.

استعاره بالکنایه-استعاره مرشحه و قوله: فما احلولت لکم الدنیا فی لذّاتها.إلی قوله:من بعده.

الخطاب لبنی امیّه و نحوهم و تبکیت لهم بتطعّمهم لـذّه الـدنیا و ابتهاجهم بها و تمکّنهم منها بعد الرسول صـلّی اللّه علیه و آله و سلم و تـذکیر لهم بمخالفتهم لسنّته فی ذلک.و استعار لفظ الأخلاف،و کنّی به عن وجوه مکاسب الدنیا و لذّاتها،و رشّح تلک الاستعاره بذکر الرضاع،و کنّی به عن تناولها ملاحظه لتشبیهها بالناقه .

و قوله:و صادفتموها.إلی قوله:غیر موجود .

استعاره مرشحه-استعاره بالکنایه و قوله: و صادفتموها.إلی قوله:غیر موجود.

استعار لها لفظ الخطام و الوضین و رشّحهما بالقلق و الجولان،و کنّی بذلک عن مصادفتهم للدنیا بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم غیر منظومه الحال و لا مضبوطه علی ما ینبغی

۱- ۱) ۴۴-۳۳.

لضعف ولاتها عن إصلاح حالها كما أنّ الناقه قلقه الحزام،و جائله الخطام غير منظومه الآله و لا مضبوطه الحاله فهى بمعرض أن تمشى و تنصرف على غير استقامه فهلك راكبها ، تشبيه ثمّ ذكر رذيله القوم فشبّه حرامها بالسدر المخضود معهم ،و وجه الشبه أنّ نواهى اللّه و وعيداته على فعل المحرّمات تجرى مجرى الشوك للسدر فى كونها مانعه منه كما يمنع شوك السدر جانبه من تناول ثمرته،و لمّا كان بعض الامّه قد طرح اعتبار النواهى و الوعيد جانبا عن نفسه و فعل ما حرم عليه جرى ذلك عنده مجرى تناوله للسدر الخالى عن الشوك فى استسهاله تناوله و إقدامه عليه .و كون حلالها بعيدا غير موجود:أى بين اولئك المشار إليهم.و جائلا و قلقا حالان .

قوله:و صادفتموها و اللّه.إلى قوله:معدودا.

استعاره مرشحه بالكنايه قوله: و صادفتموها و اللّه.إلى قوله:معدودا.

استعار لفظ الظلّ لها و رشّح بالممدود،و كنّى بذلك عن زوالها بعد حين تهديدا لهم به،ثمّ استعار لفظ الشاغره للأرض،و كنّى به عن خلوّها لهم.يقال:

بقى الأمر الفلانىّ شاغرا برجله إذا لم يكن له طالب و لا حام يحميه،و كنّى ببسط أيديهم فيها عن قدرتهم على التصرّف ،و أراد بالقاده الخلفاء،و بسلاطه سيوفهم على القاده جرأتهم و حكمهم عليهم،و بقبض سيوف القاده عدم تمكّنهم منهم .

و قوله:ألا إنّ لكلّ دم ثائرا.إلى قوله:من هرب.

استعاره و قوله: ألا إنّ لكلّ دم ثائرا.إلى قوله:من هرب.

تهديد باللّه لبنى اميّه و تخويف بأخذه و عقابه.و هاتان الكلّيّتان ظاهرتا الصدق فإنّه تعالى هو الثائر لكلّ دم معصوم و الطالب به إن عدم طالبه أو ضعف،و لمّا كان دم مثلهم عليهم السّلام و سائر الصحابه ممّن عصم اللّه دمه و منع منه و حرّمه يجرى مجرى الحقّ الثابت المتعارف للّه فى كونه يطلب به و لا يهمله و هو الحاكم المطلق لا جرم استعار لفظ الثائر ،و إنّما قال: كالحاكم لأنّ إطلاق لفظ الحقّ للّه تعالى به ليس بحقيقه.إذ الحقّ من شأنه أن ينتفع بأخذه و يتضرّر بتركه و البارى منزّه عن ذلك لكن لمّا جرى ذلك الدم مجرى الحقّ له تعالى،به أشبه الحاكم منّا فى استيفاء الحقّ .

و وصفه تعالى بأنّه لا يعجزه مطلوب و لا يفوته هارب فى معرض التهديد لهم بأخذه و قوّته .ثمّ أردف ذلك بالقسم البارّ مخاطبا لبنى اميّه لتعرفنّها :أى الدنيا و إمرتها

ص:٢٦

فى يد غيرهم من أعدائهم.و ذلک ظاهر الصدق بانتقالها إلى بنى عبّاس ،ثمّ شرع بعده فى التنبيه على الفكر فى تحصيل السعاده الباقيه و الخير الدائم و على قبول الوعظ و التذكّر فأشار إلى أنّه أبصر الأبصار ما نفذ فى الخير طرفه ،و أسمع الأسماع ما وعى التذكير فقبله، استعاره و أراد بطرف البصر العقل و سمعه استعاره ،أو حسّ البصر و السمع على معنى أنّ أفضل إبصار البصر و سماع السمع ما عاد على المبصر و السامع بالفائده المطلوبه منهما و هى تحصيل الكمالات النفسانيّه من العلوم و الأخلاق ،و لمّا قدّم ذلک أمام مقصوده أيّه بالناس بعده إلى قبول قوله و الاستصباح بنوره، استعاره مرشحه بالكنايه و استعار لنفسه لفظ المصباح ،و رشّح بذكر الشعله و الاستصباح ،و استعار لفظ العين و رشّح بذكر الصفو و الترويق و المتح،و وجه الاستعاره الاولى كونه مقتدى به كالمصباح،و وجه الثانيه كون المستفاد منه مادّه الحياه الأبديّه كما أنّ ماء العين مادّه الحياه الدنيويّه و كنّى بترويقها من الكدر عن رسوخه فيما علم بحيث لا يتطرّق إليه فيه شبهه تكدر يقينه،و هو أمر لهم بالاهتداء به و أخذ العلوم و الأخلاق عنه .ثمّ لمّا أمر بأخذهما عنه أردفه بالنهى عن الجهل و الركون إليه ثمّ عن الانقياد للأهواء الباطله المخرجه عن كرائم الأخلاق إلى رذائلها و عن حقّ المصالح إلى باطلها.

و قوله:فإنّ النازل بهذا المنزل .

و قوله: فإنّ النازل بهذا المنزل.

أراد المنزل المشير المدّعى للنصيحه لهم عن جهل منه بوجوه المصالح و ذلک أنّه عليه السّلام كان يرى الرأى الصالح،و يشير عليهم به فإذا خلا بعضهم إلى بعض فما كان من ذلک فيه مشقّه عليهم من جهاد أو مواظبه على عمل شاقّ أشار منافقوهم المبغضون المدّعون لأهليّتهم لمقامه بعكس ما رأى فيه و أشار به ردّ و هم عنه إلى ما يوافق أهوائهم و يلائم طباعهم إفسادا فى الدين،و أشار عليه السّلام إلى ما نزّل نفسه منزله المشير الناصح مع أنّ كلّ ما يشير به عن هوى متّبع و جهل فهو على شفا جرف هار، استعاره و استعار لفظ الجرف للآراء الفاسده الصادره فإنّها لم تبن على نظام العقل و لم ترخّص فيه الشريعه فكانت منهاره لا يبنى عليها إلاّ ما كان بصدد أن ينهار،و كأنّ المشير بها واقف على شفا جرف هار منها ينهار به فى نار جهنّم أو فى الهلاک الحاضر.

ص:٢٧

يقال لمن فعل فعلا على غير أصل أو يتوقّع له منه عقوبه مثلا:إنّه على شفا جرف هار،و نحوه قوله تعالى «أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى شَفا جُرُفٍ هارٍ» (۱)الآيه .

و قوله:ينقل الردى على ظهره من موضع .

و قوله: ينقل الردى على ظهره من موضع.

لمّا كان الردى هو الهلاك و كان الرأى الفاسد يستلزم الهلاك للمشار عليه و للمشير كان المشير على الخلق به عن هوى كالناقل للهلاك من شخص إلى غيره و المقسّم له على من يشير عليهم به.و هو فى معرض التنفير عنه.

و قوله:لرأى يحدثه بعد رأى يريد أن يلصق ما لا يلتصق .

و قوله: لرأى يحدثه بعد رأى يريد أن يلصق ما لا يلتصق.

ذكر غايه تنقّله من موضع إلى آخر فإنّ نقله للردى يستلزم أن ينقله، و روى:و لرأى بالواو.و على هذا يكون كلاما مستأنفا،و التقدير أنّ بسبب رأى يحدثه يريد إلصاق ما لا يلتصق. استعاره و استعار لفظ اللصق للصلح:أى يريد أن يصلح بينكم و بين أعدائكم و ذلك أمر لا ينصلح،و وجه المشابهه كون الخصمين فى طرفين يجمعهما الصالح و يوجب لهما الاتّحاد كما يجمع اللصاق بين الملتصقين ،و يحتمل أن يريد أن يلصق بكم من الآراء الفاسده ما لا ينبغى أن يلتصق بكم ،و كذلك قوله: و يقرّب ما لا يتقارب و يقرّب عليكم ما بينكم و بينهم من البعد و الافتراق و ذلك أمر لا يتقارب.و يفهم من هذا أنّ من كان ينهاهم عن الركون إلى استشارته كان يخذلهم عن الحرب بذكر الصلح بينهم و بين معاويه و الدخول فيه .

ثمّ حذّرهم اللّه و عقابه فى أن يشكوا إلى من لا يشتكى حزنهم،و ذل أنّ المشتكى إليه و المستشار إذا لم يساهم الشاكى همّه لم يكن أهلا للرأى فى مثل ذلك الأمر المشكوك و إن كان معروفا بجوده الرأى،و سرّ ذلك أنّ الاهتمام بالأمر يبعث رائد الفكر على الاستقصاء فى تفتيش وجوه الآراء الصالحه فيه فيكون بصدد أن يستخرج منها أصلحها و أنفعها و إن كان دون غيره فى جوده الرأى بخلاف الخلىّ العديم الباعث على طلب الأصلح .و أردفهم بنهيهم عن أن ينقض برأيه الفاسد ما قد أبرمه هو عليه السّلام لهم من الرأى الصائب فى التجرّد للحرب .ثمّ أردفه ببيان ما يجب على الإمام ممّا

۱- ۱) ۱۱۰-۹.

هو تكليفه بالنسبه إلى الرعيّه،و فائده ذلك الإعذار إليهم فيما هم عساهم ينسبونه إليه من تقصير فيركنون إلى غيره فى الرأى و نحوه،و ذكر امورا خمسه:الإبلاغ فى موعظه العباد .ثمّ الاجتهاد فى النصيحه لهم .ثمّ الإحياء لسنّه اللّه و رسوله فيهم .ثمّ إقامه الحدود الّتى يستحقّونها بجناياتهم .ثمّ إصدار السهمان على أهلها.و السهمان:

جمع سهم و هو النصيب المستحقّ به للمسلم من بيت المال .ثمّ استعاره مرشحه بالكنايه لمّا سبق نهيه عن الركون إلى الجهل أمر هنا بالمبادره إلى العلم من قبل تصويح نبته،و استعار لفظ النبت ، و رشّح بذكر التصويح،و كنّى به عن عدمه بموته عليه السّلام .

و قوله:من قبل أن تشغلوا بأنفسكم .

و قوله: من قبل أن تشغلوا بأنفسكم .

أى بتخليصها من شرور الفتن الّذى ستنزل بهم من بنى اميّه و معاناتها، و مستشار العلم ما استشير منه و استخرج،و أهله هو عليه السّلام و من فى معناه .ثمّ أمرهم بالانتهاء عن المنكر،ثمّ ينهى غير هم فإنّ النهى عن الشىء بعد الانتهاء عنه هو النهى المثمر المطابق لمقتضى الحكمه.إذ كان انفعال الطباع عن مشاهده الأفعال و الاقتداء بها أقوى و أسرع منها عن سماع الأقوال خصوصا إذا خالفها فعل القائل.و ذلك أمر ظاهر شهدت به العقول السليمه و التجارب و توافقت عليه الآراء و الشرائع،و إليه أشار الشاعر:

لا تنه عن خلق و تأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

۱۰۳–و من خطبه له عليه السّلام

القسم الأول

اشاره

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى» شَرَعَ الْإِسْلاَمَ- فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ- وَ أَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ غَالَبَهُ- فَجَعَلَهُ أَمْناً لِمَنْ عَلِقَهُ- وَ سِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ- وَ بُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ- وَ شَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ عَنْهُ- وَ نُوراً لِمَنِ اسْتَضَاءَ بِهِ وَ فَهْماً لِمَنْ عَقَلَ- وَ لُبّاً لِمَنْ تَدَبَّرَ- وَ آيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ- وَ تَبْصِرَةً لِمَنْ عَزَمَ- وَ عِبْرَةً لِمَنِ اتَّعَظَ وَ نَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ وَ ثِقَةً

لِمَنْ تَوَكَّلَ- وَ رَاحَهً لِمَنْ فَوَّضَ وَ جُنَّهً لِمَنْ صَبَرَ- فَهُوَ أَبْلَجُ الْمَنَاهِجِ وَ أَوْضَحُ الْوَلاَئِجِ- مُشْرَفُ الْمَنَارِ مُشْرِقُ الْجَوَادِّ- مُضِیءُ الْمَصَابِیحِ کَرِیمُ الْمِضْمَارِ- رَفِیعُ الْغَایَهِ جَامِعُ الْحَلْبَهِ- مُتَنَافِسُ السُّبْقَهِ شَرِیفُ الْفُرْسَانِ- التَّصْدِیقُ مِنْهَاجُهُ- وَ الصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ- وَ الْمَوْتُ غَایَتُهُ وَ الدُّنْیَا مِضْمَارُهُ- وَ الْقِیَامَهُ حَلْبَتُهُ وَ الْجَنَّهُ سُبْقَتُهُ

اللغه

أقول: الأبلج: الواضح المشرق .و الولیجه : بطانه الرجل و خاصّته .

و المضمار: محلّ تضمیر الخیل للسباق .و الحلبه: خیل یجمع من مواضع متفرّقه للسباق،و قد تطلق علی مجمعها .و السبقه: ما یستبق علیه من الخطر .

المعنی

اشاره

و قد حمد اللّه سبحانه باعتبار ما أنعم به من وضع شریعه الإسلام للعقول لتسلک بها إلیه ،و أشار بشرائعه إلی موارد العقول من أرکانه،و تسهیله لها إیضاح قواعده و خطاباته بحیث یفهمهما الفصیح و الألکن و یشارک الغبیّ فی ورود مناهلها الفطن الذکیّ ،و إعزاز أرکانه حمایتها و رفعها علی من قصد هدمه و إطفاء نوره مغالبه من المشرکین و الجاهلین.

مدح الإسلام بأوصاف أسندها إلی مفیضه و شارعه سبحانه

و تعالی]

ثمّ مدح الإسلام بأوصاف أسندها إلی مفیضه و شارعه سبحانه و تعالی :

أحدها:

تشبیه جعله أمنا لمن علقه .و ظاهر کونه أمنا لمن تعلّق به فی الدنیا من القتل و فی الآخره من العذاب .

الثانی:

و سلما لمن دخله :أی مسالما له،و فی الأوّل ملاحظه لتشبیهه بالحرم باعتبار دخوله،و فی الثانی ملاحظه لشبهه بالمغالب من الشجعان باعتبار مسالمته.

و معنی مسالمه الإسلام له کونه محقون الدم مقرّرا علی ما کان یملکه فکأنّ الإسلام سالمه أو صالحه لکونه لا یقتصّ ما یؤذیه بعد دخوله فیه .

الثالث:

كونه برهانا لمن تكلّم به :أى فيه ما هو برهان .

الرابع:

كونه شاهدا لمن خاصم به :و الشاهد أعمّ من البرهان لتناوله الجدل

ص:٣٠

و الخطابه .

الخامس:

استعاره مرشحه كونه نورا يستضاء به .فاستعار له لفظ النور،و رشّحه بذكر الاستضاءه، و وجه المشابهه كونه مقتدى به فى طريق اللّه إلى جنّته .

السادس:

مجاز إطلاقا لاسم المسبّب على السبب كونه مفهما لمن عقل .و لمّا كان الفهم عباره عن جوده تهيّؤ الذهن لقبول ما يرد عليه كان الدخول فى الإسلام و رياضه النفس بقواعده و أركانه سببا عظيما لتهيّؤ الذهن لقبول الأنوار الإلهيّه و فهم الأسرار لا جرم أطلق عليه لفظ الفهم مجازا إطلاقا لاسم المسبّب على السبب .

السابع:

مجاز إطلاقا لاسم المسبّب على السبب كونه لبّا لمن تدبّر .و لمّا كان اللبّ هو العقل أطلق عليه لفظ العقل و إن كان مسبّبا له كالمجاز الأوّل،و أراد العقل بالملكه و ما فوقه من مراتب العقل فإنّ الإسلام و قواعده أقوى الأسباب لحصول العقل بمراتبه .

الثامن:

كونه آيه لمن توسّم .و أراد من تفرّس طرق الخير و مقاصده فإنّ الإسلام آيه و علامه لذلك المتفرّس،إذ اهتدى بها فقد وقع فى طريق الهدى .

التاسع:

كونه تبصره لمن عزم .و أراد من عزم على أمر قصده فإنّ فى الإسلام تبصره لكيفيّه فعله على الوجه الّذى ينبغى .

العاشر:

كونه عبره لمن اتّعظ .و ذلك ظاهر فإنّ الإسلام نعم المعبر بنفس المتّعظ إلى حضره قدس اللّه بما فيه من أحوال القرون الماضيه و تصرّف الزمان بهم .

الحادى عشر:

مجاز إطلاقا لاسم المسبّب على السبب كونه نجاه لمن صدّق الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم فيما جاء به.فإنّ دخوله فى الإسلام سبب نجاته من سيوف اللّه فى الدنيا و عذابه فى الآخره،و أطلق عليه اسم النجاه إطلاقا لاسم المسبّب على السبب .

الثانى عشر:

كونه ثقه لمن توكّل :أى هو سبب ثقه المتوكّلين على اللّه لاشتماله على الوعد الكريم و به يكون استعدادهم للتوكّل .

الثالث عشر:

كونه راحه لمن فوّض :أى من ترك البحث و الاستقصاء فى الدلائل و تمسّك بأحكام الإسلام و دلائل القرآن و السنّه المتداوله بين أهله و فوّض أمره إليه استراح بذلك التفويض.و قيل:بل المراد أنّ فيه الندب إلى تفويض

ص:۳۱

الأمور إلى اللّه و علم ما لم يعلم منها و ترك التكليف به و ذلک راحته،و قيل:بل المراد أنّ المسلم إذا كمل إسلامه و فوّض أمره إلى اللّه كفاه اللّه جميع اموره و أراحه من الاهتمام بها .

الرابع عشر:

استعاره كونه جنّه لمن صبر :أى صبر على العمل بقواعده و أركانه، و ظاهر كونه جنّه من عذاب اللّه،و لفظ الجنّه مستعار .

الخامس عشر:

أبلج المناهج ،و مناهج الإسلام طرقه و أركانه الّذى يصدق على من سلكها أنّه مسلم،و هى الإقرار باللّه و رسوله و التصديق بما ورد به الشريعه كما يفسّره هو به،و ظاهر كونها أنوار واضحه الهدى .

السادس عشر:

كونه واضح الولايج :واضح البواطن و الأسرار لمن نظر إليه بعين الاعتبار .

السابع عشر:

كونه مشرف المنار ،و منار الإسلام الأعمال الصالحات الّتى يقتدى بها السالكون كالعبادات الخمس و نحوها،و ظاهر كونه مشرفه عاليه على غيرها من العبادات السابقه .

الثامن عشر:

كونه مشرق الجوادّ .و هو قريب من أبلج المناهج .

التاسع عشر:

استعاره بالكنايه مرشحه كونه مضىء المصابيح .و كنّى بها عن علماء الإسلام و أئمّته كنايه بالمستعار،و رشّح بذكر الإضاءه،و كنّى بها عن ظهور العلم عنهم و اقتداء الخلق بهم،و يحتمل أن يريد بالمصابيح أدلّه الإسلام كالكتاب و السنّه .

العشرون:

استعاره كونه كريم المضمار ،و مضمار الإسلام الدنيا كما سنذكره،و لا شكّ فى كونها كريمه باعتبار اقتباس الأنوار منها و العبور بها إلى اللّه تعالى،و لفظ المضمار مستعار لها ،و قد سبق بيانه .

الحادى و العشرون:

كونه رفيع الغايه ،و لمّا كانت غايته الوصول إلى حضره ربّ العالمين الّتى هى جنّه المأوى لا جرم كان رفيع الغايه.إذ لا غايه أرفع منها و أعلى مرتبه .

الثانی و العشرون:

استعاره کونه جامع الحلبه ،و استعار لفظ الحلبه للقیامه

ص:۳۲

فإنّها حلبه الإسلام كما سنبيّنه،و وجه الاستعاره كونها محلّ الاجتماع بها للسباق إلى حضره اللّه الّتى هى الجنّه كاجتماع الخيل للسباق إلى الرهن .

الثالث و العشرون:

كونه متنافس السبقه ،و لمّا كانت سبقته الجنّه كانت أشرف ما يتنافس فيها .

الرابع و العشرون:

استعاره كونه شريف الفرسان ،و استعار لفظ الفرسان لعلمائه الّذين هم فرسان العلوم و رجالها ملاحظه لشبههم بالفرس الجواد الّذى يجارى راكبه .

الخامس و العشرون:

التصديق منهاجه ،و هى إلى آخره تفسير لما اهمل تفسيره من منهاجه و مناره و غايته و مضماره و حلبته و سبقته،و إنّما جعل الموت غايه:

أى الغايه القريبه الّتى هى باب الوصول إلى اللّه تعالى،و يحتمل أن يريد بالموت موت الشهوات فإنّها غايه قريبه للإسلام أيضا ،و كذلك استعاره استعار لفظ السبقه للجنّه لكونها الثمره المطلوبه و الغايه من الدين كما أنّ السبقه غايه سعى المتراهنين .

القسم الثانى منها فى ذكر النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم:

اشاره

حَتَّى أَوْرَى قَبساً لِقَابِسٍ- وَ أَنَارَ عَلَماً لِحَابِسٍ- فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ- وَ شَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ- وَ بَعِيثُكَ نِعْمَهً وَ رَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَهً- اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَهُ مَقْسَماً مِنْ عَدْلِكَ- وَ اجْزِهِ مُضَعَّفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ- اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ- وَ أَكْرِمْ لَدَيْكَ نُزُلَهُ- وَ شَرِّفْ عِنْدَكَ مَنْزِلَهُ- وَ آتِهِ الْوَسِيلَهَ وَ أَعْطِهِ السَّنَاءَ وَ الْفَضِيلَهَ- وَ احْشُرْنَا فِى زُمْرَتِهِ- غَيْرَ خَزَايَا وَ لاَ نَادِمِينَ- وَ لاَ نَاكِبِينَ وَ لاَ نَاكِثِينَ- وَ لاَ ضَالِّينَ وَ لاَ مُضِلِّينَ وَ لاَ مَفْتُونِينَ قال الشريف:و قد مضى هذا الكلام فيما تقدم،إلا أننا كررناه ههنا لما فى الروايتين من الاختلاف.

ص:۳۳

اللغه

أقول: القبس: الشعله .و أورى: أشعل .و الحابس: الواقف بالمكان .

و النزل: ما يهيّأ للنزيل من ضيافه و نحوها .و السناء: الرفعه .و الزمره: الجماعه من الناس .و الناكب: المنحرف من الطريق .

المعنى

فقوله:حتّى أورى.إلى قوله:لحابس .

فقوله: حتّى أورى.إلى قوله:لحابس.

غايه لكلام مدح فيه النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم و ذكر جهاده و اجتهاده فى الدين للغايه المذكوره، استعاره و استعار لفظ القبس لأنوار الدين المشتعله لتقتبس منها نفوس الخلائق أنوار الهدى،و كذلك استعار لفظ العلم و أسند إليه تنويره .و يفهم منه أمران:

أحدهما:أنّه أظهر أنوارا جعلها أعلاما يهتدى بها فى سبيل اللّه من حبسته [أجلسته خ]ظلمه الحيره و الشبهه عن سلوكها فهو واقف على ساق التحيّر كقوله تعالى «وَ إِذا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قامُوا» (۱)كنايه و كنّى بتلك الأعلام عن آيات الكتاب و السنن.

الثانى:أن يكون المراد بالأعلام أئمّه الدين،و تنويره لها تنوير قلوبهم بما ظهر عن نفسه القدسيّه من الكمالات و العلوم.

و قوله:فهو أمينک المأمون .

و قوله: فهو أمينک المأمون.

أى على وحيك ، و شهيدك يوم الدين :أى على خلقك ، و بعيثك نعمه :أى مبعوثك إليهم نعمه عليهم بهدايتهم به إلى جنّتك ، و رسولك بالحقّ رحمه لعبادك أن يقعوا فى مهاوى الهلاك بسخطك «وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ » ثمّ أردفه بالدعاء له صلّى اللّه عليه و آله و سلم فدعا اللّه أن يقسم له مقسما من عدله،و لمّا كان مقتضى عدل اللّه أن يبلغ نفسا هى محلّ الرساله أقصى ما استعدّت له من درجات الكمال و يعدّها بذلك لكمال أعلى،دعا له أن يقسم له نصيبا وافرا من عدله يعدّه به للدرجات من رتب الوصول الغير المتناهيه.

و قوله:و اجزه مضاعفات الخير من فضلک .

و قوله: و اجزه مضاعفات الخير من فضلک.

لمّا دعا له بما يستحقّه زاد على ذلك فدعا له بأن يتفضّل عليه بزياده من فضله فيضاعف له ما يستحقّه من الخيرات.

۱- ۱) ۱۹-۲.

و قوله:اللّهمّ أعل على بناء البانين بنائه .

و استعاره قوله: اللّهمّ أعل على بناء البانين بنائه.

دعاء ليشيّد ما بناه من قواعد الدين على سائر بناء البانين للشرائع من الرسل قبله،و أراد ما بناه لنفسه من مراتب الكمال،و لفظ البناء مستعار .ثمّ دعا أن يكرم لديه ما هيّأه له من الثواب الجزيل و أن يشرّف مقامه فى حضره قدسه و أن يؤتيه ما يتوسّل به إليه و يقرّ به منه،و هو أن يكمّل استعداده لما هو أتمّ القوّه على الوصول إليه ،و أن يعطيه الرفعه و يشرّفه بالفضيله التامّه ،و أن يحشره فى زمرته على أحوال:

غير خازين:أى بقبائح الذنوب ،و لا نادمين على التفريط فى جنب اللّه و التقصير فى العمل بطاعته ،و لا ناكبين منحرفين عن سبيله إلى أحد طرفى التفريط و الإفراط ، و لا ناكثين لعهوده و مواثيقه الّتى واثق بها خلقه أن يعبدوه و يخلصوا له الدين ،و لا ضالّين عن سواء السبيل العدل ،و لا مفتونين بشبهات الأباطيل.و باللّه التوفيق.

القسم الثالث و منها فى خطاب أصحابه:

اشاره

وَ قَدْ بَلَغْتُمْ مِنْ كَرَامَهِ اللَّهِ تَعَالَى لَكُمْ- مَنْزِلَهً تُكْرَمُ بِهَا إِمَاؤُكُمْ- وَ تُوصَلُ بِهَا جِيرَانُكُمْ- وَ يُعَظِّمُكُمْ مَنْ لاَ فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْهِ- وَ لاَ يَدَ لَكُمْ عِنْدَهُ- وَ يَهَابُكُمْ مَنْ لاَ يَخَافُ لَكُمْ سَطْوَهً- وَ لاَ لَكُمْ عَلَيْهِ إِمْرَهٌ- وَ قَدْ تَرَوْنَ عُهُودَ اللَّهِ مَنْقُوضَهً فَلاَ تَغْضَبُونَ- وَ أَنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمَمِ آبَائِكُمْ تَأْنَفُونَ- وَ كَانَتْ أُمُورُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ تَرِدُ- وَ عَنْكُمْ تَصْدُرُ وَ إِلَيْكُمْ تَرْجِعُ- فَمَكَّنْتُمُ الظَّلَمَهَ مِنْ مَنْزِلَتِكُمْ- وَ أَلْقَيْتُمْ إِلَيْهِمْ أَزِمَّتَكُمْ- وَ أَسْلَمْتُمْ أُمُورَ اللَّهِ فِى أَيْدِيهِمْ- يَعْمَلُونَ بِالشُّبُهَاتِ- وَ يَسِيرُونَ فِى الشَّهَوَاتِ- وَ ايْمُ اللَّهِ لَوْ فَرَّقُوكُمْ تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ- لَجَمَعَكُمُ اللَّهُ لِشَرِّ يَوْمٍ لَهُمْ

المعنى

أقول:صدّر هذا الفصل بتذكيرهم المنزله الّتى أكرمهم اللّه بها من الإسلام

و الهدایه للإیمان و ما فی تلک المنزله من الفضل حتّی عمّت حرمتها إمائهم و جیرانهم و إن کانوا غیر مسلمین ،و عظّمهم من لا فضل لهم علیه و لا ید لهم عنده،و هابهم من لا یخاف سطوتهم.و ظاهر أنّ سبب ذلک کلّه هو کرامه اللّه لهم بالإسلام و الهدایه للإیمان .ثمّ لمّا قرّر نعمه اللّه علیهم أردف ذلک بالتوبیخ لهم علی اتقصیر فی أداء واجب حقّه، و أشار إلی ارتکابهم لبعض مسبّبات کفران نعمته و هو عدم إنکارهم لما یرون من نقض عهود اللّه و سکوتهم علیها و عدم غضبهم منها کالراضین بذلک،و أراد بذلک بغی البغاه و خروج الخوارج و سائر المنکرات الّتی وقعت من أهل الشام و غیرهم،خالفوا فیها أمر اللّه و نکثوا بیعته الّتی هی عهد من عهود اللّه علیهم فإنّ السکوت علی مثل ذلک مع التمکّن من إزالته و إنکاره بالجهاد منکرهم راکبوه،و الواو فی قوله:و أنتم للحال:

أی و أنتم مع ذلک تأنفون لنقض ذمم آبائکم فکان یجب منکم بطریق الأولی أن تأنفوا لعهود اللّه أن تنقض و ذممه أن تخفر .ثمّ ذکّرهم تقریطهم و تهاونهم فی الأمور الّتی کان اللّه سبحانه فرضها علیهم و جعلهم موردها و مصدرها من امور الإسلام و أحکامه و التسلّط به علی سائر الناس و بکّتهم بتمکینهم الظلمه فی منزلتهم تلک من الإسلام، و أراد بالظلمه معاویه و قومه و بتمکینهم لهم تخاذلهم عنهم و إلقائهم أزمّه الامور إلیهم بذلک، استعاره و لفظ الأزمّه مستعار ،و الامور الّتی سلّموها إلیهم أحوال بلاد الإسلام.کلّ ذلک بالتقصیر عن مجاهدتهم .و عملهم بالشبهات :عملهم علی وفق أوهامهم الفاسده و آرائهم الباطله الّتی یتوهّمونها حججا فیما یفعلون ،و سیرهم فی الشهوات :قطع أوقاتهم بالانهماک فی مقتضیات الشهوه .

و قوله: و أیم اللّه.إلی آخره.

تحذیر لهم و إنذار بما سیکون من بنی امیّه من جمع الناس فی بلائهم و شرورهم و عموم فتنتهم ، کنایه و کنّی بالیوم عن مدّه خلافتهم الّتی کانت شرّ الأوقات علی الإسلام و أهله ،و إنّما نسب التفریق إلیهم و الجمع إلی اللّه تقریرا لما سینزل به قدره من ابتلاء الخلق بهم فإنّهم لو فرّقوهم فی أطراف البلاد لم یغنهم ذلک التفریق عن لحوق قدر اللّه لهم و لم یمنعهم من نزوله بجمیعهم بما یراد لهم من الابتلاء بدوله بنی امیّه

و شرورها،و أحوال دولتهم مع الخلق خصوصا الصالحين من عباد اللّه ظاهره.و باللّه العصمه و التوفيق

۱۰۴-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

وَ قَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ- وَ انْحِيَازَكُمْ عَنْ صُفُوفِكُمْ- تَحُوزُكُمُ الْجُفَاهُ الطَّغَامُ- وَ أَعْرَابُ أَهْلِ؟الشَّامِ؟- وَ أَنْتُمْ لَهَامِيمُ الْعَرَبِ- وَ يَآفِيخُ الشَّرَفِ- وَ الْأَنْفُ الْمُقَدَّمُ- وَ السَّنَامُ الْأَعْظَمُ- وَ لَقَدْ شَفَى وَحَاوِحَ صَدْرِي- أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَخَرَهٍ- تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَازُوكُمْ- وَ تُزِيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُمْ- حَسّاً بِالنِّصَالِ وَ شَجْراً بِالرِّمَاحِ- تَرْكَبُ أُولاَهُمْ- أُخْرَاهُمْ كَالْإِبِلِ الْهِيمِ الْمَطْرُودَهِ- تُرْمَى عَنْ حِيَاضِهَا- وَ تُذَادُ عَنْ مَوَارِدِهَا

اللغه

أقول: الجوله: الدوله .و انحاز: زلّ .و الطغام: أوغاد الناس .و اللهاميم:

جمع لهموم و هو الجواد من الناس .و اليئافيخ: جمع يأفوخ و هو أعلى الدماغ .

و الوحاوح: جمع وحوحه و هو صوت فيه بحح يصدر عن المتألّم .و الحسّ: الاستيصال .

و النصال: جمع نصل السيف .و الشجر: الطعن .و تذاد: تساق و تطرد .

المعنى

و فى هذا الفصل تبكيت لأصحابه بانحيازهم عن عدوّهم و تقريع،ثمّ تنحيه و إغراء كيلا يعادوا إلى الفرّ،و ذلك قوله: و قد رأيت.إلى قوله:أهل الشام :

أى و قد رأيت تخاذلكم عنهم حتّى حازكم أراذل أهل الشام مع أنّكم أهل الشرف و سادات العرب، استعاره و استعار لفظ اليئافيخ لهم.إذ كانوا بالنسبه إلى العرب فى علوّهم و شرفهم كاليئافيخ بالنسبه إلى الأبدان،و كذلك استعار لفظ الأنف و السنام ،و وجه المشابهه عزّهم و شرفهم كعزّه الأنف و تقدّمه،و حسن الوجه به بالنسبه إلى باقى الأعضاء ،و كعزّه السنام و علوّه بالنسبه إلى باقى أعضاء الجمل .ثمّ أردف ذلك

التبكيت و التذكير بالرذيله بذكر فضيلتهم الّتى ختموا بها و هى حوزهم لعدوّهم بالأخره كحوزهم لهم أوّلا و إزالتهم عن مواقفهم كما أزالوهم و حسّهم استيصالا و طعنا يركب مقدّمهم تاليهم،و أوّلهم آخرهم ليثبتوا على مثل هذه الأفعال فى مثل تلك المواقف،و عدّ ذلك شفاء لوحاوح صدره، كنايه و كنّى بالوحاوح عمّا كان يجده من التألّم بسبب انقهار أصحابه و غلب عدوّهم لهم تشبيه و شبّههم فى تضعضعهم و ركوب بعضهم لبعض مولّين بالإبل العطاش الّتى اجتمعت على الحياض ليشرب ثمّ طردت و رميت عنها بالسهام و ذيدت عمّا وردته فإنّ طردها على ذلك الاجتماع يوجب لها أن يركب بعضها بعضا و يقع بعضها على بعض .و باللّه التوفيق.

١٠٥-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

و هى من خطب الملاحم

القسم الأول

اشاره

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَجَلِّى لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ- وَ الظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ- خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّهٍ- إِذْ كَانَتِ الرَّوِيَّاتُ لاَ تَلِيقُ إِلاَّ بِذَوِى الضَّمَائِرِ- وَ لَيْسَ بِذِى ضَمِيرٍ فِى نَفْسِهِ- خَرَقَ عِلْمُهُ بَاطِنَ غَيْبِ السُّتُرَاتِ- وَ أَحَاطَ بِغُمُوضِ عَقَائِدِ السَّرِيرَاتِ

أقول:حمد اللّه تعالى باعتبارات خمسه :

أحدها:

اعتبار تجلّيه لخلقه بخلقه ،و قد علمت غير مرّه أنّ تجلّيه يعود إلى إجلاء معرفته من مصنوعاته لقلوب عباده حتّى أشبهت كلّ ذرّه من مخلوقاته مرآه ظهر فيها لهم.فهم يشاهدونه على قدر قبولهم لمشاهدته و تفاوت تلك المشاهده بحسب تفاوت أشعّه ابصار بصائرهم.فمنهم من يرى الصنيعه أوّلا و الصانع ثانيا،و منهم من يراهما معا،و منهم من يرى الصانع أوّلا،و منهم من لا يرى مع الصانع غيره .

الثانى:

الظاهر لقلوبهم بحجّته :أى الواضح وجوده لقلوب منكريه بأوهامهم و ألسنتهم بقيام حجّته عليهم بذلك و هى إحكام الصنع و إتقانه فى أنفسهم و إن احتاجوا إلى تنبيه ما كقوله تعالى «وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ» و كذلك فى ملكوت السماوات

و الأرض كقوله تعالى «أَ وَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ» (۱)الآيه و هو قريب ممّا مرّ .

الثالث:

خلقه الخلق بلا رويّه و فكر فى كيفيّه خلقه ،و أشار إلى برهان سلب الرويّه عنه بقوله: إذ كانت الرويّات لا تليق إلاّ بذوى الضمائر :أى بذى قلب و حواسّ بدنيّه.و ليس بذى ضمير فى نفسه.و القياس من الشكل الثانى، و ترتيبه كلّ رويه فلذى ضمير،و لا شىء من واجب الوجود بذى ضمير.فينتج أنّه لا شىء من الرويّه لواجب الوجود سبحانه.و المقدّمتان جليّتان ممّا سبق غير مرّه .

الرابع:

كون علمه خارقا لباطن غيب السترات ،و هو إشاره إلى نفوذه فى كلّ مستتر و غائب بحيث لا يحجبه ستر و لا يستره حجاب .

الخامس:

كونه محيطا بغموض عقائد السريرات :أى بما دقّ من عقائد أسرار القلوب كقوله تعالى «يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفى» .

القسم الثانى منها فى ذكر النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم:

اشاره

اِخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَهِ الْأَنْبِيَاءِ- وَ مِشْكَاهِ الضِّيَاءِ وَ ذُؤَابَهِ الْعَلْيَاءِ- وَ سُرَّهِ ؟الْبَطْحَاءِ؟ وَ مَصَابِيحِ الظُّلْمَهِ- وَ يَنَابِيعِ الْحِكْمَهِ

اللغه

أقول: الذؤابه: ما تدلّى من الشعر و نحوه .و بطحاء مكّه: بسيط واديها .

و سرّه الوادى: أشرف موضع فيه .

و فى الفصل استعارات :

الاولى:

استعاره لفظ الشجره لصنف الأنبياء عليهم السّلام و وجه المشابهه كون ذلك الصنف ذا ثمر و فروع،ففروعه أشخاص الأنبياء،و ثمره العلوم و الكمالات النفسانيّه كما أنّ الشجره ذات غصون و ثمر .

الثانيه:

استعاره لفظ المشكاه لآل إبراهيم،و وجه المشابهه أنّ هؤلاء قد ظهرت منهم

۱- ۱) ۱۸۳-۷.

الأنبياء و سطع من بيتهم ضياء النبوّه و نور الهدايه كما يظهر من نور المصباح من المشكاه .

الثالثه:

استعاره لفظ الذؤابه .و يشبه أن يشير به إلى قريش،و وجه المشابهه تدلّيهم فى أغصان الشرف و العلوّ عن آبائهم كتدلّى ذؤابه الشعر عن الرأس .

الرابعه:

استعاره سرّه البطحاء ،و أشار به إلى اختياره من أفضل بيت فى مكّه .

الخامسه:

استعاره استعاره لفظ المصابيح للأنبياء أيضا.و وجه المشابهه ظاهر.و قد مرّ غير مرّه كونهم مصابيح ظلمات الجهل .

السادسه:

استعاره استعاره لفظ الينابيع ،و وجه المشابهه فيضان العلم و الحكمه عنهم كفيضان الماء عن ينابيعه.

القسم الثالث و منها

اشاره

طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ- وَ أَحْمَى مَوَاسِمَهُ يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَهُ إِلَيْهِ- مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ وَ آذَانٍ صُمٍّ- وَ أَلْسِنَهٍ بُكْمٍ- مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَهِ- وَ مَوَاطِنَ الْحَيْرَهِ لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ الْحِكْمَهِ- وَ لَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ الْعُلُومِ الثَّاقِبَهِ- فَهُمْ فِي ذَلِكَ كَالْأَنْعَامِ السَّائِمَهِ- وَ الصُّخُورِ الْقَاسِيَهِ- قَدِ انْجَابَتِ السَّرَائِرُ لِأَهْلِ الْبَصَائِرِ- وَ وَضَحَتْ مَحَجَّهُ الْحَقِّ لِخَابِطِهَا- وَ أَسْفَرَتِ السَّاعَهُ عَنْ وَجْهِهَا- وَ ظَهَرَتِ الْعَلاَمَهُ لِمُتَوَسِّمِهَا- مَا لِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً بِلاَ أَرْوَاحٍ- وَ أَرْوَاحاً بِلاَ أَشْبَاحٍ- وَ نُسَّاكاً بِلاَ صَلاَحٍ- وَ تُجَّاراً بِلاَ أَرْبَاحٍ- وَ أَيْقَاظاً نُوَّماً- وَ شُهُوداً غُيَّباً- وَ نَاظِرَهً عَمْيَاءَ- وَ سَامِعَهً صَمَّاءَ- وَ نَاطِقَهً بَكْمَاءَ رَايَهُ ضَلاَلٍ قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا- وَ تَفَرَّقَتْ بِشُعَبِهَا- تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا- وَ تَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا- قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنَ الْمِلَّهِ- قَائِمٌ عَلَى الضَّلَّهِ- فَلاَ يَبْقَى يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ إِلاَّ ثُفَالَهٌ كَثُفَالَهِ الْقِدْرِ- أَوْ نُفَاضَهٌ كَنُفَاضَهِ الْعِكْمِ- تَعْرُكُكُمْ

عَرْکَ الْأَدِیمِ- وَ تَدُوسُکُمْ دَوْسَ الْحَصِیدِ- وَ تَسْتَخْلِصُ الْمُؤْمِنَ مِنْ بَیْنِکُمُ- اسْتِخْلَاصَ الطَّیْرِ الْحَبَّهَ الْبَطِینَهَ- مِنْ بَیْنِ هَزِیلِ الْحَبِّ أَیْنَ تَذْهَبُ بِکُمُ الْمَذَاهِبُ- وَ تَتِیهُ بِکُمُ الْغَیَاهِبُ- وَ تَخْدَعُکُمُ الْکَوَاذِبُ- وَ مِنْ أَیْنَ تُؤْتَوْنَ- وَ أَنَّی تُؤْفَکُونَ- فَ «لِکُلِّ أَجَلٍ کِتابٌ» - وَ لِکُلِّ غَیْبَهٍ إِیَابٌ- فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِیِّکُمْ- وَ أَحْضِرُوهُ قُلُوبَکُمْ- وَ اسْتَیْقِظُوا إِنْ هَتَفَ بِکُمْ- وَ لْیَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ- وَ لْیَجْمَعْ شَمْلَهُ- وَ لْیُحْضِرْ ذِهْنَهُ- فَلَقَدْ فَلَقَ لَکُمُ الْأَمْرَ فَلْقَ الْخَرَزَهِ- وَ قَرَفَهُ قَرْفَ الصَّمْغَهِ فَعِنْدَ ذَلِکَ أَخَذَ الْبَاطِلُ مَآخِذَهُ- وَ رَکِبَ الْجَهْلُ مَرَاکِبَهُ- وَ عَظُمَتِ الطَّاغِیَهُ وَ قَلَّتِ الدَّاعِیَهُ- وَ صَالَ الدَّهْرُ صِیَالَ السَّبُعِ الْعَقُورِ- وَ هَدَرَ فَنِیقُ الْبَاطِلِ بَعْدَ کُظُومٍ- وَ تَوَاخَی النَّاسُ عَلَی الْفُجُورِ- وَ تَهَاجَرُوا عَلَی الدِّینِ- وَ تَحَابُّوا عَلَی الْکَذِبِ- وَ تَبَاغَضُوا عَلَی الصِّدْقِ- فَإِذَا کَانَ ذَلِکَ کَانَ الْوَلَدُ غَیْظاً- وَ الْمَطَرُ قَیْظاً وَ تَفِیضُ اللِّئَامُ فَیْضاً- وَ تَغِیضُ الْکِرَامُ غَیْضاً- وَ کَانَ أَهْلُ ذَلِکَ الزَّمَانِ ذِئَاباً- وَ سَلَاطِینُهُ سِبَاعاً وَ أَوْسَاطُهُ أُکَّالًا- وَ فُقَرَاؤُهُ أَمْوَاتاً وَ غَارَ الصِّدْقُ- وَ فَاضَ الْکَذِبُ- وَ اسْتُعْمِلَتِ الْمَوَدَّهُ بِاللِّسَانِ- وَ تَشَاجَرَ النَّاسُ بِالْقُلُوبِ- وَ صَارَ الْفُسُوقُ نَسَباً- وَ الْعَفَافُ عَجَباً- وَ لُبِسَ الْإِسْلَامُ لُبْسَ الْفَرْوِ مَقْلُوباً

اللغه

أقول: المواسم: المسامير الّتى تكوى .و انجابت: انكشفت .و المتوسّم:

المتفرّس .و الضلّه: الضلال .و العكم بكسر العين: العدل .و البطينه: الممتليه .

و الغياهب: الظلم .و تؤفكون: تصرفون .و الفنيق: الفحل المكرم .و كظوم الجمل:

سكوته عن الجرّه .

المعنى

فقوله:طبيب دوّار بطبّه.

استعاره بالكنايه فقوله: طبيب دوّار بطبّه.

كنايه عن نفسه كنايه بالمستعار فإنّه طبيب مرضى الجهل و رذائل الأخلاق، و كنّى بدورانه بطبّه تعرّضه لعلاج الجهّال من دائهم و نصب نفسه لذلک ، استعاره و استعار لفظ المراهم لما عنده من العلوم و مكارم الأخلاق ،و لفظ المواسم لما يتمكّن منه من إصلاح من لا ينفع فيه الموعظه و التعليم بالجلد و سائر الحدود.فهو كالطبيب الكامل الّذى يملك المراهم و الأدويه و المكاوى لمن لا ينفع فيه المراهم يضع كلّ واحد من أدويته و مواسمه حيث الحاجه إليه من قلوب عمى يفتح عماها بإعدادها لقبول أنوار العلم و الهدايه لسلوک سبيل اللّه،و من آذان صمّ يعدّها لقبول المواعظ ، مجاز إطلاقا لاسم الملزوم على لازمه و تجوّز بلفظ الصمم فى عدم انتفاع النفس بالمواعظه من جهتها فهى كالصمّاء إطلاقا لاسم الملزوم على لازمه.

إذ كان الصمم يستلزم ذلک العدم،و من ألسنه بكم يطلقها بذكر اللّه و الحكمه،و أطلق لفظ البكم مجازا فى عدم المطلوب منها بوجودها و هو التكلّم بما ينبغى فإنّها لفقدها ذلک المطلوب كالبكم .

و قوله:متّبع.

و قوله: متّبع .

صفه لطبيب، كنايه و مواضع الغفله و مواطن الحيره كنايه عن قلوب الجهّال[الجهله خ] و لذلک أشار إليهم بأنّهم لم يستضيئوا بأضواء الحكمه :أى لم يكسبوا شيئا من العلوم و الأخلاق و لم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبه الّتى تثقب سترات الحجب كما يستخرج بالزناد النار .

و قوله:فهم فى ذلک

تشبيه و قوله: فهم فى ذلک :أى فى عدم استضاءتهم بأضواء الحكمه كالأنعام السائمه و الصخور القاسيه .و وجه المشابهه بينهم

و بین الأنعام استوائهم فی الغفله و الانخراط فی سلک الشهوه و الغضب دون اعتبار شیء من حظّ العقل و عدم التقیّد به کما لا قید

ص:۴۲

للأنعام السائمه.و بینهم و بین الصخور قساوه قلوبهم و عدم لینها و خشیتها من ذکر اللّه و آیاته کما قال تعالی «ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُکَمْ مِنْ بَعْدِ ذلِکَ فَهِیَ کَالْحِجارَهِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَهً» (۱)

و قوله:قد انجابت السرائر لأهل البصائر .

و قوله: قد انجابت السرائر لأهل البصائر.

إشاره إلی انکشاف ما یکون بعده لنفسه القدسیّه و لمن تفرّس من اولی التجارب و الفطن السلیمه ممّا یکون من ملوک بنی امیّه و عموم ظلمهم،و یحتمل أن یرید بالسرائر أسرار الشریعه و انکشافها لأهلها.

و قوله:و وضحت محجّه الحقّ لخابطها .

و قوله: و وضحت محجّه الحقّ لخابطها.

إشاره إلی وضوح الشریعه و بیان طریق اللّه،و فایده القضیّه الاولی التنبیه علی النظر فی العواقب،و فائده الثانیه الجذب إلی اتّباع الدین و سلوک سبیل اللّه إذ لا عذر للخابطین فی جهالاتهم بعد وضوح دین اللّه.

و قوله:و أسفرت الساعه عن وجهها :

کنایه و قوله: و أسفرت الساعه عن وجهها:

أی بدت مقبله،و لمّا کان وجه الشیء أوّل ما یبدو منه و ینظر کنّی به عمّا بدا من أمر الساعه و هو قیام الفتن و إقبالها.

و قوله:و ظهرت العلامه لمتوسّمها :

و قوله: و ظهرت العلامه لمتوسّمها:

أی علامه قیام الساعه و هی الفتن المتوقّعه المتفرّسه(المتغرّسه خ)من بنی امیّه و من بعدهم،و ذکره لإسفار الساعه و علاماتها تهدید و ترغیب فی العمل لها.

و قوله:ما لی أراکم أشباحا بلا أرواح .

تشبیه و قوله: ما لی أراکم أشباحا بلا أرواح.

شبّههم فی عدم انتفاعهم بالعقول و عدم تحریک المواعظ و التذکیر لهم بالجمادات الخالیه من الأرواح،کما قال تعالی «کَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَهٌ» (۲).

و قوله:و أرواحا بلا أشباح .

و قوله: و أرواحا بلا أشباح.

قیل فیه وجوه:الأوّل:أنّ ذلک مع ما قبله إشاره إلی نقصانهم:أی أنّ منهم من هو شبح بلا أرواح کما سبق،و من کان له روح و فهم فلا قوّه له بأمر الحرب

ص:۴۳

۱- ۱) ۶۹-۲.

۲- ۲) ۴-۶۳.

و لا نهضه معه فهو كروح خلت عن بدن،فهم فى طريق تفريط و إفراط.

الثانى:قيل:كنّى بـذلك عن عـدم نهضه بعضـهم إلى الحرب دون بعض إذا دعوا إليه كما لا يقوم البـدن بـدون الروح و لا الروح بدون البدن.

الثـالث:قـال بعضـهم:أراد أنّهم إن خـافوا ذهلت عقولهم و طـارت ألبـابهم فكـانوا كالأجسام بلا أرواح و إن أمنوا تركوا الاهتمام باموره‍م و ضيّعوا الفرص و مصالح الإسلام حتّى كأنّهم فى ذلك أرواح لا تعلّق لها بما يحتاج الأجسام إليه.

قوله:و نسّاكا بلا صلاح .

و قوله: و نسّاكا بلا صلاح.

إشاره إلى أنّ من تزهّد منهم فزهده ظاهرىّ ليس عن صلاح سريرته.و قيل:

أراد من تزهّـد منهم عن جهـل فـإنّه و إن عمل إلاّ أنّ أعماله لمّا لم تكن عن علم كانت ضايعه واقعه على غير الوجه المرضـىّ و المأمور به،كما روى عن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم:الزاهد الجاهل مسخره الشيطان.

و قوله:و تجّارا بلا أرباح .

استعاره و قوله: و تجّارا بلا أرباح.

إشاره إلى من يتّجر منهم بالأعمال الفاسـده و هو يعتقـد كونها قربه إلى اللّه مسـتلزمه لثوابه و ليس كـذلك،و لفظ التجّار و الربح مستعاران،و وجه الاستعارتين ظاهر.

و قوله:و أيقاظا نوّما .

كنايه و قوله: و أيقاظا نوّما.

كنّى بنومهم عن نوم نفوسهم فى مراقد الطبيعه و مماهد الغفله فهم بهذا الاعتبار أيقاظ العيون نوّم العقول .

و قوله:و شهودا غيّبا :

و قوله: و شهودا غيّبا:

أى شهودا بأبدانهم غيّبا بعقولهم عن التفطّن لمقاصد اللّه و التلقّى لأنواره من الموعظه و الأوامر الإلهيّه.

و قوله:و ناظره عمياء .

تشبيه و قوله: و ناظره عمياء.

أراد و عیونا ناظره عمیاء:أی عن تصفّح آثار اللّه للعبره بها و الانتفاع فی أمر الآخره فهی تشبه العمی فی عدم الفائده بها .

و قوله:و سامعه صمّاء :

تشبيه و قوله: و سامعه صمّاء:

أى:و آذانا سامعه للأصوات صمّاء عن نداء اللّه و النافع من كلامه فهى تشبه الصمّ فى عدم الفائده المقصوده .

و قوله:و ناطقه بكماء :

استعاره و قوله: و ناطقه بكماء:

أى:و ألسنه ناطقه بكماء عن النطق بما ينبغى فأشبهت البكم،و لفظ العمياء و الصمّاء و البكماء مستعار للمشابهات المذكوره،و قد راعى فى ذلك التضادّ فى الألفاظ و أراد ذوى عيون و آذان و ألسنه بالصفات المذكوره:أى خاليه عن الفائده .

و قوله:رايه ضلالهرأيت ضلاله خ .

استعاره بالكنايه و قوله: رايه ضلاله[رأيت ضلاله خ].

لمّا نبّههم و أيقظهم بالتوبيخ و التقريع و التنقيص ألقى إليهم ما ينبغى أن يحترزوا منه و يأخذوا اهبّتهم له من ظهور الفتن المتوقّعه لبنى اميّه،و كنّى عن ظهورها بقوله:رايه ضلاله،و التقدير هذه رايه ضلاله،و كنّى بقيامها على قطبها عن اجتماع أهلها على قائد الفتنه و رئيسهم فيها،و كنّى بالقطب عنه كنايه بالمستعار .و تفرّقها و تشعّبها انتشارها فى الآفاق و تولّد فتن اخرى عنها. استعاره مرشحه ثمّ استعار لفظ الكيل لأخذهم و إهلاكهم زمره زمره ملاحظه لشبهها بالكيّال فى أخذه لما يكيل جمله جمله،و رشّح بلفظ الصاع ،و كذلك استعار لفظ الخبط لايقاع السيف و الأحكام الجائره فيهم على غير قانون دينىّ و لا نظام حقّ لشبهها بالبكره النفور من الإبل الّتى تخبط ما تلقاه بيديها،و رشّح الاستعاره بذكر الباع.و لم يقل بيدها لأنّ ذكر الباع أبلغ فى البعير عن قوّه الخبط.

و قوله:قائدها خارج عن الملّه :

و قوله: قائدها خارج عن الملّه:

أى خارج عن الدين و الشريعه فاسق عن أمر اللّه قائم على الضلّه :أى مقيم على الضلاله.

و قوله:فلا يبقى يومئذ منكم إلاّ ثفاله كثفاله القدر .

استعاره بالكنايه و قوله: فلا يبقى يومئذ منكم إلاّ ثفاله كثفاله القدر.

استعار لفظ الثفاله و كنّى به عمّن لا ـ خير فيه من الأرذال و من لا ذكر له و لا شهره،و شبّه اولئك بثفاله القدر فى كونهم غير معتبرين و لا ملتفت إليهم ،و كذلك

نفاضه العرك و هو ما يبقى فى أسفل العدل من أثر الزاد أو الحنطه و نحوها . استعاره ثمّ استعار لفظ العرك لتقليب الفتن لهم و رميهم و تذليلهم بها كما يذلّل و يليّن الأديم ،و كذلك استعار لفظ الدوس لإهانتهم لهم و شدّه امتهانهم إيّاهم بالبلاء،و شبّه ذلك بدوس الحصيد من الحنطه و نحوها و هو ظاهر ، تشبيه ثمّ أشار إلى استقصاء أهل تلك الضلاله على المؤمنين و استخلاصهم لهم لإيقاع المكروه بهم،و شبّه ذلك الاستخلاص باستخلاص الطير الحبّه السمينه الممتليه من الفارغه الهزيله و ذلك أنّ الطير ترتاز بمنقاره سمين الحبّ من هزيله فيخلّى عن الهزيل منه . ثمّ أخذ يسألهم على سبيل التهكّم و التقريع لهم ببقائهم على غوايتهم فسألهم عن غايه أخذ مذاهب الضلال،و عمّا تتيه بهم ظلم الجهالات ،و عمّا تخدعهم أوهامهم الكواذب جاذبا لهم إليه،منكرا عليهم مطلوبا آخر غير اللّه تعالى،رادعا لهم من طريق غير شريعته .ثمّ سألهم عن الجهه الّتى يؤتون منها:أى من أين أتتكم هذه الأمراض.و هو عليه السّلام يعلم أنّ الداخل إنّما دخل عليهم من جهلهم لكن هذا وجه من البلاغه و ذكرنا أنّه يسمّى تجاهل العارف و هو كقوله تعالى «فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ » و كذلك قوله: «فَأَنّى تُؤْفَكُونَ» :أى متى يكون انصرافكم عمّا أنتم عليه من الغفله .

و قوله:و لكلّ أجل كتاب و لكلّ غيبه إياب.

و قوله: و «لِكُلِّ أَجَلٍ كِتابٌ» و لكلّ غيبه إياب.

تهديد بالإشاره إلى قرب الموت و أنّهم بمعرض أن يأخذهم على غفلتهم فيكونوا من الأخسرين أعمالا .ثمّ أمرهم بإسماع الموعظه منه.و الربّانىّ:العالم علم الربوبيّه المتبحّر فيه .ثمّ باحضار قلوبهم و هو التفاتهم بأذهانهم إلى ما يقول .ثمّ بالاستيقاظ من نوم الغفله عند هتفه بهم و ندائه لهم. استعاره بالكنايه و قوله : و ليصدق رائد أهله .مثل نزّله هنا على مراده،و أصله:لا يكذب رائد أهله.فاستعار لفظ الرائد للفكر،و وجه المثل أنّ الرائد لمّا كان هو الّذى يبعثه القوم لطلب الكلاء و الماء أشبه الفكر فى كونه مبعوثا من قبل النفس فى طلب مرعاها و ماء حياتها من العلوم و سائر الكمالات فكنّى به عنه، و أهله على هذا البيان هو النفس فكأنّه عليه السّلام قال:فلتصدق أفكاركم و متخيّلاتكم نفوسكم،و صدقها إيّاها تصرّفها على حسب إشاره العقل فيما تقوله و تشير به دون

التفات إلى مشاركه الهوى فإنّ الرائد إذا أرسلته النفس عن مشاركه ميل شهوانىّ كذبها و دلّيها بغرور،و يحتمل أن يريد بالرائد أشخاص من حضر عنده فإنّ كلاّ منهم له أهل و قبيله يرجع إليهم فأمرهم أن يصدقهم أمر لهم بتبليغ ما سمع على الوجه الّذى ينبغى و النصيحه به و الدعوه إليه كما يرجع طالب الكلاء و الماء الواجد لهما إلى قومه فيبشّرهم به و يحملهم إليه .

و قوله:و ليجمع شمله

و قوله: و ليجمع شمله :

أى ما تفرّق و تشعّب من خواطره فى امور الدنيا و مهمّاتها ،و ليحضر ذهنه:

أى و ليوجّهه إلى ما أقول

و قوله:و لقد فلق لكم الأمر فلق الخرزه:

و قوله: و لقد فلق لكم الأمر فلق الخرزه:

أى أوضح لكم أمر ما جهلتموه من الدين و أحكام الشريعه،و قيل:أمر ما سيكون من الفتن.و شقّ لكم ظلمه الجهل عنه كايتّضح باطن الخرزه بشقّها ، و قرفه قرف الصمغه :أى ألقى إليكم علمه بكلّيّته و النصيحه فيه حتّى لم يدّخر عنكم شيئا كما يقرف الصمغه قارفها،يقال:تركته على مثل مقرف الصمغه،إذا لم تترك له شيئا لأنّ الصمغه تقتلع من شجرها حتّى لا تبقى عليها علقه .

و قوله:فعند ذلک.

استعاره بالكنايه و قوله: فعند ذلک.

متّصل بقوله: من بين هزيل الحبّ :أى فعند ما تفعل بكم تلك الفتن و رايه الضلال ما تفعل قد أخذ الباطل مآخذه:أى استحكم و ثبت و أخذ مقارّه،و كذلک يركب الجهل مراكبه:أى كان ذلک وقت حملته ملاحظه لتشبيهه بالمستعدّ للغاره قد ركب خيله،و كنّى بمراكبه عن الجهّال .

و قوله:و عظمت الطاغيه

و قوله: و عظمت الطاغيه:

أى الفتنه الطاغيه الّتى تجاوزت فى عظمها الحدّ و المقدار ، و قلّت الراعيه:

أى رعاه الدين و أهله الّذين يحمون حوزته:أى الفرقه الراعيه،و روى الداعيه:

أى الفرقه الداعيه إلى اللّه .

و قوله:وصال الدهر صيال السبع العقور

و قوله: وصال الدهر صيال السبع العقور .

ص:۴۷

استعاره استعار وصف الصيال للدهر ملاحظه ا لشبهه بالسبع،و وجه الاستعاره كون الدهر مبدءا قوّيا لتلك الشرور الواقعه فأشبه السبع الضارى العقور فى شدّه صياله .

ثمّ استعار لفظ الفنيق للباطل و رشّح الاستعاره بذكر الهدير و الكظوم،و وجه المشابهه ظهور الباطل و إكرام أهله و تمكّنهم من الأمر و النهى كالفحل المكرّم ذى الشقشقه، و عنى بالهدير ظهورهم و تمكّنهم و بالكظوم خفاء الباطل و خمول أهله فى زمان ظهور الحقّ و قوّته .

و قوله:و تواخى الناس على الفجور:

و قوله: و تواخى الناس على الفجور:

أى كان اتّصالهم و محبّه بعضهم لبعض على الفجور و اتّباع الأهواء . و تهاجروا على الدين :أى من أحسّوا منه قوّه فى دينه هجروه و رفضوه.فهجرهم .و التحابّ على الكذب داخل تحت التواخى على الفجور ،و التباغض على الصدق داخل تحت التهاجر على الدين،و الغرض بتعداد ذلك تنفير السامعين عن تلك الرذائل و تخويفهم بوقوعها .

و قوله:فإذا كان ذلک كان الولد غيظا:

مجاز إطلاقا لاسم السبب على المسبّب و قوله: فإذا كان ذلک كان الولد غيظا:

أى إذا احدث ذلک اشتغل كلّ امرء بنفسه لينجو بها.فيكون الولد الّذى هو أعزّ محبوب غيظا لوالده:أى من أسباب محنته و غيظه،و أطلق لفظ الغيظ عليه إطلاقا لاسم السبب على المسبّب .

و قوله:و المطر قيظا.

كنايه و قوله: و المطر قيظا.

جعل وقوع المطر قيظا من علامات تلک الشرور و هو أيضا ممّا يعدّ شرّا لأنّه لا يثير نباتا و لا يقوم عليه زرع و يفسد الثمار القائمه،و كأنّه كنّى به عن انقلاب أحوال الخير شرورا .

و قوله:و كان أهل ذلک الزمان.إلى قوله:أمواتا.

و قوله: و كان أهل ذلک الزمان.إلى قوله:أمواتا.

أهل كلّ زمان ينقسمون إلى ملوک أكابر،و أوساط،و أدانى.فإذا كان زمان العدل كان أهله فى نظام سلكه فيفيض عدل الملوک على من يليهم ثمّ بواسطتهم على من يليهم حتّى ينتهى إلى أدانى الناس،و إذا كان زمان الجور فاض الجور كذلک فكانت السلاطين سباعا ضاريه مفترسه لكلّ ذى سمن،و كان أهل ذلک الزمان و أكابره ذئابا ضاريه

على أوساط الناس و كانت الأوساط أكّالا لهم،و كانت الفقراء أمواتا لانقطاع مادّه حياتهم ممّن هو أعلى منهم رتبه، مجاز إطلاقا لاسم السبب على المسبّب و تجوّز بلفظ الأموات عن غايه الشدّه و البلاء لكون الموت غايه ذلك إطلاقا لاسم السبب الغائىّ على مسبّبه . استعاره ثمّ استعار لفظ الغيض لقلّه الصدق و الفيض لظهور الكذب و كثرته ملاحظه لشبهها بالماء،و استعمال المودّه باللسان إشاره إلى النفاق و هو التودّد بالقول مع التباعد بالقلوب و عقدها على البغض و الحسد،و استعار لفظ التشاجر بالقلوب ملاحظه لشبهها بالرماح فكما أنّ الرمح يشجر به فكذلك قلوب بعضهم تعقد على هلاك بعض و الطعن فيه بأنواع المهلكات ،و كذلك لفظ النسب للفسوق،و وجه المشابهه كون الفسق بينهم يومئذ هو سبب التواصل و التزاور و التحابّ كما أنّ النسب كذلك ،و صار العفاف عجبا لقلّه وجوده و ندرته بينهم، تشبيه و لبس الإسلام لبس الفرو مقلوبا من أحسن التشبيه و أبلغه و المشبّه به هاهنا هو لبس الفرو و وجه الشبه كونه مقلوبا،و بيانه أنّه لمّا كان الغرض من الإسلام أن يكون باطنا ينتفع به القلب و يظهر فيه منفعته فقلّب المنافقون غرضه و استعملوه بظاهر ألسنتهم دون قلوبهم أشبه قلبهم له لبس الفرو.

إذ كان أصله أن يكون حمله ظاهرا لمنفعه الحيوان الّذى هو لباسه فاستعمله الناس مقلوبا .و باللّه التوفيق.

۱۰۶-و من خطبه له عليه السّلام

الفصل الأول

اشاره

:كُلُّ شَیْءٍ خَاشِعٌ لَهُ- وَ كُلُّ شَیْءٍ قَائِمٌ بِهِ- غِنَی كُلِّ فَقِیرٍ- وَ عِزُّ كُلِّ ذَلِیلٍ- وَ قُوَّهُ كُلِّ ضَعِیفٍ- وَ مَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ- مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ- وَ مَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ- وَ مَنْ عَاشَ فَعَلَیْهِ رِزْقُهُ- وَ مَنْ مَاتَ فَإِلَیْهِ مُنْقَلَبُهُ- لَمْ تَرَكَ الْعُیُونُ فَتُخْبِرَ عَنْكَ- بَلْ كُنْتَ قَبْلَ الْوَاصِفِینَ مِنْ خَلْقِكَ- لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لِوَحْشَهٍ- وَ لَا

اسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعِهِ- وَ لاَ يَسْبِقُکَ مَنْ طَلَبْتَ- وَ لاَ يُفْلِتُکَ مَنْ أَخَذْتَ- وَ لاَ يَنْقُصُ سُلْطَانَکَ مَنْ عَصَاکَ- وَ لاَ يَزِيدُ فِي مُلْکِکَ مَنْ أَطَاعَکَ- وَ لاَ يَرُدُّ أَمْرَکَ مَنْ سَخِطَ قَضَاءَکَ- وَ لاَ يَسْتَغْنِي عَنْکَ مَنْ تَوَلَّی عَنْ أَمْرِکَ- کُلُّ سِرٍّ عِنْدَکَ عَلاَنِيَهٌ- وَ کُلُّ غَيْبٍ عِنْدَکَ شَهَادَهٌ- أَنْتَ الْأَبَدُ فَلاَ أَمَدَ لَکَ- وَ أَنْتَ الْمُنْتَهَی فَلاَ مَحِيصَ عَنْکَ- وَ أَنْتَ الْمَوْعِدُ فَلاَ مَنْجَی مِنْکَ إِلاَّ إِلَيْکَ- بِيَدِکَ نَاصِيَهُ کُلِّ دَابَّهٍ- وَ إِلَيْکَ مَصِيرُ کُلِّ نَسَمَهٍ- سُبْحَانَکَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرَی مِنْ خَلْقِکَ- وَ مَا أَصْغَرَ عِظَمَهُ فِي جَنْبِ قُدْرَتِکَ- وَ مَا أَهْوَلَ مَا نَرَی مِنْ مَلَکُوتِکَ- وَ مَا أَحْقَرَ ذَلِکَ فِيمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِکَ- وَ مَا أَسْبَغَ نِعَمَکَ فِي الدُّنْيَا- وَ مَا أَصْغَرَهَا فِي نِعَمِ الْآخِرَهِ أقول:هذا الفصل من أشرف الفصول المشتمله على توحيد اللّه و تنزيهه و إجلاله و تعظيمه.

اللغه

و اللهف: الحزن ،و الملهوف: المظلوم يستغيث .و الأبد: الدائم .و الأمد :

الغايه .و حاص عن الشيء: عدل و هرب .و المحيص: المهرب .

و فيه اعتبارات ثبوتيّه و سلبيّه:

اشاره

أمّا الثبوتيّه فعشره :

الأوّل:خشوع کلّ شیء له

،و الخشوع مراد هنا بحسب الاشتراک اللفظیّ.

إذ الخشوع من الناس يعود إلى تطأ منهم و خضوعهم للّه و من الملائکه دؤو بهم فی عبادتهم ملاحظه لعظمته،و من سائر الممکنات انفعالها عن قدرته و خضوعها فی رقّ الإمکان و الحاجه إليه،و المشترک و إن کان لا يستعمل فی جميع مفهوماته

حقیقه فقد بیّنا أنّه یجوز استعماله مجازا فیها بحسب القرینه و هی هنا إضافته إلی کلّ شیء أو لأنّه فی قوّه المتعدّد کقوله تعالی «إِنَّ اللّهَ وَ مَلائِکَتَهُ یُصَلُّونَ عَلَی النَّبِیِّ» (۱)فکأنّه قال:الملک خاشع له و البشر خاشع له،و هذا الاعتبار یستلزم وصفه تعالی باعتبارین:أحدهما:کونه عظیما،و الثانی:کونه غنیّا:أمّا العظیم فینقسم إلی ما یکبر حاله فی النفس و لکن یتصوّر أن یحیط بکماله العقول و یقف علی کنه حقیقته،و إلی ما یمکن أن یحیط به بعض العقول و إن فات أکثرها، و هذان القسمان إنّما یطلق علیهما لفظ العظمه بالإضافه،و قیاس کلّ إلی ما دونه فیما هو عظیم فیه،و إلی ما لا یتصوّر أن یحیط به العقل أصلا و ذلک هو العظیم المطلق الّذی جاوز حدود العقول أن یقف علی صفات کماله و نعوت جلاله،و لیس هو إلاّ اللّه تعالی،و أمّا الغنیّ فسنذکره .

الثانی:قیام کلّ شیء به

.و اعلم أنّ جمیع الممکنات إمّا جواهر أو أعراض و لیس شیء منها یقوم بذاته فی الوجود:أمّا الأعراض فظاهر لظهور حاجتها إلی المحلّ الجوهریّ،و أمّا الجواهر فلأنّ قوامها فی الوجود إنّما یکون بقیام عللها و تنتهی إلی الفاعل الأوّل جلّت عظمته فهو إذن الفاعل المطلق الّذی به قوام کلّ موجود فی الوجود،و إذ ثبت أنّه تعالی غنیّ عن کلّ شیء فی کلّ شیء و ثبت أنّ به قوام کلّ شیء ثبت أنّه القیّوم المطلق.إذ مفهوم القیّوم هو القائم بذاته المقیم لغیره فکان هذا الاعتبار مستلزما لهذا الوصف .

الثالث:

مجاز إطلاقا لاسم السبب علی المسبّب کونه تعالی غنی کلّ فقیر ،و یجب أن یحمل الفقر علی ما هو أعمّ من الفقر المتعارف و هو مطلق الحاجه لیعمّ التمجید کما أنّ الغنی هو سلب مطلق الحاجه،و إذ ثبت أنّ کلّ ممکن فهو مفتقر فی طرفیه منته فی سلسله الحاجه إلیه، و أنّه تعالی المقیم له فی الوجود ثبت أنّه تعالی رافع حاجه کلّ موجود بل کلّ ممکن و هو المراد بکونه غنی له،و أطلق علیه تعالی لفظ الغنی و إن کان الغنی به مجازا إطلاقا لاسم السبب علی المسبّب .

ص:۵۱

۱- ۱) ۵۶-۳۳.

الرابع:

كونه عزّ كلّ ذليل ،و قد سبق أنّ معنى العزيز هو الخطير الّذى يقلّ وجود مثله و يشتدّ الحاجه و يصعب الوصول إليه فما اجتمعت فيه هذه المفهومات الثلاثه سمّى عزيزا،و سبق أيضا أنّ هذه المفهومات مقوله بالزياده و النقصان على ما تصدق عليه،و أنّه ليس الكمال فى واحد منها إلاّ للّه سبحانه،و يقابله الذليل و ثبت أنّه تعالى عزّ كلّ موجود لأنّ كلّ موجود سواه إنّما يتحقّق فيه هذه المفهومات الثلاثه منه سبحانه الناظم لسلسله الوجود و الواضع لكلّ من الموجودات فى رتبته من النظام الكلّىّ فمنه عزّ كلّ موجود،و كلّ موجود ذليل فى رقّ الإمكان و الحاجه إليه فى إفاضه المفهومات الثلاثه عليه فهو إذن عزّ كلّ ذليل و إطلاق لفظ العزّ عليه كإطلاق لفظ الغنى .

الخامس:

و قوّه كلّ ضعيف :القوّه تطلق على كمال القدره و على شدّه الممانعه و الدفع و يقابلها الضعف و هما مقولان بالزياده و النقصان على من يطلقان عليه،و إذ ثبت أنّه تعالى مستند جميع الموجودات و المفيض على كلّ قابل ما يستعدّ له و يستحقّه فهو المعطى لكلّ ضعيف عادم القوّه من نفسه كماله و قوّته فمنه قوّه كلّ ضعيف بالمعنيين المذكورين لها،و روى أنّ الحسن قال:و اعجبا لنبىّ اللّه لوط عليه السّلام إذ قال لقومه:لو أنّ لى بكم قوّه أو آوى إلى ركن شديد أ تراه أراد ركنا أشدّ من اللّه تعالى.و إطلاق لفظ القوّه عليه كإطلاق لفظ الغنى أيضا .

السادس:

كونه مفزع كلّ ملهوف :أى إليه ملجأ كلّ مضطرّ فى ضرورته حال حزن أو خوف أو ظلم كما قال تعالى «ثُمَّ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْئَرُونَ» (۱)«وَ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِی الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاّـ إِیّاهُ» (۲)فكلّ مفزع و ملجأ غيره فلمضطرّ لا لكلّ مضطرّ و مجاز لا حقيقه و إضافىّ لا حقيقىّ،و هذا الاعتبار يستلزم كمال القدره للّه لشهاده فطره ذى الضروره بنسبه جميع أحوال وجوده إلى جوده و يستلزم كمال العلم لشهاده فطرته باطّلاعه على ضرورته،و كذلك كونه سميعا و بصيرا و خالقا و مجيبا للدعوات و قيّوما و نحوها من الاعتبارات .

ص:۵۲

۱- ۱) ۳۳-۱۶

۲- ۲) ۶۹-۱۷.

السابع:

كونه من تكلّم سمع نطقه .

الثامن:

من سكت علم سرّه،و هما إشارتان إلى وصفى السميع و العليم،و لمّا كان السميع يعود إلى العالم بالمسموعات استلزم الوصفان إحاطته بما أظهر العبد و أبداه و ما أسرّه و أخفاه فى حالتى نطقه و سكوته،و قد سبقت الإشاره إلى ذلك .

التاسع:

و من عاش فعليه رزقه .

العاشر:

و من مات فإليه منقلبه،و هما إشارتان إلى كونه تعالى مبدء للعباد فى وجودهم و ما يقوم به عاجلا و منتهى و غايه لهم آجلا فإليه رجوع الأحياء منهم و الأموات،و به قيام وجودهم حالتى الحياه و المماه .

الحادى عشر من الاعتبارات السلبيّه:

التفات من الغيبه إلى الخطاب تجوز-اضمار لم تراك العيون فتخبر عنك .و فيه التفات من الغيبه إلى الخطاب كقوله تعالى «إِيّاكَ نَعْبُدُ» و هذا الالتفات و عكسه يستلزم شدّه عنايه المتكلّم بالمعنى المنتقل إليه،و حسنه معلوم فى علم البيان، و اعلم أنّ هذا الكلام لا بدّ فيه من تجوّز أو إضمار،و ذلك إن جعلنا الرائى هو العيون كما عليه اللفظ و يصدق حقيقه لزم إسناد قوله فتخبر إليها مجازا لكون الإخبار ليس لها، و إن راعينا عدم المجاز لزم أن يكون التقدير:لم ترك العيون فتخبر عنك أربابها،أو لم ترك أرباب العيون فتخبر عنك.فيلزم الاضمار و يلزم التعارض بينه و بين المجاز لكن قد علمت فى مقدّمات اصول الفقه:أنّهما سيّان فى المرتبه،و غرض الكلام تنزيهه تعالى عن وصف المشبّهه و نحوهم و إخبارهم عنه بالصفات الّتى من شأنها أن يخبر عنها الراءون عن مشاهده حسيّه مع اعترافهم بأنّ إخبارهم ذلك من غير رؤيه،و لمّا كان الإخبار عن المحسوسات و ما من شأنه أن يحسّ إنّما يصدق إذا استند إلى الحسّ لا جرم استلزم سلبه لرؤيه العيون له سلب الإخبار عنه من جهتها و كذب الإخبار عنه بما لا يعلم إلاّ من جهتها،و يخبر و إن كان فى صوره الإثبات إلاّ أنّه منفىّ لنفى لازمه و هى رؤيه العيون له.إذ كان الإخبار من جهتها يستلزم رؤيتها،و نصبه بإضمار أن عقيب الفاء فى جواب النفى،و الكلام فى تقدير شرطيّه متّصله صورتها لو صحّ إخبار العيون عنك لكانت قد رأتك لكنّها لم تراك فلم تصحّ أن تخبر عنك ،فأمّا قوله: بل

كنت قبل الواصفين من خلقك .فتعليل لسلب الرؤيه المستلزم لسلب الإخبار عنها بقياس ضمير تقدير كبراه:و كلّ من كان قبل واصفيه لم يروه فلم يخبروا عنه،و هذه الكبرى من المظنونات المشهورات فى بادى النظر،و هى كما علمت من موادّ قياس الخطيب و إن كانت إذا تعقّبت لم يوجد كلّيه.إذ ليس كلّما وجد قبلنا بطل إخبارنا عنه،و يمكن حمل هذا القول على وجه التحقيق و هو أن نقول:المراد بقبليّته تعالى للواصفين قبليّه وجوده بالعليّه الذاتيّه و هو بهذا الاعتبار مستلزمه لتنزيهه تعالى عن الجسميّه و لواحقها المستلزم لامتناع الرؤيه المستلزم لكذب الإخبار عنه من وجه المشابهه الحسيّه .

الثانى عشر:

كونه لم تخلق الخلق لوحشه ،و هو إشاره إلى تنزيهه عن الطبع المستوحش و المستأنس،و قد سبق بيان ذلک فى الخطبه الاولى .

الثالث عشر:

و لا استعملتهم لمنفعه :أى لم يكن خلقه لهم لمنفعه تعود إليه، و قد سبق بيان أنّ جلب المنفعه و دفع المضرّه من لواحق المزاج-المنزّه قدس اللّه تعالى عنه -.

الرابع عشر:

و لا يسبقک من طلبت :أى لا يفوتک هربا .

الخامس عشر:

و لا يفلتک من أخذت :أى لا يفلت منک بعد أخذه فحذف حرف الجرّ،و عدّى الفعل بنفسه كما قال تعالى «وَ اخْتارَ مُوسى قَوْمَهُ» و هذان الاعتباران يستلزمان كمال ملكه و تمام قدرته و إحاطه علمه.إذ أىّ ملک فرض فقد ينجو من يده الهارب و يفلت من أسره المأخوذ بالحيله و نحوها .

السادس عشر:

و لا ينقص سلطانک من عصاک .

السابع عشر:

و لا يزيد فى ملكک من أطاعک ،و هما تنزيه له تعالى من أحوال ملوک الدنيا.إذ كان كمال سلطان أحدهم بزياده جنوده و كثره مطيعه و قلّه المخالف و العاصى له،و نقصان ملكه بعكس ذلک و هو سبب لتسلّط أعدائه عليه و طمعهم فيه.فأمّا سلطانه تعالى فلما كان لذاته و كمال قدرته مستوليا و هو مالک الملک يؤتى الملک من يشاء و ينزع الملک ممّن يشاء و يذلّ من يشاء بيده الخير «وَ هُوَ»

«عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ» .لم یتصوّر خروج العاصی بعصیانه عن سلطانه حتّی یؤثّر فی نقصانه،و لم یکن لطاعه الطائع تأثیر فی زیاده ملکه .

الثامن عشر:

و لا یردّ أمرک من سخط قضائک .یرید بالأمر هنا القدر النازل علی وفق القضاء الإلهیّ و هو تفصیل القضاء کما بیّناه،و هذا الاعتبار أیضا یستلزم تمام قدره اللّه و کمال سلطانه.إذ کان ما علم وجوده فلا بدّ من وجوده سواء کان محبوبا للعبد أو مکروها له کما قال تعالی «وَ یَأْبَی اللّهُ إِلاّ أَنْ یُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ کَرِهَ الْکافِرُونَ» (۱)«إِنَّ عَذابَ رَبِّکَ لَواقِعٌ ما لَهُ مِنْ دافِعٍ» (۲)«وَ إِنْ یَمْسَسْکَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلا کاشِفَ لَهُ إِلاّ هُوَ وَ إِنْ یَمْسَسْکَ بِخَیْرٍ فَهُوَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ» (۳)و إنّما خصّص المستخطّ للقضاء بالعجز عن ردّ الأمر.إذ کان من شأنه أن لو قدر لردّ القدر .

التاسع عشر:

و لا یستغنی عنک من تولّی عن أمرک .أراد بالأمر هاهنا ظاهره، و هو أمر عباده بطاعته و عبادته،و ظاهر أنّ من تولّی عن أمر اللّه فهو إلیه أشدّ فقرا و أنقص ذاتا ممّن تولّی أمره،و هذا الاعتبار یستلزم کمال سلطانه و غناه المطلق .

العشرون:

کلّ سرّ عندک علانیه .

الحادی و العشرون:

و کلّ غیب عندک شهاده .هذان الاعتباران یستلزمان کمال علمه و إحاطته بجمیع المعلومات،و لمّا کانت نسبه علمه تعالی إلی المعلومات علی سواء لا جرم استوی بالنسبه إلیه السرّ و العلانیه،و أیضا فإنّ السرّ و الغیب إنّما یطلقان بالقیاس إلی مخفیّ عنه و غائب عنه و هی القلوب المحجوبه بحجب الطبیعه و أستار الهیئات البدنیّه و الأرواح المستولی علیها نقصان الإمکان الحاکم علیها بجهل أحوال ما هو أکمل منها،و کلّ ذلک ممّا تنزّه قدس الصانع عنه .

الثانی و العشرون:

مجاز أنت الأبد فلا أمد لک :أی أنت الدائم فلا غایه لک یقف عندها وجودک،و ذلک لاستلزام وجوب وجوده امتناع عدمه و انتهائه بالغایه، و قال بعض الشارحین:أراد أنت ذو الأبد کما قیل:أنت خیال.أی ذو خیال من الخیلاء و هو الکبر.و أقول فی تقریر ذلک:إنّه لمّا کان الأزل و الأبد لازمین لوجود

ص:۵۵

۱- (۱) ۳۲-۹

۲- (۲) ۷-۵۲

۳- ۳) ۱۷-۶.

اللّه تعالی أطلق الأبد علی وجوده مجازا للمبالغه فی الدوام و کان أحدهما هو بعینه الآخر کقولهم:أنت الطلاق.للمبالغه فی البینونه .

الثالث و العشرون:

و أنت المنتهی فلا محیص عنک .

الرابع و العشرون:

و أنت الموعد فلا منجا منک إلاّ إلیک :أمّا أنّه تعالی المنتهی و الموعد فلقوله تعالی «وَ أَنَّ إِلی رَبِّکَ الْمُنْتَهی» (۱)و قوله «إِلَی اللّهِ مَرْجِعُکُمْ جَمِیعاً» و المنتهی فی کلامه علیه السّلام الغایه،و قد سبق بیان أنّه تعالی غایه الکلّ و مرجعه و أمّا أنّه لا معدل عنه و لا ملجأ منه إلاّ إلیه فإشاره إلی ضروره لقائه کقوله تعالی «وَ ظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاّ إِلَیْهِ » .

الخامس و العشرون:

بیدک ناصیه کلّ دابّه :أی فی ملکک و تحت تصریف قدرتک کقوله تعالی «ما مِنْ دَابَّهٍ إِلاّ هُوَ آخِذٌ بِناصِیَتِها» (۲)و إنّما خصّت الناصیه لحکم الوهم بأنّه تعالی فی جهه فوق فیکون أخذه بالناصیه،و لأنّها أشرف ما فی الدابّه فسلطانه تعالی علی الأشرف یستلزم القهر و الغلبه و تمام القدره .

السادس و العشرون:

و إلیک مصیر کلّ نسمه ،و قد سبق أنّه تعالی منتهی الکلّ،و إلیه مصیره.

و قوله:سبحانک ما أعظم ما نری من خلقک.إلی آخره .

و قوله: سبحانک ما أعظم ما نری من خلقک.إلی آخره.

تنزیه و تقدیس للّه تعالی عن أحکام الأوهام علی صفاته بشبهیّه مدرکاتها و تعجّب فی معرض التمجید من عظم ما یشاهد من مخلوقاته کأطباق الأفلاک و العناصر و ما یترکّب عنها،ثمّ من حقاره هذه العظمه بالقیاس إلی ما تعبّره العقول من مقدوراته و ما یمکن فی کمال قدرته من الممکنات الغیر المتناهیه،و ظاهر أنّ نسبه الموجود إلی الممکن فی العظم و الکثره یستلزم حقارته و صغره،ثمّ من هول ما وصلت إلیه العقول من عظمه ملکوته ،ثمّ من حقارته بالقیاس إلی ما غاب عنها و حجبت عن إدراکه بأستار القدره و حجب العزّه من الملأ الأعلی و سکّان حظائر القدس و حال العالم العلوی ،ثمّ من سبوغ نعمه اللّه تعالی علی عباده فی الدنیا و حقاره

۱ – ۱) ۳۳-۵۳

۲ – ۲) ۵۹-۱۱.

تلک النعم بالقیاس إلی النعمه الّتی أعـدّها لهم فی الآخره،و ظاهر أنّ نعم الـدنیا إذا اعتبرت إلی نعم الآخره فی الدوام و الکثره و الشرف کانت بالقیاس إلیها فی غایه الحقاره.و باللّه التوفیق.

منها:

اشاره

مِنْ مَلاَئِکهٍ أَسْکَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِک- وَ رَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِک- هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِک بِک- وَ أَخْوَفُهُمْ لَک وَ أَقْرَبُهُمْ مِنْک- لَمْ یَسْکُنُوا الْأَصْلاَبَ- وَ لَمْ یُضَمَّنُوا الْأَرْحَامَ- وَ لَمْ یُخْلَقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِینٍ- وَ لَمْ یَتَشَعَّبْهُمْ رَیْبُ الْمَنُونِ- وَ إِنَّهُمْ عَلَی مَکَانِهِمْ مِنْک- وَ مَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَک وَ اسْتِجْمَاعِ أَهْوَائِهِمْ فِیک- وَ کَثْرَهِ طَاعَتِهِمْ لَک وَ قِلَّهِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِک- لَوْ عَایَنُوا کُنْهَ مَا خَفِیَ عَلَیْهِمْ مِنْک- لَحَقَّرُوا أَعْمَالَهُمْ وَ لَزَرَوْا عَلَی أَنْفُسِهِمْ- وَ لَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ یَعْبُدُوک حَقَّ عِبَادَتِک- وَ لَمْ یُطِیعُوک حَقَّ طَاعَتِک

اللغه

أقول: المهین: الحقیر .و التشعّب: الاقتسام و التفریق .و المنون: الدهر .

و ریبه: ما یکره من حوادثه .و المکانه: المنزله .و کنه الشیء: نهایه حقیقته .

و زریت علیه: عبث فعله .

المعنی

اشاره

و اعلم أنّ من فی صـدر هـذا الفصل لبیان الجنس،و ذلک أنّه علیه السّلام لمّا شـرع فی بیان عظمه اللّه تعالی و جلاله جعل مادّه ذلک التعظیم تعدید مخلوقاته و ذکر الأشرف فالأشرف منها

فذکر الملائکه السماویه،و أشار إلی أفضلیّتهم بأوصاف :
الأوّل:کونهم أعلم خلق اللّه به

،و هو ظاهر.إذ ثبت أنّ کلّ مجرّد کان علمه أبعـد عن منازعه النفس الأمّاره بالسوء الّتی هی مبدء الغفله و السـهو و النسـیان کان أکمل فی معارفه و علومه ممّن عداه،و لأنّ الملائکه السماویّه وسائط لغیرهم

فی وصول العلم و سائر الکمالات إلی الخلق فکانوا کالاستادین لمن عداهم،و ظاهر أنّ الاستاد أعلی درجه من التلمیذ،و قد عرفت فی الخطبه الاولی أنّ المعارف مقوله بحسب التشکیک .

الثانی:کونهم أخوف له

،و ذلک لکونهم أعلم بعظمه اللّه و جلاله و کلّ من کان أعلم بذلک کان أخوف و أشدّ خشیه:أمّا الاولی:فلما مرّ،و أمّا الثانیه:

فلقوله تعالی «إِنَّما یَخْشَی اللّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ» (۱)فحصر الخشیه فی العلماء.

و بحسب تفاوت العلم بالشدّه و الضعف یکون تفاوت الخشیه بهما .

الثالث:کونهم أقرب منه

،و المراد لا القرب المکانیّ لتنزّهه تعالی عن المکان بل قرب المنزله و الرتبه منه.و ظاهر أنّ من کان أعلم به و أخوف منه کان أقرب منزله عنده لقوله تعالی «إِنَّ أَکْرَمَکُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاکُمْ» (۲).

الرابع من سلب النقصانات البشریّه عنهم

:کونهم لم یسکنوا الأصلاب، و لم یضمّنوا الأرحام،و لم یخلقوا من ماء مهین،و لم یختلف علیهم حوادث الدهر.

و ظاهر کون هذه الامور الأربعه نقصانات تلزم الحیوان العنصریّ لاستلزامها التغیّر و مخالطه المحالّ المستقذره و معاناه الأسقام و الأمراض و سائر الهیئات البدنیّه المانعه عن التوجّه إلی اللّه فکان سلبها عمّن لا یجوز علیه من کمالاته .

و قوله:و إنّهم علی مکانتهممکانهم خمنک.إلی آخره.

و قوله: و إنّهم علی مکانتهم[مکانهم خ]منک.إلی آخره.

لمّا بیّن عظمه الملائکه بالنسبه إلی من عداهم شرع فی المقصود و هو بیان عظمه اللّه تعالی بالنسبه إلیهم،و حقارتهم علی عظمتهم بالقیاس إلی عظمته و کبریائه:

أی أنّهم مع کونهم علی هذه الأحوال الّتی توجب لهم العظمه و الإجلال من قرب منزلتهم منک و کمال محبّتهم لک و غرقهم فی أنوار کبریائک عن الالتفات إلی غیرک لو عرفوا کنه معرفتک لصغرت فی أعینهم أعمالهم،و علموا أن لا نسبه لعبادتهم إلی عظمتک و جلال وجهک،و لمّا کان کمال العباده و مطابقتها للأمر المطاع بحسب العلم بعظمته،و کان ذات الحقّ سبحانه أعظم من أن یطّلع علیه بالکنه ملک مقرّب

۱- ۱) ۳۵-۲۵

۲- ۲) ۱۳-۴۹.

أو نبیّ مرسل لا جرم کانت عباده الملائکه بحسب معارفهم القاصره عن کنه حقیقته.

فکلّ من کانت معرفته أتمّ کانت عباده من دونه مستحقره فی جانب عبادته حتّی لو زادت معارفهم به و أمکن اطّلاعهم علی کنه حقیقته لزادت عبادتهم و کانت أکمل فاستحقروا ما کانوا فیه و عابوا أنفسهم بقصور الطاعه و العباده عمّا یستحقّه کماله المطلق، مجاز إطلاقا لاسم اللازم علی ملزومه و عبّر بقلّه الغفله عن عدمها فی حقّهم مجازا إطلاقا لاسم اللازم علی ملزومه.

إذ کان کلّ معدوم قلیل و لا ینعکس،و جعل قلّه الغفله فی مقابله کثره الطاعه ، و یحتمل أن یرید بقلّه الغفله قوّه معرفه بعضهم بالنسبه إلی بعض مجازا أیضا إطلاقا لاسم الملزوم علی لازمه.إذ کانت قلّه الغفله مستلزمه لقوّه المعرفه و زیادتها، و قد سبق ذکر أنواع الملائکه السماویّه و غیرهم،و ذکر نکت من أحوالهم فی الخطبه الاولی.

الفصل الثانی

اشاره

:قوله

سُبْحَانَکَ خَالِقاً وَ مَعْبُوداً- بِحُسْنِ بَلاَئِکَ عِنْدَ خَلْقِکَ خَلَقْتَ دَاراً- وَ جَعَلْتَ فِیهَا مَأْدُبَهً- مَشْرَباً وَ مَطْعَماً وَ أَزْوَاجاً- وَ خَدَماً وَ قُصُوراً- وَ أَنْهَاراً وَ زُرُوعاً وَ ثِمَاراً- ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِیاً یَدْعُو إِلَیْهَا- فَلاَ الدَّاعِیَ أَجَابُوا- وَ لاَ فِیمَا رَغَّبْتَ رَغِبُوا- وَ لاَ إِلَی مَا شَوَّقْتَ إِلَیْهِ اشْتَاقُوا- أَقْبَلُوا عَلَی جِیفَهٍ قَدِ افْتَضَحُوا بِأَکْلِهَا- وَ اصْطَلَحُوا عَلَی حُبِّهَا- وَ مَنْ عَشِقَ شَیْئاً أَعْشَی بَصَرَهُ- وَ أَمْرَضَ قَلْبَهُ- فَهُوَ یَنْظُرُ بِعَیْنٍ غَیْرِ صَحِیحَهٍ- وَ یَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَیْرِ سَمِیعَهٍ- قَدْ خَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ- وَ أَمَاتَتِ الدُّنْیَا قَلْبَهُ- وَ وَلِهَتْ عَلَیْهَا نَفْسُهُ- فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا- وَ لِمَنْ فِی یَدَیْهِ شَیْءٌ مِنْهَا- حَیْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَیْهَا- وَ حَیْثُمَا أَقْبَلَتْ

ص:۵۹

أَقْبَلَ عَلَيْهَا- لاَ- يَنْزَجِرُ مِنَ اللَّهِ بِزَاجِرٍ- وَ لاَ- يَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ- وَ هُوَ يَرَى الْمَأْخُوذِينَ عَلَى الْغِرَّهِ- حَيْثُ لاَ إِقَالَهَ وَ لاَ رَجْعَهَ- كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ- وَ جَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ- وَ قَدِمُوا مِنَ الْآخِرَهِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ- فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ- اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَهُ الْمَوْتِ- وَ حَسْرَهُ الْفَوْتِ فَفَتَرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُمْ- وَ تَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ- ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ فِيهِمْ وُلُوجاً- فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَ بَيْنَ مَنْطِقِهِ- وَ إِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِهِ يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ- وَ يَسْمَعُ بِأُذُنِهِ عَلَى صِحَّهٍ مِنْ عَقْلِهِ- وَ بَقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ- يُفَكِّرُ فِيمَ أَفْنَى عُمُرَهُ- وَ فِيمَ أَذْهَبَ دَهْرَهُ- وَ يَتَذَكَّرُ أَمْوَالاً جَمَعَهَا أَغْمَضَ فِي مَطَالِبِهَا- وَ أَخَذَهَا مِنْ مُصَرَّحَاتِهَا وَ مُشْتَبِهَاتِهَا- قَدْ لَزِمَتْهُ تَبِعَاتُ جَمْعِهَا- وَ أَشْرَفَ عَلَى فِرَاقِهَا- تَبْقَى لِمَنْ وَرَاءَهُ يَنْعَمُونَ فِيهَا- وَ يَتَمَتَّعُونَ بِهَا- فَيَكُونُ الْمَهْنَأُ لِغَيْرِهِ وَ الْعِبْءُ عَلَى ظَهْرِهِ- وَ الْمَرْءُ قَدْ غَلِقَتْ رُهُونُهُ بِهَا- فَهُوَ يَعَضُّ يَدَهُ نَدَامَهً- عَلَى مَا أَصْحَرَ لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ- وَ يَزْهَدُ فِيمَا كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمُرِهِ- وَ يَتَمَنَّى أَنَّ الَّذِي كَانَ يَغْبِطُهُ بِهَا- وَ يَحْسُدُهُ عَلَيْهَا قَدْ حَازَهَا دُونَهُ- فَلَمْ يَزَلِ الْمَوْتُ يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ- حَتَّى خَالَطَ لِسَانُهُ سَمْعَهُ- فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ لاَ يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ- وَ لاَ يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ- يُرَدِّدُ طَرْفَهُ بِالنَّظَرِ فِي وُجُوهِهِمْ- يَرَى حَرَكَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ- وَ لاَ يَسْمَعُ

رَجْعَ كَلاَمِهِمْ- ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ الْتِيَاطاً فَقُبِضَ بَصَرُهُ كَمَا قُبِضَ سَمْعُهُ وَ خَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ- فَصَارَ جِيفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ- قَدْ أَوْحَشُوا مِنْ جَانِبِهِ- وَ تَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ- لاَ يُسْعِدُ بَاكِياً وَ لاَ يُجِيبُ دَاعِياً- ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى مَخَطٍّ فِي الْأَرْضِ- فَأَسْلَمُوهُ فِيهِ إِلَى عَمَلِهِ- وَ انْقَطَعُوا عَنْ زَوْرَتِهِ

اللغه

أقول: المأدبه بضمّ الدال و فتحها: الطعام يصنع و يدعى إليه .و الوله :

التحيّر لشدّه الوجد و المحبّه .و أغمض: أى اذداد من مطالبها و تساهل فى وجوه اكتسابها و لم يحفظ دينه .و التبعه: ما يلحق من إثم و عقاب .و المهنأ : المصدر من هنؤ بالضمّ و هنىء بالكسر .و العبء: الحمل .و أصحر: انكشف .و رجع الكلام: جوابه و ترديده .و الالتياط: الالتصاق .و المخطّ: موضع الخطّ كنايه عن القبر يخطّ أوّلا ثمّ يحفر،و يروى بالحاء .و محطّ القوم: منزلهم .

و فى هذا الفصل نكت :

الاولى:أنّ خالقا و معبودا حالان انتصبا عمّا فى سبحانک من معنى الفعل:

أى اسبّحك خالقا و معبودا،و أشار بذلك إلى وجوب تنزيهه فى هذين الاعتبارين أعنى اعتبار كونه خالقا للخلق و معبودا لهم عن الشركاء و الأنداد فإنه لمّا تفرّد بالإبداع و الخلق،و استحقّ بذلك التفرّد تفرّده بعباده الكلّ له وجب تنزيهه عن مساو له فى الاعتبارين .

الثانيه:

استعاره قوله: بحسن بلائك عند خلقك خلقت دارا .الجارّ و المجرور متعلّق بخلقت،و لفظ الدار مستعار للإسلام،و لفظ المأدبه للجنّه،و الداعى هو الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم.و قد جمعها الخبر فى بعض أمثاله صلّى اللّه عليه و آله و سلم إنّ اللّه جعل الإسلام دارا و الجنّه مأدبه و الداعى إليها محمّدا.و وجه الاستعاره الاولى أنّ الإسلام يجمع أهله و يحميهم كالدار،و وجه الثانيه:أنّ الجنّه مجتمع الشهوات و منتجع اللذّات

كالمأدبه ،و يحتمل أن يريد بالدار الآخره باعتبار كونها مجمعا و مستقرّا و المأدبه فيها الجنّه،و المنصوبات الثمانيه مميّزات لتلك المأدبه،و ظاهر أنّ وجود الإسلام و الجنّه و الدعوه إليها بلاء حسن من اللّه لخلقه،و قد عرفت معنى ابتلائه تعالى، و قال بعض الشارحين:إنّ قوله:بحسن بلائك متعلّق بسبحانك أو بمعبود و هو بعيد .

الثالثه:

قوله: فلا الداعى أجابوا .إلى قوله: بواعظ .شرح لحال العصاه الّذين لم يجيبوا داعى اللّه،و بيان لعيوبهم و غرقهم فى حبّ الباطل من الدنيا و فائدته:أمّا للمنتهين اللازمين لأوامر اللّه المجيبين لدعوته فتنفيرهم عن الركون إلى هؤلاء و الوقوع فيما وقعوا فيه،و أمّا لهؤلاء فتنبيههم من مراقد غفلاتهم بتذكيرهم عيوبهم لعلّهم يرجعون، استعاره و استعار لفظ الجيفه للدنيا،و وجه المشابهه أنّ لذّات الدنيا و قيناتها فى نظر العقلاء و اعتبار الصالحين منفور عنها و مهروب منها و مستقذره كالجيفه و إلى ذلك أشار الواصف لها:

و ما هى إلّا جيفه مستحيله عليها كلاب همهنّ اجتذابها

فإن تجتنبها كنت سلما لأهلها و إن تجتذبها نازعتك كلابها

و يمكن أخذ معنى البيت الثانى فى وجه الاستعاره المذكوره ، استعاره بالكنايه و كذلك استعار لفظ الافتضاح للاشتهار باقتنائها و جمعها و الخروج بها عن شعائر الصالحين،و وجه الاستعاره أنّه لمّا كان الإقبال على جمع الدنيا و الاشتغال بها عن اللّه من أعظم الكبائر و المساوى فى نظر الشارع و السالكين لطريق اللّه،و كان الافتضاح عباره عن انكشاف المساوى المتعارف قبحها لا جرم أشبه الاشتهار بجمعها و انكشاف الحرص عليها الافتضاح،و يمكن أن يصدق الافتضاح هاهنا حقيقه،و كنّى بأكلها عن جمعها ، مجاز إطلاقا لاسم الملزوم على لازمه و تجوّز بلفظ الاصطلاح فى التوافق على محبّتها إطلاقا لاسم الملزوم على لازمه فإنّ الاصطلاح عباره عن التراضى بعد التغاضب و يلزمه الاتّفاق على الأحوال ، و قوله: من عشق شيئا أعمى بصره و أمرض قلبه .كبرى قياس دلّ على صغراه قوله:

و اصطلحوا على حبّها .لأنّ الاصطلاح على محبّه الشيء يستلزم شدّه محبّته و هو

ص:۶۲

معنى العشق و نتيجته أنّ المذكورين فى معرض الذمّ قد أعشت الدنيا أبصارهم و أمرضت قلوبهم، استعاره بالكنايه و استعار لفظ البصر لنور البصيره ملاحظه لشبه المعقول بالمحسوس، و لفظ العشاء لظلمه الجهل ملاحظه للشبه بالظلمه العارضه للعين بالليل،و إسناد الإعشاء إلى الدنيا يحتمل أن يكون حقيقه لما يستلزمه حبّها من الجهل و الغفله عن أحوال الآخره،و يحتمل أن يريد بالبصر حقيقته،و يكون لفظ العشاء مستعارا لعدم استفادتهم بأبصارهم عبره تصرفهم عن حبّ الدنيا إلى ملاحظه أحوال الآخره ، و يؤيّده قوله: فهو ينظر بعين غير صحيحه ،و كنّى بعدم صحّتها عمّا يلزم العين غير الصحيحه من عدم الانتفاع بها فى تحصيل الفائده ، استعاره بالكنايه و كذلك استعار لفظ المرض للداء الأكبر و هو الجهل استعاره لفظ المحسوس للمعقول ،و قوله: فهو يسمع باذن غير سميعه ،و كنّى بذلك عن عدم إفادتها عبره من المواعظ و الزواجر الإلهيّه كما سبق ، استعاره و كذلك استعار لفظ التخريق لتفرّق عقله فى مهمّات الدنيا و مطالبها.

و وجه الاستعاره أنّ العقل إذا استعمل فيما خلق لأجله من اتّخاذ الزاد ليوم المعاد و اقتباس العلم و الحكمه من تصفّح جزئيّات الدنيا و الاستدلال منها على وجود الصانع و ما ينبغى له و نحو ذلك ممّا هو كماله المستعدّ فى الآخره فإنّه يكون منتظما منتفعا به،و أمّا إن استعمل فيما لا ينبغى من جميع متفرّقات الدنيا و توزيع الهمّه فى تحصيل جزئيّاتها و ضبطها حتّى يكون أبدا فى الحزن و الأسف على فوات ما فات،و فى الخوف من زوال ما يحصل،و فى الهمّه و الحرص على جمع ما لم يحصل بعد فإنّه يكون كالثوب المخرّق الّذى لا ينتفع به صاحبه .و نحوه قول الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم:من جعل الدنيا أكبر همّه فرّق اللّه عليه همّه،و جعل فقره بين عينيه.

الحديث،و نسبه ذلك التخريق إلى الشهوات ظاهره.إذ كان زمام عقله بيد شهوته فهى تفرّقه و تمزّقه على حسب تصرّفاتها و ميولها إلى أنواع المشتهيات ، استعاره و كذلك استعار لفظ الإماته لقلبه،و وجه المشابهه خروجه عن الانتفاع به الانتفاع الحقيقىّ الباقى كالميّت ،و الضمير فى قوله: عليها يعود إلى الدنيا:أى و ولّهت الدنيا على نفسها، كنايه-مجازا تسميه للشىء بما هو من غاياته و كنّى بالتولّه عن شدّه المحبّه لها و أطلقه مجازا تسميه للشىء بما هو من غاياته ، استعاره و كذلك

استعار لفظ العبد له لكونه محبّها و المتجرّد لتحصيلها متصرّفا بحسب تصريفها و دائرا فی حركاته حيث دارت فإن كانت فی يده أقبل عليها بالعماره و الحفظ ،و إن زالت عنه أنصب إلی تحصيلها و خدمه من كانت فی يده لغرضها فهو فی ذلك كالعبد لها بل أخسّ حالا كما قال عليه السّلام فی موضع آخر:عبد الشهوه أذلّ من عبد الرقّ.

إذا الباعث لعبد الرقّ علی الخدمه و الانقياد قد يكون قسريّا،و الباعث لعبد الشهوه طبيعیّ،و شتّان ما بينهما .

الرابعه

:قوله: و هو يری المأخوذين علی الغرّه فالواو فی قوله:و هو للحال،و هو شروع فی وصف نزول الموت بالغافلين عن الاستعداد له و لما ورائه من أحوال الآخره و كيفيّه قبض الموت لأرواحهم من مبدء نزوله بهم.إلی آخره، و كيفيّه أحوالهم مع أهليهم و إخوانهم معه،و هو وصف لا مزيد علی وضوحه و بلاغته و فائدته تذكير العصاه بأهوال الموت و تنبيههم من غفلتهم فی الباطل بذلك علی وجوب العمل له،و تثبيت للسالكين إلی اللّه علی ما هم عليه ،و مراده بقوله: ما كانوا يجهلون .لا الموت فإنّه معلوم لكلّ أحد،بل تفصيل سكراته و أهواله . و ما كانوا يأمنون .إشاره إلی الموت و ما بعده فإنّ الغافل حال انهماكه فی لذّات الدنيا لا يعرض له خوف الموت بل يكون فی تلك الحال آمنا منه ،و قوله: فغير موصوف ما نزل بهم:

أی ليس ذلك ممّا يمكن استقصائه بوصف بل غايته التمثيل كما ورد فی التوراه:أنّ مثل.الموت كمثل شجره شوك أدرجت فی بدن بن آدم فتعلّقت كلّ شوكه بعرق و عصب ثمّ جذبها رجل شديد الجذب فقطع ما قطع و ابقی ما ابقی ، استعاره و استعار لفظ الولوج لما يتصوّر من فراق الحياه لعضو عضو فأشبه ذلك دخول جسم فی جسم آخر ، استعاره مرشحه و كذلك استعار لفظ العبء للآثام الّتی تحملها النفس،و رشّح بذكر الظهر استعاره لفظ المحسوس للمعقول .

الخامسه:

قوله: و المرء قد غلقت رهونه بها .ضربه مثلا لحصول المرء فی تبعات ما جمع و ارتباطه بها عن الوصول إلی كماله و انبعاثه إلی سعادته بعد الموت، و قد كان يمكنه فكاكها بالتوبه و الأعمال الصالحه فأشبه ما جمع من الهيئات الرديئه

فی نفسه عن اکتساب الأموال فارتهنت بها بما علی الرهن من المال،و قال بعض الشارحین:أراد أنّه لمّا أشفی علی الفراق صارت الأموال الّتی جمعها مستحقّه لغیره و لم یبق له فیها تصرّف فاشبهت الرهن الّذی غلّق علی صاحبه فخرج عن کونه مستحقّا لصاحبه و صار مستحقّا للمرتهن.و هذا و إن کان محتملا إلاّ أنّه یضیّع فائده قوله:بها.لأنّ الضمیر یعود إلی الأموال المجموعه و هو إشاره إلی المال الّذی تعلّق الرهن به فلا تکون هی نفس الرهن ، کنایه و قوله: و هو یعضّ یده .کنایه عمّا یلزم ذلک من الأسف و الحزن و الندم علی تفریطه فی جنب اللّه حیث انکشف له حال الموت انقطاع سببه من اللّه،و فوت ما کان یتوهّم بقائه علیه ممّا اشتغل به عن ربّه، و حیث یتحسّر علی ذلک التفریط کما قال تعالی «أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ یا حَسْرَتی عَلی ما فَرَّطْتُ فِی جَنْبِ اللّهِ وَ إِنْ کُنْتُ لَمِنَ السّاخِرِینَ» (۱)و یتمنّی هدایه اللّه فیقول:

«لَوْ أَنَّ اللّهَ هَدانِی لَکُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِینَ» ،أو الرجعه إلی الدنیا لامتثال ما فرّطت فیه من الأوامر الإلهیّه فیقول حین یری العذاب: «لَوْ أَنَّ لِی کَرَّهً فَأَکُونَ مِنَ الْمُحْسِنِینَ» ، و کما قال تعالی «وَ یَوْمَ یَعَضُّ الظّالِمُ عَلی یَدَیْهِ یَقُولُ یا لَیْتَنِی اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِیلاً » (۲)و قد نبّه علیه السّلام فی هذا الکلام علی أنّ آله النطق تبطل من الإنسان حال الموت قبل آلتی السمع و البصر بقوله: فحیل بین أحدهم و بین منطقه،و إنّه لبین أهله ینظر ببصره و یسمع باذنه علی صحّه من عقله .ثمّ نبّه علی بطلان آله السمع بعدها قبل آله البصر و أنّ آله البصر تبطل مع المفارقه بقوله: حتّی خالط سمعه.

إلی قوله:یری حرکات ألسنتهم و لا یسمع رجع کلامهم.و ذلک لعلمه علیه السّلام بأسرار الطبیعه،و لیس کلامه مطلقا بل فی بعض الناس و أغلب ما یکون ذلک فیمن تعرّض الموت الطبیعیّ لآلاته،و إلاّ فقد تعرّض الآفه لقوّه البصر و آلته قبل آله السمع و آله النطق،و الّذی یلوح من أسباب ذلک أنّه لمّا کان السبب العامّ القریب للموت هو انطفاء الحراره الغریزیّه عن فناء الرطوبه الأصلیّه الّتی منها خلقنا،و کان فناء تلک الرطوبه عن عمل الحراره الغریزیّه فیها التجفیف و التحلیل و قد تعینها علی

۱- ۱) ۳۹-۵۷

۲- ۲) ۲۹-۲۵.

ذلک الأسباب الخارجیّه من الأهویه و استعمال الأدویه المجفّفه و سائر المخفّفات کان کلّ عضو أیبس من طبیعته و أبرد أسرع إلى البطلان و أسبق إلى الفساد.

إذا عرفت ذلک فنقول:أمّا أنّ آله النطق أسرع فسادا من آله السمع فلأنّ آله النطق مبنیّه على الأعصاب المحرّکه و مرکّبه منها،و آله السمع من الأعصاب المفیده للحسّ،و اتّفق الأطبّاء على أنّ الأعصاب المحرّکه أیبس و أبرد لکونها منبعثه من مؤخّر الدماغ دون الأعصاب المفیده للحسّ فإنّ جلّها منبعث من مقدّم الدماغ فکانت لذلک أقرب إلى البطلان،و لأنّ النطق أکثر شرائط من السماع لتوقّفه مع الآله و سلامتها على الصوت و سلامه مخارجه و مجاری النفس،و الأکثر شرطا أسرع إلى الفساد ،و أمّا بطلان آله السمع قبل البصر فلأنّ منبت الأعصاب الّتی هی محلّ القوّه السامعه أقرب إلى مؤخّر الدماغ من منابت محلّ القوّه الباصره الصماخ الّذی رتّبت فیه قوّه السمع احتاج أن یکون مکشوفا غیر مسدود عنه سبیل الهواء بخلاف العصب الّذی هو آله البصر فکانت لذلک أصلب،و الأصلب أیبس و أسرع فسادا.هذا مع أنّه قد یکون ذلک لتحلّل الروح الحامل للسمع قبل الروح الحامل للبصر أو لغیر ذلک.و اللّه أعلم،و أمّا سبب النفره الطبیعیّه من المیّت و التوحّش من قربه فحکم الوهم على المتخیّله بمحاکاه حاله فی نفس المتوهّم،و عزل العقل فی ذلک الوضع حتّى أنّ المجاور لمیّت فی موضع منفرد یتخیّل أنّ المیّت یجذبه إلیه و یصیّره بحاله مثل حالته المنفوره عنها طبعا .

السادسه:

قوله: و أسلموه فیه إلى عمله .إشاره إلى أنّ کلّ ثواب و عقاب اخرویّ یفاض على النفس فبحسب استعدادها بأعمالها السابقه الحسنه و السیّئه فعمل الإنسان هو النافع أو الضارّ له حین لا ناصر له،و لمّا کان میله علیه السّلام فی هذا الکلام إلى الإنذار و التخویف لا جرم ذکر إسلامهم له إلى عمله لأنّ الإسلام إنّما یکون إلى العدوّ فلمّا حاول أن ینفّر عن قبح الأعمال نبّه على أنّ عمل الإنسان القبیح یکون کعدوّه القویّ علیه یسلم إلیه.

ص:۶۶

الفصل الثالث:

اشاره

قوله:

حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ- وَ الْأَمْرُ مَقَادِيرَهُ- وَ أُلْحِقَ آخِرُ الْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ- وَ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا يُرِيدُهُ- مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِهِ- أَمَادَ السَّمَاءَ وَ فَطَرَهَا- وَ أَرَجَّ الْأَرْضَ وَ أَرْجَفَهَا- وَ قَلَعَ جِبَالَهَا وَ نَسَفَهَا- وَ دَكَّ بَعْضُهَا بَعْضاً مِنْ هَيْبَةِ جَلَالَتِهِ- وَ مَخُوفِ سَطْوَتِهِ- وَ أَخْرَجَ مَنْ فِيهَا فَجَدَّدَهُمْ بَعْدَ إِخْلَاقِهِمْ- وَ جَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ- ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِمَا يُرِيدُهُ مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ- عَنْ خَفَايَا الْأَعْمَالِ وَ خَبَايَا الْأَفْعَالِ- وَ جَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ- أَنْعَمَ عَلَى هَؤُلَاءِ وَ انْتَقَمَ مِنْ هَؤُلَاءِ- فَأَمَّا أَهْلُ الطَّاعَهِ فَأَثَابَهُمْ بِجِوَارِهِ- وَ خَلَّدَهُمْ فِی دَارِهِ- حَيْثُ لَا يَظْعَنُ النُّزَّالُ- وَ لَا تَتَغَيَّرُ بِهِمُ الْحَالُ- وَ لَا تَنُوبُهُمُ الْأَفْزَاعُ- وَ لَا تَنَالُهُمُ الْأَسْقَامُ وَ لَا تَعْرِضُ لَهُمُ الْأَخْطَارُ- وَ لَا تُشْخِصُهُمُ الْأَسْفَارُ- وَ أَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَهِ- فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ وَ غَلَّ الْأَيْدِیَ إِلَى الْأَعْنَاقِ- وَ قَرَنَ النَّوَاصِیَ بِالْأَقْدَامِ- وَ أَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ الْقَطِرَانِ- وَ مُقَطَّعَاتِ النِّيرَانِ- فِی عَذَابٍ قَدِ اشْتَدَّ حَرُّهُ- وَ بَابٍ قَدْ أُطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ- فِی نَارٍ لَهَا كَلَبٌ وَ لَجَبٌ- وَ لَهَبٌ سَاطِعٌ وَ قَصِيفٌ هَائِلٌ- لَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا- وَ لَا يُفَادَى أَسِيرُهَا- وَ لَا تُفْصَمُ كُبُولُهَا- لَا مُدَّهَ لِلدَّارِ فَتَفْنَى- وَ لَا أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيُقْضَى

اللغه

أقول: الرجّ،و الرجف: الاضطراب الشديد،و يروى رجّها بغير همزه، و هو الأشهر .و نسفها: قلعها من اصولها و بثّها .و دكّ بعضها بعضا: تصادمت .

و تنوبهم: تعودهم .و الخطر: الإشراف على الهلاك .و شخص: خرج من منزله

ص:۶۷

إلى آخر ،و أشخصه: غيّره .و الكلب: الشدّه .و الجلب و اللجب: الصوت .

و القصيف: الصوت الشديد .و الكبول: الأغلال واحدها كبل .و فصمها: كسرها .

المعنى

اشاره

و أشار بقوله: حتّى إذا بلغ الكتاب أجله .إلى غايه الناس فى موتهم، و هو بلوغ الوقت المعلوم الّذى يجمع له الناس و هو يوم القيامه ،و أراد بالأمر القضاء و مقاديره و تفاصيله من الآثار الّتى توجد على وفقه كما سبق بيانه ،و لحوق الخلق بأوّله إشاره إلى توافيهم فى الموت و تساويهم فيه كما نطقت الشريعه به ، و تجديد الخلق بعثهم و إعادتهم ،و أمّا إماده السماء و شقّها و ارجاج الأرض و نسف الجبال فظاهر الشريعه الناطق بخراب هذا العالم ناطق به،و أمّا من زعم بقائه فربّما عدلوا إلى التأويل ،

و الّذى يحتمل أن يقال فى ذلک وجوه:

أحدها

:أنّ القيامه لمّا كانت عندهم عباره عن موت الإنسان و مفارقته لهذا البدن و لما يدرک بواسطته من الأجسام و الجسمانيّات و وصوله إلى مبدئه الأوّل كان عدمه عن هذه الأشياء مستلزم لغيوبتها عنه و عدمها و خرابها بالنسبه فيصدق عليه أنّه إذا انقطع نظره عن جميع الموجودات سوى مبدئه الأوّل-جلّت عظمته- أنّها قد عدمت و تفرّقت،و كذلک إذا انقطع نظره عن عالم الحسّ و الخيال و متعلّقاتهما من الأجسام و الجسمانيّات و اتّصل بالملأ الأعلى فبالحرىّ أن يتبدّل الأرض و السماوات بالنسبه إليه فيصير عالم الأجسام و الجسمانيّات أرضا له و عالم المفارقات سمائه.

الثانى:

مجاز أنّ هذه الموجودات المشار إليها لمّا كانت مقهوره بلجام الإمكان فى قبض القدره الإلهيّه كان ما نسب إليها من الانشقاق و الانفطار و الارجاج و النسف و غيرها امورا ممكنه فى نفسها و إن امتنعت بالنظر إلى الأسباب الخارجيّه فعبّر عمّا يمكن بالواقع مجازا.و حسنه فى العربيّه معلوم،و فائدته التهويل بما بعد الموت و التخويف للعصاه بتلک الأهوال .

الثالث:

استعاره قالوا:يحتمل أن يريد بالأرض القوابل للجود الإلهىّ استعاره فعلى هذا إماده السماء عباره عن حركاتها و اتّصالات كواكبها الّتى هى أسباب معدّه

ص:۶۸

لقوابل هـذا العالم،و انفطارها إفاضه الجود بسبب تلك المعدّات على القوابل، و ارجاج الأرض إعداد الموادّ لإعاده أمثال هذه الأبدان أو لنوع آخر بعد فناء النوع الإنسانىّ،و قلع الجبال و نسفها و دقّها إشاره إلى زوال موانع الاستعدادات لنوع آخر إن كان،أولا عاده بناء هذا النوع استعاره.و وجهها أنّ الأرض بنسف الجبال يستوى سطحها و يعتدل فكذلك قوابل الجود يستعدّ و يعتدل لأن يفاض عليها صوره نوع اخرى لأبناء هذا النوع.

الرابع:

قالوا:يحتمل أن يريد بالسماء سماء الجود الإلهىّ،و بالأرض عالم الإنسان.فعلى هذا يكون إماده السماء عباره عن ترتيب كلّ استحقاق لقابله فى القضاء الإلهىّ،و الفطر عباره عن الفيض،و ارجاج الأرض و إرجافها عباره عن الهرج و المرج الواقع بين أبناء نوع الانسان،و قلع جبالها و نسفها و دكّ بعضها بالبعض عباره عن إهلاك الجبابره و المعاندين للناموس الإلهىّ و قتل بعضهم ببعض.كلّ ذلك بأسباب قهريّه مستنده إلى هيبه جلال اللّه و عظمته،و إخراج من فيها و تجديدهم إشاره إلى ظهور ناموس آخر مجدّد لهذا الناموس و المتّبع له إذن قوم آخرون هم كنوع جديد،و تمييزهم فريقين منعم عليهم و منتقم منهم ظاهر فإنّ المستعدّين لاتّباع الناموس الشرعىّ و القائلين به هم المنعم عليهم المثابون، و التاركين له المعرضين عنه هم المنتقم منهم المعاقبون ،فأمّا صفه الفريقين و ما أعدّ لكلّ منهم بعد الموت فعلى ما نطق به الكتاب العزيز و وصفته هذه الألفاظ الكريمه.

و على تقدير التأويلات السابقه لمن عدل عن الظواهر فثواب أهل الطاعه جوار بارئهم و ملاحظه الكمال المطلق لهم،و خلودهم فى داره:بقائهم فى تلك النعمه غير جائز عليهم الفناء كما تطابق عليه الشرع و البرهان ،و كونهم و لا متغيّرى الأحوال و لا فزعين و لا ـ ينالهم سقم و لا خطر و لا يشخصهم سفر فلأنّ كلّ ذلك من لواحق الأبدان و الكون فى الحياه الدنيا فحيث زالت عوارضها و لواحقها ،و أمّا جزاء أهل المعصيه فإنزالهم شرّ دار،و هى جهنّم الّتى هى أبعد بعيد عن جوار اللّه ،و غلّ أيديهم إلى أعناقهم إشاره إلى قصور قواهم العقليّه عن تناول ثمار المعرفه ،و اقتران

النواصى بالأقدام إشاره إلى انتكاس رؤسهم عن مطالعه أنوار الحضره الإلهيّه ، استعاره و إلباسهم سرابيل القطران :استعار لفظ السرابيل للهيئات البدنيّه المتمكّنه من جواهر نفوسهم،و وجه المشابهه اشتمالها عليها و تمكّنها منها كالسربال للبدن، و نسبتها إلى القطران إشاره إلى شدّه استعدادهم للعذاب،و ذلک أنّ اشتغال النار فيما يمسح بالقطران أشدّ ،و نحوه قوله تعالى «سَرٰابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرٰانٍ » (۱)و كذلک مقطّعات النيران :إشاره إلى تلک الهيئات الّتى تمكّنت من جواهر نفوسهم،و نسبتها إلى النار لكونها ملبوس أهلها فهى منها كما قال تعالى «قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيٰابٌ مِنْ نارٍ» (۲)و لمّا كان سبب الخروج من النار هو الخروج إلى اللّه من المعاصى بالتوبه،و الرجوع إلى تدبّر الآيات و العبر النوافع.و كان البدن و حواسّه أبواب الخروج إلى اللّه فبعد الموت تغلق تلک الأبواب فلا جرم يبقى الكفّار وراء طبق تلک الأبواب فى شدائد حراره ذلک العذاب ، استعاره و لهب النار و لجبها و أصواتها الهايله :استعاره لأوصاف النار المحسوسه المستلزمه للهيبه و الخوف حسّا للنار المعقوله الّتى هى فى الحقيقه أشدّ-نعوذ باللّه منها-و إنّما عدل إلى المحسوس للغفله عن صفات تلک النار و عدم تصوّر أكثر الخلق لها إلّا من هذه الأوصاف المحسوسه ، كنايه و كونها لا يظعن مقيمها كنايه عن التخليد و ذلک فى حقّ الكفّار ، استعاره و لفظ الأسير و الفديه استعاره ،و كذلک لفظ الكبول استعاره لقيود الهيئات البدنيّه المتمكّنه من جواهر نفوس الكفّار فكما لا ينفصم القيد الوثيق من الحديد و لا ينفکّ المكبّل به كذلک النفوس المقيّده بالهيئات الرديئه البدنيّه عن المشى فى بيداء جلال اللّه و عظمته و التنزّه فى جنان حظائر قدسه و مقامات أصفيائه ،و لمّا كان الأجل مفارقه البدن لم يكن لهم بعد موتهم أجل،إذ لا أبدان بعد الأبدان و لا خلاص من العذاب للزوم الملكات الرديئه لأعناق نفوسهم،و تمكّنها منها.فهذا ما عساهم يتأوّلونه أو يعبّرون به عن الأسرار الّتى يدّعونها تحت هذه العبارات الواضحه الّتى وردت الشريعه بها.لكنّک قد علمت أنّ العدول إلى هذه التأويلات و أمثالها مبنىّ على امتناع المعاد البدنىّ،و ذلک ممّا

ص:۷۰

۱- (۱) ۵۱-۱۴

۲- (۲) ۲۰-۲۲.

صرّح به الشريعه تصريحا لا يجوز العدول عنه،و نصوصا لا يحتمل التأويل، و إذا حملنا الكلام على ما وردت به الشريعه فهذا الكلام منه عليه السّلام أفصح ما يوصف به حال القيامه و المعاد.و التعرّض لشرحه يجرى مجرى إيضاح الواضحات.و باللّه التوفيق.

الفصل الرابع و منها فى ذكر النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم:

اشاره

قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وَ صَغَّرَهَا- وَ أَهْوَنَ بِهَا وَ هَوَّنَهَا- وَ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ زَوَاهَا عَنْهُ اخْتِيَاراً- وَ بَسَطَهَا لِغَيْرِهِ احْتِقَاراً- فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ- وَ أَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ- وَ أَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ- لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً- أَوْ يَرْجُوَ فِيهَا مَقَاماً- بَلَّغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِراً- وَ نَصَحَ لِأُمَّتِهِ مُنْذِراً- وَ دَعَا إِلَى الْجَنَّهِ مُبَشِّراً- نَحْنُ شَجَرَهُ النُّبُوَّهِ- وَ مَحَطُّ الرِّسَالَهِ- وَ مُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَهِ- وَ مَعَادِنُ الْعِلْمِ وَ يَنَابِيعُ الْحُكْمِ- نَاصِرُنَا وَ مُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَهَ- وَ عَدُوُّنَا وَ مُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَهَ

اللغه

أقول: الرياش: اللباس .

المعنى

و الفصل اقتصاص لحال الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم و أوصافه الحميده ليبنى عليها مدائح نفسه بعد.فتحقيره للدنيا و تصغيرها و تهوينها إشاره إلى ما كان يجذب الخلق به عنها من ذكر مذامّها و تعديد معايبها،و إهوانه بها إشاره إلى زهده فيها ،و علمه بإزواء اللّه إيّاها عنه اختيارا إشاره إلى أنّ زهده فيها كان عن علم منه باختيار اللّه له ذلك و تسبّب أسبابه و هو وجه مصلحته ليستعدّ نفسه بذلك لكمال النبوّه و القيام بأعباء الخلافه الأرضيّه و بسطها لغيره احتقارا لها،.و قد عرفت معنى الاختيار من اللّه لخلقه غير مرّه .فكان إعراضه عنها بقلبه إماته ذكرها عن

نفسه،و محبّته لأن تغيب زينتها عن عينه لئلاّ يتّخذ منها رياشا و لا يرجو فيها مقاما جذبا للعنايه الإلهيّه له عن الالتفات إلى الالتقاط إلى الكمالات المعلومه له،و عن أن ينحطّ لمحبّتها عن مقامه الّذى قضت العنايه الإلهيّه بنظام العالم بسببه .ثمّ أعقب ذلك بذكر ثلاثه أحوال هى ثمره النبوّه الّتى هى ثمره الزهد المشار اليه،و هى تبليغ رساله ربّه إعذارا إلى خلقه أن يقولوا يوم القيامه: «إِنّا كُنّا عَنْ هذا غافِلِينَ » ، و النصح لهم إنذارا بالعذاب الأليم فى عاقبه الإعراض عن اللّه ،و دعائه إلى الجنّه مبشّرا لمن سلك سبيل اللّه و نهجه المستقيم بما أعدّ له فيها من النعيم المقيم .ثمّ عقّب اقتصاص تلك الممادح بالإشاره إلى فضيله نفسه،و ذلك منه فى معرض المفاخره بينه و بين مشاجريه كمعاويه فأشار إلى فضيلته من جهه اتّصاله بالرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم إذ كان من البيت الّذى هو شجره النبوّه و محطّ الرساله و معدن العلم و ينبوع الحكمه بأفضل مكان بعد الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم كما سبق بيانه فى بيان فضائله، استعاره و لفظ الشجره و المعادن و الينابيع مستعار كما سبق ،و إذا كان من تلك الشجره كما علمت و لكلّ غصن من الشجره قسط من الثمره بحسب قوّته و قربه من الأصل و عنايه الطبيعه به علمت مقدار فضيلته و نسبتها إلى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم.

و قوله بعد ذلك : ناصرنا و محبّنا.إلى آخره.

ترغيب فى نصرته و محبّته و جذب إليها بالوعد برحمه اللّه و إفاضه بركاته و تنفير عن عداوته و بغضه بلحوق سطوه اللّه،و لعلّ ذلك هو غايته هنا من ذكر فضيلته.و باللّه التوفيق و العصمه.

۱۰۷-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

:إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ- إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- الْإِيمَانُ بِهِ وَ بِرَسُولِهِ وَ الْجِهَادُ فِی سَبِيلِهِ- فَإِنَّهُ ذِرْوَهُ الْإِسْلَامِ- وَ كَلِمَهُ الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَهُ- وَ إِقَامُ الصَّلَاهِ فَإِنَّهَا الْمِلَّهُ- وَ إِيتَاءُ الزَّكَاهِ فَإِنَّهَا فَرِيضَهٌ وَاجِبَهٌ- وَ صَوْمُ شَهْرِ

رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّهٌ مِنَ الْعِقَابِ- وَ حَجُّ؟الْبَيْتِ؟ وَ اعْتِمَارُهُ- فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَ يَرْحَضَانِ الذَّنْبَ- وَ صِلَهُ الرَّحِمِ- فَإِنَّهَا مَثْرَاهٌ فِى الْمَالِ وَ مَنْسَأَهٌ فِى الْأَجَلِ- وَ صَدَقَهُ السِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَهَ- وَ صَدَقَهُ الْعَلَانِيَهِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَهَ السُّوءِ- وَ صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِى مَصَارِعَ الْهَوَانِ- أَفِيضُوا فِى ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ- وَ ارْغَبُوا فِيمَا وَعَدَ الْمُتَّقِينَ فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ الْوَعْدِ- وَ اقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْهَدْيِ- وَ اسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا أَهْدَى السُّنَنِ وَ تَعَلَّمُوا؟الْقُرْآنَ؟ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ- وَ تَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ- وَ اسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ- وَ أَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ- وَ إِنَّ الْعَالِمَ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ- كَالْجَاهِلِ الْحَائِرِ الَّذِى لَا يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ- بَلِ الْحُجَّهُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ وَ الْحَسْرَهُ لَهُ أَلْزَمُ- وَ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْوَمُ

اللغه

أقول: ذروه الشيء: أعلاه .و الملّه: الدين :و الجنّه: الوقايه .و يرحضان بفتح الحاء: يغسلان .و الرحض: الغسل .و المثراه: المكثره،و هى محلّ كثره المال و الثروه .و المنسأه: محلّ النسأ،و هو التّأخير .و الإفاضه فى الذكر:

الاندفاع فيه .و الهدى: ضدّ الإضلال،و هو مصدر .

و قد أشار عليه السّلام فى هذا الفصل إلى أنّ أفضل الوسائل الموصله إلى اللّه سبحانه

اشاره

هو الإيمان

الكامل فالإيمان باللّه هو التصديق بوجوده،و هو إشاره إلى أصل الإيمان.

ثمّ له لواحق و كمالات:

اشاره

ص:٧٣

أحدها:التصديق برسوله

.و إنّما قدّمه على سائر العبادات لأنّه أصل لها لا تصحّ بدونه .

الثانی:الجهاد فی سبیله

،و قد عرفت فضائل الجهاد فیما سلف،و أشار إلی وجه فضیلته بکونه ذروه الإسلام، استعاره و استعار لفظ الذروه له ملاحظه لشبهه فی العلوّ و المرتبه فی الإسلام بالسنام للبعیر و إنّما قدّمه علی الصلاه لکون سالکه علی یقین من لقاء اللّه و قوّه من التصدیق بما جاء به الرسول حیث یلقی نفسه إلی التهلکه الحاضره الّتی ربّما یغلب علی ظنّه أو یتیقّنها،و لأنّه الأصل الأعظم فی جمع العالم علی الدین .

الثالث:

مجاز إطلاقا لاسم الملزوم علی لازمه کلمه الإخلاص ،و هی کلمه التوحید المستلزمه لنفی الشرکاء و الأنداد و هی معنی الإخلاص و لذلک اضیفت إلیه،و وجه فضیلتها کونها «فِطْرَتَ اللّهِ الَّتِی فَطَرَ النّاسَ عَلَیْها» فإنّ العقول السلیمه البریّه عن شوائب العلائق البدنیّه و عوارض التربیه شاهده و مقرّه بما اخذ علیها من العهد القدیم من توحید صانعها و براءته عن الکثره،و أطلق علیها اسم الفطره و إن کانت الفطره علیها مجازا إطلاقا لاسم الملزوم علی لازمه .

الرابع:

مجاز إطلاقا لاسم الکلّ علی الجزء إقامه الصلاه ،و إنّما جعلها الملّه و إن کانت بعض أرکان الدین لأنّها الرکن القویّ من أرکانه فأطلق علیها ذلک اللفظ إطلاقا لاسم الکلّ علی الجزء مجازا.

و أعلم أنّ للصلاه فضائل و أسرار یجب التنبیه علیها:أمّا فضیلتها فقد ورد فیها أخبار کثیره بعد تأکید القرآن الکریم للأمر بها کقوله صلی اللّه علیه و آله و سلم:الصلاه عمود الدین من ترکها فقد هدم الدین،و قوله:مفتاح الجنّه الصلاه،و قوله فی فضل إتمامها:إنّ الرجلین من امّتی یقومان فی الصلاه و رکوعهما و سجودهما واحد و إنّما بین صلاتیهما ما بین السماء و الأرض،و قوله:أمّا یخاف الّذی یحوّل وجهه فی الصلاه أن یحوّل اللّه وجهه وجه حمار،و قوله:من صلّی رکعتین لم یحدث فیهما نفسه بشیء من الدنیا غفر اللّه له ذنوبه.و أمّا أسرارها فیقسم إلی عامّه و إلی خاصّه،

و أمّا العامّه فقد بيّنّا فيما سلف فى ذكر الحجّ فى الخطبه الاولى السرّ العامّ لجميع العبادات،و هى كونها متمّمه للغرض الثانى من أغراض العارف من الرياضه و معينه على تطويع النفس الأمّاره بالسوء للنفس المطمئنّه و تمرينها على موافقتها،و إذا لاح لك هذا السرّ فقد علمت أنّ جميع الآيات و الأخبار الوارده فى فضلها يرجع معناها إليه كنهيها عن الفحشاء و المنكر فى قوله تعالى «إِنَّ الصَّلاٰةَ تَنْهىٰ عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ» إذ كان سببهما القوّه الروعيّه[التروّعيّه خ]إذا خرجت عن حكم العقل فإذا كانت الصلاه هى الّتى توجب دخولها تحت حكم العقل و العقل ناه عن الفحشاء و المنكر فقد كانت الصلاه هى السبب فى الانتهاء فكانت ناهيه،فظهر أيضا معنى كونها عماد الدين.إذ قال:بنى الإسلام على خمس.فكلّ منها عماد بحسب شرائطه فمن أخلّ بها فقد هدم بنيانه الّذى يصعد به إلى اللّه،و كذلك كونها مفتاحا للجنّه.إذ بها ينفتح باب من أبواب الوصول إلى اللّه،و لذلك ظهر التفاوت الّذى يشير إليه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى صلاه الرجلين من امّته فإنّه إذا كانت فائده الصلاه هو الالتفات إلى اللّه تعالى بقمع الشيطان و كان أحد الرجلين فى صلاته خاشعا لخشيه اللّه مستحضرا لعظمته،و الآخر غافل عن هذه الجهه قد صرف الشيطان وجه قلبه إلى غير القبله فأين أحدهما من الآخر،و كذلك ما أشار إليه من التخويف لمن يحوّل وجهه فى الصلاه فإنّه نهى منه عن الغفله عن الالتفات إلى اللّه و ملاحظه عظمته فى حال الصلاه فإنّ الملتفت يمينا و شمالا ملتفت عن اللّه و غافل عن مطالعه أنوار كبريائه،و من كان كذلك فيوشك أن تدوم تلك الغفله عليه فيتحوّل وجه قلبه كوجه قلب الحمار فى قلّه عقليّته للامور العلويّه و عدم إكرامه بشىء من العلوم و القرب إلى اللّه،و كذلك غفران ذنب المصلّى بسبب تركه حديث نفسه بشىء من الدنيا فإنّه فى تلك الحال يلتفت إلى اللّه تعالى غافل عن غيره،و الالتفات إليه هو روح العباده و خلاصتها،و لذلك قال صلّى اللّه عليه و آله و سلم:إنّما فرضت الصلاه و امر بالحجّ و الطواف و اشعرت المناسك لإقامه ذكر اللّه فإذا لم يكن فى قلبك المذكور الّذى هو المقصود و المبتغى عظمته،و لا هيبته فما فيه ذكرك.و عن عايشه قالت:كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم

یحدّثنا و نحدّثه فإذا حضرت الصلاه فکأنّه لم یعرفنا و لم نعرفه شغلا باللّه عن کلّ شیء.و کان علیّ علیه السّلام إذا حضر وقت الصلاه یتململ و یتزلزل و یتلوّن فیقال له:مالک یا أمیر المؤمنین؟فیقول:جاء وقت أمانه عرضها اللّه علی السماوات و الأرض «فَأَبَیْنَ أَنْ یَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها» ،و کان علیّ بن الحسین علیهما السّلام إذا حضر للوضوء اصفرّ لونه فیقول أهله:ما هذا الّذی یعتادک عند الوضوء؟فیقول:ما تدرون بین یدی من أقوم.و کلّ ذلک إشاره إلی استحضار عظمه اللّه و الالتفات إلیه حال العباده و الانقطاع عن غیره،و أمّا ما یخصّها من الأسرار فقد علمت أنّ الصلاه لیس إلاّ ذکر و قراءه و رکوع و سجود و قیام و قعود:أمّا الذکر فظاهر أنّه محاوره و مناجاه للّه تعالی و غایتها استلزام الالتفات إلیه،و تذکّر ما ینجذب القوی الشیطانیّه تحت قیاد العقل و یستمرّ تعوّدها بذلک و هو المقصود من القرائه و الأذکار و الحمد و الثناء و التضرّع و الدعاء،و لیس المقصود منه الحرف و الصوت امتحانا للّسان بالعمل و إن حصلت الغفله فإنّ تحریک اللسان بالهذیان خفیف علی الإنسان لا کلفه فیه من حیث إنّه عمل،و سنبیّن حال الذکر و فضیلته و فائدته فی موضع ألیق به «إِنْ شاءَ اللّهُ» تعالی،و أمّا الرکوع و السجود و القیام و القعود فالغرض بها التعظیم للّه تعالی المستلزم للالتفات إلیه و ذکره أیضا.إذ لو جاز أن یکون معظّما للّه بفعله و هو غافل عنه لجاز أن یعظّم صنما موضوعا بین یدیه و هو غافل عنه،و یؤیّد ذلک ما روی عن معاذ بن جبل من عرف من علی یمینه و شماله متعمّدا فی الصلاه فلا صلاه له،و قال علیه السّلام:إنّ العبد لیصلّی الصلاه لا یکتب له سدسها و لا عشرها و إنّما یکتب للعبد من صلاته ما عقل منها،و لمّا عرفت أنّ الأصل من أرکانها هو الالتفات إلی اللّه تعالی فاعلم أنّ الالتفات إلیه مستلزم للتذکّر و التفهّم لأنّ الالتفات إلیه إنّما یراد لمطالعه کبریائه و عظمته،و المطالعه لیس إلاّ الفکر الّذی هو عین البصیره و حدقه العقل الإنسانیّ.ثمّ إنّ التذکّر و التفهّم مستلزم للتعظیم فإنّ مطالعه عظمه اللّه أعظم من أن لا یعظّمها العارف بها،و التعظیم مستلزم للخوف و الرجاء فإنّا نجد عند تصوّر عظمه ملک من ملوک الدنیا وجدانا ضروریّا أنّا

نتقهر عن مكالمته و محاورته و نلزم معه السكون و الخضوع و ربّما يتبع ذلك رعده البدن و تعثّم اللسان،و منشأ كلّ ذلك الخوف الحادث عن تصوّر عظمته فكيف يتصوّر جبّار الجبابره و ملك الدنيا و الآخره،و كذلك الرجاء فإنّا عند تصوّر عظمه اللّه نتصوّر أنّ الكلّ منه و ذلك باعث على رجائه،خصوصا و قد تأكّد ذلك بالآيات الوارده فى باب الخوف و الرجاء،و كذلك يستلزم الحياء لأنّ المتصوّر لعظمه الآمر لا يزال مستشعرا تقصيرا و متوهّما ذنبا و ذلك الاستشعار و التوهّم يوجب الحياء من اللّه سبحانه .

الخامس:

إيتاء الزكاه ،و هى ركن قوىّ من أركان الدين،و أشار إلى وجه فضلها بكونها فريضه واجبه.قال قطب الدين الراوندى:أراد بالفريضه السهم المنقطع من المال للفقراء المستحقّين المسمّى زكاه.قال:و هو عرف شرعىّ لأنّ الفريضه بمعنى الواجب فإنّ كلّ العبادات الواجبه كذلك،و لأنّ الفرض و الواجب بمعنى فيكون قوله:فريضه واجبه.تكرارا،و أقول:ما ذكره وجه حسن،و هو إشاره إلى بعض أسرارها كما نبيّنه،و لهذه العباده مع السرّ العامّ الشامل لجميع العبادات و هو الالتفات إلى اللّه تعالى و محبّته أسرار:

الأوّل:أنّ المراد بكلمه الشهاده التوحيد المطلق و إفراد المعبود بالتوجّه إليه و ذلك لا يتمّ إلّا بنفى كلّ محبوب عداه فإنّ المحبّه لا يحتمل الشركه، و التوحيد باللسان قليل الفائده فى الباطن و إنّما تمتحن درجه الحبّ بمفارقه المحبوبات،و الأموال محبوبه عند الخلق لأنّها آله تمتّعهم بالدنيا و انسهم بها و نفرتهم عن الموت فامتحنوا بتصديق دعواهم فى المحبوب و استنزلوا عن المال الّذى هو معشوقهم كما قال تعالى «إِنَّ اللّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّهَ» و لمّا فهم الناس هذا المعنى انقسموا أقساما:فطائفه أخلصوا فى حبّ معشوقهم و وفوا بعهده فبذلوا أموالهم و لم يدّخروا منها شيئا حتّى قيل لبعضهم:

كم تجب من الزكاه فى مائتى درهم؟قال:أمّا على العوّام فبحكم الشرع خمسه دراهم، و أمّا علينا فيجب بذل الجميع،و منهم من قعد عن هذه المرتبه و أمسكوا أموالهم

و راقبوا مواقيت الحاجه و مواسم الخيرات و جعلوا قصدهم فى الادّخار الإنفاق على قصد الحاجه دون التنعّم،و صرف الفاضل عن الحاجه إلى وجوه البرّ،و هؤلاء لا يقتصرون على واجب الزكاه كالنخعىّ و الشعبىّ و مجاهد،و قيل للشعبىّ:هل فى المال حقّ سوى الزكاه؟فقال:نعم أما سمعت قوله تعالى «أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ» الآيه و استدلّوا بقوله تعالى «وَ مِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ» و لم يجعلوا ذلك مخصوصا بآيه الزكاه بل هو داخل فى حقّ المسلم على المسلم،و معناه أنّه يجب على المؤسر مهما وجد محتاجا أن يزيل حاجته بما يفضل عن مال الزكاه،و منهم من اقتصر على أداء الواجب من الزكاه من غير زياده و لا نقصان و هى أدون الرتب و قد اقتصر مع العوامّ على ذلك لجهلهم بسرّ البذل و بخلهم المال و ضعف حبّهم للآخره،و يلزم لهذا السرّ تطهير ذوى الأموال عن رذيله البخل فإنّها من المهلكات قال عليه السّلام:

ثلاث مهلكات:شحّ مطاع،و هوى متّبع،و إعجاب المرء بنفسه،و وجه كونه مهلكا أنّه إنّما يصدر عن محبّه المال و قد علمت أنّ الدنيا و الآخره ضرّتان بقدر ما يقرّب من إحداهما يبعّد من الاخرى فكانت محبّه المال صارفه عن التوجّه إلى اللّه و مبعّده منه،و ذلك يستلزم الهلاك الاخروى كما بيّناه،و إنّما تزول هذه الرذيله بتعوّد البذل.إذ حبّ الشىء لا ينقطع إلاّ بقهر النفس على مفارقته بالتدريج حتّى يصير ذلك عاده فالزكاه بهذا المعنى طهور:أى تطهّر صاحبها عن خبث البخل المهلك و إنّما طهارته بقدر بذله و فرحه و استبشاره بصرفه فى جنب اللّه طاعه و محبّه له و ملاحظه لحذف كلّ محبوب عداه من سمت القبله.

السرّ الثانى:شكر النعمه فإنّ للّه على العبد نعمه فى نفسه و شكرها العبادات البدنيّه،و نعمه فى ماله و شكرها العبادات الماليّه،و ليس أحد أخسّ و أبعد عن رحمه اللّه ممّن ينظر إلى فقير قد ضيّق عليه الرزق ثمّ اضطرّ إليه فلم يسمح نفسه بأن يؤدّى شكر اللّه تعالى على ما أغناه عن السؤال و أحوج غيره إليه بعشر ماله أو بربع عشره.

السرّ الثالث:يتعلّق بإصلاح المدن و تدبير أحوال أهلها و هو أن جعل اللّه هذا الفرض فى أموال الأغنياء شركه للفقراء لأن يسدّ به خلّتهم،و إليه أشار عليه السّلام بكونه

فريضه واجبه،و فى هذا السرّ سرّان:أحدهما:أن يكون ذلك عونا لهؤلاء على عباده اللّه كى لا يشتغلوا بالطلب عنها.الثانى:أن تنكسر همّهم عن حسد أهل الأموال و السعى بالفساد فى الأرض فلا ينتظم أمر المدنيّه،و تكون قلوبهم ساكنه إلى ذلك القدر معلّقه به مستمدّه من اللّه تعالى بالدعاء فى حفظه متألّفه مع أهل الأموال منجذبه إليهم فيتمّ بذلك أمر المشاركه و المعاونه و الانس و المحبّه الموجبات للالفه الموجبه لنظام العالم و قوام أمر الدين و بقاء نوع الإنسان لما لأجله وجد .

السادس:

صوم شهر رمضان .و تخصيصه بكونه جنّه من العقاب مع أنّ سائر العبادات كذلك لما أنّه أشدّها وقايه،و بيان ذلك أنّه مستلزم لقهر أعداء اللّه الّتى هى الشّياطين المطيفه بالإنسان فإنّ وسيله الشيطان هى الشهوات و إنّما يقوّى الشهوه و يثيرها الأكل و الشرب،و لذلك قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:إنّ الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيّقوا مجاربه بالجوع،و قال صلى اللّه عليه و آله و سلم لعايشه:داومى قرع باب الجنّه فقالت:بماذا؟قال:بالجوع.فكان الصوم على الخصوص أشدّ قمعا للشيطان و أسدّ لمسالكه و تضييق مجاريه،و لمّا كان العقاب إنّما يلحق الإنسان و يتفاوت فى حقّه بالشدّه و الضعف بحسب تفاوت قربه من الشيطان و بعده منه و كانت هذه العباده أبعد بعيد عن الشيطان كان بسببها أبعد بعيد عن العقاب فلذلك خصّت بكونها وقايه منه.و اعلم أنّ هذه العبادات و إن كانت عدميّه إلاّ أنّها ليست عدما صرفا بل عدم ملكه يحرّك من الطبيعه تحريكا شديدا ينبّه صاحبه أنّه على جمله من الأمر ليس هذرا فيتذكّر سبب ما ينويه من ذلك و أنّه التقرّب إلى اللّه سبحانه كما هو غايه للسرّ العامّ للعبادات .

السابع:

حجّ البيت و اعتماره ،و قد سبقت منّا الإشاره إلى أسراره فى الخطبه الاولى.و الّذى ذكره هاهنا كونهما ينفيان الفقر و يغسلان الذنب فجمع فيه بين منفعه الدنيا و منفعه الآخره:أمّا منفعه الدنيا فكونهما ينفيان الفقر و ذلك بسبب التجاره الحاصله فى موسم الحجّ و قيام الأسواق بمكّه حينئذ،و أمّا منفعه الآخره لكونهما يغسلان الذنب عن لوح النفس كما علمته فى أسرار العبادات و هى هذه المنافع

ص:٧٩

المشار إليها فى القرآن الكريم بقوله «لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ» قال أكثر المفسّرين:

هى منافع الدنيا من التجاره و هو المنقول عن سعيد بن جبير و ابن عبّاس فى روايه أبى رزين عنه،و منهم من جعلها عامّه فى منافع الدنيا و الآخره كالتجاره و الثواب، و هو المنقول عن مجاهد و ابن عبّاس فى روايه عطاء عنه .

الثامن:

صله الرحم ،و ذكر من فوائدها أمرين:

أحدهما:كونها مثراه فى المال،و ذلك من وجهين:أحدهما:أنّ العنايه الإلهيّه قسّمت لكلّ حىّ قسطا من الرزق يناله مدّه الحياه الدنيا و تقوم به صوره بدنه فإذا أعدّت شخصا من الناس للقيام بأمر جماعه و كلّفته بإمدادهم و معونتهم وجب فى العنايه إفاضته أرزاقهم على يده و ما يقوم بإمدادهم بحسب استعداده لذلك سواء كانوا ذوى أرحام أو مرحومين فى نظره حتّى لو نوى قطع أحد منهم فربّما نقص ماله بحسب رزق ذلك المقطوع،و ذلك معنى كونه مثراه للمال.الثانى:أنّ صله الرحم من الأخلاق الحميده الّتى يستمال بها طباع الخلق فواصل رحمه مرحوم فى نظر الكلّ فيكون ذلك سببا لإمداده و معونته من ذوى الإمداد و المعونات كالملوك و نحوهم فكانت صله الرحم مظنّه لزياده المال .

و الثانى: كونه منسأه للأجل و هو من وجهين:أحدهما:أنّ صله الرحم توجب تعاطف ذوى الأرحام و توازرهم و معاضدتهم لواصلهم فيكون عن أذى الأعداد أبعد و فى ذلك مظنّه تأخيره و طول عمره.الثانى:أنّ مواصله ذوى الأرحام توجب تعلّق هممهم ببقاء واصلهم و إمداده بالدعاء و يكون دعائهم له و تعلّق هممهم ببقائه من شرائط بقائه و إنساء أجله فكانت مواصلتهم منسأه فى أجله .

التاسع:

صدقه السرّ .و ذكر من فوائدها كونها تكفّر الخطيئه،و إنّما خصّها بذلك مع أنّ سائر العبادات كذلك لكونها أبعد عن الرياء و مخالطه ما لا يراد به إلّا وجه اللّه تعالى فكان الإخلاص فيها للّه أتمّ فكانت أولى بالتقريب من اللّه و بمحو الخطيئه .

العاشر:

صدقه العلانيه ،و ذكر من فوائدها أنّها تدفع ميته السوء،و بيان

ص:٨٠

ذلک أنّ صدقه العلانیه تستلزم الشهره بفعل الخیرات و توجب الذکر الجمیل للمتصدّق،و لمّا کانت میتات السوء کالحرق و الغرق و الصلب و القتل و نحو ذلک من الأحوال الشنیعه الّتی تکثر نفره الناس عن الموت علیها.و کان قلیلا ما یقع شیء منها بقصد من الناس لمن أحبّوه و اشتهر بالرحمه و استجلاب قلوب الفقراء بالصدقه و الإیثار.فلا جرم کانت تلک الصدقه مظنّه الدفع لمیتات السوء .

الحادی عشر:

صنایع المعروف ،و ذکر من فوائدها أنّها تقی مصارع الهوان، و تقریره قریب ممّا قبله.إذ کان اصطناع المعروف مستلزما لتألّف قلوب الخلق و جامعا لهم علی محبّه المصطنع فقلّما یقع من ذلک نسیبهم فی مصرع هوان .

ما یؤکّد الإیمان فی القلوب

ثمّ لمّا فرغ من تعداد کمالات الإیمان أمر بما یؤکّده فی القلوب و یثبّته و هی امور :

أحدها:الاندفاع فی ذکر اللّه.و هو من مؤکّدات الإیمان به،و رغّب فیه بکونه أحسن الذکر،و ذلک لما یستلزمه من الحصول علی الکمالات المسعده فی الآخره و الوصول إلی اللّه کما سنبیّن فائدته و فضیلته فی موضع التوبه .

الثانی:الرغبه فیما وعد المتّقین من ثواب الآخره و أنواعه.و هو أیضا من مؤکّدات طاعته و العمل له ،و لمّا کان الخلف فی خبره تعالی محالا کان وعده أصدق الوعود .

الثالث:الاقتداء بهدی النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم .

الرابع:اتّباع سنّته.و لمّا کان أفضل الأنبیاء کانت سنّته أشرف السنن و الاقتداء به و اتّباع سنّته أهدی الطرق إلی اللّه .

استعاره الخامس:تعلّم القرآن.و ظاهر کونه من مؤکّدات الإیمان باللّه و رسوله ،و استعار له لفظ الربیع ،و وجه المشابهه کون القرآن جامعا لأنواع العلوم الشریفه و الأسرار العجیبه اللطیفه الّتی هی متنزّه القلوب کما أنّ زمن الربیع محلّ الأزهار الرایقه الّتی هی مستمتع النظر و مطرح السرور .

السادس:الاستشفاء بنوره،و ظاهر کونه شافیا للقلوب من ظلمه الجهل .

السابع:حسن تلاوته.و ذلک لأنّ حسن تلاوته مظنّه تفهّم معانیه و تدبّرها،

و بحسن تلاوته تظهر فايدته و تحصل منفعه قصصه،و إنّما يكون أنفع القصص إذا تلى حقّ تلاوته كما سبق بيانه .ثمّ أكّد الأوامر المذكوره بالأعمال الّتى عدّدها ممّا ينبغى أن يعمل على وفق العلم بالتنبيه على نقصان العالم الّذى لا يعمل بعلمه فسوّى أوّلا بينه و بين الجاهل العادل عن سواء سبيل اللّه،و وجه التسويه اشتراكهما فى ثمره الجهل و هو الجور عن قصد السبيل و فى عدم الانتفاع بفائده العلم و ثمرته و هى الأعمال الصالحه.ثمّ جعل حال العالم أخسّ لثلاثه أوجه :

أحدها:أنّ الحجّه عليه أعظم لأنّ للجاهلين أن يقولوا:إنا كنّا عن هذا غافلين.و ليس للعالم ذلك،و روى عن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال:العلم علمان:علم على اللسان فذلك حجّه اللّه على بن آدم،و علم فى القلب فذلك العلم النافع.أى الّذى يستلزم الطاعه بالعمل .

الثانى:أنّ الحسره له ألزم.و ذلك أنّ النفوس الجاهله غير عالمه بمقدار ما يفوتها من الكمال بالتحصيل فإذا فارقت أبدانها فهى و إن كانت محجوبه عن ثمار الجنّه و ما أعدّ اللّه فيها لأوليائه العلماء إلاّ أنّها لمّا لم تجد لذّتها و لم تطعم حلاوه المعارف الإلهيّه لم تكن لها كثير حسره عليها و لا أسف على التقصير فى تحصيلها بخلاف العارف بها العالم بنسبتها إلى اللذّات الدنيويّه فإنّه بعد المفارقه إذا علم و انكشف له أنّ الصارف له و المانع عن الوصول إلى حضره جلال اللّه هو تقصيره فى العمل بما علم مع علمه بمقدار ما فاته من الكمالات و الدرجات كان أسفه و حسرته على ذلك أشدّ الحسرات.و جرى ذلك مجرى من علم قيمه جوهره ثمينه يساوى جمله من المال ثمّ اشتغل عن تحصيلها ببعض لعبه حتّى فاتته فإنّه يعظم حسرته عليها و ندمه على التفريط فيها بخلاف الجاهل بقيمتها .

مجاز الثالث:أنّه يكون عند اللّه ألوم ،و أشدّيّه اللائمه بعد المفارقه مجاز فى انقطاع لسان حاله عن العذر فى معصيته عن علم و إنّما يكون ألوم لأنّ إقدام العالم على المعصيه الّتى علم قبحها إنّما يكون عن نفس فى غايه الانقياد للنفس الأمّاره بالسوء و الطاعه لإبليس و جنوده طاعه تفضل على طاعه الجاهل و انقياده لقيام الصارف فى حقّ العالم

و هو علمه بقبحها و ترجّح الداعى إليها عليه و عدم الصارف فى حقّ الجاهل.و لا شكّ أنّ أشدّيه اللائمه تابعه لأشدّيه الانقياد لإبليس خصوصا مع العلم بما يستلزم متابعته من الهلاک.و ظاهر إذن كونه ألوم عند اللّه .و باللّه التوفيق و العصمه.

۱۰۸-و من خطبته له عليه السّلام

اشاره

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّى أُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا- فَإِنَّهَا حُلْوَهٌ خَضِرَهٌ- حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ وَ تَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَه- وَ رَاقَتْ بِالْقَلِيلِ وَ تَحَلَّتْ بِالْآمَالِ- وَ تَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ لَا تَدُومُ حَبْرَتُهَا- وَ لَا تُؤْمَنُ فَجْعَتُهَا- غَرَّارَهٌ ضَرَّارَهٌ حَائِلَهٌ زَائِلَهٌ- نَافِدَهٌ بَائِدَهٌ أَكَّالَهٌ غَوَّالَهٌ- لَا تَعْدُو- إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّهِ أَهْلِ الرَّغْبَهِ فِيهَا وَ الرِّضَاءِ بِهَا- أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى سُبْحَانَهُ- «كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ وَ كانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً» - لَمْ يَكُنِ امْرُؤٌ مِنْهَا فِى حَبْرَهٍ- إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عَبْرَهً- وَ لَمْ يَلْقَ فِى سَرَّائِهَا بَطْناً- إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَّائِهَا ظَهْراً- وَ لَمْ تَطُلَّهُ فِيهَا دِيمَهُ رَخَاءٍ- إِلَّا هَتَنَتْ عَلَيْهِ مُزْنَهُ بَلَاءٍ- وَ حَرِىٌّ إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرَهً- أَنْ تُمْسِىَ لَهُ مُتَنَكِّرَهً- وَ إِنْ جَانِبٌ مِنْهَا اعْذَوْذَبَ وَ احْلَوْلَى- أَمَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبَى- لَا يَنَالُ امْرُؤٌ مِنْ غَضَارَتِهَا رَغَباً- إِلَّا أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَباً- وَ لَا يُمْسِى مِنْهَا فِى جَنَاحِ أَمْنٍ- إِلَّا أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ- غَرَّارَهٌ غُرُورٌ مَا فِيهَا فَانِيَهٌ- فَانٍ مَنْ عَلَيْهَا

ص:۸۳

لَا خَيْرَ فِی شَیْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا إِلَّا التَّقْوَی- مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمِنُهُ- وَ مَنِ اسْتَكْثَرَ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُوبِقُهُ- وَ زَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْهُ- كَمْ مِنْ وَاثِقٍ بِهَا قَدْ فَجَعَتْهُ- وَ ذِی طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ- وَ ذِی أُبَّهَةٍ قَدْ جَعَلَتْهُ حَقِيراً- وَ ذِی نَخْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلاً- سُلْطَانُهَا دُوَّلٌ وَ عَيْشُهَا رَنِقٌ- وَ عَذْبُهَا أُجَاجٌ وَ حُلْوُهَا صَبِرٌ- وَ غِذَاؤُهَا سِمَامٌ وَ أَسْبَابُهَا رِمَامٌ- حَيُّهَا بِعَرَضِ مَوْتٍ- وَ صَحِيحُهَا بِعَرَضِ سُقْمٍ- مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ- وَ عَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ- وَ مَوْفُورُهَا مَنْكُوبٌ- وَ جَارُهَا مَحْرُوبٌ- أَ لَسْتُمْ فِی مَسَاكِنِ- مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَاراً- وَ أَبْقَی آثَاراً وَ أَبْعَدَ آمَالاً- وَ أَعَدَّ عَدِيداً وَ أَكْثَفَ جُنُوداً- تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَیَّ تَعَبُّدٍ- وَ آثَرُوهَا أَیَّ إِيْثَارٍ- ثُمَّ ظَعَنُوا عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبَلِّغٍ- وَ لَا ظَهْرٍ قَاطِعٍ- فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْساً بِفِدْيَةٍ- أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ- أَوْ أَحْسَنَتْ لَهُمْ صُحْبَةً- بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ بِالْقَوَادِحِ- وَ أَوْهَقَتْهُمْ بِالْقَوَارِعِ- وَ ضَعْضَعَتْهُمْ بِالنَّوَائِبِ- وَ عَفَّرَتْهُمْ لِلْمَنَاخِرِ وَ وَطِئَتْهُمْ بِالْمَنَاسِمِ- وَ أَعَانَتْ عَلَيْهِمْ رَيْبَ الْمَنُونِ- فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنَكُّرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا- وَ آثَرَهَا وَ أَخْلَدَ لَهَا- حَتَّی ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الْأَبَدِ- وَ هَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلَّا السَّغَبَ- أَوْ أَحَلَّتْهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ- أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ- أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ- أَ فَهَذِهِ تُؤْثِرُونَ أَمْ إِلَيْهَا

تَطْمَئِنُّونَ- أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ- فَبِئْسَتِ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهِمْهَا- وَ لَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا- فَاعْلَمُوا وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ- بِأَنَّكُمْ تَارِكُوهَا وَ ظَاعِنُونَ عَنْهَا- وَ اتَّعِظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا- «مَنْ أَشَدُّ مِنّا قُوَّةً» - حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ- فَلاَ يُدْعَوْنَ رُكْبَاناً- وَ أُنْزِلُوا الْأَجْدَاثَ فَلاَ يُدْعَوْنَ ضِيفَاناً- وَ جُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ أَجْنَانٌ- وَ مِنَ التُّرَابِ أَكْفَانٌ وَ مِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانٌ- فَهُمْ جِيرَةٌ لاَ يُجِيبُونَ دَاعِياً- وَ لاَ يَمْنَعُونَ ضَيْماً وَ لاَ يُبَالُونَ مَنْدَبَةً- إِنْ جِيدُوا لَمْ يَفْرَحُوا- وَ إِنْ قُحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا- جَمِيعٌ وَ هُمْ آحَادٌ وَ جِيرَةٌ وَ هُمْ أَبْعَادٌ- مُتَدَانُونَ لاَ يَتَزَاوَرُونَ- وَ قَرِيبُونَ لاَ يَتَقَارَبُونَ- حُلَمَاءُ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ- وَ جُهَلاَءُ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ- لاَ يُخْشَى فَجْعُهُمْ- وَ لاَ يُرْجَى دَفْعُهُمْ- اسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْناً- وَ بِالسَّعَهِ ضِيقاً وَ بِالْأَهْلِ غُرْبَهً- وَ بِالنُّورِ ظُلْمَهً فَجَاءُوهَا كَمَا فَارَقُوهَا- حُفَاهً عُرَاهً قَدْ ظَعَنُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ- إِلَى الْحَيَاهِ الدَّائِمَهِ وَ الدَّارِ الْبَاقِيَهِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ «كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا إِنّا كُنّا فاعِلِينَ»

اللغه

أقول: الحبره: السرور .و الفجعه: الرزيّه .و غوّاله: أى تأخذ على غرّه.

و أوبى: أمرض .و الغضاره: طيب العيش .و قوادم الطير: مقاديم ريش جناحه .و أوبقه:

أهلكه .و الابّهه: العظمه .و رنق: كدر .و رمام: باليه منقطعه .و المحروب:

مسلوب المال .و أرهقتهم: غشيتهم .و فدحه الأمر: اغتاله و أثقله .و القارعه: الداهيه الشديده .و ضعضعتهم: أذلّتهم .و المناسم: أخفاف الإبل .و السغب: الجوع .و الأجنان:

جمع جنن جمع جنّه و هى الستر .

ص:۸۵

و اعلم أنّ مدار هذا الفصل على التحذير من الدنيا و التنفير عنها بذكر معايبها،

اشاره

و فيه نكت :

فالأولى:

استعاره استعار لفظ الحلاوه و الخضره المتعلّقين بحّسى الذوق و البصر لما يروق النفس منها و يلذّ،و وجه المشابهه المشاركه فى الالتذاذ به،و إنّما خصّ متعلّق هذين الحسّين لأكثريّه تأديتهما إلى النفس و الالتذاذ بواسطتهما دون سائر الحواسّ .

الثانيه:

وصف الدنيا بكونها محفوفه بالشهوات.و فى الخبر:حفّت الجنّه بالمكاره،و حفّت النار بالشهوات.قال أصحاب المعانىّ:و فى ذلك تنبيه على أنّ النار هى الدنيا،و محبّتها بعد المفارقه هو سبب عذابها.قلت:إنّ ذلك غير مفهوم من كلامه عليه السّلام،و أمّا معنى الخبر فجاز أن يراد فيه النار المعقوله فيكون قريبا ممّا قالوا،و جاز أنّ يراد بالنار المحسوسه،و يكون المعنى على التقديرين أنّ النار إنّما تدخل بالانهماك فى مشتهيات الدنيا و لذّاتها و الخروج فى استعمالها عمّا ينبغى إلى ما لا ينبغى فكأنّها لذلك محفوفه و محاطه بالشهوات لا يدخل إليها إلاّ منها. استعاره و أراد بالعاجله اللذّات الحاضره الّتى مالت القلوب إلى الحياه الدنيا بسببها فاشبهت المرأه المتحبّبه بما لها و جمالها .فاستعير لها لفظ التحبّب ،و كذلك قوله: راقت بالقليل :

أى اعجبت بزينتها القليله بالنسبه إلى متاع الآخره كميّه و كيفيّه ،و كذلك تجلّيها بالآمال الكاذبه المنقطعه و بزينتها ممّا هو فى نفس الأمر غرور و باطل فإنّه لو لا الغرور و الغفله عن عاقبتها لما زانت فى عيون طالبيها .

الثالثه:

استعاره بالكنايه استعار لها أوصاف المحتاله الخدوع ،و هى كونها غرّاره و غوّاله:

أى كثيره الاستغفال لأهلها و الخداع لهم،و وصف السبع العقور لكونها أكّاله لهم، و كنّى بالأوّلين عن كونها كالمخادع فى كونها سببا لغفلتهم عمّا خلقوا لأجله بالاشتغال بها و الانهماك فى لذّاتها ،و بالأكّاله عن كونها كالسبع فى إفنائهم بالموت و طحنهم تحت التراب .

الرابعه:

معنى قوله: لا تعدوا .إلى قوله: مقتدرا أنّ غايه صـفائها للراغبين فيها و الراضـين بها و موافقتها لهم لا يتجاوز المثل.و هو:أن تزهر فى عيونهم و تروقهم

ص:٨۶

محاسنها ثمّ عن قليل تزول عنهم فكأنّها لم تكن.كما هو معنى المثل المضروب لها فى القرآن الكريم «وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَياهِ الدُّنْيا كَماءٍ» (۱)الآيه .

الخامسه:

كنايه كنّى بالعبره عن الحزن المعاقب للسرور ، استعاره و تخصيصه البطن بالسرّاء و الظهر بالضرّاء ،و يحتمل أمرين:أحدهما:أن يريد بطن المجنّ و ظهره،و ذلك من العاده فى حال الحرب أن يلقى الإنسان ظهر المجنّ،و فى حال السلم أن يلقى المجنّ فيكون بطنه ظاهرا.فجرى المثل به فى حقّ المتنكّرين و المخاصمين بعد سلم.فقيل:قلّب له ظهر المجنّ.كما قال علىّ عليه السّلام لابن عبّاس فى بعض كتبه إليه:قلّبت لابن عمّك ظهر المجنّ.فكذلك استعمل هاهنا لقائها للمرء ببطنها فى إقبالها عليه و لقائه منها ظهرا فى إدبارها عنه و محاربتها له.الثانى:يحتمل أن يريد بطنها و ظهرها.و ذلك أنّ العاده فيمن يلقى صاحبه بالبشر و السرور أن يلقاها بوجهه و بطنه و فيمن يلقاه بالتنكير و الإدبار أن يلقى بظهره مولّيا عنه فاستعير ذلك للدنيا و عبّر به عن إقبالها و إدبارها .

السادسه:

و إنّما خصّ منها بالجناح.لأنّ الجناح محلّ التغيّر بسرعه فتبّه به على سرعه تغيّراتها،و إنّما خصّ الخوف بالقوادم من الجناح لأنّ القوادم هى رأس الجناح و هى الأصل فى سرعه حركته و تغيّره و هو فى مساق ذمّها و التخويف منها فحسن ذلك التخصيص،و مراده أنّه و إن حصل فيها أمن فهو فى محلّ التغيّر السريع و الخوف إليه أسرع لتخصيصه بالقوادم .

السابعه:

لا خير فى شىء من أزوادها إلاّ التقوى.استثنى ما هو المقصود من خلق الدنيا و أشار إلى وجود هذا النوع فيها و هو التقوى الموصل إلى اللّه سبحانه،و إنّما كان من أزواد الدنيا لأنّه لا يمكن تحصيله إلاّ فيها،و قد سبقت الإشاره إليه فى قوله:

فتزوّدوا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم غدا.و ظاهر أنّه لا خير فيها عداه من أزوادها لفنائه و مضرّته فى الآخره .

الثامنه:

من أقلّ منها استكثر ممّا يؤمنه :أى من الزهد فيها،و قد عرفت

۱- ۱) ۴۳-۱۸.

كيفيّه الأمان من عـذاب اللّه ،و من اسـتكثر منها استكثر ممّا يوبقه و هو ملكات السوء الحاصـله عن حبّ قيناتها و ملـذّاتها الفانيه الموجبه للهلاک بعد مفارقتها و زوالها .

التاسعه:

استعاره اسـتعار لفـظ العـذب و الحلو للـذّاتها،و لفظى الاجـاج-و هو المالـح- و الصبر لما يشوب لـذّاتها من الكـدر بالأمراض و التغيّرات،و وجه الاستعارات الاشتراک فى الالتذاذ و الإيلام .

العاشره:

استعاره بالكنايه استعار لفظ الغذاء ،و كنّى به عن لذّاتها أيضا،و لفظ السمام له.

و وجه الاسـتعاره ما يستعقب الانهماک فى لذّاتها من الهلاک فى الآخره كما يستعقبه شرب السمّ ،و السمام:جمع سمّ .ثمّ أعقب التحـذير منها بالتنبيه على مصارع السابقين فيها ممّن كان أطول أعمارا و أشـدّ بأسا من تغيّراتها و تنكّراتها لهم مع شدّه محبّتهم و تعبّدهم لها.و السؤال على سبيل الإنكار عن دوام سـرورها لهم و حسن صـحبتها إيّاهم ،و صـرّح بعده بالإنكار اسـتعاره بقوله: بل أرهقتهم بـالفوادح ،و اسـتعار لهـا لفـظ الإرهـاق و التضـعضع و التعفير و الوطى و إعـانه ريب المنون عليهم،و أسـند إليهـا أفعـال الأحياء ملاحظه تشبهها بالمرأه المتزيّنه لخداع الرجال عن أنفسهم و أموالهم و نحو ذلک .

الحادى عشر:

لمّا فرغ من ذمّها و التنفير عنها بتعديـد مـذامّها استفهم السامعين على سبيل التقريع لهم عن إيثارهم لها بهـذا المـذامّ و اطمينانهم إليها و حرصهم عليها .

ثمّ عـاد إلى ذمّهـا مجملاـ بقوله: بئست الـدار لمن لم يتّهمهـا :أى لمن اعتقـد بصـحبتها و أنّها مقصوده بالـذات فركن إليها فإنّها بـذلك الاعتبار مـذمومه فى حقّه إذ كانت سـبب هلاكه فى الآخره .فأمّا المتّهم لها بالخـديعه و الغرور فإنّه يكون فيها على وجل منها عاملا لما بعدها فكانت محموده له إذ كانت سـبب سـعادته فى الآخره .ثمّ شـرع فى الأمر بالعمل على وفق العلم بمفارقتها،و ذلك أنّ ترک العمل للآخره إنّما يكون للاشـتغال بالـدنيا فالعالم بضـروره مفارقتها له و ما أعدّ لتاركى العمل من العذاب الأليم إذا نبّه على تلک الحال كان ذلک صارفا له عنها و مستلزما للعمل لغيرها ،و أكـدّ التنبيه على مفارقتها بالتذكّر بأحوال المفارقين لها بعد مفارقتها المضادّه للأحوال المعتاده للأحياء الّتى ألفوها و استراحوا إليها .إذ كان من عادتهم إذا حملوا أن

یسمّوا رکبانا،و إذا نزلوا أن یسمّوا ضیفانا ،و إذا تجاوروا أن یجیبوا داعیهم و یمنعوا عنه الضیم،و أن یفرحوا إن جادهم الغیث ،و یقنطوا إن قحطوا منه،و أن یتزاوروا فی التدانی و یحلموا عند وجود الأضغان،و یجهلوا عند قیام الأحقاد و یخشوا و یرجوا .

فسلبت عنهم تلک الصفات و عرفوا بأضداد تلک السمات .

الثانیه عشر:

استعاره بالکنایه فجاءوها کما فارقوها :أی أشبه مجیئهم إلیها و وجودهم فیها و خروجهم منها یوم مفارقتهم لها ،و وجه الشبه کونهم حفاه عراه،و هو کنایه عن النفر منها،و دلّ علی ذلک استشهاده بالآیه الکریمه .و موضع قوله: قد ظعنوا عنها.

النصب علی الحال.کما انتصب حفاه عراه،و العامل فارقوها.و لا یقدّر مثله بعد جاءوها و إن قدّر مثل الحالین السابقین.قال الإمام الوبریّ-رحمه اللّه علیه-:فراقهم من الدنیا إن خلقوا منها و مجیئهم إلیها إن دفنوا فیها قال اللّه تعالی «هُوَ الَّذِی خَلَقَکُمْ مِنْ تُرابٍ» .ثم قلت:و کان الحامل لهذا الإمام علی هذا التأویل أنّه لو کان مراده مجیئهم إلیها هو دخولهم فیها حین الولاده مع أنّه فی ظاهر الأمر هو المشبّه و مفارقتهم هی المشبّه به لانعکس الفرض.إذا المقصود تشبیه المفارقه بالمجیء و ذلک یستلزم کون المشبّه هو المفارقه و المشبّه به هو المجیء لکن ینبغی أن یعلم أن المشابهه إذا حصلت بین الشیئین فی نفس الأمر جاز أن یجعل أحدهما أصلا و الآخر فرعا، و جاز أن یقصد أصل المساواه بینهما من دون ذلک فحمله هنا علی الوجه الثانی أولی من التعسّف الّذی ذکره.فأمّا الآیه فإنّ-من-فیها لبیان الجنس فلا تدلّ علی المفارقه و الانفعال.و باللّه التوفیق.

۱۰۹-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

ذکر فیها ملک الموت

هَلْ تُحِسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلاً- أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّی أَحَداً- بَلْ کَیْفَ یَتَوَفَّی

الْجَنِینَ فِی بَطْنِ أَمِّهِ- أَ یَلِجُ عَلَیْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا- أَمْ الرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا- أَمْ هُوَ سَاکِنٌ مَعَهُ فِی أَحْشَائِهَا- کَیْفَ یَصِفُ إِلَهَهُ- مَنْ یَعْجَزُ عَنْ صِفَهِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ

المعنی

أقول:هذا الفصل من خطبه طویله ذکره فی معرض التوحید و التنزیه للّه تعالی عن اطّلاع العقول البشریّه علی کنه وصفه فقدّم التنبیه بالاستفهام علی سبیل الإنکار عن الإحساس به فی دخوله منازل المتوفّین و ذلک قوله : هل تحسّ به.إلی قوله:

أحدا .و نبّه باستنکار الإحساس به علی أنّه لیس بجسم.إذ کان کلّ جسم من شأنه أن یحسّ بإحدی الحواسّ الخمس.ثمّ عن کیفیّه توفّیه للجنین فی بطن امّه و هو استفهام من قبیل تجاهل العارف بالنسبه إلیه،و ذلک قوله : بل کیف یتوفّی الجنین.

إلی قوله:فی أحشاها .و جعل الحقّ من هذه الأقسام فی الوسط و هو إجابتها بإذن ربّها لیبقی الجاهل فی محلّ الحیره متردّدا .ثمّ لمّا بیّن أنّ ملک الموت لا یتمکّن الإنسان من وصفه نبّه علی عظمه اللّه سبحانه بالنسبه إلیه،و أنّه إذا عجز الانسان عن وصف مخلوق مثله فبالأولی أن یعجز عن صفه خالقه و مبدعه الّذی هو أبعد الأشیاء عنه مناسبه،و تقدیر البیان بذلک التنبیه أنّ العبد عاجز عن صفه مخلوق مثله لما بیّناه من العجز عن صفه ملک الموت و حاله،و کلّ من عجز من صفه مخلوق مثله فهو من صفه خالق ذلک المخلوق و مبدعه أشدّ عجزا.و لنشر إشاره خفیفه إلی حقیقه الموت و إلی ما عساه یلوح من وصف ملک الموت «إِنْ شاءَ اللّهُ» تعالی.

فنقول:أمّا حقیقه الموت:فاعلم أنّ الّذی نطقت به الأخبار و شهد به الاعتبار أنّ الموت لیس إلّا عباره عن تغیّر حال،و هو مفارقه الروح لهذا البدن الجاری مجری الآله لذی الصنعه،و أنّ الروح باقیه بعده کما شهدت به البراهین العقلیّه فی مظانّها، و الآثار النبویّه المتواتره.و معنی مفارقتها له هو انقطاع تصرّفها فیه لخروجه عن حدّ الانتفاع به فما کان من الامور المدرکه لها تحتاج فی إدراکه إلی آله فهی متعطّله

عنه بعد مفارقه البدن إلى أن تعاد إليه فى القبر أو يوم القيامه،و ما كان مدركا لها لنفسها من غير آله فهو باق معها يتنعّم به و يفرح أو يحزن من غير حاجه إلى هذه الآله فى بقاء تلك العلوم و الإدراكات الكلّيّه لها هناك.و قد ضرب للمفارقه الّتى سمّيناها بالموت مثلا-فقيل:كما أنّ بعض أعضاء المريض متعطّل بحسب فساد المزاج يقع فيه أو بحسب شدّه تعرّض للأعصاب فتمنع نفوذ الروح فيها فتكون النفس مستعمله لبعض الأعضاء دون ما استقصى عليها منها فكذلك الموت عباره عن استقصاء جميع الأعضاء كلّها و تعطّلها،و حاصل هذه المفارقه يعود إلى سلب الإنسان عن هذه الأعضاء و الآلات و القينات الدنيويّه من الأهل و المال و الولد و نحوها، و لا فرق بين أن تسلب هذه الأشياء عن الإنسان أو يسلب هو عنها.إذ كان المولم هو الفراق،و قد يحصل ذلك بنهب مال الرجل و سبى ذريّته،و قد يحصل بسلبه و نهبه عن ماله و أهله.فالموت فى الحقيقه هو سلب الانسان عن أمواله بإزعاجه إلى عالم آخر فإن كان له فى هذا العالم شىء يأنس به و يستريح إليه فبقدر عظم خطره عنده يعظم تحسّره عليه فى الآخره و تصعب شقاوته فى مفارقته،و يكون سبب عظم خطره عنده ضعف تصوّره لما اعدّ للأبرار المتّقين فى الآخره ممّا يستحقر فى القليل منه أكثر نفائس الدنيا.فأمّا إن كانت عين بصيرته مفتوحه حتّى لم يفرح إلاّ بذكر اللّه و لم يأنس إلاّ به عظم نعيمه و تمّت سعادته.إذ خلّى بينه و بين محبوبه فقطع علائقه و عوائقه الشاغله له عنه و وصل إليه و انكشف له هناك ما كان يدركه من السعاده بحسب الوصف انكشاف مشاهده كما يشاهد المستيقظه من نومه صوره ما رآه فى النوم.

و الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا.

إذا عرفت ذلك فاعلم أن ملك الموت عباره عن الروح المتولّى لإفاضه صوره العدم على أعضاء هذا البدن و لحال مفارقه النفس له،و لعلّه هو المتولّى لإفاضه صوره الوجود عليها لكنّه بالاعتبار الأوّل يسمّى ملك الموت.ثمّ لمّا كانت النفوس البشريّه إنّما تدرك المجرّدات ما دامت فى هذا العالم و تستثبتها بأن تستصحب القوّه المتخيّله معها فيتحاكى ما كان محبوبا منها للنفس و مستبشرا بلقائه بصوره بهيّه كتصورّها

لجبرئیل فی صوره دحیه الکلبیّ و غیره من الصور البهیّه الحسنه،و ما کان مستکرها مخوفا منفورا من لقائه بصوره هائله لاجرم اختلف رؤیه الناس لملک الموت فمنهم من یراه علی صوره بهیّه و هم المستبشرون بلقاء اللّه الّذین قلّت رغبتهم فی الدنیا و رضوا بالموت لیصلوا إلی لقاء محبوبهم و فرحوا به لکونه وسیله إلیه کما روی عن إبراهیم علیه السّلام أنّه لقی ملکا فقال له:من أنت؟فقال:أنا ملک الموت.فقال له:أ تستطیع أن ترینی الصوره الّتی تقبض فیها روح المؤمن؟قال:نعم أعرض عنّی فأعرض عنه فإذا هو شابّ فذکر من حسنه و ثیابه(شبابه خ)و طیب ریحه فقال:یا ملک الموت لو لم یلق المؤمن من البشری إلاّ حسن صورتک لکان حسبه،و منهم من یراه علی صوره قبیحه هائله المنظر و هم الفجّار الّذین أعرضوا عن لقاء اللّه «وَ رَضُوا بِالْحَیاهِ الدُّنْیا وَ اطْمَأَنُّوا بِها» کما روی عن إبراهیم علیه السّلام أیضا أنّه قال لملک الموت:فهل تستطیع أن ترینی الصوره الّتی تقبض فیها روح الفاجر؟فقال:لا تطیق ذلک.فقال:بلی قال:فأعرض عنّی فأعرض عنه.ثمّ التفت إلیه فإذا هو رجل أسود قائم الشعر منتن الریح أسود الثیاب یخرج من فیه و مناخره النار و الدخان فغشی علی إبراهیم علیه السّلام.

ثمّ أفاق،و قد عاد ملک الموت إلی حالته الاولی فقال:یا ملک الموت لو لم یلق الفاجر عند موته إلاّ هذه الصوره لکفته.و باللّه التوفیق.

۱۱۰–و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

وَ أُحَذِّرُکُمُ الدُّنْیَا فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَهٍ- وَ لَیْسَتْ بِدَارِ نُجْعَهٍ- قَدْ تَزَیَّنَتْ بِغُرُورِهَا- وَ غَرَّتْ بِزِینَتِهَا- هَانَتْ عَلَی رَبِّهَا فَخَلَطَ حَلاَلَهَا بِحَرَامِهَا- وَ خَیْرَهَا بِشَرِّهَا وَ حَیَاتَهَا بِمَوْتِهَا وَ حُلْوَهَا بِمُرِّهَا- لَمْ یُصْفِهَا اللَّهُ تَعَالَی لِأَوْلِیَائِهِ- وَ لَمْ یَضِنَّ بِهَا عَلَی أَعْدَائِهِ- خَیْرُهَا زَهِیدٌ وَ شَرُّهَا عَتِیدٌ- وَ جَمْعُهَا یَنْفَدُ وَ مُلْکُهَا یُسْلَبُ

ص:۹۲

وَ عَامِرُهَا يَخْرَبُ- فَمَا خَيْرُ دَارٍ تُنْقَضُ نَقْضَ الْبِنَاءِ- وَ عُمُرٍ يَفْنَى فِيهَا فَنَاءَ الزَّادِ- وَ مُدَّهٍ تَنْقَطِعُ انْقِطَاعَ السَّيْرِ- اجْعَلُوا مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِكُمْ وَ اسْأَلُوهُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّهِ مَا سَأَلَكُمْ- وَ أَسْمِعُوا دَعْوَهَ الْمَوْتِ- آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَى بِكُمْ- إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِی الدُّنْيَا تَبْكِی قُلُوبُهُمْ وَ إِنْ ضَحِكُوا- وَ يَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَ إِنْ فَرِحُوا- وَ يَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَ إِنِ اغْتَبَطُوا بِمَا رُزِقُوا- قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الْآجَالِ- وَ حَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ الْآمَالِ- فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ الْآخِرَهِ- وَ الْعَاجِلَهُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الْآجِلَهِ- وَ إِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ- مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْثُ السَّرَائِرِ- وَ سُوءُ الضَّمَائِرِ- فَلَا تَوَازَرُونَ وَ لَا تَنَاصَحُونَ- وَ لَا تَبَاذَلُونَ وَ لَا تَوَادُّونَ- مَا بَالُكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا تُدْرِكُونَهُ- وَ لَا يَحْزُنُكُمُ الْكَثِيرُ مِنَ الْآخِرَهِ تُحْرَمُونَهُ- وَ يُقْلِقُكُمُ الْيَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا يَفُوتُكُمْ- حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذَلِكَ فِی وُجُوهِكُمْ- وَ قِلَّهِ صَبْرِكُمْ عَمَّا زُوِیَ مِنْهَا عَنْكُمْ- كَأَنَّهَا دَارُ مُقَامِكُمْ وَ كَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُمْ- وَ مَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ- إِلَّا مَخَافَهُ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ- قَدْ تَصَافَيْتُمْ عَلَى رَفْضِ الْآجِلِ وَ حُبِّ الْعَاجِلِ- وَ صَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُعْقَهً عَلَى لِسَانِهِ- صَنِيعَ مَنْ قَدْ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ وَ أَحْرَزَ رِضَا سَيِّدِهِ

ص:۹۳

اللغه

أقول:يقال:هذا منزل قلعه بضمّ القاف: أى لا يصلح للاستيطان .و النجعه بضمّ النون: طلب الكلاء .و العتيد: المهيّأ المعدّ .و اللعقه بالضمّ: اسم لما تأخذه الملعقه .

و فى هذا الفصل نكت :

فالاولى:التحذير من الدنيا و الاستدراج إلى تركها بذكر معايبها

،و ذلك من أوّل الفصل إلى قوله: انقطاع السير .فأشار أوّلاً إلى أنّها لا تصلح للاستيطان كنايه و طلب الكلاء ،و كنّى به عمّا ينبغى أن يطلب من الخيرات الباقيه الّتى هى محلّ الأمن و السرور الدائم .

و ثانيا إلى أنّ زينتها سبب لاستغفالها الخلق و الاغترار بها سبب لاستحسانها.

فإن قلت:فقد جعل الزينه سببا للغرور،و الغرور سببا للزينه و ذلك دور.

قلت:إنّما جعل الزينه سببا للاستغرار،و الغرور سببا لاستحسانها و عدم التنبّه لمعايبها.فلا دور .

و ثالثا:أنّها هانت على ربّها :أى لم تكن العنايه الآلهيّه إليها بالذات فلم تكن خيرا محضا بل كان كلّ ما فيها ممّا يعدّ خيرا مشوبا بشرّ يقابله،و ذلك بحسب الممكن فيها و زهاده خيرها بالنسبه إلى خير الآخره .

الثانيه:التأديب بأوامر:

أحدها:أن يجعلوا فرائض اللّه عليهم من جمله ما يطلبونه منه،و الغرض أن تصير محبوبه لهم كمحبّتهم لما يسألونه من مال و غيره فيواظبوا على العمل بها.الثانى :أن يسألوه أداء حقّه عنهم،و ذلك بالإعانه و التوفيق و الإعداد لذلك كما سألهم أداء حقّه،و الغرض أيضا أن يصير الأداء مهمّا لهم محبوبا إليهم،و نحوه فى الدعاء المأثور:أللّهمّ إنّك سألتنى من نفسى ما لا أملكه إلاّ بك فأعطنى منها ما يرضيك عنّى.الثالث :أن يسمعوا داعى الموت آذانهم:أى يقصدون سماع كلّ لفظ يخوّف الموت و أهواله،و ذلك بالجلوس مجالس الذكر و محاضره الزاهدين فى الدنيا،و فائده ذكر الموت تنغيص اللذّات الدنيويّه كما قال عليه السّلام:

أكثروا ذكر هادم اللذّات .

الثالثه:شرح حال الزاهدين فى الدنيا

ليهتدى من عساه أن ينجذب إلى اللّه إلى

كيفيّه طريقتهم فيقتدى بهم.فذكر لهم أوصافا:الأوّل:أنّهم تبكى قلوبهم و إن ضحكوا،و ذلك إشاره إلى دوام حزنهم لملاحظتهم الخوف من اللّه فإن ضحكوا مع ذلك فمعامله مع الخلق.الثانى :أنّهم يشتدّ حزنهم و إن فرحوا.و هو قريب ممّا قبله.الثالث :أنّه قد يكثر لبعضهم متاع الحياه الدنيا و لكنّهم يتمرّدون على أنفسهم فيتركون الالتفات إليها بالزينه و طاعتها فيما تدعوهم إليه من متاع الحياه الدنيا الحاضره و إن غبطهم غيرهم بما قسّم لهم من رزق .

الرابعه:تعنيف السامعين على ما هم عليه من الأحوال المضرّه فى الآخره

، و ذلك بالغفله عن ذكر الأجل و استحضارهم للآمال الكاذبه و غيرها من الأحوال المذكوره.إلى آخر الفصل ،و محلّ-تدركونه و تحرمونه و يفوتكم-النصب على الحال ،و-قلّه صبركم-عطف على وجوهكم:أى حتّى يتبيّن ذلك الفلق فى وجوهكم و فى قلّه صبركم عمّا غيّب عنكم منها.

و قوله : و ما يمنع أحدكم أن يستقبل أخاه.إلى آخره.

أى ما يمنع أحدكم من لقاء أخيه لعيبه و لأئمته عليه إلاّ الخوف منه أن يلقاه بمثله لمشاركته إيّاه فيه كما صرّح به فى قوله:تصافيتم على رفض الآجل.إلى آخره، استعاره و استعار لفظ اللعقه لما ينطق به من شعار الإسلام و الدين كالشهادتين و نحوهما من دون ثبات ذلك فى القلب و رسوخه و العمل على وفقه ،و-صنيع-نصب على المصدر:

أى صنعتم صنيعا مثل صنيع من أحرز رضا سيّده بقضاء ما أمره به،و وجه التشبيه الاشتراك فى الترك و الإعراض عن العمل .و باللّه التوفيق.

۱۱۱-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاصِلِ الْحَمْدَ بِالنِّعَمِ- وَ النِّعَمَ بِالشُّكْرِ نَحْمَدُهُ عَلَى آلاَئِهِ- كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلاَئِهِ- وَ نَسْتَعِينُهُ عَلَى هَذِهِ النُّفُوسِ الْبِطَاءِ- عَمَّا أُمِرَتْ بِهِ- السِّرَاعِ

إِلَى مَا نُهِيتَ عَنْهُ- وَ نَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ- وَ أَحْصَاهُ كِتَابُهُ عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ- وَ كِتَابٌ غَيْرُ مُغَادِرٍ- وَ نُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ عَايَنَ الْغُيُوبَ- وَ وَقَفَ عَلَى الْمَوْعُودِ- إِيمَاناً نَفَى إِخْلَاصُهُ الشِّرْكَ وَ يَقِينُهُ الشَّكَّ- وَ نَشْهَدُ أَنْ «لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ» وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ- وَ أَنَّ؟مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ- ص شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ الْقَوْلَ وَ تَرْفَعَانِ الْعَمَلَ- لَا يَخِفُّ مِيزَانٌ تُوضَعَانِ فِيهِ- وَ لَا يَثْقُلُ مِيزَانٌ تُرْفَعَانِ عَنْهُ أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ- الَّتِي هِيَ الزَّادُ وَ بِهَا الْمَعَاذُ- زَادٌ مُبْلِغٌ وَ مَعَاذٌ مُنْجِحٌ- دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ- وَ وَعَاهَا خَيْرُ وَاعٍ- فَأَسْمَعَ دَاعِيهَا وَ فَازَ وَاعِيهَا- عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ حَمَتْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ مَحَارِمَهُ- وَ أَلْزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ- حَتَّى أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ وَ أَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ- فَأَخَذُوا الرَّاحَةَ بِالنَّصَبِ وَ الرِّيَّ بِالظَّمَإِ- وَ اسْتَقْرَبُوا الْأَجَلَ فَبَادَرُوا الْعَمَلَ- وَ كَذَّبُوا الْأَمَلَ فَلَاحَظُوا الْأَجَلَ- ثُمَّ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَ عَنَاءٍ وَ غِيَرٍ وَ عِبَرٍ- فَمِنَ الْفَنَاءِ أَنَّ الدَّهْرَ مُوتِرٌ قَوْسَهُ- لَا تُخْطِئُ سِهَامُهُ- وَ لَا تُؤْسَى جِرَاحُهُ يَرْمِي الْحَيَّ بِالْمَوْتِ- وَ الصَّحِيحَ بِالسَّقَمِ- وَ النَّاجِيَ بِالْعَطَبِ- آكِلٌ لَا يَشْبَعُ وَ شَارِبٌ لَا يَنْقَعُ- وَ مِنَ الْعَنَاءِ أَنَّ الْمَرْءَ يَجْمَعُ مَا لَا يَأْكُلُ- وَ يَبْنِي مَا لَا يَسْكُنُ- ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى- لَا مَالاً

حمِلَ وَ لاَ بِنَاءً نَقَلَ- وَ مِنْ عِبَرِهَا أَنَّکَ تَرَی الْمَرْحُومَ مَغْبُوطاً- وَ الْمَغْبُوطَ مَرْحُوماً- لَيْسَ ذَلِکَ إِلاَّ نَعِيماً زَلَّ وَ بُؤْساً نَزَلَ- وَ مِنْ عِبَرِهَا أَنَّ الْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلَى أَمَلِهِ- فَيَقْتَطِعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ- فَلاَ أَمَلٌ يُدْرَکُ- وَ لاَ مُؤَمَّلٌ يُتْرَکُ- فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَعَزَّ سُرُورَهَا- وَ أَظْمَأَ رِيَّهَا وَ أَضْحَى فَيْئَهَا- لاَ جَاءٍ يُرَدُّ وَ لاَ مَاضٍ يَرْتَدُّ- فَسُبْحَانَ اللَّهِ- مَا أَقْرَبَ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ لِلَحَاقِهِ بِهِ- وَ أَبْعَدَ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ لاِنْقِطَاعِهِ عَنْهُ- إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنَ الشَّرِّ إِلاَّ عِقَابُهُ- وَ لَيْسَ شَيْءٌ بِخَيْرٍ مِنَ الْخَيْرِ إِلاَّ ثَوَابُهُ- وَ کُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ- وَ کُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْآخِرَهِ عِيَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ- فَلْيَکْفِکُمْ مِنَ الْعِيَانِ السَّمَاعُ- وَ مِنَ الْغَيْبِ الْخَبَرُ- وَ اعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا- وَ زَادَ فِي الْآخِرَهِ- خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ الْآخِرَهِ- وَ زَادَ فِي الدُّنْيَا- فَکَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَابِحٍ وَ مَزِيدٍ خَاسِرٍ- إِنَّ الَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ الَّذِي نُهِيتُمْ عَنْهُ- وَ مَا أُحِلَّ لَکُمْ أَکْثَرُ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْکُمْ- فَذَرُوا مَا قَلَّ لِمَا کَثُرَ وَ مَا ضَاقَ لِمَا اتَّسَعَ- قَدْ تَکَفَّلَ لَکُمْ بِالرِّزْقِ- وَ أُمِرْتُمْ بِالْعَمَلِ- فَلاَ يَکُونَنَّ الْمَضْمُونُ لَکُمْ طَلَبُهُ- أَوْلَى بِکُمْ مِنَ الْمَفْرُوضِ عَلَيْکُمْ عَمَلُهُ- مَعَ أَنَّهُ وَ اللَّهِ لَقَدِ اعْتَرَضَ الشَّکُّ- وَ دَخَلَ الْيَقِينُ- حَتَّى کَأَنَّ الَّذِي ضُمِنَ

لَكَمْ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكَمْ- وَ كَأَنَّ الَّذِی فُرِضَ عَلَيْكَمْ قَدْ وُضِعَ عَنْكَمْ- فَبَادِرُوا الْعَمَلَ وَ خَافُوا بَغْتَهَ الْأَجَلِ- فَإِنَّهُ لاَ يُرْجَی مِنْ رَجْعَهِ الْعُمُرِ- مَا يُرْجَی مِنْ رَجْعَهِ الرِّزْقِ- مَا فَاتَ الْيَوْمَ مِنَ الرِّزْقِ رُجِیَ غَداً زِيَادَتُهُ- وَ مَا فَاتَ أَمْسِ مِنَ الْعُمُرِ- لَمْ يُرْجَ الْيَوْمَ رَجْعَتُهُ- الرَّجَاءُ مَعَ الْجَائِی وَ الْيَأْسُ مَعَ الْمَاضِی- فَ «اتَّقُوا اللّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَ لا تَمُوتُنَّ إِلاّ وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ»

اللغه

أقول: لا توسى: أى لا تداوى .و لا ينقع: لا يسكن عطشه .و أضحى: برز لحرّ الشمس .

و فی الخطبه لطائف:

الاولی:أنّه صدّر الخطبه بحمد اللّه تعالی باعتبارين :

أحدهما:وصله حمد حامديه بإفاضه نعمه عليهم

.كما قال تعالی «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ» و سرّه أنّ العبيد يستعدّ بشكر النعمه .

الثانی:وصله النعم الّتی يفيضها علی عباده

بإفاضه الاعتراف بها علی أسرار قلوبهم،و قد علمت:أنّ الاعتراف بالنعم هی حقيقه الشكر فظهر إذن معنی وصله النعم بالشكر،و إنّ الشكر و التوفيق له نعم اخری كما سبقت الإشاره إليه فی الخطبه الاولی،و يحتمل أن يريد الشكر منه تعالی لعباده الشاكرين كما قال تعالی و «اللّهَ شاكِرٌ عَلِيمٌ» و ظاهر أنّ وصله نعمه بشكره فی نهايه التفضّل و الإنعام فإنّ الإحسان المتعارف يستتبع الشكر من المحسن إليه فأمّا من المحسن فذلك تفضّل آخر و رتبه أعلی .

الثانيه:أنّه نبّه بتسويته بين حمده علی النعماء و حمده علی البلاء

تنبيها منه علی وجوب ذلک لأنّ النعمه قد تكون بلاءا من اللّه كما قال تعالی «وَ نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَهً» و البلاء منه أيضا نعمه يستحقّ به الثواب الآجل،و سبب النعمه

ص:٩٨

نعمه،و بهذا الاعتبار يجب الشكر على البلاء أيضا كما يجب على النعماء.إذ الكلّ نعمه .

الثالثه:نبّه على وجوب استعانته تعالى على النفوس

،و ذكر ما لأجله الاستعانه عليها و هو كونها بطاء عمّا امرت به من سائر التكاليف.و ذلك لحاجه النفوس إلى مقاومه الطبيعه سراعا إلى ما نهيت عنه من المعاصى،و ذلك لموافقتها مقتضى الطبيعه .

الرابعه:نبّه على وجوب طلب المغفره من اللّه لكلّ ذنب صغير أو كبير

ممّا أحاط به علمه و أحصاه كتابه المبين و لوحه المحفوظ-جبرئيل الأمين-علما أحاط بكلّ شىء و كتابا غير مغادر لشىء .

الخامسه:إنّما خصّ إيمان من عاين الغيوب و وقف على الموعود

:أى وقف على ما وعد به المتّقون بعين الكشف لكونه أقوى درجات الإيمان فإنّ من الإيمان ما يكون بحسب التقليد،و منه ما يكون بحسب البرهان و هو علم اليقين،و أقوى منه الإيمان بحسب الكشف و المشاهده و هو عين اليقين،و ذلك هو الإيمان الخالص فيه و بحسب الإخلاص فيه يكون نفى الشرك،و بحسب يقينه يعنى اعتقاد أنّ الأمر كذا مع اعتقاد أنّه لا يمكن أن يكون إلّا كذا يكون نفى الشكّ،و قد علمت أنّه عليه السّلام من أهل هذه المرتبه .

السادسه:كون الشهادتين تصعدان القول و ترفعان العمل

،و ذلك أنّ إخلاص الشهادتين أصل لقبول الأقوال و الأعمال الصالحه لا يصعد إلى اللّه قول و عمل لا تكونان أصلا له،و أشار إلى ذلك بقوله : لا يخفّ ميزان توضعان فيه و لا يثقل ميزان ترفعان عنه .و قد أشرنا إلى معنى الوزن فيما سبق و سنزيده بيانا «إِنْ شاءَ اللّهُ» تعالى .

السابعه:أراد بكون تقوى اللّه هى الزاد

أنّها الزاد المبلّغ و أنّ بها المعاد:

أى المعاد المنجح،و لذلك أوردهما تفسيرا .

الثامنه:أراد بأسمع داع

أشدّ الداعين إسماعا و تبليغا و هو الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أراد بخير واع المسارعين إلى داعى اللّه الّذين هم أفضل القوابل الإنسانيّه .

ص:٩٩

التاسعه:وصف ما يستلزم تقوى اللّه من الآثار فی أولياء اللّه

،و وصف الليالی بالسهر،و الهواجر بالظماء لكونهما ظرفين.فالليالی لقيام الصلاه و النهار للصوم فكان مجازا من باب إطلاق صفه المظروف على الظرف،و هو كقولهم:نهاره صائم و ليله قائم ،و أخذهم الراحه:أی فی الآخره بالنصب:أی بتعب الأبدان من القيام ، و الریّ من عين تسـمّى سبيلا بالاستعداد بظمأ الصيام ،و الفاء فی فبادروا و لاحظوا للتعليل فإنّ استقراب الأجل مستلزم للعمل له و لما بعده ،و كذلك تكذيب الأمل و انقطاعه ملازم لملاحظه الأجل .

العاشره.ذكر مذامّ الدنيا إجمالا

،و هو كونها دار فناء و عناء و غير و عبر.

ثمّ أعقب ذلـك الإجمـال بتفصيـل كـلّ جمله و ذلك إلى قوله: و لا مؤمّل يترک . استعاره مرشـحه و اسـتعار لفظ الإيتار لإيتار الـدهر،و رشّح بذكر القوس،و وجه الاسـتعاره أنّ الدهر كما يرمی بمصائبه المسـتنده إلى القضاء الإلهیّ الّذی لا يتغيّر كما يرمی الرامی الّذی لا يخطیء ،و كذلك اسـتعار لفظ الجراح لنوائب الدهر لاشتراكهما فی الإيلام،و رشّح بذكر عدم المداواه ، استعاره و كذلك استعار له لفظ الآكل و الشارب عديمی الشبع و الریّ،و وجه المشابهه كونه يأتی على الخلق فيفنيهم كما يأتی الآكل و الشارب المذكوران على الطعام و الشراب فيفنيانهما ،و أراد بالمرحوم الّذی يرى مغبوطا أهل المسكنه و الفقر الّذی يتبدّل فقرهم بالغنى فيغبطون،و بالمغبوط الّـذی يرى مرحوما أهل الغنى المتبـدّلين به فقرا بحسب تصاريف الدهر فيصـيروا فی محلّ الرحمه،و قوله :

ليس ذلک إلّا نعيما زلّ :أی عن المغبوطين و بؤسا نزل بهم .

الحاديه عشر:نسب الغرور إلى سرورها و الظماء إلى ريّها و الضحى إلى فيئها،

و أتی بلفظ التعجّب، كنايه و كنّى بريّها عن اسـتتمام لـذّاتها ،و بفيئها عن الركون إلى قنياتها و الاعتماد عليها،و وجه هذه النسـب أنّ سـرورها و فيئها هی الصوارف عن العمل للآخره و الملفتات عن الإقبال على اللّه فكان سـرورها أقوى سبب للغرور بها،و ريّها و فيئها أقوى الأسـباب لظماء منهمک فيها من شـراء الأبرار و أوجب لأبراره إلى حرّ الجحيم فلهذه النسـبه جازت إضافه الغرور و الظماء و الضحى إلى سرورها و ريّها و فيئها و

قوله : لا جاء يردّ :أى من آفات الدهر كالموت و القتل و نحوهما ، و لا ماض يرتدّ :

أى من الأموات و الفائت من القنيات .

الثانيه عشر:قوله:أنّه ليس شىء بشرّ من الشرّ إلاّ عقابه.إلى قوله:سماعه.

يحتمل أن يريد الشرّ و الخير المطلقين،و يكون ذلك للمبالغه.إذ يقال للأمر الشريف و الشديد:هذا أشدّ من الشديد و أجود من الجيّد،و يحتمل أن يريد شرّ الدنيا و خيرها فإنّ أعظم شرّ فى الدنيا مستحقر فى عقاب اللّه،و أعظم خير فيها مستحقر بالنسبه إلى ثواب اللّه .ثمّ أكّد ذلك بأعظميّه أحوال الآخره بالنسبه إلى أحوال الدنيا.و مصداق كلامه عليه السّلام أنّ أعظم شرّ يتصوّر الإنسان بالسماع و يستهوله و يستنكره ممّن يفعله صوره القتل و الجراح فإذا وقع فى مثل تلك الأحوال و شاهدها و اضطرّ إلى المخاصمه و المحاربه سهل عليه ما كان يستصعبه منها و هان فى عينه ذلك الوقع و الخوف،و كذلك لا يزال الإنسان يتخوّف المثول بين يدى الملوك و يتصوّر عظمتهم و بطشهم إلى أن يصل إلى مجالسهم فإنّه يجد من نفسه زوال ذلك الخوف.فكانت مشاهده ما كان يتصوّره شرّا عظيما أهون عنده من وصفه و السماع له، و كذلك حال الخير فإنّ الإنسان لا يزال يحرص على تحصيل الدرهم و الدينار و غيرهما من سائر مطالب الدنيا،و يكون قلبه مشغولا بتحصيله فرحا بانتظار وصوله فإذا وصل إليه هان عليه.و هو أمر وجدانىّ،و أمّا أحوال الآخره فالّذى يسمعه من شرورها و خيراتها إنّما يلاحظها بالنسبه إلى خيرات الدنيا و شرورها،و ربّما كانت فى اعتبار أكثر الخلق أهون من خيرات الدنيا و شرورها لقرب الخلق من المحسوس و قرب الدنيا منهم و ذوقهم لها دون الآخره مع قيام البرهان العقلىّ على ضعف الأحوال الحاضره من خير و شرّ بالقياس إلى أحوال الآخره فلذلك كان عيان أحوالها أعظم من سماعها .و إذا كانت الحال كذلك فينبغى أن يكتفى من العيان بالسماع، و من الغيب بالخبر حيث لا يمكن الاطّلاع على الغيب و مشاهده العيان لتلك الأحوال فى هذه العالم .ثمّ نبّه على أفضليّه الآخره بأنّ ما زاد فيها ممّا يقرّب إلى اللّه تعالى فإن استلزم نقصان الدنيا من بذل مال أو جاه خير من العكس.و بيان هذه الخيريّه

ص:١٠١

كون خيرات الدنيا فى معرض الزوال مشوبه بالأوجاع و الأوجال(الأوحال خ) و كون تلك باقيه على كلّ حال مع كونها فى نهايه الكمال ،و ضرب المثل بأكثريّه المنقوص من الدنيا الرابح فى الآخره،و هم أولياء اللّه و أحبّائه الّذين اشترى منهم أنفسهم و أموالهم «بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّهَ» ،و بأكثريّه المزيد الخاسر «الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّهَ وَ لا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ» .ثمّ أكّد الحثّ على سلوك طريق الآخره ببيان اتّساعها بالنسبه إلى طريق الدنيا.فقال : إنّ الّذى امرتم به أوسع من الّذى نهيتم عنه ،و ذلك ظاهر فإنّ كبائر ما نهينا عنه خمس:القتل.و فى الحلم و العفو و الصبر الّتى هى من أشرف الأخلاق المحموده سعه عنه.ثمّ الظلم.و فى العدل و الاقتصار على تناول الامور المباحه الّتى هى أكثر و أوسع سعه عنه.ثمّ الكذب الّذى هو رأس النفاق و عليه يبتنى خراب العالم.و فى المعاريض و الصدق الّذى هو بضدّه فى عماره العالم مندوحه عنه.ثمّ الزنا.و لا شكّ أنّ فى سائر وجوه النكاحات مع كثرتها و سلامتها عن المفاسد اللازمه عن الزنا سعه عنه.ثمّ شرب الخمر الّتى هى امّ الخبائث و منشأ كثير من الفساد.و فى تركها إلى ما ؟؟؟؟؟؟؟؟؟ أفعالها الّتى تدّعى كونها محموده من سائر الأشربه و غيرها معدل عنها و سعه.و كذلك قوله : و ما أحلّ لكم أكثر ممّا حرّم عليكم فانّ الواجب و المندوب و المباح و المكروه يصدق على جميعها اسم الحلال،و هى أكثر من الحرام الّذى هو قسم واحد من الأحكام ثمّ لمّا نبّه على وجه المصلحه فى ترك المنهىّ و المحرّم أردف ذلك بالأمر بتركهما لأنّ العقل إذا لاحظ طريقا مخوفا واحدا بين طرق كثيره آمنه اقتضى العدول عن المخوفه لضرورته .

الثالثه عشر:نبّه بالنهى عن ترجيح طلب الرزق على الاشتغال بفرائض اللّه،

و على أنّ الاشتغال بها أولى بكون الرزق مضمونا.فالسعى فى تحصيله يجرى مجرى تحصيل الحاصل.ثمّ أردف ذلك بما يجرى مجرى التوبيخ للسامعين على ترجيحهم طلب الرزق على الاشتغال بالفرائض فأقسم أنّ ذلك منهم عن اعتراض الشكّ لهم فيما تيقّنوه من تكفّل اللّه سبحانه بأرزاقهم و وعده و ضمانه لهم بقوله «وَ فِي السَّماءِ»

«رِزْقُكَمْ وَ ما تُوعَدُونَ» أى فى سماء جوده،و قد علمت أنّ الجدّ فى طلب الرزق يستند إلى ضعف التوكّل على اللّه و هو مستند إلى ضعف اليقين فيه و سوء الظنّ به،و ذلك يستلزم استناد العبد إلى نفسه و توكّله عليها.و جعلهم فى طلب الرزق كمن تيقّن المضمون له مفروضا طلبه عليه،و المفروض عليه طلبه موضوعا عنه.مبالغه فى قلّه احتفالهم بفرائض اللّه عليهم و اشتغالهم عنها بطلب الدنيا .

الرابعه عشر:نبّه على وجوب المحافظه على العمر بالعمل فيه للآخره

،و على أولويّه مراعاته بالنسبه إلى مراعاه طلب الرزق بكون العمر لا يرجى من رجعته ما يرجى من رجعه الرزق فإنّ العمر فى تقضّ و نقصان ،و ما فات منه غير عائد بخلاف الرزق فإنّه يرجى زيادته و جبران ما نقص منه فى الماضى،و لمّا كان العمر الّذى من شأنه أن لا يعود ما فات منه طرفا للعمل و يفوت بفواته وجب تدارك العمل بتداركه،و قوله : الرجاء مع الجائى.يريد الرزق،و اليأس مع الماضى .يريد العمر.

و هو مؤكّد لما قبله .

الخامسه عشر:أنّه ختم بالآيه اقتباسا من نور القرآن

،و وجه هذه الاقتباس أنّه لمّا كان الكلام فى معرض جذب السامعين إلى العمل الّذى هو سبب تطويع النفس الأمّاره بالسوء للنفس المطمئنّه الّذى هو جزء من الرياضه،و كان التقوى عباره عن الزهد فى الدنيا الّذى حقيقته حذف الموانع الداخليّه و الخارجيّه عن القلب الّذى هو الجزء الثانى من الرياضه،و كان الإسلام هو الدين الحقّ المركّب من ذينك الجزئين لا جرم حسن إيراد الآيه المشتمله على الأمر بالتقوى و الموت على الإسلام بعد الأمر بالعمل ليكون ذلك أمرا بإكمال الدين و إتمامه.و باللّه التوفيق.

۱۱۲-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

فى الاستسقاء

اَللَّهُمَّ قَدِ انْصَاحَتْ جِبَالُنَا- وَ اغْبَرَّتْ أَرْضُنَا وَ هَامَتْ دَوَابُّنَا- وَ تَحَيَّرَتْ فِی مَرَابِضِهَا- وَ عَجَّتْ عَجِيجَ الثَّكَالَى عَلَى أَوْلاَدِهَا- وَ مَلَّتِ التَّرَدُّدَ فِی مَرَاتِعِهَا-

ص:۱۰۳

وَ الْحَنِينَ إِلَى مَوَارِدِهَا- اللَّهُمَّ فَارْحَمْ أَنِينَ الْآنَّهِ- وَ حَنِينَ الْحَانَّهِ- اللَّهُمَّ فَارْحَمْ حَيْرَتَهَا فِي مَذَاهِبِهَا- وَ أَنِينَهَا فِي مَوَالِجِهَا- اللَّهُمَّ خَرَجْنَا إِلَيْكَ- حِينَ اعْتَكَرَتْ عَلَيْنَا حَدَابِيرُ السِّنِينَ- وَ أَخْلَفَتْنَا مَخَايِلُ الْجُودِ- فَكُنْتَ الرَّجَاءَ لِلْمُبْتَئِسِ- وَ الْبَلاَغَ لِلْمُلْتَمِسِ نَدْعُوكَ حِينَ قَنِطَ الْأَنَامُ- وَ مُنِعَ الْغَمَامُ وَ هَلَكَ السَّوَامُ- أَلاَّ تُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا- وَ لاَ تَأْخُذَنَا بِذُنُوبِنَا- وَ انْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِالسَّحَابِ الْمُنْبَعِقِ- وَ الرَّبِيعِ الْمُغْدِقِ- وَ النَّبَاتِ الْمُونِقِ سَحّاً وَابِلاً- تُحْيِي بِهِ مَا قَدْ مَاتَ- وَ تَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ- اللَّهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ مُحْيِيَةً مُرْوِيَهً- تَامَّهً عَامَّهً طَيِّبَهً مُبَارَكَهً- هَنِيئَهً مَرِيعَهً- زَاكِياً نَبْتُهَا ثَامِراً فَرْعُهَا نَاضِراً وَرَقُهَا- تُنْعِشُ بِهَا الضَّعِيفَ مِنْ عِبَادِكَ- وَ تُحْيِي بِهَا الْمَيِّتَ مِنْ بِلاَدِكَ- اللَّهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ تُعْشِبُ بِهَا نِجَادُنَا- وَ تَجْرِي بِهَا وِهَادُنَا- وَ يُخْصِبُ بِهَا جَنَابُنَا- وَ تُقْبِلُ بِهَا ثِمَارُنَا- وَ تَعِيشُ بِهَا مَوَاشِينَا- وَ تَنْدَى بِهَا أَقَاصِينَا- وَ تَسْتَعِينُ بِهَا ضَوَاحِينَا- مِنْ بَرَكَاتِكَ الْوَاسِعَهِ- وَ عَطَايَاكَ الْجَزِيلَهِ- عَلَى بَرِيَّتِكَ الْمُرْمِلَهِ وَ وَحْشِكَ الْمُهْمَلَهِ- وَ أَنْزِلْ عَلَيْنَا سَمَاءً مُخْضِلَهً مِدْرَاراً هَاطِلَهً- يُدَافِعُ الْوَدْقُ مِنْهَا الْوَدْقَ- وَ يَحْفِزُ الْقَطْرُ مِنْهَا الْقَطْرَ- غَيْرَ خُلَّبٍ بَرْقُهَا- وَ لاَ جَهَامٍ عَارِضُهَا- وَ لاَ قَزَعٍ رَبَابُهَا- وَ لاَ شَفَّانٍ ذِهَابُهَا- حَتَّى يُخْصِبَ لِإِمْرَاعِهَا الْمُجْدِبُونَ-

وَ يَحْيَا بِبَرَكَتِهَا الْمُسْنِتُونَ- فَإِنَّکَ تُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا- وَ تَنْشُرُ رَحْمَتَکَ وَ أَنْتَ «الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ» قال الشريف:قوله عليه السّلام«انصاحت جبالنا»أی:تشققت من المحول، يقال:انصاح الثوب،إذا انشق.و يقال أيضا:انصاح النبت و صاح و صوّح إذا جفّ و يبس.و قوله«و هامت دوابنا»أی:عطشت،و الهيام:العطش و قوله«حدابير السنين»جمع حدبار:و هی الناقه التی أنضاها السير فشبه بها السنه التی فشا فيها الجدب،قال ذو الرمه:- حدابير ما تنفکّ إلّا مناخه على الحسف أو نرمی بها بلدا قفرا

و قوله«و لا قزع ربابها»:القزع:القطع الصغار المتفرقه من السحاب، و قوله«و لا شفان ذهابها»فإن تقديره:و لا ذات شفان ذهابها،و الشفان:

الريح البارده،و الذهاب:الأمطار اللينه،فحذف«ذات»لعلم السامع به.

اللغه

و أقول: اعتکرت: اختلطت و ازدحمت .و المخائل: جمع مخيله للسحابه الّتی ترجى المطر .و المبتئس: الحزين .و المنبعق و المنبعج: السحاب المنصبّ بشدّه .

و الربيع هنا:المطر .و السقيا بالضمّ: الاسم من السقی .و المريع : المخصب .

و النجاد: جمع نجد و هو المرتفع من الأرض .و الضواحی: النواحی البارزه:أی أهل نواحينا .و المرمله: قليله المطر .و المخضله: الرطبه .و الودق: القطر .

و الجهام: المظلم الّذی لا ماء فيه .و الخلّب: الّتی يکذب الظنّ فيها .و المسنتون:

الّذين أصابتهم شدّه السنه .

المعنى

و اعلم أنّه نبّه بقوله. ندعوک عن لا تؤاخذنا بأعمالنا و لا تأخذنا بذنوبنا.

على أنّ للذنوب و الأعمال الخارجه عن أوامر اللّه تأثير فی رفع الرحمه.و سرّ ذلک

ص:١٠۵

أنّ الجود الإلهىّ لا بخل فيه و لا منع من قبله و إنّما يكون ذلك بحسب عدم الاستعداد و قلّته و كثرته،و ظاهر أنّ المقبلين على الدنيا المرتكبين لمحارم اللّه معرضون عنه غير متلقّين لآثار رحمته بل مستعدّون لضدّ ذلك أعنى سخطه و عذابه بحسب استعدادهم بالانهماك فى محارمه و الجور عن سبيله،و حرىّ بمن كان كذلك أن لا تناله بركه، و لا يفاض عليه أثر رحمه ،و نصب سحّا و وابلا على الحال و العامل انشر ،و أراد بالسماء المخضله هنا السحاب،و العرب تقول:كلّ ما علاك فهو سماء ك،و معنى إنزاله إرسال مائه و إدراره،و يحتمل أن يريد بالسماء المطر نفسه،و نحوه أنزل علينا الغيث،و قد اقتبس من القرآن الكريم ختام هذا الفصل أيضا،و وجه مناسبته للآيه ظاهر.و باللّه التوفيق.

۱۱۳-و من خطبه له عليه السّلام

القسم الأول

اشاره

أَرْسَلَهُ دَاعِياً إِلَى الْحَقِّ- وَ شَاهِداً عَلَى الْخَلْقِ- فَبَلَّغَ رِسَالاَتِ رَبِّهِ- غَيْرَ وَانٍ وَ لاَ مُقَصِّرٍ- وَ جَاهَدَ فِي اللَّهِ أَعْدَاءَهُ- غَيْرَ وَاهِنٍ وَ لاَ مُعَذِّرٍ- إِمَامُ مَنِ اتَّقَى وَ بَصَرُ مَنِ اهْتَدَى

اللغه

أقول: الواهن: الضعيف .و المعذّر بالتشديد: المقصّر .

المعنى

و اعلم أنّ الأوصاف الّتى ذكرها للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ظاهره،و قد سبقت الإشاره إليها غير مرّه فأمّا كونه إمام من اتّقى فلاستناد أهل التقوى إليه فى كيفيّه سلوك سبيل اللّه الّتى هى التقوى ،و قد استعار لفظ البصر له.و وجه المشابهه كونه سببا لاهتداء الخلق إلى سبيل الرشاد كما يهتدى صاحب البصيره فى طريقه المحسوس.

و باللّه التوفيق.

القسم الثانى مِنْهَا

اشاره

وَ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمَّا طُوِيَ عَنْكُمْ غَيْبُهُ- إِذاً لَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ- تَبْكُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ- وَ تَلْتَدِمُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ- وَ

لَتَرَكْتُمْ

ص:١٠٦

أَمْوَالَكُمْ لاَ حارِسَ لَهَا- وَ لاَ خَالِفَ عَلَيْهَا- وَ لَهَمَّتْ كُلَّ امْرِئٍ نَفْسُهُ- لاَ يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهَا- وَ لَكِنَّكُمْ نَسِيتُمْ مَا ذُكِّرْتُمْ- وَ أَمِنْتُمْ مَا حُذِّرْتُمْ- فَتَاهَ عَنْكُمْ رَأْيُكُمْ- وَ تَشَتَّتَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ- وَ لَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ فَرَّقَ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ- وَ أَلْحَقَنِي بِمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِي مِنْكُمْ- قَوْمٌ وَ اللَّهِ مَيَامِينُ الرَّأْيِ- مَرَاجِيحُ الْحِلْمِ- مَقَاوِيلُ بِالْحَقِّ- مَتَارِيكُ لِلْبَغْيِ- مَضَوْا قُدُماً عَلَى الطَّرِيقَهِ- وَ أَوْجَفُوا عَلَى الْمَحَجَّهِ- فَظَفِرُوا بِالْعُقْبَى الدَّائِمَهِ- وَ الْكَرَامَهِ الْبَارِدَهِ- أَمَا وَ اللَّهِ لَيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُمْ- غُلاَمُ؟ثَقِيفٍ؟ الذَّيَّالُ الْمَيَّالُ- يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ- وَ يُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ- إِيهٍ؟أَبَا وَذَحَهَ؟ قال الشريف:أقول:الوذحه:الخنفساء،و هذا القول يرمىء به إلى الحجاج،و له مع الوذحه حديث ليس هذا موضوع ذكره.

اللغه

أقول: الصعدات: جمع الصعد،و هو جمع صعيد و هو وجه الأرض.

و اللدم و الالتدام: ضرب الوجه و نحوه .و رأى ميمون: مبارك .و قدما بضمّ القاف و الدال: أى تقدّموا و لم ينثنوا .و الوجيف: ضرب من السير فيه قوّه .و الوذحه:

كما قيل-كنيه للخنفساء.و لم ينقل ذلك فى المشهور من كتب اللغه و إنّما المشهور أنّها القطعه من بعر الشاه تنعقد على أصواف أذنابها و تتعلّق بها .

المعنى

و هذا الفصل من خطبه له بالكوفه يستنهض فيها أصحابه إلى حرب الشام، و يتبرّم من تقاعدهم عن صوته.فتبّههم أوّلا على جهلهم بما سيقع من الفتن فى الإسلام ممّا غاب عنهم علمه-و علمه هو من اللّه و رسوله-بحيث لو تصوّروا ما علمه منها لاحتال كلّ منهم فى الخلاص لنفسه،و لهاموا على وجه الأرض باكين من تقصيرهم فى أعمالهم

على وفق أوامره الّتى بها يكون نظام العالم إلى الأبد،و الأمن من تلك الفتن لو فعلوها .و لكنّهم نسوا ما ذكّروا به من آيات اللّه و أمنوا التحذير فضلّت عنهم آراؤهم الصالحه الّتى يكون بها نظام امورهم فاستعقب ذلك تشتّت امورهم و غلبه العدوّ على بلادهم،و قيل:أراد بما طوى عنهم غيبه و علمه هو ما يلقى المقصّرون من أهوال الآخره.و الأوّل أنسب لسياق الكلام .ثمّ عقّب ذلك بالتبرّم منهم و طلب فراقهم و اللحاق بإخوانه من أولياء اللّه مباركى الآراء،ثقال الحلوم لا يستخفنّهم جهل الجهّال،ملازمى الصدق و نصيحه الدين من شأنهم ترك البغى على أنفسهم و غيرهم ،مضوا على الطريقه الحميده،سالكين لمحجّه اللّه غير ملتفتين عنها فوصلوا إلى الثواب الدائم و النعيم المقيم.و قرينه الظفر تخصّص العقبى بالثواب.و العرب تصف النعمه و الكرامه بالبرد .ثمّ بيّن لهم بعض ما سيلحقهم من الفتن العظيمه ممّا طوى عنهم غيبه و هى فتنه الحجّاج بن يوسف بن الحكم بن أبى عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن ملك بن كعب بن الأخلاف-قوم من ثقيف-و كان ضعيف العين،دقيق الصوت،ذيّالا:أى طويل الذيل يصحبه تبخترا،ميّالا:أى يكثر التمايل كبرا، استعاره بالكنايه و أخبر أنّه يأكل خضرتهم ،و كنّى بها عمّا هم عليه من الابّهه و سلامه النفوس و الأموال و حسن الأحوال و بأكله لها عن إزاله تلك و تغييرها إلى أضدادها،و لفظ الأكل مستعار لذلك،و وجه الاستعاره ظاهر ، استعاره و كذلك استعار الشحمه لثرائهم و قوّتهم و وصف الإذابه لإفناء ذلك بالقتل و الإهانه،و مصداق ذلك المشهور من فعله بأهل العراق كما سبق بيانه فى ذكر الكوفه . استعاره بالكنايه ثمّ قال : إيه أبا وذحه .و كلمه إيه اسم من أسماء فعل الأمر يستدعى بها الحديث المعهود من الغير-إن سكنت-و إن نوّنت كانت لاستدعاء قول أو فعل ما،و قيل:التسكين للوقف و التنوين للدرج فأمّا تلقيبه عليه السّلام له بأبى وذحه فروى فى سبب ذلك أنّه كان يوما يصلّى على سجّاده له فدبّت إليه خنفساء.فقال:نحوّها عنّى فإنّها وذحه من وذح الشيطان.و روى أنّه قال:قاتل اللّه قوما يزعمون أنّ هذه من خلق اللّه.فقيل له:ممّا هى؟فقال:

من وذح إبليس،و كأنّه شبّهها بالوذحه المتعلّقه بذنب الشاه فى حجمها أو شكلها

فاستعار لها لفظها و نسبته لها إلى إبليس لاستقذاره إيّاه و استكراهه لصورتها أو لأنّها تشوّشه فى الصلاه،و روى أبو علىّ بن مسكويه:أنّه نحّاها بقصبته و قال:لعنك اللّه وذحه من وذح الشيطان،و نقل بعض الشارحين و دجه بالدال و الجيم،و كنّى بذلك عن كونه سفّاكا للدماء قطّاعا للأوداج ،و فيه بعد.

۱۱۴–و من كلام له عليه السّلام

اشاره

فَلاَ- أَمْوَالَ بَذَلْتُمُوهَا لِلَّذِى رَزَقَهَا- وَ لاَ- أَنْفُسَ خَاطَرْتُمْ بِهَا لِلَّذِى خَلَقَهَا- تَكْرُمُونَ بِاللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ- وَ لاَ تُكْرِمُونَ اللَّهَ فِى عِبَادِهِ- فَاعْتَبِرُوا بِنُزُولِكُمْ مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ- وَ انْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصَلِ إِخْوَانِكُمْ

أقول:مدار هذا الفصل على التوبيخ بالبخل بالأموال و الأنفس

،و فى قوله:

للّذى رزقها و خلقها.استدراج حسن فإنّ البخيل إنّما يستقبح بذله لملاحظه أمرين:

أحدهما:خوف الفقر،و الثانى:أنّه كثيرا ما يتوهّم الأشحّاء أن لا مستحقّ للمال إلاّ هم فيكون ذلك و أمثاله عذرا لهم مع أنفسهم فى عدم البذل،و كذلك الشحيح بنفسه إنّما يشحّ بها خوف الموت و أن لا يكون له من هذه الحياه عوض يساويها فإذا علم أنّ بذل المال لرازقه إيّاه بعد أن يكون حسن الظنّ به زال عذره فى البخل لعلمه بتعويضه خيرا منه و بأنّه أحقّ منه.إذ كان المملوك و ما يملك لمولاه،و كذلك يزول عذر الشحيح بنفسه لعلمه أنّ الطالب لبذلها هو الأحقّ بها و أنّه القادر على أن يوصله إلى ما هو خير له من هذه الحياه الفانيه،و فى انقطاع ما يتوهّمونه عذرا فى البخل بالمال و النفس يكون سهوله بذلهما فى سبيل اللّه.

و قوله : تكرمون باللّه على عباده.

أى تفخرون و تشرفون على الخلق بأنّكم أهل طاعه اللّه و عباده .ثمّ لا تكرمونه فيما يدعوكم إليه و لا تجيبون داعيه فى إكرام عباده و الالتفات إلى فقرائهم باليسير ممّا رزقكم .ثمّ أمرهم باعتبار نزولهم منازل الدارجين،و انقطاعهم عن أوصل

إخوانهم تنبيها لهم على أنّهم أمثالهم فى اللحاق بمن سلف و الانقطاع عمّن يبقى، و روى عن أصل إخوانكم:أى أقربهم أصلا إليكم،و فائده هذا الاعتبار تذكّر الموت و العمل لما بعده.

۱۱۵-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

أَنْتُمُ الْأَنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ- وَ الْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ- وَ الْجُنَنُ يَوْمَ الْبَأْسِ- وَ الْبِطَانَهُ دُونَ النَّاسِ- بِكُمْ أَضْرِبُ الْمُدْبِرَ وَ أَرْجُو طَاعَهَ الْمُقْبِلِ- فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحهٍ خَلِيَّهٍ مِنَ الْغِشِّ- سَلِيمهٍ مِنَ الرَّيْبِ- فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ

اللغه

أقول: الجنن: جمع جنّه و هى ما استترت به من سلاح .و بطانه الرجل:

خاصّته .

و قد اشتمل هذا الفصل على استماله طباع أصحابه إلى مناصحته فى الحرب.

فمدحهم بكونهم من أهل الدين .ثمّ بالشجاعه .ثمّ بإعلامهم أنّهم من أهل خاصّته الّذين يعتمد عليهم فى ضرب المدبر و طاعه المقبل،و طلب منهم الإعانه بمناصحه صادقه سليمه من الشكّ فى صحّه إمامته و أنّه أولى بالأمر من غيره فلذلك أقسم أنّه كذلك.و قد سبق بيانه.

۱۱۶-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

و قد جمع الناس و حضهم على الجهاد فسكتوا مليا فقال عليه السّلام:أ مخرسون أنتم؟فقال قوم منهم:يا أمير المؤمنين،إن سرت سرنا معك،فقال عليه السّلام مَا بَالُكُمْ لَا سُدِّدْتُمْ لِرُشْدٍ وَ لَا هُدِيتُمْ لِقَصْدٍ- أَ فِي مِثْلِ هَذَا يَنْبَغِي أَنْ

أَخْرُجَ- وَ إِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هَذَا رَجُلٌ- مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ- وَ ذَوِي بَأْسِكُمْ- وَ لاَ يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدَعَ الْجُنْدَ وَ الْمِصْرَ- وَ بَيْتَ الْمَالِ وَ جِبَايَةَ الْأَرْضِ- وَ الْقَضَاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ- وَ النَّظَرَ فِي حُقُوقِ الْمُطَالِبِينَ- ثُمَّ أَخْرُجَ فِي كَتِيبَةٍ أَتْبَعُ أُخْرَى- أَتَقَلْقَلُ تَقَلْقُلَ الْقِدْحِ فِي الْجَفِيرِ الْفَارِغِ- وَ إِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَى تَدُورُ عَلَيَّ وَ أَنَا بِمَكَانِي- فَإِذَا فَارَقْتُهُ اسْتَحَارَ مَدَارُهَا- وَ اضْطَرَبَ ثِفَالُهَا- هَذَا لَعَمْرُ اللَّهِ الرَّأْيُ السُّوءُ- وَ اللَّهِ لَوْ لاَ رَجَائِي الشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِي الْعَدُوَّ- وَ لَوْ قَدْ حُمَّ لِي لِقَاؤُهُ- لَقَرَّبْتُ رِكَابِي- ثُمَّ شَخَصْتُ عَنْكُمْ فَلاَ أَطْلُبُكُمْ- مَا اخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَ شَمَالٌ- إِنَّهُ لاَ غَنَاءَ فِي كَثْرَةِ عَدَدِكُمْ- مَعَ قِلَّةِ اجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ- لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ- الَّتِي لاَ يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلاَّ هَالِكٌ- مَنِ اسْتَقَامَ فَإِلَى الْجَنَّةِ وَ مَنْ زَلَّ فَإِلَى النَّارِ

اللغه

أقول: الكتيبه: الجيش .و القدح: السهم قبل أن يراش .و الجفير: كالكنانه أوسع منها .و ثقال الرحى: الجلد الّذى يوضع عليه ليسقط عليه الدقيق .و حمّ الأمر: قدر .

و مدار هذا الفصل على الدعاء عليهم

مصدّرا بالاستفهام عن حالهم القبيحه الّتى هم عليها من مخالفته على سبيل الإنكار عليهم .ثمّ عمّا أشاروا به من خروجه بنفسه إلى الحرب منكرا لذلك أيضا.ثمّ على الإشاره إلى من ينبغى أن يخرج عوضا له .ثمّ بيّن وجه المفسده فى خروجه بنفسه و هو تركه للمصالح الّتى عدّدها ممّا يقوم به أمر الدوله و نظام العالم.و قبح ذلك ظاهر.

ص:۱۱۱

استعاره و شبّه خروجه معهم بالقدح فى الجفير.و وجه الشبه أنّه كان قد نفذ الجيش قبل ذلك و أراد أن يجهز من بقى من الناس فى كتيبه اخرى فشبّه نفسه فى خروجه فى تلك الكتيبه وحده مع تقدّم أكابر جماعته و شجعانها بالقدح فى الجفير الفارغ فى كونه يتقلقل.و فى العرف أن يقال للشريف إذا مشى فى حاجه ينوب فيها من هو دونه،و ترك المهامّ الّتى لا تقوم إلّا به:ترك المهمّ الفلانىّ و مشى يتقلقل على كذا .ثمّ استعار لنفسه لفظ القطب ملاحظه لدوران الإسلام و مصالحه عليه كما تدور الرحى على قطبها و ذلك هو وجه الاستعاره،و استلزم ذلك تشبيهه الإسلام و أهله بالرحى،و أنه إذا أهملها بخروجه إلى الحرب اضطربت كاضطراب الرحى و خروج مدارها و استحارته عن الحركه المستديره إلى المستقيمه ،و لمّا بيّن وجه المفسده فى رأيهم حكم بردائته،و أكّد ذلك بالقسم البارّ .ثمّ أقسم أنّه لو لا رجائه لقاء اللّه بالشهاده فى لقاء العدوّ لو قدّر له ذلك لفارقهم غير متأسّف عليهم و لا طالب للعود إليهم أبدا تبرّما من سوء صنيعهم و كثره مخالفتهم لأوامره.و باللّه التوفيق.

۱۱۷-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

تَاللَّهِ لَقَدْ عُلِّمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالاَتِ- وَ إِتْمَامَ الْعِدَاتِ وَ تَمَامَ الْكَلِمَاتِ- وَ عِنْدَنَا؟أَهْلَ الْبَيْتِ؟ أَبْوَابُ الْحُكْمِ وَ ضِيَاءُ الْأَمْرِ- أَلاَ وَ إِنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَهٌ وَ سُبُلَهُ قَاصِدَهٌ- مَنْ أَخَذَ بِهَا لَحِقَ وَ غَنِمَ- وَ مَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَ نَدِمَ- اعْمَلُوا لِيَوْمٍ تُذْخَرُ لَهُ الذَّخَائِرُ- وَ تُبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ- وَ مَنْ لاَ يَنْفَعُهُ حَاضِرُ لُبِّهِ- فَعَازِبُهُ عَنْهُ أَعْجَزُ وَ غَائِبُهُ أَعْوَزُ- وَ اتَّقُوا نَاراً حَرُّهَا شَدِيدٌ- وَ قَعْرُهَا بَعِيدٌ وَ حِلْيَتُهَا حَدِيدٌ- وَ شَرَابُهَا صَدِيدٌ-.

ص:۱۱۲

أَلاَ وَ إِنَّ اللِّسَانَ الصَّالِحَ- يَجْعَلُهُ اللَّهُ لِلْمَرْءِ فِی النَّاسِ- خَیْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ یُورِثُهُ مَنْ لاَ یَحْمَدُهُ

المعنی

أقول:صدّر الفصل بذكر فضیلته و هی علمه بكیفیّه تبلیغ الرسالات و أدائها،و علمه بإتمام اللّه تعالی ما وعد به المتّقین فی دار القرار.فتمام وعده أن لا خلف فیه،و تمام إخباره أن لا كذب فیها،و تمام أوامره و نواهیه اشتمالها علی المصالح الخاصّه و الغالبه.

و هكذا ینبغی أن یكون أوصیاء الأنبیاء و خلفائهم فی أرض اللّه و عباده .ثمّ أردف ذلک بالاشاره إلی فضل أهل البیت عامّا،و أراد بضیاء الأمر أنوار العلوم الّتی یبتنی علیها الأمور و الأعمال الدینیّه و الدنیویّه،و ما ینبغی أن یهتدی الناس به فی حركاتهم من قوانین الشریفه و ما یستقیم به نظام الأمر من قوانین السیاسات و تدبیر المدن و المنازل و نحوها.إذ كان كلّ أمر شرع فیه علی غیر ضیاء من اللّه و رسوله أو أحد أهل بیته و خلفائه الراشدین فهو محلّ التیه و الزیغ عن سبیل اللّه، استعاره و استعار لفظ الشرائع و هی موارد الشاربه لأهل البیت.و وجه الاستعاره كونهم موارد لطلاّب العلم كما أنّ الشرائع موارد طلبه الماء،و كونها واحده إشاره إلی أنّ أقوالهم لا تختلف فی الدین بل لمّا علموا أسراره لم تختلف كلمتهم فیه فكلّهم كالشریعه الواحده ،و كذلک استعار لهم لفظ السبل ،و وجه المشابهه كونهم موصلین إلی المطالب علی بصیره و قصد كما یوصل الطریق الواضح.

و قوله : من أخذ بها لحق.

أی من أخذ عنهم و اقتدی بهم لحق بالسابقین من سالكی سبیل اللّه و ندم علی تفریطه بتخلّفه.و قیل:أراد بشرائع الدین وسیله قوانینه الكلّیّه فإنّ أیّ قانون عمل به منها فإنّه مستلزم لثواب اللّه فهی واحده فی ذلک و موصل إلی الجنّه من غیر جور و لا عدول و ذلک معنی كونها قاصده،و الأوّل أظهر لكونه فی معرض ذكر فضیلتهم .

و لمّا كان غرض الخطیب من إظهار فضیلته قبول قوله شرع فی الأمر بالعمل لیوم القیامه.و الذخائر:الأعمال الصالحه.و معنی قوله : و من لا ینفعه حاضر لبّه.إلی قوله:

ص:۱۱۳

أعوز :أن اعتبروا حال حضور عقولكم فإنّها إن لم ينفعكم الآن كانت أعوز و أعجز عن نفعكم إذا عزبت عند حضور الموت و مقاساه أهواله و ما بعده من أحوال الآخره .

ثمّ أكّد التخويف بمناقشه الحساب بالتخويف بالنار،و أراد بحليتها من الحديد ما أعدّ فيها للعصاه من الأغلال و الأصفاد و المقامع و السلاسل الّتى تشبه الحليه .

و قوله: ألا و إنّ اللسان.إلى آخره.

تنبيه لهم على طلب الذكر الجميل من الناس فى العقبى و تهوين للمال،و قد سبقت الاشاره إلى هذا فى قوله:أمّا بعد فإنّ الأمر ينزل من السماء إلى الأرض.

۱۱۸-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

و قد قام إليه رجل من أصحابه فقال:نهيتنا عن الحكومه ثم أمرتنا بها، فلم ندر أى الأمرين أرشد؟فصفق عليه السلام إحدى يديه على الأخرى ثم قال:

هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْعُقْدَهَ- أَمَا وَ اللَّهِ لَوْ أَنِّی حِينَ أَمَرْتُكُمْ- بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الْمَكْرُوهِ- الَّذِی يَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً- فَإِنِ اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ- وَ إِنِ اعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ- وَ إِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ لَكَانَتِ الْوُثْقَى- وَ لَكِنْ بِمَنْ وَ إِلَى مَنْ- أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِیَ بِكُمْ وَ أَنْتُمْ دَائِی- كَنَاقِشِ الشَّوْكَهِ بِالشَّوْكَهِ- وَ هُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا- اللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هَذَا الدَّاءِ الدَّوِیِّ- وَ كَلَّتِ النَّزَعَهُ بِأَشْطَانِ الرَّكِیِّ- أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ- وَ قَرَءُوا؟الْقُرْآنَ؟ فَأَحْكَمُوهُ-

وَ هِيجُوا إِلَى الْجِهَادِ فَوَلِهُوا- وَلَهَ اللِّقَاحِ إِلَى أَوْلَادِهَا- وَ سَلَبُوا السُّيُوفَ أَغْمَادَهَا- وَ أَخَذُوا بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ زَحْفاً زَحْفاً- وَ صَفّاً صَفّاً بَعْضٌ هَلَكَ وَ بَعْضٌ نَجَا- لَا يُبَشَّرُونَ بِالْأَحْيَاءِ- وَ لَا يُعَزَّوْنَ عَنِ الْمَوْتَى- مُرْهُ الْعُيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ- خُمْصُ الْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ- ذُبُلُ الشِّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ- صُفْرُ الْأَلْوَانِ مِنَ السَّهَرِ- عَلَى وُجُوهِهِمْ غَبَرَةُ الْخَاشِعِينَ- أُولَئِكَ إِخْوَانِي الذَّاهِبُونَ- فَحَقَّ لَنَا أَنْ نَظْمَأَ إِلَيْهِمْ- وَ نَعَضَّ الْأَيْدِي عَلَى فِرَاقِهِمْ- إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ- وَ يُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً- وَ يُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَهِ الْفُرْقَهَ- فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَغَاتِهِ وَ نَفَثَاتِهِ- وَ اقْبَلُوا النَّصِيحَهَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ- وَ اعْقِلُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ

اللغه

أقول: الضلع بفتح الضاد و سكون اللام: الميل و الهوى .و الداء الدوىّ:

الشديد-وصف بما هو من لفظه .و الذوىّ: اسم فاعل من دوى إذا مرض .و النزعه:

المستقون .و الركىّ: جمع ركيه و هى البئر .و مره: جمع مارهه و هى العين الّتى فسدت:أى عيونهم مارهه .و سنّى له كذا: حسّنه و سهّله .و عقلت عليه كذا :

أى حبسته عليه .

المعنى

و كان هذا الكلام منه عليه السّلام بصفّين حين أمرهم بالحكومه بعد أن نهاهم عنها، و السبب أنّ معاويه لمّا أحسّ بالعجز و ظفر علىّ عليه السّلام به ليله الهرير راجع عمرو بن العاص.فقال:إنّى خبأت لك رأيا لمثل هذا الوقت و هو أن تأمر أصحابك برفع المصاحف على الأرماح و يدعوا أصحاب علىّ إلى المحاكمه إلى كتاب اللّه فإنّهم إن فعلوا افترقوا و إن لم يفعلوا افترقوا،و كان الأشتر صبيحه تلك الليله قد أشرف على الظفر فلمّا أصبحوا رفعوا المصاحف الكبيره بالجامع الأعظم على عشره أرماح و هم يستغيثون:معاشر المسلمين اللّه فى إخوانكم فى الدين حاكمونا إلى

كتاب اللّه،اللّه اللّه فى النساء و البنات.فقال أصحاب علىّ عليه السّلام:إخواننا و أهل دعوتنا استقالونا و استراحونا إلى كتاب اللّه فالرأى النفيس كشف لكربه عنهم فغضب عليه السّلام من هذا الرأى.فقال:إنّها كلمه حقّ يراد بها باطل.كما سبق القول فيه.فافترق أصحابه فريقين:منهم من رأى رأيه عليه السّلام فى الإصرار على الحرب،و منهم من رأى ترك الحرب و الرجوع إلى الحكومه و كانوا كثيرين فاجتمعوا إليه عليه السّلام.

فقالوا:إن لم تفعل قتلناك كما قتلنا عثمان فرجع إلى قولهم و أمر بردّ الأشتر عن الحرب.ثمّ كتبوا كتاب الصلح و طافوا به فى أصحابه عليه السّلام و اتّفقوا على الحكومه فخرج بعض أصحابه من هذا الأمر و قالوا:كنت نهيتنا عن الحكومه ثمّ أمرتنا بها فما ندرى أىّ الأمرين أرشد.و هذا يدلّ على أنّك شاكّ فى إمامه نفسك.فصفق بإحدى يديه على الاخرى فعل النادم غضبا من قولهم،و قال : هذا جزاء من ترك العقده :أى عقده الأمر الّذى عقده و أحكمه و هو الرأى فى الحرب و الإصرار عليها،و الّذى كان أمرهم به هو البقاء على الحرب،و هو المكروه الّذى يجعل اللّه فيه خيرا من الظفر و سلامه العاقبه .و قوّمتكم :أى بالقتل و الضرب و نحوه،و كذلك معنى قوله: تداركتكم .

و قوله: لكانت الوثقى .

أى الفعله المحكمه .

و قوله: و لكن بمن؟ أى بمن كنت أستعين عليكم، و إلى من ؟أى إلى من أرجع فى ذلك .

و قوله: اريد أن اداوى بكم.

أى اريد أن اداوى ما بى من بعضكم ببعض، و أنتم دائى .فأكون فى ذلك كناقش الشوكه بالشوكه و هو يعلم أنّ ضلعها معها ،و هذا مثل تضربه العرب لمن يستعان به فى إصلاح من يراد إصلاحه و ميله إلى المستعان عليه يقال:لا تنقش الشوكه بالشوكه فإنّ ضلعها معها.يقول:إنّ استعانتى ببعضكم فى إصلاح بعض كنقش الشوكه بالشوكه،و وجه المشابهه أنّ طباع بعضكم يشبه طباع بعض و يميل

ص:١١۶

إليها كما تشبه الشوكه الشوكه و تميل إليها فربّما انكسرت معها فى العضو و احتاجت إلى منقاش آخر .ثمّ رجع إلى الشكايه إلى اللّه،و أراد بالداء الدوىّ ما هم عليه من الاعتياد المخالفه لأمره و تثاقلهم عن صوته،و بالأطبّاء نفسه.فإنّ داء الجهل و ما يستلزمه أعظم من سائر الأدواء المحسوسه،و فضل أطبّاء النفوس على أطبّاء الأبدان بقدر شرف النفوس على الأبدان،و هى استعاره تكاد أن تكون حقيقه ،و كذلك استعاره لفظ النزعه له مثل ضربه لنفسه معهم فكأنّهم عن المصلحه فى قعر بئر عميق قد كلّ هو من جذبهم إليها .ثمّ أخذ فى السؤال عن إخوانه من أكابر الصحابه الّذين بذلوا جهدهم فى نصره الدين و أعرضوا عن الدنيا استفهاما على سبيل التوبيخ لفقدهم،و هذا كما يقول أحدنا إذا وقع فى شدّه أين أخى عنّى ؟ثمّ وصفهم بالأوصاف الحميده ترغيبا للسامعين فى مثل حالهم و إزراءً عليهم حيث لم يكونوا بهذه الأوصاف، و ذلك بطريق المفهوم .

و قوله: أولادها.

نصب بإسقاط الجارّ.إذ الفعل و هو قوله:و لهوا.غير متعدّى إلى مفعولين بنفسه،و فى الخبر:لا توله والده بولدها.و تولّههم لها بركوبهم إيّاها عند خروجهم للجهاد .

و قوله: و أخذوا بأطراف الأرض.

أى أخذوها بأطرافها،و زحفا زحفا و صفّا صفّا :مصدران موكّدان بمثليهما قاما مقام الحال .

و قوله: لا يبشّرون بالأحياء و لا يعزّون عن القتلى[الموتى خ].

أى كانوا فى تلك الحال غير ملتفتين إلى حيّهم و لا مراعين و لا محافظين على حياته حتّى يبشّرون ببقائه أو يجزعون لموته فيعزّون عليه بل مجرّدون للجهاد فى سبيل اللّه،و لعلّهم يفرحون بقتل من يقتلونه فى سبيله و إن كان ولدا لوالده أو بالعكس ،و إنّما كان السهر موجبا لصفره اللون لأنّه يهيّج الحراره و يفسد السحنه و ينجف البدن و يكثر فيه المرّه،و الصفره من توابع ذلك لا سيّما فى الأبدان النحيفه كما عليه أهل المدينه و مكّه و الحجاز .و غبره الخاشعين قشف الزاهدين الخائفين

من اللّه لعدم تحلّيهم بالدنيا ، استعاره و استعار لفظ الظماء للشوق إليهم ملاحظه لشبههم بالماء فى شدّه الحاجه إليه فنزل الشوق إليهم،و الحاجه إلى لقائهم منزله العطش إلى الماء فأعطاه لفظه ،و أراد بعقده الدين ما احكم منه من القوانين و القواعد،و بحلّ الشيطان لها تزيينه ترك قانون قانون.و سنّه الاجتماع عقده عقدها الشارع لما سبق فيها من المصالح و أكّدها.فكانت الفرقه حلاّ لتلك العقده،و نزعات الشيطان حركاته بالإفساد ،و نفثاته إلقائه الوسوسه فى القلوب مرّه بعد اخرى ،و عنى بمن أهدى إليهم النصيحه نفسه.و باللّه التوفيق.

۱۱۹–و من كلام له عليه السّلام

اشاره

قاله للخوارج و قد خرج إلى معسكرهم و هم مقيمون على إنكار الحكومه،

فقال ع أَ كُلُّكُمْ شَهِدَ مَعَنَا؟صِفِّينَ؟- فَقَالُوا مِنَّا مَنْ شَهِدَ- وَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَشْهَدْ- قَالَ فَامْتَازُوا فِرْقَتَيْنِ- فَلْيَكُنْ مَنْ شَهِدَ؟صِفِّينَ؟ فِرْقَةً- وَ مَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا فِرْقَةً- حَتَّى أُكَلِّمَ كُلاًّ مِنْكُمْ بِكَلاَمِهِ- وَ نَادَى النَّاسَ فَقَالَ أَمْسِكُوا عَنِ الْكَلاَمِ- وَ أَنْصِتُوا لِقَوْلِي- وَ أَقْبِلُوا بِأَفْئِدَتِكُمْ إِلَيَّ- فَمَنْ نَشَدْنَاهُ شَهَادَةً فَلْيَقُلْ بِعِلْمِهِ فِيهَا- ثُمَّ كَلَّمَهُمْ ع بِكَلاَمٍ طَوِيلٍ- مِنْهُ أَ لَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصَاحِفَ حِيلَةً وَ غِيلَةً- وَ مَكْراً وَ خَدِيعَةً إِخْوَانُنَا وَ أَهْلُ دَعْوَتِنَا- اسْتَقَالُونَا وَ اسْتَرَاحُوا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ- فَالرَّأْيُ الْقَبُولُ مِنْهُمْ- وَ التَّنْفِيسُ عَنْهُمْ- فَقُلْتُ لَكُمْ هَذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيمَانٌ- وَ بَاطِنُهُ عُدْوَانٌ- وَ أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ وَ آخِرُهُ نَدَامَةٌ- فَأَقِيمُوا عَلَى شَأْنِكُمْ- وَ الْزَمُوا

طَرِيقَتَكُمْ- وَ عَضُّوا عَلَى الْجِهَادِ بَنَوَاجِذِكُمْ- وَ لاَ تَلْتَفِتُوا إِلَى نَاعِقٍ نَعَقَ- إِنْ أُجِيبَ أَضَلَّ وَ إِنْ تُرِكَ ذَلَّ- وَ قَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْفَعْلَهُ وَ قَدْ رَأَيْتُكُمْ أَعْطَيْتُمُوهَا- وَ اللَّهِ لَئِنْ أَبَيْتُهَا مَا وَجَبَتْ عَلَيَّ فَرِيضَتُهَا- وَ لاَ حَمَّلَنِي اللَّهُ ذَنْبَهَا وَ وَ اللَّهِ إِنْ جِئْتُهَا إِنِّي لَلْمُحِقُّ الَّذِي يُتَّبَعُ- وَ إِنَّ الْكِتَابَ لَمَعِي مَا فَارَقْتُهُ مُذْ صَحِبْتُهُ فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ ؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟- وَ إِنَّ الْقَتْلَ لَيَدُورُ عَلَى الْآبَاءِ وَ الْأَبْنَاءِ- وَ الْإِخْوَانِ وَ الْقَرَابَاتِ- فَمَا نَزْدَادُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَهٍ وَ شِدَّهٍ- إِلاَّ إِيمَاناً وَ مُضِيّاً عَلَى الْحَقِّ- وَ تَسْلِيماً لِلْأَمْرِ- وَ صَبْراً عَلَى مَضَضِ الْجِرَاحِ- وَ لَكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي الْإِسْلاَمِ- عَلَى مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ وَ الاِعْوِجَاجِ- وَ الشُّبْهَهِ وَ التَّأْوِيلِ- فَإِذَا طَمِعْنَا فِي خَصْلَهٍ يَلُمُّ اللَّهُ بِهَا شَعَثَنَا- وَ نَتَدَانَى بِهَا إِلَى الْبَقِيَّهِ فِيمَا بَيْنَنَا- رَغِبْنَا فِيهَا وَ أَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا

اللغه

أقول: التنفيس: التفريج ،

المعنى

و أكثر هذا الفصل ظاهر مما سبق .

و قوله: هذا أمر ظاهره إيمان.

أى رفع أولئك للمصاحف و طلبهم للحكومه فإنّ ظاهره منهم الاجتهاد فى الدين بالرجوع إلى كتاب اللّه،و باطنه منهم عدوان:أى حيله للظلم و الغلبه ، و أوّله رحمه منكم لهم برجوعكم إلى قولهم، و آخره ندامه لكم عند تمام الحيله عليكم فأقيموا على شأنكم :أى ما كنتم عليها من الاجتهاد فى الحرب .و الناعق إشاره إلى طالبى الحكومه أو المشير عليهم بذلك الرأى و هو عمرو بن العاص،و أخرجه فى أوصاف إبليس.

ص:۱۱۹

و قوله بعد ذلك : و لقد كنّا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:إلى قوله:مضض الجراح استدراج لهم بشرح حاله و حال الصحابه.حيث كانوا فى الجهاد مع الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على الحاله الّتى شرحها لعلّهم يتأسّون بالماضين فيها.

و قوله : و لكنّا إنّما أصبحنا نقاتل إخواننا فى الإسلام.إلى آخره.

تنبيه على اعتراض عساهم يقولونه و جواب عنه و هو أن يقولوا:إنّما فعل إخواننا السابقون ما فعلوا ليقينهم بما هم عليه من الدين الحقّ و تيقّنهم ضلال الكفّار و المحاربين لهم فأمّا نحن فإنّما نقاتل بعضنا بعضا فكيف يجوز لنا قتل قوم مسلمين استسلموا إلينا و دعونا إلى المحاكمه إلى كتاب اللّه فأجاب بما معناه إنّا إنّما نقاتل فى مبدء الأمر و منتهاه دعوه إلى الإسلام و رغبه فى رسوخ قواعده ففى المبدأ قاتلنا لتحصل ماهيّته فى الوجود،و فى الثانى قاتلنا لحفظ ماهيّته و بقائها،و حيث دخل فيه من الزيغ و الاعوجاج و الشبهه و التأويل ما دخل فإذا طمعنا فى خلّه محموده يجمع اللّه بها تفرّقنا و نتقارب بها إلى ما بقى فيما بيننا من الإسلام و الدين رغبنا فيها و قاتلنا طمعا فى تحصيلها،و كأنّه عنى بالخصله رجوع محاربيه إلى طاعته و اتّفاقهم عليه،و هذا الكلام فى قوّه صغرى قياس ضمير احتجّ عليهم به،و تقديرها إنّكم حين قلت لكم إنّ رفعهم للمصاحف خدعه منهم أجبتمونى بهذا الجواب،و تقدير الكبرى و كلّ من أجاب بهذا الجواب فليس له أن ينكر الحكومه،إذ كان قد رضى بها.فينتج أنّه ليس لهم أن يأبوا الحكومه.و باللّه التوفيق.

۱۲۰-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

قاله لأصحابه فى ساعه الحرب

وَ أَيُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ- رَبَاطَهَ جَأْشٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ- وَ رَأَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِ فَشَلاً- فَلْيَذُبَّ عَنْ أَخِيهِ بِفَضْلِ نَجْدَتِهِ- الَّتِى فُضِّلَ بِهَا عَلَيْهِ- كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ- فَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ- إِنَّ الْمَوْتَ طَالِبٌ حَثِيثٌ

ص:۱۲۰

لاَ يَفُوتُهُ الْمُقِيمُ- وَ لاَ يُعْجِزُهُ الْهَارِبُ- إِنَّ أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ- وَ الَّذِى نَفْسُ ؟ابْنِ أَبِى طَالِبٍ؟ بِيَدِهِ- لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ- مِنْ مِيتَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ

اللغه

أقول: نجدته: شجاعته .و التذبيب: الدفع و المنع .

المعنى

و قد أمرهم فى هذا الفصل بمساعده بعض لبعض فى الحرب و منع بعضهم عن بعض منعا صادقا كما يمنع عن نفسه،و بذلك يكون انعقاد الاجتماع و تعاون الهمم حتّى يكون الجميع كنفس واحده،و بذلك يكون الظفر و الغلبه و استمال ذوى النجده بذكر فضيله تخصّهم دون من يذبّون عنه استثاره لنجدتهم و تعطيفا لهم.

و قوله : إنّ الموت طالب حثيث.إلى قوله:إنّ أكرم الموت القتل:

تسهيل للقتل و الموت بذكر أنّه لابدّ،و تسهيل للحرب عليهم.أمّا أنّ أكرم الموت القتل فأراد القتل فى سبيل اللّه،و ذلك لاستلزامه الذكر الجميل فى الدنيا و الثواب الدائم فى الاخرى .ثمّ أكّد ذلك بالقسم لألف ضربه بالسيف أهون من ميته على الفراش.و صدق ذلك فى حقّ من نظر إلى الدنيا بعين الاستحقار فى جنب نعيم الأبد فى الآخره و الذكر الجميل فى الدنيا و حصلت له ملكه الشجاعه ظاهر.

و باللّه التوفيق.

۱۲۱–و من كلام له عليه السّلام

اشاره

وَ كَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَيْكُمْ- تَكِشُّونَ كَشِيشَ الضِّبَابِ- لاَ تَأْخُذُونَ حَقّاً وَ لاَ تَمْنَعُونَ ضَيْماً- قَدْ خُلِّيتُمْ وَ الطَّرِيقَ- فَالنَّجَاةُ لِلْمُقْتَحِمِ وَ الْهَلَكَةُ لِلْمُتَلَوِّمِ

اللغه

أقول: كشيش الضباب: حكّ جلودها بعضها بالبعض عند الازدحام .و التلوّم:

الانتظار و التوقّف ،

المعنى

و أشار بهذا الكلام إلى أنّه ستلحقهم غلبه من العدوّ و تعضّهم الحروب بحيث يعضّون[يضعفون خ]و يأخذون فى الهرب و التخفىّ فلا ينتفع بهم فى أخذ حقّ أو دفع ضيم، استعاره و وصف الكشيش مستعار لهم باعتبار هيئاتهم فى الحيد عن العدوّ و الهرب منه،و هو وجه الشبه بكشيش الضباب .

و قوله: قد خلّيتم و الطريق.

أى و طريق الآخره . فالنجاه للمقتحم :أى مقتحمها و المبادر إلى سلوكها ، و الهلكه للمتوقّف عن ذلك.و الطريق منصوب على المفعول معه.

۱۲۲–و من كلام له عليه السّلام

اشاره

فى حث أصحابه على القتال

فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ وَ أَخِّرُوا الْحَاسِرَ- وَ عَضُّوا عَلَى الْأَضْرَاسِ- فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ- وَ الْتَوُوا فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ فَإِنَّهُ أَمْوَرُ لِلْأَسِنَّهِ- وَ غُضُّوا الْأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَأْشِ وَ أَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ- وَ أَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ- وَ رَايَتَكُمْ فَلاَ تُمِيلُوهَا وَ لاَ تُخِلُّوهَا- وَ لاَ تَجْعَلُوهَا إِلاَّ بِأَيْدِی شُجْعَانِكُمْ- وَ الْمَانِعِينَ الذِّمَارَ مِنْكُمْ- فَإِنَّ الصَّابِرِينَ عَلَى نُزُولِ الْحَقَائِقِ- هُمُ الَّذِينَ يَحُفُّونَ بِرَايَاتِهِمْ- وَ يَكْتَنِفُونَهَا حِفَافَيْهَا وَ وَرَاءَهَا وَ أَمَامَهَا- لاَ يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيُسْلِمُوهَا- وَ لاَ يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيُفْرِدُوهَا أَجْزَأَ امْرُؤٌ قِرْنَهُ وَ آسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ- وَ لَمْ يَكِلْ قِرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ- فَيَجْتَمِعَ عَلَيْهِ قِرْنُهُ وَ قِرْنُ أَخِيهِ- وَ ايْمُ اللَّهِ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ الْعَاجِلَهِ- لاَ تَسْلَمُوا مِنْ

سَيْفِ الْآخِرَهِ- وَ أَنْتُمْ لَهَامِيمُ الْعَرَبِ وَ السَّنَامُ الْأَعْظَمُ- إِنَّ فِی الْفِرَارِ مَوْجِدَهَ اللَّهِ وَ الذُّلَّ اللَّازِمَ وَ الْعَارَ الْبَاقِیَ- وَ إِنَّ الْفَارَّ لَغَیْرُ مَزِیدٍ فِی عُمُرِهِ- وَ لاَ مَحْجُوزٍ بَیْنَهُ وَ بَیْنَ یَوْمِهِ- الرَّائِحُ إِلَی اللَّهِ کَالظَّمْآنِ یَرِدُ الْمَاءَ- الْجَنَّهُ تَحْتَ أَطْرَافِ الْعَوَالِی- الْیَوْمَ تُبْلَی الْأَخْبَارُ- وَ اللَّهِ لَأَنَا أَشْوَقُ إِلَی لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَی دِیَارِهِمْ- اللَّهُمَّ فَإِنْ رَدُّوا الْحَقَّ فَافْضُضْ جَمَاعَتَهُمْ- وَ شَتِّتْ کَلِمَتَهُمْ وَ أَبْسِلْهُمْ بِخَطَایَاهُمْ إِنَّهُمْ لَنْ یَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ- دُونَ طَعْنٍ دِرَاکٍ یَخْرُجُ مِنْهُ النَّسِیمُ- وَ ضَرْبٍ یَفْلِقُ الْهَامَ وَ یُطِیحُ الْعِظَامَ- وَ یُنْدِرُ السَّوَاعِدَ وَ الْأَقْدَامَ- وَ حَتَّی یُرْمَوْا بِالْمَنَاسِرِ تَتْبَعُهَا الْمَنَاسِرُ- وَ یُرْجَمُوا بِالْکَتَائِبِ تَقْفُوهَا الْحَلاَئِبُ- وَ حَتَّی یُجَرَّ بِبِلاَدِهِمُ الْخَمِیسُ یَتْلُوهُ الْخَمِیسُ- وَ حَتَّی تَدْعَقَ الْخُیُولُ فِی نَوَاحِرِ أَرْضِهِمْ- وَ بِأَعْنَانِ مَسَارِبِهِمْ وَ مَسَارِحِهِمْ قال الشریف:أقول:الدعق:الدق،أی:تدق الخیول بحوافرها أرضهم، و نواحر أرضهم:متقابلاتها،یقال:منازل بنی فلان تتناحر،أی:تتقابل أقول:هذا الکلام.قاله بصفّین.

اللغه

أمور: أشدّ حرکه و نفوذا .و الجأش: روعه القلب و اضطرابه عند الخوف .

و الذمار: ما وراء الرجل ممّا یجب علیه حمایته ،و حفافا الشیء: جانباه .و لهامیم العرب: أجوادهم .و الموجده: الغضب .و أبسلهم: أسلمهم للهلکه .و العوالی: جمع عالیه:الرمح،و هو ما دخل منه إلی ثلثه .و النسیم: النفس .و المنسر : القطعه من الجیش ،و کذلک الخمیس: الجیش .و النواحر: جمع نحیره و هی آخر لیله من

ص:۱۲۳

الشهر مع يومها كأنّها تنحر الشهر المستقبل فيكون مراده بنواحر أرضهم أقاصيها.

و أعنان مساربهم: أقطارها و ما اعترض منها .و مساربهم: مراعيهم واحدتها مسربه و هكذا مسارحهم: واحدتها مسرحه .

المعنى

و قد أمرهم بأوامر فى مصلحه الحرب و كيفيّتها و نهاهم مناهى :

فأوّلها:الأمر بتقديم الدارع و تأخير الحاسر.و المصلحه فيه ظاهره .

الثانى:العضّ على الأضراس.و حكمته ما سبق فى قوله:معاشر المسلمين استشعروا الخشيه،و فى قوله لابنه محمّد بن الحنفيّه:تزول الجبال و لا تزل،و قد كرّره هنا أيضا .

الثالث:الالتواء فى أطراف الرماح.و علّته ما ذكر،و هو أنّه إذا التوى الإنسان مع الرمح حال إرساله كان الرمى به أشدّ،و ذلك لحركه صدر الإنسان بعد التوائه مع حركه يده حين الإرسال فكانت حركته أشدّ و أقوى نفوذا .

الرابع:غضّ الأبصار.و فائدته ما ذكر من كونه أربط لاضطراب القلب و أسكن،و ضدّ ذلك مدّ البصر إلى القوم فإنّه مظنّه الخوف و الفشل و علامه لهما عند العدوّ .

الخامس:إماته الأصوات.و فائدته أيضا طرد الفشل،إذ كانت كثره اللغط (اللفظ خ)و الصياخ علامه لخوف الصائخ،و ذلك مستلزم لطمع العدوّ فيه و جرئته عليه .

السادس:قوله: و رايتكم فلا تميلوها .فإنّ إمالتها ممّا يظنّ به العدوّ تشويشا و اضطراب حال فيطمع و يقدم،و لأنّها إذا اميلت تغيب عن عيون الجيش فربّما لا يهتدى كثير منهم للوجه المطلوب.

السابع: و لا تخلّوها .و سيفسّر هو التخليه .

الثامن: لا ـ تجعلوها.إلى قوله:منكم .و ذلك أنّها أصل نظام العسكر و عليها يدور و بها يقوى قلوبهم ما دامت قائمه فيجب فى ترتيب الحرب أن يكون حاملها أشجع القوم .و قوله: فإنّ الصابرين.إلى قوله:فيفردوها .تخصيص لمن يحفظ الرايه و يحفّها بوصف الصبر على نزول الحقائق:أى الشدائد الحقّه المتيقّنه الّتى

لاـ شكّ فى نزولها،کى يسارعوا إلى حفظها و الإحاطه بها رغبه فى تلك المحمده ،و بيّن بقوله: لاـ يتأخّرون عنها.إلى قوله:فيفردوها .معنى التخليه الّتى نهاهم عنها، و قوله:فيسلموها و يفردوها.نصب الفعلان بإضمار أن عقيب الفاء فى جواب النفى .

التاسع:قوله: أجزء امرؤ قرنه.

العاشر: آسى أخاه بنفسه فعلان ماضيان فى معنى الامر،و التقدير و ليجزى امرؤ قرنه و هو خصمه و كفوه فى الحرب:أى لتقاومه و ليواس أخاه بنفسه فى الذبّ عنه و لا يفرّ من قرنه اعتمادا على أخيه فى دفعه فيجتمع على أخيه قرنه و قرن أخيه.

ثم ذكّرهم عدم الفائده فى الفرار.إذ كانت غايه الفرار السلامه من الموت و هو لا بدّ منه كقوله تعالى «قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَ إِذاً لاـ تُمَتَّعُونَ إِلاّـ قَلِيلاً» (1)استعاره و استعار لفظ سيف الآخره للموت.و وجه المشابهه كونهما مبطلين للحياه.و إنّما كان سيف الآخره لأنّها غايته .ثمّ مدحهم بأوصاف يستقبح معها الفرار، و هى كونهم أجود العرب و السنام الأعظم ، استعاره و استعار لهم لفظ السنام لمشاركتهم إيّاه فى العلوّ و الرفعه .ثمّ أكّد تقبيح الفرار بذكر معايبه،و أنّه لا فائده فيه أيضا:أمّا معايبه فكونه يستلزم غضب اللّه فإنّ الفارّ من الجهاد فى سبيله عاص لأمره و العاصى له مستحقّ لغضبه و عقابه .ثمّ كونه مستلزما للذّل اللازم و العار الباقى فى الأعقاب و هو ظاهر ،و أمّا أنّه لا فائده فيه فلأنّ الفارّ لا يزاد فى عمره لفراره.

إذ علمنا أنّه بفراره لم يبلغ إلاّ أجله المكتوب له فكان بقائه فى مدّه الفرار من عمره لازياده فيه و إنّ له يوما فى القضاء الإلهىّ لا يحجز بينه و بينه فرار.و فيه تخويف بالموت .و قوله: رائح إلى اللّه كالظمآن يرد الماء .استفهام عمّن يسلك سبيل اللّه و يروح إليه كما يروح الظمآن استفهاما على سبيل العرض لذلك الرواح، و وجه الشبه القوّه فى السير و السعى الحثيث ، مجاز تسميه باسم غايته و أشار بقوله: الجنّه تحت أطراف العوالى .إلى أنّ مطلوبه الرواح إلى اللّه بالجهاد و جذب إليه بذكر الجنّه،و خصّها بجهه تحت لأنّ دخول الجنّه غايه من الحركات بالرماح فى سبيل اللّه و تلك الحركات

۱- ۱) ۱۶-۳۳.

إنّما هی تحت العوالی،و قد أطلق لفظ الجنّه علی تلک الأفعال الّتی هی غایه منها مجازا تسمیه باسم غایته .ثمّ أعقب ذلک بدعاء اللّه علی محاربیه إن ردّوا دعوته الحقّ بالتفریق و الإهلاک .ثمّ حکم بأنّهم لن یزولوا عن مواقفهم دون ما ذکر حکما علی سبیل التهدید و الوعید لهم.و الطعن الدراک:المتدارک. کنایه و کنّی بخروج النسیم منه عن کونه بخرق الجوف و الأمعاء بحیث یتنفّس المطعون من الطعنه ، و روی النسم،و روی القشم بالقاف و الشین المعجمه و هو اللحم و الشحم و هو بعید.

و باللّه التوفیق.

۱۲۳-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

فی التحکیم

إِنَّا لَمْ نُحَکِّمِ الرِّجَالَ- وَ إِنَّمَا حَکَّمْنَا؟الْقُرْآنَ؟ هَذَا؟الْقُرْآنُ؟- إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْطُورٌ بَیْنَ الدَّفَّتَیْنِ- لاَ یَنْطِقُ بِلِسَانٍ وَ لاَ بُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ- وَ إِنَّمَا یَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ- وَ لَمَّا دَعَانَا الْقَوْمُ- إِلَی أَنْ نُحَکِّمَ بَیْنَنَا؟الْقُرْآنَ؟- لَمْ نَکُنِ الْفَرِیقَ الْمُتَوَلِّیَ- عَنْ کِتَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَی- وَ قَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ- «فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِی شَیْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَی اللّهِ وَ الرَّسُولِ» - فَرَدُّهُ إِلَی اللَّهِ أَنْ نَحْکُمَ بِکِتَابِهِ- وَ رَدُّهُ إِلَی؟الرَّسُولِ؟ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ- فَإِذَا حُکِمَ بِالصِّدْقِ فِی کِتَابِ اللَّهِ- فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ- وَ إِنْ حُکِمَ بِسُنَّهِ؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟- فَنَحْنُ أَوْلاَهُمْ بِهِ- وَ أَمَّا قَوْلُکُمْ- لِمَ جَعَلْتَ بَیْنَکَ وَ بَیْنَهُمْ أَجَلاً فِی التَّحْکِیمِ- فَإِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِکَ لِیَتَبَیَّنَ الْجَاهِلُ- وَ یَتَثَبَّتَ الْعَالِمُ- وَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ یُصْلِحَ فِی هَذِهِ الْهُدْنَهِ- أَمْرَ هَذِهِ

ص:۱۲۶

الْأَمَّهِ- وَ لاَ تُؤْخَذَ بِأَكْظَامِهَا- فَتَعْجَلَ عَنْ تَبَيُّنِ الْحَقِّ- وَ تَنْقَادَ لِأَوَّلِ الْغَيِّ- إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ- مَنْ كَانَ الْعَمَلُ بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ- وَ إِنْ نَقَصَهُ وَ كَرَثَهُ مِنَ الْبَاطِلِ- وَ إِنْ جَرَّ إِلَيْهِ فَائِدَةً وَ زَادَهُ- فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ- وَ مِنْ أَيْنَ أُتِيتُمْ- اسْتَعِدُّوا لِلْمَسِيرِ إِلَى قَوْمٍ حَيَارَى- عَنِ الْحَقِّ لاَ يُبْصِرُونَهُ- وَ مُوزَعِينَ بِالْجَوْرِ لاَ يَعْدِلُونَ بِهِ- جُفَاةٍ عَنِ الْكِتَابِ- نُكُبٍ عَنِ الطَّرِيقِ- مَا أَنْتُمْ بِوَثِيقَةٍ يُعْلَقُ بِهَا- وَ لاَ زَوَافِرَ عِزٍّ يُعْتَصَمُ إِلَيْهَا- لَبِئْسَ حُشَّاشُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ- أُفٍّ لَكُمْ- لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرْحاً يَوْماً أُنَادِيكُمْ- وَ يَوْماً أُنَاجِيكُمْ- فَلاَ أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ النِّدَاءِ- وَ لاَ إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ النَّجَاءِ أقول:هذا الفصل من كلام له بعد سماعه لأمر الحكمين و خدعه عمرو بن العاص لأبى موسى.

اللغه

كرثه الأمر. اشتدّ عليه .و أوزع له بكذا فهو موزع: إذا أغرى به .و نكّب بتشديد الكاف: جمع ناكب و هو العادل عن الطريق كباذل و بذّل .و زوافر الرجل:

أنصاره و عشيرته .و الحشّاش: جمع حاشّ و هو موقد النار،و كذلك الحشاش بكسر الحاء و تخفيف الشين كنائم و نوّام و نيام،و قيل:هو ما يحشّ به النار:أى يوقد .

و البرح بسكون الراء: الشدّه و الأذى.يقال:لقيت منه برحا بارحا،و روى ترحا و هو الحزن .

المعنى

و هذا الفصل من أوله.إلى قوله: أولاهم به .جواب له عن شبهه التحكيم للخوارج عن أمره بالحرب بعد أن رضى بالتحكيم.و تقدير الشبهه أنّك رضيت بتحكيم رجلين فى هذا الأمر و عاهدت على ذلك،و كلّ من رضى بأمر و عاهد عليه فليس له أن ينقض عهده .فقدح فى صغرى هذه الشبهه بقوله: إنّا لم نحكّم الرجال :

ص:١٢٧

أی لکونها رجالا، و إنّما حکّمنا القرآن لکن لمّا کان القرآن لا بدّ له من ترجمان یبیّن مقاصده ،و دعانا القوم إلی حکم القرآن و لم نکن نحن الفریق الکاره لکتاب اللّه،المتولّی عنه بعد أمره تعالی بالرجوع إلیه و إلی رسوله فی الکتاب و السنّه فیما اشتبه أمره بقوله «فَإِنْ تَنازَعْتُمْ» الآیه .فإذا حکم بالصدق عن علم بکتابه فنحن أحقّ الناس به:أی أولاهم باتّباعه و أولاهم بأن ینصّ علی کون الأمر لنا کما فی قوله تعالی «وَ إِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ» .إلی قوله: «حَتّی تَفِیءَ إِلی أَمْرِ اللّهِ» (۱)و ظاهر کون اولئک بعد عقد الإمامه بغاه علیه فوجب بنصّ الکتاب قتالهم، و کذلک الآیات الدالّه علی وجوب الوفاء بالعهود و العقود و کان هو أولی بالحقّ الّذی یجب قتالهم علیه فکان الحاکم لهم مخطئا مخالفا لکتاب اللّه غیر عامل به فوجبت مخالفه حکمه ،و إن حکم بسنّه رسول اللّه فنحن أولی الناس برسول اللّه للقرابه و للعمل بسنّته لموافقتها الکتاب و نصّه علی وجوب متابعه الإمام العادل فکان الحاکم لغیره مخالفا للسنّه أیضا.فصارت خلاصه هذا الجواب أنّا لم نرض بتحکیم الرجلین و لکن بتقدیر حکمهما بکتاب اللّه الّذی هما ترجمان عنه و هو الحاکم الّذی دعانا الخصم إلیه و حیث خالفاه لم یجب علینا قبول قولهما .

و قوله :و أمّا قولکم.إلی قوله:لأوّل الغیّ.

فتقدیر سؤال آخر لهم مع جوابه،و ذلک أنّهم حین اتّفقوا علی التحکیم کتبوا کتاب الصلح و ضربوا لحکم الحکمین أجلاً مدّه سنه،و صوره الکتاب:هذا ما تقاضی علیه علیّ بن ابی طالب و معاویه بن أبی سفیان قاضی علیّ بن أبی طالب علی أهل العراق و من کان معه من شیعته من المؤمنین و المسلمین،و قاضی معاویه بن أبی سفیان علی أهل الشام و من کان من شیعته من المؤمنین و المسلمین إنّما ننزل عند حکم اللّه تعالی و کتابه و لا یجمع بیننا إلا إیّاه،و إنّ کتاب اللّه سبحانه بیننا من فاتحته إلی خاتمته نحیی ما أحیی القرآن و نمیت ما أمات القرآن.فإن وجد الحکمان ذلک فی کتاب اللّه اتّبعاه،و إن لم یجداه أخذا بالسنّه العادله غیر المفرّقه،

۱- ۱) ۹-۴۹.

و الحكمان عبد اللّه و عمرو بن العاص،و قد أخذ الحكمان من علىّ و معاويه و من الجندين أنّهما آمنان على أنفسهما و أموالهما و الامّه لهما أنصار،و على الّذى يقضيان عليه و على المؤمنين و المسلمين من الطائفتين عهد اللّه أن يعمل بما يقضيان عليه ممّا وافق الكتاب و السنّه،و إنّ الأمن و الموادعه و وضع السلاح متّفق عليه بين الطائفتين إلى أن يقع الحكم،و على كلّ واحد من الحكمين عهد اللّه ليحكمنّ بين الأمّه بالحقّ لا بما يهوى،و أجل الموادعه سنه كامله فإن أحبّ الحكمان أن يعجّلا الحكم عجّلاه،و إن توفّى أحدهما فلأمير شيعته أن يختار مكانه رجلا لا يألو الحقّ و العدل و إن توفّى أحد الأميرين كان نصب غيره إلى أصحابه ممّن يرتضون أمره و يحمدون طريقته.اللّهم إنّا نستنصرک على من ترک ما فى هذه الصحيفه و أراد فيها إلحادا و ظلما.

و شهد فيه من أصحاب علىّ عليه السّلام عشره،و من أصحاب معاويه عشره.فذلک معنى الأجل فى التحكيم.و تقدير هذا السؤال إنّک حين رضيت بالتحكيم لم ضربت بينک و بينهم أجلا،و ما الحكمه فى ذلک .فأجاب إنّما فعلت ذلک ليتبيّن الجاهل :

أى فى وجه الحقّ، و يتثبّت العالم :أى فى أمره بحيث يخلص من الشبهه ،و رجاء إصلاح هذه الامّه بهذا الصلح .

استعاره و قوله: و لا تؤخذ بأكظامها فتعجل.إلى آخره.

فعبّر بأخذ الكظم عن الأخذ بغته و على غرّه،و هؤلاء القوم لمّا أخذوا لأوّل شبهه عرضت من رفع المصاحف و هو أوّل الغىّ و لم يتثبّتوا فى أمرهم أشبهوا من اخذ بمجرى نفسه فلم يتمكّن من الاستراحه إلى التنفيس فاستعير وصف الكظم لهم .

و قوله: إنّ أفضل الناس.إلى قوله:و زاده.

جذب إلى الحقّ و إن أدّى إلى الغايه المذكوره و تنفير عن الباطل و إن استلزم الغايه المذكوره بذكر الأفضليّه عند اللّه.

و قوله: من الباطل .متعلّق بأحبّ إليه.

و قوله: و إن نقصه و كرثه .

اعتراض بينهما.و الحكم فى هذه القضيّه ظاهر الصدق.إذ كان ملازم الحقّ

أتقى الخلق،و الأتقى أفضل عند اللّه تعالى كما قال تعالى «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّٰهِ أَتْقٰاكُمْ » (۱).

و قوله: فأين يتاه بكم؟ يريد إلى أىّ غايه يكون هذا التيه الّذى أخذتم فيه،و فيه تنبيه على أنّ ذلك التيه فعل الغير بهم . و من أين اتيتم؟ :أى من أىّ وجه دخلت عليكم الشبهه.و يشبه هذا السؤال تجاهل العارف.إذ كان يعلم وجه الداخل عليهم .ثمّ أعقب ذلك التعنيف لهم بالأمر بالمسير إلى أهل الشام.و وصفهم بالحيره عن الحقّ و العمى عنه و الإغراء بالجور عن طريق اللّه بحيث لا مثل للجور عندهم،و بجفاوه الطباع عن فهم كتاب اللّه و نبوء الأفهام عنه و بعدولهم عن طريقه كلّ ذلك إغراء بهم .

و قوله: ما أنتم بوثيقه:أى بعروه وثيقه.إلى آخره و هو عتاب لهم و تضجّر منهم على قلّه طاعته .

و قوله: يوما اناديكم.

أى أدعوكم إلى النصره و أستغيث بكم، و يوما اناجيكم :أى اعاتبكم و اجادلكم على تقصيركم .

و قوله فلا أحرار صدق عند النداء.

لأنّ الحرّ من شأنه إجابه الداعى و الوفاء بالوعد و لستم كذلك ، و لا إخوان ثقه عند النجاء لأنّ أخا الثقه إذا زلّ و عوتب من أخيه انعتب،و إذا أحوج و اعتذر إليه رجع إلى صفاء الاخوّه لمكان وثاقتها و لستم من ذلك فى شىء.و باللّه التوفيق.

۱۲۴-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

لما عوتب على التسويه فى العطاء

أَ تَأْمُرُونِّى أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ- فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ- وَ اللّٰهِ لاَ أَطُورُ بِهِ

۱- ۱) ۱۳-۴۹.

مَا سَمَرَ سَمِيرٌ- وَ مَا أَمَّ نَجْمٌ فِی السَّمَاءِ نَجْماً- لَوْ كَانَ الْمَالُ لِی لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ- فَكَيْفَ وَ إِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللَّهِ- أَلَا وَ إِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِی غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَ إِسْرَافٌ- وَ هُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِی الدُّنْيَا- وَ يَضَعُهُ فِی الْآخِرَهِ- وَ يُكْرِمُهُ فِی النَّاسِ وَ يُهِينُهُ عِنْدَ اللَّهِ- وَ لَمْ يَضَعِ امْرُؤٌ مَالَهُ فِی غَيْرِ حَقِّهِ وَ لَا عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ- إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ شُكْرَهُمْ- وَ كَانَ لِغَيْرِهِ وُدُّهُمْ- فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النَّعْلُ يَوْماً- فَاحْتَاجَ إِلَى مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَلِيلٍ- وَ أَلْأَمُ خَدِينٍ

اللغه

أقول: لا أطور به: أی لا أقرّبه .و السمیر: الدهر.یقال:لا أفعله ما سمر سمیر:

أی الدهر كلّه،و كذلك لا أفعله ما سمر ابنا سمیر:أی الدهر كلّه ،و ابناه: اللیل و النهار .و الخدین: الصدیق .

المعنى

و التسویه فی العطاء من سنّه الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و كان أبو بكر كذلك علی تلك السنّه فلمّا فضّل من بعدهما أهل السابقه و الشرف فی العطاء علی غیرهم اعتاد المفضّلون بذلك إلی زمانه علیه السّلام و لمّا كان سالكا مسالك الرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و مقتفیا أثر سنّته لم یمكنه إلاّ التسویه فطلب المفضّلون عادتهم من التفضیل عند ولایته لهذا الأمر فقال الكلام .

فقوله: أ تامرونیّ أن أطلب النصر بالجور، جواب لمن أشار علیه بالتفضیل،و كأنّ المشیر قال له:إن فضّلت هؤلاء كانوا معك بقلوبهم و نصروك.فأجابهم بذلك.و الجور:العدول عن سبیل اللّه بالتفضیل حیث كان خارجا عن سنّه الرسول .ثمّ أقسم أنّه لا یقرب التفضیل أبدا،و أنّ المال لو كان له لكان من العدل أن یسوّی بینهم فیه فكیف و المال للّه و لهم،و وجه ذلك أنّ التسویه هی العدل الّذی تجتمع به النفوس علی النصره و تتألّف الهمم علی مقاومه العدوّ دون التفضیل

ص:۱۳۱

المستلزم لانكسار قلوب المفضولين مع كثرتهم.فلو كان المال له مع كونه بطباع البشريّه الميّاله إلى شخص دون شخص لم يسوّ بينهم فكيف و المال للّه الّذى تساوى نسبه الخلق إليه و ما لهم الّذى فرضه اللّه لهم على سواء،و هو كالاعتذار الحاسم لمادّه الطمع فى التفضيل .

ثمّ نبّه على قبح وضع المال فى غير أهله و على غير وجهه.و غير أهله:هم غير المفروض لهم،و غير وجهه:غير حقّه الّذى يفرضه الشارع،و أشار إلى وجوه المفاسد ففى غير أهله تبذير،و فى غير وجهه إسراف،و عرفت أنّهما طرفا الإفراط و التفريط من فضيله السخاء .و قوله: يرفع صاحبه فى الدنيا.

أى يحصل له بالتبذير ذكر الكرم بين العوامّ و الغاغه،و من لا يعرف حقيقه الكرم، و يضعه فى الآخره .إذ كان به على رذيله ،و كذلك يكرمه عند الناس و يهينه عند اللّه ،و أمّا حكمه عليه السّلام بأنّ الواضع لماله فى غير حقّه و عند غير أهله محروم شكرهم و لغيره ودّهم و على تقدير وقوع الزلّه منه الّتى يحتاج فيها إلى مساعدتهم يتقاعدون عنه فذلك أمر يحصل بالاستقراء و ربّما بلغ التجربه،و أمّا سرّ ذلك فيحتمل أن يكون لأنّهم لمّا كانوا غير أهل لوضع المعروف لم يكونوا أهلا للاعتراف به إمّا لجهلهم و غفلتهم أو لاعتقادهم أنّ المسدى إليهم غير أهل لشكرهم،و أنّهم على مرتبته و أحقّ بالمال منه.و أكثر ما يكون عدم الشكر من هؤلاء لنظر كلّ منهم إلى أنّ غيره من المسدى إليه غير أهل،و أنّه هو أحقّ فيرى نفسه دائما مبخوس الحظّ من باذل المعروف فلا يزال متسخّطا عاتبا عليه ذامّا للزمان،و حينئذ لا يتحقّق اعترافه بنعمه الباذل فإذا أصابه من غيره أدنى معروف أو لم يصبه بل سمع مدح أحد و شكر الناس له ساعد على مدحه و أظهر فضله،و قال:إنّه ممّن يضع المعروف فى أهله فيكون ذلك كالمستنهض لهمه الباذل أو كالمزرى عليه و المغاير له،و كنّى بزلّ النعل عن خطائه و عثاره فى المصائب.و باللّه التوفيق.

۱۲۵-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

أيضا للخوارج.

ص:۱۳۲

فَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلاَّ أَنْ تَزْعُمُوا أَنِّى أَخْطَأْتُ وَ ضَلَلْتُ- فَلِمَ تُضَلِّلُونَ عَامَّهَ أُمَّهِ؟مُحَمَّدٍ ص؟ بِضَلالِي- وَ تَأْخُذُونَهُمْ بِخَطَئِي- وَ تُكَفِّرُونَهُمْ بِذُنُوبِي- سُيُوفُكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ- تَضَعُونَهَا مَوَاضِعَ الْبُرْءِ وَ السُّقْمِ- وَ تَخْلِطُونَ مَنْ أَذْنَبَ بِمَنْ لَمْ يُذْنِبْ- وَ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ؟رَسُولَ اللَّهِ ص؟ رَجَمَ الزَّانِيَ الْمُحْصَنَ- ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلَهُ- وَ قَتَلَ الْقَاتِلَ وَ وَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلَهُ- وَ قَطَعَ السَّارِقَ وَ جَلَدَ الزَّانِيَ غَيْرَ الْمُحْصَنِ- ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْفَيْءِ وَ نَكَحَا الْمُسْلِمَاتِ- فَأَخَذَهُمْ؟رَسُولُ اللَّهِ ص؟ بِذُنُوبِهِمْ- وَ أَقَامَ حَقَّ اللَّهِ فِيهِمْ- وَ لَمْ يَمْنَعْهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ- وَ لَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ- ثُمَّ أَنْتُمْ شِرَارُ النَّاسِ- وَ مَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ وَ ضَرَبَ بِهِ تِيهَهُ- وَ سَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفَانِ- مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ- وَ مُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ- وَ خَيْرُ النَّاسِ فِيَّ حَالاً النَّمَطُ الْأَوْسَطُ فَالْزَمُوهُ- وَ الْزَمُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ- فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَهِ- وَ إِيَّاكُمْ وَ الْفُرْقَهَ- فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ- كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّئْبِ- أَلَا مَنْ دَعَا إِلَى هَذَا الشِّعَارِ فَاقْتُلُوهُ- وَ لَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هَذِهِ- فَإِنَّمَا حُكِّمَ الْحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَا؟الْقُرْآنُ؟- وَ يُمِيتَا مَا أَمَاتَ؟الْقُرْآنُ؟-

ص:۱۳۳

وَ إِحْيَاؤُهُ الاِجْتِمَاعُ عَلَيْهِ- وَ إِمَاتَتُهُ الاِفْتِرَاقُ عَنْهُ- فَإِنْ جَرَّنَا؟الْقُرْآنُ؟ إِلَيْهِمُ اتَّبَعْنَاهُمْ- وَ إِنْ جَرَّهُمْ إِلَيْنَا اتَّبَعُونَا- فَلَمْ آتِ لاَ أَبَا لَكُمْ بُجْراً- وَ لاَ خَتَلْتُكُمْ عَنْ أَمْرِكُمْ- وَ لاَ لَبَّسْتُهُ عَلَيْكُمْ- إِنَّمَا اجْتَمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ عَلَى اخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ- أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَلاَّ يَتَعَدَّيَا؟الْقُرْآنَ؟ فَتَاهَا عَنْهُ- وَ تَرَكَا الْحَقَّ وَ هُمَا يُبْصِرَانِهِ- وَ كَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا فَمَضَيَا عَلَيْهِ- وَ قَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكُومَهِ بِالْعَدْلِ- وَ الصَّمْدِ لِلْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا وَ جَوْرَ حُكْمِهِمَا

اللغه

أقول: البجر: الشرّ و الأمر العظيم .و الختل: الخديعه .و الصمد: القصد .

المعنى

و هذا الفصل مشاجره مع الخوارج و هو منع لشبههم الّتى بها كفّروا أصحابه عليه السّلام و صورتها إنّكم ضللتم بالتحكيم،و كلّ ضالّ كافر ينتج أنّهم كفّار .

فقوله: فإن أبيتم.إلى قوله:و ضللت.

يجرى مجرى تسليم جدل لما منعه أوّلا-فى الفصول السابقه من صغرى شبههم و بين أنّ التحكيم لم يكن منه خطأ و لا ضلالا.فكأنّه يقول:وهب أنى أخطأت كما زعمتم .

و قوله: فلم تضلّلون عامّه امّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بضلالى.

منع لصغرى هذه الشبهه .

و قوله: و تكفّرونهم بذنوبى.إلى قوله:بمن لم يذنب.

منع للكبرى.فكأنّه يقول:و هب أنّكم ضلّلتموهم بضلالى فلم تكفّرونهم، و تقتلون بسبب تكفيرهم المذنب و غير المذنب .

و قوله: و قد علمتم.إلى قوله:بين أهله.

استشهاد عليهم بفعل الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيمن أخطأ،و أنّه لم يكفّرهم بذنوبهم بل أجرى عليهم أحكام الإسلام،و لم يسلبهم اسمه،و هذا الاستشهاد يجرى مجرى

ذكره مستند المنع.و الزانى الّذى رجمه هو المحصن،و لم يمنعه استحقاقه الرجم صدق الإسلام عليه و لحوق أحكامه له من الصلاه عليه و توريث ماله لأهله ،و كذلك الباقون من أهل الكبائر من الأمّه لم يمنعهم ذلك من إجراء أحكام الإسلام عليهم، و صدق اسمه المنافى لصدق الكفر عليهم،و ضمير الاثنين فى نكحا يرجع إلى السارق و الزانى:أى لم يمنعهم استحقاق القطع و الجلد من حصّتهما من الفىء و لا من نكاح المسلمات ،و ضمائر الجمع فى قوله:فأخذهم اللّه بذنوبهم.إلى قوله:بين أهله راجعه إلى كلّ من جرى ذكره من المذنبين،و الكلام المذكور حكايه لحالهم، و الضمير فى أهله يرجع إلى الإسلام .ثمّ لمّا فرغ من بيان غلطهم ذمّهم و نسبهم إلى الانفعال عن الشيطان.إذ كانت وساوسه مبادى الأغلاط و الشبه .ثمّ عقّب ذلك بالإخبار عن هلاك من سلك طريق الإفراط فى حبّه أو بغضه لخروجهما عن الحقّ و العدل إلى الباطل و الجور،و إفراط الحبّ أن جعل إلهاً كالمنسوب إلى النصيريّه و نحوهم من الغلاه،و إفراط البغض أن نسب إلى الكفر كالمنقول عن الخوارج ، و جعل خير الناس فيه حالاً ـ النمط الأوسط فى المحبّه،و هم أهل العدل فيه.و النمط الأوسط الجماعه من الناس أمرهم واحد،و فى الحديث خير هذه الامّه النمط الأوسط يلحق بهم التالى و يرجع إليهم الغالى.فالتالى هو المقصّر الواقف فى طرف التفريط، و الغالى هو العابر إلى طرف الإفراط.و أمر بلزوم ذلك النمط و لزوم طريقه السواد الأعظم:أى أكثر المسلمين المتّفقين على رأى واحد،و رغّب فى لزوم طريقتهم بأنّ يد اللّه على الجماعه فتجوّز بلفظ اليد فى قدره اللّه و حراسته للجماعه.إذ كانوا أمنع و أبعد عن الانفعال للعدوّ،و آمن من الغلط و الخطاء لكثره آرائهم و اتّفاقها فلا تكاد تتّفق على أمر لا مصلحه فيه مع كثرتها و اختلافها ،و حذّر من الفرقه و الشذوذ عن الجماعه بأنّ الشاذّ من الناس:أى المتفرّد المستبدّ برأيه للشيطان:

أى محلّ تطرّق الشيطان لانفراده،و شبّه ذلك بالشاذ من الغنم،و وجه الشبه كون انفراده محلاً ـ لتطرّق الهلاك إليه باستغواء الشيطان له كمان أنّ الشاه المنفرده فى مظنّه الهلاك لانفرادها و وحدتها للذئب .ثمّ أمر بقتل من دعا إلى هذا الشعار

و هو مفارقه الجماعه و الاستبداد بالرأی.

کنایه و قوله: و لو کان تحت عما متی هذه.

مبالغه فی الکلام کنّی بها عن أقصی القرب من عنایته:أی و لو کان ذلک الداعی إلی هذا الحدّ من عنایتی به ،و قیل:أراد و لو کان ذلک الداعی أنا.

مجاز و قوله : و إنّما حکّم الحکمان.

اعتذار عن شبهه التحکیم،و أسند إلیهما لفظی الإحیاء و الإماته مجازا باعتبار کونهما فی الاجتماع علیه و العمل به مظهرین لمنفعته و فایدته کما یفعله موجد الحیاه،و کونهما فی ترکه و الإعراض عنه سببا لبطلان منفعته و عدم منفعته کما یفعله ممیت الشیء و مبطل حیاته .

فلم آت-لا أبالکم-بجراً:إلی آخر.

لمّا بیّن وجه عذره فی التحکیم أنکر أن یکون فعله ذلک مشتملا علی قصد شرّ أو خدیعه لهم أو تلبیسا علیهم فی التحکیم من غیر اتّفاق منهم و مراجعه لهم بل إنّما کان ذلک عن اجتماع آراء قومهم علی اختیار حکمین اخذت علیهما الشرائط المعدوده فی کتاب الصلح،و فی نسبته اختیار الحکمین إلی ملائهم،و نسبه أخذ العهد علیها فی اتّباع الکتاب إلی نفسه أو إلی جماعه هو أحدهم تنبیه علی أنّ أخذ العهد علیهما کان منه أو بشرکته دون تعیینهما للحکومه لما نقل إنّه کان غیر راض بنصب أبی موسی نائبا عنه،و إنّما اکره علی ذلک و کان میله و اختیاره فی ذلک لابن عبّاس.

و تلخیص الکلام:أنّا إنّما رضینا بالحکمین بشرط أن یعملا بکتاب اللّه،و المشروط بشرط عدم عند عدم ذلک الشرط .فحیث خالفا الشرط عمدا بعد أن سبق استثناؤنا علیهما سوء رأیهما وجبت مخالفتهم.و انتصب سوء رأیهما لأنّه مفعول به عن سبق.و باللّه التوفیق و العصمه.

۱۲۶-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

فیما یخبر به عن الملاحم بالبصره

یا؟أَحْنَفُ؟ کَأَنِّی بِهِ وَ قَدْ سَارَ بِالْجَیْشِ- الَّذِی لاَ یَکُونُ لَهُ غُبَارٌ وَ لاَ

لَجبٌ- وَ لَا قَعْقَعَهُ لُجُم وَ لَا حَمْحَمَهُ خَيْلٍ- يُثِيرُونَ الْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ- كَأَنَّهَا أَقْدَامُ النَّعَامِ يومئ بذلك إلى؟صاحب الزنج؟ثُمَّ قَالَ ع- وَيْلٌ لِسِكَكِكُمُ الْعَامِرَهِ وَ الدُّورِ الْمُزَخْرَفَهِ- الَّتِى لَهَا أَجْنِحَهٌ كَأَجْنِحَهِ النُّسُورِ- وَ خَرَاطِيمُ كَخَرَاطِيمِ الْفِيَلَهِ- مِنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا يُنْدَبُ قَتِيلُهُمْ- وَ لَا يُفْقَدُ غَائِبُهُمْ- أَنَا كَابُّ الدُّنْيَا لِوَجْهِهَا- وَ قَادِرُهَا بِقَدْرِهَا وَ نَاظِرُهَا بِعَيْنِهَا

اللغه

أقول: الملحمه: الوقعه العظيمه .

المعنى

و هذا الفصل من خطبه له عليه السّلام بالبصره بعد وقعه الجمل ذكرنا منها فصولا فيما سبق،و الخطاب مع الأحنف بن قيس لأنّه كان رئيسا ذا عقل و سابقه فى قومه، و كان اسمه صخر بن قيس بن معاويه بن حصن بن عباد بن مرّه بن عبيد بن تميم، و قيل:اسمه الضحّاك،و كنيته أبو بحر.و بسببه كان إسلام بنى تميم حين دعاهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فلم يجيبوا.فقال لهم الأحنف:إنّه يدعوكم إلى مكارم الأخلاق و ينهاكم عن ملاعبها فأسلموا.و أسلم الأحنف و شهد مع علىّ عليه السّلام صفّين و لم يشهد الجمل مع أحد الفريقين،و الضمير فى قوله : كأنّى به .لصاحب الزنج و اسمه علىّ بن محمّد علوىّ النسب،و الجيش المشار إليه هم الزنج،و واقعتهم بالبصره مشهوره و أخبارهم و بيان أحوالهم و تفصيل واقعتهم يشتمل عليها كتاب منفرد فى نحو من عشرين كرّاسه فليطلب علمها من هناك ،و أمّا وصف ذلك الجيش بالأوصاف المذكوره فلأنّ الزنج لم يكونوا أهل خيل و لا جند من قبل حتّى يكون بالأوصاف المشار إليها، استعاره بالكنايه و إثارتهم التراب بأقدامهم كنايه عن كونهم حفاه فى الأغلب سائرين بالأقدام فهى[من اعتياد الحفاه-خ-]باعتبار الحفاء و مباشره الأرض بالخشب و نحوه فكانت مظنّه إثاره التراب عوضا من حوافر الخيل،و وجه شبهها بأقدام النعام أنّ أقدامهم فى الأغلب قصار

عراض منتشره الصدور و مفرّقات الأصابع فهى من عرضها لا يتبيّن لها طول فأشبهت أقدام النعام فى بعض تلك الأوصاف ، استعاره ثمّ أخبر بالويل لمحالّ البصره و دورها المزوّقه من اولئك،و استعار لدورها لفظ الأجنحه ،و أراد بها القطانيّات الّتى تعمل من الأخشاب و البوارى بارزه عن السقوف كالوقايه للمشارف و الحيطان عن آثار الأمطار و هى أشبه الاشياء فى هيئتها و صوره وضعها بأجنحه كبار الطير كالنسور ،و كذلك استعار لفظ خراطيم الفيله للميازيب الّتى تعمل من الخوص على شكل خرطوم الفيل و تطلى بالقار يكون نحوا من خمسه أزرع أو أزيد تدلى من السطوح حفظا للحيطان من أذى السيل أيضا،و هى أشبه الأشياء فى صورتها بخراطيم الفيله ،و أمّا وصفه لهم بأنّه لا يندب قتيلهم و لا يفتقد غايبهم.قال بعض الشارحين:ذلك وصف لهم بشدّه البأس و الحرص على الحرب و القتال و أنّهم لا يبالون بالموت و لا يأسفون على من فقد منهم.

و أقول:و الأشبه أنّ ذلك لكونهم لا اصول لهم و لا أهل لأكثرهم من امّ أو أخت أو غير ذلك ممّن عادته أن ينوح و يندب قتيله و يفتقد غائبه لكون أكثرهم غرباء فى البصره فمن قتل منهم لا يكون له من يندبه و من غاب لا يكون له من يفتقده.

و قوله : أنا كابّ الدنيا لوجهها.

إشاره إلى زهده فيها،و تنبيه على فضيلته.يقال:كببت فلانا لوجهه إذا تركته و ما التفت إليه ، و قادرها بقدرها :أى معامل لها بمقدارها،و لمّا كان مقدارها حقيرا عنده كان التفاته إليها التفاتا حقيرا حسب ضروره البقاء فيها،و كذلك ناظرها بعينها :أى معتبرها بالعين الّتى ينبغى أن تعتبر بها الدنيا من كونها غرّاره غدّاره حائله إلى غير ذلك من أوصافها،و أنّها مزرعه الآخره و طريق إليها غير مطلوبه لذاتها.و باللّه التوفيق.

۱۲۷-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

يؤمى به إلى وصف الأتراك

ص:۱۳۸

كَأَنِّى أَرَاهُمْ قَوْماً- كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَهُ- يَلْبَسُونَ السَّرَقَ وَ الدِّيبَاجَ- وَ يَعْتَقِبُونَ الْخَيْلَ الْعِتَاقَ- وَ يَكُونُ هُنَاكَ اسْتِحْرَارُ قَتْلٍ- حَتَّى يَمْشِىَ الْمَجْرُوحُ عَلَى الْمَقْتُولِ- وَ يَكُونَ الْمُفْلِتُ أَقَلَّ مِنَ الْمَأْسُورِ- فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ- لَقَدْ أُعْطِيتَ يَا؟أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ عِلْمَ الْغَيْبِ- فَضَحِكَ ع وَ قَالَ لِلرَّجُلِ وَ كَانَ كَلْبِيّاً يَا أَخَا؟كَلْبٍ؟ لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ- وَ إِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِى عِلْمٍ- وَ إِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَهِ- وَ مَا عَدَّدَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ- «إِنَّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَهِ» الْآيَهَ- فَيَعْلَمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَا فِى الْأَرْحَامِ- مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَ قَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ- وَ سَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ- وَ شَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ- وَ مَنْ يَكُونُ فِى النَّارِ حَطَباً- أَوْ فِى الْجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقاً- فَهَذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِى لاَ يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلاَّ اللَّهُ- وَ مَا سِوَى ذَلِكَ فَعِلْمٌ- عَلَّمَهُ اللَّهُ نَبِيَّهُ ص فَعَلَّمَنِيهِ- وَ دَعَا لِى بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِى- وَ تَضْطَمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِى

اللغه

أقول: المجانّ بالفتح: جمع مجنّ بكسر الميم و هو الترس .و المطرقه بفتح الراء و التخفيف: الّتى تطبق و تخصف كطبقات النعل.يقال:أطرقت بالجلد إذا ألبست .

و السرق بفتح السين و الراء: شقق الحرير واحدتها سرقه.قال أبو عبيده:هى البيض منها،و هو فارسىّ معرّب أصله سره:أى جيّد كالاستبرق الغليظ من الديباج .

و يعتقبون الخيل: يحتبسونها و يرتبطونها .و استحرّ القتل و حرّ: أى اشتدّ .

المعنى

تشبيه و اعلم أنّه عليه السّلام من عادته إذا أراد الإخبار عن أمر سيكون فإنّه يصدّره بقوله: كأنّى كما سبق من إخباره عليه السّلام عن الكوفه كأنّى بك يا كوفه،و كقوله:

كأنّى به و قد نعق بالشام.و وجه ذلك أنّ مشاهدته بعين بصيرته لمّا افيض على نفسه القدسيّه من أنوار الغيب على سبيل الإلهام بواسطه الاستاد المرشد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم تشبّه المشاهده بعين البصر فى الجلاء و الظهور الخالى عن الشكّ فلذلك حسن حرف التشبيه صدرا ،و ضماير الجمع فى الفصل تعود إلى الأتراك،و شبّه وجوههم بالتروس المطبقه،و وجه الشبه فى تشبيهها بالتروس الاستداره و العظم و الانبساط،و فى كونها مطرقه الخشونه و الغلظه و هو تشبيه للمحسوس بالمحسوس ،و أمّا وصفه لهم بمراعاه لبس السرق و الديباج،و اعتقاب الخيل فاعتبار أحوال الترک تشهد بصدقه ، و أمّا إخباره عن استحرار القتل إلى الغايه المذكوره حين ظهورهم فممّا يشهد بصدقه التواريخ بالوقايع المشهوره بينهم و بين العرب و غيرهم من المسلمين فى أيّام عبد اللّه بن الزبير،و فى أيّام قتيبه بن مسلم،و يكفى فى صدق ذلک إلى الغايه المذكوره ما شهدناه من وقايع التتار مع المسلمين و قتلهم إيّاهم بالعراقين و خراسان و غيرها من البلاد فأمّا جوابه عليه السّلام للكلبىّ إنّ ذلك ليس بعلم غيب،و إنّما هو تعلّم من ذى علم،و تعديده للمعلومات بعلم الغيب الّذى لا يعلمها إلاّ اللّه سبحانه فحقّ و صدق،و قد نبّهنا على الفرق بين علم الغيب و الإخبار عن المغيبات فى المقدّمات لكن ينبغى أن يعلم أنّ التعلّم الحاصل له من قبل الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم ليس على سبيل أنّ كلّ ما القى إليه صور جزئيّه و وقايع جزئيّه بل معناه هو إعداد نفسه القدسيّه على طول الصحبه من حيث كان طفلا إلى أن توفّى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لهذه العلوم بالرياضه التامّه،و تعليم كيفيّه السلوک و أسباب تطويع النفس الأمّاره بالسوء للنفس المطمئنّه حتّى استعدّت نفسه الشريفه للانتقاش بالامور الغيبيّه،و انتقشت فيها الصور الكلّيّه فأمكنه الإخبار عنها و بها،و لذلك قال: كنايه و دعا لى بأن يعيه صدرى و تضطمّ عليه جوانحى :أى يضبطه قلبى و يشتمل عليه،و كنّى بالجوانح عن القلب لاشتمالها عليه و لو كانت تلك العلوم صورا جزئيّه لم يحتج إلى مثل هذا الدعاء فإنّ فهم الصور الجزئيّه و ضبطها و الإخبار عنها ممكن لكلّ الصحابه من العوامّ و غيرهم،و إنّما الصعب المحتاج إلى الدعاء بأن يعيه الصدر و يستعدّ الأذهان لقبوله

هو القوانين الكلّيه،و كيفيّه انشعابها و تفصيلها و أسباب تلك الامور المعدّه لإدراكها حتّى إذا استعدّت النفس بها أمكن أن ينتقش بالصور الجزئيّه من مفيضها كما سبقت الاشاره إليه.

۱۲۸–و من كلام له عليه السّلام

اشاره

فى ذكر المكائيل و الموازين.

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّكُمْ وَ مَا تَأْمُلُونَ- مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا أَثْوِيَاءُ مُؤَجَّلُونَ- وَ مَدِينُونَ مُقْتَضَوْنَ أَجَلٌ مَنْقُوصٌ- وَ عَمَلٌ مَحْفُوظٌ- فَرُبَّ دَائِبٍ مُضَيَّعٌ وَ رُبَّ كَادِحٍ خَاسِرٌ- وَ قَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنٍ لَا يَزْدَادُ الْخَيْرُ فِيهِ إِلَّا إِدْبَاراً- وَ الشَّرُّ فِيهِ إِلَّا إِقْبَالًا- وَ الشَّيْطَانُ فِي هَلَاكِ النَّاسِ إِلَّا طَمَعاً- فَهَذَا أَوَانٌ قَوِيَتْ عُدَّتُهُ- وَ عَمَّتْ مَكِيدَتُهُ وَ أَمْكَنَتْ فَرِيسَتُهُ- اضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ- فَهَلْ تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيراً يُكَابِدُ فَقْراً- أَوْ غَنِيّاً بَدَّلَ نِعْمَهَ اللَّهِ كُفْراً- أَوْ بَخِيلًا اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللَّهِ وَفْراً- أَوْ مُتَمَرِّداً كَأَنَّ بِأُذُنِهِ عَنْ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقْراً- أَيْنَ أَخْيَارُكُمْ وَ صُلَحَاؤُكُمْ- وَ أَيْنَ أَحْرَارُكُمْ وَ سُمَحَاؤُكُمْ- وَ أَيْنَ الْمُتَوَرِّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ- وَ الْمُتَنَزِّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ- أَ لَيْسَ قَدْ ظَعَنُوا جَمِيعاً- عَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّهِ- وَ الْعَاجِلَهِ الْمُنَغِّصَهِ- وَ هَلْ خُلِقْتُمْ إِلَّا فِي حُثَالَهٍ- لَا تَلْتَقِي بِذَمِّهِمُ الشَّفَتَانِ- اسْتِصْغَاراً لِقَدْرِهِمْ وَ ذَهَاباً عَنْ ذِكْرِهِمْ- فَ «إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ» - ظَهَرَ

ص:۱۴۱

الْفَسَادُ فَلَا مُنْكِرٌ مُغَيِّرٌ- وَ لَا زَاجِرٌ مُزْدَجِرٌ- أَ فَبِهَذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا اللَّهَ فِی دَارِ قُدْسِهِ- وَ تَکُونُوا أَعَزَّ أَوْلِیَائِهِ عِنْدَهُ- هَیْهَاتَ لَا یُخْدَعُ اللَّهُ عَنْ جَنَّتِهِ- وَ لَا تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ- لَعَنَ اللَّهُ الْآمِرِینَ بِالْمَعْرُوفِ التَّارِکِینَ لَهُ- وَ النَّاهِینَ عَنِ الْمُنْکَرِ الْعَامِلِینَ بِهِ

اللغه

أقول: أثویاء: جمع ثویّ علی فعیل و هو الضیف .و الدائب: المجدّ فی العمل .

و الکدح: العمل .و الوقر: الصمم .و الحثاله: الثقل،و کأنّه الردیّ من کلّ شیء .

المعنی

و قد نفّر علیه السّلام عن الدنیا بذکر عدّه من معایبها:

أحدها:

استعاره مرشحه کونهم فیها ضیفانا ،و استعار لهم لفظ الضیف و کذلک لما یأملون منها و وجه الاستعاره مشابهتهم للضیف فی تأجیل الإقامه و انقطاع وقته و قرب رحیله،و مؤجّلون ترشیح للاستعاره .

الثانیه:

استعاره مرشحه کونهم مدینون فیها ،و استعار لفظ المدین باعتبار وجوب الفرائض المطلوبه منهم و عهد اللّه المأخوذ علیهم أن یرجعوا الیه طاهرین عن نجس الملحدین، و رشّح بذکر المقتضین لما أنّ شأن المدین أن یقتضی فیه الدین .ثمّ لمّا ذکر کونهم مؤجّلین و مدینین کرّر ذکر الأجل بوصف النقصان،و لا شکّ فی نقصان ما لا یبقی، و ذکر العمل الّذی خالصه و صالحه هو الدین المقتضی منهم بوصف کونهم محفوظا علیهم لیجذب بنقصان الأجل إلی العمل،و بحفظ العمل إلی إصلاحه و الإخلاص فیه.

و أجل و عمل:خبران حذف مبتدئهما:أی أجلکم أجل منقوص،و عملکم عمل محفوظ .

و نبّه بقوله: فربّ دائب مضیّع،و ربّ کادح خاسر :أنّ العمل و إن قصد فیه الصلاح أیضا إلّا أنّه قد یقع علی وجه الغلط فیحصل بذلک انحراف عن الدین و ضلال عن الحقّ فیضیّع العمل و یخسر الکدح کدأب الخوارج و نحوهم فربما دخل الکادح فی قوله تعالی «هَلْ نُنَبِّئُکُمْ بِالْأَخْسَرِینَ أَعْمالاً اَلَّذِینَ ضَلَّ سَعْیُهُمْ فِی الْحَیاهِ الدُّنْیا وَ هُمْ»

«يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً» (۱)و ذلک ککدح أهل الکتاب و نحوهم .

و قوله: و قد أصبحتم:إلی قوله:إقبالا.

شکایه للزمان و ذمّ له،و هو کقوله:إنّا قد أصبحنا فی زمن کنود،و دهر عنود.و ذلک لأخذ الزمان فی البعد عن وقت ظهور الشریعه و طراوتها و جرأه الناس علی هتک الدین و ارتکاب مناهی اللّه ،و کذلک طمع الشیطان فی هلاکهم:أی فی هلاک دینهم الّذی یکون غایته هلاکهم فی الآخره ،و أشار إلی أنّ ذلک الوقت هو أوان قوّه عدّته و عموم مکیدته و إمکان عمله فما ظنّک بزماننا هذا و ما بعده، استعاره و استعار لفظ الفریسه لمطاوعی الشیطان و المنفعلین عنه،و وجه الاستعاره بلوغه منهم مراده و تصریفه لهم لغایه هلاکهم کالأسد مع فریسته .

و قوله: اضرب بطرفک.إلی قوله:و قرا.

شرح لما أجمله أوّلا من ازدیاد إقبال الشرّ و إدبار الخیر،و کفر الغنیّ ترکه و إعراضه عن شکر نعم اللّه سبحانه علیه .

و قوله: بحقّ اللّه متعلّق بالبخل.

أی:أنّ البخیل یقصد ببخله بحقّ اللّه علی مستحقّه توفیر المال و الزیاده فیه .

تجاهل العارف و قوله: أین خیارکم:إلی قوله:مذاهبهم.

سؤال من باب تجاهل العارف تنبیها لهم علی ما صار و إلیه من الفناء و فراق الدنیا،و علی أنّه لم یبق فیهم من اولی الأعمال الصالحه أحد لعلّهم یرجعون إلی لزوم الأعمال الصالحه ،و أراد بالأحرار الکرماء ،و المتورّعون فی مکاسبهم الملازمون للأعمال الجمیله فیها من التقوی و المسالمه و إخراج حقوق اللّه تعالی ، و المتنزّهون فی مذاهبهم الممتنعون عن ولوج أبواب المحارم و الشبهات فی مسالکهم و حرکاتهم .

و قوله: أ لیس.إلی قوله:المنغّصه.

سؤال علی سبیل التقریر لما نبّههم علیه من فراق الدنیا و دناءتها بالنسبه

ص:۱۴۳

۱- ۱) ۱۰۴-۱۸.

إلى عظيم ثواب الآخره و تنغيصها بالآلام و نحوها حتّى قال بعض الحكماء:إنّ كلّ لذّه فى الدنيا فإنّما هى خلاص من ألم .

و قوله: و هل خلقتم.إلى قوله:عن ذكرهم.

سؤال على سبيل التقرير لما ذكر أيضا، استعاره و استعار لفظ الحثاله لرعاع الناس و همجهم.

و قوله: لا تلتقى بذمّهم الشفتان.

أى إنّهم أحقر من أن يشتغل الإنسان بـذمّهم.و انتصب استصغارا و ذهابا على المفعول له ، اقتباس و حسن اقتباس القرآن هاهنا لما أنّ هذه الحال الّتى الناس عليها من فقد خيارهم و بقاء شرارهم مصيبه لحقتهم،و من آداب اللّه للصابرين على نزول المصائب أن يسلّموا أنفسهم و أحوالهم إليه فيقولوا عندها:إنّا للّه و إنّا إليه راجعون كما قال سبحانه «وَ بَشِّرِ الصّابِرِينَ» الآيه .ثمّ حكم على سبيل التوجّع و الأسف بظهور الفساد و بنفى المنكر المغيّر للفساد المزدجر عنه تنبيها لهم على أنّهم و إن كان فيهم من ينكر و يزجر إلاّ أنّه لا يغيّر ما ينكره و لا يزدجر عن مثله،و ذلك من قبايح الأعمال و الرياء فيها .

و قوله: أ فبهذا.

أى بأعمالكم هذه المدخوله و بتقصيركم.و مجاوره اللّه:الوصول إليه و المقام معه فى جنّته الّتى هى مقام الطهاره عن نجاسات الهيئات البدنيّه و مقام تنزيه ذات اللّه تعالى و طهارتها عن اتّخاذ الشركاء و الأنداد،و هو استفهام على سبيل الإنكار و لذلك عقبّه بقوله: هيهات .إلى آخره،و لمّا كان ذلك يجرى مجرى الزهد الظاهر مع النفاق فى الباطن أعنى أعمالهم المدخوله من إنكار المنكر و ارتكابهم نبّههم على أنّ فعلهم كخداع اللّه عن جنّته،و صرّح بأنّ اللّه لا يخدع لعلمه بالسرائر و أنّه لا تنال مرضاته إلاّ بطاعته:أى الطاعه الحقيقيّه الخالصه دون الظاهره .ثمّ ختم بلعن الآمرين بالمعروف مع تركهم للعمل به،و الناهين عن المنكر المرتكبين له لأنّهم منافقون مغرون بذلك لمن يقتدى بهم و النفاق مستلزم اللعن و البعد عن رحمه اللّه.و باللّه التوفيق.

ص:۱۴۴

۱۲۹–و من كلام له عليه السّلام

اشاره

لأبی ذر رحمه اللّه لما اخرج إلی الربذه

يَا؟أَبَا ذَرٍّ؟ إِنَّکَ غَضِبْتَ لِلَّهِ فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ- إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوکَ عَلَی دُنْيَاهُمْ وَ خِفْتَهُمْ عَلَی دِينِکَ- فَاتْرُکْ فِی أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوکَ عَلَيْهِ- وَ اهْرُبْ بِمَا خِفْتَهُمْ عَلَيْهِ- فَمَا أَحْوَجَهُمْ إِلَی مَا مَنَعْتَهُمْ- وَ مَا أَغْنَاکَ عَمَّا مَنَعُوکَ- وَ سَتَعْلَمُ مَنِ الرَّابِحُ غَداً وَ الْأَکْثَرُ حُسَّداً- وَ لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرَضِينَ کَانَتَا عَلَی عَبْدٍ رَتْقاً- ثُمَّ اتَّقَی اللَّهَ لَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجاً- لَا يُؤْنِسَنَّکَ إِلَّا الْحَقُّ- وَ لَا يُوحِشَنَّکَ إِلَّا الْبَاطِلُ- فَلَوْ قَبِلْتَ دُنْيَاهُمْ لَأَحَبُّوکَ- وَ لَوْ قَرَضْتَ مِنْهَا لَأَمَّنُوکَ

المعنی

أقول:أبوذرّ:اسمه جندب بن جناده،و هو من بنی غفار قبيله من كنانه، و أسلم بمكّه و لم يشهد بدرا و لا الخندق لأنّه حين أسلم رجع إلی بلاد قومه فأقام حتّی مضت[قامت خ]هذه المشاهد.ثمّ قدم المدينه علی رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم و كانّ يتولّی عليّا و أهل بيته،و هو الّذی قال الرسول صلّی اللّه عليه و آله و سلّم فی حقّه:ما أقلّت الغبراء و لا أظلّت الخضراء علی ذی لهجه أصدق من أبی ذرّ،و روی ابن المعمّر عنه قال:رأيت أباذرّ آخذا بحلقه باب الكعبه و هو يقول:أنا أبوذرّ الغفاریّ فمن لم يعرفنی فأنا جندب صاحب رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم سمعت رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلم يقول:مثل أهل بيتی كمثل سفينه نوح من ركبها نجی و من تخلّف عنها غرق.و كان قد أخرجه عثمان إلی الربذه،و هی موضع قريب إلی المدينه.و اختلف فی سبب إخراجه فروی عن زيد بن وهب أنّه قال:قلت لأبی ذرّ-رحمه اللّه عليه-و هو بالربذه:ما أنزلك هذا المنزل؟ قال:اخبرک أنّی كنت بالشام فی أيّام معاويه فذكرت قوله تعالی «وَ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لا يُنْفِقُونَها فِی سَبِيلِ اللّهِ» الايه (۱)فقال معاويه هذه نزلت فی أهل

۱- ۱) ۳۴-۹.

الکتاب.قلت:بل فینا و فیهم.فکتب معاویه إلی عثمان یشکومنّی فی ذلک فکتب إلیّ أن أقدم علیّ فقدمت علیه فامثال الناس علیّ کأنّهم لم یعرفونی فشکوت ذلک إلی عثمان فخیّرنی فقال:أنزل حیث شئت فنزلت الربذه.و هذا قول من نزّه عثمان عن ظلم أبی ذرّ و نفیه.إذ کـان خروجه إلی الربـذه باختیاره،و قیل:بل کان یغلّظ القول فی إنکار ما یراه منکرا و فی حقّ عثمان،و یقول:لم تبق أصحاب محمّد علی ما عهد.و ینفرّ بهذا القول و أمثاله عنه.فأخرجه لذلک،و خطابه علیه السّلام لأبی ذرّ ألیق بالقول الثانی.

فقوله : إنّک عضبت للّه.

شهاده له أنّ إنکاره لما ینکره إنّما یقصد به وجه اللّه تعالی.

و قوله : إنّ القوم خافوک علی دنیاهم.

أی علی أمر الخلافه بالتنفیر عنهم، و خفتهم علی دینک باجتناب موافقتهم و أخذ عطائهم علی غیر السنّه.

و قوله : فاترک.إلی قوله:منعوک.

أی اترک لهم دنیاهم و انج بدینک فما أحوجهم إلی دینک و أغناک عن دنیاهم.

و قوله : ستعلم من الرابح غدا و الأکثر حسّدا.

أشار به إلی یوم القیامه،و ظاهر کون تارک الدنیا أربح من المقبل علیها.و أکثریّه الحسّد من لواحق أکثریّه الربح.

و قوله : و لو أنّ السماوات.إلی قوله:مخرجا.

بشاره له بخلاصه ممّا هو فیه من ضیق الحال بسبب الإخراج،و شرط فی ذلک تقوی اللّه إشارهً إلی قوله تعالی «وَ مَنْ یَتَّقِ اللّٰهَ یَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً» (۱)قال ابن عبّاس قرء رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم «وَ مَنْ یَتَّقِ اللّٰهَ یَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً» ،قال:من شبهات الدنیا،و من غمرات الموت و شدائد یوم القیامه.و ظاهر کون التقوی عند استشعارها سببا قاطعا لطمع المتّقی من الدنیا و قیناتها،و هو مستلزم لراجیه من مجاذبه النفس الأمّاره

۱- ۱) ۲-۶۵.

بالسوء عن الوقوع فی شبهات الدنیا،و هی فی استلزام الخلاص من غمرات الموت و شدائد یوم القیامه أظهر، کنایه و کنّی علیه السّلام بالغایه المذکوره و هی رتق السماوات و الأرض علی العبد عن غایه الشدّه مبالغه لیتبیّن فضل التقوی ،ثمّ أمره بالاستیناس بالحقّ وحده،و الاستیحاش من الباطل وحده.و أکّد الحصر فی الموضعین بقوله:

وحده.تنفیرا عن أن یستوحش من حقّ ما فیترک و ینفر عنه و إن صعب و شقّ علی النفس،أو یستأنس بباطل ما فیفعل أو یسکت علیه و إن لذّ لها .و نبّه علی علّه بغضهم و إخافتهم له و هو عدم مشارکتهم فی دنیاهم و الانفراد بالإنکار و غلظه القول علیهم، کنایه و کنّی بالقرض من الدنیا عن الأخذ .و باللّه التوفیق.

۱۳۰-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

أَیَّتُهَا النُّفُوسُ الْمُخْتَلِفَهُ وَ الْقُلُوبُ الْمُتَشَتِّتَهُ- الشَّاهِدَهُ أَبْدَانُهُمْ وَ الْغَائِبَهُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ- أَظْأَرُکُمْ عَلَی الْحَقِّ- وَ أَنْتُمْ تَنْفِرُونَ عَنْهُ نُفُورَ الْمِعْزَی مِنْ وَعْوَعَهِ الْأَسَدِ- هَیْهَاتَ أَنْ أَطْلَعَ بِکُمْ سَرَارَ الْعَدْلِ- أَوْ أُقِیمَ اعْوِجَاجَ الْحَقِّ- اللَّهُمَّ إِنَّکَ تَعْلَمُ- أَنَّهُ لَمْ یَکُنِ الَّذِی کَانَ مِنَّا مُنَافَسَهً فِی سُلْطَانٍ- وَ لاَ الْتِمَاسَ شَیْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ- وَ لَکِنْ لِنَرِدَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِینِکَ- وَ نُظْهِرَ الْإِصْلاَحَ فِی بِلاَدِکَ- فَیَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِکَ- وَ تُقَامَ الْمُعَطَّلَهُ مِنْ حُدُودِکَ- اَللَّهُمَّ إِنِّی أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ- وَ سَمِعَ وَ أَجَابَ- لَمْ یَسْبِقْنِی إِلاَّ؟رَسُولُ اللَّهِ ص؟ بِالصَّلاَهِ- وَ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لاَ یَنْبَغِی أَنْ یَکُونَ الْوَالِی عَلَی الْفُرُوجِ- وَ الدِّمَاءِ وَ الْمَغَانِمِ

وَ الْأَحْكَامِ- وَ إِمَامَهِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلُ- فَتَكُونَ فِی أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ- وَ لاَ الْجَاهِلُ فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ- وَ لاَ الْجَافِی فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ- وَ لاَ الْحَائِفُ لِلدُّوَلِ فَيَتَّخِذَ قَوْماً دُونَ قَوْمٍ- وَ لاَ الْمُرْتَشِی فِی الْحُكْمِ- فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ- وَ يَقِفَ بِهَا دُونَ الْمَقَاطِعِ- وَ لاَ الْمُعَطِّلُ لِلسُّنَّهِ فَيُهْلِكَ الْأُمَّهَ

اللغه

أقول: أظأركم: أعطفكم .و وعوعه الأسد: صوته .و سرار العدل: ما خفی منه ،و النهمه: الحرص علی الدنيا .

المعنی

و قد أيّه بالنفوس بصفه الاختلاف:أی اختلاف الأهواء و القلوب المتشتّته:

أی المتفرّقه عن مصالحها و ما خلقت لأجله .و أراد بغيبه عقولهم ذهولها عن رشدها، و إصابه وجه الحقّ بانصرافها عن دعائه إلی ما ينبغی ، تشبيه و شبّه نفارهم بنفور المعزی من صوت الأسد ،و وجه التشبيه شدّه نفارهم عن الحقّ ،ثمّ استبعد إظهاره للعدل و إقامه الدين بمثلهم علی ما هم عليهم من قلّه طاعته .ثمّ عقّب ذلک باستشهاد اللّه سبحانه علی أنّ قصده بمنافسته فی أمر الخلافه لم يكن فی سلطان و لا لفضل حطام دنيویّ ،و لكن للغايه الّتی ذكرها من ردّ معالم الدين و هی الآثار الّتی يهتدی بها و كذا سائر ما عدّده من المصالح .ثمّ تلا ذلک الاستشهاد باستشهاده علی أنّه أوّل من أناب.أی رجع إلی اللّه تعالی عمّا لعلّه كان يعدّ فی حقّه ذنبا،و سمع:أی أطاع اللّه و أجاب:أی داعی اللّه .ثمّ استثنی سبق الرسول صلّی اللّه عليه و آله و سلّم إلی الدين بالصلاه و ذلک أمر معلوم من حاله،و إنّما يقول خصمه:إنّه حين تبع الرسول صلّی اللّه عليه و آله و سلّم كان طفلا لا اعتداد بإسلامه.و سنذكر ذلک فی موضعه من الخطبه المسمّاه بالقاصعه، و غرضه من هذا الاستشهاد مع ما بعده من الإشاره إلی الرذائل الّتی ينبغی أن يكون الإمام منزّها عنها تقرير فضيلته ،و نبّه علی أنّ فيه من الفضائل ما يقابل تلک الرذائل بتعديدها و نفيها عن الإمام الوالی لامور المسلمين،و الإشاره إلی وجوه المقاصد اللازمه عنها،و تذكيرهم بما علموه من ذلک بقوله.و قد علمتم.إلی آخره:

أمّا البخيل فلشدّه حرصه على ما فى أيدى الناس من الرعيّه و قد عرفت ما يستلزمه من نفارهم عنه و عدم انتظام الأحوال به ،و أمّا الجاهل فلأنّه لجهله بقوانين الدين و تدبير امور العالم ضالّ و ضلاله يستلزم ضلال من اقتدى به و ذلك ضدّ مقصود الشارع ،و أمّا الجافى فلأنّ جفاءه يستلزم النفره و الانقطاع عنه و ذلك ضدّ الالفه و الاجتماع المطلوب للشارع ،و أمّا الخائف من الدول فيخصّص بعنايته من يخافه دون غيره و ذلك ظلم لا ينتظم معه نظام العالم ،و أمّا المرتشى فى الحكم فلظلمه و ذهابه بالحقوق و الوقوف فيها على الحيف دون المقاطع الحقّه.فترى أحد هؤلاء إذا أراد فصل قضيّه دافع بها طويلا و صعّب الحقّ و عرّض بغموضه و أشار بالصلح بين الخصمين مع ظهور الحقّ لأحدهما و كانت غايته من ذلك تخويف صاحب الحقّ من فواته ليجنح إلى الاصلاح[الصلح.خ]و الرضى ببعض حقّه مع أنّه قد يأخذ منه رشوه أيضا،و ربّما كانت فى المقدار كرشوه المبطل منهما.و لهم فى ذلك حيل يعرفها من عاناهم. «وَ اللّهُ الْمُسْتَعانُ عَلى ما تَصِفُونَ » ،و أمّا المعطّل للسنّه فلتضييعه قوانين الشريعه و إهمالها المستلزم لفساد النظام فى الدنيا و الهلاك الدائم فى الاخرى.و باللّه التوفيق.

۱۳۱–و من كلام له عليه السّلام

القسم الأول

اشاره

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَخَذَ وَ أَعْطَى- وَ عَلَى مَا أَبْلَى وَ ابْتَلَى- الْبَاطِنُ لِكُلِّ خَفِيَّهٍ- وَ الْحَاضِرُ لِكُلِّ سَرِيرَهٍ- الْعَالِمُ بِمَا تُكِنُّ الصُّدُورُ- وَ مَا تَخُونُ الْعُيُونُ- وَ نَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ- وَ أَنَّ؟مُحَمَّداً ص؟ نَجِيبُهُ وَ بَعِيثُهُ- شَهَادَهً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الْإِعْلاَنَ وَ الْقَلْبُ اللِّسَانَ

المعنى

أقول:الضمير فى قوله : نحمده .يعود إلى اسم اللّه فى كلام سابق لم يذكر، و قد علّم شكر اللّه تعالى على أخذه و إعطائه و على إبلائه بالخير و ابتلائه بالشرّ،

و نبّه بذلك على وجوب شكر اللّه تعالى فى طوارى السرّاء و الضرّاء و حالتى الشدّه و الرخاء ،فأمّا وصفه له بالباطن و الحاضر و العالم فقد سبق شرحه غير مرّه و مصداق الوصفين الأوّلين قوله تعالى «يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفى» (۱)،و مصداق الأخيرين قوله تعالى «يَعْلَمُ خائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَ ما تُخْفِي الصُّدُورُ» (۲)و كذلك سبقت الإشاره إلى سرّ الشهادتين.و نجيبه و بعيثه :منتخبه و مبعوثه.فعيل بمعنى مفعول.

و قوله : شهاده يوافق فيها.إلى آخره.

أى شهاده خالصه من النفاق و الرياء.و باللّه التوفيق.

القسم الثانى منه:

اشاره

:فَإِنَّهُ وَ اللَّهِ الْجِدُّ لاَ اللَّعِبُ- وَ الْحَقُّ لاَ الْكَذِبُ- وَ مَا هُوَ إِلاَّ الْمَوْتُ قَدْ أَسْمَعَ دَاعِيهِ- وَ أَعْجَلَ حَادِيهِ- فَلاَ يَغُرَّنَّكَ سَوَادُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ- فَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ- مِمَّنْ جَمَعَ الْمَالَ وَ حَذِرَ الْإِقْلاَلَ- وَ أَمِنَ الْعَوَاقِبَ طُولَ أَمَلٍ وَ اسْتِبْعَادَ أَجَلٍ- كَيْفَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَأَزْعَجَهُ عَنْ وَطَنِهِ- وَ أَخَذَهُ مِنْ مَأْمَنِهِ- مَحْمُولاً عَلَى أَعْوَادِ الْمَنَايَا- يَتَعَاطَى بِهِ الرِّجَالُ الرِّجَالَ- حَمْلاً عَلَى الْمَنَاكِبِ- وَ إِمْسَاكاً بِالْأَنَامِلِ- أَ مَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَأْمُلُونَ بَعِيداً- وَ يَبْنُونَ مَشِيداً وَ يَجْمَعُونَ كَثِيراً- كَيْفَ أَصْبَحَتْ بُيُوتُهُمْ قُبُوراً- وَ مَا جَمَعُوا بُوراً- وَ صَارَتْ أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ- وَ أَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ- لاَ فِي حَسَنَهٍ يَزِيدُونَ- وَ لاَ مِنْ سَيِّئَهٍ يَسْتَعْتِبُونَ- فَمَنْ أَشْعَرَ التَّقْوَى قَلْبَهُ بَرَّزَ مَهَلُهُ- وَ فَازَ عَمَلُهُ

۱- (۱) ۶-۲۰

۲- (۲) ۲۰-۴۰.

فَاهْتَبِلُوا هَبَلَهَا- وَ اعْمَلُوا لِلْجَنَّهِ عَمَلَهَا- فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مُقَامٍ- بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازاً- لِتَزَوَّدُوا مِنْهَا الْأَعْمَالَ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ- فَكُونُوا مِنْهَا عَلَى أَوْفَازٍ- وَ قَرِّبُوا الظُّهُورَ لِلزِّيَالِ

اللغه

أقول: المشيد: المعلّى .و الاهتبال فى الأمر: السعى فى إحكامه،و هبلها مصدر مضاف إلى ضمير التقوى مؤكّد للفعل:أى احكموها إحكاما .و الأوفاز: جمع وفزه و هى العجله ،

المعنى

و الضمير فى قوله: فإنّه .إمّا أن يرجع إلى مذكور سابق أو إلى معنى كلامه و هو التحذير و الإنذار ،و كذلك الّذى فى قوله: و ما هو إلاّ الموت .يحتمل أن يعود إلى ملفوظ به سابق و يحتمل أن يعود إلى المعنىّ بالتحذير منه و الإنذار به:أى و ما الّذى احذّركم هجومه عليكم إلاّ الموت،و أسمع و أعجل محلّهما النصب على الحال من معنى الإشاره.

و قوله : فلا يغرّنّك إلى قوله:و أمن العواقب.

أى فلا يغرّنّك من نفسك الأمّاره بالسوء و سوستها و استغفالها لك عن ملاحظه الموت برؤيه سواد الناس:أى كثرتهم .إذ كثيرا ما يرى الإنسان الميّت محمولا فيتداركه من ذلك رقّه و روعه.ثمّ يعاوده الوسواس الخنّاس و يأمره باعتبار كثره المشيّعين له من الناس و أن يجعل نفسه من الأحياء الكثيرين بملاحظه شبابه و صحّته و يأمره باعتبار أسباب موت ذلك الميّت من القتل و سائر الأمراض و باعتبار زوال تلك الأسباب فى حقّ نفسه،و بالجمله فيبعّد فى اعتباره الموت بكلّ حيله.فنهى السامعين عن الانخداع للنفس بهذه الخديعه،و أسند الغرور إلى سواد الناس لأنّه مادّته.ثمّ نبّههم بقوله : و قد رأيت.إلى قوله:يستعتبون .على كذب تلك الخديعه مشاهده،و الواو فى قوله :و قد.واو الحال،و من فى قوله:من جمع.بدل البعض من الكلّ من قوله:من كان قبلك.و المعنى أنّه كما نزل بأولئك الموت و أزعجهم عن أوطانهم فكذلك أنتم.

ص:١٥١

و قوله : طول أمل .نصب على المفعول له.

أى فعلوا ذلک لأجل طول الأمل،و يحتمل أن يكون مصدرا سدّ مسدّ الحال،و يحتمل أن يكون ظرفا و العامل أمن،و قيل:هو بدل من قوله:من كان قبلك:أى رأيت طول أمل من كان قبلك،و يروى بطول أمل.و أعواد المنايا:

النعوش،و يتعاطى به الرجال الرجال :أى يسلّمه الحاملون له بعضهم إلى بعض،و الخطاب بالكاف لنوع المخاطب أو لشخص على طريقه قولهم:إيّاک أعنى و اسمعى يا جاره.

و قوله: أما رأيتم؟ استفهام على سبيل التقرير،و إنّما كانوا لا يستطيعون زياده فى حسنه و لا استعتابا من سيّئه لأنّ محلّ الأعمال هى الدنيا دون ما بعدها.

و قوله : فمن أشعر التقوى قلبه.

أى من اتّقى تقوى حقيقه برزت تؤدته:أى ظهرت عليه آثار الرحمه الإلهيّه فى السكينه و الوقار و الحلم و الأناه عن التسرّع إلى مطالب الدنيا ،و علمت راحته فى الآخره،و فاز عمله فيها بالجزاء الأوفى .ثمّ أمرهم بإحكام التقوى:أى أن تتّقوا اللّه تقوى حقيقيّه فإنّها الّتى يستحقّ بها الثواب الدائم ،و أن يعملوا للجنّه عملها الّتى تستحقّ به .ثمّ نبّههم على وجوب العمل للجنّه بالتصريح بما لأجله خلقت الدنيا،و أنّها لم تخلق دار إقامه بل طريقا يعبر بها إلى الآخره كما يعبر المسافرون، و يتزوّد منها الأعمال الصالحه الموصله إلى الجنّه ،و أمرهم أن يكونوا فيها على سرعه فى قطع عقباتها و عجل فى الارتحال عنها لأنّ التأنّى فيها يستلزم الالتفات إلى لذّاتها و الغفله عن المقصد الحقّ، استعاره و استعار لفظ الظهور و هى الركوب لمطايا الآخره و هى الأعمال الصالحه،و تقريبها للزيال هو العنايه الإلهيّه بالأعمال المقرّبه إلى الآخره المستلزمه للبعد عن الدنيا و الإعراض عنها و مفارقتها .

۱۳۲-و من خطبه له عليه السّلام

القسم الأول

اشاره

وَ انْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَهُ بِأَزِمَّتِهَا- وَ قَذَفَتْ إِلَيْهِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرَضُونَ

مَقَالِيدَهَا- وَ سَجَدَتْ لَهُ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصَالِ الْأَشْجَارُ النَّاضِرَهُ- وَ قَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا النِّيرَانَ الْمُضِيئَهَ- وَ آتَتْ أُكُلَهَا بِكَلِمَاتِهِ الثِّمَارُ الْيَانِعَهُ

اللغه

أقول: المقاليد: المفاتيح جمع مقلد بكسر الميم .و اليانع من الثمار: المدرك .

و هذا الفصل يشتمل على تمجيد اللّه سبحانه و إظهار عظمه سلطانه.

فانقياد الدنيا و الآخره له بأزمّتها:دخولها ذلّ الإمكان و الحاجه إليه .

و قوله: و قذفت إليه السماوات و الأرضون مقاليدها.

كقوله تعالى «لَهُ مَقالِيدُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» (۱)قال ابن عبّاس و مقاتل:

المراد بمفاتيح السماوات و الأرض الرزق و الرحمه،و قال الليث:القلاد:

الخزانه.و مقاليد السماوات و الأرض خزائنهما، مجاز و أقول:لفظ القذف مجاز فى تسليمها و انقيادها بزمام الحاجه و الإمكان إلى قدرته مع جميع ما هى سبب فى وجوده فى هذا العالم ممّا هو رزق و رحمه للخلق ، استعاره و كذلك لفظ المفاتيح على رأى ابن عبّاس استعاره للأسباب المعدّه للأرزاق و الرحمه،و تلك الأسباب كحركات السماوات و اتّصالات بعض الكواكب ببعض و كاستعدادات الأرض للنبات و غيره، و وجه الاستعاره أنّ هذه الأسباب باعدادها الموادّ الأرضيّه تفتح بها خزائن الجود الإلهىّ كما تفتح الأبواب المحسوسه بمفاتيحها،و كلّها مسلّمه إلى حكمه و جريانها بمشيئته،و على قول الليث فلفظ الخزائن استعاره فى موادّها و استعدادتها،و وجه الاستعاره أنّ تلك الموادّ و الاستعدادات تكون فيها بالقوّه و الفعل جميع المحدثات من الأرزاق و غيرها كما يكون فى الخزائن ما يحتاج إليه .و سجود الأشجار الناضره له بالغدوّ و الآصال:خضوعها و ذلّها تحت قدرته و حاجتها إلى جوده ،و نسب قدح النيران إليها لما أنّها السبب المادّىّ و إن كان القدح حقيقه فى فعال السبب الفاعلىّ القريب،و جعل ذلك له تعالى لأنّه الفاعل الأوّل.

استعاره و قوله : و آتت.إلى آخره.

ص:۱۵۳

۱- ۱) ۶۳-۳۹.

فأراد بكلماته أوامره و أحكام قدرته المعبّر عنها بقوله:كن،و إطلاق الكلمات عليها استعاره وجهها نفوذ تلك الأحكام فى المحكومات كنفوذ الأوامر القوليّه فى المأمورات ،و أراد بإتيان الثمار دخولها طوعا فى الوجود المعبّر عنه بقوله تعالى «فَيَكُونُ» .و باللّه التوفيق و العصمه.

القسم الثانى منها:

اشاره

وَ كِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ- نَاطِقٌ لَا يَعْيَا لِسَانُهُ- وَ بَيْتٌ لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ- وَ عِزٌّ لَا تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ

أقول:هذا الفصل كأنّه فى معرض التوبيخ على ترك أوامر اللّه و مخالفه أحكامه

، و يشبه أن يكون الواو للحال كأنّه يقول:تفعلون كذا استعاره بالكنايه مرشحه-مجاز و كتاب اللّه بين أظهركم ناطق ،و كونه بين أظهرهم كنايه عن وجوده بينهم مع أنّ من شأنه أن يستند إليه، و استعار لفظ الناطق للكتاب باعتبار أن المكتوب يعبّر عن المقصود كما أنّ الناطق كذلك،و لفظ اللسان و أنّه لا يعيا ترشيح للاستعاره كنّى بها عن بيان الكتاب على مرور الأوقات،و يحتمل أن يريد باللسان نفسه عليه السّلام مجازا.إذ كان هو لسان الكتاب الّذى لا يفتر و لا يقصر عن بيان مقاصده ، استعاره و كذلك استعار لفظ البيت باعتبار كونه حافظا لحافظيه و العاملين به كما يحفظ البيت أهله،و أركانه:قواعده الكلّيّه الّتى يبنى عليها نظام العالم من الأوامر و النواهى و المواعظ و الحكم،و تلك القواعد لا تكاد تنهدم فى وقت من الأوقات.إذ الحكم الكلّيّه صالحه لجميع الأوقات ، مجاز إطلاقا لاسم اللازم على ملزومه و كونه عزّا مجاز إطلاقا لاسم اللازم على ملزومه.إذ كان حفظه و العمل به مستلزما للعزّ الدائم الّذى لا يعرض له ذلّ،و أعوانه هم اللّه و ملائكته و رسله و أولياؤه.

و أولئك أعوان لا خوف عليهم و لا انهزام لجمعيّتهم من أمر .و باللّه التوفيق.

القسم الثالث منها:

اشاره

:أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَهٍ مِنَ الرُّسُلِ- وَ تَنَازُعٍ مِنَ الْأَلْسُنِ- فَقَفَّى بِهِ الرُّسُلَ وَ خَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ- فَجَاهَدَ فِي اللَّهِ الْمُدْبِرِينَ عَنْهُ وَ الْعَادِلِينَ بِهِ

اللغه

أقول: قفّى به: اتّبع به من قبله .

و غرض الفصل الثناء على الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم .

فقوله: أرسله .إلى قوله: الألسن.

بيان لبعض أمارات النبوّه فإنّ منها الزمان المتطاول الّذى تندرس فيه الشريعه السابقه و القوانين الّتى بها نظام العالم و يحتاج الخلق إلى قوانين مجدّده لنظام أحوالهم.و حينئذ تجب بعثه رسول.و كان الفتره بين عيسى و محمّد عليهما السّلام ستّه مأئه و عشرين سنه ،و منها تنازع الألسن و اختلاف الخلق فى الآراء و المذاهب و قلّه الاتّفاق على قانون شرعىّ جامع لهم.

فقوله : فقفّى به الرسل.

كقوله تعالى «وَ قَفَّيْنا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ» (١).

و قوله: و ختم به الوحى.

كقوله «وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ» و هذا الختام مستفاد من الشريعه و ليس للعقل فى الحكم بانقطاع الرسل فيما بعد مجال بل ذلك من الامور الممكنه عنده.و المدبرون عن اللّه:المعرضون عن اتّباع أوامره و نواهيه.و العادلون به:الجاعلون له عديلا و هو النّد و المثل كالمشركين-تعالى عمّا يقولون علوّا كبيرا- استعاره و نسبه المجاهده إلى اللّه تعالى استعاره،و وجهها أنّه تعالى رمى بمحمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم المشركين كما يرمى المجاهد بنفسه و أعوانه مجاهديه .و باللّه التوفيق.

القسم الرابع منها:

اشاره

:وَ إِنَّمَا الدُّنْيَا مُنْتَهَى بَصَرِ الْأَعْمَى- لاَ يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئاً- وَ الْبَصِيرُ يَنْفُذُهَا بَصَرُهُ- وَ يَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا- فَالْبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ- وَ الْأَعْمَى إِلَيْهَا شَاخِصٌ- وَ الْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ- وَ الْأَعْمَى لَهَا مُتَزَوِّدٌ

اللغه

أقول: الشاخص: الذاهل و المسافر،و الشاخص أيضا الّذى يرفع بصره إلى الشىء و يمدّه إليه .

ص:١٥٥

١- ١) ٨١-٢.

و هذا الفصل مع قلّه ألفاظه يشتمل على لطائف :

فالاولی:

استعاره أنّ الدنيا منتهى بصر الأعمى شيئا .و استعار لفظ الأعمى للجاهل كقوله تعالى «فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَ لكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ» (۱)و وجه الاستعاره أنّ الجاهل لا يدرک بعين بصيرته الحقّ كما لا يدرک الأعمى من المبصرات ،و أشار بقوله: لا يبصر من ورائها شيئا إلى جهله بأحوال الموت و ما بعده من سعاده الآخره و شقاوتها.

فإن قلت:إنّه أثبت للأعمى العمى،و أثبت أنّه يبصر الدنيا و ذلک نوع مناقضه.

قلت:إنّه لمّا أراد بالأعمى أعمى البصيره و هو الجاهل استعاره لم يكن فی إثبات البصر الحسّی له و نظر الدنيا به مناقضه،و يحتمل أن يريد ببصره أيضا بصر بصيرته استعاره،و ظاهر أن منتهى بصر بصيره الجاهل التصرّف فی أحوال الدنيا و كيفيّه تحصيلها و التمتّع بها دون أن يفيده عبره لما ورائها من أحوال الآخره .

الثانيه:

استعاره بالكنايه قوله: و البصير ينفذها بصره .استعار لفظ البصير للعالم،و نفوذ بصره كنايه عن إدراكه ما وراء الدنيا من أحوال الآخره و علمه أنّها دار القرار .

الثالثه:

التجنيس التامّ-المطابقه قوله: فالبصير منها شاخص :أی راحل مسافر قد جعلها طريقا له إلى الآخره ، و الأعمى إليها شاخص :أی متطلّع إليها بعين بصيرته و وهمه و إن كان أعمى عن مصالحه الحقيقيّه و عن آفاتها و طرقها المخوفه،و فی هذه الكلمه مع الّتی قبلها من أقسام البديع التجنيس التامّ و المطابقه بين الأعمى و البصير .

الرابعه:

قوله: و البصير منها متزوّد :أی بالتقوى و الأعمال الصالحه فی سفره إلى اللّه تعالى ، و الأعمى لها متزوّد :أی متّخذ للذّاتها و قيناتها زادا له فی قطعها مدّه عمره قد جعل ذلک هو الزاد الحقيقیّ و الكمال الّذی ينبغی له و هی فی البديع كالّتی قبلها.و باللّه التوفيق.

ص:۱۵۶

۱- ۱) ۴۵-۲۲.

القسم الخامس منها

اشاره

:وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ- إِلاَّ وَ يَكَادُ صَاحِبُهُ يَشْبَعُ مِنْهُ- وَ يَمَلُّهُ إِلاَّ الْحَيَاهَ فَإِنَّهُ لاَ يَجِدُ فِي الْمَوْتِ رَاحَهً- وَ إِنَّمَا ذَلِكَ بِمَنْزِلَهِ الْحِكْمَهِ- الَّتِي هِيَ حَيَاهٌ لِلْقَلْبِ الْمَيِّتِ- وَ بَصَرٌ لِلْعَيْنِ الْعَمْيَاءِ- وَ سَمْعٌ لِلْأُذُنِ الصَّمَّاءِ- وَ رِيٌّ لِلظَّمْآنِ وَ فِيهَا الْغِنَى كُلُّهُ وَ السَّلاَمَهُ- كِتَابُ اللَّهِ تُبْصِرُونَ بِهِ- وَ تَنْطِقُونَ بِهِ وَ تَسْمَعُونَ بِهِ- وَ يَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ- وَ يَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ- وَ لاَ يَخْتَلِفُ فِي اللَّهِ- وَ لاَ يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللَّهِ- قَدِ اصْطَلَحْتُمْ عَلَى الْغِلِّ فِيمَا بَيْنَكُمْ- وَ نَبَتَ الْمَرْعَى عَلَى دِمَنِكُمْ- وَ تَصَافَيْتُمْ عَلَى حُبِّ الْآمَالِ- وَ تَعَادَيْتُمْ فِي كَسْبِ الْأَمْوَالِ- لَقَدِ اسْتَهَامَ بِكُمُ الْخَبِيثُ وَ تَاهَ بِكُمُ الْغُرُورُ- «وَ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ» عَلَى نَفْسِي وَ أَنْفُسِكُمْ

اللغه

أقول: الدمن: ما تلبّد من آثار الناس و ما اسوّد و هو جمع دمنه :و الغلّ:

الغشّ و الحقد .

المعنى

و قد استثنى الحياه ممّا يشبع منه و يملّ ثمّ علّل عدم ملال الحياه بفقدان الراحه فى الموت.قال بعض الشارحين:إنّ فقدان الراحه فى الموت مخصوص بأهل الشقاوه فى الآخره فأمّا أولياء اللّه و عباده الصالحون فلهم فى الموت الراحه الكبرى كما أشار إليه سيّد المرسلين صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:ليس للمؤمن راحه دون لقاء اللّه.و قال بعضهم:بل يحمل على العموم مراعاه لظاهر الكلام و ذلك من وجهين:

أحدهما:أنّ بالموت يفوت متجر الآخره و ينقطع الاستعداد لكمال أشرف ممّا حصل عليه الميّت و إن كان وليّا فلا جرم لا يجد الراحه الّتى تلحقه بما يفوته من ذلك الكمال.

الثانی:أنّ النفوس البشریّه لمّا لم یکن معارفها ضروریّه و لم یتمکّن ما دامت فی هذه الأبدان من الاطّلاع علی ما بعد الموت من سعاده أو شقاوه فبالحریّ أن لا تجد لها راحه تتصوّرها فی الموت.قال:و ذلک لا ینافی الخبر:لیس للمؤمن راحه دون لقاء اللّه:أمّا علی الوجه الأوّل فلأنّ الراحه الحاصله من الکمال الفائت بالموت لا تحصل له و إن حصل علی راحه ما بحسب طاعته السابقه،و أمّا علی الثانی فلأنّ المؤمن لا یجد له ما دام فی الدنیا راحه فی الموت و ذلک لا ینافی أن تحصل له الراحه عند لقاء اللّه کما نقل أنّ الحسن علیه السّلام لمّا آن سفره إلی الآخره بکی فقال له أخوه الحسین علیه السّلام:ما لی أراک تکاد تجزع مع یقینک بأنّک تقدم حیث تقدم علی جدّک و أبیک.فقال:نعم یا أخی لا شکّ فی ذلک إلاّ أنّنی سالک مسلکا لا أسلکه من قبل.و أقول:إن کان مراده علیه السّلام بقوله:لا یجد فی الموت راحه:أی فی نفس الموت مع قطع النظر عن غیره من أحوال الآخره فالحقّ قول من عمّم فقدان الراحه فی حق الجمیع.إذ الموت من حیث هو موت لا راحه فیه لأحد من الناس کافّه،و إن کان مراده فقدان الراحه فی الموت و ما بعده فالحقّ التخصیص بأهل الشقاوه الدائمه.فإنّ شدّه محبّه الحیاه و نقصانها متفاوته بحسب تصوّر زیاده الراحه فی الآخره و نقصانها،و ذلک ظاهر عند اعتبار أهل الدنیا المقبلین علیها بالکلّیّه،و أهل الآخره المقبلین علیها بالکلّیّه،و من بینهم من طبقات السالکین .

و قوله: و إنّما ذلک.

أی الأمر الّذی هو أحقّ بأن لا یملّ و لا یشبع منه بمنزله الحکمه :أی ما کان بمنزله الحکمه،و الحکمه فی لسان الشریعه هی العلم النافع فی الآخره، و قد یطلق علی ما هو أعمّ من ذلک.ثمّ ذکر لها أوصافا:

الأوّل:أنّها حیاه للقلب المیّت،و قد مرّ أنّ القلب فی عرف العارفین هی النفس الإنسانیّه، استعاره و استعار للحکمه لفظ الحیاه ،و وجه المشابهه کون الحیاه بها وجود القلب و بقائه کما أنّ الحکمه بها بقاء الإنسان و سعادته فی الدارین،و کذلک استعار لفظ المیّت للقلب الجاهل باعتبار أنّه غیر مطّلع علی وجوه مصالحه و مفاسده

فى الدارين غير مهتد لانتفاع أو دفع تضرّر كالميّت.

الثانى :استعار لفظ البصر للحكمه،و وصف العمياء لعين الجاهل.ثمّ يجوز أن يكون لفظ العين أيضا استعاره فى بصيره الجاهل،و يجوز أن يكون المراد حقيقته، و وجه الاستعاره الاولى:أنّ بالحكمه يبصر الإنسان مقاصده و يهتدى وجوه مصالحه الدنيويّه و الاخرويّه كما يهتدى البصير بعينه وجوه مسالكه و مقاصده،و وجه الثانيه:أنّ بصيره الجاهل لا تهتدى لتلك الوجوه كما لا تهتدى العين العمياء إلى شىء، و وجه الثالثه:أنّ بصر الجاهل تابع لبصيرته فإقدامه و إحجامه و تصرّفاته المنسوبه إلى حسّ البصر و غيره تابعه لما يتصوّره،و لمّا كانت تلك التصرّفات غير نافعه فى الأكثر بل قد يكون ضارّه لا جرم أشبهت عينه الباصره الّتى وقع بها سوء ذلك التصرف العين العمياء فاستعير لها لفظها و كذلك استعار لفظ السمع و لفظ الصّماء للاذن،و وجه الاستعارات ما سبق فإنّ المراد بالسمع إدراك البصيره.و الاذن يحتمل أن يراد بها البصيره استعاره،أو الاذن المحسوسه ،و كذلك استعار لفظ الرّى للحكمه،و لفظ الظمآن للجاهل،و وجه الاولى:أنّ الحكمه تملأ النفس و تجدها شفاء لها من داء الجهل كما يملأ الماء جوف الظمآن و ينقع غلّته و يشفى من ألم الظماء،و وجه الثانيه:أنّ الجاهل يلحقه ألم الجهل و يكون سببا لموته فى الآخره كما يلحق الظمآن ألم الظمأ .

الثالث:أنّ فيها الغنى كلّه و السلامه،و أراد بالغنى غنى النفس عن كلّ شىء و كمالها بها فإنّ غايه الحكمه الوصول إلى الحقّ سبحانه و الغرق فى بحار معرفته و فى ذلك غنى العارفين عن كلّ شىء،و أراد بالسلامه سلامه النفوس من عذاب الجهل.إذ ثبت فى اصول الحكمه أنّه السبب الأكبر فى الهلاك الاخروىّ .

قوله: كتاب اللّه.

خبر مبتدأ:إمّا خبر ثان لذلك،و ما كان بمنزله الحكمه خبر أوّل،أو لمبتدأ محذوف تقديره و هو كتاب اللّه،و يحتمل أن يكون عطف بيان لما كان بمنزله الحكمه و ذكر له أوصافا:

الأوّل:قوله: تبصرون به .إشاره إلى اشتمال الكتاب على الحكمه،و وجه شبهه بها أنّ به إبصار الجاهلين لمقاصدهم الدنيويّه و الاخرويّه لما فيه من الحكمه.

الثانى:و كذلك ينطقون به.

الثالث:و يسمعون به .

الرابع:قوله: ينطق بعضه ببعض .أى يفسّر بعضه ببعض كالمبيّن المفسّر للمجمل،و المقيّد المبيّن للمطلق،و المخصّص المبيّن للعامّ .

الخامس: و يشهد بعضه على بعض :أى يستشهد ببعضه على أنّ المراد بعض آخر و هو قريب ممّا قبله .

السادس:قوله: و لا يختلف فى اللّه .أى لمّا كان مدار الكتاب على بيان القواعد الكلّيّه الّتى بها يكون صلاح حال نوع الإنسان فى معاشه و معاده و كانت غايه ذلك الجذب إلى اللّه سبحانه و الوصول إلى جواره لم يكن فيه لفظ يختلف فى الدلاله على هذه المقاصد بل كلّه متطابق الألفاظ على مقصود واحد و هو الوصول إلى الحقّ -سبحانه-بصفه الطهاره عن نجاسات هذه الدار و إن تعدّدت الأسباب الموصله إلى ذلك المقصود .

السابع:قوله: و لا يخالف بصاحبه عن اللّه .أى لا يجوز بالمهتدين بأنواره فى سلوك سبيل اللّه عن الغايه الحقيقيّه و هو اللّه-سبحانه -.

استعاره و قوله: قد اصطلحتم.إلى آخره.

توبيخ للسامعين على ارتكاب رذائل الأخلاق،و استعار لفظ الاصطلاح لسكوتهم عن إنكار بعضهم على بعض ما يصدر عنه من المنكر كالغشّ و الحقد و الحسد،و اشتراكهم فى تلك الرذائل .

و قوله: و نبت المرعى على دمنكم.

يضرب مثلا للمتصالحين فى الظاهر مع غلّ القلوب فيما بينهم،و وجه مطابقه المثل أنّ ذلك الصلح سريع الزوال لا أصل له كما يسرع جفاف النبات فى الدمن .

و قوله: تصافیتم علی حبّ الآمال.

إشاره إلی وجه الصلح الّذی ذکره و لذلک اسقط حرف العطف هنا .

و قوله: و تعادیتم فی کسب الأموال.

إشاره إلی وجه الغلّ الّذی أشار إلیه:أمّا الأوّل:فلأنّ الجامع للناس فی الظاهر هو ما یؤمّل کلّ من صاحبه من الانتفاع به أو دفع شرّه فیما هو بصدده من المأمولات الدنیویّه و إن انطوی له علی غلّ کما هو المتعارف فی زماننا،و أمّا الثانی:فلأنّ الأحقاد و العداوات أغلب ما تکون علی مجاذبه أموال الدنیا و قیناتها .

و قوله: لقد استهام بکم الخبیث.

أی اشتدّ عشقه لکم و لازمکم،و أراد بالخبیث إبلیس،و ذلک تنبیه علی ما یظهر منهم من آثار وسوسته و ملازمتهم لما ینهون عنه،و کذلک قوله: و تاه بکم الغرور :أی استغفلکم فتهتم فی استغفاله لکم عن سواء سبیل اللّه،و الغرور هو الشیطان کما قال تعالی «وَ لا یَغُرَّنَّکُمْ بِاللّهِ الْغَرُورُ » (1).ثمّ ختم باستعانه اللّه تعالی له و لهم علی النفوس الأمّاره بالسوء:أمّا فی حقّه علیه السّلام ففی دوامها مقهوره لعقله،و أمّا فی حقّهم قهرها و قمعها.و باللّه التوفیق.

۱۳۳-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

و قد شاوره عمر بن الخطاب

فی الخروج إلی غزو الروم بنفسه

وَ قَدْ تَوَکَّلَ اللَّهُ- لِأَهْلِ هَذَا الدِّینِ بِإِعْزَازِ الْحَوْزَهِ- وَ سَتْرِ الْعَوْرَهِ وَ الَّذِی نَصَرَهُمْ- وَ هُمْ قَلِیلٌ لاَ یَنْتَصِرُونَ- وَ مَنَعَهُمْ وَ هُمْ قَلِیلٌ لاَ یَمْتَنِعُونَ- حَیٌّ لاَ یَمُوتُ- إِنَّکَ مَتَی تَسِرْ إِلَی هَذَا الْعَدُوِّ بِنَفْسِکَ- فَتَلْقَهُمْ فَتُنْکَبْ- لاَ تَکُنْ لِلْمُسْلِمِینَ

۱- ۱) ۳۴-۳۱.

كَانِفَهُ دُونَ أَقْصَى بِلاَدِهِمْ- لَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ- فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ رَجُلاً مِحْرَباً- وَ احْفِزْ مَعَهُ أَهْلَ الْبَلاَءِ وَ النَّصِيحَهِ- فَإِنْ أَظْهَرَ اللَّهُ فَذَاكَ مَا تُحِبُّ- وَ إِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى- كُنْتَ رِدْءاً لِلنَّاسِ وَ مَثَابَهً لِلْمُسْلِمِينَ أقول:ذلك حين خرج قيصر الروم فى جماهير أهلها إلى المسلمين،و انزوى خالد بن الوليد فلازم بيته و صعب الأمر على أبى عبيده بن الجرّاح.و شرحبيل بن حسنه و غيرهما من امراء سرايا الإسلام.

اللغه

و حوزه كلّ شىء: بيضته و جمعيّته .و كنفه: حفظه و آواه .و المحرب بكسر الميم: الرجل صاحب حروب .و حفز كذا: أى دفعه.و حفزه ضمّه إلى غيره .

و أظهر اللّه على فلان: نصر عليه .و الرده: العون .و المثابه: المرجع.

المعنى

كنايه-استعاره و قوله: و قد توكّل اللّه.إلى قوله:لا يموت.

صدر لهذه النصيحه و الرأى،نبّه فيه على وجوه التوكّل على اللّه و الاستناد إليه فى هذا الأمر،و خلاصتها أنّه ضمن إقامه هذا الدين و إعزاز حوزه أهله، و كنّى بالعوره عن هتك الستر فى النساء،و يحتمل أن يكون استعاره لما يظهر عليهم من الذلّ و القهر لو اصيبوا فضمن سبحانه ستر ذلك بإفاضه النصر عليهم،و هذا الحكم من قوله تعالى «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ كَما اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضى لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً » (۱).

و قوله: و الّذى نصرهم.إلى آخر الصدر.

احتجاج فى هذه الخطابه يشبه أن يكون تمثيلا،و تلخيصه أنّ الّذى نصرهم حال قلّتهم حىّ لا يموت فهو ينصرهم حال كثرتهم.فأصل التمثيل هو حال قلّتهم و فرعه حال كثرتهم،و حكمه النصر و علّه ذلك الحكم هو حياته الباقيه الّتى لا يعاقبها موت .

۱- ۱) ۵۴-۲۴.

و قوله: إنّك متى تسر.إلى آخره.

نفس الرأى و خلاصه المشوره بعدم خروجه بنفسه،و وجه هذا الرأى تجويز النكبه و انقهاره عند ملاقات العدوّ مع أنّه يومئذ ظهر المسلمين الّذين يلجؤن إليه.فلو انكسر لم تبق لهم كانفه قوام يحوطهم،و لا جمع يستندون إليه .ثمّ بإخراج من يقوم مقامه من أهل النجده ممّن عرف بكثره الوقايع و الحروب فيكون على بصيره فى أمر الحرب،و أن يضمّ إليه أهل البلاء:أى المختبرون فى النصيحه و المجرّبون فى الوقائع .ثمّ استنتج من هذا الرأى أنّه إن نصر اللّه المسلمين فذاك الّذى تحبّ ،و إن تكن الاخرى:أى الانكسار و عدم الانتصار كان للمسلمين ظهر يستندون إليه و مأمن يأوون إليه.

۱۳۴-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

قد وقعت مشاجره بينه و بين عثمان فقال المغيره ابن أخنس لعثمان:أنا أكفيكه.فقال أمير المؤمنين عليه السّلام:

يَا ابْنَ اللَّعِينِ الْأَبْتَرِ- وَ الشَّجَرَهِ الَّتِى لاَ أَصْلَ لَهَا وَ لاَ فَرْعَ- أَنْتَ تَكْفِينِى- فَوَ اللَّهِ مَا أَعَزَّ اللَّهُ مَنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ- وَ لاَ قَامَ مَنْ أَنْتَ مُنْهِضُهُ- اخْرُجْ عَنَّا أَبْعَدَ اللَّهُ نَوَاكَ ثُمَّ ابْلُغْ جَهْدَكَ- فَلاَ أَبْقَى اللَّهُ عَلَيْكَ إِنْ أَبْقَيْتَ أقول:هذه المشاجره كانت فى زمن ثوران الفتنه على عثمان فى خلافته،و كان الناس يستسفرونه عليه السّلام إليه.

اللغه

و الأبتر: كلّ أمر انقطع من الخير أثره .و النوى: المقصد الّذى ينويه المسافر من قرب أو بعد .و النوى: لغه فى النأى:و هو البعد .

المعنى

استعاره بالكنايه و قد ذمّ المغيره بسقوط الأصل،و لعنه .و استعار لبيته لفظ الشجره ،و كنّى بنفى أصلها و فرعها عن سقوط بيته و دناءته و حقارته فى الناس .ثمّ استفهمه عمّا

ص:۱۶۳

ادّعی من الکفـایه له اسـتفهاما علی سبیـل الإنکـار و الاسـتحقار له ،و أقسم أنّ اللّه لا یعزّ من هو ناصـره،و إنّما یعزّ اللّه من نصـره أولیاء اللّه و أهل عنایته،و من لم یعزّ اللّه لم یقم من نهضته کقوله تعالی «إِنْ یَنْصُرْکُمُ اللّهُ فَلا غالِبَ لَکُمْ وَ إِنْ یَخْذُلْکُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِی یَنْصُرُکُمْ مِنْ بَعْدِهِ » (۱).ثمّ دعا علیه بإبعاد اللّه مقصده .

و قوله: أبلغ جهدک.

أی فی الأذی فلا أبقی اللّه علیک إن أبقیت،أی لارعاک و لا رحمک إن راعیتنی.

یقال:أبقیت علی فلان إذا راعیته و رحمیته.

۱۳۵-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

لَمْ تَکُنْ بَیْعَتُکُمْ إِیَّایَ فَلْتَهً- وَ لَیْسَ أَمْرِی وَ أَمْرُکُمْ وَاحِداً- إِنِّی أُرِیدُکُمْ لِلَّهِ وَ أَنْتُمْ تُرِیدُونَنِی لِأَنْفُسِکُمْ- أَیُّهَا النَّاسُ أَعِینُونِی عَلَی أَنْفُسِکُمْ- وَ ایْمُ اللَّهِ لَأُنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ وَ لَأَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ- حَتَّی أُورِدَهُ مَنْهَلَ الْحَقِّ وَ إِنْ کَانَ کَارِهاً

اللغه

أقول: الفلته: الأمر یقع بغیر تدبّر و لا رویّه .و الحزامه: الحلقه من الشعر یجعل فی أنف البعیر .

المعنی

و مفهوم قوله: لم تکن بیعتکم إیّای فلته .أنّهـا لمّـا کانت عن تـدبّر و اجتماع رأی منکم لم یکن لأحـدکم بعـدها أن یخالف أو یندم علیها،و فیه تعریض ببیعه أبی بکر حیث قال عمر فیها:کانت بیعه أبی بکر فلته وقی اللّه شرّها .

و قوله: و لیس أمری و أمرکم واحدا.

إشـاره إلی الاختلاف بین حرکـاته و مقاصـدهم .ثمّ بیّن الفرق بقوله: إنّی اریـدکم للّه :أی إنّما اریـد طاعتکم لإقامه دین اللّه،و إقامه حدوده، و أنتم تریدوننی

ص:۱۶۴

۱- ۱) ۳-۱۵۴.

لأنفسكم :أى لحظوظ أنفسكم من العطاء و التقريب و ساير منافع الدنيا .ثمّ لمّا وبّخهم بذلك أيّه بهم،و طلب منهم الإعانه على أنفسهم:أى بالطاعه له و امتثال أوامره . استعاره مرشحه فأقسم لينصفنّ المظلوم و ليقودنّ الظالم بخزامته ، استعاره و كذلك استعار لفظ المنهل للحقّ.و وجه الاستعار كونه موردا يشفى به ألم المظلوم كما يشفى به ألم العطشان.

و باللّه التوفيق.

۱۳۶-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

فى معنى طلحه و الزبير

القسم الأول

اشاره

وَ اللَّهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَراً- وَ لاَ جَعَلُوا بَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ نِصْفاً- وَ إِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقّاً هُمْ تَرَكُوهُ وَ دَماً هُمْ سَفَكُوهُ- فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ نَصِيبَهُمْ مِنْهُ- وَ إِنْ كَانُوا وَلُوهُ دُونِي فَمَا الطَّلِبَهُ إِلاَّ قِبَلَهُمْ- وَ إِنَّ أَوَّلَ عَدْلِهِمْ لَلْحُكْمُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ- وَ إِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي مَا لَبَسْتُ وَ لاَ لُبِسَ عَلَيَّ- وَ إِنَّهَا لَلْفِئَهُ الْبَاغِيَهُ فِيهَا الْحَمَأُ وَ الْحُمَّهُ- وَ الشُّبْهَهُ الْمُغْدِفَهُ وَ إِنَّ الْأَمْرَ لَوَاضِحٌ- وَ قَدْ زَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ نِصَابِهِ- وَ انْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ شَغْبِهِ- وَ ايْمُ اللَّهِ لَأُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ- لاَ يَصْدُرُونَ عَنْهُ بِرِيٍّ- وَ لاَ يَعُبُّونَ بَعْدَهُ فِي حَسْيٍ

اللغه

أقول: النصف: النصفه .و الطلبه بكسر اللام: المطلوب .و الحمأ: الطين الأسود المنتن كما قال تعالى «مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ» (۱)و يروى الحما بألف مقصوره.

و الحمه بضمّ الحاء و تخفيف الميم و فتحها: اسم العقرب .و المغدفه بالدال و الفاء :

ص:۱۶۵

۱- ۱) ۲۶-۱۵.

المظلمه.يقال:أغدف الليل إذا اشتدّ ظلامه،و روى:المغدفه بفتح الدال:الخفيّه.

و أصله أنّ المرأه تغدف وجهها بالقناع .و زاح الباطل: انحرف .و نصابه: أصله و مقرّه .و لافرطنّ: لأملأنّ .و الشغب بالتسكين: المشاغبه و تهييج الشرّ .

و الماتح بنقطتين من فوق: المستقى،و بنقطتين من تحت:الّذى يملأ الدلو فى البئر .

و العبّ: الشرب .و الحسى بكسر الحاء و سكون السين: الماء الّذى يشربه الرمل فينتهى إلى أرض صلبه تحفظه ثمّ يحفر عنه فيستخرج .

المعنى

و اعلم أنّ قوله: و اللّه .إلى قوله: و لا لبس علىّ .قد تقدّم تفسيره فى قوله:

ألا ـ و إنّ الشيطان قد ذمّر حزبه.و فى فصل قبله بروايه اخرى فلا ـ حاجه إلى إعادته . استعاره و أمّا قوله: و إنّها للفئه الباغيه فيها الحمأ و الحمه .فقال بعض الشارحين:

فى تعريف الفئه بالألف و اللام تنبيه على أنّه كان عنده علم من الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه ستبغى عليه فئه من غير تعيين لها.فلمّا خرجت هذه الفئه علمها بإماراتها،و قد سبق أيضا تفسير الحمأ و الحمه على بعض الروايات،و أمّا على هذه الروايه فاستعاره للغلّ و الفساد الّذى كان فى صدور هذه الفئه،و وجه الاستعاره استلزامه لتكدير الإسلام و إثاره الفتنه بين المسلمين كما تكدّر الحمأ الماء و تخبثه،و استلزامه للأذى و القتل كما يستلزم ذلك سمّ العقرب،و أشار بالشبهه المغدفه إلى شبهتهم فى الطلب بدم عثمان،و استعار لها وصف الظلمه لعدم اهتداء أكثر الخلق فيها حتّى قتلوا بسببها كما لا يهتدى فى الليل المظلم استعاره مرشحه و قوله: و إنّ الأمر لواضح.إلى قوله:شغبه.

نفى لتلك الشبهه عن نفسه و ولايته،و أنّ الحقّ واضح فى حاله لا أصل للباطل فيه و لا لسان يشغب به،و لفظه اللسان استعاره،و الشغب ترشيح لها .و باقى الفصل قد تقدّم تفسيره أيضا فى الفصل المذكور.

القسم الثانى منه

اشاره

فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُوذِ الْمَطَافِيلِ عَلَى أَوْلاَدِهَا- تَقُولُونَ الْبَيْعَهَ الْبَيْعَهَ- قَبَضْتُ كَفِّي فَبَسَطْتُمُوهَا- وَ نَازَعْتُكُمْ يَدِي فَجَاذَبْتُمُوهَا- اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا

قَطَعَانِی وَ ظَلَمَانِی- وَ نَكَثَا بَیْعَتِی وَ أَلَّبَا النَّاسَ عَلَیَّ- فَاحْلُلْ مَا عَقَدَا وَ لاَ تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أَبْرَمَا- وَ أَرِهِمَا الْمَسَاءَةَ فِیمَا أَمَّلاَ وَ عَمِلاَ- وَ لَقَدِ اسْتَثَبْتُهُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ- وَ اسْتَأْنَیْتُ بِهِمَا أَمَامَ الْوِقَاعِ- فَغَمَطَا النِّعْمَهَ وَ رَدَّا الْعَافِیَهَ

اللغه

أقول: العوذ: جمع عوذه و هی الناقه المسنّه .و المطافیل: جمع مطفل بضم المیم و هی قریبه العهد بالنتاج .و التألیب: التحریص .و أبرمت الأمر: أحكمته .

و استثبتّهما بالثاء المعجمه بثلاث نقط: طلبت رجوعهما،و یروی بالتاء من التوبه .

و استأنیت: انتظرت .

المعنی

و هذا الفصل احتجاج علی طلحه و الزبیر و من تابعهما علی نكث بیعته .

تشبیه فقوله: فأقبلتم.إلی قوله:فجاذ بتموها.

یجری مجری صغری قیاس ضمیر من الشكل الأوّل،و تلخیصها أنّكم اجتهدتم علیّ فی طلب البیعه حتّی بایعتكم و أخذت عهودكم.و تقدیر الكبری و كلّ من اجتهد اجتهادكم إلی تلك الغایه فیجب علیه الوفاء بعهده.و الصغری مسلّمه منهم.و برهان الكبری الكتاب «یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ» (۱)و «أَوْفُوا بِعَهْدِ اللّهِ إِذا عاهَدْتُمْ» (۲)الآیه،و قد شبّه إقبالهم علیه طالبین للبیعه بإقبال مسنّات النوق علی أطفالها،و وجه التشبیه شدّه الإقبال و الحرص علی مبایعته، و خصّ المسنّات لأنّها أقوی حنّه علی أولادها ،و نصب البیعه علی الإغراء،و فائده التكریر فی الإغراء تأكید الأمر الدالّ علی شدّه الاهتمام بالمأمور به.و قال بعض الشارحین:فایده التكرار دلاله المنصوب الأوّل علی تخصیص الأمر الأوّل بالحال،و دلاله الثانی علی تخصیص الأمر الثانی بالمستقبل:أی خذ البیعه فی الحال و خذها للاستقبال.قال:و كذلك قوله:اللّه اللّه:أی أتّقوا اللّه فی الحال و اتّقوه فی الاستقبال.

و أقول:إنّ ذلك غیر مستفاد من اللفظ بإحدی الدلالات .

۱- (۱) ۱-۵.

۲- (۲) ۹۳-۱۶.

و قوله: اللّهم إلى قوله: علىّ.

شكايه إلى اللّه منهم فى امور ثلاثه:قطع رحمه و ظلمهما له بمطالبتهما له بغير حقّ لهما عنده.ثمّ نكث بيعته.ثمّ جمع الناس على قتاله .

و قوله: فاحلل.

دعاء عليهما بأمور ثلاثه:أن يحلّ ما عقدا من العزوم الفاسده الّتى فيها هلاك المسلمين ،و أن لا يحكم ما أبرماه من الإغراء فى حربه ،و أن يريهما المسئاه فى آمالهما و أعمالهما:أى عكس أغراضهما فيهما.و استجابه دعاءه ظاهره بقتلهما.

و قوله : و لقد استثبتّهما.إلى قوله:الوقاع.

إظهار لعذره مع الناس فى حقّهما قبل وقاع الحرب بتأنّيه فيه فى حقّهما، و استعطافه لهما فى الرجوع إلى الحقّ و استتابته لهما من ذنبهما فى نكث البيعه.

و قوله: فغمطا.إلى آخره.

بيان لجوابهم عن إعذاره إليهم و هو مقابلتهم نعمه اللّه:أى قسمهما من الفىء بالاحتقار لها و النظر عليها.إذ كان أحد الأسباب الباعثه لهما على منافرته هو التسويه بينهم و بين غيرهم فى العطاء،و كذلك مقابلتهم للسلامه و العافيه من بلاء الحرب و الشقاق و هلاك الدين و النفس فى عاقبه فعلهما بردّهما لهما و الإصرار على الحرب و المنابذه من غير نظر فى عاقبه أمرها.و باللّه التوفيق.

۱۳۷-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

فى ذكر الملاحم

القسم الأول

يَعْطِفُ الْهَوَى عَلَى الْهُدَى- إِذَا عَطَفُوا الْهُدَى عَلَى الْهَوَى- وَ يَعْطِفُ الرَّأْىَ عَلَى؟الْقُرْآنِ؟- إِذَا عَطَفُوا؟الْقُرْآنَ؟ عَلَى الرَّأْىِ
أقول:الإشاره فى هذا الفصل إلى وصف الإمام المنتظر فى آخر الزمان الموعود به فى الخبر و الأثر .

فقوله: يعطف الهوى على الهدى أى يردّ النفوس الحايره عن سبيل اللّه المتّبعه لظلمات أهوائها عن طرقها الفاسده و مذاهبها المختلفه إلى سلوك سبيله و اتّباع أنوار هداه،و ذلك إذا ارتدّت تلك النفوس عن اتّباع أنوار هدى اللّه فى سبيله الواضح إلى اتّباع أهوائها فى آخر الزمان،و حين ضعفت الشريعه و زعمت أنّ الحقّ و الهدى هو ذلك .

و كذلك قوله: و يعطف الرأى على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأى :أى يردّ على كلّ رأى رآه غيره إلى القرآن فيحملهم على ما وافقه منها دون ما خالفه،و ذلك إذا تأوّل الناس القرآن و حملوه على آرائهم و ردّوه إلى أهوائهم كما عليه أهل المذاهب المتفرّقه من فرق الإسلام كلّ على ما خيل إليه،و كلّ يزعم أنّ الحقّ الّذى يشهد به القرآن هو ما رآه و أنّه لا حقّ وراه سواه.و باللّه التوفيق.

القسم الثانى منها:

اشاره

حَتَّى تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ بَادِياً نَوَاجِذُهَا- مَمْلُوءَهً أَخْلاَفُهَا حُلْواً رَضَاعُهَا عَلْقَماً عَاقِبَتُهَا- أَلاَ وَ فِى غَدٍ وَ سَيَأْتِى غَدٌ بِمَا لاَ تَعْرِفُونَ- يَأْخُذُ الْوَالِى مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَى مَسَاوِئِ أَعْمَالِهَا- وَ تُخْرِجُ لَهُ الْأَرْضُ أَفَالِيذَ كَبِدِهَا- وَ تُلْقِى إِلَيْهِ سِلْماً مَقَالِيدَهَا- فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ السِّيرَهِ- وَ يُحْيِى مَيِّتَ الْكِتَابِ وَ السُّنَّهِ

اللغه

أقول: أخلاف الناقه . حلمات ضرعها .و أفاليذ: جمع الجمع لفلذه،و هى القطعه من الكبد و جمعها فلذ .

المعنى

كنايه فقوله: حتّى تقوم الحرب بكم على ساق.إلى قوله:عاقبتها.

كأنّه غايه لتخاذلهم عن طاعته فى أمر الحرب و لقاء العدوّ.كأنّه يقول:

إنّكم لا تزالون متخاذلين متقاعدين حتّى يشتدّ العدوّ و يقوم بكم الحرب على ساق.و قيامها على الساق كنايه عن بلوغها الغايه فى الشدّه،و بدوّ نواجدها

ص:۱۶۹

کنایه عمّا یستلزمه من الشدّه و الأذی،و هو من أوصاف الأسد عند غضبه.لأنّه حاول أن یستعیر لها لفظ الأسد فأتی بوصفه.

و قال بعض الشارحین:بدوّ النواجد فی الضحک:أی تبلغ بکم الحرب الغایه کما أنّ غایه الضحک أن تبدو النواجد.فهی أقصی الأضراس.فکنّی بذلک عن إقبالها.

قلت:هذا و إن کان محتملا إلاّ أنّ الحرب مظنّه إقبال الغضب لا إقبال الضحک.فکان الأوّل أنسب.

و کذلک قوله : مملوّه أخلافها .استعاره لوصف الناقه لحال استعداد الحرب و استکمالها عدّتها و رجالها کاستکمال ضرع الناقه اللبن.

استعاره بالکنایه و قوله : حلوا رضاعها.

استعاره لوصف المرضع لها،و کنّی بحلاوه رضاعها عن إقبال أهل النجده فی أوّل الحرب علیها.فکلّ منهم یحبّ أن یناجز قرنه و یستحلی مغالبته کما یستحلی الراضع لبن امّه،و کذلک استعار لفظ العلقم لعاقبتها،و وجه الاستعاره المشابهه بین المرارتین الحسیّه و العقلیّه ،و المنصوبات الأربعه:بادیا،و مملوّه،و حلوا، و علقما.أحوال.و المرفوعات بعد کلّ منها فاعله،و إنّما ارتفع عاقبتها عن علقما مع أنّه اسم صریح لقیامه مقام اسم الفاعل کأنّه قال:مریره عاقبتها.

و قوله : ألا و فی غد .إخبار عن بعض الامور الّتی ستکون.

و قوله: و سیأتی غد بما لا تعرفون.

المراد به تعظیم شأن الموعود بمجیئه.و بیان لفضیلته علیه السّلام بعلم ما جهلوه.

و هو جمله اعتراضیّه کقوله تعالی «فَلاٰ أُقْسِمُ بِمَوٰاقِعِ النُّجُومِ وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِیمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ کَرِیمٌ» (1)فقوله:و إنّه لقسم.اعتراض.

و قوله : یأخذ الوالی من غیرها عمّالها.

یشبه أن یکون قد سبقه ذکر طائفه من الناس ذات ملک و إمره فأخبر علیه السّلام

ص:۱۷۰

۱- ۱) ۷۵-۵۶.

أنّ الوالى من غير تلك الطائفه-يؤمى به إلى الإمام المنتظر-يأخذ عمّالها على مساوى أعمالها:أى يؤاخذهم بذنوبهم.

استعاره مرشحه-مجاز و قوله : و تخرج الأرض أفاليذ كبدها.

استعار لفظ الكبد لما فى الأرض من الكنوز و الخزائن،و وجهها مشابهه الكنوز للكبد فى العزّه و الخفاء،و رشّح بذكر الأفاليذ.و قد ورد ذلك فى الخبر المرقوع،و من لفظه:و قادت له الأرض أفلاذ كبدها.و فسّر بعضهم قوله تعالى «وَ أَخْرَجَتِ اَلْأَرْضُ أَثْقالَها» بذلك.فأمّا كيفيّه ذلك الإخراج:فقال بعض المحقّقين:

هو إشاره إلى أنّ جميع ملوك الأرض تسلّم إليه مقاليد ممالكها طوعا و كرها و تحمل إليه الكنوز و الذخائر،و أسند الإخراج إلى الأرض مجازا لأنّ المخرج أهلها .و استبعد أن يكون الأرض بنفسها هى المخرجه لكنوزها.و لأهل الظاهر أن يقولوا إنّ المخرج يكون هو اللّه تعالى،و يكون ذلك من معجزات الإمام و لا مانع.

مجاز-كنايه و قوله : و تلقى إليه سلما مقاليدها.

أسند أيضا لفظ الإلقاء إلى الأرض مجازا لأنّ الملقى للمقاليد مسالما هو أهل الأرض،و كنّى بذلك عن طاعتهم و انقيادهم أجمعين لأوامره و تحت حكمه، و سلما مصدر سدّ مسدّ الحال. استعاره ثمّ أخبر أنّه سيريهم عدل سيرته،و أنّه يحيى ميّت الكتاب و السنّه .و لفظ الميّت استعاره لما ترك منهما فانقطع أثره و الانتفاع به كما ينقطع أثر الميّت.

فإنّ قلت:قوله:و يريكم.يدلّ على أنّ المخاطبين يدركون المخبر عنه و يرون عدله مع أنّكم قلتم أنّه يكون فى آخر الزمان فكيف وجه ذلك.

قلت:خطاب الحاضرين من الامّه كالعامّ لكلّ الامّه،و ذلك كسائر خطابات القرآن الكريم مع الموجودين فى عصر الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فإنّه يتناول الموجودين إلى يوم القيامه ثمّ يخرج المخاطبون بدليل العاده.إذ من عادتهم أن لا تمتدّ أعمارهم إلى وقت ظهوره فبقى الموجودون فى زمانه.و باللّه التوفيق.

القسم الثالث منها:

اشاره

كَأَنِّی بِهِ قَدْ نَعَقَ؟بِالشَّامِ؟- وَ فَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِی ضَوَاحِی؟كُوفَانَ؟- فَعَطَفَ عَلَيْهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ- وَ فَرَشَ الْأَرْضَ بِالرُّءُوسِ- قَدْ فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ وَ ثَقُلَتْ فِی الْأَرْضِ وَطْأَتُهُ بَعِيدَ الْجَوْلَهِ عَظِيمَ الصَّوْلَهِ- وَ اللَّهِ لَيُشَرِّدَنَّكُمْ فِی أَطْرَافِ الْأَرْضِ- حَتَّى لاَ يَبْقَى مِنْكُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ كَالْكُحْلِ فِی الْعَيْنِ- فَلاَ تَزَالُونَ كَذَلِكَ- حَتَّى تَئُوبَ إِلَى الْعَرَبِ عَوَازِبُ أَحْلاَمِهَا- فَالْزَمُوا السُّنَنَ الْقَائِمَهَ وَ الْآثَارَ الْبَيِّنَهَ- وَ الْعَهْدَ الْقَرِيبَ الَّذِی عَلَيْهِ بَاقِی النُّبُوَّهِ- وَ اعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْطَانَ- إِنَّمَا يُسَنِّی لَكُمْ طُرُقَهُ لِتَتَّبِعُوا عَقِبَهُ

اللغه

أقول: نعق الغراب و نعق الراعی بغنمه بالعين و الغين: صاح .و فحص المطر التراب : قلّبه ،و الفحص: البحث .و كوفان: اسم للكوفه .و ضواحيها: نواحيها البارزه .و الضروس: الناقه السيّئه الخلق تعضّ حالبها .و فغرت فاغرته: انفتح فوه.

و أكّد الفعل بذكر الفاعل من لفظه .و يسنّی: يسهّل .و العقب بكسر القاف:

مؤخّر القدم .

المعنى

اشاره

و قد أخبر فی هذا الفصل أنّه سيظهر رجل بهذه الصفات.قال بعض الشارحين:

هو عبد الملك بن مروان،و ذلك لأنّه ظهر بالشام حين جعله أبوه الخليفه من بعده و سار لقتال مصعب بن الزبير إلى الكوفه بعد أن قتل مصعب المختار بن أبی عبيده الثقفیّ فالتقوا بأرض مسكن-بكسر الكاف-من نواحی الكوفه.ثمّ قتل مصعبا و دخل الكوفه فبايعه أهلها و بعث الحجّاج بن يوسف إلى عبد اللّه بن الزبير بمكّه فقتله و هدم الكعبه،و ذلك سنه ثلاث و سبعين من الهجره،و قتل خلقا عظيما من العرب فی وقايع عبد الرحمن بن الأشعث،و رمى الناس بالحجّاج بن يوسف،

و فی الفصل

لطايف:

ص:۱۷۲

الاولى:

مجاز أطلق لفظ النعيق لظهور أوامره و دعوته بالشام مجازا ، استعاره و كذلك استعار لفظ الفحص لقلبه أهل الكوفه بعضهم على بعض و نقصه لحالاتهم الّتى كانوا عليها . تشبيه ثمّ شبّه عطفه و حمله عليها بعطف الناقه الضروس ،و وجه التشبيه شدّه الغضب و الحنق و الأذى الحاصل منها .

الثانيه:

كنايه فرشه الأرض بالرءوس كنايه عن كثره قتله فيها،و ذلك ممّا يشهد به التواريخ . استعاره بالكنايه و فغر :فيه استعاره ببعض أوصاف السبع الضارى كنّى به عن شدّه إقدامه على القتل و إقباله على الناس بشدّه الغضب و الأذى ، كنايه و كذلك ثقل وطأته فى الأرض كنايه عن شدّه بأسه و تمكّنه فى الأرض .

الثالثه:

كنايه بعد جولته كنايه عن اتّساع ملكه و جولان خيله و رجله فى البلاد البعيده،و بعيد و عظيم حالان،و من روى بالرفع فهما خبرا مبتدأ محذوف .

الرابعه:

لمّا فرغ من صفاته العامّه بيّن لهم ما سيفعله معهم من التشريد و الطرد فى أطراف البلاد،و أكّد ذلك بالقسم البارّ،و ذلك إشاره إلى ما فعله عبد الملك و من ولى الأمر من ولده فى باقى الصحابه و التابعين،و أحوالهم معهم فى الانتقاض و الاحتقار و الطرد و القتل ظاهره، تشبيه و شبّه البقيّه منهم بالغبار الّذى يكون فى العين من الكحل ،و وجه التشبيه الاشتراك فى القلّه .

الخامسه:

أخبر أنّهم لا يزالون كذلك:أى بالحال الموصوفه مع عبد الملك و من بعده من أولاده حتّى تعود إلى العرب عوازب أحلامها:أى ما كان ذهب من عقولها العمليّه فى نظام أحوالهم،و العرب هم بنو العبّاس و من معهم من العرب أيّام ظهور الدوله كقحطبه بن شبيب الطائىّ و ابنيه حميد و الحسن،و كبنى زريق أبى طاهر بن الحسين و إسحاق بن إبراهيم المصعبىّ و من فى عدادهم من خزاعه و غيرهم من العرب من شيعه بنى العبّاس.و قيل:إنّ أبا مسلم أصله عربىّ.و كلّ هؤلاء كانوا مستضعفين مقهورين مقمورين فى دوله بنى أميّه لهم ينهض منهم ناهض إلى أن أفاء اللّه تعالى عليهم ما كان عزب عنهم من حميّاتهم فغاروا للدين و للمسلمين من جور بنى مروان و أقاموا الأمر و أزالوا تلك الدوله.

فإن قلت:إنّ قوله:تؤوب.يـدلّ على أنّ انقطاع تلك الـدوله بظهور العرب و عود عوازب أحلامها،و عبد الملك مات و قامت بنوه بعده بالدوله،و لم يزل الملك عنه بظهور العرب فأين فايده الغايه؟ قلت:إنّ تلك الغايه ليست غايه لدوله عبد الملك بل غايه من كونهم لا ـ يزالون مشرّدين فى البلاد،و ذلك الانقهار و إن كان أصله من عبد الملك إلاّ أنّه استمرّ فى زمن أولاده إلى حين انقضاء دولتهم فكانت غايته ما ذكر،و قال بعض الشارحين فى الجواب:إنّ ملك أولاده ملكه و ما زال الملك عن بنى مروان حتّى آبت إلى العرب عوازب أحلامها.و هذا جواب من لم يتدبّر كلامه عليه السّلام،و لم يتتبع ألفاظ الفصل حتّى يعلم أنّ هذه الغايه لأىّ شىء منه فيلحقها به .ثمّ أمرهم بلزوم سنن اللّه و رسوله القائمه فيهم من بعده و آثاره البيّنه فيهم و عهده القريب بينهم و بينه.و وجّه عليهم ذلك الأمر فى الحال و عند نزول تلك الشدائد بهم:أى إذا نزل بكم منه ما وصف فلتكن وظيفتكم لزوم ما ذكرت .ثمّ نبّههم على ما فى سهوله المعاصى و فى تسهيل نفوسهم الأمّاره بالسوء عليهم طرق المحارم من المحذور و هو أن تنقاد لها النفوس العاقله فتضلّها عن سبيل اللّه و يقودها الضلال إلى الهلاك الاخروىّ.و باللّه التوفيق.

۱۳۸-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

فى وقت الشورى

لَنْ يُسْرِعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوَهِ حَقٍّ- وَ صِلَهِ رَحِمٍ وَ عَائِدَهِ كَرَمٍ- فَاسْمَعُوا قَوْلِي وَ عُوا مَنْطِقِي- عَسَى أَنْ تَرَوْا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هَذَا الْيَوْمِ- تُنْتَضَى فِيهِ السُّيُوفُ وَ تُخَانُ فِيهِ الْعُهُودُ- حَتَّى يَكُونَ بَعْضُكُمْ أَئِمَّهً لِأَهْلِ الضَّلاَلَهِ- وَ شِيعَهً لِأَهْلِ الْجَهَالَهِ

المعنى

أقول:هذا من جمله كلام قاله عليه السّلام لأهل الشورى،و قد ذكرنا طرفا من أخبارها .

فقوله: لن يسرع أحد.إلى قوله:و عائده كرم.

تقرير لفضيلته ليسمع قوله،و لذلک قال بعده:فسمعوا قولى و عوا منطقى، و ذكر فضائل ثلاثا:الدعوه إلى الحقّ الّذى لن يسارعه أحد إليها إلّا سرعه.و هى ثمره العداله،و صله الرحم،و عائده الكرم.و هما فضيلتان تحت ملكه العفّه.و الّذى أمرهم بسماعه هو التنبيه على عاقبه أمر الخلافه،و ما يقع فيها من الهرج و المرج بعدهم بناء على ما حضر من الخبط و الاختلاط فيها فكأنّه يقول:إذا كان حال هذا الأمر هذه الحال من الخبط و مجاذبه من لا يستحقّه[لمن يستحقّه خ]و التغلّب فيه على أهله فعسى أن ترونه بعد هذا اليوم بحال يختصم الناس فيه بالسيوف و تخان فيه العهود،و هو إشاره إلى ما علمه من حال البغاه و الخوارج عليه و الناكثين لعهد بيعته .

فقوله: حتّى يكون بعضهم أئمّه لأهل الضلاله و شيعه لأهل الجهاله .غايه للتغالب على هذا الأمر،و أشار بالأئمّه إلى طلحه و الزبير،و بأهل الضلاله إلى أتباعهم،و بأهل الجهاله إلى معاويه و رؤساء الخوارج و سائر امراء بنى اميّه،و بشيعه أهل الجهاله إلى أتباعهم.و باللّه التوفيق.

۱۳۹-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

فى النهى عن غيبه الناس

وَ إِنَّمَا يَنْبَغِى لِأَهْلِ الْعِصْمَهِ وَ الْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِى السَّلَامَهِ- أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ وَ الْمَعْصِيَهِ- وَ يَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ- وَ الْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ- فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ الَّذِى عَابَ أَخَاهُ وَ عَيَّرَهُ بِبَلْوَاهُ- أَ مَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سَتْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ- مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِى عَابَهُ بِهِ- وَ كَيْفَ يَذُمُّهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ- فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذَلِكَ الذَّنْبَ بِعَيْنِهِ- فَقَدْ عَصَى

ص:۱۷۵

اللَّهَ فِيمَا سِوَاهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ- وَ ايْمُ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي الْكَبِيرِ- وَ عَصَاهُ فِي الصَّغِيرِ لَجُرْأَتُهُ عَلَى عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ- يَا عَبْدَ اللَّهِ لاَ تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ- فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ وَ لاَ تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ- فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ- فَلْيَكْفُفْ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ- وَ لْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلاً لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا ابْتُلِيَ بِهِ غَيْرُهُ

المعنى

أقول:أهل العصمه هم الّذين أعانهم اللّه سبحانه على قهر نفوسهم الأمّاره بالسوء حتّى صارت أسيره فى أيدى نفوسهم العاقله فحصلوا من ذلک على ملکه ترک الذنوب و الانزجار عن ولوج أبواب المحارم،و اولئک هم الّذين اصطنع اللّه إليهم السلامه من الانحراف عن سبيله و الوقوع فى مهاوى الهلاک.فنبّههم أوّلا على ما ينبغى لهم و هو أن يرحموا أهل الذنوب.و حصول تلک الرحمه منهم باعتبارهم حال العصاه و وقوعهم فى مهاوى الهلاک.و من عاده عباد اللّه الرحمه لمن يرونه فى مهلکه بإنقاذه و إعانته على الخروج منها،و أن يکون الشکر هو الغالب عليهم و الحاجز لهم،و ذلک باعتبارهم عند مشاهده أهل المعاصى لما أنعم اللّه به عليهم من إعانته لهم على قهر شياطينهم الّتى هى موادّ الذنوب .

و قوله:فکيف بالغايب.

شروع فى تنبيه من هو دون أهل العصمه ممّن يرتکب کبيره أو صغيره على ما ينبغى له من ترک الغيبه فکأنّه قال:فهذا هو ما ينبغى لأهل العصمه فکيف يليق بغيرهم ممّن يعيب أخاه و يعيّره ببلواه بل ينبغى لمثله أن يترک الغيبه و يشکر اللّه بالطريق الأولى.و ذلک باعتبار ستر اللّه عليه من ذنوبه ما هو أعظم ممّا عيّر أخاه به.

و تلک نعمه اللّه يجب شکره عليها ،و أشار بموضع ستر اللّه عليه إلى النعمه المصطنعه

عنده و هی تأهیله و إعداده له،و الاستفهام علی سبیل الإنكار أخذ بالتعجّب من ذمّ العائب لأخیه علی ذنب.و هو فی صوره احتجاج علیه فی ارتكابه لهذا الذنب،و ذلك قوله: و كیف یذمّه.إلی قوله:یا عبد اللّه .فكأنّه یقول:لا یجوز لأحد أن یعیب أخاه لأنّه إمّا أن یكون بذنب قد ركب العائب مثله أو أكبر منه أو أصغر.فإن كان بذنب قد ركب مثله أو أكبر كان له فی عیبه لنفسه شغل عن عیب غیره ،و إن كان ارتكب أصغر منه فهو ممنوع علی تقدیر جرأته علی الغیبه و صدوره عنه لأنّها من الكبایر،و إنّما قال:هی أكبر ما عند اللّه.إمّا مبالغه أو لأنّ المفاسد الّتی یشتمل علیها ارتكاب سایر المنهیّات جزئیّه و مفسده الغیبه كلّیّه لأنّه لمّا كان من المقاصد المهمّه للشارع اجتماع النفوس علی همّ واحد و طریقه واحده و هی سلوك سبیل اللّه بسایر وجوه الأوامر و النواهی و لن یتمّ ذلك إلاّ بتعاون هممهم و تصافی بواطنهم و اجتماعهم علی الالفه و المحبّه حتّی یكونوا بمنزله عبد واحد فی طاعه مولاه، و لن یتمّ ذلك إلاّ بنفی الضغائن و الأحقاد و الحسد و نحوه،و كانت الغیبه من كلّ منهم لأخیه مشیره لضغنه و مستدعیه منه مثلها فی حقّه لا جرم كانت ضدّ المقصود الكلّیّ للشارع فكانت مفسده كلّیّه،و لذلك أكثر اللّه تعالی و رسوله من النهی عنها كقوله تعالی «وَ لا یَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً» (1)حتّی استعار لما یقترضه الغائب من عرض أخیه لفظ اللحم و زاده تقبیحا و تكریها بصفه المیّت فقال «أَ یُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ یَأْكُلَ لَحْمَ أَخِیهِ مَیْتاً» و قال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:إیّاكم و الغیبه فإنّ الغیبه أشدّ من الزنا إنّ الرجل یزنی فیتوب اللّه علیه و إنّ صاحب الغیبه لا یغفر له حتّی یغفر له صاحبه،و عنه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم مررت لیله اسری بی فرأیت قوما یخمشون وجوههم بأظافیرهم فسألت جبرئیل عنهم.فقال:هؤلاء الّذین یغتابون الناس،و فی حدیث البراء بن عاذب:خطبنا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حتّی أسمع العواتق فی بیوتهنّ.فقال:ألا لا تغتابوا المسلمین و لا تتبعوا عوراتهم فمن تتّبع عوره أخیه تتّبع اللّه عورته و من تتّبع اللّه عورته یفضحه فی جوف بیته .ثمّ نهی عن الاستعجال و التسرّع إلی العیب،و نبّه علی

۱- ۱) ۱۲-۴۹.

وجوب ذلك الاحتمال[لانتهاء-خ-]باحتمال أن يكون الذنب الّذى يعيب أخاه به مغفورا له و إن كان كبيرا،و ذلك لاحتمال أن يكون حاله لم تتمكّن من جوهر نفسه ، و نهى عن أن يأمن على نفسه صغير معصيه يرتكبها لاحتمال أن يعذّب عليها لصيرورتها ملكه متمكّنه من جوهر نفسه .ثمّ عاد إلى الأمر بالكفّ عن العيب باعتبار ما يعلم الإنسان من عيب نفسه،و أن يكون الشكر للّه دأبه على السلامه من التورّط فى مورد الهلكه الّذى سلكه صاحب الذنب و ابتلاه اللّه به.

و اعلم أن تعريف الغيبه يعود إلى ذكر الإنسان بما يكره نسبته إليه ممّا يعدّ نقصانا فى العرف ذكرا على سبيل قصد الانتقاص و الذمّ سواء كان ذلك النقصان عدم كمال بدنىّ كالعور و العمى،أو نفسانىّ كالجهل و الشره و الظلم،أو عدم كمال من خارج كسقوط الأصل و دناءه الآباء.و احترزنا بالقيد الأخير فى تعريفها و هو قصد الانتقاص عن ذكر العيب للطبيب مثلا أو لاستدعاء الرحمه من السلطان فى حقّ الزمن و الأعمى بذكر نقصانهما.ثمّ الغيبه قد تكون باللسان و هى الحقيقيّه،و قد تكون بالإشاره و غيرها من ساير ما يعلم به انتقاص أخيك و التنبيه على عيبه،و تسمّى غيبه مجازا لقيامها مقام الغيبه.و لها أسباب غائيّه:

أحدها:شفاء الغيظ.فانّ الإنسان كثيرا ما يشفى غيظه بذكر مساوى من غاظه.

الثانى:المباهاه و التفاضل كما يقول من يتعاطى الإنشاء و الشعر:كلام فلان ركيك و شعره بارد.

الثالث:اللعب و الهزل و ترجيه الوقت فيذكر غيره بما يضحك الحاضرين.

الرابع:أن يستشعر من غيره أنّه سيذمّه عند السلطان مثلا فيقصد سبقه بذكر مساويه ليسقط شهادته عنده عليه،و قد تكون لها غايات أخر.

و قد وردت الرخصه فى غيبه الفاسق المتجاهر بفسقه كالخمّار و المخنّث و العشّار الّذى ربّما يفتخر بعيبه و لا يستحيى منه.قال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبه له.لكن تركها إلى السكوت أولى.و باللّه التوفيق.

ص:١٧٨

۱۴۰–و من کلام له علیه السّلام

اشاره

أَيُّهَا النَّاسُ- مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ وَ سَدَادَ طَرِيقٍ- فَلاَ يَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقَاوِيلَ الرِّجَالِ- أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِی الرَّامِی- وَ تُخْطِئُ السِّهَامُ وَ يُحِيلُ الْكَلاَمُ- وَ بَاطِلُ ذَلِكَ يَبُورُ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ وَ شَهِيدٌ- أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْبَاطِلِ وَ الْحَقِّ إِلاَّ أَرْبَعُ أَصَابِعَ قال الشريف:فسئل علیه السلام عن معنی قوله هذا،فجمع أصابعه و وضعها بین أذنه و عینه،ثم قال:الباطل أن تقول سمعت،و الحقّ أن تقول رأیت.

اللغه

أقول: أحاک الکلام یحیک: إذا عمل و أثّر و کذلک حاک،و روی:یحیل:أی یبطل و لا یصیب .

و هذا الفصل نهی عن التسرّع إلی التصدیق بما یقال فی حقّ مستور الظاهر

المشهور بالصلاح و التدیّن من العیب و القدح فی دینه،

و هو نهی عن سماع الغیبه بعد نهیه عنها نفسها،و إلیها الإشاره بقوله تعالی «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ» (۱).ثمّ نبّه علی جواز الخطأ علی المتسرّعین إلی الغیبه بالمثل.فقال : أما إنّه قد یرمی الرامی و تخطیء السهام .و وجه مطابقه هذا المثل أنّ الّذی یرمی بعیب قد یکون بریئا منه فیکون الکلام فی حقّه غیر مطابق و لا صائب کما لا یصیب السهم الّذی یرمی به فیخطئ الغرض .و علی الروایه بالکاف،و یحیک الکلام:أی أنّ السهم قد یخطیء فلا یؤثّر،و الکلام یؤثّر علی کلّ حال،و إن لم یکن حقّا فإنّه یسوّد العرض و یلوّثه فی نظر من لا یعرفه.

۱- ۱) ۶-۴۹.

و قوله: و باطل ذلک یبور و اللّه سمیع و شهید.

یجری مجری التهدید و تحقیر ثمره ذلک القول الکاذب الّذی لا یبقی من مال أو جاه أو نحوهما بالنسبه إلی عظم عقوبه اللّه و غضبه الباقی فإنّ سمعه و شهادته مستلزمان لغضبه المستلزم لعقوبته.

و قوله: أما إنّه لیس بین الحقّ و الباطل إلّا مقدار أربع أصابع.

فتفسیره الفعل المذکور ،و تفسیر ذلک الفعل هو قوله: الباطل أن تقول:سمعت، و الحقّ أن تقول:رأیت .ثمّ هاهنا لطیفتان:

فالاولی:أنّ قوله:الباطل أن تقول سمعت.لا یستلزم الکلّیه حتّی یکون کلّ ما سمعه باطلًا فإنّ الباطل و المسموع مهملان.

الثانیه:أنّ الحقّ لیس هو قوله:رأیت.بل المرئیّ له،و الباطل هو قوله.

سمعت.بل القول المسموع له،و إنّما قوله:رأیت و سمعت.إخبار عن وصول المرئیّ و المسموع إلی بصره و سمعه فأقام هذین الخبرین مقام المخبر عنهما مجازا.و باللّه التوفیق.

۱۴۱–و من کلام له علیه السّلام

اشاره

وَ لَیسَ لِوَاضِعِ الْمَعْرُوفِ فِی غَیْرِ حَقِّهِ- وَ عِنْدَ غَیْرِ أَهْلِهِ مِنَ الْحَظِّ فِیمَا أَتَی إِلَّا مَحْمَدَهُ اللِّئَامِ- وَ ثَنَاءُ الْأَشْرَارِ وَ مَقَالَهُ الْجُهَّالِ- مَا دَامَ مُنْعِماً عَلَیْهِمْ مَا أَجْوَدَ یَدَهُ- وَ هُوَ عَنْ ذَاتِ اللَّهِ بِخَیْلٌ- فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَلْیَصِلْ بِهِ الْقَرَابَهَ- وَ لْیُحْسِنْ مِنْهُ الضِّیَافَهَ وَ لْیَفُکَّ بِهِ الْأَسِیرَ وَ الْعَانِیَ- وَ لْیُعْطِ مِنْهُ الْفَقِیرَ وَ الْغَارِمَ- وَ لْیَصْبِرْ نَفْسَهُ عَلَی الْحُقُوقِ وَ النَّوَائِبِ ابْتِغَاءَ الثَّوَابِ- فَإِنَّ فَوْزاً بِهَذِهِ الْخِصَالِ شَرَفُ مَکَارِمِ الدُّنْیَا- وَ دَرْکُ فَضَائِلِ الْآخِرَهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ :

المعنی

أقول:لمّا کان لواضع المعروف سواء کان فی أهله أو غیر أهله ثناء من الناس

و مدح له بالكرم و البذل كان ممّا يتميّز به وضعه فى غير أهله عن وضعه فى أهله أنّ الأوّل إنّما يحصل به لواضعه الحمد من لئام الناس:أى ساقطى الاصول و السفهاء و الأشرار و الجهّال لعدم معرفتهم بوضع الأشياء فى مواضعها الّتى هى مقتضى العقل الّذى به نظام امور الدنيا و قوام نوع الإنسان فى الوجود مع أنّه فى الحقيقه و عند اولى الألباب العارفين بمواقع المعروف بخيل فى جنب اللّه تعالى،و أمّا الثانى:فتحصل له المحمده من الكلّ.فى الدنيا محمده مطابقه للحقّ مع الثواب الجزيل فى الاخرى فلا جرم أشار إلى الأوّل بقوله: فليس لواضع المعروف.إلى قوله:و هو عن ذات اللّه بخيل .

و قوله : ما أجو ديده.

متعلّق بمقاله:أى ذلك هو الأمر الّذى يقولونه ما دام منعما عليهم،و إنّما قيّد بهذا القيد لأنّ الجاهل قد يعتقد أنّ ما يسدى إليه حقّ له فربّما دام حمده بدوام ذلك الإنعام لكن ينقطع بانقطاعه،و أمّا الجاهل الشرير فكثيرا ما يعتقد أنّه إنّما يسدى إليه لشرّه و خوف أذاه فربّما يشكر المنعم ما دام منعما حتّى إذا انقطع إنعامه جعل شرّه عوض شكره استجلابا لذلك الإنعام المنقطع و استعاده له،و أمّا الثانى :فنبّه أوّلا على مواضع المعروف و أمر بوضعه فيها،و ذكر منها خمسه:

الأوّل :صله الرحم.

الثانى :حسن الضيافه.

الثالث :فكّ الأسير و العانى.و إنّما اختلف اللفظ.

و الرابع :إعطاء الفقير و الغارم و هو من عليه دين.

الخامس :الحقوق الواجبه على أهلها كالزكاه،و المستحبّه كالصدقات.

و أشار بالنوائب إلى ما يلحق الإنسان من المصادرات و الغرامات الّتى يفكّ بها الإنسان من أيدى الظالمين و ألسنتهم،و الإنفاق فى ذلك من الحقوق الواجبه على الإنسان.

و الفضايل الخمس داخله تحت فضيله الكرم،و الإشاره إلى ذلك بقوله: فمن آتاه اللّه.

إلى قوله:ابتغاء الثواب .و نبّه بهذه الغايه أعنى المفعول له على أنّ الإنفاق فى هذه الوجوه إنّما يكون وضعا للمعروف فى موضعه إذا قصد به وجه اللّه تعالى فأمّا إذا

قصد به الرياء و السمعه فهو و إن عدّ فی ظاهر الشريعه مجزيا إلّا أنّه غير مجز و لا مقبول فی باطنها ثمّ أشار بقوله : فإنّ فوزا بهذه الخصال.إلی آخره إلی ما يتميّز به وضع المعروف فی أهله و هو شرف مكارم الدنيا من الذكر الجميل بين الناس، و الجاه العريض، و درک فضايل الآخره و هی درجات الثواب الجزيل الموعود لأولی الفضايل النفسانيّه،و إنّما نكّر الفوز لأنّ تنكيره يفيد نوع الفوز فقط الّذی يحصل بأیّ شخص كان من أشخاصه،و هذا و إن كان حاصلا مع الالف و اللام لتعريف تلک الطبيعه إلّا أنّ ذلک التعريف مشترک بين تعريف الطبيعه و المعهود الشخصیّ فكان موهما لفوز شخصیّ و لذلک كان الإتيان به منكرا أفصح و أبلغ.و باللّه التوفيق.

۱۴۲-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

فی الاستسقاء.

أَلاَ وَ إِنَّ الْأَرْضَ الَّتِی تُقِلُّكُمْ- وَ السَّمَاءَ الَّتِی تُظِلُّكُمْ مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمْ- وَ مَا أَصْبَحَتَا تَجُودَانِ لَكُمْ بِبَرَكَتِهِمَا تَوَجُّعاً لَكُمْ- وَ لاَ زُلْفَةً إِلَيْكُمْ وَ لاَ لِخَيْرٍ تَرْجُوَانِهِ مِنْكُمْ- وَ لَكِنْ أُمِرَتَا بِمَنَافِعِكُمْ فَأَطَاعَتَا- وَ أُقِيمَتَا عَلَی حُدُودِ مَصَالِحِكُمْ فَقَامَتَا- إِنَّ اللَّهَ يَبْتَلِی عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَهِ- بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ وَ حَبْسِ الْبَرَكَاتِ- وَ إِغْلاَقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ لِيَتُوبَ تَائِبٌ- وَ يُقْلِعَ مُقْلِعٌ وَ يَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ وَ يَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ- وَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الاِسْتِغْفَارَ سَبَباً- لِدُرُورِ الرِّزْقِ وَ رَحْمَهِ الْخَلْقِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ- «اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفّاراً يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً وَ يُمْدِدْكُمْ» ...

ص:۱۸۲

«بِأَمْوالٍ وَ بَنِینَ» فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ- وَ اسْتَقَالَ خَطِیئَتَهُ وَ بَادَرَ مَنِیَّتَهُ- اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَیْکَ مِنْ تَحْتِ الْأَسْتَارِ وَ الْأَکْنَانِ- وَ بَعْدَ عَجِیجِ الْبَهَائِمِ وَ الْوِلْدَانِ- رَاغِبِینَ فِی رَحْمَتِکَ وَ رَاجِینَ فَضْلَ نِعْمَتِکَ- وَ خَائِفِینَ مِنْ عَذَابِکَ وَ نِقْمَتِکَ اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَیْثَکَ وَ لاَ تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِینَ- وَ لاَ تُهْلِکْنَا بِالسِّنِینَ- وَ لاَ تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا یَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِینَ- اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَیْکَ- نَشْکُو إِلَیْکَ مَا لاَ یَخْفَی عَلَیْکَ- حِینَ أَلْجَأَتْنَا الْمَضَایِقُ الْوَعْرَهُ وَ أَجَاءَتْنَا الْمَقَاحِطُ الْمُجْدِبَهُ- وَ أَعْیَتْنَا الْمَطَالِبُ الْمُتَعَسِّرَهُ- وَ تَلاَحَمَتْ عَلَیْنَا الْفِتَنُ الْمُسْتَصْعِبَهُ- اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُکَ أَلاَّ تَرُدَّنَا خَائِبِینَ- وَ لاَ تَقْلِبَنَا وَاجِمِینَ وَ لاَ تُخَاطِبَنَا بِذُنُوبِنَا- وَ لاَ تُقَایِسَنَا بِأَعْمَالِنَا- اللَّهُمَّ انْشُرْ عَلَیْنَا غَیْثَکَ وَ بَرَکَتَکَ- وَ رِزْقَکَ وَ رَحْمَتَکَ وَ اسْقِنَا سُقْیَا نَاقِعَهً مُرْوِیَهً مُعْشِبَهً- تُنْبِتُ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ وَ تُحْیِی بِهَا مَا قَدْ مَاتَ- نَافِعَهَ الْحَیَا کَثِیرَهَ الْمُجْتَنَی تُرْوِی بِهَا الْقِیعَانَ- وَ تُسِیلُ الْبُطْنَانَ وَ تَسْتَوْرِقُ الْأَشْجَارَ- وَ تُرْخِصُ الْأَسْعَارَ إِنَّکَ عَلَی مَا تَشَاءُ قَدِیرٌ

ص:۱۸۳

اللغه

أقول: أقلع عن خطيئته: إذا رجع عنها و تاب .و المثاور: المواثب .

و الزلفه: القربى و المنزله .و الواجم: الّذى اشتدّ حزنه حتّى سكت من الكلام .

و النافعه: المرويه .و القيعان: جمع قاع:و هو المستوى من الأرض .و البطنان: جمع البطن:و هو ما انخفض من الأرض .

المعنى

و اعلم أنّا بيّنا فيما سبق أنّ الجود الإلهىّ لا بخل فيه و لا منع من جهته، و إنّما يكون منع الكمالات فى هذه الحياه بعدم الاستعدادات لها فكلّ مستعدّ لأمر ملاق له و فايض عليه.إذا عرفت ذلك فاعلم أنّه عليه السّلام صدّر هذا الفصل بتنبيه العباد على وجوب الاستعداد لرحمه اللّه الّتى ارتفعت عنهم بحبس المطر،و ذلك فى قوله : ألا و إنّ الأرض.إلى قوله:و بادر منيّته .فنبّههم أوّلا فى ذلك الصدر على أنّ الأرض الّتى هى كالأمّ للنبات و الزرع،و السماء الّتى هى كالأب مطيعتان لربّهم، و أشار بالسماء إلى السحاب أو إلى السماوات لكونها بحركاتها أسبابا معدّه لكلّ ما فى هذا العالم من الحوادث،و أشار بطاعتهما إلى دخولهما تحت حكم القدره الإلهيّه،و أشار بقوله : و ما أصبحنا.إلى قوله:ترجوا أنّه منكم .إلى لطيفه:و هى أنّ الحوادث الحادثه فى هذا العالم من العاليات ليست مقصوده بالذات لها فيكون ذلك منها لأجل توجّع للناس أو لأجل قرابه و منزله بينهم و بينها،و لا لخير ترجو أنّه منهم كما هو المتعارف من منافع الناس بعضهم لبعض لأنّ السماوات و الأرض غنيّه عنها لكنّ لمّا كانت السماوات متحرّكه دائما طلبا لكمالاتها اللائقه بها من واهبها -جلّ و علا-و مسخّره بأمره عرض عن هذه الحركات و الاتصالات إعداد الأرض لقبول النبات و الزرع و وجود الحيوانات الّتى هى أرزاق لها و بها قوام وجودها فكانت مصالح هذه الحيوانات إذن منوطه بتلك الحركات و جاريه على وفقها بإذن المدبّر العزيز الحكيم سبحانه،و إلى ذلك أشار بقوله : و لكن.إلى قوله:

فأقامتا ،و غرضه ممّا سبق إلى هاهنا أن يقرّر فى النفوس عظمه اللّه سبحانه و أنّ الأرزاق و أسبابها منسوبه إليه و منه حتّى تتوجّه النفوس إليه بالإقلاع عن الذنوب الّتى هى حجب لها عن إفاضه الرحمه عليها منه .ثمّ بيّن بعده أنّ اللّه سبحانه إنّما

يفعل ما يفعل من نقص الثمرات و حبس البركات و إغلاق خزائن الخيرات عن الخلق عند أعمالهم السيّئه ابتلاء لهم كقوله تعالى «وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الثَّمَراتِ وَ بَشِّرِ الصّابِرِينَ» (۱)و قد علمت معنى ابتلائه لهم .ثمّ بيّن أنّ غايه العنايه الإلهيّه من ذلک الابتلاء رفع حجب النفوس الّتی هی الذنوب و المعاصی و استعدادها بذلک لقبول رحمه اللّه بالتوبه و الإقلاع منها و الازدجار عنها و التذکّر للمبدأ الأوّل-جلّت عظمته-و ما أعدّ لأوليائه الأبرار فی دار القرار و لأعدائه الأشرار فی دار البوار .ثمّ بيّن لهم أنّ اللّه سبحانه جعل الاستغفار سببا لدرور الرزق و الرحمه،و لمّا کان الاستغفار هو طلب غفر الذنوب و سترها علی العبد أن يفتضح بها و ذلک إنّما يکون بمحوها من لوح نفسه لا جرم کان المستغفر المخلص ماحيا لخطيئته باستغفاره عن لوح نفسه و بذلک يکمل استعداده لإفاضه رحمه اللّه عليه فی الدنيا بإنزال البرکات و فی الآخره برفع الدرجات ،و إلی ذلک الإشاره بالشاهد العدل قوله تعالی «فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفّاراً يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً» (۲)الآيات،و قوله تعالی «وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ» (۳)الآيه،و قوله «وَ لَوْ أَنَّهُمْ أَقامُوا التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ» (۴)و قوله: «وَ أَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً » (۵)ثمّ دعا لمن استقبل توبته و شرع فی الاستعداد بها،و لمن استقال خطيئته:أی طلب الإقاله من الإلزام بعاقبتها و ثمرتها و هو العقاب عليها و المؤاخذه بها،و لمن واثب منيّته و عاجلها قبل إدراکها له بالتوبه.کلّ ذلک تنبيه علی الاستعداد و طلب له منهم.إذ کان لا يتمّ المطلوب بدونه،و لفظ الإقاله استعاره، و وجهها أنّ المخطئ کالمعاهد و الملتزم لعقاب اخرویّ بلذّه عاجله لما علم استلزام تلک اللذّه المنهیّ عنها للعقاب فهو يطلب للإقاله من هذه المعاهده[المعاصی-خ-] کما يطلب المشتری الإقاله من البيع.

۱- ۱) ۱۵۱-۲.

۲- ۲) ۹-۷۱.

۳- ۳) ۹۴-۷.

۴- ۴) ۷۱-۵.

۵- ۵) ۱۶-۷۲.

و قوله : اللّهم.إلى آخره.

لمّا قدّم الأمر بالاستعداد لرحمه اللّه رجع إليه فى استنزالها عليهم فقدّم فى الدعاء ما عادته أن يقدّم بين يدى الملوك من الكلام المرفق للطباع و الموجب للعفو و الرحمه.

فذكر الخروج من تحت الأستار و الأكنان الّتى ليس من شأنها أن يفارق إلّا لضروره شديده ،و كذلك عجيج البهائم و الولدان و أصواتها المرتفعه بالبكاء،و ذكر الغايه من ذلك و هى الرغبه فى رحمته و الرجاء لفضل نعمته و الخوف من عذابه و نقمته.و هذه جهات المساعى البشريّه .ثمّ سأل بعد ذلك المطالب:و هى السقيا و عدم الهلاك بالجدب، و أن لا يؤاخذهم بأفعال السفهاء من المعاصى المبعّده عن رحمته كقوله تعالى حكايه عن موسى عليه السّلام «أَ تُهْلِكُنا بِما فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنّا » (۱)ثمّ عاد إلى تكرير شكوى الجدب بذكر أسبابها الحامله عليها ليكون أقوم للعذر.و المقاحط:أماكن القحط أو سنى القحط،و ظاهر كون الجوع و العرى و ساير المسبّبات عن القحط فتنه:أى صارفه للقلوب عمّا يراد بها .ثمّ عاد إلى طلب إجابه دعائه.

و قوله : و لاـ تخاطبنا بـذنوبنا :أى لاـ تجعل جوابنا الاحتجاج علينا بـذنوبنا ، و لا تقايسنا بأعمالنا :أى لا تجعل فعلك بنا مقايسا لأعمالنا السيّئه و مشابها لها و سيّئه مثلها .ثمّ عاد إلى طلب أنواع ما يطلب منه سبحانه بأتمّ ما ينبغى على الوجه الّذى ينبغى.إلى آخره.و هو ظاهر.و باللّه التوفيق.

۱۴۳-و من خطبه له عليه السّلام

القسم الأول

بَعَثَ اللَّهُ رُسُلَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ- وَ جَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ- لِئَلَّا تَجِبَ الْحُجَّهُ لَهُمْ بِتَرْكِ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ- فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ- أَلَاـ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ كَشَفَ الْخَلْقَ كَشْفَهً- لَاـ أَنَّهُ جَهِلَ مَا أَخْفَوْهُ مِنْ مَصُونِ أَسْرَارِهِمْ- وَ مَكْنُونِ ضَمَائِرِهِمْ- وَ لَكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا- فَيَكُونَ

۱- (۱) ۱۵۴-۷

الثَّوَابُ جَزَاءً وَ الْعِقَابُ بَوَاءً أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا- كَذِباً وَ بَغْياً عَلَيْنَا أَنْ رَفَعَنَا اللَّهُ وَ وَضَعَهُمْ- وَ أَعْطَانَا وَ حَرَمَهُمْ وَ أَدْخَلَنَا وَ أَخْرَجَهُمْ- بِنَا يُسْتَعْطَى الْهُدَى وَ يُسْتَجْلَى الْعَمَى- إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ ؟قُرَيْشٍ؟- غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ ؟هَاشِمٍ؟ لاَ تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ- وَ لاَ تَصْلُحُ الْوُلاَةُ مِنْ غَيْرِهِمْ أقول:هذا الفصل منافره بينه و بين جمع من الصحابه الّذى كانوا ينازعونه الفضل.و البواء: الكفو .

فقوله: بعث رسله .إلى قوله: سبيل الحقّ.

كقوله تعالى «رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ لِئَلاّ يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ» (١)و لسان الصدق هو لسان الشريعه الناطقه عن مصباح النبوّه المشتعل عن نور الحقّ سبحانه،و سبيل الحقّ هو الطريق الموصله إليه تعالى الّتى تطابقت على الهدايه إليها ألسنه الرسل و الأولياء.و صدّر الفصل بذلك لاشتماله على فضيله الأنبياء ليبنى عليه فضيله نبيّه.

و قوله : ألا إنّ اللّه .إلى قوله: بواء.

كلام يجرى مجرى التهديد لمن نافره باطّلاع اللّه على أسرارهم،و أنّ ما كلّفهم به إنّما هو ابتلاء منه لهم أيّهم أحسن عملا،و قد عرفت معنى ابتلاء اللّه لخلقه مرارا، و أراد بالكشفه الاختبار و الابتلاء أيضا .ثمّ عقّب ذلك بالاستفهام عن الّذين زعموا أنّهم أفضل منه،و ذلك أنّ قوما من الصحابه كان منهم من يدّعى الأفضليّه فى فنّ من العلم.فمنهم من كان يدّعى أنّه أفرض،و منهم من كان يدّعى أنّه أقرء، و منهم من كان يدّعى أنّه أعلم بالحلال و الحرام.و رووا أفرضكم زيد بن ثابت

١- ١) ١٧٩-٢.

و أقرئكم أبيّ،و رووا مع ذلك أقضاكم عليّ .و ذلك الاستفهام على سبيل الإنكار عليهم و لذلك أردفه بالتكذيب لهم فيما ادّعوه من الأفضليّه .ثمّ إن كان ما رووه حقّا مع أنّ القضاء يحتاج إلى جميع ما ادّعوه فضيله لهم ثبت أنّه عليه السّلام أفضلهم لاستجماعه ما تفرّق فيهم من الفضايل فيهم،و إن لم يكن حقّا مع أنّ أنوار فضايله مستطيره فى آفاق الصدور فقد ظهر فضله عليهم،و ذلك وجه التكذيب لهم.ثمّ أشار إلى العلّه الحامله لهم على الكذب فيما ادّعوه،و هو قوله: أن رفعنا اللّه :أى رفع درجاتنا فى الدنيا و الآخره على الكافّه و وضعهم دوننا،و أن و ما بعدها نصب على المفعول له ، و أعطانا :أى الملك و النبوّه و حرّمهم ذلك،و كذلك أدخلنا بعنايته الخاصّه بنا فيما أعطانا و أخرجهم من ذلك .

استعاره مرشحه قوله: بنا يستطعى الهدى،و يستجلى العمى.

فاستعار لفظ العمى للجهل،و رشّح بذكر الاستجلاء ، كنايه و لمّا كانوا عليهم السّلام المعدّين لأذهان الخلق لقبول أنوار اللّه و المرشدين لنفوسهم إلى سبيل اللّه لا جرم كان بهم يستعطى الهدى من اللّه .إذ بواسطه استعدادهم يفاض على النفوس هداها،و بواسطه إعطائهم القوانين الشرعيّه الكلّيّه و الجزئيّه يستجلى الجهل من واهب ذلك الجلاء.و هو كنايه عن الاستعداد أيضا .

و قوله: إنّ الأئمّه من قريش .إلى آخره.

لفظ النصّ المشهور عن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الأئمّه من قريش و تخصيصه ذلك بهذا البطن من هاشم:أمّا على مذهب الشيعه فهو نصّ يجب اتّباعه كما يجب اتّباع نصّ الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لاعتقادهم عصمته،و أمّا على مذهب الباقين من المسلمين فواجب الاتّباع أيضا لقوله عليه الصلاه و السلام:إنّه لمع الحقّ و أنّ الحقّ معه يدور حيث دار.و مراده بذلك البطن:أمّا على مذهب الاثنى عشريّه فنفسه مع الأحد عشر من ولده بنصّ كلّ منهم على من بعدهم من كونهم معصومين،و أمّا على مذهب الباقين من الإماميّه فكلّ منهم يحمل هذا الكلام على من اعتقد إمامته . لا يصلح على سواهم :أى لا يكون لها صلاح على يد غيرهم،و لا يصلح الولاه غيرهم.

القسم الثانی منها:

اشاره

آثَرُوا عَاجِلًا وَ أَخَّرُوا آجِلًا- وَ تَرَكُوا صَافِياً وَ شَرِبُوا آجِناً- كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ وَ قَدْ صَحِبَ الْمُنْكَرَ فَأَلِفَهُ- وَ بَسِئَ بِهِ وَ وَافَقَهُ حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ- وَ صُبِغَتْ بِهِ خَلَائِقُهُ- ثُمَّ أَقْبَلَ مُزْبِداً كَالتَّيَّارِ لَا يُبَالِي مَا غَرَّقَ- أَوْ كَوَقْعِ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ لَا يَحْفِلُ مَا حَرَّقَ- أَيْنَ الْعُقُولُ الْمُسْتَصْبِحَهُ بِمَصَابِيحِ الْهُدَى- وَ الْأَبْصَارُ اللَّامِحَهُ إِلَى مَنَارِ التَّقْوَى- أَيْنَ الْقُلُوبُ الَّتِي وُهِبَتْ لِلَّهِ وَ عُوقِدَتْ عَلَى طَاعَهِ اللَّهِ- ازْدَحَمُوا عَلَى الْحُطَامِ وَ تَشَاحُّوا عَلَى الْحَرَامِ- وَ رُفِعَ لَهُمْ عَلَمُ الْجَنَّهِ وَ النَّارِ- فَصَرَفُوا عَنِ الْجَنَّهِ وُجُوهَهُمْ- وَ أَقْبَلُوا إِلَى النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ- وَ دَعَاهُمْ رَبُّهُمْ فَنَفَرُوا وَ وَلَّوْا- وَ دَعَاهُمُ الشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وَ أَقْبَلُوا

اللغه

أقول: بسیء به: آلفه و استانس به .

المعنی

و اعلم أنّ ضمیر الجمع فی آثروا و أخّروا و ما بعدهما ضمائر مهمله یصدق إطلاقها علی الجماعه و إن کان المعنیّ بها بعضهم،و هذا الکلام یصدق علی من تخلّف من الناس إلی زمانه ممّن هو غیر مرضیّ الطریقه و إن کان معدودا من الصحابه بالظاهر کالمغیره بن شعبه و عمرو بن العاص و مروان بن الحکم و معاویه و نحوهم من امراء بنی امیّه ممّن آثر عاجل الدنیا و ثاور إلیه و أخّر آجل ثواب الاخری فنبذه وراء ظهره و ترک ما وعد به من تلک اللذّات الصافیه عن کدورات الدنیا و العلایق البدنیّه إلی اللذّات الوهمیّه الآجنه بشوب الأعراض و الأمراض و التغیّر و الزوال، استعاره مرشحه و استعار لفظ الآجن للذّات الدنیا ملاحظه لتشبیهها بالماء الّذی لا یسوغ شربه لتغیّر طعمه، و رشّح بذکر الشوب.

کنایه و قوله : کأنّی أنظر إلی فاسقهم.

یحتمل أن یرید فاسقا معیّنا کعبد الملک بن مروان و یکون الضمیر عائدا

ص:۱۸۹

إلى بنى أميّه و من تـابعهم،و يحتمل أن يريـد مطلق الفاسق:أى من يفسق من هؤلاء فيما بعـده و يكون بالصـفات الّتى ذكرها من صحبه المنكر و الفه له و موافقته لطبعه إلى غايه عمره،و كنّى عن تلك الغايه بشيب المفارق . و صبغت به خلائقه :

أى صار المنكر ملكه له و خلقا، اسـتعاره و استعار لفظ الازدياد تشبيها له بالبحر الطامى، و وجه التشبيه كونه عند غضبه لا يحفل بمـا يفعله فى النـاس من المنكرات كما لا حفله للبحر بمن غرق فيه ،و كـذلك شـبّه حركته فى المنكرات و الظلامات بوقع النار فى الحطب ،و وجه الشّبه كونه لا يبالى بتلك الحركات كما لا يبالى النار بما أحرقت .

ثمّ أخـذ يسـئل عن العقول المسـتكمله بـأنوار اللّه، اسـتعاره و اسـتعار لفظ مصابيـح الهـدى :إمّا لأئمّه الـدين أو لقوانينه الكلّيّه .و الاستصـباح بهـا:الاقتـداء بهـا. استعاره و الأبصـار اللامـحه إلى منـار التقوى :أى النـاظره إلى أعلام التقوى،و اسـتعاره لفظ المنار كاستعاره لفظ المصابيح .

ثمّ عن القلوب الّتى وهبهـا للّه أهلهـا:أى جعلوا هممهم مطالعه أنوار كبرياءه و التوجّه إلى كعبه وجوب وجوده . و عوقـدت على طـاعه اللّه :أى اخـذ خلفـاء اللّه عليهم العهـد بطـاعته و المواظبه عليهـا .ثمّ عاد إلى ذمّ السابقين و توبيخهم بازدحامهم على حطام الـدنيا، استعاره و اسـتعار لفـظ الحطـام لمقتنيات الـدنيا،و وجه الاسـتعاره سـرعه فنائها و فسادها كما يسـرع فساد النبت اليابس و تكسـيره ،و بتشـاحّهم على الحرام:أى كلّ واحـد يشاحّ صاحبه على الحرام و يبخل به عليه ،و أشار بعلم الجنّه إلى قانون الشـريعه القايـد إلى الجنّه و بعلم النار إلى الوساوس المزيّنه لقينات الـدنيا.و العلم الأوّل بيد الدعاه إلى اللّه و هم الرسول صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم و من بعـده من أوليـاء اللّه من أهل بيته و التابعين لهم بإحسان،و العلم الثانى بيـد إبليس و جنوده من شـياطين الجنّ و الإنس الـداعين إلى النار .ثمّ ذمّهم بصـرفهم وجوههم عن الجنّه و إقبالهم بأعمالهم على النار حين رفع العلمين من قبل الـدعاه:و إنّما قال:و أقبلوا بأعمالهم.و لم يقل بوجوههم.كما قال:

فصـرفوا وجوههم.لأنّ إقبالهم بوجوه نفوسـهم على لذّات الدنيا و اقتنائها يسـتلزم صـرفها عن الأعمال الموصله إلى الجنّه و ذلك يستلزم إعراضها عن الجنّه.ثمّ لمّا كانت الغايه الّتى يطلبها الإنسان من الدنيا هو الحصول على لذّاتها و كانت النار لازمه

للأعمال الموصله إلى تلك الغايه لزوما عرضيّا لم تكن النار غايه ذاتيّه قد أقبلوا بوجوههم عليها بل كان إقبالهم عليها بأعمالهم.إذ كانت هى المستلزمه لها .ثمّ أخبر فى معرض الذمّ لهم عن مقابلتهم لدعاء ربّهم لهم بالنفار عنه،و لدعاء الشيطان لهم باستجابتهم لدعوته و إقبالهم إليه.و فى قوله: و دعاهم.إلى آخره تنبيه أنّ الرافع لعلم الجنّه هو اللّه بأيدى خلفائه،و الرافع لعلم النار هو الشيطان بأيدى أوليائه.

و باللّه التوفيق.

۱۴۴-و من خطبه له عليه السّلام

القسم الأول

اشاره

أَيُّهَا النَّاسُ- إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَايَا- مَعَ كُلِّ جَرْعَةٍ شَرَقٌ وَ فِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ- لاَ تَنَالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلاَّ بِفِرَاقِ أُخْرَى- وَ لاَ يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ- إِلاَّ بِهَدْمِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ- وَ لاَ تُجَدَّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ إِلاَّ بِنَفَادِ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ- وَ لاَ يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ إِلاَّ مَاتَ لَهُ أَثَرٌ- وَ لاَ يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلاَّ بَعْدَ أَنْ يَخْلَقَ لَهُ جَدِيدٌ- وَ لاَ تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلاَّ وَ تَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ- وَ قَدْ مَضَتْ أُصُولٌ نَحْنُ فُرُوعُهَا- فَمَا بَقَاءُ فَرْعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ

اللغه

أقول: الغرض: الهدف .

المعنى

استعاره و غرض هذا الفصل ذمّ الدنيا و تقبيحها بذكر معايبها لتخفّ الرغبات فيها و تنصرف إلى ما ورائها من الامور الباقيه.فاستعار لهم لفظ الغرض، و وجه الاستعاره كونهم مقصودين بسهام المنيّه من سائر الأمراض و الأغراض كما يقصد الغرض بالسهام ، مجاز فى الإفراد و التركيب و أسند الانتضال إلى المنايا مجازا لأنّ القاصد لهم بالأمراض هو فاعلها بهم.

فكان المجاز هاهنا فى الإفراد و التركيب . كنايه ثمّ كنّى بالجرعه و الأكله عن لذّات

الـدنيا،و بالشـرق و الغصـص عمّا فی كلّ منها من شوب الكـدورات اللازمه لها طبعا من الأمراض و المخاوف و سائر المنغّصات لها .

و قوله: لا تنالون نعمه إلاّ بفراق اخرى.

فيه لطف:و هو إشاره إلى أنّ كلّ نوع من نعمه فإنّما يتجدّد شخص منها و يلتذّ به بعد مفارقه مثله كلذّه اللقمه مثلا فإنّها تستدعی فوت اللـذّه باختهـا السـابقه،و كـذلک لـذّه ملبوس شخصـیّ أو مركوب شخصـیّ،و سـائر ما يعـدّ نعما دنيويّه ملتـذّا بها فإنّها إنّما تحصل بعد مفارقه ما سبق من أمثالها بل و أعمّ من ذلک فإنّ الإنسان لا يتهيّأ له الجمع بين الملاذّ الجسمانيّه فی وقت واحد بل و لا اثنين منها فإنّه حال ما يكون آكلا لا يكون مجامعا أو حال ما هو فی لذّه الأكل لا يكون يلتذّ بمشروب،و حال ما يكون جالسا على فراشه الوثير لاـ يكون راكبـا المنزهه.و نحو ذلـک.و بـالجمله لاـ يكون مشـغولا بنوع من الملاـذّ الجسـمانيّه إلاـّ و هو تارک لغيره،و ما اسـتلزم مفارقه نعمه اخرى لا يعـدّ فی الحقيقه نعمه ملتذّا بها ،و كذلک قوله: و لا يعمّر معمّر منكم.إلى قوله:أجله .لأنّ السرور بالبقاء إلى يوم معيّن لا يصل إليه إلاّ بعد انقضاء ما قبله من الأيّام المحسوسه من عمره.

فإذا هـدم من عمره يوما فيكون لـذّته فی الحقيقه ببقائه مسـتلزما لقربه من الموت و ما اسـتلزم القرب من الموت فلا لـذّه فيه عند الاعتبار ،و كـذلک قوله: و لا تجدّد له زياده فی أكله إلاّ بنفاد ما قبلها من رزقه :أی من رزقه المعلوم أنّه رزقه و هو ما وصل إلى جوفه مثلا فإنّ ما لم يصل جاز أن يكون رزقا لغيره.و قد علمت أنّ الإنسان لا يأكل لقمه حتّى يفنى ما قبلها فهو إذن لا يتجدّد له زياده فی أكله إلاّ بنفاد رزقه السابق،و ما استلزم نفاد الرزق لم يكن لذيذا فی الحقيقه،و روى:اكله.

و يحتمل أن يريـد أنّه إذا تجـدّدت له جهه رزق فتوجّه فيها طالبا له كان ذلک التوجّه مسـتلزما لانصـرافه عمّا قبلها من الجهات و انقطاع رزقه من جهتها،و اللفظ مهمل يصـدق و لو فی بعض الناس فلا تجب الكلّيه ،و كذلک قوله: و لا يحيى له أثر إلاّ مات له أثر .و أراد بالأثر الذكر أو الفعل فإنّ ما كان يعرف به الانسان فی وقت

ما من فعل محمود أو مذموم أو ذكر حسن أو قبيح و يحيى له بين الناس يموت منه ما كان معروفا به قبله من الآثار و ينسى ،و كذلك لا يتجدّد له جديد من زيادات بدنه و نقصانه و أوقاته إلاّ بعد أن يخلق له جديد بتحلّل بدنه و معاقبه شيخوخته بشبابه و مستقبل أوقاته لسالفها ، استعاره و كذلك لا تقوم له نابته إلاّ بعد أن تسقط منه محصوده ،و استعار لفظ النابته لمن ينشأ من أولاده و أقربائه،و لفظ المحصوده لمن يموت من آبائه و أهله .و لذلك قال: و قد مضت اصول يعنى الآباء و نحن فروعها .

ثمّ استفهم على سبيل التعجّب عن بقاء الفرع بعد ذهاب أصله.و قد صرّح أبو العتاهيّه بهذا المعنى حيث قال:

كلّ حياه إلى ممات و كلّ ذى جدّه يحول

كيف بقاء الفروع يوما و ذوّب قبلها الاصول

القسم الثانى منها

اشاره

وَ مَا أُحْدِثَتْ بِدْعَهٌ إِلاَّ تُرِکَ بِهَا سُنَّهٌ- فَاتَّقُوا الْبِدَعَ وَ الْزَمُوا الْمَهْيَعَ- إِنَّ عَوَازِمَ الْأُمُورِ أَفْضَلُهَا- وَ إِنَّ مُحْدَثَاتِهَا شِرَارُهَا

اللغه

أقول: المهيع. الطريق الواسع .و العوازم: جمع عوزم و هى العجوز المسنّه .

المعنى

و المراد بالبدعه كلّ ما احدث ممّا لم يكن على عهد الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و قد اشتمل هذا الفصل على وجه ترک البدعه،و برهان استلزام إحداث البدعه لترک السنّه أنّ عدم إحداث البدع سنّته لقوله صلى اللّه عليه و آله و سلم:کلّ بدعه حرام.فكان إحداثها مستلزما لترک تلک السنّه .ثمّ على أمرهم بتقوى البدع:أى خشيه عواقبها .

ثمّ بلزوم الطريق الواضح،و هى سبيل اللّه و شريعته ،و أراد بعوازم الامور:إمّا قديمها و هو ما كان عليه عهد النبوّه.و إمّا جوازمها و هى المقطوع بها دون المحدثات منها الّتى هى محلّ الشبهه و الشكّ.و يرجّح الأوّل المقابله بمحدثاتها.و جهه وصفها بكونها شرارا كونها محلّ الشبهه و خارجه عن قانون الشريعه فكانت مستلزمه للهرج و المرج و أنواع الشرور.و باللّه التوفيق.

۱۴۵-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

لعمر بن الخطاب

،و قد استشاره فی غزو الفرس بنفسه إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ یَکُنْ نَصْرُهُ- وَ لَا خِذْلَانُهُ بِکَثْرَهٍ وَ لَا بِقِلَّهٍ- وَ هُوَ دِینُ اللَّهِ الَّذِی أَظْهَرَهُ- وَ جُنْدُهُ الَّذِی أَعَدَّهُ وَ أَمَدَّهُ- حَتَّی بَلَغَ مَا بَلَغَ وَ طَلَعَ حَیْثُ طَلَعَ- وَ نَحْنُ عَلَی مَوْعُودٍ مِنَ اللَّهِ- وَ اللَّهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ وَ نَاصِرٌ جُنْدَهُ- وَ مَکَانُ الْقَیِّمِ بِالْأَمْرِ مَکَانُ النِّظَامِ مِنَ الْخَرَزِ- یَجْمَعُهُ وَ یَضُمُّهُ- فَإِنِ انْقَطَعَ النِّظَامُ تَفَرَّقَ الْخَرَزُ وَ ذَهَبَ- ثُمَّ لَمْ یَجْتَمِعْ بِحَذَافِیرِهِ أَبَداً- وَ الْعَرَبُ الْیَوْمَ وَ إِنْ کَانُوا قَلِیلًا- فَهُمْ کَثِیرُونَ بِالْإِسْلَامِ- عَزِیزُونَ بِالِاجْتِمَاعِ- فَکُنْ قُطْباً وَ اسْتَدِرِ الرَّحَی بِالْعَرَبِ- وَ أَصْلِهِمْ دُونَکَ نَارَ الْحَرْبِ- فَإِنَّکَ إِنْ شَخَصْتَ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ- انْتَقَضَتْ عَلَیْکَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَ أَقْطَارِهَا- حَتَّی یَکُونَ مَا تَدَعُ وَرَاءَکَ مِنَ الْعَوْرَاتِ- أَهَمَّ إِلَیْکَ مِمَّا بَیْنَ یَدَیْکَ- إِنَّ الْأَعَاجِمَ إِنْ یَنْظُرُوا إِلَیْکَ غَداً یَقُولُوا- هَذَا أَصْلُ الْعَرَبِ فَإِذَا اقْتَطَعْتُمُوهُ اسْتَرَحْتُمْ- فَیَکُونُ ذَلِکَ أَشَدَّ لِکَلَبِهِمْ عَلَیْکَ وَ طَمَعِهِمْ فِیکَ- فَأَمَّا مَا ذَکَرْتَ مِنْ مَسِیرِ الْقَوْمِ إِلَی قِتَالِ الْمُسْلِمِینَ- فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ هُوَ أَکْرَهُ لِمَسِیرِهِمْ مِنْکَ- وَ هُوَ أَقْدَرُ عَلَی تَغْیِیرِ مَا یَکْرَهُ- وَ أَمَّا مَا ذَکَرْتَ مِنْ عَدَدِهِمْ- فَإِنَّا لَمْ نَکُنْ نُقَاتِلُ فِیمَا مَضَی بِالْکَثْرَهِ- وَ إِنَّمَا کُنَّا نُقَاتِلُ بِالنَّصْرِ وَ الْمَعُونَهِ

المعنی

أقول:اختلف الناقلون لهذا الکلام فی الوقت الّذی قاله لعمر فیه.فقیل:

إنّه قاله فی غزاه القادسیّه.و هو المنقول عن المدائنی فی کتاب الفتوح.و قیل:

فی غزاه نهاوند.و هو نقل محمّد بن جریر الطبریّ.فأمّا وقعه القادسیّه فکانت سنه أربع عشره للهجره استشار عمر المسلمین فی خروجه فیها بنفسه فأشار علیه علیّ علیه السّلام بالرأی المسطور فأخذ عمر به و رجع عن عزم المسیر بنفسه،و أمّر سعد بن أبی وقّاص علی المسلمین.و یروی فی تلک الواقعه أنّ رستم أمیر العسکر من قبل یزدجرد أقام بریدا من الرجال الواحد منهم إلی جانب الآخر من القادسیّه إلی المدائن کلّما تکلّم رستم بکلمه أدّاها بعضهم إلی بعض حتّی یصل إلی سمع یزدجرد،و قصص الواقعه مشهوره فی التواریخ،و أمّا وقعه نهاوند فإنّه لمّا أراد عمر أن یغزو العجم،و جیوش کسری قد اجتمعت بنهاوند استشار أصحابه فأشار عثمان علیه بأن یخرج بنفسه بعد أن یکتب إلی جمیع المسلمین من أهل الشام و الیمن و الحرمین و الکوفه و البصره و یأمرهم بالخروج،و أشار علیّ علیه السّلام بالرأی المذکور:و قال:أمّا بعد و إنّ هذا الأمر لم یکن نصره و لا خذلانه.الفصل.فقال:عمر أجل هذا الرأی،و قد کنت احبّ أن اتابع علیه فأشیروا علیّ برجل اولّیه ذلک الثغر.فقالوا:أنت أفضل رأیا.

فقال:أشیروا علیّ به و اجعلوه عراقیّا.فقالوا:له أنت أعلم بأهل العراق و قد وفدوا علیک فرأیتهم و کلّمتهم.فقال:أما و اللّه لاولینّ أمرهم رجلا یکون غدا لأوّل الأسنّه.قیل:و من هو؟فقال:النعمان بن مقرن.قالوا:هولها.و کان نعمان یومئذ بالبصره فکتب إلیه عمر فولاّه أمر الجیش.

و لنرجع إلى المتن.فقوله: بحذافيره: أى بأسره .

و قوله: إنّ هذا الأمر .إلى قوله: بالاجتماع:

صـدر الكلام أورده ليبتنى عليه الرأى فقرّر فيه أوّلا أنّ هـذا الأمر:أى أمر الإسـلام ليس نصـره بكثره و لا خذلانه بقلّه ،و نبّه على صدق هذه الدعوى بأنّه دين اللّه الّذى أظهره و جنوده،و هى جنده الّذى أعدّه و أمدّه بالملائكه و الناس حتّى بلغ هذا

ص:۱۹۴

المبلغ ،و طلع فی آفاق البلاد حیث طلع .ثمّ وعدنا بموعود و هو النصر و الغلبه و الاستخلاف فی الأرض کما قال «وَعَدَ اللّهُ الَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ لَیَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِی الْأَرْضِ کَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ» (۱)الآیه ،و کلّ وعد من اللّه فهو منجّز لعدم الخلف فی خبره .

و قوله: و ناصر جنده.

یجری مجری النتیجه.إذ من جمله وعده نصر جنده،و جنده هم المؤمنون.فالمؤمنون منصورون علی کلّ حال سواء کانوا قلیلین أو کثیرین . تشبیه ثمّ شبّه مکان القیّم بالأمر بمکان الخیط من العقد ،و وجه التشبیه هو قوله: یجمعه و یضمّه.إلی قوله:أبدا .

مجاز و قوله: لم یجتمع بحذافیره أبدا.

و ذلک أنّهم عند فساد نظامهم بقتل الإمام مثلا یقع بهم طمع العدوّ و ظفره فیکون ذلک سبب استیصالهم .ثمّ رفع عنه الشبهه فی عدم الحاجه إلی اجتماع کلّ العرب فی هذه الواقعه،و ذلک لکثرتهم بالإسلام و استقبال الدوله و عزّتهم باجتماع الرأی و اتّفاق القلوب الّذی هو خیر من کثره الأشخاص،و أراد بالکثره القوّه و الغلبه مجازا إطلاقا لاسم مظنّه الشیء علی الشیء .

استعاره مرشحه بالکنایه و قوله: فکن قطبا.

شروع فی الرأی الخاصّ بعمر.فأشار علیه أن یجعل نفسه مرجعا للعرب تؤل إلیه،و تدور علیه ،و استعار له لفظ القطب و لهم لفظ الرحا ،و رشّح بالاستداره، و کنّی بذلک عن جعل العرب دربه دونه و حیطه له ،و لذلک قال: و أصلهم دونک نار الحرب .لأنّهم إن سلموا و غنموا فذلک الّذی ینبغی،و إن انقهروا کان هو مرجعا لهم و سندا یقوی ظهورهم به بخلاف شخوصه معهم فإنهم إن ظفروا فذلک و إن انقهروا لم یکن لهم ظهر یلجئون إلیه کما سبق بیانه .

و قوله: فإنّک إن شخصت.إلی قوله:فیک.

بیان للمفسده فی خروجه بنفسه من وجهین:

۱- ۱) ۲۴-۵۴.

أحدهما:أنّ الإسلام كان فى ذلك الوقت غضّا،و قلوب كثير من العرب ممّن أسلم غير مستقرّه بعد فإذا انضاف إلى من لم يسلم منهم و علموا خروجه و تركه للبلاد كثر طمعهم و هاجت فتنتهم على الحرمين و بلاد الإسلام فيكون ما تركه ورائه أهمّ عنده بما يستقبله و يطلبه و يلتقى عليه الفريقان من الأعداء .

الثانى:أنّ الأعاجم إذا خرج إليهم بنفسه طمعوا فيه و قالوا المقاله.فكان خروجه محرّصا لهم على القتال و هم أشدّ عليه كلبا و أقوى فيه طمعا .

و قوله: فأمّا ما ذكرت من مسير القوم.إلى آخره.

فهو أنّه قال له:إنّ هؤلاء الفرس قد قصدوا المسير إلى المسلمين و قصدهم إيّاهم دليل قوّتهم،و أنا أكره أن يغزونا قبل أن نغزوهم .فأجابه بأنّك إن كرهت ذلك فإنّ اللّه تعالى أشدّ كراهيّه ،و أقدر منك على التغيّر و الإزاله.و هذا الجواب يدور على حرف و هو أنّ مسيرهم إلى المسلمين و إن كان مفسده إلّا أنّ لقائه لهم بنفسه فيه مفسده أكبر،و إذا كان كذلك فينبغى أن يدفع العظمى،و يكل دفع المفسده الاخرى إلى اللّه تعالى فإنّه كاره لها و مع كراهيّته لها فهو أقدر على إزالتها .

و قوله: و أمّا ما ذكرت من عددهم.إلى آخره.

فهو أنّ عمر ذكر كثره القوم و عددهم فأجابه عليه السّلام بتذكير قتال المسلمين فى صدر الإسلام فإنّه كان من غير كثره ،و إنّما كان بنصر اللّه و معونته فينبغى أن يكون الحال الآن كذلك.و هو يجرى مجرى التمثيل كما أشرنا إليه فى المشوره الأولى،و بوعد اللّه تعالى المسلمين بالاستخلاف فى الأرض و تمكين دينهم الّذى ارتضى لهم و تبديلهم بخوفهم أمنا كما هو مقتضى الآيه.

۱۴۶-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

فَبَعَثَ اللَّهُ؟مُحَمَّداً ص؟ بِالْحَقِّ- لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَهِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ- وَ مِنْ طَاعَهِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ- ؟بِقُرْآنٍ؟ قَدْ بَيَّنَهُ

وَ أَحْكَمَهُ- لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ- وَ لِيُقِرُّوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ- وَ لِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ- فَتَجَلَّى لَهُمْ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ- مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ- وَ خَوَّفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ- وَ كَيْفَ مَحَقَ مَنْ مَحَقَ بِالْمَثُلَاتِ- وَ احْتَصَدَ مَنِ احْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ وَ إِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ- لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ- وَ لاَ أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ- وَ لاَ أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ- وَ لَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرَ مِنَ الْكِتَابِ- إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلاَوَتِهِ- وَ لاَ أَنْفَقَ مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ- وَ لاَ فِي الْبِلاَدِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ- وَ لاَ أَعْرَفَ مِنَ الْمُنْكَرِ- فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ وَ تَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ- فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَ أَهْلُهُ طَرِيدَانِ مَنْفِيَّانِ- وَ صَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لاَ يُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ- فَالْكِتَابُ وَ أَهْلُهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَ لَيْسَا فِيهِمْ- وَ مَعَهُمْ وَ لَيْسَا مَعَهُمْ- لِأَنَّ الضَّلاَلَةَ لاَ تُوَافِقُ الْهُدَى وَ إِنِ اجْتَمَعَا- فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَهِ- وَ افْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَهِ كَأَنَّهُمْ أَئِمَّهُ الْكِتَابِ- وَ لَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ- فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلاَّ اسْمُهُ- وَ لاَ يَعْرِفُونَ إِلاَّ خَطَّهُ وَ زَبْرَهُ- وَ مِنْ قَبْلُ مَا مَثَّلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلَّ مُثْلَهٍ- وَ سَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى اللَّهِ فِرْيَهً وَ جَعَلُوا فِي الْحَسَنَهِ عُقُوبَهَ السَّيِّئَهِ-

وَ إِنَّمَا هَلَکَ مَنْ کَانَ قَبْلَکُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ وَ تَغَیُّبِ آجَالِهِمْ- حَتَّی نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ الَّذِی تُرَدُّ عَنْهُ الْمَعْذِرَهُ- وَ تُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَهُ وَ تَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَهُ وَ النِّقْمَهُ أَیُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ مَنِ اسْتَنْصَحَ اللَّهَ وُفِّقَ- وَ مَنِ اتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِیلاً هُدِیَ لِلَّتِی هِیَ أَقْوَمُ- فَإِنَّ جَارَ اللَّهِ آمِنٌ وَ عَدُوَّهُ خَائِفٌ- وَ إِنَّهُ لاَ یَنْبَغِی لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَهَ اللَّهِ أَنْ یَتَعَظَّمَ- فَإِنَّ رِفْعَهَ الَّذِینَ یَعْلَمُونَ مَا عَظَمَتُهُ أَنْ یَتَوَاضَعُوا لَهُ- وَ سَلاَمَهَ الَّذِینَ یَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُهُ أَنْ یَسْتَسْلِمُوا لَهُ- فَلاَ تَنْفِرُوا مِنَ الْحَقِّ نِفَارَ الصَّحِیحِ مِنَ الْأَجْرَبِ- وَ الْبَارِئِ مِنْ ذِی السَّقَمِ- وَ اعْلَمُوا أَنَّکُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ- حَتَّی تَعْرِفُوا الَّذِی تَرَکَهُ- وَ لَنْ تَأْخُذُوا بِمِیثَاقِ الْکِتَابِ حَتَّی تَعْرِفُوا الَّذِی نَقَضَهُ- وَ لَنْ تَمَسَّکُوا بِهِ حَتَّی تَعْرِفُوا الَّذِی نَبَذَهُ- فَالْتَمِسُوا ذَلِکَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ- فَإِنَّهُمْ عَیْشُ الْعِلْمِ وَ مَوْتُ الْجَهْلِ- هُمُ الَّذِینَ یُخْبِرُکُمْ حُکْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ- وَ صَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ وَ ظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ- لاَ یُخَالِفُونَ الدِّینَ وَ لاَ یَخْتَلِفُونَ فِیهِ- فَهُوَ بَیْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ وَ صَامِتٌ نَاطِقٌ

اللغه

أقول: الأوثان: الأصنام .و زبره: کتبه .و مثّلوا:بفتح المیم و الثاء : أی نکّلوا.

و الاسم المثله بضمّ المیم و سکون الثاء .و القارعه: الشدیده من شدائد الدهر .

المعنی

و مدار هذا الفصل علی بیان بعثه الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و بیان غایه البعثه،و السبب المعدّ للوصول إلی تلک الغایه،ثمّ بیان غایه تلک الغایه .و الإشاره إلی البعثه بقوله:

ص:۱۹۹

فبعث.إلى قوله:بالحقّ ،و أشار إلى غايتها بقوله: ليخرج إلى قوله:طاعته.

و قد علمت أنّ طاعته بسلوك الصراط المستقيم فى الدنيا و هو اتّباع الدين القيّم ، و العدول عن طاعه الشيطان الّتى هى بالخروج إلى أحد طرفى الإفراط و التفريط .

فأشار إلى سبب تلك الغايه بقوله: بقرآن قد بيّنه و أحكمه .و قد علمت اشتمال القرآن الكريم على الجواذب الإلهيّه إلى طاعه اللّه،و سلوك صراطه المستقيم ،و أشار إلى غايه تلك الغايه أعنى غايه طاعه اللّه بقوله: ليعلم العباد.إلى قوله:أنكروه.

و هى مسئلتان من امّهات العلم الإلهىّ:

الاُولى:معرفتهم له بعد جهلهم به .

و الثانيه:الإقرار به بعد جحدهم له و إثباتهم له بعد إنكارهم إيّاه.و المعنى واحد و إن اختلفت العبارتان و هو التصديق بودّه إلّا أن يحمل الإقرار على الإقرار باللسان و الجحد به،و يحمل الإثبات و الإنكار على إثباته بالقلب بعد الإنكار به و حينئذ يتغاير المعنيان ،و أشار بتجلّيه-سبحانه-فى كتابه إلى ظهوره لهم فى تذكيرهم فيه بما أراهم من عجائب مصنوعاته ،و بما خوّفهم به من وعيده ،و بتذكيرهم أنّه كيف محق من محق من القرون الماضيه بالعقوبات و احتصد من احتصد منهم بالنقمات.كلّ ذلك الظهور و الجلاء من غير رؤيه له.إذ تعالى عن إدراك الحواسّ. استعاره و قال بعض الفضلاء:

يحتمل أن يريد بتجلّيه فى كتابه ظهوره فى عجائب مصنوعاته و مكنوناته،و يكون لفظ الكتاب استعاره فى العلم،و وجه المشابهه كونه محلاّ قابلا لآثار الصنع المختلفه و عجائب الصور المنقوشه فيه كما أنّ الكتاب محلّ لنقش الحروف كلّ ذلك من غير رؤيه بحاسّه البصر له لتعاليه و تقدّسه عن ذلك .

و قوله: سيأتى.إلى قوله:المنكر.

إخبار عن زمان يأتى بعده بالصفات المذكوره،و قد رأيناه و رأته قرون قبلنا فإنّ خفاء الحقّ و ظهور الباطل عليه أمر ظاهر،و كون الحقّ لا شىء أخفى منه و الباطل لا شىء أظهر على سبيل المبالغه ،و كذلك لا أكثر من الكذب على اللّه و على رسوله.روى عن شعبه و كان إمام المحدّثين أنّه قال:تسعه أعشار الحديث كذب.

ص:٢٠٠

و عن الدارقطنى.ما الحديث الصحيح إلاّ كالشعره البيضاء فى الثور الأسود .

و قوله: و ليس عند أهل.إلى آخره.

قد مرّ تفسيره فى الفصل الّذى يذمّ من يتصدّى للحكم بين الامّه و ليس له بأهل،و نبذ حمله الكتاب له:إعراض قرّائه عن تدبّر ما فيه و العمل به ،و تناسى حفظته أيضا:تعاميهم عن أمره و نواهيه و تغافلهم عن اتّباعها .

و قوله: فالكتاب.إلى قوله:و إن اجتمعا.

فأهل الكتاب الملازمون للعمل به.و حيث كان أهل ذلك الزمان المشار إليه غير ملتفتين إلى الكتاب كانوا أيضا غير ملتفتين إلى أهله و من يعمل به بل مؤذون لهم فيما يخالفونهم فيه ممّا يقتضيه أحكام الكتاب و يوجبه اتّباعه فكان إعراضهم عنهم إبعادا لهم و نفيا و طردا،و الطريق الّذى اصطحب فيه الكتاب و أهله هو طريق اللّه الواحد .و صدق إذن أنّه لا يؤويهما مؤو من أهل ذلك الزمان.اللّهم إلاّ إذا وافقتا غرضه لكن ذلك ليس للكتاب و للعامل به بل لموافقتهما الغرض .و كونهما فى الناس:أى بوجودهما،و كونهما ليسا فيهم لعدم اتّباعهما و إلغاء فائدتهما فأشبها ما ليس بموجود، و لأنّ فايده الموجود أن ينتفع به .و كذلك معهم بالمصاحبه الاتّفاقيّه فى الوجود، و ليسا معهم لأنّ ضلالتهم لا تجامع هدى الكتاب و أهله فكانا مضادّين لهم و إن اجتمعا فى الوجود .

و قوله: فاجتمع القوم على الفرقه.

أى اتّفقوا على مفارقه الاجتماع و ما عليه الجماعه أمّا فى وقته عليه السّلام فكالخوارج و البغاه،و أمّا فيما يستقبل من الزمان بعده فكالآخذين بالآراء و المذاهب المتفرّقه المحدثه فى الدين.و الاجتماع على الفرقه يلازم الافتراق عن الجماعه .

تشبيه و قوله: كأنّهم أئمّه الكتاب.

تشبيه لهم بالأئمّه له فى الجرأه على مخالفه ظواهره و الاختلاف فيه و تفريعه على حسب أغراضهم.إذ شأن الإمام مع المأموم ذلك مع أنّه إمامهم الّذى يجب أن يتّبعوه و يقتفوا أثره،و إذ خالفوه و نبذوه وراء ظهورهم فلم يبق معهم من تمسّكهم

به إلاّ اسمه و علم خطّه و زبره دون اتّباع مقاصده .

و قوله: و من قبل ما مثّلوا بالصالحين.

إشاره إلى زمن بنى اميّه الكائن قبل زمن من يخبر عنهم.و تمثيل بنى اميّه بالصالحين من الصحابه و التابعين و حملهم لهم على المكروه،و نسبتهم لهم إلى الكذب على اللّه،و جعلهم لهم فى الحسنه عقوبه السيّئه ظاهر منهم.و وصفه لمن سيأتى فى ذلک الزمان بالأوصاف المذكوره لا ينافى وصف من قبلهم من بنى أميّه بمثل تلك الأوصاف.

و-ما-مع الفعل فى حكم المصدر و محلّها الرفع بالابتداء و خبرها-من قبل -.

و قوله: و إنّما هلك.إلى آخره.

تنبيه على وجوب تقصير الآمال فى الدنيا لاستلزام طلبها الهلاك الاخروىّ، و أشار إلى القرون الماضيه من قبل،و أراد الهلاك الاخروىّ،و جعل سبب هلاكهم طول آمالهم فى الدنيا الموجب للاستغراق فى لذّاتها المبعّده عن اللّه تعالى مع تغيّب آجالهم عنهم:أى غفلتهم عنها،و قلّه فكرهم فيها و عدم علمهم بتعيينها فإنّ استشعار الأجل موجب للإقلاع عن الانهماك فى اللذّات الحاضره،و منغّص لها .

و قوله: حتّى نزل بهم الموعود.إلى آخره.

ذكر غايه طول آمالهم.و الموعود هو الموت،و تردّ عنه المعذره:أى لا تقبل فيه معذره معتذر ،و ترفع عنه التوبه:أى ينسدّ بابها حين نزوله كقوله تعالى «وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ حَتّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَ لاَ الَّذِينَ» (1)الآيه ،و تحلّ معه القارعه:أى تنزل بمن نزل به الشدائد و الأهوال و تتبعها العقوبات الاخرويّه .ثمّ عاد إلى الرأى الصالح للسامعين فأيّه بهم و نبّههم على وجوب استنصاحه:أى اتّخاذه ناصحا فى قبول أوامره و نواهيه و اتّخاذ قوله دليلا إلى المطالب المهمّه فإنّ استنصاحه يستلزم التوفيق،و اتّخاذه دليلا يستلزم الهدى للّتى هى أقوم:أى للطريق الّتى هى أقوم الطرق .ثمّ نبّه على حسن جوار اللّه بالأمن الّذى هو غايه الجوار ،و على قبح عداوته بذكر الخوف الّذى

۱- ۱) ۲۲-۴.

هو غايه عداوه الملوك خصوصا جبّار الجبابره و ملك الدنيا و الآخره،و أراد بجواره القرب منه بالطاعه،و بعداوته البعد عنه بالمعصيه و مخالفه أوامره.و لا شكّ فى كون الأوّل أمنا من أهوال الآخره و فى كون الثانى فى محلّ الخوف و الخطر .

و قوله: و إنّه لا ينبغى لمن عرف إلى آخره.

إرشاد لهم إلى التواضع للّه و لمن ارشد إلى طريقه،و نهى عن التكبّر عليهم، و النفار عن قبول الحقّ منهم.و خاطب من يعرف عظمه اللّه لاحتقاره نفسه عند ملاحظته لنفسه و نسبته لها إلى جلال اللّه فهو أسرع انفعالا و أحقر فى نفسه أن يتكبّر على اللّه ، و نبّه على حسن التواضع له بذكر عظمته و رفعه للعالمين بعظمته.فإنّه لمّا كان هو العظيم المطلق و كلّ عظمه و رفعه لعظيم فمستفاده من جوده و القرب منه،و كانت العاده جاريه من الملوك فى حقّ من يتواضع لهم و يوفّيهم حقّهم من الإجلال و الإكرام و حسن الانقياد أن يرفعوه و يعظّموه فبالحرّى أن يكون رفعه المتواضع للملك المطلق و العظيم المطلق لازمه عن التواضع له ،و كذلك العاده جاريه منهم بسلامه من استسلم لهم عن معرفته باقتدارهم فبالحرّى أن يكون سلامه المستسلم للّه عن العلم بغلبه قدرته و استيلاء سلطانه لازمه من استسلامه له . تشبيه و إذ أدّبهم بالتواضع للّه و لأوليائه ندبهم إلى قبول الحقّ منهم و عدم النفار منه الشبيه بنفار الصحيح من الأجرب، و البارىء من السقيم ،و وجه الشبه هو شدّه النفار .ثمّ عاد إلى تنفيرهم عن أئمّه الضلال،و ذلك بتنبيههم على أنّهم ليسوا عارفين بالرشد و المعرفه الصحيحه ،و لا آخذين بميثاق الكتاب ،و لا متمسّكين به الأخذ و التمسّك التامّ ما لم يعرفوا اولئك الضالّين.

و إنّما شرط معرفتهم للرشد بمعرفتهم لتاركه لأنّ المعرفه التامّه للرشد بل لكلّ شىء تستدعى معرفه ما عليها من الشكوك و الشبهات الّتى هى سبب التشكيك فيها و ترك العمل على وفقها،و لمّا كان الرشد و هو الحقّ الّذى هو عليه و تابعوه،و كان التارك لذلك هم مخالفوه و خصومه فى الأمر من أئمّه الضلال لا جرم كان من تمام معرفه الحقّ الّذى فى يده و الرشد الّذى يدعو إليه معرفه خصومه و أنّهم على شبهه إذا عرفها طالب الحقّ تمّت معرفته بطريق الرشد فسلكها و نفر عمّن نكب،

و كذلك شرطه لأخذهم بميثاق الكتاب و العمل بما فيه بمعرفتهم لمن نقضه من خصومه:أى إنّ أخذهم بما يعمل به عليه السّلام منه لا يتمّ منهم إلاّ أن يعرفوا شبهه ناقضه و هو العامل بخلاف حكمه عليه السّلام على وفق الكتاب لشبهه حتّى إذا اطّلعوا على كيفيّه فسادها و ضلاله بها أخذوا بميثاق الكتاب على بصيره،و علموا أنّه ناقض له فنفروا عنه،و كذلك شرطه لتمسّكهم بالكتاب و لزومهم بميثاقه بمعرفه نابذه و أنّه ضالّ لتحصل النفره عنه فيتمّ التمسّك به و يتأكّد لزوم ميثاقه.و غايه كلّ ذلك التنفير عن أئمّه الضلال بمعرفتهم و معرفه ما هم عليه من الشبه و التبرّى منهم .

استعاره ثمّ بعد أن نبّه على تلك المعرفه أمر بالتماسها من عند أهلها،و الإشاره بهم إلى نفسه و أهل بيته عليهم السّلام ،و استعار لهم وصفى عيش العلم :أى حياته،و موت الجهل .و وجه الاستعاره الاولى:أنّ بهم يكون وجود العلم و الانتفاع به كما يكون بحياه الشىء الانتفاع به،و وجه الثانيه:أنّ بهم يكون عدم الجهل و عدم التضرّر به كما يكون بموت الشرير عدمه و عدم مضرّته .

و قوله: هم الّذين يخبركم حكمهم عن علمهم.

أى يدلّكم منطقهم بالحكمه،و سيرتهم على وفقها على كمال نفوسهم بالعلوم،و صمتهم عن منطقهم فإنّ لصمت المنطيق اللسن ذى الحكمه العزيزه وقتا و هيئه و حاله تكون قرائن دالّه على حسن منطقه و علمه بما يقول،و كذلك ظاهرهم عن باطنهم .

و قوله: لا يخالفون الدين.

إشاره إلى لزومهم لأوامر اللّه و طريق شريعته. و لا يختلفون فيه .إشاره إلى اتّفاق آرائهم على أحكامه عن كمال علومهم به.فإنّه لمّا كان طريقا واحدا و اتّفقوا على معرفته وجب أن لا يختلفوا فيه و لا يضلّ أحدهم عن حكم من أحكامه حتّى يخالف صاحبه فيه ..

و قوله: فهو بينهم شاهد صادق.

أى شاهد يستدلّون به على الأحكام و الوقايع النازله بهم و بغيرهم.لا يكذب

من حيث هو شاهد ، استعاره و صامت ناطق لكونه حروفا و أصواتا.و إنّما ينطق بألسنتهم فهو بمنزله الناطق.و اللفظان استعاره،وجهها الإفاده مع النطق به و عدمها مع السكوت عنه كافاده الناطق و عدم إفاده الصامت .

۱۴۷–و من كلام له عليه السّلام

اشاره

فى ذكر أهل البصره

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الْأَمْرَ لَهُ- وَ يَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ- لاَ يَمُتَّانِ إِلَى اللَّهِ بِحَبْلٍ- وَ لاَ يَمُدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ- كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلُ ضَبٍّ لِصَاحِبِهِ- وَ عَمَّا قَلِيلٍ يُكْشَفُ قِنَاعُهُ بِهِ- وَ اللَّهِ لَئِنْ أَصَابُوا الَّذِى يُرِيدُونَ- لَيَنْتَزِعَنَّ هَذَا نَفْسَ هَذَا- وَ لَيَأْتِيَنَّ هَذَا عَلَى هَذَا- قَدْ قَامَتِ الْفِئَهُ الْبَاغِيَهُ فَأَيْنَ الْمُحْتَسِبُونَ- فَقَدْ سُنَّتْ لَهُمُ السُّنَنُ وَ قُدِّمَ لَهُمُ الْخَبَرُ- وَ لِكُلِّ ضَلَّهٍ عِلَّهٌ وَ لِكُلِّ نَاكِثٍ شُبْهَهٌ- وَ اللَّهِ لاَ أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ اللَّدْمِ- يَسْمَعُ النَّاعِيَ وَ يَحْضُرُ الْبَاكِيَ

اللغه

أقول: متّ إليه بكذا: أى تقرّب إليه به .و الضبّ: الحقد و الغلّ .

و المحتسبون: طالبون الأجر و الثواب .و اللدم: ضرب الصدر باليد فعل الحزين ،

المعنى

و الضمير فى منهما راجع إلى طلحه و الزبير،و الأمر :أمر الخلافه،و ذلك حين خرجا إلى البصره مع عائشه ،و يعطفه إليه :يجذبه إلى نفسه و يزعم أنّه أحقّ به من صاحبه .

و قوله: لا يمتّان.إلى قوله:بسبب.

أى لا حجّه يعتذران إلى اللّه تعالى بها فى قتالهما له عليه السّلام و هلاك المسلمين فيما بينهم .

ص:۲۰۵

و قوله: كلّ واحد منهما حامل ضبّ لصاحبه.

أى فى صدره غلّ عليه و عمّا قليل يظهر و ينكشف، استعاره و استعار لفظ القناع لظاهره الساتر لباطنه،و ذلك مثل يضرب لمن ينافق صاحبه و يظهر له الصداقه مع حسده و عقوقه له فى الباطن.و العرب تضرب بالضبّ المثل فى العقوق.فيقال:

أعقّ من ضبّ.و ذلك أنّه ربّما يأكل حسوله .ثمّ أقسم لئن أصابوا بغيتهم لينزعنّ هذا و ليأتينّ عليه:أى يسعى كلّ منهم فى قتل صاحبه،و هذا ممّا لا شكّ فيه فإنّ العاده جاريه بعدم قيام الأمر برئيسين معا،و سرّه أنّ الطباع البشريّه متشاحّه على الكمال و يتفاوت ذلك التشاحّ بحسب تفاوت ذلك الكمال فى تصوّر قوّته و ضعفه و لا شىء فى نفوس طالبى الدنيا أعظم من الملك خصوصا فى نفس من يعتقد أنّه يقدر على تحصيل الآخره فيه أيضا فإنّ تحصيل الدنيا و الآخره هى أكمل الكمالات المطلوبه للإنسان.و لا شىء يقاوم هذا المطلوب فى النفوس.فهى تسعى فى تحصيله بكلّ ممكن من قتل الولد و الوالد و الأخ.و لذلك قيل:الملك عقيم.و قد نقل عن هذين الرجلين الاختلاف قبل إصابتهما و قبل وقوع الحرب فاختلفا فى الأحقّ بالتقديم فى الصلاه فأقامت عايشه محمّد بن طلحه و عبد اللّه بن الزبير يصلّى هذا يوما و هذا يوما إلى أن ينقضى الحرب.ثمّ إنّ عبد اللّه بن الزبير ادّعى أنّ عثمان نصّ عليه بالخلافه يوم الدار و احتجّ على ذلك باستخلافه له فى الصلاه،و احتجّ تاره بنصّ صريح ادّعاه.و طلب طلحه أن يسلّم الناس عليه بالإمره و أدلى إليها بالسميّه،و أدلى الزبير بأختها أسماء.فأمرت الناس أن يسلّموا عليهما بالإمره، و اختلفا فى تولّى القتال فطلبه كلّ واحد منهما أوّلا ثمّ نكل عنه.و أحوالهم فى ذلك ظاهره .

فقوله: قد قامت الفئه الباغيه.

إشاره إليهم و هم الناكثون الّذين نقل فيما سبق فيهم الخبر:امرت أن اقاتل الناكثين و القاسطين و المارقين .

و قوله: فأين المحتسبون و قد سنّت لهم السنن .

ص:۲۰۶

أی أین طالبو الثواب من اللّه بعد وضوح الطریق،و روی:فأین المحسنون .

و قوله: و قدّم لهم الخبر.

أی أخبرهم الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عن خروج فئه باغیه و ناکثه و مارقه.فبالحریّ أن یحذر هؤلاء أن یکونوا ممّن أخبر عنهم .

و قوله: و لکلّ ضلّه علّه.

أی لکلّ خروج عن سبیل اللّه علّه.و أشار إلی خروج هذه الفرقه عن الدین.

و تلک العلّه هی البغی و الحسد ،و کذلک لکلّ ناکث شبهه تغطّی عین بصیرته عن النظر إلی وجه الحقّ کطلبهم بدم عثمان.

و قوله : و اللّه لا أکون.إلی آخره.

أقسم أنّه لا یکون کذلک:أی إنّه بعد سماعه لغلبه هؤلاء و جلبهم علیه و تهدیدهم إیّاه لا ینام عنهم و یصبر لهم حتّی یوافوه فیکون فی الغرور کمن یسمع الضرب و البکاء الّذی هو مظنّه الخطر ثمّ لا یصدّق حتّی یجیء لمشاهده الحال و یحضر الباکی و قد کان الأولی به أن یکتفی بذلک السماع لظهور دلالته و یأخذ فی الاستعداد للعدوّ و الحرب منه.

۱۴۸-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

قبل موته

أَیُّهَا النَّاسُ- کُلُّ امْرِئٍ لاَقٍ مَا یَفِرُّ مِنْهُ فِی فِرَارِهِ- الْأَجَلُ مَسَاقُ النَّفْسِ وَ الْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ- کَمْ أَطْرَدْتُ الْأَیَّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ مَکْنُونِ هَذَا الْأَمْرِ- فَأَبَی اللَّهُ إِلاَّ إِخْفَاءَهُ هَیْهَاتَ عِلْمٌ مَخْزُونٌ- أَمَّا وَصِیَّتِی فَاللَّهَ لاَ تُشْرِکُوا بِهِ شَیْئاً- وَ؟مُحَمَّداً ص؟ فَلاَ تُضَیِّعُوا سُنَّتَهُ- أَقِیمُوا هَذَیْنِ الْعَمُودَیْنِ-

ص:۲۰۷

وَ أَوْقِدُوا هٰذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ- وَ خَلاَكُمْ ذَمٌّ مَا لَمْ تَشْرُدُوا- حُمِّلَ كُلَّ امْرِئٍ مِنْكُمْ مَجْهُودَهُ- وَ خُفِّفَ عَنِ الْجَهَلَهِ- رَبٌّ رَحِيمٌ وَ دِينٌ قَوِيمٌ وَ إِمَامٌ عَلِيمٌ- أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ- وَ أَنَا الْيَوْمَ عِبْرَهٌ لَكُمْ وَ غداً مُفَارِقُكُمْ- غَفَرَ اللَّهُ لِی وَ لَکُمْ- إِنْ تَثْبُتِ الْوَطْأَهُ فِی هَذِهِ الْمَزَلَّهِ فَذَاكَ- وَ إِنْ تَدْحَضِ الْقَدَمُ فَإِنَّا كُنَّا فِی أَفْيَاءِ أَغْصَانٍ- وَ مَهَبِّ رِيَاحٍ وَ تَحْتَ ظِلِّ غَمَامٍ- اضْمَحَلَّ فِی الْجَوِّ مُتَلَفَّقُهَا وَ عَفَا فِی الْأَرْضِ مَخَطُّهَا- وَ إِنَّمَا كُنْتُ جَاراً جَاوَرَكُمْ بَدَنِی أَيَّاماً- وَ سَتُعْقَبُونَ مِنِّی جُثَّهً خَلاَءً- سَاكِنَهً بَعْدَ حَرَاكٍ وَ صَامِتَهً بَعْدَ نُطُوقٍ- لِيَعِظْكُمْ هُدُوِّی وَ خُفُوتُ إِطْرَاقِی وَ سُكُونُ أَطْرَافِی- فَإِنَّهُ أَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ الْمَنْطِقِ الْبَلِيغِ- وَ الْقَوْلِ الْمَسْمُوعِ- وَدَاعِی لَكُمْ وَدَاعُ امْرِئٍ مُرْصِدٍ لِلتَّلاَقِی- غداً تَرَوْنَ أَيَّامِی وَ يُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِی- وَ تَعْرِفُونَنِی بَعْدَ خُلُوِّ مَكَانِی وَ قِيَامِ غَيْرِی مَقَامِی

اللغه

أقول: أطردت الأيّام: صيّرتها طريده لی .و شرد الجمل: ذهب لوجهه .

و دحضت القدم: زلفت .و اضمحلّ: فنی .و المخطّ: الأثر .

و هذا الفصل محلّ الوعظ و الاعتبار.

فأيّه بالناس و نبّههم على لحوق ضروره الموت المنفور منه طبعا.و أحسن بقوله:فی فراره.فإنّه لمّا كان الإنسان دائما فارّا من الموت و متوقيّا له،و كان لابدّ منه.لا جرم كان ضروریّ اللقاء له فی فراره.

و الأجل قد يراد به غايه الحياه الدنيا كما قال تعالى «فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ» (۱)و قد يراد به المدّه المضروبه للإنسان و هی مدّه عمره،و إيّاه عنی هاهنا بقوله :

۱- ۱) ۳۲-۷.

و الأجل مساق النفس فإنّ مدّه بقائها فى هذا البدن هو مساقها إلى غايتها لا محلّ قرارها.

مجازا إطلاقا لاسم اللازم على ملزومه و قوله : و الهرب منه موافاته.

فى غايه اللطف،و ذلك أنّ الفارّ من الموت مثلا ـ بالحركات و العلاجات و نحوها يستلزم حركاته فى ذلك فناء الأوقات و تصرّمها و قطع تلك الأوقات مستلزم لملاقاته و موافاته فأطلق لفظ الموافاه على الهرب مجازا إطلاقا لاسم اللازم على ملزومه.

و قوله : كم أطردت الأيّام.

أى صيّرتها طريده لى أتّبع بعضها بعضا بالبحث و تعرّف مكنون هذا الأمر:

أى الّذى وقع له من القتل،و ذلك المكنون هو وقته المعيّن بالتفصيل و مكانه فإنّ ذلك ممّا استأثر اللّه تعالى بعلمه كقوله تعالى «إِنَّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَهِ» و قوله «وَ ما تَدْرِی نَفْسٌ بِأَیِّ أَرْضٍ تَمُوتُ» (1)و إن كان قد أخبره الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بكيفيّه قتله مجملا كما روى عنه أنّه قال:ستضرب على هذه-و أشار إلى هامّته-فيخضب منها هذه-و أشار إلى لحيته-.و عنه أنّه قال:أتعلم من أشقى الأوّلين؟قال:نعم عاقر الناقه.فقال له:أتعلم من أشقى الآخرين؟قال:لا.قال:من يضربك هاهنا فيخضب هذه.و أمّا بحثه هو فعن تفصيل الوقت و المكان و نحوهما من القرائن المشخّصه،و ذلك البحث إمّا بالسؤال من الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مدّه حياته و كتمانه إيّاه أو بالفحص و التفرّس من قرائن أحواله فى سائر أوقاته مع الناس .فأبى اللّه إلاّ أن تخفى عنه تلك الحال.هيهات:أى بعد ذلك العلم فهو علم مخزون .ثمّ شرع فى الوصيّه فبدء بالأهمّ فالأهمّ فالأوّل:هو الإخلاص للّه بالإعراض عن كلّ ما سواه، و فى ذلك لزوم أوامره و نواهيه و سائر ما نطق به كتابه العزيز.الثانى :لزوم سنّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و عدم إهمالها.و إنّما قدّم اسم اللّه على محمّد لما بيّنا أنّ الواجب فى علم البيان تقديم الأهمّ. استعاره مرشحه ثمّ أكّد القول فى الأمر باتّباع التوحيد المطلق و السنّه النبويّه، و استعار لهما لفظ العمودين و رشّح بذكر الإقامه ،و لفظ المصباحين و رشّح بذكر

1- 1) ۳۴-۳۱.

الإيقاد،و وجه الاستعاره الاولى أنّ مدار الإسلام و نظام امور المسلمين فى معاشهم و معادهم على توحيد اللّه و لزوم ما جاء به رسوله كما أنّ مدار الخيمه و قيامها بالعمد، و وجه الثانيه:أنّ توحيد اللّه و الاقتداء بما جاء به رسوله مستلزمان للهدايه فى طريقه من ظلمات الجهل قائدان إلى جواره فى جنّات النعيم و هو المطلوب الحقيقىّ كما يهدى المصباح فى الظلام على الطريق إلى المطلوب.

و قوله : و خلاكم ذمّ.

أى عداكم،و هى كلمه تجرى مجرى المثل:أى عند لزومكم لتوحيد اللّه و سنّه رسوله لا ذمّ عليكم،و أوّل من قالها قصير مولى جذيمه حين حثّ عمرو بن عدىّ ابن اخت جذيمه على ثاره من الزباء.فقال له عمرو:كيف لى بذلك و الزباء أمنع من عقاب الجوّ.فقال له قصير:اطلب الأمر و خلاك ذمّ.

و قوله: ما لم تشردوا.

استثناء من نفى لحوق الذمّ لهم:أى أوقدوا هذين المصباحين فما دمتم كذلك فلا ذمّ يلحقكم إلاّ أن تشردوا:أى تنفرّقوا عمّا أنتم عليه.ثمّ لمّا كان قد أمرهم بلزوم هذين الأمرين اللذين يدور عليهما التكليف بيّن لهم بقوله : حمل كلّ امرىء منكم.إلى قوله:الجهله .أنّ التكليف بذلك يتفاوت فكلّ امرء من العلماء و أهل النباهه و من هو بصدد العلم يحمل مجهوده و طاقته منه بالتنبيه على الأدلّه و تعليمها، و أمّا الجهّال كالنساء و أهل الباديه و الزنج و نحوهم من أهل الغباوه فتكليفهم دون ذلك و هو بالمحسوس من العبادات دون الأمر بالتفكّر فى مقاصدها .ثمّ ذكر وصف الرحمه للربّ لمناسبه ما سبق من ذكر التخفيف عن الجهله فى التكليف. و دين قويم :

لا عوج فيه و لا زيغ عن القصد الحقيقىّ. و إمام عليم :إشاره إلى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم العالم بكيفيّه سلوك طريق اللّه و مراحلها و منازلها،و الهادى فيها بما يقتضيه حكمته من القول و العمل،أو إلى نفسه لكونه وارث علمه و سالك مسالكه.و ربّ:خبر مبتدأ محذوف و تقديره و ذلك المكلّف ربّ رحيم،و يجوز أن يكون فاعلا لفعل يفسّره قوله:حمل و خفّف:أى يحملكم ربّ كقوله تعالى «يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ»

«رِجالٌ » (۱)ثمّ ختم الوصيّه بالدعاء لهم و له و بطلب المغفره .ثمّ تمّم بالتنبيه لهم على وجه الاعتبار به،و هو تصرّف حالاته بحسب الأزمان فقد كان بالأمس صاحبهم فى الحرب و منازعه الأقران و صاحب الأمر و النهى فيهم،و اليوم عبره لهم بحال مصرعه و ضعفه عن الحراك،و غدا مفارقهم بالموت.و كلّ هذه التغييرات محلّ الاعتبار يجب التنبيه لها.و أراد بغد إمّا حقيقه إن كان قد غلب على ظنّه موته فى تلك الواقعه،أو ما يستقبل من الزمان و إن بعد،و هذا أرجح لقوله: كنايه إن ثبتت الوطأه فى هذه المزلّه :أى إن يكن لى ثبات فى الدنيا و بقاء فى هذه المزلّه:أى محلّ الزوال عن الحياه فذاك المرجوّ،و كنّى بثبات الوطأه عمّا ذكرناه ،و بدحض القدم عن عدم ذلك بالموت.

كنايه-استعاره و قوله فى جواب الشرط: فإنّا كنّا فى أفياء أغصان.إلى قوله:مخطّها.

أى و إن نمت فإنّا كنّا فى كذا.و كنّى بالامور المذكوره عن أحوال الدنيا و ملذّاتها و بقائه فيها و متاعه بها،و قيل:استعار لفظ الأغصان للأركان الأربعه من العناصر،و لفظ الأفياء لما تستريح فيه النفوس من تركيبها فى هذا العالم،و وجه الاستعاره الاولى:أنّ الأركان فى مادّتها كالأغصان للشجره،و وجه الثانيه:

أنّ الأفياء محلّ الاستراحه و اللذه كما أنّ الكون فى هذا البدن حين صحّه التركيب و اعتدال المزاج من هذه الأركان كذلك.و كذلك استعار لفظ مهابّ الرياح للأبدان،و لفظ الرياح للأرواح و النفحات الإلهيّه عليها فى هذه الأبدان،و وجه الاولى:قبول الأبدان لنفحات الجود كقبول مهابّ الرياح لها استعاره لفظ المحسوس للمعقول،و وجه الثانيه:أظهر من أن يذكر.و كذلك لفظ الغمام للأسباب العلويّه من الحركات السماويّه و الاتّصالات الكوكبيّه و الأرزاق المفاضه على الإنسان فى هذا العالم الّتى هى سبب بقائها،و وجهها الاشتراك فى الإفاضه و السببيّته ، كنايه و كنّى بظلّها عمّا يستراح إليه منها كما يقال:فلان يعيش فى ظلّ فلان:أى فى عيشه و عنايته ،و كنّى باضمحلال متلفّقها فى الجوّ عن تفرّق الأسباب العلويّه للبقاء و

ص:۲۱۱

۱- ۱) ۳۶-۲۴.

فنائها ،و بعفاء مخطّها فى الأرض عن فناء آثارها فى الأبدان ،و الضمير فى متلفّقها يعود إلى الغمام،و فى مخطّها يعود إلى مهابّ الرياح.

كنايه و قوله : فإنّما كنت جارا جاوركم بدنى أيّاما.

فيه تنبيه على أنّ نفسه القدسيّه كانت متّصله بالملأ الأعلى،و لم يكن لها ميل إلى البقاء فى الدنيا و مجاوره أهلها فيها فكانت مجاورته لهم ببدنه فقط،و أيضا فإنّ المجاوره من عوارض الجسميّه فيحتمل أن يكون ذلك تنبيها منه على وجود أمر آخر غير البدن و هو النفس،و كنّى بالأيّام عن مدّه حياته الدنيا.

و قوله : و ستعقبون.

أى توجدون فى عاقبه أمركم منّى جثّه خاليه لا روح بها و لا حراك قد افقرت من تلك المعانى المعهوده لكم من العقل و النطق و القوّه فهى متبدّله بالحراك السكون،و بالنطق السكوت .ثمّ عاد إلى أمرهم بالاتّعاظ بذلك الهدوء و خفوت الأطراق و سكون الأطراف بالموت.

و قوله : فإنّه أوعظ للمعتبرين من المنطيق البليغ .صاحب اللسن و الفصاحه.

كلام حقّ فإنّ الطباع أكثر انفعالا و اعتبارا عن مشاهده ما فيه العبره من الوصف له بالقول المسموع،و لو بأبلغ عباره.ثمّ أخذ عليه السّلام فى توديعهم.

فقوله : و داعيكم.إنشاء لاخبر.

و قوله: وداع امرء مرصد للتلاقى.

أى معدّ و مهيّأ للقاء اللّه.

و قوله : غدا ترون أيّامى.إلى آخره.

تذكير لهم بفضيلته و تنبيه عليها ليثبت متّبعوه على اتّباعه،و الغافلون عن فضله و محلّه بينهم إذا فارقهم و ولّى أمرهم الظالمون بعده فلابدّ أن ينكشف لهم ما كان مغطّى عن أعين بصائرهم من لزومه للقصد فى سبيل اللّه ،و يعرفون منزلته و فضله حين مشاهده المنكرات ممّن يقوم مقامه خلفا فى الناس.و إنّ وقائعه و حروبه

و حرصه على هذا الأمر لم يكن لنيل دنيا بل لإقامه سنن العدل و رضا اللّه تعالى.

۱۴۹-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

فی الملاحم

القسم الأول

اشاره

وَ أَخَذُوا يَمِيناً وَ شِمَالاً ظَعْناً فِی مَسَالِكِ الْغَیِّ- وَ تَرْكاً لِمَذَاهِبِ الرُّشْدِ- فَلَا تَسْتَعْجِلُوا مَا هُوَ كَائِنٌ مُرْصَدٌ- وَ لَا تَسْتَبْطِئُوا مَا يَجِیءُ بِهِ الْغَدُ- فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ- وَ مَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ غَدٍ- يَا قَوْمِ هَذَا إِبَّانُ وُرُودِ كُلِّ مَوْعُودٍ- وَ دُنُوٍّ مِنْ طَلْعَهِ مَا لَا تَعْرِفُونَ- أَلَا وَ إِنَّ مَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِی فِيهَا بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ- وَ يَحْذُو فِيهَا عَلَى مِثَالِ الصَّالِحِينَ- لِيَحُلَّ فِيهَا رِبْقاً- وَ يُعْتِقَ فِيهَا رِقّاً وَ يَصْدَعَ شَعْباً- وَ يَشْعَبَ صَدْعاً فِی سُتْرَهٍ عَنِ النَّاسِ- لَا يُبْصِرُ الْقَائِفُ أَثَرَهُ وَ لَوْ تَابَعَ نَظَرَهُ- ثُمَّ لَيُشْحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحْذَ الْقَيْنِ النَّصْلَ- تُجْلَى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ- وَ يُرْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِی مَسَامِعِهِمْ- وَ يُغْبَقُونَ كَأْسَ الْحِكْمَهِ بَعْدَ الصَّبُوحِ

اللغه

أقول: إبّان الشیء.بكسر الهمزه و تشديد الباء: وقته .و الربق بكسر الراء و تسكين الباء: حبل فيه عدّه عرى يشدّ به البهم .و الصدع: الشقّ .و الشعب:

إصلاحه .و الشحذ: التحديد .و القين: الحدّاد .و الغبوق: الشراب بالعشیّ .

و الصبوح: الشرب بالغداه .

المعنی

فقوله: و أخذوا يمينا و شمالا .إلى قوله: الرشد.

إشاره إلى من ضلّ من فرق الإسلام عن طريق الهدى الّتی عليها الكتاب

و السنّه و سلكوا طرفى الإفراط و التفريط منها كما قال عليه السّلام فيما قبل:اليمين و الشمال مضلّه و الطريق الوسطى هى الجادّه.و قد سبق تفسير ذلك مستوفى.و مسالك الغىّ:أطراف الرذائل من الفضايل الّتى عدّدناها كالحكمه و العفّه و الشجاعه و العداله و ما تحتها،و مذاهب الرشد:هى تلك الفضايل،و ظعنا و تركا مصدران قاما مقام الحال.

و قوله : فلا تستعجلوا ما هو كائن مرصد.

ذلك الاستعجال إشاره إلى ما كانوا يتوقّعونه من الفتن الّتى أخبر الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن وقوعها فى المستقبل،و كانوا فى أكثر الوقت يسألونه عليه السّلام عنها فقال:لا تستعجلوا ما هو كائن:أى لا بدّ من وقوعه و هو مرصد معدّ . و لا تستبطئوا ما يجىء به الغد:

أى من الفتن و الوقايع.

و قوله : فكم من مستعجل.إلى قوله:لم يدركه.

ذمّ للاستعجال و الاستبطاء لهذا الموعود كقوله «وَ عَسى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ » (۱)و ما أقرب اليوم من تباشير غد :أى من البشرى بغد.كقوله:غد ما غد ما أقرب اليوم من غد،و كقوله:و إن غدا للناظرين قريب .ثمّ أخذ فى تقريب ذلك الموعود من الفتن فقال:هذا إبّان ورود كلّ موعود به أو وقت دنوّ ظهور ما لا تعرفون من تلك الامور بالتفصيل.

و قوله : ألا و إنّ من أدركها منّا.

أى من أدرك تلك الفتن من أهل بيته الأئمّه الأطهار استعاره مرشحه يسرى فيها بسراج المنير .و استعار لفظ السراج لكمالات نفسه الّتى استضاءت بها فى طريق اللّه من العلوم و الأخلاق الفاضله،و لفظ المنير ترشيح .و هو إخبار عن معرفته للحقّ و تمييزه من الباطل ،و أنّ تلك الفتن لا توقع له شبهه و لا تأثير لها فى عقيدته الصادقه الصافيه بل يتصرّف فيها منقادا لأنوار اللّه على صراطه المستقيم لا يلويه عنه ملو بل يقتفى فيه أثر آبائه الصالحين و يلتزم مكارم الأخلاق فيحلّ ما

۱- ۱) ۲-۲۱۳

انعقـد فيها و أشـكل على الناس من الشـبه ،و يفكّ ربق الشكّ من أعناق نفوسـهم أو يفتدى فيها الأسـرى فيفكّ ربق أسـرهم و يعتقهم،و يصدع ما انشـعب و التأم من ضلال يمكنه صدعه،و يشعب ممّا انصدع من أمر الدين ما أمكنه شعبه فى ستره عن الناس لاـ يبصـر القـائف أثره و لو تـابع إليه نظره ،و مـا زالت أئمّه أهل البيت عليهم السّـلام مغمورين فى الناس لا يعرفهم إلّا من عرّفوه أنفسـهم حتّى لو تعرّفهم من لاـ يريـدون معرفته لهم لم يعرّفهم،و لست أقول لم يعرف أشخاصـهم بل لا يعرف أنّهم أهل الحقّ و الأحقّون بالأمر.

استعاره و قوله : ثمّ ليشحذنّ فيها قوم.

أى فى أثناء ما يأتى من الفتن تشـحذ أذهان قوم.و تعدّ لقبول العلوم و الحكمه كما يشـحذ الحدّاد النصل،و لفظ الشـحذ مسـتعار لإعـداد الأذهان،و وجه الاسـتعاره الاشتراك فى الإعـداد التامّ النافع فهو يمضـى فى مسائل الحكمه و العلوم كمضـىّ النصل فيما يقطع به،و هو وجه التشبيه المذكور .ثمّ أخذ فى تفسير ذلك الشحذه و الإعداد، فقال : تجلّى بالتنزيل أبصارهم :أى تعدّ بالقرآن الكريم و دراسته و تدبّره أبصار بصائرهم لإدراك الحكمه و أسرار العلوم و ذلك لاشتمال التنزيل الإلهىّ عليها ، و يرمى التفسير فى مسامعهم :أى يلقى إليهم تفسيره على وجهه من إمام الوقت. استعاره ثمّ عبّر عن أخذهم الحكمه و مواظبتهم على تلقّفها بعد استعدادهم لها بالغبوق و الصبوح ، و لفظ الصبوح و الغبوق مستعاران لكونهما حقيقتين فى الشرب المخصوص المحسوس.

و هؤلاـ المشـار إليهم بالاسـتعداد للحكمه و أخـذها هم علمـاء الأـمّه من جـاء منهم قبلنا و من فى آخر الزمان من المسـتجمعين لكمالات النفوس السالكين لسبيل اللّه المرتضين فى نظره و نظر الأئمّه من ولده بعده.

القسم الثانى منها

اشاره

:وَ طَالَ الْأَمَدُ بِهِمْ لِيَسْتَكْمِلُوا الْخِزْىَ وَ يَسْتَوْجِبُوا الْغِيَرَ حَتَّى إِذَا اخْلَوْلَقَ الْأَجَلُ- وَ اسْتَرَاحَ قَوْمٌ إِلَى الْفِتَنِ- وَ أَشَالُوا عَنْ لَقَاحِ

حَرْبِهِمْ- لَمْ یَمُنُّوا عَلَى اللَّهِ بِالصَّبْرِ- وَ لَمْ یَسْتَعْظِمُوا بَذْلَ أَنْفُسِهِمْ فِی الْحَقِّ- حَتَّى إِذَا وَافَقَ وَارِدُ الْقَضَاءِ انْقِطَاعَ مُدَّهِ الْبَلَاءِ- حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَسْیَافِهِمْ- وَ دَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرِ وَاعِظِهِمْ حَتَّى إِذَا قَبَضَ اللَّهُ رَسُولَهُ ص رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ- وَ غَالَتْهُمُ السُّبُلُ وَ اتَّکَلُوا عَلَى الْوَلَائِجِ- وَ وَصَلُوا غَیْرَ الرَّحِمِ- وَ هَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِی أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ- وَ نَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ فَبَنَوْهُ فِی غَیْرِ مَوْضِعِهِ- مَعَادِنُ کُلِّ خَطِیئَهٍ وَ أَبْوَابُ کُلِّ ضَارِبٍ فِی غَمْرَهٍ- قَدْ مَارُوا فِی الْحَیْرَهِ وَ ذَهَلُوا فِی السَّکْرَهِ- عَلَى سُنَّهٍ مِنْ؟آلِ فِرْعَوْنَ؟- مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْیَا رَاکِنٍ- أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّینِ مُبَایِنٍ

اللغه

أقول: الأمد: الوقت .و الاشتیال: الرفع .و الولیجه: البطانه،و هی خاصّه الرجل من أهله و عشیرته .و رصّ الأساس: إحکامه .و ماروا: تحرّکوا .

المعنى

و هذا الفصل یستدعی کلاما منقطعا قبله لم یذکره الرضیّ-رضوان اللّه علیه- قد وصف فیه فئه ضالّه قد استولت و ملکت و أملى لها اللّه سبحانه .

و قوله: و طال الأمد بهم لیستکملوا الخزی.

کقوله تعالى «إِنَّما نُمْلِی لَهُمْ لِیَزْدادُوا إِثْماً» (۱)و قوله تعالى «وَ إِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِکَ قَرْیَهً أَمَرْنا مُتْرَفِیها فَفَسَقُوا فِیها فَحَقَّ عَلَیْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْناها تَدْمِیراً» (۲).

کنایه و قوله : حتّى إذا اخلولق الأجل.

اى صار خلقا و هو کنایه عن بلوغهم غایه مدتهم المکتوبه بقلم القضاء الالهى فى اللوح المحفوظ.

ص:۲۱۶

۱- (۱) ۳-۱۷۲.

۲- (۲) ۱۷-۱۷.

و قوله : و استراح قوم إلى الفتن.

إشاره إلى من يعتزل الوقائع الّتى ستقع فى آخر الزمان من شيعه الحقّ و أنصاره.و يستريح إليها:أى يجد فى اشتغال القوم بعضهم ببعض راحه له فى الانقطاع و العزله و الخمول، استعاره و اشتيالهم عن لقاح حربهم :رفعهم لأنفسهم عن تهييجها،و استعار لفظ اللقاح بفتح اللام لإثاره الحرب ملاحظه لشبهها بالناقه.

و قوله : لم يمنّوا.

جواب قوله:حتّى إذا اخلولق.و الضمير فى يمنّوا قال بعض الشارحين:

إنّه عائد إلى العارفين الّذين تقدّم ذكرهم فى الفصل السابق يقول:حتّى إذا ألقى هؤلاء السلّم إلى هذه الفئه الضالّه و عجزوا و استراحوا من منابذتهم إلى فتنتهم تقيّه منهم أنهض اللّه أولئك الّذين خصّهم بحكمته و اطّلعهم على أسرار العلوم فنهضوا و لم يمنّوا على اللّه تعالى بالصبر فى طاعته.و فى روايه بالنصر:أى بنصرهم له .و لم يستعظموا ما بذلوه من نفوسهم فى طلب الحقّ حتّى إذا وافق القدر الّذى هو وارد القضاء و تفصيله انقطاع مدّه هذه الفئه و ارتفاع ما كان شمل الخلق من بلائهم حمل هؤلاء العارفون بصائرهم على أسيافهم،و فيه معنى لطيف يريد أنّهم أظهروا عقايد قلوبهم للناس و كشفوها و جرّدوها مع تجريد سيوفهم فكأنّهم حملوها على سيوفهم فترى فى غايه الجلاء و الظهور كما ترى السيوف المجرّده،و منهم من قال:أراد بالبصائر جمع بصيره و هى الدم فكأنّه أراد طلبوا ثارهم و الدماء الّتى سفكتها تلك الفئه فكانت تلك الدماء المطلوب ثارها محموله على أسيافهم المجرّده للحرب،و أشار بواعظهم إلى الإمام القائم.و أقول:يحتمل أن يريد بالضمير فى يمنّوا و ما بعده القوم الّذين استراحوا إلى الفتنه و اشتالوا عن لقاح الحرب،و ذلك أنّهم لم يفعلوا ذلك إلاّ لأنّه لم يؤذن لهم فى القيام حين استراحتهم و إلقائهم السلّم لهذه الفئه،و لم يتمكّنوا من مقاومتهم لعدم قيام القائم بالأمر فكانوا حين مسالمتهم صابرين على مضض من ألم المنكر الّذى يشاهدونه غير مستعظمين لبذل أنفسهم فى نصره الحقّ لو ظهر من يكون لهم ظهر يلجئون إليه حتّى إذا ورد القضاء الإلهىّ بانقطاع مدّه بلاء هذه

الفئه و ظهور من يقوم بنصر الحقّ و دعا إليه حمل هؤلاء بصائرهم على أسيافهم و قاموا لربّهم بأمر من يقوم فيهم واعظا و مخوّفا و داعيا،و هذا الحمل يرجّحه عود الضمير إلى الأقرب و هم القوم .

و قوله: حتّى إذا قبض اللّه و رسوله.إلى آخره.

هذا الفصل منقطع عمّا قبله لأنّ صريحه ذكر غايه الاقتصاص حال حياه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و حال الناس قبله و بعده و معه،و ليس فى الكلام المتقدّم شيء من ذلك.اللّهم إلاّ أن يحمل من طال الأمد بهم فى الكلام المتقدّم على من كان أهل الضلال قبل الإسلام حتّى إذا اخلولق أجلهم و استراح قوم منهم إلى الفتن و الوقائع بالنهب و الغاره و اشتالوا عن لقاح حربهم:أى أعدّوا أنفسهم لها كما تعدّ الناقه نفسها بشول ذنبها للقاحها:أى برفعه،و تسمّى شائلا،و يكون الضمير فى قوله:لم يمنّوا راجعا إلى ذكر سبق للصحابه فى هذه الخطبه حين قام الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيهم و بهم للحرب فلم يمنّوا على اللّه بصبرهم معه و فى نصره الحقّ،و لم يستعظموا بذل أنفسهم له حتّى إذا وافق وارد القضاء انقطاع مدّه البلاء بدوله الجاهليّه و الكفر حمل هؤلاء الّذين لم يمنّوا على اللّه بنصرهم بصائرهم:أى ما كانوا يخفونه من الإسلام فى أوّله على سيوفهم:أى كشفوا عقائدهم كما سبق القول فيه أو دمائهم و ثاراتهم من الكفّار، و دانوا لربّهم بأمر واعظهم و هو الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و حينئذ يصلح قوله:حتّى إذا قبض اللّه رسوله.غايه لذلك الكلام على هذا التأويل.

و قوله: رجع قوم على الأعقاب.إلى آخره.

أمّا على المذاهب الإماميّه فإشاره إلى عدول الصحابه بالخلافه عنه و عن أهل بيته عليهم السّلام إلى الخلفاء الثلاثه،و أمّا على مذهب من صحّح إمامه الخلفاء الثلاثه فيحتمل أن يريد بالقوم الراجعين على الأعقاب من خرج عليه فى زمن خلافته من الصحابه كمعاويه و طلحه و الزبير و غيرهم،و زعموا أنّ غيره أحقّ بهامنه و من أولاده.

كنايه-مجاز فى المفرد-مجاز فى التركيب و الرجوع على الأعقاب كنايه عن الرجوع عمّا كانوا عليه من الانقياد للشريعه و أوامر اللّه و رسوله و وصيّته بأهل بيته ،و غيله السبل لهم كنايه عن اشتباه طرق الباطل

بالحقّ و استراق طرق الباطل لهم و إهلاكها إيّاهم،و هى الشبه المستلزمه للآراء الفاسده كما يقال فى العرف:أخذته الطريق إلى مضيق،و هى مجاز فى المفرد و المركّب:أمّا فى المفرد فلأنّ سلوكهم لسبل الباطل لمّا كان عن غير علم منهم بكونه باطلا ناسب الغيله فأطلق عليه لفظها،و أمّا فى المركّب فلأنّ إسناد الغيله إلى السبل ليس حقيقه.إذ الغيله من فعل العقلاء .و اتّكالهم على الولائح اعتماد كلّ من رأى منهم رأيا فاسدا على أهله و خواصّه فى نصره ذلك الرأى . و وصلوا غير الرحم :أى غير الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ترك المضاف إليه للعلم به.و كذلك هجروا السبب الّذى امروا بمودّته و لزومه يريد أهل البيت أيضا،و ظاهر كونهم سببا لمن اهتدى بهم فى الوصول إلى اللّه سبحانه كما قال الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:خلّفت فيكم الثقلين:كتاب اللّه و عترتى أهل بيتى حبلان ممدودان من السماء إلى الأرض لم يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض.

فاستعار لهم لفظ الحبل،و السبب فى اللغه الحبل و أمرهم بمودّته كما فى قوله تعالى «قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِی الْقُرْبی» (۱).

و قوله : و نقلوا البناء عن رصّ أساسه فبنوه فى غير موضعه.

إشاره إلى العدول بأمر الخلافه عنه و عن أهل بيته إلى غيرهم،و صله غير الرحم خروج عن فضيله العداله إلى رذيله الظلم،و عدم مودّه اولى القربى رذيله التفريط من تلك الفضيله الداخله تحت العفّه،و كذلك نقل البناء عن موضعه دخول فى رذيله الظلم. استعاره ثمّ وصفهم وصفا إجماليّا بكونهم معادن كلّ خطيئه :أى إنّهم مستعدّون لفعل كلّ خطيئه،و مهيّئون لها.فهم مظانّها،و لفظ المعادن استعاره، و كذلك أبواب كلّ ضارب فى عمره ،و استعار لفظ الأبواب لهم باعتبار أنّ كلّ من دخل فى غمره جهاله أو شبهه يثير بها فتنه،و استعان بهم فتحوا له ذلك الباب و ساعدوه و حسّنوا له رأيه فكأنّهم بذلك أبواب له إلى مراده الباطل يدخل منها.

و قوله : قد ما روا فى الحيره.

أى تردّدوا فى أمرهم فهم حائرون لا يعرفون جهه الحقّ فيقصدونه،و ذهلوا:

ص:۲۱۹

۱- ۱) ۲۲-۴۲.

أى غـابت أذهـانهم فى سـكره الجهل فهم على سنّه من آل فرعون و طريقته،و إنّما نكّر السنّه لأنّه يريـد بها مشابهتهم فى بعض طرائقهم،و آل فرعون أتباعه.

و قوله : من منقطع إلى الدنيا.إلى آخره.

تفصيل لهم باعتبار كونهم على سنّه من آل فرعون فمنهم المنقطع إلى الدنيا المنهمك فى لذّاتها المكبّ على تحصيلها ،و منهم المفارق للدين المباين له و إن لم يكن له دنيا،و المنفصله مانعه الخلوّ بالنسبه إلى المشار إليهم،و يحتمل أن يريد مانعه الجمع،و يشير بمفارق الدين إلى من ليس براكن إلى الدنيا ككثير ممّن يدعى الزهد مع كونه جاهلا بالطريق فتراه ينفر من الدنيا و يحسب أنّه على شىء مع أنّ جهله بكيفيّه سلوك سبيل اللّه يقوده يمينا و شمالا عنها.و باللّه التوفيق.

۱۵۰-و من خطبه له عليه السّلام

القسم الأول

اشاره

وَ أَسْتَعِينُهُ عَلَى مَدَاحِرِ الشَّيْطَانِ وَ مَزَاجِرِهِ- وَ الِاعْتِصَامِ مِنْ حَبَائِلِهِ وَ مَخَاتِلِهِ وَ أَشْهَدُ أَنَّ؟مُحَمَّداً؟ عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ وَ نَجِيبُهُ وَ صَفْوَتُهُ- لَا يُؤَازَى فَضْلُهُ وَ لَا يُجْبَرُ فَقْدُهُ- أَضَاءَتْ بِهِ الْبِلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَهِ الْمُظْلِمَهِ- وَ الْجَهَالَهِ الْغَالِبَهِ وَ الْجَفْوَهِ الْجَافِيَهِ- وَ النَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيمَ- وَ يَسْتَذِلُّونَ الْحَكِيمَ- يَحْيَوْنَ عَلَى فَتْرَهٍ وَ يَمُوتُونَ عَلَى كَفْرَهٍ ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ أَغْرَاضُ بَلَايَا قَدِ اقْتَرَبَتْ- فَاتَّقُوا سَكَرَاتِ النِّعْمَهِ وَ احْذَرُوا بَوَائِقَ النِّقْمَهِ- وَ تَثَبَّتُوا فِي قَتَامِ الْعِشْوَهِ وَ اعْوِجَاجِ الْفِتْنَهِ- عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا وَ ظُهُورِ كَمِينِهَا- وَ انْتِصَابِ قُطْبِهَا وَ مَدَارِ رَحَاهَا- تَبْدَأُ فِي مَدَارِجَ خَفِيَّهٍ وَ تَئُولُ إِلَى فَظَاعَهٍ جَلِيَّهٍ-

شِبَابُهَا كَشِبَابِ الْغُلَامِ وَ آثَارُهَا كَآثَارِ السِّلَامِ- يَتَوَارَثُهَا الظَّلَمَهُ بِالْعُهُودِ أَوَّلُهُمْ قَائِدٌ لِآخِرِهِمْ- وَ آخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوَّلِهِمْ يَتَنَافَسُونَ فِی دُنْيَا دَنِيَّهٍ- وَ يَتَكَالَبُونَ عَلَی جِيفَهٍ مُرِيحَهٍ- وَ عَنْ قَلِيلٍ يَتَبَرَّأُ التَّابِعُ مِنَ الْمَتْبُوعِ- وَ الْقَائِدُ مِنَ الْمَقُودِ فَيَتَزَايَلُونَ بِالْبَغْضَاءِ- وَ يَتَلَاعَنُونَ عِنْدَ اللِّقَاءِ- ثُمَّ يَأْتِی بَعْدَ ذَلِكَ طَالِعُ الْفِتْنَهِ الرَّجُوفِ- وَ الْقَاصِمَهِ الزَّحُوفِ فَتَزِيغُ قُلُوبٌ بَعْدَ اسْتِقَامَهٍ- وَ تَضِلُّ رِجَالٌ بَعْدَ سَلَامَهٍ- وَ تَخْتَلِفُ الْأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا- وَ تَلْتَبِسُ الْآرَاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا- مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَمَتْهُ وَ مَنْ سَعَی فِيهَا حَطَمَتْهُ- يَتَكَادَمُونَ فِيهَا تَكَادُمَ الْحُمُرِ فِی الْعَانَهِ- قَدِ اضْطَرَبَ مَعْقُودُ الْحَبْلِ وَ عَمِیَ وَجْهُ الْأَمْرِ- تَغِيضُ فِيهَا الْحِكْمَهُ وَ تَنْطِقُ فِيهَا الظَّلَمَهُ- وَ تَدُقُّ أَهْلَ الْبَدْوِ بِمِسْحَلِهَا- وَ تَرُضُّهُمْ بِكَلْكَلِهَا يَضِيعُ فِی غُبَارِهَا الْوُحْدَانُ- وَ يَهْلِكُ فِی طَرِيقِهَا الرُّكْبَانُ تَرِدُ بِمُرِّ الْقَضَاءِ- وَ تَحْلُبُ عَبِيطَ الدِّمَاءِ وَ تَثْلِمُ مَنَارَ الدِّينِ- وَ تَنْقُضُ عَقْدَ الْيَقِينِ- يَهْرُبُ مِنْهَا الْأَكْيَاسُ وَ يُدَبِّرُهَا الْأَرْجَاسُ- مِرْعَادٌ مِبْرَاقٌ كَاشِفَهٌ عَنْ سَاقٍ تُقْطَعُ فِيهَا الْأَرْحَامُ- وَ يُفَارَقُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ بَرِيئُهَا سَقِيمٌ وَ ظَاعِنُهَا مُقِيمٌ

اللغه

أقول: المداحر: جمع مدحر.و هی الامور الّتی بها يدحر:أی يطرد .

و مخاتلها: محالّ غروره الّتی يخيّل إلی الناس بها و يوهمهم أنّها نافعه .و البوائق :

جمع بائقه،و هى الداهيه .و القتام بفتح القاف: الغبار .و العشوه بكسر العين:

الأمر على غير بيان و وضوح .و الفظاعه: تجاوز الأمر الشديد الحدّ و المقدار .

و السلام بالكسر: الحجاره الصمّ واحدها سلمه بكسر السين .و المريحه: المنتنه .

و يتزايلون: يتفارقون .و نجومها: طلوعها .و أشرف لها: أى انتصب لدفعها .

و التكادم: التعاضّ بأدنى الفم .و العانه: القطيع من حمر الوحش .و المسحل: المبرد، و المسحل:حلقه تكون فى طرف شكيمه اللجام مدخله فى مثلها .و الوحدان: جمع واحد .و العبيط: الخالص الطرىّ .

المعنى

و صدّر هذا الفصل باستعانه اللّه تعالى على ما يدحر الشيطان و يزجر به.و ذلك هو العبادات و الأعمال الصالحه المستلزمه لطرده و زجره و تطويعه،و على الاعتصام من حبائله و مخاتله.و هى الشهوات و اللذّات الدنيويّه،و استعار لها لفظ الحبايل و هى أشراك الصايد لمشابهتها إيّاها فى استلزام الحصول فيهما للبعد عن السلامه و الحصول فى العذاب ،و من ممادح الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كونه نجيبا للّه:أى مختارا، و روى نجيّه،و صفوه له من خلقه لا يوازى فضله :أى لا يحصل مثله فى أحد.

إذ كان كماله فى قوّتيه النظريّه و العمليّه غير مدرك لأحد من الخلق،و من كان كذلك لم يجبر فقده إلّا بقيام مثله من الناس،و إذ لا مثل له فيهم فلا جبران لفقده.

استعاره-مجاز و قوله : أضاءت به البلاد بعد الضلاله.

أى ضلاله الكفر،و وصفها بالظلمه لعدم الاهتداء فيها للحقّ.و الوصف مستعار، و كذلك وصف الإضاءه به مستعار لاهتداء الخلق به فى معاشهم و معادهم،و إسناد الإضاءه إلى البلاد مجاز .أو الجهاله الغالبه على أكثر الخلق،و أراد الجهل بالطريق إلى اللّه تعالى و بكيفيّه نظام المعاش ممّا بيّنه هو و كشفه بشريعته. و الجفوه الجافيه يريد غلظه العرب و ما كانوا عليه من قساوه القلوب و سفك الدماء،و وصفها بما اشتقّ منها مبالغه و تأكيدا لها،و أراد الجفوه القويّه . و الناس يستحلّون الحريم الواو للحال و العامل أضاءت و يستذلّون الحكيم ،و ظاهر من عاده العرب إلى الآن استذلال من عقل منهم و حلم عن الغاره و النهب و إثاره الفتن،و استنهاضه بنسبته

إلى الجبن و الضعف . و يحيون على فتره :أى على حاله انقطاع الوحى و الرسل، و تلك حال انقطاع الخير و موت النفوس بداء الجهل.و يموتون على كفره و هى الفعله من الكفر لأهل كلّ قرن حيث لا هادى لهم. استعاره ثمّ أخذ عليه السّلام فى إنذار السامعين باقتراب حوادث الوقايع المستقبله الّتى يرمون بها كما يرمى الغرض بالسهام،و استعار لفظ الغرض لهم،و لمّا كانت الفتن الحادثه كتدمير قوم و إهلاكهم مثلا بحسب استعدادهم لذلك و كان أكبر الأسباب المعدّه له هى الغفله عن ذكر اللّه بالانهماك فى نعم الدنيا و لذّاتها استعار للغفلات لفظ السكرات .ثمّ أمر باتّقائها،و حذّر من دواهى النقمات بسبب كفران النعم. استعاره ثمّ أمر بالتثبت أو التبيّن على الروايتين عند اشتباه الامور عليهم و ظهور الشبهه المثيره للفتن كشبهه قتل عثمان الّتى نشأت منها وقايع الجمل و صفّين و الخوارج،و استعار لفظ القتام لذلك الأمر المشتبه،و وجه المشابهه كون ذلك الأمر ممّا لا يهتدى فيه خائضوه كما لا يهتدى القائم فى القتام عند ظهوره و خوضه ، و اعوجاج الفتنه إتيانها على غير وجهها، حقيقت-استعاره و لفظ الجنين يحتمل أن يكون حقيقه:أى عند طلوع ما اجتنّ منها و خفى عليكم ،و كذلك كمينها :

أى ما كمن منها و استتر،و يحتمل أن يكون استعاره ،و عنّى بقطبها من تدور عليه من البغاه المنافرين استعاره.و انتصابه:قيامه لذلك الأمر، استعاره و كذلك استعار لفظ مدار الرحى لدورانها على من تدور عليه من أنصار ذلك القطب و عسكره الّذين تدور عليهم الفتنه .ثمّ أخبر أنّها تبدء فى مدارج خفيّه،و أراد بالمدارج صدور من ينوى القيام فيها و يقصد[يعقد على خ]إثارتها،و كان هذا إشاره إلى فتنه بنى أميّه،و قد كان مبدأها شبهه قتل عثمان،و لم يكن أحد من الصحابه يتوهّم خصوصيّه هذه الفتنه و إنّما كانوا علموا من الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حدوث وقايع و فتن غير معيّنه الأزمان،و لا من يثيرها و يكون قطبا لها.فخفاء مدارجها كتمان معاويه و طلحه و الزبير و غيرهم لامورهم و ما عزموا عليه من إقامه الفتنه و الطمع فى الملك و الدوله حتّى آل ذلك الطمع إلى الامور القطعيّه الواضحه بعد الخفاء ، استعاره و استعار لفظ الشباب لقيامها و ظهورها فى الناس،و وجه المشابهه السرعه فى الظهور و لذلك أكّدها بتشبيه ذلك الظهور بشباب

الغلام :أى فى السرعه ،و مع سرعتها لها آثار فى هدم الإسلام كآثار الحجاره الصلب فى الجلد ،و وجه الشبه إفسادها للبين و لنظام المسلمين كإفساد الحجر ما يقع عليه بالرضّ و الكسر ،و أشار بالظلمه الّتى يتوارثونها إلى بنى اميّه بعهد الأب لابنه إلى آخرهم ، استعاره و ذكر قود أوّلهم لآخرهم إلى النار و الدخول فى الظلم و الضلاله و إثاره تلك الفتن،و استعار لفظ القود لتهيئه الأوّل منهم أسباب الملك لمن بعده و اقتداء آخرهم بأوّلهم فى ذلك ،و ضمير المفعول فى يتوارثونها يرجع إلى تلك الفتنه .

ثمّ أشار إلى صفه حالهم فى إثاره تلك الفتن و توارثها و هى المنافسه فى الدنيا الدنيّه فى نظر العقلاء، استعاره و استعار لفظ التكالب لمجاذبه بعضهم لبعض عليها كالمجاذبه بين الكلاب على الميته . استعاره مرشحه و استعار لها لفظ الجيفه ،و رشّح بذكر المريحه للتنفير عنها،و وجهها كونها مستلزمه لأذى طالبها مهروبا منها العقلاء كالهرب من الجيفه المنتنه و الانزواء عنها . كنايه ثمّ أخبر بانقضائها عن قليل،و كنّى عن ذلك بتبرّء التابع من المتبوع و القايد من المقود :أى يتبرّء كلّ من الفريقين من الآخر كما قال تعالى «إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا» (۱).و قوله «قالُوا ضَلُّوا عَنّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئاً» (۲)و ذلک التبرّء قيل عند ظهور الدوله العباسيّه فإنّ العاده جاريه بتبرّء الناس من الولاه المعزولين خصوصا عند الخوف ممّن تولّى عزل اولئک أو قتلهم فيتباينون بالبغضاء إذ لم تكن الفتهم و محبّتهم إلاّ لغرض دنياوىّ زال،و يتلاعنون عند اللقاء.و قيل ذلک يوم القيامه.

قوله: و عن قليل.إلى قوله:عند اللقاء.

جمله اعتراضيّه مؤكّد بها معنى تعجبّه منهم فكأنّه قال:إنّهم على تكالبهم عليها عن قليل يتبرّء بعضهم من بعض،و ذلک أدعى لهم إلى ترک التكالب عليها .

كنايه و قوله: ثمّ يأتى بعد ذلک طالع الفتنه الرجوف ،و كان هذه الفتنه هى فتنه التتار إذ الدائره فيها على العرب.و قال بعض الشارجين:بل ذلک إشاره إلى الملحمه الكائنه فى آخر الزّمان كفتنه الدّجال،و كنّى عن أهوالها و اضطراب أمر الإسلام

۱- ۱) ۱۶۱-۲.

۲- ۲) ۷۴-۴۰.

فيها بكونها رجوفا:أى كثيره الرجف،و طالعها مقدّماتها و أوائلها ، استعاره بالكنايه و كنّى بقصمها عن إهلاك الخلق فيها،و استعار لها لفظ الزحوف ملاحظه لشبهها بالرجل الشجاع كثير الزحف فى الحرب إلى أقرانه:أى يمشى إليهم قدما .ثمّ شرع فى بيان أفعال تلك الفتنه بالناس من إزاغه قلوب قوم عن سبيل اللّه تعالى بعد استقامتها عليه ، و ضلال رجال:أى هلاكهم فى الآخره بالمعاصى بعد سلامه منها ،و اختلاف الأهواء عن إراده اللّه بهجومها ،و التباس الآراء الصحيحه بالفاسده عند ظهورها على الناس فلا يعرفون وجه المصلحه من غيره ،و من يطلع إلى مقاومتها و سعى فى دفعها هلك ، استعاره و استعار لفظ التكادم إمّا لمغالبه مشيرى هذه الفتنه بعضهم لبعض أو مغالبتهم لغيرهم،و شبّه ذلك بتكادم الحمر فى العانه،و وجه التشبيه المغالبه مع الإيماء:أى خلعهم ربق التكليف من أعناقهم و كثره غفلتهم عمّا يراد بهم فى الآخره ،و استعار معقود الحبل لما كان انبرم من دوله الإسلام استعاره بالكنايه و استعار لفظ الحبل للدين،و كنّى باضطرابه عن عدم استقرار قواعد الدين عند ظهور أوّل هذه الفتنه ،و عمى وجه هذا الأمر:أى عدم الاهتداء إلى وجه المصلحه ،و أشار بالحكمه الّتى تغيض فيها إلى الحكمه الخلقيّه الّتى عليها مدار الشريعه و تعليمها،و استعار لفظ الغيض لعدم ظهورها و الانتفاع بها و ينطق فيها الظلمه بالأمر و النهى،و ما يقتضيه آراؤهم الخارجه عن العدل ، استعاره و استعار لفظ المسحل لما تؤذى به العرب و أهل الباديه،و وجه المشابهه اشتراك المبرد أو شكيمه اللجام و ما تؤذى به العرب من هذه الفتنه فى الإيذاء فكأنّها شجاع ساق عليهم فدقّهم بشكيمه فرسه أو نحو ذلك ،و كذلك استعار لفظ الكلكل لما يدهم البدو منها ملاحظه لشبهها بالناقه التى برك على الشىء فتستحقه .

استعاره بالكنايه و قوله: يضيع فى غبارها الوحدان و يهلك فى طريقها الركبان.

كنايه عن عظمتها:أى لا يقاومها أحد و لا يخلص منها الوحدان و الركبان، استعاره بالكنايه و لفظ الغبار مستعار للقليل اليسير من حركه أهلها:أى أنّ القليل من الناس إذا أرادوا دفعها هلكوا فى غبارها من دون أن يدخلوا فى غمارها،و أمّا الركبان و كنّى بهم عن الكثير من الناس فإنّهم يهلكون فى طريقها و عند خوضها ،و قيل:أراد

بالوحدان فضلاء الوقت.إذ يقال:فلان واحد وقته،و بالغبار الشبه الّتى تغطى الحقّ عن أعينهم،و يكون الركبان كنايه عن الجماعه أهل القوّه،و إذا كان هؤلاء يهلكون فى طريقها:أى عند الخوض لغمراتها فكيف بغيرهم ، كنايه و كنّى بمرّ القضاء عن القتل و الأسر و نحوهما ،و ظاهر كون الموارد ات الموذيه أو النافعه وارده عن القضاء الإلهىّ معلومه الكون ، استعاره بالكنايه و كذلك استعار وصف الحلب لها ملاحظه لشبهها بالناقه،و كنّى بذلك عن سفك الدماء فيها ،و منار الدين أعلامه و هم علماؤه و يحتمل أن يريد قوانينه الكلّيه ،و ثلمها عباره عن قتل العلماء و هدم قواعد الدين و ترك العمل به ،و عقد اليقين هو الاعتقاد الموصل إلى علم اليقين أو إلى عين اليقين و هو اعتقاد الشريعه و إيصال ذلك إلى جوار اللّه تعالى و القرب منه و نقضه هو ترك العمل على وفقه من تغيّره و تبدّله ،و الأكياس الهاربون منها هم العلماء و أهل العقول السليمه و كلّ هذه الإشارات معلومه من فتنه من ذكرنا،و ظاهر كونهم أرجاس النفوس يرجس الشيطان أنجاسها بالهيئات البدنيّه،و الملكات الرديئه أنجاس الأبدان بحكم الشريعه ، استعاره بالكنايه و كنّى عن شدّتها و كونها محلّ المخاوف بوصف المرعاد و المبراق المستعارين ملاحظه لشبهها بالسحابه كثيره البروق و الرعود بوصف كشفها عن ساق عن إقبالها مجرّده كالمشمّر للحرب أو لأمر مهمّ ،و ظاهر كونها تقطع فيها الأرحام و يفارق عليها الإسلام ،و أشار بريّها إلى من يعتقد فى هذه الدوله أنّه ذو صلاح برىء من المعاصى و الآثام مع كونه ليس كذلك.إذ من الظاهر أنّ السالم فى هذه الفتنه من معصيه اللّه قليل بل أقلّ من القليل،و لعلّه عند الاستقراء لا يوجد،و أشار بظاعنها إلى من يعتقد أنّه متخلّف عنها و غير داخل فيها و ظاهر كونه غير منحرف عنها، و يحتمل أن يريد أنّ من ارتحل عنها خوفا لا ينجو منها،و باللّه التوفيق.

القسم الثانى منها:

اشاره

بَيْنَ قَتِيلٍ مَطْلُولٍ وَ خَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ- يَخْتِلُونَ بِعَقْدِ الْأَيْمَانِ وَ بِغُرُورِ الْإِيمَانِ- فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ الْفِتَنِ وَ أَعْلَامَ الْبِدَعِ- وَ الْزَمُوا مَا عُقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ الْجَمَاعَهِ- وَ بُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ الطَّاعَهِ- وَ اقْدَمُوا عَلَى اللَّهِ مَظْلُومِينَ

وَ لاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ- وَ اتَّقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ وَ مَهَابِطَ الْعُدْوَانِ- وَ لاَ تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لُعَقَ الْحَرَامِ- فَإِنَّكُمْ بِعَيْنِ مَنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَعْصِيَهَ- وَ سَهَّلَ لَكُمْ سُبُلَ الطَّاعَهِ

اللغه

أقول:يقال: طلّ دم فلان فهو مطلول: إذا هدر و لم يطلب به .و يختلون:

يخدعون ،و اللعق: جمع لعقه،و هى اسم لما تناوله الملعقه مرّه .

المعنى

فقوله: بين قتيل .إلى قوله: مستجير.

يشبه أن يكون صفه حال المتمسّكين بالدين فى زمان الفتنه الاولى .

و قوله: يختلون .إلى قوله: و بغرور الإيمان.

صفه حال استجلاب هؤلاء المقتولين:أى أنّهم يخدعون بإعطاء الأقسام و العهود الكاذبه و ذلك كخداع الحسين عليه السّلام عن نفسه و أصحابه،روى يختلون بالبناء للفاعل فيكون وصف حال أهل الفتنه و أتباعهم .ثمّ أخذ فى نهى السامعين أن يكونوا أنصارا للفتن الّتى يدركونها،و أعلاما للبدع:أى رؤساء يشار إليهم فيها ، و يقتدى بهم كما يشار إلى الأعلام البيّنه و يقتدى بها،و فى الخبر كن فى الفتنه كابن لبون لا ظهر فيركب و لا ضرع فيحلب .

و قوله: و أقدموا على اللّه مظلومين.

ليس المراد منه الأمر بالانظلام فإنّ ذلك طرف التفريط من فضيله العداله، و هى رذيله بل المراد إنّكم إذا كانت لكم مكنه من الظلم فلا تظلموا و لو استلزم ترك الظلم انظلامكم و هو كسر للنفوس عن رذيله الظلم خصوصا نفوس العرب فإنّها أكثر تطاولا إلى الظلم و أمنع عن قبول الانظلام و الانفعال عنه و إن استلزم الظلم كما أشار إليه العربىّ.

و من لم يذد عن حوضه بسهامه يهدم و من لا يظلم القوم يظلم

و مدارج الشيطان :طرقه،و هى الرذائل الّتى يحسّنها و يقود إليه،و كذلك مهابط العدوان محالّه الّتى يهبط فيها.و هى من طرق الشيطان أيضا ، كنايه و لعق الحرام

کنایه عمّا یکتسبه الإنسان من الدنیا و متاعها علی غیر الوجه الشرعیّ،و نبّه، باللعق علی قلتها و حقارتها بالنسبه الی متاع الاخره مجاز و نبه علی وجوب الانتهاء عمّا نهی عنه بقوله: فإنّکم بعین من حرّم علیکم.إلی آخره یقال:فلان من فلان بمرآ و مسمع و بعین منه إذا کان مطّلعا علی أمره:أی فإنّ الّذی حرّم علیکم المعصیه و أوجب علیکم طاعته مطّلع علیکم و عالم بما تفعلون،و ذلک أردع لهم من النهی المجرّد،و لفظ العین مجاز فی العلم .

۱۵۱-و من خطبه له علیه السّلام

القسم الأول

اشاره

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الدَّالِّ عَلَی وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ- وَ بِمُحْدَثِ خَلْقِهِ عَلَی أَزَلِیَّتِهِ- وَ بِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَی أَنْ لاَ شَبَهَ لَهُ- لاَ تَسْتَلِمُهُ الْمَشَاعِرُ وَ لاَ تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ- لاِفْتِرَاقِ الصَّانِعِ وَ الْمَصْنُوعِ- وَ الْحَادِّ وَ الْمَحْدُودِ وَ الرَّبِّ وَ الْمَرْبُوبِ- الْأَحَدِ بِلاَ تَأْوِیلِ عَدَدٍ- وَ الْخَالِقِ لاَ بِمَعْنَی حَرَکَهٍ وَ نَصَبٍ- وَ السَّمِیعِ لاَ بِأَدَاهٍ وَ الْبَصِیرِ لاَ بِتَفْرِیقِ آلَهٍ- وَ الشَّاهِدِ لاَ بِمُمَاسَّهٍ وَ الْبَائِنِ لاَ بِتَرَاخِی مَسَافَهٍ- وَ الظَّاهِرِ لاَ بِرُؤْیَهٍ وَ الْبَاطِنِ لاَ بِلَطَافَهٍ- بَانَ مِنَ الْأَشْیَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا وَ الْقُدْرَهِ عَلَیْهَا- وَ بَانَتِ الْأَشْیَاءُ مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ وَ الرُّجُوعِ إِلَیْهِ- مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ وَ مَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ- وَ مَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَهُ- وَ مَنْ قَالَ کَیْفَ فَقَدِ اسْتَوْصَفَهُ- وَ مَنْ قَالَ أَیْنَ فَقَدْ حَیَّزَهُ- عَالِمٌ إِذْ لاَ مَعْلُومٌ وَ رَبٌّ إِذْ لاَ مَرْبُوبٌ- وَ قَادِرٌ إِذْ لاَ مَقْدُورٌ

اللغه

أقول: المشاعر: الحواس.إذ هی محلّ الشعور .

ص:۲۲۸

و قد حمد اللّه تعالى باعتبارات من أوصافه ،

و فى الفصل أبحاث من العلم الإلهىّ:

الأوّل:الإشاره إلى وجوده تعالى الواجب

،و للناس فى إثباته طريقان:

إحداهما:إثبات وجوده بالنظر فى نفس الوجود،و قسمته إلى أقسام حاصره، و تقرير هذه الطريقه أن يقال:لا شكّ فى وجود موجود فذلك الموجود إن كان واجب الوجود فهو المطلوب و إن كان ممكنا افتقر إلى مؤثّر بناء على أنّ العلّه المحوجه إلى المؤثّر هى الإمكان،و ذلك الموجود إن كان ممكنا افتقر إلى غيره و لزم الدور أو التسلسل و كلاهما باطلان:أمّا الأوّل:فلأنّه لو افتقر كلّ واحد من الأمرين إلى الآخر باعتبار واحد لزم تقدّم كلّ منهما على المتقدّم على نفسه فيلزم تقدّمه على نفسه بمراتب،و أمّا الثانى:فلأنّه و لو كانت سلسله من علل و معلولات لا نهايه لها فى الوجود لكان مجموعها ممكنا لافتقاره إلى الأجزاء الّتى هى غيره و بمجموعها علّه تامّه فهى إمّا نفسه و هو محال بالبديهه أو أمر داخل فيه و هو باطل لأنّ العلّه التامّه للمركّب علّه أوّلا لأجزائه و إلاّ لتوقّف على علّه أجزائه فلم تكن علّه تامّه له بل هى مع علّه أجزائه هذا خلف،و إذا كانت علّه المركّب علّه أوّلا لأجزائه لزم كون ذلك الجزء المؤثّر فى المجموع مؤثّرا فى نفسه أوّلا و فى علله السابقه فيلزم تقدّمه على نفسه بمراتب غير متناهيه و ذلك باطل بالبديهه فبقى أن يكون المؤثّر فى ذلك المجموع إمّا أمرا خارجا عنه أو ما يتركّب من الداخل و الخارج عنه لكنّ القسم الثانى أيضا باطل لأنّ الداخل لمّا كان جزءا من العلّه المركّبه فله تقدّم عليها،و هى متقدّمه على مجموع الممكنات فلها تقدّم عليه، و على أجزائه فجزئها كذلك فله تقدّم على نفسه و على علله و هو باطل فبقى الأوّل لكن الموجود الخارج عن كلّ الممكنات لا يكون ممكنا بل واجب الوجود،و هو المطلوب،و هذه طريق العلّيّين الّذين يستدلّون به على مخلوقاته و يسمّونه برهان اللمّ.

و أمّا الطريق الثانيه:فهى الاستدلال بالنظر فى المخلوقات و طبائعها و إمكانها و تكثّرها و قبولها للتغيّر و التركيب على مباديها.ثمّ على المبدأ الأوّل-جلّت

عظمته-و هی طریق الطبیعیّین و هی الّتی أشار إلیها علیه السّلام بقوله: الدالّ علی وجوده بخلقه ،و المتکلّمون فرّعوا هذه الطریق إلی أربع طرق:

أحدها:أنّهم استدلّوا بحدوث هذه الذوات علی إمکانها و بإمکانها علی حاجتها إلی موجد و مؤثّر،و هی طریق الأشعریّ و أبی الحسین البصری و المتأخّرین من المتکلّمین.

الثانیه:استدلّوا بحدوث هذه الذوات فقط علی وجود محدث لها من غیر نظر إلی الإمکان فقالوا:الأجسام محدثه و کلّ محدث فله محدث،و المقدّمه الاولی استدلالیّه،و الثانیه عندهم بدیهیّه.

الثالثه:استدلالهم بإمکان الصفات،و ذلک أن بیّنوا أنّ الأجسام الفلکیّه و العنصریّه متماثله،ثمّ قالوا:رأینا بعضها قد اختصّ بصفات لیست للآخر فذلک التخصیص لیس للجسمیّه و لا للوازمها،و إلّا لوجب فی کلّ جسم کذلک،و لا لعارض من عوارضها لأنّ الکلام فی تخصیص ذلک العارض کالکلام فی الأوّل و یلزم التسلسل،و لا للطبیعه کما یقول بعض الناس لأنّها لا تفعل فی المادّه البسیطه کالنقطه مثلا فعلاً مختلفا فبقی أن یکون ذلک التخصیص لمدبّر حکیم و هو مرادنا بالصانع.

الرابعه:الاستدلال بحدوث الصفات و هو ظاهر،و تقریر هذه الطرق و ما لها و علیها فی الکتب الکلامیّه،و ینبغی أن یخصّص المتکلّم قوله علیه السّلام:الدالّ علی وجوده بخلقه الطریقه الاولی لهم،و الثالثه فإنّه علیه السّلام جعل الحدوث دلیلا علی الأزلیّه.

البحث الثانی:فی أزلیّته

،و بیانه ما ذکره علیه السّلام بقوله : و بمحدث خلقه علی أزلیّته ،و تقریر هذه الدلاله أنّه قد ثبت فی موضعه أنّ جمیع المحدثات صادره عن قدرته تعالی و منتهیه عندها فلو کان هو محدثا لکان محدثا لنفسه و هو باطل بالضروره.

البحث الثالث:أنّه لا مثل له و لا شبیه

،و إلیه الإشاره بقوله : و باشتباههم علی أنّه لا شبیه له ،و أراد اشتباههم فی الحاجه إلی المؤثّر و المدبّر،و تقریر هذه الطریق أن نقول:إن کان تعالی غنیّا عن المؤثّر فلا شبیه له فی الحاجه إلیه لکن

المقدّم حقّ فالتالى مثله،و قيل:أراد اشتباههم فى الجسميّه و الجنس و النوع و الأشكال و المقادير و الألوان و نحو ذلك،و إذ ليس داخلا تحت جنس لبراءته عن التركيب المستلزم للإمكان،و لا تحت النوع لافتقاره فى التخصيص بالعوارض إلى غيره،و لا بذى مادّه لاستلزامها التركيب أيضا فليس بذى شبيه فى شيء من الامور المذكوره،و الأوّل أعمّ فى نفى الشبيه .

البحث الرابع:أنّ المشاعر لا تستلمه

،و بيانه أنّ استلام المشاعر مستلزم للجسميّه و الأعراض القائمه بها،و إذ قد تنزّه قدسه تعالى عن الجسميّه و لواحقها فقد تنزّه عن إدراك المشاعر و لمسها.

البحث الخامس:أنّ السواتر لا تحجبه

،و بيانه أنّ الحجاب و الستر من لواحق ذى الجهه و الجسميّه،و إذ تنزّه قدسه عنها فقد تنزّه عن الحجب و الستر المحسوسين.

و قوله : لافتراق الصانع و المصنوع.إلى قوله:و المربوب.

التعليل راجع إلى الجمل المتقدّمه كلّها.إذ كان لكلّ من الصانع و المصنوع صفات تخصّه و يتميّز بها و هى أليق به،و بها يفارق الآخر فالمخلوقيّه و الحدوث و الاشتباه و الملموسيّه بالمشاعر و الحجب بالسواتر من لواحق الامور الممكنه المصنوعه،و ممّا ينبغى لها و يليق بها،و الوجود الأزلىّ الّذى لا شبيه له المنزّه عن المشاعر و حجب السواتر من لواحق الصانع الأوّل الواجب و هو الّذى ينبغى له و يليق به،و يضادّ ما سبق من أوصاف الممكنات ،و أراد بالحادّ خالق الحدود و النهايات و هو الصانع،و اعتبار الصانع غير اعتبار الربّ لدخول المالكيه فى مفهوم الربوبيّه دون الصنع.

البحث السادس:فى وحدانيّته

و قد سبق برهانها،و أراد بقوله : ليس بمعنى العدد أنّ وحدانيّته ليس بمعنى كونه مبدء لكثره تعدّ به كما يقال فى أوّل العدد واحد،و قد علمت فيما سبق أنّ الواحد يقال بالاشتراك اللفظى على معان عديده عرفتها و عرفت إطلاق الواحد عليه تعالى بأىّ معنى هو،و أنّه لا يجوز أن يكون مبدء للعدد بل هو تعالى واحد بمعنى أنّه لا ثانى له فى الوجود بمعنى أنّه لا كثره

فی ذاته بوجه لا ذهنا و لا خارجا،و بمعنی أنّه لم یفته من کماله شیء بل کلّ ما ینبغی أن یکون له فهو بالذات و الفعل .

البحث السابع:فی کونه تعالی فی خالقیّته منزّها عن الحرکات و المتاعب،

و قد عرفت لمیّه ذلک فی الخطبه الاولی،و هو کونهما من لواحق الأجسام المنزّه قدسه عنها .

البحث الثامن:کونه سمیعا لا بأداه

:أی لا بسمع،و قد سبق بیانه فی الخطبه الاولی .

البحث التاسع:کونه بصیرا لا بتفریق الآله

،و تفریقها إمّا عباره عن بعث القوّه الباصره و توزیعها علی المبصرات،و هذا المعنی علی قول من جعل الإبصار بآله الشعاع الخارج من العین المتّصل بسطح المرئی أظهر فإنّ توزیعه أوضح من توزیع الآله علی قول من یقول:إنّ الإدراک یحصل بانطباع صوره المرئی فی العین، و معنی التفریق علی القول الثانی هو تقلیب الحدقه و توجیهها مرّه إلی هذا المبصر و مرّه إلی ذاک کما یقال:فلان مفرّق الهمّه و الخاطر إذا وزع فکره علی حفظ أشیاء متباینه و مراعاتها کالعلم و تحصیل المال،و ظاهر تنزیهه تعالی عن الإبصار بآله الحسّ لکونها من توابع الجسمیّه و لواحقها .

البحث العاشر:کونه تعالی شاهدا

:أی حاضرا لا بمماسّه شیء،و المراد تنزیه حضوره عن مماثله حضور الجسمانیّات المستلزم للقرب المستلزم لمماسّه الأجسام و تقارب أین من أین فهو تعالی الحاضر بعلمه عند کلّ شیء و الشاهد لکلّ شیء من غیر قرب و لا مماسّه و لا أین مطلقا لتنزّهه عن الجسمیّه و لواحقها

البحث الحادی عشر:أنّه تعالی مباین للأشیاء لا بتراخی مسافه

:أی أنّ مباینته للأشیاء لا تستدعی التمییز بالوضع و الأین بل بذاته فقط،و قد سبق تقریر ذلک فی الخطبه الاولی أیضا .

البحث الثانی عشر:أنّه الظاهر لا برؤیه،و الباطن لا بلطافه

،و ذلک أنّ الظاهر من الأجسام ما کان منها مرئیا بحاسّه البصر و الباطن منها ما کان لطیفا إمّا

لصغر حجمه أو لطافه قوامه كالهواء،و ظهوره تعالى و بطونه منزّه من هاتين الكيفيّتين، و قد شرحنا هذين الوصفين غير مرّه .

البحث الثالث عشر:كونه بان من الأشياء بالقهر لها و القدره عليها.

إلى قوله:إليه.ذكر فى بينونته تعالى من مخلوقاته ما ينبغى له من الصفات،و فى بينونتها منه ما ينبغى لها فالّذى ينبغى له كونه قاهرا لها غالبا عليها و مستوليا،و كونه قادرا على إيجادها و إعدامها،و الّذى ينبغى لها كونها خاضعه فى ذلّ الإمكان و الحاجه لعزّته و قهره و راجعه فى وجودها و كمالاتها إلى وجوده،و بذلك حصل التباين بينها و بينه.

البحث الرابع عشر:تنزيهه عن الصفات الزائده بالقياس

الّذى ذكره بقوله :

من وصفه فقد حدّه،و من حدّه فقد عدّه ،و قد مرّ هذا القياس بعينه فى الخطبه الاولى بأتمّ تقرير و أبلغ تحقيق غير أنّه قال هناك:و من أشار إليه فقد حدّه،و قال هاهنا:و من وصفه فقد حدّه لكن المراد بوصفه هنا هو إشاره الوهم إليه و استثباته بكيفيّات و صفات فيكون معنى العبارتين واحد.

و قوله : و من عدّه فقد أبطل أزله.

لمّا كان عدّه عباره عن جعله مبدءا لكثره معدوده أو عن كونه ذا أجزاء معدوت، و كان ذلك من لواحق الممكنات و المحدثات الغير المستحقّه للأزليّه بالذات لا جرم كان من عدّه بأحد الاعتبارين مبطلا أزله الّذى يستحقّه لذاته .

البحث الخامس عشر:تنزيهه أن يسأل عنه بكيف

لأنّها سؤال عن الكيفيّه و الصفه و هو معنى قوله: قد استوصفه ،و قد بيّنا تنزيهه تعالى عن الكيفيّات و الصفات .

البحث السادس عشر:تنزيهه عن السؤال عنه بأين

،و ذلك لأنّها سؤال عن الحيّز و الجهه اللّذين هما من لواحق الأجسام،و قد بيّنا تنزيهه تعالى عن الجسميّه و ما ينبغى لها فليس هو سبحانه فى مكان و هو فى كلّ مكان بعلمه و إحاطته .

البحث السابع عشر:كونه تعالى عالما.

إذ لا معلوم.إلى قوله:مقدور.

و قـد علمت معنى علمه و ربوبيّته و قـدرته،و علمت أنّ الإشاره بإذ إلى اعتبار تقـدّمه بـذاته على معلوماته و معلولاته،و ظاهر عند ذلـك الاعتبـار أنّه لاـ معلوم فى الوجود سوى ذاته لـذاته و لاـ مربوب و لا مقـدور موجود هناك بل هى واجبه التأخّر عن ذلك الاعتبار سواء كانت بعد ذلك محدثه كلّها كما عليه المتكلّمون أو بعضها كما عليه الأوائل،و باللّه التوفيق و العصمه.

القسم الثانى منها:

اشاره

قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ وَ لَمَعَ لاَمِعٌ وَ لاَحَ لاَئِحٌ- وَ اعْتَدَلَ مَائِلٌ وَ اسْتَبْدَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ قَوْماً وَ بِيَوْمٍ يَوْماً- وَ انْتَظَرْنَا الْغِيَرَ انْتِظَارَ الْمُجْدِبِ الْمَطَرَ- وَ إِنَّمَا الْأَئِمَّهُ قُوَّامُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ- وَ عُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ- وَ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّهَ إِلاَّ مَنْ عَرَفَهُمْ وَ عَرَفُوهُ- وَ لاَ يَدْخُلُ النَّارَ إِلاَّ مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَ أَنْكَرُوهُ- إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِالْإِسْلاَمِ وَ اسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ- وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ اسْمُ سَلاَمَهٍ وَ جِمَاعُ كَرَامَهٍ- اصْطَفَى اللَّهُ تَعَالَى مَنْهَجَهُ وَ بَيَّنَ حُجَجَهُ- مِنْ ظَاهِرِ عِلْمٍ وَ بَاطِنِ حُكْمٍ- لاَ تَفْنَى غَرَائِبُهُ وَ لاَ تَنْقَضِى عَجَائِبُهُ- فِيهِ مَرَابِيعُ النِّعَمِ وَ مَصَابِيحُ الظُّلَمِ- لاَ تُفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إِلاَّ بِمَفَاتِيحِهِ- وَ لاَ تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلاَّ بِمَصَابِيحِهِ- قَدْ أَحْمَى حِمَاهُ وَ أَرْعَى مَرْعَاهُ- فِيهِ شِفَاءُ الْمُشْتَفِى وَ كِفَايَهُ الْمُكْتَفِى

اللغه

أقول: العرفاء: جمع عريف و هو النقيب،و هو دون الرئيس .

المعنى

و أشـار بطلوع الطـالع إلى ظهور الإـمره و الخلافه عليه،و انتقالها إليه ،و بلموع اللامع إلى ظهورها من حيث هى حقّ له،و سـطوع أنوار العدل بصيرورتها إليه،

ص:۲۳۴

و بلوح اللائح إلی ما یلحق انتقالها إلیه من الفتن و الحروب الموعوده الّتی لاحت أماراتها یومئذ،و قال بعض الشارحین:المراد بالثلاثه معنی واحد،و هو انتقال الخلافه إلیه.

فقوله: و اعتدل مائل.

فالمائل الخلافه فیمن کان قبله فی نظره.إذ کان اعتقاده أنّه أولی بها و أنّ العدل أن یکون فیه،و اعتدل ذلک المائل بانتقالها إلیه ، و استبدل اللّه بقوم :أی من سبق علیه قوما:أی و هو و تابعوه ، و بیوم یوما کنایه عن زمانهم بزمانهم.

و قوله : و انتظرنا الغیر انتظار المجدب المطر.

إشاره إلی ما کان یتوقّعه من انتقال هذا الأمر إلیه،و أراد بالغیر تغیّرات الدهر و تقلبات الأحوال.

فإن قلت:ألیس هو المطلّق للدنیا فأین هذا القول من طلاقها ثلاثا؟ قلت:إنّه یطلّقها من حیث هی دنیا،و لم یردها لذاتها،و لم یطلّقها من حیث یعمر بها الآخره بإنکار المنکرات،و إظهار العدل و إقامه عمود الدین و حراسته فإنّ طلبه لها إنّما کان لذلک کما سبق فی قوله لابن عبّاس بذی قار و هو یخصف نعله، تشبیه و شبّه انتظاره للغیر بانتظار المجدب للمطر ،و وجه الشبه شدّه التوقّع و انتظاره، و یمکن أن یلاحظ فی وجه الشبه لواحق الأمرین المنتظرین.إذ من لواحق ما انتظره هو عن الغیر و انتقال الأمر إلیه شمول العدل و ظهور الحقّ فی موارده المشبّه لوقع المطر فی الأرض المجدبه،و استلزامه للخیر و البرکه .ثمّ شرع فی تعریف حال الأئمّه و ما نصبوا له.

و قوله : لا یدخل الجنّه إلاّ من عرفهم و عرفوه.

معناه أنّ أهل کلّ عصر لا یدخلون الجنّه إلاّ بمعرفه إمامهم و معرفته لهم، و أراد الأئمّه من ولده علیهم السّلام و معرفتهم معرفه حقّ ولایتهم و صدق إمامتهم،و بیان الحصر من وجهین:

أحدهما:أنّ دخول الجنّه لا یمکن لأحد من هذه الأمّه إلاّ باتّباع الشریعه

و لزوم العمل بها و لا يمكن ذلك إلاّ بمعرفتها و معرفه كيفيّه العمل بها، و لا يمكن ذلك إلاّ ببيان صاحب الشريعه و القائم بها،و إرشاده و تعليمه،و ذلك لا يمكن إلاّ بمعرفه المأموم للإمام و حقيّه إمامته و صدق ولائه له ليقتدى به، و معرفه الإمام للماموم ليهديه فإذن دخول الجنّه مستلزم لمعرفه الإمام للمأمومين و معرفتهم له.

الثانى:أنّ معرفه هؤلاء الأئمّه على رأيه عليه السّلام كما هو المشهور المنقول عنه،و معرفه حقيّه إمامتهم و صدق ولايتهم ركن من أركان الدين فلا يدخل الجنّه إلاّ من أقامه،و من عرفهم كذلك وجبت معرفتهم له بذلك.

فإن قلت:فنحن نرى كثيرا من شيعه هؤلاء الأئمّه و محبّيهم لا تعرفهم الأئمّه و لا يرون أشخاصهم.

قلت:لا يشترط فى معرفتهم لمحبّيهم و معرفه محبّيهم لهم المعرفه الشخصيّه العينيّه بل الشرط المعرفه على وجه كلّىّ،و هو أن يعلموا أنّ كلّ من اعتقد حقّ إمامتهم و اهتدى بما انتشر من هديهم فهو ولىّ لهم،و مقيم لهذا الركن من الدين فيكونون عارفين بمن يتولاّهم على هذا الوجه و من يتولاّهم عارفا بهم لمعرفته بحقيّه ولايتهم، و اعتقاد ما يقولون و إن لم يشترط المشاهده و المعرفه الشخصيّه ،و أمّا أنّه لا يدخل النار إلاّ من أنكرهم و أنكروه فهو أيضا حقّ و ذلك أنّ دخول الجنّه مستلزم لمعرفتهم على الوجه الّذى قرّرناه و منحصر فيه فكلّ واحد واحد ممّن يدخل الجنّه عارف بهم،و ذلك يستلزم أنّه لا واحد ممّن يدخل الجنّه بمنكر لهم لأنّ معرفتهم و إنكارهم ممّا لا يجتمعان فى ملزوم واحد.

إذا عرفت ذلك فنقول:إنّ من أنكرهم فأنكروه لا يجوز أن يكون أعمّ ممّن يدخل النار:أمّا أوّلا فللخبر المشهور من مات و لم يعرف إمام وقته مات ميته جاهليّه دلّ الخبر على أنّ إنكارهم مستلزم للميته الجاهليّه المستلزمه لدخول النار،و أمّا ثانيا فلأنّه لو كان أعمّ لصدق على بعض من يدخل الجنّه فبعض المنكر لهم يدخل الجنّه فينعكس بعض من يدخل الجنّه منكر لهم،و قد بيّنا أنّه لا واحد

ممّن یدخل الجنّه بمنکر لهم هذا خلف،و کذلک لا یجوز أن یکون أخصّ و إلاّ لصدق علی بعض من یتولاّهم و یعترف بصدق إمامتهم أنّه یدخل النار لکن ذلک باطل لقول الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:یحشر المرء مع من أحبّ،و لقوله:لو أحبّ رجل حجرا لحشر معه دلّ الخبر علی أنّ محبّه الإنسان لغیره مستلزمه لحشره معه، و قد ثبت أنّهم علیهم السّلام إلی الجنّه یحشرون فکذلک من أحبّهم و اعترف بحقیّه إمامتهم،و دخول الجنّه مع دخول النار ممّا لا یجتمعان فثبت أنّه لا واحد ممّن یحبّهم و یعترف بحقّهم یدخل النار فقد ظهر إذن صدق هذه الکلّیّه أیضا،و وجه الحصر فیها .ثمّ أخذ فی إظهار منّه اللّه تعالی علیهم بالقرآن الکریم و تخصیصهم به من سائر الکتب و استخلاصهم له،و إعدادهم لقبوله من سائر الامم .ثمّ نبّه علی بعض أسباب إکرامه تعالی لهم به أمّا من جهه اسمه فلأنّه مشتقّ من السلامه بالدخول فی الطاعه،و أمّا من معناه فمن وجوه:

أحدها:أنّه مجموع کرامه من اللّه لخلقه لأنّ مدار جمیع آیاته علی هدایه الخلق إلی سبیل اللّه القائده إلی جنّته.

الثانی :أنّ اللّه تعالی اصطفی منهجه،و هو طریقته الواضحه المؤدّیه للسالکین بأیسر سعی إلی رضوان اللّه.

الثالث:أنّه تعالی بیّن حججه،و هی الأدلّه و الأمارات ،و من للتمییز و التقسیم هنا تقسیم الحجج إلی ظاهر علم،و أشار إلی ظواهر الشریعه و أحکامها الفقهیّه و أدلّه تلک الأحکام،و باطن حکم و أشار به إلی ما یشتمل علیه الکتاب العزیز من الحکمه الإلهیّه و أسرار التوحید و علم الأخلاق و السیاسات و غیرها.

الرابع :أنّه لا تفنی عزائمه[غرائبه خ]و أراد بالعزایم هنا آیاته المحکمه و براهینه العازمه:أی القاطعه،و عدم فنائها إشاره إمّا إلی ثباتها و استقرارها و طول المدّه و تغیّر الأعصار،و إمّا إلی کثرتها عند البحث و التفتیش عنها.

الخامس : و لا تنقضی عجائبه ،و ذلک أنّه کلّما تأمله الإنسان استخرج منه بفکره لطائف معجبه من أنواع العلوم لم یکن عنده من قبل.

استعاره السادس : فيه مرابيع النعم ،و استعار لفظ المرابيع،و هى الأمطار تأتى زمن الربيع فتحيى الأرض و تنبت الكلاء لما يحصل عليه الإنسان من النعم ببركه القرآن و لزوم أوامره و نواهيه و حكمه و آدابه:أمّا فى الدنيا فالنعم الّتى تحصل ببركته لحامليه من القرّاء و المفسّرين و غيرهم ظاهره الكثره،و أمّا بالنسبه إلى الآخره فما يحصل عليه مقتبسوا أنواره من الكمالات المسعده فى الآخره من العلوم و الأخلاق الفاضله أعظم نعمه و أتمّ فضل،و وجه الاستعاره ظاهر.

السابع :أنّ فيه مصابيح الظلم ،و استعار لفظ المصابيح لقوانينه و قواعده الهاديه إلى اللّه فى سبيله كما يهدى المصباح فى الطريق المظلمه.

الثامن:أنّه لا تفتح الخيرات إلاّ بمفاتيحه ،و أراد الخيرات الحقيقيّه الباقيه، و استعار لفظ المفاتيح لمناهجه و طرقه الموصله إلى تلك الخيرات،و وجه الاستعاره كونها أسبابا موصله إليها كما أنّ المفاتيح أسباب موصله إلى خيرات الخزائن مثلا التاسع : و لا ينكشف الظلمات إلاّ بمصابيحه ،و أراد ظلمات الجهل،و بالمصابيح قوانينه كما سبق استعاره.

استعاره-مجاز العاشر :كونه قد أحمى حماه :أى هيّأه و عرّضه لأن يحمى كما يقال:

أقتلت فلانا و أضربته إذا هيّأته للقتل و عرّضته للضرب،و استعار لفظ الحمى لحفظه و تدبّره و العمل بقوانينه،و وجه الاستعاره أنّ بذلك يكون حفظ الشخص و حراسته:

أمّا فى الدنيا فمن أيدى كثير من الظالمين لاحترامهم حمله القرآن و مفسّريه،و من يتعلّق به،و أمّا فى الآخره فلحمايته حفظته و متدبّريه و العامل به من عذاب اللّه كما يحمى الحمى من يلوذ به،و نسبه الإحماء إليه مجاز إذ المعرض له أن يتدبّر و يعمل به هو اللّه تعالى و رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و حملته ،و قيل:أراد بحماه محارمه،و أحماه:أى منع بنواهيه و زواجره أن يستباح محارمه،و هو أخصّ ممّا قلناه أوّلا.

استعاره الحادى عشر:و كذلك أرعى مرعاه :أى هيّأه لأن يرعى،و استعار لفظ المرعى للعلوم و الحكم و الآداب الّتى يشتمل عليها القرآن،و وجه المشابهه أنّ هذه مراعى النفوس الإنسانيّه و غذاؤها الّذى به يكون نشوها العقلىّ و نمائها

الفعلیّ کما أنّ المراعی المحسوسه من النبات و العشب غذاء للأبدان الحیوانیّه الّتی بها یقوم وجودها.

الثانی عشر : فیه شفاء المشتفی :أی طالب الشفاء منه:أمّا فی الأبدان فبالتعوّذ به مع صدق النیه فیه و سلامه الصدور،و أمّا فی النفوس فلشفائها به من أمراض الجهل.

الثالث عشر : و کفایه المکتفی ،و أراد بالمکتفی طالب الکفایه:أمّا من الدنیا فلأنّ حمله القرآن الطالبین به المطالب الدنیویّه هم أقدر أکثر الناس علی الاحتیال به فی تحصیل مطالبهم و کفایتهم بها،و أمّا فی الآخره فلأنّ طالب الکفایه منها یکفیه تدبّر القرآن و لزوم مقاصده فی تحصیل مطلوبه منها،و باللّه التوفیق.

۱۵۲-و من خطبه له علیه السّلام

القسم الأول

اشاره

وَ هُوَ فِی مُهْلَهٍ مِنَ اللَّهِ یَهْوِی مَعَ الْغَافِلِینَ- وَ یَغْدُو مَعَ الْمُذْنِبِینَ بِلاَ سَبِیلٍ قَاصِدٍ وَ لاَ إِمَامٍ قَائِدٍ

المعنی

استعاره أقول:هذا الفصل یشتمل علی صفه مطلق الضالّ ،و أشار بالمهله إلی مدّه عمره المضروبه له من اللّه تعالی،و یهویه مع الغافلین إلی سقوطه و انخراطه فی سلکهم بسبب جهله و غفلته عمّا یراد به،و استعار لفظ الهوی لذلک الانخراط و تلک المتابعه، و وجه المشابهه أنّ المنهمک فی مجاری الغفله و مسالک الجهل ینحطّ بها عن درجه أهل السلامه،و یهوی فی مهابط الهلاک و هی الرذائل المبعّده عن اللّه تعالی کما أنّ الهاوی من علوّ کذلک ، و یغدو مع المذنبین موافقته لهم فیما هم فیه،و مسارعته إلی المعاصی من غیر أن یسلک سبیلا قاصدا للحقّ و یتّبع إماما یقوده إلیه من استاد مرشد أو کتاب أو سنّه،و باللّه التوفیق.

القسم الثانی منها

اشاره

حَتَّی إِذَا کَشَفَ لَهُمْ عَنْ جَزَاءِ مَعْصِیَتِهِمْ- وَ اسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ جَلاَبِیبِ غَفْلَتِهِمُ- اسْتَقْبَلُوا مُدْبِراً وَ اسْتَدْبَرُوا مُقْبِلاً- فَلَمْ یَنْتَفِعُوا بِمَا أَدْرَکُوا

مِنْ طَلِبَتِهِمْ- وَ لاَ بِمَا قَضَوْا مِنْ وَطَرِهِمْ- إِنِّى أَحَذِّرُكُمْ وَ نَفْسِى هَذِهِ الْمَنْزِلَهَ- فَلْيَنْتَفِعِ امْرُؤٌ بِنَفْسِهِ- فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ- وَ نَظَرَ فَأَبْصَرَ وَ انْتَفَعَ بِالْعِبَرِ- ثُمَّ سَلَكَ جَدَداً وَاضِحاً يَتَجَنَّبُ فِيهِ الصَّرْعَهَ فِى الْمَهَاوِى- وَ الضَّلاَلَ فِى الْمَغَاوِى- وَ لاَ يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ الْغُوَاهَ بِتَعَسُّفٍ فِى حَقٍّ- أَوْ تَحْرِيفٍ فِى نُطْقٍ أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ فَأَفِقْ أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ- وَ اسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ وَ اخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ- وَ أَنْعِمِ الْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ- عَلَى لِسَانِ؟النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ص؟ مِمَّا لاَ بُدَّ مِنْهُ- وَ لاَ مَحِيصَ عَنْهُ- وَ خَالِفْ مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ- وَ دَعْهُ وَ مَا رَضِىَ لِنَفْسِهِ وَ ضَعْ فَخْرَكَ- وَ احْطُطْ كِبْرَكَ وَ اذْكُرْ قَبْرَكَ فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمَرَّكَ- وَ كَمَا تَدِينُ تُدَانُ وَ كَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ- وَ مَا قَدَّمْتَ الْيَوْمَ تَقْدَمُ عَلَيْهِ غَداً- فَامْهَدْ لِقَدَمِكَ وَ قَدِّمْ لِيَوْمِكَ- فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ وَ الْجِدَّ الْجِدَّ أَيُّهَا الْغَافِلُ- «وَ لا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ» إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ اللَّهِ فِى الذِّكْرِ الْحَكِيمِ- الَّتِى عَلَيْهَا يُثِيبُ وَ يُعَاقِبُ وَ لَهَا يَرْضَى

اللغه

أقول: الجلباب: الملحفه .و الوطر: الحاجه .و الجدد: الطريق الواضح .

و استنجح الحاجه: استقضائها .

المعنى

و صدر هذا الفصل صفه غايه الغافلين عن أحوال الآخره المشمّرين فى طلب الدنيا ،و فاعل كشف ضمير يعود إلى اسم اللّه تعالى فيما سبق من الكلام،و قد علمت أنّ النفس ذا جهتين:جهه تدبير أحوالها البدنيّه بما لها من القوّه العمليّه،و جهه

استكمالها بقوّتهما النظريّه الّتى تتلقّى بها من العاليات كمالها ،و علمت أنّ بقدر خروجها عن حدّ العدل فى استكمال قوّتها العمليّه تنقطع عن الجهه الاخرى، و تكشفها الهيئات البدنيّه فتكون فى أغطيه منها و جلابيب من الغفله عن الجهه الاخرى بالانصباب إلى ما يقتنيه ممّا يعدّ خيرا فى الدنيا،و بحسب انصبابها فى هذه الجهه،و تمكّن تلك الهيئات البدنيّه منها يكون بعدها عن بارئها و نزولها فى دركات الجحيم عن درجات النعيم،و بالعكس كما قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:الدنيا و الآخره ضرّتان بقدر ما تقرب من إحداهما تبعد من الاخرى،و ظاهر أنّ بالموت تنقطع تلك الغفله و تنكشف تلك الحجب فيومئذ يتذكّر الإنسان و أنّى له الذكرى،و يكون ما اثيبه يومئذ من تعلّق تلك الهيئات بنفسه و حطّها له عن درجات الكمال و ما شاهده من السلاسل و الأغلال هو جزاء معصيتهم المنكشف لهم، استعاره و لفظ الجلابيب استعاره لفظ المحسوس للمعقول،و وجه المشابهه حجب الغفله لا غير يصائرهم عن التنوّر بأنوار اللّه كحجب الوجه بالجلباب ،و المدبر الّذى استقبلوه هو العذاب الاخروىّ، و الأهوال الّتى كانت غائبه عنهم،و المقبل الّذى استدبروه هو ما كانوا فيه من مأمولاتهم و أحوالهم الدنيويّه ،و ظاهر أنّهم لم ينفعوا إذن بما أدركوا من طلباتهم الدنيويّه،و لا بما قضوا من أوطارهم و حاجاتهم الحاضره فيها .ثمّ عاد إلى التحذير من هذه المنزله:أى الحاله الّتى هؤلاء الموصوفون عليها من الغفله فإنّها مقام صعب و مزلّه قدم،و شرک نفسه فى التحذير لأنّه أدخل فى جذب نفوس السامعين إلى طاعته .

ثمّ أمر كلّا بالانتفاع بنفسه،و شرح كيفيّه الانتفاع بشرح حال البصير لأنّه لا ينتفع بنفسه إلّا البصير،و ذكر امورا:

فالأوّل،أن يتفكّر فيما يسمعه من كلام اللّه و رسوله و المواعظ البالغه فإنّه لا ينتفع بها بدون الفكر كما علمته.

الثانى :أن ينظر بعين حسّه،و بصيرته فيتوخى المقاصد النافعه فيبصرها و يدرك بعقله منها العبر.الثالث:أن ينتفع بما يدركه من العبر و ذلک بالعمل على وفق ما علم و أدرک .

الرابع:أن يسلك الصراط المستقيم الّذى وردت به الشريعه و هو الجدد الواضح،و يتجنّب فيه العدول و الانحراف بأنّه من انحرف عنه و لو باليسير انصرع فى مهراه و ضلّ فى مغواه،و قد نبّهناك فيما سلف على ذلك بالمثل الّذى ضربه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حيث قال:ضرب اللّه مثلا مستقيما،و على جنبتى الصراط أبواب مفتّحه، و عليها ستور مرخاه،و على رأس الصراط داع يقول:جوزوا و لا تعرّجوا.قال:

فالصراط هو الدين،و هو الجدد الواضح هنا،و الداعى هو القرآن،و الأبواب المفتّحه محارم اللّه،و هى المهاوى و المغاوى هنا،و الستور المرخاه هى حدود اللّه و نواهيه .ثمّ نهى أن يعين الإنسان على نفسه الغواه بأحد امور:أن يتعسّف فى حقّ:

أى لا يحملهم على مرّ الحقّ و صعبه فإنّ الحقّ له درجات بعضها أسهل من بعض فالاستقصاء فيه على غير أهله يوجب لهم النفره عمّن يقوله و يأمره به،و العداوه له و القول فيه،و يحتمل أن يريد بالتعسّف فى الحقّ التكلّف فى العمل به مع نوع من التقصير فيه فإنّ الغواه هم تاركوا الحقّ فإذا وجدوا ركيكا فيه أو متكلّفا للعمل به مقصّرا طمعوا فى الأبنه للباطل فكان قد أعانهم على نفسه بذلك ،و كذلك إذا آنسوا منه الكذب و التحريف فى القول أو التخوّف من الصدق كأن ادعى لهم من الطمع فى انفعاله لباطلهم و إدخاله فيه فكان معينا لهم على إغواء نفسه بذلك .ثمّ عاد إلى أمر السامع بأوامر:

أحدها:الإفاقه من سكره الجهل و التيقّظ من الغفله فى الدنيا، استعاره و لفظ السكره مستعار،و وجه المشابهه كون الغفله مستلزمه لترك إعمال العقل كما أنّ السكر كذلك .

الثانى:بالاختصار من العجله،و أراد بالعجله سرعه الحركه فى طلب الدنيا و الاهتمام بها،و باختصارها تخفيف تلك الحركه و تقليلها .

الثالث:بانعام الفكر فيما دار على لسان الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كثر من ذكر الموت و عرض النفوس على ديّانها،و إنعام الفكر فى ذلك تدقيق النظر فى حال الموت و ما بعده،و الاعتبار بما لا بدّ منه و لا محيص عنه من ذلك .

ص:۲۴۲

الرابع:بمخالفه من خالف ذلک و نظر فی غیره ممّا عنه بدّ من أحوال الدنیا و زینتها ،و أن یدع ذلک المخالف،و ما رضی لنفسه من التعوّض بالامور الفانیه عن الامور الباقیه،و ما یستلزم ذلک من الشقاوه الاخرویّه .

الخامس:أن یضع الفخر و یحطّ الکبر،و قد سبق بیان ما فی الکبر من الآفات،و الفخر مستلزم للکبر.إذ کلّ مفتخر متکبّر أو متلازمان .

السادس:أن یذکر قبره لأنّ فی ذکره عبره تامّه.

و قوله: فإنّ علیه ممرّک.

تنبیه له علی وجوب الذکر له فإنّ السالک لطریق لا بدّ من سلوکها إذا کان فیها منزل موحش مظلم وجب الاستعداد له بحمل الضوء للاستناره فیه،و الإنسان فی سلوکه لطریق الآخره لا بدّ له من المرور بالقبر و أحکام الشارع أکثریه ، ثمّ نبّهه بالمثلین المشهورین: کما تدین تدان علی وجوب حسن المعامله مع اللّه سبحانه.إذ کان حسن جزائه بقدر حسن معامله العبد،و قبحه بقبحها،و کذلک استعاره قوله: کما تزرع تحصد ،و لفظ الزرع مستعار لما یفعله الإنسان فیکسب نفسه ملکه خیریّه أو شرّیّه،و کذلک لفظ الحصد للحصول علی ما تثمره تلک الآثار، و تستلزمه من ثواب أو عقاب،و وجه الاستعارتین ظاهر .

و قوله: و کما قدّمت الیوم تقدم علیه غدا.

ظاهر فإنّ الهیئات النفسانیّه الّتی هی ثمرات الأفعال المستلزمه للسعاده أو الشقاوه و إن کانت مستصحبه للنفس مدّه بقائها فی الدنیا أیضا إلاّ أنّها لا تنکشف لها إلاّ بعد المفارقه کما سبق بیانه فتکون حینئذ حاله الانکشاف بمنزله من قدم علی أمر لم یکن معه،و إذا کان کذلک فینبغی للإنسان أن یمهّد لقدمه:أی یوطیء موضع قدمه فی الآخره بطیب الأعمال،و یقدّم صالحها لیوم قیامته .ثمّ عاد إلی تحذیره من حیث هو مستمع للموعظه،و إلی أمره بالجدّ فی العمل لما بعد الموت و الیقظه من الغفله،و نبّهه باقتباس الآیه علی أنّ الواعظ له خبیر بأحوال طریق الآخره و أهوالها و لا یخبر بحقائق الامور کالعارف بها .ثمّ عاد إلی التحذیر من

بعض الکبائر الّتی نصّ القرآن المجید أنّها مستلزمه للعقاب لا محاله،و الذکر الحکیم هو القرآن،و قد سبق بیان معنی العزائم منه،و قیل:هو اللوح المحفوظ،

القسم الثالث

اشاره

وَ یَسْخَطُ- أَنَّهُ لاَ یَنْفَعُ عَبْداً- وَ إِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ وَ أَخْلَصَ فِعْلَهُ- أَنْ یَخْرُجَ مِنَ الدُّنْیَا لاَقِیاً رَبَّهُ- بِخَصْلَهٍ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ لَمْ یَتُبْ مِنْهَا- أَنْ یُشْرِکَ بِاللَّهِ فِیمَا افْتَرَضَ عَلَیْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ- أَوْ یَشْفِیَ غَیْظَهُ بِهَلاَکِ نَفْسٍ- أَوْ یَعُرَّ بِأَمْرٍ فَعَلَهُ غَیْرُهُ- أَوْ یَسْتَنْجِحَ حَاجَهً إِلَی النَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَهٍ فِی دِینِهِ- أَوْ یَلْقَی النَّاسَ بِوَجْهَیْنِ أَوْ یَمْشِیَ فِیهِمْ بِلِسَانَیْنِ- اعْقِلْ ذَلِکَ فَإِنَّ الْمِثْلَ دَلِیلٌ عَلَی شِبْهِهِ- إِنَّ الْبَهَائِمَ هَمُّهَا بُطُونُهَا- وَ إِنَّ السِّبَاعَ هَمُّهَا الْعُدْوَانُ عَلَی غَیْرِهَا- وَ إِنَّ النِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِینَهُ الْحَیَاهِ الدُّنْیَا وَ الْفَسَادُ فِیهَا- إِنَّ الْمُؤْمِنِینَ مُسْتَکِینُونَ- إِنَّ الْمُؤْمِنِینَ مُشْفِقُونَ إِنَّ الْمُؤْمِنِینَ خَائِفُونَ

المعنی

اسم إنّ أنّه لا ینفع،و الضمیر فی أنّه ضمیر الشأن،و فاعل ینفع أن یخرج، و لاقیا نصب علی الحال،و أراد أنّ من جمله نصوص اللّه سبحانه الّتی هی فی محکم کتابه العزیز الّتی باعتقادها و العمل علی وفقها یثیت و یرضی،و بترکها یعاقب و یسخط أنّه لا ینفع عبدا خروجه من الدنیا لاقیا ربّه بأحد الخصال المذکوره و إن أجهد نفسه فی العمل و أخلص فیه :

أحدها:الشرک باللّه تعالی،و قد سبق منّا بیان درجات الشرک،و بقدر قوّته و ضعفه یکون قوّه العقاب و ضعفه،و النصّ الدالّ علی مضرّته المستلزم لعدم نفعه قوله تعالی «إِنَّ اللّهَ لا یَغْفِرُ أَنْ یُشْرَکَ بِهِ» (1)و قوله: فیما افترض علیه من عبادته

۱- (۱) ۵۱-۴.

يفهم منه أنّه أراد الشرك بالرياء فى العباده لا اتّخاذ إله ثان،و هذه الآيه تلحق النفس تاره من غلبه الجهل عليها و استيلاء الغفله و ترک النظر فى المعرفه و التوحيد و تاره من غلبه الشهوه كما تلحق نفس المرائى بعبادته لطلب الدنيا .

الثانيه:أن يشفى غيظه بهلاک نفس،و فى نسخه نفسه،و نفس أعمّ و ذلک الهلاک تاره فى الدنيا كما يستلزمه السعى بالنميمه إلى الملوک و نحوه،و تاره فى الآخره باكتساب الآثام المستلزم لشفاء الغيظ،و النصّ فيه قوله تعالى «وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِيها» (۱)الآيه،و هذه الآفه تلحقها بواسطه القوّه الغضبيّه .

الثالثه:أن يقرّ بأمر فعله غيره:أى يتمّ على غيره بأمر فعله ذلک الغير فيستلزمه إهلاكه و أذاه فيدخل فيمن يسعى فى الأرض فسادا،و النصّ عليه قوله «إِنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَساداً أَنْ يُقَتَّلُوا» (۲)الآيه،و روى الشارحين يعرّ بالعين المهمله.قال:و معناه أن يقذف غيره بأمر قد فعله هو فيكون غيره منصوبا مفعولا به،و العامل يعرّ يقال عرّه يعرّه عرّا:أى غابه و لحظه(لطخه خ)فعلى هذا يكون داخلا فى جمله الفاسقين و الكاذبين و الموذين للمؤمنين بغير ما اكتسبوا،و هذه الآفه تلحق النفس بشركه من الشهوه و الغضب .

الرابعه:أن يستنجح حاجه إلى الناس بإظهار بدعه فى دينه كشاهد الزور لغايه يصل إليها،و المرتشى فى الحكم و القضاء .

الخامسه:أن يلقى الناس بوجهين أو يمشى فيهم بلسانين:أى يلقى كلّا من الصديقين مثلا بغير ما يلقى به الآخر ليفرّق بينهما أو بين العدوّين ليضرى بينهما،و بالجمله أن يقول بلسانه ما ليس فى قلبه فيدخل فى زمره المنافقين،و وعيد المنافقين فى القرآن «إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النّارِ» (۳)و مطابقه ذلک من العقل أنّ من انتقش لوح نفسه بهيئات السوء و لم يمحها بالتوبه ألحقه فهو من أصحاب النار .

و قوله: اعقل ذلک.

ص:۲۴۵

۱- ۱) ۴-۹۴.

۲- ۲) ۳۷-۵

۳- ۳) ۱۴۴-۴.

أى اعقل ما أضربه لک من المثل،و احمل علیه ما یشبهه فإنّ المثل دلیل علی شبهه و ذلک المثل قوله: إنّ البهائم.إلی قوله:و الفساد فیها.

فقوله: إنّ البهائم همّها بطونها.

إشاره إلی أنّ الإنسان المتّبع لشهوته بمنزله البهیمه فی اتّباع قوّته الشهویّه، و الاهتمام بالطعام و الشراب دون المطالب الحقیقیّه .

و قوله: إنّ السباع همّها العدوان علی غیرها.

إشاره إلی أنّ متّبع القوّه الغضبیّه بمنزله السبع فی اتّباعها و محبّه الانتقام و الغلبه علی الغیر .

و قوله: و إنّ النساء همّهنّ زینه الحیاه الدنیا و الفساد فیها.

إشاره إلی أنّ النساء متّبعه للقوّتین:الشهویّه و لها کان همّهنّ زینه الحیاه الدنیا،و الغضبیّه و لها کان همّهنّ الفساد فی الدنیا فالتابع لشهوته و غضبه لاحق بالنساء فی ذلک .ثمّ لمّا حصر متابع الشرّ فی قوّتی الشهوه و الغضب ذکر المؤمنین بصفات ثلاث کلّ منها یستلزم کسر تینک القوّتین،و هی الاستکانه للّه و.الخضوع له.ثمّ الاشفاق من غضبه.ثمّ الخوف من عقابه،و ظاهر کون کلّ واحد من هذه الصفات جاذبا لهم عن طرف الافراط فی القوّتین و الخروج عن حدّ العدل فیهما،و غایه هذا المثل التنفیر عن طاعه الشهوه و الغضب بالتنبیه علی أنّ الخارج فیهما عن حدّ العدل إلی ما لا ینبغی إمّا أن یشبه البهیمه أو السبع أو المرأه،و کلّ منها ممّا یرغب العاقل عنه،و هو الّذی أمر بعقلیّته فانظر إلی ما اشتمل علیه هذا الکلام من الإشاره اللطیفه الّتی یشهد علیه علیه السّلام بمشاهده الحقّ کما هو،و إذا اعتبرت ذلک و أمثاله من الحکم البالغه و نظرت إلی أنّه علیه السّلام لم یرجع فیه إلی مطالعه کتاب أو استفاده بحث علمت أنّه فیض ربّانیّ بواسطه إعداد سیّد البشر و الاستاد المرشد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال الشارح الفاضل عبد الحمید بن أبی الحدید-رحمه اللّه-إنّما رمز بباطن هذا الکلام إلی الرؤساء یوم الجمل لأنّهم حاولوا أن یشفوا غیظهم بإهلاکه و إهلاک غیره من المسلمین و عیّروه علیه السّلام بأمرهم فعلوه،و هو التألیب علی عثمان و حصره و استنجحوا

حوائجهم إلى أهل البصره بإظهار البدعه و الفتنه و لقوا الناس بوجهين و لسانين لأنّهم بايعوه و أظهروا الرضا به.ثمّ نكثوا من وجه آخر فجعل ذنوبهم هذه بمنزله الشرك فى أنّها لا تغفر إلاّ بالتوبه.قال:و هذا معنى قوله:اعقل ذلك فإنّ المثل دليل على شبهه.و باللّه التوفيق.

۱۵۳-و من خطبه له عليه السّلام

القسم الأول

اشاره

وَ نَاظِرُ قَلْبِ اللَّبِيبِ بِهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ- وَ يَعْرِفُ غَوْرَهُ وَ نَجْدَهُ- دَاعٍ دَعَا وَ رَاعٍ رَعَى- فَاسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِي وَ اتَّبِعُوا الرَّاعِيَ قَدْ خَاضُوا بِحَارَ الْفِتَنِ- وَ أَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ- وَ أَرَزَ الْمُؤْمِنُونَ وَ نَطَقَ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ- نَحْنُ الشِّعَارُ وَ الْأَصْحَابُ وَ الْخَزَنَهُ وَ الْأَبْوَابُ- وَ لاَ تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلاَّ مِنْ أَبْوَابِهَا- فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقاً

اللغه

أقول: الأمد: الغايه .و غوره و نجده: منخفضه و مرتفعه .و أرز بفتح الراء:

أى انقبض و انجمع .

المعنى

و ناظر قلب اللبيب :عين بصيرته.و ظاهر أنّه يبصر بها طريقه و غايته الّتى هى متوجّه إليها و مطلوبه منها ،و غوره و نجده طريقاه للخير و الشرّ و هما النجدان فى قوله تعالى «وَ هَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ» (۱)و عباره القرآن المجيد أخص،و هذه العباره أنسب إلى المعنى فإنّ الغور هو المنخفض و المستفل أنسب إلى أن يعبّر به عن رتبه النازلين فى دركات الجحيم من النجد ،و أشار بالداعى إلى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ما جاء به القرآن الكريم و السنّه،و بالراعى إلى نفسه ،و الأمر بالاستجابه للأوّل و الاتّباع للثانى، و ظاهر وجوب الاستجابه للّه و رسوله لقوله تعالى «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ» (۲)فيجب اتّباع من أوجبا اتّباعه.

۱- (۱) ۱۰-۲۰

۲- (۲) ۲۴-۸.

استعاره مرشحه و قوله : قد خاضوا بحار الفتن.

يحتمل أن يكون التفاتا إلى صفه قوم معهودين للسامعين كمعاويه و أصحاب الجمل و الخوارج،و يحتمل أن يكون منقطعا عمّا قبله متّصلا بكلام لم يحكه الرضيّ-رضوان اللّه عليه-و إليه ذهب بعض الشارحين.قال:و هو ذكر قوم من أهل الضلال قد كان أخذ فى ذمّهم و عيبهم،و لفظ البحار مستعار لما عظم من الفتن و الحروب،و قد عرفت وجه الاستعاره قبل ،و رشّح بذكر الخوض ،و البدعه قد يراد بها ترك السنّه،و قد يراد بها أمر آخر يفعل مع ترك السنّه،و هو الأظهر فى العرف. استعاره ثمّ التفت إلى ذكر فضيلته فاستعار لفظ الشعار لنفسه و أهل بيته،و وجه المشابهه ملازمتهم للرسول صلى اللّه عليه و آله و سلم و اختصاصهم به كما يلزم الشعار الجسد .ثمّ ذكر كونهم أصحابا له.ثمّ كونهم خزنه علمه كما نقل عن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو خازن علمى،و فى روايه عيبه علمى،و قيل:خزنه الجنّه على معنى أنّ من جاء يوم القيامه بولايتهم دخل الجنّه و إلّا فلا،و لفظ الخزن على التقديرين مستعار،و وجه المشابهه تصرّفهم بمنع العلم و إعطائه أو بمنع الجنّه بسببهم،و إعطائها كما أنّ الخاذن للشيء كذلك.ثمّ كونهم الأبواب:أى أبواب العلم كما قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:أنا مدينه العلم و علىّ بابها و أبواب الجنّه على الاستعاره السابقه.

و قوله : لا تؤتى البيوت إلّا من أبوابها ،و ذلك لوجوه:

أحدها:العاده الجاريه على وفق الحكمه.

الثانى:النصّ «وَ أْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها وَ اتَّقُوا اللّهَ» .

الثالث:العرف و هو أنّه من أتاها من غير أبوابها سمّى سارقا،و التقبيح العرفىّ يستلزم الترك،و مراده أنّ من طلب العلم و الحكمه و أسرار الشريعه فليرجع إلينا،و باللّه التوفيق.

القسم الثانى منها:

اشاره

فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ وَ هُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ- إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا وَ إِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا- فَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ وَ لْيُحْضِرْ عَقْلَهُ- وَ لْيَكُنْ مِنْ

أَبْنَاءِ الْآخِرَهِ- فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِمَ وَ إِلَيْهَا يَنْقَلِبُ- فَالنَّاظِرُ بِالْقَلْبِ الْعَامِلُ بِالْبَصَرِ- يَكُونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ أَ عَمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ- فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَى فِيهِ وَ إِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ- فَإِنَّ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ- فَلَا يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ إِلَّا بُعْداً مِنْ حَاجَتِهِ- وَ الْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ- فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ أَ سَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ وَ اعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِناً عَلَى مِثَالِهِ- فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ- وَ مَا خَبُثَ ظَاهِرُهُ خَبُثَ بَاطِنُهُ- وَ قَدْ قَالَ؟الرَّسُولُ؟ الصَّادِقُ ص- إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ وَ يُبْغِضُ عَمَلَهُ- وَ يُحِبُّ الْعَمَلَ وَ يُبْغِضُ بَدَنَهُ وَ اعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتاً- وَ كُلُّ نَبَاتٍ لَا غِنَى بِهِ عَنِ الْمَاءِ- وَ الْمِيَاهُ مُخْتَلِفَهٌ فَمَا طَابَ سَقْيُهُ طَابَ غَرْسُهُ وَ حَلَتْ ثَمَرَتُهُ- وَ مَا خَبُثَ سَقْيُهُ خَبُثَ غَرْسُهُ وَ أَمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ

المعنی

أقول:الإشاره إلی فضائل أهل البیت علیهم السّلام فالاولی : فیهم کرائم الإیمان :

أی نفائسه المستلزمه لأشدیّه القرب من اللّه تعالی کالأخلاق الفاضله و الاعتقادات الحقّه المطابقه لما علیه الأمر نفسه.

الثانیه : و هو کنوز الرحمن :أی خزائن علمه و سایر ما امر به من مکارم الأخلاق.

الثالثه :ملازمه منطقهم للصدق.

الرابعه:اختصاصهم بالحکمه الّتی لا یتمکّن غیرهم من النطق بها و السبق إلیها حال سکوتهم فهم إن نطقوا فبحکمه و إن صمتوا فحکمه و وضع للصمت فی

ص:۲۴۹

موضعه،و إنّما ذكر هذه الفضائل لنفسه و أهل بيته جذبا إلى سماع قوله و دعوته إلى اللّه و لذلك عقّب بالمثل فليصدق رائد أهله ،و أشار به إلى من يحضرنا طلبا لاختيارنا فليصدق من يعينه أمره إنّنا أهل الحقّ و ينابيع العلوم و الحكمه و الأدلاّء إلى اللّه كما يصدق الرائد لطلب الكلاء و الماء أهله مبشّرا بهما، و ليحضر عقله لما يقوله ليعرف صحّه ما ادّعيناه.ثمّ شرع فيما ينبغى أن يقوله أمثاله،و هو التنبيه على أحوال الآخره،و أن يكون العاقل من أبنائها،و وجه استعاره النبوّه هاهنا.

قوله : فإنّه منها قدم و إليها ينقلب.

أى كما أنّ الابن ينقلب عن الامّ و إليها و له و رجوعه كذلك الإنسان مبدؤه الحضره الإلهيّه فعنها ينقلب و إليها يعود فينبغى أن يكون من أبنائها بالرغبه فيها و الوله إليها و العمل لها .ثمّ نبّه العاقل ذا الفكر السليم الناظر بعين بصيرته على ما ينبغى له أن يبدأ به فى حركاته و سكناته و هو أن يتفقّد أحوال نفسه فيما يهمّ به و ينبعث فى طلبه أو تركه،و يعلم أذلك الخاطر أو تلك الحركه مقرّبه له من اللّه تعالى فيكون له فينبغى أن يمضى فيها أو مبعّده له عن رضاه و مستلزمه لسخطه فيكون عليه فيقف عنها. تشبيه ثمّ شبّه الجاهل فى حركاته و سكناته بالسائر على غير طريق و أشار إلى وجه التشبيه بقوله : فلا يزيده بعده عن الطريق إلاّ بعدا عن حاجته .إذ كان بعده عن مطلوبه بقدر بعده عن طريق ذلك المطلوب،و بضدّه العامل بالعلم فى سلوكه و قربه من مطلوبه،و نفر بذلك التشبيه عن الجهل و زاد فى التنفير بقوله : فلينظر ناظر أساير هوأم راجع فإنّه إذا علم أنّه سائر وجب أن يعلم كيف يسير و يشعل مصباح العلم ليسلم من الضلال و الصرعه فى مهاوى الهلاك.

و قوله : و اعلم أنّ لكلّ ظاهر باطنا.إلى قوله:و يبغض بدنه.

فاعلم أنّ هذه القضيّه الكلّيّه صادقه و ذلك أنّه لمّا صدر عن الجود الإلهىّ عالما الغيب و الشهاده و إن شئت عالم الخلق و الأمر و إن شئت العالم الروحانىّ و الجسمانىّ اقتضت الحكمه الإلهيّه كون عالم الشهاده طريقا للنفوس البشريّه إلى عالم الغيب و لولاها لتعذّر السفر إلى الحضره الإلهيّه و انسدّ طريق الترقّى إلى

اللّه فكان جميع ما ظهر فى عالم الشهاده مثالا مناسبا للأمر باطن من عالم الغيب هو الطريق إليه،و الدليل عليه غير أنّ المفهوم من كلامه عليه السّلام هنا تخصيص تلك الكلّيّه بأحد أمرين فإنّه إمّا أن يشير بالظاهر إلى أشخاص الناس أو إلى أفعالهم الظاهره، و الباطن إشاره إلى الأخلاق و أعمال القلوب و ما فى الأمزجه المختلفه من الخير و الشرّ،و قيل:إشاره إلى ما يخفى من الثواب و العقاب فى الآخره،و قد دلّ الاستقراء و القياس على أنّ حسن الصوره أو حسن الأعمال الظاهره الّتى تبدو من الإنسان حسن الأخلاق طيّب العشره مستقيم السيره،و على أنّ قبيحها سىّء الأخلاق شرير أمّا الاستقراء فظاهر،و أمّا القياس فلأنّ حسن الأخلاق و قرب النفس من الاستقامه على طلب الحقّ مقتضى قرب المزاج من الاعتدال،و كذلك حسن الصوره فيترتّب قياس هكذا:

حسن الصوره معتدل المزاج و كلّ معتدل المزاج حسن الأخلاق فحسن الصوره حسن الأخلاق،و إن شئت هكذا:معتدل المزاج حسن الصوره و معتدل المزاج حسن الأخلاق و القضيّتان أكثريّتان فإنّ بعض حسن الصوره قبيح الباطن،و بعض خبيث الظاهر حسن الباطل،و لذلك استشهد بما رواه عن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فإنّ اللّه يحبّ العبد من حيث صورته الحسنه لكونها مقتضى الحكمه الإلهيّه و أنسب إلى الوجود من القبيحه الّتى هى أنسب إلى العدم الّذى هو الشرّ المحض و يبغض عمله من جهه ما هو شرّ،و كذلك يحبّ العمل الحسن الباطن الطيب،و يبغض بدنه القبيح لنسبته إلى العدم الّذى هو شرّ،و أمّا النصّ فى دلاله الظاهر على الباطن فما نطق به القرآن الكريم «وَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ الَّذِى خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاّ نَكِداً» (۱)أى عسرا مشوما.قال ابن عبّاس و مجاهد و الحسن و قتاده و السدى:هذا مثل ضربه اللّه تعالى للمؤمن و الكافر بالأرض العذبه التربه و بالأرض السبخه المالحه،و شبّه فيه المؤمن الّذى إذا سمع القرآن و عاه و عقله و انتفع به فبان أثره عليه بحسن الأعمال و طيّبها بالبلد الطيّب.إذ كان البلد الطيّب يمرع و يخصب و يحسن أثر المطر عليه،و شبّه الكافر الّذى يسمع القرآن فلا يؤثّر فيه أثرا محمودا بالبلد

ص:۲۵۱

۱- ۱) ۵۶-۷.

الخبيث.إذ كان لا يمرع و لا يخصب و لا يتبيّن أثر المطر فيه،و أمّا البغض و المحبّه فقد علمت أنّهما يعودان فى اللّه سبحانه إلى إرادته و كراهيّته فما كان خيراً محضا أو الخير غالب عليه فهو مراد له بالذات،و ما كان شرّا محضا أو غالبا فهو مراد له بالعرض مكروه له بالذات.

استعاره مرشحه بالكنايه و قوله : و أعلم أنّ لكلّ عمل نباتا.

استعار لفظ النبات لزياده الأعمال و نموّها،و رشّح تلك الاستعاره بذكر الماء.

و كنّى به عن المادّه القلبيّه للأعمال،و وجه المشابهه أنّ الحركات فى العباده إنّما تكون بالميول القلبيّه و النيّات كما أنّ حركه النموّ للنبات إنّما تكون بالماء .

و ظاهر أنّ اختلاف المياه فى الحلاوه و الملوحه سبب لاختلاف استعداد النبات لطيب المغارس و الثمار فما طاب سقيه :أى نصيبه من الماء طابت ثمرته و ما خبثت ثمرته فكذلك ما يشبه النباتات و هى الأعمال يكون طيب ثمارها و هى ثمار الجنّه و أنواع لذّاتها بحسب طيب مادّتها من الإخلاص للّه،و خبثها بحسب خبث مادّتها من الرياء و حبّ الشهره و تكون ثمرتها أمرّ الثمار.إذ لا أمرّ مذاقا من عذاب النار .و باللّه التوفيق.

۱۵۴-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

يذكر فيها بديع خلقه الخفاش

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى» انْحَسَرَتِ الْأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ- وَ رَدَعَتْ عَظَمَتُهُ الْعُقُولَ- فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغاً إِلَى بُلُوغِ غَايَهِ مَلَكُوتِهِ- هُوَ اللَّهُ «الْحَقُّ الْمُبِينُ» - أَحَقُّ وَ أَبْيَنُ مِمَّا تَرَى الْعُيُونُ- لَمْ تَبْلُغْهُ الْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونَ مُشَبَّهاً- وَ لَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الْأَوْهَامُ بِتَقْدِيرٍ فَيَكُونَ مُمَثَّلًا- خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ تَمْثِيلٍ وَ لَا مَشُورَهِ مُشِيرٍ-

ص:۲۵۲

وَ لاَ مَعُونَهِ مُعِینٍ فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ وَ أَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ- فَأَجَابَ وَ لَمْ یُدَافِعْ وَ انْقَادَ وَ لَمْ یُنَازِعْ وَ مِنْ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ وَ عَجَائِبِ خِلْقَتِهِ- مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ الْحِکْمَهِ فِی هَذِهِ الْخَفَافِیشِ- الَّتِی یَقْبِضُهَا الضِّیَاءُ الْبَاسِطُ لِکُلِّ شَیْءٍ- وَ یَبْسُطُهَا الظَّلاَمُ الْقَابِضُ لِکُلِّ حَیٍّ- وَ کَیْفَ عَشِیَتْ أَعْیُنُهَا عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ- مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِیئَهِ نُوراً تَهْتَدِی بِهِ فِی مَذَاهِبِهَا- وَ تَتَّصِلُ بِعَلاَنِیَهِ بُرْهَانِ الشَّمْسِ إِلَی مَعَارِفِهَا- وَ رَدَعَهَا بِتَلَأْلُؤِ ضِیَائِهَا عَنِ الْمُضِیِّ فِی سُبُحَاتِ إِشْرَاقِهَا- وَ أَکَنَّهَا فِی مَکَامِنِهَا عَنِ الذَّهَابِ فِی بُلَجِ ائْتِلاَقِهَا- فَهِیَ مُسْدَلَهُ الْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَی حِدَاقِهَا- وَ جَاعِلَهُ اللَّیْلِ سِرَاجاً تَسْتَدِلُّ بِهِ فِی الْتِمَاسِ أَرْزَاقِهَا- فَلاَ یَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِسْدَافُ ظُلْمَتِهِ- وَ لاَ تَمْتَنِعُ مِنَ الْمُضِیِّ فِیهِ لِغَسَقِ دُجُنَّتِهِ- فَإِذَا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِنَاعَهَا وَ بَدَتْ أَوْضَاحُ نَهَارِهَا- وَ دَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَی الضِّبَابِ فِی وِجَارِهَا- أَطْبَقَتِ الْأَجْفَانَ عَلَی مَآقِیهَا- وَ تَبَلَّغَتْ بِمَا اکْتَسَبَتْهُ مِنَ الْمَعَاشِ فِی ظُلَمِ لَیَالِیهَا فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ اللَّیْلَ لَهَا نَهَاراً وَ مَعَاشاً- وَ النَّهَارَ سَکَناً وَ قَرَاراً- وَ جَعَلَ لَهَا أَجْنِحَهً مِنْ لَحْمِهَا- تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ الْحَاجَهِ إِلَی الطَّیَرَانِ- کَأَنَّهَا شَظَایَا الْآذَانِ غَیْرَ ذَوَاتِ رِیشٍ وَ لاَ قَصَبٍ- إِلاَّ أَنَّکَ تَرَی مَوَاضِعَ الْعُرُوقِ بَیِّنَهً أَعْلاَماً-

لَهَا جَنَاحَانِ لَمَّا يرِقَّا فَيَنْشَقَّا وَ لَمْ يَغْلُظَا فَيَثْقُلاَ- تَطِيرُ وَ وَلَدُهَا لاَصِقٌ بِهَا لاَجِئٌ إِلَيْهَا- يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ وَ يَرْتَفِعُ إِذَا ارْتَفَعَتْ- لاَ يُفَارِقُهَا حَتَّى تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ- وَ يَحْمِلَهُ لِلنُّهُوضِ جَنَاحُهُ- وَ يَعْرِفَ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ وَ مَصَالِحَ نَفْسِهِ- فَسُبْحَانَ الْبَارِئِ لِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلاَ مِنْ غَيْرِهِ

اللغه

أقول: الخفاش: مفرد جمعه خفافيش،و هو من الخفش و هو ضعف البصر خلقه .و انحسرت: كلت .و درعت: كفّت .و المساغ: المسلك .و سبحات إشراقها :

جلالته و بهاؤه .و البلج: جمع بلجه و هو أوّل ضوء الصبح،و قد يكون مصدرا .

و الائتلاق: اللمعان .و الإسداف: مصدر أسدف الليل ظلم .و غسق الدجّنه:

ظلام الليل .و وضح النهار: ضوءه .و وجار الضبّ: بيته .و الشظايا: القطع .

المعنی

و قد حمد اللّه تعالى باعتبارات :

الأوّل:انحسار الأوصاف عن كنه معرفته

،و لمّا كانت ذاته تعالى بريئه من أنحاء التراكيب لم يمكن العقول إدراكها بشيء من الأوصاف بالكنه،و قد سبق ذلك مرارا .

الثاني:ردع عظمته العقول عن بلوغ غايه ملكوته

،و ذلك ظاهر لأنّ الإدراك للأشياء بحقائقها إنّما يتمّ بإدراك حقائق عللها،و إذا استلزمت عظمته و ارتفاعه عن إدراك العقول ردعها عن معرفه كنهه فظاهر أنها لا تجد مسلكا إلى غايه ملكوته، و ما عليه نظام الوجود الأعلى و الأسفل كما هو .

الثالث:قوله:هو

فهو الهويه المطلق،و هو الّذى لا يكون هويّته موقوفه على غيره و مستفاده منه فإنّ كلّ ما كان مستفادا من الغير فما لم يعتبر غيره لم يكن هو فلم يكن هو هو المطلق،و كلّ ما كان هو هو لذاته فسواء اعتبر غيره أ و لم يعتبر فهو هو لكن كلّ ممكن فوجوده من غيره فكلّ ما كان وجوده من غير فخصوصيّه

وجوده و تعيّنه من غيره و هو الهويّه فإذن كلّ ممكن فهويّته من غيره فلا يكون هو هو لـذاته لكنّ المبـدأ الأوّل هو هو لـذاته فلا يكون من غيره فلا يكون ممكنا فهو واجب لـذاته فإذن واجب الوجود هو الّـذى لـذاته هو هو بل ذاته أنّه هو البراءه عن التركيب المستلزم للإمكان.

الرابع:تعقيبه لذكر الهويّه باسم اللّه

،و ذلك لأنّه لمّا كانت تلك الهويّه و الخصوصيّه عديمه الاسم لا يمكن شرحها إلّا بلوازمها،و اللوازم منها إضافيّه و منها سلبيّه،و اللوازم الإضافيّه أشدّ تعريفا و الأكمل فى التعريف هو اللازم الجامع لنوعى الإضافه و السلب،و ذلك هو كون تلك الهويّه إليها فإنّ الإله هو الّذى ينسب إليه غيره و لا ينسب هو إلى غيره فانتساب غيره إليه إضافىّ،و عدم انتسابه إلى غيره سلبىّ فلا جرم عقّب ذكر الهويّه بما يدلّ على ذلك اللازم لأكمليّته فى التعريف من غيره ليكون كالكاشف لما دلّ عليه لفظ هو،و فيه سرّ آخر،و هو أنّه لمّا عرّف تلك الهويّه بلازمها،و هو الإلهيّه نبّه على أنّه لا جزء لتلك الهويّه و إلّا لكان العدول عنه إلى التعريف باللازم قصور.

الخامس:ذكر الحقّ

،و هو الثابت الموجود فإنّه لمّا أشار إلى الهويّه و شرح اسمها عقّب ذلك بالإشاره إلى كونها حقّا موجودا وجودها عند العقول أحقّ و أبين ممّا[عمّا خ]ترى العيون،و ذلك ظاهر فإنّ العلم بوجود الصانع-جلّت عظمته-فطرىّ للعقول و إن احتاج إلى بيّنه ما.و العلوم الّتى مستندها الحس قد يقع الخلل فيها بسبب ما يقع للوهم من اشتباه المحسوسات و عدم ضبطها أو بسبب تقصير الحسّ فى كيفيّه الأداء لصوره المحسوس فكانت المعقولات الصرفه أحقّ لإدراك العقل لها بذاته .

السادس:أنّ العقول لم تبلغه تجديد فيكون مشبّها

،و فيه إشاره لطيفه تدل على كمال علمه عليه السّلام،و ذلك أنّك علمت فى المقدّمات أنّ العقول إذا قويت على الاتّصال بالامور المجرّده،و كانت القوّه المتخيّله بحيث تقوى على استخلاص الحسّ المشترك و ضبطه عن الحواسّ الظاهره فإنّ النفس و الحال هذه إذا توجّهت

لاقتناص أمر معقول و انجذبت القوى النفسانيّه أثرها انتقشت بذلك المعقول.ثمّ إنّها تستعين فى ضبط ذلك الأمر بالقوّه المتخيّله فتحاكيه بما يشبهه من الامور المحسوسه.ثمّ تحطّه إلى خزانه الخيال فيصير مشاهدا ممثّلاً.

إذا عرفت ذلك فنقول:لو كان البارى تعالى ممّا تدركه العقول و تشتبه بحدّ وصفه لكان استثباتها له على النحو المذكور فيلزم أن يكون مشبّها بغيره من الأجسام،و الجسمانيّات ليثبت صورته عند الذهن،و قد تنزّه قدس اللّه عن التشبيه بشىء منها .

السابع:و كذلك لم تقع الأوهام عليه بتقدير فيكون ممثّلا.

إذ الوهم لا يدرك إلاّ المعانى الجزئيّه المتعلّقه بالمحسوسات،و لا بدّ له فى إدراك ذلك المدرك من بعث المتخيّله على تشبيهه بمثال من الصور الجسمانيّه فلو وقع عليه و هو لمثّله فى صوره حسّيه حتّى أنّ الوهم إنّما يدرك نفسه فى مثال من صوره و حجم و مقدار .

الثامن:خلقهخلق خالخلق على غير مثال.إلى قوله:معين

،و قد سبق أيضا بيانه فى الخطبه الاولى و غيرها ،و تمام خلقه بأمره بلوغه إلى غايته فى الكمال الممكن له إذ[إذا خ]نطقت البراهين العقليّه أنّ كلّ ما أمكن لشىء وصل إليه من الجود الإلهى المنزّه عن البخل و المنع من جهته،و إذعانه لطاعته دخوله تحت القدره الالهيّه،و كذلك إجابته من غير مدافعه و انقياده من غير منازعه .

ثمّ شرع فى مقصود الخطبه

،و هو حمد اللّه تعالى باعتبار بعض لطائف صنعه و عجائب خلقه،و التنبيه على غوامض حكمته فى خلقه هذا الحيوان المخصوص،و بدأ بالتعجّب من مخالفتها لساير الحيوان فى قبض الضياء لإبصارها مع بسطها لسائر إبصار الحيوانات و إعداده لانبساط النبات و نموّه و غيره.ثمّ من بسط الظلام لإبصارها مع قبضه لساير الإبصار .ثمّ نبّه على العلّه الطبيعيّه لذلك و هو عشاء أعينها و ضعفها أن تستمدّ من نور الشمس المضيئه نورا تهتدى به،و الّذى ذكر فى علّه ذلك الضعف هو إفراط التحلّل فى الروح الحامل للقوّه الباصره من هذا الحيوان إذا لقى حرّ النهار فيصيبه لذلل التحلّل ضعف يحتاج معه إلى التعوّض عمّا يتحلّل فيرجع عن

العضو الباصر منها طلبا لبدل ما يتحلّل فيستكمل البدل بقرب الليل لمكان برده و ضعف حراره النهار فيعود الإبصار،و وصفه عليه السّلام بهذه الخاصيّه منها و كيفيّه حالها فيها إلى قوله:ظلم لياليها.وصف لا مزيد على فصاحته.

و قوله : و تتّصل بعلانيه برهان الشمس إلى معارفها.

فى غايه الفصاحه.و معارفها ما تعرفه من مذاهبها و وجوه تصرّفاتها،و تتّصل عطف على قوله:تستمدّ ،و أمّا إسدالها لجفونها على حداقها فلأنّ تحلّل الروح الحامل للقوّه الباصره سبب للنوم أيضا فيكون ذلك الإسدال ضربا من النوم و كثيرا ما يلحق كثيرا من الحيوان و سببه ما ذكرناه، استعاره بالكنايه و استعار لفظ القناع للشمس ملاحظه لشبهها بالمرأه ذات القناع،و كنّى بإلقائه عن بروزها من حجاب الأرض .ثمّ ثنّى بتسبيح اللّه و تعظيمه باعتبار أمر آخر لها على سبيل التعجّب و هو خلق أجنحتها من لحم بلا ريش و لا قصب كساير أجنحه الطير بل من عروق و رقّ تبسطه و تقبضه على مفاصل مخصوصه من غير رقّه توجب له الانشقاق عند الطيران،و لا غلظ يوجب له الثقل .ثمّ ثلّث بعجيب حالها مع ولدها، و ذلك أنّه يلصق بها فيرتضعها و لا يفارقها فى حالتى وقوعها و طيرانها حتّى يشتدّ و يمكنه الطيران و التصرّف بنفسه،و ذلك أمر يخالف به أيضا ساير الحيوان و هو محلّ التعجّب .ثمّ ختم الفصل بتسبيح اللّه تعالى باعتبار خلقه لكلّ شىء من غير مثال سبق من غيره،و من الأمثال العامّه:قيل للخفّاش:لما ذا لا جناح لك؟قالت:لأنّى تصوير مخلوق.قيل:فلما ذا لا تخرج نهارا؟قال:حياء من الطيور.يريدون أنّ المسيح عليه السّلام صوّره.و إنّ إليه الإشاره بقوله تعالى «وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَهِ الطَّيْرِ بِإِذْنِی فَتَنْفُخُ فِیها فَتَكُونُ طَیْراً بِإِذْنِی» (۱)و فى الطير عجائب لا تهتدى لها العقول بل و فى كلّ ذرّه من ذرّات مبدعاته و مكوّناته لطائف و أسرار كالنحل و البعوض و النمل تعجز عن إدراكها و استقصاء أوصافها ألباب الألبّاء و حكمه الحكماء فسبحانه ما أعظم شأنه و أبهر برهانه.

۱- ۱) ۱۱۰-۵

۱۵۵–و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

خاطب به أهل البصره علی جهه اقتصاص الملاحم

القسم الأول

اشاره

فَمَنِ اسْتَطَاعَ عِنْدَ ذَلِکَ- أَنْ یَعْتَقِلَ نَفْسَهُ عَلَی اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَلْیَفْعَلْ- فَإِنْ أَطَعْتُمُونِی- فَإِنِّی حَامِلُکُمْ «إِنْ شاءَ اللَّهُ» عَلَی سَبِیلِ الْجَنَّهِ- وَ إِنْ کَانَ ذَا مَشَقَّهٍ شَدِیدَهٍ وَ مَذَاقَهٍ مَرِیرَهٍ- وَ أَمَّا فُلاَنَهُ فَأَدْرَکَهَا رَأْیُ النِّسَاءِ- وَ ضِغْنٌ غَلاَ فِی صَدْرِهَا کَمِرْجَلِ الْقَیْنِ- وَ لَوْ دُعِیَتْ لِتَنَالَ مِنْ غَیْرِی مَا أَتَتْ إِلَیَّ لَمْ تَفْعَلْ- وَ لَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا الْأُولَی وَ الْحِسَابُ عَلَی اللَّهِ

اللغه

أقول: اعتقل نفسه: أی ضبطها و حبسها .و الضغن: الحقد .و المرجل: القدر .

المعنی

و قوله: عند ذلک.

یقتضی أنّه سبق منه قبل هذا الفصل ذکر فتن و حروب یقع بین المسلمین وجب علی من أدرکها أن یحبس نفسه علی طاعه اللّه دون مخالطتها و الدخول فیها، و سبیل الجنّه هو الدین القیّم،و ظاهر شرط حمله لهم علیه بالطاعه.إذ لا رأی لمن لا یطاع،و نبّه علی أنّ من الدین الحقّ ما هو ذو مشقّه شدیده و مذاقه مریره کالجهاد،و کذلک سائر التکالیف لها مشقّه، کنایه و فلانه کنایه عن عایشه و إدراک رأی النساء لها فی حربه بالبصره،و قد علمت أنّ رأی النساء یرجع إلی أفن و ضعف.

و فی الخبر:لا یفلح قوم أسندوا أمرهم إلی امرأه،و جاء:إنّهنّ قلیلات عقل و دین.

کما سبق بیان أخلاقهنّ ،و أمّا الضغن فقد نقل له أسباب عدّه:منها ما کان بینها و بین فاطمه علیها السّلام بسبب تزویج الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لها عقیب موت خدیجه امّ فاطمه،و إقامتها

مقامها،و من المعلوم المعتاد ما يقع بين المرأه و ابنه زوجها من غيرها من الكدر، و كان سبب البغض من المرأه لبنت الزوج حركه المتخيّله بإقامه البنت مقام الامّ الّتى هى ضرّه لها و تشبيهها بها فتقيمها مقام الضرّه،و تتوهّم فيها العداوه و البغضاء ثمّ ينشأ ذلك الخيال و يقوى بأسباب اخرى فيتأكّد البغض خصوصا إن كان الزوج أكرم لبنته كما هو المنقول من الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى حقّ فاطمه عليها السّلام،و أمّا من جهه البنت فلتخيّلها أنّها ضرّه امّها و توهّمها بسبب ذلك بغضها لها،و الباغض للامّ باغض للبنت لا محاله،و يتأكّد ذلك بالميل المنقول عن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى حقّ عايشه و إيثارها على سائر نسائه،و النفوس البشريّه خصوصا نفوس النساء تغيظ على ما دون ذلك فكيف بذلك منه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و لا شكّ فى تعدّى ذلك إلى نفس بعلها عليه السّلام فإنّ النساء كثيرا ما يحصل بسببهنّ الأحقاد فى قلوب الرجال،و عن بعض الحكماء:

إذا رأيت فى الدنيا خصومه ليست بسبب امرأه فاحمد اللّه تعالى فإنّها أمر عجيب، و كثيراً ما كانت فاطمه عليها السّلام تشكو إلى بعلها من عايشه.و منها ما كان من أمر قذف عايشه،و نقل إنّ عليّا عليه السّلام كان من المشيرين بطلاقها تنزيها لعرض الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من أقوال المنافقين،و قال له لمّا استشاره:إن هى إلاّ شسع نعلك،و قال:

اسأل الخادمه و خوّفها فإن أقامت على الجحود فاضربها.و بلغها كلّ ذلك الكلام و سمعت أضعافه من الغير ممّا جرت عاده الناس أن يتداولنه فى مثل هذه الواقعه، و نقل إليها النساء:إنّ عليّا عليه السّلام و فاطمه سرّا بذلك.فتفاقم الأمر و غلظ.ثمّ لمّا نزلت براءتها و صالحها الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ظهر منها ما جرت العاده بظهوره ممّن انتصر بعد ظلمه و ينتصر بعد غلبه من بسط اللسان و التبجّح بالبراءه من العيب،و فلتات القول فى أثناء ذلك.و بلغ ذلك عليّا و فاطمه عليهما السّلام،و منها كون النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم سدّ باب أبى بكر من المسجد و فتح باب صهره،و منها بعثه إيّاها بسوره براءه، ثمّ أخذها منه و دفعها إلى علىّ عليه السّلام.إلى غير ذلك من الأسباب الجزئيّه الّتى تشهد بها قرائن الأحوال و لا تكاد تتبيّن بالأقوال.فإنّ كلّ ذلك ممّا يثير الأحقاد و يؤكّد الأضغان.

و قوله: و لو دعيت.إلى آخره.

كلام حقّ لمكان الباعث لها فى حقّه دون غيره.

و قوله : و لها بعد حرمتها الاولى.

وجه اعتذاره فى الكفّ عن أذاها بعد استحقاقها للأذى فى نظره،و حرمتها بنكاح رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كونها زوجه له.

و قوله : و الحساب على اللّه.

تنبيه على أنّه و إن سامحها فى الدنيا بما فعلت فإنّ اللّه تعالى هو المتولّى لحسابها فى الآخره،و لعلّ هذا الكلام منه عليه السّلام قبل إظهارها للتوبه و علمه بذلك لأنّه فى معنى إظهار الوعيد لها من اللّه.

القسم الثانى منها:

اشاره

سَبِيلٌ أَبْلَجُ الْمِنْهَاجِ أَنْوَرُ السِّرَاجِ- فَبِالْإِيمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحَاتِ- وَ بِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الْإِيمَانِ وَ بِالْإِيمَانِ يُعْمَرُ الْعِلْمُ- وَ بِالْعِلْمِ يُرْهَبُ الْمَوْتُ وَ بِالْمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيَا- وَ بِالدُّنْيَا تُحْرَزُ الْآخِرَهُ- وَ إِنَّ الْخَلْقَ لاَ مَقْصَرَ لَهُمْ عَنِ الْقِيَامَهِ- مُرْقِلِينَ فِى مِضْمَارِهَا إِلَى الْغَايَهِ الْقُصْوَى

اللغه

أقول: [ازلفت خ]: قدّمت و قربت .و الإرقال: ضرب من الخبب .و لا مقصر له عن كذا: أى لا محبس .

المعنى

و مبدء الفصل فى وصف الإيمان،و المراد بالإيمان التصديق القلبىّ بالتوحيد و بما جاء به الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لا شكّ فى كونه سبيلا أبلج واضح المسلك إلى الجنّه استعاره أنور السراج فى ظلمات الجهل،و لفظ السراج مستعار ،و الصالحات هى الأعمال الصالحات من ساير العبادات و مكارم الأخلاق الّتى وردت بها الشريعه،و ظاهر كونها معلولات للإيمان و ثمرات له يستدلّ بوجوده فى قلب العبد على ملازمته لها استدلالا بالعلّه على المعلول،و يستدلّ بصدورها من العبد على وجود الإيمان فى قلبه استدلالا بالمعلول على العلّه،و أمّا قوله : و بالإيمان يعمر العلم .فلأنّ

الإیمان بالتفسیر المذکور إذا عضده البرهان کان علما و هو روح العلوم،و یطلق اسم الإیمان علیه مع ثمراته،و هی الأعمال الصالحه لأنّها من کمالاته و لا تمام له و لا منفعه بدونها فإنّ العلم إذا لم یعضد بالعمل فهو قلیل الفائده فی الآخره بل لا ثمره له فهو کالخراب الغیر الصالح للاقتناء فکما لا یصلح الخراب للسکنی فکذلک العلم الخالی عن الأعمال الصالحه فلذلک قال علیه السّلام فی موضع آخر:العلم مقرون بالعمل،و العلم یهتفّ بالعمل فإن جاء به و إلاّ ارتحل،و أمّا قوله : و بالعلم یرهب الموت .فلأنّ العلم باللّه تعالی و غایه خلقه للإنسان و ملاحظه نسبه الدنیا إلی الآخره و العلم بأحوال المعاد یستلزم ذکر الموت و دوام ملاحظته و ذلک مستلزم لرهبته و العمل له و لما بعده.

و قوله : و بالموت یختم الدنیا.

ظاهر إذ الدنیا عباره عمّا فیه الإنسان قبل الموت من التصرّفات البدنیّه.

و قوله : و بالدنیا تحرز الآخره.

إشاره إلی أنّ الدنیا محلّ الاستعداد لتحصیل الزاد لیوم المعاد،و فیها یحصل کمال النفوس الّذی تحرز به سعاده الآخره.و قد سبق بیانه.

و قوله : [بالقیامه تزلف الجنّه للمتّقین و تبرز الجحیم للغاوین خ].

إشاره لطیفه ذکرناها غیر مرّه.و هو أنّ بالموت و طرح جلباب البدن یتبیّن ما للإنسان و ما علیه ممّا قدّم من خیر أو شرّ و إن کانت ثمره ذلک أثرا حاصلا للنفس فی الدنیا لأنّ التألّم به و الالتذاذ إنّما یحصل لها بعد طرح البدن.

و إلیه الإشاره بقوله تعالی «یَوْمَ تَجِدُ کُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَیْرٍ مُحْضَراً وَ ما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَیْنَها وَ بَیْنَهُ أَمَداً بَعِیداً» (۱)و لفظ الإزلاف و البروز یشهد بذلک لأنّ فیه معنی الظهور:أی ظهور الإدراک إذن.

و قوله : و إنّ الخلق لا مقصر لهم عن القیامه.إلی آخره.

کلام فی غایه الحسن مع غزاره الفائده،و هو إشاره إلی أنّه لا بدّ لهم من

۱- ۱) ۲۸-۳.

ورود القيامه. استعاره و مضمارها :مدّه الحياه الدنيا.و هو لفظ مستعار،و وجه المشابهه كون تلك المدّه محلّ استعداد النفوس للسباق إلى حضره اللّه كما أنّ المضمار محلّ استعداد الخيل للسباق،و قد سبق بيان ذلك فی قوله:ألا و إنّ اليوم المضمار و غدا السباق ، كنايه و مرقلين :حال.و إرقالهم كنايه عن سيرهم المتوهّم فی مدّه أعمارهم إلى الآخره و سرعه حثيث الزمان بهم فی إعداد أبدانهم للخراب،و الغايه القصوى هی السعاده و الشقاوه الاخرويّه .

القسم الثالث منها:

اشاره

قَدْ شَخَصُوا مِنْ مُسْتَقَرِّ الْأَجْدَاثِ- وَ صَارُوا إِلَى مَصَايِرِ الْغَايَاتِ لِكُلِّ دَارٍ أَهْلُهَا- لاَ يَسْتَبْدِلُونَ بِهَا وَ لاَ يُنْقَلُونَ عَنْهَا- وَ إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْیَ عَنِ الْمُنْكَرِ- لَخُلُقَانِ مِنْ خُلُقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ- وَ إِنَّهُمَا لاَ يُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ- وَ لاَ يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ- وَ عَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ- فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ وَ النُّورُ الْمُبِينُ- وَ الشِّفَاءُ النَّافِعُ وَ الرِّیُّ النَّاقِعُ- وَ الْعِصْمَهُ لِلْمُتَمَسِّكِ وَ النَّجَاهُ لِلْمُتَعَلِّقِ- لاَ يَعْوَجُّ فَيُقَامَ وَ لاَ يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ- وَ لاَ تُخْلِقُهُ كَثْرَهُ الرَّدِّ وَ وُلُوجُ السَّمْعِ- مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَ مَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ و قام إليه رجل و قال:أخبرنا عن الفتنه،و هل سألت عنها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم؟فقال عليه السّلام:لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَوْلَهُ «الم أَ حَسِبَ النّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنّا وَ هُمْ لا يُفْتَنُونَ» - عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَهَ لاَ تَنْزِلُ بِنَا- وَ؟رَسُولُ اللَّهِ ص؟ بَيْنَ أَظْهُرِنَا- فَقُلْتُ

يا؟رَسُولَ اللَّهِ؟ مَا هَذِهِ الْفِتْنَهُ الَّتِى أَخْبَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا- فَقَالَ يَا؟عَلِيُّ؟إِنَّ أُمَّتِى سَيُفْتَنُونَ بَعْدِى- فَقُلْتُ يَا؟رَسُولُ اللَّهِ؟- أَ وَ لَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِى؟يَوْمَ أُحُدٍ؟- حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مَنِ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ- وَ حِيزَتْ عَنِّى الشَّهَادَهُ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ- فَقُلْتَ لِى أَبْشِرْ فَإِنَّ الشَّهَادَهَ مِنْ وَرَائِكَ- فَقَالَ لِى إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذاً- فَقُلْتُ يَا؟رَسُولَ اللَّهِ؟ لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ- وَ لَكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَ الشُّكْرِ- وَ قَالَ يَا؟عَلِيُّ؟ إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ- وَ يَمُنُّونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ- وَ يَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ وَ يَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ- وَ يَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَهِ- وَ الْأَهْوَاءِ السَّاهِيَهِ فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ- وَ السُّحْتَ بِالْهَدِيَّهِ وَ الرِّبَا بِالْبَيْعِ- قُلْتُ يَا؟رَسُولَ اللَّهِ؟- بِأَيِّ الْمَنَازِلِ أُنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ- أَ بِمَنْزِلَهِ رِدَّهٍ أَمْ بِمَنْزِلَهِ فِتْنَهٍ فَقَالَ بِمَنْزِلَهِ فِتْنَهٍ

المعنى

أقول:صدر هذا الفصل صفه حال أهل القبور فى القيامه.و مصائر الغايات:

الجنّه و النار،و ظاهر أنّ لكلّ دار منهما أهل لا يستبدلون بها،و يجب أن يعنى بأهل النار الكفّار ليتمّ قوله:لا يستبدلون بها و لا ينقلون عنها فإنّ العصاه من أهل القبله و إن صحّ أنّهم يعذّبون لكن ثبت أنّهم ينتقلون عنها.

استعاره و قوله : و إنّ الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر.إلى قوله:من رزق.

حثّ عليهما،يذكر كونهما خلقين من خلق اللّه.و اعلم أنّ إطلاق لفظ الخلق على اللّه استعاره لأنّ حقيقه الخلق أنّه ملكه نفسانيّه تصدر عن الإنسان

ص:۲۶۳

بها أفعال خيريّه أو شرّيه.و إذ قد تنزّه قدسه تعالى عن الكيفيّات و الهيئات لم يصدق هذا اللفظ عليه حقيقه لكن لمّا كان الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر من الأخلاق الفاضله أشبه ما نعتبره له تعالى من صفات الكمال و نعوت الجلال الّتى ينسب إليها ما يصدر عنه من الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و الأفعال الخيريّه الّتى بها نظام العالم و بقاؤه كحكمته و قدرته وجوده و عنايته و عدم حاجته ما يتعارف من الأخلاق الفاضله الّتى تصدر عنها الأفعال الخيريّه و الشرّيه فاستعير لها لفظ الأخلاق،و اطلق عليه .فأمّا كونهما لا يقرّبان الأجل و لا ينقصان الرزق فلأنّ كثيرا من ضعفاء الاعتبار العقلىّ يمنعهم عن الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر توهّم أحد الأمرين،و خصوصا ترك نهى الملوك من المنكرات .ثمّ شرع فى الحثّ على لزوم كتاب اللّه بأوصاف نبّه بها على فضيلته:

استعاره مرشحه الأوّل :كونه الحبل المتين ،و لفظ الحبل مستعار له،و وجه المشابهه كونه سببا لنجاه المتمسّك به من الهوى فى دركات الجحيم كالحبل فى نجاه المتمسّک به، و رشّح بذكر المتانه.

استعاره الثانى:كونه نورا مبينا ،و لفظ النور أيضا استعاره له باعتبار الاهتداء به إلى المقاصد الحقيقيّه فى سلوك سبيل اللّه.

الثالث :كونه الشفاء النافع:أى من ألم الجهل ،و كذلک الرىّ الناقع:أى للعطشان من ماء الحياه الأبديّه كالعلوم و الكمالات الباقيه.

الرابع :كونه عصمه للمتمسّک و نجاه للمتعلّق،و معناه كالّذى سبق فى كونه حبلا.

الخامس : لا يعوجّ فيقام .إذ ليس هو كسائر اللآلات المحسوسه.

السادس : و لا يزيع فيستعتب :أى يطلب منه العتبى و الرجوع إلى الحقّ كما يفعله سائر الحكام من الناس.

السابع :كونه و لا تخلقه كثره الردّ:أى الترديد فى الألسنه و ولوج الأسماع و هو من خصائص القرآن الكريم فإنّ كلّ كلام نثر أو نظم إذا كثرت تلاوته مجّته

الأسماع و استهجن إلاّ القرآن الكريم فإنّه لا يزال غضّا طريّا يزداد على طول التكرار فى كرور الأعصار محبّه فى القلوب و حسنا،و الّذى يلوح من سرّ ذلك كثره أسراره و غموضها الّتى لا يطّلع عليها إلاّ الأفراد مع كونه فى غايه من فصاحه الألفاظ و عذوبه المسمع .فأمّا ما حكاه من سؤاله الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و جواب الرسول له فقد روى كثير من المحدّثين عنه عليه السّلام عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال:إنّ اللّه قد كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب علىّ جهاد المشركين.قال:فقلت:يا رسول اللّه و ما هذه الفتنه الّتى كتب علىّ فيها الجهاد؟قال:فتنه قوم يشهدون أن «لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ» و أنّى رسول اللّه و هم مخالفون للسنّه.فقلت:يا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:فعلام اقاتلهم و هم يشهدون كما أشهد؟.قال:على الإحداث فى الدين و مخالفه الأمر.فقلت:يا رسول اللّه إنّك كنت وعدتنى بالشهاده فاسأل اللّه أن يعجّلها لى بين يديك.قال:فمن يقاتل الناكثين و القاسطين و المارقين؟أما إنّى وعدتك الشهاده و ستشهد تضرب على هذا فتخضب هذه فكيف صبرك إذن؟.فقلت:يا رسول اللّه ليس ذا[هذا خ]بموطن صبر هذا موطن شكر.قال:أجل أصبت فأعدّ للخصومه فإنّك مخاصم.فقلت:يا رسول اللّه لو بيّنت لى قليلا.فقال:إنّ امّتى ستفتن من بعدى فتتأوّل القرآن و تعمل بالرأى و تستحلّ الخمر بالنبيذ و السحت بالهديه و الربا بالبيع و تحرّف الكتاب عن مواضعه و تغلب كلمه الضلال فكن حلس بيتك حتّى تقلّدها فإذا قلّدتها جاشت عليك الصدور و قلبت لك الامور فقاتل حينئذ على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فليست حالهم الثانيه دون حالهم الاولى.فقلت:يا رسول اللّه فبأىّ المنازل هؤلاء المفتونين أ بمنزله فتنه أم بمنزله ردّه؟.فقال:بمنزله فتنه يعمهون فيها إلى أن يدركهم العدل.فقلت:يا رسول اللّه أ يدركهم العدل منّا أم من غيرنا؟قال:بل منّا فبنا فتح و بنا يختم و بنا ألّف اللّه بين القلوب بعد الشرك.فقلت:الحمد للّه على ما وهب لنا من فضله.و ليس فى هذا الفصل غريب يتنبّه عليه سوى قوله : ليس هذا من مواطن الصبر و لكن من مواطن الشكر .فإنّك علمت فيما سلف أنّ الصبر و الشكر من أبواب الجنّه و المقامات العاليه للسالك إلى اللّه تعالى لكن علمت أنّ

مقام الشكر أرفع من مقام الصبر،و لمّا كان هو عليه السّلام سيّد العارفين بعد سيّد المرسلين صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لا جرم كان أولى من صدرت عنه هذه الإشاره فأمّا إخبار الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بأنّ الناس سيفتنون بأموالهم و يمنّون بدينهم على ربّهم و يتمنّون رحمته و يأمنون سطوته و سائر ما أخبر به.إلى قوله:بالبيع.فكلّ ذلك مشاهد فى زماننا و قبله بقرون ،و أمّا كون ذلك منزله فتنه لا منزله ردّه فلبقائهم على الإقرار بالشهادتين و إن ارتكبوا من المحارم ما ارتكبوا لشبه غطّت على أعين أبصارهم.و باللّه التوفيق.

۱۵۶-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

«الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى» جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِذِكْرِهِ- وَ سَبَباً لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ- وَ دَلِيلاً عَلَى آلاَئِهِ وَ عَظَمَتِهِ- عِبَادَ اللَّهِ- إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِى بِالْبَاقِينَ كَجَرْيِهِ بِالْمَاضِينَ- لاَ يَعُودُ مَا قَدْ وَلَّى مِنْهُ- وَ لاَ يَبْقَى سَرْمَداً مَا فِيهِ- آخِرُ فَعَالِهِ كَأَوَّلِهِ مُتَشَابِهَهٌ أُمُورُهُ- مُتَظَاهِرَهٌ أَعْلاَمُهُ فَكَأَنَّكُمْ بِالسَّاعَهِ تَحْدُوكُمْ حَدْوَ الزَّاجِرِ بِشَوْلِهِ- فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِى الظُّلُمَاتِ- وَ ارْتَبَكَ فِى الْهَلَكَاتِ- وَ مَدَّتْ بِهِ شَيَاطِينُهُ فِى طُغْيَانِهِ- وَ زَيَّنَتْ لَهُ سَيِّئَ أَعْمَالِهِ- فَالْجَنَّهُ غَايَهُ السَّابِقِينَ وَ النَّارُ غَايَهُ الْمُفَرِّطِينَ- اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ- أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ- وَ الْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ- لاَ يَمْنَعُ أَهْلَهُ وَ لاَ يُحْرِزُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ- أَلاَ وَ بِالتَّقْوَى تُقْطَعُ حُمَهُ الْخَطَايَا- وَ بِالْيَقِينِ تُدْرَكُ الْغَايَهُ الْقُصْوَى-

ص:۲۶۶

عِبَادَ اللَّهِ اللَّهَ اللَّهَ فِی أَعَزِّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ وَ أَحَبِّهَا إِلَيْكُمْ- فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ الْحَقِّ وَ أَنَارَ طُرُقَهُ- فَشِقْوَةٌ لاَزِمَةٌ أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ- فَتَزَوَّدُوا فِی أَيَّامِ الْفَنَاءِ لِأَيَّامِ الْبَقَاءِ- قَدْ دُلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ وَ أُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ- وَ حُثِثْتُمْ عَلَى الْمَسِيرِ- فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكْبٍ وُقُوفٍ لاَ يَدْرُونَ- مَتَى يُؤْمَرُونَ بِالسَّيْرِ- أَلاَ فَمَا يَصْنَعُ بِالدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ لِلْآخِرَهِ- وَ مَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ عَمَّا قَلِيلٍ يُسْلَبُهُ- وَ تَبْقَى عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ وَ حِسَابُهُ- عِبَادَ اللَّهِ- إِنَّهُ لَيْسَ لِمَا وَعَدَ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ مَتْرَكٌ- وَ لاَ فِيمَا نَهَى عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مَرْغَبٌ- عِبَادَ اللَّهِ- احْذَرُوا يَوْماً تُفْحَصُ فِيهِ الْأَعْمَالُ- وَ يَكْثُرُ فِيهِ الزِّلْزَالُ وَ تَشِيبُ فِيهِ الْأَطْفَالُ- اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ- أَنَّ عَلَيْكُمْ رَصَداً مِنْ أَنْفُسِكُمْ- وَ عُيُوناً مِنْ جَوَارِحِكُمْ- وَ حُفَّاظَ صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ وَ عَدَدَ أَنْفَاسِكُمْ- لاَ تَسْتُرُكُمْ مِنْهُمْ ظُلْمَهُ لَيْلٍ دَاجٍ- وَ لاَ يُكِنُّكُمْ مِنْهُمْ بَابٌ ذُو رِتَاجٍ- وَ إِنَّ غَداً مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ- وَ يَجِیءُ الْغَدُ لاَحِقاً بِهِ- فَكَأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ مِنْكُمْ- قَدْ بَلَغَ مِنَ الْأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ وَ مَخَطَّ حُفْرَتِهِ- فَيَا لَهُ مِنْ بَيْتِ وَحْدَهٍ-

ص:۲۶۷

وَ مَنْزِلِ وَحْشَهٍ وَ مُفْرَدِ غُرْبَهٍ- وَ كَأَنَّ الصَّيْحَه قَدْ أَتَتْكَمْ- وَ السَّاعَهَ قَدْ غَشِيَتْكَمْ- وَ بَرَزْتُمْ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ- قَدْ زَاحَتْ عَنْكَمُ الْأَبَاطِيلُ- وَ اضْمَحَلَّتْ عَنْكُمُ الْعِلَلُ- وَ اسْتَحَقَّتْ بِكُمُ الْحَقَائِقُ- وَ صَدَرَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ مَصَادِرَهَا- فَاتَّعِظُوا بِالْعِبَرِ- وَ اعْتَبِرُوا بِالْغِيَرِ وَ انْتَفِعُوا بِالنُّذُرِ

اللغه

أقول: الشول: النوق الّتى جفّ لبنها و ارتفع ضرعها و أتى عليها من نتاجها سبعه أشهر.الواحده شائله على غير قياس .و الارتباك: الاختلاط .و حمه العقرب:

إبرتها،و هى محلّ سمّها .و الرتاج: الغلق .

المعنى

و قد حمد اللّه تعالى باعتبارات :

أحدها:جعله الحمد مفتاحا لذكره فى عدّه سور .

الثانى:كونه سببا للمزيد من فضله،و المراد بالحمد هنا الشكر لقوله تعالى «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ» (۱)و قد عرفت إعداده لزياده النعم.

الثالث : و دليلا على آلائه .لاختصاص الشكر بمولى النعم،و على عظمته.

لاختصاصه باستحقاق ذلك لذاته.إذ هو مبدء لكلّ نعمه،و لأنّ الحمد لا ينبغى إلّا له ،ثمّ أخذ فى الموعظه فنبّه السامعين على فعل الدهر بالماضين ليتذكّروا أنّهم أمثالهم و لاحقون بهم فيتقهقروا عن غيّهم و يعملوا لما بعد الموت .ثمّ نبّه على حاله فى تقضّيه بأنّ كلّ وقت مضى منه لا يعود،و أنّ كلّ وقت منه له أهل و متاع من الدنيا إنّما يكون فى الوجود بوجود ذلك الوقت،و ظاهر أنّه تنقضى بتقضّيه و لا يبقى سرمدا ما فيه ،و أنّ آثاره متشابهه آخرها كأوّلها:أى يوجد ما يكون بإعداد وقت منه بوجود ذلك الوقت و ينقضى بانقضائه فحاله دائما على وتيره واحده، و كذلك قوله : متشابهه اموره فإنّه كما كان أوّلا يعدّ قوما للفقر و قوما للغنى،

۱- ۱) ۷-۱۴.

و قوما للضعه و قوما للرفعه،و قوما للوجود و آخرين للعدم كذلك هو آخرا.

و قوله : متظاهره أعلامه.

أى دلالاته على شيمته و طبيعته و أفعاله الّتى يعامل الناس بها قديما و حديثا متعاضده يتبع بعضها بعضا،و نسبه هذه الامور إلى الدهر جريا على ما فى أوهام العرب و إن كان الفاعل هو اللّه تعالى و إنّما للدهر الإعداد كما سبق .ثمّ نبّه على قرب الساعه استعاره و شبّه حدوها :أى سوقها لهم بسوق الزاجر للنوق فى حثّه لها، و قد عرفت كيفيّه ذلك السوق و وجه الاستعاره فيه و فى قوله: و إنّ الساعه من ورائكم تحدوكم ،فأمّا وجه الشبه فهو السرعه و الحثّ ،و إنّما خصّ الشول من النوق لخلوّها من العثار فيكون سوقها بعنف و أسرع،و لمّا نبّههم على قربها و إنّها تحدوهم نبّههم على وجوب اشتغال كلّ بنفسه.إذ كلّ مشغل نفسه بغير نفسه غير محصّل لنور يهتدى به فى ظلمات طريق الآخره بل إنّما يحصل على أغطيه و أغشيه من الهيئات البدنيّه اكتسبها عمّا اشتغل به من متاع الدنيا و العمل بها،و علمت أنّ تلك الأغطيه مغشيّه لنور البصيره فلا جرم يتحيّر فى تلك الظلمات و يرتبك فى مهالك تلك الطريق و مغاويها،و تمدّ به شياطينه و نفسه الأمّاره فى طغيانه،و تزيّن له سيّء أعماله .ثمّ ذكر غايه وجود الإنسان فخصّ الجنّه بالسابقين، و النّار بالمفرّطين،و قد كان ذكر الجنّه كافيا فى الجذب إليها،و النار كافيا فى الجذب عنها فقرن ذكر الجنّه بذكر فضيله السبق،و ذكر النار برذيله التفريط ليقوى الباعث على طلب أشرف الغايتين و الهرب من أخسّهما،و أيضا فلأنّ السبق و التفريط علّتان للوصول إلى غايتيهما المذكورتين فهدى إلى طلب إحداهما،و الهرب من الاخرى بذكر سببها. استعاره ثمّ عاد إلى التنبيه على فضيله التقوى،و استعار له لفظ الدار الحصينه الّتى تعزّ من تحصّن بها ،و وجه الاستعاره كونها تحصن النفس أمّا فى الدنيا فمن الرذائل الموبقه المنقّصه الموجبه لكثير من الهلكات الدنيويّه،و أمّا فى الآخره فمن ثمرات الرذائل ملكات السوء المستلزمه للعذاب الأليم .ثمّ على رذيله الفجور،و هو طرف الإفراط من فضيله العفّه،و استعار لفظ

الدار بقيد كونها حصنا ذليلا ،و وجه الاستعاره كونه مستلزما لضدّ ما استلزم التقوى و يجب أن يخصّص التقوى هنا بفضيله القوّه البهيميّه و هى العفّه و الزهد لمقابله الفجور للعفّه .ثمّ نبّه على فضيله اخرى للتقوى و هى كونها قاطعا لحمه الخطايا و لفظ الحمه مستعار لها باعتبار كونها أسبابا مستلزمه للأذى فى الآخره كما يستلزم إبره العقرب أو سمّها للأذى ،و من روى حمّه مشدّده أراد شدّه الخطايا و بأسها لأنّ حمه الحرّ معظمته،و ظاهر كون التقوى قاطعا لبأس الخطايا و ماحيا لآثارها، و لمّا أشار إلى كون التقوى حاسما لمادّه الخطايا و كان بذلك إصلاح القوّه العمليّه أشار إلى أنّ اليقين الّذى به إصلاح القوّه النظريّه سبب لإدراك الغايه القصوى فإنّ الإنسان إذا حصل على كمال القوّه النظريّه باليقين و على كمال القوّه العمليّه بالتقوى بلغ الغايه القصوى من الكمال الإنسانىّ .ثمّ عقّب بتحذير السامعين من اللّه تعالى فى أعزّ الأنفس عليهم و أحبّها إليهم،و فى الكلام إشاره إلى أنّ للإنسان نفوسا متعدّده و هى باعتبار مطمئنّه،و أمّاره بالسوء،و لوّامه.

و باعتبار عاقله،و شهويّه،و غضبيّه.و الإشاره إلى الثلاث الأخيره.و أعزّها النفس العاقله.إذ هى الباقيه بعد الموت،و لها الثواب و عليها العقاب،و فيها الوصيّه، و غايه هذا التحذير حفظ كلّ نفسه ممّا يوبقها فى الآخره،و ذلك بالاستقامه على سبيل اللّه،و لذلك قال : فقد أوضح لكم سبيل الحقّ و أبان طرقه،و روى و أنار طرقه :أى بالآيات و النذر .ثمّ نبّه على غايتى سبيل الحقّ و سبيل الباطل بقوله:

فشقوه لازمه أو سعاده دائمه .ثمّ عاد إلى الحثّ على اتّخاذ الزاد بعد أن ذكر التقوى تنبيها على أنّ الزاد هو التقوى كما قال تعالى «وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوى» (١)و أيّام البقاء الحال الّتى بعد الموت ،و دلالتهم على الزاد فى الآيه الّتى دلّهم اللّه تعالى بها عليه و أمرهم بالظعن كقوله تعالى «سارِعُوا إِلى مَغْفِرَهٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّهٍ» (٢)الآيه و قوله «فَفِرُّوا إِلَى اللّهِ» و بالجمله فكلّ أمر بالإعراض عن الدنيا و التنفير عنها فهو مستلزم للحثّ على الظعن و الأمر بالمسير عن الدنيا بالقلوب

١- (١) ١٩٣-٢

٢- (٢) ٢٧-٣

لأنّ الظعن هنا هو قطع درجات المعارف و الأعمال فى سبيل اللّه و صراطه المستقيم و المسير فيها،و يحتمل أن يريد بالحثّ على المسير حثّ الليل و النهار بتعاقبهما على الأعمار فهما سابقان حثيثان عنيفان فيجب التنبيه لسوقهما على اتّخاذ الزاد لما يسوقان إليه.

تشبيه و قوله : و إنّما أنتم كركب.إلى آخره.

فوجه التشبيه ظاهر فالإنسان هو النفس،و المطايا هى الأبدان و القوى النفسانيّه،و الطريق هى العالم الحسّىّ و العقلىّ،و السير الذى ذكره قبل الموت هو تصرّف النفس فى العالمين لتحصيل الكمالات المسعده و هى الزاد لغايه السعاده الباقيه، و أمّا السير الثانى الّذى هو وقوف ينتظرون و لا يدرون متى يؤمرون به فهو الرحيل إلى الآخره من دار الدنيا و طرح البدن و قطع عقبات الموت و القبر إذ الإنسان لا يعرف وقت ذلك.و حينئذ يتبيّن لك من سرّ هذا الكلام أنّ قوله:و امرتم بالظعن مع قوله: لا تدرون متى تؤمرون بالسير .غير متنافيين كما ظنّه بعضهم .ثمّ أخذ فى تزهيد الدنيا و التنفير عنها بذكر أنّ الإنسان غير مخلوق لها بل لغيرها و مقتضى العقل أن يعمل الإنسان لما خلق له ،و فى تزهيد المال بتذكير سلبه عن قليل بالموت و بقاء الحساب عليه و تبعاته من عقارب الهيئات الحاصله بسبب محبّته و جمعه و التصرّف الخارج عن العدل فيه لاسعه لمقتنيه .ثمّ عقّب بالترغيب فى وعد اللّه بأنّه ليس منه متروك:اى ليس منه عوض و بدل فى النفاسه بالتنفير عمّا نهى اللّه عنه بكونه لا مرغب فيه:أى ليس فيه مصلحه ينبغى أن يجعلها العاقل غايه مقصوده له.إذ هو تعالى أعلم بالمصالح فلا يليق بجوده أن ينهى العبد عمّا فيه مصلحه راجحه .ثمّ عقّب بالتحذير من يوم الوعيد و وصفه بالصفات الّتى باعتبارها يجب الخوف منه و العمل له و هى فحص الأعمال فيه و نقاش الحساب عليه كقوله تعالى «وَ لَتُسْئَلُنَّ عَمّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » (۱)و ظهور الزلزال كقوله تعالى «إِذا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزالَها » و شيب الأطفال كقوله تعالى «يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدانَ شِيباً» (۲).و أعلم أنّ هذه الصفات فى يوم القيامه ظاهره

۱- ۱) ۹۵-۱۶

۲- ۲) ۱۷-۷۳.

فى الشريعه،و قد سلّط التأويل عليها بعض من تحذلق فقال:أمّا الفحص عن الأعمال فيرجع إلى إحاطه اللوح المحفوظ بها و ظهورها للنفس عند مفارقتها للبدن أو إلى انتقاش النفوس بها كما تقدّم شرحه كقوله تعالى «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً» (١)الآيه،و أمّا ظهور الزلزال فيحتمل أن يريد التغيّر الّذى لا بدّ منه و الاضطراب العارض للبدن عند مفارقه النفس و التشويش لها أيضا على ما تقدّم من الإشاره إلى أنّ الدنيا هى مقبره النفوس و أجداثها، كنايه و أمّا مشيب الأطفال فكثيرا ما يكنّى بذلك عن غايه الشدّه يقال هذا أمر تشيب فيه النواصى و تهرم فيه الأطفال إذا كان صعبا.و لا أصعب على النفس من حال المفارقه و ما بعدها .

ثمّ عقّب بالتحذير من المعاصى بالتنبيه على الرصد القريب الملازم،و أشار بالرصد إلى الجوارح كما قال تعالى «يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ» (٢)و قوله «وَ قالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا» (٣)الآيه،و الشهاده هنا بلسان الحال و النطق به فإنّ كلّ عضو لمّا كان مباشرا لفعل من الأفعال كان حضور ذلك العضو و ما صدر عنه فى علم اللّه تعالى بمنزله الشهاده القوليّه بين يديه و أكّد فى الدلاله ،و أشار بحفّاظ الصدق إلى الكرام الكاتبين،و قد سبقت الإشاره إلى ذلك فى الخطبه الاولى،و ظاهر كونهم لا يستر منهم ساتر. كنايه ثمّ بالتحذير بقرب غد ،و كنّى به عن وقت الموت .ثمّ ببلوغ منزل الواحده ،و كنّى به عن القبر،و وصفه بالأوصاف الموحشه المنفّره المستلزمه للعمل لحلوله و لما بعده .ثمّ بالصيحه و هى الصيحه الثانيه «إِنْ كانَتْ إِلاّ صَيْحَهً واحِدَهً فَإِذا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنا مُحْضَرُونَ» ،و النفخه الثانيه و «نُفِخَ فِيهِ أُخْرى فَإِذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ » .ثمّ بالقيامه الكبرى و البروز لفصل القضاء و هو حال استحقاق كلّ نفس ما لا بدّ لها منه من دوام عذاب أو دوام نعيم بحكم القضاء الإلهىّ،و ذلك بعد زوال الهيئات الباطله الممكنه الزوال من النفوس الّتى لها استكمال ما و لحوقها بعالمها و اضمحلال العلل الباطله للنفوس و استحقاق الحقائق بالخلق و رجوع كلّ امرىء إلى ثمره ما قدّم .ثمّ عاد إلى الموعظه الجامعه

١- ١) ٢٨-٣

٢- ٢) ٢٤-٢٤

٣- ٣) ٢٠-٤١.

الكلّيه فأمر بالاتّعاظ بالعبر و كلّ ما يفيد تنبيها على أحوال الآخره فهو عبره، و بالاعتبار بالغير و هى جمع غيره فعله من التغيّر و اعتبارها طريق الاتّعاظ و الانزجار .

ثمّ بالانتفاع بالنذر جمع نذير و هو أعمّ من الإنسان بل كلّ أمر أفاد تخويفا بأحوال الآخره فهو نذير و الانتفاع به حصول الخوف عنه.و باللّه التوفيق.

۱۵۷-و من خطبه له عليه السّلام

القسم الأول

اشاره

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَهٍ مِنَ الرُّسُلِ- وَ طُولِ هَجْعَهٍ مِنَ الْأُمَمِ وَ انْتِقَاضٍ مِنَ الْمُبْرَمِ- فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِی بَیْنَ یَدَیْهِ- وَ النُّورِ الْمُقْتَدَى بِهِ ذَلِكَ؟الْقُرْآنُ؟ فَاسْتَنْطِقُوهُ- وَ لَنْ يَنْطِقَ وَ لَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ- أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِی- وَ الْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِی- وَ دَوَاءَ دَائِكُمْ وَ نَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ

اللغه

أقول: الهجعه: النومه .و المبرم. الحبل المحكم الفتل .

و ثمره الفصل التنبيه على فضيله الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

و الفتره الزمان بين الرسولين، كنايه و كنّى بالهجعه من الامم عن رقدتهم فى مراقد الطبيعه و نوم الغفله عمّا خلقوا لأجله فى مدّه زمان الفتره ،و أشار بالمبرم إلى ما كان الخلق عليه من نظام الحال بالشرائع السابقه و انبرام امورهم بوجودها،و انتقاضها فساد ذلك النظام بتغيّر الشرائع و اضمحلالها ،و الّذى صدّقه بين يديه هو التوراه و الإنجيل كما قال تعالى «مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ» (۱)و لكلّ أمر منتظر أو قريب يقال إنّه جار بين اليدين، استعاره و استعار لفظ النور للقرآن،و وجه الاستعاره ظاهر .ثمّ أمر باستنطاقه و فسّر ذلك الاستنطاق باستماع العباره عنه.إذ هو لسان الكتاب و السنّه،و كسّر أوهامهم الّتى عساها تستنكر آمره باستنطاقه بقوله:فلن ينطق ،و نبّه على ما فيه من علم الأوّلين و الحديث عن القرون الماضيه و علم ما يأتى من الفتن و أحوال القيامه و أنّ فيه

۱- ۱) ۲۵-۵.

دواء دائهم،و ذلك الداء هو الرذائل المنقّصه،و دواء ذلك الداء هو لزوم الفضائل العلميّه و العمليّه الّتى اشتمل عليها القرآن الكريم و نظام ما بينهم إشاره إلى ما اشتمل عليه من القوانين الشرعيّه و الحكمه السياسيّه الّتى بها نظام العالم و استقامه اموره.

القسم الثانى منها:

اشاره

فَعِنْدَ ذَلِكَ لاَ يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَ لاَ وَبَرٍ- إِلاَّ وَ أَدْخَلَهُ الظَّلَمَهُ تَرْحَهً وَ أَوْلَجُوا فِيهِ نِقْمَهً- فَيَوْمَئِذٍ لاَ يَبْقَى لَهُمْ فِي السَّمَاءِ عَاذِرٌ- وَ لاَ فِي الْأَرْضِ نَاصِرٌ- أَصْفَيْتُمْ بِالْأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ وَ أَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ- وَ سَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِمَّنْ ظَلَمَ- مَأْكَلاً بِمَأْكَلٍ وَ مَشْرَباً بِمَشْرَبٍ- مِنْ مَطَاعِمِ الْعَلْقَمِ وَ مَشَارِبِ الصَّبِرِ وَ الْمَقِرِ- وَ لِبَاسِ شِعَارِ الْخَوْفِ وَ دِثَارِ السَّيْفِ- وَ إِنَّمَا هُمْ مَطَايَا الْخَطِيئَاتِ وَ زَوَامِلُ الْآثَامِ- فَأُقْسِمُ ثُمَّ أُقْسِمُ- لَتَنْخَمَنَّهَا؟أُمَيَّهُ؟ مِنْ بَعْدِي كَمَا تُلْفَظُ النُّخَامَهُ- ثُمَّ لاَ تَذُوقُهَا وَ لاَ تَطْعَمُ بِطَعْمِهَا أَبَداً- مَا كَرَّ الْجَدِيدَانِ

اللغه

أقول: الترحه: الحزن .و المقر: المرّ .و الزامله: الجمل يستظهر به الإنسان فى حمل متاعه .و تنخّمت النخامه: لفظتها .

و سياق الكلام الإخبار عن حال بنى اميّه و ما يحدث فى دولتهم من الظلم

، كنايه و كنّى ببيت المدر و الوبر عن البدو و الحضر،و عن استحقاقهم عند فعلهم ذلك للتغيّر و زوال الدوله بعدم العاذر فى السماء و الناصر فى الأرض .ثمّ عقّب بتوبيخ السامعين على إصفائهم بأمر الخلافه غير أهله،و الخطاب عامّ خصّه العقل بمن هو راض بدوله معاويه و ذريّته،و ربّما الحق من تقاعد عن القيام معه فى قتاله لأنّ العقود عن ردع الظالم و قتاله مستلزم لقوّته و يجرى مجرى نصرته و إعانته على ظلمه و إن لم يقصد القاعد عنه ذلك .ثمّ أخبر أنّ اللّه سينتقم منهم.و مأكلا و مشربا

منصوبان بفعل مضمر و التقدير و يبدّلهم مأكلا بمأكل، استعاره و استعار لفظ العلقم و الصبر و المقر لما يتجرّعونه من شدائد القتل و أهوال العدوّ و مرارات زوال الدوله ، استعاره مرشحه و كذلك لفظ الشعار للخوف،و رشّح بذكر اللباس و لفظ الدثار للسيف،و وجه الاستعاره الاولى ظاهر،و وجه الثانيه ملازمه الخوف لهم كملازمه الشعار للجسد ،و أفاد بعض الشارحين أنّه إنّما خصّص الخوف بالشعار لأنّه باطن فى القلوب،و السيف بالدثار لأنّه ظاهر فى البدن كما أنّ الشعار ما كان يلى الجسد و الدثار ما كان فوقه، استعاره و استعار لهم لفظ المطايا و الزوامل ،و وجه الاستعاره حملهم للآثام .و أتى بلفظ إنّما إشاره إلى أنّ جميع حركاتهم و تصرّفاتهم على غير قانون شرعىّ فيكون خطيئه و إثما. استعاره ثمّ أقسم لتنخمنّها اميّه من بعده .فاستعار لفظ التنخّم لزوال الخلافه عنهم فكأنّهم قاءوها و قذفوها من صدورهم ملاحظه لشبهها بالنخامه ، كنايه و كنّى بعدم ذوقها و تطعّمها عن عدم رجوعها إليهم ،و ما هنا بمعنى المدّه، كنايه و الجديدان الليل و النهار، و كنّى بذلك عن الأمد .و هو إخبار منه عمّا سيكون،و روى عن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه أخبر أنّ بنى اميّه تملك الخلافه بعده مع ذمّ منه لهم نحو ما روى عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى تفسير قوله «وَ ما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْناكَ إِلاّ فِتْنَةً لِلنّاسِ وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَ نُخَوِّفُهُمْ» (1)قال المفسرون:تلك الرؤيا أنّه رأى بنى اميّه ينزون على منبره نزو القرده،و بهذا اللفظ فسّر صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الآيه و ساءه ذلك.ثمّ قال:الشجره الملعونه بنو اميّه و بنو المغيره،و روى عنه أنّه قال:إذا بلغ بنو أبى العاص ثلاثين رجلا اتّخذوا مال اللّه دولا و عباده خولا،و كما روى عنه فى تفسيره لقوله تعالى:

«لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» قال:ألف شهر يملك فيها بنو اميّه،و نحو قوله:

أبغض الأسماء إلى اللّه الحكم و الهشام و الوليد.إلى غير ذلك.

۱۵۸-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

:وَ لَقَدْ أَحْسَنْتُ جِوَارَكُمْ- وَ أَحَطْتُ بِجُهْدِی مِنْ وَرَائِكُمْ- وَ أَعْتَقْتُكُمْ مِنْ

۱- ۱) ۶۲-۱۷.

رِبَقِ الذَّلِّ وَ حَلَقِ الضَّيْمِ- شُكْراً مِنِّى لِلْبِرِّ الْقَلِيلِ- وَ إِطْرَاقاً عَمَّا أَدْرَكَهُ الْبَصَرُ- وَ شَهِدَهُ الْبَدَنُ مِنَ الْمُنْكَرِ الْكَثِيرِ

المعنى

أقول:إحاطته بجهده من ورائهم إشاره إلى حفظه و حراسته لهم،و إعتاقهم من ربق الذلّ و حلق الضيم حمايتهم من عدوّهم و اعتزازهم به .ثمّ نبّههم على شكره للقليل من برّهم:أى مقدار طاعتهم للّه فى طاعته،و إطراقه عن كثير منكرهم ممّا شاهده منّا عليهم بالمسامحه و العفو.

فإن قلت:فكيف يجوز له أن يسكت عن إنكار المنكر مع مشاهدته له.

قلت:يحمل ذلك منه على عدم التمكّن من إزالته بالعنف و القهر لجواز أن يستلزم ذلك مفسده أكبر ممّا هم عليه من المنكر،و ظاهر أنّهم غير معصومين و محال أن تستقيم دوله أو يتمّ ملك بدون الإحسان إلى المحسنين من الرعيّه و التجاوز عن بعض المسيئين.و باللّه التوفيق.

۱۵۹-و من خطبه له عليه السّلام

القسم الأول

اشاره

أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَ حِكْمَهٌ وَ رِضَاهُ أَمَانٌ وَ رَحْمَهٌ- يَقْضِى بِعِلْمٍ وَ يَعْفُو بِحِلْمٍ- اللَّهُمَّ لَکَ الْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وَ تُعْطِى- وَ عَلَى مَا تُعَافِى وَ تَبْتَلِى- حَمْداً يَكُونُ أَرْضَى الْحَمْدِ لَکَ- وَ أَحَبَّ الْحَمْدِ إِلَيْکَ وَ أَفْضَلَ الْحَمْدِ عِنْدَکَ- حَمْداً يَمْلَأُ مَا خَلَقْتَ وَ يَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ- حَمْداً لَا يُحْجَبُ عَنْکَ وَ لَا يُقْصَرُ دُونَکَ- حَمْداً لَا يَنْقَطِعُ عَدَدُهُ وَ لَا يَفْنَى مَدَدُهُ- فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِکَ- إِلَّا أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّکَ حَيٌّ قَيُّومُ- لَا تَأْخُذُکَ سِنَهٌ وَ لَا نَوْمٌ- لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْکَ نَظَرٌ وَ لَمْ يُدْرِكْکَ بَصَرٌ- أَدْرَكْتَ الْأَبْصَارَ

وَ أَحْصَيْتَ الْأَعْمَالَ- وَ أَخَذْتَ بِالنَّوَاصِي وَ الْأَقْدَامِ- وَ مَا الَّذِي نَرَى مِنْ خَلْقِكَ- وَ نَعْجَبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ- وَ نَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ- وَ مَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ وَ قَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ- وَ انْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ- وَ حَالَتْ سُتُورُ الْغُيُوبِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُ أَعْظَمُ- فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ وَ أَعْمَلَ فِكْرَهُ- لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ وَ كَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ- وَ كَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَوَاءِ سَمَاوَاتِكَ- وَ كَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى مَوْرِ الْمَاءِ أَرْضَكَ رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيراً- وَ عَقْلُهُ مَبْهُوراً وَ سَمْعُهُ وَالِهاً وَ فِكْرُهُ حَائِراً

المعنى

أقول:أمره هو حكم قدرته الإلهيّه،و كونه قضاء كونه حكما لازما لا يردّ، و كونه حكمه كونه على وفق الحكمه الإلهيّه و انتظام الأكمل ،و رضاه يعود إلى علمه بطاعه العبد له على وفق أمره و نهيه.

و قوله : يقضى بعلم.

إعاده لمعنى قوله: أمره قضاء و حكمه .يجرى مجرى التفسير له.

و قوله : و يعفو بحلم.

فالعفو يعود إلى الرضا بالطاعه بعد تقدّم الذنب،و إنّما يتحقّق العفو مع تحقّق القدره على العقاب.إذ العجز لا يسمّى عفوا فلذلك قال:يعفو بحلم .ثمّ عقّب بخطاب اللّه بالاعتراف بنعمته و الحمد له باعتبار ضروب من السرّاء و الضرّاء إشاره إلى حمده على كلّ حال و هى الأخذ و الإعطاء و العافيه و الابتلاء .ثمّ باعتبار كيفيّته و هو كونه أرضى الحمد للّه و أحبّه إليه و أفضله عنده:أى أشدّه وقوعا على الوجه اللائق المناسب لعظمته .ثمّ باعتبار كميّته و هو كونه يملأ ما خلق و يبلغ ما أراد كثره .ثمّ باعتبار غايته و هو كونه لا يحجب عنه و لا يقصر دونه .ثمّ باعتبار

مادّته و هو كونه لا ينقطع عـدده و لا يفنى مدده،و قد يكون التفصـيل فى القول فى بعض المواضع أبلغ وقعا فى النفوس و ألذّ،و قد يكون الإجمال أو الاختصار أنفع و أبلغ .ثمّ شـرع فى الاعتراف بالعجز عن إدراك كنه عظمته،و فى بيان وجه معرفته الممكنه للخلق،و هى إمّـا بالصـفات الحقيقيّه أو الاعتبـارات السـلبيّه أو الإضـافيّه.و أشار إلى الاعتبارات الثلاثه فكونه حيّا قيّوما إشاره إلى الصـفات الحقيقيّه.و قـد عرفت أنّهما يسـتلزمان الوجود.إذ كلّ حىّ موجود و القيّوم هو القائم بذاته المقيم لغيره و كلّ قائم بذاته فهو موجود واجب الوجود،و كونه «لاـ تَأْخُذُهُ سِنَهٌ وَ لاـ نَوْمٌ » و لاـ ينتهى إليه نظر عقلىّ أو بصـرىّ و لاـ يـدركه بصـر اعتبـارات سلبيّه،و كونه مـدركا للأبصـار محصيا للأعمـال آخـذا بالنواصـى و الأقـدام:أى محيـط القـدره بها.اعتبـارات إضافيّه.ثمّ عاد إلى استحقار ما عدّده ممّا أدركه بالنسبه إلى ما لم يدركه من عظيم ملكوته،و ما فى قوله : و ما الّذى .استفهاميّه على سبيل الاستحقار لمـا اسـتفهم عنه،و مـا الثانيه فى قوله : و ما يغيب عنّا منه .بمعنى الّـذى محلّها الرفع بالابتـداء و خبره أعظم،و الواو فيها للحال .ثمّ عقّب بـالحكم على من فرّغ قلبه و أعمـل فكره ليصـل إلى كنه معرفته و علم كيفيّه نظامه للعالم الأعلى و الأسـفل برجوع كلّ من آلات إدراكه حسيرا مقهورا عن إدراك ما كلّفه من ذلك.و قد سبقت الإشاره إلى براهين هذه الأحكام غير مرّه.و باللّه التوفيق.

القسم الثانى منها:

اشاره

يَـدَّعِى بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو اللَّهَ كَـذَبَ وَ الْعَظِيمِ- مَـا بَالُهُ لَا يَتَبَيَّنُ رَجَاؤُهُ فِى عَمَلِهِ- فَكُلُّ مَنْ رَجَا عُرِفَ رَجَاؤُهُ فِى عَمَلِهِ- وَ كُلُّ رَجَاءٍ إِلَّا رَجَاءَ اللَّهِ فَإِنَّهُ مَـدْخُولٌ- وَ كُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ إِلَّا خَوْفَ اللَّهِ فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ- يَرْجُو اللَّهَ فِى الْكَبِيرِ وَ يَرْجُو الْعِبَادَ فِى الصَّغِيرِ- فَيُعْطِى الْعَبْدَ مَا لَا يُعْطِى الرَّبَّ- فَمَا بَالُ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يُقَصَّرُ بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ بِهِ لِعِبَادِهِ- أَ تَخَافُ أَنْ تَكُونَ فِى رَجَائِكَ

ص:۲۷۸

لَهُ كَاذِباً- أَوْ تَكُونَ لاَ تَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعاً- وَ كَذَلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْداً مِنْ عَبِيدِهِ- أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لاَ يُعْطِي رَبَّهُ- فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ الْعِبَادِ نَقْداً- وَ خَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِ ضِمَاراً وَ وَعْداً- وَ كَذَلِكَ مَنْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ- وَ كَبُرَ مَوْقِعُهَا مِنْ قَلْبِهِ آثَرَهَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى- فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا وَ صَارَ عَبْداً لَهَا وَ لَقَدْ كَانَ فِي؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟ كَافٍ لَكَ فِي الْأُسْوَةِ- وَ دَلِيلٌ لَكَ عَلَى ذَمِّ الدُّنْيَا وَ عَيْبِهَا- وَ كَثْرَةِ مَخَازِيهَا وَ مَسَاوِيهَا- إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا وَ وُطِّئَتْ لِغَيْرِهِ أَكْنَافُهَا- وَ فُطِمَ عَنْ رَضَاعِهَا وَ زُوِيَ عَنْ زَخَارِفِهَا- وَ إِنْ شِئْتَ ثَنَّيْتُ؟بِمُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ ص؟ إِذْ يَقُولُ- «رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ» - وَ اللَّهِ مَا سَأَلَهُ إِلاَّ خُبْزاً يَأْكُلُهُ- لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الْأَرْضِ- وَ لَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ- لِهُزَالِهِ وَ تَشَذُّبِ لَحْمِهِ وَ إِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ؟بِدَاوُدَ ص؟ صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ- وَ قَارِئِ أَهْلِ الْجَنَّهِ- فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ- وَ يَقُولُ لِجُلَسَائِهِ أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا- وَ يَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا وَ إِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي؟عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ع؟- فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ- وَ يَلْبَسُ الْخَشِنَ وَ يَأْكُلُ الْجَشِبَ- وَ كَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ وَ سِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ- وَ ظِلاَلُهُ

فِی الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغَارِبَهَا- وَ فَاکِهَتُهُ وَ رَیْحَانُهُ مَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ- وَ لَمْ تَکُنْ لَهُ زَوْجَهٌ تَفْتِنُهُ وَ لاَ وَلَدٌ یَحْزُنُهُ- وَ لاَ مَالٌ یَلْفِتُهُ وَ لاَ طَمَعٌ یُذِلُّهُ- دَابَّتُهُ رِجْلاَهُ وَ خَادِمُهُ یَدَاهُ فَتَأَسَّ بِنَبِیِّکَ الْأَطْیَبِ الْأَطْهَرِ ص- فَإِنَّ فِیهِ أُسْوَهً لِمَنْ تَأَسَّی وَ عَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّی- وَ أَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَی اللَّهِ الْمُتَأَسِّی بِنَبِیِّهِ- وَ الْمُقْتَصُّ لِأَثَرِهِ- قَضَمَ الدُّنْیَا قَضْماً وَ لَمْ یُعِرْهَا طَرْفاً- أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْیَا کَشْحاً- وَ أَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْیَا بَطْناً- عُرِضَتْ عَلَیْهِ الدُّنْیَا فَأَبَی أَنْ یَقْبَلَهَا- وَ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَیْئاً فَأَبْغَضَهُ- وَ حَقَّرَ شَیْئاً فَحَقَّرَهُ وَ صَغَّرَ شَیْئاً فَصَغَّرَهُ- وَ لَوْ لَمْ یَکُنْ فِینَا إِلاَّ حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ- وَ تَعْظِیمُنَا مَا صَغَّرَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ- لَکَفَی بِهِ شِقَاقاً لِلَّهِ وَ مُحَادَّهً عَنْ أَمْرِ اللَّهِ- وَ لَقَدْ کَانَ ص یَأْکُلُ عَلَی الْأَرْضِ- وَ یَجْلِسُ جِلْسَهَ الْعَبْدِ وَ یَخْصِفُ بِیَدِهِ نَعْلَهُ- وَ یَرْقَعُ بِیَدِهِ ثَوْبَهُ وَ یَرْکَبُ الْحِمَارَ الْعَارِیَ- وَ یُرْدِفُ خَلْفَهُ- وَ یَکُونُ السِّتْرُ عَلَی بَابِ بَیْتِهِ فَتَکُونُ فِیهِ التَّصَاوِیرُ فَیَقُولُ- یَا فُلاَنَهُ لِإِحْدَی أَزْوَاجِهِ غَیِّبِیهِ عَنِّی- فَإِنِّی إِذَا نَظَرْتُ إِلَیْهِ ذَکَرْتُ الدُّنْیَا وَ زَخَارِفَهَا- فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْیَا بِقَلْبِهِ وَ أَمَاتَ ذِکْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ- وَ أَحَبَّ أَنْ تَغِیبَ زِینَتُهَا عَنْ عَیْنِهِ- لِکَیْلاَ یَتَّخِذَ مِنْهَا رِیَاشاً

وَ لاَ يَعْتَقِدَهَا قَرَاراً- وَ لاَ يَرْجُوَ فِيهَا مُقَاماً فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ- وَ أَشْخَصَهَا عَنِ الْقَلْبِ وَ غَيَّبَهَا عَنِ الْبَصَرِ- وَ كَذَلِكَ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئاً أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ- وَ أَنْ يُذْكَرَ عِنْدَهُ- وَ لَقَدْ كَانَ فِي؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟- مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِئِ الدُّنْيَا وَ عُيُوبِهَا- إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ- وَ زُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ- فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِهِ- أَكْرَمَ اللَّهُ؟مُحَمَّداً؟ بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ- فَإِنْ قَالَ أَهَانَهُ فَقَدْ كَذَبَ وَ اللَّهِ الْعَظِيمِ بِالْإِفْكِ الْعَظِيمِ- وَ إِنْ قَالَ أَكْرَمَهُ- فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ- وَ زَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ- فَتَأَسَّى مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّهِ- وَ اقْتَصَّ أَثَرَهُ وَ وَلَجَ مَوْلِجَهُ- وَ إِلاَّ فَلاَ يَأْمَنِ الْهَلَكَةَ- فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ ؟مُحَمَّداً ص؟ عَلَماً لِلسَّاعَةِ- وَ مُبَشِّراً بِالْجَنَّةِ وَ مُنْذِراً بِالْعُقُوبَةِ- خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خَمِيصاً وَ وَرَدَ الْآخِرَةَ سَلِيماً- لَمْ يَضَعْ حَجَراً عَلَى حَجَرٍ- حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ وَ أَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ- فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ اللَّهِ عِنْدَنَا- حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفاً نَتَّبِعُهُ وَ قَائِداً نَطَأُ عَقِبَهُ- وَ اللَّهِ لَقَدْ رَقَّعْتُ مِدْرَعَتِي هَذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا- وَ لَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ أَ لاَ تَنْبِذُهَا عَنْكَ- فَقُلْتُ اغْرُبْ عَنِّي فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى

اللغه

أقول: المدخول: الّذى فيه شبهه و ريبه،و كذلك المعلول:الغير الخالص .

و الضمار: الّذى لا يرجى من الموعود .و المقتصّ للأثر: أى المتّبع له .و القضم:

الأكل بأدنى الفم .و الهضيم: الخميص لقلّه الأكل .و المحادّه: المعاداه .و الرياش: الزينه .و المدرعه. الدرّاعه .و أغرب: أى تباعد .

المعنى

و مساق الكلام يقتضى ذمّ من يدّعى رجاء اللّه و لا يعمل له و تنبيه أنّ رجائه ليس بخالص بتكذيبه و بيان تقصيره فى العمل.

فقوله: يدّعى بزعمه أنّه يرجو اللّه.

ذكر صوره الدعوى الحاليّه أو المقاليّه.

و قوله: كذب و العظيم.

ردّ لتلك الدعوى مؤكّدا بالقسم البارّ،و إنّما قال:و العظيم دون اللّه لأنّ ذكر العظمه هنا أنسب للرجاء .

و قوله: ما باله.إلى قوله:عرف رجاءه فى عمله.

قياس من الشكل الثانى بيّن فيه أنّه غير راج.و تلخيصه أنّ هذا المدّعى للرجاء غير راج،و مراده الرجاء التامّ الّذى يجتهد فى العمل له و لذلك قال: إلّا رجاء اللّه فإنّه مدخول فنبّه بأنّ فيه رخلا على وجوده إلّا أنّه غير خالص،و بيان الدليل أنّ كلّ من رجا أمرا من سلطان أو غيره فإنّه يخدمه بخدمته التامّه و يبالغ فى طلب رضاه و يكون عمله له بقدر قوّه رجائه له و خلوصه،و يرى هذا المدّعى للرجاء غير عامل فيستدلّ بتقصيره فى الأعمال الدينيّه على عدم رجائه الخالص فى اللّه،و كذلك قوله: و كلّ خوف محقّق إلّا خوف اللّه فإنّه معلول .توبيخ للسامعين فى رجاء اللّه تعالى مع تقصيرهم فى الأعمال الدينيّه،و تقدير الاستثناء الأوّل مع المستثنى منه:

و كلّ رجاء لراج يعرف فى عمله أى يعرف خلوص رجائه فيما يرجوه إلّا رجاء الراجى للّه فإنّه غير خالص.و روى و كلّ رجاء إلّا رجاء اللّه فإنّه مدخول،و التقدير و كلّ رجاء محقّق أو خالص.لتطابق الكلّيّتين على مساق واحد،و ينبّه على الاضمار فى الكلّيّه الاولى قوله فى الثانيه:محقّق.فإنّه تفسير المضمر هناك .

و قوله: يرجو اللّه فى الكبير.إلى قوله:يعطى الربّ.

فى قوّه قياس ضمير صغراه قوله: يرجو.إلى قوله:الصغير ،و تقدير كبراه و كلّ من كان كذلك فينبغى أن يعطى اللّه الّذى هو ربّه من رجائه و العمل له ما لا يعطى المخلوقين و الّذين هم عباده،و الصغرى مسلّمه،فإنّ الحسّ يشهد بأكثريّه أعمال الخلق لما يرجوه بعضهم من بعض بالنسبه إلى أعمالهم لما يرجونه من اللّه تعالى، و أمّا الكبرى فبيانها أنّ المقرّر فى الفطر أنّ المرجوّ الكبير يستدعى ما يناسبه ممّا هو وسيله إليه كميّه و كيفيّه.

و قوله: فيعطى العبد ما لا يعطى الربّ.

نقض للكبرى .

و قوله: فما بال اللّه.إلى قوله:لعباده.

توبيخ و تشنيع على من يخالف العمل بالنتيجه المذكوره .

استفهام انكارى و قوله: أ تخاف.إلى قوله:موضعا.

استفسار عن علّه التفسير المذكور فى الرجاء للّه و العمل له بالنسبه إلى رجاء العباد و العمل لهم استفسارا على سبيل الإنكار و تقريعا على ما عساه يدّعى من إحدى العلّتين المذكورتين و هما خوف الكذب فى رجاء اللّه أو ظنّه غير أهل للرجاء .و الأمر الأوّل خطاء عظيم لزم عن التقصير فى معرفه اللّه،و الثانى كفر صراح،و إنّما خصّص هاتين العلّتين بالذكر لأنّهما المشهورتان فى عدم رجاء الخلق بعضهم لبعض أو ضعفه،و انتفاؤهما فى حقّ اللّه تعالى ظاهر فإنّه تعالى الغنىّ المطلق الّذى لا بخل فيه و لا منع من جهته فإنّ العبد إذا استعدّ بقوّه الرجاء له و العمل لما يرجوه منه و حبت إفاضه الجود عليه ما يرجوه فلا يكذب رجاؤه و هو اللّه تعالى الموضع التامّ له .

و قوله: و كذلك إن هو خاف .إلى قوله: يعطى ربّه.

قياس ضمير استثنائىّ بيّن فيه قصور خوف الخائف من اللّه بالنسبه إلى خوفه من بعض عبيده،و الضّمير فى عبيده للّه،و فى خوفه للخائف.و يحتمل عوده إلى العبد.و الملازمه فى الشرطيّه ظاهره،و كبرى القياس استثناء غير المقدّم لينتج

عين التالى.

و قوله : فجعل.إلى قوله:وعداً.

توبيخ و تشنيع على من لزمه ذلك الاحتجاج و أنّه من القبيح المشهور المذكور أنّ يجعل الإنسان خوفه من عبد مثله نقدا حاضرا و خوفه من خالقه وعداً غير حاضر .

و قوله: و كذلك من عظمت الدنيا.إلى آخره.

إشاره إلى علّه إيثار الناس للحياه الدنيا على ما عند اللّه ممّا وعد به و انقطاعهم إليها و صيرورتهم عبيدا لها،و ذكر جزء العلّه القريبه و هى عظمه الدنيا فى أعينهم، و تمام هذه العلّه حقاره ما تصوّروه من الوعد الاخروىّ بالنسبه إلى الدنيا،و علّه هذه العلّه ميلهم للذّات العاجله كما هى،و غيبوبه اللذّات الموعوده و تصوّرها الضعيف بحسب الوصف،الّذى غايته أن يوجب فى أذهانهم مشابهه ما وعدوا به لما حضر لهم الآن.فلذلك كانت العاجله أعظم فى نفوسهم و أكبر وقعا فى قلوبهم،و لذلك آثروها و انقطعوا إليها فاستعبدتهم.و غايه هذا التوبيخ التنفير عن الدنيا و الجذب عنها إلى الرغبه فيما وعد اللّه ،و لذلك عقّب بالتنبيه على ترك الدنيا من الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ساير الأنبياء و المرسلين الّذين هم القدوه للخلق و إعراضهم عنها،و على كونهم محلّ الاسوه الكافيه لهم فى ذلك و هو كقوله تعالى «لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» (1)الآيه،و الدليل التامّ على ذمّها و عيبها و كثره مساويها و مخازيها.و أشار بقوله : إذ قبضت عنه أطرافها .إلى مقدّمه من مقدّمات الدليل على حقارتها و خبثها و ذلك إلى قوله: و خادمه يداه . كنايه و قبض أطرافها عنه كنايه عن منعها عنه بالكلّيه لعدم استعداده لها و قبوله إيّاها ،و توطيه جوانبها لغيره كنايه عن إعطائه إيّاها و تذليلها له كالملوك . استعاره و استعار لفظ الفطم لمنعه منها،و كذلك لفظ الرضاع لها ملاحظه لمشابهتها للامّ و له بالابن،و وجه المشابهه ظاهر .و الّذى ذكره عليه السّلام : و اللّه ما سأله إلّا خبزا .هو تفسير الآيه كما نقله المفسّرون أيضا ،و صفاق بطنه :هو

١- ١) ٢١-٣٣.

الجلد الباطن.و شفيفه:ما رقّ منه فلم يحجب البصر عن إدراک ه . و تشذّب لحمه :تفرّقه. استعاره و استعار لفظ المزامير لأصوات داود عليه السّلام و لفظ الإدام للجوع، و السراج للقمر،و الظلال لمشارق الأرض و مغاربها،و الفاکهه و الريحان لما تنبت الأرض،و الدابّه للرجلين،و الخادم لليدين.و وجه الاولى مشارکه صوته عليه السّلام للمزمار و هى الآله الّتى يزمّر بها فى الحسّ روى أنّ الوحش و الطير کانت تقع عليه حال القراءه فى محرابه لاستغراقها فى لذّه صوته و نغمته،و وجه الثانيه قيام بدنه عليه السّلام بالجوع کقيامه بالإدام،و وجه الثالثه مشارکه القمر للسراج فى الضوء،و وجه الرابعه استتاره عن البرد بالمشارق و المغارب کاستتاره بالظلال،و وجه الخامسه التذاذ ذوقه و شمّه بما تنبت الأرض کما يلتذّ غيره بالفاکهه و الريحان،و وجه السادسه و السابعه قيام انتفاعه برجليه و يديه کقيامه بالدابّه و الخادم.و بالجمله فحال الأنبياء المذکورين-سلام اللّه عليهم أجمعين-فى التقشّف و ترک الدنيا و الإعراض عنها ظاهر معلوم بالتواتر،و أمّا کون داود قارى أهل الجنّه-کما ورد فى الخبر-فلأنّ کلّ أمر حسن ينسب إلى الجنّه فى العرف أو لأنّه مع حسنه جاذب إلى الجنّه وداع إلى اللّه تعالى .و لمّا وصف حالهم عاد إلى الأمر بالتأسّى بالرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لأنهم المأمورون بوجوب الاقتداء به مطلقا و فيه الاسوه الکافيه لمن تأسّى به و لأنّه أقرب عهدا ممّن سبق ،و حثّ على التأسى به بکون المتأسّى به المقتصّ لأثره أحبّ العباد إلى اللّه،و ذلک من قوله تعالى «قُلْ إِنْ کُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْکُمُ اللّهُ » (1)ثمّ عاد إلى اقتصاص من حاله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى ترک الدنيا و الاقتصار منها على قدر الضروره ليتبيّن ما يکون فيه التأسى به،و کنّى عن ذلک بقضمها. کنايه ثمّ کنّى عن عدم التفاته لها بعدم إعادتها طرفه ،و عن کونه أقلّ الناس شبعا فيها و التفاتا إلى مأکلها و مشربها بکونه أخمصهم خاصره و بطنا .روى عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:أنّه کان إذا اشتدّ جوعه يربط حجرا على بطنه و يسمّيه المشبّع مع ملکه قطعه واسعه من الدنيا،و روى:أنّه ما شبع آل محمّد من لحم قطّ،و أنّ فاطمه و بعلها و بنيها کانوا يصومون على أقراص من الشعير

۱- ۱) ۲۹-۳.

كانوا يعدّونها لإفطارهم و ربّما آثروا بها السائلين و طووا.روى أنّهم فعلوا ذلك ثلاث ليال طووا فى أيّامها حتّى كان ذلك سبب نزول سوره هل أتى فى حقّهم كما هو المشهور فى التفاسير،و أمّا قوله : و عرضت عليه فأبى أن يقبلها فكما روى [ورد خ] عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال:عرضت علىّ كنوز الأرض و رفعت إلىّ مفاتيح خزائنها فكرهتها و اخترت الدار الآخره.

و قوله: و علم أنّ اللّه أبغض شيئا.إلى قوله:فصغّر.

فبغض اللّه لها عدم إرادتها لأوليائه دارا،أو إشاره إلى أنّها مقصود وجودها بالعرض و تحقيرها و تصغيرها بالقياس إلى ما أعدّ لهم فى الآخره .ثمّ نفرّ عن محبّتها بعد أن أشار إلى بغض اللّه لها و تصغيره إيّاها بجمله اعتراضيّه يتلخّص منها قياس هكذا:أقلّ معايبنا محبّتنا لما أبغض اللّه و تعظيمنا لما صغّر و كلّ محبّه و تعظيم كذلك فكفى به شقاقا له و محادّه عن أمره.فينتج أنّ أقلّ ما فينا من المعايب يكفينا فى مشاقّه اللّه و محادّته .ثمّ أردف ذلك بتمام أوصافه فى ترك الدنيا و التكلّف لها.

فقوله: و لقد كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يأكل على الأرض و يجلس جلسه العبد.

كما روى عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال:إنّما أنا عبد آكل أكل العبيد،و أجلس جلسه العبيد.و غايه ذلك هو التواضع،و كذلك غايه خصف نعله بيده و ترقيع ثوبه بيده و ركوبه للحمار العارى و إردافه خلفه ،و أمّا أمره بتغييب التصاوير فمحافظه من حركه الوسواس الخنّاس،و كما أنّ الأنبياء عليهم السّلام كانوا كاسرين للنفس الأمّاره بالسوء و قاهرين لشياطينهم كانوا أيضا محتاجين إلى مراعاتهم و مراقبتهم و تفقّد أحوال نفوسهم فى كلّ لحظه و طرفه فإنّها كاللصوص المخادعين للنفوس المطمئنّه، مهما تركت و غفل عن قهرها و التحفّظ منها عادت إلى طباعها.

و قوله : فأعرض عن الدنيا بقلبه.إلى قوله:و أن يذكر عنده.

إشاره إلى الزهد الحقيقىّ و هو حذف الموانع الداخله النفسيّه عن النفس.

و ما قبله من الأوصاف إشاره إلى زهده الظاهرىّ و هو حذف الموانع الخارجيّه عنه .

ثمّ عاد إلى التذكير بالمقدّمه السابقه للدليل على حقاره الدنيا و خبثها فأعاد ذكر

جوعه هو و خاصّه من أهل بيته مع عظيم زلفته و رفعه منزلته عند اللّه و إزوائها عنه، و لمّا ذكر تلك المقدّمه شرع فی الاستدلال بقوله : فلینظر ناظر.إلی قوله:أقرب الناس إلیه و هو بقیاس شرطیّ متّصل مقدّمه حملیّه و تالیه قضیّه شرطیّه منفصله و تلخیصه:إذا کان محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم جاع فی الدنیا مع خاصّته و زوی اللّه عنه زخارفها مع عظیم زلفته عنده فلا یخلو فعله بذلک إمّا أن یکون إکراما له أو إهانه و القسم الثانی ظاهر البطلان إذ ثبت أنّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أخصّ خواصّ اللّه،و إذا کان أحقر ملک فی الدنیا لا یقصد بأحد من خاصّته إذا کان مطیعا له الإهانه فکیف یصدر ذلک من جبّار الجبابره و مالک الدنیا و الآخره حکیم الحکماء و رحیم الرحماء فی حقّ أحقّ خواصّه و أشدّهم طاعه له،و لأجل وضوح ذلک اقتصر علی تکذیب من قال به و أکّده بالقسم البارّ ،و أمّا القسم الأوّل و هو أنّه أکرمه بذلک فمن المعلوم أنّ الشیء إذا کان عدمه إکراما و کمالا کان وجوده نقصا و إهانه فکان وجود الدنیا فی حقّ غیره صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و إزوائها عنه مع قرب منزلته إهانه لذلک الغیر و ذلک یستلزم حقارتها و یبعث العاقل علی النفار عنها .ثمّ عاد إلی الأمر بالتأسّی به صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی ترک الدنیا تأکیدا لما سبق بعد بیان وجوه التأسی و هو أمر فی صوره الخبر مع زیاده تنبیه علی أنّ المیل إلیها یحلّ الهلکه فمن لم یتأسّ بالنبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی أحواله فی الدنیا و خالفه فی المیل إلی شیء منها لم یأمن الهلکه.إذ قد عرفت أن حبّ الدنیا رأس کلّ خطیئه و هی الجاذبه عن درجات دار النعیم إلی درکات دار الجحیم.

و قوله : فإنّ اللّه جعل محمّداً إلی قوله:داعی ربّه.

صوره احتجاج علی قوله:و إلاّ فلا یأمن الهلکه.و تقریره أنّ اللّه تعالی جعله علما للساعه و أماره علی قربها و مبشّرا بالجنّه و منذرا بالعقوبه و اطّلعه علی أحوال الآخره ثمّ خرج من الدنیا بهذه الأحوال المعدوده المستلزمه للنفار عنها و الغض لها و الحذر منها فلو لم یکن الرکون إلیها و ارتکاب أضداد هذه الأحوال منها مظنّه الهلکه لما نفر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عنها و یرکن إلیها لکنّه نفر عنها فکانت مظنّه الهلکه فوجب التأسّی به فی نفاره عنها و إلاّ لم یأمن غیر المتأسّی به الهلکه فیها.

مجاز إطلاقا لاسم المسبّب على السبب و روى علما للساعه بكسر العين و هو مجاز إطلاقا لاسم المسبّب على السبب.إذ هو صلّى اللّه عليه و آله و سلّم سبب للعلم بالساعه ،و كنّى بوضع الحجر على الحجر عن البناء .ثمّ عقّب بتعظيم منّه اللّه تعالى على الناس حين أنعم عليهم به سلفا يتّبعونه و قائدا يقتفون أثره، و أردف ذلك بذكر بعض أحواله الّتى تأسّى به عليه السّلام فيها من ترك الدنيا و الإعراض عن الاستمتاع بها إلى غايه ترقيع مدرعته حتّى استحيا من راقعها و قول من قال له:ألا تنبذها و تلقيها و جوابه الحسن.

و قوله : فعند الصباح يحمد القوم السرى.

مثل يضرب لمحتمل المشقّه ليصل إلى الراحه فأصله أنّ القوم يسيرون فى الليل فيحمدون عاقبه ذلك بقرب المنزل إذا أصبحوا.و مطابقه الصباح لمفارقه النفس البدن أو لإعراضها عنه و اتّصالها بالملأ الأعلى بسبب تلك الرياضه الكامله و إشراق أنوار العالم العلوىّ عليها الّتى عنده تحمد عواقب الصبر على مكاره الدنيا و ترك لذّاتها و معاناه شدائدها مطابقه ظاهره واقعه موقعها،و روى أنّه سئل عليه السّلام لم رقعت قميصك فقال:يخشع لها القلب و يقتدى بها المؤمنون.و ممّا نقل فى زهده عليه السّلام ما رواه أحمد فى مسنده عن أبى النور الحوّام بالكوفه قال:جاءنى علىّ بن أبى طالب عليه السّلام إلى السوق و معه غلام له و هو خليفه فاشترى منّى قميصين و قال لغلامه:اختر أيّهما شئت فأخذ أحدهما و أخذ علىّ الآخر.ثمّ لبسه و مدّ يده فوجد كمّه افاضله فقال:

اقطع الفاضل فقطعه،ثمّ كفّه و ذهب،و روى أحمد أيضا قال:لما أرسل عثمان إلى علىّ وجدوه مؤتزرا بعباءه محتجرا بعقال و هو يهنأ بعيرا له:أى يمسحه بالقطران و هو الهناء والاخبار فى ذلك كثيره و بالله التوفيق.

۱۶۰-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

بَعَثَهُ بِالنُّورِ الْمُضِيءِ وَ الْبُرْهَانِ الْجَلِيِّ- وَ الْمِنْهَاجِ الْبَادِی وَ الْكِتَابِ الْهَادِی- أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَهٍ وَ شَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَهٍ- أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَهٌ وَ ثِمَارُهَا مُتَهَدِّلَهٌ-

ص:۲۸۸

مَوْلِدُهُ؟بِمَكَّهَ؟ وَ هِجْرَتُهُ؟بِطَيْبَهَ؟عَلاَ بِهَا ذِكْرُهُ وَ امْتَدَّ مِنْهَا صَوْتُهُ- أَرْسَلَهُ بِحُجَّهٍ كَافِيَهٍ وَ مَوْعِظَهٍ شَافِيَهٍ وَ دَعْوَهٍ مُتَلاَفِيَهٍ- أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَهَ- وَ قَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمَدْخُولَهَ- وَ بَيَّنَ بِهِ الْأَحْكَامَ الْمَفْصُولَهَ- فَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دَيْناً تَتَحَقَّقْ شِقْوَتُهُ- وَ تَنْفَصِمْ عُرْوَتُهُ وَ تَعْظُمْ كَبْوَتُهُ- وَ يَكُنْ مَآبُهُ إِلَى الْحُزْنِ الطَّوِيلِ وَ الْعَذَابِ الْوَبِيلِ- وَ أَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكُّلَ الْإِنَابَهِ إِلَيْهِ- وَ أَسْتَرْشِدُهُ السَّبِيلَ الْمُؤَدِّيَهَ إِلَى جَنَّتِهِ- الْقَاصِدَهَ إِلَى مَحَلِّ رَغْبَتِهِ:أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَ طَاعَتِهِ- فَإِنَّهَا النَّجَاهُ غَداً وَ الْمَنْجَاهُ أَبَداً- رَهَّبَ فَأَبْلَغَ وَ رَغَّبَ فَأَسْبَغَ- وَ وَصَفَ لَكُمُ الدُّنْيَا وَ انْقِطَاعَهَا- وَ زَوَالَهَا وَ انْتِقَالَهَا- فَأَعْرِضُوا عَمَّا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقِلَّهِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا- أَقْرَبُ دَارٍ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ وَ أَبْعَدُهَا مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ- فَغُضُّوا عَنْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ غُمُومَهَا وَ أَشْغَالَهَا- لِمَا قَدْ أَيْقَنْتُمْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وَ تَصَرُّفِ حَالاَتِهَا- فَاحْذَرُوهَا حَذَرَ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ وَ الْمُجِدِّ الْكَادِحِ- وَ اعْتَبِرُوا بِمَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصَارِعِ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ- قَدْ تَزَايَلَتْ أَوْصَالُهُمْ- وَ زَالَتْ أَبْصَارُهُمْ وَ أَسْمَاعُهُمْ- وَ ذَهَبَ شَرَفُهُمْ وَ عِزُّهُمْ- وَ انْقَطَعَ سُرُورُهُمْ وَ نَعِيمُهُمْ- فَبُدِّلُوا بِقُرْبِ الْأَوْلاَدِ فَقْدَهَا- وَ بِصُحْبَهِ الْأَزْوَاجِ مُفَارَقَتَهَا- لاَ يَتَفَاخَرُونَ وَ لاَ يَتَنَاسَلُونَ- وَ لاَ يَتَزَاوَرُونَ وَ لاَ

يَتَحَاوَرُونَ- فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ حَذَرَ الْغَالِبِ لِنَفْسِهِ- الْمَانِعِ لِشَهْوَتِهِ النَّاظِرِ بِعَقْلِهِ- فَإِنَّ الْأَمْرَ وَاضِحٌ وَ الْعَلَمَ قَائِمٌ- وَ الطَّرِيقَ جَدَدٌ وَ السَّبِيلَ قَصْدٌ

اللغه

أقول: اسرته: أهله .و المتهدّله: المتدلّيه .و طيبه: اسم للمدينه سمّاها به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قد كان اسمها يثرب،و روى أنّ يزيد بن معاويه سمّاها خيبه .

و تلافيت الشيء: استدركته .و الكبوه: العثره .و الوبيل: المهلك .و الكدح:

السعى و العمل .

و خلاصه الفصل ذكر ممادح النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.ثمّ الموعظه الحسنه

و التنفير عن

الدنيا.

و النور المضىء نور النبوّه،و البرهان الجلىّ المعجزات و الآيات الموضحه لنبوّته،و المنهاج البادى هو شريعته و دينه الواضح،و الكتاب الهادى القرآن لهديه إلى سبيل الجنّه ،و ظاهر كون اسرته خير الاسره. استعاره و لفظ الشجره مستعار لأصله،و ظاهر كون قريش أفضل العرب ،و لفظ الأغصان مستعار لأشخاص بيته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كعلىّ و أولاده و زوجته و أعمامه و إخوانه ،و اعتدال هذه الأغصان تقاربهم فى الفضل و الشرف، استعاره بالكنايه و ثمارها مستعار لفضائلهم العلميّه و العمليّه،و تهدّلها كنايه عن ظهورها و كثرتها و سهوله الانتفاع بها ،و ذكر مولده بمكّه و حجرته بالمدينه فى معرض مدحته لشرف مكّه بالبيت العتيق و شرف المدينه بأهلها حيث آووه و نصروه حين هاجر إليها فعلا بها ذكره و انتشرت فيها صيته و امتدّت دعوته،و لأنّه هاجر إليها و هى بلده مجدب قليل الخصب ضعيف الأهل مع غلبه خصومه و قوّه المشركين عليه فى ذلك الوقت.ثمّ إنّه مع ذلك علا بها ذكره و انتشرت فيها صيته فكان ذلك من آيات نبوّته أيضا ،و الحجّه الكافيه ما جاء به من الآيات الّتى قهر بها أعداء اللّه،و الموعظه الشافيه ما اشتمل عليه القرآن العظيم و السنّه الكريمه من الوعد و الوعيد و ضرب الأمثال و التذكير بالقرون الماضيه و الآراء المحموده الجاذبه للناس فى أرشد الطرق إلى جناب ربّهم،و كفى بها شفاء للقلوب من أدواء الجهل،و الدعوه

المتلافیه فإنّه استدرک بها ما فسد من نظام الخلق و تلافی بها ما هلک من قلوبهم و أسوّد من ألواح نفوسهم ،و الشرائع المجهوله طرایق دینه و قوانین شریعته الّتی لم یکن لیهتدی إلیها إلاّ بظهوره،و البدع ما کانت علیه أهل الجاهلیّه من الآثام و الفساد فی الأرض،و الأحکام المفصوله ما فصّله و بیّنه لنا من أحکام دین الإسلام الّذی من ابتغی غیره دینا ضلّ عن سواء طریق النجاه فتحقّقت شقوته فی الآخره و انفصمت عروته:أی انقطع متمسّک النجاه فی یده فعظمت عثرته فی سفره إلی الآخره و کان مرجعه إلی الحزن الطویل علی ما فرّط فی جنب اللّه و مصیره إلی العذاب المهلک فی دار البوار .ثمّ أنشأ یتوکّل علی اللّه توکّل المنیب إلیه:أی الملتفت بقلبه عن غیره المسلّم بجمیع اموره إلیه،و یسأله الإرشاد إلی سبیله القاصده إلی جنّته الّتی هی محلّ الرغبه إلیه. مجازا إطلاقا لاسم المسبّب علی السبب-استعاره ثمّ عقّب بالموعظه فبدء بالوصیّه بتقوی اللّه و طاعته و أطلق علیها لفظ النجاه مجازا إطلاقا لاسم المسبّب علی السبب المادّی لکونها معدّه لإفاضه النجاه من عذاب یوم القیامه.و قیل: النجاه الناقه الّتی ینجی علیها فاستعار لفظها للطاعه لأنّها کالمطیّه ینجو بها المطیع من العطب ،و لفظ المنجاه إذ هی محلّ النجاه دائما ،و الضمیر فی رهّب و رغّب للّه:أی فأبلغ فی وعیده و أسبغ الترغیب فاتمه و وصف الدنیا بالاوصاف الموجبه للرغبه عنها .ثم امر علیه السلام بالإعراض عن زینتها،و علّل حسن ذلک الإعراض بقلّه ما یستصحب الإنسان منها إلی الآخره، و أراد الإعراض بالقلب الّذی هو الزهد الحقیقیّ،و إنّما قال:لقلّه ذلک و لم یقل لعدمه لأنّ السالکین لابدّ أن یستصحبوا منها شیئا و هو ما یکتسبه أحدهم من الکمالات إلی الآخره لکن القدر الّذی یکتسبه المترفون من الکمالات إذا قصدوا بأموالهم و سائر زینه الحیاه الدنیا الوصول إلی اللّه تعالی قلیل نور،و مع ذلک فهم فی غایه الخطر من مزلّه القدم فی کلّ حرکه و تصرّف بخلاف أمر القشف الّذین اقتصروا منها علی مقدار الضروره البدنیّه،و یحتمل أن یرید بالقلیل الّذی یصحبهم منها کالکفن و نحوه ،و إنّما کانت أقرب دار من سخط اللّه و أبعدها من إطاعه اللّه لأنّ المیل فیها إلی اللهو و اللعب و الاستمتاع بزینتها المستلزم لسخط اللّه أغلب

من الانتفاع بها فی سلوک سبیل اللّه .

و قوله: فغضّوا.

أی فکفّوا عن أنفسکم الغمّ لأجلها و الاشتغال بها لما تیقّنتم من فراقها لأنّ الغمّ إنّما ینبغی أن یوجّه نحو ما یبقی .ثمّ حذّر منها حذر الشفیق علی نفسه الناصح المجدّ الکادح لها .ثمّ أخذ فی الأمر باعتبار ما هو مشاهد من مصارع القرون الماضیه و أحوالها الخالیه من تفرّق أوصالهم و زوال أسماعهم و أبصارهم إلی سائر ما عدّده من الأحوال الّتی نزلت بهم و استبدلوها من الأحوال الدنیویّه الّتی کانوا علیها .ثمّ حذّر منها حذر الغالب لنفسه الأمّاره بالسوء الناظر بعین عقله مقابح شهوته المانع لها عن العبور إلی حدّ الإفراط من فضیله العفّه فإنّ أمر الدنیا و الآخره واضح لمن اعتبر حالهما،و علم الشریعه الهادی إلی الحقّ قائم،و الطریق إلی اللّه سهل مستقیم قاصد:أی فلا یکن أمرکم علیکم غمّه.

۱۶۱-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

لبعض أصحابه

و قد سأله:کیف دفعکم قومکم عن هذا المقام و أنتم أحق به؟ فقال:

یَا أَخَا؟بَنِی أَسَدٍ؟ إِنَّکَ لَقَلِقُ الْوَضِینِ- تُرْسِلُ فِی غَیْرِ سَدَدٍ- وَ لَکَ بَعْدُ ذِمَامَهُ الصِّهْرِ وَ حَقُّ الْمَسْأَلَهِ- وَ قَدِ اسْتَعْلَمْتَ فَاعْلَمْ- أَمَّا الِاسْتِبْدَادُ عَلَیْنَا بِهَذَا الْمَقَامِ- وَ نَحْنُ الْأَعْلَوْنَ نَسَباً وَ الْأَشَدُّونَ؟بِالرَّسُولِ ص؟ نَوْطاً- فَإِنَّهَا کَانَتْ أَثَرَهً شَحَّتْ عَلَیْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ- وَ سَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِینَ- وَ الْحَکَمُ اللَّهُ وَ الْمَعْوَدُ إِلَیْهِ یَوْمَ الْقِیَامَهِ وَ دَعْ عَنْکَ نَهْباً صِیحَ فِی حَجَرَاتِهِ وَ هَلُمَّ الْخَطْبَ فِی؟ابْنِ أَبِی سُفْیَانَ؟

ص:۲۹۲

فَلَقَدْ أَضْحَكَنِی الدَّهْرُ بَعْدَ إِبْكَائِهِ- وَ لاَ غَرْوَ وَ اللَّهِ- فَيَا لَهُ خَطْباً يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ وَ يُكْثِرُ الْأَوَدَ- حَاوَلَ الْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ اللَّهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ- وَ سَدَّ فَوَّارِهِ مِنْ يَنْبُوعِهِ- وَ جَدَحُوا بَيْنِی وَ بَيْنَهُمْ شِرْباً وَبِيئاً- فَإِنْ تَرْتَفِعْ عَنَّا وَ عَنْهُمْ مِحَنُ الْبَلْوَى- أَحْمِلْهُمْ مِنَ الْحَقِّ عَلَى مَحْضِهِ وَ إِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى- «فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِما يَصْنَعُونَ»

اللغه

أقول: الوضين: بطان القتب و حزام السرج .و الغلق:

الاضطراب .و الذمامه بالكسر: الحرمه،و يروى ماتّه الصهر:أی وسيلته و هی المصاهره ،و النوط: التعلّق .و الأثره بالتحريك: الاستبداد و الاستيثار .و الحجره بفتح الحاء: الناحيه،و الجمع حجرات بفتح الجيم و سكونها .و هلّم: يستعمل بمعنى تعالى كقوله تعالى «هَلُمَّ إِلَيْنا» و قد يستعمل بمعنى هات كما هی هنا فيتعدّى كما قال تعالى «هَلُمَّ شُهَداءَكُمُ» .و لا غرو: أی لا عجب .و الأود: الاعوجاج .و الجدح بالجيم بعدها الحاء: الخلط و التخويض و التكدير .و الشرب بالكسر: الحظّ من الماء .

و الوبيىء: ذو الوباء الممرض .

المعنى

فأمّا جوابه للأسدیّ فإنّه يقال للرجل إذا لم يكن ذا ثبات فی عقله و اموره بحيث يسأل عمّا لا يعنيه أو يضع سؤاله فی غير موضعه و يستعجل:إنّه قلق الوضين، و أصله أنّ الوضين إذا قلق اضطرب القتب فلم يثبت فطابق حال من لا يثبت فی مقاله و حركاته فضرب مثلا له ،و كذلك قوله: و ترسل فی غير سدد :أی تتكلّم فی غير موضع الكلام لا على استقامه.و هذا تأديب له .

و قوله: و لك بعد.إلی قوله:استعملت.

إبداء للعذر فی حسن جوابه فإنّ للمصاهره حقّ و للسائل على المسئول حقّ الاسترشاد و السؤال.فأمّا كونه صهرا فلأنّ زينب بنت جحش زوجه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

ص:۲۹۳

كانت أسديّه.و هى زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبره بن مرّه بن كثير بن غنم ابن دوذان بن أسد بن خزيمه و أمّها أميمه بنت عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف فهى بنت عمّه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.قالوا:و المصاهره المشار إليها هى هذه، و نقل القطب الراوندىّ أنّ عليّا عليه السّلام كان متزوّجا فى بنى أسد.و أنكره الشارح ابن أبى الحديد معتمدا على أنّه لم يبلغنا ذلك،و الإنكار لا معنى له.إذ ليس كلّ ما لم يبلغنا من حالهم لا يكون حقّا و يلزم أن لا يصل إلى غيرنا .

و قوله: أمّا الاستبداد.

شروع فى الجواب و الضمير فى إنّها يعود إلى معنى الأثره فى الاستبداد،و القوم الّذين شحّوا عليها فعند الإماميّه من تقدّم عليه فى الإمامه،و عند غيرهم فربّما قالوا المراد بهم أهل الشورى بعد مقتل عمر .

و قوله: و الحكم اللّه و المعود إليه.

أى المرجع فى يوم القيامه فى معنى التظلّم و التشكّى،و المعود مبتداء خبره القيامه.

فأمّا البيت فهو لامرء القيس،و أصله أنّه تنقّل فى أحياء العرب بعد قتل أبيه فنزل على رجل من خذيله طىّ يقال له طريف فأحسن جواره.فمدحه و أقام معه.ثمّ إنّه خاف أن لا يكون له منعه فتحوّل عنه و نزل على خالد بن سدوس بن اسمع النبهانى فأغارت بنو خذيله عليه و هو فى جوار خالد فذهبوا بإبله فلمّا أتاه الخبر ذكر ذلك لخالد فقال له:أعطنى رواحلك ألحق عليها فأردّ عليك إبلك ففعل فركب خالد فى أثر القوم حتّى أدركهم فقال:يا بنى خذيله أغرتم على إبل جارى.قالوا:

ما هو لك بجار.قالوا:بلى و اللّه و هذه رواحله.فرجعوا إليه فأنزلوه عنهنّ و ذهبوا بهنّ و بالإبل.فقال امرء القيس القصيده الّتى أوّلها البيت :

فدع عنك نهبا صيح فى حجراته و لكن حديث ما حديث الرواحل

و النهب هنا ما ينهب و حجراته جوانبه،و حديث الثانى مبتداء و الأوّل خبره و ما للتنكير و هى الّتى إذا دخلت على اسم زادته إبهاما كقوله:لأمر ما جدع قصير أنفه.و المعنى دع ذكر الإبل فإنّه مفهوم،و لكن حديث الرواحل حديث ما:

أی حدیث مبهم لا یدری کیف هو،و ذلک أنّه قیل:إنّ خالدا هو الّذی ذهب بالرواحل.فکان عنده لبس فی أمرها.فأمّا استشهاده علیه السّلام به فالمرویّ فی استشهاده النصف الأوّل من البیت،و وجه مطابقته لما هو فیه أنّ السابقین من الأئمّه و إن کانوا قد استبدّوا بهذا الأمر فحدیثهم مفهوم.إذ لهم الاحتجاج بالقدمه فی الإسلام و الهجره و قرب المنزله من الرسول و کونهم من قریش.فدع ذکرهم و ذکر نهبهم هذا المقام فیما سبق ،و لکن هات ما نحن فیه الآن من خطب معاویه بن أبی سفیان،و الخطب هو الحادث الجلیل،و أراد هات ذکر خطبه فحذف المضاف للعلم به،و أشار به إلی الأحوال الّتی أدّت إلی أن کان معاویه منازعا له فی هذا الأمر مع بعده عنه حتّی صار قائما عند کثیر من الناس مقامه .

و قوله: فلقد أضحکنی الدهر بعد إبکائه.

إشاره إلی غبنه ممّن تقدّم علیه فی هذا الأمر،و ضحکه بعد ذلک تعجّب ممّا حکمت به الأوقات و اعتبار.ثمّ قال و لا عجب:أی ذلک أمر یجلّ عن التعجّب .

ثمّ أخذ فی استعظامه فقال: یا له خطبا یستفرغ العجب :أی یفنیه حتّی صار کلا عجب و هو من باب الإغراق و المبالغه کقول ابن هانی:

قد سرت فی المیدان یوم طرادهم فعجبت حتّی کدت لا أتعجّب

و یحتمل أن یکون قوله: و لا غرو و اللّه :أی إذا نظر الإنسان إلی حقیقه الدنیا و تصرّف أحوالها.فیکون قوله بعد ذلک: فیا له .استیناف لاستعظام هذا الأمر

و کونه یکثر الاعوجاج ظاهر فإنّ کلّ امرء بعد عن الشریعه ازداد الأمر به اعوجاجا .

استعاره و قوله: حاول القوم.إلی قوله:ینبوعه.

فالقوم قریش،و مصباح أنوار اللّه استعاره لخاصّه الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من أهل بیته،و کذلک ینبوعه استعاره لهم باعتبار کونهم معدنا لهذا الأمر و لوازمه،و وجه الاستعارتین ظاهر .یرید أنّهم حاولوا إزاله هذا الأمر عن مستقرّه و معدنه الأحقّ به و هو بیت الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم. استعاره ثمّ استعار لفظ الشرب الوبییء لذلک الأمر،و لفظ

الجدح للكدر الواقع بينهم و المجاذبه لهذا الأمر،و استعار لفظ الوبيىء له باعتبار كونه سببا للهلاك و القتل بينهم.

و قوله : فإن ترتفع.إلى آخره.

أى فإن يجتمعوا علىّ و يرتفع بينى و بينهم ما ابتلينا به من هذه المحن و الإحن أسلكك بهم محض الحقّ،و إن أبوا إلاّ البقاء على ما هم عليه فلا أسف عليهم.

و اقتبس الآيه المشتمله على تأديب نفسه و توطينها على ترك الأسف عليهم إن لم يؤمنوا و على تهديدهم و وعيدهم باطّلاع اللّه على أعمالهم السيّئه.

۱۶۲–و من خطبه له عليه السّلام

القسم الأول

اشاره

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْعِبَادِ وَ سَاطِحِ الْمِهَادِ- وَ مُسِيلِ الْوِهَادِ وَ مُخْصِبِ النِّجَادِ- لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ وَ لاَ لِأَزَلِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ- هُوَ الْأَوَّلُ وَ لَمْ يَزَلْ وَ الْبَاقِي بِلاَ أَجَلٍ- خَرَّتْ لَهُ الْجِبَاهُ وَ وَحَّدَتْهُ الشِّفَاهُ- حَدَّ الْأَشْيَاءَ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةً لَهُ مِنْ شَبَهِهَا- لاَ تُقَدِّرُهُ الْأَوْهَامُ بِالْحُدُودِ وَ الْحَرَكَاتِ- وَ لاَ بِالْجَوَارِحِ وَ الْأَدَوَاتِ لاَ يُقَالُ لَهُ مَتَى- وَ لاَ يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ بِحَتَّى- الظَّاهِرُ لاَ يُقَالُ مِمَّ وَ الْبَاطِنُ لاَ يُقَالُ فِيمَ- لاَ شَبَحٌ فَيُتَقَصَّى وَ لاَ مَحْجُوبٌ فَيُحْوَى- لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْتِصَاقٍ- وَ لَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِافْتِرَاقٍ- وَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُخُوصُ لَحْظَهٍ- وَ لاَ كُرُورُ لَفْظَهٍ وَ لاَ ازْدِلاَفُ رَبْوَهٍ- وَ لاَ انْبِسَاطُ خُطْوَهٍ فِي لَيْلٍ دَاجٍ- وَ لاَ غَسَقٍ سَاجٍ يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ- وَ تَعْقُبُهُ الشَّمْسُ

ذَاتُ النُّورِ فِی الْأُفُولِ وَ الْکُرُورِ- وَ تَقَلُّبِ الْأَزْمِنَهِ وَ الدُّهُورِ- مِنْ إِقْبَالِ لَیْلٍ مُقْبِلٍ وَ إِدْبَارِ نَهَارٍ مُدْبِرٍ- قَبْلَ کُلِّ غَایَهٍ وَ مُدَّهٍ وَ کُلِّ إِحْصَاءٍ وَ عِدَّهٍ تَعَالَی عَمَّا یَنْحَلُهُ الْمُحَدِّدُونَ مِنْ صِفَاتِ الْأَقْدَارِ- وَ نِهَایَاتِ الْأَقْطَارِ وَ تَأَثُّلِ الْمَسَاکِنِ- وَ تَمَکُّنِ الْأَمَاکِنِ- فَالْحَدُّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ وَ إِلَی غَیْرِهِ مَنْسُوبٌ لَمْ یَخْلُقِ الْأَشْیَاءَ مِنْ أُصُولٍ أَزَلِیَّهٍ- وَ لاَ مِنْ أَوَائِلَ أَبَدِیَّهٍ- بَلْ خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ حَدَّهُ- وَ صَوَّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ- لَیسَ لِشَیْءٍ مِنْهُ امْتِنَاعٌ وَ لاَ لَهُ بِطَاعَهِ شَیْءٍ انْتِفَاعٌ- عِلْمُهُ بِالْأَمْوَاتِ الْمَاضِینَ کَعِلْمِهِ بِالْأَحْیَاءِ الْبَاقِینَ- وَ عِلْمُهُ بِمَا فِی السَّمَاوَاتِ الْعُلَی- کَعِلْمِهِ بِمَا فِی الْأَرْضِ السُّفْلَی

اللغه

أقول: الساطح: الباسط .و المهاد: الأرض ،و الوهاد: جمع وهده و هی المکان المطمئنّ .و النجاد: جمع نجد،و هو المکان المرتفع .و ازدلاف الربوه: تقدّمها .

و الساجی: الساکن .و تفیّؤ القمر: ذهابه و مجیئه حالتی أخذه فی التبدّر و أخذه فی النقصان إلی المحاق .و مجد مؤثّل و بیت مؤثّل: أصیل قدیم .

و قد اشتملت الخطبه من علم التوحید علی مباحث قدّم الحمد للّه تعالی

اشاره

باعتباراتها :

الأوّل:قوله:خالق العباد.إلی قوله:النجاد.

إشاره إلی کونه مبدءا لجمیع الموجودات،و بیانه:أنّ لفظ العباد مشتمل علی من فی السماوات و من فی الأرض لقوله تعالی «إِنْ کُلُّ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِلاّ آتِی الرَّحْمنِ عَبْداً» (۱)و تدخل فی ذلک الأجسام الفلکیّه لکونها أجساما للملائکه، و سطح المهاد إشاره إلی خلق الأرض و جعلها مهادا لما خلق من الحیوان ،و مسیل

۱- ۱) ۹۴-۱۹.

الوهاد و مخصب النجاد إشاره إلى إيجاده لسائر ما ينتفع به الخلق فى الدنيا.

إذا عرفت ذلك فقد اشتملت هذه الألفاظ على إيجاده لجميع الموجودات الممكنه.

و قد ثبت أنّ خالق جميع الموجودات الممكنه لا يكون ممكنا فاستلزم ذلك كونه تعالى واجب الوجود .

الثانى من الاعتبارات السلبيّه:كونه تعالى لا ابتداء لأوليّته

:أى لا حدّ لكونه أوّلا للأشياء تقف عنده أوّليّته و تنتهى به و إلّا لكان محدثا فكان ممكنا فلم يكن واجب الوجود.هذا خلف.

الثالث:و لا انقضاء لأزليّته

:أى لا غايه ينتهى عندها و ينقضى و إلّا لقابل العدم فلم يكن واجب الوجود.هذا خلف.

و قوله : هو الأوّل لم يزل و الباقى بلا أجل.

تأكيد للاعتبارين الثانى و الثالث بعباره الاثبات .

الرابع:خرّت له الجباه و وحدّته الشفاه

.و هو إشاره إلى كمال الوهيّته و استحقاقه للعباده .

الخامس:أنّه لا يشبهه شيء

.إذ كلّ شيء ما عداه محدود يقدّره العقل و الوهم و يشار إليه بحدود يحيطان به منها،و لا شيء منه تعالى كذلك.إذ كلّ وهم قفره بحدّ أو بحركه أو جارحه أو أداه كما هو مقتضى الوهم فى إدراكه لمدركاته فقد ضلّ ضلالا بعيداً عن تصوّره.و قد سبقت الإشاره إلى ذلك .

السادس:أنّه منزّه عن لحوق الزمان

فلا يسأل عنه بمتى،و عن غايه الزمان فلا يضرب له أمد بحتّى .

السابع:كونه ظاهرا

و مع غايه ظهوره لا مادّه له و لا أصل يستفاد منه فلا يقال ممّا هو موجود .

الثامن:كونه باطنا

و مع غايه بطونه و خفائه لا حيّز له فيقال فيه بطن و خفى كسائر الخفيّات من الأجسام و الجسمانيّات.و قد سبق بيان كونه تعالى باطنا و ظاهرا غير مرّه .

التاسع:

كونه و ليس بشخص فيلحقه التغيّر و الانقضاء.

العاشر:و لا محجوب فيحويه الحجاب.

إذ الشخص للناظر و الحجاب من لواحق الاجسام التى تنزه قدسه عنها .

الحادى عشر:

من الاعتبارات الإضافيّه كونه تعالى قريبا من الأشياء لا بالالتصاق.

الثانى عشر:كونه بعيدا منها لا بالافتراق

.و قد عرفت معنى قربه و بعده فى الخطبه الاولى،و لمّا كان الالتصاق و الافتراق من لواحق الأجسام لا جرم تنزّه قربه و بعده من الأشياء عنها .

الثالث عشر:كونه لا يخفى عليه من عباده شخوص لحظه.

إلى قوله:و إدبار نهار مدبر.إشاره إلى إحاطه علمه بكلّ المعلومات،و شخوص اللحظه مدّ البصر بلا حركه جفن،و كرور اللفظه رجوعها ،و ازدلاف الربوه تقدّمها و أراد الربوه المتقدّمه:أى فى النظر و الباديه عند مدّ العين فإنّ الربى أوّل ما يقع فى العين من الأرض ،و الضمير فى عليه للغسق.

و قوله : و تعقّبه الشمس :أى تتعقّبه فحذف إحدى التائين كقوله تعالى «تَتَوَفّاهُمُ الْمَلائِكَهُ» و روى تعقبه،و الضمير المنصوب فيه للقمر.

و قوله : من إقبال ليل.

متعلّق بالتقليب،و المعنى أنّ الشمس تعاقب القمر فتطلع عند افوله،و يطلع عند افولها .

الرابع عشر:كونه قبل كلّ غايه و مدّه و إحصاء و عدّه

لأنّه تعالى خالق الكلّ و مبدءه فوجب تقدّمه و قبليّته .

الخامس عشر:تنزّهه و تعاليه عمّا تصفه به المشبّهه و المتّبعون لحكم

أوهامهم فى جنابه المقدّس من صفات المقادير

كالأقطار و النهايات و الجوانب و إصاله البيوت و قدمها و الاستقرار فى المساكن و سائر ما هى حدود و لواحق يتقيّد بها ذوات الأعيان.فإنّ كلّ تلك الحدود مضروبه منه لخلقه و منسوبه إليهم دونه .

السادس عشر:کون مخلوقاته صادره عنه من غیر اصول

أزلیّه و لا أوائل

أبدیّه

:أی أوّلیّه سابقه و معنی هـذا الکلام أنّه لم یخلق ما خلق علی مثال سـبق یکون أصـلا لا أوّل له حـذا حذوه،و قیل:معناه أنّه لیس لما خلق أصل أزلیّ أبدیّ خلق منه من مادّه و صوره کما زعمت الفلاسفه،و روی:و لا من أوائل أبدیّه.

و قوله : بل خلق ما خلق فأقام حدّه.

أی بـل هو المخترع لإقـامه حـدوده،و هی من المقـادیر و الأشـکال و النهایـات و الآجـال و الغایـات علی وفق الحکمه الإلهیّه ،و کذلک صوّر ما صوّر فأحسن صورته:

أی أتی به علی وجه الإحکام و الإتقان .

السابع عشر:کونه لیس لغیره منه امتناع

،إشاره إلی کمال قدرته و و احاطه علمه.

الثامن عشر:کونه لا انتفاع له بطاعه شیء

لأنّ الانتفاع من لوازم الحاجه الممتنعه علیه،و هو إشاره إلی وصف الغنی .

التاسع عشر:کون علمه تعالی بالأموات الماضین کعلمه بالأحیاء الباقین،

و علمه بما فی السماوات العلی کعلمه بما فی الأرضین السفلی

،و هو إشاره إلی أنّ علمه غیر مسـتفاد من غیره و لا یلحقه تغیّر و تجدّد فلا یتجدّد له علم لم یکن بل علمه تعالی أزلیّ أبدیّ تامّ لا یلحقه نقصان،نسبه جمیع الممکنات إلیه علی سواء.و قد علمت تحقیقه فی المباحث الإلهیّه فی مظانها.و باللّه التوفیق.

القسم الثانی منها:

اشاره

أَیُّهَـا الْمَخْلُوقُ السَّوِیُّ وَ الْمُنْشَأُ الْمَرْعِیُّ- فِی ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ وَ مُضَاعَفَاتِ الْأَسْـتَارِ-.بُـدِئْتَ «مِنْ سُـلاَلَهٍ مِنْ طِینٍ» - وَ وُضِـعْتَ «فِی قَرارٍ مَکِینٍ إِلی قَدَرٍ مَعْلُومٍ» وَ أَجَلٍ مَقْسُومٍ- تَمُورُ فِی بَطْنِ أُمِّکَ جَنِیناً لاَ تُحِیرُ دُعَاءً وَ لاَ تَسْـمَعُ نِدَاءً- ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ مَقَرِّکَ إِلَی دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا- وَ لَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ

مَنَافِعِهَا- فَمَنْ هَدَاکَ لِاجْتِرَارِ الْغِذَاءِ مِنْ ثَدْیِ أُمِّکَ- وَ عَرَّفَکَ عِنْدَ الْحَاجَهِ مَوَاضِعَ طَلَبِکَ وَ إِرَادَتِکَ- هَیْهَاتَ إِنَّ مَنْ یَعْجِزُ عَنْ صِفَاتِ ذِی الْهَیْئَهِ وَ الْأَدَوَاتِ- فَهُوَ عَنْ صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجَزُ- وَ مِنْ تَنَاوُلِهِ بِحُدُودِ الْمَخْلُوقِینَ أَبْعَدُ

اللغه

أقول: السویّ: المستوی .و المرعیّ: المعتنی بأمره .

المعنی

و الخطاب للإنسان.و نبّهه بکونه سویّا مرعیّا علی وجود خالقه الحکیم اللطیف.و قد عرفت کیفیّه تخلیق الإنسان و تصویره شیئا فشیا إلی حال کماله و وضعه،و کذلک نبّهه بتقلّبه فی حالاته و أطوار خلقته و باستفهامه عمّن هداه لاجترار غذائه من ثدی امّه و عمّن عرّفه عند الحاجه مواضع طلبه و هی الأثداء علی وجود خالق هداه إلی جمیع حاجاته.فهذا القدر من العلم بالصانع أمر ضروریّ فی النفوس و إن احتاج إلی أدنی تنبیه.و ما وراء ذلک بمعنی صفات الکمال و نعوت الجلال امور لا تطّلع علیها العقول البشریّه بالکنه و إنّما تطّلع منها علی اعتبارات و مقایسات له إلی خلقه،و یحتاج فیها إلی الدلیل و البرهان.و قد أشرنا إلی ذلک من قبل.و نبّه علی بعد إدراکها و العجز عنها بقوله : هیهات.إلی قوله:

و الأدوات :أی من یعجز من صفات نفسه فی حال تخلیقه و الاطّلاع علی منافع جزئیّات أعضائه مع کونها محسوسه مشاهده له فهو عن صفات خالقه الّتی هی أبعد الأشیاء عنه مناسبه أعجز،و من إدراکه بالمقایسه و التشبیه بحدود المخلوقین و صفاتهم أبعد.و باللّه العصمه و التوفیق.

۱۶۳-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

لما اجتمع الناس علیه و شکوا مما نقموه علی عثمان،و سالوه مخاطبته عنهم و استعتابه لهم،فدخل علیه فقال:-

إِنَّ النَّاسَ وَرَائِی- وَ قَدِ اسْتَسْفَرُونِی بَیْنَکَ وَ بَیْنَهُمْ- وَ وَ اللَّهِ مَا أَدْرِی مَا أَقُولُ لَکَ- مَا أَعْرِفُ شَیْئاً تَجْهَلُهُ- وَ لاَ أَدُلُّکَ عَلَی أَمْرٍ لاَ تَعْرِفُهُ- إِنَّکَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ- مَا سَبَقْنَاکَ إِلَی شَیْءٍ فَنُخْبِرَکَ عَنْهُ- وَ لاَ خَلَوْنَا بِشَیْءٍ فَنُبَلِّغَکَهُ- وَ قَدْ رَأَیْتَ کَمَا رَأَیْنَا وَ سَمِعْتَ کَمَا سَمِعْنَا- وَ صَحِبْتَ؟رَسُولَ اللَّهِ ص؟ کَمَا صَحِبْنَا- وَ مَا؟ابْنُ أَبِی قُحَافَهَ؟- وَ لاَ ؟ابْنُ الْخَطَّابِ؟ بِأَوْلَی بِعَمَلِ الْخَیْرِ مِنْکَ- وَ أَنْتَ أَقْرَبُ إِلَی أَبِی؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟ وَشِیجَهَ رَحِمٍ مِنْهُمَا- وَ قَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْرِهِ مَا لَمْ یَنَالاَ فَاللَّهَ اللَّهَ فِی نَفْسِکَ- فَإِنَّکَ وَ اللَّهِ مَا تُبَصَّرُ مِنْ عَمًی- وَ لاَ تُعَلَّمُ مِنْ جَهْلٍ- وَ إِنَّ الطُّرُقَ لَوَاضِحَهٌ وَ إِنَّ أَعْلاَمَ الدِّینِ لَقَائِمَهٌ- فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ- هُدِیَ وَ هَدَی فَأَقَامَ سُنَّهً مَعْلُومَهً- وَ أَمَاتَ بِدْعَهً مَجْهُولَهً- وَ إِنَّ السُّنَنَ لَنَیِّرَهٌ لَهَا أَعْلاَمٌ- وَ إِنَّ الْبِدَعَ لَظَاهِرَهٌ لَهَا أَعْلاَمٌ- وَ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَ ضُلَّ بِهِ- فَأَمَاتَ سُنَّهً مَأْخُوذَهً وَ أَحْیَا بِدْعَهً مَتْرُوکَهً- وَ إِنِّی سَمِعْتُ؟رَسُولَ اللَّهِ ص؟ یَقُولُ- یُؤْتَی یَوْمَ الْقِیَامَهِ بِالْإِمَامِ الْجَائِرِ- وَ لَیْسَ مَعَهُ نَصِیرٌ وَ لاَ عَاذِرٌ- فَیُلْقَی فِی نَارِ جَهَنَّمَ فَیَدُورُ فِیهَا کَمَا تَدُورُ الرَّحَی- ثُمَّ یَرْتَبِطُ فِی قَعْرِهَا- وَ إِنِّی أَنْشُدُکَ اللَّهَ أَنْ تَکُونَ إِمَامَ هَذِهِ الْأُمَّهِ الْمَقْتُولَ- فَإِنَّهُ کَانَ یُقَالُ- یُقْتَلُ فِی هَذِهِ الْأُمَّهِ إِمَامٌ یَفْتَحُ عَلَیْهَا الْقَتْلَ-

ص:۳۰۲

وَ الْقِتَالَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَهِ- وَ يَلْبِسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا وَ يَبُثُّ الْفِتَنَ فِيهَا- فَلاَ يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ- يَمُوجُونَ فِيهَا مَوْجاً وَ يَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجاً- فَلاَ تَكُونَنَّ ؟لِمَرْوَانَ؟ سَيِّقَهً يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلاَلِ السِّنِّ- وَ تَقَضِّي الْعُمُرِ فَقَالَ لَهُ؟عُثْمَانُ؟ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- كَلِّمِ النَّاسَ فِي أَنْ يُؤَجِّلُونِي- حَتَّى أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَظَالِمِهِمْ- فَقَالَ ع مَا كَانَ؟بِالْمَدِينَهِ؟ فَلاَ أَجَلَ فِيهِ- وَ مَا غَابَ فَأَجَلُهُ وُصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ

اللغه

أقول: استسفرونى: اتّخذونى سفيرا:أى رسولا .و الوشيجه: عروق الشجره .

و السيقه بتشديد الياء: ما يسوقه العدوّ فى الغاره من الدوابّ .و جلال السنّ: علوّه .

و حاصل الكلام استعتابه باللّين من القول.

فأثبت له منزلته من العلم:أى بأحكام الشريعه و السنن المتداوله بينهم فى زمان الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الظهور على كلّ ما ظهر عليه منها من مرئىّ و مسموع و الصحبه المماثله لصحبته ،و ذكر أنّ الشيخين ليسا بأولى منه بعمل الحقّ. استعاره ثمّ فخّمه عليهما بقرب الوشيجه من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الصهوره من دونهما،و لفظ الوشيجه مستعار لما بينه و بينهم من القرابه.

فأمّا كونه أقرب وشيجه منهما فلكونه من ولد عبد مناف دونهما .ثمّ حذّره اللّه و عقّب التحذير بتنبيهه على أنّه غير محتاج إلى تعليم فيما يراد منه مع وضوح طريق الشريعه و قيام أعلام الدين .ثمّ تنبيهه على أفضليّه الإمام العادل بالصفات المذكوره، و على قيام أعلام السنن،و على قيام أعلام البدع ليقتدى بتلك و ينكب عن هذه .ثمّ على حال الإمام الجاير يوم القيامه بما نقل من الخبر عن سيّد البشر صلّى اللّه عليه و آله و سلّم .ثمّ ناشده اللّه تعالى محذّرا له أن يكون الإمام المقتول فى هذه الامّه و قد كان الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أخبر بذلك بهذه العباره الّتى نقلها بعد قوله:

يقال.أو بما يناسبها .ثمّ نهاه أن يكون سيّقه لمروان بن الحكم:أى بصرفه حسب مقاصده بعد بلوغه معظم! ۳۰۴ السنّ و تقضّى العمر.و قد كان مروان من أقوى الأسباب الباعثه على قتل عثمان،و كان يعكس الآراء الّتى يشار على عثمان بها من علىّ عليه السّلام و غيره[يشار بها بين علىّ و غيره خ]مع كونه بغيظا إلى المعتبرين من الصحابه و كونه طريد الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و قوله فى جوابه : ما كان بالمدينه فلا أجل فيه.إلى آخره.

كلام جزل حاسم لما عساه يكون مماطله من طلب التأجيل لأنّ الحاضر لا معنى لتأجيله،و الغائب لا عذر فى تأخيره بعد بلوغ أمره إليك كالّذى أعطاه أقربائه من أموال بيت المال على غير وجهه.و قد سبق فى الفصول المتقدّمه من أمر عثمان مع الصحابه و ما نقموه عليه ما فيه كفايه.و باللّه التوفيق.

۱۶۴–و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

یذکر فیها عجیب خلقه الطاوس

القسم الأول

اشاره

اِبْتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِیباً مِنْ حَیَوَانٍ وَ مَوَاتٍ- وَ سَاکِنٍ وَ ذِی حَرَکَاتٍ- وَ أَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ الْبَیِّنَاتِ عَلَی لَطِیفِ صَنْعَتِهِ- وَ عَظِیمِ قُدْرَتِهِ- مَا انْقَادَتْ لَهُ الْعُقُولُ مُعْتَرِفَهً بِهِ وَ مَسَلِّمَهً لَهُ- وَ نَعَقَتْ فِی أَسْمَاعِنَا دَلَائِلُهُ عَلَی وَحْدَانِیَّتِهِ- وَ مَا ذَرَأَ مِنْ مُخْتَلِفِ صُوَرِ الْأَطْیَارِ- الَّتِی أَسْکَنَهَا أَخَادِیدَ الْأَرْضِ- وَ خُرُوقَ فِجَاجِهَا وَ رَوَاسِیَ أَعْلَامِهَا- مِنْ ذَاتِ أَجْنِحَهٍ مُخْتَلِفَهٍ وَ هَیْئَاتٍ مُتَبَایِنَهٍ- مُصَرَّفَهٍ فِی زِمَامِ التَّسْخِیرِ- وَ مُرَفْرِفَهٍ بِأَجْنِحَتِهَا فِی مَخَارِقِ الْجَوِّ الْمُنْفَسِحِ- وَ الْفَضَاءِ الْمُنْفَرِجِ- کَوَّنَهَا بَعْدَ إِذْ لَمْ تَکُنْ فِی عَجَائِبِ صُوَرٍ ظَاهِرَهٍ- وَ رَکَّبَهَا فِی حِقَاقِ مَفَاصِلَ مُحْتَجِبَهٍ- وَ مَنَعَ بَعْضَهَا بِعَبَالَهِ خَلْقِهِ أَنْ یَسْمُوَ فِی الْهَوَاءِ خُفُوفاً- وَ جَعَلَهُ یَدِفُّ دَفِیفاً- وَ نَسَقَهَا

عَلَى اخْتِلَافِهَا فِی الْأَصَابِیغ بِلَطِیفِ قُدْرَتِهِ- وَ دَقِیقِ صَنْعَتِهِ- فَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِی قَالَبِ لَوْنٍ لَا یَشُوبُهُ غَیْرُ لَوْنِ مَا غُمِسَ فِیهِ- وَ مِنْهَا مَغْمُوسٌ فِی لَوْنِ صِبْغٍ قَدْ طُوِّقَ بِخِلَافِ مَا صُبِغَ بِهِ وَ مِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقاً الطَّاوُسُ- الَّذِی أَقَامَهُ فِی أَحْکَمِ تَعْدِیلٍ- وَ نَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِی أَحْسَنِ تَنْضِیدٍ- بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصَبَهُ وَ ذَنَبٍ أَطَالَ مَسْحَبَهُ- إِذَا دَرَجَ إِلَی الْأُنْثَی نَشَرَهُ مِنْ طَیِّهِ- وَ سَمَا بِهِ مُطِلًّا عَلَی رَأْسِهِ- کَأَنَّهُ قِلْعُ دَارِیٍّ عَنَجَهُ نُوتِیُّهُ- یَخْتَالُ بِأَلْوَانِهِ وَ یَمِیسُ بِزَیَفَانِهِ- یُفْضِی کَإِفْضَاءِ الدِّیَکَهِ- وَ یَؤُرُّ بِمَلَاقِحِهِ أَرَّ الْفُحُولِ الْمُغْتَلِمَهِ لِلضِّرَابِ- أُحِیلُکَ مِنْ ذَلِکَ عَلَی مُعَایَنَهٍ- لَا کَمَنْ یُحِیلُ عَلَی ضَعِیفٍ إِسْنَادُهُ- وَ لَوْ کَانَ کَزَعْمِ مَنْ یَزْعُمُ- أَنَّهُ یُلْقِحُ بِدَمْعَهٍ تَسْفَحُهَا مَدَامِعُهُ- فَتَقِفُ فِی ضَفَّتَیْ جُفُونِهِ- وَ أَنَّ أُنْثَاهُ تَطْعَمُ ذَلِکَ- ثُمَّ تَبِیضُ لَا مِنْ لِقَاحِ فَحْلٍ سِوَی الدَّمْعِ الْمُنْبَجِسِ- لَمَا کَانَ ذَلِکَ بِأَعْجَبَ مِنْ مُطَاعَمَهِ الْغُرَابِ تَخَالُ قَصَبَهُ مَدَارِیَ مِنْ فِضَّهٍ- وَ مَا أُنْبِتَ عَلَیْهَا مِنْ عَجِیبِ دَارَاتِهِ- وَ شُمُوسِهِ خَالِصَ الْعِقْیَانِ وَ فِلَذَ الزَّبَرْجَدِ- فَإِنْ شَبَّهْتَهُ بِمَا أَنْبَتَتِ الْأَرْضُ- قُلْتَ جَنًی جُنِیَ مِنْ زَهْرَهِ کُلِّ رَبِیعٍ- وَ إِنْ ضَاهَیْتَهُ بِالْمَلَابِسِ فَهُوَ کَمَوْشِیِّ الْحُلَلِ- أَوْ کَمُونِقِ عَصْبِ؟الْیَمَنِ؟- وَ إِنْ شَاکَلْتَهُ بِالْحُلِیِّ فَهُوَ کَفُصُوصٍ ذَاتِ أَلْوَانٍ- قَدْ

ص:۳۰۵

نُطِّقَتْ بِاللُّجَيْنِ الْمُكَلَّلِ- يَمْشِي مَشْيَ الْمَرِحِ الْمُخْتَالِ وَ يَتَصَفَّحُ ذَنَبَهُ وَ جَنَاحَيْهِ فَيُقَهْقِهُ ضَاحِكاً لِجَمَالِ سِرْبَالِهِ وَ أَصَابِيغِ وِشَاحِهِ- فَإِذَا رَمَى بِبَصَرِهِ إِلَى قَوَائِمِهِ- زَقَا مُعْوِلاً بِصَوْتٍ يَكَادُ يُبِينُ عَنِ اسْتِغَاثَتِهِ- وَ يَشْهَدُ بِصَادِقِ تَوَجُّعِهِ- لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمْشٌ كَقَوَائِمِ الدِّيَكَةِ الْخِلَاسِيَّةِ وَ قَدْ نَجَمَتْ مِنْ ظُنْبُوبِ سَاقِهِ صِيصِيَةٌ خَفِيَّةٌ- وَ لَهُ فِي مَوْضِعِ الْعُرْفِ قُنْزُعَةٌ خَضْرَاءُ مُوَشَّاةٌ- وَ مَخْرَجُ عَنُقِهِ كَالْإِبْرِيقِ- وَ مَغْرِزُهَا إِلَى حَيْثُ بَطْنُهُ كَصِبْغِ الْوَسِمَةِ الْيَمَانِيَّةِ- أَوْ كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ مِرْآةً ذَاتَ صِقَالٍ- وَ كَأَنَّهُ مُتَلَفِّعٌ بِمِعْجَرٍ أَسْحَمَ- إِلَّا أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكَثْرَةِ مَائِهِ وَ شِدَّةِ بَرِيقِهِ- أَنَّ الْخُضْرَةَ النَّاضِرَةَ مُمْتَزِجَةٌ بِهِ- وَ مَعَ فَتْقِ سَمْعِهِ خَطٌّ كَمُسْتَدَقِّ الْقَلَمِ فِي لَوْنِ الْأُقْحُوَانِ- أَبْيَضُ يَقَقٌ فَهُوَ بِبَيَاضِهِ فِي سَوَادِ مَا هُنَالِكَ يَأْتَلِقُ- وَ قَلَّ صِبْغٌ إِلَّا وَ قَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ- وَ عَلَاهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ وَ بَرِيقِهِ- وَ بَصِيصِ دِيبَاجِهِ وَ رَوْنَقِهِ- فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ الْمَبْثُوثَةِ لَمْ تُرَبِّهَا أَمْطَارُ رَبِيعٍ- وَ لَا شُمُوسُ قَيْظٍ وَ قَدْ يَنْحَسِرُ مِنْ رِيشِهِ وَ يَعْرَى مِنْ لِبَاسِهِ- فَيَسْقُطُ تَتْرَى وَ يَنْبُتُ تِبَاعاً- فَيَنْحَتُّ مِنْ قَصَبِهِ انْحِتَاتَ أَوْرَاقِ الْأَغْصَانِ- ثُمَّ يَتَلَاحَقُ نَامِياً حَتَّى يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ- لَا يُخَالِفُ سَالِفَ أَلْوَانِهِ- وَ لَا يَقَعُ لَوْنٌ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ- وَ إِذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ شَعَرَاتِ قَصَبِهِ- أَرَتْكَ

حُمْرَةً وَرْدِيَّهً وَ تَارَةً خُضْرَةً زَبَرْجَدِيَّهً- وَ أَحْيَاناً صُفْرَةً عَسْجَدِيَّهً- فَكَيْفَ تَصِلُ إِلَى صِفَهِ هَذَا عَمَائِقُ الْفِطَنِ- أَوْ تَبْلُغُهُ قَرَائِحُ الْعُقُولِ- أَوْ تَسْتَنْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوَالُ الْوَاصِفِينَ- وَ أَقَلُّ أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ الْأَوْهَامَ أَنْ تُدْرِكَهُ- وَ الْأَلْسِنَهَ أَنْ تَصِفَهُ- فَسُبْحَانَ الَّذِی بَهَرَ الْعُقُولَ عَنْ وَصْفِ خَلْقٍ جَلَّاهُ لِلْعُيُونِ- فَأَدْرَكَتْهُ مَحْدُوداً مُكَوَّناً وَ مُؤَلَّفاً مُلَوَّناً- وَ أَعْجَزَ الْأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ- وَ قَعَدَ بِهَا عَنْ تَأْدِيَهِ نَعْتِهِ وَ سُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ الذَّرَّهِ- وَ الْهَمَجَهِ إِلَى مَا فَوْقَهُمَا مِنْ خَلْقِ الْحِيتَانِ وَ الْفِيَلَهِ- وَ وَأَی عَلَی نَفْسِهِ أَلَّا يَضْطَرِبَ شَبَحٌ مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ الرُّوحَ- إِلَّا وَ جَعَلَ الْحِمَامَ مَوْعِدَهُ وَ الْفَنَاءَ غَايَتَهُ

اللغه

أقول: نعقت: صاحت .و الأخاديد: شقوق الأرض و شعابها .و الفجاج:

جمع فجّ.و هى الطريق بين الجبلين :و العباله: امتلاء الجسد .و نسقها:

نظمها .و يختال: يصيبه الخيلاء .و زيفانه: تمايله و تبختره .و الأرّ:

النكاح و الحركه فيه .

و ملاقحه: آلات اللقاح و أعضاء التناسل .و الاغتلام: شدّه الشبق .و القلع الدارىّ:

الشراع المنسوب إلى دارين،و هى جزيره من سواحل القطيف من بلاد البحرين يقال:إنّ الطيب كان يجلب إليها من الهند،و هى الآن خراب لا عماره بها و لا سكنى،و فيها آثار قديمه .و عنجه: عطفه .و النوتىّ: ربّان السفينه .

و ضفّتى جفونه: جانباها .و المنبجس: المنفجر .و المدارى: جمع مدرى،و هى خشبه ذات أطراف كأصابع الكفّ محدّده الرءوس ينقى بها الطعام .و داراته: الخطوط المستديره بقصبه .و العقيان: الذهب .و فلذ: جمع فلذه،و هى القطعه .

و الزبرجد:

قيل:هو الزمرّد،و قيل:يطلق على البلخش .و الجنىّ: فعيل بمعنى المجنّى، و هو الملتقط .و العصب: برود تعمل باليمن .و المضاهاه: المشابهه .

و الحمش :

الدقاق .و نطّقت باللجين: أى شدّت فيه و رصّعت .و الوشاح: سير ينسج من أديم و يرصّع بالجواهر فتجعله المرأه على عاتقها إلى كشحيها .و زقا: صاح .

و المعول: الصارخ .و الديكه الخلاسيّه: هى المتولّده بين الدجاج الهندىّ و الفارسىّ .و نجمت: ظهرت .و الظنبوب: حرف الساق .و الصيصيه:

الهنه الّتى فى مؤخّر رجل الديك .و القنزعه: الشعر المجتمع فى موضع من الرأس .و الوسمه بكسر السين و سكونها: شجر العظلم يخضب به .و الأسحم: الأسود . التلفّع:

التلحّف .و اليقق: خالص البياض .و يأتلق: يلمع .و البصيص:

البريق .و تترى: تسقط منها شىء عقيب شىء .و أدمجه: أحكمه .و الذرّه: النمله الصغيره .

و الهمجه: ذبابه صغيره كالبعوضه .

المعنى

و مقصود الخطبه التنبيه على عجائب صنع اللّه لغايه الالتفات إليه و التفكّر فى ملكوته،و قد عرفت معنى الابتداع.و أراد بالموات ما لا حياه له، و الساكن كالأرض، و ذو الحركات كالأفلاك و شاهد[شواهد خ]البيّنات ما ظهر للعقول من لطائف المخلوقات فاستدّلت بها على لطف صنعته و كمال قدرته فانقادت لتلك الدلائل و الطرق الواضحه إلى معرفته و الإقرار به و التسليم لأمره ، استعاره و استعار لفظ نعيق فى الأسماع لظهور تلك الدلائل فى صماخ العقل ،و ما الاولى مفعول لأقام،و الضمير فى له يرجع إلى ما،و فى به و له الثانيه إلى اللّه،و فى دلائله يحتمل العود إلى كلّ واحد منهما،و ما الثانيه محلّها الجرّ بالعطف على الضمير المضاف إليه فى دلائله:

أى نعقت فى أسماعنا دلائله على وحدانيّته و دلائل ما خلق ،و قد عرفت فيما سبق كيفيه الاستدلال بكثره ما خلق و اختلافه فى وحدانيته والأطيار التى أسكنها أخاديد الأرض كالقطاه و الصدى،و الّتى أسكنها خروق فجاجها كالقبج، و الّتى أسكنها رءوس الجبال كالعقبان و الصقور .ثمّ أخذ يصف اختلافها بالأجنحه فى هيئاتها و كيفيّات خلقها تحت تصريف قدرته و حكمته .ثمّ أشار إلى اعتبار تكوينها و إحداثها فى عجائب صورها و ألوانها و تركيب خلقها فى عبل الجثّه تمنع سموه فى الهواء كالنعام.ثمّ نبّه على لطيف حكمته فى تنسيقها مختلفه الألوان

و الأصباغ فمنها مغموس فی قالب لون واحد قد طوّق بخلاف ما صبغ به کالفواخت ، و شرع فی التنبیه بحال الطاوس علی لطف الصنع لاشتماله علی جمیع الألوان،و کفی بوصفه علیه السّلام شارحا فإنّه لا أبلغ منه و لا أجمع لتفاصیل الحکمه الموجوده فی هذا الموصوف غیر أنّه قد یحتاج بعض ألفاظه علیه السّلام إلی بیان .فأراد بقصبه قصب ریش ذنبه و جناحیه و إشراجها ضبط اصولها بالأعصاب و العظام و شرج بعضها لبعض ،و وصفه علیه السّلام لهیئه درجه إلی الانثی حال إراده السفاد وصف من شاهد و استثبت الهیئه تشبیه و أحسن بتشبیهه لذنبه عند إراده السفاد بالقلع الداریّ فإنّه فی تلک الحاله یبسط ریشه و ینشره.ثمّ یرفعه و ینصبه فیصیر کهیئه الشراع المرفوع،و وجه التشبیه زیاده علی ذلک أشار إلیها بقوله: عنجه نوتیّه ،و ذلک أنّ الملاّحین یصرفون الشراع تاره بالجذب،و تاره بالإرخاء،و تاره بتحویله یمینا و شمالا و ذلک بحسب انصرافهم من بعض الجهات إلی بعض فأشبههم هذا الطائر عند حرکته لإراده السفاد و زیفانه فی تصریف ذنبه و تحویله،و له فی ذلک هیئه لا یستثبت وجه الشبه فیها کما هو إلاّ من شاهدها مع مشاهده المشبّه به،و لذلک قال:

احیلک من ذلک علی معاینه لا کمن یحیلک علی ضعیف إسناده .و إنّما خصّ دارین بالذکر لأنّها کانت المرسی القدیم فی زمانه علیه السّلام حیث کانت معموره .

و قوله: و لو کان کزعم من یزعم.إلی قوله:المنبجس.

أی لو کان حاله فی النکاح کزعم من یزعم،و هو إشاره إلی زعم قوم أنّ الذکر تدمع عینه فتقف الدمعه بین أجفانه فتأتی الانثی فتطعمها فتلقح من تلک الدمعه،و روی تنجشها مدامعه:أی تغصّ بها و تحار فیها،و هو علیه السّلام لم یحل ذلک ،و إنّما قال: لیس ذلک بأعجب من مطاعمه الغراب ،و العرب تزعم أنّ الغراب لا یسفد.و من أمثالهم أخفی من سفاد الغراب،و یزعمون أنّ اللقاح من مطاعمه الذکر و الانثی و إیصال جزء من الماء الّذی فیه فی قانصته إلیها و هی أن یضع کلّ منهما منقاره فی منقار صاحبه و یتزاقّا و ذلک مقدّمه للسفاد فی کثیر من الطیر کالحمام و غیره،و هذا و إن کان ممکنا فی بعض الطیر کالطاووس و الغراب!

ص:۳۰۹

غير أنّ ذلك بعيد.على أنّه قد نقل الشيخ فى الشفاء أنّ القبجه تحبلها ريح تهبّ من ناحيه الحجل و من سماع صوته،قال:و النوع المسمّى مالاقيا يتلاصق بأفواهها ثمّ يتشابک فذلک سفادها،و نقل الجاحظ فى كتاب الحيوان أنّ الطاوسه قد تبيض من الريح بأن تكون فى سفاله الريح و فوقها الذكر فتحمل ريحه فتبيض منها.

قال:و بيض الريح قلّ أن يفرخ.و أقول:قد يوجد فى الدجاج ذلک إلاّ أنّه قلّ ما يفرخ كما ذكره . تشبيه ثمّ شبّه عليه السّلام قصب ذنبه بالمدارى من الفضّه ،و من شاهد صوره قيام ذنبه مع بياض اصول ريشه و تفرّقها عند نشره للسفاد عرف موضع التشبيه المذكور و وقوعه موقعه،و كذلک شبّه الخطوط الصفره المستديره على رءوس ريش الذنب بخالص العقيان فى الصفره الفاقعه مع ما يعلوها من البريق،و ما فى وسط تلک الدارات من الدوائر الخضر بقطع الزبرجد فى الخضره ، استعاره و استعار لها لفظ الشموس ملاحظه لمشابهتها لها فى الاستداره و الاستناره . تشبيه ثمّ قال: و إن شبّهته بما أنبتت الأرض.إلى قوله:كلّ ربيع ،و وجه الشبه اجتماع الألوان مع نضارتها و بهجتها .و كذلک وجه الشبه فى تشبيهه بموشىّ الحلل أو المعجب من برود اليمين ،و كذلک إن شاكلته بالحلىّ،و وجه شبهه بالفصوص المختلفه الألوان المنطّقه فى الفضّه:أى المرصّعه فى صفائح الفضّه و المكلّل الّذى جعل كالإكليل بذلک الترصيع .

ثمّ حكى صوره مشيته و صوته كالقهقهه عند نظره إلى حسن سرباله و إعجابه بجمال كسوته، استعاره و لفظ الضحک و القهقهه و السربال مستعار و كذلک حاله فى نظره إلى قوائمه فإنّه يصيح كالمتوجّع من قبح ساقيه و دقّتها و يخضع و ينقمع بعد تعظّمه و نفخه لنفسه ، تشبيه و وجه تشبيه قوائمه بقوائم الديكه الخلاسيّه الدقّه و الطول و التشظّى و نتوّ العرقوب .ثمّ أخذ فى وصف صيصيته و قنزعته و هى رويشات يسيره طوال فى مؤخّر رأسه نحو الثلث بارزه عن ريش رأسه خضر موشّاه. تشبيه ثمّ أخذ فى وصف عنقه، و شبّه مخرجه بالإبريق و وجه الشبه الهيئه المعلومه بالمشابهه و كذلک مغرزه من رأسه إلى حيث بطنه يشبه فى لونه صبغ الوسمه فى السواد المشرق أو الحريره السوداء الملبسه مرآه ذات صقال فى سرابها و مخالطه بصيص المرآه لها أو المعجر الأسود إلاّ أنّ

ذلک السواد لکثره مائه و شدّه بریقه یخیّل للناظر أنّه ممتزج بخضره ناضره.

تشبیه ثمّ وصف الخلط الأبیض عند محلّ سمعه،و شبّهه فی دقّته و استوائه بخطّ القلم الدقیق ، و فی بیاضه بلون الاقحوان .ثمّ أجمل فی تعدید الألوان فقال: و قلّ صبغ إلاّ و قد أخذ منه بقسط و علاه :أی و زاد علی الصبغ استعاره بکثره صقاله و بریقه و بصیص دیباجه ، و لفظ الدیباج مستعار لریشه . تشبیه ثمّ رجع إلی تشبیهه بالأزاهیر المبثوثه ،و نبّه علی کمال قدره صانعها بأنّها مع ذلک لم تربّها أمطار الربیع :أی لم تعدّها لتلک الألوان أمطار ربیع و لا شموس قیظ لأنّه لمّا خیّل أنّها أزاهیر و کان من شأن الأزاهیر المختلفه أنّها لا تتکوّن إلاّ فی زمن الربیع بإمطاره و حراره الشمس المعدّه لتنویره أراد أن یبیّن عظمه صانعها بأنّها مع کونها أزاهیر خلقها بغیر مطر و لا شمس .ثمّ أخبر عن حاله له اخری هی محلّ الاعتبار فی حکمه الصانع و قدرته، و هو أنّه یتحسّر و یعری من ذلک الریش الحسن شیئا بعد شیء،ثمّ ینبت جمیعا کلّ ریشه موضع ریشه بلونها الأوّل من غیر زیاده أو نقصان حتّی کأنّها هی، تشبیه و شبّهه فی سقوطه و نباته بتحاتّ أوراق الشجر من الأغصان و نباتها .ثمّ نبّه علی وجود حکمه الصانع فی الشعره الواحده من شعرات ریشه بأنّک إذا تأمّلتها أرتک من شفافیّتها و شدّه بصیصها تاره حمره کحمره الورد،و تاره خضره کخضره الزبرجد.و تاره صفره کصفره الذهب .ثمّ عقّب ذلک الوصف البلیغ باستبعاد وصول الفطن العمیقه إلی صفه هذا ،و أراد العجز عن وصف علل هذه الألوان و اختلافها و اختصاص کلّ من مواضعها بلون غیر الآخر،و علل هیئاتها و سایر ما عدّده فإنّ أقلّ جزء منه ممّا یتحیّر الأوهام فی درک علّته و تقصر الألسن عن وصفه،و یحتمل أن یرید العجز عن استثبات جزئیّات أوصافه الظاهره و تشریحه فإنّ ما ذکره علیه السّلام و إن کان فی غایه البلاغه إلاّ أنّ فیه وراء ذلک جزئیّات لم یستثبتها الوصف.و هو الأقرب،و یؤیّده تنزیهه للّه تعالی باعتبار قهره للعقول عن وصف هذا المخلوق الّذی جلاّه و أظهره للعیون فأدرکته محدودا ملوّنا و مؤلّفا مکوّنا و أعجز الألسن عن تلخیص وصفه و تأدیه نعته .ثم نزّهه باعتبار أمر آخر و هو إحکامه قوائم الذرّه و الهمجه

و سائر ما فوقها كالحيتان و كبار حيوان البرّ كالفيله .ثمّ باعتبار حكمه و تقديره على كلّ حىّ منها ضروره الموت،و فيه تنبيه على ذكر هادم اللذّات.

و اعلم أنّه قد ذكرت للطاوس أحوال اخرى تخصّه أكثرها قالوا:إنّه غايه ما يعيش خمسا و عشرين سنه،و تبيض فى السنه الثالثه من عمره،و تبيض فى السنه مرّه واحده اثنتى عشره بيضه فى ثلاثه أيّام،و يحضنها ثلاثين يوما فتفرخ،و تحتّ ريشه عند سقوط ورق الشجر و ينبت مع ابتداء نبات ورقه

القسم الثانى منها فى صفه الجنه:

اشاره

فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا- لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا- مِنْ شَهَوَاتِهَا وَ لَذَّاتِهَا وَ زَخَارِفِ مَنَاظِرِهَا- وَ لَذَهِلَتْ بِالْفِكْرِ فِى اصْطِفَافِ أَشْجَارٍ- غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِى كُثْبَانِ الْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا- وَ فِى تَعْلِيقِ كَبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِى عَسَالِيجِهَا وَ أَفْنَانِهَا- وَ طُلُوعِ تِلْكَ الثِّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِى غُلُفِ أَكْمَامِهَا- تُجْنَى مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ فَتَأْتِى عَلَى مُنْيَهِ مُجْتَنِيهَا- وَ يُطَافُ عَلَى نُزَّالِهَا فِى أَفْنِيَهِ قُصُورِهَا- بِالْأَعْسَالِ الْمُصَفَّقَهِ وَ الْخُمُورِ الْمُرَوَّقَهِ- قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الْكَرَامَهُ تَتَمَادَى بِهِمْ- حَتَّى حَلُّوا دَارَ الْقَرَارِ وَ أَمِنُوا نُقْلَهَ الْأَسْفَارِ- فَلَوْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ- بِالْوُصُولِ إِلَى مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ الْمَنَاظِرِ الْمُونِقَهِ- لَزَهِقَتْ نَفْسُكَ شَوْقاً إِلَيْهَا- وَ لَتَحَمَّلْتَ مِنْ مَجْلِسِى هَذَا- إِلَى مُجَاوَرَهِ أَهْلِ الْقُبُورِ اسْتِعْجَالاً بِهَا- جَعَلَنَا اللَّهُ وَ إِيَّاكُمْ مِمَّنْ يَسْعَى

بِقَلْبِهِ- إِلَى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ

اللغه

أقول: عزفت: زهدت و انصرفت .و الكبايس: جمع كباسه و هى العذق .

و العساليج: الغصون واحدها عسلوج ،و كذلك الأفنان جمع فنن .و الأكمام جمع كمامه بكسر الكاف:و هى غلاف الطلع .و العسل المصفّق: المصفىّ .

المعنى

استعاره و قوله: فلو رميت ببصر قلبك.

استعاره لطيفه:أى لو نظرت بعين بصيرتك و فكرت فى معنى ما وصف لك من متاع الجنّه لم تجد لشىء من بدائع ما اخرج إلى الدنيا من متاعها إلى شىء من متاع الجنّه إلاّ نسبه و هميّه،إذا لا حظتها نفسك عزفت و أعرضت عن متاع الدنيا و ما يعدّ فيها لذّه ،و غابت بفكرها فى اصطفاق الأشجار الموصوفه فيها و تمايل أغصانها . استعاره مرشحه ثمّ وصف أشجارها و أنهارها و ساير ما عدّده من متاع الجنّه وصفا لا مزيد عليه.فهذه هى الجنّه المحسوسه الموعوده،و أنت بعد معرفتك بقواعد التأويل و حقايق ألفاظ العرب و مجازاتها و استعاراتها و تشبيهاتها و تمثيلاتها و ساير ما عدّدناه لك فى صدر الكتاب من قواعد علم البيان،و كان لك مع ذلك ذوق طرف من العلم الإلهىّ أمكنك أن تجعل هذه الجنّه المحسوسه سلّما و مثالا لتعقّل الجنّه المعقوله و متاعها كتأويلك مثلا أشجار الجنّه استعاره للملائكه السماويّه و الاصطفاق ترشيح تلك الاستعاره ، استعاره و كثبان المسك استعاره للمعارف و الكمالات الّتى لهم من واهب الجود و هم مغمورون فيها و قد وجدوا لها و منها كما تنبت الأشجار فى الكثبان،و لفظ الأنهار استعاره للملائكه المجرّدين عن التعلّق بالأجرام الفلكيّه باعتبار كون هذه الملائكه اصولا و مبادى للملائكه السماويّه كما أنّ الأنهار مبادى ممدّه لحياه الأشجار و أسباب لوجودها ،و اللؤلؤ الرطب و الثمار استعاره لما يفيض من تلك الأرواح من العلوم و الكمالات على النفوس القابله لها من غير بخل و لا منع.

فهى ثمارها تأتى على منيه مجتنيها بحسب استعداده لكلّ منها.و القوّه المتخيّله تحكى تلك الإفاضات فى هذه العبارات و الظواهر المحسوسه المعدوده و تكسوها

صوره ما هو مشتهى للمتخيّل كلّ بحسب شهوته.و لذلك كان فى الجنّه كلّ ما تشتهى الأنفس و تلذّ الأعين و يتأهّل لحضوره فيحضر لها عند إرادتها إيّاه،و كذلك لفظ العسل و الخمر استعاره لتلك الإفاضات المشتهات الملذّه للنفس بحسب محاكاه المتخيّله لها فى صوره هذا المشروب المحسوس المشتهى لبعض النفوس فتصوّره بصورته.

استعاره و قوله: ثمّ قوم لم تزل الكرامه.إلى قوله:الأسفار.

استعار لفظ التمادى الّذى هو من أفعال العقلاء لتأخّر الكرامه عنهم و انتظارهم لها فى الدنيا إلى غايه حلولهم دار القرار و حصول الكرامه لهم هناك و أمنهم من نقله الأسفار .ثمّ عقّب بتشويق المستمع إلى ما هناك.

و قوله: فلو شغلت قلبك.

أى أخذت فى إعداد نفسك الوصول إلى ما يهجم عليك:أى يفاض عليك من تلك الصور البهيّه المعجبه لزهقت نفسك:أى متّ شوقا إليها،و رحلت إلى مجاوره أهل القبور استعجالا لقربهم إلى ما يشتاق إليه .ثمّ ختم الخطبه بالدعاء لنفسه و للسامعين أن يعدّهم اللّه تعالى لسلوك سبيله و قطع منازل طريقه الموصله إلى منازل الأبرار و هى درجات الجنّه و مقاماتها.و باللّه التوفيق.

۱۶۵-و من كلام له عليه السّلام

القسم الأول

اشاره

:لِيَتَأَسَّ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ- وَ لْيَرْأَفْ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ- وَ لاَ تَكُونُوا كَجُفَاهِ الْجَاهِلِيَّهِ- لاَ فِى الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ وَ لاَ عَنِ اللَّهِ يَعْقِلُونَ- كَقَيْضِ بَيْضٍ فِى أَدَاحٍ- يَكُونُ كَسْرُهَا وِزْراً وَ يُخْرِجُ حِضَانُهَا شَرّاً

اللغه

أقول: قيض البيض: كسره.تقول:قضت البيضه:كسرتها،و انقاضت:تصدّعت من غير كسر،و تقّيضت:تكسّرت فلقا .و الأداح: جمع ادحىّ افعول من الدحو

و هو الموضع الّذى تفرخ فيه النعامه .

المعنى

و قد أمر عليه السّلام صغيرهم بالتأسّى بكبيرهم لأنّ الكبير أكثر تجربه و علما و أكيس و أحزم فكان بالقدوه أولى،و أمر كبيرهم أن يرؤف بصغيرهم لأنّ الصغير بمظنّه الضعف و أهل لأن يرحم و يعذر لقلّه عقليّته للامور،و إنّما بدء بأمر الصغير لأنّه أحوج إلى التأديب.و الغايه من هذا الأمر انتظام امورهم و حصول الفتهم بما أمرهم به. تشبيه ثمّ نهاهم أن يشبهوا جفاه الجاهليّه فى عدم تفقّههم فى الدين و عدم عقليّتهم لأوامر اللّه فيشبهون إذن ببيض الأفاعى فى أعشاشها،و وجه الشبه أنّها إن كسرها كاسر أثم لتأذّى الحيوان به،و قيل:لأنّه يظنّ القطا فيأثم كاسره و إن لم يكسر يخرج حضانها شرّا إذ تخرج أفعى قاتلا فكذلك هؤلاء إذا أشبهوا جفاه الجاهليّه لا يحلّ لأحد أذاهم و إهانتهم لحرمه ظاهر الإسلام عليهم و إن أهملوا و تركوا على ما هم عليه من الجهل و قلّه الأدب خرجوا شياطين .و باللّه التوفيق.

القسم الثانى و منه

اشاره

اِفْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ وَ تَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ- فَمِنْهُمْ آخِذٌ بِغُصْنٍ أَيْنَمَا مَالَ مَالَ مَعَهُ- عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ؟لِبَنِى أُمَيَّهَ؟- كَمَا تَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ- يُؤَلِّفُ اللَّهُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْمَعُهُمْ رُكَاماً كَرُكَامِ السَّحَابِ- ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُمْ أَبْوَاباً- يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَثَارِهِمْ كَسَيْلِ الْجَنَّتَيْنِ- حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَارَهٌ- وَ لَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكَمَهٌ- وَ لَمْ يَرُدَّ سَنَنَهُ رَصُّ طَوْدٍ وَ لاَ حِدَابُ أَرْضٍ- يُذَعْذِعُهُمُ اللَّهُ فِى بُطُونِ أَوْدِيَتِهِ- ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنَابِيعَ فِى الْأَرْضِ- يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ- وَ يُمَكِّنُ لِقَوْمٍ فِى دِيَارِ قَوْمٍ- وَ ايْمُ اللَّهِ لَيَذُوبَنَّ مَا فِى أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ وَ التَّمْكِينِ- كَمَا تَذُوبُ الْأَلْيَهُ عَلَى النَّارِ

ص:۳۱۵

أَيُّهَا النَّاسُ لَوْ لَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ- وَ لَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ- وَ لَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِیَ عَلَيْكُمْ- لَكِنَّكُمْ تِهْتُمْ مَتَاهَ ؟بَنِی إِسْرَائِيلَ؟- وَ لَعَمْرِی لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمُ التِّيهُ مِنْ بَعْدِی أَضْعَافاً- بِمَا خَلَّفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ- وَ قَطَعْتُمُ الْأَدْنَى وَ وَصَلْتُمُ الْأَبْعَدَ- وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنِ اتَّبَعْتُمُ الدَّاعِیَ لَكُمْ- سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ؟الرَّسُولِ؟ وَ كُفِيتُمْ مَئُونَةَ الِاعْتِسَافِ- وَ نَبَذْتُمُ الثِّقْلَ الْفَادِحَ عَنِ الْأَعْنَاقِ

اللغه

أقول: القزع: قطع السحاب المتفرّقه .و مستثارهم: موضع ثورانهم .

و القارّه: المستقرّ الثابت من الأرض .و الأكمه: التلّ .و الحداب: جمع حدب و هو ما ارتفع من الأرض .و الذعذعه بالذال المعجمه مرّتين: التفريق .و تهنوا. تضعفوا .

و توهين الباطل: إضعافه .و الفادح: المثقل .

المعنى

و الإشاره فی هذا الفصل إلى أصحابه،و أصلهم الّذی تشتّتوا عنه هو عليه السّلام، و افتراقهم بعد الفتهم هو افتراقهم إلى خوارج و غيرهم بعد اجتماعهم عليه .

و قوله: فمنهم آخذ بغصن.

أی يكون منهم من يتمسّك بمن أخلفه بعدی من ذريّه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أينما سلك سلك معه كالشيعه،و تقدير الكلام:و منهم من ليس كذلك.إلاّ أنّه استغنى بالقسم الأوّل لدلالته على الثانی.

و قوله : على أنّ اللّه تعالى سيجمعهم.

أی من كان على عقيدته فينا و من لم يكن لشرّ يوم لبنی اميّه، تشبيه و شبّه جمعه لهم و تأليفه بينهم بجمعه لقزع السحاب فی الخريف لتراكمهم بذلك الجمع كتراكم ذلك القزع،و وجه الشبه الاجتماع بعد التفرّق .و الأبواب الّتی يفتحها لهم إشاره إمّا إلى وجوه الآراء الّتی تكون أسباب الغلبه و الانبعاث على الاجتماع أو

أعمّ منها كساير الأسباب للغلبه من إعانه بعضهم لبعض بالأنفس و الأموال و غير ذلک، استعاره و استعار لخروجهم لفظ السيل ، تشبيه و شبّهه بسيل جنّتى مأرب و هما جنّتا سبأ المحكىّ عنها فى القرآن الكريم «فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَ بَدَّلْناهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ» (۱)الآيه ،و وجه الشبه الشدّه فى الخروج و إفساد ما يأتون إليه كقوّه ذلک السيل حيث لم يسلم عليه مرتفع من الأرض ،و لم يردّ طريقه و جريه جبل مرصوص:أى شديد الالتصاق.ثمّ قال : يذعذعهم اللّه فى بطون أوديته ثمّ يسلكهم ينابيع فى الأرض ، و هو من ألفاظ القرآن،و المراد كما أنّ اللّه ينزّل من السماء ماء فيكنّه فى أعماق الأرض ثمّ يظهر منها ينابيع إلى ظاهرها كذلک هؤلاء القوم يفرّقهم اللّه فى بطون الأوديه و غوامض الأرض ثمّ يظهرهم بعد الاختفاء فيأخذ بهم من قوم حقوق آخرين،و يمكّن قوما من ملک قوم و ديارهم. تشبيه ثمّ أقسم ليذوبنّ ما فى أيدى بنى اميّه بعد علوّهم و تمكّنهم كما تذوب الأليه على النار ،و وجه الشبه الفناء و الاضمحلال .و مصداق هذه الأخبار ما كان من أمر الشيعه الهاشميّه و اجتماعها على إزاله ملک بنى اميّه من كان منهم ثابتا على ولاء علىّ و أهل بيته و من حاد منهم عن ذلک فى أواخر أيّام مروان الحمار عند ظهور الدعوه الهاشميّه .ثمّ عاد إلى توبيخ السامعين بالإشاره إلى سبب الطمع فيهم ممّن دونهم فى القوّه و المنزله و قوّته عليهم،و الإشاره إلى معاويه و أصحابه،و ذلک السبب هو تخاذلهم عن نصره الحقّ و تضاعفهم عن إضعاف الباطل،و هو فى معرض التوبيخ و اللائمه لهم. تشبيه ثمّ شبّه تيههم بمتاه بنى إسرائيل ،و وجه الشبه لحوق الضعف و المذلّه و المسكنه لهم حيث لم يجتمعوا على العمل بأوامر اللّه فرماهم بالتيه و ضرب عليهم الذلّه و المسكنه .

ثمّ أخبرهم بعاقبه أمرهم فى التخاذل،و هو إضعاف التيه و التفرّق بعده لالتفاتهم عن الحقّ و مقاطعه بعضهم له مع دنوّه و قربه من الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و وصلهم لمعاويه و غيره مع بعده عنه .ثمّ أخذ فى إرشادهم و جذبهم إلى اتّباعه.فقال: إنّ اتّبعتم الداعى -و عنى نفسه- سلک بكم منهاج الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و طريقه، و كفيتم مئونه

۱- ۱) ۱۵-۳۴

الاعتساف فی طرق الضـلال،و ألقیتم ثقل الأوزار فی الآخره عن أعناق نفوسـکم.و ظاهر کونهم فادحه.و یحتمل أن یریـد بالثقل الفادح الأیّام مع ما یلحقهم فی الدنیا من الخطوب الفادحه بسبب عصیان الأنام و الخروج عن أمره.و باللّه التوفیق.

۱۶۶-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

فی أول خلافته

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَی أَنْزَلَ کِتَاباً هَادِیاً- بَیَّنَ فِیهِ الْخَیْرَ وَ الشَّرَّ- فَخُذُوا نَهْجَ الْخَیْرِ تَهْتَدُوا- وَ اصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا- الْفَرَائِضَ الْفَرَائِضَ أَدُّوهَا إِلَی اللَّهِ تُؤَدِّکُمْ إِلَی الْجَنَّهِ- إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ حَرَاماً غَیْرَ مَجْهُولٍ- وَ أَحَلَّ حَلَالاً غَیْرَ مَدْخُولٍ- وَ فَضَّلَ حُرْمَهَ الْمُسْلِمِ عَلَی الْحُرَمِ کُلِّهَا- وَ شَدَّ بِالْإِخْلَاصِ وَ التَّوْحِیدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِینَ فِی مَعَاقِدِهَا- فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَ یَدِهِ إِلَّا بِالْحَقِّ- وَ لَا یَحِلُّ أَذَی الْمُسْلِمِ إِلَّا بِمَا یَجِبُ- بَادِرُوا أَمْرَ الْعَامَّهِ وَ خَاصَّهَ أَحَدِکُمْ وَ هُوَ الْمَوْتُ- فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَکُمْ وَ إِنَّ السَّاعَهَ تَحْدُوکُمْ مِنْ خَلْفِکُمْ- تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا فَإِنَّمَا یُنْتَظَرُ بِأَوَّلِکُمْ آخِرُکُمْ- اتَّقُوا اللَّهَ فِی عِبَادِهِ وَ بِلَادِهِ- فَإِنَّکُمْ مَسْئُولُونَ حَتَّی عَنِ الْبِقَاعِ وَ الْبَهَائِمِ- وَ أَطِیعُوا اللَّهَ وَ لَا تَعْصُوهُ- وَ إِذَا رَأَیْتُمُ الْخَیْرَ فَخُذُوا بِهِ- وَ إِذَا رَأَیْتُمُ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ

اللغه

أقول: اصدفوا: أعرضوا .و تقصدوا: تعدلوا .و معاقدها: مواضعها .

المعنی

و صدّر الفصل بالتنبیه علی فضیله الکتاب،و هی کونه هادیا إلی طریق

الخیر و الشر.ثم أمر بأخذ طریق الخیر لکونه طریق الهدی الی المطالب الحقیقیّه الباقیه،و بالإعراض عن طریق الشرّ و سمته لاستلزام الإعراض عنه لزوم طریق الحقّ و الاستقامه فیه .ثمّ أمر بأداء الفرائض لأنّها أقوی طرق الخیر،و لذلک قال: تؤدّکم إلی الجنّه لأنّ الجنّه منتهی الخیر کلّه .ثمّ بیّن أنّ اللّه حرّم حراما غیر مجهول بل هو فی غایه الوضوح،و کذلک أحلّ حلالا غیر مدخول:

أی لا عیب فیه و لا شبهه فلا عذر لمن ترکه ، و فضّل حرمه المسلم علی الحرم کلّها ، و هذا لفظ الخبر النبویّ:حرمه المسلم فوق کلّ حرمه دمه و عرضه و ماله. و شدّ بالإخلاص و التوحید حقوق المسلمین فی معاقدها :أی ربطها بهما و أوجب علی المخلصین المعترفین بوحدانیّته المحافظه علی حقوق المسلمین و مراعات مواضعها، و قرن توحیده بذلک حتّی صار فضله کفضل التوحید .ثمّ عرّف المسلم ببعض صفات المسلم الحقّ،و هو من سلم المسلمون من یده و لسانه إلاّ أن تکون ید حقّ أو لسان حقّ.و هو لفظ الخبر النبویّ أیضا.

و قوله: لا یحلّ أذی المسلم إلاّ بما یجب.

کقوله: إلاّ بالحقّ .أورده تأکیدا له ثمّ عقّب بتنبیههم علی أمر العامّه و خاصّه أحدهم و هو الموت:أی ذلک الأمر هو الموت،و إنّما کان مع عمومه لکلّ الحیوان خاصّه أحدهم لأنّ له مع کلّ شخص خصوصیّه و کیفیّه مخالفه لحاله مع غیره، و أمر بمبادرته.أی بمبادره العمل له و لما بعده قبل سبقه إلیهم ،و نبّههم علی أنّ الناس أمامهم:أی قد سبقوهم إلی الآخره و الساعه تحدوهم من خلفهم ،و أمر بالتخفیف للّحاق بهم،و حثّهم علی ذلک بقوله: فإنّما ینتظر بأوّلکم آخرکم :

أی السابقین إلی الآخره اللاحقین منکم لیبعث الکلّ جمیعا،و قد سبقت هذه الألفاظ بعینها و شرحها مستوفی .ثمّ أمر بتقوی اللّه فی عباده و ذلک بلزوم خوفه فی مراعاه ما ینبغی لکلّ أحد مع غیره،و فی بلاده بترک الفساد فی الأرض، و نبّه علی وجوب ذلک باستعقاب کلّ عمل و إن قلّ للسؤال عنه،و مناقشه الحساب علیه حتّی عن البقاع.فیقال:لم استوطنتم هذا المکان و زهدتم فی ذلک؟و عن

البهايم.فيقال:لم ضربتم هذه و قتلتم هذه و لم أوجعتموها؟،و إليه الإشاره بقوله تعالى «وَ لَتُسْئَلُنَّ عَمّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» (۱)و قوله «ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ» (۲)قيل:هو شبع البطن و بارد الشراب و لذّه النوم و ظلال المساكن و اعتدال الخلق،و قوله تعالى «إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً» (۳)فيقال:لم أشغلت قلبك و سمعك؟،و فى الخبر الصحيح النبوىّ إنّ اللّه عذّب إنسانا بهره حبسه فى بيت و أجاعه حتّى هلكك .ثمّ أجمل القول بعد تفصيله و أمر بطاعه اللّه و نهى عن معصيته و أرشده إلى الأخذ بالخير عند رؤيته و الإعراض عن الشرّ عن رؤيته.

۱۶۷-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

بعد ما بويع بالخلافه،

و قد قال له قوم من الصحابه:لو عاقبت قوما ممن أجلب على عثمان؟فقال عليه السّلام:

يَا إِخْوَتَاهْ إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ- وَ لَكِنْ كَيْفَ لِي بِقُوَّهٍ وَ الْقَوْمُ الْمُجْلِبُونَ- عَلَى حَدِّ شَوْكَتِهِمْ يَمْلِكُونَنَا وَ لاَ نَمْلِكُهُمْ- وَ هَا هُمْ هَؤُلاَءِ قَدْ ثَارَتْ مَعَهُمْ عِبْدَانُكُمْ- وَ الْتَفَّتْ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكُمْ- وَ هُمْ خِلاَلَكُمْ يَسُومُونَكُمْ مَا شَاءُوا- وَ هَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعاً لِقُدْرَهٍ عَلَى شَيْءٍ تُرِيدُونَهُ- إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَمْرُ جَاهِلِيَّهٍ- وَ إِنَّ لِهَؤُلاَءِ الْقَوْمِ مَادَّهً- إِنَّ النَّاسَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ إِذَا حُرِّكَ عَلَى أُمُورٍ- فِرْقَهٌ تَرَى مَا تَرَوْنَ وَ فِرْقَهٌ تَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ- وَ فِرْقَهٌ لاَ تَرَى هَذَا وَ لاَ ذَاكَ- فَاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدَأَ النَّاسُ وَ تَقَعَ الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا- وَ تُؤْخَذَ الْحُقُوقُ

ص:۳۲۰

۱- ۱) ۹۵-۱۶.

۲- ۲) ۸-۱۰۲.

۳- ۳) ۳۸-۱۷.

مُسْمَحَهً- فَاهْدَءُوا عَنِّی وَ انْظُرُوا مَا ذَا یَأْتِیکُمْ بِهِ أَمْرِی- وَ لاَ تَفْعَلُوا فَعْلَهً تُضَعْضِعُ قُوَّهً وَ تُسْقِطُ مُنَّهً- وَ تُورِثُ وَهْناً وَ ذِلَّهً وَ سَأُمْسِکُ الْأَمْرَ مَا اسْتَمْسَکَ- وَ إِذَا لَمْ أَجِدْ بُدّاً فَآخِرُ الدَّوَاءِ الْکَیُّ

اللغه

أقول: أجلب علیه: جمع .و شوکتهم: قوّتهم .و العبدان بتشدید الدال و تخفیفها و کسر العین و ضمّها: جمع عبد .و التفّت: انضمّت .و یسومونکم:

یکلّفونکم .و مسمحه: مسهله ،

المعنی

و الألف فی إخوتاه هی المنقلبه عن یاء النفس المضاف إلیه،و الهاء للسکت.

و اعلم أنّ هذا الکلام اعتذار منه علیه السّلام فی تأخیر القصاص عن قتله عثمان.

و قوله: إنّی لست أجهل ما تعملون.

دلیل علی أنّه کان ذلک فی نفسه،و حاصل هذا العذر عدم التمکّن کما ینبغی، و لذلک قال: و کیف لی بقوّه و القوم علی حدّ شوکتهم .و صدقه علیه السّلام ظاهر فإنّ أکثر أهل المدینه کانوا من المجلبین علیه،و کان من أهل مصر و من الکوفه خلق عظیم حضروا من بلادهم و قطعوا المسافه البعیده لذلک و انضمّ إلیها أعراب أجلاف من البادیه و عبدان المدینه.فکانوا فی غایه من شدّه الشوکه حال اجتماعهم،و ثاروا ثوره واحده،و لذلک قال : و القوم مجلبون.إلی قوله:یسومونکم ما شاءوا.

و روی أنّه علیه السّلام جمع الناس و وعظهم.ثمّ قال:لتقم قتله عثمان فقام الناس بأسرهم إلاّ القلیل،و کان ذلک الفعل منه استشهادا علی صدق قوله علیه السّلام: و القوم علی حدّ شوکتهم.

و مع تحقّق هذه الحال لا یبقی له موضع قدره علی شیء من أمرهم.ثمّ قال علی سبیل قطع لجاج الطالبین مخاطبا لهم : إنّ هذا الأمر أمر الجاهلیّه .یرید أمر المجلبین علیه إذ لم یکن قتلهم إیّاه بمقتضی الشریعه.إذ الصادر عنه من الأحداث لا یجب فیها قتل. و إنّ لهؤلاء القوم مادّه :أی معینین و ناصرین .ثمّ

قسّم حال الناس على تقدير الشروع فى أمر القصاص إلى ثلاثه أقسام،و هو احتجاج منه على الطالبين و تضعيف لرأيهم بقياس ضمير من الشكل الأوّل مركّب من شرطيّتين متّصلتين صغراهما قوله: إنّ هذا الأمر إذا حرّك كان الناس فيه على امور ،و تقدير الكبرى و إذا كان الناس فيه على امور لم يتمكّن من إتمامه و فعله.

فينتج أنّ هذا الأمر إذا حرّك لا يتمّ فعله.ثمّ عدّ تلك الامور،و هى أنّ فرقه ترى كونه مصيبا كما رأى الطالبون،و فرقه ترى أنّه مخطئ و هم أنصار المقتصّ منهم،و فرقه لا ترى هذا و لا ذاك بل تتوقّف كما جرى ذلك فى أمر التحكيم .ثمّ أمرهم بالصبر إلى غايه هدوء الناس.إذ بيّن لهم أنّه لا مصلحه فى تحريك الأمر حينئذ فإنّ الحقوق عند هدوء الناس و استقرار القلوب أسهل مأخذا.

و قوله : فاهدءوا عنّى و انظروا ما ذا يأتيكم به من أمرى.

يدلّ على ترصّده و انتظاره للفرصه من هذا الأمر.ثمّ خوّفهم من الاستعجال بفعل يضعف شوكه الدين و يورث وهنه فإنّه لو شرع فى عقوبه الناس و القبض عليهم لم يؤمن من تجدّد فتنه اخرى أعظم من الأولى،و هو غالب الظنّ.فكان الأصوب فى التدبير و الّذى يقتضيه العقل و الشرع الإمساك إلى حين سكون الفتنه و تعرّق اولئك الشعوب و رجوع كلّ قوم إلى بلادهم،و ربّما كان عليه السّلام ينتظر مع ذلك أن يحضر بنو عثمان للطلب بدمه،و يعيّنون قوما بأعيانهم بعضهم للقتل و بعضهم للحصار كما جرت عاده المتظلّمين إلى الإمام ليتمكّن من العمل بحكم اللّه.فلم يقع الأمر كذلك،و عصى معاويه و أهل الشام و التجأ إليه ورثه عثمان،و فارقوا حوزه أمير المؤمنين عليه السّلام و لم يطلبوا القصاص طلبا شرعيّا،و إنّما طالبوه مغالبه،و جعلها معاويه عصبيّه جاهليّه،و لم يأت أحد منهم الأمر من بابه،و قيل:ذلك ما كان من أمر طلحه و الزبير و نقضهما للبيعه و نهبهما أموال المسلمين بالبصره و قتلهما للصالحين من أهلها،و كلّ تلك الامور الّتى جرت مانعه للإمام عن التصدىّ للقصاص، و لذلك قال عليه السّلام لمعاويه فى بعض كلامه:فأمّا طلبك بدم عثمان فادخل فى الطاعه و حاكم القوم إلىّ أحملك و إيّاهم على كتاب اللّه و سنّه رسوله.

ص:٣٢٢

فأمّا قوله : و سأمسك الأمر ما استمسك.إلى آخره.

فاعلم أنّ هذا الكلام إنّما صدر عنه عليه السّلام بعد إكثار القول عليه فى أمر عثمان و اضطراب الأمر من قبل طلحه و الزبير و نكثهما للبيعه بسبب هذه الشبهه مع كونهما من أكابر الصحابه،و تشتّت قلوب كثير من المسلمين عنه.فحينئذ أشار بعض الصحابه بأخذ القصاص من قتله عثمان تسكينا لفتنه طلحه و الزبير و معاويه لغلبه الظنّ حينئذ بمخالفته و اضطراب أمر الشام فقال الكلام:أى قد أبديت هذا العذر فإن لم يقبلوا منّى فسأمسك الأمر:أى أمر الخلافه بجهدى فإذا لم أجد بدّا :أى من قتال من يبغى و ينكث فآخر الدواء الكىّ :أى الحرب و القتال لأنّها الغايه الّتى ينتهى أمر العصاه إليها و مداواه أمراض قلوبهم كما تنتهى مداواه المريض إلى أن يكوى.و باللّه التوفيق.

۱۶۸-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

عند مسير أصحاب الجمل إلى البصره

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ رَسُولاً هَادِياً بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَ أَمْرٍ قَائِمٍ- لاَ يَهْلِكُ عَنْهُ إِلاَّ هَالِكٌ- وَ إِنَّ الْمُبْتَدَعَاتِ الْمُشَبَّهَاتِ هُنَّ الْمُهْلِكَاتُ- إِلاَّ مَا حَفِظَ اللَّهُ مِنْهَا- وَ إِنَّ فِي سُلْطَانِ اللَّهِ عِصْمَةً لِأَمْرِكُمْ- فَأَعْطُوهُ طَاعَتَكُمْ غَيْرَ مُلَوَّمَةٍ وَ لاَ مُسْتَكْرَهٍ بِهَا- وَ اللَّهِ لَتَفْعَلُنَّ أَوْ لَيَنْقُلَنَّ اللَّهُ عَنْكُمْ سُلْطَانَ الْإِسْلاَمِ- ثُمَّ لاَ يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَداً- حَتَّى يَأْرِزَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِكُمْ إِنَّ هَؤُلاَءِ قَدْ تَمَالَئُوا عَلَى سَخْطَةِ إِمَارَتِي- وَ سَأَصْبِرُ مَا لَمْ أَخَفْ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ- فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَّمُوا عَلَى فَيَالَةِ هَذَا الرَّأْيِ- انْقَطَعَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ- وَ إِنَّمَا

طَلَبُوا هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَداً لِمَنْ أَفَاءَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ- فَأَرَادُوا رَدَّ الْأُمُورِ عَلَى أَدْبَارِهَا- وَ لَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى- وَ سِيرَهِ رَسُولِ اللَّهِ ص- وَ الْقِيَامُ بِحَقِّهِ وَ النَّعْشُ لِسُنَّتِهِ

اللغه

أقول: يأرز: ينحاز و ينقبض .و تمالئوا: اجتمعوا .و الفياله: الضعف .و النعش:

الرفع .

المعنى

و قوله: إنّ اللّه بعث .إلى قوله: هالك.

تصدير للفصل بالامور الجامعه للمسلمين الّتى هى اصول دولتهم و تذكير لهم بها ليرجعوا إليها. و أمر قائم :مستقيم.

و قوله: لا يهلك عنه إلّا هالك.

أى لا يهلك من مخالفته إلّا أعظم هالك كما تقول لا يعلم هذا الفنّ من العلم إلّا عالم:أى من بلغ الغايه من العلم .

و قوله: و إنّ المبتدعات المشبهات هنّ المهلكات إلّا ما حفظ اللّه.

لمخالفتها الكتاب و السنّه الجامعين لحدود اللّه و خروجها عنهما،و أراد الهلاك الاخروىّ.

و قوله: إلّا من حفظ اللّه.

استثناء من المهلكات:أى إلّا ما حفظ اللّه منها بالعصمه عن ارتكابها.

إذ لا تكون مهلكه إلّا لمن ارتكبها،و المشبهات ما أشبه السنن و ليس منها،و روى المشبّهات بتشديد الباء و فتحها،و هو ما شبّه على الناس و ليس.و روى المشتبهات:

أى الملتبسات ،و سلطان اللّه هو سلطان الإسلام،و أراد سلطان دين اللّه فحذف المضاف،و يحتمل أن يريد بسلطان اللّه نفسه لكونه خليفه له فى أرضه،و إنّما أضافها إليه اعتزازا به،و ظاهر أنّ فيه منعه و عصمه لهم فإنّ الّذى نصرهم و هم قليلون حىّ قيّوم فبالأولى أن ينصرهم على كثرتهم بشرط طاعته الخالصه و

الدخول فی أمر سلطانه.و لذلک قال: فأعطوه طاعتکم غیر ملوّمه :أی غیر ملوم صاحبها بالنسبه إلی النفاق و الریاء و لا مستکره بها :و یروی غیر ملویّه:أی معوجّه .ثمّ أخذ فی وعیدهم إن لم یطیعوا بنقل اللّه عنهم سلطان الإسلام من غیر أن یردّه إلیهم أبدا حتّی یصیر الأمر إلی غیرهم،و أراد أمر الخلافه.ثمّ إن جعلنا حتّی و ما بعدها غایه لنقل السلطان عنهم لم یفهم منها عوده إلیهم،و إن جعلناها غایه من عدم نقله إلیهم فهم منها ذلک.

فإن قلت:لم قال لا یرجع إلیهم أبدا و قد عاد بالدوله العباسیّه؟.

قلت:اجیب من وجوه:الأوّل:أنّ القوم الّذین خاطبهم من أصحابه بهذا الخطاب لم ترجع الدوله إلیهم أبدا فإنّ اولئک بعد انقضاء دوله بنی امیّه لم یبق منهم أحد.ثمّ لم یرجع إلی أحد من أولادهم أصلا.الثانی:أنّه قیّد بالغایه فقال:

لا یصیر إلیکم حتّی یصیر فی قوم آخرین،و ظاهر أنّه کذلک بانتقاله إلی بنی امیّه.

الثالث:قال بعض الشارحین:إنّما عاد لأنّ الشرط لم یقع و هو عدم الطاعه فإنّ أکثرهم أطاعه طاعه غیر ملوّمه و لا مستکره بها.الرابع:قال قوم:أراد بقوله:

أبدا المبالغه کما تقول لغریمک:لا حبسنّک أبدا،و المراد بالقوم الّذین یأرز إلیهم هذا الأمر بنو امیّه کما هو الواقع.

و قوله : إنّ هؤلاء قد تمالئوا.

إشاره إلی طلحه و الزبیر و عایشه و أتباعهم،و أومی إلی أنّ مسیرهم لسخطهم من أمارته لا ما أظهروه من الطلب بدم عثمان .ثمّ وعد بالصبر علیهم ما دام لا یخاف علی حوزه الجماعه،و أخبرهم أنّهم إن بقوا علی ضعف رأیهم فی مسیرهم و مخالفتهم قطعوا نظام المسلمین و فرّقوا جماعتهم.

و قوله : إنّما طلبوا.إلی قوله:علیه.

بیان لعلّه سخطهم لأمارته و هی الحسد علی الدنیا لمن أفاء اللّه علیه،و الإشاره إلی بیت الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

و قوله: فأرادوا ردّ الامور علی أدبارها .

أی أرادوا إخراج هذا الأمر عن أهل بیت الرسول آخرا کما أخرجوه أوّلا،أو صرف هذا الأمر عنهم بعد إقباله إلی ما کان علیه من إدباره عنهم .ثمّ أخبر بما علیه من الحقّ إن أطاعوه الطاعه غیر المدخوله،و هی أن یعمل فیهم بکتاب اللّه و یسیر سیره رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و القیام بحقوقه الّتی أوجبها و إقامه سننه، و ذلک هو الواجب علی الإمام.و باللّه التوفیق.

۱۶۹-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

کلّم به بعض العرب

، و قد أرسله قوم من أهل البصره لمّا قرب علیه السّلام منها لیعلم لهم منه حقیقه حاله مع أصحاب الجمل لتزول الشبهه من نفوسهم فبیّن له علیه السّلام من أمره معهم ما علم به أنّه علی الحقّ.ثمّ قال له:بایع.فقال:إنّی رسول قوم و لا احدث حدثا دونهم حتّی أرجع إلیهم.کذا فی أکثر النسخ لکن فی آخر بعضها بعد قول الرجل«فبایعته علیه السّلام».و الرجل یعرف بکلیب الجرمیّ.

أَ رَأَیْتَ لَوْ أَنَّ الَّذِینَ وَرَاءَکَ بَعَثُوکَ رَائِداً- تَبْتَغِی لَهُمْ مَسَاقِطَ الْغَیْثِ- فَرَجَعْتَ إِلَیْهِمْ وَ أَخْبَرْتَهُمْ عَنِ الْکَلَإِ وَ الْمَاءِ- فَخَالَفُوا إِلَی الْمَعَاطِشِ وَ الْمَجَادِبِ مَا کُنْتَ صَانِعاً- قَالَ کُنْتُ تَارِکَهُمْ وَ مُخَالِفَهُمْ إِلَی الْکَلَإِ وَ الْمَاءِ-فقال علیه السلام:

فامدد إذا یدک!فقال الرجل:فو اللّه ما استطعت أن أمتنع عند قیام الحجه علی،فبایعته علیه السّلام

المعنی

أقول:الجرمیّ:منسوب إلی بنی جرم،و کان قوم من أهل البصره بعثوه إلیه علیه السّلام لیستعلم حاله أهو علی حجّه أم علی شبهه؟فلمّا رآه و سمع لفظه لم یتخالجه شکّ فی صدقه فبایعه،و کان بینهما الکلام المنقول. تمثیل و لا ألطف من التمثیل الّذی جذبه به علیه السّلام فالأصل فی هذا التمثیل هو حاله هذا المخاطب فی وجدانه للماء

و الکلاء علی تقدیر کونه رائدا لهما،و الفرع هو حاله فی وجدانه للعلم و الفضائل و الهدایه عنده،و الحکم فی الأصل هو مخالفته لأصحابه إلی الماء و الکلاء علی تقدیر وجدانه لهما و مخالفه أصحابه له،و علّه ذلک الحکم فی الأصل هو وجدانه للکلاء و الماء،و لمّا کان المشبّه لهذه العلّه و هو وجدانه للفضائل و العلوم الّتی هی غذاء النفوس و مادّه حیاتها کما أنّ الکلاء و الماء غذاء للأبدان و مادّه حیاتها موجود لهذا الرائد فی الفرع و هو حاله وجدانه للعلم و الفضل و الهدایه وجب عن تلک العلّه مثل الحکم فی الأصل و هو مخالفه أصحابه إلی الفضل و العلم و الهدایه عنده علیه السّلام و لزوم أن یبایع.و لذلک قال له:فامدد إذن یدک.و هو تمثیل لا تکاد النفس السلیمه عند سماعه أن تقف دون الانفعال عنه و الإذعان له ،و لذلک أقسم الرجل أنّه لم یستطع الامتناع عند قیام هذه الحجّه فبایع .و باللّه التوفیق.

۱۷۰-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

لما عزم علی لقاء القوم بصفین

اَللَّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ وَ الْجَوِّ الْمَکْفُوفِ- الَّذِی جَعَلْتَهُ مَغِیضاً لِلَّیْلِ وَ النَّهَارِ- وَ مَجْرًی لِلشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ وَ مُخْتَلَفاً لِلنُّجُومِ السَّیَّارَهِ- وَ جَعَلْتَ سُکَّانَهُ سِبْطاً مِنْ مَلاَئِکَتِکَ- لاَ یَسْأَمُونَ مِنْ عِبَادَتِکَ- وَ رَبَّ هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِی جَعَلْتَهَا قَرَاراً لِلْأَنَامِ- وَ مَدْرَجاً لِلْهَوَامِّ وَ الْأَنْعَامِ- وَ مَا لاَ یُحْصَی مِمَّا یُرَی وَ مَا لاَ یُرَی- وَ رَبَّ الْجِبَالِ الرَّوَاسِی الَّتِی جَعَلْتَهَا لِلْأَرْضِ أَوْتَاداً- وَ لِلْخَلْقِ اعْتِمَاداً إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَی عَدُوِّنَا- فَجَنِّبْنَا الْبَغْیَ وَ سَدِّدْنَا لِلْحَقِّ- وَ إِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَیْنَا فَارْزُقْنَا الشَّهَادَهَ- وَ اعْصِمْنَا مِنَ الْفِتْنَهِ

أَيْنَ الْمَانِعُ لِلذِّمَارِ- وَ الْغَائِرُ عِنْدَ نُزُولِ الْحَقَائِقِ مِنْ أَهْلِ الْحِفَاظِ- الْعَارُ وَرَاءَكُمْ وَ الْجَنَّهُ أَمَامَكَمْ

اللغه

أقول: مغيضا لهما: أى مغيبا .و السبط: القبيله .

المعنى

و قد دعا اللّه سبحانه باعتبار كونه ربّا للسماء و الأرض و باعتبار ما فيهما من الآيات المتبّهه على كمال عظمته و لطفه بخلقه،و هذا الدعاء ممّا تستعدّ به القلوب و الأبدان لاستفاضه الغلبه و النصر على العدوّ.و السقف المرفوع :السماء.و كذلك الجوّ المكفوف ،و قد مرّت الإشاره إلى ذلك فى الخطبه الاولى، استعاره و كونه مغيضا للّيل و النهار لأنّ الفلك بحركته المستلزمه لحركه الشمس إلى وجه الأرض يكون سببا لغيبوبه الليل،و استلزام حركته لحركاتها عن وجه الأرض يكون سببا لغيبوبه النهار فكان كالمغيض لهما فاستعار له لفظ المغيض .و كونه محلاّ لجرى الشمس و القمر و محلّ اختلاف النجوم السيّاره ظاهر.و ليس فيه دلاله على أنّ النجوم تتحرّك:

بذاتها من دون حركته.و الطائفه من الملائكه إشاره إلى الأرواح الفلكيّه ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟ لأجرامها،و قد سبقت الإشاره إليهم و بيان أنّهم لا يسأمون من العباده فى الخطبه الاولى .ثمّ دعاه باعتبار كونه ربّا للأرض،و باعتبار ما بسطها لأجله من كونها قراراً للأنام و مدرجا للهوامّ و الأنعام و ما لا يحصى ممّا يرى و لا يرى من أنواع الحيوان.قال بعض العلماء:من أراد أن يعرف حقيقه قوله عليه السّلام:ما يرى و ما لا يرى فليوقد نارا صغيره فى فلاه فى ليله صيفيّه و ينظر ما يجتمع عليها من غرائب أنواع الحيوان العجيبه الخلق لم يشاهدها هو و لا غيره.و أقول:يحتمل أن يريد بقوله:و ما لا يرى ما ليس من شأنه أن يرى إمّا لصغره أو لشفافيّته .ثمّ باعتبار كونه ربّا للجبال،و قد علمت معنى كونها أوتادا للأرض.فأمّا كونها اعتمادا للخلق فلأنّهم قد يبنون بها المساكن و يقوم فيها من المنافع ما لا يقوم فى الأوديه لكثير من الأشجار و الثمار،و لأنّها معادن الينابيع و منابع المعادن،و ظاهر كونها إذن معتمدا للخلق فى مراتعهم و منافعهم .ثمّ سأل على تقدير نصره أن يجنّبه

البغى و هو العبور إلى طرف الإفراط من فضيله العدل ثمّ التسديد و الاستقامه على فضيله العدل و هو الحقّ ،و على تقدير إظهار عدوّه عليه الشهاده و العصمه من فتنه الغبن و الانقهار فإنّ المغلوب إذا كان معتقدا أنّه على الحقّ قلّما يسلم من التسخّط على البخت و التعتّب على ربّه،و ربّما كفر كثير من الناس عند نزول البلاء بهم.و ظاهر كونه فتنه:أى صارفا عن اللّه.و اعتصم عليه السّلام من تلك الفتنه و أمثالها استثباتا لنفسه على الحقّ و تأديبا للسامعين .ثمّ أخذ فيما العاده أن يستحمى به الإنسان أصحابه فى الحرب،و يستثير به طباعهم:من الاستفهام عن حامى الذمار ، و الّذى تصيبه الغيره من أهل المحافظه عند نزول الحقائق:أى عظائم الامور و شدائدها.ثمّ قال : النار ورائكم :أى إنّ رجوعكم القهقرى هربا من العدوّ مستلزم لدخولكم النار و استحقاقكم لها، و الجنّه أمامكم :أى فى إقدامكم على العدوّ و التقدّم إلى مناجزته،و هو كلام فى غايه الوجازه و البلاغه.

۱۷۱-و من خطبه له عليه السّلام

القسم الأول

اشاره

:اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی لَا تُوَارِی عَنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءً- وَ لَا أَرْضٌ أَرْضاً

المعنى

أقول:حمد اللّه تعالى باعتبار إحاطه علمه بالسماوات و الأرضين،و استلزم ذلك تنزيهه تعالى عن وصف المخلوقين.إذ كانوا فى إدراكهم لبعض الأجرام السماويّه و الأرضيّه محجوبين عمّا ورائها،و علمه تعالى هو المحيط بالكلّ الّذى لا يحجبه السواتر و لا تخفى عليه السرائر.

القسم الثانى منها

اشاره

:وَ قَدْ قَالَ قَائِلٌ إِنَّکَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ یَا؟ابْنَ أَبِی طَالِبٍ؟ لَحَرِیصٌ- فَقُلْتُ بَلْ أَنْتُمْ وَ اللَّهِ لَأَحْرَصُ وَ أَبْعَدُ وَ أَنَا أَخَصُّ وَ أَقْرَبُ- وَ إِنَّمَا طَلَبْتُ حَقّاً لِی وَ أَنْتُمْ تَحُولُونَ بَیْنِی وَ بَیْنَهُ- وَ تَضْرِبُونَ وَجْهِی دُونَهُ- فَلَمَّا قَرَّعْتُهُ بِالْحُجَّهِ فِی الْمَلَإِ الْحَاضِرِینَ- هَبَّ کَأَنَّهُ بُهِتَ لَا یَدْرِی مَا یُجِیبُنِی بِهِ

اللَّهُمَّ إِنِّی أَسْتَعْدِیکَ عَلَی؟قُرَیْشٍ؟ وَ مَنْ أَعَانَهُمْ- فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِی وَ صَغَّرُوا عَظِیمَ مَنْزِلَتِیَ- وَ أَجْمَعُوا عَلَی مُنَازَعَتِی أَمْراً هُوَ لِی- ثُمَّ قَالُوا أَلاَ إِنَّ فِی الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَ فِی الْحَقِّ أَنْ تَتْرُکَهُ

المعنی

أقول:هذا الفصل من خطبه یذکر فیها علیه السّلام ما جری له یوم الشوری بعد مقتل عمر،و الّذی قال له هذا القول هو سعد بن أبی وقّاص مع روایته فیه:أنت منّی بمنزله هرون من موسی.و هو محلّ التعجّب.فأجابه بقوله : بل أنتم و اللّه أحرص و أبعد :أی أحرص علی هذا الأمر و أبعد من استحقاقه.و هو فی صوره احتجاج بقیاس ضمیر من الشکل الأوّل مسکت للقائل صغراه ما ذکر،و تقدیر کبراه:

و کلّ من کان أحرص علی هذا الأمر و أبعد منه فلیس له أن یعیّر الأقرب إلیه بالحرص علیه.

و قوله: و أنا أخصّ و أقرب.

صغری قیاس ضمیر احتجّ به علی أولویّته بطلب هذا الأمر،و تقدیر کبراه:و کلّ من کان أخصّ و أقرب إلی هذا الأمر فهو أولی بطلبه،و روی أنّ هذا الکلام قاله یوم السقیفه،و أنّ الّذی قال له:إنّک علی هذا الأمر لحریص.هو أبی عبیده بن الجرّاح،و الروایه الاولی أظهر و أشهر .و روی عوض بهت هبّ:أی انبته کأنّه کان غافلا ذاهلا عن الحجّه فاستیقظ من غفلته .

ثمّ أخذ فی استعانه اللّه تعالی علی قریش و من أعانهم علیه،و شکا امورا:منها قطع رحمه فإنّهم لم یراعو قربه من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و منها تصغیر عظیم منزلته بعدم التفاتهم إلی ما ورد من النصوص النبویّه فی حقّه،و منها اتّفاقهم علی منازعته أمر الخلافه الّذی یری أنّه أحقّ به منهم.

و قوله : ثمّ قالوا:إلی آخره.

أی إنّهم لم یقتصروا علی أخذ حقّی ساکتین عن دعوی کونه حقّا لهم و لکنّهم

أخذوه مع دعواهم أنّ الحقّ لهم،و أنّه يجب عليّ أن أترك المنازعه فيه.فليتهم أخذوه معترفين أنّه حقّ لى فكانت المصيبه أهون،و روى نأخذه و نتركه بالنون فى الكلمتين،و عليه نسخه الرضى-رضوان اللّه عليه-و المراد إنّا نتصرّف فيه كما نشاء بالأخذ و الترك دونك،و هذه شكايه ظاهره لا تأويل فيها.

القسم الثالث منها فى ذكر أصحاب الجمل:

اشاره

فَخَرَجُوا يَجُرُّونَ حُرْمَهَ؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟- كَمَا تُجَرُّ الْأَمَهُ عِنْدَ شِرَائِهَا- مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى؟الْبَصْرَهِ؟- فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِى بُيُوتِهِمَا- وَ أَبْرَزَا حَبِيسَ ؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟ لَهُمَا وَ لِغَيْرِهِمَا- فِى جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَ قَدْ أَعْطَانِى الطَّاعَهَ- وَ سَمَحَ لِى بِالْبَيْعَهِ طَائِعاً غَيْرَ مُكْرَهٍ- فَقَدِمُوا عَلَى عَامِلِى بِهَا- وَ خُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وَ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا- فَقَتَلُوا طَائِفَهً صَبْراً وَ طَائِفَهً غَدْراً- فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ- إِلَّا رَجُلًا وَاحِداً مُعْتَمِدِينَ لِقَتْلِهِ- بِلَا جُرْمٍ جَرَّهُ لَحَلَّ لِى قَتْلُ ذَلِكَ الْجَيْشِ كُلِّهِ- إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا- وَ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَ لَا بِيَدٍ- دَعْ مَا إِنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ- مِثْلَ الْعِدَّهِ الَّتِى دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ

اللغه

أقول: جرّه: جناه .

المعنى

اشاره

و مقصود الفصل إظهار عذره فى قتال أصحاب الجمل.و ذكر لهم ثلاث كبائر من الذنوب تستلزم إباحه قتالهم و قتلهم :

الاولى:

تشبيه خروجهم بحرمه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و حبيسه يجرّونها كما تجرّ الأمه

عند شرائها مع حبسهما لنسائهما و محافظتهما عليهنّ،و ضمير التثنيه فى حبسا لطلحه و الزبير،و وجه الشبه انتهاك الحرمه و نقصانها فى إخراجها،و فى ذلك جرأه على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم .و روى عكرمه عن ابن عبّاس أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال يوما لنسائه و هنّ عنده جميعا:ليت شعرى أيتكنّ صاحبه الجمل الأرب تنبحها كلاب الحوؤب يقتل عن يمينها و شمالها قتلى كثير كلّهم فى النار و تنجو بعد ما كادت،و روى حبيب بن عمير قال:لمّا خرجت عايشه و طلحه و الزبير من مكّه إلى البصره طرقت ماء الحوؤب-و هو ماء لبنى عامر بن صعصعه-فنبحتهم الكلاب فنفرت صعاب إبلهم.فقال قائل منهم:لعن اللّه الحوؤب فما أكثر كلابها.فلمّا سمعت عايشه ذكر الحوؤب قالت:أ هذا ماء الحوؤب؟قال:نعم.قالت:ردّونى.فسئلوها ما شأنها و ما بدء لها.قالت:إنّى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول:كأنّى بكلاب الحوؤب قد نبحت بعض نسائى ثمّ قال لى:يا حميراء إيّاك أن تكونيها.فقال الزبير:مهلا يرحمك اللّه فإنّا قد جزنا ماء الحوؤب بفراسخ كثيره.فقالت:أ عندك من يشهد بأنّ هذه الكلاب النابحه ليست على ماء الحوؤب؟فلفّق لها الزبير و طلحه و طلبا خمسين أعرابيّا جعلا لهم جعلا فحلفوا لها و شهدوا أنّ هذا الماء ليس بماء الحوؤب.فكانت هذه أوّل شهاده زور علمت فى الإسلام.فسارت عايشه لوجهها.فأمّا قوله فى الخبر:و تنجو بعد ما كادت.فقالت الإماميّه:معناه تنجو من القتل بعد ما كادت أن تقتل، و قال المعتذرون لها معناه تنجو من النار بالتوبه بعد ما كادت أن تدخلها بما فعلت .

الثانيه:

نكثهم لبيعته و خروجهم عليه بعد الطاعه فى جماعه ما منهم إلاّ من أخذ بيعته.

الثالثه:

قتلهم لعامله بالبصره و خزّان بيت مال المسلمين بها بعض صبرا:أى بعد الأسر و بعض غدرا:أى بعد إعطائهم الأمان.و خلاصه القصّه ما روى أنّ طلحه و الزبير و عايشه لمّا انتهوا فى مسيرهم إلى حفر أبى موسى قريب البصره كتبوا إلى عثمان بن حنيف الأنصارىّ،و هو يومئذ عامل علىّ على البصره:أنّ أخل لنا دار الأماره.فلمّا قرأ كتابهم بعث إلى الأحنف بن قيس و إلى حكيم بن جبلّه العبدىّ

فاقرء هما الکتاب.فقال الأحنف:إنّهم إن حاولوا بهذا الطلب بدم عثمان و هم الّذین أکّبوا علی عثمان و سفکوا دمه فأراهم و اللّه لا یزایلونا حتّی یلقوا العداوه بیننا و یسفکوا دماءنا،و أظنّهم سیرکبون منک خاصّه ما لا قبل لک به،و الرأی إن تتأهّب لهم بالنهوض إلیهم فی من معک من أهل البصره فإنّک الیوم الوالی علیهم و أنت فیهم مطاع فسر إلیهم بالناس و بادرهم قبل أن یکونوا معک فی دار واحده فیکون الناس لهم أطوع منهم لک.و قال حکیم:مثل ذلک.فقال عثمان بن حنیف:

الرأی ما رأیتما لکنّی اکره الشرّ و أن أبدأهم به و أرجو العافیه و السلامه إلی أن یأتینی کتاب أمیر المؤمنین و رأیه فأعمل به.فقال له حکیم:فاذن لی حتّی أسیر إلیهم بالناس فإن دخلوا فی طاعه أمیر المؤمنین و إلاّ نابذتهم إلی سواء.فقال عثمان:

و لو کان ذلک لی لسرت إلیهم بنفسی.فقال حکیم:أمّا و اللّه لئن دخلوا علیک هذا المصر لینتقلنّ قلوب کثیر من الناس إلیهم و لیزیلنّک عن مجلسک هذا،و أنت أعلم.

فأبی عثمان.ثمّ کتب علیّ علیه السّلام إلی عثمان بن حنیف لمّا بلغه مسیر القوم إلی البصره:

من عبد اللّه علیّ أمیر المؤمنین إلی عثمان بن حنیف أمّا بعد فإنّ البغاه عاهدوا اللّه ثمّ نکثوا و توجّهوا إلی مصرک و ساقهم الشیطان لطلب ما لا یرضی اللّه به،و اللّه أشدّ بأسا و أشدّ تنکیلا فإذا قدموا علیک فادعهم إلی الطاعه و الرجوع إلی الوفاء بالعهد و المیثاق الّذی فارقونا علیه فإن أجابوا فأحسن جوارهم ما داموا عندک،و إن أبوا إلاّ التمسّک بحبل النکث و الخلاف فناجزهم القتال حتّی یحکم اللّه بینک و بینهم «وَ هُوَ خَیْرُ الْحاکِمِینَ» ،و کتبت کتابی هذا من الربذه و أنا معجّل السیر إلیک «إِنْ شاءَ اللّهُ» ،و کتب عبید اللّه بن أبی رافع فی صفر سنه ستّ و ثلاثین.فلمّا وصل الکتاب إلی عثمان بعث أبا الاسود الدؤلیّ و عمران بن الحصین إلیهم فدخلا علی عایشه فسألاها عمّا جاء بهم.فقالت لهما:ألقیا طلحه و الزبیر.فقاما و ألقیا الزبیر فکلّماه فقال:جئنا لنطلب بدم عثمان و ندعو الناس أن یردّوا أمر الخلافه شوری لیختار الناس لأنفسهم.فقالا له:إنّ عثمان لم یقتل بالبصره لتطلبا دمه فیها،و أنت تعلم قتله عثمان و أین هم،و إنّک و صاحبک و عایشه کنتم أشدّ الناس علیه و أعظمهم إغراء

بدمه فأقيدوا أنفسكم،و أمّا إعاده أمر الخلافه شورى فكيف و قد بايعتم عليّا طائعين غير مكرهين،و أنت يا أبا عبد اللّه لم يبعد العهد بقيامك دون هذا الرجل يوم مات رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أنت آخذ قائم سيفك تقول:ما أحد أحقّ بالخلافه منه.و امتنعت من بيعه أبى بكر.فأين ذلك الفعل من هذا القول؟فقال لهما:اذهبا إلى طلحه.فقاما إلى طلحه فوجداه خشن الملمس شديد العريكه قوىّ العزم فى إثاره الفتنه.فانصرفا إلى عثمان بن حنيف فأخبراه بما جرى،و قال له أبو الأسود:يا ابن حنيف قد أتيت فانفر و طاعن القوم و جالد و اصبر و أبرز لهما مستلئما و شمّر.فقال ابن حنيف:أى و الحرمين لأفعلنّ،و أمر مناديه فنادى فى الناس:السلاح السلاح.فاجتمعوا إليه و أقبلوا حتّى انتهوا إلى المربد.فملأ مشاه و ركبانا فقام طلحه فأشار إلى الناس بالسكوت ليخطب فسكتوا بعد جهد فقال:أمّا بعد فإنّ عثمان بن عفّان كان من أهل السابقه و الفضيله و من المهاجرين الأوّلين الّذين «رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ» ، و نزل القرآن ناطقا بفضلهم و أحد الأئمّه الوالين عليكم بعد أبى بكر و عمر صاحبى رسول اللّه و قد كان أحدث أحداثا نقمناها عليه فأتيناه و استعتبناه فأعتبنا فعدا عليه امرؤ ابتزّ هذه الامّه أمرها غصبا بغير رضى و لا مشوره فقتله و ساعده على ذلك قوم غير أتقياء و لا أبرار فقتل محرما بريئا تائبا،و قد جئتناكم أيّها النّاس نطلب بدمه و ندعوكم إلى الطلب بدمه فإن نحن أمكننا اللّه قتلهم قتلناهم به و جعلنا هذا الأمر شورى بين المسلمين و كانت خلافته رحمه للامّه جميعا فإنّ كلّ من أخذ الأمر من غير رضى العامّه و لا مشوره منها ابتزازا كان ملكه ملكا عضوضا و حدثا كبيرا.ثمّ قام الزبير فتكلّم بمثل كلام طلحه.فقام إليهما ناس من أهل البصره فقالوا لهما:أ لم تبايعا عليّا فيمن بايعه ففيم بايعتما ثمّ نكثتما؟.فقالا:ما بايعناه و ما لأحد فى أعناقنا بيعه و إنّما استكرهنا على بيعته.فقال ناس:قد صدقا و نطقا بالصواب،و قال آخرون:ما صدقا و لا أصابا.حتّى ارتفعت الأصوات فأقبلت عايشه على جملها فنادت بصوت مرتفع أيّها الناس أقلّوا الكلام و اسكتوا.فسكت الناس لها.

فقالت:إنّ أمير المؤمنين عثمان قد كان غيّر و بدّل.ثمّ لم يزل يغسل ذلك بالتوبه

حتّى قتل مظلوما تائبا و إنّما نقموا عليه ضربه بالسوط و تأميره الشبّان و حمايته موضع الغمامه فقتلوه محرما فى حرمه الشهر،و حرمه البلد ذبحا كما يذبح الجمل، ألا و إنّ قريشا رمت غرضها بنبالها و أدمت أفواهها بأيديها و ما نالت بقتلها إيّاه شيئا و لا سلكت به سبيلا قاصدا أما و اللّه ليرونها بلايا عقيمه تنبه النائم و تقيم الجالس، و ليسلطنّ عليهم قوم لا يرحمونهم،يسومونهم سوء العذاب.أيّها الناس إنّه ما بلغ من ذنب عثمان ما يستحلّ به دمه مصّتموه كما يماصّ الثوب الرحيض،ثمّ عدوتم عليه فقتلتموه بعد توبته و خروجه من ذنبه و بايعتم ابن أبى طالب بغير مشوره من الجماعه ابتزازا و غصبا،أ ترانى أغضب لكم من سوط عثمان و لسانه و لا أغضب لعثمان من سيوفكم.ألا إنّ عثمان قتل مظلوما فاطلبوا قتلته فإذا ظفرتم بهم فاقتلوهم،ثمّ اجعلوا الأمر شورى بين الرهط الّذين اختارهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب و لا يدخل فيهم من شرك فى دم عثمان.قال:فماج الناس و اختلطوا فمن قايل يقول:القول ما قالت،و من قائل يقول:و ما هى من هذا الأمر إنّما هى امرأه مأموره بلزوم بيتها.

و ارتفعت الأصوات و كثر اللغط حتّى تضاربوا بالنعال و ترامو بالحصا.ثمّ تمايزوا فرقتين فرقه مع عثمان بن حنيف و فرقه مع طلحه و الزبير.ثمّ أقبلا من المربد يريدان عثمان بن حنيف فوجدوه و أصحابه قد أخذوا بأفواه السكك فمضوا حتّى انتهوا إلى مواضع الدبّاغين فاستقبلهم أصحاب ابن حنيف فشجرهم طلحه و الزبير و أصحابهما بالرماح فحمل عليهم حكيم بن جبلّه فلم يزل هو و أصحابه يقاتلونهم حتّى أخرجوهم من جميع السكك،و رماهم النساء من فوق البيوت بالأحجار فأخذوا إلى مقبره بنى مازن فوقفوا بها مليّا حتّى ثابت إليهم خيلهم،ثمّ أخذوا على مسنّاه البصره حتّى انتهوا إلى الرابوقه.ثمّ أتوا سبخه دار الرزق فنزلوها فأتاهما عبد اللّه بن حكيم التميمىّ لمّا نزلا السبخه بكتب كتباها إليه فقال لطلحه:

يا أبا محمّد أما هذه كتبك إلينا؟.فقال:بلى.فقال:فكنت أمس تدعونا إلى خلع عثمان و قتله حتّى إذا قتلته أتيتنا ثائرا بدمه،فلعمرى ما هذا رأيك و لا تريد إلّا هذه الدنيا.مهلا إذا كان هذا رأيك قبلت من علىّ ما عرض عليك من البيعه فبايعته

طائعا راضيا ثمّ نكثت بيعتك و جئتنا لتدخلنا فى فتنتك.فقال:إنّ عليّا دعانى إلى بيعته بعد ما بايع الناس فعلمت أنّى لو لم أقبل ما عرضه علىّ لا يتمّ لى ثمّ يغرى بى من معه.ثمّ أصبحا من غد فصفّا للحرب و خرج إليهما عثمان فى أصحابه فناشدهما اللّه و الإسلام و أذكرهما بيعتهما ثلاثا.فشتماه شتما قبيحا و ذكرا امّه.

فقال للزبير:أما و اللّه لو لا صفيّه و مكانها من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فإنّها أذرتك إلى الظلّ،و إنّ الأمر بينى و بينك يا ابن الصعبه يعنى طلحه أعظم من القول لأعلمتكما من أمركما ما يسوئكما.اللّهمّ إنّى قد أعذرت إلى هذين الرجلين.ثمّ حمل عليهم فاقتتل الناس قتالا شديدا.ثمّ تحاجزوا و اصطلحوا على أن يكتب بينهم كتاب صلح.

فكتب:هذا ما اصطلح عليه عثمان بن حنيف الأنصارىّ و من معه من المؤمنين من شيعه علىّ بن أبى طالب و طلحه و الزبير و من معهما من المؤمنين و المسلمين من شيعتهما أنّ لعثمان بن حنيف الأنصارىّ دار الأماره و الرحبه و المسجد و بيت المال و المنبر،و أنّ لطلحه و الزبير و من معهما أن ينزلوا حيث شاءوا من البصره و لا يضارّ بعضهم بعضا فى طريق و لا سوق و لا فرضه و لا مشرعه و لا مرفق حتّى يقدم أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب فإن أحبّوا دخلوا فيما دخلت فيه الأمّه و إنّ أحبّوا ألحق كلّ قوم بهواهم و ما أحبّوا من قتال أو سلم أو خروج أو إقامه،و على الفريقين بما كتبوا عهد اللّه و ميثاقه و أشدّ ما أخذه على نبىّ من أنبيائه من عهد و ذمّه.و ختم الكتاب،و رجع عثمان حتّى دخل دار الأماره و أمر أصحابه أن يلحقوا بأهلهم و يداووا جراحاتهم فمكثوا كذلك أيّاما.ثمّ خاف طلحه و الزبير من مقدم علىّ عليه السّلام و هما على تلك القلّه و الضعف فراسلوا القبائل يدعونهم إلى الطلب بدم عثمان و خلع علىّ عليه السّلام فبايعهم على ذلك الأزد و ضبّه و قيس غيلان كلّها إلّا الرجل و الرجلين من القبيله كرهوا أمرهم فتواروا عنهم،و بايعهما هلال بن وكيع بمن معه من بنى عمرو ابن تميم و أكثر بنى حنظله و بنى دارم.فلمّا استوسق لهما أمرهما خرجا فى ليله مظلمه ذات ريح و مطر فى أصحابهما،و قد ألبسوهم الدروع،و ظاهروا فوقها بالثياب فانتهوا إلى المسجد وقت صلاه الفجر و قد سبقهم عثمان بن حنيف إليه و اقيمت

الصلاه فتقدّم عثمان ليصلّى بهم فأخّره أصحاب طلحه و الزبير،و قدّموا الزبير فجاءت الشرط-حرس بيت المال-و أخّروا الزبير و قدّموا عثمان فغلبهم أصحاب الزبير فقدّموه و أخّروا عثمان فلم يزالوا كذلك حتّى كادت الشمس أن تطلع فصاح بهم أهل المسجد ألا تتّقون اللّه أصحاب محمّد قد طلعت الشمس فغلب الزبير فصلّى بالناس فلمّا انصرف من صلاته صاح بأصحابه المتسلّحين أن خذوا عثمان فأخذوه بعد أن تضارب هو و مروان بن الحكم بسيفهما فلمّا اسر ضرب ضرب الموت و نتفت حاجباه و أشفار عينيه و كلّ شعره فى رأسه و وجهه،و أخذوا السيالحه و هم سبعون رجلا فانطلقوا بهم و بعثمان بن حنيف إلى عايشه فأشارت إلى أحد أولاد عثمان أن اضرب عنقه فإنّ الأنصار قتلت أباك و أعانت على قتله.فنادى عثمان يا عايشه و يا طلحه و يا زبير إنّ أخى سهل بن حنيف خليفه علىّ بن أبى طالب على المدينه و أقسم باللّه إن قتلتمونى ليضعنّ السيف فى بنى أبيكم و أهليكم و رهطكم فلا يبقى منكم أحدا.

فكفّوا عنه و خافوا من قوله فتركوه،و أرسلت عايشه إلى الزبير أن اقتل السيالحه فإنّه قد بلغنى الّذى صنعوا بك قبل.فذبحهم و اللّه كما يذبح الغنم.ولى ذلك عبد اللّه ابنه و هم سبعون رجلا،و بقيت منهم بقيّه متمسّكون ببيت المال قالوا:لا نسلّمه حتّى يقدم أمير المؤمنين.فسار إليهم الزبير فى جيش ليلا و أوقع بهم و أخذ منهم خمسين أسيرا فقتلهم صبرا.فحكى أنّ القتلى من السيالحه يومئذ أربع مأئه رجل، و كان غدر طلحه و الزبير بعثمان بن حنيف بعد غدرهم فى بيعه علىّ غدرا فى غدر، و كانت السيالحه أوّل قوم ضربت أعناقهم من المسلمين صبرا،و خيّروا عثمان بن حنيف بين أن يقيم أو يلحق بعلىّ فاختار الرحيل فخلّوا سبيله فلحق بعلىّ عليه السّلام فلمّا رآه بكى و قال له شيخ و جئتك أمردا.فقال علىّ عليه السّلام: «إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ» قالها ثلاثا.فذلك معنى قوله: فقدموا على عاملى بها و خزّان بيت مال المسلمين.

إلى آخره .ثمّ أقسم عليه السّلام إنّهم لو لم يصيبوا أى يقتلوا من المسلمين إلاّ رجلا واحدا متعمّدين قتله بغير ذنب جناه لحلّ له قتل ذلك الجيش كلّه،و-إن-زايده.

فإن قلت:المفهوم من هذا الكلام تعليل جواز قتله لذلك الجيش كلّه بعدم

إنکارهم للمنکر فهل یجوز قتل من لم ینکر المنکر؟ قلت:أجاب الشارح عبد الحمید بن أبی الحدید عنه.فقال:إنّه تجوّز قتلهم لأنّهم اعتقدوا ذلک القتل مباحا مع أنّه ممّا حرّمه اللّه فجری ذلک مجری اعتقادهم لإباحه الزنا و شرب الخمر.

و أجاب القطب الراوندیّ بأنّ جواز قتلهم لدخولهم فی عموم قوله تعالی «إِنَّما جَزاءُ الَّذِینَ یُحارِبُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ یَسْعَوْنَ فِی الْأَرْضِ فَساداً أَنْ یُقَتَّلُوا» (۱)الآیه و إنّ هؤلاء القوم قد حاربوا رسول اللّه لقوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:حربک یا علیّ حربی، و سعوا فی الأرض بالفساد،و اعترض المجیب الأوّل علیه.فقال:الإشکال إنّما هو فی تحلیله لقتل الجیش المذکور لکونه لم ینکر علی من قتل رجلا واحدا من المسلمین فالتعلیل بعدم إنکار المنکر لا بعموم الآیه.

و أقول:الجواب الثانی أسدّ،و الأوّل ضعیف.لأنّ القتل و إن وجب علی من اعتقد إباحه ما علم تحریمه من الدین ضروره کشرب الخمر و الزنا فلم قلت إنّه یجب علی من اعتقد إباحه ما علم تحریمه من الدین بالتأویل کقتل هؤلاء القوم لمن قتلوا و خروجهم لما خرجوا له فإنّ جمیع ما فعلوه کان بتأویل لهم و إن کان معلوم الفساد.

فظهر الفرق بین اعتقاد حلّ الخمر و الزنا و بین اعتقاد هؤلاء لإباحه ما فعلوه، و أمّا الاعتراض علی الجواب الثانی فضعیف أیضا.لأنّ له أن یقول:إنّ قتل المسلم الّذی لا ذنب له عمدا إذا صدر من بعض الجیش و لم ینکر الباقون مع تمکّنهم و حضورهم کان ذلک قرینه دالّه علی الرضا من جمیعهم،و الراضی بالقتل شریک القاتل خصوصا إذا کان معروفا بصحبته و الاتّحاد به کاتّحاد بعض الجیش ببعض.فکان خروج ذلک الجیش علی الإمام العادل محاربه للّه و رسوله،و قتلهم لعامله و خزّان بیت مال المسلمین و نهبهم له و تفریق کلمه أهل المصر و فساد نظامهم سعی فی الأرض بالفساد، و ذلک عین مقتضی الآیه .

و قوله: دع.إلی آخره.

ص:۳۳۸

۱- ۱) ۳۷-۵.

أی لو كان من قتلوه من المسلمين واحدا لحلّ لی قتلهم فكيف و قد قتلوا منهم عدّه مثل عدّتهم الّتی دخلوا بها البصره.و-ما-بعد-دع-زايده،و المماثله هنا فی الكثره.

و صدق عليه السّلام فإنّهم قتلوا من أوليائه و خزّان بيت المال بالبصره خلقا كثيرا كما ذكرناه على الوجه الّذی ذكره بعض غدرا و بعض صبرا.و باللّه التوفيق.

۱۷۲-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

أَمِينُ وَحْيِهِ وَ خَاتَمُ رُسُلِهِ- وَ بَشِيرُ رَحْمَتِهِ وَ نَذِيرُ نِقْمَتِهِ أَيُّهَا النَّاسُ- إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ- وَ أَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهِ- فَإِنْ شَغَبَ شَاغِبٌ اسْتُعْتِبَ فَإِنْ أَبَى قُوتِلَ- وَ لَعَمْرِی لَئِنْ كَانَتِ الْإِمَامَهُ لاَ تَنْعَقِدُ- حَتَّى يَحْضُرَهَا عَامَّهُ النَّاسِ فَمَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ- وَ لَكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا- ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ وَ لاَ لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ- أَلاَ وَ إِنِّی أُقَاتِلُ رَجُلَيْنِ- رَجُلاً ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ وَ آخَرَ مَنَعَ الَّذِی عَلَيْهِ أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ- فَإِنَّهَا خَيْرُ مَا تَوَاصَى الْعِبَادُ بِهِ- وَ خَيْرُ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ عِنْدَ اللَّهِ- وَ قَدْ فُتِحَ بَابُ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَهِ- وَ لاَ يَحْمِلُ هَذَا الْعَلَمَ إِلاَّ أَهْلُ الْبَصَرِ وَ الصَّبْرِ- وَ الْعِلْمِ بِمَوَاقِعِ الْحَقِّ- فَامْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ وَ قِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ- وَ لاَ تَعْجَلُوا فِی أَمْرٍ حَتَّى تَتَبَيَّنُوا- فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكِرُونَهُ غِيَراً

أَلَا وَ إِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنَّوْنَهَا- وَ تَرْغَبُونَ فِيهَا وَ أَصْبَحَتْ تُغْضِبُكُمْ وَ تُرْضِيكُمْ- لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ وَ لَا مَنْزِلِكُمُ الَّذِي خُلِقْتُمْ لَهُ- وَ لَا الَّذِي دُعِيتُمْ إِلَيْهِ- أَلَا وَ إِنَّهَا لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ لَكُمْ وَ لَا تَبْقَوْنَ عَلَيْهَا- وَ هِيَ وَ إِنْ غَرَّتْكُمْ مِنْهَا فَقَدْ حَذَّرَتْكُمْ شَرَّهَا- فَدَعُوا غُرُورَهَا لِتَحْذِيرِهَا وَ أَطْمَاعَهَا لِتَخْوِيفِهَا- وَ سَابِقُوا فِيهَا إِلَى الدَّارِ الَّتِي دُعِيتُمْ إِلَيْهَا- وَ انْصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا- وَ لَا يَخِنَّنَّ أَحَدُكُمْ خَنِينَ الْأَمَةِ عَلَى مَا زُوِيَ عَنْهُ مِنْهَا- وَ اسْتَتِمُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ- وَ الْمُحَافَظَةِ عَلَى مَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ- أَلَا وَ إِنَّهُ لَا يَضُرُّكُمْ تَضْيِيعُ شَيْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ- بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَةَ دِينِكُمْ- أَلَا وَ إِنَّهُ لَا يَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شَيْءٌ- حَافَظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ- أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَ قُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ- وَ أَلْهَمَنَا وَ إِيَّاكُمُ الصَّبْرَ

المعنى

أقول:صدر هذا الفصل من ممادح الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

فشهاده كونه أمينا على التنزيل من التحريف و التبديل العصمه،و شهاده ختامه للرسل قوله تعالى «وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ» و كونه بشير رحمته بالثواب الجزيل و نذير نقمته بالعذاب الوبيل قوله تعالى «إِنّا أَرْسَلْناكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَ نَذِيراً» .

ثمّ أردفه ببيان أحكام :

الأوّل:بيان أحكام الّذى هو أحقّ الناس بأمر الخلافه

،و حصر الأحقّ به فى أمرين:أحدهما أقوى الناس عليه و هو الأكمل قدره على السياسه و الأكمل علما بمواقعها و كيفيّاتها و كيفيّه تدبير المدن و الحروب و ذلك يستلزم كونه أشجع الناس.

و الثانى أعملهم بأوامر اللّه فيه،و مفهوم الأعمل بأوامر اللّه يستلزم الأعلم باصول الدين و فروعه ليضع الأعمال مواضعها،و يستلزم أشدّ حفاظا على مراعاه حدود اللّه

ص:۳۴۰

و العمل بها،و ذلک یستلزم کونه أزهد الناس و أعفّهم و أعدلهم.و لمّا کانت هذه الفضائل مجتمعه له علیه السّلام کان إشاره إلی نفسه،و روی عوض أعملهم أعلمهم .

الثانی:فی بیان حکم المشاغب للإمام بعد انعقاد بیعته

،و هو أنّه یستعتب:

أی أنّه فی أوّل مشاغبته یطلب منه العتبی و الرجوع إلی الحقّ و الطاعه بلین القول فإن أبی قوتل و ذلک الحکم مقتضی قوله تعالی «وَ إِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَیْنَهُما» (۱)الآیه .

الثالث:بیان کیفیّه انعقاد الإمامه بالإجماع

فبیّن بقوله: و لعمری.إلی قوله:ما إلی ذلک سبیل .أنّ الإجماع لا یعتبر فیه دخول جمیع الناس حتّی العوامّ.

إذ لو کان ذلک شرطا لأدّی إلی أن لا ینعقد إجماع قطّ فلم تصحّ إمامه أحد أبدا لتعذّر اجتماع المسلمین بأسرهم من أطراف الأرض بل المعتبر فی الإجماع اتّفاق أهل الحلّ و العقد من امّه محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلم علی بعض الأمور،و هم العلماء ،و قد کانوا بأسرهم مجتمعین حین بیعته علیه السّلام فلیس لأحد منهم بعد انعقادها أن یرجع،و لا لمن عداهم من العوامّ و من غاب عنهما أن یختاروا غیر من أجمع هؤلاء علیه.

فإن قلت:إنّه علیه السّلام إنّما احتجّ علی القوم بالإجماع علی بیعته،و لو کان متمسّک آخر من نصّ أو غیره لکان احتجاجه بالنصّ أولی فلم یعدل إلی دعوی الإجماع.

قلت:احتجاجه بالإجماع لا یتعرّض لنفی النصّ و لا لإثباته بل یجوز أن یکون النصّ موجودا،و إنّما احتجّ علیهم بالإجماع لاتّفاقهم علی العمل به فیمن سبق من الأئمّه،و لأنّه یحتمل أن یکون سکوته عنه لعلمه بأنّه لا یلتفت إلی ذکره علی تقدیر وجوده لأنّه لمّا لم یلتفت إلیه فی مبدء الأمر حین موت الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلم فبالأولی أن لا یلتفت إلیه الآن و قد طالت المدّه و بعد العهد فلم تکن فی ذکره فایده.

الرابع:بیان من یجب قتاله

و هو أحد رجلین:الأوّل:رجل خرج علی

۱- ۱) ۹-۴۹.

الإمام العادل بعد تمام بيعته و ادّعى أنّ الإمامه حقّ له و قد ثبت بالإجماع على غيره أنّها ليست له،و الثانى:رجل خرج على الإمام و لم يمتثل له فى شىء من الأحكام.و الأوّل إشاره إلى أصحاب الجمل،و الثانى إلى معاويه و أصحابه . ثمّ عقّب بالوصيّه بتقوى اللّه فإنّها خير زاد عند اللّه يستعقبه الإنسان من حركاته و سكناته و لمّا كان كذلك كان خير ما تواصى به عباد اللّه.

و قوله : و قد فتح باب الحرب بينكم و بين أهل القبله.إلى قوله:غيرا.

إعلام لأصحابه بحكم البغاه من أهل القبله على سبيل الإجمال،و أحال التفصيل على أوامره حال الحرب،و قد كان الناس قبل حرب الجمل لا يعرفون كيفيّه قتال أهل القبله و لا كيف السنّه فيهم إلى أن علموا ذلك منه عليه السّلام.و نقل عن الشافعى أنّه قال:لو لا علىّ ما عرفت شىء من أحكام أهل البغى.

و قوله : و لا يحمل هذا العلم إلاّ أهل البصر.

أى أهل البصائر،و العقول الراجحه،و الصبر:أى على المكاره و عن التسرّع إلى الوساوس،و العلم بمواضع الحقّ.و ذلك أنّ المسلمين عظم عندهم حرب أهل القبله و أكبروه،و المقدمون منهم على ذلك إنّما أقدموا على خوف و حذر.فقال عليه السّلام:إنّ هذا العلم لا يدركه كلّ أحد بل من ذكره.و روى العلم بفتح اللام، و ذلك ظاهر فإنّ حامل العلم عليه مدار الحرب و قلوب العسكر منوطه به فيجب أن يكون بالشرائط المذكوره ليضع الأشياء مواضعها .ثمّ أمرهم بقواعد كلّيّه عند عزمه على المسير للحرب و هى أن يمضوا فيما يؤمرون به و يقفوا عند ما ينهون عنه و لا يعجلوا فى أمر إلى غايه أن يتبيّنوه:أى لا يتسرّعوا إلى إنكار أمر فعله أو يأمرهم به حتّى سألوه عن فايدته و بيانه.فإنّ له عند كلّ أمر ينكرونه تغييرا:أى قوّه على التغيير إن لم يكن فى ذلك الأمر مصلحه فى نفس الأمر و فايده أمرهم بالتبيّن عند استنكار أمر أنّه يحتمل أن لا يكون ما استنكروه منكرا فى نفس الأمر فيحكمون بكونه منكرا لعدم علمهم بوجهه،و يتسرّعون إلى إنكاره بلسان أو يد فيقعون فى الخطأ.قال بعض الشارحين:و فى قوله: فإنّ لنا عند كلّ أمر ينكرونه

تغييرا .إيماء إلى أنّه ليس كعثمان فى صبره على ارتكاب الناس لما كان ينهاهم عنه بل يغيّر كلّ ما ينكره المسلمون و يقتضى العرف و الشرع تغييره .ثمّ أخذ فى التنفير عن الدنيا بامور:

الأوّل:التنفير عن تمنّيها و الرغبه فيها و عن الغضب لفوتها و الرضى بحصولها بكونها ليست الدار و المنزل الّذى خلقوا له و دعوا إليه،و استلزم ذلك التنفير التنبيه على ما ورائها و العمل له.

الثانى نفر عنها بفنائها عنهم و فنائهم عنها.

الثالث :بأنّه لا فائده فيهافإنّها و إن كانت تغرّ و تخدع بما فيها ممّا يعتقد خيرا و كمالا فإنّ فيها ما يقابل ذلك و هو التحذير بما فيها من الآفات و التغيّرات المتعدّده شرّا فينبغى أن يتركوا خيرها القليل لشرّها الكثير،و إطماعها لتخويفها ، و يسابقوا إلى الخير الخالص و الدار الّتى دعوا إليها و خلقوا لأجلها ،و يتصرّفوا بقلوبهم عنها:أى يزهدوا الزهد الحقيقىّ فيها فإنّ الزهد الظاهرىّ مع الحنين إلى ما زوى منها عن أحدكم غير منتفع و به خصّ حنين الأمه لأنّ الحنين أكثر ما يسمع من الأمه لأنّ العاده أن تضرب و تؤذى فيكثر حنينها.و روى حنين بالخاء المعجمه.و الخنين كالبكاء فى الأنف .و إذ أمر بالزهد الحقيقى أمر بالصبر على طاعه اللّه و عبادته و المحافظه على أوامر كتابه و نواهيه إذ بالزهد يكون حذف الموانع الداخله و الخارجه،و بالطاعه و العباده يكون تطويع النفس الأمّاره بالسوء للنفس المطمئنّه.و هما جزاء الرياضه و السلوك لسبيل اللّه.و رغّب فى الصبر على طاعه اللّه بأنّ فيه استتماما لنعمه اللّه.و ظاهر أنّ طاعه اللّه سبب عظيم لإفاضه نعمه الدنيويّه و الاخرويّه .ثمّ أكّد الأمر بالمحافظه على ما قام من الدين بأنّه لا مضرّه فى ترك شىء من الدنيا و تضييعها مع المحافظه على الدين لما فى المحافظه على الدين من الخير الدائم التامّ الاخروى الّذى لا نسبه لخير الدنيا إليه ،و بأنّه لا منفعه فى المحافظه على ما فيها:أى فى الدنيا مع تضييع الدين و إهماله.و ذلك أمر مفروغ عنه و مستغنى عن بيانه .ثمّ ختم بالدعاء لهم و لنفسه بأخذ اللّه بقلوبهم إلى الحقّ:

أی إلهامهم لطلبه و هدایتهم إلیه و جذبهم إلی سلوک سبیله،ثمّ إلهامهم الصبر:أی علی طاعته و عن معصیه.و باللّه التوفیق.

۱۷۳-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

فی طلحه بن عبید اللّه

قَدْ کُنْتُ وَ مَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ- وَ لاَ أُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ- وَ أَنَا عَلَی مَا قَدْ وَعَدَنِی رَبِّی مِنَ النَّصْرِ- وَ اللَّهِ مَا اسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّداً لِلطَّلَبِ بِدَمِ؟عُثْمَانَ؟- إِلاَّ خَوْفاً مِنْ أَنْ یُطَالَبَ بِدَمِهِ لِأَنَّهُ مَظِنَّتُهُ- وَ لَمْ یَکُنْ فِی الْقَوْمِ أَحْرَصُ عَلَیْهِ مِنْهُ- فَأَرَادَ أَنْ یُغَالِطَ بِمَا أَجْلَبَ فِیهِ- لِیَلْتَبِسَ الْأَمْرُ وَ یَقَعَ الشَّکُّ.-وَ وَ اللَّهِ مَا صَنَعَ فِی أَمْرِ؟عُثْمَانَ؟ وَاحِدَهً مِنْ ثَلاَثٍ- لَئِنْ کَانَ؟ابْنُ عَفَّانَ؟ ظَالِماً کَمَا کَانَ یَزْعُمُ- لَقَدْ کَانَ یَنْبَغِی لَهُ أَنْ یُوَازِرَ قَاتِلِیهِ- وَ أَنْ یُنَابِذَ نَاصِرِیهِ-وَ لَئِنْ کَانَ مَظْلُوماً- لَقَدْ کَانَ یَنْبَغِی لَهُ أَنْ یَکُونَ مِنَ الْمُنَهْنِهِینَ عَنْهُ- وَ الْمُعَذِّرِینَ فِیهِ- وَ لَئِنْ کَانَ فِی شَکٍّ مِنَ الْخَصْلَتَیْنِ- لَقَدْ کَانَ یَنْبَغِی لَهُ أَنْ یَعْتَزِلَهُ- وَ یَرْکُدَ جَانِباً وَ یَدَعَ النَّاسَ مَعَهُ- فَمَا فَعَلَ وَاحِدَهً مِنَ الثَّلاَثِ- وَ جَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ یُعْرَفْ بَابُهُ وَ لَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِیرُهُ أقول:هذا الفصل من کلام قاله حین بلغه خروج طلحه و الزبیر إلی البصره.

و تهدیدهم بالحرب.

اللغه

و نهنه عنه: کفّ و زجر .و المعذرین بالتخفیف: المتعذّرین عنه.و بالتشدید المظهرین للعذر مع أنّه لا عذر .و رکد: سکن .

المعنی

فقوله: و قد کنت .إلی قوله: النصر .

ص:۳۴۴

جواب لتهديدهم.و قد مرّت هذه الألفاظ بعينها مشروحه إلاّ أنّ هناك:

و إنّى على يقين من ربّى.و هنا: و أنا على ما قد وعدنى ربّى من النصر .و ذلك الّذى هو عليه هو اليقين بالنصر على لسان الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و الواو فى قوله: و ما اهدّد للحال.و كان تامّه.

و قوله : و اللّه ما استعجل.إلى قوله:و يقع الشكّ.

إشاره إلى شبهتهم فى الخروج إلى البصره.و هى الطلب بدم عثمان،ثمّ إلى معارضه هذه الشبهه و هى أنّ خروجه ليس إلاّ خوفا من أن يطلب بدمه لأنّه مظنّه ذلك.و قد سبقت منّا الإشاره إلى دخول طلحه فى تحريص الناس على قتل عثمان و جمعه لهم فى داره.و روى أنّه منع الناس من دفنه ثلاثه أيّام،و أنّ حكيم بن حزام و جبير بن مطعم استنجدا بعلىّ فى دفنه فأقعد لهم طلحه فى الطريق اناسا يرمونهم بالحجاره فخرج به نفر من أهله يريدون به حائطا فى المدينه يعرف بحشّ كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم فلمّا صار هناك رجم سريره فهمّوا بطرحه فأرسل إليهم علىّ عليه السّلام فكفّهم عنه حتّى دفن بحشّ كوكب.و روى أنّه جادل فى دفنه بمقابر المسلمين و قال:ينبغى أن يدفن بدير سلع يعنى مقابر اليهود .

و بالجمله فهو كما قال عليه السّلام:لم يكن فى القوم أحرص منه على قتله لكنّه أراد أن يغالط بما أجلب فى الطلب بدمه ليلتبس الأمر و يقع الشكّ فى دخوله فى قتله.

و قوله : و و اللّه ما صنع فى أمر عثمان.إلى آخره.

صوره احتجاج عليه و قطع لعذره فى الخروج و الطلب بدمه بقياس شرطىّ منفصل،و تقريره أنّ حاله فى أمر عثمان و خروجه فى طلب دمه لا تخلو من امور ثلاثه فإنّه إمّا أن يعلم أنّه كان ظالما أو يعلم أنّه كان مظلوما أو يشكّ فى الأمرين و يتوقّف فيهما فإن كان الأوّل فقد كان الواجب عليه أن يساعد قاتليه و يوازرهم و ينابذ ناصريه لوجوب إنكار المنكر عليه.و هو قد عكس الحال لأنّه نابذ قاتليه و ثار فى طلب دمه مع ناصريه ممّن توهّم فيه ذلك،و إن كان الثانى فقد كان يجب عليه أن يكون ممّن يكفّ الناس عنه و يعتذر عنه فيما فعل لوجوب إنكار المنكر

أيضا مع أنّه ممّن وازر عليه الناس و أظهر أحداثه و عظّمها كما هو المنقول المشهور عنه،و إن كان الثالث فقد كان الواجب عليه أن يعتزله و يسكن عن الخوض فى أمره و لم يفعل ذلك بل ثار فى طلب دمه.فكان فى هذه الأحوال الثلاثه محجوجاً فى خروجه و نكثه للبيعه .فإذن ما جاء به من ذلك أمر لا يعرف بابه:أى وجه دخوله فيه،و لم يسلّم فيه عذر.و باللّه التوفيق.

۱۷۴-و من خطبه له علیه السلام

اشاره

أَيُّهَا النَّاسُ غَيْرُ الْمَغْفُولِ عَنْهُمْ- وَ التَّارِكُونَ الْمَأْخُوذُ مِنْهُمْ- مَا لِي أَرَاكُمْ عَنِ اللَّهِ ذَاهِبِينَ وَ إِلَى غَيْرِهِ رَاغِبِينَ- كَأَنَّكُمْ نَعَمٌ أَرَاحَ بِهَا سَائِمٌ إِلَى مَرْعًى وَبِيٍّ وَ مَشْرَبٍ دَوِيٍّ- وَ إِنَّمَا هِيَ كَالْمَعْلُوفَهِ لِلْمُدَى لاَ تَعْرِفُ مَا ذَا يُرَادُ بِهَا- إِذَا أُحْسِنَ إِلَيْهَا تَحْسَبُ يَوْمَهَا دَهْرَهَا وَ شِبَعَهَا أَمْرَهَا- وَ اللَّهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ- بِمَخْرَجِهِ وَ مَوْلِجِهِ وَ جَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ- وَ لَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ؟بِرَسُولِ اللَّهِ ص؟- أَلاَ وَ إِنِّي مُفْضِيهِ إِلَى الْخَاصَّهِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ ذَلِكَ مِنْهُ- وَ الَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ وَ اصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ- مَا أَنْطِقُ إِلاَّ صَادِقاً- وَ قَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِذَلِكَ كُلِّهِ وَ بِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ- وَ مَنْجَى مَنْ يَنْجُو وَ مَآلِ هَذَا الْأَمْرِ- وَ مَا أَبْقَى شَيْئاً يَمُرُّ عَلَى رَأْسِي إِلاَّ أَفْرَغَهُ فِي أُذُنَيَّ- وَ أَفْضَى بِهِ إِلَيَّ- أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي وَ اللَّهِ مَا أَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَهٍ- إِلاَّ وَ أَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا- وَ لاَ أَنْهَاكُمْ

ص:۳۴۶

عَنْ مَعْصِيَهٍ إِلاَّ وَ أَتَنَاهَى قَبْلَكَمْ عَنْهَا

اللغه

أقول: السائم: الراعى .و الوبىّ: محلّ الوباء .و الدوىّ: محلّ الداء .

و المدى: جمع مديه،و هى السكين .

المعنى

و الخطاب عامّ.و كونهم غافلين:أى عمّا يراد بهم من أمر الآخره،و غير مغفول عنهم:أى أنّ أعمالهم محصّى له فى اللوح المحفوظ.و تاركين:أى لما امروا به من الطاعه،المأخوذ منهم:أى منتقص من أعمارهم و قيناتهم الدنيويّه من مال و أهل .ثمّ نبّههم على ذهابهم عن اللّه و هو التفاتهم عن طاعته و رغبتهم فى غيره و هو الحياه الدنيا و زينتها. تشبيه ثمّ شبّههم فى ذلك بالنعم الّتى أراح بها راعيها إلى مرعى كثير الوباء و الداء .و وجه الشبه أنّهم لغفلتهم كالنعم و نفوسهم الأمّاره بالسوء القائده لهم إلى المعاصى كالراعى القائد إلى المرعى الوبىّ و لذّات الدنيا و مشتهياتها،و كون تلك اللذّات و المشتهيات محلّ الآثام الّتى هى مظنّه الهلاك الاخروىّ و الداء الدوىّ تشبه المرعى الوبىّ و المشرب الدوىّ.

تشبيه و قوله : و إنّما هى كالمعلوفه.

تشبيه آخر لهم بمعلوفه النعم،و وجه الشبه أنّهم لعنايتهم بلذّات الدنيا من المطاعم و المشارب كالنعم المعتنى بعلفها،و كون ذلك التلذّذ غايته الموت تشبه غايه المعلوفه و هى الذبح،و كونهم غافلين من غايه الموت و ما يراد بهم يشبه غفله النعم عن غايتها من الذبح،و كونهم يظنّون أنّ الإحسان إليهم ببسط اللذّات الدنيويّه فى بعض الأوقات دائم فى جميع أوقاتهم و،أنّ شبعهم فى هذه الحياه و ريّهم هو غايتهم الّتى خلقوا لأجلها و تمام أمرهم يشبه غفله النعم فى حال حضور علفها فى بعض الأوقات عمّا بعده من الأوقات و توهّمها أنّ ذلك غايتها الّتى خلقت لأجلها،و وجه هذا الشبه مركّب من هذه الوجوه .ثمّ أقسم أنّه لو شاء لأخبر كلّ رجل منهم بمواضع تصرّفاته و حركاته و جميع أحواله.و هو كقول المسيح عليه السّلام: «وَ أُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ» . (۱)و قد علمت إمكان ذلك

ص:۳۴۷

۱- ۱) ۴۳-۳.

العلم و سببه فى حقّ الأنبياء و الأولياء فى مقدّمه الكتاب.

و قوله : و لكن أخاف أن تكفروا فىّ برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم.

أى أخاف أن تغلوا فى أمرى،و تفضّلونى على رسول اللّه.بل كان يخاف أن يكفروا فيه باللّه كما ادّعت النصارى فى المسيح حيث أخبرهم بالأمور الغايبه.ثمّ قال : ألا و إنّى مفضيه إلى الخاصّه :أى أهل العلم و الثبات من أصحابه ممّن يؤمن ذلك الكفر منه،و هكذا شأن العلماء و أساطين الحكمه رأيهم أن لا يضعو العلم إلاّ فى أهله.هذا مع أنّ من الناس من يدّعى فيه النبوّه و أنّه شريك محمّد فى الرساله، و منهم من ادّعى أنّه إله،و هو الّذى أرسل محمّدا.إلى غير ذلك من الضلال.و فيه يقول بعض شعرائهم:

و من أهلك عادا و ثمود بدوا هيه و من كلّم موسى فوق طور إذ يناديه

و من قال على المنبر يوما و هو راقيه: سلونى أيّها الناس.فحاروا فى معانيه

و قول الآخر:

إنّما خالق الخلائق من زعزع أركان خيبر جذبا

قد رضينا به إماما و مولى و سجدنا له إلها و ربّا

ثمّ أقسم أنّه ما نطق إلاّ صادقا فيما يخبر به من هذه الامور ،و أخبر أنّ الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم عهد إليه بذلك و بمهلك من يهلك.إلى قوله:و أفضى به إلىّ:

أى ألقاه إلىّ و أعلمنى به.و ذلك التعليم منه ما يكون على وجه جزئىّ أعنى أن يخبره بواقعه واقعه،و منه ما يكون على وجه كلّىّ:أى يلقى إليه اصولا كلّيّه يعدّ ذهنه بها لاستفاضته الصور الجزئيّه من واهب الصور كما سبق تقريره.و ممّا نقل عنه من ذلك فى بعض خطبته الّتى يشير فيها إلى الملاحم يؤمى به إلى القرامطه:

ينتحلون لنا الحبّ و الهوى و يضمرون لنا البغض و القلى و آيه ذلك قتلهم ورّاثنا و هجرهم أحداثنا.و صحّ ما أخبر عنه لأنّ القرامطه قتلت من آل أبى طالب خلقا كثيرا.و أسماؤهم مذكوره فى كتاب مقاتل الطالبيّين لأبى الفرج الإصبهانىّ.

قال بعض الشارحين:و من هذه الخطبه-و هو يشير إلى الساريه الّتى كانت

يستند إليها فى مسجد الكوفه-:كأنّى بالحجر الأسود منصوبا هاهنا و يحهم إنّ فضيلته ليست فى نفسه بل فى موضعه و أنّه يمكث هاهنا مدّه ثمّ هاهنا مدّه-و أشار إلى مواضع-ثمّ يعود إلى ما وراءه و يأمّ مثواه.و وقع من القرامطه فى الحجر الأسود بموجب ما أخبر به عليه السّلام.

و أقول:فى هذا النقل نظر لأنّ المشهور أنّ القرامطه نقلوا الحجر الأسود إلى أرض البحرين،و بنوا له موضعا وضعوه فيه يسمّى إلى الآن بالكعبه،و بقى هناك مدّه ثمّ أعيد إلى مكّه،و روى أنّه مات فى المجىء به خمسه و عشرون بعيرا و عاد به إلى مكه بعير ليس بالقوىّ،و ذلك من أسرار دين اللّه تعالى،و لم ينقل أنّهم نقلوه مرّتين،و اللّه أعلم.

۱۷۵-و من خطبه له عليه السلام

اشاره

اِنْتَفِعُوا بِبَيَانِ اللَّهِ وَ اتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ اللَّهِ- وَ اقْبَلُوا نَصِيحَهَ اللَّهِ- فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْذَرَ إِلَيْكُمْ بِالْجَلِيَّهِ وَ أَخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّهَ- وَ بَيَّنَ لَكُمْ مَحَابَّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَ مَكَارِهَهُ مِنْهَا- لِتَتَّبِعُوا هَذِهِ وَ تَجْتَنِبُوا هَذِهِ- فَإِنَّ؟رَسُولَ اللَّهِ ص؟ كَانَ يَقُولُ- إِنَّ الْجَنَّهَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ- وَ إِنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ- وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَهِ اللَّهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي كُرْهٍ- وَ مَا مِنْ مَعْصِيَهِ اللَّهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَهٍ- فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ وَ قَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ- فَإِنَّ هَذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزِعاً- وَ إِنَّهَا لَا تَزَالُ تَنْزِعُ إِلَى مَعْصِيَهٍ فِي هَوًى- وَ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُمْسِي وَ لَا يُصْبِحُ- إِلَّا وَ نَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ- فَلَا يَزَالُ زَارِياً عَلَيْهَا وَ مُسْتَزِيداً لَهَا- فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ وَ الْمَاضِينَ

ص:۳۴۹

أَمَامَكَمْ- قَوِّضُوا مِنَ الدُّنْيَا تَقْوِيضَ الرَّاحِلِ وَ طَوُوهَا طَيَّ الْمَنَازِلِ وَ اعْلَمُوا أَنَّ هَذَا؟الْقُرْآنَ؟ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لاَ يَغُشُّ- وَ الْهَادِي الَّذِي لاَ يُضِلُّ وَ الْمُحَدِّثُ الَّذِي لاَ يَكْذِبُ- وَ مَا جَالَسَ هَذَا؟الْقُرْآنَ؟ أَحَدٌ إِلاَّ قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ- زِيَادَةٍ فِي هُدًى أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمًى- وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ؟الْقُرْآنِ؟ مِنْ فَاقَةٍ- وَ لاَ لِأَحَدٍ قَبْلَ؟الْقُرْآنِ؟ مِنْ غِنًى- فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ- وَ اسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لَأْوَائِكُمْ- فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ- وَ هُوَ الْكُفْرُ وَ النِّفَاقُ وَ الْغَيُّ وَ الضَّلاَلُ- فَاسْأَلُوا اللَّهَ بِهِ وَ تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ- وَ لاَ تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ- إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِمِثْلِهِ- وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَ قَائِلٌ مُصَدَّقٌ- وَ أَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ؟الْقُرْآنُ؟ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ- وَ مَنْ مَحَلَ بِهِ؟الْقُرْآنُ؟ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ- فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ- أَلاَ إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ وَ عَاقِبَةِ عَمَلِهِ- غَيْرَ حَرَثَهِ؟الْقُرْآنِ؟- فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَ أَتْبَاعِهِ- وَ اسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ وَ اسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ- وَ اتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ وَ اسْتَغِشُّوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ الْعَمَلَ الْعَمَلَ ثُمَّ النِّهَايَةَ النِّهَايَةَ- وَ الاِسْتِقَامَةَ الاِسْتِقَامَةَ ثُمَّ الصَّبْرَ الصَّبْرَ وَ الْوَرَعَ الْوَرَعَ- إِنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى نِهَايَتِكُمْ- وَ إِنَّ لَكُمْ عَلَماً فَاهْتَدُوا بِعَلَمِكُمْ- وَ إِنَّ لِلْإِسْلاَمِ غَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى غَايَتِهِ- وَ اخْرُجُوا

إِلَى اللَّهِ بِمَا افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ- وَ بَيَّنَ لَكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ- أَنَا شَاهِدٌ لَكُمْ وَ حَجِيجٌ يَوْمَ الْقِيَامَهِ عَنْكُمْ أَلَا وَ إِنَّ الْقَدَرَ السَّابِقَ قَدْ وَقَعَ- وَ الْقَضَاءَ الْمَاضِيَ قَدْ تَوَرَّدَ- وَ إِنِّي مُتَكَلِّمٌ بِعِدَهِ اللَّهِ وَ حُجَّتِهِ- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى- «إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَهُ أَلَّا تَخافُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّهِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ» وَ قَدْ قُلْتُمْ رَبُّنَا اللَّهُ فَاسْتَقِيمُوا عَلَى كِتَابِهِ- وَ عَلَى مِنْهَاجِ أَمْرِهِ وَ عَلَى الطَّرِيقَهِ الصَّالِحَهِ مِنْ عِبَادَتِهِ- ثُمَّ لَا تَمْرُقُوا مِنْهَا وَ لَا تَبْتَدِعُوا فِيهَا- وَ لَا تُخَالِفُوا عَنْهَا فَإِنَّ أَهْلَ الْمُرُوقِ مُنْقَطَعٌ بِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَهِ ثُمَّ إِيَّاكُمْ وَ تَهْزِيعَ الْأَخْلَاقِ وَ تَصْرِيفَهَا- وَ اجْعَلُوا اللِّسَانَ وَاحِداً وَ لْيَخْزُنِ الرَّجُلُ لِسَانَهُ- فَإِنَّ هَذَا اللِّسَانَ جَمُوحٌ بِصَاحِبِهِ- وَ اللَّهِ مَا أَرَى عَبْداً يَتَّقِي تَقْوَى تَنْفَعُهُ حَتَّى يَخْزُنَ لِسَانَهُ- وَ إِنَّ لِسَانَ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ- وَ إِنَّ قَلْبَ الْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ- لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ تَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ- فَإِنْ كَانَ خَيْراً أَبْدَاهُ وَ إِنْ كَانَ شَرّاً وَارَاهُ- وَ إِنَّ الْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ- لَا يَدْرِي مَا ذَا لَهُ وَ مَا ذَا عَلَيْهِ- وَ لَقَدْ قَالَ؟رَسُولُ اللَّهِ ص؟- لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ

حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ- وَ لاَ يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ- فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى- وَ هُوَ نَقِيُّ الرَّاحَهِ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَ أَمْوَالِهِمْ- سَلِيمُ اللِّسَانِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ فَلْيَفْعَلْ وَ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ الْعَامَ- مَا اسْتَحَلَّ عَاماً أَوَّلَ وَ يُحَرِّمُ الْعَامَ مَا حَرَّمَ عَاماً أَوَّلَ- وَ أَنَّ مَا أَحْدَثَ النَّاسُ لاَ يُحِلُّ لَكُمْ شَيْئاً- مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ- وَ لَكِنَّ الْحَلاَلَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ وَ الْحَرَامَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ- فَقَدْ جَرَّبْتُمُ الْأُمُورَ وَ ضَرَّسْتُمُوهَا- وَ وُعِظْتُمْ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَ ضُرِبَتِ لَكُمُ الْأَمْثَالُ وَ دُعِيتُمْ إِلَى الْأَمْرِ الْوَاضِحِ فَلاَ يَصَمُّ عَنْ ذَلِكَ إِلاَّ أَصَمُّ- وَ لاَ يَعْمَى عَنْ ذَلِكَ إِلاَّ أَعْمَى- وَ مَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ اللَّهُ بِالْبَلاَءِ وَ التَّجَارِبِ- لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِظَهِ وَ أَتَاهُ التَّقْصِيرُ مِنْ أَمَامِهِ- حَتَّى يَعْرِفَ مَا أَنْكَرَ وَ يُنْكِرَ مَا عَرَفَ- فَإِنَّ النَّاسَ رَجُلاَنِ مُتَّبِعٌ شِرْعَهً وَ مُبْتَدِعٌ بِدْعَهً- لَيْسَ مَعَهُ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بُرْهَانُ سُنَّهٍ وَ لاَ ضِيَاءُ حُجَّهٍ وَ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَداً بِمِثْلِ هَذَا؟الْقُرْآنِ؟- فَإِنَّهُ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ وَ سَبَبُهُ الْأَمِينُ- وَ فِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ وَ يَنَابِيعُ الْعِلْمِ- وَ مَا لِلْقَلْبِ جِلاَءٌ غَيْرُهُ مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ الْمُتَذَكِّرُونَ- وَ بَقِيَ النَّاسُونَ أَوِ الْمُتَنَاسُونَ- فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْراً فَأَعِينُوا عَلَيْهِ- وَ إِذَا رَأَيْتُمْ شَرّاً فَاذْهَبُوا عَنْهُ- فَإِنَّ؟رَسُولَ اللَّهِ ص؟

كَانَ يَقُولُ- يَا ابْنَ آدَمَ اعْمَلِ الْخَيْرَ وَ دَعِ الشَّرَّ- فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ قَاصِدٌ أَلاَ وَ إِنَّ الظُّلْمَ ثَلاَثَهٌ- فَظُلْمٌ لاَ يُغْفَرُ وَ ظُلْمٌ لاَ يُتْرَكُ- وَ ظُلْمٌ مَغْفُورٌ لاَ يُطْلَبُ- فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِی لاَ يُغْفَرُ فَالشِّرْکُ بِاللَّهِ- قَالَ اللَّهُ «إِنَّ اللّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَکَ بِهِ» وَ أَمَّا الظُّلْمُ الَّذِی يُغْفَرُ- فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ- وَ أَمَّا الظُّلْمُ الَّذِی لاَ يُتْرَکُ- فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً- الْقِصَاصُ هُنَاکَ شَدِيدٌ لَيْسَ هُوَ جَرْحاً بِالْمُدَى- وَ لاَ ضَرْباً بِالسِّيَاطِ وَ لَكِنَّهُ مَا يُسْتَصْغَرُ ذَلِکَ مَعَهُ- فَإِيَّاكُمْ وَ التَّلَوُّنَ فِی دِينِ اللَّهِ- فَإِنَّ جَمَاعَهً فِيمَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ- خَيْرٌ مِنْ فُرْقَهٍ فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ- وَ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَداً بِفُرْقَهٍ خَيْراً مِمَّنْ مَضَى- وَ لاَ مِمَّنْ بَقِیَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ- طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ- وَ طُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ وَ أَكَلَ قُوتَهُ- وَ اشْتَغَلَ بِطَاعَهِ رَبِّهِ وَ بَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ- فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِی شُغُلٍ وَ النَّاسُ مِنْهُ فِی رَاحَهٍ

اللغه

أقول: الظنون: المتّهمه .و الزارى: العايب .و تقويض البناء: نقضه .

و اللأواء: الشدّه .و محل به السلطان: كاده و قال فيه ما يضرّه .و تورّدت الخيل البلده: دخلتها قطعه قطعه .و تهزيع الأخلاق: تكسيرها و تفريقها .و ضرست الأمر: أحكمته تجربه .

المعنى

اشاره

و قد أمر السامعين أن ينتفعوا ببيان اللّه فى كتابه و على لسان رسوله،و يتّعظوا بمواعظه و يقبلوا نصيحته فيما لأجله خلقوا،و إنّما عدّد اسم اللّه صريحا دون

الضمير للتعظيم .ثمّ أشار إلى وجه وجوب الامتثال عليهم و هو إعذاره إليهم بالجليّه:

أى إظهار ما هو صوره العذر من الآيات و النذر الجليّه الواضحه،و اتّخاذ الحجّه ببعث الرسل،و بيان محابّه من الأعمال الصالحات و مكارهه من المحرّمات فى كتابه العزيز لغايه اتّباع محابّه و اجتناب مكارهه .ثمّ نبّه على ما فى الطاعه و امتثال التكليف من الشدّه و المكروه فذكر الخبر،و نعم ما تضمّنه الخبر و أنّه لم يتبّه على الشدّه مجرّده بل قرنها بذكر الجنّه و جعلها محجوبه بها لتحصل الرغبه فى الجنّه فيتمّ السعى فى قطع تلك الحجب المكروهه،و كذلك قرن ذكر الشهوات بذكر كونها محفوفه بها بالنار تنفيرا عنها .ثمّ بعد تسهيل المكاره الّتى يشتمل عليها الطاعات بذكر الجنّه و تحقير الشهوات الّتى يريد الجذب عنها بذكر النار صرّح بأنّه لا تأتى طاعه إلّا فى كره و لا معصيه إلّا فى شهوه،و قد عرفت سرّ ذلک، و أنّ النفس للقوّه الشهويّه أطوع منها للعقل خصوصا فيما هو أقرب إليها من اللذّات المحسوسه الّتى يلحقها العقاب عليها .ثمّ عقّب ذلک بدعاء اللّه أن يرحم امرأ نزع عن شهوته:أى امتنع من الانهماک فيها و قمع نفسه الأمّاره بالسوء فإنّها أبعد شیء منزعا عن اللّه.ثمّ فسّر منزعها الّذى ينزع إليه و هى المعصيه فى هواها،و ما تميل إليه .ثمّ نبّه على حال المؤمن الحقّ و تهمته نفسه فى جميع أوقاته من صباح و مساء،و أنّه لا يزال عائبا عليها و مراقبا لأحوالها،و مؤاخذا لها بالزياده فى الأعمال الصالحه،و قد سبقت الإشاره إلى ذلک .ثمّ أمرهم أن يكونوا كالسابقين من أكابر الصحابه و الماضين أمامهم إلى الجنّه فى الإعراض عن الدنيا، استعاره و استعار لفظ التقويض و الطىّ لقطعهم علائق الدنيا و رحيلهم إلى الآخره كما يقوّض الراحل متاعه للسفر،و يطوى خيامه للرحيل . استعاره مرشحه ثمّ عقّب بذكر القرآن و ممادحه ترغيبا فى الاقتداء به،و استعار وصف الناصح له،و وجه الاستعاره أنّ القرآن يرشده إلى وجوه المصالح كما أنّ الناصح كذلک،و رشّح بكونه لا غشّ معه و كذلک كونه هاديا لا يضلّ:أى طريق اللّه،و روى لا يضلّ:أى لا يضلّ غيره،و كذلک استعار وصف المحدّث له،و رشّح بكونه لا يكذب،و وجه الاستعاره اشتماله على الأخبار

ص:۳۵۴

و القصص الصحيح،و فهمه و استفادته عنه كالمحدّث الصادق ، كنايه و كنّى بمجالسه القرآن عن مجالسه حملته و قرّائه لاستماعه منهم،و تدبّره عنهم فإنّ فيه من الآيات الباهره و النواهى الزاجره ما يزيد بصيره المستبصر من الهدى،و ينقص من عمى الجهل .ثمّ نبّههم على أنّه ليس بعده على أحد فقر:أى ليس بعد نزوله للناس و بيانه الواضح حاجه بالناس إلى بيان حكم فى إصلاح معاشهم و معادهم،و لا لأحد قبله من غنى:أى قبل نزوله لا غنى عنه للنفوس الجاهله،و إذا كان بهذه الصفه أمرهم بأخذ الشفاء عنه لأدوائهم:أى أدواء الجهل،و أن يستعينوا به على شدّتهم و فقرهم إلى أن يستليحوا منه وجوه المصالح الدنيويّه و الاخرويّه.

ثمّ عدّ أكبر أدواء الجهل و أعاد ذكر كونه شفاء منها:أوّلها:الكفر باللّه و هو عمى القوّه النظريّه من قوى النفس عن معرفه صانعها و مبدعها إلى غايه إنكاره أو اتّخاذ ثان له أو الحكم عليه بصفات المخلوقين المحدّثين،و الثانى: النفاق و هو مستلزم لرذيله الكذب المقابله لفضيله الصدق.ثمّ لرذيله الغدر المقابله لفضيله الوفاء،و قد سبق بيان حال النفس فى هاتين الرذيلتين.الثالث: الغىّ و هو رذيله التفريط من فضيله الحكمه.الرابع: الضلال و هو الانحراف عن فضيله العدل،و إلى كونه شفاء الإشاره بقوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:إنّ القلوب تصدء كما يصدء الحديد.قيل:

يا رسول اللّه ما جلاؤها؟قال:قراءه القرآن و ذكر الموت،و قد علم اشتماله على ذكر الموت فى مواضع كثيره .ثمّ أمرهم أن يسألو اللّه به،و المراد أنّكم اعدّوا أنفسكم و كمّلوها لاستنزال المطالب من اللّه بما اشتمل عليه القرآن من الكمالات النفسانيّه ،و توجّهوا إليه بحبّه لأنّ من أحبّه استكمل بما فيه فحسن توجّهه إلى اللّه.

و قوله:و لا تسئلوا به خلقه.

و قوله: و لا تسئلوا به خلقه.

أى لا تجعلوا تعلّمكم له لطلب الرزق به من خلق مثلكم فإنّه لم ينزل لذلك.

و قوله:إنهفإنّه خما توجّه العباد إلى اللّه بمثله.

و قوله: إنّه[فإنّه خ]ما توجّه العباد إلى اللّه بمثله.

و ذلك لاشتماله على جميع الكمالات النفسانيّه من العلوم،و مكارم الأخلاق

و النهى عن جميع الرذائل الموبقه. استعاره ثم استعار لفظى الشافع و المشفّع .و وجه الاستعاره كون تدبّره و العمل بما فيه ماحيا لما يعرض للنفس من الهيئات الرديئه من المعاصى،و ذلك مستلزم لمحو غضب اللّه كما يمحو الشفيع المشفّع أثر الذنب عن قلب المشفوع إليه،و ذلك سرّ الخبر المرفوع ما من شفيع من ملك و لا نبىّ و لا غيرهما أفضل من القرآن،و كذلك لفظ القائل المصدّق،و وجه الاستعاره كونه ذا ألفاظ إذا نطق بها لا يمكن تكذيبها كالقائل الصادق.ثمّ أعاد معنى كونه شافعا مشفّعا يوم القيامه .ثمّ استعار لفظ المحل للقرآن،و وجه الاستعاره أنّ لسان حال القرآن شاهد فى علم اللّه و حضره ربوبيّته على من أعرض عنه بعدم اتّباعه و مخالفته لما اشتمل عليه،و تلك شهاده لا يجوز عليها الكذب فبالواجب أن يصدق فأشبه الساعى إلى السلطان فى حقّ غيره بما يضرّه .

و قوله:فإنّه لا ينادى مناد يوم القيامه.إلى آخره.

و قوله: فإنّه لا ينادى مناد يوم القيامه.إلى آخره.

فالمنادى هو لسان حال الأعمال،و الحرث كلّ عمل تطلب به غايه و تستخرج منه ثمره،و الابتلاء هاهنا ما يلحق النفس على الأعمال و عواقبها من العذاب بقدر الخروج فيها عن طاعه اللّه،و ظاهر أنّ حرث القرآن و البحث عن مقاصده لغايه الاستكمال به برىء من لواحق العقوبات.ثمّ حثّهم على أن يكونوا من حرثته و أتباعه ،و أن يستدلّوه:أى يتّخذوه دليلا قاعدا إلى ربّهم،و أن يستنصحوه على انفسهم:أى يتّخذوه ناصحا على نفوسهم الأمّاره بالسوء لكونها هى الغاشيه لهم يقودها إلى معصيه اللّه،و كون القرآن زاجرا لهم عمّا تأمرهم به تلك النفوس فيجب أن تقبل نصيحته عليها،و كذلك اتّهموا عليه آرائكم :أى إذا رأيتم رأيا يخالف القرآن فاتّهموا ذلك الرأى فإنّه صادر عن النفس الأمّاره بالسوء،و كذلك قوله: و استغشّوا فيه أهوائكم ،و إنّما قال هنا:استغشّوا،و قال فى الآراء:اتّهموا لأنّ الهوى هو ميل النفس الأمّاره من غير مراجعه العقل فإذا حكمت النفس عن متابعتها بحكم فهو غشّ صراح،و أمّا الرأى فقد يكون بمراجعه العقل و حكمه، و قد يكون بدونه فجاز أن يكون حقّا،و جاز أن يكون باطلا فكان بالتهمه أولى .

ثمّ أمر بلزوم العمل الصالح.ثمّ بحفظ النهايه المطلوبه منهم بالعمل و الوصول إليها منه:أى راعوا عاقبتكم و نهايه أعمالكم و غايتها فإنّ الأمور بخواتيمها.ثمّ أمر بالاستقامه:أى على العمل.ثمّ بالصبر عليه،و حقيقته مقاومه الهوى لئلّا ينقاد إلى قبائح اللذّات فيخرج عن الصراط.ثمّ بالورع،و هو لزوم الأعمال الجميله،و إنّما عطف النهايه و الصبر بثمّ لتأخّر نهايه العمل عنه،و كون الصبر أمرا عدميّا فهو فى معنى المتراخى و المنفک عن العمل الّذى هو معنى وجودىّ بخلاف الاستقامه على العمل فإنّها كيفيّه له،و الورع فإنّه جزء منه،و كرّر تلك الألفاظ للتأكيد،و النصب فى جميعها على الإغراء .ثمّ أشار إلى أنّ تلك النهايه هى النهايه الّتى لهم و أمرهم بالانتهاء إليها،و هى الأمر الّذى خلقوا لأجله أعنى الوصول إلى اللّه طاهرين عن رجس الشيطان،و هو لفظ الخبر النبوىّ أيّها الناس إنّ لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم،و إنّ لكم غايه فانتهوا إلى غايتكم فإنّ المراد بالغايه و النهايه واحد،و المراد بالمعالم حظائر القدس و منازل الملائكه،و كذلک استعاره إنّ لكم علما فاهتدوا بعلمكم :أى إلى تلک النهايه.و استعار لفظ العلم لنفسه .

ثمّ أخبر أنّ للإسلام غايه و أمرهم بالانتهاء إليها،و تلک الغايه هى النهايه المشار إليها .

و قوله:و أخرجوا إلى اللّه.إلى قوله:وظائفه.

و قوله: و أخرجوا إلى اللّه.إلى قوله:وظائفه.

فالتقدير أخرجوا من حقّه فيما افترض عليكم،و حقّه فى فرائضه و وظائفه الإخلاص بها لوجهه .ثمّ رغّبهم فى طاعته و اتّباع أوامره بكونه شاهدا لهم يوم القيامه و محتجّا.قال بعض الشارحين:و إنّما ذكر الاحتجاج و إن كان ذلک الموقف ليس موقف محاجّه لأنّه إذا شهد لهم فكأنّه أثبت الحجّه لهم فأشبه المحاجّ، و أقول:لمّا كان إمام كلّ قوم هو المخاطب عنهم و الشهيد لهم كما قال تعالى «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ» (۱)و قوله «وَ نَزَعْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً فَقُلْنا هاتُوا بُرْهانَكُمْ» (۲)و كان ذلک الموقف هو موقف السؤال و الجواب كان ذلک معنى المحاجّه و المجادله.فالخلوص من الأسئله بأجوبتها يشبه غلب المسئول بالحجّه

۱- ۱) ۱۷-۷۳

۲- ۲) ۷۵-۲۸

و هو البرهان المطلوب،و جرت العاده بأنّ البرهان يكون عند المحاجّه،و كذلك الانقطاع عن الجواب يشبه كون المسئول محجوجا،و هذا الاحتجاج و الشهاده مقاليّه عند القائلين بحشر الأجساد،و حاليّه عند غيرهم .ثمّ أخبر أنّ القدر السابق فى علم اللّه قد وقع،و القضاء الماضى:أى النافذ قد تورّد:أى دخل فى الوجود شيئا فشيئا،و قد علمت فيما سلف أنّ القضاء هو العلم الإلهى بما يكون و ما هو كائن، و أنّ القدر تفصيله الواقع على وفقه لكنّه أشار بوقوع القدر هنا إلى وقع خاص و هو خلافته و ما يلزمها من الفتن و الوقايع،و روى أنّ هذه الخطبه من أوائل الخطب الّتى خطب بها أيّام بويع بعد قتل عثمان.قال بعض الشارحين:و فى هذا الكلام إشاره إلى أنّ الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أخبره أنّ الأمر سيصل إليه فى آخر وقته، و أقول:لا شكّ أنّ وقوع هذا الأمر من القدر السابق على وفق القضاء،و ليس للّفظ إشعار بما قال هذا الفاضل.إذ كان عليه السّلام عالما بأنّ كلّ واقع فى الوجود فبقضاء من اللّه و قدر .

و قوله:و إنّى متكلّم بعده اللّه و حجّته.

و قوله: و إنّى متكلّم بعده اللّه و حجّته.

أى لمّا وقع هذا الأمر إلىّ فإنّى أتكلّم بكذا،وعده اللّه ما وعد به عباده الّذين اعترفوا بربوبيّته و استقاموا على سلوك سبيله بطاعته من تنزّل الملائكه عليهم بذهاب الخوف و الحزن و البشاره بالجنّه،و أمّا حجّته الّتى تكلّم بها فقوله : و قد قلتم ربّنا اللّه :أى اعترفتم بالربوبيّته فاستقيموا على كتابه و على منهاج أمره و على الطريقه الصالحه من عبادته :أى الّتى هى عن علم و الخالصه من الرياء و النفاق من غير أن يمرقوا منها:أى يخرجوا فيها بالتحذلق و التشدّد إلى طرف الإفراط الّذى هو ثمره الجهل،و لا تحدثوا فيها بدعه و لا تخالفوا عنها و تحيدوا يمينا و شمالا فتقعوا فى مهاوى الهلاك فإنّكم متى فعلتم ذلك فقد تمّ شرط استحقاقكم لإنجاز عدته المذكوره فإنّ ذلك الشرط مركّب من الاعتراف بربوبيّته،و الاستقامه على الامور المذكوره فحينئذ يجب أن تفاض تلك العده،و مع فوات جزء من ذلك الشرط لا يقع المشروط فلم يتحقّق الموعود به،و ذلك معنى كون أهل المروق

منقطعا بهم:أى لا يجدون بلاغا يوصلهم إلى المقصد لأنّ الشرط هو البلاغ إلى المقصد الحقيقىّ .ثمّ شرع فى النهى عن النفاق لأنّ تهزيع الأخلاق تغييرها و نقلها من حال إلى حال و هو معنى تصريفها،و ذلك هو النفاق.إذ المنافق لا يلزم خلقا واحدا بل تاره يكون صادقا،و تاره كاذبا،و تاره وفيّا،و اخرى غادرا،و مع الظالمين ظالم،و مع أهل العدل عادل،و لذلك قال : و اجعلوا اللسان واحدا ، و هو شروع فى الوصيّه بحال اللسان وعد له:أى لا يكوننّ أحدكم ذا لسانين و هو المنافق..ثمّ أمر بخزنه و استلزم النهى عن امور،و هى الفضل من القول و وضعه فى غير مواضعه و الغيبه و النميمه و السعايه و المسابه و القذف و نحوه،و كلّها رذائل فى طرف الإفراط من فضيله العدل.

و قوله:فإنّ اللسان جموح بصاحبه.

و قوله: فإنّ اللسان جموح بصاحبه.

تعليل لذلك النهى،و إشاره إلى خروجه بصاحبه عن فضيله العدل إلى الرذائل الّتى هى موارد الهلكه فى الآخره و الدنيا كما أنّ الفرس الجموح مخرج بصاحبه إلى الهلاك،و لفظ الجموح مستعار له بهذا الاعتبار .ثمّ أقسم أنّه لا متّقى ينفعه تقواه إلّا بخزن لسانه،و هو حقّ لأنّ التقوى النافع هو تقوى التامّ،و خزن اللسان و كفّه عن الرذائل المذكوره جزء عظيم من التقوى لا يتمّ بدونه فهى إذن لا ينفع إلّا به .ثمّ نبّه على ما ينبغى عند إراده القول من التثبت و التأمّل ما يراد النطق به و على ما لا ينبغى من القول بغير مراجعه الفكر،و قرن الأوّل بالإيمان ترغيبا فيه،و الثانى بالنفاق تنفيرا عنه .

و قوله:لأنّ المؤمن.إلى قوله:و ما ذا عليه.

استعاره بالكنايه و قوله: لأنّ المؤمن.إلى قوله:و ما ذا عليه.

بيان لمعنى كون اللسان وراء و أماما،و تلخيص هذا البيان أنّ الوراء فى الموضعين كنايه عن التبعيّه لأنّ لسان المؤمن تابع لقلبه فلا ينطق إلّا بعد تقديم الفكر فيما ينبغى أن يقوله،و قلب المنافق و ذكره متأخّر عن نطقه فكان لفظ الوراء استعاره من المعنى المحسوس للمعقول فأمّا الخبر النبوىّ المذكور فهو استشهاد على أنّ الإيمان لا يتمّ إلّا باستقامه اللسان على الحقّ و خزنه عن الرذائل

الّتى عـدّدناها و ذلـك عين مـا ادّعـاه فى قوله:إنّ التقوى لاـ ينفع العبـد حتّى يخزن لسانه.فأمّا برهان الخبر فهو أنّ اسـتقامه القلب عبـاره عن التصـديق بـاللّه و رسوله و اعتقاد حقيّه ما وردت به الشـريعه من المأمورات و المنهيّات،و ذلك عين الإيمان و حقيقته فـإذن لاـ يسـتقيم الإيمـان حتّى يسـتقيم القلب،و أمّيا أنّه لاـ يسـتقيم القلب حتّى يسـتقيم اللسان فلأنّ اسـتقامه اللسان على الإقرار بالشـهادتين و لوازمهـا و على الإمساك عمّا لا ينبغى من الأمور المعـدوده من لوازم اسـتقامه القلب لحكمنا على غير المقرّ بتلك الامور و القائل بها بعدم الإيمان الكامل،و لا يستقيم أمر من دون لازمه .

و قوله:فمن استطاع.إلى قوله:فليفعل.

و قوله: فمن استطاع.إلى قوله:فليفعل.

أمر بالاجتهاد فى لقاء اللّه تعالى على أحوال،و هى نقاء الراحه من دماء المسلمين و أراد السلامه من قتل النفس،و أموالهم و أراد السلامه من الظلم،و أن يكون الإنسان سليم اللسان من أعراضهم و أراد الكفّ عن الغيبه و السبّ،و شرط ذلك بالاستطاعه لعسره و شـدّته و إن كان واجب الترك على كلّ حال،و أشدّها الكفّ عن الغيبه فإنّه يكاد أن لا يسـتطاع،و إلى نحو هذا إشاره الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سـلّم المسلّم من سلم المسلمون من يده و لسانه.فسلامتهم من يده سلامه دمائهم و أموالهم،و سلامتهم من لسانه سلامه أعراضهم،و أعمّ من ذلك قال بعض الحكماء:من علم أنّ لسانه جارحه من جوارحه أقلّ من إعمالها و استقبح إدامه تحريكها كما يستقبح أن يحرّك رأسه أو منكبه دائما .

و قوله:و اعلموا.إلى قوله:حرّم عليكم

و قوله: و اعلموا.إلى قوله:حرّم عليكم قال بعض الشارحين:هو إشاره إلى أنّ ما ثبت من طريق النصّ أو العاده الّتى شهد بها النصّ فى زمان الرسول صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم لا يجوز أن ينقض بالقياس و الاجتهاد بل كلّ ما ورد به النصّ فيتبع فيه مورد النصّ فما كان حلالا بمقتضـى النصّ و عمومه العام الماضى فهو فى هذا العام حلال،و كذا فى الحرام،و عموم هذا الكلام يقتضى عدم جواز نسـخ النصّ و تخصـيصه بالقيـاس و هو مـذهب الإمـاميّه لاعتقـادهم بطلاـن القول بالقياس المتعارف،و مـذهب جماعه من الاصوليّين مع اعترافهم بصحّه

ص:۳۶۰

القياس،و من يجوّز تخصيصه به يحمل هذا الكلام على عدم قبول القياس فى نسخ النصّ من كتاب أو سنّه،و ما أحدثه الناس إشاره إلى القياس.

و قوله:و لكنّ الحلال ما أحلّ اللّه و الحرام ما حرّم اللّه،

و قوله: و لكنّ الحلال ما أحلّ اللّه و الحرام ما حرّم اللّه، تأكيد لاتّباع النصّ و ما كان عليه الصحابه من الدين ممّا هو معلوم بينهم دون ما أحدث من الآراء و المذاهب .

و قوله:و قد جرّبتم الامور و ضرّستموها.إلى قوله:الأمر الواضح.

و قوله: و قد جرّبتم الامور و ضرّستموها.إلى قوله:الأمر الواضح.

إشاره إلى وجوه العلم و مأخذه،و وجه اتّصاله بما قبله أنّهم إذا كانوا قد أحكموا الامور تجربه،و وعّظوا بمن كان قبلهم،و ضربت لهم الأمثال،و دعوا إلى الأمر الواضح و هو الدين و طريقه فلا بدّ أن تكون نفوسهم قد استعدّت بذلك لعلم الأحكام الشرعيّه و مقاصدها من الكتاب و السنّه و عادات الرسول و الصحابه، و لا يخفى عليهم ما ابتدع بعدها،و أنّ كلّ بدعه حرام فضلا أن ترفع حكم نصّ أو سنّه سبق العلم بها،و لا يصمّ عن هذه المواعظ و الأمثال و الدعوه إلى الدين إلاّ أصمّ.أى من هو شديد الصمم كما يقال:ما يجهل بهذا الأمر إلاّ جاهل:أى أشدّ الناس جهلا،و كذلك لا يعمى عنه:أى لا يعمى عنه بصيره إلاّ بصيره اشتدّ عماها .

و قوله:من لم ينفعه.إلى قوله:من أمامه.

و قوله: من لم ينفعه.إلى قوله:من أمامه.

كلام حقّ،و ذلك أنّ الإنسان فى مبدء الفطره خال عن العلوم،و إنّما خلقت له هذه الآلات البدنيّه ليتصفّح بها صور المحسوسات و معانيها و يتنبّه لمشاركات بينها و مباينات فيحصل له التجربه و سائر العلوم الضروريّه و المكتسبه فمن لم ينتفع بالبلاء:أى بامتحان الأمور و تجاريبها،و هو إشاره إلى اعتبار الأمور و التفكّر فيها و الابتلاء بها كالوقوع فى المكاره و معاناه الأعمال و لم يستفد منها علما فظاهر أنّه لا ينفعه العظه لأنّ العظه فرع تصفّح الأمور و اعتبار آيات اللّه منها،و محال أن يحصل فرع من دون أصله و حينئذ يأتيه النقص فى كمال نفسه و وجوه مصالحه،و يحتمل أن لا يريد بالعظه الاتّعاظ بل الموعظه،و ظاهر أنّ الموعظه أيضا لا ينفعه لأنّ البلاء بالمكاره و الوقائع النازله أقوى فعلا فى النفس و

أكثر تأثيراً فإذا لم ينتفع بها و لم يستفد منها علما فبالأولى أن لا ينتفع بالموعظه.

و قوله:من أمامه.

و قوله: من أمامه.

لأنّ الكمالات الّتى يتوجّه إليها بوجه عقله تفوته لنقصان تجربته و وقوف عقله عنها فأشبه فوتها له مع طلبه لها إتيان النقصان له من أمامه.

و قوله:حتّى يعرف ما أنكر و ينكر ما عرف.

و قوله: حتّى يعرف ما أنكر و ينكر ما عرف.

إشاره إلى غايه نقصانه،و هى الاختلاط و الحكم على غير بصيره فتاره يتخيّل فيما أنكره و جهله أنّه عارف بحقيقته،و تاره ينكر ما كان يعرفه و يحكم بصحّته لخيال يطرأ عليه .ثمّ قسّم لهم الناس إلى قسمين:فقسم متّبع شرعه:أى طريقه و منهاجا و هو منهاج الدين،و قسم مبتدع بدعه بغير برهان سنّه من اللّه يعتمد عليه، و لا ضياء حجّه يقوده فى ظلمات الجهل ليلحقوا بأفضل القسمين .

و قوله:إنّ اللّه سبحانه لم يعظ أحداً بمثل هذا القرآن.

استعاره مرشحه و قوله: إنّ اللّه سبحانه لم يعظ أحداً بمثل هذا القرآن.

رجوع إلى ممادح القرآن،و استعار له ألفاظا:الأوّل :لفظ الحبل ،و رشّح بالمتين،و قد عرفت وجه هذا الاستعاره مراراً .الثانى: استعاره و كذلك سببه الأمين.

الثالث:لفظ الربيع ،و وجهها أنّ القلوب يحيى به كما يحيى الأنعام بالربيع.

الرابع:لفظ الينابيع ،و وجهها أنّ العلوم عند تدبّره و التفهم عنه تغيض عنه و ينتفع بها كما يغيض الماء عن الينابيع.الخامس :لفظ الجلاء ،و وجهها أنّ الفهم عنه يكشف عن القلوب صداء الجهل كما يجلو الصيقل المرآه.

فإن قلت:فلم قال:و ليس للقلب جلاء غيره مع أنّ سائر العلوم جلاء له؟.

فالجواب من وجهين:

أحدهما:أنّ العلوم الجاليه للقلب هى المعدّه لسلوك سبيل اللّه و الوصول إلى الغايه من الكمال النفسانىّ كالعلوم الإلهيّه،و علم الأخلاق و أحوال المعاد،و لا علم منها إلاّ و فى القرآن أصله و مادّته و هو مقتبس من القرآن.

الثانی:أنّ هذا الکلام صدر عنه علیه السّلام و لم یکن فی ذلک الزمان علم مدوّن و لا استفاده للمسلمین إلّا من القرآن الکریم فلم یکن إذن جلاء للقلب غیره

ص:۳۶۲

و قوله:مع أنّه قد ذهب المتذكّرون

و قوله: مع أنّه قد ذهب المتذكّرون :أى المتدبّرون لمقاصد القرآن، و بقى الناسون له و المتناسون المتعمّدون للتشاغل و النسيان للجواذب إلى اللّه،و هو فى معنى التوبيخ لهم .ثمّ أمرهم بإعانه من يعمل الخير على فعله،و وجوه الإعانه كثيره.ثمّ بالإعراض عن الشرّ و إنكاره عند رؤيته و استشهد على وجوب امتثال أمره بالخبر النبوىّ،و قد نبّه الخبر على وجوب عمل الخير و الانتهاء عن الشرّ باستلزام ذلك لكون فاعله جوادا قاصدا، استعاره و استعار وصفى الجواد القاصد ، و وجه المشابهه أنّ العامل للخير المنتهى عن الشرّ مستقيم على طريق اللّه فلا تعريج فى طريقه و لا اعوجاج فيكون سيره فى سلوك سبيل اللّه أسرع سير كالجواد من الخيل المستقيم على الطريق .ثمّ قسّم عليه السّلام الظلم إلى ثلاثه أقسام:

الأوّل:الظلم الّذى لا يغفر أصلا.و هو ظلم النفس بالشرك باللّه،و برهانه النصّ و المعقول:أمّا النصّ فقوله تعالى «إِنَّ اللّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَکَ بِهِ» و أمّا المعقول فلأنّ المغفره عباره إمّا عن محو آثار الجرائم عن ألواح النفوس أو عمّا يلزم ذلک من ستر اللّه على النفوس أن تحترق بنار جهنّم،و الهيئات البدنيّه الّتى حجبت نفوس المشركين عن معرفه اللّه هيئات متمكّنه من تلک النفوس قد صارت ملكات لا يمكن زوالها مع عدم مسكتهم بالمعارف الإلهيّه فهم فى العذاب ماكثون،و فى سلاسل تلک الهيئات و أغلالها مكبّلون فإذن لا يتحقّق المغفره فى حقّهم لعدم مخلصهم منها و جاذبهم عنها و هى عصمه المعرفه.

الثانى : ظلم لا يترک :أى لا بدّ من أخذ فاعله بالعقوبه و القصاص به،و هو ظلم العباد بعضهم لبعض،و إليه الإشاره بقوله:يوم يقتصّ للجماء من القرناء،و هذا الظالم إن كانت له مسکه ببعض عصم النجاه من المعارف الإلهيّه وجب خلاصه من العذاب بعد حين لكن يتفاوت مكثه بحسب تفاوت شدّه تمكّن تلک الهيئات الرديئه من نفسه و ضعفها،و إليه أشار الخبر النبوىّ يخرجون من النار بعد ما يصيرون حمما و فحما.

و الثالث:الظلم الّذى يغفر و لا يطلب و هو ظلم العبد نفسه عند ارتكابه بعض

ص:۳۶۳

صغائر الزلاّت،و هی الّتی لا تکسب النفس هیئه ردیئه باقیه بل حاله یسرع زوالها، و إلیه الإشاره بقوله تعالی «وَ إِنَّ رَبَّکَ لَذُو مَغْفِرَهٍ لِلنّاسِ عَلی ظُلْمِهِمْ» (۱)أی فی حال کونهم ظالمین :ثمّ أخذ فی التحذیر من الظلم بذکر شدّه القصاص فی الآخره، و صدق أنّه لیس جرحا بمدیه و لا ضربا بسوط کقصاص الدنیا،و لکنّه ما یستصغر ذلک معه من العقوبات بالنار المشهوره أوصافها،و روی عن الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلم أنّه کان جالسا فی أصحابه فسمع هدّه.فقال:هذا حجر أرسله اللّه تعالی من شفیر جهنّم فهو یهوی فیها منذ سبعین خریفا حتّی بلغ الآن قعرها فهذا بعض أوصافها المحسوسه.

و اعلم أنّ لهذا الخبر تماما ما یکشف سرّه،و هو أنّ الراوی قال:فسمعنا بعد ذلک صیحه و صراخا فقلنا:ما هذا؟فقالوا:فلان المنافق مات و کان عمره یومئذ سبعین سنه.قال بعض من تلطّف:إنّ المراد بجهنّم المشار إلیها هی الدنیا و متاعها.و بالحجر هو ذلک المنافق استعاره،و وجه المشابهه أنّ ذلک المنافق لم ینتفع بوجوده مدّه حیاته و لم تکسب نفسه خیرا فأشبه الحجر فی ذلک،و إرسال اللّه تعالی له هو إفاضته علیه ما استعدّ له من اتّباع هواه فیها و الانهماک فی شهوتها و التیه عن سبیله المشار إلیه بقوله «یُضِلُّ مَنْ یَشاءُ» و شفیرها هو أوّلها بالنسبه إلیه و ذلک حین استعداده للانهماک فیها،و أوّل الامور القائده له فی طرق الضلال من متاعها و لذّاتها،و هویّه فیها سبعین خریفا هو انهماکه فیها مدّه عمره،و بلوغه قعرها هو وصوله بموته إلی غایه العذاب بسبب ما اکتسب منها من ملکات السوء کما أومأنا إلیه غیر مرّه. کنایه ثمّ نهی عن التلوّن فی دین اللّه ،و کنّی به عن منافقه بعضهم لبعض فإنّ ذلک یستلزم الفرقه و لذلک.قال:فإنّ جماعه فیما تکرهون من الحقّ خیر من فرقه فیما تحبّون من الباطل:أی فإنّ الاجتماع علی الحقّ المکروه إلیکم کالحرب مثلا خیر لکم من الافتراق فی الباطل المحبوب عندکم کمتاع الدنیا .ثمّ تمّم النهی عن الفرقه و قال:فإنّ اللّه لم یعط أحدا بفرقه خیراً لا من الماضین و لا من الباقین،و لمّا کان الخیر فی الاجتماع و الالفه و المحبّه

۱- ۱) ۷-۱۳.

حتّى يصير الناس كرجل واحد و يتمّ نظام العالم بذلك كان فى الفرقه أضداد ذلك و كذلك ما روى عن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم من فارق الجماعه قيد شبر فقد خلع ربقه الإسلام من عنقه،و قد سبق بيان فضيله الاجتماع .ثمّ أعاد النهى عن الغيبه للناس بذكر معايبهم و نبّه من عساه أن يستحيى من نفسه بأنّ لكلّ عيبا ينبغى أن يشتغل به،و طوبى فعلى من الطيب،و الواو منقلبه عن الياء،و قيل:هى اسم شجره فى الجنّه،و على التقديرين مبتداء .ثمّ نبّه على فضل العزله و لزوم البيت للاشتغال بطاعه اللّه و البكاء على الخطيئه و الندم عليها.

و قوله:و كان من نفسه فى شغل.إلى آخر ما ذكره ثمره العزله.

و قوله: و كان من نفسه فى شغل.إلى آخر ما ذكره ثمره العزله.

و اعلم أنّ الناس قد اختلفوا فى أنّ العزله أفضل أم المخالطه؟ففضّل جماعه من مشاهير الصوفيّه و العارفين العزله منهم إبراهيم بن أدهم و سفيان الثورى، و داود الطائى و الفضيل بن عياض و سليمان الخواص و بشر الحافى،و فضّل الآخرين المخالطه و منهم الشعبى و ابن أبى ليلى و هشام بن عروه و ابن شبرمه و ابن عيينه و ابن المبارك،و احتجّ الأوّلون بالنقل و العقل:أمّا النقل فقوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم لعبد اللّه بن عامر الجهنى لمّا سأله عن طريق النجاه.فقال:ليسعك بيتك و أمسك عليك لسانك و ابك على خطيئتك.و قيل له صلّى اللّه عليه و آله و سلم:أىّ الناس أفضل؟.فقال:رجل معتزل فى شعب من الشعاب يعبد ربّه و يدع الناس من شرّه،و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلم:يحبّ التقى النقى الخفىّ،و أمّا العقل فهو أنّ فى العزله فوائد مطلوبه للّه لا توجد فى المخالطه فكانت أشرف منها الفراغ لعباده اللّه و الذكر له و الاستيناس بمناجاته و الاستكشاف لأسراره فى امور الدنيا و الآخره من ملكوت السماوات و الأرض،و لذلك كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم يتعبّد بجبل حراء و يعتزل به حتّى آتته النبوّه،و احتجّ الآخرون بالقرآن و السنّه:أمّا القرآن فقوله تعالى «فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً» (۱)و قوله «وَ لاٰ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَ اخْتَلَفُوا» (۲)و معلوم أنّ العزله تنفى تألّف القلوب و توجب تفرّقها،و أمّا السنّه فقوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم:من فارق الجماعه قيد شبر

۱- (۱) ۳-۹۸

۲- (۲) ۹۹-۳.

فقد خلع ربقه الإسلام عن عنقه.و ما روى أنّ رجلا أتى جبلا يعبد اللّه فيه فجاء به أهله إلى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم فنهاه عن ذلك.و قال له:إنّ صبر المسلم فى بعض مواطن الجهاد يوما واحدا خير له من عباده أربعين سنه،و أقول:إنّ كلا الاحتجاجين صحيح لكنّه ليس أفضليّه العزله مطلقا و لا أفضليّه المخالطه مطلقا بل كلّ فى حقّ بعض الناس بحسب مصلحته،و فى بعض الأوقات بحسب ما يشتمل عليه من المصلحه.

و اعلم أنّه من أراد أن يعرف مقاصد الأنبياء عليهم السّلام فى أوامرهم و تدبيراتهم فينبغى أن يتعرّف طرفا من قوانين الأطبّاء،و مقاصدهم من العبارات المطلقه لهم فإنّه كما أنّ الأطبّاء هم المعالجون للأبدان بأنواع الأدويه و العلاجات لغايه بقائها على صلاحها أو رجوعها إلى العافيه من الأمراض البدنيّه كذلك الأنبياء عليهم السّلام و من يقوم مقامهم فإنّهم أطبّاء النفوس و المبعوثون لعلاجها من الأمراض النفسانيّه كالجهل و سائر رذائل الأخلاق بأنواع الكلام من الآداب و المواعظ و النواهى و الضرب و القتل،و كما أنّ الطبيب قد يقول الدواء الفلانى نافع من المرض الفلانى، و لا يعنى به فى كلّ الأمزجه بل فى بعضها كذلك الأنبياء و الأولياء إذا أطلقوا القول فى شىء أنّه نافع كالعزله مثلا-فإنّهم لا-يريدون أنّها نافعه لكلّ إنسان، و كما أنّ الطبيب قد يصف لبعض المرضى دواء و يرى شفائه فيه و يرى أنّ ذلك الدواء بعينه لمريض آخر كالسمّ القاتل و يعالجه بغيره كذلك الأنبياء عليهم السّلام قد يرون أنّ بعض الامور دواء لبعض النفوس فيقتصرون عليه،و قد يرون أنّ بعض الأوامر علاج لبعض النفوس كالأمر بالعزله و الحثّ عليها لبعض الناس،و قد يرون أنّ ذلك العلاج بعينه مضرّ لغير تلك النفس فيأمرونها بضدّ ذلك كالأمر بالمخالطه و المعاشره،و أكثر ما يختارون العزله لمن بلغ رتبه من الكمال فى قوّتيه النظريّه و العمليّه،و استغنى عن مخالطه كثير من الناس لأنّ أكثر الكمالات الإنسانيّه من العلوم و الأخلاق إنّما تحصل بالمخالطه خصوصا إذا كان ذلك الإنسان أعنى المأمور بالعزله خاليا عن عائله يحتاج أن يتكسب لهم،و أكثر ما يختارون المخالطه

و الاجتماع لتحصّل الألفه و الإتّحاد بالمحبّه،و للاتّحاد غايتان كلّيّتان:

إحداهما:حفظ أصل الدين و تقويته بالجهاد،و الثانيه:تحصيل الكمالات الّتى بها نظام أمر الدارين لأنّ أكثر العلوم و الأخلاق يستفاد من العشره و المخالطه كما بيّنّاه.و باللّه التوفيق.

۱۷۶-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

فى معنى الحكمين

فَأَجْمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ عَلَى أَنِ اخْتَارُوا رَجُلَيْنِ- فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ يُجَعْجِعَا عِنْدَ ؟الْقُرْآنِ؟ وَ لاَ يُجَاوِزَاهُ- وَ تَكُونُ أَلْسِنَتُهُمَا مَعَهُ وَ قُلُوبُهُمَا تَبَعَهُ فَتَاهَا عَنْهُ- وَ تَرَكَا الْحَقَّ وَ هُمَا يُبْصِرَانِهِ- وَ كَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا وَ الاِعْوِجَاجُ رَأْيَهُمَا- وَ قَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِى الْحُكْمِ بِالْعَدْلِ- وَ الْعَمَلِ بِالْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا وَ جَوْرَ حُكْمِهِمَا- وَ الثِّقَهُ فِى أَيْدِينَا لِأَنْفُسِنَا حِينَ خَالَفَا سَبِيلَ الْحَقِّ- وَ أَتَيَا بِمَا لاَ يُعْرَفُ مِنْ مَعْكُوسِ الْحُكْمِ أقول:هذا الفصل من خطبه خطبها بعد ما بلغه أمر الحكمين.

اللغه

و الإجماع:

تصميم العزم .و يجعجعا: يحبسا نفسهما على القرآن ،

المعنى

و الخطاب لمن أنكر عليه رضاه بالتحكيم بعد الرضا به،و قد حكى فيه إجماع رأى جماعتهم على اختيار الرجلين و هما أبو موسى الأشعرى و عمرو بن العاص و أخذه عليهما أن يحبسا نفسهما على العمل بالقرآن و لا يجاوزاه، مجازا إطلاقا لاسم السبب على المسبّب و تكون ألسنتهما و قلوبهما معه ،و اطلق لفظ القلوب على الميول الإراديّه مجازا إطلاقا لاسم السبب على المسبّب كقوله تعالى «فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما» و ذلك هو شرط رضاه عليه السّلام بالتحكيم .ثمّ حكى

خروجهما عمّا اشترط عليهما و تيههما عن الكتاب و تركهما للحقّ مع إبصارهما له، و خروجهما عن فضيله العدل بحسب الهوى إلى رذيله الجور و الاعوجاج عن طريقه الحقّ.

و قوله : و قد سبق استثناؤنا.

إعاده لذكر سبق الشرط فى الحكم بالعدل،و سوء رأيهما منصوب لأنّه مفعول سبق.

و قوله : و الثقه فى أيدينا لأنفسنا.

أى إنّا على برهان وثقه من أمرنا،و ليس بلازم لنا حكمهما لأنّهما خالفا الشرط و آتيا بما لا يعرف من الحكم المعكوس،و قد حكينا فيما سبق طرفا من حال التحكيم و خداع عمرو بن العاص لأبى موسى الأشعرى.و باللّه التوفيق.

۱۷۷-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

لاَ يَشْغَلُهُ شَأْنٌ وَ لاَ يُغَيِّرُهُ زَمَانٌ- وَ لاَ يَحْوِيهِ مَكَانٌ وَ لاَ يَصِفُهُ لِسَانٌ لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ الْمَاءِ وَ لاَ نُجُومِ السَّمَاءِ- وَ لاَ سَوَافِى الرِّيحِ فِى الْهَوَاءِ- وَ لاَ دَبِيبُ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا- وَ لاَ مَقِيلُ الذَّرِّ فِى اللَّيْلَهِ الظَّلْمَاءِ- يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الْأَوْرَاقِ وَ خَفِيَّ طَرْفِ الْأَحْدَاقِ- وَ أَشْهَدُ أَنْ «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ» غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ- وَ لاَ مَشْكُوكٍ فِيهِ وَ لاَ مَكْفُورٍ دِينُهُ- وَ لاَ مَجْحُودٍ تَكْوِينُهُ شَهَادَهَ مَنْ صَدَقَتْ نِيَّتُهُ- وَ صَفَتْ دِخْلَتُهُ وَ خَلَصَ يَقِينُهُ وَ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ وَ أَشْهَدُ أَنَّ؟مُحَمَّداً؟ عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ الْمُجْتَبَى مِنْ خَلاَئِقِهِ- وَ الْمُعْتَامُ لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ

ص:۳۶۸

وَ الْمُخْتَصُّ بِعَقَائِلِ كَرَامَاتِهِ- وَ الْمُصْطَفَى لِكَرَائِمِ رِسَالاَتِهِ- وَ الْمُوَضَّحَهُ بِهِ أَشْرَاطُ الْهُدَى وَ الْمَجْلُوُّ بِهِ غِرْبِيبُ الْعَمَى أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الدُّنْيَا تَغُرُّ الْمُؤَمِّلَ لَهَا وَ الْمُخْلِدَ إِلَيْهَا- وَ لاَ تَنْفَسُ بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا وَ تَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا- وَ ايْمُ اللَّهِ مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضِّ نِعْمَهٍ مِنْ عَيْشٍ- فَزَالَ عَنْهُمْ إِلاَّ بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا- لِ «أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ» وَ لَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النِّقَمُ وَ تَزُولُ عَنْهُمُ النِّعَمُ- فَزِعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ وَ وَلَهٍ مِنْ قُلُوبِهِمْ- لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ وَ أَصْلَحَ لَهُمْ كُلَّ فَاسِدٍ- وَ إِنِّي لَأَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي فَتْرَهٍ- وَ قَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مَضَتْ مِلْتُمْ فِيهَا مَيْلَهً- كُنْتُمْ فِيهَا عِنْدِي غَيْرَ مَحْمُودِينَ- وَ لَئِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنَّكُمْ لَسُعَدَاءُ وَ مَا عَلَيَّ إِلاَّ الْجُهْدُ- وَ لَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ «عَفَا اللَّهُ عَمّا سَلَفَ» أقول:هذه الخطبه خطب بها بعد مقتل عثمان فى أوّل خلافته.

اللغه

و الدخله بالكسر و الضمّ: باطن الشىء .و المعتام: المختار .و عقائل الشىء: نفايسه .و أشراط الهدى: علاماته .و الغربيب: الأسود .و المخلد إليها:

المسلّم إليها اموره .و لا تنفس: لا تضنّ و لا تبخل .و غضّ النعمه: طريفها .

المعنى

و صدّر الخطبه بالإشاره إلى اعتبارات توحيديّه :

الأوّل:أنّه لا يشغله شأن عن شأن،و ذلک لأنّ الشغل عن الشىء إمّا لقصور القدره أو العلم،و قدرته تعالى و علمه المحيطان بكلّ مقدور و معلوم فإذن لا يشغله مقدور عن مقدور و لا معلوم عن معلوم،و تقرير هاتين المسألتين فى الكتب

الكلاميّه و الحكميّه.

الثانى: لا يغيّره زمان ،و إذ ثبت أنّه تعالى خالق الزمان،و لا زمان يلحقه.

فلا تغيّر يلحقه،و لأنّه واجب الوجود،و لا شىء من المتغيّر فى ذاته أو صفاته بواجب الوجود.فلا شىء منه يلحقه التغيّر.

الثالث: و لا يحويه مكان لبراءته عن الجسميّه و لواحقها،و كلّما كان كذلك فهو برىء عن المكان و لواحقه فينتج أنّه برىء من المكان و لواحقه.

الرابع : و لا يصفه لسان :أى لا يعبر اللسان عن حقيقه وصفه،و بيان ما هو ذلك أنّه تعالى منزّه عن ركوب[وجوه خ]التراكيب فمحال أن يقع العقول على حقيقه وصفه فكيف باللسان الّذى هو المعبّر عنها.

الخامس : و لا يعزب عنه عدد قطر الماء.إلى قوله:الأحداق ،و هو إشاره إلى إحاطه علمه المقدّس بكلّيات الأمور و جزئيّاتها،و هذه مسئله عظيمه حارت العقول،و قد أشرنا إليها فى المختصر الموسوم بالقواعد الإلهيّه .ثمّ عقّب هذا التنزيه بالشهاده بكلمه التوحيد،و ذكر للّه تعالى أحوالا شهد بوحدانيّته عليها:

الأوّل:كونه غير معدول به:أى لا عديل له و لا مثل.

الثانى: و لا مشكوك فيه :أى فى وجوده فإنّ ذلك ينافى الشهاده بوحدانيّته.

الثالث: و لا مكفور دينه لأنّ الجحود لدينه يستلزم النقصان فى معرفته فكان الاعتراف به كمالا لمعرفته و للشهاده بوحدانيّته.

الرابع: و لا مجحود تكوينه :أى إيجاده للموجودات و كونه ربّا لها .ثمّ عقّب وصف المشهود له حال تلك الشهاده بأوصاف الشاهد بها باعتبار شهادته:و هى كونه صادق النيّه فى تلك الشهاده:أى باعتقاد جازم،و صافى الدخله:أى نقىّ الباطن من الرياء و النفاق،و خالص اليقين بوجود المشهود أو كمال وحدانيّته من الشكوك و الشبهات فيه،و ثقيل الموازين بكمال تلك الشهاده و القيام بحقوقها من سائر الأعمال الصالحات ،و أردفها باختها و ذكر للمشهود بحقّيه رسالته أوصافا:

أحدها:كونه مجتبى من الخلايق و مصطفى منهم،و ذلك يعود إلى إكرامه بإعداد نفسه لقبول أنوار النبوّه.

الثانى: و المعتام لشرح حقايقه :أى لإيضاح ما خفى من الحقائق الإلهيّه و الشرعيّه الّتى بيّنها.

الثالث :المختصّ بنفايس كرامته،و هى الكمالات النفسانيّه من العلوم و مكارم الأخلاق الّتى اقتدر معها على تكميل الناقصين.

الرابع: و المصطفى لكرائم رسالاته :أى لرسالاته الكريمه.و تعديدها باعتبار تعداد نزول الأوامر عليه فإنّ كلّ أمر أمر بتبليغه إلى الخلق رساله كريمه.

الخامس :الموضّحه به أعلام الهدى،و هى قوانين الشريعه و دلالات الكتاب و السنّه.

استعاره السادس: و المجلوّ به غربيب العمى ،و استعار لفظ الغربيب لشدّه ظلمه الجهل،و لفظ الجلاء لزوال تلك الظلم بأنوار النبوّه .ثمّ أيّه بالناس متبّها لهم على مقابح الدنيا و مذامّها.منها: تغرّ المؤمّل لها و الراكن إليها.و ذلک أنّ المؤمّل لبعض مطالبها لا يزال يتجدّد له أمارات خياليّه على مطالب و هميّه و أنّها ممكنه التحصيل نافعه فتوجب له مدّ الأمل،و قد يخترم دون بلوغها،و قد ينكشف بطلان تلک الأمارات بعد العناء الطويل،و منها:أنّها لا تنفس على من نافس فيها و أحبّها بل تسمح به للمهالک و ترميه بغرايب من النوايب،و منها:أنّها تغلب على من غلب عليها:أى من ملكها و أخذها بالغلبه فعن قريب تقهره و تهلكه، استعاره و الأوصاف المذكوره الّتى من شأنها أن تكون للعدوّ القوىّ الداهى و هى كونها تغرّ المؤمّل لها و تغلب مغالبها و لا تبقى على محبّها مستعاره،و وجه المشابهه استلزام الكون فيها و الاغترار بها و محبّتها و التملّک لها الهلاک فيها و فى الآخره كاستلزام الغرور بالعدوّ الداهى الّذى لا يحبّ أحدا و الركون إليه الهلاک .ثمّ أخذ عليه السّلام فى التنبيه على وجوب شكر المنعم و استدراكها بالفزع إلى اللّه،و أقسم أنّ زوالها عنهم ليس إلاّ بذنوب اجترحوها،و ذلک إشاره إلى أنّ الذنوب تعدّ

لزوال النعم و حلول النقم لأنّهم لو استحقّوا إفاضه النعم مع الذنوب لكان منعهم إيّاها منعا للمستحقّ المستعدّ،و ذلك عين الظلم و هو من الجود الإلهی محال کما قال تعالی «وَ ما رَبُّکَ بِظَلاّمٍ لِلْعَبِیدِ» (۱)و إلی هذا المعنی الإشاره بقوله تعالی «إِنَّ اللّهَ لا یُغَیِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتّی یُغَیِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ» (۲)أی یستعدّوا للتغیّر بالمعاصی.

و قوله : و لو أنّ الناس.إلی قوله:کلّ فاسد.

إشاره إلی أنّ الفزع إلی اللّه بصدق النیّه و وله القلب و تحیّره و ذهوله عن کلّ شیء سوی اللّه یعدّ الإعداد التامّ لإفاضه المطالب سواء کانت عود نعمه أو استحداثها أو زوال نقمه أو استنزالها علی عدوّ.و ردّ الشارد:أی من النعم،و إصلاح الفاسد:أی من سائر الأحوال.

کنایه بالمجاز إطلاقا لاسم الظرف علی المظروف و قوله : و إنّی لأخشی علیکم أن تکونوا فی فتره.

کنّی بالفتره عن أمر الجاهلیّه کنایه بالمجاز إطلاقا لاسم الظرف علی المظروف:أی أخشی أن یکون أحوالهم[لکم خ]أحوال الجاهلیّه فی التعصّبات الباطله بحسب الأهواء المختلفه.

و قوله : و قد کانت امور.إلی قوله:محمودین.

قالت الإمامیّه:تلک الامور الّتی مالوا فیها هی تقدیمهم علیه من سبق من الأئمّه،و قال غیرهم:هی حرکاتهم و میلهم علیه فی تقدیم عثمان وقت الشوری، و اختیارهم له و ما جری فیها من الأقوال و الأفعال.

و قوله : و لئن ردّ علیکم أمرکم.

أی صلاح أحوالکم و استقامه سیرتکم الّتی کنتم علیها فی زمن الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلم إنّکم لسعداء عند اللّه و فی الدنیا . و ما علیّ إلاّ الجهد :أی فی عود ذلک الأمر علیکم.

و قوله : و لو أشاء أن أقول لقلت.

یفهم منه أنّه لو قال لکان مقتضی قوله نسبه من تقدّم علیه إلی الظلم له و

۱- ۱) ۴۶-۴۱

۲- ۲) ۱۲-۱۳.

تخطئهم فی التقدّم علیه،و ذکر معایب یقتضی وجوب تأخّرهم فی نظره.و تقدیر الکلام:و لکنّی لا أقول فلم أکن مریدا للقول.

اقتباس و قوله: «عَفَا اللّهُ عَمّا سَلَفَ» .

إشاره إلی مسامحته لهم بما سبق منهم.إذ العاده جاریه بأن یقول الإنسان مثل ذلک فیما تسامح به غیره من الذنوب،و أحسن العبارات فی ذلک لفظ القرآن الکریم فیقتبس فی الکلام .و باللّه التوفیق.

۱۷۸-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

و قد ساله ذعلب الیمانی فقال:هل رأیت ربک یا أمیر المؤمنین؟فقال علیه السلام:أ فأعبد ما لا أری؟فقال:و کیف تراه؟فقال:

لاَ تُدْرِکُهُ الْعُیُونُ بِمُشَاهَدَهِ الْعِیَانِ- وَ لَکِنْ تُدْرِکُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِیمَانِ- قَرِیبٌ مِنَ الْأَشْیَاءِ غَیْرَ مُلاَمِسٍ بَعِیدٌ مِنْهَا غَیْرَ مُبَایِنٍ- مُتَکَلِّمٌ لاَ بِرَوِیَّهٍ مُرِیدٌ لاَ بِهِمَّهٍ صَانِعٌ لاَ بِجَارِحَهٍ- لَطِیفٌ لاَ یُوصَفُ بِالْخَفَاءِ کَبِیرٌ لاَ یُوصَفُ بِالْجَفَاءِ- بَصِیرٌ لاَ یُوصَفُ بِالْحَاسَّهِ رَحِیمٌ لاَ یُوصَفُ بِالرِّقَّهِ- تَعْنُو الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ وَ تَجِبُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ

اللغه

أقول: تعنو: تخضع .و تجب القلوب: تخفق .

و الفصل فصل شریف من التوحید و التنزیه .

استفهام علی سبیل الإنکار فقوله: أ فأعبد ما لا أری؟.

استفهام علی سبیل الإنکار لعباده ما لا یدرک،و فیه إزراء علی السائل .

و قوله: لا تدرکه العیون.إلی آخره.

تنزیه له عن الرؤیه بحاسّه البصر و شرح لکیفیّه الرؤیه الممکنه،و لمّا

كان تعالى منزّها عن الجسميّه و لواحقها من الجهه و توجيه البصر إليه و إدراكه به و إنّما يرى و يدرك بحسب ما يمكن لبصيره العقل لا جرم نزّهه عن تلك و أثبت له هذه.فقال: لا تدركه العيون.إلى قوله:بحقائق الإيمان .و أراد بحقائق الإيمان أركانه،و هى التصديق بوجود اللّه و وحدانيّته و سائر صفاته و اعتبارات أسمائه الحسنى،و عدّ من جملتها اعتبارات يدركه بها:

أحدها :كونه قريبا من الأشياء،و لمّا كان المفهوم من القرب المطلق الملامسه و الالتصاق و هما من عوارض الجسميّه نزّه قربه تعالى عنها.فقال: غير ملامس فأخرجت هذه القرينه ذلك اللفظ عن حقيقته إلى مجازه و هو اتّصاله بالأشياء و قربه منها بعلمه المحيط و قدرته التامّه.

الثانى:كونه بعيدا منها،و لمّا كان البعد يستلزم المباينه و هى أيضا من لواحق الجسميّه نزّهه عنها بقوله: غير مباين .و قد سبق بيان ذلك مرارا فكان بعده عنها إشاره إلى مباينته بذاته الكامله عن مشابهه شيء منها.

الثالث:و كذلك قوله : متكلّم بلا رويّه .و كلامه يعود إلى علمه بصور الأوامر و النواهى و سائر أنواع الكلام عند قوم،و إلى المعنى النفسانىّ عند الأشعرى، و إلى خلقه الكلام فى جسم النبىّ عند المعتزله.

و قوله: بلا رويّه [لا برويّه خ].

تنزيه له عن كلام الخلق لكونه تابعا للأفكار و التروّى.

الرابع:و كذلك مريد بلا همّه تنزيه لإرادته عن مثليّه إرادتنا فى سبق العزم و الهمّه لها.

الخامس: صانع بلا جارحه .و هو تنزيه لصنعه عن صنع المخلوقين لكونه بالجارحه الّتى هى من لواحق الجسميّه.

السادس:و كذلك لطيف لا يوصف بالخفاء ،و اللطيف يطلق و يراد به رقيق القوام،و يراد به صغير الحجم المستلزمين للخفاء،و عديم اللون من الأجسام،و المحكم من الصنعه.و هو تعالى منزّه عن إطلاقه بأحد هذه المعانى لاستلزام

الجسميّه و الإمكان فبقى إطلاقها عليه باعتبارين:أحدهما:تصرّفه فى الذوات و الصفات تصرّفا خفيّا بفعل الأسباب المعدّه لها لإفاضه كمالاتها.و الثانى:جلاله ذاته و تنزيهها عن قبول الإدراك البصرى .

السابع: رحيم لا- يوصف بالرّقه .تنزيه لرحمته عن رحمه أحدنا لاستلزامها رقّه الطبع و الانفعال النفسانىّ،و قد سبق بيان كونه تعالى رحيما الثامن:كونه عظيما تخضع الوجوه لعظمته.إذ هو الإله المطلق لكلّ موجود و ممكن فهو العظيم المطلق الّذى تفرّد باستحقاق ذلّ الكلّ و خضوعه له،و وجيب القلوب و اضطرابها من هيبته عند ملاحظه كلّ منها ما يمكن له من تلك العظمه.

۱۷۹-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

فى ذم أصحابه

أَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ وَ قَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ- وَ عَلَى ابْتِلاَئِى بِكُمْ أَيَّتُهَا الْفِرْقَهُ الَّتِى إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِعْ- وَ إِذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ- إِنْ أُمْهِلْتُمْ خُضْتُمْ وَ إِنْ حُورِبْتُمْ خُرْتُمْ- وَ إِنِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ طَعَنْتُمْ- وَ إِنْ أُجِئْتُمْ إِلَى مُشَاقَّهٍ نَكَصْتُمْ-لاَ- أَبَا لِغَيْرِكُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ- وَ الْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ- الْمَوْتَ أَوِ الذُّلَّ لَكُمْ- فَوَاللَّهِ لَئِنْ جَاءَ يَومِى وَ لَيَأْتِيَنِّى لَيُفَرِّقَنَّ بَيْنِى وَ بَيْنَكُمْ- وَ أَنَا لِصُحْبَتِكُمْ قَالٍ وَ بِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ- لِلَّهِ أَنْتُمْ أَ مَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ وَ لاَ- حَمِيَّهٌ تَشْحَذُكُمْ- أَ وَ لَيسَ عَجَباً أَنَّ؟مُعَاوِيَهَ؟ يَدْعُو الْجُفَاهَ الطَّغَامَ- فَيَتَّبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَعُونَهٍ وَ لاَ عَطَاءٍ- وَ أَنَا أَدْعُوكُمْ وَ أَنْتُمْ تَرِيكَهُ الْإِسْلاَمِ- وَ بَقِيَّهُ النَّاسِ

إِلَى الْمَعُونَهِ أَوْ طَائِفَهٍ مِنَ الْعَطَاءِ- فَتَفَرَّقُونَ عَنِّى وَ تَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ- إِنَّهُ لاَ يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِى رِضًا فَتَرْضَوْنَهُ- وَ لاَ سُخْطٌ فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ- وَ إِنَّ أَحَبَّ مَا أَنَا لاَقٍ إِلَيَّ الْمَوْتُ- قَدْ دَارَسْتُكُمُ الْكِتَابَ وَ فَاتَحْتُكُمُ الْحِجَاجَ- وَ عَرَّفْتُكُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ وَ سَوَّغْتُكُمْ مَا مَجَجْتُمْ- لَوْ كَانَ الْأَعْمَى يَلْحَظُ أَوِ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ- وَ أَقْرِبْ بِقَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ قَائِدُهُمْ؟مُعَاوِيَهُ؟- وَ مُؤَدِّبُهُمُ؟ابْنُ النَّابِغَهِ؟

اللغه

أقول: الخور: الضعف،و يحتمل أن يكون من الخوارج و هو الصياح .و اجئتم: جذبتم،و دعيتم .و نكص: رجع على عقبه .و القالى: المبغض .و الطعام:

أوغاد الناس .و التريكه: بيضه النعام .و مجّه: ألقاه من فيه .

المعنى

و قد حمد اللّه تعالى على ما قضى و قدّر،و لمّا كان القضاء هو الحكم الإلهى بما يكون قال:على ما قضى من الأمر.لأنّ الأمر أعمّ أن يكون فعلا،و لمّا كان القدر هو تفصيل القضاء و إيجاد الأشياء على وفقه قال: و قدّر من فعل.

و قوله: و على ابتلائى بكم.

تخصيص لبعض ما قضى و قدّر.

و قوله : إذا أمرت.إلى قوله:نكصتم.

شرح لوجوه الابتلاء بهم،و حاصلها يعود إلى مخالفتهم له فى جميع ما يريده منهم ممّا ينتظم به حالهم.

و قوله: إلى مشاقّه.

أى إلى مشاقّه عدوّ.

و قوله : لا أبا لغيركم.

دعاء بالذلّ لغيرهم،و فيه نوع تلطّف لهم،و الأصل لا أب،و الألف مزيده إمّا لاستثقال توالى أربع حركات فأشبعوا الفتحه فانقلبت ألفا أو لأنّهم قصدوا

الإضافه و أتوا باللام للتأكيد .ثمّ أقسم إن جاء يومه:أی وقت موته ليفرقنّ بينهم و بينه و هو تهديد لهم بفراقه و انشعاب امورهم بعده.

و قوله: و ليأتينّی.

حشوه لطيفه و أتی به مؤكّده لأنّ إتيان الموت أمر محقّق،و كأنّه ردّ بها ما يقتضيه إن من الشكّ فحسنت هذه الحشوه بعدها .ثمّ أخذ فی التضجّر منهم، و أخبرهم أنّه لصحبتهم مبغض،و أنّه غير كثير بهم لأنّ الكثره إنّما تراد للمنفعه فحيث لا منفعه فكأنّه لا كثره.

و قوله : للّه أنتم.

جمله اسميّه فيها معنی التعجّب من حالهم،و مثله للّه أبوک و للّه درّک. استفهام انكاری ثمّ أخذ فی استفهامهم عمّا يدّعون أنّه موجود فيهم،و هو الدين و الحميّه و الأنفه ،و من شأن الدين أن يجمع علی إنكار المنكر،و الحميّه أن تشحذ و تثير القوّه الغضبيّه لمقاومه العدوّ استفهاما علی سبيل العيب و الإنكار عليهم .

استفهام لتقرير التعجّب و قوله: أ و ليس عجبا.إلی قوله:و تختلفون علیّ.

استفهام لتقرير التعجّب من حاله معهم فی تفرّقهم عنه حتّی عند الدعوه إلی العطاء،و من حال معاويه مع قومه فی اجتماعهم عليه من غير معونه و لاعطاء.

فإن قلت:المشهور أنّ معاويه إنّما استجلب من استجلب من العرب بالأموال و الرغائب فلم قال:فيتّبعونه علی غير معونه و لا عطاء؟ قلت:إنّ معاويه لم يكن يعطی جنده علی وجه المعونه و العطاء المتعارف بين الجند،و إنّما كان يعطی رؤساء القبائل من اليمن و الشام الأموال الجليله ليستعبدهم بها و اولئک الرؤساء يدعون أتّباعهم من العرب فيطيعونهم.فصادق إذن أنّهم يتّبعونه علی غير معونه و عطاء،و أمّا هو عليه السّلام فإنّه كان يقسّم بيوت الأموال بالسويّه بين الأتباع و الرؤساء علی وجه الرزق و العطاء،لا يری لشريف علی مشروف فضلا،و كان أكثر من يقعد عن نصرته من الرؤساء لما يجدونه فی أنفسهم من أمر المساواه بينهم و بين الأتباع،و إذا أحسّ الأتباع بذلک تخاذلوا أيضا متابعه

لرؤسائهم.و المعونه هى ما يعطى للجند فى وقت الحاجه لترميم أسلحتهم و إصلاح دوابّهم و هو خارج عن العطاء المفروض شهراً فشهراً، استعاره و استعار لهم لفظ التريكه ، و وجه المشابهه أنّهم خلف الإسلام و بقيّه أهله كالبيضه الّتى تتركها النعامه.

و قوله : إنّه لا يخرج.إلى قوله:فترضونه.

أى إنّه لا يخرج إليكم من أمرى أمر من شأنه أن يرضى به أو يسخط منه فترضونه و تجتمعون عليه بل لا بدّ لكم من التفرّق و المخالفه على الحالين .ثمّ نبّههم على سوء صنيعهم معه بأنّ أحبّ الأشياء إليه الموت.و قد لاحظ هذه الحال أبو الطيّب فقال:

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا و حسب المنايا أن تكون أمانيا

تمنّيتها لمّا تمنّيت أن أرى صديقا فأعيا أو عدوّا مداجيا

و قوله : قد دارستكم الكتاب.إلى قوله:مججتم.

إشاره إلى وجوه الامتنان عليهم و هى مدارستهم الكتاب:أى تعليمه،و مفاتحتهم الحجاج:أى مماراتهم و تعريفهم وجوه الاحتجاج،و تعريفهم ما أنكروه:

أى الامور المجهوله لهم،و تسويغهم ما مجّوه. استعاره و استعار وصف التسويغ إمّا لإعطائه لهم العطيّات و الأرزاق الّتى كانوا يحرمونها من يد غيره لو كان كمعاويه، و إمّا لإدخاله العلوم فى أفواه أذهانهم،و كذلك لفظ المجّ إمّا لحرمانهم من يد غيره أو لعدم العلوم عن أذهانهم و نبوّ أفهامهم عنها فكأنّهم ألقوها لعدم صلوحها للإساغه،و وجه الاستعارتين ظاهر .

استعاره و قوله: لو كان الأعمى.إلى قوله:يستيقظ.

إشاره إلى أنّهم جهّال لا يلحظون بأعين بصائرهم ما أفادهم من العلوم،و غافلون لا يستيقظون من سنه غفلتهم بما أيقظهم به من المواعظ أو غيرها،و لفظ الأعمى و النائم مستعاران ،و القوم فى قوله: و أقرب بقوم .هم أهل الشام.و هو تعجّب من شدّه قربهم من الجهل باللّه.إذ كان قائدهم فى الطريق معاويه و مؤدّبهم ابن النابغه:

أى عمرو بن العاص و هو رئيسهم رئيس المنافقين و أهل الغدر و الخداع،و إذا كان

الرئيس القائد و المؤدّب فی تلک الطریق من الجهل و الفجور بحال الرجلین المشار إلیهما فما أقرب أتباعهما من البعد عن اللّه و الجهل به.و أقرب:صیغه التعجّب.

و قائدهم معاویه:جمله اسمیّه محلّها الجرّ صفه لقوم.و فصّل بین الموصوف و الصفه بالجار و المجرور کما فی قوله تعالی «وَ مِمَّنْ حَوْلَکُمْ مِنَ الْأَعْرابِ مُنافِقُونَ وَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِینَهِ مَرَدُوا عَلَی النِّفاقِ» (۱)فمحلّ مردوا الرفع صفه المنافقون،و فصّل بینهما بقوله:و من أهل المدینه،و الغرض من ذکرهم و وصفهم بما وصف التنفیر عنهم.

۱۸۰-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

و قد أرسل رجلا من أصحابه یعلم له علم أحوال قوم من جند الکوفه قد هموا باللحاق بالخوارج،و کانوا علی خوف منه علیه السلام،فلما عاد إلیه الرجل قال له:أمنوا فقطنوا أم جبنوا فظعنوا؟؟فقال الرجل:بل ظعنوا یا أمیر المؤمنین.فقال:

بُعْداً لَهُمْ کَمَا بَعِدَتْ؟ثَمُودُ؟- أَمَا لَوْ أُشْرِعَتِ الْأَسِنَّهُ إِلَیْهِمْ- وَ صُبَّتِ السُّیُوفُ عَلَی هَامَاتِهِمْ- لَقَدْ نَدِمُوا عَلَی مَا کَانَ مِنْهُمْ- إِنَّ الشَّیْطَانَ الْیَوْمَ قَدِ اسْتَفَلَّهُمْ- وَ هُوَ غَداً مُتَبَرِّئٌ مِنْهُمْ وَ مُتَخَلٍّ عَنْهُمْ- فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَی وَ ارْتِکَاسِهِمْ فِی الضَّلاَلِ وَ الْعَمَی- وَ صَدِّهِمْ عَنِ الْحَقِّ وَ جِمَاحِهِمْ فِی التِّیهِ

اللغه

أقول: قطنوا: أقاموا .و بعدت بالکسر: هلکت .و أشرعت الرمح: سدّدته و صوّبته نحو من ترید ضربه .و استفلّهم: أی طلب منهم التفرّق و الهزیمه و زیّنها لهم .و الفلّ: التفریق و الانهزام .و الارتکاس: الرجوع فی الشیء مقلوبا .

ص:۳۷۹

۱- ۱) ۹-۱۰۲.

.ثمّ على الدعاء عليهم بالهلاك.و انتصب بعدا على المصدر .ثمّ على ما لو فعل لكان سببا لندمهم على ما فعلوا و هو الهجوم عليهم بالقتل و الاذلال على ما كان منهم من اللحوق بأولياء الشيطان.ثمّ على علّه لحوقهم بهم و هى استفلال الشيطان لهم و تفريقه لجماعتهم،و روى استفزّهم:أى استخفّهم،و روى استقبلهم:أى تقبّلهم و رضى عنهم.و هى أقوى القرينه.

قوله: و هو غدا متبرّىء منهم و متخلّ عنهم.

أى تارك لهم فإنّ التبرىء فى مقابله الاستقبال و ذلك كقوله تعالى «وَ إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ» إلى قوله «إِنِّی بَرِیءٌ مِنْكُمْ» (۱).

و قوله : فحسبهم بخروجهم من الهدى.

أى يكفيهم ذلك عذاباً و شرّا،و الباء فى بخروجهم زائده كهى فى قوله تعالى «وَ كَفی بِاللّهِ شَهِیداً» ، و ارتكاسهم فى الضلال و العمى رجوعهم إلى الضلال القديم و عمى الجهل الّذى كانوا عليه بعد خروجهم منه بهدايته، و صدّهم عن الحقّ بالخروج عن طاعته و جماحهم فى تيه الجهل و الهوى بعد الاستقرار فى مدينه العلم و العقل، استعاره و لفظ الجماح مستعار لخروجهم عن فضيله العدل إلى رذيله الإفراط منها كما سبق و الغلوّ فى طلب الحقّ إلى حدّ الجور عن الصراط المستقيم .و باللّه التوفيق.

۱۸۱-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

روى عن نوف البكالى قال:خطبنا هذه الخطبه بالكوفه أمير المؤمنين عليه السلام و هو قائم على حجاره نصبها له جعده بن هبيره المخزومى،و عليه مدرعه من صوف،و حمائل سيفه ليف،و فى رجليه نعلان من ليف، و كأن جبينه ثفنه بعير.فقال عليه السلام:

۱- ۱) ۵۰-۸.

القسم الأول

اشاره

«الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِی» إِلَیْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ- وَ عَوَاقِبُ الْأَمْرِ نَحْمَدُهُ عَلَی عَظِیمِ إِحْسَانِهِ- وَ نَیِّرِ بُرْهَانِهِ وَ نَوَامِی فَضْلِهِ وَ امْتِنَانِهِ- حَمْداً یَکُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً وَ لِشُکْرِهِ أَدَاءً- وَ إِلَی ثَوَابِهِ مُقَرِّباً وَ لِحُسْنِ مَزِیدِهِ مُوجِباً- وَ نَسْتَعِینُ بِهِ اسْتِعَانَهَ رَاجٍ لِفَضْلِهِ مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ وَاثِقٍ بِدَفْعِهِ- مُعْتَرِفٍ لَهُ بِالطَّوْلِ مُذْعِنٍ لَهُ بِالْعَمَلِ وَ الْقَوْلِ- وَ نُؤْمِنُ بِهِ إِیمَانَ مَنْ رَجَاهُ مُوقِناً- وَ أَنَابَ إِلَیْهِ مُؤْمِناً وَ خَنَعَ لَهُ مُذْعِناً- وَ أَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّداً وَ عَظَّمَهُ مُمَجِّداً وَ لَاذَ بِهِ رَاغِباً مُجْتَهِداً «لَمْ یُولَدْ» سُبْحَانَهُ فَیَکُونَ فِی الْعِزِّ مُشَارَکاً- وَ «لَمْ یَلِدْ» فَیَکُونَ مَوْرُوثاً هَالِکاً- وَ لَمْ یَتَقَدَّمْهُ وَقْتٌ وَ لَا زَمَانٌ- وَ لَمْ یَتَعَاوَرْهُ زِیَادَهٌ وَ لَا نُقْصَانٌ- بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عَلَامَاتِ التَّدْبِیرِ الْمُتْقَنِ- وَ الْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ- فَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ مُوَطَّدَاتٍ بِلَا عَمَدٍ- قَائِمَاتٍ بِلَا سَنَدٍ دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائِعَاتٍ مُذْعِنَاتٍ- غَیْرَ مُتَلَکِّئَاتٍ وَ لَا مُبْطِئَاتٍ- وَ لَوْ لَا إِقْرَارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِیَّهِ- وَ إِذْعَانُهُنَّ بِالطَّوَاعِیَهِ- لَمَا جَعَلَهُنَّ مَوْضِعاً لِعَرْشِهِ وَ لَا مَسْکَناً لِمَلَائِکَتِهِ- وَ لَا مَصْعَداً لِلْکَلِمِ الطَّیِّبِ وَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ جَعَلَ نُجُومَهَا أَعْلَاماً یَسْتَدِلُّ بِهَا الْحَیْرَانُ- فِی مُخْتَلَفِ فِجَاجِ الْأَقْطَارِ- لَمْ یَمْنَعْ ضَوْءَ نُورِهَا ادْلِهْمَامُ سُجُفِ اللَّیْلِ الْمُظْلِمِ- وَ لَا اسْتَطَاعَتْ جَلَابِیبُ سَوَادِ الْحَنَادِسِ- أَنْ

تَرُدَّ مَا شَاعَ فِی السَّمَاوَاتِ مِنْ تَلَأْلُؤِ نُورِ الْقَمَرِ- فَسُبْحَانَ مَنْ لاَ یَخْفَی عَلَیْهِ سَوَادُ غَسَقٍ دَاجٍ- وَ لاَ لَیْلٍ سَاجٍ فِی بِقَاعِ الْأَرَضِینَ الْمُتَطَأْطِئَاتِ- وَ لاَ فِی یَفَاعِ السُّفْعِ الْمُتَجَاوِرَاتِ- وَ مَا یَتَجَلْجَلُ بِهِ الرَّعْدُ فِی أُفُقِ السَّمَاءِ- وَ مَا تَلاَشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ الْغَمَامِ- وَ مَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَهٍ تُزِیلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ الْأَنْوَاءِ- وَ انْهِطَالُ السَّمَاءِ- وَ یَعْلَمُ مَسْقَطَ الْقَطْرَهِ وَ مَقَرَّهَا وَ مَسْحَبَ الذَّرَّهِ وَ مَجَرَّهَا- وَ مَا یَکْفِی الْبَعُوضَهَ مِنْ قُوتِهَا وَ مَا تَحْمِلُ الْأُنْثَی فِی بَطْنِهَا وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْکَائِنِ قَبْلَ أَنْ یَکُونَ کُرْسِیٌّ أَوْ عَرْشٌ- أَوْ سَمَاءٌ أَوْ أَرْضٌ أَوْ جَانٌّ أَوْ إِنْسٌ- لاَ یُدْرَکُ بِوَهْمٍ وَ لاَ یُقَدَّرُ بِفَهْمٍ- وَ لاَ یَشْغَلُهُ سَائِلٌ وَ لاَ یَنْقُصُهُ نَائِلٌ- وَ لاَ یَنْظُرُ بِعَیْنٍ وَ لاَ یُحَدُّ بِأَیْنٍ وَ لاَ یُوصَفُ بِالْأَزْوَاجِ- وَ لاَ یُخْلَقُ بِعِلاَجٍ وَ لاَ یُدْرَکُ بِالْحَوَاسِّ وَ لاَ یُقَاسُ بِالنَّاسِ- الَّذِی کَلَّمَ؟مُوسَی؟ تَکْلِیماً وَ أَرَاهُ مِنْ آیَاتِهِ عَظِیماً- بِلاَ جَوَارِحَ وَ لاَ أَدَوَاتٍ وَ لاَ نُطْقٍ وَ لاَ لَهَوَاتٍ- بَلْ إِنْ کُنْتَ صَادِقاً أَیُّهَا الْمُتَکَلِّفُ لِوَصْفِ رَبِّکَ- فَصِفْ؟جِبْرِیلَ؟ وَ؟مِیکَائِیلَ؟ وَ جُنُودَ الْمَلاَئِکَهِ الْمُقَرَّبِینَ فِی حُجُرَاتِ الْقُدُسِ مُرْجَحِنِّینَ- مُتَوَلِّهَهً عُقُولُهُمْ أَنْ یَحُدُّوا أَحْسَنَ الْخَالِقِینَ- فَإِنَّمَا یُدْرَکُ بِالصِّفَاتِ ذَوُو الْهَیْئَاتِ وَ الْأَدَوَاتِ- وَ مَنْ یَنْقَضِی إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّهِ بِالْفَنَاءِ- فَ «لا إِلهَ إِلاّ هُوَ» أَضَاءَ بِنُورِهِ کُلَّ ظَلاَمٍ-

وَ أَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ- الَّذِى أَلْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمُ الْمَعَاشَ- فَلَوْ أَنَّ أَحَداً يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلَّماً أَوْ لِدَفْعِ الْمَوْتِ سَبِيلاً- لَكَانَ ذَلِكَ؟سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ ع؟ الَّذِى سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ- مَعَ النُّبُوَّهِ وَ عَظِيمِ الزُّلْفَهِ- فَلَمَّا اسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ وَ اسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ- رَمَتْهُ قِسِيُّ الْفَنَاءِ بِنِبَالِ الْمَوْتِ- وَ أَصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَهً- وَ الْمَسَاكِنُ مُعَطَّلَهً وَ وَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ- وَ إِنَّ لَكُمْ فِى الْقُرُونِ السَّالِفَهِ لَعِبْرَهً- أَيْنَ؟الْعَمَالِقَهُ؟ وَ أَبْنَاءُ؟الْعَمَالِقَهِ؟- أَيْنَ الْفَرَاعِنَهُ وَ أَبْنَاءُ الْفَرَاعِنَهِ- أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ؟الرَّسِّ؟ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ- وَ أَطْفَئُوا سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ وَ أَحْيَوْا سُنَنَ الْجَبَّارِينَ- أَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُيُوشِ وَ هَزَمُوا بِالْأُلُوفِ- وَ عَسْكَرُوا الْعَسَاكِرَ وَ مَدَّنُوا الْمَدَائِنَ

اللغه

أقول:نقل الجوهرىّ فى الصحاح أنّ نوفا البكالى بفتح الباء و تخفيف الكاف كان صاحب علىّ عليه السّلام،و نقل عن ثعلب أنّه منسوب إلى بكاله قبيله.و قال القطب الراوندىّ:و هو منسوب إلى بكال،و بكيل و بكال شىء واحد و هو اسم حىّ من همدان.قال:و بكيل أكثر،و قال الشارح عبد الحميد بن أبى الحديد:و الصواب غير ما قالاه،و إنّما هو بكال بكسر الباء من حمير فمنهم هذا الشخص و هو نوف بن فضاله صاحب علىّ عليه السّلام.و الأقوال محتمله.و أمّا جعده بن هبيره فهو ابن اخت أمير المؤمنين عليه السّلام امّ هانى بنت أبى طالب بن عبد المطّلب بن هاشم،و أبوه هبيره بن أبى وهب بن عمرو بن عامد بن عمران بن مخزوم و هو صحابىّ.و ثفنه البعير: واحده

ص:٣٨٣

الثفنات و هی ما یقع علی الأرض من أعضائه .و الخنوع: الخضوع .و یتعاوره .

یختلف علیه .و موطّدات. ممهّدات .و التلکّؤ: التوقّف .و الطواعیه: الطاعه .و الفجاج:

الطریق بین الجبال .و الادلهمام: شدّه الظلمه .و السجف: الستور .و الحندس بکسر الحاء: اللیل شدید الظلمه .و السفع: الجبال .و السفعه: سواد مشرب بحمره و لون الجبال فی الأکثر .و الیفاع: المرتفع من الأرض .و الجلجله: صوت الرعد .

و تلاشی: اضمحلّ :و الأنواء: جمع نوء،و هو سقوط نجم من منازل القمر الثمانیه و العشرین فی المغرب مع الفجر،و طلوع رقیبه من المشرق یقابله من ساعته فی کلّ لیله إلی ثلاثه عشر یوما،و هکذا کلّ نجم منها إلی انقضاء السنه ما خلا الجبهه فإنّ لها أربعه عشر یوما .و مرجحنّین: مائلین إلی جهه تحت .و الریاش :

اللباس .و الطعمه. المأکله .

المعنی

فقوله: الحمد للّه .إلی قوله: الأمر.

حمد له باعتبار کونه منتهی جمیع آثاره فی عالمی الخلق و الأمر انتهاءاً فی أوّلیّتها بالصنع و الإبداع و انتهاء فی آخریّتها لأنّه غایه مطلوب السالکین،و هو الباقی بعد کلّ شیء منها باعتبار وجوب وجوده فهو مستحقّ البقاء لذاته،و هی الممکنه و المستحقّه للفناء باعتبار کونه ممکنا لها،و لمّا کان الحمد قد یکون لأداء حقّ ما سبق من النعمه،و قد یکون للاستزاده منها کان قوله : نحمده.إلی قوله:أداء .نظرا إلی ما سبق من أنواع نعم اللّه و هی عظیم إحسانه بالخلق و الایجاد علی وفق الحکمه و المنفعه.ثمّ بإناره برهانه فی متقن صنعه و محکمه و علی ألسنه رسله لسوقنا فی صراطه المستقیم إلی جنّات النعیم و هدایتنا إلیها.ثمّ بإفاضه نوامی فضله و امتنانه بکفایتنا فی حیاتنا الدنیا.ثمّ بإفاضه أسباب معاشنا و معادنا،و کان قوله: و إلی ثوابه.إلی قوله:موجبا إشاره إلی ما یستزاد منها و هو القرب من ثوابه الاخروی لاستکمال النفس بذلک و حسن مزیده من نعمه الحاضره کما قال تعالی و «لَئِنْ شَکَرْتُمْ لَأَزِیدَنَّکُمْ » (۱)ثمّ أردف ذلک الشکر بطلب المعونه منه استعانه

۱- (۱) ۷-۱۴.

بالصفات المعدوده.إلى قوله:و القول.فإنّ استعانه من هذه صفته تكون أقرب الاستعانات إلى إجابه المستعان بالعون لقوّتها باستجماعها قوّه الرجاء،و الأمل له تعالى،و حسن اليقين فى قدرته على بذل النفع و دفع الضرّ،و الشكر و الإذعان بالطاعه العمليّه و القوليّه .ثمّ أردف ذلک بالإقرار بالإيمان الكامل،و هو إيمان من استكمل الأوصاف المعدوده آنفا و هى رجاء المطالب العاليه منه حال اليقين التامّ بأنّه أهلها،و الرجوع إليه عن جميع الفرطات و فى سائر المهمّات حال الإيمان به، و الخضوع حال انقياده لعزّته ،ثمّ الإخلاص له حال توحيده،ثمّ تعظيمه حال تمجيده،و اللوذ به حال الرغبه إليه و الاجتهاد فيها.و ظاهر أنّ ذلک الإيمان كامل .ثمّ أخذ فى تنزيهه تعالى باعتبارات سلبيّه و إضافيّه هى غايه الواصفين:

منهاأنّه لم يكن له والد فيكون له شريک فى العزّ.إذ العاده أن يكون والد العزيز عزيزا.

و منها أنّه لم يلد فيكون موروثا هالكا .و هو تنزيه له عن صفات البشر.إذ العاده أنّ الإنسان يهلک فيرثه ولده،و برهانهما أنّهما من لواحق الحيوانيّه المستلزمه للجسميّه المنزّه قدسه عنها.

و منها أنّه لم يتقدّمه وقت و لا زمان و الوقت جزء الزمان و إذا كان خالق الوقت و الزمان فبالحرىّ أن يتقدّمها.

و منها أنّه لم يختلف عليه الزياده و النقصان لأنّ الزياده و النقصان من لواحق الممكنات لاستلزامهما التغيّر المستلزمه للإمكان المنزّه قدسه عنه .

و منها أنّه ظاهر للعقول فى علامات التدبير،و هى الإحكام و الإتقان فى مصنوعاته الموجوده على وفق القضاء المحكم فمن جملتها خلق السماوات كقوله تعالى «إِنَّ فِی خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» الآيه،و قوله «أَ وَ لَمْ یَنْظُرُوا فِی مَلَکُوتِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» و قد مرّ بيان كونهما بلا عمد و قيامهما بلا سند فى الخطبه الاولى ،و دعاؤهنّ حكم سلطان القدره الإلهيّه عليهنّ،و إجابتهنّ دخولهنّ فى الوجود عن ذلک الحكم و طوعهنّ و إذعانهنّ من غير تلكّؤ و لا تباطىء فى إجابتهنّ و خضوعهنّ فى رقّ الحاجه

و الإمكان لواجب وجوده و سلطانه.

و قوله : و لو لا إقرارهنّ.إلى قوله:و العمل الصالح من خلقه.

كلام حقّ فإنّ الإقرار بالربوبيّه له راجع إلى شهاده لسان حال الممكن بالحاجه إلى الربّ و الانقياد لحكم قدرته،و ظاهر أنّه لو لا إمكانها و انفعالها عن قدرته و تدبيره لم يكن فيها عرش و لم يكن أهلا لقبول تدبير أحوال الملائكه و سكناها،و لم تكن قابله لصعود الملائكه بالكلم الطيّب و الأعمال الصالحه للخلق، و قد سبقت الإشاره إلى بيان الصعود بالأعمال و غيرها فى الخطبه الاولى بحسب الإمكان، استعاره-حقيقت و لفظ الدعاء و الإقرار و الإذعان مستعاره و يحتمل أن يكون حقائق نظرا إلى أنّ لها أرواحا مدبّره عاقله.

و قوله : و جعل نجومها.إلى قوله:الأقطار.

إشاره إلى بعض غايات وجود النجوم،و قد سبق بيان ذلک .

استعاره مقابله و قوله: لم يمنع.إلى قوله:القمر.

استعار لفظ السجف و الجلابيب للساتر من سواد الليل،و وجه الاستعاره ظاهر،و خصّ القمر بالذكر لكونه من الآيات العظيمه،و المقابله بين الضياء و الظلم مقابله العدم و الملكه،و كلّ منهما يوجد بوجود سببه و يعدم بعدم سببه فلا يكون رفع أحدهما بالآخر،و ظاهر إذن أنّ نور القمر و النجوم لا يمنعه من الوجود و التحقّق ظلمه ليل بل يتعاقبان بحسب تعاقب أسبابهما المنتهيه إلى قدره الصانع الحكيم-جلّت قدرته -.

و قوله: فسبحان.إلى قوله:فى بطنها.

تنزيه له بحسب إحاطه علمه بحسب كلّيات الأشياء و جزئيّاتها.و المطأطئات :

مهابط الأرض ، و ما يتجلجل به الرعد إشاره إلى تسبيحه فى قوله تعالى «وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ» (۱)و ذلک التسبيح يعود إلى شهادته بلسان حاله فى ذلک الصوت على كمال قدره مسخّر السحاب و مؤلّفه و المقدّر لتصويته،و قد عرفت سببه، و ما تلاشت

۱- ۱) ۱۴-۱۳.

عنه بروق الغمام إشاره إلى ما ينكشف للأبصار بإضائتها،و إنّما خصّ ذلك دون ما أضاءته لأنّ العلم هناك أشرف لتعلّقه بما لا يدركه أبصار المخلوقين دون ما تضيئه لإدراك الكلّ له ،و إنّما أضاف العواصف إلى الأنواء لأنّ العرب تضيف الآثار العلويّه من الرياح و الأمطار و الحرّ و البرد إليها .ثمّ عاد إلى حمده تعالى باعتبار تقدّمه فى الوجود على سائر مخلوقاته،و قد عرفت ما يقال فى الكرسىّ و العرش.ثمّ نزّهه تعالى باعتبارات سلبيّه:

الأوّل:أنّه لا يدرك بوهم.

الثانى:أنّه لا يقدّر بفهم :أى لا يحدّ بفهم،و الفهم من صفات العقل و قد مرّت الإشاره إلى عجز العقول و الأوهام عن وصفه تعالى.

الثالث: و لا يشغله سائل لإحاطه علمه و قدرته.و قد سبق بيانه أيضا.

الرابع: و لا ينقصه نائل لأنّ النقصان يتوجّه نحو ذى الحاجه،و قد تنزّه قدسه تعالى عنها.

الخامس :كونه لا يبصر بعين:أى أنّ إدراكه ليس بحاسّه البصر و إن كان بصيرا و ذلك لتنزّه قدسه عن الحواسّ.

السادس: و لا يحدّ بأين :أى لا تحدّه العقول بالأمكنه و لا تحيط به باعتبارها لبراءته عن التحيّز و هو نفى الكميّه المتّصله عنه.

السابع: و لا يوصف بالأزواج و هو نفى الكمّ المنفصل عنه:أى ليس فيه اثنينيه و تعدد.

و الثامن: و لا يخلق بعلاج تنزيه لصنعه عن وساطه الآله و الحيله كما تزاوله أصحاب الصنائع.

التاسع: و لا يدرك بالحواسّ لتخصيص إدراكها بالأجسام و كيفيّاتها و تنزّهه تعالى عن الجسميّه و لواحقها.

العاشر: و لا يقاس بالناس تنزيه له عن التشبّه بخلقه فى كمالاتهم كما يتوهّمه أهل التجسيم .

الحادى عشر:کونه متکلّما بلا جارحه نطق و لا لهوات،و هو تنزیه له عن حال البشریّه.و علمت فی المقدّمات کیفیّه سماع الأنبیاء علیهم السلام للوحی.فأمّا قوله:

و أراه من آیاته عظیما .فقیل:أراد آیاته فی کلامه لئلاّ یصیر بین قوله: تکلیما .و قوله:

بلا جوارح .اعتراض غیر مناسب،و الّذی رآه من تلک الآیات ما روی أنّه کان یسمع الصوت من جهاته الستّ لیس علی حدّ سماع البشر من جهه مخصوصه و له دویّ کوقع السلاسل العظیمه علی الحصا الأصمّ،و فی هذه الکیفیّه سرّ لطیف،و کونه یسمع من الجهات الستّ إشاره إلی أنّ الکلام کان یأتیه فینتقش فی لوح خیاله لا من جهه بل نسبه الجهات الستّ إلیه علی سواء فی عدم سماعه منها فلا جرم قیل:یسمع من الجهات الستّ و هو أولی من أن یقال:یسمع لا من جهه لبعد ذلک عن أوهام الخلق.فأمّا کونه کوقع السلاسل فی القوّه فأشار إلی عظمته بالنسبه إلیه فشبّهه بأشدّ الأصوات جرسا.

و قیل:أراد بها الآیات التسع کانشقاق البحر و قلب العصا ثعبانا و غیرهما.

ثمّ نبّه علی عجز القوّه البشریّه عن وصف کماله تعالی بقوله : بل إن کنت صادقا إلی قوله:أحسن الخالقین .و هی صوره قیاس استثنائیّ متّصل نبّه به علی عجز من یدّعی وصف ربّه کما هو،و تقدیره إن کنت صادقا أیّها المتکلّف لوصف ربّک فی وصفه فصف بعض خلقه و هو جبرئیل و میکائیل و جنود ملائکته المقرّبین،و و ینتج باستثناء نقیض تالیه:أی لکنّک لا یمکنک وصف هؤلاء بالحقیقه فلا یمکنک وصفه تعالی.بیان الملازمه أنّ وصفه تعالی إذا کان ممکنا لک فوصف بعض آثاره أسهل علیک،و أمّا بطلان التالی فلأنّ حقیقه جبرئیل و میکائیل و سایر الملائکه المقرّبین غیر معلومه لأحد من البشر،و من عجز عن وصف بعض آثاره فهو عن وصفه أعجز، و حجرات القدس :مقارّ الطهاره عن الهیئات البدنیّه و التعلّقات الخیالیّه عن شوائب النفس الأمّاره بالسوء، استعاره و استعار لفظ المرجحنّین لخضوعهم تحت سلطان هیبته و عظمته، و تولّه عقولهم:حیرتها و تشتّتها عن إدراک حقیقته بحدّ تقف عنده عظمته ،ثمّ نبّه علی ما یدرک من جهه الوصف و هو ذوو الهیئات و الآلات الّتی یحترف بها و یحیط

بها الأفهام من جهتها،و ما يلحقه الفناء فينقضى إذا بلغ أمد حدّه،و تقف الأفهام على ذلك الحدّ و تحلّله إلى أجزائه فتطّلع على كنهه منها .ثمّ عقّب ذلک التنزيه بتوحيده و نفى الكثره عنه.

و قوله: أضاء بنوره كلّ ظلام.

فالظلام إمّا محسوس فأضاء بأنوار الكواكب،أو معقول و هو ظلام الجهل فأضاءه بأنوار العلم و الشرائع.

و قوله: و أظلم بنوره كلّ نور.

إذ جميع الأنوار المحسوسه أو المعقوله لغيره متلاشيه مضمحلّه فى نور علمه، و ظلام بالنسبه إلى ضياء براهينه فى جميع مخلوقاته الكاشفه على وجوده و كمال جوده .

ثمّ شرع فى الموعظه فبدء بالوصيّه بتقوى اللّه باعتبار سلب أمرين هما سبب البقاء فى الحياه الدنيا و هما الملبوس و المطعوم،و يحتمل أن يريد بالمعاش سائر أسباب البقاء، و ثنّى بذكر أنّه لا سبيل إلى البقاء و دفع الموت تخويفا به،و احتجّ عليه بقياس استثنائى تلخيصه:لو أنّ أحدا يجد سبيلا إلى دفع الموت لوجده سليمان عليه السّلام و تقدير الاستثناء:لكنّه لم يجده فلن يجده أحد بعده.أمّا الملازمه فلأنّ سليمان عليه السّلام كان أقوى سلطان وجد فى العالم لاستيلاء حكمه على ملك الجنّ و الإنس مع النبوّه و عظيم الزلفه عند اللّه فكان أولى بدفعه لو كان يمكن دفعه،و أمّا بطلان التالى فلأنّه عليه السّلام لما استوفى طعمته و استكمل مدّته مات فلو وجد مدفعا لدفعه عن نفسه.

فقوله: فلو أنّ.إلى قوله:سبيلا.

هو مقدّم الشرطيّه.

و قوله: لكان ذلک.إلى قوله:عليه السّلام.

هو التالى.

و قوله: الّذى.إلى قوله:الزلفه.

بيان لوجه الملازمه.

و قوله : فلمّا استوفى.إلى قوله:قوم آخرون.

هو بيان بطلان التالى، استعاره و لفظ القسىّ و النبال استعاره لمرامى الأمراض و أسبابها الّتى هى نبال الموت،و وجها ظاهر .ثمّ شرع فى التنبيه على الاعتبارات بأحوال القرون السالفه و استفهم عن قرن قرن تنبيها على فنائهم استفهاما على سبيل التقرير.

و العماليق أولاد لاوذ بن إرم بن سام بن نوح و كان باليمن و الحجاز و ما تاخم ذلك من الأقاليم فمن أولاده عملاق و طسم و جديس،و كان العزّ و الملك بعد عملاق بن لاوذ فى طسم فلمّا ملكهم عملاق بن طسم بغى و أكثر العبث و الفساد فى الأرض حتّى كان يطأ العروس ليله هدائها إلى بعلها و إن كانت بكرا افتضّها قبل وصولها إليه ففعل ذلك بامراه من جديس فغضب لها أخوها و تابعه قومه على الفتك بعملاق بن طسم و أهل بيته فصنع أخوها طعاما و؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟[دخل خ]عملاق الملك إليه.ثمّ وثب به و بطسم فأتى على رؤسائهم و نجا منهم رياح بن مرّ فصار إلى ذى جيشان بن تبّع الحميرى ملك اليمن فاستغاث به و استنجده على جديس و أتى ذو جيشان فى حمير بلاد جوّ و هى قصبه اليمامه فاستأصل جديسا و أخرب اليمامه.فلم يبق لجديس باقيه و لا لطسم إلّا اليسير منهم.ثمّ ملك بعد طسم و جديس و باز بن أميم بن لاوذ بن إرم بولده و أهله فنزل بأرض و باز و هى المعروفه الآن برمل عالج فبغوا فى الأرض حينا ثمّ أفناهم اللّه.ثمّ ملك بعد و باز عبد ضخم[صمم خ]بن آسف بن لاوذ فنزلوا بالطايف حينا.

ثمّ بادوا.و أمّا الفراعنه فهم ملوك مصر فمنهم الوليد بن ريّان فرعون يوسف،و منهم الوليد بن مصعب فرعون موسى،و منهم فرعون الأعرج الّذى غزا بنى إسرائيل و أخرب بيت المقدس.و أمّا أصحاب مداين الرسّ.فقيل:إنّهم أصحاب شعيب النبىّ عليه السّلام و كانوا عبده أوثان و لهم مواشى و آبار يستقون منها،و الرسّ بئر عظيمه جدّا انخسفت بهم و هم حولها،و قيل:الرسّ قريه باليمامه كان يسكنها قوم من بقايا ثمود فبغوا فاهلكوا،و قيل الرس:أصحاب الاخدود و هو الرسّ الأخدود، و قيل:الرسّ نهر عظيم فى إقليم الباب و الأبواب مبدئه من مدينه طرار و ينتهى إلى نهر كبير فيختلط به حتّى يصبّ فى بحر الخزر،و كان هناك ملوك اولو بأس و قدره فأهلكهم اللّه ببغيهم.و باللّه التوفيق.

ص:٣٩٠

القسم الثانی منها

اشاره

قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَهِ جُنَّتَهَا- وَ أَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدَبِهَا مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَيْهَا- وَ الْمَعْرِفَهِ بِهَا وَ التَّفَرُّغِ لَهَا- فَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ الَّتِي يَطْلُبُهَا- وَ حَاجَتُهُ الَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا- فَهُوَ مُغْتَرِبٌ إِذَا اغْتَرَبَ الْإِسْلَامُ- وَ ضَرَبَ بِعَسِيبِ ذَنَبِهِ- وَ أَلْصَقَ الْأَرْضَ بِجِرَانِهِ بَقِيَّهٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ- خَلِيفَهٌ مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ ثم قال عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ الْمَوَاعِظَ- الَّتِي وَعَظَ الْأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَمَهُمْ- وَ أَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ- وَ أَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا- وَ حَدَوْتُكُمْ بِالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا- لِلَّهِ أَنْتُمْ- أَ تَتَوَقَّعُونَ إِمَاماً غَيْرِي يَطَأُ بِكُمُ الطَّرِيقَ- وَ يُرْشِدُكُمُ السَّبِيلَ- أَلَا- إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلًا- وَ أَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِراً- وَ أَزْمَعَ التَّرْحَالَ عِبَادُ اللَّهِ الْأَخْيَارُ- وَ بَاعُوا قَلِيلًا مِنَ الدُّنْيَا لَا يَبْقَى- بِكَثِيرٍ مِنَ الْآخِرَهِ لَا يَفْنَى- مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سُفِكَتْ دِمَاؤُهُم وَ هُمْ؟بِصِفِّينَ؟- أَلَّا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءً يُسِيغُونَ الْغُصَصَ- وَ يَشْرَبُونَ الرَّنْقَ قَدْ وَ اللَّهِ لَقُوا اللَّهَ فَوَفَّاهُمْ أُجُورَهُمْ- وَ أَحَلَّهُمْ دَارَ الْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ- أَيْنَ إِخْوَانِيَ الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ- وَ مَضَوْا عَلَى الْحَقِّ أَيْنَ؟عَمَّارٌ؟ وَ أَيْنَ؟ابْنُ التَّيِّهَانِ؟- وَ أَيْنَ؟ذُو

ص:۳۹۱

الشَّهَادَتَیْنِ؟- وَ أَیْنَ نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِینَ تَعَاقَدُوا عَلَی الْمَنِیَّهِ- وَ أَبْرِدَ بِرُءُوسِهِمْ إِلَی الْفَجَرَهِ- قَالَ ثُمَّ ضَرَبَ بِیَدِهِ عَلَی لِحْیَتِهِ الشَّرِیفَهِ الْکَرِیمَهِ- فَأَطَالَ الْبُکَاءَ ثُمَّ قَالَ ع- أَوْهِ عَلَی إِخْوَانِیَ الَّذِینَ تَلَوُا؟الْقُرْآنَ؟ فَأَحْکَمُوهُ- وَ تَدَبَّرُوا الْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ- أَحْیَوُا السُّنَّهَ وَ أَمَاتُوا الْبِدْعَهَ- دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا وَ وَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ ثُمَّ نَادَی بِأَعْلَی صَوْتِهِ الْجِهَادَ الْجِهَادَ عِبَادَ اللَّهِ- أَلَا وَ إِنِّی مُعَسْکِرٌ فِی یَومِی هَذَا- فَمَنْ أَرَادَ الرَّوَاحَ إِلَی اللَّهِ فَلْیَخْرُجْ قال نوف:و عقد للحسین-علیه السلام-فی عشره آلاف،و لقیس بن سعد رحمه اللّه فی عشره آلاف،و لأبی أیوب الأنصاری فی عشره آلاف، و لغیرهم علی أعداد أخر،و هو یرید الرجعه إلی صفین،فما دارت الجمعه حتی ضربه الملعون ابن ملجم لعنه اللّه،فتراجعت العساکر فکنا کأغنام فقدت راعیها تختطفها الذئاب من کل مکان.

اللغه

أقول: جرانه: صدره .و عسیب ذنبه: طرفه .و استوسق الأمر: انتظم و اجتمع .

و أزمع: صمّم عزمه .و الرنق بالسکون: الکدر .و أبرد: أرسل .و أوه : ساکنه الواو مکسوره الهاء کلمه توجّع .و الاختطاف و التخطّف: الأخذ بسرعه .

المعنی

و الإشاره إلی العارف مطلقا،و قال بعض الإمامیّه:الإشاره إلی الإمام المنتظر،و لیس بواضح من هذا الکلام، استعاره و لفظ الجنّه مستعار فی الاستعداد للحکمه

ص:۳۹۲

بالزهد و العباده الحقيقيّتين و المواظبه على العمل بأوامر اللّه،و وجه الاستعاره أنّ بذلك الاستعداد يأمن إصابه سهام الهوى و ثوران دواعى الشهوات القايده إلى النار كما يأمن لابس الجنّه من أذى الضرب و الجرح .و أخذه لها بجميع آدابها من الإقبال عليها و المعرفه بها:أى بقدرها و التفرّغ لها عن العلايق الدنيويّه بالزهد من جمله الاستعداد لها أيضا، استعاره و استعار لها لفظ الضالّه لمكان إنشاده و طلبه كما تطلب الضالّه من الإبل،و إليه الإشاره بقوله عليه السّلام:الحكمه ضالّه المؤمن.

و قوله : فهو مغترب إذا اغترب الإسلام.

إشاره إلى إخفائه نفسه و إيثاره العزله عند اغتراب الإسلام و ضعفه و ظهور البدع و المنكرات كما أشار إليه سيّد المرسلين صلّى اللّه عليه و آله و سلم بدء الإسلام غريبا و سيعود غريبا كما بدء، استعاره بالكنايه و استعار لفظ العسيب و الذنب و الجران ملاحظه لشبهه بالبعير البارک، و كنّى بذلک عن ضعفه و قلّه نفعه فإنّ البعير أقلّ ما يكون نفعه حال بروكه.

و قوله : بقيّه من بقايا حجّته.

أى على خلقه.إذا العلماء و العارفون حجج اللّه فى الأرض على عباده،و ظاهر كونه خليفه من خلفاء أنبيائه لقوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم:العلماء ورثه الأنبياء.

و قوله : أيّها الناس.إلى قوله:تستوسقوا.

تذكير بموعظته لهم،و إعذار إليهم بأداء ما كلّف به فى حقّهم ممّا كلّفت به الأنبياء مع اممهم و الأوصياء إلى من بعدهم،و معاتبه لهم،و توبيخ على عدم استقامتهم و اجتماعهم على أوامره مع تأديبه لهم بالضرب و التحذير بالزواجر .

استفهام انكارى و قوله: للّه أنتم.إلى قوله:السبيل.

استفهام لهم عن توقّعهم إماما هاديا مرشدا غيره استفهاما على سبيل الإنكار لوجود سبيل ذلک الإمام ،و أكّد ذلک الإنكار المفهوم من الاستفهام بقوله: ألا إنّه قد أدبر من الدنيا ما كان مقبلا :أى من الخير و صلاح أهلها، و أقبل منها ما كان مدبرا :أى من الشرور الّتى أدبرت بمقدم الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم و ظهور الإسلام ، و أزمع الترحال عباد اللّه الأخيار المتوقّع فيهم إمام كمثله عليه السّلام فى الهدايه لسبيل اللّه،و

کنایه إزماعهم للترحال کنایه عن اقتضاء الزمان لفنائهم من الدنیا و الرحیل عنها . استعاره ثمّ استعار لفظ البیع لتعویضهم بالقلیل الفانی من متاع الدنیا و الکثیر الباقی من متاع الآخره .ثمّ أخذ فی التذکیر بنفی ضرر الموت و عدم الحیاه عن إخوانه من الصحابه الّذین قتلوا بصفّین،و زهّد فی تلک الحیاه بکونها محلّ تجرّع الغصص و شرب الکدر من الآلام و الأعراض و مشاهده المنکرات ،و لمّا زهّد فی تلک الحیاه نبّه علی مالهم فی عدمها من الفائده و هی لقاء اللّه،و توفیته لأجورهم علی الأعمال الصالحه،و حلولهم فی دار الأمن:أی الجنّه بعد خوفهم من فتن أهل الضلال .ثمّ أخذ فی استفهام عمّن رکب طریق الحقّ و مضی علیه مستصحبا له استفهاما علی سبیل التوجّع لفقدهم و التوحّش لفراقهم ،ثمّ عن أعیان أکابرهم فذکر عمّار بن یاسر.

و فضله فی الصحابه مشهور و أبوه عربیّ قحطانیّ و امّه کانت أمه لأبی حذیفه ابن المغیره المخزومیّ ولدت عمّارا فأعتقها أبو حذیفه فمن هناک کان عمّار مولی لبنی مخزوم،و أسلم هو و امّه سمیّه فعذّبهما بنو مخزوم فی اللّه فأعطاهم عمّار مولی أرادوا بلسانه مع اطمینان قلبه بالإیمان فنزلت فیه «إِلاّ مَنْ أُکْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِیمانِ» (۱)و هاجر إلی أرض الحبشه،و صلّی القبلتین،و هو من المهاجرین الأوّلین،و شهد بدرا و المشاهد کلّها،و ابلی بلاء حسنا،ثمّ شهد الیمامه فابلی فیها أیضا و یومئذ قطعت اذنه.و عن ابن عبّاس فی قوله تعالی «أَ وَ مَنْ کانَ مَیْتاً فَأَحْیَیْناهُ وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً یَمْشِی بِهِ فِی النّاسِ» (۲)قال:هو عمّار بن یاسر،و عن عایشه أنّها قالت:ما من أحد من أصحاب محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلم أشاء أن أقول فیه إلاّ قلت إلاّ عمّار بن یاسر فإنّی سمعته صلّی اللّه علیه و آله و سلم یقول:إنّه ملیء إیمانا إلی أخمص قدمیه.و عنه صلّی اللّه علیه و آله و سلم:عمّار جلده ما بین عینی تقتله الفئه الباغیه لا أنالها اللّه شفاعتی.و عنه صلّی اللّه علیه و آله و سلم من أبغض عمّاراً أبغضه اللّه.و أمّا ابن التیّهان بیاء مشدّده مفتوحه بنقطتین من تحت،و یروی مخفّفه ساکنه فهو من الأنصار کنیه أبو الهیثم.و اسمه مالک بن مالک،و قیل:بل اسم أبیه عمرو بن الحرب و هو-ابن التیّهان-کان أحد النقباء لیله العقبه،و شهد بدرا،و المشهور أنّه أدرک صفّین

۱- ۱) ۱۰۸-۱۶

۲- ۲) ۱۲۲-۶.

مع علیّ علیه السّلام و قتل بها،و قیل:توفّی فی زمان الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلم.و أمّا ذو الشهادتین فکنیه أبو عماره و اسمه حزیمه بن ثابت بن الفاکه بن ثعلبه الخطمی الأنصاری من الأوس.جعل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم شهادته بشهاده رجلین لقصّه مشهوره،و شهد بدرا و ما بعدها من المشاهد،و کانت رایه بنی خطمه من الأوس یوم الفتح بیده،و شهد صفّین مع علیّ علیه السّلام فلمّا قتل عمّار قاتل هو حتّی قتل معه.و نظراؤهم من إخوانه:

أی الّذین قتلوا بصفّین معه من الصحابه کابن بدیل و هاشم بن عتبه و نحوهما،و تعاقدهم علی المنیّه اتّفاقهم علی المقاتله إلی غایه أن یقتلوا.و روی:تعاهدوا.

و الفجره الّذین حملت رؤوسهم إلیهم امراء الشام .ثمّ أخذ فی التشکّی و التوجّع علی فقدهم .ثمّ أشار إلی فضائلهم الّتی هی غایه الشریعه المطلوبه منهم و هی تلاوه القرآن و إحکامه بفهم مقاصده و معانیه،و التدبّر للفرض:أی فهم ما لأجله العبادات و إقامتها و المواظبه علیها نظرا إلی أسرارها،و إحیاء السنن النبویّه،و إماته البدع المخالفه لها ،و إجابتهم للدعوه إلی الجهاد لإقامه الدین،و وثوقهم إلیه فی سبیل اللّه یعنی نفسه و اتّباعهم له،و الرواح إلی اللّه الخروج إلی الجهاد الّذی هو سبیله الموصله إلیه و إلی ثوابه.و قیس بن سعد الخزرجی صحابی کنیته أبو عبد الملک روی عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم أحادیث و أبوه سعد من رؤساء بالخزرج و هو سعد بن عباده الّذی حاولت قومه إقامته خلیفه بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم و کان قیس هذا من کبار شیعه علیّ و محبّیه،و شهد معه حروبه کلّها،و کان مع الحسن ابنه و نقم علیه صلحه لمعاویه.

و أمّا أبو أیّوب الأنصاریّ فهو خالد بن سعد بن کعب الخزرجی من بنی النجّار شهد العقبه و بدرا و سایر المشاهد،و علیه نزل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم لمّا خرج من بنی عمرو بن عوف حین قدم المدینه مهاجرا فلم یزل عنده حتّی بنی مسجده و مساکنه ثمّ انتقل إلیها،و شهد مع علیّ مشاهده کلّها الجمل و صفّین،و کان علی مقدّمته یوم النهروان.و باللّه التوفیق.

۱۸۲-و من خطبه له علیه السّلام

القسم الأول

اشاره

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَیْرِ رُؤْیَهٍ- وَ الْخَالِقِ مِنْ غَیْرِ مَنْصَبَهٍ خَلَقَ الْخَلاَئِقَ

بِقُدْرَتِهِ- وَ اسْتَعْبَدَ الْأَرْبَابَ بِعِزَّتِهِ وَ سَادَ الْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ- وَ هُوَ الَّذِی أَسْكَنَ الدُّنْیَا خَلْقَهُ- وَ بَعَثَ إِلَی الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ رُسُلَهُ- لِیَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غِطَائِهَا وَ لِیُحَذِّرُوهُمْ مِنْ ضَرَّائِهَا- وَ لِیَضْرِبُوا لَهُمْ أَمْثَالَهَا وَ لِیَهْجُمُوا عَلَیْهِمْ بِمُعْتَبَرٍ مِنْ تَصَرُّفِ مَصَاحِّهَا وَ أَسْقَامِهَا- وَ لِیُبَصِّرُوهُمْ عُیُوبَهَا و حَلاَلِهَا وَ حَرَامِهَا- وَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِلْمُطِیعِینَ مِنْهُمْ وَ الْعُصَاهِ- مِنْ جَنَّهٍ وَ نَارٍ وَ كَرَامَهٍ وَ هَوَانٍ- أَحْمَدُهُ إِلَی نَفْسِهِ كَمَا اسْتَحْمَدَ إِلَی خَلْقِهِ- وَ جَعَلَ «لِكُلِّ شَیْءٍ قَدْراً» وَ لِكُلِّ قَدْرٍ أَجَلاً وَ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَاباً

اللغه

أقول: المنصبه: التعب .

المعنی

و حمد اللّه باعتبار كونه معروفا بآیات آثاره عند العقول المعرفه المنزّهه عن إدراك البصر المختصّ بالأجسام و لواحقها .ثمّ باعتبار كونه خالقا و موجدا الایجاد المنزّه عن المتاعب لاستلزامها الآلات المستلزمه للجسمیّه الّتی من شأنها الضعف و النهایه فی القوّه.ثمّ نبّه علی استناد الخلایق و النعم المفاضه إلی قدرته لیعتبر السامعون نسبتهم إلیه،و باعتبار استعباده الأرباب علی كمال عزّه المطلق الواجبیّ المستلزم لخضوع كلّ موجود فی ذلّ الإمكان و الحاجه إلیه،و بسیادته للعظماء علی كمال عظمه وجوده الواجبیّ المطلق المستلزم لفقر كلّ إلیه و تعبّده له ،ثمّ بنسبه إسكانهم الدنیا و بعثه رسله إلی الجنّ و الإنس منهم كما قال «یا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ أَ لَمْ یَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ یَقُصُّونَ عَلَیْكُمْ آیاتِی» (1)الآیه علی كمال لطفه بخلقه و حكمته فی إیجادهم فی الدنیا.و غایه ذلك أن یكشفوا لهم ما یغطّی بحجب الدنیا عن أعین بصائرهم من أحوال الآخره الّتی خلقوا لها ،و أن یجذبوهم بالتحذیر من

۱- (۱) ۶-۱۳۰.

ضرّ الدنيا و عواقبها و ضرب الأمثال بنسبتها كما فى القرآن الكريم «إِنَّما مَثَلُ الْحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ» (۱)الآيه و أمثالها،و أن يبصروهم عيوبها،و أن يهجموا عليهم بما فى تصاريفها من العبره و هى الصحّه و السقم و ما أحلّ و حرّم على طريق الابتلاء به .و حلالها عطف على تصرّف،و يحتمل أن يكون عطفا على أسقامها باعتبار أنّ الحلال و الحرام من تصاريف الدنيا،و بيانه أنّ كثيرا من المحرّمات لنبىّ كانت حلالا لنبىّ قبله،و بالعكس و ذلک تابع لمصالح الخلق بمقتضى تصاريف أوقاتهم و أحوالهم الّتى هى تصاريف الدنيا.

و قوله: و ما أعدّ اللّه.

إمّا عطف على معتبر أو على عيوبها:أى و يبصرونهم ما أعدّ اللّه للمطيعين و العصاه.إلى آخره.

و قوله : أحمده إلى نفسه كما استحمد إلى خلقه.

أى أحمده حمدا يكون فى الكيفيّه و الكميّه على الوجه الّذى طلب الحمد لنفسه من خلقه.

و قوله: جعل «لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً» .

كقوله تعالى «قَدْ جَعَلَ اللّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً» (۲)أى مقدارا من الكيفيّه و الكميّه ينتهى إليه و حدّا يقف عنده، و لكلّ قدر أجلا :أى و لكلّ مقدار وقت يكون،انقضاؤه فيه و فناؤه و لكلّ أجل كتابا و أراد بالكتاب العلم الإلهى المعبّر عنه بالكتاب المبين و اللوح المحفوظ المحيط بكلّ شىء و فيه رقم كلّ شىء.و باللّه التوفيق.

القسم الثانى منهافى ذكر القرآن

اشاره

؟فَالْقُرْآنُ؟ آمِرٌ زَاجِرٌ وَ صَامِتٌ نَاطِقٌ- حُجَّهُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ أَخَذَ عَلَيْهِ مِيثَاقَهُمْ- وَ ارْتَهَنَ عَلَيْهِمْ أَنْفُسَهُمْ أَتَمَّ نُورَهُ- وَ أَكْمَلَ بِهِ دِينَهُ وَ قَبَضَ نَبِيَّهُ ص- وَ قَدْ فَرَغَ إِلَى الْخَلْقِ مِنْ أَحْكَامِ

ص:۳۹۷

۱- ۱) ۲۵-۱۰

۲- ۲) ۳-۶۵.

الْهُدَى بِهِ- فَعَظِّمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ- فَإِنَّهُ لَمْ يُخْفِ عَنْكَمْ شَيْئاً مِنْ دِينِهِ- وَ لَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ إِلاَّ وَ جَعَلَ لَهُ عَلَماً بَادِياً- وَ آيَةً مُحْكَمَةً تَزْجُرُ عَنْهُ أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ- فَرِضَاهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ وَ سَخَطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَى عَنْكُمْ بِشَيْءٍ سَخِطَهُ- عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ- وَ لَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ بِشَيْءٍ رَضِيَهُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ- وَ إِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي أَثَرٍ بَيِّنٍ- وَ تَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ الرِّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ- قَدْ كَفَاكُمْ مَئُونَةَ دُنْيَاكُمْ وَ حَثَّكُمْ عَلَى الشُّكْرِ- وَ افْتَرَضَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمُ الذِّكْرَ وَ أَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَى- وَ جَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضَاهُ وَ حَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ- فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِعَيْنِهِ وَ نَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ- وَ تَقَلُّبُكُمْ فِي قَبْضَتِهِ- إِنْ أَسْرَرْتُمْ عَلِمَهُ وَ إِنْ أَعْلَنْتُمْ كَتَبَهُ- قَدْ وَكَّلَ بِذَلِكَ حَفَظَةً كِرَاماً لاَ يُسْقِطُونَ حَقّاً وَ لاَ يُثْبِتُونَ بَاطِلاً- وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ «مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً» مِنَ الْفِتَنِ- وَ نُوراً مِنَ الظُّلَمِ وَ يُخَلِّدْهُ فِيمَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ- وَ يُنْزِلْهُ مَنْزِلَ الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ فِي دَارٍ اصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ- ظِلُّهَا عَرْشُهُ وَ نُورُهَا بَهْجَتُهُ- وَ زُوَّارُهَا مَلاَئِكَتُهُ وَ رُفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ- فَبَادِرُوا الْمَعَادَ وَ سَابِقُوا الْآجَالَ- فَإِنَّ النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الْأَمَلُ وَ يَرْهَقَهُمُ الْأَجَلُ- وَ يُسَدَّ عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَةِ- فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ- وَ أَنْتُمْ

بَنُو سَبِيلٍ عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ- وَ قَدْ أُوذِنْتُمْ مِنْهَا بِالاِرْتِحَالِ وَ أُمِرْتُمْ فِيهَا بِالزَّادِ وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ- فَارْحَمُوا نُفُوسَكُمْ- فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ الدُّنْيَا- أَ فَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَهِ تُصِيبُهُ- وَ الْعَثْرَهِ تُدْمِيهِ وَ الرَّمْضَاءِ تُحْرِقُهُ- فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَابَقَيْنِ مِنْ نَارٍ- ضَجِيعَ حَجَرٍ وَ قَرِينَ شَيْطَانٍ- أَ عَلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكاً إِذَا غَضِبَ عَلَى النَّارِ- حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضاً لِغَضَبِهِ- وَ إِذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعاً مِنْ زَجْرَتِهِ- أَيُّهَا الْيَفَنُ الْكَبِيرُ الَّذِي قَدْ لَهَزَهُ الْقَتِيرُ- كَيْفَ أَنْتَ إِذَا الْتَحَمَتْ أَطْوَاقُ النَّارِ بِعِظَامِ الْأَعْنَاقِ- وَ نَشِبَتِ الْجَوَامِعُ حَتَّى أَكَلَتْ لُحُومَ السَّوَاعِدِ- فَاللَّهَ اللَّهَ مَعْشَرَ الْعِبَادِ- وَ أَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي الصِّحَّهِ قَبْلَ السُّقْمِ- وَ فِي الْفُسْحَهِ قَبْلَ الضِّيقِ- فَاسْعَوْا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْلَقَ رَهَائِنُهَا- أَسْهِرُوا عُيُونَكُمْ وَ أَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ- وَ اسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ وَ أَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ- وَ خُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ فَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ- وَ لاَ تَبْخَلُوا بِهَا عَنْهَا فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ- «إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ» - وَ قَالَ تَعَالَى «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ وَ لَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ» - فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ

مِنْ ذُلٍّ- وَ لَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ- اسْتَنْصَرَكُمْ وَ لَهُ «جُنُودُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» «وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» وَ اسْتَقْرَضَكُمْ وَ لَهُ «خَزائِنُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» وَ «هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ» وَ إِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَبْلُوَكُمْ «أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» - فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ اللَّهِ فِي دَارِهِ- رَافَقَ بِهِمْ رُسُلَهُ وَ أَزَارَهُمْ مَلاَئِكَتَهُ- وَ أَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نَارٍ أَبَداً- وَ صَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوباً وَ نَصَباً- «ذلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» -أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ «وَ اللّهُ الْمُسْتَعانُ» عَلَى نَفْسِي وَ أَنْفُسِكُمْ- وَ هُوَحَسْبُی* «وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ»

اللغه

أقول: اليفن. الشيخ الكبير .و القتير: الشيب .و لهزه: خالطه .و الجوامع:

جمع جامعه و هی الغلّ لجمعها الأيدی إلی الأعناق .و اللغوب: التعب .

المعنی

مجاز من باب إطلاق اسم السبب علی المسبّب و قد وصف القرآن الكريم بالأضداد المتعاديه لاختلاف الاعتبارات: فالآمر مع الزاجر .و إطلاقهما عليه مجاز من باب إطلاق اسم السبب علی المسبّب.إذ الآمر و الناهی هو اللّه تعالی ، مجاز من باب إطلاق اسم المتعلّق علی المتعلّق و الصامت مع الناطق .و إطلاق لفظ الناطق عليه مجاز.إذ الناطق هو المتكلّم به من باب إطلاق اسم المتعلّق علی المتعلّق ،و كونه حجّه اللّه علی خلقه لاشتماله علی وعدهم و وعيدهم،و بيان غايه وجودهم و المطلوب منهم و الإعذار إليهم« «أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَهِ إِنّا كُنّا عَنْ هذا غافِلِينَ» » (1)و لأنّه خلاصه ما بعث به الرسول صلّی اللّه عليه و آله و سلم و قد بعث رسله «مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ لِئَلاّ يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَی اللّهِ حُجَّهٌ بَعْدَ الرُّسُلِ» ،و لأنّه أقوی المعجزات الّتی احتجّ بها الرسول صلّی اللّه عليه و آله و سلم علی الخلق فی صدقه.

و قوله : أخذ عليهم ميثاقه.

۱- ۱) ۷-۱۷۱.

الضمیر فی أخذ للّه و فی میثاقه للکتاب،و ذلک الأخذ هو خلقهم و بعثهم إلی الوجود إلی أن یعملوا بما اشتمل علیه الکتاب من مطالب اللّه الحقّه،و هو ما أشار إلیه القرآن الکریم «وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّیَّتَهُمْ» (۱)الآیه، و التقدیر أخذ علیهم میثاق بما فیه.

و قوله: وارتهن علیه أنفسهم.

أی جعل أنفسهم رهنا علی العمل بما فیه و الوفاء به «فَمَنْ نَکَثَ فَإِنَّما یَنْکُثُ عَلی نَفْسِهِ وَ مَنْ أَوْفی بِما عاهَدَ عَلَیْهُ اللّهَ فَسَیُؤْتِیهِ أَجْراً عَظِیماً » (۲)،و أتمّ به نوره:

أی نور هدایته للخلق،و النور المتمّم هو نور النبوّه و هو المشار إلیه بقوله تعالی «یُرِیدُونَ أَنْ یُطْفِؤُا نُورَ اللّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ یَأْبَی اللّهُ إِلاّ أَنْ یُتِمَّ نُورَهُ» (۳)و إطفاؤه بما کانوا یقولونه من کونه صلّی اللّه علیه و آله و سلم معلّم مجنون و ساحر کذّاب،و کون القرآن أساطیر الأوّلین اکتتبها.و کذلک أکرم به دینه.

و قوله: و قبض نبیّه.إلی قوله:به.

کقوله تعالی «اَلْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ» الآیه،و أحکام الهدی بیان طرقه و کیفیّه سلوکها و تثبیتها فی قلوب المؤمنین .ثمّ أمر بتعظیم اللّه سبحانه و تعالی.

یقال:عظّمت من فلان.کما یقال:عظّمته،و ما هنا مصدریّه:أی عظّموه کتعظیمه نفسه:أی اطلبوا المناسبه فی تعظیمکم له کتعظیمه نفسه.ثمّ أشار إلی وجه وجوب تعظیمنا له و هو قوله : لم یخف عنکم شیئا من دینه بل کشفه لنا و بیّنه بأجمعه بقدر الإمکان،و لم یترک شیئا من مراضیه و مکارهه إلاّ نصب علیه علما ظاهرا أو آیه واضحه من کتابه یشتمل علی أمر بما یرضیه أو زجر عمّا یکرهه.

و قوله : فرضاه فیما بقی واحد و سخطه فیما بقی واحد.

إشاره إلی أنّ المرضیّ له من الأحکام أو المسخوط فیما مضی هو المرضیّ أو المسخوط فیما بقی من الأوقات و استقبل من الزمان،و حکمه فی کونه مرضیّا أو مسخوطا واحد فی جمیع الأوقات لا یتغیّر و لا ینقض،و فیه إیماء إلی أنّ رفع شیء

۱- (۱) ۷-۱۷۱

۲- (۲) ۱۰-۴۸.

۳- (۳) ۳۲-۹.

من الأحكام السابقه بالقياس و الرأى لا يجوز كما سبق بيان مذهبه عليه السّلام فى ذلك .

و قوله: أنّه لن يرضى عنكم بشىء سخطه على من كان قبلكم.إلى قوله:

قبلكم.

تأكيد و تقرير لما سبق:أى أنّ ما سخطه و نهى عنه الصحابه مثلا.فلن يرضى عنكم بفعله فليس لكم أن تجوّزوه و تحلّوه باجتهاد،و كذلك ما رضيه لهم و أمرهم به فلن يسخط عليكم بفعله حتّى تحرّموه باجتهاد منكم.و يحتمل أن يريد بقوله:

فرضاه فيما بقى واحد و سخطه فيما بقى واحد:أى فيما بقى من الأحكام الجزئيّه الّتى لم يدلّ النصّ عليها بالمطابقه بل يحتاج إلى اجتهاد فى إلحاقها بالمنصوص و إدراجها تحت النصوص.و معنى وحده رضاه و سخطه فيها أنّ الحكم المطلوب أو المكروه فيها واحد لا يجوز الاختلاف فيه حتّى يحكم أحد المجتهدين فى الشىء الواحد بالحلّ و يحكم الآخر فيه بالحرمه،و يختلف الفتاوى فى تلك القضيّه.

لأنّها إمّا مسخوطه أو مرضىّ.و يكون ذلك نهيا منه عليه السّلام عن الاختلاف فى الفتيا كما علمت ذمّه لذلك فيما سبق من الفصول،و يكون قوله:و اعلموا أنّه لن يرضى عنكم.إلى قوله:قبلكم.فى معنى النهى عن رفع الأحكام الشرعيّه بالاجتهاد و القياس كما قرّرناه،و قيل:معناه النهى عن الاختلاف فى الفتيا أيضا:أى أنّه لن يرضى عنكم بالاختلاف الّذى سخطه ممّن كان قبلكم كما أشار إليه تعالى بقوله «إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ» (1)و كذلك ليس يسخط عليكم بالإتّفاق و الاجتماع المرضىّ ممّن كان قبلكم،و قيل:بل المراد أنّه لم يرض عنكم بشىء سخطه ممّن كان قبلكم من الاعتقادات الباطله فى المسائل الإلهيّه،و لم يسخط عليكم بشىء رضيه ممّن كان قبلكم من الاعتقادات الحقّه فيها،و يكون ذلك مختصّا بالاصول دون الفروع .

و قوله: و إنّما تسيرون فى أثر بيّن.إلى قوله:قبلكم.

إشاره إلى أنّ الأدلّه لكم واضحه قد تداولها الأوّلون قبلكم.فأنتم المتكلّمون

۱- ۱) ۱۶۰-۶.

بها و تردّدونها رجع القول المردّد منهم .

و قوله: قد كفاكم مئونه دنياكم.

كقوله تعالى «وَ آتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ» (۱)و تلك الكفايه إمّا بخلقها و إيجادها،و إمّا برزقه بكلّ ما كتب له فى اللوح المحفوظ.و حثّه على الشكر فى تكرار أوامره به.و نقل عن الحسن البصرىّ أنّه قال:إنّ اللّه كفانا مئونه دنيانا و حثّنا على القيام بوظائف ديننا فليته كفانا مئونه ديننا و حثّنا على القيام بوظائف دنيانا،و هو إشاره منه إلى شدّه التحفّظ فى الدين و الاحتراز عليه.

و قوله: و افترض من ألسنتكم الذكر.

لمّا كان لكلّ من الجوارح عباده كانت العباده المفروضه باعتبار اللسان الذكر، و قد علمت أنّه باب عظيم من أبواب السلوك إلى اللّه بل هو روح العبادات كلّها.

إذ كلّ عباده لم يشفع بالذكر فهى خداج . استعاره ثمّ نبّه على التقوى بوصيّه اللّه تعالى فيها،ثمّ بكونها منتهى رضاه و حاجته من خلقه،و لفظ الحاجه مستعار.إذ تنزّه قدسه تعالى عنها،و وجه مشابهته للمحتاج هو الحثّ و الطلب المتكرّر منه حتّى كأنّه محتاج إلى عباده العباد و تقويهم،و لمّا استلزمت التقوى الحقيقيّه الوصول إلى اللّه لا جرم كانت منتهى رضاه من خلقه .ثمّ أمرهم بها بعد التنبيه عليها . مجاز إطلاقا لاسم السبب على المسبّب و نبّه على الوجوه الّتى لأجلها تحصل تقوى اللّه و خشيته و هى كونهم بعينه:أى بحيث يعلم ما يعملون،و لفظ العين مجاز فى العلم إطلاقا لاسم السبب على المسبّب لاستلزامها إيّاه ،و كون نواصيهم بيده:أى فى قدرته.و إنّما خصّ الناصيه إشاره إلى أنّ أعظم جوارح الإنسان و أشرف ما فيه مملوك.و اليد مجاز فى القدره إطلاقا لاسم السبب القابلىّ على المسبّب،و كذلك كون تقلّبهم فى قبضته :أى تصرّفهم فى حركاتهم و سكناتهم بحسب تصريف قدرته و حكمه لا خروج عنه فى شىء .

و قوله: إن أسررتم.

كقوله تعالى «يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ» .

ص:۴۰۳

۱- ۱) ۳۷-۱۴.

و قوله: إن أعلنتم كتبه.إلى قوله:باطلا.

قد سبقت الإشاره إلى الكتبه غير مرّه.ثمّ أكّد القول فى التقوى بقوله :

و اعلموا.إلى قوله:من الفتن .و هو لفظ القرآن.

و قوله: من الفتن.

تفسير لقوله:مخرجا. و نورا من الظلم .أى من ظلم الجهل بأنوار العلوم الحاصله عن الاستعداد بالتقوى .

و قوله: و يخلده فيما اشتهت نفسه.

كقوله تعالى «وَ هُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خالِدُونَ» (۱)و منزل الكرامه هو المنزل المبارك المأمور بطلبه فى قوله تعالى «وَ قُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبارَكاً وَ أَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ» (۲)كنايه و الدار الّتى اصطنعها لنفسه كنايه عن الجنّه،و نسبها إلى نفسه تعظيما لها و ترغيبا فيها .و ظاهر حسن تلك النسبه فإنّ الجنّه المحسوسه أشرف دار رتّبت لأشرف المخلوقات.و أمّا المعقوله فيعود إلى درجات الوصول و الاستغراق فى المعارف الإلهيّه الّتى بها السعاده و البهجه و اللذّه التامّه و هى جامع الاعتبار العقلىّ لمنازل أولياء اللّه و خاصّته و مقامات ملائكته و رسله.و من المتعارف أنّ الملك العظيم إذا صرف عنايته إلى بناء دار يسكنها هو و خاصّته أن يقال إنّها تخصّ بالملك و أنّه بناها.و ظاهر الكلام يدلّ على أنّها فى السماوات و أنّ العرش عليها، و فى هذه الكلمه لطيفه و ذلك أنّك علمت أنّ العرش يطلق و يراد به الفلك التاسع، و يطلق و يراد به العقل الأوّل باعتبار إحاطه علمه بجميع الموجودات و باعتبار حمله لمعرفه صانعه الأوّل-جلّت عظمته-،و يطلق و يراد به سلطانه و عظمته . استعاره و استعار لفظ الظلّ للعرش بالمعنى الأوّل باعتبار أنّ حركه الفلك من الأسباب المعدّه لوصول النفوس البشريّه و الفلكيّه إلى كمالها بالمعارف الإلهيّه الّتى بها الراحه الكبرى من حراره نار الجهل كما أنّ بالظلّ يكون الراحه من حراره الشمس.

و بالمعنى الثانى أيضا هو أنّ المعارف الإلهيّه المفاضه على أسرار المستعدّين من

۱- ۱) ۱۰۲-۲۱

۲- ۲) ۳۰-۲۳.

قبل ذلک الملک المقدّس یکون بها الراحه الکبری کما تکون بالظلّ أیضا.و بالمعنی الثالث أنّ سلطانه تعالی و علوّه هو المستولی علی کلّ سلطان و العالی علیه العلوّ المطلق.و إذ هو مبدء راحه جمیع النفوس بجمیع کمالاتها العقلیّه فهو ظلّها الّذی إلیه یلجأ.و إطلاق لفظ الظلّ علی النعمه و السلطان فی العرف ظاهر یقال:أنا فی ظلّ فلان و فی ظلّ الملک و عدله إذا کان فی نعمه منه و عنایته.

و قوله: و نورها بهجته.

فبهجته تعالی تعود إلی بهائه و کماله المشرق فی أقطار العالمین علی أسرار النفوس.و ظاهر کونه نور الجنّه الّذی تعشی فیه أبصار البصائر،و یستغرق فی الابتهاج به الملائکه المقرّبون.

استعاره و قوله: و زوّارها ملائکته و رفقاؤها رسله.

فیه لطیفه:و ذلک أنّه لمّا کانت النفوس البشریّه متّحده کانت متقاربه المنازل فی الکمال،و ممکن لها ذلک.فعبّر عن الرسل بالرفقاء فی الجنّه لسکّانها.و لمّا خالفت أنواع الملائکه السماویّه و المجرّدین عن علایق الأجسام فی الحقائق و تفاوتت فی الکمالات لا جرم خصّص الملائکه بکونهم زوّارها:أی زوّار ساکنیها.

إذ کان الرفیق ألصق و أقرب من الزائر.و عبّر بتلک الزیاره عن حضور الملأ الأعلی عند النفوس الکامله عند[حین خ]انقطاعها عن العلایق الحسیّه و التفاتها عنها.و لمّا کان ذلک الحضور غیر دایم بل بحسب فلتات النفس أشبه الزیاره فاستعیر له لفظها.و إنّما کان الملک هو الزائر دون النفس لأنّ صورته و مثاله هو الواصل إلی النفس عند استعدادها لتصوّره من فیض واهب الصور .ثمّ عاد إلی التذکیر بأمر المعاد فأمر بمبادرته إلی المعالجه إلی ما یصلحه و یخلص من أهواله من سائر القربات إلی اللّه.و کذلک مسابقه الآجال.

و قوله : فإنّ الناس یوشک أن ینقطع بهم الأمل.

أی أمل الدنیا و البقاء فیها.و لأجل ذلک الانقطاع و قربه یجب أن یلتفت إلی صلاح المعاد. و یرهقهم الأجل :أی یلحقهم.فلأجل ذلک اللحوق یجب أن یسارع

إلی العمل لما یبقی. و یسدّ عنهم باب التوبه بإدراک الأجل فیجب مبادرتها.

و قوله : فقد أصبحتم.إلی قوله:قبلکم.

أی أصبحتم فی حال الحیاه و الصحّه و الأمن و سایر الأسباب الّتی یتمنّی من کان قبلکم الرجعه إلیها،و یمکنکم معها العمل.

استعاره و قوله : و أنتم بنو سبیل.إلی قوله:بالزاد.

فالواو فی أنتم للحال،و استعار لهم وصف بنو السبیل لکونهم فی هذه الدار بالعرض تقصد بهم العنایه الإلهیّه غایه اخری ،و تحثّهم بالشریعه علی الرحیل عن الدنیا فهم فیها کالمسافرین.فأبواب مدینتهم جود اللّه.و أقرب الأبواب إلی الدنیا الأرحام الّتی منها یخرجون إلیها.و أبواب الخروج منها هی الموت. استعاره و لفظ السفر مستعار مشهور یقرب من الحقیقه.و ظاهر أنّ دارا لا یبقی الإنسان فیها بل تکون مرافق لطریق دار اخری لیست بدار للسالک إلی تلک الدار ،و نبّه علی إیذانهم فیها بالرحیل منها تنفیرا عن الرکون إلیها و اتّخاذها وطنا،و علی أمرهم باتّخاذ الزاد فیها تنبیها علی أنّ هناک غایه لها یجب أن یستعدّ للسلوک إلیها فیها.و لفظ الزاد مستعار لتقوی اللّه و طاعته الّتی هی زاد النفوس إلی حضره ربّ العالمین.

و قوله : و اعلموا.إلی قوله:نفوسکم.

تذکیر بالوعید علی المعاصی،و أمر لهم برحمه نفوسهم.و ذلک بالأعمال الصالحه و اتّباع أوامر اللّه.

و قوله: فإنّکم قد جرّبتموها.إلی قوله:شیطان.

فی قوّه احتجاج علی وجوب تلک الرحمه.و تلخیصه أنّکم جرّبتم أنفسکم فی هذه الأمور الحقیره فجزعتم،و کلّ من جزع من أمثال هذه فبالأولی أن یجزع من کونه بین طابقین من نار ضجیع حجر و قرین شیطان،و قد علمت فیما سلف أنّ للنار سبع طبقات و هی درکاتها،و ضجیع حجر من قوله تعالی «وَقُودُهَا النّاسُ وَ الْحِجارَهُ» ، و قرین شیطان من قوله «فَکُبْکِبُوا فِیها هُمْ وَ الْغاوُونَ وَ جُنُودُ إِبْلِیسَ أَجْمَعُونَ» (۱)

ص:۴۰۶

۱- ۱) ۹۴-۲۶.

و هم الشياطين،و قوله «وَ مَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ» (١)إلى قوله «وَ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذابِ مُشْتَرِكُونَ» (٢).

و قوله : أعلمتم أنّ مالكا.إلى قوله:زجرته.

من صفات النار المحسوسه ذكرها للتخويف و التحذير.

و قوله : أيّها اليفن الكبير.إلى قوله:السواعد.

خطاب للشيخ الكبير لأنّه أولى بالإقلاع عن المعصيه لقربه من الآخره.و سؤاله عن حاله سؤاله تقريع و توبيخ على المعصيه.و أطواق النار المحسوسه ظاهره، و أطواقها المعقوله تمكّن الهيئات البدنيّه من أعناق النفوس،و أغلالها من سواعدها .

ثمّ أخذ فى التحذير من اللّه لغايه العمل بما يرضيه حال الصحّه و الفسحه قبل لحوق ضدّيهما. استعاره ثمّ فى الأمر بالسعى لغايه فكاك رقابهم من النار.قبل أن تغلق رهائنها بآثامها.و قد علمت وجه الاستعاره هنا للرهن. كنايه ثمّ فى الأمر بالسهر ،و كنّى به عن قطع الليل بالعباده كقوله تعالى «وَ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَ سَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً» (٣)و إنّما خصّ الليل لأنّه مظنّه الخلوه باللّه و الفراغ من الناس،و لأنّ النهار محلّ عباده اخرى كالجهاد و الكدح للعيال.ثم بتضمير البطون ،و كنّى به عن صيام النهار.

ثمّ باستعمال أقدامهم ،و كنّى به عن القيام فى الصلاه.ثمّ بإنفاق أموالهم ،و كنّى به عن الصدقات و الزكوات فى سبيل اللّه .ثمّ بالأخذ من أجسادهم ،و كنّى به عن إذابتها بالصيام و القيام للصلوات و إيثار القشف المستلزم للإعراض عن تربيته هذه الأجساد لاستلزام ذلك حبّ الدنيا و الإقبال على لذّاتها.و لا شكّ أنّ الأخذ من الجسد بهذه العبادات جود على النفس بملكات الخير و القرب من اللّه تعالى،و لذلك قال: فجودوا بها على أنفسكم و لا تبخلوا بها عنها .و فى ذكر أنّ إتعاب الجسد جود على النفس ترغيب فيه. استعاره ثمّ استشهد بالآيتين على وعد اللّه بالنصر لمن نصره،و بمضاعفه الأجر لمن أقرضه بعد أمره بنصر اللّه بامتثال أوامره و بقرضه بالصدقات، و وجه استعاره لفظ القرض كثره الأوامر الإلهيّه الطالبه للصدقات فاشبهت طلب

۱- ۱) ۳۵-۴۳

۲- ۲) ۳۸-۴۳.

۳- ۳) ۲۶-۷۶.

المحتاج المستقرض،و فائده هذه الاستشهاد إلى قوله : أيّكم أحسن عملا .إعلامهم بانّه الغنّى المطلق عن عباده فيما طلبه منهم من نصره و قرض،و بيان غايه العنايه الإلهيّه منهم بذلك و هو الابتلاء،و قد علمت ابتلاء اللّه تعالى لخلقه غير مرّه .ثمّ أعاد الأمر بالمبادره إلى أعمال الآخره لغايه الكون مع خزّان اللّه[جيران اللّه-خ-]فى جنّته مرافقين لرسله كما قال تعالى «وَ فُتِحَتْ أَبْوابُها وَ قالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خالِدِينَ» (۱)و مرافقه رسله كقوله تعالى «فَأُولٰئِکَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَداءِ وَ الصّالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً» (۲)و مزارين للملائكه كقوله تعالى «وَ الْمَلائِكَهُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدّارِ» (۳)و تكرمه أسماعهم أن يسمع حسيس نار أبدا كقوله تعالى «لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَها وَ هُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خالِدُونَ » (۴)و صيانه أجسادهم أن يلقى لغوبا و نصبا كقوله تعالى «لا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ وَ لا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ» (۵).

اقتباس و قوله: ذلك فضل اللّه الآيه.

اقتباس للآيه و وجه الاقتباس ظاهر .

و قوله: أقول.إلى آخره.

خاتمه الخطبه،و فيها الاستعانه باللّه على النفوس الأمّاره بالسوء فى قهرها و تطويعها للنفوس المطمئنّه فإنّه نعم المعين «وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ» .

۱۸۳-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

قاله للبرج بن مسهر الطائى،و قد قال له بحيث يسمعه:

«لا حكم إلا للّه»،و كان من الخوارج اُسْكُتْ قَبَحَکَ اللَّهُ يَا أَثْرَمُ- فَوَاللَّهِ لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ فَكُنْتَ فِيهِ ضَئِيلاً شَخْصُکَ- خَفِيّاً صَوْتُکَ حَتَّى إِذَا نَعَرَ الْبَاطِلُ نَجَمْتَ نُجُومَ قَرْنِ الْمَاعِزِ

۱- ۱) ۷۳-۳۹

۲- ۲) ۷۱-۴

۳- ۳) ۲۴-۱۳

۴- ۴) ۱۰۲-۲۱

۵- ۵) ۳۲-۳۵

اللغه

أقول:هو البرج بالباء المضمومه و الجيم.و قبّحه اللّه: نحّاه عن الخير .

و أثرم: ساقط الثنيه .و الضئيل: الصغير الحقير النحيف .و نعر: صاح .و نجم: طلع .

المعنى

و كان البرج شاعرا مشهورا من شعراء الخوارج نادى بشعارهم بحيث يسمعه عليه السّلام فزجره و قبّحه و دعاه بآفته إهانه له و انتقاصا كما هو العاده فى إهانه ذوى العاهات بذكر آفاتهم ، كنايه و كنّى بضئوله شخصه عند ظهور الحقّ عن حقارته فى زمن العدل بين الجماعه و خمول ذكره-و ظهور الحقّ زمان قوّه الإسلام و قبل ظهور الفتن و قوّه الباطل-،و بخفاء صوته عن عدم الالتفات إلى أقواله و حقارته ، استعاره و استعار لفظ النعير لظهور الباطل ملاحظه لشبهه فى قوّته و ظهوره بالرجل الصائل الصائح بكلامه عن جرأه و شجاعه،و شبّه ظهوره بين الناس و ارتفاع ذكره عند ظهور الباطل و قوّته بظهور قرن الماعز فى السرعه بغته:أى طلعت بلا شرف و لا شجاعه و لا قدم بل على غفله كنبات قرن الماعز و من البلاغه تشبيه من يراد إهانته بالمهين الحقير و تشبيه من يراد تعظيمه بالعظيم الخطير ،و باللّه التوفيق.

۱۸۴-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

روى أن صاحبا لأمير المؤمنين عليه السلام-يقال له:همام-كان رجلا عابدا،فقال له:يا أمير المؤمنين،صف لى المتقين حتى كأنى أنظر إليهم! فتثاقل عليه السلام عن جوابه،ثم قال:يا همّام اتّق اللّه و أحسن ف «إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ»)فلم يقنع همام بهذا القول حتى عزم عليه،فحمد اللّه و أثنى عليه،و صلّى على النبى صلّى اللّه عليه و آله،ثم قال:

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللّهَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ- غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ- لِأَنَّهُ لاَ تَضُرُّهُ مَعْصِيَهُ مَنْ عَصَاهُ- وَ لاَ تَنْفَعُهُ طَاعَهُ مَنْ

أَطَاعَهُ فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ- وَ وَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ- فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ- مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ وَ مَلْبَسُهُمُ الِاقْتِصَادُ وَ مَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ- غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ- وَ وَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ- نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ- كَالَّتِي نُزِّلَتْ فِي الرَّخَاءِ- وَ لَوْ لَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ- لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ- شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ وَ خَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ- عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ- فَهُمْ وَ الْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ- وَ هُمْ وَ النَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ- قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ وَ شُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ- وَ أَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ وَ حَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ وَ أَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ- صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً- تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ- أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا- وَ أَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا- أَمَّا اللَّيْلَ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ- تَالِينَ لِأَجْزَاءِ؟الْقُرْآنِ؟ يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلًا- يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَ يَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ- فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً- وَ تَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً وَ ظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ- وَ إِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ- أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ- وَ ظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَ شَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ- فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ- مُفْتَرِشُونَ

لِجِبَاهِهِمْ وَ أَكُفِّهِمْ وَ رُكَبِهِمْ وَ أَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ- يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ- وَ أَمَّا النَّهَارَ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ- قَدْ بَرَاهُمُ الْخَوْفُ بَرْيَ الْقِدَاحِ- يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى- وَ مَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ وَ يَقُولُ قَدْ خُولِطُوا- وَ لَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ- لاَ يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ- وَ لاَ يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ- فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ وَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ- إِذَا زُكِّيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ- أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي وَ رَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنِّي بِنَفْسِي- اللَّهُمَّ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ- وَ اجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ وَ اغْفِرْ لِي مَا لاَ يَعْلَمُونَ فَمِنْ عَلاَمَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ- وَ حَزْماً فِي لِينٍ وَ إِيمَاناً فِي يَقِينٍ وَ حِرْصاً فِي عِلْمٍ- وَ عِلْماً فِي حِلْمٍ وَ قَصْداً فِي غِنًى وَ خُشُوعاً فِي عِبَادَةٍ- وَ تَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ وَ صَبْراً فِي شِدَّةٍ وَ طَلَباً فِي حَلاَلٍ- وَ نَشَاطاً فِي هُدًى وَ تَحَرُّجاً عَنْ طَمَعٍ- يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَ هُوَ عَلَى وَجَلٍ- يُمْسِي وَ هَمُّهُ الشُّكْرُ وَ يُصْبِحُ وَ هَمُّهُ الذِّكْرُ- يَبِيتُ حَذِراً وَ يُصْبِحُ فَرِحاً- حَذِراً لِمَا حُذِّرَ مِنَ الْغَفْلَةِ- وَ فَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَ الرَّحْمَةِ- إِنِ اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ- لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ- قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لاَ يَزُولُ وَ زَهَادَتُهُ فِيمَا لاَ يَبْقَى-

ص:۴۱۱

یَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ وَ الْقَوْلَ بِالْعَمَلِ- تَرَاهُ قَرِیباً أَمَلُهُ قَلِیلاً زَلَلُهُ خَاشِعاً قَلْبُهُ- قَانِعَةً نَفْسُهُ مَنْزُوراً أَكْلُهُ سَهْلاً أَمْرُهُ- حَرِیزاً دِینُهُ مَیِّتَةً شَهْوَتُهُ مَكْظُوماً غَیْظُهُ- الْخَیْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ وَ الشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ- إِنْ كَانَ فِی الْغَافِلِینَ كُتِبَ فِی الذَّاكِرِینَ- وَ إِنْ كَانَ فِی الذَّاكِرِینَ لَمْ یُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِینَ- یَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ وَ یُعْطِی مَنْ حَرَمَهُ- وَ یَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ بَعِیداً فُحْشُهُ- لَیِّناً قَوْلُهُ غَائِباً مُنْكَرُهُ حَاضِراً مَعْرُوفُهُ- مُقْبِلاً خَیْرُهُ مُدْبِراً شَرُّهُ- فِی الزَّلاَزِلِ وَقُورٌ وَ فِی الْمَكَارِهِ صَبُورٌ- وَ فِی الرَّخَاءِ شَكُورٌ لاَ یَحِیفُ عَلَی مَنْ یُبْغِضُ- وَ لاَ یَأْثَمُ فِیمَنْ یُحِبُّ- یَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ یُشْهَدَ عَلَیْهِ- لاَ یُضِیعُ مَا اسْتُحْفِظَ وَ لاَ یَنْسَی مَا ذُكِّرَ- وَ لاَ یُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ وَ لاَ یُضَارُّ بِالْجَارِ- وَ لاَ یَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ وَ لاَ یَدْخُلُ فِی الْبَاطِلِ- وَ لاَ یَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ- إِنْ صَمَتَ لَمْ یَغُمَّهُ صَمْتُهُ وَ إِنْ ضَحِكَ لَمْ یَعْلُ صَوْتُهُ- وَ إِنْ بُغِیَ عَلَیْهِ صَبَرَ حَتَّی یَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِی یَنْتَقِمُ لَهُ- نَفْسُهُ مِنْهُ فِی عَنَاءٍ وَ النَّاسُ مِنْهُ فِی رَاحَةٍ- أَتْعَبَ نَفْسَهُ لِآخِرَتِهِ وَ أَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ- بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَ نَزَاهَةٌ- وَ دُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِینٌ وَ رَحْمَةٌ- لَیْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبْرٍ وَ عَظَمَةٍ وَ لاَ دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَ خَدِیعَةٍ- قَالَ فَصَعِقَ؟هَمَّامٌ؟ صَعْقَةً كَانَتْ نَفْسُهُ فِیهَا- فَقَالَ؟أَمِیرُ الْمُؤْمِنِینَ ع؟

أَمَا وَ اللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ- ثُمَّ قَالَ أَ هَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَهُ بِأَهْلِهَا- فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ فَمَا بَالُكَ يا؟أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟- فَقَالَ ع وَيْحَكَ إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتاً لَا يَعْدُوهُ- وَ سَبَباً لَا يَتَجَاوَزُهُ فَمَهْلًا لَا تَعُدْ لِمِثْلِهَا- فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ

المعنى

اشاره

أقول:و من هاهنا اختلفت نسخ النهج فكثير منها تكون هذه الخطبه فيها أوّل المجلد الثانى منه بعد الخطبه المسمّاه بالقاصعه،و يكون عقيب كلامه للبرج بن مسهر الطائى قوله:و من خطبه له عليه السّلام «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى» لا تدركه الشواهد و لا تحويه المشاهد،و كثير من النسخ تكون هذه الخطبه فيها متّصله بكلامه عليه السّلام للبرج بن مسهر و يتأخّر تلك الخطبه فيكون بعد قوله:و من كلامه له عليه السّلام و هو يلى غسل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و يتّصل ذلك إلى تمام الخطبه المسمّاه بالقاصعه.ثمّ يليه قوله:باب المختار من كتب أمير المؤمنين و رسائله،و عليه جماعه الشارحين كالإمام قطب الدين أبى الحسن الكيدرىّ و الفاضل عبد الحميد بن أبى الحديد،و وافقتهم هذا الترتيب لغلبه الظنّ باعتمادهم على النسخ الصحيحه .فأمّا همام هذه فهو همام بن شريح بن يزيد بن مرّه بن عمرو بن جابر بن عوف الأصهب،و كان من شيعه على عليه السّلام،و أوليائه ناسكا عابدا،و تثاقله عليه السّلام عن جوابه لما رأى من استعداد نفسه لأثر الموعظه،و خوفه عليه أن يخرج به خوف اللّه إلى انزعاج نفسه و صعوقها .فأمره بتقوى اللّه:أى فى نفسه أن يصيبها فادح بسبب سؤاله، و أحسن :أى أحسن إليها بترك تكليفها فوق طوقها،و لذلك قال عليه السّلام حين صعق همام : أما و اللّه لقد كنت أخافها عليه .فحيث لم يقنع همام إلاّ بما سأل،و عزم عليه بذلك:أى ألحّ عليه فى

السؤال و أقسم،أجابه.

فإن قلت:كيف جاز منه عليه السّلام أن يجيبه مع غلبه ظنّه بهلاكه و هو كالطبيب إنّما يعطى كلّا من المرضى بحسب احتمال طبيعته من الدواء.

قلت:إنّه لم يكن يغلب على ظنّه عليه السّلام إلّا الصعقه عن الوجد الشديد فأمّا أنّ تلك الصعقه فيها موته فلم يكن مظنونا له.و إنّما قدّم بيان كونه تعالى غنيّا عن الخلق فى طاعتهم و آمنا منهم فى معصيتهم لأنّه لمّا كانت أوامره تعالى بأسرها أو أكثرها يعود إلى الأمر بتقواه و طاعته و كان أشرف ما يتقرّب إليه البشر بالتقوى، و هو فى معرض صفه المتّقين فربما خطر ببعض أوهام الجاهلين أنّ للّه تعالى فى تقواه و طاعته منفعه،و له بمعصيته مضرّه فصدّره الخطبه بتنزيهه تعالى عن الانتفاع و التضرّر.و قد مرّ برهان ذلك غير مرّه.

و قوله: فقسم.إلى قوله:مواضعهم.

تقرير و تأكيد لكمال غناه عنهم لأنّه إذا كان وجوده هو مبدء خلقهم و قسمه معايشهم و وضعهم من الدنيا فى مراتبهم و منازلهم من غنىّ و فقير و شريف و وضيع فهو الغنىّ المطلق عنهم،و إليه الإشاره بقوله تعالى «نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَياهِ الدُّنْيا وَ رَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ» (1)ثمّ أخذ فى غرض الخطبه، و هو وصف المتّقين فوصفهم بالوصف المجمل.فقال : فالمتّقون فيها هم أهل الفضايل:

أى الّذين استجمعوا الفضايل المتعلّقه بإصلاح قوّتى العلم و العمل،

ثمّ شرع فى

اشاره

تفصيل تلك الفضايل و نسقها:

فالاولى:الصواب فى القول

و هو فضيله العدل المتعلّقه باللسان،و حاصله أن لا يسكت عمّا ينبغى أن يقال فيكون مفرّطا،و لا يقول ما ينبغى أن يسكت عنه فيكون مفرطا بل يضع كلّا من الكلام فى موضعه اللايق به،و هو أخصّ من الصدق لجواز أن يصدق الإنسان فيما لا ينبغى من القول.

الثانيه:و ملبسهم الاقتصاد

و هو فضيله العدل فى الملبوس فلا يلبس ما يلحقه

۱– ۱) ۳۱–۴۳.

بدرجه المترفين،و لا ما يلحقه بأهل الخسّه و الدناءه ممّا يخرج به عن عرف الزاهدين فى الدنيا.

الثالثه:مشى التواضع

،و التواضع ملكه تحت العفّه تعود إلى العدل بين رذيلتى المهانه و الكبر،و مشى التواضع مستلزم للسكون و الوقار عن تواضع نفسهم .

الرابعه:غضّ الأبصار عمّا حرّم اللّه

،و هو ثمره العفّه.

الخامسه:و قوفهم أسماعهم على سماع العلم النافع

،و هو فضيله العدل فى قوّه السمع،و العلوم النافعه ما هو كمال القوّه النظريّه من العلم الإلهى و ما يناسبه، و ما هو كمال للقوّه العمليّه و هى الحكمه العمليّه كما سبق بيانها .

السادسه:نزول أنفسهم منهم فى البلاء كنزولها فى الرخاء

:أى لا تقنط من بلاء ينزل بها و لا يبطر برخاء يصيبها بل مقامها فى الحالين مقام الشكر.و الّذى صفه مصدر محذوف،و الضمير العايد إليه محذوف أيضا،و التقدير نزلت كالنزول الّذى نزلته فى الرخاء،و يحتمل أن يكون المراد بالّذى الّذين محذف النون كما فى قوله تعالى «كَالَّذِى خاضُوا» و يكون المقصود تشبيههم حال نزول أنفسهم منهم فى البلاء بالّذين نزلت أنفسهم منهم فى الرخاء،و المعنى واحد.

السابعه:غلبه الشوق إلى ثواب اللّه و الخوف من عقابه على نفوسهم

إلى غايه أنّ أرواحهم لا تستقرّ فى أجسادهم من ذلك لو لا الآجال الّتى كتبت لهم،و هذا الشوق و الخوف إذا بلغ إلى حدّ الملكه فإنّه يستلزم دوام الجدّ فى العمل و الإعراض عن الدنيا،و مبدءهما تصوّر عظمه الخالق،و بقدر ذلك يكون تصوّر عظمه وعده و وعيده،و بحسب قوّه ذلك التصوّر يكون قوّه الخوف و الرجاء،و هما بابان عظيمان للجنّه .

الثامنه:عظم الخالق فى أنفسهم

،و ذلك بحسب الجواذب الإلهيّه إلى الاستغراق فى معرفته و محبّته،و بحسب تفاوت ذلك الاستغراق يكون تفاوت تصوّر العظمه، و بحسب تصوّر عظمته تعالى يكون تصوّرهم لأصغريّه ما دونه و نسبته إليه فى أعين بصائرهم.

ص:۴۱۵

و قوله: فهم و الجنّه کمن رآها.إلی قوله:معذّبون.

إشاره إلی أنّ العارف و إن کان فی الدنیا بجسده فهو فی مشاهدته بعین بصیرته لأحوال الجنّه و سعادتها و أحوال النار و شقاوتها کالّذین شاهدوا الجنّه بعین حسّهم و تنعّموا فیها،و کالّذین شاهدوا النار و عذّبوا فیها.و هی مرتبه عین الیقین.فحسب هذه المرتبه کانت شدّه شوقهم إلی الجنّه و شدّه خوفهم من النار .

التاسعه:حزن قلوبهم

،و ذلک ثمره خوف الغالب.

العاشره:کونهم مأمونی الشرّ

،و ذلک أنّ مبدء الشرور محبّه الدنیا و أباطیلها و العارفون بمعزل عن ذلک.

الحادیه عشر:نحافه أجسادهم

،و مبدء ذلک کثره الصیام و السهر و جشوبه المطعم و خشونه الملبس و هجر الملاذّ الدنیویّه.

الثانیه عشر:خفّه حاجتهم

،و ذلک لاقتصارهم من حوائج الدنیا علی القدر الضروریّ من ملبس و مأکل،و لا أخفّ من هذه الحاجه.

الثالثه عشر:عفّه أنفسهم

،و ملکه العفّه فضیله القوّه الشهویّه،و هی الوسط بین رذیلتی خمود الشهوه و الفجور .

الرابعه عشر:الصبر علی المکاره أیّام حیاتهم

من ترک الملاذّ الدنیویّه، و احتمال أذی الخلق،و قد عرفت أنّ الصبر مقاومه النفس الأمّاره بالسوء لئلّا ینقاد إلی قبائح اللذّات،و إنّما ذکر قصر مدّه الصبر و استعقابه للراحه الطویله ترغیبا فیه،و تلک الراحه بالسعاده فی الجنّه کما قال تعالی «وَ جَزاهُمْ بِما صَبَرُوا جَنَّهً وَ حَرِیراً» الآیه.

استعاره مرشحه و قوله: تجاره مربحه.

استعار لفظ التجاره لأعمالهم الصالحه و امتثال أوامر اللّه،و وجه المشابهه کونهم متعوّضین بمتاع الدنیا و بحرکاتهم فی العباده متاع الآخره،و رشّح بلفظ الربح لأفضلیّه متاع الآخره و زیادته فی النفاسه علی ما ترکوه،و ظاهر أنّ ذلک بتیسیر اللّه لأسبابه و إعدادهم له بالجواذب الإلهیّه .

الخامسه عشر:

کنایه عدم إرادتهم للدنیا مع إرادتها لهم ،و هو إشاره إلی الزهد الحقیقیّ،و هو ملکه تحت العفّه،و کنّی بإرادتها عن کونهم أهلا-لأن یکونوا فیها رؤساءاً و أشرافا کقضاه و وزراء و نحو ذلک،و کونها بمعرض أن تصل إلیهم لو أرادوها ،و یحتمل أن یرید أرادهم أهل الدنیا فحذف المضاف.

السادسه عشر:

استعاره افتداء من أسرته لنفسه منها ،و هو إشاره إلی من ترکها و زهد فیها بعد الانهماک فیها و الاستمتاع بها ففکّ بذلک الترک و الإعراض و التمرّن علی طاعه اللّه أغلال الهیئات الردیئه المکتسبه منها من عنقه،و لفظ الأسر استعاره فی تمکّن تلک الهیئات من نفوسهم،و لفظ الفدیه استعاره لتبدیل ذلک الاستمتاع بها بالإعراض عنها و المواظبه علی طاعه اللّه ،و إنّما عطف بالواو فی قوله:و لم یریدوها،و بالفاء فی قوله:ففدوا.لأنّ زهد الإنسان فی الدنیا کما یکون متأخّرا عن إقبالها علیه کذلک قد یکون متقدّما علیه لقوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:و من جعل الآخره أکبر همّه جمع اللّه علیه همّه و أتته الدنیا و هی راغمه.فلم یحسن العطف هنا بالفاء، و أمّا الفدیه فلمّا لم یکن إلّا بعد الأسر لا جرم عطفها بالفاء .

السابعه عشر:کونهم صافیّن أقدامهم باللیل یتلون القرآن و یرتّلونه.

إلی قوله:آذانهم.و ذلک إشاره إلی تطویع نفوسهم الأمّاره بالسوء بالعبادات،و شرح لکیفیّه استثارتهم للقرآن العزیز فی تلاوته و غایه ترتیلهم له بفهم مقاصده و تحزینهم لأنفسهم به عند ذکر الوعیدات من جمله استثارتهم لإدواء دائهم،و لمّا کان داؤهم هو الجهل و سائر رذائل العملیّه کان دواء الجهل بالعلم،و دواء کلّ رذیله الحصول علی الفضیله المضادّه.فهم بتلاوه القرآن یستثیرون بالتحزین الخوف من وعید اللّه المضادّ للانهماک فی الدنیا،و دوائه العلم الّذی هو دواء الجهل،و کذلک کلّ فضیله حثّ القرآن علیها فهی دواء لما یضادّها من الرذائل،و باقی الکلام شرح لکیفیّه التحزین و التشویق .

و قوله: فهم حانون علی أوساطهم.

ذکر لکیفیّه رکوعهم.

ص:۴۱۷

و قوله :مفترشون لجباههم.إلى قوله:أقدامهم.

إشاره إلى كيفيّه سجودهم،و ذكر الأعضاء السبعه.

و قوله: يطّلبون.إلى قوله:رقابهم.

إشاره إلى غايتهم من عبادتهم تلك .

الثامنه عشر:-من صفات النهار-كونهم حكماء

،و أراد الحكمه الشرعيّه و ما فيها من كمال القوّه العلميّه و العمليّه لكونها المتعارفه بين الصحابه و التابعين، و روى:حلماء.و الحلم فضيله تحت ملكه الشجاعه هى الوسط بين رذيلتى المهانه و الإفراط فى الغضب،و إنّما خصّ الليل بالصلاه لكونها أولى بها من النهار كما سبق.

التاسعه عشر:كونهم علماء

،و أراد كمال القوّه النظريّه بالعلم النظرىّ و هو معرفه الصانع و صفاته.

العشرون:كونهم أبرار

،و البرّ يعود إلى العفيف لمقابلته الفاجر.

الحاديه و العشرون:كونهم أتقياء

،و المراد بالتقوى هاهنا الخوف من اللّه.

و قد مرّ ذكر العفّه و الخوف،و إنّما كرّرها هنا فى إعداد صفاتهم بالنهار و ذكرها هناك فى صفاتهم المطلقه.

قوله: و قد براهم الخوف.إلى قوله:عظيم.

شرح لفعل الخوف الغالب بهم،و إنّما يفعل الخوف ذلك لاشتغال النفس المدبّره للبدن به عن النظر فى صلاح البدن،و وقوف القوّه الشهويّه و الغاذيّه عن إدّاء بدل ما يتحلّل، تشبيه و شبّه برى الخوف لهم ببرى القداح و وجه التشبيه شدّه النحافه ،و يتبع ذلك تغيّر السحنات و الضعف عن الانفعالات النفسانيّه من الخوف و الحزن حتّى يحسبهم الناظر مرضى و إن لم يكن بهم مرض،و يقول قد خولطوا إشاره إلى ما يعرض لبعض العارفين عند اتّصال نفسه بالملأ الأعلى و اشتغالها عن تدبير البدن و ضبط حركاته من أن يتكلّم بكلام خارج عن المتعارف مستبشع بين أهل الشريعه الظاهره فينسب ذلك منه إلى الاختلاط و الجنون و تاره إلى الكفر و

الخروج عن الدين كما نقل عن الحسين بن منصور الحلاّج و غيره.

و قوله: و لقد خالطهم أمر عظيم.

و هو اشتغال أسرارهم بملاحظه جلال اللّه و مطالعه أنوار الملأ الأعلى .

الثانيه و العشرون:كونهم لا يرضون القليل.إلى قوله:الكثير،

و ذلک لتصوّرهم شرف غايتهم المقصوده بأعمالهم.

و قوله: فهم لأنفسهم متّهمون.إلى قوله:ما لا يعلمون.

فتهمتهم لأنفسهم و خوفهم من أعمالهم يعود إلى شکّهم فيما يحكم به أوهامهم من حسن عبادتهم،و كونها مقبوله أو واقعه على الوجه المطلوب الموصل إلى اللّه تعالى فإنّ هذا الوهم يكون مبدءا للعجب بالعباده و التقاصر عن الازدياد من العمل.

و التشكّک فى ذلک و تهمه النفس بانقيادها فى ذلک الحكم للنفس الأمّاره يستلزم خوفها أن تكون تلک الأعمال قاصره عن الوجه المطلوب و غير واقعه عليه فيكون باعثا على العمل و كاسرا للعجب به،و قد عرفت أن العجب من المهلكات كما قال عليه السّلام:

ثلاث مهلكات:شحّ مطاع و هوى متّبع و إعجاب المرء بنفسه.و كذلک خوفهم من تزكيه الناس لهم هو الدواء لما ينشأ عن تلک التزكيه من الكبر و العجب بما يزكّون به.فيكون جواب أحدهم عند تزكيته:إنّى أعلم بنفسى من غيرى.إلى آخره .

علامات المؤمن

اشاره

ثمّ شرع بعد ذلک فى علاماتهم الّتى بجملتها يعرف أحدهم.و الصفات السابقه و إن كان كثير منها مما يخصّ أحدهم و يعرف به إلّا أنّ بعضها قد يدخله الرياء فلا يدخل على التقوى الحقّه فجمعها هاهنا و نسقها:

فالأولى:القوّه فى الدين

،و ذلک أن يقاوم فى دينه الوسواس الخنّاس و لا يدخل فيه خداع الناس،و هذا إنّما يكون فى دين العالم.

الثانيه:الحزم فى الأمور

الدنيويّه و التثبّت فيها ممزوجا باللين للخلق و عدم الفظاظه عليهم كما فى المثل:لا تكن حلوا فتسترط و لا مرّا فتلفظ.و هى فضيله العدل فى المعامله مع الخلق،و قد علمت أنّ اللين قد يكون للتواضع المطلوب بقوله

«وَ اخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» (۱)و قد يكون عن مهانه و ضعف يقين، و الأوّل هو المطلوب و هو المقارن للحزم فى الدين و مصالح النفس،و الثانى رذيله و لا يمكن معه الحزم لانفعال المهين عن كلّ جاذب.

الثالثه:الإيمان فى اليقين

،و لمّا كان الإيمان عباره عن التصديق بالصانع و بما وردت به الشريعه،و كان ذلك التصديق قابلا للشدّه و الضعف،فتاره يكون عن التقليد و هو الاعتقاد المطابق لا لموجب،و تاره يكون عن العلم و هو الاعتقاد المطابق لموجب هو الدليل،و تاره عن العلم به مع العلم بأنّه لا يكون إلّا كذلك،و هو علم اليقين-و محقّقوا الساكين لا يقفون عند هذه المرتبه بل يطلبون اليقين بالمشاهده بعد طرح حجب الدنيا و الإعراض عنها-أراد أنّ علمهم علم يقين لا يتطرّق إليه احتمال.

الرابعه:

الحرص فى العلم و الازدياد منه.

الخامسه:مزج العلم و هو فضيله القوّه الملكيّه بالحلم

،و هو من فضايل القوّه السبعيّه .

السادسه:القصد فى الغنى

،و هو فضيله العدل فى استعمال متاع الدنيا و حذف الفضول عن قدر الضروره.

السابعه:الخشوع فى العباده

و هو من ثمره الفكر فى جلال المعبود و ملاحظه عظمته الّذى هو روح العباده.

الثامنه:التحمّل فى الفاقه

:و ذلك بترك الشكوى إلى الخلق و الطلب منهم، و إظهار الغنى عنهم.و ذلك ينشأ عن القناعه و الرضا بالقضاء و علوّا الهمّه،و يعين على ذلك ملاحظه الوعد الأجلّ و ما اعدّ للمتّقين.

التاسعه:

و كذلك الصبر فى الشدّه.

العاشره:

الطلب فى الحلال،و ينشأ عن العفّه.

الحاديه عشر:النشاط فى الهدى

و سلوک سبیل اللّه.و ینشأ عن قوّه الاعتقاد فیما وعد المتّقون و تصوّر شرف الغایه .

ص:۴۲۰

۱- ۱) ۲۱۵-۲۶.

الثانیه عشر:عمل الصالحات علی وجل

:أی من أن یکون علی غیر الوجه اللایق فلا یقبل کما روی عن زین العابدین علیه السّلام أنّه کان فی التلبیه و هو علی راحلته فخرّ مغشیّاً علیه فلمّا أفاق قیل له ذلک.فقال:خشیت أن یقول لی ربّی:لا لبّیک و لا سعدیک.

الثالثه عشر:أن یکون همّهم عند المساء الشکر

علی ما رزقوا بالنهار و ما لم یرزقوا،و یصبحوا و همّهم الذکر للّه لیذکرهم فیرزقهم من الکمالات النفسانیّه و البدنیّه کما قال تعالی «فَاذْکُرُونِی أَذْکُرْکُمْ وَ اشْکُرُوا لِی وَ لا تَکْفُرُونِ» .

الرابعه عشر:أن یبیت حذرا و یصبح فرحا.إلی قوله:الرحمه

.تفسیر لمحذور و ما به الفرح،و لیس مقصوده تخصیص البیات بالحذر و الصباح بالفرح کما یقول أحدنا یمسی فلان و یصبح حذرا فرحا،و کذلک تخصیصه الشکر بالمساء و الذکر بالصباح یحتمل أن لا یکون مقصودا .

الخامسه عشر:قوله إن استصعبت.إلی قوله:تحبّ.

إشاره إلی مقاومته لنفسه الأمّاره بالسوء عند استصعابها علیه،و قهره لها علی ما تکره و عدم مطاوعته لها فی میولها الطبیعیّه و محابّها.

السادسه عشر:أن یری قرّه عینه فیما لا یزول

من الکمالات النفسانیّه الباقیه کالعلم و الحکمه و مکارم الأخلاق المستلزمه للذّات الباقیه و السعاده الدائمه،کنایه و قرّه عینه کنایه عن لذّته و ابتهاجه لاستلزامها لقرار العین و بردها برؤیه المطلوب،و زهادته فیما لا یبقی من متاع الدنیا.

السابعه عشر:أن یمزج بالحلم العلم

فلا یجهل و یطیش،و القول بالعمل فلا یقول ما لا یفعل فلا یأمر بمعروف و یقف دونه و لا ینهی عن منکر ثمّ یفعله،و لا یعد فیخلف فیدخل فی مقت اللّه کما قال تعالی «کَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ » (۱).

الثامنه عشر:قصر أمله و قربه

،و ذلک لکثره ذکر الموت و الوصول إلی اللّه.

التاسعه عشر:قلّه زلله

قد عرفت أنّ زلل العارفین یکون من باب ترک الأولی

١- ١) ٣-٦١.

لأنّ صدور الخيرات عنهم صادر ملكه و الجواذب فيهم إلى الزلل و الخطيئات نادره تكون لضروره منهم أو سهو،و لا شكّ فى قلّته.

العشرون:خشوع قلبه

عن تصوّر عظمته المعبود و جلاله.

الحاديه و العشرون:قناعه نفسه

،و ينشأ عن ملاحظه حكمه اللّه فى قدرته و قسمته الأرزاق،و يعين عليها تصوّر فوائدها الحاضره و غايتها فى الآخره.

الثانيه و العشرون:قلّه أكله

،و ذلك لما يتصوّر فى البطنه من ذهاب الفطنه و زوال الرقّه و حدوث القسوه و الكسل عن العمل.

الثالثه و العشرون:سهوله أمره

:أى لا يتكلّف لأحد و لا يكلّف أحدا.

الرابعه و العشرون:حرز دينه

فلا يهمل منه شيئا و لا يطرق إليه خللا.

الخامسه و العشرون:موت شهوته

، استعاره و لفظ الموت مستعار لخمود شهوته عمّا حرّم عليه.و يعود إلى العفّه .

السادسه و العشرون:كظم غيظه

،و هو من فضائل القوّه الغضبيّه.

السابعه و العشرون:كونه مأمول الخير

و ذلك لأكثريّه خيريّته،مأمون الشرور و ذلك لعلم الخلق بعدم قصده للشرور .

الثامنه و العشرون:قوله:إن كان فى الغافلين.

إلى قوله:الغافلين:أى إن رآه الناس فى عداد الغافلين عن ذكر اللّه لتركه الذكر باللسان كتب عند اللّه من الذاكرين لاشتغال قلبه بالذكر و إن تركه بلسانه،و إن كان من الذاكرين بلسانه بينهم فظاهر أنّه لا يكتب من الغافلين.و لذكر اللّه مmadح كثيره و هو باب عظيم من أبواب الجنّه و الاتّصال لجناب اللّه،و قد أشرنا إلى فضيلته و أسراره.

التاسعه و العشرون:عفوه عمّن ظلمه

،و العفو فضیله تحت الشجاعه،و خصّ من ظلمه لیتحقّق عفوه مع قوّه الداعی إلی الانتقام.

الثلاثون:و یعطی من حرمه

،و هی فضیله تحت السخاء .

الحادیه و الثلاثون:و یصل من قطعه

،و المواصله فضیله تحت العفّه.

الثانیه و الثلاثون:بعد فحشه

،و أراد ببعد الفحش عنه أنّه قلّما یخرج فی

أقواله إلى ما لا ينبغى.

الثالثه و الثلاثون:ليّنه فى القول

عند محاوره الناس و وعظهم و معاملتهم،و هو من أجزاء التواضع.

الرابعه و الثلاثون:غيبه منكره

و حضور معروفه،و ذلک للزومه حدود اللّه.

الخامسه و الثلاثون:إقبال خيره و إدبار شرّه

،و هو كقوله: الخير منه مأمول و الشرّ منه مأمون ،و يحتمل باقبال خيره أخذه فى الازدياد من الطاعه و تشميره فيها،و بقدر ذلک يكون إدباره عن الشرّ لأنّ من استقبل أمرا و سعى فيه بعد عمّا يضادّه و أدبر عنه .

السادسه و الثلاثون:

كنايه وقاره فى الزلازل ،و كنّى بها عن الامور العظام و الفتن الكبار المستلزمه لاضطراب القلوب و أحوال الناس.و الوقار ملكه تحت الشجاعه .

السابعه و الثلاثون:كثره صبره فى المكاره

،و ذلک عن ثباته و علوّ همّته عن أحوال الدنيا.

الثامنه و الثلاثون:كثره شكره فى الرخاء

،و ذلک لمحبّه المنعم الأوّل-جلّت قدرته-فيزداد شكره فى رخائه و إن قلّ.

التاسعه و الثلاثون:كونه لا يحيف على من يبغض

،و هو سلب للحيف و الظلم مع قيام الداعى إليهما و هو البغض لمن يتمكّن من حيفه و ظلمه.

الأربعون:كونه لا يأثم فيمن يحبّ

،و هو سلب لرذيله الفجور عنه باتّباع الهوى فيمن يحبّ إمّا بإعطائه ما لا يستحقّ أو دفع ما يستحقّ عليه عنه كما يفعله قضاه السوء و امراء الجور.فالمتّقى لا يأثم بشىء من ذلک مع قيام الداعى إليه و هو المحبّه لمن يحبّه بل يكون على فضيله العدل فى الكلّ على السواء .

الحاديه و الأربعون:اعترافه بالحقّ قبل أن يشهدوا عليه

،و ذلک لتحرّزه فی دینه من الکذب.إذ الشهاده إنّما یحتاج إلیها مع إنکار الحقّ،و ذلک کذب.

الثانیه و الأربعون:کونه لا یضیع أماناته و لا یفرط فیما استحفظه

اللّه من دینه و کتابه،و ذلک لورعه و لزوم حدود اللّه.

الثالثه و الأربعون:و لا ینسی ما ذکر

من آیات اللّه و عبره و أمثاله و لا یترک

ص:۴۲۳

العمل بها،و ذلک لمداومته ملاحظتها و کثره إخطارها بباله و العمل بها لغایته المطلوبه منه.

الرابعه و الأربعون:و لا ینابز بالألقاب

،و ذلک لملاحظته النهی فی الذکر الحکیم «وَ لا تَنابَزُوا بِالْأَلْقابِ» (۱)و لسرّ ذلک النهی و هو کون ذلک مستلزما لإثاره الفتن و التباغض بین الناس،و الفرقه المضادّه لمطلوب الشارع.

الخامسه و الأربعون:و لا یضارّ بالجار

لملاحظه وصیّه اللّه تعالی «وَ الْجارِ ذِی الْقُرْبی وَ الْجارِ الْجُنُبِ» (۲)و وصیّه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم فی المرفوع إلیه:أوصانی ربّی بالجار حتّی ظننت أنّه یورّثه،و لغایه ذلک و هی الالفه و الاتّحاد فی الدین.

السادسه و الأربعون:و لا یشمت بالمصائب

،و ذلک لعلمه بأسرار القدر،و ملاحظته لأسباب المصائب،و أنّه فی معرض أن تصیبه فیتصوّر أمثالها فی نفسه فلا یفرح بنزولها علی غیره .

السابعه و الأربعون:أنّه لا یدخل الباطل و لا یخرج عن الحقّ

:أی لا یدخل فیما یبعّد عن اللّه تعالی من باطل الدنیا و لا یخرج عمّا یقرّب إلیه من مطالبه الحقّه، و ذلک لتصوّر شرف غایته.

الثامنه و الأربعون:کونه لا یغمّه صمته

لوضعه کلّا من الصمت و الکلام فی موضعه،و إنّما یستلزم الغمّ الصمت عمّا ینبغی من القول و هو صمت فی غیر موضعه.

التاسعه و الأربعون:کونه لا یعلو ضحکه

،و ذلک لغلبه ذکر الموت و ما بعده علی قلبه،و ممّا نقل من صفات الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلم:کان أکثر ضحکه التبسّم، و قد یفتر أحیانا،و لم یکن من أهل القهقهه و الکرکره.و هما کیفیّتان للضحک .

الخمسون:صبره فی البغی علیه إلی غایه انتقام اللّه له

،و ذلک منه نظرا إلی ثمره الصبر و إلی الوعد الکریم «ذلِکَ وَ مَنْ عاقَبَ بِمِثْلِ ما عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِیَ عَلَیْهِ لَیَنْصُرَنَّهُ اللّهُ» (۳)الآیه و قوله «وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَیْرٌ لِلصّابِرِینَ» .

الحادیه و الخمسون:کون نفسه منه فی عناء

:أی نفسه الأمّاره بالسوء لمقاومته

۱- ۱) ۱۱-۴۹.

۲- ۲) ۴-۴۰

۳- ۳) ۵۹-۲۲.

لها و قهرها و مراقبته إيّاها،و الناس من أذاه فی راحه لذلک .

الثانیه و الخمسون:کون بعده عمّن تباعد عنه لزهده

فیما فی أیدی الناس و نزاهته عنه لا عن کبر و تعظیم علیهم،و کذلک دنوّه ممن دنا منه عن لین و رحمه منه لهم لا بمکر بهم و خدیعه لهم عن بعض المطالب کما هو عاده الخبیث المکّار. و هذه الصفات و العلامات قد یتداخل بعضها بعضا،و لکن تورد بعباره أخری أو یذکر مفرده ثمّ یذکر ثانیا مرکّبه مع غیرها .و بالجمله فهذه الخطبه من جلیل و بلیغ وصفه و لذلک فعلت بهمّام ما فعلت.فأمّا جوابه علیه السّلام لمن سأله بقوله : ویحک إنّ لکلّ أجل وقتا لا یعدوه :أی ینتهی إلیه و یکون غایه له لا یتجاوزها و لا یتأخّر عنها،و الضمیر فی یعدوه للأجل. و سببا لا یتجاوزه :أی و لذلک الأجل سبب:أی علّه فاعله لا یتعدّاها إلی غیرها من الأسباب فمنها ما یکون موعظه بالغه کهذه.فهو جواب مقنع للسامع مع أنّه حقّ و صدق،و هو إشاره إلی السبب الأبعد لبقائه علیه السّلام عند سماع المواعظ البالغه و هو الأجل المحکوم به للقضاء الإلهیّ،و أمّا السبب القریب للفرق بینه و بین همّام و نحوه فقوّه نفسه القدسیّه علی قبول الواردات الإلهیّه و تعوّده بها و بلوغ ریاضته حدّ السکینه عند ورود أکثرها و ضعف نفس همّام عمّا ورد علیه من خوف اللّه و رجائه.و لم یجب علیه السّلام بمثل هذا الجواب لاستلزامه تفضیل نفسه،أو لقصور فهم السائل.و نهیه له عن مثل هذا السؤال و التنفیر عنه کونه من نفثات الشیطان لوضعه فی غیر موضعه و هو من آثار الشیطان.و باللّه العصمه و التوفیق.

۱۸۵-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

یصف فیها المنافقین

نَحمَدُهُ عَلَی مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَهِ- وَ ذَادَ عَنْهُ مِنَ الْمَعْصِیَهِ وَ نَسْأَلُهُ لِمِنَّتِهِ تَمَاماً- وَ بِحَبْلِهِ اعْتِصَاماً- وَ نَشْهَدُ أَنَّ؟مُحَمَّداً؟ عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ- خَاضَ إِلَی رِضْوَانِ

اللَّهِ كُلَّ غَمْرَةٍ وَ تَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ- وَ قَدْ تَلَوَّنَ لَهُ الْأَدْنَوْنَ وَ تَأَلَّبَ عَلَيْهِ الْأَقْصَوْنَ- وَ خَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعِنَّتَهَا- وَ ضَرَبَتْ إِلَى مُحَارَبَتِهِ بُطُونَ رَوَاحِلِهَا- حَتَّى أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عَدَاوَتَهَا مِنْ أَبْعَدِ الدَّارِ وَ أَسْحَقِ الْمَزَارِ- أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَ أُحَذِّرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ- فَإِنَّهُمُ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ وَ الزَّالُّونَ الْمُزِلُّونَ- يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَاناً وَ يَفْتَنُّونَ افْتِنَاناً- وَ يَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ وَ يَرْصُدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ- قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ وَ صِفَاحُهُمْ نَقِيَّةٌ- يَمْشُونَ الْخَفَاءَ وَ يَدِبُّونَ الضَّرَاءَ- وَصْفُهُمْ دَوَاءٌ وَ قَوْلُهُمْ شِفَاءٌ وَ فِعْلُهُمُ الدَّاءُ الْعَيَاءُ- حَسَدَةُ الرَّخَاءِ وَ مُؤَكِّدُو الْبَلَاءِ وَ مُقْنِطُو الرَّجَاءِ- لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيعٌ- وَ إِلَى كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ وَ لِكُلِّ شَجْوٍ دُمُوعٌ- يَتَقَارَضُونَ الثَّنَاءَ وَ يَتَرَاقَبُونَ الْجَزَاءَ- إِنْ سَأَلُوا أَلْحَفُوا وَ إِنْ عَذَلُوا كَشَفُوا وَ إِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا- قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلًا وَ لِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلًا- وَ لِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلًا- وَ لِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحاً- وَ لِكُلِّ لَيْلٍ مِصْبَاحاً- يَتَوَصَّلُونَ إِلَى الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْوَاقَهُمْ- وَ يُنْفِقُوا بِهِ أَعْلَاقَهُمْ يَقُولُونَ فَيُشَبِّهُونَ- وَ يَصِفُونَ فَيُمَوِّهُونَ قَدْ هَوَّنُوا الطَّرِيقَ- وَ أَضْلَعُوا الْمَضِيقَ فَهُمْ لُمَةُ الشَّيْطَانِ وَ حُمَةُ النِّيرَانِ- «أُولئِكَ حِزْبُ الشَّيْطانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ»-

ص:۴۲۶

«الشَّیْطانِ هُمُ الْخاسِرُونَ»

اللغه

اقول: ذاد: طرد .و الغمره من کلّ شیء: معظمه .و أسحق المزار: أبعده .

و السحق بضم السین : البعد،و کذلک بضمّ الحاء .و یعمدونکم: یهدّونکم و یفدحونکم .

و العماد: الأمر الفادح . یرصدونکم: یقعدون لکم المراصد و ینتظرونکم :

و الضراء: ما واراک من الشجر الملتفّ .و الإلحاف: الاستقصاء فی السؤال .و الشجو:

الحزن .و الأعلاق: جمع علق و هی السعله الثمینه .و التمویه: التزیین و التلبیس .

و أضلعوا المضیق إضلاعا: أی عوّجوه و أمالوه.و هو ضلع:أی مائل.و ضلع بفتح اللام:أی معوّج خلقه .و اللمه بالتخفیف: الجماعه .و حمّه النیران بالتشدید : معظم حرّها.و بالتخفیف سمّ العقرب .

المعنی

و قد حمد اللّه تعالی باعتبارین:و هما التوفیق لطاعته الّتی هی سبب الفوز الأکبر و الطرد عن معصیته الّتی هی سبب الخسران الأخسر،و ذلک الذود إمّا بالنواهی أو بحسم أسباب المعاصی و عدم الإعداد لها و الکلّ منه سبحانه.ثمّ سأله أمرین:التمام لما شکره من النعمه نظرا إلی قوله تعالی «لَئِنْ شَکَرْتُمْ لَأَزِیدَنَّکُمْ» و الاعتصام بحبله المتین و هو الدین القویم العاصم لمن تمسّک له عن الهوی فی مهاوی الهلاک و درکات الجحیم ،و أردف ذلک بشهاده الرساله و شرح حال المرسل صلّی اللّه علیه و آله و سلم فی أداء رسالته، استعاره مرشحه بالکنایه و استعار لفظ الغمره لمعظم الشرور و المکاره المتکافئه المجتمعه حین بعثته صلّی اللّه علیه و آله و سلم ملاحظه لشبهها بغمره الماء،و رشّح بذکر الخوض،و کنّی به عن مقاساته للمتاعب الکثیره و ملاقاته للنوائب من المشرکین فی بدء دعوته ، کنایه و کنّی بالغصص عن عوارض الغموم له من ملاقاه تلک المکاره ،و کنّی بتلوّن الأدنین له عن تغیّر قلوب أقربائه علیه حینئذ بضروب التغیّرات،و تألّب الأقصین علیه اجتماع الأباعد عنه من العرب و انضمامهم من أقصی البلاد إلی حربه.

کنایه و قوله: و خلعت إلیه العرب.إلی قوله:رواحلها.

مثلان کنّی بهما عن المسارعه إلی حربه لأنّ أقوی عدوّ الخیل إذا خلعت أعنّتها،و أقوی عدوّ الرواحل إذا ضربت بطونها،و فیه إیماء إلی أنّهم أتوه فرسانا

و ركبانا متسرّعين إلى حربه.

مجازا إطلاقا لاسم السبب على المسبّب و قوله: حتّى أنزلت بساحته عداوتها.

أى حروبها و شرورها الّتى هى ثمره العداوه،و أطلق لفظ العداوه على الحرب مجازا إطلاقا لاسم السبب على المسبّب .و من طالع كتب السير يطّلع على ما لاقى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى ذات اللّه سبحانه من المشاقّ كاستهزاء قريش به فى أوّل الدعوه،و رميهم إيّاه بالحجاره حتّى أدموا عقبيه،و صياح الصبيان به، و فرث الكرش على رأسه،و فتلهم الثوب فى عنقه،و حصره هو و أهله فى شعب بنى هاشم سنين عدّه محرّمه معاملتهم و مبايعتهم و مناكحتهم و كلامهم حتّى كادوا يتلفون جوعا لو لا بعض من كان يحنو عليهم لرحم أو لسبب آخر فكان يسترق لهم القليل من الدقيق أو التمر فيلقيه إليهم ليلا،ثمّ ضربهم لأصحابه و تعذيبهم بالجوع و الوثاق فى الشمس و طردهم إيّاهم عن شعاب مكّه حتّى خرج بعضهم إلى الحبشه و خرج هو عليه السّلام مستجيرا منهم تاره بثقيف و تاره ببنى عامر و تاره بربيعه الفرس و بغيرهم،ثمّ أجمعوا على قتله و الفتك به ليلا حتّى هرب منهم لائذا بالأوس و الخزرج تاركا لأولاده و أهله ناجيا بحشاشه نفسه حتّى وصل إلى المدينه فناصبوا الحرب و رموه بالكتايب و ضربوا إليه آباط الإبل حتّى أكرمه اللّه تعالى و نصره و أيّد دينه و أظهر .ثمّ عقّب عليه السّلام بالوصيّه بتقوى اللّه و التحذير من المنافقين و تعديد مذاقهم ليعرفوا فيجتنبوا و يحصل النفار عنهم فإنّهم الضالّون :أى المنحرفون عن سبيل اللّه لعدم الاهتداء إليها،المضلّون لغيرهم عنها بالشبهات الباطله.و كذلك الزالّون المزلّون . كنايه و كنّى بتلوّنهم ألوانا عن تغيّراتهم فى أقوالهم و أفعالهم من حال إلى حال بحسب أغراضهم الفاسده فيلقون كلا بوجه و لسان غير الآخر.و كذلك تفتّنهم :

أى تشعّب أقوالهم و حالاتهم بحسب تشعّب أغراضهم .و أراد بعمدهم لهم قصدهم لهم بكلّ مكروه على وجه الحيله و الخدعه،و ترصّدهم لهم بكلّ مرصاد تتّبع وجوه الحيل فى هلاكهم بكلّ مكروه على وجه الحيله.و أراد بقلوبهم دويّه و صفاحهم نقيّه اشتمال نفوسهم على الداء النفسانىّ من الحسد و الحقد و المكر و الخديعه و إعمال الحيله مع إظهار

البشاشه و الصداقه و المحبّه و النصيحه لهم،و هذا هو الضابط فى النفاق،و هو أن يظهر الانسان بلسانه أمراً حسنا محمودا و يبطن خلافه،و أراد بصفاحهم وجوههم،و بنقائها سلامتها عن شرّ ظاهر.

كنايه و قوله : يمشون الخفاء.

كنايه عن كون حركاتهم القوليّه و الفعليّه فيما يريدونه فى خفاء أفهام الناس،و كذلك قوله: و يدبّون الضراء .و الخفاء و الضراء منصوبان على الظرف.

و هما مثلان لمن يختل غيره و يخدعه.

و قوله: وصفهم دواء إلى قوله:العياء.

أى أقوالهم أقوال الزاهدين العابدين من الموعظه و الأمر بالتقوى و طاعه اللّه الّذى هو دواء الغىّ و الضلال و شفاء منهما،و أفعالهم أفعال الفاسقين الضالّين من معصيه اللّه الّتى هى الداء الأكبر.و العياء:المعيى للأطبّاء.

و قوله: حسده الرخاء.

أى إن رأوا لامرء رخاء حسدوه، و مؤكّدو البلاء :أى إن رأوا به بلاء أكّدوه بالسعايه و التأليب عليه.و روى:و مولّدوا.و هو ظاهر. و مقنطوا الرجاء :أى إذا رجا راج أمرا ففى طباعهم أن يقنطوه و يؤيسوه.و هكذا شأن المنافق الكذّاب أن يبعّد القريب و يقرّب البعيد.

استعاره بالكنايه و قوله : لهم بكلّ طريق صريع.

كنايه عن كثره من يقتلونه أو يؤذونه بخديعتهم و مكرهم.و كنّى بالطريق إمّا عن كلّ مقصد قصدوه،أو عن كلّ حيله احتالوها و مكر مكروه فانّه لابدّ أن يستلزم أذى.

و قوله: إلى كلّ قلب شفيع.

أى إنّ من شأن المنافق أن يتّخذ إلى كلّ قلب ذريعه و وجها غير الآخر فيكون صديق الكلّ حتّى المتعادين ليتوصّل بذلك إلى إثاره الفتن و ايقاع الشرّ بينهم و هو فى نفس الأمر عدوّ الكلّ، كنايه و كذلك لهم لكلّ شجو دموع كنايه عن توجّعهم لكلّ

شجو و توصّلهم بذلك إلى أغراضهم و إن كانوا لأهل الشجو أعداء.

و قوله: يتقارضون الثناء و يتراقبون الجزاء.

أى يثنى أحدهم على الآخر ليثنى الآخر عليه،و يترقّب كلّ منهم الجزاء من صاحبه على ثنائه.

و قوله: إن سألوا ألحفوا.

أى ألحّوا فى السؤال و هو من المذامّ كما قال تعالى «لا يَسْئَلُونَ النّاسَ إِلْحافاً» (١).

و قوله: و إن عذلوا كشفوا.

أى إذا عذلك أحدهم كشف لك عيوبك فى ذلك العذل و جبّهك بها و ربّما ذكرها بمحضر من لا تحبّ ذكرها معه و ليسوا كالناصحين الّذين يعرضون بالذنب عند العتاب تعريضا لطيفا دون التصريح، و إذا حكموا أسرفوا :أى إذا ولّى أحدهم ولايه أسرف فيها بالظلم و الانهماك فى مأكله و مشربه و عبر فى قينات الدنيا إلى حدّ الإفراط من فضيله العدل.و ذلك لجهله بالعواقب و تصوّره أن لا غايه أشرف ممّا هو فيه ، قد أعدّوا لكلّ حقّ باطلا :أى من الشبه يموّهون عليه و يغطّونه بها، و لكلّ حيّ قاتلا :أى سببا يميتونه به.و الحىّ أعمّ من الإنسان هنا بل كلّ أمر يحيى و يقوم إذا أرادوا فساده، استعاره و لكلّ باب مفتاحا من الحيل و الخديعه و لفظ المفتاح مستعار، و لكلّ ليل مصباحا و لفظ الليل مستعار لما أشكل من الأمور و أظلم.و كذلك لفظ المصباح للرأى الّذى يدخلون به فى ذلك الأمر و يهتدون إلى وجهه به كرأى عمرو بن العاص على معاويه ليله الهرير برفع المصاحف و دعوتهم أهل العراق أن يحاكموهم إلى كتاب اللّه فلم يكن لذلك المشكل إلاّ ذلك الرأى الصعب ،و يتوصّلون إلى الطمع باليأس:

أى بإظهار اليأس عمّا فى أيدى الناس و الزهد فيه كما يفعله كثير من زهّاد الوقت.

و وصفهم بأخذ الشىء بضدّه أبلغ ما يكون فى وصف النفاق و الحيله.

استعاره و قوله: ليقيموا به أسواقهم.

ص:۴۳۰

۱- ۱) ۲-۲۷۴.

استعار لفظ الأسواق لأحوالهم فى معامله الخلق من أخذ و إعطاء فإنّ فعلهم ذلك يقيمها بين الناس و يروّجها عليهم.و كذلك ينفقوا به أعلاقهم .و لفظ الأعلاق مستعار لما يزعمون أنّه نفيس من آرائهم و حركاتهم الخارجه عن أوامر اللّه.

و قوله: يقولون.إلى قوله.فيوهّمون.

أى يوقعون بأقوالهم الشبه فى القلوب و يوهّمون عليهم الباطل بصوره الحقّ.

و قوله: قد هوّنوا الطريق.

أى قد عرفوا كيف يسلكون فى مقاصدهم من الآراء و الحيل،و أضلعوا الطريق:

عوّجوا مضائقها. كنايه و كنّى بمضائقها عن دقائق المداخل فى الامور،و بتعويجها عن أنّهم إذا أرادوا الدخول فى أمر مضيّق أظهروا أنّهم يريدون غيره تعميه على الغير و تلبيسا أن يقف على وجه الحيله فيفسد مقصودهم.

و قوله : فهم لمه الشيطان.

أى جماعته و أتباعه. استعاره و حمّه النيران مستعار لمعظم شرورهم.و وجه المشابهه استلزامها للأذى البالغ .و كذلك حمه بالتخفيف.

۱۸۶-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

«الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِی» أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ وَ جَلاَلِ كِبْرِيَائِهِ- مَا حَيَّرَ مُقَلَ الْعُيُونِ مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِهِ- وَ رَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ النُّفُوسِ عَنْ عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ وَ أَشْهَدُ أَنْ «لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ» شَهَادَةَ إِيمَانٍ وَ إِيقَانٍ وَ إِخْلاَصٍ وَ إِذْعَانٍ- وَ أَشْهَدُ أَنَّ ؟مُحَمَّداً؟ عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ- أَرْسَلَهُ وَ أَعْلاَمُ الْهُدَى دَارِسَةٌ- وَ مَنَاهِجُ الدِّينِ طَامِسَةٌ فَصَدَعَ بِالْحَقِّ- وَ نَصَحَ لِلْخَلْقِ وَ هَدَى إِلَى الرُّشْدِ وَ أَمَرَ بِالْقَصْدِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ

وَ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ- أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً وَ لَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلاً- عَلِمَ مَبْلَغَ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ وَ أَحْصَى إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ- فَاسْتَفْتِحُوهُ وَ اسْتَنْجِحُوهُ وَ اطْلُبُوا إِلَيْهِ وَ اسْتَمْنِحُوهُ- فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ وَ لاَ أُغْلِقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ- وَ إِنَّهُ لَبِكُلِّ مَكَانٍ وَ فِي كُلِّ حِينٍ وَ أَوَانٍ- وَ مَعَ كُلِّ إِنْسٍ وَ جَانٍّ- لاَ يَثْلِمُهُ الْعَطَاءُ وَ لاَ يَنْقُصُهُ الْحِبَاءُ- وَ لاَ يَسْتَنْفِدُهُ سَائِلٌ وَ لاَ يَسْتَقْصِيهِ نَائِلٌ- وَ لاَ يَلْوِيهِ شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ وَ لاَ يُلْهِيهِ صَوْتٌ عَنْ صَوْتٍ- وَ لاَ تَحْجُزُهُ هِبَةٌ عَنْ سَلْبٍ وَ لاَ يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ- وَ لاَ تُولِهُهُ رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ وَ لاَ يُجِنُّهُ الْبُطُونُ عَنِ الظُّهُورِ- وَ لاَ يَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ الْبُطُونِ- قَرُبَ فَنَأَى وَ عَلاَ فَدَنَا وَ ظَهَرَ فَبَطَنَ- وَ بَطَنَ فَعَلَنَ وَ دَانَ وَ لَمْ يُدَنْ- لَمْ يَذْرَأِ الْخَلْقَ بِاحْتِيَالٍ وَ لاَ اسْتَعَانَ بِهِمْ لِكَلاَلٍ أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ- فَإِنَّهَا الزِّمَامُ وَ الْقِوَامُ فَتَمَسَّكُوا بِوَثَائِقِهَا وَ اعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا تَؤُلْ بِكُمْ إِلَى أَكْنَانِ الدَّعَةِ- وَ أَوْطَانِ السَّعَةِ وَ مَعَاقِلِ الْحِرْزِ وَ مَنَازِلِ الْعِزِّ- فِي يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ وَ تُظْلِمُ لَهُ الْأَقْطَارُ- وَ تُعَطَّلُ فِيهِ صُرُومُ الْعِشَارِ وَ «يُنْفَخُ فِي الصُّورِ» فَتَزْهَقُ كُلُّ مُهْجَةٍ وَ تَبْكَمُ كُلُّ لَهْجَةٍ- وَ تَذِلُّ الشُّمُّ الشَّوَامِخُ وَ الصُّمُّ الرَّوَاسِخُ- فَيَصِيرُ صَلْدُهَا سَرَاباً رَقْرَقاً وَ مَعْهَدُهَا قَاعاً سَمْلَقاً- فَلاَ شَفِيعٌ يَشْفَعُ وَ لاَ حَمِيمٌ يَنْفَعُ وَ لاَ مَعْذِرَةٌ تَدْفَعُ

اللغه

أقول: مقله العين: شحمتها .و الهمهمه: حديث النفس مع صوت خفىّ لا يفهم .

و الطامسه: كالدراسه .و الحباء: النوال .و ذرء: خلق .و المعقل: الملجأ .و الصروم:

جمع صرم و صرمه و هى القطعه من الإبل نحو الثلاثين .و العشار: النوق أتى عليها بعد طروق الفحل عشره أشهر .و الشمّ الشوامخ: الجبال العاليه .و معهدها:

ما كان مسكونا منها .و قاعا: خاليا .و السملق: الصفصف المستوى ليس بعضه أرفع من بعض .

المعنى

و قد حمد اللّه تعالى باعتبار إظهاره من آثار ملكه و سلطانه ما أظهره من ملكوت السماوات و الأرض،و ترتيب العالمين على وجه النظام الأتمّ ممّا هو محلّ العجب العجيب الّذى تحار أبصار البصائر فى كيفيّه وقوعه من القدره الإلهيّه،و فى ترتيبه على النظام الأكمل.بل كلّ مخلوق منها فهو محلّ ذلك العجب و الحيره، استعاره و لفظ المقل مستعار و نسبه ذلك إلى جلال كبريائه مناسب لما أنّ السلطان و العظمه و الكبرياء يناسب صدور الآثار العظيمه العجيبه المحكمه عنها . و ردع خطرات هماهم النفوس :أى ما يخطر للنفوس فيهمهم به،و ردعه لها استلزام كماله المطلق عجزها عن إدراك حقيقته.و قد سبق ذلك غير مرّه .ثمّ شهد بكلمه التوحيد معتبرا فيها أربعه أمور:

أحدها:كونها شهاده إيمان :أى يطابق القول فيها للعقد القلبىّ.

الثانى: و إيقان :أى يكون اعتقادها يقينا و هو اعتقاد أن «لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ» مع اعتقاد أنّه لا يمكن أن يكون ذلك المعتقد إلاّ كذلك.

الثالث: و إخلاص :و هى أن يحذف عن ذلك المعتقد كلّ أمر عن درجه الاعتبار و لا يلاحظ معه غيره.

الرابع: و إذعان :و الإذعان ثمره ذلك الإخلاص و كماله،و يتفاوت بتفاوته و يعود إلى سائر الطاعات و العبادات الّتى هى من حقوق تلك الكلمه و توابعها .ثمّ أردفها باختها.و ذكر الأحوال الّتى كان العالم عليها حين الرساله ممّا هى شرور تنبيها على فضيله الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و استعار أعلام الهدى لأئمّه الدين الهادين إلى

سبیل اللّه.و لفظ المناهج لقوانین الشریعه الّتی یسلک فیها جزئیّات الأحکام.و لفظ دروسها و طموسها لاضمحلالها قبل النبوّه.و الواو فی و أعلام للحال.فصدع بما جاء به من الحقّ ما طلب من الباطل،و نصح الخلق لیردّهم عن غوایتهم إلی صراط اللّه،و هداهم إلی الرشد فی سلوکه،و أمرهم بالعدل و الاستقامه علیه .ثمّ نبّه السامعین إجمالا علی أنّ خلق اللّه تعالی لهم لیس خالیا عن غایه و أنّهم لم یرسلوا فی الدنیا مهملین عن أمر یراد بهم کإهمال البهیمه.ثمّ علی علمه بمبلغ نعمه علیهم کمیّه و کیفیّه و إحصائه لها عدّا لیبعثهم علی شکرها،و لذلک قال فاستفتحوه :أی اطلبوا منه أن یفتح علیکم أبواب برکاته و نصره، و استنجحوه :أی اطلبوا منه نجاح حاجاتکم، و اطلبوا إلیه :أی اطلبوا الهدایه إلی حضرته و وجوه مرضاته، و استمنحوه أن یعطیکم کمالکم.کلّ ذلک بالشکر و سائر العبادات الّتی بها الاستعداد لإفاضه رحمته.

و قوله فما قطعکم عنه حجاب إلی قوله:إنس و جانّ.

إظهار لوجود کماله و عظمته،و تنزیه له عن صفات المخلوقین المحدثین،و تقریب له من عباده لیطلبوا منه و یتقرّبوا إلیه و یستنجحوه و یستمنحوه و تنفتح آمالهم منه، و إذ لم یکن تعالی متحیّزا فلا حجاب دونه و لا باب،و کان بکلّ مکان فی حاله واحده:أی بعلمه المحیط لاستحاله ذلک التحیّز،و فی کلّ حین و أوان بمعنی مساوقه وجوده لوجود الزمان لا بمعنی الظرفیّه له لتنزّهه تعالی عن لحوق الزمان المتأخّر عنه بمراتب من المعلولات،و مع کلّ إنس و جانّ بعلمه «وَ هُوَ مَعَکُمْ أَیْنَ ما کُنْتُمْ» .

و قوله : لا یثلمه العطاء.إلی قوله:نائل.

فاستقصاء النائل له بلوغ الجود منه أقصی مقدوره،و برهان تلک الأحکام أنّ الثلم و النقصان و الاستنفاد و الاستقصاء علی المقدور یستلزم النهایه و الحاجه المستلزمین للإمکان،و لا شیء من واجب الوجود بممکن،و کلّ من لحقته هذه الأحوال ممکن فواجب الوجود لا تلحقه هذه الأحوال،و کذلک قوله : لا یلویه

شخص عن شخص :أی لا یصرفه.إلی قوله: عقاب .و برهان هذه الأحکام أنّ الصرف و اللهو یستلزمان الغفله عن أمر و الفطنه لغیره بعد الغفله عنه،و کذلک حجز الهبه و منعها عن سلب نعمه اخری و شغل الغضب له عن الرحمه مستلزمان قصور القدره و ضعفها و تعلّقها بمحلّ جسمانی،و ذلک مستلزم للنقصان المستلزم للحاجه و الإمکان المنزّه قدس اللّه تعالی عنه،و کذلک تولیهه الرحمه عن العقاب یستلزم رقّه الطبع و رحمه النفوس البشریه المستلزمه لعوارض الجسمیّه.و جلال اللّه منزّه عنها.

و قوله: و لا تجنّه البطون عن الظهور.

یحتمل وجهین:أحدهما:لا یخفیه بطون حقیقته عن العقول و خفاؤه عن العیون عن ظهوره للبصائر فی صور آثاره و ملکوت قدرته.الثانی:أنّه لیس فی شیء حتّی یخفی فیه عن الظهور علی الأشیاء و الاطّلاع علیها. و لا یقطعه الظهور عن البطون :أی لا یقطعه کونه ظاهرا أو عالما بالامور الظاهره عن أن یکون باطنا لا یطّلع العقل علیه أو عن علمه ببواطن الامور و حقایقها.

و قوله : قرب .أی بعلمه و قدرته من الأشیاء قرب العلّه من المعلول. فنأی:

أی بعد بحقیقته عن إدراک العقول و الحواسّ.

و قوله: و علا فدنا .فعلّوه شرفه بالقیاس إلی آثاره شرف العلّه علی المعلول و دنوّه منها قربه.

و قوله: و ظهر فبطن و بطن فعلن.

تأکید لما قبله،و قد سبق بیانه غیر مرّه.

و قوله : لم یذرء الخلق باحتیال إلی قوله:الکلال.

تنزیه لایجاده لآثاره عن استخراج الحیل و إجاله وجوه الآراء فی استخراجها.

ثمّ عن الاستعانه بغیره فی شیء من آثاره.ثمّ عن مبدء الاستعانه و هو الکلال و الإعیاء لاستلزام ذلک تناهی القوّه المستلزمه للجسمیّه ،و إذ قدّم تنزیه الحقّ سبحانه عمّا لا ینبغی له،و وصفه بما ینبغی له شرع فی الوصیّه بتقواه.ثمّ فی التنبیه علی فضائلها، استعاره و استعار لفظ الزمام لها باعتبار کونها قائده للعبد إلی طریق الحقّ

مـانعه له عن الجور إلى طرف الباطـل كالزمـام للنـاقه ،و أراد بكونهـا قوامـا كونهـا مقيمه للعبـد فى سـلوك سبيل اللّه أيضا إقامه للمصدر مقام اسم الفاعل .

و قوله: فتمسّكوا بو ثائقها.

أى بمـا به يوثق منهـا و هو سـائر أنواع العبـادات الّتى هى أجزاؤهـا،و التمسّك بها يقود إلى لزومها و المواظبه عليها. و اعتصـموا بحقائقها :أى بالخالص منها دون المشوب بالرياء و النفاق فإنّ الالتجاء إلى خالصها هو المخلص من عذاب اللّه.

و قوله: تؤل بكم.

انجزم تؤل لكونه جواب الأمر بالتمسّك و الاعتصام.و أكنان الـدعه مواطن الراحه من الآلام الحسّيّه و العقليّه.و هى غرفات الجنّه و منازلها و هى أوطان السعه أيضا من ضيق الأبدان و ضنك بيوت النيران،و هى معاقل الحرز المانعه من عذاب اللّه.و هى منازل العزّ فى جوار اللّه.

و قوله: فى يوم.

متعلّق بتؤل،و اليوم يوم القيامه و سائر ما عدّده من صفات ذلك اليوم ممّا نطق به الكتاب الكريم كقوله تعالى «إِنَّما يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصارُ» (۱)و قوله «وَ إِذَا الْعِشـارُ عُطِّلَتْ » (۲)و قوله «وَ نُفِـخَ فِي الصُّورِ فَصَـعِقَ مَنْ فِي السَّمـاواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ» (۳)و قوله «يَسْـئَلُونَكَ عَنِ الْجِبالِ فَقُلْ يَنْسِفُها رَبِّي نَسْفاً فَيَذَرُها» (۴)الآيه و قوله «فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ وَ لا صَـدِيقٍ حَمِيمٍ» (۵)و قوله «فَيَوْمَئِذٍ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ» (۶)فهذه بعض أهوال القيامه المحسوسه،و أمّا المعقوله فقال بعض السالكين:

إنّ الإنسان إذا حضرته الوفاه شخص بصر عقله إلى ما انكشف له من الأطوار الاخرويّه،و أظلمت عليه أقطار الدنيا،و غاب منها ما كان يشاهـده،و تعطّلت عنه عشاره،و ناداه داعى الأجل إلى الآخره فزهقت نفسه،و أجابت الداعى،و بكمت لهجته،و ذلّت شوامخ الجبال و رواسخها فى نظره لعظمه اللّه عند مشاهده كبريائه

۱- ۱) ۳۴-۱۴.

۲- ۲) ۴-۸۱.

۳- ۳) ۶۸-۳۹.

۴- ۴) ۱۰۵-۲۰.

۵- ۵) ۱۰۰-۲۶.

۶- ۶) ۵۷-۳۰.

فتصير لا نسبه لها فى نظره إلى ما شاهد من عظيم ملكوته فكأنّها اضمحلّت و غابت و صارت فى نظره كالسراب المترقرق الّذى لا أصل له بعد ما كان يراها عليه من العلوّ و العظمه،و كذلك ينقطع نظره عن عالم الأجسام و الجسمانيّات عند التوجّه إلى عالم الملكوت،و كذلك يرى ما كان معهودا منها كالقاع الصفصف المستوى تحت سلطان اللّه و قهره،و حينئذ تنقطع عن الشفيع الشافع و الصديق الدافع و العذر النافع.و باللّه التوفيق.

۱۸۷-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

بَعَثَهُ حِينَ لاَ عَلَمٌ قَائِمٌ- وَ لاَ مَنَارٌ سَاطِعٌ وَ لاَ مَنْهَجٌ وَاضِحٌ أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ- وَ أُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا دَارُ شُخُوصٍ- وَ مَحَلَّةُ تَنْغِيصٍ سَاكِنُهَا ظَاعِنٌ وَ قَاطِنُهَا بَائِنٌ- تَمِيدُ بِأَهْلِهَا مَيَدَانَ السَّفِينَهِ- تَقْصِفُهَا الْعَوَاصِفُ فِى لُجَجِ الْبِحَارِ- فَمِنْهُمُ الْغَرِقُ الْوَبِقُ وَ مِنْهُمُ النَّاجِى عَلَى بُطُونِ الْأَمْوَاجِ- تَحْفِزُهُ الرِّيَاحُ بِأَذْيَالِهَا وَ تَحْمِلُهُ عَلَى أَهْوَالِهَا- فَمَا غَرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرَكٍ وَ مَا نَجَا مِنْهَا فَإِلَى مَهْلَكٍ- عِبَادَ اللَّهِ الْآنَ فَاعْلَمُوا وَ الْأَلْسُنُ مُطْلَقَهٌ- وَ الْأَبْدَانُ صَحِيحَهٌ وَ الْأَعْضَاءُ لَدْنَهٌ- وَ الْمُنْقَلَبُ فَسِيحٌ وَ الْمَجَالُ عَرِيضٌ- قَبْلَ إِرْهَاقِ الْفَوْتِ وَ حُلُولِ الْمَوْتِ- فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ نُزُولَهُ وَ لاَ تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ

اللغه

أقول: الساطع: المرتفع .و الوبق: الهالك .و اللدن: الناعم :و الإرهاق:

الإلحاق .

ص:۴۳۷

المعنى

و قد ذكر البعثه حين ظهور الأحوال الّتى كان العالم عليها تنبيها على فضلها و فضيله الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم.

استعاره فقوله: حيث لا علم قائم.

استعار لفظ العلم و المنار للهداه إلى اللّه الداعين إليه،و عدم قيامه و سطوعه لعدمهم زمان الفتره.

و قوله: و لا منهج واضح.

أى لا طريق إلى اللّه خالص عن شوب الأباطيل يتّبع .ثمّ عقّب بالوصيّه بتقوى اللّه.ثمّ بالتحذير من الدنيا،و قرنها بذكر عيوبها للتنفير عنها.و كونها دار شخوص إشاره إلى ضروره الارتحال عنها بالموت، و محلّه تنغيص :أى تنغيص لذّاتها بالآلام و الأمراض حتّى قيل:إنّ اللذّه فيها إنّما هى الخلاص عن الألم.

و قوله: ساكنها ظاعن و قاطنها بائن .كالتفسير لقوله:دار شخوص.

و قوله: تميد بأهلها إلى قوله:إلى مهلك.

ضربه لها و لأحوال أهلها فيها.فمثّلها بالسفينه عند عصف الريح،و مثّل تصرّفاتها و تغيّراتها بميدان السفينه،و رميهم فيها بالأمراض و الحوادث الّتى هى مظنّه الهلاك بالأحوال الّتى يلحق أهل السفينه عند هبوب الريح العاصف حال كونها فى لجج البحار،و مثّل انقسامهم عند بعض تلك الحوادث و نزولها بهم إلى ميّت لا يرجى له عوده و إلى مستدرك متفارط بانقسام ركّاب السفينه عند عصف الريح عليها إلى غريق هالك و إلى ناج،و مثّل الناجى من بعض الأمراض الّذى تأخّر موته إلى مرض آخر فلاقى من أهوال الدنيا فى تلك المدّه ما لاقى ثمّ لحقه الموت بالأخره بالناجى من الغرق الّذى تحمله الأمواج و تدفعه الرياح و يقاسى أهوال البحر و شدائده ثمّ بعد خلاصه منه لا بدّ له من وقت هو أجله و مرض هو المهلك:

أى محلّ هلاكه .ثمّ أمر بالعمل و ذكر الأحوال الّتى يمكن فيها و معها العمل تنبيها على انتهاز الفرصه،و تلك الأحوال صحّه الألسن و إمكان ذكر اللّه و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و سائر التكاليف المتعلّقه بها،و كذلك صحّه الأبدان

و لدنه الأعضاء و مطاوعتها للعمل قبل يبسها بالسقم و الأمراض، كنايه و فسح المنقلب و هو محلّ التصرّف و التقلّب،و كنّى به عن وقت الصحّه و الشبيبه،و يقرب منه عرض المجال ،و ذكر إرهاق الأجل و حلول الموت تحذيرا منه و جذبا إلى العمل لما بعده.

ثمّ أمرهم أن يتحقّقوا نزوله قبل نزوله:أى يتذكّروه و يخطر ببالهم أنّه حقّ و يقدّروا أنّه واقع ليكون آكد فى العمل.و لذلك قال صلّى اللّه عليه و آله و سلم:أكثروا من ذكر هادم اللذّات.و نهاهم عن انتظار قدومه لاستلزام انتظارهم له توهّمهم لبعده عنهم، و ذلك يوقعهم فى التكاسل عن العمل.و باللّه التوفيق.

۱۸۸-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

وَ لَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ؟مُحَمَّدٍ ص؟- أَنِّي لَمْ أَرُدَّ عَلَى اللَّهِ وَ لاَ عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ- وَ لَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ- الَّتِي تَنْكُصُ فِيهَا الْأَبْطَالُ- وَ تَتَأَخَّرُ فِيهَا الْأَقْدَامُ نَجْدَةً أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهَا- وَ لَقَدْ قُبِضَ؟رَسُولُ اللَّهِ ص؟ وَ إِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي- وَ لَقَدْ سَالَتْ نَفْسُهُ فِي كَفِّي فَأَمْرَرْتُهَا عَلَى وَجْهِي- وَ لَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ ص وَ الْمَلاَئِكَةُ أَعْوَانِي- فَضَجَّتِ الدَّارُ وَ الْأَفْنِيَةُ- مَلَأٌ يَهْبِطُ وَ مَلَأٌ يَعْرُجُ- وَ مَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْنَمَةٌ مِنْهُمْ- يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي ضَرِيحِهِ- فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيّاً وَ مَيِّتاً- فَانْفُذُوا عَلَى بَصَائِرِكُمْ- وَ لْتَصْدُقْ نِيَّاتُكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ- فَوَ «الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ» إِنِّي لَعَلَى جَادَّةِ الْحَقِّ- وَ إِنَّهُمْ لَعَلَى مَزَلَّةِ الْبَاطِلِ- أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَ لَكُمْ

ص:۴۳۹

اللغه

أقول: الهيمنه: صوت خفىّ يسمع و لا يفهم .

و حاصل الفصل:التنبيه على فضيلته لغايه قبول قوله فيما يأمرهم به.

فذكر منها:أنّه لم يردّ على اللّه و على رسوله فى وقت قطّ

فيما صدر من الأمر عنهما، و استشهد على ذلك بما علمه منه المستحفظون من الصحابه و هم العلماء و أهل الدين الّذين استحفظوا كتاب اللّه و دينه:أى جعلوا حفظه له و اودعوا إيّاه،و قال بعض الشارحين:و فيه ايماء إلى ما كان يفعله بعض الصحابه من التسرّع بالقول و الاعتراض على الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى مواضع كما نقل عن عمر يوم الحديبيّه عند سطر كتاب الصلح أنّه أنكر ذلك و قال لرسول اللّه:ألسنا على الحقّ قال:بلى.قال:أو ليسوا الكاذبين.قال:

بلى.قال:فكيف تعطى الريبه فى ديننا.فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلم:أنا أعمل بما اومر به.فقام عمر فقال لقوم من الصحابه:ألم يكن قد وعدنا اللّه بدخول مكّه و ها نحن قد صددنا عنها ثمّ ننصرف بعد أن اعطينا الريبه فى ديننا و اللّه لو وجدت أعوانا لم اعط الريبه أبدا.فقال له ابو بكر:ويحك الزم غزوه فو اللّه إنّه لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و أنّ اللّه لا يضيّعه.ثمّ قال له:أقال لك:إنّه سيدخل مكّه هذا العام؟.فقال:لا.قال:

فسيدخلها.فلمّا فتح النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم مكّه و أخذ مفاتيح الكعبه دعاه.فقال:هذا الّذى وعدتم به.

و منها:مواساته لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم بنفسه و هو ممّا اختصّ به عليه السّلام،

و ذلك فى مواطن:فثبت معه يوم احد و فرّ الناس.روى المحدّثون أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم لمّا ارتثّ يوم احد،و نادى الناس قتل محمّد رأته كتيبه من المشركين و هو صريع بين القتلى إلاّ أنّه حىّ فصمدت له.فقال لعلىّ:اكفنى هذه.فحمل عليها فهزمها و قتل رئيسها:ثمّ صمدت له اخرى.فقال يا على:اكفنى هذه فحمل عليها و قتل رئيسها.

ثمّ صمدت له ثالثه فكذلك.فكان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول:قال لى جبرئيل حينئذ:

يا محمّد هذه المواساه.فقلت:و ما يمنعه؟و هو منّى و أنا منه.فقال جبرئيل:و أنا منكما،و روى المحدّثون أيضا أنّ المسلمين سمعوا ذلك اليوم هاتفا من قبل السماء ينادى:لا سيف إلاّ ذو الفقار و لا فتى إلاّ علىّ.فقال الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم:ألا تسمعون؟هذا

صوت جبرئيل.و كـذلك ثبت معه يوم حنين فى نفر يسـير من بنى هاشم بعـد أنّ ولّى المسـلمون الأدبار،و حامى عنه،و قتل قوما من هو اذن بين يـديه حتّى ثـابت إليه الأنصار و انهزمت هو اذن و غنمت أموالها،و أمّا يوم خيبر فقصّـته مشـهوره،و ذلك قوله: و لقد واسيته.إلى قوله:الأقدام.

و قوله: نجده أكرمنى اللّه بها .فالنجده فضيله تحت الشجاعه،و قد يعبّر بها عن الشجاعه .

و منها حاله عند ما قبض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم

من تولّى أمره و مباشره ما يختصّ به من الأحوال حاله وفاته من وضع رأسه على صـدره،و قيل:أراد بـذلك أنّ رأسه حينئذ كان على ركبتيه،و على ذلك يكون فى صـدره عنـد إكبابه عليه.و الأشـبه أنّه أراد تسـنيده حين اشـتداد علّه موته.ثمّ سـيلان نفسه فى كفه و إمرارها على وجهه،و أراد بنفسه دمه يقال:

إنّ رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلم قـاء وقت موته دما يسـيرا،و أنّ عليّا عليه السّـلام مسح بـذلك الـدم وجهه، و لا ينافى ذلك نجاسه الدم لجواز أن يخصّـص دم الرسول صـلّى اللّه عليه و آله و سـلم كما روى أنّ أبا طيبه الحجّام شـرب دمه صلّى اللّه عليه و آله و سـلم حين حجمه.فقال:إذن لا يتّجع بطنك،و كـذلك تولّيه لغسـله بإعانه الملائكه،و كان هو الّذى يغسّـله و الفضـل بن عباس يصّب الماء عليه، روى أنّه عصب عينى الفضل حين صبّه الماء،و نقل عنه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلم أنّه قال:لا يبصر عورتى غيرك أحد إلّا عمى،و روى أنّه عليه السّلام قال:ما قلّبت عضوا إلّا و انقلب لا أجد له ثقلا كأنّ معى من يساعدنى عليه،و مـا ذلـك إلاّـ الملاـئكه.و حيّا و ميّتا منصوبان على الحال من الضـمير المجرور فى به،و أمّا دفنه فتنازع الصـحابه فى أنّه يلحـد أو يضـرح فأرسل العبّاس إلى عبيده بن الجرّاح و كان يحفر لأهل مكّه و يضرح لهم على عادتهم،و أرسل إلى أبى طلحه الأنصارى و كان يلحد لأهل المدينه على عادتهم فقال:اللهم اختر لنبيّك فجاء أبو طلحه فلحد له،و تنازعوا فيمن يدخل القبر معه فقال على عليه السّـلام:لا ينزل معه أحـد غيرى و غير العبّاس.ثمّ أذن فى نزول الفضل و اسامه بن زيـد .ثمّ ضـجّت الأنصار و سألوا أن ينزل منهم رجل فأنزلوا أوس بن خولىّ و كان بدريّا،و قد يعبّر بالضريح عن القبر فيكون أعمّ من الشقّ و اللحد.

ص:۴۴۱

فأمّا ضجيج الدار و الأفنيه بأصوات الملائكه ملأ يهبط منهم و ملأ يصعد بحيث لا يفارق هينمتهم سمعه فى حال صلاتهم عليه إلى أن واراه فى ضريحه.فقد عرفت كيفيّه سماع البشر لأصوات الملائكه فى مقدّمات الكتاب،و كذلك صلاتهم تعود إلى وساطتهم فى إفاضه الرحمه من اللّه تعالى على العباد،و كذلك علمت معنى الصعود و الهبوط منهم فيما سبق.

و اعلم أنّ حمل الكلام على ظاهره عند الإمكان أولى من التعسّف فى التأويل، و ذكر هذه الفضيله بهذه المقامات تجرى مجرى صغرى قياس ضمير من الشكل الأوّل استدلّ به على أنّه لا أحقّ منه به.و تقدير كبراه:و كلّ من كان ذلك معه صلّى اللّه عليه و آله و سلم.فهو أحقّ به.و حينئذ يتبيّن أنّه لا أحقّ به منه،و أراد أنّه لا أحقّ بالمنزله و القرب منه.ففى حياته بالاخوّه و الوزاره،و بعد موته بالوصيّه و الخلافه إذ لا يريد أنّه أحقّ بذاته فبقى أن يريد كونه أحقّ به فى المنزله و ولايه أمره بعده .

ثمّ عقّب ذكر فضيلته بأمرهم أن يمضوا فى جهاد عدوّهم على بصائرهم:أى عقايدهم أنّهم على الحقّ و أنّ عدوّهم على الباطل،و أكّد تلك العقائد بالقسم البارّ أنّه فيما يأمرهم به على طريق الحقّ،و أنّ خصومه على مزلّه الباطل،و ذكر الجادّه للحقّ جذبا إليه،و المزلّه للباطل تنفيرا عنه،و لأنّ الباطل لا طريق واضحه له بعلم حقّ أو برهان صدق كما عليه الطريق الحقّ،و باقى الكلام خاتمه الخطبه.

و باللّه التوفيق.

۱۸۹-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

يَعْلَمُ عَجِيجَ الْوُحُوشِ فِى الْفَلَوَاتِ- وَ مَعَاصِىَ الْعِبَادِ فِى الْخَلَوَاتِ- وَ اخْتِلاَفَ النِّينَانِ فِى الْبِحَارِ الْغَامِرَاتِ- وَ تَلاَطُمَ الْمَاءِ بِالرِّيَاحِ الْعَاصِفَاتِ- وَ أَشْهَدُ أَنَّ؟مُحَمَّداً؟ نَجِيبُ اللَّهِ- وَ سَفِيرُ وَحْيِهِ وَ رَسُولُ رَحْمَتِهِ

أَمَّا بَعْدُ- فَإِنِّی أُوصِیکُمْ بِتَقْوَی اللَّهِ الَّذِی ابْتَدَأَ خَلْقَکُمْ- وَ إِلَیْهِ یَکُونُ مَعَادُکُمْ وَ بِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِکُمْ- وَ إِلَیْهِ مُنْتَهَی رَغْبَتِکُمْ وَ نَحْوَهُ قَصْدُ سَبِیلِکُمْ- وَ إِلَیْهِ مَرَامِی مَفْزَعِکُمْ- فَإِنَّ تَقْوَی اللَّهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِکُمْ- وَ بَصَرُ عَمَی أَفْئِدَتِکُمْ وَ شِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِکُمْ- وَ صَلَاحُ فَسَادِ صُدُورِکُمْ- وَ طُهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِکُمْ وَ جِلَاءُ غِشَاءِ أَبْصَارِکُمْ- وَ أَمْنُ فَزَعِ جَأْشِکُمْ وَ ضِیَاءُ سَوَادِ ظُلْمَتِکُمْ فَاجْعَلُوا طَاعَهَ اللَّهِ شِعَاراً دُونَ دِثَارِکُمْ- وَ دَخِیلاً دُونَ شِعَارِکُمْ وَ لَطِیفاً بَیْنَ أَضْلَاعِکُمْ- وَ أَمِیراً فَوْقَ أُمُورِکُمْ وَ مَنْهَلاً لِحِینِ وُرُودِکُمْ- وَ شَفِیعاً لِدَرَکِ طَلِبَتِکُمْ وَ جُنَّهً لِیَوْمِ فَزَعِکُمْ- وَ مَصَابِیحَ لِبُطُونِ قُبُورِکُمْ- وَ سَکَناً لِطُولِ وَحْشَتِکُمْ وَ نَفَساً لِکَرْبِ مَوَاطِنِکُمْ- فَإِنَّ طَاعَهَ اللَّهِ حِرْزٌ مِنْ مَتَالِفَ مُکْتَنِفَهٍ- وَ مَخَاوِفَ مُتَوَقَّعَهٍ وَ أُوَارِ نِیرَانٍ مُوقَدَهٍ- فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَی عَزَبَتْ عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوِّهَا- وَ احْلَوْلَتْ لَهُ الْأُمُورُ بَعْدَ مَرَارَتِهَا- وَ انْفَرَجَتْ عَنْهُ الْأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَاکُمِهَا- وَ أَسْهَلَتْ لَهُ الصِّعَابُ بَعْدَ إِنْصَابِهَا- وَ هَطَلَتْ عَلَیْهِ الْکَرَامَهُ بَعْدَ قُحُوطِهَا- وَ تَحَدَّبَتْ عَلَیْهِ الرَّحْمَهُ بَعْدَ نُفُورِهَا- وَ تَفَجَّرَتْ عَلَیْهِ النِّعَمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا- وَ وَبَلَتْ عَلَیْهِ الْبَرَکَهُ بَعْدَ إِرْذَاذِهَا- فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِی نَفَعَکُمْ بِمَوْعِظَتِهِ- وَ وَعَظَکُمْ بِرِسَالَتِهِ وَ امْتَنَّ عَلَیْکُمْ بِنِعْمَتِهِ-

ص:۴۴۳

فَعَبِّدُوا أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ- وَ اخْرُجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْإِسْلاَمَ دِينُ اللَّهِ الَّذِی اصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ- وَ اصْطَنَعَهُ عَلَی عَیْنِهِ وَ أَصْفَاهُ خِیَرَهَ خَلْقِهِ- وَ أَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَی مَحَبَّتِهِ- أَذَلَّ الْأَدْیَانَ بِعِزَّتِهِ وَ وَضَعَ الْمِلَلَ بِرَفْعِهِ- وَ أَهَانَ أَعْدَاءَهُ بِکَرَامَتِهِ وَ خَذَلَ مُحَادِّیهِ بِنَصْرِهِ- وَ هَدَمَ أَرْکَانَ الضَّلاَلَهِ بِرُکْنِهِ- وَ سَقَی مَنْ عَطِشَ مِنْ حِیَاضِهِ- وَ أَتْأَقَ الْحِیَاضَ لِمَوَاتِحِهِ- ثُمَّ جَعَلَهُ لاَ انْفِصَامَ لِعُرْوَتِهِ وَ لاَ فَکَّ لِحَلْقَتِهِ- وَ لاَ انْهِدَامَ لِأَسَاسِهِ وَ لاَ زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ- وَ لاَ انْقِلاَعَ لِشَجَرَتِهِ وَ لاَ انْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ- وَ لاَ عَفَاءَ لِشَرَائِعِهِ وَ لاَ جَذَّ لِفُرُوعِهِ وَ لاَ ضَنْکَ لِطُرُقِهِ- وَ لاَ وُعُوثَهَ لِسُهُولَتِهِ وَ لاَ سَوَادَ لِوَضَحِهِ- وَ لاَ عِوَجَ لِانْتِصَابِهِ وَ لاَ عَصَلَ فِی عُودِهِ- وَ لاَ وَعَثَ لِفَجِّهِ وَ لاَ انْطِفَاءَ لِمَصَابِیحِهِ- وَ لاَ مَرَارَهَ لِحَلاَوَتِهِ- فَهُوَ دَعَائِمُ أَسَاخَ فِی الْحَقِّ أَسْنَاخَهَا- وَ ثَبَّتَ لَهَا آسَاسَهَا وَ یَنَابِیعُ غَزُرَتْ عُیُونُهَا- وَ مَصَابِیحُ شَبَّتْ نِیرَانُهَا- وَ مَنَارٌ اقْتَدَی بِهَا سُفَّارُهَا وَ أَعْلاَمٌ قُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا- وَ مَنَاهِلُ رَوِیَ بِهَا وُرَّادُهَا-.جَعَلَ اللَّهُ فِیهِ مُنْتَهَی رِضْوَانِهِ- وَ ذِرْوَهَ دَعَائِمِهِ وَ سَنَامَ طَاعَتِهِ- فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ وَثِیقُ الْأَرْکَانِ رَفِیعُ الْبُنْیَانِ- مُنِیرُ الْبُرْهَانِ مُضِیءُ النِّیرَانِ- عَزِیزُ السُّلْطَانِ مُشْرِفُ الْمَنَارِ مُعْوِذُ الْمَثَارِ- فَشَرِّفُوهُ وَ اتَّبِعُوهُ وَ أَدُّوا إِلَیْهِ حَقَّهُ وَ ضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ؟مُحَمَّداً ص؟ بِالْحَقِّ- حِينَ دَنَا مِنَ الدُّنْيَا الِانْقِطَاعُ وَ أَقْبَلَ مِنَ الْآخِرَهِ الِاطِّلَاعُ- وَ أَظْلَمَتْ بَهْجَتُهَا بَعْدَ إِشْرَاقٍ وَ قَامَتْ بِأَهْلِهَا عَلَى سَاقٍ- وَ خَشُنَ مِنْهَا مِهَادٌ وَ أَزِفَ مِنْهَا قِيَادٌ- فِي انْقِطَاعٍ مِنْ مُدَّتِهَا وَ اقْتِرَابٍ مِنْ أَشْرَاطِهَا- وَ تَصَرُّمٍ مِنْ أَهْلِهَا وَ انْفِصَامٍ مِنْ حَلْقَتِهَا- وَ انْتِشَارٍ مِنْ سَبَبِهَا وَ عَفَاءٍ مِنْ أَعْلَامِهَا- وَ تَكَشُّفٍ مِنْ عَوْرَاتِهَا وَ قِصَرٍ مِنْ طُولِهَا- جَعَلَهُ اللَّهُ بَلَاغاً لِرِسَالَتِهِ وَ كَرَامَهً لِأُمَّتِهِ- وَ رَبِيعاً لِأَهْلِ زَمَانِهِ وَ رِفْعَهً لِأَعْوَانِهِ وَ شَرَفاً لِأَنْصَارِهِ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُوراً لَا تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ- وَ سِرَاجاً لَا يَخْبُو تَوَقُّدُهُ وَ بَحْراً لَا يُدْرَكُ قَعْرُهُ- وَ مِنْهَاجاً لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ وَ شُعَاعاً لَا يُظْلِمُ ضَوْءُهُ- وَ فُرْقَاناً لَا يُخْمَدُ بُرْهَانُهُ وَ تِبْيَاناً لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ- وَ شِفَاءً لَا تُخْشَى أَسْقَامُهُ وَ عِزّاً لَا تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ وَ حَقّاً لَا تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ- فَهُوَ مَعْدِنُ الْإِيمَانِ وَ بُحْبُوحَتُهُ وَ يَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَ بُحُورُهُ- وَ رِيَاضُ الْعَدْلِ وَ غُدْرَانُهُ وَ أَثَافِيُّ الْإِسْلَامِ وَ بُنْيَانُهُ- وَ أَوْدِيَهُ الْحَقِّ وَ غِيطَانُهُ وَ بَحْرٌ لَا يَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ- وَ عُيُونٌ لَا يُنْضِبُهَا الْمَاتِحُونَ- وَ مَنَاهِلُ لَا يَغِيضُهَا الْوَارِدُونَ- وَ مَنَازِلُ لَا يَضِلُّ نَهْجَهَا الْمُسَافِرُونَ- وَ أَعْلَامٌ لَا يَعْمَى عَنْهَا السَّائِرُونَ- وَ آكَامٌ لَا يَجُوزُ عَنْهَا الْقَاصِدُونَ جَعَلَهُ

ص:۴۴۵

اللَّهُ رِيّاً لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ وَ رَبِيعاً لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ- وَ مَحَاجَّ لِطُرُقِ الصُّلَحَاءِ وَ دَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ- وَ نُوراً لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ وَ حَبْلًا وَثِيقاً عُرْوَتُهُ- وَ مَعْقِلًا مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ وَ عِزّاً لِمَنْ تَوَلَّاهُ- وَ سِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ وَ هُدًى لِمَنِ ائْتَمَّ بِهِ- وَ عُذْراً لِمَنِ انْتَحَلَهُ وَ بُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ- وَ شَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ وَ فَلْجاً لِمَنْ حَاجَّ بِهِ- وَ حَامِلًا لِمَنْ حَمَلَهُ وَ مَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ- وَ آيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ وَ جُنَّةً لِمَنِ اسْتَلْأَمَ- وَ عِلْماً لِمَنْ وَعَى وَ حَدِيثاً لِمَنْ رَوَى وَ حُكْماً لِمَنْ قَضَى

اللغه

أقول: العجيج: رفع الصوت ،و النينان: جمع نون و هو الحوت .و الجأش:

القلب .و الاوار: حرّ النار .و الشمس عزبت: غابت .و إنصابها: إتعابها .

و تحدّبت: عطفت و حنّت .و الرذاذ: ضعيف المطر .و عبّدوا: ذلّلوا .و المحادّ:

المشاقّ .و أثاق الحياض: ملأها .و المواتح: المستقون .و الوعوثه: كثره فى سهوله توجب صعوبه المشى كما فى الرمل .و الوضح: البياض .و العوج:بالفتح فيما له ساق ينتصب كالنخله،و بالكسر فيما ليس كذلك كالطريق .و العصل. الاعوجاج .

و ساخ: غاص .و السنخ: الأصل .و أزف: دنا و بحبوحه الدار: وسطها .

و الغيطان: المواضع المطمئنّه من الأرض .و المحاجّ: جمع محجّه و هى جادّه الطريق .و المعقل: الملجأ .و الفلج: الفوز .و المتوسّم: المتفرّس .و استلأم:

لبس لامه الحرب و هى الدرع .

المعنى

و صدر الفصل تنبيه على إحاطه علمه بجزئيّات الموجودات على اختلافها

و كثرتها

،و نبّه بعجيج الوحوش على أنّه تعالى يعلمها حين يجأر إليه من جدب الأرض و قلّه العشب فكأنّها تضرّع إليه بالعجيج ليكون الإنسان أولى بذلك النزع [الفزع-خ-]إليه،و بعلمه بمعاصى العباد فى الخلوات تنفيرا عنها فى الخلوه الّتى

هی مظنّتها،و اختلاف النینان بالمجیء و الذهاب و قطع البحار طولا و عرضا.ثمّ عقّب بشهاده الرساله .ثم بالوصیّه بتقوی اللّه،و قرنها باعتبارات من صفاته تعالی توجب الفزع إلیه و هی کونه سبحانه مبدءا لخلقهم و منتهی لمعادهم الحسّی و العقلیّ کقوله تعالی «وَ هُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» و قد نبّهنا علیه مرارا،و أنّ به نجاح طلباتهم،و إلیه منتهی رغباتهم،و نحوه قصدهم و سلوکهم فإنّه تعالی غایه الکلّ،و إلیه مرامی مفزعهم یقال:فلان مرمی قصدی:أی إلیه مفزعی فی المهمّات، و نحوه قوله تعالی «إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْئَرُونَ » (۱).

ثمّ باعتبارات من صفه

التقوی توجب الفزع إلیها.

(ا)و هی کونها دواء داء قلوبکم ،و قد عرفت کونها دواء لأدواء الرذائل النفسانیّه الموبقه.

(ب) و بصر عمی أفئدتکم :أی أبصار أفئدتکم من عمی الجهل.

(ج) و شفاء مرض أجسادکم ،و ذلک أنّ التقوی تستلزم قلّه الأکل و الشرب و استعمالهما بقدر الحاجه کما قال فی صفات المتّقین: منزورا أکله .و قد علمت ما تحدث البطنه من الأمراض البدنیّه،و لذلک قال علیه السّلام:المعده بیت الأدواء.

(د) و صلاح فساد صدورکم :أی من الغلّ و الحسد و الخبث و النیّات المخالفه لأوامر اللّه.فإنّ التقوی تستلزم نفی ذلک کلّه.و صلاح الصدور منه لأنّ مبادی تلک الشرور کلّها محبّه الدنیا و باطلها،و المتّقون بمعزل عن ذلک.

(ه)و کذلک طهور دنس أنفسکم:أی من نجاسات الرذائل المهلکه و هو کقوله:دواء قلوبکم.لکن اعتبار کونها دواء یخالف اعتبار کونها طهورا إذ فی الأوّل ملاحظه کون الرذائل أمراضا ضارّا تؤدّی إلی الهلاک السرمدی،و فی الثانی اعتبار کونها نجاسات تمنع من دخول حظیره القدس و مقعد الصدق.

(و) استعاره-مجاز إطلاقا لاسم المسبّب علی السبب و جلاء عشا أبصارکم ،و فیه استعاره لفظ العشا لما یعرض عن ظلمه الجهل، و سائر الرذائل من عدم إدراک الحقائق،و یروی غشاء بالغین المعجمه و هو الظلمه

۱- ۱) ۵۵-۱۶.

المتوهّمه من الجهل الّتى هى حجاب الغفله،و بهذا الاعتبار ففى التقوى جلاء لتلك الظلمه لما تستلزمه من إعداد النفس للكمال،و كونها نفسها هى الجلاء مجاز إطلاقا لاسم المسبّب على السبب.

(ز) و أمن فزع جأشكم .إذ قد علمت أنّ بها الأمان من عذاب الآخره، و قد يكون بها الأمان من فزع الدنيا.لأنّ أكبر مخاوف الدنيا الموت و ما يؤدّى إليه،و المتّقون العارفون بمعزل عن تقيّه الموت بل عسى يكون محبوبا لهم لكونه وسيله لهم إلى اللقاء الخالص لمحبوبهم الأقصى،و إليه الإشاره بقوله تعالى «يا أَيُّهَا الَّذِينَ هادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِياءُ لِلّهِ مِنْ دُونِ النّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» (۱)دلّت الآيه على أنّ الصادق فى دعوى الولايه يتمنّى الموت،و كذلك قوله تعالى «قُلْ إِنْ كانَتْ لَكُمُ الدّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللّهِ خالِصَةً مِنْ دُونِ النّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» (۲).

(ح) استعاره مرشحه ضياء سواد ظلمكم ،و استعار لفظ الظلمه للجهل و تغطيه القلب،و رشّح بذكر السواد لاستلزام الظلمه السواد،و هو كقوله: و جلاء عشا أبصاركم ،و راعى فى هذه القرائن كلّها المضادّه .

ثمّ أكّد الوصيّه بطاعه اللّه تعالى بآداب:

أحدها:

كنايه أن يجعلوها شعارهم ،و كنّى بذلك عن ملازمتهم لها كما يلزم الشعار الجسد.ثمّ عن كونها فى الباطن دون الظاهر لقلّه فايدته و هو المشار إليه بقوله.

دون دثاركم.

الثانى:أكّد أمرهم بإبطانهم

:بأمرهم باتّخاذها دخيلا تحت الشعار لإمكان ذلك فيها دون الشعار المحسوس.ثمّ فسّر ذلك فقال: كنايه و لطيفا بين أضلاعكم .و كنّى بلطفها عن اعتقادها و عقليتها و يكون بين أضلاعهم عن إيداعها القلوب .

الثالث:

استعاره أن يجعلوها أميرا ،و استعار لها لفظ الأمير باعتبار إكرامهم لها و تقديمها على سائر مهمّاتهم .

الرابع:

استعاره أن يجعلوها منهلا لحين ورودهم :أى يوم القيامه،و استعار لفظ

ص:۴۴۸

۱- ۱) ۶-۶۲.

۲- ۲) ۸۸-۲.

المنهل لها،و وجه المشابهه أنّ التقوى و الطاعه للّه مظنّه التروّى من شراب الأبرار يوم القيامه كما أنّ موارد الإبل مظنّه ريّها.

الخامس:

استعاره أن يجعلوها شفيعا إلى اللّه و وسيله إلى مطالبهم منه ،و ظاهر كون المطيع يستعدّ بطاعته لدرك بغيته من اللّه تعالى،و لفظ الشفيع مستعار للوسيله و القربه .

السادس:و جنّه ليوم فزعهم

،و ظاهر كون الطاعه ساترا يوم القيامه من الفزع الأكبر من عذاب اللّه.

السابع:

استعاره و مصابيح لبطون قبورهم ،و قد عرفت كيفيّه إعداد الطاعه لقبول الأنفس الأنوار العلويّه و الأسرار الإلهيّه المخلّصه من ظلمه القبور و العذاب الاخروىّ.و فى الخبر:أنّ العمل الصالح يضىء قبر صاحبه كما يضىء المصباح الظلمه.

و استعار لها لفظ المصابيح لاستلزامها الإناره .

الثامن:و كذلک سكنا لطول الوحشه فى القبور تستأنس به النفوس

كما روى:

أنّ العمل الصالح و الخلق الفاضل يراه صاحبه بعد الموت فى صوره شابّ حسن الصوره و الثياب طيّب الريح فيسلّم عليه فيقول له:من أنت؟فيقول:أنا خلقک الحسن أو عملک الحسن.و حاصله يعود إلى كون الطاعه سببا للاستيناس من وحشه الآخره،و ذلک أنّ الوحشه إنّما تعرض فى المكان لمن كان غافلا عنه و غير متوقّع له و لا متهيّىء للانتقال إليه و مطمئنّا بوطنه الأوّل و بأهله و جاعلهم كلّ الانس.

فأمّا أهل الطاعه فإنّهم أبدا متفكّرون فيما ينتقلون إليه و متذكّرون له واثقون بانس ربّهم و ملتفتون إليه.فانسهم أبدا به و فرحهم دائما بلقائه،و اعتقادهم فى الدنيا:

أنّهم لأهلها بأبدانهم مجاورون.فمنهم يهربون و إلى العزله ينقطعون.فبالحرىّ أن لا تعرض لهم وحشه و أن تكون أعمالهم سببا لعدم الوحشه الّتى عساها تعرض لهم، و لمّا كان الإنسان فى الدنيا لا يتصوّر ما بعد الموت بالحقيقه لا جرم لا بدّ له من وحشه ما إلّا أنّ الأنوار الإلهيّه و الانس بالرفيق الأعلى مزيل لها.

التاسع:و كذلک و نفسا لكرب مواطنكم

:أى سعه و روحا لما يعرض من

كرب منازل الآخره و أهوالها .

العاشر:كونها حرزا من متالف مكتنفه

.و تلك المتالف هى الرذائل الموبقه الّتى هى محالّ الهلاك و التلف.و اكتنافها إحاطتها بالنفس بحيث لا يكفّها إلّا طاعه اللّه و سلوك سبيله،و المخاوف المتوقّعه مخاوف الآخره و حرّ نيرانها .

الحادى عشر:كون التقوى مستلزمه لبعد الشدائد عن المتّقى بعد دنوّها

منه

،و كثيرا ما يعبّر بالتقوى عن الطاعه و إن كانت أخصّ فى بعض المواضع.أمّا فى بعد شدائد الآخره فظاهر،و أمّا فى الدنيا فلأنّ المتّقين هم أسلم الناس من شرور الناس لبعدهم عن مخالطاتهم و مجاذباتهم لمتاع الدنيا،و بغضهم لها.إذ كانت محبّتها و الحرص عليها منبعا لجميع الشرور و الشدائد.

الثانى عشر:كونها مستلزمه لحلاوه الامور بعد مرارتها

.أمّا امور الآخره فكالتكليف الوارد عليهم لها بالعبادات،و ظاهر أنّها عند المتّقين أحلى و ألذّ من كلّ شىء بعد مرارتها فى ذوقهم فى مبدء سلوكهم و ثقلها عليهم و على غيرهم من الجاهلين،و أمّا المرّ من امور الدنيا فكالفقر و العرى و الجوع،و كلّ ذلك شعار المتّقين،و هو أحلى فى نفوسهم و آثر من كلّ شعار و إن كان مرّا فى ذوقهم فى مبدء السلوك و قبل وصولهم إلى ثمرات التقوى.

الثالث عشر:و انفراج الأمواج عنه بعد تراكمها

. استعاره و استعار لفظ الأمواج للهيئات البدنيّه الرديئه و ملكات السوء الّتى إذا تكاثفت و توالت على النفس أغرقتها فى بحار عذاب اللّه.و ظاهر كون لزوم التقوى سببا ينفرج باستعداد النفوس به عنها تلك الهيئات و ينمحى من لوحها و إن كثرت .

الرابع عشر:كون لزومها سببا لتسهيل صعاب الأمور على النفس بعد إتعابها

لها

،و ذلك أنّ المتّقين عند ملاحظه غايتهم من نفوسهم يسهل عليهم كلّ صعب من أمور الدنيا ممّا يشتدّ على غيرهم كالفقر و المرض و كلّ شديد،و كذلك يسهل عليهم كلّ صعب من مطالب الآخره بعد إتعاب تلك المطالب لهم قبل تصوّرها التامّ فى أوّل التكليف .

الخامس عشر:كونه سببا لهطل الكرامه عليهم

، استعاره بالكنايه و الكرامه تعود إلى الكمالات النفسانيّه الباقيه و الالتذاذ بها.و لاحظ فى إفاضتها عليهم مشابهتها بالغيث فاستعار لها لفظ الهطل و أسنده إليها،و كذلك لفظ القحوط ،و كنّى به عن منعهم إيّاها قبل استعدادهم بالتقوى لها .

السادس عشر:

كونه سببا لتعطف الرحمه الإلهيّه بإفاضه الكمالات عليهم بعد نفورهاعنهم لعدم الاستعداد أيضا، استعاره و لفظ التحدّب مستعار للإراده أو لأثر الرحمه،و كذلك لفظ النفور لعدم أثرها فى حقّهم قبل ذلك.

السابع عشر:

استعاره كونه سببا لتفجّر النعم بعد نضوبها،و لفظ التفجّر مستعار لانتشار وجوه إفاضات النعم الدنيويّه و الاخرويّه كما قال تعالى «وَ مَنْ يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ» (۱)و كذلك لفظ النضوب لعدمها قبل الاستعداد لها ملاحظه لشبه النعم بالماء فى الاستعارتين .

الثامن عشر:

كونه سببا لوبل البركه بعد رذاذها، استعاره و لفظ الوبل مستعار للفيض الكثير من البركه بعد الاستعداد بالتقوى،و لفظ الرذاذ للقليل قبل ذلك الاستعداد ملاحظه لشبهها بالغيث أيضا،و ظاهر كون التقوى سببا لمزيد الفيض على كلّ من كان له بعض الكمالات كمن يستعدّ بالعلوم دون الزهد و العباده ثمّ يسلك بهما .

ثمّ بعد الفراغ من فضائلها و الترغيب فيها من تلك الجهه أعاد الأمر بهاو رغّت فيها باعتبارات اخر من إنعام المنعم،و هى كونه تعالى نافعا لهم بموعظته:أى جاذبا لهم إلى جنّته،مرغّبا لهم فى كرامته،و واعظا لهم برسالته إليهم،و ممتّنا عليهم بنعمته كقوله تعالى «وَ اذْكُرُوا نِعْمَهَ اللّهِ عَلَيْكُمْ» فى غير موضع من كتابه.ثمّ أمرهم بتعبيد أنفسهم و تذليلها لعبادته و الخروج إليه من حقّه الّذى يطلبه منهم و هو طاعته .

ثمّ ذكر الإسلام و فضائله مرغّبا فيه

.و هو كالتفسير لطاعته و عبادته فكأنّه قال:و اخرجوا إليه من حقّ طاعته الّذى هو الإسلام فإنّه ذكر له فضائل:

(ا)كونه اصطفاه لنفسه :أى طريقا إلى معرفته و نيل ثوابه.

ص:۴۵۱

۱- ۱) ۲-۶۵.

مجاز (ب)كونه اصطنعه على عينه و هى كلمه يقال لما يهتمّ به و كأنّه للصنعه الّتى يختارها من عملت له و يشاهدها بعينه.و لفظ العين مجاز فى العلم .و على تفيد الحال:

أى على علم منه بشرفه و فضيلته و وجه الحكمه فيه،و نحو قوله تعالى «وَ لِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِى» (۱).

(ج)و اصطفاه خير خلقه:أى اصطفى للبعثه به و إليه خير خلقه محمّد و آله.

استعاره (د) و أقام دعائمه على محبّته .و لفظ الدعائم مستعار إمّا لأهل الإسلام أو لأركانه.و وجه المشابهه قيامه بها فى الوجود كقيام الشىء المدعوم بدعائمه ،و كلمه على للحال،و الضمير فى محبّته للإسلام:أى أقام دعائمه حال المحبّه له،و قيل بل اللّه كما تقول طبع اللّه قلبى على محبّته .

مجازا من باب إطلاق اسم السبب على المسبّب (ه) أذلّ الأديان بعزّه .و ذلّه الأديان تعود إلى عدم الالتفات إليها فيكون مجازا من باب إطلاق اسم السبب على المسبّب،أو ذلّه أهلها.فيكون من باب حذف المضاف.و ظاهر أنّ عزّ الإسلام سبب للأمرين.

(و)و كذلك إطلاق وضع الملل برفعه .

(ز)و كذلك إهانه أعدائه و هم المشركون و المكذّبون له من الملل السابقه إهانتهم بالقتل و أخذ الجزيه و الصغار لهم،و كرامته إجلاله و أجلال أهله و تعظيمهم فى النفوس.

(ح) و خذل محادّيه بنصره :أى بنصر أهله و فى القرائن الأربع التضادّ:

فالعزّ للذلّ،و الرفع للوضع،و الكرامه للإهانه،و النصر للخذلان.

استعاره (ط) و هدم أركان الضلاله بركنه و قوّته،و أركان الضلاله تعود إلى العقائد المضلّه فى الجاهليّه و إلى أهل الضلاله و هو مستعار.و وجه الاستعاره قيام الضلاله بتلك العقائد أو بأهلها كقيام ذى الأركان بها و كذلك لفظ الهدم لزوال الضلاله بقوّه الإسلام و أهله.

استعاره (ى) و سقى من عطش من حياضه .فاستعار السقى لإفاضه علوم الدين على

ص:۴۵۲

۱- ۱) ۴۰-۲۰.

على نفوسهم و كمالها بها،و لفظ العطش لما كانوا عليه من الجهل البسيط و عدم العلم و كذلك استعار لفظ الحياض لعلماء الإسلام الّذين هم أوعيته و حياضه الّتى ترده العطاش من العلوم و الحكمه الدينيّه.

استعاره (يا) و أثاق الحياض لمواتحه ،و استعار لفظ المواتح إمّا للأئمّه من القرن الأوّل الاخذين للإسلام من الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم الّذى هو الينبوع،أو لأفكار العلماء و سؤالاتهم و بحثهم عن الدين و أحكامه و استفادتهم بها،و وجه الاستعارتين كونهم مستخرجين للعلم و الدين عن مظانّه كما يستخرج الماتح الماء من البئر.و لفظ الحياض للمستفيدين.

استعاره مرشحه بالكنايه (يب)جعله له بحيث لا ينفصم عروته ،و لفظ العروه مستعار لما يتمسّک الإنسان به منه،و رشّح بذكر الانفصام.و لمّا كان المتمسّک به ناجيا من الهلاک الأخرویّ و الشرور اللاحقه للملل السابقه و كان عدم الانفصام مظنّه سلامه المتمسّک عن الهلاک كنّى به عن دوام السلامه.

كنايه (يج) و لا فكّ لحلقته ،كنايه عن عدم انقهار أهله و جماعته.

استعاره (يد) و لا انهدام لأساسه ،استعار لفظ الأساس للكتاب و السنّه الّذين هما أساس الإسلام،و لفظ الانهدام لاضمحلالهما.

(يه) و لا زوال لدعائمه ،استعار لفظ الدعائم لعلمائه أو للكتاب و السنّه و قوانينهما و أراد بعدم زوالهما عدم انقراض العلماء أو عدم القوانين الشرعيّه.

(يو) و لا انقلاع لشجرته ،استعار لفظ الشجره لأصله و أركانه،و هو كقوله:

و لا انهدام لأساسه.

(يز) و لا انقطاع لمدّته ،إشاره إلى بقائه إلى يوم الدين.

(يح) و لا عفاء لشرايعه ،و شرايعه قوانينه و اصوله و هو كقوله:لا انقلاع لشجرته .

(يط) و لا جذّ لفروعه :أى لا ينقطع التفريع عليه بل كلّ ذهن سليم فكّر فى اصوله و هى الكتاب و السنّه استخرج منها ما لم يستخرجه غيره.

کنـایه (کـ) و لاـ ضـنک لطرقه ،و کنّی بعـدم الضـیق عن عـدم صـعوبه قـوانینه علی أهـل التکلیف،أو لاـزم الضـیق و هو مشـقّه السالکین به إلی اللّه کما قال صلّی اللّه علیه و آله و سلم:بعثت بالحنیفیّه السهله السمحه.

(کا) و لا وعوثه لسـهولته ،کنایه عن کونه فی غایه العدل بین الصـعوبه و بین السـهوله المفرطه کما علیه أکثر الأدیان السابقه من التشبیه و التجسـیم فإنّ سـلوکها مع ذلک و تصوّرها فی غایه السـهوله لکنّها طرق یبعـد حصول المطالب الحقیقیّه و الوصول إلی التوحید الخالص منها فکانت فی سهولها هذه الوعوثه.

استعاره (کب) و لا سواد لوضحه ،استعار لفظ الوضح لصفائه عن کدر الباطل الّذی هو سواد ألواح نفوس الکافرین و المنافقین.

(کج) و لا عوج لانتصابه ،و استعار لفظ الانتصاب لاستقامته فی إدّائه إلی اللّه تعالی.إذ هو الصراط المستقیم فی الدنیا.

(کد)و کذلک و لا عصل فی عوده.

(که) و لا وعث لفجّه .

استعاره (کو) و لا انطفاء لمصابیحه ،عبّر بالمصابیح عن العلماء استعاره،و بعدم انطفائها عن عدم خلوّ الأرض منهم.

(کز) و لاـ مراره لحلاـوته ،و ذلک أنّ حلاوه الإسـلام الحقیقیّ فی قلوب المتّقین لا یشوبها مراره من مشـقّه تکلیف و نحوها لما یتصوّرونه من شرف غایتهم .

(کـح) فهو دعـائم :أی فالإسـلام دعـائم،و ذلـک إشـاره إلی تعریفه بأجزائه و هی کالشـهادتین و العبادات الخمس کما ورد فی الخبر:بنی الإسلام علی خمس.

و قوله: أسـاخ فی الحقّ اسناخها إشـاره إلی کونه تعـالی بناهـا علی أسـرار من الحقّ عمیقه لاـ یهتـدی إلیها إلّا آحاد الخلق و هو أسرار العبادات.

اسـتعاره (کط)قوله: و ینابیع غزرت عیونها ،إشاره إلی تعریفه من قبل مادّته و هی الکتاب و السـنّه،و استعار لهما لفظ الینابیع نظرا إلی فیضان العلوم الإسلامیّه النقلیّه و العقلیّه عنهما کفیضان الماء عن الینابیع،و لفظ العیون لما صدرا عنه،

و هو علم اللّه تعالى و نفوس ملائكته و نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و ظاهر غزاره تلك العلوم و كثرتها.

استعاره مرشحه (ل) و مصابيح شبّت نيرانها إشاره إلى مادّته أيضا باعتبار أنّ فى الكتاب و السنّه أدلّه أحكامها و براهينها،و استعار لها لفظ المصابيح باعتبار كونها تضىء الطريق لخابطها إلى اللّه.و رشّح بذكر إضرام نيرانها،و عبّر به عن غايه إضاءتها.

(لا) و منار اقتدى بها سفّارها و أعلام قصد بها فجاجها .إشاره إلى تلك المادّه باعتبار أنّ فيها أمارات على أحكام اللّه الظنّيه يقتدى بها المسافرون السالكون إلى قصدها و القاصدون لطرقها الّتى هى منصوبه عليها.

استعاره (لب) و مناهل روى بها ورّادها ،استعار لفظ المناهل لتلك الموادّ أيضا باعتبار كونها من العلم لوارديها و مقتبسيه منها كما تروى ورّاد الحياض بمائها .

(لج) جعل اللّه فيه منتهى رضوانه ،و ذلك فى نحو قوله تعالى «وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً» (۱)و قوله «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللّهِ الْإِسْلامُ» (۲)و لأنّ فيه أتمّ وسيله إلى غايه الكمالات الإنسانيّه الّتى هى منتهى ما يرضاه اللّه و يحبّه من عباده.

(لد) و ذروه دعائمه ،و الضمير فى دعائمه للّه:أى لدعائم الّتى جعلها اللّه عمده له فى إصلاح خلقه و هى الشرائع و قوانينها،و ظاهر أنّ الأنوار الّتى جاء بها الإسلام و الهدايه الّتى به أشرف و أعلى منها فى سائر الشرائع فهو كالذروه لها.

استعاره (له) و سنام طاعته ،و لفظ السنام مستعار لمجموع ما اشتمل عليه من البيانات و الهدايات.و وجه المشابهه شرفها أيضا و علوّها بالنسبه إلى الطاعات السابقه عليه كشرف السنام بالنسبه إلى باقى الأعضاء.

(لو) فهو عند اللّه وثيق الأركان ،و أركانه أجزائه،و وثاقتها تعود إلى بنائها على الأسرار الحقيقيّه و العلم التامّ لواضعها بكيفيّه وضعها و كمال فايدتها بحيث لا يمكن انتقاضها و لا زوالها.

۱- ۱) ۵-۵

۲- ۲) ۱۷-۳.

(لز)رفيع البيّنات:أی ما ارتقى إليه أهله من المجد و الفضيله،و ظاهر علوّ قدره و قدر أهله و تعظيمهم فی النفوس على سائر الأديان و أهلها.

(لج) منير البرهان ،و أراد برهانه الّذی دعی الخلق إليه و هو القرآن و سائر المعجزات،و لا شكّ فی إنارتها و إضاءتها فی أقطار العالم و اهتداء أكثر الخلق بها.

استعاره (لط) مضیء النيران ،و استعار لفظ النيران لأنواره من العلوم و الأخلاق المضيئه على علمائه و أئمّته.

(م) عزيز السلطان ،و أراد قوّته و عزّه أهله و دولته و منعه من التجأ إليه به.

كنايه (ما) مشرف المنار ،و كنّى به عن علوّ قدر علمائه و أئمّته و انتشار فضلهم و الهدايه بهم.

(مب) معوز المثار :أی يعجز الخلق إثاره دفائنه و ما فيه من كنوز الحكمه و لا يمكنهم استقصاء ذلک منه،و روی المنال:أی يعجز الناس إمّا بالإتيان بمثله أو باستقصاء حكمه و ثمراته،و روی المثال و هو ظاهر .ثمّ لمّا بيّن فضيلته أمر بتعظيمه و اتّباعه و أداء حقّه و هو العمل به مع اعتقاد شرفه و كونه مؤدّيا إلى الجنّه.ثمّ بوضعه مواضعه و هی القلوب لا الألسن و الشعار الظاهر فقطّ .ثمّ لمّا فرغ من ذلک شرع فی فضائل من بعث به ليذكّرهم نعمه من اللّه بعد نعمه،و قرن ذكره بذكر أحوال الدنيا حين البعثه ليظهر شرفها:

استعاره ف(ا) كونها قد دنا انقطاعها و إقبال الآخره و اطّلاعها ،و قد بيّنّا ذلک فی قوله:

ألا و إنّ الدنيا قد أدبرت و آذنت بوداع،و على الجمله فيحتمل أن يريد قرب انقطاع الدنيا و زوالها بالكلّيّه و حضور الآخره و القيامه الكبرى كما عليه ظاهر الشريعه و يحتمل أن يريد قرب انقطاع دنيا كلّ امّه منهم و حضور آخرتهم بموتهم و انقراضهم و لفظ الاطّلاع استعاره كما سبق.

(ب)كونها قد أظلمت بهجتها بعد إشراق،و أراد إشراق بهجتها بأنوار الأنبياء السابقين و ضياء الشرائع،و إظلامها حين بعثه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم باندراس تلک الآثار و فسادها.

ص:۴۵۶

(ج)قیامها بأهلها على ساق،کنایه عن ظهوره شدائدها و إثاره الفتن بین أهلها و ما کانت العرب علیه من الخبط و الاختلاف فی الحروب و الغارات المؤدّیه إلى الفناء.

کنایه (د) خشونه المهاد منها،و کنّى به عن عدم الاستقرار بها و طیب العیش فإنّ ذلک إنّما یتمّ و یعتدل بنظام الشرائع و النوامیس الإلهیّه.

(ه) و أزف منها قیاد :أی قرب منها انقیاد للانقطاع و الزوال و الانخراط فی سلک التقضّی و اقتراب علامات ذلک منها،و علامات زوالها هی علامات الساعه و و أشراطها،و کذلک تصرّم أهلها و انفصام حلقتها، کنایه و کنّى بالحلقه عن نظامها و اجتماع أهلها بالنوامیس و الشرائع و بانفصامها عن فساد ذلک النظام بانتشار سببها عن فساد أسباب ذلک النظام فإنّ أسباب التصرّف النافع فیها إنّما یتمّ بالنوامیس الشرعیّه و قوانینها ، استعاره و استعار لفظ أعلامها للعلماء و الصلحاء بها و کان علیهم العفاء حینئذ،و کذلک بعوراتها عن وجوه الفساد فیها،و بتکشّفها عن ظهورها بعد اختفاء،و کذلک القصر من طولها فإنّ الدنیا إنّما یکون طولها و دوامها عند صلاحها بالشرائع فإذن قصرها یکون عند فسادها و عدم النظام الشرعیّ .ثمّ رجع إلى تعدید فوائد بعثه الرسول صلّى اللّه علیه و آله و سلم:

ف(ا)إنّ اللّه تعالى جعله بلاغا لرسالته و هو کقوله تعالى «یا أَیُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَیْکَ» (۱)الآیه.

(ب) و کرامه لامّته لکونه داعیا لهم إلى الکرامه الباقیه التامّه و سبب للکرامه.

استعاره (ج) و ربیعا لأهل زمانه ،و استعار لفظ الربیع له،و وجه المشابهه کونه بهجه للمسلمین و علمائهم و سببا لبطنتهم من العلم و الحکمه کما أنّ الربیع سبب لبهجه الحیوان بمراعیها و بطنتهم و سمنهم.

(د) و رفعه لأعوانه :أی لأعوان اللّه و أنصاره و هم المسلمون و ظاهر کونه

۱- ۱) ۱۷-۵.

صلّى اللّه عليه و آله و سلم سبب رفعتهم و شرفهم .ثمّ عقّب بذكر بعض الأنوار الّتى بعث بها صلّى اللّه عليه و آله و سلم و هو الكتاب العزيز و عدّ فضائل:

استعاره ف(ا)كونه نورا لا تطفى مصابيحه ،و أراد نور العلم و الأخلاق المشتمل عليها، و استعار لفظ المصابيح إمّا لما انتشر من علومه و حكمه فاقتدى بها الناس،و إمّا لعلمائه و حاملى فوايده.

(ب)كونه سراجا لا يخبو توقّده،و أراد أنّه لا تنقطع هدايه الناس بنوره فهو كالأوّل.

استعاره (ج)و بحر لا يدرك قعره ،لفظ البحر مستعار له باعتبارين:أحدهما عمق أسراره بحيث لا يحيط بها الأفهام و لا تصل إلى أغوارها العقول كما لا يدرك الغائض قعر البحر العميق .و الثانى:كونه معدنا لجواهر العلوم النفيسه و الفضائل كما أنّ البحر معدن للجواهر.

(د) و منهاجا لا يضلّ نهجه ،و ظاهر كونه طريقا واضحا لمن سلك به إلى اللّه.

و من تفهم مقاصده لا يضلّ قصده.

استعاره (ه) و شعاعا لا يظلم ضوءه :أى لا يغطّى الحقّ الوارد به ظلام شبهه و لا تلبيس باطل،و لفظ الشعاع و الضوء و الظلمه مستعار .

(و) و فرقانا لا يخمد برهانه :أى فيه براهين يفرق بين الحقّ و الباطل لا يخمد،و لفظ الخمود مستعار ملاحظه لشبه البرهان بالنار فى الإضاءه فنسب إليه وصفها.

استعاره مرشحه (ز) و بنيانا لا تهدم أركانه ،و استعار لفظ البنيان لما انتظم من الكتاب و رسخ فى القلوب،و رشّح بذكر الأركان لاستلزام البنيان لها.

(ح)و شفاء لا يخشى سقامه كما قال تعالى «وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ» (1)،و ظاهر كون تدبّره و أسراره شفاء للنفوس من أعراض الجهل و رذائل الأخلاق،و ذلك شفاء لا يخاف استعقابه بمرض و ذلك أنّ الفضائل النفسانيّه

۱- ۱) ۸۴-۱۷.

إذا صارت ملكات لم تزل و لم يتبدّل بأضدادها و إن كان أيضا شفاء للأبدان كما سبق.

(ط) و عزّاً لا تهزم أنصاره.

(ى) و حقّا لا تخذل أعوانه و أنصاره،و أعوانه هم المسلمون المعتزّون به [المعترفون به خ]و الملتجئون إليه العاملون على وفقه السالكون به إلى اللّه،و ظاهر أنّ اولئك الأنصار و الأعوان لا يهزمهم أحد و لا يخذلهم اللّه أبدا .

(يا) فهو معدن الإيمان الّذى يستنار منه الإيمان الكامل باللّه و رسوله و بما جاء به و بحبوحته ،و ظاهر كون اعتقاد حقّيته و تفهّم مقاصده و العمل بها واسطه عقد الإيمان.

استعاره (يب) و ينابع العلم و بحوره ،و اللفظان استعاره له باعتبار كونه محلّ فيض العلوم النفيسه و استفادتها.

(يج) و رياض العدل و غدرانه ،و اللفظان مستعاران أيضا باعتبار كونه موردا يؤخذ عنه العدل بكلّيته فهو مورده الّذى لا يجور عن سنن الحقّ إلى أن يبلغ به صاحبه السالك به إلى اللّه.

(يد) و أثافىّ الإسلام و بنيانه ،و اللفظان مستعاران له باعتبار كونه أصلا للإسلام يبتنى عليه،و به يقوم كما أنّ الأثافىّ للقدر و البنيان لما يحمل عليه كذلك.

(يد) و أوديه الحقّ و غيطانه ،و اللفظان مستعاران له باعتبار كونه معدنا للحقّ و مظنّه له كما أنّ الأوديه و الغيطان مظانّ الكلاء و الماء .

(يو) و بحر لا يستنزفه المستنزفون.

استعاره (يز) و عيون لا ينضبها الماتحون ،إنّما كرّر استعاره البحر و العيون له باعتبار آخر و هو كونه لا ينتهى فوايده و المقاصد المستنبطه منه.

(يح)و كذلك و مناهل لا يغيضها الواردون و خصّص النضوب بالعيون لإمكان ذلك فيها دون البحر و الورد بالمناهل لكون النهل و هوى الرىّ لغايه وارد الماء.

(يط) منازل لا يضلّ نهجها المسافرون :أى مقامات من العلوم إذا نزلتها العقول المسافره إلى اللّه لا تضلّ لاستنارتها و شدّه إضاءتها.

(ك)و كذلك و أعلام لا تعمى عنها السائرون.

استعاره (كا)و كذلك و آكام لا يجوز عنها القاصدون ،استعار لفظ الأعلام و الآكام للأدلّه و الأمارات فيه على طريق إلى معرفته و أحكامه باعتبار كونها هاديه إليها كما تهدى الأعلام و الجبال على الطرق .

استعاره-مجازا إطلاقا لاسم اللازم على ملزومه (كب) جعله اللّه ريّا لعطش العلماء ،استعار لفظ الريّ له باعتبار كونه دافعا لألم الجهل عن النفوس كما يدفع الماء ألم العطش،و لفظ العطش للجهل البسيط أو لاستعداد الطالبين للعلوم و اشتياقهم إلى الاستفاده،و أطلق لفظ الريّ على المروى مجازا إطلاقا لاسم اللازم على ملزومه.

استعاره (كج) و ربيعا لقلوب الفقهاء ،و لفظ الربيع مستعار له باعتبار كونه مرعى لقلوب الفقهاء يستثمرون منه الأحكام،و بهجه لها كالربيع للحيوان.

(كد) و محاجّ لطرق الصلحاء ،و ظاهر كونه طريقا واضحا للصالحين إلى اللّه.

(كه) و دواء ليس بعده داء كقوله: شفاء لا يخشى سقامه.

(كو) و نورا ليس معه ظلمه :أى لا تبقى مع هدايته إلى الأحكام ظلمه على البصيره،و هو كقوله:و شعاعا لا يظلم نوره.

استعاره بالكنايه (كز) و حبلا وثيقا عروته ،استعار لفظ الحبل له و العروه لما يتمسّک به منه، و كنّى بوثاقه عروته عن كونه منجيا لمن تمسّک به.

استعاره مرشحه بالكنايه (كح) و معقلا منيعا ذروته ،استعار لفظ المعقل باعتبار كونه ملجأ من الجهل و لوازمه و هو العذاب،و رشّح بذكر الذروه و كنّى بمنعتها عن كونه عزيزا يمنع من لجأ إليه .

(كط) و عزّا لمن تولّاه :أى اتّخذه وليّا يلقى إليه مقاليد اموره و لا يخالفه، و ظاهر كونه سبب عزّه فى الدارين.

(ل) و سلماً لمن دخله :أى أمنا.و دخوله:الخوض فى تدبّر مقاصده و اقتباسها، و بذلک الاعتبار يكون مأمنا من عذاب اللّه و من الوقوع فى الشبهات الّتى هى مهاوى الهلاک.

(لا) و هدی لمن ائتمّ و هو ظاهر.

(لب) و عذرا لمن انتحله :أی من نسبه إلی نفسه بدعوی حفظه أو تفسیره و نحو ذلک معتذرا بذلک من تکلیف لا یلیق به أو یشقّ علیه کان ذلک عذرا منجیا له.و هذا کما تقول لمن یقصد إنسانا بأذی:لا ینبغی لک أن تؤذیه فإنّه من حمله القرآن الکریم أو ممّن یعلم علومه فیکون ذلک سببا لترک أذاه.

(لج) و برهانا لمن تکلّم به.

(لد) و شاهدا لمن خاصم به مجاز إطلاقا لاسم الغایه علی ذی الغایه (له) و فلجا لمن حاجّ به .الثلاثه متقاربه،و أطلق لفظ الفلج علیه من جهه ما یحتجّ به إطلاقا لاسم الغایه علی ذی الغایه إذ غایه الاحتجاج به الفوز.و الشاهد و الحجّه أعمّ من البرهان .

مجاز اطلاقا لاسم السبب علی المسبّب (لو) و حاملا لمن حمله :أی یحمل یوم القیامه حملته و حفظته الآن،و عبّر بحمله لهم عن إنجائه لهم من العذاب اطلاقا لاسم السبب علی المسبّب .

استعاره (لز) و مطیّه لمن أعمله ،استعار له لفظ المطیّه باعتبار کونه منجیاً لهم کقوله:

حاملا و لفظ الأعمال لاتّباع قوانینه و المواظبه علیها المنجیه من العذاب کما ینجی إعمال المطیّه فی الطریق البعید.

(لح) و آیه لمن توسّم ،و ذلک باعتبار تدبّر أمثاله و قصصه فإنّ فیها آیاتا و عبرا کما قال تعالی «إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِینَ» (۱).

استعاره بالکنایه (لط) و جنّه لمن استلأم :أی لمن استلأمه و لبسه کالدرع،و استعار له لفظ الجنّه لوقایته من استعدّ بعلمه من عذاب اللّه،و کنّی باستلئامه عن ذلک الاستعداد به.

(م) و علما لمن وعی :أی لمن حفظه و فهم مقاصده.

(ما) و حدیثا لمن روی ،و ذلک باعتبار ما فیه من القصص و أخبار القرون الماضیه فإنّ أصدق حدیث یروی منها ما اشتمل علیه القرآن،و یحتمل أن یرید بکونه حدیثا کونه قولا و کلاما لیس لمن نقله کما قال تعالی«للّٰهُ الذ ی «نَزَّلَ أَحْسَنَ»

۱- ۱) ۷۵-۱۵.

«الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِيَ» إلخ (۱)و تكون فايده هذا الوصف أنّ فيه غنيه لمن أراد أن يتحدّث بحديث غيره ممّا لا يفيد فايدته فينبغى أن يعدل إليه و يشتغل بتلاوته و التحدّث به.

(مب) و حكما لمن قضى :أى فيه الأحكام الّتى يحتاج إليها القضاه،و روى حكما:أى حاكما ترجع إليه القضاه و لا يخرجون عن حكمه.و باللّه التوفيق

۱۹۰-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

كان يوصى به أصحابه

تَعَاهَدُوا أَمْرَ الصَّلاَهِ وَ حَافِظُوا عَلَيْهَا- وَ اسْتَكْثِرُوا مِنْهَا وَ تَقَرَّبُوا بِهَا- فَإِنَّهَا «كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً» - أَ لاَ تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا- «ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ» - وَ إِنَّهَا لَتَحُتُّ الذُّنُوبَ حَتَّ الْوَرَقِ- وَ تُطْلِقُهَا إِطْلاَقَ الرِّبَقِ- وَ شَبَّهَهَا؟رَسُولُ اللَّهِ ص؟ بِالْحَمَّهِ تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ- فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ وَ اللَّيْلَهِ خَمْسَ مَرَّاتٍ- فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ- وَ قَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ- الَّذِينَ لاَ تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَهُ مَتَاعٍ وَ لاَ قُرَّهُ عَيْنٍ- مِنْ وَلَدٍ وَ لاَ مَالٍ- يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ- «رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَهٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَ إِقامِ الصَّلاهِ وَ إِيتاءِ الزَّكاهِ» - وَ كَانَ؟رَسُولُ اللَّهِ ص؟ نَصِباً بِالصَّلاَهِ- بَعْدَ التَّبْشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّهِ- لِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ «وَ أْمُرْ أَهْلَكَ»

۱- ۱) ۲۴-۳۹.

«بِالصَّلاةِ وَ اصْطَبِرْ عَلَيْها» - فَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ وَ يُصْبِرُ نَفْسَهُ ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاهَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلاَهِ قُرْبَاناً لِأَهْلِ الْإِسْلاَمِ- فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا- فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَهً وَ مِنَ النَّارِ حِجَازاً وَ وِقَايَهً- فَلاَ يُتْبِعَنَّهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ وَ لاَ يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا لَهَفَهُ- فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا- يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّهِ- مَغْبُونُ الْأَجْرِ ضَالُّ الْعَمَلِ- طَوِيلُ النَّدَمِ ثُمَّ أَدَاءَ الْأَمَانَهِ- فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا- إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى السَّمَاوَاتِ الْمَبْنِيَّهِ- وَ الْأَرَضِينَ الْمَدْحُوَّهِ وَ الْجِبَالِ ذَاتِ الطُّولِ الْمَنْصُوبَهِ- فَلاَ أَطْوَلَ وَ لاَ أَعْرَضَ وَ لاَ أَعْلَى وَ لاَ أَعْظَمَ مِنْهَا- وَ لَوِ امْتَنَعَ شَيْءٌ بِطُولٍ أَوْ عَرْضٍ- أَوْ قُوَّهٍ أَوْ عِزٍّ لاَمْتَنَعْنَ- وَ لَكِنْ أَشْفَقْنَ مِنَ الْعُقُوبَهِ- وَ عَقَلْنَ مَا جَهِلَ مَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُنَّ وَ هُوَ الْإِنْسَانُ- «إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً» إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ- مَا الْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِمْ وَ نَهَارِهِمْ- لَطُفَ بِهِ خُبْراً وَ أَحَاطَ بِهِ عِلْماً أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ- وَ جَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ وَ ضَمَائِرُكُمْ عُيُونُهُ وَ خَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ

اللغه

أقول: الربق: جمع الربقه و هى الحلقه فى الحبل .و الجمّه بالجيم: الحفيره يجمع فيها الماء،و روى بالحاء و المعنى واحد .و الدرن: الوسخ .و النصب:

التاعب .و الاقتراف: الاكتساب .

ص:۴۶۳

المعنى

و حاصل الفصل الوصيّه بالمحافظه على امور ثلاثه و الحثّ عليها :

أوّلها:الصلاه فأمر بتعاهد أمرها و المحافظه عليها

و ذلك بافتقار الإنسان لأحوال نفسه حال الصلاه و مراقبتها حذرا أن تشوبها نزغات الشيطان برياء فيها أو التفاوت عنها.ثمّ بالمحافظه على أوقاتها و أداء أركانها كما هى.ثمّ بالاستكثار منها و التقرّب بها إلى اللّه لكونها أفضل العبادات و القرب إليه.ثمّ أشار إلى فضيلتها و وجه وجوبها:

أحدها:قوله: فإنّها «كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً» و هو لفظ القرآن الكريم.و موقوتا:مفروضاً،و قيل منجّما فى كلّ وقت صلاه معيّنه.

الثانى:التحذير لتاركها بالتنبيه على استلزام تركها لدخول النار بقوله:

لا تسمعون.إلى قوله:من المصلّين.

تشبيه للمعقول بالمحسوس الثالث :أنّها تحتّ الذنوب حتّ الورق ،و هو تشبيه للمعقول بالمحسوس و وجه الشبه ظاهر،و كذلك و تطلقها إطلاق الربق :أى و تطلق أعناق النفوس من أغلالها كما تطلق الربقه من عنق الشاه.

تشبيه الرابع :تشبيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم لها بالجمّه تكون على باب الرجل .و صوره الخبر عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلم:أيسّر أحدكم أن يكون على بابه جمّه يغتسل منها كلّ يوم خمس مرّات فلا يبقى عليه من درنه شىء؟فقالوا:نعم.قال:فإنّها الصلوات الخمس.

الخامس :تنبيهه بذكر عرفان رجال من المؤمنين و هم الموصوفون فى الآيه بقدرها.

السادس :نصب الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم فيها و أمر اللّه تعالى بالمواظبه عليها بعد تبشّره له بالجنّه و ذلك فى قوله «وَ أْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاهِ وَ اصْطَبِرْ عَلَيْها» و امتثاله لذلك الأمر فى نفسه و أمره أهله،و روى أنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم قام فى الصلاه حتّى تورمت قدماه.

فقيل له فى ذلك.فقال:أفلا أكون عبدا شكورا؟،و ذلك من أوضح الدلائل على كثره فوائدها و قوّه فضيلتها،و اعلم أنّه قد ورد فى فضلها أخبار كثيره بعد تأكيد القرآن للأمر بها،و قد بيّنّا ذلك و أشرنا إلى فضيلتها إشاره مستوفاه فى الفصل

الّذی أوّله: إنّ أفضل ما یتوسّل به المتوسّلون إلی اللّه سبحانه الإیمان به و برسوله .

الثانیه ممّا أمر بالمحافظه علیه:الزکاه

و هی قرینه الصلاه فی الذکر فی الکتاب العزیز و فی الفضیله فلذلک قال: جعلت مع الصلاه .ثمّ أشار إلی سرّها و هو کونها قربانا لأهل الإسلام،و سنبیّن ذلک،و أشار بقوله: فمن أعطاها إلی قوله:

طویل الندم إلی شرط کونها مقرّبه إلی اللّه تعالی و بیان کون قبولها مشروطا بطیب النفس ببیان سرّها،و قد عرفته أیضا فی ذلک الفصل و علمت أنّ من أقسام المستنزلین عن المال من اقتصر منه علی أداء الواجب من الزکاه من غیر زیاده و لا نقصان و هم العوامّ لجهلهم بسرّ البذل و بخلهم بالمال و میلهم إلیه من ضعف حبّهم للآخره قال تعالی «إِنْ یَسْئَلْکُمُوها فَیُحْفِکُمْ تَبْخَلُوا» (۱)و طهاره الفرق الّذین ذکرناهم ممّن استنزل عن المال و محابّهم و قربهم من اللّه و بعدهم بقدر طیب أنفسهم عن بذل المال و الإعراض عنه و محبّته،و هذه الفرقه أعنی من اقتصر منهم علی أداء الواجب فقط تنقسم إلی مؤدّ لذلک الحقّ بطیب نفس و مسامحه،و إلی مؤدّ له مع بقاء محبّته و تکدیر النفس ببذله و تلهّف علیه أو انتظار جزاء له،و باعتبار القسمین الأوّلین مع القسم الأوّل من هذه الفرقه یکون بذل المال و الزکاه قربه إلی اللّه تعالی و هو الّذی أشار إلیه أمیر المؤمنین بقوله: إنّ الزکاه.إلی قوله:و وقایه .

و إن کان قد خصّص الزکاه هنا،و إنّما یکون قربه لاستلزامه رفض هذا المحبوب الّذی یتصوّر باذنه أنّ جمیع الکمالات الدنیویّه یستفاد منه رغبه عنه و محبّه للّه و رغبه فیما عنده، و تکون کفّاره ماحیه لرذیله البخل و ما یستلزمه من الذنوب،و یکون حجابا بین العبد و بین عذاب اللّه.إذ قد علمت أنّ مبدء العذاب فی الآخره حبّ الدنیا و أعظمه حبّ المال فإذا کان بذل المال مستلزما لزوال حبّه کان بذلک الاعتبار حجابا من العذاب و وقایه منه،و أمّا إیتاء الزکاه علی الوجه الثانی فهو المذموم و المنهیّ عنه بقوله : و لا یکثرنّ علیها لهفه .بعد أمره بها فی قوله:فلا یتبعنّها أحد نفسه و یلزم باذلها علی ذلک الوجه النقائص المذکوره:و هی الجهل بالسنّه فإنّ السنّه فی أدائها

ص:۴۶۵

۱- ۱) ۴۷ ۳۹.

أن يؤدّى بطيب نفسه و مسامحه،و أن يكون مغبونا فى الأجر فإنّ إيتانها على وجه توقّع جزاء لها لا على وجه القربه إلى اللّه غير مستلزمه لرضوانه و ذلك هو الغبن و إن حصل له جزاء غير رضوان اللّه فإنّ الحصول على كلّ جزاء غير رضوانه جزاء ناقص و غبن فاحش بالنسبه إليه،و أن يكون ضالّ العمل و هو إعطاؤه ذلك المال و بذله على غير وجهه و قصده به غير سبيل الهدى إلى رضوان اللّه،و أن يكون طويل الندم:أى فى محبّه المال و فيما يرجوه به من الجزاء .

الثالثهممّا أوصى به:أداء الأمانه

و هى الّتى أشار القرآن الكريم إليها بقوله «إِنّا عَرَضْنَا الْأَمانَهَ عَلَى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ» (۱)الآيه،و قد بيّنّا فيما سلف أنّها تعود إلى العباده و الطاعه المطلوبه من الإنسان بما هو إنسان،و ظاهر أنّ تلك العباده لا يمكن من غيره فإنّه إنّما حملها من حيث خلق مستصلحا للدارين،و بيان ذلك أنّ مخلوقات اللّه تعالى إمّا جمادات أو ذات حياه،و ذوات الحيات إمّا الملائكه و الحيوان الأرضى،و الحيوان الأرضى إمّا أعجم أو ناطق.

فالحيوان منها و هو الإنسان هو المتأهّل لعماره الدارين و الكون فيها،و هو الواسطه بين خلقين وضيع و هو الحيوان الأعجم و شريف و هو الملك،و قد استجمع قوّتى العاملين فهو كالحيوان فى الشهوه و الغضب و قوّه التناسل و ساير القوى البدنيّه المختصّه بالحيوان،و كالملك فى القوّه المجرّده و العقل و العلم و العباده و سائر الكمالات النفسانيّه،و وجه الحكمه فى ذلك أنّه تعالى لمّا اقتضت عنايته إيجاده لهذه العباده المخصوصه أن يجعل فى الأرض خليفه لعمارتها جمع له بين القوّتين فإنّه لو كان كالبهيمه خاليا عن العقل لم يتأهّل لمعرفته و عبادته الخاصّه،و لو خلق كالملك معرّى عن الشهوه و الغضب و سائر القوى البدنيّه لم يصلح لعماره أرضه و خلافته فيها و لذلك قال للملائكه «إِنِّى أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ» فإذن هذه العباده الخاصّه و هى الأمانه المشار إليها لا يصلح لها إلاّ الإنسان و لا يمكن من غيره،و قد علمت أيضا فيما سلف أنّ إباء السماوات و الأرض و الجبال عن حملها يعود إلى امتناع

۱- ۱) ۷۲-۳۳.

قبولها بلسان حال قصورها و عدم صلاحيّتها لها،و إشفاقها من عقوبه اللّه على التقصير عن أداء حقوقها كما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السّلام بقوله: مجاز مجازا إطلاقا لاسم السبب على المسبّب أشفقن من العقوبه.

و لم يكن ذلك إباء استكبار لخضوعها تحت ذلّ الحاجه إليه،و لفظ الإشفاق مجاز فى ثمرته و لازمه و ذلك أنّ السلطان مثلا إذا كلّف بعض رعيّته حمل أمانه تكليف تخيير فخاف ذلك المكلّف العقوبه على تقصيره فى أداء تلك الأمانه فإنّ خوفه يستلزم تركه و امتناعه من حمله فكان الامتناع من الأمانه مسبّبا عن الإشفاق فأطلق الإشفاق هنا على إباء السماوات و الأرض بلسان حالها مجازا إطلاقا لاسم السبب على المسبّب و قيل:إنّ ذلك الإباء و الإشفاق على وجه التقدير و إنّما جيء بلفظ الواقع لأنّ الواقع أبلغ من المقدّر:أى لو كانت هذه الأجرام عاقله ثمّ عرضت عليها وظائف الدين عرض تخيير لاستثقلت ذلك مع كبر أجسامها و شدّتها و لامتنعت من حملها إشفاقا من القصور عن أداء حقّها.ثمّ إنّ مخاطبه الجماد و الإخبار عنها نظرا إلى قرينه الحال طريقه مشهوره للعرب و مستحسنهم فى تعارفهم كقولهم:يا دار ما صنعت بك الأيّام،و نحوه.بل مخاطبه بعض الجمادات لبعض بلسان أحوالها كقولهم:قال الحائط للوتد:لم تشقّنى؟قال:سل من يدقّنى،و نحو ذلك كثير.

فأمّا قوله عليه السّلام: و قد خاب من ليس من أهلها .فتلك الخيبه تعود إلى حرمان ثمره هذه العباده و ما يستلزمه من الحصول على الكمالات.إذ ليست من أهلها،و ذكر كون السماوات مبنيّه و الأرض مدحوّه و الجبال بأطوالها و عروضها و علوّها و عظمتها تنبيه للإنسان على جرأته على المعاصى و تضييع هذه الأمانه إذ اهلّ لها و حملها،و تعجّب منه فى ذلك.فكأنّه يقول:إذا كانت هذه الأجرام العلويّه الّتى لا أعظم منها قد امتنعت من حمل هذه الأمانه حين عرضت عليها فكيف حملها من هو أضعف منها.

و قوله : و لو امتنع شيء.إلى قوله:لامتنعن.

إشاره إلى أنّ امتناعهنّ لم يكن لعزّه و عظمه أجساد و لا استكبار عن الطاعه له،و أنّه لو كان كذلك لكانت أولى بالمخالفه عن كلّ شيء لأعظميّه أجرامها

عن كلّ المخلوقات بل إنّما ذلك عن ضعف و إشفاق من خشيه اللّه،و عقلن ما جهل الإنسان.قيل:إنّ اللّه تعالى عند خطابها خلق فيهـا فهمـا و عقلا،و قيل:إنّ إطلاق العقل مجاز فى مسبّبه و هو الامتناع عن قبول هـذه الأمانه كلفظ الإشـفاق فإنّ عقليّه المكلّف العقوبه على التقصـير فى تكليف يخيّر فيه و يخاف التقصير يستلزم تركه لذلك التكليف و استقالته منه،و إذ لم يكن لها عقل من جهه مـا هى أجرام اطلق لفـظ العقـل على لازمه و ثمرته و هو الامتناع و الإباء مجازا إطلاقا لاسم السـبب على المسبّب كإطلاق لفظ الإراده على ميل الحائط فى قوله تعالى «جِداراً يُرِيـدُ أَنْ يَنْقَضَّ» (١)و أقول:يحتمل أن يعود الضـمير فى أشفقن و عقلن إلى من يعقل من الملائكه السـماويّه.إذ لكلّ جرم سـماوىّ ملك يدبّره هو كالبدن له لإمكان ذلك فيها دون سائر الأجرام الأرضيّه،و مـا جهله الإنسان هو عظمه اللّه و غايه هـذه الأمانه،و تقصـيره فى أداء واجباتها المسـتلزم لعقوبته و اسـتحقاق سـخط اللّه، و كونه ظلوما:أى كثير الظلم لنفسه لعدم محافظته على هذه الأمانه،و كونه جهولا:

أى كثير الجهل بأسرار هذه الأمانه و الغفله عمّا يستلزمه فعلها و تركها و عن الوعيدات الوارده على التقصير فيها.

و قوله : إنّ اللّه لا يخفى عليه.إلى آخره.

تنبيه لهـذا الظلوم الجهول على إحـاطه علم اللّه تعـالى بجميع أحواله و اكتسابـاته فى ليله و نهـاره و أنّه لطيف الخبر و المعرفه بها ينفذ علمه فى البواطن كما يقع على الظواهر.

و قوله: أعضاؤكم شهوده.

أى شـهود له عليكم من قوله تعالى «يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ» (٢)، و جوارحكم جنوده و ذلـك باعتبـار كونهـا معينه عليهم، و ضـمائركم عيونه :أى طلائعه و جواسيسه كقوله تعالى «وَ شَـهِدُوا عَلى أَنْفُسِـهِمْ أَنَّهُمْ كانُوا كافِرِينَ» (٣)و تلك الشهاده و الإعانه بلسان الحال و قد عرفت كيفيّه

١- (١) ٧۶-١٨

٢- (٢) ٢۴-٢۴

٣- (٣) ٣۵-٧.

إنطاق الجوارح و شهاده النفوس على أنفسها، كنايه و كنّى بالخلوات عمّا يفعل فيها من معاصى اللّه مجازا،و إنّما خصّصها لأنّها مظنّه المعصيه ،و يحتمل أن يريد بالخلوه مصدر قولك:خلوت خلوا.لا المكان.فيكون حقيقه و ظاهرا كونها عيانا للّه:أى معاينه له، و كلّ ذلك تحذير و تنفير عن تحريك الجوارح و الخلوه بها فيما لا ينبغى من المعاصى.

و باللّه التوفيق و العصمه.

۱۹۱-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

وَ اللَّهِ مَا؟مُعَاوِيَهُ؟ بِأَدْهَى مِنِّى وَ لَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَ يَفْجُرُ- وَ لَوْ لاَ كَرَاهِيَهُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ- وَ لَكِنْ كُلُّ غُدَرهٍ فُجَرَهٌ وَ كُلُّ فُجَرهٍ كُفَرَهٌ- وَ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَهِ- وَ اللَّهِ مَا أُسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَهِ وَ لاَ أُسْتَغْمَزُ بِالشَّدِيدَهِ

اللغه

أقول: الدهاء: استعمال العقل و الرأى الجيّد فيما يراد فعله ممّا لا ينبغى مع إظهار إراده غيره.و يسمّى صاحبه داهيا،و داهيه للمبالغه،و خبيثا و مكّارا و حيّالا.

و هو داخل تحت رذيله الجربزه و هى طرف الإفراط من فضيله الحكمه العمليّه و يستلزم رذائل كثيره كالكذب .و الغدر: هو الرذيله المقابله لفضيله الوفاء بالعهود الّتى هى ملكه تحت العفّه .و الفجور: المقابل لفضيله العفّه .

المعنى

فقوله عليه السّلام: ما معاويه بأدهى منّى.

أى ليس بأقدر منّى على فعل الدهاء،و أكّد ذلك بالقسم البارّ.

و قوله: و لكنّه يغدر و يفجر.

إشاره إلى لوازم الدهاء الّتى لأجلها تركه و هو الغدر،و بواسطته الفجور فإنّ الوفاء لمّا كان نوعا تحت العفّه كان الغدر الّذى هو رذيلته نوعا تحت ما يقابل العفّه و هو الفجور و لذلك نفى الدهاء عن نفسه لكراهيّته للغدر،و نفيه له عن نفسه

لأنّ نفى اللازم مستلزم لنفى الملزوم.ثمّ جعل الغدر أوسط فى إثبات الفجور لمعاويه بقياس ضمير من الشكل الأوّل فقوله:و لكنّه يغدر.فى قوّه صغرى القياس، و قوله:و يفجر.فى قوّه النتيجه فكأنّه قال:و لكنّه يغدر فهو يفجر،و نبّه على الكبرى بقوله:و كلّ غدره فجره .فصار الترتيب هكذا:و لكنّه يغدر و كلّ من يغدر يفجر و النتيجه فهو إذن يفجر.ثمّ نبّه على لزوم الكفر له بقياس آخر من الشكل الأوّل نبّه على صغراه بقوله:و كلّ غدره فجره،و على كبراه بقوله:و كلّ فجره كفره،و إذ ثبت فى القياس الأوّل أنّه فاجر و استلزم قوله:و كلّ فجره كفره أن كلّ فاجر كافر ثبت بهاتين المقدّمتين أنّه كافر.و روى:غدره،و فجره،و كفره.

و هو كثير الغدر و الفجور و الكفر و ذلك أصرح فى إثبات المطلوب،قال بعض الشارحين:و وجه لزوم الكفر أنّ هنا الغادر على وجه استباحه ذلك و استحلاله، كما كان هو المشهور من حال عمرو بن العاص و معاويه فى استباحه ما علم تحريمه بالضروره من دين محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلم و جحده و هو معنى الكفر،و يحتمل أنّه يريد كفر نعم اللّه و سترها بإظهار معصيته كما هو المفهوم اللغوىّ من لفظ الكفر.و إنّما وحّد الكفر ليتعدّد الكفر بحسب تعدّد الغدر فيكون أدعى إلى النفار عن الغدر.إذ هو فى معرض التنفير عنه.

و قوله: و لكلّ غادر لواء يعرف به يوم القيامه.

لفظ الخبر النبوىّ،و فيه تنفير عن رذيله الغدر.

و قوله : و اللّه ما استغفل بالمكيده.

تقرير و تأكيد لما ذكره من معرفته بوجوه الآراء و كيفيّه الدهاء للداهى فإنّ من يكون كذلك لا يلحقه غفله عمّا يعمل عليه من الحيله و المكيده.

و قوله: و لا استغمز.بالزاء المعجمه.

أى لا يطلب غمزى و إضعافى فإنّى لا أضعف عمّا ارمى به من الشدائد، و روى بالراء أى لا استجهل بشدائد المكائد.و هذا القول صدر منه عليه السّلام كالجواب لما كان يسمعه من أقوال الجاهلين بحاله و نسبتهم له إلى قلّه التدبير و سوء الرأى

ص:۴۷۰

و نسبه معاويه إلى استخراج وجوه المصالح و الآراء الصحيحه فى الحرب و غيرها.

و اعلم أنّ الجواب عن هذا الخيال يستدعى فهم حاله عليه السّلام و حال معاويه و غيره ممّن ينسب إلى جوده الرأى،و بيان التفاوت بينهم و بينه و ذلك راجع إلى حرف واحد و هو أنّه عليه السّلام كان ملازما فى جميع حركاته قوانين الشريعه مدفوعا إلى اتّباعها و رفض ما العاده أن يستعمل فى الحروب.فالتدابير من الدهاء و الخبث و المكر و الحيله و الاجتهادات فى النصوص و تخصيص عموماتها بالآراء و غير ذلك ممّا لم ترخص فيه الشريعه،و كان غيره يعتمد جميع ذلك سواء وافق الشريعه أو لم يوافق فكانت وجوه الحيل و التدبير عليهم أوسع،و كان مجالها عليه أضيق.و نقل عن أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ فى هذا المعنى كلام طويل خلاصته أن قال:إنّى ربّما رأيت بعض من يظنّ بنفسه العقل و العلم و أنّه من الخاصّه و هو من العامّه،و يزعم أنّ معاويه كان أبعد غورا و أصحّ فكرا و أجود مسلكا من علىّ و ليس الأمر كذلك و ساؤمى إلى موضع غلطه،و ذلك أنّ عليّا عليه السّلام كان لا يستعمل فى حروبه إلاّ ما يوافق الكتاب و السنّه،و كان معاويه يستعمل ما يخالفهما كاستعماله ما يوافقهما و يسير فى الحرب بسيره ملك الهند إذا لا فى كسرى، و كان علىّ يقول لأصحابه:لا تبدءوهم بالقتال حتّى يبدؤكم و لا تتّبعوا مدبرا و لا تجهزوا على جريح و لا تفتحوا بابا مغلقا.هذه سيرته فى ذى الكلاع و فى أبى الأعور السلمى و فى عمرو بن العاص و فى حبيب بن مسلمه و فى جميع الرؤساء كسيرته فى الحاشيه و الأتباع،و أصحاب الحروب إنّما يقصدون الوجه الّذى به هلاك الخصم و ينتظرون وجه الفرصه سواء كان مخالفا للشريعه كالحريق و الغريق و دفق السموم و التضريب بين الناس بالكذب و إلقاء الكتب فى العسكر أو موافقا لها فمن اقتصر فى التدبير على الكتاب و السنّه فقد منع نفسه الطويل العريض من التدبير و ما لا يتناهى من المكائد،و الصدق و الكذب أكثر من الصدق وحده و الحلال و الحرام أكثر من الحلال وحده فعلىّ كان ملجما بلجام الورع عن جميع القول إلاّ ما فيه للّه رضى،و ممنوع اليدين من كلّ بطش إلاّ بما دلّ عليه الكتاب و السنّه دون أصحاب

الدهاء و المكر و المكائد فلمّا رأت العوامّ نوادر معاويه فی المكائد و كثره معايبه فی الخديعه و ما تهيّأ له و لم يروا مثل ذلک من علیّ ظنّوا القصور فظنّهم أنّ ذلک من رجحان عند معاويه و نقصان فی علیّ.ثمّ انظر بعد ذلک كلّه هل يعدّ لمعاويه من الخداع أكبر من رفع المصاحف،ثمّ انظر هل خدع بها إلاّ من عصی رأی علیّ و خالف أمره من أصحابه فإن زعمت أنّه قد نال ما أراد بخداعه من الاختلاف علی علیّ فقد صدقت و لكن ليس ذلک محل النزاع و لم يختلف فی غراره أصحاب علیّ و عجلتهم و تسرّعهم و تنازعهم،و إنّما كانت البحث فی التمييز بينه و بين معاويه فی الدهاء و المكر و صحّه العقل و الرأی.فهذه خلاصه كلامه،و من تأمّله بعين الانصاف علم صحّته و صدقه،و من هذا يتبيّن لک الجواب عن كلّ ما نسب إليه من التقصير فی خلافته كعدم إقراره لمعاويه علی الولايه فی أوّل خلافته ثمّ يعزله بعد ذلک لما يستلزم تقريره من الظلم،و كشبهه التحكيم،و كنسبتهم له إلی التوحّش لبعض أصحابه حتّی فارقوه إلی معاويه كأخيه عقيل و شاعره النجاشی و مصقله بن هبيره،و كتركه لطلحه و الزبير حتّی فارقاه و خرجا إلی مكّه و أذن لهما فی العمره و ذهب عنه الرأی فی ارتباطهما عنده و منعه لهما من البعد عنه، و أمثال ذلک فإنّ الانصاف عند اعتبار حاله فی جميع ما نسب إليه يقتضی موافقته للشريعه و عدم خروجه عنها.و تفصيل الأجوبه عن ذلک ممّا يخرج عن الغرض، و باللّه التوفيق.

۱۹۲-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

أَيُّهَا النَّاسُ- لاَ تَسْتَوْحِشُوا فِی طَرِيقِ الْهُدَی لِقِلَّهِ أَهْلِهِ- فَإِنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَی مَائِدَهٍ شِبَعُهَا قَصِيرٌ- وَ جُوعُهَا طَوِيلٌ- أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَا وَ السُّخْطُ- وَ إِنَّمَا عَقَرَ نَاقَهَ؟ثَمُودَ؟ رَجُلٌ وَاحِدٌ- فَعَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمُّوهُ بِالرِّضَا- فَقَالَ سُبْحَانَهُ «فَعَقَرُوها»

ص:۴۷۲

«فَأَصْبَحُوا نادِمِينَ» - فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَهِ- خُوَارَ السِّكَّهِ الْمُحْمَاهِ فِی الْأَرْضِ الْخَوَّارَهِ- أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَ الْمَاءَ- وَ مَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِی التِّيهِ

اللغه

أقول: السكّه: الحديده تكون فی رأس خشبه الفدّان تثار بها الأرض .و خوارها:

صوتها فی الأرض .و الأرض الخوّاره: الضعيفه .

المعنی

كنايه و حاصل الفصل ترغيب أصحابه السالكين لطريق الهدی فی البقاء علی ما هم عليه بذكر كونه طريق الهدی،و من العاده أن يستوحش الناس من الوحده و قلّه الرفيق فی الطريق الطويل الصعب فنهی عن الاستيحاش فی تلك الطريق،و كنّی به عمّا عساه يعرض لبعضهم من الوسوسه بأنّهم ليسوا علی حقّ لقلّتهم و كثره مخالفيهم لأنّ قلّه العدد فی الطريق مظنّه الهلاك و السلامه مع الكثره و نحو ذلك فتبّههم علی أنّهم فی طريق الهدی و إن كانوا قليلين.

استعاره بالكنايه مقابله و قوله: فإنّ الناس اجتمعوا.إلی قوله:طويل.

تنبيه علی علّه قلّه أهل الهدی و هو اجتماع الناس علی الدنيا،و استعار لها لفظ المائده ملاحظه لشبهها بها فی كونها مجتمع اللذّات،و كنّی عن قصر مدّتها بقصر شبعها،و عن استعقاب الانهماك فيها للعذاب الطويل فی الآخره بطول جوعها، و لفظ الجوع مستعار للحاجه الطويله بعد الموت إلی المطاعم الحقيقيّه الباقيه من الكمالات النفسانيّه الفانيه بسبب الغفله فی الدنيا فلذلك نسب الجوع إليها، و يحتمل أن يكون مستعارا لما تتلهّف عليه النفس و تتأسّف بعد المفارقه من اللذّات الدنيويّه الّتی لا تحصل عليها بعد الموت أبدا فيطول جوعها منها،و راعی المقابله فالجوع بإزاء الشبع و الطول بإزاء القصر .

و قوله: أيّها الناس.إلی قوله:السخط.

أی إنّما يجمع الناس فی عذاب اللّه رضاهم بالمنكرات و معاصی اللّه و إن

لم يباشرها أكثرهم و سخطهم لمحابّه من الأعمال،و مصداق ذلک قصّه ثمود فی عموم العذاب لهم بفعل عاقر الناقه فإنّهم بأسرهم ما فعلوا ذلک مع نسبه الفعل إلی جمیعهم کما قال تعالی «فَعَقَرُوها» الآیه و عمّتهم العقوبه لمّا عمّوه بالرضی،و الضمیر فی عمّوه یعود إلی الرجل أو إلی العقر الّذی دلّ علیه قوله: عقر :أی لمّا عمّوا فعله برضاهم به،و إلیه الإشاره بقوله تعالی «وَ اتَّقُوا فِتْنَهً لا تُصِیبَنَّ الَّذِینَ ظَلَمُوا مِنْکُمْ خَاصَّهً» (۱)و ظاهر أنّ الراضی بفعل شریک فاعله و فی قوّته،و کذلک إنّما یجمع اللّه الناس فی رحمته باجتماعهم علی الرضا بمحابّه و السخط لمکارهه.

تشبیه فقوله: فما کان إلاّ أن خارت أرضهم.إلی قوله:الخوّاره.

تفسیر للعذاب اللاحق لهم المشار إلیه بقوله: «فَأَصْبَحُوا نادِمِینَ» فأخذهم العذاب، و قد فسّره القرآن الکریم أیضا فی قوله «فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَهُ» (۲)فبیّن علیه السّلام کیفیّه ذلک و شبّه صوت أرضهم فی خسوفها و ذهابها فی الأرض بصوت السکّه المحماه فی الأرض عند الحرث بها،و إنّما زادها صفه المحماه تنبیها علی قوّه تصویتها و سرعه غوصها لأنّ المحماه یکون لها فی الأرض نشیش زائد علی ما یقتضیه حرکتها و یعینها الحمی علی النفوذ .فأمّا قصّه ثمود فالمنقول أنّهم خلف عاد فی الأرض بعد هلاکهم عنها فکثروا و عمّروا أعمارا طویله حتّی کان الرجل یبنی المسکن المحکم فینهدم فی حیاته فنحتّوا البیوت فی الجبال و کانوا فی سعه و رخاء من العیش فعتوا عن أمر اللّه و أفسدوا فی الأرض و عبدوا الأوثان.فبعث اللّه إلیهم صالحا و کانوا قوما عربا و صالح من أوسطهم نسبا فدعاهم إلی اللّه فلم یتّبعه إلاّ قلیل منهم مستضعفون فحذّرهم و أنذرهم فسألوه آیه فقال:أیّه آیه تریدون؟.فقالوا:تخرج معنا إلی عیدنا فی یوم معلوم من السنه تدعو إلهک و ندعو آلهتنا فإن استجیب لک اتّبعناک و إن استجیب لنا اتّبعتنا.فقال:نعم.فخرج معهم و دعوا أربابهم و سألوها فلم تجب.

فقال کبیرهم و أشار إلی صخره مفرده فی ناحیه الجبل یسمّونها الکاثبه:أخرج لنا من هذه الصخره ناقه جوفاء و براء فإن فعلت صدّقناک و أجبناک.فأخذ علیهم

۱- ۱) ۲۵-۸

۲- ۲) ۳۶-۲۹.

المواثيق بـذلك.ثمّ صلّى و دعا ربّه فتمخّضت الصـخره كما تمخّض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقه عشراء جوفاء و براء كما يطلبون،و عظمـاؤهم ينظرون.ثمّ نتجت ولـدا مثلها فى العظم.فآمن به رئيسـهم و نفر من قومه و منع أعقابهم ناس من رؤسائهم أن يؤمنوا.فمكثت الناقه مع ولدها ترعى الشـجر و تشرب الماء و كانت ترد غبّا فإذا كان يوم شربها وضعت رأسها فى البئر فما ترفعه حتّى تشـرب كلّ ماء فيها.ثمّ تفجّج فيحلبون ما شاءوا حتّى تمتلى أوانيهم فيشربون و يدّخرون.فإذا وقع الحرّ تصيّفت بظهر الوادى فتهرب منها أنعامهم فتهبط إلى بطنه،و إذا وقع البرد تشتّت ببطن الوادى فتهرب مواشيهم إلى ظهره فشقّ ذلك عليهم،و زيّنت لهم عقرها امرأتان:عنيزه امّ غنم و صدقه بنت المختار كانتا كثيرتى المواشى لمّا أضرّت بمواشيهما.

فعقرها قدار الأحمر و اقتسموا لحمها و طبخوه فانطلق سقبها حتّى رقى جبلا يقال له غاره فرغا ثلاثا و كان صالح قال لهم:أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه و انفجّت الصخره بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح:

تصبحون غدا و وجوهكم مصفرّه و بعد غد و هى محمّره و اليوم الثالث و هى مسوّده.

ثمّ يغشـاكم العـذاب.فلمّا رأوا العلامـات همّوا بقتله فأنجاه اللّه إلى أرض فلسـطين.فلمّا كان اليوم الرابع و ارتفع الضـحى تحنّطوا بـالصبر و تكفّنـوا بالأنطاع فـأتتهم الصيحه و خسف شديـد و زلزال فتقطّعت قلوبهم فهلكوا.و بـاللّه العصـمه و التوفيق هـذا آخر المجلّد الثالث من هذا الكتاب

تمّ ثالث أجزاء الکتاب من الأجزاء الخمسه علی ما جزئه الشارح المحقّق-قدّس سرّه-فی أحسن وضع و علی أنقی ورق و بأجود طباعه و یلیه الجزءان الآخران-إنشاء اللّه تعالی- و لو تدری نفس ما یتحمّله المقدم من الصعوبه فی تهذیب طباعه کتاب لعبت به ید الأیّام و حرّفته أقلام الجهله لقبل ذلک عذرا فیما یؤخذ علی الناشر،أو لیحثّه أن یغفر ما له من الذنب.

و علیه سبحانه التوکّل و به العصمه.

ص:۴۷۶

فهرست ما فی هذا الجزء من الخطب و المطالب

العنوان الصفحه

الخطبه السادسه و التسعون فی بیان ما فیه المعتبر و المزدجر للنفوس ۲

الخطبه السابعه و التسعون فی بیان ما یکون بعده علیه السّلام من الأمور ۶

الخطبه الثامنه و التسعون تشتمل علی ذکر الملاحم ۹

الخطبه التاسعه و التسعون أشار فیها إلی ما سیقع بعده علیه السّلام من الفتن ۱۳

الخطبه المائه ألقاها تزهیدا فی الدنیا و تحذیرا منها ۱۷

الخطبه الحادیه و المائه فی ذکر ما لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم من الشفقّه علی الخلق ۲۱

الخطبه الثانیه و المائه فی أوصاف النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم ۲۲

الخطبه الثالث و المائه فی ذکر ما للإسلام من الأوصاف المحموده ۲۹

الخطبه الرابع و المائه فی تبکیت أصحابه بانحیازهم عن عدوّهم ۳۷

الخطبه الخامس و المائه و هی من خطب الملاحم ۳۸

الخطبه السادس و المائه فی توحید اللّه و تنزیهه و إجلاله و تعظیمه ۴۹

الخطبه السابع و المائه فی اقتصاص حال النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم ۷۲

الخطبه الثامن و المائه فی التحذیر من الدنیا و التنفیر عنها ۸۳

الخطبه التاسع و المائه فی الاشاره إلی حقیقه الموت ۸۹

الخطبه العاشر و المائه فیها تحذیر و تأدیب ۹۲

الخطبه الحادیه عشر و المائه فی الترغیب إلی التقوی،و ذکر شیء من أوصاف الدنیا ۹۵

الخطبه الثانیه عشر و المائه فی الاستسقاء ۱۰۳

العنوان الصفحه

الخطبه الثالثه عشر و المائه فی بعض أوصاف النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم ۱۰۶

کلامه الجاری مجری الخطبه الرابعه عشر و المائه فی التوبیخ بالبخل ۱۰۹

کلامه الجاری مجری الخطبه الخامسه عشر و المائه فی استماله طباع أصحابه لنصرته ۱۱۰

کلامه الجاری مجری الخطبه السادسه عشر و المائه فی الدعاء علی أصحابه مصدّرا بالاستفهام عن أحوالهم القبیحه ۱۱۰

کلامه الجاری مجری الخطبه السابعه عشر و المائه فی وصف نفسه و ذکر فضیلته ۱۱۲

الخطبه الثامنه عشر و المائه فی ردّ ما اعترض علیه ۱۱۴

کلامه الجاری مجری الخطبه التاسعه عشر و المائه قاله للمقیمین علی إنکار حکومته علیه السّلام ۱۱۸

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و عشرین قاله لأصحابه فی ساعه الحرب ۱۲۰

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و إحدی و عشرین فی تعطیف أصحابه و استثاره نجدتهم ۱۲۱

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و اثنتین و عشرین فی حثّ أصحابه علی القتال ۱۲۲

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و ثلاث و عشرین فی التحکیم ۱۲۳

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و أربع و عشرین لمّا عوتب علی التسویه فی العطاء ۱۳۰

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و خمس و عشرین للخوارج ۱۳۲

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و ستّ و عشرین فیما یخبر به عن الملاحم بالبصره ۱۳۶

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و سبع و عشرین یؤمی به إلی وصف الأتراک ۱۳۸

العنوان الصفحه

كلامه الجاری مجری الخطبه المائه و ثمان و عشرین فی ذکر المکائیل و الموازین ۱۴۱

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و تسع و عشرین لأبی ذرّ لمّا اخرج إلی ربذه ۱۴۵

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و ثلاثین فی تأبیه أصحابه بالاختلاف ۱۴۷

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و إحدی و ثلاثین فی وجوب الشکر فی طواری الأحوال ۱۴۹

الخطبه المائه و اثنتان و ثلاثون فی ذکر الموت و التنبیه علی وجوب العمل له ۱۵۲

و فی معنی الحیاه و الموت ۱۵۷

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و ثلاث و ثلاثین و قد شاوره عمر فی الخروج إلی غزو الروم بنفسه ۱۶۱

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و أربع و ثلاثین فی إقماع المغیره بن أخنس ۱۶۳

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و خمس و ثلاثین فی الترغیب إلی إعانته و الوفاء ببیعته ۱۶۴

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و ستّ و ثلاثین فی معنی الطلحه و الزبیر ۱۶۵

الخطبه المائه و سبع و ثلاثون فی ذکر الملاحم ۱۶۷

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و ثمان و ثلاثین فی وقت الشوری ۱۷۴

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و تسع و ثلاثین فی النهی عن غیبه الناس ۱۷۵

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و أربعین فی النهی عن التسرّع إلی التصدیق بما یقال فی حقّ مستور الظاهر ۱۷۹

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و إحدی و أربعین أشار فیه إلی بعض

العنوان الصفحه

مكاره الدنيا و فضائل الآخره ۱۸۰

كلامه الجارى مجرى الخطبه المائه و اثنتين و أربعين فى الاستسقاء ۱۸۲

الخطبه المائه و ثلاث و أربعون فى المنافره مع من ينازعه فى الفضل ۱۸۶

الخطبه المائه و أربع و أربعون فى تقبيح الدنيا و ذكر معايبها ۱۹۱

كلامه الجارى مجرى الخطبه المائه و خمس و أربعين لعمر بن الخطاب و قد استشاره فى غزو الفرس بنفسه ۱۹۴

الخطبه المائه و ستّ و أربعون فى بيان بعثه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم ۱۹۷

كلامه الجارى مجرى الخطبه المائه و سبع و أربعين فى ذكر أهل البصره ۲۰۵

كلامه الجارى مجرى الخطبه المائه و ثمان و أربعين قبل موته فى التأبيه بالناس و تنبيههم على لحوق ضروره الموت طبعا ۲۰۷

الخطبه المائه و تسع و أربعون فى الملاحم ۲۱۳

الخطبه المائه و خمسون فى التحذير عمّا يقع من بعده من بوائق النقمه بأيدى الظلمه ۲۲۰

الخطبه المائه و إحدى و خمسون فى تحميد اللّه تعالى باعتبارات من أوصافه ۲۸۸

الخطبه المائه و اثنتان و خمسون يؤمى فيها إلى صفه مطلق الضالّ ۲۳۹

الخطبه المائه و ثلاث و خمسون يؤمى إلى بعض فضائله و فضائل أهل البيت ۲۴۷

الخطبه المائه و أربع و خمسون يذكر فيها بديع خلقه الخفّاش ۲۵۲

الخطبه المائه و خمس و خمسون خاطب بها أهل البصره على جهه اقتصاص الملاحم ۲۵۸

الخطبه المائه و ستّ و خمسون فى إيقاظ الناس من سبات الغفله و تنبيههم على قرب الساعه ۲۶۶

الخطبه المائه و سبع و خمسون فى التنبيه على فضيله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم ۲۷۳

العنوان الصفحه

الخطبه المائه و ثمان و خمسون فی التنبیه علی شکره للقلیل من برهم ۲۷۵

الخطبه المائه و تسع و خمسون فی ذمّ من یدّعی رجاء اللّه و لا یعمل له ۲۷۶

الخطبه المائه و ستّون فی ذکر ممادح النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم ۲۸۸

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و إحدی و ستّین فی جواب من سئله کیف دفعکم قومکم عن هذا المقام و أنتم أحقّ به ۲۹۲

الخطبه المائه و اثنتان و ستّون اشتملت من اعتبارات الحمد طباق ما اشتملت من مباحث التوحید ۲۹۶

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و ثلاث و ستّین فی استعتاب عثمان و قد استسفره الناس ۳۰۱

الخطبه المائه و أربع و ستّون یذکر فیها عجیب خلقه الطاوس ۳۰۴

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و خمس و ستّین قد أمر صغیرهم بالتأسّی بکبیرهم إلخ ۳۱۴

الخطبه المائه و ستّ و ستّون فی التنبیه علی فضیله الکتاب و الأمر بأخذه طریقا ۳۱۸

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و سبع و ستّین بعد ما بویع بالطلافه و قد قال له من الصحابه:لو عاقبت قوما ممّن أجلب علی عثمان ۳۲۰

الخطبه المائه و ثمان و ستّون ألقاها عند مسیر أصحاب الجمل إلی البصره ۳۲۳

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و تسع و ستّین مخاطبا به من أرسله أهل البصره لیعلموا حاله مع أصحاب الجمل ۳۲۶

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و سبعین لمّا عزم علی لقاء القوم بصفّین ۳۲۷

الخطبه المائه و إحدی و سبعون یذکر فیها ما جری له یوم الشوری بعد مقتل عمر ۳۲۹

العنوان الصفحه

الخطبه المائه و اثنتان و سبعون فی بیان من هو أحقّ بالخلافه و من تتمّ به البیعه ۳۳۹

الخطبه المائه و ثلاث و سبعون فی طلحه بن عبد اللّه ۳۴۴

الخطبه المائه و أربع و سبعون فی خطاب الغافلین عمّا یراد بهم من أمر الآخره ۳۴۶

الخطبه المائه و خمس و سبعون یحذّر فیها من متابعه الهوی،و یحثّ فیها علی الاستقامه و لزوم الصدق ۳۴۹

فی تقسیم الظلم،و بیان أقسامه ۳۶۳

فی فضل العزله و لزوم البیت ۳۶۵

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و ستّ و سبعین ألقاها بعد ما بلغه أمر الحکمین ۳۶۷

الخطبه المائه و سبع و سبعون ألقاها بعد قتل عثمان،و صدّرها بالإشاره إلی اعتبارات توحیدیّه ۳۶۸

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و ثمان و سبعین فی جواب ذعلب الیمانیّ حین سأله هل رأیت ربّک یا أمیر المؤمنین؟۳۷۳

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و تسع و سبعین فی ذمّ أصحابه ۳۷۵

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و ثمانین فیمن همّ من أهل الکوفه باللحاق بالخوارج ۳۷۹

الخطبه المائه و إحدی و ثمانون-رواها نوف البکّالی-فی توحید اللّه تعالی و التوصیه بالتقوی و التنبیه إلی الاعتبار.۳۸۰

الخطبه المائه و اثنتان و ثمانون فی تحمید اللّه و التنبیه علی وجوب الاستناد إلی قدرته ۳۹۵

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و ثلاث و ثمانین قاله للبرج بن

العنوان الصفحه

مسهر الطائی،و قد قال له بحیث یسمعه:لا حکم إلاّ اللّه،و کان من الخوارج ۴۰۸

الخطبه المائه و أربع و ثمانون یصف فیها المتّقین بما لهم من الفضائل ۴۰۹

شرح جمله ما یعرف بها المتّقون ۴۱۴

الخطبه المائه و خمس و ثمانون یصف فیها المنافقین ۴۲۰

الخطبه المائه و ستّ و ثمانون فی تحمید اللّه و الثناء علی نبیّه ۴۲۵

الخطبه المائه و سبع و ثمانون تشتمل علی الوصیه بالتقوی و التحذیر من الدنیا ۴۳۷

الخطبه المائه و ثمان و ثمانون فیها التنبیه علی فضائله علیه السّلام ۴۳۹

الخطبه المائه و تسع و ثمانون فی التنبیه علی إحاطه علم اللّه تعالی ۴۴۲

الخطبه المائه و تسعون کان یوصی بها أصحابه بالصلاه و الزکاه ۴۶۲

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و إحدی و تسعین فی سبب ترکه الدهاء ۴۶۹

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و اثنتین و تسعین فی التنبیه علی علّه قلّه أهل الهدی ۴۷۲

فهرس الخطب و المطالب ۴۷۶

المجلد ۴

اشاره

ص :۱

اشاره

«بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ»

تتمه باب الخطب

۱۹۳–و من کلام له علیه السّلام

اشاره

روی عنه أنه قاله عند دفن سیده النساء فاطمه علیها السلام کالمناجی به رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سلم عند قبره اَلسَّلاَمُ عَلَيْکَ يا؟رَسُولَ اللَّهِ؟ عَنِّی- وَ عَنِ ابْنَتِکَ النَّازِلَهِ فِی جِوَارِکَ- وَ السَّرِيعَهِ اللَّحَاقِ بِکَ- قَلَّ يا؟رَسُولَ اللَّهِ؟ عَنْ صَفِيَّتِکَ صَبْرِی وَ رَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِی- إِلاَّ أَنَّ فِی التَّأَسِّی لِی بِعَظِيمِ فُرْقَتِکَ- وَ فَادِحِ مُصِيبَتِکَ مَوْضِعَ تَعَزٍّ- فَلَقَدْ وَسَّدْتُکَ فِی مَلْحُودَهِ قَبْرِکَ- وَ فَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِی وَ صَدْرِی نَفْسُکَ- فَ «إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ» - فَلَقَدِ اسْتُرْجِعَتِ الْوَدِيعَهُ وَ أُخِذَتِ الرَّهِينَهُ- أَمَّا حُزْنِی فَسَرْمَدٌ وَ أَمَّا لَيْلِی فَمُسَهَّدٌ- إِلَی أَنْ يَخْتَارَ اللَّهُ لِی دَارَکَ الَّتِی أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ- وَ سَتُنَبِّئُکَ ابْنَتُکَ بِتَضَافُرِ أُمَّتِکَ عَلَی هَضْمِهَا- فَأَحْفِهَا السُّؤَالَ وَ اسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ- هَذَا وَ لَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ وَ لَمْ يَخْلُ مِنْکَ الذِّکْرُ- وَ السَّلاَمُ عَلَيْکُمَا سَلاَمَ مُوَدِّعٍ لاَ قَالٍ

ص:۲

وَ لاَ سَئِمٍ- فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلاَ عَنْ مَلاَلَهٍ- وَ إِنْ أَقِمْ فَلاَ عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ الصَّابِرِينَ

اللغه

أقول: مسهّد: مورق .و أحفها السؤال: استقص عليها فيه .

المعنى

فأمّا قول السيّد-رضى اللّه تعالى عنه-سيّده النساء،فقد جاء فى الخبر أنّه رآها تبكى عند موته فقال لها:

أ ما ترضين أن تكون سيّده نساء هذه الامّه،و روى أنّه قال:سادات نساء العالمين أربع:خديجه بنت خويلد،و فاطمه بنت محمّد،و آسيه بنت مزاحم،و مريم بنت عمران.و السلام منه عليه السّلام على الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كعاده الزائرين لكن الزياره هنا قلبيّه،و عنها كالمستأذن لها فى الدخول عليه،و جوارها له:أى فى منازل الجنّه و أمّا سرعه لحاقها به ففائده ذكرها التشكّى إليه من سرعه تواتر المصائب عليه بموته و لحوقها عقيبه،و المنقول أنّ مدّه حياتها بعده صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أربعه أشهر،و قيل:

ستّه أشهر .ثمّ أخذ فى التشكّى إليه كالمخاطب له من قلّه صبره و رقّه تجلّده و تحمّله للمصيبه بها.

و فى قوله:صفيّتك.

إشاره إلى ما كان لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من التبجيل و المحبّه و الإكرام.

و قوله:إلاّ أنّ لى.إلى قوله:موضع تعزّ.

كالعذر و التسليه و إن كانت هذه المصيبه عظيمه يقلّ لها الصبر و يرقّ لها التجلّد فإنّ المصيبه بفراقك أعظم،و كما صبرت فى تلك على كونها أشدّ فلإن أصبر على هذه أولى.و التأسى الاقتداء بالصبر فى هذه المصيبه كالصبر فى تلك.

و قوله :فلقد وسّدتك.إلى قوله:نفسك.

كالشرح للمصيبه به صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و مقاساتها عند تلحيده و عند فيضان نفسه و هى دمه بين صدره و نحره،و كالتذكير لنفسه بها.

و قوله:ف «إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ» .

امتثال لقوله تعالى «وَ بَشِّرِ الصّابِرِينَ اَلَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إِنّا»

«لِلّٰهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ» (۱).

استعاره و قوله : فلقد استرجعت الوديعه.إلى قوله:الرهينه.

استعار لفظ الوديعه و الرهينه لتلك النفس،و وجه الاستعاره الاولى أنّ النفوس فى هذه الأبدان يشبه الودايع و الأمانات فى كونها تسترجع إلى عاملها فى وجوب المحافظه عليها من المهلكات،و يحتمل أن يريد ما هو المتعارف بين الناس من كون المرأه وديعه الرجل كما يقال:النساء ودايع الكرام،و وجه الثانيه أنّ كلّ نفس رهينه على الوفاء بالميثاق الّذى واثقها اللّه تعالى به،و العهد الّذى أخذ عليها حين الإهباط إلى عالم الحسّ و الخيال أن ترجع إليه سالمه من سخطه،عامله بأوامره غير منحرفه من صراطه الوضوح على لسان رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فإن وفيت بعهدها خرجت من وثاق الرهن و ضوعف لها الأجر كما قال تعالى «وَ مَنْ أَوْفى بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللّٰهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً» (۲)و إن نكثت و ارتكبت بما نهيت عنه بقيت رهينه بعملها كما قال تعالى «كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ» (۳)و الرهينه تصدق على الذكر و الأنثى .و قد سبقت الإشاره إلى ذلك.

كنايه و قوله: أمّا حزنى.إلى قوله:مقيم .

صوره حاله بعدهما على سبيل الشكايه،و كنّى بالدار عن الجنّه لأنّه ممّن بشّر بها.

و قوله :و ستنبّئك ابنتك.إلى قوله:الذكر.

رمز للتشكّى إلى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من امّته بعده فيما كان يعتقده حقّا له من الخلافه و نحله فدك لفاطمه عليها السّلام فزحزحا عنهما مع نوع من الاهتضام له،و الغلظه عليه فى القول على قرب عهدهم بالرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و طراوه الذكر الّذى هو القرآن الآمر بمودّه القربى.

و قوله :و السلام عليكما.إلى آخره.

ص:۴

۱- ۱) ۱۵۱-۲.

۲- ۲) ۱۰-۴۸.

۳- ۳) ۴۱-۷۴.

صوره وداع المحبّين الناصحين بجارى العاده.

و قوله:و إن اقم.إلى قوله:الصابرين.

تنزيه لنفسه عمّا عساه يعرض لبعض من يلازم القبور لشدّه الجزع و الأسف عن و هم أنّه لا عوض عن ذلك الفائت و الأجر على التعزّى و الصبر عنه،و ما وعد اللّه به الصابرين على نزول المصائب هو صلاته و رحمته فى قوله تعالى «قالُوا إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ» «وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ» (۱)و باللّه التوفيق.

۱۹۴-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

:أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ وَ الْآخِرَهُ دَارُ قَرَارٍ- فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ- وَ لاَ تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ- وَ أَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ- مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ- فَفِيهَا اخْتُبِرْتُمْ وَ لِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ- إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ مَا تَرَكَ- وَ قَالَتِ الْمَلاَئِكَهُ مَا قَدَّمَ- لِلَّهِ آبَاؤُكُمْ فَقَدِّمُوا بَعْضاً يَكُنْ لَكُمْ- وَ لاَ تُخْلِفُوا كُلاًّ فَيَكُونَ فَرْضاً عَلَيْكُمْ

أقول:حاصل الفصل التنفير عن الدنيا و الترغيب فى الآخره بذكر الغايه

من وجودهما

فتكون الدنيا مجازا:أى يسلك بها إلى الآخره سلوكا اختياريّا كسلوك عباد اللّه الصالحين إليه،و اضطراريّا كعبور الكلّ إلى الآخره بالموت، و أراد هنا الاضطرارىّ،و هاتان القرينتان كالمقدّمه لقوله:فخذوا من ممرّكم لمقرّكم.

و قوله:و لا تهتكوا.إلى قوله:أسراركم.

ص:۵

۱- ۱) ۲-۱۵۲.

أى لمجاهرته بالمعصيه فإنّه إذا كان يعلم أسراركم فهو يعلم ظواهر كم أولى.

كنايه و قوله : و أخرجوا.إلى قوله:أبدانكم .

أمر لهم بالزهد فى الدنيا قبل الموت،و كنّى عنه بإخراج القلوب منها.يقال:خرج فلان عن كذا،و أخرج نفسه من كذا إذا أعرض عنه و تبرّء منه.

و قوله:ففيها اختبرتم.

إشاره إلى قصد العنايه الإلهيّه منها،و قد عرفت معنى الاختبار،و لغيرها خلقتم:أى لنيل السعاده فى الآخره بالذات،أو الشقاوه لمن حرّمها بالعرض.

و قوله :إنّ المرء.إلى قوله:قدّم.

أى ما ترک من متاع الدنيا أو ما قدّم من الأعمال الصالحه،و إنّما قرن ذكر الناس و ما يسئلون عنه بذكر الملائكه و ما يسئلون عنه ليتبّه على شرف الأعمال المسعده فى الآخره على متاع الدنيا لكون الأوّل مطلوب الملائكه و ما تعتنون بالفحص عنه،و كون الثانى معتنى الناس الغافلين،و فى لفظ ما ترک و ما قدّم لطف شبيه[تنبيه خ]على أنّ متاع الدنيا مفارق متروک و الأعمال الصالحه مقدّمه باقيه نافعه للمرء فى معاده فينبغى أن تكون العنايه بها دون المفارق المتروک.

و قوله:للّه آباؤكم.

كلمه تقولها العرب لتعظيم المخاطب بنسبته أو بنسبه أبيه إلى اللّه يقال:للّه أنت و للّه أبوک،و قيل:اللام للعاقبه:أى إلى اللّه تصير آبائكم لكن بذلک يخرج الكلام عن معنى التعجّب و الاستعظام.

و قوله:فقدّموا بعضا.إلى آخره.

أى فقدّموا بعضا من متاع الدنيا كالصدقات و نحوها يكن لكم ثوابها فى الآخره كقوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:يا بن آدم ليس لک من دنياک إلاّ ثلاث:ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدّقت فأبقيت،و لا تخلّفوها بأسرها لغيركم فيكون عليكم وزرها، و قد علمت كيفيّه استلزام الصدقه و الزكاه و نحوها للملكات الفاضله و الثواب الاخروى،و استلزام البخل و ادخار المال للشقاوه الاخرويّه،و إنّما خصّص

البعض بالتقديم لأنّ حرمان الورثه لا يجوز،و نهى عن تخليف الكلّ لأنّ ترك الزكاه و الصدقه لا يجوز،و روى يكن لكم قرضا و يكن عليكم كلّا و هو كقوله تعالى «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً» (۱)و لفظ القرض مستعار،و وجه الاستعاره أنّ القرض يستلزم فى العاده الطلب من المقترض و شكره لمقرضه و أداه إليه فأشبه ذلك تكرر أوامر اللّه الطالبه للزكاه و الصدقه و شكر اللّه للمنفقين فى سبيله و جزاؤه للمتصدّقين فى الآخره بأضعاف ما بذلوه و أنفس كميّه و كيفيّه من الكلّ الّذى لا منفعه فيه مع وجود مضرّته،و لمّا كان حفظ المال و تخليفه بعد الموت كذلك لا جرم كان كلّا.و باللّه التوفيق.

۱۹۵-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

كان كثيرا ما ينادى به أصحابه

تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ- وَ أَقِلُّوا الْعُرْجَةَ عَلَى الدُّنْيَا- وَ انْقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ- فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَئُوداً وَ مَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً- لاَ بُدَّ مِنَ الْوُرُودِ عَلَيْهَا وَ الْوُقُوفِ عِنْدَهَا-.وَ اعْلَمُوا أَنَّ مَلاَحِظَ الْمَنِيَّةِ نَحْوَكُمْ دَانِيَةٌ- وَ كَأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا وَ قَدْ نَشِبَتْ فِيكُمْ- وَ قَدْ دَهَمَتْكُمْ فِيهَا مُفْظِعَاتُ الْأُمُورِ وَ مُعْضِلاَتُ الْمَحْذُورِ-.فَقَطِّعُوا عَلاَئِقَ الدُّنْيَا وَ اسْتَظْهِرُوا بِزَادِ التَّقْوَى و قد مضى شىء من هذا الكلام فيما تقدم،بخلاف هذه الروايه.

اللغه

أقول: العرجه و التعريج : الإقامه على المكان و الاحتباس به .و عقبه

۱- ۱) ۲۴۶-۲.

كؤود : شاقه المصاعد .و الملاحظ : جمع ملحظ و هو مصدر أو محلّ اللحظ و هو النظر بموخّر العين .و دانيه : مجدّده .و مفظعات الامور : عظائمها و شدائدها المجاوزه حدّ المقدار المعتاد .و معضلات المحذور : ما ثقل منها و أمال .

و مدار الفصل على الأمر بالتجهيز من الدنيا

و هو الاستعداد للسفر إلى اللّه بما يحتاج إليه المسافرون إلى حضرته من الزاد المبلغ و هو التقوى،و الرحيل يحتمل أن يريد به السفر بالموت فيكون المنادى هو حوادث الأيّام الداعيه بضرورتها للأمزجه إلى الانهدام،و يحتمل أن يريد به السفر إلى اللّه بالرياضه الكامله،و المنادى بذلك هو الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الكتاب العزيز و أولياء اللّه.ثمّ على الأمر بإقلال التعريج على الدنيا:أى بقلّه الالتفات إليها إلاّ على القدر الضروريّ منها و هو الزهد .ثمّ بالانقلاب عنها بصالح ما يحضرهم فى الدنيا و يمكنهم إعداده و الاستعداد به و هو الأعمال الصالحه و التقوى استعاره و قوله: فإنّ أمامكم عقبه كؤودا .

استعار لفظ العقبه بوصف الكؤود،و وجه المشابهه شدّه الملاقات و قطع منازله فى حال تألم النفوس إلى آخر الموت،و أراد بالمنازل المحوفه المهوله منازل الآخره بعد من القبر و ساير درجات النفوس فى الشقاوه و الأهوال الاخرويّه و ظاهر أنّه لا بدّ من ورود تلك المنازل و الوقوف عندها إلى حين عبورها خصوصا أصحاب الملكات الرديئه و العلايق الدنيّه البدنيّه فإنّ وقوفهم بتلك المنازل أطول و شدائدهم فيها أهول.

استعاره بالكنايه و قوله : و اعلموا.إلى قوله:فيكم.

أخذ بعض لوازم المستعار و هو الملاحظه و ذويها،و كنّى بذلك عن كونها هم بالرصد لا تنقطع عنهم،و روى دائنه:أى قريبه منهم،و كذلك المخالب و نشبتها كنايه عن لحوق الآفات و الأمراض المهلكه لهم،و معنى التشبيه هاهنا تشبيه المقدّر القريب وقوعه و هو لحوق الموت لهم،و نسبه مخالب المنيه فيهم بوقوع ذلك فى السرعه ،و الباء فى بمخالبها للالصاق،و الواوان فى قوله:و قد للحال.

کنایه و قوله: و قد دهمتکم.إلی قوله:المحذور .

کنایه عن لحوق شدائد الموت و مثقلات الظهور المحذوره و هی الذنوب.

و قوله :فقطّعوا علایق الدنیا.

أمر بالزهد الحقیقیّ فیها و التخفیف منها بترک الفضول و الاستکثار من متاعها،و استظهروا بزاد التقوی:أی اتّخذوه ظهیرا لکم علی مشاقّ السفر إلی الآخره،و باللّه التوفیق.

۱۹۶-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

کلم به طلحه و الزبیر بعد بیعته بالخلافه و قد عتبا[علیه]من ترک مشورتهما،و الاستعانه فی الأمور بهما لَقَدْ نَقَمْتُمَا یَسِیراً وَ أَرْجَأْتُمَا کَثِیراً- أَ لاَ تُخْبِرَانِی أَیُّ شَیْءٍ کَانَ لَکُمَا فِیهِ حَقٌّ دَفَعْتُکُمَا عَنْهُ- أَمْ أَیُّ قَسْمٍ اسْتَأْثَرْتُ عَلَیْکُمَا بِهِ- أَمْ أَیُّ حَقٍّ رَفَعَهُ إِلَیَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِینَ- ضَعُفْتُ عَنْهُ أَمْ جَهِلْتُهُ أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ-.وَ اللَّهِ مَا کَانَتْ لِی فِی الْخِلاَفَهِ رَغْبَهٌ- وَ لاَ فِی الْوِلاَیَهِ إِرْبَهٌ- وَ لَکِنَّکُمْ دَعَوْتُمُونِی إِلَیْهَا وَ حَمَلْتُمُونِی عَلَیْهَا- فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَیَّ نَظَرْتُ إِلَی کِتَابِ اللَّهِ وَ مَا وَضَعَ لَنَا- وَ أَمَرَنَا بِالْحُکْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ- وَ مَا اسْتَنَّ؟النَّبِیُّ ص؟ فَاقْتَدَیْتُهُ- فَلَمْ أَحْتَجْ فِی ذَلِکَ إِلَی رَأْیِکُمَا وَ لاَ رَأْیِ غَیْرِکُمَا- وَ لاَ وَقَعَ حُکْمٌ جَهِلْتُهُ فَأَسْتَشِیرَکُمَا وَ إِخْوَانِی مِنَ الْمُسْلِمِینَ- وَ لَوْ کَانَ ذَلِکَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْکُمَا وَ لاَ عَنْ

ص:۹

غَيْرِكُمَـا.-وَ أَمَّا مَـا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الْأَسْوَهِ- فَإِنَّ ذَلِکَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكَمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِی- وَ لَا وَلِيتُهُ هَوًى مِنِّی- بَلْ وَجَـدْتُ أَنَا وَ أَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ؟رَسُولُ اللَّهِ ص؟ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ- فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَغَ اللَّهُ مِنْ قَسْـمِهِ- وَ أَمْضَـی فِيهِ حُكْمَهُ- فَلَيْسَ لَكُمَا وَ اللَّهِ عِنْدِی وَ لَا لِغَيْرِكُمَا فِی هَذَا عُتْبَی-.أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَ قُلُوبِكُمْ إِلَی الْحَقِّ- وَ أَلْهَمَنَا وَ إِيَّاكُمُ الصَّبْرَ.

اللغه

أقول: أرجأتما : أخّرتما .و استأثر : استبدّ .و الإربه : الحاجه .و أفضت :

وصلت .و العتبى : الرجوع عن الإساءه

المعنى

و اعلم أنّ الرجلين كانا يؤمّلان الأمر لأنفسهما فلمّا صار إليه عليه السّـلام عاد إلى رجاء أن يـداخلهما فى أمره و أن يزد لهما فى العطاء على غيرهما كما فضّل بعض الأئمّه من قبله و أن يشاركهما فى أكثر الآراء المصلحيّه محبّه منهما للجاه و نظرا إلى محلّهما و شرفهما لكنّ الرجـل لمّـا جعـل دليله الكتـاب العزيز و السنّه النبويّه و كـان هو القوىّ على تفريع الأحكـام منهمـا دون غيره و صـاحب أسـرارهما كمـا علمت رجوع أكـابر الصـحابه و الخلفـاء السـابقين إليه فى كثير الأحكـام لاـ جرم لم يكن به حاجه إلى الاسـتشاره فيمـا يقع إليه من الوقـايع ،و أشـار باليسـير الّـذى نقمـاه إلى ترک مشورتهما و تسويتهما بغيرهما فى العطاء و إن كان عندهما صـعبا فهو لكونه عنده غير حقّ فى غايه من السهوله،و الكسير الّذى أرجاه ما أخّراه من حقّه و لم يوفياه إيّاه،و روى كثيرا بالثاء بثلاث نقط،و أشار به إلى ما يعود إلى صلاح المسلمين من الآراء الّتى ينبغى أن

يتحدّث فيها،و يحتمل أن يريد أنّ الّذى أبدياه و نقماه بعض ممّا فى أنفسهما،و قد دلّ ذلك على أنّ فى أنفسهما أشياء كثيره وراء ما ذكراه لم يقولاه.

و قوله:ألا تخبرانى.إلى قوله:بابه.

استفسار عن الحقّ الّذى نقما تركه،و أشار إلى وجوه الحقّ و جهاته المتعارفه المعتاده،و تلخيصه أنّ الحقّ الّذى تنقمان على تركه إمّا أن يكون متعلّقا بكما أو بغير كما من المسلمين،و الأوّل إمّا أن يكون قسما استأثرت به أو غيره من الحقوق دفعتكما عنه ظلما،و الثانى إمّا أن يكون تركه منّى ضعفا أو جهلا به أو خطأ لدليل الحكم فيه،و الاستفهام فى الأقسام كلّها استفهام إنكار لها و مستند منعه و إنكاره لها ظاهر فإنّ التسويه فى العطاء سنّه الرسول فيجب اتّباعها،و الاستشاره فى الحوادث و نحوها إنّما يجب مع عدم الحكم فى الواقعه أو مع جهله و لم يكن عادما لأحكام الوقايع الوارده عليه و لا ـ جاهلا ـ بها،و كذلك لم يترك حقّا لأحد من المسلمين عن ضعف منه لأنّه كان خليفه الوقت و لا عن جهل بحكم و لا بدليله لأنّه كان أعلم الامّه بأحكام اللّه،و لمّا كان الّذى نقماه عليه فى تلك الحال من الأقسام المذكوره إنّما هو ترك مشورتهما و السويه فى العطاء بينهما و بين غيرهما أشار إلى الجواب عن الأوّل بقوله :و اللّه ما كانت.

إلى قوله:و لا عن غيركما.

فقوله:و اللّه.إلى قوله:حملتمونى عليها.

كالمقدّمه فى الجواب المكاسره من توهّمهما رغبته فى الخلافه و محبّته للملك و السلطان لاستيثار عليهما و نحو ذلك فإنّه إذا انكسر ذلك الوهم لم يبق علّه طلبه للولايه إلاّ نصره الحقّ و إقامته كما صرّح هو به فى غير موضع و حينئذ تندفع شبهتها عنه.

و قوله :فلمّا أفضت.إلى قوله:فاقتديته.

وجه الجواب دلّ به على صغرى القياس فيه،و خلاصته:أى إنّما أحكم بالكتاب فأتّبعته و أقتدى بالسنّه،و تقدير الكبرى و كلّ من فعل ذلك فلا حاجه

ص:١١

به فى الحكم إلى الرأى.

و قوله،فلم أحتج.إلى قوله،غيركما.

كالنتيجه.

و قوله:و لا وقع حكم جهلته.

أحد الأقسام الّتى استفهم عنها على سبيل الإنكار أوّلا قد صرّح بإنكاره هاهنا و منعه على تقدير دعواهم له.ثمّ بتسليمه تسليم جدل أنّه لو وقع لم يكن يرغب عنهما و لا عن غيرهما من المسلمين و الاستشاره فيه.ثمّ ذكر الأمر الثانى ممّا نقماه عليه فقال :و أمّا ما ذكرتما من الأمر الأسوه:أى اسوتكما بغير كما فى العطاء، و أجاب عنه بقوله:فإنّ ذلك أمر.إلى قوله:حكمه.

فقوله:و لاولّيته هوى منّى.

أى لم أجعل الحاكم فى ذلك هواى،و روى و لا ولّيته هوى منّى على أن يكون هوى مفعولا له:و خلاصته أنّ حكمى بالتسويه فى القسمه لم يكن عن رأى منّى و لا هوى أتّبعته و لكن وجدته أنا و أنتم قد فرغ اللّه منه:أى من القضاء به فى اللوح المحفوظ و إنزاله،و يقال للأمر الثابت الّذى لا يحتاج إلى إيجاد أو تكميل مفروغ منه، مجاز و نسبه الفراغ إلى اللّه مجاز لمناسبته ما قضاه بفعل العبد الّذى فرغ من عمله.

و قوله:فلم أحتج إليكما.إلى قوله:حكمه.

أى لمّا وجدته كذلك لم أمل إليكما بما يرضيكما مع مخالفته لما جاء به الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و روى فلم أحتجّ إليكما:أى فى الإرشاد إلى أحكام اللّه بعد فراغه منها.

و قوله :فليس لكما.إلى قوله.عتبى.

لازم بنتيجتى قياسيّه فى الجوابين فإنّه لمّا ثبت أنّه لا حقّ لهما فيما نقماه عليه لم يكن عليه أن يعتب .ثمّ أخذ فى الدعاء لهما و لنفسه بأخذ اللّه قلوبهم إلى الحقّ و إلهامهم الصبر عن الميول الباطله و على الحقّ.ثمّ دعا برحمه اللّه لرجل

رأى حقّا و عدلا و أعان على العمل به،أو رأى جورا و ظلما فردّه و أعان على صاحبه جذ بالهما إلى ذلك.و باللّه التوفيق.

۱۹۷-و من كلام له عليه السّلام و قد سمع قوما من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين

اشاره

إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ- وَ لَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ وَ ذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ- كَانَ أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ وَ أَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ- وَ قُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ- اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا وَ دِمَاءَهُمْ- وَ أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَ بَيْنِهِمْ وَ اهْدِهِمْ مِنْ ضَلاَلَتِهِمْ- حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ- وَ يَرْعَوِيَ عَنِ الْغَيِّ وَ الْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِهِ

اللغه

أقول: لهج به : أولع و حرص عليه .

و حاصل الفصل تأديب قومه و إرشادهم إلى السيره الحسنه و جذب لهم عن

تعويدها و تمرينها بكلام الصالحين

،و نبّه بكراهته للسبّ و النهى عنه على تحريمه، و نحوه إشاره الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بقوله:ما بعثت لعّانا و لا سبّابا.و قوله:اللهم إنّى بشر فإذا دعوت على إنسان فاجعل دعائى له لا عليه و اهده إلى الصراط المستقيم.

و قوله:لو وصفتم.إلى قوله:فى العذر.

أى لو عدلتم عن السباب إلى وصف أعمالهم و تذكيرهم بكونهم ظالمين لكم و ضالّين عن السبيل ذكرا على وجه النصيحه و الهدايه لهم .ثمّ قلتم مكان سبّكم إيّاهم هذا الدعاء لكان أصوب فى القول ممّا ذكرتموه من رذيله السباب و لأنّ فى تذكيرهم بأحوالهم و نصيحتهم إيّاهم فائده و هى رجاء أن يعودوا إلى الحقّ و لأنّ ذلك أبلغ فى العذر إليهم من غيره.إذ لكم أن تقولوا بعد ذلك إنّكم نصحتموهم و طلبتم منهم العتبى فلم يستعينوا.

و قوله:و قلتم.

عطف على قوله:وصفتم و لو مقدّره عليه و جوابها مقدّر بعد تمام الدعاء و حذفا لدلاله لو الاولى عليهما،و التقدير لو قلتم هذا الدعاء لكان أصوب و أبلغ فى العذر،و الدعاء الّذى علّمهم عليه السّلام إيّاه مطابق لصوره حال الحرب،و اشتمل على طلب حقن الدماء أوّلا-لأنّ سفك الدماء هو الخوف الحاضر،و على طلب علّته و هى إصلاح ذات البين:أى ما بيننا و بينهم من الأحوال الموجبه للافتراق حتّى يكون أحوال الفه و اتّفاق،و لمّا كانت الأحوال ملابسه للبين قيل لها:

ذات البين كقولك:اسقنى ذا إنائك:أى ما فى إنائك من الشراب،و قيل:ذات البين حقيقه الفرقه:أى صلح حقيقه الفرقه بيننا و بينهم و بدّلها بالالفه.ثمّ على طلب العلّه الحاسمه للفرقه الموجبه لاصلاحها و هى هداهم من ضلالتهم بمعرفه من جهل الحقّ له و ارعوا به من غباوته،و هى طرف التفريط من فضيله الحكمه، و عداوته و هو طرف الإفراط من فضيله العدل،و قد كانت الرذيلتان فى أصحاب معاويه فإنّه لمّا قصرت وطئتهم عن وجه الحقّ و غلبت عليهم الشبهه بغوا و تعدّوا و لهجوا بعدوانهم،و روى عوض الغىّ العمى و هو عمى البصيره و غباوتها.

۱۹۸-و قال عليه السّلام

اشاره

فى بعض أيام صفين و قد رأى الحسن عليه السلام يتسرع إلى الحرب

:اِمْلِكُوا عَنِّى هَذَا الْغُلاَمَ لاَ يَهُدَّنِى- فَإِنَّنِى أَنْفَسُ بِهَذَيْنِ يَعْنِى؟الْحَسَنَ؟ وَ؟الْحُسَيْنَ ع؟- عَلَى الْمَوْتِ لِئَلاَّ يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟ قال الرضى أبو الحسن:قوله عليه السلام«املكوا عنى هذا الغلام» من أعلى الكلام و أفصحه.

ص:۱۴۰

اللغه

أقول: املکوه : شدّوه و اضبطوه .و يهدّنی : يکسرنی .و نفست بالکسر أنفس بالفتح : أی أضنّ و أبخل .

المعنی

و لمّا کان وجود الولد المنتفع ممّا يشدّ القوّه و تقوی به النفس خصوصا مثل الحسن عليه السّلام کنايه کنّی بقوله: لا يهدّنی علی تقدير هلاکه عن إضعافه لرکنه و انکسار نفسه بذلک .ثمّ علی علّه اخری لوجوب المحافظه عليه مع أخيه عليهما السّلام و هی المحافظه علی نسل الرسول صلّی اللّه عليه و آله و سلّم.

۱۹۹-و قال عليه السّلام

اشاره

لما اضطرب عليه أصحابه فی أمر الحکومه

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِی مَعَکُمْ عَلَی مَا أُحِبُّ- حَتَّی نَهِکَتْکُمُ الْحَرْبُ- وَ قَدْ وَ اللَّهِ أَخَذَتْ مِنْکُمْ وَ تَرَکَتْ- وَ هِیَ لِعَدُوِّکُمْ أَنْهَکُ-.لَقَدْ کُنْتُ أَمْسِ أَمِيراً فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُوراً- وَ کُنْتُ أَمْسِ نَاهِياً فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَنْهِيّاً- وَ قَدْ أَحْبَبْتُمُ الْبَقَاءَ وَ لَيْسَ لِی أَنْ أَحْمِلَکُمْ عَلَی مَا تَکْرَهُونَ

اللغه

أقول: نهکتکم : خلقتکم .

المعنی

استعاره فقوله: علی ما أحبّ .

أی من الطاعه لی،و لفظ النهک و استناده إلی الحرب استعاره لاضعافها لهم ملاحظه لشبههم بالثوب الّذی أخلقه اللبس،و تشبّهها بمستعمله فی کونها سببا لذلک الإضعاف:أی لم أزل کذلک إلی تلک الغايه.

کنايه و قوله: و اللّه أخذت منکم و ترکت .

کنايه عن تصرّفها فيهم بوجوه التصرّف و هو کالعذر لهم ،و إرادته بقوله:

و هی لعدوّکم أنهک لکی لا يتعاجزوا بعذر إنها کهالهم .ثمّ أخذ فی التشکّی منهم إليهم

و عتابهم على عصيانهم له و حكمهم عليه بالرجوع إلى التحكيم حتّى صار مأمورا لهم و منهيّا بعد كونه آمرا فيهم و ناهيا،و ذلك من معكوس الحكم و مضادّ لما ينبغى لهم.

و قوله:و قد أحببتم البقاء.

أى بترك القتال و هو كالتوبيخ لهم على ذلك.

و قوله:و ليس.إلى آخره.

أى ليس لى قدره على ذلك و إن كان له ذلك بحسب المصلحه و الشرع.

۲۰۰-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

بالبصره،

و قد دخل على العلاء بن زياد الحارثى-و هو من أصحابه- يعوده،فلما رأى سعه داره قال :

مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسَعَهِ هَذِهِ الدَّارِ فِى الدُّنْيَا- أَمَا أَنْتَ إِلَيْهَا فِى الْآخِرَهِ كُنْتَ أَحْوَجَ- وَ بَلَى إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَهَ- تَقْرِى فِيهَا الضَّيْفَ وَ تَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ- وَ تُطْلِعُ مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا- فَإِذاً أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَهَ- فَقَالَ لَهُ؟الْعَلاَءُ؟يَا؟أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ أَشْكُو إِلَيْكَ أَخِى؟عَاصِمَ بْنَ زِيَادٍ؟- قَالَ وَ مَا لَهُ- قَالَ لَبِسَ الْعَبَاءَهَ وَ تَخَلَّى عَنِ الدُّنْيَا- قَالَ عَلَيَّ بِهِ فَلَمَّا جَاءَ قَالَ- يَا عُدَيَّ نَفْسِهِ لَقَدِ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ- أَ مَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَ وَلَدَكَ- أَ تَرَى اللَّهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ وَ هُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا- أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ- قَالَ يَا؟أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟- هَذَا أَنْتَ فِى خُشُونَهِ مَلْبَسِكَ وَ جُشُوبَهِ مَأْكَلِكَ- قَالَ وَيْحَكَ إِنِّى لَسْتُ كَأَنْتَ- إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَى أَئِمَّهِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَهِ النَّاسِ- كَيْلاَ يَتَبَيَّغَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ

ص:۱۶

اللغه

أقول: استهام بک : أی أذهبک لوجهک،و زیّن لک الهیام،و هو الذهاب فی التیه .و جشوبه المأکل : غلظته و خشونته،و قیل:الطعام الجشب:الّذی لا إدام معه .و تبیّغ : تهیّج .

المعنی

و قد استفهمه عن غرضه فی توسعه داره استفهام توبیخ و إنکار لما أنّ ذلک ینافی الزهد فی الدنیا و الحرص فی الآخره.ثمّ عن کونه أحوج إلیها فی الآخره استفهام تثبیت و تقریر،و أراد أنّک لو کنت أنفقت ما أخرجته علی بنائها من المال فی سبیل اللّه لکان أولی و لکنت إلیه أحوج منها،و فی روایه بإثبات الهمزه مع ما فی قوله:ما أنت.

و قوله:و بلی.إلی آخره.

هدایه له إلی وجوه استعمالها فی مرضات اللّه و التقرّب بها إلیه بعد التفریط فی بنائها،و عدّ وجوه المبارّ المتعلّقه بها.و مطالع الحقوق وجوهها الشرعیّه المتعلّقه به کالزکاه و الصدقه و غیرهما،و ظاهر کونها مبلّغه إلی الآخره عند إخراج تلک الحقوق منها و فیها،و مقرّ به إلی اللّه.

و قوله:علیّ به.

ینوب مناب فعل الأمر:أی جیئوا به،و عدیّ تصغیر عدوّ،و أصله عدیو و فحذفوا إحدی الواوین و قلّبوا الثانیه یاء تخفیفا و ادغموا فیها یاء التصغیر،و إنّما صغّره استصغارا له باعتبار أنّ شیطانه لم یعدّه إلی کبیره بل قاده إلی أمرو إن کان خارجا به عن الشریعه إلاّ أنّه قریب من السلامه،و دخل علیه بالخدعه فی رأی الصالحین،و کان شیطانه بذلک الاعتبار صغیرا بالنسبه إلی شیطان آخر و هو باعتبار القیاده لذلک الوسواس عدّی نفسه،و قیل:بل صغّره من جهه حقاره فعله ذلک لکونه عن جهل منه و إنّما منعه من هذه الطریقه لکونه لم یترک الدنیا علی وجه الترک بل کان لمشارکه هواه لعقله،و کان ترکه ذلک مستلزما لإهمال حقوق تجب علیه فی الشریعه و تلزمه فتبّه بقوله:لقد استهام بک الخبیث علی أنّ فعله ذلک عن مشارکه الشیطان و لم یکن عن عقلیّه خالصه،و بقوله:

أما رحمت أهلک و ولدک علی الحقوق اللازمه له من قبلهم،و قد أهملها بفعله ذلک.

استفهام توبيخى فقوله: أ ترى اللّه.إلى قوله:ذلك .

فى مقام التوبيخ له على ذلك الترك و هو كقوله تعالى «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَهَ اللّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ» (۱)الآيه ،و الحاصل أنّ ترك الدنيا بالكلّيّه ليس هو مطلوب الشارع من الزهد فيها و التخلّى عنها لأنّ الشارع يراعى نظام العالم باشتراك الخلق فى عماره الدنيا و تعاونهم على المصالح بقاء النوع الإنسانىّ و ترك الدنيا و إهمالها بالكلّيّه يعدم ذلك النظام و ينافيه بل الّذى يأمر به الشارع القصد فى الدنيا و استعمال متاعها على القوانين الّتى وردت بها الرسل و الوقوف فيها عند الحدود المضروبه فى شرايعهم دون تعدّيها كما أشار إليه عليه السّلام من منع هذا الرجل،و أمّا السالكون من الصوفيّه بعد عصر الصحابه فهم على الطريقين:فمنهم من يختار القشف و ترك الطيّبات و هجر اللذّات رأسا، و منهم من يؤثر الترف،و الّذى يفعله المحقّقون من السالكين من التقشّف فلا ينافى الشريعه لعلمهم بأسرارها و طريقتهم تلك أقرب إلى السلامه من طريق المترفين لكون الترف مجال الشيطان،و قد كان سلوك الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و علىّ عليه السّلام و جماعه من أكابر الصحابه أميل إلى طريق التقشّف لكن مع مشاركتهم لأهل الدنيا فى تدبير أحوال المدن و صلاح العالم غير منقطعين عن أهلها و لا منعزلين فأمّا اعتراض عاصم على علىّ عليه السّلام فى نهيه له فحاصله أنّه قاس نفسه فى ترك الدنيا عليه،و تقديره إنّك إذا نهيتنى عن ذلك فكيف بك؟:أى فكيف بما أرى من هذه الحال و أنت المقتدى به،أو فكيف أصنع بك مع الحال الّتى أنت عليها،و إنّما ينبغى لى أن أقتدى بك فأجابه عليه السّلام بجواب إقناعىّ بيّن فيه الفرق بينه و بينه، و هو إنّى إنّما فعلت ذلك لكونى إماما و كلّ إمام فرض اللّه عليه أن يقدّر نفسه بضعفه الناس:أى ليسويّها بهم فى حالهم كيلا يهيّج بالفقير فقره فيضعف عن حلمه فيكفر أو يفسق و قد كان عليه السّلام قبل الخلافه كذلك،و الجواب المحقّق هو ما قلناه من كون هذه الطريق أسلم،و أمّا الفرق بينهما فيرجع إلى أنّ عاصما

۱- ۱) ۳۰-۷.

سلک على غير علم بكيفيّه السلوک مع ترک الحقوق الّتى تلزمه لأهله و ولده فكانت حاله الّتى فارقها أولى به.و باللّه التوفيق.

٢٠١-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

و قد سأله سائل عن أحاديث البدع،و عما فى أيدى الناس من اختلاف الخبر فقال عليه السّلام :

إِنَّ فِی أَيْدِی النَّاسِ حَقّاً وَ بَاطِلاً- وَ صِدْقاً وَ کَذِباً وَ نَاسِخاً وَ مَنْسُوخاً- وَ عَامّاً وَ خَاصّاً- وَ مُحْکَماً وَ مُتَشَابِهاً وَ حِفْظاً وَ وَهْماً- وَ لَقَدْ کُذِبَ عَلَی؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟ عَلَی عَهْدِهِ- حَتَّی قَامَ خَطِيباً فَقَالَ- مَنْ کَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ- وَ إِنَّمَا أَتَاکَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَهُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلْإِيمَانِ مُتَصَنِّعٌ بِالْإِسْلاَمِ- لاَ يَتَأَثَّمُ وَ لاَ يَتَحَرَّجُ- يَکْذِبُ عَلَی؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟ مُتَعَمِّداً- فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ کَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ- وَ لَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ- وَ لَکِنَّهُمْ قَالُوا صَاحِبُ ؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟- رَآهُ وَ سَمِعَ مِنْهُ وَ لَقِفَ عَنْهُ فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ- وَ قَدْ أَخْبَرَکَ اللَّهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَکَ- وَ وَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَکَ ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ- فَتَقَرَّبُوا إِلَی أَئِمَّهِ الضَّلاَلَهِ- وَ الدُّعَاهِ إِلَی النَّارِ بِالزُّورِ وَ الْبُهْتَانِ- فَوَلَّوْهُمُ الْأَعْمَالَ وَ جَعَلُوهُمْ

ص:١٩

حُكّاماً عَلَى رِقَابِ النَّاسِ- فَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا وَ إِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ وَ الدُّنْيَا- إِلاَّ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ فَهَذَا أَحَدُ الْأَرْبَعَةِ وَ رَجُلٌ سَمِعَ مِنْ؟رَسُولِ اللَّهِ؟ شَيْئاً لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ- فَوَهِمَ فِيهِ وَ لَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِباً فَهُوَ فِي يَدَيْهِ- وَ يَرْوِيهِ وَ يَعْمَلُ بِهِ- وَ يَقُولُ أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟- فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهِمَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْهُ- وَ لَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذَلِكَ لَرَفَضَهُ وَ رَجُلٌ ثَالِثٌ سَمِعَ مِنْ؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟ شَيْئاً- يَأْمُرُ بِهِ ثُمَّ إِنَّهُ نَهَى عَنْهُ وَ هُوَ لاَ يَعْلَمُ- أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَ هُوَ لاَ يَعْلَمُ- فَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ وَ لَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ- فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ- وَ لَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ وَ آخَرُ رَابِعٌ- لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللَّهِ وَ لاَ عَلَى رَسُولِهِ- مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفاً مِنَ اللَّهِ وَ تَعْظِيماً؟لِرَسُولِ اللَّهِ ص؟- وَ لَمْ يَهِمْ بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ- فَجَاءَ بِهِ عَلَى سَمْعِهِ- لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَ لَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ- فَهُوَ حَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ- وَ حَفِظَ الْمَنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ- وَ عَرَفَ الْخَاصَّ وَ الْعَامَّ فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ- وَ عَرَفَ الْمُتَشَابِهَ- وَ مُحْكَمَهُ

وَ قَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟ الْكَلاَمُ- لَهُ وَجْهَانِ فَكَلاَمٌ خَاصٌّ وَ كَلاَمٌ عَامٌّ- فَيَسْمَعُهُ مَنْ لاَ يَعْرِفُ مَا عَنَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِهِ- وَ لاَ مَا عَنَى؟رَسُولُ اللَّهِ ص؟- فَيَحْمِلُهُ السَّامِعُ وَ يُوَجِّهُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ- وَ مَا قُصِدَ بِهِ وَ مَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ- وَ لَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ ؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟ مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَ يَسْتَفْهِمُهُ- حَتَّى إِنْ كَانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ الْأَعْرَابِيُّ وَ الطَّارِئُ- فَيَسْأَلَهُ ع حَتَّى يَسْمَعُوا- وَ كَانَ لاَ يَمُرُّ بِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ إِلاَّ سَأَلْتُهُ عَنْهُ وَ حَفِظْتُهُ- فَهَذِهِ وُجُوهُ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي اخْتِلاَفِهِمْ وَ عِلَلِهِمْ فِي رِوَايَاتِهِمْ

اللغه

أقول: أحاديث البدع : أي الأحاديث المبتدعه بعد الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم المنقوله عنه،و ما يبتنى عليها من الأفعال المبتدعه فى الدين بدعه أيضا .و تبوّء مقعده :

نزله و استقرّ فيه .و لقف عنه : تناول بسرعه .و وهم بالكسر:غلط،و بالفتح ذهب وهمه إلى شيء و هو يريد غيره .و جنّب عنه : أخذ عنه جانبا .

المعنى

و قوله: إنّ فى أيدى الناس .إلى قوله: و حفظا و وهما .

تعديد لأنواع الكلام الواقع إلى الناس نقلا عن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الصدق و الكذب من خواصّ الخبر،و الحقّ و الباطل أعمّ منهما لصدقهما على الأفعال و على الناسخ و المنسوخ و العامّ و الخاصّ و المتشابه،و قد مضى تفسير هذه المفهومات،و أمّا الحفظ فهو ما حفظ عن رسول اللّه كما هو،و الوهم ما غلط فيه و وهم مثلا أنّه عامّ و هو خاصّ أو أنّه ثابت و هو منسوخ إلى غير ذلك .

و قوله:قد كذب على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على عهده.إلى قوله:النار.

فذلك الكذب نحو ما روى أنّ رجلا سرق رداء الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و خرج إلى قوم و قال هذا رداء محمّد أعطانيه لتمكّنونى من تلك المرأه و استنكروا ذلك فبعثوا من سأل الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن ذلك فقام الرجل الكاذب فشرب ماء فلدغته حيّه فمات،و كان النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حين سمع بتلك الحال قال لعلىّ:خذ السيف و انطلق فإن وجدته و قد كفيت فاحرقه بالنار فجائه و أمر بإحراقه فكان ذلك سبب الخبر المذكور،و اعلم أنّ العلماء ذكروا فى بيان أنّه لا بدّ أن يكذّب عليه دليلا فقالوا:قد نقل عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال:سيكذّب علىّ فإن كان الخبر صدقا فلا بد أن يكذّب عليه،و إن كان كذبا فقد كذّب عليه .ثمّ شرع فى قسمه رجال الحديث و قسّمهم إلى أربعه أقسام،و دلّ الحصر بقوله:ليس لهم خامس،و وجه الحصر فى الأقسام الأربعه أنّ الناقل للحديث عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم المتسمّين بالإسلام إمّا منافق أولا،و الثانى إمّا أن يكون قد وهم فيه أولا،و الثانى إمّا أن لا يكون قد عرف ما يتعلّق به من شرائط الروايه أو يكون.فالأوّل و هو المنافق ينقل كما أراد سواء كان أصل الحديث كذبا أو أنّ له أصلا حرّفه و زاد فيه و نقص بحسب هواه فهو ضالّ مضلّ تعمّدا و قصدا،و الثانى يرويه كما فهم و وهم فهو ضالّ مضلّ سهوا،و الثالث يروى ما سمع فضلا له و إضلاله عرضىّ،و الرابع يؤدّيه كما سمعه و كما هو فهو هادّ مهدىّ فأشار عليه السّلام إلى القسم الأوّل بقوله:

رجل منافق.إلى قوله:فهذا أحد الأربعه.

فقوله:متصنّع بالإسلام.

أى يظهره شعارا له.

و قوله:لا يتأثّم.

أى:لا يعرف بالإثم و لزوم العقاب عليه فى الآخره فلا يحذر منه،و وجه دخول الشبهه فى قبول قوله :كونه ظاهر الإسلام و الصحبه للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و سماع قوله مع كون الناس لا يعلمون باطنه و نفاقه و ما أخبر به اللّه تعالى عن المنافقين

کقوله «إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِی الدَّرْکِ الْأَسْفَلِ مِنَ النّارِ» (۱)و ما وصفهم به کقوله تعالی «إِذا جاءَکَ الْمُنافِقُونَ قالُوا نَشْهَدُ إِنَّکَ لَرَسُولُ اللّهِ» (۲)الآیه دلّت علی وصفهم بالکذب فی مطابقه عقایدهم لألسنتهم فی الشهاده بأنّه رسول حقّ و من کان یعتقد أنّه غیر رسول فإنّه مظنّه الکذب علیه،و أئمّه الضلالهبنو امیّه،و دعاتهم إلی النار دعاتهم إلی اتّباعهم فیما یخالف الدین،و ذلک الاتّباع مستلزم لدخول النار،و الزور و البهتان إشاره إلی ما کانوا یتقرّبون به إلی بنی امیّه من وضع الأخبار عن الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی فضلهم و أخذهم علی ذلک الأجر من اولئک الأئمّه و تولیتهم الأعمال و الإمره علی الناس.

و قوله:و إنّما الناس.إلی قوله:إلاّ من عصم.

إشاره إلی علّه فعل المنافق لما یفعل فظاهر أنّ حبّ الدنیا هو الغالب علی الناس من المنافقین و غیرهم لقربهم من المحسوس و جهلهم بأحوال الآخره و ما یراد بهم من هذه الحیاه إلاّ من هدی اللّه فعصمه بالجذب فی طریق هدایته إلیه عن محبّه الامور الباطله،و فیه إیماء إلی قلّه الصالحین کما قال تعالی «إِلاَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ وَ قَلِیلٌ ما هُمْ» و قوله «وَ قَلِیلٌ مِنْ عِبادِیَ الشَّکُورُ» و إنّما قال:ثمّ بقوا بعده علیه السّلام.ثمّ حکی حالهم مع أئمّه الضلال و إن کانت الأئمّه المشار إلیهم لم یوجدوا بعد إمّا تنزیلا لما لا بدّ منه من ذلک المعلوم له منزله الواقع أو إشاره إلی من بقی منهم بعد الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و تقرّب إلی معاویه لأنّه إذن ذاک إمام ضلاله،و أشار إلی القسم الثانی بقوله :و رجل سمع من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم شیئا لم یحفظه.إلی قوله:لرفضه، و ذلک أن یسمع من الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کلاما فیتصوّر منه معنی غیر ما یریده الرسول.

ثمّ لا یحفظ اللفظ بعینه فیورده بعبارته الدالّه علی ما تصوّره من المعنی فلا یکون قد حفظه و تصوّره علی وجهه المقصود للرسول فوهم فیه و لم یتعمّد کذبا لوهمه فهو فی یدیه یرویه و یعمل به علی وفق ما تصوّر منه و یسنده إلی الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ،و علّه دخول الشبهه علی المسلمین فیه هی عدم علمهم بوهمه،و علّه

۱- ۱) ۴۴-۱۴۴.

۲- ۲) ۱-۶۳.

دخولها علیه فی الروایه و العمل هو وهمه حین السماع حتّی لو علم ذلک لترک روایته و العمل به ،و أشار إلی القسم الثالث بقوله:و رجل سمع.إلی قوله:

لرفضه،و علّه دخول الشبهه علی الراوی و علی المسلمین واحده و هو عدم علمهم بأنّه منسوخ ،و أشار إلی القسم الرابع بقوله:و آخر رابع.إلی قوله:و محکمه.

فقوله:و عرف الخاصّ و العامّ فوضع کلّ شیء موضعه.

أی عمل بالعامّ فیما عدا صوره التخصیص.

و قوله :و قد کان یکون من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.إلی آخره.

تنبیه علی صحه القسم الثالث و داخل فیه فإنّ منهم من کان یسمع الکلام ذی الوجهین منه خاصّ و منه عامّ فلا یعرف أنّ أحدهما مخصّص الآخر أو یسمع العامّ دون الخاصّ فینقل العامّ بوجهه علی غیر معرفه معناه أو أنّه خرج علی سبب خاصّ فهو مقصور علیه و انتقل سببه فیعتقده عامّا أو أنّه عامّ فیعتقده مقصورا علی السبب و لا یعمل به فیما عدا صوره السبب فیتّبعه الناس فی ذلک.و کان قوله :

و لیس کلّ أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.إلی آخره جواب سؤال مقدّر کأن یقال:

فکیف یقع الاشتباه علیهم فی قوله مع کثرتهم و تواضعه لهم فلا یسألونه فأجاب أنّهم لیسوا بأسرهم کانوا یسألونه لاحترامهم له و تعظیمه فی قلوبهم،و إنّما کان یسأله آحاده حتّی کانوا یحبّون أن یجیء الأعرابی أو الطاریء فیسأله حتّی یسمعوا و یفتح لهم باب السؤال،و نبّه علی أنّه علیه السّلام کان یستقصی فی سؤاله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عن کلّ ما یشتبه و یحفظ جوابه لیرجع الناس إلی فضیلته و الاقتباس من أنواره.

۲۰۲-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

وَ کَانَ مِنِ اقْتِدَارِ جَبَرُوتِهِ- وَ بَدِیعِ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ- أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الزَّاخِرِ- الْمُتَرَاکِمِ الْمُتَقَاصِفِ یَبَساً جَامِداً- ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقاً- فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ بَعْدَ ارْتِتَاقِهَا فَاسْتَمْسَکَتْ بِأَمْرِهِ- وَ قَامَتْ عَلَی حَدِّهِ وَ أَرْسَی

أَرْضاً يَحْمِلُهَا الْأَخْضَرُ الْمُثْعَنْجِرُ- وَ الْقَمْقَامُ الْمُسَخَّرُ- قَدْ ذَلَّ لِأَمْرِهِ وَ أَذْعَنَ لِهَيْبَتِهِ- وَ وَقَفَ الْجَارِى مِنْهُ لِخَشْيَتِهِ- وَ جَبَلَ جَلَامِيدَهَا وَ نُشُوزَ مُتُونِهَا وَ أَطْوَادِهَا- فَأَرْسَاهَا فِى مَرَاسِيهَا- وَ أَلْزَمَهَا قَرَارَتَهَا- فَمَضَتْ رُءُوسُهَا فِى الْهَوَاءِ- وَ رَسَتْ أُصُولُهَا فِى الْمَاءِ- فَأَنْهَدَ جِبَالَهَا عَنْ سُهُولِهَا- وَ أَسَاخَ قَوَاعِدَهَا فِى مُتُونِ أَقْطَارِهَا وَ مَوَاضِعِ أَنْصَابِهَا- فَأَشْهَقَ قِلَالَهَا وَ أَطَالَ أَنْشَازَهَا- وَ جَعَلَهَا لِلْأَرْضِ عِمَاداً وَ أَرَّزَهَا فِيهَا أَوْتَاداً- فَسَكَنَتْ عَلَى حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا أَوْ تَسِيخَ بِحِمْلِهَا أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا- فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوَجَانِ مِيَاهِهَا- وَ أَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنَافِهَا- فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مِهَاداً- وَ بَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشاً- فَوْقَ بَحْرٍ لُجِّيٍّ رَاكِدٍ لَا يَجْرِى وَ قَائِمٍ لَا يَسْرِى- تُكَرْكِرُهُ الرِّيَاحُ الْعَوَاصِفُ- وَ تَمْخُضُهُ الْغَمَامُ الذَّوَارِفُ- «إِنَّ فِى ذلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشى»

اللغه

أقول: تعاصفه : تراد أمواجه و تلاطمها و كسر بعضها بعضا .و المثعنجر:

السيال الكثير الماء .و القمقام : البحر.قيل:سمّى بذلك لاجتماعه .و جبل : خلق .

و جلاميدها : صخورها .و أنهد : رفع .و أساخ : أدخل .و أنصابها : جمع نصب و هو ما انتصب فيها .و الأنشاز : جمع نشز و هو العوالى منها .و أرّزها فيها : أى وكّرها و غرزها،و روى أرزها مخففه:أى أثبتها،و عليه نسخه الرضىّ و الاولى أصحّ و أظهر .و أكنافها : أقطارها .و تكركره : تردّده و تصرّفه .

المعنى

اشاره

و قد أشار فى هذا الفصل إلى أنّ أصل الأجرام الأرضيّه و السماويّه و مادّتها هو الماء،و وصف كيفيّه خلقتها عنه و كيفيّه خلقه الأرض و السماوات و

ص:25

الجبال،و قد مرّ بیان کلّ ذلک مستقصی فی الخطبه الأولی،

و فی هذا الفصل فواید:

الأولی

:أنّه لمّا کانت هذه الأجرام فی غایه القوّه و العظمه و مع ذلک ففیها من عجائب الصنع و بدایعه ما یبهر العقول و یعجزها عن کیفیّه شرحه لا جرم نسبها إلی اقتدار جبروته و عظمته و بدیع لطائف صنعته تنبیها بالاعتبار الاولی علی أنّه الأعظم المطلق،و بالثانی علی لطفه و حکمته التامّه، کنایه و کنّی بالیبس الجامد عن الأرض .

الثانیه

:الضمیر فی منه للبحر و فی حدّه إمّا للّه أو لأمره کنایه و قیامها علی حدّه کنایه عن وقوفها علی ما حدّه من المقدار و الشکل و الهیئه و النهایات و نحوها و عدم خروجها عن ذلک و تجاوزها له ،و الضمیر المنصوب فی یحملها لمعنی الیبس الجامد و هو الأرض ،و کذلک فی جلامیدها و ما بعده فی أرساها و ما بعده للجبال، و فی جبالها و سهو لها و أقطارها للأرض،و فی قواعدها و قلالها و أنشازها للجبال، و قد عرفت کیفیّه ذلک الخلق فیما حکاه علیه السّلام فی الخطبه الاولی من ثوران الزبد بالریح و ارتفاعه إلی الجوّ الواسع و تکوین السماوات عنه.

الثالثه

:ذلّه البحر لأمره و إذعانه لهیبته دخوله تحت الإمکان و الحاجه إلی قدرته و تصریفها له،و هو من باب الاستعاره .

الرابعه

:قوله:علی حرکتها:أی حال حرکتها لأنّ علی تفید الحال، و قوله:تسیخ بحملها یفهم منه أنّه لو لا الجبال کونها أوتادا للأرض لمادّت و ساخت بأهلها.فأمّا کونها مانعه لها من المیدان فقد عرفت وجهه فی الخطبه الاولی، و أمّا کونها تسیخ لولاها فلأنّها إذا مادّت انقلبت بأهلها فغاص الوجه الّذی هم علیه و ذلک مراده بسیخها فالمانع بها من المیدان هو المانع بها أن تسیخ أو تزول عن موضعها .

الخامسه

:أشار بإجمادها بعد رطوبه أکنافها إلی أنّ أصلها من زبد الماء کما اشیر إلیه من قبل،و یحتمل أن یشیر بذلک إلی ما کان مغمورا بالماء منها.

ثمّ سال الماء عنه إلی مواضع أسفل منه فخلا و جفّ و هی مواضع کثیره مسکونه

و غیر مسکونه .

السادسه

قوله:تمخضه الغمام الذوارف إشاره إلی أنّ البحر إذا وقع فیه المطر یریح و یتمخض و یضطرب کثیرا و ذلک لتحریک أوقع المطر له بکثرته و قوّته أو لکثره اقتران المطر بالریاح فتموّجه،و أغلبها تحریکا له الریاح الجنوبیّه لانکشافه لها،و قد شاهدنا ذلک کثیرا.

السابعه

:لمّا عدّد المخلوقات المذکوره و تصریف القدره الربّانیّه لها قال:

إنّ فی ذلک لعبره لمن یخشی تنبیها علی وجوه الاعتبار بها لمن یخشی اللّه،و أراد العلماء لانحصار الخشیه فیهم بقوله تعالی «إِنَّما یَخْشَی اللّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ» (۱)و باللّه التوفیق.

۲۰۳-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

اَللَّهُمَّ أَیُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِکَ- سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَهَ غَیْرَ الْجَائِرَهِ- وَ الْمُصْلِحَهَ غَیْرَ الْمُفْسِدَهِ فِی الدِّینِ وَ الدُّنْیَا- فَأَبَی بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلاَّ النُّکُوصَ عَنْ نُصْرَتِکَ- وَ الْإِبْطَاءَ عَنْ إِعْزَازِ دِینِکَ- فَإِنَّا نَسْتَشْهِدُکَ عَلَیْهِ یَا أَکْبَرَ الشَّاهِدِینَ شَهَادَهً- وَ نَسْتَشْهِدُ عَلَیْهِ جَمِیعَ مَا أَسْکَنْتَهُ أَرْضَکَ وَ سمَاوَاتِکَ- ثُمَّ أَنْتَ بَعْدَهُ الْمُغْنِی عَنْ نَصْرِهِ- وَ الْآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ

اللغه

أقول: النکوص : الرجوع علی الأعقاب .

و هذا الفصل من خطبه کان یستنهض بها أصحابه إلی جهاد أهل الشام قال بعد تقاعد أکثرهم عن نصرته .استشهد فیه اللّه تعالی و ملائکته و عباده علی من سمع مقالته العادله المستقیمه الّتی هی طریق اللّه القایده للناس إلی الرشاد فی دینهم و

۱- ۱) ۲۵-۳۵.

دنياهم المصلحه غير المفسده لهم و هى دعوته إيّاهم إلى جهاد أعداء الدين و البغاه عليه.ثمّ أعرض عنها و قعد عن نصرته و تباطىء عن إعزاز دينه و أبى إلاّ التأخّر عن طاعته،و فى ذلك الاستشهاد ترغيب إلى الجهاد و تنفير عن التأخّر عنه.إذ كان كأنّه إعلام للّه بحال المتخاذلين عن نصره دينه و قعودهم عمّا أمرهم به من الذبّ عنه فتتحرّك أوهامهم لذلك بالفزع إلى طاعته،و كذلك فى وصفه لمقالته بالعدل و الإصلاح ترغيب فى سماعها و جذب إليها.و فى قوله:ثمّ أنت بعد:أى بعد تلك الشهاده عليه المغنى لنا عن نصرته تنبيه على عظمه ملك اللّه،و تحقير للنفوس المتخاذله عن نصره الدين،و فى ذلك الأخذ بالذنب تذكير بوعيد اللّه و أنّ فى ذلك التخاذل ذنب عظيم يؤخذ به العبد.و باللّه التوفيق.

۲۰۴-و من خطبه له عليه السّلام

القسم الأول

اشاره

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ عَنْ شَبَهِ الْمَخْلُوقِينَ- الْغَالِبِ لِمَقَالِ الْوَاصِفِينَ- الظَّاهِرِ بِعَجَائِبِ تَدْبِيرِهِ لِلنَّاظِرِينَ- وَ الْبَاطِنِ بِجَلاَلِ عِزَّتِهِ عَنْ فِكْرِ الْمُتَوَهِّمِينَ- الْعَالِمِ بِلاَ اكْتِسَابٍ وَ لاَ ازْدِيَادٍ- وَ لاَ عِلْمٍ مُسْتَفَادٍ- الْمُقَدِّرِ لِجَمِيعِ الْأُمُورِ بِلاَ رَوِيَّةٍ وَ لاَ ضَمِيرٍ- الَّذِى لاَ تَغْشَاهُ الظُّلَمُ وَ لاَ يَسْتَضِىءُ بِالْأَنْوَارِ- وَ لاَ يَرْهَقُهُ لَيْلٌ وَ لاَ يَجْرِى عَلَيْهِ نَهَارٌ- لَيْسَ إِدْرَاكُهُ بِالْإِبْصَارِ وَ لاَ عِلْمُهُ بِالْإِخْبَارِ

أقول:حمد اللّه تعالى باعتبارات إضافيّه و سلبيّه:

أولها:العلىّ عن شبه المخلوقين

:أى فى ذاته و صفاته و أفعاله و أقواله،و قد علمت كيفيّه ذلك من غير مرّه.

الثانى:الغالب لمقال الواصفين

،و ذلك الغلب إشاره إلى تعاليه عن إحاطه الأوصاف به و فوته لها و عدم القدره على ذلك منه،و قد أشرنا إلى ذلك مرارا.

الثالث:الظاهر بعجائب تدبيره للناظرين

بأعين بصايرهم و أبصارهم.

الرابع:الباطن بجلال عزّته عن فكر المتوهّمين.

و قـد مرّ بيان هذين الوصـفين و فايده قوله:بجلال عزّته تنزيه بطونه عن الفكر باعتبار جلالته و عزّته عن أن تناله لا باعتبار حقاره و صغر،و إنّما قال:فكر المتوهّمين لأنّ النفس الإنسانيّه حال التفاتها إلى اسـتلاحه الامور العلويّه المجردّه لا بدّ أنّ يسـتعين بالقوّه المتخيّله بياعث الوهم فى أن تصوّر تلك الامور بصور خياليّه مناسبه لتشبيهها بها و تحطّها إلى الخيال،و قد علمت أنّ الوهم إنّما يـدرك مـا كـان متعلّقـا بمحسوس أو متخيّل من المحسوسات فكلّ أمر يتصوّره الإنسان و هو فى هـذا العالم سواء كان ذات اللّه سبحـانه أو صـفاته أو غير ذلك فلا بـدّ أن يكون مشوبا بصوره خياليّه أو معلّقا بها و هو تعالى منزّه بجلال عزّته عن تكيّف تلك الفكر له و باطن عنها .

الخامس:العالم المنزّه فى كيفيّه علمه عن اكتساب له بعد جهل أو ازدياد

منه بعد نقصان أو استفاده له عن غير كما عليه علم المخلوقين.

السادس:المقدّر لجميع الامور

:أى الموجد لجميع الامور على وفق قضائه كلاّ بمقدار معلوم تنزّه فيه عن التفكّر و الضمير،و أراد بالضمير ما اضمر من الرويّه .

السابع:الّذى لا تغشاه الظلم،و لا يستضىء بالأنوار

لتنزّهه عن الجسميّه و لواحقها.

الثامن:و لا يرهقه

:أى لا يدركه ليل.و لا يجرى عليه نهار،و ذلك لتنزّهه عن إحاطه الزمان.

التاسع:ليس إدراكه بالأبصار

لتقدّس ذاته عن الحاجه إلى الآله فى الإدراك و غيره.

العاشر:و لا علمه بالأخبار

:أى كما عليه كثير من علومنا لتقدّسه عن حاسّه السمع.و باللّه التوفيق.

القسم الثانی و منها فی ذکر النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:

اشاره

أَرْسَلَهُ بِالضِّیَاءِ وَ قَدَّمَهُ فِی الِاصْطِفَاءِ- فَرَتَقَ بِهِ الْمَفَاتِقَ وَ سَاوَرَ بِهِ الْمُغَالِبَ- وَ ذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَهَ وَ سَهَّلَ بِهِ الْحُزُونَهَ- حَتَّی سَرَّحَ الضَّلَالَ عَنْ یَمِینٍ وَ شِمَالٍ

اللغه

أقول: المساوره : المواثبه .و سرّح : فرّق .

و قد أشار إلی بعض فضائل النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و بعض فوایده

استعاره فمن فضائله إرساله بالضیاء ،و لفظ الضیاء مستعار لأنوار الإسلام الهادیه فی سبیل اللّه إلیه ،و منها تقدیمه علی سائر الأنبیاء فی الفضیله و إن کان الکلّ منهم مصطفی،و ذکر من فوایده استعاره بالکنایه کونه رتق به المفاتق ،و کنّی بها عن امور العالم المتفرّقه و تشتّت مصالحه زمان الفتره،و رتقها به کنایه عن نظمها به بعد تفرّقها کنایه بالمستعار ،و منها مجاز کونه ساور به المغالب ،و أسند المساوره إلی اللّه مجازا باعتبار بعثه للنبیّ بالدین عن أمره لمواثبه مغالبه من المشرکین و غیرهم ،و منها کونه ذلّل به الصعوبه:أی صعوبه أهل الجاهلیّه و أعداء دین اللّه، استعاره و منها کونه سهّل به الحزونه :أی حزونه طریق اللّه بهدایته فیها إلی غایه أن سرّح الضلال و الجهل عن یمین النفوس و شمالها،و هو إشاره إلی إلقائه رذیلتی التفریط و الإفراط عن ظهور النفوس کسریح جنبتی الحمل عن ظهر الدابه،و هو من ألطف الاستعارات و أبلغها ،و باللّه التوفیق.

۲۰۵-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

وَ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلَ وَ حَکَمٌ فَصَلَ- وَ أَشْهَدُ أَنَّ؟مُحَمَّداً؟ عَبْدُهُ وَ سَیِّدُ عِبَادِهِ- کُلَّمَا نَسَخَ اللَّهُ الْخَلْقَ فِرْقَتَیْنِ جَعَلَهُ فِی خَیْرِهِمَا- لَمْ یُسْهِمْ فِیهِ عَاهِرٌ وَ لَا ضَرَبَ فِیهِ فَاجِرٌ- أَلَا وَ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ لِلْخَیْرِ أَهْلًا- وَ لِلْحَقِّ دَعَائِمَ وَ لِلطَّاعَهِ- عِصَماً- وَ إِنَّ

لَكَمْ عِنْدَ كُلِّ طَاعَهٍ عَوْناً مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ- يَقُولُ عَلَى الْأَلْسِنَهِ وَ يُثَبِّتُ الْأَفْئِدَهَ- فِيهِ كِفَاءٌ لِمُكْتَفٍ وَ شِفَاءٌ لِمُشْتَفٍ وَ اعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمَهُ- يَصُونُونَ مَصُونَهُ وَ يُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ- يَتَوَاصَلُونَ بِالْوِلاَيَهِ- وَ يَتَلاَقَوْنَ بِالْمَحَبَّهِ وَ يَتَسَاقَوْنَ بِكَأْسٍ رَوِيَّهٍ- وَ يَصْدُرُونَ بِرِيَّهٍ لاَ تَشُوبُهُمُ الرِّيبَهُ- وَ لاَ تُسْرِعُ فِيهِمُ الْغِيبَهُ- عَلَى ذَلِكَ عَقَدَ خَلْقَهُمْ وَ أَخْلاَقَهُمْ- فَعَلَيْهِ يَتَحَابُّونَ وَ بِهِ يَتَوَاصَلُونَ- فَكَانُوا كَتَفَاضُلِ الْبَذْرِ يُنْتَقَى فَيُؤْخَذُ مِنْهُ وَ يُلْقَى- قَدْ مَيَّزَهُ التَّخْلِيصُ وَ هَذَّبَهُ التَّمْحِيصُ فَلْيَقْبَلِ امْرُؤٌ كَرَامَهً بِقَبُولِهَا- وَ لْيَحْذَرْ قَارِعَهً قَبْلَ حُلُولِهَا- وَ لْيَنْظُرِ امْرُؤٌ فِي قَصِيرِ أَيَّامِهِ وَ قَلِيلِ مُقَامِهِ فِي مَنْزِلٍ- حَتَّى يَسْتَبْدِلَ بِهِ مَنْزِلاً- فَلْيَصْنَعْ لِمُتَحَوَّلِهِ وَ مَعَارِفِ مُنْتَقَلِهِ- فَطُوبَى لِذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ- أَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ وَ تَجَنَّبَ مَنْ يُرْدِيهِ- وَ أَصَابَ سَبِيلَ السَّلاَمَهِ بِبَصَرِ مَنْ بَصَّرَهُ- وَ طَاعَهِ هَادٍ أَمَرَهُ وَ بَادَرَ الْهُدَى قَبْلَ أَنْ تُغْلَقَ أَبْوَابُهُ- وَ تُقْطَعَ أَسْبَابُهُ وَ اسْتَفْتَحَ التَّوْبَهَ وَ أَمَاطَ الْحَوْبَهَ- فَقَدْ أُقِيمَ عَلَى الطَّرِيقِ وَ هُدِيَ نَهْجَ السَّبِيلِ

اللغه

أقول: نسخ : أزال و غيّر .و العاهر : الزانى و يصدق على الذكر و الانثى، و كذلك الفاجر .و الكفاء : الكفايه و المكافاه .و الريّه بالكسر : الفعله منه الرى و هى الهيئه الّتى عليها المرتوى .و الريبه الدغل و الغلّ .و التمحيص : الابتلاء و الاختبار .و القارعه : الشديده من شدائد الدهر .و يرديه : يوقعه فى الردى و .

ص:۳۱

أماط : أزال .و الحوبه : الإثم .

المعنى

مجاز من باب إطلاق اسم اللازم على ملزومه و أطلق لفظ العدل على العادل مجازا إطلاقا لاسم اللازم على ملزومه،و البارى تعالى عادل بالنظر إلى علمه و قضائه:أى لا يقضى فى ملكه بأمر إلاّ و هو على وفق النظام الكلّىّ و الحكمه البالغه،و يدخل فى ذلک جميع أقواله و أفعاله فإنّه لا يصدر منها شىء إلاّ و هو كذلک،و أمّا الجزئيّات المعدوده شرورا و صوره جور فى هذا العالم فإنّها إذا اعتبرت كانت شرورا بالنسبه و مع ذلک فهى من لوازم الخير و العدل لا بدّ منها و لا يمكن أن يكون العدل و الخير من دونها كما لا يمكن أن يكون الإنسان إنسانا إلاّ و هو ذو شهوه و غضب تلزمها الفساد و الشرّ الجزئىّ،و لمّا كان الخير أكثر و كان ترک الخير الكثير لأجل الشرّ القليل شرّا كثيرا فى الجود و الحكمه وجب وجود تلک الشرور الجزئيّه لوجود ملزوماتها ، و أشار بقوله:عدل إلى إيجاد العدل بالفعل ،و بقوله فى وصف الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:سيّد عباده إلى قوله:أنا سيّد ولد آدم و لا فخر.

و قوله:كلّما نسخ اللّه الخلق فرقتين.

فنسخ الخلق قسمه كلّ قرن و فرقه إلى خيار و أشرار،و القسمه يغيّر للمقسوم و إزاله عن حال إتحاده.

و قوله:جعله فى خيرهما.

إشاره إلى ما روى عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال المطّلب بن أبى وداعه:قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:أنا محمّد بن عبد اللّه بن عبد المطّلب إنّ اللّه خلق الخلق فجعلنى فى خيرهم.ثمّ جعلهم فرقتين فجعلنى فى خيرهم.ثمّ جعلهم قبايل فجعلنى فى خيرهم.ثمّ جعلهم بيوتا فجعلنى فى خيرهم فأنا خيركم بيتا و خيركم نفسا .

و قوله:لم يسهم فيه عاهر،و لا ضرب فيه فاجر.

أى لم يضرب فيه العاهر بسهم و لم يكن للفجور فى أصله شركه يقال:ضرب فى كذا بنصيب إذا كان له فيه شرک،و هو إشاره إلى طهارته من قبل أصله عن الزنا كما روى عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لم يزل ينقلنى اللّه تعالى من أصلاب الطاهرين إلى أرحام

الطاهرات،و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:لمّا خلق اللّه آدم أودع نوری فی جبينه فما زال ينقله من الآباء الأخاير إلی الامّهات الطواهر حتّی انتهی إلی عبد المطّلب،و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

ولدت من نكاح لا من سفاح .

و قوله:ألا و إنّ اللّه.إلی قوله:عصما.

ترغيب للسامعين أن يكونوا أهل الجنّه و دعائم الحقّ و عصم الطاعه،و كذلك قوله:و إنّ لكم.إلی قوله:من اللّه.جذب لهم إلی طاعته بذكر العون منه و كأنّه عنّی بالعون القرآن الكريم.

و قوله:يقول علی الألسنه،و يثبّت الأفئده.

تفصيل لوجوه العون منه تعالی،و عونه من جهه القول علی الألسنه وعده المطيعين بالثواب العظيم علی الطاعه،و مدحه لهم،و تبشيرهم بالجنّه و الرضوان منه علی ألسنه الرسل فإنّ كلّ ذلك مقوّ علی الطاعه و معين عليها،و أمّا تثبيت الأفئده فمن جهه الاستعداد لطاعه اللّه و استلاحه أنواره من كتابه العزيز و استكشاف أسراره كما قال تعالی «أَلا بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» (1)و قوله «كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلاً» (2)و إنّ فی القرآن الكريم من المواعظ و الزواجر المخوّفه ما يوجب الفزع إلی اللّه و تثبت القلوب علی طاعته للخلاص منها.

و قوله:فيه كفاء لمكتف.

أی فی ذلك القول كفايه لطالبی الاكتفاء:أی من الكمالات النفسانيّه،و شفاء لمن طلب الشفاء من أمراض الرذائل الموبقه .ثمّ نبّه علی عباد اللّه الصالحين و صفاتهم ليقتفوا آثارهم و يكونوا منهم فأعلمهم أنّهم هم الّذين استحفظهم علمه و أسرار خلقه.

فمن صفاتهم امور:

أحدها:أنّهم يصرفون ما وجب صرفه من غير أهله،و لا يضعون أسراره إلاّ فی أهله.

الثانی: استعاره يفجّرون عيونه ،و لفظ العيون مستعار إمّا لمعادنه و هی أذهان

۱- ۱) ۲۸-۱۳.

۲- ۲) ۳۴-۲۵.

الأنبياء و الأولياء و أئمّه العلماء،و إمّا لاصوله الطيّبه و حملته الّتى علموها،و يكون لفظ التفجير مستعار لإفادتها و تفريقها و تفصيلها.

الثالث:و يتواصلون بالولايه الّتى نصره بعضهم لبعض فى دين اللّه و إقامه ناموس شريعته.

الرابع:و يتلاقون بالمحبّه فيه الّتى هى مطلوب الشارع من شريعته حتّى يصيروا كنفس واحده.

الخامس: استعاره مرشحه و يتساقون بكأس رويّه .و استعار لفظ الكأس للعلم:أى تستفيد بعضهم من بعض.و رشّح بذكر الرويّه،و أراد بها تمام الإفاده.

السادس: استعاره و يصدرون بريّه :أى يصدر كلّ منهم عن الآخر بفايده قد ملأت نفسه كمالا.و لفظ الريّه مستعار.

السابع :كونهم لا تشوبهم الريبه:أى لا يتداخل بعضهم شكّ فى بعض،و لا يهمّه بنفاق أو بسوء باطن له من غلّ أو حسد.

الثامن:و لا تسرع فيهم الغيبه.و إنّما نفى عنهم سرعه الغيبه لأنّ فيهم من ليس بمعصوم فلم يكن نفيها عنهم بالكلّيّه بل استبعد وقوعها منهم،و يحتمل أن يريد أنّهم لقلّه عيوبهم لا يكاد أحد يتسرّع فيهم بغيبه.

التاسع:كونهم على ذلك عقد اللّه خلقهم:أى على ذلك الوصف و الكمال قد خلقهم على وفق قضائه لهم بذلك و أوجدهم.فعليه:أى فعلى ما عقد خلقهم عليه من الكمال يتحابّون،و به يتواصلون.

العاشر: تشبيه كونهم فى ذلك كتفاضل البذر .أى فكانوا فى فضلهم بالقياس إلى الناس كتفاضل البذر،و أشار إلى وجه الشبه بقوله:ينتقى.إلى قوله:التمحيص، و تقريره أنّهم خلاصه الناس و نقاوتهم الّذين صفاهم منهم و ميّزهم عنهم تخليص عنايه اللّه لهم بإفاضه رحمته و هدايته إلى طريقه،و خلّصهم ابتلاؤه و اختباره بأوامره.

و قوله :فليقبل امرء كرامه بقبولها.إلى آخره.

عود إلى النصيحه و الموعظه،و أراد كرامه اللّه بطاعته و ما استلزمه من

المواهب الجليله،و أراد بقبولها قبولها الحقّ التامّ على الوجه الّذى ينبغى من مراعاه مصلحتها و مراقبتها عن آثار النفاق كما قال تعالى «فَتَقَبَّلَها رَبُّها بِقَبُولٍ حَسَنٍ» (۱)و بالقارعه الّتى حذّر منها قبل حلولها قارعه الموت.ثمّ أمر أن يعتبر المرء قصر أيّام حياته و قلّه مقامه فى منزل يستلزم الإقامه القليله فيه هذه العنايه و هى أن يستبدل به منزلا آخر:أى يحلّ محلّ عبرته إقامته القصيره فى الدنيا المستلزمه لانتقاله منها إلى الآخره فإنّ فى تصوّره قلّه المقام فى هذا المنزل للعبور إلى منزل آخر عبره تامّه،و يحتمل أن تكون حتّى غايه من أمره بالنظر فى الاعتبار:

أى فلينظر فى ذلك المنزل يستبدل به غيره،و إذا كان كذلك فينبغى أن يعمل لذلك المنزل المتحوّل إليه،و لمعارف منتقله:أى لمواضع الّتى يعرف انتقاله إليها .و طوبى فعلى من الطيب قلّبوا ياءها واو للضمّه قبلها،و قيل:هى اسم شجره فى الجنّه، و قلب سليم:أى لم يتدنّس برذيله الجهل المركّب و لا بنجاسات الأخلاق الرديئه، و من يهديه إشاره إلى نفسه عليه السّلام و أئمّه الدين،و من يرديه فى مهاوى الهلاك المنافقون و أئمّه الضلاله،و إصابته لسبيل السلامه وقوفه على سبيل اللّه عند حدوده بهدايه من هداه و طاعته لها و أمره بسلوكها، استعاره مرشحه و مبادرته للهدى مسارعته إليه قبل غلق أبوابه ،و استعار لفظ الأبواب له و لأئمّه الدين من قبله،و رشّح بذكر الغلق و أراد به عدمهم أو موت الطالب،و كذلك استعار لفظ الأسباب لهم،و وجه الاستعاره كونهم وصلا إلى المراد كالجبال،و رشّح بذكر القطع و أراد به أيضا موتهم، و استفتاح التوبه استقبالها و الشروع فيها،و إماطه الحوبه إزاله الإثم عن لوح نفسه بتوبته .

و قوله:فقد اقيم.إلى آخره.

إشعار منه بإقامه أعلام اللّه و هم العلماء و الكتاب المنزل و السنّه النبويّه و الهدايه بها إلى واضح سبيله ليقتدى الناس بها و يسلكوا على بصيره.و باللّه التوفيق و العصمه.

ص:۳۵

۱- ۱) ۴۲-۳.

۲۰۶-و من دعائه له علیه السّلام

اشاره

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی» لَمْ یُصْبِحْ بِی مَیِّتاً وَ لاَ سَقِیماً- وَ لاَ مَضْرُوباً عَلَی عُرُوقِی بِسُوءٍ- وَ لاَ مَأْخُوذاً بِأَسْوَإِ عَمَلِی وَ لاَ مَقْطُوعاً دَابِرِی- وَ لاَ مُرْتَدّاً عَنْ دِینِی وَ لاَ مُنْکِراً لِرَبِّی- وَ لاَ مُسْتَوْحِشاً مِنْ إِیمَانِی وَ لاَ مُلْتَبِساً عَقْلِی- وَ لاَ مُعَذَّباً بِعَذَابِ الْأُمَمِ مِنْ قَبْلِی- أَصْبَحْتُ عَبْداً مَمْلُوکاً ظَالِماً لِنَفْسِی- لَکَ الْحُجَّهُ عَلَیَّ وَ لاَ حُجَّهَ لِی- وَ لاَ أَسْتَطِیعُ أَنْ آخُذَ إِلاَّ مَا أَعْطَیْتَنِی- وَ لاَ أَتَّقِیَ إِلاَّ مَا وَقَیْتَنِی- اللَّهُمَّ إِنِّی أَعُوذُ بِکَ أَنْ أَفْتَقِرَ فِی غِنَاکَ- أَوْ أَضِلَّ فِی هُدَاکَ أَوْ أُضَامَ فِی سُلْطَانِکَ- أَوْ أُضْطَهَدَ وَ الْأَمْرُ لَکَ- اللَّهُمَّ اجْعَلْ نَفْسِی أَوَّلَ کَرِیمَهٍ تَنْتَزِعُهَا مِنْ کَرَائِمِی- وَ أَوَّلَ وَدِیعَهٍ تَرْتَجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ نِعَمِکَ عِنْدِی- اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِکَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِکَ- أَوْ أَنْ نُفْتَتَنَ عَنْ دِینِکَ- أَوْ تَتَابَعَ بِنَا أَهْوَاؤُنَا دُونَ الْهُدَی الَّذِی جَاءَ مِنْ عِنْدِکَ

اللغه

أقول: الدابر : بقیّه الرجل و ولده و نسله .و الدابر : الظهر .و الالتباس:

الاختلاط .و اضطهد : أظلم .و التتابع : التهافت فی الشرّ و إلقاء النفس فیه .

المعنی

و قد حمد اللّه تعالی باعتبار ضروب من النعم اعترف بها و عدّ منها عشره:و هی الحیاه،و الصحّه،و السلامه من آفات العروق و أمراضها.و من الأخذ بالجریمه.

ص:۳۶

و قطع النسل،و يحتمل أن يريد بالدابر الظهر،و كنّى بالقطع عن الرمى بالدواهى العظيمه الّتى من شأنها قصم الظهر و قطع القوّ .ثمّ عن الارتداد.ثمّ عن جحود ربوبيّه اللّه.ثمّ عن الاستيحاش من الإيمان استثقاله و النفره عنه.ثمّ من اختلاط العقل.

ثمّ من التعذيب بعذاب الامم السالفه بالصواعق و الخسف و نحوها .و عقّب ذلك الحمد بالإقرار على نفسه و صفات الخضوع و الذلّه المستلزمه لاستنزال الرحمه و عدّ منها خمسه:و هى كونه عبدا مملوكا للّه تعالى.ثمّ كونه ظالما لنفسه.ثمّ كونه معترفا بحجّه اللّه عليه مقطوع الحجّه فى نفسه.ثمّ كونه معترفا بعدم استطاعه أن يأخذ إلاّ ما قسّم اللّه له و سبّب له الوصول إليه،و أنّه لا يقدر أن يتّقى من المضارّ إلاّ ما وقاه اللّه إيّاه .ثمّ لمّا أعدّ نفسه بهذه الإقرارات بقبول الرحمه من اللّه استعاذ به من اموره:و هى أن يفتقر فى غناه تعالى:أى أن يفتقر مع أنّه الغنىّ المطلق،و أن يضلّ فى هداه:أى مع أنّ له الهدى الّذى لا اختلال معه، و أن يظلم فى سلطانه:أى مع أنّ له السلطان الظاهر،و أن يضطهد و له الأمر القاهر .

ثمّ سأله أن يجعل نفسه أوّل كريمه ينتزعها من كرائمه.و أراد بكرائمه قواه النفسانيّه و البدنيّه و أعضاه،و غرض السؤال تمتّعه بجميعها سليمه من الآفات إلى حين الممات فتكون نفسه أوّل منتزع من كرائمه قبل أن يفقد شىء منها.و نحوه قول الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:اللّهمّ متّعنى بسمعى و بصرى و اجعلهما الوارث منى:أى اجعلهما باقيين صحيحين إلى حين وفاتى. استعاره و استعار لفظ الوديعه للنفس باعتبار أنّها فى معرض الاسترجاع كالوديعه .ثمّ استعاذ به من الذهاب عن قوله تعالى:و الافتنان عن دينه.و قد روى الرضى-رضوان اللّه عليه-يفتتن بالبناء للفاعل على أن يكون الفتنه من النفس الأمّاره.و روى و يفتتن بالبناء للمفعول فيكون المستعار منه الفتنه بالغير.ثمّ من الانخراط فى سلك الأهواء و تتابعها به فى مرامى الشقاوه دون الهدى الّذى جاءت به الكتب الإلهيّه من عند اللّه.و باللّه التوفيق.

ص:۳۷

۲۰۷–و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

خطبها بصفین

أَمَّا بَعْدُ- فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِی عَلَیْکُمْ حَقّاً بِوِلَایَهِ أَمْرِکُمْ- وَ لَکُمْ عَلَیَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِی لِی عَلَیْکُمْ- فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الْأَشْیَاءِ فِی التَّوَاصُفِ- وَ أَضْیَقُهَا فِی التَّنَاصُفِ- لَا یَجْرِی لِأَحَدٍ إِلَّا جَرَی عَلَیْهِ- وَ لَا یَجْرِی عَلَیْهِ إِلَّا جَرَی لَهُ- وَ لَوْ کَانَ لِأَحَدٍ أَنْ یَجْرِیَ لَهُ وَ لَا یَجْرِیَ عَلَیْهِ- لَکَانَ ذَلِکَ خَالِصاً لِلَّهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ- لِقُدْرَتِهِ عَلَی عِبَادِهِ- وَ لِعَدْلِهِ فِی کُلِّ مَا جَرَتْ عَلَیْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ- وَ لَکِنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَی الْعِبَادِ أَنْ یُطِیعُوهُ- وَ جَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَیْهِ مُضَاعَفَهَ الثَّوَابِ- تَفَضُّلًا مِنْهُ وَ تَوَسُّعاً بِمَا هُوَ مِنَ الْمَزِیدِ أَهْلُهُ ثُمَّ جَعَلَ سُبْحَانَهُ مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقاً- افْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَی بَعْضٍ- فَجَعَلَهَا تَتَکَافَأُ فِی وُجُوهِهَا- وَ یُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضاً- وَ لَا یُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ-.وَ أَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْکَ الْحُقُوقِ- حَقُّ الْوَالِی عَلَی الرَّعِیَّهِ وَ حَقُّ الرَّعِیَّهِ عَلَی الْوَالِی- فَرِیضَهٌ فَرَضَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِکُلٍّ عَلَی کُلٍّ- فَجَعَلَهَا نِظَاماً لِأُلْفَتِهِمْ وَ عِزّاً لِدِینِهِمْ- فَلَیْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِیَّهُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوُلَاهِ- وَ لَا تَصْلُحُ الْوُلَاهُ إِلَّا بِاسْتِقَامَهِ الرَّعِیَّهِ- فَإِذَا أَدَّتْ الرَّعِیَّهُ إِلَی الْوَالِی

حَقَّهُ- وَ أَدَّی الْوَالِی إِلَيْهَا حَقَّهَا- عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ وَ قَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ- وَ اعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ وَ جَرَتْ عَلَی أَذْلَالِهَا السُّنَنُ- فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ- وَ طُمِعَ فِی بَقَاءِ الدَّوْلَةِ وَ يَئِسَتْ مَطَامِعُ الْأَعْدَاءِ-.وَ إِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا- أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِی بِرَعِيَّتِهِ- اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ- وَ ظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ وَ كَثُرَ الْإِدْغَالُ فِی الدِّينِ- وَ تُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ فَعُمِلَ بِالْهَوَی- وَ عُطِّلَتِ الْأَحْكَامُ وَ كَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ- فَلَا يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقٍّ عُطِّلَ- وَ لَا لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ- فَهُنَالِكَ تَذِلُّ الْأَبْرَارُ وَ تَعِزُّ الْأَشْرَارُ- وَ تَعْظُمُ تَبِعَاتُ اللَّهِ عِنْدَ الْعِبَادِ-.فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِی ذَلِكَ وَ حُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ- فَلَيْسَ أَحَدٌ وَ إِنِ اشْتَدَّ عَلَی رِضَا اللَّهِ حِرْصُهُ- وَ طَالَ فِی الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ- بِبَالِغٍ حَقِيقَةَ مَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ- وَ لَكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللَّهِ عَلَی عِبَادِهِ- النَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ- وَ التَّعَاوُنُ عَلَی إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ- وَ لَيْسَ امْرُؤٌ وَ إِنْ عَظُمَتْ فِی الْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ- وَ تَقَدَّمَتْ فِی الدِّينِ فَضِيلَتُهُ- بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَی مَا حَمَّلَهُ اللَّهُ مِنْ حَقِّهِ- وَ لَا امْرُؤٌ وَ إِنْ صَغَّرَتْهُ النُّفُوسُ- وَ اقْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ- بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَی ذَلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ فَأَجَابَهُ ع رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ- بِكَلَامٍ طَوِيلٍ يُكْثِرُ فِيهِ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ-

وَ يَذْكُرُ سَمْعَهُ وَ طَاعَتَهُ لَهُ فَقَالَ ع إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلاَلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِی نَفْسِهِ- وَ جَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ- أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ لِعِظَمِ ذَلِكَ كُلُّ مَا سِوَاهُ- وَ إِنَّ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ- وَ لَطُفَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى أَحَدٍ- إِلاَّ ازْدَادَ حَقُّ اللَّهِ عَلَيْهِ عِظَماً- وَ إِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالاَتِ الْوُلاَةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ- أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ- وَ يُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبْرِ- وَ قَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِی ظَنِّكُمْ أَنِّی أُحِبُّ الْإِطْرَاءَ- وَ اسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ وَ لَسْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ كَذَلِكَ- وَ لَوْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ- لَتَرَكْتُهُ انْحِطَاطاً لِلَّهِ سُبْحَانَهُ- عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعَظَمَهِ وَ الْكِبْرِيَاءِ- وَ رُبَّمَا اسْتَحْلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلاَءِ- فَلاَ تُثْنُوا عَلَیَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ- لِإِخْرَاجِی نَفْسِی إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ إِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّهِ- فِی حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا وَ فَرَائِضَ لاَ بُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا- فَلاَ تُكَلِّمُونِی بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَهُ- وَ لاَ تَتَحَفَّظُوا مِنِّی بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَهِ- وَ لاَ تُخَالِطُونِی بِالْمُصَانَعَهِ وَ لاَ تَظُنُّوا بِی اسْتِثْقَالاً فِی حَقٍّ قِيلَ لِی- وَ لاَ الْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِی- فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ- أَوِ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ- فَلاَ تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَهٍ بِحَقٍّ أَوْ مَشُورَهٍ بِعَدْلٍ-

فَإِنِّی لَسْتُ فِی نَفْسِی بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ- وَ لاَ آمَنُ ذَلِکَ مِنْ فِعْلِی- إِلاَّ أَنْ یَکْفِیَ اللَّهُ مِنْ نَفْسِی مَا هُوَ أَمْلَکُ بِهِ مِنِّی- فَإِنَّمَا أَنَا وَ أَنْتُمْ عَبِیدٌ مَمْلُوکُونَ لِرَبٍّ لاَ رَبَّ غَیْرُهُ- یَمْلِکُ مِنَّا مَا لاَ نَمْلِکُ مِنْ أَنْفُسِنَا- وَ أَخْرَجَنَا مِمَّا کُنَّا فِیهِ إِلَی مَا صَلَحْنَا عَلَیْهِ- فَأَبْدَلَنَا بَعْدَ الضَّلاَلَهِ بِالْهُدَی وَ أَعْطَانَا الْبَصِیرَهَ بَعْدَ الْعَمَی

اللغه

أقول: أذلالها : وجوهها و طرقها .و أجحف بهم : ذهب بأصلهم .و الإدغال:

الإفساد .و اقتحمته : دخلت فیه بالاحتقاد و الازدراد .و أسخف : أضعف و أصغر .و البادره : الحدّه .

و غرض الفصل جمع کلمتهم و اتّفاقهم علی أوامره

فأشار أوّلا إلی أنّ لکلّ

منه و منهم علی الآخر حقّ یجب أن یخرج إلیه منه

فحقّه علیهم هو حقّ ولایته لأمرهم،و حقّهم علیه حقّ الرعیّه علی الوالی،و هو مثله فی وجوب مراعاته و فی استلزامه اللوازم الّتی سیذکرها .

و قوله: فالحقّ أوسع .إلی قوله: قضائه .

تقریر لوجوب حقّه علیهم،و کالتوبیخ لهم علی قلّه الإنصاف فیه.و معناه أنّه إذا أخذ الناس فی وصف الحقّ و بیانه کان له فی ذلک مجال واسع لسهولته علی ألسنتهم،و إذا حضر الناصف بینهم و طلب منهم ضاق علیهم المجال لشدّه العمل بالحقّ و صعوبه الانصاف لاستلزامه ترک بعض المطالب المحبوبه لهم، استعاره و إطلاق السعه و الضیق علی الحقّ استعاره ملاحظه لتشبیه ما یتوهّم فیه من اتّساعه للقول و ضیقه عن العمل بالمکان الّذی یتّسع لشیء أو یضیق عمّا هو أعظم منه.

و قوله:لا یجری لأحد إلّا جری علیه.

تقریر للحقّ علیهم و توطین لنفوسهم علیه،و لا یجری علیه إلاّ جری له تسکین لنفوسهم بذکر الحقّ لهم.ثمّ أعاد تقریر الحقّ علیهم بحجّه فی صوره

متّصله،و هی لو کان لأحد أن یجری له الحقّ و لا یجری علیه لکان اللّه تعالی هو الأولی بخلوص ذلک له دون خلقه.ثمّ بیّن الملازمه بقوله:لقدرته.إلی قوله:

صروف قضائه:أی لکونه قادرا علی عباده و علی الانتصاف منهم مع کونه لا یستحقّ علیه شیء لهم لعدله فیهم فی کلّ ما جرت به مقادیره الّتی هی صروف قضائه فکان أولی بخلوص ذلک دونهم،و بیّن استثناء نقیض التالی باستثناء ملزومه و هو قوله :و لکنّه تعالی جعل.إلی قوله:أهله،و معناه لکنّه تعالی جعل لنفسه علی عباده حقّا هو طاعتهم له لیثبت لهم بذلک حقّا یکون جزاء طاعتهم له فقد ثبت أنّه لم یخلص ذلک للّه تعالی بل کما أوجب علی عباده حقّا له أوجب لهم علی نفسه بذلک حقّا.فإذن لا یجری لأحد حقّ إلاّ جری علیه و هو نقیض المقدّم،و فی قوله:

مضاعفه الثواب.إلی قوله:أهله تنبیه لهم علی أنّ الحقّ الّذی أوجبه علی نفسه أعظم ممّا أوجب لها مع أنّه لیس بحقّ وجب علیه بل بفضل منه علیهم ممّا هو أهله من مزید النعمه لیتخلّقوا بأخلاق اللّه فی أداء ما وجب علیهم من الحقّ بأفضل وجوهه و یقابلوا ذلک التفضّل بمزید الشکر،و تلک المضاعفه کما فی قوله تعالی «مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَهِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها» (۱)و نحوه.

و قوله :ثمّ جعل سبحانه.إلی قوله:ببعض.

کالمقدّمه لما یرید أن ینبّه من کون حقّه علیهم واجبا من قبل اللّه تعالی و هو حقّ من حقوقه لیکون أدعی لهم إلی أدائه.و بیّن فیها أنّ حقوق الخلق بعضهم علی بعض من حقّ اللّه تعالی من حیث إنّ حقّه علی عباده هو الطاعه،و أداء تلک الحقوق طاعات للّه کحقّ الوالد علی ولده و بالعکس،و حقّ الزوج علی الزوجه،و حقّ الوالی علی الرعیّه و بالعکس.

و قوله:فجعلها تتکافأ فی وجوهها.

أی جعل کلّ وجه من تلک الحقوق مقابلا لمثله فحقّ الوالی و هو الطاعه من الرعیّه مقابل لمثله منه و هو العدل فیهم و حسن السیره،و لا یستوجب کلّ من

۱- ۱) ۱۶۱-۶.

الحقّين إلاّ بالآخر .ثمّ قال:و أعظم ما افترض اللّه من تلك الحقوق حقّ الوالى على الرعيّه و حقّ الرعيّه على الوالى لأنّ هذين الحقّين أمرين كلّيين تدور عليها أكثر المصالح فى المعاش و المعاد،و أكّد ذلك بقوله:فريضه فرضها اللّه سبحانه لكلّ على كلّ:أى ذلك فريضه.

و قوله:فجعلها نظاما.إلى قوله:عند العباد.

إشاره إلى لوازم حقّ الوالى على الرعيّه و حقّ الرعيّه على الوالى:

(ا)إنّ اللّه تعالى جعل تلك الحقوق سببا لالفتهم إن أدّى كلّ إلى كلّ حقّه،و قد بيّنا فيما سلف غير مرّه أنّ الفتهم من أعزّ مطالب الشارع،و أنّها مطلوبه من اجتماع الخلق على الصلاه فى المساجد:فى كلّ يوم خمس مرّات،و فى كلّ اسبوع مرّه فى الجمعه،و فى كلّ سنه مرّتين فى الأعياد.و التناصف و الاجتماع فى طاعه الإمام العادل من موجبات الانس و الالفه و المحبّه فى اللّه حتّى يكون الناس كلّهم كرجل واحد عالم بما يصلحه و متّبع له و بما يفسده و مجتنب عنه.

(ب)أنّه جعل تلك الحقوق عزّا لدينهم،و ظاهر أنّ الاجتماع إذا كان سببا للالفه و المحبّه كان سببا عظيما للقوّه و لقهر الأعداء و إعزاز الدين .ثمّ أكّد القول فى أنّ صلاح الرعيّه منوط بصلاح الولاه،و هو أمر قد شهدت به العقول و توافقت عليه الآراء الحقّه،و إليه أشار القائل:تهدى الرعيّه ما استقام الرئيس.

و قول الآخر:

تهدى الامور بأهل الرأى ما صلحت فإن تولّت فبا لأشرار تنقاد

و كذلك صلاح حال الولاه منوط بصلاح الرعيّه و استقامتهم فى طاعتهم،و فساد أحوالهم بعصيانهم و مخالفتهم .فإذا أدّى كلّ من الوالى و الرعيّه الحقّ إلى صاحبه عزّ الحقّ بينهم و لم يكن له مخالف.

(ج)من لوازم ذلك قيام مناهج الدين و طرقه بالاستقامه على قوانينه و العمل بها.

(د)و اعتدال معالم العدل و مظانّه بحيث لاجور فيها.

ص:۴۳

(ه)و جريان السنن على وجوهها و مسالكها بحيث لا تحريف فيها.

(و) مجاز صلاح الزمان بذلك .و نسبه الصلاح إليه مجاز.إذ الصلاح فى الحقيقه يعود إلى حال أهل الزمان و انتظام امورهم فى معاشهم و معادهم،و إنّما يوصف بالصلاح و الفساد باعتبار وقوعهما فيه و كونه من الأسباب المعدّه لهما.

(ز)من لوازم ذلك الطمع فى بقاء الدوله و يأس مطامع الأعداء فى فسادها و هدمها.

و قوله :فإذا غلبت.إلى قوله:عند العباد.

إشاره إلى ما يلزم عصيان الرعيّه للإمام أو حيفه هو عليهم و إجحافه بهم فى الفساد:

(ا) كنايه اختلاف الكلمه ،و كنّى به عن اختلاف الآراء و التفرّق بسببه.

(ب)ظهور معالم الجور و علاماته،و هو ظاهر لعدم العدل بعدم أسبابه.

(ج)كثره الفساد فى الدين،و ذلك لتبدّد الأهواء و تفرّقها عن رأى الإمام العادل الجامع لها،و أخذ كلّ فيما يشتهيه ممّا هو مفسد للدين و مخالف له.

(د)ترك محاجّ السنن و طرقها.فمن الإمام لجوره،و من الرعيّه لتبدّد نظام آرائها.

(ه)العمل بالهوى.و علّته ما مرّ.

(و)تعطيل الأحكام الشرعيّه،و هو لازم للعمل بالهوى.

(ز)و كثره علل النفوس،و عللها أمراضها بملكات السوء كالغلّ و الحسد و العداوات و العجب و الكبر و نحوها،و قيل:عللها وجوه ارتكابها للمنكرات فيأتى فى كلّ منكر بوجه و علّه و رأى فاسد.

(ح)فلا يستوحش بعظيم حقّ عطّل،و ذلك للانس بتعطيله،و لا بعظيم باطل فعل،و ذلك لاعتياده و الاتّفاق عليه و كونه مقتضى الأهويه.

(ط)فهنالك تذلّ الأبرار لذلّه الحقّ المعطّل الّذى هم أهله و كان غيرهم بغيره.

ص:۴۴

(ی)و تعزّ الأشرار لعزّه الباطل الّذی هم علیه بعد ذلّهم بعزّه الحقّ.

(یا)و تعظم تبعات اللّه علی العباد:أی عقوباته بسبب خروجهم عن طاعته.و لمّا بیّن لوازم طاعته و عصیانه قال :فعلیکم بالتناصح فی ذلک:أی فی ذلک الحقّ، و حسن التعاون علیه.

و قوله:فلیس أحد.إلی قوله:من الطاعه له.

تأکید لأمره بالمبالغه فی طاعه اللّه:أی قلیل من الناس یبلغ بطاعته للّه تعالی ما هو أهله منها و إن اشتدّ حرصه علی إرضائها بالعمل و طال فیه اجتهاده ،و لکن علی العباد من ذلک مبلغ جهدهم فی النصیحه و التعاون علی إقامه حقّ اللّه بینهم بقدر الإمکان لا بقدر ما یستحقّه هو تعالی فإنّ ذلک غیر ممکن.

و قوله :و لیس امرؤ و إن عظمت.إلی قوله:حمّله اللّه تعالی من حقّه.

أی أنّه و إن بلغ المرء أیّ درجه کانت من طاعه اللّه فهو محتاج إلی أن یعان علیها،و لیس هو بأرفع من أن یعان علی ما حمّله اللّه منها،و ذلک أنّ تکلیف اللّه تعالی بطاعته بحسب وسع المکلّف،و الوسع فی بعض العبادات قد یکون مشروطا بمعونه الغیر فیها فلا یستغنی أحد منها.

و قوله:و لا امرء و إن صغّرته النفوس.إلی قوله:أو یعان علیه.

إشاره إلی أنّه لا ینبغی أن یزدری أحد عن الاستعانه فی طاعه اللّه أو أن یعان

علیها

فإنّه و إن احتقرته النفوس فلیس بدون أن یعین علی طاعه اللّه و أداء حقّه و لو بقبول الصدقات و نحوها أو تعاونوا علیها بإعطاء ما یسدّ خلّتهم أو یدفع عنهم ضررا کالجاه، استعاره و لفظ الاقتحام استعاره،و وجهها أنّ الّذی تحتقره النفوس تجبّرا علیه و تعبره العیون عبور الاحتقار فکأنّها قد اقتحمته .و غرض هذا الکلام الحثّ علی استعانه بعض ببعض و علی الالفه و الاتّحاد فی الدین،و أن لا یزدری فقیر لفقره و لا ضعیف لضعفه،و أن لا یستغنی غنیّ عن فقیر فلا یلتفت إلیه و لا قویّ عن ضعیف فیحتقره بل أن یکون الکلّ کنفس واحده.و أمّا قوله لمن أکثر علیه الثناء فحاصله التأدیب علی الإطراء أو النهی عن الغلوّ فی الثناء علی الإنسان فی وجهه

بالفضائل و إن كانت حقّه،و سرّه أنّ ذلک يستلزم فی کثير من الناس الکبر و العجب بالنفس و العمل.

فقوله :إنّ من حقّ من عظم.إلی قوله:إحسانه إليه.

مقدّمه فی الجواب بيّن فيها أنّ من عظمت نعمه اللّه عليه و لطف إحسانه إليه فحقّه أن يصغر عنده کلّ ما سواه بقياس من الشکل الأوّل،و تقدير صغراه أنّ من عظمت نعم اللّه عليه و لطف إحسانه إليه فهو أحقّ الناس بتعظيم جلال اللّه فی نفسه و إجلال موضعه من قلبه،و تقدير کبراه و کلّ من کان أحقّ بذلک فمن حقّه أن يصغر کلّ ما سواه عنده،و دلّ علی الکبری بقوله:لعظم ذلک:أی لعظم جلال اللّه فی قلبه يجب أن يصغر عنده کلّ شیء سواه،و هذه المقدّمه و إن کانت عامّه إلاّ أنّ الإشاره الحاضره بها إلی نفسه،و ذلک أنّ أعظم نعمه اللّه فی الدنيا خلافه المسلمين،و فی الآخره ما هو عليه من الکمالات النفسانيّه فکان أحقّ الناس بتعظيم جلال اللّه فی نفسه،و کان بذلک من حقّه أن يصغر کلّ ما سوی اللّه فی قلبه .ثمّ قال:و من أسخف حالات الولات.إلی قوله:و الکبرياء.فکأنّه قال:و من کان من حقّه أن يصغر کلّ ما سوی اللّه فی قلبه فکيف يليق به أن يحبّ الفخر أو يصنع أمره علی الکبر الذين لا يليقان إلاّ بعظمه اللّه،أو يظنّ به ذلک و يعامل بما يعامل به الجبابره من الخطاب به،و صرّح بأنّ المراد نفسه فی قوله :و قد کرهت،إلی آخره.

و قوله:و لو کنت احبّ أن يقال فیّ ذلک.

يجری مجری تسليم الجدل:أی وهب إنّی احبّ أن يقال ذلک فیّ باعتبار ما فيه اللذّه لکنّی لو کنت کذلک لترکته باعتبار آخر،و هو الانحطاط و التصاغر عن تناول ما هو اللّه أحقّ به من العظمه و الکبرياء،و نبّه فی ذلک علی أنّ الإطراء يستلزم التکبّر و التعظيم فکان ترکه له و کراهته لکونه مستلزما لهما.

و قوله :و ربّما استحلی الناس الثناء بعد البلاء.

يجری مجری تمهيد العذر لمن أثنی عليه فکأنّه يقول:و أنت معذور فی

ذلک حیث رأیتنی اجاهد فی اللّه و أحثّ الناس علی ذلک،و من عاده الناس أن یستحلوا الثناء عند أن یبلوا بلاء حسنا فی جهاد أو غیره من سایر الطاعات.ثمّ أجاب عن هذا العذر فی نفسه بقوله:فلا تثنوا علیّ بجمیل ثناء،إلی قوله:من إمضائها، و أراد فلا تثنوا علیّ لأجل ما ترونه منّی من طاعه اللّه فإنّ ذلک إنّما هو إخراج لنفسی إلی اللّه من الحقوق الباقیه علیّ لم أفرغ بعد من أدائها و هی حقوق نعمه،و من فرائضه الّتی لا بدّ من المضی فیها،و کذلک إلیکم من الحقوق الّتی أوجبها اللّه علیّ لکم من النصیحه فی الدین و الارشاد إلی الطریق الأقصد و التعلیم لکیفیّه سلوکه،و فی خطّ الرضی-رحمه اللّه-من التقیّه بالتاء،و المعنی فإنّ الّذی أفعله من طاعه اللّه إنّما هو إخراج لنفسی إلی اللّه و إلیکم من تقیّه الحقّ فیما یجب علیّ من الحقوق إذ کان علیه السّلام إنّما یعبد اللّه للّه غیر ملتفت فی شیء من عبادته و أداء واجب حقّه إلی أحد سواء خوفا منه أو رغبه إلیه،و کأنّه قال:لم أفعل شیئا إلاّ و هو ذا حقّ وجب علیّ و إذا کان کذلک فکیف أستحقّ أن یثنی علیّ لأجله بثناء جمیل و اقابل بهذا التعظیم،و هو من باب التواضع للّه و تعلیم کیفیّته و کسر النفس عن محبّه الباطل و المیل إلیه.

و قوله :فلا تکلّمونی.إلی قوله:بعدل.

إرشاد لهم إلی ما ینبغی أن یکونوا علیه من السیره عنده و نهاهم من امور:

(ا)أن لا یکلّموه بکلام الجبابره لما فیه من إغراء النفس،و لأنّه علیه السّلام لیس بجبّار فیکون ذلک منهم وصفا للشیء فی غیر موضعه.

(ب)أن لا یتحفّظوا منه بما یتحفّظ به عند أهل البادره و سرعه الغضب من الملوک و غیرهم،و ذلک التحفّظ کتکلّف ترک المساوره و الحدیث إجلالا و خوفا منه أو کترک مشاورته أو إعلامه ببعض الامور أو کالقیام بین یدیه فإنّ ذلک التحفّظ قد یفوت به مصالح کثیره،و لأنّه ممّا یغری النفس بحبّ الفخر و العجب،و لأنّه وضع للشیء فی غیر موضعه.

(ج)أن لا تخالطوه بالمصانعه و النفاق لما فیه من فساد الدین و الدنیا.

(د) استعاره أن لا يظنّوا به استثقالا لحقّ يقال له و إن كان فيه مراره ،و استعار لفظ المرار لشدّه الحقّ و صعوبته فإنّ عدله عليه السّلام و ما يستلزمه من قبول الحقّ كيف كان يرشد إلى أن لا يظنّوا به أنّه يلتمس الإعظام لنفسه،و ذلك لمعرفته بمن هو أهله دونه و هو اللّه تعالى.

و قوله:فإنّه من استثقل.إلى قوله:أثقل.

قياس ضمير من الشكل الثانى بيّن فيه أنّه لا يستثقل قول الحقّ له و عرض العدل عليه ليزول ظنّ من ظنّ ذلك به،و المذكور هو صغرى القياس و تلخيصها أنّ من استثقل قول الحقّ له و عرض العدل عليه كان العمل الحقّ و العدل عليه ثقيلا بطريق أولى،و تقدير الكبرى و لا شىء من العمل بهما بثقيل علىّ أمّا الصغرى فظاهره لأنّ تكلّف فعل الحقّ أصعب على النفس من سماع وصفه،و أمّا الكبرى فلأنّه عليه السّلام يعمل بهما من غير تكلّف و استثقال كما هو المعلوم من حاله فينتج أنّه لا شىء من قول الحقّ له و عرض العدل عليه بثقيل.

(ه)أن لا يكفّوا عن قول حقّ و مشوره بعدل لما فى الكفّ عن ذلك من المفسده.

و قوله:فإنّى لست.إلى قوله:منّى.

من قبيل التواضع الباعث لهم على الانبساط معه بقول الحقّ،و فى قوله:

إلّا أن يكفى اللّه من نفسى:أى من نفسى الأمّاره بالسوء ما هو أقوى منّى على دفعه و كفايته من شرورها،و هو إسناد العصمه إلى اللّه تعالى.

و قوله :فإنّما أنا و أنتم.إلى آخر.

تأديب فى الانقياد للّه و تذليل لعظمته،و ظاهر كونه تعالى يملك من أنفسنا و ميولها و خواطرها.إذ الكلّ منه و هو مبدء فيضه و الاستعداد له.

و قوله:و أخرجنا ممّا كنّا فيه.

أى من الضلاله فى الجاهليّه و عمى الجهل فيها عن إدراك الحقّ و سلوك

سبيل اللّه إلى ما صلحنا عليه:أى من الهدى بسبيل اللّه و البصيره لما ينبغى من مصالح الدارين،و ذلك ببعثه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ظهور نور النبوّه عنه.

۲۰۸-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

اَللَّهُمَّ إِنِّی أَسْتَعْدِیکَ عَلَی؟قُرَیْشٍ؟ وَ مَنْ أَعَانَهُمْ- فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِی وَ أَکْفَئُوا إِنَائِی- وَ أَجْمَعُوا عَلَی مُنَازَعَتِی حَقّاً کُنْتُ أَوْلَی بِهِ مِنْ غَیْرِی- وَ قَالُوا أَلاَ- إِنَّ فِی الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ- وَ فِی الْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ فَاصْبِرْ مَغْمُوماً أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً- فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَیْسَ لِی رَافِدٌ وَ لاَ ذَابٌّ وَ لاَ مُسَاعِدٌ- إِلاَّ أَهْلَ بَیْتِی فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِیَّهِ- فَأَغْضَیْتُ عَلَی الْقَذَی وَ جَرِعْتُ رِیقِی عَلَی الشَّجَا- وَ صَبَرْتُ مِنْ کَظْمِ الْغَیْظِ عَلَی أَمَرَّ مِنَ الْعَلْقَمِ- وَ آلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ الشِّفَارِ قال الرضی:و قد مضى هذا الكلام فى أثناء خطبه متقدمه إلا أنى كررته ههنا لاختلاف الروايتين.

اللغه

أقول: أستعديك : أستعينك.و الاسم العدى و هى الإعانه ،و أكفأت الإناء و كفأته : كببته .و الرافد : المعاون .و القذى : ما يسقط فى العين فيؤذيها .و الشجى:

ما يعرض فى الحلق عند الغمّ و الحزن من الأثر فيكون الإنسان كالمغتصّ بلقمه و نحوها .و العلقم : شجر مرّ .و الشفار : جمع شفره و هى السكّين .

المعنى

كنايه و غرض الفصل التظلّم و التشكّى و الاستعانه باللّه على قريش فيما دفعوه عنه من حقّ الإمامه الّذى هو أولى به،و كنّى عن ذلك بقطع الرحم ،و كذلك كنّى بقلب إنائه عن إعراضهم و تفرّقهم عنه فإنّ ذلك من لوازم قلب الإناء كما أنّ من لوازم نصبهم له و تعديله إقبالهم و اجتماعهم عليه .

و قوله:و أجمعوا.إلى قوله:غيرى.

قالت الشيعه:الإشاره بالمجتمعين إلى قريش حين وفات الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و ذلك الغير الّذى كان هو أولى منه هم الخلفاء الثلاثه قبله،و قال غيرهم:بل أشار بالمجمعين إليهم وقت الشورى و اتّفاقهم بعد الترديد الطويل على عثمان فلا يدخل الشيخان الأوّلان فى هذه الشكايه،و القول الثانى ضعيف.إذ صرّح بمثل هذه الشكايه من الأئمّه الثلاثه قبله فى الخطبه الشقشقيّه كما بيّناه،و بالجمله مراده من هذا الكلام و أمثاله بعد استقراء أقواله و تصفّح أحواله لا يخفى على عاقل، و يشبه أن يكون صدور هذا الكلام منه حين خروج طلحه و الزبير إلى البصره تظلّما عليهما فيكون المفهوم من قوله:و أجمعوا على منازعتى حقّا كنت أولى به من غيرى إنكارا لإجماعهم منازعته ذلك الحقّ فإنّه إذا كان أولى به ممّن سبق من الأئمّه على جلاله قدرهم و تقدّمهم فى الإسلام فكيف بهؤلاء مع كونهم أدون حالا منهم،و هو كقوله فياللّه و للشورى متى اعترض الريب فىّ مع الأوّل منهم حتّى صرت اقرن إلى هذه النظائر .

و قوله: و قالوا:ألا إنّ فى الحقّ.إلى قوله:متأسّفا .

حكايه لقولهم بلسان حال فعلهم لا أنّهم قالوا له ذلك .

قوله: فنظرت .إلى آخره.

قد مضى تفسير من الآلام الحسيّه من حرّ السكين و غيره.

و من طالع الفصلين المتقدّمين علم التفاوت فى الروايه لهما و لهذا الفصل.

۲۰۹-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

فى ذكر السائرين إلى البصره لحربه عليه السّلام

فَقَدِمُوا عَلَى عُمَّالِي وَ خُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي فِي يَدَيَّ- وَ عَلَى أَهْلِ؟مِصْرٍ؟ كُلُّهُمْ فِي طَاعَتِي وَ عَلَى بَيْعَتِي- فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ وَ أَفْسَدُوا عَلَيَّ جَمَاعَتَهُمْ- وَ وَثَبُوا

ص:۵۰

عَلَى شِيعَتِى فَقَتَلُوا طَائِفَهً مِنْهُمْ غَدْراً- وَ طَائِفَهٌ عَضُّوا عَلَى أَسْيَافِهِمْ- فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا اللَّهَ صَادِقِينَ

اللغه

أقول: عضّوا على أسيافهم : أى لزموها

المعنى

،و أشار بالمصر إلى البصره،و بالّذين قدموا على عمّاله إلى طلحه و الزبير و عايشه و أتباعهم فأمّا حالهم مع عمّاله و ما فعلوا بهم و بخزّان بيت المال بالبصره فقد مرّ ذكره مستوفى،و باللّه التوفيق.

۲۱۰-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

لما مر بطلحه و عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد و هما قتيلان يوم الجمل

لَقَدْ أَصْبَحَ؟أَبُو مُحَمَّدٍ؟ بِهَذَا الْمَكَانِ غَرِيباً- أَمَا وَ اللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ؟قُرَيْشٌ؟ قَتْلَى- تَحْتَ بُطُونِ الْكَوَاكِبِ- أَدْرَكْتُ وَتْرِى مِنْ؟بَنِى عَبْدِ مَنَافٍ؟- وَ أَفْلَتَنِى أَعْيَانُ؟بَنِى جُمَحَ؟- لَقَدْ أَتْلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ إِلَى أَمْرٍ- لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ فَوُقِصُوا دُونَهُ أقول:هو عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبى العاص بن اميّه شهد واقعه الجمل و قتل بها،و روى أنّ عقابا احتمل كفّه فاصيب باليمامه فى ذلك اليوم، و عرفت بخاتمه و كان يدعى يعسوب قريش.

اللغه

و أعيان : جمع عين:هم سادات القوم و أوتادهم .و جمح : قبيله ،و أتلعوا : مدّوا أعناقهم كالمتطلّعين إلى الأمر .و وقصوا:

كسرت أعناقهم .

المعنى

اشاره

و أبو محمّد كنيه طلحه.

و فى الفصل إشارات:

فالاولی:أنّ قتله علیه السّلام لمن قتل من مخالفیه

و من قتل من عسکره لم یکن إلاّ إقامه للدین و نظام العالم.

فإن قلت:إنّ قتل هؤلاء علی کثرتهم فساد حاضر.

ص:۵۱

قلت:إنّه و إن كان فساد إلّا أنّه جرى بالنسبه إلى صلاح جمع المسلمين فى مصر جزئيّه بالنسبه إلى صلاح أكثر بلاد المسلمين،و فعل ما هو بصوره جزئيّه من الفساد لمصلحه كلّيّه واجب فى الحكمه فهو كقطع عضو فاسد لإصلاح باقى البدن.

الثانيه:

كنايه قوله: تحت بطون الكواكب كنايه لطيفه عن الفلوات،و أراد أنّى كنت أكره أن يكونوا بهذه الحاله فى الفلوات بحيث لا كنّ و لا ظلّ يواريهم.

الثالثه:لقائل أن يقول:لم قال عليه السّلام:أدركت و ترى من بنى عبد مناف؟

و الوتر الحقد و هو رذيله فكيف يجوز منه عليه السّلام أن ينسبه إلى نفسه و يقول:قد أدركته.و الجواب أنّ الحقد تعود حقيقته إلى ثبات الغضب و بقائه ببقاء صوره الموذى فى الخيال،و من حيث إنّ ثبات ذلك الغضب بتصوّر الموذى فى الدين لا يكون رذيله،فلا يكون أخذ الحقّ به و نصرته مكروهه.

الرابعه:أنّ طلحه و الزبير كانا من بنى عبد مناف من قبل الامّ دون الأب

فإنّ أبا الزبير من بنى عبد العزّى بن قصى بن كلاب،و أمّا طلحه من بنى جعد بن تميم بن مرّه،و كان فى زمن أمير المؤمنين عليه السّلام من بنى جمح عبد اللّه بن صفوان بن اميّه بن خلف،و عبد الرحمن بن صفوان،و قيل:كان مروان بن الحكم منهم اخذ أسيرا يوم الجمل و استشفع بالحسين إلى أبيه عليهم السّلام،و روى عوض أعيان أغيار بنى جمح و هم السادات أيضا .

و الخامسه:

استعاره بالكنايه إتلاع رقابهم استعاره كنّى بها عن تطاولهم لأمر الخلافه مع كونهم ليسوا أهلا لها.و وقصهم كنايه عن قتلهم دون ذلك الأمر و قصورهم عنه .

۲۱۱-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

قَدْ أَحْيَا عَقْلَهُ وَ أَمَاتَ نَفْسَهُ حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ- وَ لَطُفَ غَلِيظُهُ وَ بَرَقَ لَهُ لاَمِعٌ كَثِيرُ الْبَرْقِ- فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ وَ سَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ- وَ تَدَافَعَتْهُ الْأَبْوَابُ إِلَى

ص:۵۲

بَابِ السَّلاَمهِ وَ دَارِ الْإِقَامهِ- وَ ثَبَتَتْ رِجْلاَهُ بِطُمَأْنِينَهِ بَدَنِهِ فِی قَرَارِ الْأَمْنِ وَ الرَّاحهِ- بِمَا اسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ وَ أَرْضَی رَبَّهُ

أقول:هذا الفصل من أجلّ كلام له فی وصف السالک المحقّق إلی اللّه،

و فی کیفیّه سلوکه المحقّق و أفضل اموره

.فأشار بإحیاء عقله إلی صرف همّته فی تحصیل الکمالات العقلیّه من العلوم و الأخلاق و إحیاء عقله النظری و العملی بها بعد الریاضه بالزهد و العباده،و أشار بإماته نفسه إلی قهر نفسه الأمّاره بالسوء،و تطویعها بالعباده للنفس المطمئنّه بحیث لا یکون لها تصرّف علی حدّ طباعها إلاّ بإرسال العقل و باعثه فکانت فی حکم المیّت عن الشهوات و المیول الطبیعیّه الّذی لا تصرّف له من نفسه.

کنایه و قوله: حتّی دقّ جلیله .

أی حتّی انتهت به إماته لنفسه الشهویّه إلی أن دقّ جلیله،و کنّی بجلیله عن بدنه فإنّه أعظم ما یری منه ،و لطف غلیظه إشاره إلی لطف بدنه أیضا،و یحتمل أن یشیر به إلی لطف قواه النفسانیّه بتلک الریاضه و کسر الشهوه فإنّ إعطاء القوّه الشهویّه مقتضی طباعها من الانهماک فی المآکل و المشارب ممّا یثقل البدن و یکدّر الحواسّ،و لذلک قیل:البطنه تذهب الفطنه و تورث القسوه و الغلظه.

فإذا قصرت علی حدّ العقل لطفت الحواسّ عن قلّه الأبخره المتولّده عن التملّؤ بالطعام و الشراب،و لطف بلطف ذلک ما غلظ من جوهر النفس بالهیئات البدنیّه المکتسبه من متابعه النفس الأمّاره بالسوء کلطف المرآه بالصقال حتّی یصیر ذلک اللطف مسبّبا لاتّصالها بعالمها و استشراقها بأنوار من الملأ الأعلی.

تشبیه-استعاره و قوله: و برق له لا مع کثیر البرق .

أشار باللامع إلی ما یعرض للسالک عند بلوغ الإراده بالریاضه به حدّا ما من الخلسات إلی الجناب الأعلی فیظهر له أنوار إلهیّه لذیذه شبیهه بالبرق فی سرعه

ص:۵۳

لمعانه و اختفائه،و تلك اللوامع مسمّاه بالأوقات عند أهل الطريقه،و كلّ وقت فإنّه محفوف بوجد إليه قبله و وجد عليه بعده لأنّه لمّا ذاق تلك اللذّه ثمّ فارقها وصل فيه حنين و أنين إلى ما فات منها.ثمّ إنّ هذه اللوامع فى مبدء الأمر تعرض له قليلا فإذا أمعن فى الارتياض كثرت،فأشار باللامع إلى نفس ذلك النور، و بكثره برقه إلى كثره عروضه بعد الإمعان فى الرياضه.و يحتمل أن يكون قد استعار لفظ اللامع للعقل الفعّال،و لمعانه ظهوره للعقل الإنسانىّ،و كثره بروقه إشاره إلى كثره فيضان تلك الأنوار الشبيهه بالبروق عند الإمعان فى الرياضه، و قوله :فأبان له الطريق.

أى ظهر له بسبب ذلك أنّ الطريق الحقّ إلى اللّه هى ما هو عليه من الرياضه، و سلك به السبيل:أى كان سببا لسلوكه فى سبيل اللّه إليه.

و قوله:و تدافعته الأبواب.

أى أبواب الرياضه،و هى أبواب الجنّه أعنى تطويع النفس الأمّاره،و الزهد الحقيقىّ،و الأسباب الموصله إليهما كالعبادات و ترك الدنيا فإنّ كلّ تلك أبواب يسير منها السالك حتّى ينتهى إلى باب السلامه و هو الباب الّذى إذا دخله السالك تيقّن فيه السلامه من الانحراف عن سلوك سبيل اللّه بمعرفته أنّ تلك هى الطريق و ذلك الباب هو الوقت الّذى أشرنا إليه،و هو أوّل منزل من منازل الجنّه العقليّه.

و قوله:و ثبتت رجلاه.إلى قوله:و الراحه.

ففى قرار الأمن متعلّق ثبتت،و هو إشاره إلى الطور الثانى للسالك بعد طور الوقت و يسمّى طمأنينه و ذلك أنّ السالك ما دام فى مرتبه الوقت فإنّه يعرض لبدنه عند لمعان تلك البروق فى سرّه اضطراب و قلق يحسّ بها خلسه لأنّ النفس إذا فاجأها أمر عظيم اضطربت و تقلقلت فإذا كثرت تلك الغواشى ألفتها بحيث لا تنزعج عنها و لا تضطرب لورودها عليها بل تسكن و تطمئنّ لثبوت قدم عقله فى درجه أعلى من درجات الجنّه الّتى هى قرار الأمن و الراحه من عذاب اللّه.

ص:۵۴

و قوله:بما استعمل.إلى آخره.

فالجار و المجرور متعلّق بثبتت أيضا:أى و ثبتت رجلاه بسبب استعمال قلبه و نفسه فى طاعه اللّه و إرضائه بذلك الاستعمال،و باللّه التوفيق.

۲۱۲-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

قاله بعد تلاوته:(«أَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ حَتّى زُرْتُمُ الْمَقابِرَ»)

يَا لَهُ مَرَاماً مَا أَبْعَدَهُ وَ زَوْراً مَا أَغْفَلَهُ- وَ خَطَراً مَا أَفْظَعَهُ- لَقَدِ اسْتَخْلَوْا مِنْهُمْ أَيَّ مُدَّكِرٍ وَ تَنَاوَشُوهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ- أَ فَبِمَصَارِعِ آبَائِهِمْ يَفْخَرُونَ- أَمْ بِعَدِيدِ الْهَلْكَى يَتَكَاثَرُونَ يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أَجْسَاداً خَوَتْ وَ حَرَكَاتٍ سَكَنَتْ- وَ لَأَنْ يَكُونُوا عِبَراً أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخَراً- وَ لَأَنْ يَهْبِطُوا بِهِمْ جَنَابَ ذِلَّهٍ- أَحْجَى مِنْ أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزَّهٍ- لَقَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ الْعَشْوَهِ- وَ ضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي غَمْرَهِ جَهَالَهٍ- وَ لَوِ اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ الْخَاوِيَهِ- وَ الرُّبُوعِ الْخَالِيَهِ لَقَالَتْ- ذَهَبُوا فِي الْأَرْضِ ضُلَّالًا وَ ذَهَبْتُمْ فِي أَعْقَابِهِمْ جُهَّالًا- تَطَئُونَ فِي هَامِهِمْ وَ تَسْتَنْبِتُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ- وَ تَرْتَعُونَ فِيمَا لَفَظُوا وَ تَسْكُنُونَ فِيمَا خَرَّبُوا- وَ إِنَّمَا الْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ بَوَاكٍ وَ نَوَائِحُ عَلَيْكُمْ- أُولَئِكُمْ سَلَفُ غَايَتِكُمْ وَ فُرَّاطُ مَنَاهِلِكُمْ- الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ مَقَاوِمُ الْعِزِّ-

وَ حَلَبَاتُ الْفَخْرِ مُلُوكاً وَ سُوَقاً سَلَكُوا فِي بُطُونِ الْبَرْزَخِ سَبِيلًا سُلِّطَتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ- فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ وَ شَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ- فَأَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ قُبُورِهِمْ جَمَاداً لَا يَنْمُونَ- وَ ضِمَاراً لَا يُوجَدُونَ- لَا يُفْزِعُهُمْ وُرُودُ الْأَهْوَالِ- وَ لَا يَحْزُنُهُمْ تَنَكُّرُ الْأَحْوَالِ- وَ لَا يَحْفِلُونَ بِالرَّوَاجِفِ وَ لَا يَأْذَنُونَ لِلْقَوَاصِفِ- غُيَّباً لَا يُنْتَظَرُونَ وَ شُهُوداً لَا يَحْضُرُونَ- وَ إِنَّمَا كَانُوا جَمِيعاً فَتَشَتَّتُوا وَ أُلَّافاً فَافْتَرَقُوا- وَ مَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ وَ لَا بُعْدِ مَحَلِّهِمْ- عَمِيَتْ أَخْبَارُهُمْ وَ صَمَّتْ دِيَارُهُمْ- وَ لَكِنَّهُمْ سُقُوا كَأْساً بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَساً- وَ بِالسَّمْعِ صَمَماً وَ بِالْحَرَكَاتِ سُكُوناً- فَكَأَنَّهُمْ فِي ارْتِجَالِ الصِّفَهِ صَرْعَى سُبَاتٍ- جِيرَانٌ لَا يَتَأَنَّسُونَ وَ أَحِبَّاءُ لَا يَتَزَاوَرُونَ- بَلِيَتْ بَيْنَهُمْ عُرَا التَّعَارُفِ- وَ انْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ الْإِخَاءِ- فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَ هُمْ جَمِيعٌ- وَ بِجَانِبِ الْهَجْرِ وَ هُمْ أَخِلَّاءُ- لَا يَتَعَارَفُونَ لِلَيْلٍ صَبَاحاً وَ لَا لِنَهَارٍ مَسَاءً- أَيُّ الْجَدِيدَيْنِ ظَعَنُوا فِيهِ كَانَ عَلَيْهِمْ سَرْمَداً- شَاهَدُوا مِنْ أَخْطَارِ دَارِهِمْ أَفْظَعَ مِمَّا خَافُوا- وَ رَأَوْا مِنْ آيَاتِهَا أَعْظَمَ مِمَّا قَدَّرُوا- فَكِلْتَا الْغَايَتَيْنِ مُدَّتْ لَهُمْ- إِلَى مَبَاءَهٍ فَاتَتْ مَبَالِغَ الْخَوْفِ وَ الرَّجَاءِ- فَلَوْ كَانُوا يَنْطِقُونَ بِهَا- لَعَيُّوا بِصِفَهِ مَا شَاهَدُوا وَ مَا عَايَنُوا- وَ لَئِنْ عَمِيَتْ آثَارُهُمْ وَ انْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُمْ- لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ أَبْصَارُ الْعِبَرِ- وَ سَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ الْعُقُولِ- وَ تَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ النُّطْقِ- فَقَالُوا كَلَحَتِ الْوُجُوهُ النَّوَاضِرُ وَ خَوَتِ الْأَجْسَامُ النَّوَاعِمُ- وَ لَبِسْنَا أَهْدَامَ الْبِلَى وَ تَكَاءَدَنَا ضِيقُ الْمَضْجَعِ- وَ تَوَارَثْنَا الْوَحْشَهَ وَ تَهَكَّمَتْ عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الصُّمُوتُ- فَانْمَحَتْ مَحَاسِنُ أَجْسَادِنَا وَ تَنَكَّرَتْ مَعَارِفُ صُوَرِنَا- وَ طَالَتْ فِي مَسَاكِنِ الْوَحْشَهِ إِقَامَتُنَا- وَ لَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجاً وَ لَا مِنْ ضِيقٍ مُتَّسَعاً- فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ- أَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ الْغِطَاءِ لَكَ- وَ قَدِ ارْتَسَخَتْ أَسْمَاعُهُمْ بِالْهَوَامِّ فَاسْتَكَّتْ- وَ اكْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالتُّرَابِ فَخَسَفَتْ- وَ تَقَطَّعَتِ الْأَلْسِنَهُ فِي أَفْوَاهِهِمْ بَعْدَ ذَلَاقَتِهَا- وَ هَمَدَتِ الْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقَظَتِهَا- وَ عَاثَ فِي كُلِّ جَارِحَهٍ مِنْهُمْ جَدِيدُ بِلًى سَمَّجَهَا- وَ سَهَّلَ طُرُقَ الْآفَهِ إِلَيْهَا- مُسْتَسْلِمَاتٍ فَلَا أَيْدٍ تَدْفَعُ وَ لَا قُلُوبٌ تَجْزَعُ- لَرَأَيْتَ أَشْجَانَ قُلُوبٍ وَ أَقْذَاءَ عُيُونٍ- لَهُمْ فِي كُلِّ فَظَاعَهٍ صِفَهُ حَالٍ لَا تَنْتَقِلُ- وَ غَمْرَهٌ لَا تَنْجَلِي- فَكَمْ أَكَلَتِ الْأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسَدٍ وَ أَنِيقِ لَوْنٍ- كَانَ فِي الدُّنْيَا غَذِيَّ تَرَفٍ وَ رَبِيبَ شَرَفٍ- يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ فِي سَاعَهِ حُزْنِهِ- وَ يَفْزَعُ إِلَى السَّلْوَهِ إِنْ مُصِيبَهٌ نَزَلَتْ بِهِ- ضَنّاً بِغَضَارَهِ عَيْشِهِ وَ شَحَاحَهً بِلَهْوِهِ وَ لَعِبِهِ فَبَيْنَا هُوَ يَضْحَكُ إِلَى الدُّنْيَا وَ تَضْحَكُ إِلَيْهِ- فِي ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ إِذْ وَطِئَ الدَّهْرُ بِهِ حَسَكَهُ- وَ نَقَضَتِ الْأَيَّامُ قُوَاهُ- وَ نَظَرَتْ إِلَيْهِ الْحُتُوفُ مِنْ كَثَبٍ- فَخَالَطَهُ بَثٌّ لَا يَعْرِفُهُ وَ نَجِيُّ هَمٍّ مَا كَانَ يَجِدُهُ- وَ تَوَلَّدَتْ فِيهِ فَتَرَاتُ عِلَلٍ آنَسَ مَا كَانَ بِصِحَّتِهِ- فَفَزِعَ إِلَى مَا كَانَ عَوَّدَهُ الْأَطِبَّاءُ- مِنْ تَسْكِينِ الْحَارِّ بِالْقَارِّ وَ تَحْرِيكِ الْبَارِدِ بِالْحَارِّ- فَلَمْ يُطْفِئْ بِبَارِدٍ إِلَّا ثَوَّرَ حَرَارَهً- وَ لَا حَرَّكَ بِحَارٍّ إِلَّا هَيَّجَ بُرُودَهً- وَ لَا اعْتَدَلَ بِمُمَازِجٍ لِتِلْكَ الطَّبَائِعِ- إِلَّا أَمَدَّ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ دَاءٍ- حَتَّى فَتَرَ مُعَلِّلُهُ وَ ذَهَلَ مُمَرِّضُهُ- وَ تَعَايَا أَهْلُهُ بِصِفَهِ دَائِهِ- وَ خَرِسُوا عَنْ جَوَابِ السَّائِلِينَ عَنْهُ- وَ تَنَازَعُوا دُونَهُ شَجِيَّ خَبَرٍ يَكْتُمُونَهُ- فَقَائِلٌ هُوَ لِمَا بِهِ وَ مُمَنٍّ لَهُمْ إِيَابَ عَافِيَتِهِ- وَ مُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَى فَقْدِهِ- يُذَكِّرُهُمْ أُسَى الْمَاضِينَ مِنْ قَبْلِهِ- فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ عَلَى جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا- وَ تَرْكِ الْأَحِبَّهِ- إِذْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ غُصَصِهِ- فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِذُ فِطْنَتِهِ وَ يَبِسَتْ رُطُوبَهُ لِسَانِهِ- فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَيَّ عَنْ رَدِّهِ- وَ دُعَاءٍ مُؤْلِمٍ بِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَّ عَنْهُ- مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعَظِّمُهُ أَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحَمُهُ- وَ إِنَّ لِلْمَوْتِ لَغَمَرَاتٍ هِيَ أَفْظَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَغْرَقَ بِصِفَهٍ- أَوْ تَعْتَدِلَ عَلَى عُقُولِ أَهْلِ الدُّنْيَا

اللغه

أقول: المرام: المطلوب .و الزور : الزائرون .و الخطر : الإشراف على الهلاك .و الفظيع : الشديد الّذى جاوز الحدّ فى شدّته .و استحلوا : أى اتّخذوا تحليه الذكر و أبهم و شأنهم،و قيل:استخلوا:أى وجدوه خاليا .و التناوش :

التنازل .و أحجى : أولى بالحجى و هو العقل .و العشوه : ركوب الأمر على جهل به .و ترتعون : يتنعمون .و لفظوا : أرموا و تركوا .و الفارط : السابق إلى الماء و المورد .و حلبات الفخر : جماعاته .و السوق : جمع سوقه و هى الرعيّه .و البرزخ : ما بين الدنيا و الآخره من وقت الموت إلى البعث .و الفجوات : جمع فجوه و هى المتّسع من الأرض .و الضمار : الغايب الّذى لا يرجى إيابه .و يحفلون:

يبالون .و الرواجف : الزلازل .و يأذنون : يسمعون .و ارتجال الصفه : انتشاؤها .

و السبات : النوم،و أصله الراحه .و أفظع : أشدّ .و المباءه : الموضع يبوء الإنسان إليه:أى يرجع .و عىّ عن الكلام : أى عجز عنه .و الكلوح : تكشّر فى عبوس .و الأهدام : جمع هدم،و هو الثوب البالى .و تكاءدنا : شقّ علينا و صعب .

و تهكّعت : تهدّمت .و ارتسخت : ثبتت فى قرارها الهوام .و استكّت : انسدّت .

و ذلاقه اللسان : حدّته و سهوله الكلام به .و همدت : سكنت و بليت .و عاث:

انسدّ .و سمّجها : قبّحها .و الأشجان : الأحزان .و الأنيق : العجب للناظر .

و غضاره العيش : طيّبه .و الكثب : القرب .و البثّ : الحال من همّ و حزن .

و القارّ و القرور : الماء البارد .

المعنى

و فى الفصل فوائد:

فالاولى:اللام فى قوله:يا له.لام الجرّ للتعجّب كقولهم:يا للدواهى،و الجارّ و المجرور فى محلّ النصب لأنّه المنادى و يروى:يا مراما.و مراما و زورا و خطرا منصوبات على التميز لمعنى التعجّب من بعد ذلك المرام و هو التكاثر فإنّ الغايه المطلوبه منه لا يدركها الإنسان لأنّ كلّ غايه بلغها ففوقها غايه اخرى قد أدركها غيره فنفسه تطمح إليها،و ذلك التعجّب من شدّه غفله الزور:

أى الزائرين للمقابر لأنّ الكلام خرج بسبب الآيه،و ظاهر أنّ غفله الإنسان عمّا يزور و يقدم بعد تلك الزياره عليه غفله عظيمه و هى محلّ التعجّب،و كذلك التعجّب من فظاعه الخطر و الإشراف على شدائد الآخره فإنّ كلّ خطر دنيائى يستحقر فى جنبه،و الضمير فى قوله:استحلوا للأحياء،و فى منهم

للأموات،و عنّى بالذكر عمّا خلّفوه من الآثار الّتى هى محلّ العبره.

استفهام على سبيل التعجّب و قوله: أيّ مدّكر .

استفهام على سبيل التعجّب من ذلك المدّكر فى أحسن إفادته للعبر لاولى الأبصار ، كنايه استفهام انكارى و تناوشوهم من مكان بعيد :أى تركهم ما ينتفعون به و هو المدّكر من جهه الاعتبار به و تناولوهم من جهه بعيده،و الّذى تناولوه هو افتخار كلّ منهم بأبه و قبيلته،و مكاثرته بالماضين من قومه الّذينهم بعد الموت أبعد الناس عنه أو الّذين كمالاتهم أبعد الكمالات عنه،و كنّى بالمكان البعيد عن ذلك الاعتبار فإنّ الأموات و كمالاتهم فى أبعد الاعتبارات عن الأحياء و الأبناء ،و لذلك استفهم عن ذلك استفهام إنكار و توبيخ فقال: أ فبمصارع آبائهم يفخرون.إلى قوله:

سكنت ،و ذلك الارتجاع بالمفاخره بهم فكأنّهم بذكرهم لهم فى الفخر قد ارتجعوهم بعد موتهم،و يحتمل أن يكون ذلك مستفهما عنه أيضا على سبيل الإنكار و إن لم يكن حرف الاستفهام،و التقدير أ يرتجعون منهم بفخرهم لهم أجسادا خوت .

و قوله: و لأن يكونوا عبرا أحقّ من أن يكونوا مفتخرا .

مؤكّد لتوبيخه لهم ترك العبره بالمدّكر الّذى هو وجه النفع و أخذهم بالوجه البعيد و هو الافتخار،و كشف لمعناه.و كذلك قوله:لأن يهبطوا بهم جناب ذلّه:أى بالاعتبار بمصارعهم فإنّه يستلزم الخشوع لعزّه اللّه و الخشيه منه.و ذلك أولى بالعقل و التدبير من أن يقوموا بهم مقام عزّه بالمفاخره و المكاثره،و أضاف الأبصار إلى العشوه لنسبتها إليها:أى نظروا إليها بأبصار قلوب غطّى عليها الجهل بأحوالهم فساروا فى تلك الأحوال بجهاله غامره لهم.

و قوله :و لو استنطقوا.إلى قوله:لقالت.

أى لو طلبت منها النطق لقالت بلسان حالها كذا و كذا.إلى قوله:و تسكنون فيما خرّبوا،و يحتمل أن يكون باقى الفصل كلّه مقولا بلسان حال تلك الديار،و النصب فى قوله:ضلّالا و جهّالا على الحال:أى ذهبوا فى الأرض هالكين و ذهبتم بعدهم جاهلين بأحوالهم تطئون رؤسهم و تستنبتون الأشجار فى

أجسادهم و ذلک فی المواضع الّتی بلیت فیها الأجساد، استعاره و استعار لفظ البواکی و النوائح لأیّام الحیاه ملاحظه لشبهها فی مفارقتهم لها بالامّهات الّتی فارقها أولادها بالموت.

و قوله :اولئک سلف غایتکم و فرّاط مناهلکم.

السابقون لکم إلی غایتکم و هی الموت و ما بعده،و إلی مناهلکم و هی تلک الموارد أیضا،و مقاوم:جمع مقام لأنّ ألفه عن واو،و ملوکا و سوقا نصب علی الحال،و بطون البرزخ ما غاب و بطن منه عن علومنا و مشاهداتنا،و السبیل فیه هی مسلک القدر بهم إلی غایاتهم الاخرویّه من سعاده أو شقاوه، مجاز و نسبه الأکل و الشرب إلی الأرض مجاز یقارب الحقیقه فی کثره الاستعمال ،و إنّما سلب عنهم النموّ و الفزع من ورود أهوال الأرض علیهم،و الحزن من تغیّر الأحوال بهم، و الحفله بزلازل الأرض و سماع الریاح القاصفه،لکون انتظار ذلک من توابع الحیاه و صفاتها.

فإن قلت:فهذا ینافی ما نقل من عذاب القبر فإنّه یستلزم الفزع و الحزن.

قلت:إنّما سلب عنهم الفزع و الحزن من أحوال الدنیا المشاهده لنا،و کذلک الحفله بأهوالها و سماعها.و عذاب القبر لیس من ذلک القبیل بل من أحوال الآخره و أهوالها،و لا یلزم من سلب الفزع الخاصّ سلب العامّ،و نبّه علی أنّ غیبتهم و شهودهم لیس کغیبه أهل الدنیا و شهودهم.إذ کان الغائب فی الدنیا من شأنه أن ینتظر و الشاهد فیها حاضر و هم شاهدون بأبدانهم مع صدق الغیبه علیهم عنّا:أی بأنفسهم،و لمّا امتنع ذلک العود لا جرم صدق أنّهم غیّب لا ینتظرون و شهود لا یحضرون.

و قوله :و ما عن طول عهدهم.إلی قوله:سکونا.

أی عدم علمنا بأخبارهم و صمم دیارهم عند ندائنا لیس لأجل طول عهد بیننا و بینهم و لا بعد محلّتهم و مستقرّهم فإنّ المیّت حال موته و هو بعد مطروح الجسد مشاهد لنا تعمی علینا أخباره و لا یسمع نداءنا دیاره،و لکن ذلک لأجل أنّهم سقوا

كأس المنيّه فبدّلتهم بالنطق خرسا و بالسمع صمما و بالحركات سكونا و إسناد العمى إلى الأخبار و الصمم إلى الديار مجاز كقولهم:نهاره صائم و ليله قايم.

و قوله:فكأنّهم.إلى قوله:سبات.

أى إذا أراد أحد ينشىء صفه حالهم،شبّههم بالصرعى عن النوم،و وجه الشبه عدم الحركات و السماع و النطق مع الهيئه المشاهده من المستغرق فى نومه .ثمّ نبّه على أنّهم فى أحوالهم الاخرويّه من تجاورهم مع وحدتهم و تهاجرهم ليس كتلك الأحوال فى الدنيا.إذ من شأن الجيران فيها أن يأنس بعضهم ببعض،و الأحياء أن تزاوروا،و الواحد أن لا يكون فى جماعه.و أشار بالجوار إلى تقارب أبدانهم فى القبور،و بالمحابّه إلى ما كانوا عليه من التحابّ فى الدنيا،و بهجرهم إلى عدم تزاورهم،و كذلك خلالهم إلى ما كانوا عليه من المودّه فى الدنيا،و كونهم لا يتعارفون لليل صباحا و لا لنهار مساء لكون الليل و النهار من لواحق الحركات الدنيويّه الفانيه عنهم فتساوى الليل و النهار بالنسبه إليهم،و كذلك قوله:أىّ الجديدين.إلى قوله:سرمدا،و الجديدان الليل و النهار لتجدّد كلّ منهما أبدا. استعاره و استعار وصف الظعن لانتقالهم إلى الدار الآخره،و كون ذلك الجديد الّذى ظعنوا فيه سرمدا عليهم ليس حقيقه لعدم عوده بعينه بل إسناد السرمديّه إليه لكونه جزء من الزمان الّذى يلزمه السرمديّه لذاته حقيقه.

و قوله :شاهدوا.إلى قوله:عاينوا.

إشاره إلى صعوبه أهوال الآخره و عظمه أحوالها بالنسبه إلى ما يخاف منها فى الدنيا،و ذلك أمر عرف بأخبار الشريعه الحقّه و تأكّد باستقراء اللذّات و الآلام العقليّه و نسبتها إلى الحسيّه.ثمّ إنّ الخوف و الرجاء لامور الآخره إنّما يبعثان منّا بسبب وصف تلك الامور،و إنّما يفعل من تلك الأوصاف ما كان فيه مناسبه و تشبّه بالامور المخوفه و المرجّوه فى الدنيا فنحن نتصوّر تلك على قياس هذه فذلك سبب سهولتها علينا و ضعف خوفنا منها و رجائنا لها حتّى لو شاهدنا أخطار تلك الدار لشاهدنا أشدّ ممّا نخافه الآن و نتصوّره و نقدّره بأوهامنا.فلا جرم لمّا

وصل السابقون شاهدوا أفظع ممّا خافوا،و لو أمكنهم النطق لعيّوا بصفه ما شاهدوا منها و عجزوا عن شرحها.

و قوله:فكلتا الغايتين.

أى غايه المؤمنين و الكافرين من سعاده و شقاوه مدّت:أى مدّ لهم أجل ينتهون فيه إلى غايه و مرجع و هو الجنّه أو النار،و ذلك المرجع يفوت مبالغ خوفنا و رجاءنا:أى هو أعظم ممّا نخافه و نرجوه، مجاز و أسند المدّ إلى الغايه مجازا .

و قوله: لقد رجعت .إلى قوله. النطق .

من أفصح الكلام و أبلغه،و أبصار العبر أبصار البصائر الّتى يعتبر بها، مجاز من باب إطلاق اسم السبب على المسبّب و آذان العقول مجاز فى علمها بأحوالهم الّتى من شأنها أن تسمع إطلاقا لاسم السبب على المسبّب.

و قوله:و تكلّموا من غير جهات النطق.

أى من غير أفواه و ألسنه لحمانيّه و لكن بألسنه أحواليّه.

و قوله :فقالوا.إلى قوله:متّسعا.

إشاره إلى ما تنطق به ألسنه أحوالهم و تحكيه منها فى القبور،و روى عوض خلت خوت، استعاره و استعار لفظ الأهدام للتغيّر و التقشّف و التمزيق العارض لجسم الميّت لمشابهتها العظم البالى ،و يحتمل أن يريد بها الأكفان،و المضجع:

القبر.و توارث الوحشه:أى وحشه القبر،و استعار لفظ التوارث لكون تلك الوحشه كانت لآبائهم قبلهم فحصلت لهم بعدهم،و الربوع الصموت:أيضا القبور.

و كذلك مساكن الوحشه.و معارف صورهم:ما كان معروفا منها فى الدنيا.

و قوله :فلو مثّلتهم بعقلك.

أى تخيّلت صورهم و استحضرتها فى خيالك و كشف عنهم محجوب الغطاء لك:أى ما حجب بأغطيه التراب و السواتر لأجسادهم عن بصرك.و الواو فى قوله:

و قد ارتسخت.للحال، استعاره و يقظه قلوبهم استعاره لحياتهم و حركاتها ، مجاز و إسناد العبث إلى جديد البلى مجاز ،و مستسلمات حال للجوارح و العامل عاث و سهل ،و

اللام فى قوله:لرأيت.جواب لو،و أحسن بقوله:لهم فى كلّ فظاعه صفه حال لا تنتقل و غمره لا تنجلى.وصفا إجماليّا.فإنّه لا مزيد عليه فى البلاغه اللذيذه،و أراد بالغمره من الفظاعه ما يغمرهم من الشدائد،و الغذىّ فعيل بمعنى مفعول:

أى مغذى بالترف.

و قوله:و يفزع إلى السلوه.

أى عن المصيبه النازله له إلى المسرّات و المتنزّهات، كنايه-مجاز من باب إطلاق اسم السبب الغائى على مسبّبه و ضحكه إلى الدنيا كنايه عن ابتهاجه بها و ما فيها من القينات و غايه إقباله عليه لأنّ غايه المبتهج بالشىء أن يضحك له،و كذلك ضحك الدنيا مجاز فى إقبالها عليه إطلاقا لاسم السبب الغائى على مسبّبه ،و أصل بينا بين و الألف عن إشباع الفتحه،و العيش الغفول الّذى يكثر الغفله فيه لطيبه. استعاره مرشحه و استعار لفظ الحسك للآلام و الأمراض و مصائب الدهر،و وجه المشابهه استلزامها للأذى كاستلزام الحسك له،و رشّح بذكر الوطى استعاره ،و كذلك استعار وصف النظر لإقبال الحتوف إليه لاستعداد لها فشابهت فى ذلك الراصد للشىء المصوب إليه نظره ليقتنصه ،و البثّ و النجىّ من الهمّ الحال الّتى يجدها الإنسان عند و هم الموت من الوسواس و التخيّلات و الغموم و الأحزان الّتى عند و هم الموت من الوسواس و التخيّلات و الغموم و الأحزان الّتى لم تكن تعرض له.

و قوله:فتولّدت فيه فترات علل آنس ما كان بصحّته.

و انتصاب آنس على الحال،و ما بمعنى الزمان،و كان تامّه،و بصحّته متعلّق بآنس:أى حال ما هو آنس زمان مدّه صحّته،و قيل:ما مصدريّه،و التقدير آنس كونه على أحواله لصحّته.

و قوله ،فلم يطفىء ببارد إلاّ ثوّر حراره.إلى قوله:ذات داء.

إشاره إلى لوازم العلاج عند سقوطه العلّه من المرض الحارّه و البارد المقاوم لها،و ليس العلاج بالبارد هو المثوّر للحراره و لا بالعكس لأنّ الدواء معين للطبيعه على مقاومه المرض فلا يكون مثوّرا له،و لكن ما كان مع ذلك العلاج و تلك الإعانه لغلب الحراره و البروده و يظهر بسبب ذلك:أى الدواء،و كذلك

قوله:و لا اعتدل بممازج لتلك الطبايع إلاّ أمدّ منها كلّ ذات داء:أی و لا اعتدل المريض فی علاجه نفسه بما يمازج تلک الطبايع من الحراره و البروده و الرطوبه و اليبوسه إلاّ كان مادّه لداء،و ليس مادّه على الحقيقه و لكن لمّا كان يغلب معه المرض على القوّه فكأنّه مادّه له فنسب إليه و هی امور عرفيّه يقال كثيرا،و الكلام فيها على المتعارف.

و قوله :حتّى فتر معلّله.

غايه تلک اللوازم.و معلّله:طبيبه و ممرّضه. استعاره و خرس أهله عن جواب السائل :

إشاره إلى سكوتهم عند السؤال من حاله،و ذلک أنّهم لا يخبرون عن عافيه لعدمها، و تكره نفوسهم الإخبار عنه بما هو عليه من الحال لشدّتها عليهم،فيكون شأنهم فی ذلک السكوت عن حاله المشبه للخرس فی جوابه.فذلک استعاره له.

و قوله :و تنازعوا.إلى قوله:من قبله.

إشاره إلى ما يتحاوره أهل المريض المشرف على الموت من أحواله و صوره بما العاده جاريه أن يقولوه.

و قوله :فبينا هو كذلک.

صفه حال الأخذ فی الموت المعتاد للناس.

و قوله :إنّ للموت.إلى آخره.

تلک الغمرات و كونها،أفظع من أن يحيط بها وصف الإنسان أو يستقيم شرحها على الإنسان كما يخبر عليه السّلام.و يعلم ذلک على سبيل الجمله و بالحدس و القياس إلى الأمراض الصعبه الّتی يمارسها الناس و يشتدّ عليهم فيعرف عند مقاساتها و معاناه شدايدها.و كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول فی سكرات موته:اللّهمّ أعنّی على سكرات الموت.و ما يستعين عليه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مع كمال اتّصاله بالعالم الأعلى فلا شکّ فی شدّته.و باللّه التوفيق.

ص:۶۵

۲۱۳-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

قاله عند تلاوته: «رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَهٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ»

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى جَعَلَ الذِّكْرَ جِلاءً لِلْقُلُوبِ- تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَهِ وَ تُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَهِ- وَ تَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَهِ- وَ مَا بَرِحَ لِلَّهِ عَزَّتْ آلاؤُهُ فِي الْبُرْهَهِ بَعْدَ الْبُرْهَهِ- وَ فِي أَزْمَانِ الْفَتَرَاتِ عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ- وَ كَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ- فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقَظَهٍ فِي الْأَبْصَارِ وَ الْأَسْمَاعِ وَ الْأَفْئِدَهِ- يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ اللَّهِ وَ يُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ- بِمَنْزِلَهِ الْأَدِلَّهِ فِي الْفَلَوَاتِ- مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ وَ بَشَّرُوهُ بِالنَّجَاهِ- وَ مَنْ أَخَذَ يَمِيناً وَ شِمَالاً ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ- وَ حَذَّرُوهُ مِنَ الْهَلَكَهِ- وَ كَانُوا كَذَلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ- وَ أَدِلَّهَ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ- وَ إِنَّ لِلذِّكْرِ لَأَهْلاً أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلاً- فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَهٌ وَ لَا بَيْعٌ عَنْهُ- يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاهِ- وَ يَهْتِفُونَ بِالزَّوَاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ- وَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَ يَأْتَمِرُونَ بِهِ- وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ- فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَهِ وَ هُمْ فِيهَا- فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ- فَكَأَنَّمَا اطَّلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ الْبَرْزَخِ فِي طُولِ الْإِقَامَهِ فِيهِ- وَ حَقَّقَتِ الْقِيَامَهُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا- فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذَلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا- حَتَّى كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لَا

يَرَى النَّاسُ وَ يَسْمَعُونَ مَا لاَ يَسْمَعُونَ- فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ الْمَحْمُودَهِ- وَ مَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَهِ- وَ قَدْ نَشَرُوا دَوَاوِينَ أَعْمَالِهِمْ- وَ فَرَغُوا لِمُحَاسَبَهِ أَنْفُسِهِمْ عَلَى كُلِّ صَغِيرَهٍ وَ كَبِيرَهٍ- أُمِرُوا بِهَا فَقَصَّرُوا عَنْهَا أَوْ نُهُوا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا وَ حَمَّلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ- فَضَعُفُوا عَنِ الاِسْتِقْلاَلِ بِهَا- فَنَشَجُوا نَشِيجاً وَ تَجَاوَبُوا نَحِيباً- يَعِجُّونَ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ مَقَامِ نَدَمٍ وَ اعْتِرَافٍ- لَرَأَيْتَ أَعْلاَمَ هُدًى وَ مَصَابِيحَ دُجًى- قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلاَئِكَهُ- وَ تَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَهُ- وَ فُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَ أُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ الْكَرَامَاتِ- فِي مَقْعَدٍ اطَّلَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ- فَرَضِيَ سَعْيَهُمْ وَ حَمِدَ مَقَامَهُمْ- يَتَنَسَّمُونَ بِدُعَائِهِ رَوْحَ التَّجَاوُزِ- رَهَائِنُ فَاقَهٍ إِلَى فَضْلِهِ وَ أُسَارَى ذِلَّهٍ لِعَظَمَتِهِ- جَرَحَ طُولُ الْأَسَى قُلُوبَهُمْ وَ طُولُ الْبُكَاءِ عُيُونَهُمْ- لِكُلِّ بَابِ رَغْبَهٍ إِلَى اللَّهِ مِنْهُمْ يَدٌ قَارِعَهٌ- يَسْأَلُونَ مَنْ لاَ تَضِيقُ لَدَيْهِ الْمَنَادِحُ- وَ لاَ يَخِيبُ عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ- فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الْأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ

اللغه

أقول: الوقره : الغفله من الوقر و هو الصمم .و العشوه : الغفله من العشاء و هو ظلمه العين بالليل دون النهار .و البرهه : المدّه الطويله من الزمان .و يهتفون : يصيحون .و البرزخ : ما بعد الموت من مكان و زمان .و النشج: الصوت فى ترديد النفس عند البكاء .و المنادح : جمع مندح و هو المتّسع .

المعنی

فقوله: إنّ اللّه سبحانه .إلی قوله: بعد المعانده .

إنّما یتّضح بالإشاره إلی الذکر و فضیلته و فائدته:الذکر هو القرآن الکریم لقوله تعالی «وَ هذا ذِکْرٌ مُبارَکٌ أَنْزَلْناهُ» (۱)و نحوه،و قیل:هو إشاره إلی تحمیده تعالی و تسبیحه و تکبیره و تهلیله و الثناء علیه و نحو ذلک،و أمّا فضیلته فمن القرآن قوله تعالی «فَاذْکُرُونِی أَذْکُرْکُمْ» (۲)و قوله «اذْکُرُوا اللّهَ ذِکْراً کَثِیراً» (۳)و قوله «فَإِذا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفاتٍ فَاذْکُرُوا اللّهَ» (۴)الآیه،و قوله «فَإِذا قَضَیْتُمْ مَناسِکَکُمْ فَاذْکُرُوا اللّهَ» (۵)الآیه.و أمّا من الأخبار فقوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:

ذاکر اللّه فی الغافلین کالمقاتل فی الفارّین،و قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:یقول اللّه:أنا مع عبدی ما ذکرنی و تحرّکت بی شفتاه،و قوله:ما عمل ابن آدم من عمل أنجی له من عذاب اللّه من ذکر اللّه.قالوا:یا رسول اللّه و لا الجهاد فی سبیل اللّه.قال:و لا الجهاد فی سبیل اللّه إلاّ أن تضرب بسیفک إلی أن ینقطع ثمّ تضرب به حتّی ینقطع-ثلاثا-و قوله:من أحبّ أن یرتع فی ریاض الجنّه فلیکثر منه ذکر اللّه.و نحو ذلک.فأمّا فائدته:فاعلم أنّ المؤثّر من الذکر و النافع منه ما کان علی الدوام أو فی أکثر الأوقات مع حضور القلب،و بدونهما فهو قلیل الجدوی.و بذینک الاعتبارین هو المقدّم علی سایر العبادات بل هو روح العبادات العملیّه و غایه ثمرتها،و له أوّل یوجب الانس باللّه و آخر یوجبه الانس باللّه،و ذلک أنّ المرید فی مبدء أمره قد یکون متکلّفا لذکر أمر لیصرف إلیه قلبه و لسانه عن الوسواس فإن وفّق للمداومه أنس به و انغرس فی قلبه حبّ المذکور،و ممّا یتبّه علی ذلک أنّ أحدنا یمدح بین یدیه شخص و یذکر بحمید الخصال فیحبّه و یعشقه بالوصف و کثره الذکر ثمّ إذا عشق بکثره الذکر اضطرّ إلی کثره الذکر آخرا بحیث لا یصبر عنه فإنّ من أحبّ شیئا أکثر ذکره و من أکثر من ذکر شیء و إن کان متکلّفا أحبّه،و قد شاهدنا ذلک کثیرا.کذلک أوّل ذکر اللّه متکلّف إلی أن یثمر الانس به و الحبّ له.

ص:۶۸

۱- ۱) ۵۱-۲۱.

۲- ۲) ۱۴۷-۲.

۳- ۳) ۴۱-۳۳.

۴- ۴) ۱۹۴-۲.

۵- ۵) ۱۹۶-۱۲.

ثمّ يمتنع الصبر عنه آخرا فيثمر الثمره،و لـذلك قال بعضـهم:كابـدت القرآن عشـرين سـنه.ثمّ تنعّمت به عشـرين سـنه.و لا يصدر التنعّم إلّا عن الانس و الحبّ و لا يصدر الانس إلّا من المداومه على المكابده حتّى يصير التكلّف طبعا.ثمّ إذا حصل الانس باللّه انقطع عن غير اللّه،و مـا سوى اللّه يفـارقه عنـد الموت فلاـ تبقى معه فى القبر أهـل و لاـ مـال و لاـ ولـد و لاـ ولاـيه و لا تبقى إلّا المحبوب المذكور فيتمتّع به و يتلذّذ بانقطاع العوائق الصارفه عنه من أسباب الدنيا و محبوباتها.

إذا عرفت ذلك استعاره فقوله: جعله جلاء .إشاره إلى فائـدته و هى اسـتعداد النفوس بمـداومته على الوجه الّذى ذكرناه لمحبّه المـذكور و الإـعراض عمّا سواه،و اسـتعار لفظ الجلاء لإزاله كلّ ما سوا المـذكور عن لوح القلب بالـذكر كما يزال خبث المرآه بالصـقال ، مجاز من باب اطلاق اسم السـبب على المسبّب و تجوّز بلفظ السمع فى إقبالها على ما ينبغى أن يسمع من أوامر اللّه و نواهيه و ساير كلامه،و الوقره لإعراضـها عنها،و كذلك بلفظ البصر فى إدراكها للحقايق و ما ينبغى لها،و لفظ العشوه لعدم ذلك الإـدراك إطلاقـا فى المجـازات الأربعه لاسم السبب على المسبّب .و انقياد هاله:أى للحقّ،و سـلوك طريقه بعـد المعانـده فيه و الانحراف عنه .

و قوله: و ما برح .إلى قوله: عقولهم .

إشـاره إلى أنّه لم يخلو المـدد و أزمـان الفترات قـطّ من عبـاد اللّه و أوليـاء له و ألهمهم معرفته و أفاض على أفكارهم و عقولهم صور الحقّ و كيفيّه الهدايه إليه مكاشفه،و تلك الإفاضه و الإلهام هو المراد بالمناجات و التكلّم منه.

و قوله:فاستصبحوا.إلى قوله:و الأفئده.

أى اسـتضاءوا بمصباح نور اليقظه،و اليقظه فى الافئده فطانتها و استعدادها الكامل لما ينبغى لها من الكمالات العقليّه،و نور تلك اليقظه هو مـا يفاض عليها بسـبب اسـتعدادها بتلك الفطانه و يقظه الأبصار و الأسـماع بتتّبعها لإبصار الامور النافعه المحصّله منها عبره و كمالا نفسانيّا و سـماع النافع من الكلام،و أنوار اليقظه فيهما ما يحصل بسـبب ذلك الإبصار و السماع من أنوار الكمالات النفسانيّه.

ص:۶۹

کنایه-مجاز من باب إطلاق اسم المحلّ علی الحالّ ثمّ شرع فی وصف حالهم فی هدیهم لسبیل اللّه بأیّامه ،و هی کنایه عن شدایده النازله بالماضین من الامم،و أصله أنّها یقع فی الأیّام،و یحتمل أن یکون مجازا إطلاقا لاسم المحلّ علی الحالّ ، کنایه و مقام اللّه کنایه عن عظمته و جلالته المستلزمه للهیبه و الخوف . تشبیه و شبّههم بالأدلّه فی الفلوات ،و وجه الشبه کونهم هادین لسبیل اللّه کما تهدی الأدلّه،و کما أنّ الأدلّه تحمد من أخذ القصد فی الطریق طریقه و تبشّره بالنجاه و من انحرف عنها یمینا و شمالا ذمّوا إلیه طریقه و حذّروه من الهلکه کذلک الهداه إلی اللّه من سلک سبیل اللّه العدل إلیه و قصد فیها حمدوا إلیه طریقه و بشّروه بالنجاه من المهالک ،و من انحرف عنها یمینا و شمالا:أی سلک أحد طرفی الإفراط و التفریط ذمّوا إلیه مسلکه و حذّروه من الهلاک الأبدیّ.

و قوله :و کانوا کذلک.

أی کما و صفناهم، استعاره و استعار لفظ المصابیح باعتبار إضاءتهم بکمالاتهم بطریق اللّه،و لفظ الأدلّه باعتبار هداهم إلی الحقّ و تمییزه عن شبهاب الباطل.

و قوله :و إن للذکر لأهلا.إلی قوله:أیّام الحیاه.

فأهله هو من ذکرنا أنّهم اشتغلوا به حتّی أحبّوا المذکور و نسوا ما عداه من المحبوبات الدنیویّه،و إنّ من حبّ محبّه المذکور محبّه ذکره و ملازمته حتّی اتّخذوه بدلا من متاع الدنیا و طیّباتها و لم یشغلهم عنه تجاره و لا بیع و قطعوا به أیّام حیاتهم الدنیا.

و قوله :و یهتفون.إلی قوله:و یتناهون عنه.

إشاره إلی وجوه طاعتهم للّه و عبادتهم له و هی من ثمرات الذکر و محبّه المذکور لأنّ من أحبّ محبوبا سلک مسلکه و لم یخالف رسمه و کان له فی ذلک الابتهاج و اللذّه.

تشبیه و قوله : فکأنّما قطعوا.إلی قوله:عداتها .

تشبیه لهم فی ثقتهم باللّه و بما جاءت به کتبه و رسله،و تحقّقهم لأحوال القیامه و وعدها و وعیدها بعین الیقین عن قطع الدنیا من أحوال أهل البرزخ و

طول إقامتهم فيه فكشفوا غطاء تلك الأحوال لأهل الدنيا بالعبادات الواضحه و البيانات اللايحه حتّى كأنّهم فى وصفهم لها عن صفاء سرائرهم و صقال جواهر نفوسهم بالرياضه التامّه يرون بأبصارهم ما لا- يرى الناس،و يسمعون بآذانهم ما لا يسمعون الناس.إذ يخبرون عن مشاهدات و مسموعات لا يدركها الناس،و لمّا كان السبب فى قصور النفوس عن إدراك أحوال الآخره هو تعلّقها بهذه الأبدان و اشتغالها بتدبيرها و الانغماس فى الهيئات الدنيويّه المكتسبه عنها،و كان هؤلاء الموصوفون قد غسلوا درن تلك الهيئات عن ألواح نفوسهم بمداومه ذكر اللّه و ملازمه الرياضه التامّه حتّى صارت نفوسهم كمرأى مجلوّه حوذى بها شطر الحقائق الإلهيّه فتجلّت و انتقشت بها لا جرم شاهدوا بعين اليقين سبيل النجاه و سبيل الهلاك و ما بينهما فسلكوا على بصيره و هدوا الناس على يقين و أخبروا عن امور شاهدوها بأعين بصائرهم و سمعوا بآذان عقولهم فكأنّهم فى وضوح ذلك لهم و ظهوره و إخبارهم عنه قد شاهدوا ما شاهده الناس بحواسّهم فشاهدوا ما لم يشاهده الناس و سمعوا ما لم يسمعوه.

و قوله :فلو مثّلتهم بعقلك.

أى استحضرت صورهم و أعمالهم فى مقاومهم المحموده و مجالسهم المشهوده و هى مقامات العباده و مجالسها.و دواوين أعمالهم:أذهانهم و ما ثبت فيها من أفعالهم.و نشرها:تتّبع نفوسهم بأفكارها و تخيّلاتها لصور تلك الأعمال و تصفّحها لها المشبّهه لتصفّح الأوراق.و الواو فى قوله:و فرغوا لمحاسبه أنفسهم على كلّ صغيره و كبيره للبيان.ليستدعى بيان معنى المحاسبه،و لمّا كان معناها ليستدعى محاسبا حتّى يكون النظر معه فى رأس المال فى الربح و الخسران ليبيّن له الزياده و النقصان، و إن كان من فضل حاصل استوفاه و إن كان من خسران طالبه بضمانه و كلّفه تداركه فى المستقبل فكذلك العبد معامله نفسه الأمّاره بالسوء،و رأس ماله الفرائض و ربحه النوافل و الفضائل،و الخسران المعاصى،و موسم هذه التجاره جمله النهار فينبغى أن يكون للعبد فى آخره ساعه يطالب بها نفسه و يحاسبها على جميع حركاتها و سكاناتها

فإن كان قد أدّى الفرائض على وجهها شكر اللّه تعالى عليه و رغّبها فى مثلها،و إن فوّتها من أصلها كلّفها بالقضاء،و إن أدّتها ناقصه كلّفها بالجبران بالنوافل،و إن ارتكب معصيه اشتغل بعقابها و تعذيبها و معاتبتها و استوفى منها ما يتدارك به تفريطها كما يصنع التاجر بشريكه.و كما أنّه ينقش فى حساب الدنيا عن الحبّه و القيراط فيحفظ مداخل الزياده و النقصان كذلك ينبغى أن تتّقى خدعه النفس و مكرها فإنّها مخادعه مكّاره فليطالبها أوّلا بتصحيح الجواب عمّا تكلّم به طول نهاره و ليتولّى من حسابها بنفسه ما سيتولاّه غيره فى محفل القيامه،و كذلك عن نظره و خواطره و أفكاره و قيامه و قعوده و أكله و شربه،و حتّى عن سكونه و سكوته.فإذا عرف أنّها أدّت الحقّ فى الجميع كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر بها الباقى و يقرّره عليها و يكتبه على صحيفه قلبه.ثمّ إنّ النفس غريم يمكن أن يستوفى منه الديون أمّا بعضها فبالغرامه و الضمان و بعضها بردّ عينها بالعقوبه لها على ذلك و لا يمكن شيء من ذلك إلاّ بعد تحقّق الحساب و تميّز باقى الحقّ الواجب عليه.

ثمّ يشتغل بعده بالمطالبه.و ينبغى أن يحاسب الإنسان النفس على جميع العمر يوما يوما و ساعه فى جميع الأعضاء الظاهره و الباطنه كما نقل عن توبه بن الصمه و كان بالرقّه و كان محاسبا لنفسه فحسب يوما فإذا هو ستّين سنه فحسب أيّامها فإذا أحد و عشرون ألف يوم و خمس مائه يوم فصرخ فقال:يا ويلتى ألقى الملك بأحد و عشرين ألف ذنب.ثمّ خرّ مغشيّا عليه فإذا هو ميّت فسمعوا قائلا يقول:يا لك ركضه إلى الفردوس الأعلى.فهكذا ينبغى أن تكون المحاسبه،و لو رمى العبد بكلّ معصيه حصاه فى داره لامتلأت داره فى مده يسيره من عمره و لكنّه يتساهل فى حفظها و الملكان يحفظان عليه كما قال تعالى «أَحْصاهُ اللّهُ وَ نَسُوهُ» (۱).

إذا عرفت ذلك فقوله :و فرغوا لمحاسبه أنفسهم.إلى قوله:ندم و اعتراف.

إشاره إلى حال وجدانهم عند محاسبه أنفسهم لتقصيرها و الخسران فى رءوس

۱- ۱) ۷-۵۸.

أموالهم الّتى هى الطاعات و نشيجهم و نحيبهم و عجّهم فى الندم و الاعتراف بالذنب إشاره إلى حالهم فى تدارك ذلك الخسران بالشروع فى الجبران.فأوّل مقاماته التوبه و لوازمها المذكوره،ثمّ العمل .

استعاره و قوله: لرأيت.إلى قوله:الراغبون .

صفات أحوالهم المحموده،و اللام فى قوله:لرأيت.جواب لو فى قوله:فلو مثّلهم،و استعار لهم لفظه الأعلام و المصابيح باعتبار كونهم أدلّه إلى طريق اللّه و ذوى أنوار يستضاء بها فيها ، كنايه و حفوف الملائكه بهم كنايه عن إحاطه عنايتهم به،و ذلك لكمال استعدادهم لقبول الأنوار عن اللّه بواسطه الملائكه الكروبيّه و وجوب فيضها عليهم عنهم،و فى ذلك الإشاره إلى إكرامهم بذلك.

و قوله:و تنزّلت عليهم السكينه.

إشاره إلى بلوغ استعداد نفوسهم لإفاضه السكينه عليها و هى المرتبه الثالثه من أحوال السالك بعد الطمأنينه،و ذلك أن تكثّر تلك البروق و اللوامع الّتى كانت تغشيه حتّى يصير ما كان مخوفا منها مألوفا،و كانت تحصل لا لمشيئه السالك فيصير حصولها بمشيئته و إرادته.و فتح أبواب السماء لهم إشاره إلى فتح أبواب سماء الجود الإلهىّ بإفاضه الكمالات عليهم كما قال تعالى «فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ» (۱)و مقاعد الكرامات مراتب الوصول إليه.و تلك المقاعد الّتى اطّلع اللّه تعالى عليهم فيها فرضى سعيهم بالأعمال الصالحه المبلّغه إليها،و حمد مقامهم فيها.

و قوله :يتنسّمون بدعائه روح التجاوز.

أى يدعونه و يتوقّعون بدعائه تجاوزه عن ذنوبهم،و أن لا يجعل تقصيرهم فيما عساهم قصّروا فيه سببا لانقطاع فيضه،و قد علمت أنّ سيّئات هؤلاء يعود إلى ترك الأولى بهم. استعاره ثمّ استعار لهم لفظ الرهائن لكونهم فى محلّ الحاجه إلى فضله لا معدول و لا ملجأ لهم عنه كالرهائن فى يد المسترهن،و كذلك لفظ الاسارى ،

ص:۷۳

۱- ۱) ۱۱-۵۴.

و وجه المشابهه كونهم فى مقام الذلّه بحسب عظمته كالأسير بالنظر إلى عظمه من أسرّه.

و قوله:جرح.إلى قوله:عيونهم.

فذلك الجرح من لوازم اطّلاعهم على خيانه أنفسهم و خسرانهم فى معاملتهم لها بعد محاسبتها.

و قوله :لكلّ باب.إلى قوله:يد قارعه.

أشار بقرعهم لكلّ باب من أبواب الرغبه إلى اللّه إلى توجيه أسرارهم و عقولهم إلى القبله الحقيقيّه استشراقا لأنوار اللّه و استسماحا لجوده.

و قوله:يسألون.إلى قوله:المنادح.

إشاره إلى سعه جوده و فضله و أنّه أكرم الأكرمين ليتبيّن أنّه أحقّ مسئول بإعطاء سؤل و أولى مرغوب إليه بإسداء مرغوب.

و قوله :فحاسب نفسك.إلى آخره.

أى فتولّ أنت حساب نفسك.فإنّ حساب غيرها من النفوس و هى الّتى لم يحاسبها صاحبها يتولّاه غيرك و هو أسرع الحاسبين،و ذلك فى معنى تهديد الإنسان على ترك محاسبه نفسه.و باللّه التوفيق.

۲۱۴-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

قاله عند تلاوته «يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ»

أَدْحَضُ مَسْئُولٍ حُجَّهً وَ أَقْطَعُ مُغْتَرٍّ مَعْذِرَهً- لَقَدْ أَبْرَحَ جَهَالَهً بِنَفْسِهِ- «يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ» مَا جَرَّأَكَ عَلَى ذَنْبِكَ- وَ «ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ» وَ مَا أَنَّسَكَ بِهَلَكَهِ نَفْسِكَ- أَ مَا مِنْ دَائِكَ بُلُولٌ أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمِكَ يَقَظَهٌ- أَ مَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ

مَا تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِکَ- فَلَرُبَّمَا تَرَی الضَّاحِیَ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ فَتُظِلُّهُ- أَوْ تَرَی الْمُبْتَلَی بِأَلَمٍ یُمِضُّ جَسَدَهُ فَتَبْکِی رَحْمَةً لَهُ- فَمَا صَبَّرَکَ عَلَی دَائِکَ وَ جَلَّدَکَ عَلَی مُصَابِکَ وَ عَزَّاکَ عَنِ الْبُکَاءِ عَلَی نَفْسِکَ- وَ هِیَ أَعَزُّ الْأَنْفُسِ عَلَیْکَ- وَ کَیْفَ لاَ یُوقِظُکَ خَوْفُ بَیَاتِ نِقْمَةٍ- وَ قَدْ تَوَرَّطْتَ بِمَعَاصِیهِ مَدَارِجَ سَطَوَاتِهِ- فَتَدَاوَ مِنْ دَاءِ الْفَتْرَةِ فِی قَلْبِکَ بِعَزِیمَةٍ- وَ مِنْ کَرَی الْغَفْلَةِ فِی نَاظِرِکَ بِیَقَظَةٍ- وَ کُنْ لِلَّهِ مُطِیعاً وَ بِذِکْرِهِ آنِساً- وَ تَمَثَّلْ فِی حَالِ تَوَلِّیکَ عَنْهُ- إِقْبَالَهُ عَلَیْکَ یَدْعُوکَ إِلَی عَفْوِهِ- وَ یَتَغَمَّدُکَ بِفَضْلِهِ وَ أَنْتَ مُتَوَلٍّ عَنْهُ إِلَی غَیْرِهِ- فَتَعَالَی مِنْ قَوِیٍّ مَا أَکْرَمَهُ- وَ تَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِیفٍ مَا أَجْرَأَکَ عَلَی مَعْصِیَتِهِ- وَ أَنْتَ فِی کَنَفِ سِتْرِهِ مُقِیمٌ- وَ فِی سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ- فَلَمْ یَمْنَعْکَ فَضْلَهُ وَ لَمْ یَهْتِکْ عَنْکَ سِتْرَهُ- بَلْ لَمْ تَخْلُ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرِفَ عَیْنٍ- فِی نِعْمَةٍ یُحْدِثُهَا لَکَ أَوْ سَیِّئَةٍ یَسْتُرُهَا عَلَیْکَ- أَوْ بَلِیَّةٍ یَصْرِفُهَا عَنْکَ فَمَا ظَنُّکَ بِهِ لَوْ أَطَعْتَهُ- وَ ایْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ کَانَتْ فِی مُتَّفِقَیْنِ فِی الْقُوَّةِ- مُتَوَازِیَیْنِ فِی الْقُدْرَةِ- لَکُنْتَ أَوَّلَ حَاکِمٍ عَلَی نَفْسِکَ بِذَمِیمِ الْأَخْلاَقِ- وَ مَسَاوِئِ الْأَعْمَالِ- وَ حَقّاً أَقُولُ مَا الدُّنْیَا غَرَّتْکَ وَ لَکِنْ بِهَا اغْتَرَرْتَ- وَ لَقَدْ کَاشَفَتْکَ الْعِظَاتِ وَ آذَنَتْکَ عَلَی سَوَاءٍ- وَ لَهِیَ بِمَا تَعِدُکَ مِنْ نُزُولِ الْبَلاَءِ بِجِسْمِکَ- وَ النَّقْصِ فِی قُوَّتِکَ أَصْدَقُ وَ أَوْفَی مِنْ أَنْ

تَکْذِبَکَ أَوْ تَغُرَّکَ- وَ لَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَکَ مُتَّهَمٌ- وَ صَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُکَذَّبٌ- وَ لَئِنْ تَعَرَّفْتَهَا فِی الدِّیَارِ الْخَاوِیَهِ وَ الرُّبُوعِ الْخَالِیَهِ- لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذْکِیرِکَ- وَ بَلاَغِ مَوْعِظَتِکَ- بِمَحَلَّهِ الشَّفِیقِ عَلَیْکَ وَ الشَّحِیحِ بِکَ- وَ لَنِعْمَ دَارُ مَنْ لَمْ یَرْضَ بِهَا دَاراً- وَ مَحَلُّ مَنْ لَمْ یُوَطِّنْهَا مَحَلاًّ- وَ إِنَّ السُّعَدَاءَ بِالدُّنْیَا غَداً هُمُ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْیَوْمَ- إِذَا رَجَفَتِ الرَّاجِفَهُ وَ حَقَّتْ بِجَلاَئِلِهَا الْقِیَامَهُ- وَ لَحِقَ بِکُلِّ مَنْسَکٍ أَهْلُهُ وَ بِکُلِّ مَعْبُودٍ عَبَدَتُهُ- وَ بِکُلِّ مُطَاعٍ أَهْلُ طَاعَتِهِ- فَلَمْ یُجْزَ فِی عَدْلِهِ وَ قِسْطِهِ یَوْمَئِذٍ خَرْقُ بَصَرٍ فِی الْهَوَاءِ- وَ لاَ هَمْسُ قَدَمٍ فِی الْأَرْضِ إِلاَّ بِحَقِّهِ- فَکَمْ حُجَّهٍ یَوْمَ ذَاکَ دَاحِضَهٌ- وَ عَلاَئِقِ عُذْرٍ مُنْقَطِعَهٌ- فَتَحَرَّ مِنْ أَمْرِکَ مَا یَقُومُ بِهِ عُذْرُکَ وَ تَثْبُتُ بِهِ حُجَّتُکَ- وَ خُذْ مَا یَبْقَی لَکَ مِمَّا لاَ تَبْقَی لَهُ- وَ تَیَسَّرْ لِسَفَرِکَ وَ شِمْ بَرْقَ النَّجَاهِ وَ ارْحَلْ مَطَایَا التَّشْمِیرِ

اللغه

أقول: حجّه داحضه : باطله .و أبرح جهاله بنفسه : أی بالغ فی تحصیل جهالتها و أعجبه ذلک .و البلول : الصحّه .و الضاحی : البارز للشمس .و الممضّ:

المؤلم .و السطوه : البطش و القهر،و السطوه المرّه منه و الجمع سطوات .و التجلّد : التقوّی و التصبّر .و الورطه : الهلاک .و تعمّدک : قصدک .و الکنف:

الحیاطه .و الکنف : الجانب .و آذنک : أعلمک .و المنسک : موضع العباده،و أصله کلّ موضع یتردّد إلیه و یقصد .و التحرّی : طلب الأحری و الأولی .و شم

ص:۷۶

برق النجاه : أى أنظر إليه .

المعنى

فقوله: أدحض .

خبر مبتداء محذوف و التقدير الإنسان عند سؤال ربّه له ما غرّك بربّك الكريم أدحض مسئول حجّه،و أشدّه انقطاعا فى عذره.و مبالغته فى تجهيل نفسه:

كثره إمهالها فى متابعه هواها و تركها عن الإصلاح،و المنصوبات الثلاثه مميّزات .

استفهام توبيخى تجاهل العارف و قوله: «يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ» .إلى قوله:بهلكه نفسک.

استفهامات عن أسباب جرأته على الذنوب و أسباب غرّته بربّه و غفلته عن شدّه بأسه و عن أسباب انسه بهلکه نفسه بتوريطها فى المعاصى معها استفهاما على سبيل التقريع و التوبيخ،و يحتمل أن يكون قوله:ما آنسک.تعجّبا ،و كذلک الاستفهام عن بلوله من داء الجهل و يقظته من نوم الغفله و رحمته لنفسه كما يرحم غيرها إلاّ أنّ الاستفهامات الثلاثه الأولى يطلب فيها تصوّر تلک الأسباب و فهم حقيقتها على سبيل تجاهل العارف،و فى هذه الثلاثه الأخيره يطلب فيها التصديق .

ثمّ نبّه على وجوب رحمته لنفسه كما يرحم غيرها بقوله:فلربّما ترى الضاحى.

إلى قوله:رحمه له،و هى فى قوّه صغرى قياس احتجّ به،و وجه ذلک أنّک قد ترحم من تراه فى حرّ الشمس فتظلّه أو مبتلى بألم فتبکى رحمه له،و كلّ من كان كذلک فأولى أن يرحم لنفسه بانقاذها من بلاء تقع فيه.ينتج إنّک أولى أن ترحم نفسک من دائها.

استفهام توبيخى و قوله: فما صبّرک.إلى قوله:الأنفس عليک .

استفهام عن أسباب صبره على دائه و تجلّده على مصائبه الّتى تلحقه بسبب ذلک الداء و تعزيّه عن البكاء على نفسه و على أعزّ الأنفس عليه استفهام توبيخ و لائمه حسنها بعد ذلک الاحتجاج ظاهر ،و نبّه بقوله:و كيف لا يوقظک.إلى قوله:سطواته.على بعض أسباب اليقظه لعظمه اللّه عن الغفله عنها و هى خوف بيات نقمه أن يوقعها به ليلا.كقوله تعالى «أَ فَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا بَياتاً وَ هُمْ»

«نائِمُونَ» (۱)و مدارج سطواته مجاری بطشه و قهره و هی محالّ المعاصی و أسبابها.

و التورّط فیها:الحصول فیها المستلزم للهلاک الاخروىّ.

و قوله:فتداو.إلی قوله:بیقظه.

تنبیه علی الدواء من الفتره فی القلب عن ذکر اللّه و هو العزیمه علی طاعته و الإجماع علی ملازمه ذکره،و من نوم الغفله فی ناظر القلب عن ذلک بالیقظه له .ثمّ أمر بما ینبغی أن یکون تلک العزیمه علیه و تلک الیقظه له و هما طاعه اللّه و تحصیل الانس بدوام ذکره.

و قوله:و تمثّل.إلی قوله:یصرفها عنک.

تنبیه له علی ضروب نعم اللّه علیه و مقابلته لها بالکفران و المعصیه لعلّه یتذکّر أو یخشی فأمره أن یتمثّل فی ذهنه فی حال إعراضه عن ربّه و انهما که فی معصیته إقباله علیه بضروب نعمه من دعوته له بکلامه علی ألسنه خواصّ رسله إلی عفوه و تعمّده إیّاه بفضله و إقامته فی کنف ستره و تقلّبه فی سعه فضله لم یمنعه فضله و لاهتک عنه ستره لمقابلته تلک النعم بالکفران و المعصیه بل لم یخل من لطفه مقدار طرفه عین،و ذلک الطف فی نعمه یحدثها له أو سیّئه یسترها علیه أو بلیّه یصرفها عنه.فأحسن بهذا التنبیه فإنّ استحضار ذهن العاقل بضروب هذه النعم فی حال الإقبال علی المعصیه من أقوی الجواذب إلی اللّه عنها،و إنّما قال:و تمثّل.لأنّ الحاضر فی الذهن لیس هو نفس إقبال اللّه علی العبد بل معناه و مثاله.و یدعوه:فی موضع الحال،و کذلک الواو فی قوله:و أنت.و الملازمه أنّ فضله کان علیک حال معصیتک له کثیرا کما تقدّم بیانه فبالطریق الأولی أن یتمّ فضله علیک حال طاعتک إیّاه و حسن ظنّک به.

و قوله :و أیم اللّه.إلی قوله:الأعمال.

أی لو کان هذا الوصف الّذی ذکرناه من إقبال اللّه علیک بضروب نعمه و

۱- ۱) ۹۵-۷.

مقابلتك له بالإعراض عنه و الإقبال على معاصيه وصف مثلين من الناس فى القوّه و القدره و المنزله و كنت أنت المسىء منهما لكان فيما ينبغى لك من الحياء و الأنفه أن تكون أوّل حاكم على نفسك بتقصيرها و ذميم أخلاقها و مقابح أعمالها.و هو صوره احتجاج يقرّر عليه مساوى أعماله و يجذبه بذلك إلى تبديلها بمحاسنها فى قياس ضمير من الشكل الأوّل ذكر فى الكلام صغراه.تلخيصها:أنّك أوّل حاكم على نفسك بتقصيرها على تقدير أن يكون موليك هذه النعم مثلا لك،و تقدير الكبرى و كلّ من كان كذلك فأولى به أن يكون أوّل حاكم عليها بتقصيرها على تقدير أن يكون موليه تلك النعم خالقه و مالك رقّه،و ينتج أنّ الأولى بك أن يكون أوّل حاكم على نفسك بتقصيرها على تقدير أن يكون مولى تلك النعم خالقك و مالك رقّك.

مجاز و قوله : و حقّا أقول:ما الدنيا غرّتك و لكن بها اغتررت .

تقدير منع لما عساه أن يجيب به الناس سؤاله تعالى إيّاهم بقوله: «ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ» ،و هو كثير فى كلامهم:إنّ الدنيا هى الغارّه،و كما نسب القرآن الكريم إليها ذلك بقوله «وَ غَرَّتْهُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا» و كلامه عليه السّلام حقّ من وجهين:أحدهما:

أنّ الاستغرار من لواحق العقل و ليست الدنيا لها العقل،و الثانى:أنّها لم تخلق لأنّ يستغرّ بها.إذ كان مقصد العنايه الإلهيّه بوجود الإنسان فيها فلا يجوز أن ينسب إليها الاستغرار حقيقه لكن لمّا كانت سببا ماديّا للاغترار بها جاز أن ينسب إليها الاستغرار مجازا ،و صدق قوله أيضا:و لكن بها اغتررت.

و قوله:و لقد كاشفتك العظات.

تقرير لمنع نسبه الاستغرار إليها بنسبه ضدّه إليها و هو النصيحه له بما كاشفته بالمواعظ و هى محالّ الاتّعاظ من تصاريفها و عبرها،و بمجاهرتها و إعلامها على عدل منها.إذ خلقت لذلك التغيير و الإعلام و على ذلك التصريف و لم يمكن أن يكون إلاّ كذلك فلم يكن تصاريفها بك جورا عليك.

و قوله:و لهى بما تعدك.إلى قوله:تغرّك.

زیاده تأکید لنصیحتها و تخویف منها، استعاره-مجازا إطلاقا لاسم أحد الضدّین علی الآخر و استعار لفظ الوعد لإشعارها فی تغییراتها بما یتوقّع من مصائبها کما أنّ الوعد إشعار بإعطاء مطلوب،و استعمل الوعد فی مکان الوعید مجازا إطلاقا لاسم أحد الضدّین علی الآخر کتسمیه السیّئه جزاء،و کذلک استعار لها لفظ الصدق و الوفاء ملاحظه لشبهها بالصادق الوفّی فی أنّه لا بدّ من إیقاع ما وعد به.

و قوله:أصدق و أوفی.مع قوله:من أن تکذبک أو تغرّک.

من باب اللفّ و النشر و فیه المقابله.

مجاز من باب إطلاق اسم ذی الغایه علی غایته و قوله : و لربّ.إلی قوله:مکذّب .

تقریر لبعض لوازم الغفله علیه و هی تهمته للمناصح منها و تکذیبه لصادق خبرها،و أطلق لفظ التهمه و التکذیب مجازا فی عدم الالتفات إلی نصیحتها بتصاریفها و ما یعلم من صادق تغیّراتها و عدم اعتبار ذلک منها إطلاقا لاسم ذی الغایه علی غایته،و کانت غایه التهمه و التکذیب عدم الالتفات إلی المتّهم و المکذّب و الإعراض عنها .

تشبیه و قوله: و لئن تعرّفتها.إلی قوله.الشحیح بک ، صوره احتجاج نبّه فیه علی صدقها فی نصیحتها کی تستنصح و لا تتّهم،و هو بقیاس شرطیّ متّصل،و تقریره و لئن تعرّفتها:أی طلبت معرفه حالها فی نصیحتها و غشّها من الدیار الخاویه و الربوع الخالیه للامم السالفه و القرون الماضیه لتعرّفتها بمنزله الشفیق علیک و الشحیح بک،و وجه شبهها بذلک حسن تذکّرها لک و بلاغ موعظتک و عبرتک منها کما أنّ الناصح الشفیق علیک،و بیان الملازمه بحال الوجدان بعد تعرّفها .و الاستثناء فی هذه المتّصله لعین المقدّم لینتج عین التالی.

و قوله :و لنعم.إلی قوله:محلاّ.

مدح للدنیا باعتبار استعمالها علی الوجه المقصود بالعنایه الإلهیّه و هو الاعتبار بها دون الرضا بها لذاتها و اتّخاذها وطنا و دار إقامه،و اسم نعم هو دار

من لم يرض،و المخصوص بالمدح هو الدنيا،و دارا و محلا منصوبان على التميز يقومان مقام اسم الجنس الّذى هو اسم نعم إذا حذف،و هاهنا مسئلتان:

إحداهما:أنّ اسم الجنس الّذى هو اسم نعم و بئس تضاف فى العاده إلى ما فيه الألف و اللام كقولك:نعم صاحب القوم،و قد أضافه هاهنا إلى ما ليس فيه الألف و اللام،و قد جاء مثله فى الشعر كقوله:فنعم صاحب قوم لا سلاح لهم.

الثانيه:أنّه جمع بين اسم الجنس و النكره الّتى تبدل منه،و قد جاء مثله فى قوله:فنعم الزاد زاد أبيك زادا،و إنّما أضاف دارا إلى من لم يرض بها،و محلاّ إلى من لم يوطّنها لأنّ الدنيا إنّما يكون دارا ممدوحه باعتبار كونها دار من لم يرض بها و لم يوطّنها لاستلزام عدم رضاهم بها الانتفاع بالعبر بها و اتّخاذ زاد التقوى،و اولئك هم المتّقون السعداء بها.و يحتمل أن يكون دارا و محلاّ منصوبين على التميز عن قوله:لم يرض بها و لم يوطّنها.

كنايه و قوله: و إنّ السعداء بالدنيا غدا هم الهاربون منها اليوم .

فوجه سعادتهم بها استثمارهم للكمالات المسعده فى الآخره منها،و لن يحصل ذلك إلاّ بالهرب منها اليوم،و كنّى بالهرب منها عن الإعراض الحقيقى عن لذّاتها، و التباعد من اقتنائها و لذّاتها لاستلزام الهرب عن الشىء التباعد عنه و الزهد فيه، و ظاهر أنّ التباعد منها بالقلوب إلاّ ما دعت الضروره إليه و اتّخاذها مع ذلك سببا إلى الآخره من أسباب السعاده و مستلزماتها كما أشار إليه سيّد المرسلين صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من حاله فيها بقوله:ما أنا و الدنيا إنّما مثلى فيها كمثل راكب سار فى يوم صايف فرفعت له شجره فنزل فقعد فى ظلّها ساعه ثمّ راح و تركها .و دلّ بقوله:إذا رجفت.على الوقت المذكور المدلول عليه بقوله:غدا.و هو يوم القيامه لقوله تعالى «يَوْمَ تَرْجُفُ الرّاجِفَةُ» (1)قال المفسّرون:الراجفه:هى النفخه الاولى فى الصور و هى صيحه عظيمه فيها تردّد و اضطراب كالرعد يصعق فيها الخلايق و «تَتْبَعُهَا الرّادِفَةُ» و هى النفخه الثانيه تردف الأوّل.و جلائل القيامه:محنها الجليله

1- 1) 6-79.

العظيمه.

و قوله:و لحق بكلّ منسک أهله.

إشـاره إلى لحقوق كلّ نفس يوم القيامه لعبودها و مطاعها و ما ألفته و أحبّته من أمر دنيوىّ أو اخروىّ فأقبلت عليه و عملت له،و نحوه أشار الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

يحشر المرء مع من أحبّ،و لو أحبّ أحدكم حجرا لحشر معه.

و قوله :فلم يجز.إلى قوله:بحقّه.

تقرير لعـدله تعـالى فى ذلک اليوم.و المعنى أنّ كلّ حركه و لو طرفه عين فى الهواء أو همس قـدم فى الأرض فإنّها لا تجرى فى عـدله إلاّ بحقّهـا لا يزاد عليه و لا ينقص عنه .ثمّ أشـار إلى كثره الحجـج الباطله يومئـذ و الأعـذار المنقطعه ترغيبا فى تحصـيل الكمالات البرهـانيّه و لزوم آثـار المرسـلين و الأولياء الأبرار فى سـلوک سبيل اللّه،و إنّما ذكـر مخاوف ذلک اليوم و أهواله بعد ذكر السـعداء فيه و تعيين أنّهم هم الهاربون من الـدنيا اليوم ليرغّب إلى الاقتـداء بهم فى ذلک الهرب لغايه تلک السـعاده.ثمّ أمر أن يطلب الإنسـان من اموره و أحواله أحراها و أولاهـا ممّـا يقوم به عـذره فى ذلـک اليوم و تثبت به حجّته فى محفـل القيامه،و ذلـک الأمر هو ما أشـرنا إليه من البرهان و اقتفاء أثر المرسـلين،و كـذلک أمره أن يأخـذ ما يبقى له من الكمالات المسعده فى الآخره ممّـا لا يبقى له و هو الـدنيا و متاعها،و قـد بيّنا كيفيّه ذلک الأخـذ غير مرّه،و أن تيسّـر لسفره:أى يستعدّ لسـفره إلى اللّه بالرياضه بالزهد و العباده،و أن يشيم برق النجاه:أى يوجّه سرّه إلى اللّه تعالى بعد الزهد الحقيقى و العباده الكاسره للنفس الأمّاره بـالسوء لتشرق لوامع الأنوار الإلهيّه و بروقها الّتى هى بروق النجاه و أبواب السـلامه كما أشار إليه فيما قبل هـذا الفصل بفصـلين بقوله:و تـدافعته الأبواب إلى باب السـلامه،و أن يرحل مطايا التشـمير و هو إشاره إلى الجـدّ فى سـلوک سبيل اللّه و الاجتهاد فى العمل لما بعد الموت، استعاره و استعار لفط المطايا لآلات العمل،و لفظ الإرحال لإعمالها ،و باللّه التوفيق.

ص:۸۲

۲۱۵–و من کلام له علیه السّلام

اشاره

وَ اللَّهِ لَأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً- أَوْ أُجَرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّداً- أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَ رَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَهِ ظَالِماً- لِبَعْضِ الْعِبَادِ- وَ غَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ- وَ كَيْفَ أَظْلِمُ أَحَداً لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى الْبِلَى قُفُولُهَا- وَ يَطُولُ فِي الثَّرَى حُلُولُهَا- وَ اللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ؟عَقِيلاً؟ وَ قَدْ أَمْلَقَ- حَتَّى اسْتَمَاحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً- وَ رَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ الشُّعُورِ غُبْرَ الْأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ- كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ- وَ عَاوَدَنِي مُؤَكِّداً وَ كَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدِّداً- فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي- وَ أَتَّبِعُ قِيَادَهُ مُفَارِقاً طَرِيقَتِي- فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَهً ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا- فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ مِنْ أَلَمِهَا- وَ كَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسَمِهَا- فَقُلْتُ لَهُ ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ يَا؟عَقِيلُ؟- أَ تَئِنُّ مِنْ حَدِيدَهٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ- وَ تَجُرُّنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ- أَ تَئِنُّ مِنَ الْأَذَى وَ لَا أَئِنُّ مِنْ لَظَى- وَ أَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ طَارِقٌ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَهٍ فِي وِعَائِهَا- وَ مَعْجُونَهٍ شَنِئْتُهَا- كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّهٍ أَوْ قَيْئِهَا- فَقُلْتُ أَ صِلَهٌ أَمْ زَكَاهٌ أَمْ صَدَقَهٌ- فَذَلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا؟أَهْلَ الْبَيْتِ؟- فَقَالَ لَا ذَا وَ لَا ذَاكَ وَ لَكِنَّهَا

هَدِيَّهٌ- فَقُلْتُ هَبِلَتْكَ الْهَبُولُ أَ عَنْ دِينِ اللَّهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي- أَ مُخْتَبِطٌ أَمْ ذُو جِنَّهٍ أَمْ تَهْجُرُ- وَ اللَّهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَهَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا- عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللَّهَ فِي نَمْلَهٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَهٍ مَا فَعَلْتُهُ- وَ إِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَهٍ فِي فَمِ جَرَادَهٍ تَقْضَمُهَا- مَا؟لِعَلِيٍّ؟ وَ لِنَعِيمٍ يَفْنَى وَ لَذَّهٍ لَا تَبْقَى- نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ وَ قُبْحِ الزَّلَلِ وَ بِهِ نَسْتَعِينُ

اللغه

أقول: السعدان : نبت شوكيّ ذو حسك لها ثلاث أرؤس محدّده على أيّ وجه وقعت من الأرض كان لها رأسان قائمان .و المصفّد : الموثوق شدّا بغلّ أو قيد و نحوهما .و القفول : الرجوع من السفر .و الإملاق : الافتقار .و الاستماحه:

طلب المنح و هو العطاء .و العظلم : نبت و هو بالعربيّه النيل،و قيل:نبت آخر يصبغ به .و الدنف : شدّه المرض .و الميسم : المكواه .و سجّرها : وقدها و أحماها .و شنئتها : أبغضتها .و هبلته الهبول : ثكلته الثواكل .و الخباط : مرض كالجنون و ليس به ،و المختبط : الّذى يطلب معروفك من غير سبب سابق بينكما من رحم أو معروفه سابقه أو سابقه معروف لك عنده .و الجنّه : الجنون .و الهجر:

الهذيان .و جلب الشعيره : قشرها .

و غرض الفصل التبرّى من الظلم

،و ذلك أنّ أحدهم كان يأتيه فيسأله العطاء و هو عليه السّلام لم يكن ليستبقى لنفسه شيئا و لا يرى أن يعطى من بيت المال أحدا دون غيره.فيحرمه،و ربّما كان فى غايه الحاجه فينسبه إلى الظلم و التخصيص بالمال دونه.فتبرّأ بهذا الكلام ممّا نسب إليه من ذلك.

فقوله: و اللّه .إلى قوله: الحطام .

بیان لمقدار نفرته عن الظلم و غایتها.و علّه ترجیحه أو اختیاره لأحد الأمرین المذکورین علی الظلم مع ما یستلزمانه من التألّم و العذاب أنّ ما یستلزمه الظلم من عذاب اللّه أشدّ خصوصا فی حقّ من نظر بعین بصیرته تفاوت العذابین،مؤکّدا لذلک البیان بالقسم البارّ. استعاره و لفظ الحطام مستعار لمتاع الدنیا باعتبار حقارته،و أصله ما تکسر من نبت الأرض .و ظالما و غاصبا حالان .

استفهام انکاری و قوله: و کیف.إلی قوله:حلولها .

استفهام عن وجه ظلمه لأحد استفهام إنکار علی من نسب إلیه ذلک مع ذکر سببین یمنعان العاقل من الظلم،و هما الرجوع إلی البلی من السفر فی الدنیا،و طول الحلول فی الثری .

و قوله: و اللّه لقد رأیت .إلی قوله: لظی .

تنبیه لنفی الظلم عنه ببلوغه فی المحافظه علی بیت المال و مراعاه العدل إلی الحدّ الّذی فعله مع أخیه عقیل علی شدّه فاقته و فاقه عیاله و کونه ذا حقّ فی بیت المال، و معلوم أنّ من لم تدعه هذه الأسباب الثلاثه،و هی الاخوّه و الفاقه و الحقّ الموجود لذی الفاقه.إلی أن یدفعه إلیه أو بعضه خوفا من شبهه الظلم فهو أنزه الناس أن یظلم أو یحوم حول الظلم بوجه، استعاره و استعار لفظ السمع لما یوهم من استعاضه لذّه العطاء للأخ الفقیر بما یفوت من الدین لسبب الظلم فی عطیّته علی غیر الوجه الشرعیّ،و قیاده ما یقوده به من الاستعطاف و الرحم عن طریقه العدل ،و إنّما أحمی له الحدیده لیتنبّهه بها علی النار الاخرویّه،و لذلک احتجّ عند أنینه من حرّها بقوله:أتئنّ من حدیده.إلی قوله:لغضبه،و وجه الاحتجاج أنّک إذا کنت تئنّ من هذه فبالأولی أن تئنّ من تلک النار،و غایه ذلک أن تترک الظلم بطلب ما لا تستحقّه لاستلزام الأنین من نار اللّه ترک الظلم،و لمّا أثبت علیه وجوب ترک الظلم بذلک الطلب أعقبه بالاحتجاج لنفسه علی وجوب ترکها للظلم بإعطائه بقوله:أتئنّ من الأذی و لا أئنّ من لظی:أی إذا کنت تئنّ من الأذی فبالأولی أن أئنّ من لظی.و إنّما قال:

و لا أئنّ من لظی مع أنّ لظی غیر حاصله الآن تنزیلا للمتوقّع الّذی لا بدّ منه

بسبب الظلم منزله الواقع ليكون أبلغ فى الموعظه،و إنّما أضاف الإنسان إلى الحديده لأنّه أراد إنسانا خاصّا هو المتولّى لأمر تلك الحديده فعرّفه بإضافته إليها،و كذلك الإضافه فى جبّارها،و إنّما قال:للعبه.استسهالا و تحقيرا لما فعل لغرض أن يكبّر فعل الحارّ من سجر النار،و كذلك جعل العلّه الحامله على سجر النار هو غضب الجبّار تعظيما لشأنه.

و قوله :و أعجب من ذلك.إلى قوله:أم تهجر.

أى و أعجب من عقيل و حاله طارق طرقنا.و الطارق:الآتى ليلا، كنايه و كنّى بالملفوفه فى وعائها عن الهديّه .و قيل:كان شيئا من الحلواء كالفالوذج أو الحنبص و نحوه،و نبّه بقوله:شنئتها.على بغضه للامور اللذيذه الدنيويّه و نفرته عنها زهدا فيها، تشبيه و وجه تشبيهها بما عجن بريق الحيّه أوقيئها هو ما فى تصوّره فى قبولها من الفساد و ما قصد بها مهديها فى طلب الميل إليه المستلزم للظلم و الجور عن سبيل اللّه فإنّ القصد الّذى اشتمل عليه كالسمّ المهلك ،و أمّا كون وجه كون المهدى أعجب من عقيل فلأنّ عقيلا جاء بثلاث وسايل كلّ منها يستلزم العاطفه عليه:و هى الأخوّه و الفاقه و كونه ذا حقّ فى بيت المال،و هذا المهدى إنّما أدلى بهديّته.فأمّا قوله فى جوابه :فقلت له.إلى قوله:أهل البيت.فإنّه أراد به حصر وجوب البرّ فى العرف لأنّ التقرّب إلى اللّه ببذل المال لعباده إمّا صله رحم أولا،و الثانى فإمّا على وجه الصدقه أو الزكاه الواجبه و لم يذكر الهديّه لأنّه لم يكن فى وهم عاقل قبول علىّ عليه السّلام لها خصوصا زمان خلافته،و ذلك أنّ مطلوب العاقل منه بالهديّه إمّا حقّ أو باطل،و الحقّ لا يحتاج فيه إلى الهديّه و الباطل لا يفعله بوجه،و لذلك لمّا قال له الطارق:إنّها هديّه.دعا عليه و نسبه إلى الجنون و الهذيان،و لمّا قسّم عليه وجوب البرّ أبطل قسمين منها بقوله:فذلك محرّم علينا أهل البيت.و أراد الصدقه و الزكاه.

و أمّا صله الرحم فلم يحتجّ إلى إبطالها لأنّ الطارق لم يكن ذا رحم له، و قول الطارق:لا هذا و لا ذاك.يجرى فى مجرى إبطال الحصر بإبراز قسم رابع

هو الهديّه.

استعاره و قوله: هبلتك الهبول.إلى قوله:تهجر .

جواب لقوله:و لكنّها هديّه.قرّر عليه فيه ما فهمه من غرضه بالهديّه،و هو خداعه عن دينه.إذا الهديّه لغرض حرام صوره استغرار و خداع،و ذكر الخداع عن الدين تنفيرا لصاحب الهديه عن فعله ذلك،و لمّا كان ذلك الأمر لو تمّ الغرض به استلزم نقصان الدين كالخداع عن الدين فأطلق عليه لفظه الخداع استعاره.

استفهام على سبيل الإنكار و قوله: أ مختبط أم ذو جنّه أم تهجر .

استفهام على سبيل الإنكار و التوبيخ على ذلك الخداع بعد تقريره عليه.

إذ كان المخادع لمثله عليه السّلام عن دينه لا يكون إلاّ على أحد الوجوه المذكوره غالبا و لا يتصوّر أن يصدر منه ذلك الخداع عن رويّه صحيحه،و قد ذكر وجوه الخروج عن الصواب ممّا يتعلّق بالعقل .

و قوله: و اللّه .إلى قوله: ما فعلت .

يحتمل أن يكون ردّا لوهم الطارق فيه أنّه يفعل مطلوبه الحرام بتلك الهديّه، و إبطال لذلك الوهم عنه.و الأقاليم السبعه:أقسام الأرض،و هو دليل منه على غايه العدل.

و قوله:و إنّ دنياكم.إلى قوله:تقضمها.

دليل على غايه الزهد منه فى الدنيا كقوله فى الشقشقيّه:و لألفيتم دنياكم هذه أهون عندى من عفطه عنز .

استفهام على سبيل الإنكار و قوله: ما لعلىّ و لنعيم يفنى و لذّه لا تبقى .

استفهام إنكار لملامته نعيم الدنيا و لذّاتها الفانيه،و المعنى أنّ حال علىّ ينافى ذلك النعيم،و اختياره يضادّ تلك اللذّه .ثمّ تعوّذ باللّه من سبات العقل و هى اختياراته لتلك اللذّات و لذلك النعيم و ميله فى مطاوعه النفس الأمّاره بالسوء،و من قبح الزلل و هو الانحراف عن سبيل اللّه الموقع فى مهاوى الهلاك،و استعان به على دفع ما تعوّذ به منه.و باللّه التوفيق و العصمه.

ص:۸۷

۲۱۶–و من دعاء له علیه السّلام

اشاره

اَللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِی بِالْیَسَارِ وَ لاَ تَبْذُلْ جَاهِیَ بِالْإِقْتَارِ- فَأَسْتَرْزِقَ طَالِبِی رِزْقِکَ وَ أَسْتَعْطِفَ شِرَارَ خَلْقِکَ- وَ أُبْتَلَی بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِی وَ أُفْتَتَنَ بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِی- وَ أَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِکَ کُلِّهِ وَلِیُّ الْإِعْطَاءِ وَ الْمَنْعِ- «إِنَّکَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ»

اللغه

أقول: الیسار بالفتح : الغنی .و الإقتار : ضیق الرزق و الفقر .

و حاصل الفصل التجاء إلی اللّه فی طلب الغنی و عدم الابتلاء بالفقر و لوازمه.

و اعلم أنّ الغنی المطلوب لمثله علیه السّلام هو ما دفع ضروره حاجته بحسب الاقتصاد و القناعه لا المفهوم المتعارف بین أرباب الدنیا من جمع المال و ادّخاره و الاتّساع به فوق الحاجه،و طلب الغنی علی ذلک الوجه محمود،و علی الوجه الثانی هو المذموم،و الفقر هو ما احتاج الإنسان معه إلی سؤال الناس و یلزمه بذلک الاعتبار لوازم صارفه عن وجه اللّه و عبادته:

أوّلها:ابتذال الجاه و نقصان الحرمه،و لمّا کان الجاه و الغنی کالمتلازمین لا یلیق أحدهما إلّا بالآخر جعل مزیل الجاه الفقر لأنّه مزیل الغنی،و إلی وجوب تلازمهما أشار ابو الطیّب بقوله:

فلا مجد فی الدنیا لمن قلّ ماله و لا مال فی الدنیا لمن قلّ مجده

و الجاه أیضا له اعتبارات فما ارید للّه منه کان شرفا به و اعتزازا بدینه،و ما ارید الاستعانه به علی أداء حقوق اللّه و طاعته فهو الوجه المحمود الّذی سأل اللّه حفظه علیه بالغنا عن الناس،و هو الّذی امتنّ اللّه تعالی به علی الأنبیاء فی قوله «یا مَرْیَمُ إِنَّ اللّهَ یُبَشِّرُکِ بِکَلِمَهٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِیحُ عِیسَی ابْنُ مَرْیَمَ وَجِیهاً فِی الدُّنْیا وَ الْآخِرَهِ» (۱)و ما ارید به الفخر و الترؤّس فی الدنیا فهو المذموم.

ص:۸۸

۱- ۱) ۴۰-۳.

الثانی:من لوازمه استرزاق الخلق الّذین من شأنهم أن یسألوا الرزق لا أن یطلب منهم و فی ذلک من الذلّ و الخضوع للمطلوب منه و مهانه النفس و اشتغالها عن التوجّه إلی المعبود ما یجب أن یستعاذ باللّه منه،و من أدعیه زین العابدین علیه السّلام:تمدّحت بالغنی عن خلقک و أنت أهل الغنی عنهم،و نسبتهم إلی الفقر و هم أهل الفقر إلیک فمن حاول سدّ خلّته من عندک ورام صرف الفقر عن نفسه بک فقد طلب حاجته من مظانّها و أتی طلبته من وجهها،و من توجّه بحاجته إلی أحد من خلقک أو جعله سبب نجحها دونک فقد تعرّض للحذمان و استحقّ من عندک فوت الإحسان.و إنّما حکم علیه باستحقاق فوت الإحسان لعدم استعداده لنفحات اللّه بالتوجّه إلی غیره و اشتغال نفسه بذلک الغیر،و نبّه بقوله:طالبی رزقک علی عدم أهلیّتهم لأن یطلب منهم.

الثالث:استعطاف شرار خلقه،و ظاهر أنّ الحاجه قد تدعو إلی ذلک،و التجربه تقضی بأنّ طلب العاطفه من الأشرار و الحاجه إلیهم یستلذّ معه ذو المروّه طعم العلقم و یستحلی مذاق الصبر.

الرابع:الابتلاء بحمد المعطی و الافتنان بذمّ المانع،و ذلک مستلزم للصرف عن اللّه و التوجّه إلی القبله الحقیقیّه ،و الواو فی قوله:و أنت.للحال:أی لا تبذل جاهی بالإقتار فیلحقنی بسببه ما یلحقنی من المکاره المعدودات و أنت من وراء ذلک کلّه أولی من أعطی و منع بأن تعطی و تمنع لقدرتک علی کلّ شیء،و مفهوم کونه وراء ذلک کلّه إحاطته و کونه مستند الغنی و أهله المحتاج إلیهم من الخلق و أولی بإزاله الفقر و لوازمه لقدرتک علی صرفه و الأغنیاء عن الخلق لأنّ کونه محیطا و کونه مستندا مستلزمان للورائیّه فالمستند الوراء المعقول للمعقول و المحسوس للمحسوس،و باللّه التوفیق.

۲۱۷-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

دَارٌ بِالْبَلاَءِ مَحْفُوفَهٌ وَ بِالْغَدْرِ مَعْرُوفَهٌ- لاَ تَدُومُ أَحْوَالُهَا وَ لاَ تسْلَمُ

ص:۸۹

نُزَّالُهَا- أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ وَ تَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ- الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ وَ الْأَمَانُ مِنْهَا مَعْدُومٌ- وَ إِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ- تَرْمِيهِمْ بِسِهَامِهَا وَ تُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا- وَ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّكُمْ وَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا- عَلَى سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَى قَبْلَكُمْ- مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَاراً وَ أَعْمَرَ دِيَاراً وَ أَبْعَدَ آثَاراً- أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً وَ رِيَاحُهُمْ رَاكِدَةً- وَ أَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً وَ دِيَارُهُمْ خَالِيَةً وَ آثَارُهُمْ عَافِيَةً- فَاسْتَبْدَلُوا بِالْقُصُورِ الْمَشَيَّدَةِ وَ النَّمَارِقِ الْمُمَهَّدَةِ- الصُّخُورَ وَ الْأَحْجَارَ الْمُسْنَدَةَ وَ الْقُبُورَ اللَّاطِئَةَ الْمُلْحَدَةَ- الَّتِي قَدْ بُنِيَ عَلَى الْخَرَابِ فِنَاؤُهَا- وَ شُيِّدَ بِالتُّرَابِ بِنَاؤُهَا فَمَحَلُّهَا مُقْتَرِبٌ وَ سَاكِنُهَا مُغْتَرِبٌ- بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوحِشِينَ وَ أَهْلِ فَرَاغٍ مُتَشَاغِلِينَ- لَا يَسْتَأْنِسُونَ بِالْأَوْطَانِ وَ لَا يَتَوَاصَلُونَ تَوَاصُلَ الْجِيرَانِ- عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجِوَارِ وَ دُنُوِّ الدَّارِ- وَ كَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَزَاوُرٌ وَ قَدْ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ الْبِلَى- وَ أَكَلَتْهُمُ الْجَنَادِلُ وَ الثَّرَى- وَ كَأَنْ قَدْ صِرْتُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ- وَ ارْتَهَنَكُمْ ذَلِكَ الْمَضْجَعُ وَ ضَمَّكُمْ ذَلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ- فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ- وَ بُعْثِرَتِ الْقُبُورُ «هُنالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ ما أَسْلَفَتْ وَ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ»

«وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ»

اللغه

أقول: التاره : المرّه .و المستهدفه : الّتى جعلت هدفا نصبت لترمى .و عفت الآثار : انمحت .و النمارق : جمع نمرق و نمرقه،و هى وساده صغيره .و الكلكل الصدر .و بعثرت القبور،و بعثرتها : إخراج ما فيها و نبشها.يقال:بعثر الرجل متاعه إذا فرّقه و قلّب أعلاه أسفله .

و غرض الفصل التحذير من الدنيا و الاشتغال بها عن اللّه،و التنفير عن

ذلك بذكر معايبها،و الجذب به إلى استعمالها على الوجه المطلوب الّذى لأجله

وجدت.

فقوله:دار.

خبر مبتداء محذوف هو الدنيا،و ذكر من معايبها عدّه:

كنايه أحدها: كونها مقرونه بالبلاء ملازما لها فكنّى عن ذلك بالحفوف الّذى هو الإحاطه من الجوانب لأنّه أبلغ.

استعاره الثانى:كونها معروفه بالغدر،و استعار لفظ الغدر لغيرهما عمّا يتوهّم الإنسان دوامها عليه فى حقّه من أحوالها المعجبه له كالمال و الصحّه و الشباب فكأنّه فى مدّه بقاء تلك الأحوال عليه قد أخذ منها عهدا فكان التغيّر العارض لها المستلزم لزوال تلك الأحوال عنه أشبه شىء بالغدر و لمّا كان كثر منها ذلك صارت معروفه به.

و ثالثها:كونها لا تدوم أحوالها.

و رابعها:لا تسلم نزّالها من آفاتها.

و خامسها:اختلاف أحوالها،و أحوال خبر مبتدأ محذوف تقديره:أحولها أحوال كذلك.

و سادسها:تصرّف تاراتها،و هو تغيّر أحوالها تاره بعد اخرى.

كنايه و سابعها: كون العيش فيها مذموما ،و لمّا كان العيش فيها كنايه عن الالتذاذ بها و التنعّم فيها و استلزم ذلك العاقبه المهلكه لا جرم لزم الذمّ،و لأنّه

مشوب بتكدير الأمراض و الأعراض فلا يزال مذموما فى الألسنه حتّى فى لسان صاحبه و المستريح إليه عند معاناته بعض مراتب الكدر.

و ثامنها.عدم الأمان فيها:أى من مخاوفها،و ما يلزم تصرّفاتها من البلاء و كلّ ذلك من ضرورتها و اختلاف استعدادات القوابل فيها عن حركات الأفلاك و كواكبها،و كون المبادى المفارقه مفيضه على كلّ قابل منها ما استعدّ له.

استعاره مرشحه و تاسعها : كون أهلها فيها أغراضا مستهدفه ،و استعار لفظ الأغراض،و رشّح بذكر الاستهداف،كذلك استعار لفظ الرمى لإيقاع المصايب بهم و رشّح بذكر السهام.

و عاشرها :كونها معهم على سبيل من قد مضى من القرون الخاليه ممّن كان أطول أعمارا و أعمار ديارا و أبعد آثارا:أى كانت آثارهم لا يقدر عليها و لا تنال لعظمها،و كونها معهم على ذلك السبيل إشاره إلى إقبالها لهم كإفناء اولئك و إلحاقهم بأحوالهم.

كنايه و قوله : أصبحت أصواتهم.إلى قوله:و الثرى.

تفصيل لأحوال اولئك و وعيد للسامعين بلحوقها لهم.إذ كان سبيل الدنيا مع الجمع واحدا،و ركود رياحهم كنايه عن سكون أحوالهم و خمول ذكرهم بعد العظمه فى الصدور.

و قوله :قد بنى بالخراب فناؤها.

أى على خراب ما كان معمورا من الأبدان و المساكن،و ظاهر أنّ القبور اسّست على ذلك و بنيت عليه، السجع المتوازى-المطابقه و راعى فى قوله: فناؤها و بناؤها و مغترب و مقترب السجع المتوازى مع المطابقه فى القرينتين الاخريين،و أراد أنّ ساكنها و إن اقترب محلّه فهو غريب عن أهله ،و نبّه بقوله :موحشين و متشاغلين و كونهم لا يستأنسون بالأوطان و لا يتواصلون تواصل الجيران على أنّ أحوالهم من تجاورهم و فراغهم ليس كأحوال الدنيا المألوفه لهم ليخوّف بها و ينفرّ عنها .ثمّ أشار إلى عدم علّه المزاوره، استعاره مرشحه و استعار لفظ الطحن لإفساد البلى لأجسادهم و

رشّح بلفظ الكلكل ، استعاره و كذلك استعار لفظ الأكل لإفنائها.

تشبيه و قوله : و كأن قد صرتم.إلى قوله:المستودع.

فكأن المخفّفه من الثقيله،و اسمها ضمير الشأن،و التقدير فيشبه أنّكم قد صرتم إلى مصيرهم و أحوالهم و يقرب من ذلك لأنّ مشابهه الأحوال يستلزم قرب بعضها من بعض ،و ارتهنكم ذلك المضجع:أى صار لكم دار إقامه و اتّخذكم سكّانه المقيمين به،و أطلق عليه لفظ المستودع باعتبار كونهم سيخرجون منه يوم القيامه.

و قوله :فكيف بكم.إلى قوله:القبور.

سؤال لهم عن كيفيّه حالهم عند تناهى امورهم و أحوالهم فى يوم البعث سؤالا-على سبيل التذكير بتلك الأحوال و التخويف بتلك الأهوال ليذكروا شدّتها فيفزعوا إلى العمل،و ذكر منها أمرا واحدا و هو اطّلاع النفوس على ما قدّمت و أسلفت فى الدنيا من خير و شرّ و الردّ إلى المولى الحقّ الّذى ضلّ مع الرجوع إليه كلّ ما كان يفترى من دعوى حقيقه ساير الأباطيل المعبوده.و باللّه التوفيق.

۲۱۸-و من دعاء له عليه السّلام

اشاره

اَللَّهُمَّ إِنَّکَ آنَسُ الْآنِسِينَ لِأَوْلِيَائِکَ- وَ أَحْضَرُهُمْ بِالْکِفَايَهِ لِلْمُتَوَکِّلِينَ عَلَيْکَ- تُشَاهِدُهُمْ فِی سَرَائِرِهِمْ وَ تَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِی ضَمَائِرِهِمْ- وَ تَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ- فَأَسْرَارُهُمْ لَکَ مَکْشُوفَهٌ وَ قُلُوبُهُمْ إِلَيْکَ مَلْهُوفَهٌ- إِنْ أَوْحَشَتْهُمُ الْغُرْبَهُ آنَسَهُمْ ذِکْرُکَ- وَ إِنْ صُبَّتْ عَلَيْهِمُ الْمَصَائِبُ لَجَئُوا إِلَی الِاسْتِجَارَهِ بِکَ- عِلْماً بِأَنَّ أَزِمَّهَ الْأُمُورِ بِيَدِکَ- وَ مَصَادِرَهَا عَنْ قَضَائِکَ

ص:۹۳

اللَّهُمَّ إِنْ فَهِهْتُ عَنْ مَسْأَلَتِی أَوْ عَمِیتُ عَنْ طِلْبَتِی- فَدُلَّنِی عَلَی مَصَالِحِی- وَ خُذْ بِقَلْبِی إِلَی مَرَاشِدِی- فَلَیْسَ ذَلِکَ بِنُکْرٍ مِنْ هِدَایَاتِکَ- وَ لاَ بِبِدْعٍ مِنْ کِفَایَاتِکَ- اللَّهُمَّ احْمِلْنِی عَلَی عَفْوِکَ وَ لاَ تَحْمِلْنِی عَلَی عَدْلِکَ

اللغه

أقول: الفهاهه : العیّ .و العمه : التحیّر .

المعنی

و قد ضرع إلی اللّه تعالی باعتبارات من الصفات الإضافیّه و الحقیقیّه:

الأوّل:کونه آنس الآنسین لأولیائه.و قد علمت أنّ أولیائه هم السالکون لطریقه عن المحبّه الصادقه له و الرغبه التامّه عمّا عداه،و لمّا کان الأنیس هو الّذی یرفع الوحشه و تسکن إلیه النفس فی الوحده و الغربه و کانت أولیاء اللّه فی الحیاه الدنیا غریبا فی أبنائها منفردین عنهم فی سلوک سبیل اللّه مولّین وجوههم شطر کعبه وجوب وجوده مبتهجین بمطالعه أنوار کبریائه لا جرم کان أشدّ الآنسین لهم انسا.إذ ما من عبد تعبّد لغیر اللّه و استأنس به کالولد بوالده و بالعکس إلاّ کان لکلّ واحد منهما مع صاحبه نفره من وجه و استیحاش باعتبار.فلم یکن لهم أنیس فی الحقیقه إلاّ هو إن کانوا فی الالتفات إلیه منقطعین عمّا عداه مستوحشین من غیره.

الثانی:کونه تعالی أحضرهم بالکفایه للمتوکّلین علیه.إذ کان تعالی هو الغنیّ المطلق و الجواد الّذی لا بخل من جهته و لا منع،و العالم المطلق بحاجه المتوکّلین و حسن استعدادهم فإذا استعدّ المتوکّلون علیه لحسن توکّلهم لقبول رحمته أفاض علی کلّ منهم قدر کفایته من الکمالات النفسانیّه و البدنیّه بلا تعویق عائق أو تردّد فی استحقاق مستحقّ أو مقدار کفایته أو حاجه إلی تحصیل ذلک المقدار.إلی غیر ذلک ممّا هو منسوب إلی غیره تعالی من سلوک الدنیا.فلا جرم

أقوم من توكّل عليه بكفايه المتوكّلين و أسرعهم إحضارا لما استعدّ كلّ منهم له من الكمال.

الثالث:كونه تعالى يشاهدهم.إلى قوله:مكشوفه.إشاره إلى علمه تعالى بأحوالهم الباطنه الّذى هو من لوازم كونه أحضر لكفايتهم كما بيّناه.و اطّلاعه عليهم فى ضمائرهم اعتبار لكمال علمه تعالى و براءته عن النقصان،و كذلك علمه بمبلغ بصائرهم:أى بمقادير عقولهم و تفاوت استعداد نفوسهم لدرك الكمالات،و أكّد بقوله:فأسرارهم لك مكشوفه.ما سبق من الإشاره إلى إحاطه علمه تعالى بأحوالهم الباطنه فى معرض الإقرار بكمال العبوديّه و الخضوع له و الاعتراف بأنّه لا يخفى عليه منهم شىء،و لهف قلوبهم إليه تحسّرها على الوصول إليه و الحضور بين يديه، و هو اعتبار لكمال محبّتهم له و رغبتهم فيما عنده.

و قوله :إن أوحشتهم الغربه آنسهم ذكرك.

أى الغربه فى هذه الدار كما هنا،و هو اعتبار لحصول الاستيناس من جهتهم به،و الأوّل اعتبار لكونه تعالى أنيسا لهم.

و قوله:و إن صبّت.إلى قوله:بك.

اعتبار لتحقّق توكّلهم عليه تعالى فى دفع ما يكرهون من مصائب الدنيا عند نزولها بهم.إذ سبق اعتبار كونه تعالى أحضر من توكّل عليه لكفايه المتوكّلين.و لجئوهم إلى الاستجاره به يعود إلى توجيه وجوه نفوسهم إليه تعالى فى دفع ذلك المكروه دون غيره و هو التوكّل الخالص.

و قوله:علما.إلى قوله:قضائك.

فعلما مفعول له:أى لأجل علمهم بأنّ الامور كلّها مربوطه بأسبابها تحت تصريف قدرتك،و أنّ مصادرها و هى أسبابها القريبه منتهيه إلى قضائك،و هو حكم علمك.إذ به و منه كانت أسبابا و مصادر لتلك المصايب كان لجئوهم فى الاستجاره بك.و يحتمل أن يكون علما مصدرا سدّ مسدّ الحال،و هو يستلزم كونهم فى عباداتهم و أحوالهم مقطوعى النظر عن غيره تعالى، استعاره و لفظ الأزمّه مستعار

ص:٩٥

لأسباب الأمور،و وجه المشابهه كونها ضابطه لها و بها يحرز نظام وجودها كالأزمّه،و لفظ اليد مجاز فى القدره.

و قوله .اللّهمّ.إلى آخره.

شروع فى المطلب على وجه كلّىّ،و هو طلب دلالته على مصالحه فى أىّ أمر كان و جذب قلبه بالهدايه إلى مواضع رشده من العقائد و الآراء الصحيحه التامّه على تقدير إن عىّ عن مسئلته أو تحيّر فى وجه معرفه مصالحه.

و قوله:فليس ذلك.إلى قوله:كفاياتك.

استعطاف بما فى العاده أن يستعطف به أهل العواطف و الرحمه من الكلام:

أى أنّ هداياتك لخلقك إلى وجوه مصالحهم و كفاياتك لهم ما يحتاجون إليه امور متعارفه جرت عادتك بها،و ألفها منك عبادك.

و قوله :اللّهمّ احملنى.إلى آخره.

سؤال أن تحمله تعالى على عفوه عمّا عساه صدر عنه من ذنب،و لا يحمله على عدله فيحرمه بما فعل حرمانا أو عقوبه،و هو من لطيف ما تستعدّ به النفس لاستنزال الرحمه الإلهيّه،و باللّه التوفيق.

۲۱۹-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

لِلَّهِ بِلاَدُ فُلاَنٍ فَلَقَدْ قَوَّمَ الْأَوَدَ وَ دَاوَى الْعَمَدَ- وَ أَقَامَ السُّنَّهَ وَ خَلَّفَ الْفِتْنَهَ- ذَهَبَ نَقِيَّ الثَّوْبِ قَلِيلَ الْعَيْبِ- أَصَابَ خَيْرَهَا وَ سَبَقَ شَرَّهَا- أَدَّى إِلَى اللَّهِ طَاعَتَهُ وَ اتَّقَاهُ بِحَقِّهِ- رَحَلَ وَ تَرَكَهُمْ فِي طُرُقٍ مُتَشَعِّبَهٍ- لاَ يَهْتَدِي بِهَا الضَّالُّ وَ لاَ يَسْتَيْقِنُ الْمُهْتَدِي

اللغه

أقول: الأود : العرج .و العمد : مرض،و هو انسداخ داخل سنام البعير من الحمل و نحوه مع صحّه ظاهره .

المعنى

و قوله: للّه بلاد فلان .

لفظ يقال فى معرض المدح كقولهم:للّه درّه،و للّه أبوه.و أصله أنّ العرب إذا أرادوا مدح شىء و تعظيمه نسبوه إلى اللّه تعالى بهذا اللفظ،و روى:للّه بلاء فلان:أى عمله الحسن فى سبيل اللّه،و المنقول أنّ المراد بفلان عمر، و عن القطب الراوندى أنّه إنّما أراد بعض أصحابه فى زمن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ممّن مات قبل وقوع الفتن و انتشارها،و قال ابن أبى الحديد-رحمه اللّه-:إنّ ظاهر الأوصاف المذكوره فى الكلام يدلّ على أنّه أراد رجلا ولّى أمر الخلافه قبله.

لقوله:قوّم الأود و داوى العمد.و لم يرد عثمان لوقوعه فى الفتنه و تشعبّها بسببه،و لا أبا بكر لقصر مدّه خلافته و بعد عهده عن الفتن فكان الأظهر أنّه أراد عمر،و أقول:إرادته لأبى بكر أشبه من إرادته لعمر لما ذكره فى خلافه عمر و ذمّها به فى خطبتها المعروفه بالشقشقيّه كما سبقت الإشاره إليه.

و قد وصفه بامور:

أحدها:تقويمه للأود،و هو كنايه عن تقويمه لا عوجاج الخلق عن سبل اللّه إلى الاستقامه فيها.

استعاره الثانى: مداواته للعمد ،و استعار لفظ العمد للأمراض النفسانيّه باعتبار استلزامها للأذى كالعمد،و وصف المداواه لمعالجه تلك الأمراض بالمواعظ البالغه و الزواجر القارعه القوليّه و الفعليّه.

الثالث:إقامته للسنّه و لزومها.

الرابع:تخليفه للفتنه.أى موته قبلها.و وجه كون ذلك مدحا له هو اعتبار عدم وقوعها بسببه و فى زمنه لحسن تدبيره.

استعاره الخامس : ذهابه نقّى الثوب ،و استعار لفظ الثوب لعرضه،و نقاه لسلامته عن دنس المذامّ.

السادس:قلّه عيوبه.

السابع:إصابه خيرها و سبق شرّها،و الضمير فى الموضعين يشبه أن يرجع

إلى المعهود ممّا هو فيه من الخلافه.أى أصاب ما فيها من الخير المطلوب و هو العدل و إقامه دين اللّه الّذى به يكون الثواب الجزيل فى الآخره و الشرف الجليل فى الدنيا،و سبق شرّها:أى مات قبل وقوع الفتنه فيها و سفك الدماء لأجلها.

الثامن:إدّاؤه إلى اللّه طاعته.

التاسع:اتّقاه بحقّه.أى أدّى حقّه خوفا من عقوبته.

العاشر :رحيله إلى الآخره تاركا للناس بعده فى طرق متشعّبه من الجهالات لا يهتدى فيها من ضلّ عن سبيل اللّه و لا يستيقن المهتدى فى سبيل اللّه أنّه على سبيله لاختلاف طرق الضلال و كثره المخالف له إليها.و الواو فى قوله:و تركتم.للحال.

و أعلم أنّ الشيعه قد أوردوا هنا سؤالا فقالوا:إنّ هذه الممادح الّتى ذكرها عليه السّلام فى حقّ أحد الرجلين تنافى ما أجمعنا عليه من تخطئتهم و أخذهما لمنصب الخلافه.فإمّا أن لا يكون هذا الكلام من كلامه عليه السّلام أو أن يكون إجماعنا خطأ.

ثمّ أجابوا من وجهين:

أحدهما:لا نسلّم التنافى المذكور فإنّه جاز أن يكون ذلك المدح منه عليه السّلام على وجه استصلاح من يعتقد صحّه خلافه الشيخين و استجلاب قلوبهم بمثل هذا الكلام.

الثانى:أنّه جاز أن يكون مدحه ذلك لأحدهما فى معرض توبيخ عثمان بوقوع الفتنه فى خلافته و اضطراب الأمر عليه و استئثاره ببيت مال المسلمين هو و بنو أبيه حتّى كان ذلك سببا لثوران المسلمين من الأمصار إليه و قتلهم له،و نبّه على ذلك بقوله:و خلّف الفتنه و ذهب نقىّ الثوب قليل العيب أصاب خيرها و سبق شرّها.

و قوله:و تركهم فى طرق متشعّبه.إلى آخره.

فإنّ مفهوم ذلك يستلزم أنّ الوالى بعد هذا الموصوف قد اتّصف بأضداد هذه الصفات،و اللّه أعلم.

۲۲۰–و من کلام له علیه السّلام

اشاره

فی وصف بیعته بالخلافه

،و قد تقدم مثله بألفاظ مختلفه وَ بَسَطْتُمْ یَدِی فَکَفَفْتُهَا وَ مَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا- ثُمَّ تَدَاکَکْتُمْ عَلَیَّ تَدَاکَّ الْإِبِلِ الْهِیمِ- عَلَی حِیَاضِهَا یَوْمَ وِرْدِهَا- حَتَّی انْقَطَعَتِ النَّعْلُ- وَ سَقَطَ الرِّدَاءُ وَ وُطِئَ الضَّعِیفُ- وَ بَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بِبَیْعَتِهِمْ إِیَّایَ- أَنِ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِیرُ وَ هَدَجَ إِلَیْهَا الْکَبِیرُ- وَ تَحَامَلَ نَحْوَهَا الْعَلِیلُ وَ حَسَرَتْ إِلَیْهَا الْکِعَابُ

اللغه

أقول: التداکّ : الازدحام القویّ .و الهیم : العطاش .و التحامل : تکلّف المشی مع مشقّه .و الکعاب : الجاریه نهد ثدیها .و حسرت : کشفت وجهها .

و حاصل الفصل الاحتجاج علی من خالفه من أهل البغی

فذکر حال الناس فی بیعتهم له و کیفیّتها الدالّه علی شدّه حرصهم علیه و اجتماعهم عن رضی و اختیار علی تسلیم الأمر إلیه، تشبیه و شبّه ازدحامهم علیه بازدحام الإبل العطاش یوم ورودها علی الحیاض ،و وجه الشبه شدّه الازدحام،و یمکن أن یلاحظ فی وجه هذا الشبه کون ما عنده من الفضائل الجمّه العلمیّه و العملیّه تشبه الماء و کون المزدحمین علیه فی حاجتهم و تعطّشهم إلی استفاده تلک الفضائل النافعه لغلیلهم کالعطاش من الإبل حین ورودها.

و قوله :حتّی.إلی قوله:وطیء الضعیف.

کقوله:فی الشقشقیّه حتّی لقد وطیء الحسنان و شقّ عطفای.و باقی الفصل ظاهر.و هو فی قوّه صغری قیاس ضمیر من الشکل الأوّل،و تلخیصها أنّکم بلغتم فی طلبکم لی و حرصکم علی بیعتی إلی هذه الغایه حتّی أجبتکم.و تقدیر الکبری و کلّ من کان کذلک فلیس له أن ینکث و یغدر،و باللّه التوفیق.

ص:۹۹

۲۲۱–و من خطبه له علیه السّلام

القسم الأول

اشاره

فَإِنَّ تَقْوَی اللَّهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ- وَ ذَخِیرَهُ مَعَادٍ وَ عِتْقٌ مِنْ کُلِّ مَلَکَهٍ- وَ نَجَاهٌ مِنْ کُلِّ هَلَکَهٍ بِهَا یَنْجَحُ الطَّالِبُ- وَ یَنْجُو الْهَارِبُ وَ تُنَالُ الرَّغَائِبُ فَاعْمَلُوا وَ الْعَمَلُ یُرْفَعُ- وَ التَّوْبَهُ تَنْفَعُ وَ الدُّعَاءُ یُسْمَعُ- وَ الْحَالُ هَادِئَهٌ وَ الْأَقْلَامُ جَارِیَهٌ- وَ بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ عُمُراً نَاکِساً- أَوْ مَرَضاً حَابِساً أَوْ مَوْتاً خَالِساً- فَإِنَّ الْمَوْتَ هَادِمُ لَذَّاتِکُمْ- وَ مُکَدِّرُ شَهَوَاتِکُمْ وَ مُبَاعِدُ طِیَّاتِکُمْ- زَائِرٌ غَیْرُ مَحْبُوبٍ وَ قِرْنٌ غَیْرُ مَغْلُوبٍ- وَ وَاتِرٌ غَیْرُ مَطْلُوبٍ- قَدْ أَعْلَقَتْکُمْ حَبَائِلُهُ- وَ تَکَنَّفَتْکُمْ غَوَائِلُهُ وَ أَقْصَدَتْکُمْ مَعَابِلُهُ- وَ عَظُمَتْ فِیکُمْ سَطْوَتُهُ وَ تَتَابَعَتْ عَلَیْکُمْ عَدْوَتُهُ- وَ قَلَّتْ عَنْکُمْ نَبْوَتُهُ- فَیُوشِکُ أَنْ تَغْشَاکُمْ دَوَاجِی ظُلَلِهِ- وَ احْتِدَامُ عِلَلِهِ وَ حَنَادِسُ غَمَرَاتِهِ- وَ غَوَاشِی سَکَرَاتِهِ وَ أَلِیمُ إِرْهَاقِهِ- وَ دُجُوُّ أَطْبَاقِهِ وَ جُشُوبَهُ مَذَاقِهِ- فَکَأَنْ قَدْ أَتَاکُمْ بَغْتَهً فَأَسْکَتَ نَجِیَّکُمْ- وَ فَرَّقَ نَدِیَّکُمْ وَ عَفَّی آثَارَکُمْ- وَ عَطَّلَ دِیَارَکُمْ وَ بَعَثَ وُرَّاثَکُمْ- یَقْتَسِمُونَ تُرَاثَکُمْ بَیْنَ حَمِیمٍ خَاصٍّ لَمْ یَنْفَعْ- وَ قَرِیبٍ مَحْزُونٍ لَمْ یَمْنَعْ- وَ آخَرَ شَامِتٍ لَمْ یَجْزَعْ فَعَلَیْکُمْ بِالْجَدِّ وَ الِاجْتِهَادِ وَ التَّأَهُّبِ وَ الِاسْتِعْدَادِ- وَ التَّزَوُّدِ فِی مَنْزِلِ الزَّادِ- وَ لَا تَغُرَّنَّکُمُ الْحَیَاهُ الدُّنْیَا- کَمَا غَرَّتْ مَنْ کَانَ قَبْلَکُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِیَهِ- وَ الْقُرُونِ

الْخَالِيَهِ الَّذِينَ احْتَلَبُوا دِرَّتَهَا- وَ أَصَابُوا غِرَّتَهَا وَ أَفْنَوْا عِدَّتَهَا- وَ أَخْلَقُوا جِدَّتَهَا وَ أَصْبَحَتْ مَسَاكِنُهُمْ أَجْدَاثاً- وَ أَمْوَالُهُمْ مِيرَاثاً لاَ يَعْرِفُونَ مَنْ أَتَاهُمْ- وَ لاَ يَحْفِلُونَ مَنْ بَكَاهُمْ وَ لاَ يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ- فَاحْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَدَّارَهٌ غَرَّارَهٌ خَدُوعٌ- مُعْطِيَهٌ مَنُوعٌ مُلْبِسَهٌ نَزُوعٌ- لاَ يَدُومُ رَخَاؤُهَا- وَ لاَ يَنْقَضِي عَنَاؤُهَا وَ لاَ يَرْكُدُ بَلاَؤُهَا

اللغه

أقول: الحابس : المانع .و الخالس : المختطف .و التكنّف : الإحاطه .

و الطيّات : جمع طيّه بالكسر،و هى منزل السفر .و الواتر : الّذى يوجب لغيره الوتر و هو الذحل و الحقد .و الغوائل : المصايب يأتى على غرّه، جمع غايله .و المعابل : جمع معبل بكسر الميم و هى نصل طويل عريض .و عدوته بفتح العين : ظلمه .و نبا السيف : إذا لم يؤثّر فى الضربه .و الظلل : جمع ظلّه،و هو السحاب .و الاحتدام : شدّه الحدّه و الغيظ .و الإرهاق : الإعجال،و يروى بالزاى .

و الجشوبه بالجيم : غلظ الطعام .و النجىّ : القوم يتناجون .و الندىّ : القوم يجتمعون فى النادى،و هو المجتمع .و لا يحفلون : لا يبالون،و الاحتفال بالشىء:

الاعتناء به .

المعنى

و فى الفصل مقاصد:
الأوّل.التنبيه على فضيله تقوى اللّه بأوصاف:
الأوّل:كونها مفتاح سداد،

و لمّا كان السداد هو الصواب و العدل فى القول و العمل،و كان ذلك هو غايه الدين و الطريق المسلوك إلى اللّه،و كانت تقوى اللّه تعود إلى خشيته المستلزمه للإعراض عن مناهيه استعار لها لفظ المفتاح باعتبار كونها سببا للاستقامه على الصواب و القصد فى صراط اللّه المستقيم إلى ثوابه المقيم الّذى أفضل المطالب كما أنّ المفتاح سبب الوصول إلى ما يخزن من

الأموال النفيسه.

الثانى:كونها ذخيره معاد

،و ظاهر أنّ الاستعداد لخشيه اللّه و ما يستلزمه من الكمالات النفسانيّه من أنفس الذخائر المشفّع بها فى المعاد.

الثالث:

استعاره كونها عتقا من كلّ ملكه .استعار لفظ العتق لخلاص النفس العاقله من استيلاء حكم شياطينها المطيفه بها كخلاص العبد من استيلاء سيّده.ثمّ جعل التقوى نفسها عتقا مجازا إطلاق لاسم السبب على المسبّب.إذ كانت التقوى سببا لذلك الخلاص المستعار له لفظ العتق .

الرابع:

مجاز و نجاه من كلّ هلكه .أطلق عليها لفظ النجاه مجازا كالعتق لكونها سببا لنجاه الناس من الهلكات الاخرويّه و عقوبات الآثام،و ربّما كانت التقوى سببا للنجاه من مخاوف دنيويّه لولاها لحقت .

الخامس:بها ينجح الطالب.

أمّا لثواب اللّه فى الآخره فظاهر،و أمّا فى الدنيا فلما نشاهده من اتّخاذ كثير من الناس شعار المتّقين ذريعه إلى مطالبها و نجاح مساعيهم و إقبال الدنيا عليهم،

السادس:

و ينجو الهارب:أى من عذاب اللّه و هو ظاهر.

و السابع:

السجع المتوازى و تنال الرغائب ،و هو كقوله:و ينجح الطالب،و فى كلّ قرينتين من القرائن الستّ من أوّل الفصل السجع المتوازى .

المقصد الثانى:التنبيه على وجوب العمل الصالح المطلوب للّه

.و مبادرته باعتبارات:

الأوّل:أنّهم فى وقت العمل و إمكان رفعه إلى اللّه دون ما بعد الموت

،و الواو فى قوله:و العمل.للحال.

الثانى:فى وقت قبول التوبه

منهم و الإقلاع من موبقات الآثام.

الثالث:فی وقت استماع الدعاء

و قبوله فإنّ شیئا من ذلک لا ینفع بل لا یمکن بعد الموت.

الرابع:و الحال هادئه.

أی حال الإنسان فی الدنیا فإنّ حاله حین الموت

ص:۱۰۲

و ما بعده فی غایه الاضطراب.

الخامس:و الأقلام جاریه

:أی أقلام الحفظه،و فائده الإعلام بالعمل فی حال جریان الأقلام التنبیه علی وقت الأعمال الخیریّه و إمکانها حین تکتب و ترفع إلی اللّه:أی فاعملوا فی الحال المذکوره ما دامت أقلام الکرام الکاتبین جاریه لتکتب أعمالکم .

المقصد الثالث:حثّهم علی المبادره إلی الأعمال الخیریّه باعتبارات:

أحدها:أنّ أعمارهم الّتی هی محل الأعمال فی معرض الانتکاس

و الرجوع إلی الحاله المنافیه للتکلیف و هی الهرم المستلزم لضعف العقل و البنیه و نقصانهما و الرجوع إلی حال الطفل فی ذلک کقوله تعالی «وَ مَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَکِّسْهُ فِی الْخَلْقِ» (۱)فینبغی أن یبادر ذلک بالأعمال الصالحه الممکنه فیه.

الثانی:أنّ أبدانهم فی معرض التغییر و التبدیل بالصحه الّتی هی مظنّه

العمل مرضا

و هو مظنّه بطلان العمل و امتناعه فینبغی أن یبادر الصحّه بالعمل قبل الحبس عنه بالمرض.

الثالث:أن یبادر ما هو أعظم من ذلک و هو الموت

الّذی لا بدّ منه، استعاره و استعار لفظ الخالس له باعتبار أخذه للأعمار علی غرّه و غفله من أهلها کالمختلس للشیء عن ید غیره .

ثمّ نبّه علی وجوب العمل للموت و لما بعده بأوصافه المخوّفه:

أحدها:کونه هادم لذّاتهم الدنیویّه

و هو ظاهر،و نحوه قول الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:

أکثروا من ذکر هادم اللذّات.

الثانی

:کونه مکدّر شهواتهم.

الثالث: کونه مباعد طیّاتهم ،

استعاره و استعار لفظ الطیّات لمنازل السفر إلی الآخره بالموت عن الدنیا و أهلها فإنّ الآخره أبعد منزل عن الدنیا .

الرابع:

استعاره استعار لفظ الزائر باعتبار هجومه على الإنسان،و لمّا كان من شأن الزائر أن يكون محبوبا ميّزه بكونه غير محبوب لتحصل النفره عنه و تفرغ

١- ١) ٦٨-٣٦.

إلى العمل له.

الخامس

: استعاره استعار له لفظ القرن بوصف كونه غير مغلوب ليهتّم بالاستعداد له .

السادس:

استعاره استعار لفظ الواتر بوصف كونه غير مطلوب:أى من شأنه أن يوتر القلوب و لا يمكن أن يطلب بوتر و لا ينتصف منه ملاحظه لشبهه بالرجل البالغ فى الشجاعه بحيث لا يغلب .

السابع

: استعاره مرشحه استعار لفظ الحبائل للأوصاب و الأمراض البدنيّه الّتى هى داعيه الموت و مؤدّيه إليه كحباله الصايد،و رشّح بوصف الإعلاق .

الثامن

:و تكنّفتكم غوائله:أى أحاطت بكم مصائبه.

التاسع

: استعاره مرشحه استعار لفظ المعابل للآفات الداعيه إلى الموت أيضا باعتبار كونها موذيه أو قاتله كالنصال،و رشّح بذكر الإقصاد .

العاشر

: استعاره-السجع المتوازى استعار لفظ السطوه له ملاحظه لشبهه بالسلطان القاهر أو السبع الضارى فى قوّه أخذه و شدّه بطشه.

الحادى عشر

: استعاره-السجع المتوازى كذلك لفظ العدوه له باعتبار كون أخذه على غير حقّ له كالظالم.

فان قلت:إذا كانت حقيقه الظلم هى الأخذ بغير حقّ و هذا الحدّ صادق فى محلّ الموت فوجب أن يكون لفظ العدوه هنا حقيقه لا استعاره.

قلت:لفظ الأخذ إنّما يصدق حقيقه على ذى الحياه و إن سلّمنا صدقه على غيره لكنّ الأخذ بغير حقّ ليس هو حقيقه الظلم بل الأخذ بغير حقّ لمن يكون من شأنه أن يكون له حقّ،و ذلك مختصّ بالعقلاء فسلب الحقّ عمّن له اللفظ حقيقه هو سلب الملكه.و عمّاله اللفظ مستعارا هو السلب المطلق.

الثانی عشر

: استعاره-السجع المتوازی و کذلک لفظ النبوه لعدم تأثیره ملاحظه لشبهه بالسیف القاطع و وصفها بالقلّه.و راعی فی کلّ ثلاث قرائن من هذه التسع السجع المتوازی .

الثالث عشر

. استعاره استعار لفظ الظلّ للأمراض و العلل الداعیه إلی الموت استعاره لفظ المحسوس بالبصر للمتخیّل ملاحظه لشبهها بالسحاب المظلّ واصفا بالدواجی.

ص:۱۰۴

إذ كان الكلام فی معرض التخويف،و السحاب المظلم أشدّ رهبه فی القلوب من غيره و يقرب منه قوله تعالی «وَ إِذا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللّهَ» (۱)و هو شروع فی التخويف بنزول الموت.

الرابع عشر

: استعاره و كذلک استعار وصف الاحتدام لعلله ملاحظه لشبهها فی نزولها بالرجل المستشيط غضبا فی قوّه الأخذ.

الخامس عشر

: استعاره استعار لفظ الحنادس لما يتوهّمه الإنسان من الظلم فی غمرات الموت و سكراته.

السادس عشر

: استعاره و كذلک لفظ الغواشی لما يعرض عند سكرات الموت من العوارض المانعه من الإدراک،المغشيه لآلاته .

السابع عشر

:و أليم إرهاقه:أی إعجاله المؤلم.

الثامن عشر

: استعاره و دجّو إطباقه .استعار لفظ الإطباق لحالاته المتزايده و سكراته المتضاعفه الّتی بتضاعفها يزداد آلات إدراكه بعدا و انقطاعا عن المدركات الدنيويّه،و باعتبار انقطاع الإدراک بسبب تلک الحالات وصفها بالدجوّ و شدّه الظلمه،و يحتمل أن يريد بإطباقه إطباق القبور .

التاسع عشر

: استعاره استعار لفظ مذاقه لوجدانه باعتبار المشاركه فی الإدراک،و باعتبار شدّه ايلامه وصفه بالجشوبه .

العشرون:

تشبيه التخويف بإتيانه بغته، و كأن هی المخفّفه من كأنّ و الاسم ضمير الشأن،و لمّا كانت كأنّ للتشبيه و كان التشبيه يستلزم المقاربه بين المشبّه و المشبّه به فی وصف ما و هو وجه الشبه كان المشبّه هنا هو حال الموت من جهه ما هو منتظر لا بدّ منه،و المشبّه به هو باعتبار إتيانه و موافاته لهم،و وجه الشبه هو القرب:أی قرب المنتظر الّذی لا بدّ منه من الواقع الموجود.إذ كلّ ما هو آت قريب .ثمّ أردف التخويف منه بذكر لوازمه المخوّفه،و هی إسكات المتناجين،و تفريق المجتمعين،و تعفيه الآثار.و تعطيل الديار،و بعث

١- ١) ٣١-٣١.

الوارث لاقتسام التراث.و أسند إليه البعث باعتبار أنّه سبب يلزمه انبعاث دواعى الورثه إلى اقتسام التراث لزوما عرضيّا.

و قوله:بين حميم.

متعلّق بأتاكم بغته مع ما بعده من الأفعال:أى كأنّه قد أتاكم بغته ففعل بكم ما فعل من إسكات المتناجين و غيره بين صديق خاصّ لأحدكم لا ينفع صداقته حينئذ،و قريب محزون لا ينفع حزنه و لا يقدر على المنع عنه،و آخر عدوّ شامت لا يجزع عليه .ثمّ أردف ذكر الموت و لوازمه بالحثّ على العمل و الجدّ فيه و التأهّب و الاستعداد لنزول الموت و ما بعده و التزوّد:أى بالتقوى فى منزل الزاد و هو الدنيا لأنّها المنزل الّذى لا يمكن تحصيل الزاد إلى الآخره إلاّ فيه،و لذلك أضافه إليه ،ثمّ بالنهى عن الانخداع لغرور الدنيا كانخداع السابقين و القرون الماضين، استعاره و استعار لفظ الدرّه لمنافع الدنيا و خيراتها،و لفظ الاحتلاب لجمعها و اقتنائها:أى الّذين فازوا بخيراتها و حصلوا عليها،و لذلك استعار لفظ الغرّه لعدم وصول حوادثها إليهم فى مدّه استمتاعهم بها فكأنّها غافله عنهم لا ترميهم بشىء من المصائب فلمّا وجدوا ذلك منها أخذوا ما أخذوا و حصّلوا على ما حصّلوا .و إفناؤهم لما تعدّد فيها من مأكول و ملبوس و غيرهما ممّا يستمتع به فيغنى، كنايه و كذلك إخلاقهم لجدّتها كنايه عن استمتاعهم بما أخذوا منها من صحّه و مال و غيرهما إلى انقضائه و انتهاء مدّته حتّى كأنّهم لم يبقوا من محاسنها شيئا إلاّ أخلقوه .و لمّا وصف حالهم فيها بما وصف أردف ذلك بذكر غايتهم منها و هى الأحوال المذكوره بقوله:أصبحت مساكنهم أجداثا.إلى قوله:دعاهم.و خلاصه الكلام أنّكم لا تغترّوا بالدنيا كما اغترّ بها من كان قبلكم فإنّ اولئك مع أنّهم كانوا قد صادفوا غرّتها و حصّلوا منها على ما حصّلوا من خيراتها كانت غايتهم منها أن و صلوا إلى ما وصلوا من العدم فكذلك أنتم بطريق أولى . استعاره ثمّ أكّد التحذير منها بذكر أوصافها المنفّره عنها فاستعار لها لفظ الغراره باعتبار كونها سببا ماديّا للاغترار كما سبق،و لمّا كان الخداع هو المشوره بأمر ظاهره مصلحه و باطنه مفسده و كان

ظهور زينه الحياه الدنيا للناس يشبه الرأى المحمود فى الظاهر اتّباعها،و كانت تلك الزينه و اتّباعها لما فيها من الفتنه بها عن سبيل اللّه الّذى هو عين المفسده تشبه المفسده فى باطن الرأى لا جرم أشبه ظهور زينتها الخداع فاستعار لها لفظ الخدوع بذلك الاعتبار ، استعاره-المقابله و كذلك استعار لفظ المعطيه ،و لفظ المنوع باعتبار كونها سببا ماديّا للانتفاع بما فيها من خيراتها و سببا ماديّا لمنعه،و كذلك لفظ الملبسه النزوع ، و راعى فى هاتين القرينتين المقابله،و فايدتها ههنا التنفير عمّا يتوهّم فيها خيرا ممّا تعطيه و تلبسه بذكر استعقابها لمقابلتهما من منعها لما تعطيه و نزعها ممّا تلبسه،و لذلك أكّده بقوله:لا يدوم رخاؤها.إلى آخره ،و لمّا كان رخاؤها من صحّه و شباب و مال و جاه و نحوها من سائر الملذّات البدنيّه حوادث مشروطه باستعدادات سابقه عليها و معدّات غير مضبوطه كثيره حادثه و غير حادثه سريعه التغيّر أو بطيئه لا-جرم كان من شأن ذلك الرخاء التغيّر و الانقطاع،و ظاهر أنّ انقطاع رخائها حالا فحالا مستلزم لعدم انقضاء عنائها و متاعبها،و تواتر بلائها. استعاره و استعار لبلاء الدنيا وصف عدم الركود ملاحظه لشبهه بالريح دائمه الحركه لكونه دايما .

القسم الثانی منها فی صفه الزهاد.

اشاره

كَانُوا قَوْماً مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا- فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا عَمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ- وَ بَادَرُوا فِيهَا مَا يَحْذَرُونَ- تَقَلَّبُ أَبْدَانِهِمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَهْلِ الْآخِرَهِ- وَ يَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُعَظِّمُونَ مَوْتَ أَجْسَادِهِمْ- وَ هُمْ أَشَدُّ إِعْظَاماً لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ

اللغه

أقول: ظهرانى:بفتح النون . و الإشاره إلى بعض أصحابه الّذين درجوا قبله .

المعنى

و قوله: كانوا قوم ا.إلى قوله: أهلها .

ص:۱۰۷

قضيّتان ظاهرهما التناقض لكن قد علمت أنّ المطلقتين لا يتناقضان،و اختلافهما يحتمل أن يكونا بالموضوع أو بالإضافه فإنّهم من أهل الدنيا بأبدانهم و مشاركاتهم الضروريّه لأهلها فى الحاجه إليها و ليسوا من أهلها بقلوبهم.إذ خرجوا عن ملاذّها و نعيمها و استغرقوا فى محبّه اللّه و ما أعدّ لأوليائه الأبرار فى دار القرار فهم أبدا متطلّعون إليه و شاهدون لأحوال الآخره بعيون بصائرهم كما قال عليه السّلام فيما قبل فى صفتهم:فهم و الجنّه كمن قد رآها فهم فيها متنعّمون،و هم و النار كمن قد رآها فهم فيها معذّبون.و من كان كذلك فحضوره القلبىّ إنّما هو فى تلك الدار فكان بالحقيقه من أهلها.

و قوله:عملوا فيها بما يبصرون.

أى كان سعيهم و حركاتهم البدنيّه و النفسانيّه فى سبيل اللّه ببصيره و مشاهده لأحوال تلك الطريق و ما تفضى إليه من السعاده الباقيه،و علم بما يستلزمه الانحراف عنها من الشقاوه اللازمه الدائمه،و الباء للتسبّب.و ما مصدريّه،و يحتمل أن تكون بمعنى الّذى:أى بالّذى يبصرونه و يشاهدونه من تلك الأحوال فإنّ علمهم اليقين بها هو السبب القائد و الحامل لهم فى تلك الطريق و على سلوكها.

و قوله:و بادروا فيها ما يحذرون.

و المبادره المسابقه و المعاجله و هى مفاعله من الطرفين،و المراد أنّهم سابقوا ما يحذرون من عذاب اللّه المتوعّد فى الآخره كأنّه سابق لهم إلى أنفسهم و هم مسابقوه إلى خلاصها فسبقوه إلى النجاه.إذ كانوا راكبين لمطاياها،و متمسّكين بعصمها و هى أوامر اللّه و حدوده.

و قوله :تقلّب.إلى قوله:الآخره.

أى تتقلّب.فحذف إحدى التائين تخفيفا.فالمعنى أنّ دأبهم معاشره أهل الآخره و العاملين لها دون أهل الدنيا،و قيل:يحتمل أن يريد بأهل الآخره سائر الناس لأنّ مستقرّهم الأصلى و دار قرارهم هى الآخره كما قال تعالى «وَ إِنَّ» ّ

«الْآخِرَهَ هِیَ دارُ الْقَرارِ» (۱)و المعنی علی هذا الوجه أنّهم مع الناس بأبدانهم فقط تتقلّب بینهم و أرواحهم فی مقام آخر.

و قوله:یرون.إلی آخره.

الغرض الفرق بینهم و بین أهل الدنیا.إذ کان أهل الدنیا لا یرون أنّ وراء أبدانهم کمالا آخر فکانوا غافلین عن أحوال الآخره من سعاده أو شقاوه فکان أعظم محبوباتهم بقاء أجسادهم و تکمیلها،و أعظم منفور عنه لهم نقصانها مجاز و موتها :أمّا المتّقون فهم و إن کانوا یرونهم بتلک الحال إلّا أنّهم یرون أفضل ممّا یرون، و هو أنّ موت قلوبهم و فقدانها للحیاه بالعلم و الحکمه أعظم من موت أجسادهم، و ذلک لعلمهم بفساد الحیاه البدنیّه و انقطاعها و کدرها بعوارض الأمراض و سایر المغضبات الدنیویّه،و بقاء الحیاه النفسانیّه و شرف کمالها و صفاء لذّاتها عن الأقدار و الأکدار.و إنّما قال:قلوب أحیائهم،و لم یقل:قلوبهم لأنّ موت القلوب قد یکون حقیقه بموت الأجساد،و قد یکون مجازا و هو موتها بفقدان العلم و نور الحکمه مع حیاه أجسادها فکان ذکر الأحیاء کالقرینه المعیّنه لمراده بذلک الموت مجازا، و الضمیر فی قوله:أحیائهم یعود إلی أهل الدنیا لأنّ موت القلوب هو الواقع بهم حال حیاه أبدانهم،و یحتمل عوده إلی قوله:و هم.الّذی هو ضمیر المتّقین.و باللّه التوفیق.

۲۲۲-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

خطبها بذی قار و هو متوجه الی البصره

ذکرها الواقدی فی کتاب الجمل فَصَدَعَ بِمَا أُمِرَ بِهِ وَ بَلَّغَ رِسَالاَتِ رَبِّهِ- فَلَمَّ اللَّهُ بِهِ الصَّدْعَ وَ رَتَقَ بِهِ الْفَتْقَ- وَ أَلَّفَ بِهِ الشَّمْلَ بَیْنَ ذَوِی الْأَرْحَامِ- بَعْدَ الْعَدَاوَهِ الْوَاغِرَهِ فِی الصُّدُورِ- وَ الضَّغَائِنِ الْقَادِحَهِ فِی الْقُلُوبِ

ص:۱۰۹

۱- ۱) ۴۲-۴۰.

اللغه

أقول: ذوقار : موضع قريب من البصره،و فيه كانت وقعه العرب مع الفرس قبل الإسلام .و الصدع : الشقّ .و الواغره : ذات الوغره:و هى شدّه توقّد الحرّ،و فى صدره وغر:أى عداوه و ضغن توقد من الغيظ.و عداوه واغره:شديده .و الضغائن الأحقاد .

و الإشاره إلى أوصاف الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم :

فالأوّل:

استعاره استعار له لفظ الصدع بما امر به من تبليغ الوحى،و وجه المشابهه أنّه شقّ بما جاء به الرساله عصا الكفر و كلمه أهله،و فرّق ما اتّصل من أغشيه الجهل على رءوس الكافرين و حجب الغفله الّتى رانت على قلوبهم كما يصدع الحجر بالمعول و نحوه .

الثانى:ذكر تبليغه لرساله ربّه

فى معرض مدحه لكونه أداء أمانه عظم تبليغها و قدرها،و ذلك فضيله تحت ملكه العفّه .

الثالث:

استعاره كونه قد لمّ اللّه به الصدع،و رتق به الفتق ،و استعار لفظى الصدع و الرتق لما كان بين العرب من الافتراق و تشتّت الأهواء و اختلاف الكلمه و العداوات و الأحقاد حتّى أنّ أحدهم كان يقتل أباه و ابنه و ذوى رحمه لهوى يقوده أو ضغن يحمله فجمع اللّه بمقدمه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أشتاتهم و «وَ أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ» حتّى جعل ذلك فى معرض امتنانه عليه.إذ يقول: «وَ أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ» ،و كذلك استعار لفظ القادحه للضغائن لاستلزامها إثاره الغضب و الشرور و الفتن و كما يثير القادح النار .و باللّه التوفيق.

۲۲۳–و من كلام له عليه السّلام

اشاره

كلم به عبد اللّه بن زمعه،و هو من شيعته، و ذلك أنه قدم عليه فى خلافته يطلب منه مالا،فقال عليه السّلام:

إِنَّ هَذَا الْمَالَ لَيْسَ لِى وَ لاَ لَکَ- وَ إِنَّمَا هُوَ فَیْءٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَ جَلْبُ أَسْيَافِهِمْ-

فَإِنْ شَرِكْتَهُمْ فِی حَرْبِهِمْ کَانَ لَکَ مِثْلُ حَظِّهِمْ- وَ إِلاَّ فَجَنَاهُ أَيْدِيهِمْ لاَ تَکُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ أقول:هو عبد اللّه ابن زمعه بفتح الميم ابن أسود بن المطّلب بن أسود بن عبد العزّى بن قصّى بن کلاب.و کان من أصحاب علیّ و شيعته.

اللغه

و الجلب : المال المجلوب،و روی بالخا .و جناه الثمر : ما يجنی منه .

المعنی

و ظاهر الکلام يقتضی أنّه استماحه عليه السّلام مالا فاعتذر إليه،و وجه العذر أنّه لم يکن ليجمع لنفسه مالا يخصّه و إنّما يجمع له معه ما کان لبيت مال المسلمين من فيئهم، و هو جلبه أسيافهم من مال الکفّار غنيمه،و نطق القرآن الکريم بقسمه خمسه بين من ذکر فی قوله «وَ اعْلَمُوا أَنَّمٰا غَنِمْتُمْ مِنْ شَیْءٍ فَأَنَّ لِلّٰهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِی الْقُرْبیٰ وَ الْيَتٰامیٰ وَ الْمَسٰاکِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ» (1)و الأقسام الأربعه الباقيه للقائمين الّذين باشروا القتال.فعند الشافعی للفارس ثلاثه أسهم و للراجل سهم،و عند أبی حنيفه للفارس سهمان و للراجل سهم،و هو مذهب أهل البيت عليهم السّلام.و يحمل منعه عليه السّلام له من الخمس علی أنّه طلب من مال المقاتله أو علی أنّ الخمس کان قد قسّم أو علی أنّه لم يکن من المساکين و هم أهل الفاقه و الفقر و لا ابن السبيل و هو المنقطع فی سفره،و أمّا سهم اللّه فأجمع المفسّرون علی أنّ ذکر اللّه هنا للتعظيم و إن اختلفوا فی قسمه الخمس.فمنهم من قال:يقسّم خمسه أقسام لأنّ سهم اللّه و سهم الرسول للرسول فهو قسم واحد،و هو المرویّ عن ابن عبّاس و قتاده و جماعه من أهل التفسير،و منهم من قال:يقسّم أربعه أقسام،و منهم من قال:ثلاثه أقسام، و المرویّ عن أهل البيت عليه السّلام أنّه ينقسم ستّه أقسام فسهم اللّه و سهم رسوله للرسول صلّی اللّه عليه و آله و سلّم و هما بعده مع سهم ذوی القربی للقائم مقامه ينفقها علی نفسه و أهل بيته من بنی هاشم،و الثلاثه الأسهم الباقيه لليتامی و المساکين و أبناء السبيل من أهل

۱- ۱) ۲۴-۸.

بيت الرسول لا يشركهم فيها باقى الناس عوضا من الصدقات المحرّمه عليهم.و الأئمّه الأربعه على أنّ سهم الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان تصرف بعد عهده إلى ما أهمّ به من مصالح المسلمين من السلاح و الكراع.فإذن لم يكن أن يعطيه من سهم الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و ظاهر أنّه ليس من اولى القربى و لا اليتامى،و أمّا منعه من الأخماس الأربعه فلأنّها كانت للمقاتله خاصّه و لم يكن هو منهم،و لذلك قال له:و إنّما هو فىء للمسلمين و جلب أسيافهم فإن شركتهم فى حربهم كان لك مثل حظّهم،و قد نطق كلامه عليه السّلام هنا بأنّ الفىء و الغنيمه واحد و إن كان قد يختصّ الفىء عند بعضهم بما اخذ من مال الكفّار بغير قتال و هو قول الشافعى و المروىّ فى أخبار الإماميه.

و قوله:و إلاّ:أى و إن لا تكن قد شركتهم، استعاره و استعار لفظ الجناه لما اكتسبوه بأيديهم من ذلك المال ملاحظه لمشابهته باقتطاف الثمره و اجتنائها و هو من أفصح الاستعارات،و يجرى مجرى المثل يضرب لمن يطلب مشاركه غيره فى ثمره فعل فعله ذلك الغير و تعب فيه ،و لمّا كان قوله:و إلاّ.دالاّ على مقدّم شرطيّه متّصله تقديره و إلاّ تكن قد شركتهم فى حربهم.و نبّه بقوله:فجناه أيديهم.إلى آخره على تاليها.إذ كان مفهوم هذا القول دالاّ على عدم استحقاق غير الجانى نصيبا ممّا جنّته يد الجانى فكأنّه قال:و إلاّ شركتهم فى حربهم فلا يكون لك نصيب فيما كسبته أيديهم.و الفاء لجواب الشرط المقدّر.و باللّه التوفيق.

۲۲۴-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

:أَلاَ وَ إِنَّ اللِّسَانَ بَضْعَهٌ مِنَ الْإِنْسَانِ- فَلاَ يُسْعِدُهُ الْقَوْلُ إِذَا امْتَنَعَ- وَ لاَ يُمْهِلُهُ النُّطْقُ إِذَا اتَّسَعَ- وَ إِنَّا لَأُمَرَاءُ الْكَلاَمِ وَ فِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ- وَ عَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ وَ اعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنَّكُمْ فِي زَمَانٍ- الْقَائِلُ فِيهِ بِالْحَقِّ قَلِيلٌ- وَ اللِّسَانُ عَنِ

ص:۱۱۲

الصِّدْقِ كَلِيلٌ- وَ اللاَّزِمُ لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ- أَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ عَلَى الْعِصْيَانِ- مُصْطَلِحُونَ عَلَى الْإِدْهَانِ فَتَاهُمْ عَارِمٌ- وَ شَائِبُهُمْ آثِمٌ وَ عَالِمُهُمْ مُنَافِقٌ- وَ قَارِئُهُمْ مُمَاذِقٌ لاَ يُعَظِّمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرَهُمْ- وَ لاَ يَعُولُ غَنِيُّهُمْ فَقِيرَهُمْ أقول:روى أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام قال هذا الكلام فى واقعه اقتضت ذلک، و هى أنّه أمر ابن اخته جعده بن هبيره المخزومى يوما أن يخطب الناس فصعد المنبر فحصر فلم يستطع الكلام فقام عليه السّلام:و تسنّم ذروه المنبر.ثمّ خطب خطبه طويله.ذكر الرضى-رحمه اللّه-منها هذا الفصل.

اللغه

و البضعه : القطعه .و نشبّت : تعلّقت .و تهدّلت : تدلّت .و العارم : الشرس سىّء الأخلاق .و المماذق : الّذى يمزج الودّ و لا يخلصه،و هو نوع من النفاق .

المعنى

و الضمير فى يسعده و يمهله للسان،و فى امتنع و اتّسع للإنسان.

و المعنى أنّ اللسان لمّا كان آله للإنسان يتصرّف بتصريفه إيّاه فإذا امتنع الإنسان عن الكلام لشاغل أو صارف لم يسعد اللسان القول و لم يواته،و إذا دعاه الداعى إلى الكلام و حضره و اتّسع الإنسان له لم يمهله النطق بل يسارع إليه،و يحتمل أن يعود الضمير فى امتنع إلى القول،و فى اتّسع إلى النطق:أى فلا يسعد القول اللسان إذا امتنع القول من الإنسان و لم يحضره لوهم أو نحوه أوجب حصره وعيّه و لم يمهله النطق إذا اتّسع عليه و حضره.

استعاره و قوله : و إنّا لامراء الكلام .

استعار لفظ الامراء لنفسه و أهل بيته ملاحظه لكونهم مالكين لأزمّه الكلام يتصرّفون فيه تصرّف الامراء فى ممالكهم،و استعار لفظ العروق لموادّ الكلام و اصوله و ملكاته المتمكّنه فى قلوبهم،و استعار لفظ التنشّب ، استعاره مرشحه و كذلک استعار لفظ الغصون لما أمكنهم من تناوله رشّح بذكر التهدّل لأنّ من شأن الغصن ذلک .ثمّ عقّب بذكر الزمان و أهله،و يشبه أن يكون هذا فصلا منقطعا

ص:۱۱۳

عمّا قبله،و ذکر أوصافا:

أحدها:قلّه القائلین فیه بالحقّ،و ذلک من الشرور اللاحقه لأهل الزمان فیه،و قد علمت ما قلناه فی وصف کون الزمان سببا ما للشرّ و الخیر عند قوله:

أیّها الناس إنّا قد أصبحنا فی دهر عنود و زمن کنود.

الثانی:کون اللسان فیه کلیلا عن الصدق،و السبب القریب للوصفین استیلاء الجهل و الظلم علی أکابره و أهل الدنیا فیه.

الثالث:ذلّ اللازمین للحقّ فیه،و هو لازم عن قلّتهم و ضعفهم بالنسبه إلی الباقین.

الرابع :کون أهله معتکفین علی العصیان،و أراد الأکثرین من الناس.

الخامس:کونهم مصطلحین علی الإدهان:أی المصانعه باللسان دون الإتّفاق بالقلوب،و یحتمل أن یرید بالإدهان الغشّ،و هو لغه قوم.

السادس:وصفهم بحسب أصنافهم:فشابهم شرس الأخلاق لنشوه علی غیر أدب،و شائبهم آثم لجهله و غفلته عمّا یراد به،و عالمهم منافق لاستعماله فطنته فی طرف الشرّ و إعراضه عن أوامر اللّه و طریق الآخره،و قارئهم مماذق یظهر التودّد إلی الناس و لیس به.

السابع:کونهم لا یعظّم صغیرهم کبیرهم،و ذلک لنشوهم علی قلّه الآداب الشرعیّه و عدم التفاتهم إلیها.

الثامن:و لا یعول غنیّهم فقیرهم وصف لهم بالجفاوه و البخل.و باللّه التوفیق.

۲۲۵-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

روی ابو محمد الیمانی عن أحمد بن قتیبه عن عبد اللّه بن یزید عن مالک بن دحیه قال:کنا عند أمیر المؤمنین علیه السّلام و قد ذکر عنده اختلاف الناس فقال إِنَّمَا فَرَّقَ بَیْنَهُمْ مَبَادِئُ طِینِهِمْ- وَ ذَلِکَ أَنَّهُمْ کَانُوا فِلْقَهً مِنْ سَبَخِ أَرْضٍ

وَ عَذْبِهَا- وَ حَزْنِ تُرْبَتِهِ وَ سَهْلِهَا- فَهُمْ عَلَى حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارَبُونَ- وَ عَلَى قَدْرِ اخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ- فَتَامُّ الرُّوَاءِ نَاقِصُ الْعَقْلِ- وَ مَادُّ الْقَامَهِ قَصِيرُ الْهِمَّهِ- وَ زَاكِی الْعَمَلِ قَبِيحُ الْمَنْظَرِ- وَ قَرِيبُ الْقَعْرِ بَعِيدُ السَّبْرِ- وَ مَعْرُوفُ الضَّرِيبَهِ مُنْكَرُ الْجَلِيبَهِ- وَ تَائِهُ الْقَلْبِ مُتَفَرِّقُ اللُّبِّ- وَ طَلِيقُ اللِّسَانِ حَدِيدُ الْجَنَانِ أبو محمّد ذعلب اليمانیّ و أحمد و عبد اللّه و مالک من رجال الشيعه و محدّثيهم.

اللغه

و الفلقه:

القطعه،و الشقّ من الشیء .و الرواء : المنظر الجميل .و سبرت الرجل أسبره:

اختبرت باطنه و غوره .و الضريبه : الخلق و الطبيعه .و الجليبه : ما يجلبه الإنسان و يتكلّفه .

و الكلام إشاره إلی السبب المادیّ لاختلاف الناس فی الصور و الأخلاق .

كنايه فقوله: إنّما فرّق بينهم.إلی قوله:يتفاوتون.

فطينهم إشاره إلی التربه الّتی أشار إلی جمع اللّه لها فی قوله:فی الخطبه الاولی:ثمّ جمع سبحانه من سهل الأرض و حزنها و سبخها و عذبها تربه.إلی قوله:و أصلدها حتّی استمسكت.و المعنی أنّ تقاربهم فی الصور و الأخلاق تابع لتقارب طينهم و تقارب مباديه و هی السهل و الحزن و السبخ و العذب،و تفاوتهم فيها تابع لتفاوت طينهم و مباديه المذكوره.قال أهل التأويل:إضافه المبادی هنا إلی الطين إضافه بمعنی اللام:أی المبادی لطينهم،و الإشاره بطينهم إلی اصولهم، و هی الممتزجات المنتقله فی أطوار الخلقه كالنطفه و ما قبلها من موادّها و ما بعدها من العلقه و المضغه و العظم،و المزاج الإنسانیّ القابل للنفس المدبّره.قالوا:و لمّا كانت مبادی ذلک الطين فی ظاهر كلامه عليه السّلام هی السبخ و العذب و السهل و الحزن كان ذلک كنايه عن الأجزاء العنصريّه الّتی هی مبادی الممتزجات ذوات الأمزجه كالنبات و الغذاء و النطفه و ما بعدها.إذ كلّ ممتزج منها لا بدّ فيه من أجزاء

متفاعل فيحصل بواسطتها استعداداتها،و تفاعلها ذو مزاج هو نطفه و غيرها فتلك الأجزاء المتفاعله المستعدّه لمزاج مزاج هى مبادى تلك الأمزجه و الممتزجات و لمّا كانت السبخيّه و العذوبه و السهوله و الحزونه امورا تلحق الممتزجات الأرضيّه الّتى هى مبادئ الطين و لها أثر فى اختلاف مزاجه و ساير الأمزجه المركّبه منه، و كان اختلاف استعدادات تلك الامور الممتزجه لقبول الأمزجه الّتى هى السبب فى اختلاف الأمزجه و استعداداتها لقبول الأخلاق و الصور هو السبب فى اختلاف الأخلاق و الصور لا جرم كان السبب فى تفرّق الناس فى أخلاقهم و خلقهم إنّما هو اختلاف مبادئ طينهم،و قد علمت ممّا سلف فى الخطبه الاولى لميّه تخصيصه عليه السّلام بعض الأجزاء العنصريّه بالتركّب عنها،و يحتمل أن يشير بالسبخ و العذب و السهل و الحزن إلى الأجزاء الأرضيّه من حيث هى ذوات أمزجه متعادله الكيفيّات.فالسبخ كنايه عن الحارّ اليابس منها،و العذب كنايه عن الحارّ الرطب،و السهل كنايه عن البارد الرطب،و الحزن كنايه عن البارد اليابس قالوا:و على هذا حمل قول الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:إنّ اللّه سبحانه لمّا أراد خلق آدم أمر أن يؤخذ قبضه من كلّ أرض فجاء بنو آدم على قدر طينها الأحمر و الأبيض و السهل و الحزن و الطيّب و الخبيث.فالقبضه من كلّ أرض إشاره إلى الأجزاء الأرضيّه المذكوره،و كون الناس مختلفين عنها بالأبيض و الأحمر إشاره إلى اختلاف خلقهم،و كونهم مختلفين بالسهوله و الحزونه و الطيّب و الخبيث إشاره إلى اختلاف تلك الاستعدادات السابقه على كلّ مزاج فى أطوار خلقهم قالوا:و قد بان بذلك معنى قوله:فهم على حسب قرب أرضهم يتقاربون:أى على حسب قرب مبادى طينهم المذكوره و تشابهها فى استعداداتها و إعدادها يتقاربون و يتشابهون فى الصور و الأخلاق،و على قدر اختلاف تلك المبادى و تباينها فى ذلك يتفاوتون و تتضادّ أخلاقهم و تتباين خلقهم.قالوا:و يجب التأويل هنا لأنّا لو حملنا الكلام على ظاهره لاقتضى أنّ كلاّ منهم قد خلق من الطين.

قوله :فتامّ الرواء.إلى آخره.

تفصیل لهم فی تفاوتهم.و ذکر أقساما سبعه فبدء بالأقسام الّتی تضادّ خلقها لأخلاقها أو بعض أخلاقها لبعض و هی خمسه:

الأوّل:من استعدّ مزاجه لقبول صوره کامله حسنه و عقل ناقص فهو داخل فی رذیله الغباوه.

الثانی:المستعدّ لامتداد القامه و حسنها أیضا لکنّه ناقص فی همّته فهو داخل فی رذیله الجبن،و کلاهما یشترکان فی مخالفه ظاهرهما لباطنهما،و یتفاوتان فی الاستعداد الباطن.

الثالث:المستعدّ لقبح صورته الظاهره و حسن باطنه باعتدال مزاج ذهنه المستلزم للأعمال الذاکیه.

الرابع:قریب القعر:أی قصیر بعید السبر:أی داهیه ببعد اختیار باطنه و الوقوف علی أسراره،و مخالفه ظاهر هذین القسمین لباطنهما ظاهر.

الخامس.معروف الضریبه منکر الجلیبه:أی یکون له خلق معروف یتکلّف ضدّه فیستنکر منه،و یظهر علیه تکلّفه کأن یکون مستعدّا للجبن فیتکلّف الشجاعه أو بخیلا فیتکلّف السخاوه فیستنکر منه ما لم یکن معروفا منه.فهذه هی الأقسام الخمسه،و القسم الأوّل و الثالث قلیلان فإنّ الأغلب علی المستعدّ لحسن الصوره و جمالها و اعتدال الخلقه أن یکون فطنا ذکیّا لدلاله تلک العوارض علی استواء الترکیب و اعتدال المزاج،و الأغلب علی المستعدّ لقبح الصوره عکس ذلک،و أما القسم الثانی و الرابع فهو أکثر فإنّ الأغلب علی طویل القامه نقصان العقل و البلاده و یتبع ذلک فتور العزم و قصور الهمه،و علی القصیر الفطنه و الذکاء و حسن الآراء و التدابیر،و قد نبّه بعض الحکماء علی علّه ذلک فقال حین سئل ما بال القصار من الناس أدهی و أحذق؟:لقرب قلوبهم من أدمغتهم.و مراده أنّ القلب لمّا کان مبدء للحار الغریزیّ و کان الأعراض النفسانیّه من الفطنه و الفهم و الإقدام و الوقاحه و حسن الظنّ و جوده الرأی و الرجاء و النشاط و رجولیّه الأخلاق و قلّه الکسل و قلّه الانفعال عن الأشیاء کلّ ذلک یدلّ علی الحراره

و توفّرها،و أضداد هذه الامور يدلّ على البروده لا جرم كان قرب القلب من الدماغ فى القصير لكونه سببا لتوفّر الحراره فى الدماغ وجوده استعداد القوى النفسانيّه فيه للأعراض المذكوره،و كان بعده منه فى الطويل سببا لقلّه الحراره فيه و ضعف استعداد القوى النفسانيّه فيه للأعراض المذكوره، و استعدادها لأضدادها و إن كانت الحراره ليست هى كمال السبب المادىّ،و القسم الخامس أكثرى و ذلك لمحبّه النفوس للكمالات فترى البخيل يحبّ أن يعدّ كريما فيتكلّف الكرم،و الجبان يحبّ أن يعدّ شجاعا فيتكلّف الشجاعه، المطابقه و قد راعى فى هذه القرائن المطابقه فالتامّ بإزاء الناقص ،و مادّ القامه بإزاء القصير ، و الذكىّ بإزاء القبيح ،و القريب بإزاء البعيد ،و المعروف بإزاء المنكر ،و أمّا القسمان الباقيان فأحدهما:تائه القلب متفرّق اللبّ،و هم العوامّ.و العامّه أتباع كلّ ناعق التائهون فى تيه الجهل المتفرّقه أهواؤهم بحسب كلّ سانح من المطالب الدنيويّه و الخواطر الشيطانيّه، السجع المتوازى و الثانى: طليق اللسان حديد الجنان ،و هو اللسن الزكىّ،و هذان القسمان مخالفان للأقسام الاولى فى مناسبه ظاهرهما لباطنهما،و راعى فى كلّ قرينتين من هذين القسمين السجع المتوازى .و باللّه التوفيق.

۲۲۶-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

و هو يلى غسل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و تجهيزه

بِأَبِي أَنْتَ وَ أُمِّي يَا؟رَسُولَ اللَّهِ؟- لَقَدِ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ- مِنَ النُّبُوَّهِ وَ الْإِنْبَاءِ وَ أَخْبَارِ السَّمَاءِ- خَصَّصْتَ حَتَّى صِرْتَ مُسَلِّياً عَمَّنْ سِوَاكَ- وَ عَمَّمْتَ حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سَوَاءً- وَ لَوْ لاَ أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ وَ نَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ- لَأَنْفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّئُونِ-

ص:۱۱۸

وَ لَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلاً وَ الْكَمَدُ مُحَالِفاً- وَ قَلَّا لَكَ وَ لَكِنَّهُ مَا لاَ يُمْلَكُ رَدُّهُ- وَ لاَ يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ- بِأَبِي أَنْتَ وَ أُمِّي اذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ وَ اجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ

اللغه

أقول:روی عوض الأنباء الأنبیاء،و هی الأخبار .و الشئون : مواصل قطع الرأس المشعوب بعضها مع بعض،و ملتقاها.و العرب تقول:إنّ الدموع یجیء منها.و قال ابن السکّیت:الشأنان:عرقان ینحدران من الرأس إلی الحاجبین ثمّ إلی العینین .و الکمد : الحزن المکتوم .و المحالف : الملازم .و البال . القلب .

المعنی

و قوله: بأبی أنت و امّی یتعلّق بمحذوف تقدیره أفدیک.و إنّما قال له:

استعاره لقد انقطع بموتک.إلی قوله:السماء لأنّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم خاتم الأنبیاء،و أراد بأخبار السماء الوحی،قال أهل التأویل:و لفظ السماء مستعار لما علا فی المعنی من سماء عالم الغیب و مقامات الملأ الأعلی.

و قوله:خصصت.إلی قوله:سواء.

أی خصصت فی مصیبتک من حیث إنّها مصیبه خاصّه عظیمه لا یصاب الناس فی الحقیقه بمثلها فلذلک کانت مسلّیه لهم عن المصائب بمن سواک و عمّتهم بمصیبتک حتّی استووا فیها.و أضاف الخصوص و العموم إلیه و إن کانا للمصیبه لکونها بسببه.

و قوله:و لولا.إلی قوله:و قلّالک.

إشاره إلی العذر فی ترک البکاء الکثیر و مماطله الداء و ملازمه الحزن،و هو أمره صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بالصبر فی مواطن المکروه و النهی عن الجزع عند نزول الشدائد. کنایه و کنّی عن کثره البکاء بإنفاد ماء الشئون ، کنایه-استعاره و بالداء عن ألم الحزن بفقده صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، و استعار له لفظ المماطله کأنّ الحزن و ألمه لثباته و تمکّنه لا یکاد یفرق مع أنّ من عادته أن یفارق فهو کالمماطل بالمفارقه ،و الضمیر فی قوله:و قلّالک یعود إلی إنفاد ماء الشئون الّذی دلّ علیه أنفدنا،و إلی الکمد المخالف.و لمّا کان هو الداء المماطل أتی بضمیر الإثنین،و یحتمل أن یعود إلی الداء المماطل و الحزن الملازم

ص:۱۱۹

ترجيحا للقرب،و الضمير فى قوله:و لكنّه ما لا يملك.يعود إلى الموت فى قوله:

بموتك،و تقديره و لكنّ الموت الّذى لأجله البكاء و الحزن ما لا يملك ردّه و لا يستطاع دفعه فلم يكن فى البكاء و الجزع فايده و كان لزوم الصبر أولى.ثمّ عاد إلى التفديه و هى كلمه معتاده للعرب تقال لمن يعزّ عليهم.

فإن قلت:كيف تحسن التفديه هنا بعد الموت و هى غير ممكنه.

قلت:إنّه لا يشترط فى إطلاقها فى عرفهم إمكان الفديه.إذ ليس الغرض منها تحقيق الفديه بل تخييل الفديه و إيهامها للاسترقاق و تخييل المقول له أنّه عزيز فى نفس القائل إلى غايه أنّه أرجح من أبيه و امّه بحيث يفديه بهما،و ظاهر أنّها ممّا يعقل [أنّها ممّا يفعل خ]فى الطبع ميلا من المقول .ثمّ سأله أن يذكره عند ربّه و أن يجعله من باله.إذ هو السابق إليه مع كونه رئيس الخلق و مقدّمهم فكان أولى من سئل ذلك منه،و أراد:اذكرنا عنده بما نحن عليه من طاعته.فهو كأمير بعثه الملك إلى أهل مدينه ليصلح حالهم و ينظّمهم فى سلك طاعه الملك بالترهيب من وعيده و الترغيب فيما عنده من الكرامه فلا بدّ أن يعلمه طاعه المطيع و عصيان العاصى إذا حان رجوعه إلى خدمه الملك،أحبّ عقلاؤهم و أهل الطاعه منهم أن يذكر طاعتهم عند الملك بين يديه فيتقرّبون إلى قلب أميرهم و يسألونه أن يجعلهم من باله:

أى من مهمّاته.يقال:هذا من بال فلان:أى مما يباليه و يهتمّ به،و يحتمل أن يريد من مهمّات بالك فحذف المضاف.و قبض صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بعد الهجره بعشر سنين،و كان مولده عام الفيل،و بعث و هو ابن أربعين سنه بعد بنيان الكعبه،و هاجر إلى المدينه و هو ابن ثلاث و خمسين سنه،و كان سنّه يوم قبض ثلاث و ستّين سنه،و يقال:إنّه ولد يوم الإثنين،و دخل المدينه يوم الإثنين،و قبض يوم الإثنين،و دفن ليله الأربعا بحجره عايشه و فيها قبض،و تولّى تغسيله علىّ عليه السّلام و العبّاس بن عبد-المطّلب و ولده الفضل.و قد أشرنا إلى ذلك فى كيفيّه دفنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى قوله:و لقد علم المستحفظون،و باللّه التوفيق.

ص:۱۲۰

Z۲۲۷–و من خطبه له علیه السّلام

القسم الأول

اشاره

«الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِی» لاَ تُدْرِکُهُ الشَّوَاهِدُ- وَ لاَ تَحْوِیهِ الْمَشَاهِدُ- وَ لاَ تَرَاهُ النَّوَاظِرُ- وَ لاَ تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ- الدَّالِّ عَلَی قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ- وَ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَی وُجُودِهِ- وَ بِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَی أَنْ لاَ شَبَهَ لَهُ- الَّذِی صَدَقَ فِی مِیعَادِهِ- وَ ارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ- وَ قَامَ بِالْقِسْطِ فِی خَلْقِهِ- وَ عَدَلَ عَلَیْهِمْ فِی حُکْمِهِ- مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ الْأَشْیَاءِ عَلَی أَزَلِیَّتِهِ- وَ بِمَا وَسَمَهَا بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَی قُدْرَتِهِ- وَ بِمَا اضْطَرَّهَا إِلَیْهِ مِنَ الْفَنَاءِ عَلَی دَوَامِهِ- وَاحِدٌ لاَ بِعَدَدٍ وَ دَائِمٌ لاَ بِأَمَدٍ وَ قَائِمٌ لاَ بِعَمَدٍ- تَتَلَقَّاهُ الْأَذْهَانُ لاَ بِمُشَاعَرَهٍ- وَ تَشْهَدُ لَهُ الْمَرَائِی لاَ بِمُحَاضَرَهٍ- لَمْ تُحِطْ بِهِ الْأَوْهَامُ بَلْ تَجَلَّی لَهَا بِهَا- وَ بِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا وَ إِلَیْهَا حَاکَمَهَا- لَیْسَ بِذِی کِبَرٍ امْتَدَّتْ بِهِ النِّهَایَاتُ فَکَبَّرَتْهُ تَجْسِیماً- وَ لاَ بِذِی عِظَمٍ تَنَاهَتْ بِهِ الْغَایَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجْسِیداً- بَلْ کَبُرَ شَأْناً وَ عَظُمَ سُلْطَاناً وَ أَشْهَدُ أَنَّ؟مُحَمَّداً؟ عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ الصَّفِیُّ- وَ أَمِینُهُ الرَّضِیُّ ص أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الْحُجَجِ وَ ظُهُورِ الْفَلَجِ وَ إِیضَاحِ الْمَنْهَجِ- فَبَلَّغَ الرِّسَالَهَ صَادِعاً بِهَا- وَ حَمَلَ عَلَی الْمَحَجَّهِ دَالاًّ عَلَیْهَا- وَ أَقَامَ أَعْلاَمَ الاِهْتِدَاءِ وَ مَنَارَ الضِّیَاءِ- وَ جَعَلَ أَمْرَاسَ الْإِسْلاَمِ مَتِینَهً- وَ عُرَی الْإِیمَانِ وَثِیقَهً

ص:۱۲۱

اللغه

أقول: المشاهد : المحاضر و المجالس .و المرائی : جمع مرآه بفتح المیم و هی المنظر یقال:فلان حسن فی مرآه العین و فی رأی العین:أی فی المنظر .و الفلج : الظفر و أصله بسکون اللام .و الأمراس : جمع مرس بفتح الراء و هی جمع مرسه و هی الحبل .

المعنی

و قد حمد اللّه تعالی باعتبارات من التنزیه :
الأوّل:کونه لا تدرکه الشواهد

،و أراد الحواسّ،و سمّاها شواهد لکونها تشهد ما تدرکه و تحضر معه،و قد علمت تنزیهه عن إدراک الحواسّ غیر مرّه.

الثانی:و لا تحویه المشاهد

،و قد علمت تنزیهه تعالی عن الأمکنه و الأحیاز.

الثالث:و لا تراه النواظر

:أی نواظر الأبصار،و إنّما خصّص البصر بالذکر بعد ذکر الشواهد لظهور تنزیهه تعالی عن سایر الحواسّ و وقوع الشبهه و قوّتها فی أذهان کثیر من الخلق فی جواز إدراکه تعالی بهذه الحاسّه حتّی أنّ مذهب کثیر من العوامّ أن تنزیهه تعالی عن ذلک ضلال بل کفر تعالی اللّه عمّا یقول العادلون.

الرابع:و لا تحجبه السواتر

،و قد علمت أنّ السواتر الجسمانیّه إنّما تعرض للأجسام و عوارضها،و علمت تنزیهه تعالی عن ذلک .

الخامس:کونه دالاّ علی قدمه بحدوث خلقه

،و اعلم أنّه علیه السّلام جعل حدوث خلقه هنا دالاّ علی الأمرین:

أحدهما:قدمه تعالی.

و الثانی:وجوده.و قد سبق تقریر ذلک فی قوله علیه السّلام:الحمد للّه الدالّ علی وجوده بخلقه و بحدوث خلقه علی أزلیّته.غیر أنّه جعل هناک الدلیل علی الوجود هو نفس الخلق و جعله هنا هو الحدوث،و لمّا کان مجرّد الوجود للممکنات و خلقها یدلّ علی وجود صانع لها فأولی أن یدلّ حدوثها علیه.و قدمه و أزلیّته واحد .

السادس

:و كذلك مرّ تقرير قوله:و باشتباههم على أن لا شبيه له.فى الفصل المذكور .

ص:۱۲۲

السابع:الّذی صدق فی میعاده،

و صدقه تعالی یعود إلی مطابقه ما نطقت به کتبه علی ألسنه رسله الصادقین علیهم السّلام للواقع فی الوجود ممّا وعد به أمّا فی الدنیا کما وعد به رسوله و المؤمنین بالنصر أو الاستخلاف فی الأرض کقوله تعالی «وَعَدَکُمُ اللّهُ مَغانِمَ کَثِیرَهً تَأْخُذُونَها» (۱)الآیه و قوله «وَعَدَ اللّهُ الَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ لَیَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِی الْأَرْضِ» (۲)و أمّا فی الآخره کما وعد عباده الصالحین بما أعدّ لهم فی الجنّه من الثواب الجزیل،و الخلف فی الوعد کذب و هو علی اللّه سبحانه محال،و هو کقوله تعالی «إِنَّ اللّهَ لا یُخْلِفُ الْمِیعادَ» (۳).

الثامن:و ارتفع عن ظلم عباده

و هو تنزیه له عن حال ملوک الأرض الّذین من شأنهم ظلم رعیّتهم إذا رأوا أنّ ذلک أولی بهم،و أنّ فیه منفعه ولدّه أو فی ترکه ضرر و تألّم،و کلّ ذلک من توابع الأمزجه و عوارض البشریّه المحتاج إلی تحصیل الکمال الحقیقی أو الوهمیّ.و جناب الحقّ تعالی منزّه عن ذلک.

التاسع:و قام بالقسط فی خلقه

فقیامه بالقسط و هو العدل فیهم و إجراؤه لأحکامه فی مخلوقاته علی وفق الحکمه و النظام الأکمل و هو أمر ظاهر و کذلک عدله علیهم فی حکمه .

العاشر:کونه یستشهد بحدوث الأشیاء علی أزلیّته.

و الاستشهاد الاستدلال،و کرّره هنا تأکیدا باختلاف العباره.

الحادی عشر:و بما و سمها به من العجز عن قدرته.

العجز عباره عن عدم القدره عمّا من شأنه أن یقدر.إذ لا یقال مثلا للجدار:إنّه عاجز،و قد علمت أنّ کلّ موجود سواه فهو موصوف و موسوم بعدم القدره علی ما یختصّ به قدرته تعالی من الموجودات بل بعدم القدره علی شیء أصلا.إذ کلّ موجود فهو منته فی سلسله الحاجه إلیه و هو تعالی مبدء وجوده.و سایر ما یعدّ سببا له فإنّما هو واسطه معدّه کما علم تحقیقه فی موضع آخر فإذن لا قدره فی الحقیقه إلاّ له و منه.و وجه الاستدلال أنّه لو کان موسوما بالعجز عن شیء لما کان مبدء له لکنّه مبدء

ص:۱۲۳

۱- ۱) ۲۰-۴۸.

۲- ۲) ۵۴-۲۴.

۳- ۳) ۷-۶.

لکلّ موجود فهو ثابت القدره تامّها.

الثانی عشر:و بما اضطرّها إلیه من الفناء دوامه.

و اضطراره لها إلی الفناء حکم قدرته القاهره علی ما استعدّ منها للعدم بإفاضه صوره العدم علیه حین استعداده لذلک علی وفق قضائه تعالی بذلک،و هو المشار إلیه بقوله تعالی «وَ نُفِخَ فِی الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ مَنْ فِی الْأَرْضِ إِلاّ مَنْ شاءَ اللّهُ» (۱)و وجه الاستدلال أنّه تعالی لو کان مضطرّا إلی الفناء کسایر الأشیاء لکان جایز الفناء فکان ممکنا لکن التالی باطل فهو واجب الوجود دائما .

الثالث عشر،کونه تعالی واحدا لا بعدد

:أی أنّه لیس واحدا بمعنی أنّه مبدء لکثره یکون عادّا لها و مکیالا،و قد سبق بیان ذلک،و بیان إطلاق وجه الوحده علیه،و بأیّ معنی هو غیر مرّه.فلا معنی لإعادته.

الرابع عشر:کونه دائما لا بأمد

،و قد سبق أیضا بیان أنّ کونه دائما بمعنی أنّ وجوده مساوق لوجود الزمان.إذ کان تعالی هو موجد الزمان بعد مراتب من خلقه،و مساوقه الزمان لا یقتضی الکون فی الزمان،و لمّا کان الأمد هو الغایه من الزمان و منتهی المدّه المضروبه لذی الزمان من زمانه،و ثبت أنّه تعالی لیس بذی زمان یعرض له الأمد ثبت أنّه دائم لا أمد له.

الخامس عشر:کونه قائما لا بعمد

:أی بعمد ثابت الوجود من غیر استناد إلی سبب یعتمد علیه و یقیمه فی الوجود کسایر الموجودات الممکنه،و ذلک هو معنی کونه واجب الوجود،و قد أشرنا إلی برهان ذلک فی قوله:الحمد للّه الدالّ علی وجوده بخلقه.و کثیر من قرائن هذا الفصل موجود هناک .

السادس عشر:کونه تتلقّاه الأذهان لا بمشاعره،

و تلقّی الأذهان له یعود إلی استقبالها و تقبّلها لما یمکنها أن یتصوّره به من صفاته السلبیّه و الإضافیّه، و کون ذلک لا بمشاعره:أی لیس تلقّیها لتلک التصوّرات من طریق المشاعره و هی الحواسّ،و لا علی وجه شعورها بما یشعر به منها،بل تتلقّاها علی وجه أعلی

ص:۱۲۴

۱- ۱) ۶۸-۳۹.

و أشرف بتعقّل صرف برئ عن علايق المواد مجرّد عن إدراك الحواسّ و توابع إدراكاتها من الوضع و الأين و المقدار و الكون و غير ذلك.

السابع عشر:كونه و تشهد له المرائى لا بمحاضره.

إشاره إلى كون المرائى و النواظر طرقا للعقول إلى الشهاده بوجوده تعالى فى آثار قدرته و لطايف صنعته و ما يدرك بحسّ البصر منها،و لوضوح العلم به تعالى و شهاده العقول بوجوده فى المدركات بهذه الآله صار كأنّه تعالى مشاهد مرئىّ فيها و إن لم تكن هذه الآله محاضره له و لا يتعلّق إدراكها به،و يحتمل أن يريد بالمرائى المرئيّات الّتى هى مجال أبصار الناظرين و مواقعها.و ذلك أنّ وجودها و ما اشتملت عليه من الحكمه شاهد بوجود الصانع سبحانه من غير حضور و محاضره حسيّه كما عليه الصنّاع فى صنايعهم من محاضرتها و مباشرتها .

الثامن عشر:كونه تعالى لم تحط به الأوهام.

لمّا كان تعالى غير مركّب لم يمكن الإحاطه به بعقل أو وهم البتّه،و الأوهام أولى بذلك.إذ كانت إنّما يتعلّق بالمعانى الجزئيّه المتعلّقه بالمحسوسات و الموادّ الجسمانيّه فيترتّب فى تنزيهه تعالى عن إحاطه الأوهام به قياس هكذا:لا شىء من مسمّى واجب الوجود بمدرك بمادّه و وضع.و كلّ مدرك للوهم فهو متعلّق بذى مادّه و وضع.ينتج لا شىء ممّا هو واجب الوجود بمدرك للأوهام أصلا فضلا أن يحيط به و يطّلع على حقيقته.

و قد مرّ ذلك مرارا.

التاسع عشر:كونه تعالى تجلّى لها

.و لمّا ثبت أنّها لا تدرك إلّا ما كان معنى جزئيّا فى محسوس فمعنى تجلّيه لها هو ظهوره لها فى صوره وجود ساير مدركاتها من جهه من هو صانعها و موجدها.إذ كانت الأوهام عند اعتبارها لأحوال أنفسها من وجوداتها و عوارض وجوداتها و التغيّرات اللاحقه لها مشاهده لحاجتها إلى موجد و مقيم و مغيّر و مساعده للعقول على ذلك،و أنّ إدراكها لذلك فى أنفسها على وجه جزئىّ مخالف لإدراك العقول،و كانت مشاهده له بحسب ما طبعت عليه و بقدر إمكانها و هو متجلّى لها كذلك.و الباء فى-بها-للسببيّه.إذ وجودها

ص:۱۲۵

هو السبب المادىّ فى تجلّيه لها،و يحتمل أن يكون بمعنى فى:أى تجلّى لها فى وجودها.و بل هنا للإضراب عمّا امتنع منها من الإحاطه به،و الإثبات لما أمكن و وجب فى تجلّيه لها.

العشرون:و بها امتنع منها

:أى لمّا خلقت قاصره عن إدراك المعانى الكليّه و عن التعلّق بالمجرّدات كانت بذلك مبدء الامتناعه عن إدراكها له و إن كان لذلك الامتناع أسباب اخر اوليها:كونه بريئا عن أنحاء التراكيب،و يحتمل أن يريد بقوله:بها:أى أنّها لمّا خلقت على ذلك القصور و كان هو تعالى ممتنع الإدراك بالكنه اعترفت عند توجّهها إليه و طلبتها لمعرفته بالعجز عن إدراكه و أنّه ممتنع عنها فيها:أى باعترافها امتنع منها.

الحادى و العشرون:

مجاز كونه إليها حاكمها :أى جعلها حكما بينها و بينه عند رجوعها من توجّهها فى طلبه منجذبه خلف العقول حسره معترفه بأنّه لا تنال بجود الاعتساف كنه معرفته،و لا يخطر ببال اولى الرويّات خاطر من تقدير جلاله مقرّه بحاجتها و استغنائه و نقصانها و كماله و مخلوقيّتها و خالقيّته.إلى غير ذلك بما لها من صفات المصنوعيّه،و له من صفات الصانعيّه موافقه للعقول فى تلك الأحكام.

و استناد المحاكمه إليها مجاز لمناسبته ما ذكرناه ،و قال بعض الشارحين:أراد بالأوهام هاهنا العقول،و ظاهر أنّها لا تحيط به لكونه غير مركّب محدود.و تجلّيه لها هو كشف ما يمكن أن يصل إليه العقول من صفاته الإضافيّه و السلبيّه.

و قوله:و بها امتنع منها.

أى بالعقول و نظرها علم أنّها لا تدركه.

و قوله:إليها حاكمها:أى جعل العقول المدّعيه أنّها أحاطت به و أدركته كالخصوم له سبحانه.ثمّ حاكمها إلى العقول السليمه الصحيحه.فحكمت له العقول السليمه على المدّعيه لما ليست أهلا له.و ما ذكره هذا الفاضل محتمل إلاّ أنّ إطلاق لفظ الأوهام على العقول إن صحّ فمجاز بغير قرينه و عدول عن الحقيقه من غير ضروره،و قال غيره:أراد لم تحط به أهل الأوهام.فحذف المضاف

و عند تأمّل ما بيّناه يلوح أنّه هو مراده عليه السّلام أو قريب منه،و هذه الألفاظ اليسيره من لطائف إشاراته عليه السّلام و إطلاقه على أسرار الحكمه .

الثانى و العشرون:كونه تعالى ليس بذى كبر.إلى قوله:تجسيما.

الكبير يقال لعظيم الحجم و المقدار،و يقال لعالى السنّ من الحيوان،و يقال لعظيم القدر و رفيعه.و مراده نفى الكبر عنه بالمعنى الأوّل.إذ من لوازم ذلك كون الكبر ممتدّا فى الجهات الثلاث طولا و عرضا و عمقا فيحصل الكبير الجسمىّ،و قد تقدّس تعالى عن ذلك،و تقدّسه عن الكبر بالمعنى الثانى ظاهر.و تجسيما مصدر فى موضع الحال:أى فكبّرته مجسّما له أو مجسّمه،و إنّما أسند الامتداد به إلى النهايات لأنّها غايه الطبيعه بالامتداد يقف عندها و ينتهى بها فكانت من الأسباب الغائيه فلذلك أسند إليها،و كذلك إسناد التكبير إليها.إذ كان التكبير من لوازم الامتداد إليها.

الثالث و العشرون:و لا بذى عظم،إلى قوله:تجسيدا،

و العظيم يقال على الكبير بالمعنى الأوّل و الثالث دون الثانى،و مراده سلب العظيم عنه بالمعنى الأوّل لما مرّ،و إسناد التناهى إلى الغايات ظاهر.إذ كانت سببا لوقوفه و بها انقطع و إليها يبلغ،و كذلك إسناد التعظيم إليها كإسناد التكبير و إن أسند التناهى إليه بها جاز.

الرابع و العشرون

:كونه كبر شأنا.

الخامس و العشرون:كونه عظم سلطانا.

لمّا سلب الكبر و العظم عنه بالمعنيين الأوّلين أشار إلى أنّ إطلاقهما عليه بالمعنى الثالث.و نصب شأنا و سلطانا على التميز.فهو الكبير شأنا إذ لا شأن أعلى من شأنه،و العظيم سلطانا إذ لا سلطان أرفع من سلطانه،و هو مبدء شأن كلّ ذى شأن،و منتهى سلطان كلّ ذى سلطان «لاـ إِلهَ إِلاّـ هُوَ» الكبير المتعال ذو الكبرياء و العظمه و الجلال .ثمّ أردف تمجيده تعالى بما هو أهله بالكلمه المتمّمه لكلمه الإخلاص و الشهاده الّتى هى مبدء لكمال القوّه العلميّه من النفوس البشريّه بعد كمال قوّتها النظريّه بالشهاده الاولى.

و ظاهر کونه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم صفیّا للّه و أمینا علی وحیه و مرتضی لذلک .ثمّ أردف ذلک بالإشاره إلی کونه رسولا،و إلی وجوه ما ارسل به و هو وجوب الحجج،و أراد بها إمّا المعجزات أو ما هو أعمّ من ذلک و هو ما یکون حجّه للّه علی خلقه فی تکلیفهم أن یقولوا لو لا أرسلت إلینا رسولا فنتّبع آیاتک.و یدخل فی ذلک دلائل الأحکام و طرق الدین التفصیلیّه.و کونه ارسل بوجوبها:أی وجوب قبولها علی الخلق و وجوب العمل علی وفقها ،و ظهور الفلج و هو الظهور علی سائر الأدیان و الظفر بأهلها و بالعادلین باللّه و الجاحدین له،و إیضاح المنهج و هی طریق اللّه و شریعته.و ظاهر کونه موضحا لها و مبیّنا،و إلی ذلک الإشاره بقوله تعالی «هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدی وَ دِینِ الْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ» (1)فالهدی هو إیضاح المنهج،و قوله: «لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ» إشاره إلی بعض غایات بعثته و هی المراد بظهور الفلج،و روی بضمّ الفاء و اللام و هو بضمّ الفاء و سکون اللام للفوز،و یجوز ضمّ اللام للشاعر و الخطیب.

و قوله:فبلّغ الرساله.إلی آخره.

و قوله: فبلّغ الرساله. إلی آخره.

إشاره إلی أدائه الأمانه فیما حمّل من الوحی،و صدعه بالرساله إظهارها و المجاهره بها،و قد علمت أن أصل الصدع الشقّ فکأنّه شقّ بالمجاهره بها عصا المشرکین و فرّق ما اجتمع من شرّهم،و حمله علی المحجّه-و هی طریق اللّه الواضحه و شریعته-دعوته إلیها و جذبه للخلق إلی سلوکها «بِالْحِکْمَهِ وَ الْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ» و المجادله «بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ» .ثمّ بالسیف لمن لم تنفعه المجادله.و أراد بأعلام الاهتداء أدلّته و هی المعجزات و قوانین الدین الکلّیّه،و کذلک منار الضیاء و إقامته له إظهارها و إلقاؤها إلی الخلق، استعاره و لفظ المحجّه و الأعلام و المنار مستعاره کما سبق غیر مرّه .و صادعا و دالاّ نصب علی الحال. استعاره مرشحه و استعار لفظ الأمراس و العری لما یتمسّک به من الدین و الإیمان،و رشّح بذکر المتانه و الوثاقه ،و أشار بجعله کذلک إلی تثبیت قواعد الإسلام و غرسها فی قلوب الخلق واضحه

ص:128

1- (1) 33-9.

جليّه بحيث تكون عصمه للتمسّک بها فی طلب النجاه من مخاوف الدارین،و سببا لا ینقطع دون الغایه القصوی.و باللّه التوفیق.

القسم الثانی منها:فی صفه عجیب خلق أصناف من الحیوانات:

اشاره

وَ لَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَهِ وَ جَسِيمِ النِّعْمَهِ- لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ وَ خَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ- وَ لَكِنِ الْقُلُوبُ عَلِيلَهٌ وَ الْبَصَائِرُ مَدْخُولَهٌ- أَ لاَ يَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرِ مَا خَلَقَ كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ- وَ أَتْقَنَ تَرْكِيبَهُ وَ فَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ- وَ سَوَّى لَهُ الْعَظْمَ وَ الْبَشَرَ- انْظُرُوا إِلَى النَّمْلَهِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا وَ لَطَافَهِ هَيْئَتِهَا- لاَ تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ الْبَصَرِ وَ لاَ بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكَرِ- كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا وَ صُبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا- تَنْقُلُ الْحَبَّهَ إِلَى جُحْرِهَا وَ تُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا- تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا وَ فِي وِرْدِهَا لِصَدَرِهَا- مَكْفُولٌ بِرِزْقِهَا مَرْزُوقَهٌ بِوِفْقِهَا- لاَ يُغْفِلُهَا الْمَنَّانُ وَ لاَ يَحْرِمُهَا الدَّيَّانُ- وَ لَوْ فِي الصَّفَا الْيَابِسِ وَ الْحَجَرِ الْجَامِسِ- وَ لَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا- فِي عُلْوِهَا وَ سُفْلِهَا- وَ مَا فِي الْجَوْفِ مِنْ شَرَاسِيفِ بَطْنِهَا- وَ مَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَ أُذُنِهَا- لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَباً وَ لَقِيتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَباً- فَتَعَالَى الَّذِي أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا- وَ بَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا- لَمْ يَشْرَكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ- وَ لَمْ

يُعِنْهُ عَلَى خَلْقِهَا قَادِرٌ- وَ لَوْ ضَرَبْتَ فِی مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ- مَا دَلَّتْكَ الدَّلاَلَةُ إِلاَّ عَلَى أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَهِ- هُوَ فَاطِرُ النَّخْلَهِ- لِدَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ- وَ غَامِضِ اخْتِلاَفِ كُلِّ حَيٍّ- وَ مَا الْجَلِيلُ وَ اللَّطِيفُ وَ الثَّقِيلُ وَ الْخَفِيفُ- وَ الْقَوِيُّ وَ الضَّعِيفُ فِی خَلْقِهِ إِلاَّ سَوَاءٌ- وَ كَذَلِكَ السَّمَاءُ وَ الْهَوَاءُ وَ الرِّيَاحُ وَ الْمَاءُ- فَانْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ وَ النَّبَاتِ وَ الشَّجَرِ- وَ الْمَاءِ وَ الْحَجَرِ وَ اخْتِلاَفِ هَذَا اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ- وَ تَفَجُّرِ هَذِهِ الْبِحَارِ وَ كَثْرَهِ هَذِهِ الْجِبَالِ- وَ طُولِ هَذِهِ الْقِلاَلِ وَ تَفَرُّقِ هَذِهِ اللُّغَاتِ- وَ الْأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَاتِ- فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُقَدِّرَ وَ جَحَدَ الْمُدَبِّرَ- زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ- وَ لاَ لاِخْتِلاَفِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ- وَ لَمْ يَلْجَئُوا إِلَى حُجَّهٍ فِيمَا ادَّعَوْا- وَ لاَ تَحْقِيقٍ لِمَا- أَوْعَوْا وَ هَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ أَوْ جِنَايَهٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ وَ إِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِی الْجَرَادَهِ- إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ- وَ أَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ- وَ جَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ وَ فَتَحَ لَهَا الْفَمَ السَّوِيَّ- وَ جَعَلَ لَهَا الْحِسَّ الْقَوِيَّ وَ نَابَيْنِ بِهِمَا تَقْرِضُ- وَ مِنْجَلَيْنِ بِهِمَا تَقْبِضُ- يَرْهَبُهَا الزُّرَّاعُ فِی زَرْعِهِمْ- وَ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ذَبَّهَا وَ لَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ- حَتَّى تَرِدَ الْحَرْثَ فِی نَزَوَاتِهَا وَ تَقْضِیَ مِنْهُ شَهَوَاتِهَا- وَ خَلْقُهَا كُلُّهُ لاَ يُكَوِّنُ إِصْبَعاً مُسْتَدِقَّهً-

ص:۱۳۰

فَتَبارَكَ اللَّهُ الَّذِی یَسْجُدُ لَهُ «مَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً» وَ یُعَفِّرُ لَهُ خَدّاً وَ وَجْهاً- وَ یُلْقِی إِلَیْهِ بِالطَّاعَهِ إِلَیْهِ سِلْماً وَ ضَعْفاً- وَ یُعْطِی لَهُ الْقِیَادَ رَهْبَهً وَ خَوْفاً- فَالطَّیْرُ مُسَخَّرَهٌ لِأَمْرِهِ- أَحْصَی عَدَدَ الرِّیشِ مِنْهَا وَ النَّفَسِ- وَ أَرْسَی قَوَائِمَهَا عَلَی النَّدَی وَ الْیَبَسِ- وَ قَدَّرَ أَقْوَاتَهَا وَ أَحْصَی أَجْنَاسَهَا- فَهَذَا غُرَابٌ وَ هَذَا عُقَابٌ- وَ هَذَا حَمَامٌ وَ هَذَا نَعَامٌ- دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ وَ كَفَلَ لَهُ بِرِزْقِهِ- وَ أَنْشَأَ السَّحَابَ الثِّقَالَ فَأَهْطَلَ دِیَمَهَا- وَ عَدَّدَ قِسَمَهَا فَبَلَّ الْأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا- وَ أَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا

اللغه

أقول: الدخل : العیب .و البشره: ظاهر الجلد .و الجامس : الجامد .

و الشراسیف : أطراف الأضلاع المشرفه علی البطن .و الضرب فی الأرض : السیاحه فیها .و الحدقه : سواد العین .و القمر : بیاضها و ضیاؤها،یقال:حدقه قمراء:

مضیئه .و أجلبوا : جمعوا .و النزوات : الوثبات .و التعفیر : التمریغ فی العفر و هو التراب .

المعنی

و قوله: و لو فكّروا .إلی قوله: مدخوله .

وضع حرف لو لیدلّ علی امتناع الشیء لامتناع غیره لكن الأغلب علیه أن یستعمل للدلاله علی امتناع اللازم لامتناع ملزومه،و ذلک علی وجهین:

أحدهما:أن یكون ذلک اللازم مساویا لملزومه إمّا حقیقه أو وضعا.

و الثانی:أن یكون الملزوم علّه لذلک لیلزم من رفع الملزوم رفع اللازم و یمكن الاستدلال به فأمّا إذا لم یكونا كذلک جاز أن یدلّ به علی امتناع الملزوم

ص:۱۳۱

لامتناع لازمه كما فى قوله تعالى «لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلاَّ اللّهُ لَفَسَدَتا» (۱)و قد استعمله عليه السّلام هنا بالوجه الثانى من الوجهين الأوّلين،و استدلّ على أنّ الخلق لم يرجعوا إلى طريق اللّه عن غيّهم و جهالاتهم و لم يخافوا من وعيده بعذاب الحريق فى الآخره لأنّهم لم يفكّروا فيما عظم من قدرته فى خلق مخلوقاته و عجائب مصنوعاته و ما جسم من نعمته على عباده، مجاز و يحتمل أن يريد بالقدره المقدور مجازا إطلاقا لاسم المتعلّق على المتعلّق،و كان ذلك من باب الاستدلال بعدم العلّه على عدم المعلول.إذ كان الفكر فى ذلك سببا عظيما فى الجذب لهم إلى اتّباع شريعته و سلوك سبيله إليها،و إليه الإشاره بقوله تعالى «أَ وَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما خَلَقَ اللّهُ مِنْ شَيْءٍ» (۲)و قوله «أَ فَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّماءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْناها» (۳)الآيه و نحوه .

و قوله: و لكنّ القلوب .إلى قوله: مدخوله .

بيان لعدم العلّه المذكوره منهم و هو الفكر،و أشار إلى عدمها بوجود ما ينافى وجود شرطها.إذ كان كون القلوب عليله و كون الأبصار معيبه ينافيان صحّتها و سلامتها الّذين هما شرطان فى وجود الفكر الصحيح،و مع وجود المنافى لصحّه قلوبهم و سلامه أبصار بصائرهم لا يحصل الصحّه الّتى هى شرط الفكر فلا يحصل الفكر فلا يحصل معلوله و هو الرجوع إلى اللّه،و علل القلوب و ما يلحق إبصار البصائر من العيوب يعود إلى الجهل و أغشيه الهيئات البدنيّه و الأخلاق الرديئه المكتسبه من جواذب الشهوات إلى خسايس اللذّات المغطّيه لأنوار البصائر الحاجبه عن إدراك واضح الطريق الحقّ .

و قوله: أ لا ينظرون .إلى قوله: البشر .

تنبيه لهم على بعض مخلوقاته تعالى و مقدوراته الّتى أشار إلى عظمه القدره فيها.و أحسن بهذه الترتيب و التدريج الحسن فإنّك علمت من آداب الخطيب إذا أراد القول فى أمر نبّه عليه أوّلا على سبيل الإجمال بقول كلّىّ ليستعدّ السامعون

ص:۱۳۲

۱- ۱) ۲۲-۲۱.

۲- ۲) ۱۸۴-۷.

۳- ۳) ۶-۵۰.

بذلک لما یرید قوله و بیانه.ثمّ یشرع فی تفصیله،و لمّا أراد علیه السّلام أن ینبّه علی عظمه اللّه بتفصیل بعض مخلوقاته کالنمل و الجراد و نحوه أشار أوّلا إلی عظیم القدره،و وبّخ السامعین علی إغفالهم الفکر فیها لیعلم أنّه یرید أن ینبّه علی تفصیل أمر.ثمّ تلاه بالتنبیه علی لطیف الصنع فی صغیر ما خلق و کیف أحکم خلقه و أتقن ترکیبه علی صغره و فلق له البصر و سوّی له العظم و لم یعیّن إلی أن استعدّت بذلک لتعظیم اللّه القلوب و أقبلت بإفهامها النفوس فتلاه بذکر النمله،و ذلک قوله: انظروا إلی النمله إلی قوله: تعبا. و هیئتها:کیفیّتها الّتی علیها صورتها و صوره أعضائها،و ظاهر أنّ الإنسان لا یدرکها بلحظ البصر إلی أن یعید إلیها بعنایه،و لا یکاد عند مراجعه فکره و استدراک أوّله و بادیه یعلم حقیقتها و کیفیّه خلقتها و تشریح أعضائها،بل بإمعان فیه و تدقیق لا بدّ أن ینظر فی ذلک.و الباء فی قوله:بمستدرک یتعلّق بتنال.

و لا ینبغی أن یفهم من قوله:و لا ینال بمستدرک الفکر:أی فی صورتها الظاهره الّتی یدرکها البصر فربّما یسبق ذلک إلی بعض الأفهام لمکان العطف بل ما ذکرناه من شرح حقیقتها فإنّه لیس حظّ الفکر أن یدرک صورتها المحسوسه بالبصر بل أن یبحث عن عجائب صنعتها لیستدلّ بذلک علی حکمه صانعها-جلّت عظمته-و محلّ قوله:لا تکاد تنال یحتمل أن یکون نصبا علی الحال و العامل انظروا،و یحتمل أن یکون مستأنفا،و کیف فی محلّ الجرّ بدل من النمله، و یحتمل أن یکون کلاما مستانفا و فیه معنی التعجّب.و کیف صبّت:أی القیت علی رزقها و بعثت علیه بهدایه و إلهام،و قیل:ذلک علی العکس:أی صبّ علیها رزقها، استعاره و لفظ الصبّ مستعار لحرکتها فی طلبه ملاحظا لشبهها بالماء المصبوب.

فإن قلت:کیف جعل دبیبها علی الأرض محلّ التعجّب و الفکر مع سهولته و وجوده لسائر الحیوان؟.

قلت:لم یجعل محلّ التعجّب هو دبیبها من حیث هو دبیب فقط بل مع الاعتبارات الاخر المذکوره فإنّک إذا اعتبرتها من حیث هی فی غایه اللطافه ثمّ

اعتبرت قوائمها و حركات مفاصلها و خفضها و رفعها و بعد ذلك من استثبات الحسّ له و نسبتها إلى جرمها و إلى أجزاء المسافه الّتى تقطعها بل جزء من حركتها،و كذلك انصبابها على رزقها بهدايه تامّه إليه و نقلها إلى جحرها و غير ذلك من الاعتبارات المذكوره فإنّك إذا اعتبرت ذلك منها وجدت لنفسك منه تعجّبا و تفكّرا فى لطف جزئيّات صنعتها و حكمه خالقها و مدبّرها.

و قوله :تجمع فى حرّها لبردها:أى فى الصيف للشتاء،و فى ورودها لصدرها:أى فى أيّام ورودها و تمكّنها من الحركه لأيّام صدورها و رجوعها عن الحركه للعجز فإنّها تعجز فى أيّام الشتاء عن ملاقاه البرد فتطلب بطن الأرض لكمون الحراره فيه.

و من العجايب الّتى حكاها أهل التجارب من أفعال النمل و إلهاماتها ما حكاه أبو- عثمان عمرو بن بحر الجاحظ فى كتاب«الحيوان»بفصيح عباراته.قال:إنّ النمله تدّخر فى الصيف للشتاء فتقدم فى أيّام المهمله و لا تضيّع أوقات إمكان الحزم،و تبلغ من تفقّدها و صحّه تميزها و النظر فى عواقب امورها أنّها تخاف على الحبوب الّتى ادّخرتها للشتاء أن تعفّن و تسوس فى بطن الأرض،فتخرجها إلى ظهرها لتنشرها و تعيد إليها جفافها و يضربها النسيم فينفى عنها العفن و الفساد.قال:و ربّما تختار فى الأكثر أن يكون ذلك العمل ليلا ليكون أخفى،و فى القمر لأنّها فيه أبصر.فإن كان مكانها نديّا و خافت أن تنبت الحبّه نقرت موضع الطمير من وسطها لعلمها أنّها من ذلك الموضع تنبت،و ربّما فلقت الحبّه بنصفين.فأمّا إن كان الحبّ من الكزبره فإنّها تفلقه أرباعا لأنّ أنصاف حبّ الكزبره ينبت من بين جمع الحبّ.فهى بهذا الاعتبار مجاوزه لفطنه جميع الحيوان.قال:و نقل إلىّ بعض من أثق به أنّه احتفر بيت النمل فوجد الحبوب الّتى جمعتها كلّ نوع وحده.قال:و وجدنا فى بعضها أنّ بعض الحبوب فوق بعض و بينها فواصل حائله من التبن و نحوه.ثمّ إنّ لها مع لطافه شخصها و خفّه حجمها فى الشمّ و الاسترواح ما ليس لسائر الحيوان،و ذلك أنّه ربّما سقط من يد الإنسان جراده أو عضو منها مثلا فى موضع ليس بقربه ذرّ

ص:١٣۴

و لا عهـد لـذلک المنزل به فلا یلبث أن یقبل ذرّه قاصده إلی تلک الجراده فتروم حملها فإذا أعجزتها بعد أن تبلی عذرا مضـت إلی جحرهـا راجعه فلاـ یلبث الإنسـان أن یجـدها و قـد أقبلت و خلفهـا کالخیـط الأـسود من أخواتها حتّی یتعاونّ علیها لیحملنها فـأعجب من صـدق شـمّها لمـا یشـمّه الإنسان الجائع.ثمّ انظر إلی بعـد همّتها فی ذلک و جرأتها علی محاوله نقل شـیء فی وزن جسمها مائه مرّه و أضعافها،و لیس من الحیوان ما یحمل أضعاف وزنه مرارا کثیره کالنمله.قال:و الّذی یتبّه علی إعلامها لأخواتها و إشـعارها بمثل ما أشـرنا إلیه قصّه سلیمان علیه السّلام مع النمل حیث حکی القرآن الکریم عنها «قالَتْ نَمْلَهٌ یا أَیُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساکِنَکُمْ لا یَحْطِمَنَّکُمْ سُلَیْمانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لا یَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضاحِکاً مِنْ قَوْلِها» (۱)فإنّ القول المشار إلیه منها و إن لم یحمل علی حقیقته فهو محمول علی مجازه،و هو إشـعارها لأخواتهـا بالحـال المخوّفه للنمـل من سـلیمان و جنوده.قـال:و من عجیب ما یحکی عن النمل ما حکی عن بعض من یعمل الاصطرلاب أنّه أخرج طوقا من صفر من الکیر بحرارته فرمی به علی الأرض لیبرد فاشـتمل علی نمله فکـانت کلّما طلبت جانبا منه لتخرج منعتها الحراره فکانت مقتضـی هروبها من الجوانب أن اسـتقرّت ثم ماتت فوجـدها قـد اسـتقرّت فی موضع رجـل البرکـار من نقطه المرکز و ما ذاک إلّا للطف حسّـِها و قوّه و همها أنّ ذلک الموضع هو أبعـد الأمکنه عن الخطّ المحیط.قال:و من عجائبها إلهامها أنّها لا تعرض لجعل و لا جراده و لا خنفساء و لا نحوها ما لم یکن بها خبل أو عقر أو قطع ید أو رجل فإذا وجدت شیئا من ذلک و ثبت علیها حتّی لو أنّ حیّه بها ضربه أو خدش ثمّ کانت من ثعابین مصـر لو ثبت علیها الذروره حتّی تأکلها،و لا تکاد الحیّه تسـلم من الذرّ إذا کان بها أدنی عقر.و کلّ ذلک من الإلهامات الّتی إذا فکّر اللبیب فیهـا کـاد أن یحکم بکونهـا أعلم بقوانین معاشـها و تـدبیر أحوال وجودهـا من کثیر من الناس فإنّ الإنسان قـد تهمل ذلک التدبیر فلا یضبطه،و یستمرّ فیه علی قانون واحد.

ص:۱۳۵

۱- ۱) ۱۸-۲۷.

و قوله :مكفوله و مرزوقه.نصب على الحال.

و قوله:رزقها و وفقها:أى موافق و مطابق لقوّتها و على قدر كفايتها.

و يروى مكفول برزقها مرزوقه لوفقها.ثمّ ذكر نسبه ذلك إلى ربّها.فأشار إلى أنّه لا يغفلها:أى لا يتركها من لطفه و عنايته فإنّه باعتبار ما هو منّان على خلقه لا يجوز فى حكمته إهمال بعضها من رزق يقوم به فى الوجود، و كذلك لا يحرمها باعتبار كونه ديّانا:أى مجازيا،و وجه ذكر المجازاه هنا أنّها حيث دخلت فى الوجود طائعه لأمره و قامت فيه منقاده لتسخيره وجب فى الحكمه الإلهيّه جزاؤها و مقابلتها بما يقوم بوجودها فلا يكون محرومه من مادّه بقائها على وفق تدبيره،و لو كانت فى الصفاء اليابس و الحجر الجامس،بل يفتح لها أبواب معاشها فى كلّ مكان .ثمّ نبّه على محال اخرى للفكر فى النمله:فمنها مجارى أكلها ما تأكله و تلك المجارى كالحلق و الأمعاء،و منها علوها و سفلها و علوها بسكون اللام نقيض سفلها و هو رأسها و ما يليه إلى الجزء المتوسّط منها و سفلها هو ما جاوز الجزء من طرفها الآخر، مجاز و منها ما اشتمل عليه جوفها من شراسيف بطنها أو ما يقوم مقامه فأطلق عليه أنّه شراسيف بالمجاز ،و منها ما فى رأسها من عينها و اذنها و هى محلّ القوّه السامعه منها فإنّ كلّ ذلك على غايه صغره و لطافته محلّ العجب و محلّ النظر اللطيف المستلزم للشهاده بحكمه الصانع و لطف تدبيره الّذى يقضى الإنسان من تأمّله عجبا،و القضاء هاهنا بمعنى الأداء:

أى لأدّيت عجبا،و يحتمل أن يكون بمعنى الموت:أى لقضيت نحبك من شدّه تعجّبك،و يكون عجبا نصب على المفعول له .ثمّ لمّا نبّه على محال الفكر و وجوه الحكمه فيها أردف ذلك بتنزيه صانعها و تعظيمه تعالى،و قرن ذلك التعظيم و التنزيه بنسبته إلى بعض صنعه بها،و هو إقامته لها على قوائمها و بناها على دعائمها،و أراد بدعائمها ما يقوم به بدنها من الامور الّتى مقام العظام و العصب و الأوتار و نحوها ليحصل التنبيه على عظمته من لطف تلك القوائم و اعتبار ضعف تلك الدعائم مع ما ركّب فيها من لطائف الصنعه و أودعها من عجايب الحكمه من غير أن يشركه فى

فطر تلك الفطره فاطر أو يعينه على لطيف خلقها قادر فسبحانه ما أعظم شأنه و أبهر برهانه.

و قوله :و لو ضربت.إلى قوله:النخله.

أى لو سارت نفسك فى طرق فكرها و مذاهب نظرها،و هى الأدلّه و أجزاء الأدلّه من المقدّمات و أجزائها المستنبطه من عالم الخلق و الأمر لتصل إلى غايات فكرك فى الموجودات لم يمكن أن يدلّك دليل إلاّ على أنّ خالق النمله على غايه صغرها و خالق النخله على عظمها و طولها واحد و هو المدبّر الحكيم.

و قوله:لدقيق تفصيل كلّ شىء.إلى قوله:حىّ.

إشاره إلى أوسط الحجّه على ما ادّعاه من اشتراك النمله و النخله فى الاستناد إلى صانع واحد مدبّر حكيم ،و معنى ما ذكر أنّ لكلّ شىء من الموجودات الممكنه تفصيل لطيف دقيق و اختلاف شكل و هيئه و لون و مقدار و وجوه من الحكمه تدلّ على صانع حكيم خصّصه بها دون غيره،و تقرير الحجّه أنّ وجود النمله و النخله اشتمل كلّ منهما على دقيق تفصيل الخلقه و غامض اختلاف شكل و هيئه و كلّ ما اشتمل على ذلك فله صانع مدبّر حكيم خصّصه بذلك فينتج أنّهما يشتركان فى الحاجه إلى صانع مدبّر حكيم خصّ كلاّ منهما بما يشتمل عليه،و هذه الحجّه هى المسمّاه فى عرف المتكلّمين بالاستدلال بإمكان الصفات كما بيّناه قبل فى قوله:الحمد للّه الدالّ على وجوده بخلقه.

و قوله :و ما الجليل و اللطيف.إلى قوله:سواء.

مؤكّد لما سبق من الدعوى،و كاسر لما عساه يعرض لبعض الأوهام من استبعاد نسبه الخلقه العظيمه و الخلقه اللطيفه الحقيره كالنمله إلى صانع واحد.فأشار إلى أنّ كلّ المخلوقات و إن تباينت أوصافها و تضادّت صورها و أشكالها فإنّه لا تفاوت بالنظر إلى قدرته و كمالها بين أن يفيض عنه صوره النخله أو صوره الذرّه،و ليس بعضها بالنسبه إليه أولى و أقرب من بعض،و لا هو أقوى بعضها من بعض و إلاّ لكان ناقصا فى ذاته،و كان بما هو أولى به مستفيدا كما لا يفوته بعدمه عنه،و قد ثبت

تنزيه جنابه المقدّس عن ذلک فی مظانّه من الکتب الحکميّه و الکلاميّه بل إن کان فيهما تفاوت و اختلاف فمن جانب القابل و اختلاف استعدادات الموادّ بالشدّه و الضعف و الأقدم و الأحدث على ما أشرنا إليه غير مرّه،و اللطيف کما يراد به صغر الخلقه کذلک قد يراد به دقيق الصفه،و قد يراد به الشفّاف کالهواء،و الأوّل هو مراده و لذلک جعله مقابلا للجليل.

تشبيه و قوله : و کذلک السماء.إلى قوله:و الماء.

فالمشبّه به هو الامور المضادّه السابقه و المشبّه هو السماء و الهواء و الرياح و الماء،و وجه الشبه هو حاجتها فی خلقها و ترکيبها و أحوالها المختلفه و المتّفقه إلى صانع حکيم ،و أشار إلى الامور الاولى المتضادّه أوّلا و نسبها إلى قدرته تعالى باعتبار کلّيّتها و من جهه تضادّها لأنّها أدلّ على کمال قدرته،و أشار إلى الثانيه و هی السماء و ما عدّده معها لا لاعتبار تضادّها بل باعتبار ما اشتمل عليه کلّ منها من الحکمه و المنفعه و کونها موادّ الأجسام المرکّبات،و الهواء أعمّ من الرياح لتخصيص مسمّى الرياح بالحرکه دون الهواء.

و قوله :فانظروا.إلى قوله:المختلفات.

أمر باعتبار حال ما عدّد من المخلوقات و ما اختصّ به کلّ منها من الصفات و الأشکال و المقادير و الأضواء و الألوان و المنافع إلى غير ذلک ممّا يدلّ على حاجه کلّ منها إلى مخصّص حکيم يخصّصه بما هو أليق به و أوفق للحاجه اللازمه له و أنسب إلى استعداده بعد اشتراک جميعها فی الجسميّه،و هو أمر بتقرير الحجّه الّتی ذکرناها فی کلّ واحد من الامور المذکوره،و لمّا کان حال أکثر هذه الامور المذکوره مفتقرا إلى تقديم النظر البصریّ لغايه التفکّر و الاعتبار فيها أمر به،و أمّا وجوه الاعتبارات فأکثر من أن يحصر فإنّک إذا اعتبرت حال الشمس و القمر فی عظم أجرامهما و الضياء الصادر عنهما و حرکاتهما و تنقّلهما فی منازلهما، و ما تستلزمه تلک الحرکات من التأثيرات و الإعدادات لوجود المرکّبات العنصريّه من المعدن و النبات و الحيوان ثمّ اعتبرت ما ينفصل به أحدهما عن الآخر من

الجرم و زمان السير و كون القمر مستفيدا للنور من الشمس و غير ذلك ممّا لا يعلم تفصيله إلّا اللّه سبحانه،و كذلك إذا نظرت إلى النبات و الشجر و جواهرهما و أشكالهما و اختلاف أجزائهما فى الألوان و المقادير و الثمار و ما يستلزمه من المنفعه لوجود الحيوان و المضرّه لبعضها إلى غير ذلك ممّا علمته فيما سلف،و كذلك الماء فى كونه على غايه من الرقّه و اللطافه و كون الحجر بعكس الوصفين مع أنّ أكثر المياه إنّما تنبع من الأحجار ثمّ نظرت إلى المنافع الموجوده فيهما و المضارّ العارضه عنهما،و كذلك النظر إلى هذا الليل و النهار و اختلافهما فى هذا العالم و تعاقبهما،و ما يستلزمانه من المنفعه المختصّه بكلّ منهما ممّا امتنّ اللّه تعالى على عباده بها حيث قال «هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَ الْقَمَرَ نُوراً وَ قَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ» (۱)و قال «يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَ الزَّيْتُونَ» (۲)الآيه و قال «قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ» .إلى قوله «مَتاعاً لَكُمْ وَ لِأَنْعامِكُمْ» (۳)إلى غير ذلك من الآيات و قال «أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسَلَكَهُ يَنابِيعَ فِي الْأَرْضِ» (۴)و قال «وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً وَ جَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً» إلى قوله «أَلْفافاً» (۵)و كذلك إذا اعتبرت تفجير هذه البحار و ما تستلزمه من المنفعه كما قال تعالى «مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ» (۶)و قال «يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجانُ» (۷)و كذلك إذا اعتبرت كثره الجبال و قلالها و عروضها و أطوالها و ما اشتملت عليه من معادن الجواهر و غيرها،و كذلك تفرّق اللغات و اختلاف الألسنه وجدت ذلك النكر و الاختلاف شاهدا بوجود صانع حكيم.و تقريرها كما علمت أن تقول:إنّ هذه الأجسام كلّها مشتركه فى الجسميّه و اختصاص كلّ منها بما يميّز به من الصفات المتعدّده ليس للجسميّه و لوازمها و إلّا وجب لكلّ منها ما وجب للآخر ضروره اشتراكها

ص:۱۳۹

۱- (۱) ۵۱۰.

۲- (۲) ۱۱-۱۶.

۳- (۳) ۱۷-۸۰.

۴- (۴) ۲۲-۳۹.

۵- (۵) ۱۰-۷۸.

۶- (۶) ۱۹-۵۵.

۷- (۷) ۲۲-۵۵.

فی علّه الاختصاص فلا ممیّز له.هذا خلف،و لا لشیء من عوارض الجسمیّه لأنّ الکلام فی اختصاص کلّ منها بذلک العارض کالکلام فی الأوّل و یلزم التسلسل فیبقی أن یکون لأمر خارج عنها هو الفاعل الحکیم المخصّص لکلّ منها بحدّ من الحکمه و المصلحه،و قد مرّ تقریر هذه الحجّه مرارا .ثمّ لمّا نبّه علی وجود الصانع سبحانه أردف ذلک بالدعاء علی من جحده،أو الإخبار عن لحوق الویل له.قال سیبویه:

الویل مشترک بین الدعاء و الخبر،و نقل عن عطاء بن یسار أنّ الویل واد فی جهنّم لو ارسلت فیه الجبال لماعت من حرّه.و رفعها بالابتداء،و الخبر لمن أنکر.و المدبّر:هو العالم بعاقبه الأمر و ما یشتمل علیه من المصلحه و یعود إلی القضاء،و القدر هو الموجد علی وفق ذلک العلم کما سبق بیانه،و تأخیر الدعاء علی الجاحدین بعد إیضاح الحجّه علیهم هو الترتیب الطبیعی،و الإشاره بالجاحدین إلی صنف من العرب أنکروا الخالق و البعث،و قالوا:بالدهر المفنی.کما حکیناه عنهم فی الخطبه الاولی،و هم الّذین أخبر القرآن المجید عنهم بقوله «ما هِیَ إِلاّ حَیاتُنَا الدُّنْیا نَمُوتُ وَ نَحْیا وَ ما یُهْلِکُنا إِلاَّ الدَّهْرُ» (۱).

و قوله :زعموا.إلی قوله:صانع.

إشاره إلی شبهتهم و هی من باب التمثیل فالأصل فیها هو النبات،و الفرع أنفسهم،و الحکم هو ما تو؟؟؟من کونهم بلا صانع کما أنّ النبات بلا زارع، و لعلّ الجامع فی اعتبارهم هو اختلاف الحیاه و الموت علیهم کما أشار إلیه القرآن الکریم حکایه عنهم «نَمُوتُ وَ نَحْیا» أو نحوه من الامور المشترکه و إن کانوا لا یلتفتون لفتا إلی هذا الجامع.إذ مراعاه هذه الامور و تحقیق أجزاء التمثیل من صناعه هم عنها بمعزل،و قد علمت أنّ التمثیل بعد تمام أجزائه إنّما یفید ظنّا یختلف بالشدّه و الضعف،و علمت وجوه الفساد فیه.

و قوله :و لم یلجئوا.إلی قوله:جان.

إنکار و منع لما ادّعوه و أنّهم لم یأتوا فیه بحجّه و لا تحقیق برهان و،

۱- ۱) ۲۳-۴۵.

یحتمل أن یکون قوله:و هل یکون.إلی قوله:جان.تنبیها علی وجود نقیض الحکم المدّعی،و هو کون خلقهم و خلقه النبات شاهده بوجود صانع لها،و ذلک التنبیه بالإشاره إلی أوسط قیاس من الشکل الأوّل،و کبراه فی صوره الاستفهام.

و تقریر القیاس:أنّهم صنعه و لا شیء ممّا هو صنعه بلا صانع ینتج فلا شیء منها بلا صانع و هو نقیض المدّعی،و لمّا کانت الکبری ضروریّه اقتصر علی التنبیه علیها بامتناع وجود البناء من غیر بان و الجنایه من غیر جان فإنّ ترجیح أحد طرفی الممکن علی الآخر من غیر مرجّح محال بالبدیهه و ممتنع فی فطن الصبیان و البهائم.إذ کان الحمار عند صوت الخشبه یعد و خوفا من الضرب،و ذلک لما تقرّر فی فطرته أنّ حصول صوت الخشبه بدونها محال.ثمّ لو سلّم لهم ثبوت الحکم فی الأصل و هو کون النبات بلا زارع فلم کان عدم الزارع یدلّ علی أنّ النبات لا فاعل له؟.و إنّما یلزم ذلک أن لو کان الفاعل إنّما هو الزارع و ذلک من الأوهام الظاهره کذبها بأدنی تأمّل إذا استعقب بالبذر.إذ کان الزارع لیس إلاّ إعدادا ما للأرض و البذر:و أمّا وجود الزرع و النبات فمستند إلی مدبّر حکیم ٢متعال عن الحسّ و المحسوس لا تدرکه الأبصار و لا تکتنفه الأوهام و الأفکار «سُبْحانَهُ وَ تَعالی عَمّا» یقول الظالمون «عُلُوًّا کَبِیراً» .

و قوله :إن شئت قلت فی الجراده.إلی قوله:مستدقّه.

تنبیه آخر علی وجود الصانع الحکیم-جلّت عظمته-فی وجود بعض جزئیات مخلوقاته و صغیرها و هی الجراده:أی و إن شئت قلت فیها ما قلت فی النمله و غیرها قولا بیّنا کاشفا عن وجوه الحکمه فیها بحیث یشهد ذلک بوجود صانع حکیم لها فتبّه علی بعض دقایق الحکمه فی خلقها و هی خلق العینین الحمراوین مع کون حدقتها قمراوین، استعاره و استعار لفظ السراج للحدقتین باعتبار الحمره الناریه و الإضاءه.

مجازا إطلاقا لاسم المقبول علی قابله ثمّ خلق السمع الخفیّ :أی عن أعین الناظرین،و قیل:أراد بالخفیّ اللطیف السامع لخفیّ الأصوات فوصفه بالخفاء مجازا إطلاقا لاسم المقبول علی قابله .ثمّ فتح الفم السویّ.السویّ:فعیل بمعنی مفعول:أی المسویّ.و التسویه:التعدیل بحسب

المنفعه الخاصّه بها.ثمّ خلق الحسّ القوىّ،و أراد بحسّها قوّتها الوهميّه و بقوّته[بقوّه خ]حذقها فيما الهمت إيّاه من وجوه معاشها و تصرّفها.يقال:لفلان حسّ حاذق إذا كان ذكيّا فطنا درّاكا.ثمّ خلق النابين، استعاره و استعار لفظ المنجلين ليديها،و وجه المشابهه تعوّجهما و خشونتهما ،و قرن بذكر النابين و المنجلين ذكر غايتهما و هما القرض و القبض،و من لطيف حكمته تعالى فى الرجلين أن جعل نصفهما الّذين تقع عليها اعتمادها و جلوسها شوكا كالمنشار ليكون لها معينا على الفحص و وقايه لذنبها عند جلوسها و عمده لها عند الطيران.

و قوله :يرهبها الزرّاع.إلى قوله:شهواتها.

أى أنّها إذا توجّهت بعساكرها من أبناء نوعها إلى بقعه و هجمت على زرعها و أشجارها أمحته و لم يستطع أحد دفعها حتّى لو أنّ ملكا من الملكوت أجلب عليها بخيله و رجله ليحمى بلاده منها لم يتمكّن من ذلك،و فى ذلك تنبيه على عظمه الخالق سبحانه و تدبير حكمته.إذ كان يبعث أضعف خلقه على أقوى خلقه و يهيّىء الضعيف من أسباب الغلبه ما لا يستطاع دفعه معها حتّى ترد ما تريد وروده و تقضى منه شهواته فيحلّ باختيار منه و ترحل باختيار،و من عجايب الخواصّ المودعه فى الجراد أنّها تلتمس لبيضها الموضع الصلد و الصخور الملس ثقه بأنّها إذا ضربت فيها بأذنابها انفرجت لها،و معلوم أنّ ذلك ليس بقوّه إذ ليس فى ذنب الجراده من القوّه أن يخرق الحجر الّذى يعجز عنه المعول بمجرّد قوّته لولا-خاصيّه لها هناك.ثمّ إذا ضربت فى تلك البقاع و ألقت بيضها و أنضمّت عليها تلك الأخاديد الّتى أحدثتها و صارت لها كالأفاحيص صارت خاضنه لها و مربّيه و حافظه و واقيه حتّى إذا جاء وقت دبيب الروح خرجت من البيض صهيا إلى البياض.ثمّ تصفرّ و تتلوّن فيه خطوط إلى السواد.ثمّ يصير فيه خطوط سود و بيض،ثمّ يبدو حجم جناحيه.ثمّ يستقلّ فيموج بعضه فى بعض،و قيل:إنّ الجراد إذا أراد الخضره و دونه نهر جار صار بعضه جسر البعض ليعبر إليها فمن الناس من جعل ذلك حيله لها الهمت إيّاها.و أباه قوم و قالوا:بل الزحف الأوّل من الدبى إذا أراد الخضره و لا يقدر عليها إلاّ

بالعبور إليها عبر فإذا صارت تلك القطعه فوق الماء طافيه صارت للزحف الثانى الّذى يريد الخضره كالأرض،و ربّما نقل لها خواصّ اخرى لا تعلّق لها بما نحن بصدده.

و قوله :و خلقها كلّه لا يكون إصبعا مستدقّه.

الواو للحال:أى أنّه تعالى خلقها على ما وصفت و أودعها من عجايب الصنع ما ذكرت بحيث يخاف منها الزرّاع مع أنّ خلقها كلّه دون الإصبع المستدقّه، و هذه الكلمه مستلزمه لتمام التعجّب من خلق اللّه فيها الامور الموصوفه حتّى لو قدّرنا أنّها وصفت لمن لم يرها فربّما اعتقد أنّ لها خلقا عظيما تستند إليه هذه الأوصاف و لم يكن عنده تعجّب حتّى نتبيّن مقدار خلقها و صغر صورتها ثمّ لما بيّن بعض مبدعاته و مكوّناته نوّه بزياده عظمته تعالى و بركته باعتبار كونه معبودا لمن فى السماوات و من فى الأرض فله يسجدون طوعا و كرها كلّ بعباده تخصّه و سجود لا يمكن من غيره مع اشتراك الكلّ فى الدخول تحت ذلّ الحاجه إلى كمال قدرته و خضوع الإمكان بين يدى رحمته.و إليه الإشاره بقوله تعالى «وَ لِلّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً» (۱)استعاره مرشحه و كذلك قوله: و يعفّر له خدّا و وجها .فما كان ذا وجه و خدّ حقيقه فلفظ التعفير صادق عليه حقيقه،و ما لم يكن السجود صادق عليه استعاره لخضوعه الخاصّ به،و لفظ التعفير و الخدّ و الوجه ترشيحات على أنّ موضوع السجود فى اللغه هو الخضوع و كذلك إطلاق إعطاء القياد و وصف الرهبه و الخوف ،و نصبهما على المفعول له .

و قوله: فالطير مسخّره لأمره .

كقوله تعالى «أَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّراتٍ فِی جَوِّ السَّماءِ ما يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللّهُ» (۲)و كونها مسخّره يعود إلى دخولها تحت حكم تصرّفه العامّ فيها قدره و علما و الخاصّ تخصيصا و تعيينا،و إحصاء الريش منها و النفس باعتبار تسخيرها تحت تصرّفه العامّ بعلمه تعالى.و إرساؤها:أى تثبتها على قوائمها فى الندى كطير

۱- ۱) ۱۶-۱۴. [۱]

۲- ۲) ۸۱-۱۶.

الماء و اليبس كطير البرّ باعتبار دخولها تحت قدرته و خلقها كذلك ،و تقديره لأقواتها و ما يصلح منها و ما يكفيه باعتبار دخولها تحت قدرته و علمه معها.إذ كان التقدير هو إنزال تلك المقادير و إعدادها على وفق العلم الإلهىّ،و إحصاء أجناسها باعتبار علمه تعالى.

السجع المتوازى و قوله : فهذا غراب.إلى قوله:نعام.

تفصيل لأنواعها.و لم يرد الجنس بالاصطلاح الخاصّ بل اللغوىّ و هو النوع فى المصطلح العلمىّ،و راعى فى كلّ قرينتين من الأربع السجع المتوازى .

استعاره مرشحه و قوله: دعا كلّ طاير باسمه.

فالدعاء استعاره فى أمر كلّ نوع بالدخول فى الوجود،و قد عرفت أنّ ذلك الأمر يعود إلى حكم القدره الإلهيّه العظيمه عليه بالدخول فى الوجود،و وجه الاستعاره ما يشترك فيه معنى الدعاء،و الأمر من طلب دخول مهيه المطلوب بالدعاء و الأمر فى الوجود و هو كقوله تعالى «فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ اِئْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ فَقَضاهُنَّ» (۱)الآيه،و لما استعار لفظ الدعا رشّح بذكر الاسم لأنّ الشىء إنّما يدعى باسمه،و يحتمل أن يريد الاسم اللغوىّ و هو العلامه فإنّ لكلّ نوع من الطير خاصّه و سمه ليست للآخر،و يكون المعنى أنّه تعالى أجرى عليها حكم القدره بمالها من السمات و الخواصّ فى العلم الإلهىّ و اللوح المحفوظ ،و قال بعض الشارحين:أراد أسماء الأجناس،و ذلك أنّ اللّه تعالى كتب فى اللوح المحفوظ كلّ لغه تواضع عليها العباد فى المستقبل،و ذكر الأسماء الّتى يتواضعون عليها،و ذكر لكلّ اسم مسمّاه فعند إراده خلقها نادى كلّ نوع باسمه فأجاب دعواه و أسرع فى إجابته،و اعلم أنّك إذا تأمّلت حكمه الصانع فى خلق الطائر شاهدت عجبا.حين اقتضت الحكمه الإلهيّه أن يكون طائرا فى الجوّ خفّف جسمه و أدمج خلقه فاقتصر من القوائم على اثنتين و من الأصابع على أربع من منفذين للزبل و البول على منفذ.ثمّ خلقه تعالى على جؤجؤ محدّب

۱- ۱) ۱۰-۴۱.

ليسهل عليه خرق الهواء كما يجعل صدر السفينه بهذه الهيئه ليشقّ الماء،و خلق فى جناحيه و ذنبه ريشات طوال لينهض بها إلى الطيران،و كسى جسمه كلّه ريشا ليتداخله الهواء فيقيله،و لمّا كان طعامه الحبّ أو اللحم يبلعه بلعا من غير مضغ نقص من خلقه الأسنان و خلق له منقارا صلبا،و أعانه بفضل حرارته فى جوفه يستغنى بها عن المضغ.ثمّ خلقه تعالى يبيض بيضا و لا يلد لكيلا يثقل بكون الفراخ فى جوفه عن الطيران،و جعل عوض استعداد الولد فى البطن استعداده فى البيضه بحراره الحضن بمشاركه من الذكر و الانثى فى ذلك،و من العنايه اللالهيّه بدوام نسله و بقائه أن ألهمه العطف على فراخه فيلتقط الحبّ فيغذو به فراخه بعد استقراره فى حوصلته ليلين،و إذا فكّرت فى الحوصله وجدتها كالمخلاه المعلّقه أمامه فهو يعبّى فيها ما أراد من الطعم بسرعه ثمّ ينفذ إلى القانصه على مهل،و ذلك أنّ مسلك الطعم إلى القانصه ضيّق لا ينفذ فيه الطعم إلاّ قليلا فلو كان هذا الطائر لا يلتقط حبّه ثانيه حتّى تصير الاولى إلى القانصه لطال ذلك عليه فخلق تعالى له الحوصله لذلك.ثمّ انظر إلى الريش الّذى تراه فى الطواويس و الدراريج و غيرها عن استواء و مقابله على نحو ما يخطّ بالأقلام،و كذلك انظر إلى العمود الجامع للريشه الّذى يجرى مجرى الجدول الممدّ للريشه و المغذّى لها،و خلق عصبيّ الجوهر صلبا متينا ليحفظ الريش و يمسكه لصلابته.ف «سُبْحانَ الَّذِی خَلَقَ الْأَزْواجَ کُلَّها» ، «وَ أَحْصی کُلَّ شَیْءٍ عَدَداً» ،و «أَحاطَ بِکُلِّ شَیْءٍ عِلْماً» .

و قوله :و أنشأ السحاب.إلى آخره.

إشاره إلى كمال قدرته باعتبار خلقه السحاب الثقال بالماء،و إرسال ديمها و هى أمطارها،و تعديد قسمها و هو ما يصيب كلّ بلد و أرض منها من القسم .

و ظاهر أنّه تعالى يعدّ الأرض بتلك البلّه بعد الجفاف لأن يخرج منها النبات بعد الجدب و إليه الإشاره بقوله تعالى «أَ وَ لَمْ یَرَوْا أَنّا نَسُوقُ الْماءَ إِلَی الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْکُلُ مِنْهُ أَنْعامُهُمْ وَ أَنْفُسُهُمْ أَ فَلا یُبْصِرُونَ» (1)

۱- ۱) ۲۷-۳۲.

و باللّه التوفیق.

۲۲۸-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

فی التوحید،و تجمع هذه الخطبه من أصول العلم ما لا تجمعه خطبه

مَا وَحَّدَهُ مَنْ كَيَّفَهُ وَ لَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ- وَ لَا إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ- وَ لَا صَمَدَهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَ تَوَهَّمَهُ- كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ وَ كُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ- فَاعِلٌ لَا بِاضْطِرَابِ آلَةٍ مُقَدِّرٌ لَا بِجَوْلِ فِكْرَةٍ- غَنِيٌّ لَا بِاسْتِفَادَةٍ- لَا تَصْحَبُهُ الْأَوْقَاتُ وَ لَا تَرْفِدُهُ الْأَدَوَاتُ- سَبَقَ الْأَوْقَاتَ كَوْنُهُ- وَ الْعَدَمَ وُجُودُهُ وَ الِابْتِدَاءَ أَزَلُهُ بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لَا مَشْعَرَ لَهُ- وَ بِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الْأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ- وَ بِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ- ضَادَّ النُّورَ بِالظُّلْمَةِ وَ الْوُضُوحَ بِالْبُهْمَةِ- وَ الْجُمُودَ بِالْبَلَلِ وَ الْحَرُورَ بِالصَّرَدِ مُؤَلِّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا مُقَارِنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا- مُقَرِّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا مُفَرِّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا- لَا يُشْمَلُ بِحَدٍّ وَ لَا يُحْسَبُ بِعَدٍّ- وَ إِنَّمَا تَحُدُّ الْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا- وَ تُشِيرُ الْآلَاتُ إِلَى نَظَائِرِهَا مَنَعَتْهَا مُنْذُ الْقِدْمَةَ وَ حَمَتْهَا قَدُ الْأَزَلِيَّةَ- وَ جَنَّبَتْهَا لَوْلَا التَّكْمِلَةَ بِهَا تَجَلَّى

صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ- وَ بِهَا امْتَنَعَ عَنْ نَظَرِ الْعُيُونِ- وَ لاَ يَجْرِی عَلَيْهِ السُّكُونُ وَ الْحَرَكَهُ- وَ كَيْفَ يَجْرِی عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ- وَ يَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ وَ يَحْدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحْدَثَهُ- إِذاً لَتَفَاوَتَتْ ذَاتُهُ وَ لَتَجَزَّأَ كُنْهُهُ- وَ لاَمْتَنَعَ مِنَ الْأَزَلِ مَعْنَاهُ- وَ لَكَانَ لَهُ وَرَاءٌ إِذْ وُجِدَ لَهُ أَمَامٌ- وَ لاَلْتَمَسَ التَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ النُّقْصَانُ- وَ إِذاً لَقَامَتْ آيَهُ الْمَصْنُوعِ فِيهِ- وَ لَتَحَوَّلَ دَلِيلاً بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولاً عَلَيْهِ- وَ خَرَجَ بِسُلْطَانِ الاِمْتِنَاعِ- مِنْ أَنْ يُؤَثِّرَ فِيهِ مَا يُؤَثِّرُ فِی غَيْرِهِ الَّذِی لاَ يَحُولُ وَ لاَ يَزُولُ وَ لاَ يَجُوزُ عَلَيْهِ الْأُفُولُ- «لَمْ يَلِدْ» فَيَكُونَ مَوْلُوداً «وَ لَمْ يُولَدْ» فَيَصِيرَ مَحْدُوداً- جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الْأَبْنَاءِ وَ طَهُرَ عَنْ مُلاَمَسَهِ النِّسَاءِ- لاَ تَنَالُهُ الْأَوْهَامُ فَتُقَدِّرَهُ وَ لاَ تَتَوَهَّمُهُ الْفِطَنُ فَتُصَوِّرَهُ- وَ لاَ تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتُحِسَّهُ وَ لاَ تَلْمِسُهُ الْأَيْدِی فَتَمَسَّهُ- وَ لاَ يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ وَ لاَ يَتَبَدَّلُ فِی الْأَحْوَالِ- وَ لاَ تُبْلِيهِ اللَّيَالِی وَ الْأَيَّامُ وَ لاَ يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَ الظَّلاَمُ وَ لاَ يُوصَفُ بِشَیْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ- وَ لاَ بِالْجَوَارِحِ وَ الْأَعْضَاءِ وَ لاَ بِعَرَضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ- وَ لاَ بِالْغَيْرِيَّهِ وَ الْأَبْعَاضِ- وَ لاَ يُقَالُ لَهُ حَدٌّ وَ لاَ نِهَايَهٌ وَ لاَ انْقِطَاعٌ وَ لاَ غَايَهٌ- وَ لاَ أَنَّ الْأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ فَتُقِلَّهُ أَوْ تُهْوِيَهُ- أَوْ أَنَّ شَيْئاً يَحْمِلُهُ فَيُمِيلَهُ أَوْ يَعْدِلَهُ- لَيْسَ فِی الْأَشْيَاءِ بِوَالِجٍ وَ لاَ عَنْهَا بِخَارِجٍ- يُخْبِرُ لاَ بِلِسَانٍ وَ لَهَوَاتٍ- وَ يَسْمَعُ

لَا بِخُرُوقٍ وَ أَدَوَاتٍ يَقُولُ وَ لَا يَلْفِظُ- وَ يَحْفَظُ وَ لَا يَتَحَفَّظُ وَ يُرِيدُ وَ لَا يُضْمِرُ- يُحِبُّ وَ يَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ- وَ يُبْغِضُ وَ يَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ- يَقُولُ لِمَنْ أَرَادَ كَوْنَهُ «كُنْ فَيَكُونُ» لَا بِصَوْتٍ يَقْرَعُ وَ لَا بِنِدَاءٍ يُسْمَعُ- وَ إِنَّمَا كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ وَ مَثَّلَهُ- لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كَائِناً- وَ لَوْ كَانَ قَدِيماً لَكَانَ إِلَهاً ثَانِياً لَا يُقَالُ كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ- فَتَجْرِيَ عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُحْدَثَاتُ- وَ لَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَ بَيْنَهُ فَصْلٌ- وَ لَا لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ فَيَسْتَوِيَ الصَّانِعُ وَ الْمَصْنُوعُ- وَ يَتَكَافَأَ الْمُبْتَدَعُ وَ الْبَدِيعُ- خَلَقَ الْخَلَائِقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ- وَ لَمْ يَسْتَعِنْ عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ- وَ أَنْشَأَ الْأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اشْتِغَالٍ- وَ أَرْسَاهَا عَلَى غَيْرِ قَرَارٍ وَ أَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمَ- وَ رَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمَ- وَ حَصَّنَهَا مِنَ الْأَوَدِ وَ الِاعْوِجَاجِ- وَ مَنَعَهَا مِنَ التَّهَافُتِ وَ الِانْفِرَاجِ- أَرْسَى أَوْتَادَهَا وَ ضَرَبَ أَسْدَادَهَا- وَ اسْتَفَاضَ عُيُونَهَا وَ خَدَّ أَوْدِيَتَهَا- فَلَمْ يَهِنْ مَا بَنَاهُ وَ لَا ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ هُوَ الظَّاهِرُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ وَ عَظَمَتِهِ- وَ هُوَ الْبَاطِنُ لَهَا بِعِلْمِهِ وَ مَعْرِفَتِهِ- وَ الْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِجَلَالِهِ وَ عِزَّتِهِ- لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ مِنْهَا طَلَبَهُ- وَ لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ

فَيَغْلِبَهُ- وَ لاَ يَفُوتُهُ السَّرِيعُ مِنْهَا فَيَسْبِقَهُ- وَ لاَ يَحْتَاجُ إِلَى ذِی مَالٍ فَيَرْزُقَهُ- خَضَعَتِ الْأَشْيَاءُ لَهُ وَ ذَلَّتْ مُسْتَكِينَةً لِعَظَمَتِهِ- لاَ تَسْتَطِيعُ الْهَرَبَ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ- فَتَمْتَنِعَ مِنْ نَفْعِهِ وَ ضَرِّهِ- وَ لاَ كُفْءَ لَهُ فَيُكَافِئَهُ- وَ لاَ نَظِيرَ لَهُ فَيُسَاوِيَهُ- هُوَ الْمُفْنِی لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا- حَتَّى يَصِيرَ مَوْجُودُهَا كَمَفْقُودِهَا- وَ لَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ ابْتِدَاعِهَا- بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا وَ اخْتِرَاعِهَا- وَ كَيْفَ وَ لَوِ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِنْ طَيْرِهَا وَ بَهَائِمِهَا- وَ مَا كَانَ مِنْ مُرَاحِهَا وَ سَائِمِهَا- وَ أَصْنَافِ أَسْنَاخِهَا وَ أَجْنَاسِهَا- وَ مُتَبَلِّدَةِ أُمَمِهَا وَ أَكْيَاسِهَا- عَلَى إِحْدَاثِ بَعُوضَةٍ مَا قَدَرَتْ عَلَى إِحْدَاثِهَا- وَ لاَ عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى إِيجَادِهَا- وَ لَتَحَيَّرَتْ عُقُولُهَا فِی عِلْمِ ذَلِكَ وَ تَاهَتْ- وَ عَجَزَتْ قُوَاهَا وَ تَنَاهَتْ- وَ رَجَعَتْ خَاسِئَةً حَسِيرَةً- عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ مُقِرَّةً بِالْعَجْزِ عَنْ إِنْشَائِهَا- مُذْعِنَةً بِالضَّعْفِ عَنْ إِفْنَائِهَا وَ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَحْدَهُ لاَ شَیْءَ مَعَهُ- كَمَا كَانَ قَبْلَ ابْتِدَائِهَا كَذَلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا- بِلاَ وَقْتٍ وَ لاَ مَكَانٍ وَ لاَ حِينٍ وَ لاَ زَمَانٍ- عُدِمَتْ عِنْدَ ذَلِكَ الْآجَالُ وَ الْأَوْقَاتُ- وَ زَالَتِ السِّنُونَ وَ السَّاعَاتُ- فَلاَ شَیْءَ إِلاَّ «الْوَاحِدُ الْقَهّارُ» - الَّذِی إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ الْأُمُورِ- بِلاَ قُدْرَةٍ مِنْهَا كَانَ ابْتِدَاءُ خَلْقِهَا- وَ بِغَيْرِ امْتِنَاعٍ مِنْهَا كَانَ فَنَاؤُهَا- وَ لَوْ قَدَرَتْ عَلَى الاِمْتِنَاعِ لَدَامَ بَقَاؤُهَا-

لَمْ يَتَكَاءَدْهُ صُنْعُ شَیْءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ- وَ لَمْ يَؤُدْهُ مِنْهَا خَلْقُ مَا خَلَقَهُ وَ بَرَأَهُ وَ لَمْ يُكَوِّنْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ- وَ لاَ لِخَوْفٍ مِنْ زَوَالٍ وَ نُقْصَانٍ- وَ لاَ لِلاِسْتِعَانَهِ بِهَا عَلَى نِدٍّ مُكَاثِرٍ- وَ لاَ لِلاِحْتِرَازِ بِهَا مِنْ ضِدٍّ مُثَاوِرٍ- وَ لاَ لِلاِزْدِيَادِ بِهَا فِی مُلْكِهِ- وَ لاَ لِمُكَاثَرَهِ شَرِيكٍ فِی شِرْكِهِ- وَ لاَ لِوَحْشَهٍ كَانَتْ مِنْهُ- فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا- ثُمَّ هُوَ يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا- لاَ لِسَأَمٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِی تَصْرِيفِهَا وَ تَدْبِيرِهَا- وَ لاَ لِرَاحَهٍ وَاصِلَهٍ إِلَيْهِ- وَ لاَ لِثِقَلِ شَیْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ- لاَ يُمِلُّهُ طُولُ بَقَائِهَا فَيَدْعُوَهُ إِلَى سُرْعَهِ إِفْنَائِهَا- وَ لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ دَبَّرَهَا بِلُطْفِهِ- وَ أَمْسَكَهَا بِأَمْرِهِ وَ أَتْقَنَهَا بِقُدْرَتِهِ- ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَهٍ مِنْهُ إِلَيْهَا- وَ لاَ اسْتِعَانَهٍ بِشَیْءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا- وَ لاَ لاِنْصِرَافٍ مِنْ حَالِ وَحْشَهٍ إِلَى حَالِ اسْتِئْنَاسٍ- وَ لاَ مِنْ حَالِ جَهْلٍ وَ عَمًى إِلَى حَالِ عِلْمٍ وَ الْتِمَاسٍ- وَ لاَ مِنْ فَقْرٍ وَ حَاجَهٍ إِلَى غِنًى وَ كَثْرَهٍ- وَ لاَ مِنْ ذُلٍّ وَ ضَعَهٍ إِلَى عِزٍّ وَ قُدْرَهٍ

اللغه

أقول: صمده: أی قصده .و ترفده : تعينه .و الوضوح و الوضح : البياض .

و البهمه : السواد .و الحرور هنا:الحراره .و الصرد : البرد .و الافول:

الغيبه .و الوالج : الداخل .و خلا : مضى و سبق .و الأود : الاعوجاج .و التهافت : التساقط .و الأسداد : جمع سدّ-و قد يضمّ-و هو كلّ ما حال و حجز بين شيئين .و خدّ : شقّ .و مراحها : ما يراح منها فی مرابطها و معاطنها .و سائمها:

ما ارسل منها للرعی .و أسناخها : اصولها .و المتبلّده : ذو البلاده و هی ضدّ الذكاء .

ص:۱۵۰

و الأكياس : ذوو الذكاء و الفهم .و تكاءده الأمر : شقّ عليه و صعب .و آده:

أثقله ،و المثاور : المواثب .

و اعلم أنّ مدار هذه الخطبه على التوحيد المطلق و التنزيه المحقّق،

و قد

اشاره

أشار إلى توحيده تعالى و تنزيهه باعتبارات من الصفات الإضافيّه و السلبيّه :

فالأوّل:قوله:ما وحّده من كيّفه.

دلّت هذه الكلمه بالمطابقه على سلب التوحيد له تعالى عمّن وصفه بكيفيّه،و بالالتزام على أنّه لا يجوز تكيّفه لمنافاه ذلك التوحيد الواجب له تعالى.و لنشر إلى معنى الكيفيّه ليتبيّن أنّه لا يجوز وصفه بها.فنقول:أمّا رسمها فقيل:إنّها هيئه قارّه فى المحلّ لا يوجب اعتبار وجودها فيه نسبه إلى أمر خارج عنه و لا قسمه فى ذاته و لا نسبه واقعه فى أجزائه.

و بهذه القيود يفارق سائر الأعراض،و أقسامها أربعه:فإنّها إمّا أن تكون مختصّه بالكمّ من جهه ما هو كمّ كالمثلثيّه و المربعيّه و غيرها من الأشكال للسطوح.و كالاستقامه و الانحناء للخطوط و كالفرديّه و الزوجيّه للأعداد،و إمّا أن لا تكون مختصّه به و هى إمّا أن تكون محسوسه كالألوان و الطعوم و الحراره و البروده، و هذا ينقسم إلى راسخه كصفره الذهب و حلاوه العسل،و تسمّى كيفيّات انفعاليه إمّا لانفعال الحواسّ عنها و إمّا لانفعالات حصلت فى الموضوعات عنها،أو غير راسخه إمّا سريعه الزوال كحمره الخجل و تسمّى انفعالات لكثره انفعالات موضوعاتها بسببها بسرعه،و هذا قسم ثانى،و إمّا أن لا يكون محسوسه،و هى إمّا لاستعدادات ما لكمالات كالاستعداد للمقاومه و الدفع،و إمّا لانفعال و يسمّى قوّه طبيعيّه كالمصحاحيّه و الصلابه،أو لنقائص مثل الاستعداد بسرعه الإذعان و الانفعال،و يسمّى ضعفا و لا قوّه طبيعيّه كالممراضيّه،و إمّا أن لا يكون استعداد لكمالات أو نقايص بل يكون فى أنفسها كمالات أو نقايص،و هى مع ذلك غير محسوسه بذواتها فما كان منها ثابتا يسمّى ملكه كالعلم و العفّه و الشجاعه،و ما كان سريع الزوال يسمّى حالا كغضب الحليم و مرض الصحاح.فهذه أقسام الكيف.إذا عرفت ذلك فنقول:

إنّما قلنا:إنّه يلزم من وصفه بالكيفيّه عدم توحيده لما نبّه فى الخطبه الاولى من

قوله علیه السّلام فی وصف اللّه سبحانه:فقد قرنه و من قرنه فقد ثنّاه.و کما سبق تقریره فینتج أنّ من وصف اللّه سبحانه فقد ثنّاه.و حینئذ تبیّن أنّ من کیّفه لم یوحّده لأنّ توحیده و تثنیته ممّا لا یجتمعان.

الثانی:و لا حقیقته أصاب من مثّله

.أی جعل له مثلا،و ذلک أنّ کلّ ماله مثل فلیس بواجب الوجود لذاته لأنّ المثلیّه إمّا أن یتحقّق من کلّ وجه فلا تعدّد إذن لأنّ التعدّد یقتضی المغایره بأمر ما و ذلک ینافی الاتّحاد و المثلیّه من کلّ وجه هذا خلف،و إمّا أن یتحقّق من بعض الوجوه و حینئذ ما به التماثل إمّا الحقیقه أو جزؤها أو أمر خارج عنها فإن کان الأوّل کان ما به الامتیاز عرضیّا للحقیقه لازما أو زائلا لکن ذلک باطل لأنّ المقتضی لذلک العرضیّه إمّا المهیّه فیلزم أن یکون مشترکا بین المثلین لأنّ مقتضی المهیّه الواحده لا یختلف فما به الامتیاز لأحد المثلین عن الآخر حاصل للآخر هذا خلف.أو غیرها فتکون ذات واجب الوجوده مفتقره فی تحصیل ما تمیّزها من غیرها إلی غیر خارجی هذا محال،و إن کان ما به التماثل و الاتّحاد جزء من المثلین لزم کون کلّ منهما مرکّبا فکلّ منهما ممکن هذا خلف.و بقی أن یکون التماثل بأمر خارج عن حقیقتهما مع اختلاف الحقیقتین لکن ذلک باطل أمّا أوّلا فلامتناع وصف واجب الوجود بأمر خارج عن حقیقته لاستلزام إثبات الصفه له تثنیته و ترکّبه علی ما مرّ،و أمّا ثانیا فلأنّ ذلک الأمر الخارجی المشترک إن کان کمالا لذات واجب الوجود فواجب الوجود لذاته مستفید للکمال من غیره هذا خلف،و إن لم یکن کمالا کان إثباته له نقصا لأنّ الزیاده علی الکمال نقص.فثبت أنّ کلّ ماله مثل فلیس بواجب الوجود لذاته فالطالب لمعرفته إذا أصاب ما له مثل فقد أصاب ما لیس بواجب الوجود لذاته فلم یصب صانع العالم،و مقصود الکلمه نفی المثل له تعالی فی مقام التوجّه إلیه و النظر لطلب معرفته.

الثالث:و لا إیّاه عنی من شبّهه

،و معنی هذه القرینه کالّتی قبله.

الرابع:و لا صمده من أشار إلیه و توهّمه،

و ذلک لأنّ الإشاره إلیه إمّا

حسيّه أو عقليّه.و الاولى مستلزمه للوضع و الهيئه و الشكل و التحيّز كما علم فى غير هذا الموضع،و ذلك على واجب الوجود محال،و أمّا الثانيه فقد علمت أنّ النفس الإنسانيّه ما دامت فى عالم الغربه إذا توجّهت لاقتناص أمر معقول من عالم الغيب فلا بدّ أن تستتبع القوّه الخياليّه و الوهميّه للاستعانه بهما على استثبات المعنى المعقول و ضبطه فإذن يستحيل أن يشير العقل الإنسانىّ إلى شيء من المعانى الإلهيّه إلّا بمشاركه من الوهم و الخيال و استثباته حدّا و كيفيّه يكون عليها لكن قد علمت تنزيهه تعالى عن الكيفيّات و الصفات و الحدود و الهيئه فكان المشير إليه و المدّعى لإصابه حقيقته قاصدا فى تلك الإشاره إلى ذى كيفيّه و حال ليس هو واجب الوجود فلم يكن قاصدا لواجب الوجود،و قد بيّنا فيما سلف امتناع الإشاره إليه .

الخامس:قوله:كلّ معروف بنفسه مصنوع.

صغرى ضمير من الشكل الأوّل استغنى معها عن ذكر الدعوى لدلالتها عليها،و هى أنّه تعالى ليس معلوما بنفسه:أى ليس معلوم الحقيقه بالكنه.و تقدير الكبرى:و لا شيء ممّا هو مصنوع بإله للعالم واجب الوجود لذاته دائما.ينتج أنّه لا شيء من المعلوم بنفسه بواجب الوجود و إله العالم دائما،و ينعكس لا شيء من واجب الوجود معلوم بنفسه.أو من الشكل الثانى،و يكون تقدير الكبرى:و لا شيء ممّا هو واجب الوجود بمصنوع.و ينتج النتيجه المذكوره،و ينعكس.و يحتمل أن تكون المقدّمه المذكوره هى الكبرى من الشكل الأوّل و لا حاجه إلى العكس المذكوره.و يحتمل أن يبيّن المطلوب المذكور بقياس استثنائى متّصل،و تكون المقدّمه المذكوره تنبيها على ملازمه المتّصله و بيانا لها و تقديرها:لو كان تعالى معلوما بنفسه لكان مصنوعا لأنّ كلّ معلوم بنفسه مصنوع لكن التالى باطل فالمقدّم كذلك فأمّا بيان أنّ كلّ معلوم بنفسه مصنوع فهو أنّ كلّ معلوم بحقيقته فإنّما يعلم من جهه أجزائه، و كلّ ذى جزء فهو مركّب فكلّ مركّب فمحتاج إلى مركّب يركّبه و صانع يصنعه فإذن كلّ معلوم الحقيقه فهو مصنوع،و أمّا بطلان التالى فلأنّه تعالى لو

کان مصنوعا لکان ممکنا مفتقرا إلی الغیر فلا یکون واجب الوجود لذاته هذا خلف.

السادس:و کلّ قائم فی سواه معلول

کالمقدّمه الّتی قبلها فی أنّها یحتمل أن تکون صغری قیاس ضمیر من الشکل الأوّل أو الثانی دلّ به علی أنّه تعالی لیس بقائم فی سواه:أی لیس لعرض فیحتاج إلی محلّ یقوم.تقدیره أنّ کلّ قائم سواه فهو معلول،و لا شیء من المعلول بواجب الوجود أولا شیء من واجب الوجود بمعلول فینتج أنّه لا-شیء من القائم فی سواه بواجب الوجود،و ینعکس کنفسها لا-شیء من واجب الوجود بقائم فی سواه.و یحتمل أن یکون کبری القیاس و لا-حاجه إلی عکس النتیجه،و یحتمل أن یکون ذکرها تنبیها علی ملازمه قیاس استثنائیّ:أی لو کان قائما فی سواه لکان معلولا و لکن التالی باطل فالمقدّم کذلک،و بیان الملازمه أنّ القائم بغیره مفتقر إلی محلّ و کلّ مفتقر إلی غیره ممکن و کلّ ممکن معلول فی وجوده و عدمه،و أمّا بطلان التالی فلأنّه لو کان معلولا لما کان واجب الوجود .

السابع:فاعل لا باضطراب آله.

أمّا أنّه فاعل فلأنّه موجد العالم،و أمّا أنّه منزّه فی فاعلیّته عن اضطراب الآله فلتنزّهه عن الآله الّتی هی من عوارض الأجسام.

و قد سبق بیانه.

الثامن:مقدّر لا بحول فکره،

و معنی کونه مقدّرا کونه معطیا لکلّ موجود المقدار الّذی تستحقّه من الکمال من الوجود و لواحق الوجود کالأجل و الرزق و نحوهما علی وفق القضاء الإلهی،و کون ذلک لا بحول فکره لأنّ الفکر من لواحق النفوس البشریّه بآله بدنیّه،و قد تنزّه قدسه تعالی عن ذلک.

التاسع:کونه غنیّا لا باستفاده

،و کونه غنیّا یعود إلی عدم حاجته فی شیء ما إلی شیء ما.إذ لو حصل له شیء باستفاده من خارج کسائر الأغنیاء لزم کونه ناقصا بذاته مفتقرا إلی ذلک المستفاد موقوفا علی حصول سببه فکان ممکنا هذا خلف و هو تنزیه له عن الغنی المشهور المتعارف.

العاشر:کونه لا تصحبه الأوقات،

و ذلک أنّ الصحبه الحقیقیّه تستدعی

المعيّه و المقارنه اللذين هما من لواحق الزمان الّذى هو من لواحق الحركه الّتى هى من لواحق الجسم المتأخّر وجوده عن وجوده بعض الملائكه المتأخّر وجوده عن وجود الصانع الأوّل-جلّت عظمته-فكان وجود الزمان و الوقت متأخرا عن وجوده تعالى بمراتب من الوجود فلم تصدق صحبه الأوقات لوجوده و لا كونها ظرفا له و إلاّ لكان مفتقرا إلى وجود الزمان فكان يمتنع استغناؤه عنه لكنّه سابق عليه فوجب استغناؤه عنه.نعم قد يحكم الوهم بصحبه الزمان للمجرّدات و معيّته لها حيث تقسمها إلى الزمانيّات.إذ كان لا تعقل المجرّدات إلاّ كذلك.

الحادى عشر:كونه لا ترفده الأدوات

،و ظاهر أنّ المفتقر إلى المعونه بأداه و غيرها ممكن لذاته فلا يكون واجب الوجود لأنّه تعالى خالق الأدوات فكان سابقا عليها فى تأثيره فكان غنيّا عنها فيمتنع عليه الحاجه إلى الاستعانه بها.

الثانى عشر:سبق الأوقات كونه

:أى وجوده.و قد مرّ بيانه.

الثالث عشر:و العدم وجوده

:أى و سبق وجوده العدم،و بيانه أنّه تعالى مخالف لسائر الموجودات الممكنه فإنّها محدثه فيكون عدمها سابقا على وجودها.

ثمّ إن لم تكن كذلك،وجودها و عدمها بالسبه إلى ذواتها على سواء كما بيّن فى مظانّه و لها من ذواتها أنّها لا تستحقّ وجودا و عدما لذواتها و ذلک عدم سابق على وجودها.فعلى كلّ تقدير فوجودها يكون مسبوقا بعدم.بخلاف الموجود الأوّل -جلّت عظمته-فإنّه لمّا كان واجب الوجود لذاته كان لما هو هو موجودا فكان لحوق العدم له محالا فكان وجوده سابقا على العدم المعتبر لغيره من الممكنات، و لأنّ عدم العالم قبل وجوده كان مستندا إلى عدم الداعى إلى إيجاده المستند إلى وجوده فكان وجوده تعالى سابقا على عدم العالم.ثمّ تبيّن.

الرابع عشر.و الابتداء أزله،

و ذلک أنّ الأزل عباره عن عدم الأوّليّه و الابتداء و ذلک أمر يلحق واجب الوجود لما هو هو بحسب الاعتبار العقليّ و هو ينافى لحوق الابتداء و الأوّليّه لوجوده تعالى فاستحال أن يكون له مبدء لامتناع اجتماع النقيضين بل سبق فى الأزليّه ابتداء ما كان له ابتداء وجود من الممكنات

إذ هو مبدأها و مصدرها .

الخامس عشر:بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له

،و ذلک أنّه تعالی لمّا خلق المشاعر و أوجدها و هو المراد بتشعيره لها امتنع أن يکون له مشعر و حاسّه و إلّا لکان وجودها له إمّا من غيره و هو محال:أمّا أوّلا فلأنّه مشعّر المشاعر و أمّا ثانيا فلأنّه يکون محتاجا فی کماله إلی غيره فهو ناقص بذاته هذا محال، و إمّا منه و هو أيضا محال لأنّها إن کانت من الکمالات الوهميّه کان موجدا لها من حيث هو فاقد کمالا فکان ناقصا بذاته هذا محال،و إن لم يکن کمالا کان إثباتها له نقصا لأنّ الزياده علی الکمال نقصان فکان إيجاده لها مستلزما لنقصانه و هو محال.

السادس عشر:و بمضادّته بين الامور عرف أنّ لا ضدّ له

لأنّه لمّا کان خالق الأضداد فلو کان له ضدّ لکان خالقا لنفسه و لضدّه و ذلک محال،و لأنّک لمّا علمت أنّ المضادّه من باب المضاف و علمت أنّ المضاف ينقسم إلی حقيقیّ و غير حقيقیّ فالحقيقیّ هو الّذی لا تعقل مهيّته إلّا بالقياس إلی غيره،و غير الحقيقیّ هو الّذی له فی ذاته مهيّه غير الإضافه تعرض لها الإضافه و کيف ما کان لا بدّ من وجود الغير حتّی يوجد المضاف من حيث هو مضاف فيکون وجود أحد المضافين متعلّقا بوجود الآخر فلو کان لواجب الوجود ضدّ لکان متعلّق الوجود بالغير فلم يکن واجب الوجود لذاته هذا خلف،و لأنّ الضدّين هما الأمران الثبوتيان اللذان يتعاقبان علی محلّ واحد،و يمتنع اجتماعهما فيه فلو کان بينه و بين غيره مضادّه لکان محتاجا إلی محلّ يعاقب ضدّه عليه،و قد ثبت أنّه تعالی غنیّ من کلّ شیء.

السابع عشر:و بمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له،

و برهانه أمّا أوّلا فلأنّه تعالی خلق المقترنات و مبدء المقارنه بينها فلو کان تعالی مقارنا لغيره لکان خالقا لنفسه و لقرينه و ذلک محال،و لأنّ المقارنه من باب المضاف و يمتنع أن يلحقه.علی ما تقدّم .

الثامن عشر:کونه تعالی مضادّا بين الامور.

المضادّه تأکيد لقوله:و

ص:۱۵۶

لمضادّته للأشياء.فمنها النور و الظلمه،و فى كونهما ضدّين خلاف بين العلماء مبنىّ على كون الظلمه أمرا وجوديّا أو عدميّا و الأقرب أنّها أمر وجودىّ مضادّ للنور،و قال بعضهم:إنّها عباره عن عدم الضوء عمّا من شأنه أن يضىء و ليست على هذا القول عدما صرفا فجاز أن يطلق عليها أنّها ضدّ مجازا،و منها البياض و السواد و الجمود و البلل:أى اليبوسه و الرطوبه و الحراره و البروده.و مضادّته بينها خلقه لها على ما هى عليه من الطبايع المتضادّه.

التاسع عشر:كونه مؤلّفا بين متعادياتها

فى أمزجه المركّبات من العناصر الأربعه فإنّه جمع بينها فيها على وجه الامتزاج حتّى حصل بينها كيفيّه متوسّطه على ما مرّ بيانه فى الخطبه الاولى.

العشرون

:كونه مقارنا بين متبايناتها.

الحادى و العشرون:كونه مقرّبا بين متباعداتها،

و مرّ نظير هاتين الفقرتين فى الخطبه الاولى.

الثانى و العشرون:

المطابقه كونه مفرّقا بين متدانياتها :أى بالموت و الفناء لهذه المركّبات فى هذا العالم.و أشار إلى استناد فسادها إليه أيضا إذ هو مسبّب الأسباب.

و قد طاوعته عليه السّلام المطابقه فى هذه القرائن فالتأليف بإزاء المعاداه،و المقارنه بإزاء المباينه،و القرب بإزاء البعد،و التفريق بإزاء التدانى .

الثالث و العشرون:كونه تعالى لا يشمله حدّ،

و المراد:إمّا الحدّ الاصطلاحى و ظاهر كونه تعالى لا حدّ له،إذ لا أجزاء له فلا تشمل و تحاط حقيقه بحدّ،و إمّا الحدّ اللغوىّ و هى النهايه الّتى تحيط بالجسم مثلا فيقف عندها و ينتهى بها و ذلك من لواحق الكمّ المتّصل و المنفصل و هما من الأعراض و لا شىء من واجب الوجود سبحانه بعرض أو محلّ له فامتنع أن يوصف بالنهايه.و أمّا وصفه باللانهايه فعلى سبيل سلب النهايه عنه مطلقا بسلب معروضها كالمقدار مثلا لا على سبيل العدول بمعنى أنّه معروض النهايه و اللانهايه لكن ليست النهايه حاصله له.

الرابع و العشرون:كونه لا يحسب بعد

:أى لا يلحقه الحساب و العدّ فيدخل فى جمله المحسوبات المعدوده،و ذلك أنّ العدّ من لواحق الكمّ المنفصل الّذى هو العدد كما هو معلوم فى مظانّه و الكمّ عرض،و قد ثبت أنّه تعالى ليس بعرض و لا محلّ له،و استحال أن يكون معدودا.

و قوله:و إنّما تحدّ الأدوات أنفسها.

فالأدوات إشاره إلى الآلات البدنيّه و القوى الجسمانيّه،و قد ثبت أنّها لا يتعلّق إدراكها إلّا بما كان جسما أو جسمانيّا على ما علم فى موضعه فمعنى قوله:

و إنّما تحدّ الأدوات أنفسها.أى إنّما تدرك الأجسام و الجسمانيّات ما هو مثلها من الأجسام و الجسمانيّات،و مثل الشىء هو هو فى النوع أو الجنس،و يحتمل أن يدخل فى ذلك النوع الفكر لامتناع انفكاكه عن الوهم و الخيال حين توجّهه إلى المعقولات لما بيّناه من حاجته إليهما فى التصوير و الشبح فكان لا يتعلّق إلاّ بمماثل ممكن،و لا يحيط إلاّ بما هو فى صوره جسم أو جسمانىّ،و كذلك قوله:

و يشير الأشياء إلى نظائرها .

و قوله:منعتها منذ القدميّه و حمتها قد الأزليّه و جنّبتها لو لا التكمله.

الضمائر المتّصله بالافعال الثلاثه تعود إلى الآلات و الأدوات و هى مفعولات اولى.و القدميّه و الأزليّه التكمله مفعولات ثانيه،و منذ و قد و لولا محلّها الرفع بالفاعليّه،و معنى الكلمه الاولى أنّ إطلاق لفظه-منذ-على الآلات و الأدوات فى مثل قولنا:هذه الآلات وجدت منذ كذا يمنع كونها قديمه.

إذ كان وضعها لابتداء الزمان و كانت لإطلاقها عليها متعيّنه الابتداء و لا شىء من القديم بمتعيّن الابتداء فينتج أنّه لا شىء من هذه الأدوات و الآلات بقديم،و كذلك إطلاق لفظه-قد-عليها يحميها و يمنعها من كونها أزليّه إذ كانت-قد-تفيد تقريب الماضى من الحال فإطلاقها عليها كما فى قولك:قد وجدت هذه الآله وقت كذا.يحكم بقربها من الحال و عدم أزليّتها و لا شىء من الأزلىّ بقريب من الحال فلا شىء من هذه الآلات بأزلىّ.و كذلك إطلاق لفظ-لولا-على

هـذه الآلات تجنّبها التكمله.إذ كان وضع لولا دالاّ على امتناع الشـىء لوجود غيره فإطلاقها عليها فى مثل قولك عند نظرك إلى بعض الآلات المستحسـنه و الخلقه العجيبه و الأذهان المتوقّده:ما أحسـنها و أكملها لولا أنّ فيها كذا.فيدلّ بها على امتناع كمالها لوجود نقصـان فيهـا فهى مـانعه لهـا من الكمـال المطلق،و إنّمـا أشـار إلى حـدوثها و نقصانها ليؤكّـد كونها غير متعلّقه بتحديـده سبحانه،و أنّها فى أبعـد بعيـد من تقـديره و الإشاره إليه.إذ كان القديم الكامل فى ذاته التامّ فى صـفاته أبعد الأشـياء عن مناسـبته المحـدث النـاقص فى ذاته فكيف يمكن أن يـدركه أو يليق أن يطمع فى ذلك،و قال بعض الشارحين:المراد بالأدوات و الآلات أهلهـا.و قـد روى برفع القـدميّه و الأزليّه و التكمله على الفـاعليّه.و الضـمائر المتّصـله بالأفعال مفعولات اولى،و منـذ و قـد و لولا مفعولات ثانيه،و يكون المعنى أنّ قدمه تعالى و أزليّته و كماله منعت الأدوات و الآلات من إطلاق منذ و قد و لو لا عليه سـبحانه لـدلالتها على الحـدوث و الابتداء المنافيين لقدمه و أزليّته و كماله.و الروايه الاولى أولى لوجودها فى نسـخه الرضـىّ-رضـى اللّه عنه-بخطّه.

و قوله:بها تجلّى صانعها للعقول.

أى بوجود هذه الآلات ظهور وجوده تعالى للعقول.إذ كان وجودها مستلزما لوجود صانعها بالضروره،و إحكامها و إتقانها شاهد بعلمه و حكمته شـهاده تضـطرّ إلى الحكم بها العقول،و كذلك تخصيصها بما تخصّصت به من الكمالات شاهد بإرادته و كمال عنايته فيكون ما شهد به وجودها من وجود صانعها أجلى و أوضح من أن يقع فيه شكّ أو يلحقه شبهه،و يتفاوت ذلك الظهور و التجلّى بحسب تفـاوت صـقال النفوس و جلائها فمنها من يراه بعـد،و منها من يراه مع،و منها من يراه قبل،و منها من يراه لا شـىء معه و «أُولٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوٰاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ» .

و قوله:و بها امتنع عن نظر العيون.

أى بإيجادها و خلقها بحيث تدرك بحاسّه البصر علم أنّه تعالى يمتنع أن

یکون مرئیّا مثلها،و بیانه أنّ تلک الآلات إنّما کانت متعلّقه حسّ البصر باعتبار أنّها ذات وضع و جهه و لون و غیره من شرائط الرؤیه،و لمّا کانت هذه الامور ممتنعه فی حقّه تعالی لا جرم امتنع أن یکون محلاّ لنظر العیون،و قال بعض الشارحین فی بیان ذلک:إنّه لمّا کان بالمشاعر و الحواسّ الّتی هی الآلات المشار إلیها أکملت عقولنا،و بعقولنا استخرجنا الدلیل علی أنّه لا یصحّ رؤیته فإذن بخلق هذه الأدوات و الآلات لنا عرفناه عقلا و عرفناه أنّه یستحیل أن یعرف بغیر العقل .

الخامس و العشرون:کونه تعالی منزّها أن یجری علیه السکون و الحرکه،

و قد أشار علیه السّلام إلی بیان امتناعهما علیه من أوجه:

استفهام علی سبیل الاستنکار أحدها:قوله: و کیف یجری علیه.إلی قوله:أحدثه ،و هو استفهام علی سبیل الاستنکار لجریان ما أجراه علیه و عود ما أبداه و أنشأه إلیه و حدوث ما أحدثه فیه .و بیان بطلان ذلک أنّ الحرکه و السکون من آثاره سبحانه فی الأجسام و کلّ ما کان من آثاره یستحیل أن یجری علیه و یکون من صفاته:أمّا المقدّمه الاولی فظاهره،و أمّا الثانیه فلأنّ المؤثّر واجب التقدّم بالوجود علی الأثر فذلک الأثر إمّا أن یکون معتبرا فی صفات الکمال فیلزم أن یکون تعالی باعتبار ما هو موجد له و مؤثّر فیه ناقصا بذاته مستکملا بذلک الأثر،و النقص علیه تعالی محال،و إن لم یکن معتبرا فی صفات کماله فله الکمال المطلق بدون ذلک الأثر فکان إثباته صفه له نقصا فی حقّه لأنّ الزیاده علی الکمال المطلق نقصان و هو علیه تعالی محال.

الثانی:لو کان کذلک للزم التغیّر فی ذاته تعالی و لحوق الإمکان له،و دلّ علی ذلک بقوله:إذن لتفاوتت ذاته:أی تغیّرت بطریان الحرکه علیها تاره و السکون اخری لأنّ الحرکه و السکون من الحوادث المتغیّره فیکون تعالی بقوله:لتعاقبهما محلاّ للحوادث فی التغیّرات فکان متغیّرا لکن التغیّر مستلزم للإمکان فالواجب لذاته ممکن لذاته هذا خلف.

الثالث:لو کان کذلک للزم حقیقته التجزیه و الترکیب لکنّ التالی باطل

و المقدّم كـذلك.أمّا الملازمه فلأنّ الحركه و السكون من عوارض الجسم الخاصّه به فلو يوصف تعالى بها لكان جسما و كلّ جسم فهو مركّب قابل للتجزئه،و أمّا بطلان التالى فلأنّ كلّ مركّب مفتقر إلى أجزائه و ممكن فالواجب ممكن.

هذا خلف.

الرابع:أنّه لو كـان كـذلك للزم أن يبطـل من الأـزل معنـاه:أمّـا على طريق المتكلّمين فظـاهر لأـنّ الحركه و السكون من خواصّ الأجسام الحادثه فكان الموصوف بهما حادثا فلو كان تعالى موصوفا بهما لبطل من الأزل معناه و لم يكن أزليّا.

و أمّا على رأى الحكماء فلأنّه تعالى لكونه واجب الوجود لـذاته يستحقّ الأزليّه، و لكون الممكن ممكنا لـذاته فهو إنّما يستحقّ الأـزليّه لالـذاته بـل لأـزليّه علّته و تمامها أزلا حتّى لو توقّفت علّته على أمر ما فى مؤثريّتها لزم حـدوث الممكن و لم يكن له من ذاته إلاّـ كونه لاـ يستحقّ لـذاته وجودا و لاـ عـدما و هو معنى الحـدوث الـذاتىّ عنـدهم.فعلى هـذا لو كان تعالى قابلا للحركه و السكون لكان جسما ممكنا لذاته فكان مستحقّا للحدوث الذاتىّ بذاته فلم يكن مستحقّا للأزليّه بذاته فيبطل من الأزليّه معناه و هو استحقاقه الأزليّه بذاته لكن التالى باطل لما مرّ.

الخامس :أنّه لو كـان كـذلك للزم أن يكون له وراء إذ وجـد له أمـام، و وجه الملاـزمه أنّه لو جرت عليه الحركه لكـان له أمام يتحرّك إليه و حينئـذ يلزم أن يكون له وراء إذ له أمام لأنّهما إضافيّتان لا تنفكّ إحداهما عن الاخرى لكن ذلك محال لأنّ كلّ ذى وجهين فهو منقسم و كلّ منقسم فهو ممكن على ما مرّ.

السادس:لو كان كـذلك لالتمس التمام إذ لزمه النقصان،و بيان الملازمه أنّ جريان الحركه عليه مستلزم لتوجّهه بها إلى غايه إمّا جلب منفعه أو دفع مضرّه.إذ من لوازم حركـات العقلاـء ذلك،و على التقـديرين فهما كمال مطلوب له لنقصان لازم لـذاته لكنّ النقصان بالذات و الاستكمال بالغير مستلزم الإمكان

ص:۱۶۱

فالواجب ممكن.هذا خلف.

السابع:لو كان كذلك لقامت آيه المصنوع فيه،و بيان الملازمه أنّه حينئذ يكون قادرا على الحركه و السكون فقدرته عليهما ليست من خلقه و إلاّ لافتقر إيجاده لها إلى قدره اخرى سابقه عليها و لزم التسلسل و كان قادرا قبل أن كان قادرا و هما محالان فهى إذن من غيره فهو إذن مفتقر فى كماله إلى غيره فهو مصنوع و فيه آيات الصنع و علامات التأثير فليس هو بواجب الوجود.هذا خلف.

الثامن:لو كان كذلك لتحوّل دليلا بعد أن كان مدلولا عليه،و ذلك أن يكون مصنوعا على ما مرّ و كلّ مصنوع فيستدلّ به على صانعه كما هو المشهور فى الاستدلال بوجود العالم و حدوثه على وجود صانعه،و لأنّه يكون جسما فيكون مصنوعا فكان دليلا على الصانع لكنّه هو الصانع الأوّل للكلّ و هو المدلول عليه فاستحال أن يكون دليلا من جهه آثار الصنع فيه فاستحال أن يكون قابلا-للحركه و السكون فاستحال أن يجريا عليه.فانظر إلى هذه النفس الملكيه له عليه السّلام كيف يفيض عنها هذه الأسرار الإلهيّه فيضا من غير تقدّم مزاوله الصنائع العقليّه و ممارسه البحث فى هذه الدقائق الإلهيّه.و أمّا قوله:و خرج بسلطان الامتناع.

إلى قوله:غيره.فقد يسبق إلى الوهم عطفه على الأدلّه المذكوره،و ظاهر أنّه ليس كذلك،بل هو عطف على قوله:امتنع.أى بها امتنع عن نظر العيون و خرج ذلك الامتناع:أى امتناع أن يكون مثلها فى كونها مرئيّه للعيون و محلاّ للنظر إليها عن أن يؤثّر فيه ما يؤثّر فى غيره من المرئيّات،و هى الأجسام و الجسمانيّات، و ظاهر أنّه تعالى لمّا امتنع عن نظر العيون إذ لم يكن جسما و لا قائما به فخرج بسلطان استحقاق ذلك الامتناع عن أن يؤثّر فيه ما يؤثّر فى غيره من الأجسام و الجسمانيّات و عن قبول ذلك.و قال بعض الشارحين:إنّه عطف على قوله:تجلّى:

أى بها تجلّى للعقول و خرج بسلطان الامتناع كونه مثلا لها:أى يكون واجب الوجود ممتنع العدم عن أن يكون ممكنا فيقبل أثر غيره كما يقبل الممكنات .

السادس و العشرون:كونه تعالى لا يحول

:أى لا ينتقل و يتغيّر من حال

ص:١٦٢

إلی حال لما علمت من استلزام التغیّر للإمکان الممتنع علیه.

السابع و العشرون

:و کذلک لا یزول.

الثامن و العشرون:و کذلک لا یجوز علیه الافول

و الغیبه بعد الظهور لما یستلزم من التغیّر أیضا.

التاسع و العشرون:کونه «لَمْ یَلِدْ» فیکون مولودا «وَ لَمْ یُولَدْ» فیکون محدودا.

فالجمله الاولی تشتمل علی دعوی و الإشاره إلی البرهان،و هو فی صوره قیاس استثنائیّ تقدیره:لو کان له ولد لکان مولودا و حینئذ یکون الجمله الثانیه و هی قوله: «وَ لَمْ یُولَدْ» .فی قوّه استثناء نقیض التالی،و قوله:فیکون محدودا فی قوّه قیاس استثنائیّ یدلّ علی بطلان التالی،و تقدیره:لأنّه لو کان مولودا لکان محدودا.و اعلم أنّه یحتمل أن یرید بقوله:مولودا.ما هو المتعارف فیکون قد سلک فی ذلک مسلک المعتاد الظاهر فی بادی النظر بحسب الاستقراء أنّ کلّ ماله ولد فإنّه یکون مولودا و إن لم یجب ذلک فی العقل،و قد علمت أنّ الاستقراء ممّا یستعمل فی الخطابه و یحتجّ به فیکون مقنعا.إذ کانت غایتها الاقناع،و یحتمل أن یرید به ما هو أعمّ من المفهوم المتعارف أعنی التولّد عن آخر مثله من نوعه فإنّ ذلک غیر واجب کما فی اصول أنواع الحیوان الحادثه،و حینئذ یکون بیان الملازمه الاولی علی الاحتمال الأوّل ظاهر،و أمّا علی تقدیر الثانی فنقول فی بیانها:إنّ مفهوم الولد هو الّذی یتولّد و ینفصل عن آخر مثله من نوعه لکن أشخاص النوع الواحد لا یتعیّن فی الوجود مشخّصا إلّا بواسطه المادّه و علاقتها علی ما علم ذلک فی مظانّه من الحکمه،و کلّ ما کان مادیّا و له علاقه بالمادّه کان متولّدا عن غیره و هو مادّته و صورته و أسباب وجوده و ترکیبه،و أمّیا بیان الملازمه الثانیه فی برهان بطلان التالی فلأنّه لمّا لزم من کونه ذا ولد أن یکون مشارکا فی النوع لغیره ثبت أنّه متولّد من مادّه و صوره و مرکّب عنهما و عن جزئین بأحدهما یشارک نوعه و بالآخر ینفصل.فهو إذن منته إلی حدود و هی أجزاؤه الّتی یقف عندها و ینتهی فی التحلیل إلیها.فثبت أنّه تعالی لو کان مولودا لکان محدودا

لأنّه لو كان مولودا لكان محاطا و محدودا بالمحلّ المتولّد منه لكن كلّ محدود على الاعتبارين مركّب و كلّ مركّب ممكن.هذا خلف.فإذن ليس هو بمحدود فليس هو بمولود فليس هو بذى ولد،و إن شئت أن تجعل المقدّمتين فى قوّه قياس حملىّ مركّب من شرطيّتين متّصلتين و الشركه بينهما فى جزء تامّ،و تقديره:لو كان تعالى ذا ولد لكان مولودا و لو كان مولودا لكان محدودا،و النتيجه لو كان ذا ولد لكان محدودا.ثمّ يستنتج من استثناء نقيض تالى هذه النتيجه عن المطلوب.

و بيان الملازمتين و نقيض تالى النتيجه ما سبق.

الثلاثون:كونه جلّ عن اتّخاذ الأبناء

:أى علا و تقدّس عن ذلك،و هو تأكيد لما سبق.و بيانه أنّه يستلزم لحوق مرتبته بمراتب الأجسام الّتى هى فى معرض الزوال و قبول التغيّر و الاضمحلال.

الحادى و الثلاثون:كونه طهر عن ملامسه النساء

،و ذلك لما يستلزمه الملامسه من الجسميّه و التركيب الّذى تنزّه قدسه عنه،و طهارته تعود إلى تقدّسه عن الموادّ و علائقها من الملامسه و المماسّه و غيرها .

الثانى و الثلاثون:كونه لا تناله الأوهام فيقدّره

:أى لو نالته الأوهام لقدّرته لكنّ التالى باطل فالمقدّم كذلك.بيان الملازمه:أنّك علمت أنّ الوهم إنّما يدرك المعانى المتعلّقه بالمادّه و لا ترتفع إدراكه عن المعانى المتعلّقه بالمحسوسات،و شأنه فيما يدركه أن يستعمل المتخيّله فى تقديره بمقدار مخصوص و كميّه معيّنه و هيئه معيّنه و يحكم بأنّها مبلغه و نهايته.فلو أدركته الأوهام لقدّرته بمقدار معيّن و فى محلّ معيّن.فأمّا بطلان التالى فلأنّ المقدار محدود و مركّب و محتاج إلى المادّه و التعلّق بالغير،و قد سبق بيان امتناعه.

الثالث و الثلاثون:و لا يتوهّمه الفطن فتصوّره.

و فطن العقول:سرعه حركتها فى تحصيل الوسط فى المطالب،و إنّما قال:لا يتوهّمه الفطن لأنّ القوّه العقليّه عند توجّهها فى تحصيل المطالب العقليّه المجرّده لا بدّ لها من استتباع الوهم و المتخيّله و الاستعانه بها فى استثباتها بالشبح و التصوير بصوره يحطّها إلى

الخيال على ما علم ذلك فى موضعه.و لذلك ما كانت رؤيتها لجبرئيل فى صوره دحيه الكلبيّ.و كذلك المعانى المدركه للنفوس فى النوم من الحوادث فإنّها لا يتمكّن من استثباتها عند اقتناصها من عالم التجريد و بقائها إلى حال اليقظه فى صوره خياليّه مشاهده كما علمت ذلك فى صدر الكتاب.فظهر إذن معنى قوله:لا يتوهّمه الفطن فتصوّره:أى لو أدركته لكان ذلك بمشاركه الوهم فكان يلزم أن يصوّره بصوره خياليّه لكنّه تعالى منزّه عن الصوره فكان منزّها عن إدراكها.

الرابع و الثلاثون:لا تدركه الحواسّ فتحسّه.

و أراد لو أدركته الحواسّ لصدق عليه أنّها تحسّه و لزم كونه محسوسا،و بيان ذلك أنّ الإدراك و إن كان أعمّ من الإحساس لكن بإضافته إلى الحواسّ صار مساويا و ملازما له.

فإن قلت:إنّه لا معنى للإحساس إلاّ إدراك الحواسّ فيكون كأنّه قال:

لا تحسّه الحواسّ فتحسّه.و ذلك تكرار غير مفيد.

قلت:ليس مقصوده أنّه يلزم من معنى الإدراك معنى الإحساس بل مراده أنّ الّذى يصدق عليه أنّه إدراك الحواسّ هو المسمّى بالإحساس فيكون التقدير أنّ الحواس لو أدركته لصدق أنّها أحسّته أى لصدق هذا الاسم و لزم من صدقه عليها أن يصدق عليه كونه محسوسا،و إنّما ألزم ذلك كون الإحساس أشهر و أبين فى الاستحاله عليه تعالى من الادراك فجعله كالأوسط فى نفى إدراكها عنه لشنعته،و أمّا بيان أنّه تعالى ليس بمحسوس فلأنّه تعالى ليس بجسم و لا جسمانيّ و كلّ محسوس فإمّا جسم أو جسمانيّ فينتج أنّه تعالى ليس بمحسوس.

الخامس و الثلاثون:كونه تعالى لا تلمسه الأيدى فتمسّه

:أى لو صدق عليها أنّها تلمسه لصدق أنّها تمسّه و هو ظاهر.إذ كان المسّ أعم من اللمس،و كلاهما ممتنعان عليه لاستلزامهما الجسميّه الممتنعه عليه تعالى.

السادس و الثلاثون:كونه لا يتغيّر بحال

:أى أبدا و البتّه و على وجه من الوجوه.

السابع و الثلاثون و لا يتبدّل فى الأحوال

:أى لا ينتقل من حال إلى حال.

ص:۱۶۵

و قد سبق بیان ذلک.

الثامن و الثلاثون:کونه لا تبلیه اللیالی و الأیّام

:أمّا أوّلا-فلأنّه تعالی لیس بزمانیّ یدخل تحت تصریف الزمان حتّی تبلیه،و أمّا ثانیا فلأنّ لحوق الإبلاء له تغیّر فی ذاته.و قد علمت امتناع التغیّر علیه،و أمّا ثالثا فلأنّ البالی من الامور المادیّه.و کلّ ذی مادّه فهو مرکّب علی ما مرّ.

التاسع و الثلاثون:کونه لا یغیّره الضیاء و الظلام،

و ذلک لامتناع التغیّر علیه .

الأربعون:کونه لا یوصف بشیء من الأجزاء

لأنّ کلّ ذی جزء مفتقر إلی جزء الّذی هو غیره فکان مفتقرا إلی غیره فکان ممکنا فی ذاته.هذا خلف.

الحادی و الأربعون:و لا بالجوارح و الأعضاء

لما یلزم من الجسمیّه و الترکیب و التجزیه.

الثانی و الأربعون:و لا بعرض من الأعراض

.أقول:الأعراض تنحصر فی تسعه أجناس کما هو معلوم فی مظانّه،و ذلک أنّ کلّ الموجودات سوی اللّه تعالی مقسوم بعشره أقسام واحد منها جوهر و التسعه الباقیه أعراض،و یظهر بتقسیم هکذا:کلّ ما عداه سبحانه فوجوده زاید علی مهیّته بالبراهین القاطعه فمهیّته إمّا أن تکون بحیث إذا وجدت کان وجودها لا فی موضوع.و هذا المعنیّ بالجوهر،أو یکون وجودها فی موضوع و هو المعنیّ بالعرض.و نعنی بالموضوع المحلّ الّذی لا یتقوّم بما یحلّ فیه بل یبقی حقیقته کما کانت قبل حلوله کالجسم الّذی یحلّه السواد.ثمّ العرض ینقسم إلی أقسامه التسعه و هی الکم و الکیف و المضاف و أین و متی و الوضع و الملک و أن یفعل و أن ینفعل.و تسمّی هذه الأقسام مع القسم العاشر و هو الجوهر المقولات العشر و الأجناس العالیه،و لنرسم کلّ واحد منها لیظهر أنّه تعالی منزّه عن الوصف بشیء منها.فنقول،أمّا الجوهر فقد عرفت رسمه،و أمّا الکمّ فرسم بأنّه العرض الّذی یقبل لذاته المساواه و اللامساواه و التجزّی.و یقبل الجوهر بسببه هذه الصفات،و أمّا الکیف فقد عرفته و عرفت

ص:۱۶۶

أقسامه،و أمّـا الإضافه فهى حاله للجوهر تعرض بسبب كون غيره فى مقابلته و لا يعقل وجودها إلاّ بالقياس إلى ذلك الغير كالابّوه و البنوّه و قد عرفتها و عرفت أيضا أقسامها من قبل،و امّا الأين فهى حاله و هيئه تعرض للجسم بسبب نسبته إلى المكان و كونه فيه و ليس مجرّد النسبه إليه،و أمّا متى فهى حاله تعرض للشىء بسبب نسبته إلى زمانه و كونه فيه أو فى طرفه و هو الآن،و أمّا الوضع فهو هيئه يعرض للجسم بسبب نسبه أجزائه بعضها إلى بعض نسبه يختلف الأجزاء لأجلها بالقياس إلى سائر الجهات كالقيام و القعود،و أمّـا الملك فقد عرفت بأنّه نسبه إلى ملاصق ينقل بانتقال ما هو منسوب إليه كالتسلّخ و التقمّص،و أمّا أن يفعل فهو كون الشىء بحيث يؤثّر فى غيره ما دام مؤثّرا فيه كالتقطيع حاله التأثير، و أمّا أن ينفعل و هو كون الشىء متأثّرا عن غيره ما دام متأثّرا كالقطيع.

إذا عرفت ذلك فنقول:أمّـا البرهان الجملىّ على امتناع اتّصافه تعالى بهذه الأعراض و استحاله كونه موضوعا لها فما سبق بيانه عليه السّلام بقوله:فمن وصف اللّه سبحانه فقد قرنه و من قرنه فقد ثنّاه،و كذلك ما بيّناه من استلزام وصفه بشىء حصول التغيّر فى ذاته و امتناع التغيّر عليه،و أمّا التفصيلىّ فأمّا امتناع وصفه بالكمّ فلأنّه لو صدق عليه الكمّ لصدق عليه قبول المساواه و المقارنه و التجزّى و كلّما قبل التجزيه كان متكثّرا و قابلا للكثره و قد ثبت أنّه تعالى واحد من كلّ وجه فيمتنع عليه الكمّ،و أمّا امتناع وصفه بالكيف فقد علمته فى أوّل الخطبه،و كذلك امتناع وصفه بالمضاف،و أمّا وصفه بالأين فلأنّه يستلزم أن يكون متحيّزا محويّا لكن كونه كذلك محال فكونه فى المكان محال،و أمّا وصفه بمتى فقد عرفته أنّه تعالى ليس بزمانىّ فاستحال أن يوصف بالنسبه إلى زمان يكون له،و أمّا وصفه بالوضع فلأنّ الوضع من خواصّ المحيّزات فإنّ الجسم المتناهى يحيط به سطح لا محاله أو سطوح ينتهى عندها فيكتنف حدّا و حدودا و نهايات و يكون له شكل و هيئه لكنّه تعالى ليس بمتحيّز فاستحال أن يكون ذا وضع،و أمّا الملك فلأنّه أيضا من خواصّ الأجسام المحاط بها إذ ما ليس بجسم و لا يحاط به بشىء

ینتقل بانتقاله و قد تنزّه تعالی عن الجسمیّه و أن یحیط به شیء،و أمّا أن یفعل فلأنّ الفعل لا یصدق علیه إلّا بطریق الإبداع و محض الاختراع و الإبداع هو أن یکون للشیء وجود من غیره متعلّق به فقط دون توسّط مادّه أو آله أو زمان و الفعل أعمّ من الإبداع إذ المفهوم من الفعل هو أن یوجد بسبب وجوده شیء آخر سواء کان ذلک لسبب حرکه من الفاعل أو آله أو مادّه أو زمان أو قصد اختیاریّ فیقال للنجّار:إنّه فاعل و للسریر إنّه فعل،و یقال:لا بتوسط شیء من ذلک بل بطبع و تولّد کالشمس فإنّها فاعله للنور و النور فعلها فالفعل إذن ینقسم إلی ما یکون بقصد و اختیار و إلی ما لا یکون کذلک بل یصدر عنه لأنّه ذات تفیض عنها ذلک الشیء.ثمّ إن کان عالما بفیضان الشیء عنه سمیّت تلک الإفاضه جودا و الفاعل بذلک الاعتبار جوادا و إن لم یکن عالما به تسمّی تلک الإفاضه طبعا و تولّدا کفیضان النور عن الشمس فالفاعل إمّا أن یفعل بالقصد و الغرض أو بالجود المحض أو بالطبع المحض،و الباری تعالی لا یجوز أن یفعل لغرض لأنّ الغرض و القصد إن کان أولی به لذاته کانت ذاته مستکمله بتلک الأولیّه ناقصه بعدمها هذا محال،و إن لم تکن أولی به کان ترجیحا من غیر مرجّح.ثمّ لا یجوز أن یکون أولی بالنظر إلی العبد لأنّ تلک الأولیّه و عدمها إن کانا بالنسبه إلیه علی سواء فلا ترجیح أولا علی سواء فیعود حدیث النقصان و الکمال فکان تعالی منزّها عن الفعل بهذا الوجه بل إنّما یصدر منه علی وجه الإبداع بجوده المحض.و فی هذه المسأله بحث طویل لیس هذا موضعه،و أمّا وصفه بأن ینفعل فلأنّ الانفعال یستلزم التغیّر فی ذاته المستلزم للإمکان و قد تنزّه قدسه عنه.

الثالث و الأربعون:و لا بالغیریّه و الأبعاض

:أی لیس له أبعاض یغایر بعضها بعضا لأنّ ذلک مستلزم للتجزئه و الترکیب الممتنعین علیه و امتناع اللازم یستلزم امتناع الملزوم .

الرابع و الأربعون:و لا یقال له حدّ و لا نهایه

لأنّ الحدود و النهایات من عوارض الأجسام ذوات الأوضاع و لواحقها.علی ما سبق.

ص:۱۶۸

الخامس و الأربعون:و كذلک و لا انقطاع و لا غايه

:أى لا انقطاع لوجوده و لا غايه له،و ذلك لأنّ الانقطاع عند الغايات من لواحق الامور الزمانيّه المحدثه الكاينه الفاسده،و قد بيّنا امتناع كونه تعالى زمانيّا و كونه ماديّا، و لأنّه تعالى واجب الوجود فيستحيل أن يلحقه العدم أو يتناهى وجوده و ينقطع عند غايه.

السادس و الأربعون.و لا أنّ الأشياء تحويه فتقلّه أو تهويه

.روى ما بعد الفاء منصوبا و عليه نسخه الرضى-رحمه اللّه-و ذلك بإضمار أن عقيبها فى جواب النفى،و روى مرفوعا على العطف.و المعنى أنّه ليس بذى مكان يحويه فيرتفع بارتفاعه و ينخفض بانخفاضه لما أنّ ذلك من لواحق الجسميّه،و كذلك أو أنّ شيئا يحمله فيميله أو يعدله.

السابع و الأربعون:ليس فى الأشياء بوالج و لا عنها بخارج

لأنّ الدخول و الخروج من لواحق الأجسام أيضا فما ليس بجسم و لا جسمانىّ فهما مسلوبان عنه سلبا مطلقا لا السلب المقابل للملكه .

الثامن و الأربعون:كونه يخبر بلا لسان و لهوات

لأنّ اللسان و اللهوات من لواحق الأجسام الحيوانيّه المنزّه قدسه عنها،و السلب هاهنا كالّذى قبله.و الأخبار هو النوع الأكثر من الكلام و لذلك خصّه هنا بالذكر،و زعمت الأشعريّه أنّ الخبر هو أصل الكلام كلّه و إليه يرجع أنواعه كالأمر و النهى و الاستفهام و التمنّى و الترجىّ و غيرها.ثمّ اختلف المتكلّمون فى حقيقه الكلام فاتّفقت المعتزله على أنّه المركّب من الحرف و الصوت،و جمهور الأشعريّه على أنّ وراء الكلام اللسانىّ معنى قائم بالنفس يعبّر عنه بالكلام النفسانىّ و لفظ الكلام حقيقه فيه و فى اللسانىّ مجاز،و منهم من جعله حقيقه فى اللسانىّ مجاز فى النفسانىّ،و منهم من جعله مشتركا فيهما فكون اللّه تعالى متكلّما يعود إلى خلقه الكلام فى جسم الشىء عند المعتزله،و عند الأشعريّه أنّه معنى قائم بذاته و هذه الأصوات و الحروف المسموعه دلالات عليه.و سيفسّر عليه السّلام معنى

ص:۱۶۹

کلامه تعالی.

التاسع و الأربعون:یسمع بلا خروق و أدوات

:أی لیس سمعه بأداه هی الاذن و الصماخات کما یسمع الإنسان لتنزّهه تعالی عن الآلات الجسمانیّه، و قد کان هذا البرهان کافیا فی منع إطلاق السمیع علیه تعالی لکن لمّا ورد الإذن الشرعیّ بإطلاقه علیه و لم یمکن حمله علی ظاهره و حقیقته وجب صرفه إلی مجازه و هو العلم بالمسموعات إطلاقا لاسم السبب علی المسبّب.إذ کان السمع من أسباب العلم فإذن کونه تعالی سمیعا یعود إلی علمه بالمسموعات.

الخمسون:یقول و لا یلفظ

.و إطلاق لفظ القول علیه کإطلاق الکلام.

و أمّا التلفّظ فلمّا کان عباره عن إخراج الحرف من آله النطق و هی اللسان و الشفه لا جرم لم یصدق فی حقّه لعدم الآله هنالک و کان الشارع لم یأذن فی إطلاقه علیه تعالی لما أنّ دلالته علی الآله المذکوره أقوی من الکلام و القول.

الحادی و الخمسون:کونه یحفظ و لا یتحفّظ.

و حفظه یعود إلی علمه بالأشیاء،و لمّا کان المعروف من العاده أنّ الحفظ یکون بسبب التحفّظ و کان ذلک فی حقّه تعالی محالا-لاستلزامه الآلات الجسمانیّه لا جرم احترز عنه.و قال بعض الشارحین:إنّما یرید بالحفظ أنّه یحفظ عباده و یحرسهم و لا یتحفّظ منهم:

أی لا یحتاج إلی حراسه نفسه منهم.و هذا بعید الإراده هنا.

الثانی و الخمسون:

مجاز یرید و لا یضمر فإرادته تعالی تعود إلی اعتبار کونه تعالی عالما بما فی الفعل من الحکمه و المصلحه الّذی هو مبدء فعله،و لا-فرق فی حقّه تعالی بین الإراده و الداعی،و لمّا کان المتعارف من الإراده أنّها میل القلب نحو ما یتصوّر کونه نافعا و لذیذا و ذلک المیل من المضمرات المستکنّه فی القلب لا جرم کان إطلاق الإراده فی حقّه یستلزم تصوّر الإضمار و لمّا تنزّه سبحانه عن الإضمار لا جرم احترز عنه فی إطلاق المرید علیه تعالی فکان ذلک الاحتراز کالقرینه الصارفه للّفظ عن حقیقته إلی مجازه و هو الاعتبار المذکور .

الثالث و الخمسون:کونه یحبّ و یرضی من غیر رقّه

.فالمحبّه منه تعالی

إراده هى مبدء فعل ما فمحبّته للعبد إرادته لثوابه و تكميله و ما هو خير له،و أمّا من العبد فهى إراده تقوى و تضعف بحسب تصوّر المنفعه و اللذّه و اعتقاد كمالها و نقصانها،و محبّته للّه هى إراده طاعته،و أمّا الرضا فقريب من المحبّه و يشبه أن يكون أعمّ منها لأنّ كلّ محبّ راض عمّا أحبّه و لا ينعكس.فرضاه تعالى عن العبد يعود إلى علمه تعالى بموافقته لأمره و طاعته له،و المفهوم منه فى حقّ العبد هو سكون نفسه بالنسبه إلى موافقه و ملايمه عند تصوّر كونه موافقا و ملايما،و لمّا كان الرضا و المحبّه من الإنسان لغيره يستلزم الرقّه القلبيّه له و الانفعال النفسانىّ عن تصوّر المعنى الّذى لأجله حصلت المحبّه و الميل إليه و الداعى إلى الرضا عنه و كان البارى سبحانه منزّها عن الرقّه و الانفعال لتنزّهه عن قوابلها لا جرم احترز بقوله:من غير رقّه.

الرابع و الخمسون:

مجاز و يبغض و يغضب من غير مشقّه .فالبغض منه تعالى للعبد يضادّ محبّته له و يعود إلى كراهته لثوابه،و كراهته يعود إلى علمه بعدم استحقاقه للثواب و أنّه لا مصلحه فى ثوابه و يلزمها إراده إهانته و تعذيبه،و البغض من العبد هو كراهته للغير و ميل نفسه عنه لتصوّر كونه مضرّا و مولما و يلزم ذلك النفره الطبعيّه منه و ثوران القوّه الغضبيّه عليه و إراده إهانته.و أمّا الغضب فيعود من اللّه تعالى إلى علمه بمخالفه أوامره و عدم طاعته له،و المفهوم منه فى حقّ العبد ثوران النفس و حركه قوّتها الغضبيّه عن تصوّر المؤذى و الضارّ لإراده مقاومته و رفعه.و لمّا كان البغض و الغضب يستلزمان ثوران دم القلب و كان ذى النفس يستلزم مشقّه و كلفه لا جرم احترز عنها فى إطلاق لفظ البغض و الغضب عليه فقال:من غير مشقّه.و اعلم أنّ إطلاق لفظ المحبّه و الرضا على ما ذكرناه من الاعتبارات فى حقّه مجاز.إذ كانت حقيقه الرضا هى سكون النفس الإنسانيّه و المحبّه ميلها إلى النافع فإطلاقهما على العلم إطلاق لاسم اللازم على الملزوم، و كذلك إطلاق لفظى البغض و الغضب فى حقّه تعالى على علمه المخصوص .

الخامس و الخمسون:يقول لما أراد كونه «كُنْ فَيَكُونُ»

.فإرادته لكونه هو

ص:۱۷۱

عمله بما فى وجوده من الحكمه،و قوله:كن.إشاره إلى حكم قدرته الأزليّه عليه بالايجاد و وجوب الصدور عن تمام مؤثريّته،و قوله:فيكون.إشاره إلى وجوده.و دلّ على اللزوم و عدم التأخّر و التراخى بالفاء المقتضيه للتعقيب بلا مهله.

السادس و الخمسون:لا بصوت يقرع

:أى ليس بذى حاسّه للسمع فيقرعها الصوت،و ذلك أنّ الصوت كيفيّه يحدث فى الهواء عن قلع أو قرع وقوعه لما يصل إليه من الصماخ أو جسم آخر هو وقع عليه بشدّه و عنف،و ذلك حال تعرض الأجسام فلو كان له تعالى آله سمع لكان جسما لكن التالى باطل فالمقدّم كذلك.

السابع و الخمسون:و لا بنداء يسمع

:أى لمّا بيّن فى القرينه الاولى أنّه لا سمع له يقرع بصوت بيّن فى الثانيه أنّه لا يخرج منه الصوت لأنّ النداء صوت مخصوص و الصوت مستلزم المصوّت و هو جسم لما مرّ من استلزام الصوت القرع أو القلع المستلزمين الجسميّه.

و قوله:و إنّما كلامه تعالى.إلى قوله:كاينا.

فاعلم أنّ هذا الكلام ممّا استفادت المعتزله منه كون كلامه تعالى محدثا، و فيه تصريح بغير ما ذهبوا إليه.فمعنى قوله:فعل منه أنشأه:أى أوجده فى لسان النبىّ.فأمّا قوله:و مثله.فأراد صوّره فى لسان النبىّ و سوّى مثاله فى ذهنه.و قال بعض الشارحين:مثله لجبرئيل فى اللوح المحفوظ حتّى بلّغه محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ساير الرسل عليهم السّلام و دلّ بقوله:لم يكن من قبل ذلك كائنا.على أنّه محدث مسبوق الوجود بالعدم،و أشار بقوله:و لو كان.إلى قوله:ثانيا،إلى برهان حدوثه و هو قياس استثنائىّ و تقريره:لو كان كلامه تعالى قديما لكان كلامه إلها ثانيا لكن التالى باطل فالمقدّم كذلك.فأمّا بيان الملازمه فلأنّه لو كان قديما لكان إمّا واجب الوجود و إمّا ممكن الوجود.و التالى باطل لأنّه لو كان ممكنا مع أنّه موجود فى الأزل لكان وجوده مفتقرا إلى مؤثّر فذلك المؤثّر إن كان غير ذاته فهو محال لوجهين:

أحدهما:أنّه يلزم افتقاره تعالى فى تحصيل صفته إلى غيره فهو محال.

الثانى:انّه يلزم أن يكون فى الأزل مع اللّه غيره يكون مستندا إليه فى حصول تلك الصفه فيكون إلها ثانيا بل هو أولى بالإلهيّه هذا محال.و إن كان المؤثّر فى كلامه ذاته فهو محال أيضا لأنّ المؤثّر واجب التقدّم بالوجود على الأثر فالكلام إمّا أن يكون من صفات كماله أولا يكون فإن كان الأوّل فتأثيره فيه إن كان-و كلّ كمال له حاصلا له بالفعل-فقد كان وصف الكلام حاصلا له قبل أن كان حاصلا هذا خلف.و إن كان تأثيره فى حال ما هو خال عن صفه الكلام فقد كان خاليا عن صفه كماله فكان ناقصا بذاته و هذا محال،و أمّا إن لم يكن الكلام من صفات كماله كان إثباته له فى الأزل إثباتا لصفه زائده على الكمال و الزياده على الكمال نقصان.فتعيّن أنّه لو كان قديما لكان واجب الوجود لذاته فكان إلها ثانيا،و أمّا بطلان التالى فلمّا بيّنا من كونه تعالى واحدا.فثبت بهذا الدليل الواضح أنّه لا يجوز أن يكون كلامه قديما .

الثامن و الخمسون:لا يقال.إلى قوله:لم يكن.

إشاره إلى أنّه ليس بمحدث لأنّ كون الشىء بعد أن لم يكن هو معنى حدوثه.

و قوله:فتجرى عليه الصفات المحدثات.

فالفاء فى جواب النفى لتقدير الشرط:أى لو صدق عليه أنّه محدث للحقته الصفات المحدثه و إلاّ لكانت صفاته قديمه فكان الموصوف بها قديما.هذا خلف.و التقدير لكن لحوق الصفات المحدثه له باطل فكونه محدثا باطل،و أشار إلى بطلان التالى بقوله:و لا يكون بينها و بينه فصل.إلى قوله:و البديع.و التقدير أنّه لو لحقته الصفات المحدثات و جرت عليه على تقدير كونه محدثا لكانت ذاته مساويه لها فى الحدوث المستلزم للإمكان المستلزم للحاجه إلى الصانع فلم يكن بينها و بينه فصل فى ذلك،و لاله عليها فضل لاشتراكه معها فى الحاجه.

و قوله:فيستوى.إلى قوله:المبتدع.

إشاره إلى ما يلزم تلك المساواه من المحال.إذ كان استواء الصانع و مصنوعه

ظاهر الفساد.و أصل البدیع من الفعل ما لم یسبق فاعله إلی مثله،و سمّی الفعل الحسن بدیعا لمشابهته ما لم یسبق إلیه فی کونه محلّ التعجب منه،و المبدع هو فاعل البدیع،و المصدر الإبداع.و قد عرفت معناه فیما قبل.و فی نسخه الرضی المبدع بفتح الدال،و هو البدیع بالمعنی الّذی ذکرناه،و یکون مراده بالبدیع الصانع و هو فعیل بمعنی فاعل کقوله تعالی «بَدِیعُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» (۱)و إذا ثبت أنّه لا یجری علیه الامور المحدثه و لواحق الحدوث من سبق العدم و التغیّر و الإمکان و الحاجه إلی المؤثّر و غیر ذلک و إلّا یلزم المحال المذکور أوّلا.و النسخه الاولی بخط الرضیّ-رضی اللّه عنه -.

التاسع و الخمسون:کونه تعالی خلق الخلق.إلی قوله:غیره،

و قد سبق بیانه فی الخطبه الاولی،و هو تنزیه له عن صفات الصانعین من البشر فإنّ صنایعهم تحذو حذو أمثله سبقت من غیرهم أو حصلت فی أذهانهم.

السّتون:کونه لم یستعن علی خلق ما خلق بأحد من خلقه

و إلّا لکان ناقصا بذاته مفتقرا إلی ما کان هو مفتقرا إلیه و هو محال .

الحادی و السّتون:کونه أنشأ الأرض فأمسکها

:أی أوجدها فقامت فی حیّزها بمساک قدرته،و لمّا کان شأن من تمسک شیئا و یحفظه من سایر الفاعلین لا یخلو عن کلفه و مشقّه فی حفظه و اشتغال بحفظه عن غیره من الأفعال نزّه حفظه تعالی لها عمّا یلزم حفظ غیره لما یحفظه من تلک الکلفه و الاشتغال بحفظها.

الثانی و السّتون:کونه أرساها

:أی أثبتها فی حیّزها علی غیر قرار اعتمدت علیه فأمسکها،و کذلک رفعه لها بغیر دعائم،بل بحسب قدرته التامّه.

الثالث و السّتون:کونه حصّنها من الأود و الاعوجاج

:أی من المیل إلی أحد جوانب العالم عن المرکز الحقیقیّ و ذلک ممّا ثبت فی موضعه من الحکمه.

الرابع و السّتون:کونه منعها عن التهافت و الانفراج

:أی جعلها کره واحده ثابته فی حیّزها،و منعها أن یتساقط قطعا أو ینفرج بعضها عن بعض .

۱- ۱) ۱۰۱-۶.

الخامس و السّتون:کونه أرسی أوتادها

:أی أنبتها فیها.و أوتادها:جبالها.

و قد بیّنا فی الخطبه الاولی معنی کونها أوتادا لها.

السادس و السّتون.کونه ضرب أسدادها

.و أراد بأسدادها ما أحاط بها من الجبال أو الّتی یحجز بین بقاعها و بلادها.

السابع و السّتون:کونه استفاض عیونها.

و استفاض بمعنی أفاض کما قال تعالی «وَ فَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً» (۱)و قد سبقت الإشاره إلی ذلک.

الثامن و السّتون:کونه خدّ أودیتها

:أی شقّها و بیّن جبالها و تلالها.

و قوله:فلم یهن ما بناه و لا ضعف ما قوّاه.

بعد تعدید ما عدّد من الآثار العظیمه إشاره إلی کمال هذه المخلوقات و قوّتها لیبیّن عظمه اللّه سبحانه بالقیاس إلیها .

التاسع و السّتون:کونه هو الظاهر علیها سلطانه و عظمته

.فأشار بقوله:

هو.إلی هویّته الّتی هی محض الوجود الحقّ الواجب،و لمّا لم یکن تعریف تلک الهویّه إلاّ بالاعتبارات الخارجه عنها أشار إلی تعریفها بکونه ظاهرا علیها:أی غالبا قاهرا لها،و لمّا کان الظهور یحتمل الظهور الحسّیّ لا جرم قیّده بسلطانه و عظمته.إذ کان ظهوره علیها لیس ظهورا مکانیّا حسّیا بل بمجرّد ملکه و استیلاء قدرته و عظمه سلطانه.

السبعون:قوله:و هو الباطن لها

:أی الداخل فی بواطنها بعلمه،و لمّا کان البطون یحتمل الحسّیّ قیّده بعلمه تنزیها له عن سوء الأفهام و أحکام الأوهام.و الضمائر فی قوله:علیها و لها یعود إلی الأرض و ما فیها ممّا بناه و سوّاه.

الحادی و السبعون:کونه عالیا علی کلّ شیء

:أی من الأرض و سایر مخلوقاته بها بجلاله و عزّته:فجلاله و عزّته بالنسبه إلیها هو اعتبار کونه تعالی منزّها عن کلّ مالها من الصفات المحدثه و الکمالات المستفاده من الغیر المستلزمه للنقصان الذاتیّ،و لمّا کانت هذه الاعتبارات الّتی تنزّه عنها فی حضیض النقصان

۱ – ۱) ۱۲-۵۴-۵۴.

كـان هو باعتبـار تنزيهه عنها فى أوج الكمال الأعلى فكان عاليا عليها بـذلك الاعتبار و لأنّه تعالى خالقها و موجـدها فعلوّه عليها بجلال سلطان،و عزّته عن خضوع الحاجه و ذلّتها.

الثانى و السبعون:كونه لا يعجزه شىء منها طلبه.إلى قوله:فيسبقه،

و ذلك لكونه تعالى واجب الوجود تامّ العلم و القدره لا نقصان فيه باعتبار،و كون كلّ ما عداه مفتقرا فى وجوده و جميع أحوال وجوده إليه فلاـ جرم لم يتصوّر أن يعجزه شىء طلبه أو يمتنع عليه شـىء بقوّه فيغلبه،أو يفوته سـريع بحركته فيسـبقه لما يسـتلزمه ذلك العجز عن الحاجه و الإمكان الممتنعين عليه.

الثالث و السبعون:و كذلك كونه لا يحتاج إلى ذى المال فيرزقه

لما يستلزمه الحاجه من الإمكان.و كلّ ذلك نفى الأحوال البشريّه عنه .

الرابع و السبعون:قوله:خضعت له الأشياء.إلى قوله.لعظمته

.فخضوعها و ذلّها يعود إلى دخولها فى ذلّ الإمكان تحت سـلطانه و انقيادها فى اسـر الحاجه إلى كمال قـدرته،و بذلك الاعتبار لم يسـتطع الهرب من سـلطانه للزوم الحاجه لذواتها إليه و اسـتناد كمالاتها إلى وجوده.فهو النافع لها بإفاضه كمالاتها و الضارّ لها بمنع ذلك.

فإن قلت:إنّ النفع لا يهرب منه و لا يمتنع فكيف ذكره هنا.

قلت:المراد منه سـلب قـدرته عليها على تقدير امتناعها منه،و هذا كما تقول لمن عجز عنك:إنّ فلانا لا يقدر على نفع و لا ضـرّ،و لأنّ النفع جاز أن يمتنع منه لأنفه و استغناء بالغير،و لا شىء من الموجودات يمتنع من سلطانه و نفعه باستغناء عنه و أنفه و نحوها .

الخامس و السبعون:كونه لا كفء له يكافيه

:أى ليس له مثل فيقابله و يفعل بإزاء فعله،و قد علمت تنزيهه تعالى عن المثل،و كذلك لا نظير له فيساويه.

السادس و السبعون:هو المفنى لها.إلى قوله:كمفقودها

.عرّف هويّته باعتبار كونه معدما للأشياء بعد وجودها،و قد ورد فى القرآن الكريم إشارات

إلى ذلك كقوله تعالى «يَوْمَ نَطْوِى السَّماءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ» (١)و معلوم أنّ الإعاده إنّما تكون بعد العدم،و قوله «إِذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ وَ إِذَا الْكَواكِبُ انْتَثَرَتْ» (٢)و أمثالها.و قد أجمعت الأنبياء على ذلك، و علم التصريح من دين محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بانّه سيكون،و هو الّذى عليه جمهور المتكلّمين و الخلاف فى جواز خراب العالم مع الحكماء فإنّهم اتّفقوا على أنّ الأجرام العلويّه و العقول و النفوس الملكيّه،و كذلك هيولى العالم العنصرىّ و أجرام العناصر،و ما ثبت قدمه امتنع عدمه لا لذاته بل لدوام علّه وجوده،و ما عدا ذلك فهو حادث و ليس كلّه ممّا يعاد بالاتّفاق،بل الخلاف فى المعاد الإنسانى البدنى فأنكره بعضهم.و الإسلاميّون منهم قالوا:ليس للعقل فى الحكم بوجوده أولا-وجوده محال،بل إنّما يعلم بالسمع.هذا مع اتّفاقهم على القول بامتناع إعاده المعدوم.فإن أمكن الجمع بين القول بجواز المعاد الجسمانىّ مع القول بامتناع إعاده المعدوم فليكن على ما ذهب إليه أبو الحسين البصرىّ من المعتزله و هو قوله:إنّ الأجزاء يتشذّب و يتفرّق بحيث يخرج عن حدّ الانتفاع بها و لا تدخل فى العدم الصرف.لكن فى ذلك نظر لأنّ بدن زيد مثلا ليس عباره عن تلك الأجزاء المتشذّبه و المتفرّقه فقط فإنّ القول بذلك مكابره للعقل بل عنها مع سائر الأعراض و التأليفات المخصوصه و الأوضاع فإذا شذب البدن و تفرّق فلا بدّ أن يعدم تلك الأعراض و تفنى و حينئذ يلزم فناء البدن من حيث هو ذلك البدن فعند الإعاده إن اعيد بعينه وجب إعاده تلك الأعراض بعينها فلزمت إعاده المعدوم،و إن لم يعد بعينه عاد غيره فيكون الثواب و العقاب على غيره و ذلك مكذّب للقرآن الكريم فى قوله «وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى» (٣)اللهمّ إلاّ أن يقال:إنّ الإنسان المثاب و المعاقب إنّما هو النفس الناطقه و هذا البدن كالآله فإذا عدم لم يلزم عوده بعينه بل جاز عود مثله.لكن هذا إنّما يستقيم على مذهب الحكماء القائلين بالنفس الناطقه،و أمّا على رأى أبى الحسين البصرىّ

١- ١) ١٠۴-٢١.

٢- ٢) ٢-٨٢.

٣- ٣) ١۶۴-۶.

فلا،و مذهب أكثر المحقّقين من علماء الإسلام يؤول إلى هذا القول.

و قوله:و ليس فناء الدنيا.إلى قوله:اختراعها .

و قوله: و ليس فناء الدنيا .إلى قوله: اختراعها .

رفع لما يعرض لبعض الأذهان من التعجّب بفناء هذا العالم بعد ابتداعه و خلقه بالتنبيه على حال إنشائه و اختراعه:أى ليس صيروره ما خلق إلى العدم بقدرته بعد الوجود بأعجب من صيرورته إلى الوجود بعد العدم عنها.إذ كانت كلّها ممكنه قابله للوجود و العدم لذواتها،بل صيرورتها إلى الوجود المشتمل على أعاجيب الخلقه و أسرار الحكمه الّتى لا يهتدى لها و لا يقدر على شيء منها أعجب و أغرب من عدمها الّذى لا كلفه فيه .

و قوله:و كيف لو اجتمع.إلى قوله:إفنائها.

و قوله:و كيف لو اجتمع.إلى قوله:إفنائها.

تأكيد لنفى كون عدمها بعد وجودها أعجب من إيجادها بالتنبيه على عظم مخلوقاته تعالى و مكوّناته و ما اشتملت عليه من أسرار الحكمه المنسوبه إلى قدرته.

و المعنى و كيف يكون عدمها أعجب و فى إيجاده أضعف حيوان و أصغره ممّا خلق كالبعوضه من العجائب و الغرائب و الإعجاز ما يعجز عن تكوينه و إحداثه قدره كلّ من تنسب إليه القدره،و تقصر عن معرفه الطريق إلى إيجادها ألباب الألبّاء، و يتحيّر فى كيفيّه خلقها حكمه الحكماء،و يقف دون علم ذلك و يتناهى عقول العقلاء،و ترجع خاسئه حسيره مقهوره معترفه بالعجز عن الاطّلاع على كنه صنعه فى إنشائها مقرّه بالضعف عن إفنائها.

فإن قلت:كيف تقرّ العقول بالضعف عن إفناء البعوضه مع إمكان ذلك و سهولته؟.

قلت:إنّ العبد إذا نظر إلى نفسه بالنسبه إلى قدره الصانع الأوّل-جلّت عظمته-وجد نفسه عاجزه عن كلّ شيء إلاّ بإذن إلهيّ،و أنّه ليس له إلاّ الإعداد لحدوث ما ينسب إليه من الآثار.فأمّا نفس وجود الأثر فمن واهب العقل-عزّ سلطانه-فالعبد العاقل لما قلناه يعترف بالضعف عن إيجاد البعوضه و إعدامها،و ما هو أيسر من ذلك عند مقايسه نفسه إلى موجده و واهب كماله كما عرفت ذلك فى

موضعه،و أيضا فإنّ اللّه سبحانه كما خلق للعبد قدره على الفعل و الترك و الإيذاء و الإضرار بغيره كذلك خلق للبعوضه قدره على الامتناع و الهرب من ضرره بالطيران و غيره بل أن تؤذيه و لا يتمكّن من دفعها عن نفسه فكيف يستسهل العاقل إفناها من غير معونه صانعها له عليه .

و قوله:و إنّه سبحانه يعود.إلى قوله:الامور.

و قوله:و إنّه سبحانه يعود.إلى قوله:الامور.

إشاره إلى كونه تعالى باقيا أبدا فيبقى بعد فناء الأشياء وحده لا شيء معه منها كما كان قبل وجوده كذلك بريئا عن لحوق الوقت و المكان و الحيّز و الزمان.

و قوله:يعود بعد.

و قوله:يعود بعد.

إشعار بتغيّر من حاله سبقت إلى حاله لحقت،و هما يعودان إلى ما يعتبره أذهاننا له من حاله تقدّمه على وجودها و حاله تأخّره عنها بعد عدمها،و هما اعتباران ذهنيّان يلحقانه بالقياس إلى مخلوقاته .

و قوله:عدمت عند ذلك.إلى قوله:الساعات.

و قوله:عدمت عند ذلك.إلى قوله:الساعات.

ظاهر لأنّ كلّ ذلك أجزاء للزمان الّذى هو من لواحق الحركه الّتى هى من لواحق الجسم فيلزم من عدم الأجسام عدم عوارضه.

و قوله:فلا شيء.إلى قوله:الامور.

و قوله:فلا شيء.إلى قوله:الامور.

أى لا شيء يبقى بعد فناء العالم إلّا هو،و ذكر الواحد لبقائه كذلك،و القهّار باعتبار كونه قاهرا لها بالعدم و الفناء،و كونه إليه مصير جميع الامور فمعنى مصيرها إليه أخذه لها بعد هبته لوجودها .

و قوله:بلا قدره.إلى قوله:فناؤها.

و قوله:بلا قدره.إلى قوله:فناؤها.

إشاره إلى أنّه لا قدره لشىء منها على إيجاده نفسه،و لا على الامتناع من لحوق الفناء له.

و قوله:و لو قدرت.إلى قوله:بقائها.

و قوله:و لو قدرت.إلى قوله:بقائها.

استدلال بقياس شرطىّ متّصل على عدم قدره شىء منها على الامتناع من

الفناء،و إنّما خصّ الحكم بالاستدلال دون الأوّل لكون الأوّل ضروريّا.و بيان الملازمه أنّ الفناء مهروب منه لكلّ موجود فإمكان الامتناع منه مستلزم للداعى إلى الامتناع المستلزم للامتناع منه المستلزم للبقاء،و أمّا بطلان التالى فلمّا ثبت أنّه تعالى يفنيها فلزم أن لا يكون لها قدره على الامتناع .

و قوله:لم يتكاءده.إلى قوله:خلفه.

و قوله:لم يتكاءده.إلى قوله:خلفه.

ظاهر لأنّ المشقّه فى الفعل و ثقله إنّما يعرض لذى القدره الضعيفه من الحيوان لنقصانها.و قدرته تعالى بريّه عن أنحاء النقصان لاستلزامه الإمكان و الحاجه إلى الغير .

و قوله:و لم يكوّنها.إلى آخره.

و قوله:و لم يكوّنها.إلى آخره.

إشاره إلى تعديد وجوه الأعراض المتعارفه للفاعلين فى إيجاد ما يوجدونه و إعدامه.و نفى تلك الأعراض عن فعله فى إيجاده ما أوجده و إعدامه ما أعدمه من الأشياء:أمّا الأعراض المتعلّقه بالإيجاد فهو إمّا جلب منفعه كتشديد السلطان و جمع الأموال و القينات و تكثير الجند و العدّه و الازدياد فى الملك بأخذ الحصون و القلاع و مكابره الشريك فى الملك كما يكابر الإنسان غيره ممّن يشاركه فى الأموال و الأولاد أو رفع مضرّه كالتخوّف من العدم و الزوال فخلقها ليتحصّن بها من ذلك أو خوف النقصان فخلقها ليستكمل بها أو خوف الضعف عن مثل تكاثره فخلقها ليستعين بهما عليه أو خوف ضدّ يقاومه فأوجدها ليختزل منه و يدفع مضرّته أو لوحشه كانت له قبل إيجادها فأوجد ليدفع ضرر استيحاشه بالانس بها،و كذلك الأغراض المتعلّقه بعدمها:إمّا إلى دفع المضرّه كرفع السأم اللاحق له من تصريفها و تدبيرها و الثقل فى شىء منها عليه و الملال من طول بقائها فيدعوه ذلك إلى إفنائها،أو جلب المنفعه كالراحه الواصله إليه.فإنّ جلب المنفعه و دفع المضرّه من لواحق الإمكان الّذى تنزّه قدسه عنه .

و قوله:لكنّه سبحانه.إلى قوله:لقدرته.

و قوله:لكنّه سبحانه.إلى قوله:لقدرته.

فتدبيرها بلطفه إشاره إلى إيجاده لها على وجه الحكمه و النظام الأتمّ

الأكمل الّذى ليس فى الإمكان أن يكون جملتها على أتمّ منه و لا ألطف،و إمساكه لها بأمره قيامها فى الوجود بحكم سلطانه،و إتقانها بقدرته إحكامها على وفق منفعتها و إن كان عن قدرته فعلى وفق علمه بوجوه الحكمه.كلّ ذلك بمحض الجود من غير غرض من الأغراض المذكوره تعود إليه .

و قوله:ثمّ يعيدها بعد الفناء.

و قوله:ثمّ يعيدها بعد الفناء.

تصريح بإعاده الأشياء بعد فنائها.و فناؤها إمّا عدمها كما هو مذهب من جوّز إعاده المعدوم،أو تشذّبها و تفرّقها و خروجها عن حدّ الانتفاع بها كما هو مذهب أبى الحسين البصرىّ من المعتزله .

و قوله:من غير حاجه.إلى آخره.

و قوله:من غير حاجه.إلى آخره.

ذكر وجوه الأغراض الصالحه فى الإعاده،و الإشاره إلى نفيها عنه تعالى، و هو أيضا كالحاجه إليها و الاستعانه ببعضها على بعض،أو لانصراف من حال وحشه إلى حال استيناس،أو انصراف من حال جهل و عمى فيه إلى حال علم و بصيره، و كذلك من فقر و حاجه إلى غنى و كثره و من ذلّ وضعه إلى عزّ و قدره.و قد عرفت أنّ كلّ هذه الأغراض من باب دفع المضرّه المنزّه قدسه تعالى عنها،و قد بيّنا فيما سلف البرهان الإجمالىّ على تنزيهه تعالى فى أفعاله من الأغراض بل إيجاده لما يوجد لمحض الجود الإلهىّ الّذى لا بخل فيه و لا منع من جهته.فهو الجواد المطلق و الملك المطلق الّذى يفيد ما ينبغى لا لغرض و يوجد ما يوجد لا لفائده تعود إليه و لا غرض.و هو مذهب جمهور أهل السنّه و الفلاسفه،و الخلاف فيه مع المعتزله.

فإن قلت:ظاهر كلامه عليه السّلام مشعر بأنّ الدنيا كما تفنى تعاد،و الّذى وردت به الشريعه،و فيه الخلاف بين جمهور المتكلّمين و الحكماء هو إعاده الأبدان البشريّه.

قلت:الضمير فى قوله:تعيدها.سواء كان راجعا إلى الدنيا أو إلى الامور فى قوله:مصير جميع الامور.فإنّه مهمل كما يرجع إلى الكلّ جاز أن يرجع إلى البعض و هى الأبدان البشريّه.قال بعضهم:إنّ للسالكين فى هذا الكلام تأويلا

عقليّا و إن جزموا بكون مراده عليه السّلام هو ما ذكرناه من الظاهر فإنّهم قالوا يحتمل أن يشار بقوله: و إنّه يعود سبحانه .إلى قوله: الامور .إلى حال العارف إذا حقّ له الوصول التامّ حتّى غاب عن نفسه فلحظ جناب الحقّ سبحانه بعد حذف كلّ قيد دنياويّ أو اخرويّ عن درجه الاعتبار فإنّه صحّ كما يفنى هو عن كلّ شيء كذلك يفنى عنه كلّ شيء حتّى نفسه فلا يبقى بعد فنائها عنه إلّا وجه اللّه ذو الجلال و الإكرام فكما كانت الأشياء عند اعتبار ذواتها غير مستحقّه للوجود و لواحقه كذلك يكون عند حذفها عن درجه الاعتبار و ملاحظه جلال الواحد القهّار ليس إلّا هو.

و قوله:ثمّ يعيدها بعد الفناء.

و قوله:ثمّ يعيدها بعد الفناء.

فدلّ عودها إلى اعتبار أذهان العارفين لها عند عوجهم من الجناب المقدّس إلى الجنبه السافله و اشتغالهم بمصالح أبدانهم.و الكلّ منسوب إلى تصريف قدرته تعالى بحسب استعداد الأذهان لقبولها و حذفها.و قد علمت من بيانها لهذه الخطبه صدق كلام السيّد الرضى-رضى اللّه عنه-فى مدحها حيث قال:و تجمع هذه الخطبه من اصول العلم ما لا تجمعه غيرها.فإنّها بالغه فى علم التوحيد كامله فى علم التنزيه و التقديس لجلال الواحد الحقّ-جلّت عظمته-و باللّه التوفيق و العصمه.

۲۲۹-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

يختص بذكر الملاحم

أَلاَ-بِأَبِي وَ أُمِّي هُمْ مِنْ عِدَّهٍ- أَسْمَاؤُهُمْ فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفَهٌ وَ فِي الْأَرْضِ مَجْهُولَهٌ- أَلاَ فَتَوَقَّعُوا مَا يَكُونُ مِنْ إِدْبَارِ أُمُورِكُمْ- وَ انْقِطَاعِ وُصَلِكُمْ وَ اسْتِعْمَالِ صِغَارِكُمْ- ذَاكَ حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَهُ السَّيْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِ- أَهْوَنَ مِنَ الدِّرْهَمِ مِنْ حِلِّهِ-

ذَاکَ حَيْثُ يَكُونُ الْمُعْطَى أَعْظَمَ أَجْراً مِنَ الْمُعْطِى- ذَاکَ حَيْثُ تَسْكَرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَابٍ- بَلْ مِنَ النِّعْمَهِ وَ النَّعِيمِ- وَ تَحْلِفُونَ مِنْ غَيْرِ اضْطِرَارٍ- وَ تَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إِحْرَاجٍ- ذَاکَ إِذَا عَضَّكُمُ الْبَلَاءُ كَمَا يَعَضُّ الْقَتَبُ غَارِبَ الْبَعِيرِ- مَا أَطْوَلَ هَذَا الْعَنَاءَ وَ أَبْعَدَ هَذَا الرَّجَاءَ- أَيُّهَا النَّاسُ أَلْقُوا هَذِهِ الْأَزِمَّهَ- الَّتِي تَحْمِلُ ظُهُورُهَا الْأَثْقَالَ مِنْ أَيْدِيكُمْ- وَ لَا تَصَدَّعُوا عَلَى سُلْطَانِكُمْ فَتَذُمُّوا غِبَّ فِعَالِكُمْ- وَ لَا تَقْتَحِمُوا مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ فَوْرِ نَارِ الْفِتْنَهِ- وَ أَمِيطُوا عَنْ سَنَنِهَا وَ خَلُّوا قَصْدَ السَّبِيلِ لَهَا- فَقَدْ لَعَمْرِى يَهْلِكُ فِى لَهَبِهَا الْمُؤْمِنُ- وَ يَسْلَمُ فِيهَا غَيْرُ الْمُسْلِمِ انِّمَا مَثَلِى بَيْنَكُمْ كَمَثَلِ السِّرَاجِ فِى الظُّلْمَهِ- يَسْتَضِىءُ بِهِ مَنْ وَلَجَهَا- فَاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ- وَ عُوا وَ أَحْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا

اللغه

أقول: أحرجه : ألجأه و ضيّق عليه ،و تصدّعوا: تفرّقوا .و غبّ كلّ شیء:

عاقبته . وفور النار : تلهّبا و شدّه حرّها .و أمطت عن كذا و مطت : تنحّيت عنه .

و السنن : القصد ،و الاقتحام : الدخول فی الشیء بشدّه .

المعنی

فقوله: بأبی و امّی .تسمّی البأبأه،و الجار و المجرور فی تقدير خبر المبتدأ و هو قوله:هم.و قد سبقت الإشاره إلی مثله فی قوله مخاطبا للرسول صلّی اللّه عليه و آله و سلّم عند توليه غسله،و الضمير إشاره إلی أولياء اللّه فيما يستقبل من الزمان بالنسبه إلی زمانه عليه السّلام و قالت الشيعه:إنّه أراد الأئمّه من ولده عليهم السّلام.

و قوله:أسماؤهم فی السماء معروفه.

إشاره إلى علوّ درجتهم فى الملأ الأعلى و إثبات أسمائهم و صفاتهم الفاضله فى ديوان الصدّيقين،و فى الأرض مجهولون بين أهل الدنيا الّذين يرون أنّه ليس وراءها كمال.و من سيماء الصالحين بمجرى العاده القشف و الإعراض عن الدنيا و ذلك يستلزم قلّه مخالطه أهلها و مكاثرتهم و هو مستلزم لجهلهم بهم و عدم معرفتهم لهم .ثمّ شرع فى التنبيه على الأحوال الرديئه المستقبله المضادّه لمصالح العالم الّتى يجمعها سوء التدبّر و تفرّق الكلمه و هى إدبار ما أقبل من امورهم و انقطاع ما اتّصل من وصلهم و أسبابهم.و الوصل:جمع وصله و هى الانتظامات الحاصله لأسبابهم فى المعاش و المعاد بوجود الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تدبيره.ثمّ استعمال صغارهم و أراد لهم فإنّه من جمله أسباب الفساد،و من أسباب صلاح العالم استعمال أهل الشرف و أكابر الناس على الأعمال،و من كلامه عليه السّلام فى ذلك قوله لمالك الأشتر فى عهده إليه يشير إلى العمّال:و توخّ منهم أهل التجربه و الحياء من أهل البيوتات الصالحه و القدم فى الإسلام المتقدّمه فإنّهم أكرم أخلاقا و أصحّ أعراضا و أقلّ فى المطامع إشرافا و أبلغ فى عواقب الامور نظرا.و صغار الناس مظنّه أضداد الامور المذكوره و بسببها يكون خراب العالم و فساد نظامه .ثمّ أشار إلى أوقاتها و علامات وقوعها:

فمنها:حيث يكون ضربه السيف على المؤمن أهون و أقلّ عنده مشقّه من المشقّه الحاصله فى اكتساب درهم حلال.و ذلك لأنّ المكاسب حينئذ يكون قد اختلطت و غلب الحرام الحلال فيها،و أراد بقوله:من الدرهم:أى من كسب الدرهم فحذف المضاف.

و منها:حيث يكون المعطى أعظم أجرا من المعطى،و ذلك لأنّ أكثر من يعطى حينئذ و يتصدّق يكون ماله مشوبا بالحرام فيقلّ أجره،و لأنّ أكثرهم يعطى و يقصد بإعطائه الرئاء و السمعه أو لهوى نفسه أو لخطره من خطرات وسواسه من غير خلوص للّه سبحانه فى ذلك،و أمّا المعطى فقد يكون فقيرا مستحقّا للزكاه ذا عيال لا يلزمه أن يبحث عن أصل ما يعطاه فإذا أخذه

لسدّ خلّته كان فى ذلك أعظم أجرا ممّن يعطيه،أو لأنّ المعطى قد يكون أكثر ما ينفق ماله فى غير طاعه له فى الوجوه المحظوره فإذا أخذ الفقير منه على وجه الصدقه فوّت على المعطى صرف ماله فى تلك الوجوه فكان للفقير بذلك المنّه عليه.إذ كان سببا فى منعه عن صرف ماله فيما لا ينبغى فكان أعظم أجرا منه.

استعاره و منها:حيث يسكرون من غير شراب .فاستعار وصف السكر لهم باعتبار غفلتهم عمّا ينبغى لهم اللازمه عن استغراقهم فى اللذّات الحاضره كما يلزم السكر الغفله عن المصالح،و قرينه الاستعاره قوله:من غير شراب بل من النعمه فإنّ السكر حقيقه إنّما يكون عن الشراب.

و منها:حيث يحلفون من غير اضطرار إلى اليمين بل غفله عن عظمه اللّه سبحانه حتّى يتوصّلوا باليمين به إلى أخسّ المطالب.

و منها:حيث يكذبون من غير إخراج:أى من غير أن يلجئهم إلى الكذب ضروره،بل يصير الكذب ملكه و خلقا.

استعاره و منها: إذا عضّكم البلاء ،و استعار لفظ العضّ لإيلام البلاء الّذى ينزل بقلوبهم و شبّهه بعض-القتب لغارب البعير،و وجه المشابهه هو شدّه الإيلام و هذا الشبه هو وجه استعاره العضّ للبلاء.

و قوله :ما أطول هذا العناء و أبعد هذا الرجاء.

كلام منقطع عمّا قبله كما هو عاده الرضى-رضى اللّه عنه-فى التقاط الوصول و إلحاق بعضها ببعض.و وجدت هذا الفصل بخطّه فى حاشيه نسخه الأصل.و ظاهره يقتضى أنّه ذكر فيما كان متّصلا بالكلام ما ينال شيعته من البؤس و القنوط و مشقّه انتظار الفرج.و أنّ قوله:ما أطول.إلى قوله:الرجاء.كلام شيعته.فعلى هذا يكون المعنى أنّهم يصابون بالبلاء حتّى يقولوا:ما أطول التعب الّذى نحن فيه و ما أبعد رجاءنا للخلاص منه بقيام القايم المنتظر.و يحتمل أن يكون الكلام متّصلا،و يكون قوله:ما أطول هذا العناء.كلاما مستأنفا فى معنى التوبيخ لهم على إعراضهم عنه و إقبالهم على الدنيا و إتعابهم أنفسهم فى طلبها.و التنفير لهم عنها

بـذكر طول العناء فى طلبهم و بعد الرجاء لما يرجى منها:أى ما أطول هذا العناء اللاحق لكم فى طلب الدنيا و ما أبعد هذا الرجاء الّذى يرجونه منهـا،و ظاهر أنّ متـاعب الـدنيا لطالبهـا أطول المتـاعب و مطالبها لراحتها أبعـد المطالب كما قال عليه السّـلام من قبـل:من ساعاها فاتته و كما قال الرسول صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم:من جعل الـدنيا أكبرهمّ فرّق اللّه عليه همّه و جعل فقره بين عينيه و لم يأته منها إلاّ ما كتب له.و هذا الكلام يقتضـى أنّ المتجرّد لطلب الدنيا لا يزال ملاحظا لفقره مستحضرا له فهو حامل له على التعب فى تحصيلها و الكدح لها،و يحتمل أن يريد بالعناء المشار إليه عناؤه فى جذبهم إلى اللّه و دعوته لهم إلى الآخره فى أكثر أوقاته فإنّهم لا يرجعون إلى دعوته و لا يتّفقون على كلمته،و ظاهر أنّه عناء طويل و تعب عظيم.و بالرجاء المشار إليه رجاؤه لصـلاحهم و استبعده ثمّ أيّد بهم. استعاره مرشحه و استعار لفظ الأزمّه للآراء الفاسده المتّبعه و الأهواء القائده لهم إلى المئاثم.و وجه المشابهه كونها قائده لهم كما تقود الأزمّه الجمال،و لفظ الإلقاء للأعراض عن تلك الآراء الباطله و ترك العمل لها.و لفظ الظهور لأنفسـهم،و لفظ الأثقـال للمعقول من أثقـال الـذنوب،و وجه المشـابهه الاولى كونها حامله لأثقال الخطايا و الأوزار كما يحمـل الظهور الأثقـال المحسوسه كمـا قال تعالى «وَ هُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزارَهُمْ عَلى ظُهُورِهِمْ» (۱)و قوله «وَ لَيَحْمِلُنَّ أَثْقـالَهُمْ وَ أَثْقالاً مَعَ أَثْقالِهِمْ» (۲)و وجه الاستعاره الثـانيه أنّ الملكـات الرديئه الحاصـله من اقتراف المئـاثم تثقّل النفوس عن النهوض إلى حظاير القـدس و منـازل الأبرار كما تثقّل الأثقال المحسوسه الظهور الحامله لها.و لمّا اسـتعار لفظ الإلقاء و الأزمّه اللـذين من شأنهما أن يكونا باليـد و فى اليد رشّح بذكر الأيدى فقال:من أيديكم.و الحاصل أنّه أمرهم بترك الآراء الفاسده و نهاهم عن متابعتها، و نبّه على وجوب تركهـا بأنّهم إذا ألزموها و عملوا على وفقها قادتهم إلى حمل أثقال الخطايا .ثمّ أردف ذلك بالنهى عن التفرّق عنه بعد تقديم النهى عن اتّباع الآراء الفاسده المستلزمه للهلاك تنبيها على أنّ آراءهم فى التصدّع عنه من تلك

۱- ۱) ۳۱-۶.

۲- ۲) ۱۲-۳۰.

الآراء غير المحموده.

و قوله:فتذمّوا غبّ فعالكم.

تنفير عن التفرّق عنه بذكر ما يلزمه من العاقبه المذمومه،و هى غلبه العدوّ عليهم و استيلاءه على أحوالهم و تعوّضهم عن عزّتهم ذلاّ،و رخائهم و نعمتهم بؤسا و نقمه.و الفاء هى الّتى فى جواب النهى:أى إن تصدّعتم عن سلطانكم ذممتم غبّ فعالكم .ثمّ أردف النهى عن التفرّق عنه بالنهى عن اقتحام ما استقبلوا من الفتنه المنتظره تشبيها على أنّ التفرّق عنه سبب للدخول فى نار الفتنه،و تنفيرا عن مخالفته بكونها اقتحاما لنار الفتنه و تسرّعا إلى دخولها، استعاره مرشحه و لفظ النار مستعار لأحوال الفتنه من الحروب و القتل و الظلم،و وجه المشابهه كونها مستلزمه للأذى كالنار.و وصف الاقتحام لمخالفته و التفرّق عنه،و وجه الاستعاره إسراع تفرّقهم عنه إلى الوقوع فى الفتنه كإسراع المقتحم.و رشّح باستعاره النار بالفور مبالغه فى التنفير.ثمّ أمرهم بالنهى عن قصدها و طريقها و تخليه قصد السبيل لها:

أى خلوّها لقصد سبيلها و لا تتعرّضوا لها و تقتحموها فكونوا حطبا لنارها.ثمّ أقسم ليهلك فى لهبها المؤمن و يسلم فيها غير المسلم.و ذلک ظاهر الصدق،و هو من كراماته عليه السّلام و إخباره عمّا سيكون فإنّ الدائره فى دوله بنى اميّه كانت على من لزم دينه و اشتغل بعباده ربّه دون من وافقهم على أباطيلهم و أجاب دعوتهم و تقرّب إلى قلوبهم بالكذب على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ظلم العباد كما تقف عليه من أخبارهم فى قتل كثير من أولياء اللّه و ذريّه رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و صحابته-رضى اللّه عنهم- و تقريبهم للمنافقين و توليتهم الأعمال.و اعلم أنّه ليس مراده أنّه يهلک فيها كلّ مؤمن و لا يسلم فيها إلاّ غير مسلم،بل القضيّتان مهملتان.و الغرض منهما أنّ أكثر من يهلک فيها المؤمنون و أكثر من سلم فيها المنافقون و من ليس له قوّه فى الإسلام.و لفظ اللهب ترشيح لاستعاره لفظ النار . تشبيه ثمّ مثّل نفسه بينهم بالسراج فى الظلمه .و أشار إلى وجه مشابهته للسراج بقوله:فيستضىء به من ولجها.و تقديره أنّ الطالبين للهدايه منه عليه السّلام و المتّبعين له يستضيئون بنور علومه و هدايته

ص:١٨٧

إلى الطريق الأرشد كما يهتدى السالكون فى الظلمه بالسراج.و هذا التمثيل يستلزم تشبيه أحوالهم بالظلمه و نسبتهم بالمغمورين فيها لولا وجوده عليه السّلام فيهم.

و قد علمت فى المقدّمات حقيقه التمثيل . استعاره ثمّ لمّا قدّم فضيلته فى التمثيل المذكور أردفه بأمرهم بسماع قوله،و أن يحضروا قلوبهم لفهم ما بلغت إليهم من الحكمه و الموعظه الحسنه كما هو المعلوم من حال الخطيب.و استعار لفظ الآذان هنا للقلوب.

و وجه الاستعاره أنّ الاذن لمّا كانت مدركا للأقوال أشبهتها أفهام القلوب المدركه لأقواله،و طلب إحضارها إذ كان هو المنتفع به دون إحضار الآذان المحسوسه.

و ظاهر أنّ إحضار العقول و توجّهها إلى الفكر فى المسموع مستلزم لحصول الفهم .

و باللّه التوفيق.

۲۳۰-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

أُوصِيكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بِتَقْوَى اللَّهِ- وَ كَثْرَهِ حَمْدِهِ عَلَى آلاَئِهِ إِلَيْكُمْ- وَ نَعْمَائِهِ عَلَيْكُمْ وَ بَلاَئِهِ لَدَيْكُمْ- فَكَمْ خَصَّكُمْ بِنِعْمَهٍ وَ تَدَارَكَكُمْ بِرَحْمَهٍ- أَعْوَرْتُمْ لَهُ فَسَتَرَكُمْ وَ تَعَرَّضْتُمْ لِأَخْذِهِ فَأَمْهَلَكُمْ- وَ أُوصِيكُمْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَ إِقْلاَلِ الْغَفْلَهِ عَنْهُ- وَ كَيْفَ غَفْلَتُكُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفِلُكُمْ- وَ طَمَعُكُمْ فِيمَنْ لَيْسَ يُمْهِلُكُمْ- فَكَفَى وَاعِظاً بِمَوْتَى عَايَنْتُمُوهُمْ- حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ- وَ أُنْزِلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ- فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَّاراً- وَ كَأَنَّ الْآخِرَهَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَاراً- أَوْحَشُوا مَا كَانُوا يُوطِنُونَ- وَ أَوْطَنُوا مَا كَانُوا يُوحِشُونَ- وَ اشْتَغَلُوا بِمَا فَارَقُوا- وَ أَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ انْتَقَلُوا- لاَ عَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ انْتِقَالاً- وَ لاَ فِي حَسَنٍ يَسْتَطِيعُونَ ازْدِيَاداً- أَنِسُوا بِالدُّنْيَا فَغَرَّتْهُمْ-

وَ وَثِقُوا بِهَا فَصَرَعَتْهُمْ فَسَابِقُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى مَنَازِلِكُمُ- الَّتِي أُمِرْتُمْ أَنْ تَعْمُرُوهَا- وَ الَّتِي رَغِبْتُمْ فِيهَا وَ دُعِيتُمْ إِلَيْهَا- وَ اسْتَتِمُّوا نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَتِهِ- وَ الْمُجَانَبَةِ لِمَعْصِيَتِهِ- فَإِنَّ غَداً مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ- مَا أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِي الْيَوْمِ- وَ أَسْرَعَ الْأَيَّامَ فِي الشَّهْرِ- وَ أَسْرَعَ الشُّهُورَ فِي السَّنَهِ- وَ أَسْرَعَ السِّنِينَ فِي الْعُمُرِ

اللغه

أقول: أعورتم : أبديتم عوراتكم .و العوره: السوءه و كلّ ما يستحيى منه .

و الفصل يشتمل على الوصيّه بامور:

أوّلها:تقوى اللّه تعالى

فإنّها العمده الكبرى فيما يوصى به،ثمّ بكثره حمده تعالى على آلائه إليهم و نعمائه عليهم و بلائه لديهم.و قد علمت معنى بلائه و أنّه يكون بالخير و الشرّ كما قال تعالى «وَ نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَهً » (1)و أردف ذلك بتقرير تخصيصهم بنعمته تعالى عليهم و تذكيرهم برحمته.و الرحمه كما يراد بها صفه اللّه تعالى كذلك يراد بها آثاره الحسنه الخيريّه كما هو مراده هنا في حقّ عباده.و أتى بلفظ كم للتكثير.ثمّ أردفه بذكر ضروب الرحمه و النعمه فمنها ستره عليهم حيث مجاهرتهم له بالمعصيه الّتي ينبغي أن يستحيوا منها و موافقتهم لها بمرأى منه و مسمع.و منها إمهالهم أن يبادرهم بالنقمه و يعاجلهم بالعقوبه حيث تعرّضوا لأخذه بارتكاب مناهيه و مخالفه أوامره .

الثاني:ممّا أوصاهم به ذكر الموت و إقلال الغفله عنه.

و ذلك لما يستلزم ذكره من الانزجار عن المعاصي،و ذكر المعاد إلى اللّه سبحانه و وعده و وعيده،و الرغبه عن الدنيا و تنقيص لذّاتها كما قال الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:أكثروا من ذكر هادم اللذّات.و إنّما استلزم ذكره ذلك لكونه ممّا يساعد العقل فيه الوهم على

١- ١) ٢١-٣۶.

ضروره وقوعه مع مساعدته على ما فيه من المشقّه الشاقّه.ثمّ استفهمهم عن غفلتهم عنه و طمعهم فيه مع كونه لا يغفلهم و لا يمهلهم استفهام توبيخ على ذلك.و لأجل ما فيه من شدّه الاعتبار قال :فكفى واعظا بموتى عاينتموهم.إلى قوله:فصرعتهم.و فى هذا القول زياده موعظه على ذكر الموت و هى شرح أحوال من عاينوه من الموتى.

و ذكر منها أحوالا:

أحدها:كيفيّه حملهم إلى قبورهم غير راكبين مع كونهم فى صوره ركوب منفور عنه.

تشبيه الثانيه:إنزالهم إلى القبور على غير عاده النزول المتعارف المقصود فكأنّهم فى تلك الحال مع طول مددهم فى الدنيا و عمارتهم لها و ركونهم إليها لم يكونوا لها عمّارا و كان الآخره لم تزل دارا .و وجه التشبيه الأوّل انقطاعهم عنها بالكلّيّه و عدم خيرهم فيها فأشبهوا لذلك من لم يكن فيها.و وجه الثانى كون الآخره هى مستقرّهم الدائم الثابت الّذى لا معدل عنه فأشبهت فى ذلك المنزل الّذى لم يزل له دارا.

الثالثه :ايحاشهم ما كانوا يوطنون من منازل الدنيا و مسالكها.

الرابعه:ايطانهم ما كانوا يوحشون من القبور الّتى هى أوّل منازل الآخره.

الخامسه:اشتغالهم بما فارقوا.و ذلك أنّ النفوس الراكنه إلى الدنيا العاشقه لها المقبله على الاشتغال بلذّاتها يتمكّن فى جواهرها ذلك العشق لها و تصير محبّتها ملكه و خلقا فيحصل لها بعد المفارقه لما أحبّته من العذاب به و الشقا الأشقى بالنزوع إليه و عدم التمكّن من الحصول عليه أعظم شغل و أقوى شاغل و أصعب بلاء هايل بل «تَذْهَلُ» فيه «كُلُّ مُرْضِعَهٍ عَمّا أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ» فيه «كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَ تَرَى النّاسَ سُكارى وَ ما هُمْ بِسُكارى وَ لكِنَّ عَذابَ اللّهِ شَدِيدٌ» .

السادسه:إضاعتهم ما إليه انتقلوا و هى دار الآخره.و معنى إضاعتهم لها تركهم الأسباب الموصله إلى ثوابها و المبعّده من عقابها.

السابعه:كونهم لا يستطيعون الانتقال عمّا حصلوا عليه من الأفعال القبيحه

الّتی ألزمتهم العذاب و أکسبت نفوسهم ملکات السوء.و ذلک ظاهر.إذا لانتقال عن ذلک لا یمکن إلّا فی دار العمل و هی الدنیا.

الثامنه:و کذلک لا من حسن یستطیعون ازدیادا:أی من الأعمال الحسنه الموجبه للملکات الخیریّه و الثواب الدائم کما قال تعالی حکایه عنهم «قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّی أَعْمَلُ صالِحاً فِیما تَرَکْتُ کَلاّ إِنَّها» (۱)الآیه.

التاسعه:أنّهم أنسوا بالدنیا حتّی غرّتهم.

العاشره:کونهم وثقوا بها حتّی صرعتهم.و السبب فی الاغترار بها و غرورها هم حصول لذّاتها المحسوسه مع قربهم من المحسوس و هو مستلزم للانس بها المستلزم للغرور بها و الغفله عمّا وراها و هو مستلزم للوثوق و هو مستلزم لصرعتهم فی مهاوی الهلاک حیث لا یقال عثره و لا ینفع ندامه.

و أعلم أنّ ذکر الموت و إن کان یستلزم الاتّعاظ و الانزجار إلّا أنّ شرح الأحوال الّتی تعرض للإنسان فی موته أبلغ فی ذلک لما أنّ کلّ حال فیها منفور عنها طبعا و إن کانت إنّما تحصل النفره عنها لکونها حاله تعرض للمیّت و المقرون بالمولم و المکروه مکروه و مولم و منفور عنه طبعا .

الثالث:ممّا أمرهم به علی طریق الوصیّه أن یسابقوا إلی منازلهم الّتی امروا

أن یعمّروها و الّتی رغّبوا فیها و دعوا إلیها

و هی منازل الجنّه و مراتب الأبرار فیها.و عمارتها بالأعمال الصالحه الموافقه لمقتضی النوامیس الإلهیّه و تحصیل الکمالات النفسانیّه عنها.و المعنی لیسابق بعضکم بعضا إلی منازلکم و مراتب درجاتکم من الجنّه و عمارتها بتحصیل الکمالات النفسانیّه و موافقه الشرع الإلهیّه.

و إلیه الإشاره بقوله تعالی «وَ سارِعُوا إِلی مَغْفِرَهٍ مِنْ رَبِّکُمْ وَ جَنَّهٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِینَ» (۲)و الترغیب فیها لقوله تعالی «وَ لَلدّارُ الْآخِرَهُ خَیْرٌ لِلَّذِینَ یَتَّقُونَ أَ فَلا تَعْقِلُونَ» (۳)و نحوه.

الرابعه:ممّا أمرهم به الصبر علی طاعه اللّه و علی مجانبه المعصیه.

و رغّب

۱- ۱) ۱۰۱-۲۳.

۲- ۲) ۱۲۸-۳.

۳- ۳) ۳۲-۶.

بكونه سببا يستتمّ به نعمه اللّه عليهم.و لمّا كان استلزامه لها كالثمره له و كانت ثمره الصبر حلاوه قدّمها ليحلو الصبر بذكرها.

و قوله:فإن غدا من اليوم قريب.

و قوله:فإن غدا من اليوم قريب.

تخويف من الساعه و قربها.و لم يرد بغد و لا اليوم حقيقتهما بل أراد بغد القيامه و باليوم مدّه الحياه كقوله فيما سبق:ألا و إنّ اليوم المضمار و غدا السباق.

و هو يجرى مجرى المثل كقولهم:غد ما غدا،قرب اليوم من غد .

و قوله:ما أسرع الساعات فی اليوم.إلی آخره.

كنايه و قوله: ما أسرع الساعات فی اليوم.إلی آخره .

بيان لقرب الغد الّذی كنّی به عن القيامه من اليوم فإنّ الساعات سريعه الإتيان و الانقضاء.و سرعتهما مستلزم لسرعه مجیء اليوم و انقضائه.و سرعتهما مستلزم لسرعه مجیء الشهر و انقضائه المستلزمين لسرعه مجیء السنه و انقضائها المستلزمين لسرعه انقضاء عمر العاملين فيه لكنّ انقضاؤه بالقيامه.فإذن الساعات مستلزمه لسرعه انقضاء العمر و قرب غده من يومه.و أتی فی الكلّ بلفظ التعجّب تأكيدا لبيان تلك السرعه .و هو كلام شريف بالغ فی الفصاحه و الموعظه.و باللّه التوفيق.

۲۳۱-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

فَمِنَ الْإِيمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتاً مُسْتَقِرّاً فِی الْقُلُوبِ- وَ مِنْهُ مَا يَكُونُ عَوَارِیَّ بَيْنَ الْقُلُوبِ وَ الصُّدُورِ- إِلَی أَجَلٍ مَعْلُومٍ- فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَهٌ مِنْ أَحَدٍ فَقِفُوهُ- حَتَّی يَحْضُرَهُ الْمَوْتُ- فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقَعُ حَدُّ الْبَرَاءَهِ- وَ الْهِجْرَهُ قَائِمَهٌ عَلَی حَدِّهَا الْأَوَّلِ- مَا كَانَ لِلَّهِ فِی أَهْلِ الْأَرْضِ حَاجَهٌ- مِنْ مُسْتَسِرِّ الْإِمَّهِ وَ مُعْلِنِهَا- لاَ يَقَعُ اسْمُ الْهِجْرَهِ عَلَی أَحَدٍ- إِلاَّ بِمَعْرِفَهِ الْحُجَّهِ فِی الْأَرْضِ- فَمَنْ

عَرَفَهَا وَ أَقَرَّ بِهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ- وَ لاَ يَقَعُ اسْمُ الاِسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّهُ- فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَ وَعَاهَا قَلْبُهُ إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ لاَ يَحْمِلُهُ إِلاَّ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ- امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ- وَ لاَ يَعِي حَدِيثَنَا إِلاَّ صُدُورٌ أَمِينَهٌ وَ أَحْلاَمٌ رَزِينَهٌ أَيُّهَا النَّاسُ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي- فَلَأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الْأَرْضِ- قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَهٌ تَطَأُ فِي خِطَامِهَا- وَ تَذْهَبُ بِأَحْلاَمِ قَوْمِهَا

اللغه

أقول: العواریّ بالتشدید : جمع عاریه قیل:کأنّها منسوبه إلی العار.

إذ فی طلبها عار .و البراءه : التبرّی .و شغرت البلده: إذا خلت عن مدبّرها .

و فی الفصل مسائل :

الاولی:

استعاره مرشحه بالکنایه قوله: فمن الإیمان.إلی قوله:أجل معلوم .قسمه للإیمان إلی قسمین،و وجه الحصر فیهما أنّ الإیمان لمّا کان عباره عن التصدیق بوجود الصانع سبحانه و ماله من صفات الکمال و نعوت الجلال،و الاعتراف بصدق الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و ما جاء به.فتلک الاعتقادات إن بلغت حدّ الملکات فی النفوس فهی الإیمان الثابت المستقرّ فی القلب،و إن لم یبلغ حدّ الملکه بل کانت بعد حالات فی معرض التغیّر و الانتقال فهی العواریّ المتزلزله.و استعار لها لفظ العواریّ باعتبار کونها فی معرض الزوال کما أنّ العواریّ فی معرض الاسترجاع و الردّ.و کنّی بکونها بین القلوب و الصدور عن کونها غیر مستقرّه فی القلوب و لا متمکّنه من جواهر النفوس،و قال بعض الشارحین:أراد أنّ من الإیمان ما یکون علی سبیل الإخلاص و منه ما یکون علی سبیل النفاق.

و قوله:إلی أجل معلوم.

ص:۱۹۳

ترشيح لاستعاره العوارىّ.إذ كانت من شأنها أن تستعار إلى وقت معلوم ثمّ ترد فكذلك ما كان بمعرض الزوال و التغيّر من الإيمان .و هذه القسمه إلى هذين القسمين هى الموجوده فى نسخه الرضى بخطّه و فى نسخ كثير من الشارحين و نسخ كثيره معتبره،و نقل الشارح عبد الحميد بن أبى الحديد-رحمه اللّه-فى النسخه الّتى شرح الكتاب عليها ثلاثه أقسام هكذا:فمن الإيمان ما يكون ثابتا مستقرّا فى القلوب،و منه ما يكون عوارىّ فى القلوب،و منه ما يكون عوارىّ بين القلوب و الصدور إلى أجل معلوم.ثمّ قال فى بيانها ما هذه خلاصته:إنّ الإيمان إمّا أن يكون ثابتا مستقرّا فى القلوب بالبرهان و هو الإيمان الحقيقىّ، أو ليس بثابت بالبرهان بل بالدليل الجدلىّ كإيمان كثير ممّن لم تحقّق العلوم العقليّه و يعتقد ما يعتقده من أقيسه جدليّه لا تبلغ درجه البرهان و قد سمّاه عليه السّلام عوارىّ فى القلوب:أى أنّه و إن كان فى القلب الّذى هو محلّ الإيمان الحقيقىّ إلاّ أنّ حكمه حكم العاريه فى البيب فإنّها بعرضه الخروج منه،و إمّا أن لا يكون مستندا إلى برهان و لا إلى قياس جدلىّ بل على سبيل التقليد و حسن الظنّ بالأسلاف أو بإمام يحسن الظنّ به و قد جعله عليه السّلام عوارىّ بين القلوب و الصدور لأنّه دون الثانى فلم يجعله حالاّ فى القلب لكونه أضعف ممّا قبله و أقرب إلى الزوال.ثمّ ردّ قوله:إلى أجل معلوم.إلى القسمين الأخيرين لأنّ من ثبت إيمانه بالقياس الجدلىّ قد يبلغ إلى درجه البرهان إذا أنعم النظر و رتّب المقدّمات اليقينيّه ترتيبا منتجا،و قد يضعف مقدّماته فى نظره فينحطّ إلى درجه المقلّد فيكون إيمان كلّ منهما إلى أجل معلوم لكونه فى معرض الزوال.و أقول:إن صحّت هذه الروايه فالمعنى يعود إلى ما قلناه من القسمه فإنّ العلم بما يستلزمه البرهان أو غيره من الإيمان إن بلغ إلى حدّ الملكه فهو الثابت المستقرّ،و إلاّ فهو العاريه و الّذى أراه أنّ القسم الثانى تكرار وقع من قلم الناسخ سهوا.و اللّه أعلم.

الثانيه:قوله:فإذا كانت لكم براءه.إلى قوله:حدّ البراءه.

معناه

أنّكم إذا أردتم التبرىّ من أحد من أهل الكباير فقفوه:أى اجعلوه موقوفا إلى حال الموت و لا تسارعوا إلى البراءه منه قبل الموت فإنّ أشدّ الكبائر و أعظمها الكفر و جايز من الكافر أن يسلم فإذا بلغ منتهى الحياه و حدّها و لم يقلع عن كبيرته فذلك الحدّ هو حدّ البراءه الّذى يجوز أن يوقعوها معه.إذ ليس بعد الموت حاله ترجى و تنتظر.قال بعض الشارحين:و البراءه الّتى أشار عليه السّلام إليها هى البراءه المطلقه لا كلّ براءه،إذ يجوز لنا أن نبرء من الفاسق و صاحب الكبيره فى حياته براءه مشروطه:أى ما دام مصرّا على كبيرته .

الثالثه:قوله:و الهجره قائمه على حدّها الأوّل

.لمّا كانت حقيقه الهجره ترک منزل إلى منزل آخر لم تكن تخصيصها عرفا بهجره الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و من تبعه و هاجر إليه من مكّه إلى المدينه مخرجا لها عن حقيقتها و حدّها اللغوىّ.إذ كان أيضا كلّ من ترك منزله إلى منزل آخر مهاجرا إذا عرفت ذلک فنقول:إنّ مراده عليه السّلام من بقاء الهجره على حدّها بقاء صدقها على من هاجر إليه و إلى الأئمّه من أهل بيته فى طلب دين اللّه و تعرّف كيفيّه السلوك لصراطه المستقيم كصدقها على من هاجر إلى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.و فى معناها ترک الباطل إلى الحقّ و بيان هذا الحكم بالمنقول و المعقول:أمّا المنقول فمن وجهين:

أحدهما:قوله تعالى «وَ مَنْ يُهاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُراغَماً كَثِيراً وَ سَعَةً» فقد سمّى من فارق وطنه و عشيرته فى طلب دين اللّه و طاعته مهاجرا.

و قد علمت فى اصول الفقه أنّ من للعموم فوجب أن يكون كلّ من سافر لطلب دين اللّه من معادنه مهاجرا.

الثانى:قول الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:المهاجر من هاجر ما حرّم اللّه عليه.و ظاهر أنّ من هاجر معصيه الأئمّه إلى طاعتهم و الاقتداء بهم فقد هاجر ما حرّم اللّه عليه فكان اسم الهجره صادقا عليه.

و أمّا المعقول فلأنّ المفارق لوطنه إلى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مهاجر فوجب أن يكون المفارق لوطنه إلى من يقوم مقامه من ذريّته الطاهرين مهاجرا

لصدق حدّ الهجره فی الموضعین،و لأنّ المقصود من الهجره لیس إلاّ اقتباس الدین و تعرّف کیفیّه سبیل اللّه.و هذا المقصود حاصل ممّن یقوم مقام الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من الأئمّه الطاهرین علیهم السّلام بحیث لا فرق إلاّ النبوّه و الإمامه.و لا مدخل لأحد هذین الوصفین فی تخصیص مسمّی الهجره بمن قصد الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم دون من قصد الأئمّه فوجب عموم صدقه علی من قصدهم.

فإن قلت:هذا معارض بقوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:لا هجره بعد الفتح حتّی شفّع عمّه العبّاس فی نعیم بن مسعود الأشجعی أن یستثناه فاستثناه.

قلت.یحمل ذلک علی أنّه لا هجره من مکّه بعد فتحها إلی المدینه توفیقا بین الدلیلین.و سلب الخاصّ لا یستلزم سلب العامّ.فاعلم أنّ فائده هذا القول الدعوه إلی الدین و اقتباسه منه و من أهل بیته علیهم السّلام بذکر الهجره،و التنبّه بها و ما یستلزمه من الفضیله علی أنّ التارک لأهله و وطنه إلیهم طلبا للدین منهم یلحق بالمهاجرین الأوّلین فی مراتبهم و ثوابهم.

الرابعه:قوله:ما کان فی الأرض.إلی قوله:و معانیها.

قال قطب الدین الراوندی-رحمه اللّه-:ما هاهنا نافیه:أی لم یکن للّه فی أهل الأرض ممّن أسرّ دینه أو أعلنه و أظهره حاجه.و من هنا لبیان الجنس.و أنکر الشارح عبد الحمید بن أبی الحدید کون ما نافیه.و قال:یلزم منه کون الکلام منقطعا بین کلامین متواصلین و جعلها هو بمعنی المدّه:أی و الهجره قائمه علی حدّها ما دام للّه فی أهل الأرض ممّن أسرّ دینه أو اعلنه حاجه:أی ما دامت العباده مطلوبه للّه تعالی من أهل الأرض بالتکلیف و هو کقولک فی الدعاء:اللّهمّ أحینی ما کان الحیاه خیرا لی.

استعاره و یکون لفظ الحاجه مستعارا فی حقّه تعالی باعتبار طلبه للعباده بالأوامر و غیرها کطلب ذی الحاجه لها .و أقول:إنّه غیر بعید أن یکون نافیه مع اتّصال الکلام بما قبله،و وجهه أنّه لمّا رغّب الناس فی طلب الدین و العباده فکأنّه أراد أن یرفع حکم الوهم بما عساه یحکم به عند تکرار طلب اللّه للدین و العباده من حاجته تعالی إلیها من خلقه حیث کرّر طلبه منهم بتواتر الرسل و الأوامر الشرعیّه،و یصیر

معنى الكلام أنّ الهجره باقيه على حدّها الأوّل فى صدقها على المسافرين لطلب الدين فينبغى للناس أن يهاجروا فى طلبه إلى أئمّه الحقّ و ليس ذلك لأنّ للّه تعالى إلى أهل الأرض ممن أسرّ دينه أو أظهره حاجه فإنّه تعالى الغنىّ المطلق الّذى لا حاجه به إلى شىء .

الخامسه:قوله:لا تقع اسم الهجره.إلى قوله:قلبه

.إشاره بالحجّه فى الأرض إلى إمام الوقت لأنّه حجّه اللّه فى أرضه على عباده يوم القيامه و شاهده عليهم.و هذا الكلام تفسير لمواقع اسم الهجره و بيان لمن تصدق عليه فشرط صدقها على الإنسان بمعرفته لإمام وقته و ذلك لأنّ الإمام هو الحافظ للدين و معدنه الّذى يجب أخذه عنه فيكون قصده لذلك مشروطا بمعرفته فإذن إطلاق اسم الهجره عليه مشروط بمعرفه إمام الوقت فلذلك قال:لا يقع اسم الهجره على أحد إلاّ بعد معرفه الحجّه فى الأرض.

و قوله:فمن عرفها و أقرّ بها فهو مهاجر.

يحتمل أن يريد به أنّ شرط إطلاق اسم المهاجره على الإنسان مشروط بمعرفه إمام الوقت المستلزمه للسفر إليه كما هو الظاهر من لفظ المهاجره.و يحتمل أن يريد أنّ مجرّد معرفه الإمام و الإقرار بوجوب اتّباعه و الأخذ عنه و إن كان بالإخبار عنه دون المشاهده كاف فى إطلاق اسم الهجره على من عرفه كذلك دون السفر إليه كما كفى فى إطلاقه على ترك ما حرّم اللّه بمقتضى قول الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

و المهاجر من ترك ما حرّم اللّه عليه.

و قوله:و لا يصدق[يقع خ]اسم الاستضعاف على من بلغته الحجّه.

أى أخبار الحجّه فحذف المضاف.و يحتمل أن يريد بالحجّه نفس الأخبار الّتى ينقل عن الإمام و يجب العمل بها قال قطب الدين الراوندى:يمكن أن يشير بهذا الكلام إلى أحد آيتين:

إحداهما:قوله تعالى «إِنَّ الَّذِينَ تَوَفّاهُمُ الْمَلائِكَهُ ظالِمِی أَنْفُسِهِمْ قالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قالُوا كُنّا مُسْتَضْعَفِينَ فِی الْأَرْضِ قالُوا أَ لَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ واسِعَهً فَتُهاجِرُوا فِيها»

«فَأولئِکَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ» (۱)فیکون مراده علیه السّلام علی هذا أنّه لا یصدق اسم الاستضعاف علی من عرف الإمام و بلغته أحکامه و وعاها قلبه و إن بقی فی وطنه و لم یتجشّم السفر إلی الإمام کما لا یصدق علی هؤلاء المذکورین فی الآیه.

و الثانیه:قوله تعالی بعد ذلک «إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِینَ مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ لا یَسْتَطِیعُونَ حِیلَةً وَ لا یَهْتَدُونَ سَبِیلاً فَأُولئِکَ عَسَی اللّهُ أَنْ یَعْفُوَ عَنْهُمْ» (۲)فیکون مراده علی هذا أنّ من عرف الإمام و سمع مقالته و وعاها قلبه لا یصدق علیه الاستضعاف کما صدق علی هؤلاء.إذ کان المفروض علی الموجودین فی عصر الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم المهاجره بالأبدان دون من بعدهم بل یقنع منه بمعرفته و العمل بقوله بدون المهاجره إلیه بالبدن:و أقول:یحتمل أن یرید بقوله ذلک أنّه لا عذر لمن بلغته دعوه الحجّه و سمعها فی تأخّره عن النهوض و المهاجره إلیه مع قدرته علی ذلک و لا یصدق علیه اسم الاستضعاف کما یصدق «الْمُسْتَضْعَفِینَ مِنَ الرِّجالِ وَ النِّساءِ وَ الْوِلْدانِ» حتّی یکون ذلک عذرا له بل یکون فی تأخّره ملوما مستحقّا للعذاب کالّذین قالوا إنّا کنّا مستضعفین فی الأرض،و یکون مخصوصا بالقادرین علی النهوص کما قلناه دون العاجزین فإنّ اسم الاستضعاف صادق علیهم.و هذا الاحتمال إنّما یکون جایز الإراده من هذا الکلام علی تقدیر أن یکون إطلاق اسم المهاجر علی الإنسان فی الکلام المقدّم مشروطا بمعرفه الإمام بالمشاهده و السفر إلیه.إذ لو جاز علیه أن یطلق علیه المهاجره مع عدم السفر إلی الإمام لما کان ملوما فی تأخّره عنه .

السادسه:قوله:إنّ أمرنا صعب مستصعب.

فأمرهم شأنهم و ما هم علیه من الکمال الخارج عن کمالات من عداهم من الامّه و الأطوار الّتی یختصّ بها عقولهم وراء عقول غیرهم فیکون لهم عن ذلک القدره علی ما لا یقدر علیه غیرهم و الإدراکات الغیبیّه بالنسبه إلی غیرهم و الإخبار عنه کالوقائع الّتی حکی عنها علیه السّلام ثمّ وقعت علی وفق قوله و کالأحکام و القضایا الّتی اختصّ بها و نقلت عنه فإنّ هذا الشأن صعب فی نفسه لا یقدر علیه إلاّ الأنبیاء و أوصیاء الأنبیاء و مستصعب

۱- ۱) ۹۹-۴.

۲- ۲) ۱۰۰-۴.

الفهم على الخلق معجوز عن احتمال ما يلقى منه من الإشارات و الإخبارات عمّا سيكون و القدره على ما يخرج عن وسع مثلهم و لا تحتمله و لا تقبله إلاّ نفس عبد امتحنها اللّه للايمان كقوله تعالى «أُولئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوى» (۱)أى أعدّها بالامتحان و الابتلاء بالتكاليف العقليّه و النقليّه لحصول الإيمان الكامل اليقينىّ باللّه و رسوله و كيفيّه سلوك سبيله،و تجلّت بالكمالات العلميّه و الفضايل الخلقيّه حتّى عرفت مبادى كمالاتهم و مقاديرها و كيفيّه صدور مثل هذه الغرايب عنها فلا يستنكر ما يأتون به من قول أو فعل و لا يلقاه بالتكذيب كما كانت جماعه من أصحابه عليه السّلام يفعلون ذلك معه فيما كان يخبر به عن الفتن حتّى فهم ذلك منهم فقال:

يقولون:يكذب.قاتلهم اللّه تعالى فعلى من أكذب؟أ على اللّه و أنا أوّل من آمن به أو على رسوله و أنا أوّل من صدّقه؟كما حكينا ذلك فيما سبق،بل يحتمل كلّ ما يأتون به على وجهه و يستنده إلى مبدئه و يفرح بوصول ما يرد عليها من أسرارهم الإلهيّه.فأولئك و أمثالهم هم أصحاب الصدور الآمنه الّتى تعى ما يلقى إليها من تلك الأسرار و يصونها عن الإذاعه إلى من لا ينتفع بها و ليس بأهل لها فهى مأمونه عليها،و أولو الأحلام الرزينه الّتى لا يستفزّها سماع تلك الغرايب و مشاهدتها منهم فيحملهم ذلك على إذاعتها و استنكارها بل يحملها على الصواب ما وجدت لها محملا فإذا عجزت عن معرفتها ثبتت فيها و آمنت بها على سبيل الإجمال و فوّضت علم كنهها إلى اللّه سبحانه.و أراد قلوب صدور أمينه أو أصحاب صدور أمينه و أصحاب أحلام رزينه فحذف المضاف. مجاز إطلاقا لاسم المتعلّق على المتعلّق و يحتمل أن يكون قد أطلق اسم الصدور و الأحلام مجازا عن أهلها إطلاقا لاسم المتعلّق على المتعلّق و نقل عنه عليه السّلام مثل هذا الكلام فى غير هذا الموضع من جمله خطبه له:أنّ قريشا طلبت السعاده فشقيت.و طلبت النجاه فهلكت.و طلبت الهدى فضلّت ألم يسمعوا و يحهم قوله تعالى «الَّذِينَ آمَنُوا وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» (۲)فأين العدل و النزع عن ذرّيّه الرسول الّذين شيّد اللّه بنيانهم فوق البنيان و أعلى رؤوسهم و اختارهم عليهم؟.ألا إنّ

۱- (۱) ۳-۴۹.

۲- (۲) ۲۱-۵۲.

الذّريّه أفنان أنا شجرتها و دوحه أنا ساقها.و إنّى من أحمد بمنزله الضوء من الضوء كنّا أظلالا تحت العرش قبل خلق البشر و قبل خلق الطينه الّتى كـان منهـا البشـر أشباحا عاليه لا أجساما ناميه.إنّ أمرنا صـعب مستصـعب لا يعرف كنهه إلّا ملك مقرّب أو نبىّ مرسل أو عبد امتحن اللّه قلبه للإيمان فإذا انكشف لكم سـرّا و وضح لكم أمر فاقبلوه و إلّا فامسكوا تسلموا و ردّوا علمها إلى اللّه فإنّكم فى أوسع ما بين السـماء و الأرض.و فى قوله: و إنّى من أحمد بمنزله الضوء من الضوء ،و قوله: كنّا أظلالا .إلى قوله: ناميه إشـاره لطيفه:أمّا الأوّل:فأشار إلى أنّ الكمالات الّتى حصـلت لنفسه القدسـيّه بواسـطه كمالات نفس النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم أشبه الأشـياء بصـدور الضـوء عـن الضـوء كشـعله مصـباح اقتبسـت من شـعله مصباح أكبر و أعلى.و من العـاده فى عرف المجرّدين و أولياء اللّه و كتابه تمثيل النفوس الشـريفه و العلوم بالأنوار و الأضواء لمكان المشابهه بينهما فى حصول الهـدايه عنها مع لطفهـا و صـفائها،و أمّـا الثـانى فيحمـل أن يكون قـد أشـار بكونهم أظلّه تحت العرش قبل خلق البشـر أشـباحا بلا أجسام إلى وجودهم فى العلم الكلّىّ فإنّه قد يعبّر عنه فى بعض المواضع بالعرش.

استعاره و استعار لفظ الأضلال لهم باعتبار كونهم مرجعا للخلق و ملجأ كالأظلال ،و قد سبقت الإشاره إلى ذلك أو ما قرب منها ببيان أوضح فى الخطبه الاولى .

السابعه:أيّه بالناس.

و قال: سلونى قبل أن تفقدونى .إلى قوله: الأرض .

و أجمع النـاس على أنّه لم يقـل أحـد من الصـحابه و أهل العلم:سـلونى.غير علىّ عليه السّـلام ذكر ذلك ابن عبـد البرّ فى كتاب الاستيعاب.و أراد بطرق السـماء وجوه الهدايه إلى معرفه منازل سـكّان السماوات من الملأ الأعلى و مراتبهم من حضره الربوبيّه و مقامات أنبياء اللّه و خلفائه من حظائر القـدس،و انتقاش نفسه القدسـيّه عنهم بأحوال الفلك و مـدبّراتها و الامور الغيبيّه ممّا يتعلّق بـالفتن و الوقـايع المسـتقبله إذ كان له عليه السّـلام الاتّصال التامّ بتلك المبادىء.فبالحرىّ أن يكون علمه بما هناك أتمّ و أكمل من علمه بطرق الأرض إلى منازلها.و قـد سـبق مثله لقوله:سـلونى قبل أن تفقـدونى فو اللّه لا تسألونى عن فئه تضلّ مائه و تهـدى مائه إلّا أنبأتكم بسائقها و

قائدها.و قد حمله قوم على وجه آخر و قالوا:أراد بطرق السماء الأحكام الشرعيّه و الفتاوى الفقهيّه:أى أنا أعلم بها من الامور الدنيويّه فعبّر عن تلك بطرق السماء لكونها أحكاما إلهيّه،و عبّر عن هذه بطرق الأرض لأنّها من الأرضيّه.و نحوه ما نقل عن الإمام الوبرىّ:أنّه قال:أراد أنّ علمه بالدين أوفر من علمه بالدنيا.

و قوله:قبل أن تشغر برجلها فتنه.إلى آخره.

أراد فتنه بنى اميّه و أحكامهم العادله عن العدل و ما يلحق الناس فى دولتهم من البلاء. كنايه و كنّى بشغر رجلها عن خلوّ تلك الفتنه عن مدبّر يدبّرها و يحفظ الامور و ينتظم الدين حين وقوع الجور .

قوله:تطأ فى خطامها

استعاره و قوله: تطأ فى خطامها .

استعاره لوصف الناقه الّتى ارسل خطامها و خلت عن القايد فى طريقها فهى تخبط فى خطامها و تعثر فيه و تطأ من لقيت من الناس على غير نظام عن حالها،و هذا هو وجه الاستعاره.إذ كانت هذه الفتنه تقع فى الناس على غير قانون شرعىّ.

و لا طريق مرضىّ.و لا قائد ينتظم امور الخلق فيها.

و قوله: و يذهب بأحلام قومها .

قال بعض الشارحين:أى تحيّر أهل زمانها و تذهلهم بشدّتها حتّى لا يثبتون فيها بل تطيش ألبابهم فلا يهتدون إلى طريق التخلّص عنها و وجه السلامه فيها.

و يحتمل أن يريد بذلك أنّها يستخفّ أهل زمانها فيأتون إليها سراعا و يجيئون الناعق بها و الداعى إليها رغبه و رهبه فلا يبالون فى ذلك و لا يفحّصون عن كونها فتنه لغفلتهم عن وجه الحقّ فيها و شدّه وقوعها على الناس.و باللّه التوفيق.

۲۳۲-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

أَحْمَدُهُ شُكْراً لِإِنْعَامِهِ- وَ أَسْتَعِينُهُ عَلَى وَظَائِفِ حُقُوقِهِ- عَزِيزَ الْجُنْدِ عَظِيمَ الْمَجْدِ وَ أَشْهَدُ أَنَّ؟مُحَمَّداً؟ عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ- دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ وَ قَاهَرَ أَعْدَاءَهُ جِهَاداً عَلَى

دِينِهِ- لاَ- يَثْنِيهِ عَنْ ذَلِكَ اجْتِمَاعٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ- وَ الْتِمَاسٌ لِإِطْفَاءِ نُورِهِ- فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ لَهَا حَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ- وَ مَعْقِلاً مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ- وَ بَادِرُوا الْمَوْتَ وَ غَمَرَاتِهِ وَ امْهَدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ- وَ أَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ فَإِنَّ الْغَايَةَ الْقِيَامَةُ- وَ كَفَى بِذَلِكَ وَاعِظاً لِمَنْ عَقَلَ وَ مُعْتَبَراً لِمَنْ جَهِلَ- وَ قَبْلَ بُلُوغِ الْغَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضِيقِ الْأَرْمَاسِ- وَ شِدَّةِ الْإِبْلاَسِ وَ هَوْلِ الْمُطَّلَعِ- وَ رَوْعَاتِ الْفَزَعِ وَ اخْتِلاَفِ الْأَضْلاَعِ- وَ اسْتِكَاكِ الْأَسْمَاعِ وَ ظُلْمَةِ اللَّحْدِ- وَ خِيفَةِ الْوَعْدِ وَ غَمِّ الضَّرِيحِ وَ رَدْمِ الصَّفِيحِ- فَاللَّهَ اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ- فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنٍ- وَ أَنْتُمْ وَ السَّاعَةُ فِي قَرَنٍ- وَ كَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا وَ أَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا- وَ وَقَفَتْ بِكُمْ عَلَى صِرَاطِهَا وَ كَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِزَلاَزِلِهَا- وَ أَنَاخَتْ بِكَلاَكِلِهَا وَ انْصَرَمَتِ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا- وَ أَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِضْنِهَا- فَكَانَتْ كَيَوْمٍ مَضَى أَوْ شَهْرٍ انْقَضَى- وَ صَارَ جَدِيدُهَا رَثّاً وَ سَمِينُهَا غَثّاً- فِي مَوْقِفٍ ضَنْكِ الْمَقَامِ وَ أُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ عِظَامٍ- وَ نَارٍ شَدِيدٍ كَلَبُهَا عَالٍ لَجَبُهَا- سَاطِعٍ لَهَبُهَا مُتَغَيِّظٍ زَفِيرُهَا- مُتَأَجِّجٍ سَعِيرُهَا بَعِيدٍ خُمُودُهَا- ذَاكٍ وُقُودُهَا مَخُوفٍ وَعِيدُهَا- عَمٍ قَرَارُهَا مُظْلِمَةٍ أَقْطَارُهَا- حَامِيَةٍ قُدُورُهَا فَظِيعَةٍ أُمُورُهَا- «وَ سِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ»

ص:۲۰۲

«زُمَراً» - قَدْ أَمِنَ الْعَذَابُ وَ انْقَطَعَ الْعِتَابُ- وَ زُحْزِحُوا عَنِ النَّارِ وَ اطْمَأَنَّتْ بِهِمُ الدَّارُ- وَ رَضُوا الْمَثْوَى وَ الْقَرَارَ- الَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَاكِيَةً- وَ أَعْيُنُهُمْ بَاكِيَةً- وَ كَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَاراً تَخَشُّعاً وَ اسْتِغْفَارًا- وَ كَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلًا تَوَحُّشاً وَ انْقِطَاعاً- فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ مَآباً وَ الْجَزَاءَ ثَوَاباً- «وَ كانُوا أَحَقَّ بِها وَ أَهْلَها» - فِي مُلْكٍ دَائِمٍ وَ نَعِيمٍ قَائِمٍ- فَارْعَوْا عِبَادَ اللَّهِ مَا بِرِعَايَتِهِ يَفُوزُ فَائِزُكُمْ- وَ بِإِضَاعَتِهِ يَخْسَرُ مُبْطِلُكُمْ- وَ بَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ- فَإِنَّكُمْ مُرْتَهَنُونَ بِمَا أَسْلَفْتُمْ- وَ مَدِينُونَ بِمَا قَدَّمْتُمْ- وَ كَأَنْ قَدْ نَزَلَ بِكُمُ الْمَخُوفُ- فَلَا رَجْعَةَ تَنَالُونَ وَ لَا عَثْرَةً تُقَالُونَ- اسْتَعْمَلَنَا اللَّهُ وَ إِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وَ طَاعَةِ رَسُولِهِ- وَ عَفَا عَنَّا وَ عَنْكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ- الْزَمُوا الْأَرْضَ وَ اصْبِرُوا عَلَى الْبَلَاءِ- وَ لَا تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ وَ سُيُوفِكُمْ فِي هَوَى أَلْسِنَتِكُمْ- وَ لَا تَسْتَعْجِلُوا بِمَا لَمْ يُعَجِّلْهُ اللَّهُ لَكُمْ- فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ- وَ هُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ- وَ حَقِّ رَسُولِهِ وَ أَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيداً- وَ «وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ» - وَ اسْتَوْجَبَ ثَوَابَ مَا نَوَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ- وَ قَامَتِ النِّيَّةُ مَقَامَ إِصْلَاتِهِ لِسَيْفِهِ- فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةً وَ أَجَلًا

اللغه

أقول: الوظيفه : ما يقدّر للإنسان فى كلّ يوم من طعام أو رزق أو عمل .

ص:۲۰۳

و يثنيه : يصرفه .و المعقل : الملجأ .و ذروته : أعلاه .و مهّدله : أى اتّخذ له مهادا و هو الفراش .و الأرماس : جمع رمس و هو القبر .و الإبلاس : الانكسار و الحزن .

و المطّلع : الاطّلاع من إشراف إلى أسفل .و هوله : خوفه و فزعه .و الروعه:

الفزعه .و استكاك الأسماع : صممها .و الصفيح : الحجاره العراض .و ردمها : سدّ القبر بها .و السنن : الطريقه .و القرن: الحبل يقرن به البعيران .و أشراطها:

علاماتها .و أزفت : دنت .و أفراطها : مقدّماتها.و منه أفراط الصبح أوائل تباشيره .

و الرثّ : الخلق .و الغثّ : المهزول .و الضنك : الضيق .و الكلب: الشرّ .و اللجب:

الصوت .و الساطع: المرتفع .و سعيرها : لهبها .و تأجّجه : اشتداد حرّه و وقودها بضمّ الواو : ايقادها و هو الحدث .و ذكاه-مقصورا- : اشتعاله .و فضاعه الأمر : شدّته و مجاوزته للمقدار .و الزمر : الجماعات،واحدتها زمره .و زحزحوا : بعدوا .و اطمأنّت:

سكنت .و المثوى : المقام .و المآب : المرجع .و المدينون : مجزيّون .و إصلاته بسيفه . تجرّده به .

المعنى

و اعلم أنّه عليه السّلام أنشأ حمد اللّه على نعمائه.و نصب شكرا على المصدر عن قوله:

أحمد.من غير لفظه.إذ المراد بالحمد هنا الشكر بقرينه ذكر الإنعام.ثمّ أردفه بطلب المعونه على ما وظّف عليه من حقوقه:واجباتها و نوافلها كالصلوات و العبادات الّتى ارتضاها منهم شكرا لنعمائه،و إذا اعتبرت كانت نعما تستحقّ الشكر لما يستلزمه المواظبه عليها من السعاده الحقيقيّه الباقيه كما سبق بيانه.

و قوله عزيز الجند.

نصب على الحال و الإضافه غير محضه و العامل أستعينه،و كذلك قوله:عظيم المجد:أى أستعينه على أداء حقوقه حال ما هو بذينك الاعتبارين فإنّه باعتبار ما هو عزيز الجند عظيم المجد يكون مالك الملك قديرا على ما يشاء فكان مبدأ استعانه به على أداء وظايف حقوقه .ثمّ أردفه بشهادته برساله نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ذكر أحواله الّتى كانت مبادئ لظهور الدين الحقّ ليقتدى السامعون به صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى تلك الأحوال.

و هى دعوته إلى الدين و مقاهرته لأعدائه و هم الكفّار على أصنافهم،و نصب جهادا

على أنّه مصدر سدّ مسدّ الحال،أو نصب المصادر عن قوله:قاهر.من غير لفظه.إذ فى قاهر معنى جاهد.و عن دينه متعلّق بجهادا إعمالا للأقرب،و يحتمل التعلّق بقاهر.

و قوله:لا يثنيه.

أى لا يصرفه عن دعوته و مقاهرته لأعدائه اجتماع الخلق على تكذيبه استعاره و التماسهم لإطفاء نوره ،و لفظ النور مستعار لما جاء به من الكمالات الهاديه إلى سبيل اللّه .

ثمّ لمّا نبّههم على تلك الأحوال الّتى مبدؤها تقوى اللّه تعالى أمرهم بالاعتصام بها بقوله:فاعتصموا بتقوى اللّه كما اعتصم نبيّكم بها فى إظهار دينه و مواظبته على ذلك، و لا تخافوا من عدوّ مع كثرتكم كما لا يخفّ هو مع وحدته فإنّ للتقوى حبلا وثيقا عروته من تمسّك به و اعتصم لم يضرّه عدوّ،و معقلا منيعا ذروته من لجأ إليه لم يصل إليه سوء. استعاره و لفظ الحبل و المعقل مستعاران للتقوى،و قد سبق بيان هذه الاستعارات .ثمّ أكّد ذلك الأمر بالأمر بمبادره الموت و غمراته و معنى مبادرته مسابقته إلى الاستعداد بالأعمال الصالحه كأنّهم يسابقون الموت و غمراته و ما يلحقهم من العذاب فيه و فيما بعده إلى الاستعداد بالأعمال الصالحه فيحصّلوا بها ملكات صالحه يكون مهادا له قبل حلوله بهم كيلا يقدحهم قدحا،و يجعلونها عدّه لأنفسهم قبل نزوله عليهم يلتقونه بها كيلا يؤثّر فى نفوسهم كثير أثر كأنّه يسابقهم إلى أنفسهم لينقطعهم عن ذلك الاستعداد فيكون سببا لوقوع العذاب بهم.

و قوله:فإنّ الغايه القيامه.

تحذير بذكر الغايه و تذكير بأهوالها الموعوده:أى فإنّ غايتكم القيامه لا بدّ لكم منها.و لمّا كانت تلك الغايه هى لازم الموت كما قال عليه السّلام:من مات فقد قامت قيامته.كان أمره بالاستعداد للموت أمر بالاستعداد لها،و لذلك أتى بعد الأمر بالاستعداد له بقوله:فإنّ.متبّها على وجوب ذلك الاستعداد بضمير ذكر صغراه،و تقدير الكبرى:و كلّ من كانت غايته القيامه فواجب أن يستعدّ لها.

و قوله:و كفى بذلك.

أى بذكر الموت و غمراته و القيامه و أحوالها،و خصّص من عقل لكونه

المقصود بالخطاب الشرعىّ،و معتبرا:أى محلّا للاعتبار و العلم،و ظاهر كون الموت و نزوله بهذه البنيه التامّه الّتى احكم بنيانها و وضعت بالوضع العجيب و الترتيب اللطيف و هدمه لها واعظا بليغا يزجر النفوس عن متابعه هواها و معتبرا تقف منه على أنّ وراء هذا الوجود وجود أعلى و أشرف منه لولاه لما عطّلت هذه البنيه المحكمه المتقنه و لكان ذلك بعد إحكامها و إتقانها سفها ينافى الحكمه كما أنّ الإنسان إذا بنى دارا و أحكمها و زيّنها بزينه الألوان المعجبه فلمّا تمّت و حصلت غايتها عمد إليها فهد مها فإنّه يعدّ فى العرف سفيها عابثا.أمّا لو كان غرضه من ذلك الوصول إلى غايه يحصل بوجودها وقتا ما ثمّ يستغنى عنها جاز هدمها.فكذلك هذه البنيه لمّا كانت الغرض منها استكمال النفوس البشريّه بالكمالات الّتى يستفاد من جهتها و هى العلوم و مكارم الأخلاق ثمّ الانتقال منها إلى عالمها جاز لذلك خرابها و فسادها بعد حصول ذلك الغرض منها.

و قوله :قبل بلوغ الغايه ما تعلمون.

عطف على قوله:قبل نزوله.

و قوله:من ضيق الأرماس.إلى قوله:الصفيح.

تفصيل لما يعلمونه من أحوال الموت و أهواله،و ظاهر أنّ القبور ضيّقه بالقياس إلى مواطن الدنيا،و أنّ للنفوس عند مفارقتها غمّا شديدا و حزنا قويّا على ما فارقته و ممّا لاقته من الأهوال التى كانت غافله عنها،و أنّ لما أشرفت عليه من أحوال الآخره هولا و فزعا تطير منه الألباب و فى المرفوع:و أعوذ بك من هول المطّلع.

و إنّما حسن إضافه روعات إلى الفزع و إن كان الروع هو الفزع باعتبار تعدّدها و هى من حيث هى آحاد مجموع أفراد مهيّه الفزع فجازت إضافتها إليها. كنايه و اختلاف الأضلاع كنايه عن ضغطه القبر.إذ يحصل بسببها تداخل الأضلاع و اختلافها، و استكاك الأسماع ذهابها بشدّه الأصوات الهايله و يحتمل أن يريد ذهابها بالموت.

و إنّما قال:خيفه الوعد،لأنّ الوعد قد يستعمل فى الشرّ و الخير عند ذكرهما قال:و لا تعدانى،الخير و الشرّ مقبل.فإذا أسقطوا ذكرهما قالوا فى الخير:العده

و الوعد،و فی الشرّ الإیعاد و الوعید.و هاهنا و إن سقط ذکرهما إلاّ أنّ قوله:

خیفه.تدلّ علی وجود الشرّ فکان کالقرینه،و غمّ الضریح:الغمّ الحاصل و الوحشه المتوهّمه فیه.إذ کان للنفوس من الهیئات المتوهّمه کونها مقصوره مضیّقا علیها بعد فسح المنازل الدنیویّه و سایر ما ذکره علیه السّلام من الأهوال،و إنّما عدّد هذه الأهوال لکون الکلام فی معرض الوعظ و التخویف و کون هذه الامور مخوفه منفورا عنها طبعا .ثمّ أکّد ذلک التخویف بالتحذیر من اللّه و علّل ذلک التحذیر بکون الدنیا ماضیه علی سنن:أی علی طریقه واحده لا یختلف حکمها فکما کان من شأنها أن أهلکت القرون الماضیه و فعلت بهم و بآثارهم ما فعلت و صیّرتهم إلی الأحوال الّتی عدّدناها فکذلک فعلها بکم.

کنایه و قوله: و أنتم و الساعه فی قرن .

کنایه عن قربها القریب منهم حتّی کأنّهم معها فی قرن واحد.

تشبیه و قوله: و کأنّها قد جاءت بأشراطها .

تشبیه لها فی سرعه مجیئها بالّتی جاءت و حضرت.و أکّد ذلک التشبیه بقد المفیده لتحقیق المجیء .و علاماتها کظهور الدجّال،و دابّه الأرض،و ظهور المهدیّ و عیسی علیهما السّلام إلی غیر ذلک.و کذلک قوله:و أزفت بأفراطها و وقفت بکم علی صراطها.إلی قوله:و سمینها غثّا:أی و تحقّق وقوفها بکم علی صراطها و هو الصراط المعهود فیها.

استعاره و قوله: و کأنّها قد أشرفت بزلازلها .

أی أشبهت فیما یتوقّع منها من هذه الأحوال فی حقّکم حالها فی إیقاعها بکم و تحقیقها فیکم،و استعار لفظ الکلاکل لأهوالها الثقیله.و وصف الإناخه لهجومها بتلک الأهوال علیهم ملاحظا فی ذلک تشبّهها بالناقه.و إنّما حسن تعدید الکلاکل لها باعتبار تعدّد أهوالها الثقیله النازله بهم.و لمّا کانت الأفعال من قوله:و أناخت.

إلی قوله:فصار سمینها غثّا.معطوفا بعضها علی بعض دخلت فی حکم الشبه:أی و کانت الدنیا قد انصرفت بأهلها و کأنّکم قد أخرجتم من حصنها إلی آخر الأفعال.

و المشبّه الأوّل:هو الدنيا باعتبار حالها الحاضره و المشبّه به انصرافها بأهلها و زوالهم و وجه الشبه سرعه المضىّ.أى كأنّها من سرعه أحوالها الحاضره كالّتى وقع انصرافها.و كذلك الوجه فى باقى التشبيهات.و استعار لفظ الحضن لها ملاحظه لشبهها بالآم الّتى تحضن ولدها فينتزع من حضنها . حقيقه-كنايه و السمين و الغثّ تحتمل أن يريد بهما الحقيقه و يحتمل أن يكنّى به عن ما كثر من لذّاتها و خيراتها و تغيّر ذلك بالموت و زواله.

و قوله:فى موقف.

يتعلّق بصار و الموقف هو موقف القيامه.و ظاهر أنّ كلّ جديد للدنيا يومئذ رثّ.و كلّ سمين كان بها غثّ.و ضيق الموقف إمّا لكثره الخلق يومئذ و ازدحامهم أو لصعوبه الوقوف به و طولهم مع ما يتوقّع الظالمون لأنفسهم من إنزال المكروه بهم و الامور المشتبهه العظام أهوال الآخره.و اشتباهها كونها ملبسه يتحيّر فى وجه الخلاص منها.و الاعتبار يحكم بكونها عظيمه.و ظاهر كون النار شديده الشرّ و قد نطق القرآن الكريم بأكثر ممّا وصفها عليه السّلام به ههينا من علوّ أصواتها،و سطوح لهبها، استعاره و تغيّظ زفيرها كقوله تعالى «إِذا أُلْقُوا فِيها سَمِعُوا لَها شَهِيقاً وَ هِيَ تَفُورُ تَكادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ» (۱)و قوله «سَمِعُوا لَها تَغَيُّظاً وَ زَفِيراً» (۲)و لفظ التغيّظ مستعار للنار باعتبار حركتها بشدّه و عنف كالغضبان أو باعتبار استلزام حركتها ظاهر للأذى و الشرّ.

مجاز و قوله: عم قرارها .

أسند العمى إلى قرارها مجازا باعتبار أنّه لا يهتدى فيه لظلمته أو لأنّ عمقها لا يوقف عليه لبعده ، استعاره مرشحه و لمّا استعار لفظ الحمى رشّح بذكر القدور،و ظاهر فظاعه تلك الامور و شدّتها .و كلّ تلك الامور عدّدها فى معرض التخويف لكونها مخوفه تنفيرا لما يلزم عنه من ترك التقوى و اتّباع الهوى اقتباس ثمّ ساق الآيه اقتباسا و نسق بعدها أحوال المتقّين فى الآخره اللازمه عن تقويهم و هى أمنهم من العذاب و انقطاع

۱- ۱) ۷-۶۷.

۲- ۲) ۱۳-۲۵.

العقاب عنهم و إبعادهم عن النار و اطمينان الدار الّتى هى الجنّه بهم و رضاهم بها مثوى و قرارا ترغيبا فى التقوى بذكر لوازمها.ثمّ أردف ذلك بصفات المتقيّن أيضا عمّا عساه لا يعرفها فقال:هم الّذين كانت أعمالهم فى الدنيا زاكيه:أى طاهره من الرياء و الشرك الخفىّ،و أعينهم باكيه:أى من خشيه اللّه و خوف عقابه و حرمانه ، استعاره-تشبيه و كان ليلهم فى دنياهم نهارا فى كونه محلّ حركاتهم فى عباده ربّهم و تخشّعهم له و استغفارهم إيّاه فأشبه النهار الّذى هو محلّ حركات الخلق.و لهذا الشبه استعار لفظ النهار للّيل و كذلك استعار لفظ الليل للنهار،و وجه الاستعاره كون النهار محلا لتوحّشهم من الخلق و انقطاعهم عنه و اعتزالهم إيّاهم كالليل الّذى هو محلّ انقطاع الناس بعضهم عن بعض و افتراقهم،و فى نسخه الرضىّ-رحمه اللّه-بخطّه:كأنّ.للتشبيه رفع نهارا فى القرينه الاولى،و رفع ليلا فى الثانيه.و وجه التشبيه هو ما ذكرناه .و كأنّه يقول :فلمّا استعدّوا بتلك الصفات للحصول على الفضائل و الكمالات و استوجبوا رضى اللّه تعالى عنهم جعل اللّه لهم الجنّه مرجعا و مآبا أعدّ فيها من جزاء النعيم ثوابا اقتباس و كانوا أحقّ بها و أهلها .و هو اقتباس.

و قوله: فى ملكك .إلى قوله: قائم .

أى مقيم،تفسير للجزاء .ثمّ أكّد الأمر بالتقوى برعايتها فى عباره اخرى نبّه فيها على بعض لوازمها،و ذلك أنّ فوز الفايزين إنّما يكون بالتقوى و لزوم الأعمال الصالحات،و المبطلون هم الّذين لا حقّ معهم فهم الخارجون عن التقوى الحقّه.و إنّما يلحقهم الخسران بالخروج عنها.

و قوله:بادروا آجالكم بأعمالكم.

كقوله:بادروا الموت:أى و سابقوا آجالكم بالأعمال الصالحات إلى الاستعداد بها قبل أن يسبقكم إلى أنفسكم فيقطعكم عن الاستعداد بتحصيل الأزواد ليوم المعاد،و نبّههم بقوله:فإنّكم.إلى قوله:قدّمتم.على ارتهانهم بذنوبهم السالفه و الجزاء عليها فى القيامه ليسارعوا إلى فكاكها بالأعمال الصالحه و السلامه من الجزاء عليها، استعاره و لفظ المرتهن مستعار للنفوس الآثمه باعتبار تقيّدها بالسيّئه و إطلاقها

بالحسنه كتقيّد الرهن المتعارف بما عليه من المال و افتكاكه بأدائه مجاز إطلاقا لاسم أحد الضدّين على الآخر و إطلاق لفظ الجزاء على العقاب مجاز إطلاقا لاسم أحد الضدّين على الآخر .

تشبيه و قوله : و كأن قد نزل .

هى المخفّفه من كأنّ للتشبيه،و اسمها ضمير الشأن،و المقصود تشبيه حالهم و شأنهم الحاضر بحال نزول المخوف و هو الموت بهم و تحقّقه فى حقّهم الّذى يلزمه و يترتّب عليه عدم نيلهم للرجعه و إقالتهم للعثره .ثمّ عقّب بالدعاء لنفسه و لهم باستعمال اللّه إيّاهم فى طاعته و طاعه رسوله،و ذلك الاستعمال بتوفيقهم لأسباب الطاعه و إعدادهم لها و إفاضه صوره الطاعه على قواهم العقليّه و البدنيّه و جوارحهم الّتى بسببها تكون السعاده القصوى،ثمّ بما يلزم ذلك الاستعمال من العفو عن جرائمهم.و إنّما نسبها إلى فضل رحمته لكونه مبدءا للعفو و المسامحه من جهه ما هو رحيم و ذلك من الاعتبارات الّتى تحدثها عقولنا الضعيفه و تجعلها من صفات كماله كما سبق بيانه فى الخطبه الاولى .ثمّ عقّب وعظهم و تحذيرهم و الدعاء لهم بأمرهم أن يلزموا الأرض و يصبروا على ما يلحقهم من بلاء أعدائهم و مخالفيهم فى العقيده كالخوارج و البغاه على الإمام بعده من ولده و الخطاب خاصّ بمن يكون بعده بدلاله سياق الكلام كنايه و لزوم الأرض كنايه عن الصبر فى مواطنهم و قعودهم عن النهوض لجهاد الظالمين فى زمن عدم قيام الإمام الحقّ بعده عليه السّلام .

و قوله:و لا تحرّكوا بأيديكم و سيوفكم فى هوى ألسنتكم.

نهى عن الجهاد من غير أمر أحد من الأئمّه من ولده بعده،و ذلك عند عدم قيام من يقوم منهم لطلب الأمر فإنّه لا يجوز إجراء هذه الحركات إلاّ بإشاره من إمام الوقت.و هوى ألسنتهم ميلها إلى السبّ و الشتم موافقه لهوى النفوس.و الباء فى بأيديكم زائده.و يحتمل أن يكون مفعول تحرّكوا محذوفا تقديره شيئا:

اى و لا تتحرّكوا لهوى ألسنتكم و لا تستعجلوا بما لم يعجّله اللّه لكم من ذلك الجهاد.

و قوله :فإنّه من مات منكم.إلى قوله:لسيفه.

بيان لحكمهم فى زمن عدم قيام الإمام الحقّ بعده لطلب الأمر و تنبيه لهم

على ثمره الصبر،و هو أنّ من مات منهم على معرفه حقّ ربّه و حقّ رسوله و أهل بيته و الاعتراف بكونهم أئمّه الحقّ و الاقتداء بهم لحق بدرجه الشهداء و وقع أجره على اللّه بذلك و استحقّ الثواب منه على ما أتى به من الأعمال و الصبر على المكاره من الأعداء،و قامت نيّته أنّه من أنصار الإمام لو قام لطلب الأمر و أنّه معينه مقام تجرّده بسيفه معه فى استحقاق الأجر.

و قوله:فإنّ لكلّ شيء مدّه و أجلا.

تنبيه على أنّ لكلّ من دوله العدوّ الباطله و دوله الحقّ العادله مدّه تنقضى بانقضائها و أجل تنتهى به فإذا حضرت مدّه دوله عدوّ فليس ذلك وقت قيامكم فى دفعها فلا تستعجلوا به.هذا هو المتبادر إلى الفهم من هذا الكلام.و الخطبه من فصيح خطبه عليه السّلام و قد أخذ ابن نباته الخطيب كثيرا من ألفاظها فى خطبته كقوله:

شديد كلبها عال لجبها ساطعا لهبها متغيّظ زفيرها متأجّج سعيرها.إلى قوله:

فظيعه امورها،و كقوله:هول المطّلع،و روعات الفزع.إلى قوله:وردم الصفيح.

فانّه أخذ كلّ هذه الألفاظ و رصّع بها كلامه.و باللّه التوفيق و العصمه.

۲۳۳-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْفَاشِی فِی الْخَلْقِ حَمْدُهُ- وَ الْغَالِبِ جُنْدُهُ وَ الْمُتَعَالِی جَدُّهُ- أَحْمَدُهُ عَلَی نِعَمِهِ التُّؤَامِ وَ آلاَئِهِ الْعِظَامِ- الَّذِی عَظُمَ حِلْمُهُ فَعَفَا وَ عَدَلَ فِی کُلِّ مَا قَضَی- وَ عَلِمَ مَا یَمْضِی وَ مَا مَضَی- مُبْتَدِعِ الْخَلاَئِقِ بِعِلْمِهِ وَ مُنْشِئِهِمْ بِحُکْمِهِ- بِلاَ اقْتِدَاءٍ وَ لاَ تَعْلِیمٍ- وَ لاَ احْتِذَاءٍ لِمِثَالِ صَانِعٍ حَکِیمٍ- وَ لاَ إِصَابَهِ خَطَإٍ وَ لاَ حَضْرَهِ مَلَإٍ وَ أَشْهَدُ أَنَّ؟مُحَمَّداً؟ عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ- ابْتَعَثَهُ وَ النَّاسُ یَضْرِبُونَ فِی غَمْرَهٍ- وَ یَمُوجُونَ فِی حَیْرَهٍ قَدْ قَادَتْهُمْ أَزِمَّهُ الْحَیْنِ- وَ اسْتَغْلَقَتْ عَلَی

أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ- فَإِنَّهَا حَقُّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ- وَ الْمُوجِبَةُ عَلَى اللَّهِ حَقَّكُمْ وَ أَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِاللَّهِ- وَ تَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اللَّهِ- فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحِرْزُ وَ الْجُنَّةُ- وَ فِي غَدٍ الطَّرِيقُ إِلَى الْجَنَّةِ- مَسْلَكُهَا وَاضِحٌ وَ سَالِكُهَا رَابِحٌ وَ مُسْتَوْدَعُهَا حَافِظٌ- لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلَى الْأُمَمِ الْمَاضِينَ وَ الْغَابِرِينَ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا غَداً- إِذَا أَعَادَ اللَّهُ مَا أَبْدَى- وَ أَخَذَ مَا أَعْطَى وَ سَأَلَ عَمَّا أَسْدَى- فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبِلَهَا وَ حَمَلَهَا حَقَّ حَمْلِهَا- أُولَئِكَ الْأَقَلُّونَ عَدَداً- وَ هُمْ أَهْلُ صِفَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِذْ يَقُولُ- «وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ» - فَأَهْطِعُوا بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا وَ أَلِظُّوا بِجِدِّكُمْ عَلَيْهَا- وَ اعْتَاضُوهَا مِنْ كُلِّ سَلَفٍ خَلَفاً- وَ مِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ مُوَافِقاً- أَيْقِظُوا بِهَا نَوْمَكُمْ وَ اقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ- وَ أَشْعِرُوهَا قُلُوبَكُمْ وَ ارْحَضُوا بِهَا ذُنُوبَكُمْ- وَ دَاوُوا بِهَا الْأَسْقَامَ وَ بَادِرُوا بِهَا الْحِمَامَ- وَ اعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا وَ لَا يَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا- أَلَا وَ صُونُوهَا وَ تَصَوَّنُوا بِهَا- وَ كُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نُزَّاهاً- وَ إِلَى الْآخِرَةِ وُلَّاهاً- وَ لَا تَضَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ التَّقْوَى- وَ لَا تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ الدُّنْيَا- وَ لَا تَشِيمُوا بَارِقَهَا وَ لَا تَسْمَعُوا نَاطِقَهَا- وَ لَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا وَ لَا تَسْتَضِيئُوا بِإِشْرَاقِهَا- وَ لَا تُفْتَنُوا

بِأَعْلاَقِهَا- فَإِنَّ بَرْقَهَا خَالِبٌ وَ نُطْقَهَا كَاذِبٌ- وَ أَمْوَالَهَا مَحْرُوبَهٌ وَ أَعْلاَقَهَا مَسْلُوبَهٌ- أَلاَ وَ هِيَ الْمُتَصَدِّيَهُ الْعَنُونُ وَ الْجَامِحَهُ الْحَرُونُ- وَ الْمَائِنَهُ الْخَئُونُ وَ الْجَحُودُ الْكَنُودُ- وَ الْعَنُودُ الصَّدُودُ وَ الْحَيُودُ الْمَيُودُ- حَالُهَا انْتِقَالٌ وَ وَطْأَتُهَا زِلْزَالٌ- وَ عِزُّهَا ذُلٌّ وَ جِدُّهَا هَزْلٌ وَ عُلْوُهَا سُفْلٌ- دَارُ حَرْبٍ وَ سَلَبٍ وَ نَهْبٍ وَ عَطَبٍ- أَهْلُهَا عَلَى سَاقٍ وَ سِيَاقٍ وَ لَحَاقٍ وَ فِرَاقٍ- قَدْ تَحَيَّرَتْ مَذَاهِبُهَا وَ أَعْجَزَتْ مَهَارِبُهَا- وَ خَابَتْ مَطَالِبُهَا فَأَسْلَمَتْهُمُ الْمَعَاقِلُ- وَ لَفَظَتْهُمُ الْمَنَازِلُ وَ أَعْيَتْهُمُ الْمَحَاوِلُ- فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ وَ لَحْمٍ مَجْزُورٍ- وَ شِلْوٍ مَذْبُوحٍ وَ دَمٍ مَسْفُوحٍ- وَ عَاضٍّ عَلَى يَدَيْهِ وَ صَافِقٍ بِكَفَّيْهِ- وَ مُرْتَفِقٍ بِخَدَّيْهِ وَ زَارٍ عَلَى رَأْيِهِ- وَ رَاجِعٍ عَنْ عَزْمِهِ- وَ قَدْ أَدْبَرَتِ الْحِيلَهُ وَ أَقْبَلَتِ الْغِيلَهُ- وَ لاَتَ حِينَ مَنَاصٍ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ- قَدْ فَاتَ مَا فَاتَ وَ ذَهَبَ مَا ذَهَبَ- وَ مَضَتِ الدُّنْيَا لِحَالِ بَالِهَا- «فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَ الْأَرْضُ وَ ما كانُوا مُنْظَرِينَ»

اللغه

أقول: الفاشى : الذايع و المنتشر .و الجدّ هاهنا:العظمه،و منه حديث أنس:

كان أحدنا إذا قرء البقره و آل عمران جدّ فينا:أى عظم .و التؤام : جمع توأم،و حقيقته الولد يقارنه ولد آخر فى بطن واحد.قال الخليل:أصله ووءم على وزن فوعل فابدلوا من إحدى الواوين تاء كما قالوا:تولج من و ولج .و الآلاء النعم :

ص:۲۱۳

واحدتها ألى بالفتح،و قد يكسر كحرف الجرّ .و الضرب: السير .و الغمره:

ما يغمر العقل من الجهل،و الغمره:الشدّه أيضا .و الحين بالفتح : الهلاك .و الرين:

الطبع و غلبه الذنوب حتّى تتغطّى عن البصيره .و الغابر : الباقى و للماضى أيضا .

و أسدى : أرسل معروفه .و أهطع : أسرع .و واكظ على كذا : واظب عليه و داوم .

و المواكظه : المداومه.و روى:كظّوا:أى ألزموا،و لزوم الشىء فى معنى المداومه عليه .و الشعار : ما يلى الجسد تحت الدثار،و هو العلامه أيضا .و الرحض:

الغسل .و النزّاه : جمع نازه و هو المباعد عمّا يوجب الذمّ .و الولّاه: جمع واله و هو المتحيّر من شدّه الوجد .و الشيم : النظر إلى البرق أين تمطر سحائبه .و الناعق : الصائح .و أعلاقها : نفايسها،جمع علق و هو الشىء النفيس ،و برق خالب و خلب : لا مطر معه .و مال محروب : مأخوذ بكلّيّته .و المتصدّيه : المتعرّضه .و العنون : كثيره العنن و هو الاعتراض.و العنون أيضا:الدابّه المتقدّمه فى السير .

و الجموح : الدابه الّتى تغلب الفارس فلا يملكها .و الحرون : الّذى إذا اشتدّ به السوق وقف و المائنه : الكاذبه .و الكنود : الكفور للنعمه و العنود : المائله عن الطريق و عن المرعى .و الصدود : المعرضه .و الحيود : أيضا المائله .و الميود:

المتمايله .و الحرب بفتح الحاء : سلب المال .و السلب : ما يسلب من درع و نحوه فى الحرب .و العطب : الهلاك .و الساق : الشدّه .و السياق : نزع الروح ،و السياق مصدر ساقه سوقا و سياقا.و المعاقل : الحصون و ما يلجأ إليه .و لفظتهم: ألقتهم و المحاول:

جمع محاوله و هى الحيله و معقور : مجروح .و المجزور : المقطوع .و الشلو : العضو من اللحم بعد الذبح،و أشلاء الإنسان:أعضاؤه المتفرّقه بعد البلى .و مسفوح:

مسفوك .و الغيله : الأخذ على غرّه .و المناص : مصدر قولك ناص ينوص نوصا، أى فرّ و راغ .و لات : حرف سلب،قال الأخفش:شبّهوها بليس و أضمروا فيها اسم الفاعل،قال:و لا يكون لات إلّا مع حين و قد تحذف حين كما حذفت فى قول مازن بن مالك:حنت و لات حنت.فحذف حين و هو يريده،و قال:قرء بعضهم «وَ لاتَ حِينَ مَناصٍ» برفع حين و اضمر الخبر.و قال أبو عبيد:هى لا،و التاء

إنّما زيدت فی حين و إن كتب مفرده كما قال أبو وجره:العاطفون تحين ما من عاطف.و قال المورّج:زيدت التاء فی لات كما زيدت فی ثمّت و ربّت .و البال:

الحال و الشأن و الأمر.و البال أيضا:القلب .

المعنى

و قد حمد اللّه سبحانه باعتبارات لا ينبغی إلاّ له:

أحدها:الفاشی حمده

:أی فی جميع خلقه و مخلوقاته.إذ كان شیء منها لا يخلو من نعمه له أظهرها وجوده فلا يخلو من حمده بلسان الحال أو المقال. «وَ لَهُ الْحَمْدُ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ عَشِيًّا وَ حِينَ تُظْهِرُونَ» .

الثانی:الغالب جنده

،و جند اللّه ملائكته و أعوان دينه من أهل الأرض كقوله تعالى «وَ لِلّهِ جُنُودُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» (1)و قوله «وَ أَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْها» (2)و ظاهر كونه غالبا لقوله «وَ إِنَّ جُنْدَنا لَهُمُ الْغالِبُونَ» (3)و قوله «فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغالِبُونَ» (4)و فی هذه القرينه جذب للسامعين إلی نصره اللّه ليكونوا من جنده و تثبيت لهم على ذلك.

الثالث:المتعالی جدّه

:أی علاؤه و عظمته كقوله تعالى «وَ أَنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنا مَا اتَّخَذَ صاحِبَةً وَ لا وَلَداً» (5)و هذه القرينه تناسب ما قبلها لما فی تلك من إيهام الحاجه إلی الجند و النصره،و فی الثانيه تعاليه و عظمته عن كلّ حال يحكم بها فی حقّه الرافع لذلك الإيهام ،ثمّ عقّب بذكر سبب الحمد و هو نعمه التؤام و آلاؤه العظام،و معنى كونها توأما ترادفها على العبد و تواترها فإنّه ما من وقت يمرّ عليه إلاّ و عنده أنواع من نعمه اللّه تعالى لا تكافؤ بحمد.

الرابع:من الاعتبارات الّذی عظم حلمه فعفا.

فالحلم فی الإنسان فضيله تحت الشجاعه يعسر معها انفعال النفس عن الواردات المكروهه الموذيه له،و أمّا فی حقّ اللّه تعالى فتعود إلی اعتبار عدم انفعاله عن مخالفه عبيده لأوامره و نواهيه،و كونه لا يستفزّه عند مشاهده المنكرات منهم غضب و لا يحمله على المسارعه إلی

1- 1) 7-48.

۲- ۲) ۴۰-۹.

۳- ۳) ۱۳۷-۳۷.

۴- ۴) ۶۱-۵.

۵- ۵) ۳-۸۲.

الانتقام منهم مع قدرته التامّه على كلّ مقدور غيظ و لا طيش.و الفرق بينه تعالى و بين العبد فى هذا الوصف أنّ سلب الانفعال عنه سلب مطلق و سلبه عن العبد عمّا من شأنه أن يكون له ذلك الشىء فكان عدم الانفعال عنه تعالى أبلغ و أتمّ من عدمه عن العبد،و بذلك الاعتبار كان أعظم،و لمّا كان الحلم يستلزم العفو عن الجرائم و الصفح عنها سمّى إمهاله تعالى للعبد و عدم مؤاخذته بجرائمه عفوا فلذلك أردف وصفه لعظمه الحلم بذكر العفو،و عطفه بالفاء لاستعقاب الملزوم لازمه بلا مهله.

الخامس:و عدل فى كلّ ما قضى

و لمّا كان العدل عباره عن التوسّط فى الأفعال و الأقوال بين طرفى التفريط و الإفراط،و كان كلّ ما قضاه تعالى و حكم عليه بوقوعه أو عدم وقوعه جاريا على وفق الحكمه و النظام الأكمل لما بيّن ذلك فى مظانّه من العلم الإلهىّ لا جرم لم يكن أن يقع فى الوجود شىء من أفعاله أو أقواله منسوبا إلى أحد طرفى التفريط و الإفراط بل كان على حاقّ الوسط منهما و هو العدل.و قيل:قضى بمعنى أمر كقوله تعالى «وَ قَضى رَبُّکَ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِيّاهُ» (۱)و هو داخل فيما قلناه فإنّ ما أمر بإيجاده أو نهى عنه داخل فيما حكم عليهم بوقوعه أو عدم وقوعه.

السادس:و علم ما يمضى و ما مضى.

إشاره إلى إحاطه علمه بكلّ الامور مستقبلها و ماضيها و كلّيّها و جزئيّها،و قد أشرنا إلى ذلك فيما قبل .

السابع:مبتدع الخلايق بعلمه

ظاهر كلامه عليه السّلام ناطق بأنّ العلم هنا سبب لما ابتدع من خلقه و لا شكّ أنّ السبب له تقدّم على المسبّب من جهه ما هو سبب و هذا هو مذهب جمهور الحكماء،و الخلاف فيه مع المتكلّمين.إذ قالوا:إنّ العلم تابع للمعلوم و التابع يمتنع أن يكون سببا.فالباء على رأيهم إذن للاستصحاب، و على الرأى الأوّل للتسبّب.و نحن إذا حقّقنا القول و قلنا:إنّه لا صفه له تعالى تزيد على ذاته و كانت ذاته و علمه و قدرته و إرادته شيئا واحدا و إنّما تختلف بحسب اعتبارات تحدثها عقولنا الضعيفه بالقياس إلى مخلوقاته كما سبق بيانه

۱- (۱) ۲۴-۱۷.

فی الخطبه الاولی لم یبق تفاوت فی أن یستند المخلوقات إلی ذاته أو إلی علمه أو إلی قدرته أو غیرهما.و أمّا بیان أنّ العلم تابع للمعلوم حتّی یمتنع أن یکون سببا له أو متبوعا حتّی لا یمتنع ذلک فممّا حقّق فی مظانّه.و المسأله ممّا طال الخبط فیها بینهم،و یحتمل أن یرید بالإبداع إحکام الأشیاء و إتقانها بحیث یکون محلّ التعجّب یقال:هذا فعل بدیع و منظر بدیع:أی معجب حسن.فظاهر أنّ ذلک منسوب إلی العلم و لذلک یستدلّ بإحکام الفعل و إتقانه علی علم فاعله.

الثامن:و منشئهم بحکمه

:أی بحکمته و هو قریب من الّذی قبله،و یحتمل أن یرید حکم قدرته علی الموجودات بالوجود.و هو ظاهر.

و قوله:بلا اقتداء و لا تعلیم.

و قوله:بلا اقتداء و لا تعلیم.

أی لم یکن إبداعه و إنشاءه للخلق علی وجه اقتدائه بغیره ممن سبقه إلی ذلک، و لا علی وجه التعلّم منه.و الاقتداء أعمّ من التعلّم.

و قوله:و لا إصابه خطأ.

و قوله:و لا إصابه خطأ.

أی لم یکن إنشاؤه للخلق أوّلا إتّفاقا علی سبیل الاضطراب و الخطأ من غیر علم منه ثمّ علمه بعد ذلک فاستدرک فعله و أحکمه فأصاب وجه المصلحه فیه.و الإضافه بمعنی اللام لما أنّ الإصابه من لواحق ذلک الخطأ.و بمثل هذا اعترض المتکلّمون علی أنفسهم حیث استدلّوا علی کونه تعالی عالما بکلّ معلوم فقالوا:إنّه تعالی علم بعض الأشیاء لا من طریق أصلا لا من حسّ و لا نظر و استدلال فوجب أن یعلم سائرها کذلک لأنّه لا تخصیص،ثمّ سألوا أنفسهم فقالوا:لم زعمتم ذلک و لم لا یجوز أن یکون قد فعل أفعاله مضطربه ثمّ أدرکها فعلم کیفیّه صنعها بطریق کونه مدرکا لها فأحکمها بعد اختلافها و اضطرابها؟ثمّ أجابوا عن ذلک بأنّه لا بدّ أن یکون قبل ذلک عالما بمفرداتها من غیر طریق فوجب أن یعلمها بأسرها کذلک لعدم التخصیص.

و هذا الجواب فاسد لأنّ مفرداتها إن لم تکن من فعله کالأجزاء الّتی لا یتجزّی علی رأی المثبتین فلیس کلامنا فی علمه بها بل فیما کان من فعله و لا یلزم من العلم بمفردات الفعل العلم بالفعل،و إن کانت من فعله فقولکم:لا بدّ أن یکون عالما بمفرداتها

قبل فعلها مصادره على المطلوب.و الجواب الحقّ أنّه لو علمها بعد أن لم يعلمها لكان علمه بها حادثا فى ذاته فكان محلاّ للحوادث و هو محال لما سبق.

و قوله:و لا حضره ملأ.

و قوله:و لا حضره ملأ.

أى و لم يكن خلقه لما خلق بحضره جماعه من العقلاء بحيث يشير كلّ منهم عليه برأى و يعينه بقول فى كيفيّه خلقه حتّى يكون أقرب إلى الصواب لأنّ كلّ جماعه فرضت فهى من خلقه فلا بدّ أن تصدر عنه الامور لا بحضره أحد،و لأنّ ذلك يستلزم حاجته إلى المعين و الظهير و الحاجه يستلزم الإمكان المنزّه قدسه عنه.و إليه الإشاره بقوله تعالى «ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لاـ خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَ ما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً» (۱)و كلّ ذلك تنزيه لفعله عن كيفيّات أفعال عباده .ثمّ أردف ذلك باقتصاص أحوال الخلق حال انبعاث اللّه رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.و الواو فى قوله:و الناس.للحال:أى و الناس يسيرون عند مقدمه فى جهاله. كنايه و هو كنايه عن تصرّفاتهم على جهل منهم بما ينبغى لهم من وجوه التصرّف،و يحتمل أن يريد و تسيرون فى شدّه و ذلك أنّ العرب كانت حينئذ فى شدائد من ضيق المعاش و النهب و الغارات و سفك الدماء كما قال عليه السّلام فيما قبل:إنّ اللّه بعث محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نذيرا للعالمين،و أمينا على التنزيل،و أنتم معشر العرب على شرّ دين و فى شرّ دار.الفصل.و كذلك قوله: و يموجون فى حيره .كنايه عن تردّدهم فى حيره الضلال و الجهل أو فى حيره من الشدائد المذكوره .

و قوله:قد قادتهم أزمّه الحين.

استعاره مرشحه و قوله: قد قادتهم أزمّه الحين .

أى قد تداعوا للموت و الفناء من كثره الغارات و شدائد سوء المعاش و ظلم بعضهم لبعض لأنّ الناس إذا لم يكن بينهم نظام عدليّ و لم يجر فى امورهم قانون شرعيّ أسرع فيهم ظلم بعضهم البعض و استلزم ذلك فناؤهم،و لمّا استعار لفظ الأزمّه رشّح بذكر القود .

و قوله:و استغلقت.إلى قوله:الرين.

استعاره مرشحه و قوله: و استغلقت.إلى قوله:الرين .

أراد رين الجهل و تغطيته لقلوبهم عن أنوار اللّه تعالى و الاستضاء بأضواء

۱- (۱ ۴۹-۱۸.

الشريعه.و استعار لفظ الأقفال لغواشى الجهل و الهيئات الرديئه المكتسبه من الإقبال على الدنيا،و وجه المشابهه أنّ تلك مانعه للقلب و حاجبه له عن قبول الحقّ و الاهتداء به كما تمنع الأقفال ما يغلق عليه من التصرّف،و رشّح بذكر الاستغلاق و إنّما أتى بلفظ الاستفعال لأنّ ذلك الرين كان أخذ فى الزياده و منتقلا من حال إلى حال فكأنّ فيه معنى الطلب للتمام .ثمّ عقّب بالوصيّه بتقوى اللّه على جرى عادته لأنّها رأس كلّ مطلوب،و رغّب فيها بكونها حقّ اللّه عليهم:أى الأمر المطلوب له المستحقّ عليهم،و بكونها موجبه على اللّه حقّهم و هو جزاء طاعتهم له الّذى أوجبه على نفسه و لزم عن كمال ذاته الفيّاضه بالخيرات بحسب استعدادهم له بالتقوى.ثمّ أشار إلى ما ينبغى للمتصدّى إلى التقوى و هو أن يستعين على قطع عقباتها باللّه و الانقطاع إليه أن يعينه عليها و يوفّقه بها فإنّ الانقطاع إلى معونته و الالتفات إليه مادّه كلّ مطلوب.ثمّ إلى فائدتها و هى الاستعانه بها على اللّه تعالى.و لمّا كان المطلوب منه الوصول إلى ساحل عزّته و النظر إلى وجهه الكريم و السلامه من غضبه و نقاش حسابه إذ هو تعالى الحاكم الأوّل كانت التقوى أجلّ ما يستعدّ به لحصول تلك المطالب، و كان السعيد من استعان بها على دفع شدائده تعالى فى الآخره من المناقشه فإنّه لاخلاص منها إلاّ بها .ثمّ عقّب ذكرها ببيان ما يستلزمه من الامور المرغوب فيها:

منها كونها فى اليوم:أى فى مدّه الحياه حرزا و جنّه:أى من المكاره الدنيويّه لقوله تعالى «وَ مَنْ يَتَّقِ اللّٰهَ يَجْعَلْ لَهُ» -من أمره- «مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» (۱)و فى غد:أى فى يوم القيامه الطريق إلى الجنّه.و هو ظاهر،و منها كون مسلكها واضحا و ظاهر أنّ الشارع صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أوضح طرق التقوى و كشف سبلها حتّى لا يجهلها إلاّ جاهل،و منها كون سالكها رابحا. استعاره و استعار لفظ الربح لما يحصل عليه المتّقى من ثمرات التقوى فى الدنيا و الآخره،و وجه الاستعاره أنّه بحركاته و تقواه الّتى يشبه رأس ماله يستفيد الثواب كما يستفيد التاجر مكاسبه،و منها كون مستودعها حافظا .و المستودع بالفتح قابل الوديعه و بكسرها

۱- ۱) ۲-۶۵.

فاعلها.و المراد على الروايه بالفتح كون قابلها حافظا لنفسه بها من عذاب اللّه أو يكون حافظ بمعنى محفوظ،و على الثانيه فالمستودع لها إمّا اللّه سبحانه.إذ هى الأمانه الّتى عرضها «عَلَى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» «فَأَبَيْنَ أَنْ» يحملها «وَ أَشْفَقْنَ مِنْها وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ» و ظاهر كونه تعالى حافظا على العبد المستودع أحواله فيها من تفريطه و تقصيره أو أمانته و محافظته عليها،و إمّا الملائكه الّتى هى وسائط بين اللّه تعالى و بين خلقه.و ظاهر كونهم حفظه كما قال تعالى «وَ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً» و قوله «وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ كِراماً كاتِبِينَ يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ » (۱).

و قوله لم تبرح عارضه نفسها.إلى قوله الغابرين.

استعاره و قوله لم تبرح عارضه نفسها.إلى قوله الغابرين .

كلام لطيف،و استعار وصف كونها عارضه نفسها.و وجه الاستعاره كونها مهيّئه لأن تقبل و بصدد أن ينتفع بها كالمرأه الصالحه الّتى تعرض نفسها للتزويج و الانتفاع بها .ثمّ علّل كونها لم تبرح كذلك لحاجه الخلق إليها غدا:أى يوم القيامه ترغيبا فيها بكونها محتاجا إليها،و يحتمل أن يدخل ذلك فى وجه الشبه.

و قوله:إذا أعاد.إلى قوله:أسدى.

و قوله:إذا أعاد.إلى قوله:أسدى.

كالقرينه المخرجه لغد عن حقيقته إلى مجازه و هو يوم القيامه،و تعيين له بأنّه الوقت الّذى يعيد اللّه فيه ما كان أبداه من الخلق و يأخذ فيه ما كان أعطاهم من الوجود الدنيوىّ و لواحقه و يقول: «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلّهِ الْواحِدِ الْقَهّارِ» .و فى الحديث:

إنّ اللّه تعالى يجمع كلّ ما كان فى الدنيا من الذهب و الفضّه فيجعله أمثال الجبال ثمّ يقول:هذا فتنه بنى آدم.ثمّ يسوقه إلى جهنّم فيجعله مكاوى لجباه المجرمين و يسألهم فيه عمّا أسدى إليهم فيه من نعمه فيسأل من ادّخرها لم ادّخرها و لم ينفقها فى وجوهها المطلوبه للّه،و يسأل من أنفقها فى غيره وجهها!فيقول. «أَذْهَبْتُمْ طَيِّباتِكُمْ فِي حَياتِكُمُ الدُّنْيا وَ اسْتَمْتَعْتُمْ بِها» .و يجازى الأوّلين بادّخارها كما قال «وَ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمى عَلَيْها فِي نارِ جَهَنَّمَ» (۲)الآيه،و يجازى الآخرين بصرفها فى غير وجهها كما قال «الْيَوْمَ»

۱- (۱) ۱۰-۸۲.

۲- (۲) ۳۴-۹.

«تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » .

و قوله:فما أقلّ من قبلها.

و قوله:فما أقلّ من قبلها.

تعجّب من قلّه من قبل التقوى بينهم و حملها حقّ حملها:أى أخذها و حفظها بشرائطها و استعدّ بها ليؤدّى أمانه اللّه فيها.إذ هى الأمانه المعروضه.ثمّ حكم بكون قابلها و حاكمها هم أقلّ الناس عددا،و أنّهم أهل صفه اللّه:أى الّذين وصفهم اللّه تعالى بقوله «وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ» .

ثمّ أمرهم فيها بأوامر :

أحدها:أن يهطعوا بأسماعهم إليها

:أى يسرعوا إلى سماع وصفها و شرحها ليعرفوها فيعملوا على بصيره.

الثانى:أن يواكظوا عليها بجدّهم

:أى يداوموا عليها و يلازموها باجتهاد منهم،و روى و انقطعوا بأسماعكم إليها:أى انقطعوا عن علائق الدنيا و استصحبوا أسماعكم إلى سماع وصفها.فكأنّ أحد الروايتين تصحيف الاخرى لأنّ النون و القاف إذا تقارنا أشبها الهاء فى الكتابه.

الثالث:أن يعتاضوها خلفا عن كلّ محبوب فى الدنيا سلف لهم

و نعم الخلف ممّا سلف إذ كانت المطالب الحاصله بها أنفس المطالب و هى السعاده الأبديّه.

و خلفا مصدر سدّ مسدّ الحال.

الرابع:أن يعتاضوها من كلّ مخالف لهم موافقا.

و المراد أنّ كلّ من كان موافقا لك ثمّ خالفك فى أمر من الامور فينبغى أن يكون على طريق الحقّ و التقوى فى ذلك الأمر و لا تميل ميل مخالفك فإنّ التقوى نعم العوض ممّن خالفك.و نحوه ما قال أفلاطون الحكيم:سقراط حبيبنا و الحقّ حبيبنا و إذا اختلفا كان الحقّ أحبّ إلينا .

الخامس:

مجازا من باب إطلاق اسم الملزوم على لازمه-استعاره أن يوقظوا بها نومهم .قال بعض الشارحين:أراد أن يوقظوا بها نوّامكم فأقام المصدر مقام اسم الفاعل مجازا لما فيه من التضادّ فى القرينه.قلت:

و یحتمل أن یرید بقوله: أیقظوا :أی اطردوا بتقوی اللّه و عبادته نومکم فی لیلکم و أحیوه بها.فاستعمل لفظ الایقاظ لإفادته ذلک المعنی إذ کان الأمر بإیقاع أحد

ص:۲۲۱

الضدّين فى محلّ يستلزم الأمر بنفى الضدّ الآخر عن ذلك المحلّ مجازا من باب إطلاق اسم الملزوم على لازمه و لما فيه من التضادّ،و يحتمل أن يريد بالنوم نوم الغفله و الجهل و بإيقاظ النائمين منها بها تنبيههم بها من مراقد الطبيعه و إعدادهم بأجراء العباده و قوانينها لحصول الكمالات العلميّه و العمليّه على سبيل الاستعاره.

و وجهها ظاهر ممّا سبق.

السادس:و أن يقطعوا بها يومهم

:أى يقطعوا بالاشتغال بها نهارهم.

السابع:

استعاره أن يشعروها قلوبهم :أى يجعلوها شعارا لقلوبهم و يلبسوها إيّاه كما يلبس الشعار.و لفظ الشعار مستعار لها،و وجه الاستعاره كون التقوى الحقيقيّه تلازم النفس و تتّصل بالقلب كما يتّصل الشعار بالجسد ،و يحتمل أن يريد اجعلوها لازمه لقلوبكم ليتميّز بها عن قلوب الظالمين،و يحتمل أن يريد أشعروها قلوبكم:أى أعلموها بها و اجعلوها شاعره بتفاصيلها و لوازمها.

الثامن:

استعاره أن يرحضوا بها ذنوبهم :أى يغسلوها بالاشتغال بالتقوى.و لفظ الرحض مستعار باعتبار كون التقوى ماحيه لدرن الذنوب و الهيآت البدنيّه عن ألواح النفوس كما يمحق الغسل درن الثوب و أوساخه .

التاسع:أن يداووا بها الأسقام

:أى أسقام الذنوب و أمراض القلوب كالجهل و الشكّ و النفاق و الرياء و الحسد و الكبر و البخل و جميع رذائل الأخلاق الّتى هى فى الحقيقه الأسقام المهلكه،و لاشتمال التقوى على جميع الأعمال الجميله و الملكات الفاضله كانت دواء لهذه الأسقام و شفاء لا يعقبه داء.

العاشر:و أن يبادروا بها الحمام

:أى يسارعوه و يسابقوه بها.و قد سبق بيانه فى الخطبه السابقه.

الحادى عشر:أن يعتبروا بمن أضاعها

:أى ينظروا إلى الامم السابقه قبلهم ممّن أضاع التقوى،و يتفكّروا فى حاله كيف أضاعها لأمر لم يبق له ففاته ما طلب و لم يدرك ما فيه رغب ثمّ حصل بعد الهلاك على سوء المنقلب فيحصّلوا من ذلك عبره لأنفسهم فيحملوها على التقوى خوفا ممّا نزل بمن أضاعها من الخيبه و الحرمان

و الرجوع إلى دار الهوان.

الثانى عشر:أن لا يجعلوا أنفسهم عبره لمن أطاعها

:أى انقاد للتقوى و دخل فيها أو أطاع موجبها فحذف المضاف،و المراد نهيهم أن يدخلوا فى زمره من أضاعها فيكونوا عبره لمن أطاعها فنهى عن لازم الإضاعه و هو اعتبار غيرهم بهم.و صوره ذلك النهى و إن كانت متعلّقه بغيرهم إلاّ أنّه كنايه عن نهيهم عمّا يستلزم عبره الغير بهم و هو إضاعه التقوى لأنّ النهى عن اللازم يستلزم النهى عن الملزوم،و هذا كما تقول لمن تنصحه:لا يضحكك الناس منك:أى لا تفعل ما يستلزم ذلك و يوجبه منهم .

الثالث عشر:أن يصونوها.

و صيانتها شدّه التحفّظ فيها من خلطها برياء أو سمعه و مزجها بشىء من الرذائل و المعاصى.

الرابع عشر:أن يتصوّنوا بها

:أى يتحفّظوا بها عن الذنوب و الرذائل و ثمرتها و يتحرّزوا بالاستعداد لها من لحوق العذاب فى الآخره.

الخامس عشر:أن يكونوا عن الدنيا نزّاها

:أى متنزّهين عمّا حرّم اللّه عليهم و كرهه ممّا يوجب لهم الذمّ عاجلا و العقاب آجلا و هو أمر بالتقوى أيضا.

السادس عشر:أن يكونوا إلى الآخره ولاّها

:أى متحيّرين من شدّه الشوق إليها و ذلك مستلزم للأمر بالتقوى و الانقطاع عن الدنيا إلى الأعمال الصالحه لأنّها هى السبب فى محبّه الآخره و الرغبه التامّه فيما عند اللّه.

السابع عشر:أن لا يضعوا من رفعته التقوى.

و وضعه إمّا بقول كذمّه و الاستهزاء به،أو بفعل كضربه،أو فعل ما يستلزم إهانته،أو ترك قول،أو ترك فعل يستلزم ذلك.و لمّا كان كلّ ذلك منافيا للتقوى و داخلا فى أبواب الرذائل لا جرم نهى عن لازمه و هو وضع من رفعته التقوى لاستلزام رفع اللازم رفع الملزوم.

الثامن عشر:

مجاز أن لا يرفعوا من رفعته الدنيا .و أراد من ارتفاعه وجاهته عند الخلق بسبب الدنيا و اقتناء شىء منها.و التقدير:من رفعته أهل الدنيا.فحذف المضاف،أو اسند الرفع إلى الدنيا مجازا لأنّ الرافع و المعظم له هم الناس،و لمّا

كـان من رفعته الـدنيا عادلاـ عن التقوى كـان الميل إليه و احترامه و محبّته يستلزم المحبّه للـدنيا و الميل إليها و كان منهيّا عنه،و كان الانحراف عنه و عدم توقيره زهدا فى الدنيا و أهلها هو من جمله التقوى فكان مامورا به .

التاسع عشر:

استعاره نهى عن شيم بارقها .استعار لفظ البارق لما يلوح للناس فى الـدنيا من مطامعها و مطالبها،و وصف الشيم لتوقّع تلك المطالب و انتظارها و التطّلع إليها على سبيل الكنايه عن كونها كالسحابه الّتى يلوح بارقها فيتوقّع منها المطر .

العشرون:

كنايه و عن سماع ناطقها .و كنّى بناطقها عن مادحها و ما كشف وصفها و زينها من القول أو فعل أو زينه أو متاع،و بسماعه عن الإصغاء و الميل إليه و تصديق مقاله و تصويب شهادته فإنّها هى الّتى ينبغى أن يقتنى و يدّخر و يعتنى بها إلى غير ذلك فإنّ كلّ ذلك سبب للعدول عن التقوى و طريق الآخره إلى طرق الهلاك .

الحادى و العشرون:

كنايه و عن إجابه ناعقها .و كنّى بناعقها عن الداعى إليها و الجاذب ممّا ذكرنا،و بإجابته عن موافقته و متابعته .

الثانى و العشرون:

استعاره و الاستضاءه بإشراقها .و استعار لفظ الإشراق لوجوه المصالح الداعيه إليها و الآراء الهاديه إلى طرق تحصيلها و كيفيّه السعى فيها،و وصف الاستضاءه للاهتداء بتلك الآراء فى طلبها،و وجه المشابهه أنّ تلك الآراء يهتدى بها فى تحصيلها كما يهتدى بالإشراق المحسوس.و هذه القرينه قريبه المعنى من القرينتين قبلها،و يحتمل أن يريد بإشراقها ما يبتهج به من زينتها و أنوار جنابها،و بالاستضاءه ذلك الابتهاج و الالتذاذ على سبيل الاستعاره،و وجهها مشاركه زينتها للضياء فى كونه سببا ممدّا للأرواح باسطا لها .

الثالث و العشرون:و من الفتنه بأعلاقها.

و أعلاقها ما يعدّ فيها نفيسا من قيناتها و متاعها،و هو مستلزم للنهى لهم عن محبّه الـدنيا و الانهماك فى لـذّاتها لأنّ ذلك هو الفاتن لهم و المضلّ عن سبيل اللّه و هو سبب بلائهم و محنتهم و إليه

الإشاره بقوله تعالی «أَنَّما أَمْوالُکَمْ وَ أَوْلادُکُمْ فِتْنَهٌ» (۱)قال المفسّرون:بلاء و محنه و اشتغال عن الآخره.و الإنسان بسبب المال و الولد یقع فی العظائم و یتناول الحرام إلاّ من عصمه اللّه،و عن أبی بریده قال:کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یخطبنا یوما فجاء الحسن و الحسین علیهما السّلام و علیهما قمیصان أحمران یمشیان و یعثران فنزل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من المنبر فحملهما فوضعهما بین یدیه ثمّ قال:صدق اللّه عزّ و جلّ «أَنَّما أَمْوالُکُمْ وَ أَوْلادُکُمْ فِتْنَهٌ» نظرت إلی هذین الصبیّین یمشیان و یعثران فلم أصبر حتّی نزلت إلیهما و رفعتهما.ثمّ أردف ذلک بتعداد معایب و أوصاف لها منفّره عنها معلّلا بها ما سبق من نواهیه عنها.

فقوله:فإنّ برقها خالب.

استعاره فقوله: فإنّ برقها خالب .

تعلیل لنهیه عن شیم بارقها.و استعار وصف الخالب لما لاح من مطامعها،و وجه المشابهه کون مطامعها و آمالها غیر مدرکه و إن ادرک بعضها ففی معرض الزوال کأن لم یحصل فأشبهت البرق الّذی لا ماء فیه و إن حصل معه ضعیف فغیر منتفع به فلذلک لا ینبغی أن یشام بارقها .

و قوله:و نطقها کاذب.

کنایه و قوله: و نطقها کاذب .

تعلیل لنهیه عن سماع نطقها:أی النطق الحاصل فی معناها،و فی مدحها،و أنّها ممّا ینبغی أن یطلب و یدّخر،و وصف نفسها و لذّاتها بلسان حالها الّذی تغرّبه الأوهام الفاسده.و کونه کذبا کنایه عن عدم مطابقه ذلک الوصف بحالها فی نفس الأمر .

و قوله:و أموالها محروبه.

و قوله: و أموالها محروبه .

کالتعلیل لنهیه عن الاستضاءه بإشراقها:أی لا ینبغی أن تستعمل الآراء الحسنه و الحیل فی تحصیل أموالها،أو لا ینبغی أن تحبّ زینتها و أموالها و یبتهج بها فإنّها مأخوذه.

و قوله:و أعلاقها مسلوبه.

و قوله: و أعلاقها مسلوبه .

۱- ۱) ۲۸-۸.

تعلیل لنهیه عن الافتنان بأعلاقها،و یحتمل أن تکون هذه القرینه مع الّتی قبلها تعلیل للنهی عن الفتنه بأعلاقها .

ثمّ أردف تلک الأوصاف بالتنبیه علی أوصاف

اشاره

اخری و نقایض لها مستعاره نفّر بها عنها:

أحدها:

استعاره-استعاره بالکنایه أنّها المتصدّیه العنون .قال بعض الشارحین:هو استعاره وصف المرأه الفاجره الّتی من شأنها التعرّض للرجال لتخدعهم عن أنفسهم،و یحتمل أن یکون استعاره لوصف الفرس أو الناقه الّتی تمشی فی الطریق معترضه خابطا.

و قوله: العنون .

استعاره بوصف الدابّه المتقدّمه فی السیر.کنّی بهما عن لحوق الدنیا بالدابّه تکون کذلک.و وجه المشابهه فی الوصف الأوّل أنّ الدنیا فی تغیّراتها و أحوالها و حرکاتها غیر مضبوطه و لا جاریه مع الإنسان علی حال واحد فأشبهت الناقه الّتی تعترض فی طریقها و تمشی علی غیر استقامه،و وجهها فی الثانی أنّ مدّه الحیاه الدنیا فی غایه الإسراع و شدّه السیر بأهلها إلی الآخره فأشبهت السریعه من الدوابّ المتقدّمه فی سیرها .

الثانی:

استعاره الجامحه الحرون .استعار وصف الجماح لها باعتبار کونها لا تملک لأهلها و لا ینقاد لهم کما لا ینقاد الحرون لراکبها،و کذلک وصف الحرون باعتبار عدم انقیاده لأهلها و عدم قدرتهم علی تصریفها و هم أحوج ما یکونون إلیها .

الثالث:

استعاره المائنه الخئون .فاستعار وصف الکاذبه لها باعتبار عدم مطابقه اغترارها للناس بزینتها و متاعها و توهّمهم عن ذلک بقاؤها و نفعها لما علیه الأمر فی نفسه.

إذ کان عن قلیل ینکشف کذبها فیما غرّتهم به و کذب أوهامهم فیها،و کذلک وصف الخئون باعتبار عدم وفائها لمن غرّته و خدعته عن نفسه بزینتها فکأنّها لذلک أعطته عهدا بدوامها له فخانته بزوالها عنه و لم تف بعهده .

الرابع:

استعاره الجحود الکنود ،و استعار لها هذین الوصفین ملاحظه لشبهها بالمرأه الّتی تکفر نعمه زوجها و تنکر صنیعه،و یکون من شأنها الغدر.و ذلک أنّ الدنیا من شأنها أن تنفر عمّن رغب فیها و سعی لها و اجتهد فی عمارتها و إظهار

زينتها،و يكون سبب هلاكه ثمّ ينتقل عنه إلى غيره .

الخامس:

استعاره العنود الصدود .فاستعار وصف العنود لها باعتبار عدولها عن حال استقامتها على الأحوال المطلوبه للناس،و انحرافها عن سنن قصودهم منها كالناقه الّتى ينحرف عن المرعى المعتاد للإبل و ترعى جانبا.و كذلك الصدود باعتبار كثره إعراضها عمّن طلبها و رغب فيها .

السادس:

استعاره و الحيود الميود فاستعاره وصف الحيود ظاهره،و أمّا وصف الميود فباعتبار تردّدها فى ميلها بالنسبه إلى بعض أشخاص الناس من حال إلى آخر فتاره لهم و تاره عليهم.و يحتمل أن لا يكون قد اعتبر قيد التردّد بل أراد مطلق الحركه استعاره لكثره تغيّرها و انتقالها .

السابع:حالها انتقال.

إخبار عن حالها بأنّها انتقال:أى من شخص إلى آخر و من حال إلى حال.و ظاهر أنّها كذلك.قال بعض الشارحين:يجوز أن يريد به أنّ شيمتها و سجيّتها الانتقال و التغيّر.و يحتمل أن يعنى بالحال الحاضره من الزمان و هو الآن.و يكون مراده أنّ الّذى يحكم عليه العقلاء بالحضور منها ليس بحاضر بل هو سيّال متغيّر لا ثبوت له فى الحقيقه كما لا ثبوت للماضى و المستقبل.

الثامن:

استعاره و وطأتها زلزال .استعار لفظ الوطأه لإصابتها ببعض شدائدها،و وجه الاستعاره استلزام إصابتها بذلك إهانه من أصابته و الثقل عليه كما يستلزم وطأه الثقيل من الحيوان ذلك،و استعار لفظ الزلزال لاضطراب أحوال من تصيبه بمكروهها كاضطراب الأرض بالزلزال .

التاسع:

مجاز إطلاقا لاسم الملزوم على لازمه أو تسميه الشىء باسم ما يؤول إليه عزّها ذلّ :أى العزّ الحاصل عنها لأهلها بسبب كثره قيناتها كعزّه ملوكها و منفعتهم ذلّ فى الآخره،و أطلق عليه لفظ الذلّ إطلاقا لاسم الملزوم على لازمه أو تسميه الشىء باسم ما يؤول إليه.إذ كان العزّ بالدنيا و أموالها مستلزما للانحراف عن الدين و التقوى الحقّه،و ذلك مستلزم للذلّ الأكبر عند لقاء اللّه .و إليه الإشاره بقوله تعالى حكايه عن المنافقين «لَئِنْ رَجَعْنا»

«إِلَى الْمَدِينَهِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَ لِلّهِ الْعِزَّهُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لكِنَّ الْمُنافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ» (۱)و نقل المفسّرون أنّ القائل لذلک عبد اللّه بن ابیّ،و الأعزّ یعنی نفسه و الأذلّ یعنی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فردّ اللّه تعالی علیه بقوله «وَ لِلّهِ الْعِزَّهُ وَ لِرَسُولِهِ» (۲)الآیه.

العاشر:

استعاره و جدّها هزل .استعار لفظ الجدّ و هو القیام فی الأمر بعنایه و اجتهاد لإقبالها علی بعض أهلها بخیراتها کالصدیق المعتنی بحال صدیقه،و لإدبارها عن بعضهم و إصابتها له بمکروهها کالعدوّ القاصد لهلاک عدوّه.و استعار لجدّها لفظ الهزل الّذی هو ضدّه.و وجه الاستعاره کونها عند إقبالها علی الإنسان کالمعتنیه بحالها أو عند إعراضها عنه و رمیه بالمصایب کالقاصده لذلک ثمّ یسرع انتقالها عن تلک الحال إلی ضدّها فهی فی ذلک کالهازل اللاعب.و یحتمل أن یرید جدّ أهلها هزل:

أی عنایتهم بها و اجتهادهم فی تحصیلها یشبه الهزل و اللعب فی سرعه تغیّره و الانتقال عنه بزوالها فاستعار له لفظه .

الحادی عشر:و علوّها سفل

:أی العلوّ الحاصل بسببها أو علوّ أهلها علی تقدیر حذف المضاف،و أخبر عنه بأنّه سفل لاستلزامه السفل و انحطاط المرتبه فی الآخره بین أهلها.و هو کقوله:و عزّها ذلّ.

الثانی عشر:کونها دار حرب

.کقوله:أموالها محروبه.و أراد کونها مظنّه أن تسلب قیناتها عن أهلها بالموت و غیره. استعاره و استعار لفظ السلب لما فیها من القینات.و وجه المشابهه کون ما فیها یسلب عن أهلها فی کلّ زمان و یصیر إلی من بعدهم کدار حرب.و کذلک نهب و عطب .

الثالث عشر:کون أهلها علی ساق

:أی علی شدّه.و هو ظاهر.إذ کلّ ما عدّد من أوصافها من الحرب و السلب و العطب شدائد علیها أهلها.و قال قطب الدین الراوندیّ:أراد بکونها علی ساق أنّ بعضهم یتبع أثر بعض إلی الآخره فأشبه ذلک قولهم:ولدت فلانه ثلاثه بنین علی ساق:أی لیس بینهم انثی.و أنکره

ص:۲۲۸

۱- (۱) ۸-۶۳.

۲- (۲) ۸-۶۳.

ابن أبی الحدید. کنایه و کنّی بالساق عن الأمر الشدید .قال بعض الشارحین:و یحتمل أن یکون مصدر قولک ساقه سیاقا:أی أنّهم مساقون إلی الآخره،و لحاق-بفتح اللام-أی یلحق بعضهم بعضا فی الوجود و العدم،و فراق یفارق بعضهم بعضا.و هو کقولهم:الدنیا مولود یولد و مفقود یفقد.و یحتمل أن یرید باللحاق لحاق الأحیاء للموتی فی العدم.

الرابع عشر:

مجاز کونها قد تحیّرت مذاهبها ،و لم یرد بمذاهبها طرقها المحسوسه و لا الاعتقادات بل الطرق العقلیّه فی تحصیل خیرها و دفع شرّها.و أسند الحیره إلی المذاهب مجازا إقامه للعلّه القابله مقام العلّه الفاعله.إذ الأصل تحیّر أهلها فی مذاهبها .

الخامس عشر:و أعجزت مهاربها

:أی و أعجزت من طلبها.فحذف المفعول لأنّ الغرض ذکر الإعجاز.و مهاربها مواضع الهرب من شرورها.

السادس عشر:

استعاره و خابت مطالبها استعار وصف الخیابه للمطالب،و وجه المشابهه عدم حصولها بعد ظهورها للأوهام و تعلّق الآمال بها فأشبهت من وعد بحصول شیء لم یف به .ثمّ عقّب بذکر بعض لوازم خیابه مطالبها،و هی إسلام المعاقل لهم، و استعار لها لفظ الإسلام باعتبار کونها لا تحفظهم من الرزایا و لا تحصنهم من سهام المنایا فأشبهت فی ذلک من أسلم الملتجی إلیه و خلّی عنه لعدّوه.و لکون ذلک لازما عطفه بالفاء. استعاره و کذلک لفظ المنازل لهم مستعار باعتبار خروجهم منها بالموت فهی کاللافظه الملقیه لهم .

ثمّ قسّمهم باعتبار لحوق شرّها لأحیائهم و أمواتهم إلی أصناف:

أحدها:

کنایه ناج معقور .و أراد الباقین فیها،و کنّی بالمعقور عن من رمته بالمصائب فیها المشبهه للمعقور .

الثانی:و لحم مجزور،

و أراد منهم من صار لحما مجزورا.

الثالث:و شلو مذبوح.

و أراد ذی شلو مذبوح:أی قد صار بعد الذبح أشلاء متفرّقه،و یحتمل أن یکون مذبوح صفه للشلو،و أراد بالذبح مطلق الشقّ کما هو فی أصل اللغه.

الرابع:و دم مسفوح

:أی و ذی دم مسفوح.

الخامس:

کنایه و عاضّ علی یدیه ، و هو کنایه عن ندم الظالمین بعد الموت علی التفریط و التقصیر.إذ کان من شأن النادم ذلک .

السادس:و صافق بکفّیه

:أی ضارب إحداهما علی الاخری ندما.

السابع:و-کذلک-مرتفق لخدّیه

:أی جاعل مرفقیه تحت خدّیه فعل النادم.

الثامن:و-کذلک-و زار علی رأیه

:أی رأیه الّذی اقتضی له السعی فی جمع الدنیا و الالتفات إلیها بکلّیّته حتّی لزم من ذلک إعراضه عن الآخره فحاق به سیّیء ما کسب فإذا انکشف له بعد الموت لزوم العقاب و ظهرت له سلاسل الهیئات البدنیّه و أغلالها فی عنقه علم أنّ کلّ ذلک ثمره ذلک الرأی الفاسد فأزری علیه و عابه و أنکره.

التاسع:و راجع عن عزمه

:أی ما کان عزم من عماره الدنیا و السعی فی تحصیلها،و بالموت تنجلی تلک العزوم و یرجع عنها .

و قوله:و قد أدبرت الحیله.

و قوله: و قد أدبرت الحیله .

الواو للحال من الضمیر فی راجع:أی و راجع عن عزمه حال ما قد أدبرت حیلته و هذه الحال مفسّره لمثلها عن الضمائر المرفوعه فی عاضّ،و صافق،و مرتفق، و زار.

و قوله:و أقبلت الغیله.

و قوله: و أقبلت الغیله .

أی أخذهم إلی جهنّم و إهلاکهم فیها علی غرّه منهم بذلک الأخذ،و قال بعض الشارحین:یحتمل بالغیله الشرّ بمعنی الغائله.

و قوله:و لات حين مناص.

و قوله: و لات حين مناص .

فی موضع الحال و العامل أقبلت:أی و أقبل الهلاک و الشرّ حال ما لیس لهم وقت فرار و لا تأخّر عنه کقوله تعالی «کَمْ أَهْلَکْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنادَوْا وَ لاتَ حِینَ مَناصٍ» (۱)أی فنادوا مستغیثین حال ما لیس الوقت وقت مخلص و مفرّ .

۱- ۱) ۲-۳۸.

و قوله:هيهات هيهات.

و قوله: هيهات هيهات .

أى بعد الخلاص و الفرار.و أتى به مكرّرا للتأكيد،و هو فى مقابله قول الكفّار المنكرين لأحوال المعاد «هَيْهاتَ هَيْهاتَ لِما تُوعَدُونَ» و كالجزاء له بعد الموت.

و قوله:و قد فات ما فات.إلى قوله:ذهب.

و قوله: و قد فات ما فات .إلى قوله: ذهب .

أى فات ما كنتم فيه من أحوال الدنيا الّتى يتمنّون الرجعه إليها فلا رجوع لها.و نحوه قوله تعالى «قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّی أَعْمَلُ صالِحاً» (١)الآيه.

و قوله:و مضت الدنيا لحال بالها.

استعاره و قوله: و مضت الدنيا لحال بالها .

كلمه يخبر بها عمّن مضى،أو يأمر بالمضىّ:أى و مضت عنهم الدنيا لحال بالها.و نحوه قوله عليه السّلام:حتّى إذا مضى الأوّل لسبيله.و قوله:امض لشأنك.

و اللام للغرض فكأنّه استعار لها لفظ البال بمعنى القلب ملاحظه لشبهها بمن يمضى لغرض نفسه و ما يهواه قلبه ،و يحتمل أن يريد بالبال الحال أيضا و جواز الإضافه لاختلاف اللفظين،و قال بعض الشارحين:أراد بحال بالها ما كانت عليه من رخائها و سهولتها على أهلها.

و قوله:و أقبلت الآخره.

و قوله: و أقبلت الآخره .

أى بشدّتها و صعوبتها. اقتباس مجاز إطلاقا لاسم الملزوم على لازمه ثمّ ختم بالآيه اقتباسا.و المعنى أنّهم لمّا ركنوا إلى الدنيا فعلت بهم ما فعلت،و حصلوا على ما حصلوا عليه من البداهه،و ولّت عنهم لشأنها «فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَ الْأَرْضُ» قال بعض المفسّرين:أراد أهل السماء و هم الملائكه و أهل الأرض فحذف المضاف.و هو كنايه عن كونهم لا يستحقّون أن يتأسّف عليهم و لا أن يبكون،و قيل:أراد المبالغه فى تحقير شأنهم لأنّ العرب كانت تقول فى عظيم القدر يموت:بكته السماء و الأرض.فنفى عنهم ذلك،و أراد ليسوا ممّن يقال فيهم مثل هذا القول.

و عن ابن عبّاس-رضی اللّه عنه-لمّا قیل له:أ تبکی السماء و الأرض علی أحد؟فقال:یبکیه مصلاّه فی الأرض و مصعد عمله فی السماء.

۱- ۱) ۱۰۱-۲۳.

فیکون نفی البکاء عنهم کنایه عن أنّه لم یکن لهم فی الأرض موضع عمل صالح حتّی یکون له مصعد فی السماء فلم تبک علیهم،و نحوه عن أنس قال:قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:ما من مسلم إلاّ و له بابان:باب تصعد فیه عمله،و باب ینزل منه رزقه إلی الأرض فإذا مات بکیا علیه.فذلک قوله عزّ و جلّ «فَما بَکَتْ عَلَیْهِمُ السَّماءُ وَ الْأَرْضُ» (۱)و اعلم أنّ إطلاق لفظ البکاء علی السماء و الأرض مجاز فی فقدهما لما ینبغی أن یکون فیهما من مساجد المؤمنین و مصاعد أعمالهم قیاسا فی ذلک من فقد شیئا یحبّه و یبکی له فاطلق علیه إطلاقا لاسم الملزوم علی لازمه .و باللّه التوفیق.

۲۳۴-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

تسمی القاصعه

و هی تتضمن ذم إبلیس علی استکباره و ترکه السجود لآدم علیه السّلام و أنه أول من أظهر العصبیه و تبع الحمیه،و تحذیر الناس من سلوک طریقته و فیها فصول:

الفصل الأوّل:

اشاره

قوله:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی» لَبِسَ الْعِزَّ وَ الْکِبْرِیَاءَ- وَ اخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ- وَ جَعَلَهُمَا حِمًی وَ حَرَماً عَلَی غَیْرِهِ- وَ اصْطَفَاهُمَا لِجَلاَلِهِ- وَ جَعَلَ اللَّعْنَهَ عَلَی مَنْ نَازَعَهُ فِیهِمَا مِنْ عِبَادِهِ- ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذَلِکَ مَلاَئِکَتَهُ الْمُقَرَّبِینَ- لِیَمِیزَ الْمُتَوَاضِعِینَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَکْبِرِینَ- فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَ هُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ

۱- ۱) ۲۸-۴۴.

وَ مَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ «إِنِّی خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِینٍ فَإِذا سَوَّیْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی فَقَعُوا لَهُ ساجِدِینَ فَسَجَدَ الْمَلائِکَهُ کُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلاّ إِبْلِیسَ» اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِیَّهُ فَافْتَخَرَ عَلَی؟آدَمَ؟ بِخَلْقِهِ- وَ تَعَصَّبَ عَلَیْهِ لِأَصْلِهِ- فَعَدُوُّ اللَّهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِینَ وَ سَلَفُ الْمُسْتَکْبِرِینَ- الَّذِی وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِیَّهِ وَ نَازَعَ اللَّهَ رِدَاءَ الْجَبْرِیَّهِ- وَ ادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ وَ خَلَعَ قِنَاعَ التَّذَلُّلِ أَ لاَ تَرَوْنَ کَیْفَ صَغَّرَهُ اللَّهُ بِتَکَبُّرِهِ- وَ وَضَعَهُ بِتَرَفُّعِهِ فَجَعَلَهُ فِی الدُّنْیَا مَدْحُوراً- وَ أَعَدَّ لَهُ فِی الْآخِرَهِ سَعِیراً وَ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ یَخْلُقَ؟آدَمَ؟ مِنْ نُورٍ- یَخْطَفُ الْأَبْصَارَ ضِیَاؤُهُ وَ یَبْهَرُ الْعُقُولَ رُوَاؤُهُ- وَ طِیبٍ یَأْخُذُ الْأَنْفَاسَ عَرْفُهُ لَفَعَلَ- وَ لَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ الْأَعْنَاقُ خَاضِعَهً- وَ لَخَفَّتِ الْبَلْوَی فِیهِ عَلَی الْمَلاَئِکَهِ- وَ لَکِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ ابْتَلَی خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا یَجْهَلُونَ أَصْلَهُ- تَمْیِیزاً بِالاِخْتِبَارِ لَهُمْ وَ نَفْیاً لِلاِسْتِکْبَارِ عَنْهُمْ- وَ إِبْعَاداً لِلْخُیَلاَءِ مِنْهُمْ أقول:نقل فی سبب هذه الخطبه:أنّ أهل الکوفه کانوا فی آخر خلافته علیه السّلام قد فسدوا و کانوا قبائل متعدّده فکان الرجل یخرج من منازل قبیلته فیمرّ بمنازل قبیله اخری فیقع به أدنی مکروه فیستعدی قبیلته،و ینادی باسمها مثلا یا للنخع أو یا لکنده نداء عالیا یقصد به الفتنه و إثاره الشرّ فیتّألب علیه فتیان القبیله

ص:۲۳۳

الّتی قد مرّ بها و ینادون یا لتمیم یا لربیعه فیضربونه فیمرّ إلی قبیلته و یستصرخ بها و تسّل بینهم السیوف و تثور الفتنه،و لا یکون لها أصل فی الحقیقه و لا سبب یعرف إلاّ تعرّض الفتیان بعضهم ببعض،و کثر ذلک منهم فخرج علیه السّلام إلیهم علی ناقه فخطبهم هذه الخطبه.إذا عرفت ذلک فنقول:

اللغه

القصع : ابتلاع الماء و الجرّه،و قصعت الرجل قصعا:صغّرته و حقّرته، و قصعت هامّته:إذا ضربتها ببسط کفّک،و قصع اللّه شبابه:إذا بقی قمیئا.فهو مقصوع لا یزداد.و أصل هذه الکلمه للتصغیر و التحقیر .و الجبریّه و الجبروت:

الکبر .و ادّرعه : لبسه کالدرع .و الدحر : الطرد .و خطف بالکسر.یخطف:

أخذ البصر بسرعه استلابا .و تبهر العقول : أی یغلب نوره أنوارها و ینمحق فیه .و الرواء : المنظر الحسن .و العرف : الرائحه الطیّبه .و الخیلاء : الکبر .و الإحباط : الإبطال .و الجهد بفتح الجیم : الاجتهاد .و الهواده : الصلح .

المعنی

و قد ذکر الشارحون فی تسمیه هذه الخطبه القاصعه وجوها:

أحدها:و هو أقربها أنّه علیه السّلام کان یخطبها علی ناقته و هی تقصع بجرّتها فجاز أن یقال:إنّ هذه الحال لمّا نقلت عنه فی أسناد هذه الخطبه نسبت الخطبه إلی الناقه القاصعه فقیل:خطبه القاصعه ثمّ کثر استعمالها فجعلت من صفات الخطبه نفسها،أو لأنّ الخطبه عرفت بهذه الصفه لملازمه قصع الناقه لإنشائها.و العرب یسمّی الشیء باسم لازمه.

الثانی:إنّها سمیّت بذلک لأنّ المواعظ و الزواجر فیها متتابعه فأشبهت جرّات الناقه و تتابعها.

الثالث:سمیّت بذلک لأنّها هاشمه کاسره لإبلیس،و مصغّره و محقّره لکلّ جبّار.و هو وجه حسن أیضا.

الرابع:لأنّها تسکّن نخوه المتکبّرین و کبرهم فأشبهت الماء الّذی یسکّن العطش فیکون من قولهم:قصع الماء عطشه إذا سکّنه و أذهبه .

و اعلم أنّ مدار هذه الخطبه علی النهی عن الکبر و التوبیخ علیه

و علی ما یلزمه

من الحميّه و العصبيّه لغير اللّه تعالى ليكون الناس على ضدّ ذلك من التواضع و الرفق،و قد علمت فى المقدّمات أنّ من شأن الخطيب أن يورد فى صدر الخطبه ما يتبّه على المطلوب الّذى يورده بقول كلّىّ ليتنبّه السامعون لما يريده إجمالا فلذلك صدّر عليه السّلام الخطبه بنسبه العزّ و الكبرياء و العظمه إلى من هو أولى به و هو اللّه تعالى،و أشار إلى أنّ ذلك خاصّه له و حرام على غيره،و ذكر إبليس و قصّته مع آدم عليه السّلام فى معرض الذمّ بتكبره عليه ليترتّب على ذكره و ذمّه بتلك الرذيله النهى و التحذير عن ارتكابها و ليحصل التنفير بحاله إذ كان بذلك ملعونا مطرودا على ألسنه الأنبياء بأسرهم.و إذ كان مدار الخطبه ذمّ الكبر و النهى عنه فلنشر إلى حقيقته فى الإنسان أوّلا ثمّ إلى ما يلزمه من الآفات و إلى المذامّ الوارده فيه.

فنقول:أمّا حقيقته فهى هيئه نفسانيّه تنشأ عن تصوّر الإنسان نفسه أكمل من غيره و أعلى رتبه و تلك الهيئه تعود إلى ما يحصل للنفس عن ذلك التصوّر من النفخ و الهزّه و التعزّز و التعظّم و الركون إلى ما تصوّرته من كمالاتها و شرفها على الغير،و لذلك قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:أعوذ بك من نفخه الكبر.و هى رذيله تحت الفجور تقابل فضيله التواضع.و ما يلزم عن ذلك التصوّر أعنى تصوّر الإنسان فضيلته على الغير إن قطع النظر فيه عن قياسه على متكبر عليه و عن إضافته إلى اللّه تعالى باعتبار أنّه منه و لم يكن خائفا من فوت تلك الفضيله بل كان ساكنا إليها مطمئنّا فذلك هو العجب فإذن العجب هيئه تلزم عن تصوّر الكمال فى النفس و استقطاعه عن المنعم به و الركون إليه و الفرح به مع الغفله عن قياس النفس إلى الغير بكونها أفضل منه.و بهذا الفصل الأخير ينفصل عن الكبر.إذ كان لا بدّ فى الكبر من أن يرى الإنسان لنفسه مرتبه و للغير مرتبه ثمّ يرى مرتبته فوق مرتبه غيره.و أمّا آفاته و هى ثمراته و ما يلزم عنه من الأعمال و التروك فإنّ هذا الخلق يوجب أعمالا إذا ظهرت على الجوارح قد تسمّى كبرا:فمنها باطنه كتحقير الغير و ازدرائه،و اعتقاد أنّه ليس أهلا للمجالسه و المواكله و الأنفه عن ذلك.و اعتقاد

أنّه يصلح أن يكون ماثلا بين يديه قائما،بل قد يعتقد من هو أشدّ كبرا أنّ ذلك لا يصلح للمثول بين يديه،و كحسده و الحقد عليه،و كنظر العالم المتكبّر إلى الجاهل العامّى بعين الاستخفاف و الاستجهال.و أمّا الظاهره فكالتقدّم عليه فى الطرق و الارتفاع عليه فى المجالس،و كإبعاده عن مجالسته و مؤاكلته،و العنف به فى النصح، و الغضب عند ردّ قوله،و الغلظه على المتعلّمين و إذلالهم و استخدامهم،و الغيبه و التطاول بالقول.و أمّا التروك:فكترك التواضع و الاستنكاف عن مجالسه من دونه و معاشرته و عدم الرفق بذوى الحاجات و نحو ذلك ممّا لا يحصى من الرذائل.

و أمّا المذامّ الوارده فيه:فهى كثيره فى القرآن الكريم و السنّه النبويّه كقوله تعالى «كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبّٰارٍ» (۱)و قوله «وَ اسْتَفْتَحُوا وَ خٰابَ كُلُّ جَبّٰارٍ عَنِيدٍ» (۲)و قول الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:يقول اللّه عزّ و جلّ الكبرياء ردائى و العظمه إزارى فمن نازعنى واحدا منهما ألقيته فى جهنّم.و قوله عليه السّلام:لا يدخل الجنّه من فى قلبه مثقال ذرّه من كبر.و إنّما صار حجابا عن الجنّه لأنّه يحول بين العبد و بين أخلاق المؤمنين الّتى هى أبواب الجنّه.فالكبر و العجب يغلق تلك الأبواب كلّها لأنّها لا تقدر على أنّ يحبّ للمؤمن ما يحبّ لنفسه و فيه شىء من العزّه،و لا يتمكّن من ترك هذه الرذائل و فعل أضدادها من الفضائل كالتواضع و كظم الغيظ و قبول النصح و الرفق فى القول و غيرها و فيه شىء من العزّه و الكبرياء.و ما من خلق ذميم إلاّ و صاحب العزّه و الكبر مضطرّ إليه ليحفظ به عزّه.و ما من خلق فاضل إلاّ و هو عاجز عنه خوفا أن يفوته عزّه فلذلك لم يدخل الجنّه من فى قلبه مثقال حبّه من كبر.و بعض الأخلاق الذميمه مستلزم للبعض.و شرّ أنواع الكبر ما منع العلم و استعماله و قبول الحقّ و الانقياد له.

إذا عرفت ذلك فنقول:إنّه عليه السّلام حمد اللّه تعالى باعتبارات:

أحدها:لبسه للعزّ و الكبرياء.

و لمّا علمت أنّ الكبرياء لا بدّ فيه من أمرين:أحدهما:العلم بكمال الذات.و الثانى:اعتبار الشرف و العلوّ على الغير

۱- (۱) ۳۷-۴۰.

۲- (۲) ۱۸-۱۴.

فکان هذان الاعتباران صادقین علیه تعالی أتمّ من صدقهما علی کلّ موجود لا جرم کان بالکبریاء و العظمه أحقّ من کلّ موجود أمّا الأوّل:فلأنّه لمّا کان کمالات الذات عباره عن الوجود و کماله فکان وجوده تعالی أتمّ الوجودات بحیث لم یفته من کماله شیء بل کلّ ما ینبغی له فهو حاصل بالفعل لا جرم صدق علیه هذا الاعتبار أتمّ صدق.و أمّا الثانی:فلأنّ وجوده تعالی هو الوجود الّذی یصدر عنه وجود کلّ موجود عداه،و هو تعالی عالم بجمیع المعلومات کلّیّها و جزئیّها فهو إذن عالم بکماله و شرفه علی عبیده.و استعار لفظ اللبس باعتبار إحاطه کماله بکلّ اعتبار له کما یحیط القمیص و الرداء بجسد لابسه.

الثانی:کونه تعالی اختارهما لنفسه دون خلقه.

و معنی اختیاره هنا تفرّده باستحقاقهما لذاته فإنّ المستحقّ للعزّ و الکبریاء بالذات لیس إلاّ هو،و دلّ علی ذلک المنقول و المعقول.و أمّا المنقول:فقوله تعالی «عالِمُ الْغَیْبِ وَ الشَّهادَهِ الْکَبِیرُ الْمُتَعالِ» (۱)و الألف و اللام هنا یفید حصر الکبریاء و العلوّ فیه،و أمّا المعقول فلأنّه تعالی لمّا استحقّ ذلک الاعتبار لذاته لا بأمر خارج و إلاّ لکان مفتقرا إلی الغیر.ثمّ ذمّ المتکبّرین و توعّدهم فی کتابه العزیز و علی لسان نبیّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حیث قال حکایه عنه:الکبریاء ردائی.الخبر.علمنا أنّه قد اختار الاختصاص بهما دون خلقه.

الثالث:و جعلهما حمی و حرما علی غیره.

استعار لفظ الحمی و الحرم باعتبار اختیاره لهما و تحریمهما علی غیره من خلقه کما یحمی الملک المرعی و الحرم.

الرابع:و اصطفاهما لجلاله

:أی لتقدّسه و علوّه عن شبه مخلوقاته استحقّ الانفراد بهذین فتفرّد بهما.و هو معنی اصطفائه لهما.

الخامس:

مجاز إطلاقا لاسم اللازم علی ملزومه جعله اللعنه علی من نازعه فیهما من عباده .إشاره إلی نحو قوله فی الخبر المذکور:فمن نازعنی فیهما ألقیته فی جهنّم.و لا شکّ أنّ الملقی فی جهنّم مبعّد مطرود عن الخیر و الرحمه.و لفظ المنازعه فی الخبر مجاز فی محادّه المتکبّرین

۱- ۱) ۱۰-۱۶.

و مجـانبتهم له و مخالفتهم لأمره فى الاتّصاف بالكبر فكأنّهم يجاذبونه ما اختص به و من لوازم المجاذبه المنازعه القوليّه فاطلقت هنا إطلاقا لاسم اللازم على ملزومه .

السادس:

استعاره مرشـحه اختبـاره بـذلك ملائـكته المقرّبين.إلى قوله:ساجـدين :أى ابتلاـهم بالتكبّر و عـدمه.و قـد علمت معنى ابتلائه و اختباره تعالى لخلقه فيما سبق.و نزيده بيانا.فنقول لمّا كانت حقيقه الاختبار طلب الخبر بالشىء و معرفته لمن لا يكون عارفا به،و كان هو تعالى عالما بمضمرات القلوب و خفيّات القلوب فيميّز المطيعين من عبيده من العصاه لم يكن إطلاق هذا اللفظ فى حقّه حقيقه بـل على وجه الاسـتعاره باعتبـار أنّه لمّـا كـان ثوابه و عقـابه للخلق موقوفين على تكليفهم بمـا كلّفهم به فـإن أطـاعوه فيما أمرهم أثابهم و إن عصوه عاقبهم أشبه ذلك اختبار الإنسان لعبيده و تمييزه لمن أطاعه منهم ممّن عصاه،و أطلق عليه لفظه.

و قوله:ليميز المتواضعين منهم من المتكبّرين.

استعاره مرشحه و قوله: ليميز المتواضعين منهم من المتكبّرين .

ترشيح لاستعاره الاختبار لأنّ التميز من لوازمه و عوارضه .و يحتمل أن يريد ليميز المطيعين عن العصاه بإعطاء الثواب لهم دونهم فلا يكون التميز بمعنى العلم بل الانفصال الخارجىّ لكلّ من المطيعين و العصاه بما يستحقّه من ثواب و عقاب .

و قوله:و هو العالم.إلى قوله:العيوب.

و قوله: و هو العالم .إلى قوله: العيوب .

قرينه مخرجه للاختبـار عن حقيقته،و هى جمله معترضه بين القول و المقول للملاـئكه و هو قوله تعـالى «إِنِّى خـالِقٌ» إلى آخره.و المختبر به هو قوله «فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ» (۱)و قال بعض الشارحين:إنّما اختبرهم مع علمه بمضمراتهم لأنّ اختباره تعالى ليس ليعلم بـل ليعلم غيره من خلقه طاعه من يطيع و عصـيان من يعصـى قـال:و قوله «لِنَعْلَمَ أَىُّ الْحِزْبَيْنِ» و قوله «لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى عَقِبَيْهِ» أى لتعلم أنت و غيرك.و فيه بعد.و قد شرحنا قصّه الملائكه و إبليس

۱- ۱) ۲۹-۱۵.

و آدم فی الخطبه الاولی بقدر الوسع فلا حاجه إلی التطویل بالإعاده غیر أنّ هاهنا ألفاظا یحتاج إلی الإیضاح .و افتخار إبلیس و تعصّبه و تکبّره علی آدم فی قوله «خَلَقْتَنِی مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِینٍ» و قوله: «أَ أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِیناً» أ أسجد «لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ» .فکان تعصّبه علیه و استکباره نظرا إلی أصلهما، و کونه إمام المتعصّبین باعتبار کونه المنشأ لرذیله العصبیّه فی غیر الحقّ و المعتدی به فیها.و أمّا العصبیّه فی الحقّ فهی محموده کما جاء فی الخبر:العصبیّه فی اللّه تورث الجنّه،و العصبیّه فی الشیطان تورث النار.و کذلک کونه سلفا للمتکبّرین باعتبار تقدّمه للمتکبّرین بالاستکبار علی آدم.و السلف هو التقدّم.

و قوله:الّذی وضع أساس العصبیّه.

و قوله: الّذی وضع أساس العصبیّه .

إذ کانت عصبیّته لأصله کالأساس للخلق یبنی علیه الخلق سائر العصبیّات و یقتدی به فیها.

و قوله:و نازع اللّه رداء الجبریّه.

استعاره مرشحه و قوله: و نازع اللّه رداء الجبریّه .

أی بتجبّره و تکبّره.و قد عرفت وجه الاستعاره فی المنازعه فی الرداء،و کذلک قوله:و ادّرع لباس التعزّز.لمّا استعار لفظ الادّراع لإبلیس من جهه اشتماله و تلبسه بالتعزّز رشّح بذکر اللباس،و کذلک قوله:و خلع قناع التذلّل.استعاره للفظ الخلع،و ترشیح بلفظ القناع .

و قوله:أ لا ترون.إلی قوله:بترفّعه.

و قوله: أ لا ترون .إلی قوله: بترفّعه .

تنبیه علی کیفیّه تصغیر اللّه إیّاه و وضعه له بسبب تکبّره و تعظّمه،و ذلک التصغیر و الوضع هو جعله فی الدنیا مدحورا بعد إخراجه من الجنّه بقوله تعالی «اخْرُجْ مِنْها مَذْؤُماً مَدْحُوراً» (۱)و إعداده له فی الآخره سعیرا بقوله تعالی «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْکَ وَ مِمَّنْ تَبِعَکَ مِنْهُمْ أَجْمَعِینَ» (۲)و نحوه .

و قوله:و لو أراد اللّه.إلی قوله:علی الملائکه.

و قوله: و لو أراد اللّه .إلی قوله: علی الملائکه .فی صوره قیاس اقترانیّ مرکّب من متّصلین صغراهما قوله:و لو اراد اللّه.إلی قوله:لفعل.و کبراهما :

۱- ۱) ۱۷-۷.

۲- ۲) ۸۵-۳۸.

قوله: و لو فعل إلى آخره.و تالى الكبرى مركّب من جملتين عطفت إحداهما على الاخرى.و معنى الصغرى أنّه تعالى لو أراد قبل خلق آدم أن يخلقه من نور شفّاف لطيف يخطف الأبصار،و يبهر العقول حسنه،و طيب يأخذ الأنفاس رائحته و لم يخلقه من طين ظلمانىّ كثيف لفعل لأنّ ذلك أمر ممكن مقدور له،و يحتمل أن يريد بخلقه من النور خلقه روحانيّا مجرّدا عن علاقه الموادّ المظلمه.و قد يوصف المجرّدات بالنور فيقال:أنوار اللّه،و أنوار جلاله،و أنوار حضرته،و قد أضاءنا بنور علمه و يوصف بالرايحه أيضا فيقال:فلان لم يشمّ رائحه العلم.و بالطعم فيقال:فلان لم يذق حلاوه العلم.و كلّ ذلك استعاره لفظ المحسوس للمعقول تقريبا للأفهام.و معنى الكبرى أنّه لو فعل ذلك و خلقه كذلك لظلّت أعناق الملائكه و إبليس خاضعه له.و ذلك لشرف جوهره على الطين و فضل خلقته على ما يخلق منه و لم يكن ممّن يفسد فى الأرض و يسفك الدماء حتّى تقول الملائكه: «أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَ يَسْفِكُ الدِّماءَ» .و لا من طين منتن حتّى يفخر عليه إبليس بأصله يقول: «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِى مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ» ،أ أسجد «لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ» و لخفّت البلوى فيه على الملائكه.و بيان الخفّه من وجهين:أحدهما:لشرف جوهره فإنّه من العاده أن يستنكف الشريف من الخضوع لمن هو دونه فى أصله و يشقّ عليه التكليف بذلك فى حقّه فأمّا إذا كان أصله مناسبا لأصله و مقارنا فى الشرف فلا شكّ أنّ تكليفه بخدمته يكون عليه أسهل و أخفّ.و الثانى:أنّهم ما كانوا عالمين بالسرّ الّذى خلق له آدم و هو كونه صالحا لخلافه اللّه سبحانه فى عماره الأرض و إصلاح أبناء نوعه و إعدادهم للكمالات و غير ذلك ممّا لا يعلمونه كما قال تعالى فى جواب قولهم «أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها» إلى «إِنِّى أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ» (۱)و كما علّمه الأسماء و أمره بعرضها عليهم فقال «أَنْبِئُونِى بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ قالُوا سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلاّ ما عَلَّمْتَنا» (۲)و ظاهر أنّ تكليف النفس بما يطّلع على سرّه و يعلم وجه الحكمه فيه أسهل عليها من تكليفها

ص:۲۴۰

۱- ۱) ۲۸-۲.

۲- ۲) ۳۰-۲.

بما تجهله.فلو خلقه تعالى من نور مناسبا لخلقهم لعلموا نوعيّته و سرّ خلقه فلم يشقّ عليهم التكليف بالسجود له.و يؤيّد هذا الوجه قوله:و لكنّ اللّه سبحانه مبتلى خلقه ببعض ما يجهلون أصله و فى هذا الاستثناء تنبيه على عدم إراده خلق آدم من نور.و ذلك العدم هو نقيض مقدّم نتيجه القياس المذكور اللازم عن استثناء نقيض تاليها.و تقدير النتيجه أنّه لو أراد خلقه من نور لظلّت الأعناق له خاضعه و خفّت البلوى على الملائكه لكن لم يكن الأمر كذلك فاستلزم أنّه لم يرد خلقه من نور.

فكان معنى قوله:و لكنّ اللّه ابتلى خلقه.أنّه لم يرد خلقه من نور بل أراد أن يبتلى خلقه ببعض ما يجهلون أصله و هو تكليفهم بالسجود لآدم مع جهلهم بأصل ذلك التكليف و الغرض منه أو جهلهم بآدم و سرّ خلقته الّذى هو أصل لذلك التكليف.

و نصب قوله:تمييزا و نفيا و إبعادا على المفعول له:أى ليميّز بذلك التكليف و بما يستلزم من الذلّه و الانقياد و الخضوع المطيع من العاصى،و لينفى رذيله الكبر و الخيلاء عنهم و باللّه التوفيق.

الفصل الثانى:فى أمر السامعين بالاعتبار بحال إبليس و ما لزمه من اللعنه

اشاره

و بطلان أعماله الصالحه فى المدّه المتطاوله بسبب التكبّر و العصبيّه الفاسده،و التحذير من سلوك طريقته و اقتفاء أثره فى الكبر و لوازمه من الرذائل الّتى عدّدناها.

و ذلك قوله:

فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ؟بِإِبْلِيسَ؟- إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ وَ جَهْدَهُ الْجَهِيدَ- وَ كَانَ قَدْ عَبَدَ اللَّهَ سِتَّةَ آلاَفِ سَنَةٍ- لاَ يُدْرَى أَ مِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِي الْآخِرَهِ- عَنْ كِبْرِ سَاعَهٍ وَاحِدَهٍ- فَمَنْ ذَا بَعْدَ؟إِبْلِيسَ؟ يَسْلَمُ عَلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ- كَلَّا مَا كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ الْجَنَّهَ بَشَراً- بِأَمْرٍ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكاً- إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَ أَهْلِ الْأَرْضِ لَوَاحِدٌ- وَ مَا بَيْنَ اللَّهِ وَ بَيْنَ

أَحدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَهٌ- فِی إِبَاحَهِ حِمًی حَرَّمَهُ عَلَی الْعَالَمِینَ فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ عَدُوَّ اللَّهِ أَنْ یُعْدِیَکُمْ بِدَائِهِ- وَ أَنْ یَسْتَفِزَّکُمْ بِنِدَائِهِ وَ أَنْ یُجْلِبَ عَلَیْکُمْ بِخَیْلِهِ وَ رَجْلِهِ- فَلَعَمْرِی لَقَدْ فَوَّقَ لَکُمْ سَهْمَ الْوَعِیدِ- وَ أَغْرَقَ إِلَیْکُمْ بِالنَّزْعِ الشَّدِیدِ- وَ رَمَاکُمْ مِنْ مَکَانٍ قَرِیبٍ- فَقَالَ «رَبِّ بِما أَغْوَیْتَنِی لَأُزَیِّنَنَّ لَهُمْ فِی الْأَرْضِ وَ لَأُغْوِیَنَّهُمْ أَجْمَعِینَ» - قَذْفاً بِغَیْبٍ بَعِیدٍ وَ رَجْماً بِظَنٍّ غَیْرِ مُصِیبٍ- صَدَّقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِیَّهِ وَ إِخْوَانُ الْعَصَبِیَّهِ- وَ فُرْسَانُ الْکِبْرِ وَ الْجَاهِلِیَّهِ- حَتَّی إِذَا انْقَادَتْ لَهُ الْجَامِحَهُ مِنْکُمْ- وَ اسْتَحْکَمَتِ الطَّمَاعِیَّهُ مِنْهُ فِیکُمْ- فَنَجَمَتِ فِیهِ الْحَالُ مِنَ السِّرِّ الْخَفِیِّ إِلَی الْأَمْرِ الْجَلِیِّ- اسْتَفْحَلَ سُلْطَانُهُ عَلَیْکُمْ- وَ دَلَفَ بِجُنُودِهِ نَحْوَکُمْ- فَأَقْحَمُوکُمْ وَلَجَاتِ الذُّلِّ- وَ أَحَلُّوکُمْ وَرَطَاتِ الْقَتْلِ- وَ أَوْطَئُوکُمْ إِثْخَانَ الْجِرَاحَهِ طَعْناً فِی عُیُونِکُمْ- وَ حَزّاً فِی حُلُوقِکُمْ وَ دَقّاً لِمَنَاخِرِکُمْ- وَ قَصْداً لِمَقَاتِلِکُمْ وَ سَوْقاً بِخَزَائِمِ الْقَهْرِ- إِلَی النَّارِ الْمُعَدَّهِ لَکُمْ- فَأَصْبَحَ أَعْظَمَ فِی دِینِکُمْ حَرْجاً- وَ أَوْرَی فِی دُنْیَاکُمْ قَدْحاً- مِنَ الَّذِینَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِینَ وَ عَلَیْهِمْ مُتَأَلِّبِینَ- فَاجْعَلُوا عَلَیْهِ حَدَّکُمْ وَ لَهُ جِدَّکُمْ- فَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ فَخَرَ عَلَی أَصْلِکُمْ- وَ وَقَعَ فِی حَسَبِکُمْ وَ دَفَعَ فِی نَسَبِکُمْ- وَ أَجْلَبَ بِخَیْلِهِ عَلَیْکُمْ وَ قَصَدَ بِرَجِلِهِ سَبِیلَکُمْ- یَقْتَنِصُونَکُمْ بِکُلِّ

مَكَانٍ وَ يَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ- لاَ- تَمْتَنِعُونَ بِحِيلَهٍ وَ لاَ تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَهٍ- فِی حَوْمَهِ ذُلٍّ وَ حَلْقَهِ ضِیقٍ- وَ عَرْصَهِ مَوْتٍ وَ جَوْلَهِ بَلاَءٍ- فَأَطْفِئُوا مَا كَمَنَ فِی قُلُوبِكُمْ- مِنْ نِیرَانِ الْعَصَبِیَّهِ وَ أَحْقَادِ الْجَاهِلِیَّهِ- فَإِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِیَّهُ تَكُونُ فِی الْمُسْلِمِ- مِنْ خَطَرَاتِ الشَّیْطَانِ وَ نَخَوَاتِهِ وَ نَزَغَاتِهِ وَ نَفَثَاتِهِ- وَ اعْتَمِدُوا وَضْعَ التَّذَلُّلِ عَلَی رُءُوسِكُمْ- وَ إِلْقَاءَ التَّعَزُّزِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ- وَ خَلْعَ التَّكَبُّرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ- وَ اتَّخِذُوا التَّوَاضُعَ- مَسْلَحَهً بَیْنَكُمْ وَ بَیْنَ عَدُوِّكُمْ؟إِبْلِیسَ؟وَ جُنُودِهِ- فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّهٍ جُنُوداً وَ أَعْوَاناً- وَ رَجْلاً وَ فُرْسَاناً- وَ لاَ تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَی ابْنِ أُمِّهِ- مِنْ غَیْرِ مَا فَضْلٍ جَعَلَهُ اللَّهُ فِیهِ- سِوَی مَا أَلْحَقَتِ الْعَظَمَهُ بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَهِ الْحَسَدِ- وَ قَدَحَتِ الْحَمِیَّهُ فِی قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْغَضَبِ- وَ نَفَخَ الشَّیْطَانُ فِی أَنْفِهِ مِنْ رِیحِ الْكِبْرِ- الَّذِی أَعْقَبَهُ اللَّهُ بِهِ النَّدَامَهَ- وَ أَلْزَمَهُ آثَامَ الْقَاتِلِینَ إِلَی یَوْمِ الْقِیَامَهِ أَلاَ وَ قَدْ أَمْعَنْتُمْ فِی الْبَغْیِ وَ أَفْسَدْتُمْ فِی الْأَرْضِ- مُصَارَحَهً لِلَّهِ بِالْمُنَاصَبَهِ- وَ مُبَارَزَهً لِلْمُؤْمِنِینَ بِالْمُحَارَبَهِ- فَاللَّهَ اللَّهَ فِی كِبْرِ الْحَمِیَّهِ وَ فَخْرِ الْجَاهِلِیَّهِ- فَإِنَّهُ مَلاَقِحُ الشَّنَئَانِ وَ مَنَافِخُ الشَّیْطَانِ- الَّتِی خَدَعَ بِهَا الْأُمَمَ الْمَاضِیَهَ وَ الْقُرُونَ الْخَالِیَهَ- حَتَّی أَعْنَقُوا فِی حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ وَ مَهَاوِی ضَلاَلَتِهِ- ذُلُلاً عَنْ سِیَاقِهِ سُلُساً فِی قِیَادِهِ-

ص:۲۴۳

أَمْراً تَشَابَهَتِ الْقُلُوبُ فِيهِ وَ تَتَابَعَتِ الْقُرُونُ عَلَيْهِ- وَ كِبْراً تَضَايَقَتِ الصُّدُورُ بِهِ أَلاَ فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَهِ سَادَاتِكُمْ وَ كُبَرَائِكُمْ- الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ وَ تَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ- وَ أَلْقَوُا الْهَجِينَهَ عَلَى رَبِّهِمْ- وَ جَاحَدُوا اللَّهَ عَلَى مَا صَنَعَ بِهِمْ- مُكَابَرَهً لِقَضَائِهِ وَ مُغَالَبَهً لِآلاَئِهِ- فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيَّهِ- وَ دَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَهِ وَ سُيُوفُ اعْتِزَاءِ الْجَاهِلِيَّهِ- فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ لاَ تَكُونُوا لِنِعَمِهِ عَلَيْكُمْ أَضْدَاداً- وَ لاَ لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَّاداً- وَ لاَ تُطِيعُوا الْأَدْعِيَاءَ الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ- وَ خَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ وَ أَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ- وَ هُمْ أَسَاسُ الْفُسُوقِ وَ أَحْلاَسُ الْعُقُوقِ- اتَّخَذَهُمْ؟إِبْلِيسُ؟ مَطَايَا ضَلاَلٍ- وَ جُنْداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ- وَ تَرَاجِمَهً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ- اسْتِرَاقاً لِعُقُولِكُمْ وَ دُخُولاً فِي عُيُونِكُمْ- وَ نَفْثاً فِي أَسْمَاعِكُمْ- فَجَعَلَكُمْ مَرْمَى نَبْلِهِ وَ مَوْطِئَ قَدَمِهِ وَ مَأْخَذَ يَدِهِ

اللغه

أقول: الإحباط : الإبطال .و الجهد بفتح الجيم : الاجتهاد .و الهواده:

الصلح .و استفزّه : استخفّه و أزعجه .و فوّق السهم : جعل له فوقا و هو موضع الوتر منه .و نزع القوس نزعا : أى مدّها .و الإغراق فى المدّ : استيفائه و استيعابه .

و القذف : الرمى و الطماعيه : الطمع .و نجمت : ظهرت .و دلف . مشى و دنا .

و أقحموكم : أدخلوكم قهرا .و الولجات : جمع ولجه بفتح الجيم و هى الموضع كالكهف و نحوه تستتر به المارّه من المطر و غيره .و الورطات : جمع ورطه و هى الأرض المطمئنّه لا طريق فيها،و الورطه:الهلاك أيضا .و الحزّ : القطع .و

ص:۲۴۴

الخزائم - جمع خزامه بكسر الخاء-:و هى حلقه من شعر فى أنف البعير يشدّ فيها الزمام .و أورى : أفعل من الورى و هو إظهار النار .و المناصبه : المعاداه و المقابله فى الحرب لأنّ كلّا قد نصب نفسه و شرّه للآخره .و التألّب : الاجتماع .و حسب الرجل : ما يعدّه من مفاخر آبائه .و أجلب عليه : جمع،و أصل الجلبه:الأصوات فى الحرب و الغاره .و حومه الشيء : معظمه،و ما استدار منه على كثره.و كذلك الحلقه للقوم .و عرصه موت : أى معرض له،و بصدده .و الجوله : كالحلقه .و النخوه : الكبر .و النزع : الإفساد .و النفث : النفخ و هو أقلّ من التفل .و المسلحه : قوم ذو سلاح يحفظون الثغور و المراقب،و قد يطلق على تلك الأماكن أنفسها .و الإمعان فى الشيء : التباعد فيه،و الايصال .و المصارحه : المكاشفه و المجاهره .و الملاقح : الفحول-واحدها ملقح بفتح الميم-و يحتمل أن يكون مصدرا.

و الشنئان-بفتح النون و سكونها- : البغضاء .و أعنق الجمل فى السير : مدّ عنقه و أوسع خطوته .و الحنادس جمع حندس بكسر الحاء و الدال-:الليل شديد الظلمه .و الذلل : جمع ذليله فعيله بمعنى مفعوله .و السلس : جمع سلس و هى سهله القياد .و الهجينه : الفعل القبيح بمعنى مفعوله .و الاعتزاء : الايتماء،و الانتساب إلى أب أو قبيله .و الأدعياء : جمع دعىّ و هو الّذى يدعى إلى غير أبيه و ينسب إليه .و الحلس : ما يلزم الشيء.و أصله من حلس البعير و هو كساء رقيق يجعل تحت بردعته وقايه لظهره .و العقوق : مشاقّه الوالد و ذى الرحم،و منع برّه .

المعنى

فقوله:فاعتبروا.

فقوله: فاعتبروا .

أمر للسامعين باعتبار حال إبليس فى الكبر بعد شرح حاله فى طاعه اللّه و طول مدّه عبادته له و ما لزمه بسبب كبر ساعه واحده من إحباط عمله و لعنته و البعد عن رحمه اللّه ليتنبّهوا للتخلّى عن هذه الرذيله.وجه الاعتبار أن يقال:إذا كان حال من تكبّر من الملائكه بعد عباده ستّه آلاف سنه كذلك فكيف بالمتكبّرين من البشر على قصر مدّه عبادتهم و كونهم بشرا؟.فبطريق الأولى أن يكونوا كذلك.

و جهده الجهيد:أى اجتهاده الّذى جهده و شقّ عليه.

ص:۲۴۵

و قوله:و كان قد عبد اللّه.إلى قوله:الآخره.

و قوله: و كان قد عبد اللّه .إلى قوله: الآخره .

فيشبه أن يكون قد أشار بسنى الآخره إلى سنين موهومه عن مثل اليوم المشار إليه بقوله تعالى: «وَ إِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمّا تَعُدُّونَ» (۱)و قوله «فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» (۲)و تقريره أنّ الأيّام فى الآخره ممّا لا يمكن حملها على حقائقها لأنّ اليوم المعهود عباره عن زمان طلوع الشمس إلى مغيبها،و بعد خراب العالم على ما نطقت به الشريعه لا يبقى ذلك الزمان،و على رأى من أثبت بقاء الفلك تكون القيامه عباره عن مفارقه النفوس لأبدانها أو عن أحوال تعرض لها بعد المفارقه،و المجرّدات المفارقات لا يكون لأحوالها زمان و لا مكان حتّى تجرى فى يوم أو سنه فتعيّن حمل اليوم على مجازه و هو الزمان المقدّر بحسب الوهم القايس لأحوال الآخره إلى أحوال الدنيا و أيّامها إقامه لما بالقوّه مقام ما بالفعل.

و كذلك السنه.و هذه الأزمنه هى الّتى أشار إلى مثلها المتكلّمون بقولهم:إنّ تقدّم البارى تعالى على وجود العالم بتقدير أزمنه لا نهايه لها.إذا عرفت ذلك فاعلم أنّ قوله تعالى «فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» و فى موضع «مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ» إشاره إلى تفاوت تلك الأزمنه الموهومه بشدّه أهوال أحوال أهل الآخره و ضعفها و طولها و قصرها و سرعه حساب بعضهم و خفّه ظهره و ثقل أوزار قوم آخرين و طول حسابهم كما روى عن ابن عبّاس فى قوله «كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» قال:هو يوم القيامه جعله اللّه على الكافرين مقدار خمسين ألف سنه،و أراد أنّ أهل الموقف لشدّه أهوالهم يستطيلون بقاهم فيها و شدّتها عليهم حتّى يكون فى قوّه ذلك المقدار.و عن أبى سعيد الخدرىّ قال:قيل لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى يوم القيامه كان مقداره خمسين ألف سنه:

ما أطول هذا اليوم؟فقال:و الّذى نفسى بيده إنّه ليخفّ على المؤمن حتّى يكون عليه أخفّ من صلاه مكتوبه يصلّيها فى الدنيا.و هذا يدلّ على أنّه يوم موهوم و إلّا لما تفاوت فى الطول و القصر إلى هذه الغايه.إذا ثبت هذا فنقول:يحتمل أن يكون مراده عليه السّلام أنّ عباده إبليس و الملائكه الّذين نقلنا فى الخبر فى الخطبه الاولى

۱- ۱) ۴۶-۲۲.

۲- ۲) ۴-۷۰.

أنّهم اهبطوا إلى الأرض و طردوا الجنّ إلى البحار و رءوس الجبال و عبدو اللّه فى الأرض زمانا كانت عباده روحانيّه لا يستدعى زمانا موجودا بل أحوالا موهومه تشبه الزمان،و أنّ إبليس عبد اللّه فى تقدير أزمنه مبلغها ستّه آلاف سنه قبل خلق آدم.و يحتمل أن يقال:إنّها كانت جسمانيّه فى زمان من أزمنه الدنيا و لكن يكون فى كميّه كمقدار خمسين ألف سنه من سنى الدنيا.

فأمّا قوله:لا يدرى.

فأمّا قوله: لا يدرى .

ففى نسخه الرضى بالبناء للفاعل.و فى غيرها من النسخ بالبناء للمفعول.

و الروايه الاولى تستلزم أنّه ممّن لا يدرى أنّ تلك السنين من أىّ السنين و الثانيه يحتمل فيها كونه ممّن يدرى ذلك.و بالجمله فلمّا كانت مدّه عباده إبليس قبل آدم يحتمل أن يكون روحانيّه و أن يكون جسمانيّه،و يحتمل أن يكون بحسب ذلك فى زمان موهوم أو موجود.و على تقدير أن يكون موجودا يحتمل أن يكون ستّه آلاف سنه من السنين المعهوده المتعارفه لنا،و يحتمل أن يكون من سنين كانت قبل ذلك مصطلحا على تقدير كلّ منها بألف سنه أو بخمسين ألف سنه من سنينا لا جرم لم يمكن الجزم بواحد من هذه الاحتمالات فلذلك قال:لا يدرى.قال بعض الشارحين:و يفهم من تقديره عليه السّلام تلك المدّه بستّه آلاف سنه لا يدرى من أىّ السنين هى أنّه سمع فيه نصّا من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مجملا و لم يفسّره له،أو أنّه سمعه و علم تفصيله لكنّه لم يفصّله للناس بل أبهم القول عليهم فى تعيينه لعلمه أنّ تعيين سنى الآخره ممّا يستعظمونه و لا يحتمله أذهانهم.فإنّ عبادته إذا كانت ستّه آلاف سنه و كل يوم منها خمسين ألف سنه من سنى الدنيا كان مبلغ ذلك ممّا يخرج من ضرب ستّه آلاف سنه فى ثلاث مائه و ستّين مضروبه فى خمسين ألفا و هو مائه و ثمانيه ألف ألف ألف-بتكرير لفظ الألف ثلاث مرات-و على تقدير أن يكون مقدار كلّ يوم ألف سنه يكون مبلغها ما يخرج من ضرب ستّه آلاف فى ثلاث مائه و ستّين ألفا و هو ألفا ألف ألف سنه-بتكرير الألف ثلاث مرات و تثنيه الأوّل-و مائه ألف ألف -بلفظتين-و ستّون ألف ألف-بلفظتين أيضا-و ذلك مما لا يحتمله أذهان السامعين.فلذلك

أبهم القول فيه .

و قوله:فمن.إلى قوله:معصيه.

استفهام إنكارى و قوله: فمن.إلى قوله:معصيه .

استفهام إنكار لوجود من يسلم من لعنه اللّه و عقوبته ممّن يكون فيه رذيله الكبر .

و قوله:يسلم على اللّه.

و قوله: يسلم على اللّه .

فى معنى يرجع إليه سالما من طرده و لعنته و عذابه.تقول:سلم علىّ هذا الشىء إذا رجع إليك سالما و لم يلحقه تلف.و الباء فى قوله:بمثل معصيته.للاستصحاب:أى فمن يرجع إلى اللّه سالما من عذابه و قد استصحب مثل معصيه إبليس:أى تكبر كتكبره و خالف أمر ربّه.

و قوله:كلاّ.

و قوله: كلاّ .

ردّ لما عساه يدّعى من تلك السلامه الّتى استنكر وقوعها باستفهامه.و فسّر ذلك الردّ بقوله:ما كان اللّه.إلى قوله:ملكا.و الباء فى قوله:بأمر للاستصحاب أيضا:أى ما كان ليدخل الجنّه بشرا مستصحبا لأمر أخرج به منها ملكا.و ذلك الأمر هو رذيله الكبر الّتى يستصحبها الإنسان بعد الموت ملكه و خلقا فى جوهر نفسه.و القضيّه سالبه عرفيّه عامّه:أى لا يدخل الجنّه بشر بوصف الكبر ما دام له ذلك الوصف.

فإن كان ذلك الوصف يدوم كما فى حقّ الكافر لم يدخل الجنّه أبدا،و إن كان لا يدوم جاز أن يدخل بعد زواله الجنّه.فإذن لا مسكه للرعيه به قول القائلين بتخليد الفاسق من أهل القبله فى هذا الكلام.و أمّا حديث الإحباط فيقول:إنّما كان بسبب الكفر كما قال تعالى «إِلاّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَ كانَ مِنَ الْكافِرِينَ» (1).

فإن قلت:الكلام يقتضى أنّ إحباط عمله و إخراجه من الجنّه كان بسبب تكبّره لا بسبب كفره.

قلت:الأصل هو الكبر إلاّ أنّ تكبّره كان تكبرا على اللّه و إباء لطاعته و استصغارا لما امر به حيث قال:أ أسجد «لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصالٍ» ، «أَ أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً» و ذلك محادّه للّه و كفر به مصارحه فكان ذلك مستلزما لكفره.و لا شكّ أنّ

۱- ۱) ۸۴-۳۸.

الکفر یستلزم إحباط العمل و اللعن و الخروج من الجنّه .

و قوله:إنّ حکمه فی أهل السماء.إلی قوله:لواحد.

و قوله:إنّ حکمه فی أهل السماء.إلی قوله:لواحد.

أی فی إفاضته للخیر و الشرّ علی من یستعدّ لأحدهما فمن استعدّ من أهل السماء أو أهل الأرض لخیر أو شرّ فحکمه فیه أن یفیض علی ما استعدّ له و ذلک حکم لا یختلف اعتباره من جهته تعالی.

و قوله:و ما بین اللّه.إلی قوله:العالمین.

و قوله: و ما بین اللّه .إلی قوله: العالمین .

أی لیس بینه و بین أحد من خلقه صلح فیخصّصه بإباحه حکم حرّمه علی سائر خلقه فیختلف بذلک حکمه فیهم لأنّ الصلح من عوارض الحاجه أو الخوف المحالین علیه تعالی.و قال بعض الشارحین:کلّ ما جاء من الإحباط فی القرآن و الأثر فمحمول علی أنّ ذلک الفعل المحبط قد أخلّ فاعله ببعض شرائطه اللازمه إذ لم یوقعه علی الوجه المأمور به المرضیّ،أو فعله لا علی بصیره و یقین بل علی ظنّ و تخمین.

و بالجمله فحیث یقع لا علی وجه یستحقّ به ثوابا،لا علی أنّه استحقّ به شیئا ثمّ احبط.فإنّ ذلک ممّا قام البرهان علی استحالته. استعاره ثمّ حذّرهم من إبلیس باعتبار کونه عدوّ اللّه بعد أمرهم باعتبار حاله و ما لزمه من الشقاوه بسبب معصیه له أن یعدیهم بذلک الداء و هو الکبر الّذی بسببه لزمته تلک الشقاوه.و معنی عداوته للّه مجانبته لأوامره و مجاوزته لطاعته إلی معصیته و هو مستعار.و لفظ الداء مستعار للکبر یقرب من الحقیقه فإنّ أدواء النفوس أشدّ من أدواء الأبدان .و محلّ أن یعدیکم نصب علی البدل من عدوّ،و نقل عن القطب الراوندی-رحمه اللّه-أنّه مفعول ثان عن احذروا.و هو سهو.إذ هذا الفعل لا یتعدّی إلی مفعولین.

و قوله:بخیله و رجله.

کنایه و قوله: بخیله و رجله .

کنایه عن أعوانه من الضالّین المضلّین الّذین یستخفّون الناس بالوسوسه و الدعوه إلی طرق الضلال .

و قوله:فلعمری.إلی قوله:الشدید.

استعاره مرشحه-مجازا إطلاقا لاسم المسبّب علی السبب و قوله: فلعمری.إلی قوله:الشدید .

استعار لفظ السهم لوساوسه و تزییناته فی الوعید المحکیّ عنه بقوله تعالی:

«لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي اَلْأَرْضِ وَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ» (۱)و وجه الاستعاره كونه يرمى بتلك الوساوس وجوه نفوسهم فيكون سببا لهلاكها فى الآخره كما يكون السهم سببا للقتل.ورشّح بذكر التفويق و الإغراق و النزع و الرمى.و أمّا مكانه القريب فكمانطق به الخبر النبوىّ فى قوله:إنّ الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم.و قوله:لو لا أنّ الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات.و قرب من كان كذلك ظاهر.و الكلام فى قوله:فلعمرى.فى معرض الإغراء به.و فى الباء و ما يتعلّق به وجوه:

أحدها:قال أبو عبيد:معناها القسم.

فإن قلت:كيف نسب الإغواء إليه تعالى؟و كيف يصلح الإغواء مقسما به؟.

قلت:على الأوّل لمّا كان تعالى خالق أسباب الغوايه فيه كالقدره و العلم و غيرهما كانت له تعالى سببيّه فى إيجاد الغوايه و إن كانت بعيده فلذلك صحّ إسناد فعلها إليه تعالى،و على الثانى أنّه يجوز أن يكون ما بمعنى الّذى و العائد من الصله محذوف و تقديره بالّذى أغويتنى به لازيّننّ لهم و ذلك هو الأمر بالسجود لآدم إذ كان بسببه استكبر و عصى فغوى،و القسم جايز بأمره تعالى و تكليفه.و من جعل ما مصدريّه فله أن يقول:إنّ إبليس أطلق على الأمر و التكليف الّذى حصل له بسببهما الغوايه لفظ الإغواء مجازا إطلاقا لاسم المسبب على السبب .ثمّ أقسم به باعتبار ما هو أمر و تكليف لا باعتبار ما هو غوايه.

الثانى:قال غيره:هى للسببيّه:أى بكونى غاويا لازيّننّ كما يقول:بطاعته ليدخلنّ الجنّه و بمعصيته ليدخلنّ النار.و مفعول التزيين محذوف:أى لازيّننّ لهم الباطل حتّى يقعوا فيه.

الثالث:قال بعضهم:يجوز أن يكون الباء للسببيّه و يقدّر قسم محذوف.

و المعنى بسبب ما كلّفتنى فاستلزم غوايتى اقسم لازيّننّ لهم.

و قوله:قذفا بغيب بعيد.

ص:۲۵۰

۱- ۱) ۳۹-۱۵.

كقوله تعالى «وَ يَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ» (۱)و هو مصدر حذف فعله و سدّ مسدّ الحال.قال المفسّرون:و الغيب هنا بمعنى الظنّ.و فيه نظر لأنّ إطلاق لفظ الغيب على الظنّ مجاز و العدول عن الحقيقه إنّما يكون بعد تعذّر حمل اللفظ عليها و لا تعذّر هاهنا فى ذلك لأنّ مفهوم الغيب هو ما غاب عن الخلق فلم يعلموه فكان القذف بكلّ ما لا يعلم و الحكم به قذفا بالغيب و حكما به.و لمّا كان إبليس لا يعلم ما حكم به بأنّه يفعله فى الخلق من التزيين و الإغواء و هو بعيد عن علمه ثمّ حكم به كان حاكما بما هو غائب عن علمه و عازب عنه و هو معنى قذفه بالغيب البعيد.و فى نسخه الرضىّ-رحمه اللّه عليه-بظنّ مصيب.و فى أكثر النسخ غير مصيب و هو المناسب لقوله:بغيب بعيد.لأنّ ما يقال عن غيب بعيد قلّما يصيب ظنّه.

فإن قلت:فلم قال غير مصيب مع أنّ إبليس صدّق ظنّه فى إغواء الناس و تمّ له ما ظنّ؟كما قال تعالى «وَ لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ» (۲)الآيه.

قلت:الجواب عن وجوه:

أحدها:أنّه يريد بالظنّ المصيب العلم لأنّه المصيب الحقّ فكأنّه قال:بظنّ ليس بعلم.

الثانى:قال بعض الشارحين:إنّما كان غير مصيب لأنه ظنّ أنّ إغوائهم يكون منه فقال:لاغوينّهم.و هذا ظنّ فاسد لأنّ إغواءهم كان منهم اختيارا لأنّهم اختاروا العمى على الهدى فغووا عن طريق اللّه .و تصديق أبناء الحميّه له فى ذلك يعود إلى وقوع الغوايه منهم وفق ظنّه لأنّه لمّا ظنّ أنّه يغويهم فقد ظنّ أنّ الغوايه تلحقهم منه فصدّقوه فى الغوايه و أخطأ ظنّه فى تسبّبها إليه.

الثالث:أنّ الكلام لمّا كان فى معرض ذمّ إبليس و إغراء الخلق بعداوته وقف عليه السّلام فى الآيه على قوله:أجمعين.فيكون المعنى أنّ إبليس ظنّ أنّه يغوى جميع الخلق.

و أمّا استثنائه لعباد اللّه المخلصين فذاك ليس بحسب ظنّه بل تصديقا لقوله تعالى «إِنَّ»

ص:۲۵۱

۱- ۱) ۵۲-۳۴.

۲- ۲) ۱۹-۳۴.

«عِبادِی لَیسَ لَکَ عَلَیهِمْ سُلْطانٌ» (۱)و معلوم أنّ ذلک الظنّ فاسد و غیر مصیب.إذ کان إنّما قدر علی إغواء البعض.

الرابع:قال بعض الشارحین:یحتمل أن یکون أراد بالإغواء الّذی ظنّ أنّه یفعله بالخلق هو إغواء الشرک،و بالإخلاص فی قوله «إِلاّ عِبادَکَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِینَ» (۲)العصمه من المعاصی فیکون الناس إذن فی ظنّه إمّا معصوم أو مشرک و هذا ظنّ غیر مصیب إذ وجد من لیس بمشرک و لا معصوم.

و قوله:صدّقه به أبناء الحمیّه.

استعاره و قوله: صدّقه به أبناء الحمیّه .

فالحمیّه لازم من لوازم الکبر لأنّها مأخوذه من قولک:حمیت.إذا غضبت.فکانت حقیقتها تعود إلی الغضب عن تصوّر المؤذی مع الترفّع علی فاعله و اعتقاد الشرف علیه.

و استعار لفظ الأبناء لأصحاب هذه الرذیله و أهل الکبر من الناس.و وجه الاستعاره ملازمتهم لها کما یلازم الولد امّه حتّی صاروا کأنّهم خلقوا منها و هی أصل لهم.

و تصدیقهم له بذلک الظنّ هو ارتکابهم للرذائل و المعاصی اتّباعا له و غوایتهم لها عن سبیل اللّه قال بعض الشارحین:و الباء فی قوله:به.بمعنی فی:أی صدّقه فیه .

و صدّقه فی موضع الجرّ صفه لظنّ.

و قوله:و إخوان العصبیّه.

استعاره و قوله: و إخوان العصبیّه .

یحتمل أن یرید إخوانها فیکون قد جعل لها إخوانا علی سبیل الاستعاره و هم ملازموها کما جعل للحمیّه أبناء،و یحتمل أن یرید الإخوان فیها:أی الّذین عقدوا الاخوّه بینهم علی العصبیّه الباطله فیها.و کذلک فرسان الکبر و الجاهلیّه ، و یحتمل أن یکون قد استعار لفظ الفرسان لمرتکبی الکبر و الأفعال الجاهلیّه.و وجه الاستعاره ظاهر،و یحتمل أن یرید فرسان الجاهلیّه الموصوفین بالکبر .

و قوله:حتّی.إلی قوله:الجلیّ.

استعاره و قوله: حتّی.إلی قوله:الجلیّ .

غایه من قوله:فوّق و أغرق و رماکم.و استعار وصف الجامحه للنفوس الّتی کانت عاصیه لإبلیس آبیه عن الانقیاد له .

۱- ۱) ۴۲-۱۵.

۲- ۲) ۴۰-۱۵.

و قوله:فنجمت الحال.

و قوله:فنجمت الحال.

أى ظهرت الحال الّتى كان يرومها منكم و يظنّها فيكم و هى الغوايه و الضلال من السرّ الخفىّ إلى الأمر الجلىّ.أى من القوّه فيكم إلى الفعل .

و قوله:استفحل.

استعاره و قوله: استفحل .

جواب الشرط.و استعار لفظ الاستفحال لشدّه سطوته و سلطانه إشاره إلى كمال قدرته على تطويع النفوس و قهرها . كنايه و جنوده كنايه عن أهل الفساد فى الأرض كما علمته فيما سبق .و دلفه بهم دخولهم بالفساد على الناس و تزيينهم لهم رذائل الأخلاق و إغواؤهم إيّاهم.و من لوازم ذلک التحاسد و التباغض و التقاطع و التدابر و تفرّق الكلمه،و من لوازم تفرّق الكلمه أن يقحمهم العدوّ و لجأت الذلّ و يحلّهم و رطات القتل و يوطئهم إثخان الجراحه و يحتمل أن يريد بسلطانه الّذى استفحل عليه هو سلطان عدوّهم و من خالفهم كمعاويه و غيره و قوّتهم عليهم بعد تفرّق كلمتهم و قلّه طاعتهم له عليه السّلام و إضافه ذلک السلطان و جنوده إلى الشيطان ظاهره لأنّ سلطان الحقّ و جنوده يقال له سلطان اللّه و جنود اللّه،و سلطان الباطل يقال له سلطان الشيطان و جنوده جنود الشيطان و أوليائه و أعوانه.و ظاهر أنّهم عند تفرّق كلمتهم قد استفحل عليهم سلطان إبليس و دلف بجنوده إليهم و هم مخالفوه عليه السّلام.و انتصب إثخان الجراحه على أنّه مفعول ثان لأوطئوكم. استعاره و لفظ الولجات و الورطات مستعار ان للأحوال الّتى هى مظانّ الذلّ و القتل كالأماكن الّتى يفرّون إليها من عدوّهم ذلا و المواطن الّتى قتلوا فيها،أو لطاعتهم و الاستسلام لهم . استعاره بالكنايه و إقحامهم و إحلالهم إيّاها إلجاؤهم لهم إلى تلک الأحوال و الأماكن و لذلک استعار وصف إيطائهم إثخان الجراحه ملاحظه لمشابهه وقوعها بهم للوطء فى استلزامه للأذى.و كنّى بذلک المستعار عن إيقاعهم فى حرارات الجراح .و إثخان مصدر قولک:أثخن فى الجراح إذا كثر فيه و بالغ حتّى فشا فكأنّه ثخن.

و قوله:طعنا.إلى قوله:لمقاتلكم.

و قوله:طعنا.إلى قوله:لمقاتلكم.

جعل محلّ الطعن العيون،و الحزّ الحلوق،و الدقّ المناخر،و القصد المقاتل

لأنّها محالّها المتعارفه عند إراده الإذلال و الإهانه و الإهلاك.لأنّ الطعن و إن كان قد يقع فى سائر البدن إلاّ أنّه أبلغ فى العيون و أفحش.و كـذلك فى باقيها.قال بعض الشارحين:انتصب طعنا و حزّا و دقّا و قصدا و سوقا على المصادر عن أفعالها المقدّره.و من روى:لإثخان الجراحه.-بوجود اللام-فيحتمل أن يجعل طعنا مفعولا ثانيا لأوطئوكم،و يكون اللام فى الإثخان لام الغرض:أى أوطأوكم طعنا و حزّا و دقّا ليثخنوا الجراحه فيكم قال:و يكون قصدا و سوقا خالصين للمصدريّه لبعدهما عن المفعول به.و الأظهر هو الوجه الأوّل أعنى كون كلّ منها مصدرا لفعله.

و لمّا كان الفاعل بهم هذه الأفعال كلّها هو إبليس و جنوده فإن كان المراد بجنوده الساعين بين الناس بالوسوسه و الفساد فى الأرض فمعنى فعلهم بهم هذه الأفعال كونهم أسبابا معدّه لهم بالوسوسه المستلزمه لتفريق الكلمه و مخالفه الإمام لوقوع هذه الأفعال بهم من أعدائهم و محاربيهم ثمّ يتبع فعل العدوّ لهم أن يسوقوهم إلى النار بخزائم القهر. استعاره مرشحه و لفظ الخزائم مستعار لما يمكّن فى جواهر نفوسهم من الرذائل الموبقه و ملكات السوء الّتى لا محيص لهم من النار بسببها لمشابهتها الخزائم الّتى يقاد بها الإبل فى كونها لا مخلص عمّا يقاد إليه بسببها.و لفظ السوق ترشيح للاستعاره.و إن كان المراد بجنوده هم المخالفون له عليه السّلام و المحاربون لأصحابه ففعلهم بهم تلك الأفعال ظاهر.و أمّا السائق لهم إلى النار فيحتمل أن يكون هؤلاء و ذلك بإذلالهم لهم و إدخالهم فى باطلهم عن قهر و ذلّه.و لا شكّ أنّ الدخول فى باطلهم سبب جاذب إلى النار.و لفظ الخزائم مستعار إذن إمّا لما يتمكّن من باطلهم و عبثهم فى النفوس، و إمّا لأوامرهم بالباطل و حملهم على ارتكاب المنكر،و يحتمل أن يكون السائق لهم هو إبليس و جنوده من أهل الوسوسه .ثمّ رجع إلى إفراده بالفعل نظرا إلى قوله:و دلف بجنوده.فقال بعده: استعاره فأصبح أعظم فى دينكم جرحا .فاستعار لفظ الجرح للفساد المعقول الحاصل بسبب إبليس فى دينهم.و وجه المشابهه كون الجرح فسادا فى العضو أيضا،و كذلك استعار لفظ القدح لوساوس إبليس المستلزمه لوجود الإحن و التباغض و التحاسد بينهم الموجب لتفريق كلمتهم المستلزم لتشتّت سلطانهم و فساد

ص:۲۵۴

نظامهم و ما هم عليه من الابّهه و استقامه المعاش فى الدنيا.و وجه المشابهه إفساد تلك الوساوس لأحوال معاشهم كإفساد قدح النار ما يقدح فيه .و جعله فى حرج دينهم و إفساد دنياهم أشدّ من أعدائهم الّذين هم مناصبون لهم و الحكم ظاهر الصدق.

إذ كانت پيپفتنه إبليس لهم فى دينهم و دنياهم أصلا لكلّ فتنه تلحقهم من أعدائهم باعتبار أنّها سبب تفرّقهم كما سبق .ثمّ أمرهم أن يجعلوا عليه حدّهم:أى بأسهم و سطوتهم لأنّ حدّ الرجل بأسه و سطوته،أو منعهم و دفعهم.و أن يجعلوا له جدّهم:أى يجتهدوا للخلاص من فتنته بمقاومته و قهره.

و قوله:فلعمر اللّه.إلى قوله:بلاء.

و قوله:فلعمر اللّه.إلى قوله:بلاء.

عود إلى الإغراء بعداوته يذكر أسباب العداوه المنفّره،و هى كونه فخر على أصلهم،و ذلك قوله تعالى حكايه عنه «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ» (۱)و وقع فى نسبهم.و ذلك قوله «لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ» (۲)فبيّن بذكر أصلهم و هو الصلصال و الحمأ المسنون المنتن و نسبهم منه أنّه ساقط عن درجه الافتخار به. كنايه و خيله و رجله كنايه عن جنوده من أهل الباطل ،و إجلابه بخيله عليهم جمعه لجنوده على محاربتهم أو على الوسوسه لهم و الإضلال،و قصده لسبيلهم:أى السبيل الحقّ الّذى هم سالكوه إلى اللّه كقوله تعالى حكايه عنه «لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ الْمُسْتَقِيمَ» (۳)و هو كنايه عن جذبه لهم إلى طرف الباطل عند توجّههم إلى طرف الحقّ و سبيل الدين،و اقتناصهم لهم بكلّ مكان كقوله «ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ» (۴)الآيه و هو كنايه عن أخذه بوسوسته لهم من كلّ وجه و إغوائه لهم عن كلّ سبيل حقّ،و ضربهم منهم كلّ بنان كنايه أيضا عن كونه هو و جنوده أسبابا معدّه لقتلهم و قطعهم بأيدى أعدائهم.و على احتمال أن يريد بجنوده هم مخالفوه عليه السّلام من أهل الضلال فمعنى قصدهم لسبيلهم ابتلائهم بالفتن و القتل و منعهم لهم بذلك عن إقامه حدود اللّه و الاستقامه على سبيله،و اقتناصهم

۱- ۱) ۱۰-۷.

۲- ۲) ۳۳-۱۵.

۳- ۳) ۱۵-۷.

۴- ۴) ۱۶-۷.

بكـلّ مكـان و ضـربهم منهم كـلّ بنان كنايه عن اسـتقصائهم و قتلهم و أذاهم، اسـتعاره و لفظ الاقتناص مسـتعار ،و ظاهر أنّهم لا يمتنعون من أفعاله بعد اسـتحكام طمعه فيهم و اسـتفحال سـلطانه عليهم بحيله ،و لا يدفعون عن الفتهم بعزيمه:أى جدّ و اجتهاد و صرامه فى أمر لمـا سـبق منهم من التخـاذل و الانفعـال، كنـايه و الحومه و الحلقه و العرصه و الجوله ألفاظ كنّى بها عن الـدنيا.إذ كـانت محـلّ ذلّهم و الضـيق عليهم و عرصه موتهم و منصه بلائهم .و الإضافـات الأربع بمعنى اللام .ثمّ عـاد إلى أمرهم بتطهير قلوبهم من رذيله العصبيّه و أحقاد الجاهليّه، اسـتعاره مرشـحه و استعار لفظ النيران لما يثور من حراره الغضب و عنه العصبيّه،و قد علمت أنّ مبـدء تلـك الحراره القلب،و رشّح بـذكر الإطفـاء،و لك أن تسـمّى تلك النيران حميّه كما سـبق فلـذلك فسرّها بها فقال:و إنّما تلك الحميّه .

و يفهم من الحميّه أنّها خبر المبتدأ،و قوله:تكون.خبر بعد خبر،و يحتمل أن يكون صفه لتلك و الخبر تكون،و ظاهر أنّ الحميّه و العصبيّه الباطله من خطرات الشـيطان الّتى يخطرها للنفوس،و نخواته الّتى يحـدثها فيها بتحسـينه الغلبه و الانتقام و الترفّع و الترأس على الخلق،و من نزغـاته الّتى يفسـد بهـا النـاس،و نفثـاته الّتى يلقيها إلى أذهانهم لغرض الإفساد و الإضـلال،و أراد بإضافتها إلى الشـيطان التنفير عنها .ثمّ أردفه بالأمر بالتـذلل و أراد به التواضع كنايه و أمرهم أن يعتمدوا وضـعه على رؤوسـهم و هو كنايه عن إعزازهم و العنايه به لكونه فضـيله،و أن يلقوا التعزّز تحت أقدامهم و هو كنايه عن إطراحه و عدم العنايه به لكونه رذيله ، استعاره و أن يخلعوا التكبّر من أعناقهم .و استعار لفظ الخلع لطرح التكبر و نسبه إلى الأعناق ملاحظه لشبهه بما يلبس من قميص أو طوق فأمرهم بخلعه إذ ليسوا أهلا له و ليس ممّا ينبغى لهم،و أن يلزموا التواضع.و اسـتعار له لفظ المسلحه ،و وجه المشابهه أنّه لمّا كان المتواضـعون بسـبب تواضـعهم و تخلّقهم به حافظين لدينهم و أنفسـهم من دخول إبليس و جنوده عليهم برذيله الكبر و ما يلزمها من سائر الرذائل المعدوده المهلكه أشبه تواضعهم المسلحه الّتى هى محلّ الحفظ بها من غارات العدوّ .و لمّا علمت ما يلزم الكبر من الرذائل فلا يخفى عليك ما يلزم التواضع من أضدادها و نقائضها.

و قوله:فإنّ له من كلّ امّه.إلى قوله:فرسانا.

و قوله:فإنّ له من كلّ امّه.إلى قوله:فرسانا.

بيان لجنوده و إشاره إلى أنّ له من هذه الامّه جنودا و أعوانا و رجلا و فرسانا اتّصفوا بصفته و استشعروا شعاره و هو الكبر فينبغى أن يجتنبوهم و يطرحوا شعارهم .

و قوله:و لا تكونوا كالمتكبّرين على ابن امّه.

و قوله:و لا تكونوا كالمتكبّرين على ابن امّه.

أراد بذلك المتكبّر قابيل حين قتل أخاه هابيل عن كبر و حسد،و هو نهى عن الكبر أيضا من بعضهم على بعض.و إلى قصّه قابيل و هابيل أشار القرآن الكريم بقوله «وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبا قُرْباناً» إلى قوله «جَزاءُ الظّالِمِينَ» (۱)و المنقول فى السبب أنّ حوّاء كانت تلد فى بطن اثنين ذكرا و انثى.فولدت فى أوّل بطن قابيل و اخته ثمّ مكثت سنين فولدت هابيل و اخته.فلمّا أدركوا أمر اللّه آدم أن ينكح قابيل اخت هابيل و ينكح هابيل أخت قابيل فرضى هابيل بذلك و لم يرض قابيل لأنّ أخته كانت أحسنهما فقال آدم:قرّ باقربانا فأيّكما تقبّل قربانه زوّجتها منه.و قيل:بل قال آدم لهابيل و قابيل:إنّ ربّى أوحى إلىّ أنّه يكون من ذرّيّتى من يقرّب القربان فقرّبا قربانا حتّى تقرّ عينى إذا تقبّل قربانكما.و كان قابيل صاحب زرع و هابيل صاحب ضرع.فتقرّب قابيل بأردء قمح عنده،و تقرّب هابيل بأجود حمل عنده و وضعا قربانهما على الجبل فدعا آدم فنزلت نار بيضاء من السماء فدفعت قربان هابيل دون قابيل لأنّ نيّته لم تكن خالصه فى قربانه.

و قيل:لأنّه كان مصرّا على كبيره لا يقبل اللّه معها طاعه.فذلك قوله تعالى «وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبا قُرْباناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِما وَ لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ» (۲)فحسده قابيل و كان أكبر منه سنّا.فقال:لأقتلنّك.قال هابيل: «إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ» .الآيه.إلى قوله «فَأَصْبَحَ مِنَ الْخاسِرِينَ» (۳)أى لأخيه فى الدنيا و للجنّه فى الآخره.و روى أنّه بقى زمانا يحمله على ظهره لا يدرى ما ذا يصنع به حتّى بعث «اللّهُ غُراباً يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوارِي سَوْأَهَ»

۱- ۱) ۳۰-۵.

۲- ۲) ۳۰-۵.

۳- ۳) ۳۳-۵.

«أَخِيهِ» .و روى أنّه كان غرابان قتل أحدهما الآخر و احتفر له و دفّنه.فقال قابيل:

«يا وَيْلَتى أَ عَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هـذَا الْغُرابِ» .الأيه.إذا عرفت ذلك فنقول:قال الثعلبى:إنّما أضافه إلى الامّ دون الأب لأنّ الولد فى الحقيقه من الامّ:أى الولد بالفعل فإنّ النطفه فى الحقيقه ليست ولدا بل جزء مادّى له و نسبه الولد إليه فى الحكم دون الحقيقه.و قيل:لأنّ قابيل لقتله هابيل فإنّه قطع نسبه عن أبيه كما قال تعالى فى ولد نوح «إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ» (۱)و قيل:لأنّ شفقّه الأخ من الامّ أزيد من شفقّه الأخ من الأب لزياده شفقّه الأمّ.و الأوّل أليق.و قد أشار بهذه الإضافه إلى جهه مساواته له فى كونهما من محلّ واحد لتبيّن قبح تكبّره عليه ليتنبّه السامعون لنهى الإنسان عن التكبّر على غيره من أبناء نوعه.و أكّد ذلك بقوله:من غير ما فضل جعله اللّه فيه .

و قوله:سوى ما ألحقت العظمه.إلى قوله:ريح الكبر.

استعاره مرشحه و قوله: سوى ما ألحقت العظمه.إلى قوله:ريح الكبر .

إشاره إلى تكبّره عليه و أسبابه و هى العداوه عن حسد،و جعل تلك العداوه مسبّبه عن العظمه و هو ظاهر كما علمت فإنّ المتعظّم معتقد لكمال نفسه و أنّه أولى بكلّ كمال يليق به من غيره و أنّه لا ينبغى أن تشاركه فيه أحد،و ذلك يستلزم حسده للغير على ما يعتقده كمالا يصل إليه كاعتقاد قابيل أنّه أولى بالأخت الحسناء من أخيه لكونه أكبر سنّا منه إلى غير ذلك من الأسباب،و عن ذلك الحسد تكون الحميّه و ثوران نار الغضب و العصبيّه،و لفظ النار مستعار كما سبق،و لفظ القدح ترشيح،و كذلك لفظ الريح مستعار لتلك الوساوس و الخطرات الّتى ينفثها إبليس فى روع المتكبّر من كونه أولى فأحقّ بذلك الكمال و نحوه،و كذلك لفظ النفخ لإلقاء تلك الخطرات و نفثها .

و قوله:الّذى أعقبه اللّه.

و قوله:الّذى أعقبه اللّه.

أى الندامه المشار إليه كما ذكرناه.

و قوله:و ألزمه آثام القاتلين إلى يوم القيامه.

و قوله:و ألزمه آثام القاتلين إلى يوم القيامه.

ص:۲۵۸

۱- ۱) ۴۸-۱۱.

إشاره إلی مقتضی قوله تعالی «مِنْ أَجْلِ ذٰلِکَ کَتَبْنا عَلی بَنِی إِسْرائِیلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَیْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِی الْأَرْضِ فَکَأَنَّما قَتَلَ النّاسَ جَمِیعاً» (۱)أی یکون عقابه فی الغلظ و الشدّه و التأبید کعقاب قاتل الناس جمیعا کما قال تعالی «وَ مَنْ یَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً» (۲)الآیه،و کذلک مقتضی قول الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:من سنّ سنّه سیّئه فعلیه وزرها و وزر من یعمل بها إلی یوم القیامه.و قابیل هو من أوّل من سنّ القتل فلا جرم لزمه آثام القاتلین إلی یوم القیامه،و کذلک قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:ما من نفس فقتل ظلما إلاّ کان علی ابن آدم الأوّل کفل منها.ذلک بأنّه أوّل من سنّ القتل .ثمّ شرع فی تنبیههم علی إمعانهم و تشمّرهم فی البغی و الإفساد فی الأرض و إعلامهم بذلک من أنفسهم.و الخطاب أشبه أن یکون للبغاه من أصحاب معاویه و هم الّذین کاشفوا اللّه بمحادّه أولیائه و معاداه دینه و بارزوا المؤمنین بالمحاربه.و مصارحه و مبارزه مصدران سدّا مسدّ الحال .ثمّ کرّر التحذیر من اللّه تعالی فی الکبر و أضافه إلی الحمیه لیتمیّز الکبر المحمود،و کذلک إضافه الفخر إلی الجاهلیّه فإنّ من التکبّر و الفخر ما هو محمود کتکبّر الفقراء علی الأغنیاء.

ثمّ ذکر فی ذکر ما نفرّ عنه من الأوصاف کونه ملاقح الشنئان و هو البغض و العداوه. استعاره-مجاز إطلاقا لاسم السبب علی المسبّب و لفظ الملاقح مستعار من الفحول للکبر و الفخر،و وجه المشابهه کونهما مظنّه وجود البغضاء بین الناس و سبب له کما أنّ الفحول سبب الإلقاح، و أمّا علی تقدیر کونه مصدرا فاستعاره لإثمار الفخر للبغضاء للمشابهه المذکوره.

ثمّ إنّه أخبر بذلک المصدر نفسه عن الفخر حیث جعله خبر إنّ فکأنّه قال:فإنّ الفخر لقح الشنئان،و لقح الشنئان نفسه لیس عین الفخر بل من ثماره و لوازمه فکان إطلاقا لاسم السبب علی المسبّب و هو فی الدرجه الثانیه ،و إنّما ذکره بلفظ الجمع نظرا إلی تکثّر معنی الفخر فی موارده و هی أذهان المتکبّرین.و منافخ الشیطان.جمع منفخ مصدر نفخ،و ظاهر أنّ أفراد مهیّه الفخر المنتشره فی الأدمغه نفخات و نفثات من إبلیس.و یقال فی العرف للمتکبّر و المترفّع قدره:قد نفخ

۱- (۱) ۵-۳۵.

۲- (۲) ۹۵-۴.

الشيطان فى أنفه.و وصف تلك المنافخ بأنّها اللاتى خدع بها الامم الماضيه و القرون الخاليه.و صوره الخداع هاهنا كونهم أراهم الباطل فى صوره الحقّ كتزيه الكبر و تحسينه للوازمه و تخييل أنّ ذلك هو الأصلح و الأنفع مع أنّه فى نفس الأمر ليس بحقّ حتّى كان ذلك سببا لارتكابهم فى ظلمات الجهالات و مهاوى الضلالات، استعاره و استعار وصف الإعناق لما يتوهّم من شدّه دخولهم فى ظلمات الجهالات و قوّه سيرهم فيها،و كذلك لفظ الحنادس مستعار لما يتخيّل من ظلمه الجهل،و لفظ المهاوى مستعار لما يتخيّل من كون الضلاله و طرقها محالّ للهوىّ عن افق الكمال و مدارج السعاده ،و أضاف الجهاله و الضلاله إليه إضافه للمسبّب إلى السبب.و ذلل جمع ذليل، و سلس:جمع سلس و هما سهلا الانقياد.و انتصابهما على الحال من الضمير فى أعنقوا :

أى أسرعوا سهلى الانقياد لسوقه.

و قوله أمرا.

و قوله:أمرا.

منصوب بفعل مضمر تقديره فاعتمد أمرا تشابهت قلوبهم فيه و تتابعت القرون الماضيه منهم على اعتماده و هو الفخر و نفخ الشيطان و الإعناق فى جهالته و ضلالته، و كبرا عطف عليه، كنايه و كنّى بتضايق الصدور به من كثرته و عظمته .ثمّ عقّب بالتحذير من طاعه ساداتهم و كبرائهم تذكيرا بما نبّه عليه القرآن الكريم بذمّ المطيعين لساداتهم و كبرائهم على طاعتهم فيما حرّم اللّه عليهم و خروجهم بذلك عن سبيل اللّه،و ذلك قوله تعالى حكايه لما يقولونه يوم القيامه «وَ قالُوا رَبَّنا إِنّا أَطَعْنا سادَتَنا وَ كُبَراءَنا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ رَبَّنا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذابِ وَ الْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً» (١)و التابعين على متابعه متبوعهم فى قوله حكايه عنهم «تَاللّهِ إِنْ كُنّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ» (٢).

و قوله:الّذين تكبّروا عن حسبهم و ترفّعوا فوق نسبهم.

و قوله:الّذين تكبّروا عن حسبهم و ترفّعوا فوق نسبهم.

فحسبهم و نسبهم إشاره إلى الطين و الصلصال من الحمأ المسنون و الماء المهين الّذى هو أصلهم،و لمّا كان من شأنه أن لا فخر فيه و لا تكبّر لمن هو أصل له ثمّ

١- (١) ٦٧-٣٣.

٢- (٢) ٩٧-٢٦.

تکبّروا فقد تکبّروا عن ذلک الأصل و ترفّعوا علیه و ترکوا ما ینبغی لهم من النظر إلیه و التواضع لحسبه،و إلیه أشار القائل:ما بال من أوّله نطفه،و جیفه آخره یفخر؟لا یملک تقدیم ما یرجو و لا تأخیر ما یحذر.

و قوله:و ألقوا الهجینه علی ربّهم.

و قوله:و ألقوا الهجینه علی ربّهم.

أی نسبوا ما فی الإنسان من القبایح بزعمهم إلی ربّهم کما قال بعض الشارحین:

کأن یقول أحدهم فی الافتخار علی غیره:أنا عربیّ و أنت أعجمیّ.فإنّ ذلک عیب و إزراء لخلق اللّه فهو عیب علی اللّه و نسبه للقبح إلیه،و هم فی ذلک مقتفون لأثر إبلیس حیث قال:أ أسجد «لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصالٍ» .إذ کان ذلک عیبا لخلق اللّه و نسبه للفعل القبیح.

و قوله:و جاحدوا اللّه ما صنع بهم.

و قوله:و جاحدوا اللّه ما صنع بهم.

ووجه المجاحده هنا أنّهم لمّا غفلوا عن اللّه تعالی و جحدوا حقّه لم یشکروا علی نعمائه و صنیعه بهم.و لمّا کان الشکر یعود إلی الاعتراف بالنعمه کان الجحد و الإنکار منهم عباره عن عدم ذلک الاعتراف لغفلتهم،و أیضا فإنّ الشکر کما یکون بالاعتراف بالنعمه کذلک یکون بالاتیان بما یوافق ذلک الاعتراف و یدلّ علیه من الأقوال و الأفعال الصالحه المطلوبه للمنعم و الموافقه لأوامره و نواهیه و یسمّیان شکرا أیضا فکان الإصرار علی ترکهما و عدم الاتیان بهما جحدا لنعمه اللّه،و ذلک هو مجاحدتهم.فأمّا مجاحده اللّه لهم فیعود إلی ما یتخیّل من إنکاره علیهم جحدهم،و تقریره علیهم صنعه بهم،و تذکیره نعمته فی حقّهم.و ما مصدریّه.و یحتمل أن تکون بمعنی الّذی و العائد من الصله محذوف:أی ما صنعه بهم.

و قوله:مکابره لقضائه.

استعاره مرشحه و قوله: مکابره لقضائه .

أی مقابله لحکمه علیهم بوجوب شکره و لزوم طاعته بردّ ذلک الحکم و إنکاره و عدم الانقیاد له.و حقیقه المکابره یعود إلی المقابله بالقول فی الأمر و المنازعه فیه علی وجه المغالبه و التکبر من الطرفین.و هی هنا ترشیح لاستعاره المجاحده.و کذلک المغالبه لآلائه .و النصب فیهما علی المفعول له.و المغالبه هنا

لشبه الغايه من المجاحده و ليست غايه على الحقيقه.و بيان ذلك أنّه لمّا كان من لوازم المجاحده و كفران النعمه زوالها و انقطاعها كانوا بفعلهم لتلك المجاحده و ذلك الكفران كالمغالبين للنعم و القاصدين لزوالها و عدمها.إذ كان زوالها لازما لفعلهم .

و قوله:فإنّهم.إلى قوله:الجاهليّه.

استعاره و قوله: فإنّهم.إلى قوله:الجاهليّه .

تنبيه على ما يلزم ساداتهم من الرذائل المنفّره،و استعار لفظ الأساس للكبر.

إذ كان مبدء للعصبيّه و أصلا لها،و لفظ القواعد لهم باعتبار قيام الكبر بهم و ثباته فيهم كما يقوم الأساس بقواعده و هى الصخور العظيمه و نحوها.و كذلك استعار لفظ الأركان لأجزاء الفتنه و أبعاضها،و لفظ الدعائم لهم باعتبار قيام الفتن بهم و اعتمادها عليهم كما يعتمد أركان البيت و جوانبه بدعائمه.و استعار لفظ السيوف لهم باعتبار صرامه عزومهم و مضيّهم عند الاعتزاء فيما يعتزى له كمضىّ السيوف و صرامتها فى مضاربها .قال بعض الشارحين:و يحتمل أن يريد و أصحاب سيوف اعتزاء الجاهليّه،و ذلك عند قولهم:يالفلان.كما نقل فى سبب الخطبه.و الاعتزاء منهىّ عنه لكونه مبدء للفتن.و روى أنّ ابىّ بن كعب سمع رجلا يقول:يا لفلان فقال:عضضت بهن أبيك.فقيل له:يا أبا المنذر ما كنت فاحشا.قال:سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول:من تعزّى بعزاء الجاهليّه فأعضّوه بهن أبيه و لا تكنّوا.و العزاء الاسم من الاعتزاء .ثمّ عاد إلى الأمر بتقوى اللّه.فقوله:و لا تكونوا لنعمه عليكم أضدادا.نهى لهم عن ارتكاب ما يزيل نعمه اللّه عنهم و تضادّها فلا يجامعها من كفرانها و مقابلتها بسائر المعاصى الّتى يستلزم تبديل النعمه نقمه،و كذلك استعاره قوله: و لا لفضله عندكم حسّادا .استعار لفظ الحسّاد هنا باعتبار كفرهم المزيل للنعم.فحسّاد النعمه باعتبار حسدهم المزيل لها .

و قوله:و لا تطيعوا الأدعياء.

و قوله:و لا تطيعوا الأدعياء.

قال بعض الشارحين:مراده بالأدعياء الّذين ينسبون إلى الإسلام ظاهرا و هم منافقون.قلت:و يحتمل أن يريد بهم حقيقه الأدعياء،و هم الّذين ينتسبون إلى غير آبائهم ممّن لا دين له و قد ترأس فى قبيلته الّتى انتسب إليها.ثمّ وصفهم فقال:

استعاره مرشحه الّذين شربتم بصفوكم كدرهم فاستعار لفظ الصفو و هو خالص الشراب إمّا لخلاص دينهم و إيمانهم أو لخالص دنياهم و صافيها،و لفظ الكدر للنفاق و ساير الرذائل النفسانيّه الّتى تخالط إيمان المرء كالحسد و نحوه فتكدّره و تكدّر بسبب ذلك ما صفا من دنياه لسبب ثوران الفتنه عنها،و رشّح بذكر الشرب.و المعنى أنّكم مزجتم بايمانكم نفاقهم فشربتموه به كما يمزج بالماء الشراب فيساغ به .و إنّما قال:شربتم بصفوكم كدرهم،و لم يقل:بكدرهم صفوكم لأنّ غرضه أن يقرن عليهم شرب الكدر بالقصد الأوّل و لا يتمّ ذلك الغرض إلاّ بعبارته عليه السّلام.و الباء هنا للمصاحبه، و كذلك قوله:و خلطتم بصحّتكم مرضهم.و أراد بمرضهم نفاقهم و كبرهم و سائر الرذائل النفسانيّه فيهم،و بالصحّه سلامه نفوس المؤمنين بايمانهم عن شوب تلك الرذائل.و وبّخهم بتخليطهم ايمانهم بها،و كذلك قوله:و أدخلتم فى حقّكم باطلهم.

و أراد بالحقّ الايمان و الجدّ فى العمل الصالح أو ما يستحقّونه من الملك و الخلافه فى الأرض،و بباطل اولئك الكذب و النفاق و اللعب و سائر الرذائل أو ما لا يستحقّ لهم من أمر الدنيا،و ذلك الخلط و الإدخال بسبب تخاذلهم عن نصرته عليه السّلام و عدم اجتماعهم على ما ينبغى لهم من طاعته .ثمّ عاد إلى وصف اولئك الكبراء بأوصاف:

استعاره الأوّل:استعار لهم لفظ الأساس باعتبار كونهم أصلا للفسوق يقوم بهم كما يقوم البناء بأساسه.

الثانى:لفظ الأحلاس باعتبار ملازمتهم للعقوق و قطع الرحم كما يلازم حلس البعير ظهره،و روى:أسئاس-بسكون السين-بوزن أحلاس،و هو جمع أسّ كحمل و أحمال و هو الاسّ.

الثالث:كون إبليس اتّخذهم مطايا ضلال.فاستعار لهم لفظ المطايا باعتبار كونهم أسبابا موصله إلى الضلال لمن اتّبعهم و اعتمد أقوالهم نيابه عن إبليس،و كانوا فى ذلك المطايا الّتى يركبها الناس و يقودها فى طرق الضلال.

الرابع:كونهم جندا بهم يصول على الناس،و ذلك باعتبار كونهم جاذبين للخلق إلى طريقته داعين لهم إلى الهلاك الأبد من جهته.

ص:۲۶۳

استعاره الخامس:کونهم تراجمه ینطق علی ألسنتهم.و لفظ التراجمه مستعار لهم باعتبار نطقهم بما یریده إبلیس من الوساوس للناس فأشبهوا التراجمه له .ثمّ أشار إلی کیفیّات اتّخاذهم مطایا و جندا و تراجمه فمنها الاستراق لعقول الناس بالأقوال الکاذبه و الأفعال الباطله و العادات المضلّه جذبا إلی محبّه الدنیا و باطلها و التفاتا لهم إلیها عمّا لأجله خلقوا و إلیه دعوا،و منها الدخول فی عیونهم بزینه الحیاه الدنیا أیضا و سائر ما یجذب إلیها من جهه حسّ البصر،و منها النفث فی أسماعهم و إلقاء الوساوس بالأقوال الواصفه للدنیا و باطلها و المنفّره عن الآخره و سائر ما یجذب عن الافق الأعلی من الجواذب السمعیّه.و انتصب استراقا و دخولا و نفثا علی المصدر کلّ عن فعله:أی یسترق عقولکم استراقا.و کذلک الآخران.

و قوله:فجعلکم مرمی نبله

استعاره و قوله: فجعلکم مرمی نبله .

أی غرضا،و استعار لفظ النبل لجزئیّات وساوسه المردیه لکلّ من أصابته إلی مهاوی الهلاک کما یردی النبل من رمی به،و لفظ المرمی باعتبار کونهم مقصد الوساوسه کالهدف ، استعاره مرشحه و کذلک استعار لهم لفظ الموطیء باعتبار کونهم مظنّه إذلاله و إهانته.و رشّح بذکر القدم إذ الموطیء یستدعی موطوءا به و هو القدم،و کذلک استعار لفظ المأخذ باعتبار کونهم مقتنصین فی حبایل وساوسه،و رشّح بذکر الید.إذ من شأن المأخوذ أن یکون أخذه بالید .

الفصل الثالث:فی أمرهم بالاعتبار بحال الماضین،و ما أصاب الامم المستکبرین

اشاره

منهم من بأس اللّه و صولاته و عقوباته و مصارعهم

،و بحال الأنبیاء علی جلاله قدرهم فی التواضع لمن ارسلوا إلیه من المتکبّرین،و حال اختبار اللّه تعالی خلقه بأحجار نصبها بیتا لعبادته اختبارا للمتواضعین له و تمییزا لهم من المستکبرین عن عبادته.

إلی غیر ذلک،و ذلک قوله:

فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الْأُمَمَ الْمُسْتَکْبِرِینَ مِنْ قَبْلِکُمْ- مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَ صَوْلاَتِهِ وَ وَقَائِعِهِ وَ مَثُلاَتِهِ- وَ اتَّعِظُوا بِمَثَاوِی خُدُودِهِمْ وَ مَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ-

وَ اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبْرِ- كَمَا تَسْتَعِيذُونَهُ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ فَلَوْ رَخَّصَ اللَّهُ فِی الْكِبْرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ- لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ- وَ مَلاَئِكَتِهِ وَ لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّهَ إِلَيْهِمُ التَّكَابُرَ- وَ رَضِیَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ- فَأَلْصَقُوا بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ- وَ عَفَّرُوا فِی التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ- وَ خَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ- وَ كَانُوا قَوْماً مُسْتَضْعَفِينَ- قَدِ اخْتَبَرَهُمُ اللَّهُ بِالْمَخْمَصَةِ وَ ابْتَلاَهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ- وَ امْتَحَنَهُمْ بِالْمَخَاوِفِ وَ مَحَّصَهُمْ بِالْمَكَارِهِ- فَلاَ تَعْتَبِرُوا الرِّضَا وَ السُّخْطَ بِالْمَالِ وَ الْوَلَدِ- جَهْلاً بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ- وَ الاِخْتِبَارِ فِی مَوْضِعِ الْغِنَى وَ الاِقْتِدَارِ وَ قَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- «أَ يَحْسَبُونَ أَنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مالٍ وَ بَنِينَ نُسارِعُ لَهُمْ فِی الْخَيْراتِ بَلْ لا يَشْعُرُونَ» فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِی أَنْفُسِهِمْ- بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِی أَعْيُنِهِمْ وَ لَقَدْ دَخَلَ؟مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ؟ وَ مَعَهُ أَخُوهُ؟هَارُونُ ع؟- عَلَى ؟فِرْعَوْنَ؟ وَ عَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ- وَ بِأَيْدِيهِمَا الْعِصِیُّ فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ- بَقَاءَ مُلْكِهِ وَ دَوَامَ عِزِّهِ- فَقَالَ أَ لاَ تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِی دَوَامَ الْعِزِّ- وَ بَقَاءَ الْمُلْكِ- وَ هُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَ الذُّلِّ- فَهَلاَّ أُلْقِیَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرُ مِنْ ذَهَبٍ- إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَ جَمْعِهِ- وَ احْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَ لُبْسِهِ- وَ لَوْ أَرَادَ

اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ- حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذِّهْبَانِ- وَ مَعَادِنَ الْعِقْيَانِ وَ مَغَارِسَ الْجِنَانِ- وَ أَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَ وُحُوشَ الْأَرَضِ لَفَعَلَ- وَ لَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ وَ بَطَلَ الْجَزَاءُ وَ اضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ وَ لَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلَيْنَ- وَ لَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ- وَ لَا لَزِمَتِ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا- وَ لَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ- وَ ضَعَفَةً فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ- مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلَأُ الْقُلُوبَ وَ الْعُيُونَ غِنًى- وَ خَصَاصَةٍ تَمْلَأُ الْأَبْصَارَ وَ الْأَسْمَاعَ أَذًى وَ لَوْ كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ وَ عِزَّةٍ لَا تُضَامُ- وَ مُلْكٍ تُمَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ وَ تُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحَالِ- لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الِاعْتِبَارِ- وَ أَبْعَدَ لَهُمْ فِي الِاسْتِكْبَارِ- وَ لَآمَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ- فَكَانَتِ النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً وَ الْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً- وَ لَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الِاتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ- وَ التَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ وَ الْخُشُوعُ لِوَجْهِهِ- وَ الِاسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ وَ الِاسْتِسْلَامُ لِطَاعَتِهِ- أُمُوراً لَهُ خَاصَّةً لَا يَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ وَ كُلَّمَا كَانَتِ الْبَلْوَى وَ الِاخْتِبَارُ أَعْظَمَ- كَانَتِ الْمَثُوبَةُ وَ الْجَزَاءُ أَجْزَلَ

أَ لاَ تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ- الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ؟آدَمَ ص؟ إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ- بِأَحْجَارٍ لاَ تَضُرُّ وَ لاَ تَنْفَعُ وَ لاَ تَسْمَعُ- وَ لاَ تُبْصِرُ فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَاماً- ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بِقَاعِ الْأَرْضِ حَجَراً- وَ أَقَلِّ نَتَائِقِ الدُّنْيَا مَدَراً- وَ أَضْيَقِ بُطُونِ الْأَوْدِيَةِ قُطْراً- بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ وَ رِمَالٍ دَمِثَةٍ- وَ عُيُونٍ وَشِلَةٍ وَ قُرًى مُنْقَطِعَةٍ- لاَ يَزْكُو بِهَا خُفٌّ وَ لاَ حَافِرٌ وَ لاَ ظِلْفٌ- ثُمَّ أَمَرَ؟آدَمَ ع؟ وَ وَلَدَهُ أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ- فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجَعِ أَسْفَارِهِمْ وَ غَايَةً لِمُلْقَى رِحَالِهِمْ- تَهْوِي إِلَيْهِ ثِمَارُ الْأَفْئِدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ- وَ مَهَاوِي فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ وَ جَزَائِرِ بِحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ- حَتَّى يَهُزُّوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلُلاً- يُهَلِّلُونَ لِلَّهِ حَوْلَهُ وَ يَرْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ- شُعْثاً غُبْراً لَهُ قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ- وَ شَوَّهُوا بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ- ابْتِلاَءً عَظِيماً وَ امْتِحَاناً شَدِيداً- وَ اخْتِبَاراً مُبِيناً وَ تَمْحِيصاً بَلِيغاً- جَعَلَهُ اللَّهُ سَبَباً لِرَحْمَتِهِ وَ وُصْلَةً إِلَى جَنَّتِهِ- وَ لَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ- أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ وَ مَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ- بَيْنَ جَنَّاتٍ وَ أَنْهَارٍ وَ سَهْلٍ وَ قَرَارٍ- جَمَّ الْأَشْجَارِ دَانِيَ الثِّمَارِ- مُلْتَفَّ الْبُنَى مُتَّصِلَ الْقُرَى- بَيْنَ بُرَّةٍ سَمْرَاءَ وَ رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ- وَ أَرْيَافٍ مُحْدِقَةٍ وَ عِرَاصٍ مُغْدِقَةٍ- وَ رِيَاضٍ نَاضِرَةٍ وَ طُرُقٍ عَامِرَةٍ- لَكَانَ

قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلَاءِ- وَ لَوْ كَانَ الْأَسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا- وَ الْأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا- بَيْنَ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ وَ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ وَ نُورٍ وَ ضِيَاءٍ- لَخَفَّفَ ذَلِكَ مُصَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ- وَ لَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ- وَ لَنَفَى مُعْتَلَجَ الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ- وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ- وَ يَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ- وَ يَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ- إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ- وَ إِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ- وَ لِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَاباً فُتُحاً إِلَى فَضْلِهِ- وَ أَسْبَاباً ذُلُلًا لِعَفْوِهِ فَاللَّهَ اللَّهَ فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ- وَ آجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ وَ سُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبْرِ- فَإِنَّهَا مَصْيَدَةُ إِبْلِيسَ الْعُظْمَى وَ مَكِيدَتُهُ الْكُبْرَى- الَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ- فَمَا تُكْدِي أَبَداً وَ لَا تُشْوِي أَحَداً- لَا عَالِماً لِعِلْمِهِ وَ لَا مُقِلًّا فِي طِمْرِهِ- وَ عَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ- بِالصَّلَوَاتِ وَ الزَّكَوَاتِ- وَ مُجَاهَدَةِ الصِّيَامِ فِي الْأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ- تَسْكِيناً لِأَطْرَافِهِمْ وَ تَخْشِيعاً لِأَبْصَارِهِمْ- وَ تَذْلِيلًا لِنُفُوسِهِمْ وَ تَخْفِيضاً لِقُلُوبِهِمْ- وَ إِذْهَاباً لِلْخُيَلَاءِ عَنْهُمْ- وَ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَعْفِيرِ عِتَاقِ الْوُجُوهِ بِالتُّرَابِ تَوَاضُعاً- وَ الْتِصَاقِ كَرَائِمِ الْجَوَارِحِ بِالْأَرْضِ تَصَاغُراً- وَ لُحُوقِ الْبُطُونِ بِالْمُتُونِ مِنَ الصِّيَامِ

تَذَلُّلًا- مَعَ مَا فِی الزَّکَاهِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الْأَرْضِ- وَ غَیْرِ ذَلِکَ إِلَی أَهْلِ الْمَسْکَنَهِ وَ الْفَقْرِ انْظُرُوا إِلَی مَا فِی هَذِهِ الْأَفْعَالِ- مِنْ قَمْعِ نَوَاجِمِ الْفَخْرِ وَ قَدْعِ طَوَالِعِ الْکِبْرِ

اللغه

أقول: المثلات :العقوبات.و المثاوی :جمع مثوی و هو المقام.و التکابر:

التعاظم.و التعفیر :إلصاق الخدود بالعفر و هو التراب.و المخمصه .المجاعه:و المجهده :المشقّه.و الإقتار :الفقر.و الأساوره :جمع أسوره جمع سوار،و یجوز أن یکون جمع أساور،و قال أبو عمرو بن العلاء:هو جمع أسوار،و هو السوار.و الذهبان :جمع ذهب کحزب لذکر الحباری و حزبان.و العقیان :خالص الذهب.

و اضمحلّ :فنی.و الأنباء :الأخبار.و الخصاصه :الجوع.و الشوب :الخلط.و الوعر بالتسکین :الصعب.و النتائق :جمع نتیقه فعیله بمعنی مفعوله،و النتق:الجذب، و سمیت المدن و الأماکن المشهوره و المرتفعه نتائق لارتفاع بنائها و شهرتها و علوّها عن غیرها من الأرض کأنّها جذبت و رفعت.و القطر :الجانب.و الدمثه:

اللیّنه.و الوشله :قلیله الماء.و المثابه :المرجع.و المنتجع :اسم المفعول من الانتجاع و هو طلب الکلاء و الماء.و المفاوز :الفلوات الواسعه.و القفار :جمع قفر و هی المفازه الّتی لا نبت فیها و لا ماء.و سحیقه :بعیده.و الفجاج :جمع فجّ و هی الطریق الواسع بین الجبلین.و یهلّلون :یرفعون أصواتهم بالتلبیه،و الإهلال :رفع الصوت.و الرمل بالتحریک :الهروله:و الأشعث :أغبر الراس متفرّق الحال.

و النبذ :الإلقاء.و السرابیل :القمصان.و التشویه :تقبیح الخلقه.و التمحیض:

الابتلاء و الاختبار،و أصله التخلیص و التمییز.و المشاعر :مواضع المناسک.و القرار :المستقرّ من الأرض.و الجمّ :الکثیر.و البنی :جمع بنیه-بالضمّ-.و الأریاف :جمع ریف بالکسر،و هی الأرض ذات الزرع و الخصب.و المحدقه:

المحیطه.و المغدقه :کثیره الماء و الخصب.و المعتلج : اسم المفعول من الاعتلاج و هو

التغالب و الاضطراب،يقال:اعتلجت الأمواج:أى تلاطمت و اضطربت .و فتحا:

فعل بمعنى مفعوله:أى مفتوحه موسّعه،و كذلك ذللا مسّهله .و وخامه الظلم:

وباره و سوء عاقبته .و المصيده-بكسر الميم- : الشبكه و ما يصاد به .و المساوره:

المواثبه .و أكدى الحافر : إذا بلغ فى حفره إلى موضع صلب لا يمكنه حفره .و أكدت المطالب : إذا صعبت فى وجه طالبها فعجز عنها .و أشوت الضربه تشوى : إذا لم تصب المقتل،يقال:أشواه يشويه:إذا رماه فلم يصب مقتله .و الطمر : الثوب الخلق .و عتائق : جمع عتيقه و هى كرايم الوجوه و حسانها .و القمع : الردّ .و النواجم : الطوالع جمع ناجمه .و القدع : الكفّ .

المعنى

و اعلم أنّه عليه السّلام أمرهم بأوامر :
أحدها:الأمر بالاعتبار بما أصاب المتكبّرين من سابق الامم من عقوبات

اللّه

،و وجه الاعتبار أن يفكّر العاقل فى حال اولئك فيرى ما أصابهم إنّما هو بسبب استعدادهم بالاستكبار عن طاعه اللّه و الرفع على عباده كما أشار إليه تعالى «قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ» إلى قوله «فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمِينَ» (۱)و نحوه فى القرآن كثير فينتقل ذهنه منه إلى نفسه و يقيس حال استكباره على استكبارهم فيما يلزمه من أمثال العقوبات بهم.

الثانى:أن يتّعظوا بمثاوى خدودهم و مصارع جنوبهم

:أى يلحظوا مقاماتهم من التراب و محالّ انصراعهم فى القبور ليحصل لهم بذلك الانزجار عن الكبر.

إذ كانت عاقبته و غايته ذلك الهوان و الذلّ فى تلك المثاوى و المصارع .

الثالث:أن يستعيذوا باللّه من لواقح الكبر.

و استعار اللواقح لما يستلزم الكبر من أسبابه،و أراد استعاذه كثيره خالصه كاستعاذتكم من طوارق الدهر و آفاته .

و قوله:فلو رخّص اللّه.إلى قوله:التواضع.

و قوله:فلو رخّص اللّه.إلى قوله:التواضع.

استدلال على تحريم الكبر مطلقا،و أنّه لا رخصه فيه لأحد من خلق اللّه بقياس شرطىّ متّصل،و وجه الملازمه فيه أنّ الأنبياء خواصّ اللّه و أحبّاؤه و أهل

۱- ۱) ۷۳-۷.

طاعته فلو كان له فيه رخصه لم يجعلها إلّا لهم،و تقدير الاستثناء فيه لنقيض التالى:

لكنّه لم يرخّص فيه لهم فينتج أنّه لم يرخّص فيه لأحد من عباده،لكنّه حذف هنا استثناء النقيض و استثنى بعض لوازمه و هو تكريهه التكابر إليهم،و ذلك بوعيده للمستكبرين على الكبر.ثمّ برضى التواضع لهم،و ذلك بأمرهم فيه كما قال تعالى «وَ اخْفِضْ جَناحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ» (۱)و نحوه .

و قوله:فألصقوا.إلى قوله:مستضعفين.

و قوله:فألصقوا.إلى قوله:مستضعفين.

إشاره إلى امتثالهم لما أمرهم به من التواضع و موافقتهم له فيما رضيه لهم فإلصاق خدودهم بالأرض و تعفير وجوههم إشاره إلى معاملتهم له فى عبادته مع أنفسهم و خفض أجنحتهم للمؤمنين،و كونهم أقواما مستضعفين إشاره إلى امتثالهم و معاملتهم له فى خلقه، استعاره و لفظ الأجنحه مستعار من الطائر ليد الإنسان و جانبه باعتبار ما هو محلّ البطش و النفره . كنايه و خفض الجناح كنايه عن لين الجانب .و قال ابن عبّاس فى قوله تعالى «وَ اخْفِضْ جَناحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ» أى ارفق بهم و لا تغلظ عليهم قال:و العرب تقول لمن كان ساكنا و قورا:إنّه خافض الجناح.

و قوله:قد اختبرهم.إلى قوله:بالمكاره.

و قوله:قد اختبرهم.إلى قوله:بالمكاره.

إشاره إلى أنّه أعدّهم بأنواع الشقاوه الدنيويّه من الجوع و المشاقّ و المخاوف و المكاره،و التنفير بها عن الدنيا للإقبال عليه تعالى و محبّه ما عنده من الثواب الجزيل و قد علمت معنى ابتلائه تعالى لعباده و اختباره لهم غير مرّه .

و قوله:فلا تعتبروا الرضا و السخط بالمال و الولد إلى قوله:الاقتدار الإقتار خ.

و قوله:فلا تعتبروا الرضا و السخط بالمال و الولد إلى قوله:الاقتدار[الإقتار خ].

أى لا تعتبروا رضاه تعالى عن عباده بإعطائه لهم المال و الولد و سخطه عليهم بمنعه لهم ذلك.و كأنّه جواب اعتراض مقدّر كأنّ قائلا قال:فإذا كانوا هؤلاء خواصّه و أهل طاعته و رضاه فلم امتحنهم بالشدائد و ابتلاهم بالمخاوف و المكاره و لم يعطهم الأموال و الأولاد كما قال فرعون لموسى عليه السّلام:فلو لا القى عليه أساوره من ذهب،و كما قالت كفّار قريش: «أَوْ يُلْقى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّهٌ»

۱- ۱) ۸۸-۱۶.

«يَأْكُلُ مِنْها» ؟فأجاب عليه السّلام بأنّ ذلك الوهم للجهل بمواقع الفتنه و الاختبار فى مواضع الغنى و الإقتار:أى أنّ الاختبار كما يكون بالفقر و المشاقّ و المكاره كذلك يكون بالمال و الولد،و ليس المال و الولد من الخيرات الّتى تعجّل فى الدنيا لمن يعطى إيّاهما كما يزعمون ،و استشهد على ذلك بقوله تعالى «أَ يَحْسَبُونَ أَنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مالٍ وَ بَنِينَ نُسارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْراتِ بَلْ لا يَشْعُرُونَ» (۱)أى يحسبون أنّا نعجّل فى تقديم ثواب أعمالهم لرضانا عنهم حتّى بسطناهم الرزق و أكثرنا لهم أولادهم بل لا يعلمون أنّ ذلك استدراج لهم من اللّه و محنه و بلاء.و جهلا نصب على المفعول له .

و قوله:فإنّ اللّه سبحانه يختبر عباده المستكبرين.إلى قوله:فى أعينهم.

و قوله:فإنّ اللّه سبحانه يختبر عباده المستكبرين.إلى قوله:فى أعينهم.

كلام منقطع يستدعى ابتداء يكون معلّلا به.و قد فصّل الرضىّ-رحمه اللّه- بينه و بين ما قبله بصفر لكنّه بيان لنوع آخر من ابتلاء اللّه تعالى عباده المستكبرين فى أنفسهم و اختبارهم بأوليائه المستضعفين و هم الأنبياء فى أعينهم:أى فى أعين المتكبرين و هو فى معنى ما قبله،و فيه تنبيه على بعض أسراره تعالى فى خلقه لسائر أنبيائه و أوليائه المستضعفين،و هو أن يبتلى بهم المستكبرين عن عبادته فى أرضه كما سيشير إليه عليه السّلام فى الحكمه فى خلقهم كذلك .ثمّ ضرب مثل ذلك الابتلاء فى موسى و هرون عليهما السّلام حين دخلا على فرعون يدعوانه إلى اللّه تعالى،و ذلك قوله:

و لقد دخل.إلى قوله:و لبسه روى الطبرىّ فى تاريخه:أنّ موسى و هرون قدما مصر حين بعثهما اللّه إلى فرعون فمكثا سنتين يغدوان على بابه و يروحان يلتمسان الإذن عليه فلا يعلم بهما و لا يجترى أحد أن يخبره بشأنهما و كانا يقولان فى الباب:

إنّا رسولا ربّ العالمين إلى فرعون حتّى دخل عليه بطّال له يلاعبه و يضحكه فقال:

أيّها الملك إنّ ببابك رجلا يقول قولا عجيبا،و يزعم أنّ له إلها غيرك.فقال:

أدخلوه.فدخل و بيده عصاه و معه أخوه هرون فقال: «إِنّا رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ» .و ذكر تمام الخبر و صريح قصّتهما و محاورتهما مستوفى فى القرآن الكريم كسوره

ص:۲۷۲

۱- ۱) ۵۷-۲۳.

الشعراء و القصص و غيرهما،و الّذى ذكره عليه السّلام منها واضح بيّن،و قال كعب:

كان موسى عليه السّلام من رجال شنوءه،و كان آدم طوالا،و كان أخوه هارون أطول منه و أكثر لحما و أشدّ بياضا و أغلظ ألواحا و أسنّ من موسى بثلاث سنين،و كانت فى جبهه هرون شامه و فى طرف أرنبه موسى شامه و على طرف لسانه شامه، و لم يعرف أحد قبله و لا بعده كذلك.قال:و هى العقده الّتى ذكرها اللّه تعالى.قال:

و فرعون موسى هو فرعون يوسف عليه السّلام عمّر أكثر من أربع مائه سنه.و اسمه الوليد بن مصعب،و أنكر غيره ذلك.و قالوا:هو غيره.و قبض هارون قبل موسى و هو ابن مائه و سبع عشره سنه،و بقى موسى بعده ثلاث سنين،و مات موسى فى سنّه يوم مات.فأمّا شرطهما له بقاء ملكه بإسلامه فلما علمته من كون النواميس الشرعيّه و التمسّك بها و العمل بقوانينها ناظما لحال أبناء النوع الإنسانىّ و سببا لصلاح معاشهم و معادهم.و بانتظام شمل مصلحتهم باستعمال تلك القوانين تكون بقاؤهم و ثبات دولهم و ملكهم و دوام عزّهم .فأمّا استبكاره لشرطهما له دوام العزّ و الملك بإسلامه و تعجّبه منهما فى ذلك فمستنده اعتقاده الجهل أنّ مبدء التمكّن من ذلك الشرط و القدره على الوفاء به هو الغنى و جمع المال فلذلك احتقرهما من حيث كانا بزىّ الفقر و الذلّ و لبس الصوف و ليس عليهما آثار الغنى و المال و هو التحلّى بأساوره الذهب.فكان إعظام الذهب و لبسه الّذى هو شعار الغنىّ و احتقار الصوف و لبسه ممّا هو شعار الفقر سببا حاملا له على ذلك الاستكبار و التعجّب.

و قوله:و لو أراد اللّه سبحانه لأنبيائه.إلى قوله:معانيها.

و قوله:و لو أراد اللّه سبحانه لأنبيائه.إلى قوله:معانيها.

قياس إقترانىّ من الشكل الأوّل من متّصلتين:إحداهما:قوله:و لو أراد اللّه.إلى قوله:لفعل،و الثانيه:قوله:و لو فعل لسقط البلاء.إلى آخره،و النتيجه أنّه لو أراد اللّه بأنبيائه ذلك لزمت المحالات المذكوره.بيان الملازمه فى الصغرى أنّ الامور المعدوده و هى فتح كنوز الذهب و معادنه و مغارس الجنان و حشر الطير و الوحش امور ممكنه فى أنفسها و اللّه سبحانه قادر على جميع الممكنات

و عالم بها فلو حصل مع قدرته عليها إراده وقوعها عن قدرته كان مجموعها مستلزما لوقوعها عنها،و أمّا الكبرى فإنّه جعل مقدّمتها و هو فعله لتلك الامور ملزوما لامور خمسه:

أحدها:أنّه كان يسقط البلاء:أى ذلك البلاء المشار إليه و هو بلاء المتكبّرين بالمستضعفين من أولياء اللّه و هو ظاهر.إذ لا مستضعف يبتلون به إذن، و ذلك أنّ الأنبياء عليه السّلام كانوا ينقطعون إلى الدنيا حينئذ عن جناب اللّه فينقطع عنهم الوحى كما سيشير إليه عليه السّلام و حينئذ ينقطع الابتلاء بهم و بما أتوا به من التكليف،و كذلك يسقط بلاء الأنبياء بالفقر و الصبر على أذى المسكنه من المكذّبين لهم بالضرب و القتل.

الثانى:و كان يبطل الجزاء:أى جزاء العبادات و الطاعات إمّا لسقوط البلاء بها أو لأنّ الطاعات إذن تكون عن رهبه أو رغبه فيسقط الجزاء الاخروىّ عليها و كذلك يبطل جزاء الأنبياء الّذى كانوا يستحقّونه بحسب فقرهم و صبرهم عليه.

الثالث:و كان تضمحلّ الأنباء:أى الأخبار الوارده من قبل اللّه تعالى على ألسنه رسله و الوحى إليهم،و ذلك أنّك علمت أنّ الدنيا و الآخره ضرّتان بقدر ما يقرب من إحداهما يبعد من الاخرى،و الأنبياء عليهم السّلام و إن كانوا أكمل الخلق نفوسا و أقواهم استعدادا لقبول الكمالات النفسانيّه كما أشرنا إليه إلاّ أنّهم محتاجون أيضا إلى الرياضه التامّه بالإعراض عن الدنيا و طيّباتها و هو الزهد الحقيقىّ، و إلى تطويع نفوسهم الأمّاره بالسوء لنفوسهم المطمئنّه بالعباده التامّه كما هو المشهور من أحوالهم عليهم السّلام فإنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان يربط على بطنه الحجر من الجوع و يسمّيه المشبع لا لأنّه كان لا يقدر على شيء يأكله،و كان يرقع ثوبه لا لعدم قدرته على ثوب يلبسه،و كان يركب الحمار العارى و يردف خلفه لا لعجزه عن فرس يركبه و غلام يمشى معه،و كيف و قد توفّى و بيده هذه القطعه العظيمه من المعموره،بل ذلك و أمثاله ممّا سيحكيه عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى آخر هذه الخطبه زهاده فى الدنيا و إعراض عن متاعها و زينتها لأنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وجد من الكمالات العقليّه و

الموعوده ما هو أشرف و أعلى من هذه الكمالات الحسيّه الفانيه،و اعلم أنّ الوصول إلى تلك الكمالات لا يتمّ و لا يتحقّق إلاّ بالإعراض عن هذه فرفض به ما هو أخسّ فى جنب ما هو أشرف و لذلك قام صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى العباده حتّى تورّمت قدماه.

فقيل له:يا رسول اللّه أليس قد بشّرك اللّه بالجنّه فلم تفعل ذلك؟قال:أفلا أكون عبدا شكورا.و ذلك لعلمه أنّ الاستعداد بالشكر يفيد كمالا أعلى و أزيد ممّا اوتى.

و إذا كان حال أشرف الأنبياء و أكملهم كذلك فما ظنّك بسايرهم؟و حينئذ تعلم أنّ تركهم للدنيا و عدم اشتغالهم بها شرط فى بلوغهم درجات الوحى و الرساله و تلقّى أخبار السماء،و أنّهم لو خلقوا منغمسين فى الدنيا و فتحت عليهم أبوابها فاشتغلوا بقيناتها لا نقطعوا إليها عن حضره جلال اللّه و اضمحلّ بسبب ذلك عنهم الأنباء و انقطع عنهم الوحى و انحطّوا عن مراتب الرساله،و قال بعض الشارحين:أراد باضمحلال الأنباء سقوط الوعد و الوعيد و الإخبار عن أحوال الجنّه و النار و أحوال القيامه.و هو لازم من لوازم سقوط النبوّه فيكون راجعا إلى ما قلناه.

الرابع:و لكان لا يجب للقابلين اجور المبتلين:أى لقابلى كلام الأنبياء لأنّه إذا سقط البلاء عنهم لم يكن لهم أجر المبتلين،و كذلك لا يجب لقابلى النبوّه منهم اجور المبتلين بالتكذيب و الأذى.

الخامس:و كان لا يستحقّ المؤمنون ثواب المحسنين إلى أنفسهم بمجاهده الشيطان عنها و تطهيرها عن الرذائل و تحليتها بالفضائل،و ذلك لأنّ ايمانهم بهم يكون عن رغبه أو رهبه كما علمته لا عن حقيقه و إخلاص للّه.

السادس:و لا لزمت الأسماء معانيها.روى بنصب الأسماء على أن تكون هى المفعول و معانيها الفاعل،و المعنى أنّه لم تكن المعانى لازمه الأسماء فيمن سمّى بها،مثلا من سمّى مؤمنا لا يكون معنى الإيمان الحقّ لازما لاسمه فيه.إذ كان إيمانه بلسانه فقط عن رغبه أو رهبه،و كذلك من سمّى مسلما أو زاهدا بل من سمّى نبيّا أو رسولا لا يكون فى الحقيقه كذلك لانقطاع النبوّه و الرساله عنه، و فى نسخه الرضىّ-رحمه اللّه-برفع الأسماء،و المراد أنّها كانت تنفكّ عنها

فتصدق الأسماء بدون مسمّياتها و هو كالأوّل.و ببيان هذه اللوازم ظهرت كبرى القياس.و النتيجه إذن متّصله مقدّمها قوله:لو أراد اللّه.إلى قوله:الأرض، و تاليها قوله:لسقط البلاء.إلى قوله:معانيها،و حاصل النتيجه أنّه كان يلزم من إرادته تعالى بأنبيائه تلك الامور وقوع جميع هذه المفاسد.ثمّ يرجع البيان إلى استثناء نقيض تالى هذه النتيجه لاستثناء نقيض مقدّمها و هو أنّ هذه المفاسد لم توجد و ليست ممّا ينبغى أن توجد فلذلك لم يرد بهم تلك الامور .

و قوله:و لكنّ اللّه سبحانه جعل رسله.إلى قوله:أذى.

و قوله:و لكنّ اللّه سبحانه جعل رسله.إلى قوله:أذى.

كاللازم لنقيض مقدّم النتيجه المذكوره ذكره بعد بيانه.إذ كان اللّه تعالى لمّا لم يرد بعث أنبيائه على ذلك الوجه أراد بعثهم على هذا الوجه،و هو أن جعلهم أصحاب قوّه فى عزائمهم و إجماع على إنفاذ ما امروا به و تبليغ رسالات ربّهم،و لذلك سمّوا أولى العزم لمضاء عزائمهم و قوّتهم فى دين اللّه بالقتال و المجاهده و الصبر على الأذى،و جعلهم مع ذلك ضعفه فيما ترى الأعين من حالاتهم من المسكنه و الذلّ و الفقر و القناعه و الصبر على العرى و الجوع. استعاره و استعار وصف الملأ للقناعه باعتبار استلزامها لقوّه غنائهم و قلّه حاجتهم إلى شىء من متاع الدنيا بحيث لا تميل نفوسهم و لا عيونهم إلى شىء من زينتها و قيناتها فكأنّها قد امتلأت فلا- تتّسع لشىء من ذلك فتطلبه،و كذلك للخصاصه باعتبار استلزامها لقوّه الأذى فى أسماعهم و أبصارهم.إذ الجوع المفرط مستلزم لأذى هاتين القوّتين لتحلّل الأرواح الحامله لهما و ضعفهما فكان الأذى حشو أبصارهم و أسماعهم بحيث لا يتّسع لغيره كلّ ذلك طلب لكمال الاستعداد لما علمت أنّ البطنه تذهب الفطنه و تورث القسوه و تزيل الرقّه و تستلزم رذائل كثيره لا دواء لها إلّا بالخصاصه و القناعه فضيله تحت العفّه .

و قوله:و لو كانت الأنبياء.إلى قوله:مقتسمه.

و قوله:و لو كانت الأنبياء.إلى قوله:مقتسمه.

متّصله اخرى هى كبرى قياس من الشكل الأوّل أيضا من متّصلتين مقدّم الصغرى منهما هو من مقدّم كبرى القياس الأوّل،و هو قوله:و لو فعل.و نبّه

على تاليها بمقدّم هذه الكبرى،و تقدير الكلام:و لأنّه تعالى لو فعل بأنبيائه ما ذكرناه لكانوا أهل قوّه لا ترام و عزّه لا تضام و ملك تمتدّ نحوه الأعناق، و لو كانوا كذلك لكان فى كونهم كذلك مفاسد اخرى فينتج أنّه لو فعل بأنبيائه ما ذكرناه للزمت مفاسد اخرى:

أحدها:أنّه لكان ذلك أى ما حصلوا عليه من العزّ و الملك أهون على الخلق و أسهل من حيث إنّ اعتبارهم لما يدعوهم إليه أسهل و إجابتهم إلى دعوتهم أسرع.إذ كانت الملوك فى اعتبار الخلق أهلا لأن يطاعوا فلا تصعب عليهم إجابتهم كما تصعب إجابه الفقراء على من يدعونه من المتكبّرين.

الثانى:و أبعد لهم عن الاستكبار،و هو ظاهر لأنّ الملوك أبعد من أن يتكبّر عليهم الناس و يأنفوا من طاعتهم و حينئذ لم يكن للخلق ثواب من ترك رذيله الكبر عن مجاهده نفسه فى ترك الرذيله.

الثالث :و لآمنوا عن رهبه قاهره لهم.أى على الايمان أو رغبه مايله بهم إليه فلم يكن نيّاتهم و لا حسناتهم خالصه للّه بل هى مشتركه و مقتسمه بعضها له و بعضها للرغبه و بعضها للرهبه،و حينئذ لا يكون لهم ثواب من جاهد إبليس فقهره و قمع نواجم وسوسته الجاذبه عن سبيل اللّه،و استعدّ بذلك للخيرات الباقيه.

و قوله:و ملك تمتدّ نحوه أعناق الرجال،و تشدّ إليه عقد الرحال.

كنايه و قوله: و ملك تمتدّ نحوه أعناق الرجال،و تشدّ إليه عقد الرحال .

كنايتان عن قوّته و عظمته لأنّ الملك إذا كان عظيما قويت الآمال فيه و توجّهت نحوه و امتدّت أعناق الرجال إليه بالرجاء و شدّت عقد الرحال إليه .

و قوله:و لكنّ اللّه سبحانه.إلى قوله:شائبه.

و قوله:و لكنّ اللّه سبحانه.إلى قوله:شائبه.

كالمقدّمه لصغرى فى بيان أنّ القسم الأخير من التالى ليس ممّا ينبغى أن يكون و يراد للّه تعالى.كأنّه قال لو جعل اللّه تعالى الأنبياء أهل الملك و العزّ لكان ايمان الخلق بهم إمّا لرغبه أو رهبه فكانت النيّات و الايمان و العباده منهم مشتركه غير خالصه للّه و ذلك مفسده ليس ممّا ينبغى أن تكون و لا أن تراد للّه تعالى لأنّه تعالى إنّما أراد أن يكون ايمانهم بالرسل و اتّباعهم و تصديقهم لما جاءوا به من كتبه و امروا به من الخشوع

لوجهه و الاستكانه لأمره و الاستسلام لطاعته امورا له خاصّه لا يشوبها من غيرها شائبه رغبه و رهبه.و تقدير الكبرى:و كلّ ما أراد اللّه إخلاصه له فليس ممّا ينبغى أن يكون مشتركا بينه و بين غيره و لا مشوبا بشائبه غيره فينتج أنّ ايمانهم بأقسامه ليس ممّا ينبغى أن يكون مشتركا لشائبه رغبه أو رهبه .

و قوله:و كلّما كانت البلوى.إلى قوله:أجزل.

و قوله:و كلّما كانت البلوى.إلى قوله:أجزل.

يحتمل أن يكون كبرى قياس بيّن به أنّ الأجزاء الثلاثه للتالى و هو قوله:لكان ذلك أهون.إلى آخره ليس ممّا ينبغى أن يكون،و تقدير البيان أنّ ذلك مستلزم كون الاعتبار معه أهون على الخلق و أن يكونوا معه أبعد عن الاستكبار و أن يؤمنوا عن رغبه أو رهبه و هذه الامور ليس ممّا ينبغى أن تكون.و إنّما قلنا ذلك لأن نقايضها و هى مشقّه الاعتبار على الخلق و قربهم من الاستكبار و خلوص إيمانهم للّه ممّا ينبغى أن يكون،و بيان ذلك أنّ مع هذه الامور يكون البلوى و الاختبار عليهم أعظم.و ذلك هو صغرى القياس.ثمّ نقول:و كلّما كانت البلوى و الاختبار لهم أعظم كانت المثوبه و الجزاء على الايمان و الطاعه موافقه لتلك البلوى أجزل فينتج أنّ مع مشقّه الاعتبار و القرب من الاستكبار و إخلاص الايمان تكون المثوبه لهم و الجزاء على الإيمان و الطاعه أجزل،و يحتمل أن يكون من تمام البيان الأوّل كأنّه قال:و لكنّه تعالى أراد أن تكون هذه الامور خالصه له لا يشوبها شائبه،و ذلك الإخلاص و إن كانت فيه مشقّه و كانت البلوى فيه عظيمه إلاّ أنّه كلّما كانت البلوى أعظم كان الثواب فيها أجزل.ثمّ أردف ذلك بالتنبيه على صدق هذه المقدّمه بالمثال و ذلك قوله :أ لا ترون.إلى قوله:و وصله إلى جنّته،و أراد بالأحجار الّتى بنى بها البيت الحرام.

و قوله:جعله للناس قياما.

و قوله:جعله للناس قياما.

أى مقيما لأحوالهم فى الآخره.يقال:فلان قيام أهله و قوام بيته.إذا كانت به استقامه أحوالهم،و كون مكّه أقلّ بقاع الأرض مدرا لأنّ الحجريّه أغلب عليها.و إنّما أتى بالرمال اللّينه فى معرض الذمّ لأنّها أيضا ممّا لا يزكو بها الدوابّ

لأنّ ذوات الحافر ترسغ فيها و تتعب فى المشى بها.قال الشارحون:و أراد بالخفّ و الحافر و الظلف دوابّها و هى الجمال و الخيل و الغنم و البقر مجازا إطلاقا لاسم الجزء على الكلّ أو على تقدير إراده المضاف و إقامه المضاف إليه مقامه،و أراد بكونها لا تزكو:أى لا تسمن و تزيد للجدب و خشونه الأرض،و الضمير فى بها راجع إلى ما دلّ عليه أو عر من الموصوف فإنّه أراد بواد أوعر بقاع الأرض حجرا كما قال: «إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ » .

و قوله:ثمّ أمر آدم و ولده أن يثنوا أعطافهم نحوه

و قوله:ثمّ أمر آدم و ولده أن يثنوا أعطافهم نحوه.

قد دلّ كلامه عليه السّلام على أنّ البيت الحرام كان منذ آدم عليه السّلام و التواريخ شاهده بذلك.و قال الطبرى:روى عن ابن عبّاس أنّ اللّه تعالى أوحى إلى آدم لما اهبط إلى الأرض أنّ لى حرما حيال عرشى فانطلق فابن لى بيتا فيه ثمّ طف به كما رأيت ملائكتى تحفّ بعرشى فهنا لك استجيب دعاك و دعاء من تحفّ به من ذرّيّتك.فقال آدم:إنّى لست أقوى على بنيانه و لا اهتدى إليه.فبعث اللّه تعالى ملكا فانطلق به نحو مكّه فكان آدم كلّما رأى روضه أو مكانا يعجبه سأل الملك أن ينزل به هنالك لتبنى فيه فيقول له الملك:ليس هاهنا.حتّى أقدمه مكّه فبنى البيت من خمسه جبال طور سيناء و طور زيتون و لبنان و الجودىّ،و بنى قواعده من حرّاء.فلمّا فرغ من بنيانه خرج به الملك إلى عرفات و أراه المناسك كلّها الّتى يفعلها الناس اليوم،ثمّ قدم به مكّه و طاف بالبيت اسبوعا،ثمّ رجع إلى أرض الهند.و قيل:إنّه حجّ على رجليه إلى الكعبه أربعين حجّه.و روى عن وهب بن مبنّه أنّ آدم دعا ربّه فقال:يا ربّ أما لأرضك هذه عامر يسبحك فيها و يقدّسك غيرى؟فقال له تعالى:إنّى سأجعل فيها من ولدك من يسبّح بحمدى و يقدّسنى،و سأجعل فيها بيوتا ترفع لذكرى يسبّحنى فيها خلقى و يذكر فيها اسمى،و سأجعل من تلك البيوت بيتا اختصّه بكرامتى و اوثره باسمى فاسميّه بيتى و عليه وضعت جلالتى و عظّمته بعظمتى،و أنا مع ذلك فى كلّ شىء و مع كلّ شىء،أجعل ذلك البيت حرما آمنا يحرم بحرمته من حوله و ما حوله و من تحته و من فوقه فمن

حرّمه بحرمتی استوجب کرامتی و من أخاف أهله فقد أباح حرمتی و استحقّ سخطی، و أجعله بیتا مبارکا یأتیه بنوک شعثا غبر اعلی کلّ ضامر من کلّ فجّ عمیق یزجّون بالتلبیه زجیجا و یعجّون بالتکبیر عجیجا،من اعتمده لا یرید غیره و وفد إلیّ و زارنی و استضاف بی أسعفته بحاجته،و حقّ علی الکریم أن یکرم و فده و أضیافه.تعمره یا آدم ما دمت حیّا ثمّ تعمره الامم و القرون و الأنبیاء من ولدک امّه بعد امّه و قرنا بعد قرن.ثمّ أمر آدم إلی أن یأتی البیت الحرام فیطوف به کما کان یری الملائکه تطوف حول العرش.و بقی أساسه بعد طوفان نوح فبوّأه اللّه لإبراهیم فبناه.و لنرجع إلی المتن فنقول:إنّه کنّی بثنی أعطافهم نحوه عن التفاتهم إلیه و قصدهم له.

و قوله:فصار مثابه لمنتجع أسفارهم.

و قوله:فصار مثابه لمنتجع أسفارهم.

أی مرجعا لما تنجع من أسفارهم:أی لطلب منه النجعه و الخصب کما قال تعالی «وَ إِذْ جَعَلْنَا الْبَیْتَ مَثابَهً لِلنّاسِ وَ أَمْناً» (۱)و کقوله تعالی «لِیَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ وَ یَذْکُرُوا اسْمَ اللّهِ» (۲)و ذلک أنّه مجمع الخلق و به یقام الموسم أیّام الحجّ فیکون فیه التجارات و الأرباح کما أشرنا إلیه فی الخطبه الاولی.و کذلک کونه غایه لملقی رحالهم:أی مقصدا.

و قوله:تهوی إلیه ثمار الأفئده.

استعاره مرشحه و قوله: تهوی إلیه ثمار الأفئده .

أی تمیل و تسقط.و هوی الأفئده میولها و محبّتها إلاّ أنّه لمّا کان الّذی یمیل إلی الشیء و یحبّه کأنّه یسقط إلیه و لا یملک نفسه استعیر لفظ الهوی للحرکه إلی المحبوب و السعی إلیه،و أمّا ثمار الأفئده فقال بعض الشارحین:ثمره الفؤاد سوید القلب.و لذلک یقال للولد:ثمره الفؤاد.و أقول:یحتمل أن یکون لفظ الثمار مستعارا للخلق باعتبار أنّ کلاّ منهم محبوب لأهله و آبائه فهو کالثمره الحاصله لأفئدتهم من حیث هو محبوب لهم کأنّ أفئدتهم و محبّتهم له قد أثمرته من حیث إنّها أفادت تربیته و العنایه به حتّی استوی إنسانا کاملا،و یحتمل أن یرید بثمار الأفئده الأشیاء المجبیّه المعجبه من کلّ شیء کما قال تعالی «یُجْبی إِلَیْهِ ثَمَراتُ کُلِّ شَیْءٍ» (۳)و

۱- (۱) ۱۱-۲.

۲- (۲) ۲۹-۲۲.

۳- (۳) ۵۷-۲۸.

وجه إضافتها إلى الأفئده أنّها لمّا كانت محبوبه مطلوبه للأفئده الّتى حصلت عن محبّتها كما تحصل الثمره عن أصلها اضيفت إليها،و الإضافه يكفى فيها أدنى سبب و نحوه قوله تعالى «فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِی إِلَيْهِمْ وَ ارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَراتِ » (۱)و لمّا استعار لفظ الهوى رشّح بذكر المهاوى إذ من شأن الهوى أن يكون له موضع .و عميقه صفه لفجاج كما قال تعالى «يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ» (۲)و وصف العمق له باعتبار طوله و الانحدار فيه من أعالى البلاد إلى مكّه،و وصف الجزائر بالانقطاع لأنّ البحر يقطعها عن سائر الأرض و البحار يحيط بها.و حتّى غايه من قوله:

تهوى.بمعنى اللام، كنايه و كنّى بهزّ مناكبهم عن حركاتهم فى الطواف بالبيت.إذ كان ذلك من شأن المتحرّك بسرعه .و ذللا-جمع ذلول.و النصب على الحال من الضمير فى تهزّ.و قال بعضهم:يحتمل أن يكون من مناكبهم و كذلك موضع يهلّلون النصب على الحال و كذلك شعثا و غبرا من الضمير فى يرملون. كنايه و كنّى بنبذهم للسرابيل وراء ظهورهم عن طرحها و عدم لبسها و تشويههم بإعفاء الشعور محاسن خلقهم لأنّ حلق شعر المحرم أو نتفه و التنظيف منه حرام تجب فيه الفديه .و ظاهر أنّ إعفاء الشعور يستلزم تقبيح الخلقه و تشويهها و تغيير ما هو معتاد من تحسينها بحلقه و إزالته.

و قوله:ابتلاء.و امتحانا.و اختبارا.و تمحيصا.

و قوله:ابتلاء.و امتحانا.و اختبارا.و تمحيصا.

منصوبات على المفعول له.و العامل فيه قوله:أمر اللّه آدم،و يحتمل أن يكون على المصدر كلّ من فعله.و عدّد هذه الألفاظ و إن كانت مترادفه على معنى واحد تأكيدا و تقريرا لكون اللّه تعالى شدّد عليهم فى البلوى بذلك ليكون استعدادهم بتلك القوى العظيمه للثواب أتمّ و أشدّ فيكون الجزاء لهم أفضل و أجزل فلذلك قال:جعله اللّه سببا لرحمته و وصله إلى جنّته:أى سببا معدّا لإفاضه رحمه تستلزم الوصول إلى جنّته.و قد تأكّد بهذا المثال صدق قوله:و كلّما كانت البلوى و الاختبار أعظم كان الثواب أجزل.لأنّ اللّه سبحانه لمّا اختبر عباده بأمر الحجّ و مناسكه الّتى يستلزم شقاء الأبدان و احتمال المشاقّ الكثيره المتعبه فى الأسفار من المسافات

۱- ۱) ۴۰-۱۴.

۲- ۲) ۲۸-۲۲.

البعیده و ترک مفاخر الدنیا عنده و نزع التکبّر حتّی کأنّه لم یوضع إلاّ لخلع التکبر من الأعناق مع ما فی جزئیّات مناسکه و مباشرته من المشاقّ المتکلّفه مع کونه کما ذکر أحجارا لا تضرّ و لا تنفع و لا تسمع و لا تبصر لا جرم کان الاستعداد به لقبول آثار اللّه و إفاضه رحمته أتمّ من أکثر وجوه الاستعدادات لسائر العبادات فکان الثواب علیه و الرحمه النازله بسببه أتمّ و أجزل .

و قوله:و لو أراد اللّه.إلی قوله:ضعف البلاء.

و قوله:و لو أراد اللّه.إلی قوله:ضعف البلاء.

صغری قیاس ضمیر استثنائی حذف استثنائه.و هی نتیجه قیاس آخر من متّصلتین تقدیر صغراهما:أنّه لو أراد أن یضع بیته الحرام بین هذه المواضع الحسنه المبهجه لفعل،و تقدیر الکبری:و لو فعل لکان یجب منه تصغیر قدر الجزاء علی قدر ضعف البلاء،و تقدیر استثناء هذه المتّصله:لکنّه لا یجب منه ذلک و لا یجوز لأنّ مراد العنایه الإلهیّه مضاعفه الثواب و بلوغ کلّ نفس غایه کمالها و ذلک لا یتمّ إلاّ بکمال الاستعداد بالشدائد و المیثاق فلذلک لم یرد أن یجعل بیته الحرام فی تلک المواضع لاستلزامها ضعف البلاء. کنایه و کنّی بدنوّ الثمار عن سهوله تناولها و حضورها،و بالتفاف البنی عن تقارب بعضه من بعض .و البرّه:واحده البرّ و قد یقام مقام اسم الجنس فیقال:هذه برّه حسنه،و لا یراد بها الحبّه الواحده و اعتبار السمره لها لأنّ وصفها بعد الخضره السمره .

و قوله:و لو کان الأساس.إلی قوله:من الناس.

و قوله:و لو کان الأساس.إلی قوله:من الناس.

فی تقدیر قیاس ضمیر آخر استثنائی کالّذی قبله،و تلخیصه أنّه تعالی لو جعل الأساس المحمول علیها بیته الحرام بین هذه الأحجار المنیره المضیئه لخفّف ذلک مسارعه الشکّ فی الصدور.و أراد شکّ الخلق فی صدق الأنبیاء و عدم صدقهم و شکّهم فی أنّ البیت بیتا للّه أو لیس.فإنّه علی تقدیر کون الأنبیاء علیهم السّلام بالحال المشهوره من الفقر و الذلّ و کون البیت الحرام من هذه الأحجار المعتاده یقوی الشکّ فی کونهم رسلا من عند اللّه و فی کون البیت بیتا له،و علی تقدیر کونهم فی الملک و العزّ و کون البیت من الأحجار النفیسه المذکوره ینتفی ذلک الشکّ.

ص:۲۸۲

إذ يكون ملكهم و نفاسه تلك الأحجار من الامور الجاذبه إليهم و الداعيه إلى محبّتهم و المسارعه إلى تصديقهم و الحكم بكون البيت بيت اللّه لمناسبته فى كماله ما ينسبه الأنبياء إلى اللّه سبحانه من الوصف بأكمل طرفى النقيض و لكون الخلق أميل إلى المحسوس، استعاره و استعار لفظ المسارعه هنا للمغالبه بين الشكّ و صدق الأنبياء و الشكّ فى كذبهم فإنّ كلاّ منهما يترجّح على الآخر و كذلك كان وضع مجاهده إبليس عن القلوب لأنّ الايمان بكونه بيتا للّه ينبغى حجّه و القصد إليه لا يكون عن مجاهده إبليس فى تصديق الأنبياء فى ذلك و فى وجوب عباده اللّه بل لعزّه البيت و حسن بنيانه و ميل النفوس إلى شريف جواهره لكن هذه الامور و هى مسارعه الشكّ و مجاهده إبليس و معتلج الريب لا تخفّف و لا تنتفى لكونها مراده من الحكمه الإلهيّه لإعداد النفوس بها لتدرك الكمالات الباقيه و السعادات الدائمه فلذلك لم- يجعل تعالى بنيان بيته من تلك الأحجار النفيسه .

و قوله:و لكنّ اللّه يختبر عباده.إلى قوله:المكاره.

و قوله:و لكنّ اللّه يختبر عباده.إلى قوله:المكاره.

استثناء لعلّه النقائض المذكوره فيقوم مقام استثناء مسارعه الشكّ و مجاهده إبليس من جمله أنواع الشدائد و ألوان المجاهد و المشاقّ و اختباره لعباده بها علّه لوجودها.

و قوله:إخراجا للتكبّر.إلى قوله:لعفوه.

و قوله:إخراجا للتكبّر.إلى قوله:لعفوه.

إشاره إلى كونها أسبابا غائيّه من العنايه الإلهيّه لإعداد النفوس لإخراج الكبر منها و إفاضه ضدّه و هو التذلّل و التواضع عليها و إلى كونها أسبابا معدّه لفضله و عفوه،و استعار لفظ الأبواب لها باعتبار الدخول منها إلى رضوان اللّه و ثوابه.و لفظ الذلل لكون الدخول منها إلى ذلك سهلا للمستعدّين لها .ثمّ عاد إلى التحذير من اللّه تعالى فى البغى و الظلم و عاقبته.و حاصل الكلام أنّه جعل عاجل البغى و آجل الهلاك عنه و سوء عاقبه الكبر محلاّ للحذر من اللّه تعالى و ذلك باعتبار وعيده تعالى عند التلبّس بالبغى و النظر فى تلك الحال إلى ما يستلزم من الهلاك فى الآخره و ما يستلزمه التكبّر من سوء العاقبه.و الضمير فى قوله:فإنّها قال

السيّد فضل اللّه الراوندى-رحمه اللّه-:يعود إلى الجمله من البغى و الظلم و الكبر و إن لم يجر لها ذكر.و قال غيره:الضمير للكبر و إنّما أنّثه باعتبار جعله مصيده باعتبار أنه يصير الداخل فيه من حزب إبليس و فى قبضته كالشبكه و حبائل الصايد.

و وصفها بالعظم باعتبار قوّته و كثره ما يستلزمه من الرذائل، استعاره و كذلك استعار له لفظ المكيده الكبرى باعتبار ما هو سبب قوىّ فى جذب الخلق إلى الباطل و ضلالهم عن طريق اللّه كالحيله و الخدعه،و استعار وصف المساوره له باعتبار مواثبته النفوس و مغالبته لها بالكبر و ذلك أنّه تاره يلقى إليها تحسين الكبر و تزيينه فتنفعل عنه و تقبل الكبر و تلك هى الوثبه من جانبه.و تاره تقوى النفس عليه فتردّ وسوسته بقهره و تلك الوثبه من قبلها . استعاره بالكنايه-استعاره ثمّ شبّه مساورته للقلوب بالكبر بمساوره السموم القاتله للطبيعه البدنيّه،و كنّى عن وجه الشبه بقوله:فما تكدى أبدا و لا تشوى أحدا:أى إنّ مساورته بالكبر لا تكاد يقابلها ما يقاومها من العقول و يمنع تأثيرها فى النفوس كما لا يكاد يقاوم مواثبه السموم القاتله من طبايع الحيوان و لا تكاد تخطىء المقاتل كما لا يخطىء السموم و حركاتها فى الأبدان مقاتلها.و يحتمل أن يكون وجه الشبه كون مساورته غالبه قويّه كمشاوره السموم للأبدان،و يكون قوله:لا تكدى أبدا و لا تشوى أحدا استعارتين لوصفى السمّ الّذى لا يكاد يقف دون المقاتل و لا يخطئها لتلك المساوره باعتبار أنّها لا يخطىء رميتها القلوب بسهام الكبر و البغى و ساير ما يلقى من الوساوس المهلكه .

و قوله:لا عالما لعلمه و لا مقلّا فى طمره.

و قوله:لا عالما لعلمه و لا مقلّا فى طمره.

أى أنّ هذه الرذيله تؤثّر فى نفس العالم فى علمه و الفقير فى فقره فلا يردّها العالم بعلمه أنّها رذيله و لا المقلّ المفتقر فى طمره لمنافاه حاله فى قلّته و فقره الكبر .

و قوله:و عن ذلک ما حرس اللّه.إلى قوله:تذلّلا.

و قوله:و عن ذلک ما حرس اللّه.إلى قوله:تذلّلا.

تنبيه على الامور الّتى حرس اللّه تعالى بها عباده من هذه الرذيله و جعلها أسبابا للتحرّز من نزغات الشيطان بها،و أشار إلى ثلاثه منها و هى الصلوات و الزكوات و مجاهده الصيام فى الأيّام المفروض صومها.أمّا الصلوات فلكونها بأجزائها

و أوضاعها منافيه للكبر.إذ كان مدارها على تضرّع و خضوع و خشوع و ركوع.

و كلّ واحد من هذه الأجزاء بكيفيّاته و هيئاته موضوع على المذلّه و التواضع و الاستسلام لعزّه اللّه و عظمته و تصوّر كماله و تذكّر وعده و وعيده و أهوال الموقف بين يديه و كلّ ذلك ينافى التكبر و التعظّم،و إلى ذلك أشار بقوله:تسكينا لأطرافهم و تخشّعا لأبصارهم.إلى قوله:تصاغرا،و نصب تسكينا و تخشيعا و تذليلا و تخفيضا و إذهابا على المفعول له،و العامل ما دلّ عليه قوله:

حرس.من معنى الأمر:أى حرسهم بهذه و أمرهم بكذا و كذا.و انتصب تواضعا و تصاغرا،و العاملان المصدران:تعفير،و التصاق.

فأمّا الزكاه فوجه منفعتها فى دفع هذه الرذيله أمران:

أحدهما:أنّها شكر للنعمه الماليّه كما أنّ العبادات البدنيّه شكر للنعمه البدنيّه،و ظاهر أنّ شكر النعمه مناف للتكبر عن المنعم و الاستنكاف عن عبادته.

الثانى:أنّ من أوجبت عليه الزكاه يتصوّر قدره موجبها و سلطانه و قهره على إخراجها فينفعل عن حكمه و ينقهر تحت أوامره مع تصوّره لغنائه المطلق و ذلك مناف لتكبّره و استنكافه عن عبادته.

كنايه و أمّا مجاهده الصيام فلما فيها من المشقّه الشاقّه و مكابده الجوع و العطش فى الأيّام الصيفيّه كما كنّى عنه عليه السّلام بقوله: و إلصاق البطون بالمتون من الصيام .و الإنسان فى كلّ تلك الأحوال متصوّر لجلال اللّه و عظمته و أنّه إنّما يفعل ذلك امتثالا لواجب أمره و خضوعا تحت عزّ سلطانه،و ذلك مناف للكبر و الترفّع،و قد علمت ما فى الصوم من كسر النفس الأمّاره بالسوء كما قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:إنّ الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيّقوا مجاريه بالجوع، و ذلك أنّ وسيله الشيطان هى الشهوات و مبدء الشهوات و قوّتها مداومه الأكل و الشرب.و بتضييق مجاريه ينقهر و ينكسر نواجم وسوسته بالرذائل عن العبد،و يسكن حركات الأطراف الّتى مبدءها تلك الوساوس،و تخشع الأبصار،و تذلّ النفوس،و تنخفض القلوب.

و قوله:مع ما فی الزکاه.إلی قوله:الفقیر.

و قوله:مع ما فی الزکاه.إلی قوله:الفقیر.

إشاره إلی سرّ آخر من أسرار الزکاه و هو ظاهر.و قد ذکرنا أسرارها مستقصاه فی الفصل الّذی أوّله:إنّ أفضل ما توسّل به المتوسّلون .

قوله:انظروا.إلی آخره.

قوله:انظروا.إلی آخره.أمر باعتبار ما فی هذه الأفعال:أی الّتی تقع فی الصلاه و الزکاه و الصیام من تعفیر عتائق الوجوه و إلصاق کرائم الجوارح و هی الأیدی و الأرجل و لحوق البطون بالمتون إلی غیر ذلک من الأفعال المستلزمه للتواضع و التذلّل تأکیدا لما قرّره أوّلا من کون هذه العبادات حارسه لعباد اللّه عن رذیله الکبر.و باللّه التوفیق.

الفصل الرابع:فی توبیخهم علی المعصیه

اشاره

من غیر سبب یعرف أو حجّه یقبلها عقل،و أمرهم بالتعصّب لمحامد الأخلاق و مکارمها،و تحذیرهم من العقوبات النازله بمن قبلهم من الامم و النظر فی عاقبه أمرهم،و غیر ذلک من الامور الواعظه.

و ذلک قوله:

وَ لَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحداً مِنَ الْعَالَمِینَ- یَتَعَصَّبُ لِشَیْءٍ مِنَ الْأَشْیَاءِ إِلاَّ عَنْ عِلَّهٍ- تَحْتَمِلُ تَمْوِیهَ الْجُهَلاَءِ- أَوْ حُجَّهٍ تَلِیطُ بِعُقُولِ السُّفَهَاءِ غَیْرَکُمْ- فَإِنَّکُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِأَمْرٍ مَا یُعْرَفُ لَهُ سَبَبٌ وَ لاَ عِلَّهٌ- أَمَّا؟إِبْلِیسُ؟ فَتَعَصَّبَ عَلَی ؟آدَمَ؟ لِأَصْلِهِ- وَ طَعَنَ عَلَیْهِ فِی خِلْقَتِهِ- فَقَالَ أَنَا نَارِیٌّ وَ أَنْتَ طِینِیٌّ- وَ أَمَّا الْأَغْنِیَاءُ مِنْ مُتْرَفَهِ الْأُمَمِ- فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ النِّعَمِ- فَ«قالُوا نَحْنُ أَکْثَرُ أَمْوالاً وَ أَوْلاداً وَ ما نَحْنُ بِمُعَذَّبِینَ» - فَإِنْ کَانَ لاَ بُدَّ مِنَ الْعَصَبِیَّهِ- فَلْیَکُنْ تَعَصُّبُکُمْ لِمَکَارِمِ الْخِصَالِ- وَ مَحَامِدِ الْأَفْعَالِ وَ مَحَاسِنِ الْأُمُورِ- الَّتِی تَفَاضَلَتْ فِیهَا الْمُجَدَاءُ وَ النُّجَدَاءُ- مِنْ بُیُوتَاتِ الْعَرَبِ

وَ يَعَاسِيبِ الْقَبَائِلِ- بِالْأَخْلَاقِ الرَّغِيبَهِ وَ الْأَحْلَامِ الْعَظِيمَهِ- وَ الْأَخْطَارِ الْجَلِيلَهِ وَ الْآثَارِ الْمَحْمُودَهِ- فَتَعَصَّبُوا لِخِلَالِ الْحَمْدِ مِنَ الْحِفْظِ لِلْجِوَارِ- وَ الْوَفَاءِ بِالذِّمَامِ وَ الطَّاعَهِ لِلْبِرِّ- وَ الْمَعْصِيَهِ لِلْكِبْرِ وَ الْأَخْذِ بِالْفَضْلِ- وَ الْكَفِّ عَنِ الْبَغْيِ وَ الْإِعْظَامِ لِلْقَتْلِ- وَ الْإِنْصَافِ لِلْخَلْقِ وَ الْكَظْمِ لِلْغَيْظِ- وَ اجْتِنَابِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ وَ احْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالْأُمَمِ قَبْلَكُمْ- مِنَ الْمَثُلَاتِ بِسُوءِ الْأَفْعَالِ وَ ذَمِيمِ الْأَعْمَالِ- فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ وَ الشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ- وَ احْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ- فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ حَالَيْهِمْ- فَالْزَمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتِ الْعِزَّهُ بِهِ شَأْنَهُمْ- وَ زَاحَتِ الْأَعْدَاءُ لَهُ عَنْهُمْ- وَ مُدَّتِ الْعَافِيَهُ بِهِ عَلَيْهِمْ- وَ انْقَادَتِ النِّعْمَهُ لَهُ مَعَهُمْ وَ وَصَلَتِ الْكَرَامَهُ عَلَيْهِ حَبْلَهُمْ- مِنَ الِاجْتِنَابِ لِلْفُرْقَهِ وَ اللُّزُومِ لِلْأُلْفَهِ- وَ التَّحَاضِّ عَلَيْهَا وَ التَّوَاصِي بِهَا- وَ اجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ وَ أَوْهَنَ مُنَّتَهُمْ- مِنْ تَضَاغُنِ الْقُلُوبِ وَ تَشَاحُنِ الصُّدُورِ- وَ تَدَابُرِ النُّفُوسِ وَ تَخَاذُلِ الْأَيْدِي وَ تَدَبَّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ- كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ التَّمْحِيصِ وَ الْبَلَاءِ- أَ لَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ الْخَلَائِقِ أَعْبَاءً- وَ أَجْهَدَ الْعِبَادِ بَلَاءً وَ أَضْيَقَ أَهْلِ الدُّنْيَا حَالاً- اتَّخَذَتْهُمُ الْفَرَاعِنَهُ عَبِيداً فَسَامُوهُمْ سُوءَ

الْعَذَابِ- وَ جَرَّعُوهُمُ الْمُرَارَ فَلَمْ تَبْرَحِ الْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ الْهَلَكَةِ وَ قَهْرِ الْغَلَبَةِ- لاَ يَجِدُونَ حِيلَةً فِي امْتِنَاعٍ وَ لاَ سَبِيلاً إِلَى دِفَاعٍ- حَتَّى إِذَا رَأَى اللَّهُ جِدَّ الصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى فِي مَحَبَّتِهِ- وَ الِاحْتِمَالَ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ- جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَايِقِ الْبَلاَءِ فَرَجاً- فَأَبْدَلَهُمُ الْعِزَّ مَكَانَ الذُّلِّ وَ الْأَمْنَ مَكَانَ الْخَوْفِ- فَصَارُوا مُلُوكاً حُكَّاماً وَ أَئِمَّةً أَعْلاَماً- وَ قَدْ بَلَغَتِ الْكَرَامَةُ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَذْهَبِ الْآمَالُ إِلَيْهِ بِهِمْ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتِ الْأَمْلاَءُ مُجْتَمِعَةً- وَ الْأَهْوَاءُ مُتَّفِقَةً وَ الْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً- وَ الْأَيْدِي مُتَرَادِفَةً وَ السُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً- وَ الْبَصَائِرُ نَافِذَةً وَ الْعَزَائِمُ وَاحِدَةً- أَ لَمْ يَكُونُوا أَرْبَاباً فِي أَقْطَارِ الْأَرَضِينَ- وَ مُلُوكاً عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ- فَانْظُرُوا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ- حِينَ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ وَ تَشَتَّتَتِ الْأُلْفَةُ- وَ اخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ وَ الْأَفْئِدَةُ- وَ تَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ وَ تَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِينَ- وَ قَدْ خَلَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِهِ- وَ سَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِهِ- وَ بَقِيَ قَصَصُ أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ- عِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنْكُمْ فَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ؟إِسْمَاعِيلَ؟- وَ؟بَنِي إِسْحَاقَ؟ وَ؟بَنِي إِسْرَائِيلَ ع؟- فَمَا أَشَدَّ اعْتِدَالَ الْأَحْوَالِ وَ أَقْرَبَ اشْتِبَاهَ الْأَمْثَالِ-

تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِی حَالِ تَشَتُّتِهِمْ وَ تَفَرُّقِهِمْ- لَيَالِیَ كَانَتِ الْأَكَاسِرَةُ وَ الْقَيَاصِرَةُ أَرْبَاباً لَهُمْ- يَحْتَازُونَهُمْ عَنْ رِيفِ الْآفَاقِ وَ؟بَحْرِ الْعِرَاقِ؟- وَ خُضْرَةِ الدُّنْيَا إِلَی مَنَابِتِ الشِّيحِ- وَ مَهَافِی الرِّيحِ وَ نَكَدِ الْمَعَاشِ- فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانَ دَبَرٍ وَ وَبَرٍ- أَذَلَّ الْأُمَمِ دَاراً وَ أَجْدَبَهُمْ قَرَاراً- لاَ يَأْوُونَ إِلَی جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا- وَ لاَ إِلَی ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَی عِزِّهَا- فَالْأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ وَ الْأَيْدِی مُخْتَلِفَةٌ- وَ الْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ- فِی بَلاَءِ أَزْلٍ وَ أَطْبَاقِ جَهْلٍ- مِنْ بَنَاتٍ مَوْءُودَةٍ وَ أَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ- وَ أَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ وَ غَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ فَانْظُرُوا إِلَی مَوَاقِعِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ- حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولاً- فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ وَ جَمَعَ عَلَی دَعْوَتِهِ أُلْفَتَهُمْ- كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا- وَ أَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا- وَ الْتَفَّتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ فِی عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا- فَأَصْبَحُوا فِی نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ- وَ فِی خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ- قَدْ تَرَبَّعَتِ الْأُمُورُ بِهِمْ فِی ظِلِّ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ- وَ آوَتْهُمُ الْحَالُ إِلَی كَنَفِ عِزٍّ غَالِبٍ- وَ تَعَطَّفَتِ الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِی ذُرَی مُلْكٍ ثَابِتٍ- فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَی الْعَالَمِينَ- وَ مُلُوكٌ فِی أَطْرَافِ الْأَرَضِينَ- يَمْلِكُونَ الْأُمُورَ عَلَی مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ- وَ يُمْضُونَ الْأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمْضِيهَا فِيهِمْ- لاَ تُغْمَزُ لَهُمْ قَنَاةٌ وَ لاَ تُقْرَعُ لَهُمْ صَفَاةٌ

أَلاَ وَ إِنَّكَمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكَمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَهِ- وَ ثَلَمْتُمْ حِصْنَ اللَّهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكَمْ بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّهِ- فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدِ امْتَنَّ عَلَى جَمَاعَهِ هَذِهِ الْأُمَّهِ- فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الْأُلْفَهِ- الَّتِى يَنْتَقِلُونَ فِى ظِلِّهَا وَ يَأْوُونَ إِلَى كَنَفِهَا- بِنِعْمَهٍ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيمَهً- لِأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ وَ أَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ- وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهِجْرَهِ أَعْرَاباً- وَ بَعْدَ الْمُوَالاَهِ أَحْزَاباً- مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الْإِسْلاَمِ إِلَّا بِاسْمِهِ- وَ لَا تَعْرِفُونَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ- تَقُولُونَ النَّارَ وَ لَا الْعَارَ- كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِئُوا الْإِسْلاَمَ عَلَى وَجْهِهِ- انْتِهَاكاً لِحَرِيمِهِ وَ نَقْضاً لِمِيثَاقِهِ الَّذِى وَضَعَهُ اللَّهُ لَكُمْ- حَرَماً فِى أَرْضِهِ وَ أَمْناً بَيْنَ خَلْقِهِ- وَ إِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَى غَيْرِهِ حَارَبَكُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ- ثُمَّ لَا؟جَبْرَائِيلُ؟ وَ لَا؟مِيكَائِيلُ؟- وَ لَا مُهَاجِرُونَ وَ لَا أَنْصَارٌ يَنْصُرُونَكُمْ- إِلَّا الْمُقَارَعَهَ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ- وَ إِنَّ عِنْدَكُمُ الْأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَ قَوَارِعِهِ- وَ أَيَّامِهِ وَ وَقَائِعِهِ- فَلاَ تَسْتَبْطِئُوا وَعِيدَهُ جَهْلاً بِأَخْذِهِ- وَ تَهَاوُناً بِبَطْشِهِ وَ يَأْساً مِنْ بَأْسِهِ- فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقَرْنَ الْمَاضِىَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ- إِلَّا لِتَرْكِهِمُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْىَ عَنِ

الْمُنْكَرِ- فَلَعَنَ اللَّهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِى وَ الْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ التَّنَاهِى أَلاَ وَ قَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الْإِسْلاَمِ- وَ عَطَّلْتُمْ حُدُودَهُ وَ أَمَتُّمْ أَحْكَامَهُ

اللغه

أقول: التمويه : التلبيس .و تليط : تلتصق و تختلط .و السفه : خفّه العقل .

و المجداء : جمع ماجد و هو كريم الآباء و شريفهم .و النجداء : جمع نجيد،و هو ذو النجده و هى فضيله تحت الشجاعه .و يعاسيب القبايل : ساداتها .و زاحت : بعدت .

و التحاضّ : التحاثّ و الفقره : الواحده من خرزات الظهر.و روى فقرهم:

جمع فقره .و المنّه : القوّه .و التضاغن : التحاقد .و التشاحن: التعادى .و التدابر : التقاطع .و التخاذل : عدم التناصر .و العبء : الحمل .و أجهد : أشقّ .

و سمته كذا : أوليته إيّاه .و المرار بضمّ الميم : شجر مرّ إذا أكلت منه الإبل قلصت عنه مشافرها .و الترادف : التعاضد و التعاون .و غضاره النعمه: طيبها .و الاحتياز : الاقتطاع عن الشىء و الأخذ عنه .و الريف : الأرض ذات الزرع و الخصب.

و مهافى الريح : جمع مهفاه و هى محلّ هفو الريح:أى حركتها و هبوبها .و نكد المعاش : قلّته و شدّته و العاله : جمع عائل و هو ذو العيله و هى الفقر .و الدبر:

الجرح فى ظهر البعير .و الوتر : الحقد.و فى بعض النسخ:دبر و وبر .و الأزل:

الضيق .و الموءوده : البنت تدفن فى التراب حيّه .و شنّ الغاره : فرّقها من كلّ جانب .و الفكه : طيّب النفس المسرور،و الفكه:الأشر البطر .و تربّعت:

أقامت.و أصله الإقامه فى الربيع،و يحتمل أن يريد تمكّنت كالمتربّع بجلسته المخصوصه بكونها ذات تمكّن .و الذرى : جمع ذروه و هى أعلى الجبل .و عطف عليه و تعطّف : إذا أشفق عليه و التفت إليه بإحسانه .و الخطر : المنزله و القدر .

و الأعراب : سكّان الباديه .و إكفاء الإناء : قلبه لوجهه .و انتهاك الحرمه : أخذها بما لا يحلّ .و المقارعه : المضاربه .

المعنى

فقوله:و لقد نظرت.إلى قوله:بمعذّبين .

فقوله: و لقد نظرت .إلى قوله: بمعذّبين .

فی معرض التوبیخ لهم علی تعصّبهم الباطل الّذی تثور به الفتن مع أنّه لیس لأمر یعرف من وجه المنفعه و المصلحه الحامله علیه.و لفظ إلاّ یقتضی حصر وجدانه لمن یتعصّب لشیء فی وجدانه له متعصّبا عن علّه تحتمل تشبیه الأمر علی أهل الجهل بحیث یظنّ سببا صحیحا للتعصّب أو عن حجّه ملتصق بعقول السفهاء فیقبلها،و هذا هو مقتضی العقل.إذ کان الترجیح من غیر مرجّح محال فی بدایه العقول.و تقدیر الکلام:فما وجدت أحدا یتعصّب إلاّ وجدته یتعصّب عن علّه.

و قوله:غیرکم.

و قوله:غیرکم.

استثناء من معنی الإثبات فی الجمله المفیده للحصر کأنّه قال:وجدت کلّ أحد یتعصّب عن علّه إلاّ أنتم.

و قوله:تتعصّبون لأمر ما یعرف له سبب و لا علّه.

و قوله:تتعصّبون لأمر ما یعرف له سبب و لا علّه.

أی سبب یحتمل التمویه علی الجهلاء و علّه ملتصق بعقول السفهاء و لم یرد نفی مطلق السبب.إذ سبب تعصّبهم و ثوران الفتنه بینهم هو الاعتزاء الّذی کان بینهم و کان یقع من جهّالهم کما ذکرناه فی سبب الخطبه لکنّه ترک الوصف هنا لتقدّمه .

ثمّ أخذ فی تفصیل وجوه العصبیّه و أسبابها فبدء بذکر مبدء العصبیّه لإبلیس.و سبب عصبیّته لأصله اعتقاده لطف جوهره و شرفه.إذا لنار أشرف من الطین مع جهله بسرّ البشریّه و وضع آدم علی هذه الخلقه و خلقته الّتی وضع علیها خلقه فلذلک فضّل نفسه قیاسا للفرع علی الأصل فی الشرف و الخسّه فقال:أنا ناریّ و أنت طینیّ.و لذلک قیل:إنّ أوّل من قاس إبلیس.ثمّ بعصبیّه الأغنیاء و الجهّال من مترفه الامم لکونهم تلامذه إبلیس فی العصبیّه،و أشار إلی علّه تعصّبهم و هی آثار مواقع النعم،و مواقعها هی الأموال و الأولاد و سائر ما ینتفع به کما قال تعالی حکایه عنهم «نَحْنُ أَکْثَرُ أَمْوالاً وَ أَوْلاداً» (1)و آثار تلک المواقع هی الغنی و الترفّه بها و التنعّم و الالتذاذ،و کان تعصّبهم لذلک و فخرهم به.و یجب أن یعلم أنّ الأموال و الأولاد أنفسها لیست نعما مطلقا لأنّ النعمه من الامور الإضافیّه

۱- ۱) ۳۴-۳۴.

إنّما يقال بالنسبه إلى منعم و منعم عليه و ليس المال مطلقا كذلك و لا الولد باعتبار ذاته بل إنّما يطلق عليهما لفظ النعمه باعتبار انتفاع الإنسان بهما حتّى لو كانا سببا لهلاكه و أذاه لم يكونا بذلك الاعتبار إلاّ نعمه عليه و فتنه له فلذلك جعلها مواقع النعم:أى محالّ قابله لكونها نعما،و يحتمل أن يريد بالنعم الأموال و الأولاد و بمواقعها وقوعها فإنّه كثيرا ما يريد بمفعل المصدر و آثارها هى الغنى و الترفّه كما قدّمناه .ثمّ لمّا وبّخهم على التعصّبات الباطله نبّههم على مواقع العصبيّه و ما ينبغى أن يكون له و هى مكارم الأخلاق و محامد الأفعال و محاسن الامور الّتى تفاضلت فيها أهل المجد و الشرف و النجده من بيوتات العرب و سادات القبائل.

و الباء فى قوله:بالأخلاق.متعلّقه بتفاضلت فإنّ المذكورين تفاضلوا فى محاسن الامور بالأخلاق الرغيبه:أى المرغوب فيها،و قد علمت فيما سبق اصول الأخلاق الفاضله و ما تحتها من أنواعها،و الحلم ملكه تحت الشجاعه و هى الإناءه و الرزانه عند الغضب و موجباته و المفاضله بالأخطار الجليله مراعاتا للمراتب المحموده و منازل الشرف بالمحافظه على تلك الأخلاق المحموده و ملازمتها،و كذلك المفاضله بالآثار المحموده يعود إلى ملازمه الأفعال الجميله الموافقه للأخلاق النفسانيّه كفعل البذل عن السخاء و كقتل القريب مثلا مراعاه للعدل و الوفاء .ثمّ أمرهم بعد التنبيه على تلك المكارم بالعصبيّه لها فقال:فتعصّبوا لخلال الحمد.و أشار إلى تفصيلها:فمنها:حفظ الجوار و هى فضيله تتشعّب عن فضيلتين لأنّ حفظه يكون بالكفّ عن أذاه و ذلك فضيله تحت العدل،و يكون بالإحسان إليه و مصادقته و مسامحته و مواساته و تلك امور تحت العفّه.و منها:الوفاء بالذمام و هو تحت العفّه.و منها:الطاعه للبرّ و الأولى أن يريد بالبرّ هنا ما أراد به القرآن الكريم بقوله «لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ لٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ» .إلى قوله «أَقٰامَ الصَّلاٰةَ وَ آتَى» «لٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقىٰ» (1).فإنّ المراد فى هاتين القرينتين بالبرّ كمال الايمان و التقوى و الأعمال الجميله،و معنى طاعه البرّ التلبّس

ص:293

1- 1) 2-172.

بهذه الأفعال و ملازمتها و اعتقاد وجوبها،و يحتمل أن يريد و الطاعه للأمر بالبرّ فحذف الأمر للعلم به.و قد يطلق البرّ و يراد به العفّه و بذلك الاعتبار يقابله الفجور،و يحتمل أن يريد هاهنا ما يقابل العقوق و هو الشفقّه على ذوى الرحم و الإحسان إلى الوالدين،و هو داخل تحت العفّه. مجازا إطلاقا لاسم السبب على المسبّب-كنايه مقابله و منها: المعصيه للكبر و المراد بمعصيه الكبر مجانبته مجازا إطلاقا لاسم السبب على المسبّب أو معصيه الأمر بالكبر و هو كنايه عن التواضع و هو فضيله تحت العفّه،و المعصيه هنا فى مقابله الطاعه .و منها:الأخذ بالفضل و أراد استكمال الفضيله و لزومها،و يحتمل أن يريد بالفضل التفضّل على الغير و الإحسان إليه و الأخذ به فيكون أمرا بالإحسان و الجود و هو فضيله تحت العفّه.و منها:الكفّ عن البغى و يعود إلى فضيله العدل. كنايه و منها:

تعظيم القتل و هو كنايه عن تركه لما يستلزمه من رذيله الظلم ثمّ للوعيد عليه فى الآخره و يعود إلى فضيله العدل أيضا،و كذلك الانصاف للخلق هو لزوم العدل فى معاملاتهم .و منها:كظم الغيظ و هو فضيله تحت فضيله الشجاعه.و منها:اجتناب الفساد فى الأرض و هو من لوازم فضيله العدل .ثمّ لمّا أمر بلزوم مكارم الأخلاق و الأعمال الجميله أردفه بالتنفير عن الكون على ذلك من رذائلها و ذمائمها،و ذلك التنفير بتذكير السامعين حال الامم الماضين و ما أصابهم من عقوبات اللّه بسبب سوء أفعالهم و ذميم أعمالهم،و تحذيرهم أن يرتكبوا تلك الرذائل فيصيبهم ما أصاب اولئك من بأس اللّه.و أمرهم أن يتذكّروا حالهم فى الخير أوّلا حين كانوا فى طاعه أنبيائهم و الالفه الجامعه بينهم و حالهم فى الشرّ الّتى انقلبوا إليها عن تلك الحال حين خالفوا صالح الأعمال و حالفوا ذميم الأفعال،و حذّرهم أن يكونوا أمثالهم:أى فى ذلك الانقلاب و استبدال الشرّ بالخير و أن يلزموا عند تفكّرهم فى تفاوه حاليهم كلّ أمر لزمت العزّه به حالهم و أزالت الأعداء عنهم و مدّت العافيه فيه بهم.و الباء للاستصحاب:أى مدّت مستصحبه لهم.و فى نسخه الرضى-رحمه اللّه-و مدّت بالفتح على البناء للفاعل كقولك مدّ الماء:أى جرى و سال.و كذلك انقادت النعم لذلك الأمر معهم:أى بسببه.إذ كان سببا معدّا لإفاضه النعم عليهم،و وصلت الكرامه

علیه حبلهم. استعاره مرشحه و استعار لفظ الوصل لاجتماعهم عن کرامه اللّه لهم حال کونهم علی ذلک الأمر،و رشّح بذکر الحبل .

و قوله:من الاجتناب.إلی قوله:و التواصی بها.

و قوله:من الاجتناب.إلی قوله:و التواصی بها.

و ظاهر أنّ لزوم الالفه سبب للامور الّتی عدّدها .

و قوله:و اجتنبوا.إلی قوله:و تخاذل الأیدی.

کنایه و قوله: و اجتنبوا.إلی قوله:و تخاذل الأیدی .

أی و اجتنبوا کلّ أمر استبدلوا به تلک الامور الّتی أوجبت لهم العزّه و الکرامه و کان سببا لکسر فقرتهم و وهن قوّتهم و هو التضاغن و التشاحن و التقاطع و التخاذل لأنّها امور تضادّ الالفه و تنافیها فکانت مضادّه لما یستلزمه الالفه،و أراد التخاذل المطلق.و إضافته إلی الأیدی کنایه لأنّ الأغلب أن یکون التناصر بالأیدی،و هؤلاء الّذین أمر باعتبار حالهم لا یرید بهم امّه معیّنه بل الحال عامّ فی کلّ امّه سبقت فإنّ کلّ امّه ترادفت أیدیهم و تعاونوا و تناصروا کان ذلک سببا لعزّه حالهم و دفع الأعداء عنهم،و کلّ قوم افترقوا و تقاطعوا استلزم ذلک ذلّهم و قهر الأعداء لهم .

و قوله:و تدبّروا أحوال الماضین من المؤمنین.إلی قوله:إلیه بهم.

و قوله:و تدبّروا أحوال الماضین من المؤمنین.إلی قوله:إلیه بهم.

أمر لهم باعتبار هذه الأحوال فیمن هو أخصّ و هم المؤمنون من الماضین فی أزمان الأنبیاء السابقین فإنّهم حیث کانوا مع کلّ نبیّ فی مبدء أمرهم فی حال التمحیص و الاستخلاص لقلوبهم بالبلاء أثقل أهل الأرض أعباء قد اتّخذتهم الفراعنه عبیدا یسومونهم سوء العذاب و هؤلاء کیوسف علیه السّلام مع فرعون زمانه،و کموسی و هرون و من آمن معهما من بنی إسرائیل فی مبدء أمرهم فإنّهم کانوا حال التمحیص و البلاء بالصفات الّتی ذکرها علیه السّلام قد اتّخذتهم الفراعنه عبیدا یسومونهم سوء العذاب و یجرّعونهم المرار فلم یزالوا کذلک مقهورین حتّی إذا رأی استعدادهم بالصبر علی دینه لإفاضه رحمته علیهم أفاضها علیهم و جعل لهم من مضایق البلاء فرجا فأبدلهم بالعزّ مکان الذلّ و الأمن مکان الخوف کما امتنّ علیهم تعالی فی کتابه حیث قال «وَ إِذْ نَجَّیْناکُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ یَسُومُونَکُمْ سُوءَ الْعَذابِ یُذَبِّحُونَ أَبْناءَکُمْ وَ یَسْتَحْیُونَ»

«نِساءَكُمْ وَ فِي ذلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ وَ إِذْ فَرَقْنا بِكُمُ الْبَحْرَ» (۱)الآيه.و قبل ذلك ما كان المؤمنون مع نوح عليه السّلام و إبراهيم عليه السّلام و غيرهما.فأمّا كونهم ملوكا و حكّاما و أئمّه أعلاما و بلوغهم الكرامه من اللّه لهم ما لم يذهب آمالهم إليه فإنّ موسى عليه السّلام و هرون عليه السّلام بعد هلاك فرعون ملكا مصر و استقرّ لهما الملك و الدين و كطالوت و داود بعد مجاهدتهما بجالوت و قتله،و ذلك أنّ طالوت لمّا جاوز النهر هو و من معه لقتال جالوت كان معه داود عليه السّلام فرماه من مقلاعه بحجر فقتله و انكسر أصحابه فكان الملك و الغلبه لطالوت و أصحابه و كان الملك بعده لداود عليه السّلام كما قال تعالى «وَ آتاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَ الْحِكْمَهَ» (۲)و كذلك لم يزل الملك و النبوّه فى سليمان و ولده و أولادهم إلى الأعرج من ولده فطمعت الملوك فى بيت المقدس لضعفه و زمنه و أنّه لم يكن نبيّا فسار إليه ملك الجزيره و كان يسكن بريّه سنجار و كان بخت نصر كاتبه فأرسل اللّه تعالى عليه ريحا فأهلكت جيشه و أفلت هو و كاتبه فقتله ابنه فغضب له بخت نصر فاغترّه حتّى قتله و ملك بعده و كان ذلك أوّل ملك بخت نصر .

و قوله:فانظروا كيف كانوا.إلى قوله:للمعتبرين منكم.

و قوله:فانظروا كيف كانوا.إلى قوله:للمعتبرين منكم.

أمر لهم باعتبار حالهم فى الفتهم و اجتماعهم،و إشاره إلى أنّ المستلزم لتلك الخيرات كلّها إنّما كان هو الالفه و الاجتماع و باعتبار ما صاروا إليه فى آخر امورهم حين وقعت الفرقه بينهم و تشتّت الفتهم و اختلفت كلمتهم و أفئدتهم فخلع اللّه عنهم لباس كرامته و سلبهم غضاره نعمته و بقى قصص أخبارهم عبره للمعتبرين،و هو إشاره إلى أنّ المستلزم لتلك الشرور هو ما حصلوا عليه من تفرّق الكلمه و ذلك صادق على كلّ قرن قرن و امّه امّه آمنوا و لحلقتهم المجاهد من الفراعنه و الجبابره ثمّ صبروا فانتصروا على أعدائهم.و أراد باعتدال القلوب استقامتها على الحقّ.

و قوله:و السيوف متناصره.

استعاره و قوله: و السيوف متناصره .

۱- ۱) ۴۶-۳.

۲- ۲) ۲۵۲-۲.

قال بعضهم:أراد أهل السيوف فحذف المضاف،و يحتمل أن يكون قد استعار وصف التناصر لها باعتبار كونها أسبابا يقوّى بعضها بعضا فصارت كالجماعه الّتى ينصر بعضها بعضا .و نفوذ البصاير خرقها حجب الشبهات عن الحقّ واصله إليه.و اتّحاد العزائم اتّفاق الإرادات الجازمه على طلب الحقّ.و مختلفين و متحاربين منصوبان على الحال،و كذلك موضع قوله:قد خلع،و كذلك عبر تا .

و قوله:فاعتبروا بحال ولد إسماعيل و بنى إسحاق و إسرائيل عليهم السّلام.إلى

قوله:صفاه.]

و قوله:فاعتبروا بحال ولد إسماعيل و بنى إسحاق و إسرائيل عليهم السّلام.إلى قوله:صفاه.

أمر لهم باعتبار أخصّ.و ولد إسماعيل إشاره إلى العرب من آل قحطان و آل معد،و من بنى إسحاق أولاد روم بن عيص بن إسحاق و بنو إسرائيل و هو يعقوب ابن إسحاق.فأمّا حال تشتّتهم و تفرّقهم و استيلاء الأكاسره و القياصره عليهم و فعلهم بهم ما ذكر فتفرّق كلمه العرب قبل ظهور محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أمر ظاهر معلوم لكلّ من طالع كتب السير،و بسبب ذلك كانت الأكاسره أربابا لهم يحتازونهم و يبعّدونهم عن ريف الآفاق و بحر العراق و خضره الدنيا إلى الباديه،و أمّا حال بنى إسحاق و إسرائيل فى ذلك فنحو ما جرى لأولاد روم بن عيص من اختلاف النسطوريّه و اليعقوبيّه و الملكائيّه حتّى كان ذلك سببا لضعفهم و استيلاء القياصره عليهم فى الروم و على بنى إسرائيل فى الشام و إزعاج بخت نصر لهم عن بيت المقدس حتّى غزاهم المرّه الثانيه كما أشار إليه القرآن الكريم بقوله «فَإِذا جاءَ وَعْدُ اَلْآخِرَهِ لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ وَ لِيَدْخُلُوا اَلْمَسْجِدَ» (1)الآيه.و قد كان غزاهم مرّه اولى حين أحدثوا و غيّروا فرغبوا إلى اللّه تعالى و تابوا فردّه عنهم و هى المرّه الاولى الّتى حكى اللّه تعالى بقوله «فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما» (2)الآيه ثمّ أحدثوا بعد ذلك فبعث اللّه إليهم أرميا فقام فيهم بوحى اللّه فضربوه و قيّدوه و سجنوه فغضب اللّه عليهم فبعث إليهم عند ذلك بخت نصر فقتل منهم و صلب و أحرق و جدع و باع ذراريهم و نسائهم و سارت منهم طايفه إلى مصر و لجئوا إلى ملكها فسار إليه بخت نصر فأسره و أسر

1- (1) 7-17.

2- (2) 9-81.

بنی إسرائيل.و الّذين فرّوا منهم ارتحلوا إلى حدود المدينه كيهود خيبر و بنی قريظه و النضير و وادی قری و قينقاع.إذا عرفت ذلک فنقول:إنّه عليه السّلام أمر باعتبار حالهم و تأمّل أمرهم فی حال تشتّتهم و تفرّقهم قبل بعثه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و فعل أعدائهم ما كانوا يفعلون كيف فرجّ اللّه عنهم من تلک الشدائد بظهور محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لهم نبيّا.

و اعلم أنّ غايته عليه السّلام عن أمره باعتبار حال المؤمنين من الامم الماضيه قبلهم اقتدائهم فی الصبر على المكاره و لزوم الالفه و الاجتماع مع ذلک و انتظار الفرج به.

و قوله:فما أشدّ اعتدال الأحوال.

و قوله:فما أشدّ اعتدال الأحوال.

أی تساويها،و أراد أنّ أحوالكم الشبه و المساواه لأحوالهم،و كذلک ما أقرب اشتباه الأمثال:أی إنّ أحوالكم شديده المماثله لأحوالهم لأنّكم أمثالهم.

و هو إشاره إلى وجه علّه الاعتبار فإنّهم إذا كانوا أمثالهم و اعتدلت أحوالهم و تشابهت امورهم وجب اعتبار حالهم بحالهم و لذلک أتى بالفاء للتعليل.

و قوله:تأمّلوا أمرهم فی حال تشتّتهم.إلى آخر الكلام.

و قوله:تأمّلوا أمرهم فی حال تشتّتهم.إلى آخر الكلام.

إشاره إلى حال شدّتهم و رخائهم لتنقل أذهان السامعين إلى إثبات تلک الحال لأنفسهم.فالماضون أصل ذلک الاعتبار،و السامعون فرعه،و حكم الأصل أحوالهم الخيريّه و الشريّه،و علّه ذلک الحكم كونهم أمثالا لهم.

و قوله:ليالى كانت الأكاسره و القياصره أربابا لهم.

و قوله:ليالى كانت الأكاسره و القياصره أربابا لهم.

أی مالكون لامورهم يحتازونهم:أی كانت القياصره يحتازون بنی إسرائيل و بنی إسحاق ،و الأكاسره يحتازون بنی إسرائيل و يمنعونهم من أعمال العراق فصار الجميع مطرودا للجميع عن خضره الآفاق و جنان الشام و بحر العراق.و أراد دجله و الفرات.

و قوله:إلى منابت الشيح و مها فی الريح.

كنايه و قوله: إلى منابت الشيح و مها فی الريح .

كنايتان عن البريّه و ظاهر أنّها محلّ نكد العيش و ضيقه كما وبّخهم عليه السّلام بوصف معاشهم فی الفصول السابقه .و يختصّ الأكاسره-و هو جمع كسرى-بملوک الفرس و القياصره بملوک الروم و هو جمع على غير قياس. كنايه و كنّى بالدبر و الوبر عن الجمال،و فيه إيماء

إلى فقرهم و ضيق معاشهم لأنّ دبر الجمال و استعمال الوبر و أكله بالدم من لوازم الفقر و ضيق الحال،و على الروايه الاخرى فالدبر كنايه عن الفقر أيضا،و ظاهر أنّهم أذلّ الأمم دارا لأنّ أهل البادیه ليسوا أصحاب حصون و قلاع يعتصم بها و إن كان لبعضهم حصون فعساه يحميهم عن أمثالهم فيما يجرى بينهم من الغارات،و ليس ذلك ممّا يدفع عدوّا ذا قوّه أو يحتمل حصارا .

و قوله:و أجد بهم قرارا.

و قوله:و أجد بهم قرارا.

أی مستقرّا.إذ كانت البادیه لا تقاس إلى المدن فی الخصب، استعاره بالكنايه و استعار لفظ الجناح لما ينهض به دعوتهم و يقوى إذا دعوا،و كنّى بذلك عن كونهم لا يأوون إلى من يجيب دعوتهم فيعتصمون به ، استعاره و كذلك استعار لفظ الظلّ لما يستلزمه الالفه من التعاون و التعاضد و التناصر،و وجه المشابهه هو ما يستلزمه هذه الامور من الراحه و السلامه من حراره نار العدوّ و الحرب كما يستلزمه الظلّ من الراحه من حرّ الشمس .

و قوله:فالأحوال مضطربه.

و قوله:فالأحوال مضطربه.

شرح لحالهم يومئذ و كونهم على غير نظام، كنايه و كنّى باختلاف أيديهم عن عدم اتّفاقهم على التناصر و بتفرّق كلمتهم عن عدم الفتهم و اجتماعهم على مصالحهم .

و إضافه بلاء إلى الأزل بمعنى من.و كذلك إضافه أطباق،و قد علمت أنّ للجهل صفات و دركات متراكم بعضها فوق بعض أولاها عدم العلم بالحقّ،و فوقها الاعتقاد بغير الحقّ،و فوقها اعتقاد شبهه يقوى ذلك و يعضده مع تجويز نقيضه،و فوقها اعتقاد تلك الشبهه جزما.و فی نسخه الرضی-رحمه اللّه-و إطباق بكسر الهمزه على أنّه مصدر و المعنى و جهل مطبق عليهم.

و قوله:من بنات.

و قوله:من بنات.

تفصيل للوازم ذلك الجهل،و ذكر منها أربعه أنواع:

أحدها:وءد البنات،و أشار إليه القرآن الكريم «وَ إِذَا الْمَوْؤُدَهُ سُئِلَتْ»

«بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ» (۱)قیل کان ذلک فی بنی تمیم و قیس و أسد و هذیل و بکر بن وایل.

قالوا:و السبب فی ذلک أنّ رسول اللّه دعا علیهم فقال:اللّهمّ اشدد وطأتک علی مضر و اجعلها علیهم سنین کسنی یوسف فأجدبوا سبع سنین حتّی أکلوا الوبر بالدم کانوا یسمّونه العلهز فوءدوا البنات لإملاقهم و فقرهم.و یؤیّد ذلک قوله تعالی «وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَکُمْ خَشْیَهَ إِمْلاقٍ» (۲)و قال قوم:بل کان وءدهم للبنات أنفه، و ذلک أنّ تمیما منعت النعمان الإماره سنه من السنین فوجّه إلیهم أخاه الریّان بن المنذر و جلّ من معه من بکر بن وایل فاستاق النعم و سبا الذراری فوفدت بنو- تمیم إلی النعمان فاستعطفوه فرقّ لهم و أعاد علیهم السبی و قال:کلّ امرأه اختارت أباها ردّت إلیه و إن اختارت صاحبها ترکت علیه.فکلهنّ اخترن أباهنّ إلاّ ابنه قیس بن عاصم فإنّها اختارت من سباها.فنذر قیس بن عاصم التمیمیّ أنّه لا تولد له بنت إلاّ وءدها.ففعل ذلک،ثمّ اقتدی به کثیر من بنی تمیم.

الثانی:عباده الأصنام،و قد کان لکلّ قبیله صنم یعبدونه فکان لهذیل سواع، و لبنی کلب ودّ،و لمذحج یغوث و کان بدومه الجندل،و لذی الکلاع نسر،و لهمدان یعوق،و لثقیف اللات و العزّی،و لقریش و بنی کنانه و الأوس و الخزرج مناه،و کان هبل علی الکعبه و إساف و نایله کانا علی الصفا و المروه و من نوادر جهلهم المشهوره أنّ بنی حنیفه اتّخذوا فی الجاهلیّه صنما من خبش فعبدوه دهرا طویلا ثمّ أصابتهم مجاعه فأکلوه فقال بعضهم فی ذلک:

أکلت حنیفه ربّها زمن التقحّم و المجاعه

لم یحذروا من ربّهم سوء العواقب و التباعه

الثالث:قطع أرحامهم و قد کان أحدهم یقتل أباه و أخاه عند الحمیّه لأدنی سبب کما هو معلوم من حالهم.

الرابع:الغارات و الحروب کیوم ذی قار و کأیّام حرب بکر و تغلب فی بنی وابل و کحرب داحس و غیر ذلک من الأیّام المشهوره.و مقاماتهم فی

۱- ۱) ۹-۸۱.

۲- ۲) ۳۳-۱۷.

الحروب و الغارات أكثر من أن تحصر و كلّ ذلک من لوازم الجهل .

و قوله:فانظروا إلى مواقع نعم اللّه عليهم.

و قوله:فانظروا إلى مواقع نعم اللّه عليهم.

أمر باعتبار حالهم عند مقدم محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و بعثته فيهم بعد تلک الأحوال الشريّه.

و الضمير فى عقد و جمع راجعان إلى اللّه تعالى لشهاده القرآن الكريم بنسبه الالفه بينهم إليه فى قوله «لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِی الْأَرْضِ جَمِيعاً ما أَلَّفْتَ» بَيْنهم «وَ لكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» (۱)و معنى عقده لطاعتهم بملّته جمعها بعد الانتشار و نظمها بعد التفرّق.إذ كانت طاعاتهم فى الجاهليّه موافقه لأهوائهم المختلفه و منتشره بحسب اختلافها، استعاره مرشحه بالكنايه و استعار لفظ الجناح لما أسبغت عليهم رحمه اللّه من النعمه و عمّتهم به من الكرامه ،و رشّح بذكر النشر،و كنّى به عن عمومهم بها. استعاره مرشحه و كذلک استعار لفظ الجداول و هى الأنهار لأنواع نعيمها و سيول الخيرات الّتى جرت عليهم من الكمالات النفسانيّه و البدنيّه ملاحظه لشبه تلک الطرق و الأسباب بالجداول فى جريان الماء بها،و رشّح بذكر الإساله .

و قوله:و التقت الملّه بهم فى عوائد بركتها.

و قوله: و التقت الملّه بهم فى عوائد بركتها .

أى اجتمعت بهم و لقيتهم فى منافعها الّتى حصلت ببركتها.يقال:التقيت بفلان فى موضع كذا:أى لقيته.و قيل:قوله:فى موضع عوايد نصب على الحال:أى الحال كونها كذلک. استعاره بالكنايه و لفظ الالتقاء كنايه عن ورود الدين عليهم و تلبّسهم به،و لذلک استعار لفظ الغرقى ملاحظه لشبههم بالغرقى فى شمول نعمه الدين لهم و غمر نعمه الإسلام إيّاهم حتّى كأنّهم لاستيلائها عليهم كالغرقى فاستلزم ذلک لملاحظه تشبيهها بالبحر الذاخر ، كنايه و كنّى بخضره عيشها عن سعه المعاش بسبب الملّه و طيبه.

و أراد بالسلطان هنا إمّا الحجّه و البرهان و الاقتداء،أو الغلبه و الدوله .و استعار لفظ الظلّ لما يستلزمه ذلک السلطان من النعمه:أى و تمكّنت بهم الامور و الأسباب الّتى أعدّتهم لنعمه اللّه فى ذلک الظلّ و كذلک قوله:و آوتهم الحال:أى ألجأتهم و ضمنتهم الحال الّتى كانوا عليها إلى عزّ غالب،و هو عزّ الإسلام و دولته ملاحظه

ص:۳۰۱

۱- (۱) ۶۴-۸.

لشبهه بأعالى الجبل المنيع فى علوّه و منعته. استعاره و كذلک استعار لفظ التعطّف لإقبال السعادات الدنيويّه و الاخرويّه عليهم بالإسلام و هى الّتى عنى بالامور.و لا حظ فى ذلک مشابهه ذلک الإقبال بتعطّف ذى الرحمه و الشفقّه على غيره .

و قوله:فهم حكّام.إلى قوله:يمضيها فيهم.

كنايه و قوله: فهم حكّام.إلى قوله:يمضيها فيهم .ظاهر،و كنّى بكونهم لا تغمز قناتهم عن قوّتهم و عدم انقهارهم للغير،و كذلک لا يقرع لهم صفاه.و هما يجريان مجرى المثل .ثمّ عقّب بتوبيخهم على قلّه طاعتهم،و استعار لفظ الحبل لما نظم بينهم من طاعتهم للّه و رسوله،و كنّى بوصف نفض الأيدى عن خروجهم من الطاعه و شدّه إطراحهم لها بكثير من أفعالهم، استعاره مرشحه و كذلک استعار لفظ الحصن للإسلام و وجه المشابهه كونه حافظا لهم من أعدائهم الظاهره و الباطنه كالحصن المضروب على أهله، و رشّح بذكر المضروب ، استعاره و كذلک استعار لفظ الثلم لكسرهم الإسلام بأحكامهم الجاهليّه و مخالفتهم لكثير من أحكامه و نفّر عن تلک المخالفه بما يستلزمه من ذلک الثلم .

و قوله:و إنّ اللّه سبحانه قد امتنّ.إلى قوله:كلّ خطر.

و قوله: و إنّ اللّه سبحانه قد امتنّ .إلى قوله: كلّ خطر .

ترغيب فى لزوم حبل الالفه و التمسّک به.و النعمه الّتى امتنّ اللّه تعالى بها فى عقد حبل الالفه الّتى لا يعرف أحد لها قيمه هى الالفه نفسها باعتبار ما استلزمه من المنافع العظيمه و دفع المضارّ و علّل عدم معرفه الخلق لقيمتها بكونها أرجح من كلّ ثمن و أجلّ من كلّ خطر و هى صغرى قياس ضمير تقدير كبراه:و كلّ ما كان كذلک لم يعرف أحد قيمته،و صدق الصغرى ظاهر.إذ كانت تلک الالفه و الاجتماع على الدين سببا عظيما فى استعدادهم لسعادتى الدنيا و الآخره .

و قوله:و علموا.إلى قوله:بين خلقه.

و قوله: و علموا .إلى قوله: بين خلقه .

توبيخ لهم بانتقالهم عن الأحوال و الأقوال الإسلاميّه إلى الأحوال الجاهليّه:أى قد صرتم بعد كونكم مهاجرين أعرابا،و لمّا كانت الأعراب أنقص رتبه من المهاجرين و أهل المدن لجفاهم و قسوتهم و بعدهم عن الفضائل النفسانيّه و تعلّمها و عن سماع ألفاظ الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و مجالسته و اقتباس الآداب من أهل

الحضاره كما قال تعالى «الْأَعْرابُ أَشَدُّ كُفْراً وَ نِفاقاً» (۱)الآیه لا جرم وبّخهم لصیرورتهم کذلک.و لیس کلّ الأعراب بالصفه المذکوره لقوله تعالی «وَ مِنَ الْأَعْرابِ مَنْ یُؤْمِنُ بِاللّهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ» (۲)الآیه.و کونهم بعد الموالاه أحزابا فالأحزاب الفرق الّتی ینقسم لمحاربه الرسل و أوصیائهم و یجتمع لمخالفتهم و ظاهر أنّ هؤلاء کذلک لانفسامهم و تشعّبهم إلی ناکثین و مارقین و قاسطین و منافقین و محاربتهم له حتّی لیس لهم إذن جامع فی الإسلام یتعلّقون به إلّا اسم الإسلام و لا یعرفون من الایمان إلّا رسمه و أثره و شعاره الظاهر بالشهادتین و حضور الصلاه دون الشرائط الحقّه و ما ینبغی له .و قولهم:النار و لا العار کلمه یقولها أهل الکبر و الأنفه من احتمال الأذی و الضیم لأنفسهم أو لقومهم فی الاستنهاض إلی الفتنه.و النار و العار منصوبان بفعلین مضمرین تقدیرهما ادخلوا النار و لا تحتملوا العار. استعاره بالکنایه ثمّ شبّههم فی حالهم و قولهم ذلک بمن یقصد أن یقلّب الإسلام علی وجهه ،و کنّی بذلک عن إفساده کنایه بالمستعار ملاحظه لشبههه بالإناء یقلب فیخرج ما فیه عن الانتفاع به،و وجه التشبّه المذکور أنّ أفعالهم المذکوره کأفعال من یقصد ذلک من أعداء الإسلام لإراده إفساده .

و قوله:انتهاکا و نقضا.

و قوله: انتهاکا و نقضا .

منصوبان علی المفعول له و العامل قوله:تکفئوا،و یصلحان غایتین عقیب کلّ فعل نسبه إلیهم یفسّرهما ذکرهما هاهنا،و میثاقه ما اخذ علیهم فیه و أسلموا من جزئیّاته و هی الایمان الصادق باللّه و رسوله و ما جاء به من القوانین الشرعیّه.

ثمّ وصف ذلک المیثاق بکون اللّه تعالی قد وضعه لهم حرما فی أرضه یمنعهم من کلّ عدوّ مجاز إطلاقا لاسم الحال علی المحلّ و أمنا بین خلقه لمن دخله و أراد محلّ أمن فحذف المضاف أو تجوّز بلفظ الأمن فی المأمن إطلاقا لاسم الحال علی المحلّ .

و قوله:و إنّکم.إلی قوله:بینکم.

و قوله: و إنّکم .إلی قوله: بینکم .

تحذیر من الاعتماد علی غیر الإسلام و اللجأ إلیه من شجاعه أو حمیّه أو کثره

ص:۳۰۳

۱- (۱) ۹-۹۸.

۲- (۲) ۹-۱۰۰.

فی قبیله مع الخروج عن طاعه سلطان الإسلام و التفرّق فیه فإنّ ذلک یستلزم طمع الکفّار فیهم.و عدم نصره الملائکه و المهاجرین و الأنصار حینئذ لهم إمّا لأنّ النصره کانت مخصوصه بوجود الرسول و الاجتماع علی طاعته و قد زالت بفقده أو لأنّها مشروطه بالاجتماع علی الدین و الالفه فیه و الذبّ عنه و إذا التجئوا إلی غیره و حاربهم الکفّار لم یکن ناصر من الملائکه لعدم اجتماعهم علی الدین، و لا من المهاجرین و الأنصار لفقدهم و هذا اللازم مخوف ینبغی أن یحذر منه فالملزوم و هو الالتجاء إلی غیر الإسلام یجب أن یکون کذلک.و الضمیر المضاف إلیه فی حریمه و میثاقه یعود إلی الإسلام.و قال بعض الشارحین:الضمیر فی قوله یعود إلی اللّه و الأوّل ألیق بسیاق الکلام،و النصب فی جبرئیل و میکائیل علی أنّهما اسمان ملاحظا فیهما التنکیر و لذلک أتی عقیبهما بعد لا بالنکرتین،و ینصرونکم هو خبرها مفسّرا لمثله عقیب ما یکون منها.

و قوله:إلاّ المقارعه بالسیف.

و قوله: إلاّ المقارعه بالسیف .

استثناء منقطع،و حکم اللّه الّذی جعله غایه للمقارعه هو إفاضه لصوره النصر علی أحد الفریقین و الانقهار علی الآخر .

و قوله:و إنّ عندکم الأمثال.إلی قوله:و وقائعه.

کنایه و قوله: و إنّ عندکم الأمثال.إلی قوله:و وقائعه .

تذکیر لهم بما ضرب اللّه لهم من الأمثال بالقرون الماضیه و ما أصابهم من بأس اللّه و قوارعه و هی الدواهی العظام و أیّامه و هی کنایه عن الأیّام الّتی أوقع بهم فیها عقوباته و بأسه حین استعدّوا لذلک بمعصیته و تهدید لهم بذلک إن خالفوا أمره .

و قوله:فلا تستبطئوا.إلی قوله:بأسه.

مجاز إطلاقا لاسم الجزء علی الکلّ و قوله: فلا تستبطئوا.إلی قوله:بأسه .

تهدید لهم أیضا و توعید بقرب العقوبه علی المعصیه،و إطلاق لفظ الاستبطاء هنا مجاز لأنّ الاستبطاء للشیء استبعاد لوقوعه مع انتظار وقوعه المستلزم لطلبه و طلب تحقیق الوعید لیس من مقاصد العقلاء حتّی ینهون عنه لکن لمّا کان الإنسان إذا همّ بالمعصیه قد یستبعد تحقیق الوعید و قربه فیکون ذلک ممّا یقوّی معه

ص:۳۰۴

داعیته و شهوته لفعلها کان لذلک الاستبعاد سببیّه بوجه ما للمعصیه،و لمّا کان ذلک الاستبطاء أطلق علیه إطلاقا لاسم الجزء علی الکلّ فیکون التهدید و التوبیخ علیه أبلغ،و لأنّ الّذی یقدم علی المعصیه مع علمه بما یستلزمه من الإعداد لنزول العذاب یناسب فی الحقیقه من یستبطیء العقوبه و یطلب تعجیلها بفعله و کانوا بمعصیتهم کالمستبطئین للوعید فأطلق فی حقّهم لفظه الاستبطاء و نهاهم عنه .و نصب جهلا-و تهاونا و بأسا علی المفعول له لصلوح الثلاثه عللا غائیّه لاستبطاء الوعید بمعنی استبعاده لأنّ جهل العبد بکیفیّه أخذه تعالی له بالموت و أهواله و شدائد الآخره ممّا یستبعد معه وقوع تلک الامور فی حقّه کما هی.و کذلک تهاونه ببسطه و إملائه لعدم علمه بما فی ذلک البسط من الاستدراج ممّا یحمله علی استبعاد وعیده،و بعزمه بالمعصیه و کذلک یأسه من بأسه بسبب ذلک الجهل و ذلک البسط ممّا یحمله علی ذلک الاستبعاد أیضا .

و قوله:و إنّ اللّه.إلی قوله:التناهی.

و قوله: و إنّ اللّه .إلی قوله: التناهی .

تنبیه لهم علی أنّ لعنه اللّه للقرن الماضی بین أیدیهم قبل الإسلام کان لازما مساویا لترکهم الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر منحصرا فیه،و کانت لعنته لسفهائهم و ناقصی عقولهم لرکوبهم المعاصی المنکره،و أمّا للحکماء منهم و لذوی العقول فلعدم إنکارهم و تناهیهم عمّا یشاهدونه من ذلک المنکر.و ذلک اللعن فی قوله تعالی «لُعِنَ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ بَنِی إِسْرائِیلَ عَلی لِسانِ داوُدَ وَ عِیسَی ابْنِ مَرْیَمَ ذلِکَ بِما عَصَوْا وَ کانُوا یَعْتَدُونَ» (۱)و کانوا لا یتناهون عن منکر فعلوه .و نبّههم بقوله: ألا و قد قطعتم قید الإسلام .إلی قوله: أحکامه .علی أنّهم من جمله من اتّصف بذلک الملزوم أعنی ترک الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر و رکوب المعاصی فلزمهم الدخول فی زمره من لعنه اللّه بذلک الترک،و غایه هذا الشبه الجذب عن رکوب المعاصی إلی الانتهاء و التناهی عنها. استعاره و استعار لفظ قید الإسلام للالفه و الاجتماع علیه و علی امتثال أوامر اللّه فیه باعتبار کون ذلک حافظا للإسلام علیهم و مانعا له من التشرّد

ص:۳۰۵

۱- (۱) ۸۲-۵.

و الـذهاب كما يمنع الجمل قيـده من الشـرود و التشتّت .و حدود اللّه:أحكامه الّتى حدّها للناس و منعهم من تجاوزها.و تعطيلهم لهم بإطراحها و تجاوزها، استعاره و كذلك إماته أحكامه عدم العمل بها و وصف الإماته مستعار لتركها و إهمالها لاعتبار أنّهم أخرجوها بذلك الإهمال عن انتفاعهم بها كما أنّ مميت الشىء يخرجه عن حدّ الانتفاع .و باللّه التوفيق.

الفصل الخامس:فى اقتصاصه عليه السّلام لحاله فى تكليفه و موافقته لأوامر اللّه

اشاره

ببلائه الحسن فى سبيله،و شرح حاله مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و التنبيه على موضعه منه و كيفيّه تربيته له من أوّل عمره،و الإشاره إلى قوّته فى دين اللّه.و ذلك قوله:

أَلَا وَ قَدْ أَمَرَنِىَ اللَّهُ- بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَ النَّكْثِ وَ الْفَسَادِ فِى الْأَرْضِ فَأَمَّا؟النَّاكِثُونَ؟ فَقَدْ قَاتَلْتُ- وَ أَمَّا؟الْقَاسِطُونَ؟ فَقَدْ جَاهَدْتُ- وَ أَمَّا؟الْمَارِقَهُ؟ فَقَدْ دَوَّخْتُ- وَ أَمَّا شَيْطَانُ الرَّدْهَهِ فَقَدْ كُفِيتُهُ- بِصَعْقَهٍ سُمِعَتْ لَهَا وَجْبَهُ قَلْبِهِ وَ رَجَّهُ صَدْرِهِ- وَ بَقِيَتْ بَقِيَّهٌ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ- وَ لَئِنْ أَذِنَ اللَّهُ فِى الْكَرَّهِ عَلَيْهِمْ- لَأُدِيلَنَّ مِنْهُمْ إِلَّا مَا يَتَشَذَّرُ فِى أَطْرَافِ الْبِلَادِ تَشَذُّراً أَنَا وَضَعْتُ فِى الصِّغَرِ بِكَلَاكِلِ الْعَرَبِ- وَ كَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ؟رَبِيعَهَ؟ وَ؟مُضَرَ؟- وَ قَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِى مِنْ؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟- بِالْقَرَابَهِ الْقَرِيبَهِ وَ الْمَنْزِلَهِ الْخَصِيصَهِ- وَضَعَنِى فِى حَجْرِهِ وَ أَنَا وَلِيدٌ يَضُمُّنِى إِلَى صَدْرِهِ- وَ يَكْنُفُنِى فِى فِرَاشِهِ وَ يُمِسُّنِى جَسَدَهُ- وَ يُشِمُّنِى عَرْفَهُ- وَ كَانَ يَمْضَغُ الشَّىْءَ

ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ- وَ مَا وَجَدَ لِی کَذْبَهً فِی قَوْلٍ وَ لاَ خَطْلَهً فِی فِعْلٍ- وَ لَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ ص- مِنْ لَدُنْ أَنْ کَانَ فَطِیماً أَعْظَمَ مَلَکٍ مِنْ مَلاَئِکَتِهِ- یَسْلُکُ بِهِ طَرِیقَ الْمَکَارِمِ- وَ مَحَاسِنَ أَخْلاَقِ الْعَالَمِ لَیْلَهُ وَ نَهَارَهُ- وَ لَقَدْ کُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِیلِ أَثَرَ أُمِّهِ- یَرْفَعُ لِی فِی کُلِّ یَوْمٍ مِنْ أَخْلاَقِهِ عَلَماً- وَ یَأْمُرُنِی بِالاِقْتِدَاءِ بِهِ- وَ لَقَدْ کَانَ یُجَاوِرُ فِی کُلِّ سَنَهٍ؟بِحِرَاءَ؟- فَأَرَاهُ وَ لاَ یَرَاهُ غَیْرِی- وَ لَمْ یَجْمَعْ بَیْتٌ وَاحِدٌ یَوْمَئِذٍ فِی الْإِسْلاَمِ- غَیْرَ؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟ وَ؟خَدِیجَهَ؟ وَ أَنَا ثَالِثُهُمَا- أَرَی نُورَ الْوَحْیِ وَ الرِّسَالَهِ وَ أَشُمُّ رِیحَ النُّبُوَّهِ- وَ لَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّهَ الشَّیْطَانِ حِینَ نَزَلَ الْوَحْیُ عَلَیْهِ ص- فَقُلْتُ یَا؟رَسُولَ اللَّهِ؟ مَا هَذِهِ الرَّنَّهُ- فَقَالَ هَذَا الشَّیْطَانُ قَدْ أَیِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ- إِنَّکَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَ تَرَی مَا أَرَی- إِلاَّ أَنَّکَ لَسْتَ بِنَبِیٍّ وَ لَکِنَّکَ لَوَزِیرٌ- وَ إِنَّکَ لَعَلَی خَیْرٍ وَ لَقَدْ کُنْتُ مَعَهُ ص لَمَّا أَتَاهُ الْمَلَأُ مِنْ ؟قُرَیْشٍ؟- فَقَالُوا لَهُ یَا؟مُحَمَّدُ؟ إِنَّکَ قَدِ ادَّعَیْتَ عَظِیماً- لَمْ یَدَّعِهِ آبَاؤُکَ وَ لاَ أَحَدٌ مِنْ بَیْتِکَ- وَ نَحْنُ نَسْأَلُکَ أَمْراً إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إِلَیْهِ وَ أَرَیْتَنَاهُ- عَلِمْنَا أَنَّکَ نَبِیٌّ وَ رَسُولٌ- وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّکَ سَاحِرٌ کَذَّابٌ- فَقَالَ ص وَ مَا تَسْأَلُونَ قَالُوا- تَدْعُو لَنَا هَذِهِ الشَّجَرَهَ حَتَّی تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا- وَ تَقِفَ بَیْنَ

يَدَيْکَ فَقَالَ ص- «إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» - فَإِنْ فَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ ذَلِكَ أَ تُؤْمِنُونَ وَ تَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ- قَالُوا نَعَمْ قَالَ فَإِنِّی سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ- وَ إِنِّی لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لاَ تَفِيئُونَ إِلَى خَيْرٍ- وَ إِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِی الْقَلِيبِ وَ مَنْ يُحَزِّبُ الْأَحْزَابَ- ثُمَّ قَالَ ص يَا أَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ- إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ- وَ تَعْلَمِينَ أَنِّی رَسُولُ اللَّهِ فَانْقَلِعِی بِعُرُوقِکِ- حَتَّى تَقِفِی بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ- وَ الَّذِی بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لاَنْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا- وَ جَاءَتْ وَ لَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ- وَ قَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ- حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَیْ؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟ مُرَفْرِفَةً- وَ أَلْقَتْ بِغُصْنِهَا الْأَعْلَى عَلَى؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟- وَ بِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِی وَ كُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ ص- فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذَلِکَ قَالُوا عُلُوّاً وَ اسْتِكْبَاراً- فَمُرْهَا فَلْيَأْتِکَ نِصْفُهَا وَ يَبْقَى نِصْفُهَا- فَأَمَرَهَا بِذَلِکَ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا- كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَ أَشَدِّهِ دَوِيّاً- فَكَادَتْ تَلْتَفُّ؟بِرَسُولِ اللَّهِ ص؟- فَقَالُوا كُفْراً وَ عُتُوّاً فَمُرْ هَذَا النِّصْفَ- فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ- فَأَمَرَهُ ص فَرَجَعَ- فَقُلْتُ أَنَا «لا إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ» إِنِّی أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِکَ؟يَا رَسُولَ اللَّهِ؟- وَ أَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ

بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى- تَصْدِيقاً بِنُبُوَّتِکَ وَ إِجْلاَلاً لِکَلِمَتِکَ- فَقَالَ الْقَوْمُ کُلُّهُمْ بَلْ «ساحِرٌ کَذّابٌ» - عَجِیبُ السِّحْرِ خَفِیفٌ فِیهِ- وَ هَلْ یُصَدِّقُکَ فِی أَمْرِکَ إِلاَّ مِثْلُ هَذَا یَعْنُونَنِی- وَ إِنِّی لَمِنْ قَوْمٍ لاَ تَأْخُذُهُمْ فِی اللَّهِ لَوْمَهُ لاَئِمٍ- سِیمَاهُمْ سِیمَا الصِّدِّیقِینَ وَ کَلاَمُهُمْ کَلاَمُ الْأَبْرَارِ- عُمَّارُ اللَّیْلِ وَ مَنَارُ النَّهَارِ- مُتَمَسِّکُونَ بِحَبْلِ ؟الْقُرْآنِ؟ یُحْیُونَ سُنَنَ اللَّهِ وَ سُنَنَ رَسُولِهِ- لاَ یَسْتَکْبِرُونَ وَ لاَ یَعْلُونَ- وَ لاَ یَغُلُّونَ وَ لاَ یُفْسِدُونَ- قُلُوبُهُمْ فِی الْجِنَانِ وَ أَجْسَادُهُمْ فِی الْعَمَلِ

اللغه

أقول: النکث : نقض العهد .و القسوط : الجور .و دوّخت القوم ، غلبتهم و قهرتهم .و الردهه : نقره فی الجبل یجتمع فیها الماء .و الصعقه : الغشیه من صیحه و نحوها .و الوجبه : واحده الوجیب و هو اضطراب القلب .و الرجّه : واحده الرجّ:و هی الحرکه و الزلزله .و الکرّه : الرجعه .و لادیلنّهم : أی لاقهرنّهم و أکون ذا إداله منهم و غلبه علیهم .و التشذّر : التفرّق .و الکلکل : الصدر .و النواجم:

جمع ناجمه و هو الطالع و الخارج .و یکنفنی فی فراشه : أی یحفظنی فیه و یحوطنی و یلفّنی .و عرفه : رائحته .و الخطله : السیّئه و القبیحه من قول أو فعل .و الفطیم:

المفطوم .و حراء-بالمدّ و الکسر- : جبل بمکّه یذکّر و یؤنّث و یصرف و لا یصرف.

و الرنّه : صوت یصدر عند حصول المکاره کالحزن و نحوه . القلیب : البئر قبل أن تطوی یذکّر و یؤنّث.و قال أبو عبیده:هی البئر القدیمه العادیه .و الدویّ : صوت حفیف الریح و النحل .و القصف : صوت جناح الطیر و إصفاقه فی الهواء .و السیما -مقصورا و ممدودا- : العلامه و الأثر فی الشیء یعرف به .و المنار : الأعلام .و غلّ من المغنم یغلّ بالضمّ : إذا خان فیه.قال أبو عبید:یقال منه:یغلّ-بالضمّ-و من الحقد:

ص:۳۰۹

یغلّ-بالکسر-و من الخیانه المطلقه:أغلّ یغلّ .

المعنی

اشاره

و اعلم أنّه علیه السّلام نبّه فی هذا الفصل علی أنّ قتاله لهذه الفرق کان بأمر اللّه علی لسان رسوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و ذلک الأمر إمّا من القرآن الکریم من قوله تعالی «فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَی الْأُخْری فَقاتِلُوا الَّتِی تَبْغِی حَتّی تَفِیءَ إِلی أَمْرِ اللّهِ» (۱)أو من السنّه بأمر خاصّ و هو من أوامر اللّه أیضا.و قد ثبت عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنّه قال:

سیقاتل بعدی الناکثین و القاسطین و المارقین.فکان الناکثون أصحاب الجمل لنکثهم بیعته علیه السّلام،و کان القاسطون أهل الشام،و المارقون الخوارج بالنهروان و الفرق الثلاث یصدق علیهم أنّهم أهل البغی و قاسطون لخروجهم عن سواء العدل إلی طرف الظلم و الجور،و تخصیص کلّ فرقه منهم بما سمّیت به عرف شرعیّ.فأمّا وصف الخوارج بالمارقین فمستنده قول الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لذی الثدیه:یخرج من ضئضئ هذا قوم یمرقون من الدین کما یمرق السهم من الرمیه و قد ذکرناه قبل.و الضئضیء:

الأصل.و هذا الخبر من أعلام نبوّته صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.و دلّ قوله علیه السّلام:و أمّا القاسطون فقد جاهدت و أمّا المارقه فقد دوّخت.علی أنّ هذه الخطبه فی آخر خلافته بعد وقایع صفّین و النهروان .و أمّا شیطان الردهه فالأشبه أنّ المراد به ذو الثدیه من الخوارج لما ورد الحدیث أنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ذکره فقال:شیطان الردهه یحتذره رجل من بجیله.فأمّا کونه شیطانا فباعتبار کونه ضالاّ مضلاّ،و أمّا نسبته إلی الردهه فیشبه أن یکون لما روی أنّه حین طلبه علیه السّلام فی القتلی وجده فی حفره دالیه فیها خریر الماء فنسبه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إلیها لما کان یعلم من کیفیّه حاله فی مقتله.

و روی عن یزید بن رویم قال:قال لی علی علیه السّلام فی ذلک الیوم:یقتل الیوم أربعه ألف من الخوارج أحدهم ذو الثدیه فلمّا طحن القوم ورام إخراج ذی الثدیه فأتعبه أمرنی أن أقطع أربعه ألف قصبه و رکب بغله رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ثمّ أمرنی أن أضع علی کلّ رجل منهم قصبه فلم أزل کذلک و هو راکب خلفی و الناس حوله حتّی بقیت فی یدی واحده فنظرت إلیه و قد اربدّ وجهه و هو یقول و اللّه ما کذبت و لا کذّبت

۱- ۱) ۹-۴۹.

فـإذا نحن بخرير المـاء فى حفره عنـد موضع داليه.فقـال لى:فتّش هذا.ففتشّـته فـإذا قتيـل قـد صـار فى المـاء و إذا رجله فى يـدى فجـذبتها و قلت:هـذه رجل إنسان.فنزل عن البغله مسرعا فجـذب الرجل الاخرى و جرّرناه فإذا هو المخدج.فكبّر عليه السّـلام ثمّ سجد و كبّر الناس بأجمعهم.و أمّا الصـعقه الّتى أشار إليها فهى ما أصاب ذا الثديه من الغشـى و الموت بضـربته عليه السّلام حتّى استلزم ذلك ما حكاه من سـماعه لرجّه صـدره و وجيب قلبه.و قال بعضـهم المراد بالصـعقه هنا الصاعقه و هى صـيحه العذاب و ذلك أنّه روى أنّ عليّا عليه السّـلام لمّا قابل القوم صاح القوم فكان ذو الثـديه ممّن هرب من صـيحته حتّى وجد قتيلا فى الحفره المـذكوره.و قـال بعضـهم:يحتمل أن يشـير بالشـيطان إلى إبليس المتعارف كما أشـرنا إليه فى الخطبه الاولى و هو القوّه الوهميّه فاسـتعار لفظ الردهه و هى النقره فى الجبل للبطن الأوسط من الـدماغ الّذى هو محلّ هذه القوّه لمكان المشابهه،و قد يعبّر بالجبل عن الـدماغ فى عرف المجرّدين و عن القوى فيه،و بـالجنّ الشـياطين تـاره و بالملائكه اخرى.و لمّا كانت الأنبياء عليهم السّـلام و الأوليـاء قـد يشاهـدون الامـور المجرّده و المعانى المقبوله كالملائكه و الجنّ و الشـياطين فى صوره محسوسه باسـتعانه من القوّه المحصّـله كما علمت فى المقـدّمات و كما سنشـير إليه عن قرب احتمل أن يقال أنّه عليه السّـلام رأى الشـيطان المذكور بصوره محسوسه ذات صـدر و قلب و أنّه عليه السّـلام لمّـا كان فى مقام العصـمه و ملكه للنصـر على الشـيطان و قهره و إبعاده سـمع من الجناب الإلهىّ صـيحه العـذاب أرسـلت على الشـيطان فسـمع لها وجيب قلبه ورجّه صـدره كما سـمعت رنّته فيما يحكيه فى باقى الكلام.و اللّه أعلم.

و أمّـا البقيّـه مـن أهـل البغى فمعـاويه و من بقى من جنـد الشـام حيث وقعت الحرب بينهم و بينه بمكيـده التحكيم.و حكمه عليه السّلام بأنّه إن أذن اللّه سبحانه فى الرجوع إليهم ليغلبنّهم و لتكونّن الدايره عليهم ثقه بعموم توعّده تعالى فى قوله و من بغى عليه لينصـرنّه اللّه و قوله تعالى «يا أَيُّهَا النّاسُ إِنَّما بَغْيُكُمْ عَلى أَنْفُسِكُمْ» (۱)و قوله «إِنْ تَنْصُرُوا اللّهَ يَنْصُرْكُمْ» (۲)و أمثاله. كنايه و كنّى بإذن اللّه عن توفيق أسباب

۱- (۱) ۲۳-۱۰.

۲- (۲) ۷-۴۷.

العود إليهم و إتمامها من الفسحه فى الأجل و غيرها .و استعمل ما هاهنا بمعنى من إطلاقا لاسم العامّ على الخاصّ أو تكون بمعنى الّذى .

و قوله:أنا وضعت فى الصغر بكلكل العرب.إلى آخره.

استعاره-مجاز من باب إطلاق اسم الجزء على الكلّ و قوله: أنا وضعت فى الصغر بكلكل العرب .إلى آخره.

تنبيه على فضيلته فى الشجاعه و النجده لغايه أن يخافه أعداؤه و تقوى به قلوب أوليائه لا على سبيل الفخر المجرّد فإن ذلك رذيله قد بنى الخطبه على النهى عنها، و استعار لفظ الكلكل للجماعه من أكابر العرب الّذين قتلهم فى صدر الإسلام و فرّق جمعهم،و وجه المشابهه كونهم محلّ قوّه العرب و مقدّميهم كما أنّ الصدر من الحيوان كذلك.و من روى كلاكل بلفظ الجمع فهو أيضا استعاره لساداتهم و أشرافهم ممّن قاتلهم و قتلهم،و وجه الاستعاره ما ذكرناه.و يحتمل أن يكون مجازا من باب إطلاق اسم الجزء على الكلّ .و الباء فى قوله:بكلكل.زائده.و المراد بوضعهم إذلالهم و إهانتهم.يقال:وضعه فاتّضع:إذا غضّ منه و حطّ منزلته.و يحتمل أن يكون للإلصاق:أى فعلت بهم الوضع و الإهانه. استعاره مرشحه بالكنايه و كذلك استعار لفظ القرون لأكابر ربيعه و مضر ممّن قاتلهم و قتلهم،و وجه الاستعاره كون كلّ واحد منهم لقبيلته كالقرن يظهر فيها فيصول به و يمنع من عدوّها كذى القرن من الحيوان بقرنه.و أراد بالنواجم من علا منهم و ظهر أمره،و رشّح بذكر الكسر،و كنّى به عن قتلهم .و قتله للأكابر من مضر معلوم فى بدو الإسلام فأمّا القرون من ربيعه فإشاره إلى من قتله منهم فى وقايع الجمل و صفّين بنفسه و جيشه كما يقف على أسمائهم من يقف على تلك الوقايع .

و قوله:و قد علمتم موضعى.إلى آخره.

و قوله:و قد علمتم موضعى.إلى آخره.

شرح لتربيه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من أوّل عمره و إعداده بتلك التربيه للكمالات النفسانيّه من العلوم و الأخلاق الفاضله.

و عدّ أحواله الّتى هى وجوه ذلك الاستعداد

و أسبابه:

أحدها:القرابه.

و أشار بها إلى نسبته القريب منه و كان عليه السّلام ابن عمّه دنيا و أبواهما أخوان لأب و امّ دون غيرهما من بنى عبد المطلب إلّا الزبير.

ص:۳۱۲

الثانیه:منزلته الخصیصه به

و أشار بها إلی ما شرحه من فعله به صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و هو وضعه له فی حجره ولیدا و سایر ما ذکره.و مبدء ذلک ما روی عن مجاهد قال:

کان من نعمه اللّه علی علیّ علیه السّلام ما صنعه اللّه له و أراد به من الخیر أنّ قریشا أصابتهم أزمّه شدیده و کان أبو طالب ذا عیال کثیره فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لعمّه العبّاس و کان أیسر بنی هاشم:یا عبّاس إنّ أخاک أبا طالب کثیر العیال و قد تری ما أصاب النّاس من هذه الأزمّه فانطلق بنا لنخفّف عنه من عیاله فآخذ واحدا من بنیه و تأخذ واحدا فنکفیهم عنه فانطلقا إلیه و قالا له.فقال:إن ترکتمالی عقیلا فاصنعا ما شئتما فأخذ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علیّا علیه السّلام و أخذ العبّاس جعفرا فکفّلاهما.و قد کان أبو طالب کفّل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم دون غیره من أعمامه و ربّاه فی حجره ثمّ حماه من المشرکین فی مبدء أمره و نصره عند ظهور دعوته و ذلک ممّا یؤکّد اختصاص منزله علیّ علیه السّلام عنده.و من منزلته الخصیصه به ما کان بینهما من المصاهره الّتی أفضت إلی النسل الأطهر دون غیره من الأصهار ،و فی معنی قوله:فکان یمضغ الشیء ثمّ یلقمنیه ما رواه الحسن بن زید بن علیّ بن الحسین علیهم السّلام قال:سمعت زیدا أبی یقول:کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یمضغ اللحمه أو التمره حتّی تلین و یجعلها فی فم علیّ علیه السّلام و هو صغیر فی حجره.

الثالثه:أنّه لم یجد له کذبه فی قول و لا خطله فی فعل،

و ذلک لما استعدّ به من تربیته صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و سایر متمّمات الریاضه و أعراضها لاستیلاء قوّته العاقله علی قوّتی الشهویّه و الغضبیّه و قهر نفسه الأمّاره الّتی هی مبدء خطأ الأقوال و خطل الأفعال حتّی حصلت له عن ذلک ملکه فی ترک الرذائل و اجتناب المئاثم و المعاصی فصار له ذلک خلقا و طبعا.و إذا حقّق معنی العصمه فی حقّه علیه السّلام و فی حقّ من ادّعیت له العصمه من أولاده یعود إلی هذه الملکه.فلیس لاستکبارها[لاستنکارها خ]فی حقّهم علیه السّلام معنی ،و أشار بالملک الّذی قرنه به إلی جبرئیل و هو العقل الفعّال فی عرف قوم.و اقترانه به إشاره إلی تولّیه بتربیه نفسه القدسیّه بإفاضه العلوم و مکارم الأخلاق و سائر الطرق المؤدّیه إلی اللّه سبحانه من حین صغره صلّی اللّه علیه و آله و سلّم

بحسب حسن استعداد مزاجه و قوّه عقله الطفولیّ .ثمّ أشار فی ذکر معرض أحواله معه إلی تربیه الملک له صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لیعلم أنّه حصل بتبعیّته له علی تلک المکارم،و ممّا روی فی حاله مع الملک و عصمته به ما روی الباقر محمّد بن علیّ علیهما السّلام أنّه قال:

وکّل اللّه بمحمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ملکا عظیما منذ فصل عن الرضاع یرشده إلی الخیرات و مکارم الأخلاق و یصدّه عن الشرّ و مساوی الأخلاق و هو الّذی کانینادیه السلام علیک یا محمّد یا رسول اللّه و هو شابّ لم یبلغ درجه الرساله بعد فیظنّ أنّ ذلک من الحجر و الأرض فیتأمّل فلا یری شیئا.و روی أنّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال:أذکر و أنا ابن سبع سنین و قد بنی ابن جدعان دارا بمکّه فجئت مع الغلمان نأخذ التراب و المدر فی حجورنا فننقله فملأت حجری ترابا فانکشفت عورتی فسمعت نداء من فوق رأسی یا محمّد أرخ إزارک فجعلت أرفع رأسی فلا أری شیئا إلاّ أنّنی أسمع الصوت فتماسکت و لم ارخه فکأنّ إنسانا ضربنی علی ظهری فخررت لوجهی فانحلّ إزاری فسترنی و سقط التراب إلی الأرض فقمت إلی دار عمّی أبی طالب و لم أعد.

الرابعه:أشار إلی اتّباعه له و ملازمته إیّاه

بقوله:و لقد کنت أتبعه اتّباع الفصیل أثر امّه.و وجه الشبه فی اتّباعه کونه لا ینفکّ عنه کالفصیل لامّه.

الخامسه:

استعاره أشار إلی ثمره ذلک الاتّباع بقوله: یرفع لی فی کلّ یوم علما من أخلاقه و یأمرنی بالاقتداء به .و استعار لفظ العلم لکلّ من أخلاقه باعتبار کونه هادیا إلی سبیل اللّه کما یهدی العلم .

السادسه:أنّه کان یجاور معه فی کل سنه بحراء فیراه دون غیره

،و روی فی الصحاح:أنّه کان صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یجاور بحراء فی کلّ سنه شهرا و کان یطعم فی ذلک الشهر من جاءه من المساکین فإذا قضی جواره انصرف إلی مکّه و طاف بها سبعا قبل أن یدخل بیته حتّی جاءت السنه الّتی أکرمه اللّه فیها بالرساله فجاء فی حراء فی شهر رمضان و معه أهله خدیجه و علیّ و خادم.و روی الطبریّ و غیره:أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قبل مبعثه کان إذا حضرت الصلاه یخرج إلی شعاب مکّه و یخرج معه علیّ مستخفین عن أبی طالب و من سائر أعمامه و قومه یصلّیان الصلاه فإذا أمسیا

رجعا.فمكثا كذلك «ما شاءَ اللّهُ» .ثمّ إنّ أبا طالب عثر عليهما يوما و هما يصلّيان.فقال لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:يابن أخى ما هذا الّذى أراك تدين به؟فقال:يا عمّ هذا دين اللّه و دين ملائكته و رسله و دين أبينا إبراهيم بعثنى اللّه رسولا إلى العباد و أنت يا عمّ أحقّ من بذلت له النصيحه و دعوته إلى الهدى و أحقّ من أجابنى إليه و أعاننى عليه.فقال أبو طالب:يابن أخى إنّى لا أستطيع أن افارق دينى و دين آبائى و ما كانوا عليه و لكن و اللّه لا يخلص إليك شىء تكرهه ما بقيت.و روى أنّه قال لعلىّ:

يا بنىّ ما هذا الّذى تدين به؟فقال يا أبه:إنّى آمنت باللّه و رسوله و صدّقته فيما جاء به و صلّيت للّه معه.قال:فقال له:أما إنّه لا يدعو إلّا إلى خير فالزمه.

السابعه:أشار إلى كونه أوّل من أسلم من الذكور

بقوله:لم يجمع بيت واحد.إلى قوله:و أنا ثالثهما.و قد مضى منه عليه السّلام مثل ذلك حيث قال:أكذب على اللّه و أنا أوّل من آمن به؟و قوله:فلا تتبروا منّى فإنّى ولدت على الفطره و سبقت إلى الإسلام و الهجره.و روى الطبرى فى تاريخه عن عباد بن عبد اللّه قال:

سمعت عليّا عليه السّلام يقول:أنا عبد اللّه و أخو رسول اللّه و أنا الصدّيق الأكبر لا يقولها بعدى إلّا كاذب مفتر صلّيت قبل الناس لسبع سنين،و فى روايه اخرى:أنا الصدّيق و الفاروق الأوّل أسلمت قبل إسلام أبى بكر و صلّيت قبل صلاته لسبع سنين،و روى ذلك أيضا من وجوه:

أحدها:عن ابن مسعود قال:قدمت إلى مكّه فانتهيت إلى العبّاس بن عبد- المطّلب و هو يومئذ عطّار جالس إلى زمزم و نحن عنده إذ أقبل رجل من باب الصفا عليه ثوبان أبيضان،عليه،وفره جعده إلى أنصاف اذنيه،أشم أقنى،أدعج العينين،كثّ اللحيه،أبلج برّاق الثنايا،أبيض تعلوه حمره،و على يمينه غلام مراهق أو محتلم حسن الوجه،تقفوهم امرأه قد سترت محاسنها.فقصدوا نحو الحجر فاستلمه الرجل ثمّ الغلام ثمّ طافوا بالبيت ثمّ استقبلوا الحجر و قام الغلام إلى جانب الرجل و المرأه خلفهما فأتوا بأركان الصلاه مستوفاه فلمّا رأينا ما لا نعرفه بمكّه قلنا للعبّاس:

إنّا لا نعرف هذا الدين فيكم.فقال:أجل و اللّه.فسألناه عن هؤلاء فعرّفنا إيّاهم ثمّ

ص:۳۱۵

قال:و اللّه ما على وجه الأرض أحد يدين بهذا الدين إلاّ هؤلاء الثلاثه.و روى مثله عن عفيف بن قيس.

الثانى:روى عن معقل بن يسار قال:كنت عند النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال لى:هل لك أن تعود فاطمه؟فقلت:نعم يا رسول اللّه فقمنا فدخلنا عليها فقال لها صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

كيف تجدينك؟قالت:و اللّه لقد طال سقمى و اشتدّ حزنى و قال لى النساء:زوّجك أبوك فقيرا لا مال له فقال لها:أما ترضين أنّى زوّجتك أقدم امّتى سلما و أكثرهم علما و أفضلهم حلما؟قالت:بلى رضيت يا رسول اللّه.و روى هذا الخبر عن أبى أيّوب الأنصارىّ،و عن الصادق جعفر بن محمّد عليهما السّلام،و السدى،و ابن عبّاس،و جابر بن عبد اللّه الأنصارىّ،و أسماء بنت عميس،و امّ أيمن.

الثالث:روى عن أبى رافع قال:أتيت أباذرّ بالربذه اودّعه.فقال لى:ستكون فتنه فاتّقوا اللّه و عليكم بالشيخ علىّ بن أبى طالب فاتّبعوه فإنّى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول له:أنت أوّل من آمن بى و أوّل من يصافحنى يوم القيامه و أنت الصدّيق الاكبر و أنت الفاروق الّذى يفرّق بين الحق و الباطل و أنت يعسوب المؤمنين.

الرابع:عن أبى أيّوب الأنصارىّ أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال:لقد صلّت الملائكه علىّ و على علىّ سبع سنينّ و ذلك أنّه لم يصلّ معى رجل فيها غيره.

و اعلم أنّه ربّما اعترض بعض الجهّال فقال:إنّ إسلامه عليه السّلام لم يكن معتبرا لكونه كان دون البلوغ.فجوابه من وجوه:

أحدها:لا نسلّم أنّه كان دون البلوغ.و مستند هذا المنع وجوه:

أحدها:روايه شدّاد بن أوس قال سألت خباب بن الأرتّ عن سنّ علىّ يوم أسلم.و قال أسلم و هو ابن خمس عشره سنه و هو يومئذ بالغ مستحكم البلوغ.

الثانى:ما رواه أبو قتاده عن الحسن أنّ أوّل من أسلم علىّ بن أبى طالب و هو ابن خمس عشره سنه.

الثالث:عن حذيفه بن اليمانىّ قال كنّا نعبد الحجاره و نشرب الخمر و

علیّ من أبناء أربع عشره سنه یصلّی مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لیلا و نهارا و قریش یومئذ تسافهه ما یذبّ عنه إلاّ علیّ.

الثانی:أنّ المتبادر إلی الفهم من إطلاق لفظ المسلم و الکافر إنّما هو البالغ دون الصبیّ و المبادره إلی الّذهن دلیل الحقیقه فالواجب إذن أن یرجع إلی إطلاق قولهم أسلم علیّ.فإنّ ذلک یشهد بکونه بالغا عاقلا لما یفعله خصوصا فی البلاد الحارّه مثل مکّه فإنّ-العاده فی المزاج الصحیح فیها أن یبلغ صاحبه فیما دون خمس عشره سنه و ربّما احتلم و هو ابن اثنی عشره سنه.

الثالث:و هو الحاسم لمادّه الإشکال أنّه علیه السّلام إمّا أن یکون أسلم و هو بالغ أو لم یکن فإن کان الأوّل فقد حصل الغرض و إن لم یکن فلا معنی للکفر فی حقّه إذ کان علیه السّلام مولودا علی الفطره فمعنی الإسلام فی حقّه إذن دخوله فی طاعه اللّه و رسوله و الاستسلام لأوامرهما فله إذن الإسلام الفطریّ و الإیمان الخالص الوارد علی نفس قدسیّه لم تتدّنس بأدناس الجاهلیّه و عباده الأصنام و الاعتقادات الباطله المضادّه للحقّ الّتی صارت ملکات فی نفس من أسلم بعد علوّ السنّ.فکان ایمانه باللّه و رسوله واردا علی نفس صاف لوحها عن کدر الباطل فهی المنتقشه بالحقّ متمثّله به.و کانت غایه إسلام غیره أن یمحو علی طول الریاضه من نفوسهم الآثار الباطله و ملکات السوء فأین أحدهما من الآخر؟

الثامنه:

استعاره مرشحه کونه علیه السّلام یری نور الوحی بالرساله و یشمّ ریح النبوّه ،و سماعه لرنّه الشیطان.و هذه أعلی مراتب الأولیاء،و استعار لفظ النور لما یشاهده بعین بصیرته الباقیه من أسرار الوحی و الرساله و علوم التنزیل و دقایق التأویل و إشراقها علی لوح نفسه القدسیّه،و وجه الاستعاره کون هذه العلوم و الأسرار هادیه فی سبیل اللّه إلیه من ظلمات الجهل کما یهدی النور من الطرق المحسوسه،و رشّح تلک الاستعاره بذکر الرؤیه لأنّ النور حظّ البصر،و کذلک استعار لفظ الریح لما أدرکه من مقام النبوّه و أسرارها،و رشّح بذکر الشمّ لأنّ الریح حظّ القوّه الشامّه ،و أمّا سماعه لرنّه الشیطان فقد علمت کیفیّه سماع الإنسان لصوت الملک

ص:۳۱۷

و الشیطان و کیفیّه رؤیته لصورته و أنّ ذلک باستعانه من النفس بالقوّه المتخیّله فی اقتناص المعانی المعقوله و حطّها إلی لوح الخیال مشاهده للحسّ المشترک مسموعه.

و قد استلزمت هذه الإشاره أنّه علیه السّلام استعدّ لسماع صوت الشیطان فی حزنه حین أیس من اتّباع الخلق له و انقیادهم لأمره و هو معنی عبادته إذ أصل العباده الخضوع.

و کیفیّه ذلک أنّ نفسه القدسیّه أخذت معنی الشیطان مقرونا بمعنی الیأس و الحزن، و کسته المتخیّله صوره حزین صارخ،و حطّته إلی لوح الخیال فصار مسموع الرنّه له.و یؤیّد ذلک قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حین سأله عن ذلک :إنّک تسمع ما أسمع و تری ما أری إلاّ أنّک لست بنبیّ.فإنّه شهد له فی ذلک بالوصول إلی مقام سماع الوحی و کلام الملک و صوت الشیطان و سائر ما یراه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و یسمعه ممّا قویت علیه نفسه القدسیّه إلّا کونه نبیّا فإنّ مقام النبوّه لا یتحقّق للإنسان إلّا بالشرط الّذی أشرنا إلیه فی المقدّمات و فرّقنا بین النبیّ و غیره من سائر النفوس الکامله،و هو کون الإنسان مخاطبا من السماء بإصلاح أمر أبناء نوعه فی معاشهم و معادهم و ذلک مقام أعلی و أکمل من کلّ مقام یبلغه إنسان بقوّته،و روی عن الصادق علیه السّلام أنّه قال:کان علیّ علیه السّلام یری مع النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قبل الرساله الضوء و یسمع الصوت، و قال له الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:لولا أنّی خاتم الأنبیاء لکنت شریکا فی النبوّه فإن لا تکن نبیّا فأنت وصیّ نبیّ و وارثه بل أنت سیّد الأوصیاء و إمام الأتقیاء.ثمّ لمّا نفی عنه مقام النبوّه جبره[أخبره ح]به مقام الوزاره إشاره إلی أنّه الصالح لتدبیر أحوال الخلق فی معاشهم و معادهم من ورائه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و بعده المعین له علی ذلک.

ثمّ شهد له بأنّه علی خیر.و أشار به إلی ما هو علیه من الطریقه المحموده و استقامه السیره فی خدمته و تربیته.و ذلک خیر کثیر.و فی مسند أحمد بن حنبل عن علیّ قال:کنت مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم اللیله الّتی اسری به فیها و هو بالحجر یصلّی فلمّا قضی صلاته و قضیت صلاتی سمعت رنّه شدیده فقلت:یا رسول اللّه ما هذه الرنّه؟ و قال ألا تعلم هذه رنّه الشیطان علم أنّی اسری الیله إلی السماء فأیس من أن یعبد فی هذه الأرض.و أمّا حدیث الوزاره فروی أنّه لمّا نزل قوله «وَ أَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ»

«الْأَقْرَبِينَ» (۱)دعانى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أمرنى أن أصنع صاعا من طعام و أجعل عليه رجل شاه و أملأ له عسّا من لبن ففعلت ما أمرنى به.ثمّ أمرنى بجمع بنى عبد المطّلب فجمعتهم يومئذ و هم أربعون رجلا فيهم أعمامه أبو طالب و حمزه و العبّاس و أبو لهب فلمّا اجتمعوا دعا بالطعام الّذى صنعه فوضعه ثمّ تناول مضغه من لحم فشقّها بأسنانه ثمّ ألقاها فى نواحى الصحفه و قال:كلوا باسم اللّه فأكلوا حتّى ما بهم إلى شىء من حاجه.و الّذى نفس محمّد بيده كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدّمته لجميعهم.ثمّ قال اسق القوم يا علىّ.فجئتهم بذلك العسّ فشربوا منه حتّى رووا جميعا،و أيم اللّه كان الرجل الواحد ليشرب منه مثله.ثمّ قال لهم:يا بنى عبد المطّلب إنّى و اللّه ما أعلم شابّا فى العرب جاء قومه بأفضل ما جئتكم به إنّى قد جئتكم بخير الدنيا و الآخره و قد أمرنى اللّه أن أدعوكم إليه فأيّكم يوازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى و وصيّى و خليفتى فيكم فأحجم القوم عنها جميعا فقلت و إنّى لأحدثهم سنّا و أرمصهم عينا و أعظمهم بطنا و أحمشهم ساقا:أنا يا رسول اللّه أكون وزيرك عليه فأعاد القول.فأمسكوا.و أعدت ما قلت.فأخذ برقبتى ثمّ قال لهم:هذا أخى و وصيّى و خليفتى فيكم فاسمعوا له و أطيعوا.فقام القوم يضحكون يقولون لأبى طالب:قد أمرك أن تسمع لابنك و تطيع .

التاسعه:كونه معه حين أتاه الملأ من قريش و سألوه ما سألوا من دعوه

الشجره

،و تصديقه عليه السّلام له فى ذلك و ايمانه به.و قد علمت فيما سلف أنّ نفوس الأنبياء عليهم السّلام لها تصرّف فى هيولى عالم الكون و الفساد فيستعدّ عن نفوسهم لقبول الامور الخارقه للعادات الخارجه عن وسع غيرهم من أبناء نوعهم.و صوره الحال فى سؤالهم و كيفيّه دعوته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم للشجره و إجابتهم و تكذيبهم بذلك و تصديقه عليه السّلام له مستوفى فى كلامه،و ذلك من قوله :و لقد كنت.إلى قوله:يعنونى.فأمّا حكمه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بأنّهم لا يفيئون إلى خير و أنّ منهم من يطرح فى القليب و منهم من يحزّب الأحزاب فمن غيب اللّه الّذى اطّلعه عليه و ارتضاه له فعلمه بحسب قوّته الحدسيّه

۱- ۱) ۲۱۴-۳۶.

القدسيّه.و القليب هو قليب بدر،و من طرح فيه كعتبه و شيبه ابنى ربيعه و اميّه بن عبد شمس و أبى جهل و الوليد بن المغيره و غيرهم طرحوا فيه بعد انقضاء الحرب و كان ذلك الخبر من أعلام نبوّته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و من يحزّب الأحزاب هو أبو سفيان و عمرو بن عبدودّ و صفوان بن اميّه و عكرمه بن أبى جهل و سهل بن عمرو و غيرهم.

و أمّا حديث الشجره فمشهور مستفاض رواه المحدّثون فى كتبهم،و ذكره المتكلّمون فى معجزاته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و منهم من روى ذلك مختصرا أنّه دعا شجره فأقبلت تخدّ الأرض خدّا.و نقله البيهقىّ فى كتاب دلايل النبوّه،و أمّا نداؤه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم للشجره.

استعاره و قوله لها: إن كنت تؤمنين باللّه.إلى قوله:بإذن اللّه .فقد علمت أنّ الخطاب مخصوص فى عرف العقلاء لمن يعقل لكنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لمّا وجّه نفسه القدسيّه من إعداد الشجره لما يروم منها و علم أنّه واجبه الاستعداد بذلك لقبول أمر اللّه بما أراد منها خاطبها خطاب من يعقل استعاره ملاحظه لشبهها بمن يعقل فى إجابه ندائه و إتيانه،و فايده ذلك الخطاب أن يكون وجود ما رام منها عقيب خطابه أغرب و فى نفوس الحاضرين أبلغ و أعجب فإذا كان وقوع تلك الحال بها غريبا كان كونها على تلك الحال وفق خطابه و دعائه لها أغرب لزياده ايهام كونها سمعت ذلك النداء و عقلت ذلك الخطاب مع أنّها ليس من شأنها ذلك،و أعجب فى نفوس السامعين.و لذلك خرج هذا عن كونه سفها و عبثا .

و قال الإمام الوبرىّ-رحمه اللّه-:و نحو ذلك قوله تعالى «وَ قِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ وَ يا سَماءُ أَقْلِعِي» (۱).

و اعلم أنّ ذلك على رأى الأشعريّه أمر ظاهر لأنّ البنيه المخصوصه ليست شرطا فى حصول الحياه و ما يكون مشروطا بها من السمع و الفهم فلذلك جاز أن يكون اللّه تعالى خلق فى الشجره علما و سمعا قبلت بها خطابه عليه السّلام.

و قال الإمام الوبرىّ:الخطاب فى الأصل للّه تعالى فكأنّه قال:اللّهم إن كانت هذه الشجره من آثارك الشاهده بوجودك و أنت مرسل لى فاجعل ما سألت

۱- ۱) ۴۶-۱.

منهـا شاهـدا على صـدق دعواى.و لمّـا كانت الشـجره محلّ ما سأل من اللّه خاطبها لـذلک.فعلى هـذا یکون مجازا من باب إقامه المسبّب مقام السبب.قال:و یحتمل أن یکون الخطاب فى الأصل للملائکه الموکّلین بالشجر .

قوله:و إنّى لمن قوم.إلى قوله:لائم.

کنایه قوله: و إنّى لمن قوم.إلى قوله:لائم .

کنایه عن بلوغه فى طاعه اللّه الغایه المطلوبه منه فإنّه علیه السّلام لم یقف دون غایه منها حتّى یلام على النقص فیها .

و قوله:سیماهم سیما الصدّیقین.إلى آخر الصفات.

و قوله: سیماهم سیما الصدّیقین.إلى آخر الصفات .

فالقوم هم المتّقون الّذین سأله همّام عن صفتهم.و الصفات المذکوره بعض صفاتهم و قد سبقت مستوفاه فى خطبه مفرده.و ذکر هاهنا عشرا:

إحـداها:أنّ علاماتهم علامات الصدّیقین و هم الملازمون للصدق فى أقوالهم و أفعالهم طاعه للّه تعالى و قد عرفت علاماتهم فى خطبه همّام.

الثانیه:و کذلک کلامهم کلام الأبرار من الأمر بالمعروف و النهى عن المنکر و الذکر الدائم لمعبودهم الحقّ.

کنایه الثالثه: کونهم عمّار اللیل .و کنّى بعمارتهم له عن قیامهم فیه بالعباده.روى أنّ أحـدهم کان إذا کسل عن العمل علّق نفسـه بحبل حتّى یصبح عقوبه لها .

استعاره الرابعه:استـعار لفـظ المنـار لهم بالنهـار باعتبـار کـونهم یهـدون الخلـق إلى طریـق اللّه کالمنـار إلى الطریق المحسوس،و کـذلک لفـظ الحبـل للقرآن باعتبـار کونه سـببا لمتعلّمیه و متـدبّریه إلى التروّى من ماء الحیاه الباقیه کالعلوم و الأخلاق الفاضـله کالحبل الّذى هو سبب الارتواء و الاستقاء من الماء،أو باعتبار کونه عصمه لمن تمسّک به صاعدا من درکات الجهل إلى أقصى درجات العقل کالحبل یصعد فیه من السفل إلى العلوّ.و لفظ القرآن مجرور بعطف البیان.

الخامسه:و کذلک استعار وصف إحیاء السنن لهم باعتبار إقامتها و إبقاء العمل بها .

السادسه:عدم الاستکبار و العلوّ منهم.و لمّا کان الاستکبار فى الإنسان

رذیله کان عدمه عنه فضیله.

السابعه:عدم الغلول.و هو فضیله،لکون الغلول مستلزما لرذائل کالشره و الخیانه و الحرص و الدنائه و غیرها و کان عدمه کمالا.

الثامنه:کونهم لا یفسدون.و لمّا کان کلّ فساد مستلزم رذیله أو رذائل کالزنا المستلزم لرذیله الفجور و کالقتل المستلزم لرذیله الظلم و کذلک سائرها کان عدمه کمالا.

التاسعه:کون قلوبهم فی الجنان.و ذلک أنّک علمت أنّ أعلی غرفات الجنان و درجاتها هو المعارف الإلهیّه و القعود فی مقاعد الصدق عند الملیک المقتدر و ذلک من مقامات العارفین و أولیاء اللّه الصدّیقین.

العاشره:کون أجسادهم فی العمل.فالواو فی قوله:و أجسادهم.یحتمل أن یکون للحال أی أنّ قلوبهم فی الجنان ما یکون أجسادهم مستغرقه الحرکات و السکنات فی الأعمال الصالحات «فِی الرِّقابِ وَ أَقامَ الصَّلاهَ وَ آتَی» .

۲۳۵-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

قاله لعبد اللّه بن عباس،و قد جاءه برساله من عثمان و هو محصور یسأله فیها الخروج إلی ماله بینبع لیقل هتف الناس باسمه للخلافه بعد أن کان سأله مثل ذلک من قبل،فقال علیه السّلام:

یَا؟ابْنَ عَبَّاسٍ؟ مَا یُرِیدُ؟عُثْمَانُ؟- إِلاَّ أَنْ یَجْعَلَنِی جَمَلاً نَاضِحاً بِالْغَرْبِ أَقْبِلْ وَ أَدْبِرْ- بَعَثَ إِلَیَّ أَنْ أَخْرُجَ ثُمَّ بَعَثَ إِلَیَّ أَنْ أَقْدُمَ- ثُمَّ هُوَ الْآنَ یَبْعَثُ إِلَیَّ أَنْ أَخْرُجَ- وَ اللَّهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّی خَشِیتُ أَنْ أَکُونَ آثِماً

اللغه

أقول: ینبع : قریه صغیره من أعمال المدینه .و هتف الناس : صیاحهم و دعاؤهم

ص:۳۲۲

باسمه .و الناضح : الجمل استقى عليه .و الغرب : الدلو العظيمه .

المعنى

و سبب الرساله أنّ القوم الّذين حصروه كانوا يكثرون نداه و الصياح به و توبيخه على أحداثه من تفريق بيت المال على غير مستحقّيه و وضعه فى غير مواضعه، و ساير الأحداث الّتى ذكرنا أنّها نسبت إليه،و استعار لفظ الجمل الناضح،و رشّح بذكر الغرب،و أشار إلى وجه المشابهه بقوله اقبل و ادبر.

و قوله:بعث إلىّ.إلى قوله:أخرج.

شرح لكيفيّه تصريفه فى حال حصره و مضايقه الناس له و بعثه إلى الناس فى أمره كما أشرنا إليه من قبل.و قد كان قصده بتلك الرساله من بين سائر الصحابه لأحد أمرين:

أحدهما:اعتقاده أنّه كان أشرف الجماعه و الناس له أطوع،و أنّ قلوب الجماعه معه حينئذ.

و الثانى:أنّه كان يعتقد أنّ له شركه مع الناس فى فعلهم به و كانت بينهما هناه فكان بعثه له من بين الجماعه متعيّنا لأنّهم إن رجعوا بواسطته فهو الغرض و إن لم يرجعوا حصلت بعض المقاصد أيضا و هو تأكّد ما نسبه إليه من المشاركه فى أمره،و بقاء ذلك حجّه عليه لمن بعده ممّن يطلب بدمه حتّى كان لسبب هذا الغرض الثانى ما كان من الوقايع بالبصره و صفّين و غيرهما .

و قوله و اللّه.إلى آخره يحتمل وجوها:

أحدها:قال بعض الشارحين:إنّى بالغت فى الذبّ عنه حتّى خشيت لكثره أحداثه أن أكون آثما فى الذبّ عنه و الاجتهاد فى ذلك.

و الثانى:يحتمل أن يريد أنّى خشيت الإثم فى تغريرى بنفسى لأن دفع الجمع العظيم فى هذا الأمر العظيم مظنّه الخوف على النفس فيكون الإقدام عليه مظنّه إثم.

الثالث:يحتمل أنّه يريد أنّه خشى الإثم من الإفراط فى حقّهم كأن يضرب أحدهم بسوطه و يغلظ له فى القول و الشتم.و باللّه التوفيق.

ص:٣٢٣

۲۳۶-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

اقتص فيه ذكر ما كان منه بعد هجره النبى صلّى اللّه عليه و آله،ثم لحاقه به فَجَعَلْتُ أَتْبَعُ مَأْخَذَ؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟- فَأَطَأُ ذِكْرَهُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى؟الْعَرَجِ؟- فِي كَلاَمٍ طَوِيلٍ قال الشريف:قوله عليه السّلام«فأطأ ذكره»من الكلام الذى رمى به إلى غايتى الإيجاز و الفصاحه،أراد إنى كنت أعطى خبره،صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من بدء خروجى إلى أن انتهيت إلى هذا الموضع،فكنى عن ذلك بهذه الكنايه العجيبه .

المعنى

أقول:هذا الفصل من كلام يحكى فيه عليه السّلام ما كان جرى من حاله فى خروجه من مكّه إلى المدينه بعد أن هاجر إليها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.و ذلك أنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لمّا عزم على الهجره أعلم عليّا عليه السّلام بخروجه و أمره أن يبيت على فراشه خدعه للمشركين الّذين كانوا عزموا على قتله فى تلك الليله و ايهاما لهم أنّه لم يبرح فلا- يطلبونه حتّى يبعد مسافته عنهم،و أن يتخلّف بعده بمكّه حتّى يؤدّى عنه الودايع الّتى كانت عنده للناس فإنّ جماعه من أهل مكّه استودعوه ودائع لما رأوا من أمانته.

و كانوا قد أجمعوا على أن يضربوه بأسيافهم من أيدى جماعه من بطون مختلفه ليضيّع دمه بين بطون قريش فلا يطلبه بنو عبد مناف.و كان ممّن أجمع على ذلك النضر بن الحرث من بنى عبد الدار،و أبو البخترى بن هشام،و حكيم بن حزام،و زمعه بن الأسود بن عبد المطّلب-الثلاثه من بنى أسد بن عبد العزّى-و أبو جهل بن هشام، و أخوه الحرث،و خالد بن الوليد بن المغيره-و الثلاثه من بنى مخزوم-و بنيه و منيه ابنا الحجّاج،و عمرو بن العاص-و الثلاثه من بنى سهم-و اميّه بن خلف،و أخوه

ابّى من بنى جمح.فنما هذا الخبر من اللّيل إلى عتبه بن ربيعه فلقى قوما منهم و نهاهم عن ذلك و قال إنّ بنى عبد مناف لا تسكت عن دمه و لكن صفّدوه فى الحديد و احبسوه فى دار من دوركم و تربّصوا به أن يصيبه من الموت ما أصاب أمثاله من الشعراء.و كان عتبه بن ربيعه سيّد بنى عبد شمس فأحجم أبو جهل و أصحابه تلك الليله عن قتله إحجاما ثمّ تسوّروا عليه و هم يظنّونه فى الدار فرأوا إنسانا مسجّى بالبرد الحضرمىّ فلم يشكّوا أنّه هو فكانوا يهمّون بقتله ثمّ يحجمون لما يريد اللّه من سلامه علىّ عليه السّلام.ثمّ قال بعضهم لبعض:ارموه بالحجاره.فرموه فجعل علىّ يتصوّر منها و يتأوّه تأوّها خفيّا و لا يعلمهم بحاله خوفا على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أن يطلب فيدرك.فلم يزالوا حتّى الصباح فوجدوه عليّا،ثمّ تخلّف عنه عليه السّلام بمكه لقضاء ما أمره به.ثمّ لحق به فجاء إلى المدينه راجلا قد تورّمت قدماه و تصادف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نازلا بقبا على كلثوم بن المقدم فنزل معه فى منزله.ثمّ خرج معه من قبا حتّى نزلا بالمدينه على أبى أيّوب الأنصارى.

قوله:فجعلت أتّبع مأخذ رسول اللّه.

أى الجهه و الطريق الّتى أخذ فيها و سار حتّى انتهيت إلى الموضع المعروف بالعرج.

استعاره و قوله: فأطأ ذكره .

استعار وصف الوطىء لوقوع ذهنه على ذكره صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و خبره من الناس فى تلك الطريق كوقوع القدم على الأرض،و وجه المشابهه أنّ الخبر عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ذكره طريق حركات قدم عقله إلى معرفه حسّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كما أنّ المحسوس طريق لحركات قدمه إلى الوصول إليه .و قيل:أراد بذكره ما ذكره لى و وصفه من حال الطريق.

و الأوّل أسبق إلى الفهم.و باللّه التوفيق.

۲۳۷ و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

:فَاعْمَلُوا وَ أَنْتُمْ فِي نَفَسِ الْبَقَاءِ- وَ الصُّحُفُ مَنْشُورَهٌ وَ التَّوْبَهُ مَبْسُوطَهٌ-

وَ الْمُدْبِرُ يُدْعَى وَ الْمُسِيءُ يُرْجَى- قَبْلَ أَنْ يَخْمُدَ الْعَمَلُ وَ يَنْقَطِعَ الْمَهَلُ- وَ يَنْقَضِيَ الْأَجَلُ وَ يُسَدَّ بَابُ التَّوْبَهِ- وَ تَصْعَدَ الْمَلاَئِكَهُ- فَأَخَذَ امْرُؤٌ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ وَ أَخَذَ مِنْ حَيٍّ لِمَيِّتٍ- وَ مِنْ فَانٍ لِبَاقٍ وَ مِنْ ذَاهِبٍ لِدَائِمٍ- امْرُؤٌ خَافَ اللَّهَ- وَ هُوَ مُعَمَّرٌ إِلَى أَجَلِهِ وَ مَنْظُورٌ إِلَى عَمَلِهِ- امْرُؤٌ أَلْجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا وَ زَمَّهَا بِزِمَامِهَا- فَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ- وَ قَادَهَا بِزِمَامِهَا إِلَى طَاعَهِ اللَّهِ

اللغه

أقول:يقال: فلان فی نفس من أمره : أی فی سعته .

المعنی

و الفصل فی غایه الفصاحه.و قد أمرهم بالعمل حال ما هم فی مهلته علی الأحوال الّتی أشار إلیها:

أحدها:کونهم فی نفس البقاء و سعته فإنّ الموت مستلزم لانقطاع العمل و عدم إمکانه.

الثانی:کون الصحف منشوره:أی صحف الأعمال فإنّها إنّما تطوی بانقطاع الأعمال بالموت.و قد عرفت وجه الإشاره إلی الصحف و نشرها.

استعاره الثالث:کون التوبه مبسوطه ،و استعار لفظ البسط ملاحظه لشبهها بالبساط فی کونها ممدوده القبول غیر ممنوع منها فی مدّه العمر یطأها من أرادها کالبساط.

و إنّما تطوی بالموت کما قال تعالی: «وَ لَیْسَتِ التَّوْبَهُ لِلَّذِینَ یَعْمَلُونَ السَّیِّئاتِ حَتّی إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّی تُبْتُ الْآنَ وَ لاَ الَّذِینَ یَمُوتُونَ وَ هُمْ کُفّارٌ» (۱).

ص:۳۲۶

۱- ۱) ۴-۲۲.

الرابع:کون المدبر یدعی:أی حال کون المدبر عن طاعه اللّه المعرض عنها یدعی إلیها من الأنبیاء و الرسل و النوامیس الشرعیّه،و ذلک منقطع بالموت.

الخامس:حال کون المسیء یرجی:أی یرجی صلاحه و عوده و ذلک حال البقاء فی الدنیا.

و لمّا ذکر هذه الأحوال للترغیب فی العمل علیها و التذکیر بکونها أحوالا یمکن العمل معها أردفها بأحوال یمتنع معها العمل تنفیرا عنها و هی جمود العمل. استعاره و استعار لفظ الجمود لوقوفه ملاحظه لشبهه بالماء فی جموده عن الجریان .

و فی نسخه الرضیّ-رحمه اللّه-یخمد-بالخاء المعجمه-من خمد المریض:أی مات.و المعنی ظاهر یقرب معنی یجمد.و کذلک انقطاع المهل و انقضاء المدّه:

أی مدّه البقاء و سدّ أبواب التوبه، استعاره و لفظ الأبواب مستعار لطرق الاعتبار الّتی یرجع منها إلی اللّه تعالی،و کذلک الملائکه :أی الکرام الکاتبین فإنّ الملائکه الموکّلین تضبط أعمال کلّ شخص یصعدون إلی السماء بعد بطلان الأعمال .

و قوله :فأخذ امرء من نفسه.

أمر فی صوره الخبر:أی فلیأخذ المرء من نفسه:أی بعض نفسه بالاجتهاد و النصب فی العباده فإنّهما یهزلان البدن و یأخذان من النفس لذّاتها و مشتهیاتها البدنیّه،و یجوز أن یرید بالنفس هنا الشخص.و الأخذ منه ظاهر.

و قوله:لنفسه.

أی لیکون ذلک کمالا لنفسه و ذخرا لها فی معادها.

و قوله:و أخذ من حیّ لمیّت.إلی قوله:امرء.

أمر أیضا فی صوره الخبر.و فاعل أخذ هو قوله:امرء.و الحیّ و المیّت هو المرء نفسه:أی فلیأخذ امرء من نفسه باعتبار ما هو حیّ لنفسه باعتبار ما یصیر إلیه من حال الموت.و قوله:من فان لباق.أی فلیأخذ من الأمر الفانی و هی دنیاه و متاعها للأمر الباقی و هو النعیم الباقی الأبدیّ فی الآخره.و معنی ذلک الأخذ أنّ الإنسان مکتسب من الدنیا و متاعها الفانی کمالا باقیا یوصل إلی نعیم دائم و ذلک بالصدقات و الزکوات و الإنفاق فی وجوه البرّ و القربات،و کذلک

قوله:و من ذاهب لدايم .ثمّ أخذ فى وصف ذلك المرء كأنّه سئل عنه فقال:امرء خاف اللّه فى حال ما هو معمّر إلى أجله و منظور إلى عمله.و نبّهه بغايه أجله و كون عمله منظورا إليه أى منظورا للّه و مرئيّا له تخويفا من هجوم الأجل و جذبا إلى صالح الأعمال للّه تذكير اطّلاعه عليها و علمه بها.

استعاره مرشحه بالكنايه و قوله: امرء لجّم نفسه .

بدل من امرء الأوّل.و استعار لفظ اللجام للزهد الحقيقىّ و العفّه.و وجه المشابهه كونهما مانعين للنفس الأمّاره من جماحها فى تيه الهوى و معاصى اللّه كما يمنع اللجام الدابّه عن الجماح.و رشّح بذكر الإلجام،و كنّى به عن ورع النفس بالزهد،و أشار إلى ذلك الوجه من المشابهه بقوله:فأمسكها بلجامها عن معاصى اللّه.و كذلك استعار لفظ الزمام للعباده باعتبار ما هى قائده للنفس الأمّاره بالسوء إلى موافقه النفس المطمئنّه فى طاعه اللّه كما تقاد الناقه بزمامها إذ علمت أنّ العباده إنّما وضعت لتطويع النفس الأمّاره للعقل و انقيادها تحت اسره و انجذابها خلفه عند توجّهه فى المعارج القدسيّه إلى حضره ذى الجلال و الإكرام.

و إلى ذلك الوجه من المشابهه أشار بقوله:و قادها بزمامها،و رشّح بذكر الزمام و القود،و كنّى بهما عن إيقاع العباده و تطويع النفس لها .و باللّه التوفيق.

۲۳۸-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

فى شأن الحكمين،و ذم أهل الشام

جُفَاهٌ طَغَامٌ عَبِيدٌ أَقْزَامٌ- جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَ تُلُقِّطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ- مِمَّنْ يَنْبَغِى أَنْ يُفَقَّهَ وَ يُؤَدَّبَ- وَ يُعَلَّمَ وَ يُدَرَّبَ وَ يُوَلَّى عَلَيْهِ- وَ يُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْهِ- لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ- وَ لاَ مِنَ «الَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدّارَ» أَلاَ وَ إِنَّ الْقَوْمَ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ- أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا يُحِبُّونَ- وَ إِنَّكُمُ اخْتَرْتُمْ

لِأَنْفُسِکُمْ- أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تَکْرَهُونَ- وَ إِنَّمَا عَهْدُکُمْ؟بِعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ؟ بِالْأَمْسِ يَقُولُ- إِنَّهَا فِتْنَهٌ فَقَطِّعُوا أَوْتَارَکُمْ وَ شِيمُوا سُيُوفَکُمْ- فَإِنْ کَانَ صَادِقاً فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ غَيْرَ مُسْتَکْرَهٍ- وَ إِنْ کَانَ کَاذِباً فَقَدْ لَزِمَتْهُ التُّهَمَهُ- فَادْفَعُوا فِي صَدْرِ؟عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ؟- ؟بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ؟- وَ خُذُوا مَهَلَ الْأَيَّامِ وَ حُوطُوا قَوَاصِيَ الْإِسْلَامِ- أَ لَا تَرَوْنَ إِلَى بِلَادِکُمْ تُغْزَى وَ إِلَى صَفَاتِکُمْ تُرْمَى

اللغه

أقول: جفاه : جمع جافى و هو غليظ الطبع قاسى القلب و الطغام : أوغاد الناس و أراذلهم .و الأقزام : جمع قزم-بفتح الزاء-و هو الرذل الدنىّ من الناس، و يطلق على الواحد و الجمع و الذکر و الانثى .و يقال: جاءوا من کلّ أوب:

أى من کلّ ناحيه .و الشوب : الخلط .و يدرّب : يعوّد بالعادات الجميله و يجرّب فى الامور :و تبوّؤوا الدار : نزلوا .و شمت السيف : أغمدته .

المعنى

و صدّر الفصل بذکر مذامّ أهل الشام تنفيرا عنهم،و وصفهم بکونهم عبيدا إمّا لأنّهم عبيد الدنيا و أهلها أو لأنّ منهم عبيدا،و اللفظ مهمل يصدق بالبعض.و المرفوعات الأربعه الاولى أخبار لمبتدأ محذوف:أى هم جفاه.و محلّ قوله:جمّعوا.

الرفع صفه لأقزام.و يحتمل أن يکون خبرا خامسا،و کذلک قوله:ممّن ينبغى.

کنايه و قوله: يولىّ عليه و يؤخذ على يديه.و قوله :ليسوا .

کنايه عن کونهم سفهاء لا يصلحون لأنّ يلوا أمرا و يفوّض إليهم بل ينبغى أن تحجر عليهم و يمنعون من التصرّف لغباوتهم و سفههم ،و ذکر کونهم ليسوا من المهاجرين و الأنصار فى معرض الذمّ لهم لکون ذلک نقصانا لهم من تلک الجهه بالنسبه إلى المهاجرين و الأنصار،و کذلک نفى کونهم من «الَّذِينَ تَبَوَّؤُا»

ص:۳۲۹

«الدّارَ» .و أراد بالدار مدينه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الّذين تبوؤوها هم الأنصار من أهلها الّذين أسلموا بها قبل هجره الرسول إليهم بسنتين و ابتنوا بها المساجد.و إليهم أشار تعالى فى كتابه العزيز و أثنى عليهم فقال «وَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدّارَ وَ الْإِيمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَيْهِمْ» إلى قوله «فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (۱)و فى نسخه الرضى-رحمه اللّه-تبوؤوا الدار فقط،و فى ساير النسخ و الإيمان، استعاره و وصف الإيمان بكونه متبوءا لهم مستعار ملاحظه لشبهه بالمنزل باعتبار أنّهم ثبتوا عليه و اطمأنّت قلوبهم به ،و يحتمل أن يكون نصب الإيمان هنا كما فى قوله:

و رأيت زوجك فى الوغا متقلّدا سيفا و رمحا

أى لازموا الإيمان كما أراد القايل و معتقلا رمحا.

و قوله :ألا و إنّ القوم.إلى قوله:تكرهون.

و القوم هم أهل الشام.و الّذى اختاروه لأنفسهم و كان أقرب القوم ممّا يحبّون هو عمرو بن العاص فإنّهم اختاروه للحكومه و عيّنوا عليه من قبلهم.و كونه أقرب القوم ممّا يحبّون لكثره خداعه و لميله إلى معاويه و عطائه.و الّذى يحبّونه ممّا هو أقرب إليه هو الانتصار على أهل العراق و صيروره الأمر إلى معاويه و الّذى اختاره أهل العراق للحكومه هو أبو موسى الأشعرى،و كان أقرب القوم ممّا يكرهون من صرف الأمر عنهم.و كونه أقرب إلى ذلك إمّا لغفلته و بلاهته أو لأنّه كان منحرفا عن علىّ عليه السّلام،و ذلك أنّه كان فى زمن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم واليا من قبله على زبيد من أعمال اليمن ثمّ ولاّه عمر البصره لمّا عزل المغيره عنها فلمّا عزله عثمان سكن بالكوفه فلمّا كره أهلها سعيد بن العاص و دفعوه عنها ولّوا أبا موسى و كتبوا إلى عثمان يسألونه أن يولّيه فأقرّه على الكوفه فلمّا قتل عثمان عزله علىّ عليه السّلام فلم يزل واجدا لذلك عليه حتّى كان منه ما كان فى الكوفه.

و قوله و إنّما عهدكم بعبد اللّه إلى آخره احتجاج عليهم فى اختيارهم لعبد اللّه ابن قيس و هو أبو موسى الأشعرى للحكومه.و صوره الاحتجاج:أنّ أبا موسى كان يقول

۱- ۱) ۹-۵۹.

لكم يا أهل الكوفه عند مسيرى إلى أهل البصره:إنّها فتنه من الفتن الّتى وعدنا بها و امرنا باعتزالها فقطّعوا أوتار قسيّكم و أغمدوا سيوفكم.فلا يخلوا إمّا أن يكون صادقا فى ذلك فقد لزمه الخطأ بمسيره معنا غير مستكره إلى فتنه امرنا بالاعتزال عنها و حضوره صفوف أهل العراق و تكثير سوادهم،و إن كان كاذبا فقد لزمته التهمه و صار فاسقا بكذبه، و على التقديرين لا ينبغى أن يعتمد عليه فى هذا الأمر الجليل.

و أقول:و ممّا يناسب هذا الاحتجاج ما روى عنه سويد بن غفله قال:كنت مع أبى- موسى على شاطىء الفرات فى خلافه عثمان فروى لى خبرا قال:سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول:إنّ بنى إسرائيل اختلفوا و لم يزل الاختلاف بينهم حتّى بعثوا حكمين ضالّين ضلّا و أضلّا من اتّبعهما و لا ينفكّ أمر امّتى تختلف حتّى يبعثوا حكمين يضلّان و يضلّان من اتّبعهما.فقلت له:احذر أبا موسى أن تكون أحدهما.قال:فخلع قميصه و قال:

أبرء إلى اللّه من ذلك كما أبرء من قميصى هذا.فنقول :لا يخلو إمّا أن يكون صادقا فى ذلك الخبر أو كاذبا فإن كان صادقا فقد أخطأ فى دخوله فى الحكومه و شهد على نفسه بالضلال و الإضلال،و إن كان كاذبا فقد لزمته التهمه فلا ينبغى أن يعتمد عليه فى هذا الأمر.

كنايه و قوله: فادفعوا فى صدر عمرو بن العاص بعبد اللّه بن عبّاس .

كنايه عن جعله مقابلا له فى الحكومه دافعا له عمّا يريد .و لمّا قدح فى أبى موسى و أشار إلى عدم صلاحيّته لهذا الأمر كان رأيه أن يبعث الحكم من قبله عبد اللّه بن عبّاس فأبى قومه عليه.و روى بعباره اخرى أنّه قال لهم لما لجّوا فى بعث أبى موسى و تعيينه حكما:إنّ معاويه لم يكن ليختار لهذا الأمر أحدا هو أوثق برأيه و نظره إلّا عمرو بن العاص و إنّه لا يصلح للقرشىّ إلّا قرشىّ و هذا عبد اللّه بن عبّاس فارموه به فإن عمروا لا يعقد عقده إلّا حلّها و لا يبرم أمرا إلّا نقضه و لا ينقض أمرا إلّا أبرمه.فقال الأشعث و من معه:لا و اللّه لا يحكم فيها مضريّان أبدا حتّى تقوم الساعه و لكن يكون رجل من مضر و رجل من اليمن.فقال عليه السّلام:إنّى أخاف أن يخدع يمانيّكم و إنّ عمرو بن العاص ليس و اللّه قرشىّ.فقال الأشعث:و اللّه

لئن یحکمان بما نکره و أحدهما من الیمن أحبّ إلینا أن یکون ما نحبّ و هما مضریّان.فقال علیه السّلام:و إن أبیتم إلاّ أبا موسی فاصنعوا ما شئتم.اللّهم إنّی أبرء إلیک من صنیعهم.

و قوله:و خذوا مهل الأیّام.

أمر لهم باغتنام مهل الأیّام عنهم و فسحتها عمّا ینبغی أن یعملوا فیها و یدبّروه فی أحوالهم علی وفق الآراء الصالحه،و کذلک أمرهم بحیاطه قواصی الإسلام و هی أطراف العراق و الحجاز و الجزیره و ما کان فی یده علیه السّلام من البلاد .ثمّ استثار طباعهم و جذبها إلی ذلک بتنبیههم علی أنّ بلادهم تغزی و صفاتهم ترمی،کنایه و کنّی بصفاتهم عن حوزتهم الّتی استقرّوا علیها من بلاد الإسلام.و أصل الصفات الحجر الأسود الأملس لا ینفذ فیها السهم بل تکسره و تدفعه فأشبهتها الحوزه فی منعتها.

فیقال:لا ترمی صفاتهم و لا یقرع صفاتهم.و یکنّی بذلک عن منعتهم و قوّتهم فلذلک کنّی عن رمی صفاتهم بالطمع فیهم و قصد العدوّ لبلادهم و رمیها بالکتائب .و باللّه التوفیق.

۲۳۹-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

یذکر فیها آل محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم

هُمْ عَیْشُ الْعِلْمِ وَ مَوْتُ الْجَهْلِ- یُخْبِرُکُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ وَ صَمْتُهُمْ عَنْ حِکَمِ مَنْطِقِهِمْ- لاَ یُخَالِفُونَ الْحَقَّ وَ لاَ یَخْتَلِفُونَ فِیهِ- وَ هُمْ دَعَائِمُ الْإِسْلاَمِ وَ وَلاَئِجُ الاِعْتِصَامِ- بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ إِلَی نِصَابِهِ وَ انْزَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ مَقَامِهِ وَ انْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ- عَقَلُوا الدِّینَ عَقْلَ وِعَایَهٍ وَ رِعَایَهٍ- لاَ عَقْلَ سَمَاعٍ وَ رِوَایَهٍ- فَإِنَّ رُوَاهَ الْعِلْمِ کَثِیرٌ وَ رُعَاتَهُ قَلِیلٌ

ص:۳۳۲

اللغه

أقول: الولایج : جمع ولیجه فعلیه بمعنی مفعوله و هی الموضع یعتصم بدخوله.

و النصاب : الأصل.

المعنی

و ذکر لهم أوصافا.

مجاز إطلاقا لاسم السبب علی المسبّب أحدها: عیش العلم :أی حیاته.و قد جعل له حیاه ملاحظه لشبهه بالحیّ فی وجوده و الانتفاع به ثمّ أطلق علیهم لفظ الحیاه مجازا إطلاقا لاسم السبب علی المسبّب .

استعاره-مجاز إطلاقا لاسم السبب علی المسبّب الثانی:و کذلک کونهم موت الجهل .جعل للجهل موتا استعاره باعتبار عدمه بهم:و أطلق علیهم لفظه مجازا أیضا کالّذی قبله .

الثالث:کونهم یخبر حلمهم عن علمهم لعلمهم بمواقع الحلم،و فی ذلک إشاره إلی تلازم فضیلتی الحلم و العلم فیهم فهم لا یحلمون إلاّ عن علم بمواقع الحلم.

الرابع:کونهم یخبر صمتهم عن حکم منطقهم إذا تکلّموا لأنّ من علم مواقع السکوت و ما ینبغی أن یسکت عنه یستلزم حکمه نفوسهم فی منطقهم إذا تکلّموا لأنّ من علم مواقع السکوت و ما ینبغی أن یسکت عنه علم مواقع المنطق و ما ینبغی أن لا یسکت عنه و لو لم یعلم ذلک لجاز أن یتکلّم بما لا ینبغی،و ذلک هو موضع السکوت فلا یکون عالما بمواضع السکوت و قد فرض کذلک.هذا خلف.

الخامس :کونهم لا یخالفون الحقّ:أی لعلمهم به و بطرقه و ذوقهم له فلا یتجاوزونه إلی رذیله الإفراط،و لا یقفون دونه فی مقام رذیله التفریط.

السادس:و کذلک لا یختلفون فیه لعلمهم بحقیقته.

استعاره السابع:کونهم دعائم الإسلام ،و استعار لهم لفظ الدعائم باعتبار حفظهم له بعلمهم و حراسته و قیامه فی الوجود بهم کما یحفظ البیت بالدعایم و یقوم بها.

الثامن:استعار لهم لفظ الولایج باعتبار کونهم مرجعا للخلق یعتصمون بعلمهم و هدایتهم و اتّباعهم من الجهل و لواحقه و عذاب اللّه فی الآخره کما یعتصم بالولیجه من دخلها .

التاسع:کونهم بهم عاد الحقّ إلی نصابه:أی بولایته علیه السّلام و خلافته عاد

الحقّ إلى أصله و انزاح الباطل عن مقامه،و هو إشاره إلى أنّ الأحكام كانت قبله فى أيّام عثمان جاريه على غير قانون شرعىّ لما نقل عنه من الأحداث و استيلاء بنى اميّه فى زمانه على بيت مال المسلمين و أكلهم له بغير حقّ كما سبق شرحه فعاد بولايته عليه السّلام كلّ حقّ إلى أهله و هو أصله و مستقرّه،و الحقّ إذا كان فى غير أهله فهو الباطل و مقامه غير أهله.و بولايته عليه السّلام انزاح الباطل عن مقامه، استعاره مرشحه و انقطع لسانه :أى اللسان الناصر للباطل و الناطق به.و استعار وصف الانقطاع له باعتبار سكوته ملاحظه لشبهه بالمنقطع فى عدم القول،و رشّح بقوله:من منبته تأكيدا لذلك الانقطاع.

العاشر :كونهم عقلوا الدين رعايه و وعايه لا عقل سماع و روايه،و ذلك أنّك علمت أن للإدراك ثلاث مراتب أدناها تصوّر الشىء بحسب اسمه،و أعلاها تصوّر الشىء بحسب حقيقته و كنهه،و أوسطها بعقله بحسب صفاته و لوازمه الخاصّه به و بها مع بعض أجزائه.فكان عقلهم للدين و علمهم به على أكمل المراتب و هو معنى الرعايه،و رعايتهم له بدراسته و تذكّره و الاحتياط عليه،و ليس علما به من جهه اسمه و سماع ألفاظه فقط.

و قوله:فإنّ رواه العلم كثير.إلى آخره.

أى ليس كلّ من روى العلم و سمعه كان عالما به و مراعيا له فإنّ ذلك أعمّ من العالم به و العامّ لا يستلزم الخاصّ،و نبّه بذلك على قلّه مثلهم فى رعايه العلم و استجماع الفضايل.و باللّه التوفيق.

۲۴۰-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

يحث أصحابه على الجهاد

وَ اللَّهُ مُسْتَأْدِيكُمْ شُكْرَهُ وَ مُوَرِّثُكُمْ أَمْرَهُ- وَ مُمْهِلُكُمْ فِی مِضْمَارٍ مَحْدُودٍ لِتَتَنَازَعُوا سَبَقَهُ- فَشُدُّوا عُقَدَ الْمَآزِرِ وَ اطْوُوا فُضُولَ الْخَوَاصِرِ- لَا تَجْتَمِعُ

ص:۳۳۴

عَزِيمَهُ وَ وَلِيمَهُ- مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ- وَ أَمْحَى الظُّلَمَ لِتَذَاكِيرِ الْهِمَمِ

اللغه

أقول: المضمار : المدّه تضمر فيها الخيل.قيل:إنّها أربعون يوما ،و قد سبق بيانه.و التنازع : التحازب فی الخصومه .و المئازر : جمع مئزر .

المعنی

و الفصل فی غايه من الفصاحه و الجزاله،و الحثّ علی الاستعداد ليوم المعاد.

و قوله: و اللّه مستأديكم شكره .

أی طالب منكم أداء شكره علی نعمه،و ذلک فی أوامر القرآن كثير كقوله تعالی «وَ اشْكُرُوا لِلّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيّاهُ تَعْبُدُونَ» ، «وَ اشْكُرُوا لِی وَ لا تَكْفُرُونِ» و مورثكم أمره:أی سلطانه فی الأرض الّذی كان فيمن سلف من أهل طاعته من الامم السابقه كقوله تعالی «وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِی الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» (۱)الآيه و قوله «وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيارَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ» (۲)الآيه.

استعاره مرشحه و قوله: و ممهلكم.إلی قوله:سبقه .

استعار لفظ المضمار لمدّه الحياه الدنيا،و وجه المشابهه أنّ الناس يستعدّون فی مدّه حياتهم بالرياضات و المجاهدات فی سبيل اللّه و تحصيل الكمالات النفسانيّه لغايه السبق إلی حضره جلال اللّه كما تضمر الخيل لغايه السبق،و أشار إلی علّه ذلک الإمهال و هی تنازع السبق إليه تعالی و أراد به ما يعرض للسالكين فی حال إعدادهم لأنفسهم بالرياضات و جدّهم و تشميرهم فی طاعه اللّه من منافسه بعضهم لبعض فی التقدّم بالفضيله و سبقه بذلک و حرص كلّ امرء منهم علی أن يكون هو الأكمل ليفوز بقصب السبق إلی حضره قدسه تعالی و المنافسه فی الفضايل.و الغبطه بها محموده لإدّائها بالغابط إلی كماله،و ذلک هو أقصی مطلوب الشارع من امّته، و يحتمل أن يريد بالسبق ما يسبق إليه من الفضيله أو الجنّه كما سبقت الإشاره

۱- ۱) ۵۴-۲۴.

۲- ۲) ۲۷-۳۳.

إلی مثل ذلک،و لفظ التنازع ترشیح لاستعاره المضمار و المسابقه لأنّ من شأن ذلک التنازع علی السبق و المجاذبه علی الفوز بالسبقه.و خلاصه المعنی أنّه تعالی أمهلکم فی الدنیا للاستعداد فیها و تجاذب السبق إلیه .

کنایه و قوله: فشدّوا عقد المئازر .

کنایه عن الأمر بالتشمیر و الاجتهاد فی طاعه اللّه و الاستعداد بها بعد أنّ بین أنّ ذلک الغایه من الإمهال فی الدنیا إذ کان من شأن من یهتمّ بالأمر و یتحرّک فیه أن یشدّ عقده مئزره کیلا یشغله عمّا هو بصدده.

و قوله: و اطووا فضول الخواصر .

کنایه عن الأمر بترک ما یفضل من متاع الدنیا علی قدر الحاجه من ألوان الطعوم و الملابس و سایر قینات الدنیا.و أصله أنّ الخواصر و البطون لها احتمال أن یتّسع لما فوق قدر الحاجه من المأکول فذلک القدر المتّسع لما فوق الحاجه هو فضول الخواصر.و کنّی بطیّها عمّا ذکرناه.إذ کان من لوازم ذلک الطیّ ترک تلک الفضول.

و قوله : لا یجتمع عزیمه و ولیمه .

أراد بالعزیمه العزیمه علی اقتناء الفضائل و اکتسابها و العزیمه هی الإراده الجازمه للأمر بعد اختیاره.و کنّی بالولیمه و هی طعام العرس و نحوه عن خفض العیش و الدعه لاستلزام الولیمه ذلک،و المعنی أنّ العزیمه علی تحصیل المطالب الشریفه و کرایم الامور ینافی الدعه و خفض العیش و لا یحصل مع الهوینا لما یستلزمه تحصیل تلک المطالب و العزم علیها من المشاقّ و إتعاب النفس و کذا البدن بالریاضات و المجاهدات المنافیه للدعه و الراحه،و یقرب منه قوله تعالی «لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتّی تُنْفِقُوا مِمّا تُحِبُّونَ» (۱)ثمّ أکدّ ذلک بقوله:ما أنقض النوم لعزائم الیوم.

و أصله أنّ الإنسان یعزم فی النهار علی المسیر باللیل لیقرب المنزل فإذا جاء اللیل نام إلی الصباح فانتقض بذلک عزمه فضربه مثلا لمن یعزم علی تحصیل الامور

۱- ۱) ۸۴-۳.

الکبار و السعی فیها ثمّ یلزم الإنـاءه و الـدعه،و مراده أنّکم مع هـذه الـدعه و حبّ الراحه من المتاعب و الجهاد لا یتمّ لکم ما تریدونه و تعزمون علیه من تحصیل السعاده فی دینا أو آخره،و کذلک قوله:و أمحی الظلم لتذاکیر الهمم.و أصله أنّ الرجل یبعثه همّته فی مطالبه علی المسیر باللیل فإذا جنّ الظلام أدرکه الکسل و غلبه حبّ النوم عن تـذکار مطالبه،و صرفه عنها.فکان الظلام سببا ما لمحو ذلک التذکار من لوح الذکر.فضربه مثلا لمن یدعوه الداعی إلی أمر و یهتمّ به ثمّ یعرض له أدنی أمر فینصرف به عنه.و هو کالّذی قبله.و باللّه التوفیق.تمّت.

هذا آخر الخطب و الأوامر و یتلوه المختار من الکتب و الرسائل «إِنْ شاءَ اللّهُ» تعالی بعونه و عصمته و توفیقه و هدایته.

باب المختار من کتب مولانا أمیر المؤمنین علیه السّلام

اشاره

إلی أعدائه و أمراء بلاده

و یدخل فی ذلک ما اختیر من عهوده إلی عماله،و وصایاه لأهله و أصحابه

۱-من کتاب له علیه السّلام

اشاره

لأهل الکوفه،عند مسیره من المدینه إلی البصره

مِنْ عَبْدِ اللّهِ؟عَلِیٍّ أَمِیرِ الْمُؤْمِنِینَ؟ إِلَی أَهْلِ؟الْکُوفَهِ؟- جَبْهَهِ الْأَنْصَارِ وَ سَنَامِ الْعَرَبِ- أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّی أُخْبِرُکُمْ عَنْ أَمْرِ؟عُثْمَانَ؟- حَتَّی یَکُونَ سَمْعُهُ کَعِیَانِهِ- إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَیْهِ- فَکُنْتُ رَجُلاً مِنَ الْمُهَاجِرِینَ أُکْثِرُ اسْتِعْتَابَهُ- وَ أُقِلُّ عِتَابَهُ- وَ کَانَ

؟طَلْحَهُ؟ وَ؟الزُّبَيْرُ؟ أَهْوَنُ سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ- وَ أَرْفَقُ حِدَائِهِمَا الْعَنِيفُ- وَ كَانَ مِنْ ؟عَائِشَهَ؟ فِيهِ فَلْتَهُ غَضَبٍ- فَأُتِيحَ لَهُ قَوْمٌ فَقَتَلُوهُ- وَ بَايَعَنِی النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ- وَ لاَ مُجْبَرِينَ بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ- وَ اعْلَمُوا أَنَّ دَارَ الْهِجْرَهِ قَدْ قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا وَ قَلَعُوا بِهَا- وَ جَاشَتْ جَيْشَ الْمِرْجَلِ- وَ قَامَتِ الْفِتْنَهُ عَلَى الْقُطْبِ- فَأَسْرِعُوا إِلَى أَمِيرِكُمْ- وَ بَادِرُوا جِهَادَ عَدُوِّكُمْ «إِنْ شاءَ اللّهُ»

المعنى

أقول:كتب هذا الكتاب حين نزل بماء العذب متوجّها إلى البصره و بعثه مع الحسن عليه السّلام و عمّار بن ياسر-رحمه اللّه عليه- .و عيانه : رؤيته .و الوجيف:

ضرب من السير فيه سرعه و اضطراب .و العنف : ضدّ الرفق ،و الفلته: البغته من غير تروّ .و اتيح : قدّر .و قلع المنزل بأهله : إذا نبا بهم فلم يصلح لاستيطانهم ،و قلعوا به : إذا لم يستقرّوا فيه و لم يثبتوا .و جاشت القدر : غلت .و المرجل: القدر من نحاس .

و أعلم أنّه صدّر الفصل بمدحهم جذبا لهم إلى ما يريد هم له من نصرته على أهل البصره، استعاره و استعار لهم لفظ الجبهه باعتبار أنّهم بالنسبه إلى الأنصار كالجبهه بالنسبه إلى الوجه فی العزّه و الشرف و العلوّ،و كذلك استعار لفظ السنام باعتبار علوّهم و شرفهم فی العرب بالإسلام و القوّه فی الدين كشرف السنام و علوّه فی الجمل .و قال قطب الدين الراوندیّ:المراد بجبهه الأنصار جماعتهم،و سنام العرب نجدهم و من ارتفع منهم حقيقه فی الموضعين.و المعنى قريب ممّا قلناه إلاّ أنّ اللفظين ليسا حقيقه لأنّ من علامات الحقيقه السبق إلى الفهم و لا واحد من المعنيين

ص:۳۳۸

المذكورين يسبق من هذين اللفظين إلى الفهم.ثمّ ثنىّ بذكر الشبهه الّتى جعلها أصحاب الجمل و أهل الشام و من أراد الفساد فى الأرض حجّه له حتّى كانت مبدءا لكلّ فتنه نشأت فى الإسلام و هى شبهه قتل عثمان مع الجواب عنها،و هو قوله :

أمّا بعد.إلى قوله:عيانه.و أمر عثمان شأنه و حاله الّتى جرت له.

كنايه و قوله: حتّى يكون سمعه كعيانه .

كنايه عن تمام إيضاح ذلك الأمر لمن لم يشهده من أهل الكوفه .

و قوله:إنّ الناس طعنوا عليه.

إشاره إلى مبدء قتله و هو طعن الناس عليه بالأحداث الّتى نقموها منه.يقال:

طعن فيه بالقول و طعن عليه إذا ذكر له عيبا.و قد ذكرنا تلك المطاعن،و هذا القول كالمقدّمه للجواب عن نسبته إلى قتله،و كذلك قوله:فكنت رجلا-إلى قوله:عتابه.كصغرى قياس ضمير من الشكل الأوّل مبيّن فيه أنّه أبرء الناس من دم عثمان.و معنى قوله:اكثر استعتابه:أى اكثر طلب العتبى منه و الرجوع إلى ما يرضى به القوم منه،و اقلّ عتابه:أى ذكر ما أجده منه.قال الخليل:العتاب مخاطبه الإدلال و مذاكره الموجده.إنّما كان يقلّ عتابه لأنّه عليه السّلام كان يخاطبه فيما هو أهمّ من ذلك و هو إرضاؤه للقوم و استعتابه لهم ليدفعوا عنه و يطفئوا نار الفتنه، أو لأنّ حوله جماعه كمروان و غيره فكان عليه السّلام إذا عاتبه وصفا ما بينهما كدّرته تلك الجماعه.و قيل:أراد أنّى كنت اكثر طلب رضاه و اقلّ لائمته.و تقدير كبرى القياس:و كلّ من كان من المهاجرين بالصفه المذكوره معه فهو أبرء الناس من دمه و أقواهم عذرا فى البعد عن قتله.

و قوله:و كان طلحه و الزبير.إلى قوله:غضب.

كصغرى قياس ضمير أيضا من الاولى ألزم فيه القوم السائرين إلى حربه و هم طلحه و الزبير و عايشه غير ما نسبوه إليه من الدخول فى دم عثمان، كنايه و كنّى بقوله: أهون سيرهما فيه الوجيف.إلى قوله:العنيف .عن قوّه سعيهما فى قتله و شدّه تلبّسهما بذلك و قد ذكرنا طرفا من حال طلحه معه و جمعه للناس فى داره و

منعه من ذویه،و روی أنّ عثمان قال و هو محصور:و یلی علی ابن الحضرمیّه یعنی طلحه أعطیته کذا و کذا نهارا ذهبا و هو یروم دمی و یحرّض علیّ اللهمّ لا تمتّعه به و لقّه عواقب بغیه.و روی:أنّه لمّا امتنع علی الّذین حصروه الدخول من باب الدار حملهم طلحه إلی دار بعض الأنصار و أصعدهم إلی سطحها و تسوّروا منها علیه.و روی:أنّ مروان قال یوم الجمل:و اللّه لا أترک ثاری من طلحه و أنا أراه و لأقتلنّه بعثمان.ثمّ رماه بسهم فقتله.و أمّا الزبیر فروی أنّه کان یقول:

اقتلوه فقد بدّل دینکم فقالوا له:ابنک تحامی عنه بالباب.فقال:و اللّه ما أکره أن یقتل عثمان و لو بدی بابنی.و حالهما فی التحریض مشهور ،و أمّا عایشه فروی أنّها کانت تقول:اقتلوا نعثلا قتل اللّه نعثلا،و أمّا الغضب الّذی وقع منها فلته فی حقّه فالسبب الظاهر فیه هو اختصاصه بمال المسلمین قرابته و بنی أبیه و هو السبب العامّ فی قیام الناس علیه و نفرتهم منه،و سائر الأحداث مقوّیات لذلک،و روی أنّه صعد المنبر یوما و قد غصّ المسجد بأهله فمدّت یدها من وراء ستر فیها نعلان و قمیص،و قالت:هذان نعلا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و قمیصه بعد لم تبل،و قد بدّلت دینه و غیّرت سنّته،و أغلظت له فی القول فأغلظ لها.و کان ذلک القول منها من أشدّ ما حرّض الناس علی قتله.و بالجمله فحال هؤلاء الثلاثه فی التحریض علی قتله کان أشهر من أن یحتاج إلی ذکر،و تقدیر کبری القیاس:و کلّ من کان کذلک کان أولی بالدخول فی دمه و أنسب إلی التحریض علیه.

و قوله.فاتیح له قوم فقتلوه.

یفهم منه نسبته لاجتماع الناس علی قتله إلی التقدیر الإلهی لینصرف أذهان السامعین بهذه النسبه الصادقه عن نسبه ذلک إلیه علیه السّلام.و أفاد القطب الراوندی أنّه علیه السّلام إنّما بنی الفعل للمفعول و لم یقل:أتاح اللّه له أو أتاح الشیطان.

لیرضی بذلک الفریقان.

و قوله.و بایعنی.إلی قوله:مخیّرین.

صغری قیاس ضمیر بیّن فیه خروج أصحاب الجمل عن طاعه اللّه و دخولهم فی

رذیله الغدر و نکث العهد المستلزم لدخولهم فی عموم قوله تعالی «وَ الَّذِینَ یَنْقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِنْ بَعْدِ مِیثاقِهِ وَ یَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَنْ یُوصَلَ وَ یُفْسِدُونَ فِی الْأَرْضِ» (۱)الآیه،و قوله «فَمَنْ نَکَثَ فَإِنَّما یَنْکُثُ عَلی نَفْسِهِ» (۲)الآیه.و تقدیر الکبری:

و کلّ من بایعه الناس طائعین مخیّرین فلا یجوز لهم أن ینکثوا بیعته و یحاربوه للآیتین المذکورتین.و فی نسخه الرضی-رحمه اللّه-مستکرهین بکسر الراء بمعنی کارهین یقال استکرهت الشیء أی کرهته.

و قوله :و اعلموا.إلی قوله:المرجل.

إعلام لأهل الکوفه باضطراب حال المدینه و أهلها حین علموا بمسیر القوم إلی البصره للفتنه و غرض ذلک الإعلام أن یهتمّوا همّه إخوانهم المؤمنین.و قیل:

یحتمل أن یرید بدار الهجره دار الإسلام و بلادها، کنایه و کنّی بقلعها بأهلها و قلعهم بها عن اضطراب امورهم بها و عدم استقرار قلوبهم من ثوران هذه الفتنه ، استعاره و استعار لفظ الجیش ملاحظه لشبهها بالقدر فی حال غلیانها فإنّ اضطراب الناس و حرکاتهم من هذه الفتنه یشبه ذلک،و کذلک نبّههم بذکر الفتنه و الحرب و قیامهما علی القطب لیستعدّوا لها و ینفروا إلیها.و لذلک أردفه بالأمر بسرعه المسیر إلی أمیرهم یعنی نفسه و أن یبادروا جهاد عدوّهم،و ذکر لفظ القطب و قیامها علیه تنبیها به علی المقصود.و علمت أنّ وجه استعاره الرحی للحرب هو مشابهتها فی دورانها علی من تدور علیه کما یشتمل دوران الرحی علی الحبّ و تطحنه .و باللّه التوفیق.

۲-و من کتاب له علیه السّلام

اشاره

إلیهم،بعد فتح البصره

وَ جَزَاکُمُ اللّهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ عَنْ أَهْلِ بَیْتِ نَبِیِّکُمْ- أَحْسَنَ مَا یَجْزِی الْعَامِلِینَ بِطَاعَتِهِ- وَ الشَّاکِرِینَ لِنِعْمَتِهِ- فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَ أَطَعْتُمْ وَ دُعِیتُمْ فَأَجَبْتُمْ

ص:۳۴۱

۱- ۱) ۲-۲۵.

۲- ۲) ۱۰-۴۸.

المعنی

أقول،یشبه أن یکون الخطاب لأهل الکوفه.و-من-هنا لبیان الجنس من الضمیر المنصوب فی جزاکم.و قد دعا اللّه لهم أن یجزیهم بنصره أهل بیت نبیّه أحسن الجزاء،و شکرهم لنعمته من جهه علمهم بطاعته.

و قوله:فقد سمعتم.

أی أمر اللّه،و أطعتموه.و دعیتم إلی نصره دینه فأجبتم داعیه.و إنّما حذف المفعولات هنا لأنّ الغرض ذکر الأفعال دون نسبتها إلی مفعولاتها،أو للعلم بها.

۳-و من کتاب له علیه السّلام

اشاره

کتبه لشریح بن الحارث قاضیه

روی أن شریح بن الحارث قاضی أمیر المؤمنین علیه السلام اشتری علی عهده دارا بثمانین دینارا فبلغه ذلک،فاستدعاه و قال له:بلغنی انک ابتعت دارا بثمانین دینارا و کتبت کتابا و أشهدت[فیه]شهودا،فقال شریح:قد کان ذلک یا أمیر المؤمنین،قال:فنظر إلیه نظر مغضب ثم قال له:

یَا؟شُرَیْحُ؟ أَمَا إِنَّهُ سَیَأْتِیکَ مَنْ لاَ یَنْظُرُ فِی کِتَابِکَ- وَ لاَ یَسْأَلُکَ عَنْ بَیِّنَتِکَ- حَتَّی یُخْرِجَکَ مِنْهَا شَاخِصاً وَ یُسْلِمَکَ إِلَی قَبْرِکَ خَالِصاً- فَانْظُرْ یَا؟شُرَیْحُ؟ لاَ تَکُونُ ابْتَعْتَ هَذِهِ الدَّارَ مِنْ غَیْرِ مَالِکَ- أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَیْرِ حَلاَلِکَ- فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْیَا وَ دَارَ الْآخِرَهِ-.أَمَا إِنَّکَ لَوْ کُنْتَ أَتَیْتَنِی عِنْدَ شِرَائِکَ مَا اشْتَرَیْتَ- لَکَتَبْتُ لَکَ کِتَاباً عَلَی هَذِهِ النُّسْخَهِ- فَلَمْ تَرْغَبْ فِی شِرَاءِ

هَذِهِ الدَّارِ بِدِرْهَم فَمَا فَوْقُ- وَ النُّسْخَهُ هَذِهِ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ» هَذَا مَا اشْتَرَى عَبْدٌ ذَلِيلٌ مِنْ مَيِّتٍ قَدْ أَزْعِجَ لِلرَّحِيلِ- اشْتَرَى مِنْهُ دَاراً مِنْ دَارِ الْغُرُورِ- مِنْ جَانِبِ الْفَانِينَ وَ خِطَّهِ الْهَالِكِينَ- وَ تَجْمَعُ هَذِهِ الدَّارَ حُدُودٌ أَرْبَعَهٌ- الْحَدُّ الْأَوَّلُ يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْآفَاتِ- وَ الْحَدُّ الثَّانِي يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْمُصِيبَاتِ- وَ الْحَدُّ الثَّالِثُ يَنْتَهِي إِلَى الْهَوَى الْمُرْدِي- وَ الْحَدُّ الرَّابِعُ يَنْتَهِي إِلَى الشَّيْطَانِ الْمُغْوِي- وَ فِيهِ يُشْرَعُ بَابُ هَذِهِ الدَّارِ- اشْتَرَى هَذَا الْمُغْتَرُّ بِالْأَمَلِ مِنْ هَذَا الْمُزْعَجِ بِالْأَجَلِ- هَذِهِ الدَّارَ بِالْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ الْقَنَاعَهِ- وَ الدُّخُولِ فِي ذُلِّ الطَّلَبِ وَ الضَّرَاعَهِ- فَمَا أَدْرَكَ هَذَا الْمُشْتَرِي فِيمَا اشْتَرَى مِنْهُ مِنْ دَرَكٍ- فَعَلَى مُبَلْبِلِ أَجْسَامِ الْمُلُوكِ وَ سَالِبِ نُفُوسِ الْجَبَابِرَهِ- وَ مُزِيلِ مُلْكِ الْفَرَاعِنَهِ- مِثْلِ؟كِسْرَى؟ وَ؟قَيْصَرَ؟ وَ؟تُبَّعٍ؟ وَ؟حِمْيَرَ؟- وَ مَنْ جَمَعَ الْمَالَ عَلَى الْمَالِ فَأَكْثَرَ- وَ مَنْ بَنَى وَ شَيَّدَ وَ زَخْرَفَ وَ نَجَّدَ- وَ ادَّخَرَ وَ اعْتَقَدَ وَ نَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ- إِشْخَاصُهُمْ جَمِيعاً إِلَى مَوْقِفِ الْعَرْضِ وَ الْحِسَابِ- وَ مَوْضِعِ الثَّوَابِ وَ الْعِقَابِ- إِذَا وَقَعَ الْأَمْرُ بِفَصْلِ الْقَضَاءِ «وَ خَسِرَ هُنالِكَ الْمُبْطِلُونَ» - شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ الْعَقْلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ الْهَوَى- وَ سَلِمَ مِنْ عَلَائِقِ الدُّنْيَا

ص:۳۴۳

أقول:هو شريح بن الحرث الكندىّ استقضاه عمر على الكوفه و لم يزل بها بعد ذلك قاضيا خمسا و سبعين سنه لم يتعطّل فيها إلّا سنتين،و قيل:أربع سنين استعفى الحجّاج فيها من القضاء فى فتنه ابن الزبير فأعفاه.

اللغه

و البيّنه : الحجّه .و شخص من البلده : رحل عنها .و الخطّه بالكسر : الأرض يخطّها الرجل و يعلمها بخطّه ليبنى بها دارا.و منه خطط الكوفه و البصره :و المردى : المهلك .و الضراعه : مصدر قولك:ضرع ضراعه أى ذلّ و خضع .و الدرك : التبعه .و أصل البلبله . الاضطراب و الاختلاط و إفساد الشىء بحيث يخرج عن حدّ الانتفاع .و كسرى : لقب ملك الفرس كاسم الجنس لكلّ ملك منهم.و كذلك قيصر:لملك الروم .و تبّع : ملوك اليمن .و حمير : أبو قبيله من اليمن و هو حمير بن سبا بن يشحب بن يعرب بن قحطان .و شيّد : رفع البناء .و زخرف : زيّن البناء بالزخرف .و نجّد : زيّن أرضه، و التنجيد:التزيين بالفرش و البسط و نحوها .و اعتقد المال و الضيعه : أنشاها .

المعنى

اشاره

و غرض الفصل التنفير عن متاع الدنيا و عن الركون إلى فضولها.و بدء قبل توبيخه باستثبات الأمر منه بقوله: بلغنى .إلى قوله: شهودا .و-كان-فى قول شريح:

قد كان.تامّه .

ثمّ أخذ فى تنفيره عن محبّه هذه الدار و اقتنائها بتذكيره الموت و وعده بإتيانه و أنّه يخرجه منها و يشخصه فيسلّمه إلى قبره خالصا مجرّدا من تلك الدار و عن كلّ قينه اقتناها من الدنيا .ثمّ خوّفه من دخيله ثمنها و أن يكون فيه شائبه حرام و ارتشاء على الأحكام بما يستلزمه ذلك من خسران الدنيا بالموت و خسران الآخره و نعيمها باعتبار ما لزمه من الآثام بأكل الحرام.و ابتعته و اشتريته بمعنى، و روى أما مخفّفه.

فإن قلت:فكيف قال:فما فوقه؟و معلوم أنّه إذا لم يرغب فيها بدرهم فبالأولى أن لا يرغب فيها بما فوقه.

قلت:لمّا كان الدرهم هنا أقلّ ما يحسن التملّك به فى القلّه و كان الغرض أنّك لو أتيتنى عند شرائك هذه الدار لما شريتها بشىء أصلا لم يحسن أن يذكر

ص:۳۴۴

وراء الدرهم ما فوقه.و نحوه قول المتنبّى:

و من جسدى لم يترك السقم شعره فما فوقها إلاّ و فيها له فعل

و كان قياسه أن يقول:فما دونها.

و اعلم أنّ فى النسخه نكتا :

إحداها:

خصّ المشترى بصفه العبوديّه و الذلّه كسرا لما عساه يعرض لنفسه من العجب و الفخر بشراء هذه الدار.

الثانيه:

أطلق لفظ الميّت على من سيموت يعنى البايع مجازا إطلاقا لما بالفعل على ما بالقوّه،و تنزيلا للمقتضى منزله الواقع لغرض التحذير من الموت استعاره مرشحه و إزعاجه للرحيل إلى الآخره إمّا ترشيح الاستعاره أو إشاره إلى إيقاظ و تنبيه بالأعراض و الأمراض و كلّ مذكّر له من العبر .و فى بعض النسخ من عبد قد ازعج.

الثالثه:

كنايه كنّى بدار الغرور عن الدنيا باعتبار غرور الخلق بها و غفلتهم بما فيها عمّا وراها.

و قوله:من جانب الفانين.

أخصّ من دار الغرور،و كذلك خطّه الهالكين أخصّ من جانب الفانين على ما جرت العاده به فى كتب البيع من الابتداء بالأعمّ و الانتهاء فى تخصيص المبيع إلى امور تعيّنه و إن لم يكن هنا غرض فى ذكر التخصيص فى ذكر الفانين و الهالكين إلاّ التذكير بحالهم،و أنّ هذه الدار من جانب كانوا يسكنونه و خطّه كانت لهم .

الرابعه:

كنايه أشار إلى حدودها الأربعه و جعلها كنايات عمّا يلزمها من الامور المنفّره عنها و ينتهى إليه منها.فجعل الحدّ الأوّل ينتهى إلى دواعى الآفات و أشار بها إلى أنّ تلك الدار لمّا كانت يلزمها كمالات لا بدّ منها و علاقات كالمرأه و الخادم و الدابّه و ما يلزم اولئك و يكون بسببهم من الأولاد و الأتباع و القينات و ساير فضول الدنيا الّتى يعدّ بعضها للحاجه إلى بعض حتّى يكون أغنى الناس فيها أكثرهم حاجه و فقرا و كان كلّ واحد من هذه الامور فى معرض الآفات كالأمراض و

الموت كانت تلك الامور هى دواعى الآفات الّتى تقود إليها و تستلزمها،و هى ممّا ينتهى إليه الدار و تستلزمه.و إنّما جعله حدّا أوّل لأنّها أوّل اللوازم الّتى تحتاج إليها الدار و تعود إليها.

و الحدّ الثانى:ما ينتهى إليه و يلزمها من دواعى المصيبات.و أشار بها إلى الامور الأولى الّتى تحتاج الدار إليها و تستلزمها لكن باعتبار كونها مستلزمه بما يعرض لها من الآفات لما يلحق بسبب ذلك من المصيبات فإنّ كلّ واحد منها لمّا كان فى معرض الآفه كان المقتنى له فى معرض نزول المصيبات به و كان داعيا له و قائدا إليها،و لاستلزام دواعى الآفات لدواعى المصيبات أردفها بها و جعلها حدّا ثانيا،و يحتمل أن يكون تسميتها فى الموضعين دواعى باعتبار أنّ شهواتها تدعو إلى فعلها و إيجادها و ذلك الإيجاد يلزمه الآفات و المصيبات.

و الحدّ الثالث:ما ينتهى إليه و يلزمها الهوى المردى و اتّباعه.إذ كان اقتناء الدار فى الدنيا مستلزما لمحبّتها و محبّه كمالاتها و متابعه الميول الشهويّه بغير هدى من اللّه و هو المراد بالهوى،و ظاهر كونه مرديا فى حضيض جهنّم و مهلكا فيها.و جعل الهوى هو الحدّ الثالث لكون تلك الدار و كمالاتها و ما تدعو إليه كلّها امورا مستلزمه للهوى و الميول الطبيعيّه المهلكه الّتى لا تزال يتأكّد بعضها بالبعض و يدعو بعضها إلى البعض.

و الحدّ الرابع:ما ينتهى به إلى الشيطان المغوى.و إنّما جعله هو الحدّ الأخير لأنّه الحدّ الأبعد الّذى ينتهى إليه تلك الحدود و الدواعى،و هو بعد الحدّ الثالث.إذ كان الشيطان من جهه الغوايه مبدءا لميل النفس إلى الدنيا و لبعثها على متابعه هواها و إغواوه يعود إلى إلقائه إلى النفس أنّ الأصلح لها كذا ممّا هو جاذب عن سبيل اللّه،و أشار بقوله:و منه شروع باب هذه الدار.إلى كونه مبدءا بإغوائه الدواعى الباعثه له المستلزمه للدخول فى شرائها و اقتنائها و اقتناء ما يستلزمه و يدعو إليه و الدخول فى متاع الدنيا و باطلها.فالشيطان كالحدّ و ما صدر عنه و أنفتح بسببه من الدخول فى أمر الدار و شرائها كالباب.فانظر إلى ما اشتمل عليه

هذا الترتيب فی کلامه علیه السّلام من الحکمه الّتی بها یتمیّز عن کلام من سواه و هو فی غایه التنفیر عن الدنیا و سدّ أبواب طلبها و الجذب إلی اللّه تعالی و الإرشاد إلی لزوم الزهد الحقیقیّ .

الخامسه:

وصف المشتری بالمغترّ بالأمل باعتبار أنّ نظره إلی أمله فی الدنیا هو الّذی استلزم غفلته عن الآخره و ما خلق لأجله و کان ذلک الاغترار سببا لشرائه لتلک الدار.و جعل الثمن هو الخروج عن عزّ القناعه و الدخول فی ذلّ الطلب و الضراعه باعتبار استلزام شرائه لذلک کما یستلزمه الثمن،و وجه استلزامه لما ذکر أنّ تلک الدار کانت بالنسبه إلی حال شریح فضله زائده علی قدر الحاجه.و کلّ فضل اقتناه الإنسان زیاده علی قدر ضرورته فقد خرج به عن حدّ القناعه إذ القناعه هی الرضا و الاقتصار علی مقدار الحاجه من المال و ما یحتاج إلیه،و علمت أنّ القناعه مستلزمه لقلّه الاحتیاج إلی الخلق و الغنی عنهم و بحسب الغنی و أقلیّه الحاجه یکون عزّ القناعه و الخارج عن القناعه خارج عن عزّها و داخل فی ذلّ الطلب و الضراعه للخلق لأنّه باعتبار ما هو خارج عن القناعه یکون کثیر الحاجه إلی الخلق و باعتبار ذلک یکون داخلا فی الذلّ و الضراعه إلیهم.و غایه ذلک التنفیر عن اقتناء فضول الدنیا بما یستلزمه من ذلّ الحاجه إلی الخلق.

السادسه:

علّق الدرک و التبعه اللازمه فی هذا البیع بملک الموت قطعا لأمل الدرک و تذکیرا بالموت لغایه الأمل له و الاقتصار علی قدر الحاجه من متاع الدنیا ، کنایه و کنّی عنه بمبلبل أجسام الملوک و سالب نفوس الجبابره و مزیل ملک الفراعنه لسلبه لنفوسهم ،و فی تخصیص مثل هؤلاء الملوک بأخذ الموت لهم فی معرض تعلیق الدرک به تنبیه لهذا المشتری علی وجوب تقصیر الأمل بمثل هذه الدار و نحوه من الآمال المتعلّقه بالمطالب المنقطعه بالموت فإنّه إذا کان قد قطع آمال مثل هؤلاء و لم یدرکوا معه تبعه فبالأولی أنت أیّها القاضی.

السابعه:

قوله: و نظر بزعمه للولد :أی نظر فی جمع المال لولده و رآه مصلحه له بظنّه و زعمه.و الباء للسببیّه.إذ کان ظنّ وجود الرأی الأصلح سببا له .

ص:۳۴۷

الثامنه:

ذكر إشخاصهم و منتهاه و هو موقف العرض و الحساب و موضع الثواب و العقاب ترهيبا من تلك الامور و المقامات و ترغيبا فى العمل للآخره و الأمن من شرورها.

التاسعه:

قوله: إذا وقع الأمر بفصل القضاء :أى إذا وقع أمر اللّه فى محفل القيامه بفصل القضاء و قطع الحكم بين أهل الحقّ و الباطل منهم و ربح المحقور «وَ خَسِرَ هُنالِكَ الْمُبْطِلُونَ» .و هذا الختام مقتبس من القرآن الكريم .

العاشره:

قوله: فى الشهاده على ذلك العقل .إلى آخره.فى غايه الشرف، و ذلك أنّ الشاهد بما ذكره فى هذا الكتاب من أوصاف المتبايعين و حدود المبيع و من يلحقه دركه و غير ذلك ممّا عدّده ليس إلّا صرف العقل المبرّء عن خطر الوسواس،المطلق من أسر الهوى،السالم من محبّه الدنيا و ما يتعلّق به منها.إذ كان بتجرّده من هذه العلايق صافيا من كدر الباطل فيرى الحقّ كما هو أهله و يحكم به فأمّا إذا كان أسيرا فى يد الهوى مقهورا تحت سلطان النفس الأمّاره لم يكن نظره إلى الحقّ بعين صحيحه بل بعين غشت ظلمات الباطل أنوارها فلذلك لم يشهد بمحض الحقّ إذ لم يره من حيث هو حقّ خالص بل شهد بالباطل فى صوره الحقّ كشهادته بالمصلحه فى اقتناء الدنيا نظرا لعاقبه الولد أو خوف الفقر و نحوه ممّا يباح لأجله الطلب فى ظاهر الشرع و لو إلى الحقّ بعين الصدق لعلم أنّ الجمع للولد ليس تكليفا له لأنّ رازق الولد هو خالقه،و أنّ الجمع لخوف الفقر تعجيل فقر و اشتغال عن الواجب عليه بغيره.و باللّه التوفيق.

۴-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى بعض أمراء جيشه

:فَإِنْ عَادُوا إِلَى ظِلِّ الطَّاعَهِ فَذَاكَ الَّذِى نُحِبُّ- وَ إِنْ تَوَافَتِ الْأُمُورُ بِالْقَوْمِ

إِلَى الشِّقَاقِ وَ الْعِصْيَانِ- فَانْهَدْ بِمَنْ أَطَاعَکَ إِلَى مَنْ عَصَاکَ- وَ اسْتَغْنِ بِمَنِ انْقَادَ مَعَکَ عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنْکَ- فَإِنَّ الْمُتَکَارِهَ مَغِيبُهُ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ- وَ قُعُودُهُ أَغْنَى مِنْ نُهُوضِهِ أقول:روى أنّ الأمير الّذى كتب إليه هو عثمان بن حنيف عامله على البصره،و ذلك حين انتهت أصحاب الجمل إليها و عزموا على الحرب فكتب عثمان إليه يخبره بحالهم فكتب عليه السّلام إليه كتابا فيه الفصل المذكور.

اللغه

و قوله: انهد : أى انهض .و التقاعس : التأخّر و القعود .

المعنى

استعاره و استعار لفظ الظلّ لما يستلزمه الطاعه من السلامه و الراحه عن حراره الحرب و متاعبها الّتى هى ثمرات الشقاق كما يستلزم الظلّ الراحه من حرّ الشمس .

و قوله: و إن توافت الامور بالقوم[بهم الامور خ].

أى تتابعت بهم المقادير و أسباب الشقاق و العصيان إليهما.

و اعلم أنّه لمّا كان مقصوده عليه السّلام ليس إلّا اجتماع الخلق على طاعته ليسلك بهم سبل الحقّ كما هو مقصود الشارع صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نبّه على ذلك بقوله: فإن عادوا .

إلى قوله: نحبّ .

و قوله: فذاك .يعود إلى المصدر الّذى دلّ عليه عادوا،و يفهم قوله:فذاك الّذى نحبّ.حصر محبوبه فى عودهم:أى لا نحبّ إلّا ذلك،و لذلك أمره بمحاربه العصاه و الاستعانه بمن أطاعه عليهم على تقدير مشاقّتهم و عصيانهم ،و علّل تعيين النهوض بالمطيعين دون المتكارهين،و بالمنقادين دون المتقاعسين بأنّ المتكاره فى ذلك مغيبه خير من مشهده و قعوده أغنى من نهوضه و ذلك لما يقع بسبب المتكاره من تخاذل الناس عند رؤيته كذلك و اقتدائهم بحاله حتّى ربّما لا يكتفى بعدم منفعته بل بذكر المفاسد فى الحرب و ما يستلزمه من هلاك المسلمين،و كون ذلك منه و نحوه كما

وقف بسببه كثير من الصحابه و التابعين عن وقايع الجمل و صفّين و النهروان فيكون فى حضوره عدم المنفعه و مفسده هى تخاذل الناس بسببه بخلاف مغيبه.إذ ليس فيه إلّا عدم الانتفاع به،و روى:خير من شهوده.و كلاهما مصدر.و باللّه التوفيق.

۵-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى الأشعث بن قيس،و هو عامل أذربيجان

وَ إِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ وَ لَكِنَّهُ فِى عُنُقِكَ أَمَانَةٌ- وَ أَنْتَ مُسْتَرْعًى لِمَنْ فَوْقَكَ- لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَاتَ فِى رَعِيَّةٍ- وَ لاَ تُخَاطِرَ إِلاَّ بِوَثِيقَةٍ- وَ فِى يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ أَنْتَ مِنْ خُزَّانِهِ حَتَّى تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ- وَ لَعَلِّى أَلاَّ أَكُونَ شَرَّ وُلاَتِكَ لَكَ وَ السَّلاَمُ أقول:و روى عن الشعبىّ:أنّ عليّا عليه السّلام لمّا قدم الكوفه و كان الأشعث بن قيس على ثغر آذربيجان من قبل عثمان بن عفّان فكتب إليه بالتبعه و طالبه بمال آذربيجان مع زياد بن مرحب الهمدانىّ.و صوره الكتاب:

«بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ» من عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين إلى الأشعث بن قيس.

أمّا بعد فلو لا هنات كنّ منك كنت المقدّم فى هذا الأمر قبل الناس و لعلّ آخر أمرك يحمد أوّله و بعضه بعضا إن أتّقيت اللّه.إنّه قد كان من بيعه الناس إيّاى ما قد بلغك و كان طلحه و الزبير أوّل من بايعنى ثمّ نقضا بيعتى عن غير حدث و أخرجا عايشه فساروا بها إلى البصره فصرت إليهم فى المهاجرين و الأنصار فالتقينا فدعوتهم إلى أن يرجعوا إلى ما خرجوا منه فأبوا فأبلغت فى الدعاء و أحسنت فى البقيّه و.

اعلم أنّ عملك.إلى آخر الفصل.و كتب عبد اللّه بن أبى رافع فى شعبان سنه ستّ و ثلاثين.

اللغه

و المسترعى : من جعله راعيا .و الطعمه : المأكله .و الرعيّه : المرعيّه-فعيله بمعنى مفعوله- .و أفتأت تفتّأت-بالهمزه- : إذا استبدّ بالأمر .و المخاطره التقدّم فى الامور العظام و الإشراف فيها على الهلاك .و الوثيقه . ما يوثق به فى الدين .

المعنى

و قوله: و إنّ عملك .إلى قوله: بوثيقه .

إشاره إلى قياس ضمير من الشكل الأوّل بيّن فيه أنّه ليس له أن يستبدّ فى رعيّته بأمر من الامور دون من استرعاه و لا أن يخاطر فى شىء من امور ولايته من مال و غيره إلاّ بوثيقه ممّن ائتمنه على البلاد و استرعاه للعباد.و دلّ على الصغرى بقوله:و إنّ عملك.إلى قوله:لمن فوقك،و تقدير الكبرى:و كلّ من كان كذلك فليس له أن يستبدّ بأمر دون من ائتمنه و استرعاه و لا يخاطر إلاّ بوثيقه تخلصه و يثق بها .ثمّ بيّن له بعض ما لا يجوز له الاستبداد به و المخاطره فيه و هو مال تلك البلاد،و نبّه على وجوب حفظه بأمرين:

أحدهما:أنّه مال اللّه الّذى أفائه على عباده المؤمنين.

و الثانى:أنّه من خزّانه عليه إلى غايه أن يحمله إليه.و من شأن الخازن الحفظ و عدم التصرّف فيما يخزنه إلاّ بإذن و أمر وثيق يلقى به ربّه.و قد كان الأشعث متخوّفا من علىّ عليه السّلام حين ولى الأمر،و جازما بأنّه لا يبقى العمل فى يده لهنات سبقت منه فى الدين و فى حقّه عليه السّلام قد أشرنا إلى بعضها فيما سبق فى قوله:

و ما يدريك ما علىّ ممّا لى.ثمّ أراد عليه السّلام تسكينه فقال.و لعلّى لا أكون شرّ ولاتك لك:أى شرّ من ولى عليك.و أتى بلفظ الترجّى ليقيمه بين طورى الخوف و الرجاء،و إنّما يكون شرّ ولاته عليه لو خالف الدين و الأشعث يعلم ذلك منه فكان ذلك جاذبا له إلى لزوم الدين،و روى أنّه لمّا أتاه كتاب علىّ عليه السّلام دعا بثقاته و قال لهم:إنّ علىّ بن أبى طالب قد أوحشنى و هو آخذى بمال آذربيجان على كلّ حال و أنا لا حق بمعاويه.فقال له أصحابه:الموت خير لك من ذلك تدع

مصرک و جماعه قومک و تکون ذنبا لأهل الشام.فاستحیا من ذلک.و بلغ قوله أهل الکوفه فکتب إلیه علیه السّلام کتابا یوبّخه فیه و یأمره بالقدوم علیه.و بعث به حجر بن عدیّ الکندیّ فلامه حجر علی ذلک و ناشده اللّه و قال له:أتدع قومک و أهل مصرک و أمیر المؤمنین و یلحق بأهل الشام؟و لم یزل به حتّی أقدمه إلی الکوفه فعرض علی علیّ علیه السّلام أثقله فوجد فیها مائه ألف درهم و روی أربع مائه ألف فأخذها.

و کان ذلک بالنخیله.فاستشفع الأشعث بالحسن و الحسین علیهما السّلام و بعبد اللّه بن جعفر فأطلق له منها ثلاثین ألفا فقال:لا یکفینی.فقال:لست بزایدک درهما واحدا،و أیم اللّه لو ترکتها لکان خیرا ممّا لک،و ما أظنّها تحلّ لک،و لو تیقّنت ذلک لما بلغتها من عندی.

فقال الأشعث:خذ من خدعک ما أعطاک.و باللّه التوفیق.

۶-و من کتاب له علیه السّلام

اشاره

إلی معاویه

إِنَّه بَایَعَنِی الْقَوْمُ الَّذِینَ بَایَعُوا؟أَبَا بَکْرٍ؟ وَ؟عُمَرَ؟ وَ؟عُثْمَانَ؟- عَلَی مَا بَایَعُوهُمْ عَلَیْهِ- فَلَمْ یَکُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ یَخْتَارَ- وَ لاَ لِلْغَائِبِ أَنْ یَرُدَّ- وَ إِنَّمَا الشُّورَی لِلْمُهَاجِرِینَ وَ الْأَنْصَارِ- فَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَی رَجُلٍ وَ سَمَّوْهُ إِمَاماً کَانَ ذَلِکَ لِلَّهِ رِضًا- فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ- بِطَعْنٍ أَوْ بِدْعَهٍ رَدُّوهُ إِلَی مَا خَرَجَ مِنْهُ- فَإِنْ أَبَی قَاتَلُوهُ عَلَی اتِّبَاعِهِ غَیْرَ سَبِیلِ الْمُؤْمِنِینَ- وَ وَلاَّهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّی- وَ لَعَمْرِی یَا؟مُعَاوِیَهُ؟ لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِکَ دُونَ هَوَاکَ- لَتَجِدَنِّی أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ؟عُثْمَانَ؟- وَ لَتَعْلَمَنَّ أَنِّی کُنْتُ فِی عُزْلَهٍ عَنْهُ- إِلاَّ أَنْ تَتَجَنَّی فَتَجَنَّ مَا بَدَا لَکَ وَ السَّلاَمُ

ص:۳۵۲

أقول:هذا الفصل من كتاب كتبه إلى معاويه مع جرير بن عبد اللّه البجليّ حين نزعه من همدان.و صدره:أمّا بعد فإنّ بيعتى يا معاويه لزمتک و أنت بالشام لأنّه بايعنى القوم.ثمّ يتلو إلى قوله:و ولاّه اللّه ما تولّى.و يتّصل بها أن قال:و أنّ طلحه و الزبير بايعانى ثمّ نقضا بيعتى و كان نقضهما كردّتهما فجاهدتهما على ذلک حتّى جاء الحقّ و ظهر أمر اللّه و هم كارهون.فادخل يا معاويه فيما دخل فيه المسلمون فإنّ أحبّ الامور إلىّ فيک العافيه إلاّ أن تتعرّض للبلاء.

فإن تعرّضت له قاتلتک و استعنت اللّه عليک:و قد أكثرت فى قتل عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم إنّى أحملک و إيّاهم على كتاب اللّه،و أمّا هاتيک الّتى تريدها فمن خدعه الصبىّ عن اللبن.ثمّ يتّصل به قوله:و لعمرى.إلى قوله:ما بدا لک.ثمّ يتّصل به:و اعلم أنّک من الطلقاء الّذين لا تحلّ لهم الخلافه و لا تعرض فيهم الشورى.و قد أرسلت إليک و إلى من قبلک جرير بن عبد اللّه و هو من أهل الايمان و الهجره فبايع و «لا قُوَّهَ إِلاّ بِاللّهِ» .

اللغه

العزله : الاسم من الاعتزال .و التجنّى أن يدّعى عليک ذنب لم تفعله .

المعنى

فقوله:أمّا بعد.إلى قوله:الشام.

صوره الدعوى.

و قوله :إنّه بايعنى.إلى قوله:عليه.

صوره صغرى قياس ضمير من الشكل الأوّل يستنتج منه ملزوم تلک الدعوى لغايه صدقها بصدق ملزومها،و تقدير الكبرى:و كلّ من بايعه هؤلاء القوم فليس لمن شهد بيعتهم أن يختار غير من بايعوه و لا للغائب عنها أن يردّها ينتج أنّه ليس لأحد ممّن حضر أو غاب أن يردّ بيعتهم له،و ذلک يستلزم كونها لازمه لمن حضر أو غاب و هذه النتيجه هى قوله:فلم يكن.إلى قوله:يردّ.

و قوله :و إنّما.إلى قوله:تولّى.

تقرير لكبرى القياس و حصر للشورى و الإجماع فى المهاجرين و الأنصار لأنّهم أهل الحلّ و العقد من امّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فإذا اتّفقت كلمتهم على حكم من

الأحكام كاجتماعهم على بيعته و تسميته إماما كان ذلك إجماعا حقّا هو رضى اللّه:

أى مرضىّ له،و سبيل المؤمنين الّذى يجب اتّباعه.فإن خالف أمرهم و خرج عنه بطعن فيهم أو فيمن أجمعوا عليه كخلاف معاويه و طعنه فيه عليه السّلام بقتل عثمان و نحوه،أو ببدعه كخلاف أصحاب الجمل و بدعتهم فى نكث بيعته ردّوه إلى ما خرج عنه فإن أبى قاتلوه على اتّباعه غير سبيل المؤمنين حتّى يرجع إليه و ولّاه اللّه ما تولّى و أصلاه جهنّم و ساءت مصيرا .ثمّ أقسم أنّه على تقدير نظره بعقله دون هواه يجده أبرء النّاس من دم عثمان و أنّه كان حين قتله فى عزله عنه.و الملازمه واضحه فإنّ القتل إمّا بفعل أو بقول و لم ينقل عن علىّ عليه السّلام فى أمر عثمان إلّا أنّه لزم بيته و انعزل عنه بعد أن دافع عنه طويلا بيده و لسانه فلم يمكن الدفع.

و قوله:إلّا أن تتجنّى.إلى آخره.

استثناء منقطع:أى إلّا أن يدّعى علىّ ذنبا لم أفعله فادّع ما بدا لك:أى ما ظهر فى خيالك من الذنوب و الجنايات فإنّ ذلك باب مفتوح لكلّ امّه[أحد خ] و محلّ-ما-النصب بالمفعوليّه و إنّما احتجّ عليهم بالإجماع و الاختيار هنا على حسب اعتقاد القوم أنّه المعتبر فى نصب الإمام.إذ لم يكن عندهم أنّه منصوص عليه.و لو ادّعى ذلك لم يسلّم له.و باللّه التوفيق.

۷-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إليه أيضا

:أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَتْنِی مِنْکَ مَوْعِظَهٌ مُوَصَّلَهٌ وَ رِسَالَهٌ مُحَبَّرَهٌ- نَمَّقْتَهَا بِضَلاَلِکَ وَ أَمْضَیْتَهَا بِسُوءِ رَأْیِکَ- وَ کِتَابُ امْرِئٍ لَیْسَ لَهُ بَصَرٌ یَهْدِیهِ- وَ لاَ قَائِدٌ یُرْشِدُهُ قَدْ دَعَاهُ الْهَوَی فَأَجَابَهُ- وَ قَادَهُ الضَّلاَلُ فَاتَّبَعَهُ- فَهَجَرَ لاَغِطاً وَ ضَلَّ خَابِطاً وَ مِنْ هَذَا الْکِتَابِ لِأَنَّهَا بَیْعَهٌ وَاحِدَهٌ لاَ یُثَنَّی فِیهَا النَّظَرُ- وَ لاَ یُسْتَأْنَفُ فِیهَا

ص:۳۵۴

الْخِيَارُ- الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ وَ الْمُرَوِّى فِيهَا مُدَاهِنٌ أقول:هذا جواب كتاب كتبه إليه معاويه.و صورته:من معاويه بن أبى سفيان إلى علىّ بن أبى طالب أمّا بعد فلو كنت على ما كان عليه أبو بكر و عمر إذن ما قاتلتك و لا استحللت لك ذلك و لكنّه إنّما أفسد عليك بيعتى خطيئتك[خطبتك-خ-]فى عثمان بن عفّان.و إنّما كان أهل الحجاز الحكّام على الناس حين كان الحقّ فيهم فلمّا تركوه صار أهل الشام الحكّام على أهل الحجار و غيرهم من الناس.و لعمرى ما حجّتك على أهل الشام كحجّتك على أهل البصره و لا حجّتك علىّ كحجّتك على طلحه و الزبير لأنّ أهل البصره قد كانوا بايعوك و لم يبايعك أهل الشام و إنّ طلحه و الزبير بايعاك و لم ابايعك.و أمّا فضلك فى الإسلام و قرابتك من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و موضعك من هاشم فلست أدفعه.و السلام.

فكتب عليه السّلام جوابه من عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين إلى معاويه بن صخر أمّا بعد فإنّه أتانى كتابك كتاب امرىء.إلى قوله:خابطا.ثمّ يتّصل به أن قال:زعمت أنّه إنّما أفسد علىّ بيعتك خطيئتى فى عثمان،و لعمرى ما كنت إلاّ رجلا من المهاجرين أوردت كما أوردوا و صدرت كما صدروا و ما كان اللّه ليجمعهم على ضلال و لا يضربهم بعمى.و أمّا ما زعمت أنّ أهل الشام الحكّام على أهل الحجاز فهات رجلين من قريش الشام يقبلان فى الشورى أن تحلّ لهما الخلافه فإن زعمت ذلك كذّبك المهاجرون و الأنصار.و إلاّ فأنا آتيك بهما من قريش الحجاز.و أمّا ما ميّزت بين أهل الشام و أهل البصره و بينك و بين طلحه و الزبير فلعمرى ما الأمر فى ذلك إلاّ واحد.ثمّ يتّصل به قوله:لأنّها بيعه عامّه.إلى آخره.ثمّ يتّصل به:و أمّا فضلى فى الإسلام و قرابتى من الرسول و شرفى فى بنى هاشم فلو استطعت دفعه لفعلت.و السلام.

و أمّا قوله،أمّا بعد فقد أتتنى.إلى قوله:بسوء رأيك.

فهو صدر كتاب آخر أجاب به معاويه عن كتاب كتبه إليه بعد الكتاب الّذى ذكرناه.و ذلك أنّه لمّا وصل إليه هذا الكتاب من علىّ عليه السّلام كتب إليه

ص:۳۵۵

كتابا يعظه فيه.و صورته:أمّا بعد فاتّق اللّه يا علىّ ودع الحسد فإنّه طالما لم ينتفع به أهله،و لا تفسد سابقه قديمك بشره من حديثك فإنّ الأعمال بخواتيمها،و لا تلحدنّ بباطل فى حقّ من لا حقّ لك فى حقّه فإنّك إن تفعل ذلك لا تضلل إلاّ نفسك و لا تمحق إلاّ عملك،و لعمرى إنّ ما مضى لك من السوابق الحسنه لحقيقه أن تردّك و تردعك عمّا قد اجترأت عليه من سفك الدماء و إجلاء أهل الحقّ عن الحلّ و الحرام،فاقرء سوره الفلق و تعوّذ باللّه من شرّ ما خلق و من شرّ نفسك الحاسد إذا حسد.قفل اللّه بقلبك و أخذ بناصيتك و عجّل توفيقك فإنّى أسعد الناس بذلك و السلام.

فكتب إليه علىّ عليه السّلام أمّا بعد فقد أتتنى منك موعظه.إلى قوله:سوء رأيك.

ثمّ يتّصل به:و كتاب ليس ببعيد الشبه منك حملك على الوثوب على ما ليس لك فيه حقّ.و لولا علمى بك و ما قد سبق من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيك ممّا لا مردّ له دون إنفاذه إذن لو عظتك و لكن عظتى لا تنفع من حقّت عليه كلمه العذاب و لم يخف العقاب و لم يرج للّه و قارا و لم يخف له حذارا.فشأنك و ما أنت عليه من الضلاله و الحيره و الجهاله تجد اللّه فى ذلك بالمرصاد من دنياك المنقطعه و تمنّيك الأباطيل.

و قد علمت ما قال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيك و فى امّك و أبيك.و السلام.

و ممّا ينبّه على أنّ هذا الفصل المذكور ليس من الكتاب الأوّل أنّ الأوّل لم يكن فيه ذكر موعظه حتّى يذكرها عليه السّلام فى جوابه غير أنّ السيّد-رحمه اللّه-أضافه إلى هذا الكتاب كما هو عادته فى عدم مراعات ذلك و أمثاله.و لنرجع إلى المقصود.فنقول:

اللغه

المحّبره : المزيّنه .و التنميق : التزيين بالكتاب .و هجر يهجر هجرا:

إذ أهذى أو أفحش فى منطقه .و اللغط : الصوت و الجلبه .و أصل الخبط: الحركه على غير نظام.و منه خبط عشواء للناقه الّتى ضعف بصرها .و المروّى : المفكّر .

و المداهنه : المصانعه و إظهار الرضى بالأمر مع إضمار خلافه .

المعنى

و الفصل من باب المنافرات.و أراد بكونها موصّله:أى ملتقطه من كلام الناس

ص:٣٥٦

ملفّقه قد زيّنت بالكتابه،و نسب تنميقها إلى ضلاله لأنّ موعظته و تكلّفه إيّاها لمثله عليه السّلام عن اعتقاد منه أنّه على طرف الحقّ و أنّ عليّا مخطئ كما زعم،و ظاهر أنّ ذلك الاعتقاد ضلال عن سبيل اللّه أوجب له تكلّف تلك الموعظه،و لأنّه لمّا كان جاهلا بسبك الكلام و وضعه مواضعه جاءت موصّله منمّقه بحسب ذلك الجهل ظهر عليها أثرا لكلفه فى التنميق فاستدلّ به على ضلاله. استعاره و استعار لفظ البصر للعقل باعتبار أنّ له نورا يدرك به صور المعقولات كما يدرك البصر بنوره صور المحسوسات ثمّ سلب عنه البصر الّذى يهديه فى سبيل اللّه إذ كان عقله قد قصر عن إدراك حقايق الدين و مقاصده و وجوه المصالح الكليّه المطلوبه للشارع فلم يكن لعقله بصر يهديه فى تلك الامور و لا له قايد من إمام حقّ أو رويّ صالح يرشده إلى سبيل اللّه فلا- جرم كان مجيبا لهواه إذ دعاه،و منقادا لضلاله و آرائه الجائره المخطئه لوجه المصلحه المطلوبه للّه تعالى فاتّبعها.و استلزم ذلك أن يهجر فيقول ما لا ينبغى من القول لاغطا و مجلبا،و أن يضلّ عن سبيل اللّه خابطا فى التيه لا يتّقى مصارع الهوان فى دين اللّه.و لاغطا و خابطا حالان .

و قوله :لأنّها.

فالضمير قبل الذكر لأنّه ضمير البيعه كقوله تعالى «فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصارُ» (۱)و يحتمل أن يرجع إلى ما علم من حالها فى قوله:فلعمرى ما الأمر فى ذلك إلاّ واحد.يعنى ما شأن أهل البصره و شأن أهل الشام و شأن طلحه و الزبير فى بيعتى إلاّ واحدا.و المعنى أنّها كما لزمت اولئك فقد لزمتكم أيضا.ثمّ أشار إلى الحجّه فى ذلك بقياس ضمير من الشكل الأوّل صغراه:و هى كونها بيعه واحده باتّفاق المهاجرين و الأنصار الّذين هم أهل الحلّ و العقد من أمّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تقدير كبراه:

و كلّ بيعه وقعت كذلك فلا يثّنى فيها نظر و لا يستأنف فيها خيار،و بيان الكبرى ما سبق من حال الأئمّه الثلاثه قبله عليه السّلام إذ لم يكن لأحد أن يثّنى فى بيعتهم نظرا و لا يستأنف خيارا بعد أن عقدها المهاجرون و الأنصار لأحدهم.ثمّ أشار إلى

۱- ۱) ۴۵-۲۲.

حکم من لم یدخل فی بیعته و هم قسمان لأنّ من لم یدخل فیها إمّا أن یخرج عنها أو یقف فیها.فحکم الخارج عنها أن یکون طاعنا فی صحّتها و انعقادها فیجب أن یجاهد و یقاتل حتّی یرجع إلیها إذ هی سبیل المؤمنین کما سبق،و حکم الواقف فیها و المتروّی فی صحّتها أنّه مداهن و هو نوع من النفاق و مستلزم للشکّ فی سبیل اللّه و المؤمنین و وجوب اتّباعه.و باللّه التوفیق.

۸-و من کتاب له علیه السّلام

اشاره

إلی جریر بن عبد اللّه البجلی،لما أرسله إلی معاویه

أَمَّا بَعْدُ فَإِذَا أَتَاکَ کِتَابِی فَاحْمِلْ ؟مُعَاوِیَهَ؟ عَلَی الْفَصْلِ- وَ خُذْهُ بِالْأَمْرِ الْجَزْمِ- ثُمَّ خَیِّرْهُ بَیْنَ حَرْبٍ مُجْلِیَهٍ أَوْ سِلْمٍ مُخْزِیَهٍ- فَإِنِ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَانْبِذْ إِلَیْهِ- وَ إِنِ اخْتَارَ السِّلْمَ فَخُذْ بَیْعَتَهُ وَ السَّلاَمُ أقول:روی أنّ جریرا أقام عند معاویه حین أرسله علیه السّلام حتّی أتّهمه الناس.

و قال:قد وقّت لجریر وقتا لا یقیم بعده إلاّ مخدوعا أو عاصیا.و أبطیء حتّی أیس منه.فکتب إلیه بعد ذلک هذا الکتاب.فلمّا انتهی إلیه أتی معاویه فأقرءه إیّاه و قال:

یا معاویه إنّه لا یطبع علی قلب إلاّ بذنب و لا یشرح إلاّ بتوبه،و لا أظنّ قلبک إلاّ مطبوعا،أراک قد وقفت بین الحقّ و الباطل کأنّک تنظر شیئا فی ید غیرک.

فقال معاویه:ألقاک بالفصل فی أوّل مجلس «إِنْ شاءَ اللّهُ» .ثمّ أخذ فی بیعه أهل الشام فلمّا انتظم أمره لقی جریرا و قال له:الحق بصاحبک و أعلمه بالحرب.فقدم جریر إلی علیّ علیه السّلام.

اللغه

البجلیّ : منسوب إلی بجیله قبیله .و المجلیه من الإجلاء و هو الإخراج عن الوطن قهرا .و المخزیه : المهینه و المذلّه.و روی مجزیه-بالجیم-:أی کافیه .و

الحرب و السلم مؤنّثان لكونهما فى معنى المحاربه و المسالمه .و النبذ: الإلقاء و الرمى .

المعنى

و حاصل أمر جرير حمل معاويه على فصل الأمر و قطعه و جزم الحال معه بتخييره فى أحد أمرين إمّا حرب يكون معها إجلاؤه،و إمّا سلم يكون فيها ذليلا مهانا مقهورا،و فى ذكر الإجلاء و الإهانه على التقديرين تخويف و تهديد و إشعار بأنّه عليه السّلام فى الأمرين ظاهر ظافر،و أنّه غالب قاهر «لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى» ثمّ أمره على تقدير اختياره للحرب أن يرميه بالإعلام بها و يلقى الوعيد بايقاعها من قبله عليه السّلام و يجهر له بذلك من غير مداهنه و مداراه كقوله تعالى «وَ إِمّا تَخافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلى سَواءٍ» (۱)و على تقدير اختياره للسلم يأخذ بيعته.

۹-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى معاويه

فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا وَ اجْتِيَاحَ أَصْلِنَا- وَ هَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ وَ فَعَلُوا بِنَا الْأَفَاعِيلَ- وَ مَنَعُونَا الْعَذْبَ وَ أَحْلَسُونَا الْخَوْفَ- وَ اضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعْرٍ- وَ أَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ- فَعَزَمَ اللَّهُ لَنَا عَلَى الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ- وَ الرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ- مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذَلِكَ الْأَجْرَ وَ كَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ الْأَصْلِ- وَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ؟قُرَيْشٍ؟ خِلْوٌ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحِلْفٍ يَمْنَعُهُ- أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانِ أَمْنٍ- وَ كَانَ؟رَسُولُ اللَّهِ ص؟ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ- وَ أَحْجَمَ النَّاسُ- قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ- فَوَقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ السُّيُوفِ وَ الْأَسِنَّةِ- فَقُتِلَ ؟عُبَيْدَةُ بْنُ

۱- (۱) ۶۰-۸.

الْحَارِثِ؟ ؟يَوْمَ بَدْرٍ؟- وَ قُتِلَ؟حَمْزَهُ؟ ؟يَوْمَ أُحُدٍ؟- وَ قُتِلَ؟جَعْفَرٌ؟ ؟يَوْمَ مُؤْتَهَ؟- وَ أَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ- مِثْلَ الَّذِی أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَهِ- وَ لَکِنَّ آجَالَهُمْ عُجِّلَتْ وَ مَنِیَّتَهُ أُجِّلَتْ- فَیَا عَجَباً لِلدَّهْرِ- إِذْ صِرْتُ یُقْرَنُ بِی مَنْ لَمْ یَسْعَ بِقَدَمِی- وَ لَمْ تَکُنْ لَهُ کَسَابِقَتِی- الَّتِی لاَ یُدْلِی أَحَدٌ بِمِثْلِهَا- إِلاَّ أَنْ یَدَّعِیَ مُدَّعٍ مَا لاَ أَعْرِفُهُ وَ لاَ أَظُنُّ اللَّهَ یَعْرِفُهُ- وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَی کُلِّ حَالٍ- وَ أَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتَلَهِ؟عُثْمَانَ؟ إِلَیْکَ- فَإِنِّی نَظَرْتُ فِی هَذَا الْأَمْرِ- فَلَمْ أَرَهُ یَسَعُنِی دَفْعُهُمْ إِلَیْکَ وَ لاَ إِلَی غَیْرِکَ- وَ لَعَمْرِی لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنْ غَیِّکَ وَ شِقَاقِکَ- لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَنْ قَلِیلٍ یَطْلُبُونَکَ- لاَ یُکَلِّفُونَکَ طَلَبَهُمْ فِی بَرٍّ وَ لاَ بَحْرٍ- وَ لاَ جَبَلٍ وَ لاَ سَهْلٍ- إِلاَّ أَنَّهُ طَلَبٌ یَسُوءُکَ وِجْدَانُهُ- وَ زَوْرٌ لاَ یَسُرُّکَ لُقْیَانُهُ وَ السَّلاَمُ لِأَهْلِهِ أقول:هذا الفصل ملتقط من کتاب کتبه إلی معاویه جواب کتابه إلیه.و صوره کتاب معاویه:

من معاویه بن أبی سفیان إلی علیّ بن أبی طالب.سلام علیک.فإنّی أحمد إلیک «اللّهُ الَّذِی لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ» .أمّا بعد فإنّ اللّه اصطفی محمّدا بعلمه و جعله الأمین علی وحیه و الرسول إلی خلقه و اجتبی له من المسلمین أعوانا أیّده بهم فکانوا فی منازلهم عنده علی قدر فضائلهم فی الإسلام فکان أفضلهم فی الإسلام و أنصحهم[و أنصفهم خ]للّه و لرسوله الخلیفه من بعده و خلیفه الخلیفه من بعد خلیفته و الثالث الخلیفه عثمان المظلوم.فکلّهم حسدت و علی کلّهم بغیت.عرفنا ذلک فی نظرک الشزر و قولک البجر

ص:۳۶۰

[الهجر خ]و فى تنفّسک الصعداء و إبطائک عن الخلفاء.و فى کلّ ذلک تقاد کما یقاد الجمل المخشوش حتّى تبایع و أنت کاره.ثمّ لم یکن لک لأحد منهم حسدا مثل ما منک لابن عمّک عثمان و کان أحقّهم أن لا تفعل ذلک به فى قرابته و صهره فقطعت رحمه و قبّحت محاسنه و ألببت علیه الناس و بطنت و ظهرت حتّى ضربت إلیه آباط الإبل و قیدت إلیه الخیل العتاق و حمل علیه السلاح فى حرم رسول اللّه صلّى اللّه علیه و آله و سلّم فقتل معک فى المحلّه و أنت تسمع فى داره الهایعه لا تردع عن نفسک فیه بقول و لا فعل.و اقسم قسما صادقا لو قمت فیما کان من أمره مقاما تنهنه الناس عنه ما عدل بک من قبلنا من الناس أحدا و لمحا ذلک عندهم ما کانوا یعرفونک به من المجانبه لعثمان و البغى علیه.و اخرى أنت بها عند أنصار عثمان ظنین ایواک قتله عثمان فهم عضدک و أنصارک و یدک و بطانتک و قد ذکر لى إنّک تنتصل من دمه فإن کنت صادقا فأمکنّا من قتله عثمان نقتلهم به و نحن من أسرع الناس إلیک و إلاّ فإنّه لیس لک و لأصحابک إلاّ السیف و الّذى لا إله غیره لنطلبنّ قتله عثمان فى الجبال و الرمال و البرّ و البحر حتّى یقتلهم اللّه أو لنلحقنّ أرواحنا باللّه.و السلام.ثمّ دفع الکتاب إلى أبى مسلم الخولانىّ فقدم به الکوفه.فکتب علیه السّلام جوابه:

من عبد اللّه علىّ أمیر المؤمنین إلى معاویه بن أبى سفیان أمّا بعد فإنّ أخا خولان قدم علىّ بکتاب منک تذکر فیه محمّد صلّى اللّه علیه و آله و سلّم و ما أنعم اللّه علیه من الهدى و الوحى ف «الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِی» صدّقه الوعد و تمّم له النصر و مکّن له فى البلاد و أظهره على أهل العداوه و الشنئان من قومه الّذین و ثبوابه و شنعوا له و أظهروا له التکذیب و بارزوه بالعداوه و ظاهروا على إخراجه و على إخراج أصحابه و ألبّوا علیه العرب و جامعوه على حربه و جهدوا علیه و على أصحابه کلّ الجهد و قلّبوا له الامور حتّى ظهر أمر اللّه و هم کارهون.و کان أشدّ الناس علیه اسرته و الأدنى فالأدنى من قومه إلاّ من عصم اللّه منهم.یابن هند فلقد خبأ لنا الدهر منک عجبا.و لقد أقدمت فأفحشت إذ طفقت تخبرنا عن بلاء اللّه تبارک و تعالى فى نبیّه محمّد صلّى اللّه علیه و آله و سلّم و فینا فکنت فى ذلک کجالب التمر إلى هجر أو کداعى مسدّده إلى النضال.و ذکرت أنّ اللّه اجتبى

له من المسلمين أعوانا أيّدهم به فكانوا فى منازلهم عنده على قدر فضائلهم فى الإسلام و كان أفضلهم فى الإسلام كما زعمت و أنصحهم للّه و لرسوله الخليفه الصدّيق و خليفه الخليفه الفاروق.و لعمرى إنّ مكانهما فى الإسلام لعظيم،و أنّ المصايب بهما لجرح فى الإسلام شديد يرحمها اللّه و جزاهما بأحسن ما عملا.غير أنّك ذكرت أمرا إن تمّ اعتزلك كلّه و إن نقص لم يلحقك ثلمه.و ما أنت و الصدّيق؟فالصدّيق من صدّق بحقّنا و أبطل باطل عدوّنا،و ما أنت و الفاروق؟فالفاروق من فرّق بيننا و بين أعدائنا.و ذكرت أنّ عثمان كان فى الفضل ثالثا فإن يك عثمان محسنا فسيلقى ربّا غفورا لا يتعاظمه ذنب يغفره.و لعمرى إنّى لأرجو إذا أعطى اللّه الناس على قدر فضايلهم فى الإسلام و نصيحتهم للّه و لرسوله أن يكون نصيبنا فى ذلك الأوفر.إنّ محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لمّا دعا إلى الايمان باللّه و التوحيد كنّا أهل البيت أوّل من آمن به و صدّق ما جاء به فلبثنا أحوالا محرمه و ما يعبد اللّه فى الربع ساكن من العرب غيرنا.ثمّ يتّصل به.قوله:فأراد قومنا.إلى قوله:نار الحرب.ثمّ يتّصل به أن قال:و كتبوا علينا بينهم كتابا لا يؤاكلونا و لا يشاربونا و لا يناكحونا و لا يبايعونا و لا نأمن فيهم حتّى يدفع إليهم النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيقتلونه و يمثّلوا به فلم يكن نأمن فيهم إلاّ من موسم إلى موسم.ثمّ يتّصل به قوله:فعزم اللّه.إلى قوله:بمكان أمن.ثمّ يتّصل به أن قال:فكان ذلك «ما شاءَ اللّهُ» أن يكون ثمّ أمر اللّه رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالهجره ثمّ أمره بعد ذلك بقتل المشركين.ثمّ يتّصل به قوله:فكان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إذا أحمرّ البأس.إلى قوله:اخّرت.و يتّصل به أن قال:و اللّه ولىّ الاحسان إليهم و الامتنان عليهم بما قد أسلفوا من الصالحات فما سمعت بأحد هو أنصح للّه فى طاعه رسوله و لا أطوع لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى طاعه ربّه و لا أصبر على الأذى و الضرار حين البأس و مواطن المكروه مع النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من هؤلاء النفر الّذين سمّيت.كذلك و فى المهاجرين خير كثير تعرفه جزاهم اللّه بأحسن أعمالهم.

ثمّ ما أنت و التميز بين المهاجرين الأوّلين و ترتيب درجاتهم و تعريف طبقاتهم؟ هيهات.لقد حنّ قدح ليس منها،و طفق يحكم فيها من عليه الحكم لها.ألا تربع أيّها

ص:۳۶۲

الإنسان على ظلعك و تعرف قصور ذرعك و تتأخّر حيث أخّرك القدر؟فما عليك غلبه المغلوب و لا لك ظفر الظافر.و إنّك لذهّاب فى التيه روّاغ عن القصد لا ترى غير متجار لك لكن بنعمه اللّه احدّث.ثمّ يتّصل به أوّل الكلام المذكور فى كتابه إلى معاويه و هو من محاسن الكتب.إلى قوله عليه السّلام:توكّلت.ثمّ يتّصل به قوله من ذلك الكتاب:و ذكرت أنّه ليس لى و لأصحابى.إلى آخره.ثمّ يتّصل به قوله:

و لعمرى.إلى آخر،و هذا خبط عجيب من السيّد-رحمه اللّه-مع وجود كتبه عليه السّلام فى كثير من التواريخ و لنرجع إلى الشرح فنقول:

اللغه

الاجتياح : الاستيصال .و الهموم : القصود .و الحلس : كساء رقيق يجعل تحت قتب البعير :و الوعر : الصعب المرتقى .و الحوزه : الناحيه،و حوزه الملك بيضته .

و الحلف : العهد بين القوم .و الإحجام : التأخّر عن الأمر . واحد : جبل بالمدينه .

و موته-بالضم- : اسم أرض بأدنى البلقاء دون دمشق .و الإدلاء بالشىء: التقريب به .و نزع عن الأمر : انتهى عته .و الغىّ : الضلال .و الشقاق : الخلاف و الزور : الزائرون .

المعنى

و اعلم أنّه عليه السّلام أجاب عن كلّ فصل من كلام معاويه بفصل و هذا الفصل يشتمل على ذكر بلائه و بلاء من يقرب إليه من بنى هاشم و فضيلتهم فى الإسلام و الكفر فى جواب تفضيل معاويه لغيره عليه حيث قال فى صدر كتابه فى ذكر محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

و اجتبى له من المسلمين أعوانا أيّده بهم.إلى قوله:و الثالث الخليفه المظلوم عثمان.و صدر هذا الفصل من قوله:و لعمرى إنّى لأرجو.إلى قوله:الأوفر.

إيماء إلى أنّه أفضل الجماعه لأنّ النصيب الأوفر من الثواب إذا كان على قدر الفضيله كان مستلزما للأفضليّه.

و قوله:إنّ محمّدا.إلى قوله:و منيّته اخرت.

شرح لفضيلته و فضيله أهل بيته،و تقرير لما أشار إليه من دعوى الأفضليّه.و هو يجرى مجرى قياس ضمير من الشكل الأوّل،و تقريرها أنّ هذه الحال المشروحه من كوننا أوّل آمن باللّه و صدّق ما جاء به و عبده و صبر على بلائه و مجاهده أعدائه

مع رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الصبر المشروح إلى الغايه المذكوره.و قد سبقت منّا الإشاره إلى أنّه عليه السّلام أوّل من عبد اللّه تعالى مع الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هو و خديجه و من لحق بهم من المسلمين و أنّهم بقوا على ذلك عدّه سنين يتعبّدون بشعاب مكّه و غيرها سرّا، و كانت المشركون يبالغون فى أذاهم،و قيل:إنّ المشركين بعد ظهور النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالنبوّه لم تنكر عليه القريش حتّى سبّ آلهتهم فأنكروا عليه و بالغوا فى أذاه و أغروا به صبيانهم فرموه بالحجاره حتّى أدموا عقبه و بالغوا فى أذى المسلمين.فأمرهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالخروج إلى الحبشه فخرج فى الهجره إليها أحد عشر رجلا منهم عثمان بن عفّان و الزبير و عبد الرحمن بن عوف و عبد اللّه بن مسعود و خرجت قريش فى طلبهم ففاتوهم فخرجوا فى طلبهم إلى النجّاشى فلم يمكّنهم منهم و لم يزالوا يبالغون فى أذى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و يعملون الحيله فى هلاكه.و روى أحمد فى مسنده عن ابن عبّاس قال:إنّ الملأ من قريش اجتمعوا فى الحجر فتعاهد و ا باللات و العزّى و مناه الثالثه الاخرى لو قد رأينا محمّدا قمنا إليه قيام رجل واحد فلا نفارقه حتّى نقتله.قال:فأقبلت فاطمه عليها السّلام حتّى دخلت عليه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأخبرته بقولهم و قالت له:لو قد رأوك لقتلوك و ليس منهم رجل إلاّ و قد عرف نصيبه من دمك.فقال:

يا بنيّتى أرينى وضوءا.فتوضّأ ثمّ دخل عليهم المسجد.فلمّا رأوه غضّوا أبصارهم ثمّ قالوا:هو ذا.ثمّ لم يقم إليه منهم أحد فأقبل صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حتّى قام على رؤوسهم فأخذ قبضه من تراب فحصبهم بها.و قال:شاهت الوجوه.فما أصاب رجلا منهم شىء منه إلاّ قتل يوم بدر كافرا.فذلك معنى قوله:فأراد قومنا إهلاك نبيّنا و اجتياح أصلنا.

إلى قوله:نار الحرب.

و قوله:و همّوا بنا الهموم.

أى أرادوا بنا الإرادات و الأفاعيل إرادات إيقاع الشرور بهم و الأفعال القبيحه.و قيل:أراد بالهموم الأحزان:أى همّوا أن يفعلوا بنا ما يوجب الأحزان.

و قوله:و منعونا العذب.

ص:٣۶۴

أی طیب العیش. استعاره و استعار لفظ الأحلاس لإلزامهم الخوف و إشعارهم إیّاه ملاحظه لمشابهته بالحلس فی لزومه بهم . استعاره مرشحه و کذلک استعار لفظ النار للحرب.ملاحظه لشبهها بالنار فی الأذی و افتناء ما یقع فیها.و رشّح بذکر الایقاد .

فأمّا قوله:و اضطرّونا إلی جبل و عر،و قوله:و کتبوا علینا بینهم کتابا.

فروی أنّه لما أسلم حمزه و عمر و حمی النجّاشی من عنده من المسلمین و حامی أبو طالب عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فشا الإسلام فی القبایل فاجتهد المشرکون فی إطفاء نور اللّه و اجتمعت قریش و أتمر بینهم أن یکتبوا کتابا یتعاهدون فیه أن لا ینکحوا إلی بنی هاشم و بنی عبد المطّلب و لا ینکحوهم،و لا یبیعوهم شیئا و لا یتبایعوا منهم فکتبوا بذلک وثیقه و توافقوا علیها و علّقوها فی جوف الکعبه توکیدا لذلک الأمر علی أنفسهم فلمّا فعلوا ذلک انحازت بنی هاشم و بنو عبد المطّلب إلی أبی طالب فدخلوا معه فی شعبه.و خرج من بنی هاشم أبو لهب و ظاهر المشرکین.و قطعوا عنهم المیره و المارّه،و حصروهم فی ذلک الشعب فی أوّل سنه سبع من النبوّه فکانوا لا یخرجون إلاّ من موسم إلی موسم حتّی بلغهم الجهد و سمع صوت صبیانهم من وراء الشعب من شدّه الجوع فمن قریش من سرّه ذلک و منهم من ساءه فأقاموا علی ذلک ثلاث سنین حتّی أوحی اللّه إلی رسوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنّ الأرضه قد أکلت صحیفتهم و محت منها ما کان فیه ظلم و جور و بقی منها ما کان ذکر اللّه.فأخبر بذلک عمّه أبا طالب فأمره أن یأتی قریشا فیعلمها بذلک فجاء إلیهم،و قال:إنّ ابن أخی أخبرنی بکذا و کذا فإن کان صادقا نزعتم عن سوء رأیکم و إن کان کاذبا دفعته إلیکم فقتلتموه أو استحییتموه.فقالوا:قد أنصفتنا.فأرسلوا إلی الصحیفه فوجدوها کما أخبر صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فسقط فی أیدیهم و عرفوا أنّهم بالظلم و القطیعه.فذلک معنی قوله:و اضطرّونا إلی جبل و عر.إلی آخره.

و قوله :فعزم اللّه لنا.

أی أراد لنا الإراده الجازمه منه،و اختار لنا أن نذبّ عن حوزه الإسلام و نحمی حرمته أن تتهتّک، کنایه و کنّی عن حماها بالرمی من ورائها .

و قوله :مؤمننـا.إلى قوله:عن الأصل.أى كنّا بأجمعنا نـذبّ عن دين اللّه و نحمى رسوله فكان من آمن منّا يريـد بـذلك الأجر من اللّه،و من كان حينئذ على كفره كالعبّاس و حمزه و أبى طالب على قول فإنّهم كانوا يمنعون عن رسول اللّه مراعاه لأصلهم.

و قوله:من أسلم من قريش.إلى قوله:يوم موته.

فالواو فى قوله:و من.للحال:أى كنّا على تلك الحال من الذبّ عن دين اللّه حال ما كان من أسلم من قريش عدا بنى هاشم و بنى عبد المطّلب خالين ممّا نحن فيه من البلاء آمنين من الخوف و القتل فمنهم من كان له حلف و عهد من المشركين يمنعه،و منهم من كان له عشيره يحفظه.و بذلك يظهر فضله عليه السّلام و فضيله بنى هاشم و بنى المطّلب و بلاؤهم فى حفظ رسول اللّه .ثمّ لمّا أمر اللّه بقتال المشركين كان يقدّم أهل بيته فيقى بهم أصحابه حرّ السيوف و أسنّه الرماح. كنايه و كنّى باحمرار البأس عن شدّه الحرب.إذ البأس فيها مستلزم لظهور حمره الدماء و إن كان استعمال هذا اللفظ لم يبق تلك الملاحظه فى الكنايه،و منه موت أحمر كنايه عن شدّته و ذلك فى الحرب أيضا و ما يستلزم ظهور الدماء .و بدر اسم بئر سمّيت بحافرها .و أمّا عبيده بن الحرث بن عبد المطّلب فقتله عتبه بن ربيعه و ذلك أنّه لمّا التقى المسلمون و المشركون ببدر برز عتبه بن ربيعه و أخوه شيبه و ابنه الوليد و طلبوا المبارزه فخرج إليهم رهط من الأنصار.فقالوا:نريد أكفائنا من المهاجرين.فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:قم يا حمزه،قم يا عبيده،قم يا علىّ.فبارز عبيده و هو أسنّ القوم عتبه بن ربيعه و بارز حمزه شيبه و بارز علىّ الوليد.فقتل علىّ و حمزه قرينهما و اختلف عبيده و عتبه بضربتين فكلاهما أثبت صاحبه و أجهز حمزه و علىّ بأسيافهما على عتبه فقتلاه و احتملا عبيده فجاء به إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قد قطعت رجله و مخّها يسيل فقال:

يا رسول اللّه أ لست شهيدا؟قال:بلى.فقال عبيده:لو كان أبو طالب حيّا يعلم أنّى أحقّ بما قال فيه حيث يقول:

و نسلمه حتّى نصرّع حوله و نذهل عن أبنائنا و الحلايل

و أمّا حمزه بن عبد المطّلب فقتله وحشىّ فى وقعه احد بعد وقعه بدر فى

سنه ثلاث من الهجره و كان سببها أنّه لمّا رجع من حضر بدرا من المشركين إلى مكّه و جدوا العير الّتى قدم فيها أبو سفيان موقوفه فى دار الندوه فحشر أشراف قريش و مشوا إلى أبى سفيان فقالوا:نحن طيّبوا الأنفس بأن يجهّز بربح هذه العير جيشا إلى محمّد.فقال أبو سفيان:أنا أوّل من أجاب إلى ذلك و معى بنو عبد مناف.فباعوها و كانت ألف بعير فكان المال خمسين ألف دينار فسلّم إلى أهل العير رءوس أموالهم و عزلت الأرباح و بعثوا الرسل إلى العرب يستنفرونهم فاجتمعوا فى ثلاثه ألف فيهم سبع مائه درع و مائتا فرس و ثلاثه ألف بعير،و باتت جماعه بباب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و رأى فى نومه كأنّه فى درع حصينه و كأنّ سيفه-ذو الفقار-قد انفصم و كأنّ بقرا ينحر و كأنّه مردف كبشا فقال:أمّا الدرع فالمدينه و البقر يقتل بعض أصحابه و انفصام سيفه مصيبه فى نفسه و الكبش كبش الكتيبه يقتله اللّه.فكان المصيبه أن رماه عتبه بن أبى وقاص بحجر فدقّ رباعيّته و هشم أنفه و كلّم وجهه.و قيل:الّذى فعل ذلك عمرو بن قميئه و كان ذلك اليوم صعبا على المسلمين،و روى أنّ هندا قامت فى ذلك اليوم فى نسوه معها تمثّل بقتلى المسلمين و تجدع الآذان و الانوف حتّى اتّخذت منها قلائد،و بقرت عن كبد حمزه و لاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها،و منه سمّى معاويه ابن آكله الأكباد.و أمّا جعفر بن أبى طالب فقتل فى وقعه موته و كانت هذه الوقعه فى جمادى الاولى سنه ثمان من الهجره و كان من سببها أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بعث الحرث بن عميره الأزدى إلى ملك بصرى فلمّا نزل موته عرض له شر حبيل بن عمرو الغسانى فقتله و لم يقتل له رسول قبل ذلك.فشقّ عليه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ذلك فندب المسلمين و عسكر فى ثلاثه آلاف.و قال:أميركم زيد بن حارثه فإن قتل فجعفر بن أبى طالب فإن قتل فعبد اللّه بن رواحه فإن قتل فليرتض المسلمون منهم رجلا،و أمرهم أن يأتوا مقتل الحرث بن عميره و يدعوا من هناك إلى الإسلام فإن أجابوا و إلاّ قتلوهم.فسمع العدوّ بهم فجمعوا لهم و جمع لهم شرحبيل أكثر من مائه ألف فمضوا إلى موته فوفّا هم المشركون فأخذ اللواء زيد فقاتل حتّى قتل ثمّ أخذه جعفر فقاتل حتّى قطعت يداه،و قيل:ضربه رجل من الروم فقطعه نصفين فوجد

فى أحد نصفيه أحد و ثمانون جرحا،و سمّاه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ذا الجناحين يطير بهما فى الجنّه لقطع يديه يومئذ.

و قوله:و أراد من لو شئت ذكرت اسمه.إلى قوله:اجّلت.

إشاره إلى نفسه.إذ كان لكلّ امّه مدّه مربوطه به ف «إِذا جاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَ لا يَسْتَقْدِمُونَ » .و لمّا أشار إلى دليل أفضليّته و أهل بيته أردفه بالتعجّب من الدهر حيث انتهى فى إعداده و فعله إلى أن صار بحيث يقرن فى الذكر و المرتبه من ليس له مثل سابقته فى الفضيله الّتى لا يتقرّب أحد إلى اللّه بمثلها.

و قوله:إلاّ إن يدّعى مدّع ما لا أعرفه.

أراد بالمدّعى معاويه و بما لا يعرفه ما عساه يدّعيه من الفضيله فى الدين و السابقه فى الإسلام.

و قوله:و لا أظنّ اللّه يعرفه.

نفى ظنّ معرفه اللّه لذلك المدّعى لأنّه لمّا نفى لذلك المدّعى فضيله يعرفها نفى أيضا عن نفسه طريق معرفه اللّه لها،و هو إشاره إلى أنّه لا وجود لتلك الفضيله و ما لا وجود له امتنع أن يعرف اللّه تعالى وجوده،و لمّا أشار إلى أفضليّته و عدم الفضيله لمنافره حسن إردافه بحمد اللّه فحمده على كلّ حال.و الاستثناء هنا منقطع لأنّ الدعوى ليست من جنس السابقه .و أمّا جوابه لسؤاله قتله عثمان فحاصله يعود إلى أنّه عليه السّلام فكّر فى أمرهم فرأى أنّه لا يسعه تسليم المعترفين بذلك إلى معاويه، و لا إلى غيره و ذلك من وجوه:

أحدها:أنّ تسليم الحقّ إلى ذى الحقّ عند المنافره إنّما يكون بعد تعيين المدّعى عليه و ثبوت الحقّ عليه،و إنّما يكون ذلك بعد مرافعه الخصمين إلى الحاكم و إقامه البيّنه بالدعوى أو الاعتراف من المدّعى عليه.و معلوم أنّ معاويه و من طلب بدم عثمان لم يفعل شيئا من ذلك،و لذلك قال عليه السّلام لمعاويه فى موضع آخر:و أمّا طلبك إلىّ قتله عثمان فادخل فيما دخل الناس فيه ثمّ حاكمهم إلىّ أحملك و إيّاهم على الحقّ

الثانی:أنّ القوم الّذین رضوا بقتله أو شرکوا فی ذلک کانوا علی حدّ من الکثره و فیهم المهاجرون و الأنصار کما روی أنّ أبا هریره و أبا الدرداء أتیا معاویه فقالا له:علام تقاتل علیّا و هو أحقّ بالأمر منک لفضله و سابقته؟فقال:

لست اقاتله لأنّی أفضل منه و لکن لیدفع إلیّ قتله عثمان.فخرجا من عنده و أتیا علیّا.فقالا له:إنّ معاویه یزعم أنّ قتله عثمان عندک و فی عسکرک فادفعهم إلیه فإن قاتلک بعدها علمنا أنّه ظالم لک.فقال علیّ:إنّی لم أحضر قتل عثمان یوم قتل و لکن هل تعرفان من قتله؟فقالا:بلغنا أنّ محمّد بن أبی بکر و عمّار و الأشتر و عدّی بن حاتم و عمرو بن الحمق و فلانا و فلانا ممّن دخل علیه.فقال علیّ:فامضیا إلیهم فخذوهم.فأقبلا إلی هؤلاء النفر و قالا لهم:أنتم من قتله عثمان و قد أمر أمیر المؤمنین بأخذکم.قال:فوقعت الصیحه فی العسکر بهذا الخبر فوثب من عسکر علیّ أکثر من عشره ألف رجل فی أیدیهم السیوف و هم یقولون:کلّنا قتلته.فبهت أبو هریره و أبو الدرداء.ثمّ رجعا إلی معاویه و هما یقولان:لا یتمّ هذا الأمر أبدا.فأخبراه بالخبر.و إذا کان القاتلون و المتعصّبون لهم بهذه الکثره فکیف یمکنه علیه السّلام تسلیمهم و تمکین أحد منهم؟.

الثالث:أنّه کان فی جماعه الصحابه المشهود لهم بالجنّه من یری أنّ عثمان کان یستحقّ القتل بأحداثه کما روی نضر بن مزاحم أنّ عمّارا فی بعض أیّام صفّین قام فی أصحابه و قال:امضوا معی عباد اللّه إلی قوم یطلبون فیما یزعمون بدم الظالم إنّما قتله الصالحون المنکرون للعدوان الآمرون بالإحسان.فإن قال هؤلاء الّذین لا یبالون لو سلمت لهم دنیاهم لو درس هذا الدین:لم قتلتموه؟.فقلنا:لأحداثه.

و إن قالوا:ما أحدث شیئا.و ذلک لأنّه کان أمکنهم من الدنیا فهم یأکلونها و یرعونها و لا یبالون لو انهدمت علیهم الجبال.فإذا اعترف مثل هذا الرجل علی جلالته بالمشارکه فی قتلهم و علّل ذلک بأحداثه احتمل أن یقال:إنّه علیه السّلام فکّر فی هذا الأمر فرأی أنّ هذا الجمع العظیم من المهاجرین و الأنصار و التابعین لا یجوز أن یقتلوا برجل واحد أحدث أحداثا نقموها علیه جمله المسلمون و قد استعتب مرارا

فلم یرجع فأدّی ذلک إلی قتله،و لم یسعه تسلیمهم إلی من یطلب بدمه لما یستلزمه ذلک من ضعف الدین و هدمه .ثمّ أقسم علیه السّلام مهدّدا له بمن طلب من القوم إن لم یرجع عن ضلالته إلی طریق الحقّ عن طرق الباطل و ینزل عن خلافه أن یکونوا هم الطالبین له.و محلّ یطلبونک النصب مفعولا ثانیا لتعرف بمعنی تعلم،و یأتی الکلام من تمام التهدید.و مراده بالزور المصدر،و لذلک أفرد ضمیره فی لقیانه،و یحتمل أن یرید الزائرین و أفرد الضمیر نظرا إلی إفراد اللفظ،و باللّه التوفیق.

۱۰-و من کتاب له علیه السّلام

اشاره

إلی معاویه

:وَ کَیْفَ أَنْتَ صَانِعٌ- إِذَا تَکَشَّفَتْ عَنْکَ جَلاَبِیبُ مَا أَنْتَ فِیهِ- مِنْ دُنْیَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِزِینَتِهَا وَ خَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا- دَعَتْکَ فَأَجَبْتَهَا وَ قَادَتْکَ فَاتَّبَعْتَهَا- وَ أَمَرَتْکَ فَأَطَعْتَهَا- وَ إِنَّهُ یُوشِکُ أَنْ یَقِفَکَ وَاقِفٌ عَلَی مَا لاَ یُنْجِیکَ مِنْهُ مِجَنٌّ- فَاقْعَسْ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ- وَ خُذْ أُهْبَهَ الْحِسَابِ وَ شَمِّرْ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِکَ- وَ لاَ تُمَکِّنِ الْغُوَاهَ مِنْ سَمْعِکَ- وَ إِلاَّ تَفْعَلْ أُعْلِمْکَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِکَ- فَإِنَّکَ مُتْرَفٌ قَدْ أَخَذَ الشَّیْطَانُ مِنْکَ مَأْخَذَهُ- وَ بَلَغَ فِیکَ أَمَلَهُ وَ جَرَی مِنْکَ مَجْرَی الرُّوحِ وَ الدَّمِ- وَ مَتَی کُنْتُمْ یَا؟مُعَاوِیَهُ؟ سَاسَهَ الرَّعِیَّهِ- وَ وُلاَهَ أَمْرِ الْأُمَّهِ- بِغَیْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ وَ لاَ شَرَفٍ بَاسِقٍ- وَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ- وَ أُحَذِّرُکَ أَنْ تَکُونَ مُتَمَادِیاً فِی غِرَّهِ الْأُمْنِیِّهِ- مُخْتَلِفَ الْعَلاَنِیَهِ وَ السَّرِیرَهِ- وَ قَدْ دَعَوْتَ إِلَی الْحَرْبِ فَدَعِ النَّاسَ جَانِباً- وَ اخْرُجْ إِلَیَّ وَ أَعْفِ الْفَرِیقَیْنِ

مِنَ الْقِتَالِ- لِتَعْلَمَ أَيُّنَا الْمَرِينُ عَلَى قَلْبِهِ وَ الْمُغَطَّى عَلَى بَصَرِهِ- فَأَنَا؟أَبُو حَسَنٍ؟ قَاتِلُ جَدِّكَ وَ أَخِيكَ وَ خَالِكَ شَدْخاً؟يَوْمَ بَدْرٍ؟- وَ ذَلِكَ السَّيْفُ مَعِی- وَ بِذَلِكَ الْقَلْبِ أَلْقَى عَدُوِّی- مَا اسْتَبْدَلْتُ دِيناً وَ لاَ اسْتَحْدَثْتُ نَبِيّاً- وَ إِنِّی لَعَلَى الْمِنْهَاجِ الَّذِی تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ- وَ دَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ- وَ زَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ ثَائِراً بِدَمِ؟عُثْمَانَ؟- وَ لَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ؟عُثْمَانَ؟- فَاطْلُبْهُ مِنْ هُنَاكَ إِنْ كُنْتَ طَالِباً- فَكَأَنِّی قَدْ رَأَيْتُكَ تَضِجُّ مِنَ الْحَرْبِ- إِذَا عَضَّتْكَ ضَجِيجَ الْجِمَالِ بِالْأَثْقَالِ- وَ كَأَنِّی بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِی جَزَعاً مِنَ الضَّرْبِ الْمُتَتَابِعِ- وَ الْقَضَاءِ الْوَاقِعِ وَ مَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ- وَ هِیَ كَافِرَةٌ جَاحِدَةٌ أَوْ مُبَايِعَةٌ حَائِدَةٌ أقول:أوّل هذا الكتاب:من عبد اللّه علیّ أمير المؤمنين إلی معاويه بن أبی سفيان سلام علی من اتّبع الهدی فإنّی أحمد إليك «اللّهُ الَّذِی لا إِلهَ إِلاّ هُوَ» .أمّا بعد فإنّك رأيت من الدنيا و تصرّفها بأهلها فيما مضی منها،و خير ما بقی من الدنيا ما أصاب العباد الصادقون فيما مضی منها،و من يقس الدنيا بشأن الآخره يجد بينهما بونا بعيدا.و اعلم يا معاويه أنّك قد ادّعيت أمرا لست من أهله لا فی القدم و لا فی البقيّه و لا فی الولايه و لست تقول فيه بأمر بيّن يعرف لك فيه أثر و لا لك عليه شاهد من كتاب اللّه و لا عهد تدّعيه من رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم.ثمّ يتّصل بقوله:فكيف أنت.الفصل.

اللغه

و الجلباب : الملحفه .و تبهّجت : تحسّنت و تزيّنت .و يوشك بالكسر:

يقرب .و وقفه علی ذنبه . أی اطّلعه عليه .و المجنّ : الترس.و يروی:منج .و

ص:۳۷۱

قعس : أى تأخّر .و الاهبه : العدّه و هو ما يهيّأ للأمر و يستعدّ به له .و شمّر ثوبه:

رفعه .و الإغفال : الإهمال و الترک .و المترف : الّذى أطغته النعمه .و الباسق:

العالى .و التمادى فى الأمر : تطويل المدّه فيه .و الغرّه : الغفله .و الامنيّه : ما يتمنّى .و الرين : الغلبه و التغطيه ،و المرين على قلبه : من غلبت عليه الذنوب و غطّت عين بصيرته الملكات الرديئه .و الشدخ : كسر الشىء الأجوف .و الثائر:

الطالب بالدم .و الضجيج : الصياح .و الحايده : العادله .

المعنى

و قد استفهم عن كيفيّه صنعه عند مفارقه نفسه لبدنه استفهام تنبيه له على غفلته عمّا ورائه من أحوال الآخره و تذكيرا بها. استعاره مرشحه و استعار لفظ الجلابيب للّذّات الحاصله له فى الدنيا بمتاعها و زينتها.و وجه الاستعاره كون تلك اللّذّات و متعلّقاتها أحوال ساتره بينه و بين إدراک ما ورائه من أحوال الآخره مانعه له من ذلک کما يستر الجلباب ما ورائه،و رشّح الاستعاره بذكر التكشّف ، مجاز و لفظ–ما–مجمل بيّنه بقوله:

من دنيا مع ساير صفاتها و هى تحسّنها و زينتها و أسند إليها التبهّج مجازا.إذ الجاعل لها ذات تبهّج ليس نفسها بل اللّه تعالى . مجاز فى الإفراد–مجاز فى التركيب و فى قوله: و خدعت .مجاز فى الإفراد و التركيب أمّا فى الإفراد فلأنّ حقيقه الخدعه أن يكون من إنسان لغيره فاستعملها هاهنا فى كون الدنيا بسبب ما فيها من اللذّات موهمه لكونها مقصوده بالذات و أنّها كمال حقيقىّ مع أنّها ليست كذلک و ذلک يشبه الخدعه،و أمّا فى التركيب فلأنّ كونها موهمه لذلک ليس من فعلها بل من أسباب اخرى منتهى إلى اللّه سبحانه.و كذلک التجوّز فى قوله: دعتک و قادتک و أمرتک .فإنّ الدعاء و القود و الأمر لها حقايق معلومه لكن لمّا كانت تصوّرات كمالها أسبابا جاذبه لها أشبهت تلک التصوّرات الدعاء فى كونها سببا جاذبا إلى الداعى فأطلق عليها لفظ الدعاء،و كذلک أطلق على تلک التصوّرات لفظ القود و الأمر باعتبار كونها أسبابا مستلزمه لاتّباعها كما أنّ الأمر و القود يوجبان الاتّباع،و أمّا فى التركيب فلأنّ تلک التصوّرات الّتى أطلق عليها لفظ الدعاء و القود و الأمر مجازا ليس فاعلها و موجبها هو الدنيا بل واهب العلم،و لمّا كانت إجابه الدنيا و اتّباعها و طاعتها معاصى

يخرج الإنسان بها عن حدود اللّه ذكرها فى معرض توبيخه و ذمّه .

و قوله: و إنّه يوشک .

تذكير بقرب اطّلاعه على ما يخاف من أهوال الآخره و الوصول إليه اللازم عن لزوم المعاصى و هو فى معرض التحذير له و التنفير عن إصراره على معصيه اللّه بادّعائه ما ليس له:أى يقرب أن يطّلعک مطّلع على ما لا بدّ لک منه ممّا تخاف من الموت و ما تستلزمه معاصيک من لحوق العذاب،و ظاهر أنّ تلك امور غفلت عنها العصاه فى الدنيا ما داموا فى حجب الأبدان فإذا نزعت عنهم تلك الحجب اطّلعوا على ما قدّموا من خير أو شرّ و ما اعدّ لهم بسبب ذلک من سعاده أو شقاوه كما أشار إليه سبحانه بقوله «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً» الآيه و قد مرّت الإشاره إلى ذلک غيره مرّه.و ذلک المطّلع و الموقف هو اللّه سبحانه.و يحتمل أن يريد به نفسه عليه السّلام على سبيل التوعيد له و التهديد بالقتل المستلزم لذلک الاطّلاع إن دام على غيّه،و ظاهر أنّ تلک الامور الّتى تقف عليها لا ينجيه منها منج.ثمّ أردف ذلک التوبيخ و التهديد بالغرض له منهما و هو أمره بالتأخّر عن أمر الخلافه.

ثمّ أردف ذلک بما يستلزم التخويف و التهديد فأمره بأخذ الاهبه للحساب و الاستعداد له بعدّته و هى طاعه اللّه و تقواه و مجانبه معاصيه،و بالتشمير لما قد نزل به. كنايه و كنّى بالتشمير عن الاستعداد أيضا .و ما نزل به إمّا الموت أو القتل و ما بعده تنزيلا لما لا بدّ من وقوعه أو هو فى مظنّه الواقع منزله الواقع،و يحتمل أن يريد الحرب الّتى يريد أن يوقعها به. كنايه ثمّ نهاه عن تمكين الغواه من سمعه ،و كنّى به عن إصغائه إليهم فيما يشيرون به عليه من الآراء المستلزمه للبقاء على المعصيه.إذ من شأن الغاوى الإغواء.و الغواه كعمرو بن العاص و مروان و من كان يعتضد به فى الرأى .

و قوله:و إلاّ تفعل.

أى إن لم تفعل ما آمرک به اعلمک ما تركت من نفسک.و مفعول تركت ضمير-ما-.

و قوله:من نفسک.

بیان لذلک الضمیر و تفسیر له.و إغفاله لنفسه ترکه إعدادها بما یخلصه من أهوال الحرب و عذاب الآخره و هو ملازمه طاعه اللّه و اقتناء الفضائل النفسانیّه،و یفهم من ذلک الإعلام الّذی توعّد به الإعلام بالفعل فإنّ مضایقته بالحرب و القتال یستلزم إعلامه ما أغفل من نفسه من طاعه اللّه المستلزمه للراحه.

و قوله :فإنّک.إلی قوله:الدم.

وصف له بمذامّ یستلزم إعلامه بالفعل[بالقول خ]ما أغفل من زمنه.فالترف مستلزم لتجاوز الحدّ الّذی ینبغی و یترکه و ذلک الحدّ فضیله تحت العفّه یکون الشیطان قد أخذ منه مأخذه و بلغ فیه أمله و جری منه مجری الروح و الدم فی القرب یستلزم وصفه بکلّ الرذائل المستلزمه أضدادها من الفضائل .ثمّ أخذ فی استفهامه عن وقت کون بنی امیّه ساسه الرعیّه و ولاه أمر الامّه استفهاما علی سبیل الإنکار لذلک و التقریع بالخمول و القصور عن رتبه الملوک والولاه، کنایه و القدم السابق کنایه عن التقدّم فی الامور و الأهلیّه لذلک .و نبّه بقوله:بغیر قدم سابق علی أنّ سابقه الشرف و التقدّم فی الامور شرط لتلک الأهلیّه فی المتعارف و هو فی قوّه صغری ضمیر من الشکل الأوّل تقدیرها:و أنتم بغیر قدم سابق.و تقدیر الکبری:

و کلّ من کان کذلک فلیس بأهل لسیاسه الرعیّه و ولاه أمر الامّه.ینتج أنّکم لستم أهلا لذلک.و هو عین ما استنکر نقیضه.و ظاهر أنّهم لم یکن فیهم من أهل الشرف أهل لذلک .ثمّ استعاذ من لزوم ما سبق فی القضاء الإلهی من الشقاء تنبیها علی أنّ معاویه فی معرض ذلک و بصدده لما هو علیه من المعصیه و تنفیرا له عنها.ثمّ حذّره من أمرین:

أحدهما:تمادیه فی غفله الأطماع و الأمانی الدنیویّه.

و الثانی:کونه مختلف العلانیه و السریره.و کنّی بذلک عن النفاق.

و وجه التحذیر ما یستلزمانه من لزوم الشقاء فی الآخره .و قد کان معاویه دعاه إلی الحرب و أجابه بجواب مسکت،و هو قوله:فدع الناس.إلی قوله:ثائرا بعثمان و انتصب-جانبا-علی الظرف،و إنّما جعل مبارزته له سببا لعلمه بأنّه مغطّی

على قلبه و بصر بصيرته بحجب الـدنيا و جلابيب هيئاتهـا لما أنّ من لوازم العلم بأحوال الآخره و فضـلها على الـدنيا الثبات عند المبـارزه فى طلبهـا و إن أدّى إلى القتـل حتّى ربّما تكون محبّه القتل من لوازم ذلك العلم أيضا و قـد كان عليه السّـلام يعلم من حـاله أنّه لا يثبت له محبّه للبقاء فى الـدنيا فلـذلك دعاه إلى المبارزه ليعلمه بإقـدامه عليه و فراره منه أنّه ليس طالبا للحقّ و طريق الآخره فى قتاله و أنّ حجب الشـهوات الـدنيويّه قـد غطّت عين بصيرته عن أحوال الآخره و طلبها فكان فراره منه مستلزما لعـدم علمه بالآخره المسـتلزم للرين على قلبه و علامه دالّه عليه،و فى ذلك تهديـد و تحـذير،و كـذلك اعتزائه له و انتسابه،و تـذكيره بكونه قاتل من قتل من أهله شدخا يوم بدر فى معرض التخويف و التحذير له أن يصيبه ما أصابهم إن أصرّ على المعصيه.

و جـدّه المقتول هو جـدّه لامّه عتبه بن أبى ربيعه فـإنّه كـان أبا هنـد،و خاله الوليـد بن عتبه،و أخوه حنظله بن أبى سـفيان.فقتلهم جميعا عليه السّلام يوم بدر،و كذلك تذكيره ببقاء ذلك السيف و القلب معه يلقى بهما عدوّه و بكونه لم يستبدل دينا و لا نبيّا و أنّه على المنهاج الّذى تركوه طائعين و دخلوه مكرهين و هو طريق الإسلام الواضحه كلّ ذلك فى معرض التخويف و التحذير و التوبيخ بالنفاق .ثمّ أشار إلى الشبهه الّتى كانت سببا لثوران الفتن العظيمه و انشعاب أمر الدين و هى شبهه الطلب بدم عثمان الّتى كانت عمدته فى عصيانه و خلافه،و أشار إلى الجواب عنها بوجهين:

أحدهما:أنّه عليه السّلام ليس من قتله عثمان فلا مطالبه عليه و إنّما تتوجّه المطالبه على قاتليه و هو يعلمهم.

الثانى:المنع بقوله:إن كنت طالبا.فإنّ إيقاع الشكّ هنا بان-يستلزم عدم تسليم كونه طالبا بدم عثمان.ثمّ عقّب بتخويفه بالحرب و ما يستلزمه من الثقل إلى الغايه المذكوره .و هاهنا ثلاثه تشبيهات:

تشبيه أحـدها:المدلول عليه بقوله: فكأنّى قد رأيتك و المشـبّه هاهنا نفسه عليه السّـلام فى حال كلامه هذا،و المشـبّه به هو أيضـا نفسه لكن من حيث هى رأته رؤيه محقّقه.

ص:٣٧٥

و تحقيق ذلك أنّ نفسه لكمالها و اطّلاعها على الامور الّتى سيكون كانت مشاهده لها و وجه التشبيه بينهما بالقياس إلى حالتيها جلاء المعلوم و ظهوره له فى الحالتين.

استعاره بالكنايه الثانى:قوله: تضجّ ضجيج الجمال بالأثقال ،و وجه الشبه شدّه تبرّمه و ضجره من ثقلها كشدّه تبرّم الجمل المثقل بالحمل.و ضجيجه كنايه عن تبرّمه . استعاره و استعار لفظ العضّ لفعلها ملاحظه لشبهها بالسبع العقور،و وجه المشابهه استلزام تلك الأثقال للألم كاستلزام العضّ له .

تشبيه الثالث:قوله: و كأنّى بجماعتك .و المشبّه هنا أيضا نفسه و المشبّه به ما دلّت عليه بالإلصاق كأنّه قال:كأنّى متّصل أو ملتصق بجماعتك حاضر معهم.و محلّ يدعونى النصب على الحال،و العامل ما فى كان من معنى الفعل:أى اشبّه نفسى بالحاضر حال دعائهم له.و جزعا مفعول له . مجاز إطلاقا لاسم السبب على المسبّب و تجوّز بلفظ القضاء فى المقضىّ من الامور الّتى توجد عن القضاء الإلهى إطلاقا لاسم السبب على المسبّب .

و قوله:و مصارع بعد مصارع.

و المصرع هنا مصدر:أى جزعا من مصارع يلحق بعضهم بعد بعض أو تلحقهم بعد مصارع آبائهم السابقه.و قد كان اطّلاعه عليه السّلام على دعائهم له إلى كتاب اللّه قبل وقوعه من آياته الباهره.و الواو فى قوله:و هى.للحال و العامل فيه يدعونى.

و الكافره الجاحده للحقّ من جماعته إشاره إلى المنافقين منهم و قد كان فيهم جماعه كذلك،و المبايعه الحايده الّذين بايعوه و عدلوا عن بيعته إلى معاويه.و السلام.

۱۱-و من وصيّه له عليه السّلام

اشاره

وصى بها جيشا بعثه إلى العدو

فَإِذَا نَزَلْتُمْ بِعَدُوٍّ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ- فَلْيَكُنْ مُعَسْكَرُكُمْ فِي قُبُلِ اَلْأَشْرَافِ- أَوْ سِفَاحِ اَلْجِبَالِ أَوْ أَثْنَاءِ اَلْأَنْهَارِ- كَيْمَا يَكُونَ لَكُمْ رِدْءاً وَ دُونَكُمْ مَرَدّاً-

ص:۳۷۶

وَ لْتَكُنْ مُقَاتَلَتُكُمْ مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ أَوِ اثْنَيْنِ- وَ اجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي صَيَاصِي الْجِبَالِ- وَ مَنَاكِبِ الْهِضَابِ- لِئَلَّا يَأْتِيَكُمُ الْعَدُوُّ مِنْ مَكَانِ مَخَافَةٍ أَوْ أَمْنٍ- وَ اعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ الْقَوْمِ عُيُونُهُمْ- وَ عُيُونَ الْمُقَدِّمَةِ طَلاَئِعُهُمْ وَ إِيَّاكُمْ وَ التَّفَرُّقَ- فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَانْزِلُوا جَمِيعاً- وَ إِذَا ارْتَحَلْتُمْ فَارْتَحِلُوا جَمِيعاً- وَ إِذَا غَشِيَكُمُ اللَّيْلُ فَاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً- وَ لاَ تَذُوقُوا النَّوْمَ إِلاَّ غِرَاراً أَوْ مَضْمَضَةً أقول:و هذا الفصل ملتقط من كتاب كتبه عليه السّلام إلى زياد بن النضر الحارثى حين سرّحه على مقدّمته إلى الشام من النخيله لمّا أراد الخروج من الكوفه إليها،و كان قد بعث معه شريح بن هانى و اختلفا فكتب كلّ منهما إليه يشكو من صاحبه فكتب عليه السّلام إليهما:أمّا بعد فإنّى ولّيت زياد بن النضر مقدّمتى و أمّرته عليها،و شريح على طايفه منها أمير فإن جمعكما بأس فزياد على الناس و إن افترقتما فكلّ واحد منكما أمير على الطايفه الّتى ولّيته عليها.و اعلما أنّ مقدّمه القوم عيونهم و عيون المقدّمه طلايعهم فإذا أنتما خرجتما من بلاد كما و دنوتما من بلاد عدوّكما فلا تسكنا من توجيه الطلايع و نفّض الشعاب و الشجر و الخمر فى كلّ جانب كيلا يغترّ كما عدوّ أو يكون لهم كمين و لا تسيرا الكتائب إلاّ من لدن الصباح إلى المساء إلاّ على تعبيه فإن دهمكم دهم أو غشيكم مكروه كنتم قد تقدّمتم فى التعبيه.ثمّ يتّصل بقوله:فإذا نزلتم.

إلى قوله:أو أمن.ثمّ يتّصل بقوله:و إيّاكم و التفرّق فإذا نزلتم فانزلوا جميعا و إذا رحلتم فارحلوا جميعا و إذا غشيكم الليل فنزلتم فحفّوا عسكركم بالرماح و الترسه،و رماتكم تكون ترستكم و رماحكم و ما أقمتم فكذلك فافعلوا كيلا يصاب لكم غفله و لا يلقى لكم غرّه فما من قوم يحفّون عسكرهم برماحهم و ترستهم من ليل أو نهار إلاّ كأنّهم فى حصون،و احرسا عسكر كما بأنفسكما و إيّاكما أن تذوقا النوم حتّى تصبحا إلاّ غرارا أو مضمضه.ثمّ ليكن ذلك شأنكما و رأيكما إلى أن تنتهيا

إلى عـدوّ كمـا و ليكن عنـدى كـلّ يوم خبركمـا و رسول من قبلكمـا فـإنّى و لا شـىء إلاّ ما شاء اللّه حثيث السير فى آثاركما.و عليكما فى حربكما بالتؤوده.و إيّاكما و العجله إلاّ أن تمكّنكما فرصه بعد الإعذار و الحجّه،و إيّاكما أن تقاتلا حتّى أقدم عليكما إلاّ أن تبدئا أو يأتيكما أمرى «إِنْ شاءَ اللّهُ» ،و لنرجع إلى الشرح فنقول:

اللغه

العين : الجاسوس .و طليعه الجيش : الّذى يبعث ليطّلع على العدوّ .و نفض الشعاب:

استقراؤها .و الخمر : مـا واراك من شـجر أو جبـل و نحوهمـا .و الكمين : الواحـد أو الجمع يستخفون فى الحرب حيله للإيقاع بالعدوّ .و الكتيبه : الجيش .و تعبيته:

جمعه و إعداده .و الدهم : العدد الكثير .و المعسكر - بفتح الكاف-:موضع العسكر .

و الأشـراف : جمع شـرف بفتح الراء و هو المكان العالى .و قبلها - بضمّتين أو ضمّه و سكون-:هو قدّامها .و سفح الجبل : أسفله حيث يسفح فيه الماء .و أثناء الأنهار:

جمع ثنى و هو منعطفها[منقطعها خ] و الردء : العون فى المقاتله .و الرقباء: الحفظه على صياصى الجبال و هى أعاليها و أطرافها .و الهضاب : جمع هضبه و هى الجبل المنبسط على وجه الأرض .و كفّه بالكسر:أى مستديره .و الغرار : النوم القليل .

و المضمضه : حركه النعاس فى العين و هو كنايه عن قلّه النوم أيضا .و الترسه:

جمع ترس .

المعنى

و اعلم أنّ صـدر الكتـاب ظاهر إلاّ أنّ فيه نكته و هى أنّه كرّر لفظ إلاّ عقيب النهى عن تسـيرا الكتايب و هما يفيـدان الحصـر أمّا الاولى فتفيد حصر السير فى الوقت المشار إليه،و أمّا الثانيه فتفيد حصره فى حال التعبيه.و فى هذا الكتاب من تعليم كيفيّه الحرب قوانين كلّيّه عظيمه النفع يستلزم استعمالها الظفر بالعـدوّ و تفصـح عن تكـذيب من ادّعى أنّه لا ـ علم له بـالحرب كما حكاه عليه السّلام عن قريش فيما مضى،و فى هذا الفصل جمله منها:

أحدها:أن يختاروا لمعسكرهم عند منازله العدوّ قدّام الأماكن العاليه و سفاح الجبال و أثناء الأنهار.و كشف عن العلّه فى ذلك و وجه المصلحه فيه بقوله:

كيما يكون ردءا لهم:أى تكون هذه الأماكن حافظه لكم من ورائكم مانعه من

العدوّ أن يأتيكم من تلك الجهه و بذلك كانت معينه.

الثانى :أن يكون مقاتلتهم من وجه واحد فإن لم يكن فمن وجهين حيث يحفظ بعضهم ظهر بعض،و سرّه أنّه يستلزم البقاء على الجمعيّه،و أمّا المقاتله من وجوه كثيره فمستلزمه للتفرّق و الضعف.

الثالث:أن يجعلوا لهم حفظه فى الأماكن العاليه و علّته ما ذكر و هو أن لا يأتيهم العدوّ من مكان يخافون منهم،أو يأمنون على غرّه و غفله من الاستعداد له.

الرابع:أن يعلموا أنّ مقدّمه القوم عيون لهم و عيون المقدّمه طلايعهم فلا يهملوا التأهّب عند رؤيه المقدّمه و الطليعه و إن قلّ عددهم لأنّ رؤيتهم ممّا تشعر بهجوم العدوّ و قربه.

الخامس :التحذير من التفرّق،و من لوازمه الأمر بالاجتماع حالتى النزول و الارتحال،و سرّه ظاهر.

السادس:أن يجعلوا الرماح مستديره عليهم و أن لا يستغرقوا فى النوم كما يفعله القارّ المطمئنّ.و سرّهما الحراسه و التحفّظ خوف هجوم العدوّ على الغرّه و حال النوم.

۱۲-و من وصيّه له عليه السّلام

اشاره

لمعقل بن قيس الرياحى

حين أنفذه إلى الشام فى ثلاثه آلاف مقدمه له اِتَّقِ اللَّهَ الَّذِی لاَ بُدَّ لَکَ مِنْ لِقَائِهِ- وَ لاَ مُنْتَهَی لَکَ دُونَهُ- وَ لاَ تُقَاتِلَنَّ إِلاَّ مَنْ قَاتَلَکَ- وَ سِرِ الْبَرْدَیْنِ وَ غَوِّرْ بِالنَّاسِ- وَ رَفِّهْ فِی السَّیْرِ وَ لاَ تَسِرْ أَوَّلَ اللَّیْلِ- فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ سَکَناً وَ قَدَّرَهُ مُقَاماً لاَ ظَعْناً- فَأَرِحْ فِیهِ بَدَنَکَ وَ رَوِّحْ ظَهْرَکَ- فَإِذَا وَقَفْتَ حِینَ یَنْبَطِحُ السَّحَرُ- أَوْ حِینَ یَنْفَجِرُ الْفَجْرُ فَسِرْ عَلَی

بَرَكَهِ اللَّهِ- فَإِذَا لَقِيتَ الْعَدُوَّ فَقِفْ مِنْ أَصْحَابِکَ وَسَطاً- وَ لاَ تَدْنُ مِنَ الْقَوْمِ دُنُوَّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْشِبَ الْحَرْبَ- وَ لاَ تَبَاعَدْ عَنْهُمْ تَبَاعُدَ مَنْ يَهَابُ الْبَأْسَ- حَتَّى يَأْتِيَکَ أَمْرِی- وَ لاَ يَحْمِلَنَّکُمْ شَنَآنُهُمْ عَلَى قِتَالِهِمْ- قَبْلَ دُعَائِهِمْ وَ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ أقول:روی أنّه عليه السّلام بعثه من المدائن فی ثلاثه ألف و قال له:امض على الموصل حتّى توافينی بالرقّه.ثمّ قال له اتّق اللّه.الفصل.فخرج حتّى أتى الحديثه و هی إذ ذاک منزل الناس إنّما بنا الموصل بعد ذلک محمّد بن مروان.ثمّ مضوا حتّى لقوه عليه السّلام بالرقّه.

اللغه

و البردين : الغداه و العشیّ.و کذلک الأبردان .و التغوير القيلوله ، و غوّر : أی نزّل فی الغائره و هی القائله و نصف النهار .و الترفيه: الإراحه .و السکن:

ما يسکن فيه و إليه .و الظعن . الارتحال .و الانبطاح : الاتّساع و الانبساط .

و أنشبت الشیء بالشیء : علّقته به .و الشنئان : البغض و العداوه .

المعنى

و لمّا کان معقل بن قيس متوجّه للسفر إلى اللّه تعالى فی جهاد أعدائه أمره بتقواه الّذی هو خير زاد فی الطريق إليه:و فی قوله:الّذی لا بدّ لک من لقائه و لا منتهى لک دونه فوائد:

إحداها:جذبه إلى التقوى بالتخويف من لقاء اللّه.

الثانيه:تسهيل الجهاد عليه فإنّه لمّا کان معتقدا أنّ الجهاد طاعه مقرّبه إلى اللّه تعالى أشعره بوجوب لقائه ليستعدّ بتلک الطاعه الّتی هو بصددها لما يضطرّ إليه من لقائه.

الثالثه:أنّه أمره بتقوى اللّه و خوّفه بضروره لقائه تعالى ليکون أسرع إلى ما يأمره به و ينهاه عنه من الامور المذکوره فی وصيّته.فمنها:أن لا يقاتل إلّا من قاتله فإنّ قتال غير المقاتل ظلم،و منها:أن يسير طرفی النهار لبردهما و يغوّر فی وسطه لما يستلزمه القايله من شدّه الحرّ و المتاعب فيه،و أن يرفّه فی السير ليلحق الضعيف

ص:۳۸۰

القوىّ و لا يظهر التعب على الناس لحاجتهم إلى فضل القوّه و الاستجمام،و أن لا يسير فى أوّل الليل لأنّ اللّه جعله سكنا و مناما يستراح فيه من المتاعب و يسكن إليه بعد النفره من أن يجعله محلّ الظعن،و أمره أن يريح فيه بدنه و يروّح ظهره:أى خيله،و أطلق عليه لفظ الظعن مجازا إطلاقا لاسم المظروف على الظرف، و أن يجعل سيره بعد وقوفه فى ليله حين ينبطح السحر أو حين ينفجر الفجر لأنّها مظنّه طيب السير ،و أن يقف من أصحابه عند لقاء العدوّ وسطا ليكون نسبه الطرفين فى الرجوع إليه و الاستمداد بسماع أوامره على سواء.و من النواهى أن لا يدنو من القوم دنّوا قريبا يشعرهم بإراده إيقاع الفتنه ليكون أعذر عند اللّه و إلى القوم فى دعائهم إلى الحقّ،و لا يتباعد عنهم تباعدا يشعر بخوفه و رهبته من عدوّه لئلّا يطمع فيه العدوّ.و ضرب له فى هذين النهيين غايه هى ورود أمره عليه بأحدهما ،و أن لا يحملهم بغضهم و عداوتهم على قتالهم قبل دعائهم إلى الإمام الحقّ و الإعذار إليهم بذلك فيكون قتالهم على ذلك الوجه لغير اللّه بل بمجرّد الهوى و العداوه فيخرج عن كونه طاعه.و باللّه التوفيق.

۱۳-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى أميرين من أمراء جيشه

وَ قَدْ أَمَّرْتُ عَلَيْكُمَا- وَ عَلَى مَنْ فِي حَيِّزِكُمَا؟مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الْأَشْتَرَ؟- فَاسْمَعَا لَهُ وَ أَطِيعَا وَ اجْعَلاَهُ دِرْعاً وَ مِجَنّاً- فَإِنَّهُ مِمَّنْ لاَ يُخَافُ وَهْنُهُ وَ لاَ سَقْطَتُهُ- وَ لاَ بُطْؤُهُ عَمَّا الْإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمُ- وَ لاَ إِسْرَاعُهُ إِلَى مَا الْبُطْءُ عَنْهُ أَمْثَلُ أقول:الأميران المشار إليهما هما زياد بن النضر و شريح بن هانى،و ذلك أنّه حين بعثهما على مقدّمه له فى اثنى عشر ألفا التقيا أبا الأعور السلمى فى جند من أهل الشام فكتبا إليه يعلمانه بذلك.فأرسل إلى الأشتر فقال له ما قال:إنّ زياد بن

النضر و شريحا أرسلا إلىّ يعلمانى أنّهما لقيا أبا الأعور فى جند من أهل الشام بسور الروم فنبّأنى الرسول أنّه تركهم متوافقين فالتجئ لأصحابك التجاء فإذا أتيتهم فأنبهم[فأنت عليهم خ].عليهم،و إيّاك أن تبدء القوم بقتال إلاّ أن يبدءوك حتّى تلقاهم و تسمع منهم و لا يجر منّك شنئانهم على قتالهم قبل دعائهم و الإعذار إليهم مرّه بعد مرّه،و اجعل على ميمنتك زيادا و على ميسرتك شريحا وقف من أصحابك وسطا و لا تدن منهم دنّو من يريد أن ينشب الحرب و لا تباعد منهم تباعد من يهاب البأس حتّى أقدم عليك فإنّى حثيث السير إليك إنشاء اللّه،و كتب إليهما عليه السّلام:أمّا بعد فإنّى أمّرت عليكما.الفصل.

اللغه

و السقطه : الزلّه .و الجزم : ضبط الرجل أمره و أخذه بأولى الآراء و أقواها إلى الصواب .و الأمثل : الأقرب إلى الخير .

المعنى

و قد أمرهما بأوامر:منها أن يسمعا أمر أميرهما فيما يراه أصلح،و أن يطيعا أمره فى ذلك ليكون به نظام امورهم فى لقاء عدوّهم المستلزم لظفرهم،و أن يجعلاه درعا و مجنّا فى الحرب و الرأى فإنّه ممّن لا يخاف ضعفه فى حرب و لازلّته فى رأى و لا بطؤه عمّا الإسراع إليه أحزم و أولى بالرأى من الأفعال و لا إسراعه فيما البطؤ عنه أولى بالتدبير و أقرب إلى الخير بل يضع كلّ شىء موضعه. استعاره و لفظ الدرع و المجنّ مستعاران باعتبار وقايته لهم من شرّ عدوّهم كما يقى الدرع و المجنّ صاحبهما .و باللّه التوفيق.

۱۴-و من وصيّه له عليه السّلام

اشاره

لعسكره قبل لقاء العدو بصفين

لاَ تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَءُوكُمْ- فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى حُجَّهٍ- وَ تَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَءُوكُمْ حُجَّهٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ- فَإِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَهُ بِإِذْنِ اللَّهِ- فَلاَ تَقْتُلُوا مُدْبِراً وَ لاَ تُصِيبُوا مُعْوِراً- وَ لاَ تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ- وَ لاَ تَهِيجُوا النِّسَاءَ

ص:۳۸۲

بِأَذًى- وَ إِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ وَ سَبَبْنَ أَمَرَاءَكُمْ- فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى وَ الْأَنْفُسِ وَ الْعُقُولِ- إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَ إِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ- وَ إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ- بِالْفَهْرِ أَوِ الْهِرَاوَةِ- فَيُعَيَّرُ بِهَا وَ عَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ أقول:روی أنّه علیه السّلام کان یوصی أصحابه فی کلّ موطن یلقون العدوّ فیه بهذه الوصیّه.

اللغه

الهزیمه : الهرب .و أعور الصید : أمکن من نفسه ،و أعور الفارس : ظهر فیه موضع خال للضرب.فهو معور .و أجهز علی الجریح : قتله .و أهجت الشیء:

أثرته .و الفهر : الحجر المستطیل الأملس .و الهراوه : خشبه کالدبوس .و العقب:

الولد ذکرا و انثی .

و قد وصیّ فی هذا الفصل بامور :

أحدها:ان لا یقاتلوهم إلی أن یبدءوهم بالقتال،

و أشار إلی أنّ ذلک یکون حجّه ثانیه علیهم و أومی بالحجّه الاولی إلی قوله تعالی «فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَی الْأُخْری فَقاتِلُوا الَّتِی تَبْغِی حَتّی تَفِیءَ إِلی أَمْرِ اللّهِ» (۱)و ظاهر أنّ هؤلاء بغاه علی الإمام الحقّ فوجب قتالهم.

و أمّا الثانیه:فهی ترکهم حتّی یبدءوا بالحرب

و بیان هذه الحجّه من وجهین:

أحدهما:أنّهم إذا بدءوا بالحرب فقد تحقّق دخولهم فی حرب اللّه و حرب رسوله لقوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:حربک یا علیّ حربی.و محقّق سعیهم فی الأرض بالفساد بقتلهم النفس الّتی حرّم اللّه ابتداء بغیر حقّ و کلّ من تحقّق دخوله فی ذلک دخل فی عموم قوله تعالی «إِنَّما جَزاءُ الَّذِینَ یُحارِبُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ» (۲)الآیه.

الثانی:أنّ البادی بالحرب معتد ابتداءا.و کلّ معتد کذلک فیجب الاعتداء

۱- ۱) ۹-۴۹.

۲- ۲) ۳۷-۵.

عليه لقوله تعالى «فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ» الآيه فوجب الاعتداء عليهم إذا بدءوا بالحرب .

الثالث:وصّاهم على تقدير وقوع الهزيمه منهم بإذن اللّه أن لا يقتلوا مدبرا:

أى مولّيا هاربا و لا يصيبوا معورا،و هو الّذى أمكنتهم الفرصه فى قتله بعد انكسار العدوّ كالمعور من الصيد.و قيل:أراد بالمعور المريب و هو الّذى وقع فيه الشكّ أنّه محارب أم لا:أى لا تقتلوا إلاّ من علمتم أنّه محارب لكم.

الرابع:أن لا تجهزوا على جريح.

و هذه الامور الأربعه المنهىّ عنها هاهنا هى من أحكام الكفّار حال الحرب.ففرّق عليه السّلام بين هؤلاء البغاه و بينهم فيها و إن أوجب قتالهم و قتلهم،و يلحق بذلك من أحكامهم ما نقله نضر بن مزاحم تماما لهذا الفصل بعد قوله:و لا تجهزوا على جريح:و لا تكشفوا عوره،و لا تمثّلوا بقتيل، و إذا وصلتم إلى رجال القوم فلا تهتكوا سرّا و لا تدخلوا دارا إلاّ بإذن و لا تأخذوا شيئا من أموالهم.ثمّ يتّصل بقوله:و لا تهيجوا النساء،و المراد بذلك أن لا تثيروا شرورهنّ بأذى و إن بلغن الغايه المذكوره من شتم الأعراض و سبّ الامراء،و علّل أولويّه الكفّ عنهنّ بكونهنّ ضعيفات القوى:أى ضعيفات القدر عن مقاومات الرجال و حربهم.و سلاح الضعيف و العاجز لسانه،و بكونهنّ ضعيفات الأنفس:أى لا صبر لنفوسهنّ على البلاء فيجتهدن فى دفعه بما أمكن من سبّ و غيره،و بكونهنّ ضعيفات العقول:أى لا قوّه لعقولهنّ أن يرين عدم الفايده فى السبّ و الشتم و أنّه من رذايل الأخلاق و أنّه يستلزم زياده الشرور و إثاره الطبايع الّتى يراد تسكينها و كفّها .

و قوله:و إن كنّا.إلى آخره.

و قوله:و إن كنّا.إلى آخره.

تنبيه على الأمر بالكفّ عنهنّ لأنّه إذا امر بالكفّ عنهنّ حال كونهنّ مشركات ففى حال إظهارهنّ الإسلام أولى.و الواو فى و إنهنّ للحال.

و قوله:و إن كان الرجل.إلى آخره.

و قوله:و إن كان الرجل.إلى آخره.

تنبيه على ما فى أذاهنّ من المفسده و هى السمه اللازمه لفاعله فى حالتى

حیاته و بعد وفاته،و ذلک تنفیر عن أذاهنّ فی معرض النهی عنه و تناولها بالفهر و الهراوه کنایه عن ضربها بهما،و-إن-فی قوله:و إن کنّا،و فی قوله:و إن کان.

هی المخفّفه من الثقیله و تلزم اللام خبرها فرقا بینها و بین إن النافیه.

۱۵-و کان یقول علیه السّلام

اشاره

إذا لقی العدو محاربا:

اَللَّهُمَّ إِلَیْکَ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ وَ مُدَّتِ الْأَعْنَاقُ- وَ شَخَصَتِ الْأَبْصَارُ وَ نُقِلَتِ الْأَقْدَامُ وَ أُنْضِیَتِ الْأَبْدَانُ- اللَّهُمَّ قَدْ صَرَّحَ مَکْنُونُ الشَّنَآنِ- وَ جَاشَتْ مَرَاجِلُ الْأَضْغَانِ- اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْکُو إِلَیْکَ غَیْبَهَ نَبِیِّنَا- وَ کَثْرَهَ عَدُوِّنَا وَ تَشَتُّتَ أَهْوَائِنَا- «رَبَّنَا افْتَحْ بَیْنَنا وَ بَیْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ وَ أَنْتَ خَیْرُ الْفاتِحِینَ» أقول:روی أنّه علیه السّلام کان إذا اشتدّ القتال ذکر اسم اللّه حین یرکب.ثمّ یقول:

الحمد للّه علی نعمه علینا و فضله العمیم،«سُبْحانَ الَّذِی سَخَّرَ لَنا هذا وَ ما کُنّا لَهُ مُقْرِنِینَ وَ إِنّا إِلی رَبِّنا لَمُنْقَلِبُونَ» .ثمّ یستقبل القبله و یرفع یدیه و یقول:اللّهمّ إلیک نقلت الأقدام.الفصل.إلی قوله:خیر الفاتحین.ثمّ یقول:سیروا علی برکه اللّه.ثمّ یقول:اللّه أکبر اللّه أکبر لا إله إلاّ اللّه و اللّه أکبر یا اللّه یا أحد یا صمد یا ربّ محمّد بسم اللّه الرحمن الرحیم و لا حول و لا قوّه إلاّ باللّه العلیّ العظیم «إِیّاکَ نَعْبُدُ وَ إِیّاکَ نَسْتَعِینُ» اللّهمّ کفّ عنّا أیدی الظالمین فکان هذا شعاره بصفّین.

اللغه

و أفضت القلوب : خرجت إلیه عن کلّ شیء و وصلت إلیه خالصه سرّها .و شخوص البصر : ارتفاعه نحو الشیء بحیث لا یطرف .و إنضاء الأبدان : هزالها .و صرّح:

ظهر،و هو فعل لازم .و الشنئان : العداوه و البغضاء .و مكتومه : المستور منه .و المراجل : القدور .و جيشها : غليانها .و الضغن : الحقد .و افتح: أی احكم .

و الفاتح : الحاكم .

المعنى

و لمّا كان مراده عليه السّلام جهادا خالصا للّه و عباده له،و من كمال العبادات أن تشفع بذكر اللّه و توجيه السرّ إليه.إذ كان ذلك هو سرّ العباده و فايدتها لا جرم كان دأبه فی جهاده التضرّع و الالتفات إلى اللّه بهذا الفصل و أمثاله مع ما يستلزمه من طلب النصر و الإعداد له.فأشار بإفضاء القلوب إلى الإخلاص له فی تلك الحال، و بمدّ الأعناق و شخوص الأبصار إلى ما يستلزمه الإخلاص من الهيئات البدنيّه، و بنقل الأقدام و إنضاء الأبدان إلى أنّ ذلك السفر و ما يستلزمه من المتاعب إنّما هو لوجهه و غايه الوصول إلى مرضاته، استعاره مرشحه و أشار إلى علّه قتالهم له فی معرض الشكايه إلى اللّه تعالى و هی تصريحهم بما كان مستقرّا فی صدورهم فی حياه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من العداوه و البغضاء و لجيش أضغانهم السابقه ممّا فعل بهم ببدر واحد و غيرهما من المواطن.فلفظ المراجل مستعار و وجه المشابهه غليان دماء قلوبهم عن الأحقاد كغليان المراجل،و لفظ الجيش ترشيح .ثمّ لمّا كانت غيبه النبیّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و فقده هو السبب الّذی استلزم تصريح الشنئان و ظهور الأضغان و كثره العدوّ و تفرّق الأهواء لا جرم شكى إلى اللّه من تحقّقها و ما يسلزمه من هذه الشرور.ثمّ سأله أن يحكم بينه و بينهم بالحقّ اقتباسا من القرآن الكريم،لما أنّ إيقاع الحكم الحقّ بينهم يستلزم نصرته عليهم و ظفره بهم.إذ كان هو المحقّ فی جهاده.و باللّه التوفيق.

۱۶-و كان عليه السلام يقول

اشاره

لأصحابه عند الحرب

لاَ تَشْتَدَّنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّهٌ بَعْدَهَا كَرَّهٌ- وَ لاَ جَوْلَهٌ بَعْدَهَا حَمْلَهٌ- وَ أَعْطُوا السُّيُوفَ حُقُوقَهَا- وَ وَطِّئُوا لِلْجُنُوبِ مَصَارِعَهَا- وَ اذْمُرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الطَّعْنِ

ص:۳۸۶

الدَّعْسِيِّ وَ الضَّرْبِ الطِّلَحْفِيِّ- وَ أَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ فَوَ الَّذِى فَلَقَ الْحَبَّهَ وَ بَرَأَ النَّسَمَهَ- مَا أَسْلَمُوا وَ لَكِنِ اسْتَسْلَمُوا وَ أَسَرُّوا الْكُفْرَ- فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَاناً عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ

اللغه

أقول: الفرّه : المرّه من الفرار .و الكرّه : الفعله من الكرّ و هو الرجوع على العدوّ .و الجوله : الدوره .و المصارع : مواضع الصرع للقتلى .و ذمرته أذمره : أى حثثته .و الدعسىّ : منسوب إلى الدعس و هو الأثر .و الطلحف:

الشديد.و الياء للمبالغه .و النسمه : الخلق.

المعنى

و قوله:لا تشتدّنّ عليكم إلى قوله:حمله .

و قوله: لا تشتدّنّ عليكم إلى قوله: حمله .

أى إذا رأيتم فى فراركم مصلحه فى خدعه العدوّ كالجذب له بذلك حيث يتمكّن منه و يقع الفرصه فتكرّوا عليه حينئذ فلا تشتدّنّ عليكم الفرّه،و وجه الشدّه هنا أنّ الفرار بين العرب صعب شديد لما يستلزمه من العار و السّبه.فأشار إلى وجه تسهيله عليهم بأنّه إذا كان بعده كرّه فلا بأس به لما فيه من المصلحه،و يحتمل أن يريد أنّكم إذا اتّفق لكم إن فررتم فرّه عقّبتموها بكرّه فلا تشتدّنّ عليكم تلك الفرّه فتنفعلوا و تستحيوا فإن تلك الكرّه كالماحيه لها.و فيه تنبيه على الأمر بالكرّه على تقدير الفرّه،و كذلك قوله:و لا بجوله بعدها حمله.

و يحتمل أن يريد فلا تشتدّنّ عليكم فرّه من عدوّكم بعدها كرّه منه عليكم فإنّ تلك الكرّه لمّا كانت عقيب الفرّه لم تكن إلّا عن قلوب مدخوله و نيّات غير صحيحه.

و إنّما قدّم الفرّه فى هذا الاحتمال لأنّ مقصوده تحقير تلك الكرّه بذكر الفرّه، و كان ذكرها أهمّ فلذلك قدّمت،و كذلك قوله:و لا جوله بعدها حمله.

ثمّ أمرهم بأوامر :

أحدها:

استعاره بالكنايه أن يعطوا السيوف حقوقها .و هو كنايه عن الأمر بفعل ما ينبغى أن يفعل.و لفظ العطاء مستعار لما تصل إليه السيوف من الأفعال الّتى ينبغى أن تفعل بها .

الثانی:

کنایه أن یوطّنوا لجنوبهم مصارعها :أی یتّخذوا مصارع جنوبهم أوطانا لها.و هو کنایه عن الأمر بالعزم الجازم علی القتل فی سبیل اللّه و الإقدام علی أهوال الحرب.إذ کان اتّخاذ المصارع أوطانا للجنوب مستلزما لذلک العزم و الإقدام.

و روی:و وطّئوا-بالیاء-.

الثالث:أن یحثّوا أنفسهم علی الطعن الّذی یظهر أثره و الضرب الشدید:

أی یحملوها علی ذلک و یبعثوها بالدواعی الصادقه الّتی فیها رضی من تذکّر ما وعد اللّه عباده الصالحین.

الرابع:أن یمیتوا الأصوات

:أی لا یکثروا الصیاح فإنّه من علامات الفشل فعدمه یکون علامه للثبات المنافی للجبن و الصیاح.و قد سبقت الإشاره إلی ذلک .ثمّ أقسم بما یعتاده من القسم البارّ أنّ القوم لم یسلموا بقلوبهم حین أظهروا الإسلام فی زمن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بألسنتهم،و لکنّهم استسلموا خوفا من القتل و أسرّوا الکفر فلمّا وجدوا علیه أعوانا أظهروه.و هو إشاره إلی المنافقین من بنی امیّه کعمرو بن العاص و مروان و معاویه و أمثالهم،و روی مثل هذا الکلام لعمّار بن یاسر-رضی اللّه عنه-و باللّه التوفیق.

۱۷-و من کتاب له علیه السّلام

اشاره

إلی معاویه،جوابا عن کتاب منه إلیه

وَ أَمَّا طَلَبُکَ إِلَیَّ؟الشَّامَ؟- فَإِنِّی لَمْ أَکُنْ لِأُعْطِیَکَ الْیَوْمَ مَا مَنَعْتُکَ أَمْسِ- وَ أَمَّا قَوْلُکَ- إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَکَلَتِ الْعَرَبَ إِلاَّ حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِیَتْ- أَلاَ وَ مَنْ أَکَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَی الْجَنَّهِ- وَ مَنْ أَکَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَی النَّارِ- وَ أَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِی الْحَرْبِ وَ الرِّجَالِ- فَلَسْتَ بِأَمْضَی عَلَی الشَّکِّ مِنِّی عَلَی الْیَقِینِ- وَ لَیْسَ أَهْلُ؟الشَّامِ؟ بِأَحْرَصَ

عَلَى الـدُّنْيَا- مِنْ أَهْـلِ؟الْعِرَاقِ؟ عَلَى الْـآخِرَهِ- وَ أَمَّا قَوْلُـكَ إِنَّا؟بَنُو عَبْـدِ مَنَافٍ؟ فَكَـذَلِكَ نَحْنُ وَ لَكِنْ لَيْسَ؟أَمَيَّهُ؟ ؟كَهَـاشِمٍ؟- وَ لاَ؟حَرْبٌ؟ ؟كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ وَ لاَ؟أَبُو سُـفْيَانَ؟ ؟كَأَبِی طَالِبٍ؟- وَ لاَ الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ وَ لاَ الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ- وَ لاَ الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ وَ لاَ الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ- وَ لَبِئْسَ الْخَلْفُ خَلْفٌ يَتْبَعُ سَلَفاً هَوَى فِی نَارِ جَهَنَّمَ- وَ فِی أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّهِ الَّتِی أَذْلَلْنَا بِهَا الْعَزِيزَ- وَ نَعَشْـنَا بِهَا الـذَّلِيلَ- وَ لَمَّا أَدْخَلَ اللَّهُ الْعَرَبَ فِی دِينِهِ أَفْوَاجاً- وَ أَسْـلَمَتْ لَهُ هَـذِهِ الْأُمَّهُ طَوْعاً وَ كَرْهاً- كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِی الدِّينِ إِمَّا رَغْبَهً وَ إِمَّا رَهْبَهً- عَلَى حِينَ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَـبْقِهِمْ- وَ ذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ بِفَضْـلِهِمْ- فَلاَ تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيباً- وَ لاَ عَلَى نَفْسِـكَ سَبِيلاً أقول:روی أنّ معاويه استشار بعمرو بن العاص فی أن يكتب إلی علیّ كتابا يسأله فيه الشام فضحك عمرو و قال:أين أنت يا معاويه من خدعه علیّ؟.قال:

ألسنا بنی عبد مناف؟قال:بلی و لكن لهم النبوّه دونك.و إن شئت أن تكتب فاكتب.

فكتب معاويه إليه مع رجل من السكاسك يقال له عبد اللّه بن عقبه:أمّا بعد فإنّی أظنّك لو علمت أنّ الحرب تبلغ بنا و بك ما بلغت و علمنا،لم يجبّها بعض علی بعض.و إنّا و إن كنّا قد غلبنا علی عقولنا فقد بقی لنا منها ما يندم بها علی ما مضی و نصلح به ما بقی،و قد كنت سألتك الشام علی أن لا يلزمنی منك طاعه و لا بيعه و أبيت ذلك علیّ فأعطانی اللّه ما منعت و أنا أدعوك اليوم إلی ما دعوتك إليه أمس فإنّك لا ترجو

من البقاء إلاّ ما أرجو و لا أخاف من القتل إلاّ ما تخاف،و قدو اللّه رقّت الأجناد و ذهبت الرجال و أكلت الحرب العرب إلاّ حشاشات أنفس بقيت،و إنّا فى الحرب و الرجال سواء و نحن بنو عبد مناف و ليس لبعضنا على بعض فضل إلاّ فضل لا يستذلّ به عزيز و لا يسترّق به حرّ.و السلام.فلمّا قرء علىّ عليه السّلام كتابه تعجّب منه و من كتابه ثمّ دعا عبد اللّه بن أبى رافع كاتبه و قال له:اكتب إليه:أمّا بعد فقد جاءنى كتابك تذكر أنّك لو علمت و علمنا أنّ الحرب تبلغ بنا و بك ما بلغت لم يحبّها بعض على بعض و أنا و إيّاك فى غايه لم نبلغها بعد،و أمّا طلبك إلى الشام.الفصل.

اللغه

الحشاشه : بقيّه الروح .و الطليق : الأسير الّذى اطلق من أسره و خلّى سبيله .و الصريح : الرجل خالص النسب .و اللصيق : الدعىّ الملصق بغير أبيه .

و المدغل : الّذى اشتمل باطنه على فساد كنفاق و نحوه .و سلف الرجل : آباؤه المتقدّمون .و خلفه : من يجىء بعده .و نعشنا : رفعنا .و الفوج : الجماعه .

و قد أجاب عليه السّلام عن امور أربعه تضمّنها كتاب معاويه:

أحدها:أنّه استعطفه إلى البقيّه و استدرجه لوضع الحرب

بقوله:إنّك لو علمت.إلى قوله:ما بقى.و فيه إشعار بالجزع من عضّ الحرب و الخوف من دوامها فأجابه عليه السّلام بقوله:و أنا و إيّاك فى غايه لم نبلغها بعد،و يفهم منه التهديد ببقاء الحرب إلى الغايه منها و هى الظفر به و هلاكه و هو مستلزم لتخويفه و التهويل عليه و منع ما طلب من وضع الحرب.

الثانى:أنّه سأل إقراره على الشام

مع نوع من التشجّع الموهم لعدم الانفعال و الضراعه،و ذلك فى قوله:و قد كنت سألتك الشام.إلى قوله:أمس.

و قوله:فإنّك لا ترجو.إلى قوله:ما نخاف.

إشاره إلى كونهما سواء فى رجاء البقاء و الخوف من القتل،و مقصود ذلك أن يوهم أنّه لا انفعال له عن تلك الحرب أيضا.

و قوله:و أنا أدعوك إلى ما دعوتك إليه أمس.

أى من طلب إقراره على الشام،و ذلك أنّه عليه السّلام حين بويع بالخلافه كان

معاویه سأل منه إقراره علی إمره الشام،و نقل عن ابن عبّاس أنّه قال له علیه السّلام:

ولّه شهرا و اعز له دهرا فإنّه بعد أن یبایعک لا یقدر علی أن یعدل فی إمرته و لا بدّ أن یجور فتعز له بذلک.فقال علیه السّلام:کلاّ «وَ ما کُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّینَ عَضُداً» .و روی:

أنّ المغیره بن شعبه قال له علیه السّلام:إنّ لک حقّ الطاعه و النصیحه أقرر معاویه علی عمله و العمّال علی أعمالهم حتّی إذا أتتک طاعتهم و تبعه الجنود استبدلت أو ترکت.فقال علیه السّلام:حتّی أنظر فخرج من عنده ثمّ عاد إلیه من الغد فقال:إنّی أشرت علیک أمس برأی و إنّ الرأی أن تعاجلهم بالنزع فیعلم السامع من غیره و یستقلّ أمرک ثمّ خرج من عنده.فجائه ابن عبّاس فأخبره بما أشار إلیه المغیره من الرأیین.فقال:أمّا أمس فقد نصحک و أمّا الیوم فقد غشّک.و قد کان الرأی الدنیاویّ الخالص فی حفظ الملک ذلک لکنّه علیه السّلام لمّا لم یکن لیتساهل فی شیء من أمر الدین أصلا و إن قلّ و کان إقرار معاویه و أمثاله علی الأعمال یستلزم العدول فی کثیر من تصرّفاتهم عن سبیل اللّه لا جرم لم یر إقراره علی العمل،و منعه ما سأل.

و لمّا کان منعه أوّلا ممّا سأل منعا خالصا للّه عن مشارکه الهوی و المیول الطبیعیّه لم یکن سؤاله ثانیا و استعطافه إیّاه مقرّبا له إلی إجابته خصوصا و قد أحدث تلک الحروب الشدیده الّتی أخذت من العرب ما أخذت و قتل من المهاجرین و الأنصار و سایر العرب من قتل،بل أجابه بعین ما أجابه أوّلا من الردّ و المنع فی قوله:

فلم أکن لاعطیک الیوم ما منعتک أمس.إذ العلّه فی المنع قائمه فی کلّ حین و زمان و هی المحافظه علی دین اللّه .

الثالث:حفظ الرجال.

و التبقیه علی الأجناد لحفظ الإسلام و تقویمه أمر واجب فلا جرم استعطفه و استدرجه إلی التبقیه علیهم بالتنبیه علی ذلک بقوله:و قدو اللّه.إلی قوله:بقیت.فأجابه علیه السّلام ألا و من أکله الحقّ فإلی النار و هو کبری قیاس حذفت صغراه للعلم بها،و تقدیرها:أنّ هؤلاء الأجناد الّذین قتلناهم إنّما قتلهم الحقّ:أی کان قتلهم بحقّ لبغیهم.و تقدیر هذه الکبری:و کلّ من قتله الحقّ فمصیره إلی النار فینتج أنّ مصیر من قتل من هؤلاء إلی النار.ثمّ هذه النتیجه تنبیه

على الجواب و هى فى قوّه صغرى قياس ضمير تقدير كبراه:و كلّ من كان من أهل النار فلا يجوز التبقيه عليه و لا الأسف لفقده .

الرابع:أوهم بقوله:و إنّا فى الحرب و الرجال سواء.

على أنّه ممّن لا ينفعل عن هذه الحروب و إن اشتدّت،و أنّ الضعف و الهلاك إن جرى فعلى العسكرين.و فيه نوع تخويف و تهويل.فأجابه عليه السّلام بقوله:فلست بأمضى.إلى قوله:

الآخره،و وجه كون الأوّل جوابا أنّه يقول:إنّك فى طلبك لما أنت طالب له على شكّ من استحقاقه و أنا على يقين فى ذلك و كلّ من كان فى شكّ من أمره فليس بأمضى فى حربه و قيامه عليه ممّن هو على ثقه فى أمره ينتج أنّك لست أمضى فى أمرك على الشكّ منّى على اليقين فى أمرى.و يفهم من ذلك أنّه يقول:بل أنا أمضى فى أمرى و أولى بالغلبه لكونى على بصيره و يقين.و حينئذ تكذب المساواه بينهما لكون المتيقّن أرجح فى فعله من الشاكّ،و وجه كون الثانى جوابا أنّه يقول:

إنّ أهل الشام يطلبون بقتالهم الدنيا و أهل العراق يطلبون بقتالهم الآخره و ليس أهل الشام بأحرص على مطلوبهم من الدنيا من أهل العراق على مطلوبهم من الآخره.

و يفهم من ذلك أنّه يقول:بل أهل العراق أحرص على الآخره من أهل الشام على الدنيا لشرف الآخره و لتيقّنهم حصولها،و انقطاع الدنيا و شكّ أهل الشام فى حصولها كما قال تعالى «فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَما تَأْلَمُونَ وَ تَرْجُونَ مِنَ اللّهِ ما لا يَرْجُونَ» (۱)و حينئذ تكذب المساواه فى الحرب و الرجال لشرف أهل الآخره على أهل الدنيا و لكون الأحرص أولى بالغلبه و القهر .

الخامس:أنّه نبّه بقوله:و نحن بنو عبد مناف.

إلى آخره على مساواته له فى الشرف و الفضيله و هو فى قوّه صغرى قياس ضمير من الأوّل.و تقدير كبراه:

و كلّ قوم كانوا من بيت واحد فلا فضل لبعضهم على بعض و لا فخر.فأجابه عليه السّلام بالفرق بينهما بعد أن سلم له الاشتراك بينهما فى كونهما من بنى عبد مناف و ذكر الفرق من وجوه خمسه بدء فيها بالامور الخارجه أوّلا من كمالاته و فضائله و

۱- ۱) ۴.۱۰۵.

رذائل خصمه متدرّجا منها إلى الأقرب فالأقرب.

فالأوّل:شرفه من جهه الآباء المتفرّعين عن عبد مناف،و ذلک أنّ سلک آبائه علیه السّلام أبو طالب بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف،و سلک آباء معاویه أبو سفیان بن حرب بن امیّه بن عبد مناف،و ظاهر أنّ کلّ واحد من اولئک الثلاثه أشرف ممّن هو فی درجته من آباء معاویه.و قد ذکرنا طرفا من فضلهم علی غیرهم.

الثانی:شرفه من جهه هجرته مع الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و خسّه خصمه من جهه کونه طلیقا و ابن طلیق.و هذه الفضیله و إن کانت خارجیّه إلاّ أنّها تستلزم فضیله نفسانیّه و هی حسن الإسلام و النیّه الصادقه الحقّه،و کذلک ما ذکر من رذیله خصمه بدنیّه عرضت له إلاّ أنّ هذه الفضیله و الرذیله أقرب من الاعتبارین الأوّلین لکونهما حقیقیّتین بالآباء و همیّتین بالأبناء دون هاتین.

الثالث:و کذلک شرفه من جهه صراحه النسب و خسّه خصمه من جهه کونه دعیّا.و هذان الاعتباران أقرب ممّا قبلهما لکونهما اعتبارین لازمین لهما دون الأوّلین.

الرابع:شرفه من جهه کونه محقّا فیما یقوله و یعتقده،و رذیله خصمه من جهه کونه مبطلا.و هذان الاعتباران أقرب لکونهما من الکمالات و الرذائل الذاتیّه دون ما قبلهما.

الخامس:شرفه من جهه کونه مؤمنا و المؤمن الحقّ هو المستکمل للکمالات الدینیّه النفسانیّه،و خسّه خصمه من جهه کونه مدغلا:أی خبیث الباطن مشتملا علی النفاق و الرذائل الموبقه.و ظاهر أنّ هذین الاعتبارین أقرب الکمالات و الرذائل إلی العبد،و إنّما بدء بذکر الکمالات و الرذائل الخارجیّه لکونهما مسلّمه عند الخصم و أظهر له و للخلق من الامور الداخلیّه .ثمّ لمّا ذکر الرذائل المتعلّقه بخصمه أشار إلی کونه فی أفعاله و رذائله خلفا لسلف هوی فی نار جهنّم.ثم رتّب ذمّه علی ذلک.

و قوله:و لبئس الخلف.إلی قوله:جهنّم.

فی قوّه کبری قیاس استغنی بمفهومها عن صغراه.و تقدیرها:فأنت خلف تتبع سلفا،و کلّ خلف تتبع فی أفعاله و رذائله سلفا هوی فی نار جهنّم فهو کذلک، و کلّ من کان کذلک فبئس به.

السادس :أنّ معاویه لمّا أکّد ما به علّق من المساواه فی الفضل فی قوله:و لیس لبعضنا علی بعض فضل و استثنی من ذلک فقال:إلاّ فضل لا یستذلّ به عزیز و لا یسترقّ به حرّ.أشار علیه السّلام إلی کبری هی کالجواب لذلک و هو قوله:و فی أیدینا بعد فضل النبوّه.إلی قوله:الذلیل،و ظاهر أنّ هذا الفضل الّذی حصل فی هذا البطن من هاشم هو سبب إذلالهم الأعزّاء و إنعاشهم و تقویتهم الأذلاء و استرقاقهم الأحرار،و ذلک فضل عریت عنه بنو امیّه و غیرهم.فإذن قوله:و لیس لبعضنا علی بعض فضل إلاّ فضل لا یستذّل به عزیز.إلی آخره قول باطل .ثمّ أردف هذه الفضیله بذکر رذیله لخصمه بالنسبه إلی فضیله شملت کثیرا من العرب،و تلک هی دخولهم فی الإسلام لا للّه بل إمّا لرغبه أو رهبه علی حین فاز أهل السبق بسبقهم إلی اللّه و حصل المهاجرون و الأنصار علی ما حصلوا علیه من الفضایل المسعده .ثمّ لمّا ظهر هذه الفرق من فضائله و رذائل خصمه نهاه عن أمرین:

کنایه أحدهما: أن لا یجعل للشیطان فی نفسه نصیبا .و هو کنایه عن النهی عن اتّباعه للهوی.

و الثانی: أن لا یجعل له علیه سبیلا .و هو کنایه عن النهی عن انفعاله عنه و فتح باب الوسوسه علیه،و هذا النهی یفهم منه أنّه قد جعل للشیطان فی نفسه نصیبا و له علیه سبیلا و أنّ ذلک النهی فی معرض التوبیخ له علی ذلک .و باللّه التوفیق.

۱۸-و من کتاب له علیه السّلام

اشاره

إلی عبد اللّه بن عباس

،و هو عامله علی البصره :وَ اعْلَمْ أَنَّ؟الْبَصْرَهَ؟ مَهْبِطُ؟إِبْلِیسَ؟ وَ مَغْرِسُ الْفِتَنِ- فَحَادِثْ أَهْلَهَا بِالْإِحْسَانِ

إِلَيْهِمْ- وَ احْلُلْ عُقْدَهَ الْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ- وَ قَدْ بَلَغَنِي تَنَمُّرُکَ؟لِبَنِی تَمِیمٍ؟ وَ غِلْظَتُکَ عَلَیْهِمْ- وَ إِنَّ؟بَنِی تَمِیمٍ؟ لَمْ یَغِبْ لَهُمْ نَجْمٌ- إِلاَّ طَلَعَ لَهُمْ آخَرُ- وَ إِنَّهُمْ لَمْ یُسْبَقُوا بِوَغْمٍ فِی جَاهِلِیَّهٍ وَ لاَ إِسْلاَمٍ- وَ إِنَّ لَهُمْ بِنَا رَحِماً مَاسَّهً وَ قَرَابَهً خَاصَّهً- نَحْنُ مَأْجُورُونَ عَلَی صِلَتِهَا- وَ مَأْزُورُونَ عَلَی قَطِیعَتِهَا- فَارْبَعْ ؟أَبَا الْعَبَّاسِ؟ رَحِمَکَ اللَّهُ- فِیمَا جَرَی عَلَی لِسَانِکَ وَ یَدِکَ مِنْ خَیْرٍ وَ شَرٍّ- فَإِنَّا شَرِیکَانِ فِی ذَلِکَ- وَ کُنْ عِنْدَ صَالِحِ ظَنِّی بِکَ- وَ لاَ یَفِیلَنَّ رَأْیِی فِیکَ وَ السَّلاَمُ أقول:روی أنّ ابن العبّاس کان قد أضرّ ببنی تمیم حین ولّی البصره من قبل علیّ علیه السّلام للّذی عرفهم به من العداوه یوم الجمل لأنّهم کانوا من شیعه طلحه و الزبیر و عایشه فحمل علیهم ابن عبّاس فأقصاهم و تنکّر علیهم و عیّرهم بالجمل حتّی کان یسمّیهم شیعه الجمل و أنصار عسکر-و هو اسم جمل عایشه-و حزب الشیطان.

فاشتدّ ذلک علی نفر من شیعه علیّ علیه السّلام من بنی تمیم منهم حارثه بن قدامه و غیره.

فکتب بذلک حارثه إلی علیّ علیه السّلام یشکو إلیه ابن عبّاس.فکتب علیه السّلام إلی ابن عبّاس:

أمّا بعد فإنّ خیر الناس عند اللّه غدا أعلمهم بطاعته فیما علیه و له و أقواهم بالحقّ و إن کان مرّا.ألا و إنّه بالحقّ قامت السماوات و الأرض فیما بین العباد فلتکن سریرتک فعلا و لیکن حکمک واحدا و طریقتک مستقیما.و أعلم أنّ البصره مهبط إبلیس.الفصل.

اللغه

و التنمّر : تنکّر الأخلاق و تغیّرها .و الوغم : الحقد .و الماسّه : القریبه .

و مأزورون : أی یلحق بنا الوزر و هو الإثم .و اربع : أی توقّف و تثبّت و فال

الرأى يفيل : أى ضعف و أخطأ .

المعنى

كنايه و أعلم أنّه كنّى بكون البصره مهبط إبليس عن كونها مبدء الآراء الباطله و الأهواء الفاسده الصادره عن إبليس المستلزمه لإثاره الفتن و كثرتها لأنّ مهبط إبليس و مستقرّه محلّ لذلك،و أراد مهبطه من الجنّه . استعاره و استعار لفظ المغرس للبصره باعتبار كونها محلاّ تنشأ فيه الفتن الكثيره كما أنّ مغرس الشجر من الأرض محلّ لنشوه و نمائه .قال بعضهم:و فى قوله:مهبط إبليس.نوع لطف فإنّ الوهم الّذى هو إبليس النفس العاقله إذا انفرد بحكمه عن تدبيرها العقلىّ و خرج عن موافقه العقل العملىّ فيما يراه و يحكم به فقد هبط من عالم الكمال و موافقه العقل و تلقّى أوامره العاليه الّتى هى أبواب الجنّه إلى الخيبه السافله،و مشاركه الشهوه و الغضب فى حكمه بأصلحيّه الآراء الفاسده.و لمّا أحاط القضاء الإلهىّ بما يجرى من أهل البصره من نكث بيعته عليه السّلام و مخالفته و كانوا ممّن عزلوا عقولهم عن الآراء المصلحيّه رأسا و هبط إبليس و جنوده بأرضهم فأروهم الآراء الباطله فى صور الحقّ فلحقوا بهم فكان منهم ما كان و نزل بهم ما نزل من سوء القضاء و درك الشقاء فكانت بلدتهم لذلك مهبط إبليس و مغرس الفتن الناشيه عن وسوسته و آرائه الفاسده.ثمّ أمره أن يحادثهم بالإحسان إليهم:أى يعدهم بذلك،و أن يحلّ عقد الخوف عن قلوبهم. استعاره مرشحه بالكنايه و استعار لفظ العقده لما ألزمهم به من المخالفه[المخافه خ]بالغلظه عليهم و كثره الأذى لهم، و وجه المشابهه كون ذلك الخوف ملازما لهم معقودا بقلوبهم كالعقده للحبل و نحوه، و رشّح بلفظ الحلّ و كنّى به عن إزاله الخوف عنهم .و غرض هذه الأوامر أن لا ينفر قلوبهم منه و تثور أضغانهم فيعاودوا الخروج عن طاعته و إثاره الفتنه .ثمّ أعلمه بما يريد إنكاره عليه ممّا بلغه من تنمّره لهم،و أردف ذلك بذكر أحوال لهم يجب مراقبتهم و حفظ قلوبهم لأجلها:

استعاره مرشحه أحدها:أنّه لم يمت لهم سيّد إلاّ قام لهم آخر مقامه،و استعار له لفظ النجم ، و وجه المشابهه كون سيّد الجماعه و كبيرهم قدوه يهتدون به و يقتدون بآرائه فى الطرق المصلحيّه،و رشّح بذكر المغيب و الطلوع .

ص:۳۹۶

الثانى:أنّهم لم يسبقوا بوغم.و يحتمل وجهين:

أحدهما:أنّه لم يسبقهم أحد إلى الثوران و الأحقاد و حيث كانوا،فى جاهليّه أو إسلام لشرف نفوسهم و قلّه احتمالهم للأذى،و ذلك أنّ المهين الحقير فى نفسه لا يكاد يغضب و يحقد ممّا يفعل من الأذى.و إن غضب فى الحال إلاّ أنّه لا يدوم ذلك الغضب و لا يصير حقدا.

الثانى:يحتمل أن يريد أنّهم لم يسبقوا بشفاء حقد من عدوّ.و ذلك لقوّتهم و نجدتهم.فحذف المضاف.

الثالث :أنّ لهم ببنى هاشم قرابه قريبه إلى آخره.قيل:تلك القرابه لاتّصالهم عند إلياس بن مضر لأنّ هاشم ابن عبد مناف بن قصىّ بن كلاب بن مرّه بن كعب بن لوىّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانه بن حزيمه بن مدركه بن إلياس بن مضر،و تميم ابن مراد بن طانجه بن إلياس بن مضر،و زاد ترغيبا فى مواصلتهم و مداراتهم بكون صله الرحم مستلزمه للأجر فى الآخره،و تركها مستلزم للوزر.و قال:مأزورون.و الأصل موزورون.فقلّب ليجانس قوله:مأجورون.و فى الحديث لترجعنّ مأزورات غير مأجورات .ثمّ أردف ذكر تلك الأحوال الّتى يقتضى الرفق بهم بالأمر بالتوقّف و التثبّت فيما يجرى على يده و لسانه من فعل و قول أهو خير أو شرّ لأنّ التثبّت فى الامور أولى بإصابه وجه المصلحه،و أراد بالشرّ ما يجريه على رعيّته من عقوبه فعليّه أو قوليّه.

و قوله:فإنّا شريكان فى ذلك.

كالتعليل لحسن أمره له بالتثبت فى ذلك لأنّه لمّا كان واليا من قبله فكلّ حسنه أو سيّئه يحدثها فى ولايته فله عليه السّلام شركه فى إحداثها.إذ هو السبب البعيد لمسبّبها القريب،و أبو العبّاس كنيه عبد اللّه بن العبّاس.و العرب تدعو من تكرمه بالكنى.قال:اكنّيه حين اناديه لا كرمه.و لمّا كان عليه السّلام قد استصلحه للولايه و رآه أهلا لها أمره أن يلازم ظنّه الصالح فيه و لا يكشف عن ضعف ذلك الرأى و عدم مطابقته فيه بسوء صنيعه.و باللّه التوفيق.

۱۹-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى بعض عماله

أَمَّا بَعْدُ- فَإِنَّ دَهَاقِينَ أَهْلِ بَلَدِکَ شَکَوْا مِنْکَ غِلْظَهً وَ قَسْوَهً- وَ احْتِقَاراً وَ جَفْوَهً- وَ نَظَرْتُ فَلَمْ أَرَهُمْ أَهْلًا لِأَنْ يُدْنَوْا لِشِرْکِهِمْ- وَ لَا أَنْ يُقْصَوْا وَ يُجْفَوْا لِعَهْدِهِمْ- فَالْبَسْ لَهُمْ جِلْبَاباً مِنَ اللِّينِ تَشُوبُهُ بِطَرَفٍ مِنَ الشِّدَّهِ- وَ دَاوِلْ لَهُمْ بَيْنَ الْقَسْوَهِ وَ الرَّأْفَهِ- وَ امْزُجْ لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيبِ وَ الْإِدْنَاءِ- وَ الْإِبْعَادِ وَ الْإِقْصَاءِ «إِنْ شاءَ اللّهُ»

اللغه

أقول: الدهقان : معرّب يحتمل الصرف إن كان نونه أصليّه و إلّا فلا ينصرف للوصف و الألف و النون الزائدتين .و القسوه : غلظ القلب و شدّته .و أقصاه : أبعده .

و الجفوه : ضدّ البرّ .و الجلباب : الملحفه .و المداوله : تقليب كلّ واحد من القسوه و الرأفه على الآخر و الأخذ بكلّ منهما مرّه- من الإداله و هى الإداره- .

المعنى

و المنقول أنّ هؤلاء الدهاقين كانوا مجوسا.و لمّا شكوا إليه غلظه عامله فكّر فى امورهم فلم يرهم أهلا للإدناء الخالص لكونهم مشركين و لا- إقصائهم لكونهم معاهدين فإنّ إدنائهم و إكرامهم خالصا هضم و نقيصه فى الدين،و إقصائهم بالكليّه ينافى معاهدتهم.

فأمره بالعدل فيهم و معاملتهم باللين المشوب ببعض الشدّه كلّ فى موضعه،و كذلك استعمال القسوه مرّه و الرأفه اخرى و المزج بين التقريب و الإبعاد لما فى طرف اللين و الرأفه و التقريب من استقرار قلوبهم فى أعمالهم و زراعاتهم الّتى بها صلاح المعاش و ما فى مزاجها بالشدّه و القسوه و الإبعاد من كسر عاديتهم و دفع شرورهم و إهانتهم المطلوبه فى الدين.و استلزم ذلك نهيه عن استعمال الشدّه و القسوه و الإبعاد فى حقّهم دائما و اللين و الرأفه و الإدناء خالصا، استعاره مرشحه و استعار لفظ الجلباب

لما أمره بالاتّصاف به و هو تلك الهيئه المتوسّطه من اللين المشوب بالشدّه بين اللين الخالص و الشدّه الصرفه،و رشّح بذكر اللين .و باللّه التوفيق.

٢٠-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى زياد بن أبيه

،و هو خليفه عامله عبد اللّه بن عباس على البصره، و عبد اللّه خليفه أمير المؤمنين على البصره و الأهواز و فارس و كرمان وَ إِنِّی أُقْسِمُ بِاللَّهِ قَسَماً صَادِقاً- لَئِنْ بَلَغَنِی أَنَّکَ خُنْتَ مِنْ فَیْءِ الْمُسْلِمِینَ شَیْئاً صَغِیراً أَوْ کَبِیراً- لَأَشُدَّنَّ عَلَیْکَ شَدَّهً تَدَعُکَ قَلِیلَ الْوَفْرِ- ثَقِیلَ الظَّهْرِ ضَئِیلَ الْأَمْرِ وَ السَّلَامُ أقول:زياد هذا هو زياد بن سميّه امّ أبى بكره،دعىّ أبى سفيان،قد يعدّ فى أولاده من غير صريح بنوّه،و روى أنّ أوّل من دعاه ابن أبيه عايشه حين سئلت لمن يدعى.و كان كاتبا لمغيره بن شعبه ثمّ كتب لأبى موسى ثمّ كتب لابن عامر ثمّ كتب لابن عبّاس.و كان مع علىّ عليه السّلام فولاّه فارس.فكتب إليه معاويه يهدّده.

فكتب إليه:أتوعّدنى و بينى و بينك ابن أبى طالب أما و اللّه لئن وصلت إلىّ لتجدنى أحمز ضرابا بالسيف.ثمّ ادّعاه معاويه أخا له و ولاّه بعد علىّ عليه السّلام البصره و أعمالها و جمع له بعد المغيره بن شعبه العراقين.و كان أوّل من جمعا له.

اللغه

و الشدّه:

الحمله .و الوفر : المال .و الضئيل : الحقير .

المعنى

كنايه و حاصل الفصل تحذير زياد من خيانه مايليه من مال المسلمين و وعيده إن وقعت منه بالعقوبه عليها.و كنّى عنها بالشدّه و وصف شدّه تلك الشدّه باستلزامها امورا ثلاثه فيها سلب الكمالات الدنيويّه و الاخرويّه:

أحدها:نقصان ماله و قلّته.

و الثانى:نقصان جاهه.و كنّى عنه بقوله: ضئيل الأمر .و هما سالبان للكمال الدنيوىّ .

الثالث:ثقل ظهره بالأوزار و التبعات.و هو دالّ على سلب كماله الاخروىّ.

فإن قلت:كيف يريد ثقل الظهر بالأوزار و ليس ذلک بسبب شدّته عليه السّلام و إنّما الأوزار من اكتساب نفسه.

قلت:إنّ مجموع هذه الامور الثلاثه و هى سلب ماله و جاهه مع ثقل الظهر بالأوزار حاله يدعه عليها و هى حاله مخوفه مكروهه خوّفه بها.و لا شکّ أنّ تلک الحاله من فعله و إن لم يكن بعض أجزائها من فعله،أو نقول:الثلاثه أحوال متعدّده و الحال لا يلزم أن تكون من فعل ذى الحال،و يحتمل أن يكون ثقل الظهر كنايه عن التضعّف و عدم النهوض بما يحتاج إليه و يهمّه:أى يدعک ضعيف الحركه فى الامور ،و اللّه أعلم.

٢١-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إليه أيضا فَدَعِ الْإِسْرَافَ مُقْتَصِداً- وَ اذْكُرْ فِی الْيَوْمِ غَداً- وَ أَمْسِکْ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِکَ- وَ قَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِکَ- أَ تَرْجُو أَنْ يُعْطِيَکَ اللَّهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ- وَ أَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ- وَ تَطْمَعُ وَ أَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِی النَّعِيمِ تَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ وَ الْأَرْمَلَةَ- أَنْ يُوجِبَ لَکَ ثَوَابَ الْمُتَصَدِّقِينَ- وَ إِنَّمَا الْمَرْءُ مَجْزِیٌّ بِمَا أَسْلَفَ وَ قَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمَ وَ السَّلَامُ

اللغه

أقول: التمرّغ : التمعّک[التملّک خ]و التقلّب .

المعنى

و قد أمره فى هذا الفصل بأوامر :

أحدها:ترک الإسراف

و هو رذيله الإفراط من فضيله الاقتصاد المتوسّط

ص:۴۰۰

بینه و بین الإجحاف بالنفس و الإصرار بها و هو طرف التفریط من هذه الفضیله.

و الأمر بترک الإسراف مستلزم للأمر بهذه الفضیله لأنّ الأمر بالشیء علی حاله أمر بتلک الحاله أیضا.

الثانی:أن یذکر فی الیوم غدا

:أی یذکر فی حاضر أوقاته مستقبلها من یوم القیامه فإنّ فی ذلک زجرا للنفس و انکسارا عن الإشراف علی الدنیا و الاشتغال بها.

الثالث:أن یمسک من المال بقدر ضرورته.

و هو تفسیر للاقتصاد فی تناول الدنیا و حفظها.

الرابع:أن یقدّم الفضل منها لیوم حاجته

و هو یوم القیامه و ما بعد الموت.

و فیه استدراج لإنفاق المال فی سبیل اللّه فإنّ کلّ عاقل یعلم أنّ إسلاف ما لا یحتاج إلیه من فضول المال فی سبیل اللّه و تقدیمه لما یحتاج إلیه فی وقت حاجته من أکبر المصالح المهمّه . ثمّ استفهم علی سبیل الإنکار عن رجائه أن یؤتیه اللّه ثواب المتواضعین حال ما هو مکتوب فی علمه من المتکبّرین تنبیها منه علی أنّ ثواب کلّ فضیله إنّما ینال باکتسابها و التخلّق بها لا بالکون علی ضدّها.فمن الواجب إذن التخلّق بفضیله التواضع لینال ثوابها.و لن یحصل التخلّق بها إلاّ بعد الانحطاط عن درجات المتکبّرین فهو إذن من الواجبات،و کذلک استفهمه عن طمعه فی ثواب المتصدّقین حال اقتنائه للمال و تنعّمه به و منه ما للضعیف و الأرمله استفهام منکر لذلک الطمع علی تلک الحال فإنّ ثواب کلّ حسنه بقدرها و من لوازمها،و جزاء کلّ حسنه بحسبها و من لوازمها.و نبّه علی ذلک بقوله:و إنّما المرء مجزیّ بما أسلف.

إلی آخره،و فی قوله:قادم علی ما قدّم.من محاسن الکلام،و فیه الاسقاق.

۲۲-و من کتاب له علیه السّلام

اشاره

إلی عبد اللّه بن العباس رحمه اللّه

و کان عبد اللّه یقول:ما انتفعت بکلام بعد کلام رسول اللّه،صلّی اللّه

ص:۴۰۱

عليه و آله كانتفاعى بهذا الكلام.

أَمَّا بَعْدُ- فَإِنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَسُرُّهُ دَرْكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ- وَ يَسُوؤُهُ فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ- فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ- وَ لْيَكُنْ أَسَفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا- وَ مَا نِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَلاَ تُكْثِرْ بِهِ فَرَحاً- وَ مَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلاَ تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعاً- وَ لْيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ

اللغه

أقول: الدرك : اللحوق .و لا تأس :و لا تحزن .

المعنى

و حاصل الفصل النهى عن شدّه الفرح بما يحصل من المطالب الدنيويّه و شدّه الأسف على ما يفوت منها،و بيان ما ينبغى للإنسان أن يسرّ بحصوله و يأسف لفقده ممّا لا ينبغى له.فأشار إلى الأوّل بقوله:فإنّ المرء إلى قوله:ليدركه،و هو خبر فى معنى النهى،و لفظ ما فى الموضعين مهمل يراد به المطالب الدنيويّه،و نبّه بقوله:ما لم يكن ليفوته.على أنّ ما يحصل من مطالب الدنيا أمر واجب فى القضاء الإلهيّ وصوله إلى من يحصل له فهو كالحاصل فلا ينبغى أن يشتدّ فرحه عند حصوله،و بقوله:ما لم يكن ليدركه.على أنّ ما يفوت منها فهو أمر واجب فوته فالأسف عليه ممّا لا يجدى نفعا بل هو ضرر عاجل.ثمّ خصّصه بالخطاب على سبيل الوصيّه و الموعظه و فصّل له ما ينبغى أن يسرّ و يأسف عليه ممّا لا ينبغى له فأمّا ما ينبغى أن يسرّ به فهو ما ناله من آخرته و ما ينبغى أن يأسف عليه فهو ما فاته منها ، و أمّا ما ينبغى أن لا يفرح به ممّا ناله من دنياه لما عرفت من وجوب فنائها و كون القرب منها مستلزما للبعد عن الآخره و ما ينبغى أن لا يأسف عليه ممّا لم ينله منها لكون البعد عنها مستلزما للقرب من الآخره.

فإن قلت:كيف قال:ما نلت من آخرتك.و معلوم أنّه لا ينال شيء من الآخره إلاّ بعد الموت؟.

قلت:يحتمل وجهين:أحدهما:لا نسلّم أنّ من مطالب الآخره لا يحصل إلاّ بعد الموت فإنّ الكمالات النفسانيّه من العلوم و الأخلاق الفاضله و الفرح بها من الكمالات الاخرويّه و إن كان الإنسان فى الدنيا.الثانى:يحتمل أن يريد فليكن سرورك بما نلت من أسباب آخرتك.فحذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه.

و كذلك بيّن له ما ينبغى أن يكون همّه متوجّها نحوه و قصده متعلّقا به و هو ما بعد الموت من أحوال الآخره من سعاده دائمه يسعى فى تحصيلها أو شقاوه لازمه يعمل للخلاص منها.و باللّه التوفيق.

۲۳-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

قاله قبل موته على سبيل الوصيه،لما ضربه ابن ملجم لعنه اللّه

وَصِيَّتِى لَكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئاً- وَ؟مُحَمَّدٌ ص؟ فَلاَ تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ- أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ- وَ أَوْقِدُوا هَذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ وَ خَلاَكُمْ ذَمٌّ- أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ- وَ الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ وَ غَداً مُفَارِقُكُمْ- إِنْ أَبْقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِى- وَ إِنْ أَفْنَ فَالْفَنَاءُ مِيعَادِى- وَ إِنْ أَعْفُ فَالْعَفْوُ لِى قُرْبَةٌ وَ هُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ- فَاعْفُوا «أَ لا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللّهُ لَكُمْ» وَ اللَّهِ مَا فَجَأَنِى مِنَ الْمَوْتِ وَارِدٌ كَرِهْتُهُ- وَ لاَ طَالِعٌ أَنْكَرْتُهُ- وَ مَا كُنْتُ إِلاَّ كَقَارِبٍ وَرَدَ وَ طَالِبٍ وَجَدَ- «وَ ما عِنْدَ اللّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرارِ» قال الرضى رحمه اللّه،و قد مضى بعض هذا الكلام فيما تقدم من الخطب، إلا أن فيه ههنا زياده أوجبت تكريره.

ص:۴۰۳

أقول:هذا الفصل قال عليه السّلام فى بعض أيّام مرضه قبل موته و سيأتى شرح حال مقتله و وصيّته فى فصل أطول من هذا و أليق بذكر الحال عنده «إِنْ شاءَ اللّهُ» بعده

اللغه

و فجأه الأمر : أتاه بغته .و القارب : طالب الماء.و قيل:هو الّذى يكون بينه و بين الماء ليله .

و قد وصىّ عليه السّلام بأمرين هما عمود الإسلام و بهما يقوم:

أحدهما:أن لا يشركوا باللّه شيئا.

و هو التوحيد الخالص،و الشهاده به أوّل مطلوب بلسان الشريعه كما سبق بيانه.

و الثانى:الاهتمام بأمر النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و المحافظه على سنّته.

و قد علمت أنّ من سنّته وجوب اتّباع كلّما جاء و المحافظه عليه فإذن المحافظه على كتاب اللّه من الواجبات المأمور بها بالالتزام.و ظاهر أنّ إقامه هذين الأمرين مستلزم للخلوّ عن الذمّ، استعاره و لفظ العمود مستعار لهما ملاحظه لشبههما بعمودى البيت فى كونهما سببين لقيام الإسلام و عليهما مداره كالبيت على عمده ،و خلاكم ذمّ.كالمثل.يقال:افعل كذا و خلاك ذمّ:أى فقد أعذرت و سقط عنك الذمّ. مجاز من باب اطلاق اسم المتعلّق على المتعلّق ثمّ نعى نفسه إليهم،و أشار إلى وجه العبره بحاله بذكر تنقّلها و تغيّرها فى الأزمان الثلاثه ففى الماضى كان صاحبهم الّذى يعرفونه بالقوّه و الشجاعه و قهر الأعداء و عليه مدار امور الدنيا و الدين، و فى الحاضر صار عبره :أى محلّ عبره.فحذف المضاف،أو معتبرا.فأطلق اسم المتعلّق على المتعلّق مجازا ،و فى المستقبل مفارق لهم.ثمّ أردف ذلك ببيان أمره مع قاتله على تقديرى فنائه و بقائه،و يشبه أن يكون فى الكلام تقديم و تأخير و التقدير فأنا ولىّ دمى،و روى:أولى بدمى فإن شئت أقمت القصاص و إن شئت عفوت فإن أعف فالعفو لى قربه و إن أفن فالفناء ميعادى فإن شئتم فاقتلوا قاتلى و إن شئتم تعفو فالعفو لكم حسنه فاعفوا،لكنّه ذكر قسمى بقائه و فنائه ثمّ عقّبهما بذكر حكمهما مقترنين و اقتبس الايه فى معرض الندب إلى العفو ترغيبا فيه .ثمّ أقسم أنّه ما أتاه من بغته الموت وارد كرهه و لا طالع أنكره.و صدقه فى ذلك ظاهر فإنّه عليه السّلام كان سيّد الأولياء بعد سيّد الأنبياء.و من خواصّ أولياء اللّه شدّه محبّه اللّه و الشوق البالغ إلى ما أعدّ لأوليائه فى جنّات عدن.و من كان كذلك كيف يكره وارد الموت الّذى

هو بـاب وصوله إلى محابّه و أشرف مطالبه الّتى قطع وقته فى السعى لها و هى المطالب الحقّه الباقيه؟و كيف ينكره و هو دائم الترصّد و الاشتغال و الذكر له؟. تشبيه ثمّ شبّه نفسه فى هجوم الموت عليه و وصوله بسببه إلى ما اعدّ له من الخيرات الباقيه بالقارب الّذى ورد الماء،و وجه الشبه استقرا به لتلك الخيرات و وثوقه بها و استسهاله بسببها آفات الدنيا و شدائد الموت كما يستسهل القارب عند وروده الماء ما كان يجده من شدّه العطش و تعب الطريق،و فيه إيماء إلى تشبيه تلك الخيرات بالماء.و كذلك شبّه نفسه بالطالب الواجد لما يطلبه،و وجه الشبه كونه قرّا عينا بما ظفر به من مطالبه الاخرويّه كما يطيب نفس الطالب للشىء به إذا وجده،و ظاهر أنّ طيب النفس و بهجتها بما تصيبه من مطالبها ممّا يتفاوت لتفاوت المطالب فى العزّه و النفاسه،و لمّا كانت المطالب الاخرويّه أهمّ المطالب و أعظمها قدرا و أعزّها جوهرا أوجب أن يكون بهجه نفسه بها و قرّه عينه بما أصاب منها أتمّ كلّ بهجه بمطلوب . اقتباس ثمّ اقتبس الآيه فى مساق إشعاره بوجدان مطلوبه منبّها بها على أنّ مطلوبه فى الدنيا لم يكن إلاّ ما عند اللّه الّذى هو خير لأوليائه الأبرار من كلّ مطلوب يطلب .و باللّه التوفيق.

۲۴-و من وصيّه له عليه السّلام

اشاره

بما يعمل فى أمواله،كتبها بعد منصرفه من صفين

هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ؟عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؟- فِي مَالِهِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ- لِيُولِجَهُ بِهِ الْجَنَّهَ وَ يُعْطِيَهُ بِهِ الْأَمَنَهَ مِنْهَا فَإِنَّهُ يَقُومُ بِذَلِكَ؟الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ؟- يَأْكُلُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ- وَ يُنْفِقُ فِي الْمَعْرُوفِ- فَإِنْ حَدَثَ؟بِحَسَنٍ؟ حَدَثٌ وَ؟حُسَيْنٌ؟ حَيٌّ- قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ

ص:۴۰۵

وَ أَصْـدَرَهُ مَصْـدَرَهُ- وَ إِنَّ لاِبْنَیْ؟فَاطِمَهَ؟ مِنْ صَـدَقَهِ؟عَلِیٍّ؟ مِثْلَ الَّذِی لِبَنِی؟عَلِیٍّ؟- وَ إِنِّی إِنَّمَا جَعَلْتُ الْقِیَامَ بِـذَلِکَ- إِلَی ابْنَیْ؟فَاطِمَهَ؟ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ- وَ قُرْبَهً إِلَی؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟- وَ تَکْرِیماً لِحُرْمَتِهِ وَ تَشْرِیفاً لِوُصْلَتِهِ- وَ یَشْتَرِطُ عَلَی الَّذِی یَجْعَلُهُ إِلَیْهِ- أَنْ یَتْرُکَ الْمَالَ عَلَی أُصُولِهِ- وَ یُنْفِقَ مِنْ ثَمَرِهِ حَیْثُ أُمِرَ بِهِ وَ هُدِیَ لَهُ- وَ أَلَّا یَبِیعَ مِنْ أَوْلَادِ نَخِیلِ هَذِهِ الْقُرَی وَدِیَّهً- حَتَّی تُشْکِلَ أَرْضُهَا غِرَاساً وَ مَنْ کَانَ مِنْ إِمَائِی اللَّاتِی أَطُوفُ عَلَیْهِنَّ- لَهَا وَلَدٌ أَوْ هِیَ حَامِلٌ- فَتُمْسَکُ عَلَی وَلَدِهَا وَ هِیَ مِنْ حَظِّهِ- فَإِنْ مَاتَ وَلَدُهَا وَ هِیَ حَیَّهٌ فَهِیَ عَتِیقَهٌ- قَدْ أَفْرَجَ عَنْهَا الرِّقُّ وَ حَرَّرَهَا الْعِتْقُ قال الرضی:قوله علیه السلام فی هذه الوصیه أن لا یبیع من نخیلها ودیه:

الودیه:الفسیله،و جمعها ودی،و قوله علیه السلام حتی تشکل أرضها غراسا.

هو من أفصح الکلام،و المراد به أن الأرض یکثر فیها غراس النخل حتی یراها الناظر علی غیر تلک الصفه التی عرفها بها فیشکل علیه أمرها و یحسبها غیرها أقول:رویت هذه الوصیّه بروایات مختلفه بالزیاده و النقصان و قد حذف السیّد منها فصولا و لنوردها بروایه یغلب علی الظنّ صدقها:عن عبد الرحمن بن

الحجّاج قال:بعث إلىّ بهذه الوصيّه أبو إبراهيم عليه السّلام.هذا ما أوصى به و قضى فى ماله عبد اللّه علىّ «ابْتِغاءَ وَجْهِ اللّهِ» ليولجنى به الجنّه و يصرفنى به عن النار «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ» .إنّ ما كان لى بينبع من مال يعرف لى فيها و ما حولها صدقه،و رقيقها غير أبى رباح و أبى يبر و عتقاء ليس لأحد عليهم سبيل.فهم موالى يعملون فى المال خمس حجج و فيه نفقتهم و رزقهم و رزق أهاليهم.و مع ذلك ما كان بوادى القرى كلّه مال بنى فاطمه رقيقها صدقه و ما كان لى لبنى و أهلها صدقه غير أنّ رقيقها لهم مثل ما كتبت لأصحابهم،و ما كان لى بادنيه و أهلها صدقه،و القصد كما قد علمتم صدقه فى سبيل اللّه و إنّ الّذى كتبت و من أموالى هذه صدقه واجبه ببكّه حيّا أنا كنت أو ميّتا ينفق فى كلّ نفقه أبتغى بها وجه اللّه فى سبيل اللّه و جهه ذوى الرحم من بنى هاشم و بنى المطّلب و القريب و البعيد.و إنّه يقوم بذلك الحسن بن علىّ يأكل منه بالمعروف و ينفقه حيث يريد اللّه فى كلّ محلّل لا حرج عليه فيه،و إن أراد أن يبيع نصيبا من المال فيقضى به الدين فليفعل إنشاء لا حرج عليه فيه،و إن شاء جعله من الملك،و إنّ ولد علىّ أموالهم إلى الحسن بن علىّ و إن كانت دار الحسن غير دار الصدقه فبدا له أن يبيعها فليبعها إن شاء لا حرج عليه فيه فإن باع فإنّه يقسمها ثلاثه أثلاث فيجعل ثلثا فى سبيل اللّه،و يجعل ثلثا فى بنى هاشم و بنى المطّلب، و يجعل الثلث فى آل أبى طالب و أنّه يضعهم حيث يريد اللّه.ثمّ يتّصل بقوله:

و إن حدث بحسن حدث و حسين حىّ فإنّه إلى حسين بن علىّ و إنّ حسينا يفعل فيه مثل الّذى أمرت به حسنا،له مثل الّذى كتبت للحسن و عليه مثل الّذى على الحسن.ثمّ يتّصل بقوله:و إنّ الّذى لبنى فاطمه.إلى قوله:و تشريفا لوصلته.ثمّ يقول:و إن حدث بحسن و حسين حدث فإنّ للآخر منهما أن ينظر فى بنى علىّ فإن وجد فيهم من يرضى بهديه و إسلامه و أمانته منهم فإنّه يجعله إليه إنشاء و إن لم يرفيهم بعض الّذى يريد فإنّه يجعله فى بنى ابنى فاطمه و يجعله إلى من يرضى بهديه و اسلامه و أمانته منهم.و إنّه شرط على الّذى جعله إليه أن يترك المال على اصوله و ينفق من ثمره حيث أمره اللّه من سبيل اللّه و وجوهه و ذوى الرحم

من بنی هاشم و بنی المطّلب و القریب و البعید،و أن لا یبیع من أولاد نخیل هذه القری إلی آخره.ثمّ یقول:لیس لأحد علیها سبیل هذا ما قضی علیّ أمواله هذه یوم قدم مسکن «ابْتِغاءَ وَجْهِ اللّهِ» و الدار الآخره لا یباع منه شیء و لا یوهب و لا یورث «وَ اللّهُ الْمُسْتَعانُ» علی کلّ حال،و لا یحلّ لامرئ مسلم یؤمن باللّه و الیوم الآخر أن یغیّر شیئا ممّا أوصیت به فی مال و لا یخالف فیه أمری من قریب و لا بعید.و شهد هذا أبو سمر بن أبرهه و صعصعه بن صوحان و سعید بن قیس و هیّاج بن أبی الهیّاج،و کتب علیّ بن أبی طالب بیده لعشر خلون من جمادی الاولی سنه سبع و ثلاثین.

اللغه

یولجنی : یدخلنی .و الأمنه : الأمن .و حرّرها : جعلها حرّه .

المعنی

و أکثر هذه الوصیّه واضح عن الشرح غیر أنّ فیها نکتا:

الاولی:جواز الوصیّه و الوقف علی هذا الوجه،و تعلیم الناس کیفیّه ذلک.

الثانیه :قوله:یأکل منه بالمعروف:أی علی وجه الاقتصاد الّذی یحلّ له من غیر إسراف و تبذیر و لا بخل و تقتیر و ینفق منه فی المعروف:أی فی وجوه البرّ المتعارفه غیر المنکره فی الدین.

الثالثه:قوله:فإن حدث بحسن حدث.کنایه عن الموت.و الأمر یحتمل أن یرید به أمره بما أمره به و قیامه به تنفیذه و إجراؤه فی موارده،و یحتمل أن یرید به جنس الامور الّتی امر بالتصرّف فیها و بها.

الرابعه:الضمیر فی قوله:بعده.للحسن.و فی أصدره.للأمر الّذی یقوم به.

و أمّا الضمیر الّذی فی مصدره فیحتمل وجهین:

أحدهما:عوده إلی الحسن،و تقدیره و أصدر الحسین الأمر کإصدار الحسن له و قضی فی المال کقضائه.و المصدر بمعنی الإصدار کقوله «وَ اللّهُ أَنْبَتَکُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً» (۱)أی إنباتا،و یحتمل أن یکون المصدر محلّ الإصدار:أی و أصدره فی محلّ إصداره.

۱- ۱) ۱۶-۷۱.

الثانی:و یحتمل أن یعود إلی الأمر الّذی وصیّ به علیه السّلام و یکون المعنی و وضع کلّ شیء موضعه.

کنایه الخامسه :قوله: أن یترک المال علی اصوله .کنایه عن عدم إخراجه ببیع أو هبه أو بوجه من وجوه التملیکات.

السادسه:قوله:و أن لا یبیع من أولاد نخیل هذه القری ودّیه حتّی یشکل أرضها غراسا.و الحکمه فی ذلک و جهان:

أحدهما:أنّ الأرض قبل أن تشکل غراسا ربّما یموت فیها ما یحتاج إلی أخلاف فینبغی أن لا یباع من فسیلها شیء حتّی تکمل غراسا و ثبت بحیث لا یحتاج إلی شیء.

الثانی:أنّ النخله قبل أن یشکل أرضها تکون بعد غیر مستحکمه الجذع و لا مشتدّه فلو قلع فسیلها من تحتها ضعف جدّا حتّی لا تکاد نتجت فأمّا إذا قویت و اشتدّت لم یکن علیها بقلع فسیلها کثیر مضرّه و ذلک حین یشکل أرضها و یتکامل غراسها و تلتبس علی الناظر حسب ما فسرّه السیّد-رحمه اللّه-.

کنایه السابعه :کنّی بالطواف علی إمائه عن نکاحهنّ و کنّ یومئذ سبع عشره منهنّ امّهات الأولاد أحیاء معهنّ أولادهنّ،و منهنّ حبالی،و منهنّ من لا ولد لها.

فقضی فیهنّ إن حدث به حادث الموت أنّ من کانت منهنّ لیس لها ولد و لا حبلی فهی عتیق لوجه اللّه لا سبیل لأحد علیها،و من کان منهنّ لها ولدا و هی حبلی فتمسّک علی ولدها و هی من حظّه:أی تلزمه.و یحسب ثمنها من حصّته و تنعتق علیه فإن مات ولدها و هی حیّه فهی عتیق لا سبیل لأحد علیها،و قضاؤه علیه السّلام بکون امّ الولد الحیّ محسوبه من حظّ ولدها و تعتق من مات ولدها من إمائه بعد موته بناء علی مذهبه علیه السّلام فی بقاء امّ الولد علی الرقّ بعد موت سیّدها المستولد و یصحّ بیعها.و هو مذهب الإمامیّه،و قول قدیم للشافعی،و فی الجدید أنّها تنعتق بموت سیّدها المستولد و لا یجوز بیعها،و علیه اتّفاق فقهاء الجمهور حتّی لو بیعت و قضی قاض بصحّه بیعها فالمختار من مذهب الشافعی أنّه ینقض قضاؤه.و باللّه التوفیق.

ص:۴۰۹

۲۵-و من وصيّه له عليه السّلام

اشاره

كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات،

و إنما ذكرنا هنا جملا منها ليعلم بها أنه كان يقيم عماد الحق،و يشرع أمثله العدل:فى صغير الأمور و كبيرها،و دقيقها و جليلها انْطَلِقْ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ- وَ لاَ تُرَوِّعَنَّ مُسْلِماً وَ لاَ تَجْتَازَنَّ عَلَيْهِ كَارِهاً- وَ لاَ تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِى مَالِهِ- فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى الْحَىِّ فَانْزِلْ بِمَائِهِمْ- مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَبْيَاتَهُمْ- ثُمَّ امْضِ إِلَيْهِمْ بِالسَّكِينَهِ وَ الْوَقَارِ- حَتَّى تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ- وَ لاَ تُخْدِجْ بِالتَّحِيَّهِ لَهُمْ ثُمَّ تَقُولَ عِبَادَ اللَّهِ- أَرْسَلَنِى إِلَيْكُمْ وَلِيُّ اللَّهِ وَ خَلِيفَتُهُ- لِآخُذَ مِنْكُمْ حَقَّ اللَّهِ فِى أَمْوَالِكُمْ- فَهَلْ لِلَّهِ فِى أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقٍّ فَتُؤَدُّوهُ إِلَى وَلِيِّهِ- فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ لاَ فَلاَ تُرَاجِعْهُ- وَ إِنْ أَنْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ فَانْطَلِقْ مَعَهُ- مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ أَوْ تُوعِدَهُ- أَوْ تَعْسِفَهُ أَوْ تُرْهِقَهُ فَخُذْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّهٍ- فَإِنْ كَانَ لَهُ مَاشِيَهٌ أَوْ إِبِلٌ فَلاَ تَدْخُلْهَا إِلاَّ بِإِذْنِهِ- فَإِنَّ أَكْثَرَهَا لَهُ- فَإِذَا أَتَيْتَهَا فَلاَ تَدْخُلْ عَلَيْهَا دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ- وَ لاَ عَنِيفٍ بِهِ- وَ لاَ تُنَفِّرَنَّ بَهِيمَهً وَ لاَ تُفْزِعَنَّهَا- وَ لاَ تَسُوأَنَّ صَاحِبَهَا فِيهَا- وَ اصْدَعِ الْمَالَ صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيِّرْهُ- فَإِذَا اخْتَارَ فَلاَ تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ- ثُمَّ اصْدَعِ الْبَاقِىَ صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيِّرْهُ- فَإِذَا اخْتَارَ فَلاَ تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ-

ص:۴۱۰

فلاَ تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَبْقَى مَا فِيهِ- وَفَاءٌ لِحَقِّ اللَّهِ فِي مَالِهِ- فَاقْبِضْ حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ فَإِنِ اسْتَقَالَكَ فَأَقِلْهُ- ثُمَّ اخْلِطْهُمَا ثُمَّ اصْنَعْ مِثْلَ الَّذِي صَنَعْتَ أَوَّلاً- حَتَّى تَأْخُذَ حَقَّ اللَّهِ فِي مَالِهِ- وَ لاَ تَأْخُذَنَّ عَوْداً وَ لاَ هَرِمَةً وَ لاَ مَكْسُورَةً وَ لاَ مَهْلُوسَةً وَ لاَ ذَاتَ عَوَارٍ- وَ لاَ تَأْمَنَنَّ عَلَيْهَا إِلاَّ مَنْ تَثِقُ بِدِينِهِ- رَافِقاً بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ- حَتَّى يُوَصِّلَهُ إِلَى وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ- وَ لاَ تُوَكِّلْ بِهَا إِلاَّ نَاصِحاً شَفِيقاً وَ أَمِيناً حَفِيظاً- غَيْرَ مُعْنِفٍ وَ لاَ مُجْحِفٍ وَ لاَ مُلْغِبٍ وَ لاَ مُتْعِبٍ- ثُمَّ احْدُرْ إِلَيْنَا مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ- نُصَيِّرْهُ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ- فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِينُكَ- فَأَوْعِزْ إِلَيْهِ أَلاَّ يَحُولَ بَيْنَ نَاقَةٍ وَ بَيْنَ فَصِيلِهَا- وَ لاَ يَمْصُرَ لَبَنَهَا فَيَضُرَّ ذَلِكَ بِوَلَدِهَا- وَ لاَ يَجْهَدَنَّهَا رُكُوباً- وَ لْيَعْدِلْ بَيْنَ صَوَاحِبَاتِهَا فِي ذَلِكَ وَ بَيْنَهَا- وَ لْيُرَفِّهْ عَلَى اللاَّغِبِ- وَ لْيَسْتَأْنِ بِالنَّقِبِ وَ الظَّالِعِ- وَ لْيُورِدْهَا مَا تَمُرُّ بِهِ مِنَ الْغُدُرِ- وَ لاَ يَعْدِلْ بِهَا عَنْ نَبْتِ الْأَرْضِ إِلَى جَوَادِّ الطُّرُقِ- وَ لْيُرَوِّحْهَا فِي السَّاعَاتِ- وَ لْيُمْهِلْهَا عِنْدَ النِّطَافِ وَ الْأَعْشَابِ- حَتَّى تَأْتِيَنَا بِإِذْنِ اللَّهِ بُدَّناً مُنْقِيَاتٍ- غَيْرَ مُتْعَبَاتٍ وَ لاَ مَجْهُودَاتٍ- لِنَقْسِمَهَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ص- فَإِنَّ ذَلِكَ أَعْظَمُ لِأَجْرِكَ- وَ أَقْرَبُ لِرُشْدِكَ «إِنْ شَاءَ اللَّهُ»

اللغه

أقول: روّعه : أفزعه .و لا تخدج بالتحيّه : أى لا تنقصها.و روى يخدج

التحيّه:من أخدجت السحابه إذا قلّ قطرها .و أنعم له : أى قال:نعم .و العسف:

الأخذ بشدّه و على غير وجه .و الإرهاق : تكليف العسر .و الماشيه: الغنم و البقر .و العنيف : الّذى لا رفق له .و صدعت المال صدعين : قسّمت بقسمين .و العود:

المسنّ من الإبل و هو الّذى جاوز فى السنّ البازل .و الهرمه : العاليه السنّ .

و المكسوره : الّتى انكسرت إحدى قوائمها .و المهلوسه : الّتى بها الهلاس و هو السلّ .و العوار-بالفتح- : العيب،و قد يضمّ .و المجحف : الّذى يسوق المال سوقا عنيفا يذهب بلحمه و الملغب : المتعب .و اللغوب : الإعياء .و أوعزت إليه بكذا:

أى أمرته به .و حال بين الشيئين : حجز .و المصر : حلب كلّ ما فى الضرع من اللبن ،و التمصّر : حلب بقايا اللبن فيه .و الترفيه : الإراحه و استأن : أى ارفق .

و النقب : البعير الّذى رقّت أخفافه .و الغدر : جمع غدير الماء .و النطاف : المياه القليله :

و الأعشاب : جمع عشب و هو النبات .و البدن : السمان،الواحد بادن .و المنقيات : الّتى صارت من سمّها ذات نقى و هو مخّ العظام و شحم العين .و النقو : كلّ عظم ذى مخّ .

المعنى

و هذه الوصيه مشتمله على تعليم عامله على جبايه الصدقات قوانين العدل فى أخذها من أهلها.و مداره و أمره له على الشفقّه عليهم و الرفق بهم.و اعلم أنّ الرفق بالرعيّه و إن كان من أهمّ المطالب للشارع صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لاستلزامه تألّف قلوبهم و اجتماعها عليه و على ما جاء به من الحقّ إلاّ أنّه هاهنا أهمّ و الحاجه إليه أشدّ،و ذلك أنّ الغرض هنا أخذ بعض ما هو أعزّ المطالب عند الناس من أيديهم و هو المال و مشاركتهم فيه فقلوبهم هنا أقرب إلى النفار ممّا يدعون إليه من سائر التكاليف و هم إلى المداراه و الرفق أشدّ حاجه فلذلك أكّد عليه السّلام وصيّه العامل بالرفق بهم و المساهله منهم حفظا لقلوبهم. و فى الوصيّه مواضع:

الأوّل:أمره بالانطلاق معتمدا على تقوى اللّه غير مشرك فى تقواه غيره و لا موجّه نيّته فى انطلاقه إلى سواه لأنّ حركته هذه حركه دينيّه من جمله العبادات فيجب توجيهها إليه بالإخلاص.

الثانى:لا يفزع مسلما كما هو عاده الولاه الظالمين،و أن لا تختارنّ عليه

كارها:أى لا تختار شيئا من إبله أو ماشيته و هو كاره لاختياره،و روى و لا يجتازنّ بالجيم:أى و لا يمرّنّ على أرض إنسان و مواشيه و هو كاره لمرورك عليها و بها.

و انتصب كارها على الحال من الضمير المجرور.

الثالث :أمره إذا نزل بقبيله أن ينزل بمائهم لأنّ من عاده العرب أن تكون مياههم بارزه عن بيوتهم،و أن لا تخالط بيوتهم لما فى ذلك من المشقّه عليهم و التكلّف له.

الرابع:قوله:ثمّ امض إليهم.إلى قوله:و لا تسوءنّ صاحبها.فيها تأديب له بما ينبغى أن يفعله فى حقّهم ممّا يستلزم المصلحه،و تعليم لأسباب الشفقّه عليهم من الأفعال كالسكينه و الوقار و القيام فيهم من الأقوال كالسلام و أداء الرساله و أحوال الأقوال كإتمام التحيّه و الرفق فى القول،و من التروك كان لا يخيف المسلم و لا يتوعّده و لا يعسفه و لا يرهقه عسرا و لا يدخل إبله و ماشيته من غير إذنه و لا يدخلها دخول متسلّط و لا جبّار و لا عنيف و أن لا ينفرّ بهيمه و لا يفزعها و لا يسوء صاحبها فيها بضرب و نحوه لما فى ذلك كلّه من أذى صاحبها و تنفير قلبه المضادّ لمطلوب الشارع.

الخامس :أنّه علّل نهيه عن دخولها بغير إذن صاحبها بإنّ أكثرها له.و الكلام فى قوّه صغرى قياس ضمير من الشكل الأوّل يستلزم حسن هذا النهى.و تقدير كبراه:و كلّ من كان أكثر المال له فهو أولى بالتصرّف و الحكم و المال فيلزم أن لا يصحّ تصرّف غيره فيه و دخوله إلّا باذنه.

السادس:قوله :و اصدع المال.إلى قوله:فى ماله.تعليم لكيفيّه استخراج الصدقه الّتى فى الإبل و الماشيه،و هو أن يفرّق الإبل و الماشيه عند اختلاط الكلّ فرقتين ثمّ يخيّره فإن اختار قسما فلا ينازعه فيه و ليس له أن يستأنف فيه نظرا آخر،و كذلك يقسّم الصدع الباقى بنصفين و لا يزال يفعل كذلك حتّى ينتهى أحد الصدعين إلى مقدار الواجب من حقّ اللّه تعالى فى ذلك المال أو فوقه بقليل فيؤخذ منه مقدار الواجب أو دونه بيسير فيتمّم و يجعل لربّ المال اختيار أحد الصدعين

و الإقاله إن استقال من أخذ تلك القسمه تسكينا لقلبه و جبرا من تنقّص ماله.

السابع :نهاه أن يأخذ فى مال اللّه ما كان بأحد الصفات المذكوره كالعود و الهرمه و المكسوره و المهلوسه و المعيبه بكباد و نحوه مراعاه لحقّ اللّه تعالى و جبرا لحال مصارفه و هم الأصناف الثمانيه الّذين عدّدهم اللّه تعالى فى كتابه الكريم من الفقراء و المساكين و غيرهم.و قال قطب الدين الراوندىّ-رحمه اللّه-الظاهر من كلامه عليه السّلام أنّه كان يأمر بإخراج كلّ واحد من هذه الأصناف المعيّنه من المال قبل أن يصدع بصدعين.

الثامن :أنّه نهاه أن يأمن عليها و يوكّل بحفظها و سوقها إلاّ من يثق بدينه و أمانته واثقا من نفسه بحفظه حتّى يسلّمه إلى وليّهم يعنى نفسه عليه السّلام و يكون ناصحا:أى للّه و لرسوله،شفيقا:أى على ما يقوم عليه،أمينا حفيظا عليه غير ضعيف و لا مجحف و لا متعب له.و ذلك من الامور اللازمه فى حفظ الواجب فى حقّ اللّه تعالى.

التاسع :أمره أن يحمل إليه ما يجتمع معه و لا يؤخّره لأمرين:

أحدهما.الحاجه إلى صرفه فى مصارفه.

الثانى:الخوف من تلفه بأحد أسباب التلف قبل الانتفاع به.

العاشر:أنّه عاد إلى الوصيّه بحال البهائم و هو أن يأمر أمينه عند تسليم المال أن لا يحول بين ناقه و فصيلها،و لا يحلب جميع لبنها،لأنّ الأمرين يضرّان بالولد،و لا يجهدنّها ركوبا و تخصّصها به دون صواحباتها لأنّ ذلك ممّا يضرّبها و العدل بينها فى ذلك ممّا يقلّ معه ضرر الركوب و هو من الشفقّه الطبيعيّه ،و كذلك الترفيه على اللاغب و التأنّى بالناقب و الظالع،و كذلك أن يوردها فيما يمرّ به من الماء و الكلاء،و أن يروّجها فى ساعات الرواح للغايه الّتى ذكرها و هو أن يأتى بحال السمن و الراحه.و إنّما قال:لنقسمها على كتاب اللّه و سنّه نبيّه و إن كان ذلك أمرا معلوما من حاله عليه السّلام لأنّه لمّا بالغ فى الوصيّه بحالها فربّما سبق إلى بعض الأوهام الفاسده أنّ ذلك لغرض يختصّ به يخالف الكتاب و

السنّه.ثمّ رغّبه فى ذلك بكونه أعظم لأجره عند اللّه و أقرب لهداه و رشده لطريق اللّه و هو ظاهر:أمّا أنّه أعظم لأجره فلكونه أكثر مشقّه و أكثريّه الثواب تابعه لأكثريّه المشقّه،و أمّا أنّه أقرب لرشده فلسلوكه فى ذلك على أثره عليه السّلام و اقتدائه بهداه الّذى لم يكن عارفا به.و باللّه التوفيق.

۲۶-و من عهد له عليه السّلام

اشاره

إلى بعض عماله،و قد بعثه على الصدقه

آمُرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي سَرَائِرِ أَمْرِهِ وَ خَفِيَّاتِ عَمَلِهِ- حَيْثُ لاَ شَاهِدَ غَيْرُهُ وَ لاَ وَكِيلَ دُونَهُ- وَ آمُرُهُ أَلاَّ يَعْمَلَ بِشَيْءٍ مِنْ طَاعَهِ اللَّهِ فِيمَا ظَهَرَ- فَيُخَالِفَ إِلَى غَيْرِهِ فِيمَا أَسَرَّ- وَ مَنْ لَمْ يَخْتَلِفْ سِرُّهُ وَ عَلاَنِيَتُهُ وَ فِعْلُهُ وَ مَقَالَتُهُ- فَقَدْ أَدَّى الْأَمَانَهَ وَ أَخْلَصَ الْعِبَادَهَ- وَ آمُرُهُ أَلاَّ يَجْبَهَهُمْ وَ لاَ يَعْضَهَهُمْ- وَ لاَ يَرْغَبَ عَنْهُمْ تَفَضُّلاً بِالْإِمَارَهِ عَلَيْهِمْ- فَإِنَّهُمُ الْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ- وَ الْأَعْوَانُ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الْحُقُوقِ- وَ إِنَّ لَكَ فِي هَذِهِ الصَّدَقَهِ نَصِيباً مَفْرُوضاً وَ حَقّاً مَعْلُوماً- وَ شُرَكَاءَ أَهْلَ مَسْكَنَهٍ وَ ضُعَفَاءَ ذَوِي فَاقَهٍ- وَ إِنَّا مُوَفُّوكَ حَقَّكَ فَوَفِّهِمْ حُقُوقَهُمْ- وَ إِلاَّ فَإِنَّكَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ خُصُوماً يَوْمَ الْقِيَامَهِ- وَ بُؤْسَى لِمَنْ خَصْمُهُ عِنْدَ اللَّهِ الْفُقَرَاءُ وَ الْمَسَاكِينُ- وَ السَّائِلُونَ وَ الْمَدْفُوعُونَ وَ الْغَارِمُونَ وَ ابْنُ السَّبِيلِ- وَ مَنِ

اسْتَهَانَ بِالْأَمَانَهِ وَ رَتَعَ فِی الْخِیَانَهِ- وَ لَمْ یُنَزِّهْ نَفْسَهُ وَ دِینَهُ عَنْهَا- فَقَدْ أَحَلَّ بِنَفْسِهِ الذَّلَّ وَ الْخِزْیَ فِی الدُّنْیَا- وَ هُوَ فِی الْآخِرَهِ أَذَلُّ وَ أَخْزَی- وَ إِنَّ أَعْظَمَ الْخِیَانَهِ خِیَانَهُ الْأُمَّهِ- وَ أَفْظَعَ الْغِشِّ غِشُّ الْأَئِمَّهِ وَ السَّلَامُ

اللغه

أقول:یقال: جبهته بالمکروه : إذا استقبلته به .و عضهته عضها : رمیته بالبهتان و الکذب .و الفاقه و البؤس و الفظع : الشدّه .

المعنی

و قد أمر علیه السّلام بأوامر بعضها یتعلّق بأداء حقّ اللّه تعالی و بعضها یتعلّق بأحوال الرعیّه و الشفقّه علیهم لغایه نظام حالهم و تدبیر امورهم.فالّذی یتعلّق بحقّ اللّه تعالی أمران:

أحدهما :أن یتّقیه فیما یسرّ من اموره و یخفی من أعماله و هی التقوی الحقّه المنتفع بها.

و قوله:حیث.

إشاره إلی موضع إسرار العمل و إخفاء الامور.و أتی بقوله:لا شهید غیره و لا وکیل دونه فی معرض الوعد له و التخویف باطّلاعه تعالی علی سرائر العباد و خفیّات أعمالهم و تولّیه لها دون غیره.و نبّه بکونه هو الشهید دون غیره علی عظمته مع الردّ لما عسی أن یحکم به الوهم مطلقا من أنّ السرائر و الامور الخفیّه لا یطّلع علیها غیر من هی له.

الثانی :أن یوافق فی طاعته للّه تعالی بین ما أظهره و ما أبطنه،و یخلص أعماله الظاهره من الریاء و السمعه،و ذلک قوله:و أمره أن لا یعمل.إلی قوله:فیما أسرّ.و-ما-فی قوله:فیما.بمعنی الّذی و یحتمل أن تکون مصدریّه.و فیما ظهر:

أی للناس من طاعه اللّه.

و قوله:و من لم یختلف.إلی قوله:العباده.

ترغیب له فیما أمره به من عدم اختلاف السریره و العلانیه و الفعل و القول

ص:۴۱۶

بکون ذلک مستلزما لإخلاص عباده اللّه و لأداء أمانته الّتی کلّفها عباده علی ألسنه رسله و أئمّه دینه،و ظاهر کون ذلک مستلزما لثواب اللّه و الأمن من سخطه .و أمّا ما یتعلّق بأحوال الرعیّه و الشفقه علیهم فمنه ما یتعلّق بحال أرباب الأموال الّتی یستحقّ علیهم الصدقه،و منه ما یتعلّق بأرباب الصدقه المستحقّین لها:أمّا الأوّل فأن لا یلقاهم بمکروه و لا یرمیهم ببهتان و کذب و أن لا ینقبض عنهم و یترفّع علیهم تفضیلا لنفسه بالإماره.و انتصب تفضیلا علی المفعول له.

و قوله:و إنّهم الإخوان.إلی قوله:الحقوق.

إشاره إلی احتجاج بقیاس ضمیر من الشکل الأوّل یستلزم حسن الانتهاء عمّا أمر بالانتهاء عنه و وجوبه،و المذکور فی قوّه صغری،و تقدیر الکبری:و کلّ من کان أخا فی الدین و عونا علی استخراج الحقوق فیجب أن لا یفعل فی حقّه شیء ممّا أمرت بالانتهاء عنه،و أمّا أنّهم الأعوان علی استخراج الحقوق فلأنّ الحقوق المطلوبه منهم إنّما تحصل بواسطتهم،و حصولها منهم إنّما یتمّ بالشفقه علیهم و أن لا یفعل معهم شیء ممّا نهی عنه علیه السّلام فإنّ کلّ تلک الامور ممّا ینفّر طباعهم و یشتّت نظام شملهم و منه یکون قلّه مال الصدقه المستحقّه علیهم،و یحتمل أن یدخل فی هؤلاء الجند أیضا ،و أمّا ما یتعلّق بالمستحقّین للصدقه فأن یوفّیهم حقوقهم منها،و أشار إلی الحجّه علی وجوب ذلک علیه بقوله:و إنّ لک.إلی قوله:و إنّا موّفوک حقّک،و هو فی قوّه صغری ضمیر من الشکل الأوّل،و تقدیر کبراه:و کلّ من کان له نصیب مفروض و حقّ معلوم فی شیء و له شرکاء فیه بصفه الفقر و المسکنه و هو مستوف لحقّه منه فواجب علیه أن یوفّی شرکاؤه حقوقهم:أمّا الصغری فظاهره.و أمّا الکبری فأشار إلی بیانها بقیاس آخر من الشکل الأوّل مرکّب من متّصلین.فأشار إلی الصغری بقوله:و إلاّ.إلی قوله:إلی یوم القیامه.و نبّه علی الکبری بقوله:و لو شاء إلی قوله:و ابن السبیل.و هی فی قوّتها إذ الأصناف المذکورون من مستحقّی الصدقه هم الخصوم و هم أکثر الناس و کان الأوسط متّحدا،و صار تقدیر القیاس و إن لا توفّهم حقّهم فإنّک ممّن خصومه

أكثر النـاس:أى الفقراء و المسـاكين و سائر الأصـناف يوم القيامه،و كلّ من كان خصومه أكثر الناس و هم الأصـناف المـذكوره فبؤسا له عند اللّه يوم القيامه، و ينتج متّصـله مركّبه من مقدم الصغرى و تالى الكبرى و هى إن لا توفّهم حقوقهم فبؤسا لک،و هو فى معرض التهديـد و التنفير له عن ظلمهم و الاستبداد عليهم بشـىء من الصـدقه،و شـركاء عطف على قوله:حقّـا معلومـا.و أهل المسكنه صفه له،و بؤسا نصب على المصدر.و أمّا الأصناف المستحقّين للصدقات فهم الثمانيه المعدوده فى القرآن الكريم بقوله «إِنَّمَـا الصَّدَقـاتُ لِلْفُقَراءِ» إلى قوله «وَ ابْنِ السَّبِيـلِ» (۱)فأمّـا الفقير فقـال ابن عبّاس و جماعه من المفسـرين:إنّه المتعفّف الّـذى لا يسأل،و المسـكين هو الّذى يسأل و عن الأصـمعى أنّ الفقير هو الّذى له ما يأكل و المسـكين هو الّذى لا شـىء له،و أمّا العاملون عليهم فهم السعاه فى جبـايه الصـدقات.و يعطيهم الإمـام منهـا بقـدر اجور أمثـالهم،و أمّـا المؤلّفه قلوبهم فكانوا قوما من أشـراف العرب يتألّفهم رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم فى مبـدء الإسـلام و يعطيهم سـهما من الزكاه ليـدفعوا عنه قومهم و يعينوه على العدوّ كالعبّاس بن مرداس و عيينه بن الحصن و غيرهما ثمّ اسـتغنى المسلمون عن ذلک عند قوّتهم،و أمّا فى الرقاب:أى فى فـداء الرقاب.فقـال ابن عبّـاس:يريـد المكاتبين و كانوا يعطون سـهما ليعتقوا به،و أمّا الغارمون فهم الّـذين لزمتهم الـديون فى غير معصـيه و لا إسـراف،و أمّا فى سبيل اللّه فهم الغزاه و المرابطون، و أمّا ابن السبيل فهو المنقطع به فى السفر و يعطى من الصدقه.و إن كـان غنيّـا فى بلـده.و قـد ذكر عليه السّـلام هاهنـا فى معرض إيجـاب الشـفقّه و الرحمه له خمسه و هم الفقراء و المسـاكين و يـدخل فيه السائلون ثمّ المدفوعون و يشـبه أن يريد بهم العاملين عليها و سـمّاهم مدفوعين باعتبار أنّهم يدفعون لجبايه الصدقات أو لأنّهم إذا أتوا إلى من لا زكاه عليه فسألوه هل عليه زكاه أم لا دفعهم عن نفسه.ذكرهم هنا بهـذا الوصف لكونه وصف ذلّ و انقهار و كونه عليه السّلام فى معرض الأمر بالشفقّه عليهم.

قال بعض الشارحين:أراد بهم الفقراء السائلين لكونهم يدفعون عند السؤال.ثمّ

۱- ۱) ۶۰-۹.

الغارم و ابن السبيل.و إنّما ذكر هؤلاء الخمسه أو الأربعه لكونهم أضعف حالا من الباقين.

و قوله :و من استهان.إلى قوله:و اخرى.

يشبه أن يكون كبرى قياس ضمير احتجّ به فى معرض الوعيد و التخويف من الخيانه على لزوم الذلّ و الخزى له فى الدارين على تقدير أن لا يوفّيهم حقوقهم و تقدير القياس و إن لا توفّهم حقوقهم تكن مستهينا بالأمانه راتعا فى الخيانه غير منزّه نفسك و دينك عنها،و كلّ من كان كذلك فقد أحلّ بنفسه فى الدنيا الذلّ و هو فى الآخره أذلّ و أخزى،و روى أخلّ بنفسه:أى ترك ما ينبغى لها،و روى أحلّ نفسه:أى أباحها.و الذلّ على هاتين الروايتين مبتدأ خبره فى الدنيا.و الخيانه أعمّ من الغشّ و هى رذيله التفريط من فضيله الأمانه.و الغشّ رذيله تقابل فضيله النصيحه و هما داخلتان تحت رذيله الفجور.

و قوله :و إنّ أعظم الخيانه.إلى آخره.

تنبيه على عظم الخيانه هاهنا.إذ كانت خيانه كلّيه عامّه الضرر لأكثر المسلمين،و مستلزمه لغشّ الإمام الّذى هو أفضل الناس و أولاهم بالنصيحه فإذا كان مطلق الخيانه و لو فى حقّ أقلّ الخلق و أحقر الأشياء منهيّا عنها و يستحقّ العقاب و الخزى عليها فبالأولى مثل هذه الخيانه العظيمه.و كلّ ذلك فى معرض الوعيد و التنفير عن الخيانه و الاستهانه بالأمانه.و باللّه التوفيق.

۲۷–و من عهد له عليه السّلام

اشاره

إلى محمد بن أبى بكر،رضى اللّه عنه حين قلده مصر

القسم الأول

اشاره

فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ وَ أَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ- وَ ابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ وَ آسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَ النَّظْرَةِ- حَتَّى لاَ يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ- وَ لاَ يَيْأَسَ

الضُّعَفاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ- فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُسَائِلُكُمْ مَعْشَرَ عِبَادِهِ- عَنِ الصَّغِيرَهِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَ الْكَبِيرَهِ وَ الظَّاهِرَهِ وَ الْمَسْتُورَهِ- فَإِنْ يُعَذِّبْ فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ وَ إِنْ يَعْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ- وَ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ- أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وَ آجِلِ الْآخِرَهِ- فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ- وَ لَمْ يُشَارِكْهُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ- سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سُكِنَتْ وَ أَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أُكِلَتْ- فَحَظُوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظِيَ بِهِ الْمُتْرَفُونَ- وَ أَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَهُ الْجَبَابِرَهُ الْمُتَكَبِّرُونَ- ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْهَا بِالزَّادِ الْمُبَلِّغِ وَ الْمَتْجَرِ الرَّابِحِ- أَصَابُوا لَذَّهَ زُهْدِ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ- وَ تَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ جِيرَانُ اللَّهِ غَداً فِي آخِرَتِهِمْ- لَا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَهٌ وَ لَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّهٍ- فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ الْمَوْتَ وَ قُرْبَهُ- وَ أَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ- فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ وَ خَطْبٍ جَلِيلٍ- بِخَيْرٍ لَا يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَداً- أَوْ شَرٍّ لَا يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَداً- فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّهِ مِنْ عَامِلِهَا- وَ مَنْ أَقْرَبُ إِلَى النَّارِ مِنْ عَامِلِهَا- وَ أَنْتُمْ طُرَدَاءُ الْمَوْتِ- إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ وَ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ- وَ هُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ- الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ وَ الدُّنْيَا تُطْوَى مِنْ خَلْفِكُمْ- فَاحْذَرُوا نَاراً قَعْرُهَا بَعِيدٌ وَ حَرُّهَا شَدِيدٌ وَ عَذَابُهَا جَدِيدٌ- دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَهٌ- وَ لَا تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَهٌ

وَ لاَ تُفرَّجُ فِيهَا كُرْبَهُ- وَ إِنِ اسْتَطَعْتُم أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكَمْ مِنَ اللَّهِ- وَ أَنْ يَحْسُنَ ظَنُّكَمْ بِهِ فَاجْمَعُوا بَيْنَهُمَا- فَإِنَّ الْعَبْدَ إِنَّمَا يَكُونُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ- عَلَى قَدْرِ خَوْفِهِ مِنْ رَبِّهِ- وَ إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ ظَنّاً بِاللَّهِ أَشَدُّهُمْ خَوفاً لِلَّهِ- وَ اعْلَمْ يَا؟مُحَمَّدَ بْنَ أَبِی بَكْرٍ؟- أَنِّی قَدْ وَلَّيْتُكَ أَعْظَمَ أَجْنَادِی فِی نَفْسِی أَهْلَ؟مِصْرَ؟- فَأَنْتَ مَحْقُوقٌ أَنْ تُخَالِفَ عَلَى نَفْسِكَ- وَ أَنْ تُنَافِحَ عَنْ دِينِكَ- وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلاَّ سَاعَهٌ مِنَ الدَّهْرِ- وَ لاَ تُسْخِطِ اللَّهَ بِرِضَا أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ- فَإِنَّ فِی اللَّهِ خَلَفاً مِنْ غَيْرِهِ- وَ لَيْسَ مِنَ اللَّهِ خَلَفٌ فِی غَيْرِهِ- صَلِّ الصَّلاَهَ لِوَقْتِهَا الْمُؤَقَّتِ لَهَا- وَ لاَ تُعَجِّلْ وَقْتَهَا لِفَرَاغٍ- وَ لاَ تُؤَخِّرْهَا عَنْ وَقْتِهَا لاِشْتِغَالٍ- وَ اعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَیْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلاَتِكَ

اللغه

استعاره أقول: قلّده الأمر : جعله فی عنقه كالقلاده .و اللفظ مستعار .و حظی من كذا : أی صار له منه حظوه و هی المنزله و الحظّ الوافر .و الجبّار : البالغ فی التكبّر .و الطرداء : جمع طريد و هو ما يطرد من صيد .و الخلف : العوض .

المعنی

و هذا الفصل من العهد ملتقط من كلام طويل و مداره علی امور:

الأوّل :وصيّته محمّدا-رضی اللّه عنه-بمكارم الأخلاق فی حقّ رعيّته،و ذكر أوامر:

كنايه أحدها: أمره بخفض الجناح .قيل:و أصله أنّ الطائر يمدّ جناحيه و يخفضهما ليجمع فراخه تحتها إيهاما للشفقّه عليها.فاستعمل كنايه عن التواضع الكائن عن

الرحمه و الشفقّه کما قال تعالی «وَ اخْفِضْ جَناحَکَ لِمَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ» (۱)و قد بیّنا أنّ التواضع ملکه تحت فضیله العفّه.

الثانی: أمره بإلانه جانبه کنایه عن الرفق فی الأقوال و الأفعال و عدم الغلظه علیهم و الجفاوه فی حقّهم فی کلّ الأحوال.و هو قریب من التواضع،و من لوازمه.

الثالث: أمره أن یبسط لهم وجهه و هو کنایه عن لقائهم بالبشاشه و الطلاقه من غیر تقطیب و عبوس.و هو من لوازم التواضع أیضا.

الرابع: أن یواسی بینهم فی النظره و اللحظه و هی أخفّ من النظره،و هو کنایه عن الاستقصاء فی العدل بینهم فی جلیل الامور و حقیرها و قلیلها و کثیرها.

و قوله:حتّی لا یطمع.إلی قوله:علیهم.

بیان وجه الحکمه فی أمره بالمساواه بینهم فی اللحظه و النظره علی حقارتهما.

فإن قلت:فلم خصّص العظماء بالطمع فی الحیف و الضعفاء بالیأس من العدل؟.

قلت:لأنّ العاده أنّ الولاه و الأمراء إنّما یخصّصون بالنظره و الإقبال بالبشاشه الأغنیاء و العظماء دون الضعفاء و ذلک التخصیص مستلزم لطمعهم أن یحاف لهم،و الإعراض عن الضعفاء مستلزم للیأس من العدل فی حقّهم.و الضمیر فی قوله:

علیهم.یرجع إلی العظماء.

مجاز الثانی :الوعید للعباد بسؤال اللّه لهم عن صغیر أعمالهم و کبیرها و ظاهرها و مستورها،و الإعلام بأنّهم مظنّه عذابه لبدأهم بمعصیته و البادی أظلم.قال الراوندی -رحمه اللّه-:المراد بأظلم الظالم.قلت:و یحتمل أن یکون قد سمیّ ما یجازیهم به من العدل ظلما مجازا لمشابهه الظلم فی الکمیّه و الصوره کما سمیّ فی القصاص اعتداء فی قوله «فَاعْتَدُوا عَلَیْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدی عَلَیْکُمْ» (۲)ثمّ نسب إلیه فعلهم فصدق إذن أفعل التفضیل باعتبار کونهم بدءوا بالمعصیه و کذلک الإعلام بأنّه تعالی مظنّه الکرم بالعفو عنهم .

۱- ۱) ۸۸-۱۵.

۲- ۲) ۱۹۰-۲.

الثالث :إعلامهم بما ينبغى لهم من استعمال الدنيا و التنبيه على كيفيّه استعمالها الواجب بوصف حال المتّقين فيها ليقتدوا بحالهم و هى ما أخبر عنه بقوله:

ذهبوا بعاجل الدنيا.إلى قوله:و لا ينقص لهم نصيب من لذّه،و خلاصه حالهم المذكوره أنّهم أكثر فايده من أهل الدنيا.إذ حصلوا من اللذّه فى دنياهم على أفضل ما حصل لأهلها من لذّاتهم بها مع زياده الفوز الأكبر فى الآخره بما وعد فيها المتّقون،و اعلم أنّ الّذى يشير إليه من عاجل الدنيا فى حق المتّقين الّذين شاركوا أهلها فيها و حظوا به منها ممّا حظى به المترفون و أخذه الجبابره المتكبّرون هو ما حصلوا عليه من لذّات الدنيا المباحه لهم بقدر ضرورتهم و حاجتهم كما روى عنه فى صفتهم بلفظ آخر:شاركوا أهل الدنيا فى دنياهم و لم يشاركهم أهل الدنيا فى آخرتهم أباحهم فى الدنيا ما كفاهم و به أغناهم قال اللّه عزّ اسمه «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّٰهِ الَّتِی أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ» (۱)الآيه سكنوا من الدنيا بأفضل ما سكنت و أكلوها بأفضل ما اكلت شاركوا أهل الدنيا فى دنياهم فأكلوا معهم من طيّبات ما يأكلون و شربوا من طيّبات ما يشربون و لبسوا من أفضل ما يلبسون و تزوّجوا من أفضل ما يتزوّجون و ركبوا من أفضل ما يركبون أصابوا لذّه الدنيا مع أهل الدنيا و هم فيها جيران اللّه يتمنّون عليه فيعطيهم ما يتمنّون لا يردّ لهم دعوه و لا ينقص لهم نصيبا من لذّه.فأمّا وجه كونهم أكلوها على أفضل ما اكلت و سكنوها بأفضل ما سكنت فلأنّهم استعملوها على الوجه الّذى ينبغى لهم و قد امروا باستعمالها عليه.و ظاهر أنّ ذلك الوجه أفضل الوجوه،و أمّا أنّهم شاركوا أهل الدنيا فى طيّباتها فظاهر،بل نقول:إنّ لذّتهم بما استعملوا منها أتمّ و أكمل،و ذلك أنّ كلّ ما استعملوه منها من مأكول و مشروب و منكوح و مركوب إنّما كان عند الحاجه و الضروره إليه،و قد علمت أنّ الحاجه إلى الشىء كلّما كانت أشدّ و أقوى كانت اللذّه به عند حصوله أتمّ و أعلى و ذلك من الامور الوجدانيّه.فثبت إذن أنّهم حظوا منها بما حظى به المترفون و أخذوا منها أخذه

۱- ۱) ۳-۷.

الجبابره المتكبّرين مع ما فضّلوا به من الحصول على آجل الآخره الّذى لم يشاركهم أهل الدنيا فيه كقوله تعالى «وَ مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَ ما لَهُ فِي الْآخِرَهِ مِنْ نَصِيبٍ » (۱)و أمّا الزاد المبلّغ لهم إلى ساحل العزّه و حضره الجلال فهو التقوى الّذى اتّصفوا به كما قال تعالى «وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوى» (۲)و قد علمت معنى كونه زادا غير مرّه. استعاره مرشحه و استعار للتقوى و الطاعه لفظ المتجر باعتبار كون الغايه المقصوده منها استعاضه ثواب اللّه المشبه للثمن،و رشّح بذكر المربح:

أى المكسب للربح،و ذلك باعتبار زياده فضل ثواب اللّه فى الآخره على ما بذله العبد من نفسه من العمل .

و قوله:أصابوا لذّه زهد الدنيا.

إشاره إلى بعض ما يزود به من اللذّات فى الدنيا و هو لذّه الزهد.إذ كان لهم بطرح الدنيا عن أعناق نفوسهم و وصولهم بسببه إلى ما وصلوا إليه من الكمالات العاليه ابتهاجات عظيمه أجلّ و أعلى ممّا يعده المترفون و المتكبّرون لذّه و خيرا.

و هم الّذين يحقّ لهم أن يتكبّروا على المتكبّرين.إذ كان الكمال الّذى به تكبّر المتكبّرون أمرا خاليا ضعيفا بالقياس إلى الكمال الحقّ الّذى حصل عليه هؤلاء.

و قوله:و تيقّنوا أنّهم جيران اللّه غدا.

أى يوم القيامه،و هو إشاره إلى جهه فرحهم بجوار اللّه و التذاذهم به المضاف إلى ما أصابوه من لذّه زهد الدنيا و تلك الجهه هى ما حصلوا عليه من اليقين باللّه و الوصول التامّ إليه بعد مفارقه الأبدان،و ذلك معنى جواره.

و قوله:لا تردّ لهم دعوه.

إشاره إلى بعض فضائلهم الّتى انفردوا بها أيضا المتفرّعه على كمال نفوسهم و كرامتهم عند اللّه اللازمه عن لزوم طاعته و هو كونهم مجابى الدعوه مع ما شاركوا غيرهم فيه من تمام اللذّه فى الدنيا و انفردوا به من تمامها فى الآخره.

ص:۴۲۴

۱- ۱) ۱۹-۴۲.

۲- ۲) ۱۹۲-۲.

الرابع :تحـذيرهم من الموت و قربه و تنبيههم على غايته من ذلك التحـذير و هو أن يعدّوا له عدّته الّتى يلقى بها و لا يكون كثير ضرر و قـد علمت أنّه التقوى و العمل الصالـح،و أكّد الأمر بإعداد عدّته بالتنبيه على عظم ما يأتى به من الأمر و الخطب الجليل،و أشـار إلى أنّ ذلـك الأـمر قـد يكون خيرا خالصـا دائمـا و قـد يكون شـرّا خالصـا دائمـا لتشـتدّ الرغبه و تقوى فى إكمـال العـدّه المستلزمه لتحصيل ذلك الخير و لدفع ذلك الشرّ.ثمّ نبّه على أنّ ذلك الخير الّذى يأتى به الموت هو الجنّه و ذلك الشرّ هو النار و أنّ المقرّب إلى كـلّ منهمـا و المسـتلزم للحصـول عليه هو العمـل له بقوله :فمن أقرب.إلى قوله:عاملهـا.ثمّ نبّه بقوله:و أنتم.إلى قوله:خلقكم.على أنّ هـذا الأـمر المسـتعقب لإحـدى هـاتين الغـايتين العظيمتين و هو الموت لاـ بـدّ من لقـائه ليتأكّـد الأمر عليهم بالاسـتعداد له.و اسـتعار لهم لفظ الطرداء ملاحظه لشبههم بما يطرد من صيد و نحوه و لشبههه بالفارس المجدّ فى الطلب الّذى لا بـدّ من إدراكه الطريـده،و ظاهر أنّه ألزم لكلّ امرء من ظلّه.إذ كان ظلّ المرء قد ينفكّ عنه حيث لا ضوء و الموت أمر لازم لا بدّ منه.

كنايه و قوله: و الموت معقود بنواصيكم .

كنايه عن لزومه و كونه لا بـدّ منه من اقتضاء:أى مشـدود و مربوط بنواصـيكم و ذلك الربط إشاره إلى حكم القضاء الإلهى به و كونه ضـروريّا للحيوان ،و إنّما خصّ الناصـيه لأنّها أعزّ ما فى الإنسان و أشـرف،و اللازم لها أملك له و أقدر على ضـبطه.و نحوه قوله تعالى «فَيُؤْخَذُ بِالنَّواصِي وَ اَلْأَقْدامِ» (1)استعاره و اسـتعار لفظ الطىّ لتقضّـى أحوال الـدنيا و أيّامها الّتى يقطعها الإنسان وقتا فوقتـا ملاـحظه لشـبه أحوالها بما يطوى من بساط و نحوه،و ظاهر أنّ ذلك الطىّ من خلفهم خلفا خياليّا بالنسبه إلى ما يسـتقبلونه من أحوالهـا بوجوه هممهم .ثمّ لمّـا كرّر ذكر الموت و أكّـد لزومه بطىّ الـدنيا رجع إلى التحـذير من غايته و هى النار و وصـفها بأوصافها ليشتدّ الحذر منها و هى بعد قعرها.و ممّا ينبّه عليه ما روى أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم سمع هدّه فقال

۱- ۱) ۴۱-۵۵.

لأصحابه:هذا حجر القى من شفير جهنّم فهو يهوى فيها منذ سبعين خريفا و الآن حين وصل إلى قعرها.و كان ذلك إشاره إلى منافق مات فى ذلك الوقت و عمره سبعون سنه،و قد أشرنا إلى ذلك من قبل.و شدّه حرّها كقوله تعالى «قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا» (۱)و حدّه عذابها كقوله تعالى «كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ» (۲)و كونه ليست بدار رحمه و لا يسمع لها دعوه كقوله تعالى «رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْها» (۳)الآيه.إلى قوله «تُكَلِّمُونِ» و كونها لا تفرّج فيها كربه كقوله تعالى «فِي عَذابِ جَهَنَّمَ خالِدُونَ لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَ هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ» و قوله «وَ نادَوْا يا مالِكُ» إلى قوله «ماكِثُونَ» (۴).

الخامس:قوله :و ان استطعتم.إلى قوله:بينهما.أمر لهم بالجمع من شدّه الخوف من اللّه و حسن ظنّ به و هما بابان عظيمان من أبواب الجنّه كما علمته فيما سلف.ثمّ أشار إلى أنّهما متلازمان بقوله:فإنّ العبد.إلى قوله:خوفا للّه:

أى أنّ مقدار حسن ظنّ العبد بربّه مطابق و ملازم لمقدار خوفه منه و إنّ زيادته مع زيادته و نقصانه مع نقصانه.

و اعلم أنّه عليه السّلام لم يجعل أحدهما علّه للآخر بل هما معلولا علّه واحده مساويا بها و هى معرفه اللّه.ثمّ لمّا كانت معرفه اللّه تعالى مقوله بحسب الشدّه و الضعف كان حسن الظنّ به و رجاؤه و شدّه الخوف منه أيضا ممّا يشتدّ و يضعف بحسب قوّه المعرفه و ضعفها إلاّ أنّ كلّ واحد منها يستند إلى ضعف من المعرفه و اعتبار خاصّ يكون هو مبدء القريب أمّا فى حسن الظنّ و الرجاء فأن يلحظ العبد من ربّه و يعتبر جميع أسباب نعمه على خلقه حتّى إذا علم لطايفها فى حقّهم ممّا هو ضرورىّ لهم كآلات الغذاء،و ما لهم إليه حاجه كالأظفار،و ما هو زينه كتقويس الحاجبين و اختلاف ألوان العينين،و بالجمله ما ليس بضرورىّ علم أنّ العنايه الإلهيّه إذا لم يقصر فى أمثال هذه الدقايق حتّى لم يرض لعباده أن يفوتهم

۱- ۱) ۸۲-۹.

۲- ۲) ۵۹-۴.

۳- ۳) ۱۰۹-۲۳.

۴- ۴) ۷۷-۴۳.

الموائد و المزايا فى الزينه و الحاجه كيف يرضى بسياقتهم إلى الهلاك الأبدىّ بل إذا أراد اعتبارا فى هذا الباب علم أنّه تعالى هيّأ لأكثر الخلق أسباب السعاده فى الدنيا حتّى كان الغالب على أكثرهم الخير و السلامه سنّه اللّه الّتى قد خلت فى عباده و علم أنّ الغالب فى أمر الآخره ذلك أيضا لأنّ مدبّر الدنيا و الاخره واحد و هو اللطيف بعباده و هو الغفور الرحيم،و حينئذ تكون الملاحظات و الاعتبارات مستلزمه لحسن الظنّ و باعثه على الرجاء.و من هذه الاعتبارات النظر فى حكمه الشريعه و سببها و مصالح الدنيا،و وجه الرحمه على العباد بها،و بالجمله أن يعتبر صفات الرحمه و اللطف.و أمّا فى الخوف فأقوى أسبابه أن يعرف اللّه تعالى و صفات جلاله و عظمته و تعاليه و سطوته و استغناه،و أنّه لو أهلك العالمين لم يبال و لم يمنعه مانع،و كذلك ساير اعتبارات الصفات الّتى يقتضى العنف و إيقاع المكاره كالسخط و الغضب،و لذلك قال تعالى «إِنَّما يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ» (۱)و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

أنا أخوفكم للّه.و بحسب اشتداد المعرفه بتلك الاعتبارات يكون حال الخوف و احتراق القلب ثمّ يفيض أثر ذلك على البدن فيحصل التحوّل و الصغار و الغشيه و الرعقه و الرعده على الجوارح فيكفّها عن المعاصى و يقيّدها بالطاعات استدراكا لما فرّط منه فى الصفات فيفيد قمع الشهوات و تكدير اللذّات،و لاحتراق القلب بالخوف يحصل له ذبول و ذلّه يفارقه معها كثير من الرذائل كالكبر و الحسد و الحقد و البخل و غيرها.ثمّ إنّ الجمع بينهما يستلزم كثيرا من الفضائل،و ذلك أنّ معرفه اللّه تعالى و اليقين به إذ حصل هيّج الخوف من عقابه و الرجاء لثوابه بالضروره،و هما يفيدان الصبر إذ حفّت الجنّه بالمكاره فلا صبر على تحمّلها إلاّ بقوّه الرضا،و حفّت النار بالشهوات فلا صبر على قمعها إلاّ بقوّه الخوف.و لذلك قال علىّ عليه السّلام:من اشتاق إلى الجنّه سلّى عن الشهوات،و من أشفق من النار رجع عن المحرّمات.ثمّ يؤدّى مقام الصبر إلى مقام المجاهده و التجرّد لذكر اللّه و دوام الفكر فيه و هى مؤدّيه إلى كمال المعرفه المؤدّى إلى الانس المؤدّى

۱- ۱) ۲۵-۳۵.

إلى المحبّه المستلزمه لمقام الرضا و التوكّل.إذ من ضروره المحبّه الرضا بفعل المحبوب و الثقه بعنايته.و لمّا ثبت أنّهما معلولا علّه واحده ثبت أنّهما متلازمان و ليسا بمتضادّين و إن ظنّ ذلك فى ظاهر الأمر بل ربّما غلب أحدهما على الآخر بحسب غلبه أسبابه فيشتغل القلب به و يغفل عن الآخر فيظنّ أنّه يعانده و ينافيه، و لذلك أتى عليه السّلام هنا بإن المقتضيه للشكّ فى استطاعتهم للجمع بينهما ثمّ نبّهه على إحسانه إليه بتوليته أعظم أجناده ليتبنى عن التذكير بتلك النعمه ما يريد أن يوصيه به.

السادس:نبّهه على ما ينبغى له و هو أولى به و ذلك أن يخالف على نفسه الأمّاره فيما تأمر به من السوء و الفحشاء و ساير مناهى اللّه إلى ما يحكم به العقل و الشرع من طاعته و أن ينافخ عن دينه و يجاهد شياطين الإنس و الجنّ عنه و لو لم يكن له من الدهر إلاّ ساعه فينبغى أن لا يشغلها إلاّ بالمجاهده عن دينه و أن لا يسخط اللّه برضا أحد من خلقه:أى لمتابعه أحد من خلق اللّه فيما يسخط اللّه.

و قوله:فإنّ فى اللّه.إلى قوله:فى غيره.

احتجاج على وجوب مراعات رضاه تعالى دون غيره بقياس ضمير من الأوّل المذكور فى قوّه صغرى.و تقدير الكبرى:و كلّما كان فى اللّه خلف عن غيره و ليس فى غيره خلف منه فالواجب اتّباع رضاه و أن لا يسخط برضا غيره .ثمّ أمره أن يصلّى الصلاه لوقتها الموقّت لها:أى المعيّن.و اللام للتخصيص و التعليل و أن لا يقدّمها على وقتها لفراغه فى ذلك الوقت و لا يؤخّرها عن وقتها لشغله عنها بغيرها فإنّها أهمّ من كلّ شغل و أولى.ثمّ أعلمه أنّ كلّ شىء من الأعمال الصالحه تبع للصلاه.و المراد أنّ الإنسان إذا حافظ على صلاته و أتى بوظائفها فى أوقاتها يوشك أن يكون على غيرها أولى بالمحافظه و إذا تساهل فيها فهو فى غيرها أكثر تساهلا،و ذلك أنّها عمود الدين و أفضل العبادات كما روى عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قد سئل عن أفضل الأعمال فقال:الصلاه لأوّل وقتها،و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:أوّل ما يحاسب به العبد الصلاه فمن تمّت صلاته سهل عليه غيرها من العبادات و من نقصت

صلاته فإنّه يحاسب عليها و على غيرها.

و اعلم أنّه ذكر أمر الصلاه فی هذا العهد بكلام طويل هدّه السيّد-رحمه اللّه-و فيه بيان حال الصلاه و لواحقها و أوّله أنّه قال:و انظر إلى صلاتک كيف هی فإنّک إمام لقومک إن تتمّها أو تخفّفها.فليس من إمام يصلّى بقوم يكون فی صلاتهم نقصان إلّا كان عليه و لا ينقص من صلاتهم شیء و إن تتمّها بحفظ فيها يكن لک مثل اجورهم و لا ينقص به ذلک من اجورهم شيئا.و انظر إلى الوضوء فإنّه من تمام الصلاه تمضمض ثلاثا و استنشق ثلاثا،و اغسل وجهک،ثمّ يدک اليمنى، ثمّ اليسرى،ثمّ امسح رأسک و رجليک فإنّى رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يصنع ذلک.

و اعلم أنّ الوضوء نصف الإيمان.ثمّ ارتقب وقت الصلاه فصلّها لوقتها و لا تعجّل بها قبله لفراغ و لا تؤخّرها عنه لشغل فإنّ رجلا سأل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن أوقات الصلاه فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:أتانى جبرئيل فأرانى وقت صلاه الظهر حين زالت الشمس و كانت على حاجبه الإيمن،ثمّ أرانى وقت العصر و كان ظلّ كلّ شیء مثله،ثمّ صلّى المغرب حين غربت الشمس،ثمّ صلّى العشاء الأخيره حين غابت الشمس،ثمّ صلّى الصبح فأغلس بها و النجوم مشتبكه.فصلّ بهذه الأوقات و الزم السنّه المعروفه و الطريق الواضح.ثمّ انظر ركوعک و سجودک فإنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان أتمّ الناس صلاتهم و أخفّهم عملا فيها،و اعلم أنّ كلّ شیء من عملک تبع لصلاتک فمن ضيّع الصلاه فإنّه لغيرها أضيع.أسأل اللّه الّذى يرى و لا يرى و هو بالمنظر الأعلى أن يجعلنا و إيّاک ممّن يحبّ أن يرضى حتّى يعيننا و إيّاک على شكره و ذكره و حسن عبادته و أداء حقّه و على كلّ شیء اختار لنا فی ديننا و دنيانا و آخرتنا.

القسم الثانی و من هذا العهد ايضا

فَإِنَّهُ لاَ سَوَاءَ إِمَامُ الْهُدَى وَ إِمَامُ الرَّدَى- وَ وَلِيُّ ؟النَّبِيِّ ؟ وَ عَدُوُّ

؟النَّبِيِّ؟- وَ لَقَدْ قَالَ لِي؟رَسُولُ اللَّهِ ص؟- إِنِّي لاَ أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِناً وَ لاَ مُشْرِكاً- أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللَّهُ بِإِيمَانِهِ- وَ أَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللَّهُ بِشِرْكِهِ- وَ لَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقِ الْجَنَانِ- عَالِمِ اللِّسَانِ- يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ وَ يَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ

أقول:هذا الفصل متّصل بقوله:و آخرتنا من فصل الصلاه،و أوّله:و أنتم يا أهل مصر فليصدق قولكم فعلكم و سرّكم علانيتكم.و لا تخالف ألسنتكم قلوبكم إنّه لا يستوى.إلى قوله:تنكرون.ثمّ يتّصل به يا محمّد بن أبى بكر اعلم أنّ أفضل العفّه الورع فى دين اللّه و العمل بطاعته و إنّى اوصيك بتقوى اللّه فى سرّ أمرك و علانيتك و على أىّ حال كنت عليه:الدنيا دار بلاء و دار فناء،و الآخره دار الجزاء و دار البقاء.فاعمل لما يبقى و اعدل عمّا يفنى، «وَ لا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا» :إنّى اوصيك بسبع هى جوامع الإسلام:اخش اللّه عزّ و جلّ فى الناس و لا تخش الناس فى اللّه،و خير العلم ما صدّقه العمل،و لا تقض فى أمر واحد بقضائين مختلفين فيختلف أمرك و تزوغ عن الحقّ و أحبّ لعامّه رعيّتك ما تحبّ لنفسك و أهل بيتك و أكره لهم ما تكره لنفسك و أهل بيتك فإنّ ذلك أوجب للحجّه و أصلح للرعيّه، و خض الغمرات إلى الحقّ و لا تخف فى اللّه لومه لائم و انصح المرء إذا استشارك و اجعل نفسك اسوه لقريب المسلمين و بعيدهم جعل اللّه مودّتنا فى الدين و خلّتنا إيّاكم و خلّه المتّقين و أبقى لكم حتّى يجعلنا بها «إِخْواناً عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ» .

أحسنوا أهل مصر موازره أميركم و أثبتوا على طاعتكم تردوا حوض نبيّكم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أعاننا اللّه و إيّاكم على ما يرضيه.و السلام عليكم و رحمه اللّه و بركاته.

و القمع : القهر و الاذلال .

و اعلم أنّه لما أمرهم بترك النفاق و موافقه الفعل الجميل نلقول الجميل

استدرجهم إلى ذلك و جذبهم إليه بالفرق بينه و بين غيره من الأئمّه فأشار بإمام الهدى و ولىّ النبىّ إلى نفسه.و بإمام الردى و بعدوّ النبىّ إلى معاويه،و أسند الخبر المشهور إلى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ،و أراد بمنافق الجنان عالم اللسان معاويه و أصحابه كلّ ذلك ليفيئوا إلى طاعته عليه السّلام و ينفروا عن خصمه.و أمّا سرّ الخبر فظاهر أنّ المؤمن لإيمانه لا يخاف منه على المسلمين،و أمّا المشرك فإنّ اللّه يقمعه و يذلّه بشركه ما دام مشركا متظاهرا بالشرك لظهور الإسلام و غلبه المسلين و اتّفاقهم على مجانبته و معاداته و عدم الإصغاء إلى ما يقول،و إنّما يخاف عليهم المنافق الّذى من شأنه إسرار الكفر و إظهار الإسلام و تعلّم أحكامه و مخالطه أهله فهو يقول بلسانه ما يقولون و يفعل ما ينكرون،و وجه المخافه منه أنّ مخالطته لأهل الإسلام مع إظهاره له يكون سببا لاصغائهم إليه و مجالستهم له و الاغترار بما يدّعيه من إصداقه.

و صدق علمه اللسانىّ و قدرته على الشبه المضلّه و تنميقها بالأقوال المزّوقه يكون سببا لانفعال كثير من عوامّ المسلمين و فتنتهم عن الدين.

و قوله:إنّ أفضل العفّه الورع.

فالورع هو لزوم الأعمال الجميله و هو ملكه تحت فضيله العفّه،و ظاهر أنّها جماع الفضايل الّتى تحت العفّه فيكون أفضل من كلّ منها.

و قوله:و اخش اللّه فى الناس.

أى خف منه فيما تفعله بهم من شرّ تعصّيه به.

و قوله:و لا تخش الناس فى اللّه.

أى لا تخف أحدا منهم و لا تراقبه فيما يفعله من طاعه اللّه فتعدل عن طاعته لخوفك منهم.و باللّه التوفيق.

۲۸-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى معاويه جوابا،و هو من محاسن الكتب

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانِی كِتَابُكَ- تَذْكُرُ فِيهِ اصْطِفَاءَ اللَّهِ؟مُحَمَّداً ص؟

لِدِينِهِ- وَ تَأْيِيدَهُ إِيَّاهُ لِمَنْ أَيَّدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ- فَلَقَدْ خَبَّأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْکَ عَجَباً- إِذْ طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبَلاَءِ اللَّهِ تَعَالَی عِنْدَنَا- وَ نِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِی نَبِيِّنَا- فَکُنْتَ فِی ذَلِکَ کَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَی؟هَجَرَ؟- أَوْ دَاعِی مُسَدِّدِهِ إِلَی النِّضَالِ- وَ زَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِی الْإِسْلاَمِ فُلاَنٌ وَ فُلاَنٌ- فَذَکَرْتَ أَمْراً إِنْ تَمَّ اعْتَزَلَکَ کُلُّهُ- وَ إِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْکَ ثَلْمُهُ- وَ مَا أَنْتَ وَ الْفَاضِلَ وَ الْمَفْضُولَ وَ السَّائِسَ وَ الْمَسُوسَ- وَ مَا لِلطُّلَقَاءِ وَ أَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ- وَ التَّمْيِيزَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ- وَ تَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ وَ تَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ- هَيْهَاتَ لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا- وَ طَفِقَ يَحْکُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُکْمُ لَهَا- أَ لاَ تَرْبَعُ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ عَلَی ظَلْعِکَ- وَ تَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِکَ- وَ تَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخَّرَکَ الْقَدَرُ- فَمَا عَلَيْکَ غَلَبَةُ الْمَغْلُوبِ وَ لاَ ظَفَرُ الظَّافِرِ- وَ إِنَّکَ لَذَهَّابٌ فِی التِّيهِ رَوَّاغٌ عَنِ الْقَصْدِ- أَ لاَ تَرَی غَيْرَ مُخْبِرٍ لَکَ- وَ لَکِنْ بِنِعْمَهِ اللَّهِ أُحَدِّثُ- أَنَّ قَوْماً اسْتُشْهِدُوا فِی سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَی مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ- وَ لِکُلٍّ فَضْلٌ- حَتَّی إِذَا اسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا قِيلَ؟سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ؟- وَ خَصَّهُ ؟رَسُولُ اللَّهِ ص؟ بِسَبْعِينَ تَکْبِيرَهً عِنْدَ صَلاَتِهِ عَلَيْهِ أَ وَ لاَ تَرَی أَنَّ قَوْماً قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِی سَبِيلِ اللَّهِ- وَ لِکُلٍّ فَضْلٌ- حَتَّی إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ- قِيلَ الطَّيَّارُ فِی الْجَنَّهِ وَ ذُو الْجَنَاحَيْنِ- وَ لَوْ لاَ

مَـا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ تَزْكِيَهِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ- لَـذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِـلَ جَمَّهً تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ- وَ لاَ تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ- فَـدَعْ عَنْكَ مَنْ مَـالَتْ بِهِ الرَّمِيَّهُ- فَـإِنَّا صَـنَائِعُ رَبِّنَـا وَ النَّاسُ بَعْـدُ صَـنَائِعُ لَنَـا- لَمْ يَمْنَعْنَا قَـدِيمُ عِزِّنَا- وَ لاَ عَادِيُّ طَوْلِنَا عَلَى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِـنَا- فَنَكَحْنَا وَ أَنْكَحْنَا- فِعْلَ الْأَكْفَاءِ وَ لَسْـتُمْ هُنَاكَ- وَ أَنَّى يَكُونُ ذَلِكَ كَـذَلِكَ وَ مِنَّا؟النَّبِيُّ؟ وَ مِنْكُمُ الْمُكَذِّبُ- وَ مِنَّا أَسَـدُ اللَّهِ وَ مِنْكُمْ أَسَدُ الْأَحْلاَفِ- وَ مِنَّا سَـيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّهِ وَ مِنْكُمْ صِبْيَهُ النَّارِ- وَ مِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَ مِنْكُمْ حَمَّالَهُ الْحَطَبِ- فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَ عَلَيْكُمْ- فَإِسْـلاَمُنَا مَا قَدْ سُـمِعَ وَ جَاهِلِيَّتُنَا لاَ تُدْفَعُ- وَ كِتَابُ اللَّهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَذَّ عَنَّا- وَ هُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- «وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ» - وَ قَوْلُهُ تَعَالَى «إِنَّ أَوْلَى النّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اللّهُ وَلِيُّ الْمُـؤْمِنِينَ» - فَنَحْـنُ مَرَّهً أَوْلَى بِـالْقَرَابَهِ وَ تَـارَهً أَوْلَى بِـالطَّاعَهِ- وَ لَمَّا احْتَـجَّ الْمُهَـاجِرُونَ عَلَى الْأَنْصَـارِ- ؟يَـوْمَ السَّقِيفَـهِ؟ ؟بِرَسُولِ اللَّهِ ص؟ فَلَجُوا عَلَيْهِمْ- فَإِنْ يَكُنِ الْفَلَجُ بِهِ فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ- وَ إِنْ يَكُنْ بِغَيْرِهِ فَالْأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ- وَ زَعَمْتَ أَنِّي لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ وَ عَلَى كُلِّهِمْ بَغَيْتُ- فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ

فَلَيسَتِ الْجِنَايَهُ عَلَيْکَ- فَيَكونَ الْعُذْرُ إِلَيْکَ- وَ تِلْکَ شَکَاهٌ ظَاهِرٌ عَنْکَ عَارُهَا

وَ قُلْتَ إِنِّی کُنْتُ أُقَادُ- کَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ حَتَّى أُبَايِعَ- وَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ- وَ أَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ- وَ مَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَهٍ فِی أَنْ يَكُونَ مَظْلُوماً- مَا لَمْ يَكُنْ شَاكّاً فِی دِينِهِ وَ لاَ مُرْتَاباً بِيَقِينِهِ- وَ هَذِهِ حُجَّتِی إِلَى غَيْرِکَ قَصْدُهَا- وَ لَكِنِّی أَطْلَقْتُ لَکَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ مِنْ ذِكْرِهَا- ثُمَّ ذَكَرْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِی وَ أَمْرِ؟عُثْمَانَ؟- فَلَکَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هَذِهِ لِرَحِمِکَ مِنْهُ- فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ وَ أَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ أَ مَنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ وَ اسْتَكَفَّهُ- أَمَّنِ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَى عَنْهُ وَ بَثَّ الْمَنُونَ إِلَيْهِ- حَتَّى أَتَى قَدَرُهُ عَلَيْهِ- كَلاَّ وَ اللَّهِ لَقَدْ عَلِمَ «اللّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَ الْقائِلِينَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا وَ لا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاّ قَلِيلاً» وَ مَا كُنْتُ لِأَعْتَذِرَ مِنْ أَنِّی كُنْتُ أَنْقِمُ عَلَيْهِ أَحْدَاثاً- فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِی وَ هِدَايَتِی لَهُ- فَرُبَّ مَلُومٍ لاَ ذَنْبَ لَهُ- وَ قَدْ يَسْتَفِيدُ الظِّنَّهَ الْمُتَنَصِّحُ

- وَ مَا أَرَدْتُ «إِلاَّ الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ»

«وَ ما تَوْفِيقِی إِلاّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ» وَ ذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِی وَ لِأَصْحَابِی عِنْدَكَ إِلاَّ السَّيْفُ- فَلَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارٍ- مَتَى أَلْفَيْتَ؟بَنِی عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ عَنِ الْأَعْدَاءِ نَاكِلِينَ- وَ بِالسَّيْفِ مُخَوَّفِينَ- فَلَبِّثْ قَلِيلاً يَلْحَقِ الْهَيْجَا حَمَلْ

- فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ- وَ يَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ- وَ أَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ فِی جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ- وَ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ- شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ- مُتَسَرْبِلِينَ سَرَابِيلَ الْمَوْتِ- أَحَبُّ اللِّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ- وَ قَدْ صَحِبَتْهُمْ ذُرِّيَّةٌ بَدْرِيَّةٌ وَ سُيُوفٌ هَاشِمِيَّةٌ- قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا- فِی أَخِيكَ وَ خَالِكَ وَ جَدِّكَ وَ أَهْلِكَ- «وَ ما هِیَ مِنَ الظّالِمِينَ بِبَعِيدٍ» أقول:هذا الكتاب ملتقط من كتاب ذكر السيّد منه فصلا سابقا،و هو قوله:فأراد قومنا إهلاك نبيّنا.و قد ذكرنا كتاب معاويه الّذی هو هذا الكتاب جواب له،و ذكرنا الكتاب له بأسره هناك و إن كان فيه اختلاف ألفاظ يسيره بين الروايات.

اللغه

و خبأت الشیء : سترته .و طفق : أخذ و جعل .و هجر : مدينه من بلاد البحرين .و النضال : المراماه .و المسدّد : الّذی يقوّم غيره لأمر و يهديه إليه .

و اعتزلك : تباعد عنك .و الثلم : الكسر .و الطليق : من اطلق بعد الأسر .و الربع : الوقوف .و الظلع : العرج .و الذرع : بسط اليد .و التيه: الضلال و التحيّر فی المفاوز .و الروّاغ : كثير الميل عن القصد .و الجمّه: الكثيره .و مجّ الماء من فيه : ألقاه .و الرميّه. الصيد يرمى ،و الصنيعه: الحسنه .و الفلج :

ص:۴۳۵

الفوز .و الشكاه و الشكيّه و الشكايه:ظاهره و الظاهر : الزائل و المخشوش : الّذى جعل فى أنفه خشاش،و هو خشبه تدخل فى أنف البعير ليقاد بها .و الغضاضه: الذلّه و المنقصه .و سنح : اعترض .و أعدى : أشدّ عدوانا .و المعوّقين: المثبّطين .و الظنّه:

التهمه .و المنصّح : المبالغ فى النصيحه .و الاستعبار : البكاء .و ألفيت كذا : وجدته .

و النكول : التأخّر جبنا .و الإرقال : ضرب من السير السريع .و الجحفل:

الجيش العظيم .و الساطع : المرتفع .و القتام : الغبار .و السرابيل : القمصان .

و النصال : السيوف .

المعنى

اشاره

و قد أجاب عليه السّلام عن كلّ فصل من كتاب معاويه بفصل.و الكتاب أفصح ما اختار السيّد-رحمه اللّه-من الكتب

و فيه نكت :

الاولى:

استعاره أنّه استعار لفظ الخبأ لما ستره الدهر فى وجود معاويه من العجب ثمّ فسّر العجب فقال: إذ طفقت .إلى قوله: النضال .و وجه العجب هنا أنّه أخبر أهل بيت النبىّ بحال النبىّ و ما أنعم اللّه به عليه من اصطفائه له لدينه و تأييده بأصحابه مع علمهم البالغ بحاله و كونهم أولى بالإخبار عنها.و ضرب له فى ذلك مثلين:

أحدهما:قوله: كناقل التمر إلى هجر .و أصل هذا المثل أنّ رجلا قدم من هجر إلى البصره بمال اشترى به شيئا للربح فلم يجد فيها أكسد من التمر فاشترى بماله تمرا و حمله إلى هجر و ادّخره فى البيوت ينتظر به السعر فلم يزدد إلّا رخصا حتّى فسد جميعه و تلف ماله فضرب مثلا لمن يحمل الشيء إلى معدنه لينتفع به فيه، و وجه مطابقه المثل هنا أنّ معاويه حمل الخبر بما أخبر به إلى معدنه الّذى هو أولى به منه كحامل التمر إلى معدنه.و هجر معروفه بكثره التمر حتّى أنّه ربما يبلغ خمسين جلّه بدينار-و وزن الجلّه مائه رطل،فذلك خمسه ألف رطل-و لم يسمع مثل ذلك فى بلاد اخرى.و هجر اسم قد يذكّر لقصد الموضع و لذلك صرفها شاعرهم حيث يقول:

و خطّها الخطّ إرقالا و قال قلى: اوّل لا نادما أهجر قرى هجر

تشبیه الثـانیه:أنّه شبّه بـداعی مسـدّده إلی النضال ،و وجه التشبیه هنا أیضا حمل الخبر إلی من هو أولی به منه کما یـدعو الإنسان مسدّده و استاده فی الرمی إلی المراماه،و مسدّده أولی بأن یدعوه إلی ذلک .

الثانیه:أنّ معاویه لمّا اقتصّ حال أصحابه و ذکر الأفضل فالأفضل منهم

معرّضـا بأفضـلیّتهم علیه مع عـدم مشـارکتهم له فی الفضل أجابه بأنّ ذلک التفضـیل و الترتیب إمّا أن یتمّ أولا.فإن تمّ فهو بمعزل عنـک.إذ لیس لـک نصـیب و لاـ شـرک فی درجـاتهم و مراتبهم و سابقتهم فی الإسـلام فیکون إذن خوضک فیه خوضا فیما لا یعنیک، و إن نقص فلیس علیک من نقصانه عار و لا یلحقک منه و هن.فخوضک فیه أیضا فضول .

استفهام علی سبیل الاستحقار و الإنکار و قوله: و ما أنت.إلی و ما للطلقاء .

اسـتفهام علی سبیل الاسـتحقار و الإنکار علیه أن یخوض علی صغر شأنه و حقارته فی هذه الامور الکبار.و المنقول أنّ أبا سفیان کان من الطلقاء فکذلک معاویه فهو طلیق و ابن طلیق .

و قوله: هیهات .

استبعاد لأهلیّته لمثل هذا الحکم و ترتیب طبقات المهاجرین فی الفضل.ثمّ ضرب له فی حکمیه ذلک مثلین آخرین:

أحدهما:قوله: لقد حنّ قدح لیس منها ،و أصله أنّ أحد قداح المیسر.

-إذ کان لیس من جوهر باقی القـداح ثمّ أجاله المفیض-خرج له صوت تخالف أصواتها فیعرف به أنّه لیس من جملتها فضـرب مثلاـ لمن یمـدح قومـا و یطریهم و یفتخر بهم مع أنّه لیس منهم،و تمـثّل به عمر حین قـال الولیـد بن عقبه بن أبی معیط:أقبل من دون قریش.فقال عمر:حنّ قدح لیس منها.

الثانی:قوله: و طفق یحکم فیها من علیه الحکم لها .یضرب لمن یحکم علی قوم و فیهم و هو من أراذلهم،و لیس للحکم بأهل بل هم أولی منه.إذ شأن الأشراف أن یکونوا حکّاما.و مراده أنّ معاویه لیس من القوم الّذین حکم بتفضیل بعضهم

على بعض فى شيء،و ليس أهلا للحكم فيهم .

الثالثه:

استفهام على سبيل التنبيه استعاره قوله: أ لا ـ تربع أيّها الإنسان على ظلعك .استفهام على سبيل التنبيه له على قصوره عن درجه السابقين و التقريع له على ادّعائه لها:أى أنّه فليترفّق بنفسك و لا يكلّفها عليه و ليقف بها عن مجاراه أهل الفضل حال ظلعك.و استعار لفظ الظلع لقصوره،و وجه المشابهه قصوره عن لحوق رتبه السابقين فى الفضل كقصور الظالع عن شأو الضليع ، كنايه و كذلك قوله: و تعرف قصور ذرعك ،و قصور ذرعه كنايه عن قصور قوّته و عجزه عن تناول تلك المرتبه.و حيث أخّره القدر إشاره إلى مرتبته النازله الّتى جرى القدر بها أن تكون نازله عن مراتب السابقين.و قد أمره بالتأخّر فيها و الوقوف عندها تقريعا و توبيخا بها .

و قوله: فما عليك .إلى قوله: الظافر .

فى قوّه احتجاج على وجوب تأخّره بحسب هذه المرتبه بقياس ضمير من الشكل الأوّل،و المذكور فى قوّه صغراه و تقديرها:فغلب المغلوب فى هذا الأمر الكبير ليس عليك منه شيء،و تقدير الكبرى:و كل من كان كذلك فيجب تأخّره عنه و اعتزاله إيّاه و إلاّ لكان سفيها بدخوله فيما لا يعنيه.

الرابعه

:قوله: و إنّك لذهّاب فى التيه :أى كثير الذهاب و التوغّل فى الضلال عن معرفه الحقّ،كثير العدول عن العدل و الصراط المستقيم فى حقّنا و عن الفرق بيننا و بينكم و معرفه فضائلنا و رذائلكم .ثمّ نبّهه على وجه الفرق بينهم و بين من عداهم من المهاجرين و الأنصار بذكر أفضليّه بيته الّتى انفردوا بها دونهم فى الحياه و بعد الممات بعد أن قرّر أنّ لكلّ من الصحابه فضلا لتثبت الأفضليّه لبيته بالقياس إليهم،و ذلك قوله: أ لا ترى .إلى قوله: الجناحين .فمن ذلك أفضليّتهم فى الشهاده.و شهيدهم الّذى أشار إليه عمّه حمزه بن عبد المطّلب–رضى اللّه عنه–و أشار إلى وجه أفضليّته بالنسبه إلى ساير الشهداء من وجهين:

أحدهما:قوليّ و هو تسميته الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم سيّد الشهداء.

و الثانى:فعليّ و هو أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم خصّه بسبعين تكبيره عند صلاته

علیه فی أربع عشره صلاه،و ذلک أنّه کان کلّما کبّر علیه خمسا حضرت جماعه اخری من الملائکه فصلّی بهم علیه أیضا،و ذلک من خصائص حمزه-رضی اللّه عنه- و شرف بنی هاشم فی حیاتهم و موتهم،و منه أفضلیّتهم لما فعل ببعضهم من التمثیل به کما فعل بأخیه جعفر بن أبی طالب من قطع یدیه فسمّاه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بذلک الاعتبار ذا الجناحین و الطیّار فی الجنّه.و من المنقول عن علیّ علیه السّلام من الشعر فیه و الفخر إلی معاویه:

و جعفر الّذی یضحی و یمسی یطیر مع الملائکه ابن امّی

و قد ذکرنا مقتلهما و قاتلهما من قبل .ثمّ أشار إلی أنّ له فضایل جمّه تعرفها فیه قلوب المؤمنین و لا تمجّها آذانهم،و إنّما ترک تعدیدها و ذکرها فی معرض الفخر بها لنهی اللّه سبحانه عن تزکیته لنفسه،و الذاکر یعنی نفسه.و إنّما نکّره و لم یأت بالألف و اللام و لم ینسبه إلی نفسه لأنّ فی ذلک صریح الدلاله علی تزکیته لنفسه. استعاره و استعار لفظ المجّ لکراهیّه النفس لبعض ما تکرّر سماعه و إعراضها عنه فإنّها تصیر کالقاذف له من الاذن کما یقذف الماجّ الماء.

استعاره بالکنایه و قوله: فدع عنک من مالت به الرمیّه .

أی فدع عنک أصحاب الأغراض و المقاصد المفسده و لا تلتفت إلی ما یقولون فی حقّنا کعمرو بن العاص،و یحتمل أن تکون الإشاره إلیه بعینه علی طریقه قولهم:إیّاک أعنی فاسمعی یا جاره.و استعار لفظ الرمیّه،و کنّی بها عن الامور الّتی تقصدها النفوس و ترمیها بقصودها،و نسب المیل إلیها لأنّها هی الجاذبه للإنسان و المایله الحامله علی الفعل .

الخامسه:

استعاره-مجاز إطلاقا لاسم المقبول علی القابل و الحالّ علی المحلّ قوله:فإنّا صنایع ربّنا.إلی قوله.لنا .

و هذا تنبیه من وجه آخر علی أفضلیّتهم من جهه اختصاص اللّه سبحانه إیّاهم بالنعمه الجزیله،و هی نعمه الرساله و ما یستلزمه من الشرف و الفضل حتّی کان الناس عیالا لهم فیها،إذ کانت تلک النعمه و لوازمها إنّما وصلت إلی الناس بواسطتهم و منهم.و أکرم بها فضیله و شرفا علی سایر الخلق.و هذا التشبیه فی قوّه صغری من

الشکل الأوّل فی معرض الافتخار و الاحتجاج علی أنّه لا ینبغی لأحد أن یعارضهم فی شرف أو یفاخرهم و ینافسهم فی فضیله،و تقدیر الکبری:و کلّ من کان بصفه أنّه صنیعه ربّه بلا واسطه و الناس بعده صنایع له و بواسطته فلا ینبغی لأحد من الناس أن یعارضه فی فضل أو یجاریه فی شرف.و یجوّز بلفظ الصنائع فی الموضعین إطلاقا لاسم المقبول علی القابل و الحالّ علی المحلّ.ثمّ کثر ذلک المجاز،یقال:فلان صنیعه فلان.إذا اختصّه لموضع نعمته کقوله تعالی «وَ اصْطَنَعْتُکَ لِنَفْسِی » (۱).

کنایه و قوله: لم یمنعنا،إلی قوله:هناک .

امتنان فی معرض الافتخار أیضا.و عادیّ منسوب إلی عاد قوم هود،و النسبه إلیه کنایه عن القدم،و وجه الامتنان هو أنّهم لم یمتنعوا علی فضلهم علیهم من خلطهم إیّاهم بأنفسهم فی مناکحتهم.و فعل الأکفاء منصوب علی المصدر عن فعل مضمر.

و قوله: هناک .

کنایه عن مرتبه الکفاءه فی النکاح:أی و لستم أهلا لتلک المرتبه ،و الواو فی و لستم للحال و العامل خلطناکم.ثمّ أشار إلی بیان ما ادّعاه من نفی کونهم أهلا لمخالطتهم بالمقابله بین حال بنی هاشم و حال بنی امیّه لیظهر من تلک المقابله رذیله کلّ واحد ممّن ذکر من بنی امیّه بإزاء فضیله کلّ واحد ممّن ذکر من بنی هاشم و بظهور فضائل الأفراد و رذائلهم یتبیّن نسبه البیتین فی الشرف و الخسّه .

فذکر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و قابله بالمکذّب له من بنی امیّه و هو أبو جهل بن هشام.و إلیه الإشاره بقوله «وَ ذَرْنِی وَ الْمُکَذِّبِینَ» (۲)الآیه.قیل:نزلت فی المطلبین ببدر، -و کانوا عشره-و هم أبو جهل،و عتبه و شیبه ابنا ربیعه بن عبد شمس،و نبیه و متبه ابنا الحجّاج،و أبو البختری بن هشام،و النضر بن الحرث،و الحرث بن عامر،و ابیّ بن خلف،و زمعه بن الأسود.فذکر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بفضیلته و هی النبوّه و ذکر أبا جهل برذیلته و هی تکذیبه.ثمّ أسد اللّه و هو حمزه بن عبد المطّلب و

۱- ۱) ۴۳-۲۰.

۲- ۲) ۱۱-۷۳.

سمّاه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بذلك لشجاعته و ذبّه عن دين اللّه.و قابله بأسد الأحلاف و هو أسد بن عبد العزّى و الأحلاف هم عبد مناف و زهره و أسد و تيم و الحرث بن فهر،و سمّوا الأحلاف لأنّ بنى قصىّ أرادوا أن ينتزعوا بعض ما كان بأيدى بنى عبد الدار من اللواء و النداوه و الحجابه و الرفاده و هى كلّ شىء كان فرضه قصىّ على قريش لطعام الحاجّ فى كلّ سنه و لم يكن لهم إلاّ السقايه فتحالفوا على حربهم و أعدّوا للقتال ثمّ رجعوا عن ذلك ناكصين و أقرّوا ما كان بأيديهم.ثمّ سيّدا- شباب أهل الجنّه و هما الحسن و الحسين عليهما السّلام و قابلهما بصبيه النار.و قيل:هم صبيه عقبه بن أبى معيط حيث قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم له:لك و لهم النار.و قيل:هم ولد مروان بن الحكم الّذين صاروا أهل النار عند البلوغ و كانوا صبيه حين أخبر عليه السّلام بذلك.

ثمّ خير نساء العالمين و أراد فاطمه عليها السّلام و قابلها منهم بحمّاله الحطب و هى امّ جميل بنت حرب عمّه معاويه كانت تحمل حزم الشوك فتنشرها بالليل فى طريق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ليعقره. استعاره و عن قتاده أنّها كانت تمشى بالنميه بين الناس فتلقى بينهم العداوه و تهيج نارها كما توقد النار بالحطب فاستعير لفظ الحطب لتلك النميه للمشابهه المذكوره،و منه قولهم:فلان يحطب على فلان.إذا كان يغرى به.

و قوله: فى كثير .إلى قوله: و عليكم .

أى و هذا الّذى ذكرناه من فضائلنا و رذائلكم قليل فى كثير ممّا لنا من الفضايل و عليكم من الرذائل.قال:عليكم من الرذائل.لأنّ الامور بثمراتها و ما تستلزمه و ثمره الرذائل على الشخص مضرّتها و تبعاتها .

و قوله: فإسلامنا .إلى قوله: لا تدفع .

إشاره إلى أنّ شرف بيته على غيره لا يختصّ به فى الإسلام فقط فإنّ شرف بنى هاشم فى الجاهليّه أيضا مشهور و مكارم أخلاقهم لا يدفعها دافع،و قد نبّهنا على ذلك فى المقدّمات،و كما نقل عن جعفر بن أبى طالب لمّا أسلم قال له النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

إنّ اللّه شكر لك ثلاث خصال فى الجاهليّه فما هى؟قال:يا رسول اللّه ما زنيت قطّ لأنّى قلت فى نفسى:إنّ ما لا يرضاه العاقل لنفسه لا ينبغى أن يرضاه

لغیره تکرّما،و لا کذبت کذبه قطّ تأثّما،و لا شربت الخمر قطّ تذمّما لأنّه یذهب العقول.

و قوله: و کتاب اللّه یجمع لنا ما شذّ عنّا .

أی یوجب لنا بصریح حکمه و یجمع لنا ما شذّ عنّا من هذا الأمر و سلبناه و هو شروع فی الاحتجاج علی أولویّته من غیره بهذا الأمر من الخلفاء و من یطمع فی الخلافه و بیّن ذلک من وجوه:

أحدها:قوله تعالی «وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلی بِبَعْضٍ فِی کِتابِ اللّهِ» (۱)و وجه الاستدلال أنّه علیه السّلام من أخصّ اولی الأرحام بالرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و کلّ من کان کذلک فهو أولی به و بالقیام مقامه مع کمال استعداده لذلک أمّا الصغری فظاهره و أمّا الکبری فللآیه.

الثانی :قوله تعالی «إِنَّ أَوْلَی النّاسِ بِإِبْراهِیمَ لَلَّذِینَ اتَّبَعُوهُ» (۲)الآیه.و وجه الاستدلال أنّه علیه السّلام کان أقرب الخلق إلی اتّباع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أوّل من آمن به و صدّقه و أفضل من أخذ عنه الحکمه و فصل الخطاب کما بیّناه.و کلّ من کان کذلک فهو أولی بخلافته و القیام مقامه فیما جاء به الآیه.فظهر إذن أنّه علیه السّلام أولی برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و بمنصبه تاره من جهه قرابته و تاره من جهه طاعته و اتّباعه .

الثالث:قوله: و لمّا احتجّ .إلی قوله: دعواهم .

و هو إلزام لهم.و صورته أنّ الأنصار لمّا طلبوا الإمامه لأنفسهم و قالوا للمهاجرین:منّا أمیر و منکم أمیر.احتجّت المهاجرون علیهم برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أنّهم من شجرته الّتی أشار إلی کون الأئمّه منها بما رووه عنه من قوله:الأئمّه من قریش.فسلّموا لهم ذلک و غلبوا علیهم.فلا یخلو ذلک الغلب إمّا أن یکون لکونهم أقرب إلیه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من الأنصار أو لغیر ذلک،فإن کان الأوّل فأهل بیته أولی بذلک الحقّ لأنّهم أقرب إلیه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ممّن عداهم و هم ثمره تلک الشجره و غایتها و إن کان بغیره فحجّه الأنصار قائمه و دعواهم للإمامه باق،إذ لم یکن ما رووه من

۱- ۱) ۷۶-۸.

۲- ۲) ۶۱-۳.

الخبر دافعا لقولهم إلّا من جهه كونهم من قريش الموجب لهم لقربهم و بعد الأنصار عنه و قد فرض أنّ جهه الأقربيّه غير معتبره هنا .

السادسه:جوابه عمّا ادّعاه بزعمه من حسده عليه السّلام لساير الخلفاء و بغيه

عليهم،

و تقرير الجواب أنّه لا يخلو إمّا أن يكون هذه الدعوى صادقه أو كاذبه فإن كانت صادقه كما زعمت فليست جنايتى عليك حتّى يكون عذرى عنها إليك بل ذلك فضول منك و خوض فيما لا يعنيك.و أكّد ذلك بالمثل.و البيت لأبى ذويب و أوّله:

و عيّرها الواشون أنّى احبّها و تلك شكاه ظاهر عنك عارها

و يضرب لمن ينكر أمرا ليس منه فى شىء و لا يلزمه إنكاره .

السابعه:

جوابه عمّا ادّعاه توبيخا له و غضّا من منصبه و هو قوده إلى البيعه للخلفاء قبله كما يقاد الجمل المخشوش قهرا و كرها و إذلالا و هو وجه التشبيه فقلّب عليه السّلام تلك الدعوى و بيّن أنّ ذلك ليس ذمّا له بل مدحا،و لا فضيحه بل على مدّعيها،و أشار إلى كونها مدحا و ليست ذمّا بقوله: و ما على المسلم .إلى قوله:

بيقينه .و وجه ذلك أنّه عليه السّلام لمّا كان ثابتا على اليقين التامّ فى علومه مبرّء عن الريب و الشبهه فى دينه فكان ذلك هو الكمال الحقّ و الفضل المبين الّذى لا نقصان معه لم يكن عليه غضاضه فى ظلم غيره له و لم يلحقه بذلك نقصان و لا ذمّ بل كان انفراده بالثبات على الدين الخالص مع الاجتماع على ظلمه فضيله تخصّه فيكون ذكرها مستلزما لمدحه و تعظيمه،و كذلك ليس فى ذكرها فضيحه عليه،إذ الفضيحه هى إظهار عيب الإنسان و نقصه و حيث لا عيب فلا فضيحه،و أمّا أنّها فضيحه لمعاويه فلظهور نقصانه فى عدم الفرق بين ما يمدح به و يذمّ.

و قوله: و هذه حجّتى .إلى قوله: ذكرها .

أى أنّ حجّتى هذه على كونى مظلوما فى أخذى لبيعه غيرى لست أنت المقصود بها.إذ لست فى هذا الأمر فى شىء فتخاطب فيه بل القصد بها غيرك،و أراد الّذين ظلموا و إنّما ذكرت لك منها بقدر ما دعت الحاجه إليه و سنح لى أن أذكره فى جوابك .

الثامنه:

جوابه عمّا ادّعاه علیه فی أمر عثمان و تألیبه و خذلانه و ذلک قوله:

فلک أن تجاب عن هذه لرحمک.مع إنکاره علیه ما سبق من الکلام فإنّ فیه إرشادا عظیما لوضع الکلام مواضعه،و تنبیه على أنّه لا یجوز أن یخوض الإنسان فیما لا یعنیه.و قرب رحمه منه لکونه من بنی امیّه.و حاصل جوابه أنّه عکّس علیه ما ادّعاه و بیّن أنّه هو الّذی کان عدوّه و خاذله فإنّه علیه السّلام کان ناصره و معرض نفسه للذبّ عنه فاستفهم عن أیّهما کان أعدى علیه و أهدى لمقاتله:أی لوجوه قتله و مواضعه من الآراء و الحیل استفهام توبیخ له،و أراد بقوله:أمن بذل نصرته.إلى قوله:

فاستعقده و استکفّه.نفسه علیه السّلام،و ذلک أنّ عثمان کان متّهما له علیه السّلام بالدخول فی أمره.فلمّا اشتدّ علیه الحصار بعث إلیه و عرض نصرته.فقال:لا أحتاج إلى نصرتک لکن اقعد عنّی و کفّ شرّک.و ذکر نفسه بصفه بذل النصره لیظهر خروجه ممّا نسب إلیه من دمه و هو فی قوّه صغرى قیاس ضمیر تقدیرها:إنّی بذلت له نصرتی.و تقدیر کبراه:و کلّ من بذل لغیره نصرته فلیس من شأنه أن یتّهم بخذلانه و ینسب إلى المشارکه فی دمه،و أشار إلى دخول معاویه فی دمه بقوله:أمّن استنصره فتراخى عنه و بثّ المنون إلیه.و ذلک أنّه بعث حال حصاره إلى الشام مستصرخا بمعاویه فلم یزل یعده و یتراخى عنه لطمعه فی الأمر إلى أن قتل.و ذکر القدر و نسبه القتل إلیه هاهنا مناسب لتبرّیه من دمه،و الکلام أیضا فی قوّه صغرى قیاس ضمیر احتجّ به على أنّ معاویه هو الساعی فی قتله،و تقدیرها أنّک ممّن استنصره و استعان به فسوّفه و قعد عنه و بثّ المنون إلیه و عوّق و عنه و ثبّط عن نصرته،و أشار إلى ذلک بقوله:لقد «عَلِمَ اللّهُ» الآیه بعد أن ردّ دعواه عن نفسه بقوله:کلّا:أی کلّا لم أکن أنا أعدى علیه و لا أهدى لمقاتله منک.و تقدیر الکبرى:و کلّ من کان کذلک فهو أولى بالنسبه إلى دمه و السعی فی قتله.و الآیه نزلت فی جماعه من المنافقین کانوا یثبّطون أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه علیه و آله و سلّم عنه .

التاسعه:

قوله: و ما کنت اعتذر .إشاره إلى ما عساه کان سببا لتوهّم کثیر من الجهّال أنّه دخل فی دمه و هو إنکاره علیه ما کان نقمه الناس علیه من أحداثه الّتی

أشرنا إليها قبل،و بيان أنّ ذلك ليس ممّا يعتذر عنه لأنّ ذلك كان إرشادا له و هدايه فإن يكن ذلك هو الّذى توهّمه ذنبا إليه فلا منى عليه فربّ ملوم لا ذنب له و أنا ذلك الملوم،إذ لم يكن ما فعلته ذنبا،و قد يستفيد الظنّه المتنصّح و أنا ذلك المتنصّح إذ لم يكن قصدى إلّا إصلاح ذات البين بقدر الاستطاعه.

و قوله: فربّ ملوم لا ذنب له .

مثل لأكتم بن صيفى و يضرب لمن قد ظهر للناس منه أمر أنكروه عليه و هم لا يعرفون حجّته و عذره فيه،و كذلك قوله:و قد يستفيد الظنّه المتنصّح يضرب مثلا لمن يبالغ فى النصيحه حتّى يتّهم أنّه غاش.و صدر البيت:

و كم سقت فى آثاركم من نصيحه و قد يستفيد الظنّه المتنصّح

العاشره:

جوابه عن وعيده له بالحرب الّتى كنّى بالسيف عنها.

كنايه فقوله: فلقد أضحكت بعد استعبار .

كنايه عن أنّ وعيده لمثله عليه السّلام من أبلغ الأسباب المستلزمه لأبلغ عجب.

إذ كان الضحك بعد البكاء إنّما يكون لتعجّب بالغ غريب و هو كالمثل فى معرض الاستهزاء به .و قيل:معناه لقد أضحكك من سمع منك هذا تعجّبا بعد بكائه على الدين لتصرّفك به.

استفهام إنكارى و قوله: متى ألفيت .إلى آخره.

استفهام له عن وقت وجدانه لبنى عبد المطّلب بصفه النكول عن الحرب و الخوف من السيف استفهام إنكار لوقت وجدانهم كذلك فى معرض التنزيه لهم عن الجبن و الفشل .

و قوله: فلبّث قليلا تلحق الهيجا حمل .

مثل يضرب للوعيد بالحرب.و أصله أنّ حمل بن بدر رجل من قشير اغير على إبل فى الجاهليّه فى حرب داحس و أغار و استنقذها.و قال:

لبّث قليلا يلحق الهيجا حمل ما أحسن الموت إذ الموت نزل

و قيل:أصله أنّ مالك بن زهير توعّد حمل بن بدر.فقال حمل:لبّث قليلا

يلحق الهيجا حمل.البيت.فارسل مثلا.ثمّ أتى و قتل مالكا،فظفر أخوه قيس بن زهير به و بأخيه حذيفه فقتلهما و قال:

شفيت النفس من حمل بن بدر و سيفى من حذيفه قد شفانى

و قوله: فسيطلبك .إلى آخر.

شروع فى المقابله بالوعيد بالسير الشديد إليه فى الجيش العظيم،و وصفه بأوصاف تزلزل أركان العدوّ من شدّه الزحام و سطوح القتام.إلى آخره.و شديدا و متسربلين نصبا على الحال.و سربال مفعول به لمتسربلين.و سربال الموت كنايه إمّا عن الدرع أو العدّه الّتى يلقون بها الموت و يخوضون فى غمراته،و إمّا عن ملابسهم من الثياب أو الهيئات و الأحوال الّتى وطّنوا أنفسهم على القتل فيها كالأكفان لهم.و إنّما كان أحبّ اللقاء إليهم لقاء ربّهم لكمال يقينهم بما هم عليه من الدين الحقّ و ثقتهم بالوعد الإلهىّ الصادق .و الذريّه البدريّه الّتى صحبتهم إشاره إلى أولاد من كان من المسلمين مع النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يوم بدر،و قد ذكرنا أنّ أخاه المقتول حنظله بن أبى سفيان و خاله الوليد بن عتبه و جدّه عتبه بن ربيعه إذ هو أبو هند امّ معاويه، و كنّى بالظالمين فى الآيه عن معاويه و أصحابه.و جميع ما ذكره من أوصاف الجحفل و ما يصحبه من الذرّيه البدريّه و السيوف الهاشميّه و التذكير بمواقعها بمن وقعت به من أهله و وعيده أن يصيبه منها ما أصابهم من أبلغ ما يعدّ به الخطيب للانفعال و الخوف.و باللّه التوفيق.

٢٩-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى أهل البصره

وَ قَدْ كَانَ مِنِ انْتِشَارِ حَبْلِكُمْ وَ شِقَاقِكُمْ- مَا لَمْ تَغْبَوْا عَنْهُ- فَعَفَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ وَ رَفَعْتُ السَّيْفَ عَنْ مُدْبِرِكُمْ- وَ قَبِلْتُ مِنْ مُقْبِلِكُمْ- فَإِنْ خَطَتْ بِكُمُ

الْأُمُورُ الْمُرْدِيَهُ- وَ سَفَهُ الْآرَاءِ الْجَائِرَهِ إِلَى مُنَابَذَتِي وَ خِلَافِي- فَهَا أَنَا ذَا قَدْ قَرَّبْتُ جِيَادِي وَ رَحَلْتُ رِكَابِي- وَ لَئِنْ أَلْجَأْتُمُونِي إِلَى الْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ لَأُوقِعَنَّ بِكُمْ وَقْعَهً- لَا يَكُونُ؟يَوْمُ الْجَمَلِ؟ إِلَيْهَا إِلَّا كَلَعْقَهِ لَاعِقٍ- مَعَ أَنِّي عَارِفٌ لِذِي الطَّاعَهِ مِنْكُمْ فَضْلَهُ- وَ لِذِي النَّصِيحَهِ حَقَّهُ- غَيْرُ مُتَجَاوِزٍ مُتَّهَماً إِلَى بَرِيٍّ وَ لَا نَاكِثاً إِلَى وَفِيٍّ

اللغه

أقول: غبت عن الشیء و غبته : إذا لم تفطن له ،و المردیه : المهلكه .و الجائره : المنحرفه عن الصواب .و المنابذه : المخالفه و المراماه بالعهد و البیعه .

المعنی

و قد بدء فی هذا الفصل بوضع ذنوبهم و تقریرها علیهم لیحسن عقیبها العفو أو المؤاخذه. استعاره و استعار لفظ الحبل لبیعتهم إیّاه،و لفظ الانتشار لنكثهم.وجه الاستعاره الأولی كون البیعه سببا جامعا لها و ناظما لامورهم و متمسّكا یوصل إلی رضاه اللّه كالحبل الناظم لما یربط به،و وجه الثانیه ظاهر .و نبّه بقوله:ما لم تغبوا عنه.علی علمهم بما فعلوه و تعهّدهم لفعله لیتأكّد علیهم الحجّه.ثمّ لمّا قرّر ذنوبهم أردفها بذكر امور قابلها بها كرما و هی العفو عن مجرمهم و رفع السیف عمّن أدبر منهم و قبول من أقبل إلیه منهم و الرضا عنه .ثمّ أردف ذلك بوعیدهم بكونه مستعدّا لقتالهم و إیقاعه بهم وقعه یستصغر معها وقعه الجمل إن لو عادوا إلی الفتنه ثانیا. استعاره و استعار لفظ الخطو لسوق الامور المهلكه و سفه آرائهم الجایره بهم إلی منا بذته و محاربته ثانیا.و وجه المشابهه تأدّیها بهم إلی خلافه كتأدّی القدم بصاحبها إلی غایته .و تقدیر الشرط فإن عدتم إلی خلافی فها أنا مستعدّ لكم. كنایه و كنّی بتقریب جیاده و ترحیل ركابه عن كونه مستعدّا للكرّه علیهم .و رحّلتها:شدّدت الرحال علی ظهورها.و یكفی ذلك فی وعیدهم علی خلافه لأنّ مجرّد خلافهم علیه لا یستلزم وجوب إیقاع الوقعه بهم لاحتمال أن یرجعوا و یتوبوا بوعیده أو بعلمهم ببقائه علی

الاستعداد لحربهم و الإيقاع بهم فلذلك جعل الشرط فی وعیده بالإیقاع بهم أن یلجئوه إلی المسیر إلیهم و محاربتهم،و ذلک بأن یعلم أنّ الأمر لا یستقیم إلاّ بالإیقاع بهم فیحمله ضروره حفظ الدین علی ذلک.

کنایه و قوله: فی وصف تلک الوقعه لا یکون یوم الجمل.إلی قوله:لاعق .

کنایه عن غایه شدّه إیقاعه بهم.و وجه تشبیه وقعه الجمل بالنسبه إلیها باللعقه هو الحقاره و الصغر.ثمّ لمّا توعّدهم بما یخشی من الوعید أردفه بما یرجی معه من ذکر اعترافه بفضل ذی الطاعه و بحقّ ذی النصیحه منهم و أنّه غیر متجاوز متّهما بعقوبه إلی بریء و لا ناکثا بعهده إلی وفیّ به لئلاّ تشتدّ علیهم و طأته فیئسوا من رحمته فیشتدّ نفارهم منه،و یکون ذلک داعیه فسادهم .

۳۰-و من کتاب له علیه السّلام

اشاره

إلی معاویه

فَاتَّقِ اللَّهَ فِیمَا لَدَیْکَ- وَ انْظُرْ فِی حَقِّهِ عَلَیْکَ- وَ ارْجِعْ إِلَی مَعْرِفَهِ مَا لاَ تُعْذَرُ بِجَهَالَتِهِ- فَإِنَّ لِلطَّاعَهِ أَعْلاَماً وَاضِحَهً- وَ سُبُلاً نَیِّرَهً وَ مَحَجَّهً نَهْجَهً وَ غَایَهً مُطَّلَبَهً- یَرِدُهَا الْأَکْیَاسُ وَ یُخَالِفُهَا الْأَنْکَاسُ- مَنْ نَکَبَ عَنْهَا جَارَ عَنِ الْحَقِّ وَ خَبَطَ فِی التِّیهِ- وَ غَیَّرَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ وَ أَحَلَّ بِهِ نِقْمَتَهُ- فَنَفْسَکَ نَفْسَکَ فَقَدْ بَیَّنَ اللَّهُ لَکَ سَبِیلَکَ- وَ حَیْثُ تَنَاهَتْ بِکَ أُمُورُکَ- فَقَدْ أَجْرَیْتَ إِلَی غَایَهِ خُسْرٍ وَ مَحَلَّهِ کُفْرٍ- فَإِنَّ نَفْسَکَ قَدْ أَوْلَجَتْکَ شَرّاً وَ أَقْحَمَتْکَ غَیّاً- وَ أَوْرَدَتْکَ الْمَهَالِکَ وَ أَوْعَرَتْ عَلَیْکَ الْمَسَالِکَ أقول:أوّل هذا الکتاب:أمّا بعد فقد بلغنی کتابک تذکر مشاغبتی و تستقبح

موازرتی و تزعمنی متجبّرا و عن حقّ اللّه مقصّرا.فسبحان اللّه کیف تستجیز الغیبه و تستحسن العضیهه.إنّی لم اشاغب إلاّ فی أمر بمعروف أو نهی عن المنکر و لم أتجبّر إلاّ علی مارق أو ملحد أو منافق و لم آخذ فی ذلک إلاّ بقول اللّه و رسوله «وَ لَوْ کانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ» و أمّا التقصیر فی حقّ اللّه فمعاذ اللّه جلّ ثناؤه من أن اعطّل الحقوق المؤکّده و أرکن إلی الأهواء المبتدعه و اخلد إلی الضلاله المحیّره.و من العجب أن تصف یا معاویه الإحسان و تخالف البرهان و تنکث الوثایق الّتی هی للّه عزّ و جلّ طلبه و علی عباده حجّه مع نبذ الإسلام و تضییع الأحکام و طمس الأعلام و الجری فی الهوای و التهوّس فی الردی.ثمّ یتّصل بقوله: فاتّق اللّه .الفصل المذکور.و من هذا الکتاب أیضا:و إنّ للناس جماعه ید اللّه علیها و غضب اللّه علی من خالفها.

فنفسک نفسک قبل حلول رمسک فإنّک إلی اللّه راجع و إلی حشره مهطع و سیبهضک کربه و یحلّ بک غمّه فی یوم لا یغنی النادم ندمه و لا یقبل من المعتذر عذره «یَوْمَ لا یُغْنِی مَوْلًی عَنْ مَوْلًی شَیْئاً وَ لا هُمْ یُنْصَرُونَ» .

اللغه

و العضیهه : الإفک و البهتان .و الطمس : إخفاء الأثر .و نهجه : واضحه .و مطّلبه بتشدید الطاء و فتح اللام : أی مطلوبه جدّا منهم .و الأکیاس: العقلاء .و الأنکاس : جمع نکس و هو الدنیء من الرجال .و نکب : عدل .و الخبط. المشی علی غیر استقامه .و الخسر : الخسران .و الاقتحام : الدخول فی الأمر بشدّه .

و الوعر : الشدید .و المهطع : المسرع .و بهضه الأمر : أثقله .

المعنی

و الفصل موعظه.فأشار علیه السّلام علیه بتقوی اللّه فیما لدیه من مال المسلمین و فیئهم، و أن ینظر فی حقّه تعالی علیه و آثار نعمته فیقابله بالشکر و الطاعه،و أن یرجع إلی معرفه ما لا عذر له فی أن یجهله من وجوب طاعه اللّه و رسوله و طاعه الإمام الحقّ .

استعاره و قوله: فإنّ للطاعه أعلاما واضحه .

أی الطاعه للّه،و استعار لفظ الأعلام لما یدلّ علی الطریق إلی اللّه من الکتاب و السنّه القولیّه و الفعلیّه و من جملتها أئمّه الحقّ و الهدی فإنّهم أصل تلک الأعلام و حاملوها .و عنی بالسبل النیّره و المحجّه النهجه الطرق إلی اللّه

المدلول عليها بأعلامها المذكوره،و بالغايه المطلوبه من الخلق وصولهم إلى حضره قدس اللّه طاهرين مجرّدين عن الهيئات البدنيّه الدنيّه مستمعين للكمالات الإنسانيّه النفسائيّه.

و اعلم أنّ الطاعه اسم لقصد تلك الأعلام و سلوك تلك المحجّه طلبا لتلك الغايه،و الضمير فى قوله: يردها و يخالفها و عنها راجع إلى المحجّه و الأعلام الواضحه عليها،و ظاهر أنّ العقلاء هم الّذين يختارون ورود تلك المحجّه و يقصدون أعلامها و أنّ أدنياء الهمم يخالفون إلى غيرها فيعدلون عن صراط اللّه الحقّ و يحبطون فى تيه الجهل و يغيّر اللّه بذلك نعمته عليهم و يبدّلهم بها نقمته فى دار الجزاء .ثمّ لمّا أشار عليه بما أشار و أوضح له سبل السلامه و ما يلزم مخالفها من تغيير نعمه اللّه و حلول نقمته أمره أن يحفظ نفسه بسلوك تلك السبل عمّا يلزم مخالفتها و العدول عنها من الامور المذكوره.ثمّ أعلمه بأنّ اللّه بيّن له سبيله و أراد سبيل طاعته المأمور بسلوكها.و هو فى قوّه قياس صغرى ضمير من الشكل الأوّل أوجب عليه به سلوك تلك السبيل.و تقدير الكبرى:و كلّ من بيّن اللّه له سبيله الّتى أوجب عليه سلوكها فقد وجب عليه حفظ نفسه بسلوكها.

و قوله:و حيث تناهت بك امورك.فحسبك ما تناهت بك إليه.ثمّ فسّر ذلك الحيث الّذى أمره بالوقوف عنده و هو غايه الخسر:أى الغايه المستلزمه للخسر الّتى هى منزله من منازل الكفر،و أخبره أنّه قد اجرى إليها و كفى بها غايه شرّ. استعاره بالكنايه و إجرائه إلى تلك الغايه كنايه عن سعيه و عمله المستلزم لوصوله إليها.

يقال:اجرى فلان إلى غايه كذا:أى قصدها بفعله.و أصله من إجراء الخيل للسباق.و لفظ الخسر مستعار لفقدان رضوان اللّه و الكمالات الموصله إليه،و إنّما جعل تلك الغايه الّتى اجرى إليها منزله كفر لأنّ الغايات الشرّيّه المنهىّ عن قصدها من منازل الكفّار و مقاماتهم فمن سلك إليها قصدا و بلغها اختيارا فقد لحق منازل الكفر و محالّه .

ص:۴۵۰

استعاره و قوله: و إنّ نفسک قد أو لجتک شرّا .

أی أدخلتک فی شرّ الدنیا و الآخره،و أراد نفسه الأمّاره بالسوء بما سوّلت له من معصیه اللّه و مخالفه الإمام الحقّ،و یروی:قد أوحلتک:أی ألقتک فی الوحل.و هو مستعار لما وقع فیه من المعصیه و الاختلاط عن الجهل،و أقحمتک غیّا:أی أدخلتک فی الغیّ و الضلال ،و أوردتک المهالک:أی الموارد المهلکه من الشبهات و المعاصی، و أو عرت علیک المسالک:أی مسالک الهدی و طرق الخیر لأنّ النفس الأمّاره بالسوء إذا أوردت الإنسان سبل الضلاله و سهّلت علیه سلوکها بوسوستها و تحسینها للغایات الباطله لزمه بسبب ذلک البعد عن طرق الهدی و مسالک الخیر،و استصعاب سلوکها.و باللّه التوفیق و العصمه و به الحول و القوّه و العون و التسدید.

هذا آخر المجلّد الرابع من هذا الکتاب.

فهرست ما فى هذا الجزء من الخطب و ما يجرى مجريها

من الكتب و العهود و الوصايا

العنوان الصفحه

كلامه عليه السّلام عند دفن سيّده النساء فاطمه عليها السّلام ٢

كلامه عليه السّلام فى التنفير عن الدنيا و الترغيب إلى الآخره ۵

كلامه عليه السّلام فى الأمر بالتجهيز من الدنيا كثيرا ما ينادى به أصحابه ٧

كلامه عليه السّلام كلّم به طلحه و الزبير بعد بيعته بالخلافه و قد عتبا عليه من ترك مشورتهما و الاستعانه فى الامور بهما ٩

كلامه عليه السّلام فى تأديب قومه و إرشادهم إلى السيره الحسنه ١٣

كلامه عليه السّلام فى بعض أيّام صفّين و قد رأى الحسن عليه السّلام يتسرّع إلى الحرب ١۴

كلامه عليه السّلام لمّا اضطرب عليه أصحابه فى أمر الحكومه ١۵

كلامه عليه السّلام حين دخل على العلاء بن زياد الحارثى ١۶

كلامه عليه السّلام فى جواب سائل سئله عن أحاديث البدع ١٩

خطبه له عليه السّلام فى الإشاره إلى مادّه أجرام الأرضيّه و السماويّه ٢۵

خطبه له عليه السّلام يستنهض بها أصحابه إلى جهاد أهل الشام ٢٧

خطبه له عليه السّلام فى تحميد اللّه باعتبارات إضافيّه و سلبيّه ٢٨

خطبه له عليه السّلام فى تقسيم الخلق إلى خيار و شرار ٣٠

دعائه عليه السّلام و فيه تحميد اللّه باعتبار نعمه ٣۶

خطبه له عليه السّلام يرغّب أصحابه فى الوحده و جمع الكلمه و الاتّفاق على أوامره ٣٨

ما أجاب عليه السّلام بمن أكثر عليه الثناء ۴۶

كلامه عليه السّلام فى التظلّم و التشكّى إلى اللّه و الاستعانه به على قريش ۴۹

كلامه عليه السّلام لمّا مرّ بطلحه و عبد الرحمن بن عتاب بن اسيد و هما قتيلان يوم الجمل ۵۱

كلامه عليه السّلام فى وصف السالك المحقّق إلى اللّه ۵۳

كلامه عليه السّلام بعد تلاوه(ألهاكم التكاثر)۵۵

كلامه عليه السّلام عند تلاوه(رجال لا تلهيهم تجاره)۶۶

كلامه عليه السّلام عند تلاوه(يا أيّها الإنسان ما غرّك بربّك الكريم)۷۴

كلامه عليه السّلام فى التبرّى من الظلم و شدّه اهتمامه بحقوق العباد ۸۳

دعائه عليه السّلام فى الالتجاء إلى اللّه تعالى ۸۸

خطبه له عليه السّلام فى التحذير من الدنيا و من الاشتغال بها عن اللّه ۸۹

دعائه عليه السّلام فى التضرّع إلى اللّه تعالى ۹۳

كلامه عليه السّلام فى مدح بعض من ولىّ الخلافه قبله،و بيان تأويلات الشيعه فى ذلك ۹۶

كلامه عليه السّلام فى وصف بيعته بالخلافه ۹۹

خطبه له عليه السّلام فى التنبيه على فضيله التقوى من اللّه ۱۰۰

كلامه عليه السّلام فى صفه الزهّاد ۱۰۷

خطبه له عليه السّلام خطبها بذى قار و هو متوجّه إلى البصره ۱۰۹

كلامه عليه السّلام كلّم به عبد اللّه بن زمعه ۱۱۰

كلامه عليه السّلام عند ما رأى عىّ جعده بن هبيره المخزومى عن الكلام ۱۱۲

كلامه عليه السّلام حين يلى غسل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ۱۱۸

خطبه له عليه السّلام فى تحميد اللّه تعالى باعتبارات من التنزيه ۱۲۲

كلامه عليه السّلام فى صفه عجيب خلق أصناف من الحيوانات ۱۲۹

خطبه له علیه السّلام فی التوحید،و تجمع هذه الخطبه من اصول العلم ما لا تجمعه خطبه ۱۴۶

ص:۴۵۳

خطبه له علیه السّلام یختصّ بذکر الملاحم ۱۸۲

خطبه له علیه السّلام فی الوصیّه بتقوی اللّه و ذکر الموت ۱۸۸

خطبه له علیه السّلام فی تفسیر الایمان باللّه تعالی ۱۹۲

خطبه له علیه السّلام فی الأمر بتقوی اللّه تعالی و الاستزاده للآخره ۲۰۱

خطبه له علیه السّلام فی تحمید اللّه تعالی و تنزیهه و اقتصاص أحوال الناس عند انبعاث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ۲۱۲

خطبه له علیه السّلام تسمّی بالقاصعه فی التوبیخ و النهی عن الکبر و عمّا یلزمه

الفصل الأوّل منها فی تحمید اللّه تعالی و أنّ العزّ و الکبریاء له ۲۳۲

الفصل الثانی منها فی بیان ما کان لإبلیس من کثره الطاعه و إحباطها بکبر ساعه ۲۴۷

الفصل الثالث شرح ما لزم الامم الماضیه بالکبر و اختبار اللّه عباده ببیته الحرام ۲۶۹

الفصل الرابع فی التوبیخ علی المعصیّه من غیر سبب،و الأمر بالتعصّب فی محلّه ۲۸۶

الفصل الخامس فی اقتصاصه لحاله،و الإشاره إلی قوّته فی دینه ۳۰۷

کلامه علیه السّلام قاله لعبد اللّه بن عبّاس و قد جاءه برساله من عثمان ۳۲۲

کلامه علیه السّلام اقتصّ فیه ذکر ما کان منه بعد هجره النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ۳۲۴

خطبه له علیه السّلام فی الموعظه و الأمر باغتنام الفرص فی مهل الدنیا ۳۲۵

خطبه له علیه السّلام فی بیان الحکمین و تنفیر الناس عن أعدائه بذکر مذامّهم ۳۲۸

خطبه له علیه السّلام یذکر فیها آل محمّد علیهم السّلام بمالهم من محامد الأوصاف ۳۳۲

کلامه علیه السّلام یحثّ فیه أصحابه علی الجهاد ۳۳۴

باب المختار من کتبه علیه السّلام إلی أعدائه و امراء بلاده ۳۳۷

کتابه علیه السّلام لأهل الکوفه بعد فتح البصره ۳۴۱

کتابه علیه السّلام لشریح بن الحارث القاضی فی الکوفه ۳۴۲

کتابه علیه السّلام إلی بعض امراء جیشه ۳۴۸

ص:۴۵۴

كتابه عليه السّلام إلى الأشعث بن قيس و هو عامل آذربيجان ۳۵۰

كتابه عليه السّلام إلى معاويه ۳۵۲

كتابه عليه السّلام أيضا إلى معاويه ۳۵۴

كتابه عليه السّلام إلى جرير بن عبد اللّه البجلى لمّا أرسله إلى معاويه ۳۵۸

كتابه عليه السّلام إلى معاويه ۳۶۰

كتابه عليه السّلام إلى معاويه يوبّخه على ما هو عليه من الاغترار بمكائد الشيطان ۳۷۰

وصيّه له عليه السّلام وصّى بها جيشا بعثه إلى العدوّ،و أشار إلى بعض آداب الحرب ۳۷۶

وصيّه له عليه السّلام لمعقل بن قيس حين أنفذه إلى الشام مقدّمه له ۳۷۹

كتاب له عليه السّلام إلى أميرين من امراء جيشه ۳۸۱

وصيّه له عليه السّلام لعسكره قبل لقاء العدوّ بصفّين ۳۸۲

قوله عليه السّلام إذا لقى العدوّ محاربا ۳۸۵

قوله عليه السّلام لأصحابه عند الحرب ۳۸۶

كتابه عليه السّلام إلى معاويه جوابا عن كتاب منه إليه ۳۸۸

كتابه عليه السّلام إلى عبد اللّه بن عبّاس و هو عامله على البصره ۳۹۴

كتابه عليه السّلام إلى بعض عمّاله ۳۹۸

كتابه عليه السّلام إلى زياد بن أبيه و هو خليفه عامله عبد اللّه بن عبّاس على البصره ۳۹۹

كتابه عليه السّلام إلى زياد بن أبيه يرشده إلى ما يفيد النفس بعد الموت ۴۰۰

كتابه عليه السّلام إلى عبد اللّه بن العبّاس رحمه اللّه ۴۰۱

كتابه عليه السّلام قاله قبل موته على سبيل الوصيّه لمّا ضربه بن ملجم لعنه اللّه ۴۰۳

وصيّه له عليه السّلام بما يعمل فى أمواله كتبها بعد انصرافه من صفّين ۴۰۵

وصيّه له عليه السّلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات ۴۱۰

ص:۴۵۵

عهده علیه السّلام إلی بعض عمّاله،و قد بعثه علی الصدقه ۴۱۵

عهده علیه السّلام إلی محمّد بن أبی بکر لمّا قلّده مصر ۴۱۹

کتابه علیه السّلام إلی معاویه جوابا ۴۳۱

کتابه علیه السّلام إلی أهل البصره ۴۴۶

کتابه علیه السّلام إلی معاویه ۴۴۸

فهرست المطالب ۴۵۲

ص:۴۵۶

المجلد ۵

اشاره

ص :۱

تتمه باب المختار من كتبه

اشاره

«بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ»

۳۱-و من وصيّه له عليه السّلام

اشاره

للحسن بن على عليهما السّلام

،كتبها إليه بحاضرين منصرفا من صفين أقول:روى جعفر بن بابويه القمىّ-رحمه اللّه-أنّ هذه الوصيّه كتبها عليه السّلام إلى ابنه محمّد بن الحنفيّه-رضى اللّه عنه-و هى من أفصح الكلام و أبلغه و أشمله[أجمعه خ] لدقايق الحكمه العمليّه و لطايفها،و أكمل عباره يجذب بها إلى سبيل اللّه.و حاضرين:

اسم موضع بالشام .و فيها فصول:

الفصل الأوّل:

اشاره

قوله:

مِنَ الْوَالِدِ الْفَانِ الْمُقِرِّ لِلزَّمَانِ الْمُدْبِرِ الْعُمُرِ- الْمُسْتَسْلِمِ لِلدَّهْرِ الذَّامِّ لِلدُّنْيَا- السَّاكِنِ مَسَاكِنَ الْمَوْتَى وَ الظَّاعِنِ عَنْهَا غَداً- إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمِّلِ مَا لَا يُدْرِكُ- السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ- غَرَضِ الْأَسْقَامِ وَ رَهِينَهِ الْأَيَّامِ- وَ رَمِيَّهِ الْمَصَائِبِ وَ عَبْدِ الدُّنْيَا وَ تَاجِرِ الْغُرُورِ- وَ غَرِيمِ الْمَنَايَا وَ أَسِيرِ الْمَوْتِ- وَ حَلِيفِ الْهُمُومِ وَ قَرِينِ الْأَحْزَانِ- وَ نُصُبِ الْآفَاتِ وَ صَرِيعِ الشَّهَوَاتِ وَ خَلِيفَهِ الْأَمْوَاتِ

اللغه

أقول: الرهينه: ما يرهن .و الرمّيه: الهدف،و التاء لنقل الاسم من الوصفيّه

ص:۲

إلى الاسميّه الصرفه .و الحليف: المحالف .و النصب: الشيء المنصوب .

المعنى

و هذا الفصل كالعنوان للوصيّه،و قد ذكر لنفسه أوصافا سبعه،و لولده أربعه عشر فی معرض الوعظ و التنفير عن الدنيا و الركون إليها،و ضاعف الأوصاف لولده لأنّه المقصود بالوصيّه و الموعظه:

مجاز تسميه له باسم غايته فالأوّل: من الفان ،و اللفظ هنا مجاز تسميه له باسم غايته ،و وقف على المنقوص بحذف الياء لمراعاه القرينه الثانيه،و قد علمت جوازه.

الثانی:المقرّ للزمان:أی بالغلبه و القهر المعترف بالعجز فی يد تصريفاته كأنّه قدّره خصما ذا بأس يقرّ الأقران له.

الثالث:المدبر العمر،و ذاک أنّه كان عليه السّلام قد ذرّف على السّتّين.

الرابع:المستسلم للدهر،و هو أبلغ من المقرّ للزمان.

الخامس:الذامّ للدنيا،و لم يزل عليه السّلام نافرا عنها و منفّرا بذكر معايبها.

السادس:الساكن مساكن الموتى،و هو تنفير عن الركون إلى الدنيا و المقام بها بذكر كونها مساكن الموتى.إذ من كان فی مساكنهم يوشک أن يلحقه ما نزل بهم،و تقرب فی التنفر من قوله تعالى« «وَ سَكَنْتُمْ فِی مَساكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» » (۱)الآيه.

استعاره بالكنايه السابع: الظاعن عنها غدا ،و هو تذكير بالمفارقه،و غدا كنايه عن وقتها،و لفظ الظاعن مستعار له .و أمّا أوصاف المولود:

فالأوّل:المؤمّل ما لا يدرک،و فيه تنفير عن طول الأمل.إذ كان ينسى الآخره،و جعل وجه التنفير تأميله ما لا يدرک،و ظاهر أنّ الانسان ما دام فی هذه الدار موجّه أمله نحو مطالبها كما أشار إليه سيّد المرسلين صلّى اللّه عليه و آله:يشيب بن آدم و يشبّ فيه خصلتان:الحرص و الأمل.و ذلک يستلزم انقضاء مدّته دون بلوغها.

الثانی:السالک سبيل من قد هلک،و سبيلهم سفرهم فی الدنيا إلى الآخره و قطعهم لمنازل الأعمار،و أضافها إلى من هلک تذكيرا بالموت.

۱- ۱) ۴۷-۱۴.

استعاره الثالث : غرض الأسقام ،و استعار لفظ الغرض له باعتبار كونه مرميّا بسهام الأمراض كالغرض.

الرابع: رهينه الأيّام ،و استعار له لفظ الرهينه باعتبار أنّ وجوده مربوط بالأوقات،و داخل فى حكمها كما يرتبط الرهن بيد مرتهنه.

الخامس:و رميّه المصائب،و هو كقوله:غرض الأسقام.

استعاره السادس: و عبد الدنيا ،و لفظ العبد مستعار لأنّ طالب الدنيا منقاد بطبعه إليها،و عامل لها كما ينقاد العبد لسيّده و يعمل له.

السابع: و تاجر الغرور :أى تجارته لها غرور و غفله عن المكاسب الحقيقيّه الباقيه،و لفظ التاجر مستعار له باعتبار بذله لما له و أعماله فى شرّ الدنيا على وهم أنّها هى المطالب الحقّه المربحه.

الثامن: و غريم المنايا ،و لفظ الغريم مستعار له باعتبار طلب الموت له كالمتقاضى بالرحيل كما يتقاضى الغريم.

التاسع:استعار له لفظ الأسير باعتبار انقياده للموت و عدم تمكينه من الخلاص .

العاشر:و حليف الهموم.

استعاره الحادى عشر: و قرين الأحزان ،و استعار لفظى الحليف و القرين له باعتبار عدم انفكاكه عن الهموم و الأحزان كما لا ينفكّ الحليف و القرين عن حليفه و قرينه .

الثانى عشر:و نصب الآفات،كقوله:و رميّه المصائب.

استعاره الثالث عشر: و صريع الشهوات ،و لفظ الصريع مستعار له باعتبار كونه مغلوبا لشهوته مقهورا لها كالقتيل .

الرابع عشر:و خليفه الأموات،و فيه تنفير عن الدنيا بتذكير الموت لأنّ خليفه الأموات فى معرض اللحوق بهم،و نحوه قول بعض الحكماء:إنّ امرء ليس بينه و بين آدم إلاّ أب ميّت لمعرق النسب فى الموت.

الفصل الثانى:

اشاره

قوله:

أَمَّا بَعْدُ- فَإِنَّ فِيمَا تَبَيَّنْتُ مِنْ إِدْبَارِ الدُّنْيَا عَنِّى- وَ جُمُوحِ الدَّهْرِ عَلَيَّ وَ إِقْبَالِ الْآخِرَهِ إِلَيَّ- مَا يَزَعُنِى عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَاىَ- وَ الِاهْتِمَامِ بِمَا وَرَائِى- غَيْرَ أَنِّى حَيْثُ تَفَرَّدَ بِى دُونَ هُمُومِ النَّاسِ هَمُّ نَفْسِى- فَصَدَقَنِى رَأْيِى وَ صَرَفَنِى عَنْ هَوَاىَ- وَ صَرَّحَ لِى مَحْضُ أَمْرِى- فَأَفْضَى بِى إِلَى جِدٍّ لاَ يَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ- وَ صِدْقٍ لاَ يَشُوبُهُ كَذِبٌ وَ وَجَدْتُكَ بَعْضِى- بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّى- حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِى- وَ كَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِى- فَعَنَانِى مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِى مِنْ أَمْرِ نَفْسِى- فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابِى مُسْتَظْهِراً بِهِ إِنْ أَنَا بَقِيتُ لَكَ أَوْ فَنِيتُ

اللغه

أقول: جمح الفرس: إذا غلب صاحبه فلم يملكه .و يزعنى: يمنعنى .و المحض:

الخالص .و أفضى: أى انتهى .و الشوب: المزج و الخلط .

المعنى

و قابل فى لفظه بين الإقبال و الادبار و الآخره و الدنيا.

و قد أشرنا إلى معنى إدبار الدنيا و إقبال الآخره فى قوله:ألا و إنّ الدنيا قد أدبرت، استعاره و استعار لفظ الجموح للدهر باعتبار عدم تمكّنه من ضبطه فى تغيّراته و تصريفاته الخارجه عن اختياره كالجموح من الخيل ،و ما الاولى بمعنى الّذى، و يحتمل أن تكون مصدريّه،و على المعنى الأوّل يكون من للتبيين،و على الثانى لابتداء الغايه،و ما الثانيه بمعنى الّذى و محلّها الرفع بالابتداء،و فيما تبيّنت خبره،و مستظهرا حال،و مدار الفصل على إعلامه إيّاه أنّه فى معرض الزوال عنه و أنّ ذلك الوقت هو وقت الاهتمام بحال نفسه و بحاله لينزّله منزله نفسه و أنّه

شدید الاهتمام بحاله لیکون ذلک أدعی لقبول وصیّته و هو کالتوطئه و التمهید لها.

ثمّ أعلمه أنّ فیما تبیّن له علیه السّلام من الأمور المذکوره قرب رحیله إلی اللّه و ذلک هو الّذی وزعه و منعه عن ذکر ما سواه و الاهتمام بما وراءه من المصالح المتعلّقه بصلاح الخلق و نظام العالم.إذ کان ذلک هو وقت التضیّق علی الإنسان فیما هو أهمّ علیه من الاستکمال بالفضایل و الاستعداد للقاء اللّه دون ما سبق من أوقات الشبیبه و استقبال العمر لاتّساعها لصلاح حال الغیر و الاشتغال بالامور المباحه،غیر أنّه حین تبیّن له ذلک و تفرّد به همّ نفسه دون غیرها ،و من صدّقه رأیه بکشفه له عمّا ینبغی أن یکون اشتغاله به من أمر نفسه و وجوب العمل لها فیما یهمّها،و صرفه عن هواه فیما یخرج عنها.إذ کان أجود الآراء و أصدقها فی الأمر عنده شدّه،الاهتمام به،و صرّح له خالص أمره و ما ینبغی له،و انتهی به إلی جدّ و صدق خالصین من شائبه اللعب و الکذب. کنایه وجده علیه السّلام بعضا منه و هو کنایه عن شدّه اتّصاله به و قربه منه و محبّته له کما قال الشاعر:

و إنّما أولادنا بیننا أکبادنا یمشی علی الأرض

بل وجده کلّه:أی عباره عن کلّه.إذ کان هو الخلیفه له و القائم مقامه و وارث علمه و فضائله، تشبیه و دلّ علی شدّه قربه منه و أنّه بمنزله نفسه بذکر الغایتین فی قوله:

حتّی.إلی قوله:أتانی ،و وجه التشبیه بین ما یصیب ولده و بین ذلک الشیء و إن لم یصبه علیه السّلام شدّه تألّمه به .

و اعلم أنّ ذلک الوجدان و إن کان له طبعا کما یحصل للوالد فی أمر ولده لکنّه ممّا لزم التفطّن له فی آخر العمر عند تذکیر انقطاع الدنیا لما فی طبعه من محبّه بقاء الذکر الجمیل و الحرص علی دوام الخیر و الآثار الصالحه فی العالم و لذلک جعله لازما لتفرّد همّ نفسه به و صدق رأیه فی النصیحه،و روی:محض.مرفوعا علی الفاعلیّه و منصوبا بإسقاط حرف الجرّ،و التقدیر عن محض أمری،ثمّ نبّه علی أنّ من لوازم وجدانه لما وجده من أمره أن عناه و أهمّه منه ما یهمّه من أمر نفسه فکتب إلیه هذه الوصیّه لیکون له ظهرا و مستندا یرجع إلی العمل بها فی

حالتى بقائه له و فنائه عنه.إذ كان ما اشتملت عليه هذه الوصيّه من الحكم و الآداب و مكارم الأخلاق،و تعريف سلوك سبيل اللّه مما راض به نفسه فى مدّه عمره اقتفاء لأثر الرسول صلّى اللّه عليه و آله و اقتداء به فاقتضت عنايته به أن يحثّه على العمل بها.و باللّه التوفيق.

الفصل الثالث:

اشاره

قوله:

فَإِنِّى أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ أَىْ بُنَىَّ وَ لُزُومِ أَمْرِهِ- وَ عِمَارَهِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ وَ الِاعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ- وَ أَىُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ اللَّهِ- إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ- أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَهِ وَ أَمِتْهُ بِالزَّهَادَهِ- وَ قَوِّهِ بِالْيَقِينِ وَ نَوِّرْهُ بِالْحِكْمَهِ- وَ ذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَ قَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ- وَ بَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا- وَ حَذِّرْهُ صَوْلَهَ الدَّهْرِ وَ فُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِى وَ الْأَيَّامِ- وَ اعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ- وَ ذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْأَوَّلِينَ- وَ سِرْ فِى دِيَارِهِمْ وَ آثَارِهِمْ- فَانْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا وَ عَمَّا انْتَقَلُوا وَ أَيْنَ حَلُّوا وَ نَزَلُوا- فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدِ انْتَقَلُوا عَنِ الْأَحِبَّهِ- وَ حَلُّوا دِيَارَ الْغُرْبَهِ- وَ كَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ- فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ وَ لاَ تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ- وَ دَعِ الْقَوْلَ فِيمَا لاَ تَعْرِفُ وَ الْخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلَّفْ- وَ أَمْسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إِذَا خِفْتَ ضَلاَلَتَهُ- فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ حَيْرَهِ الضَّلاَلِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الْأَهْوَالِ وَ أْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ- وَ أَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ وَ لِسَانِكَ- وَ بَايِنْ مَنْ فَعَلَهُ بِجُهْدِكَ- وَ جَاهِدْ «فِى اللَّهِ حَقَّ جِهادِهِ» وَ لاَ تَأْخُذْكَ

فِی اللَّهِ لَوْمَهُ لاَئِمٍ- وَ خُضِ الْغَمَرَاتِ لِلْحَقِّ حَیْثُ کَانَ وَ تَفَقَّهْ فِی الدِّینِ- وَ عَوِّدْ نَفْسَکَ التَّصَبُّرَ عَلَی الْمَکْرُوهِ- وَ نِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ فِی الْحَقِّ- وَ أَلْجِئْ نَفْسَکَ فِی أُمُورِکَ کُلِّهَا إِلَی إِلَهِکَ- فَإِنَّکَ تُلْجِئُهَا إِلَی کَهْفٍ حَرِیزٍ وَ مَانِعٍ عَزِیزٍ- وَ أَخْلِصْ فِی الْمَسْأَلَهِ لِرَبِّکَ- فَإِنَّ بِیَدِهِ الْعَطَاءَ وَ الْحِرْمَانَ- وَ أَکْثِرِ الاِسْتِخَارَهَ وَ تَفَهَّمْ وَصِیَّتِی- وَ لاَ تَذْهَبَنَّ عَنْکَ صَفْحاً- فَإِنَّ خَیْرَ الْقَوْلِ مَا نَفَعَ- وَ اعْلَمْ أَنَّهُ لاَ خَیْرَ فِی عِلْمٍ لاَ یَنْفَعُ- وَ لاَ یُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لاَ یَحِقُّ تَعَلُّمُهُ

اللغه

أقول: الغمرات: الشدائد .و المثوی: محلّ الثواء و الإقامه .و هذا حین افتتح ما یرید أن یوصی به.

المعنی

اشاره

و اشتمل هذا الفصل من ذلک علی أمور:

أحدها:تقوی اللّه

،و قد علمت حقیقتها فیما سلف،و یشبه أن یکون المراد بها هنا الخوف منه تعالی.

الثانی:لزوم أمره

و هو من لوازم تقواه.

الثالث:

استعاره عماره قلبه بذکره ،و استعار لفظ العماره لتکمیل قلبه بذکر اللّه،و إکثاره منه لأنّه روح العبادات و کمال النفس کما أنّ العماره کمال للدار و هو داخل فی لزوم ذکره لقوله تعالی «وَ اذْکُرُوا اللّهَ کَثِیراً لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ» (۱).

الرابع:

استعاره الاعتصام بحبله ،و استعار لفظ الحبل لما یوصل إلیه من دینه فیکون التمسّک به سببا للنجاه کالحبل، و أراد بالاعتصام الامتناع بالتمسّک به من عذاب اللّه.ثمّ استفهم عن سبب أوثق منه استفهام إنکار و تعجّب من وثاقته،و یدخل فی لزوم أمره لقوله تعالی «وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِیعاً » (۲).

الخامس:أمره أن یحیی قلبه بالموعظه،

و استعار وصف الإحیاء له باعتبار

١- ١) ٧-١٢.

٢- ٢) ٩٩-٣.

تكميله لنفسه بالعلم و الاعتبار الحاصل عن الموعظه كما يكمل المرء بالحياه.

السادس:قوله:أمته بالزهاده

،و الّذى يميته هى النفس الأمّاره بالسوء،و إماتتها كسرها عن ميولها المخالفه لأداء العقل بترك الدنيا و الإعراض عنها و تطويعها بذلك،و يحتمل أن يريد به النفس العاقله أيضا،و إماتتها قطعها عن متابعه هواها.

السابع:أن يقويه باليقين

:أى من ضعف الجهل للصعود إلى أفق علیّين و النهوض إلى مقام الأبرار،و لمّا كان اليقين درجه اشتداد و قوّه فى العلم ناسب أن يجعله تقويه للقلب.

الثامن

، استعاره و أن ينوّره بالحكمه ،و استعار لفظ التنوير بالحكمه لتحمّله لها باعتبار أنّ ذلك سبب هدايته لسبيل اللّه فى ظلمات الجهل كحامل النار.و قد عرفت الحكمه و أقسامها .

التاسع:أن يذلّله بذكر الموت،

و ذلك لأنّ كثره إخطاره بالبال يستلزم الخوف و يسكن القلب عن جماحه فى ميدان الشهوات،و يذلّل من عزّه الكبر و هزّه العجب و حميّه الغضب.

العاشر:أن يقرّره بالفناء

:أى يحمله على الإقرار به و يديم ذكره له ليتأكّد علمه به.

الحادى عشر:أن يبصّره فجايع الدنيا

:أى يحمله على النظر بعين البصيره و الاعتبار برزايا الدنيا و آفاتها .

الثانى عشر:

استعاره أن يحذّره صوله الدهر و فحش تقلّب الليالى و الأيّام ،و لفظ الصوله مستعار له ملاحظه لشبهه بالسبع فى أخذه و ما يكون بسببه من الأذى .

الثالث عشر:أن يعرض عليه أخبار الماضين

،و يذكّره ما أصابهم لينظر ما فعلوا و عمّا انتقلوا من الآثار العظيمه و الملك الجسيم،و يحصل من ذلك عبره و قياسا لحاله بحالهم، تشبيه و يستقرب لحاقه بهم و صيرورته كأحدهم فيما صاروا إليه،و وجه التشبيه قرب حاله من حال أحدهم.و إليه

الإشاره بقوله تعالى «أَ فَلَمْ يَسِيرُوا»

ص:۹

«فِی الْأَرْضِ فَیَنْظُرُوا» (۱)الآیه .

الرابع عشر:أن یصلح مثواه،

و هو الدار الآخره بلزوم الأعمال الصالحه و لا یبیع آخرته و ما وعد فیها من الخیرات الباقیه بما وجد فی دنیاه من اللذّات الوهمیّه الفانیه،و لفظ البیع مستعار.

الخامس عشر:أن یترک القول فیما لا یعرفه.

إذ القول بغیر علم یستلزم رذیلتی الکذب و الجهل،و یلحق به الذمّ.و نحوه قول الرسول صلّی اللّه علیه و آله لبعض أصحابه:

کیف بک إذا بقیت فی حثاله من الناس خرجت عهودهم و أماناتهم و صاروا هکذا:-و شبّک بین أصابعه-قال:فقلت:مرنی یا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.فقال:خذ ما تعرف و دع ما لا تعرف،و علیک بحویضه نفسک.و کذلک قوله:و الخطاب فیما لا تکلّف کقوله صلّی اللّه علیه و آله:من حسن إسلام المرء ترکه ما لا یعنیه.

السادس عشر:أن یمسک عن طریق إذا خاف ضلالته،

و المراد التوقّف عند الشبهات و عدم التسرّع إلی سلوک طریق یشکّ فی تأدیته إلی الحقّ فإنّ توقّفه و تثبته عند طلب الحق إلی أن یتّضح له طریقه خیر له من التعسّف و رکوب ما یخاف الضلال به من الطرق .

السابع عشر:أن یأمر بالمعروف و ینهی عن المنکر فعلا و قولا،و یباین

من فعله بقدر إمکانه

،و هو من فروض الکفایه،و علیهما مدار نظام العالم،و لذلک کان القرآن الکریم و السنّه النبویّه مشحونین بهما و استدرجه إلی ذلک بقوله:

تکن من أهله.لأنّهم أولیاء اللّه الأبرار المرغوب فی الکون منهم.

الثامن عشر:أن یجاهد فی اللّه أعداء دینه الجهاد الحقّ،

و إضافه حقّ إلی جهاده إضافه الصفه إلی الموصوف لأنّ الصفه من باب الأهمّ.

التاسع عشر:

کنایه أن لا یأخذه فی اللّه لومه لائم ،و هو کنایه عن نهیه عن التقصیر فی طاعه اللّه.إذ کان من لوازم المقصّر استحقاق لوم اللائمین .

العشرون:

استعاره أن يخوض الغمرات إلى الحقّ حيث كان ،و لفظ الخوض مستعار

۱- ۱) ۸۲-۴۰.

لمعاناه الشدائد و الدخول فيها لطلبه الحقّ .

الحادى و العشرون:أن يتفقّه فى الدين،

و يتعلّم الأحكام الشرعيّه و مباديها.

الثانى و العشرون:أن يعوّد نفسه الصبر على المكروه.

و قد علمت أنّ احتمال المكروه فضيله تحت الشجاعه و هو من مكارم الأخلاق .

الثالث و العشرون:أن يلجئ نفسه فى اموره كلّها إلى اللّه تعالى،

و هو أمر بالتوكّل على اللّه و الإنابه إليه فى كلّ مرغوب أو مرهوب،و قد علمت حقيقه التوكّل و ما يستلزمه،و استدرجه إلى ذلك بقوله:فإنّك تلجئها إلى كهف حريز و مانع عزيز، استعاره و استعار لفظ الكهف له تعالى باعتبار أنّ من توكّل عليه كفاه و منعه ممّا يخاف كما يمنع الكهف من يلتجئ إليه .

الرابع و العشرون:أن يخلص فى دعائه و مسئلته لربّه.

إذ كان ذلك من شرائط الإجابه،و استدرجه إلى الاخلاص بقوله:فإنّ بيده العطاء و الحرمان ليشتدّ الانجذاب إليه و الإعراض عن غيره.و الفئات الثلاث:فنعم،و قوله:فإنّك و قوله:فانّ بيده.جواب الأوامر الثالثه.

الخامس و العشرون:أن يكثر الاستخاره

:أى الطلب إلى اللّه تعالى أن يخيّر له فيما يأتى و يذر.

السادس و العشرون:

كنايه أن يتفهّم وصيّته و لا يعرض عنها ،و كنّى عن الإعراض و ترك العمل بها بالذهاب صفحا ،و انتصب صفحا على الحال:أى و لا تذهبنّ معرضا، و استدرجه للإقناع بها بقوله:فإنّ خير القول ما نفع،و التقدير فإنّ وصيّتى نافعه،و ما نفع فهو خير القول.فإذن وصيّتى خير القول .ثمّ نبّهه بقوله:و اعلم.

إلى قوله:تعلّمه.على أنّ من العلوم ما لا خير فيه لئلاّ يتشوّق إلى معرفته فيصدّه ذلك عن سلوك سبيل اللّه و العلم المؤدّى إليه،و تلك هى العلوم الّتى نهت الشريعه عن تعلّمها كالسحر و الكهانه و النجوم و النيرنجات و نحوها ممّا لا يكون سبيلا إلى المقاصد الحقيقيّه التامّه.و تقدير الكلام:و اعلم أنّ كلّ علم لا يحق تعلّمه:

أى لا يثبت فى الشريعه تعلّمه وجوبا و لا ندبا فهو علم لا ينتفع به فى طريق الآخره

فلا خير فيه لأنّ الخير الحقيقىّ هو المنفعه الباقيه عند اللّه فما لا منفعه فيه لا خير، و لذلک استعاذ الرسول صلّى اللّه عليه و آله منه فقال:و أعوذ بک من علم لا ينفع.فينتج أن كلّ علم لا يحقّ تعلّمه فلا خير فيه.و باللّه التوفيق.

الفصل الرابع:

اشاره

قوله:

أَىْ بُنَىَّ إِنِّى لَمَّا رَأَيْتُنِى قَدْ بَلَغْتُ سِنّاً- وَ رَأَيْتُنِى أَزْدَادُ وَهْناً- بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِى إِلَيْکَ- وَ أَوْرَدْتُ خِصَالاً مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِى أَجَلِى- دُونَ أَنْ أُفْضِىَ إِلَيْکَ بِمَا فِى نَفْسِى- أَوْ أَنْ أُنْقَصَ فِى رَأْيِى كَمَا نُقِصْتُ فِى جِسْمِى- أَوْ يَسْبِقَنِى إِلَيْکَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى وَ فِتَنِ الدُّنْيَا- فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ النَّفُورِ- وَ إِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَهِ- مَا أُلْقِىَ فِيهَا مِنْ شَىْءٍ قَبِلَتْهُ- فَبَادَرْتُکَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُکَ- وَ يَشْتَغِلَ لُبُّکَ لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِکَ مِنَ الْأَمْرِ- مَا قَدْ كَفَاکَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ وَ تَجْرِبَتَهُ- فَتَكُونَ قَدْ كُفِيتَ مَئُونَهَ الطَّلَبِ- وَ عُوفِيتَ مِنْ عِلَاجِ التَّجْرِبَهِ- فَأَتَاکَ مِنْ ذَلِکَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ- وَ اسْتَبَانَ لَکَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ أَىْ بُنَىَّ إِنِّى وَ إِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِى- فَقَدْ نَظَرْتُ فِى أَعْمَالِهِمْ وَ فَكَّرْتُ فِى أَخْبَارِهِمْ- وَ سِرْتُ فِى آثَارِهِمْ حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ- بَلْ كَأَنِّى بِمَا انْتَهَى إِلَىَّ مِنْ أُمُورِهِمْ- قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ- فَعَرَفْتُ

ص:۱۲

صَفْوَ ذَلِکَ مِنْ کَدَرِهِ وَ نَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ- فَاسْتَخْلَصْتُ لَکَ مِنْ کُلِّ أَمْرٍ نَخِیلَهُ وَ تَوَخَّیْتُ لَکَ جَمِیلَهُ وَ صَرَفْتُ عَنْکَ مَجْهُولَهُ- وَ رَأَیْتُ حَیْثُ عَنَانِی مِنْ أَمْرِکَ مَا یَعْنِی الْوَالِدَ الشَّفِیقَ- وَ أَجْمَعْتُ عَلَیْهِ مِنْ أَدَبِکَ أَنْ یَکُونَ ذَلِکَ- وَ أَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمُرِ وَ مُقْتَبَلُ الدَّهْرِ- ذُو نِیَّةٍ سَلِیمَةٍ وَ نَفْسٍ صَافِیَةٍ- وَ أَنْ أَبْتَدِئَکَ بِتَعْلِیمِ کِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ- وَ تَأْوِیلِهِ وَ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَ أَحْکَامِهِ وَ حَلَالِهِ وَ حَرَامِهِ- لَا أُجَاوِزُ ذَلِکَ بِکَ إِلَى غَیْرِهِ- ثُمَّ أَشْفَقْتُ أَنْ یَلْتَبِسَ عَلَیْکَ- مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِیهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَ آرَائِهِمْ- مِثْلَ الَّذِی الْتَبَسَ عَلَیْهِمْ- فَکَانَ إِحْکَامُ ذَلِکَ عَلَى مَا کَرِهْتُ مِنْ تَنْبِیهِکَ لَهُ أَحَبَّ إِلَیَّ- مِنْ إِسْلَامِکَ إِلَى أَمْرٍ لَا آمَنُ عَلَیْکَ فِیهِ الْهَلَکَهَ- وَ رَجَوْتُ أَنْ یُوَفِّقَکَ اللَّهُ فِیهِ لِرُشْدِکَ- وَ أَنْ یَهْدِیَکَ لِقَصْدِکَ فَعَهِدْتُ إِلَیْکَ وَصِیَّتِی هَذِهِ وَ اعْلَمْ یَا بُنَیَّ- أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَیَّ مِنْ وَصِیَّتِی تَقْوَى اللَّهِ- وَ الِاقْتِصَارُ عَلَى مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَیْکَ- وَ الْأَخْذُ بِمَا مَضَى عَلَیْهِ الْأَوَّلُونَ مِنْ آبَائِکَ- وَ الصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَیْتِکَ- فَإِنَّهُمْ لَمْ یَدَعُوا أَنْ نَظَرُوا لِأَنْفُسِهِمْ کَمَا أَنْتَ نَاظِرٌ- وَ فَکَّرُوا کَمَا أَنْتَ مُفَکِّرٌ- ثُمَّ رَدَّهُمْ آخِرُ ذَلِکَ إِلَى الْأَخْذِ بِمَا عَرَفُوا- وَ الْإِمْسَاکِ عَمَّا لَمْ یُکَلَّفُوا- فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُکَ أَنْ تَقْبَلَ ذَلِکَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ کَمَا عَلِمُوا- فَلْیَکُنْ طَلَبُکَ ذَلِکَ بِتَفَهُّمٍ وَ تَعَلُّمٍ- لَا بِتَوَرُّطِ الشُّبُهَاتِ وَ عُلَوِّ الْخُصُومَاتِ- وَ ابْدَأْ قَبْلَ نَظَرِکَ فِی ذَلِکَ بِالِاسْتِعَانَهِ بِإِلَهِکَ- وَ الرَّغْبَهِ إِلَیْهِ فِی تَوْفِیقِکَ- وَ تَرْکِ کُلِّ شَائِبَهٍ أَوْلَجَتْکَ فِی شُبْهَهٍ- أَوْ أَسْلَمَتْکَ إِلَى ضَلَالَهٍ- فَإِنْ أَیْقَنْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُکَ فَخَشَعَ- وَ تَمَّ رَأْیُکَ فَاجْتَمَعَ- وَ کَانَ هَمُّکَ فِی ذَلِکَ هَمّاً وَاحِداً- فَانْظُرْ فِیمَا فَسَّرْتُ لَکَ- وَ إِنْ أَنْتَ لَمْ یَجْتَمِعْ لَکَ مَا تُحِبُّ مِنْ نَفْسِکَ- وَ فَرَاغِ نَظَرِکَ وَ فِکْرِکَ- فَاعْلَمْ أَنَّکَ إِنَّمَا تَخْبِطُ الْعَشْوَاءَ وَ تَتَوَرَّطُ الظَّلْمَاءَ- وَ لَیْسَ طَالِبُ الدِّینِ مَنْ خَبَطَ أَوْ خَلَطَ- وَ الْإِمْسَاکُ عَنْ ذَلِکَ أَمْثَلُ فَتَفَهَّمْ یَا بُنَیَّ وَصِیَّتِی- وَ اعْلَمْ أَنَّ مَالِکَ الْمَوْتِ هُوَ مَالِکُ الْحَیَاهِ- وَ أَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُمِیتُ- وَ أَنَّ الْمُفْنِیَ هُوَ الْمُعِیدُ وَ أَنَّ الْمُبْتَلِیَ هُوَ الْمُعَافِی- وَ أَنَّ الدُّنْیَا لَمْ تَکُنْ لِتَسْتَقِرَّ- إِلَّا عَلَى مَا جَعَلَهَا اللَّهُ عَلَیْهِ مِنَ النَّعْمَاءِ وَ الِابْتِلَاءِ- وَ الْجَزَاءِ فِی الْمَعَادِ- أَوْ مَا شَاءَ مِمَّا لَا تَعْلَمُ- فَإِنْ أَشْکَلَ عَلَیْکَ شَیْءٌ مِنْ ذَلِکَ فَاحْمِلْهُ عَلَى جَهَالَتِکَ- فَإِنَّکَ أَوَّلُ مَا خُلِقْتَ بِهِ جَاهِلاً- ثُمَّ عُلِّمْتَ- وَ مَا أَکْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الْأَمْرِ وَ یَتَحَیَّرُ فِیهِ رَأْیُکَ- وَ یَضِلُّ فِیهِ بَصَرُکَ ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذَلِکَ فَاعْتَصِمْ بِالَّذِی خَلَقَکَ وَ رَزَقَکَ وَ سَوَّاکَ- وَ لْیَکُنْ لَهُ تَعَبُّدُکَ- وَ إِلَیْهِ رَغْبَتُکَ وَ مِنْهُ شَفَقَتُکَ-

ص:۱۳

وَ اعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَداً لَمْ يُنْبِئْ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ- كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ الرَّسُولُ ص فَارْضَ بِهِ رَائِداً وَ إِلَى النَّجَاةِ قَائِداً- فَإِنِّي لَمْ آلُكَ نَصِيحَةً- وَ إِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ فِي النَّظَرِ لِنَفْسِكَ- وَ إِنِ اجْتَهَدْتَ مَبْلَغَ نَظَرِي لَكَ

اللغه

أقول: الوهن : الضعف .و المبادره : المسارعه و المسابقه .و أفضى : وصل .

و البغيه : الطلبه .و التوخّى : القصد .و أجمعت : صمّمت العزم .و أسلمته إلى كذا : خليت بينه و بينه .و أمثل : أقرب إلى الخير .

و فى هذا الفصل مقاصد :

الأوّل:أنّه أشار إلى بعض العلل الحامله له على هذه الوصيّه

،و هى كونه قد بلغ سنّا عاليا و أخذ ازديادا فى الضعف،و ذلك أنّه كان قد جاوز السّتين فلزم من ذلك خوفه لأحد الخصال المذكوره فبادرها و سابقها إليه.و خصالا مفعول به.و عدّ من تلك الخصال ثلاثا:

الأولى:أن يعجل به أجله إلى الآخره قبل أن يوصل إليه ما فى نفسه من الحكمه .

الثانيه:أن ينقص فى رأيه،و ذلك أنّ القوى النفسانيّه تضعف عند علوّ السنّ لضعف الأرواح الحامله لها فينقص بسبب ذلك تصرّف العقل و تحصيله للآراء الصالحه.

الثالثه:أن يسبقه إليه بعض غلبات الهوى فإنّ الصبىّ إذا لم يؤخذ بالآداب فى حداثته و لم ترض قواه لمطاوعه العقل و موافقته كان بصدد أن يميل به القوى الحيوانيّه إلى مشتهياتها و ينجذب فى قياد هواه إلى الاستعمال بها فيفتنه و يصرفه عن الوجهه الحقيقيّه و ما ينبغى له فيكون حينئذ كالصعب النفور من الإبل،و وجه التشبيه أنّه يعسر حمله على الحقّ و جذبه إليه كما يعسر قود الجمل الصعب النفور و تصريفه بحسب المنفعه.ثمّ نبّه على وجوب المبادره إليه بالأدب،و زرعه فى قلبه

بضمير صغراه تشبيه قوله: و إنّما قلب الحدث.إلى قوله:قبلته .

و أشار إلى وجه التشبيه بقوله:و ما ألقى فيها من شىء قبلته.و ذلك أنّ قلب المحدث لمّا كان خاليا من الانتقاش بالعقايد و غيرها مع كونه قابلا-لما يلقى إليه من خير أو شرّ فينتقش به أشبه الأرض الخاليه من النبات و الزرع القابله لما يلقى فيها من البذر،و تقدير الكبرى:و كلّ قلب كان كذلك فيجب أن يسبق إليه ببذر الآداب و غرس الحكمه .فلذلك بادره بالأدب قبل أن يقسو قلبه عن الانقياد للحقّ و الاشتغال بالأمور الباطله .ثمّ أشار إلى العلّه الأخرى من العلل الغائيه لمبادرته بالأدب و هى أن يستقبل بجدّ رأيه و قوّه فكره ما قد كفاه أهل التجارب بغيته من العلوم و عوفى فيه من علاج التجربه و معاناتها فأتاه من ذلك العلم التجربىّ ما كان أهل التجربه يأتونه و يطلبونه،و استبان له ما ربّما أظلم عليهم منه،و فرّق بين من يأتيه العلم صفوا و يلقى إليه بينا واضحا،و قد كفى فيه مؤنه الاكتساب،و بين من سعى إليه و شقى فى تحصيله و خاض إليه غمرات الشكوك و ظلمات الشبهات.و كلّ ذلك من الامور المقنعه له فى قبول الوصيّه و العمل بما اشتملت عليه من الحكم و الآداب لأنّ أهل التجارب إذا كانوا قد جدّوا فى تحصيله مع ما وجدوا فيه من المشقّه فلان يجدّ هو و يقبله خالصا من الكلفه أولى.

المقصود الثانى:أشار إلى فضيله نفسه و استكمالها بالعلوم.

ثمّ إلى كونه فى غايه العنايه و الشفقّه عليه و إلى ما رآه أصلح فى تعليمه إيّاه من العلوم غير متجاوز إلى غير ذلك،و غايته من الجميع استدراجه لقبول قوله كما علمت من غرض الخطيب فى ذكر فضيلته،و ما يستدرج به للانفعال ممّا يريد أن يقنع به من الآراء و غيرها .

فنبّه على فضيلته بقوله:أى بنىّ.إلى قوله:مجهوله.

و قوله:و إن لم أكن فى قوّه جواب اعتراض مقدّر كأنّ قائلا-قال له:فكيف حصلت العلوم عن تجارب الامور مع حاجه التجربه إلى عمر طويل يشاهد فيه الإنسان تغيّرات

الأمور و تقلّبات الدهور؟فقال:إنّى و إن لم أكن عمّرت عمر من كان قبلى و شاهدت أحوالهم لكنّى نظرت فى أعمالهم و فكّرت فى أخبارهم المأثوره و سرت فى آثارهم سيرا محسوسا و معقولا حتّى صرت كأحدهم فى عيان امورهم .

و قوله:فعرفت عطف على قوله:و سرت.

و قوله:ذلك.

إشاره إلى ما انتهى إليه من أمورهم.و كنّى بالصفو عن الخير و بالكدر عن الشرّ:أى فعرفت خير امورهم من شرّها و نفعها من ضرّها،و استخلصت لک من كلّ أمر جليله و هو خيره و ما ينفع منه عند اللّه من العلوم و العبر النوافع،و روى:نخيلته أى خلاصته.و قصدت لک جميله:أى الأمر الحسن منه دون قبيحه،و صرفت عنک مجهوله:أى ما اشتبه عليک أمره و ألتبس الحقّ فيه .

و قوله: و رأيت حيث عنانى .إلى آخره.

إشاره إلى كمال عنايته و شفّقته عليه و وجوه اختياراته له ما هو أولى به من العلوم،و أجمعت عطف على يعنى،و أن يكون فى محلّ النصب على أنّه مفعول أوّل لرأيت،و تكون هنا تامّه،و الواو فى قوله:و أنت للحال،و أن أبتدئک عطف على أن يكون،و المفعول الثانى لرأيت محذوف تقديره أنفع و أصلح،و تقدير الكلام:و رأيت حيث عنانى من أمرک ما يعنى الوالد الشفيق من أمر ولده من النظر فى مصالحه و الاهتمام بأحواله و ما صمّمت عزمى عليه من تأديبک أن يكون ذلک التأديب حال إقبال عمرک حال كونک ذاتيّه سليمه من الأمراض النفسانيّه و الأخلاق الذميمه،و كونک ذا نفس صافيه من كدر الباطل،و أن أبتدئک بتعليم كتاب اللّه و تأويله و ما يشتمل عليه من شرايع الإسلام:أى قوانينه و أحكامه و حلاله و حرامه،و أقتصر بک على ذلک كما اقتصر عليه كثير من السلف.

و قوله :ثمّ أشفقت.

ص:۱۷

عطف على رأيت:أى كنت رأيت أن أقتصر بك على ذلك و لا اتجاوز بك إلى غيره مى العلوم العقليّه.ثمّ خفت أن يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من أهوائهم و آرائهم مثل ما التبس عليهم:أى التباسا مثل الالتباس عليهم فكان إحكام ذلك:أى ما اختلف الناس فيه على ما كرهت من شبهك له أحبّ إليّ من إسلامك إلى أمر لا آمن عليك فيه الهلكه فى الدين،و ذلك الأمر هو ما اختلف الناس فيه من المسائل العقليّه الإلهيّه الّتى يكثر التباس الحقّ فيها بالباطل،و يكتنفها الشبهات المغلّطه الّتى هى مظنّه الخطر و الانحراف بها عن سبيل الحقّ إلى سبيل الهلاك،و إحكام ذلك الأمر ببيان وجه البرهان فيه و كيفيّه الخلاص من شبهه الباطل و مزاجه .

و قوله: و رجوت أن يوفّقك .

عطف على أشفقت،و الضمير المجرور بفى يعود إلى ما اختلف الناس فيه .

المقصود الثالث:الإشاره إلى بيان ما هو الأحبّ إليه أن يأخذ به من

وصيّته،

و الإرشاد إلى كيفيّه أخذه و ما ينبغى أن يبدء قبل الشروع من الاستعانه باللّه و الرغبه إليه فى التوفيق.إلى غير ذلك من الآداب الّتى يتمّ بها الاستعداد للبحث و التعلّم.فمن الأحبّ إليه تقوى اللّه الّذى هو الزاد المبلّغ إليه .ثمّ الاقتصار على ما افترضه اللّه عليه من النظر فى ظواهر الأدلّه دون التوغّل فى الفكر و خوض الشبهات ممّا لم يكلّف به أخذا بما مضى عليه الصالحون من أهل بيته كحمزه و جعفر و العبّاس و عبيده بن الحرث و غيرهم من بنى هاشم.

و قوله:فانّهم إلى قوله:لم يكلّفوا ترغيب له فى الأخذ بمأخذهم،و تنفير له عن التوغّل و التعمّق بضمير صغراه ما ذكر،و تقدير الكبرى:و كلّ من كان كذلك فينبغى الاقتداء به فى الأخذ بما عرف و الإمساك عمّا لم يكلّف .

و قوله:فإن أبت.إلى آخره.

بيان للكيفيّه الّتى ينبغى أن يكون عليها طلبه العلوم العقليّه،و التدقيق

فيها إن أبت نفسه الاقتصار على ما افترضه اللّه عليه:أى فليكن طلبك لما أنت طالب له من ذلك على وجوه:

أحدها:التفهّم للمقاصد،و التعلّم للحقّ،و الطلب له لا على وجه تعلّم الشبهات و التورّط فيها و المشاغبه بها فإنّ ذلك ممّا يصدّ عن تعلّم الحقّ و يمنع من قبوله .

الثانى:أن يبدء قبل نظره فى ذلك الطلب بالاستعانه باللّه و الرغبه إليه فى توفيقه لإصابه طريق الحقّ و الوصول إليه.

الثالث:أن يترك كلّ شائبه أو لجته فى شبهه كالعادات فى نصره المذاهب الباطله بحسب اتّباع الهوى و الآراء الّتى يطلب بها الرئاسات فإنّ النفس إذا كانت فيها شائبه محبّه لأمر جسمانىّ لم يتّضح لها طريق الحقّ بل كانت إلى الانحراف فى طرق الضلال و الشبه المناسبه للمطالب الباطله أقرب،و تلك الطرق أعرف عندها لمكان تلك الشائبه.فينبغى للسالك أن يحذف عن نفسه كلّ شبهه تقود إلى ضلاله، استعاره و لفظ الإسلام مستعار لإهماله و عدم جذبه عمّا يتورّط فيه من الامور المضلّه .ثمّ قال: فإذا أيقنت .إلى آخره:أى فإذا أعددت نفسك للطلب و النظر بما ذكرت لك،و تحقّقت أن قد صفا قلبك من كلّ شائبه تنافى النظر،فخشع من خشيه اللّه أن يؤاخذك بتركه،و تمّ رأيك و عزمك عليه فاجتمع متفرّقه حتّى لا يبقى لك إلى تركه التفات،و كان همّك فيه همّا واحدا لا ينقسم إلى غيره.فانظر حينئذ فيما فسّرت لك و نبّهتك عليه من المسائل العقليّه الإلهيّه كما سيأتى ،و إن أنت لم يجتمع لك ما تحبّ من نفسك و فراغ نظرها و فكرها عن الشوائب المنافيه للعلم و طلبه و نظرت.فاعلم أنّك فى خوضك و طلبك له إنّما تخبط خبط عشواء و تتورّط الظلماء،و كلّ من كان كذلك فليس أهلا لطلب الدين من أصوله.و حذف المضاف إلى العشواء و أقام المضاف إليه مقامه، استعاره و استعار وصف الخبط له باعتبار أنّه طالب للعلم من غير استكمال شرائط الطلب و على غير وجهه فهو متعسّف سالك على غير طريق المطلوب كالناقه العشواء،و كذلك لفظ الظلماء

للشبه باعتبار أنّ الذهن لا يهتدى فيها لطلب الحقّ كالماشى فى الظلماء .

المقصود الرابع:أمره بتفهّم وصيّته.

و نبّهه على جمله من صفات اللّه و أفعاله الّتى قد يتوهّم التضادّ و التناهى فى إسنادها إلى مبدء واحد،و أشار إلى أنّها ليست بمتضادّه،و أنّ مبدئها واحد،فأمّا الصفات فهو أنّ القادر على الموت و من له أن يميت فهو القادر على الحياه و له أن يحيى باعتبار أنّ أسباب الموت و الحياه ينتهى إليه،و كذلك الخالق هو المميت فإنّ فاعل الخلق هو مقدّر الموت الّذى ينتهى إليه أسبابهما،و إلى هذين الاعتبارين الإشاره بقوله تعالى« «يُحْيِي وَ يُمِيتُ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ» »فيحيى و يميت باعتبار انّه الفاعل الأوّل لهما و باعتبار أنّه الربّ المطلق هو المالك الأوّل لهما،و كذلك المفنى هو المعيد و المبتلى هو المعافى باعتبار انتهاء أسباب الفناء و الإعاده و اللابتلاء و المعافاه إليه.

و قد علمت أنّ كلّ هذه الأمور اعتبارات عقليّه يلحقّ معقوليّه الواجب سبحانه بالقياس إلى مخلوقاته و آثاره كما استقصيناه فى الخطبه الأولى ،و أمّا الأفعال فهو أنّه تعالى لمّا خلق الدنيا لم يمكن خلقها و استقرار وجودها إلاّ على ما خلقها اللّه عليه من إفاضه ما يعدّ نعمه فى حقّ بعض العبيد من مال و صحّه و نحوهما، و الابتلاء بما يعدّ بلاء من الفقر و المرض و نحوهما،و إن كانت النعماء أيضا ابتلاء كما قال تعالى« «وَ نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً وَ إِلَيْنا تُرْجَعُونَ» » (۱).ثمّ لزوم الجزاء فى المعاد لنفوس المبتلين و المنعم عليهم بحسب طاعتهم و معصيتهم فى النعمه و الابتلاء،و كذلك خلقه لها على ما شاء ممّا لا يعلم وجه الحكمه فيه،و اعلم أنّه قد ثبت فى أصول الحكمه أنّ المقصود من العنايه الإلهيّه بالذات إنّما هو الخير،و أمّا الشرور الواقعه فى الوجود فكاينه بالعرض من حيث إنّه لا يمكن نزع الخير و تجريده عنها.و لمّا كان الخير أغلب فى الوجود،و كانت الشرور امورا لازمه أقليّه لم يمكن ترك الخير الكثير لأجلها لأنّ ترك الخير الكثير لأجل الشرّ القليل شرّ كثير فى الجود و الحكمه،و ذلك معنى قوله عليه السّلام:و إنّ

۱- ۱) ۳۷-۲۱.

الدنيا لم تكن لتستقرّ إلّا على ما جعلها اللّه عليه ممّا عدّدناه ممّا يعلم كونه خيرا أو شرّا أولا يعلم حاله:أى لم يكن خلقها إلّا على ما فيها من خير مراد بالذات و شرّ مراد بالعرض،و لزوم الجزاء على السيّئه و عقاب النفوس فى المعاد عليها من الشرور اللازمه لما حصلت عليه من الهيئات البدنيّه و الملكات الرديئه فى الدنيا كما يعلم ذلك من موضعه .

و قوله: فإن أشكل .إلى آخره.

أى فإن أشكل عليك شيء من أسرار القدر،و خفى عليك وجه الحكمه فيه فلا تتوهّم خلوّه عن حكمه بل احمله على جهالتك به فانّك أوّل ما خلقت جاهلا ثمّ علمت كما قال تعالى «وَ اللّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً» (۱)الآيه.و نصب أوّل على الظرف،و جاهلا على الحال،و روى أوّل مرفوعا بالابتداء و جاهل بالرفع خبرا له.ثمّ نبّهه على أكثريّه ما يسبق جهله به من الأمور ثمّ يدركه فيما بعد ليجعل ما لا يدرك وجه الحكمه فيه من ذلك القبيل .ثمّ أمره بالاعتصام باللّه و اللجأ إليه فى أموره،و أن يجعل له تعبّده و إليه رغبته و منه شفقته لأنّه تعالى أحقّ موجود بذلك و أولاه بالأمور المذكوره .

المقصود الخامس:الإشاره إلى فضيله الرسول صلّى اللّه عليه و آله على سائر الأنبياء

لزيادته عليهم فى إيضاح الخبر عن اللّه تعالى،و بيان المطالب الحقيقيّه الّتى اشتمل عليها الكتاب العزيز من أسرار التوحيد و القضاء و القدر و أمر المعاد فإنّ أحدا من الأنبياء السابقين عليهم السّلام لم يفصح عن هذه الأمور كإفصاحه،و لذلك كانت هدايه هذه الأمّه بتمام ما جاء به صلّى اللّه عليه و آله أتمّ و أكمل من هدايه ساير الامم السابقه عمّا جاءت به أنبياؤها و كانت عيون بصائرهم أبسط أنوارا و أكثر انتشارا استعاره .و غايه ذكر فضيلته صلّى اللّه عليه و آله هنا أن يرضى برأيه و دلالته على طريق النجاه فى الآخره،و استعار له لفظ الرائد باعتبار أنّه قد اختبر ما فى الآخره من الثواب المقيم و السعاده الباقيه،و بشّر به أمّته كما يبشّر الرائد أهله بوجود الكلاء و الماء بعد ارتياده .ثمّ أردف ذلك ببيان أنّه لم يزل

۱- (۱) ۸۰-۱۶.

ناصحا له وأنيه لم يبلغ نظره لنفسه و إن اجتهد فى ذلك مبلغ نظره له ليتأكّد الإقناع برأيه و شوره عليه فيما يراه له.و نصيحه نصب على التميز.

الفصل الخامس:

اشاره

قوله:

وَ اعْلَمْ يَا بُنَيَّ- أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّکَ شَرِيکٌ لَأَتَتْکَ رُسُلُهُ- وَ لَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْکِهِ وَ سُلْطَانِهِ- وَ لَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وَ صِفَاتِهِ- وَ لَكِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ- لَا يُضَادُّهُ فِي مُلْکِهِ أَحَدٌ وَ لَا يَزُولُ أَبَداً وَ لَمْ يَزَلْ- أَوَّلٌ قَبْلَ الْأَشْيَاءِ بِلَا أَوَّلِيَّهٍ- وَ آخِرٌ بَعْدَ الْأَشْيَاءِ بِلَا نِهَايَهٍ- عَظُمَ عَنْ أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحَاطَهِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ- فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِکَ فَافْعَلْ- كَمَا يَنْبَغِي لِمِثْلِکَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي صِغَرِ خَطَرِهِ- وَ قِلَّهِ مَقْدِرَتِهِ وَ كَثْرَهِ عَجْزِهِ- و عَظِيمِ حَاجَتِهِ إِلَى رَبِّهِ فِي طَلَبِ طَاعَتِهِ- وَ الْخَشْيَهِ مِنْ عُقُوبَتِهِ- وَ الشَّفَقَهِ مِنْ سُخْطِهِ فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْکَ إِلَّا بِحَسَنٍ- وَ لَمْ يَنْهَکَ إِلَّا عَنْ قَبِيحٍ

أقول:أشار فى هذا الفصل إلى الحجّه على وحدانيّه الصانع سبحانه،و على

اشاره

جمله من صفاته.

ثمّ إلى ما ينبغى أن يفعله من ملاحظه عظمته تعالى من الصفات المذكوره فإذن هاهنا أبحاث:

البحث الأوّل:الحجّه على وحده الصانع

،و هى شرطيّه متّصله مقدّمها قوله:

لو كان لربّك شريك،و تاليها لأتتك رسله.إلى قوله:و لعرفت أفعاله و صفاته،و يستنتج منها استثناء نقيض أقسام التالى لينتج نقيض المقدّم.بيان الملازمه:أنّه لو كان له شريك لكان شريكه إلها مستجمعا لجميع شرايط الإلهيّه و إلّا لم يصلح للشركه لكن من لوازم الإلهيّه امور:

ص:٢٢

أحدها:الحكمه فى وجوب بعثه الرسل إلى الخلق و وصولهم إليه لما علمت من برهان وجوب البعثه فى موضعه.

الثانى:يلزم أن يكون آثار ملكه و سلطانه و صفات أفعاله ظاهره مشاهد.

الثالث:أن يعرف أفعاله و صفات ذاته.لكن هذه اللوازم كلّها باطله:أمّا الأوّل فلأنّه لم يأتنا رسول ذو معجزه يدلّنا على الثانى و يخبرنا عنه،و أمّا الثانى:فهو أنّ آثار الملك و السلطان و عظمه الملك و إحكامه إنّما يدلّ على حكيم قادر فأمّا على التعدد فلا و اما الثالث:فالان مجرد الافعال التى نشاهدها انما يدل على فاعل فاما التعدد فلا و كذلك صفات الالهيه المكتسبه بواسطه الافعال من العلم و القدره و الإراده و غيرها إنّما يدلّ على صانع موصوف بها فأمّا على صانعين أو أكثر كذلك فلا.فإذن القول بأنّ لربّنا شريك قول باطل لا برهان عليه كما قال تعالى «وَ مَنْ يَدْعُ مَعَ اللّٰهِ إِلٰهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ» (1)الآيه،و قوله:إله واحد كما وصف نفسه.من لوازم النتيجه لأنّه إذا بطل القول بثانى الإله ثبت أنّه إله واحد كما وصف هو نفسه بقوله« «قُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ» .و «هُوَ اللّٰهُ الْواحِدُ الْقَهّارُ» »و أنّه لا يضادّه فى ملكه أحد:أى يعانده فى أفعاله و ينازعه فى ملكه كما هو عاده الملوك.و أعلم أنّ هذه الحجّه إقناعيّه كما هو غايه الخطيب من الخطابه و ليست برهانيّه لأنّه إن أريد فى الشرطيّه أنّ وجود الثانى يستلزم وجود آثار و أفعال و صفات تخصّه و يعلم اختصاصه به.فالملازمه ممنوعه لأنّ الإلهين سواء كانا متّفقى الحقيقه أو مختلفى الحقيقه لا يلزم أن يختلف أفعالهما و لوازمهما بالنوع و يتخصّص كلّ منهما بلازم خاصّ و فعل خاصّ لا يوجد للآخر بل جاز أن يتّفقا فى اللوازم و الآثار،و إنّ أريد أنّ وجوده يستلزم أن يعرف آثار و أفعال و لوازم لا يخصّه بل جاز أن يشاركه فيها الإله الآخر فهذا مسلّم لكن لا يمكن الاستدلال بطلان التالى هاهنا،و هو ظاهر لأنّا نرى آثار ملك و أفعال و لوازم و صفات لا تدلّ على أحديّه فاعلها و الموصوف بها و لا على إثنينيّته

1- 1) 118-23.

و إنّما يدلّ على مطلق فاعل و ملزوم ما.فلا يمكن بطلانها و رفعها لأنّ رفعها يستلزم رفع وجود الإله المطلق لاستلزام عدم اللازم عدم الملزوم لا رفع التالى خاصّه.

البحث الثانى:كونه تعالى لا يزال أبدا و أنّه لم يزل،

و هو إشاره إلى دوام وجوده و ثباته أزلا و أبدا،و برهانه أنّه تعالى واجب الوجود،و كلّ واجب الوجود لذاته فهو دائم الوجود و ثابته أزلا و أبدا:أمّا الصغرى فقد مرّ برهانها،و أمّا الكبرى فلأنّه لو جاز عليه الزوال و العدم لما كان واجب الوجود لذاته،و فساد التالى يستلزم فساد المقدّم.فإذن هو دايم الوجود أزلا و أبدا .

البحث الثالث:كونه أوّلا قبل الأشياء بلا أوّليّه لوجوده،و كونه آخرا

بعد الأشياء بلا نهايه لوجوده.

أمّا الأوّل:فلأنّه لو كان لوجوده أوّليّه لكان مسبوقا بالعدم فكان محدثا فكان ممكنا.هذا خلف،و أمّا الثانى:فلأنّه لو كانت آخريّته منقطعه بنهايه لكان ملحوقا بالعدم فلم يكن واجب الوجود لذاته.هذا خلف.

البحث الرابع:

تشبيه كونه أعظم من أن يثبت ربوبيّته بإحاطه قلب أو بصر :أى هو أعظم أن يطّلع أحد بقلبه أو بصره على كمال صفات ربوبيّته و الاعتبارات المعتبره فيها،و وجه الشبه على ذلك أنّك علمت أنّ صفه الربوبيّه و ساير صفات الإلهيّه باعتبار الخارج نفس حقيقه تعالى،و باعتبار العقل امور يعتبرها لمعقوليّه ذاته بالقياس إلى مخلوقاته و آثاره و على الوجهين فهو أعظم من أن يثبت ربوبيّته بإحاطه قلب أو بصر.

أمّا فى الخارج فلأنّ صفه ربوبيّته هى نفس ذاته فكانت إحاطه العلم بها موقوفه على إحاطته بكنه ذاته،و قد علمت أنّها بريئه عن وجوه التركيب فيمتنع الإحاطه بها لغيرها،و أمّا فى العقل فلأنّ اعتبار صفه الربوبيّه و إحاطه العقول بها موقوفه على الإحاطه بجميع اعتبارات صفات الكمال و نعوت الجلال.إذ اعتبار ربوبيّته المطلقه مستلزم لاعتبار الإلهيّه المطلقه المستلزم لاعتبار جميع ماله من صفات الإلهيّه، و قد علمت أنّ تلك الاعتبارات غير متناهيه فهى أعظم أن يحيط بها عقل بشرىّ فضلا أن يتعلّق بها إدراك بصرىّ .

البحث الخامس

:اعلم أنّه لمّا نبّهه على عظمه اللّه سبحانه و كمال ذاته فى

الاعتبارات المذكوره أمره أن يفعل كما ينبغى أن يفعله من هو مثله فى النقصان بالنسبه إلى عظمه اللّه سبحانه فيطيعه حقّ طاعته و يعبده بكمال عبادته و كما ينبغى لكرم وجهه و عزّ جلاله،و عدّد له وجوه النقصان ليعتبر حاله فى كلّ منها بالقياس إلى كمال ذاته تعالى ليعلم صغر منزلته بالنسبه إلى عظمته تعالى،و قلّه مقدرته و كثره عجزه بالنسبه إلى كمال قدرته.و كذلك عظم حاجته إلى ربّه فى كلّ حال من طلب توفيقه و إعداده لطاعته و الرهبه من عقوبته و الإشفاق من سخطه كلّ ذلك بالنسبه إلى غنائه المطلق فى كلّ شىء عن كلّ شىء.

و قوله: فإنّه .إلى قوله: قبيح .

تنبيه إجمالىّ على وجوب طاعته تعالى فى كلّ ما أمر به و نهى عنه.و جذبه إلى فعل كلّ مأمور به بكونه حسنا و إلى الانتهاء عن كلّ شىء منهىّ عنه بكونه قبيحا.

و قد علمت أنّ الغايه من بعثه الرسل و وضع الشرائع و السنن هى نظام أحوال الخلق فى معاشهم و معادهم.فلا بدّ إذن فى كلّ أمر أو نهى من سرّ و حكمه يوجب حسن المأمور به و قبح المنهىّ عنه،و لهذا الكلام و نحوه تعلّقت المعتزله بمسأله الحسن و القبح العقليّين،و باللّه التوفيق.

الفصل السادس:

اشاره

قوله:

يَا بُنَيَّ إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَ حَالِهَا- وَ زَوَالِهَا وَ انْتِقَالِهَا- وَ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الْآخِرَهِ وَ مَا أُعِدَّ لِأَهْلِهَا فِيهَا- وَ ضَرَبْتُ لَكَ فِيهِمَا الْأَمْثَالَ- لِتَعْتَبِرَ بِهَا وَ تَحْذُوَ عَلَيْهَا- إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ- نَبَا بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيبٌ- فَأَمُّوا مَنْزِلاً خَصِيباً وَ جَنَاباً مَرِيعاً- فَاحْتَمَلُوا وَعْثَاءَ الطَّرِيقِ وَ فِرَاقَ الصَّدِيقِ- وَ خُشُونَهَ السَّفَرِ وَ جُشُوبَهَ الْمَطْعَمِ- لِيَأْتُوا سَعَهَ دَارِهِمْ وَ مَنْزِلَ قَرَارِهِمْ- فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَلَماً- وَ لاَ يَرَوْنَ نَفَقَهً فِيهِ مَغْرَماً- وَ لاَ شَيْءَ أَحَبُّ

إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ- وَ أَدْنَاهُمْ مِنْ مَحَلَّتِهِمْ- وَ مَثَلُ مَنِ اغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ- فَنَبَا بِهِمْ إِلَى مَنْزِلٍ جَدِيبٍ- فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ وَ لاَ أَفْظَعَ عِنْدَهُمْ- مِنْ مُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ- إِلَى مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ وَ يَصِيرُونَ إِلَيْهِ يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ غَيْرِكَ- فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ- وَ اكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا- وَ لاَ تَظْلِمْ كَمَا لاَ تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ- وَ أَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ- وَ اسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ- وَ ارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ- وَ لاَ تَقُلْ مَا لاَ تَعْلَمُ وَ إِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ- وَ لاَ تَقُلْ مَا لاَ تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ- وَ اعْلَمْ أَنَّ الْإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ وَ آفَةُ الْأَلْبَابِ- فَاسْعَ فِي كَدْحِكَ وَ لاَ تَكُنْ خَازِناً لِغَيْرِكَ- وَ إِذَا أَنْتَ هُدِيتَ لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ

اللغه

أقول: يحذو : يقتدى .و السفر : المسافرون :و أمّوا : قصدوا .و الجناب:

الفناء و المنزله .و المريع . ذو الكلاء و الخصب .و وعثاء السفر: مشقّته .و جشوبه المطعم : غلظته .و هجم : وقع بغته .و الكدح : الكسب .

المعنى

و فى الفصل مطلوبان.
أحدهما:أنّه نبّهه على حالتى الدنيا و الآخره،

و ذكّره بما أخبره به عنهما

ص:۲۶

من ضروره زوال الدنيا و انتقالها و بقاء الآخره و ما أعدّ لأهلها فيها من السعاده الباقيه الّتى اشتمل على تعديد أنواعها الكتاب العزيز و السّنه الكريمه،و ضرب لطالبهما مثلين ليكون ممّن أعرض عن الدنيا و أقبل على الآخره.فالمثل الأوّل :

مثل من خبر الدنيا و عرف زوالها و انتقالها،و خبر الآخره و عرف بقائها و ما اعدّ فيها لأهلها،و مثّلهم بقوم مسافرين فارقوا منزلا جديبا إلى منزل خصيب،و وجه مطابقه هذا المثل أنّ النفوس البشريّه لمّا كانت فى عالم المجرّدات،و كانت الحكمه فى هبوطها إلى هذا العالم و مقارنتها لهذه الهياكل الجسمانيّه الكثيفه فى دار الغربه و محلّ الوحشه من عالمها هو أن يحصل بواسطتها الكمالات العقليّه الّتى إنّما تمكّن لها بواسطتها،ثمّ يرجع بعد الاستكمال عنها إلى عالمها الأعلى طاهره عن علايق هذه الهياكل و هيئاتها الرديئه كما أخذ عليها فى العهد القديم كانت كلّ نفس حفظت عهد ربّها و بقيت على صراطه المستقيم و هى المدّه المضروبه لها ناظره بعين الاعتبار إلى أنّ الدنيا كالمنزل الجديب خال عن المطاعم الحقيقيّه و المشارب العذبه الهنيئه فهو لذلك غير صالح للاستيطان و الإقامه،و أنّ عالم الآخره كالمنزل الخصيب و الجناب المريع من وصل إليه مستقيما على أوامر اللّه و نواهيه فاز بالمقاصد السنيّه و اللذّات الباقيه فكانت أبدا فى طريق السفر فى منازل طريق اللّه و الاستعداد للوصول إلى بهجه حضرته الشريفه محتمله لمشقّه ذلك السفر من معاناه الجوع و الظماء و مقاساه السهر قصدا إلى سعه الدار و منزل القرار لا تجد من ذلك ألما و لا تعدّ ما تنفقه من المال و العمر فيه مغرما و لا شىء أحبّ إليها من وسيله تقرّبها إلى ذلك المنزل الّذى أمّته و الجناب الّذى قصدته فأشبهت فى ذلك من وصل إلى منزل جديب.ثمّ علم أنّ أمامه منزلا خصيبا فاقتضى رأيه الحسن أن يحتمل و عثاء السفر و مشقّته إليه ليحصل على الراحه الكبرى ،و أمّا المثل الثانى:فهو مثل أهل الدنيا الّذين قادتهم نفوسهم الأمّاره بالسوء إليها فغفلوا فيها عمّا ورائها و نسوا عهد ربّهم و أعرضوا عمّا ذكروا به من آياته، تشبيه و شبّههم بقوم كانوا فى منزل خصيب فنبأ بهم إلى منزل جديب ، فالمنزل الخصيب فى هذا المثل هو الدنيا لأنّها محلّ سعاده أهلها و نعيمهم،و المنزل

الجديب هو الآخره.إذ لم يكونوا قد استعدّوا لدرك السعاده فيها.و وجه تشبيههم بالقوم هو ما ذكره من أنّه ليس شىء أكره إليهم.إلى آخره:أى ليس شىء أكره إليهم و لا أفظع عندهم من مفارقه ما هم فيه من الدنيا إلى ما يهجمون عليه بغته من الأهوال،و يصيرون إليه من مقاساه السلاسل و الأغلال كما أنّه ليس شىء أكره إلى القوم من مفارقه منزل خصيب كانوا فيه إلى منزل جديب يهجمون عليه،و إلى هذين المثلين أشار الرسول صلّى اللّه عليه و آله:الدنيا سجن المؤمن و جنّه الكافر .

المطلوب الثانى:

استعاره الوصيّه بإصلاح معاملته مع الخلق.فأشار عليه أن يجعل نفسه ميزانا بينه و بين غيره ،و وجه استعاره لفظ الميزان له أنّه يكون ذا عدل بين نفسه و بين الناس كالميزان .

ثمّ شرح وجوه العدل و التسويه الّتى أمره أن يكون

ميزانا باعتبارها

فمنها أمور ثبوتيّه،و منها أمور سلبيّه:

فالأوّل:أن يحبّ لغيره ما يحبّ لنفسه،و يكره له ما يكره لها،

و فى الحديث المرفوع:لا يكمل إيمان عبد حتّى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه،و يكره له ما يكره لنفسه.و سرّ الحديث أنّ ذلك من كمال فضيله العداله الّتى هى من كمال الإيمان.

الثانى:أن لا يظلم كما لا يحبّ أن يظلم

فيسلم من رذيلتى الظلم و الانظلام.

الثالث:أن يحسن إلى الغير كما يحبّ أن يحسن إليه،

و الإحسان فضيله تحت العفّه.

الرابع:أن يستقبح من نفسه ما يستقبح من غيره

فينزجر عن جميع مناهى اللّه و هو من لوازم المروّه،و لذلك قال أحنف إذ سئل عن المروّه:هى أن تستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك .

الخامس:أن يرضى من الناس ما يرضاه لهم من نفسه

:أى كلّ ما رضى أن يفعله بهم من خير أو شرّ إن فعله فينبغى أن يرضى بمثله منهم،و فيه تنبيه على أنّه لا يجوز أن يفعل الشرّ لعدم لازمه و هو الرضا منهم به.

السادس:أن لا یقول ما لا یعلم و إن قلّ ما یعلم،

و إنّما قال:و إن قلّ ما یعلم لأنّ تصوّر قلّه العلم قد یکون داعیه لبعض الناس إلی أن یقول بغیر علم لئلّا ینسب

ص:۲۸

إلی الجهل فیضلّ و یضلّ کما قال تعالی «وَ مِنَ النّاسِ مَنْ یُجادِلُ فِی اللّهِ بِغَیْرِ عِلْمٍ وَ لا هُدیً وَ لا کِتابٍ مُنِیرٍ» (۱).

السابع:أن لا یقول لأحد ما لا یحبّ أن یقال له

کالمواجهه بالعیوب و الألقاب المکروهه و کلّ کلام موذ .

الثامن:نبّهه علی وجوب ترک الإعجاب

بأنّه ضدّ الصواب.و لمّا کان الصواب هو سلوک طریق اللّه باستجماع مکارم الأخلاق و کان الإعجاب من رذائل الأخلاق کان مضادًا للصواب مضادّه الرذیله للفضیله،و بأنّه آفه للعقول.إذ هو من أکبر أمراض العقل و آفاته المهلکه له کما أشار إلیه الرسول صلّی اللّه علیه و آله:ثلاث مهلکات:إلی أن قال:و إعجاب المرء بنفسه.

التاسع:أن یسعی فی کدحه:

أی فیما ینبغی له من کسب الطاعات،و قیل:

أراد بالکدح ما اکتسبه من المال و ما ینبغی فیه إنفاقه فی سبیل اللّه.

العاشر:أن یکون عند هدایه اللّه إیّاه لرشده أخشع ما یکون لربّه،

و ذلک أنّ الهدایه للرشد هی العلم بالطریق إلی اللّه تعالی فی جمیع ما عدّد من مکارم الأخلاق.

و العلم بالطریق المؤدّیه إلیه حین سلوکها یستلزم ملاحظه جلاله و عظمته و هناک یکون الخشوع الحقّ و الخشیه التامّه لقوله تعالی «إِنَّما یَخْشَی اللّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ» (۲).

الفصل السابع:

اشاره

قوله:

وَ اعْلَمْ أَنَّ أَمَامَکَ طَرِیقاً ذَا مَسَافَهٍ بَعِیدَهٍ- وَ مَشَقَّهٍ شَدِیدَهٍ- وَ أَنَّهُ لاَ غِنَی لَکَ فِیهِ عَنْ حُسْنِ الاِرْتِیَادِ- وَ قَدْرِ بَلاَغِکَ مِنَ الزَّادِ مَعَ خِفَّهِ الظَّهْرِ- فَلاَ تَحْمِلَنَّ عَلَی ظَهْرِکَ فَوْقَ طَاقَتِکَ- فَیَکُونَ ثِقْلُ ذَلِکَ وَبَالاً عَلَیْکَ- وَ إِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَهِ مَنْ یَحْمِلُ لَکَ زَادَکَ إِلَی یَوْمِ الْقِیَامَهِ- فَیُوَافِیکَ بِهِ غَداً حَیْثُ تَحْتَاجُ

۱- (۱) ۲۰-۳۱.

۲- ۲) ۲۵-۳۵.

إِلَيْـهِ- فَـاغْتَنِمْهُ وَ حَمِّلْهُ إِيَّاهُ- وَ أَكْثِرْ مِنْ تَزْوِيـدِهِ وَ أَنْتَ قَـادِرٌ عَلَيْهِ- فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلاَ تَجِدُهُ- وَ اغْتَنِمْ مَنِ اسْتَقْرَضَكَ فِى حَالِ غِنَاكَ- لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِى يَوْمِ عُسْرَتِكَ- وَ اعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَهً كَئُوداً- الْمُخِفُّ فِيهَا أَحْسَنُ حَالاً مِنَ الْمُثْقِلِ- وَ الْمُبْطِئُ عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالاً مِنَ الْمُسْرِعِ- وَ أَنَّ مَهْبِطَكَ بِهَا لاَ مَحَالَهَ- عَلَى جَنَّهٍ أَوْ عَلَى نَارٍ- فَارْتَدْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ وَ وَطِّئِ الْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ- فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ وَ لاَ إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ وَ اعْلَمْ أَنَّ الَّذِى بِيَدِهِ «خَزائِنُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» قَدْ أَذِنَ لَكَ فِى الدُّعَاءِ- وَ تَكَفَّلَ لَكَ بِالْإِجَابَهِ وَ أَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ- وَ تَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ- وَ لَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ- وَ لَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ وَ لَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَهِ- وَ لَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنِّقْمَهِ- وَ لَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضِيحَهُ بِكَ أَوْلَى- وَ لَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِى قَبُولِ الْإِنَابَهِ- وَ لَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَهِ- وَ لَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَهِ- بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَهً- وَ حَسَبَ سَيِّئَتَكَ وَاحِدَهً- وَ حَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْراً- وَ فَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ وَ بَابَ الِاسْتِعْتَابِ- فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاكَ- وَ إِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ- فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ- وَ أَبْثَثْتَهُ ذَاتَ نَفْسِكَ وَ شَكَوْتَ

إِلَيْهِ هُمُومَکَ- وَ اسْتَکْشَفْتَهُ کُرُوبَکَ وَ اسْتَعَنْتَهُ عَلَى أُمُورِکَ- وَ سَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لاَ يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ- مِنْ زِيَادَهِ الْأَعْمَارِ وَ صِحَّهِ الْأَبْدَانِ- وَ سَعَهِ الْأَرْزَاقِ- ثُمَّ جَعَلَ فِی يَدَيْکَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ- بِمَا أَذِنَ لَکَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ- فَمَتَى شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِهِ- وَ اسْتَمْطَرْتَ شَآبِيبَ رَحْمَتِهِ- فَلاَ يُقَنِّطَنَّکَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِهِ- فَإِنَّ الْعَطِيَّهَ عَلَى قَدْرِ النِّيَّهِ- وَ رُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْکَ الْإِجَابَهُ لِيَکُونَ ذَلِکَ أَعْظَمَ لِأَجْرِ السَّائِلِ- وَ أَجْزَلَ لِعَطَاءِ الْآمِلِ- وَ رُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّیْءَ فَلاَ تُؤْتَاهُ- وَ أُوتِيتَ خَيْراً مِنْهُ عَاجِلاً أَوْ آجِلاً- أَوْ صُرِفَ عَنْکَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَکَ- فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلاَکُ دِينِکَ لَوْ أُوتِيتَهُ- فَلْتَکُنْ مَسْأَلَتُکَ فِيمَا يَبْقَى لَکَ جَمَالُهُ- وَ يُنْفَى عَنْکَ وَبَالُهُ- فَالْمَالُ لاَ يَبْقَى لَکَ وَ لاَ تَبْقَى لَهُ

اللغه

أقول: الارتياد : الطلب .و الطوق و الطاقه : ما يتسع له قدرتک .و الوبال:

الهلاک .و کؤد : شاقّه المصعد .و النزوع عن الذنب. الخروج منه .و الإفضاء:

الوصول .و البثّ : النشر و الکشف .و الشآبيب : جمع شؤبوب و هو الدفعه من المطر .و القنوط : اليأس .و الاستعتاب : طلب العتبى و هى الرجوع إلى الرضا .

و فى الفصل مطالب :

الأول و الثانى

أحدها:الوصيّه بالسعى فى تحصيل الکمالات النفسانيّه الباقيه.

استعاره و الثانى:طرح الرذائل المنقّصه فتبهه على الأوّل بأن أمامه:أى فى سفره إلى اللّه طريقا طويلا شديدا،و ظاهر أنّ الطريق الّتى يکون لذلک لابدّ لسالکه

من حسن طلب القصد فيه إلى مطلوبه،و من قدر مبلغ له من الزاد،و استعار له لفظ الطريق لما يسير فيه الإنسان من أحوال الدنيا و يعبر منها إلى الآخره،و أشار بطولها و شدّتها إلى عسر النجاه فيها و السلامه من خطرها.إذ كان ذلك إنّما يكون بلزوم القصد و الثبات على سنن العدل و الاستقامه على حاقّ الوسط من مكارم الأخلاق.إذ علمت أنّ لكلّ من القوّه التميزيّه و الشهويّه و الغضبيّه حدّ يجب وقوف الإنسان عنده و هو العدل،و علمت أنّه أدقّ الحدود و أصبعها.إذ هو محتوش بطرفى تفريط و إفراط قلّ ما يسلم الإنسان من الوقوع فى أحدهما،و هما طريقا جهنّم.فبالحرى أن يكون طريقا ذا مسافه لا يصل الإنسان منها إلى غايته إلّا على بعد بعيد،و لا يحصل منها على خبير إلّا بجهد جهيد،و استعار لفظ الزاد للتقوى و الكمالات الّتى هى بلاغ الإنسان فى تلك الطريق إلى اللّه تعالى،و بهذا يكون النجاه فيها و الخلاص من مهالكها ، استعاره و نبّهه على الثانى بقوله: مع خفّه الظهر.إلى قوله:

وبالا عليك .و استعار لفظ الخفّه لتقليل اكتساب الآثام و حملها على النفس،و لفظ الحمل لاكتسابها،و وجه الاستعاره الاولى:أنّ مقلّل الآثام سريع القطع لتلك الطريق قريب إلى النجاه فيها من مخاوفها كما قال عليه السّلام:تخفّفوا تلحقوا.و كما أشار إليه الرسول صلّى اللّه عليه و آله:نجا المخفّون.و وجه الثانيه:أنّ مكتسب الآثام يثقل بها و يبطئ عن لحوق المخفّين و يهلك بها فى طريقه،و كثره تخلّفه تابعه لكثره اكتسابه كما يكون حال المثقل فى الطريق البعيده،و لفظ الظهر ترشيح المطلوب .

الثالث:التنبيه على وجوب إنفاق المال فى وجوه الصدقه و البرّ

لمن يحتاج إليه من أهل الفاقه،و ذلك قوله:و إذا وجدت.إلى قوله:عسرتك.و جذبه و أعدّه لذلك بأمرين:

استعاره أحدهما:كون ذلك زادا يحمله ذو الفاقه إلى يوم القيامه،و يلقاه به هناك فى موضع الحاجه إليه.و استعار لفظ الزاد هنا لما يحصل من فضيله السخا و الكرم بالإنفاق،و وجه الاستعاره كونه سببا لسلامه النفس من الهلاك فى طريق الآخره و وسيله إلى السعاده الباقيه كالزاد المخلص للمسافر فى طريقه و المبلّغ له إلى مطالبه،

ص:۳۲

و استعار للمتصدّق عليه وصف الحامل لذلك الزاد باعتبار أنّه سبب لحصول الفضيله بتلك الصدقه و وصول ثوابها إلى المتصدّق يوم القيامه فوجدانه لتلك الفضيله و ظهورها فى صحيفه أعمال المتصدّق يوم القيامه هو المشار إليه بالموافات بها غدا .

ثمّ أمره أن يغتنم ذا الفاقه عند وجدانه،و أن يحمله ذلك الزاد و يكثر من تزويده و تحميله للزاد حينما هو قادر على تحصيله،و جذب إلى اغتنامه و المسارعه إلى الصدقه بقوله:فلعلّك تطلبه فلا تجده.لأنّ الوسيله إلى أمر عظيم إذا كان فى معرض أن يطلب فلا توجد ثمّ وجدت فى وقت فمن الواجب أن يغتنم تحصيلها و لا تهمل.

الثانى:كون الصدقه.على ذى الفاقه قرضا للمتصدّق فى حال غناه بالمال يقضى له يوم عسرته و فقره،و استعار وصف المستقرض هنا للّه باعتبار أنّه هو المجازى بالثواب من أنفق ماله فى طاعته،و إليه الإشاره بقوله تعالى «إِنْ تُقْرِضُوا اللّهَ» «مِنْ بَنِی إِسْرائِیلَ مِنْ بَعْدِ مُوسی» (۱)و نبّه بكون القرض فى حال الغناء،و القضاء فى حال العسره ليكون القضاء أفضل فيرغب فى القرض لغايه الربح المطلوب .

الرابع:

استعاره التنبيه على شدّه طريق الآخره و على وجوب الاستعداد لها بالخفّه من حمل الآثام و السرعه فيها قبل انقضاء الأيّام،و استعار لفظ العقبه لما فيها من الصعود و الارتقاء فى درجات الكمال بالفضائل عن مهابط الرذائل،و وصفها بشدّه الصعود باعتبار ما فى ذلك الارتقاء من التعسّر و كثره الموانع .

و جذب إلى الاستعداد بامور ثلاثه:

أحدها:كون المخفّ فيها أحسن حالا من المثقل،و هو ظاهر كما قدّمناه.

الثانى:كون المبطئ فيها أقبح حالا من المسرع و هو أيضا ظاهر.إذ كان المبطئ فيها واقفا فى أحد طرفى الإفراط و التفريط مشغولا بما يلهيه ملتفتا عمّا يعينه حتّى إذا تصرّم أجله بقى فى مهاوى الهلاك أسيرا و على ما فاته من سرعه السير حسيرا.

مجاز الثالث:ذكر الغايتين منها و هى الجنّه و النار.و أنّه لا بدّ من تأديتها و هبوطها

۱- ۱) ۲۴۶-۲.

بسالكها على أحدهما،و هو ظاظر.أيضا فإنّ خوض الإنسان فى أحوال الدنيا و التصرّف فيها إلى غايه انقطاعها و وصول الآخره إمّا أن يكون على وجه القصد،و لزوم سمت القبله الحقيقيّه و تجنّب طريق طرفى الإفراط و التفريط و بذلك يكون هجوم تلك الطريق و هبوطها بسالكها على الجنّه،و إمّا أن يكون على وجه الانحراف عن ذلك القصد،و التعريج عنه إلى ما فى تلك الطريق من مناهى اللّه و أبواب محارمه،و بذلك يكون هبوطها بسالكها على النار،و نسبه الهبوط إليها مجاز باعتبار تأدّيها إلى إحدى الغايتين كالهابط بالشىء ليوصله إلى قراره .ثمّ أمره أن يرتاد لنفسه و يطلب ما يكون سببا لنجاته فيها و حسن حاله قبل نزول أحد المنزلين الّذين هما غاياتها ليكون هبوطها به على الجنّه،و أن يوطّئ المنزل الّذى يريد سكناه بالاستعداد له.

و روى:يوطّن-بالنون-أى يتّخذه وطنا .

المطلوب الخامس:التنبيه على الدعاء و الترغيب فيه

،و سرّه دوام ملاحظه جلال اللّه و الانقطاع إليه.إذ هو مبدء كلّ محبوب و معطى كلّ مطلوب.

و رغّب فى ذلك بامور:

أحدها:أنّ بيده تعالى «خَزائِنُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» ،

و هو فى قوّه صغرى ضمير تقدير كبراه:و كلّ من كان كذلك كان أحقّ بالرغبه إليه من كلّ أحد.

الثانى:أنّه تعالى أذن فى الدعاء و تكفّل بالإجابه

فقال «ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ» (۱)و تقدير الكبرى فكالأوّل.

الثالث:انّه أمر الخلق أن يسألوه ليعطيهم

فى قوله تعالى «وَ سْئَلُوا اللّهَ مِنْ فَضْلِهِ» (۲)و كذلك أن يطلبوا منه الرحمه ليرحمهم،و ذلك أنّ إفاضه الرزق و الرحمه و كلّ فضل منه إنّما يوجد بعد الاستعداد له بالاخلاص فى الطلب و الاسترحام و غيره كما علم فى مظانّه،و تقدير الكبرى:و كلّ من كان كذلك فواجب أن يسأل و يسترحم.

الرابع:أنّه لم يجعل بينه و بين الراغب إليه حاجبا

و لا بوّابا لتقدّسه سبحانه

۱- ۱) ۶۳-۴۰.

۲- ۲) ۳۶-۴.

عن الجسميّه و الجهه و صفات المحدثات بل تجلّی فی کلّ شیء لکلّ من فتح عین بصیرته و وجّهها إلی مطالعه کبریائه و عظمته،و تقدیر الکبری:و کلّ من کان کذلک فهو أولی من یسئل و یسترحم.

الخامس:أنه لم یلجئه إلی من یشفع إلیه

لأنّ الشفیع إنّما یضطرّ إلیه عند تعذّر المطلوب من جهه المرغوب إلیه إمّا لبخله أو جهله باستحقاق الطالب.و الباری تعالی لا بخل فیه و لا منع من جهته،و إنّما یتوقّف فیضه علی استعداد الطالب له و لم یجعل سبحانه للراغبین إلیه ضروره إلی الشفعاء.إذ مکّنهم من الاستعداد لنیل مطلوباتهم منه و هیّأ لهم أسبابها و فتح لهم أبواب رحمته فإن عرضت لهم حاجه إلی شفیع فلیس ذلک عن ضروره و إلجاء منه إلی ذلک .

السادس:أنّه لم یمنعه إن أساء من التوبه

بل أمره بها و وعده علیها فقال:

«یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَی اللّهِ تَوْبَهً نَصُوحاً عَسی رَبُّکُمْ أَنْ یُکَفِّرَ عَنْکُمْ سَیِّئاتِکُمْ وَ یُدْخِلَکُمْ» الجنه و قال بعد أن عدّد الکبائر و توعّد علیها: «إِلاّ مَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ عَمَلاً صالِحاً فَأُوْلئِکَ یُبَدِّلُ اللّهُ سَیِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ» الآیه.

السابع:أنّه لم یعاجله بالنقمه

مع اطّلاعه علیه حین معصیته و لم یفضحه فی مقامه الّذی تعرّض فیه للفضیحه بل أمهله علی ظلمه و أسبل علیه ستر کرمه و حلمه.

الثامن:أنّه یشدّد علیه فی قبول الإنابه

و الرجوع إلیه کما یفعله الملوک فی حقّ من أساء و طلب الإقاله،و لم یناقشه بجریمته و ذنبه فیستقصی فی حسابه بل سهل علیه فی ذلک و قبل توبته متی شاء لأنّه تعالی لا مضرّه علیه بإساءه مسیء و لا نفع یصل إلیه من إنابه منیب.إذ هو الغنیّ المطلق.

التاسع:أنّه لم یؤیسه من الرحمه

حیث قال «یا عِبادِیَ الَّذِینَ أَسْرَفُوا عَلی أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَهِ اللّهِ» .الآیه .

العاشر:أنّه جعل نزوعه عن ذنبه

و توبته منه حسنه حیث قال بعد ذکر التوبه «فَأُوْلئِکَ یُبَدِّلُ اللّهُ سَیِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ» ،و حسب سیّئته واحده و حسنته عشرا حیث قال «مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَهِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها وَ مَنْ جاءَ بِالسَّیِّئَهِ فَلا یُجْزی إِلاّ مِثْلَها» .

ص:۳۵

الحادی عشر:کونه فتح له باب المتاب

حیث قال: «غافِرِ الذَّنْبِ وَ قابِلِ التَّوْبِ» «وَ هُوَ الَّذِی یَقْبَلُ التَّوْبَهَ عَنْ عِبادِهِ وَ یَعْفُوا عَنِ السَّیِّئاتِ» ،و باب الاستعتاب حیث أمره و أرشده إلی طلب الرضا عنه بعد توبته .

الثانی عشر:کونه إذا ناداه سمع ندائه

لقوله تعالی «إِنَّ رَبِّی لَسَمِیعُ الدُّعاءِ» (۱)و إذا ناجاه علم نجواه لقوله تعالی «یَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفی» (۲)فأوصل إلیه حاجته إن شاء سرّا و إن شاء جهرا ،و طلب منه إعانته علی أموره،و نشر له ما کان فی نفسه من مهماته،و سأله کشف کروبه.فوهب له من خزائن رحمته ما لا یقدر علی إعطائه غیره من زیاده الأعمار،و صحّه الأبدان،و سعه الأرزاق .

الثالث عشر:

استعاره أنّه جعل فی یدیه مفاتیح خزائنه بما أدّت له من مسئلته ،و استعار لفظ المفاتیح للأدعیه باعتبار أنّها أسباب لتحصیل النعمه و کمال الرحمه متی شاء استفتح بها أبواب خزائنها،و کذلک استعار لفظ الأبواب لأسباب جزئیّات النعم الواصله إلی العبد.و خزائن نعمه هی «خَزائِنُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» .إذ الکلّ منه و بیده،و یحتمل أن یشیر بها إلی المعقول من سماء جوده و ما یحویه قدرته من الخیرات الممکنه ، استعاره مرشحه و استعار وصف الاستمطار لطلب نعم اللّه تعالی ملاحظه لشبهها بالمطر فی کونهما سببین للحیاه و صلاح الحال فی الدنیا و یشبه طالبیهما بالمستمطر،و رشّح بذکر الشآبیب، و تقدیر الکبری فی کلّ واحد من هذه الضمائر:و کلّ من کان کذلک فهو أحقّ بأن یرغب إلیه و یوجّه الطلب نحوه ،و أعلم أنّه لمّا رغّبه فی الدعاء بهذه الجواذب نبّهه علی أنّ الإجابه فی الدعاء قد تبطیء و تتأخّر.

ثمّ عدّد ما یصلح أسبابا لتأخّرها

لیلحظها عند تأخّرها فلا یقنط منها:

أحدها:أنّ العطیّه علی قدر النیّه

:أی أنّ الإجابه موقوفه علی الاستعداد بإخلاص النیّه فإذا تأخّرت الإجابه فلعلّ تأخّرها لأنّ النیّه لم تکن خالصه.

الثانی:أنّها ربّما أخّرت لعلم اللّه تعالی أنّ تأخیرها من أسباب استعداد السائل

۱- ۱) ۴۲-۱۴.

۲- ۲) ۷-۲۰.

و المؤمّل استعدادا أعلى لعطاء ما هو أعلى و أشرف ممّا سأل فيعطاه عند كمال استعداده لأنّه على قدر أهل العزم يأتى العزائم،و بقدر الكدّ يكتسب المعالى .

الثالث:أنّ المطلوب قد لا يكون فيه مصلحه للعبد

لاشتماله على مفسده فى دينه لو اعطى إيّاه كالغنى و الجاه مثلا و ساير المطالب الدنيويّه الخالصه فلا يجيب اللّه سؤاله فيه بل يعطيه خيرا منه إمّا فى عاجل دنياه أو فى آجل آخرته و يصرف ذلك الأمر عنه لما هو مصلحه له أو خير.ثمّ ختم ذلك بتعريفه مواقع مسألته للّه و ما ينبغى أن يسأله إيّاه و هو ما يبقى له جماله و يبقى عنه وباله من التوفيق لأسباب السعاده الباقيه و جميل الاحدوثه فى الأعقاب دون المال.

الفصل الثامن:

اشاره

قوله:

وَ اعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلْآخِرَهِ لاَ لِلدُّنْيَا- وَ لِلْفَنَاءِ لاَ لِلْبَقَاءِ وَ لِلْمَوْتِ لاَ لِلْحَيَاهِ- وَ أَنَّكَ فِى مَنْزِلِ قُلْعَهٍ وَ دَارِ بُلْغَهٍ- وَ طَرِيقٍ إِلَى الْآخِرَهِ- وَ أَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذِى لاَ يَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ-وَ لاَ يَفُوتُهُ طَالِبُهُ وَ لاَ بُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرِ أَنْ يُدْرِكَكَ وَ أَنْتَ عَلَى حَالٍ سَيِّئَهٍ- قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَهِ- فَيَحُولَ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ ذَلِكَ- فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ يَا بُنَيَّ أَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَ ذِكْرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ- وَ تُفْضِى بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ- حَتَّى يَأْتِيَكَ وَ قَدْ أَخَذْتَ مِنْهُ حِذْرَكَ- وَ شَدَدْتَ لَهُ أَزْرَكَ- وَ لاَ يَأْتِيَكَ بَغْتَهً فَيَبْهَرَكَ- وَ إِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلاَدِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا- وَ تَكَالُبِهِمْ عَلَيْهَا فَقَدْ نَبَّأَكَ اللَّهُ عَنْهَا- وَ نَعَتْ لَكَ نَفْسَهَا وَ تَكَشَّفَتْ

لَکَ عَنْ مَسَاوِیهَا- فَإِنَّمَا أَهْلُهَا کِلاَبٌ عَاوِیَهٌ وَ سِبَاعٌ ضَارِیَهٌ- یَهِرُّ بَعْضُهَا بَعْضًا وَ یَأْکُلُ عَزِیزُهَا ذَلِیلَهَا- وَ یَقْهَرُ کَبِیرُهَا صَغِیرَهَا- نَعَمٌ مُعَقَّلَهٌ وَ أُخْرَی مُهْمَلَهٌ- قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا وَ رَکِبَتْ مَجْهُولَهَا- سُرُوحُ عَاهَهٍ بِوَادٍ وَعْثٍ- لَیْسَ لَهَا رَاعٍ یُقِیمُهَا وَ لاَ مُسِیمٌ یُسِیمُهَا- سَلَکَتْ بِهِمُ الدُّنْیَا طَرِیقَ الْعَمَی- وَ أَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ الْهُدَی- فَتَاهُوا فِی حَیْرَتِهَا وَ غَرِقُوا فِی نِعْمَتِهَا- وَ اتَّخَذُوهَا رَبّاً فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَ لَعِبُوا بِهَا- وَ نَسُوا مَا وَرَاءَهَا- رُوَیْداً یُسْفِرُ الظَّلاَمُ- کَأَنْ قَدْ وَرَدَتِ الْأَظْعَانُ- یُوشِکُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ یَلْحَقَ

اللغه

أقول: منزل قلعه : لا یصلح للاستیطان .و البلغه : ما تبلغ به من العیش .

الأزر : القوّه .و یبهّره : غلبه و أتعبه،و أصل البهر تتابع النفس عن التعب .و أخلد إلی کذا : استند إلیه .و التکالب : التواثب .و المساوی : المعایب .و الضراوه.

تعوّد الصید و الجرأه علیه .و المعقّله : المقیّده .و المجهول و المجهل : المفازه الّتی لا أعلام فیها .و واد وعث : لا یثبت به خفّ و لا حافر لکثره سهولته .و المسیم : الراعی .

المعنی

اشاره

و قد نبّهه فی هذه الفصل علی امور:

أحدها:أنّ العلّه الغائیّه من خلقه و وجوده هی الآخره دون الدنیا و الموت

و الفناء دون الحیاه و البقاء،

و هذه الامور علل عرضیّه من وجود الإنسان لکونها من ضرورات وجوده،و أمّا العلّه الحقیقیّه الاولی من وجوده فهی استکماله و وصوله إلی حضره ربّه طاهرا عن علایق الدنیا،و ذکره بهذه الغایات الّتی یجزم بالوصول إلیها لیعمل لها و لما بعد الموت،و یقلّ العرجه علی الدنیا و عمارتها و لا یرکن إلی البقاء فیها لکونها امورا عرضیّه زایله.

الثانی:نبّهه بکون الدنیا منزل قلعه

علی أنّها منزل عبور لم یخلق للاستیطان و الإقامه،و بکونها دار بلغه علی أنّها إنّما خلقت لیتّخذ منها الإنسان بلاغا للوصول إلی الآخره و زادا لکونها طریقا إلیها.

الثالث:

استعاره نبّهه علی أنّه طرید الموت ،و استعار له لفظ الطرید ملاحظه لشبهه بالصید یطرده السبع و غیره .ثمّ وصف الموت بکونه لا ینجو منه هارب و لا بدّ أنّه مدرکه تحذیرا منه و جذبا إلی الاستعداد له بطاعته المقاومه لأهواله و شدایده،و لذلک قال:فکن منه علی حذر.إلی قوله:نفسک:أی ببقائک علی الحال السیّئه تحدّث نفسک فیها بالتوبه إلی أن یدرکک،و یحول عطف علی یدرکک،و إذا للمفاجاه .

الرابع:أمره بالإکثار من ذکر الموت و ما یهجم علیه

فإنّ ذلک یستلزم العبره و الانزجار و الأخذ فی الاهبّه و الاستعداد له و لما بعده،و لذلک قال:حتّی یأتیک و قد أخذت منه حذرک و شددت له قوّتک:أی بالکمالات الّتی استعددت بها و لا یأتیک بغته فیتبعک،و قوله:و لا یأتیک عطف علی قوله:حتّی یأتیک،و الواو فی قوله:و قد للحال،و کذلک بغته حال و یبهّرک منصوب بإضمار أن بعد الفاء فی جواب النفی .

الخامس:نهاه أن یغترّ باستناد أهل الدنیا إلیها و تواثبهم علیها،

و نبّهه علی أنّه لا ینبغی له ذلک الاغترار بقیاسات ضمیر.

فقوله: فقد نبّأک اللّه .إلی قوله: عنها .

هو صغری القیاس الأوّل کقوله تعالی «وَ مَا الْحَیاهُ الدُّنْیا إِلاّ لَعِبٌ وَ لَهْوٌ» (۱)فی مواضع کثیره من کتابه العزیز و قوله «إِنَّما» «الْحَیاهِ الدُّنْیا کَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ» (۲)الآیه و أمثاله.

و قوله: و نعت لک نفسها .

ص:۳۹

۱- ۱) ۳۳-۶.

۲- ۲) ۲۵-۱۰.

صغرى القياس الثانى،و روى:و نعت.بمعنى أنّ اللّه وصفها له،و معنى نعتها لنفسها وصفها بلسان حالها لنفسها،و بيان أنّها محلّ الهموم و الغموم و الأعراض و الأمراض و دار كلّ بلاء و منزل كلّ فتنه .

و قوله: و إنّما أهلها .إلى آخره.

صغرى القياس الثالث،و تقدير الكبرى فى القياس الأوّل:و كلّ من أخبر اللّه تعالى عنه بذلك فلا ينبغى أن يغترّ به،و تقديرها فى الثانى:و كلّ من وصف نفسه كذلك فلا ينبغى أن يغترّ به،و تقديرها فى الثالث:و كلّ من كان كذلك فلا ينبغى أن يغترّ بفعله،و اعلم أنّه أشار فى هذين المثلين إلى قسمه أهل الدنيا أوّلا-بقسمين بحسب اعتبار قواهم الغضبيّه و الشهويّه و اتّباعهم لها:أى فمنهم من اتّبع قوّته الغضبيّه و أعطاها مقتضاها،و منهم من اتّبع قوّته الشهويّه و استرسل فى قيادها و غفل عمّا خلق لأجله،و ضرب المثل للأوّلين بالكلاب العاويه و السباع الضاريه.

استعاره و أشار إلى وجه مطابقه المثل بقوله: يهرّ.إلى قوله:صغيرها .و وصف الهرير مستعار لتنازعهم عليها،و كذلك لفظ الأكل لغلبه بعضهم على بعض.و ضرب للآخرين مثل النعم باعتبار غفلتهم عمّا يراد بهم كالبهائم ،ثمّ قسّم هؤلاء إلى قسمين:معقّله و مهمله ، استعاره و استعار لفظ المعقّله للذين تمسّكوا بظواهر الشريعه و الإمام العادل فقيّدهم بالدين عن الاسترسال فى اتّباع الشهوات و الانهماك فيها و إن لم يعقلوا أسرار الشريعه فهم كالنعم الّتى عقّلها راعيها ،و أشار بالمهمله إلى الّذين استرسلوا فى اتّباع شهواتهم و خرجوا عن طاعه إمامهم و لم يتعبّدوا بأوامره فهم كالبهائم المرسله.

و أشار إلى وجه المشابهه بقوله: الّتى أضلّت عقولها .إلى آخره،و يحتمل أن يريد بعقولها عقلها جمع عقال فأشبع الضمّه و قلّبها واوا متابعه لقوله:مجهولها،و يحتمل أن يريد به جمع عقل و هو الملجأ:أى أنّها ضيّعت من يلجأ إليه،و هو أمامها،و وجه مطابقه هذا المثل أنّ هؤلاء فى عدم انتفاعهم بعقولهم و ركوبهم لأهوائهم الفاسده و شروعهم فى مشتهياتهم الدنيويّه مكتسبين للرذائل و العاهات النفسانيّه ليس لهم إمام يقيمهم على طاعه اللّه فى طرق الهدى إلى مكارم الأخلاق قد أشبهوا النعم المهمله الّتى أضلّت عقلها و ركبت

المفازه فهى سروح متردّده متحيّره بواد و عث ليس لها راع يرعاها و يقيمها إلى المرعى،و روى سروح آفه:أى فهى سارحه عن آفه قد خرجت بها عن الانتفاع.

و الروايه الثانيه أقرب إلى الصواب .و أراد بطرق العمى طرق الجهل و مسالك الباطل الّتى لا يهتدى فيها لشىء كما لا يهتدى الأعمى للطريق،و نسب السلوك بهم إليها باعتبار أنّها سبب لغرورهم و غفلتهم عمّا ورائهم،و كذلك أخذها بأبصارهم:أى بأبصار عقولهم عن منازل الهدى و هى آيات اللّه و منازل الطريق إليه،و أشار بتيههم فى حيرتها إلى ضلالهم عن طرق الحقّ، استعاره و استعار لفظ الغرق باعتبار استيلاء نعيمها على عقولهم و تملّكه لها كما يستولى الماء على الغريق،و اتّخاذهم لها ربّا باعتبار خدمتهم لها.فلعبت بهم إذ كانوا عبيدا لها،و لعبوا بها إذ اشتغلوا بها غير منتفعين،و ضيّعوا ما الأولى بهم فعله،و نسوا ما وراءها ممّا خلقوا لأجله .

الفصل التاسع:

اشاره

قوله:

وَ اعْلَمْ يَا بُنَيَّ- أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيَّتُهُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ- فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَ إِنْ كَانَ وَاقِفاً- وَ يَقْطَعُ الْمَسَافَهَ وَ إِنْ كَانَ مُقِيماً وَادِعاً- وَ اعْلَمْ يَقِيناً أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمَلَكَ وَ لَنْ تَعْدُوَ أَجَلَكَ- وَ أَنَّكَ فِی سَبِيلِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ- فَخَفِّضْ فِی الطَّلَبِ وَ أَجْمِلْ فِی الْمُكْتَسَبِ- فَإِنَّهُ رُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرَبٍ- وَ لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ- وَ لاَ كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ- وَ أَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّهٍ- وَ إِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرَّغَائِبِ- فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضاً- وَ لاَ تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَ قَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرّاً- وَ مَا خَيْرُ خَيْرٍ لاَ يُنَالُ إِلاَّ بِشَرٍّ- وَ يُسْرٍ لاَ يُنَالُ إِلاَّ بِعُسْرٍ-

وَ إِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ - فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ الْهَلَكَهِ- وَ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَلاَّ يَكُونَ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ اللَّهِ ذُو نِعْمَهٍ فَافْعَلْ- فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ قَسْمَكَ وَ آخِذٌ سَهْمَكَ- وَ إِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَعْظَمُ وَ أَكْرَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ- وَ إِنْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُ وَ تَلاَفِيكَ مَا فَرَطَ مِنْ صَمْتِكَ- أَيْسَرُ مِنْ إِدْرَاكِكَ مَا فَاتَ مِنْ مَنْطِقِكَ- وَ حِفْظُ مَا فِي الْوِعَاءِ بِشَدِّ الْوِكَاءِ- وَ حِفْظُ مَا فِي يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ مَا فِي يَدَيْ غَيْرِكَ- وَ مَرَارَهُ الْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ- وَ الْحِرْفَهُ مَعَ الْعِفَّهِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ- وَ الْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّهِ وَ رُبَّ سَاعٍ فِيمَا يَضُرُّهُ- مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ وَ مَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ- قَارِنْ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ- وَ بَايِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ- بِئْسَ الطَّعَامُ الْحَرَامُ- وَ ظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ- إِذَا كَانَ الرِّفْقُ خُرْقاً كَانَ الْخُرْقُ رِفْقاً- رُبَّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً وَ الدَّاءُ دَوَاءً- وَ رُبَّمَا نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ وَ غَشَّ الْمُسْتَنْصَحُ- وَ إِيَّاكَ وَ الاِتِّكَالَ عَلَى الْمُنَى فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النَّوْكَى- وَ الْعَقْلُ حِفْظُ التَّجَارِبِ- وَ خَيْرُ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعَظَكَ- بَادِرِ الْفُرْصَهَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّهً- لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ وَ لاَ كُلُّ غَائِبٍ يَئُوبُ- وَ مِنَ الْفَسَادِ إِضَاعَهُ الزَّادِ وَ مَفْسَدَهُ الْمَعَادِ- وَ لِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَهٌ

ص:۴۲

سَوْفَ یَأْتِیکَ مَا قُدِّرَ لَکَ- التَّاجِرُ مُخَاطِرٌ وَ رُبَّ یَسِیرٍ أَنْمَی مِنْ کَثِیرٍ لاَ خَیْرَ فِی مُعِینٍ مَهِینٍ وَ لاَ فِی صَدِیقٍ ظَنِینٍ- سَاهِلِ الدَّهْرَ مَا ذَلَّ لَکَ قَعُودُهُ- وَ لاَ تُخَاطِرْ بِشَیْءٍ رَجَاءَ أَکْثَرَ مِنْهُ- وَ إِیَّاکَ أَنْ تَجْمَحَ بِکَ مَطِیَّهُ اللَّجَاجِ- احْمِلْ نَفْسَکَ مِنْ أَخِیکَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلَی الصِّلَهِ- وَ عِنْدَ صُدُودِهِ عَلَی اللَّطَفِ وَ الْمُقَارَبَهِ- وَ عِنْدَ جُمُودِهِ عَلَی الْبَذْلِ- وَ عِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَی الدُّنُوِّ- وَ عِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَی اللِّینِ- وَ عِنْدَ جُرْمِهِ عَلَی الْعُذْرِ- حَتَّی کَأَنَّکَ لَهُ عَبْدٌ وَ کَأَنَّهُ ذُو نِعْمَهٍ عَلَیْکَ- وَ إِیَّاکَ أَنْ تَضَعَ ذَلِکَ فِی غَیْرِ مَوْضِعِهِ- أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَیْرِ أَهْلِهِ- لاَ تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِیقِکَ صَدِیقاً فَتُعَادِیَ صَدِیقَکَ- وَ امْحَضْ أَخَاکَ النَّصِیحَهَ- حَسَنَهً کَانَتْ أَوْ قَبِیحَهً- وَ تَجَرَّعِ الْغَیْظَ فَإِنِّی لَمْ أَرَ جُرْعَهً أَحْلَی مِنْهَا عَاقِبَهً- وَ لاَ أَلَذَّ مَغَبَّهً- وَ لِنْ لِمَنْ غَالَظَکَ فَإِنَّهُ یُوشِکُ أَنْ یَلِینَ لَکَ- وَ خُذْ عَلَی عَدُوِّکَ بِالْفَضْلِ فَإِنَّهُ أَحْلَی الظَّفَرَیْنِ- وَ إِنْ أَرَدْتَ قَطِیعَهَ أَخِیکَ فَاسْتَبْقِ لَهُ مِنْ نَفْسِکَ- بَقِیَّهً یَرْجِعُ إِلَیْهَا إِنْ بَدَا لَهُ ذَلِکَ یَوْماً مَا- وَ مَنْ ظَنَّ بِکَ خَیْراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ- وَ لاَ تُضِیعَنَّ حَقَّ أَخِیکَ اتِّکَالاً عَلَی مَا بَیْنَکَ وَ بَیْنَهُ- فَإِنَّهُ لَیْسَ لَکَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ- وَ لاَ یَکُنْ أَهْلُکَ أَشْقَی الْخَلْقِ بِکَ- وَ لاَ تَرْغَبَنَّ فِیمَنْ زَهِدَ عَنْکَ- وَ لاَ یَکُونَنَّ أَخُوکَ عَلَی مُقَاطَعَتِکَ أَقْوَی مِنْکَ عَلَی صِلَتِهِ- وَ لاَ تَکُونَنَّ عَلَی الْإِسَاءَهِ أَقْوَی مِنْکَ عَلَی

الْإِحْسَانِ- وَ لاَ يَكْبُرَنَّ عَلَيْکَ ظُلْمُ مَنْ ظَلَمَکَ- فَإِنَّهُ يَسْعَى فِی مَضَرَّتِهِ وَ نَفْعِکَ- وَ لَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّکَ أَنْ تَسُوءَهُ

اللغه

أقول: تعدوه : تجاوزه .و التخفيض : التسهيل على النفس .و الحرب : سلب المال .و الإجمال فی الطلب : التسهيل فيه حتّى يكون جميلا .و أوجفت: أسرعت .

و المناهل : المعاطش .و الحرفه : الضيق فی الرزق و الحرمان .و أهجر الرجل : إذا أفحش فی منطقه .و الرفق : اللين.و ضدّه الخرق .و النوكی : الحمقی،جمع أنوك .

و الفرصه : وقت الإمكان .و الظنين : المتّهم .و الصرم : القطع .و محضه النصيحه:

أخلصها له .و المغبّه : العاقبه .

و قد اشتمل هذا الفصل على الوصيّه بلطائف من الحكمه العمليّه و مكارم

اشاره

الأخلاق الّتی بها ينتظم أمر المعاش و المعاد،

و صدّره بالتنبيه على ضروره الموت

ليبنی عليه ما يريد أن يوصيه به من مفردات الحكم.و ذلك التنبيه بأمرين:

أحدهما:

استعاره أنّ الإنسان فی مدّه عمره مسافر إلى الآخره و أنّ ذلك السفر ليس على مطايا محسوسه و لا فی طرق محسوسه بل المطيّه فيه الليل و النهار،و استعار لفظ المطيّه باعتبار أنّهما أجزاء اعتباريّه للزمان يعقّب بعضها بعضا و ينقضی بانقضائها الزمان فينتقل الشخص بحسبها فی منازل مدّته المضروبه المقدّره له منه إلى أن تفنى مدّته و يتمّ سفره إلى الآخره كما ينتقل فی منازل طريقه المحسوسه إلى أن يتمّ سفره فيها،و كذلك لفظ المسافه مستعار لمدّته المضروبه،و لذلك كان سير الزمان به سيرا اعتباريّا و إن كان واقفا وقوفه المتعارف و يقطع مسافه أجله راكبا تلك المطايا و إن كان وادعا قارّا قراره الحسّی .

الثانی:أمره أن يعلم يقينا أنّه لن يبلغ أمله.

و ذلك أنّ الإنسان أبدا فی توجيه أمله فی المطالب كلّما حصل مطلوب منها أو أفسد وجه أمله فيه وجّهه إلى مطلوب آخر و إن اختلفت المطالب،فالأمل أبدا متوجّه إلى مطلوب ما ليس مدركا

فى الحال،و الإحاله فى ذلک على الوجدان.فإذن ليس کلّ بمدرک،و کذلک لا يمکن أن يتجاوز الإنسان أجله المضروب له و إلّا لما کان أجلا له.و هذان الأمران فى قوّه صغريين لقياسى ضمير من الشکل الأوّل،و تقدير کبرى الأوّل:و کلّ من يسرى به کذلک فيوشک أن ينقطع مدّته و يصل إلى الآخره،و تقدير کبرى الثانى:و کلّ من لا يبلغ أمله و لا يتجاوز أجله و هو سالک بطريق من کان قبله فيوشک أن يلحق بهم،و لمّا نبّه على ضروره مفارقه الدنيا و الوصول إلى الآخره رتّب على ذلک الوصيّه بالحکم المذکوره، و ذکر منها جمله:

الاولى:أن يخفّض فى طلب الدنيا و لا يحرص عليها

بل يجعل طلبه لها بقدر حاجته إليها.

الثانى:أن يفعل الجميل فيما يکتسبه منها

،و ذلک أن يضع کلّ شىء منه موضعه فيمسک منه قدر ضرورته و ينفق فاضله فى وجوه البرّ و مصارف القربه،و يحتمل أن يريد بالمکتسب الاکتساب فأطلق اسم المفعول على المصدر مجازا،و نحوه قول الرسول صلّى اللّه عليه و آله:إنّ روح القدس نفث فى روعى أنّه لن يموت نفس حتّى يستکمل رزقها فأجملوا فى الطلب.

الثالث و قوله:فإنّه ربّ طلب.إلى قوله:محروم.

تنفير عن الخوض فى الطلب بامور ثلاثه:

أحدها:أنّه قد تجرّ إلى الحرب،

و ذلک کما شوهد فى وقتنا أنّ تاجرا کان رأس ماله سبعه عشر دينارا فسافر بها إلى الهند مرارا حتّى بلغت سبعه عشر ألفا فعزم حينئذ على ترک السفر و الاکتفاء بما رزقه اللّه فسوّلت له نفسه الأمّاره بالسوء فى العود،و حبّبت إليه الزياده فعاود السفر فلم يلبث أن خرجت عليه السرّاق فى البحر فأخذوا جميع ما کان معه فرجع و قد حرب ماله.و ذلک ثمره الحرص المذموم.

و هو فى تقدير صغرى ضمير،و تقدير کبراه:و کلّ ما جرّ إلى الحرب فلا ينبغى أن يحرص عليه.

ص:۴۵

الثانی:قوله:و لیس کلّ طالب بمرزوق

،و هو تمثیل نبّه فیه علی أنّ الطلب علی الحرمان فی بعض الطالبین حتّی یقیس نفسه علیه فلا یحرس فی الطلب.

الثالث:قوله:و لا کلّ مجمل بمحروم.

تنبیه علی تمثیل آخر کذلک نبّه فیه علی أنّ الإجمال علّه للرزق فی بعض الناس لیقیس نفسه علیه فیجمل فی الطلب .

الرابع:أن یکرم نفسه عن کلّ دنیّه و إن استلزمت وصوله إلی ما یرغب فیه

و یتنافس علیه،و ذلک کأن یکذب مثلا أو یغدر لیصل إلی الملک و نحوه،و الإکرام لها عن ذلک یستلزم فضائل کالسخاء و المروّه و کبر الهمّه.إذ کلّ واحد من رذیله البخل و النذاله و صغر الهمّه یستلزم مقارفه الدنیّه بقوله:فإنّک.إلی قوله:عوضا:

أی أنّ ما تبذله من نفسک من الفضیله و تعدل عنه إلی الرذیله لا یقاومه عند اللّه و عند أهل الفضائل من خلقه شیء و إن جلّ،و لا یکون لک عنه عوض.و هو فی قوّه صغری ضمیر تقدیر کبراه:و کلّ ما لا یحصل له عوض یقابله و یساویه فلا ینبغی أن یبذل فی مقارفه الدنایا.

الخامس:أن لا یکون عبد غیره:

أی لا یجعل لغیره علیه فضل إحسان یسأله إیّاه فیسترقّه به،و یستوجب بذلک علی نفسه خدمته و الاشتغال بشکره عن اللّه.

و قوله:و قد جعله اللّه حرّا.

فی قوّه صغری ضمیر تقدیر کبراه:و کلّ من جعله اللّه حرّا فیقبح أن یجعل نفسه عبدا لغیره، کنایه و کذلک قوله: و خیر خیره إلی قوله:إلّا بعسر استفهام فی معنی الاستنکار:أی لا خیر فی خیر لا یوجد إلا بشّر،و یسر لا ینال بعسر،و کنّی بذلک الخیر و الیسر عمّا یطلب فی مقارفه الدنایا و یصیر الإنسان بسببه عبدا لغیره کالمال و نحوه،و بالشرّ و العسر المقارن له کبذل ماء الوجه فی السؤال و الذلّه و غیرها من الدنایا،و هو أیضا فی قوّه صغری ضمیر تقدیر کبراه:و کلّ ما لا خیر فیه فلا ینبغی أن یطلب و یتعبّد للغیر من أجله .

السادس:

استعاره حذّره من الطمع،و استعار لفظ المطايا لقواه الأمّاره بالسوء كالوهميّه و الخياليّه و الشهويّه و الغضبيّه،و وجه المشابهه كونها حامله لنفسه العاقله و موصله لها إلى المشتهيات و ما يطمع فيه من متاع الدنيا كالمطايا الموصله لراكبها إلى أغراضه،و كذلك وصف الوجيف لسرعه انقياده معها إلى المطامع الرديئه .

استعاره و قوله: فتوردک مناهل الهلكه .

فاستعار لفظ المناهل لموارد الهلاک فی الآخره كمنازل جهنّم و طبقاتها،و وجه المشابهه كونها موارد شراب أهل النار المهلک كما قال تعالى «فَشارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ فَشارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ» (۱)و الفاء فی جواب النهی اللازم للتحذير المذكور،و هو فی قوّه متّصله هی صغری ضمير تقديرها فإنّک إن أوجفت بک مطايا الطمع أوردتک مناهل الهلكه،و تقدير الكبرى:و كلّ مطيّه كذلک فيحرم ركوبها.

السابع:نهاه أن يجعل بينه و بين اللّه واسطه فی وصول نعمته إليه إن استطاع

ذلک و هو نهی عن مسئله الغير و التعرّض لنواله بل ينتظر قسمه من رزق اللّه المفروض له من غير سؤال ذی نعمه يكون فيه بذل ماء الوجه و الذلّه و المنّه إن أعطى و بذله، و الحرمان و الذلّ إن حرم.و رغّبه فی ذلک بضميرين:

أحدهما:قوله:فإنّک مدرک قسمک و آخذ سهمک:أی من رزق اللّه،و تقدير كبراه:و كلّ من كان كذلک فلا ينبغی أن يجعل بينه و بين اللّه واسطه يطلب منه رزقه .

الثانی:قوله: و إن اليسير .إلى قوله: خلقه :أی ما حصل من جهه يحمد حصوله منها و هی الجهه الّتی أمر اللّه تعالى بطلب الرزق منها و إن كان يسيرا أكرم عنده و أشرف من الكثير من غير تلک الجهه كسؤال الغير و التعرّض له،و تقدير الكبرى و كلّ ما كان أعظم فينبغی أن يكون هو المطلوب.

و قوله: و إن كان كلّ منه .

۱- (۱) ۵۴-۵۶

أی و إن کان الرزق من الخلق أیضا من اللّه إلاّ أنّه ینبغی أن یوجّه الرغبه إلیه ابتداء دون غیره.إذ هو مبدء الکلّ و عنایته بالجمیع واحده .

الثامن:قوله:و تلافیک.إلی قوله:منطقک.

تنبیه علی وجوب ترجیح الصمت و تغلیبه علی کثره الکلام بضمیر هذه صغراه،و تقریرها أنّ الفارط من الصمت و إن استلزم الخطاء کالسکوت عمّا ینبغی أن یقال من الحکمه أو ما یترتّب علیه بعض المصالح إلاّ أنّه یمکن استدراکه غالبا بما ینبغی من القول،و أمّا فارط القول فإنّ الخطاء فیه قد لا یمکن استدراکه،و إن أمکن فعلی غایه من العسر.فلذلک کان تلافی فارط الصمت بالقول أسهل من تدارک فارط القول،و لقوّه الخطاء فی القول أکثر الناس فی ذمّ الاکثار و مدح الصمت،و المنطق هنا یحتمل أن یرید به المصدر فیکون من لبیان الجنس،أو محلّ النطق فیکون لابتداء الغایه.و تقدیر کبری الضمیر:و کلّ ما کان أیسر فهو أولی بک.ینتج أن تلافی فارط الصمت أولی بک،و ذلک مستلزم لرجحان الصمت.

التاسع:نبّهه علی حفظ ما فی یده من المال

الحفظ الّذی ینبغی و هو الواسطه بین التبذیر و البخل.و الکلام فی قوّه صغری ضمیر أیضا و تقدیر کبراه:و کلّ ما کان أحبّ إلیّ من طلبک ما فی یدی غیرک فهو أولی بک.

العاشر:نبّهه علی فضیله قطع الطمع

و الیأس عمّا فی أیدی الناس بضمیر أیضا صغراه مجاز إطلاقا لاسم السبب علی المسبّب قوله : و مراره الیأس.إلی قوله:الناس ،و تقدیر کبراه:و کلّ ما کان خیرا فهو أولی أن یلزم و یکرم النفس به،و أطلق لفظ المراره علی الألم الّذی تجده النفس بسبب الیأس من المطالب إطلاقا لاسم السبب علی المسبّب ،و کونه خیرا لما یستلزمه من إکرام النفس عن ذلّ السؤال و رذیله المهانه.و إلیه أشار الشاعر بقوله:

و إن کان طعم الیأس مرّا فإنّه ألذ و أحلی من سؤال الأراذل

الحادی عشر:نبّهه علی وجوب الصبر فی ضیق الرزق

و الحرمان إذا کان مع فضیله العفّه،و أنّ لزومه أولی من طلب الغنی المستلزم للفجور بضمیر أیضا صغراه ما ذکر،و تقدیر کبراه:و کلّ ما کان خیرا من الغنی مع الفجور

ص:۴۸

فلزومه أولى من طلب ذلك الغنى،و إنّما كان كـذلك لاستلزام تلك الحرفه الفضـيله و استلزام ذلك الغنى الرذيله.و قد علمت أنّ العفّه فضيله القوّه الشهويّه و أنّها بين رذيلتى تفريط يسمّى خمود الشهوه و إفراط يسمّى فجورا.

الثانى عشر:نبّهه على أنّه لا يجوز إفشاء سرّه بتمثيله أصله

المرء،و الفرع هو المخاطب،و الحكم كونه أحفظ لسرّه،و العلّه كونه أكثر عنايه بنفسه من غيره.

إذا ضاق صدر المرء من سرّ نفسه فصدر الّذى يستودع السرّ أضيق

الثالث عشر:نبّهه بطريق التمثيل أيضا على التحرّز فى السعى و التثبّت فى

ارتياد المصالح

بقوله:ربّ ساع فيما يضرّه.فالأصل هو الساعى،و الفرع هو المخاطب، و العلّه هى السعى،و الحكم هو التضرّر.

الرابع عشر:نبّه على وجوب ترک الإكثار فى القول

بتمثيـل أيضـا أصـله المكثر، و فرعه المخـاطب،و علّته الإكـثار،و حكمه الهجر.و الغرض أن يعتبر نفسه فى لحوقهـا بالمكثرين فى لزوم الهجر لهم فيترک الإكثار لما يلزمه من الهجر و لحوق الذمّ به.

الخامس عشر:نبّه على فضيله التفكّر فى الأمور

بقوله:من تفكّر أبصر:

أى أدرک بعين بصيرته حقائق الأمور و عواقبها .

السادس عشر:أمره بمقارنه أهل الخير

بضـمير دلّ على صغراه بقوله:تكن منهم،و تقديرها أنّ مقارنتهم يستلزم الكون منهم،و تقدير الكبرى:و كلّ ما استلزم الكون منهم فواجب أن يفعل.

السابع عشر:و كذلک أمره بمباينه أهل الشرّ

و مفارقته لما يستلزمه المباينه لهم من عدم العداد فى جملتهم فى الدنيا و الآخره،و وجه الحجّه كالّذى قبله.

الثامن عشر:نبّهه على قبح أكل الحرام

لغايه اجتنابه بذمّه بضمير صغراه ما ذكر،و إنّما كان أقبح الظلم لكون الضعيف فى محلّ الرحمه فظلمه لا يصدر إلاّ عن

قلب قاس و نفس بعيده من الرقّه و الرحمه و العدل،و لأنّه غير مقابل من الضعيف بمدافعه و ممانعه فكان أبعد عن العدل،و تقدير كبراه:و كلّ ما كان أفحش الظلم كان أولى أصناف الظلم بالترك و الاجتناب .

العشرون:

استعاره نبّهه على أنّ الرفق فى بعض المواضع كالخرق فى كونه مخلّا بالمصلحه غالبا و مفوّتا للغرض فكان استعمال الخرق فى ذلك الموضع كاستعمال الرفق فى استلزامه للمصلحه و حصول الغرض غالبا فكان أولى من الرفق فى ذلك الموضع.

و لفظا الخرق الأوّل و الرفق الثانى مستعاران للرفق الأوّل و الخرق الثانى لما ذكرناه من المشابهه،و إلى هذا المعنى أشار أبو الطيّب:

و وضع الندى فى موضوع السيف بالعلى مضرّ كوضع السيف فى موضع الندى

الحادى و العشرون:نبّهه على أنّ بعض ما فيه مصلحه ظاهره قد يشتمل

على مفسده

استعاره بقوله: ربّما كان الدواء داء ،و على أنّ بعض ما هو مفسده فى الظاهر قد يستلزم مصلحه بقوله: و الداء دواء .و لفظا الدواء مستعاران للمصلحه،و لفظا الداء للمفسده،و وجه الاستعارتين أنّ المصلحه من شأنها نظام حال الإنسان،و من شأن المفسده فساده كالدواء و الداء،و إلى هذا المعنى أشار المتنبّئ:

فربّما صحّت الأجساد بالعلل .

الثانى و العشرون:نبّه على أنّه لا ينبغى أن يعرض عن مشوره أحد عليه

بأمر هو مظنّه مصلحه

و إن كان من شأنه أنّه غير ناصح له بل ينظر فى رأيه و شوره فربّما كان نصيحه،و كذلك لا ينبغى أن يركن إلى قول من يعتقده ناصحا.إذ من الجائز أن يغشّه .

الثالث و العشرون:نهاه عن الاتّكال على المنى

و نفّره عنها بضمير صغراه استعاره قوله: إنّها بضائع النوكى [الموتى خ]،و استعار لفظ البضائع لها باعتبار أنّ الأحمق يحصل منها لذّه خياليّه من الأمور المتمنّاه و هى فرعها كما يحصل عن البضاعه الربح.و أضافها إلى النوكى لعدم الفائده فى المنى كعدم الربح عن بضائع النوكى .

ص:۵۰

الرابع و العشرون:رسّم العقل بأنّه حفظ التجارب.

و الإشاره إلى العقل العملىّ و هو القوّه الّتى للنفس بحسب حاجتها إلى تـدبير بدنها الموضوع لتصـرّفاتها و تكميله،و هى الّتى بها تستنبط الآراء المصلحيّه ممّا يجب أن يفعل من الامور.إذ كان الشروع فى العمل الاختيارى المختصّ بالإنسان إنّما يتأتّى بإدراك ما ينبغى أن يعمل فى كلّ باب و هو إدراك رأى كلّىّ أو جزئىّ يستنبط من مقدّمات بعضها جزئيّه محسوسه و بعضها كلّيّه أوّليّه أو تجربيّه أو ذايعه أو ظنّيه يحكم بها العقل النظرىّ من غير أن يختصّ بجزئىّ دون غيره،و العقل العملىّ يستعين بـالنظرىّ فى ذلك ثمّ ينتقل منه باستعمال مقدّمات جزئيّه إلى أن ينتقل إلى الرأى الجزئىّ الحاصل فيعمل بحسبه و يحصل بعمله مقاصده فى معاشه و معاده.و إرادته لهـذا العقل أظهر لأنّه المتعارف و لأنّه فى معرض الأمر بتحصيل مكارم الأخلاق الّتى هى كمال هـذه القوّه.و حفظ التجارب إشاره إلى ضبط هـذه العلوم المنتزعه عن مشاهـدات متكرّره منّا لأمور جزئيّه تتكرّر فيفيد حكما كلّيّا ككون السقمونيا مثلا من شأنها الإسهال.و عرّف العقل بذلك لكونه من خواصّه و كمالاته.

الخامس و العشرون:نبّهه على أنّه ينبغى أن يقتصر من التجارب على ما

وعظه

:أى من شأنه أن يفيد موعظه و اعتبارا كالنظر فى حال من تكرّر ظلمه فأسرعت عقوبه اللّه إليه،أو تكرّر كـذبه فأدركه المقت بضمير صغراه ما ذكر،و تقديرها:ما وعظك فهو خير التجارب،و تقدير الكبرى:و خير التجارب أولى بك.ينتج فما وعظك من التجارب أولى بك،و نحوه قول أفلاطون:إذا لم تعظك التجربه لم تجرّب بل أنت ساذج كما كنت.

السادس و العشرون:أمره بانتهاز الفرصه

فيما ينبغى أن يفعل،و نفّره عن تركها بما يستلزمه من الأسف المغصّ،و أطلق اسم الغصّه على الفرصه مجازا تسميه للشىء باسم ما يؤول إليه.

السابع و العشرون:

نبّه على ما ينبغى من ترك الأسف على ما يفوت من المطالب بضمير صغراه ما فى قوّه هذا السلب من الايجاب،و تقديره:بعض الطالبين

لا ـ يصيب مطلوبه،و تقدير الكبرى:و كلّ من لا يصيب مطلوبه فلا ينبغى أن يأسف على فواته.ليقدّر السامع نفسه أنّه من ذلك البعض فلا يأسف على فائت،و كذلك قوله:و لا كلّ غائب يئوب .

الثامن و العشرون:نبّه على لزوم التقوى

بضمير تقدير صغراه:إضاعه الزاد و مفسده المعاد من الفساد،و تقدير الكبرى:و كلّ ما كان من الفساد وجب تركه.

و لفظ الزاد مستعار للتقوى كما سبق.

التاسع و العشرون:نبّه على وجوب النظر فى عواقب الامور و اختيار أحسنها

بضمير ذكر ما هو فى قوّه صغراه،و تقديرها:كلّ أمر له عاقبه نافعه أو ضارّه،و تقدير كبراه:و كلّ ما له عاقبه كذلك فينبغى أن يلمح ليفعل ما يوصل إليها أو يجتنب.

الثلاثون:نبّه على وجوب ترك الحرص و كدّ النفس فى طلب المال و نحوه

بضمير ذكر صغراه،و تقدير كبراه:و كلّ ما سوف يأتيك فينبغى أن لا تحرص فى طلبه.

الحادى و الثلاثون:نبّه على وجوب الاحتراز فى المعاملات كالبيع و الشراء

و نحوه

بضمير صغراه ما ذكر،و وجه كون التاجر مخاطرا أنّه لمّا كان محبّا للمال و متوجّها إلى اكتسابه كان حال البيع فى مظنّه أن يحيف فيأخذ راجحا و يعطى ناقصا مع أنّ تكليفه لزوم العدل و الاستقامه على سواء الصراط فلا جرم كان على خطر من وقوعه فى طرف التفريط و التقصير من سواء السبيل،و تقدير الكبرى:و المخاطر يجب أن يحترز فى فعله المخاطر فيه.

الثانى و الثلاثون

:لمّا نبه على وجوب الاحتراز فى التجاره و التحفّظ من الظلم و كان ذلك الظلم إنّما هو لغرض كثره المال نبّه فى هذه الكلمه على أنّ من المال اليسير ما هو أنمى من الكبير ليقتصر عليه،و أراد باليسير الحلال فإنّه أغنى للعاقل من الكثير الحرام فى الآخره لاستلزامه زياده الثواب،و هى فى قوّه صغرى ضمير تقديره:اليسير الحلال أغنى من الكثير الحرام و تقدير الكبرى:و كلّ ما كان أغنى من الكثير الحرام فيجب أن يقتصر عليه .

الثالث و الثلاثون:

نبّه على ترک الاستعانه فی المهمّات بالمهین من الناس بضمیر تقدیر الکبری:و کلّ من کان کذلک فالأولی اجتناب الاستعانه به،و الخیر المنفی عنه هو النافی فی الاستعانه به،و معلوم أنّه منتف عنه لما أنّ مهانته تضادّ النهوض فی مهمّات الامور و علیاتها،و لأنّ ذلّته یستلزم قهره و ضعفه عن المقاومه،و نحوه قولهم:إذا تکفّیت بغیر کاف وجدته للهمّ غیر شاف.

الرابع و الثلاثون:

نبّه علی مجانبه الصدیق المتّهم بضمیر تقدیر صغراه کالّتی قبلها،و أراد أنّه لا خیر فیه لصدیقه.إذ کان من جهه الباطن مظنّه الشرّ له.

الخامس و الثلاثون:

أمره أن یصبر علی ما یقتضیه الدهر و لا یتسخّط من ذلک و إن کان دون رضاه.إذ کان ذلک هو المتمکّن فی الطبیعه،و ما بمعنی المدّه، استعاره و استعار لفظ القعود للزمان الّذی تیسّر فیه رزقه و تسهل فیه بعض مهمّاته،و وجه المشابهه أنّ ذلک الزمان یمکّنه من بعض مهمّاته و حوائجه .و طلب ما لا یمکن فیه و ما لم یعدّ لحصوله من المطالب ربّما یستلزم تغیّره و امتناع ما کان ممکنا فیه کما أنّ القعود من شأنه أن یمکّن من ظهره و اقتعاده و هو بمعرض أن ینفرّ براکبه إذ استزاده و شدّ علیه، استعاره و لفظ الذلّه مستعار لسکون الزمان و إمکان المطلوب فیه ، و أراد بمساهلته الجریان معه بقدر مقتضاه من دون تشدّد و تسخّط علیه فإنّ ذلک یستلزم تعب النفس من غیر فائده،و إلی مثله أشار القائل:

إذ الدهر أعطاک العنان فسر به رویدا و لا تعنف فیصبح شامسا

السادس و الثلاثون:نهاه أن یخاطر بما یملکه رجاء أکثر منه.

إذ کان فی مظنّه أن لا یعود فیوشک أن یضیع الأصل،و یحمل ذلک علی کون الإنسان یلقی ما فی یده للغرض المذکور مع شکّه فی سلامته أمّا مع ظنّ السلامه فلا خطر.و نحوه قولهم:من طلب الفضل حرم الأصل.

السابع و الثلاثون:

استعاره حذّره من اللجاج فی طلب الأمر عند تعسّره،و نفّره عنه بأن استعار له لفظ المطیّه الجموح ،و وجه المشابهه کونه یؤدّی بصاحبه إلی غایه لیست بمجهوده[بمحموده خ]کالجموح من المطایا .

ص:۵۳

الثامن و الثلاثون:

أمره أن يلزم نفسه و يحملها فى حقّ صديقه الحقّ على أن يقابله و يجازيه برذائله فضائل كالقطيعه بالصله،و ساير ما ذكر ليعود إلى العتبى و تدوم الموده،و حذّره أن يضع ذلک فى غير موضعه أو يفعله بغير أهله من اللئام لأنّ ذلک وضع الشىء فى غير موضعه و هو خروج عن العقل،و قد علمت أنّ الأمور المذكوره من لوازم الصداقه الحقّه.و إلى نحوه أشار الشاعر بقوله:

و إنّ الّذى بينى و بين بنى أبى و بين بنى امّى لمختلف جدّا

فإن أكلوا لحمى و فرت لحومهم و إن هدموا مجدى بنيت لهم مجدا

و إن زجروا طيرا بنحس تمرّ بى زجرت لهم طيرا يمرّ بهم سعدا

و لا أحمل الحقد القديم عليهم و ليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

التاسع و الثلاثون:

نهاه أن يتّخذ عدوّ صديقه صديقا،و نبّه على قبح ذلک بضمير استثنائى تقديره:فإنّک إن فعلت ذلک عاديت صديقک،و يستدلّ فيه بقبح اللازم على قبح ملزومه:أى لكن معاداه الصديق قبيحه منهىّ عنها فاتّخاذ عدوّه صديقا كذلک،و وجه الملازمه أنّ مصادقه عدوّ الصديق يستلزم نفره الصديق عمّن يصادق عدوّه لنفرته عن عدوّه و توهّمه مشاركه العدوّ و موافقته فى جميع أحواله و من جمله أحواله عداوته فهى إذن توهمه الموافقه على عداوته فيوجب له النفره و المجانبه،و إليه أشار بذكر القائل:

تودّ عدوّى ثمّ تزعم أنّنى صديقک إنّ الرأى عنک لعازب

الأربعون:

أن يخلّص نصيحته لأخيه فى جميع أحواله سواء كانت النصيحه حسنه أو قبيحه:أى مستقبحه فى نظر المنصوح ضارّه له فى العاجل باعتبار استحيائه و انفعاله من المواجهه بها.و نحوه قوله تعالى «وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ» (۱)فعدّها بالنسبه إليهم سيّئه.

الحادى و الأربعون:

أمره بفضيله كظم الغيظ،و قد رسمت بأنّها الإمساك

۱- ۱) ۳۵-۳۰.

عن المبادره إلى قضاء وطر الغضب فيمن يجنى عليه جنايه يصل مكروها إليه.و قد يرادفه الحلم و الكرم و الصفح و التثبّت و العفو و التجاوز و الاحتمال،و ربّما فرّق بعضهم بين هذه المفهومات، استعاره و استعار وصف التجرّع للتصبّر على مضض الألم الموجود منه ملاحظه لما يشرب من دواء مرّ ،ثمّ نبّه على فضيلته بضمير صغراه استعاره قوله: فإنّى لم أر.إلى قوله:مغبّه ،و استعار لفظ الحلاوه لما يستلزمه من العاقبه الحسنه،و وجه المشابهه ما يستلزمانه من اللذّه .و الضمير فى قوله: منها يعود إلى ما دلّ عليه قوله:

تجرّع من المصدر،و تقدير الكبرى:و كلّ ما لا يرى من المتجرّع أحلى منه فينبغى أن يتجرّع.و عن زين العابدين عليه السّلام وصيّه لابنه الباقر عليه السّلام يا بنىّ عليك بتجرّع الغيظ من الرجال فإنّ أباك لا تسرّه بنصيبه من تجرّع الغيظ من الرجال حمر النعم .

الثانى و الأربعون:أمره أن يلين لمن غالظه

و خاشنه،و نبّه على حسن ذلك بضمير صغراه قوله:فإنّه يوشك أن يلين لك:أى بسبب لينك له حال غلظته:و تقدير كبراه:و كلّ من قارب أن يلين لك بسبب لينك له فالأولى بك أن تلين له،و نحوه قولهم:إذا عز أخوك فمن واصله و قوله تعالى «ادْفَعْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِی بَیْنَکَ وَ بَیْنَهُ عَداوَهٌ کَأَنَّهُ وَلِیٌّ حَمِیمٌ» (۱).

الثالث و الأربعون:أمره أن يأخذ على عدوّه بالفضل

من عوارفه.و نبّهه على أحسنه باستلزامه لأحد الظفرين فإنّ للظفر سببين:أحدهما:الرهبه بالقوّه و الغلبه و هو الأظهر.الثانى:الرغبه بالإفضال عليه بحيث يسترق به و يدخل فى الطاعه بسببه.

و قوله: فإنّه أحد الظفرين .

صغرى ضمير،و تقدير الكبرى:و كلّ ما صدق عليه أنّه أحد الظفرين فينبغى أن يفعل .

۱- ۱) ۴۴-۴۱

الرابع و الأربعون:أمره إن أراد مقاطعه أخيه أن يبقى له من نفسه بقيّه

من صداقته و لا يفارقه مفارقه كلّيه،و نبّه على ذلک بضمير أشار إلى صغراه بقوله:

يرجع إليها :أى فإنّه يرجع إليها لو بدا له الرجوع،و تقدير الكبرى:و كلّ ما يرجع به فواجب أن يبقيه له،و نحوه قولهم:أحبب حبيبک هونا ما عسى أن يكون بغيضک يوما ما،و أبغض بغيضک هونا ما عسى أن يكون حبيبک يوما ما،و قولهم:

إذا هويت فلا تكن غاليا،و إذا تركت فلا تكن قاليا .

الخامس و الأربعون:أن يصدّق من ظنّ به خيرا فى ظنّه

و ذلک التصديق بفعل ما ظنّه فيه من الخير كأن يظنّ به الجود فيفضل عليه.

السادس و الأربعون:نهى أن يفعل بأهله شرّا.

و نفّره بضمير تقدير صغراه:

فإنّ أهلک حينئذ يكونون أسعى الخلق بک،و ذلک لملازمته لهم و قربه منهم،و تقدير كبراه:و كلّ من كان كذلک فهو مذموم.

السابع و الأربعون:أن لا يضيع حقّ أخ له اعتمادا على ما بينهما من الاخوّه

و نبّه على ذلک بضمير صغراه قوله: فإنّه .إلى قوله: حقّه ،و المعنى أنّ من أضعت حقّه لابدّ أن يفارقک لتضييعک حقّه فلا يكون أخا لک:و تقدير كبراه:و كلّ أخ يفارقک لتضييع حقّه فلا ينبغى أن تضيّع حقّه لتسلم تلک لک مودّته و اخوّته،و نحوه قولهم:إضاعه الحقوق داعيه العقوق .

الثامن و الأربعون:نهاه عن الرغبه فيمن زهد فيه

و أراد بمن زهد فيه من ليس للصنيعه موضعا،و لا للمودّه أهلا.و ليس بأخ قديم و إلّا لناقض ما قبله و ما بعده من الأمر بصله من قطعه و الدنوّ ممّن تباعد عنه و الإحسان إلى من أساء إليه.

التاسع و الأربعون:

و لا يكوننّ أخوک أقوى على قطيعتک منک على صلته .

إلى قوله: الإحسان .و أشار إلى وجوب ذلک بالتنفير عن نقيضه بضمير صغراه شرطيّه متّصله تقديرها فإنّک إن لا تفعل ذلک لكان أخوک أقوى على فعل الإساءه منک إلى فعل الإحسان،و بيان الملازمه أنّ الإساءه و الشرّ له صوارف كثيره تصرف عنه،و الإحسان و فعل الخير له بواعث كثيره يبعث عليه فإذا لم تفعل الإحسان مع كثره

البواعث علیه و أساء أخوک مع کثره صوارفه عن الإساءه کان هو أقوی علی الإساءه منک علی الإحسان،و تقدیر کبراه:و کلّ من کان کذلک فهو عاجز مذموم .

الخمسون:نهاه عن استعظام ظلم الظالمین فی حقّه

و هونه عنده بضمیر صغراه قوله: فإنّه یسعی فی مضرّته و نفعک أی أنّ سعیه فی ظلمه یستلزم مضرّته فی الآخره بما توعّد اللّه به الظالمین و نفعک بما وعد اللّه به الصابرین علی بلائهم،و تقدیر الکبری:

و کلّ من سعی فی مضرّته و نفعک فلا ینبغی أن یکبر علیک صنیعه فی حقّک.

الحادی و الخمسون:

نبّهه علی وجوب مقابله الإحسان بمثله دون الکفران بقوله: لیس جزاء من سرّک أن تسوءه :و هو فی قوّه صغری ضمیر تقدیرها:من سرّک فلیس جزاؤه أن تسوءه،و تقدیر کبراه:و کلّ من لم یکن جزاؤه ذلک فینبغی أن لا ـ تسوءه،و قیل:إنّ هذه الکلمه من تمام الّتی قبلها،و التقدیر لا یکبرنّ علیک ظلم من ظلمک فتقابله بسوء فإنّه یسعی فی مضرّته و نفعک و کلّ من کان کذلک فلیس جزاؤه أن تقابله بالإساءه.

الفصل العاشر:

اشاره

قوله:

وَ اعْلَمْ یَا بُنَیَّ أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ- رِزْقٌ تَطْلُبُهُ وَ رِزْقٌ یَطْلُبُکَ- فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاکَ- مَا أَقْبَحَ الْخُضُوعَ عِنْدَ الْحَاجَهِ- وَ الْجَفَاءَ عِنْدَ الْغِنَی- إِنَّمَا لَکَ مِنْ دُنْیَاکَ مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاکَ- وَ إِنْ کُنْتَ جَازِعاً عَلَی مَا تَفَلَّتَ مِنْ یَدَیْکَ- فَاجْزَعْ عَلَی کُلِّ مَا لَمْ یَصِلْ إِلَیْکَ- اسْتَدِلَّ عَلَی مَا لَمْ یَکُنْ بِمَا قَدْ کَانَ- فَإِنَّ الْأُمُورَ أَشْبَاهٌ- وَ لاَ تَکُونَنَّ مِمَّنْ لاَ تَنْفَعُهُ الْعِظَهُ إِلاَّ إِذَا بَالَغْتَ فِی إِیلاَمِهِ- فَإِنَّ الْعَاقِلَ یَتَّعِظُ بِالْآدَابِ- وَ الْبَهَائِمَ لاَ تَتَّعِظُ إِلاَّ بِالضَّرْبِ-.اِطْرَحْ عَنْکَ

وارِداتِ الْهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ- وَ حُسْنِ الْيَقِينِ- مَنْ تَرَکَ الْقَصْدَ جارَ- وَ الصَّاحِبُ مُنَاسِبٌ- وَ الصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ- وَ الْهَوَی شَرِيکُ الْعَنَاءِ- وَ رُبَّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ- وَ قَرِيبٍ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ- وَ الْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَکُنْ لَهُ حَبِيبٌ- مَنْ تَعَدَّی الْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ- وَ مَنِ اقْتَصَرَ عَلَی قَدْرِهِ کَانَ أَبْقَی لَهُ- وَ أَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ- سَبَبٌ بَيْنَکَ وَ بَيْنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ- وَ مَنْ لَمْ يُبَالِکَ فَهُوَ عَدُوُّکَ- قَدْ يَکُونُ الْيَأْسُ إِدْرَاکاً إِذَا کَانَ الطَّمَعُ هَلَاکاً- لَيْسَ کُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ وَ لَا کُلُّ فُرْصَةٍ تُصَابُ- وَ رُبَّمَا أَخْطَأَ الْبَصِيرُ قَصْدَهُ وَ أَصَابَ الْأَعْمَی رُشْدَهُ- أَخِّرِ الشَّرَّ فَإِنَّکَ إِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ- وَ قَطِيعَةُ الْجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ الْعَاقِلِ- مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ وَ مَنْ أَعْظَمَهُ أَهَانَهُ- لَيْسَ کُلُّ مَنْ رَمَی أَصَابَ- إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ تَغَيَّرَ الزَّمَانُ- سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ- وَ عَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ إِيَّاکَ أَنْ تَذْکُرَ مِنَ الْکَلَامِ مَا يَکُونُ مُضْحِکاً- وَ إِنْ حَکَيْتَ ذَلِکَ عَنْ غَيْرِکَ- وَ إِيَّاکَ وَ مُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ- فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَی أَفْنٍ وَ عَزْمَهُنَّ إِلَی وَهْنٍ- وَ اکْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِکَ إِيَّاهُنَّ- فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ أَبْقَی عَلَيْهِنَّ- وَ لَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ- مِنْ إِدْخَالِکَ مَنْ لَا يُوثَقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ- وَ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَعْرِفْنَ غَيْرَکَ فَافْعَلْ- وَ لَا تُمَلِّکِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ

نَفْسَـهَا- فَإِنَّ الْمَرْأَهَ رَيْحَانَهٌ وَ لَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَهٍ- وَ لاَ تَعْدُ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا وَ لاَ تُطْمِعْهَا فِي أَنْ تَشْفَعَ لِغَيْرِهَا- وَ إِيَّاكَ وَ التَّغَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَهٍ- فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَهَ إِلَى السَّقَمِ- وَ الْبَرِيئَهَ إِلَى الرِّيَبِ- وَ اجْعَلْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلاً تَأْخُذُهُ بِهِ- فَإِنَّهُ أَحْرَى أَلاَّ يَتَوَاكَلُوا فِي خِدْمَتِكَ- وَ أَكْرِمْ عَشِيرَتَكَ- فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ- وَ أَصْلُكَ الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ وَ يَدُكَ الَّتِي بِهَا تَصُولُ اسْتَوْدِعِ اللَّهَ دِينَكَ وَ دُنْيَاكَ- وَ اسْأَلْهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ لَكَ فِي الْعَاجِلَهِ وَ الْآجِلَهِ- وَ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَهِ «إِنْ شَاءَ اللَّهُ»

اللغه

أقول: المثوى : المقام .و تفلّت : تخلّص .و عزائم الصبر : ما جزمت به منه و لزمته .و العوره هنا:الاسم من أعور الصيد إذا أمكنك من نفسه ،و أعور الفارس:

إذا بدا منه موضع خلل الضرب .و الأفن : الضعف .و القهرمانه : فارسى معرّب .

و فى الفصل تنبيهات على لطائف من الحكمه و مكارم الأخلاق:

الاولى:أنّه قسّم مطلق الرزق إلى قسمين مطلوب و طالب،

و أراد بالرزق المطلوب ما لم يجر فى القضاء الإلهى كونه رزقا له،و بالطالب عمّا علم اللّه أنّه رزقه و أنّه لابدّ من وصوله إليه.و ترك بيان أحكام القسمين للعلم به إيجازا.و التقدير فأمّا الّذى تطلبه فلا تدركه لكون القضاء الإلهىّ لم يجر به،و كلّ ما لا تدركه فينبغى أن لا تحرص عليه،و أمّا الّذى يطلبك فإنّه لا محاله يأتيك و إن لم تأته،و هى صغرى ضمير تقدير كبراه:و كلّ ما كان آتيك لا محاله فينبغى أن لا تحرص فى طلبه .

الثانيه:نبّه على فضيله عزّه النفس عند الحاجه،و على مواصله الأخوان

فى الغنى

بالتعجّب من قبح ضدّيهما،و هما الخضوع فى الحاجه و الجفاء فى الغنى للتقير عنهما.إذ كانا رذيلتين،و هى فى قوّه ضمير تقديرها:أنّ الذلّه فى الحاجه و جفاء الأخوان فى الغنى قبيحان جدّا،و تقدير كبراه:و كلّما كان كذلك وجب اجتنابه.

الثالثه:نبّهه على بذل المال فى وجوه البرّ و القربات لغايه إصلاح آخرته

بقوله:إنّما لك.إلى قوله:مثواك،و أراد بما له من دنياه ما يملك نفعه دائما و لذلك حصره بإنّما لأنّه القدر المنتفع به على الحقيقه،و الّذى يبقى ثمرته لاستلزام بذله تحصيل الملكات الفاضله المستلزمه للثواب الدائم و النعيم المقيم فى الآخره،و هو صغرى ضمير تقديرها:ما أصلحت به مثواك من دنياك هو الّذى يبقى لك منها،و تقدير الكبرى:و كلّ ما هو الباقى لك منها فينبغى أن تحضّه بعنايتك،و يحتمل أن يكون هذه الكلمه تنبيها على ما قبلها من المواصله فى الغنى داخله فى إصلاح المثوى بالمال المنبّه عليه هاهنا.

الرابعه:نبّهه على ترك الأسف و الجزع على ما يخرج من يده من المال

بقياس استثنائى،و ذلك قوله:فإن جزعت.إلى قوله:إليك.و بيان الملازمه أنّ الّذى خرج من يده كالّذى لم يصل إليه فى أنّه ليس برزق له و ليس ممّا قضى اللّه له به.

و تقدير الاستثناء:لكن الجزع هناك قبيح و غير محقّق فينبغى أن لا يحصل الجزع هاهنا.

الخامسه:أمره أن يستدلّ بقياس ما لم يكن

أى ما لم يحدث من امور الدنيا و أحوالها و تغيّراتها على ما كان و حدث منها،و ذلك أن يقيس نفسه و ما ترغب فيه من متاع الدنيا على ما سبق من أهلها و متاعها فتجده مثله فيحكم بلحوق حكمه له و هو التغيّر و الزوال فيستلزم ذلك الاعتبار الرغبه عن الدنيا و متاعها،و نبّه على إمكان ذلك بضمير صغراه قوله:فإنّ الامور أشباه،و تقدير الكبرى:و كلّ ما هو متشابه فيمكن قياس بعضه على بعض،و كأن يقال:إذا أردت أن تنظر الدنيا بعدك فانظرها بعد غيرك .

السادسه.حذّره أن يكون ممّن لا ينفعه النصيحه فيما نصح به من الرأى إلّا

إذا بالغت النصيحه و التوبيخ فى إيلامه

و أذاه،و روى بالغت بالتاء المخاطب:أى فى إيلامه بالقول و غيره،و ضرب له العاقل مثلا فى اتّعاظه بالأدب و تذكيره بالنصيحه ليقيس نفسه عليه فيتّعظ بالأدب،و البهائم مثلا فى عدم اتّعاظها و تذكّرها إلّا بالضرب ليعتبر نفسه بالقياس إليها و قد رفعه اللّه عنها بالعقل فيجب أن ينزّه نفسه عن لازمها فلا يحتاج إلى إيلام بقول أو فعل كأن يقال:اللئيم كالعبد و العبد كالبهيمه عتبها ضربها .

السابعه:أن يحذف عن نفسه ما يرد عليها من الغموم و الهموم

و مصائب الدنيا بالصبر الجازم الثابت عن حسن اليقين باللّه تعالى و بأسرار حكمته و قضائه و قدره، و ذلك أن يعلم يقينا أنّ كلّ أمر صدر عن اللّه و ابتلى به عباده من ضيق رزق أوسعته و كلّ أمر مرهوب أو مرغوب فعلى وفق الحكمه و المصلحه بالذات،و ما عرض فى ذلك ممّا يعدّ شرّا فأمر عرضىّ لا يمكن نزع الخير المقصود منه فإنّ ذلك إذا كان متيقّنا استعدّت النفس بعلمه للصبر و مفارقه الهوى فى الغمّ و الجزع و نحوه.و الغرض من الكلمه الأمر بالصبر و هى فى قوّه صغرى ضمير تقديرها:أنّ عزائم الصبر و حسن اليقين باللّه يستلزمان طرح واردات الهموم و حذفها عن النفس،و تقدير الكبرى:و كلّ ما استلزم ذلك فينبغى أن تستعدّ به و تستكمل به نفسك.

الثامنه:نبّهه على لزوم القصد و العدل فى أفعاله و أقواله

بضمير ذكر صغراه و تقدير كبراه:و من جاز هلك.

التاسعه:

استعاره نبّه على حفظ الصاحب الحقّ و الرغبه فيه بضمير ذكر صغراه،و استعار له لفظ التنسيب باعتبار مودّته و حسن معاضدته كالنسيب،و تقدير كبراه:و المناسب ينبغى أن يحمى عليه و يصطنع عنده .

العاشره:

عرّف الصديق الحقّ بعلامته ليعرف بها فيصادق،و أراد بصدقه فى غيبه صدقه فى ضميره و ما غاب من باطنه عن غيره.

الحاديه عشر:

نبّهه على مجانبه الهوى و الميول الطبيعيّه بضمير صغراه قوله:

الهوی شریک العمی ،و وجه کونه شریکا له استلزامه للضلال و ترک القصد کالعمی، و تقدیر الکبری:و کلّ ما هو شریک العمی فینبغی أن یجتنب،و نحوه قولهم:حبّک للشیء یعمی و یصمّ .

الثانیه عشر:

نبّه علی أنّ فی البعداء من هو أقرب و أنفع من النسیب،و فی الأقرباء من هو أبعد من البعید و هو مشهور،و إلی المعنی الثانی أشار القرآن الکریم بقوله تعالی «إِنَّ مِنْ أَزْواجِکُمْ وَ أَوْلادِکُمْ عَدُوًّا لَکُمْ فَاحْذَرُوهُمْ» (۱).

الثالثه عشر:

نبّه علی أنّ الحقیق باسم الغریب هو من لم یکن له نسیب:

أی محبّ یحبّه،و إلیه أشار القائل:

اسره المرء و الداه و فی ما بین حضنیهما الحیاه تطیب

فإذا ولیّا عن المرء یوما فهو فی الناس أجنبیّ غریب

و ذلک باعتبار محبّه الوالدین له.

الرابعه عشر:

نبّه علی لزوم الحقّ بما یلزم نقیضه و هو تعدّیه و تجاوزه إلی الباطل من ضیق المذهب و وعاره المسلک،و ذلک أنّ طریق الحقّ واضح مأمور باتّباعه و قد نصبت علیه أعلام الهدایه،أمّا طریق الباطل فهی ضیقه و عره علی سالکها لما فیها من التحیّر و الخبط و عدم الهدایه إلی المصلحه و المنفعه مع کونها ممنوعه بحرسه طریق الحقّ من حاد إلیها عنه أخذوا علیه مذهبه و ضیّقوا علیه مسلکه حتّی یعود إلی طریق الحقّ،و هو صغری ضمیر تقدیر کبراه کما فی قوله:

من ترک القصد جار.

الخامسه عشر:

نبّهه علی وجوب الاقتصار علی قدره و هو مقداره و محلّه فی خلق اللّه،و اقتصاره علیه مبنیّ علی معرفته و هو أن یعلم الفطره الّتی فطر الإنسان علیها من الضعف و الجور و النقص فیعلم أنّه کذلک فیمنع نفسه حینئذ عن الترفّع عن أبناء نوعه و الاستطاله علی أحد منهم بفضل قوّه أو إعجاب بقیه جسمانیّه أو نفسانیّه و یقتصر علی ما دون ذلک من التواضع و لین الجانب و الاعتراف بما جبّل علیه من العجز و النقص،و هو فی قوّه صغری ضمیر تقدیرها:من اقتصر علی قدره

ص:۶۲

۱- (۱ ۱۴-۶۴.

كـان اقتصـاره أبقى له،و ذلـك أنّ المتطـاول إلى قـدر غيره و المتجـاوز لقـدره فى مظنّه أن يهلك لقصـد الناس إيّاه بالمكاره و النكير.قيـل:من جهـل قـدره قتل نفسه.و الاقتصار على القـدر يستلزم عـدم هـذه الامور فكان أبقى على صاحبه و أسلم،و تقـدير الكبرى:و كلّ من كان اقتصاره على قدره أبقى له فواجب أن يقتصر عليه.

السادسه عشر:

استعاره نبّهه على لزوم سـبب بينه و بين اللّه تعـالى و هو كـلّ مـا قرّب إليه من علم و قول و عمل،و لفظ السـبب مسـتعار لـذلك باعتبـار إيصـاله إلى اللّه و القرب منه كالحبـل الّـذى يتوصّـل به إلى المقصـود،و ظـاهر أنّه أوثـق الأسـباب لثبـاته دائمـا و نجاه المتمسّك به فى الدنيا و الآخره،و الكلمه صغرى ضـمير تقديرها السـبب بينك و بين اللّه تعالى هو أوثق الأسباب المأخوذ بها،و تقـدير الكبرى:و كلّ ما كان كذلك فينبغى أن يتمسّك به.و نحوه قوله تعالى «فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطّاغُوتِ وَ يُؤْمِنْ بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَـكَ بِالْعُرْوَهِ الْوُثْقى لاَ انْفِصامَ لَها» (۱).

السابعه عشر:

استعاره نبّهه على مجانبه من لا يبالى به بضمير ذكر صغراه،و تقديرها:

من لم يبالـك وقت حاجتـك إليه و قـدرته على نفعك فهو عـدوّك،و لفظ العـدوّ مسـتعار له باعتبار أنّ عـدم المبالاه من لوازم العدوّ،و تقدير الكبرى:و كلّ عدوّ ينبغى مجانبته .

الثامن عشر :

نبّه على أنّ اليأس من بعض مطالب الـدنيا قـد يكون سـببا للسـلامه من الهلاك و إدراك النجاه منه،و ذلك عند ما يكون الطمع فى ذلك المطلوب مستلزما للهلاك كالطمع فى نيل ملك و نحوه.

التاسعه عشر:

استعاره نبّه بقوله: ليس كلّ عوره.إلى قوله:رشده .على أنّ من الأمور الممكنه و الفرص ما يغفل الطالب البصير عن وجه طلبه فلا يصيبه و لا يهتدى له،و يظفر به الأعمى،و استعار لفظ البصير للعاقل الذكىّ،و الأعمى للجاهل الغبىّ.

و غرض الكلمه التسليه عن الأسف و الجزع على ما يفوت من المطالب بعد إمكانها .

العشرون:

أمره بتأخير الشرّ و عدم الاستعجال فيه،و نبّه عليه بضمير ذكر

ص:۶۳

۱- ۱) ۲۵۶-۲.

صغراه:و معناها:أنّک قادر علی تعجیله أیّ وقت شئت،و تقدیر الکبری:و کلّ ما کان کذلک فینبغی أن لا یعجل فیه.إذ لا یفوتک،و نحوه من الحکمه قولهم:

ابدأ بالحسنه قبل السیّئه فلست بمستطیع للحسنه فی کلّ وقت و أنت علی الإساءه متی شئت قادر.

الحادیه و العشرون:

نبّه علی وجوب قطیعه الجاهل بضمیر ذکر صغراه،و تقدیر کبراه:و کلّ ما یعدل صله العاقل فینبغی أن یرغب فیها و یفعلها و إنّما کانت تعدلها باعتبار استلزامها للمنفعه،و منفعه قطیعه الجاهل بالقیاس إلی ما فی صحبته من المضرّه.

الثانیه و العشرون:

نبّه علی وجوب الحذر من الزمان و دوام ملاحظه تغیّراته، و الاستعداد لحوادثه قبل نزولها بالأعمال الصالحه،و استعار له لفظ الخیانه باعتبار تغیّره عند الغفله عنه و الأمن فیه و الرکون إلیه فهو فی ذلک کالصدیق الخائن.

و الکلمه صغری ضمیر تقدیر کبراه:و کلّ من خانه الزمان فینبغی أن یکون منه علی حذر،و فی الحکمه:من أمن الزمان ضیّع ثغرا مخوفا.

الثالثه و العشرون:

نبّه بقوله: من أعظمه أهانه علی وجوب ترک إعظامه.

و لم یرد الزمان المجرّد بل من حیث هو مشتمل علی خیرات الدنیا و لذّاتها و معدّ لطیب العیش بالصحّه و الشباب و الأمن و نحوها،و بذلک الاعتبار یکرّم و یستعظم فیقال فی العرف:زمان طیّب و زمان عظیم.و أمّا استلزام ذلک لإهانه من یستعظمه لأنّ إعظامه له یستلزم استنامته إلیه و اشتغاله بما فیه من اللذّات الدنیویّه فغفل بسبب محبّتها عن الاستعداد لما ورائه.ثمّ إنّ الزمان مکر علیه بمقتضی طباعه فیفرّق بینه و بین ما کان یغترّ به من مال أو جاه أو رجال فیصبح حقیرا بعد أن کان خطیرا و صغیرا بعد أن کان کبیرا و قلیلا بعد أن کان کثیرا،و الکلمه فی قوّه صغری ضمیر تقدیر کبراه:و کلّ من أهانه الزمان فینبغی له أن یستهین به و لا یعظّمه.

الرابعه و العشرون:

قوله: لیس کلّ من رمی أصاب ،و قد سبق مثله فی

قوله: لیس کلّ طالب یصیب .و غرضه التنبیه علی ما ینبغی من ترک الاسف علی ما یفوت من المطالب و التسلّی بمن أخطأ فی طلبه،أو توبیخ الغیر و تبکیته بأنّه لیس بأهل لذلک المطلوب و أنّ له قوما آخرین.و إلی نحوه أشار أبو الطیّب:

ما کلّ من طلب المعالی نافذا فیها و لا کلّ الرجال فحولا.

الخامسه و العشرون:

نبّه علی أنّ تغیّر السلطان فی رأیه و نیّته و فعله فی رعیّته من العدل إلی الجور یستلزم تغیّر الزمان علیهم.إذ یغیّر من الإعداد للعدل إلی الإعداد للجور،و روی أنّ کسری أنوشیروان جمع عمّال السواد،و بیده درّه یقلّبها.فقال:أیّ شیء أضرّ بارتفاع الأعمال و أدعی إلی محقه،و من أجابنی بما فی نفسی جعلت هذه الدرّه فی فیه.فقال کلّ منهم قولا من احتباس المطر و الجراد و اختلاف الهواء.فقال لوزیره:قل أنت فإنّی أظنّ عقلک یعادل عقول الرعیّه و یزید علیها.فقال:إنّما یضرّ بارتفاعها تغیّر رأی السلطان فی رعیّته،و إضمار الحیف لهم و الجور علیهم.فقال:للّه أبوک بهذا العقل أهّلک الملوک لما أهّلوک له.

و دفع إلیه الدرّه فجعلها فی فیه .

السادسه و العشرون:

أمره بالسؤال عند إرادته لسلوک طریق عن الرفیق فیها لغایه أن یجتنبه إن کان شریرا،و یرافقه إن کان خیّرا.فإنّ الرفیق إمّا رحیق و إمّا حریق،و کذلک عن الجار عند إرادته لسکنی الدار للغایه المذکوره.و روی هذا الکلام مرفوعا .

السابعه و العشرون:

حذّره أن یذکر من الکلام ما کان مضحکا سواء کان عن نفسه أو عن غیره لما یستلزم ذلک من الهوان،و قلّه الهیبه فی النفوس.

الثامنه و العشرون:وصّاه فی النساء بامور:
أحدها:الحذر من مشاورتهنّ

،و نبّه علی وجوب الحذر بضمیر صغراه قوله:

فإنّ رأیهنّ.إلی قوله:وهن.و ذلک لنقصان عقولهنّ،و تقدیر الکبری:و کلّ من کان کذلک فینبغی أن یحذر من استشارته لما أنّ ضعف الرأی مظنّه الخطاء و عدم إصابه وجه المصلحه فیما یستشار فیه .

ص:۶۵

الثانی:أن یکفّ علیهنّ من أبصارهنّ بحجابه إیّاهنّ،

و هو من أفصح الکنایات عن الحجب.و من زایده،و یحتمل أن یکون للتبعیض.و نبّه علی وجوب حجبهنّ بضمیر صغراه قوله:فإنّ شدّه الحجاب أبقی علیهنّ:أی أبقی للستر و العفّه من الخروج و التبرّج و أدوم لحفظهنّ،و تقدیر الکبری:و کلّ ما کان کذلک وجب فعله.

الثالث:نبّه علی أنّه لا یجوز أن یرحض فی إدخال من لا یوثق به علیهنّ،

و هو أعمّ من الرجال و النساء،و الکلام فی قوّه صغری ضمیر دلّ به علی ذلک المنع، و تقدیرها:أنّ إدخال من لا یوثق به علیهنّ إمّا مساو لخروجهنّ فی المفسده أو أشدّ و تقدیر الکبری:و کلّ ما کان کذلک فلا یجوز الرخصه فیه،و إنّما کان أشدّ فی بعض الصور لأنّ دخول من لا یوثق به علیهنّ أمکن لخلوته بهنّ و الحدیث معهنّ فیما یراد من الفساد.

الرابع:أمره أن یحسم أسباب المعرفه بینه و بین غیره

لکون معرفتهنّ لغیره مظنّه المفسده.و قرینه الحال یخرج غیر أولی الإربه کالوالد و المحرم،و إنّما شرط فی ذلک الاستطاعه لأنّه قد لا یمکن الإنسان دفع معرفتهنّ لغیره مطلقا .

الخامس:نهاه أن یملک المرأه من أمرها ما خرج عن حدّ نفسها

من مأکول أو ملبوس و نحوه،و ما جاوز ذلک کالشفاعات،و نبّه علی عدم صلوحها بضمیر صغراه استعاره قوله: فإنّ المرأه ریحانه و لیست بقهرمانه .و استعار لفظ الریحانه باعتبار کونها محلاّ للّذّه و الاستمتاع بها،و لعلّ تخصیص الریحانه بالاستعاره لأنّ شأن نساء العرب استعال الطیب کثیرا ، کنایه و کنّی بکونها غیر قهرمانه عن کونها لم تخلق لتکون حاکمه متسلّطه بل من شأنها أن تکون محکوما علیها ،و تقدیر الکبری:و کلّ من کان کذلک فلا ینبغی أن یجاوزونه أمر نفسه،و تمکّن من التصرّف فی أمر غیره .

السادس:و کذلک نهیه أن یجاوز بکرامتها نفسها

:أی لا تکرمها بکرامه یتعدّی صلاح نفسها،و هو کقوله:و لا یملک المرأه.إلی آخره.

السابع:و کذلک نهیه أن یطمعها فی الشفاعه لغیرها

لأنّ ذلک مجاوزه منها

لحدّ نفسها،و قد نبّه على أنّها ليست بأهل لذلك لما هى عليه من نقصان الغريزه و ضعف الرأى.

الثامن:نهاه عن التغاير فى غير موضع الغيره،

و نبّه على ما فى ذلك من المفسده بضمير صغراه كنايه قوله: فإنّ ذلك.إلى قوله:السقم ،و كنّى بالصحيحه عن البريئه من الخيانه و الفساد،و بالسقم عنهما و إنّما كان كذلك لأنّ المرأه حين براءتها من الفساد يستقبح ذلك و يستنكره كره المواجهه،و يستشعر خوف الفضيحه و العقاب فإذا نسبت إلى ذلك مع براءتها منه عظم عليها فى أوّل الأمر فإذا تكرّر ذلك من الرجل هان عليها أمره و صار لومه لها فى قوّه الإغراء بها بذلك،و قد علمت ما فى الطباع الحيوانيّه من الحرص على الأمر الممنوع منه فكانت الغيره فى غير موضعها و اللائمه بسبب التخيّل الفاسد على ما لم يفعل أمرا داعيا إلى قوله،و تقدير الكبرى:

و كلّ ما كان كذلك لم يجز فعله .

التاسع و العشرون:

أمره أن يجعل لكلّ إنسان من خدمه شغلا يخصّه،و يأخذه بفعله و يؤاخذه على تركه،و ذلك من الحكمه المنزليّه.و نبّه على سرّ ذلك بضمير صغراه قوله:فإنّه أحرى.إلى قوله:خدمتك،و ذلك أنّهم إذا شركوا فى التكليف بفعل واحد يقوم به كلّ واحد منهم فالغالب عليهم أن يكل كلّ واحد منهم فعله إلى الآخر فيستلزم ذلك أن لا يفعل.قال كسرى أنوشيروان لولده شيرويه:و انظر إلى كتّابك فمن كان منهم ذا ضياع قد أحسن عمارتها فولّه الخراج،و من كان منهم ذا عبيد فولّه الجند،و من كان منهم ذا سرارى قد أحسن القيام عليهنّ فولّه النفقات و القهرمه،و هكذا فاصنع فى خدم دارك و لا تجعل أمرك فوضى بين خدمك فيفسد عليك ملكك.

الثلاثون أمره بإكرام عشيرته،

و نبّه على ذلك بضمير صغراه استعاره مرشحه قوله: فإنّهم.

إلى قوله:تقول .و استعار لهم لفظ الجناح باعتبار كونهم مبدء نهوضهم و قوّته على الحركه إلى المطالب كجناح الطائر،و رشّح بذكر الطيران،و كذلك لفظ اليد باعتبار كونهم محلّ صولته على العدوّ،و تقدير الكبرى:و كلّ من كان كذلك

وجب علیک إکرامه ثمّ ختم الوصیّه بوداعه و استودع اللّه دینه و دنیاه و سؤاله خیر القضاء له فی عاجلته و آجلته و داریه دنیاه و آخرته حسب إرادته تعالی و مشیئته و لفظ الاستیداع مجاز فی طلب الحفظ من اللّه لما استودعه إیّاه .و باللّه التوفیق و العصمه.

۳۲-و من کتاب له علیه السّلام

اشاره

إلی معاویه

وَ أَرْدَیْتَ جِیلاً مِنَ النَّاسِ کَثِیراً- خَدَعْتَهُمْ بِغَیِّکَ وَ أَلْقَیْتَهُمْ فِی مَوْجِ بَحْرِکَ- تَغْشَاهُمُ الظُّلُمَاتُ وَ تَتَلَاطَمُ بِهِمُ الشُّبُهَاتُ- فَجَازُوا عَنْ وِجْهَتِهِمْ وَ نَکَصُوا عَلَی أَعْقَابِهِمْ- وَ تَوَلَّوْا عَلَی أَدْبَارِهِمْ وَ عَوَّلُوا عَلَی أَحْسَابِهِمْ- إِلَّا مَنْ فَاءَ مِنْ أَهْلِ الْبَصَائِرِ- فَإِنَّهُمْ فَارَقُوکَ بَعْدَ مَعْرِفَتِکَ- وَ هَرَبُوا إِلَی اللَّهِ مِنْ مُوَازَرَتِکَ- إِذْ حَمَلْتَهُمْ عَلَی الصَّعْبِ وَ عَدَلْتَ بِهِمْ عَنِ الْقَصْدِ- فَاتَّقِ اللَّهَ یَا؟مُعَاوِیَهُ؟ فِی نَفْسِکَ- وَ جَاذِبِ الشَّیْطَانَ قِیَادَکَ- فَإِنَّ الدُّنْیَا مُنْقَطِعَهٌ عَنْکَ وَ الْآخِرَهَ قَرِیبَهٌ مِنْکَ- وَ السَّلَامُ أقول:أوّل هذا الکتاب:من عبد اللّه أمیر المؤمنین إلی معاویه بن أبی سفیان أمّا بعد فإنّ الدنیا دار تجاره و ربحها الآخره.فالسعید من کانت بضاعته فیها الأعمال الصالحه،و من رأی الدنیا بعینها و قدّرها بقدرها و إنّی لأعظک مع علمی بسابق العلم فیک ممّا لا مردّ له دون نفاذه،و لکنّ اللّه تعالی أخذ علی العلماء أن یردّوا الأمانه،و أن ینصحوا الغویّ و الرشید.فاتّق اللّه و لا تکن ممّن لا یرجو للّه

وقارا،و من حقّت عليهم كلمه العذاب فإنّ اللّه بالمرصاد،و أنّ دنياك ستدبر عنك،و ستعود حسره عليك فانتبه من الغيّ و الضلال على كبر سنّك و فناء عمرك فإنّ حالك اليوم كحال الثواب المهيل الّذى لا يصلح من جانب إلاّ فسد من آخر.ثمّ يتّصل به و قد أرديت.الفصل.

اللغه

و المهيل : المتداعى فى التمزّق،و منه رمل مهيل:أى ينهال و يسيل .و أرديت أهلكت .و الجيل : الصنف،و روى جبلا:و هو الخلق .و جاروا : عدلوا .و الوجهه:

القصد .و النكوص : الرجوع .و عوّل على كذا : اعتمد عليه . وفاء : رجع .و الموازره : المعاونه .

و فى الكتاب مقاصد:

الأوّل:موعظته و تذكيره بحال الدنيا و كونها دار تجاره

و الغايه من التجاره فيها إمّا ربح الآخره بصلاح البضاعه و هى الأعمال،و إمّا خسران الآخره بفسادها.

الثانى:تنبيهه على أن يرى الدنيا بعينها

:أى يعرفها بحقيقتها،أو يراها بالعين الّتى بها تعرف و هى عين البصيره،و يعلم ما هى عليه من الغير و الزوال و أنّها خلقت لغيرها ليقدّرها بمقدارها و يجعلها فى نظره لما خلقت له.

الثالث:نبّهه على أنّ للّه تعالى علما لا بدّ من نفاده فيه

فإنّ ما علم اللّه تعالى وقوعه لا بدّ من وقوعه،و إنّما وعظه امتثالا لأمر اللّه و وفاء بعهده على العلماء أن تؤدّوا أمانته،و تبلغوا أحكامه إلى خلقه و أن تنصحوا ضالّهم و رشيدهم.

الرابع:أمره بتقوى اللّه،و نهاه أن يكون ممّن لا يرجو للّه وقارا

:أى لا يتوقّع للّه عظمه فيعبده و يطيعه.و الوقار:الاسم من التوقير:و هو التعظيم.و قيل:الرجاء هنا بمعنى الخوف فيكون مجازا إطلاقا لاسم أحد الضدّين على الآخر،و أن يكون ممّن حقّت عليه كلمه العذاب.

و قوله:فإنّ اللّه بالمرصاد.

تنبیه له علی اطّلاعه علیه و علمه بما یفعل لیرتدع عن معصیته.

ص:۶۹

الخامس:تنبّهه على إدبار الدنيا

،و عودها حسره عليه يوم القيامه فقدها مع عشقه لها،و عدم تمسّكه فى الآخره بعصم النجاه،و فناء زاده إليها.

السادس:أمره بالانتباه من رقده الجهل و الضلال على حال كبر سنّه و فناء

عمره

فإنّ تلك الحال أولى الأحوال بالانتباه منها،و نبّهه على أنّه غير قابل للإصلاح فى ذلك السنّ بعد استحكام جهله و تمكّن الهيئات البدنيّه من جوهر نفسه و نهكها له فهو كالثوب الخلق لا يمكن إصلاحه بالخياطه بل كلّما خيط من جانب تمزّق من آخر .

السابع:

استعاره أخبره فى معرض التوبيخ على ما فعل بأهل الشام من خدعته لهم و إلقائهم فى موج بحره،و لمّا كان ضلاله عن دين اللّه و جهله بما ينبغى هو سبب خدعته لهم نسبها إليه،و استعار لفظ البحر لأحواله و آرائه فى طلب الدنيا و الانحراف عن طريق اللّه باعتبار كثرتها و بعد غايتها،و لفظ الموج للشبه الّتى ألقاها إليهم و غرقهم بها فيما يريد من الأغراض الباطله،و مشابهتها للموج فى تلعّبها بأذهانهم و اضطراب أحوالهم بسببها ظاهره،و كذلك استعار لفظ الظلمات لما حجب أبصار بصائرهم عن إدراك الحقّ من تلك الشبهات،و لفظ الغشيان لطريانها على قلوبهم و حجبها لها.و محلّ تغشاهم نصب على الحال.و كذلك لفظ التلاطم لتلعّب تلك الشبهات بعقولهم .

و قوله: فجازوا .

عطف على ألقيتهم،و أراد أنّهم عدلوا عن الحقّ بسبب ما ألقاه إليهم من الشبه و اعتمدوا فى قتالهم على أحسابهم حميّه الجاهليّه فى الذبّ عن أصولهم و مفاخرهم دون مراعاه الدين و الذبّ عنه إلاّ من رجع إلى الحقّ من أهل العقول فإنّهم عرفوك و ما أنت عليه من الضلال ،فارقوك و هربوا إلى اللّه من مؤازرتك فيما تريده من هدم الدين حين حملتهم على الامور الصعبه الهادمه له و عدلت بهم عن قصد الحقّ.و قد كان استغوى العرب بشبهه قتل عثمان و الطلب بدمه.فلمّا عرف

عقلاؤهم و المتمسّكون بالدين منهم أنّ ذلك خدعه منه لإراده الملك فارقوه و اعتزلوه.

استعاره مرشحه و قوله:على أعقابهم،و على أدبارهم.

ترشيح لاستعاره لفظى النكوص و التولّى من المحسوسين للمعقولين،و الاستثناء هنا من الجيل الذين خدعهم ، استعاره و لفظ الصعب مستعار لما حملهم عليه من الأمور المستصعبه فى الدين باعتبار أنّ ركوبهم لها يستلزم عدولهم عن صراط اللّه و وقوعهم فى مهاوى الهلاك كما يستلزم ركوب الجمل الصعب النفور العدول براكبه عن الطريق و تقحّم المهالك،و كذلك لفظ القصد مستعار للطريق المعقول إلى الحقّ من الطريق المحسوس .ثمّ كرّر عليه الأمر بتقوى اللّه،و أن يجاذب الشيطان قياده.و استعار لفظ المجاذبه للممانعه المعقوله،و لفظ القياد لما يقوده به من الآراء الباطله و كواذب الآمال،و ممانعه الشيطان لذلك القياد بتكذيب النفس الأمّاره فيما يوسوس به من تلك الآراء .

و قوله: فإنّ الدنيا .إلى آخره.

تنبيه له على وجوب قطع الآمال الدنيويّه لانقطاع الدنيا،و على العمل للآخره بقربها.و هو فى قوّه صغرى ضميرين تقدير كبرى الأوّل:و كلّ ما كان منقطعا زايلا وجب أن يقطع الأمل فيه لانقطاعه و تجاذب الشيطان فى دعوته إليه،و تقدير كبرى الثانى:و كلّ ما كان قريبا فينبعى أن يستعدّ لوصوله بالعمل.و باللّه التوفيق.

٣٣-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى قثم بن العباس،و هو عامله على مكه

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ عَيْنِى بِالْمَغْرِبِ كَتَبَ إِلَيَّ يُعْلِمُنِى- أَنَّهُ وُجِّهَ إِلَى الْمَوْسِمِ أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ؟الشَّامِ؟- الْعُمْيِ الْقُلُوبِ الصُّمِّ الْأَسْمَاعِ الْكُمْهِ

الْأَبْصَارِ- الَّذِينَ يَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ- وَ يُطِيعُونَ الْمَخْلُوقَ فِی مَعْصِيَهِ الْخَالِقِ- وَ يَحْتَلِبُونَ الدُّنْيَا دَرَّهَا بِالدِّينِ- وَ يَشْتَرُونَ عَاجِلَهَا بِآجِلِ الْأَبْرَارِ الْمُتَّقِينَ- وَ لَنْ يَفُوزَ بِالْخَيْرِ إِلاَّ عَامِلُهُ- وَ لاَ يُجْزَی جَزَاءَ الشَّرِّ إِلاَّ فَاعِلُهُ- فَأَقِمْ عَلَی مَا فِی يَدَيْكَ قِيَامَ الْحَازِمِ الصَّلِيبِ- وَ النَّاصِحِ اللَّبِيبِ- التَّابعِ لِسُلْطَانِهِ الْمُطِيعِ لِإِمَامِهِ- وَ إِيَّاكَ وَ مَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ- وَ لاَ تَكُنْ عِنْدَ النَّعْمَاءِ بَطِراً- وَ لاَ عِنْدَ الْبَأْسَاءِ فَشِلاً

أقول:هو قثم بن العبّاس بن عبد المطّلب،و لم يزل واليا لعلیّ عليه السّلام علی مكّه حتّی قتل عليه السّلام و استشهد بسمرقند فی زمن معاويه،و سبب هذا الكتاب أنّ معاويه كان قد بعث إلی مكّه فی موسم الحجّ و اجتماع العرب بها دعاه يدعون إلی طاعته و يثبّطون العرب من نصره علیّ عليه السّلام،و يلقون فی أنفسهم أنّه إمّا قاتل عثمان أو خاذل له و علی التقديرين فلا يصلح للإمامه،و ينشرون محاسن معاويه-بزعمهم- و أخلاقه و سيرته فی العطاء.فكتب عليه السّلام هذا الكتاب إلی عامله بمكّه يتبهه علی ذلك ليعتمد عليه فيما يقتضيه السياسه،و قيل:إنّ الذين بعثهم بعض السرايا الّتی كان يبعثها ليغير علی أعمال علیّ عليه السّلام.

اللغه

و العين : الجاسوس .و الموسم : مجمع الحاجّ .و الأكمه : الأعمی خلقه .و البطر : شدّه المرح و كثره النشاط .و البأساء : الشدّه بنی علی فعلاء و لا أفعل له لأنّه اسم غير صفه .و الفشل : الجبن و الضعف .

المعنی

و حاصل الكتاب إعلامه أوّلا بما كتب إليه عينه بالمغرب،و أراد الشام لأنّها من البلاد المغربيّه،و قد كان له عليه السّلام فی البلاد جواسيس يخبره بما يتجدّد من الامور عند معاويه،و لمعاويه عنده كذلك كما جرت عاده الملوك بمثله.ثمّ وصف أهل الشام بأوصاف يستلزم البعد عن اللّه لغرض التنفير عنهم:

أحدها:شمول الغفله بهم من كلّ وجه عمّا خلقوا لأجله،و أستعار لقلوبهم لفظ العمى باعتبار عدم عقليّتهم للحقّ و إدراكهم لما ينبغى من طريق الآخره كما لا يدرك الأعمى قصده،و لفظ الصمّ لأسماعهم و الكمه لأبصارهم باعتبار عدم انتفاعهم من جهه الأسماع بالمواعظ و التذاكير،و من جهه الأبصار بتحصيل العبره بها من آثار اللّه سبحانه كما لا ينتفع بذلك فاقد هاتين الآلتين.

الثانى :كونهم يلبسون الحقّ بالباطل:أى يخلّطونه و يعمّونه فيه.و المراد أنّهم يعلمون أنّه على الحقّ و أنّ معاويه على الباطل ثم يكتمون ذلك و يغطّونه بشبهه قتل عثمان و الطلب بدمه إلى غير ذلك من أباطيلهم،و روى يلتمسون الحقّ بالباطل.إذ كانوا يطلبون حقّا بحركاتهم الباطله.

الثالث:كونهم يطيعون المخلوق:أى معاويه فى معصيه خالقهم.

استعاره الرابع:كونهم يجتلبون الدنيا درّها بالدين ،و استعار لفظ الدرّ لمتاع الدنيا و طيّباتها،و لفظ الاحتلاب لاستخراج متاعها بوجوه الطلب من مظانّه ملاحظا لشبهها بالناقه .و درّها منصوب بدلا من الدنيا.و إنّما كان ذلك بالدين لأنّ إظهارهم لشعاره و تمسّكهم بظواهره لعرض تحصيل الدنيا و أخذهم ما لا يستحقّونه منها فإنّ محاربتهم له عليه السّلام إنّما كانت كما زعموا للأخذ بثار الخليفه عثمان و إنكار المنكر على قاتليه و خاذليه،و لذلك تمكّنوا من تألّف قلوب العرب و أكثر جهّال المسلمين على حربه عليه السّلام،و أخذ البلاد.

استعاره الخامس: شراؤهم عاجل الدنيا بآجل الأبرار ،و هو ثواب الآخره،و لفظ الشراء مستعار لاستعاضتهم ذلك العاجل من ذلك الآجل،و لمّا كان ذلك فى شعار الإسلام هو الخسران المبين ذكره فى معرض ذمّهم ،ثمّ ذكر فى مقام الوعد و الوعيد لهم انحصار الفوز بالخير ممّن عمل الخير ترغيبا فيه و المجازاه بالشرّ فى فاعله تنفيرا عفه .ثمّ ختم بأمره و تحذيره أمّا أمره فبأن يقيم على ما فى يديه من العمل مقام من هو أهل ذلك و هو الحازم المتثبّت فى إرائه،الصليب فى طاعه اللّه،الناصح اللبيب له و لأوليائه،التابع لسلطانه،المطيع لإمامه و أمّا تحذيره فممّا يعتذر منه و هو كلّ

أمر عدّ فی الشرع معصیه و تقصیرا عن أداء حقّه،و یروی الکلمات مرفوعه.ثمّ من البطر فی النعمه و الفشل و الضعف عند البأساء و الشدّه لکون ذلک معدّ الزوال النعمه و حلول النقمه.و البطر رذیله تستلزم رذیلتی الکبر و العجب و تقابل فضیله التواضع،و الفشل رذیله التفریط من فضیله الشجاعه.و باللّه التوفیق.

۳۴-و من کتاب له علیه السّلام

اشاره

إلی محمد بن أبی بکر

،لما بلغه توجده من عزله بالأشتر عن مصر ثم توفی الأشتر فی توجهه إلی مصر قبل وصوله إلیها أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِی مَوْجِدَتُکَ مِنْ تَسْرِیحِ؟الْأَشْتَرِ؟ إِلَی عَمَلِکَ- وَ إِنِّی لَمْ أَفْعَلْ ذَلِکَ اسْتِبْطَاءً لَکَ فِی الْجَهْدِ- وَ لاَ ازْدِیَاداً لَکَ فِی الْجِدِّ- وَ لَوْ نَزَعْتُ مَا تَحْتَ یَدِکَ مِنْ سُلْطَانِکَ- لَوَلَّیْتُکَ مَا هُوَ أَیْسَرُ عَلَیْکَ مَئُونَهً- وَ أَعْجَبُ إِلَیْکَ وِلاَیَهً- إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِی کُنْتُ وَلَّیْتُهُ أَمْرَ؟مِصْرَ؟- کَانَ رَجُلاً لَنَا نَاصِحاً وَ عَلَی عَدُوِّنَا شَدِیداً نَاقِماً- فَرَحِمَهُ اللَّهُ فَلَقَدِ اسْتَکْمَلَ أَیَّامَهُ- وَ لاَقَی حِمَامَهُ وَ نَحْنُ عَنْهُ رَاضُونَ- أَوْلاَهُ اللَّهُ رِضْوَانَهُ وَ ضَاعَفَ الثَّوَابَ لَهُ- فَأَصْحِرْ لِعَدُوِّکَ وَ امْضِ عَلَی بَصِیرَتِکَ- وَ شَمِّرْ لِحَرْبِ مَنْ حَارَبَکَ وَ «ادْعُ إِلی سَبِیلِ رَبِّکَ» - وَ أَکْثِرِ الاِسْتِعَانَهَ بِاللَّهِ یَکْفِکَ مَا أَهَمَّکَ- وَ یُعِنْکَ عَلَی مَا نَزَلَ بِکَ و السلام أقول:السبب أنّ محمّد بن أبی بکر کان یضعف عن لقاء العدوّ،و لم یکن فی أصحاب علیّ علیه السّلام أقوی بأسا فی الحرب من الأشتر-رحمه اللّه-و کان معاویه بعد وقایع صفّین قد تجرّد للإغاره علی أطراف بلاد المسلمین،و قد کانت مصر

ص:۷۴

جعلت طعمه لعمرو بن العاص،و علم عليه السّلام أنّها لا تتحفّظ إلّا بالأشتر فكتب له العهد الّذى يأتى ذكره و وجّهه إليها فبلغه أنّ محمّدا تألّم من ذلك.ثمّ إنّ الأشتر مات قبل وصوله إليها فكتب عليه السّلام إلى محمّد هذا الكتاب،و هو يؤذن بإقراره على عمله و استرضائه،و تعريفه وجه عذره فى توليه الأشتر لعمله،و أنّه لم يكن ذلك لموجده عليه و لا تقصير منه.

اللغه

و الموجده ما يجده الإنسان من الغضب و التألّم عنه .و التسريح:

الإرسال .و أصحر له : أى أخرج له إلى الصحراء .و البصيره هنا:الحجّه و الهدى فى الدين .

و حاصل الفصل امور :

الأوّل:

فقد بلغنى .إلى قوله: عملك كالاعتراف له بما يشبه الإساءه فى حقّه ليرتّب عليه ما يشبه الاعتذار إليه.

الثانى:

قوله: و إنّى لم أفعل ذلك .إلى قوله: ناقما .أخذ فيما يشبه العذر فنفى عنه التقصير و الاستبطاء فى الجهاد و نحوه ممّا عساه يتوهّمه سببا لعزله.ثمّ وعده على تقدير تمام عزله بولايه أمر هو أسهل عليه كلفه و أحبّ إليه ولايه تسكينا لقلبه عن مصر بالترغيب فيما هو خير منها .ثمّ أشار إلى وجه بعثه الأشتر فى معرض ذلك الثناء عليه بما استجمعه من الخصال الحميده المذكوره،و هى كونه لامامه ناصحا،و على عدوّه شديدا ناقما:أى منكرا و مغيرا،و محمّد و إن كان له الأمر فى الأوّل إلّا أنّه فى الثانى ضعيف.

الثالث:

قوله: فرحمه اللّه .إلى قوله: الثواب له .إعلام بأنّه مات و هو عنه راض لأن لا يظهر به شماتته .

الرابع:

قوله: فأصحر .إلى آخره أمر له بالاستعداد للعدوّ،و أمره بالإصحار لإشعاره بالقوّه دون الاستتار فى المدينه المشعر بالضعف،و أن يمضى فى محاربته على حجّته فى الحقّ و استبصاره فيه، كنايه و كنّى وصف التشمير عن الاستعداد للحرب ،و أن يدعو إلى سبيل ربّه «بِالْحِكْمَهِ وَ الْمَوْعِظَهِ الْحَسَنَهِ وَ» المجادله «بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» ،و أن يكثر الاستعانه باللّه فإنّ الرغبه إليه،و الاستعانه به تعدّ

لإفاضه النصر و كفايته ما

ص:٧٥

أهمّ من أمر العدوّ و معونته على ما نزل من الشدائد.و باللّه التوفيق و العصمه.

۳۵-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى عبد اللّه بن العباس،بعد مقتل محمد بن أبى بكر

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ؟مِصْرَ؟ قَدِ افْتُتِحَتْ- وَ؟مُحَمَّدُ بْنُ أَبِى بَكْرٍ؟ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدِ اسْتُشْهِدَ- فَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُهُ وَلَداً نَاصِحاً وَ عَامِلًا كَادِحاً- وَ سَيْفاً قَاطِعاً وَ رُكْناً دَافِعاً- وَ قَدْ كُنْتُ حَثَثْتُ النَّاسَ عَلَى لَحَاقِهِ- وَ أَمَرْتُهُمْ بِغِيَاثِهِ قَبْلَ الْوَقْعَهِ- وَ دَعَوْتُهُمْ سِرّاً وَ جَهْراً وَ عَوْداً وَ بَدْءاً- فَمِنْهُمُ الْآتِى كَارِهاً وَ مِنْهُمُ الْمُعْتَلُّ كَاذِباً- وَ مِنْهُمُ الْقَاعِدُ خَاذِلاً- أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ لِى مِنْهُمْ فَرَجاً عَاجِلًا- فَوَاللَّهِ لَوْ لَا طَمَعِى عِنْدَ لِقَائِى عَدُوِّى فِى الشَّهَادَهِ- وَ تَوْطِينِى نَفْسِى عَلَى الْمَنِيَّهِ- لَأَحْبَبْتُ أَلَّا أَبْقَى مَعَ هَؤُلَاءِ يَوْماً وَاحِداً- وَ لَا أَلْتَقِىَ بِهِمْ أَبَداً

اللغه

أقول: احتسبت كذا عند اللّه : أى طلبت به الحسبه بكسر الحاء و هى الأجر .

و الشهاده : القتل فى سبيل اللّه .و استشهد : كانّه استحضر إلى اللّه .

و مدار الكتاب على امور:

أحدها

:إعلامه بفتح مصر.

الثانى:إخباره عن قتل محمّد بن أبى بكر

ليساهمه فى الهمّ بهذه المصيبه،و مدحه فى معرض التفجّع عليه و التوجّع له،و ولدا و عاملا و سيفا و ركنا أحوال، و تسميته ولدا مجاز باعتبار تربيته فى حجره كالولد،و ذلك أنّه كان ربيبا له،و أمّه أسماء بنت عميس الخثعميّه كانت تحت جعفر بن أبى طالب و هاجرت معه إلى الحبشه فولدت له محمّدا و عونا و عبد اللّه بالحبشه،و لمّا قتل جعفر تزوّجها ابو بكر فولدت له

محمّدا هذا.فلمّا توفّى عنها تزوّجها على عليه السّلام فولدت له يحيى بن علىّ، استعاره مرشحه و استعار له لفظ السيف باعتبار كونه يقمع به العدوّ و يصال به عليه،و رشّح بذكر القاطع،و كذلك لفظ الركن باعتبار كونه يستند إليه فى الحوادث فتدفع به و رشّح بقوله:دافعا .

الثالث:إعلامه بحاله مع الناس فى معرض التشكّى منهم

،و أنّه قد حثّهم على لحاقه و إغاثته فلم يسمعوا،و أشار إلى وجه تقصير كلّ منهم،و قد كان حاله عليه السّلام مع الناس كحال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مع قومه فالآتون كارهين «كَأَنَّما يُساقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ» ،و المعتلّون كذبا كالّذين قالوا «لَوِ اسْتَطَعْنا لَخَرَجْنا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَ اللّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ» ،و من تأمّل حالهما و سيرتهما إلى أن قبضا تحقّق وجه الشبه بينهما فى أكثر الأحوال.و هذه القسمه لهم بحسب ما وجدهم .

الرابع:سؤاله للّه تعالى أن يعجّل له منهم الفرج

و هو فى معرض التشكّى أيضا و الإشاره إلى وجه عذره فى المقام بينهم على هذه الحال و هو طلبه للشهاده و توطينه نفسه على الموت عند لقاء العدوّ،و لولا ذلك لفارقهم.و باللّه التوفيق.

۳۶-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى عقيل بن أبى طالب

،فى ذكر جيش انفذه إلى بعض الأعداء و هو جواب كتاب كتبه إليه فَسَرَّحْتُ إِلَيْهِ جَيْشاً كَثِيفاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ- فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ شَمَّرَ هَارِباً وَ نَكَصَ نَادِماً- فَلَحِقُوهُ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ- وَ قَدْ طَفَّلَتِ الشَّمْسُ لِلْإِيَابِ- فَاقْتَتَلُوا شَيْئاً كَلاَ وَ لاَ- فَمَا كَانَ إِلاَّ كَمَوْقِفِ سَاعَةٍ حَتَّى نَجَا جَرِيضاً- بَعْدَ مَا أُخِذَ مِنْهُ بِالْمُخَنَّقِ- وَ لَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ غَيْرُ الرَّمَقِ- فَلَأْياً بِلَأْيٍ مَا نَجَا- فَدَعْ عَنْكَ؟قُرَيْشاً؟ وَ تَرْكَاضَهُمْ فِي الضَّلاَلِ- وَ تَجْوَالَهُمْ فِي الشِّقَاقِ وَ جِمَاحَهُمْ فِي التِّيهِ- فَإِنَّهُمْ قَدْ

أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِى- كَإِجْمَاعِهِمْ عَلَى حَرْبِ؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟ قَبْلِى- فَجَزَتْ؟قُرَيْشاً؟ عَنِّى الْجَوَازِى- فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمِى وَ سَلَبُونِى سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّى- وَ أَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ رَأْيِى فِى الْقِتَالِ- فَإِنَّ رَأْيِى قِتَالُ الْمُحِلِّينَ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ- لَا يَزِيدُنِى كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِى عِزَّةً- وَ لَا تَفَرُّقُهُمْ عَنِّى وَحْشَةً- وَ لَا تَحْسَبَنَّ ابْنَ أَبِيكَ- وَ لَوْ أَسْلَمَهُ النَّاسُ مُتَضَرِّعاً مُتَخَشِّعاً- وَ لَا مُقِرّاً لِلضَّيْمِ وَاهِناً- وَ لَا سَلِسَ الزِّمَامِ لِلْقَائِدِ- وَ لَا وَطِىءَ الظَّهْرِ لِلرَّاكِبِ الْمُقْتَعِدِ- وَ لَكِنَّهُ كَمَا قَالَ أَخُو؟بَنِى سَلِيمٍ؟- فَإِنْ تَسْأَلِينِى كَيْفَ أَنْتَ فَإِنَّنِى صَبُورٌ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ صَلِيبُ

يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ تُرَى بِى كَآبَةٌ فَيَشْمَتَ عَادٍ أَوْ يُسَاءَ حَبِيبُ

اللغه

أقول: طفّلت الشمس بالتشديد : إذا مالت للغيب .و آبت : لغه فى غابت .و الجريض : المغموم الّذى يبتلع ريقه على همّ و حزن بالجهد و يكاد يموت لذلك .و المخنّق بالتشديد : هو من العنق موضع الخنق بكسر النون .و الرمق : بقيّه النفس و اللأى : الشدّه و العسر .و الاجماع : تصميم العزم .و الجوازى : جمع جازيه و هى النفوس تجزى بالسيّئه .و المحلّين : من نقص البيعه،يقال لمن نقض عهده و بيعته:

محلّ،و لمن حفظه.محرم .و المقتعد : الراكب لاقتعاده لأظهر البعير .

و حاصل الفصل أمور:

أحدها:قوله:فسرّحت،إلى قوله:ما نجا.

حكايه حال عدوّ و قد أغار على بعض أعماله فنفد إليه جيشا من المسلمين فهرب حين علم توجّههم نحوه ثمّ لحقوه

فقاتلوه قليلا- ثمّ أفلت منهم على شدّه و عسر من الخلاص،و ألفاظه عليه السّلام أفصح العبارات عمّا ذكره،و هاربا و نادما و جريضا أحوال.

تشبيه و قوله كلا و لا .

تشبيه بالقليل السريع الفناء،و ذلك لأنّ لا و لا لفظان قصيران سريعا الانقطاع قليلان فى المسموع من المتخاطبين.فشبّه بهما ما كان من محاربه العدوّ للجيش الّذى نفذه.و نحوه قول ابن هانى المغربى:

و أسرع فى العين من لحظه و أقصر فى السمع من لا و لا

و موقف مصدر أى فما كان ذلك القتال إلّا كوقوف ساعه،و روى:لا و ذا.

و لأيا مصدر و العامل محذوف،و ما مصدريّه فى موضع الفاعل،و التقدير:فلأيى لأيا نجاؤه أى عسرو إبطاء.

و قوله:بلأى.

أى لأيا مقرونا بلأى .

الثانی:

استعاره قوله: فدع عنك إلى قوله:ابن أمىّ.

كالجواب لكلام ذكر فيه قريشا و من انضمّ منهم إلى معاويه فأمره عليه السّلام بالإضراب عن ذكرهم على سبيل الغضب منهم،و الواو فى قوله:و تركاضهم.يشبه أن يكون بمعنى مع،و يحتمل أن تكون عاطفه،و استعار لهم لفظ التركاض باعتبار خبط أذهانهم فى الضلال عن سبيل اللّه و خوضهم فى الباطل يتسرّع فيه من غير توقّف، و كذلك لفظ التجوال،و لفظ إجماح باعتبار كثره خلافهم للحقّ و حركاتهم فى تيه الجهل و الخروج عن طريق العدل كالفرس يجمح و يجول .

و قوله. فإنّهم .إلى قوله: رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

فى قوه صغرى ضمير نبّه به على أنه لا- خير فيهم و أنّه يجب الإعراض عنهم، و تقدير الكبرى،و كلّ من كان كذلك فينبغى تركه و الإعراض عنه إذ لا خير فيه.

و أمّا حقيقه الصغرى فظاهره لأنّ قريشا صمّم عزمهم على حربه منذ بويع بغضا له و حسدا و حقدا عليه و اتّفقوا على شقاقه كما كانت حالهم فى بدو الإسلام مع رسول اللّه

صلّى اللّه عليه و آله لم يفترق الحالان فى شىء من ذلك.

و قوله:فجزت قريشا عنّى الجوازى.

دعاء عليهم بأن يجازوا بمثل فعلهم به من قطيعه الرحم و سلبه سلطان الإسلام و الخلافه الّتى هو أولى بها.و هى تجرى مجرى المثل.

و قوله: فقد قطعوا رحمى .

كالتعليل لحسن الدعاء عليهم،و هو فى قوّه صغرى ضمير أيضا،و تقدير كبراه:

و كلّ من فعل ذلك فهو حقيق بالدعاء عليه،و أراد بابن امّه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لأنّهما ابنا فاطمه بنت عمرو بن عمران بن عائذ بن مخزوم امّ عبد اللّه و أبى طالب،و لم يقل ابن أبى لأنّ غير أبى طالب من الأعمام يشركه فى النسب إلى عبد المطّلب.و قيل:

إنّ امّه فاطمه بنت أسد كانت تربّى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حين كفّله أبو طالب يتيما فهى كالامّ له فأطلق عليه البنوّه لها مجازا .

الثالث:

قوله: و أمّا ما سألت عنه .إلى آخره.فهو تقرير بسؤاله و الجواب عنه،و فيه تنبيه على فضيلته من وجوه:

الأوّل:قوّته فى الدين على من أحلّ ذمّه اللّه و نقض عهدا من عهوده.

الثانى:شجاعته الّتى لا يزيده معها كثره الناس حوله عزّه و لا تفرّقهم عنه وحشه،و لا يوجد معها بالصفات المذكوره من الجبن و العجز و الانقياد للعدوّ،و لكنّه معها كالقائل.و الشعر منسوب إلى العبّاس بن مرداس السلمى و هو فى قوّه تمثيل أصله القائل،و فرعه هو عليه السّلام،و علّته ما ذكر من الأوصاف،و حكمه كونه شجاعا يجب الحذر من صولته.و باللّه التوفيق.

۳۷-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى معاويه

فَسُبْحَانَ اللَّهِ- مَا أَشَدَّ لُزُومَکَ لِلْأَهْوَاءِ الْمُبْتَدَعَهِ وَ الْحَيْرَهِ الْمُتَّبَعَهِ- مَعَ تَضْيِيعِ الْحَقَائِقِ وَ اطِّرَاحِ الْوَثَائِقِ- الَّتِی هِیَ لِلَّهِ طِلْبَهٌ وَ عَلَى عِبَادِهِ حُجَّهٌ-

فَأَمَّا إِکْثَارُکَ الْحِجَاجَ عَلَى؟عُثْمَانَ؟ وَ قَتَلَتِهِ- فَإِنَّکَ إِنَّمَا نَصَرْتَ؟عُثْمَانَ؟ حَيْثُ کَانَ النَّصْرُ لَکَ- وَ خَذَلْتَهُ حَيْثُ کَانَ النَّصْرُ لَهُ

أقول:أوّل هـذا الكتاب:أمّا بعـد فإنّ الـدنيا حلوه خضره ذات زينه و بهجه لم يصيب إليها أحـد إلاّ شغلته بزينتها عمّا هو أنفع له منها،و بالآخره أمرنا و عليها حثثنا.

فدع يا معاويه ما يفنى،و اعمل لما يبقى،و احذر الموت الّذى إليه مصيرك و الحساب الّذى إليه عاقبتك.و أعلم أنّ اللّه إذا أراد بعبد خيرا حال بينه و بين ما يكره و وفّقه لطاعته، و إذا أراد بعبد شرّا أغراه بالدنيا و أنساه الآخره و بسط له أمله و عاقّه عمّا فيه صلاحه.و قد وصلنى كتابك فوجدتك ترمى غير غرضك،و تنشد غير ضالّتك،و تخبط فى عمايه و تيه فى ضلاله،و تعتصم بغير حجّه،و تلوذ بأضعف شبهه.فأمّا سؤالك إلىّ المشاركه و الإقرار لك على الشام،فلو كنت فاعلا لذلك اليوم لفعلته أمس.و أمّا قولك:إنّ عمر ولاّكها.فقد عزل عمر من كان ولاّ صاحبه،و عزل عثمان من كان عمر ولاّه،و لم ينصب للناس إمام إلاّ ليرى من صلاح الأمّه ما قد كان ظهر لمن كان قبله أو خفى عنهم غيبته،و الأمر يحدث بعده الأمر،و لكلّ وال رأى و اجتهاد.ثمّ يتّصل بقوله:سبحان اللّه.الفصل إلى آخره .

و الفصل مشتمل على أمرين:

أحدهما:التعجّب من شدّه لزومه للأهواء الّتى مبتدعها،و التحيّر فيها عن

قصد الحقّ

.و ذلك أنّه فى كلّ وقت يوقع شبهه و يبتدع رأيا يغوى به أصحابه و يقرّر فى أذهانهم بذلك أنّ عليّا عليه السّلام لا يصلح للإمامه،فتاره يقول:إنّه قتل عثمان،و تاره يزعم أنّه خذله،و تاره يزعم أنّه قتل الصحابه و فرّق كلمه الجماعه،و تاره تصرف عنه بالعطاء و تفريق مال المسلمين على غير الوجه الشرعىّ،و تاره يعترف بكونه صالحا للإمامه،و يطلب إليه الإقرار بالشام.إلى غير ذلك ممّا يبتدعه فى الدين من الأباطيل،و يتّبع الحيره فيها مع تضييعه لحقايق الامور الّتى ينبغى أن يعتقدها من كونه عليه السّلام الأحقّ بهذا الأمر،و إطراحه لوثايق اللّه و عهوده المطلوبه المرضيّه له

و هی علی عباده حجّه یوم القیامه کما قال تعالی «وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ» الآیه .

الثانی:جوابه عن خطابه فی أمر عثمان

و فخره بنصرته و تبکیته له علیه السّلام بخذلانه إیّاه.

و قوله: فإنّک :إلی آخره.

فی قوّه صغری ضمیر بیانها أنّ معاویه لمّا استصرخه عثمان تثاقل عنه و هو فی ذلک یعده حتّی إذا اشتدّ به الحصار بعث إلیه یزید بن أسد القسربی،و قال له:

إذا أتیت ذی خشب فاقم بها و لا تقل:الشاهد یری ما لا یری الغائب.فإنّی أنا الشاهد و أنت الغائب.قال:فأقام بذی خشب حتّی قتل عثمان.فاستقدمه حینئذ معاویه فعاد إلی الشام بالجیش الّذی کان معه،فکان نصره له حیث بعث لنصرته إنّما کان علی سبیل التعذیر و التقاعد عنه لیقتل فیدعو إلی نفسه فکان ذلک النصر فی الحقیقه لمعاویه.إذ کان فعله ذلک سببا لقتله،و انتصاره هو علی مطلوبه من هذا الأمر، و کان خذلانه له حیث کان محتاجا إلی النصر،و تقدیر الکبری:و کلّ من کان کذلک فلیس له أن یفخر بنصرته و ینسب غیره إلی خذلانه.و باللّه التوفیق.

۳۸-و من کتاب له علیه السّلام

اشاره

إلی أهل مصر،لما ولی علیهم الأشتر رحمه اللّه

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ؟عَلِیٍّ أَمِیرِ الْمُؤْمِنِینَ؟- إِلَی الْقَوْمِ الَّذِینَ غَضِبُوا لِلَّهِ- حِینَ عُصِیَ فِی أَرْضِهِ وَ ذُهِبَ بِحَقِّهِ- فَضَرَبَ الْجَوْرُ سُرَادِقَهُ عَلَی الْبَرِّ وَ الْفَاجِرِ- وَ الْمُقِیمِ وَ الظَّاعِنِ- فَلاَ مَعْرُوفٌ یُسْتَرَاحُ إِلَیْهِ- وَ لاَ مُنْکَرٌ یُتَنَاهَی عَنْهُ- أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَیْکُمْ عَبْداً مِنْ عِبَادِ اللَّهِ- لاَ یَنَامُ أَیَّامَ الْخَوْفِ- وَ لاَ یَنْکُلُ عَنِ الْأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ- أَشَدَّ عَلَی الْفُجَّارِ مِنْ حَرِیقِ النَّارِ-

ص:۸۲

وَ هُوَ؟مَالِکَ بْنُ الْحَارِثِ؟ أَخُو؟مَذْحِجٍ؟- فَاسْمَعُوا لَهُ وَ أَطِیعُوا أَمْرَهُ فِیمَا طَابَقَ الْحَقَّ- فَإِنَّهُ سَیْفٌ مِنْ سُیُوفِ اللَّهِ- لاَ کَلِیلُ الظُّبَهِ وَ لاَ نَابِی الضَّرِیبَهِ- فَإِنْ أَمَرَکُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا- وَ إِنْ أَمَرَکُمْ أَنْ تُقِیمُوا فَأَقِیمُوا- فَإِنَّهُ لاَ یُقْدِمُ وَ لاَ یُحْجِمُ- وَ لاَ یُؤَخِّرُ وَ لاَ یُقَدِّمُ إِلاَّ عَنْ أَمْرِی- وَ قَدْ آثَرْتُکُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِی لِنَصِیحَتِهِ لَکُمْ- وَ شِدَّهِ شَکِیمَتِهِ عَلَى عَدُوِّکُمْ

اللغه

أقول: السرادق : البیت من القطن .و النکول : الرجوع .و الظبه بالتخفیف:

حدّ السیف ،و نبا السیف : إذا لم یقطع لضریبه .و الإحجام : التأخّر .و فلان شدید الشکیمه. إذا کان أبیّا قویّ النفس.و أصل الشکیمه:الحدیده المعترضه فی فم الفرس .

و فی الکتاب مقاصد:

الأوّل:قوله:من عبد اللّه.إلى قوله:یتناهى عنه.

صوره عنوانه،و وصف أهل مصر بالغضب للّه استجلابا لطباعهم،و إشاره إلى إنکارهم للأحداث الّتی نسبت إلى عثمان و مسیرهم لذلک إلى المدینه غضبا لحدود اللّه أن تعطّل.

فإن قلت:فیلزم أن یکون علیه السّلام راضیا بقتل عثمان.إذ مدح قاتله على المسیر بقتله.

قلت:لا یلزم ذلک لجواز أن یکون مسیرهم إنّما کان للنکیر علیه دون غرض قتله.فمدحهم على ذلک النکیر لأنّه جهه مدح،و أمّا قاتلوه و الّذین تسوّروا علیه الدار-و کانوا قوما قلیلین-لعلّه لم یک فیهم من أهل مصر إلاّ النادر، و لیس فی کلامه علیه السّلام ما یقتضی مدح أولئک باعتبار کونهم قتلوه، استعاره و استعار لفظ السرادق لما عمّ من الجور البرّ و الفاجر و المقیم و المسافر کالسرادق الحاوی لأهله ، مقابله و قابل بین المعروف و المنکر و لم یرد نفی المنکر بل نفی صفه التناهی عنه .

الثانی:

کنایه قوله: أمّا بعد إلی قوله:أخو بنی مذحج .صدر الکتاب:أعلمهم فیه ببعث الأشتر إجمالا،و وصفه بأوصاف یستلزم رغبتهم فیه،و کنّی بکونه لا ینام أیّام الخوف عن علوّ همّته و تعلّقها حین الخوف بتدبیر الحرب و الاستعداد للقاء العدوّ،و بکونه لا ینکل عن الأعداء عن شجاعته و شدّه بأسه .و أکّد ذلک بوصف کونه أشدّ علی الفجّار من حریق النار،و هو وصف صادق مع المبالغه فیه.إذ کان لقاؤه للفجّار یستلزم غلبه ظنونهم بالهلاک معه و عدم السلامه،و لا کذلک وجود الحریق لطمعهم فی الفرار من النار و إطفائها.ثمّ ذکره بعد تعدید أوصافه الحمیده و هو أبلغ لأنّ الغرض الأهمّ وصفه لا ذکره فقط.و مذحج بفتح المیم کمسجد:أبو قبیله من الیمن،و هو مذحج بن جابر بن مالک بن نهلان بن سبا.

و النخع:قبیله من هذه القبیله،و الأشتر نخعیّ .

الثالث:أمرهم بالمقصود و هو السمع له و الطاعه لأمره لا مطلقا بل فیما

یطابق الحقّ

و یوافقه من الأوامر،و أشار إلی حسن امتثال أمره بضمیر صغراه استعاره مرشحه بالکنایه قوله: فإنّه سیف.إلی قوله:الضریبه ،و استعار له لفظ السیف باعتبار کونه یصال به علی العدوّ فیهلکه کالسیف،و رشّح بذکر الظبه،و کنّی بکونه غیر کلیلها و غیر نابی الضریبه عن کونه ماضیا فی الحوادث غیر واقف فیها و لا راجع عنها ،و الإضافه إلی الضریبه إضافه اسم الفاعل إلی المفعول:أی و لا ناب عن الضریبه،و تقدیر الکبری:و کلّ من کان کذلک فیجب أن یقدّم و یمتثل أمره فیما یشیر به من الحرب و غیرها.

الرابع:أمرهم أن یکون نفارهم إلی الحرب،و إحجامهم عنها علی وفق

أمره،

و نبّه علی ذلک بضمیر صغراه کنایه قوله: فإنّه.إلی قوله:أمری .و کنّی بذلک عن کونه لا یأمر فی الحرب و غیرها بأمر إلّا و هو فی موضعه لأنّ أوامره علیه السّلام کانت کذلک فمن کان علی وفقها فأوامره أیضا کذلک،و لم یرد علیه السّلام أنّ کلّ ما یأمر به مالک فی الأمور الکلّیّه و الجزئیه فإنّه من أمره علیه السّلام بالتعیین و التفصیل بل أراد أنّه قد علمه بقواعد کلّیّه للسیاسات و تدابیر المدن و الحروب و

ص:۸۴

أعدّه لذلک بحیث یمکنه أن یجتهد فیها و یستخرج جزئیّاتها .

الخامس:

کنایه أعلمهم أنّه قد آثرهم به علی نفسه مع حاجته إلیه فی الرأی و التدبیر فی معرض الامتنان علیهم بذلک لیشکروه،و أشار إلی علّه ایثاره لهم به و هی کونه ناصحا لهم قویّ النفس شدید الوطأه علی عدوّهم.و کنّی بشدّه الشکیمه عن ذلک فأمّا مصلحته علیه السّلام فی ذلک الایثار فهو استقامه الأمر له بصلاح حالهم .و باللّه التوفیق.

۳۹-و من کتاب له علیه السّلام

اشاره

إلی عمرو بن العاص

فَإِنَّکَ قَدْ جَعَلْتَ دِینَکَ تَبَعاً لِدُنْیَا امْرِئٍ- ظَاهِرٍ غَیُّهُ مَهْتُوکٍ سِتْرُهُ- یَشِینُ الْکَرِیمَ بِمَجْلِسِهِ وَ یُسَفِّهُ الْحَلِیمَ بِخِلْطَتِهِ- فَاتَّبَعْتَ أَثَرَهُ وَ طَلَبْتَ فَضْلَهُ- اتِّبَاعَ الْکَلْبِ لِلضِّرْغَامِ یَلُوذُ بِمَخَالِبِهِ- وَ یَنْتَظِرُ مَا یُلْقَی إِلَیْهِ مِنْ فَضْلِ فَرِیسَتِهِ- فَأَذْهَبْتَ دُنْیَاکَ وَ آخِرَتَکَ- وَ لَوْ بِالْحَقِّ أَخَذْتَ أَدْرَکْتَ مَا طَلَبْتَ- فَإِنْ یُمَکِّنِّی اللَّهُ مِنْکَ وَ مِنِ ابْنِ؟أَبِی سُفْیَانَ؟- أَجْزِکُمَا بِمَا قَدَّمْتُمَا- وَ إِنْ تُعْجِزَا وَ تَبْقَیَا فَمَا أَمَامَکُمَا شَرٌّ لَکُمَا- وَ السَّلاَمُ

المعنی

أقول:قد ذکر هذا الکتاب بروایه تزید علی هذه،و أوّله:من عبد اللّه علیّ أمیر المؤمنین إلی الأبتر ابن الأبتر عمرو بن العاص شانئ محمّد و آل محمّد فی الجاهلیّه و الإسلام.سلام علی من اتّبع الهدی .أمّا بعد فإنّک ترکت مروّتک لامرء فاسق مهتوک ستره یشین الکریم بمجلسه و یسفّه الحلیم بخلطته.فصار قلبک لقلبه تبعا کما وافق شنّ طبقه.فسلبک دینک و أمانتک و دنیاک و آخرتک و کان علم اللّه بالغا فیک.

فصرت کالذئب یتبع الضرغام إذا ما اللیل دجی یلتمس أن یداوسه.و کیف تنجو من

القدر و لو بالحقّ طلبت أدركت ما رجوت،و قد يرشد من كان قائده.فإن يمكّنّى اللّه منك و من ابن آكله الأكباد ألحقكما بمن قتله اللّه من ظلمه قريش على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و إن تعجزا أو تبقيا بعدى فاللّه حسبكما و كفى بانتقامه انتقاما و بعقابه عقابا.

و مدار الكتاب على توبيخ عمرو بمتابعته لمعاويه فى باطله و تنفيره عمّا هو عليه و وعيده لهما على ذلك.و معنى جعله دينه تبعا لدنيا معاويه أنّه يصرفه فى مرضاته بحسب ما يتصوّر حصوله عليه من دنياه كما أشرنا إليه قبل من بيعه دينه فى المظاهره على حربه عليه السّلام بطعمه مصر.ثمّ ذمّ معاويه بأوصاف أربعه لغايه التنفير عنه:

أحدها:كونه ظاهرا غيّه،و ضلال معاويه عن طريق اللّه أوضح أن يوضح.

الثانى:كونه مهتوكا ستره،و من المشهور عنه أنّه كان هاتكا لستر دين اللّه عنه فإنّه كان كثير الخلاعه به و الهزل صاحب سمار و جلساء لهو و مناع و شرب و سماع،و قد كان يتستّر بذلك فى زمان عمر خوفا منه إلاّ أنّه كان يلبس الحرير و الديباج و يشرب فى آنيه الذهب و الفضّه و أمّا فى أيّام عثمان فكان شديد التهتّک،و إنّما قارب الوقار حيث خرج على علىّ عليه السّلام لحاجته إلى استغواء الناس بظاهر الدين.

الثالث:يشين الكريم بمجلسه،و ذاک أنّ الكريم هو الّذى يضبط نفسه و ينزّهها عمّا يشين العرض من الرذائل،و قد كان مجلس معاويه مشحونا ببنى أميّه و رذائلهم،و مجالسه الكريم لهم يستلزم نسبته إليهم و لحاقه بهم،و ذلک مشين لعرضه و مقبّح لذكره.

الرابع:كونه يسفّه الحليم بخلطته،و ذلک أنّه كان دأبه هو و بنو اميّه شتم بنى هاشم و قذفهم و التعرّض بذكر الإسلام و الطعن عليه،و إن أظهروا الانتماء إليه،و ذلک ممّا يستفزّ الحليم و يسفّه رأيه فى الثبات عند مخالطتهم و سماعه منهم ، و كنّى باتّباعه لأثره عن متابعته له فيما يفعله،و أشار بقوله:و طلبت فضله إلى غرض اتّباعه، تشبيه و شبّه اتّباعه له باتّباع الكلب الأسد تحقيرا له و تنفيرا،و نبّهه

على وجه الشبه بقوله:يلوذ.إلى قوله:فريسته،و أراد أنّ اتّباعه له على وجه الذلّه و الحقاره و دناءه الهمّه للطمع فيما يعطيه من فضل ماله و انتظار ذلك منه كاتّباع الكلب للأسد،و فى مثل هذا التشبيه بلاغ لعمرو فى التنفير لو كان له كرم .

ثمّ نبّهه على لازم اتّباعه له بقوله:فأذهبت دنياك و آخرتك،و أراد بدنياه ما كان يعيش به من الرزق و العطاء الحلال على وجه يلتذّ به فى طيب نفس و أمن من الحروب الّتى لقيها بصفّين و الأهوال الّتى باشرها فى موافقته لمعاويه،و تلك هى الدنيا الحقّه.إذ الدنيا إنّما يراد للذّه بها و الاستمتاع،و ذلك ممّا لم يحصل عليه عمرو.و أمّا ذهاب آخرته فظاهر.

و قوله:و لو بالحقّ أخذت.إلى قوله:طلبت.

جذب له إلى لزوم الحقّ و ترغيب فيه بذكر لازمه،و هو إدراك ما طلب من دنيا و آخره،و ظاهر أنّه لو لزم الحقّ لوصل إلى دنيا كامله و آخره بالمعالى كافله.

و قوله :فإن يمكّنى اللّه.إلى آخره.

و عيد بعذاب واقع على تقدير كلّ واحد من النقيضين و ذلك العذاب إمّا بواسطته فى الدنيا بتقدير تمكين اللّه منهما و هو جزائه لهما بما قدّما من معصيه اللّه، و إمّا من اللّه فى الآخره على تقدير أن يعجزاه و تبقيا بعده و هو عذاب النار،و نبّه عليه بقوله:فما أمامكما شرّ لكما لقوله تعالى «وَ لَعَذابُ الْآخِرَهِ أَشَدُّ وَ أَبْقى» و استعار لفظ الأمام للآخره باعتبار استقبال النفوس لها و توجّهها نحوها.و باللّه التوفيق.

۴۰-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى بعض عماله

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي كُنْتُ أَشْرَكْتُكَ فِي أَمَانَتِي- وَ جَعَلْتُكَ شِعَارِي وَ بِطَانَتِي- وَ لَمْ

يَكَنْ فِى أَهْلِى رَجُلٌ أَوْثَقَ مِنْكَ فِى نَفْسِى- لِمُوَاسَاتِى وَ مُوَازَرَتِى وَ أَدَاءِ الْأَمَانَهِ إِلَيَّ- فَلَمَّا رَأَيْتَ الزَّمَانَ عَلَى ابْنِ عَمِّكَ قَدْ كَلِبَ- وَ الْعَدُوَّ قَدْ حَرِبَ وَ أَمَانَهَ النَّاسِ قَدْ خَزِيَتْ- وَ هَذِهِ الْأُمَّهَ قَدْ فَنَكَتْ وَ شَغَرَتْ- قَلَبْتَ لِابْنِ عَمِّكَ ظَهْرَ الْمِجَنِّ- فَفَارَقْتَهُ مَعَ الْمُفَارِقِينَ وَ خَذَلْتَهُ مَعَ الْخَاذِلِينَ- وَ خُنْتَهُ مَعَ الْخَائِنِينَ- فَلَا ابْنَ عَمِّكَ آسَيْتَ وَ لَا الْأَمَانَهَ أَدَّيْتَ- وَ كَأَنَّكَ لَمْ تَكُنِ اللَّهَ تُرِيدُ بِجِهَادِكَ- وَ كَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلَى بَيِّنَهٍ مِنْ رَبِّكَ- وَ كَأَنَّكَ إِنَّمَا كُنْتَ تَكِيدُ هَذِهِ الْأُمَّهَ عَنْ دُنْيَاهُمْ- وَ تَنْوِى غِرَّتَهُمْ عَنْ فَيْئِهِمْ- فَلَمَّا أَمْكَنَتْكَ الشِّدَّهُ فِى خِيَانَهِ الْأُمَّهِ أَسْرَعْتَ الْكَرَّهَ- وَ عَاجَلْتَ الْوَثْبَهَ وَ اخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمُ- الْمَصُونَهِ لِأَرَامِلِهِمْ وَ أَيْتَامِهِمُ- اخْتِطَافَ الذِّئْبِ الْأَزَلِّ دَامِيَهَ الْمِعْزَى الْكَسِيرَهَ- فَحَمَلْتَهُ إِلَى؟الْحِجَازِ؟ رَحِيبَ الصَّدْرِ بِحَمْلِهِ- غَيْرَ مُتَأَثِّمٍ مِنْ أَخْذِهِ- كَأَنَّكَ لَا أَبَا لِغَيْرِكَ- حَدَرْتَ إِلَى أَهْلِكَ تُرَاثَكَ مِنْ أَبِيكَ وَ أُمِّكَ- فَسُبْحَانَ اللَّهِ أَ مَا تُؤْمِنُ بِالْمَعَادِ- أَ وَ مَا تَخَافُ نِقَاشَ الْحِسَابِ- أَيُّهَا الْمَعْدُودُ كَانَ عِنْدَنَا مِنْ أُولِى الْأَلْبَابِ- كَيْفَ تُسِيغُ شَرَاباً وَ طَعَاماً- وَ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَاماً وَ تَشْرَبُ حَرَاماً- وَ تَبْتَاعُ الْإِمَاءَ وَ تَنْكِحُ النِّسَاءَ- مِنْ أَمْوَالِ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُجَاهِدِينَ- الَّذِينَ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْأَمْوَالَ- وَ أَحْرَزَ بِهِمْ هَذِهِ الْبِلَادَ-

فَاتَّقِ اللَّهَ وَ ارْدُدْ إِلَى هَؤُلاَءِ الْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ- فَإِنَّکَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمْکَنَنِی اللَّهُ مِنْکَ- لَأُعْذِرَنَّ إِلَى اللَّهِ فِیکَ- وَ لَأَضْرِبَنَّکَ بِسَیْفِی الَّذِی مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحداً- إِلاَّ دَخَلَ النَّارَ- وَ وَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ؟الْحَسَنَ؟ وَ؟الْحُسَیْنَ؟ فَعَلاَ مِثْلَ الَّذِی فَعَلْتَ- مَا کَانَتْ لَهُمَا عِنْدِی هَوَادَةٌ وَ لاَ ظَفِرَا مِنِّی بِإِرَادَهٍ- حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُمَا وَ أُزِیحَ الْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتِهِمَا- وَ أُقْسِمُ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِینَ- مَا یَسُرُّنِی أَنَّ مَا أَخَذْتَهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَلاَلٌ لِی- أَتْرُکُهُ مِیرَاثاً لِمَنْ بَعْدِی فَضَحِّ رُوَیْداً- فَکَأَنَّکَ قَدْ بَلَغْتَ الْمَدَى وَ دُفِنْتَ تَحْتَ الثَّرَى- وَ عُرِضَتْ عَلَیْکَ أَعْمَالُکَ بِالْمَحَلِّ- الَّذِی یُنَادِی الظَّالِمُ فِیهِ بِالْحَسْرَهِ- وَ یَتَمَنَّى الْمُضَیِّعُ فِیهِ الرَّجْعَهَ «وَ لاتَ حِینَ مَناصٍ» أقول:المشهور أنّ هذا الکتاب إلى عبد اللّه بن عبّاس حین کان والیا له على البصره،و ألفاظ الکتاب تنبّه على ذلک کقوله:قلبت لابن عمّک ظهر المجنّ و قوله:فلا ابن عمک آسیت،و کذلک ما روى أنّ ابن عبّاس کتب إلیه جوابا عن هذا الکتاب:أما بعد فقد أتانی کتابک تعظم فیه ما أصبت من بیت مال البصره و لعمری إنّ حقّی فی بیت المال لأکثر ممّا أخذت و السّلام.فکتب علیه السّلام جواب ذلک:

أمّا بعد فإنّ من العجب أن تزیّن لک نفسک أنّ لک فی بیت المال من الحقّ أکثر ما لرجل من المسلمین فقد أفلحت إن کان تمنّیک الباطل و ادّعاک ما لا یکون تنجیک من المأثم و تحلّ لک المحارم.لأنت المهدیّ السعید إذن.و قد بلغنی أنّک اتّخذت مکّه وطنا.و ضربت بها عطنا تشترى بها مولّدات مکّه و المدینه و الطائف تختارهنّ على عینک و تعطى فیهنّ مال غیرک فارجع هداک اللّه إلى رشدک و تب إلى اللّه ربّک و اخرج إلى المسلمین من أموالهم فعمّا قلیل تفارق من ألفت،و تترک

ما جمعت و تغيب فى صدع من الأرض غير موسّد و لا ممهّد قد فارقت الأحباب و سكنت التراب و واجهت غنيّا عمّا خلقت و فقيرا إلى ما قدّمت.و السّلام.

و أنكر قوم ذلك و قالوا:إنّ عبد اللّه بن عبّاس لم يفارق عليّا عليه السّلام و لا يجوز أن يقول فى حقّه ما قال القطب الراوندى-رحمه اللّه-يكون المكتوب إليه هو عبيد اللّه.

و حمله على ذلك أشبه و هو به أليق.

و اعلم أنّ هذين القولين لا مستند لهما:أمّا:الأوّل:فهو مجرّد استبعاد أن يفعل ابن عبّاس ما نسب إليه،و معلوم أنّ ابن عبّاس لم يكن معصوما و علىّ عليه السّلام لم يكن ليراقب فى الحقّ أحدا و لو كان أعزّ أولاده كما تمثّل بالحسن و الحسين عليهما السّلام فى ذلك فكيف بابن عمّه بل يجب أن يكون الغلظه على الأقرباء فى هذا الأمر أشدّ ثمّ إنّ غلظته عليه و عتابه له لا يوجب مفارقته إيّاه لأنّه عليه السّلام كان إذا فعل أحد من أصحابه ما يستحقّ به المؤاخذه أخذه به سواء كان عزيزا أو ذليلا قريبا منه أو بعيدا فإذا استوفى حقّ اللّه منه أو تاب إليه ممّا فعل عاد فى حقّه إلى ما كان عليه كما قال:العزيز عندى ذليل حتّى آخذ الحقّ منه،و الذليل عندى عزيز حتّى آخذ الحقّ له.فلا يلزم إذن من غلظته على ابن عبّاس و مقابلته إيّاه بما يكره مفارقته له و شقاقه على ما بينهما من المحبّه الوكيده و القرابه،و أمّا القول الثانى:

فإنّ عبد اللّه كان عاملا له عليه السّلام باليمن و لم ينقل عنه مثل ذلك.و لنرجع إلى المتن فنقول:

اللغه

الشعار : ما يلى الجسد من الثياب .و بطانه الرجل : خاصّته .و كلب الزمان:

شدّته .و حرب العدوّ : اشتدّ غضبه .و الفتك : القتل على غرّه .و شغرت:

تفرّقت .و المجنّ : الترس .و الأزلّ : خفيف الوركين .و الهواده: المصالحه و المصانعه .و ضحّ رويدا : كلمه يقال لمن يؤمر بالتؤوده،و أصله الرجل يطعم إبله ضحى و يسيرها مسرعا للسير فلا يشبعها.فيقال له:ضحّ رويدا .و المناص : المهرب و المخلص .و النوص : الهرب و التخلّص .

و فى هذا الكتاب مقاصد:

اشاره

ص:٩٠

الأوّل:أنّه ذكّر بإحسانه إليه فى معرض الامتنان عليه من وجوه:

الأوّل:إشراكه إيّاه فى أمانته الّتى ائتمنه اللّه عليها،و هى ولايه أمر الرعيّه و القيام بإصلاح أمورهم فى معاشهم و معادهم.

استعاره الثانى:جعله من خاصّته و ملازميه،و استعار له بذلک الاعتبار لفظ الشعار لمباشرته و ملازمته الجسد.

الثالث:کونه أوثق أهله فى نفسه و أدناهم منه لمواساته و موازرته،و أداء الأمانه إليه .

المقصود الثانى:

مقابله أنّه بعد تذکيره بإحسانه إليه ذکر مقابلته بذلک بالإساءه إليه فى مفارقته إيّاه و خذلانه و خيانته لما تحت يديه من الأمانه عند رؤيته شدّه الزمان عليه و قيام العدوّ فى وجهه و تفرّق کلمه الإمامه عن الحقّ لتبيّن أنّه قابل إحسانه بالکفران ليحسن ذمّه على ذلک و توبيخه فيذمّه و يوبّخه،و أراد مفارقته له فى الطريقه و لزوم حدّ الأمانه .

کنايه و قوله: قلبت لابن عمّک ظهر المجنّ .

يضرب مثلا لمن يکون مع أخيه فيتغيّر عليه و يصير خصما له،و أصله أنّ الرجل إذا کان سلما لأخيه يکون بطن ترسه إليه فإذا فارقه و صار حربا له يقلب له ظهر ترسه ليدفع به عن نفسه ما يلقاه من شرّه.فجعل ذلک کنايه عن العداوه بعد الصداقه.و ضرب مثلا لمن فعل ذلک .

المقصود الثالث الأخذ فى تعنيفه و توبيخه.و حکايه حاله فى خيانته فى معرض التوبيخ.

و ذلک تشبيه قوله: فلا ابن عمّک.إلى قوله:هذه البلاد .و شبّهه بمن لم يرد اللّه بجهاده بل الدنيا، و بمن لم يکن على بيّنه من ربّه بل هو جاهل به و بوعده و وعيده.و وجه الشبه مشارکته لطالبى غير اللّه و الجاهلين به فى طلب غيره و الإعراض عنه،و کذلک شبّهه بمن لم يکن له غرض من عبادته إلّا خدعه المسلمين عن دنياهم،و أشار إلى وجه الشبه بقوله :فلمّا أمکنتک الشدّه.إلى قوله:الکبيره،أى فکما أنّ عرض الّذى يکيد غيره عن شىء أن يترصّد الفرصه فى أخذه و ينتهزها إذا وجدها فکذلک أنت فى إسراعک بالوثوب على الخيانه

و شبّه اختطافه لما أخذه من المال باختطاف الذئب الأزلّ داميه المعزى الكسيره، و وجه الشبه سرعه أخذه له و خفّته له فى ذلك،و خصّ الذئب الأزل لأنّ خفّه الوركين يعينه على سرعه الوثبه و الاختطاف،و داميه المعزى الكسيره لأنّها أمكن للاختطاف لعدم الممانعه . كنايه ثمّ أخبر فى معرض التوبيخ أنّه حمله إلى وطنه بمكّه،و كنّى بكونه رحيب الصدر به إمّا عن سروره و فرحه به أو عن كثره ما حمل منه لأنّ من العاده إذا أراد الإنسان حمل شىء فى صدره و باعه حوى منه ما أمكنه حمله.و نصب رحيب و غير على الحال،و إضافه رحيب فى تقدير الانفصال . تشبيه ثمّ شبّهه فى معرض التوبيخ و التقريع فى حمله بمن حمل تراثه إلى أهله من والديه ،و استفهم على سبيل التعجّب من حاله و الإنكار عليه على أمرين:

أحدهما:عن إيمانه بالمعاد و خوفه من مناقشه اللّه فى الحساب تذكيرا له،و نبّهه على أنّه كان معدودا فى نظره من ذوى العقول.و أدخله فى حيّز كان تنبيها له على أنّه لم يبق عنده كذلك.

الثانى:عن كيفيّه إساغته للشراب و الطعام مع علمه أنّ ما يأكله و يشربه و ينكح به من هذا المال حرام لكونه مال المسلمين اليتامى منهم و المساكين و المجاهدين أفاء اللّه عليهم ليحرز به عباده و بلاده استفهام إنكار و تقريع بذكر معصيه اللّه .

المقصود الرابع:

أمره بعد التوبيخ الطويل بتقوى اللّه و ردّ أموال المسلمين عليهم،و توعّده إن لم يفعل ثمّ أمكن اللّه منه أن يعذر إلى اللّه فيه:أى يبلغ إليه بالعذر فيه و بقتله،و ذكر الضرب بالسيف الموصوف بالصفه المذكوره اغلظ فى الوعيد و أبلغ فى الزجر .

المقصود الخامس:

أقسم أنّ ولديه على قربهما منه و كرامتهما عليه لو فعلا كفعله من الخيانه لم يراقبهما فى ذلك حتّى يأخذ الحقّ منهما و يزيح الباطل عن مظلمتهما من مال أو غيره،و مراده أنّ غيرهم بطريق أولى فى عدم المراقبه له .

ثمّ أقسم القسم البارّ أنّه ما يسرّه أن يكون ما أخذه ابن عبّاس من أموال المسلمين

ص:٩٢

حلالا ـ له يخلفه ميراثا لمن بعده لما علمت أنّ جمع المال و ادّخاره سبب العذاب فى الآخره كما قال تعالى «وَ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّهَ» (۱)الآيه،و قسمه الأوّل كالعذر له فى شدّه إنكاره عليه،و الثانى لتحقير ما أخذه،و بيان أنّه لو كان أخذه على وجه حلال فلا يصلح للقنيه فكيف به و هو حرام،و ذلك ليتركه و يخرج عنه إلى أهله .

السادس:

أمره بالإمهال على سبيل التهديد بقرب الوصول إلى الغايه الّتى هى الموت و الدفن و عرض أعماله عليه بالمحلّ الّذى ينادى فيه الظالم بالحسره و يتمنّى فيه مضيّعوا أمر اللّه و العمل الصالح الرجعه إلى الدنيا حين لا مخلص لهم ممّا هم فيه.و ذلك المحلّ هو عرصه القيامه.و ذكر النداء بالحسره حين لا ـ رجعه ليتأكّد التخويف و التهديد بتعداد الامور المنفّره،و أمّا قوله: «وَ لاتَ حِينَ مَناصٍ» شبّهوا لات بليس و أضمروا فيها اسم الفاعل.و لا يستعمل لات إلاّ مع حين،و قد جاءت حين مرفوعه بأنّها اسم لات،و قيل:إنّ التاء زائده كهى فى ثمّت و ربّت.و قد مرّ ذلك قبل.

۴۱-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى عمر بن أبى سلمه المخزومى

،و كان عامله على البحرين فعزله،و استعمل نعمان بن عجلان الزرقى مكانه :أَمَّا بَعْدُ- فَإِنِّی قَدْ وَلَّیْتُ؟النُّعْمَانَ بْنَ عَجْلاَنَ الزُّرَقِیَّ؟ عَلَی؟الْبَحْرَیْنِ؟- وَ نَزَعْتُ یَدَکَ بِلاَ ذَمٍّ لَکَ وَ لاَ تَثْرِیبٍ عَلَیْکَ- فَلَقَدْ أَحْسَنْتَ الْوِلاَیَهَ وَ أَدَّیْتَ الْأَمَانَهَ- فَأَقْبِلْ غَیْرَ ظَنِینٍ وَ لاَ مَلُومٍ- وَ لاَ مُتَّهَمٍ وَ لاَ مَأْثُومٍ- فَلَقَدْ أَرَدْتُ الْمَسِیرَ إِلَی ظَلَمَهِ أَهْلِ؟الشَّامِ؟- وَ أَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِی- فَإِنَّکَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَی جِهَادِ الْعَدُوِّ- وَ إِقَامَهِ عَمُودِ الدِّینِ «إِنْ شاءَ اللّهُ»

۱- ۱) ۳۴-۹.

أقول:عمر هذا هو ربيب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و امّه امّ سلمه و أبوه أبو سلمه ابن عبد الأسد بن هلال بن عمر بن مخزوم،و أمّا النعمان بن عجلان فمن سادات الأنصار من بنى زريق.

اللغه

و التثريب : التعنيف و استقصاء اللوم .و الظنين: المتهمّ .

و استظهرت بفلان : اتّخذته ظهيرا .

و مدار الكتاب على إعلام عمر بن أبى سلمه بإنفاذ النعمان عوضا منه.

ثمّ إعلامه بأنّ ذلك لم يكن عن ذنب صدر منه يستحقّ به الذمّ و العزل،و أنّه شاكر له بكونه أحسن ولايته و أدّى أمانته .ثمّ إعلامه بغرضه من عزله و استدعائه و هو الاستعانه به على عدوّه كلّ ذلك ليطمئنّ قلبه و يفارق الولايه عن طيب نفس،و نبّهه على وجه رغبته فى حضوره معه بقوله:فإنّك.إلى آخره،و هو فى قوّه صغرى ضمير تقدير كبراه:و كلّ من أستظهر به على العدوّ و إقامه عمود الدين فواجب أن أرغب فى حضوره و يشهد معى، استعاره و لفظ العمود مستعار للاصول الّتى بحفظها و قيامها يقوم كالعمود للبيت :و باللّه التوفيق.

۴۲-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى مصقله بن هبيره الشيبانى

،و هو عامله على أردشير خره بَلَغَنِى عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ إِلَهَكَ- وَ عَصَيْتَ إِمَامَكَ- أَنَّكَ تَقْسِمُ فَيْءَ الْمُسْلِمِينَ- الَّذِی حَازَتْهُ رِمَاحُهُمْ وَ خُيُولُهُمْ وَ أُرِيقَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ- فِيمَنِ اعْتَامَكَ مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ- فَوَالَّذِی فَلَقَ الْحَبَّهَ وَ بَرَأَ النَّسَمَهَ- لَئِنْ كَانَ ذَلِكَ حَقّاً- لَتَجِدَنَّ لَكَ عَلَيَّ هَوَاناً وَ لَتَخِفَّنَّ عِنْدِی مِيزَاناً- فَلَا تَسْتَهِنْ بِحَقِّ رَبِّكَ- وَ لَا تُصْلِحْ دُنْيَاكَ بِمَحْقِ دِينِكَ- فَتَكُونَ مِنَ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً-

أَلاَ وَ إِنَّ حَقَّ مَنْ قِبَلَکَ وَ قِبَلَنَا مِنَ الْمُسْلِمِینَ- فِی قِسْمَهِ هَذَا الْفَیْءِ سَوَاءٌ- یَرِدُونَ عِنْدِی عَلَیْهِ وَ یَصْدُرُونَ عَنْهُ وَ السَّلاَمُ

اللغه

أقول: اعتامک : اختارک من بین الناس .

المعنی

و قد أعلمه بما بلغه من الأمر الصادر عنه إجمالا لیتنبّه له،و أشعره أنّه أمر مکروه بما یلزمه و هو سخط إلهه و غضب إمامه،و نبّه بقوله:إن کنت فعلته.علی عدم تحقّقه لذلک.ثمّ بیّن له ذلک و هو عطاؤه مال المسلمین لمن اختاره رئیسا من أعراب قومه.و وصف ذلک الفیء بکونه حیازه رماحهم و خیولهم،و علیه اریقت دماؤهم لیتأکّد فی النفوس و یتبیّن وجه استحقاقهم له.و بقدر ذلک یتأکّد قبح قسمته فی غیرهم. کنایه ثمّ أقسم قسمه المعتاد فی معرض الوعید إن کان ذلک منه حقّا أن یلحقه به هو ان و حقاره عنده و یخفّ وزنه فی اعتباره، و کنّی به عن صغر منزلته .و میزانا نصب علی التمییز.ثمّ نهاه عن استهانته بحقّ ربّه و عن إصلاح دنیاه بفساد دینه تنبیها علی عظمه اللّه و وجوب المحافظه علی طاعته، و نبّهه علی ما یلزم من ذلک من دخوله فی زمره «بِالْأَخْسَرِینَ أَعْمالاً اَلَّذِینَ ضَلَّ سَعْیُهُمْ فِی الْحَیاهِ الدُّنْیا وَ هُمْ یَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ یُحْسِنُونَ صُنْعاً » .ثمّ نبّهه علی قبح ما فعل من تخصیص قومه بذلک المال بقوله:ألا و إنّ.إلی قوله:سواء،و هو فی قوّه صغری ضمیر،و قوله:یردون إلیه و یصدرون عنه تأکید لتساویهم فی الاستحقاق و أنّه لهم کالشریعه المشترکه،و تقدیر کبراه:و کلّ حقّ سواء بین المسلمین فلا یجوز تخصیص بعضهم به.و قد ذکرنا حال مصقله من قبل.و باللّه التوفیق.

۴۳-و من کتاب له علیه السّلام

اشاره

إلی زیاد بن أبیّه

،و قد بلغه أن معاویه کتب إلیه یرید خدیعته باستلحاقه وَ قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ؟مُعَاوِیَهَ؟ کَتَبَ إِلَیْکَ- یَسْتَزِلُّ لُبَّکَ وَ یَسْتَفِلُّ غَرْبَکَ- فَاحْذَرْهُ فَإِنَّمَا هُوَ الشَّیْطَانُ- یَأْتِی الْمَرْءَ مِنْ بَیْنِ یَدَیْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ- وَ عَنْ

يَمِينِهِ وَ عَنْ شِمَالِهِ- لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ وَ يَسْتَلِبَ غِرَّتَهُ- وَ قَدْ كَانَ مِنْ؟أَبِی سُفْيَانَ؟ فِی زَمَنِ؟عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ؟ فَلْتَةٌ- مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ- وَ نَزْغَةٌ مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ- لاَ يَثْبُتُ بِهَا نَسَبٌ وَ لاَ يُسْتَحَقُّ بِهَا إِرْثٌ- وَ الْمُتَعَلِّقُ بِهَا كَالْوَاغِلِ الْمُدَفَّعِ وَ النَّوْطِ الْمُذَبْذَبِ فلما قرأ زياد الكتاب قال:شهد بها و ربِّ الكعبه،و لم تزل فی نفسه حتی ادعاه معاويه.

قال الرضی:قوله عليه السلام«الواغل»:هو الذی يهجم علی الشَّرب ليشرب معهم،و ليس منهم،فلا يزال مدفَّعا محاجزا.و«النوط المذبذب»:

هو ما يناط برحل الراكب من قعب او قدح أو ما اشبه ذلک،فهو أبدا يتقلقل إذا حث ظهره و استعجل سيره.

أقول:زياد هذا هو دعیّ أبی سفيان،و يقال:زياد بن عبيد.فمن الناس من يقول عبيد بن فلان الثقفی.و الأكثرون علی أنّه كان عبدا و أنّه بقی إلی أيّام زياد فابتاعه و أعتقه،و أمّا ادّعاء أبی سفيان له فروی أنّه تكلّم يوما بحضره عمر فأعجب الحاضرين كلامه فقال عمرو بن العاص:للّه أبوه لو كان قرشيّا لساق العرب بعصاه.فقال أبو سفيان:أمّا و اللّه أنّه لقرشیّ و لو عرفته لعرفت أنّه من خير أهلک.

فقال:و من أبوه؟فقال:أنا و اللّه وضعته فی رحم امّه.قال:فهلّا تستلحقه.قال:اخاف هذا العمير الجالس أن يخرق علیّ إهابی يعنی عمر،و لمّا ولّی علیّ عليه السّلام الخلافه ولّی زيادا فارس فضبطها ضبطا صالحا و حماها.فكتب إليه معاويه يخدعه باستلحاقه أخا له:من أمير المؤمنين معاويه بن أبی سفيان أمّا بعد فإنّ المرء ربّما طرحه الهوی فی مطارح العطب،و إنّک للمرء المضروب به المثل قاطع الرحم و واصل العدوّ،حملک

سوء ظنّک بی و بغضک لی علی أن عققت قرابتی و قطعت رحمی،و ثبت نسبی و حرمتی کأنّک لست أخی و لیس صخر بن حرب أباک و أبی،و سیّان بینی و بینک أطلب بدم أبی العاص و أنت تقاتلنی،و لکن أدرککک عرق الرخاوه من قبل النساوه فکنت کتارکه بیضها بالعراء و ملحقه بیض اخری جناحا،و قد رأیت أن أعطف علیک و لا أؤاخذ بسوء سعیک و أن أصل رحمک و أبتغی الثواب فی أمرک.و اعلم أبا المغیره أنّک لو خضت البحر فی طاعه القوم تضرب بالسیف حتّی ینقطع متنه لما ازددت منهم إلاّ بعدا فإنّ بنی عبد شمس أبغض إلی بنی هاشم من الشفره إلی الثور الصریع و قد اوثق للذبح.فارجع رحمک اللّه إلی أصلک و اتّصل بقومک و لا تکن کالموصول یطیر بریش غیره فقد أصبحت ضالّ النسب.و لعمری ما فعل ذلک بک إلاّ اللجاج فدعه عنک فقد أصبحت علی بیّنه من أمرک و وضوح من حجّتک فإن أحببت جانبی و وثقت بی فاتمر بأمری و إن کرهت جانبی و لم تثق بقولی ففعل جمیل لا علیّ و لا لی.و السّلام.و حمل الکتاب مع المغیره بن شعبه إلیه،و کان ذلک سبب فساده علی الحسن بعد علیّ علیهما السّلام و انضیافه إلی معاویه.و لمّا بلغ علیّا علیه السّلام ذلک کتب إلیه:أمّا بعد فإنّی ولّیتک ما ولّیتک و أنا أراک لذلک أهلا،و قد عرفت أنّ معاویه.إلی آخر الکتاب.و لنرجع إلی المتن فنقول:

اللغه

غرب السیف : حدّ .و الاستقلال : طلب الفلّ و هو ثلم الحدّ .

و مدار الکتاب علی إعلامه بما علمه من کتاب معاویه إلیه.ثمّ تنبیهه علی

قصده من ذلک الکتاب

،و هو أن یستزلّ عقله و یستغفله عمّا هو علیه من الرأی الصحیح فی نصره الحقّ و ولائه له علیه السّلام و یکسر حدّته فی ذلک، استعاره و استعار لفظ الغرب لعقله و رأیه،و لفظ الاستفلال لطلب صرفه عن ذلک الرأی الصالح ملاحظه لشبهه بالسیف . تشبیه ثمّ حذّره عنه بقوله: فإنّما هو الشیطان .باعتبار وسوسته و صدّه عن الحقّ علی وجه الشبه بقوله:یأتی الإنسان.إلی قوله:شماله.و هو کقوله تعالی «لَآتِیَنَّهُمْ مِنْ بَیْنِ أَیْدِیهِمْ» .إلی قوله: «شَمائِلِهِمْ» (۱)أی أنّه یأتی الإنسان من کلّ جهه کما

۱- (۱) ۷-۱۵.

يأتى الشيطان،و خصّ الجهات الأربع لأنّها الجهات الّتى يعتاد الإتيان منها .و قال بعض المفسّرين:من بين أيديهم يطمعهم فى العفو و يغريهم بالعصيان،و من خلفهم يذكّرهم خلفهم و يحسّن لهم جمع المال و تركه لهم،و عن أيمانهم يحسّن لهم الرياسه و الثناء،و عن شمائلهم يحبّب إليهم اللهو و اللذّات.و عن شقيق قال:ما من صباح إلاّ و يقعد إلىّ الشيطان على أربعه مراصد من بين يدى فيقول:لا تخف «إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» .فأقرأ «إِنِّی لَغَفّارٌ لِمَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدى» .و أمّا من خلفى فيخوّفنى الضيعه على من خلفى فأقرء «وَ ما مِنْ دَابَّهٍ فِی الْأَرْضِ إِلاّ عَلَی اللّهِ رِزْقُها» ،و أمّا من قبل يمينى فيأتينى من جهه الثناء فأقرء: «وَ الْعاقِبَهُ لِلْمُتَّقِينَ» ،و أمّا من قبل شمالى فيأتينى من قبل الشهوات.فأقرء: «وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ ما يَشْتَهُونَ » ، ثمّ نبّهه على وجه فساد حيله معاويه،و ذلك أنّ معاويه إنّما أراد استغفاله باستلحاقه إيّاه أخا فتبّهه عليه السّلام على أنّ ذلك الاستلحاق إنّما يتمّ بصحّه استلحاق أبى سفيان له ابنا و لم يصحّ تلك الدعوى،و إنّما كان قوله:أنا كذا و كذا.فلته من حديث النفس وقع منه من غير ثبت و لا رويّه،و إقرار بالزنا فى قوله:أنا وضعته فى رحم امّه.و ذلك نزغه من نزغات الشيطان ألقاها على لسانه فلا يثبت بها نسب و لا يستحقّ بها إرث لقوله صلّى اللّه عليه و آله:الولد للفراش و للعاهر الحجر. تشبيه ثمّ شبّه المتعلّق فى نسبه بهذه الفلته و النزغه بالواغل المدفّع ،و وجه الشبه كونه لا يزال مدفّعا،و بالنوط المذبذب و وجه الشبه اضطراب أمره و عدم لحوقه بنسب معيّن و عدم استقراره كما يضطرب النوط و لا يستقرّ .و باللّه التوفيق.

۴۴-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى عثمان بن حنيف الأنصارى،و هو عامله على البصره

و قد بلغه أنه دعى إلى وليمه قوم من أهلها فمضى إليها أَمَّا بَعْدُ يَا؟ابْنَ حُنَيْفٍ؟- فَقَدْ بَلَغَنِی أَنَّ رَجُلاً مِنْ فِتْيَهِ أَهْلِ؟الْبَصْرَهِ؟- دَعَاكَ إِلَى

مَأْدُبَهٍ فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا- تُسْتَطَابُ لَکَ الْأَلْوَانُ وَ تُنْقَلُ إِلَيْکَ الْجِفَانُ- وَ مَا ظَنَنْتُ أَنَّکَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ- عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ وَ غَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ- فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هَذَا الْمَقْضَمِ- فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْکَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ- وَ مَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ فَنَلْ مِنْهُ- أَلَا وَ إِنَّ لِکُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ- وَ يَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ- أَلَا وَ إِنَّ إِمَامَکُمْ قَدِ اکْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ- وَ مِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ- أَلَا وَ إِنَّکُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِکَ- وَ لَکِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَ اجْتِهَادٍ وَ عِفَّهٍ وَ سَدَادٍ- فَوَاللَّهِ مَا کَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاکُمْ تِبْراً- وَ لَا ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً- وَ لَا أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً- بَلَى کَانَتْ فِي أَيْدِينَا؟فَدَکٌ؟ مِنْ کُلِّ مَا أَظَلَّتْهُ السَّمَاءُ- فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ- وَ سَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ آخَرِينَ- وَ نِعْمَ الْحَکَمُ اللَّهُ- وَ مَا أَصْنَعُ؟بِفَدَکٍ؟ وَ غَيْرِ ؟فَدَکٍ؟- وَ النَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي غَدٍ جَدَثٌ تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِهِ آثَارُهَا- وَ تَغِيبُ أَخْبَارُهَا- وَ حُفْرَهٌ لَوْ زِيدَ فِي فُسْحَتِهَا وَ أَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا- لَأَضْغَطَهَا الْحَجَرُ وَ الْمَدَرُ- وَ سَدَّ فُرَجَهَا التُّرَابُ الْمُتَرَاکِمُ- وَ إِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى- لِتَأْتِيَ آمِنَهً يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَکْبَرِ- وَ تَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ الْمَزْلَقِ وَ لَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَّى هَذَا الْعَسَلِ- وَ لُبَابِ هَذَا الْقَمْحِ وَ نَسَائِجِ هَذَا الْقَزِّ-

وَ لَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ- وَ يَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخَيُّرِ الْأَطْعِمَهِ- وَ لَعَلَّ؟بِالْحِجَازِ؟ أَوْ؟الْيَمَامَهِ؟ مَنْ لاَ طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ- وَ لاَ عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ- أَوْ أَبِيتَ مِبْطَاناً وَ حَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى- وَ أَكْبَادٌ حَرَّى أَوْ أَكُونَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ- وَ حَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَهٍ وَ حَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلَى الْقِدِّ

أَ أَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ- هَذَا؟أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؟- وَ لاَ أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ- أَوْ أَكُونَ أُسْوَهً لَهُمْ فِي جُشُوبَهِ الْعَيْشِ- فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ- كَالْبَهِيمَهِ الْمَرْبُوطَهِ هَمُّهَا عَلَفُهَا- أَوِ الْمُرْسَلَهِ شُغُلُهَا تَقَمُّمُهَا- تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلاَفِهَا وَ تَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا- أَوْ أُتْرَكَ سُدًى أَوْ أُهْمَلَ عَابِثاً- أَوْ أَجُرَّ حَبْلَ الضَّلاَلَهِ أَوْ أَعْتَسِفَ طَرِيقَ الْمَتَاهَهِ وَ كَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ- إِذَا كَانَ هَذَا قُوتُ؟ابْنِ أَبِي طَالِبٍ؟- فَقَدْ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ الْأَقْرَانِ- وَ مُنَازَلَهِ الشُّجْعَانِ- أَلاَ وَ إِنَّ الشَّجَرَهَ الْبَرِّيَّهَ أَصْلَبُ عُوداً- وَ الرَّوَاتِعَ الْخَضِرَهَ أَرَقُّ جُلُوداً- وَ النَّابِتَاتِ الْعِذْيَهَ أَقْوَى وَقُوداً وَ أَبْطَأُ خُمُوداً-.وَ أَنَا مِنْ؟رَسُولِ اللَّهِ؟ كَالضَّوْءِ مِنَ الضَّوْءِ- وَ الذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُدِ- وَ اللَّهِ لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا- وَ لَوْ أَمْكَنَتِ الْفُرَصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا- وَ سَأَجْهَدُ فِي أَنْ أُطَهِّرَ الْأَرْضَ مِنْ هَذَا الشَّخْصِ الْمَعْكُوسِ- وَ الْجِسْمِ الْمَرْكُوسِ-

حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدَرَهُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْحَصِيدِ إِلَيْكِ عَنِّى يَا دُنْيَا فَحَبْلُكِ عَلَى غَارِبِكِ- قَدِ انْسَلَلْتُ مِنْ مَخَالِبِكِ- وَ أَفْلَتُّ مِنْ حَبَائِلِكِ- وَ اجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ فِى مَدَاحِضِكِ- أَيْنَ الْقُرُونُ الَّذِينَ غَرَرْتِهِمْ بِمَدَاعِبِكِ- أَيْنَ الْأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنْتِهِمْ بِزَخَارِفِكِ- فَهَا هُمْ رَهَائِنُ الْقُبُورِ وَ مَضَامِينُ اللُّحُودِ- وَ اللَّهِ لَوْ كُنْتِ شَخْصاً مَرْئِيّاً وَ قَالَباً حِسِّيّاً- لَأَقَمْتُ عَلَيْكِ حُدُودَ اللَّهِ فِى عِبَادٍ غَرَرْتِهِمْ بِالْأَمَانِيِّ- وَ أُمَمٍ أَلْقَيْتِهِمْ فِى الْمَهَاوِى- وَ مُلُوكٍ أَسْلَمْتِهِمْ إِلَى التَّلَفِ- وَ أَوْرَدْتِهِمْ مَوَارِدَ الْبَلاَءِ إِذْ لاَ وِرْدَ وَ لاَ صَدَرَ- هَيْهَاتَ مَنْ وَطِئَ دَحْضَكِ زَلِقَ- وَ مَنْ رَكِبَ لُجَجَكِ غَرِقَ- وَ مَنِ ازْوَرَّ عَنْ حَبَائِلِكِ وُفِّقَ- وَ السَّالِمُ مِنْكِ لاَ يُبَالِى إِنْ ضَاقَ بِهِ مُنَاخُهُ- وَ الدُّنْيَا عِنْدَهُ كَيَوْمٍ حَانَ انْسِلاَخُهُ اعْزُبِى عَنِّى فَوَاللَّهِ لاَ أَذِلُّ لَكِ فَتَسْتَذِلِّينِى- وَ لاَ أَسْلَسُ لَكِ فَتَقُودِينِى- وَ ايْمُ اللَّهِ يَمِيناً أَسْتَثْنِى فِيهَا بِمَشِيئَهِ اللَّهِ- لَأَرُوضَنَّ نَفْسِى رِيَاضَهً تَهِشُّ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ- إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ مَطْعُوماً- وَ تَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُوماً- وَ لَأَدَعَنَّ مُقْلَتِى كَعَيْنِ مَاءٍ نَضَبَ مَعِينُهَا- مُسْتَفْرِغَهً دُمُوعَهَا- أَ تَمْتَلِئُ السَّائِمَهُ مِنْ رِعْيِهَا فَتَبْرُكَ- وَ تَشْبَعُ الرَّبِيضَهُ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرْبِضَ- وَ يَأْكُلُ؟عَلِيٌّ؟ مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعَ- قَرَّتْ إِذاً عَيْنُهُ إِذَا اقْتَدَى بَعْدَ السِّنِينَ الْمُتَطَاوِلَهِ- بِالْبَهِيمَهِ الْهَامِلَهِ

وَ السَّائِمَهِ الْمَرْعِيَّهِ- طُوبَى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرْضَهَا- وَ عَرَكَتْ بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا وَ هَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ غُمْضَهَا- حَتَّى إِذَا غَلَبَ الْكَرَى عَلَيْهَا افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا- وَ تَوَسَّدَتْ كَفَّهَا- فِي مَعْشَرٍ أَسْهَرَ عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ- وَ تَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ- وَ هَمْهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفَاهُهُمْ- وَ تَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ- «أُولئِكَ حِزْبُ اللّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» - فَاتَّقِ اللَّهَ يَا؟ابْنَ حُنَيْفٍ؟ وَ لْتَكْفُفْ أَقْرَاصُكَ- لِيَكُونَ مِنَ النَّارِ خَلَاصُكَ (۱)

اللغه

أقول: المأدبه بالضمّ : الطعام يدعى إليه .و العائل : الفقير .و القضم : الأكل بأدنى الفم .و الطمر : الثوب الخلق .و الوفر : المال الكثير .و فدك : اسم قريه كانت لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله .و الجدث : القبر .و أضغطها : ضيّقها .و القمح: الحنطه .و النسائج : جمع نسجه بمعنى منسوجه .و الجشع . أشدّ الحرص على الطعام .و المبطان:

عظيم البطن لكثره الأكل .و غرثى : جايعه .و البطنه : الكظّه و هى الامتلاء من الطعام و التقمّم : تتبّع القمامه و هى الكناسه .و تكترش : تملأ كرشها .و اسدى : الملقى المهمل .و الروائع : الأشجار الّتى تروع بنضارتها .و البدويّه : النباتات الّتى لا يسقيها إلّا ماء المطر .و المركوس : المردود مقلوبا كالمنكوس .و المداحض : المزالق ،و ازورّ أخذ جانبا .و اعزبى . ابعدى.يقال:عزب الرجل-بالفتح-:إذا بعد .و سلس الرجل يسلس بكسر اللام فى المستقبل : سهل قياده .و الرياضه : التأديب و التعويد .و

ص:۱۰۲

---

۱ - ۱) و فى بعض النسخ زياده هى:و كررت عليك الجفان بثريدها فأكرعت.ثم عطفت على اللحم فأكلته أكل يتيم قرم،و نهشت عظمه نهش ضبع هرم.

الربیضه: الجماعه الرابضه من الغنم .و تجافت : أی بانت و ارتفعت .و الهمهمه:

الصوت الخفیّ .

و فی الکتاب مقاصد:

الأوّل:أشار إلی ما یرید عتابه علیه

و هو إجابته إلی المأدبه مسرعا یستطاب له الألوان و تنقل إلیه الجفان،و أعلمه أنّه بلغه ذلک مقرّرا له لیحسن توبیخه،و ذلک فی قوله:أمّا بعد.إلی قوله:الجفان .

الثانی:أشار علی وجه المعاتبه إلی تخطئته فی ذلک

بقوله:و ما ظننت أنّک إلی کذا:أی کان ظنّی فیک من الورع أنّک تنزّه نفسک عن الإجابه إلی طعام قوم لا یلتفتون إلی فقرائهم،و یقصرون الدعوه و الکرامه علی أغنیائهم و امرائهم، و وجه الخطاء فی إجابه داعی هؤلاء أنّ تخصیصهم الأغنیاء دون الفقراء بالکرامه و الدعوه دلیل واضح علی أنّهم إنّما یریدون بذلک الدنیا و السمعه و الرئاء دون وجه اللّه تعالی،و من کان کذلک فإجابته موافقه له علی ذلک و رضی بفعله،و ذلک خطاء کبیر خصوصا من أمراء الدین المتمکّنین من إنکار المنکرات.

الثالث:

کنایه أمره أن یحترز فیما یتّفق له أن یقع فیه من ذلک بالنظر إلی ما یحضر من الطعام فما وجد فیه شبهه حرام و لم یحقّق حاله فلیترکه،و ما تیقّن حلّه و طیب وجه اکتسابه ببراءه عن الشبهه فینال منه،و کنّی عنه بالمقضم تحقیرا له و تقلیلا و یفهم منه بحسب التأدیب الأوّل أنّ التنزّه عن هذا المباح أفضل له من تناوله .

الرابع:

نبّهه بعد ذلک بقوله: ألا و إنّ .إلی قوله: علمه .علی أنّ له إماما یجب أن یقتدی به،و هو تمثیل فی قوّه قیاس کامل حذفت صغراه.فأصل التمثیل مطلق الإمام و المأموم،و علّته کونهما إماما و مأموما،و فرعه هو علیه السّلام و عامله،و حکمه وجوب الاقتداء.و تقدیر القیاس:أنّک مأموم لإمام،و کلّ مأموم لإمام فیجب علیه أن یقتدی بإمامه،ینتج أنّه یجب علیک أن تقتدی بإمامک و یستضیء بنور علمه.

الخامس:

أردف ذلک بالبیّنه علی ما یجب أن یقتدی به فیه من حاله فی دنیاه

و هو اكتفاؤه من ملبوسها بما يستر بدنه من طمريه:و من مطعومها بما يسدّ به فوره جوعه من قرصيه غير ملتفت فيما لبسه إلى زينته فإنّ طمريه كانا عمامه و مدرعه قد استحيا من راقعها،و لا مكترث فيما طعمه بلذّه و طيب فإنّ قرصيه كانا من شعير غير منخول واحد بالغداه واحد بالعشىّ.

السادس:

نبّه أصحابه على أنّ رياضته تلك لا يستطاع لهم فإنّها قوّه مشروطه باستعداد لم يصلوا إليه.ثمّ أمرهم إذ كانت الحال كذلك أن يقصروا فى معونته على أنفسهم و رياضته بالورع،و أراد به هنا الكفّ عن المحارم ثمّ بالاجتهاد فى الطاعه،و يحتمل أن يريد بالورع لزوم الأعمال الجميله.ثمّ الاجتهاد فيها .

السابع:

تشبيه نبّه بالقسم البارّ على ردّ ما عساه يعرض لبعض الأذهان الفاسده فى حقّه عليه السّلام أنّ زهده فى الدنيا مشوب برياء و سمعه و أنّ وراءه محبّتها و جمعها و ادّخارها خصوصا و هو إمام الوقت و خليفه الأرض فعدّد أنواع ما أفاء اللّه على المسلمين منها ثمّ أقسم أنّه لم يأخذ منه إلاّ قوته،و شبّهه فى القلّه و الحقاره بقوت الأتان الدبره ،و خصّها لأنّ ضعفها بالدبر و شغلها بألمه يقلّل قوتها .ثمّ بالغ فى وصف حقاره دنياهم عنده فأخبر أنّها فى نظره و اعتباره أهون من عفصه مقره،و ظاهر أنّ من كان كذلك كيف يتصوّر محبّته للدنيا و عمله لها.

الثامن:

أنّه لمّا قال فيما أقسم عليه من الدنيا: و لا حزت من أرضها شبرا .

استثنى من ذلك فدك بقوله: بلى قد كانت لنا فدك من كلّ ما أظلّته السماء .و ذكرها فى معرض حكايه حاله و حال القوم معه على سبيل التشكّى و التظلّم ممن أخذها منهم إلى اللّه سبحانه و تسليم الأمر له و الرضا بكونه حكما.

و اعلم أنّ فدك كانت خاصّه لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و ذلك أنّه لمّا فرغ من أمر خيبر قذف اللّه فى قلوب أهل فدك الرعب فبعثوا إليه صلّى اللّه عليه و آله يصالحونه على النصف فقبل ذلك منهم فكانت له خاصّه إذ لم يوجف عليها بخيل و لا ركاب،و روى أنّه صالحهم على كلّها.ثمّ المشهور بين الشيعه و المتّفق عليه عندهم أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أعطاها فاطمه عليها السّلام،و رووا ذلك من طرق مختلفه:منها عن أبى سعيد الخدرى قال:

لمّا أنزلت «وَ آتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ» أعطى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فاطمه عليها السّلام فدك فلمّا تولّى ابو بكر الخلافه عزم على أخذها منها.فأرسلت إليه تطالبه بميراثها من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و تقول:إنّه أعطانى فدكا فى حياته و استشهدت على ذلك عليّا عليه السّلام و أمّ أيمن فشهدا لها بها.فأجابها عن الميراث بخبر رواه هو:نحن معاشر الأنبياء لا نورّث فما تركناه فهو صدقه،و عن دعوى فدك أنّها لم تكن للنبيّ صلّى اللّه عليه و آله و إنّما كانت مالا للمسلمين فى يده يحمل به الرجال و ينفقه فى سبيل اللّه و أنا أليه كما كان يليه.

فلمّا بلغها ذلك لاثت خمارها و أقبلت فى لمّه من حفدتها و نساء قومها تطأ فى ذيولها حتّى دخلت عليه و معه جلّ المهاجرين و الأنصار فضربت بينها و بينهم قطيفه.ثمّ أنّت أنّه أجهش لها القوم بالبكاء.ثمّ أمهلت طويلا حتّى سكتوا من فورتهم؟ (1)و قالت:أبتدء بحمد من هو أولى بالحمد و الطول و المجد الحمد للّه على ما أنعم و له الشكر بما ألهم.ثمّ خطبت خطبه طويله قالت فى آخرها:ف «اتَّقُوا اللّهَ حَقَّ تُقاتِهِ» و أطيعوه فيما أمركم ف «إِنَّما يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ» ،و احمدوا اللّه الّذى بعظمته و نوره يبتغى «مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ» إليه الوسيله،و نحن وسيلته فى خلقه،و نحن خاصّته و محلّ قدسه،و نحن حجّته فى غيبه،و نحن ورثه أنبيائه.

ثمّ قالت أنا فاطمه بنت محمّد.أقول عودا على بدء ما أقول ذلك شرفا و لا شططا فاسمعوا بأسماع واعيه.ثمّ قالت: «لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ» .فإن تعزوه تجدوه أبى دون آبائكم و أخا ابن عمّى دون رجالكم.ثمّ قالت:ثمّ أنتم تزعمون أن لا إرث لأبى «أَ فَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ» ايها معشر الملّه.أفى كتاب اللّه أن ترث يا ابن أبى قحافه أباك و لا أرث أبى؟ «لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا» فدونكها مخطومه مرحوله تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم اللّه و الزعيم محمّد و الموعد القيامه،و عند

ص:105

1- 1) وجدت هذه الخطبه عنها عليها السّلام فى ج-5 من كتاب[المنظوم و المنثور فى كلام نسوان العرب من الخطب و الشعر]و كان مؤلفه عن متقدمى علماء العامه،و الكتاب عن خزانه المتوكل العباسى منه

الساعه «يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ» ،و «لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَ سَوْفَ تَعْلَمُونَ» «مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ» مقيم قال:ثمّ التفتت إلى قبر أبيها فتمثّلت بقول هند بنت أمامه:

قد كان بعدک أنباء و هنبثه لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

أبدت رجال لنا نجوى صدورهم لمّا قضيت و حالت دونک الترب

تجهّمتنا رجال و استخفّ بنا إذ غبت عنّا فنحن اليوم مغتصب

قال فلم ير الناس أكثر باكيا و باكيه منهم يومئذ.ثمّ عدلت إلى مسجد الأنصار،و قالت:يا معشر الأنصار و أعضاد الملّه و حضنه الإسلام ما هذه الفتره عن نصرتى و الونيه عن معونتى و الغميزه فى حقّى و السنه عن ظلامتى أمّا قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:المرء يحفظ فى ولده.سرعان ما أحدثتم،و عجلان ما آتيتم ألأن مات رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أمتّم دينه.ها إنّ موته لعمرى خطب جليل استوسع وهيه و استنهر فتقه،و فقد راتقه،و أظلمت الأرض له،و خشعت الجبال،و أكدت الآمال.اضيع بعده الحريم و هتكت الحرمه و أزيلت المصونه،و تلک نازله أعلن بها كتاب اللّه قبل موته و أنبأكم بها قبل وفاته فقال: «وَ ما مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِي اللّهُ الشّاكِرِينَ» .ايها بنى قبيله أ اهضم تراث أبى و أنتم بمرأى و مسمع تبلغكم الدعوه و تشملكم الصوت،و فيكم العدّه و العدد،و لكم الدار و الجنن،و أنتم نجبه اللّه الّتى انتجت،و خيره اللّه الّتى اختار.فاديتم العرب،و ناطحتم الامم،و كافحتم البهم حتّى دارت بكم رحى الإسلام،و درّ حلبه و خبت نيران الحرب،و سكنت فوره الشرک،و هدأت دعوه الهرج،و استوثق نظام الدين.أفتأخّرتم بعد الإقدام،و جبنتم بعد الشجاعه عن قوم «نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ مِنْ بَعْدِ» إيمانهم «وَ طَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ» .ألا و قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض و ركنتم إلى الدعه و جحدتم الدين و وسّعتم الّذى سوّغتم. «إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللّهَ» غنىّ «حَمِيدٌ» .ألا و قد قلت ما قلت على معرفه منّى بالخذله الّتى خامرتكم و خور القنا و ضعف اليقين فدونكموها فاحتبقوها مدبره الظهور ناقبه الخفّ

باقیه العار موسومه الشنار موصوله بنار اللّه الموقده الّتی تطّلع علی الأفئده فبعین اللّه ما تعملون. «وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» .ثمّ رجعت إلی بیتها و أقسمت أن لا تکلّم أبا بکر و لتدعونّ اللّه علیه،و لم تزل کذلک حتّی حضرتها الوفاه فأوصت أن لا یصلّی علیها فصلّی علیها العبّاس و دفنت لیلا،و روی أنّه لمّا سمع کلامها أحمد اللّه و أثنی علیه و صلّی علی رسوله،ثمّ قال:یا خیره النساء و ابنه خیر الآباء و اللّه ما عدوت رأی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و لا عملت إلاّ بأمره،و إنّ الرائد لا یکذب أهله قد قلت فأبلغت و أغلظت فأهجرت فغفر اللّه لنا و لک أمّا بعد فقد دفعت آلّه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و دابّته و حذاه إلی علیّ علیه السّلام،و أمّا ما سوی ذلک فإنّی سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقول:إنّا معاشر الأنبیاء لا نورّث ذهبا و لا فضّه و لا أرضا و لا عقارا و لا دارا و لکنّا نورّث الإیمان و الحکمه و العلم و السنّه،و قد عملت بما أمرنی و سمعت.فقالت:إنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قد وهبها لی.قال:فمن یشهد بذلک.فجاء علیّ بن أبی طالب و أمّ أیمن فشهدا لها بذلک فجاء عمر بن الخطاب و عبد الرحمن بن عوف فشهدا أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقسّمها.فقال:أبو بکر صدقت یا ابنه رسول اللّه و صدق علیّ و صدقت أمّ أیمن و صدق عمر و صدق عبد الرحمن، و ذلک أنّ لک ما لأبیک کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یأخذ من فدک قوتکم و یقسّم الباقی و یحمل منه فی سبیل اللّه،و لک علی اللّه أن أصنع بها کما کان یصنع.فرضیت بذلک و أخذت العهد علیه به.و کان یأخذ غلّتها فیدفع إلیهم منها ما یکفیهم.ثمّ فعلت الخلفاء بعده کذلک إلی أن ولّی معاویه فأقطع مروان ثلثها بعد الحسن علیه السّلام.ثمّ خلصت له فی خلافته و تداولها أولاده إلی أن انتهت إلی عمر بن عبد العزیز فردّها فی خلافته علی أولاد فاطمه علیها السّلام قالت الشیعه:فکانت أوّل ظلامه ردّها.و قالت السنّه:

بل استخلصها فی ملکه ثمّ وهبها لهم.ثمّ اخذت منهم بعده إلی أن انقضت دوله بنی أمیّه فردّها علیهم أبو العبّاس السفّاح.ثمّ قبضها المنصور.فردّها ابنه المهدی.ثمّ قبضها ولداه موسی و هرون.فلم یزل فی أیدی بنی العبّاس إلی زمن المأمون فردّها إلیهم و بقبت إلی عهد المتوکّل فأقطعها عبد اللّه بن عمر البازیار،و روی أنّه کان فیها

إحدى عشره نخله غرسها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بيده فكانت بنو فاطمه يهدون ثمرها إلى الحاجّ فيصلونهم عن ذلك بمال جليل فبعث البازيار رجلا فصرمها و عاد إلى البصره ففلج،و فى هذه القصّه خبط كثير بين الشيعه و مخالفيهم،و لكلّ من الفريقين كلام طويل.و لنرجع إلى المتن.

فنقول:أشار بالنفوس الّتى شحّت بها إلى أبى بكر و عمر و أتباعهما،و بالنفوس الّتى سمحت بها إلى وجوه بنى هاشم و من مال ميلهم .

التاسع:

استفهم عمّا يصنع بفدك و غيرها من القينات الدنيويّه استفهام إنكار لوجه حاجته إليها تسليه لنفسه عنها و جذبا له عن الدنيا إلى الأعمال الصالحه بذكر غايه النفوس منها،و هى صيرورتها إلى الجدث،و لوازم تلك الغايه من انقطاع الآثار و غيبه الأخبار فيها و ساير ما عدّده من صفات الجدث،و إنّما عدّد هذه الأمور لأنّ الأوهام تنفر عنها و تخشع القلوب لذكرها.فتفزع إلى اللّه تعالى و يجذب إلى الأعمال الصالحه الّتى بها الخلاص من أهوال الموت و ما بعده.

و الواو فى قوله:و النفس.للحال .

العاشر:

لمّا نبّه على أنّ فدك و غيرها من قينات الدنيا لا حاجه إليها أشار إلى حصر حاجته و غايته لنفسه و هى رياضتها بالتقوى،و الضمير كهو فى قوله فيما سبق:و إنّما هى الكوفه.و التقدير:و إنّما همّتى و حاجتى رياضه نفسى بالتقوى.

و اعلم أنّ رياضه النفس تعود إلى نهيها عن هواها و أمرها بطاعه مولاها و هى مأخوذه من رياضه البهيمه و هى منعها عن الإقدام على حركات غير صالحه لصاحبها و لا موافقه لمراده،و تمرينها على ما يوافق مراده من الحركات،و القوّه الحيوانيّه الّتى هى مبدأ الإدراكات و الأفاعيل الحيوانيّه فى الإنسان إذا لم يكن لها طاعه القوّه العاقله ملكه كانت بمنزله بهيمه لم ترض فهى تتبع الشهوه تاره و الغضب اخرى،و غالب أحوالها أن تخرج فى حركاتها عن العدل إلى أحد طرفى الإفراط و التفريط بحسب الدواعى المختلفه المتخيّله و المتوهّمه و يستخدم القوّه العاقله فى تحصيل مراداتها فتكون هى أمّاره و العاقله مؤتمره لها.أمّا إذا راضتها القوّه العاقله و منعتها عن

ص:١٠٨

التخيّلات و التوهّمات و الإحساسات و الأفاعيل المثيره للشهوه و الغضب و مرّنتها على ما يقتضيه العقل العملىّ و أدّبتها على طاعته بحيث يأتمر بأمرها و ينتهى لها كانت العقليّه مطمئنّه لا تفعل أفعالا مختلفه المبادى و كانت باقى القوى مؤتمره مسالمه لها.إذا عرفت ذلك فنقول:لمّا كان الغرض الأقصى من الرياضه إنّما هو نيل الكمال الحقيقىّ،و كان ذلك موقوفا على الاستعداد له،و كان حصول ذلك الاستعداد موقوفا على زوال الموانع الخارجيّه و الداخليّه كان للرياضه أغراض ثلاثه:

أحدها:حذف كلّ محبوب و مرغوب عدا الحقّ الأوّل سبحانه عن درجه الاعتبار و مستنّ الايثار.و هى الموانع الخارجيّه.

و الثانى:تطويع النفس الأمّاره للنفس المطمئنّه ليجذب التخيّل و التوهّم عن الجانب السفلى إلى العلوى و يتبعهما ساير القوى فيزول الدواعى الحيوانيّه المذكوره.و هى الموانع الداخليّه.

الثالث:بعث السرّ و توجيهه إلى الجنّه العاليه لتلقّى السوانح الإلهيّه و تهيّئه لقبولها.و يعين على الغرض الأوّل الزهد الحقيقى و هى الإعراض عن متاع الدنيا و طيّباتها بالقلب،و على الثانى العباده المشفوعه بالفكر فى ملكوت السماوات و الأرض و ما خلق اللّه من شىء و عظمه الخالق سبحانه و الأعمال الصالحه المنويّه لوجهه خالصا.و عبّر عليه السّلام بالتقوى الّتى روّض بها نفسه عن هذه الامور المعيّنه و الأسباب المعدّه،و نبّه على غرضه الأقصى من الرياضه و هو الكمال الحقيقى و اللذّه به بذكر بعض لوازمه و هى أن يأتى نفسه آمنه من الفزع يوم الخوف الأكبر و هو يوم القيامه،و أن يثبت على جوانب المزلق و هو الصراط المستقيم فلا تميل به الدواعى المختلفه عنه إلى أبواب جهنّم و مهاوى الهلاك. استعاره و استعار لفظ المزالق :

لمظانّ زلل أقدام العقول فى الطريق إلى اللّه و جذب الميول الشهويّه و الغضبيّه عنها إلى الرذائل الموبقه .

الحادى عشر:نبّه على أنّ زهده فى الدنيا و اقتصاره منها

على الطمرين و القرصين

ص:۱۰۹

و ترک ما سوی ذلک لیس عن عجزه عن تحصیل طیّبات مطعوماتها و ملبوساتها،و أنّه لو شاء لاهتدی إلی تحصیل تلک الطیّبات و لباب القمح و مصفّی العسل لأنّ الهریسه و العسل من أشهر الطیّبات بمکّه و الحجاز،و إنّما ترکه مع القدره علیه ریاضه لنفسه و إعدادا لها لتحصیل الکمالات الباقیه.و استثنی هنا نقیض الملزوم و هو عدم غلبه هواه لعقله و عدم قود جشعه له إلی تخیّر الأطعمه،و نبّه عن ذلک العدم بقوله:هیهات.فإنّ ما استبعد وقوعه من نفسه و أنکره فقد نفاه عنها و حکم بعدمه.

و أمّا أنّ ذلک العدم هو نقیض الملزوم بعینه فلأنّ الملزوم هنا هو المشیئه لتخیّر الطیّبات و غلبه الهوی للعقل علی مقتضی رأیه فی ترکها و التنزّه عنها وقود الشهوه له إلی الموافقه علی استعمالها،و المستثنی هاهنا هو عدم ذلک بعینه،و أمّا جواز استثنائه لنقیض المقدّم فلأنّ مشیئه تلک شرط مسا و لتخیّر الطیّبات و الاهتداء إلیها،و کان عدمه مستلزما لعدم مشروطه و أکثر استعمال لو فی لغه العرب علی وجه أنّ الملزوم علّه للازمه أو شرط مساو له،و یستثنی نقیض الملزوم.و الواو فی قوله:و لعلّ.للحال:أی هیهات أن یغلبنی هوای إلی تخیّر الأطعمه حال ما یحتمل أن یکون بالحجاز و الیمامه من هو بصفه کذا.

و قوله :أو أبیت.

عطف علی یقودنی داخل فیما استبعده من نفسه.و الواو فی قوله:و حولی.

للحال،و العامل أبیت،و کذلک قوله:أو أن أکون.عطف علی أبیت،و هما لازمان من لوازم نتیجه القیاس الاستثنائی فإنّ عدم إرادته لتخیّر الطیّبات لمّا استلزمه هنا عدم تناولها و استمتاعه بها استلزم ذلک أن لا یبیت مبطانا و حوله أکباد جائعه و أن لا یلحقه عار بذلک.و البیت تمثیل.غرضه التنفیر عن العار اللازم عن الاستمتاع بالطیّبات مع وجود ذوی الحاجه إلی یسیر الطعام،و نبّه علی حسن هذه اللوازم بما قارن نقایضها من الأحوال المذکوره.و البیت لحاتم بن عبد اللّه الطائی من قطعه أوّلها:

أیا ابنه عبد اللّه و ابنه مالک

قصیّا بعیدا أو قریبا فإنّنی أخاف إذا متّ الأحادیث من بعدی

کفی بک عارا أن تبیت ببطنه و حولک أکباد تحنّ إلی القدّ

و إنّی لعبد الضیف ما دام نازلا و ما فیّ لولا هذه شیمه العبد

و یروی حسبک داء.و أطلق علیه اسم الداء باعتبار أنّه رذیله تنفیرا عنه،و روی قوله:أو أبیت و قوله:أو أکون.مرفوعین،و الوجه فیه أن لا یکون أو حرف عطف بل تکون الهمزه للاستفهام.و الواو بعدها متحرّکه کالفاء فی قوله« «أَ فَأَصْفاکُمْ رَبُّکُمْ بِالْبَنِینَ» »و یکون استفهام إنکار لبیانه مبطانا و لکونه کما قال القائل،و کذلک الاستفهام فی قوله :و أقنع من نفسی.فی معرض الإنکار لرضاء نفسه بأن یدعی أمیر المؤمنین و لا یشارکهم فی مکاره الدهر و جشوبه المطعم.و الواو فی قوله:و لا.

أيا ابنه عبد اللّه و ابنه مالک

قصيّا بعيدا أو قريبا فإنّنی أخاف إذا متّ الأحاديث من بعدی

کفی بک عارا أن تبيت ببطنه و حولک أکباد تحنّ إلی القدّ

و إنّی لعبد الضيف ما دام نازلا و ما فیّ لولا هذه شيمه العبد

و يروی حسبک داء.و أطلق عليه اسم الداء باعتبار أنّه رذيله تنفيرا عنه،و روی قوله:أو أبيت و قوله:أو أکون.مرفوعين،و الوجه فيه أن لا يکون أو حرف عطف بل تکون الهمزه للاستفهام.و الواو بعدها متحرّکه کالفاء فی قوله« «أَ فَأَصْفاکُمْ رَبُّکُمْ بِالْبَنِينَ» »و يکون استفهام إنکار لبيانه مبطانا و لکونه کما قال القائل،و کذلک الاستفهام فی قوله :و أقنع من نفسی.فی معرض الإنکار لرضاء نفسه بأن يدعی أمير المؤمنين و لا يشارکهم فی مکاره الدهر و جشوبه المطعم.و الواو فی قوله:و لا.

للحال.و أو أکون عطف علی اشارکهم فی حکم النفی .

الثانی عشر:نبّه علی بعض العلل الحامله له علی ترک الطيّبات و الزهد فی

الدنيا.

و هو کونه لم يخلق ليشغله أکل الطيّبات عمّا يراد منه،و ذلک فی قوله:

فما خلقت.إلی قوله:المتاهه،و نفّر عن الاشتغال بأکل الطيّبات بذکر ما يلزم المشتغل بذلک من مشابهه البهيمه،و أشار إلی وجه الشبه بقوله:همّها علفها.إلی قوله:يراد بها.و ذلک أنّ المشتغل بها إن کان غنيّا أشبه البهيمه المعلوفه فی اهتمامه بما يعتلفه من طعامه الحاضر،و إن کان فقيرا کان اهتمامه بما يکسبه و يقمّمه من حطام الدنيا ثمّ تعليفه،و يملأ کرشه مع غفلته عمّا يراد منه کالسائمه الّتی همّها الاکتراش لقممه من الکناسات مع غفلتها عمّا يؤول إليه حالها و يراد بها من ذبح و استخدام، استعاره بالکنايه و استعار لفظ الحبل و جرّه ،و کنّی بذلک عن الاهمال و الإرسال کما ترسل البهيمه .

الثالث عشر:أشار إلی بعض ما عساه يعرض للأذهان الضعيفه من الشبهه،

اشاره

و هی اعتقاد ضعفه عن قتال الأقران بسبب ذلک القوت النزر،و ذلک بقوله:و کأنّی.

إلی قوله:الشجعان.

ثمّ نبّه علی الجواب عن ذلک من خمسه أوجه:

الأوّل:التمثيل بالشجره البريّه

،قياس نفسه عليها فى القوّه.فالأصل هو الشجره البريّه،و الفرع هو عليه السّلام،و المشترک الجامع بينهما هو قلّه الغذاء و جشوبه المطعم کقلّه غذاء الشجره البريّه و سوء رعيها،و الحکم عن ذلک هو صلابه أعضائه و قوّته کصلابه عود الشجره البريّه و قوّتها.ذلک دافع للشبهه المذکوره.

الثانى:تمثيل خصومه و أقرانه کمعاويهبالروائع الخضره

و هى الأصل فى هذا التمثيل،و الفرع هو خصومه و أقرانه،و المشترک الجامع بينهما هو الخضره و النضاره الحاصله عن الترفّه و لين المطعم،و الحکم اللازم عن ذلک هو رقّه الجلود و لينها و الضعف عن المقاومه و قلّه الصبر على المنازله و الميل إلى الدعه و الرفاهيّه،و الغرض أن يعلم کون أقرانه أضعف منه.فيندفع الشبهه.

الثالث:تمثيله بالنباتات العذيه

و هو کتمثيله بالشجره البريّه و الحکم هنا هو کونه أقوى على سعير نار الحرب و أصبر على وقدها و أبطأ فتورا فيها و خمودا کالنباتات العذيه فى النار .

الرابع:تمثيله نفسه من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بالضوء من الضوء.

و أصل هذا التمثيل هو الضوء من الضوء و فرعه نسبه نفسه من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و علّته الجامعه هى کون علومه و کمالاته النفسانيّه المشرقه مستفاده و مقتبسه من مصباح علم النبوّه و کمالاتها کالمعلول من العلّه و المصباح من الشعله.

الخامس:تمثيله منه صلّى اللّه عليه و آله بالذراع من العضد.

و الأصل فيه الذراع مع نسبته إلى العضد،و الفرع هو عليه السّلام منسوبا إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله،و العلّه الجامعه هى قربه منه و قوّته به و کونه ظهيرا له و وسيله إلى حصول مقصوده من تمام الدين و کماله، و کون الرسول صلّى اللّه عليه و آله أصلا فى ذلک کقرب الذراع من العضد،و کون العضد أصلا له،و کون الذراع وسيله إلى التصرّف و البطش بالعضد،و الحکم فى هذين التمثيلين واحد و هو کونه عليه السّلام لا يضعف عن قتال الأقران و منازله الشجعان،و وجه لزوم هذا الحکم عن المشترک الأوّل أنّه لمّا کانت علومه اليقينيّه و بصيرته فى الدين يناسب بصيره رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ذلک أعظم أمر يشجّعه و يقوّيه على قتال الأقران حميه للدين،

ص:۱۱۲

و كذلك عن المشترك الثانى.

ثمّ لمّا أثبت ذلك الحكم و نفى عنه الضعف المتوهّم فيه أكدّ ذلك بالقسم البارّ أنّه لو تعاونت العرب على قتاله لما ولّى عنها،و لو أمكنت الفرصه من رقابها يسارع إليها:أى حين القتال و استحقاقهم للقتل بعداوتهم للدين و قبح العفو عنهم ملاحظه تشبّهه برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى ذلك فى مبدء الإسلام فإنّه لم يكن ليضع العفو إلاّ فى موضعه،و روى أنّه قتل فى يوم واحد ألف إنسان صبرا فى مقام واحد لما رأى فى ذلك من مصلحه الدين .

الرابع عشر:تواعد أن يجتهد فى تطهير الأرض من هذا الشخص المعكوس

و الجسم المركوس

،و أراد معاويه،و إنّما قال:شخصا و جسما ترجيحا لجانب البدن على النفس باعتبار عنايته بكمال بدنه دون كمال نفسه فكأنّه جسم و شخص فقط،و أشار بكونه معكوسا و مركوسا إلى التفاته عن الجنبه العاليه و انتكاسه عن تلقّى الكمالات الروحانيّه إلى الجنبه السافله و ارتكاسه فى الدنيا و انعكاس وجه عقله إلى تحصيلها لذاتها و الاعتناء بجمعها[بجميعها خ]فإن غرض العنايه الإلهيّه من خلق الإنسان أن يترقّى فى مدارج الكمال بعد حفظ فطرته الأصليّه عن الدنس برذائل الأخلاق فإذا جذبته دواعى الأمّاره إلى الدنيا و غرّته بحبّها حتّى التفت إليها لم يزل ينحطّ فى دركات محبّتها و بحسب ذلك يكون انتكاسه عن مراتب الكمال و ارتكاسه فى الرذائل و مهاوى الضلال،و تقيّده فيها بالسلاسل و الأغلال.

استعاره و قوله: حتّى تخرج المدره من بين حبّ الحصيد .

إشعار لفظ المدره لمعاويه و حبّ الحصيد للمؤمنين،و وجه المشابهه أنّه مخلص المؤمنين من وجود معاويه بينهم ليزكوا إيمانهم و يستقيم دينهم.إذ كان وجوده فيهم سببا عظيما لفساد عقائدهم و هلاك دينهم كما يفعل أهل البيادر من تصفيه الغلال و إخراج ما يشوبها و يفسدها من المدر و غيره .و قال الشارح عبد الحميد بن أبى-الحديد كما أنّ الزرّاع يجتهدون فى إخراج المدر و الحجر و الشوك و نحوه من بين الزرع كيلا يفسد منابته فيفسد ثمرته.و فيه نظر لأنّه لا معنى لإخراج الطين من

الزرع،و لأنّ لفظ حبّ الحصيد لا يفهم منه ذلك .

الخامس عشر:تمثّل الدنيا بصوره من يعقل

،و خاطبها بخطاب العقلاء ليكون ذلك أوقع فى النفوس لغرابته.ثمّ أمرها بالتنحّى و البعد عنه كالمطلّق لها. كنايه و حبلك على غاربك كنايه عن الطلاق تمثيل.و أصله:أنّ الناقه إذا أريد إهمالها لترعى وضع حبلها على غاربها فضرب مثلا لكلّ من اهمل و اطلق عن الحكم . استعاره بالكنايه ثمّ جعلها ذات مخالب استعاره بالكنايه عن كونها كالأسد فى جذبها للإنسان بما فيها من الشهوات و القينات إلى الهلاك الأبد كما يجرّ الأسد فريسته،و كذلك جعلها ذات حبائل ،و كنّى بهذا الوصف المستعار عن كونها تصيد قلوب الرجال بشهواتها الوهميّه فهى لها كحبائل الصايد ، استعاره و استعار لفظ مداحضها لشهواتها و ملذّاتها أيضا باعتبار كونها مزالق أقدام العقول عن طريق اللّه و مصارع لها،و عبّر بجميع ذلك عن زهده فيها و إبعادها فيها عن نفسه .ثمّ أخذ فى سؤالها عن القوم الّذين غرّتهم بمداعبها و الامم الّذين فتنتهم بزخارفها سؤالا على سبيل التوبيخ لها و الذمّ على فعلها ذلك بهم فى معرض التنفير عنها،و هو من قبيل تجاهل العارف،و استعار لها لفظ المداعب جمع مدعبه بمعنى دعابه،و وجه المشابهه أنّها عند صفاء لذّاتها للخلق و اغترارهم بها ثمّ كرّها عليهم بعد ذلك بالأمر الجدّ يشبه من يمزح مع غيره و ينبسط معه بالأقوال و الأفعال اللیّنه ليغترّ به ثمّ يأتيه بعد ذلك بالأمر الجدّ فيؤذيه أو يهلكه،و إنّما نسب الغرور إليها لكونها سببا مادّيا لذلك.و فى نسخه الرضى-رحمه اللّه-غرّرتيهم بإثبات الياء،و وجهه أنّها حدثت من إشباع الكسره .

السادس عشر:

استعاره أشار إلى غايتهم الّتى صاروا إليها،و هى كونهم رهائن القبور و مضامين اللحود،و نبّه فى ذلك على أنّ غرورهم و فتنتهم بما لم يخلصهم من هذه الغايه كلّ ذلك الغرض التنفير عنها.و ها للتنبيه،و استعار لفظ الرهائن لهم عتبار كونهم موثّقين فى القبور بأعمالهم كالرهن،و يحتمل أن يكون حقيقه،و يكون رهينه بمعنى راهنه و هى الأشخاص المقيمه بقبورها .

السابع عشر:

أقسم أنّها لو كانت شخصا مرئيّا و قالبا حسّيّا لأقام عليها

حدود اللّه فی عباد غرّتهم بالأمانیّ و أوردتهم موارد البلاء حیث لا ورد و لا صدر:أی أنّ تلک الموارد لیس من شأنها أن یکون إلیها ورود و عنها صدر.ثمّ لمّا کان فی هذا الخطاب کالمعلم لها أنّه قد اطّلع علی خداعها و غرورها قال کالمؤیس لها من نفسه هیهات:أی بعد اغتراری بک و رکونی إلیک .ثمّ نبّه علی بعض العلل الحامله علی علی البعد عنها و النفره عن قربها و هی ما یلزم وطیء دحضها من الزلق،و رکوب لججها من الغرق،و الازورار عن حبائلها من التوفیق للسلامه،و ما یلزم السالم منها من عدم مبالاته بضیق مناخه،و کلّ مناخ أناخ به من فقر و سجن و مرض و بلاء بعد السلامه منها فهو فسیح رحب بالقیاس إلی ما یستلزم التفسّح فی سعتها و الجری فی فی میادین شهواتها من العذاب الألیم فی الآخره،و هی عنده فی القصر و عدم الالتفات إلیها کیوم حان انسلاخه. استعاره مرشحه و ألفاظ المداحض و اللجج و الحبال مستعار لشهواتها و لذّاتها.

فالأوّل:باعتبار کون شهواتها مظنّه أن تحبّ فینجرّ الإنسان عند استعمالها إلی الاستکثار منها أو تجاوز القدر المعتدل إلی المحرّم فتزّل قدم نفسه عن صراط اللّه فیقع فی مهاوی الهلاک و المئاثم.

و الثانی:باعتبار أنّ مطالبها و الآمال فیها غیر متناهیه فمن لوازم المشتغل بها و المنهمک فی الدنیا أن یغرق نفسه فی بهر لا ساحل له منها فینقطع عن قبول رحمه الله الی الهلاک الابدی کالملقی نفسه فی بحر لجی.

الثالث:باعتبار أن الانسان إذا اغترّ بها و حصل فی محبّه مشتهیاتها عاقته عن النهوض و التخلّص إلی جناب اللّه و منعته أن یطیر بجناحی قوّته العقلیّه فی حضره قدس اللّه و منازل أولیائه الأبرار کما تعوق حبائل الصائد جناح الطائر.و لفظ الوطی و الرکوب و الزلق و الغرق ترشیح .ثمّ کرّر الأمر لها بالبعد عنه و أقسم أنّه لا یذلّ لها فیستذلّه و لا یسلس لها قیاده فیقوده،و فیه تنبیه علی أنّها لا یذلّ فیها إلاّ من أذلّ نفسه و عبّدها لها و لا یملک إلاّ قیاد من أسلس لها قیاده و هو ظاهر.إذ الإنسان ما دام قامعا لقوّته الحیوانیّه مصرفا لها بزمام عقله فإنّه من المحال أن

یـذلّه الـدنیا و یستعبده أهلها و مهمـا اتّبع شـهوته فیمـا تمثّل إلیه فإنّها تـذلّه أشـدّ إذلال و تستعبده أقوی استعباد کما قال علیه السّلام:عبـد الشـهوه أذلّ من عبـد الرق.و اسـتعار وصف إسـلاس القیـاد للتسـهیل فی متابعه النفس العاقله للنفس الأمّاره و عـدم التشدّد فی ضبطها باستعمال العقل عن متابعتها.

الثامن عشر:

أقسم لیوقّعن ما صمّم عزمه علیه و هو بصدده من ریاضه نفسه.

و وصف تلک الریاضه فی قوّتها باستلزام أمرین:

أحـدهما:کـون نفسه یهشّ معهـا إلی القرص و ترضـی به إذا قـدرت علیه مطعومـا و تقنع بالملـح مأدومـا.و تلـک ریـاضه القـوّه الشـهویّه،و لمّا کانت عدوّا للنفس و أکثر الفساد یلحق بسـببها خصّـها بالذکر و قوّه العزم،و یحتمل أن یرید ریاضه جمیع القوی و إنّما وصـفها بکون النفس تهش معها إلی القرص لأنّ ضـبط الشـهوه أعظم من ضـبط سائر القوی و أصـعب و کانت الإشاره إلی ضبطها إلی الحـدّ المـذکور أبلغ فی وصف الریاضه بالشدّه،و اسـتثنی فی یمینه بمشـیئه اللّه أدبا لقوله تعالی «لا تَقُولَنَّ لِشَیْءٍ إِنِّی فاعِلٌ ذلِکَ غَداً إِلاّ أَنْ یَشاءَ اللّهُ» (۱)و تنبیها علی استناد جمیع الامور فی سلسله الحاجه إلی اللّه تعالی .

الثانی:کونه یدع مقلته فی تلک الریاضه کعین ماء نضب ماؤها،و وجه الشـبه أن یفنی دموعها و یسـتفرغها بالبکاء شوقا إلی الملأ الأعلی و ما اعدّ لأولیاء اللّه من السـعاده الأبدیّه و خوفا من حرمانها.و من کان فی مقام الغربه و محلّ الوحشه کیف لا یشتاق إلی وطنه الأصـلیّ و مقـام انسه الأوّلیّ.و مطعوما و مأدوما و مسـتفرغه أحوال . تشبیه ثمّ أخـذ فی تمثیل نفسه بالسائمه و الربیضه علی تقدیر أن یرضـی بمثل حالهما و غایتهما من الدنیا فی معرض الإنکار لذلک الرضا من نفسه،و الأصل فی ذلک التمثیل البهیمه،و الفرع هو علیه السّـلام،و المشترک الجـامع هو الرعی و الشـبع و البروک و النوم و الراحه.و لمّا کان الأصل المقیس علیه فی غایه من الخسّه بالقیاس إلی

۱- (۱) ۳۴-۱۸.

الإنسان الکامل استلزم ذلک التشبیه به قوّه النفره عمّا یستلزم التشبیه من الصفات .

و قوله: قرّت إذن عینه .

إخبار فی معرض الإنکار و الاستهزاء باللّذه کقوله تعالی «ذُقْ إِنَّکَ أَنْتَ الْعَزِیزُ الْکَرِیمُ » (۱)،

التاسع عشر:

نبّه علی أنّ النفس إذا کانت بالصفات المذکوره فلها استحقاق طوبی.و جمع فی تلک الصفات أکثر مکارم الأخلاق:

فالاولی:القیام بواجب طاعه اللّه و ما افترضه علیها.

الثانیه: کنایه قوله: و عرکت بجنبها بؤسها .کنایه عن الصبر علی نزول المصائب.

یقال:عرک فلان بجنبه الأذی،إذا أغضی عمّن یؤذیه و صبر علی فعله به.و یلازم ذلک عدّه فضائل کالحلم و الکرم و العفو و الصفح و التجاوز و کظم الغیظ و احتمال المکروه و العفّه و نحوها.

الثالثه: أن تهجر باللیل غمضها ،و هو کنایه عن إحیاء لیلها بعباده ربّها و اشتغالها بذکره حتّی إذا غلب النوم علیها افترشت أرضها و توسّدت کفّها:أی لم یکن لها کلفه فی تهیّه فراش و طیب و ساد بل کانت بریّه عن کلّ کلفه عریّه عن کلّ قینه منزّهه عن کلّ ترفه .

و قوله: فی معشر .یصلح تعلّقه بکلّ من أفعال النفس المذکوره:أی فعلت هذه الأفعال فی جمله معشر من شأنهم کذا.و عرّفهم بصفات أربع:

أحدها:کونهم أسهر عیونهم خوف معادهم.

کنایه الثانی: و تجافت جنوبهم من مضاجعهم .و هو کنایه عن اشتغالهم لیلا بعباده ربّهم کقوله تعالی «تَتَجافی جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ » (۲).

الثالث:و همهمت بذکر ربّهم شفاههم کقوله تعالی «یَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَ طَمَعاً» (۳).

۱- ۱) ۴۹-۴۴.

۲- ۲) ۱۶-۳۲.

۳- ۳) ۱۶-۳۲.

استعاره الرابع: و تقشّعت بطول استغفارهم ذنوبهم ،و هو لازم عن الثلاثه الاولى أو ثمره لها،و استعار لفظ التقشّع لانمحاء ذنوبهم،و وجه المشابهه أنّ الذنوب و الهيئات البدنيّه فى تسويدها لألواح النفوس و تغطيتها و حجبها لها عن قبول أنوار اللّه يشبه المتراكم الحاجب لوجه الأرض عن قبول نور الشمس و الاستعداد بها للنبات و غيره فاستعار لزوالها و انمحائها من ألواح النفوس لفظ التقشّع .كلّ ذلك للترغيب فى طاعه اللّه و الجذب إلى الدخول فى زمره أوليائه و باللّه التوفيق.

۴۵-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى بعض عماله

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّکَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى إِقَامَهِ الدِّينِ- وَ أَقْمَعُ بِهِ نَخْوَهَ الْأَثِيمِ- وَ أَسُدُّ بِهِ لَهَاهَ الثَّغْرِ الْمَخُوفِ- فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ عَلَى مَا أَهَمَّکَ- وَ اخْلِطِ الشِّدَّهَ بِضِغْثٍ مِنَ اللِّينِ- وَ ارْفُقْ مَا کَانَ الرِّفْقُ أَرْفَقَ- وَ اعْتَزِمْ بِالشِّدَّهِ حِينَ لَا تُغْنِی عَنْکَ إِلَّا الشِّدَّهُ- وَ اخْفِضْ لِلرَّعِيَّهِ جَنَاحَکَ وَ ابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَکَ- وَ أَلِنْ لَهُمْ جَانِبَکَ- وَ آسِ بَيْنَهُمْ فِی اللَّحْظَهِ وَ النَّظْرَهِ وَ الْإِشَارَهِ وَ التَّحِيَّهِ- حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِی حَيْفِکَ- وَ لَا يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِکَ

اللغه

أقول: النخوه : الكبر .و الأثيم : الآثم .و الضغث : النصيب من الشىء يختلط بغيره.و أصله القبضه من الحشيش المختلط من رطبه و يابسه .و اعتزم بكذا : أى لزمه و أخذ به .

المعنى

اشاره

و قد استماله أوّلا بأمور ثلاثه أعلمه بها من نفسه و أعدّه لقبول أوامره،و هى كونه ممّن يستظهر به على إقامه الدين،و يقمع به نخوه الأثيم،و يسدّ به الثغر المخوف. استعاره و استعار لفظ اللهاه لما عساه ينفتح من مفاسد الثغر فيحتاج إلى سدّه

بالعسكر و السلاح ملاحظه الشبهه بالأسد الفاتح فاه للافتراس .

مكارم الاخلاق

اشاره

ثمّ أردف ذلک بما أمره به من مكارم الأخلاق.

أوّلها:أن يستعين باللّه على ما أهمّه

من اموره فإنّ الفزع إليه و الاستعانه به أفضل ما أعان على حصول المهمّات.

الثانى:أن يمزج الشدّه بضرب من اللين

و يضع كلامه موضعه فيرفق و يلين ما كان الرفق أولى و أوفق له و يأخذ بالشدّه حين لا يغنى إلاّ الشدّه .

الثالث:أن يخفض جناحه لرعيّته،

و هو كنايه عن التواضع.

الرابع:أن يبسط لهم وجهه،

و هو كنايه عن لقائهم بالبشاشه و البشر و ترک العبوس و التقطيب.

الخامس:

كنايه أن يلين لهم جانبه ،و هو كنايه عن المساهله معهم و عدم التشدّد عليهم .

السادس:أن يواسى بينهم فى اللحظه و النظره و الإشاره و التحيّه،

و اللحظه أخصّ من النظره و هو أمر بفضيله العدل بين الرعيّه لئلاّ يطمع عظيمهم فى حيفه على الضعيف فيتسلّط عليه،و لا ييأس الضعيف من عدله على القوىّ فيضعف نفسه و يكلّ عمّا هو بصدده من الأعمال المصلحيّه،و باللّه التوفيق.

۴۶-و من وصيّه له عليه السّلام

اشاره

للحسن و الحسين عليهما السّلام لما ضربه ابن ملجم لعنه اللّه

أُوصِيكُمَا بِتَقْوَى اللَّهِ وَ أَلاَّ تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَ إِنْ بَغَتْكُمَا- وَ لاَ تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زُوِيَ عَنْكُمَا- وَ قُولاَ بِالْحَقِّ وَ اعْمَلاَ لِلْأَجْرِ- وَ كُونَا

لِلظَّالِمِ خَصْماً وَ لِلْمَظْلُومِ عَوْناً- أَوصِيكَمَا وَ جَمِيعَ وَلَدِی وَ أَهْلِی وَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِی- بِتَقْوَی اللَّهِ وَ نَظْمِ أَمْرِكُمْ

وَ صَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ- فَإِنِّی سَمِعْتُ جَدَّكُمَا ص يَقُولُ- صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّهِ الصَّلَاهِ وَ الصِّيَامِ- اللَّهَ اللَّهَ فِی الْأَيْتَامِ فَلَا تُغِبُّوا أَفْوَاهَهُمْ- وَ لَا يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ- وَ اللَّهَ اللَّهَ فِی جِيرَانِكُمْ فَإِنَّهُمْ وَصِيَّهُ نَبِيِّكُمْ- مَا زَالَ يُوصِی بِهِمْ حَتَّی ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُمْ- وَ اللَّهَ اللَّهَ فِی؟الْقُرْآنِ؟- لَا يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ- وَ اللَّهَ اللَّهَ فِی الصَّلَاهِ فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ- وَ اللَّهَ اللَّهَ فِی بَيْتِ رَبِّكُمْ لَا تُخَلُّوهُ مَا بَقِيتُمْ- فَإِنَّهُ إِنْ تُرِكَ لَمْ تُنَاظَرُوا- وَ اللَّهَ اللَّهَ فِی الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ- وَ أَلْسِنَتِكُمْ فِی سَبِيلِ اللَّهِ- وَ عَلَيْكُمْ بِالتَّوَاصُلِ وَ التَّبَاذُلِ- وَ إِيَّاكُمْ وَ التَّدَابُرَ وَ التَّقَاطُعَ- لَا تَتْرُكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْیَ عَنِ الْمُنْكَرِ- فَيُوَلَّی عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ- ثُمَّ قَالَ يَا؟بَنِی عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟- لَا أُلْفِيَنَّكُمْ تَخُوضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضاً- تَقُولُونَ قُتِلَ؟أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؟- أَلَا لَا تَقْتُلُنَّ بِی إِلَّا قَاتِلِی- انْظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هَذِهِ- فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَهً بِضَرْبَهٍ- وَ لَا تُمَثِّلُوا بِالرَّجُلِ- فَإِنِّی سَمِعْتُ؟رَسُولَ اللَّهِ ص؟ يَقُولُ- إِيَّاكُمْ وَ الْمُثْلَهَ وَ لَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ

اللغه

أقول: بغيت كذا : أردته .و إغباب أفواههم : أن يطعموهم يوما و يتركوهم

ص:١٢٠

يوما .و المناظره : المحافظه و المراقبه .و التدابر : التقاطع و التعادى .و المثله التنكيل .

و قد أوصاهما بأمور:

أولها:تقوى اللّه

الّتى هى رأس كلّ خير.

الثانى:

استعاره الزهد فى الدنيا،و أن لا يريداها و إن أرادتهما:أى أقبلت عليهما بما يعدّ فيها[عنها خ]خيرا،و استعار لفظ البغيه لها باعتبار سهولتها عليهما عن توافق أسباب خيرها لهما فهى بذلك الاعتبار كالطالبه لها .

الثالث:أن لا يأسفا على ما قبض و غيّب عنهما

من خيراتها و هو من لوازم الزهد الحقيقىّ فيها.

الرابع:أن لا يقولا إلّا الحقّ

و هو ما ينبغى قوله من أوامر اللّه و نواهيه، و أن يعملا لأجر الآخره:أى يكون أقوالهما و أعمالهما مقصوره على هذين.

الخامس:أن يكونا للظالم خصيما و للمظلوم عونا،

و ذلك من لوازم قول الحقّ و العمل له.إذ من كان على حاقّ العدل لابدّ أن يجانب الظالم المنحرف إلى طرف الجور و يخاصمه ليردّه إلى فضيله العدل فيكون حينئذ عونا للمظلوم .

ثمّ عاد مؤكّدا لوصيّتهما مع جميع ولده و أهله و من بلغه كتابه من عباد اللّه بتقوى

اشاره

اللّه مكرّرا لها و مردفا بأوامر اخرى:

أحدها:صلاح ذات البين

و ذات كنايه عن الحاله الموجبه للبين و الافتراق.

و قيل:هى الحاله بين الرجلين و القبيلتين أو الرجل و أهله.أمر بإصلاح ما بينهما من فساد.و قيل:يحتمل أن يريد بالبين هنا الوصل،و بالذات النفس:أى أصلحوا نفس وصلكم من فساد يقع فيه.و قيل:إنّ ذات هنا مقحمه زائده،و نحوه قوله تعالى «فَاتَّقُوا اللّهَ وَ أَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ» (١)و صلاح ذات البين من لوازم الالفه و المحبّه فى اللّه،و هى فضيله تحت العفّه.و رغّب فى ذلك بما رواه سماعا عن

ص:١٢١

١- (١) ١-٨.

رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله من قوله:صلاح ذات البین أفضل من عامّه الصلاه و الصیام و وجه الأفضلیّه هنا أنّک علمت فیما سلف أنّ أهمّ المطالب للشارع صلّی اللّه علیه و آله جمع الخلق علی سلوک سبیل اللّه و انتظامهم فی سلک دینه و لن یتمّ ذلک مع تنازعهم و تنافر طباعهم و ثوران الفتنه بینهم فکان صلاح ذات البین ممّا لا یتمّ أهمّ مطالب الشارع إلاّ به، و هذا المعنی غیر موجود فی الصلاه و الصیام لإمکان المطلوب المذکور بدونهما فتحقّقت أفضلیّته من هذه الجهه.و الخبر فی قوّه صغری ضمیر تقدیر کبراه:کلّما کان کذلک فواجب أن یفعل .

الثانی:حذّره من اللّه تعالی فی الأیتام و نهی عن إجاعتهم:

و کنی عنها باغباب افواههم اذ هو مظنّه جوعهم.ثمّ عن إضاعتهم و استلزم ذلک النهی أمرهما ببرّهم و الإحسان إلیهم و هو فضیله تحت العفّه.

الثالث:

مجاز من باب إطلاق اسم المتعلّق الوصیّه فی الجیران و التحذیر من اللّه فیهم ،و نبّه علی حفظ قلوبهم و إکرامهم بوصیّه الرسول صلّی اللّه علیه و آله فی حقّهم،و جعلهم نفس الوصیّه تأکیدا للمحافظه علیهم کالمحافظه علی وصیّه رسول اللّه.و المجاز من باب إطلاق اسم المتعلّق .

و قوله: ما زال .إلی قوله: سیورّثهم .تفسیر للوصیّه المذکوره،و هی أیضا فی قوّه صغری ضمیر تقدیر کبراه:و کلّ من أوصی النبیّ فی حقّه کذلک فواجب أن یحفظ .

الرابع:الوصیّه بما اشتمل علیه القرآن الکریم

من القوانین و القواعد،و التحذیر من اللّه سبحانه فی ترکه،و النهی عن أن یسبقهم بذلک غیرهم المستلزم للأمر بالمسارعه و السبق إلیه.

الخامس:الوصیّهبأمر الصلاه و التحذیر من اللّه

فی أمرها،و نبّه علی فضیلتها بضمیر صغراه قوله:فإنّها عمود الدین.و هو عین ما رویناه من الحدیث قبل،و تقدیر الکبری:و کلّ ما کان کذلک فواجب أن یقام الدین بإقامته.

السادس:الوصیّه ببیت ربّهم و النهی عن ترک زیارته مدّه العمر

،و قد سبق

سرّه،و نبّه على فضيله اخرى له توجب ملازمته و هو ما يستلزمه تركه من عدم مناظره اللّه لتاركيه و ترک محافظته عليهم و مراقبته لأنّ من لا يحفظ اللّه فى بيته و لا يراقبه فى مراعاه جانبه لم يحفظه اللّه و لم يراقبه،و يحتمل أن يريد لن يناظركم الأعداء و لم يراقبوكم.إذ فى الإجماع إلى بيت اللّه و المحافظه عليه عزّ باللّه و اعتصام به يوجب مراقبه الخلق المعتصمين به و انفعال القلوب عنهم و عن كثرتهم و مناظرتهم.

السابع:الوصيّه بالجهاد فى سبيل اللّه بالمال و النفس و اللسان و التحذير

من اللّه فى تركه

و هو ممّا علمت فضيلته .

الثامن:الوصيّه بالتواصل و التباذل:

أى يبذل كلّ منهم النصره لصاحبه فى سبيل اللّه.

التاسع:التحذير من التقاطع و التدابر.

و سرّه ظاهر.

العاشر:النهى عن ترک الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر

المستلزم للأمر بهما.و نفّر عن ذلك الترك بما يستلزمه و يعدّ له من تولّى الأشرار عليهم و عدم استجابه دعاء الداعين منهم،و وجه إعداده لذلك أنّ ترک الاجتماع على الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر يستلزم ثوران المنكر و قلّه المعروف من طباع الأشرار و يعدّ لاستيلائها و غلبتها و ولايه أهلها و ذلک يستلزم كثره الشرّ و الأشرار و قلّه الصالحين و ضعف هممهم عن استنزال رحمه اللّه تعالى بأدعيتهم فيدعون فلا يستجاب لهم .

ثمّ عقّب ذلک بوصيّه أهل بيته من بنى عبد المطّلب بما يخصّه من

اشاره

أمر دمه.و الوصيّه بأمور:

أحدها:نهاهم عن إثاره الفتنه بسبب قتله

كنايه فقال: لا أجدنّكم تخوضون دماء المسلمين خوضا ،و كنّى عن كثره القتل .

و قوله:تقولون:قتل أمير المؤمنين.حكايه ما جرت به العاده أن يقوله طالب الثارحين هياجه إظهارا لعذره و السبب الحامل له على إثاره الفتنه.

الثانى:نهاهم أن يقتلوا إلاّ قاتله.

إذ ذلک هو مقتضى العدل .

الثالث:نبّههم بقوله:انظروا.إلى قوله:هذه.

على أنّه لا يجوز قتله بمجرّد

ص:۱۲۳

ضربته إن لو حصل الموت بسبب غيرها إلاّ أن يعلم أنّ موته كان بسبها.

الرابع:أمرهم أن يضربوه ضربه بضربه،

و ذلک مقتضی عدله علیه السّلام أیضا.

الخامس:نهی عن المثله به معلّلا بما رواه سماعا عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله

و ذلک لما فی المثله من تعدّی الواجب و قسوه القلب و شفاء الغیظ و کلّ ذلک رذائل یجب الانتهاء عنها،و هو فی قوّه صغری ضمیر تقدیر کبراه:و کلّ ما نهی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عنه فوجب أن لا یفعل.و باللّه التوفیق.

۴۷-و من کتاب له علیه السّلام

اشاره

إلی معاویه

فَإِنَّ الْبَغْیَ وَ الزُّورَ یُوتِغَانِ الْمَرْءَ فِی دِینِهِ وَ دُنْیَاهُ- وَ یُبْدِیَانِ خَلَلَهُ عِنْدَ مَنْ یَعِیبُهُ- وَ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّکَ غَیْرُ مُدْرِکٍ مَا قُضِیَ فَوَاتُهُ- وَ قَدْ رَامَ أَقْوَامٌ أَمْراً بِغَیْرِ الْحَقِّ- فَتَأَلَّوْا عَلَی اللَّهِ فَأَکْذَبَهُمْ- فَاحْذَرْ یَوْماً یَغْتَبِطُ فِیهِ مَنْ أَحْمَدَ عَاقِبَهَ عَمَلِهِ- وَ یَنْدَمُ مَنْ أَمْکَنَ الشَّیْطَانَ مِنْ قِیَادِهِ فَلَمْ یُجَاذِبْهُ- وَ قَدْ دَعَوْتَنَا إِلَی حُکْمِ؟الْقُرْآنِ؟ وَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ- وَ لَسْنَا إِیَّاکَ أَجَبْنَا وَ لَکِنَّا أَجَبْنَا؟الْقُرْآنَ؟ فِی حُکْمِهِ- وَ السَّلاَمُ أقول:هذا الفصل من کتاب له إلیه بعد التحکیم و تمسّک معاویه بما حکم به الحکمان،و یحتمل أن یکون عند إجابته إلی التحکیم.

اللغه

و الوتغ بالتحریک:

الهلاک.و أوتغ فلان دینه بالإثم:أهلکه و أفسده،و فی نسخه الرضی-رحمه اللّه- یذیعان:أی یظهران .و الغبطه : السرور،و الغبطه:تمنّی مثل حال الغیر .

المعنی

و صدّر الفصل بذکر الظلم و الکذب و التنفیر عنهما بما یلزمهما من إهلاک

دین المرء و دنیاه،و یبدیان خلله و عیبه لمن یعیبه.أمّا فی دینه فلکونهما رذیلتین مضادّتین للعدل و العفّه و مجانبتین للإیمان و الدین،و أمّا فی دنیاه فلأنّ أعظم مطالب الدنیا للعقلاء الذکر الجمیل و إنّما یحصل بظهور مکارم الأخلاق دون رذائلها،و أراد بما قضی فواته ما جعله معاویه شبهه له فی محاربته و هو المطلب بدم عثمان و هو فی قوّه صغری ضمیر احتجّ به علی وجوب ترک المشاقّه،و تقدیر کبراه:و کلّ من کان کذلک تعیّن علیه أن یترک ذلک الطلب.ثمّ أعلمه بحال من طلب أمرا باطلا و تأوّل علی اللّه فی ذلک.و الإشاره إلی أصحاب الجمل حیث کانوا طالبین للأمر و الملک فتأوّلوا علی اللّه:أی علی سلطان اللّه و هی الخلافه الحقّه فجعلوا لخروجهم و بغیهم علیها تأویلا و هو الطلب بدم عثمان،و نحوه من الشبه الباطله.فأکذبهم اللّه بنصره علیهم و ردّ مقتضی شبههم.و الا کذاب کما یکون بالقول کذلک یکون بالفعل.و قال القطب الراوندیّ-رحمه اللّه-:معناه و قد طلب قوم أمر هذه الامّه فتأوّلو القرآن کقوله تعالی «أَطِیعُوا اللّهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ» (1)فسمّوا من نصبوه من الامراء أولی الأمر متحکّمین علی اللّه فأکذبهم اللّه بکونهم ظالمین بغاه،و لا یکون الوالی من قبل اللّه کذلک .ثمّ حذّره یوم القیامه منبّها له علی ما فیه من سرور الّذین حمدوا عاقبه أعمالهم بما حصلوا علیه من السعاده الباقیه و اغتباط غیرهم لهم و تمنّی مثل مراتبهم،و ندم من أمکن الشیطان من قیاده فصرفه کیف شاء و لم یجاذبه، استعاره و استعار لفظ التمکین من القیاد لمطاوعه النفس الأمّاره.و غرض التحذیر أن لا یکون کمن سبق من طالبی هذا الأمر بالتأویل علی اللّه .

و قوله: و قد دعوتنا .إلی آخره.

صوره سؤاله و الجواب عنه.و کونه لیس من أهله.إذ لم یکن صالحا للإمامه کما سبق بیانه مرارا،و حیث لم یکن أهلا لأن یجاب إلی الرضی بالتحکیم

۱- ۱) ۶۲-۴.

أعلمه بذلك و أنّه إنّما أجاب القرآن إلى حكمه،و ذلك فى قوله تعالى فى حقّ الزوجين «وَ إِنْ خِفْتُمْ شِقاقَ بَيْنِهِما فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَماً مِنْ أَهْلِها» (۱)الآيه فجعل عليه السّلام هذا أصلا و قاس عليه بالطريق الأولى حال الامّه عند وقوع الشقاق بينهم.و بعين ذلك احتجّ ابن عباس-رضى اللّه عنه-على الخوارج حيث أنكروا التحكيم فقالوا:كيف يجوز لعلىّ أن يحكّم فى دين اللّه الرجال.فقال لهم:إنّ ذلك ليس بأمر علىّ عليه السّلام و إنّما هو بأمر من اللّه تعالى فى كتابه.إذ يقول فى حقّ الزوجين« «وَ إِنْ خِفْتُمْ» »الآيه أ فترون أنّه أمر تعالى بذلك فى حقّ الرجل و امراته مراعاه لمصلحتهما و لا يأمر بذلك فى حقّ الأمّه رعيا لمصلحتهم؟فرجع كثير منهم إلى قوله.و باللّه التوفيق.

۴۸-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى غيره

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَشْغَلَهٌ عَنْ غَيْرِهَا- وَ لَمْ يُصِبْ صَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئاً- إِلاَّ فَتَحَتْ لَهُ حِرْصاً عَلَيْهَا وَ لَهَجاً بِهَا- وَ لَنْ يَسْتَغْنِيَ صَاحِبُهَا بِمَا نَالَ فِيهَا عَمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ مِنْهَا- وَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ فِرَاقُ مَا جَمَعَ وَ نَقْضُ مَا أَبْرَمَ- وَ لَوِ اعْتَبَرْتَ بِمَا مَضَى حَفِظْتَ مَا بَقِيَ وَ السَّلاَمُ

اللغه

أقول: اللهج : الحرص الشديد .

و صدّر الكتاب بالتنبيه على معايب الدنيا ليقلّ الرغبه فيها

اشاره

،و ذكر منها أمور:

الأوّل:كونها مشغله عن غيرها:

أى عن الآخره و هو ظاهر ممّا مرّ.

ص:۱۲۶

۱- ۱) ۳۹-۴.

الثانی:کونها لم یصب صاحبها منها شیئا إلّا کان ذلک معدّا للحرص علیها و

اللهج بها،

و إلیه الإشاره بقوله صلّی اللّه علیه و آله:لو کان لابن آدم و ادیین من ذهب لابتغی لهما ثالثا.و لا یملأ جوف ابن آدم إلّا التراب.

الثالث:کونها لا یستغنی صاحبها بما نال فیها عمّا لم یبلغه منها،

و ذلک من لوازم العیب.الثانی فإنّ حصول بعضها إذا کان معدّا للفقر إلیها لم یستغن طالبها أبدا منها.

ثمّ أردف ذلک بذکر امور للتنفیر عنها أیضا:

أحدها:استعقابها لفراق ما جمع منها.

الثانی:نقض ما أحکم من امورها ،ثم نبّه علی وجوب الاعتبار بما مضی من العمر أو من أحوال الدنیا و القرون الماضیه لغایه حفظ ما بقی من العمر أن یضیّع فی الباطل أو حفظ ما یبقی من السعاده الاخرویّه بالسعی فی تحصیلها.و باللّه التوفیق.

۴۹-و من کتاب له علیه السّلام

اشاره

إلی أمرائه علی الجیوش

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ؟عَلِیِّ بْنِ أَبِی طَالِبٍ أَمِیرِ الْمُؤْمِنِینَ؟ إِلَی أَصْحَابِ الْمَسَالِحِ- أَمَّا بَعْدُ- فَإِنَّ حَقّاً عَلَی الْوَالِی أَلاَّ یُغَیِّرَهُ عَلَی رَعِیَّتِهِ فَضْلٌ نَالَهُ- وَ لاَ طَوْلٌ خُصَّ بِهِ- وَ أَنْ یَزِیدَهُ مَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ مِنْ نِعَمِهِ دُنُوّاً مِنْ عِبَادِهِ- وَ عَطْفاً عَلَی إِخْوَانِهِ- أَلاَ وَ إِنَّ لَکُمْ عِنْدِی أَلاَّ أَحْتَجِزَ دُونَکُمْ سِرّاً إِلاَّ فِی حَرْبٍ- وَ لاَ أَطْوِیَ دُونَکُمْ أَمْراً إِلاَّ فِی حُکْمٍ- وَ لاَ أُؤَخِّرَ لَکُمْ حَقّاً عَنْ مَحَلِّهِ- وَ لاَ أَقِفَ بِهِ دُونَ

مَقْطَعِهِ- وَ أَنْ تَكونُوا عِنْدِى فِى الْحَقِّ سَوَاءً- فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ وَجَبَتْ لِلَّهِ عَلَيْكُمُ النِّعْمَهُ- وَ لِى عَلَيْكُمُ الطَّاعَهُ- وَ أَلاَّ تَنْكُصُوا عَنْ دَعْوَهٍ وَ لاَ تُفَرِّطُوا فِى صَلاَحٍ- وَ أَنْ تَخُوضُوا الْغَمَرَاتِ إِلَى الْحَقِّ- فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا لِى عَلَى ذَلِكَ- لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَهْوَنَ عَلَىَّ مِمَّنِ اعْوَجَّ مِنْكُمْ- ثُمَّ أُعْظِمُ لَهُ الْعُقُوبَهَ وَ لاَ يَجِدُ عِنْدِى فِيهَا رُخْصَهً- فَخُذُوا هَذَا مِنْ أُمَرَائِكُمْ- وَ أَعْطُوهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مَا يُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ أَمْرَكُمْ

اللغه

أقول: أحتجز : أمنع .و النكوص : الرجوع على الأعقاب .و الغمره:

الشدّه .

المعنى

و اعلم أنّه قدّم هاهنا ما يجب على الوالى المطلق لرعيّته بوجه كلىّ كما هو عاده الخطيب.ثمّ ثنّى ببيان ما يجب عليه لهم تفصيلا لذلك الكلّىّ.ثمّ ما يجب عليهم.ثمّ أمرهم بلزوم ما أوجبه عليهم.

أمّا الأوّل:فقوله:أمّا بعد.إلى قوله:إخوانه.و أشار فيه إلى أمرين أحدهما.أن لا يغيّره عنهم ما اختصّ به من الفضل و الطول لأنّ تغيّره عنهم خروج عن شرائط الولايه.

الثانى:أن يزيده تلك النعمه من اللّه دنوّا من عباده عطفا على إخوانه لأنّ ذلك من تمام شكر النعمه .

و أمّا الثانى:فاشترط على نفسه لهم خمسه أمور:

أحدها:أن لا يحتجز دونهم سرّا فى الامور المصلحيّه إلاّ فى الحرب.و يحتمل ترك مشورتهم هناك أمرين:أحدهما:أنّ أكثرهم ربّما لا يختار الحرب فلو توقّف على المشوره فيه لما استقام أمره بها.و لذلك كان عليه السّلام كثيرا ما يحملهم على الجهاد و يتضجّر من تثاقلهم عليه،و هم له كارهون.كما سبق.الثانى:أن يكتم ذلك خوف

انتشاره إلى العدوّ فيكون سبب استعداده و تأهّبه للحرب،و لذلک کان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إذا أراد سفرا إلى الحرب ورّى بغيره كما روى أنّه لمّا نوى غزاه بدر كتب للسريّه كتابا و أمرهم أن يخرجوا من المدينه إلى صوب مكّه يومين أو ثلاثه.ثمّ ينظروا فى الكتاب و يعملوا بما فيه فلمّا سار و المدّه نظروا فيه فإذا هو يأمرهم فيه بالخروج إلى نخله محمود و أن يفعلوا كذا و كذا ففعلوا و خرج النبىّ صلّى اللّه عليه و آله خلفهم إلى بدر و كان الظفر لهم.و لو أعلمهم عليه السّلام حين أمرهم بالخروج أنّه يسير إلى قريش لانتشر ذلک إلى قريش و كان استعدادهم لهم أقوى،و جاز أن يكون ذلک أيضا مانعا لبعض الصحابه عن النهوض خوفا من أهل مكّه و شوكتهم.

الثانى:أنّه لا يطوى دونهم أمرا إلاّ فى حكم. استعاره استعار لفظ الطىّ لكتمان الأمر:

أى لا يخفى عنكم أمرا إلاّ أن يكون حكما من أحكام اللّه فإنى أقضيه دونكم من غير مراقبه و مشاوره فيه كالحدود و غيرها .

الثالث:أن لا يؤخّر لهم حقّا عن محلّه كالعطاء و ساير الحقوق اللازمه له و لا يقف به دون مقطعه كالأحكام المتعلّقه بالمتخاصمين المحتاجه إلى الفصل.

الرابع:أن يسوى بينهم فى الحقّ.و الأوّلان مقتضى فضيله الحكمه،و الثالث و الرابع مقتضى فضيله العدل .

و أمّا الأمر الثالث:ممّا تستحقّه عليهم فبدأ بوجوب حقّ اللّه تعالى أوّلا.إذ كان حكم قضائه بنصبه لهم إماما و فعله بهم ما ذكر من أتمّ نعمه تعالى عليهم .ثمّ ثنىّ بما يجب له و ذكر امورا:

أحدها:بذل طاعته.إذ لا حجّه لهم عليه يكون سببا لعصيانهم.

الثانىّ:أن لا ينكصوا عن دعوه له إذا دعاهم.و هو من تمام الطاعه.

الثالث:أن لا يقفوا فى حيّز التفريط فى مصلحه يراها أو يبدو لهم.

الرابع:أن يخوضوا الغمرات و يركبوا الشدائد فى نصره الحقّ و طلبه.

ثمّ أردف ذلک بالوعيد لهم إن لم يستقيموا له على ما وجب له عليهم ممّا عدّده و توعّد بأمرين:أحدهما:هو ان المعوّج منهم عن طاعته عليه و سقوط منزلته.و

الثانی:إعظام العقوبه له و عدم الرخصه فیها عنده .و لمّا بیّن لهم ما وجب علیهم أمرهم أن یأخذوا ذلک البیان و النصح منه و من سایر أمراء العدل،و یعطوهم من أنفسهم ما یصلح اللّه به امورهم من الطاعه و فعل ما امروا به.و باللّه التوفیق.

۵۰-و من کتاب له علیه السّلام

اشاره

إلی عماله علی الخراج

:مِنْ عَبْدِ اللَّهِ؟عَلِیٍّ أَمِیرِ الْمُؤْمِنِینَ؟ إِلَی أَصْحَابِ الْخَرَاجِ- أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مَنْ لَمْ یَحْذَرْ مَا هُوَ صَائِرٌ إِلَیْهِ- لَمْ یُقَدِّمْ لِنَفْسِهِ مَا یُحْرِزُهَا- وَ اعْلَمُوا أَنَّ مَا کُلِّفْتُمْ یَسِیرٌ وَ أَنَّ ثَوَابَهُ کَثِیرٌ- وَ لَوْ لَمْ یَکُنْ فِیمَا نَهَی اللَّهُ عَنْهُ- مِنَ الْبَغْیِ وَ الْعُدْوَانِ عِقَابٌ یُخَافُ- لَکَانَ فِی ثَوَابِ اجْتِنَابِهِ مَا لاَ عُذْرَ فِی تَرْکِ طَلَبِهِ- فَأَنْصِفُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِکُمْ وَ اصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ- فَإِنَّکُمْ خُزَّانُ الرَّعِیَّهِ- وَ وُکَلاَءُ الْأُمَّهِ وَ سُفَرَاءُ الْأَئِمَّهِ- وَ لاَ تُحْشِمُوا أَحَداً عَنْ حَاجَتِهِ وَ لاَ تَحْبِسُوهُ عَنْ طَلِبَتِهِ- وَ لاَ تَبِیعُنَّ لِلنَّاسِ فِی الْخَرَاجِ کِسْوَهَ شِتَاءٍ وَ لاَ صَیْفٍ- وَ لاَ دَابَّهً یَعْتَمِلُونَ عَلَیْهَا وَ لاَ عَبْداً- وَ لاَ تَضْرِبُنَّ أَحَداً سَوْطاً لِمَکَانِ دِرْهَمٍ- وَ لاَ تَمَسُّنَّ مَالَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ مُصَلٍّ وَ لاَ مُعَاهِدٍ- إِلاَّ أَنْ تَجِدُوا فَرَساً أَوْ سِلاَحاً- یُعْدَی بِهِ عَلَی أَهْلِ الْإِسْلاَمِ- فَإِنَّهُ لاَ یَنْبَغِی لِلْمُسْلِمِ أَنْ یَدَعَ ذَلِکَ فِی أَیْدِی أَعْدَاءِ الْإِسْلاَمِ- فَیَکُونَ شَوْکَهً عَلَیْهِ- وَ لاَ تَدَّخِرُوا أَنْفُسَکُمْ نَصِیحَهً وَ لاَ الْجُنْدَ حُسْنَ سِیرَهٍ-

ص:۱۳۰

وَ لاَ الرَّعِيَّهَ مَعُونَهً وَ لاَ دِينَ اللَّهِ قُوَّهً- وَ أَبْلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ مَا اسْتَوْجَبَ عَلَيْكَمْ- فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدِ اصْطَنَعَ عِنْدَنَا وَ عِنْدَكُمْ- أَنْ نَشْكُرَهُ بِجُهْدِنَا- وَ أَنْ نَنْصُرَهُ بِمَا بَلَغَتْ قُوَّتُنَا- وَ «لا قُوَّهَ إِلاّ بِاللّهِ»

اللغه

أقول: السفير. الرسول .و حشمته و احتشمته : بمعنى:أى أعضبته و أخجلته.

و الشوكه : القوّه .و أبليته معروفا : أى أعطيته .

المعنى

و صدّر الكتاب بمقدّمه كلّيه،و هو أنّ من لم يحذر ما يصير إليه من العواقب المخوفه لم يقدّم لنفسه استعدادا يحرزها منها فإنّ الإنسان إنّما يستعدّ للأمر المرغوب أو المرهوب إذا رغب فيه أو خافه،و هى فى معرض التوبيخ على ترك الحذر لغرض تقديم طاعه و ما يستعدّ به الإنسان ممّا يحرز نفسه من عذاب اللّه .ثمّ أعلمهم بكون التكليف لهم يسيرا تسهيلا له،و كون ثوابه كثيرا ترغيبا فيه.و هو فى قوّه صغرى ضمير رغبّهم به فى القيام بالامور المكلّف بها،و تقدير كبراه:و كلّ ما كان كذلك وجب القيام به و الاجتهاد فيه.ثم أردفه بالتنبيه على وجوب ترك البغى و الظلم بما يلزمه فعله من العقاب الأليم و تركه من الثواب العظيم الّذى لا عذر فى ترك طلبه لو لم يكن فى فعله عقاب.و المعنى أنّه لو لم يكن فيه عقاب يخاف فيترك لأجله لكان فى تركه ثواب يجب لأجله فكيف؟و فى فعله العقاب الأليم.فبالأولى أن يجب تركه.و هو من أفصح الكلام،و الغرض التحذير من الوقوع فى رذيله الظلم ثمّ أردف ذلك بأوامر و نواهى فمن الأوامر أمران:

أحدهما:إنصاف الرعيّه من أنفسهم و ميولها.

الثانى:أن يصبروا لحوائجهم لينتظم أمر مصلحتهم،و علّل ذلك بكونهم خزّان الرعيّه و وكلائهم على بيت مالهم و سفراء أئمّتهم إليهم،و هو فى قوّه صغرى ضمير تقدير كبراه:و كلّ من كان كذلك فعليه النصفه و الصبر على حوائجهم.

و من النواهى ستّه:

ص:۱۳۱

أحدها:أن لا يغضبوا أحدا و لا يجبهوه فيستحيى عن حاجته.

الثانى:لا يمنعوا أحدا عن حاجته و يحتجبوا دونه .

الثالث:أن لا يحوجوا أحدا فى طلب الخراج إلى بيع ما يضطرّ إليه من كسوه أو دابّه ينتفع بها فى عمل،و لا عبد .

الخامس:أن لا يأخذوا من مال أحد من أهل القبله أو لمعاهدين من أهل الكتاب شيئا إلاّ أن يكون فرسا أو سلاحا يعدى به على المسلمين و الإسلام فإنّه يجب أخذه من أيدى أعدائهم لئلاّ يكون شوكه عليهم و عونا .

السادس:أن لا يدّخروا أنفسهم عن أنفسهم نصيحه بل ينصح بعضهم لبعض، و لا عن الجند حسن سيره،و لا عن الرعيّه معونه،و لا عن دين اللّه قوّه .ثمّ أمرهم أن يبلوا فى سبيله و يعطوا ما استوجب عليهم من شكر نعمه و طاعته.ثمّ علّل وجوب ذلك بقوله: فإنّ اللّه .إلى آخره.و هو فى قوّه صغرى ضمير.و المعنى أنّه تعالى جعل شكره بجهدنا و نصرته بما بلغت قوّتنا صنيعه عندنا.إذ كان شكره و نصرته من أعظم نعمه علينا كما سبق.و قيل:أراد لأن نشكره.و تقدير الكبرى:و كلّ من اصطنع عندنا وجب علينا شكره.و باللّه التوفيق.

۵۱-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى أمراء البلاد فى معنى الصلاه

أَمَّا بَعْدُ فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الظُّهْرَ- حَتَّى تَفِيءَ الشَّمْسُ مِثْلَ مَرْبِضِ الْعَنْزِ- وَ صَلُّوا بِهِمُ الْعَصْرَ وَ الشَّمْسُ بَيْضَاءُ حَيَّهٌ فِي عُضْوٍ مِنَ النَّهَارِ- حِينَ يُسَارُ فِيهَا فَرْسَخَانِ- وَ صَلُّوا بِهِمُ الْمَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ- وَ يَدْفَعُ الْحَاجُّ إِلَى؟مِنًى؟- وَ صَلُّوا بِهِمُ الْعِشَاءَ حِينَ يَتَوَارَى الشَّفَقُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ- وَ صَلُّوا بِهِمُ الْغَدَاهَ وَ الرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجْهَ صَاحِبِهِ- وَ صَلُّوا بِهِمْ صَلاَهَ أَضْعَفِهِمْ وَ لاَ تَكُونُوا فَتَّانِينَ

أقول:بیّن فی هذا الکتاب أوقات الصلاه المفروضه:

فالأول:وقت الظهر و حدّه بوقت فیء الشمس

:أی رجوعها و میلها إلی المغرب ثمّ نبّه بتقدیره بمربض العنز و هو أوّل وقت الظهر و ذلک ممّا یختلف باختلاف البلاد.

الثانی:

استعاره وقت العصر و قدّره ببقاء الشمس بیضاء لم تصفر للمغیب،و حیّه.

و استعار لفظ الحیاه لظهورها علی الأرض لمکان المشابهه،و فی عضو من النهار،و أراد القسم و القطعه منه.ثمّ قدّر ذلک العضو بمقدار أن یسافر فیه فرسخان السیر المعتاد .

الثالث:وقت المغرب

و عرّفه بأمرین:أحدهما:حین یفطر الصائم،و ذلک عند سقوط القرص.و الثانی:حین یدفع الحجّاج و یفیض من عرفات.و لشهره هاتین العلامتین و تعارفهما مع المخاطبین عرّفه بهما.

الرابع:وقت العشاء الآخره

عرّفه بتواری الشفق و ذلک من ناحیه المغرب، و حدّ آخره بثلث اللیل،و إنّما حدّ آخر هذا الوقت دون أوقات سائر الفرائض لأنّ الفرائض یتبیّن آخر کلّ وقت منها ببیان أوّل وقت الاخری.و لا کذلک آخر وقت العشاء الآخره لاتّصاله باللیل الخالی عن الفرائض،و أمّا آخر وقت الصبح فحدّه بطلوع الشمس أیضا ظاهر.

الخامس:وقت صلاه الغداه،

و حدّه بحین یعرف الرجل وجه صاحبه،و ذلک حین طلوع الفجر الثانی و هو الحمره المعترضه من ناحیه المشرق،و العلامه التی ذکرها أوضح لسائر الناس .ثمّ أوصاهم بفعل و ترک:أمّا الفعل فأن یصلّوا بالناس صلاه أضعفهم،و هو أن لا یطیلوا فی القراءه و فی الفرائض کقراءه البقره و السور الطوال فإنّ ذلک لا یستطیع القیام به کلّ الناس فیؤدّی ذلک إلی المشقّه و عجز بعضهم عن أداء الفریضه فی الجماعه و هو ضرر منفیّ فی الدین،و أمّا الترک

فأن لا يكونوا فتّانين بإطاله الصلاه،و وجه الفتنه هنا أنّهم يكونون صارفين للناس عن الاتّفاق و التساعد على الجماعه بإطالتها المستلزمه لتخلّف العاجزين و الضعفاء.

و اللّه أعلم.

۵۲-و من عهد له عليه السّلام

اشاره

كتبه للأشتر النخعى رحمه اللّه،لما ولاه على مصر و اعمالها حين اضطراب أمر محمد بن أبى بكر،و هو أطول عهد و أجمع كتبه للمحاسن أقول:هو مالك بن الحرث الأشتر النخعىّ من اليمن،و كان من أكابر أصحابه عليه السّلام ذوى النجده،و الشجاعه الّذين عليهم عمدته فى الحروب،و روى أنّ الطرمّاح لمّا دخل على معاويه قال له:قل لابن أبى طالب:إنّى جمعت من العساكر بعدد حبّ جاورس الكوفه و ها أنا قاصده.فقال له الطرمّاح:إنّ لعلىّ عليه السّلام ديكا أشتر يلتقط جميع ذلك.فأنكسر معاويه من قوله.و فى العهد فصول:

الفصل الأوّل

اشاره

قوله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ- هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ؟عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؟- ؟مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الْأَشْتَرَ؟ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ- حِينَ وَلاَّهُ؟مِصْرَ؟ جِبَايَةَ خَرَاجِهَا وَ جِهَادَ عَدُوِّهَا- وَ اسْتِصْلاَحَ أَهْلِهَا وَ عِمَارَةَ بِلاَدِهَا- أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَ إِيْثَارِ طَاعَتِهِ- وَ اتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ

ص:۱۳۴

وَ سُنَنِهِ- الَّتِی لاَ یَسْعَدُ أَحَدٌ إِلاَّ بِاتِّبَاعِهَا- وَ لاَ یَشْقَی إِلاَّ مَعَ جُحُودِهَا وَ إِضَاعَتِهَا- وَ أَنْ یَنْصُرَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَ یَدِهِ وَ لِسَانِهِ- فَإِنَّهُ جَلَّ اسْمُهُ قَدْ تَکَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ وَ إِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ- وَ أَمَرَهُ أَنْ یَکْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ- وَ یَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ- فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ اللَّهُ

اللغه

أقول: یزعها : یکفّها .

المعنی

و صدّر علیه السّلام هذا العهد بذکر امور هی غرض الولایه

،و بها یکون نظام الأمر فمنها ما یعود إلی منفعه الوالی و هو جبوه الخراج،و منها ما یعود إلی الرعیّه و هی جهاد عدوّهم و استصلاحهم بالسیاسه و حسن الرعی،و منها ما یعود إلیهما و هو عماره البلاد و لو احقها .

ثمّ أمره بأوامر خمسه یعود إلی إصلاح نفسه أوّلا:

أحدها:تقوی اللّه

و خشیته،و قد سبق بیان کونها أصلا لکلّ فضیله.

الثانی:اتّباع أوامره فی کتابه من فرائضه و سننه.

و رغّب فی ذلک بقوله:

لا یسعد.إلی قوله:إضاعتها.و تکرّر بیان ذلک .

الثالث:أن ینصر اللّه سبحانه بیده و قلبه و لسانه

فی جهاد العدوّ.و إنکار المنکرات.و رغّب فی ذلک بقوله:قد تکفّل.إلی قوله:أعزّه.کقوله تعالی «إِنْ تَنْصُرُوا اللّهَ یَنْصُرْکُمْ وَ یُثَبِّتْ أَقْدامَکُمْ » (۱).

الرابع،أن یکسر من نفسه عند الشهوات.

و هو أمر بفضیله العفّه.

الخامس:أن یکفّها و یقاومها عند الجمحات.

و هو أمر بفضیله الصبر عن اتّباع الهوی و هو فضیله تحت العفّه،و حذّر من النفس بقوله:فإنّ النفس.إلی

۱- ۱) ۸-۴۷

آخره،و هو من قوله تعالی «إِنَّ النَّفْسَ لَأَمّارَهٌ بِالسُّوءِ» (۱)الآیه.و-ما-بمعنی -من-و هی نصب علی الاستثناء:أی إلاّ نفسا رحمها اللّه.

الفصل الثانی:فی أوامره و وصایاه بالأعمال الصالحه المتعلّقه بأحوال الولایه

اشاره

و تدبیر الملک و المدینه

و ذلک قوله:

ثُمَّ اعْلَمْ یا؟مَالِکُ؟- أَنِّی قَدْ وَجَّهْتُکَ إِلَی بِلاَدٍ قَدْ جَرَتْ عَلَیْهَا دُوَلٌ قَبْلَکَ- مِنْ عَدْلٍ وَ جَوْرٍ- وَ أَنَّ النَّاسَ یَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِکَ- فِی مِثْلِ مَا کُنْتَ تَنْظُرُ فِیهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلاَهِ قَبْلَکَ- وَ یَقُولُونَ فِیکَ مَا کُنْتَ تَقُولُ فِیهِمْ- وَ إِنَّمَا یُسْتَدَلُّ عَلَی الصَّالِحِینَ- بِمَا یُجْرِی اللَّهُ لَهُمْ عَلَی أَلْسُنِ عِبَادِهِ- فَلْیَکُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَیْکَ ذَخِیرَهُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ- فَامْلِکْ هَوَاکَ وَ شُحَّ بِنَفْسِکَ عَمَّا لاَ یَحِلُّ لَکَ- فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ مِنْهَا فِیمَا أَحَبَّتْ أَوْ کَرِهَتْ وَ أَشْعِرْ قَلْبَکَ الرَّحْمَهَ لِلرَّعِیَّهِ- وَ الْمَحَبَّهَ لَهُمْ وَ اللُّطْفَ بِهِمْ- وَ لاَ تَکُونَنَّ عَلَیْهِمْ سَبُعاً ضَارِیاً تَغْتَنِمُ أَکْلَهُمْ- فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَکَ فِی الدِّینِ- وَ إِمَّا نَظِیرٌ لَکَ فِی الْخَلْقِ- یَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ وَ تَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ- وَ یُؤْتَی عَلَی أَیْدِیهِمْ فِی الْعَمْدِ وَ الْخَطَإِ- فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِکَ وَ صَفْحِکَ- مِثْلِ الَّذِی تُحِبُّ وَ تَرْضَی أَنْ یُعْطِیَکَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَ صَفْحِهِ- فَإِنَّکَ فَوْقَهُمْ وَ وَالِی الْأَمْرِ عَلَیْکَ فَوْقَکَ- وَ اللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلاَّکَ- وَ قَدِ اسْتَکْفَاکَ أَمْرَهُمْ وَ ابْتَلاَکَ بِهِمْ- وَ لاَ تَنْصِبَنَّ نَفْسَکَ لِحَرْبِ اللَّهِ-

---

۱- (۱) ۱۲-۵۳

فَإِنَّهُ لاَ يَدَیْ لَکَ بِنِقْمَتِهِ- وَ لاَ غِنَی بِکَ عَنْ عَفْوِهِ وَ رَحْمَتِهِ- وَ لاَ تَنْدَمَنَّ عَلَی عَفْوٍ وَ لاَ تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَهٍ- وَ لاَ تُسْرِعَنَّ إِلَی بَادِرَهٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَهً- وَ لاَ تَقُولَنَّ إِنِّی مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ- فَإِنَّ ذَلِکَ إِدْغَالٌ فِی الْقَلْبِ- وَ مَنْهَکَهٌ لِلدِّینِ وَ تَقَرُّبٌ مِنَ الْغِیَرِ- وَ إِذَا أَحْدَثَ لَکَ مَا أَنْتَ فِیهِ مِنْ سُلْطَانِکَ أُبَّهَهً أَوْ مَخِیلَهً- فَانْظُرْ إِلَی عِظَمِ مُلْکِ اللَّهِ فَوْقَکَ- وَ قُدْرَتِهِ مِنْکَ عَلَی مَا لاَ تَقْدِرُ عَلَیْهِ مِنْ نَفْسِکَ- فَإِنَّ ذَلِکَ یُطَامِنُ إِلَیْکَ مِنْ طِمَاحِکَ- وَ یَکُفُّ عَنْکَ مِنْ غَرْبِکَ- وَ یَفِیءُ إِلَیْکَ بِمَا عَزَبَ عَنْکَ مِنْ عَقْلِکَ- إِیَّاکَ وَ مُسَامَاهَ اللَّهِ فِی عَظَمَتِهِ وَ التَّشَبُّهَ بِهِ فِی جَبَرُوتِهِ- فَإِنَّ اللَّهَ یُذِلُّ کُلَّ جَبَّارٍ وَ یُهِینُ کُلَّ مُخْتَالٍ أَنْصِفِ اللَّهَ وَ أَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِکَ- وَ مِنْ خَاصَّهِ أَهْلِکَ- وَ مَنْ لَکَ فِیهِ هَوًی مِنْ رَعِیَّتِکَ- فَإِنَّکَ إِلاَّ تَفْعَلْ تَظْلِمْ- وَ مَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ کَانَ اللَّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ- وَ مَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ- وَ کَانَ لِلَّهِ حَرْباً حَتَّی یَنْزِعَ أَوْ یَتُوبَ- وَ لَیْسَ شَیْءٌ أَدْعَی إِلَی تَغْیِیرِ نِعْمَهِ اللَّهِ وَ تَعْجِیلِ نِقْمَتِهِ- مِنْ إِقَامَهٍ عَلَی ظُلْمٍ- فَإِنَّ اللَّهَ سَمِیعٌ دَعْوَهَ الْمُضْطَهَدِینَ- وَ هُوَ لِلظَّالِمِینَ بِالْمِرْصَادِ- وَ لْیَکُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَیْکَ أَوْسَطُهَا فِی الْحَقِّ- وَ أَعَمُّهَا فِی الْعَدْلِ وَ أَجْمَعُهَا

ص:۱۳۷

لِرِضَا الرَّعِیَّهِ- فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّهِ یُجْحِفُ بِرِضَا الْخَاصَّهِ- وَ إِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّهِ یُغْتَفَرُ مَعَ رِضَا الْعَامَّهِ- وَ لَیْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِیَّهِ أَثْقَلَ عَلَی الْوَالِی مَئُونَهً فِی الرَّخَاءِ- وَ أَقَلَّ مَعُونَهً لَهُ فِی الْبَلاَءِ- وَ أَکْرَهَ لِلْإِنْصَافِ وَ أَسْأَلَ بِالْإِلْحَافِ- وَ أَقَلَّ شُکْراً عِنْدَ الْإِعْطَاءِ وَ أَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ الْمَنْعِ- وَ أَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ- مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّهِ- وَ إِنَّمَا عِمَادُ الدِّینِ وَ جِمَاعُ الْمُسْلِمِینَ- وَ الْعُدَّهُ لِلْأَعْدَاءِ الْعَامَّهُ مِنَ الْأُمَّهِ- فَلْیَکُنْ صِغْوُکَ لَهُمْ وَ مَیْلُکَ مَعَهُمْ وَ لْیَکُنْ أَبْعَدَ رَعِیَّتِکَ مِنْکَ وَ أَشْنَأَهُمْ عِنْدَکَ- أَطْلَبُهُمْ لِمَعَایِبِ النَّاسِ- فَإِنَّ فِی النَّاسِ عُیُوباً الْوَالِی أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا- فَلاَ تَکْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْکَ مِنْهَا- فَإِنَّمَا عَلَیْکَ تَطْهِیرُ مَا ظَهَرَ لَکَ- وَ اللَّهُ یَحْکُمُ عَلَی مَا غَابَ عَنْکَ- فَاسْتُرِ الْعَوْرَهَ مَا اسْتَطَعْتَ- یَسْتُرِ اللَّهُ مِنْکَ مَا تُحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِیَّتِکَ- أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَهَ کُلِّ حِقْدٍ- وَ اقْطَعْ عَنْکَ سَبَبَ کُلِّ وِتْرٍ- وَ تَغَابَ عَنْ کُلِّ مَا لاَ یَضِحُ لَکَ- وَ لاَ تَعْجَلَنَّ إِلَی تَصْدِیقِ سَاعٍ- فَإِنَّ السَّاعِیَ غَاشٌّ وَ إِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِینَ- وَ لاَ تُدْخِلَنَّ فِی مَشُورَتِکَ بَخِیلاً یَعْدِلُ بِکَ عَنِ الْفَضْلِ- وَ یَعِدُکَ الْفَقْرَ- وَ لاَ جَبَاناً یُضْعِفُکَ عَنِ الْأُمُورِ- وَ لاَ حَرِیصاً یُزَیِّنُ لَکَ الشَّرَهَ بِالْجَوْرِ- فَإِنَّ الْبُخْلَ وَ الْجُبْنَ وَ الْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّی- یَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ

إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِکَ مَنْ کَانَ لِلْأَشْرَارِ قَبْلَکَ وَزِیراً- وَ مَنْ شَرِکَهُمْ فِی الْآثَامِ فَلاَ یَکُونَنَّ لَکَ بِطَانَهً- فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَثَمَهِ وَ إِخْوَانُ الظَّلَمَهِ- وَ أَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَیْرَ الْخَلَفِ- مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَ نَفَاذِهِمْ- وَ لَیْسَ عَلَیْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَ أَوْزَارِهِمْ وَ آثَامِهِمْ- مِمَّنْ لَمْ یُعَاوِنْ ظَالِماً عَلَی ظُلْمِهِ وَ لاَ آثِماً عَلَی إِثْمِهِ- أُولَئِکَ أَخَفُّ عَلَیْکَ مَئُونَهً وَ أَحْسَنُ لَکَ مَعُونَهً- وَ أَحْنَی عَلَیْکَ عَطْفاً وَ أَقَلُّ لِغَیْرِکَ إِلْفاً- فَاتَّخِذْ أُولَئِکَ خَاصَّهً لِخَلَوَاتِکَ وَ حَفَلاَتِکَ- ثُمَّ لْیَکُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَکَ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَکَ- وَ أَقَلَّهُمْ مُسَاعَدَهً فِیمَا یَکُونُ مِنْکَ مِمَّا کَرِهَ اللَّهُ لِأَوْلِیَائِهِ- وَاقِعاً ذَلِکَ مِنْ هَوَاکَ حَیْثُ وَقَعَ وَ الْصَقْ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَ الصِّدْقِ- ثُمَّ رُضْهُمْ عَلَی أَلاَّ یُطْرُوکَ- وَ لاَ یَبْجَحُوکَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ- فَإِنَّ کَثْرَهَ الْإِطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ وَ تُدْنِی مِنَ الْعِزَّهِ- وَ لاَ یَکُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَ الْمُسِیءُ عِنْدَکَ بِمَنْزِلَهٍ سَوَاءٍ- فَإِنَّ فِی ذَلِکَ تَزْهِیداً لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِی الْإِحْسَانِ- وَ تَدْرِیباً لِأَهْلِ الْإِسَاءَهِ عَلَی الْإِسَاءَهِ- وَ أَلْزِمْ کُلاًّ مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ وَ اعْلَمْ أَنَّهُ لَیْسَ شَیْءٌ بِأَدْعَی- إِلَی حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِیَّتِهِ- مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَیْهِمْ وَ تَخْفِیفِهِ الْمَئُونَاتِ عَلَیْهِمْ- وَ تَرْکِ اسْتِکْرَاهِهِ إِیَّاهُمْ عَلَی مَا لَیْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ- فَلْیَکُنْ مِنْکَ فِی ذَلِکَ أَمْرٌ- یَجْتَمِعُ لَکَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِیَّتِکَ-

فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْکَ نَصَباً طَوِيلاً- وَ إِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّکَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بَلاَؤُکَ عِنْدَهُ- وَ إِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّکَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بَلاَؤُکَ عِنْدَهُ- وَ لاَ تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هَذِهِ الْأُمَّهِ- وَ اجْتَمَعَتْ بِهَا الْأُلْفَهُ وَ صَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّهُ- وَ لاَ تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْکَ السُّنَنِ- فَيَکُونَ الْأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا- وَ الْوِزْرُ عَلَيْکَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا- وَ أَکْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلَمَاءِ وَ مُنَاقَشَةَ الْحُکَمَاءِ- فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلاَدِکَ- وَ إِقَامَهِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَکَ

اللغه

أقول: الضارى : المعتاد للصيد،الجرىء عليه .و الصفح: الإعراض عن الذنب .

و البجح-بسكون الجيم- : الفرح و السرور .و البادره : الحدّه .و المندوحه : السعه .

و الإدغال : إدخال الفساد فى الأمر .و النهک : الضعف .و الأبّهه،و المخيله : الكبر و يطامن . يسكن :و طماح النفس : جماحها .و طمح البصر : ارتفع .و غرب الفرس:

حدّته،و أوّل جريه ،و المساماه : مفاعله من السموّ .و الجبروت : الكبر العظيم .

و أدحض حجّته : أبطلها .و ينزع : يرجع .و أجحف به : ذهب به .و الإلحاف : شدّه السؤال .و ملمّات الدهر : ما يلمّ من خطوبه .و جماع المسلمين : جمعهم .و الصغوه:

الميل .و أشنأهم : أبغضهم و الوتر : الحقد .و التغابى : التجاهل و التغافل و بطانه الرجل : خاصّته و الآصار : الآثام .و حفلاتک : أى جلساتک فى المحافل و المجامع .

و الإطراء : المدح البالغ .و الزهو : الكبر .و التدريب : التعويد .و المنافثه:

المحادثه .

المعنى

اشاره

و اعلم أنّ مدار هذا الفصل لمّا كان على أمره بالعمل الصالح فى البلاد و العباد

نبّهه أوّلا على بعض العلل الغائيّه من ذلك،و هو الـذكر الجميل فى العقبى و الكون من الصالحين ليعمل له،و ذلك بقوله:إنّى قد وجهّتک.إلى قوله:تقول فيهم.

و هو فى قوّه صغرى ضـمير تقـديرها:إنّک موجّه إلى بلـده حالها كذا و كذا و حال الناس فى فعلک بها كذا،و تقدير الكبرى:و كـلّ من كان وجّه إلى بلـده كـذلک و كان الناس ينظرون من أمره مثل ما كان ينظر قبله من أمر الولاه و يقولون فيه مثل ما كان يقول فيهم فيجب عليه أن يكون أحبّ الامور إليه العمل الصالـح ليحصل منه الـذكر الجميل بين الناس الدالّ على كون المذكور عند اللّه من الصالحين،و نبّه على تلک الدلاله بقوله:و إنّما يستـدلّ على الصالحين بما يجرى اللّه لهم على ألسن عباده.و فى نسبه إجراء القول إلى اللّه ترغيب عظيم فى تحصيل الذكر الجميل.

استعاره ثمّ أعقب ذلک بأمره أن يجعل العمل الصالـح أحبّ الذخائر إليه،و استعار له لفظ الذخيره باعتبار أن يحصله فى الدنيا لغايه الانتفاع به فى العقبى كالذخيره .

و لمّا أمره بالعمل الصالح إجمالا شرع فى تفصيله و ذكر أنواعا:
أحدها:أن يملک هواه فى شهوته و غضبه فلا يتّبعهما

،و يشحّ بنفسه عمّا لا يحلّ لها من المحرّمات.

و قوله: فإنّ الشحّ .إلى قوله: كرهت .

تفسير لذلک الشحّ بما يلازمه و هو الانصاف و الوقوف على حدّ العدل فى المحبوب فلا يقوده شهوته إلى حدّ الإفراط فيقع فى رذيله الفجور،و فى دفع المكروه فلا يقوده غضبه إلى طرف الإفراط من فضيله العدل فيقع فى رذيله الظلم و التهوّر.

و ظاهر أنّ ذلک شحّ بالنفس و بخل بها عن إلقائها فى مهاوى الهلاک.

الثانى:

استعاره أن يشعر قلبه الرحمه للرعيّه و المحبّه و اللطف بهم.و هى فضائل تحت ملكه العفّه:أى اجعل هذه الفضائل شعارا لقلبک .و لفظا الشعار و السبع مستعاران.

و أشار إلى وجه استعاره السبع بقوله:تغتنم أكلهم .

الثالث:أن يعفو و يصفح عنهم،

و هو فضيله تحت الشجاعه.

و قوله:فإنّهم.إلى قوله:فى الخلق.

ص:۱۴۱

بیان لسببین من أسباب الرحمه لهم و اللطف بهم.

و قوله:یفرط منهم الزلل.إلی قوله:و الخطاء.

تفسیر للمثلیّه و هی السبب الثانی،و الکلام فی قوّه صغری ضمیر فی حسن العفو و الصفح،و أراد بالعلل الّتی تعرض لهم الامور المشغله الصارفه لهم عمّا ینبغی من إجراء أوامر الوالی علی وجوهها.

کنایه و قوله: و یؤتی علی أیدیهم .

کنایه عن کونهم غیر معصومین بل هم ممّن یؤتون من قبل العمد و الخطاء، و تأتی علی أیدیهم أوامر الولاه و المؤاخذات فیما یقع منهم من عمد أو خطاء ،و تقدیر الکبری:و کلّ من کان کذلک فینبغی أن یرحم و یشمل بالمحبّه ذو اللطف به و یقابل خطأه بالعفو و الصفح.و فی أمره بإعطاء العفو مثل الّذی یجب أن یعطیه اللّه من عفوه أتمّ ترغیب فی العفو و أقوی جاذب إلیه،و کذلک قوله:فإنّک فوقهم.

إلی قوله:و ابتلاک بهم.تخویف من اللّه فی معرض الأمر بالعفو و اللطف،و هو صغری ضمیر آخر فی ذلک .

الرابع:

کنایه نهاه أن ینصب نفسه لحرب اللّه.و کنّی بحربه عن الغلظه علی عباده و ظلمهم و مبارزته تعالی فیهم بالمعصیه .

کنایه و قوله: فإنّه لا یدی لک.إلی قوله:و رحمته .

صغری ضمیر نبّه به علی أنّه لا یجوز ظلم عباد اللّه و محاربته،و کنّی بعدم الیدین عن عدم القدره.یقال:ما لی بهذا الأمر ید.إذا کان ممّا لا یطاق .و حذف النون من یدین لمضارعه المضاف،و قیل:لکثره الاستعمال،و تقدیر الکبری:و کلّ من کان کذلک فلا یجوز أن ینصب لحرب اللّه بظلم عباده.

الخامس:نهاه عن الندم علی العفو.و عن التبجّح بعقوبه الغیر و التسرّع

إلی الغضب الّذی یجد منه مندوحه

فإنّ ذلک کلّه من لوازم إعطاء القوّه الغضبیّه قیادها.و قد علمت أنّها شیطان تقود إلی النار.

السادس:نهاه أن یأمر بما لا ینبغی الأمر به و یخالف الدین

،و نهی عن ما عساه

یعرض فی النفس من وجوب طاعه الخلق لامرته فإنّ علیهم أن یسمعوا و علیه أن یأمر فإنّ ذلک فساد فی القلب و الدین،و أشار إلی ذلک الفساد بقوله:فإنّه إدغال إلی قوله:الغیر.و هو من وجوه ثلاثه:

أحدها:أنّه إدغال فی القلب و صرف له عن دین اللّه،و هو معنی إفساده.

الثانی:أنّ ذلک منهکه للدین و إضعاف له.

الثالث:أنّه مقرّب من الغیر لکون الظلم من أقوی الأسباب المعدّه باجتماع همم الخلق علی زواله،و إلیه الإشاره بقوله تعالی «إِنَّ اللّهَ لا یُغَیِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتّی یُغَیِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ» (۱)و الکلام فی قوّه ثلاث صغریات لثلاثه ضمایر،و تقدیر الکبریات فیها:و کلّ ما کان کذلک فلا یجوز ارتکابه .

السابع:أرشده إلی دواء داء الابّهه و الکبر

الّذی عساه یعرض له فی سلطانه و ولایته،و ذلک.أن ینظر إلی عظمه اللّه تعالی فوقه و قدرته علی ما لا یملکه من نفسه و لا یستطیعه جلبا لها أو دفعا عنها فإنّ ذلک یسکّن داء الکبر الّذی یحدث له فیطفیه و یکسر حدّه غضبه و یردّه إلیه ما قهرته قوّته الغضبیّه من عقله فغرب عند جماحها،و هذه أیضا صغریات ثلاث لثلاثه ضمائر نبّه فیها علی وجوب فعل ما أرشده إلیه من الدواء،و تقدیر الکبریات فیه:و کلّما کان کذلک فیجب علیک فعله .

الثامن:حذّره عن التعظیم و التجبّر

،و نفّر عن ذلک بکونهما مساماه و تشبّها به،و بأنّ التکبّر یستلزم أن یذلّ اللّه صاحبه و یهینه.و تقدیر الاحتجاج:فإنّک إن تجبّرت و اختلت یذلّک اللّه و یهینک و هو فی قوّه صغری ضمیر أیضا،و تقدیر کبراه:

و کلّ من کان کذلک فیجب أن یحذر من اللّه بترک التجبّر .

التاسع:أمره بإنصاف اللّه و إنصاف الناس من نفسه و أهل هواه من رعیّته.

فإنصاف اللّه العمل بأوامره و الانتهاء عن زواجره مقابلا بذلک نعمه،و إنصاف الناس العدل فیهم و الخروج إلیهم من حقوقهم اللازمه لنفسه و لأهل خاصّته.و احتجّ علی .

۱- ۱) ۱۲-۱۳

وجوب ذلک الإنصاف بقیاس مفصول صغری الأوّل قوله:فإنّک إن لا تفعل تظلم:

أی تظلم عباد اللّه .و کبراه و من ظلم عباد اللّه کان اللّه خصمه دون عباده.و تقدیر نتیجته:

فإنّک إن لا تفعل کان اللّه خصمک دون عباده و هی صغری لقیاس آخر کبراه قوله:

و من خاصمه اللّه.إلی قوله:و یتوب.و تقدیر نتیجته:فإنّک إن لا تفعل أدحض اللّه حجّتک عند مخاصمته و کنت له حربا إلی أن تنزع و تتوب من ظلمک .

و قوله: و لیس شیء .إلی قوله: علی ظلم .

تنبیه علی لازم آخر لعدم الإنصاف أو الإقامه علی الظلم،و هی کونه أدعی إلی تغییر نعم اللّه و تعجیل نقمته من کلّ شیء.

و قوله: فإنّ اللّه .إلی قوله: بالمرصاد .

بیان للزوم اللازم المذکور،و ذلک أنّ اللّه سبحانه إذا کان یسمع دعوه المظلوم و یطّلع علی فعل الظالم فإنّه یسرع إلی تغییر نعمته إذ استعدّ لذلک .

العاشره:

أمره أن یکون أحبّ الأمور إلیه أقربها إلی حاقّ الوسط من طرفی الإفراط و التفریط و هو الحقّ،و أعمّها للعدل،و أجمعها لرضاء الرعیّه فإنّ العدل قد یوقع علی وجه لا یعمّ العامّه بل یتّبع فیه رضاء الخاصّه.و نبّه علی لزوم العدل العامّ للرعیّه و حفظ قلوب العامّه و طلب رضاهم بوجهین:

أحدهما:أنّ سخط العامّه لکثرتهم لا یقاومه رضاء الخاصّه لقلّتهم،بل یجحف به و لا ینتفع برضاهم عند سخط العامّه،و ذلک یؤدّی إلی وهن الدین و ضعفه أمّا سخط الخاصّه فإنّه مغتفر و مستور عند رضاء العامّه فکان رضاهم أولی .

الثانی:أنّه وصف الخاصّه بصفات مذمومه تستلزم قلّه الاهتمام بهم بالنسبه إلی العامّه،و وصف العامّه بصفات محموده توجب العنایه بهم.أمّا صفات الخاصّه:

فأحدها:کونهم أثقل مئونه علی الوالی فی الرخاء لتکلّفه لهم ما لا یتکلّفه لغیرهم.

الثانی:کونهم أقلّ معونه له فی البلاء لمحبّتهم الدنیا و عزّه جانبهم.

الثالث:کونهم أکره للانصاف لزیاده أطماعهم فی الدنیا علی العامّه.

الرابع:و کونهم أسأل بالإحاف لأنّهم عند الحاجه إلی السؤال أشدّ جرأه علی الوالی و أطمع فی إلانه جانبه.

الخامس:کونهم أقلّ شکرا عند الإعطاء لاعتقادهم زیاده فضلهم علی العامّه و أنّهم أحقّ بما یعطونه،و اعتقادهم حاجه الوالی إلیهم و تخوّفه منهم.

السادس:کونهم أبطأ عذرا للوالی إن منعهم:أی أنّهم أقلّ مسامحه له إن اعتذر إلیهم فی أمر لاعتقادهم فضیله أنفسهم و کونهم واجبی قضاء الحقوق.

السابع:کونهم أضعف صبرا عند ملمّات الدهر لتعوّدهم الترفّه،و جزعهم علی ما فی أیدیهم من الدنیا .و أمّا صفات العامّه:

استعاره فأحدها: کونهم عمود الدین ،و استعار لهم لفظ العمود باعتبار قیام الدین بهم کقیام البیت بعموده .

الثانی:کونهم جماع المسلمین لکونهم الأغلب و الأکثر و السواد الأعظم.

الثالث:کونهم العدّه للأعداء لکثرتهم أیضا و لأنّهم کانوا أهل الحرب فی ذلک الزمان.و هذه الصفات للفریقین یستلزم وجوب حفظ قلوب العامّه،و تقدیمه علی حفظ قلوب الخاصّه.و لذلک أمره أن یکون صغوه و میله إلی العامّه .

الحادی عشر:

أمر بأن یکون أبعد رعیّته منه و أبغضهم إلیه أطلبهم لمعایب الناس،و نبّهه علی وجوب ذلک بقوله:فإنّ فی الناس إلی قوله:سترها.و إذا کان الوالی أحقّ من سترها لزمه أن لا یکشف عمّا غاب عنه منها،و ذلک بقمع أهل النمیمه و إبعادهم،و أن یلزم ما یجب علیه و هو تطهیر الخلق ممّا ظهر له من ذنوبهم دون ما غاب عنه،و أکّد ذلک بالأمر بستر العوره من الغیر بقدر الاستطاعه فإنّ کلّ عیب عوره، و نبّه علی الرغبه فی ذلک بما یستلزمه من إعداده لستر اللّه منه ما یحبّ أن یستره هو بستره علی رعیّته من الذنوب و العیوب .

الثانی عشر:

أمره بنزع الحقد و عقد ما عقده فی قلبه منه لکونه من الرذائل الموبقه،و أن یقطع أسبابه من قبول السعایه و أهل النمیمه،

الثالث عشر

،أن یتغافل عن کلّ أمر لا یتّضح له و لا یقوم به برهان،و نهاه أن

یعجل إلی تصدیق من سعی به،و نبّه علی ذلک بضمیر صغراه:قوله: فإنّ الساعی :

إلی قوله: الناصحین .و وجه غشّه کونه مثیر الأحقاد و الضغائن بین الناس و یذیع الفاحشه و الفساد فی الأرض،و تقدیر کبراه:و کلّ من کان غاشّا وجب أن لا یلتفت إلیه .

الرابع عشر:

نهاه أن یدخل فی مشورته ثلاثه البخیل و الجبان و الحریص، و نبّه علی وجه المفسده فی استشاره کلّ أحد من الثلاثه بضمیر صغری الأوّل:

قوله: یعدل بک .إلی قوله: الفقر .و ذلک أنّ البخیل لا یشیر إلاّ بما یراه مصلحه عنده و هو البخل و ما یستلزمه من التخویف بالفقر،و هو یعدل بالمستشیر عن الفضل.

و صغری الثانی قوله: لیضعّفک عن الأمور .لأنّ الجبان لا یشیر إلاّ بوجوب حفظ النفس و التخویف من العدوّ و هو المصلحه الّتی یراها،و کلّ ذلک مضعّف عن الحرب و مقاومه العدوّ.و صغری الثالث:قوله: یزیّن لک الشره بالجور .و ذلک أنّ المصلحه عنده جمع المال و حفظه و هو مستلزم للجور عن فضیله العدل و القصد.و تقدیر الکبری فی الثلاثه:

و کلّ من کان کذلک فلا یجوز استشارته.ثمّ نفّر عن الثلاثه بضمیر آخر نبّه بصغراه علی مبدء رذائلهم الثلاث و هی البخل و الجبن و الحرص لتعرف فتجتنب و تنفر عن عن أهلها فذکر أنّها غرائز:أی أخلاق متفرّقه یحصل للنفس عن أصل واحد ینتهی إلیه و هو سوء الظنّ باللّه،و بیان ذلک أنّ مبدء سوء الظنّ باللّه عدم معرفته تعالی فالجاهل به لا یعرفه من جهه ما هو جواد فیّاض بالخیرات لمن استعدّ بطاعته لها فیسوء ظنّه به،و بأنّه لا یخلف علیه عوض ما یبذله فیمنعه ذلک مع ملاحظه الفقر من[عند] البذل و تلزمه رذیله البخل،و کذا الجبان جاهل به تعالی من جهه لطفه بعباده و عنایته بوجودهم و غیر عالم بسرّ قدره فیسوء ظنّه بأنّه لا یحفظه من التلف و یتصوّر الهلاک فیمنعه ذلک عن الإقدام فی الحرب و نحوها فیلزمه رذیله الجبن،و کذلک الحریص یجهله تعالی من الوجهین المذکورین فیسوء ظنّه به و یعتقد أنّه إذا لم یحرص الحرص المذموم لم یوصل إلیه تعالی ما یصلح حاله ممّا یسعی فیه و یحرص علیه فیبعثه ذلک علی الحرص.و کذلک النفس.فکانت هذه الأخلاق الثلاثه المذمومه

راجعه إلى ما ذكره عليه السّلام .

الخامس عشر:

لمّا كان من الأعمال الصالحه اختيارالوزراءو الأعوان نبّهه على من لا ينبغى استصلاحه لذلك ليجتنبه و من ينبغى ليرغب فيه.فمن لا ينبغى هو من كان للأشرار من الولاه قبله وزيرا و مشاركا لهم فى الآثام،و نهاه عن اتّخاذه بطانه و خاصّه له،و نفّر عنهم بضمير صغراه قوله:فإنّهم:إلى قوله:الخلف.و تقدير كبراه:و كلّ من كان كذلك فلا تتّخذه بطانه.

و قوله: ممّن له مثل آرائهم .

تميز لمن هو خير الخلف من الأشرار و هم الّذين ينبغى أن يستعان بهم،و بيان لوجه خيريّتهم بالنسبه إلى الأشرار،و هو أن يكون لهم مثل آرائهم و نفاذهم فى الأمور و ليس عليهم مثل آصارهم و لم يعاون ظالما على ظلمه.ثمّ رغّب فى اتّخاذ هؤلاء أعوانا بضمير صغراه قوله : اولئك أخفّ .إلى قوله: إلفا .أمّا أنّهم أخفّ مئونه فلأنّ لهم رادعا من أنفسهم عمّا لا ينبغى لهم من مال أو حال فلا يحتاج فى إرضائهم أو ردعهم ممّا لا ينبغى إلى مزيد كلفه بخلاف الأشرار و الطامعين فيما لا ينبغى.و بحسب قربهم إلى الحقّ و مجانبتهم للأشرار كانوا أحسن معونه و أثبت عنده قلوبا و أشدّ حنوّا عليه و عطفا و أقلّ لغيره إلفا،و تقدير كبراه:و كلّ من كان كذلك فينبغى أن يتّخذ عونا و وزيرا و لذلك قال:فاتّخذ اولئك خاصّه لخلوتك و حفلاتك .ثمّ ميّز من ينبغى أن يكون أقرب هؤلاء إليه و أقواهم فى الاعتماد عليه بأوصاف أخصّ:

أحدها:أن يكون أقولهم بمرّ الحقّ له.

الثانى:أن يكون أقلّهم مساعده له فيما يكون منه و يقع من الامور الّتى يكرهها اللّه لأوليائه.و انتصب قوله:واقعا على الحال:أى فى حال وقوع ذلك القول منه و النصيحه و قلّه المساعده حيث وقع من هواك سواء كان فى هوى عظيم أو يسير،أو حيث وقع هواك:أى سواء كان ما تهواه عظيما أو ليس،و يحتمل أن يريد واقعا عظيما أو ليس،و يحتمل أن يريد واقعا ذلك الناصح من هواك و محبّتك حيث وقع:

أی یجب أن یکون له من هواک موقعا .ثمّ أمره فی اعتبارهم و اختیارهم بأوامر:

أحدها:أن یلازم أهل الورع منهم و الأعمال الجمیله و أهل الصدق.و هما فضیلتان تحت العفّه.

الثانی:أن یروضهم و یؤدّبهم بالنهی عن الإطراء له،أو یوجبوا له سرورا بقول ینسبونه فیه إلی فعل ما لم یفعله فیدخلونه فی ذمّ قوله تعالی «وَ یُحِبُّونَ أَنْ یُحْمَدُوا بِما لَمْ یَفْعَلُوا» (۱)و نفّره عن کثره الإطراء بضمیر صغراه قوله:فإن کثره الإطراء إلی قوله:الغرّه.و استلزام الإطراء للرذیلتین المذکورتین ظاهر،و تقدیر الکبری:و کلّما کان کذلک فیجب اجتنابه .

الثانی:نهاه أن یکون المحسن و المسیء عنده بمنزله سواء،و نفّر عن ذلک ببیان وجه المفسده فی ضمیر صغراه قوله:فإنّ ذلک.إلی قوله:الإساءه.و سرّه أنّ أکثر فعل الإحسان إنّما یکون طلبا للمجازاه بمثله خصوصا من الولاه و طلبا لزیاده الرتبه علی الغیر و زیاده الذکر الجمیل مع أنواع من الکلفه فی ذلک.فإذا رأی المحسن مساواه منزلته لمنزلته المسیء کان ذلک صارفا عن الإحسان و داعیا إلی الراحه من تکلّفه،و کذلک أکثر التارکین للإساءه إنّما یترکون خوفا من الولاه و إشفاقا من نقصان الرتبه عن النظر.فإذا رأی المسیء مساواه مرتبته مع مرتبه المحسنین کان التقصیر به أولی:و تقدیر الکبری:و کلّ ما کان فیه تزهید للإحسان و تدریب علی الإساءه فینبغی أن یجتنب.ثمّ أکّد ذلک بأمره أن یلزم کلاّ من أهل الإحسان و الإساءه بما ألزم به نفسه من الاستعداد بالإحسان و الإساءه لهما فیلزم المحسن منزله الإحسان و یلزم المسیء منزله الإساءه .

السادس عشر:نبّهه علی الإحسان إلی رعیّته

و تخفیف المئونات عنهم و ترک استکراههم علی ما لیس له قبلهم بما یستلزمه ذلک من حسن ظنّه بهم المستلزم لقطع النصب عنه من قبلهم و الاستراحه إلیهم،و ذلک أنّ الوالی إذا أحسن إلی رعیّته قویت رغبتهم فیه و أقبلوا بطباعهم علی محبّته و طاعته،و ذلک یستلزم حسن ظنّه بهم

۱- ۱) ۳-۱۸۵

فلا یحتاج معهم إلی کلفه فی جمع أهوائهم و الاحتراس من شرورهم،و أکّد ذلک بقوله:

و إنّ أحقّ من یحسن ظنّک به.إلی قوله:عنده .

السابع عشر:نهاه أن ینقض سنّه صالحه عمل بها السلف الصالح

من صدور هذه الامّه و اجتمعت بها الالفه و صلاح الرعیّه،و ذلک مفسده ظاهره فی الدین.

الثامن عشر:نهاه أن یحدث سنّه تضرّ بشیء من ماضی السنن.

و أشار إلی وجه الفساد فیها بضمیر صغراه قوله:فیکون.إلی قوله:سنّها.و الضمیر فی منها یعود إلی السنن الّتی دخل علیها الضرر فیکون الأجر لمن سنّ السنّه الماضیه الّتی أضرّت بها سنّتک الحادثه و الوزر علیک بما نقضت منها،و تقدیر کبراه:فکلّ ما کان کذلک فینبغی أن یجتنب و ینفر عنه .

التاسع عشر:أمره أن یکثر مدارسه العلماء.

أی بأحکام الشریعه و قوانین الدین،و منافثه الحکماء:أی العارفین باللّه و بأسراره فی عباده و بلاده العاملین بالقوانین الحکمیه العملیّه التجربیّه و الاعتباریّه،و یتصفّح أنواع الأخبار فی تثبّت القواعد و القوانین الّتی یصلح علیها أمر بلاده،و إقامه ما استقام به الناس قبله منها.و باللّه التوفیق.

الفصل الثالث:فی التنبیه علی طبقات الناس الّذین ینتظم بهم أمر المدینه

اشاره

،و وضع کلّ علی حدّه و طبقته الّتی یقتضی الحکمه النبویّه وضعه فیها،و الإشاره إلی تعلّق کلّ طبقه بالأخری حیث لا صلاح لبعضهم إلاّ بالبعض و بذلک یکون قوام المدینه، ثمّ بالإشاره إلی من یستصلح من کلّ صنف و طبقه یکون أهلا لتلک المرتبه،و الوصیّه فی کلّ ما یلیق به.و ذلک قوله:

وَ اعْلَمْ أَنَّ الرَّعِیَّهَ طَبَقَاتٌ- لاَ یَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلاَّ بِبَعْضٍ- وَ لاَ غِنَی بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ- فَمِنْهَا جُنُودُ اللَّهِ وَ مِنْهَا کُتَّابُ الْعَامَّهِ وَ الْخَاصَّهِ- وَ مِنْهَا قُضَاهُ الْعَدْلِ وَ مِنْهَا عُمَّالُ الْإِنْصَافِ وَ الرِّفْقِ- وَ مِنْهَا أَهْلُ الْجِزْیَهِ وَ الْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّهِ

وَ مُسْلِمَهِ النَّاسِ- وَ مِنْهَا التُّجَّارُ وَ أَهْلُ الصِّنَاعَاتِ- وَ مِنْهَا الطَّبَقَهُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِى الْحَاجَهِ وَ الْمَسْكَنَهِ- وَ كُلٌّ قَدْ سَمَّى اللَّهُ لَهُ سَهْمَهُ- وَ وَضَعَ عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَهً فِى كِتَابِهِ أَوْ سُنَّهِ نَبِيِّهِ ص عَهْداً- مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظاً- فَالْجُنُودُ بِإِذْنِ اللَّهِ حُصُونُ الرَّعِيَّهِ وَ زَيْنُ الْوُلَاهِ- وَ عِزُّ الدِّينِ وَ سُبُلُ الْأَمْنِ- وَ لَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّهُ إِلَّا بِهِمْ- ثُمَّ لَا قِوَامَ لِلْجُنُودِ- إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْخَرَاجِ- الَّذِى يَقْوَوْنَ بِهِ عَلَى جِهَادِ عَدُوِّهِمْ- وَ يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ- وَ يَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ- ثُمَّ لَا قِوَامَ لِهَذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ إِلَّا بِالصِّنْفِ الثَّالِثِ- مِنَ الْقُضَاهِ وَ الْعُمَّالِ وَ الْكُتَّابِ- لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ وَ يَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ- وَ يُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الْأُمُورِ وَ عَوَامِّهَا- وَ لَا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلَّا بِالتُّجَّارِ وَ ذَوِى الصِّنَاعَاتِ- فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ- وَ يُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ- وَ يَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرَفُّقِ بِأَيْدِيهِمْ- مَا لَا يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ- ثُمَّ الطَّبَقَهُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَهِ وَ الْمَسْكَنَهِ- الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَ مَعُونَتُهُمْ- وَ فِى اللَّهِ لِكُلٍّ سَعَهٌ- وَ لِكُلٍّ عَلَى الْوَالِى حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ- فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ- أَنْصَحَهُمْ فِى نَفْسِكَ لِلَّهِ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِإِمَامِكَ- وَ أَنْقَاهُمْ جَيْباً وَ أَفْضَلَهُمْ حِلْماً- مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ وَ يَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ- وَ يَرْأَفُ

بالضَّعفَاءِ وَ يَنْبُو عَلَى الْأَقوِيَاءِ- وَ مِمَّنْ لاَ يُثِيرُهُ الْعُنْفُ وَ لاَ يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ- ثُمَّ الْصق بِذَوِی الْمُرُوءَاتِ وَ الْأَحْسَابِ- وَ أَهْلِ الْبُیُوتَاتِ الصَّالِحَهِ وَ السَّوَابِقِ الْحَسَنَه- ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَهِ وَ الشَّجَاعَهِ وَ السَّخَاءِ وَ السَّمَاحَه- فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ مِنَ الْكَرَمِ وَ شُعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ- ثُمَّ تَفقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتفَقَّدُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا- وَ لاَ يَتفَاقَمَنَّ فِی نَفْسِکَ شَیْءٌ قَوَّیْتَهُمْ بِهِ- وَ لاَ تَحْقِرَنَّ لُطْفاً تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَ إِنْ قَلَّ- فَإِنَّهُ دَاعِیَهٌ لَهُمْ إِلَى بَذْلِ النَّصِیحَهِ لَکَ وَ حُسْنِ الظَّنِّ بِکَ- وَ لاَ تَدَعْ تَفَقُّدَ لَطِیفِ أُمُورِهِمُ اتِّکَالاً عَلَى جَسِیمِهَا- فَإِنَّ لِلْیَسِیرِ مِنْ لُطْفِکَ مَوْضِعاً یَنْتَفِعُونَ بِهِ- وَ لِلْجَسِیمِ مَوْقِعاً لاَ یَسْتَغْنُونَ عَنْهُ- وَ لْیَکُنْ آثَرُ رُءُوسِ جُنْدِکَ عِنْدَکَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِی مَعُونَتِهِ- وَ أَفْضَلَ عَلَیْهِمْ مِنْ جِدَتِهِ- بِمَا یَسَعُهُمْ وَ یَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِیهِمْ- حَتَّى یَکُونَ هَمُّهُمْ هَمّاً وَاحِداً فِی جِهَادِ الْعَدُوِّ- فَإِنَّ عَطْفَکَ عَلَیْهِمْ یَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَیْکَ- وَ إِنَّ أَفْضَلَ قُرَّهِ عَیْنِ الْوُلاَهِ اسْتِقَامَهُ الْعَدْلِ فِی الْبِلاَدِ وَ ظُهُورُ مَوَدَّهِ الرَّعِیَّهِ و إِنَّهُ لاَ تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلاَّ بِسَلاَمَهِ صُدُورِهِمْ وَ لاَ تَصِحُّ نَصِیحَتُهُمْ إِلاَّ بِحِیطَتِهِمْ عَلَى وُلاَهِ الْأُمُورِ- وَ قِلَّهِ اسْتِثْقَالِ دُوَلِهِمْ- وَ تَرْکِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ- فَافْسَحْ فِی آمَالِهِمْ وَ وَاصِلْ فِی حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَیْهِمْ- وَ تَعْدِیدِ مَا أَبْلَى ذَوُو

الْبَلَاءِ مِنْهُمْ- فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهُزُّ الشُّجَاعَ- وَ تُحَرِّضُ النَّاكِلَ «إِنْ شاءَ اللَّهُ» ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى- وَ لَا تَضُمَّنَّ بَلَاءَ امْرِئٍ إِلَى غَيْرِهِ- وَ لَا تُقَصِّرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَهِ بَلَائِهِ- وَ لَا يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ امْرِئٍ- إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيراً- وَ لَا ضَعَهُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيماً- وَ ارْدُدْ إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ- وَ يَشْتَبِهُ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ- فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ- «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ» - فَالرَّدُّ إِلَى اللَّهِ الْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ- وَ الرَّدُّ إِلَى ؟الرَّسُولِ؟ الْأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَهِ غَيْرِ الْمُفَرِّقَهِ:

ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ- مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورُ وَ لَا تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ- وَ لَا يَتَمَادَى فِي الزَّلَّهِ- وَ لَا يَحْصَرُ مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ- وَ لَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ- وَ لَا يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ- وَ أَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ وَ آخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ- وَ أَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً بِمُرَاجَعَهِ الْخَصْمِ- وَ أَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكَشُّفِ الْأُمُورِ- وَ أَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ

الْحُكْم- مِمَّنْ لَا يَزْدَهِيهِ إِطْرَاءٌ وَ لَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ- وَ أُولَئِكَ قَلِيلٌ- ثُمَّ أَكْثِرْ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ- وَ افْسَحْ لَهُ فِي الْبَذْلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ- وَ تَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاس- وَ أَعْطِهِ مِنَ الْمَنْزِلَهِ لَدَيْكَ مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ- لِيَأْمَنَ بِذَلِكَ اغْتِيَالَ الرِّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ- فَانْظُرْ فِي ذَلِكَ نَظَراً بَلِيغاً- فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيراً فِي أَيْدِي الْأَشْرَارِ- يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى وَ تُطْلَبُ بِهِ الدُّنْيَا:

ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمُ اخْتِبَاراً- وَ لَا تُوَلِّهِمْ مُحَابَاهً وَ أَثَرَهً- فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَ الْخِيَانَهِ- وَ تَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَهِ وَ الْحَيَاءِ- مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَهِ وَ الْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَهِ- فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقاً وَ أَصَحُّ أَعْرَاضاً- وَ أَقَلُّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَافاً وَ أَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظَراً- ثُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ- فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّهٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ- وَ غِنًى لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ- وَ حُجَّهٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ- ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ- وَ ابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَ الْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ- فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لِأُمُورِهِمْ- حَدْوَهٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْأَمَانَهِ وَ الرِّفْقِ بِالرَّعِيَّهِ- وَ تَحَفَّظْ مِنَ الْأَعْوَانِ- فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَهٍ- اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ- اكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِداً-

فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَهَ فِی بَدَنِهِ- وَ أَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ- ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ الْمَذَلَّهِ وَ وَسَمْتَهُ بِالْخِیَانَهِ- وَ قَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهَمَهِ:

وَ تَفَقَّدْ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا یُصْلِحُ أَهْلَهُ- فَإِنَّ فِی صَلَاحِهِ وَ صَلَاحِهِمْ صَلَاحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ- وَ لَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ- لِأَنَّ النَّاسَ کُلَّهُمْ عِیَالٌ عَلَی الْخَرَاجِ وَ أَهْلِهِ- وَ لْیَکُنْ نَظَرُکَ فِی عِمَارَهِ الْأَرْضِ- أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِکَ فِی اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ- لِأَنَّ ذَلِکَ لَا یُدْرَکُ إِلَّا بِالْعِمَارَهِ- وَ مَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَیْرِ عِمَارَهٍ أَخْرَبَ الْبِلَادَ- وَ أَهْلَکَ الْعِبَادَ وَ لَمْ یَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِیلًا- فَإِنْ شَکَوْا ثِقَلًا أَوْ عِلَّهً أَوِ انْقِطَاعَ شِرْبٍ أَوْ بَالَّهٍ- أَوْ إِحَالَهَ أَرْضٍ اغْتَمَرَهَا غَرَقٌ- أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ- خَفَّفْتَ عَنْهُمْ بِمَا تَرْجُو أَنْ یَصْلُحَ بِهِ أَمْرُهُمْ- وَ لَا یَثْقُلَنَّ عَلَیْکَ شَیْءٌ خَفَّفْتَ بِهِ الْمَئُونَهَ عَنْهُمْ- فَإِنَّهُ ذُخْرٌ یَعُودُونَ بِهِ عَلَیْکَ فِی عِمَارَهِ بِلَادِکَ- وَ تَزْیِینِ وِلَایَتِکَ مَعَ اسْتِجْلَابِکَ حُسْنَ ثَنَائِهِمْ- وَ تَبَجُّحِکَ بِاسْتِفَاضَهِ الْعَدْلِ فِیهِمْ- مُعْتَمِداً فَضْلَ قُوَّتِهِمْ- بِمَا ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِکَ لَهُمْ- وَ الثِّقَهَ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِکَ عَلَیْهِمْ وَ رِفْقِکَ بِهِمْ- فَرُبَّمَا حَدَثَ مِنَ الْأُمُورِ- مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِیهِ عَلَیْهِمْ مِنْ بَعْدُ احْتَمَلُوهُ- طَیِّبَهً أَنْفُسُهُمْ بِهِ- فَإِنَّ الْعُمْرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَّلْتَهُ- وَ إِنَّمَا یُؤْتَی خَرَابُ الْأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِهَا- وَ إِنَّمَا یُعْوِزُ أَهْلُهَا لِإِشْرَافِ أَنْفُسِ الْوُلَاهِ عَلَی

الْجَمْعِ- وَ سُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ وَ قِلَّهِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعِبَرِ:

ثُمَّ انْظُرْ فِی حَالِ کُتَّابِکَ- فَوَلِّ عَلَی أُمُورِکَ خَیْرَهُمْ- وَ اخْصُصْ رَسَائِلَکَ الَّتِی تُدْخِلُ فِیهَا مَکَایِدَکَ وَ أَسْرَارَکَ- بِأَجْمَعِهِمْ لِوُجُوهِ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ الْکَرَامَهُ- فَیَجْتَرِئَ بِهَا عَلَیْکَ فِی خِلَافٍ لَکَ بِحَضْرَهِ مَلَإٍ- وَ لَا تَقْصُرُ بِهِ الْغَفْلَهُ عَنْ إِیرَادِ مُکَاتَبَاتِ عُمَّالِکَ عَلَیْکَ- وَ إِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَی الصَّوَابِ عَنْکَ- فِیمَا یَأْخُذُ لَکَ وَ یُعْطِی مِنْکَ- وَ لَا یُضْعِفُ عَقْداً اعْتَقَدَهُ لَکَ- وَ لَا یَعْجِزُ عَنْ إِطْلَاقِ مَا عُقِدَ عَلَیْکَ- وَ لَا یَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِی الْأُمُورِ- فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ یَکُونُ بِقَدْرِ غَیْرِهِ أَجْهَلَ- ثُمَّ لَا یَکُنِ اخْتِیَارُکَ إِیَّاهُمْ عَلَی فِرَاسَتِکَ- وَ اسْتِنَامَتِکَ وَ حُسْنِ الظَّنِّ مِنْکَ- فَإِنَّ الرِّجَالَ یَتَعَرَّفُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوُلَاهِ- بِتَصَنُّعِهِمْ وَ حُسْنِ خِدْمَتِهِمْ- وَ لَیْسَ وَرَاءَ ذَلِکَ مِنَ النَّصِیحَهِ وَ الْأَمَانَهِ شَیْءٌ- وَ لَکِنِ اخْتَبِرْهُمْ بِمَا وُلُّوا لِلصَّالِحِینَ قَبْلَکَ- فَاعْمِدْ لِأَحْسَنِهِمْ کَانَ فِی الْعَامَّهِ أَثَراً- وَ أَعْرَفِهِمْ بِالْأَمَانَهِ وَجْهاً- فَإِنَّ ذَلِکَ دَلِیلٌ عَلَی نَصِیحَتِکَ لِلَّهِ وَ لِمَنْ وُلِّیتَ أَمْرَهُ- وَ اجْعَلْ لِرَأْسِ کُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِکَ رَأْساً مِنْهُمْ- لَا یَقْهَرُهُ کَبِیرُهَا وَ لَا یَتَشَتَّتُ عَلَیْهِ کَثِیرُهَا- وَ مَهْمَا کَانَ فِی کُتَّابِکَ مِنْ عَیْبٍ فَتَغَابَیْتَ عَنْهُ أُلْزِمْتَهُ:

ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتُّجَّارِ وَ ذَوِی الصِّنَاعَاتِ وَ أَوْصِ بِهِمْ خَیْراً- الْمُقِیمِ مِنْهُمْ

وَ الْمُضْطَرِبِ بِمَالِهِ وَ الْمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ- فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ وَ أَسْبَابُ الْمَرَافِقِ- وَ جُلَّابُهَا مِنَ الْمَبَاعِدِ وَ الْمَطَارِحِ- فِی بَرِّکَ وَ بَحْرِکَ وَ سَهْلِکَ وَ جَبَلِکَ- وَ حَیْثُ لَا یَلْتَئِمُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا- وَ لَا یَجْتَرِءُونَ عَلَیْهَا- فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ لَا تُخَافُ بَائِقَتُهُ- وَ صُلْحٌ لَا تُخْشَی غَائِلَتُهُ- وَ تَفَقَّدْ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِکَ وَ فِی حَوَاشِی بِلَادِکَ- وَ اعْلَمْ مَعَ ذَلِکَ أَنَّ فِی کَثِیرٍ مِنْهُمْ ضِیقاً فَاحِشاً- وَ شُحّاً قَبِیحاً- وَ احْتِکَاراً لِلْمَنَافِعِ وَ تَحَکُّماً فِی الْبِیَاعَاتِ- وَ ذَلِکَ بَابُ مَضَرَّهٍ لِلْعَامَّهِ- وَ عَیْبٌ عَلَی الْوُلَاهِ فَامْنَعْ مِنَ الِاحْتِکَارِ- فَإِنَّ؟رَسُولَ اللَّهِ ص؟ مَنَعَ مِنْهُ- وَ لْیَکُنِ الْبَیْعُ بَیْعاً سَمْحاً بِمَوَازِینِ عَدْلٍ- وَ أَسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِیقَیْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَ الْمُبْتَاعِ- فَمَنْ قَارَفَ حُکْرَهً بَعْدَ نَهْیِکَ إِیَّاهُ فَنَکِّلْ بِهِ- وَ عَاقِبْهُ فِی غَیْرِ إِسْرَافٍ:

ثُمَّ اللَّهَ اللَّهَ فِی الطَّبَقَهِ السُّفْلَی مِنَ الَّذِینَ لَا حِیلَهَ لَهُمْ- مِنَ الْمَسَاکِینِ وَ الْمُحْتَاجِینَ وَ أَهْلِ الْبُؤْسَی وَ الزَّمْنَی- فَإِنَّ فِی هَذِهِ الطَّبَقَهِ قَانِعاً وَ مُعْتَرّاً- وَ احْفَظِ لِلَّهِ مَا اسْتَحْفَظَکَ مِنْ حَقِّهِ فِیهِمْ- وَ اجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَیْتِ مَالِکِ- وَ قِسْماً مِنْ غَلَّاتِ صَوَافِی الْإِسْلَامِ فِی کُلِّ بَلَدٍ- فَإِنَّ لِلْأَقْصَی مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِی لِلْأَدْنَی- وَ کُلٌّ قَدِ اسْتُرْعِیتَ حَقَّهُ- وَ لَا یَشْغَلَنَّکَ عَنْهُمْ بَطَرٌ- فَإِنَّکَ لَا تُعْذَرُ بِتَضْیِیعِکَ

التَّافِهَ لِإِحْكَامِكَ الْكَثِيرَ الْمُهِمَّ- فَلاَ تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ وَ لاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ- وَ تَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لاَ يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ- مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ وَ تَحْقِرُهُ الرِّجَالُ- فَفَرِّغْ لِأُولَئِكَ ثِقَتَكَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَهِ وَ التَّوَاضُعِ- فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ- ثُمَّ اعْمَلْ فِيهِمْ بِالْإِعْذَارِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ- فَإِنَّ هَؤُلاَءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّهِ أَحْوَجُ إِلَى الْإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ- وَ كُلٌّ فَأَعْذِرْ إِلَى اللَّهِ فِي تَأْدِيَهِ حَقِّهِ إِلَيْهِ- وَ تَعَهَّدْ أَهْلَ الْيُتْمِ وَ ذَوِي الرِّقَّهِ فِي السِّنِّ- مِمَّنْ لاَ حِيلَهَ لَهُ وَ لاَ يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَهِ نَفْسَهُ- وَ ذَلِكَ عَلَى الْوُلاَهِ ثَقِيلٌ- وَ الْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ وَ قَدْ يُخَفِّفُهُ اللَّهُ عَلَى أَقْوَامٍ- طَلَبُوا الْعَاقِبَهَ فَصَبَّرُوا أَنْفُسَهُمْ- وَ وَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللَّهِ لَهُمْ

اللغه

أقول: المعاقد : جمع مقعد مصدرا .و المرافق : المنافع .و تفاقم الأمر : عظمه .

و الخلوف : المتخلّفون جمع –خلف بالفتح– .و الحيطه : الشفقّه .و يضلعك: يثقلك .

و المحك : اللجاج .و الحصر : العيّ و العجز .و التبرّم : التضجّر .و الازدهاء : افتعال من الزهو و هو الكبر .و الإطراء : كثره المدح .و الاغتيال : الأخذ على غرّه .

و المحاباه : المعاطاه و المقاربه فيها .و الأثره : الاستبداد .و الجماع : الجمع .و التوخّى : التقصّد .و الحدوه : الحثّ .و الشرب : النصيب من الماء .و البالّه : القليل من الماء يبلّ به الأرض .و أحالت الأرض : تغيّرت عمّا كانت عليه من الاستواء فلم ينجب زرعها و لا أثمر نخلها .و الإجمام : الإراحه .و معتمد : قاصد .و الإعواز:

الفقر .و استنام إلى كذا : سكن إليه .و المترفّق : طالب الرفق من التجاره .و المطارح:

جمع مطرح و هى الأرض البعيده .و البائقه الداهيه .و الغائله: الشرّ .و الاحتكار:

حبس المنافع عن الناس عند الحاجه إليها .و البؤسى : الشدّه .و القانع : السائل .

و المعترّ : الّذی یتعرّض للعطاء من غیر سؤال .و الصوافی : -جمع صافیه-و هی أرض الغنیمه .و التافه : الحقیر .و أشخص همّه : رفعه .و تصعیر الخدّ: إمالته کبرا .

و تقتحمه : تزدریه .و أعذر فی الأمر : صار ذا عذر فیه .

و اعلم أنّ فی الفصل أبحاثا:

الأوّل:أنّه قسّم أهل المدینه إلی سبع طبقات

،و حکم بأنّه لا یصلح بعضها إلاّ بالبعض علی ما بیّنه.

و قوله :من أهل الذمّه و مسلمه الناس.

تفصیل للأهل الأوّل.فأهل الذمّه تفسیر لأهل الجزیه،و مسلمه الناس تفسیر لأهل الخراج،و یجوز أن یکون تفسیرا لأهل الجزیه و الخراج لأنّ للإمام أن یقبل أرض الخراج من سائر المسلمین و أهل الذمّه ،و أراد بالسهم الّذی سمّاه اللّه لکلّ منهم الاستحقاق لکلّ من ذوی الاستحقاق فی کتابه إجمالا من الصدقات کالفقراء و المساکین و عمّال الخراج و الصدقه و فصله فی سنّه نبیّه صلّی اللّه علیه و آله.و حدّه الّذی وضع اللّه علیه عهدا منه عند أهل بیت نبیّه هو مرتبته و منزلته من أهل المدینه الّذین لا یقوم إلاّ بهم فإنّ للجندیّ منزله و حدّا محدودا لا یجوز له تعدّیه،و فریضته وقوفه عنده و العمل بما یلزم تلک المرتبه،و کذلک الکتّاب و العمّال و القضاه و غیرهم فإنّ لکلّ منهم حدّا یقف عنده،و فریضه یلزمها علیها عهد من اللّه محفوظ عند نبیّه و أهل بیته علیهم السّلام اشتملت علیها الشریعه .

البحث الثانی:أنّه نبّه بقوله:فالجنود بإذن اللّه.إلی قوله:معونتهم.

علی أنّ لکلّ من الأصناف المذکوره تعلّق بالآخر بحیث لا یقوم إلاّ به،و الحاجه إلیه ضروریّه.و بمجموعهم یقوم صوره المدینه.فبدء بالجنود لأنّهم الأصل و ذکر وجه الحاجه إلیهم فی أربعه أوصاف:

استعاره أحدها: کونهم حصون الرعیّه ،و استعار لهم لفظ الحصون باعتبار حفظهم للرعیّه و حیاطتهم لهم کالحصن .

الثانی:أنّهم زین الولاه فإنّ الوالی بلا جند کأحد الرعیّه لا یبالی به و لا یطاع له أمر.و المفسده فیه ظاهره.

ص:۱۵۸

مجاز إطلاقا لاسم اللازم على ملزومه الثالث: كونهم عزّ الدين ،و أطلق لفظ العزّ عليهم إطلاقا لاسم اللازم على ملزومه إذ كان العزّ للدين لازما لوجودهم .

استعاره الرابع:استعار لفظ الأمن لهم باعتبار لزوم الأمن لوجود الجند فى الطرق و نحوها .و الكلام فى قوّه صغرى ضمير تقدير كبراه:و كلّ من كان كذلك فليس يقوم الرعيّه إلاّ به.

و قوله:و ليس يقوم الرعيّه إلاّ بهم.

نتيجه القياس المذكور.و قال:بإذن اللّه.ليتبّه على أنّه أراد جنود الحقّ الّذين هم مقتضى الحكمه لا مطلق الجنود.

الثانى :أهل الخراج و من يؤخذ منهم،و أشار إلى وجه استلزام الحاجه إلى الجند للحاجه إليهم بقوله:ثمّ لا قوام للجنود.إلى قوله:حاجتهم.

فقوله:لا قوام.إلى قوله:الخراج.دعوى.

و قوله:الذين يقوون.إلى قوله:حاجتهم.

فى قوّه صغرى ضمير نبّه به عليها،و تقدير كبراه:و كلّ ما كان كذلك فلا قوام للجند إلاّ به.فينتج لا قوام للجند إلاّ بما يخرج اللّه لهم من الخراج،و لما كان الخراج إنّما يحصل من جماعه من الرعيّه و لا يقوم الجند إلاّ بهم.

الثالث :القضاه و العمّال و الكتّاب.و جمعهم.لأنّ وجه الحاجه إليهم واحدا،و أشار إليه بقوله:لما يحكمون به.إلى قوله:و عوامّها.فإنّهم امناء الوالى و الرعيّه على ما يعمّهم من الامور أو يخصّ كلاّ منهم،و على أيديهم تكون أحكام العقود و جمع المنافع و هو فى قوّه صغرى ضمير تقدير كبراه:و كلّ من كان كذلك فحاجه الجند و الرعيّه إليه ضروريّه.

الرابع :التجّار و ذوى الصناعات و ادّعى أنّه لا قوام للأصناف السابقه إلاّ بهم و نبّه على ذلك بقوله:فيما يجتمعون عليه من مرافقهم فإنّ كلّ ما يفعله التجّار من جلب الأمتعه و بيعها و شرائها و يقيمونه من الأسواق بذلك و ما يفعله الصنّاع من المنفعه بأيديهم ممّا لا يحصل من غيرهم الانتفاع به فهى مرافق و منافع للرعيّه فى مقام

ص:۱۵۹

حاجتهم و ضرورتهم و هو فی قوّه صغری ضمیر کبراه ما سبق.

الخامس :الطبقه السفلی من أهل الحاجه و المسکنه،و نبّه علی وجه الحاجه إلیهم بقوله:الّذین یحقّ رفدهم و معونتهم.و بیان ذلک أنّ رفد هؤلاء و معونتهم یستلزم اجتماع هممهم و توافر دواعیهم لرافدهم و معینهم و بهم تستنزل الرحمه و تستدرّ البرکه من اللّه تعالی لأهل المدینه و یدرک الثواب الاخرویّ.فکانت الحاجه إلیهم داعیه لذلک .و لمّا أشار إلی وجه الحاجه إلی جمیعهم قال:و فی اللّه لکلّ سعه:أی فی وجود اللّه و عنایته.لیعتمد علی اللّه فی تدبیر أمورهم.إذ هو تعالی ربّ العنایه الأولی و قال:و لکلّ علی الوالی حقّ بقدر ما یصلحه.لیعلم أنّ مراعاه کلّ منهم واجبه علیه فیشتمل علیها.و باللّه.التوفیق .

البحث الثالث:فی أمره باستصلاح کلّ صنف بأوصاف یجب أن یکون علیها،

و نصبه فی مقامه:

فالصنف الأوّل:الجند

:و أشار إلی تعیین من یصلح لهذه المرتبه بأوصاف،و أمره و نهاه فیهم بأوامر و نواهی أمّا الأوصاف:

فأحدها:من کان أنصح فی نفسه للّه و لرسوله و لإمامه جیبا أی أکثرهم أمانه فی العمل بأوامر اللّه و رسوله و إمامه. کنایه و ناصح الجیب کنایه عن الأمین .

الثانی:أفضلهم حلما.ثمّ وصف ذلک الأفضل فقال:ممّن یبطیء عن الغضب و یستریح إلی العذر فیقبله إذا وجده،و یرأف بالضعفاء فلا یغلظ علیهم،و ینبو علی الأقویاء:أی یعلو علیهم و یتجنّب امیل إلیهم علی من دونهم،ممّن لا یثیره العنف:

أی لا یکون له عنف فیثیره کقوله:و لا أری الضبّ بها فینحجر.و قیل:لا یهیّجه العنف و لا یزعجه إذا فعل،و لا یقعد به الضعف عن إقامه حدود اللّه و أخذ الحقوق من الظالمین أی لا یکون له ضعف فیقعده عن ذلک.

الثالث :من کان من أهل الأحساب و البیوتات الصالحه و السوابق الحسنه من الأحوال و الأفعال و الأقوال الخیریّه.

الرابع:من یکون من أهل النجده و الشجاعه.

الخامس:من يكون من أهل السخاء و السماحه.

و أمّا الأوامر:

فأحدها:أن يولّى من الجند من كان بهذه الصفات.

الثانى:أن يلصق بمن ذكر منهم:أى يلزمهم فى هذه المرتبه.و رغّب فيهم بقوله:

فإنّهم.إلى قوله:من العرف مجاز إطلاقا لاسم اللازم على ملزومه و وصفهم بكونهم جماع من الكرم و شعب من العرف إطلاقا لاسم اللازم على ملزومه.إذ كان الجماع من الكرم و هو الفضائل المذكوره لازمه لهم.و الأمانه و السخاء و السماحه فضائل تحت العفّه.و الحلم و النجده فضيلتان تحت الشجاعه.و يحتمل أن يكون الضمير فى قوله:فإنّهم.عائدا إلى الفضائل المذكوره كقوله تعالى «فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِی» يشير إلى الأصنام .

كنايه الثالث : أن يتفقّد من أمورهم و مصالحهم ما يتفقّده الولدان ،و هو كنايه عن نهايه الشفقّه عليهم .

الرابع:نهاه أن يعظم فى نفسه شیء يقوّيهم به من مال أو نفع فيدعوه إلى التقاصر فى حقّهم.

الخامس:و أن لا يحتقر لطفا يتعاهدهم به فيحمله احتقاره على تركه.و احتجّ لأولويّه فعله و إن قلّ بقوله:فإنّه داعيه.إلى قوله:الظنّ بك.و تقدير كبرى هذا الضمير:و كلّما كان كذلك فالأولى بك فعله.

السادس :نهاه أن يدع تفقّد الصغير من امورهم اعتمادا على تفقّد عظيمها و احتجّ لأولويّه فعله بقوله:فإنّ اليسير.إلى قوله:موقعا لا يستغنون عنه.و المعنى ظاهر.فإنّ موضع اليسير المنتفع به لا يستغنى فيه عن الجسيم.و تقدير كبرى هذا الضمير:و كلّما كان له موضعا ينتفع به فالأولى فعله فى موضعه لينتفع به.

السابع :أمره أن يكون آثر رءوس جنده عنده من كان بالصفات المذكوره و هو الّذى يواسى من تحت يده من الجند فيما يحصل له من المعونه،و يفضل عليهم ممّا فى يده بما يسعهم و يسع من ورائهم من ضعفاء أهليهم و خلوفهم حتّى يكون بذلك همّهم واحدا فيكونوا بمنزله رجل واحد فى جهاد العدوّ.ثمّ رغّب فى العطف عليهم

بما يستلزمه من عطف قلوبهم عليه و هو فى قوّه صغرى ضمير تقدير كبراه:و كلّما كان مستلزما لعطف قلوبهم ففعله واجب و مصلحه .و أيضا لمّا كانت صحّه محبّتهم من أهمّ المطالب بيّن أنّها لا يتمّ إلّا بأمور ثلاثه:

أحدها:حيطهم و محافظتهم ولاه أمورهم.

الثانى:قلّه استثقال دولهم.

الثالث:أن يتركوا استبطاء انقطاع مدّه دولهم،و ذلك فى قوّه صغرى ضمير تقدير كبراه:و ما لا يتمّ أهمّ المطالب إلّا به كان من أهمّ المطالب.

الثامن :أمره أن يفسح لهم:أى يجعل لهم من نفسه طمعا يفتسح به آمالهم فيه لأنّ ذلك ممّا لا يتمّ الأمور الثلاثه المذكوره إلّا به ولد لك رتّب هذا الأمر عليها بالفاء.

التاسع:أمره أن يواصل من حسن الثناء عليهم و تعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم و احتجّ لوجوب ذلك بقوله:فإنّ كثره الذكر.إلى قوله: «إِنْ شاءَ اللّهُ» .و هو ظاهر و القضيّه فى قوّه صغرى ضمير تقدير كبراه:و كلّما كان كذلك كان واجبا.

العاشر :أمره أن يعرف لكلّ امرء ما أبلى و ينسبه إليه لأنّه يهزّ الشجاع و يشجّع الجبان.

الحادى عشر:نهاه أن يضمّ بلاء امرء إلى غيره.

الثانى عشر:و أن يقصر به دون غايه بلائه فيذكر بعضه أو يحقّره.

الثالث عشر:و أن يدعوه شرف امرء إلى أن يعظم صغير بلائه،أو ضعه امرء أن يستصغر كثير بلائه فإنّ كلّ ذلك داعيه الكسل و الفتور عن الجهاد.

الرابع عشر :أمره أن يردّ إلى اللّه و رسوله ما يضلعه من الخطوب و يشتبه عليه من الامور محتجّا بالآيه .ثمّ فسّر الردّ إلى اللّه بالأخذ بمحكم كتابه،و الردّ إلى الرسول بالأخذ بسنّته.و وصف السنه بكونها جامعه لأنّ مدارها على وجوب الألفه و اجتماع الخلق على طاعه اللّه و سلوكه سلوكه .

الصنف الثانى:قضاه العدل

و عيّنهم له بأوصاف و أمره فيهم بأوامر:

أمّا التعين فأوجب أن يكون أفضل رعيّته فى نفسه،و ميّز ذلك الأفضل بصفات:

أحدها:أن يكون ممّن لا يضيق به الامور فيحار فيها حين تورد عليه.

كنايه الثانى: و ممّن لا يمحكه الخصوم:أى يغلبه على الحقّ باللجاج .و قيل:

ذلك كنايه عن كونه ممّن يرتضيه الخصوم فلا تلاجّه و يقبل بأوّل قوله .

الثالث:أن لا يتمادى فى زلّته إذا زلّ فإنّ الرجوع إلى الحقّ خير من التمادى فى الضلال.

الرابع:أن لا يحصر من الرجوع إلى الحقّ إذا عرفه كما يفعله قضاه السوء حفظا للجاه و خوفا من شناعه الغلط.

الخامس:أن لا يشرف نفسه على طمع فإنّ الطمع فى الناس داعيه الحاجه إليهم و الميل عن الحقّ.

السادس:أن لا يكتفى بأدنى فهم دون أقصاه لأنّ ذلك مظنّه الغلط.

السابع :أن يكون أوقف الناس عند الشبهات لأنّها مظنّه الوقوع فى المئاثم.

الثامن:و آخذهم بالحجج.

التاسع:و أقلّهم تبرّما بمراجعه الخصم لما يستلزمه التبرّم من تضييع الحقوق.

العاشر:و كذلك و أصبرهم على تكشّف الأمور.

الحادى عشر:و أصرمهم عند اتّضاح الحقّ فإنّ فى التأخير آفات.

الثانى عشر:و ممّن لا يحدث له كثره المدح كبرا.

الثالث عشر:و ممّن لا يستميله إلى غير الحقّ إغراء به ثمّ حكم بقلّه من يجتمع فيه هذه الصفات تنبيها على أنّ فيها ما هو أولى دون أن يكون شرطا فى القضاء .

و أمّا الأوامر:

فأحدها:أن يختار من كان بالصفات المذكوره.

الثانى:أن يكثر تعاهد قضائه ليقطع طمعه فى الانحراف عن الحقّ لو خطر بباله.

كنايه الثالث: أن يفسح له فى البذل ما يزيل علّته،و هو كنايه عمّا يكفيه و يقلّ معه

حاجته إلى الناس فلا يميل إليهم ،و-ما-يحتمل أن يكون بدلا من البذل،و أن يكون مفعولا لفعل محذوف دلّ عليه البذل كأنّه قال:فيبذل له ما يزيل علّته،و أن يكون مفعولا ـ ليفسح:أى يوسّع له ما يكفيه من المال،و يحتمل أن يكون فى معنى مصدر يفسح:أى يفسح له فسحا يزيل علّته.

الرابع:أن يعطيه من المنزله عنده ما لا يطمع فيه معها غيره من خاصّته ليأمن بذلك اغتيال الأعداء.و تقدير كبرى هذا الضمير:و كلّ ما كان كذلك فواجب بذله للقاضى.

الخامس :أن ينظر فى اختيار من كان بهذه الصفات و فيما أمره به نظرا بالغا ليعمل بأقصاه.و علّل ذلك استعاره بقوله: فإنّ هذا الدين.إلى قوله:الدنيا .و استعار لفظ الأسير باعتبار تصريفهم له كالأسير .و الكلام صغرى ضمير تقدير كبراه:و كلّما كان كذلك فيجب النظر فى اختيار من يعمل بالحقّ و يخرجه من اسر الأشرار.و باللّه التوفيق .

الصنف الثالث:العمّال

و ميّزهم أيضا بأوصاف و أمره فيهم بأوامره مصلحيّه.

أمّا الأوصاف:

فأحدها:أن يكون العامل من أهل التجربه للأعمال و الولايات على علم بقواعدها.و بدء بذلك لأنّه الأصل الأكبر للعمل.

الثانى:أن يكون من أهل الحياء فلا ينتهى فى الانفعال إلى حدّ الاستخدام و هو طرف التفريط فيضيّع به الحقوق و المصالح و لا يتجاوزه إلى حدّ القحه فيقع فى طرف الإفراط و ما يلزمه من الجفاوه و نفره القلوب عنه.

كنايه الثالث: أن يكون من أهل البيوتات الصالحه و القدم السابقه فى الإسلام ،و هى كنايه عن البيوت المتقدّمه فى الدين و الخير،و لهم فى ذلك أصل معرق .و أشار إلى وجه الحكمه فى توليه من كان بهذه الصفات الثلاث بقوله:فإنّهم.إلى قوله:نظرا.

و ذلك أنّ الحياء و صلاح البيوت و التقدّم فى الإسلام يفيدهم كرم الأخلاق و محافظه على الأعراض من المطاعن و قلّه الإشراف و التطّلع إلى المطامع الدنيّه،و التجربه

يفيدهم بلاغه النظر فى عواقب الأمور.و الكلام فى قوّه صغرى ضمير تقدير كبراه:

و كلّ من كان كذلك فهو أولى أن يقصد بالتوليه و العمل.

و أمّا الأوامر:

فأوّلها:أن ينظر فى امورهم فيستعملهم بعد التجربه و الاختبار و لا يولّيهم محاباه و أثره كأن يعطونه شيئا على الولايه فيولّيهم و يستأثر بذلك دون مشاوره فيه فإنّهما:أى المحاباه و الأثره-كما هو مصرّح به فى بعض النسخ عوض الضمير-جماع من شعب الجور و الخيانه أمّا الجور فللخروج بهما عن واجب العدل المأمور به شرعا و أمّا الخيانه فلأنّ التحرّى فى اختيارهم من الدين و هو أمانه فى يد الناصب لهم فكان نصبهم من دون ذلك بمجرّد المحاباه و الأثره خروجا عن الأمانه و نوعا من الخيابه.

و ثانيها:أن يقصد بالعمل من كان بالصفات المذكوره للعلل المذكوره.

الثالث :أن يسبغ عليهم الأرزاق.و بيّن المصلحه فى ذلك من ثلاثه أوجه:

أحدها:أنّ عمومهم بالأرزاق يكون قوّه لهم على استصلاح أنفسهم الّذى لا بدّ منه.

الثانى:أنّه غنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم من مال المسلمين.

استعاره الثالث:أنّه يكون حجّه له عليهم إن خالفوا أمره أو ثلموا أمانته.و استعار لفظ الثلم للخيانه.و الوجوه الثلاثه صغريات ضماير تقدير كبرياتها:و كلّما كان كذلك كان فعله مصلحه واجبه .

الرابع :أن يتفقّد أعمالهم و يبعث العيون و الجواسيس من أهل الصدق و الوفاء عليهم،و أشار إلى وجه المصلحه فى ذلك بقوله:فإنّ تعاهدك.إلى قوله:بالرعيّه.

فإنّ تعهّده لامورهم مع علمهم بذلك منه يبعثهم على أداء الأمانه فيما ولّوا من الأعمال،و على الرفق بالرعيّه.و المذكور صغرى ضمير تقدير كبراه:و كلّما كان كذلك فيجب فعله.

الخامس :أن يتحفّظ من خيانه الأعوان من العمّال.و أرشده استعاره بقوله: فإن أحد منهم بسط.إلى قوله:التهمه .إلى ما ينبغى من تأديبهم و إقامه سنّه اللّه فيهم.و استعار لفظ التقليد لتعليق نسبه التهمه إليه ملاحظه لشبهها بما يقلّد به من الشعار المحسوس

و اللفظ فى غايه الفصاحه،و هذه العقوبه مقدّره بحسب العرف و رأى الإمام أو من ارتضاه .

الصنف الرابع:أهل الخراج

،و أمره فيهم بأوامر:

أحدها:أن يتفقّد أمر خراجهم و يفعل فيه ما يصلح أهله مما سيشرحه.ثمّ أشار إلى وجه المصلحه فيه بضمير صغراه:قوله:فإنّ صلاحه.إلى قوله:إلّا بهم.

و نبّه بقوله:لا صلاح لمن سواهم إلّا بهم على حصر صلاح الغير فيهم تأكيدا،و تقدير الكبرى:و كلّ من كان لاصلاح للناس إلّا به فيجب مراعاه اموره و تفقّد أحواله.

ثمّ بيّن الصغرى بقوله:لأنّ الناس كلّهم عيال على الخراج و أهله.و هو ظاهر فى ذلك الوقت.

الثانى :أن يكون نظره فى عماره الأرض أبلغ من نظره فى طلب الخراج و استجلابه،و نبّه على وجه الحكمه فيه بقوله:لأنّ ذلك:أى الخراج لا يدرك إلّا بالعماره.و هو فى قوّه صغرى ضمير.ثمّ بيّنها بقوله:و من طلب إلى قوله:قليلا.

و هو إشاره إلى ما يلزم نقيض المدّعى و هى مفاسد ثلاث أحدها:إخراب البلاد لعدم العماره،و الثانى:إهلاك العباد لتكليفهم ما ليس فى وسعهم،و الثالث:عدم استقامه أمر الطالب للخراج و الوالى على أهله.و هو لازم عن الأوّلين.و تقدير الكبرى:و كلّ ما لا يدرك إلّا بالعماره وجب أن يكون النظر فيها أبلغ من النظر فيه فينتج أنّ النظر فى العماره يجب أن يكون أبلغ من النظر فى الخراج.

الثالث :أمره أن يخفّف عنهم من خراجهم ما يرجو أن يصلح به أمرهم على تقدير أن يشكوا من حالهم ما عساه يلحقهم من قبل أرضهم من ثقل خراج أو علّه سماويّه أو انقطاع نصيب كان لهم من الماء أو تغيّر أرض و فسادها بسبب غرق أو عطش ،ثمّ نهاه يستثقل بما يخفّف عنهم به المئونه.و أشار إلى وجه الحكمه فيه بقوله:فإنّه ذخر.

إلى قوله:العدل فيهم.و معناه ظاهر.-و معتمدا-نصب على الحال و العامل خفّفت، و-فضل-نصب بالمفعول عن معتمدا،و قوله:و الثقه.عطف على المفعول المذكور،و نبّه على وجه المصلحه فى اعتماد فضل قوّتهم بإراحتهم و الثقه بينهم بما عوّدهم من عدله

بقوله :فربّما حدث.إلى قوله:أنفسهم به.و تقدير الكلام خفّف عنهم معتمدا فضل قوّتهم فإنّ ذلك يستلزم احتمالهم لما عساه يحدث من الأمور فيحتملونه إذا عوّلت عليهم فيه بطيب نفس،و هو فى قوّه صغرى ضمير تقدير كبراه:و كلّ من كان كذلك فواجب أن يخفّف عنهم و يعتمد فضل قوّتهم،و فى قوله:فإنّ العمران محتمل ما حمّلته.بيان الصغرى لأنّ التخفيف عنهم يستلزم عمران أرضهم و هو يستلزم احتمالهم لما يرد عليهم من حوادث الامور .ثم نبّه بقوله:و إنّما يؤتى خراب الأرض.إلى قوله:أهلها.على سبب الخراب.و بقوله:و إنّما يعوز.إلى قوله:العبر.على ذلك السبب و هو مركّب من ثلاثه أجراء:أحدها:إشراف نفوس الولاه على الجمع،و الثانى:سوء ظنّ أحدهم أنّه لا يبقى فى العمل،و الثالث:عدم انتفاعهم بالعبر لقلّه التفاتهم إليها.و ظاهر أنّ هذه الأمور إذا اجتمعت فى الوالى استلزمت جمعه للمال و استقصائه على الرعيّه و استلزم ذلك إعوازهم و فقرهم فاستلزم ذلك خراب أرضهم و تعطيل عمارتها .

الصنف الخامس:الكتّاب

و أمره فيهم بأوامر:

أحدها:أن يولّى أموره خيرهم،و تفسير الخير هنا هو من كان تقيّا قيّما بما يراد منه من مصالح العمل.

الثانى:أن يخصّ رسائله و أسراره و مكائده بأجمعهم لصالح الأخلاق،و قد علمت أصولها غير مرّه و هى العلم بوجوه الآراء المصلحيّه و التهدّى إلى وضع كلّ شىء موضعه ثمّ العفّه و الشجاعه و العداله مع ما تحت الأربعه من الفضائل الخلقيّه ثمّ فسّر بعض الفضائل الّتى عساها أن يخفى،و ذكر منها خمسا:

إحداها:عدم البطر،و هى فضيله تلزم الشكر و هو فضيله تحت العفّه.و نفّر عن صاحب البطر بقوله:فيجترئ.إلى قوله:ملأ.و هو فى قوّه صغرى ضمير تقدير كبراه:و كلّ من يجترء عليك كذلك فغير صالح لولايه أمرك.

كنايه الثانيه :الفطنه و الذكاء فيما هو بصدده من الأمور المذكوره،و كنّى عن ذلك بقوله: ممّن لا تقصر به الغفله.إلى قوله:منك .و الذكاء:فضيله تحت الحكمه.!١٦٨ الثالثه:أن لا يكون ممّن يضعّف عقدا يعتقده لك من الامور بل يجعله محكما.

الرابعه:أن لا يعجز عن إطلاق ما اعتقده عليك خصومك من الامور بالحيله و الخديعه،و هذان لازمان لأصاله الرأى و هو فضيله تحت الحكمه.

الخامسه :أن لا يجهل مبلغ قدر نفسه فى الامور فيرفعها إلى فوق محلّها و مرتبتها و هى فضيله تحت الحكمه الخلقيّه أيضا،و نبّه على اجتناب الجاهل بذلك بقوله:فإنّ الجاهل.إلى قوله:أجهل،و هى صغرى ضمير تقدير كبراه:و كلّ من كان كذلك فيجب اجتنابه.

الثالث :نهاه أن يكون اختياره للعمّال تفرّسا منه و سكونا و حسن ظنّ بأحدهم،و أشار إلى وجه المفسده فى ذلك بقوله:فإنّ الرجال.إلى قوله:شىء.

و المعنى أنّ الرجال قد يتصنّعون بحسن الخدمه و يتعرّضون لأنّ يتفرّس فيهم الولاه فيعرفونهم بذلك مع أنّه ليس وراء ذلك

التصنّع من النصيحه و الأمانه شيء و هو صغرى ضمير تقدير كبراه:و كلّ من كان كذلك فينبغى أن لا يعتمد على اختياره بحسب الفراسه.

الرابع :لمّا نهى أن يوقع اختيارهم كذلك أمره أن يختبرهم بولايتهم لمن كان قبله من الصالحين إرشادا إلى وجه الاختيار و يعضد إلى من كان بالصفات المذكوره و هو أن يكون أحسن أثرا فى العامّه و أعرفهم بوجه الأمانه فى الدين.و رغّبه فى ذلك بضمير صغراه قوله:فإنّ ذلك.إلى قوله:أمره.و تقدير كبراه:

و كلّما كان كذلك وجب فعله.

الخامس :أمره أن يجعل لرأس كلّ أمر من اموره رأسا من الكتّاب الموصوفين بكونهم مناسبا له بحيث لا يكبر عليه كبيره فيقهره و لا يكثر عليه كثيره فيتشتّت عن ضبطه و يقصر دونه.

السادس:نهاه أن يتغافل عمّا يكون فى كتابه من عيب و نبّهه على ذلك بقوله:

و مهما.إلى قوله:ألزمته.و هو صغرى ضمير تقديره:فإنّ كلّ ما يتغافل عنه من

ذلک تلزم به،و تقدیر کبراه:و کلّ ما تلزم به فلا یجوز أن یتغافل عنه.

الصنف السادس:التجّار و ذوو الصناعات

و أمره فیهم بأوامر:

أوّلها:أن یستوصی بهم خیرا.

الثانی:أن یوصی بهم کذلک بأصنافهم المقیم منهم و المضطرب فی تجارته بماله و المترفّق ببدنه و هم أهل الصنائع ،و أشار إلی وجه الحکمه فی الوصیّه بهم و العنایه بحالهم من وجهین:

أحدهما:منفعتهم،و ذلک قوله:فإنّهم.إلی قوله:علیها.و الضمیر فی قوله:

مواضعها و علیها.یعود إلی المنافع و حیث:أی و من حیث کان لا یجتمع الناس لمواضع تلک المنافع منه و لا یجترءون علیها فیه و ذلک الحیث کالبحار و الجبال و نحوها.

الثانی:أنّه لا مضرّه فیهم و ذلک قوله:فإنّهم.إلی قوله:غائلته.و تقدیر کبری الضمیرین:و کلّ من کان کذلک فیجب الاستیصاء به و الوصیّه بالخیر فی حقّه.

الثالث :أن یتفقّد امورهم بحضرته و فی حواشی بلاده ما عساه یعرض لهم من المظالم و الموانع لیزیلها عنهم.

الرابع:أن یعلم ما فیهم من المعائب المعدوده و هی الضیق الفاحش،و الشحّ.

و الضیق هنا البخل،ثمّ الاحتکار للمنافع الّتی یعمّ نفعها و هی الحنطه و الشعیر و التمر و الزبیب و السمن و الملح،ثمّ التحکّم فی البیاعات و هو عباره عن البیع علی حکمه بالهوی المطلق من غیر تقیّد بشریعه أو عرف فإنّ ذلک عدول عن العدل إلی رذیله الجور.ثمّ نبّه علی وجه المفسده اللازمه لتلک المعایب بقوله:و ذلک.إلی قوله:

الولاه:أمّا أنّه مضرّه فظاهر،و أمّا أنّه عیب علی الولاه فلأنّ قانون العدل بأیدیهم فإذا أهملوا بترک ردّ هؤلاء عن طرق الجور توجّهت اللائمه نحوهم و العیب علیهم و هو صغری ضمیر تقدیر کبراه:و کلّما کان کذلک فیجب إنکاره و دفعه.

الخامس :لمّا بین له وجه المفسده فی تلک المعایب أمره بمنع الاحتکار و احتجّ بمنع الرسول صلّی اللّه علیه و آله.

السادس:أمره بکون البیع سهلا سمحا و أن یکون بموازین عدل و أسعار

لا تجحف بالبايع فيذهب أصل مبيعه،و لا بالمشترى فيذهب رأس ماله.

السابع :أمره بايقاع النكال على من احتكر بعد نهيه عن ذلك،و أن يعاقبه من غير إسراف .

الصنف السابع:الطبقه السفلى

و ميّزهم بأوصاف و أمر فيهم بأوامر و نواهى:

أمّا تميّزهم فالعاجزون عن الحيله و الاكتساب و المساكين و المحتاجون و أهل البؤسى و الزمنى،و هؤلاء كلّهم و إن دخل بعضهم فى بعض إلاّ أنه عدّدهم بحسب تعدّد صفاتهم لمزيد العنايه بهم كيلا يتغافل عن أحدهم و تثاقل فيه.و أمّا الأوامر:

فأحدها:أنّه حذّر من اللّه فيهم،و أشار إلى وجه الحكمه فى ذلك التحذير بقوله:

فإنّ فيهم قانعا و معترّا،و هو صغرى ضمير تقدير كبراه:و كلّ من كان كذلك فيجب أن يحذّر اللّه فيه و يحفظ له ما استحفظ من حقّه فيه.

الثانى:أن يجعل لهم قسما من بيت ماله و من صوافى الإسلام فى كلّ بلد.و أضاف بيت المال إليه و أراد الّذى يليه.و نبّه على ذلك بقوله:فإنّ للأقصى.

إلى قوله:حقّه.و تقدير كبرى هذا الضمير:و كلّ من كان كذلك وجب أن يحسن الرعايه فى حقّه بأدائه إليه.

الثالث:نهاه أن يشغله عنهم بطر.و نفّر عن الاشتغال عنهم بقوله:فإنّك لا تعذر.إلى قوله:المهمّ.و أراد بالتافه القليل من امورهم و أحوالهم و هو صغرى ضمير تقدير كبراه:و كلّ من لا يعذر بذلك فلا يجوز له الشغل عنه.

الرابع:نهاه أن يشخص همّه عنهم:أى يرفعه حتّى لا يتناولهم.

الخامس:نهاه أن يصعّر خدّه لهم،و هو كنايه عن التكبّر عليهم.

السادس :أمره أن يتفقّد امور من لا يمكنه الوصول إليه منهم لعجزه و حقارته فى عيون الأعوان و الجند،و أن يفرّغ لهؤلاء ثقه له من أهل الخشيه و التواضع و ينصبه لهم ليرفع إليه أمورهم.

السابع أن يعمل فيهم بالأعذار إلى اللّه سبحانه يوم يلقاه:أى يعمل فى حقّهم ما أمره اللّه به بحيث يعذر إليه:أى يكون ذا عذر عنده إذا سأله عن فعله بهم،و

نبّه على وجه الحكمه فى مزيد العنايه بهم بقوله:فإنّ هؤلاء.إلى قوله:غيرهم.

الثامن:أكّد الأمر بالإعذار إلى اللّه فى تأديه حقّ كلّ واحد من المذكوين إليه.

التاسع :أمره أن يتعهّد الأيتام و ذوى الرقّه فى السنّ:أى الّذين بلغوا فى الشيخوخه إلى أن رقّ جلدهم و ضعف حالهم عن النهوض فلا حيله لهم،و ممّن لا ينصب نفسه للمسأله حياء مع حاجته و فقره.ثمّ أشار إلى ثقل التكليف بمجموع الأوامر السابقه بقوله:و ذلك على الولاه ثقيل،و بقوله:و الحقّ كلّه ثقيل توطينا لنفسه على ذلك.ثمّ رغّب فيه بقوله:و قد يخفّف اللّه.إلى قوله:لهم.فنسب تخفيفه إلى اللّه ليرغب إليه،فيه و شجّعه على فعله و استسهاله بذكر صفات الصالحين و هم الّذين طلبوا العافيه من بلاء اللّه فى الآخره فاستسهلوا ما صعب من التكاليف الدنيويّه بالقياس إليه و وثقوا بصدق موعود اللّه لهم فى دار القرار.و باللّه التوفيق.

الفصل الرابع:فى أوامر و نواهى مصلحيّه و آداب خلقيّه و سياسيّه بعضها عامّه

اشاره

و بعضها خاصّه

يتعلّق بعمّاله و بخاصّته و ببطانته و بنفسه و أحوال عبادته إلى غير ذلک، و هو قوله:

وَ اجْعَلْ لِذَوِی الْحَاجَاتِ مِنْکَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِیهِ شَخْصَکَ- وَ تَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً- فَتَتَوَاضَعُ فِیهِ لِلَّهِ الَّذِی خَلَقَکَ- وَ تُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَکَ وَ أَعْوَانَکَ مِنْ أَحْرَاسِکَ وَ شُرَطِکَ- حَتَّی یُکَلِّمَکَ مُتَکَلِّمُهُمْ غَیْرَ مُتَتَعْتِعٍ- فَإِنِّی سَمِعْتُ ؟رَسُولَ اللَّهِ ص؟ یَقُولُ فِی غَیْرِ مَوْطِنٍ- لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّهٌ لاَ یُؤْخَذُ لِلضَّعِیفِ فِیهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِیِّ- غَیْرَ مُتَتَعْتِعٍ- ثُمَّ احْتَمِلِ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَ الْعِیَّ- وَ نَحِّ عَنْهُمُ الضِّیقَ وَ الْأَنَفَ- یَبْسُطِ اللَّهُ عَلَیْکَ بِذَلِکَ أَکْنَافَ

ص:۱۷۱

رَحْمَتِهِ- وَ يُوجِبْ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ- وَ أَعْطِ مَا أَعْطَيْتَ هَنِيئاً وَ امْنَعْ فِی إِجْمَالٍ وَ إِعْذَارٍ- ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لاَ بُدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا- مِنْهَا إِجَابَهُ عُمَّالِکَ بِمَا يَعْيَا عَنْهُ كُتَّابُکَ- وَ مِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ يَوْمَ وُرُودِهَا عَلَيْکَ- بِمَا تَحْرَجُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِکَ- وَ أَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ:وَ اجْعَلْ لِنَفْسِکَ فِيمَا بَيْنَکَ وَ بَيْنَ اللَّهِ- أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ وَ أَجْزَلَ تِلْکَ الْأَقْسَامِ- وَ إِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلَّهِ إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا النِّيَّهُ- وَ سَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّهُ- وَ لْيَكُنْ فِی خَاصَّهِ مَا تُخْلِصُ بِهِ لِلَّهِ دِينَکَ إِقَامَهُ فَرَائِضِهِ- الَّتِی هِیَ لَهُ خَاصَّهً- فَأَعْطِ اللَّهَ مِنْ بَدَنِکَ فِی لَيْلِکَ وَ نَهَارِکَ- وَ وَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى اللَّهِ- مِنْ ذَلِکَ كَامِلاً غَيْرَ مَثْلُومٍ وَ لاَ مَنْقُوصٍ- بَالِغاً مِنْ بَدَنِکَ مَا بَلَغَ- وَ إِذَا قُمْتَ فِی صَلاَتِکَ لِلنَّاسِ- فَلاَ تَكُونَنَّ مُنَفِّراً وَ لاَ مُضَيِّعاً- فَإِنَّ فِی النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّهُ وَ لَهُ الْحَاجَهُ- وَ قَدْ سَأَلْتُ؟رَسُولَ اللَّهِ ص؟ حِينَ وَجَّهَنِی إِلَى ؟الْيَمَنِ؟- كَيْفَ أُصَلِّی بِهِمْ- فَقَالَ صَلِّ بِهِمْ كَصَلاَهِ أَضْعَفِهِمْ- وَ كُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً وَ أَمَّا بَعْدَ فَلاَ تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَکَ عَنْ رَعِيَّتِکَ- فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوُلاَهِ عَنِ الرَّعِيَّهِ شُعْبَهٌ مِنَ الضِّيقِ- وَ قِلَّهُ عِلْمٍ بِالْأُمُورِ- وَ الِاحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ

عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ- فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ الْكَبِيرُ وَ يَعْظُمُ الصَّغِيرُ- وَ يَقْبُحُ الْحَسَنُ وَ يَحْسُنُ الْقَبِيحُ- وَ يُشَابُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ- وَ إِنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ- لاَ يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ- وَ لَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سِمَاتٌ- تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ الْكَذِبِ- وَ إِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ- إِمَّا امْرُؤٌ سَخَتْ نَفْسُکَ بِالْبَذْلِ فِي الْحَقِّ- فَفِيمَ احْتِجَابُکَ مِنْ وَاجِبِ حَقٍّ تُعْطِيهِ- أَوْ فِعْلٍ کَرِيمٍ تُسْدِيهِ أَوْ مُبْتَلًى بِالْمَنْعِ- فَمَا أَسْرَعَ کَفَّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِکَ- إِذَا أَيِسُوا مِنْ بَذْلِکَ- مَعَ أَنَّ أَکْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْکَ- مِمَّا لاَ مَئُونَةَ فِيهِ عَلَيْکَ- مِنْ شَکَاةِ مَظْلِمَةٍ أَوْ طَلَبِ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَ بِطَانَةً- فِيهِمُ اسْتِئْثَارٌ وَ تَطَاوُلٌ وَ قِلَّةُ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ- فَاحْسِمْ مَادَّةَ أُولَئِکَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْکَ الْأَحْوَالِ- وَ لاَ تُقْطِعَنَّ لِأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِکَ وَ حَامَّتِکَ قَطِيعَةً- وَ لاَ يَطْمَعَنَّ مِنْکَ فِي اعْتِقَادِ عُقْدَةٍ- تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ- فِي شِرْبٍ أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرَکٍ- يَحْمِلُونَ مَئُونَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ- فَيَکُونَ مَهْنَأُ ذَلِکَ لَهُمْ دُونَکَ- وَ عَيْبُهُ عَلَيْکَ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ- وَ أَلْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَ الْبَعِيدِ- وَ کُنْ فِي ذَلِکَ صَابِراً مُحْتَسِباً- وَاقِعاً ذَلِکَ مِنْ قَرَابَتِکَ وَ خَاصَّتِکَ حَيْثُ وَقَعَ- وَ ابْتَغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْکَ

مِنْهُ- فَإِنَّ مَغَبَّهَ ذَلِکَ مَحْمُودَهٌ- وَ إِنْ ظَنَّتِ الرَّعِیَّهُ بِکَ حَیْفاً فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِکَ- وَ اعْدِلْ عَنْکَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِکَ- فَإِنَّ فِی ذَلِکَ رِیَاضَهً مِنْکَ لِنَفْسِکَ وَ رِفْقاً بِرَعِیَّتِکَ وَ إِعْذَاراً- تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَکَ مِنْ تَقْوِیمِهِمْ عَلَی الْحَقِّ:

وَ لاَ تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعَاکَ إِلَیْهِ عَدُوُّکَ و لِلَّهِ فِیهِ رِضًا- فَإِنَّ فِی الصُّلْحِ دَعَهً لِجُنُودِکَ- وَ رَاحَهً مِنْ هُمُومِکَ وَ أَمْناً لِبِلاَدِکَ- وَ لَکِنِ الْحَذَرَ کُلَّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّکَ بَعْدَ صُلْحِهِ- فَإِنَّ الْعَدُوَّ رُبَّمَا قَارَبَ لِیَتَغَفَّلَ- فَخُذْ بِالْحَزْمِ وَ اتَّهِمْ فِی ذَلِکَ حُسْنَ الظَّنِّ- وَ إِنْ عَقَدْتَ بَیْنَکَ وَ بَیْنَ عَدُوِّکَ عُقْدَهً- أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْکَ ذِمَّهً- فَحُطْ عَهْدَکَ بِالْوَفَاءِ وَ ارْعَ ذِمَّتَکَ بِالْأَمَانَهِ- وَ اجْعَلْ نَفْسَکَ جُنَّهً دُونَ مَا أَعْطَیْتَ- فَإِنَّهُ لَیْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ شَیْءٌ- النَّاسُ أَشَدُّ عَلَیْهِ اجْتِمَاعاً مَعَ تَفَرُّقِ أَهْوَائِهِمْ- وَ تَشَتُّتِ آرَائِهِمْ- مِنْ تَعْظِیمِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ- وَ قَدْ لَزِمَ ذَلِکَ الْمُشْرِکُونَ فِیمَا بَیْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِینَ- لِمَا اسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ الْغَدْرِ- فَلاَ تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِکَ وَ لاَ تَخِیسَنَّ بِعَهْدِکَ- وَ لاَ تَخْتِلَنَّ عَدُوَّکَ- فَإِنَّهُ لاَ یَجْتَرِئُ عَلَی اللَّهِ إِلاَّ جَاهِلٌ شَقِیٌّ- وَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَ ذِمَّتَهُ أَمْناً أَفْضَاهُ بَیْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ وَ حَرِیماً یَسْکُنُونَ إِلَی مَنَعَتِهِ وَ یَسْتَفِیضُونَ إِلَی جِوَارِهِ- فَلاَ إِدْغَالَ

وَ لاَ مُدَالَسَهَ وَ لاَ خِدَاعَ فِيهِ- وَ لاَ تَعْقِدْ عَقْداً تُجَوِّزُ فِيهِ الْعِلَلَ- وَ لاَ تُعَوِّلَنَّ عَلَى لَحْنِ قَوْلٍ بَعْدَ التَّأْكِيدِ وَ التَّوْثِقَهِ- وَ لاَ يَدْعُوَنَّکَ ضِيقُ أَمْرٍ- لَزِمَکَ فِيهِ عَهْدُ اللَّهِ إِلَى طَلَبِ انْفِسَاخِهِ بِغَيْرِ الْحَقِّ- فَإِنَّ صَبْرَکَ عَلَى ضِيقِ أَمْرٍ تَرْجُو انْفِرَاجَهُ وَ فَضْلَ عَاقِبَتِهِ- خَيْرٌ مِنْ غَدْرٍ تَخَافُ تَبِعَتَهُ- وَ أَنْ تُحِيطَ بِکَ مِنَ اللَّهِ فِيهِ طِلْبَهٌ- لاَ تَسْتَقِيلُ فِيهَا دُنْيَاکَ وَ لاَ آخِرَتَکَ:

إِيَّاکَ وَ الدِّمَاءَ وَ سَفْکَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا- فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى لِنِقْمَهٍ وَ لاَ أَعْظَمَ لِتَبِعَهٍ- وَ لاَ أَحْرَى بِزَوَالِ نِعْمَهٍ وَ انْقِطَاعِ مُدَّهٍ- مِنْ سَفْکِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا- وَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِئٌ بِالْحُکْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ- فِيمَا تَسَافَکُوا مِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَهِ- فَلاَ تُقَوِّيَنَّ سُلْطَانَکَ بِسَفْکِ دَمٍ حَرَامٍ- فَإِنَّ ذَلِکَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَ يُوهِنُهُ بَلْ يُزِيلُهُ وَ يَنْقُلُهُ- وَ لاَ عُذْرَ لَکَ عِنْدَ اللَّهِ وَ لاَ عِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمْدِ- لِأَنَّ فِيهِ قَوَدَ الْبَدَنِ- وَ إِنِ ابْتُلِيتَ بِخَطَإٍ- وَ أَفْرَطَ عَلَيْکَ سَوْطُکَ أَوْ سَيْفُکَ أَوْ يَدُکَ بِالْعُقُوبَهِ- فَإِنَّ فِي الْوَکْزَهِ فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَهً- فَلاَ تَطْمَحَنَّ بِکَ نَخْوَهُ سُلْطَانِکَ- عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ حَقَّهُمْ:

وَ إِيَّاکَ وَ الْإِعْجَابَ بِنَفْسِکَ- وَ الثِّقَهَ بِمَا يُعْجِبُکَ مِنْهَا وَ حُبَّ الْإِطْرَاءِ- فَإِنَّ ذَلِکَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ- لِيَمْحَقَ مَا يَکُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ-

وَ إِيَّاکَ وَ الْمَنَّ عَلَی رَعِیَّتِکَ بِإِحْسَانِکَ- أَوِ التَّزَیُّدَ فِیمَا کَانَ مِنْ فِعْلِکَ- أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعِدَکَ بِخُلْفِکَ- فَإِنَّ الْمَنَّ یُبْطِلُ الْإِحْسَانَ وَ التَّزَیُّدَ یَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ- وَ الْخُلْفَ یُوجِبُ الْمَقْتَ عِنْدَ اللَّهِ وَ النَّاسِ- قَالَ اللَّهُ تَعَالَی- «کَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّٰهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ» وَ إِیَّاکَ وَ الْعَجَلَهَ بِالْأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا- أَوِ التَّسَقُّطَ فِیهَا عِنْدَ إِمْکَانِهَا- أَوِ اللَّجَاجَهَ فِیهَا إِذَا تَنَکَّرَتْ- أَوِ الْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا اسْتَوْضَحَتْ- فَضَعْ کُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ وَ أَوْقِعْ کُلَّ أَمْرٍ مَوْقِعَهُ- وَ إِیَّاکَ وَ الِاسْتِئْثَارَ بِمَا النَّاسُ فِیهِ أُسْوَهٌ- وَ التَّغَابِیَ عَمَّا تُعْنَی بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُیُونِ- فَإِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْکَ لِغَیْرِکَ- وَ عَمَّا قَلِیلٍ تَنْکَشِفُ عَنْکَ أَغْطِیَهُ الْأُمُورِ- وَ یُنْتَصَفُ مِنْکَ لِلْمَظْلُومِ- امْلِکْ حَمِیَّهَ أَنْفِکَ وَ سَوْرَهَ حَدِّکَ- وَ سَطْوَهَ یَدِکَ وَ غَرْبَ لِسَانِکَ- وَ احْتَرِسْ مِنْ کُلِّ ذَلِکَ بِکَفِّ الْبَادِرَهِ وَ تَأْخِیرِ السَّطْوَهِ- حَتَّی یَسْکُنَ غَضَبُکَ فَتَمْلِکَ الِاخْتِیَارَ- وَ لَنْ تَحْکُمَ ذَلِکَ مِنْ نَفْسِکَ- حَتَّی تُکْثِرَ هُمُومَکَ بِذِکْرِ الْمَعَادِ إِلَی رَبِّکَ- وَ الْوَاجِبُ عَلَیْکَ أَنْ تَتَذَکَّرَ مَا مَضَی لِمَنْ تَقَدَّمَکَ- مِنْ حُکُومَهٍ عَادِلَهٍ أَوْ سُنَّهٍ فَاضِلَهٍ- أَوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِیِّنَا ص أَوْ فَرِیضَهٍ فِی کِتَابِ اللَّهِ

فَتَقْتَدِیَ بِمَا شَاهَدْتَ مِمَّا عَمِلْنَا بِهِ فِیهَا- وَ تَجْتَهِدَ لِنَفْسِکَ فِی اتِّبَاعِ مَا عَهِدْتُ إِلَیْکَ فِی عَهْدِی هَذَا- وَ اسْتَوْثَقْتُ بِهِ مِنَ الْحُجَّهِ لِنَفْسِی عَلَیْکَ- لِکَیْلَا تَکُونَ لَکَ عِلَّهٌ عِنْدَ تَسَرُّعِ نَفْسِکَ إِلَی هَوَاهَا

اللغه

أقول: الشرط : قوم یعلمون أنفسهم بعلامات الخدمه یعرفون بها .و الخرق:

ضدّ الرفق و الأنف : الأنفه و هی خصله تلازم الکبر .و الأکناف : الجوانب .و الإسداء : الإعطاء .و الحامّه : القرابه .و العقده : الضیعه،و العقده أیضا:المکان کثیر الشجر و النخل،و اعتقد الضیعه:اقتناها .و المغبّه : العاقبه .و أصحر : أی أظهر .و الدعه:

الراحه .و استوبلوا الأمر : استثقلوه ،و الوبال : الوخم،یقال:استوبلت البلد:استوخمت فلم یوافق ساکنها و خاس بالعهد : نقضه .و الختل : الخداع .و أفضاه : بسطه .و استفاض الماء : سال .و الإدغال : الإفساد.و الدغل:الفساد .و المدالسه : مفاعله من التدلیس فی البیع و غیره کالمخادعه .و لحن القول : کالتوریه و التعریض من الأمر .و الوکزه:

الضربه و الدفعه،و قیل:هی بجمع الید علی الذقن و الفرصه : النوبه،و الممکن من الأمر .و سوره الرجل : سطوته و حدّه بأسه .و غرب اللسان : حدّته .و البادره:

سرعه السطوه و العقوبه .

المعنی أمّا الأمور الّتی تعمّ مصلحتها.

فأحدها:أن یجعل لذوی الحاجات نصیبا من نفسه

یفرّغ لهم فیه بدنه عن کلّ شاغل و یجلس لهم مجلسا عامّا فی الأسبوع أو دونه أو فوقه حسب ما یمکن.

الثانی:أن یتواضع فیه للّه.

و رغّبه فی التواضع بنسبته إلی اللّه باعتبار أنّه خالقه الّذی من شأنه أن یکون له التواضع.

الثالث:أن یعقد عنهم جنده و أعوانه.

و أبان وجه المصلحه فی ذلک بقوله:حتّی یکلّمک متکلّمهم غیر متتعتع ،و أشار إلی علّه وجوبه بقوله:فإنّی سمعت.إلی قوله:

القویّ.و وجه الدلیل من هذا الخبر أنّه لمّا دلّ بالمطابقه علی و عید الامّه الّتی

لاـ ینتصف فیها من قویّ بعدم طهارتها المستلزم لعذابها الاخروی دلّ بالالتزام علی وجوب أن یکون فیها ذلک .ثمّ لمّا کانت الامور المأمور بها ممّا لا یتمّ ذلک الواجب إلاّ بها کانت بأسرها واجبه.

الرابع:أمور تلزمه مباشرتها

و إن عمّت مصلحتها.و أمور مبتدأ حذف خبره:

أی و هناک امور.و نحوه.منها إجابه عمّاله بما یری المصلحه فی الجواب به فقد یعجز الکتّاب عن کثیر من ذلک.و منها إصدار حوائج الناس الّتی یضیق منها صدور أعوانه عند ورودها علیه،و لا ینبغی له أن یکلها إلیهم فإنّ غایه قضائهم لها إذا قضیت أن یکون علی غیر الوجه المرضیّ .

الخامس:أن یمضی لکلّ یوم عمله.

و نبّه علی ذلک بقوله:فإنّ لکلّ یوم ما فیه.و هو صغری ضمیر تقدیر کبراه:و إذا کان لکلّ یوم ما فیه وجب أن یقضی فیه ماله.

السادس:أن یجعل لنفسه فی معاملته للّه أفضل تلک المواقیت

:أی الأوقات المفروضه للأفعال،و أجزل أقسام الأفعال الموقّته.فأفضلها أبعدها عن الشواغل الدنیویّه و أقربها إلی الخلوه باللّه سبحانه،و نبّه بقوله:و إن کانت.إلی قوله:الرعیّه علی أن أصلح الأعمال أخلصها للّه .

السابع:أن یکون فی خاصّه ما یخلصه للّه فی دینه إقامه فرائضه فیخصّها

بمزید عنایه منه و رعایه.

الثامن:أن یعطی اللّه من بدنه فی لیله و نهاره:

أی طاعه و عباده فحذف المفعول الثانی للعلم به.و القرینه کون اللیل و النهار محلّین للأفعال و القرینه ذکر البدن.

التاسع:أن یوفّی ما تقرّب به إلی اللّه من ذلک

:و کاملا،و غیر مثلوم،و بالغا أحوال.و ما نصب علی المصدریّه بقوله:بالغا من بدنک ما بلغ من القوّه علی الطاعه .

العاشر:من الآداب الراجعه إلی حال الإمامه بالناس فی الصلاه أن یکون

متوسّطا فی صلاته

بین المطوّل المنفّر للناس بتطویله و بین المقصّر المضیّع لأرکان الصلاه و فضیلتها،و احتجّ لنفی التثقیل و التطویل بالمعقول و المنقول:أمّا المعقول

فضمير صغراه: تشبيه قوله: فإنّ فى الناس.إلى قوله:الحاجه .و تقدير كبراه:و كلّ من كان فيه من ذكر فيجب أن يرفق به و يخفّف عنه ،و أمّا المنقول فما رواه عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من الخبر،و وجه التشبيه بصلاه الأضعف تخفيف الصلاه بعد حفظ أركانها و واجباتها .

الحادى عشر:من الآداب المصلحيّه لتدبير المدينه

النهى عن طول الاحتجاب عن الرعيّه.و رغّب فى الانتهاء عنه من وجوه:

أحدها:أنّه نوع من أنواع الضيق على الرعيّه.إذ كانت مشاهدتهم للوالى تفرّج عنهم ما يكرثهم من الأمور المهمّه لهم.

مجاز اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه الثانى:أنّه قلّه علم بالأمور :أى يلزمه ذلك فأطلق اسم اللازم على ملزومه و أكّد ذلك بقوله:و الاحتجاب عنهم يقطع منهم:أى من الولاه علم ما احتجبوا دونه من امور الرعيّه.ثمّ أشار إلى ما يلزم عدم علمهم من المفاسد و هو أن يصغر كبير الامور عندهم كأن يظلم بعض حاشيه الأمير فتصغّر الأعوان جريمته عنده فيصغر و كذلك يعظم صغيرها لو وقع من ضعيف صغير ذنب فى حقّ كبيره.و كذلك يقبح عندهم الحسن و يحسن القبيح،و يشاب الحقّ بالباطل و يلبس به،و ذلك قوله:

فيصغر.إلى قوله :بالباطل.ثمّ نبّه على وجه لزوم قطع العلم بالأمور لطول الاحتجاب بقوله:و إنّما الوالى بشر.إلى قوله:الصدق و الكذب.و التقدير أنّه بشر و البشر من خاصّيته أنّه لا يعرف ذلك إلّا بعلامه و ليس على الحقّ علامات يعرف بها ضروب صدق القول من كذبه.

الثالث:أنّه رغّب فى الانتهاء عنه بضمير صغراه شرطيّه منفصله و هى قوله :

و إنّما أنت.إلى قوله:بذلك.و تلخيصه أنّك إمّا أن تكون مطبوعا على السخاء بالبذل فى الحقّ أو مبتلى بالمنع منه.و تقدير الكبرى.و كلّ من كان كذلك فلا يجوز له الاحتجاب.بيان الكبرى:أمّا إن كان سخيّا ببذل الحقّ فإنّه عند الطلب منه إمّا أن يعطى حقّا يجب عليه،أو يفعل فعل الكرماء و ذلك لا يجوز الاحتجاب منه،و أمّا إن كان مبتلى بالمنع فإذن يسرعون الكفّ عن مسئلته إذا أيسوا من بذله و حينئذ لا معنى

للاحتجاب عنهم .

الرابع:قوله:مع أن أكثر.إلى قوله:معامله.و هو صغرى ضمير تقدير كبراه:و كلّ من كان أكثر حاجات الناس إليه ما لا مئونه عليه فيه من الامور المذكوره فلا معنى لاحتجابه عنهم .

الثانى عشر:من الامور المصلحيّه المتعلّقه بخاصّته أن يحسم مئونتهم عن الرعيّه

فقوله:بقطع أسباب إلى قوله:مئونته.إرشاد إلى سبب قطعها،و أشار إلى وجه ذلك بذكر ما فيهم من الاستئثار على الرعيّه بالمنافع و التطاول عليهم بالأذى و قلّه الإنصاف و هو فى قوّه صغرى ضمير تقدير كبراه:و كلّ من كان كذلك فيجب قطع مئونته عنهم.

و الأحوال الّتى أمر بقطع أسبابها هى وجوه المئونه المذكوره من الاستئثار و التطاول و قلّه الإنصاف.

و قوله:و لا تقطعنّ.إلى قوله:مشترك.

تفصيل لوجوه قطع الأسباب المذكوره فإنّ إقطاع أحدهم قطيعه و طمعه فى اقتناء ضيعه تضرّ بمن يليها من الناس فى ماء أو عمل مشترك يحمل مئونته على الناس كعماره و نحوها هى أسباب الأحوال المذكوره من وجوه المئونه و قطع تلك الأحوال بقطع أسبابها.ثمّ نفّره عن أسباب المئونه على الناس بما يلزم تلك الأسباب من المفسده فى حقّه و هى كون مهنأ ذلك لهم دونه و عيبه عليه فى الدنيا و الآخره،و هو فى قوّه صغرى ضمير تقدير كبراه:و كلّ ما كان مهنأه للغير و عيبه عليك فلا يجوز فعله .

الثالث عشر:أن يلزم الحقّ من يلزمه الحقّ من القريب و البعيد

،و يكون فى ذلك الإلزام صابرا لما عساه يلحق أقاربه من مرّ الحقّ،محتسبا له:أى مدخله فى حساب ما يتقرّب به إلى اللّه تعالى و يعدّه خالصا لوجهه،واقعا ذلك الإلزام من قرابته و خواصّه حيث اتّفق وقوعه بمقتضى الشريعه،و الواو فى قوله:و لكنّ.للحال،و واقعا أيضا حال و العامل قوله:و ألزم.

الرابع عشر:أن يبتغى عاقبه ذلك الإلزام بما يثقل عليه من فعله بخاصّته.

ص:۱۸۰

كأنّه يستفيض بفعله ما يلزمه فى العاقبه من العافيه من عيب الدنيا و عذاب الآخره، و رغّب فى ذلك بقوله:فإنّ مغبّه ذلك محموده و هى تلك العافيه و ما يلزمها من السعاده الباقيه،و هو صغرى ضمير تقدير كبراه:و كلّ ما كانت مغبّته محموده وجبت الرغبه فى فعله .

الخامس عشر:أمره على تقدير أن تظنّ الرعيّه فيه حيفا أن يصحر لهم عذره

فيما ظنّوا فيه الحيف

و يعدل عنه ظنونهم بإظهاره،و رغّب فى ذلك بضمير صغراه قوله:فإنّ.إلى قوله:الحقّ:أى فإنّ فى إظهار عذرك لهم أن تصير ذا عذر تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحقّ من معرفتهم أنّ فعلك حقّ لا حيف فيه،و تقدير كبراه:و كلّ ما كان كذلك فينبغى فعله .

السادس عشر:نهاه أن يدفع صلحا دعاه إليه عدوّه إذا كان صلحا يرضى اللّه

.

و نبّه على وجوه المصلحه فيه بضمير صغراه.قوله:فإنّ فى الصلح.إلى قوله:

لبلادك.و هى ثلاث مصالح ظاهره اللزوم لصلح العدوّ،و تقدير كبراه:و كلّما كان فيه هذه المصالح فواجب قبوله .

السابع عشر:بالغ فى تحذيره من العدوّ بعد صلحه

،و أمره أن يأخذ بالحزم و يتّهم فى الصلح حسن ظنّه الّذى عساه ينشأ عن صلحه.و نبّه على وجوب ذلك الحذر بضمير صغراه:قوله:فإنّ العدوّ ربّما قارب ليتغفّل:أى قارب عدوّه بصلحه ليطلب غفلته فيظفر به،و له عليه السّلام فى ذلك شواهد التجربه.و حذف المفعولين للعلم بهما.و تقدير كبراه:و كلّ من كان كذلك فواجب أن يحذر منه .

الثامن عشر:

استعاره أمره على تقدير أن يعقد بينه و بين عدوّه عهدا أن يحوطه بالوفاء و يرعى ذمّته بالأمانه و يجعل نفسه جنّه دون ما أعطى:أى يحفظ ذلك بنفسه و لو أدّى إلى ضررها،و استعار لفظ اللبس لإدخاله فى أمان الذمّه ملاحظه لشبهها بالقميص و نحوه.و كذلك لفظا الجنّه لنفسه ملاحظه لشبهها فى الحفظ بالترس و نحوه .

و رغّب فى ذلك بوجهين اشتمل عليهما قوله: فإنّه .إلى قوله: العذر :أحدهما:

أنّ الناس أشدّ اجتماعا على ذلك من غيره من فرائض اللّه الواجبه عليهم مع تفرّق

أهوائهم و تشتّت آرائهم.الثانی:أنّ المشرکین لزموا ذلک فیما بینهم و استثقلوا الغدر لما فیه من سوء العاقبه.و المذکوران صغریا ضمیر تقدیر الکبری فیهما:و کلّما کان کذلک فیجب لزومه و المحافظه علیه .ثمّ أکّد ذلک بالنهی عن الغدر فی العهد و نقض الذمّه و خداع العدوّ بمعاهدته ثمّ الغدر به،و نفّر عن ذلک بوجهین:أحدهما:

قوله:فإنّه.إلی قوله:الأشقی.و هو صغری ضمیر تلخیصها:فإنّ المجتری علی اللّه شقیّ،و تقدیر کبراه:و ناقض العهد و المدغل فیه مجتر علی اللّه،ینتج من الرابع فالشقیّ هو ناقض العهد و المدغل فیه.و یجوز أن یکون تقدیر الصغری:فإنّ ذلک جرأه علی اللّه یستلزم الشقاوه،و تقدیر الکبری:و کلّما کان کذلک وجب اجتنابه لینتج من الأوّل المطلوب . استعاره مرشحه الثانی:قوله: و قد جعل.إلی قوله:جواره .و أمنا:أی مأمنا و استعار لفظ الحریم للعهد،و رشّح بذکر السکون إلی منعته و الاستفاضه إلی جواره، و نبّه بذلک علی وجه الاستعاره و هو الاطمینان إلیه و الأمن من الفتنه بسببه فأشبه الحریم المانع،و الکلام صغری ضمیر تقدیر کبراه:و کلّما کان کذلک فلا یجوز نقضه و الإدغال فیه .

التاسع عشر:نهاه أن یعقد عقدا یجوّز فیه العلل

:أی الأحداث المفسده له و هو کنایه عن أمره بإحکام ما یعقد من الامور.

العشرون:نهاه أن یعتمد علی لحن القول فی الأیمان و العهود

بعد أن یؤکّدها و یتوثّق من غیره فیها أو یتوثّق غیره منه فیها و مثال لحن القول ما ادّعاه طلحه و الزبیر من الولیجه و التوریه فی بیعتهما له علیه السّلام:أی لا تعتمد علی ذلک من نفسک و لا تلتفت إلیه من غیر لو ادّعاه .

الحادی و العشرون:نهاه أن یدعوه ضیق أمر لزمه فیه عهد اللّه إلی أن یطلب

إبطاله بغیر حقّ،

و رغّب فی الصبر علیه کنایه بقوله: فإنّ صبرک.إلی قوله:آخرتک .

و هو صغری ضمیر،و أراد بتبعته ما یتبعه من العقوبه،و بالطلبه ما یطالب به یوم القیامه من لزوم العهد،و إحاطتها به کنایه عن لزومها له،و بوصف الطلبه بقوله:

لا تستقبل فیها دنیاک و لا آخرتک.أراد أنّه لا یکون لک معها دنیا تستقبلها و تنتظر

ص:۱۸۲

خيرها لعدم الدنيا هناك و لا آخره تستقبلها إذ لا يستقبل فى الآخره إلّا الأمور الخيريّه.و من أحاطت به طلبته من اللّه فلا خير له فى الآخره يستقبله .و روى تستقبل بالياى:أى لا يكون لك من تلك الطلبه و التبعه إقاله فى الدنيا و لا فى الآخره .

الثانى و العشرون:

كنايه حذّره من الدخول فى الدماء و سفكها بغير حقّ و هو كنايه عن القتل ،و نفّر عنه بوجهين:

أحدهما:قوله: فإنّه .إلى قوله: حقّها ،و هو صغرى ضمير تقديرها:فإنّ سفك الدماء بغير حقّ أدنى الأشياء لحلول نقمه اللّه،و أعظمها فى لحوق التبعه منه،و أولاها بزوال النعمه و انقطاع مدّه الدوله و العمر.و ظاهر أنّها أقوى المعدّات للأمور الثلاثه لما يستلزمه من تطابق همم الخلق و دواعيهم على زوال القاتل و استنزال غضب اللّه عليه لكون القتل أعظم المصائب المنفور عنها و تقدير الكبرى:و كلّما كان كذلك فيجب أن يحذر فعله.

الثانى:قوله: و اللّه سبحانه :إلى قوله: القيامه .و نبّه بابتدائه تعالى بالحكم بين العباد فى القتل على أنّه أعظم عنده تعالى من سائر الكبائر،و هى صغرى ضمير تقدير كبراه:و كلّ ما ابتدء اللّه بالحكم فيه فيجب التحرّى فيه و اجتناب ما يكره منه .

الثالث و العشرون:نهاه أن يقوّى سلطانه و دولته بسفك الدم الحرام،

و نفّر عنه بقوله:فإنّ ذلك.إلى قوله:و ينقله.و هى صغرى ضمير بيانها ما سبق فإنّ سفك الدم الحرام لمّا استلزم الأمور الثلاثه المذكوره كان ذلك مضعفا للسلطان و مزيلا له،و تقدير الكبرى:و كلّما كان كذلك وجب اجتنابه.

الرابع و العشرون:نهاه عن قتل العمد حراما

و نفّر عنه بأمرين:أحدهما:

أنّه لا عذر فيه عند اللّه و لا عنده.الثانى:أنّ فيه قود البدن.و هما صغريا ضمير تقدير الكبرى فيهما:و كلّ ما كان كذلك وجب اجتنابه .

الخامس و العشرون:نهاه أن يرتكب رذيله الكبر عند أن يبتلى بقتل خطاء

أو إفراط سوطه أو يده عليه فى عقوبه

فيأخذه عزّه الملك و الكبر على أولياء المقتول فلا يؤدّى إليهم حقّهم،و نبّه بقوله:فإنّ.إلى قوله:مقتله.على أنّ الضرب

ص:۱۸۳

باليد المسمّى وكزا قد يكون فيه القتل و هو مظنّه له .

السادس و العشرون:حذّره الإعجاب بنفسه،و الثقه بما يعجبه منها،و حبّ

الإطراء.

و الأخيران سببان لدوام الإعجاب و مادّه له،و نفّر عن الثلاثه بقوله:

فإنّ ذلك .إلى قوله: المحسنين .و فى نفسه متعلّق بأوثق.

و قوله: ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين .

يحتمل وجهين:أحدهما:أنّه لمّا كان الإعجاب من الهلكات لم ينفع معه إحسان المحسن فإذا تمكّن الشيطان من الفرصه و زيّن الإعجاب للإنسان و ارتكبه محقّ لذلك ما يكون له من الإحسان.و الثانى:إنّ المعجب بنفسه لا يرى لأحد عنده إحسانا فيكون إعجابه ماحقا لإحسان من أحسن إليه.و لمّا كان مبدء الإعجاب هو الشيطان كان الماحق لإحسان المحسن أيضا هو الشيطان فلذلك نسبه إليه،و الكلام فى قوّه صغرى ضمير تقدير كبراه:و كلّما كان أوثق فرص الشيطان فى نفسه وجب الاحتراز عنه .

السابع و العشرون:حذّره رذائل ثلاثه.

أحدها:المنّ على الرعيّه بإحسانه إليهم.

الثانيه:التزيّد فيما فعله فى حقّهم و هو أن ينسب إلى نفسه من الإحسان إليهم أزيد ممّا فعل.

الثالثه:أن يخلف موعوده لهم .ثمّ نفّر عن المنّ بقوله:فإنّ المنّ يبطل الإحسان،و ذلك إشاره إلى قوله تعالى «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذىٰ» (۱)و عن التزيّد بقوله: فإنّ التزيّد يذهب بنور الحقّ .و أراد بالحقّ هنا الإحسان إليهم،أو الصدق فى ذكره فى موضع يحتاج إليه فإنّ على ذلك نورا عقليّا ترتاح له النفوس و تلتذّ به.و لمّا كان التزيّد نوعا من الكذب و هو رذيله عظيمه لاٰ جرم كان ممّا يذهب نور ذلك الحقّ و يطفيه فلاٰ يكون له وقع فى نفوس الخلق.و نفّر عن الخلف بقوله يوجب:المقت عند اللّه و الناس:أمّا عند الناس فظاهر

۱- ۱) ۲۶۶-۲.

و أمّا عند اللّه فلقوله تعالى «كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّهِ» (۱)الآيه.و الثلاثه صغريّات ضماير تقدير كبرياتها:و كلّما كان كذلك وجب اجتنابه .

الثامن و العشرون:حذّره من إيقاع الامور

على أحد طرفى التفريط و الإفراط فطرف الإفراط فى الطلب العجله بها قبل أوانها أو اللجاجه فيها عند تنكّرها و تغيّر وجوه مأخذها و عدم اتّضاحها و تسهّلها،و طرف التفريط التساقط فيها و القعود عنها إذا أمكنت و هو يقابل العجله فيها أو الضعف عنها إذا استوضحت و هو يقابل اللجاجه فيها عند تنكّرها.و استلزم النهى عن هذين الطرفين الأمر بإيقاعها على نقطه العدل و هى الحدّ الأوسط من الطرفين و موضعها الحقّ فلذلك قال:فيضع كلّ أمر موضعه و أوقع كلّ عمل موقعه .

التاسع و العشرون:حذّره من الاستئثار بما يجب تساوى الناس فيه

كالّذى يستحسن من مال المسلمين و نحوه.

الثلاثون.و عن التغافل عمّا يجب العلم و العنايه به

من حقوق الناس المأخوذه ظلما ممّا قد وضح للعيون إهمالك له.و نفّر عن ذلك بقوله:التغابى.إلى قوله:

للمظلوم،و أراد ما يستأثر به من حقوق الناس و يتغافل عنها،و ما فى قوله:عمّا.

زائده،و أراد بالقليل مدّه الحياه الدنيا،و أشار بأغطيه الامور إلى الهيئات البدنيّه الحاجبه لحقايق الامور من أن يدركها بصيرته.و قد علمت أنّ انكشاف تلك الأغطيه عنه بطرح بدنه و حينئذ يشاهد ما أعدّ له من خير أو شرّ كما قال تعالى «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً» (۲)الآيه .

الحادى و الثلاثون:أمره أن يملك حميّه أنفه:

أى أنفته ممّا يقع من الامور المكروهه،و سوره حدّه،و حدّه لسانه و ملكه لهذه الامور إنّما يكون بالاحتراس عن تعدّى قوّته الغضبيّه و وقوفه فى فعلها على حاقّ الوسط بحيث لا يعبر فيها إلى حدّ الإفراط فيقع فى رذيله التهوّر و يلزمه فى تلك الرذيله الظلم.

۱- ۱) ۳۷-۴۰.

۲- ۲) ۲۸-۳.

الثانی و الثلاثون:أمره بالاحتراس من تلک الامور

و أرشده إلی أسبابه و هو کفّ البادره و تأخیر السطوه إلی حین سکون الغضب لیحصل له بذلک الاختیار فی الفعل و الترک الّذی عساه مصلحه،و أشار إلی وجه إحکام تلک الأسباب بقوله:و لن تحکم ذلک.إلی قوله:علیک.و ذلک أنّ کثره الهمّ عن ذکر المعاد و الفکر فی أمور الآخره ماح للرغبه فی الامور الدنیویّه الّتی هی المشاجرات و ثوران الغضب .

الثالث و الثلاثون

:أوجب علیه أمرین فیهما جماع ما أوصاه به فی هذا العهد إجمالا:

أحدهما:أن یتذّکر ما مضی لمن تقدّمه من الحکومات العادله للولاه قبله،أو من الآثار المنقوله عن نبیّنا صلّی اللّه علیه و آله،أو من فرائض اللّه لیقتدی بما شاهد من عمله علیه السّلام فیها .

الثانی:أن یجتهد لنفسه فی اتّباع ما عهد إلیه فی عهده هذا و استوثق به من الحجّه لنفسه علیه و هی الموعظه و التذکیر بأوامر اللّه لکیلا یکون له علیه حجّه یحتجّ بها عند تسرّع نفسه إلی هواها کما قال تعالی «لِئَلاّ یَکُونَ لِلنّاسِ عَلَی اللّهِ حُجَّهٌ بَعْدَ الرُّسُلِ» (۱).

و من هذا العهد ایضا

اشاره

وَ أَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ بِسَعَهِ رَحْمَتِهِ- وَ عَظِیمِ قُدْرَتِهِ عَلَی إِعْطَاءِ کُلِّ رَغْبَهٍ- أَنْ یُوَفِّقَنِی وَ إِیَّاکَ لِمَا فِیهِ رِضَاهُ- مِنَ الْإِقَامَهِ عَلَی الْعُذْرِ الْوَاضِحِ إِلَیْهِ وَ إِلَی خَلْقِهِ- مَعَ حُسْنِ الثَّنَاءِ فِی الْعِبَادِ وَ جَمِیلِ الْأَثَرِ فِی الْبِلَادِ- وَ تَمَامِ النِّعْمَهِ وَ تَضْعِیفِ الْکَرَامَهِ- وَ أَنْ یَخْتِمَ لِی وَ لَکَ بِالسَّعَادَهِ وَ الشَّهَادَهِ- «إِنّا إِلَیْهِ راجِعُونَ» وَ السَّلاَمُ عَلَی؟رَسُولِ اللَّهِ؟- صَلَّی اللَّهِ عَلَیْهِ وَ عَلَی آلِهِ وَ سَلَّمَ تَسْلِیماً کَثِیراً

ص:۱۸۶

۱- ۱) ۴-۱۶۳. [۱]

المعنی

أقول:ختم هذا العهد بسؤال اللّه عن یوفّقهما لما فیه رضاه،و أقسم علیه فی إجابه سؤاله برحمته الّتی وسعت کلّ شیء و بقدرته العظیمه علی إعطاء کلّ رغبه.و ظاهر کونهما مبدءین لإجابه السائلین ثمّ فصّل ما سأله ممّا فیه رضا اللّه و هی امور:

أحدها:الإقامه علی العذر الواضح إلی اللّه و إلی خلقه.

فإن قلت:العذر إنّما یکون عن ذنب فمن أقام علی طاعه اللّه کیف یکون فعله عذرا؟ قلت:یحتمل أن یکون العذر اسما من الإعذار إلی اللّه و هو المبالغه فی الإتیان بأوامره فکأنّه قال:من الإقامه علی المبالغه إلیه فی أداء أوامره .

الثانی:حسن الثناء فی العباد و جمیل الأثر و هو ما یؤثر من الأفعال الحمیده فی البلاد،و ذلک ممّا سأله الأنبیاء کإبراهیم علیه السّلام «وَ اجْعَلْ لِی لِسانَ صِدْقٍ فِی الْآخِرِینَ» (۱)قیل هو الذکر الجمیل فی الناس.

الثالث:أن یتمّ نعمته علیهما.

الرابع:تضعیف کرامته لهما.

الخامس:الخاتمه الحسنه بالسعاده و ما یوصل إلیها من الشهاده،و نبّه بقوله:

إنّا إلیه راغبون.علی صدق نیّته فی سؤاله ،ثمّ ختم بالسلام علی رسول اللّه و الصلاه علیه و آله.

۵۳-و من کتاب له علیه السّلام

اشاره

إلی طلحه و الزبیر،مع عمران بن الحصین الخزاعی

ذکره أبو جعفر الاسکافی فی کتاب المقامات فی مناقب أمیر المؤمنین علیه السلام أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَلِمْتُمَا وَ إِنْ کَتَمْتُمَا- أَنِّی لَمْ أُرِدِ النَّاسَ حَتَّی أَرَادُونِی- وَ لَمْ أُبَایِعْهُمْ حَتَّی بَایَعُونِی- وَ إِنَّکُمَا مِمَّنْ أَرَادَنِی وَ بَایَعَنِی- وَ إِنَّ الْعَامَّهَ لَمْ تُبَایِعْنِی لِسُلْطَانٍ

۱- ۱) ۸۴-۲۶.

غـالِبٍ وَ لاَـ لِعَرَضٍ حَاضِـرٍ- فَـإِنْ كُنْتُمَـا بَايَعْتُمَانِي طَائِعَيْنِ- فَارْجِعَا وَ تُوبَا إِلَى اللَّهِ مِنْ قَرِيبٍ- وَ إِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي كَارِهَيْنِ- فَقَدْ جَعَلْتُمَـا لِي عَلَيْكُمَـا السَّبِيلَ بِإِظْهَارِكُمَا الطَّاعَهَ- وَ إِسْـرَارِكُمَا الْمَعْصِـيَهَ- وَ لَعَمْرِي مَا كُنْتُمَا بِأَحَقِّ الْمُهَاجِرِينَ- بِالتَّقِيَّهِ وَ الْكِتْمَانِ- وَ إِنَّ دَفْعَكُمَـا هَـذَا الْأَمْرَ مِـنْ قَبْـلِ أَنْ تَـدْخُلاَ فِيهِ- كَـانَ أَوْسَـعَ عَلَيْكُمَـا مِنْ خُرُوجِكُمَـا مِنْهُ- بَعْـدَ إِقْرَارِكُمَـا بِهِ- وَ قَـدْ زَعَمْتُمَـا أَنِّي قَتَلْتُ؟عُثْمَـانَ؟- فَبَيْنِي وَ بَيْنَكُمَـا مَنْ تَخَلَّفَ عَنِّي وَ عَنْكُمَـا مِنْ أَهْـلِ ؟الْمَـدِينَهِ؟- ثُمَّ يُلْزَمُ كُـلُّ امْرِئٍ بِقَـدْرِ مَا احْتَمَلَ- فَارْجِعَا أَيُّهَا الشَّيْخَانِ عَنْ رَأْيِكُمَا- فَإِنَّ الْآنَ أَعْظَمَ أَمْرِكُمَا الْعَارُ- مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجْتَمِعَ الْعَارُ وَ النَّارُ-

اللغه

أقول: خزاعه قبيله من الأزد .و قيل: الإسكافىّ منسوب إلى إسكاف رستاق كبير كان بين النهروان و البصره.و كتاب المقامات:الّذى صنّفه الشيخ المذكور فى مناقب أمير المؤمنين عليه السّلام

المعنى

و قد احتجّ عليه السّلام عليهما فى نكث بيعته بحجّتين:

إحداهما:قوله: أمّا بعد .إلى قوله: حاضر .و هو فى قوّه صغرى ضمير تقدير كبراه:و كلّ من علمتما من حاله ذلك فليس لكما أن تنكثا بيعته و تخرجا عليه.

و قوله:و إن كتمتما.

إشاره إلى أنّهما بعد نكث بيعته كتما إرادتهما لبيعته و إراده كثير من الناس و زعما أنّه إنّما حمّلهما عليها كرها.

الحجّه الثانيه قوله: فإن كنتما .إلى قوله: إقراركما به .و هى شرطىّ منفصل تقديرها:أنّه لا يخلو إمّا أن تكونوا بايعتمانى طائعين أو كارهين.و الأوّل هو المطلوب.

و يلزمكما ارتكاب المعصيه و الرجوع إلى اللّه بالتوبه إلى اللّه من قريب قبل استحكام

المعصيه فى نفسيكما.و الثانى:باطل من ثلاثه أوجه:

أحدها:أنّه يلزمكما النفاق حيث أظهرتما لى الطاعه و أضمرتما المعصيه فجعلتما بذلك السبيل عليكما فى القول و الفعل .

الثانى:أنّكما ما كنتما بالتقيّه منّى و الكتمان لعصيانكما أحقّ من المهاجرين و ذلك لأنّهما كانا أقوى الجماعه و أعظمهم شأنا فكان غيرهما من المهاجرين أولى منهما بالتقيّه عند البيعه و نكثهما بعد ذلك.

الثالث:إنّ دفعهما لبيعته قبل الدخول فيها أوسع لعذرهما من خروجهما منها بعد إقرارهما.و هذه الأقوال الثلاثه صغريات ضمير تقدير الكبرى فى الأوّل:و كلّ ما جعلتهما لى عليكما به السبيل فيحرم عليكما فعله و ليس لكما أن تدّعياه، و فى الثانى:و كلّ من لا يكون أحقّ من المهاجرين بدعواه فليس له أن يدّعيه إذا لم يدّعوه،و فى الثالث:و كلّما كان أوسع لعذرهما فليس لهما العدول عنه إلى ما هو أضيق .

و قوله: و قد زعمتما إنّى قتلت عثمان .

إشاره:إلى شبهتهما المشهوره فى خروجهما عليه.

و قوله: فبينى :إلى قوله: احتمل .

جوابها:أى الحكم إلى من تخلّف عن نصرتى و نصرتكما من أهل المدينه ثمّ يلزم كلّ منّا من اللائمه و العقوبه بقدر ما احتمل من الإثم و البغى.و ثمّ بعد أن أقام الحجّه عليهما أمرهما بالرجوع عن رأيهما الفاسد فى اختيارهما لبيعته و رغّب فى الرجوع عن ذلك.بقوله: فإنّ الآن .إلى آخره،و هو فى قوّه صغرى ضمير تقدير كبراه:و العار أسهل من اجتماع العار و النار فى الاخره.و أراد بالعار العار بالعذر.و الآن ظرف انتصب بأعظم الّذى هو اسم إنّ،و يجوز أن يكون هو اسمها و أعظم مبتدأ خبره العار-و الجمله خبر إنّ و العائد إلى اسمها محذوف تقديره:فإنّ الآن أعظم أمر كما فيه العار.

۵۴–و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى معاويه

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا- وَ ابْتَلَى فِيهَا أَهْلَهَا لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً- وَ لَسْنَا لِلدُّنْيَا خُلِقْنَا وَ لاَ بِالسَّعْيِ فِيهَا أُمِرْنَا- وَ إِنَّمَا وُضِعْنَا فِيهَا لِنُبْتَلَى بِهَا- وَ قَدِ ابْتَلاَنِي اللَّهُ بِكَ وَ ابْتَلاَكَ بِي- فَجَعَلَ أَحَدَنَا حُجَّةً عَلَى الْآخَرِ- فَعَدَوْتَ عَلَى الدُّنْيَا بِتَأْوِيلِ ؟الْقُرْآنِ؟- فَطَلَبْتَنِي بِمَا لَمْ تَجْنِ يَدِي وَ لاَ لِسَانِي- وَ عَصَبْتَهُ أَنْتَ وَ أَهْلُ ؟الشَّامِ؟ بِي- وَ أَلَّبَ عَالِمُكُمْ جَاهِلَكُمْ وَ قَائِمُكُمْ قَاعِدَكُمْ- فَاتَّقِ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ وَ نَازِعِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ- وَ اصْرِفْ إِلَى الْآخِرَةِ وَجْهَكَ- فَهِيَ طَرِيقُنَا وَ طَرِيقُكَ- وَ احْذَرْ أَنْ يُصِيبَكَ اللَّهُ مِنْهُ بِعَاجِلِ قَارِعَةٍ- تَمَسُّ الْأَصْلَ وَ تَقْطَعُ الدَّابِرَ- فَإِنِّي أُولِي لَكَ بِاللَّهِ أَلِيَّةً غَيْرَ فَاجِرَةٍ- لَئِنْ جَمَعَتْنِي وَ إِيَّاكَ جَوَامِعُ الْأَقْدَارِ لاَ أَزَالُ بِبَاحَتِكَ- «حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنا وَ هُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ»

اللغه

أقول: عصبه به : علّقه به .و التأليب : التحريص .و القارعه : الداهيه .و الدابر المتأخّر من النسل .و الأليّه : اليمين .

المعنى

فقوله: أمّا بعد .إلى قوله: لنبتلى بها .

إشاره إلى غرض الدنيا و غايتها ليتنبه لذلك و يعمل له،و أراد بالسعى فيها الّذى لم يؤمر به اكتسابها لها،دون غيره ممّا يكون للضروره فإنّ ذلك مأمور به فى

ص:۱۹۰

قوله تعالی «فَامْشُوا فِی مَناکِبِها وَ کُلُوا مِنْ رِزْقِهِ» (۱).

و قوله :و قد ابتلانی:إلی قوله:الآخر.

تعیین لبعض أغراضها،و قد علمت کیفیّه ابتلائه بخلقه فیما قبل.و وجه ابتلائه علیه السّلام بمعاویه عصیانه و محاربته إیّاه حتّی لو قصّر فی مقاومته و لم یقم فی وجهه کان ملوما و کان معاویه حجّه اللّه علیه،و وجه ابتلاء معاویه به علیه السّلام دعوته له إلی الحقّ و تحذیره إیّاه من عواقب المعصیه حتّی إذا لم یجب داعی اللّه لحقه الذمّ و العقاب و کان علیه السّلام هو حجّه اللّه علیه.و ذلک معنی قوله:فجعل أحدنا حجّه علی الآخر.

و قوله :فعدوت.إلی قوله:قاعدکم.

إشاره إلی بعض وجوه ابتلائه علیه السّلام به،و معنی ذلک أنّه إنّما طلب بخروجه علیه الدنیا و جعل السبب إلی ذلک تأویل القرآن کقوله تعالی «یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا کُتِبَ عَلَیْکُمُ الْقِصاصُ فِی الْقَتْلی» (۲)و غیره من الآیات الدالّه علی وجوب القصاص فتأوّلها بإدخال نفسه فیها و طلب القصاص لعثمان،و إنّما کان دخوله فی ذلک بالتأویل لأنّ الخطاب خاصّ بمن قتل و قتل منه.و معاویه بمعزل عن ذلک إذ لم یکن من أولیاء دم عثمان ففسّر الآیه بالعموم لیدخل فیها.و الّذی لم تجنه یده و لسانه علیه السّلام هو ما نسبوه إلیه علیه السّلام و ألّب بعضهم بعضا علیه فیه و هو قتل عثمان.و أراد ألّب علیکم عالمکم بحالی جاهلکم به و قائمکم فی حربی قاعدکم عنه .ثمّ لمّا نبّه علی غایه الدنیا و جعل اللّه سبحانه کلاّ منهما حجّه علی الآخر لیعلم أیّهم أحسن عملا رجع إلی موعظته و تحذیره فأمره بتقوی اللّه فی نفسه أن یهلکها بعصیانه و مخالفه أمره.و أن ینازع الشیطان قیاده. استعاره و استعار لفظ القیاد للمیول الطبیعیّه و وجه الاستعاره کونها زمام الإنسان إلی المعصیه إذا سلّمها بید الشیطان و انهمک بها فی اللذّات الموبقه .و منازعته للشیطان مقاومته لنفسه الأمّاره عن طرف الإفراط إلی حاقّ الوسط فی الشهوه و الغضب،و أن یصرف إلی الآخره وجهه:أی یولّی وجهه شطر الآخره مطالعا

۱- (۱) ۱۵-۶۷.

۲- (۲) ۱۷۳-۲.

ما اعدّ فيها من خير و شرّ و سعاده و شقاوه بعين بصيرته ليعمل بها.

مجاز إطلاقا لاسم ذى الغايه عليها و قوله: فهى طريقنا و طريقك .

صغرى ضمير نبّه به على وجوب صرف وجهه إلى الآخره.و تقدير كبراه:

و كلّما كان طريق الإنسان فواجب أن يصرف إليها وجهه.و جعلها طريقا مجازا عن غايه الطريق إطلاقا لاسم ذى الغايه عليها .ثمّ حذّره من اللّه أن يصيبه بداهيه يصيب أصله و يقطع نسله،و أراد بها ما نهاه من نهوضه إليه و حربه إيّاه و لذلك أقسم على تقدير أن يجمعهما جوامع الأقدار أن لا يزال بباحته مقيما حتّى يحكم اللّه بينهما.

و فى ذلك غليظ الوعد بعذاب شديد.

۵۵–و من كلام له عليه السّلام

اشاره

وصى بها شريح بن هانئ،لما جعله على مقدمته إلى الشام

اِتَّقِ اللَّهَ فِي كُلِّ صَبَاحٍ وَ مَسَاءٍ- وَ خَفْ عَلَى نَفْسِكَ الدُّنْيَا الْغَرُورَ- وَ لاَ تَأْمَنْهَا عَلَى حَالٍ- وَ اعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَرْدَعْ نَفْسَكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تُحِبُّ- مَخَافَةَ مَكْرُوهٍ- سَمَتْ بِكَ الْأَهْوَاءُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الضَّرَرِ- فَكُنْ لِنَفْسِكَ مَانِعاً رَادِعاً- وَ لِنَزْوَتِكَ عِنْدَ الْحَفِيظَهِ وَاقِماً قَامِعاً أقول:قد ذكرنا طرفا من حال إنفاذه لشريح بن هانى مع زياد بن النضير على مقدّمته بالشام فى إثنى عشر ألفا.

اللغه

و النزوه : الوثبه .و الحفيظه: الغضب .و الواقم : الذى يردّ الشيء أقبح الردّ،يقال:وقمه:أى ردّه بعنف و بقهر،و الوقم:

القهر و الإذلال،و كذلك القمع .

المعنى

و قد أمره بتقوى اللّه دائما،و لمّا كانت يستلزم الأعمال الجميله أردف ذلك بتفصيلها و هى أن يحذّر على نفسه الدنيا.و نسب الغرور إليها لأنّها سبب مادّى له،

و أن لا ـ يأمنها على حال لما تستلزم ذلك من الغفله عن الآخره .ثمّ أعلمه أنّه إن لم يردع نفسه الأمّاره بالسوء عن الانهماک فی کثیر من مشتهیاتها الّتی یخاف مکروها فی العاقبه و یقف بها عند حدود اللّه و یسلک بها صراطه المستقیم لم یزل یسمو به هواها و میولها حتّی تورده موارد الهلکه.ثمّ أکّد وصیّته بمنعها و قهرها عند نزواتها و توثّبها فی الغضب.و قد عرفت أنّ إهمالها مبدء کلّ شرّ یلحق فی الدنیا و الآخره.

۵۶-و من کتاب له علیه السّلام

اشاره

إلی أهل الکوفه،عند مسیره من المدینه إلی البصره

أَمَّا بَعْـدُ فَـإِنِّی خَرَجْتُ مِنْ حَیِّی هَـذَا- إِمَّا ظَالِماً وَ إِمَّا مَظْلُوماً وَ إِمَّا بَاغِیاً وَ إِمَّا مَبْغِیّاً عَلَیْهِ- وَ إِنِّی أُذَکِّرُ اللَّهَ مَنْ بَلَغَهُ کِتَابِی هَـذَا لَمَّا نَفَرَ إِلَیَّ- فَإِنْ کُنْتُ مُحْسِـناً أَعَانَنِی- وَ إِنْ کُنْتُ مُسِیئاً اسْتَعْتَبَنِی أقول:غرض الکتاب إعلام أهل الکوفه بخروجه من المدینه القتال أهل البصره و استنفارهم إلیه،و قد مرّ مثل ذلک

اللغه

و حیّه : قبیلته .

المعنی

و قوله: إما ظالما .إلی قوله: علیه .

من باب تجاهل العارف،و لأنّ القضیّه لم تکن بعد ظهرت لأهل الکوفه و غیرهم لیعرفوا هل هو مظلوم أو غیره و لذلک ذکّرهم لینفروا إلیه فیحکموا بینه و بین خصومه فیعینوه أو یطلبوا منه العتبی و هی الرجوع إلی الحقّ.و-اذکر-یتعدّی إلی مفعول أوّل هو المذکّر،و ثان هو المذکّر به و هو اللّه تعالی.و قد قدّمه لکونه هو المقصود من التذکیر.و-لمّا-مشدّده بمعنی إلاّ،و مخفّفه هی ما زائده دخل علیها لام التأکید:أی لینفرنّ إلیّ.و باللّه التوفیق.

ص:۱۹۳

۵۷-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

كتبه إلى أهل الأمصار،يقص فيه ما جرى بينه و بين أهل صفين

وَ كَانَ بَدْءُ أَمْرِنَا أَنَّا الْتَقَيْنَا وَ الْقَوْمُ مِنْ أَهْلِ ؟الشَّام؟- وَ الظَّاهِرُ أَنَّ رَبَّنَا وَاحِدٌ وَ نَبِيَّنَا وَاحِدٌ- وَ دَعْوَتَنَا فِی الْإِسْلَامِ وَاحِدَهٌ- وَ لَا نَسْتَزِيدُهُمْ فِی الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَ التَّصْدِيقِ بِرَسُولِهِ- وَ لَا يَسْتَزِيدُونَنَا- الْأَمْرُ وَاحِدٌ إِلَّا مَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ مِنْ دَمِ ؟عُثْمَانَ؟- وَ نَحْنُ مِنْهُ بَرَاءٌ- فَقُلْنَا تَعَالَوْا نُدَاوِ مَا لَا يُدْرَکُ الْيَوْمَ- بِإِطْفَاءِ النَّائِرَهِ وَ تَسْكِينِ الْعَامَّهِ- حَتَّى يَشْتَدَّ الْأَمْرُ وَ يَسْتَجْمِعَ- فَنَقْوَى عَلَى وَضْعِ الْحَقِّ مَوَاضِعَهُ فَقَالُوا بَلْ نُدَاوِيهِ بِالْمُكَابَرَهِ- فَأَبَوْا حَتَّى جَنَحَتِ الْحَرْبُ وَ رَكَدَتْ- وَ وَقَدَتْ نِيرَانُهَا وَ حَمِشَتْ- فَلَمَّا ضَرَّسَتْنَا وَ إِيَّاهُمْ- وَ وَضَعَتْ مَخَالِبَهَا فِينَا وَ فِيهِمْ- أَجَابُوا عِنْدَ ذَلِکَ إِلَى الَّذِی دَعَوْنَاهُمْ إِلَيْهِ- فَأَجَبْنَاهُمْ إِلَى مَا دَعَوْا وَ سَارَعْنَاهُمْ إِلَى مَا طَلَبُوا- حَتَّى اسْتَبَانَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّهُ- وَ انْقَطَعَتْ مِنْهُمُ الْمَعْذِرَهُ- فَمَنْ تَمَّ عَلَى ذَلِکَ مِنْهُمْ- فَهُوَ الَّذِی أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنَ الْهَلَكَهِ- وَ مَنْ لَجَّ وَ تَمَادَى فَهُوَ الرَّاكِسُ- الَّذِی رَانَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ- وَ صَارَتْ دَائِرَهُ السَّوْءِ عَلَى رَأْسِهِ

اللغه

أقول:و بدء الأمر : أوّله.و يروى:بدیء فعيل بمعنى مبتدأ .و النائره:

العداوه .و جنحت : مالت .و ركدت : ثبتت .و حمست : اشتدّت.و روى بالشين المعجمه:أى التهبت غضبا .و أنقذه خلّصه .و التمادى فى الشیء : الإقامه عليه و طلب الغايه فيه .و الركس : ردّ الشیء مقلوبا.و اللّه أركسهم:أى ردّهم إلى عقوبه

ص:۱۹۴

كفرهم و الرين : التغطيه .و الدايره : الهزيمه،يقال:عليهم الدائره،و يؤكّد شنعتها بالإضافه إلى السوء .

المعنى

و الفصل من حكايه حاله مع أهل الشام و حالهم.و القوم عطف على الضمير فى التقينا و فى قوله:و الظاهر.إيماء إلى تهمته لهم بضدّ ذلك كما صرّح به هو و عمّار فى صفّين فإنّه كان يقول:و اللّه ما أسلموا و لكن استسلموا و أسرّوا الكفر فلمّا وجدوا عليه أعوانا أظهروه.و الواو للحال.

و قوله :لا نستزيدهم.

أى لا نطلب منهم زياده فى الإيمان لتمامه منهم فى الظاهر.و قد بيّن فى حكايه الحال الاتّحاد الّذى بينهم فى الامور المذكوره الّتى لا يجوز الاختلاف معها ليظهر الحجّه و استثنى من ذلک ما وقع الاختلاف فيه و هى الشبهه بدم عثمان و الجواب عنها إجمالا .ثمّ حكى وجه الرأى الأصلح فى نظام أمر الإسلام و سلامه أهله و شوره عليهم و إبائهم عن قبوله إلى الغايه المذكوره.و الباء فى قوله:بإطفاء النائره متعلّق بقوله:نداوى ما لا يدرک:أى ما لا يمكن تلافيه بعد وقوع الحرب و لا يستدرک من القتل و هلاک المسلمين.

و قوله:فقالوا:بل نداويه بالمكابره.

حكايه قولهم بلسان حالهم حين دعاهم إلى نظام أمر الدين بالرجوع عمّاهم عليه فكابروه و أصرّوا على الحرب، مجاز إطلاقا لاسم المضاف على المضاف إليه و تجوّز باسم الجنوح إطلاقا لاسم المضاف على المضاف إليه ، استعاره مرشحه و استعار لفظ النيران للحركات فى الحرب لمشابهتهما فى استلزام الأذى و الهلاک،و رشّح بذكر الوقد،و كذلک لفظ الحمس و التضريس و وضع المخالب .ثمّ حكى إجابتهم و رجوعهم إلى رأيه الّذى رآه لهم،و ذلک أنّهم صبيحه ليله الهرير حين حملوا المصاحف على الأرماح كانوا يقولون لأصحابه عليه السّلام:معاشر المسلمين نحن إخوانكم فى الدين اللّه اللّه فى البنات و النساء.كما حكيناه أوّلا-و ذلك عين ما كان يذكّرهم به عليه السّلام من حفظ دماء المسلمين و ذرّيّتهم ،و أمّا إجابته إلى ما دعوا فإجابته إلى تحكيم كتاب اللّه حين دعوا إليه و ظهور الحجّه عليهم

ص:۱۹۵

برجوعهم إلى عين ما كان يدعوهم إليه من حقن الدماء،و فى ذلك انقطاع عذرهم فى المطالبه بدم عثمان إذ كان سكوتهم عن دم صحابىّ لا حقّ لهم فيه أسهل من سفكك دماء سبعين ألفا من المهاجرين و الأنصار و التابعين بإحسان.

و قوله :فمن تمّ على ذلك.أى على الرضاء بالصلح و تحكيم كتاب اللّه و هم أكثر أهل الشام و أكثر أصحابه عليه السّلام.و الّذين لجّوا فى التمادى فهم الخوارج الّذين لجّوا فى الحرب و اعتزلوه عليه السّلام بسبب التحكيم و كانت قلوبهم فى أغشيه من الشبهات الباطله حتّى صارت دائره السوء على رؤوسهم فقتلوا إلاّ أقلّهم.

۵۸-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى الأسود بن قطيبه صاحب جند حلوان

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْوَالِیَ إِذَا اخْتَلَفَ هَوَاهُ- مَنَعَهُ ذَلِکَ کَثِیراً مِنَ الْعَدْلِ- فَلْیَکُنْ أَمْرُ النَّاسِ عِنْدَکَ فِی الْحَقِّ سَوَاءً- فَإِنَّهُ لَیْسَ فِی الْجَوْرِ عِوَضٌ مِنَ الْعَدْلِ- فَاجْتَنِبْ مَا تُنْکِرُ أَمْثَالَهُ- وَ ابْتَذِلْ نَفْسَکَ فِیمَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَیْکَ- رَاجِیاً ثَوَابَهُ وَ مُتَخَوِّفاً عِقَابَهُ- وَ اعْلَمْ أَنَّ الدُّنْیَا دَارُ بَلِیَّهٍ- لَمْ یَفْرُغْ صَاحِبُهَا فِیهَا قَطُّ سَاعَهً- إِلَّا کَانَتْ فَرْغَتُهُ عَلَیْهِ حَسْرَهً یَوْمَ الْقِیَامَهِ- وَ أَنَّهُ لَنْ یُغْنِیَکَ عَنِ الْحَقِّ شَیْءٌ أَبَداً- وَ مِنَ الْحَقِّ عَلَیْکَ حِفْظُ نَفْسِکَ- وَ الِاحْتِسَابُ عَلَى الرَّعِیَّهِ بِجُهْدِکَ- فَإِنَّ الَّذِی یَصِلُ إِلَیْکَ مِنْ ذَلِکَ- أَفْضَلُ مِنَ الَّذِی یَصِلُ بِکَ وَ السَّلَامُ

أقول:فی الفصل لطائف:

أحدها:أنّه نبّهه علی وجوب ترک تنویع الأهویه و الإعراض عن اتّباع

مختلفاتها

بما یستلزمه من المفسده و هی الامتناع عن کثیر من العدل،و وجه الاستلزام ظاهر لأنّ اتّباع الأهویه المختلفه یوجب الانحراف عن حاقّ الوسط فی المطالب،و لمّا نبّهه علی مفسده الجور أمره ببسط العدل و التسویه بین الخلق فی الحقّ.ثمّ نبّه علی فضیلته بضمیر صغراه قوله:فإنّه إلی قوله:العدل.و تقدیرها:

فإنّ العدل لیس فی الجور عوض عنه،و تقدیر الکبری:و کلّ ما لم یکن فی الجور عوض عنه فیجب لزومه و اتّباعه .

الثانیه:لمّا کان اتّباع مختلف الأهویهممّا ینکر مثله عند وقوعه فی حقّه أو

حقّ من یلزمه أمره

کالأذی اللاحق له مثلا أمره باجتنابه و أن لا یقع منه فی غیره ما یکره وقوع مثله فی حقّه.و العباره وافیه بهذا المعنی،و الغرض التنفیر عنه.

الثالثه:أمره بعد ذلک أن یبذل نفسه فیما افترض اللّه علیه حالتی رجائه

لثوابه و خوفه من عقابه

لکونهما داعی العمل .

الرابعه:نبّهه علی أنّ الدنیا دار ابتلاءبالعمل

کما قال تعالی «الَّذِی خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَیاهَ لِیَبْلُوَکُمْ أَیُّکُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً» (۱)و لمّا کان العمل الصالح فیها هو سبب الاستعداد للسعاده الباقیه لا جرم کان الفراغ من العمل فیها ترکا لسبب سعاده لا یحصل یوم القیامه إلاّ به فکان من لوازم فرغته منه فی الدنیا الحسره علی ثمرته یوم القیامه .

الخامسه:نبّهه علی ضرورته إلی عمل الحقّ بأنّه لا یغنیه عنه شیء غیره

لأنّ کلّ ما عدا الحقّ باطل و الباطل سبب للفقر فی الآخره فلا یفید غنی.

السادسه:نبّهه علی أنّ من الحقوق الواجبه علیه حفظ نفسه:

أی من زلّه القدم عن الصراط المستقیم و الوقوع فی سواء الجحیم،ثمّ الاحتساب علی رعیّته بجهده و طاقته،و الأخذ علی أیدیهم فی الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر.و قدّم حفظ

۱- ۱) ۲-۶۷.

النفس لأنّه الأهمّ،و نبّه على وجوب الأمرين بقوله:فإنّ الّذى إلى آخره و أراد أنّ الّذى يصل إلى نفسك من الكمالات و الثواب اللازم عنها فى الآخره بسبب لزومك للأمرين المذكورين أفضل ممّا يصل بعد لك و إحسانك إلى الخلق من النفع و دفع الضرر،و باللّه التوفيق.

۵۹-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى العمال الذين يطأ الجيش عملهم

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ؟عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ إِلَى مَنْ مَرَّ بِهِ الْجَيْشُ- مِنْ جُبَاهِ الْخَرَاجِ وَ عُمَّالِ الْبِلاَدِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي قَدْ سَيَّرْتُ جُنُوداً- هِيَ مَارَّهٌ بِكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ- وَ قَدْ أَوْصَيْتُهُمْ بِمَا يَجِبُ لِلَّهِ عَلَيْهِمْ- مِنْ كَفِّ الْأَذَى وَ صَرْفِ الشَّذَا- وَ أَنَا أَبْرَأُ إِلَيْكُمْ وَ إِلَى ذِمَّتِكُمْ مِنْ مَعَرَّهِ الْجَيْشِ- إِلاَّ مِنْ جَوْعَهِ الْمُضْطَرِّ لاَ يَجِدُ عَنْهَا مَذْهَباً إِلَى شِبَعِهِ- فَنَكِّلُوا مَنْ تَنَاوَلَ مِنْهُمْ شَيْئاً ظُلْماً عَنْ ظُلْمِهِمْ- وَ كُفُّوا أَيْدِيَ سُفَهَائِكُمْ عَنْ مُضَارَّتِهِمْ- وَ التَّعَرُّضِ لَهُمْ فِيمَا اسْتَثْنَيْنَاهُ مِنْهُمْ- وَ أَنَا بَيْنَ أَظْهُرِ الْجَيْشِ- فَارْفَعُوا إِلَيَّ مَظَالِمَكُمْ- وَ مَا عَرَاكُمْ مِمَّا يَغْلِبُكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ- وَ لاَ تُطِيقُونَ دَفْعَهُ إِلاَّ بِاللَّهِ وَ بِي فَأَنَا أُغَيِّرُهُ بِمَعُونَهِ اللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

اللغه

أقول: الشذى : الأذى .و معرّه الجيش : المضرّه الواصله منه،و عرّه معرّه:

أى سائه. و نكل ينكل بالضمّ : جبن.و نكّلوا:خوّفوا،و جبّنوا .و عراه الأمر:

غشيه .

ص:۱۹۸

و حاصل الكتاب إعلام من على طريق الجيش من الجباه و عمّال البلاد

بمسيره عليهم

ليتنبّهوا و يحترزوا منه ،ثمّ وصيّه الجيش بما ينبغى لهم و يجب للّه عليهم من كفّ الأذى عمّن يمرّون به ليعرفوا عموم عدله و يتأدّبوا بآدابه، مجازا إطلاقا لاسم السبب على المسبّب ثمّ إعلامهم أنّه برىء إليهم و إلى ذمّتهم الّتى أخذها منهم من إساءه الجيش فإنّه ليس بأمره من ذلك إلّا معرّه جوعه المضطرّ الّتى لا يجد عنها إلى شبعه مذهبا.و تقدير الكلام:فإنّى أبرء إليكم من معرّه الجيش إلّا من معرّه جوعه المضطرّ منهم فأقام المضاف إليه مقام المضاف أو أطلقه مجازا إطلاقا لاسم السبب على المسبّب .ثمّ أمرهم أن يخوّفوا و يجنّبوا من تناول من الجيش شيئا عن ظلمه و يدفعوه الدفع الممكن لهم لئلاّ يكون بسطوتهم خراب الأعمال،ثمّ أن يكفّوا أيدى سفهائهم عن مضارّتهم و التعرّض لهم فيما استثناه من المعرّه الضروريّه لئلاّ يثور بذلك الفتنه بينهم و بين الجيش .ثمّ أعلمهم أنّه بين أظهر الجيش كنايه عن كونه مرجع أمرهم ليدفعوا إليه مظالمهم و ما غشيهم من أمر يغلب عليهم من الجيش لا يطيقون دفعه إلّا باللّه و به فيغيّره بمعونه اللّه و خشيته.

۶۰-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى كميل بن زياد النخعى

،و هو عامله على هيت،ينكر عليه تركه دفع من يجتاز به من جيش العدو طالبا الغاره أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ تَضْيِيعَ الْمَرْءِ مَا وُلِّىَ وَ تَكَلُّفَهُ مَا كُفِىَ- لَعَجْزٌ حَاضِرٌ وَ رَأْىٌ مُتَبَّرٌ- وَ إِنَّ تَعَاطِيَكَ الْغَارَهَ عَلَى أَهْلِ ؟قِرْقِيسِيَا؟- وَ تَعْطِيلَكَ مَسَالِحَكَ الَّتِى وَلَّيْنَاكَ- لَيْسَ بِهَا مَنْ يَمْنَعُهَا وَ لاَ يَرُدُّ الْجَيْشَ عَنْهَا- لَرَأْىٌ شَعَاعٌ- فَقَدْ صِرْتَ جِسْراً لِمَنْ أَرَادَ الْغَارَهَ- مِنْ أَعْدَائِكَ عَلَى أَوْلِيَائِكَ- غَيْرَ شَدِيدِ الْمَنْكِبِ

وَ لاَ مَهِيبِ الْجَانِبِ- وَ لاَ سَادٍّ ثُغْرَةً وَ لاَ كَاسِرٍ لِعَدُوٍّ شَوْكَةً- وَ لاَ مُغْنٍ عَنْ أَهْلِ مِصْرِهِ وَ لاَ مُجْزٍ عَنْ أَمِيرِهِ وَ السَّلاَمُ

اللغه

أقول: المتبر: الهالك و الفاسد .و الشعاع : المتفرّق .

المعنى

و قوله: أمّا بعد .إلى قوله: متبر .

اعلم أنّ فى صدر الكتاب إجمالا ـ كما جرت عاده الخطيب ما يريد أن يوبخه عليه من تعاطيه أمرا مع إهماله ما هو أهمّ منه.ثمّ ذكر غرضه من الكتاب مفصّلا بقوله: و إنّ تعاطيك .إلى قوله: شعاع .ثمّ نفّره عن ذلك الرأى بما فيه من المفاسد و الرذائل:

استعاره أحدهما: كونه جسرا .و استعار لفظ الجسر له باعتبار عبور العدوّ عليه إلى غرضه ،و روى:حسرا.و هو أيضا مجاز باعتبار خلوّ مسالحه عن العسكر الّذى يبغى به العدوّ فهو كالحاسر عديم اللامه.

كنايه الثانى: كونه غير شديد المنكب ،و كنّى بذلك عن ضعفه،و كذلك كونه غير مهيب الجانب .

الثالث:كونه غير سادّ ثغره.

الرابع:و لا كاسر شوكه عدوّه.

و الخامس:و لا مغن عن أهل مصره فى دفع عدوّهم.

السادس:و لا مجز عن أميره فيما يريده منه.

۶۱–و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى أهل مصر،مع مالك الأشتر لما ولاه إمارتها

:أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ؟مُحَمَّداً ص؟- نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ وَ مُهَيْمِناً عَلَى الْمُرْسَلِينَ- فَلَمَّا مَضَى ع تَنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ

الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ- فَوَاللَّهِ مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي- وَ لَا يَخْطُرُ بِبَالِي أَنَّ الْعَرَبَ تُزْعِجُ هَذَا الْأَمْرَ- مِنْ بَعْدِهِ ص عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ- وَ لَا أَنَّهُمْ مُنَحُّوهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ- فَمَا رَاعَنِي إِلَّا انْثِيَالُ النَّاسِ عَلَى فُلَانٍ يُبَايِعُونَهُ- فَأَمْسَكْتُ يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ- قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ- يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِ دَيْنِ؟مُحَمَّدٍ ص؟- فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وَ أَهْلَهُ- أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلْماً أَوْ هَدْماً- تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وِلَايَتِكُمْ- الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلَائِلَ- يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ- أَوْ كَمَا يَتَقَشَّعُ السَّحَابُ- فَنَهَضْتُ فِي تِلْكَ الْأَحْدَاثِ حَتَّى زَاحَ الْبَاطِلُ وَ زَهَقَ- وَ اطْمَأَنَّ الدِّينُ وَ تَنَهْنَهَ وَ مِنْهُ إِنِّي وَ اللَّهِ لَوْ لَقِيتُهُمْ وَاحِداً وَ هُمْ طِلَاعُ الْأَرْضِ كُلِّهَا- مَا بَالَيْتُ وَ لَا اسْتَوْحَشْتُ- وَ إِنِّي مِنْ ضَلَالِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ- وَ الْهُدَى الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ- لَعَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ نَفْسِي وَ يَقِينٍ مِنْ رَبِّي- وَ إِنِّي إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ لَمُشْتَاقٌ- وَ حُسْنِ ثَوَابِهِ لَمُنْتَظِرٌ رَاجٍ- وَ لَكِنَّنِي آسَى أَنْ يَلِيَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّهِ سُفَهَاؤُهَا وَ فُجَّارُهَا- فَيَتَّخِذُوا مَالَ اللَّهِ دُوَلًا وَ عِبَادَهُ خَوَلًا- وَ الصَّالِحِينَ حَرْباً وَ الْفَاسِقِينَ حِزْباً- فَإِنَّ مِنْهُمُ الَّذِي قَدْ شَرِبَ فِيكُمُ الْحَرَامَ- وَ جُلِدَ حَدّاً فِي الْإِسْلَامِ- وَ إِنَّ مِنْهُمْ

مَنْ لَمْ يُسْلِمْ حَتَّى رُضِخَتْ لَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ الرَّضَائِخُ- فَلَوْ لَا ذَلِكَ مَا أَكْثَرْتُ تَأْلِيبَكُمْ وَ تَأْنِيبَكُمْ- وَ جَمْعَكُمْ وَ تَحْرِيضَكُمْ- وَ لَتَرَكْتُكُمْ إِذْ أَبَيْتُمْ وَ وَنَيْتُمْ- أَ لَا تَرَوْنَ إِلَى أَطْرَافِكُمْ قَدِ انْتُقِصَتْ- وَ إِلَى أَمْصَارِكُمْ قَدِ افْتُتِحَتْ- وَ إِلَى مَمَالِكِكُمْ تُزْوَى وَ إِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَى- انْفِرُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ- وَ لَا تَثَّاقَلُوا إِلَى الْأَرْضِ فَتُقِرُّوا بِالْخَسْفِ- وَ تَبُوءُوا بِالذُّلِّ وَ يَكُونَ نَصِيبُكُمُ الْأَخَسَّ- وَ إِنَّ أَخَا الْحَرْبِ الْأَرِقُ وَ مَنْ نَامَ لَمْ يُنَمْ عَنْهُ وَ السَّلَامُ

اللغه

أقول: المهيمن: الشاهد .و الروع : القلب .و الانثيال : الانصباب .و راح:

ذهب .و زهق : زال و اضمحلّ .و تنهنه : اتّسع .و طلاع الأرض : ملاؤها .و آسى:

أحزن .و الدوله فى المال-بالضمّ- : أن يكون مرّه لهذا مرّه لذلك .و الخول:

العبيد و الرضخ : الرشوه،و أصله الرمى .و التأليب : التحريص .و التأنيب : اللوم .

و الونى : الضعف .و تزوى : تقبض .و تبوءوا : ترجعوا .و الخسف: النقيصه .

المعنى

و صدّره باقتصاص حال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله باعتبار كونه نذيرا للعالمين بعقاب أليم، و شاهدا على المرسلين بكونهم مبعوثين و مصدّقا لهم فى ذلك.ثمّ اقتصاص حال المسلمين بعده فى تنازع أمر الخلافه متدرّجا من ذلك إلى شرح حاله معهم فى معرض الشكايه من إزاحه أمر الخلافه عنه مع كونه أحقّ بها و انصبابهم على بيعه فلان-و هو كنايه عن أبى بكر-و إمساك يده عن القيام فى ذلك و الطلب للأمر إلى غايه ارتداد الناس فى زمن أبى بكر عن الإسلام و طمعهم فى محقّ الدين .ثمّ شرح حاله من الخوف على الإسلام و أهله أن ينثلم أو ينهدم فيكون المصيبه عليه فى هدم أصل الدين أعظم من فوت الولايه القصيره الأمد الّتى غايتها إصلاح فروع الدين و متمّماته. تشبيه و شبّه زوالها بزوال السراب و تقشّع السحاب ،و وجه الشبه سرعه الزوال و كونها لا أصل

ص:۲۰۲

لثباتها كما لا ـ ثبات لحقيقه السراب و وجود السحاب ،و قدّم ذكر الارتداد لغرض بيان فضيلته فى الإسلام،و لذلك عقّبه باقتصاص حال نهوضه فى تلك الأحداث الّتى وقعت من العرب إلى غايه زهوق الباطل و استقرار الدين و انتشاره .ثمّ أقسم أنّه لو لقيهم وحده و هم ملأ الأرض لم يكترث بهم و لم يستوحش منهم لأمرين:

أحدهما:علمه اليقين بأنّهم على الضلال و أنّه على الهدى.

الثانى:اشتياقه إلى لقاء ربّه و انتظاره و رجاؤه لثوابه.و هما يجريان مجرى ضميرين تقدير كبراهما:و كلّ من كان كذلك فلا يباليهم و لا يستوحش منهم.

و قوله :و لكنّنى آسى.

يجرى مجرى جواب سؤال مقدر كأنّه قيل:فإذا كنت تعلم أنّك و إيّاهم على الحالين المذكورين فلم تحزن من فعلهم؟فكأنّه قال:إنّى لا أحزن من لقائهم و حربهم و لكن أحزن أن تلى أمّه محمّد سفهاؤها و فجّارها.إلى قوله:حربا،و عنّى بالسفهاء بنى أميّه و أشياعهم .ثمّ نبّه على أنّهم مظنّه أن يفعلوا ذلك لو ولّوا هذا الأمر بقوله:فإنّ منهم.إلى قوله:الرضائخ.و الّذى شرب منهم فى المسلمين الحرام إشاره إلى المغيره بن شعبه لمّا شرب الخمر فى عهد عمر حين كان واليا من قبله على الكوفه فصلّى بالناس سكران و زاد فى الركعات و قاء الخمر فشهدوا عليه و جلد الحدّ،و كذلك عنبسه[عتبه]بن أبى سفيان جلده فى الخمر خالد بن عبيد اللّه بالطائف،و الّذى لم يسلم حتّى رضخت له الرضايخ قيل:هو أبو سفيان و ابنه معاويه و ذلك أنّهما كانا من المؤلّفه قلوبهم الّذين يستمالون إلى الدين و جهاد عدوّه بالعطاء.و قيل:هو عمرو بن العاص و لم يشتهر عنه مثل ذلك إلاّ ما حكاه عليه السّلام عنه من اشتراطه على معاويه طعمه مصر فى مساعدته بصفّين كما مرّ ذكره .ثمّ نبّههم على أنّ ما ذكره من الأسى هو السبب التامّ لتوبيخهم و تحريضهم على الجهاد،و لولا ذلك لتركهم إذ أبوا و ضعفوا .ثمّ نبّههم على فعل عدوّهم بهم و افتتاحه لأمصارهم و غرورهم ليستثير بذلك حميّه طباعهم .و لذلك أمرهم بعده بالنفور إلى قتال عدوّهم، و نهاهم عن التثاقل فى ذلك و نفّرهم عنه بما يلزمه من الإقرار بالخسف و الرجوع إلى

الـذلّ و خسّه النصـيب. كنـايه ثمّ نبّههم على من يكون أهلاـ للحرب و هو الأرق ،و كنّى به عن كبير الهمّه.إذ كان من لوازمه قلّه النوم .و نفّرهم عن ضعف الهمّه و التوانى فى الجهاد بما يلزم ذلك من طمع العدوّ فيهم بسكوتهم عنه،و الرقده عن مقاومته.

۶۲-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى أبى موسى الأشعرى،و هو عامله على الكوفه

،و قـد بلغه عنه تثبيطه الناس على الخروج إليه لما نـدبهم لحرب أصـحاب الجمل مِنْ عَبْـدِ اللَّهِ؟عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ إِلَى؟عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ؟- أَمَّا بَعْـدُ فَقَـدْ بَلَغَنِى عَنْكَ قَوْلٌ هُوَ لَكَ وَ عَلَيْكَ- فَإِذَا قَدِمَ رَسُولِى عَلَيْكَ فَارْفَعْ ذَيْلَكَ- وَ اشْدُدْ مِئْزَرَكَ وَ اخْرُجْ مِنْ جُحْرِكَ وَ انْـدُبْ مَنْ مَعَـكَ- فَإِنْ حَقَّقْتَ فَانْفُـذْ وَ إِنْ تَفَشَّلْتَ فَابْعُـدْ- وَ ايْمُ اللَّهِ لَتُؤْتَيَنَّ مِنْ حَيْثُ أَنْتَ- وَ لاَـ تُتْرَكُ حَتَّى يُخْلَطَ زُبْدُكَ بِخَاثِرِكَ- وَ ذَائِبُكَ بِجَامِـدِكَ- وَ حَتَّى تُعْجَـلَ عَنْ قِعْـدَتِكَ- وَ تَحْـذَرَ مِنْ أَمَامِـكَ كَحَـذَرِكَ مِنْ خَلْفِـكَ- وَ مَا هِيَ بِالْهُوَيْنَى الَّتِى تَرْجُو- وَ لَكِنَّهَا الدَّاهِيَهُ الْكُبْرَى- يُرْكَبُ جَمَلُهَا وَ يُذَلُّ صَـعْبُهَا وَ يُسَـهَّلُ جَبَلُهَا- فَاعْقِلْ عَقْلَكَ وَ امْلِكْ أَمْرَكَ وَ خُذْ نَصِيبَكَ وَ حَظَّكَ- فَإِنْ كَرِهْتَ فَتَنَحَّ إِلَى غَيْرِ رَحْبٍ وَ لاَ فِى نَجَاهٍ- فَبِالْحَرِيِّ لَتُكْفَيَنَّ وَ أَنْتَ نَائِمٌ حَتَّى لاَ يُقَالَ أَيْنَ فُلاَنٌ- وَ اللَّهِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مَعَ مُحِقٍّ وَ مَا أُبَالِى مَا صَنَعَ الْمُلْحِدُونَ

المعنى

أقول:روى عن أبى موسى أنّه كان حين مسير علىّ عليه السّلام إلى البصره و

استنفاره لأهل الكوفه إلى نصرته يثبّط الناس عنه و يقول:إنّها فتنه فلا يجوز القيام فيها،و يروى عن النبيّ صلّى اللّه عليه و آله أخبارا يتضمّن وجوب القعود عن الفتنه و الاعتزال فيها.فكتب إليه مع ابنه الحسن عليه السّلام هذا الكتاب.و القول الّذى بلغه عنه هو نهى الناس و تثبيطهم عن النهوض إليه،و ذلك قول هو له باعتبار ظاهر الدين و نهيه عن الخوض فى الفتن،و هو عليه من وجوه:

الأوّل:كان معلوما من همّه أنّه لم يقصد بذلك إلاّ قعود الناس عنه،و فهم منه ذلك.و هو خذلان للدين فى الحقيقه و هو عائد عليه بمضرّه العقوبه منه عليه السّلام و من اللّه تعالى فى الآخره.

الثانى:أنّه لمّا كان عليه السّلام على الحقّ فى حربه كان تثبيط أبى موسى عنه جهلا بحاله و ما يجب من نصرته و القول بالجهل عائد على القائل بالمضرّه.

الثالث:أنّه فى ذلك القول مناقض لغرضه لأنّه نهى عن الدخول مع الناس و مشاركتهم فى زمن الفتنه و روى خبرا يقتضى أنّه يجب القعود عنهم حينئذ مع أنّه كان أميرا يتهافت على الولايه و ذلك متناقض فكان عليه لاله.

ثمّ أمره عند قدوم رسوله عليه بأوامر على سبيل الوعيد و التهديد:

كنايه أحدها: أن يرفع ذيله و يشدّه مئزره .و هما كنايتان عن الاستعداد للقيام بواجب أمره و المسارعه إلى ذلك.

استعاره الثانى: أن يخرج من جحره .و أراد خروجه من الكوفه.و استعار له لفظ الجحر ملاحظه لشبهه بالثعلب و نحوه.

الثالث:أن يندب:أى يبعث من معه من العسكر و يدعوهم إلى الخروج.

و قوله:فإن حقّقت.

أى عرفت حقيقه أمرى و أنّى على الحقّ فانفذ.أى فامض فيما آمرك به،و إن تفشّلت:أى جبنت و ضعفت عن هذا الأمر و معرفته فاقعد عنه. كنايه ثمّ توعّده على تقدير قعوده و أقسم ليأتينّه بالمكان الّذى هو به من لا يتركه حتّى يخلط زبده بخاثره و ذائبه بجامده ،و هما مثلان كنّى بهما عن خلط أحواله الصافيه بالتكدير كعزّته

بذلّته و سروره بغمّه و سهوله أمره بصعوبته،و حتّى بعجله عن قعدته و هى هيئه قعوده و أراد غايه الإعجال ، استعاره بالكنايه و حتّى يكون حذره من أمامه كحذره من خلفه .و هو كنايه عن غايه الخوف.و إنّما جعل الحذر من الخلف أصلا فى التشبيه لكون الإنسان من ورائه أشدّ خوفا.و قيل:أراد حتّى يخاف من الدنيا كما يخاف من الآخره .

و قوله :و ما هى بالهوينا.

أى و ما القصّه المعهوده لك بالهيّنه السهله الّتى ترجو أن تكون فيها على اختيارك و لكنّها الداهيه الكبرى من دواهى الدهر و مصائبه.

و قوله:يركب جملها.أى يركب فيها، كنايه و يذلّ صعبها :أى يسهل الأمور الصعاب فيها.و هو كنايه عن شدّتها و صعوبتها .

ثمّ أردف وعيده و تحذيره بنصيحته و أمره بأوامر:

أحدها:أن يعقل عقله.و عقله يحتمل النصب على المصدر و هو أمر له أن يراجع عقله و يعتبر هذا الحال العظيمه دون هواه.و قيل:هو مفعول به:أى اضبط عقلك و احبسه على معرفه الحقّ من الباطل و لا تفرّقه فيما لا ينبغى.

الثانى:أن يملك أمره:أى شأنه و طريقته،و يصرفها على قانون العدل و الحقّ دون الباطل.

الثالث:أن يأخذ نصيبه و حظّه من طاعته و القيام بأمره فى نصرته و الذبّ عن دين اللّه.و قيل:أراد خذ ما قسّم لك من الحظّ و لا تتجاوز إلى ما ليس لك.

ثمّ أردف ذلك بأمره بالتنحىّ عن الولايه على تقدير كراهته لما ذكر و عدم امتثاله لما أمر.

و قوله:فبالحرىّ لتكفينّ.

أى فما أحذر أن يكفى هذه المئونه و أنت نائم عن طاعه اللّه حتّى لا يفتقد و لا يسأل عنك لعدم المبالاه بك .ثمّ أقسم أنّه لحقّ:أى الأمر المعهود الّذى فعله من حربه بالبصره،مع محقّ:أى صاحب محقّ لما يدّعيه،عالم به،لا يكترث بما صنع الملحدون فى دين اللّه من مخالفته لمعرفته أنّه على الحقّ دونهم.

ص:۲۰۶

۶۳-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى معاويه،جوابا

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّا كُنَّا نَحْنُ وَ أَنْتُمْ عَلَى مَا ذَكَرْتَ- مِنَ الْأُلْفَهِ وَ الْجَمَاعَهِ- فَفَرَّقَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ أَمْسِ أَنَّا آمَنَّا وَ كَفَرْتُمْ- وَ الْيَوْمَ أَنَّا اسْتَقَمْنَا وَ فُتِنْتُمْ- وَ مَا أَسْلَمَ مُسْلِمُكُمْ إِلاَّ كَرْهاً- وَ بَعْدَ أَنْ كَانَ أَنْفُ الْإِسْلاَمِ كُلُّهُ؟لِرَسُولِ اللَّهِ ص؟ حِزْباً وَ ذَكَرْتَ أَنِّي قَتَلْتُ؟طَلْحَهَ؟ وَ؟الزُّبَيْرَ؟- وَ شَرَّدْتُ؟بِعَائِشَهَ؟ وَ نَزَلْتُ بَيْنَ الْمِصْرَيْنِ- وَ ذَلِكَ أَمْرٌ غِبْتَ عَنْهُ فَلاَ عَلَيْكَ وَ لاَ الْعُذْرُ فِيهِ إِلَيْكَ- وَ ذَكَرْتَ أَنَّكَ زَائِرِي فِي الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ- وَ قَدِ انْقَطَعَتِ الْهِجْرَهُ يَوْمَ أُسِرَ أَخُوكَ- فَإِنْ كَانَ فِيهِ عَجَلٌ فَاسْتَرْفِهْ- فَإِنِّي إِنْ أَزُرْكَ فَذَلِكَ جَدِيرٌ- أَنْ يَكُونَ اللَّهُ إِنَّمَا بَعَثَنِي إِلَيْكَ لِلنِّقْمَهِ مِنْكَ- وَ إِنْ تَزُرْنِي فَكَمَا قَالَ أَخُو؟بَنِي أَسَدٍ؟- مُسْتَقْبِلِينَ رِيَاحَ الصَّيْفِ تَضْرِبُهُمْ بِحَاصِبٍ بَيْنَ أَغْوَارٍ وَ جُلْمُودِ

- وَ عِنْدِي السَّيْفُ الَّذِي أَعْضَضْتُهُ بِجَدِّكَ- وَ خَالِكَ وَ أَخِيكَ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ- وَ إِنَّكَ وَ اللَّهِ مَا عَلِمْتُ الْأَغْلَفُ الْقَلْبِ الْمُقَارِبُ الْعَقْلِ- وَ الْأَوْلَى أَنْ يُقَالَ لَكَ- إِنَّكَ رَقِيتَ سُلَّماً أَطْلَعَكَ مَطْلَعَ سُوءٍ عَلَيْكَ لاَ لَكَ- لِأَنَّكَ

ص:۲۰۷

نَشَدْتَ غَيْرَ ضَالَّتِكَ وَ رَعَيْتَ غَيْرَ سَائِمَتِكَ- وَ طَلَبْتَ أَمْراً لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَ لاَ فِي مَعْدِنِهِ- فَمَا أَبْعَدَ قَوْلَكَ مِنْ فِعْلِكَ- وَ قَرِيبٌ مَا أَشْبَهْتَ مِنْ أَعْمَامٍ وَ أَخْوَالٍ- حَمَلَتْهُمُ الشَّقَاوَةُ وَ تَمَنِّي الْبَاطِلِ عَلَى الْجُحُودِ؟بِمُحَمَّدٍ ص؟- فَصُرِعُوا مَصَارِعَهُمْ حَيْثُ عَلِمْتَ- لَمْ يَدْفَعُوا عَظِيماً وَ لَمْ يَمْنَعُوا حَرِيماً- بِوَقْعِ سُيُوفٍ مَا خَلاَ مِنْهَا الْوَغَى- وَ لَمْ تُمَاشِهَا الْهُوَيْنَى- وَ قَدْ أَكْثَرْتَ فِي قَتَلَهِ؟عُثْمَانَ؟- فَادْخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ ثُمَّ حَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَيَّ- أَحْمِلْكَ وَ إِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى- وَ أَمَّا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُ- فَإِنَّهَا خُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ فِي أَوَّلِ الْفِصَالِ- وَ السَّلاَمُ لِأَهْلِهِ

اللغه

أقول: أنف الإسلام : أوّله .و التشريد : الإبعاده .و استرفه : أى نفّس عنك من الرفاهيّه و هى السعه .و الأغوار : المنخفضه من الأرض .و أغصصت السيف بفلان : أى جعلته يغصّ به و هو من المغلوب لأنّ المضروب هو الّذى يغصّ بالسيف:

أى لا يكاد يسيغه.و يروى بالضاد المعجمه:أى جعلته عاضّا لهم .و المقارب-بالكسر-:

الّذى ليس بالتمام .

المعنى

و قد كان معاويه كتب إليه عليه السّلام يذكّره ما كانوا عليه قديما من الالفه و الجماعه،و ينسب إليه بعد ذلك قتل طلحه و الزبير و التشريد بعايشه و يتوعّده بالحرب و يطلب منه قتله عثمان.فأجابه عليه السّلام عن كلّ من ذلك بجواب:

أمّا الأوّل:فسلّم دعواه من القدر المشترك بينهم و هو الألفه و الجماعه قبل الإسلام و لكنّه ذكر الفارق و هو من وجوه:

أحدها:أنّه عليه السّلام فى أوّل الإسلام آمن فى جمله من أهل بيته،و معاويه و أهل بيته حينئذ كانوا كفّارا.

ص:۲۰۸

الثانی:أنّه علیه السّلام و أهل بیته فی آخر الأمر لم یزالوا مستقیمین علی الدین و معاویه و أهل بیته مفتونین جاهلین بفتنتهم.

استعاره الثالث :أنّ من أسلم من أهل بیته علیه السّلام أسلم طوعا،و مسلم أهل معاویه لم یسلم إلاّ کرها بعد أن اشتدّ الإسلام و صار للرسول صلّی اللّه علیه و آله حزب قویّ من أشراف العرب،و استعار لفظ أنف الإسلام لهم باعتبار کونهم أعزّاء أهله .و ممّن أسلم کرها أبو سفیان،و ذلک أنّه لمّا انتهی[أتی خ]رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی مکّه فی غزوه الفتح أتی لیلا فنزل بالبطحاء و ما حولها فخرج العبّاس بن عبد المطّلب علی بغله رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یدور حول مکّه فی طلب من یبعثه إلی قریش لیخرجوا إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و یعتذروا إلیه فلقی أبا سفیان فقال له:کن ردیفی لتمضی إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و نأخذ الأمان لک منه.فلمّا دخل علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عرض علیه الإسلام فأبی.فقال عمر:ائذن لی یا رسول اللّه لأضرب عنقه.و کان العبّاس یحامی عنه للقرابه فقال:

یا رسول اللّه إنّه یسلم غدا.فلمّا جاء الغد دخل به علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فعرض علیه الإسلام فأبی فقال له العبّاس فی السرّ:یا أبا سفیان اشهد أن «لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ» و اشهد أنّ محمّدا رسول اللّه و إن لم یکن ذلک فی قلبک فإنّه یأمر الآن بقتلک إن لم تقل.

فشهد الشهادتین علی کره لخوف القتل و قد رأی أکثر من عشره آلاف رجل حول رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قد تحزّبوا معه و اجتمعوا إلیه.فذلک معنی قوله:أمّا بعد.إلی قوله:حزبا.

الثانی :ما ادّعاه علیه من قتل طلحه و الزبیر و تشرید عایشه و النزول بین المصرین البصره و الکوفه،فأجاب عنه بقوله:و ذلک.إلی قوله:إلیک و هو فی قوّه ضمیر تقدیر کبراه:و کلّ من غاب عن أمر و لم یکن فیه مدخل فلیس تکلیفه علیه و لا العذر من التقصیر و التفریط فیه إلیه.

الثالث :ما توعّده به من زیارته فی المهاجرین و الأنصار،فأجابه بوجهین:

أحدهما:أنّه أوهم فی کلامه أنّه من المهاجرین فأکذبه بقوله:و قد انقطعت الهجره یوم أسر أبوک:أی حین الفتح،و ذلک أنّ معاویه و أباه و جماعه من أهله

إنّما أظهروا الإسلام بعد الفتح و قد قال صلّى اللّه عليه و آله:لا هجره بعد الفتح فلا يصدق عليهم إذن اسم المهاجرين.و سمّى عليه السّلام أخذ العبّاس لأبى سفيان إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله غير مختار و عرضه على القتل أسرا.و روى يوم اسر أخوك.و قد كان اسر أخوه عمرو بن أبى سفيان يوم بدر.فعلى هذه الروايه يكون الكلام فى معرض التذكره له بأنّ من شأنه و شأن أهله أن يؤسروا أوّلا فيسلموا فكيف يدّعون مع ذلك الهجره فإنّ الهجره بهذه الاعتبار منقطعه عنهم.و لا يكون-يوم اسر- ظرفا لانقطاع الهجره لأنّ الهجره انقطعت بعد الفتح.

الثانى :مقابله وعيده بوعيد مثله و هو فوله:فإن كان.إلى قوله:مقام واحد.و أراد إن كنت مستعجلا فى مسيرك إلىّ فاطلب الرفاهيّه على نفسك فى ذلك فإنّك إنّما تستعجل إلى ما يضرّك،و نبّه على ذلك تشبيه بقوله: فإنّى.إلى قوله:

واحد ،و هو فى قوّه صغرى ضمير و وجه التمثيل بالبيت أنّه شبّه استقبال معاويه فى جمعه له باستقبالهم رياح الصيف،و شبّه نفسه برياح الصيف و جعل وجه المشابهه كونه عليه السّلام يضرب وجوههم فى الحرب بالسيوف و الرماح كما تضرب رياح الصيف وجوه مستقبليها بالحصباء ،و قد بيّنا أنّه عليه السّلام قتل جدّ معاويه و هو عتبه،و خاله الوليد بن عتبه،و أخاه حنظله بن أبى سفيان.و تقدير الكبرى:و كلّ من كان كذلك فمن الواجب ان يحذر منه ولايتوعد بحرب و قتال.

استعاره و قوله : و إنّك و اللّه.إلى قوله:الهوينا .

توبيخ مشوب بتهديد،و ما فى قوله:و ما علمت.موصوله،و استعار لفظ الأغلف لقلبه،و وجه الاستعاره أنّه محجوب بالهيئات البدنيّه و أغشيه الباطل عن قبول الحقّ و فهمه فكأنّه فى غلاف منها،و وصف المقاربه فى عقله لاختياره الباطل.

استعاره مرشحه ثمّ أعلمه على سبيل التوبيخ بما الأولى أن يقال فى حاله.و استعار لفظ السلّم للأحوال الّتى ركبها و المنزله الّتى طلبها،و رشّح بذكر الارتقاء و الإطلاع.المطلع مصدر،و يجوز أن يكون اسم الموضع و احتجّ لصحّه قوله بقوله: لأنّك:إلى قوله:

معدنه ،و استعار الضالّه و السائمه لمرتبته الّتى ينبغى له أن يطلبها و يقف عندها.و

ما هو غيرها هو أمر الخلافه.إذ ليس من أهلها.و رشّح بذكر النشيد و الرعى.

ثمّ تعجّب من بعد ما بيّن قوله و فعله و ذلک أنّ مدار قوله فى الظاهر على طلب قتله عثمان و إنكار المنكر كما ادّعاه،و مدار فعله و حركاته على التغليب فى الملک و البغى على الإمام العادل و شتّان ما هما. تشبيه ثمّ حكم بقرب شبهه بأعمامه و أخواله .

و ما مصدريه و المصدر مبتدأ خبره قريب.فمن أهل الشقاوه من جهه عمومته حمّاله الحطب و من جهه خؤولته الوليد بن عتبه.و إنّما أنكر الأعمام و الأخوال لأنّه لم يكن له أعمام و أخوال كثيرون و الجمع المنكر جاز أن يعبّر به عن الواحد و الاثنين للمبالغه مجازا فى معرض الشناعه،و لا كذلک الجمع المعرّف،و أشار إلى وجه الشبه بقوله:حملتهم.إلى قوله:الهوينا .و موضع قوله:حملتهم.الجرّ صفه لأخوال و أراد الشقّاوه المكتوبه عليهم فى الدنيا و الآخره الّتى استعدّوا لها بجحود محمّد صلّى اللّه عليه و آله و تمنّى الباطل هو ما كانوا يتمنّونه و يبذلون أنفسهم و أموالهم فيه من قهر الرسول صلّى اللّه عليه و آله و إطفاء نور النبوّه و إقامه أمر الشرک.

و قوله:بوقع.

متعلّق بقوله:فصرعوا.و ما خلاصفه لسيوف. استعاره و لفظ المماشاه مستعار.و المراد أنّ تلک السيوف لم يلحق ضربها و وقعها هون و لا سهوله و لم يجر معها،و روى لم يماسّها بالسين المهمله من المماسّه:أى لم يخالطها شىء من ذلک .

الرابع:طلبه لقتله عثمان و أجابه بقوله:فادخل.إلى آخره،و أراد فيما دخل فيه الناس من الطاعه و البيعه.و صدق الجواب ظاهر لأنّه لا بدّ للمتحاكمين من حاكم و هو عليه السّلام يومئذ الحاكم الحقّ فليس لمعاويه أن يطلب منه إذن قوما منهم المهاجرون و الأنصار ليسلّمهم إليه حتّى يقتلهم من غير محاكمه بل يجب أن يدخل فى طاعته و يجرى عليه أحكامه ليحاكم القوم إليه فإمّا له و إمّا عليه.

و قوله:و أمّا تلک الّتى تريد.

أى الخدعه عن الشام لغرض إقراره على إمارتها.و وجه مشابهتها بخدعه الصبىّ ضعفها و ظهور كونها خدعه لكلّ أحد.و إنّما قال:و السّلام لأهله.لأنّ

معاويه لم يكن فى نظره من أهله.و باللّه التوفيق.

۶۴-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إليه أيضا

أَمَّا بَعْدُ- فَقَدْ آنَ لَکَ أَنْ تَنْتَفِعَ بِاللَّمْحِ الْبَاصِرِ مِنْ عِيَانِ الْأُمُورِ- فَقَدْ سَلَكْتَ مَدَارِجَ أَسْلَافِکَ بِادِّعَائِکَ الْأَبَاطِيلَ- وَ اقْتِحَامِکَ غُرُورَ الْمَيْنِ وَ الْأَكَاذِيبِ وَ بِانْتِحَالِکَ مَا قَدْ عَلَا عَنْکَ- وَ ابْتِزَازِکَ لِمَا قَدِ اخْتُزِنَ دُونَکَ- فِرَاراً مِنَ الْحَقِّ- وَ جُحُوداً لِمَا هُوَ أَلْزَمُ لَکَ مِنْ لَحْمِکَ وَ دَمِکَ- مِمَّا قَدْ وَعَاهُ سَمْعُکَ- وَ مُلِئَ بِهِ صَدْرُکَ- فَمَا ذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ الْمُبِينُ- وَ بَعْدَ الْبَيَانِ إِلَّا اللَّبْسُ- فَاحْذَرِ الشُّبْهَهَ وَ اشْتِمَالَهَا عَلَى لُبْسَتِهَا- فَإِنَّ الْفِتْنَهَ طَالَمَا أَغْدَفَتْ جَلَابِيبَهَا- وَ أَغْشَتِ الْأَبْصَارَ ظُلْمَتُهَا- وَ قَدْ أَتَانِی کِتَابٌ مِنْکَ ذُو أَفَانِينَ مِنَ الْقَوْلِ- ضَعُفَتْ قُوَاهَا عَنِ السِّلْمِ- وَ أَسَاطِيرَ لَمْ يَحُکْهَا مِنْکَ عِلْمٌ وَ لَا حِلْمٌ- أَصْبَحْتَ مِنْهَا کَالْخَائِضِ فِی الدَّهَاسِ- وَ الْخَابِطِ فِی الدِّيمَاسِ- وَ تَرَقَّيْتَ إِلَى مَرْقَبَهٍ بَعِيدَهِ الْمَرَامِ- نَازِحَهِ الْأَعْلَامِ- تَقْصُرُ دُونَهَا الْأَنُوقُ- وَ يُحَاذَى بِهَا الْعَيُّوقُ- وَ حَاشَ لِلَّهِ أَنْ تَلِیَ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدِی صَدْراً أَوْ وِرْداً- أَوْ أُجْرِیَ لَکَ عَلَى

ص:۲۱۲

أَحَدٍ مِنْهُمْ عَقْداً أَوْ عَهْداً- فَمِنَ الْآنَ فَتَدَارَكْ نَفْسَكَ وَ انْظُرْ لَهَا- فَإِنَّكَ إِنْ فَرَّطْتَ حَتَّى يَنْهَدَ إِلَيْكَ عِبَادُ اللَّهِ- أُرْتِجَتْ عَلَيْكَ الْأُمُورُ- وَ مُنِعْتَ أَمْراً هُوَ مِنْكَ الْيَوْمَ مَقْبُولٌ وَ السَّلَامُ

اللغه

أقول: المدارج : المسالک و المذاهب جمع مدرجه .و الإقحام : الدخول فی الشیء بسرعه من غیر رویّه .و انتحل الکلام : ادّعاه لنفسه و لیس له .و الابتزاز:

الاستلاب .و اغدفت المرأه جلبابها : أرسلته على وجهها .و التفنّن: التخلیط و التنویع .و الأساطیر : الأباطیل جمع اسطوره بالضمّ و إسطاره بالکسر .و الدهاس:

المکان السهل اللیّن دون الرمل .و الدیماس : المکان شدید الظلمه،و کالسراب و نحوه.

و المرقبه : موضع مشرف یرتفع علیه الراصد و الأنوق : الرخمه .و العیّوق : نجم معروف .و تنهد : تنهض .و أرتجت : أغلقت .

المعنى

و الکتاب جواب أیضا .

فقوله: أمّا بعد .إلى قوله: الأمور .

تنبیه له على وجوب الاتّعاظ و الانزجار عن دعوى ما لیس له.و المراد أنّه قد حضر وقت انتفاعک من عیان الأمور و مشاهدتها بلمحک الباصر. استعاره و لفظ اللمح مستعار لدرک الأمور النافعه بخفّه و سرعه ،و روى عیون الأمور:أی أنفسها و حقائقها الّتی هی موارد اللمح و الاعتبار،و وصفه بالباصر مبالغه فی الإبصار کقولهم:

لیل ألیل.

و قوله:فقد سلکت.إلى قوله:اللبس.

إشاره إلى سبب حاجته إلى التنبیه المذکور و هو سلوکه طرایق أسلافه بالأمور الأربعه المذکوره فادّعاؤه الأباطیل ادّعاؤه ما لیس له بحقّ حقّا من دم عثمان و طلحه و الزبیر و غیر ذلک،و اقتحامه لغرور الأکاذیب دخوله فی الغفله عن سوء عاقبتها.و أکاذیبه فی دعاویه ظاهره.و ما قد علا عنه هو أمر الخلافه ،و ما اختزن

دونه فابتزّه هو مال المسلمين و بلادهم الّتى يغلب عليها.و أراد أنّه اختزن بالاستحقاق من اللّه.و فرارا و جحودا مصدران سدّا مسدّ الحال،و ما هو ألزم له من لحمه و دمه ممّا قد وعاه سمعه عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و امتلأ به صدره علما فى مواطن كغدير خمّ و غيره هو وجوب طاعته،و إنّما كان ألزم له من لحمه و دمه لأنّهما دائما فى التغيّر و التبدّل و وجوب طاعته أمر لازم لنفسه لا يجوز تغيّره و تبدّله، مجاز إطلاقا لاسم المتعلّق على المتعلّق و تجوّز بلفظ الصدر فى القلب إطلاقا لاسم المتعلّق على المتعلّق ،و أشار بالآيه إلى أنّ الحقّ الّذى علمته لى ليس وراءه لمن تعدّاه إلاّ الضلال و الهلاك لأنّ الحقّ حدّ من تجاوزه وقع فى أحد طرفى الإفراط و التفريط،و كذلك ليس بعد البيان الّذى بيّن لك فى أمرى إلاّ اللبس .ثمّ حذّره الشبهه و اشتمالها على لبستها.و الشبهه دم عثمان. استعاره و لفظ اللبسه مستعار للداخلين فيها ملاحظه لشبهها بالقميص و نحوه ،و علّل تحذيره إيّاه و وجوب وقوفه دونها بقوله:فإنّ الفتنه.إلى قوله:ظلمتها.و هو صغرى ضمير استعاره و استعار لفظ الجلابيب لأمورها المغطيه لبصائر أهلها عن الحقّ كما لا تبصر المرأه عند إرسال جلبابها على وجهها . استعاره مرشحه و كذلك استعار لفظ الظلمه باعتبار التباس الأمور فيها و عدم التهدّى إلى الحقّ كالظلمه الّتى لا يهتدى فيها،و رشّح بذكر الإغداف و الإعشاء .ثمّ شرع فى أحوال كتابه فبدء بذمّه.و لمّا كان مداره على اللفظ و المعنى أشار إلى ذمّ اللفظ بأنّه ذو أفانين من القول:أى أنّه أقوال ملفّقه لا يناسب بعضها بعضا.

و قوله: ضعفت قواها عن السلم .

أى ليس لها قوّه أن يوجب صلحا.و أشار إلى ذمّ المعنى بأنّه أباطيل غير محكمه النسج لا من جهه العلم إذ لا علم له و لا من جهه الحلم لأنّ الكتاب كان فيه خشونه و تهوّر و ذلك ينافى الحلم و ينافى غرضه من الصلح. استعاره و لفظ الحوك مستعار لسبك الكلام .

تشبيه و قوله:أصبحت منها.

صفه لأساطير،و وجه شبهه بالخائض و الخابط ضلاله و عدم هدايته إلى وجه

ص:۲۱۴

الحقّ كما لا يهتدى حائض الدهاس و خابط الديماس فيهما .ثمّ شرع فى جوابه و كان مقصوده فى كتابه أن ينصّ عليه بالخلافه بعده ليبايعه فوبّخه أوّلا على طلبه أمرا ليس من أهله استعاره مرشحه بقوله: و ترقّيت.إلى قوله:العيّوق .و لفظ المرقبه مستعار لأمر الخلافه.و رشّح بلفظ الترقّى و الأوصاف الأربعه بعدها لأنّها من شأن المرقبه التامّه،و إنّما خصّ الأنوق لأنّها تقصد الأماكن العاليه الصعبه من رءوس الجبال فيبنى أو كارها هناك .ثمّ صرفه عن المطلوب بتنزيه اللّه سبحانه أن يلى من بعده للمسلمين خروجا أو دخولا فى أمر من أمورهم،أو أن يجرى على أحد منهم له عقدا أو عهدا.و العقد كالنكاح و البيوع و الإجاره،و العهد كالبيعه و الأمان و اليمين و الذمّه:أى لا يمكنه من ذلك ،و لمّا آيسه من المطلوب أمره بتدارك نفسه بالنظر لها فيما هو مصلحتها من طاعته،و توعّده على تقصيره فى ذلك بما يلزم تقصيره من نهوض عباد اللّه إليه و انغلاق الأمور حينئذ و منعه العذر الّذى هو منه الآن مقبول.و باللّه التوفيق.

۶۵-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى عبد اللّه بن العباس

،و قد تقدم ذكره بخلاف هذه الروايه أَمَّا بَعْدُ- فَإِنَّ الْمَرْءَ لَيَفْرَحُ بِالشَّيْءِ الَّذِی لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ- وَ يَحْزَنُ عَلَى الشَّيْءِ الَّذِی لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ- فَلاَ يَكُنْ أَفْضَلَ مَا نِلْتَ فِی نَفْسِكَ- مِنْ دُنْيَاكَ بُلُوغُ لَذَّهٍ- أَوْ شِفَاءُ غَيْظٍ- وَ لَكِنْ إِطْفَاءُ بَاطِلٍ أَوْ إِحْيَاءُ حَقٍّ-وَ لْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا قَدَّمْتَ- وَ أَسَفُكَ عَلَى مَا خَلَّفْتَ- وَ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ

المعنى

أقول:قد سبق شرحه إلاّ كلمات يسيره فيه :

ص:۲۱۵

منها:أنّه نبّهه على لزوم فضيلتى العفّه و الحلم بالنهى عن أن يجعل بلوغ لـذّته من دنياه أو شـفاء غيظه اللـذين هما طرفا الإفراط و التفريط من الفضيلتين المـذكورتين أفضـل مـا نال منها فى نفسه .ثمّ نبّهه على ما ينبغى أن يكون أفضل فى نفسه من دنياه و هو إطفاء الباطل و إحياء الحقّ.و إطفاء الباطل تنبيه على وجه استعمال قوّتى الشهوه و الغضب و هو أن يكون الغرض من فعلها دفع الضروره و بقدر الحاجه.

و منها :أنّه أمره فى الروايه الاولى أن يكون فرحه بما نال من آخرته،و أمره هنا أن يكون سروره بما قدّم لنفسه من زاد التقوى و هو أمر بمقدّمه الآخره.

و أمره فى الروايه الأولى أن يكون أسفه على ما فات من آخرته،و أمره هنا أن يكون أسفه على ما خلّف:أى ترك من العمل.و باللّه التوفيق.

۶۶-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى قثم بن العباس،و هو عامله على مكه

أَمَّا بَعْدُ فَأَقِمْ لِلنَّاسِ الْحَجَّ- «وَ ذَكِّرْهُمْ بِأَيّامِ اللّهِ» - وَ اجْلِسْ لَهُمُ الْعَصْرَيْنِ فَأَفْتِ الْمُسْتَفْتِيَ- وَ عَلِّمِ الْجَاهِلَ وَ ذَاكِرِ الْعَالِمَ- وَ لاَ يَكُنْ لَكَ إِلَى النَّاسِ سَفِيرٌ إِلاَّ لِسَانُكَ- وَ لاَ حَاجِبٌ إِلاَّ وَجْهُكَ- وَ لاَ تَحْجُبَنَّ ذَا حَاجَهٍ عَنْ لِقَائِكَ بِهَا- فَإِنَّهَا إِنْ ذِيدَتْ عَنْ أَبْوَابِكَ فِي أَوَّلِ وِرْدِهَا- لَمْ تُحْمَدْ فِيمَا بَعْدُ عَلَى قَضَائِهَا- وَ انْظُرْ إِلَى مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِ اللَّهِ- فَاصْرِفْهُ إِلَى مَنْ قِبَلَكَ مِنْ ذَوِي الْعِيَالِ وَ الْمَجَاعَهِ- مُصِيباً بِهِ مَوَاضِعَ الْفَاقَهِ وَ الْخَلاَّتِ- وَ مَا فَضَلَ عَنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ إِلَيْنَا لِنَقْسِمَهُ فِيمَنْ قِبَلَنَا-

وَ مُرْ أَهْلَ ؟مَكّهَ؟ أَلاّ يَأْخُذُوا مِنْ سَاكِنٍ أَجْراً- فَإِنَّ اللّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ- «سَواءً الْعاكِفُ فِيهِ وَ الْبادِ» - فَالْعَاكِفُ الْمُقِيمُ بِهِ- وَ الْبَادِى الَّذِى يَحُجُّ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ- وَفَّقَنَا اللّهُ وَ إِيَّاكُمْ لِمَحَابِّهِ وَ السَّلاَمُ

اللغه

أقول: ذيدت : ردّت .و الخلّه : الحاجه .

و فيه مقاصد :

أحدها:أمره بإقامه الحجّ للناس.

و إقامته القيام بأعماله،و تعليم الجاهلين كيفيّته،و جمعهم عليه.

الثانى:

مجازا إطلاقا لاسم المتعلّق على المتعلّق أن يذكّرهم بأيّام اللّه :أى عقوباته الّتى وقعت بمن سلف من المستحقّين لها كى يحترزوا بطاعته من أمثالها.و عبّر عنها بالأيّام مجازا إطلاقا لاسم المتعلّق على المتعلّق .

الثالث:أن يجلس لهم العصرين

:أى الغداه و العشىّ لكونهما أطيب الأوقات بالحجاز،و أشار إلى أعظم فوائد جلوسه فى الوقتين و هى فايده العلم،و حصره وجوه حاجه أهلها إليها و أمره بسدّ تلك الوجوه،و بيان الحصر أنّ الناس إمّا غير عالم أو عالم،و غير العالم إمّا مقلّد أو متعلّم طالب،و العالم إمّا هو أو غيره.فهذه أقسام أربعه.فوجه حاجه القسم الأوّل و هو الجاهل المقلّد أن يستفتى فأمره أن يفتيه،و وجه حاجه الثانى و هو المتعلّم الجاهل أن يتعلّم فأمره أن يعلّمه،و وجه حاجه الثالث هو مع الرابع و هو العالم أن يتذاكرا فأمره بالمذاكره له .

الرابع:

نهاه أن يجعل له إلى الناس سفيرا يعبر عنه إلاّ لسانه،و لا حاجبا إلاّ وجهه لأنّ ذلك مظنّه الكبر و الجهل بأحوال الناس الّتى يجب على الوالى الإحاطه بها بقدر الإمكان.و إلاّ للحصر و ما بعدها خبر كان.

الخامس:

نهاه أن يحجب أحدا عن لقائه،بحاجته مؤكّدا لما سبق،و رغبّه فى ملاقات ذى الحاجه بضمير صغراه قوله:فإنّها.إلى

قوله:قضائها:أی لم تحمد

ص:۲۱۷

فيما بعد و إن قضيتها له،و تقدير الكبرى:و كلّ أمر كان كذلك فلا ينبغى أن يحجب صاحبه عن لقائك به و يذاد عن أبوابك فى أوّل ورده .

السادس:

أمره أن يعتبر مال بيت المسلمين و يصرفه فى مصارفه متوخّيا بذلك الأحوج فالأحوج و يحمل الباقى إليه.و مصيبا حال.و روى:مواضع المفاقر.

و الإضافه لتغاير اللفظين .

السابع:

أمره بنهى أهل مكّه عن أخذ الاجره ممّن يسكن بيوتهم و احتجّ لذلك بالآيه مفسّرا لها،و هى صغرى ضمير.و تقدير كبراه:و كلّما قال اللّه فيه ذلك لم يجز مخالفته.ثمّ ختم بالدعاء لنفسه و له أن يوفّقهما لمحابّه.و به التوفيق لذلك.

۶۷-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى سلمان الفارسى رحمه اللّه قبل أيام خلافته

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّهِ- لَيِّنٌ مَسُّهَا قَاتِلٌ سَمُّهَا- فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا- لِقِلَّهِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا- وَ ضَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا- لِمَا أَيْقَنْتَ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا- وَ تَصَرُّفِ حَالاَتِهَا- وَ كُنْ آنَسَ مَا تَكُونُ بِهَا أَحْذَرَ مَا تَكُونُ مِنْهَا- فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا اطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُورٍ- أَشْخَصَتْهُ عَنْهُ إِلَى مَحْذُورٍ

اللغه

أقول: أشخصته : أذهبته .

المعنى

و مدار الفصل على الموعظه و ذمّ الدنيا،و ضرب لها مثلا،و ذكر من وجوه الشبه من جانب الممثّل به أمرين:

أحدهما:ليّن المسّ و تماثله من جانب الدنيا رفاهيّه العيش و لذّاته.

و الثانى:قتل سمّها و يماثله من الدنيا هلاك المنهمكين فى لذّاتها يوم القيامه ثمّ أمره فى مقامه بها بأوامر:

أحدها:أن يعرض عمّا يعجبه منها.و علّل وجوب إعراضه بقوله:لقلّه ما يصحبك منها،و هى صغرى ضمير تقديرها:ما يصحبك منها قليل،و تقدير كبراه:و كلّما كان كذلك فينبغى أن يعرض عنه.

الثانى:أن يضع عنه هموم طلبها،و علّل وجوب ذلك بضمير صغراه قوله:لما أيقنت من فراقها:أى لأنك متيقّن لفراقها.و تقدير كبراه:و كلّما تيقّنت فراقه فواجب أن تضع همّك عن طلبه .

الثالث:أن يكون آنس ما يكون بها أحذر ما يكون منها.و ما مصدريّه،و آنس ينصب على الحال،و أحذر خبر كان:أى فى حال كونك آنس بها كن أحذر ما تكون منها.و الغرض أن يحذر منها بقدر جهده و لا يأنس بها.و علّل وجوب الحذر منها بقوله:فإنّ صاحبها.إلى آخره.و هو صغرى ضمير تقديرها:فإنّها كلّما اطمأنّ صاحبها فيها.إلى آخره.و تقدير كبراه:و كلّما كان كذلك فيجب أن يحذر صاحبه منه و لا يأنس إليه ينتج فالدنيا يجب أن يحذر صاحبها منها.

۶۸-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى الحارث الهمدانى

وَ تَمَسَّكْ بِحَبْلِ؟الْقُرْآنِ؟ وَ انْتَصِحْهُ وَ أَحِلَّ حَلاَلَهُ وَ حَرِّمْ حَرَامَهُ- وَ صَدِّقْ بِمَا سَلَفَ مِنَ الْحَقِّ- وَ اعْتَبِرْ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا لِمَا بَقِيَ مِنْهَا- فَإِنَّ بَعْضَهَا يُشْبِهُ بَعْضاً- وَ آخِرَهَا لاَحِقٌ بِأَوَّلِهَا- وَ كُلُّهَا حَائِلٌ مُفَارِقٌ- وَ عَظِّمِ اسْمَ اللَّهِ أَنْ تَذْكُرَهُ إِلاَّ عَلَى حَقٍّ- وَ أَكْثِرْ ذِكْرَ الْمَوْتِ وَ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ- وَ لاَ تَتَمَنَّ الْمَوْتَ إِلاَّ بِشَرْطٍ وَثِيقٍ- وَ احْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ- وَ يُكْرَهُ لِعَامَّهِ الْمُسْلِمِينَ- وَ احْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ فِي السِّرِّ- وَ يُسْتَحَى مِنْهُ فِي الْعَلاَنِيَهِ

وَ احْـذَرْ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ صَاحِبُهُ أَنْكَرَهُ أَوْ اعْتَـذَرَ مِنْهُ- وَ لاَ تَجْعَلْ عِرْضَكَ غَرَضاً لِنِبَالِ الْقَوْلِ- وَ لاَ تُحَـدِّثِ النَّاسَ بِكَلِّ مَا سَمِعْتَ بِهِ- فَكَفَى بِـذَلِكَ كَـذِباً- وَ لاَ تَرُدَّ عَلَى النَّاسِ كُلَّ مَا حَـدَّثُوكَ بِهِ- فَكَفَى بِـذَلِكَ جَهْلاً- وَ اكْظِمِ الْغَيْـظَ وَ احْلُمْ عِنْدَ الْغَضَبِ- وَ تَجَاوَزْ عِنْدَ الْمَقْدِرَهِ- وَ اصْـفَحْ مَعَ الدَّوْلَهِ تَكُنْ لَکَ الْعَاقِبَهُ- وَ اسْتَصْلِحْ كُلَّ نِعْمَهٍ أَنْعَمَهَا اللَّهُ عَلَيْكَ- وَ لاَ تُضَيِّعَنَّ نِعْمَهً مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عِنْدَکَ- وَ لْيُرَ عَلَيْكَ أَثَرُ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ- وَ اعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ الْمُؤْمِنِينَ- أَفْضَـلُهُمْ تَقْدِمَهً مِنْ نَفْسِهِ وَ أَهْلِهِ وَ مَالِهِ- فَإِنَّکَ مَا تُقَـدِّمْ مِنْ خَيْرٍ يَبْقَ لَکَ ذُخْرُهُ- وَ مَا تُـؤَخِّرْهُ يَكُنْ لِغَيْرِکَ خَيْرُهُ- وَ احْـذَرْ صَحَابَهَ مَنْ يَفِيـلُ رَأْيُهُ- وَ يُنْكَرُ عَمَلُهُ فَإِنَّ الصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ بِصَاحِبِهِ- وَ اسْـكُنِ الْأَمْصَارَ الْعِظَامَ فَإِنَّهَا جِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ- وَ احْذَرْ مَنَازِلَ الْغَفْلَهِ وَ الْجَفَاءِ- وَ قِلَّهَ الْأَعْوَانِ عَلَى طَاعَهِ اللَّهِ- وَ اقْصُـرْ رَأْيَکَ عَلَى مَا يَعْنِيکَ- وَ إِيَّاکَ وَ مَقَاعِـدَ الْأَسْوَاقِ- فَإِنَّهَا مَحَاضِـرُ الشَّيْطَانِ وَ مَعَارِيضُ الْفِتَنِ- وَ أَكْثِرْ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مَنْ فُضِّلْتَ عَلَيْهِ- فَإِنَّ ذَلِکَ مِنْ أَبْوَابِ الشُّكْرِ- وَ لاَ تُسَافِرْ فِى يَوْمِ جُمُعَهٍ حَتَّى تَشْـهَدَ الصَّلاَهَ- إِلاَّ فَاصِـلاً فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ فِى أَمْرٍ تُعْذَرُ بِهِ- وَ أَطِعِ اللَّهَ فِى جَمِيعِ أُمُورِکَ- فَإِنَّ طَاعَهَ اللَّهِ فَاضِلَهٌ عَلَى مَا سِوَاهَا- وَ خَادِعْ نَفْسَکَ فِى الْعِبَادَهِ وَ ارْفُقْ

بِهَا وَ لاَ تَقْهَرْهَا- وَ خُذْ عَفْوَهَا وَ نَشَاطَهَا- إِلاَّ مَا كَانَ مَكْتُوباً عَلَيْکَ مِنَ الْفَرِيضَهِ- فَإِنَّهُ لاَ بُدَّ مِنْ قَضَائِهَا وَ تَعَاهُدِهَا عِنْدَ مَحِلِّهَا- وَ إِيَّاکَ أَنْ يَنْزِلَ بِکَ الْمَوْتُ- وَ أَنْتَ آبِقٌ مِنْ رَبِّکَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا- وَ إِيَّاکَ وَ مُصَاحَبَهَ الْفُسَّاقِ- فَإِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ- وَ وَقِّرِ اللَّهَ وَ أَحْبِبْ أَحِبَّاءَهُ- وَ احْذَرِ الْغَضَبَ فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ؟إِبْلِيسَ؟ أقول:هذا الفصل من كتاب طويل إليه.

المعنى

اشاره

و قد أمره فيه بأوامره و زجره بزواجره مدارها على تعليم مكارم الأخلاق و محاسن الآداب.

أحدها:

استعاره أن يتمسّک بحبل القرآن .و لفظ الحبل مستعار كما سبق.و أراد لزوم العمل به .

الثانی:أن ينتصحه

:أی يتّخذه ناصحا له بحيث يقبل أمره و شوره لأنّه يهدی إلى الحقّ و إلى صراط مستقيم.

الثالث:أن يحلّ حلاله و يحرّم حرامه.

و ذلک أن يعتقد ما فيه من الحلال و الحرام حلالا و حراما و يقف عند اعتقاده و يعمل بمقتضاه.

الرابع:أن يصدّق بما سلف من الحقّ

ممّا حكاه القرآن الكريم من أحوال القرون الماضيه و أحوال الأنبياء مع أممهم ليصحّ منه الاعتبار.

الخامس:أن يعتبر ماضی الدنيا بباقيها

و يقيسه به فيجعل ما مضى أصلا و ما يبقى فرعا و يحذو القدر المشترک بينهما من العلّه و هو كونها مظنّه التغيّر و الزوال فيحكم فی الفرع بحكم الأصل من وجوب الزوال،و قد نبّه على المشترک بقوله:

فإنّ بعضها يشبه بعضا.و على ما يلزم ذلک فی الفرع بقوله:و آخرها لاحق بأوّلها و كلّها حائل:أی زائل مفارق .

السادس:أن يعظّم اسم اللّه و يكبّره

أن يذكره حالفا إلاّ على حقّ.

ص:٢٢١

السابع:أن يكثر ذكر الموت و ما بعده

فإنّ فى ذكرهما أعظم واعظ و أشدّ زاجر عن الدنيا.

الثامن:نهاه أن يتمنّى الموت إلاّ بشرط وثيق

من نفسه يطمئنّ إليه فى طاعه اللّه و ولايته فإنّ تمنّيه بدون ذلك سفه و حمق.

التاسع:أمره أن يحذر كلّ عمل يرضاه لنفسه و يكره للمسلمين

و هو فى المعنى نهى عن الاستيثار عليهم بالمكاره و لنفسه بالخيرات و هو كقوله:ردّ للناس ما تريد لنفسك و اكره لهم ما تكرهه لها.

العاشر:أن يحذر ما يعمله فى السرّ و يستحيى منه فى العلانيه.

و الإشاره إلى معاصى اللّه و مفارقه الدنايا من المباحات ،و كذلك كلّ عمل من شأنه أن ينكره إذا سئل عنه و يعتذر منه.

الحادى عشر:

استعاره أن يحفظ عرضه و نهاه أن يجعله غرضا .و استعار لفظ الغرض و النبال لما يرمى به من القول:و قد سبق وجه الاستعاره .

الثانى عشر:أن يحدّث الناس بكلّ ما سمع

على وجه أن يقول:كان كذا و كذا دون أن يقول:سمعت فلانا يقول:كذا.فإنّ بينهما فرقا.و لذلك قال:و كفى بذلك كذبا.لأنّه جاز أن يكون ما سمع فى نفس الأمر كذبا فيكون قد كذب فى قوله:كان كذا.و قوله:سمعت كذا.لا يكون كذبا إلاّ على وجه آخر.

الثالث عشر:أن لا يردّ كلّ ما يحدّث به الناس

و يقابله بالتكذيب و الإنكار لأنّه جاز أن يكون حقّا فيحصل من إنكاره جهل بحقّ،و قوله:فكفى.فى الموضعين صغرى ضمير تقدير كبرى الأوّل:و كلّما كفى به كذبا فينبغى أن لا يتحدّث به.

و تقدیر کبری الثانی:و کلّما کفی بردّه جهلا وجب أن لا یردّ .

الرابع عشر:أمره بکظم الغیظ.و الحلم و التجاوز و الصفح

هی فضائل تحت ملکه الشجاعه و شرطها بوجود الغضب و القدره و الدوله فیسمّی حلما و تجاوزا و صفحا و إلاّ لم یصدق علیها الاسم.

و قوله:تکن لک العاقبه.

ص:۲۲۲

أی العاقبه الحسنه من ذلک،و هی صغری ضمیر تقدیرها:فإنّ فاعل هذه الخصال یکون له العاقبه منها،و تقدیر الکبری:و کلّما کانت له العاقبه الحسنه منها فیجب أن یفعلها.

الخامس عشر:أن یستصلح کلّ نعمه للّه تعالی

علیه بمداومه الشکر .

السادس عشر:أن لا یضیّع من نعمه اللّه تعالی نعمه:

أی بالقصور عن الشکر و الغفله عنه.

السابع عشر:أن یظهر أثر نعمه اللّه تعالی علیه بحیث یراها الناس

.فظهور أثرها علیه بإظهارها علی نفسه و ذویه و صرف فاضلها إلی أهل الاستحقاق.و أعلمه بدلیل وجوب ذلک من وجهین:

أحدها:قوله:إنّ أفضل المؤمنین أفضلهم تقدمه:أی صدقه تقدّمها من نفسه بأقواله و أفعاله و أمواله،و من أهله کذلک.و هو جذب له أن یجعل نفسه من أفضل المؤمنین بالصدقه.

الثانی:قوله:و إنّک.إلی قوله:خیره:أی ما تقدّمه و تؤخّره من المال و تخلّفه،و هو صغری ضمیر تقدیر کبراه:و کلّما إذا قدّمته کان لک ذخرا و إذا أخّرته کان لغیرک خیره فواجب علیک تقدیمه.

الثامن عشر:أن یحذر صحابه من یفیل رأیه

:أی یضعف،و ینکر عمله لسوئه.

و علّل ذلک الحذر بقوله:فإنّ.إلی قوله:بصاحبه:أی فإنّک تقاس به لتنسب فعلک إلی فعله،و لأنّ الطبع مع الصحبه أطوع للفعل منه للقول فلو صحبه لشابه فعله فعله .

التاسع عشر:أن یسکن الأمصار العظام.

و الغرض الجمعیّه علی دین اللّه کقوله صلّی اللّه علیه و آله:علیکم بالسواد الأعظم و لذلک علّل بکونها مجاز جماع المسلمین :أی مجمعهم.و أطلق اسم المصدر علی المکان مجازا ،و هو صغری ضمیر تقدیر کبراه:و کلّما کان کذلک فینبغی أن یخصّ بالسکنی.

العشرون

:أن يحذر منازل الغفله و الجفاء لأهل طاعه اللّه .

ص:۲۲۳

الحادى و العشرون:أن يقصر رأيه على ما يعنيه

فإنّ فيه شغلا عمّا لا يعنيه فتجاوزه إليه سفه.

الثانى و العشرون:أن يحذر مقاعد الأسواق.

و أشار إلى وجه المفسده بقوله:

فإنّها .إلى قوله: الفتن .و معنى كونه محاضر الشيطان كونها مجمع الشهوات و محلّ الخصومات الّتى مبدئها الشيطان.و معاريض:جمع معرض و هو محلّ عروض الفتن.و الكلام صغرى ضمير تقدير كبراه:و كلّما كان كذلك فلا يجوز القعود فيه.

الثالث و العشرون:أن يكثر نظره إلى من هو دونه ممّن فضّل عليه فى النعمه.

و علّل ذلك بقوله:فإنّ.إلى قوله:الشكر.و وجه كونه بابا للشكر أنّه يكون سببا للدخول إليه منه.و هو صغرى ضمير تقدير كبراه:و كلّما كان من أبواب الشكر فواجب ملازمته .

الرابع و العشرون:أن لا يسافر فى يوم الجمعه إلاّ أن يكون فى جهاد أو عذر

واضح.

و سرّه أن صلاه الجمعه عظيمه فى الدين و هو محلّ التأهّب لها و العباده.

فوضعه للسفر وضع للشىء فى غير موضعه .

الخامس و العشرون:أن يطيع اللّه فى جميع اموره.

و رغّب فيها بضمير صغراه قوله:فإنّ.إلى قوله:سواها.و تقدير كبراه:و كلّما فضّل ما سواه فالأولى لزومه و ايثاره على ما سواه.

السادس و العشرون:أن يخادع نفسه فى العباده.

فإنّه لمّا كان شأن النفس اتّباع الهوى و موافقه الطبيعه فبالحرىّ أن تخادع عن مألوفها إلى غيره تاره بأن يذكر الوعد،و تاره الوعيد،و تاره بالاستشهاد بمن هو دونها ممّن شمّر فى عباده اللّه، و تاره باللوم لها على التفريط فى جنب اللّه.فإذا سلك بها فينبغى أن يكون بالرفق من غير قهرها على العباده لكون ذلك داعيه الملال و الانقطاع كما أشار إليه سيّد المرسلين صلّى اللّه

علیه و آله:إنّ هـذا الـدین متین فأوغل فیه برفق و لا تبغّض فیه إلی نفسک عباده اللّه فإنّ المنبتّ لا أرضا قطع و لا ظهرا أبقی،بل تأخذ منها عفوها و نشاطها فی العباده إلاّ الفریضه فإنّه لا یجوز المساهله فیها .

السابع و العشرون:

استعاره حذّره أن ینزل به الموت حال ما هو آبق من ربّه .و استعار له الآبق باعتبار خروجه عن أمره و نهیه فی طلب الدنیا .

الثامن و العشرون:أن یحذر صحبه الفسّاق

و نفّر عن ذلک بضمیر صغراه قوله:فإنّ الشرّ بالشرّ ملحق:أی فإنّه یصیر لک شرّا کشرّهم لأنّ القرین بالمقارن یقتدی.و تقدیر کبراه:و کلّ ما صیّر لک کذلک فلا یجوز فعله.

التاسع و العشرون:أن یجمع بین توقیر اللّه و تعظیمه و بین محبّه أحبّائه

و أولیائه،و هما أصلان متلازمان.

الثلاثون:أن یحذر الغضب.

و نفّر عنه بقوله:فإنّه.إلی آخره،و معنی کونه جندا له لأنّه من أعظم ما یدخل به علی الإنسان فیملکه و یصیر فی تصریفه کالملک الداخل بالجند العظیم علی المدینه،و هو صغری ضمیر تقدیر کبراه:و کلّما کان کذلک فواجب أن یحذر منه.و باللّه التوفیق.

۶۹-و من کتاب له علیه السّلام

اشاره

إلی سهل بن حنیف الأنصاری

،و هو عامله علی المدینه فی معنی قوم من أهلها لحقوا بمعاویه أَمَّا بَعْدُ- فَقَدْ بَلَغَنِی أَنَّ رِجَالاً مِمَّنْ قِبَلَکَ یَتَسَلَّلُونَ إِلَی؟مُعَاوِیَهَ؟- فَلاَ تَأْسَفْ عَلَی مَا یَفُوتُکَ مِنْ عَدَدِهِمْ- وَ یَذْهَبُ عَنْکَ مِنْ مَدَدِهِمْ- فَکَفَی لَهُمْ غَیّاً- وَ لَکَ مِنْهُمْ شَافِیاً فِرَارُهُمْ مِنَ الْهُدَی وَ الْحَقِّ- وَ إِیضَاعُهُمْ إِلَی الْعَمَی وَ الْجَهْلِ- فَإِنَّمَا هُمْ أَهْلُ دُنْیَا مُقْبِلُونَ عَلَیْهَا وَ مُهْطِعُونَ إِلَیْهَا- وَ قَدْ عَرَفُوا الْعَدْلَ وَ رَأَوْهُ وَ سَمِعُوهُ وَ وَعَوْهُ- وَ عَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِی الْحَقِّ

ص:۲۲۵

أَسْوَهٌ- فَهَرَبُوا إِلَى الْأَثَرَهِ- فَبُعْداً لَهُمْ وَ سُحْقاً- إِنَّهُمْ وَ اللَّهِ لَمْ يَنْفِرُوا مِنْ جَوْرٍ- وَ لَمْ يَلْحَقُوا بِعَدْلٍ- وَ إِنَّا لَنَطْمَعُ فِی هَذَا الْأَمْرِ أَنْ يُذَلِّلَ اللَّهُ لَنَا صَعْبَهُ- وَ يُسَهِّلَ لَنَا حَزْنَهُ «إِنْ شاءَ اللَّهُ» وَ السَّلَامُ

اللغه

أقول: التسلّل : الذهاب واحدا بعد واحد .و الايضاع : الإسراع.و كذلك الإهطاع .و الأثره : الاستبداد .

المعنی

فقوله: أمّا بعد إلی قوله: معاويه .

إعلامه بعلمه بحالهم.

و قوله: فلا تأسف .إلی قوله: مددهم .

تسليه له عمّا فاته من عددهم و مددهم.

و قوله: فكفی .إلی قوله: العدل .

استدراج له عن الأسف علی فرارهم بذكر معايبهم فی ضميرين صغری الأوّل:منهما قوله:فكفی.إلی قوله:الجهل.و تقدير كبراه:و كلّ من كان كذلك فلا يجوز الأسف عليه.و فرار فاعل كفی،و غيّا و شافيا تميز.و صغری الثانی:قوله: و إنّما هم أهل الدنيا :أی لمّا كان شأنهم ذلك و عرفوا العدل عندنا و علموا تساوی الناس عندنا فی الحقّ هربوا إلی الاستئثار و الاستبداد عند معاويه.و تقدير كبراه:و كلّ من كان بهذه الحال فلا يجوز الأسف عليه،و لذلك دعا عليهم بالبعد و السحق و هما مصدران وضعا للدعاء .ثمّ أقسم أنّهم لم يفرّوا من جور منه و لم يلحقوا بعدل من معاويه ليتأكّد حصره لأحوالهم الّتی هربوا لأجلها.

ثمّ وعده بما يطمع من اللّه تعالی من تذليل ما صعب من أمر الخلافه لهم،و تسهيل حزنه بمشيئته سبحانه.

۷۰–و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى المنذر بن الجارود العبدى

،و قد خان فى بعض ما ولاه من أعماله أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ صَلاَحَ أَبِيكَ غَرَّنِى مِنْكَ- وَ ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ- وَ تَسْلُكُ سَبِيلَهُ- فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رُقِّيَ إِلَيَّ عَنْكَ لاَ تَدَعُ لِهَوَاكَ انْقِيَاداً- وَ لاَ تُبْقِي لِآخِرَتِكَ عَتَاداً- تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ- وَ تَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَهِ دِينِكَ- وَ لَئِنْ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقّاً- لَجَمَلُ أَهْلِكَ وَ شِسْعُ نَعْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ- وَ مَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَغْرٌ- أَوْ يُنْفَذَ بِهِ أَمْرٌ أَوْ يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ- أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَهٍ أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى جِبَايَهٍ- فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا «إِنْ شاءَ اللّهُ» قال الرضى:و المنذر هذا هو الذى قال فيه أمير المؤمنين عليه السّلام:

إنه لنظار فى عطفيه،مختال فى برديه،تفال فى شراكيه.

اللغه

أقول: العتاد : العدّه .و الشسع : سير بين الإصبعين فى النعل العربى .

و مدار الفصل على توبيخه بسبب خيانته.

فذكر سبب غروره و هو قياسه فى الصلاح على أبيه الجارود العبدى فى أنّه يتبع ما كان عليه من الهدى .ثمّ ذكر ما رقّى إليه عنه من الفارق من أربعه أوجه:

أحدها:انقياده لهواه فى كلّ ما يقوده إليه.

الثانى:إعراضه عمّا يعتدّ به لآخرته من صالح الأعمال.

الثالث:كونه يعمر دنياه بما يستلزم خراب آخرته من تناول الحرام.

ص:۲۲۷

السجع الرابع: كونه يصل عشيرته بما يقطع دينه من ذلك .و راعى السجع فى القرينتين .

ثمّ أخذ فى توبيخه و الحكم بنقصانه و حقارته إن حقّ ما نسب إليه ذلك بتفضيل جمل أهله و شسع نعله عليه.و جمل الأهل ممّا يتمثّل به فى الهوان.و أصله فيما قيل:أنّ الجمل يكون لأب القبيله فيصير ميراثا لهم يسوقه كلّ منهم و يصرفه فى حاجته فهو ذليل حقير بينهم . السجع المتوازى ثمّ حكم فى معرض توبيخه على من كان بصفته أنّه لا يصلح لولايه عمل يراد له الوالى.و راعى فى القرائن الأربع السجع المتوازى. فالقدر بإزاء الأمر و الخيانه بإزاء الأمانه .و إنّما قال:أو يشرك فى أمانه.لأنّ الخلفاء امناء اللّه فى بلاده فمن ولّوه من قبلهم فقد أشركوه فى أمانتهم.

و قوله: أو يؤمن على خيانه .

أى حال خيانتك.لأنّ كلمه على تفيد الحال.ثمّ بعد توبيخه استقدمه عليه عزلا له .و الّذى حكاه السيّد-رحمه اللّه-من وصف أمير المؤمنين عليه السّلام له فكنايه عن تكبره.و التفل فى الشراك:نفخ الغبار عنه.و الحكايه مناسبه للكتاب لاشتمالها على الذمّ.و باللّه التوفيق.

۷۱-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى عبد اللّه بن العباس

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّکَ لَسْتَ بِسَابِقٍ أَجَلَکَ- وَ لاَ مَرْزُوقٍ مَا لَيْسَ لَکَ- وَ اعْلَمْ بِأَنَّ الدَّهْرَ يَوْمَانِ- يَوْمٌ لَکَ وَ يَوْمٌ عَلَيْکَ- وَ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ دُوَلٍ- فَمَا کَانَ مِنْهَا لَکَ أَتَاکَ عَلَى ضَعْفِکَ- وَ مَا کَانَ مِنْهَا عَلَيْکَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِکَ

أقول:الفصل موعظه.و نبّه فيها على دقايق:

أحديها:أنّه لا يسبق أجله.

و لمّا كان الأجل هو الوقت الّذى علم اللّه أنّ

زيدا يموت فيه لم يمكن أن يموت زيد دونه لأنّ ذلك يستلزم انقلاب علم اللّه جهلا و أنه محال.

الثانيه:و لا مرزوق ما ليس له

:أي ما علم اللّه أنّه ليس رزقا له فمحال أن يرزق إيّاه لما بيّناه .

الثالثه:أعلمه أنّ الدهر يومان:

يوم له و هو اليوم الّذى فيه المنافع كاللذّه و كمالاتها،و يوم عليه و هو ما يكون عليه فيه المضرّه كالألم و ما يستلزمه و ذلك معنى كون الدنيا دار دول كما قال تعالى «وَ تِلْكَ الْأَيّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النّاسِ» (۱).

الرابعه:أعلمه بأنّ ما كان له من خير الدنيا أتاه على ضعفه

و إن كان أمرا كبيرا لعلم اللّه سبحانه بأنّه يصل إليه،و كذلك ما كان عليه من شرّها لم يتمكّن من دفعه و إن كان قويّا.و ذكر الضعف و القوّه ليعلم استناد الأمور و الأرزاق إلى مدبّر حكيم هو مفيضها و مبدء أسبابها و ناظم وجودها و مقسّم كمالاتها و معطى كلّ منها ما استعدّ له من خير أو شرّ.فقد يحصل الضعف للحيوان و يرزق رزقا واسعا و يكون ضعفه من الأسباب المعدّه لسعه رزقه،و بالعكس قد تحصل له القوّه فتكون من أسباب الحرمان. «وَ اللّهُ مِنْ وَرائِهِمْ مُحِيطٌ» و «هُوَ الرَّزّاقُ ذُو الْقُوَّهِ الْمَتِينُ» .

۷۲-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى معاويه

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّی عَلَی التَّرَدُّدِ فِی جَوَابِکَ- وَ الاِسْتِمَاعِ إِلَی کِتَابِکَ- لَمُوَهِّنٌ رَأْیِی وَ مُخَطِّئٌ فِرَاسَتِی- وَ إِنَّکَ إِذْ تُحَاوِلُنِی الْأُمُورَ- وَ تُرَاجِعُنِی السُّطُورَ- کَالْمُسْتَثْقِلِ النَّائِمِ تَکْذِبُهُ أَحْلاَمُهُ- وَ الْمُتَحَیِّرِ الْقَائِمِ یَبْهَظُهُ مَقَامُهُ- لاَ یَدْرِی أَ لَهُ مَا یَأْتِی أَمْ عَلَیْهِ- وَ لَسْتَ بِهِ غَیْرَ أَنَّهُ بِکَ شَبِیهٌ- وَ أُقْسِمُ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَوْ لاَ بَعْضُ

۱- ۱) ۳-۱۳۴.

الاِسْتِبْقَاءِ- لَوَصَلَتْ إِلَيْکَ مِنِّی قَوَارِعُ تَقْرَعُ الْعَظْمَ- وَ تَهْلِسُ اللَّحْمَ- وَ اعْلَمْ أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ثَبَّطَکَ- عَنْ أَنْ تُرَاجِعَ أَحْسَنَ أُمُورِکَ- وَ تَأْذَنَ لِمَقَالِ نَصِيحَتِکَ

اللغه

أقول: موهّن : مضعّف .و بهظه : أثقله .و القوارع: الشدائد .و تهلس اللحم.

تذهب به،و تسحبه،و تقرب منه النهس .و ثبّطه عن كذا : شغله .

و مدار الفصل على منافرته و توبيخه.

فقوله:أمّا بعد.إلى قوله:فراستى:أى مضعّف رأيى و فراستى فيك لغلبه ظنّى أنّ مكاتبتك و جوابك لا فايده فيه . تشبيه ثمّ شبّهه فى محاولته أمر الشام و ما يخدعه من جعل أمر الخلافه فيه بعده و مراجعته السطور أى الكتب فى ذلك بالمستثقل فى النوم ،الغريق فيه ،و انتصب السطور بحذف الجارّ إمّا فى أو الباء،و أشار إلى وجه الشبه بقوله:تكذبه أحلامه.و أراد أنّ تخيّلاته و أمانيه فى وصول هذا الأمر إليه تخيّلات كاذبه صادره عن جهل غالب كالأحلام الكاذبه للمستغرق فى نومه إذا استيقظ لم يجدها شيئا، تشبيه و كذلك شبّهه بالمتحيّر القائم ،و أشار إلى وجهه بقوله:يبهظه.

إلى قوله:عليه.و بيانه أنّ معاويه مجدّ فى هذا الأمر متحيّر فى تحصيله متهوّر فى طلبه مع جهله بعاقبه سعيه هل هى خير أو شرّ كالقائم المتحيّر فى الأمر يتعب بطول مقامه و لا يعرف غايته من قيامه.ثمّ لم يرض له بذلك التشبيه بل زاد مبالغه فى غفلته و نومه فى مرقد طبيعته و حيرته و قال:و لست به:أى و لست بهذا شبيها فيكون هو أصلا لك فى الشبه غير أنّه بك شبيه:أى إنّك أصل له فى ذلك الشبه .

ثمّ أقسم لولا بعض الاستبقاء:أى للامور المصلحيّه لوصلت إليه منه قوارع.و أراد شدائد الحرب،و كنّى عن شدّتها بكونها تقرع العظم و تهلس اللحم .ثمّ أعلمه فى معرض توبيخه أنّ الشيطان قد ثبّطه عن مراجعه أحسن اموره و هو الدخول فى طاعته و ترك الفتنه و أن يأذن أى يصغى اذنه لمقال نصيحه.و هو جذب له إليهما

بنسبه ترکه لهما إلی تثبیط الشیطان.و باللّه التوفیق.

۷۳-و من حلف له علیه السّلام

اشاره

کتبه بین ربیعه و الیمن،و نقل من خط هشام ابن الکلبی

هَذَا مَا اجْتَمَعَ عَلَیْهِ أَهْلُ؟الْیَمَنِ؟- حَاضِرُهَا وَ بَادِیهَا- وَ؟رَبِیعَهُ؟ حَاضِرُهَا وَ بَادِیهَا- أَنَّهُمْ عَلَی کِتَابِ اللَّهِ یَدْعُونَ إِلَیْهِ- وَ یَأْمُرُونَ بِهِ وَ یُجِیبُونَ مَنْ دَعَا إِلَیْهِ وَ أَمَرَ بِهِ- لاَ یَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً- وَ لاَ یَرْضَوْنَ بِهِ بَدَلاً- وَ أَنَّهُمْ یَدٌ وَاحِدَهٌ عَلَی مَنْ خَالَفَ ذَلِکَ وَ تَرَکَهُ- أَنْصَارٌ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ- دَعْوَتُهُمْ وَاحِدَهٌ- لاَ یَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ لِمَعْتَبَهِ عَاتِبٍ- وَ لاَ لِغَضَبِ غَاضِبٍ- وَ لاَ لاِسْتِذْلاَلِ قَوْمٍ قَوْماً- وَ لاَ لِمَسَبَّهِ قَوْمٍ قَوْماً- عَلَی ذَلِکَ شَاهِدُهُمْ وَ غَائِبُهُمْ- وَ سَفِیهُهُمْ وَ عَالِمُهُمْ وَ حَلِیمُهُمْ وَ جَاهِلُهُمْ- ثُمَّ إِنَّ عَلَیْهِمْ بِذَلِکَ عَهْدَ اللَّهِ وَ مِیثَاقَهُ- إِنَّ عَهْدَ اللَّهِ کَانَ مَسْئُولاً- وَ کَتَبَ؟عَلِیُّ بْنُ أَبِی طَالِبٍ؟

اللغه

أقول: الحلف : العهد .

و فیه نکت :

الأولی

:قوله:هذا.مبتدأ و ما موصوله و هی صفه المبتدأ،و خبره أنّهم.

و یجوز أن یکون هذا مبتدأ خبره ما اجتمع علیه،و یکون قوله:أنّهم.تفسیرا لهذا.

کأنّه قال:ما الّذی اجتمعوا علیه؟فقیل:علی أنّهم علی کتاب اللّه:أی اجتمعوا علی ذلک،و خبر أنّهم علی کتاب اللّه،و یدعون حال،و العامل متعلّق الجارّ.و حاضرها و بادیها من أهل الیمن،و کذلک من ربیعه.

الثانيه:كونهم لا يشترون به ثمنا

كنايه عن لزومهم له و للعمل به .

الثالثه:

مجازا إطلاقا لاسم السبب على المسبّب قوله: و أنّهم يد واحده :أي يتعاونون على من خالفه.فأطلق اسم اليد على المتعاون مجازا إطلاقا لاسم السبب على المسبّب ،و أنصار خبر ثان لأنّ و بعضهم فاعله.و يجوز أن يكون بعضهم مبتدأ خبره أنصار .

الرابعه:قوله:و لا لاستذلال قوم قوما

:أی لا ينقضون عهدهم لكون القبيله الاخرى استذلّت قومهم أو سبّتهم.و روى لمشيئه قوم قوما:أی لإرادتهم.و فی روايه-كتب علیّ بن أبو طالب-و هی المشهوره عنه عليه السّلام و وجهها أنّه جعل هذه الكنيه علما بمنزله لفظ واحده لا يتغيّر إعرابها.

۷۴-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى معاويه فی أول ما بويع له

ذكره الواقدی فی كتاب الجمل

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ؟عَلِیٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟- إِلَى؟مُعَاوِيَهَ بْنِ أَبِی سُفْيَانَ؟ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَلِمْتَ إِعْذَارِی فِيكُمْ- وَ إِعْرَاضِی عَنْكُمْ- حَتَّى كَانَ مَا لاَ بُدَّ مِنْهُ وَ لاَ دَفْعَ لَهُ- وَ الْحَدِيثُ طَوِيلٌ وَ الْكَلاَمُ كَثِيرٌ- وَ قَدْ أَدْبَرَ مَا أَدْبَرَ- وَ أَقْبَلَ مَا أَقْبَلَ- فَبَايِعْ مَنْ قِبَلَكَ- وَ أَقْبِلْ إِلَیَّ فِی وَفْدٍ مِنْ أَصْحَابِكَ

اللغه

أقول: الوفد : الواردون على الملك .

المعنى

و أعلمه أوّلا إعذاره فيهم إلى اللّه:أی إظهار عذره و ذلك باجتهاده فی نصيحه عثمان أوّلا،و نصره بنی اميّه بالذبّ عنه ثانيا،و إعراضه عنهم بعد إياسه من قبول عثمان لنصيحته و عجزه عن نصرته و الدفع عنه حتّى كان ما لابدّ منه و لا دفع له من قبله.ثمّ قال:و الحديث طويل و الكلام كثير:أی فی أمره و من قبله.

و قوله:و قد أدبر.إلى قوله:أقبل.

يحتمل أن يكون إخبارا له بأنّ بعض الناس أدبر عنه كطلحه و الزبير و من تابعهما و بعضهم أقبل عليه،و يحتمل أن يكون إنشاء أى قد دخل فى الإدبار من أدبر عنّى و دخل فى الإقبال من أقبل علىّ .ثمّ أمره أن يبايع له من قبله من الجماعه و تقبل إليه، و يحتمل أن يكون الضمير فى قوله:فيكم و عنكم خطابا لمعاويه و ساير المسلمين على سبيل التعتّب و التشكّى:أى قد علمت أنّى أعذرت فيكم حيث لم اعاجل مسيئكم بالعقوبه و أعرضت عنكم حتّى كان ما كان من خروج طلحه و الزبير و من تابعهم ممّا لابدّ من وقوعه منهم و لا دفع له.و الحديث فى شأنهم طويل،و الكلام فى شبهتهم كثير،و قد أدبر من أدبر:أى هؤلاء الخارجون،و أقبل من أقبل.و تمام الكلام بحاله.و اللّه أعلم.

۷۵-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

لعبد اللّه بن العباس،عند استخلافه إياه على البصره

سَعِ النَّاسَ بِوَجْهِكَ وَ مَجْلِسِكَ وَ حُكْمِكَ- وَ إِيَّاكَ وَ الْغَضَبَ فَإِنَّهُ طَيْرَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ- وَ اعْلَمْ أَنَّ مَا قَرَّبَكَ مِنَ اللَّهِ يُبَاعِدُكَ مِنَ النَّارِ- وَ مَا بَاعَدَكَ مِنَ اللَّهِ يُقَرِّبُكَ مِنَ النَّارِ

اللغه

أقول: الطيره : فعله من الطيران،و يستعمل فى الخفّه و ما لاثبات له.و روى:

طيره من التطيّر و هو التشأم .

و قد أمره بفضائل من الأخلاق:

أحدها:

كنايه أن يسع الناس بوجهه .و كنّى بذلك عن البشر و الطلاقه،و بمجلسه .و هو كنايه عن التواضع،و بحكمه .و كنّى به عن العدل لأنّ الحكم

العدل يسع كلّ أحد،و الجور ضيّق لا يحتمله الكلّ .

الثانيه:

حذّره من الغضب و هو أمر بفضيله الثبات و الحلم،و نفّره بقوله:

فإنّه طيره من الشيطان :أى خفّه ينشأ من الشيطان،أو أنّه ممّا يتشأم الناس بصاحبه و يكرهه.و نسبه إلى الشيطان لينفر عنه،و أراد الغضب المذموم.و هو صغرى ضمير تقدير كبراه:و كلّما كان كذلك فواجب أن يحذر .ثمّ رغّبه فيما يقرّبه من اللّه بما يستلزمه من كونه مباعدا له من النار،و نفّره عمّا يبعّده من اللّه بما يستلزمه من كونه مقرّبا له إلى النار.و هما صغريا ضميرين تقدير كبرى الأوّل منهما:و كلّ ما باعدك من النار فواجب أخذه،و تقدير كبرى الثانى:و كلّ ما يقرّبك من النار فواجب أن يحذره.و باللّه التوفيق.

۷۶-و من وصيّه له عليه السّلام

اشاره

لعبد اللّه بن العباس،لما بعثه للاحتجاج إلى الخوارج

لاَ تُخَاصِمْهُمْ؟بِالْقُرْآنِ؟- فَإِنَّ؟الْقُرْآنَ؟ حَمَّالٌ ذُو وُجُوهٍ- تَقُولُ وَ يَقُولُونَ...وَ لَكِنْ حَاجِجْهُمْ بِالسُّنَّهِ- فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصاً

اللغه

أقول: المحيص : المعدل .

المعنى

و قد نهاه أن يحاجّهم بالقرآن.و نبّهه على ذلك بضمير صغراه قوله: فإنّ القرآن .إلى قوله: و يقولون :أى إنّ الآيات الّتى يمكنه الاحتجاج بها غير ناصّه فى المطلوب بل لها ظاهر و تأويلات محتمله يمكنهم أن يتعلّقوا بها عند المجادله.

و تقدير الكبرى:و كلّ ما كان كذلك فلا يتمّ الغرض به فى مخاصمتهم.ثمّ أمره أن يحاجّهم بالسنّه.و نبّه على ذلك بضمير صغراه قوله:فإنّهم لا يجدون عنها معدلا لكونها ناصّه فى المطلوب كقوله صلّى اللّه عليه و آله:حربك يا علىّ حربى.و نحوه.و تقدير الكبرى:

و كلّ ما لم يجدوا عنه معدلا فالأولى محاجّتهم به.و قد أشرنا من قبل إلى مجادله ابن عبّاس.

۷۷-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

إلى أبى موسى الأشعرى جوابا فى أمر الحكمين

ذكره سعيد بن يحيى الأموى فى كتاب المغازى فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ تَغَيَّرَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ حَظِّهِمْ- فَمَالُوا مَعَ الدُّنْيَا و نَطَقُوا بِالْهَوَى- وَ إِنِّى نَزَلْتُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَنْزِلاً مُعْجِباً- اجْتَمَعَ بِهِ أَقْوَامٌ أَعْجَبَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ- وَ أَنَا أُدَاوِى مِنْهُمْ قَرْحاً أَخَافُ أَنْ يَكُونَ عَلَقاً- وَ لَيْسَ رَجُلٌ فَاعْلَمْ أَحْرَصَ عَلَى أُمَّهِ؟مُحَمَّدٍ ص؟- وَ أُلْفَتِهَا مِنِّى- أَبْتَغِى بِذَلِكَ حُسْنَ الثَّوَابِ وَ كَرَمَ الْمَآبِ- وَ سَأَفِى بِالَّذِى وَأَيْتُ عَلَى نَفْسِى- وَ إِنْ تَغَيَّرْتَ عَنْ صَالِحِ مَا فَارَقْتَنِى عَلَيْهِ- فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ نَفْعَ مَا أُوتِىَ مِنَ الْعَقْلِ وَ التَّجْرِبَهِ- وَ إِنِّى لَأَعْبَدُ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ بِبَاطِلٍ- وَ أَنْ أُفْسِدَ أَمْراً قَدْ أَصْلَحَهُ اللَّهُ- فَدَعْ مَا لَا تَعْرِفُ- فَإِنَّ شِرَارَ النَّاسِ طَائِرُونَ إِلَيْكَ بِأَقَاوِيلِ السُّوءِ

اللغه

أقول: العلق : الدم الغليظ . وأيت : وعدت .و أعبد : استنكف و أغضب .

المعنى

و قوله: فإنّ الناس .إلى قوله: حظّهم .

أى الحظّ الّذى ينبغى لهم من الدين و الهدى.

و قوله: فمالوا .إلى قوله: الهوى .

ص:۲۳۵

بیان لأنواع تغيّرهم.

و قوله: و إنّى نزلت من هذا الأمر .

أى أمر الخلافه منزلا ـ معجبا و هو الحال الّتى انتهى إليها مع الصحابه و صارت محل التعجّب منها و كيف صار محكوما لهم فى قبول الحكومه و الرضى بالصلح و غيره.

و قوله: اجتمع به أقوام .

صفه منزل:أى أنّ هذا المنزل الّذى أنا فيه من هذا الأمر قد اجتمع معى و شاركنى فى رأيى فيه أقوام أعجبتهم أنفسهم و آرائهم فأفسدوا علىّ الأمر فأنا اداوى منهم قرحا، استعاره و استعار لفظ القرح لما أفسد من حاله باجتماعهم على التحكيم.و لفظ المداواه لاجتهاده فى إصلاحهم،و روى:ادارى.و كذلک استعار لفظ العلق لما يخاف من تفاقم أمرهم من حاله .

و قوله: و ليس رجل أحرص منه على الفه جماعه محمّد صلّى اللّه عليه و آله للغرض المذكور.

و قوله: فاعلم .اعتراض حسن بين ليس و خبرها و رجل يفيد العموم و إن كان مفردا نكره لكونه فى سياق النفى على ما بيّن فى اصول الفقه .ثمّ أخبر أنّه سيفى بما وعد على نفسه من شرط الصلح على ما وقع عليه،و توعّده بلزوم الشقاوه إن تغيّر عن صالح ما فارقه عليه من وجوب الحكم بكتاب اللّه و عدم اتّباع الهوى و الاغترار بمقارنه الأشرار.

و فسّر الشقىّ بمن حرم نفع ما اوتى من العقل و التجربه مشيرا بذلک إلى أنّه إن خدع أو تغيّر بأمر آخر فقد حرم نفع عقله و سابقه تجربته فلزمته الشقاوه .ثمّ نبّهه على أنّه يأنف من قول الباطل،و أن يفسد أمرا أصلحه اللّه به و هو أمر الدين ليحترز من غضبه بلزوم الحقّ و الصدق و حفظ جانب اللّه فى حقّه ،و أكّد ذلک بقوله:فدع ما لا تعرف:أى من الحكم فى هذه القضيّه بالشبهه.

و قوله:فإنّ شرار الناس.إلى آخره.

ص:۲۳۶

أراد عمرو بن العاص و نحوه فيما كان يسرع بإلقائه إليه من الوساوس و الشبه الكاذبه الّتى هى أقاويل السوء.

۷۸-و من كتاب له عليه السّلام

اشاره

لما استخلف،إلى أمراء الأجناد

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ- أَنَّهُمْ مَنَعُوا النَّاسَ الْحَقَّ فَاشْتَرَوْهُ- وَ أَخَذُوهُمْ بِالْبَاطِلِ فَاقْتَدَوْهُ

المعنى

أقول:نفّرهم عن منع الحقّ أهله،و معاملتهم الناس بالباطل،يذكّر أنّ ذلك هو سبب هلاك من كان قبلهم من أمثالهم.

و قوله: فاشتروه .

أى فباعوه و تعوّضوا عنه بالباطل لمّا منعوا منه كقوله تعالى «وَ شَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ» (۱)و كذلك قوله:و أخذوهم بالباطل:أى جعلوا تصرّفاتهم معهم بالباطل فاقتدوه :أى اقتدوا الباطل و سلكوا فيه مسلك من أخذهم به كقوله تعالى «فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ» (۲)و باللّه التوفيق.تمّ باب الكتب و الوصايا و العهود و الحمد للّه حقّ حمده.

باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السّلام

اشاره

و يدخل فى ذلك المختار من أجوبه مسائله

و الكلام القصير الخارج فى سائر أغراضه

۱-قَالَ عليه السّلام

اشاره

كُنْ فِى الْفِتْنَهِ كَابْنِ اللَّبُونِ- لَا ظَهْرٌ فَيُرْكَبَ وَ لَا ضَرْعٌ فَيُحْلَبَ

۱- ۱) ۲۰-۲۱.

۲- ۲) ۹۰-۶

اللغه

أقول: ابن اللبون ولد الناقه إذا استكمل سنتين و دخل فی الثالثه لأنّ أمّه علی الأغلب قد وضعت ولدا غیره فهی ذات لبن .

المعنی

تشبیه و قد أمر أصحابه فی زمن الفتنه أن یتشبّه بابن اللبون ،و أشار إلی وجه الشبه بقوله لاظهر.إلی آخره.و أراد أنّه یکون فی زمانها خامل الذکر ضعیفا غیر مستکثر من المال کیلا یصلح لمعاونه الظالمین بنفسه و لا بماله،و لا ینتفع به فی الفتنه.

کابن اللبون لا ینفع بظهره و لا لبنه .و ظهر مبتدأ خبره محذوف تقدیره:له.و یرکب عطف علی الجمله.و روی منصوبا بإضمار أن فی جواب النفی،و کذا قوله:

فیحلب.

۲–و قال علیه السّلام:إحدی و عشرین کلمه من الأدب و الحثّ علی

اشاره

مکارم الأخلاق و هی قوله:

أَزْرَی بِنَفْسِهِ مَنِ اسْتَشْعَرَ الطَّمَعَ- وَ رَضِیَ بِالذُّلِّ مَنْ کَشَفَ عَنْ ضُرِّهِ- وَ هَانَتْ عَلَیْهِ نَفْسُهُ مَنْ أَمَّرَ عَلَیْهَا لِسَانَهُ وَ الْبُخْلُ عَارٌ وَ الْجُبْنُ مَنْقَصَهٌ- وَ الْفَقْرُ یُخْرِسُ الْفَطِنَ عَنْ حُجَّتِهِ-وَ الْمُقِلُّ غَرِیبٌ فِی بَلْدَتِهِ وَ الْعَجْزُ آفَهٌ وَ الصَّبْرُ شَجَاعَهٌ- وَ الزُّهْدُ ثَرْوَهٌ وَ الْوَرَعُ جُنَّهٌ- وَ نِعْمَ الْقَرِینُ الرِّضَا وَ الْعِلْمُ وِرَاثَهٌ کَرِیمَهٌ وَ الْآدَابُ حُلَلٌ مُجَدَّدَهٌ- وَ الْفِکْرُ مِرْآهٌ صَافِیَهٌ وَ صَدْرُ الْعَاقِلِ صُنْدُوقُ سِرِّهِ- وَ الْبَشَاشَهُ حِبَالَهُ الْمَوَدَّهِ- وَ الاِحْتِمَالُ قَبْرُ الْعُیُوبِ الْمُسَالَمَهُ خَبْءُ الْعُیُوبِ وَ مَنْ رَضِیَ عَنْ نَفْسِهِ کَثُرَ السَّاخِطُ عَلَیْهِ- وَ الصَّدَقَهُ دَوَاءٌ مُنْجِحٌ- وَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ نُصْبُ أَعْیُنِهِمْ فِی آجِلِهِمْ

ص:۲۳۸

الاولى:

استعاره أزرى بنفسه من استشعر الطمع .و هو تنفير عن الطمع المضادّ لفضيله القناعه بذكر ما يستلزمه من التهاون بالنفس و الازدراء بها،و ذلك أنّ الطمع بما فى أيدى الناس يستلزم الحاجه إليهم و الخضوع لهم و هو يستلزم الهون عليهم و سقوط المنزله.و استعار وصف الاستشعار لملازمه الطمع و مباشرته للقلب كالشعار للجسد .

الثانيه:

قوله: و رضى بالذلّ من كشف عن ضرّه .و هو أيضا تنفير للإنسان عن شكايه فقره و ضرّه للناس بذكر ما يلزم ذلك من المذلّه و الرضى به .

الثالثه:

استعاره و هانت عليه نفسه من أمّر عليها لسانه .و هو تنفير للإنسان عن الإكثار فى القول من غير تدبّر و مراجعه لعقله بما يلزم ذلك من هوان نفسه عليه أمّا فى الدنيا فلأنّ زياده القول قد يكون سببا للهلاك،و إليه أشار القائل.

احفظ لسانك أيّها الإنسان لا يلد غنّك إنّه ثعبان

كم فى المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الأقران

و أمّا فى الآخره فلقوله صلّى اللّه عليه و آله:و هل يكبّ الناس على مناخرهم فى النار إلّا حصايد ألسنتهم؟و لا هون لنفس الإنسان عليه أعظم من هلاكها.و استعار وصف التأمير لتسليط اللسان على ما يؤذى النفس من غير مراجعتها فكأنّها صارت محكومه له .

الرابعه:

قوله: و البخل عار .و ذلك لأنّه رذيله التفريط من فضيله الكرم.

و بقدر حمد الإنسان على الكرم يكون ذمّه و تعييره برذيله البخل .

الخامسه:

و الجبن منقصه .لأنّه رذيله التفريط من فضيله الشجاعه و الّتى هى أصل من الكمالات النفسانيّه.فكان الجبن رذيله و منقصه .

السادسه:

استعاره و الفقر يخرس الفطن عن حجّته .،و ذلك لكونه مذلّه،و له فى النفس فعل عظيم بالقبض و الفتور و الانفعال عن الغير.و

مبدء كلّ ذلک تصوّر العجز و توهّم القصور بسبب عدم المال عن مقاومه الخصوم فیحصل التخوّف من الکلام و العیّ عنه و إن کان صاحبه فطنا.و استعار لذلک وصف الخرس ملاحظه لشبهه به .

ص:۲۳۹

السابعه:

استعاره و المقلّ غريب فی بلدته :أی الفقير.و استعار له لفظ الغريب باعتبار عدم التفات الناس إليه و قلّه الأعوان و الأخوان له لإقلاله فهو كالغريب الّذی لا يعرف .

الثامنه:

و العجز آفه .العجز لفظ مهمل يحتمل العجز البدنیّ و هو عدم القدره علی التصرّفات البدنيّه عمّا من شأنه أن يقدر،و يحتمل العجز النفسانیّ و هو عدم القدره علی مقاومه الهوی و دفعه.و الأوّل آفه بدنيّه و نقصان فيه،و الثانی آفه فی العقل و عاهه فيه .

التاسعه:

مجاز من باب حمل اللازم علی ملزومه و الصبر شجاعه .الصبر فضيله تحت العفّه ترسم بأنّها مقاومه الهوی لئلّا يقود النفس إلی قبايح اللذّات.و هو جهاد مع النفس الأمّاره يستلزم فضيله الشجاعه فلذلك حمل الشجاعه عليه حمل اللازم علی ملزومه .

العاشره:

استعاره و الزهد ثروه و هو فضيله تحت العفّه،و رسم بأنّه إعراض النفس عن متاع الدنيا و طيّباتها.و لمّا كانت الثروه فی العرف عباره عن الغنی بالمال و كثرته استعار لفظها للزهد لمشابهته إيّاها فی استلزامهما للغنی و عدم الحاجه .

الحاديه عشر:

استعاره و الورع جنّه .و حقيقه الورع لزوم الأعمال الجميله فلذلك استعار لفظ الجنّه لمشابهتها فی الوقايه من عذاب اللّه فی الآخره و من أكبر المصائب الدنيويّه كما تجنّن بالترس و غيره من الصلاح .

الثانيه عشر:

و نعم القرين الرضا .و قد علمت أنّ الرضا بقضاء اللّه و ما نزل به القدر باب عظيم من أبواب الجنّه و غايه من الملكات الفاضله،و ظاهر أنّه نعم القرين فی الدنيا و الآخره .

الثالثه عشر:

و العلم وارثه كريمه .و هو فضيله النفس العاقله و هو أشرف الكمالات الّتی تعتنی بها،و بحسب ذلك كان وراثه كريمه من العلماء،بل كان أكرم موروث و مكتسب.و أراد الوارثه المعنويّه كقوله تعالی «فَهَبْ لِی مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِی وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ» (۱)أی العلم و الحكمه .

۱- ۱) ۵-۱۹

الرابعه عشر:

استعاره و الآداب حلل مجدّده .و أراد الآداب الشرعيّه و مكارم الأخلاق،و استعار لها لفظ الحلل المجدّده باعتبار دوام زينه الإنسان بها و تجدّد بهائه و حسنه و تهذيب نفسه على استمرار الزمان بلزومها و استخراج محاسنها كالحلل الّتى لا يزال تجدّد على لابسها .

الخامسه عشر:

استعاره و الفكر مرآه صافيه .الفكر قد يراد به القوّه المفكّره،و قد يراد به حركه هذه القوّه مطلقا أيّه حركه كانت،و قد يراد به معنى آخر.و عنى هنا القوّه نفسها،و استعار لها لفظ المرآه باعتبار أنّها إذا وجّهت نحو تحصيل المطالب التصوريّه و التصديقيّه أدركتها و تمثّلت بها كما يتمثّل فى المرآه صور ما يحاذى بها .

السادسه عشر:

استعاره و صدر العاقل صندوق سرّه .استعار للصدر لفظ صندوق السرّ باعتبار حفظه كما يحفظ الصندوق ما فيه،و هو فى المعنى أمر للإنسان بكتمان سرّه .

و رغّبه فى ذلك بذكر العاقل.فكأنّه قال:العاقل من جعل صدره صندوق سرّه و حفظه .

السابعه عشر:

استعاره و البشاشه حباله المودّه .و استعار لها لفظ الحباله باعتبار اقتناص الإنسان بها الناس و استمالتهم إلى صداقته و محبّته كحباله الصائد الّتى يقتنص بها الطير .

الثامنه عشر:

استعاره الاحتمال قبر العيوب .أراد احتمال المكروه و الأذى من الأخوان و سائر الناس و هو فضيله عظيمه تحت الشجاعه،و استعار له لفظ قبر العيوب باعتبار ستره لمعايب صاحبه عند الناس كما يستر القبر ما فيه من جيفه الميّت قال السيّد -رحمه اللّه-:و روى أنّه عليه السّلام قال فى العباره عن هذا لمعنى أيضا : المسالمه خباء العيوب .

قال الجوهرى:الخباء:واحد الأخبيه بيت من وبر أو صوف و لا يكون من شعر و يكون على عمودين أو ثلاثه،و ما فوق ذلك فهو بيت.و المسالمه فضيله تحت العفّه استعار لها لفظ الخباء باعتبار أنّها فضيله تستجلب المحبّه و تستلزم سكوت الناس عن المعايب و سترها كالخباء.و يتبيّن استلزامها تستّر العيوب باستلزام نقيضها و

هو المخاصمه و عدم المسالمه لثوران الطباع على ذكر المعايب و إبرازها لغرض الإهانه و التبكيت .

التاسعه عشر:

و من رضى من نفسه كثر الساخط عليه .و ذلك لوجهين:أحدهما:

أنّ الراضى عن نفسه معتقد لكمالها على غيرها و ناظر إلى غيره بعين النقصان غير موفّ للناس حقوقهم فيكثر بذلك الساخط عليه منهم.الثانى:أنّه لاعتقاده كمال نفسه يرفعها فوق قدرها و الناس يرونه بقدره فيكثر المنقّص له و الساخط عليه .

العشرون:

استعاره و الصدقه دواء منجح .استعار لفظ الدواء النافع للصدقه لمشابهتها الدواء أمّا فى الدنيا فلقوله صلّى اللّه عليه و آله:داووا مرضاكم بالصدقه.و سرّ ذلك أنّها تستجلب الهمم و تطابق القلوب على محبّه المتصدّق و الرغبه إلى اللّه سبحانه فى دفع المكاره عنه لبقائه فهى فى ذلك سبب للشفاء كالدواء،و أمّا فى الآخره فلأنّها سبب لدفع المكاره الأخرويّه كما سبق بيانه .

الحاديه و العشرون:

و أعمال العباد نصب أعينهم فى آجلهم :أى ظاهره قائمه فى أعينهم،و سرّ ذلك ما علمته من كون النفوس ما دامت فى الدنيا فهى منتقش بملكات الخير و الشرّ لكنّها فى أغشيه من الهيئات البدنيّه و حجب عن إدراك الامور كما هى فإذا زالت تلك الأغشيه بالمفارقه انكشفت لها الامور فأدركت ما عملت من خير و ما استعدّت له من شرّ كما قال تعالى «فَكَشَفْنا عَنْکَ غِطاءَکَ فَبَصَرُکَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ» (۱)و كما قال «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً» (۲)الآيه.

۳-و قال عليه السلام

اشاره

اِعْجَبُوا لِهَذَا الْإِنْسَانِ يَنْظُرُ بِشَحْمٍ وَ يَتَكَلَّمُ بِلَحْمٍ- وَ يَسْمَعُ بِعَظْمٍ وَ يَتَنَفَّسُ مِنْ خَرْمٍ

المعنى

نبّه على لطف خلق الإنسان ببعض أسرار حكمه اللّه فيه،و غايته من ذلك الاستدلال على حكمه صانعه و مبدعه.و ذكر أربعه من محالّ النظر و الاعتبار و،

۱- (۱) ۲۰-۵۰.

۲- ۲) ۲۸-۳.

هی آله البصر و الکلام و السمع و التنفّس،و خصّها بالذکر لکونها مع ضعفها ضروریّه فی وجود الإنسان علی شرفه و علوّ رتبته فی المخلوقات و لا یقوم إلاّ بها لیکون ذلک محلّ التعجّب و اعتبار لطف الصانع الحکیم،و أراد بالشحم الّذی ینظر به الرطوبه المسمّاه فی عرف الأطبّاء بالبیضه أو الرطوبه الجلیدیّه فإنّ العین مرکّبه من سبع طبقات و ثلاث رطوبات کلّ منها یختصّ فی عرفهم باسم،و عنی باللحم اللسان فإنّه لحم أبیض رخو تلتّف به عروق صغار کثیره فیهادم و لذلک یتبیّن أحمر و تحته عروق و شریانات و أعصاب کثیره و تحته فوهتان یسیل منهما اللعاب ینتهیان إلی لحم غددیّ رخو موضوع فی أصله یسمیّ مولّد اللعاب و بهاتین الفوهتین یبقی للّسان و ما حوله النداوه الطبیعیّه،و أراد بالعظم الّذی یسمع به العظم المسمیّ الحجریّ و هو عظم صلب فیه مجری الاذن کثیر التعاریج و العطفات تمبرّ کذلک إلی أن یلقی العصبه النابته من الدماغ الّتی هی مجری الروح الحامل للقوّه السامعه،و أراد بالخرم ثقب الأنف.و فی هذه و أمثالها من بدن الإنسان و سایر الحیوان عبره لمن اعتبر و کمال شهاده بوجود الصانع الحکیم لها،و من نظر فی تشریح بدن الإنسان حضرته شواهد من الحکمه الإلهیّه یحار فیها لبّه و یدهش فیها عقله،و قرأ الصادق علیه السّلام قوله تعالی «وَ خُلِقَ الْإِنْسانُ ضَعِیفاً» (۱)السجع المتوازی ثم قال:و کیف لا یکون ضعیفا و هو ینظر بشحم و یسمع بعظم و ینطق بلحم؟.و قد راعی فی القرائن الأربع السجع المتوازی.

۴-و قال علیه السلام

اشاره

إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنْیا عَلَی أَحَدٍ أَعَارَتْهُ مَحاسِنَ غَیْرِهِ وَ إِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُ سَلَبَتْهُ مَحاسِنَ نَفْسِهِ

المعنی

استعاره یرید أنّ الدنیا إذا أقبلت بجاهها و مالها علی قوم بحسب توافق أسباب السعاده الدنیویّه لهم استلزم ذلک إقبال الناس علیهم و تقرّبهم إلیهم بکلّ ممکن لمیلهم إلی

۱- ۱) ۳۳-۴.

الدنيا و محبّتهم لها و حسنوا فى أعينهم فاستعاروا لهم الأوصاف الجميله الّتى كانت فى غيرهم و إن لم يكونوا فى نفس الأمر كذلك حتّى يصفوا بالعلم الجاهل،و بالكرم المبذّر،و بالشجاعه المتهوّر،و بالظرف و لطف الأخلاق الماجن.و ربّما كان إقبال الدنيا عليهم أيضا سببا لاستعدادهم لتحصيل الكمالات النفسانيّه و الملكات الفاضله الّتى كانت محاسن لغيرهم قبلهم و إن كانوا قبل ذلك غير أهل لشىء منها.و يحتمل أن يريد بالمحاسن محاسن الدنيا من مركوب و ملبوس و ابّهه و حسن إياله و تصرّف،و ذلك ظاهر .و كونه عاريه باعتبار عدم دوامه.و كذلك إذا أدبرت عنهم بحسب توافق أسباب الشقاوه فيها قبحوا فى أعين الناس حتّى يكون أحدهم ذا فضيله فى نفسه فيجحدها الناس و يصفونه بضدّها فإن زهد فى الدنيا نسبوه إلى الرياء و السمعه، و إن حسنت أخلاقه نسبوه إلى الخلاعه و المجون،و إن شجع نسبوه إلى التهوّر و الجنون.و هو معنى سلبها لمحاسن أنفسهم،و ربما استعدّ ذو الفضيله منهم بذلك لتركها و إهمالها و التخلّق بضدّها حتّى تسلب عنه الفضيله بالكلّيّه.

۵-و قال عليه السلام

اشاره

خَالِطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً إِنْ مِتُّمْ مَعَهَا بَكَوْا عَلَيْكُمْ- وَ إِنْ عِشْتُمْ حَنُّوا إِلَيْكُمْ

المعنى

كنايه نبّه بذلك على حسن المعاشره للناس و معاملتهم بمكارم الأخلاق.و كنّى عن ذلك بقوله: إن متمّ.إلى آخره .إذ من لوازم حسن المعاشره للمخالط الحنّه إليه فى حياته و افتقاره،و البكاء عليه بعد وفاته .و الجمله الشرطيّه فى موضع نصب صفه المخالطه.

۶-و قال عليه السلام

اشاره

إِذَا قَدَرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ- فَاجْعَلِ الْعَفْوَ عَنْهُ شُكْراً لِلْقُدْرَهِ عَلَيْهِ

المعنى

و هو تنبيه على فضيله العفو و جذب إليه بكونه شكرا للقدره:أى ملازم

للشكر عليها،و ذلك أنّ القدره على العدوّ نعمه من اللّه تعالى يجب شكرها و الاعتراف للّه و الخضوع له و يلزمه الرقّه و فتور الغضب و يتبع ذلك العفو فأقامه مقام الشكر للملازمه بينهما.و لمّا كان الشكر واجبا كان العفو لازما.

۷-و قال عليه السلام

اشاره

أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ اكْتِسَابِ الْإِخْوَانِ- وَ أَعْجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفِرَ بِهِ مِنْهُمْ

اللغه

الإخوان جمع أخو كخرب و خربان،و أراد الأصدقاء الصادقين .

المعنى

و فى الكلمه حثّ على مكارم الأخلاق لأنّ الإخوان لا يكتسبون إلّا بها،و إنّما جعل العاجز عن تحصيلهم أعجز الناس لأنّ ذلك لا يحتاج إلى إتعاب قوّه بدنيّه و لا إعمال فكره عقليّه،و إنّما يفتقر إلى كرم الأخلاق و حسن المعاشره و الملاقات بالبشر و الطلاقه و هى أمور طبيعيّه فى أكثر الناس و هو أهون الأشياء عليهم فكان العاجز عنها أعجز الناس عمّا هو مقدور لهم.و إنّما جعل من ظفر به منهم ثمّ ضيّعه أعجز لأنّ المكتسب لابدّ له من كلفه ما فى اكتسابهم و أمّا الظافر فهو غير محتاج إلى ذلك القدر من الكلفه فكان سبب حفظ الإخوان أسهل من سبب تحصيلهم فكان المضيّع لحفظهم أعجز عن اكتسابهم لعجزه عن حفظ الأمر الأسهل.

فإن قلت:فقد قال:إنّ المضيّع لهم أعجز من أعجز الناس فلا يكون أعجز الناس أعجز الناس.هذا خلف.

قلت:لفظ الناس لفظ مطلق و إنّما يلزم الخلف إن لو كان للعموم.

۸-و قال عليه السلام

اشاره

إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكُمْ أَطْرَافُ النِّعَمِ- فَلاَ تُنَفِّرُوا أَقْصَاهَا بِقِلَّهِ الشُّكْرِ

المعنى

نبّه على وجوب الشكر على النعمه لغرض دوامها. استعاره و نفّر عن قلّته بما يستلزمه

من كونه تنفيرا لما يستقبل منها،و استعار لفظ التنفير ملاحظه لشبهها بالطير المتّصل إذا سقط أوّله اتّصل به آخره،و فيه إيماء إلى أنّ دوام الشكر مستلزم لدوامها و كثرتها كقوله تعالى و «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ» (١).

٩-و قال عليه السلام

اشاره

مَنْ ضَيَّعَهُ الْأَقْرَبُ أُتِيحَ لَهُ الْأَبْعَدُ

المعنى

أى قدّر.و أراد أنّ اللّه سبحانه جعل لكلّ شيء سببا يجب معه و به.و لمّا كانت منافع الإنسان و ضروراته فى الأغلب يقوم بها من كان أقرب إليه من أهله و عشيرته و لم يجب فى الحكمه أن لا يكون له نفع له إلاّ من جهتهم لا جرم أنّهم إذا ضيّعوه و أهملوه لابدّ أن يقدّر اللّه له من يقوم بمصالحه و معاونته ممّن هو أبعد عنه.

١٠-و قال عليه السلام

اشاره

مَا كُلُّ مَفْتُونٍ يُعَاتَبُ

المعنى

الفتنه قد تكون فى الدين و قد تكون فى الدنيا و قد تكون فيهما،و على التقديرات فقد تلحق الإنسان بسبب منه من جهل بسيط أو مركّب و قد تلحقه أسباب قدريّه خارجيّه معلومه و غير معلومه.و الّذى يعاتب على فتنته من هؤلاء من كانت أسباب فتنته منه أو بعضها كوقوع الفتنه لمصاحبه الفسّاق و نحوه.هذا إذا حملنا اللفظ على ظاهره،و يحتمل أن يريد ليس كلّ مفتون ينفع معه العتاب.

١١-و قال عليه السلام

اشاره

تَذِلُّ الْأُمُورُ لِلْمَقَادِيرِ حَتَّى يَكُونَ الْحَتْفُ فِى التَّدْبِيرِ

المعنى

استعار ذلّ الامور لمطاوعتها للقدر و جريانها على وفق القضاء.و لمّا كان الإنسان جاهلا بأسرارا لقدر جاز أن يكون من غايات

مطاوعه الأمور للقدر كون ما يعتقده الإنسان الجاهل مصلحه و يفعله تدبّرا لمنفعه سببا لحتفه و هلاكه.و

ص:۲۴۶

۱- ۱) ۷-۱۴.

فیه إیماء إلی وجوب إسناد الامور إلی اللّه و عدم التوکّل علی التدبیر،و الانقطاع إلیه.

۱۲-و سئل عن قول الرسول صلی الله علیه و آله و سلم

اشاره

«غیروا الشیب و لا تشبهوا بالیهود»فقال علیه السلام:

إِنَّمَا قَالَ ص ذَلِکَ وَ الدِّینُ قُلٌّ- فَأَمَّا الْآنَ وَ قَدِ اتَّسَعَ نِطَاقُهُ وَ ضَرَبَ بِجِرَانِهِ- فَامْرُؤٌ وَ مَا اخْتَارَ

اللغه

النطاق : شقّه طویله عریضه تنجرّ علی الأرض إذا لبست .و جران البعیر : صدره .

المعنی

کنایه و کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی أوّل الإسلام یأمر أهل الشیب من المسلمین بتغییر شیبهم و یبدئهم إلیه،و کان ینفّرهم عن ترکه بکونه تشبّها بالیهود لأنّ الیهود لم یکونوا یفعلون ذلک.

فکانوا یخضبون بالسواد.و قیل:بالحنّاء.و الغرض أن ینظر إلیهم الکفّار بعین القوّه و الشبیبه فینفعلون عنهم و لا یطمعون فیهم .فسئل علیه السّلام عن ذلک فی زمن خلافته فجعله من المباح دون المندوب،و أشار إلی أنّ تلک السنّه إنّما کانت حیث کان المسلمون قلیلین فأمّا الآن و قد کثروا و ضعف الکفّار فهو مباح،و کنّی عن ذلک بقوله: فامرء و ما اختار . استعاره و استعار لفظ النطاق لمعظمه و ما انتشر منه.و لفظ الضرب بالجران لثباته و استقراره و ملاحظه لشبهه بالبعیر البارک .و قوله:فامرء مبتدأ و ما اختار عطف علیه،و ما مصدریّه و خبر المبتدأ محذوف تقدیره مقرونان کقولهم کلّ امرء وضیعته.و باللّه التوفیق.

۱۳-و قال علیه السلام فی الذین اعتزلوا القتال معه:

اشاره

خَذَلُوا الْحَقَّ وَ لَمْ یَنْصُرُوا الْبَاطِلَ

المعنی

منهم عبد اللّه بن عمر و جماعه من القرّاء و غیرهم کأبی موسی الأشعریّ و الأحنف بن قیس فی حرب صفّین.و یشبه أن یکون هذا إشاره إلی توسّط درجتهم

فى الضلال و يجرى مجرى العذر لهم.فكأنّه قال:إنّهم و إن خذلوا الحقّ معنا لم ينصروا الباطل مع خصومنا.

۱۴-و قال عليه السلام

اشاره

مَنْ جَرَى فِي عِنَانِ أَمَلِهِ عَثَرَ بِأَجَلِهِ

المعنى

استعاره و هو تنفير عن تطويل الأمل بذكر قطعه بالأجل،و استعار لفظ العنان له ملاحظه لشبهه بالفرس،و لفظ الجرى للاندفاع فى الأمل بحسب تطويله و لفظ العثار للامتناع عن ذلك الجرى بعارض الأجل و قواطعه كعثار العادى بما يعرض له من حجر و نحوه .

۱۵-و قال عليه السلام

اشاره

أَقِيلُوا ذَوِي الْمُرُوءَاتِ عَثَرَاتِهِمْ- فَمَا يَعْثُرُ مِنْهُمْ عَاثِرٌ إِلاَّ وَ يَدُ اللَّهِ بِيَدِهِ يَرْفَعُهُ

المعنى

استعاره رغّب فى إقاله ذوى المروّات عثراتهم الّتى يتّفق وقوعها نادرا كبيعهم لما يلحقهم الندم عليه و نحوه بذكر كون يد اللّه بأيديهم يرفعهم،و استعار لفظ العثرات لما يقع منهم خطأ و من غير تثبت،و لفظ اليد لعنايه اللّه و قدرته . كنايه و كنّى عن تعلّقاته و تداركك حاله بكون يده بيده يرفعه و ذلك أنّ المروّه فضيله عظيمه يستجلب همم الخلق و قلوبهم و مساعداتهم،بحسب ذلك يكون استعداد العاثر من ذوى المروّات لعنايه اللّه و قيامه من عثرته .

۱۶-و قال عليه السلام

اشاره

قُرِنَتِ الْهَيْبَهُ بِالْخَيْبَهِ وَ الْحَيَاءُ بِالْحِرْمَانِ- وَ الْفُرْصَهُ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ فَانْتَهِزُوا فُرَصَ الْخَيْرِ

المعنى

أراد بالهيبه الخوف من المقابل.و ظاهر أنّ ذلك يستلزم عدم قضاء الحاجه منه و الظفر بالمطلوب لعدم الانبساط فى القول معه و هو معنى اقترانها بالخيبه،و

كذلك الحياء بالحرمان لاستلزام الحياء ترك الطلب و التعرّض له.و هو تنفير عن الهيبه و الحياء المذمومين .ثمّ أمر بانتهاز فرص الخير:أى المبادره إلى فعله عند حضور وقت إمكانه،و رغّب فى ذلك بضمير صغراه قوله:الفرصه تمرّ مرّ السحاب:

أى أنّها سريعه الزوال،و تقدير الكبرى:و كلّما كان كذلك فواجب أن يبادر إليه و يغتنم وقت إمكانه.

١٧-و قال عليه السلام

اشاره

لَنَا حَقٌّ فَإِنْ أُعْطِينَاهُ وَ إِلاَّ رَكِبْنَا أَعْجَازَ الْإِبِلِ- وَ إِنْ طَالَ السُّرَى قال الرضى:و هذا من لطيف الكلام و فصيحه،و معناه إنا إن لم نعط حقنا كنا أذلاء،و ذلك أن الرديف يركب عجز البعير كالعبد و الأسير و من يجرى مجراهما.

المعنى

كنايه و قال الأزهرىّ فى تهذيب اللغه:قال القتيبىّ:أعجاز الإبل:مآخيرها-جمع عجز-و هو مركب شاقّ.قال:و معناه إن منعنا حقّنا ركبنا مركب المشقّه و صبرنا عليه و إن طال،و لم ينجز منه محلّين بحقّنا.ثمّ قال الأزهرى:لم يرد على عليه السّلام ركوب المشقّه و لكنّه ضرب أعجاز الإبل مثلا لتأخّره عن غيره فى حقّه من الإمامه و تقدّم غيره عليه فأراد إن منعنا حقّنا منها و أخّرنا عن ذلك صبرنا على الأثره فيها و إن طالت الأيّام.و السرى:سير الليل.و أقول:الّذى ذكره الثلاثه احتمالات حسنه و هى متقاربه لأنّ ركوب الأعجاز مظنّه الذلّه و المشقّه و تأخّر المنزله.و يحتمل أن يكون كلّها مراده له.و لم يفرّق الأزهرى بين المثل و الكنايه فإنّ ركوب الأعجاز كنايه عن الامور المذكوره،و كذلك طول السرى كنايه عن طول المشقّه لأنّه مظنّتها و ملزومها،و يحتمل أن يكون كنايه بالمثل .

١٨-و قال عليه السلام

اشاره

مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ

ص:٢۴٩

المعنی

أی من لم یکن له عمل صالح حسن فتأخّر بسبب ذلک عن معالی الرتب الدنیویّه و الاخرویّه لم یسرع به حسبه و شرف بیته إلیها إن کان ذا حسب. کنایه مقابله و کنّی ببطؤ عمله عن عدم وصوله إلی الخیر لعدم ما یوصله إلیه من زکیّ العمل و جعل الإسراع فی مقابله البطؤ .

۱۹-و قال علیه السلام

اشاره

مِنْ کَفَّارَاتِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ إِغَاثَهُ الْمَلْهُوفِ- وَ التَّنْفِیسُ عَنِ الْمَکْرُوبِ

اللغه

الملهوف : المظلوم یستغیث :و التنفیس . التفریج من الغمّ الّذی یأخذ بنفسه .

المعنی

و جعلها من کفّارات الذنوب العظام لکونها فضیله عظیمه تستلزم فضایل کالرحمه و العدل و السخاء و المروّه و غیرها.و ظاهر أنّ حصول هذه الملکات فی النفس ممّا یستلزم ستر الذنوب و محوها و منافات ملکات السوء الّتی یعبّر عنها بالسیّئات و الذنوب کما سبقت الإشاره إلیه.

۲۰-و قال علیه السلام

اشاره

یَا ابْنَ آدَمَ إِذَا رَأَیْتَ رَبَّکَ سُبْحَانَهُ یُتَابِعُ عَلَیْکَ نِعَمَهُ- وَ أَنْتَ تَعْصِیهِ فَاحْذَرْهُ

المعنی

نفّر الإنسان عن معصیه اللّه حال متابعه نعمه علیه بتحذیره منه،و ذلک أنّه لمّا کان دوام شکرها یعدّ للمزید منها کان کفرانها و مقابلتها بالمعصیه المستلزم لعدم الشکر مستلزما لعدم الاستعداد للمزید و معدّا للنقصان و نزول النقمه کما قال تعالی «وَ لَئِنْ کَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِی لَشَدِیدٌ» (۱)و هو محلّ الحذر منه.و الواو فی قوله:و أنت.للحال.

۲۱-و قال علیه السلام

اشاره

مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئاً إِلاَّ ظَهَرَ فِی فَلَتَاتِ لِسَانِهِ- وَ صَفَحَاتِ وَجْهِهِ

۱- ۱) ۷-۱۴.

اللغه

الفلته : الأمر يقع من غير تروّ .و صفحه الوجه : بشرته .

المعنى

و لمّا كان الإنسان إنّما يضمر فى نفسه أمرا مهمّا عنده من عداوه أو بغض أو محبّه إلى غير ذلك،و كان الوجود اللسانى عباره عن الوجود النفسانىّ و مظهرا له لم يتمكّن المرء أن يحفظ ما أضمره بالكلّيه لأنّ مراعات ذلك الحفظ إنّما يكون للعقل بحسب ما يراه من المصلحه،و العقل قد يشتغل بالتصرّف فى مهمّ آخر فيغفل عن ضبط ما أضمره فينفلت الخيال به من سرّ العقل فيبعثه فى فلتات القول عن غير تروّ،و كذلك لمّا كان التصوّرات و الامور النفسانيّه مبادئ للآثار الظاهره كصفره الوجل و حمره الخجل لم ينفكّ بعض الامور المضمره عن ظهور ما يعرف به من الآثار فى صفحات الوجه و العين.و شاهد ذلك التجربه.

۲۲-و قال عليه السلام

اشاره

اِمْشِ بِدَائِكَ مَا مَشَى بِكَ

المعنى

و فى روايه:ما حملك:أى ما دام المرض لا يهظك و يعجزك فلا تنفعل عنه و لا تتعاجز به،بل كن فى صوره الأصحّاء.و قيل:فيه إيماء إلى ما أمر به من كتمان المرض كما قال الرسول صلّى اللّه عليه و آله:من كنوز البرّ كتمان الصدقه و المرض و المصيبه.

و ربّما كانت فائده ذلك كونه نوع تجلّد،و التجلّد معاونه للطبيعه و تقويه لها على المرض،و من المرض ما يتحلّل بالحركات البدنيّه.و استعاد للمرض وصف الماشى باعتبار أنّه لا يلزمه الأرض و الفراش فهو كالحامل له و الماشى به.

۲۳-و قال عليه السلام

اشاره

أَفْضَلُ الزُّهْدِ إِخْفَاءُ الزُّهْدِ

المعنى

الزهد منه ظاهر و منه خفىّ و هو الزهد الحقيقىّ المنتفع به كما قال صلّى اللّه عليه و آله:

إنّ اللّه لا ينظر إلى صوركم و لا إلى أعمالكم و لكن ينظر إلى قلوبكم.فلذلك كان أفضل.و المراد الزهد الخفيّ.فأضاف الصفه إلى الموصوف و قدّمها لأنّها أهمّ و لأنّ الزهد الظاهر يكاد لا ينفكّ عن رياء و سمعه فكان مفضولا.

۲۴-و قال عليه السلام

اشاره

إِذَا كُنْتَ فِی إِدْبَارٍ وَ الْمَوْتُ فِی إِقْبَالٍ

ص:۲۵۱

فَما أَسْرَعَ الْمُلْتَقى

المعنی

و هو جذب بإقبال الموت و لقائه إلی الاستعداد له و لما بعده بالأعمال الصالحه، و الإدبار و الإقبال أمران اعتباریّان لأنّ الإنسان باعتبار أجزاء مدّته وقتا فوقتا فی إدبار،و بحسب ذلک یکون اعتبار فنائه فی إقباله إلیه،و بحسبهما یکون سرعه التقائهما.و الملتقی مصدر.

۲۵-و قال علیه السلام

اشاره

اَلْحَذَرَ الْحَذَرَ فَوَاللّهِ لَقَدْ سَتَرَ حَتّی کَأَنَّهُ قَدْ غَفَرَ

المعنی

حذّر من سخط اللّه بسبب معصیته لطول إمهاله و ستره إلی الغایه المذکوره.

و قوله:فو اللّه.إلی آخره صغری ضمیر تقدیر کبراه:و کلّ من ستر علی عبده إلی الغایه المذکوره فواجب أن یحذر غضبه و یجتنب معصیته و یرجع إلی طاعته الّتی هی الغایه من عنایته بستره.

۲۶-و سئل علیه السلام عن الایمان فقال

اشاره

اَلْإِیمَانُ عَلَی أَرْبَعِ دَعَائِمَ- عَلَی الصَّبْرِ وَ الْیَقِینِ وَ الْعَدْلِ وَ الْجِهَادِ- وَ الصَّبْرُ مِنْهَا عَلَی أَرْبَعِ شُعَبٍ- عَلَی الشَّوْقِ وَ الشَّفَقِ وَ الزُّهْدِ وَ التَّرَقُّبِ- فَمَنِ اشْتَاقَ إِلَی الْجَنَّهِ سَلاَ عَنِ الشَّهَوَاتِ- وَ مَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ اجْتَنَبَ الْمُحَرَّمَاتِ- وَ مَنْ زَهِدَ فِی الدُّنْیَا اسْتَهَانَ بِالْمُصِیبَاتِ- وَ مَنِ ارْتَقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ إِلَی الْخَیْرَاتِ- وَ الْیَقِینُ مِنْهَا عَلَی أَرْبَعِ شُعَبٍ- عَلَی تَبْصِرَهِ الْفِطْنَهِ وَ تَأَوُّلِ الْحِکْمَهِ- وَ مَوْعِظَهِ الْعِبْرَهِ وَ سُنَّهِ الْأَوَّلِینَ- فَمَنْ تَبَصَّرَ فِی الْفِطْنَهِ تَبَیَّنَتْ لَهُ الْحِکْمَهُ- وَ مَنْ تَبَیَّنَتْ لَهُ الْحِکْمَهُ عَرَفَ الْعِبْرَهَ- وَ مَنْ

عَرَفَ الْعِبْرَهَ فَکَأَنَّمَا کَانَ فِی الْأَوَّلِینَ- وَ الْعَدْلُ مِنْهَا عَلَی أَرْبَعِ شُعَبٍ- عَلَی غَائِصِ الْفَهْمِ وَ غَوْرِ الْعِلْمِ- وَ زُهْرَهِ الْحُکْمِ وَ رَسَاخَهِ الْحِلْمِ- فَمَنْ فَهِمَ عَلِمَ غَوْرَ الْعِلْمِ- وَ مَنْ عَلِمَ غَوْرَ الْعِلْمِ صَدَرَ عَنْ شَرَائِعِ الْحُکْمِ-وَ مَنْ حَلُمَ لَمْ یُفَرِّطْ فِی أَمْرِهِ وَ عَاشَ فِی النَّاسِ حَمِیداً- وَ الْجِهَادُ مِنْهَا عَلَی أَرْبَعِ شُعَبٍ- عَلَی الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْیِ عَنِ الْمُنْکَرِ- وَ الصِّدْقِ فِی الْمَوَاطِنِ وَ شَنَآنِ الْفَاسِقِینَ- فَمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَّ ظُهُورَ الْمُؤْمِنِینَ- وَ مَنْ نَهَی عَنِ الْمُنْکَرِ أَرْغَمَ أُنُوفَ الْمُنَافِقِینَ- وَ مَنْ صَدَقَ فِی الْمَوَاطِنِ قَضَی مَا عَلَیْهِ- وَ مَنْ شَنِئَ الْفَاسِقِینَ وَ غَضِبَ لِلَّهِ غَضِبَ اللَّهُ لَهُ- وَ أَرْضَاهُ یَوْمَ الْقِیَامَهِ فقال ع وَ الْکُفْرُ عَلَی أَرْبَعِ دَعَائِمَ- عَلَی التَّعَمُّقِ وَ التَّنَازُعِ وَ الزَّیْغِ وَ الشِّقَاقِ- فَمَنْ تَعَمَّقَ لَمْ یُنِبْ إِلَی الْحَقِّ- وَ مَنْ کَثُرَ نِزَاعُهُ بِالْجَهْلِ دَامَ عَمَاهُ عَنِ الْحَقِّ- وَ مَنْ زَاغَ سَاءَتْ عِنْدَهُ الْحَسَنَهُ وَ حَسُنَتْ عِنْدَهُ السَّیِّئَهُ- وَ سَکِرَ سُکْرَ الضَّلَالَهِ- وَ مَنْ شَاقَّ وَعُرَتْ عَلَیْهِ طُرُقُهُ وَ أَعْضَلَ عَلَیْهِ أَمْرُهُ- وَ ضَاقَ عَلَیْهِ مَخْرَجُهُ- وَ الشَّکُّ عَلَی أَرْبَعِ شُعَبٍ- عَلَی التَّمَارِی وَ الْهَوْلِ وَ التَّرَدُّدِ وَ الِاسْتِسْلَامِ- فَمَنْ جَعَلَ الْمِرَاءَ دَیْدَناً لَمْ یُصْبِحْ لَیْلُهُ- وَ مَنْ هَالَهُ مَا بَیْنَ یَدَیْهِ نَکَصَ عَلَی عَقِبَیْهِ- وَ مَنْ تَرَدَّدَ فِی الرَّیْبِ وَطِئَتْهُ سَنَابِکُ الشَّیَاطِینِ-

ص:۲۵۳

وَ مَنِ اسْتَسْلَمَ لِهَلَكَهِ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَهِ هَلَكَ فِيهِمَا قال الرضى:و بعد هذا كلام تركنا ذكره خوف الاطاله و الخروج عن الغرض المقصود فى هذا الكتاب.

اللغه

أقول: الدعائم : أعمده البيت .و الشعبه : الغصن .و التبصّر : التعرّف .و التأويل : التفسير .و الزهره : النور .و الشنئان : البغض .و التعمّق : التعسّف فى معنى الكلام .و أعضل : اشتدّ .و التمارى : المماراه .و الهول: الفزع .و الديدن : العاده .و السنابك : جمع سنبك و هو طرف حافر الفرس .

المعنى

و اعلم أنّ هذا الفصل من لطائف الحكمه.و مداره على شرح قواعد الإيمان و الإشاره إلى فروع تلك القواعد ثمّ إلى ثمرات تلك الفروع.و لمّا كان الكفر مضادّا للإيمان،و الشكّ مقابلا له مقابله العدم للملكه أشار إلى دعايم الكفر و شعب الشكّ لتبيّن بهما الايمان.إذ بضدّها يتبيّن الأشياء:أمّا الايمان فاعلم أنّه عليه السّلام أراد الايمان الكامل و ذلك له أصل و له كمالات بها يتمّ أصله فأصله لهو التصديق بوجود الصانع تعالى و ماله من صفات الكمال و نعوت الجلال و بما تنزّلت به كتبه و بلّغته،و كمالاته المتمّمه هى الأقوال المطابقه و مكارم الأخلاق و العبادات.

ثمّ إنّ هذا الأصل و متمّماته هو كمال النفس الإنسانيّه لأنّها ذات قوّتين علميّه و عمليّه و كمالها بكمال هاتين القوّتين.فأصل الإيمان هو كمال القوّه العلميّه منها و متمّماته و هى مكارم الأخلاق و العبادات هى كمال القوّه العمليّه.

إذا عرفت هذا فنقول: استعاره لمّا كانت اصول الفضائل الخلقيّه الّتى هى كمال الإيمان أربعا هى الحكمه و العفّه و الشجاعه و العدل أشار إليها،و استعار لها لفظ الدعائم باعتبار أنّ الإيمان الكامل لا يقوم فى الوجود إلّا بها كدعائم البيت فعبّر عن الحكمه باليقين.و الحكمه منها علميّه و هى استكمال القوّه النظريّه بتصوّر الأمور و التصديق بالحقايق النظريّه و العمليّه بقدر الطاقه البشريّه.و لا تسمّى حكمه حتّى يصير هذا

الکمال حاصلا لها بالیقین البرهانیّ.و منها عملیّه و هی استکمال النفس بملکه العلم بوجوه الفضائل النفسانیّه الخلقیّه و کیفیّه اکتسابها،و وجوه الرذائل النفسانیّه و کیفیّه الاحتراز عنها و اجتنابها،و ظاهر أنّ العلم الّذی صار ملکه هو الیقین. مجاز و عبّر عن العفّه بالصبر .و العفّه هی الإمساک عن الشره فی فنون الشهوات المحسوسه و عدم الانقیاد للشهوه و قهرها و تصریفها بحسب الرأی الصحیح و مقتضی الحکمه المذکوره،و إنّما عبّر عنها بالصبر لأنّها لازم من لوازمه.

إذ رسمه أنّه ضبط النفس و قهرها عن الانقیاد لقبایح اللذّات .و قیل:هو ضبط النفس عن أن یقهرها ألم مکروه ینزل بها و یلزم فی العقل احتماله أو یغلبها حبّ مشتهی یتوق الإنسان إلیه و یلزم فی حکم العقل اجتنابه حتّی لا یتناوله علی غیر وجهه.و ظاهر أنّ ذلک یلازم العفّه، مجاز إطلاقا لاسم الملزوم علی لازمه و کذلک عبّر عن الشجاعه بالجهاد لاستلزامه إیّاها إطلاقا لاسم الملزوم علی لازمه.و الشجاعه هی ملکه الإقدام الواجب علی الامور الّتی یحتاج الإنسان أن یعرّض نفسه لاحتمال المکروه و الآلام الواصله إلیه منها ،و أمّا العدل فهو ملکه فاضله تنشأ عن الفضائل الثلاث المشهوره و تلزمها.

و قد علمت فیما سلف أنّ کلّ واحده من هذه الفضائل محتوشه برذیلتین هما طرفا الإفراط و التفریط منها و مقابله برذیله هی ضدّها .و أمّا شعب هذه الدعائم:فاعلم أنّه جعل لکلّ دعامه منها أربع شعب من الفضائل یتشعّب منها و یتفرّع علیها فهی کالفروع لها و الأغصان:أمّا شعب الصبر الّذی هو عباره عن ملکه العفّه:

فأحدها:الشوق إلی الجنّه و محبّه الخیرات الباقیه.

الثانی:الشفق و هو الخوف من النار و ما یؤدّی إلیها.

الثالث:الزهد فی الدنیا و هو الإعراض بالقلب عن متاعها و طیّباتها.

الرابع:ترقّب الموت.و هذه الأربع فضایل منبعثه عن ملکه العفّه لأنّ کلاّ منها یستلزمها .

و أمّا شعب الیقین:

فأحدها:تبصره الفطنه و إعمالها.و الفطنه هی سرعه هجوم النفس علی

حقايق ما تورده الحواسّ عليها.

الثانى:تأوّل الحكمه و هو تفسيرها و اكتساب الحقائق ببراهينها و استخراج وجوه الفضائل و مكارم الأخلاق من مظانّها ككلام يؤثر أو عبره يعتبر.

الثالث:موعظه العبره و هو أن يحصل من اعتبار العبر على اتّعاظ و انزجار الرابع:أن يلحظ سنّه الأوّلين حتّى يصير كأنّه فيهم.و هذه الأربع هى فضائل تحت الحكمه كالفروع لها،و بعضها كالفرع للبعض .

و أمّا شعب العدل:

فأحدها:غوص الفهم:أى الفهم الغائص فأضاف الصفه إلى الموصوف و قدّمها للاهتمام بها.و رسم هذه الفضيله أنّها قوّه إدراك المعنى المشار إليه بلفظ أو كتابه أو إشاره و نحوها.

الثانى:غور العلم و أقصاه و هو العلم بالشىء كما هو بحقيقته و كنهه.

الثالث:نور الحكم:أى يكون الأحكام الصادره عنه نيّره واضحه لا لبس و لا شبهه.

الرابع:ملكه الحلم.و عبّر عنها بالرسوخ لأنّ شأن الملكه ذلك.و الحلم هو الإمساك عن المبادره إلى قضاء و طر الغضب فيمن يجنى عليه جنايه يصل مكروهها إليه.و اعلم أنّ فضيلتى جوده الفهم و غور العلم و إن كانتا داخلتين تحت الحكمه و كذلك فضيله الحلم داخله تحت ملكه الشجاعه إلاّ أنّ العدل لمّا كان فضيله موجوده فى الاصول الثلاثه كانت فى الحقيقه هى و فروعها شعبا للعدل.بيانه:أنّ الفضائل كلّها ملكات متوسّطه بين طرفى إفراط و تفريط و توسّطها ذلك هو معنى كونها عدلا.فهى بأسرها شعب له و جزئيّات تحته .

و أمّا شعب الشجاعه المعبّر عنها بالجهاد:

فأحدها:الأمر بالمعروف.

و الثانى:النهى عن المنكر.

و الثالث:الصدق فى المواطن المكروهه.و وجود الشجاعه فى هذه الشعب

الثلاث ظاهر.

و الرابع:شنئان الفاسقين،و ظاهر أنّ بعضهم مستلزم لعداوتهم فى اللّه و ثوران القوّه الغضبيّه فى سبيله لجهادهم و هو مستلزم للشجاعه .

و أمّا ثمرات هذه الفضائل فأشار إليها للترغيب فى مثمراتها:

فثمرات شعب العفّه أربع:

أحدها:ثمره الشوق إلى الجنّه و هو السلوّ عن الشهوات و ظاهر كونه ثمره له.إذ السالك إلى اللّه ما لم يشتق إلى ما وعد المتّقون لم يكن له صارف عن الشهوات الحاضره مع توفّر الدواعى إليها فلم يسلّ عنها.

الثانيه:ثمره الخوف من النار و هو اجتناب المحرّمات.

الثالثه:ثمره الزهد و هى الاستهانه بالمصيبات لأنّ غالبها و عامّها إنّما يلحق بسبب فقد محبوب من الامور الدنيويّه فمن أعرض عنها بقلبه كانت المصيبه بها هيّنه عنده.

الرابعه:ثمره ترقّب الموت و هى المسارعه فى الخيرات و العمل له و لما بعده .

و أمّا ثمرات اليقين فإنّ بعض شعبه ثمره لبعض فإنّ تبيّن الحكمه و تعلّمها ثمرات لإعمال الفطنه و الفكره و معرفه العبر و مواقع الاعتبار بالماضيين،و الاستدلال بذلك على صانع حكيم ثمره لتبيّن وجوه الحكمه و كيفيّه الاعتبار.

و أمّا ثمرات العدل فبعضها كذلك أيضا.و ذلك أنّ جوده الفهم و غوصه مستلزم للوقوف على غور العلم و غامضه،و الوقوف على غامض العلم مستلزم للوقوف على شرائع الحكم العادل و الصدور عنها بين الخلق من القضاء الحقّ.

و أمّا ثمره الحلم فعدم وقوع الحليم فى طرف التفريط و التقصير عن هذه الفضيله و هو رذيله الجبن،و أن يعيش فى الناس محمودا بفضيلته .

و أمّا ثمرات الجهاد:

فأحدها:ثمره الأمر بالمعروف و هو شدّ ظهور المؤمنين و معاونتهم على إقامه الفضيله.

الثانيه:ثمره النهى عن المنكر.و هى إرغام انوف المنافقين و إذلالهم بالقهر عن ارتكاب المنكرات و إظهار الرذيله.

الثالثه:ثمره الصدق فى المواطن المكروهه و هى قضاء الواجب من أمر اللّه تعالى فى دفع أعدائه و الذبّ عن الحريم.

و الرابعه:ثمره بغض الفاسقين و الغضب للّه و هى غضب اللّه لمن أبغضهم و إرضاه يوم القيامه فى دار كرامته .

و أمّا الكفر فرسمه أنّه جحد الصانع أو إنكار أحد رسله عليهم،أو ما علم مجيئهم به بالضروره.و له أصل هو ما ذكرناه،و كمالات و متمّمات هى الرذائل الأربع الّتى جعلها دعائم له و هى الرذائل من الاصول الأربعه للفضائل الخلقيّه:

فأحدها:التعمّق و هو الغلوّ فى طلب الحقّ و التعسّف فيه بالجهل و الخروج إلى حدّ الإفراط و هو رذيله الجور من فضيله العدل و يعتمد الجهل بمظانّ طلب الحقّ.و نفّر عن هذه الرذيله بذكر ثمرتها و هى عدم الإنابه إلى الحقّ و الرجوع إليه لكون تلك الرذيله صارت ملكه.

و الثانيه:التنازع و هو رذيله الإفراط من فضيله العلم و يسمّى جربزه و يعتمد الجهل المركّب و لذلك نفّر عنه بما يلزمه عند كثرته و صيرورته ملكه من دوام العمى عن الحقّ.

و الثالثه:الزيغ و يشبه أن يكون رذيله الإفراط من فضيله العفّه و هو الميل عن حاق الوسط منها إلى رذيله الفجور و يعتمد الجهل،و لذلك يلزمه قبح الحسنه و حسن السيّئه استعاره و سكر الضلاله ،و استعار لفظ السكر لغفله الجهل باعتبار ما يلزمهما من سوء التصرّف و عدم وضع الأشياء مواضعها،و يحتمل أن يكون إشاره إلى رذيله التفريط من فضيله الحكمه المسمّاه غباوه .

و الرابعه:الشقاق و هو رذيله الإفراط من فضيله الشجاعه المسمّاه تهوّرا أو مستلزما له.و يلزمها توعّر المسالك على صاحبها و ضيق مخرجه من الأمور لأنّ مبدء سهوله المسالك و اتّساع المداخل و المخارج فى الأمور و هو مسالمه الناس و التجاوز

عمّا يقع منهم و الحلم عنهم و احتمال مكروههم .

و أمّا الشكّ فعباره عن التردّد فی اعتقاد أحد طرفی النقیض،و یقابل الیقین کما سبق.و ذکر له أربع شعب:

أحدها:التماری و ظاهر أنّ مبدء المراء الشکّ و نفّر من اتّخذه ملکه و عاده بکونه لا یصبح لیله،و ذلک کنایه عن عدم وضوح الحقّ له من ظلمه لیل الشکّ و الجهل.

الثانی:الهول لأنّ الشک فی الأمور یستلزم عدم العلم بما فیها من صلاح أو فساد،و ذلک یستلزم الفزع و الخوف من الإقدام علیها.و ثمرتها النکوص و الرجوع علی الأعقاب.

کنایه الثالث:التردّد فی الشکّ:أی الانتقال من حاله إلی حاله و من شکّ فی أمر إلی شکّ فی آخر من غیر ثقه بشیء.و ذلک دأب من تعوّد التشکّک فی الامور.و نفّر عن ذلک بما یلزمه ممّا کنّی عنه بوطیء سنابک الشیاطین و هو ملک الوهم و الخیال لأرض قلبه حتّی یکون سلطان العقل بمعزل عن الجزم بما من شأنه الجزم به .

الرابعه:الاستسلام لهلکه الدنیا و الآخره.و لزومه عن الشکّ لأنّ الشاکّ فی الأمور الدنیویّه و الاخرویّه المتعوّد لذلک غیر عامل لشیء منها و لا مهتمّ بأسبابها و بحسب ذلک یکون استسلامه لما یرد منها علیه.و لزوم هلاکه فیهما لاستسلامه ظاهر.و باللّه التوفیق.

۲۷-و قال علیه السّلام

اشاره

فَاعِلُ الْخَیْرِ خَیْرٌ مِنْهُ وَ فَاعِلُ الشَّرِّ شَرٌّ مِنْهُ

المعنی

و إنّما کان کذلک لأنّ العلّه أقوی من معلولها فکان أقوی فی خیریّته و شریّته و تأثیرهما ممّا صدر عنه من خیر أو شرّ.

۲۸-و قال علیه السّلام

اشاره

کُنْ سَمْحاً وَ لاَ تَکُنْ مُبَذِّراً- وَ کُنْ مُقَدِّراً وَ لاَ تَکُنْ مُقَتِّراً

المعنی

و هو أمر بفضیله السماحه و الکرم و نهی عن الکون علی طرفی الإفراط و التفریط منها فطرف الإفراط هو التبذیر و طرف التفریط هو التقتیر.

۲۹-و قال علیه السّلام

اشاره

أَشْرَفُ الْغِنَی تَرْکُ الْمُنَی

المعنی

المنی:جمع منیه بمعنی التمنّی.و لمّا کان ذلک رذیله تلزم عن رذایل کالشره و الحرص و نحوهما.و أقلّها أنّها اشتغال عمّا یعنی بما لا فائده فیه رغّب فی ترکها بأن فسّر به أشرف الغنی حتّی جعله هو هو،و ظاهر أنّ ترک المنی یستلزم القناعه.و استلزامها للغنی النفسانیّ و عدم الحاجه ظاهر.

۳۰-و قال علیه السّلام

اشاره

مَنْ أَسْرَعَ إِلَی النَّاسِ بِمَا یَکْرَهُونَ-قَالُوا فِیهِ بِمَا لاَ یَعْلَمُونَ

المعنی

لمّا کان من شأن الطبع النفره عن الأذی و بغض الموذی و عداوته کان من شأنه فی غالب الخلق تقبیح ذکره بما یمکن من قول صادق أو کاذب أو محتمل لغرض أن یوافقهم السامعون علی دفعه و أذاه.

۳۱-و قال علیه السّلام

اشاره

مَنْ أَطَالَ الْأَمَلَ أَسَاءَ الْعَمَلَ

المعنی

لمّا کان طول الأمل فی الدنیا مستلزما للإقبال علیها و الانهماک فی العمل لها و الغفله عن الآخره کان ذلک عملا سیّئا بالنسبه

إلی الآخره.

۳۲-و قال علیه السّلام

اشاره

و قد لقیه عند مسیره إلی الشام دهاقین الأنبار،فترجلوا له و اشتدوا بین یدیه،فقال: مَا هَذَا الَّذِی صَنَعْتُمُوهُ فَقَالُوا خُلُقٌ مِنَّا نُعَظِّمُ بِهِ أُمَرَاءَنَا- فَقَالَ وَ اللَّهِ مَا یَنْتَفِعُ بِهَذَا أُمَرَاؤُکُمْ- وَ إِنَّکُمْ

ص:۲۶۰

لَتشُقُّونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ فِى دُنْيَاكُمْ- وَ تَشْقَوْنَ بِهِ فِى آخِرَتِكُمْ -وَ مَا أَخْسَرَ الْمَشَقَّهَ وَرَاءَهَا الْعِقَابُ- وَ أَرْبَحَ الدَّعَهَ مَعَهَا الْأَمَانُ مِنَ النَّارِ

اللغه

اشتدّوا : عدوا بين يديه

المعنى

و الشقاء فى الآخره بذلك لأنّه تعظيم لغير اللّه.و حاصله تنفيرهم عمّا اعتمدوه معه بضمير صغراه قوله: و اللّه .إلى قوله: آخرتكم .و نبّه على الكبرى بقوله:و ما أخسر المشقّه ورائها العقاب و تقديرها:و كلّما كان مشقّه على النفس و يتبعها العقاب فى الآخره فهو أشدّ الخساره.و جذبهم إلى ترك ذلك بما يلزمه من الدعه و الراحه فى الدنيا مع الأمان من النار.فكأنّه قال:فينبغى أن يتركوا ذلك التكلّف فإنّه دعه و راحه مع الأمان من النار و كلّما كان كذلك فهو أعظم الأرباح.و إنّما يلزمهم الشقاء بذلك فى الآخره لكونه تعظيما لغير اللّه بما لا ينبغى إلاّ للّه.

۳۳-و قال عليه السّلام لابنه الحسن:

اشاره

يَا بُنَيَّ احْفَظْ عَنِّى أَرْبَعاً وَ أَرْبَعاً- لاَ يَضُرُّكَ مَا عَمِلْتَ مَعَهُنَّ- إِنَّ أَغْنَى الْغِنَى الْعَقْلُ وَ أَكْبَرَ الْفَقْرِ الْحُمْقُ- وَ أَوْحَشَ الْوَحْشَهِ الْعُجْبُ وَ أَكْرَمَ الْحَسَبِ حُسْنُ الْخُلُقِ- يَا بُنَيَّ إِيَّاكَ وَ مُصَادَقَهَ الْأَحْمَقِ- فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرَّكَ- وَ إِيَّاكَ وَ مُصَادَقَهَ الْبَخِيلِ- فَإِنَّهُ يَقْعُدُ عَنْكَ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ- وَ إِيَّاكَ وَ مُصَادَقَهَ الْفَاجِرِ فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ بِالتَّافِهِ- وَ إِيَّاكَ وَ مُصَادَقَهَ الْكَذَّابِ- فَإِنَّهُ كَالسَّرَابِ يُقَرِّبُ عَلَيْكَ الْبَعِيدَ وَ يُبَعِّدُ عَلَيْكَ الْقَرِيبَ

المعنى

إنّما قال:أربعا و أربعا لأنّ الأربع الأوّل من باب واحد و هو اكتساب الفضائل الخلقيّه النفسانيّه،و الأربع الثانيه من باب المعامله مع الخلق.و قيل:

لأنّ الاولى من باب الإثبات و الثانيه من باب النفى.أمّا الأربع الاولى:

فالاولى:العقل،و أراد المرتبه الثانيه من مراتب العقل النظرىّ المسمّى عقلا بالملكه و هو أن يحصل لنفسه من العلوم البديهيّه و الحسيّه و التجربيّه قوّه أن يتوصّل بها إلى العلوم النظريّه،و غايه ذلك أن يحصل على ما بعد هذه المرتبه من مراتب العقل.و رغّب فيه بكونه أغنى الغنى و ذلك أنّ به يحصل الدنيا و الآخره فهو اعظم أسباب الغنى و فيه الغنى.

الثانيه:الحمق و هو رذيله الغباوه و طرف التفريط من العقل المذكور و نفّر عنه بكونه أكبر الفقر لأنّه سبب للفقر من الكمالات خصوصا النفسانيّه الّتى بها الغنى التامّ فكان أكبر فقر.

الثالثه:العجب و هو رذيله الكبر،و تضادّ التواضع.و نفّر عنها بكونها أوحش الوحشه.و ظاهر كونها أقوى أسباب الوحشه و نفره الأنيس لأنّ تواضع المتواضع لمّا استلزم انس الخلق به و شدّه ميلهم إليه كان ضدّه مستلزما لنفرتهم و توحّشهم التامّ منه.

الرابعه:حسن الخلق و رغّب فيه بكونه أكرم الحسب لكونه أشرف الكمالات الباقيه.و هذه المنفّرات و المرغّبات صغريات ضماير .و أمّا الأربع الثانيه:

الاولى:الحذر من مصادقه الأحمق.و نفرّ عنه بما يلزم حمقه من وضع المضرّه موضع المنفعه عند إرادتها لعدم الفرق بينهما.

الثانيه:الحذر من مصادقه البخيل.و نفّر عنه بما يستلزم بخله من قعوده عن صاحبه عند الحاجه.و-أحوج-حال من الضمير فى عنك.

الثالثه :الحذر من مصادقه الفاجر.و الفجور رذيله الإفراط من فضيله العفّه و نفّر عنه بما يلزم فجوره من قلّه وفائه و بيعه بالتافه و هو القليل من المال.

ص:٢۶٢

تشبيه الرابعه : الحذر من مصادقه الكذّاب .و نفّر عنه بتشبيهه بالسراب،و أشار إلى وجه الشبهه بقوله:يقرّب.إلى آخره.و بيانه أنّ الكذّاب يوهم حقيقه ما يقول فيسهّل الأمور العسره البعيده و يجعلها قريبه المتناول و يبعّد الأمور السهله القريبه و يجعلها بعيده المتناول بحسب أغراضه و كذبه مع أنّه ليس كذلك فى نفس الأمر كالسراب الّذى يظنّ ماء و ليس به .و التنفيرات الأربع المقرونه بقوله:فإنّه.

صغريات ضماير تقدير كبرياتها:و كلّما كان كذلك فيجب أن يحذر صحبته و يجتنب مصادقته.و باللّه التوفيق.

۳۴-و قال عليه السّلام

اشاره

لَا قُرْبَه بِالنَّوَافِلِ إِذَا أَضَرَّتْ بِالْفَرَائِضِ

المعنى

و الإضرار بالفرائض:تنقيص بعض أركانها و شرائطها.و قد يفعل الإنسان ذلك لتعبه من الاشتغال بالنافله أو لما يريد أن يستقبله منها.و لا قربه فيما يستلزم ترك الواجب لاستلزامه المعصيه و العقاب و منافاتهما للقربه.

۳۵-و قال عليه السّلام

اشاره

لِسَانُ الْعَاقِلِ وَرَاءَ قَلْبِهِ وَ قَلْبُ الْأَحْمَقِ وَرَاءَ لِسَانِهِ قال الرضى:و هذا من المعانى العجيبه الشريفه،و المراد به أن العاقل لا يطلق لسانه إلاـ بعد مشاوره الرويه و مؤامره الفكره،و الأحمق تسبق حذفات لسانه و فلتات كلامه على مراجعه فكره و مماخضه رأيه،فكأن لسان العاقل تابع لقلبه،و كأن قلب الأحمق تابع للسانه.و روى عنه عليه السّـلام هذا الكلام بلفظ آخر،و هو:قلب الأحمق فى فمه،و لسان العاقل فى قلبه.

المعنى

استعاره و أقول:إنّه استعار لفظ الوراء فى الموضعين لما يعقل من تأخّر لفظ العاقل

عن رويّته و من تـأخّر رويّه الأـحمق و فكره فيمـا يقول عن بوادر مقـاله من غير مراجعه لعقله.و المعنى ما أشار إليه السـيّد-رحمه اللّه-.و على الروايه الاـخرى فـأراد أنّ مـا يتصوّره الأـحمق هو فى فيه:أى يبرز على لسانه من غير فكر،و أميا نطق العاقل فمخزون فى عقله لاـ يخرج إلاّـ عن رويّه صادقه . مجاز و لفظ القلب فى الأوّل مجاز فيما يبرز من تصوّراته فى ألفاظه،و لفظ اللسان مجاز فى ألفاظه الذهنيّه .

۳۶-و قال لبعض أصحابه فى عله اعتلها:

اشاره

جَعَلَ اللَّهُ مَا كَانَ مِنْ شَـكْوَاکَ حَطّاً لِسَيِّئَاتِکَ- فَإِنَّ الْمَرَضَ لاَ أَجْرَ فِيهِ- وَ لَكِنَّهُ يَحُطُّ السَّيِّئَاتِ وَ يَحُتُّهَا حَتَّ الْأَوْرَاقِ- وَ إِنَّمَا الْأَجْرُ فِي الْقَوْلِ بِاللِّسَانِ- وَ الْعَمَلِ بِالْأَيْدِى وَ الْأَقْدَامِ- وَ إِنَّ اللَّهَ سُـبْحَانَهُ يُدْخِلُ بِصِدْقِ النِّيَّهِ- وَ السَّرِيرَهِ الصَّالِحَهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْجَنَّهَ قـال الرضـى:و أقول صـدق عليه السّـلام،إن المرض لا أجر فيه،لأنه من قبيل ما يسـتحق عليه العوض لأن العوض يسـتحق على ما كـان فى مقـابله فعل اللّه تعالى بالعبـد من الالام و الامراض و ما يجرى مجرى ذلك،و الأجر و الثواب يسـتحقان على ما كان فى مقابله فعل العبد،فبينهما فرق قد بينه عليه السّلام كما يقتضيه علمه الثاقب و رأيه الصائب.

المعنى

و أقول:دعا عليه السّـلام لصاحبه بما هو ممكن و هو حطّ السـيّئات بسـبب المرض و لم يدع له بالأجر عليه معلّلا ذلك بقوله:فإنّ المرض لاـ أجر فيه.و السـرّ فيه أنّ الأجر و الثواب إنّما يسـتحقّ بالأفعال المعـدّه له كما أشار إليه بقوله:و إنّما الأجر فى القول.إلى كنايه قوله: الأقـدام :و كنّى بالأقـدام عن القيام بالعباده و كـذلك ما يكون كالفعل من عدمات الملكات كالصوم و نحوه على ما بيّناه قبل فأمّا المرض فليس هو بفعل العبد و لا عدم فعل من شأنه أن يفعله فأمّا حطّه للسيّئات فباعتبار أمرين.

أحدهما:أنّ المريض تنكسر شهوته و غضبه اللذين هما مبدء للذنوب و المعاصى و مادّتها.

استعاره و الثانى:أنّ من شأن المرض أن يرجع الإنسان فيه إلى ربّه بالتوبه و الندم على المعصيه و العزم على ترك مثلها كما قال تعالى «وَ إِذا مَسَّ الْإِنْسانَ الضُّرُّ دَعانا لِجَنْبِهِ أَوْ» قائِماً أَوْ قاعِداً (۱)الآيه.فما كان من السيّئات حالات غير متمكّنه من جوهر النفس فإنّه يسرع زوالها منها و ما صار ملكه فربّما يزول على طول المرض و دوام الإنابه إلى اللّه تعالى،و استعار لزوالها لفظ الحطّ و شبّهه فى قوّه الزوال و المفارقه بحطّ الأوراق .ثمّ نبّه عليه السّلام بقوله:و إنّ اللّه.إلى آخره على أنّ العبد إذا احتسب المشقّه فى مرضه للّه بصدق نيّته مع صلاح سريرته فقد يكون ذلك معدّا لإفاضه الأجر و الثواب عليه و دخوله الجنّه.و يدخل ذلك فى أعدام الملكات المقرونه بنيّه القربه إلى اللّه.و كلام السيّد-رحمه اللّه-مقتضى مذهب المعتزله.

۳۷-و قال عليه السّلام فى ذكر خباب بن الأرت:

اشاره

يَرْحَمُ اللَّهُ؟خَبَّابَ بْنَ الْأَرَتِّ؟ فَلَقَدْ أَسْلَمَ رَاغِباً- وَ هَاجَرَ طَائِعاً وَ عَاشَ مُجَاهِداً- طُوبَى لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعَادَ وَ عَمِلَ لِلْحِسَابِ- وَ قَنِعَ بِالْكَفَافِ وَ رَضِيَ عَنِ اللَّهِ

المعنى

خبّاب بالخاء المعجمه و الباء المشدّده كان من المهاجرين و من أصحابه عليه السّلام و مات بعد انصرافه من صفّين بالكوفه و هو أوّل من قبره عليه السّلام.و قد مدحه بأوصاف ثلاثه من أوصاف الصالحين:

أحدها:إسلامه عن رغبه و هو الإسلام المنتفع به.

۱- ۱) ۱۲-۱۵.

الثانی:مهاجرته إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله طائعا و هی الهجره التامّه عن رغبه فی اللّه و رسوله.

الثالث:کونه عاش مجاهدا أمّا مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فللکفّار،و أمّا فی وقته علیه السّلام فللبغاه و الخوارج و الناکثین.

و قوله :طوبی.إلی آخره.

فی معرض مدح خبّاب یشعر بأنّ خبّابا کان کذلک.و طوبی فعلی من الطیب.

قیل فی التفسیر:هی شجره فی الجنّه.رغّب بها فی ذکر المعاد و الحساب المستلزم للعمل لهما و لفضیله القناعه و الرضا عن اللّه فی قضائه و قدره.و القناعه فضیله تحت العفّه،و الرضا فضیله تحت العدل.

۳۸-و قال علیه السّلام:

اشاره

لَوْ ضَرَبْتُ خَیْشُومَ الْمُؤْمِنِ بِسَیْفِی هَذَا- عَلَی أَنْ یُبْغِضَنِی مَا أَبْغَضَنِی- وَ لَوْ صَبَبْتُ الدُّنْیَا بِجَمَّاتِهَا عَلَی الْمُنَافِقِ- عَلَی أَنْ یُحِبَّنِی مَا أَحَبَّنِی- وَ ذَلِکَ أَنَّهُ قُضِیَ فَانْقَضَی عَلَی لِسَانِ؟النَّبِیِّ الْأُمِّیِّ ص؟- أَنَّهُ قَالَ یَا؟عَلِیُّ؟ لاَ یُبْغِضُکَ مُؤْمِنٌ وَ لاَ یُحِبُّکَ مُنَافِقٌ

اللغه

الخیشوم : أصل الأنف .و الجمّات : جمع جمّه و هو مجتمع الماء من الأرض .

المعنی

و لمّا کان الایمان الحقّ یوجب الاتّحاد و صدق المحبّه فی اللّه بین المؤمنین لا جرم لم یجتمع معها البغض.و لمّا کان النفاق منافیا للایمان کان منافیا لما یلزمه من المحبّه فی اللّه فلا یجتمع معه و لو ببذل أجزل مال للمنافق. استعاره و استعار لفظ الجمّات لمجامع أموال الدنیا ملاحظه لمشابهته المعقوله،نعم قد یحصل بسبب ذلک محبّه عرضیّه فانیه بفناء مادّتها من بذل المال و نحوه و لیس الکلام فی ذلک النوع من المحبّه .

و ذلک سرّ قوله صلّی اللّه علیه و آله:لا یبغضک.إلی آخره.و أحال علیه السّلام ذلک علی ما قضی فانقضی أی قدّر علی لسان النبیّ صلّی اللّه علیه و آله.

۳۹-و قال علیه السّلام:

اشاره

سَیِّئَهٌ تَسُوءُکَ خَیْرٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ حَسَنَهٍ تُعْجِبُکَ

المعنی

أراد بالسیّئه الّتی تسوءه کذنب یصدر عنه فیندم علیه و یحزن لفعله،و بالحسنه الّتی تعجبه کصلاه أو صدقه یحصل بها إعجاب.فأمّا أنّ تلک السیّئه خیر عند اللّه من هذه الحسنه فلأنّ الندم المعاقب للسیّئه ماح لها و الحسنه المستعقبه للعجب مع إحباطها به یکون لها أثر هو سیّئه و رذیله تسوّد لوح النفس فکانت السیّئه أهون فکانت خیرا عند اللّه.

۴۰-و قال علیه السّلام:

اشاره

قَدْرُ الرَّجُلِ عَلَی قَدْرِ هِمَّتِهِ وَ صِدْقُهُ عَلَی قَدْرِ مُرُوءَتِهِ- وَ شَجَاعَتُهُ عَلَی قَدْرِ أَنَفَتِهِ وَ عِفَّتُهُ عَلَی قَدْرِ غَیْرَتِهِ

المعنی

أشار إلی امور أربعه و جعلها مبادی لامور أربعه:

أحدها:الهمّه و جعلها مبدءا لقدر الرجل.و قدره هو مقداره فی اعتبار الناس من رفعه رتبه و تبجیل أو خسّه و احتقار و هو من لوازم علوّ همّته أو دناءتها.

فعلوّ الهمّه هو أن لا یقتصر علی بلوغ غایه من الامور الّتی یزداد بها فضیله و شرفا حتّی یسمو إلی ما ورائها ممّا هو أعظم قدرا و أجلّ خطرا و یلزم ذلک نبله و تعظیمه و مدحه،و صغرها أن یقتصر علی محقّرات الامور و خسایسها و یقصر عن علیّاتها و بحسب ذلک یکون صغر خطره و قلّه قدره.

الثانیه:جعل مبدء الصدق المروّه.و المروّه فضیله یتعاطی معها الإنسان الأفعال الجمیله و اجتناب ما یعود إلیه بالنقص و إن کان مباحا فلذلک یلزمه الصدق فی مقاله،و بقدر قوّه هذه الفضیله و ضعفها یکون قوّه لازمها و ضعفها.

الثالثه:جعل الأنفه مبدءا للشجاعه.و الأنفه حمیّه الأنف و ثوران الغضب لما یتخیّل من مکروه یعرض استنکارا له و استنکافا من وقوعه.و ظاهر کونه مبدء

للشجاعه و الإقدام على الامور و بحسبها تكون قوّه الإقدام و ضعفه.

الرابعه:جعل الغيره مبدءا للعفّه.و الغيره نفره طبيعيّه يكون من الإنسان عن تخيّل مشاركه الغير فى أمر محبوب له أو معتقد لوجوب حفظه.و بحسب شدّه ذلك الاعتقاد و التخيّل و ضعفهما و تصوّر وقوع مثل ذلك الفعل فى نفسه أو حريمه مثلا يكون امتناعه عن مشاركه الغير و وقوفه عن اتّباع الشهوه فى مشاركه الناس فى الامور المحبوبه لهم كزوجه و نحوها.و هو معنى العفّه.

۴۱-و قال عليه السّلام:

اشاره

اَلظَّفَرُ بِالْحَزْمِ وَ الْحَزْمُ بِإِجَالَهِ الرَّأْيِ- وَ الرَّأْيُ بِتَحْصِينِ الْأَسْرَارِ

المعنى

الحزم أن يقدّم العمل فى الحوادث الواقعه فى باب الإمكان قبل وقوعها بما هو أقرب إلى السلامه و ابعد من الغرور.و إجاله الرأى:إعماله.و تحصين الأسرار:

كتمانها و حفظها.و أشار إلى المبدأ القريب للظفر و هو الحزم و إلى البعيد منها و هو كتمان السرّ و إلى الوسط منها و هو إجاله الرأى.فأمّا سببيّه كتمان السرّ للرأى الصحيح فلأنّ إظهار السرّ فيما يرى من الرأى فى الحرب و غيرها يستلزم ظهور العدوّ على ذلك و العمل فيما يعارضه و يفسده و ذلك من فاسد الرأى،و أمّا سببيّه إجاله الرأى فى اختيار المصلحه للحزم فلأنّه لولاه لجاز أن يكون العمل المتقدّم فى الحوادث المستقبله غير موافق فلا يحصل الحزم،و أمّا أنّ الحزم سبب للظفر فظاهر.

۴۲-و قال عليه السّلام:

اشاره

اِحْذَرُوا صَوْلَهَ الْكَرِيمِ إِذَا جَاعَ وَ اللَّئِيمِ إِذَا شَبِعَ

المعنى

أراد بالكريم شريف النفس ذا الهمّه العليّه. كنايه و جوعه كنايه عن شدّه حاجته

و ذلک مستلزم لثوران حمیّته و غضبه عند عدم التفات الناس إلیه،و حمل نفسه علی المبالغه فی طلب أمر کبیر یصول علیهم به و یتسلّط بواسطته علی قهرهم و مکافاتهم کالولایه علیهم و نحوها فلذلک أوجب الحذر منه و الاحتراز من صولته بالالتفات إلیه فی حاجته و أوقات ضرورته بما یدفعها.و شبع اللئیم کنایه عن غناه و عدم حاجته.و ذلک یستلزم استمراره علی مقتضی طباعه من اللؤم.و شبعه مؤکّد لذلک،و أمّا جوعه فربّما کان سببا لتغیّر أخلاقه و تجویدها لغرض.و استمرار ذی الشبع من اللئام علی مقتضی طباعه من اللؤم مستلزم لأذی من کان تحت یده و من یحتاج إلیه من الناس فمن الواجب إذن أن یحذر صولته و یحسم أسباب شبعه عند التمکّن من ذلک .

۴۳-و قال علیه السّلام:

اشاره

قُلُوبُ الرِّجَالِ وَحْشِیَّهٌ فَمَنْ تَأَلَّفَهَا أَقْبَلَتْ عَلَیْهِ

المعنی

جعل علیه السّلام الوحشه هنا أصلیّه و ذلک باعتبار کون الالفه مکتسبه.و الوحشه عدم الألفه عمّا من شأنه أن یألف.و المعنی ظاهر.

۴۴-و قال علیه السّلام:

اشاره

عَیْبُکَ مَسْتُورٌ مَا أَسْعَدَکَ جَدُّکَ

المعنی

سعاده الجدّ عباره عن حسن البخت و توافق أسباب المصلحه فی حقّ الإنسان و من مصالحه ستر العیوب و الرذائل و بحسب دوام ذلک یدوم سترهما.

۴۵-و قال علیه السّلام:

اشاره

أَوْلَی النَّاسِ بِالْعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلَی الْعُقُوبَهِ

المعنی

لمّا كانت فضيله العفو إنّما تطلق فى العرف على من قدر على العقوبه و لم يعاقب و كان العفو و القدره مقولين بالأشدّ و الأضعف لا جرم كانت أولويّه العفو تابعه لأولويّه القدره و أشدّيتها:أى من كان أشدّ قدره على العقوبه و عدمها كان أولى بأن يسمّى عفوا.

ص:۲۶۹

۴۶-و قال علیه السّلام:

اشاره

اَلسَّخَاءُ مَا كَانَ ابْتِدَاءً- فَأَمَّا مَا كَانَ عَنْ مَسْأَلَهٍ فَحَيَاءٌ وَ تَذَمُّمٌ

اللغه

التذمّم : الاستنكاف .

المعنى

و السخاء:عباره عن ملكه بذل المال لمن يستحقّه بقدر ما ينبغى ابتداءا عن طيب نفس و حسن المواساه لذوى الحاجه منه و بهذا الرسم يتبيّن أنّ ما كان من البذل عن مسئله فخارج عن رسم السخاء.و ذكر له سببين:

أحدهما:الحياء من السائل أو من الناس فيتكلّف البذل لذلك.

الثانى:الاستنكاف ممّا يصدر من السائل من لجاج أو مسبّه بالبخل و نحوه.

۴۷-و قال علیه السّلام:

اشاره

أربع كلمات:

لاَ غِنَى كَالْعَقْلِ وَ لاَ فَقْرَ كَالْجَهْلِ- وَ لاَ مِيرَاثَ كَالْأَدَبِ وَ لاَ ظَهِيرَ كَالْمُشَاوَرَهِ

إحداها:لا غنى كالعقل.

لما سبق أنّه أغنى الغنى و أنّه لا يكون غنى مثله.

الثانيه:و لا فقر كالجهل.

و ذلك لما مرّ أنّ أكبر الفقر الحمق،و المراد بالجهل هنا ما يقابل العقل بالملكه و هو الحمق أو ما يلازمه.

الثالثه:و لا ميراث كالأدب.

الأدب هو التحلّى بمكارم الأخلاق و هو أفضل من كلّ موروث من مال وقنيه.

الرابعه:و لا ظهير كالمشاوره.

تنتج فی غالب الأحوال الرأی الصحیح فیما یراد من الامور،و الرأی الصحیح أنفع فی التدبیر من القوّه و کثره العدد کما قال أبو الطیّب:الرأی قبل شجاعه الشجعان.البیت.لا جرم لم یکن للمشاوره الّتی هی مظنّته ما یساویها فی المعونه علی المنفعه من الأمور الّتی یستظهر بها و یستعان.

۴۸-و قال علیه السّلام:

اشاره

اَلصَّبْرُ صَبْرَانِ صَبْرٌ عَلَی مَا تَکْرَهُ وَ صَبْرٌ عَمَّا تُحِبُّ

ص:۲۷۰

المعنى

التعدّد فی الصبر هنا تعدّد وصفیّ لأنّ حقیقته فی الموضعین واحده علی ما عرفت حقیقته.

۴۹–و قال علیه السّلام:

اشاره

اَلْغِنَی فِی الْغُرْبَهِ وَطَنٌ وَ الْفَقْرُ فِی الْوَطَنِ غُرْبَهٌ

المعنى

استعاره استعار لفظ الوطن للغنی فی الغربه باعتبار أنّه یسکن إلیه و یؤنس فلا یری أثر الغربه علی الإنسان معه،و استعار لفظ الغربه للفقر فی الوطن باعتبار ضیق الخلق معهما و تعسّر الامور فیهما .

۵۰–و قال علیه السّلام:

اشاره

اَلْقَنَاعَهُ مَالٌ لاَ یَنْفَدُ

المعنى

استعاره القناعه هی ضبط قوّه النفس عن الاشتغال بما یخرج عن مقدار الکفایه و مبلغ الحاجه من المعاش و الأقوات و عدم ما یشاهد من ذلک عند الغیر،و استعار لها لفظ المال بوصف عدم النفاد باعتبار دوام الغنی معها کالمال الموصوف .

۵۱–و قال علیه السّلام:

اشاره

اَلْمَالُ مَادَّهُ الشَّهَوَاتِ

المعنى

أی منه یکون استمدادها و زیادتها،و المادّه هی الزیاده.و فی الکلمه تنفیر عن الاستکثار من المال لما یلزمه من إمداد الشهوه و تقویتها علی معصیه العقل.

۵۲–و قال علیه السّلام:

اشاره

مَنْ حَذَّرَکَ کَمَنْ بَشَّرَکَ

المعنی

تشبیه أراد من حذرّک من الأمر کمن بشرّک بالنجاه منه،و وجه الشبه ظاهر.

و هو ترغیب فی الإقبال علی المحذّر و استماع تحذیره لغرض النجاه بتشبیهه بالمبشّر .

۵۳-و قال علیه السّلام:

اشاره

اَللِّسَانُ سَبُعٌ إِنْ خُلِّیَ عَنْهُ عَقَرَ

المعنی

استعاره استعار لفظ السبع للّسان باعتبار أنّه إن ترک عن ضبط العقل له نطق بما فیه هلاک صاحبه کالسبع إذا لم یحفظ .

ص:۲۷۱

۵۴–و قال علیه السّلام:

اشاره

اَلْمَرْأَهُ عَقْرَبٌ حُلْوَهُ اللَّسْبَهِ

اللغه

اللبسه للعقرب : لسعها .

المعنی

استعاره و استعار المرأه لفظ العقرب بالوصف المذکور باعتبار أنّ من شأنها الأذی لکن أذاها مشوب بما فیها من اللذّه بها فلا یحسّ به و هو کأذی الجرب المشوب بلذّته فی زیاده حکّته .

۵۵–و قال علیه السّلام:

اشاره

اَلشَّفِیعُ جَنَاحُ الطَّالِبِ

المعنی

استعاره استعار له لفظ الجناح باعتبار کونه وسیله له إلی مطلوبه کجناح الطائر .

۵۶–و قال علیه السّلام:

اشاره

أَهْلُ الدُّنْیَا کَرَکْبٍ یُسَارُ بِهِمْ وَ هُمْ نِیَامٌ

المعنی

تشبیه و وجه الشبه قوله:یسار بهم و هم نیام.و ذلک أنّ الدنیا لأهلها طریق هم فیها سائرون إلی الآخره حال ما هم فی غفله عن غایتهم و العمل لها حتّی یوافوها.

فأشبهوا الرکب الذین یسیرون و هم نیام حتّی یوافوا منزلهم .

۵۷-و قال عليه السّلام:

اشاره

فَقْدُ الْأَحِبَّهِ غُرْبَهٌ

المعنى

استعاره استعار لفظ الغربه لفقد الأحبّه باعتبار ما يلزمهما من الوحشه و عدم الانس .

۵۸-و قال عليه السّلام:

اشاره

فَوْتُ الْحَاجَهِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِهَا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا

المعنى

فغير أهلها هم اللئام و محدثو النعمه و ساقطوا الاصول،و إنّما كانت أهون لأنّ فوتها يستلزم غمّا واحدا و أمّا طلبها إلى غير أهلها فإنّها لا تحصل غالبا فيستلزم غمّ فوتها ثمّ ثقل الاستنكاف و الندم من رفعها إليهم ثمّ غمّ ذلّ الحاجه إلى اللئام و له ألم

ص:۲۷۲

عظيم كما قال:الموت أحلى من سؤال اللئام.ثمّ غمّ ردّهم لها.و هى غموم أربعه.و كذلك إن قضيت كان فيها غمّ ثقل الاستنكاف ثمّ ذلّ الحاجه اليهم فكان فوتها أهون على كلّ حال.و هذا الكلمه تجذب إلى فضيلتى القناعه و علوّ الهمّه.

۵۹-و قال عليه السّلام:

اشاره

لَا تَسْتَحِ مِنْ إِعْطَاءِ الْقَلِيلِ - فَإِنَّ الْحِرْمَانَ أَقَلُّ مِنْهُ

المعنى

أراد بقوله:أقلّ منه:أى أحقر فى الاعتبار و ذلك أنّ الحرمان هو عدم العطاء عمّا من شأنه أن يعطى و ليس ذلك العدد من باب الكم ليلحقه القلّه و الكثره.

و نفّر عن الحياء من إعطاء القليل بضمير صغراه قوله:فإنّ الحرمان أقلّ منه.

و تقدير كبراه:و كلّما كان الحرمان أقلّ منه فينبغى أن لا يستحيى منه بل من الحرمان الّذى هو أقلّ منه.

۶۰-و قال عليه السّلام:

اشاره

اَلْعَفَافُ زِينَهُ الْفَقْرِ وَ الشُّكْرُ زِينَهُ الْغِنَى

اللغه

العفاف : العفّه .

المعنى

و قد علمت أنّها فضيله القوّه الشهويّه.و الفقير إذا ضبط شهوته بزمام عقله عن ميولها الطبيعيّه كملت نفسه بفضيله العفّه و زان فقره بفضيلته فى أعين المعتبرين و إذا أهملها و أسلس قيادها تقحّمت به فى موارد القبح و قادته إلى الهلع و الحرص و الحسد و المنى و الكديه و حصل بسببها فى أقبح صوره.

۶۱-و قال عليه السّلام:

اشاره

إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُ فَلاَ تُبَلْ مَا كُنْتَ

المعنی

أی إذا فاتک مرادک من الأمر فلا تبل بأیّ حال کنت علیه فی ذلک الأمر.

و مفهوم هذه الکلمه النهی عن الاهتمام و الأسف علی ما لم یقع من الامور المطلوبه و ذلک أنّ الأسف علی فوات المراد یستلزم غمّا و ألما و هو مضرّه عاجله لا یثمر فایده فارتکابه سفه.

۶۲-و قال علیه السّلام:

اشاره

لَا تَرَی الْجَاهِلَ إِلَّا مُفْرِطاً أَوْ مُفَرِّطاً

ص:۲۷۳

المعنى

الجهل إمّا بسيط و هو طرف التفريط من فضيله و يسمّى غباوه و إمّا مركّب و هو طرف الإفراط منها و ذلك أنّ الجاهل جهلا مركّبا قد بالغ فى طلب الحقّ و حصل من اجتهاده على شبهه غطت عين بصيرته من إدراكه مع جزمه بأنّها برهان أصاب به الحقّ،و قد يسمّى هذا الطرف جربزه فكان أبدا على أحد الوجهين،و بحسب جهله يكون حاله فى أفعاله و أقواله على أحد طرفى الإفراط و التفريط.

۶۳-و قال عليه السّلام:

اشاره

إِذَا تَمَّ الْعَقْلُ نَقَصَ الْكَلاَمُ

المعنى

تمام العقل يستلزم كمال قوّته على ضبط الفوى البدنيّه و تصريفها بمقتضى الآراء المحموده الصالحه،و وزن ما يبرز إلى الوجود الخارجىّ عنها من الأقوال و الأفعال بميزان الاعتبار و فى ذلك من الكلفه و الشرائط ما يستلزم نقصان الكلام بخلاف ما لا يوزن و لا يعتبر من الأقوال.

۶۴-و قال عليه السّلام:

اشاره

اَلدَّهْرُ يُخْلِقُ الْأَبْدَانَ- وَ يُجَدِّدُ الْآمَالَ وَ يُقَرِّبُ الْمَنِيَّهَ- وَ يُبَاعِدُ الْأُمْنِيَّهَ مَنْ ظَفِرَ بِهِ نَصِبَ وَ مَنْ فَاتَهُ تَعِبَ

المعنى

إخلاقه للأبدان إعداده لضعفها و فسادها بمروره و ما يلحق أجزاءه و فصوله من الحرّ و البرد و المتاعب المنسوبه إليه،و تجديده للآمال بحسب الغرور الحاصل بالبقاء و الصحّه فيه و أكثر ما يعرض ذلك للمشايخ فإنّ طول أعمارهم و تجاربهم لما يعرض فيه من الحاجه و الفقر يغريهم بالحرص على الجمع و مدّ الأمل فيه لتحصيل الدنيا،و تقريبه للمنيه بحسب إخلاقه للأبدان ،و تبعيده للامنيّه بحسب تقريبه للمنيه،و من ظفر به:أى بمواتاته و إعداده لما يراد فيه من متاع الدنيا نصب بها و شقى بضبطها و حفظها،و من فاته ذلك منه تعب فى تحصيلها و شقى بعدمها. السجع المتوازن-السجع المطرف-السجع المتوازى و راعى عليه السّلام فى القرينتين الاولیين السجع المتوازن و فى المتوسّطتين السجع المطرف، و فى الأخيرتين السجع المتوازى .

۶۵-و قال علیه السّلام:

اشاره

مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَاماً- فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ- وَ لْيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ- وَ مُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَ مُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالْإِجْلَالِ- مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَ مُؤَدِّبِهِمْ

أشار إلى آداب أئمه العلم و مكارم الأخلاق:

فالأوّل:وجب على الإمام البدءه بتعليم نفسه

:أى برياضتها بما يعلم من الآداب ليكون أفعاله و أقواله موافقه لعلمه و ذلك لأنّ الناس أقرب إلى الاقتداء بما يشاهد من الأفعال و الأحوال منهم بالأقوال فقط خصوصا مع مشاهدتهم لمخالفتها بالأفعال فإنّ ذلك يكون سببا لسوء الاعتقاد فى الأقوال المخالفه للفعل و الجرءه على مخالفه ما اشتهر منها و إن كان ظاهر الصدق:و إلى مثل ذلك أشار القائل:

لا تنه عن خلق و تأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

الثانى:أرشده إلى البدءه فى التعليم بالسيره

و حميده الأفعال لما بيّنا أنّ الطباع لمشاهده الأفعال أطوع و أسرع انفعالا منها للأقوال ثمّ يطابقها بعد ذلك بالأقوال .

ثمّ رغّب فى تأديب النفس بكون مؤدّب نفسه أحقّ بالتعظيم و الإجلال من مؤدّب غيره و ذلك لكمال مؤدّب نفسه بالفضيله و كون تأديب الغير فرعا على تأديب النفس و الأصل أشرف و أحقّ بالتعظيم من الفرع و هو فى قوّه صغرى ضمير تقدير كبراه:و كلّ من كان بالإجلال أحقّ وجب عليه أن يبدء بما لأجله كان أحقّ بالتعظيم من غيره.

۶۶-و قال علیه السّلام:

اشاره

نَفَسُ الْمَرْءِ خُطَاهُ إِلَى أَجَلِهِ

المعنى

استعاره استعار للنفس لفظ الخطا باعتبار أنّه على التعاقب و التقضّى فهو مقرّب من الغايه الّتى هى الأجل كالخطا المتعاقبه الموصله للإنسان إلى غايته من طريقه .

۶۷-و قال علیه السّلام:

اشاره

کُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ وَ کُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ

ص:۲۷۵

المعنی

و الکلیّتان من المشهورات الخطابیّه فی معرض الموعظه،و الاولی إشاره إلی أنفاس العباد و حرکاتهم.و الثانیه تخویف بما یتوقّع من الموت و توابعه.

۶۸-و قال علیه السّلام:

اشاره

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا اشْتَبَهَتْ اعْتُبِرَ آخِرُهَا بِأَوَّلِهَا

المعنی

أی إذا التبست فی مبادیها معرفه وجه تحصیلها و تعسّر الدخول فیها قیس علی ذلک آخرها و استدلّ علی أنّه کذلک فی العسر فیجب التوقّف عنها و عدم التعسّف فیها.

۶۹-و من خبر ضرار بن حمزه الضبائی عند دخوله علی معاویه و مسألته

اشاره

له عن أمیر المؤمنین

،و قال:فأشهد لقد رأیته فی بعض مواقفه و قد أرخی اللیل سدوله و هو قائم فی محرابه قابض علی لحیته یتململ تململ السلیم و یبکی بکاء الحزین،و یقول:

یَا دُنْیَا یَا دُنْیَا إِلَیْکِ عَنِّی أَ بِی تَعَرَّضْتِ أَمْ إِلَیَّ تَشَوَّفْتِ- لاَ حَانَ حِینُکِ هَیْهَاتَ غُرِّی غَیْرِی لاَ حَاجَهَ لِی فِیکِ- قَدْ طَلَّقْتُکِ ثَلاَثاً لاَ رَجْعَهَ فِیهَا- فَعَیْشُکِ قَصِیرٌ وَ خَطَرُکِ یَسِیرٌ وَ أَمَلُکِ حَقِیرٌ- آهِ مِنْ قِلَّهِ الزَّادِ وَ طُولِ الطَّرِیقِ- وَ بُعْدِ السَّفَرِ وَ عَظِیمِ الْمَوْرِدِ
أقول:کان هذا الرجل من أصحابه علیه السّلام فدخل علی معاویه بعد موته فقال:

صف لی علیّا.فقال:أ و تعفینی عن ذلک.فقال:و اللّه لتفعلنّ.فتکلّم بهذا الفصل.فبکی معاویه حتّی اخضلّت لحیته.

اللغه

و الضباء بطن من فهر بن مالک بن النضر بن کنانه .و السدول : جمع سدل و هو ما اسیل علی الهودج .و التململ : التقلقل من الألم و الهمّ .و السلیم : الملسوع .و الوله : أشدّ الحزن .

المعنی

و قد نظر علیه السّلام إلی الدنیا بصوره

امرأه تزيّنت و تعرّضت لوصوله إليها مع كونها مكروهه إليه.فخاطبها بهذا الخطاب.

و إليک:من أسماء الأفعال:أی تنحّی.و عنّی متعلّق بما فيه من معنی الفعل.و استفهامه عن تعرّضها به و تشوّقها إليه استفهام استنكار لذلک منها و استحقار لها و استبعاد لموافقته إيّاها علی ما تريد.و لا حان حينک:أی لا قرب وقتک:أی وقت انخداعی لک و غرورک لی.و قوله:هيهات:أی بعد ما تطلبين منی. كنايه ثمّ أمرها بغرور غيره و هو كنايه عن أنّه لا طمع لها فی ذلک منه لا أنّه أراد منها غرور غيره و هذا كمن يقول لمن يخدعه و قد اطّلع علی ذلک منه:اخدع غيری:أی أنّ خداعک لا يدخل علیّ .ثمّ خاطبها خطاب الزوجه المكرهه منافرا لها فأخبرها بعدم حاجته إليها.

كنايه ثمّ أنشأ طلاقها ثلاثا لتحصل البينونه بها مؤكّدا لذلک بقوله:لا رجعه فيها.و هو كنايه عن غايه كراهيّتها،و أكّد طلاقها لميله عليه السّلام إلی ضرّتها الّتی هی مظنّه الحسن و البهاء .ثمّ أشار إلی المعائب الّتی لأجلها كرهها و طلّقها و هی قصر العيش:أی مدّه الحياه فيها،و يسير الخطر:أی قلّه قدرها و محلّها فی نظره،ثمّ حقاره ما يؤمل منها.ثمّ تأوّه من امور:

أحدها:قلّه الزاد فی السفر إلی اللّه تعالی،و قد علمت أنّه التقوی و الأعمال الصالحه.و هكذا شأن العارفين فی استحقار أعمالهم.

الثانی:طول الطريق إلی اللّه و لا شیء فی الاعتبار أطول ۲ممّا لا يتناهی.

الثالث:بعد السفر،و ذلک لبعد غايته و عدم تناهيها.

الرابع:عظم المورد و أوّل منازله الموت،ثمّ البرزخ،ثمّ القيامه الكبری.

«وَ اللّهُ الْمُسْتَعانُ» .و روی:و خشونه المضجع و هو القبر.

۷۰-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

للسائل الشامی لما سأله:أ كان مسيرنا إلی الشام بقضاء من اللّه و قدر؟

بعد كلام طويل هذا مختاره:

وَيْحَکَ لَعَلَّکَ ظَنَنْتَ قَضَاءً لاَزِماً وَ قَدَراً حَاتِماً- لَوْ كَانَ ذَلِکَ كَذَلِکَ

لَبَطَلَ الثَّوَابُ وَ الْعِقَابُ- وَ سَقَطَ الْوَعْدُ وَ الْوَعِيدُ- إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ عِبَادَهُ تَخْيِيراً وَ نَهَاهُمْ تَحْذِيراً- وَ كَلَّفَ يَسِيراً وَ لَمْ يُكَلِّفْ عَسِيراً- وَ أَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيراً وَ لَمْ يُعْصَ مَغْلُوباً- وَ لَمْ يُطَعْ مُكْرِهاً وَ لَمْ يُرْسِلِ الْأَنْبِيَاءَ لَعِباً- وَ لَمْ يُنْزِلِ الْكُتُبَ لِلْعِبَادِ عَبَثاً- وَ لاَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ «وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما باطِلاً ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النّارِ» أقول:روى أنّ السائل لما قال له عليه السّلام:أخبرنا عن سيرنا إلى الشام أ كان بقضاء اللّه و قدره؟قال:و الّذى فلق الحبّه و برىء النسمه ما وطئنا موطئا و لا هبطنا واديا إلاّ بقضاء و قدر.فقال السائل:عند اللّه أحتسب:أى ما أرى لى من الأجر شيئا.فقال:مه أيّها الشيخ لقد أعظم اللّه أجركم فى مسيركم و أنتم سائرون و فى منصرفكم و أنتم منصرفون و لم تكونوا فى شىء من حالاتكم مكرهين و إليها مضطرّين.فقال الشيخ:

و كيف و القضاء و القدر ساقانا؟فقال:ويحك.الفصل.إلاّ أنّ بعد قوله:و الوعيد قوله:و الأمر و النهى و لم تأت لائمه من اللّه لمذنب و لا محمده لمحسن تلك مقاله عبده الأوثان و جنود الشياطين و شهود الزور و أهل العمى عن الصواب و هم قدريّه هذه الامّه و مجوسها لأنّ اللّه تعالى أمر عباده تخييرا إلى آخره.فقال الشيخ:فما القضاء و القدر اللذين ما سرنا إلاّ بهما؟فقال:هو الأمر من اللّه تعالى و الحكم.ثم قرء «وَ قَضى رَبُّكَ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِيّاهُ» (۱)فنهض الشيخ مسرورا و هو يقول:

أنت الإمام الّذى نرجو بطاعته يوم النشور من الرحمن رضوانا

أوضحت من ديننا ما كان ملتبسا جزاك ربّك عنّا فيه إحسانا

اللغه

و الويح : كلمه ترحّم .و الحاتم : الواجب .

المعنى

و تقرير سؤال السائل:إن كان مسيرنا

ص:۲۷۸

۱- ۱) ۱۸۱-۲.

بقضاء من اللّه و بقدر لم یکن لنا فی تعبنا ثواب و ذلک أنّ القضاء قد یراد به فی اللغه الخلق و ما خلقه اللّه تعالی فی العبد فلا اختیار له فیه و ما لا اختیار له فلا ثواب له فیما فعله.

و قوله :ویحک.إلی قوله:الوعید.

بیان لمنشأ وهمه و هو ما لعلّه یظنّه من تفسیر القضاء و القدر بمعنی العلم الملزم و الایجاد الواجب علی وفقه.

و قوله :إنّ اللّه سبحانه أمر عباده تخییرا.

إشاره إلی تفسیر القضاء بالأمر کما صرّح به فی جواب السائل عن معناه مستشهدا فی تفسیره بالأمر و الحکم بقوله تعالی «وَ قَضی رَبُّکَ» الآیه و معلوم أنّ أمر اللّه و نهیه لا ینافی اختیار العبد فی فعله.و هذا الجواب إقناعیّ بحسب فهم السائل.

و ربّما فسّر القضاء بأنّه عباره عن ابداع الأوّل تعالی لجمیع صور الموجودات الکلیّه و الجزئیّه الّتی لا نهایه لها من حیث هی معقوله فی العالم العقلیّ ثمّ لمّا کان ایجاد ما یتعلّق منها بالمادّه فی مادّته و إخراج ما فیها من قبول تلک الصور من القوّه إلی الفعل واحدا بعد واحد کان القدر عباره عن الایجاد لتلک الامور و تفصیلها واحدا بعد واحد کما قال تعالی «وَ إِنْ مِنْ شَیْءٍ إِلاّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَ ما نُنَزِّلُهُ إِلاّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ» (۱).

و اعلم أنّه علی هذا التفسیر یمکن تقریر الجواب عن السؤال المذکور أیضا و ذلک أنّ القضاء بالمعنی المذکور لا ینافی اختیار العبد و حسن تکلیفه و ثوابه و عقابه لأنّ معنی الاختیار هو علم العبد بأنّ له قوّه صالحه للفعل و الترک الممکنین مهیّئه لهما إذا انضمّ إلیها المیل إلی الفعل المسمّی إراده فعل أو النفره المسمّی کراهه ترک و ذلک أمر لا ینافی علم اللّه تعالی بما یقع أولا یقع من الطرفین و إن حصل عنه وجوب فهو خارج عرضیّ.

ثمّ إنّ التکلیف لم یرد علی حسب ما فی علم اللّه تعالی بل له مبدءان:

۱- ۱) ۲۱-۱۵.

أحدهما:فاعلىّ و هو حكمته تعالى أعنى إيجاده الموجودات على أحكم وجه و أتقنه،و سوق ما هو ناقص منها من مبدءها إلى كمالها سوقا ملايما لها.

و الثانى:قابلىّ و هو كون العبد بالصفه المذكوره من الاختيار،و لذلك ذكر من لوازم الاختيار و التكليف المقصود من الحكمه لغايته امورا عشره:

أحدها:أمره لعباده تخييرا.و تخييرا مصدر سدّ مسدّ الحال.

الثانى:نهيهم تحذيرا.و تحذيرا مفعول له.

الثالث:تكليفهم اليسير ليسهل عليهم العمل فيرغبوا فيه.

الرابع:عدم تكليفهم العسير لغرض أن يكونوا بحال الاختيار فلا يخرجون بالعسير إلى التكليف بما لا يطاق كما أشار إليه تعالى «يُرِيدُ اللّٰهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لاٰ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ» (١).

الخامس:من إعطاءه على القليل كثيرا فى العمل.و ذلك من لوازم اختيارهم أيضا.

السادس:أنّه تعالى لم يعص حال كونه مغلوبا عنهم.إذ هو القاهر فوق عباده بل لأنّه خلّى بينهم و بين أفعالهم و هيّأهم لها و ذلك من لوازم اختيارهم.

السابع:أنّه لم يطع مكرها أى لم يكن طاعه مطيعهم له عن إكراه منه تعالى له عليها و ذلك من لوازم اختيارهم.

الثامن :و لم يرسل الأنبياء لعبا بل ليكونوا مبشّرين و منذرين لمن أطاع بالجنّه و لمن عصى بالنار و ذلك من لوازم الاختيار.

التاسع:و لم ينزل الكتب للعباد عبثا بل ليعرفوا منه وجوه تكليفهم و أحكام أفعالهم الّتى امروا أن يكونوا عليها و بيان حدود اللّه الّتى أمرهم بالوقوف عندها و كلّ ذلك من لوازم اختيارهم.

العاشر:و لا خلق السماوات و الأرض و ما بينهما باطلا بل على وجوه من الحكمه.منها:أن يحصل لعباده بما وهب لهم من الفكر فى آياتها اعتبار فيتنبّهوا من

١- ١) ٢۴-١٧.

ذلک للطیف حکمته و یستدلّوا علی کمال عظمته کما قال تعالی «إِنَّ فِی خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّیْلِ وَ النَّهارِ لَآیاتٍ لِأُولِی الْأَلْبابِ» (۱)الآیات،و نفّر عن اعتقاد غیر ذلک«بأنّه «ظَنُّ الَّذِینَ کَفَرُوا» »و الآیه اقتباس.

۷۱-و قال علیه السّلام:

اشاره

خُذِ الْحِکْمَهَ أَنَّی کَانَتْ- فَإِنَّ الْحِکْمَهَ تَکُونُ فِی صَدْرِ الْمُنَافِقِ فَتَلَجْلَجُ فِی صَدْرِهِ- حَتَّی تَخْرُجَ فَتَسْکُنَ إِلَی صَوَاحِبِهَا فِی صَدْرِ الْمُؤْمِنِ

المعنی

أمر بتعلّم الحکمه أین وجدت و لو من المنافقین و رغّب من عساه ینفر من أخذها من بعض المواضع أن یأخذها من کلّ موضع وجدها بضمیر صغراه قوله:فإنّ الحکمه.إلی آخره، کنایه و کنّی بتلجلجها أو اختلاجها علی الروایتین عن اضطرابها و عدم ثباتها فی صدر المنافق و کونه لیس مظنّه لها غیر مستقرّه فیه إلی أن تخرج إلی مظنّتها و هی صدر المؤمن فیسکن إلی صواحبها من الحکم فیه .و تقدیر کبراه:

و کلّ ما کان کذلک فیجب علی المؤمن أخذه إلی مظنّته و إخراجه من غیر مظنّته.

۷۲-و قال علیه السّلام:

اشاره

اَلْحِکْمَهُ ضَالَّهُ الْمُؤْمِنِ- فَخُذِ الْحِکْمَهَ وَ لَوْ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ

المعنی

استعاره استعار الضالّه للحکمه بالنسبه إلی المؤمن باعتبار أنّها مطلوبه الّذی یبحث عنه و ینشده کما ینشد الضالّه صاحبها .

۷۳-و قال علیه السّلام:

اشاره

قِیمَهُ کُلِّ امْرِئٍ مَا یُحْسِنُهُ

المعنی

غرض هـذه الكلمه الترغيب فی أعلی مـا یکتسب من الکمالاـت النفسـائیّه و الصـناعات و نحوهـا.و قیمه المرء مقـداره فی اعتبار المعتبرین و محلّه فی نفوسهم من

۱- ۱) ۲۴-۱۷.

استحقاق تعظیم و تبجیل أو احتقار و انتقاص.و ظاهر أنّ ذلک تابع لما یحسنه المرء و یکتسبه من الکمالات المذکوره فأعلاهم قیمه و أرفعهم منزله فی نفوس الناس أعظمهم کمالا،و أنقصهم درجه أخسّهم فیما هو علیه من حرفه أو صناعه و ذلک بحسب اعتبار عقول الناس للکمالات و لوازمها.

۷۴-و قال علیه السّلام:

اشاره

أُوصِیکُمْ بِخَمْسٍ- لَوْ ضَرَبْتُمْ إِلَیْهَا آبَاطَ الْإِبِلِ لَکَانَتْ لِذَلِکَ أَهْلاً- لاَ یَرْجُوَنَّ أَحَدٌ مِنْکُمْ إِلاَّ رَبَّهُ وَ لاَ یَخَافَنَّ إِلاَّ ذَنْبَهُ- وَ لاَ یَسْتَحِیَنَّ أَحَدٌ مِنْکُمْ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لاَ یَعْلَمُ- أَنْ یَقُولَ لاَ أَعْلَمُ- وَ لاَ یَسْتَحِیَنَّ أَحَدٌ إِذَا لَمْ یَعْلَمِ الشَّیْءَ أَنْ یَتَعَلَّمَهُ- وَ عَلَیْکُمْ بِالصَّبْرِ فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِیمَانِ کَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ- وَ لاَ خَیْرَ فِی جَسَدٍ لاَ رَأْسَ مَعَهُ- وَ لاَ فِی إِیمَانٍ لاَ صَبْرَ مَعَهُ

المعنی

کنایه کنّی بضرب آباط الإبل عن الرحله فی طلبها و ذلک أنّ الراکب للجمل یضرب إبطیه بکعبیه .

فإحدی الخمس :الرجا للّه دون غیره.و من لوازم ذلک إخلاص العمل له و دوام طاعته.

الثانیه:أن یخاف ذنبه دون غیره.و ذلک أن أعظم مخوف هو عقاب اللّه،و لمّا کان إنّما یلحق العبد بواسطه ذنبه فبالأولی أن یجعل الخوف من الذنب دون غیره.

و هو جذب إلی الهرب عنه بذکر الخوف منه.

الثالثه:عدم استحیاء من لا یعلم الشیء من قول لا أعلم.فإنّ الاستحیاء من ذلک القول یستلزم القول بغیر علم و هو ضلال و جهل یستلزم إضلال الغیر و تجهیله و فیه هلاک الآخره.قال صلّی اللّه علیه و آله:من أفتی بغیر علم لعنته ملائکه السماء و الأرض.

و قد یکون سببا للهلاک الدنیویّ أیضا.

الرابعه:عدم استحياء من لا یعلم الشیء من تعلّمه.لما فی استحیاء الجاهل عن التعلّم من بقائه علی جهله و نقصانه و هلاک آخرته.

الخامسه :فضیله الصبر.و أمر باقتنائها لأنّ کلّ الفضائل لا یخلو عنها و أقلّ ذلک الصبر علی اکتسابها ثمّ علی البقاء علیها و عن الخروج عنها و لذلک شبّهها من الایمان بالرأس من الجسد فی عدم قیامه بدونه.ثمّ أکّد التشبیه و المناسبه بینهما بقوله:لا خیر فی جسد.إلی آخره.

و قوله:فإنّ الصبر.صغری ضمیر رغّب به فیه،و تقدیر کبراه:و کلّما کان کذلک فواجب اقتناءه و أخذه.

۷۵-و قال علیه السّلام:لرجل افرط فی الثناء علیه و کان له متهما:

اشاره

أَنَا دُونَ مَا تَقُولُ وَ فَوْقَ مَا فِی نَفْسِکَ

المعنی

فقوله:أنا دون ما تقول.جواب إفراطه فی المدح.

و قوله:و فوق ما فی نفسک.

جواب لما فی نفسه ممّا یتّهمه به من عدم فضیلته.

۷۶-و قال علیه السّلام:

اشاره

بَقِیَّهُ السَّیْفِ أَبْقَی عَدَداً وَ أَکْثَرُ وَلَداً

المعنی

لا أری ذلک إلّا للعنایه الالهیّه ببقاء النوع و حفظه و إقامته و بإخلاف من قتل ممّن بقی.و اللّه أعلم.

۷۷-و قال علیه السّلام:

اشاره

مَنْ تَرَکَ قَوْلَ لاَ أَدْرِی أُصِیبَتْ مَقَاتِلُهُ

المعنی

کنـایه ترک هـذا القول کنـایه عن القول بغیر علم.و إصـابه المقاتـل کنایه عن الهلاک الحاصل بسـبب القول بالجهل لما فیه من الضلال و الإضلال و ربّما یکون بسببه هلاک الدنیا و الآخره .

ص:۲۸۳

۷۸–و قال عليه السّلام:

اشاره

رَأْيُ الشَّيْخِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَلَدِ الْغُلَامِ و روى«من مشهد الغلام».

اللغه

جلده قوّته .

المعنى

و قد مرّ أنّ الرأى مقدّم على القوّه و الشجاعه لأصاله منفعته.و إنّما خصّ الرأى بالشيخ و الجلد بالغلام لأنّ كلّا منهما مظنّه ما خصّه به فإنّ الشيخوخه مظنّه الرأى الصحيح لكثره تجارب الشيخ و ممارساته للامور و الغلام مظنّه القوّه و الجلد،و على الروايه الأخرى فمشهده حضوره و المعنى ظاهر.

۷۹–و قال عليه السّلام:

اشاره

عَجِبْتُ لِمَنْ يَقْنَطُ وَ مَعَهُ الِاسْتِغْفَارُ

اللغه

القنوط : اليأس من الرحمه .

المعنى

و لمّا كان الاستغفار بإخلاص مبدءا للرحمه بشهاده القرآن الكريم كما سيأتى كان القنوط معه محلّ التعجّب.

۸۰–و حكى عنه أبو جعفر

اشاره

محمد بن على الباقر عليهما السّلام أنه قال:

كَانَ فِي الْأَرْضِ أَمَانَانِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ- وَ قَدْ رُفِعَ أَحَدُهُمَا فَدُونَكُمُ الْآخَرَ فَتَمَسَّكُوا بِهِ- أَمَّا الْأَمَانُ الَّذِي رُفِعَ فَهُوَ؟رَسُولُ اللَّهِ ص؟- وَ أَمَّا الْأَمَانُ الْبَاقِي فَالِاسْتِغْفَارُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى- «وَ ما كانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ وَ ما كانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ» قال

الرضی:و هذا من محاسن الاستخراج و لطائف الاستنباط

المعنی

کون وجود الرسول صلّی اللّه علیه و آله بین الامّه و رجوعه إلی اللّه فی رحمه امّته و کون الاستغفار بإخلاص معدّین لنزول رحمه اللّه و رفع عذابه ممّا یشهد به البحث العقلیّ.

و قد أکّد ذلک بصادق الشاهد السمعیّ کما استخرجه علیه السّلام.

ص:۲۸۴

۸۱-و قال عليه السّلام:

اشاره

مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ اللَّهِ- أَصْلَحَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ النَّاسِ- وَ مَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ أَصْلَحَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ- وَ مَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظٌ- كَانَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ

المعنى

فإصلاح ما بينه و بين اللّه بتقواه المستلزم لرضاه،و لمّا كان من تقواه إصلاح قوّتى الشهوه و الغضب اللّذين هما مبدءا الفساد بين الناس،و لزوم العدل فيهما كان من لوازم ذلك الإصلاح إصلاح ما بينه و بين الناس .

و كذلك من لوازم إصلاح أمر الآخره عدم مجاذبه الناس دنياهم و الكفّ عن الشره فيما بأيديهم منها و ذلك مع مسالمتهم و معاملتهم بمكارم الأخلاق الّتى هى من إصلاح أمر الآخره مستلزم انفعالهم و ميلهم إلى من كان كذلك و إقبالهم عليه بالنفع و المعونه و كفّ الأذى و بحسب ذلك يكون صلاح دنياه،و لأنّ الدنيا المطلوبه لمن أصلح أمر آخرته سهله و هى مقدار حاجته على الاقتصاد و ذلك أمر قد تكفّلت العنايه الإلهيّه بتهيّئه و إصلاحه مدّه الحياه الدنيا.

و أمّا الثالثه فلأنّ واعظ النفس باعث على تقوى اللّه و لزوم العدل فى قوّتى الشهوه و الغضب اللّذين هما مبدءا الشرّ المستلزم للهلاك فى الدارين و ذلك مستلزم لحفظ اللّه فيهما.

۸۲-و قال عليه السّلام:

اشاره

اَلْفَقِيهُ كُلُّ الْفَقِيهِ مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَهِ اللَّهِ- وَ لَمْ يُؤْيِسْهُمْ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ وَ لَمْ يُؤْمِنْهُمْ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ

المعنى

كنايه كنّى بقوله: كلّ الفقيه عن تمامه:أى الفقيه الكامل فى فقهه.و ذلك أنّ من فقه وضع الكتاب العزيز علم أنّ غرضه الأوّل جذب الناس إلى اللّه فى سبل مخصوصه بوجوه من الترغيب و الترهيب و الوعد و الوعيد و البشاره و النذاره و غيرها فمن ضرورته إذن أن لا يقنط الناس من رحمه اللّه بآيات وعيده و نذارته و لا يؤيسهم

بـذلك من روحه لمـا يلزم اليأس من إغراء العصاه بالمعصـيه و اتّباع الهوى الحاضـر الّـذى لا يرجى من نهى النفس عنه ثمره فى الآخره و لـذلك قـال تعـالى «يـا عِبـادِىَ الَّذِينَ أَسْـرَفُوا عَلى أَنْفُسِـهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَهِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَغْفِرُ الـذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» (۱)و قـال «إِنَّهُ لا ـ يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكافِرُونَ» (۲)و أن لا ـ يؤمنهم من مكر اللّه بالجزم بآيات وعـده و بشارته لما يستلزم السكون إلى ذلك و الاعتماد عليه من الانهماك فى المعاصى و اتّباع الهوى و لذلك قال تعالى «أَ فَأَمِنُوا مَكْرَ اللّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ» (۳)بل يكون تابعا فى وعظه و جذبه إلى اللّه مقاصد سنّته و وضع شريعته .

۸۳–و قال عليه السّلام:

اشاره

أَوْضَعُ الْعِلْمِ مَا وُقِفَ عَلَى اللِّسَانِ- وَ أَرْفَعُهُ مَا ظَهَرَ فِي الْجَوَارِحِ وَ الْأَرْكَانِ

المعنى

كنـايه كنّى بالأوّل عن العلم الّـذى لا عمل معه و ظهوره و وقوفه على اللسان فقط و هو أنقص درجات العلم و أراد بالثانى العلم المقرون بالعمـل فـإنّ الأعمـال الصـالحه لمّـا كانت من ثمرات العلم باللّه و ما هو أهله كان العلم فيها ظاهرا على جوارح العبـد و أركانه ظهور العلّه فى معلولها و ذلك هو العلم المنتفع به فى الآخره .

۸۴–و قال عليه السّلام:

اشاره

إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ- فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكَمِ

المعنى

النفوس قد يقع لها انصـراف عن العلم الواحد و ملال للنظر فيه بسـبب مشابهه بعض أجزائه لبعض فإذا اطّلعت النفس على بعضـه قاست ما لم تعلم منه على ما علمت و لم يكن الباقى عندها من الغريب لتلتذّ به و تدوم على النظر فيه،و لمّا كان ذلك

۱-) ۵۴-۳۹.

۲-) ۸۷-۱۲.

۳-) ۹۷-۷.

الملال و الانصراف غیر محمود لها أمر بطلب طرائف الحکمه لها.و أراد لطایفها و غرایبها المعجبه للنفس اللذیذه لها لتکون أبدا فی اکتساب الحکمه و التذاذ فی انتقالها من بعض غرائبها إلی بعض و أراد بالحکمه الحکمه العملیّه و أقسامها أو أعمّ منها.

۸۵–و قال علیه السّلام:

اشاره

لاَ یَقُولَنَّ أَحَدُکُمْ اللَّهُمَّ إِنِّی أَعُوذُ بِکَ مِنَ الْفِتْنَهِ- لِأَنَّهُ لَیْسَ أَحَدٌ إِلاَّ وَ هُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَی فِتْنَهٍ- وَ لَکِنْ مَنِ اسْتَعَاذَ فَلْیَسْتَعِذْ مِنْ مُضِلاَّتِ الْفِتَنِ- فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ یَقُولُ- «وَ اعْلَمُوا أَنَّما أَمْوالُکُمْ وَ أَوْلادُکُمْ فِتْنَهٌ» وَ مَعْنَی ذَلِکَ أَنَّهُ یَخْتَبِرُهُمْ- بِالْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ لِیَتَبَیَّنَ السَّاخِطَ لِرِزْقِهِ- وَ الرَّاضِیَ بِقِسْمِهِ- وَ إِنْ کَانَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمَ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ- وَ لَکِنْ لِتَظْهَرَ الْأَفْعَالُ الَّتِی بِهَا یُسْتَحَقُّ الثَّوَابُ وَ الْعِقَابُ- لِأَنَّ بَعْضَهُمْ یُحِبُّ الذُّکُورَ وَ یَکْرَهُ الْإِنَاثَ- وَ بَعْضَهُمْ یُحِبُّ تَثْمِیرَ الْمَالِ وَ یَکْرَهُ انْثِلَامَ الْحَالِ قال الرضی:و هذا من غریب ما سمع منه فی التفسیر .

المعنی

حاصل الکلام أنّ الفتنه أعمّ من الفتنه المستعاذ منها لصدقها علی المال و البنین باعتبار ابتلاء اللّه تعالی عباده و اختباره لهم بهما و هما غیر مستعاذ منهما إذا راعی العبد فیهما أمر اللّه و لزم طاعته و امّا الفتنه المستعاذ منها فهی الّتی یستلزم الوقوع فیها الضلال عن سبیل اللّه کالخروج فی المال عن واجب العدل و صرفه فی إمداد الشهوات و اتّباع الهوی.

۸۶–و سئل عن الخیر ما هو؟

اشاره

فقال:لَیْسَ الْخَیْرُ أَنْ یَکْثُرَ مَالُکَ وَ وَلَدُکَ- وَ لَکِنَّ الْخَیْرَ أَنْ یَکْثُرَ عِلْمُکَ-

ص:۲۸۷

وَ أَنْ يَعْظُمَ حِلْمُكَ وَ أَنْ تُباهِيَ النَّاسَ بِعِبَادَهِ رَبِّكَ- فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَمِدْتَ اللَّهَ وَ إِنْ أَسَأْتَ اسْتَغْفَرْتَ اللَّهَ- وَ لاَ خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِلاَّ لِرَجُلَيْنِ- رَجُلٍ أَذْنَبَ ذُنُوباً فَهُوَ يَتَدَارَكُهَا بِالتَّوْبَهِ- وَ رَجُلٍ يُسَارِعُ فِي الْخَيْرَاتِ- وَ لاَ يَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ التَّقْوَى وَ كَيْفَ يَقِلُّ مَا يُتَقَبَّلُ

المعنى

أقول:الخير فی العرف العامیّ هو کثره المال و القینات الدنیویّه،و فی عرف السالکین إلی اللّه هو السعاده الاخرویّه و ما یکون وسیله إلیها من الکمالات النفسانیّه.و ربّما فسّره قوم بما هو أعمّ من ذلک.و قد نفی علیه السّلام أن یکون الأوّل خیرا و ذلک لفناءه و مفارقته و لما عساه أن یلحق بسببه من الشرّ فی الآخره و فسرّه بالثانی و عدّ فیه کمال القوی الإنسانیّه فکثره العلم کمال القوی النظریّه للنفس العاقله،و عظم الحلم من کمال القوّه العملیّه و هو فضیله القوّه الغضبیّه،و مباهاه الناس بعباده ربّه:أی المفاخره بها بالکثره و الإخلاص و حمد اللّه علی توفیقه للحسنه و استغفاره للسیّئه و ذلک من فضائل القوّه الشهویّه و کمال القوّه العملیّه .

ثمّ حصر خیر الدنیا فی أمرین،و ذلک أنّ الإنسان إمّا أن یشتغل بمحو السیّئات و إعدامها و یتدارک فارط ذنوبه فیعدّ نفسه بذلک لاکتساب الحسنات أو یشتغل بایجاد الحسنات فیها.و لا واسطه من الخیر المکتسب بین هذین الأمرین .ثمّ حکم بعدم قلّه العمل المقرون بتقوی اللّه متبّها بذلک علی أنّ تدارک الذنوب بمحوها و المسارعه فی الخیرات مستلزم للتقوی،و إنّما کان غیر قلیل لأنّه مقبول عند اللّه و المقبول عنده مستلزم لثوابه العظیم.و ذلک ترغیب فی الأمرین المذکورین.

۸۷-و قال علیه السّلام:

اشاره

إِنَّ أَوْلَی النَّاسِ بِالْأَنْبِيَاءِ أَعْلَمُهُمْ بِمَا جَاءُوا بِهِ- ثُمَّ تَلاَ «إِنَّ أَوْلَی النّاسِ بِإِبْراهِیمَ لَلَّذِینَ اتَّبَعُوهُ وَ هذَا النَّبِیُّ وَ الَّذِینَ آمَنُوا»

ص:۲۸۸

ثُمَّ قَالَ إِنَّ وَلِيَّ ؟مُحَمَّدٍ؟ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَ إِنْ بَعُدَتْ لُحْمَتُهُ- وَ إِنَّ عَدُوَّ؟مُحَمَّدٍ؟ مَنْ عَصَى اللَّهَ وَ إِنْ قَرُبَتْ قَرَابَتُهُ

المعنى

و لمّا كان الغرض من الأنبياء عليهم السّلام جذب الخلق إلى اللّه بطاعته فكلّ من كان أبلغ فى الطاعه كان أشدّ موافقه لهم و أقرب إلى قلوبهم و أقوى نسبه إليهم.

و لمّا لم يمكن طاعتهم إلاّ بالعلم بما جاءوا به كان أعلم الناس بذلك أقربهم إليهم و أولاهم بهم.و برهان ذلك الآيه المذكوره.و ذكر حال الأنبياء ليعلم مراده الإجمالى ثمّ خصّص الذكر بمحمّد صلّى اللّه عليه و آله كما هو عاده الخطيب.و المراد بالولىّ هنا الأولى.و أشار إلى أنّ طاعه اللّه علّه للأولويّه بمحمّد صلّى اللّه عليه و آله،و معصيته علّه لعداوته و إن بعدت قرابه المطيع أو قربت قرابه العاصى ليعلم أنّ الطاعه و المعصيه علّتان مستقلّتان للأولويّه بمحمّد صلّى اللّه عليه و آله و العداوه له فيحصل الرغبه فى الطاعه و النفره عن المعصيه.

۸۸-و قال عليه السّلام:

اشاره

وَ سَمِعَ ع رَجُلاً مِنَ؟الْحَرُورِيَّهِ؟ يَتَهَجَّدُ وَ يَقْرَأُ فَقَالَ نَوْمٌ عَلَى يَقِينٍ خَيْرٌ مِنْ صَلاَهٍ فِى شَكٍّ

اللغه

الحروريّه فرقه من الخوارج نسبوا إلى حرورا-بمدّ و بقصر-قريه بالنهروان و كان أوّل اجتماعهم بها .و التهجّد : السهر فى العباده .

المعنى

و إنّما كان كذلك لأنّ نوم العالم على يقين منه بما ينبغى تيقّنه و علمه أيضا ممّا ينبغى له،و عباده الجاهل على شكّ فيما ينبغى تيقّنه من أصول العباده ممّا لا ينبغى لما فيه من إتعاب البدن من غير فايده فكان الأوّل أولى و خيرا من الثانى.و أراد ما هم عليه من الشكّ فى إمامه إمام الوقت الّذى هو مبدء تعليم العبادات و كيفيّتها،و العلم به ركن من أركان الدين فإنّ الشكّ فيه يستلزم عدم الاستفاده منه و الشكّ فى كثير ممّا يحتاج إليه فيه كعلم التوحيد و أسرار العبادات و كيفيّه السلوك إلى اللّه تعالى بطاعته.

۸۹-و قال علیه السّلام:

اشاره

اِعْقِلُوا الْخَبَرَ إِذَا سَمِعْتُمُوهُ عَقْلَ رِعَايَهٍ لَا عَقْلَ رِوَايَهٍ- فَإِنَّ رُوَاهَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَ رُعَاتَهُ قَلِيلٌ

اللغه

عقل الرعایه : ضبطه بالفهم و رعایه العلم .و عقل الروایه : ضبط ألفاظها و سماعها دون تفهّم المعنی .

المعنی

و رغّب فی ذلک بضمیر صغراه قوله:فإنّ رواه العلم.إلی آخره.و تقدیره کبراه:و کلّما کان کذلک فینبغی أن یعقل عقل رعایه لتکثر رعاته.

۹۰-و سمع رجلا یقول:(«إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَیْهِ راجِعُونَ»)فقال علیه السّلام:

اشاره

إِنَّ قَوْلَنَا «إِنّا لِلّهِ» إِقْرَارٌ عَلَى أَنْفُسِنَا بِالْمُلْكِ- وَ قَوْلَنَا «وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ» - إِقْرَارٌ عَلَى أَنْفُسِنَا بِالْهُلْكِ

المعنی

و الکلمه بتفسیرها ظاهر.

۹۱-و مدحه قوم فی وجهه،فقال:

اشاره

اَللَّهُمَّ إِنَّکَ أَعْلَمُ بِی مِنْ نَفْسِی- وَ أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِی مِنْهُمْ- اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا خَیْراً مِمَّا یَظُنُّونَ وَ اغْفِرْ لَنَا مَا لَا یَعْلَمُونَ

المعنی

هذا کسر لنفسه علیه السّلام فی مقابله المدح الموجب للعجب .ثمّ سأل اللّه أن یعلی درجته فی الخیر فوق ما یظنّونه فیه و أن یغفر له ما لا یعلمون من عیبه.

فإن قلت:إنّه معصوم فکیف یصدر عنه عیب یطلب مغفرته؟ قلت:قد بیّنا فیما سلف أنّ عیب مثله علیه السّلام و ما یسمّی ذنبا فی حقّه إنّما هو من باب ترک الأولی و لیس هو من الذنوب المتعارفه الّتی عصم عنها.

۹۲–و قال علیه السّلام:

اشاره

لَا يَسْتَقِيمُ قَضَاءُ الْحَوَائِجِ إِلَّا بِثَلَاثٍ- بِاسْتِصْغَارِهَا لِتَعْظُمَ وَ بِاسْتِكْتَامِهَا لِتَظْهَرَ- وَ بِتَعْجِيلِهَا لِتَهْنُؤَ

ص:۲۹۰

المعنى

اشترط فى استقامه قضاء الحوائج:أى كون قضائها على ما ينبغى من العدل ثلاث شرائط:

أحدها:استصغار قاضى الحاجه لها ليعرف بالسماحه و كبر النفس فيعظم عطاؤه و يشتهر.

الثانيه:أن يكتمها فإنّ طباع الناس أدعى إلى إظهار ما استكتم و أكثر عنايه به من غيره.

الثالث:أن يعجّلها لتهنأ:أى لتكون هنيئه.يقال:هنأ الطعام يهنأ و ذلك أنّ الإبطاء بقضاء الحاجه ينغّصها على طالبها فتكون لذّتها مشوبه بتكدير بطؤها.

٩٣-و قال عليه السّلام:

اشاره

يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لاَ يُقَرَّبُ فِيهِ إِلاَّ الْمَاحِلُ- وَ لاَ يُظَرَّفُ فِيهِ إِلاَّ الْفَاجِرُ- وَ لاَ يُضَعَّفُ فِيهِ إِلاَّ الْمُنْصِفُ- يَعُدُّونَ الصَّدَقَهَ فِيهِ غُرْماً وَ صِلَهَ الرَّحِمِ مَنّاً- وَ الْعِبَادَهَ اسْتِطَالَهً عَلَى النَّاسِ- فَعِنْدَ ذَلِکَ يَكُونُ السُّلْطَانُ بِمَشُورَهِ النِّسَاءِ- وَ إِمَارَهِ الصِّبْيَانِ وَ تَدْبِيرِ الْخِصْيَانِ

اللغه

و أقول: الماحل : الساعى بالنميمه إلى السلطان،و أصل المحل الكيد و المكر.

و روى الماجن مكان الفاجر و هو المتكلّم بما يشتهى من الباطل و الهزل و الاستهزاء .

و الغرم : الدين .

المعنى

يريد أنّ ذلک الزمان لسوء أهله و بعدهم عن الدين و قوانين الشريعه تجعل فيه الرذائل مكان الفضائل و يستعمل ما لا ينبغى مكان ما ينبعى فيقرب الملوک السعاه إليهم بالباطل مكان أصحاب الفضائل و من ينبغى تقريبه،و يعدّ الفاجر و هو صاحب رذيله الإفراط فى قوّته الشهويّه صاحب فضيله الظرف فى حركاته.

و قوله:و لا يضّعف.إلى آخره.

أى إذا رأوا إنسانا عنده ورع و إنصاف فى معامله الناس عدوّه عاجزا ضعيفا،و يحتمل أن يريد بقوله:يضعّف أى يستصغر عقله لتركه الظلم كأنّه تارک حقّ

ينبغى له أخذه ،و تعدّ فيه الصدقه الّتى ينبغى أداءها برغبه طلبا للثواب غرما كأداء الدين فى الثقل،و كذلک تعدّ صله الرحم منّا و فيه إبطال للفضيله المذكوره لقوله تعالى «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذى» (۱)،و يستطال بالعباده على الناس و يترفّع بها كالمانّ عليهم بذلک.ثمّ جعل من علامات ذلک الزمان كون السلطان و الملک يدبّر بمشوره الإماء و إماره الصبيان و تدبير الخصيان و هى علامات زماننا و قبله بمدّه.

۹۴–و رئى عليه إزار خلق مرقوع فقيل له فى ذلک،فقال:

اشاره

وَ رُئِىَ عَلَيْهِ إِزَارٌ خَلَقٌ مَرْقُوعٌ فَقِيلَ لَهُ فِى ذَلِکَ- فَقَالَ يَخْشَعُ لَهُ الْقَلْبُ وَ تَذِلُّ بِهِ النَّفْسُ- وَ يَقْتَدِى بِهِ الْمُؤْمِنُونَ

المعنى

ذكر فى لبس ذلک الخلق ثلاثه مقاصد:خشوع القلب:خضوع النفس العاقله و انكسارها عن الفقر،و ذلّه النفس انكسار للنفس الأمّاره بالسؤ عنه،و اقتداء المؤمنين بذلک للقصدين الأوّلين.

۹۵–و قال عليه السّلام:

اشاره

إِنَّ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَهَ عَدُوَّانِ مُتَفَاوِتَانِ- وَ سَبِيلاَنِ مُخْتَلِفَانِ- فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وَ تَوَلاَّهَا أَبْغَضَ الْآخِرَهَ وَ عَادَاهَا- وَ هُمَا بِمَنْزِلَهِ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ مَاشٍ بَيْنَهُمَا- كُلَّمَا قَرُبَ مِنْ وَاحِدٍ بَعُدَ مِنَ الْآخَرِ- وَ هُمَا بَعْدُ ضَرَّتَانِ

المعنى

استعاره استعار لفظ العدوّ لهما باعتبار ما بينهما من البعد لطالبهما،و ظاهر كونهما سبيلين مختلفين.و من لوازم ما بينهما من العداوه و الاختلاف كون المحبّ لإحديهما مبغضا للاخرى . تشبيه ثمّ شبّهما بالمشرق و المغرب و وجه الشبه تباينهما و اختلاف

۱– ۱) ۲۶۶–۲.

جهتيهما،و شبّه الطالب لهما بالماشى بينهما و وجه الشبه قوله:كلّما قرب.إلى آخره فإنّ الطالب للدنيا بقدر توجّهه فى طلبها يكون غفلته على الآخره و انقطاعه عنها و كلّما أمعن فى تحصيلها ازداد غفله و بعدا عن الآخره و بالعكس كالماشى إلى حد جهتى المشرق و المغرب.ثمّ شبهّهما بعد ذلك بالضرّتين و وجه الشبه أيضا أنّ لقرب من إحداهما يستلزم البعد عن الاخرى كالزوج ذى الضرّتين .

۹۶-و عن نوف البكالى،

اشاره

قال:رأيت أمير المؤمنين عليه السّلام ذات ليله و قد خرج من فراشه فنظر فى النجوم فقال لى:يا نوف،أ راقد أنت أم رامق؟فقلت:بل رامق قال:يا نوف طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا- الرَّاغِبِينَ فِي الْآخِرَهِ- أُولَئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا الْأَرْضَ بِسَاطاً- وَ تُرَابَهَا فِرَاشاً وَ مَاءَهَا طِيباً- وَ؟الْقُرْآنَ؟ شِعَاراً وَ الدُّعَاءَ دِثَاراً- ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضاً عَلَى مِنْهَاجِ؟الْمَسِيحِ؟- يَا؟نَوْفُ؟ إِنَّ؟دَاوُدَ ع؟ قَامَ فِي مِثْلِ هَذِهِ السَّاعَهِ مِنَ اللَّيْلِ- فَقَالَ إِنَّهَا لَسَاعَهٌ لاَ يَدْعُو فِيهَا عَبْدٌ إِلاَّ اسْتُجِيبَ لَهُ- إِلاَّ أَنْ يَكُونَ عَشَّاراً أَوْ عَرِيفاً أَوْ شُرْطِيّاً- أَوْ صَاحِبَ عَرْطَبَهٍ وَ هِيَ الطُّنْبُورُ أَوْ صَاحِبَ كُوبَهٍ وَ هِيَ الطَّبْلُ- وَ قَدْ قِيلَ أَيْضاً إِنَّ الْعَرْطَبَهَ الطَّبْلُ- وَ الْكُوبَهَ الطُّنْبُورُ

اللغه

أقول: البكالى بكسر الباء : منسوب إلى بكاله قريه من اليمن .و الرامق:

الناظر :و العريف : نقيب الشرطه .

المعنى

و كان خروجه عليه السّلام فى ذلك الوقت لما نقله عن داود عليه السّلام و لأنّه محلّ لفراغ للاعتبار و الفكر فى خلق السماوات و زينتها .ثمّ عرّف الزاهدين فى الدنيا ستّه أوصاف لغرض الاقتداء بهم:

أحدها:اتّخاذهم الأرض بساطا.

ص:۲۹۳

الثانی:و ترابها فراشا.

الثالث:و ماءها طیبا،و ذلک من لوازم زهدهم فی متاعها و ترکها عن طیب نفس بذلک.

الرابع:اتّخاذهم للقرآن شعارا.

الخامس:و الدعاء دثارا، استعاره و استعار لفظ الشعار للقرآن باعتبار ملازمتهم لدرسه و تفهّم مقاصده کالشعار الملازم للجسد.و لفظ الدثار للدعاء باعتبار احتراسهم به من عذاب اللّه و الشدائد النازله بهم کالاحتراس بالدثار عن البرد و نحوه .

السادس:قرضهم للدنیا:أی قطعها عنهم بأیسر ما یدفع ضرورتهم منها کما فعله المسیح علیه السّلام من هذه الأوصاف .و کان قیامه علیه السّلام فی النصف الأخیر من اللیل و إنّما کان مظنّه الإجابه لخلوّ النفس فیه عن الاشتغال بشواغل النهار المحسوسه و توفّرها بعد النوم علی الالتفات إلی حضره الملأ الأعلی و استعدادها لقبول السوانح الإلهیّه.و إنّما استثنی المذکورین لملازمتهم المعصیه الّتی تحجب نفوسهم عن قبول رحمه اللّه تعالی.

۹۷-و قال علیه السّلام:

اشاره

إِنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَیْکُمْ فَرَائِضَ فَلاَ تُضَیِّعُوهَا- وَ حَدَّ لَکُمْ حُدُوداً فَلاَ تَعْتَدُوهَا- وَ نَهَاکُمْ عَنْ أَشْیَاءَ فَلاَ تَنْتَهِکُوهَا- وَ سَکَتَ لَکُمْ عَنْ أَشْیَاءَ وَ لَمْ یَدَعْهَا نِسْیَاناً فَلاَ تَتَکَلَّفُوهَا

المعنی

فرائض اللّه:واجبات دینه.و حدوده:نهایات ما أباحه من نعمه و رخّص فیه.و الأشیاء المنهیّ عنها:ما جاوز حدوده من المحرّمات و الرذائل.و ما سکت عنه کتکلیف دقایق علم لا نفع له فی الآخره فإنّه لم یسکت عنه نسیانا لتقدّسه عن ذلک بل لعدم فایدته الأخرویّه و استلزام الاشتغال به ترک الاشتغال بعلم نافع فیلزمه المضرّه.

۹۸–و قال علیه السّلام:

اشاره

لَا يَتْرُكُ النَّاسُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ لِاسْتِصْلَاحِ دُنْيَاهُمْ- إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُوَ أَضَرُّ مِنْهُ

المعنی

لمّـا کـانت مطالب النـاس فی الـدنیا إذا فتـح بـاب الطلب لهـا غیر متنـاهیه لکون کـلّ مطلوب یحصـل معـدّا لطلب الزیـاده فیه و الاستکثار منه و تحصیل شرایطه و لوازمه و کان بعد الإنسان عن اللّه بقدر قربه من الدنیا و بعد أمله فیها کان کلّ أمر استصلحت به الدنیا لأنّها دنیا معدّا لفتح باب من أبواب طلبها و إصلاحها و هو أضرّ من الأوّل لکونه أشدّ ایغالا فیها و إبعادا عن اللّه.

۹۹–و قال علیه السّلام:

اشاره

رُبَّ عَالِمٍ قَدْ قَتَلَهُ جَهْلُهُ وَ عِلْمُهُ مَعَهُ لَا يَنْفَعُهُ

المعنی

أراد العلمـاء بمـا لاـ نفع فیه من العلوم کعلم السـحر و النیرنجـات بـل کعلم النحو و غیره من العلوم العقلیّه مثلاـ بمن جهل شـرائع الإسـلام فـأفتی بغیر علم أو تعـدّی حـدّا و ارتکب منهیّـا فکـان ذلـک سـبب هلاکه فی الـدنیا و الآخره،أو کعلم ما لا نفع فیه فی الآخره استلزم ترک علم مهمّ فیها فکان سبب هلاکه هناک مع عدم انتفاعه و خلاصه بما علم.

۱۰۰–و قال علیه السّلام:

اشاره

لَقَدْ عُلِّقَ بِنِيَاطِ هَذَا الْإِنْسَانِ بَضْعَةٌ- هِيَ أَعْجَبُ مَا فِيهِ وَ هُوَ الْقَلْبُ- وَ ذَلِكَ أَنَّ لَهُ مَوَادَّ مِنَ الْحِكْمَهِ وَ أَضْدَاداً مِنْ خِلَافِهَا- فَإِنْ سَنَحَ لَهُ الرَّجَاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَعُ- وَ إِنْ هَاجَ بِهِ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الْحِرْصُ- وَ إِنْ مَلَكَهُ الْيَأْسُ قَتَلَهُ الْأَسَفُ- وَ إِنْ عَرَضَ لَهُ الْغَضَبُ اشْتَدَّ بِهِ الْغَيْظُ- وَ إِنْ أَسْعَدَهُ الرِّضَا نَسِيَ التَّحَفُّظَ- وَ إِنْ غَالَهُ الْخَوْفُ شَغَلَهُ الْحَذَرُ- وَ إِنِ اتَّسَعَ لَهُ

الْأَمْرُ اسْتَلَبَتْهُ الْغِرَّهُ- وَ إِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَهٌ فَضَحَهُ الْجَزَعُ- وَ إِنْ أَفَادَ مَالاً أَطْغَاهُ الْغِنَى وَ إِنْ عَضَّتْهُ الْفَاقَهُ شَغَلَهُ الْبَلَاءُ- وَ إِنْ جَهَدَهُ الْجُوعُ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ وَ إِنْ أَفْرَطَ بِهِ الشِّبَعُ كَظَّتْهُ الْبِطْنَهُ- فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ وَ كُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ مُفْسِدٌ

اللغه

أقول: النياط : عرق علّق به القلب .و غاله : أخذه على غرّه .

المعنى

و أراد بالموادّ من الحكمه الفضايل الخلقيّه فإنّها بأسرها من الحكمه و هى العلم ممّا ينبغى أن يفعل و هو الأصلح فى كلّ باب و هى موادّ كمال القلب، و أشار بأضدادها المخالفه لها إلى الرذائل المضادّه للفضايل و هى الّتى أطراف التفريط و الإفراط منها:

فالاولى:الطمع و هى رذيله الإفراط من الرجاء و نفّر عنها بما يلزمها من الذلّه للمطموع فيه و بما يلزم اشتداد الطمع من الحرص المهلك فى الدارين.

الثانيه:اليأس و هو رذيله التفريط من الرجاء و نفّر عنها بما يلزمها من شدّه الأسف القاتل.

الثالثه رذيله الإفراط من الغضب و هى اشتداد الغيظ المسمّى طيشا.و الوسط من الغضب فضيله الشجاعه و كظم الغيظ.

الرابعه:ترك التحفّظ و نسيانه و هو رذيله الإفراط من رضا الإنسان بما يحصل عليه من دنياه.

الخامسه:رذيله الإفراط من عروض الخوف و هى الاشتغال بالحذر عمّا لا ينبغى عند عروضه و الّذى ينبغى فيه الأخذ بالحزم و ترك الإفراط فى الخوف و العمل للأمر المخوف.

السادسه:رذيله التفريط فى عروض ضدّه و هو الأمن و هى استلاب الغرّه

لعقل الأمن حتّى لا يفكّر فى مصلحته و حفظ ما هو عليه من الأمن.

السابعه:رذيله التفريط من فضيله الصبر على المصيبه و هى الجزع و نفّر عنه بما يلزمه من الافتضاح به.

الثامنه:رذيله الإفراط من حصول المال و هو الطغو بكثرته و الغنى منه.

و الطغو:تجاوز الحدّ.

التاسعه:رذيله التفريط من الصبر على الجوع.و ذكر لازمها و هو قعود الضعف به عمّا ينبغى.و نفّر به عنها.

الحاديه عشر:رذيله إفراط الشبع من فضيله القصد فيه و ما يلزم تلك الرذيله من جهد البطنه.و نفّر عنها بما يلازمها.ثمّ ختم ذلك بالتنفير من طرف الإفراط و التفريط فيها إجمالا بما يلزم التفريط من مضرّه القلب بعدم الفضيله و يلزم الإفراط فيها من إفساده بخروجه عنها.و باللّه العصمه.

۱۰۱-و قال عليه السّلام:

اشاره

نَحْنُ النُّمْرُقَهُ الْوُسْطَى بِهَا يَلْحَقُ التَّالِى- وَ إِلَيْهَا يَرْجِعُ الْغَالِى

اللغه

النمرقه : الوساده الصغيره .

المعنى

استعاره و استعار لفظها له و لأهل بيته بصفه الوسطى باعتبار كونهم أئمّه الحقّ و مستندا للخلق فى تدبير معاشهم و معادهم على وجه العدل المتوسّط بين طرفى الإفراط و التفريط و من حقّ الإمام الحقّ المتوسّط فى الامور أن يلحق به التالى أى المفرّط المقصّر،و أن يرجع إليه الغالى أى المفرط المتجاوز لحدّ العدل .

۱۰۲-و قال عليه السّلام:

اشاره

لاَ يُقِيمُ أَمْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِلاَّ مَنْ لاَ يُصَانِعُ- وَ لاَ يُضَارِعُ وَ لاَ يَتَّبِعُ الْمَطَامِعَ

اللغه

المصانعه : المصالحه برشوه و نحوها .و المضارعه : مفاعله من الضرع و هو الذلّه

ص:۲۹۷

كأنّ كلّا منهما يضرع للآخر .

المعنى

و ظاهر أنّ مصانعه الغير يستلزم طلب رضاه و ذلک يمنع من إقامه حدود اللّه و أمره فی حقّه،و کذلک المضارعه و اتّباع المطامع من الغير فإنّهما يستلزمان ترک مواجهته بما يشقّ عليه من أوامر اللّه و حدوده.

۱۰۳-و قال عليه السّلام:

اشاره

«و قد توفی سهل بن حنيف الأنصاری بالکوفه بعد مرجعه معه من صفين،و کان من أحب الناس إليه:

لَوْ أَحَبَّنِی جَبَلٌ لَتَهَافَتَ قال الرضی:و معنی ذلک أن المحنه تغلظ عليه فتسرع المصائب إليه و لا يفعل ذلک إلا بالأتقياء الأبرار و المصطفين الأخيار،و هذا مثل قوله:

«و قد يؤول ذلک علی معنی آخر ليس هذا موضع ذکره».

اللغه

أقول: تهافت : سقط قطعه قطعه ،

المعنی

و ذلک مبالغه فی کثره ما يلحقه و محبّيه من المصائب و الابتلاء .

و قوله: من أحبّنا فليستعدّ للفقر جلبابا :

أی يهيّیء له ذلک. استعاره و الجلباب مستعار لتوطين النفس علی الفقر و الصبر عليه، و وجه الاستعاره کونهما ساترين للمستعدّ بهما من عوارض الفقر و ظهوره فی سوء الخلق و ضيق الصدر و التحيّر الّذی ربّما يؤدّی إلی الکفر کما يستر بالملحفه، و لمّا کانت محبّتهم عليهم السّلام بصدق يستلزم متابعتهم و الاقتداء بهم و الاستشعار بشعارهم و من شعائرهم الفقر و رفض الدنيا و الصبر علی ذلک وجب أن يکون کلّ محبّ لهم مستشعرا للفقر و مستعدّا له جلبابا من توطين النفس عليه و الصبر .و قد ذکر ابن قتيبه هذا المعنی بعباره اخری فقال:من أحبّنا فليقصر علی التعلّل من الدنيا و التقنّع فيها.قال:و شبّه الصبر علی الفقر بالجلباب لأنّه يستر الفقر کما يستر الجلباب

البدن،قال:و يشهد بصحّه هذا التأويل ما روى أنّه عليه السّلام رأى قوما على بابه فقال:

يا قنبر من هؤلاء؟فقال:شيعتک يا أمير المؤمنين.فقال:ما لى لا أرى فيهم سيما الشيعه.

قال:و ما سيما الشيعه؟قال:خمص البطون من الطوى يبس الشفاه من الظماء عمش العيون من البكاء.

و قال أبو عبيد:إنّه لم يرد الفقر فى الدنيا ألا ترى أنّ فيمن يحبّهم مثل ما فى ساير الناس من الغنى،و إنّما أراد الفقر يوم القيامه.و أخرج الكلام مخرج الوعظ و النصيحه و الحثّ على الطاعات فكأنّه أراد من أحبّنا فليعدّ لفقره يوم القيامه ما يجبره من الثواب و التقرّب إلى اللّه تعالى و الزلفه عنده.

قال السيّد المرتضى رحمه اللّه:و الوجهان جميعا حسنان و إن كان قول ابن قتيبه أحسن.فذلک معنى قول السيّد-رضى اللّه عنه-و قد يؤوّل ذلک على معنى آخر.

و ذكر القطب الراوندىّ احتمالا ركيكا لا يصلح محملا لهذا الكلام.

فلم نطوّل بذكره.

۱۰۴-و قال عليه السّلام:سبع عشر كلمه.

اشاره

لاَ مَالَ أَعْوَدُ مِنَ الْعَقْلِ وَ لاَ وَحْدَهَ أَوْحَشُ مِنَ الْعُجْبِ- وَ لاَ عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ وَ لاَ كَرَمَ كَالتَّقْوَى- وَ لاَ قَرِينَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ وَ لاَ مِيرَاثَ كَالْأَدَبِ- وَ لاَ قَائِدَ كَالتَّوْفِيقِ وَ لاَ تِجَارَهَ كَالْعَمَلِ الصَّالِحِ- وَ لاَ رِبْحَ كَالثَّوَابِ وَ لاَ وَرَعَ كَالْوُقُوفِ عِنْدَ الشُّبْهَهِ- وَ لاَ زُهْدَ كَالزُّهْدِ فِي الْحَرَامِ وَ لاَ عِلْمَ كَالتَّفَكُّرِ- وَ لاَ عِبَادَهَ كَأَدَاءِ الْفَرَائِضِ- وَ لاَ إِيمَانَ كَالْحَيَاءِ وَ الصَّبْرِ وَ لاَ حَسَبَ كَالتَّوَاضُعِ- وَ لاَ شَرَفَ كَالْعِلْمِ وَ لاَ عِزَّ كَالْحِلْمِ- وَ لاَ مُظَاهَرَهَ أَوْثَقُ مِنَ الْمُشَاوَرَهِ

أحدها:لا مال أعود من العقل.

أی أعود بالنفع علی صاحبه استعاره و استعار لفظ المال للعقل باعتبار أنّ به غنی النفس و هو رأس مالها الّذی به یکتسب الأرباح الباقیه و الکمالات المستعدّه کالمال الّذی به الکمال الظاهر،و لمّا کان بین المالین من التفاوت فی الشرف ما علمت لا جرم لم یکن مال أعود منه بالنفع .

الثانیه:و لا وحده أوحش من العجب

و جعل الوحده من جنس العجب باعتبار ما یستلزمانه من الوحشه الموحشه و قد سبق بیان استلزام العجب لها.

الثالثه:

مجازا إطلاقا لاسم السبب علی المسبّب و لا عقل کالتدبیر أراد بالعقل تصرّف العقل العملیّ فأطلق علیه اسمه مجازا إطلاقا لاسم السبب علی المسبّب.و ظاهر أنّ جمله تصرّفاته التدبیر و استخراج الآراء المصلحیّه فی الامور،و لمّا کان المقصود منه التدبیر لا جرم لم یکن له تصرّف یشبهه فلا عقل مثله .

الرابعه:

و لا کرم کالتقوی .و المفهوم من الکرم بذل ما ینبغی بذله،و لمّا کان تقوی اللّه عباره عن خشیته و کان من لوازمها الزهد فی الدنیا و الإعراض عن متاعها کان ذلک فی الحقیقه بذلا لجمیعها،و إذا کان بذل بعض قیناتها یسمّی کرما فبذلها بأسرها ممّن ینبغی له ذلک أولی أن یکون کرما لا یشبهه کرم کما قال علیه السّلام فیما سبق فی وصفها:و رأیتها محتاجه فوهبت جملتها لها.

الخامسه:

و لا قرین کحسن الخلق .قد عرفت الأخلاق الحسنه،و ظاهر أنّه لیس فیما یعدّ قرینا أشرف منها لأنّ غایه سایر القرناء أن یستفاد من صحبتهم و محبّتهم حسن الخلق،و کون حسن الخلق بنفسه الّذی هو الغایه قرینا أشرف من ذی الغایه الّذی عساه لا یحصل منه.فلا قرین إذن یشبهه.

السادسه:

و لا میراث کالأدب .و قد مرّ بیانه عن قرب.

السابعه:

و لا قائد کالتوفیق :أی إلی المطالب.و لمّا کان التوفیق عباره عن توافق الأسباب للشیء و شرایطه حتّی یکون بمجموعها مستلزمه لحصوله لا جرم لم یکن للمرء قائد إلی مطالبه کالتوفیق فی سرعه وصوله إلیه.

الثامنه:

استعاره و لا تجاره كالعمل الصالح .استعار لفظ التجاره له باعتبار كونه مستلزما

ص:٣٠٠

للخير كالتجاره المستلزمه للربح.و لمّا كان شرف التجاره بشرف ثمرتها و ربحها فكلّما كان الربح أشرف كانت التجاره أشرف.و لمّا كان ربح هذه التجاره الثواب الدائم الاخرويّ الّذى لا ربح أعظم منه لم يكن لتجاره العمل الصالح ما يشبهها من التجارات .

التاسعه:

و لا ربح كالثواب .و هو ظاهر.

العاشره:

و لا ورع كالوقوف عند الشبهه .قد يفسّر الورع بأنّه الوقوف عن المناهى و المحرّمات.و لمّا كان الوقوف عمّا اشتبه من الامور فى حلّه و حرمته أبلغ أصناف الورع و أكثرها تحرّزا به لم يكن فيها ما يشبهه.

الحادى عشر:

و لا زهد كالزهد فى الحرام .و لمّا كان الزهد فى الحرام هو المأمور به و الواجب دون غيره من أصناف الزهد كان أفضل أفضليّه الواجب على المندوب .

الثانيه عشر:

مجازا إطلاقا لاسم السبب على المسبّب و لا علم كالتفكّر :أى كالعلم الحاصل عن التفكّر و ذلك بالقياس إلى ما يدّعى علما من حفظ المنقولات كالأحاديث و السير و نحوها و إلى العلوم الحاصله عن الحواسّ لأنّ العلم الفكرى كلّىّ و هو أشرف و حكم الشارع و الخطيب أكثرىّ.و أراد التفكّر فيما ينبغى من خلق السماوات و الأرض و ما خلق اللّه من شىء،و تحصيل العبره منه.و أطلق اسم التفكّر على العلم الحاصل عنه إطلاقا لاسم السبب على المسبّب.و يحتمل أن يريد العلم بكيفيّه التفكّر و القوانين الّتى تعصم مراعاتها الفكر من الضلال .

الثالثه عشر:

و لا عباده كأداء الفرائض. لكونها واجبه و الواجب أشرف من غيره.

الرابعه عشر:

مجازا إطلاقا لاسم اللازم على ملزومه و لا ايمان كالحياء و الصبر .أى لا ايمان كايمان كمل بالحياء و الصبر،و ذلك أشرف هاتين الفضيلتين كما سبق و أطلقهما على الايمان مجازا إطلاقا لاسم اللازم على ملزومه .

الخامسه عشر:

و لا حسب كالتواضع .لمّا كان الحسب ما يعدّ من المآثر و

ص:٣٠١

الفضائل كان التواضع أشرف ما يعدّ بالقياس إلى كثير منها لما يستلزم من الخيرات كما سبق بيانه.

السادس عشر:

مجازا إطلاقا لاسم الملزوم على لازمه و لا شرف كالعلم :أى كشرف العلم فأطلق اسم الملزوم على لازمه مجازا،و ظاهر أنّ العلم أشرف الكمالات و لا شرف كشرفه .

السابعه عشر:

و لا مظاهره أوثق من مشاوره .أى أقوى.و قد مرّ بيانه فى قوله:و لا ظهير كالمشوره.

و اعلم أنّ الحكم فى كثير من هذه الكمالات أكثرىّ و غرضه الترغيب فى العقل و التدبير و التقوى و حسن الخلق و الأدب و التوفيق بالرغبه إلى اللّه فيه و العمل الصالح و الثواب و الوقوف عند الشبهه و الزهد فى الحرام و الفكر و المحافظه على الفرائض و اقتناء الحياء و الصبر و التواضع و العلم و المشوره فى الامور.

۱۰۵-و قال عليه السّلام:

اشاره

إِذَا اسْتَوْلَى الصَّلاَحُ عَلَى الزَّمَانِ وَ أَهْلِهِ- ثُمَّ أَسَاءَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ لَمْ تَظْهَرْ مِنْهُ حَوْبَهٌ فَقَدْ ظَلَمَ- وَ إِذَا اسْتَوْلَى الْفَسَادُ عَلَى الزَّمَانِ وَ أَهْلِهِ- فَأَحْسَنَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ فَقَدْ غَرَّرَ

المعنى

قد مرّ انّ الزمان من جمله الأسباب المعدّه لتوافق أسباب صلاح الخلق فى معاشهم و معادهم فيسمّى زمان الصلاح و الخير،كذلك هو من جمله الأسباب المعدّه لعدم ذلك فيقال:فسد الزمان،و زمان فاسد.و الأوّل هو الزمان الّذى استولى الصلاح عليه و على أهله و بحسب ذلك يكون مظنّه فعل الخير أن يحسن الظنّ بأهله فمن أساء الظنّ حينئذ فى أحد منهم يظهر منه ما يخزى به عند الناس من فعل رذيله فقد وضع إساءه ظنّه فى غير موضعها و هو خروج عن العدل و ظلم.و روى:حوبه:

أى إثم .و الثانى هو الزمان الّذى استولى الفساد عليه و على أهله و بحسب ذلك يكون مظنّه فعل الشرّ و سوء الظنّ بأهله فمن أحسن الظنّ فى أحدهم حينئذ فقد غرّر:

أى أوقع نفسه فى الغرّه به و الغفله عن حاله.

۱۰۶-و قيل له عليه السّلام:كيف تجدک يا أمير المؤمنين؟فقال:

اشاره

كَيْفَ يَكُونُ حَالُ مَنْ يَفْنَى بِبَقَائِهِ- وَ يَسْقَمُ بِصِحَّتِهِ وَ يُؤْتَى مِنْ مَأْمَنِهِ

المعنى

أجاب بصوره حاله على طريق الموعظه و التشكّى.و لمّا كان البقاء عباره عن استمرار زمان الوجود و كان استمرار الزمان و تعاقب أجزائه مقرّبا للأجل كان لبقائه سببيّه فى فنائه و كذلك لمّا كان من غايات الصحّه السقم كان لصحّته سببيّه فى سقمه و أمّا كونه يؤتى من مأمنه فيشبه أن يكون المأمن هنا مصدرا و المراد أنّ الداخل على المرء و نزول ما يكره به من الموت و أهوال الآخره هو أمنه فى الدنيا و سكونه إليها و غفلته عمّا ورائها ممّا لابدّ منه و يحتمل أن يكون المأمن محلّ الأمن و هو الدنيا،و معنى كونه يؤتى من مأمنه:أى أنّ ما يدخل عليه من الأدواء الّتى تلحقه هو من أحوال الدنيا الّتى هى مأمنه و عوارضها الّتى يعرض له من مأمنه حال أمنه فيه بحيث لا يمكنه الاحتراز منه.

۱۰۷-و قال عليه السّلام:

اشاره

كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ- وَ مَغْرُورٍ بِالسَّتْرِ عَلَيْهِ وَ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ- وَ مَا ابْتَلَى اللَّهُ أَحداً بِمِثْلِ الْإِمْلَاءِ لَهُ

اللغه

المستدرج : المأخوذ على غرّه .و الإملاء : الإمهال و تأخير المدّه .

المعنى

و قد ذكر عليه السّلام من الامور الّتى ابتلا اللّه بها عباده أربعه:

أحدها:الإحسان إلى العبد بضروب النعم.

الثانى:ستر المعصيه عليه.

الثالث:حسن القول فيه و ثناء الخلق عليه.

الرابع،تأخیر مدّته و إمهاله.و لمّا کانت غایه الابتلاء بهذه الامور الّتی

ص:۳۰۳

كلّها نعم فى الحقيقه إمّا شكرها أو كفرها كما قال تعالى «لِيَبْلُوَنِى أَ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ» (۱)الآيه.و كان الشكر هو الغايه الخيريّه المطلوبه بالذات نبّه المبتلى بالنعمه الاولى على وجوب شكرها بأنه كثيرا ما يستدرج بها فينبغى أن لا يغفل عنها،و نبّه المبتلى بالثانيه على أنّها كثيرا ما يكون سببا لغرّته باللّه و الأمن من مكره فينهمك فى المعاصى،و نبّه الثالث بكون نعمته قد يكون سببا لفتنته و صرفه عن شكر اللّه و ارتكابه لرذيله العجب بنفسه،و نبّه الرابع بكون نعمته أعظم ما يبتلى به من النعم.

۱۰۸-و قال عليه السّلام:

اشاره

هَلَکَ فِیَّ رَجُلاَنِ مُحِبٌّ غَالٍ وَ مُبْغِضٌ قَالٍ

المعنى

لمّا كانت محبّه أولياء اللّه فضيله نفسانيّه كان طرف التفريط و التقصير فيها إلى غايه مقابلتها بالبغض و طرف الإفراط إلى غايه الغلوّ و تجاوز ما ينبغى منها رذيلتين يستلزمان هلاک صاحبهما فى الآخره.أمّا رذيله التفريط فلأنّ بغض أولياء اللّه مستلزم لعداوتهم و من عادى وليّا من أولياء اللّه فقد عادى اللّه و كان من الهالكين،و أمّا رذيله الغلوّ و الإفراط فلأنّ الغلاه أخرجوه عن حدّ البشريّه إلى سماء الإلهيّه و هو صريح الكفر المستلزم للهلاک.

۱۰۹-و قال عليه السّلام:

اشاره

إِضَاعَهُ الْفُرْصَهِ غُصَّهٌ

المعنى

أى إنّ تضييع الأمر وقت إمكانه من نفسه يستلزم الأسف و الحزن على تفويته.

و هو تنفير عن تضييع الفرصه بما يلزمه.

۱۱۰-و قال عليه السّلام:

اشاره

مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّهِ لَيِّنٌ مَسُّهَا- وَ السَّمُّ النَّاقِعُ فِی جَوْفِهَا- يَهْوِی إِلَيْهَا الْغِرُّ الْجَاهِلُ وَ يَحْذَرُهَا ذُو اللُّبِّ الْعَاقِلُ

المعنى

مثّل الدنيا بالحيّه،و وجه التمثيل قوله:ليّن مسها.إلى آخره.و ذلک

ص:۳۰۴

۱- ۱) ۴۰-۲۷

أنّ الدنيا لذيذ المتناول سهله فی عين الناظر إليها مع أنّ فيما يشتهيه منها و يتناوله الشقاوه الاخرويّه و العذاب الأليم.فيهوى إليها الجاهل بما فيها من سوء العاقبه و يحذرها العاقل العارف بها كما أنّ الحيّه ليّن مسّها حسن منظرها يحسبها الجاهل سوارا من ذهب أو فضّه يهوى إليها لغرّته بما فيها من سمّ و يحذرها من يعرفه.

۱۱۱-و سئل عليه السّلام:عن قريش فقال:

اشاره

أَمَّا؟بَنُو مَخْزُوم؟فَرَيْحَانَهُ ؟قُرَيْش؟- تُحِبُّ حَدِيثَ رِجَالِهِمْ وَ النِّكَاحَ فِی نِسَائِهِمْ- وَ أَمَّا؟بَنُو عَبْدِ شَمْس؟ فَأَبْعَدُهَا رَأْياً- وَ أَمْنَعُهَا لِمَا وَرَاءَ ظُهُورِهَا- وَ أَمَّا نَحْنُ فَأَبْذَلُ لِمَا فِی أَيْدِينَا- وَ أَسْمَحُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِنُفُوسِنَا- وَ هُمْ أَكْثَرُ وَ أَمْكَرُ وَ أَنْكَرُ- وَ نَحْنُ أَفْصَحُ وَ أَنْصَحُ وَ أَصْبَحُ

المعنی

بنو مخزوم بطن من قريش و هو مخزوم بن يقظه بن مرّه بن كعب لوی بن غالب.

و منهم أبو جهل بن هشام بن المغيره و آل المغيره و كان لمخزوم ريح طيّبه كالخزامی و لونا كلونه،و الولد يشبه الوالد غالبا،و لذلك كانت هذه البطن تسمّی بريحانه قريش،و كانت المغيره بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم تسمّی بذلك.و قيل:لأنّه كان فی رجالهم كيس لذلك يحبّ الحديث إليهم و فی نسائهم لطف و تصنّع و تحبّب إلی الرجال و لذلك يحبّ نكاحهم.و أمّا بنو عبد شمس بن عبد مناف فمنهم ربيعه و ابناه شيبه و عتبه،و الأعياص،و حرب بن أميّه و ابنه أبو سفيان،و اسيد بن عتاب،و مروان بن الحكم.و وصف هذا البطن ببعد الرأی و هو كنايه عن جودته يقال:فلان بعيد الرأی.

إذا كان يری المصلحه من بعيد لقوّه رأيه، كنايه ثمّ بكونها أمنع لما وراء ظهورها و هو كنايه عن الحميّه .ثمّ وصف أهل بيته و هم بنو هاشم بكونهم أبذل لما فی أيديهم:أی أسخی ثمّ بكونم أسمح عند الموت بنفوسهم:أی أشجع.ثمّ وصفهم بفضيله خارجيّه و رذيلتين و وصف بنی هاشم بثلاث فضائل بدنيّتين و نفسانيّه و الفضيله فيهم هی كثره

ص:۳۰۵

العدد و الرذيلتان كونهم أمكر:أى أكثر حيله و خداعا و كونهم أنكر:أى أكثر نكرا.و النكر:المنكر،و أمّا فضائل بنى هاشم فكونهم أفصح و كونهم أصبح:أى أحسن وجوها و أجمل و هما فضيلتان يتعلّق بالبدن،و يحتمل أن يريد بالأصبح كونهم ألقى للناس بالطلاقه و البشر و مبدء ذلك فضيله نفسانيّه،ثمّ كونهم أنصح.و النصيحه لمن ينبغى نصيحته فضيله نفسانيّه تحت العفّه.

۱۱۲-و قال عليه السّلام:

اشاره

شَتَّانَ مَا بَيْنَ عَمَلَيْنِ- عَمَلٍ تَذْهَبُ لَذَّتُهُ و تَبْقَى تَبِعَتُهُ- وَ عَمَلٍ تَذْهَبُ مَئُونَتُهُ و يَبْقَى أَجْرُهُ

المعنى

و شتّان:أى افترق بينهما.و الأوّل:العمل للدنيا.و تبعته هو ما يتبعه من الشقاوه الاخرويّه.و الثانى:عمل الآخره.و ظاهر أنّ بينهما فرقا عظيما.

۱۱۳-و تبع جنازه فسمع رجلا يضحک،فقال عليه السّلام:

اشاره

كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ- وَ كَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجَبَ- وَ كَأَنَّ الَّذِى نَرَى مِنَ الْأَمْوَاتِ سَفْرٌ عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ- نُبَوِّئُهُمْ أَجْدَاثَهُمْ وَ نَأْكُلُ تُرَاثَهُمْ كَأَنَّا مُخَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ- قَدْ نَسِينَا كُلَّ وَاعِظٍ وَ وَاعِظَهٍ وَ رُمِينَا بِكُلِّ جَائِحَهٍ طُوبَى لِمَنْ ذَلَّ فِى نَفْسِهِ وَ طَابَ كَسْبُهُ- وَ صَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ وَ حَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ- وَ أَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ وَ أَمْسَکَ الْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ- وَ وَسِعَتْهُ السُّنَّهُ وَ لَمْ يُنْسَبْ إِلَى بِدْعَهٍ قال الرضى:اقول:و من الناس من ينسب هذا الكلام الى رسول الله صلى الله عليه و آله.

اللغه

الأجداث : القبور .و الجائحه : الداهيه المستأصله .

المعنى

و غرض الفصل التنفير عن وضع الضحك فى غير موضعه و التذكير بأمر الآخره.

و ذكر تشبيهات ثلاث:

تشبيه أحدها:تشبيه الموت بالمكتوب على غير الإنسان .

و الثانى:تشبيه الحقّ الواجب عليه بما وجب على غيره دونه .

و الثالث:تشبيه ما يشاهد من الأموات بالمسافرين الّذين يقدمون عن قريب .

و وجه الشبه فى الثلاثه قلّه اهتمام الناس بالموت و التفاتهم إلى أداء واجب حقّ اللّه عليهم و عدم اعتبارهم بمن يموت.

و قوله:نبوّئهم.إلى قوله:جائحه.

من تمام وجه التشبيه فإنّ الفاعل مثل هذا الفعل بالأموات كأنّه لقساوه قلبه و عدم اتّعاظه لم يكتب عليه ما كتب عليهم من الموت .

و قوله طوبى.إلى آخره.ترغيب فى اقتناء الفضائل المذكوره بأنّ له طوبى و هى فى الحقيقه الحاله الشريفه الّتى لأولياء اللّه فى الآخره من طيب الحال و اللذّه الباقيه.و ذكر ثمان فضائل:

إحداها:ذلّه النفس للّه عن ملاحظه حاجتها و فقرها إليه،و نظرها إلى معادها.

الثانيه:طيب الكسب بأخذه من وجوهه الّتى ينبغى.

الثالثه:صلاح السريره للّه و إخلاص الباطن من فساد النيّات فى المعاملات مع الخلق.

الرابعه:حسن الخلق و اقتناء فضايله.

الخامسه:إنفاق الفاضل عن الحاجه من المال فيما ينبغى من وجوه القربات إلى اللّه و هى فضيله السخاء.

السادسه:إمساك الفضل من المقال أى ما زاد منه ممّا لا ينبغى و هو السكوت فى موضعه.

السابعه:عزل الشرّ عن الناس و هو العدل أو لازمه.

ص:٣٠٧

الثامنه:لزوم سنّه اللّه و رسوله و عدم الخروج عنها إلى ما يبتدع فى الدين و لا ينبغى.

۱۱۴-و قال عليه السّلام:

اشاره

غَيْرَهُ الْمَرْأَهِ كُفْرٌ وَ غَيْرَهُ الرَّجُلِ إِيمَانٌ

المعنى

أمّا الأوّل:فلأنّ غيره الرجل يستلزم سخطه لما سخط اللّه من اشتراك رجلين فى امرأه.و سخط ما سخط اللّه موافق لرضاه و مؤيّد لنهيه.و ذلك إيمان.

و أمّا الثانى:فلأنّ المرأه تقوم بغيرتها فى تحريم ما أحلّ اللّه و هو اشتراك مرأتين فما زاد فى رجل واحد و يقابله بالردّ و الإنكار.و تحريم ما أحلّ اللّه و سخطه ما رضيه ردّ عليه و هو لا محاله كفر.

۱۱۵-و قال عليه السّلام:

اشاره

لَأَنْسُبَنَّ الْإِسْلاَمَ نِسْبَهً لَمْ يَنْسُبْهَا أَحَدٌ قَبْلِي- الْإِسْلاَمُ هُوَ التَّسْلِيمُ وَ التَّسْلِيمُ هُوَ الْيَقِينُ- وَ الْيَقِينُ هُوَ التَّصْدِيقُ وَ التَّصْدِيقُ هُوَ الْإِقْرَارُ- وَ الْإِقْرَارُ هُوَ الْأَدَاءُ وَ الْأَدَاءُ هُوَ الْعَمَلُ الصالح

المعنى

هذا قياس مفصول مركّب من قياسات طويت نتائجها.و ينتج القياس الأوّل:أنّ الإسلام هو اليقين.و الثانى:أنّه التصديق.و الثالث:أنّه الإقرار.و الرابع:أنّه الأداء.و الخامس:أنّه العمل.

أمّا المقدّمه الاولى:فلأنّ الإسلام هو الدخول فى الطاعه و يلزمه التسليم للّه و عدم النزاع فى ذلك.و صدق اللازم على ملزومه ظاهر.

مجازا إطلاقا لاسم اللازم على ملزومه و أمّا الثانيه:فلأنّ التسليم الحقّ إنّما يكون عن تيقّن استحقاق المطاع للتسليم له فكان اليقين بذلك من لوازم التسليم للّه فصدق عليه صدق اللازم على ملزومه .

و أمّا الثالثه:فلأنّ اليقين باستحقاقه للطاعه و التسليم مستلزم للتصديق بما جاء به على لسان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:من وجوب طاعته فصدق على اليقين به أنّه تصديق له.

و أمّا الرابعه:فلأنّ التصديق للّه فى وجوب طاعته إقرار بصدق اللّه.

و أمّا الخامسه:فلأنّ الإقرار و الاعتراف بوجوب أمر يستلزم أداء المقرّ المعترف لما أقرّ به فكان إقراره أداء لازما.

و أمّا السادسه:و هو أنّ الأداء هو العمل فلأنّ أداء ما اعترف به للّه من الطاعه الواجبه لا يكون إلاّ عملا.

و يؤول حاصل هذا الترتيب إلى إنتاج أنّ الإسلام هو العمل للّه بمقتضى أوامره و هو تفسير بخاصّه من خواصّه كما سبق بيانه.

۱۱۶-و قال عليه السّلام:

اشاره

عَجِبْتُ لِلْبَخِيلِ يَسْتَعْجِلُ الْفَقْرَ الَّذِى مِنْهُ هَرَبَ- وَ يَفُوتُهُ الْغِنَى الَّذِى إِيَّاهُ طَلَبَ- فَيَعِيشُ فِى الدُّنْيَا عَيْشَ الْفُقَرَاءِ- وَ يُحَاسَبُ فِى الْآخِرَهِ حِسَابَ الْأَغْنِيَاءِ- وَ عَجِبْتُ لِلْمُتَكَبِّرِ الَّذِى كَانَ بِالْأَمْسِ نُطْفَهً- وَ يَكُونُ غَداً جِيفَهً- وَ عَجِبْتُ لِمَنْ شَكَّ فِى اللَّهِ وَ هُوَ يَرَى خَلْقَ اللَّهِ- وَ عَجِبْتُ لِمَنْ نَسِىَ الْمَوْتَ وَ هُوَ يَرَى الْمَوْتَى- وَ عَجِبْتُ لِمَنْ أَنْكَرَ النَّشْأَهَ الْأُخْرَى- وَ هُوَ يَرَى النَّشْأَهَ الْأُولَى- وَ عَجِبْتُ لِعَامِرٍ دَارَ الْفَنَاءِ وَ تَارِكٍ دَارَ الْبَقَاءِ

المعنى

تعجب عليه السّلام من سته هم محل العجب و الغرض التنفير عن رذائلهم:

الأوّل:البخيل و جعل محلّ التعجّب منه ثلاثه امور:

أحدها:أنّه إنّما يبخل خوف الفقر فى العاقبه لو أنفق المال.و تقتيره و عدم انتفاعه به فى الحال صوره فقر حاضر فكان بذلك مستعجلا للفقر الّذى هرب منه إلى البخل.

الثانى:أنّه طالب للغنى ببخله و بخله أبدا سبب لفقره الحاضر المنافى لغناه و المفوّت له.فما يعتقده سبب الغنى هو المفوّت للغنى.

الثالث:أنّه يعيش فى الدنيا عيش الفقراء لعدم انتفاعه بماله،و يحاسب فى

الآخره حساب الأغنياء لمشاركته إيّاهم فى جمع المال و محبّته الذين هما مبدءا الحساب.فكان منهم بهذا الاعتبار.

الثانى :المتكبّر و نبّه على وجه العجب منه بـذكر مبدء كونه و هو كونه نطفه فى غايه الحقاره و السخف المنافى للكبر،و غايته و هو كونه جيفه فى نهايه القذاره.فجمعه بين هذين الأمرين و بين التكبّر من العجب العجيب.

الثالث :الشاكّ فى اللّه و هو يرى خلقه و ذلك جمع بين الشكّ فى وجوده و بين رؤيته ظاهرا فى وجود مخلوقاته و عجائب مصنوعاته و هو محلّ العجب.

الرابع :الناسى لموته مع رؤيته لمن يموت.و ظاهر أنّ نسيان الموت مع رؤيته دائما محلّ التعجّب.

الخامس :منكر النشأه الاخرى و إعاده الأبدان بعد عدمها.و ظاهر أنّ إنكاره لذلك مع اعترافه بالنشأه الاولى و هى الوجود الأوّل للخلق من العدم الصرف محلّ التعجّب لأنّ الاخرى أهون كما قال تعالى «وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ» (۱).

السادس :عامر الدنيا مع كونها فانيه زايله مع تركه لعماره الآخره الباقيه و الباقى ما فيها محلّ التعجّب.

و غرض التعجّب من هؤلاء و الاشاره إلى وجوهه تنفير الخلق من الامور المذكوره.

۱۱۷-و قال عليه السّلام:

اشاره

مَنْ قَصَّرَ فِي الْعَمَلِ ابْتُلِيَ بِالْهَمِّ وَ لاَ حَاجَهَ لِلَّهِ فِيمَنْ لَيْسَ لِلَّهِ فِي مَالِهِ وَ نَفْسِهِ نَصِيبٌ

المعنى

المقصّر فى العمل للّه يكون غالب أحواله متوفّرا على الدنيا مفرطا فى طلبها و جمعها و بقدر التوفّر عليها يكون شدّه الهمّ فى جمعها و تحصيلها أوّلا ثمّ فى ضبطها و الخوف على فواتها ثانيا،و فى المشهور:خذ من الدنيا ما شئت و من الهمّ ضعفه.فنفّر عن التقصير فى الأعمال البدنيّه و الماليّه بقوله :و لا حاجه للّه.إلى آخره.و كنّى

۱- ۱) ۲۶-۳۰.

بعدم حاجته فيه عن إعراضه عنه و عدم النظر إليه بعين الرحمه لعدم استعداده لذلك.

۱۱۸-و قال علیه السّلام:

اشاره

تَوَقَّوُا الْبَرْدَ فِی أَوَّلِهِ وَ تَلَقَّوْهُ فِی آخِرِهِ- فَإِنَّهُ یَفْعَلُ فِی الْأَبْدَانِ کَفِعْلِهِ فِی الْأَشْجَارِ- أَوَّلُهُ یُحرِقُ وَ آخِرُهُ یُورِقُ

المعنی

إنّما وجب اتّقاؤه فی أوّله و هو أوّل الخریف لأنّ الصیف و الخریف یشترکان فی الیبس فإذا ورد البرد و حینئذ ورد علی أبدان استعدّت بحراره الصیف و یبسه للتخلخل و تفتّح المسامّ و الجفاف فاشتدّ انفعال البدن عنه و أسرع تأثیره فی قهر الحراره الغریزیّه فیقوی بذلک فی البدن قوّتا البرد و الیبس اللّتان هما طبیعه الموت فیکون بذلک یبس الأشجار و احتراق الأوراق و انحسارها و ضمور الأبدان و ضعفها.و أمّا أمره بالتقائه فی آخره و هو آخر الشتاء و أوّل زمان الربیع فلأنّ الشتاء و الربیع یشترکان فی الرطوبه و یفترقان بأنّ الشتاء بارد و الربیع حارّ فالبرد المتأخّر إذا امتزج بحراره الربیع و انکسرت سورته بها لم یکن له بعد ذلک نکایه فی الأبدان فقویت لذلک الحراره الغریزیّه و انتعشت فکان من اعتدالها بالبرد مع الرطوبه استعداد لمزاج هو طبیعه الحیاه و کان منه النموّ و قوّه الأبدان و بروز الأوراق و الثمار.

تشبیه و قوله: فإنّه.إلی آخره .

صغری ضمیر نبّه به علی توقّیه و تلقّیه.و تقدیر کبراه:و کلّ ما کان کذلک فإنّه یجب توقّی أوّله و تلقّی آخره، و قوله:أوّله یحرق و آخره یورق.

و هو وجه التشبیه .

۱۱۹-و قال علیه السّلام:

اشاره

عِظَمُ الْخَالِقِ عِنْدَکَ یُصَغِّرُ الْمَخْلُوقَ فِی عَیْنِکَ

المعنی

هذا أمر وجده العارفون باللّه فإنّ من عرف عظمه اللّه و جلاله و لحظ جمیع المخلوقات بالقیاس إلیه حتّی علم مالها من ذواتها و هو الإمکان و الحاجه و عدم استحقاق

الوجود إلاّ منه تعالى علم أنّها فى جنب عظمته عدم و لا أحقر من العدم.و شدّه صغر المخلوق فى اعتبار العارف بحسب درجته فى عرفانه.و قيل لبعض العارفين:فلان زاهد.فقال:فيما ذا؟فقيل:فى الدنيا.فقال:الدنيا لا تزن عند اللّه جناح بعوضه فكيف يعتبر الزهد فيها؟و الزهد إنّما يكون فى شىء و الدنيا عندى لا شىء.

۱۲۰–و قال عليه السّلام:

اشاره

و قد رجع من صفين فاشرف على القبور بظاهر الكوفه:

يَا أَهْلَ الدِّيَارِ الْمُوحِشَهِ- وَ الْمَحَالِّ الْمُقْفِرَهِ وَ الْقُبُورِ الْمُظْلِمَهِ- يَا أَهْلَ التُّرْبَهِ يَا أَهْلَ الْغُرْبَهِ- يَا أَهْلَ الْوَحْدَهِ يَا أَهْلَ الْوَحْشَهِ- أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ سَابِقٌ وَ نَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ لاَحِقٌ- أَمَّا الدُّورُ فَقَدْ سُكِنَتْ وَ أَمَّا الْأَزْوَاجُ فَقَدْ نُكِحَتْ- وَ أَمَّا الْأَمْوَالُ فَقَدْ قُسِمَتْ- هَذَا خَبَرُ مَا عِنْدَنَا فَمَا خَبَرُ مَا عِنْدَكُمْ- ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ- أَمَا وَ اللَّهِ لَوْ أُذِنَ لَهُمْ فِى الْكَلاَمِ- لَأَخْبَرُوكُمْ أَنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى

اللغه

الفرط : الّذى يتقدّم الوارده فيهيّىء الإرشاء و الدلاء .

المعنى

و خاطبهم عليه السّلام خطاب من يسمع إقامه لحالهم المعهوده مقام أشخاصهم الموجوده.و الديار الموحشه و المحالّ المقفره:القبور.و غرض الفصل ترقيق القلوب القاسيه و تنبيه النفوس الغافله عن غايه الدنيا و متاعها لغايه العمل فيها كما ينبغى ،و لمّا كان الحقّ هو أنّ خير الزاد التقوى كما نطق به القرآن الكريم و كان ذلك أمرا شاهدا،المتّقون فى جزائهم بتقويهم و الفجّار فى حرمانهم بعدمه لا جرم لو اذن لهم فى الجواب و اعطوا آلته لكان جوابهم ما عرفوا من الحقّ.

ص:۳۱۲

۱۲۱–و قال علیه السّلام و قد سمع رجلا یذم الدنیا:

اشاره

أَيُّهَا الذَّامُّ لِلدُّنْيَا الْمُغْتَرُّ بِغُرُورِهَا- الْمَخْدُوعُ بِأَبَاطِيلِهَا أَ تَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا ثُمَّ تَذُمُّهَا- أَنْتَ الْمُتَجَرِّمُ عَلَيْهَا أَمْ هِيَ الْمُتَجَرِّمَهُ عَلَيْکَ- مَتَى اسْتَهْوَتْکَ أَمْ مَتَى غَرَّتْکَ- أَ بِمَصَارِعِ آبَائِکَ مِنَ الْبِلَى- أَمْ بِمَضَاجِعِ أُمَّهَاتِکَ تَحْتَ الثَّرَى- کَمْ عَلَّلْتَ بِکَفَّيْکَ وَ کَمْ مَرَّضْتَ بِيَدَيْکَ- تَبْتَغِي لَهُمُ الشِّفَاءَ وَ تَسْتَوْصِفُ لَهُمُ الْأَطِبَّاءَ- غَدَاهَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ دَوَاؤُکَ وَ لَا يُجْدِي عَلَيْهِمْ بُکَاؤُکَ- لَمْ يَنْفَعْ أَحَدَهُمْ إِشْفَاقُکَ وَ لَمْ تُسْعَفْ فِيهِ بِطَلِبَتِکَ- وَ لَمْ تَدْفَعْ عَنْهُ بِقُوَّتِکَ- وَ قَدْ مَثَّلَتْ لَکَ بِهِ الدُّنْيَا نَفْسَکَ وَ بِمَصْرَعِهِ مَصْرَعَکَ- إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا- وَ دَارُ عَافِيَهٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا- وَ دَارُ غِنًى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا- وَ دَارُ مَوْعِظَهٍ لِمَنِ اتَّعَظَ بِهَا- مَسْجِدُ أَحِبَّاءِ اللَّهِ وَ مُصَلَّى مَلَائِکَهِ اللَّهِ- وَ مَهْبِطُ وَحْيِ اللَّهِ وَ مَتْجَرُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ- اکْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَهَ وَ رَبِحُوا فِيهَا الْجَنَّهَ- فَمَنْ ذَا يَذُمُّهَا وَ قَدْ آذَنَتْ بِبَيْنِهَا وَ نَادَتْ بِفِرَاقِهَا- وَ نَعَتْ نَفْسَهَا وَ أَهْلَهَا فَمَثَّلَتْ لَهُمْ بِبَلَائِهَا الْبَلَاءَ- وَ شَوَّقَتْهُمْ بِسُرُورِهَا إِلَى السُّرُورِ- رَاحَتْ بِعَافِيَهٍ وَ ابْتَکَرَتْ بِفَجِيعَهٍ- تَرْغِيباً وَ تَرْهِيباً وَ تَخْوِيفاً وَ تَحْذِيراً- فَذَمَّهَا رِجَالٌ غَدَاهَ النَّدَامَهِ- وَ حَمِدَهَا آخَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَهِ- ذَکَّرَتْهُمُ الدُّنْيَا فَذَکَّرُوافتذَکَّرُوا وَ حَدَّثَتْهُمْ فَصَدَّقُوا- وَ وَعَظَتْهُمْ فَاتَّعَظُوا

ص:۳۱۳

اللغه

أقول: المتجرّم : المدّعی جریمه و استهوتک : طلبت هواک إلیها و هواک فیها .

و مثّلت : صوّرت .

المعنی

و قوله: أیّها الذامّ ،إلی قوله: غرّتک .

توبیخ له علی الاغترار بها و ذمّها مع ذلک و کذب دعواه أنّها هی ذات الجریمه علیه باستفهامه عن وقت استهوائها له استفهام منکر لذلک و موبّخ علیه و أکّد ذلک باستفهام أنّ ذلک الغرور له منها بأیّ شیء کان أمن مصارع الآباء أم بمضاجع الامّهات،و ذلک علی وجه الاستهزاء منه و التنبیه له علی ما یوجب النفره منها و عدم الاغترار بها من سوء صنیعها بأهلها حتّی کأنّها قاصده لذلک التنبیه و التنقیر عنها.

و قوله:کم علّلت.إلی قوله:مصرعک.

صغری ضمیر دلّ به علی ما ادّعاه لها من کونها متبهه من الغفله و لیس قصدها الغرور و تقدیرها :قد صوّرت لک الدنیا نفسک بمن أکثرت تعلیله و تمریضه من أهلک طالبا له الشفاء و مستوصفا له الأطبّاء فلم ینفعه ذلک منک،و مثّلت بمصرعه مصرعک.و تقدیر الکبری:و کلّ من مثّل لک ذلک و صوّره لک فلیس من أهل التلبیس علیک و الغرور لک بل من نصحائک و متبهیک من غفلتک .ثمّ لمّا نفی عنها الذمّ أخذ فی مدحها و ذکر لها أوصافا ثمانیه:

أحدها:أنّها دار صدق لمن صدقها:أی فیما أخبر به بلسان حالها من فنائها و زوالها.و تصدیقه لها اعترافه بذلک منها و العمل به.

الثانی:و دار عافیه لمن فهم عنها ما أخبرت عنها من عظاتها حتّی احترز من آفاتها و عوفی می عذاب اللّه بها.

الثالث:و دار غنی لمن اتّخذ فیها التقوی زادا لسفره إلی اللّه.و ظاهر أنّ التقوی و ثمرتها فی الآخره أعظم غنی للمتّقین.

الرابع:و دار موعظه لمن اعتبر بها فعلم وصفها و غایتها.

الخامس :کونها مسجد أحبّاء اللّه من رسله و أولیائه.

السادس:کونها مصلّی ملائکه اللّه الأرضیّه الّذین سجدوا لآدم علیه السّلام.

السابع:کونها مهبط وحی اللّه.

الثامن:کونها متجر أولیاء اللّه الّذین اکتسبوا بعبادتهم فیها رحمته و ربحوا جنّته .

ثمّ استفهم بعد هذه الممادح عمّن یذمّها منکرا علیه و مبیّنا لأحوال اخری لها ینافی ذمّها أی فمن ذا یذمّها و لها الصفات المذکور و هی علی هذه الأحوال؟و ذکر منها ستّه:

إحداها:کونها آذنت أهلها و أعلمهم بفراقها.و الواو فی قوله.و قد.للحال.

الثانی:و نادت بفراقها.

الثالث:و نعت نفسها.کلّ ذلک بلسان حالها من التغیّر و الانتقال المؤذن.

بالزوال.

الرابع:کونها مثّلت لهم ببلائها البلاء فی الآخره.

الخامس:و شوقّتهم بسرورها إلی السرور فی الجنّه.و إنّما کان کذلک لأنّ کلّ ما فی هذا العالم فهو صوره و مثال لما فی عالم الغیب و نسخه منه یعتبر به و یقاس إلیه و لولا ذلک لانسدّ طریق الترقّی إلی الحضره الإلهیّه و تعذّر الوقوف علی شیء من أسرارها.فالسالکون إلی اللّه لمّا شاهدوا بلاء الآخره من بلاء الدنیا عملوا للخلاص منه و شاهدوا سرورها من سرور الدنیا و علموا أنّ بینهما فرقا عظیما و أنّ الأشرف لا یحصل إلاّ برفض الأخسّ فاقتضت آراؤهم الصالحه بیع سرور الفانی بالباقی.

کنایه السادس : رواحها بعافیه و ابتکارها بفجیعه .و هو کنایه عن سرعه انتقال أحوالها و تبدّل أطوارها من رخاء إلی شدّه و من صحّه إلی سقم و نسب هذه الأفعال إلیها لأنّ لها سببیّه ما فی ذلک ،و لمّا نسب إلیها الأفعال الاختیاریّه جعل لها منها غایات و هی ترغیب الناس إلی اللّه و ترهیبهم منها ثمّ أشار إلی سبب ذمّها ممّن ذمّها و هو ندامه المفرّطین فی اتّخاذ زاد التقوی إلی الآخره منها فنسبوا ذلک التفریط إلی غرورها لهم و هو باطل کما بیّنه،ثمّ إلی سبب مدحها ممّن مدحها و هو ثلاثه:

أحدها تذکّرها لهم بزوالها أنّ ورائها غایه باقیه یجب العمل لها فتذکّروا

ما ذكّرتهم و عملوا.

الثانی:حدیثها لهم بذلک حتّی صدّقوا.

الثالث:وعظها لهم بعبرها حتّی اتّعظوا.

۱۲۲-و قال علیه السّلام:

اشاره

إِنَّ لِلَّهِ مَلَكاً يُنَادِي فِي كُلِّ يَوْمٍ- لِدُوا لِلْمَوْتِ وَ اجْمَعُوا لِلْفَنَاءِ وَ ابْنُوا لِلْخَرَابِ

المعنی

ذلک النداء علی وفق ما لم من القضاء الإلهیّ فی طبیعه الدنیا و غایتها،و الامور الثلاثه و هو الموت و الفناء و الخراب غایات طبیعیّه.و اللام فیها هی المسمّاه بلام العاقبه.

۱۲۳-و قال علیه السّلام:

اشاره

اَلدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍّ لاَ دَارُ مَقَرٍّ وَ النَّاسُ فِيهَا رَجُلاَنِ- رَجُلٌ بَاعَ فِيهَانَفْسَهُ فَأَوْبَقَهَا وَ رَجُلٌ ابْتَاعَ نَفْسَهُ فَأَعْتَقَهَا

اللغه

أوبقها : أهلكها .

المعنی

و کون الدنیا دار ممرّ باعتبار أنّها طریق إلی الآخره الّتی هی دار المقرّ . استعاره و استعار لفظ البیع لبایع نفسه باعتبار تسلیمه لها إلی الهلاک الاخروی و اعتیاضه عنها ما أصابه من اللذّه الدنیویّه،و کذلک لفظ الابتیاع لمشتری نفسه باعتبار إنقاذها من ذلک الهلاک ببذل ما قدر علیه من حاضر اللذّات و الإعراض عنه .و حصر المکلّفین فی الرجلین المذکورین ظاهر.

۱۲۴-و قال علیه السّلام:

اشاره

لاَ يَكُونُ الصَّدِيقُ صَدِيقاً حَتَّى يَحْفَظَ أَخَاهُ فِي ثَلاَثٍ- فِي نَكْبَتِهِ وَ غَيْبَتِهِ وَ وَفَاتِهِ

المعنى

جعل لصديق الصدق خاصّه يعرف بها و هو أن يحفظ صديقه فى الامور الثلاثه.و حفظه بالقيام مقامه فيما ينبغى فعله فى صلاح حاله بقدر الإمكان.

ص:۳۱۶

۱۲۵-و قال علیه السّلام:

اشاره

مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعاً لَمْ يُحْرَمْ أَرْبَعاً- مَنْ أُعْطِيَ الدُّعَاءَ لَمْ يُحْرَمِ الْإِجَابَهَ- وَ مَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَهَ لَمْ يُحْرَمِ الْقَبُولَ- وَ مَنْ أُعْطِيَ الِاسْتِغْفَارَ لَمْ يُحْرَمِ الْمَغْفِرَهَ- وَ مَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ الزِّيَادَهَ و تصديق ذلك فی كتاب الله- قال الله فی الدعاء «ادْعُونِی أَسْتَجِبْ لَكُمْ» و قال فی الاستغفار «وَ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً» - و قال فی الشكر «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ» - و قال فی التوبه- «إِنَّمَا التَّوْبَهُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالَهٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً»

المعنی

أقول:الامور الأربعه الاولی إذا كانت بإخلاص كان كلّ منها سببا فی إعداد النفس لقبول صوره الرحمه الإلهيّه من واهبها.فالدعاء لإجابته،و التوبه لقبولها و إسقاط ثمره المعصيه،و الاستغفار للمغفره،و الشكر للزياده.و الشواهد الإلهيّه ناطقه بذلك على وفق مقتضى العمل.

۱۲۶-و قال علیه السّلام:

اشاره

اَلصَّلاَهُ قُرْبَانُ كُلِّ تَقِيٍّ- وَ الْحَجُّ جِهَادُ كُلِّ ضَعِيفٍ- وَ لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاهٌ وَ زَكَاهُ الْبَدَنِ اَلصَّوْمُ الصِّيَامُ- وَ جِهَادُ الْمَرْأَهِ حُسْنُ التَّبَعُّلِ

اللغه

التبعّل : معاشره البعل و صحبته

المعنی

و الكلام إشاره إلى بعض أسرار هذه العبادات:

فمن أسرار الصلاه كونها قربانا إلى اللّه تعالى و قد علمت أنّها أعظم ما يتقرّب إليه

ص:۳۱۷

المتّقون به من العبادات ،و من أسرار الحجّ كونه جهادا فى سبيل اللّه لما فيه من مشقّة السفر و مجاهده الطبيعه و مقاومه النفس الأمّاره بالسوء مع قوّتها لشبهه عدم الاطّلاع على أسرار الحجّ و فايدته مع ما فى كيفيّته من الأفعال الّتى يعجب منها الجاهلون.

و إنّما خصّ الضعيف بذلك جذبا له إليه و لأنّ للقوّى جهاد آخر هو المشهور ،و من أسرار الصوم كونه زكاه للبدن لما فيه من تنقيص قوّته و كسر شهوته لغايه طاعه اللّه و الثواب الاخروى و كما أنّ الزكاه تنقيص فى المال مستلزم لزياده الثواب فى الآخره ،و من أسرار التبعّل حسن معاشره البعل و طاعته فى طاعه اللّه و فى ذلك كسر النفس الأمّاره للمرأه و انقيادها فى صراط اللّه.

١٢٧–و قال عليه السّلام:

اشاره

اِسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَهِ

المعنى

و فى الكلمه فايدتان:

إحداهما:الترغيب فى الصدقهبذكر كونها سببا لاستنزال الرزق.و قد مرّ أنّ الصدقه باب عظيم لذلك معدّ لحصوله،و من وجوه إعدادها كونها نفعا متعدّيا يستلزم تألّف قلوب أهل اللّه و الصالحين من عباده و اجتماع هممهم على دعاء اللّه لصلاح حال المتصدّق.

الثانيه :التنبيه على أقوى الأسباب الباعثه عليها و على البذل فى أكثر الخلق ليعتمد فيسهل معه البذل و هو الثقه باللّه و اليقين بالخلف منه كما نطق به وعده تعالى «إِنْ تُقْرِضُوا اللّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضاعِفْهُ لَكُمْ» (١)الآيه.

١٢٨–و قال عليه السّلام:

اشاره

تَنْزِلُ الْمَعُونَهُ عَلَى قَدْرِ الْمَئُونَهِ

اللغه

المئونه : التعب و الشدّه و هى مفعله من الأين .

المعنى

و المراد أنّ الشدّه و الثقل بالعيال و نحوهم معدّ لاستنزال معونه اللّه برزقه و قوّته على القيام بأحوالهم و دفع المئونه من جهتهم.

۱- ۱) ۱۷-۶۴

۱۲۹–و قال عليه السّلام:

اشاره

مَا عَالَ مَنِ اقْتَصَدَ

اللغه

العيله : الفقر .و الاقتصاد : الإنفاق بقدر الحاجه المتعارفه .

المعنى

و ذلك معدّ لعدم الحاجه لأنّ قدر الحاجه من المال أمر قد تكفلّ اللّه بإدراره مدّه البقاء و هو ما لابدّ للمقتصد منه.

۱۳۰–و قال عليه السّلام:

اشاره

قِلَّهُ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارَيْنِ وَ التَّوَدُّدُ نِصْفُ الْعَقْلِ وَ الْهَمُّ نِصْفُ الْهَرَمِ

المعنى

أمّا الأوّل:فلأنّ الغنى المتعارف يكون بحصول المال و للمال اعتباران:

أحدهما:حصوله.و الثانى:عدم إنفاقه.فحصوله يسار،و عدم إنفاقه على العيال لقلّتهم يسار ثان. مجازا إطلاقا لاسم المسبّب على السبب و أطلق اليسار على قلّه العيال مجازا إطلاقا لاسم المسبب على السبب .

مجازا إطلاقا لاسم المسبّب على السبب و أمّا الثانى :فأراد العقل العملىّ.و لفظه مجاز فى تصرّفاته إطلاقا لاسم السبب على المسبّب و من جمله تصرّفاته فى التدبير التودّد إلى الخلق.و لمّا كان الإنسان محتاجا فى إصلاح معاشه إلى غيره و كانت معاملته لهم فى ذلك إمّا على وجه التودّد و ما يلزمه من جميل المعاشره و حسن الصحبه و المسامحه و الترغيب،و إمّا على وجه القهر و الغلبه و الترهيب لا جرم كان التودّد و ما يلزمه نصف العقل:أى نصف تصرّفه فى تدبير أمر معاشه .

و أمّا الثالث :فلأنّ الهرم إمّا طبيعىّ و إمّا لسبب من خارج و هو الهمّ و الحزن و الخوف المستلزم له فهو إذن قسيم للسبب الطبيعىّ.و قسم من أسباب الهرم كالنصف له فاستعار له لفظ النصف و أراد:و الهمّ نصف سبب الهرم.

۱۳۱–و قال عليه السّلام:

اشاره

يَنْزِلُ الصَّبْرُ عَلَى قَدْرِ الْمُصِيبَهِ- وَ مَنْ ضَرَبَ يَدَهُ عَلَى فَخِذِهِ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ حبطَ أَجْرُهُ

ص:۳۱۹

المعنى

إنّ اللّه سبحانه جعل للإنسان قوّه استعداد لأن يصبر بمقدار مصيبته فمن تمّ استعداده افيض عليه ذلك المقدار من الصبر و من قصر فى الاستعداد لحصول هذه الفضيله و ارتكب ضدّها و هو الجزع حبط أجره و هو ثوابه على الصبر، كنايه و كنّى عن الجزع بما يلزمه فى العاده من ضرب اليدين على الفخذين .و قيل:بل يحبط ثوابه السابق لأنّ شدّه الجزع يستلزم كراهيّه قضاء اللّه و سخطه و عدم الالتفات إلى ما وعد به من ثواب الصابرين و هو معدّ لمحو الحسنات من لوح النفس و سقوط ما يلزمها من ثواب الآخر:

۱۳۲–و قال عليه السّلام:

اشاره

كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلاَّ الْجُوعُ وَ الظَّمَأُ- وَ كَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلاَّ السَّهَرُ وَ الْعَنَاءُ- حَبَّذَا نَوْمُ الْأَكْيَاسِ وَ إِفْطَارُهُمْ

المعنى

أراد بذلك من أخلّ بشرط من شرائط صيامه و قيامه و لم يأت على وجه الإجزاء،و أعظم شرط لهما توجّههما إلى المعبود الحقّ عزّ سلطانه،و كثره خلل العباده و فسادها من كثير من الخلق إنّما يكون للجهل بهذا الشرط كنايه .و كنّى بالقيام عن الصلاه .و إنّما مدح نوم الأكياس لأنّ الكيّس هو الّذى يستعمل ذكاه و فطنته فى طرق الخير و على الوجه المرضىّ للشارع و يضع كلّ شيء موضعه.و من كان كذلك كان نومه و إفطاره و جميع تصرّفاته فى عباداته موضعه موضعها من رضاء اللّه و محبّته.

۱۳۳–و قال عليه السّلام:

اشاره

سُوسُوا إِيمَانَكُمْ بِالصَّدَقَهِ وَ حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاهِ- وَ ادْفَعُوا أَمْوَاجَ الْبَلَاءِ بِالدُّعَاءِ

اللغه

سوسوا : أى املكوا .

المعنى

و ذلك أنّ الصدقه من الإيمان التامّ مملكه و حفظه لا يكون بدونها ،و أمّا تحصين المال بالزكاه فلأنّ منعها إنّما يكون عن البخل و شدّه

الحرص و ذلك باعث لمستحقّها على ذمّه و داع للخلق إلى التسبّب فى أذاه فكان مانعها متعرّضا بذلك لتلف ماله و بأدائها محصّنا له. استعاره و استعار لفظ الأمواج للحوادث المتواتره و قد مرّ أنّ الدعاء بإخلاص مما يعدّ النفس للإجابه بالمطلوب .و غرضه الحثّ على الصدقه و الزكاه و الدعاء.

۱۳۴-و قال عليه السّلام:

اشاره

لكميل بن زيد النخعى رحمه اللّه

قال كميل:أخذ بيدى أمير المؤمنين عليه السّلام فأخرجنى إلى الجبان فلما أصحر تنفس الصعداء،ثمّ قال:

يَا؟كُمَيْلَ بْنَ زِيَادٍ؟- إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَهٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا- فَاحْفَظْ عَنِّى مَا أَقُولُ لَكَ- النَّاسُ ثَلاَثَهٌ- فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ وَ مُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاهٍ- وَ هَمَجٌ رَعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ- لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ وَ لَمْ يَلْجَئُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ- يَا؟كُمَيْلُ؟ الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ- الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَ أَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ- وَ الْمَالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَهُ وَ الْعِلْمُ يَزْكُوا عَلَى الْإِنْفَاقِ- وَ صَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ- يَا؟كُمَيْلَ بْنَ زِيَادٍ؟ مَعْرِفَهُ الْعِلْمِ دِينٌ يُدَانُ بِهِ- بِهِ يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ الطَّاعَهَ فِى حَيَاتِهِ- وَ جَمِيلَ الْأُحْدُوثَهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ- وَ الْعِلْمُ حَاكِمٌ وَ الْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ- يَا؟كُمَيْلُ كُمَيْلَ بْنَ زِيَادٍهَلَكَ خُزَّانُ الْأَمْوَالِ وَ هُمْ أَحْيَاءٌ- وَ الْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِىَ الدَّهْرُ

ص:۳۲۱

أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَهٌ وَ أَمْثَالُهُمْ فِی الْقُلُوبِ مَوْجُودَهٌ- هَا إِنَّ هَاهُنَا لَعِلْماً جَمّاً وَ أَشَارَ ع بِیَدِهِ إِلَی صَدْرِهِ لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَهً- بَلَی أَصِیبُ أَصَبْتُ لَقِناً غَیْرَ مَأْمُونٍ عَلَیْهِ- مُسْتَعْمِلًا آلَهَ الدِّینِ لِلدُّنْیَا- وَ مُسْتَظْهِراً بِنِعَمِ اللَّهِ عَلَی عِبَادِهِ وَ بِحُجَجِهِ عَلَی أَوْلِیَائِهِ- أَوْ مُنْقَاداً لِحَمَلَهِ الْحَقِّ لَا بَصِیرَهَ لَهُ فِی أَحْنَائِهِ- یَنْقَدِحُ الشَّکُّ فِی قَلْبِهِ لِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَهٍ- أَلَا لَا ذَا وَ لَا ذَاکَ- أَوْ مَنْهُوماً بِاللَّذَّهِ سَلِسَ الْقِیَادِ لِلشَّهْوَهِ- أَوْ مُغْرَماً بِالْجَمْعِ وَ الِادِّخَارِ- لَیْسَا مِنْ رُعَاهِ الدِّینِ فِی شَیْءٍ- أَقْرَبُ شَیْءٍ شَبَهاً بِهِمَا الْأَنْعَامُ السَّائِمَهُ- کَذَلِکَ یَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِیهِ- اللَّهُمَّ بَلَی لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّهٍ- إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً وَ إِمَّا خَائِفاً مَغْمُوراً- لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ وَ بَیِّنَاتُهُ- وَ کَمْ ذَا وَ أَیْنَ أُولَئِکَ أُولَئِکَ وَ اللَّهِ الْأَقَلُّونَ عَدَداً- وَ الْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْراً- یَحْفَظُ اللَّهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وَ بَیِّنَاتِهِ حَتَّی یُودِعُوهَا نُظَرَاءَهُمْ- وَ یَزْرَعُوهَا فِی قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ- هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَی حَقِیقَهِ الْبَصِیرَهِ- وَ بَاشَرُوا رُوحَ الْیَقِینِ وَ اسْتَلَانُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ الْمُتْرَفُونَ- وَ أَنِسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ- وَ صَحِبُوا الدُّنْیَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَهٌ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَی- أُولَئِکَ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِی أَرْضِهِ وَ الدُّعَاهُ إِلَی دِینِهِ- آهِ آهِ شَوْقاً إِلَی رُؤْیَتِهِمْ- انْصَرِفْ یَا؟کُمَیْلُ؟ إِذَا شِئْتَ

ص:۳۲۲

اللغه

أقول: الجبّان : الصحراء .و الصعداء : نوع من النفّس يصعده المتلهّف و الحزين .و الهمج : ذباب صغيره كالبعوض .و الرعاع : الأحداث و العوامّ .و اللقن:

سريع الفهم .و الأحناء : الجوانب .و المنهوم باللذّه : الشره فيها الحريص عليها .

و المغرم بالجمع : شديد المحبّه له .و هجم : دخل بغته .

و فى الفصل نكت :

إحداهما:أنّه عليه السّلام أعدّه و نبّهه للفهم عنه

بقوله:إنّ هذه القلوب.إلى قوله:لك .

الثانيه:قسّم الناس إلى ثلاثه أصناف.

و وجه القسمه أنّ الناس إمّا عالم أو ليس،و الثانى إمّا طالب للعلم أو ليس.ثمّ قيّد كلّا من الأقسام الثلاثه بصفه أو صفات:

فالأوّل:العالم.و وصفه بالربّانىّ نسبه إلى الربّ تعالى على غير قياس:أى العالم علم ربوبيّته و هو العارف باللّه تعالى و زيدت الألف و النون للمبالغه فى النسبه قال اللّه تعالى «كُونُوا رَبّانِيِّينَ» (۱)و قيل:سمّوا بذلك لأنّهم يربّون المتعلّمين بصغار العلوم قبل كبارها.و قيل:لأنّهم يربّون العلم:أى يقومون بإصلاحه.

الثانى:المتعلّم.و وصفه بكونه على سبيل النجاه.و لمّا كان العلم سببا للنجاه فى الآخره و كان المتعلّم فى طريق تحصيله كان على سبيل النجاه ليصل إليها بالعلم الّذى هو غايته المطلوبه.

الثالث:العوامّ.و وصفهم بأوصاف:

استعاره أحدها:استعار لهم لفظ الهمج باعتبار حقارتهم .

الثانى:وصفهم بالعامّيّه و الحداثه لكونهما مظنّتى الجهل.

تشبيه الثالث: كونهم أتباع كلّ ناعق ملاحظه لشبههم بالغنم فى الغفله و الغباوه .

كنايه الرابع:كنّى بكونهم يميلون مع كلّ ريح عن ضعفهم عن التماسك فى مذهب واحد و الثبات عليه .

۱- ۱) ۷۳-۳.

الخامس:کونهم لم یستضیئوا بنور العلم و هو کونهم علی ظلمه الجهل.

السادس:و لم یلجئوا إلی رکن وثیق.و استعار الرکن الوثیق للاعتقادات الحقّه البرهانیّه الّتی یعتمد علیها فی دفع مکاره الآخره .

الثالثه:فی مدح العلم.و تفضّله علی المال

من وجوه:

أحدها:أنّ العلم یحرس صاحبه من مکاره الدنیا و الآخره و المال یحرسه صاحبه،و الفرق بین ما یکون حارسا لصاحبه و بین ما یحتاج صاحبه إلی حراسته فی الفضیله و النفع ظاهر.

الثانی:أنّ العلم یزکو و یزید بإخراجه و إفادته لطالبیه لتذکّر العالم بتعلیمه و مذاکرته لما غفل منه و استنباطه ما لم یکن عنده،و المال تنقصه النفقه و الإخراج منه.

الثالث:أنّ صنیع المال و هو الإحسان به یزول بزوال المال،و الإحسان بالعلم باق لبقائه.و صنیع:فعیل بمعنی مفعول.

الرابع :کون معرفه العلم-أی تحصیله-دینا یدان به.و قد علمت کونه الأصل فی الدین.

الخامس:کونه یکسب الإنسان طاعه الخلق له فی حیاته و جمیل الاحدوثه بعد وفاته.و هما من فضائله الخارجیّه.

السادس:کونه حاکما علی المال و المال محکوما علیه:أی أنّ تصریفه فی جمعه و إنفاقه إنّما یکون علی وفق العلم بوجوه تحصیله و مصارفه.

السابع :من أفضلیّته علی المال کون خزّان المال هالکین فی الآخره محکوم علیهم بذلک فی الدنیا و إن صدق علیهم أنّهم أحیاء کما قال تعالی «وَ الَّذِینَ یَکْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّهَ» (۱)الآیه،و أمّا العلماء فباقون أبدا،و إن فقدت أعیانهم من الدنیا فصورهم فی القلوب مشاهده موجوده .

الرابعه:أشار بعد تقریر کمال هذه الفضیله إلی أنّ فی صدره منها شیئا

کثیرا.

ص:۳۲۴

۱- (۱) ۳۴-۹.

و إنّما يمنعه عن إظهاره عدم وجدان من يحمله عنه و-ها-للتنبيه-و جواب -لو-محذوف تقديره لأظهرته.

الخامسه:استثبت من يجده و نبّه على عدم صلاحيّتهم لحمل ما عنده من

العلم

،و أشار إلى أربعه أصناف منهم،و وجه القسمه أنّ غير أهل العلم من الناس إمّا طالبون له أو غير طالبين،و الطالبون إمّا قادرون على القيام بالحجّه أو غير قادرين،و غير الطالبين له هم المشغولون بغيره عنه فاشتغالهم إمّا بالانهماك فى لذّاتهم و سهوله الانقياد لشهواتهم،و إمّا بمحبّه جمع المال و ادّخاره:

فالأوّل:هو الخبيث الموصوف برذيله الجربزه،و أشار إليه بقوله:بلى اصيب لقنا.إلى قوله:على أوليائه.

و أشار إلى وجوه عدم صلاحيّته لحمله:

أحدها:كونه غير مأمون عليه:أى هو مظنّه أن يذيعه إلى غير أهله[أن يديغه -خ-]و يضعه فى غير مواضعه.و الضمير فى قوله:عليه.للعلم.

الثانى:كونه مستعملا لآله الدين و هو العلم فى الدنيا و استعماله فيها كالتكسّب به،و مستظهرا بنعم اللّه و هى العلم على عباده كالفخر عليهم و مغالبتهم و استعمال حجّه اللّه و ما علمه منها فى مقابله أوليائه و تلبيس الحقّ بالباطل .

و أمّا الثانى ممّن لا يصلح لحمله فهو المقلّد،و أشار إليه بقوله:و منقادا.إلى قوله:شبهه.و منقادا عطل على لقنا،و أراد بالانقياد للحقّ الإيمان به و تسليمه على سبيل الجمله،و أشار إلى كونه غير صالح لحمله من وجهين:

أحدهما:كونه لا بصيره له فى جوانب العلم و تفاصيله.

الثانى:كونه ينقدح الشكّ فى قلبه لأوّل عارض من شبهه.و ذلك لعدم العلم و ثباته فى نفسه بالبرهان و الحجّه الواضحه.

و قوله:لا ذا و لا ذاك.أى من حمله العلم.

الثالث :هو المشار إليه بقوله:أو منهوما.إلى قوله:للشهوه.

و الرابع:هو المشار إليه بقوله:أو مغرما بالجمع و الادّخار.و أتبعهما فى

معرض الذمّ لهما بوصفين:

أحدهما:كونهما ليسا من رعاه الدين فى شىء:أى لا تعلّق لهما بالدين و أهله.

الثانى:كونهما أقرب شبها بهما الأنعام السائمه باعتبار غفلتهما عن الدين و ثمرته فى الآخره.و قوله:كذلك:أى تقارب تلك الأحوال من عدم من يصلح لحمل العلم و وجدان من لا يصلح له موت العلم بموت حامليه لأنّ التشبيه يفيد مقاربه الأحوال،و عنى بحامله نفسه و من عساه يكون من أهله يومئذ .ثمّ استدرك بقوله:اللّهمّ بلى.عدم خلوّ الأرض من قائم للّه بحجّه إمّا ظاهرا أو مستترا مغمورا فى الناس.و أراد بالظاهر من عساه يتمكّن من إظهار العلم و العمل به من أولياء اللّه و خلفاء أوليائه فى موضع من الأرض،و بالخائف المغمور إلى من لم يتمكّن من ذلك.

قالت الشيعه:هذا تصريح منه عليه السّلام بوجوب الإمامه بين الناس فى كلّ زمان ما دام التكليف باقيا و أنّ الإمام قائم بحجّه اللّه على خلقه و يجب بمقتضى حكمته.و هو إمّا أن يكون ظاهرا معروفا كالّذين سبقوا إلى الإحسان و وصلوا إلى المحلّ الأعلى من ولده الأحد عشر،و إمّا أن يكون خائفا مستورا لكثره أعدائه و قلّه المخلص من أوليائه كالحجّه المنتظر «لِئَلاّ يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ» .

و قوله:و كم ذا.استبطاء لمدّه غيبه صاحب الأمر و تبرّم من امتداد دوله أعدائه.

و قوله:أين هم.استقلال لعدد أئمّه الدين.و لذلك نبّه بقوله:أولئك و اللّه الأقلّون عددا.و ذكر فى معرض مدحهم أوصافا:

أحدها:الأقلّون عددا الأعظمون قدرا عند اللّه.

الثانى:أنّ بهم يحفظ حججه و بيّناته المشتمل عليها دينه حتّى يودعوها أمثالهم و يزرعوها فى قلوب أشباههم بعدهم.

الثالث :كونهم:يهجم بهم العلم على حقيقه البصيره:أى فاجأهم و دخل على عقولهم دفعه لأنّ علومهم لدنيّه حدسيّه،و قيل:ذلك على المقلوب:أى هجمت

ص:۳۲۶

بهم عقولهم على حقيقه العلم.

الرابع:و باشروا روح اليقين:أى وجدوا لذّته.

الخامس:و استلانوا ما استوعر منه المترفون من الامور الشاقّه كجشوبه المطعم و خشونه المضجع و الملبس و مصابره الصيام و السهر.و ذلك فى جنب ما وجدوه من لذّه اليقين و حلاوه العرفان هيّن ليّن عندهم.

السادس:و أنسوا بما استوحش منه الجاهلون،و هو الأحوال الّتى ألفوها ممّا ذكرنا فإنّ الجاهل لجهله بثمرتها ينفر منها و يستوحش من أهلها.

السابع:و صحبوا الدنيا بأبدان أرواح معلّقه بالمحلّ الأعلى عاشقه لما شاهدته من جمال حضره الربوبيّه و صحبه الملاء الأعلى من الملائكه .و لمّا ميزّهم بالأوصاف المذكوره أشار فى معرض مدحهم أيضا إلى أنّ هؤلاء لما اشتملوا عليه من هذه الأوصاف هم خلفاء اللّه فى أرضه و الدعاه إلى دينه.ثمّ تأوّه شوقا إلى رؤيتهم و-آه-كلمه توجّع أصلها-أوه-و الفصل من أفصح ما نقل عنه عليه السّلام.

۱۳۵-و قال عليه السّلام:

اشاره

اَلْمَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ

المعنى

أى حاله مستوره فى عدم نطقه فحذف المضاف للعلم به. كنايه و تحت لسانه كنايه عن سكوته،و ذلك أنّ مقداره بمقدار عقله و مقدار عقله يعرف من مقدار كلامه لدلالته عليه فإذا تكلّم بكلام الحكماء ظهر كونه حكيما أو بكلام السفهاء عرف كونه منهم و ما بين المرتبتين بالنسبه .

۱۳۶-و قال عليه السّلام:

اشاره

هَلَكَ امْرُؤٌ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَهُ

المعنى

قد علمت أنّ قدره هو مقداره فى نفس الأمر و منزلته من الفضيله و عدمها،و من لم يعرف منزلته أو شكّ أن يتجاوزها فيهلك.مثلا-من لم يعرف محلّه من العلم أو شكّ أن يرفع به فوق محلّه أو يعنى بما لا يعرف لاعتقاده كما له فيقع فى الهلاك

الاخرویّ و ربّما تبعه هلاک دنیاه،و لزمه من تجاوزه تلعّب ألسنه الناس و أیدیهم به و هلاکه بذلک.

ص:۳۲۷

۱۳۷- و قال علیه السلام:لرجل ساله ان یعظه:

اشاره

لاَ تَکُنْ مِمَّنْ یَرْجُو الْآخِرَهَ بِغَیْرِ عَمَلٍ- وَیَرْجُویُرَجِّی اَلتَّوْبَهَ بِطُولِ الْأَمَلِ- یَقُولُ فِی الدُّنْیَا بِقَوْلِ الزَّاهِدِینَ- وَ یَعْمَلُ فِیهَا بِعَمَلِ الرَّاغِبِینَ- إِنْ أُعْطِیَ مِنْهَا لَمْ یَشْبَعْ وَ إِنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ یَقْنَعْ- یَعْجِزُ عَنْ شُکْرِ مَا أُوتِیَ وَ یَبْتَغِی الزِّیَادَهَ فِیمَا بَقِیَ- یَنْهَی وَ لاَ یَنْتَهِی وَ یَأْمُرُ النَّاسَ بِمَا لَمْ یَأْتِ بِمَا لاَ یَأْتِی- یُحِبُّ الصَّالِحِینَ وَ لاَ یَعْمَلُ عَمَلَهُمْ- وَ یُبْغِضُ الْمُذْنِبِینَ وَ هُوَ أَحَدُهُمْ- یَکْرَهُ الْمَوْتَ لِکَثْرَهِ ذُنُوبِهِ- وَ یُقِیمُ عَلَی مَا یَکْرَهُ الْمَوْتَ مِنْ أَجْلِهِ- إِنْ سَقِمَ ظَلَّ نَادِماً وَ إِنْ صَحَّ أَمِنَ لاَهِیاً- یُعْجَبُ بِنَفْسِهِ إِذَا عُوفِیَ وَ یَقْنَطُ إِذَا ابْتُلِیَ- وَإِنْ أَصَابَهُ بَلاَءٌ دَعَا مُضْطَرّاً وَ إِنْ نَالَهُ رَخَاءٌ أَعْرَضَ مُغْتَرّاً- تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَی مَا یَظُنُّ وَ لاَ یَغْلِبُهَا عَلَی مَا یَسْتَیْقِنُ- یَخَافُ عَلَی غَیْرِهِ بِأَدْنَی مِنْ ذَنْبِهِ- وَ یَرْجُو لِنَفْسِهِ بِأَکْثَرَ مِنْ عَمَلِهِ- إِنِ اسْتَغْنَی بَطِرَ وَ فُتِنَ وَ إِنِ افْتَقَرَ قَنِطَ وَ وَهَنَ- یُقَصِّرُ إِذَا عَمِلَ وَ یُبَالِغُ إِذَا سَأَلَ- إِنْ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَهٌ أَسْلَفَ الْمَعْصِیَهَ وَ سَوَّفَ التَّوْبَهَ- وَ إِنْ عَرَتْهُ مِحْنَهٌ انْفَرَجَ عَنْ شَرَائِطِ الْمِلَّهِ- یَصِفُ الْعِبْرَهَ وَ لاَ یَعْتَبِرُ- وَ یُبَالِغُ فِی الْمَوْعِظَهِ وَ لاَ یَتَّعِظُ- فَهُوَ بِالْقَوْلِ مُدِلٌّ وَ مِنَ الْعَمَلِ مُقِلٌّ- یُنَافِسُ فِیمَا یَفْنَی وَ یُسَامِحُ فِیمَا یَبْقَی- یَرَی الْغُنْمَ مَغْرَماً وَ الْغُرْمَ مَغْنَماً- یَخْشَی الْمَوْتَ وَ لاَ یُبَادِرُ الْفَوْتَ- یَسْتَعْظِمُ مِنْ مَعْصِیَهِ غَیْرِهِ مَا یَسْتَقِلُّ أَکْثَرَ مِنْهُ مِنْ نَفْسِهِ- وَ یَسْتَکْثِرُ مِنْ طَاعَتِهِ مَا یَحْقِرُهُ مِنْ طَاعَهِ غَیْرِهِ- فَهُوَ عَلَی النَّاسِ طَاعِنٌ وَ لِنَفْسِهِ مُدَاهِنٌ- اللَّهْوُ مَعَ الْأَغْنِیَاءِ أَحَبُّ إِلَیْهِ مِنَ الذِّکْرِ مَعَ الْفُقَرَاءِ- یَحْکُمُ عَلَی غَیْرِهِ لِنَفْسِهِ وَ لاَ یَحْکُمُ عَلَیْهَا لِغَیْرِهِ- یُرْشِدُ غَیْرَهُ وَ یُغْوِی نَفْسَهُ- فَهُوَ یُطَاعُ وَ یَعْصِی وَ یَسْتَوْفِی وَ لاَ یُوفِی- وَ یَخْشَی الْخَلْقَ فِی غَیْرِ رَبِّهِ وَ لاَ یَخْشَی رَبَّهُ فِی خَلْقِهِ قال الرضی:و لو لم یکن فی هذا الکتاب إلا هذا الکلام لکفی به موعظه ناجعه،و حکمه بالغه،و بصیره لمبصر،و عبره لناظر مفکر.

اللغه

أقول: یرجّیها : یؤخّرها.و یروی:یزجیها-بالزا المعجمه-:أی یدفعها .

القنوط : الیأس .و عرته : عرضت له .و مدلّ : أی واثق .

و حاصل الفصل نهی طالب الموعظه عن أربع و ثلاثین رذیله :

أحدها:رجاء الآخره و ثوابها بغیر عمل فإنّ ذلک منی علی اللّه،و قد علمت أنّ المنی بضایع النوکی.

الثانیه:ترجیه التوبه أو إزجاؤها بطول الأمل فإنّ ذلک یستلزم البقاء علی المعصیه و العذاب بها فی الآخره.

الثالثه:أن یجمع بین قول الزاهدین فی الدنیا و عمل الراغبین فیها،و هو خداع للّه.و عمله فیها عمل الراغبین یستلزم أن یصیبه ما أصابهم من عذاب الآخره بها.

الرابعه:أن لا یشبع ممّا یعطی منها.و ذلک رذیله الشره و الحرص.

الخامسه:أن لا یقنع إن منع.و ذلک رذیله التفریط من فضیله القناعه.

السادسه :أن یجمع بین العجز عن شکر ما اوتی من نعمه اللّه و بین طلب الزیاده من فاضلها.و هو جمع بین رذیله التفریط من فضیله الشکر و بین رذیله الحرص.

ص:۳۲۹

السابعه:أن يجمع بين نهيه عن المعاصى و عدم تناهيه عنها و هو نفاق و خداع اللّه.

الثامنه:أن يأمر بما يقصّر عن فعله.و هو كالّذى قبله.

التاسعه:أن يحبّ الصالحين و يقصّر عن عملهم.و تقصيره النقض على محبّته لهم.

العاشره:أن يبغض المذنبين و هو أحدهم.فيكون فعله كالنقض على بعضه لهم.

الحاديه عشر:أن يكره الموت لكثره ذنوبه و يقيم على ما يكره الموت له من كثره الذنوب فإقامته على ذنوبه كالنقض على كراهيّته للموت لأجلها مع ما يلزمها من العذاب الأخروىّ.

الثانيه عشر :أن يجمع بين ندمه حال سقمه على تفريطه فى جنب اللّه و بين لهوه فى لذّته حال أمنه و هو أيضا كالتناقض.

الثالثه عشر:أن يعجب بنفسه حين عافيته فإنّ العجب من المهلكات.

الرابعه عشر:أن يقنط إذا ما ابتلاه ربّه و ييأس من رحمته.و ذلك كما قال تعالى «إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكافِرُونَ» (1).

الخامسه عشر:أن يجمع بين دعاء اللّه باضطرار إليه عند نزول البلاء به و بين الإعراض عنه و الاغترار بالدنيا عند إصابته للرخاء فإنّ الأوّل رذيله إفراط و الثانى رذيله تفريط.

السادسه عشر:أن يجمع بين الانقهار لنفسه و الانقياد لها إلى ما يظنّه فائده من الامور الدنيويّه و بين عدم قهرها و غلبها إلى ما يستيقنه من ثواب الآخره و عذابها فلا يلزمها العمل لذلك فإنّ ذلك عند العقل سفه و جنون.

السابعه عشر :أن يجمع بين الخوف على غيره من ذنوب هى أقلّ من ذنوبه و بين الرجاء لنفسه ثوابا أكثر ممّا يستحقّ على عمله فإنّ الحقّ من ذلك أن يخاف

۱- ۱) ۸۷-۱۲.

على نفسه أكثر من الخوف على غيره لأكثريّه ذنوبه و يعمل لذلك الخوف.

الثامنه عشر:أن يبطر و يفتن إن أصاب غنى فإنّ ذلك فجور.

التاسعه عشر:أن يقنط و يضعف إن يفتقر و هو رذيله تقصير و تفريط.

العشرون :أن يقصّر فى العمل.

الحاديه و العشرون:أن يبالغ إذا سئل و هو رذيله الإلحاف فى السؤال.

الثانيه و العشرون:أن يقدّم المعصيه إن عرضت شهوته و يؤخّر التوبه منها.

الثالثه و العشرون:أن ينفرج عن شرائط الملّه عند نزول المحنه به:أى يخرج من فضيله الصبر على المصيبه الّذى هو شرط الملّه و يتركها.

الرابعه و العشرون :أن يجمع بين وصف العبره و بين عدم الاعتبار.

الخامسه و العشرون:أن يبالغ فى الموعظه حال ما لا يتّعظ فإنّ ذلك يدخله فى مقت اللّه تعالى لقوله «كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ» (١).

السادسه و العشرون:أن يجمع بين المنافسه فيما يفنى و هو الدنيا و المسامحه فيما يبقى و هو ثواب الآخره و هو جهل وسفه ظاهر.

السابعه و العشرون:أن يرى الغنم مغرما كالإنفاق فى سبيل اللّه.و الغرم مغنما كالإنفاق فى معصيته،و هو عكس مقتضى العقل.

الثامنه و العشرون.أن يجمع بين خشيه الموت و عدم مبادرته بالأعمال الصالحه المستلزمه للخلاص من أهواله و ما بعده.

التاسعه و العشرون :أن يستعظم من معصيه غيره ما يستقلّ أكثر منه من نفسه،و كذلك يستكثر من طاعته ما يحقّره من طاعه غيره.و يلزم من ذلك أن يكون طاعنا على الناس فى أفعالهم و مداهنا لنفسه فى فعلها.

الثلاثون :أن يكون اللهو مع الأغنياء أحبّ إليه من ذكر اللّه مع الفقراء.

و ذلك لفرط محبّه الدنيا.

١- ١) ٣-٦١.

الحاديه و الثلاثون:أن يحكم لنفسه على غيره فيما يشتهيه و إن كان باطلا و لا يحكم عليها لغيره فى حقّ و هو ظلم.

الثانيه و الثلاثون:أن يجمع بين إرشاد غيره بالهادى من القول و بين إغواء نفسه بفعله:أى يعمل عمل الغاوين.و يلزم ذلك أن يطيعه غيره و هو يعصى اللّه.

الثالثه و الثلاثون:أن يستوفى ما له على غيره و لا يوفى ما عليه من حقّ اللّه أو حقّ خلقه.

الرابعه و الثلاثون:أن يجمع بين خشيه الخلق فى غير اللّه:أى فى أمر ليس للّه و بين عدم خشيه اللّه فى خلقه،و يلزم الأوّل أن يرضيهم بما يسخط اللّه،و يلزم الثانى أن يسخط اللّه بما يسخط خلقه.و أكثر هذه مشتمله من علم الفصاحه على التقابل و التضادّ و ردّ العجز على الصدر.

۱۳۸-و قال عليه السّلام:

اشاره

لِكُلِّ امْرِئٍ عَاقِبَهٌ حُلْوَهٌ أَوْ مُرَّهٌ

المعنى

و أشار إلى غايتيه من حركاته الخيريّه و الشريّه.فغايه الخيريّه الجنّه و لذّاتها و هى العاقبه الحلوه.و غايه الشريّه النار و عذابها و هى العاقبه المرّه. استعاره و استعار لفظى الحلوه و المرّه للّذيذ و المكروه .

۱۳۹-و قال عليه السّلام:

اشاره

لِكُلِّ مُقْبِلٍ إِدْبَارٌ وَ مَا أَدْبَرَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ

المعنى

و أراد المقبل من لذّات الدنيا فى معرض التزهيد و المقبل من شدائدها فى معرض تهوينها و تسهيلها.و كأنّ من أخوات إنّ مخفّفه و اسمها محذوف.

۱۴۰-و قال عليه السّلام:

اشاره

لاَ يَعْدَمُ الصَّبُورُ الظَّفَرَ وَ إِنْ طَالَ بِهِ الزَّمَانُ

اللغه

فالصبور : كثير الصبر .

المعنى

و رغّب فيه بما يلزمه من الظفر و إن تأخّر.و ذلك عند كمال استعداد الصبور بالصبر و قوّته.

۱۴۱-و قال عليه السّلام:

اشاره

اَلرَّاضِی بِفِعْلِ قَوْمٍ کَالدَّاخِلِ فِیهِ مَعَهُمْ- وَ عَلَی کُلِّ دَاخِلٍ فِی بَاطِلٍ إِثْمَانِ- إِثْمُ الْعَمَلِ بِهِ وَ إِثْمُ الرِّضَا بِهِ

ص:۳۳۲

المعنى

تشبيه و وجه التشبيه اشتراكهم فى الرضا به المستلزم للميل إليه و مناسبته لطبعه .

و نفرّ عن الدخول فى الباطل بما يلزمه من الإثمين:أمّا إثم العمل فظاهر،و أمّا إثم الرضا فلأنّ الرضا بالباطل يستلزم محبّته و هى رذيله و إثم.

۱۴۲-و قال عليه السّلام:

اشاره

اِعْتَصِمُوا بِالذِّمَمِ فِى أَوْتَادِهَا

اللغه

فالذمم : العهود و العقود و الأيمان .

المعنى

استعاره و استعار لفظ الأوتاد لشرائط العهود و أسباب إحكامها كأنّها أوتاد حافظه لها.و أراد امتنعوا من سخط اللّه و عذابه بحفظ الذمم فى أوتادها فكأنّ العصمه منه يكون فى أسباب حفظها و-فى-متعلّق باعتصموا .

و روى:استعصموا.

۱۴۳-و قال عليه السّلام:

اشاره

عَلَيْكُمْ بِطَاعَهِ مَنْ لاَ تُعْذَرُونَ فِى جَهَالَتِهِ بِجَهَالَتِهِ

المعنى

يريد اللّه تعالى.و قيل:هو ايجاب لطاعه من يجب طاعته من أئمّه الحقّ الّذين يجب العلم بحقّيه إمامتهم و لا يعذر الناس فى الجهل بهم لتعلّم قوانين الدين و أحكامه منهم.

۱۴۴-و قال عليه السّلام:

اشاره

قَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ وَ قَدْ هُدِيتُمْ إِنِ اهْتَدَيْتُمْ وَ أَسْمِعْتُمْ إِنِ اسْتَمَعْتُمْ

المعنى

أی قد بصّرتم سبیل الرشاد و هدیتم إلیها و اسمعتم الدلاله علیها إن کان لکم استعداد أن تبصروها و تسمعوا و تهتدوا إلیها.و قد مرّ مثله.

۱۴۵-و قال علیه السّلام:

اشاره

عَاتِبْ أَخَاکَ بِالْإِحْسَانِ إِلَیْهِ وَ ارْدُدْ شَرَّهُ بِالْإِنْعَامِ عَلَیْهِ

ص:۳۳۳

المعنى

أى اجعل مكان عتابه بالقول و الفعل الإحسان إليه و الإنعام فى حقّه فإنّهما أنفع فى عطف جانبه إليك و دفع شرّه عنك. استعاره و العتاب مستعار للإحسان لاستلزامها رجوع المعاتب .

۱۴۶-و قال عليه السّلام:

اشاره

مَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مَوَاضِعَ التُّهَمَهِ- فَلاَ يَلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ

المعنى

لأنّه هو السبب فى إساءه الظنّ بنفسه و لا لوم على من أساء به الظنّ لأنّ ظنّه ذلك مستند إلى أماره من شأنها توليد الظنّ.

۱۴۷-و قال عليه السّلام:ثلث كلمات:

اشاره

مَنْ مَلَكَ اسْتَأْثَرَ وَ مَنِ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ- وَ مَنْ شَاوَرَ الرِّجَالَ شَارَكَهَا فِي عُقُولِهَا

إحداها:من ملك استأثر

:أى استبدّ.و أراد أنّ الملوك من شأنهم الاستبداد بالامور المرغوب فيها و الانفراد و ذلك لتسلّطهم و عدم المنازع لقواهم الأمّاره بالسوء فيهم.و هى كالمثل يضرب لمن غلب على أمر فاختصّ به و منعه غيره .

الثانيه:

مجازا إطلاقا لما بالفعل على ما بالقوّه و من استبدّ برأيه هلك .لأنّ انفراد الإنسان برأيه و عدم قبوله للنصيحه و استشارته فى الحرب و نحوها مظنّه الخطأ فيه المستلزم للهلاك فكأنّه قال:من استبدّ برأيه فهو فى مظنه الهلاك فأقام الهلك مقام مظنّته مجازا إطلاقا لما بالفعل على ما بالقوّه .

الثالثه:

و من شاور الرجال شاركها فى عقولها .و ذلك أنّه يستنتج فيها الرأى الأصلح ليعمل به فكان عقول الرجال بأسرها حاصله لانتفاعه بثمرتها و هو ترغيب فى الاستشاره.

۱۴۸-و قال علیه السّلام:

اشاره

مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَتِ الْخِيَرَهُ فِی يَدِهِ

ص:۳۳۴

المعنى

و هو ترغيب فى كتمان السرّ:أى كان مختارا فى إذاعته و كتمانه بخلاف من أذاع سرّه فإنّه لا يتمكّن بعد ذلك من كتمانه.

۱۴۹-و قال عليه السّلام:

اشاره

اَلْفَقْرُ الْمَوْتُ الْأَكْبَرُ

المعنى

استعاره استعار له لفظ الموت بوصف الأكبر.أمّا كونه موتا فلانقطاع الفقير عن مشتهياته و مطلوباته الّتى هى مادّه الحياه،و تألّمه لفقدها.و أمّا أنّه أكبر فلتعاقب آلامه على الفقير مدّه حياته،و أمّا ألم الموت ففى وقت واحد.و هو مبالغه فى شدّته .

۱۵۰-و قال عليه السّلام:

اشاره

مَنْ قَضَى حَقَّ مَنْ لاَ يَقْضِى حَقَّهُ فَقَدْ عَبَدَهُ

المعنى

أراد قضاء الحقّ بين الإخوان.و إنّما كان كذلك لأنّ قضاء الغير عنه لحقّ من لا يقضى حقّه لا يكون لوصول نفع منه و لا دفع مضرّه المرء،بل يكون عملا له لأنّه هو أو خوفا منه أو طمعا فيه و ذلك صوره عباده.

۱۵۱-و قال عليه السّلام:

اشاره

لاَ طَاعَهَ لِمَخْلُوقٍ فِى مَعْصِيَهِ الْخَالِقِ

المعنى

و ذلك كالوضوء بالماء المغصوب و الصلاه فى الدار المغصوبه.و يحمل النفى هنا على نفى جواز الطاعه كما هو المنقول عنه و عن أهل بيته عليهم السّلام.و عند الشافعى قد يصحّ الطاعه و النفى لفضيلتها.

۱۵۲-و قال عليه السّلام:

اشاره

لاَ يُعَابُ الْمَرْءُ بِتَأْخِيرِ حَقِّهِ إِنَّمَا يُعَابُ مَنْ أَخَذَ مَا لَيْسَ لَهُ

المعنى

أخذ الحقّ قد يكون واجبا لمن هو له و قد يكون مندوبا،و أقلّه أن يكون مباحا و لا حرج فى أمر المباح.و أمّا أخذ ما ليس له فظلم و هو من أقبح الرذائل الّتى يعاب بها المرء.

۱۵۳-و قال عليه السّلام:

اشاره

اَلْإِعْجَابُ يَمْنَعُ مِنَ الاِزْدِيَادِ

ص:۳۳۵

المعنی

إعجاب المرء بفضیلته الداخله کعلمه أو الخارجه کغناه و قینته إنّما یکون عن تصوّر کماله فیها و اعتقاده أنّه قد بلغ منها الغایه،و الاعتقاد یمنعه عن طلب الزیاده منها.

۱۵۴-و قال علیه السّلام:

اشاره

اَلْأَمْرُ قَرِیبٌ وَ الِاصْطِحَابُ قَلِیلٌ

المعنی

أراد أمر اللّه و هو الموت و الاصطحاب فی الدنیا.

۱۵۵-و قال علیه السّلام:

اشاره

قَدْ أَضَاءَ الصُّبْحُ لِذِی عَیْنَیْنِ

المعنی

هو تمثیل. استعاره و استعار لفظ الصبح لسبیل اللّه و وصف الضیاء لوضوحها و ظهورها بوصف الشارع و دلالته علیها،و یحتمل أن یکون ذلک تمام وصف سبق منه للحقّ.

کأنّ سائلا سأله عن أمر فشرحه له مرّه أو مرارا و هو یستزیده فقال له هذا القول أی قد أوضحت لک الحقّ إن کنت تبصر .

۱۵۶-و قال علیه السّلام:

اشاره

تَرْکُ الذَّنْبِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِ التَّوْبَهِ

المعنی

الترک لا کلفه فیه لکونه عدما و طلب التوبه من اللّه یحتاج إلی استعداد شدید یصلح معه العبد لقبولها منه و إفاضه العفو علیه.

۱۵۷-و قال علیه السّلام:

اشاره

کَمْ مِنْ أَکْلَهٍ تَمْنَعُ مَنَعَتْ أَکَلاَتٍ

المعنی

و هو یجری مجری المثل یضرب لمن یفعل فعلا یکون سببا لحرمانه ما کان یناله من خیر سابق.و أصله أنّ الرجل یمتلیء من الطعام فیختم و یمرض فیحتاج إلی الحمیه و الامتناع من الأکل.و فی معناه:من یعاشر ملکا و یسعد بالانبساط معه فیکون ذلک سببا لبعده عنه و زوال سعادته منه.

۱۵۸-و قال علیه السّلام:

اشاره

اَلنَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا

ص:۳۳۶

المعنى

الجهـل بالشـىء مسـتلزم لعـدم تصوّر منفعه العلم به فيحصـل الجاهـل من ذلك على اعتقاد أنّه لا فايـده فى تعلّمه فيسـتلزم ذلك مجانبته له،ثمّ يتأكّد تلك المجانبه و البعد بكون العلم أشـرف فضيله يفخر بها أهله على الجهّال و يكون لهم بها الحكم عليهم و انتقاصهم و حطّهم عن درجه الاعتبار،مع اعتقاد الجهّال لكما لهم أيضا لذلك.

فيشتدّ لذلك مجانبتهم للعلم و أهله و عداوتهم لهذه الفضيله.

۱۵۹-و قال عليه السّلام:

اشاره

مَنِ اسْتَقْبَلَ وُجُوهَ الْآرَاءِ عَرَفَ مَوَاقِعَ الْخَطَإِ

المعنى

لا-شكّ أنّ المتصـفّح لوجوه الآراء و المفكّر فى أيّهـا أصوب لابـدّ أن يعرف مواقع الخطأ فى الامور و مظانّها.و هو ترغيب فى الاستشاره و الفكر فى استصلاح الأعمال قبل الوقوع فيها.

۱۶۰-و قال عليه السّلام:

اشاره

مَنْ أَحَدَّ سِنَانَ الْغَضَبِ لِلَّهِ قَوِيَ عَلَى قَتْلِ أَشِدَّاءِ الْبَاطِلِ

المعنى

لمّـا كان تعالى هو العزيز المطلق كان اسـتناد قوّه الغضب و الحميّه له إلى عزّته.و صوله الغاضب اعتزازا به أشـدّ بكثير من صولته بدون ذلك الاسـتناد و بحسب تأكّد القوّه بعزّه اللّه يكون ضـعفها بالاستناد إلى الباطل المضادّ لدينه.و لذلك قهر أولياء اللّه على قلّتهم فى مبـدء الإسـلام أعـداؤه على كثرتهم،و أطـاق هو عليه السّـلام قلع بـاب خيبر على شـدّته أو قتـل جبابره العرب. اسـتعاره مرشحه و استعار لفظ السنان لحدّه الغضب باعتبار استلزامها للنكايه فى العدوّ،و رشّح بذكر أحدّ .

۱۶۱-و قال عليه السّلام:

اشاره

إِذَا هِبْتَ أَمْراً فَقَعْ فِيهِ- فَإِنَّ شِدَّةَ تَوَقِّيهِ أَعْظَمُ مِمَّا تَخَافُ مِنْهُ

المعنی

إنّ للنفوس فیما یتوقّع مکروهه انفعالا کثیرا و فکرا عظیما فی کیفیّه دفعه و الخلاص منه،و ذلک أصعب بکثیر من الوقوع فیه لطول زمان الخوف هناک و تأکّده بتوقّع الأمر المخوف.و رغّب فی الوقوع فیه بضمیر صغراه قوله:فإنّ.إلی آخره.

و تقدیر کبراه:و کلّما کان أعظم ممّا یخاف من الشیء فینبغی أن یعدل عنه إلی الوقوع فیه.ینتج أن شدّه توقّیه ینبغی أن یعدل عنها إلی الوقوع فیه.

۱۶۲-و قال علیه السّلام:

اشاره

آلَهُ الرِّیَاسَهِ سَعَهُ الصَّدْرِ

المعنی

سعه الصدر فضیله تحت الشجاعه و هی أن لا یدع الإنسان قوّه التجلّد عند ورود الأحداث المهمّه علیه و اعتلاجها و لا یحار أو یدهش فیها بل یتحمّلها و یستعمل الواجب فی معناها،و قد یسمّی ذلک رحب الذراع.و هی من أعظم لوازم الریاسه الحقّه الّتی ینبغی لها إذ الریاسه مظنّه ورود الأحداث المهمّه و الخطوب العظیمه و أحوال الخلق المختلفه.فمن لم یکن محتملا لهذه الامور وسیع الصدر بها فلا بدّ أن یحار فیها و یدهش فیما یرد علیه منها فیعجز عن تدبیرها و یلزم ذلک فساد دولته و زوال ریاسته.

۱۶۳-و قال علیه السّلام:

اشاره

اُزْجُرِ الْمُسِیءَ بِثَوَابِ الْمُحْسِنِ

المعنی

تصوّر المسیء جزاء المحسن بإحسانه یدعوه إلی الإحسان و الرجوع عن الإساءه فکانت المجازاه بالإحسان کالزجر للمسیء فی استلزامها ارتداعه و انزجاره.فاستعیر لفظ الزجر لها.

۱۶۴-و قال علیه السّلام:

اشاره

اُحْصُدِ الشَّرَّ مِنْ صَدْرِ غَیْرِکَ بِقَلْعِهِ مِنْ صَدْرِکَ

المعنى

أغلب ما ينشأ الشرّ فى صدر العدوّ بسبب ما يتخيّله فى عدوّه من إضمار الشرّ له و ظنّ ذلك فيه،و ذلك التخيّل و الظنّ لابدّ أن يكون عن أماره حركات عدوّه

ص:٣٣٨

و فلتات لسانه بالقول فى حقّه ما دامت عداوته و إضمار الشرّ له قائما فى صدره فإذا محا ما أضمر له من العداوه و الشرّ زالت أمارات ذلك من لسانه و وجهه،و بحسب ذلك ينقص تخيّل العداوه و يضعف سوء ظنّ العدوّ به و لا يزال يتأكّد بعدم تلك الأمارات و بأمارات حاليّه أو مقاليّه تظهر منه إلى أن ينمحى ذلك الظنّ فى حقّه.و استعار لفظ الحصد لإزالته ملاحظه لشبهه بالزرع فى زيادته بسقى تلك الأمارات من عدوّه و تواترها،و نقصانه و عدمه بعدمها.

۱۶۵-و قال عليه السّلام:

اشاره

اَللَّجَاجَهُ تَسُلُّ الرَّأْىَ

المعنى

استعاره-مجاز أى تأخذه و تذهب به.و ذلك أنّ الإنسان قد يطلب شيئا و الرأى الحقّ هو التأنّى فى طلبه و التثبت فيه.فيحمله طبعه على اللجاجه فيه حتّى يكون ذلك سببا لفواته،و استعار لفظ السلّ له و نسبه إلى اللجاجه مجازا باعتبار أنّها هى المعونه له فكأنّها أخذته و غيّبته .

۱۶۶-و قال عليه السّلام:

اشاره

اَلطَّمَعُ رِقٌّ مُؤَبَّدٌ

المعنى

استعاره استعار لفظ الرقّ للطمع باعتبار ما يستلزمه من التعبّد للمطموع فيه و الخضوع له كالرقّ،و تأبيده باعتبار دوام التعبّد بسببه فإنّ الطامع دائم العبوديّه لمن يطمع فيه ما دام طامعا و هو فى ذلك كالدائم من الرقّ .

۱۶۷-و قال عليه السّلام:

اشاره

ثَمَرَهُ الْحَزْمِ السَّلاَمَهُ وَ ثَمَرَهُ التَّفْرِيطِ النَّدَامَهُ

المعنى

التفريط إضاعه الحزم فى الامور،و لمّا عرفت أنّ الحزم عباره عن تقديم العمل للحوادث الممكنه المستقبله بما هو أقرب إلى

السـلامه و أبعـد من الغرور لاـ جرم كان ذلک مظنّه السـلامه منها،و کانت إضاعته و التفريط فی العمل لما يسـتقبل من الحوادث مظنّه الوقوع فيها و عدم السلامه من بلائها و هو مستلزم للندامه على التفريط فيها.

فکانت الندامه من ثمراته.

ص:۳۳۹

۱۶۸–و قال عليه السّلام:

اشاره

لَا خَيْرَ فِی الصَّمْتِ عَنِ الْحُكْمِ- كَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِی الْقَوْلِ بِالْجَهْلِ

المعنى

الصمت عن النطق بالحكمه طرف تفريط من فضيله القول،و النطق عن الجهل رذيله مضادّه لها،و الحقّ العدل هو النطق بالحكمه و هو الفضيله النطقيّه.

۱۶۹–و قال عليه السّلام:

اشاره

مَا اخْتَلَفَتْ دَعْوَتَانِ إِلَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا ضَلَالَهً

المعنى

الاختلاف الحقيقىّ إنّما يكون بين النقيضين.و لمّا كانت الدعوه إمّا إلى الحقّ و هو سلوك سبيل اللّه أو إلى غيره.و كان كلّ ما عدا الحقّ ممّا يدعى إليه فهو ضلال عن الحقّ و عدول عن سبيل اللّه لا جرم لم يختلف دعوتان إلاّ كانت إحداهما حقّا و الاخرى ضلاله أو مستلزمه للضلال،و هذا يستلزم بطلان كون كلّ مجتهد مصيبا.و مذهبه المنقول عنه عليه السّلام أنّ الحقّ واحد و فى جهه و المصيب له واحد.

۱۷۰–و قال عليه السّلام:

اشاره

مَا شَكَكْتُ فِی الْحَقِّ مُنْذُمُذْ أُرِيتُهُ

المعنى

من كان له استعداد درك الحقّ كمثله عليه السّلام،و استاد كرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى إعداده و تربيته،و طول صحبه لمثل ذلك الاستاد كصحبته فمحال أن يعرض له شكّ فى أمر يرى برهانه و يحرم من الحقّ.

۱۷۱–و قال عليه السّلام:

اشاره

مَا کَذَبْتُ وَ لاَکُذِبْتُ کُذِّبْتُ وَ لاَ ضَلَلْتُ وَ لاَ ضُلَّ بِی

المعنی

أمّا عدم کذبه و ضـلاله فلتربیته من حین الطفولیّه بالصدق و مکارم الأخلاق حتّی صار ذلک ملکه له تنافی الکذب و الضـلال و تعصم منهما.و أمّا کونه لم یکذّب فیما أخبر به من الحوادث المستقبله و العلوم الغیبیّه و لم یضلّ به فلکون مخبره معصوما

ص:۳۴۰

و هو الرسول صلّى اللّه عليه و آله و العصمه منافيه للأمرين و مستلزمه لهدايه المدلول و عدم زيغه.

۱۷۲-و قال عليه السّلام:

اشاره

لِلظَّالِمِ الْبَادِی غَداً بِکَفِّهِ عَضَّهٌ

المعنى

احترز بالبادی عن المجازی للظلم بمثله،و کنّى بغد عن یوم القیامه و بعضّ کفّه عن ندامته على تفریطه فی جنب اللّه کقوله تعالى «وَ یَوْمَ یَعَضُّ الظّالِمُ عَلى یَدَیْهِ» و الغرض التنفیر عن الظلم.

۱۷۳-و قال عليه السّلام:

اشاره

اَلرَّحِیلُ وَشِیکٌ

المعنى

أی قریب،و أراد الرحیل إلى الآخره فی معرض الوعظ و التخویف بالموت.

۱۷۴-و قال عليه السّلام:

اشاره

مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَکَ

المعنى

أی من تجرّد لنصره الحقّ فی مقابله کلّ أحد هلک عند جهله الناس لضعف الحقّ عندهم و غلبه حبّ الباطل على نفوسهم. کنایه و کنّى بإبداء صفحته عن إظهار نفسه و نصبها لذلک.و قد مرّ بیانه .

۱۷۵-و قال عليه السّلام:

اشاره

مَنْ لَمْ يُنْجِهِ الصَّبْرُ أَهْلَكَهُ الْجَزَعُ

المعنی

قد تکون المصیبه عظیمه تستلزم الجزع المهلک بسببها و حینئذ یجب أن یقابل الجزع فیها بصبر ینجی من الهلاک،و التقدیر من لم یصبر علی المصیبه لینجو فجزع هلک.و یحتمل أن یرید الهلاک الاخرویّ:أی من لم ینجه فضیله الصبر هلک برذیله الجزع.و هو تنفیر عن الجزع و حثّ علی الصبر.

۱۷۶-و قال علیه السّلام:

اشاره

وَا عَجَبَا أَنْ تَکُونَ الْخِلاَفَهُ بِالصَّحَابَهِ- وَ الْقَرَابَهِ قال الرضی:و روی له شعر فی هذا المعنی فإن کنت بالشوری ملکت أمورهم

وَا عَجَبَا أَنْ تَكُونَ الْخِلاَفَهُ بِالصَّحَابَهِ- وَ الْقَرَابَهِ قال الرضی:و روی له شعر فی هذا المعنی فإن کنت بالشوری ملکت أمورهم

المعنی

روی هـذا القول عنه بعـد بیعه عثمـان و هو صوره جواب ما کان یسـمعه من تعلیل اسـتحقاق عثمان للخلافه تاره بالشوری و تاره بأنّه من أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

تقریره:أنّ اسـتحقاقه للخلافه إمّـا أن یکون معلّلا بالشوری أو بصـحبه رسول اللّه أو بقرابته.فإن کان الأوّل فکیف یملک عثمان امور الناس للشوری و أکثر من یستحقّ الاستشاره منهم لم یکونوا حاضرین؟و ذلک معنی إشارته بقوله:

فإن کنت بالشوری.إلی تمام البیت،و إن کان الثانی فکیف یملک امورهم بالصـحبه بوجود من له الصحبه التامّه و القرابه معا؟بل یکون هذا أولی،و إن کان الثالث فغیره أولی منه بالنبیّ و أقرب إلیه.و عنی نفسه فی الوجهین.و قوله:فکیف بهذا.

أی فکیف یملکه بهذا.

۱۷۷-و قال علیه السّلام:

اشاره

إِنَّمَا الْمَرْءُ فِی الدُّنْیَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِیهِ الْمَنَایَا- وَ نَهْبٌ تُبَادِرُهُ الْمَصَائِبُ- وَ مَعَ کُلِّ جُرْعَهٍ شَرَقٌ- وَ فِی کُلِّ أَکْلَهٍ غَصَصٌ- وَ لاَ یَنَالُ الْعَبْـدُ نِعْمَهً إِلاَّ بِفِرَاقِ أُخْرَی- وَ لاَ یَسْـتَقْبِلُ یَوْماً مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ بِفِرَاقِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ- فَنَحْنُ أَعْوَانُ الْمَنُونِ وَ أَنْفُسُـنَا نَصْبُ الْحُتُوفِ- فَمِنْ أَیْنَ نَرْجُو الْبَقَاءَ- وَ هَذَا اللَّیْلُ وَ النَّهَارُ لَمْ یَرْفَعَا مِنْ شَیْءٍ شَرَفاً- إِلاَّ أَسْرَعَا الْکَرَّهَ فِی هَدْمِ مَا بَنَیَا وَ تَفْرِیقِ مَا جَمَعَا

اللغه

الانتضال : الرمی .

و هذا فصل لطیف من الموعظه و قد اشتمل علی ثمان کلمات

اشاره

من الموعظه:

إحداها:استعار لفظ الغرض للإنسان

باعتبار رمیه بمقدّمات المنایا و أسبابها

من الأمراض و الأعراض المهلكه.و وصف الانتضال لذلك الرمى كأنّ المنايا هى الراميه.

الثانيه:

استعاره استعار لفظ النهب بمعنى المنهوب باعتبار سرعه المصائب إلى أخذه .

الثالثه:

كنايه كنّى عن تنغيص لذّات الدنيا بما يشوبها و يخالطها من الأعراض و الأمراض بقوله: مع كلّ جرعه.إلى قوله:غصص .

الرابعه:

كون العبد لا ـ ينال نعمه إلّا بفراق اخرى .إذ النعمه الحقّه هى اللذّه و ما يكون وسيله إليها نعمه بواسطتها.و ظاهر أنّ النفس فى الدنيا لا يمكن أن يحصل على لذّتين دفعه بل ما لم ينتقل عن لذّه أولى و يتوجّه نحو اللذّه الحادثه لا يحصل لها الالتذاذ بها.

الخامسه:

و لا يستقبل يوما من عمره إلّا بفراق آخر من أجله لأنّ طبيعه الزمان التقضّى و السيلان .

السادسه:

كوننا أعوان المنون باعتبار أنّ كلّ نفس و حركه من الإنسان فهى مقرّبه له إلى أجله فكأنّه ساع نحو أجله و مساعد عليه.

السابعه:

كون نفوسنا نصب الحتوف .و نصب بمعنى منصوبه كالغرض.

الثامنه:

الاستفهام عن جهه رجاء البقاء استفهام إنكار لوجودها مع وجود الزمان الّذى من شأنه أنّه لم يرفع بشىء شرفا و يجمع الأمر شملا إلّا أسرع العود فى هدم ما رفع و تفريق ما جمع:أى أعدّ للثانى كما أعدّ للأوّل.

۱۷۸-و قال علیه السّلام:

اشاره

یَا ابْنَ آدَمَ مَا کَسَبْتَ فَوْقَ قُوتِکَ- فَأَنْتَ فِیهِ خَازِنٌ لِغَیْرِکَ

المعنی

إذا اکتساب الزیاده علی القوت و المئونه بقدر الحاجه و ادّخاره غیر نافع بل مضرّ للمدّخر.إذ من ضرورته مفارقه ما ادّخره و وصوله إلی الوارث و غیره.فهو إذن یشبه الخازن فاستعار لفظه له.و هو تنفیر عن البخل بالفضل من المال عن قدر الحاجه.

ص:۳۴۳

۱۷۹-و قال علیه السّلام:

اشاره

إِنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وَ إِقْبَالاً وَ إِدْبَاراً- فَأْتُوهَا مِنْ قِبَلِ شَهْوَتِهَا وَ إِقْبَالِهَا- فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا أُكْرِهَ عَمِيَ

المعنی

أراد بالإقبال المیل،و بالإدبار النفره عن ملال و نحوه.و أمر بإعمال النفوس فیما ینبغی إعمالها فیه من فکر و نظر،و حملها علی ذلک حین میلها إلیه و إقبالها علیه لأنّ ذلک بنشاط فی القوی النفسانیّه و معاونه و مواتاه للنفس.و نفّر عن حملها علیه مع النفره عنه و الکراهیّه له بضمیر صغراه استعاره قوله: فإنّ القلب إذا اکره عمی :أی إنّ إکراه النفس علی الفکر فی الشیء حین نفرتها عنه عن ملال أو ضعف قوّه و نحوه یزیدها کراهیّه له و نفره و یقوم لها بذلک مانع من الوهم و الخیال عن إدراک ما تفکّر فیه فلا یدرکه و إن کان واضحا حتّی یکون کالأعمی و لذلک استعار له وصف الأعمی،و تقدیر کبراه:و کلّما کان عماه فی إکراهه علی الشیء فلا یجوز کراهته .

۱۸۰-و کان علیه السّلام یقول:

اشاره

مَتَی أَشْفِی غَیْظِی إِذَا غَضِبْتُ- أَ حِینَ أَعْجِزُ عَنِ الاِنْتِقَامِ فَیُقَالُ لِی لَوْ صَبَرْتَ- أَمْ حِینَ أَقْدِرُ عَلَیْهِ فَیُقَالُ لِی لَوْ عَفَوْتَ

المعنی

استفهم عن وقت جواز شفاء الغیظ استفهام إنکار لوجوده فی معرض التنفیر عن هذه الرذیله:و نفّر عنها بقوله:أحین.إلی آخره،و ذلک أنّه إمّا حین العجز عن الانتقام أو حین القدره علیه.و شفاء الغیظ فی الوقت الأوّل لا یجوز لأنّه یکون بالسبّ و الشناعه و تقطیع العرض و نحوه و ذلک مستلزم للائمه الخلق و تعییبهم و قولهم فی الحثّ علی فضیله الصبر:لو صبرت لکان أولی.و فی الثانی أیضا لا یجوز لاستلزام الشروع فی العقوبه لائمه الخلق و العدول عن فضیله العفو الّتی هی أولی،و قول الناس علیها:لو عفوت و أنّ العفو بک أولی.

۱۸۱-و قال علیه السّلام:و قد مر علی مزبله:

اشاره

هَذَا مَا بَخِلَ بِهِ الْبَاخِلُونَ- و روی فی خبر آخر أنه قال:هَذَا مَا کُنْتُمْ تَتَنَافَسُونَ فِیهِ بِالْأَمْسِ

المعنى

أشار إليه بذلك لأنّه غايه ما بخل به الباخلون و تنافس الناس فيه من المال و الطعام إقامه للغايه مقام ذى الغايه.

۱۸۲-و قال عليه السّلام:

اشاره

لَمْ يَذْهَبْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ

المعنى

أى القدر الّذى يذهب من مالك على طريق امتحان اللّه و ابتلائه لك بأمر يذهبه فيحصل لك بذهابه موعظه لا يعدّ ما لا ذاهبا بل كأنّه باق لبقاء منفعته و شرف ثمرته و هى الموعظه.

۱۸۳-و قال عليه السّلام:لما سمع قول الخوارج«لا حكم الا للّه»:

اشاره

كَلِمَهُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ

المعنى

و قد مرّ تفسيره.

۱۸۴-و قال عليه السّلام:فى صفه الغوغاء:

اشاره

هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا غَلَبُوا وَ إِذَا تَفَرَّقُوا لَمْ يُعْرَفُوا- و قيل:بل قال عليه السلام:هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا ضَرُّوا وَ إِذَا تَفَرَّقُوا نَفَعُوا-،فقيل:قد عرفناه مضره اجتماعهم فما منفعه افتراقهم؟فقال:

يَرْجِعُ أَصْحَابُ الْمِهَنِ إِلَى مِهْنَتِهِمْ- فَيَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِمْ كَرُجُوعِ الْبَنَّاءِ إِلَى بِنَائِهِ- وَ النَّسَّاجِ إِلَى مَنْسَجِهِ وَ الْخَبَّازِ إِلَى مَخْبَزِهِ

اللغه

المهنه : الحرفه و الصناعه .

المعنى

و الفصل ظاهر.

۱۸۵-و قال عليه السّلام

اشاره

،و أتى بجان و معه غوغاء،فقال:لَا مَرْحَباً بِوُجُوهٍ لَا تُرَى إِلَّا عِنْدَ كُلِّ سَوْأَةٍ

المعنى

أى لا ترى مجتمعه.إذ العوامّ لا يجتمع غالبا إلاّ فى مثل ذلك.فكلام الخطيب

ص:۳۴۵

على أغلب الأحوال.و السوءه:فعله من السوء.

۱۸۶-و قال عليه السّلام:

اشاره

إِنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ مَلَكَيْنِ يَحْفَظَانِهِ- فَإِذَا جَاءَ الْقَدَرُ خَلَّيَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَهُ- وَ إِنَّ الْأَجَلَ جُنَّهٌ حَصِينَهٌ

المعنى

أى إذا جاء القدر بموته على وفق القضاء الإلهىّ و هو كقوله تعالى «وَ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَهً حَتّى إِذا جاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ» (۱)الآيه:و استعار لفظ الجنّه بوصف الحصينه للأحل،و قد بيّنا ذلك فى قوله:و إنّ علىّ من اللّه جنّه حصينه.

۱۸۷-و قال عليه السّلام:

اشاره

و قد قال له طلحه و الزبير:نبايعك على أنا شركاؤك فى هذا الامر لَا وَ لَكِنَّكُمَا شَرِيكَانِ فِى الْقُوَّهِ وَ الِاسْتِعَانَهِ- وَ عَوْنَانِ عَلَى الْعَجْزِ وَ الْأَوَدِ

اللغه

الأود : الاعوجاج .

المعنى

و قوله: و عونان على العجز و الأود .

أى دفع ما يعرض منهما أو حال وجودهما لأنّ كلمه على تفيد الحال.

۱۸۸-و قال عليه السّلام:

اشاره

أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى إِنْ قُلْتُمْ سَمِعَ- وَ إِنْ أَضْمَرْتُمْ عَلِمَ- وَ بَادِرُوا الْمَوْتَ الَّذِى إِنْ هَرَبْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ- وَ إِنْ أَقَمْتُمْ أَخَذَكُمْ- وَ إِنْ نَسِيتُمُوهُ ذَكَرَكُمْ

المعنى

و المعنى ظاهر.رغّب فى تقوى اللّه و الخشيه منه باعتبار سمعه لما يقول العبد و علمه بضميره.حذف المفعولين للعلم بهما:أى سمع مقالكم و علم ضميركم .و رغّب فى مبادره الموت و مسابقته بالأعمال الصالحه إلى حفظ النفوس بها من عذاب الآخره و هول الموت و نفّر منه ليسارع إلى مبادرته بكونه لا ينجو منه أحد. استعاره و استعار

ص:۳۴۶

۱- ۱) ۶۱-۶.

لوروده على الإنسان لفظ الذكر فى مقابله النسيان ملاحظه لشبهه بالقاصد له عن علم به .

۱۸۹–و قال عليه السّلام:

اشاره

لاَ يُزَهِّدَنَّکَ فِی الْمَعْرُوفِ مَنْ لاَ يَشْكُرُهُ لَکَ- فَقَدْ يَشْكُرُکَ عَلَيْهِ مَنْ لاَ يَسْتَمْتِعُ بِشَیْءٍ مِنْهُ- وَ قَدْ تُدْرِکُ يُدْرَکُ مِنْ شُكْرِ الشَّاكِرِ- أَكْثَرَ مِمَّا أَضَاعَ الْكَافِرُ- «وَ اللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»

المعنى

نهى عن الزهد فى المعروف بسبب عدم شكر المحسن إليه له و رغّب فيه بضمائر ثلاثه:صغرى الأوّل قوله:فقد يشكرك عليه.إلى قوله:منه.و ذلک لمحبّه الناس للإحسان و المحسنين.و تقدير كبراه:و كلّما يشكرك عليه من لم يستمتع بشىء منه فواجب أن تفعله،و صغرى الثانى قوله :و قد تدرك.إلى قوله:الكافر:أى قد يحصل لک من شكر من لم تحسن إليه أكثر ممّا أضاعه كافر نعمتک و من شكر إحسانك إليه.و تقدير كبراه:و كلّما أدركت من شكر الشاكر بسببه أكثر ممّا أضاع الكافر فواجب أن تفعله،و صغرى الثالث قوله: «وَ اللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» :أى لإحسانهم.و تقدير كبراه:و كلّ من يحبّه اللّه لفعل فواجب أن يدخل العاقل فى زمرته و يتقرّب إلى اللّه بمثل فعله.

۱۹۰–و قال عليه السّلام:

اشاره

كُلُّ وِعَاءٍ يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ- إِلاَّ وِعَاءَ الْعِلْمِ فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ بِهِ

المعنى

الأوعيه المحسوسه لمّا كانت متناهيه الاتّساع فمن شأنها أن يضيق بما يجعل فيها،و أوعيه العلم معقوله و هى النفوس و قوّه إدراك العلوم فيها غير متناهيه و كلّ مرتبه من إدراكها تعدّ لما بعدها إلى غير النهايه فبالواجب أن يتّسع بالعلم و يزيد بزيادته.

ص:۳۴۷

۱۹۱–و قال عليه السّلام:

اشاره

أَوَّلُ عِوَضِ الْحَلِيمِ مِنْ حِلْمِهِ- أَنَّ النَّاسَ أَنْصَارُهُ عَلَى الْجَاهِلِ

المعنى

و يحتمل أن يريد من عدم حلمه.إذ العوض يكون عن شيء فائت كالطيش و نحوه فحذف المضاف.و فيه ترغيب فى هذه الفضيله بما يلزمه من نصره الناس لصاحبها على الجاهل عند سفهه عليه.

۱۹۲–و قال عليه السّلام:

اشاره

إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيماً فَتَحَلَّمْ- فَإِنَّهُ قَلَّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ- إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ

المعنى

أمر بتعلّم هذه الفضيله فإنّ مبادى الملكات الخلقيّه حالات مكتسبه عن التعلّم و رغّب فى تعلّمها بضمير صغراه قوله:فإنّه قلّ.إلى آخره،و الضمير فى إنّه ضمير الشأن.و تقدير الكبرى:و كلّ من أو شك أن يكون من أهل الحلم بتعلّمه له فواجب أن يتعلّمه.

۱۹۳–و قال عليه السّلام:ثلاث كلمات:

اشاره

مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ رَبِحَ وَ مَنْ غَفَلَ عَنْهَا خَسِرَ- وَ مَنْ خَافَ أَمِنَ وَ مَنِ اعْتَبَرَ أَبْصَرَ- وَ مَنْ أَبْصَرَ فَهِمَ وَ مَنْ فَهِمَ عَلِمَ

إحداها:

من حاسب نفسه ربح .لأنّ المحاسب لنفسه على أعمالها يعلم خسرانه من ربحه فيعمل للربح و يحترز من الترك المستلزم للخسران.

الثانيه:

و من غفل عنها خسر ،و ذلك أنّ قربها من اللذّات الحاضره يستلزم ميلها إليها ما لم يجذب عنها بالجواذب الإلهيّه من الزواجر و المواعظ المذكّره فالغفله عن جذبها و تنبيهها من مراقد الطبيعه بتذكير وعد اللّه و وعيده يستلزم إهمالها للأعمال الصالحه الّتى

یلزمها ربح السعاده الاخرویّه و الحصول علی ترکها ذلک هو الخسران .

ص:۳۴۸

الثالثه:

و من خاف أمن :أى أمن من عذاب اللّه،و عمل للخلاص منه ليأمن لحوقه.

الرابعه:

و من أعتبر أبصر :أى من نظر مواقع العبره بعين الفكر و الاعتبار أبصر الطريق إلى الحقّ،و من أبصرها فهم المعبور منها إليه،و من فهم ذلك حصل له العلم النافع بالحقّ.

۱۹۴-و قال عليه السّلام:

اشاره

لَتَعْطِفَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا- عَطْفَ الضَّرُوسِ عَلَى وَلَدِهَا- وَ تَلاَ عَقِيبَ ذَلِكَ- «وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ»

اللغه

الضروس : الناقه سيّئه الخلق تعضّ حالبها ليبقى لبنها لولدها

المعنى

و ذلك لفرط شفقّتها عليه. استعاره و استعار لفظ الشماس للدنيا باعتبار إعدادها لمنعه عليه السّلام منها ملاحظه لشبهها بالفرس الّذى يمنع ظهره أن يركب . تشبيه و شبّه عطفها بعد ذلك عليهم و إعدادها لتمكّنهم من الحكم فيها بعطف الضروس على ولدها ،و وجه الشبه شدّه العطف .و الاستشهاد بالآيه ظاهر.

۱۹۵-و قال عليه السّلام:

اشاره

اِتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةَ مَنْ شَمَّرَ تَجْرِيداً وَ جَدَّ تَشْمِيراً- وَ أَكْمَشَ فِي مَهَلٍ وَ بَادَرَ عَنْ وَجَلٍ- وَ نَظَرَ فِي كَرَّةِ الْمَوْئِلِ- وَ عَاقِبَةِ الْمَصْدَرِ وَ مَغَبَّةِ الْمَرْجِعِ

اللغه

أكمش : أسرع .و المهل : الإمهال .و الكرّه : الرجعه .و الموئل: المرجع .و المغبّه : العاقبه .

المعنى

و أراد اتّقوا اللّه كتقيّه من شمّر عن ساق الجدّ فی طاعه اللّه،و جرّد نفسه لمرضاته تشميرا،و سارع بالأعمال الصالحه ما دام فی مهله الحياه،و بادر مغفرته فی وجل من ثمرات سيّئاته،و فكّر فی عوده إلى الملجأ الأوّل الّذى منه بدء و هو حضره

ص:٣۴٩

الربوبيّه.و كـذلك عاقبه المصـدر الّذى عنه صدر فى ابتداء كونه و إليه يعود،و مغبّه المرجع من خير للحصول عليه أو شـرّ ليعمل للخلاص منه.

۱۹۶–و قال عليه السّلام:ثلاث عشر كلمه:

اشاره

اَلْجُودُ حَارِسُ الْأَعْرَاضِ- وَ الْحِلْمُ فِدَامُ السَّفِيهِ- وَ الْعَفْوُ زَكَاهُ الظَّفَرِ- وَ السُّلُوُّ عِوَضُكَ مِمَّنْ غَدَرَ- وَ الِاسْتِشَارَهُ عَيْنُ الْهِدَايَهِ- وَ قَدْ خَاطَرَ مَنِ اسْتَغْنَى بِرَأْيِهِ- وَ الصَّبْرُ يُنَاضِلُ الْحِدْثَانَ- وَ الْجَزَعُ مِنْ أَعْوَانِ الزَّمَانِ- وَ أَشْرَفُ الْغِنَى تَرْكُ الْمُنَى- وَ كَمْ مِنْ عَقْلٍ أَسِيرٍ تَحْتَ عِنْدَ هَوَى أَمِيرٍ- وَ مِنَ التَّوْفِيقِ حِفْظُ التَّجْرِبَهِ- وَ الْمَوَدَّهُ قَرَابَهٌ مُسْتَفَادَهٌ وَ لَا تَأْمَنَنَّ مَلُولاً

إحداها:

الجود حارس الأعراض .و استعار له لفظ الحارس باعتبار أنّ الجود يقى عرض صاحبه من السبّ كالحارس .

الثانيه:

استعاره و الحلم فدام السفيه .و الفدام:ما يسدّ به المجوسى فمه.و استعار لفظه للحلم باعتبار أنّ الحليم إذا قابل السفيه بحمله عن عقوبته سكت عنه و أقلع عن سفه فى حقّه فأشبه الفدام له .

الثالثه:

استعاره و العفو زكاه الظفر .استعار لفظ الزكاه للعفو باعتبار أنّه فضيله تستلزم زياده الثواب فى الآخره.و لحظ فى ذلك شبه الظفر بالمال الواجبه زكاته.و هو ترغيب فى العفو .

الرابعه:

و السلوّ عوضك ممّن غدر .و هو أمر للإنسان بالسلوّ عن الهمّ بسبب غدر من يطلب وفاه.و رغّب فيه بكونه عوضا منه و نعم العوض .

الخامسه

. و الاستشاره عين الهدايه .الاستشاره طلب أصلح الآراء فى الأمر و هى مستلزمه للهدايه إليها،و جعلها عينها تأكيدا لقوّه استلزامها لها .

السادسه:

و قد خاطر من استغنى برأيه :أى أشرف على الهلاک من استبدّ برأيه لأنّ ذلک مظنّه الخطأ المستلزم للهلاک.و قد مرّ مثله .

السابعه:

استعاره و الصبر يناضل الحدثان .استعار لفظ المناضله للصبر باعتبار دفعه الهلاک عن الجزع فى المصائب .

الثامنه:و الجزع من أعوان الزمان.

الزمان معدّ للهرم و الفناء،و الجزع معدّ لذلک فكان معينا له .

التاسعه:و أشرف الغنى ترک المنى.

لأنّ أشرف الغنى غنى النفس بالكمالات النفسانيّه من الحكمه و مكارم الأخلاق و هو مستلزم لترک المنى و إلّا لجاز اجتماعه مع المنى المستلزم للحمق إذ هو إشغال النفس بما لا ينبغى عمّا ينبغى و للإفراط فى محبّه الدنيا مع كثير من الرذائل كالحرص و الحسد و الشره و نحوها.فيلزم من ذلک اجتماع الضدّين الفضيله و الرذيله .

العاشره:و كم من عقل أسير تحت هوى أمير.

العقل إمّا أن يقوى على قهر النفس الأمّاره بالسوء و يصرفها حسب ما يراه،أو يقاومها كالمصارع لها فمرّه له و مرّه عليه،أو يكون مقهورا و مغلوبا لها.و الأوّل هو العقل المطيع للّه القوىّ بأمره و يلحقه الثانى من وجه،و أمّا الثالث فهو العاصى بانقياده لهواه فهو كالأسير له و هو القسم الأكثر فى عالم الإنسان لحضور اللذّات الحسّيّه دون العقليّه فلذلک أخبر عنه بكم .

الحاديه عشر:و من التوفيق حفظ التجربه

:أى لزومها و مداومتها لغايه الانتفاع بها،و ظاهر أنّ ذلک من توفيق الله:أى تسهيله لأسبابها و تقديره لتوافقها فى حقّ العبد .

الثانيه عشر:و المودّه قرابه مستفاده

لأنّ القرابه اسم من القرب و هو إمّا أن يكون أصليّا كقرب النسب أو مستفاده اكتسب كقرب الصداقه و المودّه .

الثالثه عشر:و لا تأمننّ ملولا.

لأنّ الملول يصرفه ملاله عن الثبات على الصداقه و العهد و كتمان السرّ و نحوها.فمن الحزم إذن أن لا يؤمن على شىء من ذلک.

۱۹۷–و قال علیه السّلام:

اشاره

عُجْبُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ أَحَدُ حُسَّادِ عَقْلِهِ

المعنی

استعاره استعار له لفظ الحاسد باعتبار أنّه یؤثّر فی منع العقل من ازدیاد الفضیله و الاستکثار منها کما یؤثّر الحاسد بحسده فی حال المحسود و تنقیصه .

۱۹۸–و قال علیه السّلام:

اشاره

أَغْضِ عَلَی الْقَذَی وَ الْأَلَمِ تَرْضَ أَبَداً

المعنی

الإغضاء علی القذی کنایه عن کظم الغیظ و احتمال المکروه و هو فضیله تحت الشجاعه.و لمّا کانت طبیعه الدنیا معجونه بالمکاره لم یخل الإنسان فی أکثر أحواله من ورودها علیه فما لم یقابلها بالاحتمال بل بالتسخّط و الغضب و التبرّم بها لم یزل ساخطا تاعبا بغضبه لدوام ورود المکاره علیه.

۱۹۹–و قال علیه السّلام:

اشاره

مَنْ لاَنَ عُودُهُ کَثُفَتْ أَغْصَانُهُ

المعنی

استعاره بالکنایه استعار لفظ العود للطبیعه،و کنّی بلینه عن التواضع،و کذلک استعار لفظ الأغصان للأعوان و الأتباع ، کنایه و کنّی بکثافتها عن اجتماعهم علیه و کثرته و قوّته بهم.و المراد أنّ من کانت له فضیله التواضع و لین الجانب کثرت أعوانه و أتباعه و قوی باجتماعهم علیه .

۲۰۰–و قال علیه السّلام:

اشاره

اَلْخِلاَفُ یَهْدِمُ الرَّأْیَ

المعنی

و أصله:أنّ رأی الجماعه یجتمع علی أمر تکون المصلحه فیه فیقع من بعضهم خلاف فیه فیهدم ما اجتمعوا علیه و رأوه من المصلحه.کما رأی علیه السّلام هو و جماعه من أصحابه عند رفع أهل الشام المصاحف صبیحه لیله الهریر من إتمام القتال و هو المصلحه فهدم ذلک الرأی من خالف فیه من أصحابه حتّی وقع بذلک ما وقع.

۲۰۱-و قال علیه السّلام:

اشاره

مَنْ نَالَ اسْتَطَالَ

المعنی

إنّ من نال ما یوجب الاستطاله من جاه و سلطان أو مال استطال بسبب ذلک:

ص:۳۵۲

أى كـان فى مظنّه أن يستطيل على غيره بمـا ناله.فأقـام مـا بالفعـل مقام ما بالقوّه و يصـدق بالفعل أيضا.لأنّ كلام الخطيب مطلق يصدق و لو بمرّه.و الكلمه تجرى مجرى المثل.

۲۰۲–و قال عليه السّلام:

اشاره

فِى تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ عِلْمُ جَوَاهِرِ الرِّجَالِ

المعنى

أى تقلّب أحوال الـدنيا على المرء كرفعته بعـد اتّضاعه و بالعكس،و كنزول الشدائد به يفيد العلم التجربىّ بأحواله الباطنه من خير و شرّ و جلاده و ضعف و فضيله و رذيله.و نحوه ما قيل:الولايات مضامير الرجال.

۲۰۳–و قال عليه السّلام:

اشاره

حَسَدُ الصَّدِيقِ مِنْ سُقْمِ الْمَوَدَّهِ

المعنى

الموده الخـالصه تستلزم أن يريد الإنسـان لمن يودّه ما يريـد لنفسه و يكره له ما يكره لها.و الحسـد ينافى ذلك لاستلزامه إراده زوال الخير عن المحسود.فمودّه الحاسد إذن مدخوله غير صحيحه و هو المراد بسقمها.

۲۰۴–و قال عليه السّلام:

اشاره

أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ الْمَطَامِعِ

المعنى

العقـل من شـأنه الّـذى ينبغى له أن يقـاوم النفس الأمّـاره و يكسـرها و يصـرفها بحسب آرائه الصالحه،و من شأن النفس مخادعه العقل و غروره بزينه الحياه الدنيا و قيناتها و إطماعه بها.فالعقول الضـعيفه غير المؤيّده من اللّه أكثر ما تنخدع و تنصـرع فى حربها للنفـوس الأمّـاره إذا لا ـ لهـا مطمع و همىّ مـن الـدنيا. استعاره فاستعار لفـظ المصـارع للعقـول ملا ـ حظه لقهرهـا عن النفـوس و انفعالها.فأشبهت فى الذلّه و الانقياد لها و ترك مقاومتها من أخذ مصرعه من الحرب،و كذلك استعار لفظ البروق لما لاح من

تصوّر المطموع فيه.و كثيرا ما تشبّه العلوم و الخواطر الذهنيّه بالبروق للطفه و ضيائه و سرعه حركته .و إنّما قال:تحت.لأنّ المصارع من شأنها أن تكون تحت.

ص:٣٥٣

۲۰۵–و قال عليه السّلام:

اشاره

لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ الْقَضَاءُ عَلَى الثِّقَهِ بِالظَّنِّ

المعنى

أى من كان عندك ثقه معروفا بالأمانه فحكمك عليه بالخيانه عن ظنّ خروج عن العدل و هو رذيله الجور.

۲۰۶–و قال عليه السّلام:

اشاره

بِئْسَ الزَّادُ إِلَى الْمَعَادِ الْعُدْوَانُ عَلَى الْعِبَادِ

المعنى

لأنّ الظلم رذيله عظيمه متعديّه الأذى مستلزمه للشقاء الأشقى.فهى بئس الزاد إذن. استعاره و لفظ الزاد مستعار باعتبار حمل هذه الرذيله فى جوهر النفس إلى الآخره كالزاد .

۲۰۷–و قال عليه السّلام:

اشاره

مِنْ أَشْرَفِ أَعْمَالِ الْكَرِيمِ غَفْلَتُهُ عَمَّا يَعْلَمُ

المعنى

أى تغافله و إغضاؤه عمّا يعلم من معايب الناس و من هفواتهم.لاستلزام ذلك فضايل كاحتمال المكروه و الحلم و العفو و الصفح.و كلّها فضائل يلزم الكرم لأنّه قد يراد به إمساك الإنسان عن المبادره إلى قضاء وطر الغضب فيمن يغضبه و ما استلزم هذه الفضايل فهو من أشرف الأفعال.

۲۰۸–و قال عليه السّلام:

اشاره

مَنْ كَسَاهُ الْحَيَاءُ ثَوْبَهُ لَمْ يَرَ النَّاسُ عَيْبَهُ

المعنی

استعاره مرشحه استعار لفظ الثوب لما یشمل الإنسان من الحیاء،و رشّح بذکر الکسوه.

و المراد أنّ فضیله الحیاء تستلزم ترک المعایب فلا یری فی صاحبه،أو إن ارتکب ما یعاب به من الرذائل کان علی غایه من التستّر به و الاجتهاد فی اخفائه و هو بمظنّه أن لا یراه الناس .

۲۰۹-و قال علیه السّلام:

اشاره

بِکَثْرَهِ الصَّمْتِ تَکُونُ الْهَیْبَهُ- وَ بِالنَّصَفهِ یَکْثُرُ الْمُوَاصِلُونَ- وَ بِالْإِفْضَالِ تَعْظُمُ الْأَقْدَارُ- وَ بِالتَّوَاضُعِ تَتِمُّ النِّعْمَهُ وَ بِاحْتِمَالِ الْمُؤَنِ یَجِبُ السُّؤْدُدُ- وَ بِالسِّیرَهِ الْعَادِلَهِ یُقْهَرُ الْمُنَاوِئُ- وَ بِالْحِلْمِ عَنِ السَّفِیهِ تَکْثُرُ الْأَنْصَارُ عَلَیْهِ

ص:۳۵۴

أشار عليه السّلام إلى سبع فضائل و رغّب فى كلّ منها بما يستلزمه من الخير.

إحداها:كثره الصمت.

و ما يلزمها كون الصامت مهابا فى أعين الناس لأنّ الصمت من توابع العقل غالبا و مهابه أهل العقل ظاهره.فإن عرف أنّ كثره صمت الصامت عن عقل كانت مهابته أوكد،و إن لم تعرف حاله كانت لتجويز أن تكون عن كمال عقله.و قد يعرف أنّه لنقصان فى غريزته و عيّه فى الكلام و يحترم مع ذلک لعدم اختلاطه فى القول .

الثانيه:النصفه

و هى فضيله العدل.و رغّب فيها بما يلزمها من كثره الواصلين لأنّ قلّه الإنصاف مستلزمه للفرقه و قطع الالفه كما قال أبو الطيب:

و لم تزل قلّه الإنصاف قاطعه بين الرجال و إن كانوا ذوى رحم

الثالثه:الإفضال

على الخلق بما يحتاجون إليه.و يلزمه علوّ الأقدار و عظمها لتعيين الحاجه إلى المتفضّل و محبّته .

الرابعه:التواضع.

و يلزم تمام النعمه بكثره الإخوان و أهل المودّه لأنّ فضيله التواضع نعمه و ما يلزمها كالتمام لها .

الخامسه:احتمال المؤن.و يلزمه السؤدد

لأنّ احتمال مؤن الخلق يستلزمه فضيله سعه الصدر و احتمال المكروه و بحسب ذلک تحصل مطالب الخلق من المتحمّل غير مشوبه بشىء من كدر المقابله بردّ و منّه و نحوهما.فيكثر تعبّدهم له،و يقوى أمره و سؤدده فيهم .

السادسه:السيره العادله.

و يلزمها قهر المناوى.و المناواه:المعاداه.و ذلک أنّ العدوّ لا يجد لصاحب السيره العادله عيبا يستظهر به عليه و يسعى به فى فساد أمره فيبقى مقهورا مأمورا .

السابعه:الحلم عن السفه.

[illegible]

و يلزمه كثره الأنصار عليه.و قد مرّ بيانه.

ص:۳۵۵

۲۱۰–و قال عليه السّلام:

اشاره

اَلْعَجَبُ لِغَفْلَهِ الْحُسَّادِ عَنْ سَلاَمَهِ الْأَجْسَادِ

المعنى

لأنّ الغالب أنّ الحسد إنّما يكون بالغنى و الجاه و ساير قينات الدنيا.

فترك الحسّاد الحسد بصحّه الجسد مع كونها أكبر نعم الدنيا محلّ التعجّب.و الفرق أنّ تلك نعم مشاهده يقلّ الغفله عنها و ينفرد المحسود بها و أكثر الترفّع على حسد الحاسد يكون بها.فأمّا نعمه الصحّه فمعقوله تكثر الغفله عنها و مشتركه.

۲۱۱–و قال عليه السّلام:

اشاره

اَلطَّامِعُ فِي وِثَاقِ الذُّلِّ

المعنى

استعاره استعار لفظ الوثاق للذلّ المقيّد له فى طاعه المطموع فيه.و قد مرّ مثله فى قوله:الطمع رقّ مؤبّد .

۲۱۲–و قال عليه السّلام:

اشاره

اَلْإِيمَانُ مَعْرِفَهٌ بِالْقَلْبِ- وَ إِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ وَ عَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ

اللغه

الأركان : هى المساجد الخمسه .

المعنى

و أراد الايمان الكامل.

۲۱۳–و قال عليه السّلام:

اشاره

مَنْ أَصْبَحَ عَلَى الدُّنْيَا حَزِيناً- فَقَدْ أَصْبَحَ لِقَضَاءِ اللَّهِ سَاخِطاً- وَ مَنْ أَصْبَحَ يَشْكُو مُصِيبَةً نَزَلَتْ بِهِ- فَقَدْ أَصْبَحَ فَإِنَّمَا يَشْكُو رَبَّهُ- وَ مَنْ أَتَى غَنِيّاً فَتَوَاضَعَ لَهُ لِغِنَاهُ ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ- وَ مَنْ قَرَأَ؟الْقُرْآنَ؟ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ- فَهُوَمِمَّنْ كَانَ مِمَّنْ يَتَّخِذُ آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً- وَ مَنْ لَهِجَ قَلْبُهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا الْتَاطَ قَلْبُهُ مِنْهَا بِثَلَاثٍ- هَمٍّ لَا يُغِبُّهُ وَ حِرْصٍ لَا يَتْرُكُهُ وَ أَمَلٍ لَا يُدْرِكُهُ

أشار إلى خمس خصال نفّر عن كلّ منها بما يلزمه من الشرّ:

اشاره

إحداها.الحزن على فائت الدنيا.

و يلزمه سحظ العبد لقضاء اللّه لأنّ فوت ذلك كان بقضاء منه و سحظ قضائه كفر .

الثانيه:شكوى المصيبه

.و يلزمها الشكوى من اللّه لأنّ اللّه تعالى هو المبتلى بها .

الثالثه:التواضع للغنىّ باعتبار غناه

.و يلزمه ذهاب ثلثى دين المتواضع لوجوه:

أحدها:أنّ مدار الدين على كمال النفس الإنسانيّه بالحكمه،و كمال القوّه الشهويّه بالعفّه و قوّه الغضب بالشجاعه.و لمّا كان التواضع للغنىّ من جهه غناه يستلزم زياده محبّه الدنيا و الخروج عن فضيله الشهوه إلى طلب الفجور حتّى كأنّه عابد لغير اللّه،و يستلزم الخروج عن الحكمه الّتى مقتضاها وضع كلّ شىء موضعه و هى فضيله النفس الناطقه كان خارجا عن فضيلتى هاتين القوّتين و هما ثلثا الدين.

مجازا إطلاقا لاسم الملزوم على لازمه الثانى:أنّ مدار الدين على الاعتقاد بالقلب و الإقرار باللسان و العمل بالأركان.و من شأن المتواضع للغنىّ لغناه اشتغال لسانه بمدحه و شكره و اشتغال جوارحه بخدمته عن طاعه اللّه و القيام بشكره فهو مهمل لثلثى دينه.قيل:إنّ التواضع للغنىّ لغناه يستلزم حبّ الدنيا و حبّها رأس كلّ خطيئه.فاستعمل عليه السّلام لفظ الثلثين هنا فى الأكثر مجازا إطلاقا لاسم الملزوم على لازمه .

الرابعه:

استعاره كون قراءه القرآن مع دخول النار مستلزما لكون القارى ممّن كان يتّخذ آيات اللّه هزوا ،و ذلك أنّ قراءه القرآن للّه بالإخلاص و العمل بمقتضاه يستلزم دخول الجنّه فعدم دخولها و دخول النار يستلزم عدم الإخلاص فى قراءه القرآن و عدم العمل به فيكون فى قراءته إذن كالمستهزئ بآيات اللّه إذ شأن المستهزء أن يقول ما لا يعتقده و لا يعمل به.فاستعار له لفظ المستهزء .

الخامسه:و من لهج قلبه بحبّ الدنيا التاط

:أى لصق و اختلط منها بثلاثه.

و وجه لزوم الثلاثه للحرص و الولوع بها أنّ حبّها یستلزم الجدّ فی طلبها و جمعها، و لمّا کان حصولها مشروطا بأسباب مقدوره للعباد و أسباب غیر مقدوره و المقدوره منها قد لا یکون مقدوره للطالب و إن کانت لکنّها تکون متعسّره منه لتوقّفها علی

ص:۳۵۷

أسباب كثيره أو عسره لا جرم يلزمه الحزن غالبا فى تحصيلها و الهمّ الّذى لا يغبّه:

أى لا ـ يأتيه غبّا و هو يوم لا ـ و يوم نعم ثمّ فى حفظها و خوف فوتها و الحرص على استخراجها من وجوهها و طول الأمل فى وجوه مكاسبها و أرباحها و تجاراتها و عماراتها.و نبّه على طوله بقوله:لا يدركه.و نفّر عنه بذلك.

۲۱۴–و قال عليه السّلام:

اشاره

كَفَى بِالْقَنَاعَهِ مُلْكاً وَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ نَعِيماً

المعنى

استعاره استعار لفظ الملك للقناعه لأنّ غايه الملك الغناء عن الخلق و الترفّع عليهم بذلك.و الالتذاذ و القناعه مستلزمه لهذه الغايات،و كذلك استعار لفظ النعيم لحسن الخلق باعتبار استلزامهما للالتذاذ .

۲۱۵–

اشاره

و سئل عليه السّلام:عن قوله تعالى: «فَلَنُحْيِيَنَّهُ حياهً طَيِّبَهً» فقال:

هِيَ الْقَنَاعَهُ

المعنى

ففسّرها بلازمها و هو الحياه الطيّبه.

۲۱۶–و قال عليه السّلام:

اشاره

شَارِكُوا الَّذِى قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ الرِّزْقُ- فَإِنَّهُ أَخْلَقُ لِلْغِنَى وَ أَجْدَرُ بِإِقْبَالِ الْحَظِّ

اللغه

أخلق و أجدر : أى أولى .

المعنی

و لمّا کان إقبال الرزق بتوافق أسبابه فی حقّ من أقبل علیه کانت مشارکته مظنّه إقبال حظّ الشریک و إقبال الرزق علیه بمشارکته.

و رغّب فیها بضمیر صغراه قوله:فإنّه.إلی آخره و الضمیر فی قوله:فإنّه.یعود إلی ما دلّ علیه شارکوا من المصدر.و تقدیر کبراه:و کلّما کان کذلک ففعله مصلحه.

-۲۱۷

اشاره

و قال علیه السّلام:فی قوله تعالی: «إِنَّ اللّهَ یَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ» اَلْعَدْلُ اَلْإِنْصَافُ وَ اَلْإِحْسَانُ اَلتَّفَضُّلُ

ص:۳۵۸

المعنى

و هو تعريف لفظ بلفظ أوضح منه عند السائل.

۲۱۸–و قال عليه السّلام:

اشاره

مَنْ يُعْطِ بِالْيَدِ الْقَصِيرَهِ يُعْطَ بِالْيَدِ الطَّوِيلَهِ

المعنى

و ذلك إشاره إلى قوله تعالى «مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَهِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها» (۱)و قوله تعالى «إِنْ تُقْرِضُوا اللّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضاعِفْهُ لَكُمْ» (۲)استعاره بالكنايه و استعار لفظ اليد فى الموضعين للنعمه و العطاء.و كنّى بالطول و القصر عن الكثره و القلّه .

۲۱۹–و قال عليه السّلام:لابنه الحسن عليهما السّلام.

اشاره

لاَ تَدْعُوَنَّ إِلَى مُبَارَزَهٍ و إِنْ فَإِنْ دُعِيتَ إِلَيْهَا فَأَجِبْ-فَإِنَّ الدَّاعِيَ إِلَيْهَا بَاغٍ و الْبَاغِيَ مَصْرُوعٌ

المعنى

نفّر عن الدعوه إلى المبارزه بقياس كامل من الشكل الأوّل و هو قوله:فإنّ الداعى.إلى قوله:مصروع.و بيانه أنّ الدعاء إلى المبارزه خروج عن فضيله الشجاعه إلى طرف الإفراط منها و هو التهوّر و هو بغى و عدوان لأنّه خروج عن فضيله العدل فى القوّه الغضبيّه،و أمّا أنّ الباغى مصروع ففى غالب الأحوال.

لاستعداده ببغيه لذلك.لأنّ المجازاه واجبه فى الطبيعه.

۲۲۰–و قال عليه السّلام:

اشاره

خِيَارُ خِصَالِ النِّسَاءِ شِرَارُ خِصَالِ الرِّجَالِ-الزَّهْوُ و الْجُبْنُ و الْبُخْلُ-فَإِذَا كَانَتِ الْمَرْأَهُ مَزْهُوَّهً لَمْ تُمَكِّنْ مِنْ نَفْسِهَا-و إِذَا كَانَتْ بَخِيلَهً حَفِظَتْ مَالَهَا و مَالَ بَعْلِهَا-و إِذَا كَانَتْ جَبَانَهً فَرِقَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَعْرِضُ لَهَا

المعنى

الأخلاق الثلاثه المذکوره رذائل للرجال و هی فضائل للنساء،و بیان کونها

ص:۳۵۹

۱- ۱) ۱۶۱-۶.

۲- ۲) ۱۱۱-۶۴.

فضائل هو ما ذكره عليه السّلام.و المزهوّ:المتكبّر،و لا يبنى الفعل من الزهو إلّا للمفعول.يقال:زهى الرجل و زهيت المرأه فهى مزهوّه.و الفرق:الخوف.

-۲۲۱

اشاره

و قيل له عليه السّلام:صف لنا العاقل،فقال ع هُوَ الَّذِى يَضَعُ الشَّىْءَ مَوَاضِعَهُ- فقيل:فصف لنا الجاهل،فقال:قد فعلت قال الرضى:يعنى أن الجاهل هو الذى لا يضع الشىء مواضعه فكأن ترك صفته صفه له،إذ كان بخلاف وصف العاقل.

المعنى

عرّف العاقل بخاصّه من خواصّه،و لمّا كان الجاهل عديم ملكه العاقل كان تعريفه بما يقابل خاصّه العاقل تعريفا بالمناسب و هو خاصّه أيضا من خواصّ الجاهل.

-۲۲۲و قال عليه السّلام:

اشاره

وَ اللَّهِ لَدُنْيَاكُمْ هَذِهِ- أَهْوَنُ فِى عَيْنِى مِنْ عِرَاقِ خِنْزِيرٍ فِى يَدِ مَجْذُومٍ

اللغه

عراق : جمع عرق و هو جمع غريب كتؤام و توأم و هو العظم الذى يسحت عنه اللحم ،

المعنى

و ذلك مبالغه فى هون الدنيا و حقارتها فى عينه و نفرته عنها لأنّ العرق لا خير فيه فإذا تأكّد بكونه من خنزير ثمّ بكونه فى يد مجذوم بلغت النفره منه الغايه.

-۲۲۳و قال عليه السّلام:

اشاره

إِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّهَ رَغْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ التُّجَّارِ- وَ إِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّهَ رَهْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ- وَ إِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّهَ شُكْراً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ

المعنی

قسّم علیه السّلام عباده العابدین بحسب أغراضها إلی ثلاثه و هی عباده الرغبه و

ص:۳۶۰

عباده الرهبه و عباده الشكر،و جعل الأولى عباده التجّار باعتبار أنّهم يستعيضون عنها ثواب الآخره و يطلبونه بها فهم فى حكم التجّار المكتسبين للأرباح ،و الثانيه عباده العبيد فى الدنيا لأنّ خدمتهم لساداتهم أكثر ما تكون رهبه ،و الثالثه عباده الشاكرين و هم الذين يعبدون اللّه للّه لا لرغبه و لا لرهبه بل لأنّه هو مستحقّ العباده و هى عباده العارفين،و أشار عليه السّلام إليها فى موضع آخر فقال عليه السّلام:ما عبدتك خوفا من عقابك و لا طمعا فى ثوابك بل وجدتك أهلا للعباده فعبدتك.

۲۲۴-و قال عليه السّلام:

اشاره

اَلْمَرْأَهُ شَرٌّ كُلُّهَا وَ شَرُّ مَا فِيهَا أَنَّهُ لاَ بُدَّ مِنْهَا

المعنى

و أراد أنّ أحوالها كلّها شرّ على الرجل:أمّا من جهه مئونتها فظاهر،و أمّا من جهه لذّتها و استمتاعه بها فلاستلزام ذلك البعد عن اللّه تعالى و الاشتغال عن طاعته.

و أسباب الشرّ شرور و إن كانت عرضيّه.و لمّا كان كونها لابدّ منها أعنى وجوب الحاجه إليها فى طبيعه الوجود الدنيوىّ هو السبب فى تحمّل الرجل للمرأه و وقوعه فى شرورها وجب أن يكون ذلك الاعتبار أقوى الشرور المتعلّقه بها لأنّ السبب أقوى من المسبّب.

۲۲۵-و قال عليه السّلام:

اشاره

مَنْ أَطَاعَ التَّوَانِىَ ضَيَّعَ الْحُقُوقَ- وَ مَنْ أَطَاعَ الْوَاشِىَ ضَيَّعَ الصَّدِيقَ

المعنى

الانقياد فى سلك التوانى عن الحقوق المطلوبه يخرجها عن وقت الفرصه لحصولها و ذلك يستلزم تضييعها و تفويتها،و كذلك لواشى مظنّه السعى بالفساد بين المتصادقين فطاعته فيما يقول مظنّه وقوع الوحشه بينهما و تضييع كلّ منهما لصاحبه.

۲۲۶-و قال عليه السّلام:

اشاره

اَلْحَجَرُ الْغَصْبُ اَلْغَصِيبُ فِى الدَّارِ رَهْنٌ عَلَى خَرَابِهَا

المعنی

استعاره استعار لفظ الرهن للحجر المغصوب فی دار الظالم باعتبار کونه سببا لخرابها کما أنّ الرهن سبب لأداء ما علیه من المال و هو کنایه عن مطلق استلزام الظلم

ص:۳۶۱

لهلاک الظالم و خراب ما یبنیه بظلم و إن تأخّر أمده،و قد عرفت کون الظلم معدّا لذلک.و نحوه قول الرسول صلّی اللّه علیه و آله:اتّقوا الحرام فی البنیان فإنّه أسباب الخراب .

۲۲۷-و قال علیه السّلام:

اشاره

یَوْمُ الْمَظْلُومِ عَلَی الظَّالِمِ- أَشَدُّ مِنْ یَوْمِ الظَّالِمِ عَلَی الْمَظْلُومِ

المعنی

و أراد بیوم المظلوم یوم القیامه و خصّصه به لأنّه یوم إنصافه و أخذ حقّه و کذلک تخصیص یوم الظالم بوقت ظلمه لأنّه فی الدنیا.

۲۲۸-و قال علیه السّلام:

اشاره

اِتَّقِ اللَّهَ بَعْضَ التُّقَی وَ إِنْ قَلَّ- وَ اجْعَلْ بَیْنَکَ وَ بَیْنَ اللَّهِ سِتْراً وَ إِنْ رَقَّ

المعنی

أمر بالتقوی لأنّها الزاد إلی اللّه،و لمّا کان الاستکثار منها مستلزما للقرب من اللّه و سرعه الوصول إلیه کان الأولی کثرتها و إلّا فالبعض منها و إن قلّ لأنّ لها الأقلیّه و الأکثریّه و الأشدیّه و الأضعفیّه و لا یجوز ترک الزاد بالکلیّه فی الطریق الصعبه الطویله. استعاره و استعار لفظ الستر لحدود اللّه الساتره من عذابه و أمر أن یجعلها بینه و بین اللّه:أی یحفظ حدوده و لا یهتکها فیقع فی مهاوی الهلاک فغلظ الستر شدّه المحافظه علی حدود اللّه و عدم استیفاء المباحات لخوف الوقوع فی الحرام و رقّته باستیفاء الامور الجائزه من المباحات و المکروهات .

۲۲۹-و قال علیه السّلام:

اشاره

إِذَا ازْدَحَمَ الْجَوَابُ خَفِیَ الصَّوَابُ

المعنی

أی إذا سئل عن مسأله فأجاب جماعه کلّ بما یخطر له فی المسأله أو شخص بعدّه من الأجوبه خفی الصواب فیها لالتباس الحقّ

من تلك الأجوبه و أكثر ما يكون ذلك فى المسائل الاجتهاديّه.و ازدحامه:كثرته.

۲۳۰-و قال عليه السّلام:

اشاره

إِنَّ لِلَّهِ فِی کُلِّ نِعْمَهٍ حَقّاً- فَمَنْ أَدَّاهُ زَادَهُ مِنْهَا-

ص:۳۶۲

وَ مَنْ قَصَّرَ فِیهِ خَاطَرَ بِزَوَالِ نِعْمَتِهِ

المعنی

حقّ اللّه فی النعمه شکرها الواجب،و أمّا استلزام أدائه للمزید منها و کون التقصیر مظنّه زوالها فلقوله تعالی «لَئِنْ شَکَرْتُمْ لَأَزِیدَنَّکُمْ» (۱)الآیه.و رغّب فی الشکر و نفّر عن الکفران بذکر کون ذلک حقّا للّه.و قد مرّ بیانه مرارا.

۲۳۱-و قال علیه السّلام:

اشاره

إِذَا کَثُرَتِ اَلْمَقْدِرَهُ قَلَّتِ الشَّهْوَهُ

المعنی

لأنّ قلیل القدره علی ما یشتهیه لا یزال مستشعر لخوف فواته عند حصوله.

فیکون ذلک الخوف معاقبا للذّته به فلا یزال فی قلبه دغدغه نفسانیّه تحمله علی مشتهاه و تبعث شهوته علیه.أمّا إذا تمّت قدرته علیه فإنّه یأمن فوته و بحسب ذلک یضعف الباعث للشهوه فیقلّ لجاجه علیه و شهوته له.

۲۳۲-و قال علیه السّلام:

اشاره

اِحْذَرُوا نِفَارَ النِّعَمِ فَمَا کُلُّ شَارِدٍ بِمَرْدُودٍ

المعنی

استعاره استعار لفظ النفار و الشرود لزوال النعم ملاحظه لشبهها بالنعم .و حذّر منه حثّا علی تقییدها بالشکر،و نبّه علی وجوب ذلک الحذر بقوله:فما کلّ.إلی آخره.و هو صغری ضمیر تقدیرها:الشارد جاز أن لا یردّ،و تقدیر کبراه:و کلّما جاز أن لا یردّ لم یجز تنفیره.

۲۳۳-و قال علیه السّلام:

اشاره

اَلْکَرَمُ أَعْطَفُ مِنَ الرَّحِمِ

المعنی

أی أشدّ عطفا.و یفهم منه أحد معنیین:

الأوّل:أنّ الکریم بکرمه أعطف علی المنعم علیه من ذی الرحم علی ذی رحمه لأنّ عاطفه الکریم طبع و عاطفه ذی الرحم قد یکون تکلّفا و قد لا یکون أصلا.

الثانی:أنّ الکرم یستلزم عاطفه الخلق علی الکریم و محبّتهم له أشدّ من عاطفه ذی الرحم علی رحمه.

ص:۳۶۳

۱- ۱) ۷-۱۴.

۲۳۴–و قال علیه السّلام:

اشاره

مَنْ ظَنَّ بِکَ خَیْراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ

المعنی

أی افعل ما ظنّه فیک من خیر،و تصدیق الظنّ مطابقه الواقع الّذی ظنّ وقوعه له بوقوعه.و ذلک حثّ علی فعل الخیر.

۲۳۵–و قال علیه السّلام:

اشاره

أَفْضَلُ اَلْأَعْمَالِ مَا أَکْرَهْتَ نَفْسَکَ عَلَیْهِ

المعنی

أراد من الأعمال الصالحه.و أفضلها أنفعها و أکثرها استلزاما للثواب.و إنّما کان کذلک لأنّ فائده الأعمال الصالحه تطویع النفس الأمّاره للنفس المطمئنّه و ریاضتها بحیث تصیر مؤتمره للعقل و إکراه النفس علی الأمر یکون لشدّته فکلّما کان أشدّ کان أقوی فی ریاضتها و أنفع فی تطویعها و کسرها و بحسب ذلک یکون أکثر منفعه فکان أفضل،و نحوه من الحدیث قوله صلّی اللّه علیه و آله:أفضل الأعمال أحمزها بالزای المعجمه:أی أشقّها.

۲۳۶–و قال علیه السّلام:

اشاره

عَرَفْتُ اَللَّهَ سُبْحَانَهُ بِفَسْخِ اَلْعَزَائِمِ- وَ حَلِّ اَلْعُقُودِ

المعنی

أراد معرفه وجوده تعالی.و وجه الاستدلال أنّ الإنسان قد یعزم علی أمر و یعقد ضمیره علی فعله بحسب ما یتصوّره من المنفعه الداعیه إلیه.ثمّ عن قریب ینحلّ ذلک العزم و ینفسخ ذلک العقد لزوال ذلک الداعی أو لخاطر معارض له.

إذا عرفت ذلک فنقول:تلک التغیّرات و الخواطر المتعاقبه المرجّحه لفعل الأمر المعزوم علیه امور ممکنه محتاجه فی طرفی وجودها و عدمها إلی المرجّح و المؤثّر.فمرجّحها إن کان من العبد کان الکلام فیه کالکلام فی الأوّل و لزم الدور أو التسلسل و هما محالان فلا بدّ من الانتهاء إلی اللّه تعالی مقلّب القلوب و الأبصار.

و ذلک هو المطلوب.

ص:۳۶۴

۲۳۷–و قال عليه السّلام:

اشاره

مَرَارَهُ الدُّنْيَا حَلاَوَهُ الْآخِرَهِ- وَ حَلاَوَهُ الدُّنْيَا مَرَارَهُ الْآخِرَهِ

المعنى

أى مستلزمه لها. استعاره و استعار لفظى الحلاوه و المراره للذّه و الألم،و ظاهر أنّ آلام الدنيا اللازمه عن ترك لذّاتها و عدم الالتذاذ بها طلبا للآخره و شوقا إلى ثوابها مستلزمه لحلاوه الآخره و لذّاتها،و كذلك الابتهاج للذّات الدنيا يستلزم الغفله عن الآخره و ترك العمل لها و ذلك مستلزم لعذابها و مستعقب لشقاوتها .

۲۳۸–و قال عليه السّلام:

اشاره

فَرَضَ اللَّهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيراً مِنَ الشِّرْكِ- وَ الصَّلاَهَ تَنْزِيهاً عَنِ الْكِبْرِ- وَ الزَّكَاهَ تَسْبِيباً لِلرِّزْقِ- وَ الصِّيَامَ ابْتِلاَءً لِإِخْلاَصِ الْخَلْقِ- وَ الْحَجَّ تَقْوِيَهًتَقْرِبَهً لِلدِّينِ- وَ الْجِهَادَ عِزّاً لِلْإِسْلاَمِ- وَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَهً لِلْعَوَامِّ- وَ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ رَدْعاً لِلسُّفَهَاءِ- وَ صِلَهَ الرَّحِمِ مَنْمَاهً لِلْعَدَدِ- وَ الْقِصَاصَ حَقْناً لِلدِّمَاءِ- وَ إِقَامَهَ الْحُدُودِ إِعْظَاماً لِلْمَحَارِمِ- وَ تَرْكَ شُرْبِ الْخَمْرِ تَحْصِيناً لِلْعَقْلِ- وَ مُجَانَبَهَ السَّرِقَهِ إِيجَاباً لِلْعِفَّهِ- وَ تَرْكَ الزِّنَى اَلزِّنَا تَحْصِيناً لِلنَّسَبِ- وَ تَرْكَ اللِّوَاطِ تَكْثِيراً لِلنَّسْلِ- وَ الشَّهَادَاتِ اسْتِظْهَاراً عَلَى الْمُجَاحَدَاتِ- وَ تَرْكَ الْكَذِبِ تَشْرِيفاً لِلصِّدْقِ- وَ السَّلاَمَ أَمَاناً مِنَ الْمَخَاوِفِ- وَ الْأَمَانَهَ نِظَاماً لِلْأُمَّهِ- وَ الطَّاعَهَ تَعْظِيماً لِلْإِمَامَهِ

الفرائض و عللها الغائيه

اشاره

أقول:أشار عليه السّلام إلى فرائض اللّه،و نبّه على عللها الغائيّه فى الحكمه ليكون

أوقع لذكرها فى النفوس.و ذكر منها تسع عشره فريضه:

الاولى:بدء بالايمان.

لأنّه الأصل لجميع الفرائض و السنن،و جعل من أغراضه التطهير عن الشرك،و لمّا كان للتطهير من الشرك غايه مطلوبه للشارع و هى كمال النفس بمعرفه اللّه تعالى كان التطهير غايه غرضه من الايمان .

الثانيه:الصلاه.

و لمّا كان وضعها لتطويع النفس الأمّاره الّتى هى مبدء الكبر للنفس المطمئنّه،و رياضتها،و قهرها لا جرم كان من غاياتها تنزيه الإنسان عن الكبر .

الثالثه:الزكاه.

و ذكر من غايات فرضها كونها سببا للرزق.إذ كان منها رزق الفقراء و المساكين و من عيّنتها الشريعه حقّا له .

الرابعه:الصيام.

و لمّا كان من الشدائد الشاقّه على الأبدان خصّه بأنّ غايته كونه ابتلاء من اللّه لإخلاص خلقه و إن كانت هذه غايه من كلّ العبادات .

الخامسه:الحجّ

.و إنّما جعل غايته كونه تقويه للدين لأنّه عباده تستلزم اجتماع أكثر أهل الملّه فى مجمع واحد على غايه من الذلّه و الخضوع و الانقياد للّه، و مشاهده كلّ من الخلق الحاضرين لذلك الجمع العظيم من الملوك و غيرهم فيتأكّد فى قلبه قوّه الدين فى عظمته دون ساير العبادات .

السادسه:الجهاد.

و كون غايته عزّ الإسلام و قوّته ظاهر .

السابعه:الأمر بالمعروف.

و غايته إصلاح أحوال العوامّ فى معاشهم و معادهم.

و خصّ العوامّ لأنّهم أغلب الخلق،و لأنّ من عداهم هم العلماء و الولاه الآمرون بالمعروف الفاعلون له .

الثامنه:النهى عن المنكر.

و كون غايته ردع السفهاء ظاهر.لأنّ السفيه ما لم يكن له ردع من سلطان الدين يكثر مفسدته المضادّه لمصلحه العالم .

الثامنه:صله الأرحام.

و من غايتها كونها منماه للعدد:أى عدد اولى الرحم.

إذ زياده عددهم باستقامه أمر معاشهم.و صله الرحم سبب لذلك .

التاسعه:القصاص.

و غايته حقن الدماء و الكفّ عن سفكها لخوف المكافاه

ص:۳۶۶

كقوله تعالى «وَ لَكُمْ فِى الْقِصاصِ حَياةٌ» (۱)و قولهم:القتل أنفى للقتل .

العاشره:إقامه حدود اللّه.

و غايتها إعظام حرمات محارم اللّه كى لا تنتهک و تنحرف الخلق إليها عن قصد السبيل فيضيّع غرض الشارع من وضع الدين .

الحاديه عشر:ترک شرب الخمر.

و غايته تحصين العقل من محاصرتها و إشغاله عمّا خلق له من طلب الاستكمال لكمال الحكمه .

الثانيه عشر:مجانبه السرقه.

و غايتها إيجاب العفّه.إذا السرقه ينشأ عن كمال طاعه الشهوه و العبور فيها إلى حدّ الإفراط و الفجور.فكان من غايات تحريمها وقوف من فى طباعه ذلک على حدّ العفّه .

الثالثه عشر:ترک الزنا.

و من غاياته حفظ الأنساب و ما يتبعها من المواريث.

فإنّ الزنا يوجب اختلاط الأنساب و ضياع الأموال الّتى هى قوام الخلق فى الدنيا.

و قد سبق سرّه .

الرابعه عشر:ترک اللواط.

و غايته تكثير النسل و توفير مادّته على محالّه لغايه كثره النوع و بقائه .

الخامسه عشر:الشهادات.

و غايتها استظهار المستشهد على مجاهده خصمه كى لا يضيّع لو لم يكن بينهما شاهد .

السادسه عشر:ترک الكذب.

و من غایاته تشریف الصدق و تعظیمه بتحریم ضدّه لبناء مصلحه العالم علیه و نظام امور الخلق به.و قد سبق بیان مفاسد الکذب الموجب لتحریمه .

السابعه عشر:الإسلام.

و من غایاته الأمن من مخاوف الدنیا لصوله الإسلام علی سائر الأدیان،و من مخاوف الآخره و هو ظاهر.و روی:السّلام.و لمّا کان سببا للتودّد إلی الخلق کان أمنا من مخاوفهم .

الثامنه عشر:الإمامه.

و غایه فرضها کونها نظاما لأمر الامّه.إذا الخلق متی

۱- ۱) ۱۷۵-۲

كان لهم رئيس منبسط اليد قویّ الشوکه یردع الظالم عن ظلمه و یأخذ للمظلوم بحقّه کان بذلک صلاح أحوالهم و نظام امورهم فی معاشهم و معادهم،و لا کذلک إذا لم یکن مثل ذلک الرئیس .

التاسعه عشر:طاعه الإمام و غایه فرضها تعظیم إمامه

الإمام لغایه امتثال الخلق لقوله،و الاقتداء به.و قد سبقت الإشاره إلی أسرار کثیر من هذه الفرائض مفصّله.

۲۳۹-و قال علیه السّلام:

اشاره

یقول: أَحْلِفُوا الظَّالِمَ إِذَا أَرَدْتُمْ یَمِینَهُ- بِأَنَّهُ بَرِیءٌ مِنْ حَوْلِ اللَّهِ وَ قُوَّتِهِ- فَإِنَّهُ إِذَا حَلَفَ بِهَا کَاذِباً عُوجِلَ- الْعُقُوبَهَوَ إِذَا حَلَفَ بِ «اللَّهُ الَّذِی لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ» لَمْ یُعَاجَلْ- لِأَنَّهُ قَدْ وَحَّدَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَی

المعنی

قد یری المجتهد تأکید الیمین بمثل ما ذکر علیه السّلام لغایه نکول الکاذب عنها و أداء الحقّ،و ذلک أنّ نفس الکاذب ینفعل عن مثل هذا اللفظ لعلمه بظلمه و توهّمه تصدیق اللّه تعالی و مطابقته لقوله بفعل المدعوّ به بخلاف الیمین المعتاده فیستعدّ بذلک لمعاجلته بالعقوبه.و روی أنّ واشیا سعی بالصادق علیه السّلام إلی المنصور فاستحضره و قال:إنّ فلانا ذکر عنک کذا و کذا.فقال علیه السّلام:لم یکن ذلک منّی.و أبی الساعی إلاّ کونه منه.فحلّفه الصادق بالبراءه من حول اللّه و قوّته إن کان کاذبا.فحلف.فما انقطع کلامه حتّی أصیب بالفالج فصار کقطعه لحم فجرّ برجله.

و نجا الصادق منه.

۲۴۰-و قال علیه السّلام:

اشاره

یَا ابْنَ آدَمَ کُنْ وَصِیَّ نَفْسِکَ- فِی مَالِکَ وَ اعْمَلْ فِیهِ مَا تُؤْثِرُ أَنْ یُعْمَلَ فِیهِ مِنْ بَعْدِکَ

المعنی

أی کما توصی من بعدک أن یوضع مالک موضع القربات و انتفاع أهلک به فکن أنت ذلک الوصیّ وضعه تلک المواضع فی حیاتک.و هو حثّ علی بذل المال فی وجهه،

۲۴۱–و قال علیه السّلام:

اشاره

اَلْحِدَّهُ ضَرْبٌ مِنَ الْجُنُونِ- لِأَنَّ صَاحِبَهَا یَنْدَمُ- فَإِنْ لَمْ یَنْدَمْ فَجُنُونُهُ مُسْتَحْکِمٌ

المعنی

لمّا کان الجنون حاله مخصوصه تعرض للإنسان بسبب خروج القوی النفسانیّه عن قبول تصرّف العقل إلی طرفی الإفراط و التفریط کانت الحدّه خروج قوّه الغضب عن ضبط العقل لها علی قانون العدل الإلهیّ إلی طرف الإفراط کانت قسما من الجنون و ینفصل الحدّه بالرجوع فی الغضب إلی طاعه العقل.

۲۴۲–و قال علیه السّلام:

اشاره

صِحَّهُ الْجَسَدِ مِنْ قِلَّهِ الْحَسَدِ

المعنی

أی أنّ الحسد قد یکون أیضا بالصحّه کما یکون بغیرها فیفعل فیها و ذلک هو الحسد البالغ.فکانت صحّه الجسد دلیلا علی أقلیّه الحسد إذ لم یتعلّق بها.

۲۴۳–و قال علیه السّلام لکمیل بن زیاد النخعی:

اشاره

یا؟کُمَیْلُ؟ مُرْ أَهْلَکَ أَنْ یَرُوحُوا فِی کَسْبِ الْمَکَارِمِ- وَ یُدْلِجُوا فِی حَاجَهِ مَنْ هُوَ نَائِمٌ- فَوَالَّذِی وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ- مَا مِنْ أَحَدٍ أَوْدَعَ قَلْباً سُرُوراً- إِلاَّ وَ خَلَقَ اللَّهُ لَهُ مِنْ ذَلِکَ السُّرُورِ لُطْفاً- فَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ نَائِبَهٌ جَرَی إِلَیْهَا کَالْمَاءِ فِی انْحِدَارِهِ- حَتَّی یَطْرُدَهَا عَنْهُ کَمَا تُطْرَدُ غَرِیبَهُ الْإِبِلِ

اللغه

الإدلاج : السیر باللیل .و النائبه : المصیبه

المعنی

، تشبیه و أراد أنّ إدخال السرور علی قلب ذی الحاجه بقضائها یجعله اللّه سببا یلطف به لقاضی الحاجه و یقیه بها من مصیبه تعرض له،و یشبه أن یکون ذلک اللطف هو إخلاص ذی الحاجه و متعلّقیه فی إمداده و معونته بدعاء اللّه له و شکره و ثنائه و استجلاب قلوب الخلق بذلک له و کلّ ذلک لطف یعدّه اللّه لوقایته له و طرد المصائب عنه،و شبّه جری ذلک اللطف إلی دفع المکروه عنه بجری الماء فی انحداره ،و وجه الشبه سرعه الانحدار للدفع و الحفظ

لأنّه من أمر اللّه.و ما أمرنا إلّا واحده كلمح بالبصر،و كذلك دفع ذلك اللطف للنائبه بطرد غريبه الإبل ،و وجه الشبه شدّه الطرد و الإبعاد،و باقى الفصل ظاهر .

۲۴۴-و قال عليه السّلام:

اشاره

إِذَا أَمْلَقْتُمْ فَتَاجِرُوا اللَّهَ بِالصَّدَقَهِ

اللغه

و الإملاق : الفقر .

المعنى

استعاره و قد مرّ أنّ الصدقه تعدّ للمزيد من فضل اللّه.فأمر الفقراء أن يتصدّقوا بما عساه يقع فى أيديهم و لو بشقّ تمره ليستعدّوا بذلك لإفاضه فضل اللّه،و رغّبهم فى ذلك بذكر التجاره و هى استعاره لاستعاضه ما يحصل عمّا يبذل.و الفقراء أولى باستجلاب الرزق بالصدقه من الأغنياء لانفعال القلوب لهم و رقّتها عليهم و لما يسبق إلى أذهان الخلق أنّ ذلك منهم عن إخلاص دون الأغنياء .

۲۴۵-و قال عليه السّلام:

اشاره

اَلْوَفَاءُ لِأَهْلِ الْغَدْرِ غَدْرٌ عِنْدَ اللَّهِ- وَ الْغَدْرُ بِأَهْلِ الْغَدْرِ وَفَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ

المعنى

و ذلك أنّ من عهد اللّه فى دينه الغدر و عدم الوفاء لهم إذا غدروا لقوله تعالى «وَ إِمّا تَخافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيانَهً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلى سَواءٍ إِنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ الْخائِنِينَ» (۱)قيل نزلت فى يهود بنى قينقاع و كان بينهم و بين الرسول صلّى اللّه عليه و آله عهد فعزموا على نقضه فأخبره اللّه تعالى بذلك و أمره بحربهم و مجازاتهم بنقض عهدهم فكان الوفاء لهم غدرا بعهد اللّه.و الغدر بهم إذا غدروا وفاء بعهد اللّه.

فصل نذكر فيه شيئا من اختيار غريب كلامه

اشاره

المحتاج إلی التفسیر

۱-فی حدیثه علیه السّلام:

اشاره

فَإِذَا کَانَ ذَلِکَ ضَرَبَ یَعْسُوبُ الدِّینِ بِذَنَبِهِ- فَیَجْتَمِعُونَ إِلَیْهِ کَمَا یَجْتَمِعُ

ص:۳۷۰

۱- ۱) ۶۰-۸.

قَزَعُ الْخَرِيفِ قال الرضی:الیعسوب:السید العظیم المالک لأمور الناس یومئذ، و القزع:قطع الغیم التی لا ماء فیها.

المعنی

استعاره أقول:أومیء بقوله ذلک إلی علامات ذکرها فی آخر الزمان لظهور صاحب الأمر،و استعار له لفظ الیعسوب و هو فی الأصل أمیر النحل ملاحظه لشبهه به استعاره-کنایه فأمّا ضربه بذنبه فقیل فیه أقوال:

أحدها:أنّ الضرب هو السیر فی الأرض،و ذنبه استعاره فی أعوانه و أتباعه.

و الباء للاستصحاب.

الثانی:لمّا کان ضرب النحل بذنبه لسعه کنّی بذلک عن نصب سیوفه و سهامه فی أعدائه لقتلهم و أذاهم.

الثالث:أنّه کنایه عن ثورانه و غضبه لدین اللّه ملاحظه لشبهه بالسبع حال صولته و غضبه،و هذا الوجه أشبه الثلاثه .

تشبیه و شبّه اجتماع المؤمنین و أهل طاعه اللّه باجتماع قطع الغیم المتفرّقه .و وجه الشبه سرعه الاجتماع لأنّ قزع الخریف سریع التألیف .

۲-و فی حدیثه علیه السّلام:

اشاره

هَذَا الْخَطِیبُ الشَّحْشَحُ

المعنی

یرید الماهر بالخطبه الماضی فیها،و کلّ ماض فی کلام أو سیر فهو شحشح، و الشحشح فی غیر هذا الموضع:البخیل الممسک.

یروی أنّه رأی خطیبا یخطب فقال:ما هذا الخطیب الشحشح:أی الماهر فی خطبته.

۳–و فی حدیثه علیه السّلام:

اشاره

إِنَّ لِلْخُصُومَهِ قُحَماً

المعنی

یرید بـالقحم المهالـک،لأنّهـا تقحم أصـحابها فی المهالـک و المتالف فی الأکثر، و من ذلک«قحمه الأعراب»و هو أن تصـیبهم السنه فتتعرق أموالهم فذلک تقحمها فیهم.و قیل فیه وجه آخر،و هو أنها تقحمهم بلاد الریف،أی:

تحوجهم إلی دخول الحضر عند محول البدو.

هذا ما قاله السـید-رحمه اللّه-و أقول:یروی أنّه علیه السّـلام و کلّ أخاه فی خصومه،و قال:إنّ لها لقحما و إنّ الشیطان یحضرها.و القحم:المهالک.و ذلک أنّها مظنّه ثوران الفتنه الغضبیّه و الخروج عن حدّ العدل فیها إلی رذیله الإفراط الّتی هی مظنّه الهلاک.

۴–و فی حدیثه علیه السّلام:

اشاره

إِذَا بَلَغَ النِّسَاءُ نَصَّ الْحِقَاقِ فَالْعَصَبَهُ أَوْلَی

المعنی

تشبیه-اسـتعاره و النص :منتهی الأشیاء و مبلغ أقصاها کالنص فی السیر لأنه أقصی ما تقدر علیه الدابه.و تقول:نصصت الرجل عن الأمر،إذا استقصـیت مسألته عنه لتسـتخرج ما عنده فیه.فنص الحقاق یرید به الادراک لأنه منتهی الصـغر و الوقت الذی یخرج منه الصـغیر إلی حد الکبیر،و هو من أفصح الکنایات عن هذا الأمر و أغربها.یقول،فاذا بلغ النساء ذلک فالعصبه أولی بالمرأه من أمها إذا کـانوا محرمـا مثـل الأـخوه و الأعمـام،و بتزویجهـا إن أرادوا ذلـک و الحقـاق محـاقه الأـم للعصـبه فی المرأه و هو الجـدال و الخصومه و قول کل واحد منهما للآخر«أنا أحق منک بهذا»یقال منه:حاققته حقاقا،مثل جادلته

جدالا.و قد قيل:إن«نص الحقاق»بلوغ العقل،و هو الادراك،لأنه عليه السّلام إنما أراد منتهى الأمر الذى تجب فيه الحقوق و الأحكام،و من رواه«نص الحقائق»فانما أراد جمع حقيقه.

هذا معنى ما ذكره أبو عبيد[القاسم بن سلام]و الذى عندى أن المراد بنص الحقاق ههنا بلوغ المرأه إلى الحد الذى يجوز فيه تزويجها و تصرفها فى حقوقها،تشبيها بالحقاق من الابل،و هى جمع حقه و حق،و هو الذى استكمل ثلاث سنين و دخل فى الرابعه،و عند ذلك يبلغ إلى الحد الذى يتمكن فيه من ركوب ظهره،و نصه فى السير،و الحقائق أيضا:جمع حقه.فالروايتان جميعا ترجعان إلى معنى واحد،و هذا أشبه بطريقه العرب من المعنى المذكور و أقول:الّذى ذكره السيّد أنسب إلى كلام العرب كما قال.غير أنّ نصّ الحقاق استعاره لا تشبيه و إن كانت الاستعاره تعتمد التشبيه.و العصبه:بنو الرجل و قرابته لأبيه سمّوا بذلك لأنّهم عصبوا به و علّقوا عليه.و قيل:يحتمل أن يراد بالنصّ الارتفاع.يقال:نصّت الضبّه رأسها:إذا رفعته،و منه منصّه العروس لارتفاعها عليها.و تكون قد استعار لفظ الحقاق لأثداء الصغيره إذ انهدت و ارتفعت لشبهها بالحقه صوره:أى إذا بلغن حدّ ارتفاع أثدائهنّ كانت العصبه أولى بهنّ من الامّ لأنّه وقت إدراكهنّ و علامه صلاحيّتهنّ للتزويج .

۵-و فى حديثه عليه السّلام:

اشاره

إِنَّ الْإِيمَانَ يَبْدُو لُمْظَةً فِى الْقَلْبِ- كُلَّمَا ازْدَادَ الْإِيمَانُ ازْدَادَتِ اللُّمْظَةُ و اللمظه مثل النكته أو نحوها من البياض.و منه قيل:فرس ألمظ،إذا كان بجحفلته شىء من البياض.

المعنی

و أقول:أراد أنّ الإیمان و هو التصدیق بوجود الصانع تعالی أوّل ما یکون فی النفس یکون حاله ثمّ لا یزال یتأکّد بالبراهین و الأعمال الصالحه إلی أن یصیر ملکه تامّه، استعاره و لفظ اللمظه استعاره لما یبدو من نور الإیمان فی النفس أوّل کونه ملاحظه لشبهه باللمظه من البیاض و النکته من نور الشمس .و نصب لمظه علی التمییز.

و الجحفله من الفرس هی المسمّاه من الإنسان شفه.

۶-و فی حدیثه علیه السّلام:

اشاره

إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا کَانَ لَهُ الدَّیْنُ الظَّنُونُ- یَجِبُ عَلَیْهِ أَنْ یُزَکِّیَهُ لِمَا مَضَی إِذَا قَبَضَهُ

المعنی

فالظنون الذی لا یعلم صاحبه أیقضیه من الذی هو علیه أم لا،فکانه الذی یظن به فمره یرجوه و مره لا یرجوه.و هذا من أفصح الکلام،و کذلک کل أمر تطلبه و لا تدری علی أی شیء أنت منه فهو ظنون و علی ذلک قول الأعشی ما یجعل الجد الظّنون الّذی جنّب صوب اللّجب الماطر

مثل الفراتیّ إذا ما طاما یقذف بالبوصی و الماهر

و الجد:البئر و الظنون:التی لا یعلم هل فیها ماء أم لا.

قیل:یقول علیه السّلام:إذا کان لک مثلا عشرون دینارا دینا علی رجل،و قد أخذها منک و وضعها کما هی من غیر تصرّف فیها و أنت تظنّ إن استرددتها منه ردّها إلیک فإذا مضی علیها أحد عشر شهرا و استهلّ هلال الثانی عشر وجبت زکاتها علیک.و اللجب فی قول الأعشی هو السحاب المصوّت ذو الرعد.و أراد بالفراتیّ الفرات،و الیاء للتأکید کقولهم:و الدهر بالإنسان دواریّ:أی دوّار.و یحتمل أن یرید نهر الفراتیّ.و البوصیّ:ضرب من صغار السفن.و الماهر:السابح،و مراده أنّه لا یقاس البئر الّذی یتشکّک هل فیه ماء أم لا لبعده بالفرات إذا ماطما.و هو کالمثل لعدم مساواه البخیل للکریم.

۷–و فی حدیثه علیه السّلام:

اشاره

أَنَّهُ شَيَّعَ جَيْشاً يُغْزِيهِ بِغَزْيَةٍ فَقَالَ اعْذِبُوا عَنِ النِّسَاءِ مَا اسْتَطَعْتُمْ

المعنی

و معناه اصدفوا عن ذکر النساء و شغل القلب بهن،و امتنعوا من المقاربه لهن،لأن ذلک یفت فی عضد الحمیه و یقدح فی معاقد العزیمه، و یکسر عن العدو،و یلفت عن الابعاد فی الغزو،و کل من امتنع من شیء فقد أعذب عنه.و العاذب و العذوب:الممتنع من الأکل و الشرب.

قوله:یفتّ فی عضد الحمیّه کنایه عن کسرها.

۸–و فی حدیثه علیه السّلام:

اشاره

كَالْيَاسِرِ الْفَالِجِ يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ

المعنی

الیاسرون:هم الذین یتضاربون بالقداح علی الجزور،و الفالج:القاهر و الغالب،یقال:فلج علیهم و فلجهم،و قال الراجز:

{ لما رأیت فالجا قد فلجا }

و أقول:قد مرّ شرحه فی قوله:أمّا بعد فإنّ الأمر ینزل من السماء إلی الأرض کقطر المطر.

۹–و فی حدیثه علیه السّلام:

اشاره

كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا؟بِرَسُولِ اللَّهِ؟- ص فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ

المعنی

و معنی ذلک أنّه إذا عظم الخوف من العدو و اشتد عضاض الحرب

ص:۳۷۵

فزع المسلمون إلى قتال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

و قوله«إذا احمر الباس»كنايه عن اشتداد الأمر،و قد قيل فى ذلك أقوال أحسنها:أنه شبه حمى الحرب بالنار التى تجمع الحراره و الحمره بفعلها و لونها،و مما يقوى ذلك قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و قد راى مجتلد الناس يوم حنين و هى حرب هوازن:«الآن حمى الوطيس» فالوطيس:مستوقد النار،فشبه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم ما استحر من جلاد القوم باحتدام النار و شده التهابها.

استعاره و أقول:استعار وصف احمرار البأس لشدّته ملاحظه لشبهه بالنار الموقده .

و قد مرّ مثل ذلك فى بعض كتبه عليه السّلام.

۲۴۶-و قال عليه السّلام

اشاره

لما بلغه إغاره أصحاب معاويه على الأنبار:

فخرج بنفسه ماشيا حتى أتى النخيله فأدركه الناس،و قالوا:يا أمير المؤمنين، نحن نكفيكهم،فقال:مَا تَكْفُونَنِي أَنْفُسَكُمْ- فَكَيْفَ تَكْفُونَنِي غَيْرَكُمْ- إِنْ كَانَتِ الرَّعَايَا قَبْلِي لَتَشْكُو حَيْفَ رُعَاتِهَا- وَ إِنَّنِي فَإِنِّي الْيَوْمَ لَأَشْكُو حَيْفَ رَعِيَّتِي- كَأَنَّنِي الْمَقُودُ وَ هُمُ الْقَادَةُ- أَوِ الْمَوْزُوعُ وَ هُمُ الْوَزَعَهُ

المعنى

فلما قال عليه السّلام هذا القول فى كلام طويل قد ذكرنا مختاره فى جمله الخطب،تقدم إليه رجلان من أصحابه فقال أحدهما:إني لا أملك إلا نفسى و أخى فمر بأمرك يا أمير المؤمنين ننقد له فقال عليه السّلام: وَ أَيْنَ تَقَعَانِ مِمَّا أُرِيدُ أقول:هذا الفصل قد مرّ مشروحا فى الخطب.

ص:۳۷۶

و قيل إن الحارث بن حوت أتاه عليه السّلام فقال:أ ترانى أظن أصحاب الجمل كانوا على ضلاله؟.

فقال عليه السّلام:يا؟حَارِثُ؟إِنَّكَ نَظَرْتَ تَحْتَكَ وَ لَمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَ فَحِرْتَ إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ الْحَقَّ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ أَهْلَهُ- وَ لَمْ تَعْرِفِ الْبَاطِلَ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ فقال الحارث:فإنى أعتزل مع سعد بن مالك و عبد اللّه بن عمر؟فقال عليه السّلام:

إِنَّ؟سَعْداً؟و؟عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ؟ لَمْ يَنْصُرَا الْحَقَّ- وَ لَمْ يَخْذُلاَ الْبَاطِلَ قوله أ ترانى .استفهام إنكار لرؤيته كذلك.و رخّم حارث فى بعض النسخ .و قيل فى قوله: إنّك نظرت تحتك و لم تنظر فوقك :أى نظرت فى أعمال الناكثين من أصحاب الجمل المتمسّكين بظاهر الإسلام الّذينهم دونك فى المرتبه لبغيهم على إمام الحقّ فاغتررت بشبهتهم و اقتديت بهم و لم تنظر إلى من هو فوقك و هو إمامك الواجب الطاعه و من معه من المهاجرين و الأنصار و لا سمعت حكمهم بكون خصومهم على الباطل فكان ذلك سبب حيرتك.و يحتمل أن يكون نظره تحته كنايه عن نظره إلى باطل هؤلاء و شبهتهم المكتسبه عن محبّه الدنيا الّتى هى الجنبه السافله، كنايه و نظره فوقه كنايه عن نظره إلى الحقّ و تلقّيه من اللّه .

و قوله: إنّك :إلى آخره.

تفصيل لسبب حيرته و هو عدم معرفته للحقّ و الباطل المستلزم لجهله بأهلهما و لو عرفهما لجزم باتّباع الحقّ و اجتناب الباطل و هو فى قوّه صغرى ضمير تقدير كبراه:كلّ من كان كذلك وقع فى الحيره و الضلال.و سعد بن مالك هو سعد بن أبى وقاص فإنّه لمّا قتل عثمان اشترى أغناما و انتقل إلى الباديه و كان يتعيّش بتلك الأغنام حتّى مات و لم يشهد بيعه علىّ عليه السّلام.و أمّا عبد اللّه بن عمر فالتجأ

إلى أخته حفصه زوجه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله بعد ما بايع لأمير المؤمنين عليه السّلام و لكنّه لم يشهد معه حرب الجمل،و قال:قد أعجزتنى العباده عن الفروسه و المحاربه فلست مع علىّ و لا مع أعدائه .فأمّا قوله فى جوابه: إنّ سعدا ،إلى آخره فهو صغرى ضمير نبّه فيه على أنّه لا يجوز له متابعتهما فى الاعتزال و هى من المخيّلات المنفّره الّتى فى صوره الذمّ و إن كانت صادقه.و تقدير الكبرى:و كلّ من كان كذلك فلا يجوز متابعته.

۲۴۷–و قال عليه السّلام:

اشاره

صَاحِبُ اَلسُّلْطَانِ كَرَاكِبِ اَلْأَسَدِ- يُغْبَطُ بِمَوْقِعِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَوْضِعِهِ

المعنى

تشبيه أى يتمنّى موقعه و هو يعلم أنّه فى غايه من المخاطره بالنفس و التغرير بها، و ذلك هو وحه الشبه براكب الأسد .

۲۴۸–و قال عليه السّلام:

اشاره

أَحْسِنُوا فِي عَقِبِ غَيْرِكُمْ تُحْفَظُوا فِي عَقِبِكُمْ

المعنى

العقب من يخلفه الإنسان من الولد و أولادهم.و إنّما كان كذلك لأنّ المجازاه واجبه فى الطبيعه و لأنّ الذكر الجميل بذلك يعطف الناس على عقب المحسن من بعده.

۲۴۹–و قال عليه السّلام:

اشاره

إِنَّ كَلاَمَ اَلْحُكَمَاءِ إِذَا كَانَ صَوَاباً كَانَ دَوَاءً- وَ إِذَا كَانَ خَطَأً كَانَ دَاءً

المعنى

و ذلك لقوّه اعتقاد الخلق فيهم و شدّه قبولهم لما يقولونه فإن كان حقّا كان دواء من الجهل و إن كان باطلا أوجب للخلق داء الجهل.و لذلك قيل:زلّه العالم زلّه العالم.

۲۵۰–و سأله رجل أن يعرفه الايمان فقال عليه السّلام:

اشاره

إِذَا كَانَ غَدٌ الْغَدُ- فَأْتِنِی حَتَّی أُخْبِرَکَ عَلَی أَسْمَاعِ النَّاسِ- فَإِنْ نَسِيتَ مَقَالَتِی حَفِظَهَا عَلَيْکَ غَيْرُکَ- فَإِنَّ الْکَلاَمَ کَالشَّارِدَهِ يَنْقُفُهَا هَذَا وَ يُخْطِئُهَا هَذَا

المعنی

تشبیه و قد ذکرنا ما أجابه به فیما تقدم من هذا الباب و هو قوله«الایمان علی أربع شعب».

وجه تشبیه الکلام بالشارده من الابل قوله:ینقفها:أی یجدها فی ضلالها.إلی آخره.و الفصل ظاهر .

۲۵۱–و قال علیه السّلام:

اشاره

يَا ابْنَ آدَمَ لاَ تَحْمِلْ هَمَّ يَوْمِکَ الَّذِی لَمْ يَأْتِکَ عَلَی يَوْمِکَ الَّذِی قَدْأَتَاکَ- فَإِنَّهُ إِنْ يَکُ يَکُنْ مِنْ عُمُرِکَ يَأْتِ اللَّهُ فِيهِ بِرِزْقِکَ

المعنی

أی ینبغی أن یکون الاهتمام بحاجه کلّ یوم مخصوصا بذلک الیوم.و الکلمه صغری ضمیر نبّه به علی ترک الاهتمام بما لم یأته من الأیّام،و تقدیر الکبری:و کلّما کان کذلک فلا ینبغی الاهتمام له.

۲۵۲–و قال علیه السّلام:

اشاره

أَحْبِبْ حَبِيبَکَ هَوْناً مَا- عَسَی أَنْ يَکُونَ بَغِيضَکَ يَوْماً مَا- وَ أَبْغِضْ بَغِيضَکَ هَوْناً مَا- عَسَی أَنْ يَکُونَ حَبِيبَکَ يَوْماً مَا

المعنی

فایده هذه الکلمه الأمر بالاعتدال فی المحبّه و البغض و عدم الإفراط فیهما لما فی الإفراط من المفسده.و الهون:السکینه و الوقار و هو صفه مصدر محذوف:

أی حبّا هیّنا معتدلا.و–ما–فی الموضعین یفید شیئا ما فی الهون و الیوم،و إنّ الغرض منه مقدار دون الإفراط و وقت من الأوقات و إن لم یکن معیّنا.و نبّه علی سرّ ذلک بقوله:عسی.فی الموضعین و هما صغریا ضمیرین أمّا مفسده إفراط المحبّه فلاستلزامه

اطّلاع المحبّ لمحبوبه على أسراره و توقيفه على أحواله فربّما ينقلب بعد ذلك عدوّا له فيكون أقدر على هلاكه من غيره من الأعداء ،و كذلك مفسده إفراط البغض و هو عدم الإبقاء على المبغوض و ذلك يستلزم دوام المعاداه.فالاعتدال فى ذلك أولى لأنّه ربّما عاد العدوّ إلى الصداقه فكان المبغض قد أبقى للصداقه موضعا،و تقدير كبرى الأوّل:و كلّ حبيب جاز أن يكون عدوّا فى وقت ما فينبغى أن لا يفرط فى محبّته.و تقدير كبرى الثانى:و كلّ عدوّ جاز أن يكون صديقا يوما ما فينبغى أن لا يفرط فى بغضه.

۲۵۳-و قال عليه السّلام:

اشاره

اَلنَّاسُ فِى الدُّنْيَا عَامِلاَنِ- عَامِلٌ عَمِلَ فِى الدُّنْيَا لِلدُّنْيَا- قَدْ شَغَلَتْهُ دُنْيَاهُ عَنْ آخِرَتِهِ- يَخْشَى عَلَى مَنْ يَخْلُفُهُ الْفَقْرَ وَ يَأْمَنُهُ عَلَى نَفْسِهِ- فَيُفْنِى عُمْرَهُ فِى مَنْفَعَهِ غَيْرِهِ- وَ عَامِلٌ عَمِلَ فِى الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا- فَجَاءَهُ الَّذِى لَهُ مِنَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ عَمَلٍ- فَأَحْرَزَ الْحَظَّيْنِ مَعاً وَ مَلَكَ الدَّارَيْنِ جَمِيعاً- فَأَصْبَحَ وَجِيهاً عِنْدَ اللَّهِ- لاَ يَسْأَلُ اللَّهَ حَاجَهً فَيَمْنَعُهُ

المعنى

لمّا كان العمل فى هذه الحياه لا بدّ منه فعمل العاقل إمّا لها أو لغيرها و غيرها هو الآخره فإذن الناس عاملان،و أشار إلى الأوّل فى معرض ذمّه بقوله: قد شغلته دنياه .إلى قوله: غيره ،و معنى ذلك أنّه يشتغل بتحصيل الدنيا خوف الفقر على ولده من بعده فيفنى عمره فى منفعه يتخيّلها لغيره و لا يخشى الفقر الأكبر فى الآخره من الخيرات الباقيه على نفسه.و ذلك ضلال مبين .و أشار إلى الثانى فى معرض مدحه بقوله: و عامل .إلى قوله: فجاءه الّذى له من الدنيا :أى المكتوب له فى اللوح المحفوظ من رزق و نحوه.

و قوله: بغير عمل .

أى للدنيا لأنّ العمل بقدر الضروره من الدنيا ليس من العمل لها بل للآخره

ص:۳۸۰

و هو مقصود من الدنيا بالعرض،و بذلک یحرز حظّیه من الدنیا و الآخره،و یکون فی الدنیا ملکا بقناعته و فی الآخره بثمره أعماله و وجاهته عند اللّه و علوّ منزلته فی استعداده بطاعته المستلزم لقبول دعوته و إجابتها فیما سأل.

-۲۵۴

اشاره

و روی أنه ذکر عند عمر بن الخطاب فی أیامه حلی الکعبه و کثرته،فقال قوم:لو أخذته فجهزت به جیوش المسلمین کان أعظم للأجر و ما تصنع الکعبه بالحلی؟فهم عمر بذلک،و سأل أمیر المؤمنین علیه السّلام فقال علیه السّلام:

إِنَّ هَذَا؟الْقُرْآنَ؟ أُنْزِلَ عَلَى؟النَّبِيِّ ص؟ وَ الْأَمْوَالُ أَرْبَعَهٌ أَمْوَالُ الْمُسْلِمِينَ- فَقَسَّمَهَا بَيْنَ الْوَرَثَهِ فِي الْفَرَائِضِ- وَ الْفَيْءُ فَقَسَّمَهُ عَلَى مُسْتَحِقِّيهِ- وَالْخُمُسُ اَلْخُمْسُ فَوَضَعَهُ اللَّهُ حَيْثُ وَضَعَهُ- وَ الصَّدَقَاتُ فَجَعَلَهَا اللَّهُ حَيْثُ جَعَلَهَا- وَ كَانَ حَلْيُ؟الْكَعْبَهِ؟ فِيهَا يَوْمَئِذٍ- فَتَرَكَهُ اللَّهُ عَلَى حَالِهِ- وَ لَمْ يَتْرُكْهُ نِسْيَاناً وَ لَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ عَنْهُ مَكَاناً- فَأَقِرَّهُ حَيْثُ أَقَرَّهُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ فقال له عمر:لولاک لافتضحنا،و ترک الحلی بحاله.

المعنی

القصّه مشهوره و خلاصه حجّته علیه السّلام ضمیر أشار إلی صغراه و تقدیرها:

أنّ حلی الکعبه قد أقرّه اللّه علی حاله و رسوله من غیر نسیان له و لا جهل بمکانه مع تعرّضه لجمیع الأموال.و تقدیر الکبری:و کلّما أقرّه اللّه و رسوله علی حاله وجب الاقتداء بهما فی إقراره.و لذلک أمره بصوره النتیجه و هو قوله:فأقرّه اللّه و رسوله.و نسیانا نصب علی الحال،و مکانا علی التمیز.

-۲۵۵

اشاره

و روی أنّه علیه السّلام رفع إلیه رجلان سرقا من مال اللّه:

أحدهما عبد من مال اللّه،و الآخر من عرض الناس فقال علیه السّلام:

أَمَّا هَذَا فَهُوَ مِنْ مَالِ اللَّهِ وَ لاَ حَدَّ عَلَيْهِ- مَالُ اللَّهِ أَكَلَ بَعْضُهُ بَعْضاً- وَ أَمَّا الْآخَرُ فَعَلَيْهِ الْحَدُّ الشَّدِيدُ فَقَطَعَ يَدَهُ

المعنی

عرض الناس سايرهم و عامّتهم.و احتجّ للعبد بضمير صغراه قوله:فهو مال اللّه أكل بعضه بعضا.و تقدير كبراه:و كلّما كان كذلك فلا قطع عليه.و أمّا المقطوع فإنّه قد كان سرق نصابا من مال الغنيمه من حرز و لم يكن له نصيب منها،و أمّا إن كان له نصيب فإن كان المسروق فوق نصيبه نصابا قطع و إلاّ فلا.

۲۵۶-و قال عليه السّلام:

اشاره

لَوْ قَدِ اسْتَوَتْ قَدَمَایَ مِنْ هَذِهِ الْمَدَاحِضِ لَغَيَّرْتُ أَشْيَاءَ

اللغه

المداحض : المزالق .

المعنی

كنايه و استواء قدميه كنايه عن ثباته و تمكّنه من إجراء الأحكام الشرعيّه على وجوهها فی المسائل الاجتهاديّه المشكله الّتی يخفی حكم الشرع فيها على غيره،و ذلك أنّه فی خلافته لم يتمكّن من تغيير شیء من أحكام الخلفاء قبله و كان له فی بعضها رأی غير ما رأوه . استعاره و استعار لتلك المسائل لفظ المداحض باعتبار أنّها مزالق أقدام العقول و مزالّها .و أومیء بقوله:لغيّرت أشياء.إلی ما كان يری فساده من أحكام غيره فی تلك المسائل و أنّ أقدام عقولهم قد زلقت فيها عن سواء الصراط.

۲۵۷-و قال عليه السّلام:

اشاره

اِعْلَمُوا عِلْماً يَقِيناً أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِلْعَبْدِ- وَ إِنْ عَظُمَتْ حِيلَتُهُ وَ اشْتَدَّتْ طَلِبَتُهُ- وَ قَوِيَتْ مَكِيدَتُهُ- أَكْثَرَ مِمَّا سُمِّیَ لَهُ فِی الذِّكْرِ الْحَكِيمِ- وَ لَمْ يَحُلْ بَيْنَ الْعَبْدِ فِی ضَعْفِهِ وَ قِلَّهِ حِيلَتِهِ- وَ بَيْنَ أَنْ يَبْلُغَ مَا سُمِّیَ لَهُ فِی الذِّكْرِ الْحَكِيمِ- وَ الْعَارِفُ لِهَذَا الْعَامِلُ بِهِ- أَعْظَمُ النَّاسِ رَاحَهً

فِی مَنْفَعِهٍ- وَ التَّارِکُ لَهُ الشَّاکُّ فِیهِ- أَعْظَمُ النَّاسِ شُغُلًاشُغْلًا فِی مَضَرَّهٍ- وَ رُبَّ مُنْعَمٍ عَلَیْهِ مُسْتَدْرَجٌ بِالنُّعْمَی- وَ رُبَّ مُبْتَلًی مَصْنُوعٌ لَهُ بِالْبَلْوَی- فَزِدْ أَیُّهَا الْمُسْتَمِعُ فِی شُکْرِکَ- وَ قَصِّرْ مِنْ عَجَلَتِکَ- وَ قِفْ عِنْدَ مُنْتَهًی رِزْقِکَ

المعنی

و فی هذا الفصل لطایف.لمّا قام البرهان علی أنّ ما علم اللّه تعالی وجوده فهو واجب الوقوع و ما علم عدمه فهو ممتنع الوقوع لا جرم لم یکن لکلّ من القویّ و الضعیف من الرزق و نحوه إلاّ ما علم اللّه تعالی وصوله إلیه بقلم القضاء الإلهیّ فی الذکر الحکیم و اللوح المحفوظ و لم یبلغ عظیم الحیله قویّ المکیده بحیلته أکثر ممّا سمّی له،و لا قصر الضعیف بضعفه عن بلوغ ما سمّی له.و لأجل ثبوت ذلک بالبرهان أمرهم بتیقّنه،و رغّبهم فی علمه و العمل به بضمیر صغراه قوله :و العارف.إلی قوله:

فی منفعه.أمّا راحته فلعلمه أنّ ما کتب له لابدّ أن یصل إلیه فیترک لذلک شدّه الاهتمام به و الکدح له،و لمّا کانت راحته قلبیّه و بدنیّه کانت أعظم الراحات، و لمّا کانت مع منفعه بما یصل إلیه تأکّد شرفها.و کذلک نفّر عن الشکّ فی ذلک و ترک العمل به بقوله:و التارک لهذا الشاکّ فیه.إلی آخره.و هو ضمیر تقدیر کبراه:و کلّ من کان کذلک فلا ینبغی له الشکّ فیه و ترکه،و إنّما کان أعظم الناس شغلا لأنّه شغل قلبه و بدنه فیما لا فایده فیه فیلزمه مضرّه خالصه.

فإن قلت:فهذا ینافی الأمر بالدعاء و بالسعی فی طلب الرزق کقوله تعالی «فَانْتَشِرُوا فِی الْأَرْضِ وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللّهِ» (۱)و نحوه.

قلت:قد بیّنا أنّه لا ینافی،و ذکرنا سرّ الدعا و فایدته.و حاصله أنّه قد یکون الدعا سببا لوجود الرزق فیعلم اللّه تعالی وجوده بواسطه سببه و لا تنافی بینهما .

الثانیه:نبّه أهل النعمه و الغنی و أهل الابتلاء علی وجوب شکر اللّه تعالی علی حالیهما أمّا أهل النعمه فنبّههم بأنّ نعمتهم قد یکون استدراجا لهم لیشکروا اللّه

۱- ۱) ۱۰-۶۳.

عليها كيلا يستدرجهم بها،و أمّا أهل البلوى فنبّههم بأن بلواهم قد يكون صنعا من اللّه فى حقّهم ليعدّهم بها لثوابه الجزيل فيجب عليهم شكر ذلك الصنع.و المقدّمتان صغريا ضميرين تقدير الاولى منهما:بعض المنعم عليه مستدرج بالنعمى.و تقدير الكبرى:و كلّ مستدرج بالنعمى يجب عليه أن يحترز بشكر نعمه اللّه عليه من الاستدراج بها،و كذلك تقدير الثانيه:و بعض المبتلى مصنوع له بالبلوى.و تقدير الكبرى:و كلّ مصنوع إليه فيجب عليه شكر صنع اللّه فى حقّه .و لذلك أمر المستمعين مطلقا بزياده الشكر مع أنّ فيهم المنعم عليهم و المبتلى،ثمّ أمر بالتقصير عن العجله فى طلب الرزق و الوقوف دون حدّ الإفراط على حدّ العدل.

۲۵۸-و قال عليه السّلام:

اشاره

لَا تَجْعَلُوا عِلْمَكُمْ جَهْلًا وَ يَقِينَكُمْ شَكّاً- إِذَا عَلِمْتُمْ فَاعْمَلُوا وَ إِذَا تَيَقَّنْتُمْ فَأَقْدِمُوا

المعنى

نهاهم أن يجعلوا علمهم بما أهمّ علمه من أحوال الآخره جهلا:أى فى قوّه الجهل،و يقينهم شكّا:أى فى قوّه الشكّ و بمنزلته لتركهم العمل على وفق ما علموه و تيقّنوه.و لذلك أمرهم بالعمل على وفق علمهم و الإقدام عليه على وفق يقينهم.

۲۵۹-و قال عليه السّلام:

اشاره

إِنَّ الطَّمَعَ مُورِدٌ غَيْرُ مُصْدِرٍ وَ ضَامِنٌ غَيْرُ وَفِيٍّ- وَ رُبَّمَا شَرِقَ شَارِبُ الْمَاءِ قَبْلَ رِيِّهِ- وَ كُلَّمَا عَظُمَ قَدْرُ الشَّيْءِ الْمُتَنَافَسِ فِيهِ- عَظُمَتِ الرَّزِيَّهُ لِفَقْدِهِ- وَ الْأَمَانِيُّ تُعْمِي أَعْيُنَ الْبَصَائِرِ- وَ الْحَظُّ يَأْتِي مَنْ لَا يَأْتِيهِ

التنفير من الطمع

اشاره

نفّر عن الطمع فى الدنيا و الحرص فى طلبها و تمنّيها و اقتنائها بوجوه:

الأوّل:

ضمير صغراه قوله: إن الطمع .إلى قوله: وفيّ :أى يورد الطامع موارد الهلكه و لا يصدره عنها.و استعار له لفظ الضامن غير الوفيّ باعتبار أنّه يرغب

فى الطلب و يدعو إليه مع أنّه قد يكون كاذبا كمن يضمن شيئا و يخلف فيه،و تقدير كبراه:و كلّما كان كذلك فلا ينبغى أن يتّبع و يوثق به .

الثانى:

كنايه قوله: و ربّما.إلى قوله:ربّه .و هو تنبيه على أنّه لا يجوز الاسترسال فى طلب الدنيا بضمير كنّى عن صغراه بذلك،و تقديرها:أنّ المسترسل فى طلبها قد يخترم و يقتطع دون بلوغ أمله فيها.و تقدير الكبرى:و كلّ من كان كذلك فلا ينبغى له الاسترسال فى طلبها .

الثالث:

نفّر عن المنافسه فيما عظم قدره من متاعها بضمير صغراه قوله: و كلّما .إلى قوله: لفقده .و الرزيّه:المصيبه.و تقدير الكبرى:و كلّما عظمت الرزيّه لفقده فلا ينبغى اقتناؤه.إذ كان من ضرورته فقده و فناؤه .

الرابع:

نفّر عن الأمانىّ بضمير صغراه قوله: و الأمانىّ تعمى أعين البصائر و ذلك أنّها تشغل الفكر بما لا يعنى عن طلب ما يعنى من الكمالات العقليّه. استعاره و استعار لفظ الأعين للأفكار باعتبار إدراكهما .و تقدير الكبرى:و كلّما كان كذلك وجب اجتنابه .

الخامس:

نبّه على ترك طلب الحظّ من الدنيا بقوله: و الحظّ يأتى من لا يأتيه :

أى الحظّ لمن كان له حظّ يصل إليه و إن لم يسع فى طلبه،و هو فى قوّه صغرى ضمير، و تقدير كبراه:و كلّما كان كذلك فلا حاجه إلى طلبه و إتيانه.

۲۶۰–و قال عليه السّلام:

اشاره

اَللَّهُمَّ إِنِّی أَعُوذُ بِکَ- مِنْ أَنْ تُحَسِّنَ تَحْسُنَ فِی لاَمِعَهِ الْعُيُونِ عَلاَنِيَتِی- وَ تُقَبِّحَ فِيمَا أُبْطِنُ لَکَ سَرِيرَتِی- مُحَافِظاً عَلَی رِيَاءِ النَّاسِ مِنْ نَفْسِی- بِجَمِيعِ مَا أَنْتَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ مِنِّی- فَأُبْدِیَ لِلنَّاسِ حُسْنَ ظَاهِرِی- وَ أُفْضِیَ إِلَيْکَ بِسُوءِ عَمَلِی- تَقَرُّباً إِلَى عِبَادِکَ وَ تَبَاعُداً مِنْ مَرْضَاتِکَ

اللغه

أفضى : أصل .

المعنى

و استعاذ باللّه أن يجتمع له حسن الظنّ فى عيون الناس مع قبح

ص:۳۸۵

باطنه عند اللّه بالرياء و التصنّع بالزهاده و العباده الظاهره لغايه طلب الدنيا.و لا معه العيون إضافه للصفه إلى الموصوف:أى العيون اللامعه.و محافظا حال.و تقرّبا و تباعدا مصدران سدّا مسدّ الحال،و يحتمل نصبهما على المفعول.

۲۶۱-و قال عليه السّلام:

اشاره

لَا وَ الَّذِى أَمْسَيْنَا مِنْهُ فِى غُبْرِغُبَّرِ لَيْلِهِ دَهْمَاءَ- تَكْشِرُ عَنْ يَوْمٍ أَغَرَّ مَا كَانَ كَذَا وَ كَذَا

اللغه

فغبر الليل : بقاياه .و الدهماء : السوداء .و التكشّر : التبسّم بحيث تبدو الأسنان .و الأغرّ : الواضح .

المعنى

استعاره و لفظ التكشّر مستعار لليله باعتبار إسفارها عن ضوء يومها.فهى كالضاحكه .و اليمين فى غايه الفصاحه،و عن مثلها ينفعل الحالف و السامع.

۲۶۲-و قال عليه السّلام:

اشاره

قَلِيلٌ تَدُومُ عَلَيْهِ أَرْجَى مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ مِنْهُ

المعنى

و أراد من الأفعال.فإنّ القليل الدائم أكثر من الكثير المملول المنقطع و أقوى إعدادا للنفس فكان أنفع فى الآخره.

۲۶۳-و قال عليه السّلام:

اشاره

إِذَا أَضَرَّتِ النَّوَافِلُ بِالْفَرَائِضِ فَارْفُضُوهَا

المعنى

أى إذا أخلّت ببعض شرائط الفرائض وجب تركها،و قد مرّ ذلک مشروحا.

۲۶۴-و قال عليه السّلام:

اشاره

مَنْ تَذَكَّرَ بُعْدَ السَّفَرِ اسْتَعَدَّ

المعنى

و أراد أنّ المتذكّر لبعد طريق الآخره يلزمه الاستعداد لها بالتقوى.

۲۶۵-و قال عليه السّلام:

اشاره

لَيْسَتِ الرُّؤْيَةُ كَالْمُعَايَنَةِ مَعَ الْإِبْصَارِ- فَقَدْ تَكْذِبُ الْعُيُونُ أَهْلَهَا- وَ لَا يَغُشُّ الْعَقْلُ مَنِ اسْتَنْصَحَهُ

المعنى

هذا تنبيه على وجوب إعمال الفكر فيما ينبغى،و أنّ العقل هو مستند الحواسّ

ص:۳۸۶

و هو الناقد البصير و الناصح الشفيق الّذى لا يغشّ من استنصحه.و استعار لفظ الاستنصاح لمراجعته و إعماله بصدق و توجّهه إلى استخراج الآراء الصالحه،و لفظ الغشّ لكذبه:أى لا يكذب من استنصحه و جعله رائدا له و أمّا الحواسّ فقد تكذب أهلها.و اعلم أنّ البصر و غيره من الحواسّ الظاهره لا حكم له،و أمّا الحكم ببعض المحسوسات على بعض فحكم العقل بواسطه الخيال و الوهم،و كلّما عرض فى تلك الأحكام من الغلط فهو من أغلاط الوهم على ما تبيّن فى موضعه،و حينئذ يكون قوله:و قد تكذب العيون أهلها:أى قد يكذب الأحكام الوهميّه على مدركات العيون كالحكم بكون القطره النازله خطّا مستقيما و الشعله الّتى تدار بسرعه كالدائره و نحوه.

۲۶۶–و قال عليه السّلام:

اشاره

بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ الْمَوْعِظَهِ حِجَابٌ مِنَ الْغِرَّهِ

المعنى

استعاره استعار لفظ الحجاب لما يعرض للنفوس من الهيئات البدنيّه المغفله عن النظر فى العبر و قبول الموعظه و الانتفاع بها .

۲۶۷–و قال عليه السّلام:

اشاره

جَاهِلُكُمْ مُزْدَادٌ وَ عَالِمُكُمْ مُسَوِّفٌ

المعنى

مزداد أى من الإثم.مسوّف:أى بالتوبه.و روى:عالمكم مسوّف.

۲۶۸–و قال عليه السّلام:

اشاره

قَطَعَ الْعِلْمُ عُذْرَ الْمُتَعَلِّلِينَ

المعنى

أى العلم بالدين و ما بلّغه الرسول صلّى اللّه عليه و آله من البشاره و النذاره فإنّ ذلك قاطع لعذر من عساه يقول: «إِنّا كُنّا عَنْ هذا غافِلِينَ» .كما قال تعالى «رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ» (۱)الآيه.

۲۶۹–و قال عليه السّلام:

اشاره

كُلُّ مُعَاجَلٍ يَسْأَلُ الْإِنْظَارَ- وَ كُلُّ مُؤَجَّلٍ يَتَعَلَّلُ بِالتَّسْوِيفِ

۱- ۱) ۶۲-۴.

المعنى

و هو توبيخ على ترک العمل الصالح للمعاجل و المؤجّل.

۲۷۰-و قال علیه السّلام:

اشاره

مَا قَالَ النَّاسُ لِشَيْءٍ طُوبَى لَهُ- إِلَّا وَ قَدْ خَبَأَلَهُ الدَّهْرُ يَوْمَ سَوْءٍ

المعنى

أی ما استحسن الناس من الدنیا شیئا إلّا و فی قوّه الدهر إعداد لفساده و إهلاکه یوما ما.و لابدّ من خروج ما فیه بالقوّه إلی الفعل.

۲۷۱-

اشاره

و سئل علیه السّلام عن القدر فقال:

طَرِيقٌ مُظْلِمٌ فَلَا تَسْلُكُوهُ- وَبَحْرٌ عَمِيقٌ فَلَا تَلِجُوهُ- وَ سِرُّ اللَّهِ فَلَا تَتَكَلَّفُوهُ

المعنى

أقول:السؤال عن مهیّه القدر و کیفیّه وقوع الأفعال بحسبه.و هذه المسأله من مسائل العلم الإلهیّ و فیها خبط عظیم بین الحکماء و المتکلّمین،و قد نبّهنا علی ما هو الحقّ فیها فیما سبق و لصعوبتها کان الخوض فیها مظنّه الضلال و التیه فی بحر لا ساحل له فلذلک نفّر علیه السّلام عن الخوض فیها بضمائر ثلاثه:

استعاره أحدها:أنّها طریق مظلم ،و تقدیر الکبری:و کلّ طریق مظلم فلا یجوز سلوکه.و ینتجه قوله: لا تسلکوه .و استعار لفظ المظلم له باعتبار کونه کثیر الشبهات لا یهتدی فیه للحقّ.

الثانی:أنّه بحر عمیق .و استعار لفظ البحر بصفه العمق له باعتبار غرق الأفکار فیه،و تقدیر کبراه:و کلّ بحر عمیق فلا یجوز و لوجه.و ینتجه قوله:

فلا تلجوه .

الثالث:أنّه سرّ اللّه:أی سرّ اللّه قد أحبّ کتمه و منع من الخوض فیه،و تقدیر کبراه:و کلّما کان کذلک فلا یجوز تکلّف الخوض فیه و هتکه.و فی معناه کلّ غامض من غوامض العلم لا یجوز کشفه إلّا للأولیاء و أفراد العلماء فهو من أسرار اللّه.

۲۷۲–و قال عليه السّلام:

اشاره

إِذَا أَرْذَلَ اللَّهُ عَبْداً حَظَرَ عَلَيْهِ الْعِلْمَ

المعنى

و حظر العلم بإعداده لغيره و تعويق أسبابه بحيث ينصرف عنه فلا يكون له استعداده،و ظاهر أنّ الجهل من أشدّ الرذائل و أصعبها داء و هو طرف التفريط من فضيله العلم و الأدب كما سبقت الإشاره إليه غير مرّه.

۲۷۳–و قال عليه السّلام:

اشاره

كَانَ لِي فِيمَا مَضَى أَخٌ فِي اللَّهِ- وَ كَانَ يُعْظِمُهُ فِي عَيْنِي صِغَرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ- وَ كَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ- فَلاَ يَشْتَهِي مَا لاَ يَجِدُ وَ لاَ يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ- وَ كَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتاً- فَإِنْ قَالَ بَذَّ الْقَائِلِينَ وَ نَقَعَ غَلِيلَ السَّائِلِينَ- وَ كَانَ ضَعِيفاً مُسْتَضْعَفاً- فَإِنْ جَاءَ الْجِدُّ فَهُوَلَيْثُ غَابٍ لَيْثُ عَادٍ وَ صِلُّ وَادٍ- لاَ يُدْلِي بِحُجَّهٍ حَتَّى يَأْتِيَ قَاضِياً- وَكَانَ لاَ يَلُومُ أَحَداً- عَلَى مَا لاَ يَجِدُ الْعُذْرَ فِي مِثْلِهِ حَتَّى يَسْمَعَ اعْتِذَارَهُ- وَ كَانَ لاَ يَشْكُو وَجَعاً إِلاَّ عِنْدَ بُرْئِهِ- وَ كَانَ يَقُولُ مَايَفْعَلُ مَا يَقُولُ وَ لاَ يَقُولُ مَا لاَ يَفْعَلُ- وَ كَانَ إِذَا غُلِبَ عَلَى الْكَلاَمِ لَمْ يُغْلَبْ عَلَى السُّكُوتِ- وَ كَانَ عَلَى أَنْ يَسْمَعَ مَا يَسْمَعُ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ- وَ كَانَ إِذَا بَدَهَهُ أَمْرَانِ- يَنْظُرُ أَيُّهُمَا أَقْرَبُ إِلَى الْهَوَى فَخَالَفَهُ- فَعَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْخَلاَئِقِ فَالْزَمُوهَا وَ تَنَافَسُوا فِيهَا- فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوهَا- فَاعْلَمُوا أَنَّ أَخْذَ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْكَثِيرِ أقول:ذكر هذا الفصل ابن المقفّع فى أدبه و نسبه إلى الحسن بن علىّ عليهما السّلام

اللغه

و بد غلب :و نقع الغليل : سكن العطش .و أدلى بحجّته : أرسلها و احتجّ بها .و بدهه

ص:۳۸۹

الأمر : أتاه من غير تأهّب له . و المشار إليه قيل:هو أبو ذرّ الغفارى.و قيل:هو عثمان بن مظعون .

أوصاف المؤمن

اشاره

و قد وصفه باثنتى عشره فضيله:

إحداها:أنّه كان يستصغر الدنيا و ينظر إليها بعين الاحتقار

،و ظاهر أنّ ذلک يستلزم عظمه فى عيون أهل اللّه .

الثانيه:أنّه كان خارجا عن سلطان بطنه

و هو كنايه عن خروجه من أسر شهوته و خلاصه من رذيله الفجور إلى فضيله العفّه.فكفّ شهوته عمّا لا يجد يستلزم عدم رذيله الحرص و الحسد و نحوهما،و عدم إكثاره ممّا يجد يستلزم نزاهته عن رذيله الشره و النهم و نحوهما .

الثالثه:فضيله العدل فى الكلام و السكوت

:أى أنّه ينطق بالحكمه فى موضعها.

و أمّا غلبه السكوت عليه فلقوّه عقله كما قال عليه السّلام فيما قبل:إذا تمّ العقل نقص الكلام .

الرابعه:أنّه كان ضعيفا مستضعفا

:أى فقيرا منظورا إليه بعين الذلّه و الفقر و ذلک من لوازم فضيله التواضع.

الخامسه:

كنايه فضيله الشجاعه عند الجدّ فى الحرب و الغضب للّه،و كنّى عن ذلک بقوله: فإذا جاء الجدّ.إلى قوله:واد . استعاره و استعار لفظ الليث باعتبار سطوته و عدوانه و لفظ الصلّ باعتبار بأسه و نكايته فى العدوّ،و المثل يضرب بحيّه الوادى فى الشجاعه و نكايه السمّ .

السادسه:أنّه لا يدلی بحجّته حتّی یجد قاضیا

و هو من فضیله العدل فی وضع الأشیاء مواضعها .

السابعه:کونه لا یلوم أحدا علی أمر یحتمل العذر إلاّ بعد سماع الاعتذار

فإن کان هناک عذر قبله.و ذلک مع لوازم العدل و الإنصاف و فضیله الثبات و احتمال المکروه .

الثامنه:کونه لا یشکو ما ینزل به من الأمراض

لتسلیمه أحکام اللّه و رضاه بها بل لعلّه یحکیها بعد برئه علی سبیل الإخبار دون الشکایه.و إنّه کان یکتم مرضه

كيلا يتكلّف الناس زيارته فيشقّ عليهم ذلك .

التاسعه:كان يطابق بفعله قوله

،و يحترز عن الكذب و الخلف .

العاشره:كان يترک المماراه و المجادله و المغالبه فی الأقوال

و يعدل إلى السكوت إذا غولب فى القول،و ذلک من فضيله الحكمه.لعلمه بمواقع السكوت و الكلام،و من فضيلته.لقهره قوّته الغضبيّه فى المغالبه .

الحاديه عشر:و كان أحرص على الإسماع منه على الكلام

ترجيحا لجانب الاستفاده على الإفاده،و الأوّل أهمّ من الثانى.و ذلک من فضيله الحكمه .

الثانيه عشر:و كان إذا خطر بباله أمران دفعه من غير سابقه فكّر فی أيّهما أصلح.

مثلا ـ كالتزويج و عدمه فكّر فى أيّهما أقرب إلى الهوى و ميل الشهوه كالتزويج فخالفه إلى تركه.و لمّا كان غرض الفصل أن يقتدى السامعون بالفضايل المذكوره أمرهم عليه السّلام بلزومها و التنافس فيها أو فى بعضها إن لم يمكن الكلّ ،و رغّب فى ذلک بقوله: فاعلموا .إلى آخره.و هو صغرى ضمير تقدير كبراه:و كلّما كان خيرا فينبغى لزومه و التنافس فيه.

۲۷۴–و قال عليه السّلام:

اشاره

لَوْ لَمْ يَتَوَعَّدِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ- لَكَانَ يَجِبُ أَلَّا يُعْصَى شُكْراً لِنِعَمِهِ

المعنى

لمّا كان شكر النعمه بالاقوال و الأفعال المطابقه لها واجبا عقلا وجب ترک المعصيه الّذى هو لازم للطاعه الواجبه لأنّ لازم الواجب واجب،و مقتضى الكلمه أنّه لو لم يتوعّد اللّه على معصيته لكان يجب تركها شكرا له:أى لأجل شكره فكيف و قد توعّد مع ذلک عليها فبالأولى أن يجب تركها.

۲۷۵–و قال عليه السّلام:و قد عزى الأشعث بن قيس عن ابن له-:

اشاره

يَا؟أَشْعَثُ؟ إِنْ تَحْزَنْ عَلَى ابْنِكَ- فَقَدِ اسْتَحَقَّتْ ذَلِكَ مِنْكَ مِنْكَ ذَلِكَ اَلرَّحِمُ- وَ إِنْ تَصْبِرْ فَفِی اللَّهِ مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ خَلَفٌ-
يَا؟أَشْعَثُ؟ إِنْ صَبَرْتَ- جَرَى عَلَيْكَ الْقَدَرُ

ص:۳۹۱

وَ أَنْتَ مَأْجُورٌ- وَ إِنْ جَزِعْتَ جَرَى عَلَيْکَ الْقَدَرُ وَ أَنْتَ مَأْزُورٌ- یا؟أَشْعَثُ؟ ابْنُکَ سَرَّکَ وَ هُوَ بَلَاءٌ وَ فِتْنَهٌ- وَ حَزَنَکَ وَ هُوَ ثَوَابٌ وَ رَحْمَهٌ

المعنی

استدرجه علیه السّلام أوّلا بتحسین الحزن و أنّه فی موضعه باعتبار أنّ الرحم یستحقّ من ذی رحمه ذلک.ثمّ عقّبه بما یدلّ علی قبح الجزع و الحزن بأنّ الصبر به أولی و ذلک من وجوه:

أحدها:قوله:و إن تصبر.إلی قوله:خلف.و هی متّصله صغری ضمیر تقدیر کبراه:و کلّما کان فی اللّه خلف عنه فالصبر عنه أولی.و النتیجه إن تصبر علی مصیبتک فالصبر علیها أولی .

الثانی:قوله: إن صبرت .إلی قوله: و أنت مأجور :أی علی صبرک و هو صغری ضمیر أیضا تقدیر کبراه:و کلّ من جری علیه القدر و هو مأجور علی صبره فالصبر به أولی.

الثالث:نفّره عن الجزع بقوله:و إن جزعت:إلی قوله:مأزور:أی علی جزعه.و أصله موزور فهمّز لمناسبه القرینه الاولی.و هو ضمیر أیضا تقدیر کبراه:و کلّ من جری علیه القدر فهو مأزور،علی حزعه دخل النار .

الرابع:قوله: سرّک و هو بلاء و فتنه .و هو تنفیر عن إفراط السرور به.

و وجه کونه بلاءا أنّ الإفراط فی محبّته یستلزم رذایل خلقیّه کالجبن عمّا ینبغی من الجهاد خوف مفارقته،و کالبخل خوف فقره و نظرا له فی عاقبته،و کالحزن فی فی أمراضه و أعراضه کما قال صلّی اللّه علیه و آله:الولد محزنه مجبنه مبخله.و کذلک بغضه یستلزم رذیله العقوق و قطع الرحم و صرف المال عنه فی غیر وجهه.فبالحریّ أن یبتلی اللّه الوالد بولده و یطلب منه الوقوف علی حدّ العدل فی حقّه.و الواو فی قوله:

و هو .للحال،و هو صغری ضمیر تقدیر کبراه:و کلّما کان کذلک فینبغی أن لا یأسف علی ما فات من السرور.

ص:۳۹۲

الخامسه:قوله: و حزنک .إلى آخره:تنفير عن الحزن عليه بما يلزم تركه من الصبر على المصيبه به من ثواب اللّه و رحمته و هو صغرى ضمير تقدير كبراه:و كلّما هو صبر عن الحزن و هو ثواب و رحمه فينبغى أن يصبر عن الحزن عليه.

۲۷۶-و قال عليه السّلام:على قبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم

اشاره

ساعه دفن:-

إِنَّ الصَّبْرَ لَجَمِيلٌ إِلاَّ عَنْکَ- وَ إِنَّ الْجَزَعَ لَقَبِيحٌ إِلاَّ عَلَيْکَ- وَ إِنَّ الْمُصَابَ بِکَ لَجَلِيلٌ وَ إِنَّهُ قَبْلَکَ وَبَعْدَکَ لَجَلَلٌ لَقَلِيلٌ

اللغه

الجلل : الأمر الهيّن و الأمر العظيم و هو من الأضداد ،

المعنى

و إنّما كان الصبر غير جميل فى المصيبه به صلّى اللّه عليه و آله،و الجزع عليه غير قبيح لأنّه صلّى اللّه عليه و آله أصل الدين و القدوه فيه فالجزع فى المصيبه به يستلزم دوام تذكّره المستلزم لدوام ذكر أخلاقه و سننه و سيرته فكان غير قبيح من هذا الوجه،أو لأنّ المصيبه به مصيبه عظيمه و هو أعظم فائت فيستحسن الجزع عليه،و أمّا الصبر فإنّه يؤول إلى سلوانه و الغفله عنه فكان غير جميل من هذا الوجه.و قد تعرّض لفضيله القبح من بعض الاعتبارات و لرذيله الحسن من وجه،و ظاهر أنّ المصاب به أعظم مصاب بأحد من الناس و أنّ كلّ مصاب بأحد من قبله أو بعده فهو سهل هيّن بالنسبه إليه.و قيل:أراد أنّ المصاب به قبله عظيم على المسلمين لحذرهم منه،و بعده كذلک لاختلال أمرهم و أمر الدين بفقده.

و الأوّل أظهر.

۲۷۷-و قال عليه السّلام:

اشاره

لَا تَصْحَبِ الْمَائِقَ- فَإِنَّهُ يُزَيِّنُ لَکَ فِعْلَهُ وَ يَوَدُّ أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ

اللغه

المائق : الأحمق .

المعنى

و نفّر عنه بضـمير صـغراه قوله: فـإنّه .إلى آخره.و ذلـك لأنـّه لحمقه يعتقـد كمال نفسه و حسن أفعاله و وجوب الاقتـداء بها فهو تزيّنها و

ص:۳۹۳

يحبّ لمن يصحبه أن يكون مثله فيها،و يدعوه إلى ذلك.و تقدير كبراه:و كلّ من كان كذلك فلا تجوز صحبته.

۲۷۸-و قد سئل عن مسافه ما بين المشرق و المغرب،فقال عليه السّلام:

اشاره

وَ قَدْ سُئِلَ عَنْ مَسَافَهِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ- فَقَالَ ع مَسِيرَهُ يَوْمٍ لِلشَّمْسِ

المعنى

و هو جواب واضح مقنع.و غرض الخطابه الإقناع.فأمّا تحقيق ما بينهما باعتبار تعيين مساحه الأرض أو الفلك فأمر يرجع إلى علم الهيئه،و لعلّه عليه السّلام إنّما عدل عن الجواب بشيء من ذلك لاستبعاد بعض العوامّ له.و لا نقول:أنّه عليه السّلام ما كان يعلم ذلك.

۲۷۹-و قال عليه السّلام:

اشاره

أَصْدِقَاؤُكَ ثَلاَثَهٌ صَدِيقُكَ- وَ صَدِيقُ صَدِيقِكَ وَ عَدُوُّ عَدُوِّكَ- وَ أَعْدَاؤُكَ ثَلاَثَهٌ- عَدُوُّكَ- وَ عَدُوُّ صَدِيقِكَ وَ صَدِيقُ عَدُوِّكَ

المعنى

الحكم بأنّ صديق الصديق و عدوّ العدوّ صديق من القضايا المظنونه لاحتمال كون الصديق غير عالم بأنّ لصديقه صديقا و كون العدوّ غير عالم بأنّ لعدوّه عدوّا فضلا أن يعاديه أو يصادقه،و كذلك الحكم بأنّ عدوّ الصديق و صديق العدوّ عدوّ للاحتمال المذكور.

۲۸۰-و قال عليه السّلام لرجل رآه يسعى على عدو له بما فيه إضرار بنفسه:

اشاره

إِنَّمَا أَنْتَ كَالطَّاعِنِ نَفْسَهُ لِيَقْتُلَ رِدْفَهُ

المعنى

تشبيه و وجه الشبه قصده لأذى غيره بما يستلزم أذى نفسه .

۲۸۱-و قال عليه السّلام:

اشاره

مَا أَكْثَرَ الْعِبَرَ وَ أَقَلَّ الاِعْتِبَارَ

ص:۳۹۴

المعنى

أراد بالعبر محالّ الاعتبار و هو فى معرض التوبيخ للسامعين على ترك الاعتبار.

۲۸۲–و قال عليه السّلام:

اشاره

مَنْ بَالَغَ فِى الْخُصُومَهِ أَثِمَ- وَ مَنْ قَصَّرَ فِيهَا ظُلِمَ- وَ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّقِىَ اللَّهَ مَنْ خَاصَمَ

المعنى

نفّر عن طرفى الإفراط و التفريط فى المجادله و المخاصمه بما يلزم رذيله الإفراط فيها و هو الظلم من الإثم و طرف التفريط فيها من رذيله الانظلام ،و أشار إلى صعوبه الوقوف فيها على حدّ العدل بقوله:و لا يستطيع.إلى آخره،و هو كالتنفير عن أصل المخاصمه لما أنّها مظنّه الرذائل.

۲۸۳–و قال عليه السّلام:

اشاره

مَا أَهَمَّنِى ذَنْبٌ أُمْهِلْتُ بَعْدَهُ- حَتَّى أُصَلِّىَ رَكْعَتَيْنِ

المعنى

أى لم أحزن من ذنب أمهلنى اللّه بعده إلى أن أصلّى ركعتين و ذلك لأنّ الصلاه تكفّر الذنب فإذا أمهل إلى أن يصلّيها لم يحزن بسببه.

۲۸۴–

اشاره

و سئل عليه السّلام:كيف يحاسب اللّه الخلق على كثرتهم؟ فقال عليه السّلام:

كَمَا يَرْزُقُهُمْ عَلَى كَثْرَتِهِمْ- فقيل:كيف يحاسبهم و لا يرونه؟فقال عليه السّلام:

كَمَا يَرْزُقُهُمْ وَ لاَ يَرَوْنَهُ

المعنى

تشبیه شبّه کیفیّه محاسبته تعالی للخلق علی کثرتهم بکیفیّه رزقه لهم علی کثرتهم و جعل هذا أصلا فی التشبیه لظهوره،و علم السائل به.و کذلک تشبیه کیفیّه محاسبته لهم مع عدم رؤیتهم له بکیفیّه رزقه لهم من غیر رؤیه .و وجه الشبه فی الموضعین إمکان ذلک منه تعالی لشمول قدرته و عدم حاجته فی شیء إلی شیء .

ص:۳۹۵

۲۸۵-و قال عليه السّلام:

اشاره

رَسُولُکَ تَرْجُمَانُ عَقْلِکَ- وَ کِتَابُکَ أَبْلَغُ مَا يَنْطِقُ عَنْکَ

المعنى

استعاره استعار للرسول لفظ الترجمان للعقل باعتبار أنّه ينبىء عنه ،و أمّا أنّ الكتاب أبلغ من ينطق عن صاحبه فلضبط مراده فيه دون لسان الرسول لأنّه ربّما لم يؤدّ الرساله على وجهها سهوا أو لغرض فيقع الخلل بسبب ذلك حتّى ربّما كان فيها هلاك المرسل .

۲۸۶-و قال عليه السّلام:

اشاره

مَا الْمُبْتَلَى الَّذِی قَدِ اشْتَدَّ بِهِ الْبَلاَءُ- بِأَحْوَجَ إِلَی الدُّعَاءِ- مِنَ الْمُعَافَى الَّذِی لاَ يَأْمَنُ الْبَلاَءَ

المعنى

أى أنّهما سواء فى الحاجه إلى دعاء اللّه فذاك لحاجته إلى الخلاص من بلائه و هذا لبقاء عافيته و أمنه من لحوق البلاء.و هو حث لأهل العافيه على دعاء اللّه لغرض الالتفات إليه و دوام قصده.

۲۸۷-و قال عليه السّلام:

اشاره

اَلنَّاسُ أَبْنَاءُ الدُّنْيَا- وَ لاَ يُلاَمُ الرَّجُلُ عَلَى حُبِّ أُمِّهِ

المعنى

و هو توبيخ للناس على حبّ الدنيا. استعاره و لفظ الأبناء مستعار لهم باعتبار تولّدهم منها و ميلهم إليها بالطبع .

و قوله:و لا يلام.إلى آخره.

لوم لهم.و هذا كما تقول لمن توبّخه مثلا على اللؤم:إنّ طبيعتك اللؤم و لا لوم عليك فيما جبّلت عليه.

۲۸۸-و قال عليه السّلام:

اشاره

إِنَّ الْمِسْكِينَ رَسُولُ اللَّهِ- فَمَنْ مَنَعَهُ فَقَدْ مَنَعَ اللَّهَ- وَ مَنْ أَعْطَاهُ فَقَدْ أَعْطَى اللَّهَ

ص:۳۹۶

المعنى

استعاره رغّب فى إعطاء المسكين بضمير صغراه ما ذكر،و استعار له لفظ رسول اللّه باعتبار أنّه طالب للّه و بامر اللّه.و تقدير الكبرى:و كلّ من كان كذلك فيجب إعطاؤه و إرضاه .

۲۸۹-و قال عليه السّلام:

اشاره

مَا زَنَى غَيُورٌ قَطُّ

المعنى

أى ألبتّه.و ذلك أنّ الغيور الحقّ إذا همّ بالزنا تخيّل مثل ذلك فى نفسه من الغير فيعارض خياله داعيه فيحجم عنه.

۲۹۰-و قال عليه السّلام:

اشاره

كَفَى بِالْأَجَلِ حَارِساً

المعنى

استعاره استعار له لفظ الحارس باعتبار أنّ الإنسان لا يهلك ما دام أجله كالحارس .

۲۹۱-و قال عليه السّلام:

اشاره

يَنَامُ الرَّجُلُ عَلَى الثُّكْلِ وَ لاَ يَنَامُ عَلَى الْحَرَبِ قال الرضى:و معنى ذلك أنه يصبر على قتل الأولاد و لا يصبر على سلب الأموال.

اللغه

و أقول: الحرب : سلب الأموال .

المعنى

و إنّما كان كذلك و إن كان المال و الولد محبوبين للطمع فى استخلاص المال بالنهوض له و الحرب عنه،دون الثكل.

۲۹۲-و قال علیه السّلام:

اشاره

مَوَدَّهُ الْآبَاءِ قَرَابَهٌ بَیْنَ الْأَبْنَاءِ- وَ الْقَرَابَهُ إِلَی الْمَوَدَّهِ أَحْوَجُ مِنَ الْمَوَدَّهِ إِلَی الْقَرَابَهِ

المعنی

استعاره استعار لفظ القرابه للمودّه المتأکّده بین الأبناء فهی کالقرابه،و أخبر بها عن مودّه الآباء إخبارا باللازم عن ملزومه.إذ کانت صداقه الآباء و المودّه بینهم یستلزم تأکّدها بین الأبناء و شدّه اتّصالهم .ثمّ أشار إلی تفضیل المودّه علی القرابه

بکون القرابه أکثر حاجه إلی الموده فی الانتفاع بها بین الخلق و الموده أکثر استغناء عن القرابه فی الانتفاع بها .

۲۹۳-و قال علیه السّلام:

اشاره

اِتَّقُوا ظُنُونَ الْمُؤْمِنِینَ- فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَی جَعَلَ الْحَقَّ عَلَی أَلْسِنَتِهِمْ

المعنی

المؤمن لا یکاد یخطأ لصفاء نفسه و کمال استعدادها للفکر الصحیح القریب من الحدس و الانتفاش بنور الحقّ کما قال صلّی اللّه علیه و آله:اتّقوا فراسه المؤمن فإنّه ینظر بنور اللّه.فیفیض اللّه سبحانه صوره ذلک الحقّ علی لسانه فینطق به.

و قوله:فإنّه.إلی آخره.

صغری ضمیر تقدیر کبراه:و کلّ من کان کذلک فینبغی أن یتّقی ظنّه.و هو تنبیه لمن عساه ینوی شرّا للرجوع عنه خوف ظنون المؤمنین.

۲۹۴-و قال علیه السّلام:

اشاره

لَا یَصْدُقُ إِیمَانُ عَبْدٍ- حَتَّی یَکُونَ بِمَا فِی یَدِ اللَّهِ- أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِی یَدِهِ

المعنی

صدق الایمان بالشیء یقینه و کماله.و من کماله حسن الرجاء للّه و التوکّل علیه حتّی یکون أوثق بما فی ید اللّه منه بما فی یده.و ذلک لتیقّن وصول رزقه من اللّه و جزمه بذلک الاقوی من جزمه و وثوقه بما فی یده لجواز تلفه و عدم ثباته.و هی مرتبه عالیه من مراتب التوکّل.

۲۹۵-و قال علیه السّلام:لأنس بن مالک

اشاره

، و قد کان بعثه إلی طلحه و الزبیر لما جاء إلی البصره یذکرهما شیئا مما سمعه من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم فی معناهما،فلوی عن ذلک،فرجع إلیه،فقال إِنِّی أُنْسِیتُ ذَلِکَ الْأَمْرَ فقال علیه السلام إِنْ کُنْتَ کَاذِباً- فَضَرَبَکَ اللَّهُ بِهَا بَیْضَاءَ لاَمِعَةً لاَ تُوَارِیهَا الْعِمَامَةُ

قال الرضی:یعنی البرص،فأصاب أنسا هذا الداء فیما بعد فی وجهه فکان لا یری إلا مبرقعا.

المعنی

أقول:ما کان بعثه إلیهما لیذکّرهما به هو ما سمعه من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أنّه قال لطلحه و الزبیر:إنّکما سیقاتلان علیّا و أنتما له ظالمان.فلمّا بعثه لقی من صرفه و لوی رأیه عن ذلک فرجع.فدعا علیه و استجیبت دعوته.و بیضاء فی محلّ الجرّ بدلا من الضمیر فی بها.

۲۹۶-و قال علیه السّلام:

اشاره

إِنَّ لِلْقُلُوبِ إِقْبَالاً وَ إِدْبَاراً- فَإِذَا أَقْبَلَتْ فَاحْمِلُوهَا عَلَى النَّوَافِلِ- وَ إِذَا أَدْبَرَتْ فَاقْتَصِرُوا بِهَا عَلَى الْفَرَائِضِ

المعنی

و قد مر معنی إقبالها و إدبارها.و خصّ إقبالها بالنوافل لاتّساعها فیه لها و للفرایض دون الإدبار.

۲۹۷-و قال علیه السّلام:

اشاره

وَ فِي؟الْقُرْآنِ؟ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ- وَ خَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ وَ حُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ

المعنی

فنبأ ما قبلهم أخبار القرون الماضیه،و خبر ما بعدهم ذکر أحوال الموت و القیامه و الوعد و الوعید،و حکم ما بینهم بیان الأحکام الخمسه المتعلّقه بأفعالهم.

و هو فی معرض مدح القرآن و الحثّ علی قراءته و فهمه.

۲۹۸-و قال علیه السّلام:

اشاره

رُدُّوا الْحَجَرَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ- فَإِنَّ الشَّرَّ لَا يَدْفَعُهُ إِلَّا الشَّرُّ

المعنی

کنایه فالحجر کنایه عن الشرّ.و ردّه من حیث جاء کنایه عن مقابله الشرّ بمثله .

و رغّب فی ذلک بضمیر صغراه:قوله:فإنّ الشرّ:إلی آخره،و تقدیر الکبری:

و كلّ ما لا يقطع إلاّ بالشرّ فواجب أن يقطع به.و ليس هذا أمرا عامّا.لأمره عليه السّلام بالحلم فى مواضع كثيره.

۲۹۹-و قال عليه السّلام لكاتبه عبيد اللّه بن أبى رافع:

اشاره

أَلِقْ دَوَاتَكَ وَ أَطِلْ جِلْفَهَ قَلَمِكَ- وَ فَرِّجْ بَيْنَ السُّطُورِ وَ قَرْمِطْ بَيْنَ الْحُرُوفِ- فَإِنَّ ذَلِكَ أَجْدَرُ بِصَبَاحَهِ الْخَطِّ كان أبو رافع مولى لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

اللغه

و ألقت الدواه و لقتها : أصلحتها بالمداد .

و جلفه القلم : سنانه .و القرمطه بين الحروف : تقريب بعضها من بعض .و الصباحه:

الحسن .

المعنى

و فايده القيد الأوّل ظاهره،و فايده الثانى:أنّ الجلفه الطويله تقبل مدادا أكثر فيستمرّ القلم فى كتابه كلمات كثيره على نهج واحد من غير تقطيع بين المدّات بخلاف الجلفه القصيره فإنّ مدادها اقلّ و المقاطع بين مدّاتها أكثر فيكثر التفاوت بين الكلمات فى أواخر كلّ مدّه و أوّل الاخرى بعدها،و فايده الثالث:

ظهور الفصل بين السطور و تمييز بعضها عن بعض،و فايده الرابع:كون الكلمه حسن الهيئه و الحسن لها أقرب فسطا،و لعلّ بعض هذه القيود أو كلّها شرط فى حسن جنس ليس بشرط فى حسن بعض أجناس الخطّ المحدثه بعده.و رغّب فى ذلك بقوله:فإنّ ذلك:أى فإنّ هذه الشرائط.و هو صغرى ضمير تقدير كبراه:و كلّما كان أولى بصباحه الخطّ ففعله أولى.

۳۰۰-و قال عليه السّلام:

اشاره

أَنَا يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَالُ يَعْسُوبُ الْفُجَّارِ قال الرضى:و معنى ذلك أن المؤمنين يتبعونى و الفجار يتبعون المال كما تتبع النحل يعسوبها،و هو رئيسها.

المعنى

استعاره أقول:استعار لنفسه لفظ اليعسوب ،و وجه المشابهه ما ذكره السيّد-رحمه اللّه تعالى -.

٣٠١-

اشاره

و قال له بعض اليهود:ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه؟فقال عليه السّلام له:إِنَّما اخْتَلَفْنَا عَنْهُ لاَ فِيهِ- وَ لَكِنَّكُمْ مَا جَفَّتْ أَرْجُلُكُمْ مِنَ الْبَحْرِ- حَتَّى قُلْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ- «اجْعَلْ لَنا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ قالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ»

المعنى

أراد أنّا لم نختلف فی نبوّته و لم نشکّ فی ذلک و إنّما وقع خلافنا عنه:أی بسبب اشتباه بعض ما جاء عنه من کتاب و سنّه على من لا یعلم ذلک منّا،و أما أنتم فقد اختلفتم فی أنّ لکم صانعا أم لا حتّى قلتم لنبیّکم:اجعل لنا إلها.و ذلک یستلزم الشکّ منکم فی نبوّه نبیّکم بالأولى.

٣٠٢-و قیل له علیه السّلام:

اشاره

بأی شیء غلبت الأقران؟فقال علیه السّلام: وَ قِيلَ لَهُ ع بِأَيِّ شَيْءٍ غَلَبْتَ الْأَقْرَانَ- فَقَالَ ع مَا لَقِيتُ رَجُلاًأَحداً إِلاَّ أَعَانَنِي عَلَى نَفْسِهِ
قال الرضی:یومئ بذلک إلى تمکن هیبته فی القلوب .

المعنى

أراد أنّ سابق هیبته،و تخیّل الأقران ما جرت به عادته من الظفر بأمثالهم و قتله یوجب لنفوسهم انفعالات و ضعفا عن مقاومته.و ذلک ممّا یعینه علیهم.

٣٠٣-و قال علیه السّلام:لابنه محمد بن الحنفیه:

اشاره

يَا بُنَيَّ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ الْفَقْرَ- فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْهُ- فَإِنَّ الْفَقْرَ مَنْقَصَةٌ لِلدِّينِ- مَدْهَشَةٌ لِلْعَقْلِ دَاعِيَةٌ لِلْمَقْتِ

المعنى

أمره بالاستعاذه من الفقر لما فيه من المكاره الثلاثه:أمّا كونه منقصه للدين فللاشتغال بهمّه و تحصيل قوام البدن عن العباده،و كونه مدهشه للعقل:أى محلّ دهشه العقل و حيرته و ضيق الصدر به ظاهر،و كذلك كونه داعيه مقت الخلق

لصاحبه.و رغّب فى الاستعاذه منه بضمير صغراه قوله:فإنّ الفقر.إلى آخره،و تقدير كبراه:و كلّما كان كذلك فيجب الاستعاذه باللّه منه.

۳۰۴-و قال عليه السّلام:لسائل سأله عن معضله:

اشاره

سَلْ تَفَقُّهاً وَ لاَ تَسْأَلْ تَعَنُّتاً- فَإِنَّ الْجَاهِلَ الْمُتَعَلِّمَ شَبِيهٌ بِالْعَالِمِ- وَ إِنَّ الْعَالِمَ الْمُتَعَسِّفَ شَبِيهٌ بِالْجَاهِلِ اَلْمُتَعَنِّتِ

اللغه

المعضله : المسأله المشكله .و التعنّت : طلب الأمر الشاقّ على من يطلب منه .

و التعسّف : الأخذ على غير الطريق .

المعنى

و قد كان عليه السّلام فهم من السائل أنّ غرضه الامتحان فأعرض عن جوابه إلى تأديبه و إرشاده إلى ما ينبغى من وضع السؤال و غرضه و هو التفقّه دون التعنّت لحصول الفائده بالسؤال الأوّل.و تفقّها و تعنّتا مفعولان له أو مصدران سدّا مسدّ الحال. تشبيه و رغّب فى السؤال على وجه التعلّم بضمير صغراه قوله : فإنّ الجاهل المتعلّم شبيه بالعالم ،و وجه الشبه اشتراكهما فى طلب العلم و قصده.و تقدير الكبرى:و كلّ من كان شبيها بالعالم فينبغى أن يسلك مسلكه.ثمّ نفّر عن سلوك غير طريق الحقّ فى السؤال و العدول به إلى غير المقصود الأصلىّ بضمير ثان صغراه قوله: فإنّ العالم.إلى قوله:بالجهل ،و وجه الشبه كون ذلك العالم يضع سؤاله فى غير موضعه و يطلب ما لا- ينبغى كالجاهل بوضع الأسئله و مواقعها،و تقدير الكبرى:و كلّ من كان شبيها بالجاهل فينبغى أن يجتنب طريقه ليخلص من هذا الشبه .

۳۰۵-و قال عليه السّلام لعبد اللّه بن العباس

اشاره

، و قد أشار عليه فى شى لم يوافق رأيه:لَکَ أَنْ تُشِيرَ عَلَيَّ وَ أَرَى فَإِنْ فَإِذَا عَصَيْتُکَ فَأَطِعْنِي

المعنى

روى أنّه أشار عليه عند انصرافه من مكّه حاجّا و قد بايعه الناس،و قال:

يا أمير المؤمنين إنّ هذا أمر عظيم يخاف غوائل الناس فيه.فاكتب لطلحه بولايه البصره

و للزبير بولا-يه الكوفه و اكتب إلى معاويه و ذكّره القرابه و الصله و أقرّه على ولايه الشام حتّى يبايعك فإن بايعك و جرى على سنّتك و طاعه اللّه فاتركه على حاله و إن خالفك فادعه إلى المدينه و أبدله بغيره،و لا تموج بحار الفتنه.فقال عليه السّلام:

معاذ اللّه أن افسد دينى بدنيا غيرى،و لك يا ابن عبّاس أن تشير،و رأى.و حذف مفعول أرى للعلم به:أى أنظر فى وجه المصلحه.و أوجب طاعه نفسه لأنّه الإمام و لأنّه أفضل رأيا فإذا رأى المصلحه فى شىء فرأيه أرجح.

۳۰۶-و روى

اشاره

أنه عليه السّلام لما ورد الكوفه قادما من صفين مر بالشباميين فسمع بكاء النساء على قتلى صفين و خروج إليه حرب بن شرحبيل الشبامى و كان من وجوه قومه فقال عليه السّلام له:

و أقبل يمشى معه و هو عليه السّلام راكب فقال له:أَ تَغْلِبُكَمْ نِسَاؤُكُمْ عَلَى مَا أَسْمَعُ- أَ لاَ تَنْهَوْنَهُنَّ عَنْ هَذَا الرَّنِينِ- وَ أَقْبَلَ يَمْشِى مَعَهُ وَ هُوَ ع رَاكِبٌ- فَقَالَ لَهُ ارْجِعْ فَإِنَّ مَشْىَ مِثْلِكَ مَعَ مِثْلِى- فِتْنَهٌ لِلْوَالِى وَ مَذَلَّهٌ لِلْمُؤْمِنِ

اللغه

شبام بكسر الشين : حىّ من العرب .

المعنى

و قادما حال،و الاستفهام للإنكار دخل على النفى،و قد علمت ما فى الجزع من الرذيله فذلك نهى عنه،و لأنّه يجبن الرجل و يثبطهم عن الحرب و هو فى محلّ الحاجه،و نفّره عن المشى معه بضمير صغراه قوله:فإنّ مشى مثلك.إلى آخره،و تقدير الكبرى:و كلّما كان فتنه و مذلّه وجب تركه.

۳۰۷-و قال عليه السّلام،و قد مر بقتلى الخوارج يوم النهروان:

اشاره

بُؤْساً لَكُمْ لَقَدْ ضَرَّكُمْ مَنْ غَرَّكُمْ- فَقِيلَ لَهُ مَنْ غَرَّهُمْ يَا؟أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟- فَقَالَ الشَّيْطَانُ الْمُضِلُّ وَ الْأَنْفُسُ النَّفْسُ الْأَمَّارَهُ بِالسُّوءِ- غَرَّتْهُمْ بِالْأَمَانِيِّ وَ فَسَحَتْ لَهُمْ بِالْمَعَاصِى- وَ وَعَدَتْهُمُ الْإِظْهَارَ فَاقْتَحَمَتْ بِهِمُ النَّارَ

ص:۴۰۳

اللغه

البؤس : الشدّه .

المعنى

و يفهم من تفسيره لمن ضرّهم و غرّهم بالشيطان المضلّ و الأنفس الأمّاره بالسوء أنّ الشيطان قد يراد به النفس الأمّاره.و إنّ العطف إنّما يقتضى التغاير فى العباره .و الأمانى الّتى غرّتهم بها هى أمانى الغلبه و القهر،و فسحها لهم فى المعاصى ترخيصها لهم و توسيعها و تزيينها،و كذلك ما وعدتهم به من إظهارها لهم على من غالبهم.و ظاهر أنّ ذلك مستلزم لدخول النار. استعاره و لفظ الاقتحام مستعار لسرعه إدخالها لهم النار .

۳۰۸–و قال عليه السّلام:

اشاره

اِتَّقُوا مَعَاصِيَ اللَّهِ فِي الْخَلَوَاتِ- فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْحَاكِمُ

المعنى

أمر بالخشيه من معاصى اللّه.و نفّر عنها بضمير صغراه قوله:فإنّ الشاهد هو الحاكم.و تقدير كبراه:و كلّ من كان الشاهد عليه هو حاكمه وجب عليه أن يتّقيه.

۳۰۹–و قال عليه السّلام لما بلغه قتل محمد بن أبى بكر:

اشاره

إِنَّ حُزْنَنَا عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ سُرُورِهِمْ بِهِ- إِلاَّ أَنَّهُمْ نَقَصُوا بَغِيضاً وَ نَقَصْنَا حَبِيباً

المعنى

قد بيّنا فيما سلف مكانه منه عليه السّلام.

و قوله:فإنّ حزننا عليه على قدر سرورهم به.

أى بفقده.أراد أنّه يناسبه فى الشدّه،و أشار إلى الفرق بين اعتبار نقصانه منهم و نقصانه منه و ذلك فى معرض التألّم لفقده.

۳۱۰–و قال عليه السّلام:

اشاره

اَلْعُمُرُ الَّذِی أَعْذَرَ اللَّهُ فِیهِ إِلَی ابْنِ آدَمَ سِتُّونَ سَنَهً

اللغه

أعذر إلیه : أتاه بالعذر

المعنی

،و إعذار اللّه إلیه:إمهاله إیّاه المدّه المذکوره الّتی

ص:۴۰۴

هی مظنّه تحصیل الزاد لیوم المعاد فإنّ ما بعد السّتین یضعف فیه القوی النفسانیّه و البدنیّه و تکلّ عن العمل فمن قصّر إلی تلک الغایه فقد توجّه اللوم علیه و انقطعت حجّته بالإعذار إلیه.

۳۱۱-و قال علیه السّلام:

اشاره

مَا ظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ الْإِثْمُ بِهِ- وَ الْغَالِبُ بِالشَّرِّ مَغْلُوبٌ

المعنی

و هو تنفیر عن الظلم و البغی و ذلک أنّ الظافر الحقّ هو من قهر خصمه علی وجه العدل فمن لا یکون کذلک یلزمه الظلم و یقهره عند اللّه الإثم فیکون مغلوبا بظلمه و هو فی صوره غالب، استعاره و استعار وصف الظفر لأسره فی ربقه الإثم و إحاطته به .

۳۱۲-و قال علیه السّلام:

اشاره

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ- فَرَضَ فِی أَمْوَالِ الْأَغْنِیَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ- فَمَا جَاعَ فَقِیرٌ إِلَّا بِمَا مُتِّعَ بِهِ غَنِیٌّ- وَ اللَّهُ تَعَالَی سَائِلُهُمْ عَنْ ذَلِکَ

المعنی

أراد بذلک الفرض الزکاه،و ظاهر أنّ جوع الفقیر إنّما یکون بما یمنعه الغنیّ من القوت أو ما هو وسیله إلیه.و رهّب الأغنیاء بقوله:و اللّه سائلهم عن ذلک.

و هو صغری ضمیر تقدیر کبراه:و کلّ من سائله اللّه فینبغی أن یحذّر سؤاله.

۳۱۳-و قال علیه السّلام:

اشاره

اَلِاسْتِغْنَاءُ عَنِ الْعُذْرِ أَعَزُّ مِنَ الصِّدْقِ بِهِ

المعنی

أراد أنّ ترک ما یحتاج فیه إلی العذر فیستغنی بترکه عن العذر أعزّ علیک و أنفع لک من أن تأتیه و یکون لک فیه عذر صادق،و یحتمل أن یرید بقوله:أعزّ:

أی أکثر عزّه لک.إذ الإتیان بالعذر یحتاج إلی ذلّه و مهانه.

۳۱۴-و قال علیه السّلام:

اشاره

أَقَلُّ مَا یَلْزَمُکُمْ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ- أَلَّا تَسْتَعِینُوا بِنِعَمِهِ عَلَی مَعَاصِیهِ

ص:۴۰۵

المعنى

و ذلک أنّ العدل أن تستعينوا بنعمته على طاعته فإن لم تفعل ذلک فلا أقلّ من أن تستعمل فی الامور المباحه،دون الاستعانه بها على معصيته فإنّ ذلک ممّا يعد لسخطه.

۳۱۵–و قال عليه السّلام:

اشاره

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الطَّاعَهَ غَنِيمَهَ الْأَكْيَاسِ- عِنْدَ تَفْرِيطِ الْعَجَزَهِ

المعنى

طاعته تعالى غنيمه الأکياس باعتبار استلزامها للنعيم المقيم فی الآخره و سبب الغنيمه غنيمه،و الأکياس هم الّذين استعملوا فطنهم و حرکاتهم فی تحصيل ما ينبغی من علم و عمل،و خصّهم اللّه سبحانه بهذه الغنيمه عند تفريط العجزه و هم المقصّرون عمّا ينبغی لهم.و هو فی معرض ذمّهم على التقصير البالغ المشبه للعجز.

۳۱۶–و قال عليه السّلام:

اشاره

اَلسُّلْطَانُ وَزَعَهُ اللَّهِ فِی أَرْضِهِ

اللغه

الوزعه : الوازع و هو الرادع المانع

المعنى

:أی أنّ اللّه تعالى وضعه فی أرضه ليمنع به ما يريد منعه.و أراد السلطان العادل.

۳۱۷–و قال عليه السّلام فی صفه المؤمن:

اشاره

اَلْمُؤْمِنُ بِشْرُهُ فِی وَجْهِهِ وَ حُزْنُهُ فِی قَلْبِهِ- أَوْسَعُ شَیْءٍ صَدْراً وَ أَذَلُّ شَیْءٍ نَفْساً- يَكْرَهُ الرِّفْعَهَ وَ يَشْنَأُ السُّمْعَهَ- طَوِيلٌ غَمُّهُ بَعِيدٌ هَمُّهُ- كَثِيرٌ صَمْتُهُ مَشْغُولٌ وَقْتُهُ- شَكُورٌ صَبُورٌ- مَغْمُورٌ بِفِكْرَتِهِ ضَنِينٌ بِخَلَّتِهِ- سَهْلُ الْخَلِيقَهِ لَيِّنُ الْعَرِيكَهِ- نَفْسُهُ أَصْلَبُ مِنَ الصَّلْدِ- وَ هُوَ

أَذَلَّ مِنَ الْعَبْدِ

اللغه

يشنأ : يبغض .

المعنى و ذكر له فى معرض التعريف و المدح ستّه عشر وصفا:

اشاره

ص:۴۰۶

أحدها:أنّ بشره فی وجهه.

و ذلک من تمام فضیله التواضع و لین الجانب.

الثانی:و حزنه فی قلبه

.و ذلک من خشیه اللّه و نظره إلی ما عساه فرّط فی جنب اللّه.

الثالث:أوسع صدرا.

و قد علمت أنّ سعه الصدر فضیله للقوّه الغضبیّه،و قد یعبّر عنها برحب الذراع.أراد أنّه مستکمل لهذه الفضیله.

الرابع،و أذّل شیء نفسا

:أی لتواضعه للّه و نظر نفسه إلی محلّها و مقدارها من الحاجه إلی اللّه.و صدرا و نفسا تمیزان.

الخامس:کراهیّته للرفعه

.لأنّها مبدء الرذائل کالعجب و الکبر،و کذلک بغضه للسمعه احتراز من تلک الرذائل .

السادس:طول غمّه.

لنظره دائما إلی ما بین یدیه من الموت و ما بعده.

السابع:و بحسب ذلک کان بعد همّته

و علوّها عن دنایا الدنیا و نظره إلی المطلوب الأکمل من السعاده الاخرویّه الباقیه.

الثامن:کثیر صمته.

و ذلک لکمال عقله فهو لا ینطق إلاّ بما یحتاج إلیه ممّا فیه حکمه و صلاح.

التاسع:قد شغل وقته

:أی بعباده ربّه.

العاشر:کونه شکورا

:أی کثیر الشکر للّه.

الحادی عشر:صبور

:أی علی بلاء اللّه.

الثانی عشر:مغمور بفکرته

فی ملکوت السماوات و الأرض و استنباط آیات اللّه و عبره منها.

الثالث عشر:ضنین بخلّته.

لترصّده مواقع الخلّه و أهلها الّذین هم إخوان الصدق فی اللّه و هم قلیلون فلا یضعها کیف اتّفق و مع کلّ من طلب مودّته و خلّته، و یحتمل أن یرید أنّه إذا خالّ أحدا ضنّ بخلّته أن یضیّعها أو یهمل خلیله.و روی بفتح الخاء.و الخلّه:الحاجه:أی إذا عرضت له حاجه ضنّ بها أن یسأل أحدا فیها.

الرابع عشر:سهل الخلیقه

:أی لا جفاوه فی طباعه و لا خشونه.

ص:۴۰۷

الخامس عشر:

كنايه لين العريكه .و هو كنايه عن سهوله تناول ما يراد منه.و أصله الجلد من الأديم يكون ليّنا عند العرك من الدباغ،سهلا على دابغه .

السادس عشر:نفسه أصلب من الصلد

بشجاعته و ثباته فی طاعه اللّه،و هو أذلّ من العبد لتواضعه و معرفته بقدره عند قدره باريه.و الواو للحال.

۳۱۸-و قال عليه السّلام:

اشاره

لَوْ رَأَى الْعَبْدُ الْأَجَلَ وَ مَصِيرَهُ- لَأَبْغَضَ الْأَمَلَ وَ غُرُورَهُ

المعنى

استعاره استعار لفظ المسير للأجل و هو زمان الحياه باعتبار تقضّی أجزائه و انتهائه بفنائها كما يقطع السائر أجزاء المسافه و ينتهی إلى غايته بفنائها،و يحتمل أن يريد بالأجل غايه الحياه،و استعار لفظ المسير لدنوّها المعقول منه،و أراد أنّه لو كان الأجل بصوره سائر محسوس فشاهد العبد سيره به إلى الموت،و علم غايته لقطع آماله الدنيويّه و لم يغترر بها .

۳۱۹-و قال عليه السّلام:

اشاره

لِكُلِّ امْرِئٍ فِی مَالِهِ شَرِيكَانِ- الْوَارِثُ وَ الْحَوَادِثُ

المعنى

نفّر عن ادّخار المال بذكر الشريكين المكروهين.

۳۲۰-و قال عليه السّلام:

اشاره

اَلدَّاعِی بِلاَ عَمَلٍ كَالرَّامِی بِلاَ وَتَرٍ

المعنى

و وجه الشبه عدم إمكان الانتفاع.و نحوه قول الرسول صلّى اللّه عليه و آله:أحمق الناس من ترك العمل و تمنّى على اللّه.

۳۲۱-و قال عليه السّلام:

اشاره

اَلْعِلْمُ عِلْمَانِ مَطْبُوعٌ وَ مَسْمُوعٌ- وَ لاَ يَنْفَعُ الْمَسْمُوعُ إِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَطْبُوعُ

المعنى

أراد بالمطبوع العقل بالملكه و هو الاستعداد بالعلوم الضروريّه للانتقال منها

ص:۴۰۸

إلی العلوم المکتسبه و المسموعه من العلماء فإنّ من لا یکون له ذلک الاستعداد لا ینتفع بما یسمعه من العلوم و لا یتمکّن من اکتسابه.و قیل:أراد بالمطبوع ما یعلم من الاصول بطبیعه العقل کالتوحید و العدل،و بالمسموع العلوم الشرعیّه الّتی هی فرع العقلیّه.إذ لا ینتفع بفرع من دون أصله.

۳۲۲-و قال علیه السّلام:

اشاره

صَوَابُ الرَّأْيِ بِالدُّوَلِ- يُقْبِلُ بِإِقْبَالِهَا وَ يَذْهَبُ بِذَهَابِهَا

المعنی

أی أنّ الدوله مستلزمه لصواب الرأی.إذ کان من تمام السعاده المقتضیه للدوله أن یلزمها رأی صواب یکون به تدبیرها.و تلک السعاده و الدوله معدّه لاختیار أصلح الآراء و قائده إلیه فهو یقبل بإقبالها لإعدادها له و عند ذهابها یذهب الرأی الصواب و إن عدّ فی الظاهر صوابا.

۳۲۳-و قال علیه السّلام:

اشاره

اَلْعَفَافُ زِينَةُ الْفَقْرِ وَ الشُّكْرُ زِينَةُ الْغِنَى

المعنی

العفّه:فضیله القوّه الشهویّه.و ظاهر کونها زینه للإنسان و هی مع الفقر أجمل فإنّها یفید الفقیر بهاء محبّه فی قلوب الخلق و یکسبه المدح و الثناء منهم و یظهر أثرها علیه بسرعه.و إن فقدها الفقیر خسر الدنیا و الآخره،و کذلک الشکر من فضائل القوّه الشهویّه أیضا و قبیح بالغنیّ مقابله نعم اللّه بالکفران.فزینه غناه و تمامه إذن شکره له.

۳۲۴-و قال علیه السّلام:

اشاره

يَوْمُ الْعَدْلِ عَلَى الظَّالِمِ- أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الْجَوْرِ عَلَى الْمَظْلُومِ

المعنی

فیوم العدل یوم القیامه،و یوم الجور وقت الظلم.و قد مرّ بیانه.

۳۲۵-و قال علیه السّلام:

اشاره

اَلْأَقَاوِیلُ مَحْفُوظَهٌ وَ السَّرَائِرُ مَبْلُوَّهٌ- وَ «کُلُّ نَفْسٍ بِما کَسَبَتْ رَهِینَهٌ» وَ النَّاسُ مَنْقُوصُونَ مَدْخُولُونَ إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ- سَائِلُهُمْ مُتَعَنِّتٌ وَ مُجِیبُهُمْ مُتَکَلِّفٌ- یَکَادُ أَفْضَلُهُمْ رَأْیاً- یَرُدُّهُ عَنْ فَضْلِ رَأْیِهِ الرِّضَاالرِّضَی وَ السُّخْطُ- وَ یَکَادُ أَصْلَبُهُمْ عُوداً تَنْکَؤُهُ اللَّحْظَهُ- وَ تَسْتَحِیلُهُ الْکَلِمَهُ الْوَاحِدَهُ مَعَاشِرَ النَّاسِ اتَّقُوا اللَّهَ- فَکَمْ مِنْ مُؤَمِّلٍ مَا لاَ یَبْلُغُهُ وَ بَانٍ مَا لاَ یَسْکُنُهُ- وَ جَامِعٍ مَا سَوْفَ یَتْرُکُهُ- وَ لَعَلَّهُ مِنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ وَ مِنْ حَقٍّ مَنَعَهُ- أَصَابَهُ حَرَاماً وَ احْتَمَلَ بِهِ آثَاماً- فَبَاءَ بِوِزْرِهِ وَ قَدِمَ عَلَی رَبِّهِ آسِفاً لاَهِفاً- قَدْ «خَسِرَ الدُّنْیا وَ الْآخِرَهَ ذلِکَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِینُ»

اللغه

مدخول و مدخل : أی فی عقله دخل و علّه .و تنکؤه : أی تؤثّر فیه .و تستحیله:

تغیّره .و باء بثقله : رجع به و حصل علیه .و اللاهف : المتحسّر .

المعنی

و الفصل فی معرض الوعظ فتبّه السامعین أوّلا علی أنّ أقوالهم محفوظه و سرائرهم مختبره بما کلّفوا به من طاعه اللّه.و السرائر ما اضمر فی القلوب من العقائد و النیّات و غیرها.و عن معاذ بن جبل قال:سألت النبیّ صلّی اللّه علیه و آله عن قوله تعالی «یَوْمَ تُبْلَی السَّرائِرُ» (۱)ما هذه السرائر الّتی تبلی یوم القیامه؟فقال:سرائرکم هی أعمالکم من الصلاه و الصیام و الزکاه و الوضوء و الغسل من الجنابه و کلّ مفروض لأنّ الأعمال کلّها سرائر خفیّه فإن شاء قال:صلّیت و لم یصلّ،و إن شاء قال:توضّأت و لم یتوضّأ. استعاره و استعار لفظ الرهینه للنفس باعتبار وثوقها فی الأسر بما کسبت من الشرّ کما یوثق الرهن بما علیه من مال .و اللفظ من القرآن المجید.

و غرض ذلک التنبیه علی العدل فی القول و إضمار الخیر و اکتساب الأعمال الصالحه .

۱- ۱) ۹-۸۶

ثمّ نبّه على ما فيهم من النقصان الطبيعىّ المحتاج إلى التكميل المكتسب و وصف سائلهم بأنّ سؤاله خارج عمّا ينبغى لأنّ غرضه به الامتحان دون العلم،و مجيبهم بالتكلّف فى جوابه لقلّه علمه ،و أفضلهم رأيا بأنّه يكاد أن يردّه عن فضل رأيه ما يعرض له من أمر يرضى به أو يسخط له و يرجع عنه و إن كان يشاهد فيه المصلحه،و أصلبهم عودا:أى أشدّهم فى اللّه و أقواهم فى طاعته يؤثّر فيه اللحظه:أى ممّن ينظر إليه نظر الهيبه و تستحيله الكلمه الواحده منه فتغيّره عن الحقّ.و يجوز أن يريد اللحظه و الكلمه ممّن يستهويه للدنيا و لذّاتها .ثمّ أمرهم بتقوى اللّه و نفّر عن تقبيح الأمل جذبا إلى التقوى بذكر كثره من يؤمّل ما لا يبلغه و يبنى ما لا يسكنه و يجمع ما لابدّ من تركه مع احتمال أن يكون من باطل جمعه و من حقّ منعه أهله فأصابه حراما و حمل ثقل و زره و قدم به على ربّه حزينا متحسّرا على ما فرّط فى جنبه قد خسر الدنيا بموته و الآخره بتفريطه فى اكتساب خيرها و «ذٰلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ» .

۳۲۶-و قال عليه السّلام:

اشاره

مِنَ الْعِصْمَهِ تَعَذُّرُ الْمَعَاصِى

المعنى

أى من أسباب العصمه،و ذلك أنّ الإنسان يتعوّد بتركها حين لا يجدها حتّى يصير ذلك ملكه له و هى المراد بالعصمه.

۳۲۷-و قال عليه السّلام:

اشاره

مَاءُ وَجْهِكَ جَامِدٌ يُقْطِرُهُ السُّؤَالُ- فَانْظُرْ عِنْدَ مَنْ تُقْطِرُهُ

المعنى

استعاره مرشحه-كنايه استعار لفظ ماء الوجه للحياء و نوره على الوجه الّذى يذهب من وجه السائل بسؤاله،و رشّح بذكر الجمود و التقطير.و يحتمل أن يكون كنايه عمّا يعرض من العرق عند خجل السائل بسؤاله و استحيائه.و غرض الكلمه وضع السؤال موضعه من أهل المروّه و البيوتات،و روى:وجهك ماء جامد.فيكون استعاره للماء فى الوجه

باعتبار بذله فكأنّه ذاب و قطر كالماء الجامد .

۳۲۸-و قال علیه السّلام:

اشاره

اَلثَّنَاءُ بِأَكْثَرَ مِنَ الاِسْتِحْقَاقِ مَلَقٌ وَ التَّقْصِيرُ عَنِ الاِسْتِحْقَاقِ عِيٌّ أَوْ حَسَدٌ

المعنی

فالملق:هو التلطّف الشدید بالقول و الإفراط فی المدح.و نفّر عن طرفی الإفراط و التفریط فی الثناء فالإفراط بما یلزمه من رذیله الملق،و التفریط بما یلزمه من العیّ عن المدح أو الحسد بالفضیله الممدوح علیها.

۳۲۹-و قال علیه السّلام:

اشاره

أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا اسْتَهَانَ بِهِ صَاحِبُهُ

المعنی

و ذلک أنّ استهانته به یستلزم انهما که فیه و استکثاره منه و عدم إقلاعه عنه حتّی یصیر ملکه بخلاف ما یستصعبه من الذنوب.

۳۳۰-و قال علیه السّلام:أربع عشر کلمه:

اشاره

مَنْ نَظَرَ فِی عَيْبِ نَفْسِهِ اشْتَغَلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ- وَ مَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ اللَّهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَهُ- وَ مَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ- وَ مَنْ كَايَدَ الْأُمُورَ عَطِبَ- وَ مَنِ اقْتَحَمَ اللُّجَجَ غَرِقَ- وَ مَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ السُّوءِ اتُّهِمَ- وَ مَنْ كَثُرَ كَلاَمُهُ كَثُرَ خَطَؤُهُ- وَ مَنْ كَثُرَ خَطَؤُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ- وَ مَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ- وَ مَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ- وَ مَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النَّارَ- وَ مَنْ نَظَرَ فِی عُيُوبِ النَّاسِ فَأَنْكَرَهَا- ثُمَّ رَضِيَهَا لِنَفْسِهِ فَذَلِكَ الْأَحْمَقُ بِعَيْنِهِ- وَ مَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ- رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ- وَ مَنْ عَلِمَ أَنَّ كَلاَمَهُ مِنْ عَمَلِهِ- قَلَّ كَلاَمُهُ إِلاَّ فِيمَا يَعْنِيهِ

أحدها:

من نظر فى عيب نفسه اشتغل عن غيب غيره .لأنّه إنّما يذكر عيب الغير غالبا فى معرض الافتخار عليه بالبراءه من ذلک العيب فإذا نظر إلى مثله من نفسه شغله اعتبار ذلک النقصان فيها عن الاشتغال بنقصان غيره و النظر فيه .

الثانيه:

و من رضى برزق اللّه لم يحزن على ما فاته .و ذلک أنّ الحزن على ما فات مستلزم لعدم القناعه و الرضى بالحاصل من الرزق فعدم ذلک اللازم مستلزم لعدم ملزومه و هو الحزن على الفائت .

الثالثه:

و من سلّ سيف البغى قتل به .و هو کنايه عن الظلم،و ظاهر أنّ الظلم سبب لهلاک الظالم.و قد سبق بيانه مرارا .

الرابعه:

و من كابد الامور عطب :أى من قاساها بنفسه استعدّ بها للهلاک .

الخامسه:

استعاره و من اقتحم اللجج غرق .و استعار لفظ اللجج للامور العظام کالحروب و تدبير الدول،و لفظ الغرق للهلاک .

السادسه:

و من دخل مداخل السوءاتّهم .لأنّها مظنّه التهمه و دخولها من الأمارات الموجبه للظنّ کمعاشره الفسّاق و نحوه .

السابعه:

و من كثر كلامه كثر خطأه .لأنّه قد مرّ أنّ کمال العقل مستلزم لقلّه الكلام فيكون كثره الكلام مستلزما لنقصان العقل المستلزم لكثره الخطأ و القول من غير تروّ و تثبّت.

الثامنه:

و من كثر خطأه قلّ حياؤه لأنّک علمت أنّ الحياء هو أن يحسّن الارتداع عن الامور الّتى يقبح تعاطيها و الإقدام عليها لملاحظته ما ينتج من ارتكابها من قبح الاحدوثه.و الإقدام على الخطأ بكثره الكلام ينافى الارتداع عن تلک الامور و هو من جملتها.

التاسعه:

و من قلّ حياؤه قلّ ورعه .لأنّ الورع هو لزوم الأعمال الجميله و الوقوف على حدودها دون الرذائل.و الحياء منها.فقلّه الحياء مستلزم لقلّه الورع.و ربّما فسرّ الورع بالوقوف عن المحارم،و ظاهر أنّ قلّه الحياء أيضا مظنّه للإقدام على المحارم فكانت مظنّه لقلّه الورع فأقام الشيء مقام مظنّه الشيء و حكم به.

ص:۴۱۳

العاشره:

استعاره و من قلّ ورعه مات قلبه :أی لمّا کانت الفضیله هی حیاه القلب استعار لعدمها أو قلّتها فیه لفظ الموت باعتبار عدم انتفاعه بها کخروج المیّت عن الانتفاع بالحیاه .

الحادیه عشر:

و من مات قلبه دخل النار .لأنّ المزحزح له عنها إلی الجنّه هو استکماله بالفضیله فإذا فقدها فالنار موعده،و الکلام فی صوره قیاس مفصول نتیجته أنّ من کثر کلامه دخل النار.و هو تنفیر عن کثره الکلام .

الثانیه عشر:

و من نظر فی عیوب الناس فأنکرها ثمّ رضیها لنفسه فذلک الأحمق بعینه .و وجه الحمق أنّ کونه منکرا لها من غیره یستلزم کون الرأی الحقّ أن لا ـ یفعلها،و رضاه بها لنفسه مخالفه للرأی الحقّ له و خروج عن المصلحه لنفسه و ذلک حمق و نقصان ظاهر فی العقل.و الألف و اللام فی الحمق یفید حصره فی المشار إلیه،و لذلک أکّده بعینه .

الثالثه عشر:

و من أکثر من ذکر الموت رضی من الدنیا بالیسیر .لأنّ الغرض من طلب الکثیر منها الاستمتاع و الالتذاذ به و ذکر الموت کاسر لذلک الالتذاذ و مبغّض له .

الرابعه عشر:

و من علم أنّ کلامه من عمله قلّ کلامه إلاّ فیما یعنیه .و ذلک أنّ العالم بذلک یرتّب قیاسا هکذا:الکلام عمل،و الأعمال مؤاخذ علی ما لا یعنی منها.فینتج أنّ الکلام مؤاخذ علی ما لا یعنی منه.و ذلک موجب للاقتصار علی ما یعنی منه.

۳۳۱-و قال علیه السّلام:

اشاره

لِلظَّالِمِ مِنَ الرِّجَالِ ثَلاَثُ عَلاَمَاتٍ- یَظْلِمُ مَنْ فَوْقَهُ بِالْمَعْصِیَهِ- وَ مَنْ دُونَهُ بِالْغَلَبَهِ وَ یُظَاهِرُ الْقَوْمَ الظَّلَمَهَ

المعنی

فظلمه لمن فوقه عصیان اللّه و تعدّیه لحدوده العادله.و الثانیه مستلزمه للاولی، و الثالثه مستلزمه للاولیین.

۳۳۲–و قال علیه السّلام:

اشاره

عِنْدَ تَنَاهِی الشِّدَّهِ تَکُونُ الْفَرْجَهُ- وَ عِنْدَ تَضَایُقِ حَلَقِ الْبَلَاءِ یَکُونُ الرَّخَاءُ

المعنی

تناهی الشدّه مستلزم للخلاص منها و هو المراد بالفرج و کذلک تضایق الحلق هو وقت الفزع الخالص إلی اللّه و الرجاء الحقّ له و ذلک معدّ للفرج منه، استعاره و استعار لفظ الحلق للامور الشدیده المحیطه بالإنسان لا یجد عنها محیصا ملاحظه لشبهها بالحلقه فی البطان و الحزام .

۳۳۳–و قال علیه السّلام:لبعض أصحابه:

اشاره

لَا تَجْعَلَنَّ أَکْثَرَ شُغْلِکَ بِأَهْلِکَ وَ وَلَدِکَ- فَإِنْ یَکُنْ أَهْلُکَ وَ وَلَدُکَ أَوْلِیَاءَ اللَّهِ- فَإِنَّ اللَّهَ لَا یُضِیعُ أَوْلِیَاءَهُ- وَ إِنْ یَکُونُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ- فَمَا هَمُّکَ وَ شُغُلُکَ بِأَعْدَاءِ اللَّهِ

المعنی

نهی عن کثره الاشتغال بالأهل و الولد لصرف ذلک عن طاعه اللّه،و نبّه علی عدم جوازه بما هو فی قوّه قیاس شرطیّ منفصل تقدیره:أنّ أهلک لا یخلو إمّا أن یکونوا من أولیاء اللّه أو أعدائه و علی التقدیرین لا یجوز الاشتغال بهم أمّا أن یکونوا من أولیاء اللّه أو أعدائه و علی التقدیرین لا یجوز الاشتغال بهم أمّا الأولیاء فلأنّ اللّه تعالی یکفیهم مئونتهم فلا حاجه بهم إلی اهتمام غیره،و أمّا أعداءه فلا یجوز الاهتمام بحالهم. استفهام علی سبیل التقریع و التوبیخ و–ما–فی قوله: فما همّک .استفهام علی سبیل التقریع و التوبیخ .

۳۳۴–و قال علیه السّلام:

اشاره

أَکْبَرُ الْعَیْبِ أَنْ تَعِیبَ مَا فِیکَ مِثْلُهُ

المعنی

و قد مرّ أن ذلک حمق و هو أکبر العیوب.

-۳۳۵

اشاره

و هنأ بحضـرته رجل رجلا بغلام ولد له فقال له:ليهنئک الفارس فقال علیه السّـلام:لَا تَقُلْ ذَلِکَ- وَ لَکِنْ قُلْ شَـکَرْتَ الْوَاهِبَ- وَ بُورِکَ لَکَ

ص:۴۱۵

فِی الْمَوْهُوبِ- وَ بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ رُزِقْتَ بِرَّهُ

المعنی

و هذا إرشاد منه للتهنئه بالولد فیها أربع فواید:

أحدها:تذکیر الوالد بشکر اللّه و إلفاته إلیه.

و الثانیه:استنزال البرکه منه بالدعاء فیما وهب له.

الثالثه:الدعاء للموهوب بالبقاء و بلوغ الأشدّ و هو کمال القوّه لغایه الانتفاع به.

الرابعه:الدعاء بثمرته و الانتفاع به و هی أن یرزقه برّه و نفعه.

۳۳۶-و بنی رجل من عماله بناء فخما فقال علیه السّلام:

اشاره

أَطْلَعَتِ الْوَرِقُ رُءُوسَهَا- إِنَّ الْبِنَاءَ یَصِفُ لَکَ الْغِنَی

اللغه

الفخم : العظیم .

المعنی

کنایه و کنّی بطلوع الورق لرؤوسها عن ظهور أثرها فی البناء ملاحظه لشبهها بالحیوانات فی ظهوره ، استعاره و کذلک استعار لفظ الوصف و نسبه إلی البناء باعتبار أنّه ینبیء عن الغنی کما ینبیء الوصف عن موصوفه .

۳۳۷-و قیل له علیه السّلام:

اشاره

لو سد علی رجل باب بیته و ترک فیه من أین کان یأتیه رزقه؟فقال علیه السّلام:

مِنْ حَیْثُ یَأْتِیهِ أَجَلُهُ

المعنی

قاس الرزق على الأجل لاشتراكهما فی مبدء واحد و هو قدره الصانع تعالی.

و أشار إلی ذلک بقوله:من حیث.

۳۳۸-و عزی قوما عن میت مات لهم فقال علیه السّلام:

اشاره

إِنَّ هَـذَا الْأَمْرَ لَیْسَ بِکُمْ لَکُمْ بَـدَأَ- وَ لاَ إِلَیْکُمُ انْتَهَی- وَ قَدْ کَانَ صَاحِبُکُمْ هَذَا یُسَافِرُ فَعُدُّوهُ فِی بَعْضِ أَسْـفَارِهِ- فَإِنْ قَدِمَ عَلَیْکُمْ وَ إِلاَّ قَدِمْتُمْ عَلَیْهِ

ص:۴۱۶

المعنى

فعدّوه :أی افترضوا أنّه كذلک.و التعزیه فصیحه العباره جزیله المعنی مفیده للاقناع و السلو.

۳۳۹-و قال علیه السّلام:

اشاره

أَیُّهَا النَّاسُ لِیَرَاکُمُ[لِیَرَاکُمُ]لِیَرَکُمُ اللَّهُ مِنَ النِّعْمَهِ وَجِلِینَ- کَمَا یَرَاکُمْ مِنَ النِّقْمَهِ فَرِقِینَ- إِنَّهُ مَنْ وُسِّعَ عَلَیْهِ فِی ذَاتِ یَدِهِ- فَلَمْ یَرَ ذَلِکَ اسْتِدْرَاجاً فَقَدْ أَمِنَ مَخُوفاً- وَ مَنْ ضُیِّقَ عَلَیْهِ فِی ذَاتِ یَدِهِ- فَلَمْ یَرَ ذَلِکَ اخْتِبَاراً فَقَدْ ضَیَّعَ مَأْمُولاً

اللغه

الاستدراج : الأخذ علی غرّه .

المعنی

و أمر بالوجل من نعمه اللّه حال إفاضتها خوف الاستدراج بها کما یخاف من النقمه و ذلک أنّ النعمه بلاء یجب مقابلته بالشکر کما أنّ النقمه بلاء یجب مقابلته بالصبر.و الغرض الحثّ علی فضیلتی الشکر و الصبر .

و حذّر من الرکون إلی النعمه و الغفله فیها عن اللّه بقوله: إنّه .إلی قوله: أمن مخوفا ،و هو صغری ضمیر تقدیر کبراه:و کلّ من أمن مخوفا فهو مغرور .و کذلک حذّر الفقیر أن یغفل عن کون فقره بلاء و اختبارا،و یعدّه لذلک بما یلزم ذلک من تضییع المأمول،و ذلک أنّه یستعدّ باعتقاد أنّه اختبار من اللّه للصبر علیه و یؤمل منه تعالی الأجر الجزیل فی الآخره و إذا لم یعتقد ذلک بطل استعداده به فیضیّع مأموله منه.

۳۴۰-و قال علیه السّلام:

اشاره

یَا أَسْرَی الرَّغْبَهِ أَقْصِرُوا- فَإِنَّ الْمُعَرِّجَ عَلَی الدُّنْیَا لاَ یَرُوعُهُ مِنْهَا- إِلاَّ صَرِیفُ أَنْیَابِ الْحِدْثَانِ- أَیُّهَا النَّاسُ تَوَلَّوْا مِنْ أَنْفُسِکُمْ تَأْدِیبَهَا- وَ اعْدِلُوا بِهَا عَنْ ضَرَاوَهِضَرَاوَهِ عَادَاتِهَا

اللغه

الضراوه : الجرأه علی الصید و الولوع به.و الضرایه-بالفتح-لغه.و الضرایه

-بالكسر-:مصدر ضرى به.و الثلاث نسخ وردت بها الروايه ،

المعنى

استعاره و استعار لفظ الأسرى لمن ملكته رغبته فى الدنيا و حبّه لها .و أمرهم بالإقصار عن الإفراط فى طلبها و نفّر عن التعريج و الانعطاف عليها بقوله:فإنّ المعرّج،إلى قوله:و الحدثان، استعاره و استعار لفظ الصريف و الأنياب ملاحظه لشبهه الموت عند قدومه بالبعير الهائج .ثمّ أيّه بالناس و أمرهم أن يتولّوا من أنفسهم تأديبها و رياضتها و الوقوف بها على حدّ العدل من الحركات و الأفعال و أن يعدلوا بها عن جرأتها و إقدامها على الانهماك فى المشتهيات.

و قد عرفت معنى الرياضه.

۳۴۱-و قال عليه السّلام:

اشاره

لَا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَهٍ خَرَجَتْ مِنْ أَحَدٍ سُوءاً- وَ أَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مُحْتَمَلاً

المعنى

أى ما دمت تجد لكلام الغير محملا و تأويلا فلا تظنّنّ به سوء فإنّ النفوس السليمه أقرب إلى اللّه من غيرها.و الواو للحال.

۳۴۲-و قال عليه السّلام:

اشاره

إِذَا كَانَتْ لَكَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ حَاجَهٌ- فَابْدَأْ بِمَسْأَلَهِ الصَّلَاهِ عَلَى رَسُولِهِ ص- ثُمَّ سَلْ حَاجَتَكَ- فَإِنَّ اللَّهَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حَاجَتَيْنِ- فَيَقْضِيَ إِحْدَاهُمَا وَ يَمْنَعَ الْأُخْرَى

المعنى

أمر بتقديم سؤال الصلاه على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى طلب الحاجه للاستعداد به،و رغّب فيه بقوله:فإنّ اللّه سبحانه.إلى آخره:أى أنّ المسأله الاولى مجابه من اللّه بالاتّفاق فيجب من كرمه إجابه الثانيه و هو صغرى ضمير تقدير كبراه:و كلّ من كان أكرم من ذلك فينبغى أن يسئل المسألتين ليقضى الحاجه.

۳۴۳-و قال عليه السّلام:

اشاره

مَنْ ضَنَّ بِعِرْضِهِ فَلْيَدَعِ الْمِرَاءَ

ص:۴۱۸

المعنی

و ذلک أنّه داعیه ثوران القوّه الغضبیّه،من الممارین و مبدء المشاتمه و المسابّه.

۳۴۴-و قال علیه السّلام:

اشاره

مِنَ الْخُرْقِ الْمُعَاجَلَهُ قَبْلَ الْإِمْکَانِ- وَ الْأَنَاهُ بَعْدَ الْفُرْصَهِ

اللغه

الخرق : الحمق .

المعنی

و معاجله طلب الحاجه و الإسراع إلیها قبل وقت إمکانها إفراط فی طلبها،و الأناه فیها إذا أمکنت تفریط فیه و هما مذمومان و صاحبهما واضع للطلب فی غیر مواضعه و هو حمق ظاهر و نقصان فی عقل وجوه التدبیر.و الحقّ العدل هو وضع الطلب فی وقت الإمکان و الفرصه.

۳۴۵-و قال علیه السّلام:

اشاره

لَا تَسْأَلْ عَمَّا لَمْ یَکُنْ لَا یَکُونُ- فَفِی الَّذِی قَدْ کَانَ لَکَ شُغُلٌ

المعنی

أمر بالسلو عن ما لا یکون من زیاده رزق و نحوه من المطالب الدنیویّه بما قد کان و وقع من المطالب الّتی اعطیها الإنسان.و رغّب فیما أمر به من السلو بقوله:

ففی الّذی.إلی آخره:أی ففی ذلک شغل لک عمّا تتوقّع من غیره،و أراد الشغل بضبط ما فی یده من النعمه و ما ینبغی من الاشتغال بشکرها و استعمالها فی طاعه اللّه و هو صغری ضمیر تقدیر کبراه:و کلّما کان کذلک فینبغی أن یشتغل به عمّا وراءه و لا یطلب الزیاده علیه.

۳۴۶-و قال علیه السّلام:ثلاث کلمات:

اشاره

اَلْفِکْرُ مِرْآهٌ صَافِیَهٌ وَ الِاعْتِبَارُ مُنْذِرٌ نَاصِحٌ- وَ کَفَی أَدَباً لِنَفْسِکَ تَجَنُّبُکَ مَا کَرِهْتَهُ لِغَیْرِکَ

إحداها:

استعاره الفکر مرآه صافیه .

ص:۴۱۹

و استعار لها له لفظ المرآه باعتبار أنّه يرى به المعقولات كما يرى الأشباح فى المرآه. و قد سبق بيانه .

الثانيه:

استعاره الاعتبار منذر ناصح .استعار لفظ المنذر الناصح للاعتبار،و ذلك أنّه يذكّر الآخره و يفيد الانزجار و الاتّعاظ عن المناهى كالمنذر الناصح .

الثالثه:

و كفى أدبا لنفسك ما كرهته لغيرك .أشار أنّ تجنّب المرء لما يكره لغيره من الرذائل المهلكه أدب كاف له.و نفّر عنه بكونه مكروها للغير و رغّب فى تجنّبه بكونه أدبا كافيا للنفس.

۳۴۷-و قال عليه السّلام:

اشاره

اَلْعِلْمُ مَقْرُونٌ بِالْعَمَلِ فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ- وَ الْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ- فَإِنْ أَجَابَ أَجَابَهُ وَ إِلاَّ ارْتَحَلَ عَنْهُ

المعنى

أراد أنّه مقرون به فى الوضع الّذى ينبغى بمقتضى الحكمه الإلهيّه،و ذلك أنّه تعالى جعل للنفس العاقله قوّتين علميّه و عمليّه و جعل كمالها باستكمال هاتين القوّتين بالعلم و العمل و لا كمالها بالعلم دون اقترانه بالعمل.

و قوله: فمن علم عمل .

أى من علم ما ينبغى لزمه فى الحكمه أن يعمل بمقتضى العلم و كان ذلك داعيا له إلى العمل مستلزما لوجوده منه،و يحتمل أن يكون قوله:عمل.خبرا فى معنى الأمر:أى فمن علم فليعمل.

استعاره و قوله: و العلم يهتف بالعمل.إلى آخره .

فالهتف النداء و إن لم ير المنادى،و استعار لفظه للمعقول من طلب العلم لمقارنه العمل الّذى ينبغى له و جذبه الطبيعى له فكأنّه يصيح به و يدعوه إلى مقارنته ليكون منهما كمال الإنسان .و معنى قوله: فإن أجابه و إلاّ ارتحل .أنّ العلم الّذى ينبغى إذا قارنه العمل تأكّد به حتّى يصير العلم كأنّه برز إلى عالم الحسّ فى صوره الفعل.

مثلا إذا علم الإنسان وجود الصانع و ما ينبغى من طاعته ثمّ قرن ذلك بعبادته

استلزمت تلک العباده منه دوام ملاحظته تعالی و إخطار ذکره بالبال حتّی لا یصیر منسیّا له فی وقت.فأمّا إذا ترک العمل للّه فلا بدّ أن یشتغل بغیره عن ذکره و ینقطع ملاحظته له حتّی یکون ذلک سببا لنسیانه و الغفله عنه. استعاره-مجازا إطلاقا لاسم ذی الغایه علی غایته و استعار لفظ الارتحال لزوال العلم باعتبار عدم استعداد تلک النفس و صلاحیّتها،کالراحل عن وطن لا یصلح لاستیطانه.و قیل:أراد بالارتحال عدم المنفعه مجازا إطلاقا لاسم ذی الغایه علی غایته.إذ کانت الغایه من الارتحال عدم المنفعه بالمرتحل .

۳۴۸-و قال علیه السّلام:

اشاره

یاأَیُّهَا النَّاسُ مَتَاعُ الدُّنْیَا حُطَامٌ مُوبِئٌ- فَتَجَنَّبُوا مَرْعَاهُ قُلْعَتُهَا أَحْظَی مِنْ طُمَأْنِینَتِهَا- وَ بُلْغَتُهَا أَزْکَی مِنْ ثَرْوَتِهَا- حُکِمَ عَلَی مُکْثِرِیهَامُکْثِرٍ مِنْهَا بِالْفَاقَهِ- وَ أُعِینَ مَنْ غَنِیَ عَنْهَا بِالرَّاحَهِ- مَنْ رَاقَهُ زِبْرِجُهَا أَعْقَبَتْ نَاظِرَیْهِ کَمَهاً- وَ مَنِ اسْتَشْعَرَ الشَّغَفَ بِهَا مَلَأَتْ ضَمِیرَهُ أَشْجَاناً- لَهُنَّ رَقْصٌ عَلَی سُوَیْدَاءِ قَلْبِهِ- هَمٌّ یَحْزُنُهُ- حَتَّی یُؤْخَذَ بِکَظَمِهِ فَیُلْقَی بِالْفَضَاءِ مُنْقَطِعاً أَبْهَرَاهُ- هَیِّناً عَلَی اللَّهِ فَنَاؤُهُ وَ عَلَی الْإِخْوَانِ إِلْقَاؤُهُ- وَ إِنَّمَا یَنْظُرُ الْمُؤْمِنُ إِلَی الدُّنْیَا بِعَیْنِ الاِعْتِبَارِ- وَ یَقْتَاتُ مِنْهَا بِبَطْنِ الاِضْطِرَارِ- وَ یَسْمَعُ فِیهَا بِأُذُنِ الْمَقْتِ وَ الْإِبْغَاضِ- إِنْ قِیلَ أَثْرَی قِیلَ أَکْدَی- وَ إِنْ فُرِحَ لَهُ بِالْبَقَاءِ حُزِنَ عَلَیْهِ بِالْفَنَاءِ- هَذَا وَ لَمْ یَأْتِهِمْ یَوْمٌ فِیهِ یُبْلِسُونَ

اللغه

أقول: القلعه : الرحله .و الحظوه : المنفعه .و راقه : أعجبه و الکمه : العمی خلقه .و الأشجان : العوارض المهمّه .و الرقص : الغلیان و الاضطراب .و الأبهران عرقان متعلّقان بالقلب .و أکدی : قلّ خیره .و الإبلاس : الیأس من الرحمه .

ص:۴۲۱

و فی الفصل فایدتان:

إحداهما نفّر عن الدنیا بامور:

استعاره أحدها:أنّ حطامها موبیء :أی مهلک،و استعار لفظ الحطام لمتاعها باعتبار سرعه زواله و قلّه الانتفاع به کما قال تعالی «إِنَّما مَثَلُ الْحَیاهِ الدُّنْیا کَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ» (۱)الآیه.و کونه موبئا استلزم اقتنائه و الاعتناء بجمعه للهلاک فی الآخره و لذلک أمر بتجنّب مرعاه:أی رعیه أو محلّ رعیه و هو الدنیا.

الثانی:قلعتها و عدم القرار بها أنفع من الطمأنینه إلیهالما یستلزمه من الشقاوه فی الآخره بمحبّتها و السکون إلیها.

الثالث:أنّ الاقتصار علی البلغه من العیش فیها أزکی من الثروه بهالما تستلزمه من الثروه بها من الشقاء الاخروىّ.فالاقتصار علی القدر الضروریّ منها أطهر و أسلم من غوائلها .

الرابع:حکم بالفاقه علی مکثرها.أمّا فیها فلأنّ کلّ زیاده منها موجبه للحاجه إلی أخری فلذلک کان أکثر الناس حاجه فیها الملوک ثمّ من دونهم علی اختلاف درجاتهم فیها،و أمّا فی الآخره فلفقر المکثر فیها المشتغل بها من ملکات الخیر و الفضائل.

الخامس:أنّ من غنی عنها بزهده فیها اعین من اللّه بالراحه منها .

السادس:أنّ من أعجبته زینتها فأنصب إلیها عمی عمّا فیها من العبر عمّا وراءها من أحوال الآخره، استعاره و استعار لفظ الکمه للمعقول من عمی البصیره عن الاعتبار لأنّ ذلک أشدّ من العمی کما قال تعالی «فَإِنَّها لا تَعْمَی الْأَبْصارُ وَ لکِنْ تَعْمَی الْقُلُوبُ الَّتِی فِی الصُّدُورِ» (۲).

استعاره بالکنایه السابع:أنّ من اتّخذ محبّتها شعارا ملأت قلبه هموما و غموما و أحزانا علی

ص:۴۲۲

۱- ۱) ۳-۱۰.

۲- ۲) ۳۵-۲۷.

ما لم يحصل منها بطلبه،و على ما فات منها بالأسف عليه.و استعار لفظ الرقص لتعاقب تلك الأحزان و الهموم،و اضطرابها فى قلبه إلى غايه الأخذ بكظمه،و كنّى به عن الموت،و بإلقائه بالفضاء عن دفنه .و منقطعا و هيّنا حالان .

و الفائده الثانيه.أنّه أرشد إلى صفات المؤمن فى صحبه الدنيا:

إحداها:أنّه إنّما ينظر إليها بعين الاعتبار ليحصل منها عبره،و ذلك هو الّذى خلق لأجله.

الثانيه: كنايه و يقتات منها ببطن الاضطرار .و كنّى به عن كونه لا يتناول منها إلاّ بلغته و مقدار ضرورته.

الثالثه: كنايه و يسمع فيها باذن المقت و الإبغاض .و كنّى به عن بغضه لها فهو لا يسمع ما تمدح به،بل معايبها .

و قوله: إن قيل أثرى .إلى قوله: الفناء .أراد أنّ الإنسان فيها منغّص اللذّه مكدّر العيشه بينا هو مثر إذ لحقه الإكداء و الفقر،و فرح ببقاء حبيب إذ لحقه الحزن عليه.و هذا الكلام لاحق بالفائده الاولى فى وصف حال الإنسان فى الدنيا و من تمامه،و وصف المؤمن هنا اعتراض.

و قوله هذا و لم يأتهم:أى هذا البلاء و لم يأت الناس يوم القيامه الّذى لشدّه هوله ييأسون فيه من الرحمه.

۳۴۹-و قال عليه السّلام:

اشاره

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَضَعَ الثَّوَابَ عَلَى طَاعَتِهِ- وَ الْعِقَابَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ ذِيَادَةً لِعِبَادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ- وَ حِيَاشَةً لَهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ

اللغه

الذوده : الدفع و المنع .

المعنى

و أشار إلى غايتى الحكمه الإلهيّه من وضع الثواب و العقاب و هما ردّ عباد اللّه عن نقمته و جمعهم إلى جنّته.

۳۵۰-و قال عليه السّلام:

اشاره

يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ- لَا يَبْقَى فِيهِمْ مِنَ؟الْقُرْآنِ؟ إِلَّا رَسْمُهُ- وَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا اسْمُهُ- وَمَسَاجِدُهُمْ يَوْمَئِذٍ عَامِرَةٌ مِنَ الْبِنَاءِ- خَرَابٌ

مِنَ الْهُدَی- سُکّانُهَا وَ عُمَّارُهَا شَرُّ أَهْلِ الْأَرْضِ- مِنْهُمْ تَخْرُجُ الْفِتْنَهُ وَ إِلَیْهِمْ تَأْوِی الْخَطِیئَهُ- یَرُدُّونَ مَنْ شَذَّ عَنْهَا فِیهَا- وَ یَسُوقُونَ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا إِلَیْهَا- یَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فَبِی حَلَفْتُ- لَأَبْعَثَنَّ عَلَی أُولَئِکَ فِتْنَهً أَتْرُکُ تَتْرُکُ الْحَلِیمَ فِیهَا حَیْرَانَ- وَ قَدْ فَعَلَ وَ نَحْنُ نَسْتَقِیلُ اللَّهَ عَثْرَهَ الْغَفْلَهِ

المعنی

رسم القرآن :أثره،و هو تلاوته. و لا یبقی من الإسلام إلّا اسمه :أی دون العمل.

و سکّان المساجد و عمّارها :القرّاء السوء و أئمّه الضلال الّدین وصفهم علیه السّلام فی صدر الکتاب بقوله:إنّ أبغض الخلایق إلی اللّه رجلان.إلی آخره و بقوله فی فصل آخر ذامّا لاختلاف الناس فی الفتیا:ترد علی أحدهم القضیّه.إلی آخره .و ظاهر أنّ أولئک و أمثالهم شرّ أهل الأرض لکونهم مبدء الفتنه فی الدین و إلیهم ترجع خطایا الخلق.إذ بهم یقتدون و عنهم یأخذون.و من کان کذلک فقد استعدّ للفتنه الّتی یحار فیها الحلیم رزین العقل،و روی:الحکیم .و إذا سأل علیه السّلام من اللّه تعالی إقاله عثره الغفله فیجب الاقتداء به فی ذلک السؤال.اللّهمّ أقلنا من عثره الغفله.

۳۵۱-و روی

اشاره

أنه علیه السّلام قلما اعتدل به المنبر إلا قال أمام الخطبه:أَیُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ- فَمَا خُلِقَ امْرُؤٌ عَبَثاً فَیَلْهُوَ- وَ لاَ تُرِکَ سُدًی فَیَلْغُوَ- وَ مَا دُنْیَاهُ الَّتِی تَحَسَّنَتْ لَهُ بِخَلَفٍ- مِنَ الْآخِرَهِ الَّتِی قَبَّحَهَا سُوءُ النَّظَرِ عِنْدَهُ- وَ مَا الْمَغْرُورُ الَّذِی ظَفِرَ مِنَ الدُّنْیَا بِأَعْلَی هِمَّتِهِ- کَالْآخَرِ الَّذِی ظَفِرَ مِنَ الْآخِرَهِ بِأَدْنَی سُهْمَتِهِ

اللغه

أقول: السدی : المهمل .و السهمه النصیب .

المعنی

و لمّا کان تقوی اللّه و التزوّد بها إلیه هو المطلوب من خلق الإنسان لا جرم صدّر علیه السّلام بالأمر بها عامّه خطبه،و

و نبّه على ذلـك المطلوب و أنّ الغـايه هو الآخره منه ،و أنّه ليست الـدنيا و إن تحسّـنت له بخلف من غايته و إن قبّحها سوء نظره لها و معرفته بها ،و على أنّه لا مناسـبه بين من ظفر من الدنيا بأعلى مطالبه منها و بين من ظفر من الآخره بأدنى نصيب لشرف متاع الآخره فكيف من يظفر منها بأعلى قسط.و نفّر طالب الدنيا و المدّعى للظفر بها بكونه مغرورا.و الفصل ظاهر.

۳۵۲-و قال عليه السّلام عشر كلمات:

اشاره

لَا شَرَفَ أَعْلَى مِنَ الْإِسْلَامِ- وَ لَا عِزَّ أَعَزُّ مِنَ التَّقْوَى- وَ لَا مَعْقِلَ أَحْسَنُ مِنَ الْوَرَعِ- وَ لَا شَفِيعَ أَنْجَحُ مِنَ التَّوْبَهِ- وَ لَا كَنْزَ أَغْنَى مِنَ الْقَنَاعَهِ- وَ لَا مَالَ أَذْهَبُ لِلْفَاقَهِ مِنَ الرِّضَا بِالْقُوتِ- وَ مَنِ اقْتَصَرَ عَلَى بُلْغَهِ الْكَفَافِ- فَقَدِ انْتَظَمَ الرَّاحَهَ وَ تَبَوَّأَ خَفْضَ الدَّعَهِ- وَ الرَّغْبَهُ مِفْتَاحُ النَّصَبِ وَ مَطِيَّهُ التَّعَبِ- وَ الْحِرْصُ وَ الْكِبْرُ وَ الْحَسَدُ- دَوَاعٍ إِلَى التَّقَحُّمِ فِى الذُّنُوبِ- وَ الشَّرُّ جَامِعُ مَسَاوِئِ الْعُيُوبِ

إحداها

لا شرف أعلى من الإسلام لاستلزامه شرف الدنيا و الآخره.

الثانيه:

و لا عزّ أعزّ من التقوى لأنّ التقوى تستلزم جميع مكارم الأخلاق الجامعه لعزّ الدنيا و الآخره فكان عزّها أكبر عزّا من غيرها.

الثالثه:

استعاره و لا معقل أحصن من الورع .و استعار له لفظ المعقل باعتبار تحصّن الإنسان به من عذاب اللّه،و لمّا كان عباره عن لزوم الأعمال الجميله فلا معقل أحصن منه .

الرابعه:

استعاره و لا شفيع أنجح من التوبه .و ذلك لاستلزامها العفو عن جريمه التائب قطعا دون سائر الشفعاء بشفاعتهم.و لفظ الشفيع مستعار لها .

الخامسه:

استعاره و لا كنز أعنى من القناعه .و ذلك لكونها فضيله مستلزمه لسكون نفس الإنسان،و رضاه بما قسّم له،و غناه عمّا وراءه.و لا شيء من سائر الكنوز لأبناء

الدنيا كذلك.و لفظ الكنز مستعار لها .

السادسه:

و لا مال أذهب للفاقه من الرضا بالقوت .و هو قريب ممّا قبله.

السابعه:

و من اقتصر على بلغه الكفاف فقد انتظم الراحه :أى فى سلك الراحه من الهمّ بطلب الدنيا و مجاذبه أهلها و تبوّأ خفض الدعه:أى اتّخذ لين السكون مباءه و مرجعا .

الثامنه:

استعاره و الرغبه مفتاح النصب و مطيّه التعب .استعار للرغبه فى الدنيا لفظ المفتاح باعتبار فتحه لباب التعب على الراغب،و كذلك لفظ المطيّه باعتبار استلزامها له كالمطيّه المتعب ركوبها .

التاسعه:

و الحرص و الكبر و الحسد دواع إلى التقحّم فى الذنوب . التقحّم :

الدخول بسرعه.فالحرص على الدنيا داع إلى الظلم و الكذب و الفجور و الجبن و البخل و نحوها من الرذائل،و الكبر داع إلى قلّه الإنصاف و عدم التواضع و العجب و التهوّر و عدم الاحتمال و نحوها،و الحسد داع إلى الظلم و الكذب و الفساد فى الأرض و غيرها من الآثام .

العاشره:و الشرّ جامع لمساوى العيوب.

الشرّ كلّىّ كالجنس لمساوى العيوب و مقابحها.إذ كلّ منها يصدق عليه أنّه شرّ مخصوص و هو المعنىّ بكون الشرّ جامعا لها.

۳۵۳-و قال عليه السّلام:لجابر بن عبد اللّه الانصارى:

اشاره

يَا؟جَابِرُ؟ قِوَامُ الدِّينِ وَ الدُّنْيَا بِأَرْبَعَهٍ- عَالِمٍ مُسْتَعْمِلٍ عِلْمَهُ- وَ جَاهِلٍ لاَ يَسْتَنْكِفُ أَنْ يَتَعَلَّمَ- وَ جَوَادٍ لاَ يَبْخَلُ بِمَعْرُوفِهِ- وَ فَقِيرٍ لاَ يَبِيعُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ- فَإِذَا ضَيَّعَ الْعَالِمُ عِلْمَهُ- اسْتَنْكَفَ الْجَاهِلُ أَنْ يَتَعَلَّمَ- وَ إِذَا بَخِلَ الْغَنِيُّ بِمَعْرُوفِهِ- بَاعَ الْفَقِيرُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ- يَا؟جَابِرُ؟ مَنْ كَثُرَتْ نِعَمُ اللَّهِ عَلَيْهِ- كَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاسِ إِلَيْهِ- فَمَنْ قَامَ لِلَّهِ

فِيهَا- بِمَا يَجِبُ فِيهَا عَرَّضَهَا لِلدَّوَامِ وَ الْبَقَاءِ وَ مَنْ لَمْ يَقُمْ فِيهَا بِمَا يَجِبُ عَرَّضَهَا لِلزَّوَالِ وَ الْفَنَاءِ

المعنى

الدنيا إنّما يقوم بالمال،ثمّ بالعلم لوضعه فى مواضعه و معرفه وجوه اكتسابه الّتى ينبغى أولا ينبغى من حلال و حرام و هو علم الفقه و اصوله و تفسير كتاب اللّه و سنّه رسوله اللذين منهما تعلّم الأحكام،ثمّ ما يلزم ذلك من علم العربيّه و نحوه.

و لمّا كان العلم لا بدّ له من حال و المال لابدّ له من قان وجب أن يكون من شرط الأوّل أن يعمل بعمله،و من شرط الثانى أن يستعمل ماله فى مصارفه الّتى ينبغى و إلاّ لم يكن لهما فائده و لا قامت بهما أحوال الخلق الّتى هى الدنيا،و لمّا كان الموت ضروريّا للعلماء و غيرهم و وجب قيام الدنيا و بقاء نظامها أن يدوم العلم فى قرن من الناس بعد قرن وجب أن يكون هناك جهّال لا يستنكفون عن تعلّمه و لمّا كانت حاجه البعض إلى البعض فى قوام الدنيا ضروريّه و لم تجر فى نظامها أن يستغنى كلّ عن كلّ لأسباب معلومه و غير معلومه وجب أن يكون هناك من لا مال له ليحصل الانتفاع به فيما هو بصدده و مرشّح له من الأعمال الضروريّه بالوجود عليه.فإذن قوام الدنيا لا يحصل بدون الأربعه.و إنّما شرط فى الفقير أن لا يبيع آخرته بدنياه لأنّ بايع آخرته بدنياه ظالم خارج عن العدل فلا يقوم به الدنيا و لا يصلح لعمارتها .

ثمّ لمّا بيّن ما به قوام الدنيا أشار إلى ما يلزم ضدّ ذلك من الفساد تنفيرا عنه بقوله:

فإذا ضيّع.إلى قوله:بدنياه فلأنّ تضييع العلم يستلزم عدم الانتفاع به و استنكاف الجاهل عن تعلّمه لسوء اعتقاده فى العلم و أهله لما يراه من تضييعهم له و عدم عملهم على وفقه فيبقى على الجهل بمنفعته،و بخل الغنى بمعروفه مستلزم لعدم المنفعه بالمال و يلزم من ذلك شدّه حاجه الفقير و بيع آخرته بدنياه فيلزمه الفساد المنافى لمصلحه المعاش و المعاد .ثمّ أشار إلى ما يلزم كثره نعمه اللّه على العبد من كثره حوائج الخلق إليه ليوضح له وجوب الشكر عليها و القيام بما يجب للّه فيها من الإحسان إلى

المحتاجين إليه.و رغّب فى ذلك بما يلزمه من تعريض العبد بذلك نعمه اللّه عنده للدوام و المزيد.و نفّر عن تضييع ذلك بما يلزمه من تعريضها لزوالها.

۳۵۴

اشاره

و روى ابن جرير الطبرى فى تاريخه عن عبد الرحمن بن أبى ليلى الفقيه-و كان ممن خرج لقتال الحجاج مع ابن الأشعث-انه قال فيما كان يحض به الناس على الجهاد:إنى سمعت أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليه السّلام يقول يوم لقينا أهل الشام:

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- إِنَّهُ مَنْ رَأَى عُدْوَاناً يُعْمَلُ بِهِ- وَ مُنْكَراً يُدْعَى إِلَيْهِ- فَأَنْكَرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وَ بَرِئَ- وَ مَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ أُجِرَ- وَ هُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ- وَ مَنْ أَنْكَرَهُ بِالسَّيْفِ- لِتَكُونَ «كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيا» وَ كَلِمَةُ الظَّالِمِينَ هِيَ السُّفْلَى- فَذَلِكَ الَّذِي أَصَابَ سَبِيلَ الْهُدَى- وَ قَامَ عَلَى الطَّرِيقِ وَ نَوَّرَ فِي قَلْبِهِ الْيَقِينُ

المعنى

لمّا كان إنكار المنكر واجبا على كلّ مكلّف بحسب تمكّنه و كان لتمكّنه من ذلك طرف أدنى و هو الإنكار بالقلب لإمكانه من كلّ أحد،و طرف أعلى و هو الإنكار باليد و هو الغايه،و وسط و هو الإنكار باللسان كانت درجاته فى استحقاق الأجر به مترتّبه على درجات إنكاره،و إنّما خصّص المنكر بقلبه بالسلامه و البراءه:

أى من عذاب اللّه لأنّه لم يحمل إثما و إنّما لم يذكر له أجرا و إن كان كلّ واجب يثاب عليه لأنّ غايه إنكار المنكر دفعه و الإنكار بالقلب ليس له فى الظاهر تأثير فى دفع المنكر فكأنّه لم يفعل ما يستحقّ به أجرا و إنّما قال:لتكون «كَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيا» .لأنّه إن لم يكن ذلك مقصود المنكر بل كان مقصوده مثلا الرياء أو الغلبه الدنيويّه لا يكون قد أصاب سبيل الهدى، استعاره و استعار لفظ التنوير لوضوح الحقّ فى قلبه و جلائه من شبه الباطل .

ص:۴۲۸

۳۵۵–و فی کلام آخر له یجری هذا المجری:

اشاره

فَمِنْهُمُ الْمُنْکِرُ لِلْمُنْکَرِ بِیَدِهِ وَ لِسَانِهِ وَ قَلْبِهِ- فَذَلِکَ الْمُسْتَکْمِلُ لِخِصَالِ الْخَیْرِ- وَ مِنْهُمُ الْمُنْکِرُ بِلِسَانِهِ وَ قَلْبِهِ وَ التَّارِکُ بِیَدِهِ- فَذَلِکَ مُتَمَسِّکٌ بِخَصْلَتَیْنِ مِنْ خِصَالِ الْخَیْرِ- وَ مُضَیِّعٌ خَصْلَةً- وَ مِنْهُمُ الْمُنْکِرُ بِقَلْبِهِ وَ التَّارِکُ بِیَدِهِ وَ لِسَانِهِ- فَذَاکَ فَذَلِکَ الَّذِی ضَیَّعَ أَشْرَفَ الْخَصْلَتَیْنِ مِنَ الثَّلَاثِ- وَ تَمَسَّکَ بِوَاحِدَةٍ- وَ مِنْهُمْ تَارِکٌ لِإِنْکَارِ الْمُنْکَرِ بِلِسَانِهِ وَ قَلْبِهِ وَ یَدِهِ- فَذَلِکَ مَیِّتُ الْأَحْیَاءِ- وَ مَا أَعْمَالُ الْبِرِّ کُلُّهَا وَ الْجِهَادُ فِی سَبِیلِ اللَّهِ- عِنْدَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْیِ عَنِ الْمُنْکَرِ- إِلَّا کَنَفْثَةٍ فِی بَحْرٍ لُجِّیٍّ- وَ إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْیَ عَنِ الْمُنْکَرِ- لَا یُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ وَ لَا یَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ- وَ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِکَ کَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ

المعنی

أقول:إنّه علیه السّلام جری فی هذه القسمه علی الوجه الطبیعیّ المعتاد،و ذلک أنّ العاده جاریه بأن ینکر الإنسان أوّلا بقلبه،ثمّ بلسانه،ثمّ بیده إذا تمکّن.

و قد یرد القسمه علی غیر هذا الوجه فیکون الناس علی أقسام ستّه و هی المنکر بقلبه فقط أو بلسانه فقط أو بیده فقط أو بقلبه و لسانه أو بقلبه و یده أو بلسانه و یده.

و اعلم أنّ الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر متلازمان لأنّ المعروف و المنکر قد یکونان نقیضین أو فی قوّتهما فیکون النهی عن المنکر مستلزما للأمر بالمعروف و الأمر بالمعروف مستلزما للنهی عن المنکر.و استجماعهما لخصال الخیر ظاهر لأنّ کلّ خصله منه معروف فالأمر بالمعروف مطلقا أمر بها و ترک کلّ واحده من خصال الخیر منکر فإنکاره یستلزم الأمر بها.و لمّا کانت هذه الأنواع الثلاثه من إنکار المنکر فضایل تحت فضیله العدل وجب عدادها من خصال الخیر،

و لمّا كانت مستلزمه لساير الفضايل كما أشرنا إليه وجب أن يكون المنكر للمنكر مطلقا مستكملا لجميع خصال الخير و أن يكون التارك له بيده تاركا لخصله و متمسّكا بخصلتين،و التارك بيده و لسانه مضيّعا لأشرف الخصلتين من الثلاث و إنّما كانتا أشرف لكونهما يستلزمان دفع المنكر أو بعضه غالبا بخلاف الثالثه ،و وجب أن يستحقّ تارك الثلاث اسم الميّت فى حياته لخلوّه عن جميع الفضايل. استعاره و لفظ الميّت استعاره .

تشبيه و قوله: و ما أعمال البرّ.إلى قوله:لجّىّ .تعظيم لهاتين الفضيلتين،و شبّه أعمال البرّ كلّها بالنسبه إليهما بالنفثه فى البحر اللجىّ،و وجه الشبه أنّ كلّ خصله من أعمال البرّ جزئىّ بالنسبه إليهما كالنفثه بالنسبه إلى البحر و عموم الخير منهما [فيهما-خ -].

و قوله فإنّ الأمر .إلى قوله: رزق .

صغرى ضمير رغّب به فيهما،و تقدير الكبرى:و كلّما لا يقرّب من أجل و لا ينقص من رزق فلا ينبغى أن يحذر منه.ثمّ أشار إلى أفضل أصنافهما و هو كلمه العدل عند الإمام الجائر لغرض ردّه عن جوره.

۳۵۶-و عن أبى جحيفه قال:سمعت أمير المؤمنين عليه السّلام يقول:

اشاره

أَوَّلُ مَا تُغْلَبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْجِهَادِ- الْجِهَادُ بِأَيْدِيكُمْ ثُمَّ بِأَلْسِنَتِكُمْ ثُمَّ بِقُلُوبِكُمْ- فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ بِقَلْبِهِ مَعْرُوفاً وَ لَمْ يُنْكِرْ مُنْكَراً- قُلِبَ فَجُعِلَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ وَ أَسْفَلُهُ أَعْلَاهُ

المعنى

الجهاد باليد و اللسان و القلب هو إنكار المنكر بها.و إنّما كان باليد أوّل مغلوب عليه لأنّ الغرض الأوّل للعدوّ إزاله سلطان اليد و مقاومته فإذا تمكّن من ذلك كان زوال سلطان اللسان سهلا.

فإن قلت:لم قال:ثمّ بقلوبكم.و معلوم أنّ القلب لا يطّلع عليه العدوّ و لا يتمكّن من إزاله الجهاد به؟.

قلت:أراد أنّهم إذا غلبوا على الجهاد باليد و اللسان و طالت المدّه عليهم ألقوا المنكر و تكرّر على سمعهم و أبصارهم و قلوبهم فلم يبق إنكاره و هو معنى غلبهم عليه .

استعاره و قوله: فمن لم يعرف بقلبه إلى آخره .

نفّر عن ترك الخصلتين بما يلزمه من قلب أعلى التارك أسفله،و استعار لفظ القلب للانتكاس فى مهاوى الرذائل و دركات الجحيم.و إنّما خصّص إنكار القلب بذلك لإمكانه فى كلّ وقت و خلوّه عن المضارّ المخوّفه الّتى يخشى فى الإنكار باليد و اللسان .

۳۵۷-و قال عليه السّلام:

اشاره

إِنَّ الْحَقَّ ثَقِيلٌ مَرِیءٌ وَ إِنَّ الْبَاطِلَ خَفِيفٌ وَبِیءٌ

المعنى

استعاره استعار للحقّ وصف الثقل باعتبار صعوبته على من يكون عليه فيؤخذ منه، و لفظ المرىء باعتبار استلزامه للراحه فى الآخره.و للباطل وصف الخفّه باعتبار سهولته على أهله،و لفظ الوبىء باعتبار استلزامه لإهلاكهم فى الآخره .

۳۵۸-و قال عليه السّلام:

اشاره

لَا تَأْمَنَنَّ عَلَى خَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّهِ عَذَابَ اللَّهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى- «فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ» - وَ لَا تَيْأَسَنَّ لِشَرِّ هَذِهِ الْأُمَّهِ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى- «إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ»

المعنى

أدّب السامع بهذين الأدبين محتجّا بعموم الآيتين، استعاره و لفظ المكر مستعار لإمهال اللّه ،ثمّ أخذه فهو فى صوره المكر و الخداع.و المراد ظاهر.

۳۵۹-و قال عليه السّلام:

اشاره

اَلْبَخِيلُ جَامِعٌ لِمَسَاوِئِ الْعُيُوبِ- وَ هُوَ زِمَامٌ يُقَادُ بِهِ إِلَى كُلِّ سُوءٍ

المعنى

البخل:رذيله التفريط من فضيله السخاء و هى مستلزمه للجهل لأنّ البخيل غير عالم بوضع المال موضعه،و للفجور لعبوره فى شهوته و محبّته للدنيا إلى طرف الإفراط فيها،و للجبين لأنّ من بخل بماله فهو بنفسه أبخل،و للانظلام و الظلم لقصوره عن فضيله العدل فى ماله،ثمّ للحرص و الحسد و الشره و دناءه الهمّه و الكذب و الغدر و الخيانه و قطع الرحم و عدم المواساه.و كلّ طرف تفريط لفضيله من الفضايل فإنّه من توابع البخل و لواحقه و هى مساوى العيوب الّتى أخبر عن استجماعه لها،و أنّه زمام إلى كلّ منها. استعاره و استعار له لفظ الزمام باعتبار أنّه يدعو إلى هذه المساوى و يقود إليها كالزمام .

۳۶۰-و قال عليه السّلام:

اشاره

اَلرِّزْقُ رِزْقَانِ رِزْقٌ تَطْلُبُهُ- وَ رِزْقٌ يَطْلُبُكَ فَإِنْ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ- فَلاَ تَحْمِلْ هَمَّ سَنَتِكَ عَلَى هَمِّ يَوْمِكَ- كَفَاكَ كُلُّ يَوْمٍ عَلَى مَا فِيهِ- فَإِنْ تَكُنِ السَّنَةُ مِنْ عُمُرِكَ- فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيُؤْتِيكَ فِي كُلِّ غَدٍ جَدِيدٍ مَا قَسَمَ لَكَ- وَ إِنْ لَمْ تَكُنِ السَّنَةُ مِنْ عُمُرِكَ- فَمَا تَصْنَعُ بِالْهَمِّ فِيمَا لَيْسَ لَكَ- وَ لَمْ يَسْبِقْكَ إِلَى رِزْقِكَ طَالِبٌ- وَ لَنْ يَغْلِبَكَ عَلَيْهِ غَالِبٌ- وَ لَنْ يُبْطِئَ عَنْكَ مَا قَدْ قُدِّرَ لَكَ قال الرضى:و قد مضى هذا الكلام فيما تقدم من هذا الباب،إلا أنه ههنا أوضح و أشرح،فلذلك كررناه على القاعده المقرره فى أول الكتاب.

المعنى

و أقول:قد مضى تفسير أكثر هذا الكلام.و غرضه التنفير عن الاهتمام بالدنيا و الاشتغال بما يرجى منها عن ذكر اللّه و طاعته.و نهاه أن يحمل همّ السنه على همّ اليوم لئلّا يجتمع عليه أحزان متضاعفه يكفى واحد منها شغلا.و احتجّ لذلك بضميرين

صغری الأوّل:قوله:فإن یکن السنه و تقدیرها إنّ سنتک الّتی تهتمّ لها إمّا أن یکون من عمرک أو لیس،و تقدیر الکبری:و کلّما کان علی هذین التقدیرین فلا ینبغی الاهتمام به أمّا علی التقدیر الأوّل فإنّ اللّه یؤتیک فی کلّ یوم منها ما قسّم لک لا محاله و ما لا بدّ منه لا یجوز الاهتمام به،و أمّا علی التقدیر الثانی فلأنّه لیس من العقل أن یهتمّ المرء بما لیس له.و صغری الثانی :قوله:و لن یسبقک إلی قوله:قدّر لک.و تقدیرها أنّ رزقک لن یسبقک إلیه طالب،و تقدیر الکبری و کلّما کان کذلک فلا ینبغی أن یهتمّ به.

۳۶۱-و قال علیه السّلام:

اشاره

رُبَّ مُسْتَقْبِلٍ یَوْماً لَیْسَ بِمُسْتَدْبِرِهِ- وَ مَغْبُوطٍ فِی أَوَّلِ لَیْلِهِ قَامَتْ بَوَاکِیهِ فِی آخِرِهِ

المعنی

و غرض الکلمه التنبیه من رقده الغفله عن الموت لغایه العمل و لما بعده.

و المعنی ظاهر.

۳۶۲-و قال علیه السّلام:

اشاره

اَلْکَلاَمُ فِی وَثَاقِکَ مَا لَمْ تَتَکَلَّمْ بِهِ- فَإِذَا تَکَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ فِی وَثَاقِهِ- فَاخْزُنْ لِسَانَکَ کَمَا تَخْزُنُ ذَهَبَکَ وَ وَرِقَکَ- فَرُبَّ کَلِمَهٍ سَلَبَتْ نِعْمَهًوَ جَلَبَتْ نِقْمَهً

اللغه

الوثاق : الحبل ،

المعنی

تشبیه و أمر بخزن اللسان عمّا لا ینبغی من القول و فی غیر موضعه و شبّه خزنه بخزن الذهب ،و وجه الشبه شدّه الخزن .و نفّر عن قول ما لا ینبغی بضمیرین صغری أحدهما:قوله:الکلام.إلی قوله:وثاقه،و تقدیر الکبری:و کلّ کلام کان کذلک فلا ینبغی أن یتکلّم منه إلاّ بما ینبغی، استعاره و لفظ الوثاق مستعار ، و صغری الثانی:قوله:فربّ کلمه سلبت نعمه:و تقدیر الکبری:و کلّ کلمه کذلک فیجب الاحتراز منها بقلّه القول و التثبت فیه.

۳۶۳-و قال علیه السّلام:

اشاره

لاَ تَقُلْ مَا لاَ تَعْلَمُ بَلْ لاَ تَقُلْ کُلَّ مَا تَعْلَمُ- فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ فَرَضَ عَلَی جَوَارِحِکَ کُلِّهَا- فَرَائِضَ یَحْتَجُّ بِهَا عَلَیْکَ یَوْمَ الْقِیَامَهِ

المعنی

نهی عن قول ما لا یعلم لأنّه کذب أو محتمل للکذب و لأنّه قول بالجهل فیجب الاحتراز فیه،و أمّا النهی عن قول کلّ ما یعلم فلجواز أن یکون فیه مضرّه لنفسه أو لغیره کإذاعه سرّ یستلزم أذاه أو أذی من أسرّه إلیه،و نفّر عن ذلک بقوله:

فإنّ اللّه.إلی آخره،و هو صغری ضمیر.و الفرائض الّتی افترضها اللّه علی کلّ جارحه هو ما أوجبه علی اللسان مثلا من قول ما ینبغی فی موضعه و کذلک ما یتعلّق بالعین من النظر الّذی ینبغی و نحو ذلک فی سائر الجوارح.و تقدیر الکبری:و کلّ من فرض اللّه علی جوارحه فرائض کذلک یحتجّ بها علیه یوم القیامه فی ترکها و العمل بها فیجب علیه المحافظه علیها.

۳۶۴-و قال علیه السّلام:

اشاره

اِحْذَرْ أَنْ یَرَاکَ اللَّهُ عِنْدَ مَعْصِیَتِهِ- وَ یَفْقِدَکَ عِنْدَ طَاعَتِهِ- فَتَکُونَ مِنَ الْخَاسِرِینَ- وَ إِذَا قَوِیتَ فَاقْوَ عَلَی طَاعَهِ اللَّهِ- وَ إِذَا ضَعُفْتَ فَاضْعُفْ عَنْ مَعْصِیَهِ اللَّهِ

المعنی

حذّر من الأمرین بما یلزمه من دخوله فی زمره الخاسرین لثواب اللّه یوم القیامه .ثمّ أمر بالقوّه علی طاعه اللّه لیتمّ الاستعداد بها لرحمته و بالضعف عن معصیته لیضعف الاستعداد بها عن قبول سخط اللّه و نقمته.

۳۶۵-و قال علیه السّلام ثلاث کلمات:

اشاره

اَلرُّکُونُ إِلَی الدُّنْیَا مَعَ مَا تُعَایِنُ مِنْهَا جَهْلٌ- وَ التَّقْصِیرُ فِی حُسْنِ الْعَمَلِ- إِذَا وَثِقْتَ بِالثَّوَابِ عَلَیْهِ غَبْنٌ- وَ الطُّمَأْنِینَهُ إِلَی کُلِّ أَحَدٍ قَبْلَ الاِخْتِبَارِ لَهُ عَجْزٌ

إحداها:الركون إلى الدنيا مع ما تعاين منها جهل

:أى بما ينبغى أن يركن إليه ممّا لا ينبغى .

الثانيه:و التقصير فى حسن العمل إذ اوثقت بالثواب عليه غبن

:أى مستلزم للغبن و هو ترک ما يوفّق به من الثواب الكثير فى مقابله العمل اليسير له،و فيه إيماء إلى أنّ مبدء التقصير فى حسن العمل عدم الوثوق بالثواب الموعود فى الآخره.

الثالثه:و الطمأنينه إلى كلّ أحد قبل الاختبار عجز

:أى عن البحث عمّن ينبغى السكون إليه و عن وضعه موضعه.و نفّر عن الركون إلى الدنيا بما يلزمه من الجهل،و عن التقصير فى حسن العمل بما يلزمه من الغبن،و من الطمأنينه إلى كلّ أحد بما يلزمها من العجز.

۳۶۶-و قال عليه السّلام:

اشاره

مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ لاَ يُعْصَى إِلاَّ فِيهَا- وَ لاَ يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلاَّ بِتَرْكِهَا

المعنى

نفّر عن الدنيا بذكر هوانها على اللّه من الوجهين المذكورين.

۳۶۷-و قال عليه السّلام:

اشاره

مَنْ طَلَبَ شَيْئاً نَالَهُ أَوْ بَعْضَهُ

المعنى

كقولهم:من طلب شيئا و جدّ وجد،و من قرع بابا و لجّ و لج.و ظاهر أنّ الطلب معدّ لحصول المطلوب فإن تمّ الاستعداد له نال الكلّ و إلاّ فبقدر نقصان الاستعداد يكون نقصان المطلوب.

۳۶۸-و قال عليه السّلام:

اشاره

مَا خَيْرٌ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ- وَ مَا شَرٌّ بِشَرٍّ بَعْدَهُ الْجَنَّهُ- وَ كُلُّ نَعِيمٍ دُونَ الْجَنَّهِ فَهُوَمَحْقُورٌ- وَ كُلُّ بَلَاءٍ دُونَ النَّارِ عَافِيَهٌ

المعنى

نفى عمّا يقود إلى النار و إن عدّ فى الدنيا خيرا و لذّه استحقاق اسم الخير تحقيرا له و تنفيرا عنه بما يلزمه من غايته الّتى هى النهايه فى الشرّ و هى النار ،و كذلك نفى عمّا يقود إلى الجنّه من الطاعات الشاقّه و إن عدّ فى الدنيا شرّا و ألما

ص:۴۳۵

استحقاق اسم الشرّ ترغيبا فيه بما يلزمه من غايته الّتى هى دخول الجنّه.و التقدير:

ما خير بعده النار بخير،و ما شرّ بعده الجنّه بشرّ.

و قوله:و كلّ نعيم دون الجنّه محقور.

تفسير للأوّل.

و قوله:و كلّ بلاء دون النار عافيه.

تفسير للثانى.و أراد عافيه نسبيّه.

۳۶۹-و قال عليه السّلام:

اشاره

أَلَا وَ إِنَّ مِنَ الْبَلَاءِ الْفَاقَهَ- وَ أَشَدُّ مِنَ الْفَاقَهِ مَرَضُ الْبَدَنِ- وَ أَشَدُّ مِنْ مَرَضِ الْبَدَنِ مَرَضُ الْقَلْبِ- أَلَا وَ إِنَّ مِنَ النِّعَمِ سَعَهَ الْمَالِ- وَ أَفْضَلُ مِنْ سَعَهِ الْمَالِ صِحَّهُ الْبَدَنِ- وَ أَفْضَلُ مِنْ صِحَّهِ الْبَدَنِ تَقْوَى الْقَلْبِ

المعنى

أشار إلى درجات البلاء و تفاوتها بالشدّه و الضعف و إلى ما يقابلها من درجات النعمه و تفاوتها كذلك.و إنّما كان مرض القلب بالرذائل أشدّ من مرض البدن لاستلزامه فى الآخره فوات أكمل السعادات و هو الموت الّذى لا حياه معه و بحسب ذلك كان تقوى القلب و استكماله بالفضايل أفضل من صحّه البدن لاستلزامه السعاده الباقيه و الحياه الأبديّه.

۳۷۰-و قال عليه السّلام:

اشاره

لِلْمُؤْمِنِ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ فَسَاعَهٌ يُنَاجِى فِيهَا رَبَّهُ- وَ سَاعَهٌ يَرُمُّ مَعَاشَهُ- وَ سَاعَهٌ يُخَلِّى بَيْنَ نَفْسِهِ- وَ بَيْنَ لَذَّتِهَا فِيمَا يَحِلُّ وَ يَجْمُلُ- وَ لَيْسَ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ شَاخِصاً إِلَّا فِى ثَلَاثٍ- مَرَمَّهٍ لِمَعَاشٍ أَوْ خُطْوَهٍ فِى مَعَادٍ- أَوْ لَذَّهٍ فِى غَيْرِ مُحَرَّمٍ

اللغه

أقول: رمّ المعاش : إصلاحه .و الشاخص : الذاهب من بلد إلى بلد .

المعنى

و قسّم زمان المؤمن العاقل إلی ثلاثه أقسام بحسب ما ینبعی بمقتضی الحکمه العملیّه و

ص:۴۳۶

الرأی الحقّ.فقسم یتوفّر فیه علی عباده اللّه و مناجاته و هذا القسم هو المطلوب الأوّل،و قسم یصلح فیه ما لابدّ منه فی تحصیل القسم الأوّل من معاشه،و قسم یخلّی فیه بین نفسه و لذّاتها المباحه الّتی یجمل و یحسن دون المحرّمه و المباحه المستهجنه.و هذان القسمان مرادان للأوّل إذ لا یمکن بدونهما.

و قوله :و لیس للعاقل.إلی آخره.

أی لیس له بحسب مقتضی العقل العملیّ أن یستعمل نفسه إلّا فی الامور الثلاثه.

۳۷۱-و قال علیه السّلام:

اشاره

اِزْهَدْ فِی الدُّنْیَا یُبَصِّرْکَ اللَّهُ عَوْرَاتِهَا- وَ لاَ تَغْفُلْ فَلَسْتَ بِمَغْفُولٍ عَنْکَ

المعنی

لمّا کانت محبّه الدنیا مستلزمه لاستتار عیوبها عن إدراک محبّیها کما قیل:حبّک الشیء یعمی و یصمّ.کان بغضها و الزهد فیها رافعا لذلک الستر کاشفا لما تحته من عیوبها و عوراتها فأمر بالزهد فیها لهذه الغایه المنفّره عنها .ثمّ نفّر عن الغفله فیها عمّا ورائها بضمیر صغراه قوله:فلست بمغفول عنک،و تقدیر الکبری:و کلّ من لیس بمغفول فلا ینبغی أن یغفل عمّا یراد به.

۳۷۲-و قال علیه السّلام:

اشاره

تَکَلَّمُوا تُعْرَفُوا فَإِنَّ الْمَرْءَ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ

المعنی

و قد مرّ تفسیر هذه الکلمه،لکنّه جعلها هنا صغری ضمیر رغّب به فی الکلام عند الحاجه لغایه أن یعرفها المتکلّم،و تقدیر الکبری:و کلّ من کان مخبوءا تحت لسانه فینبغی أن یظهر نفسه فی کلامه لیعرف.

۳۷۳-و قال علیه السّلام:

اشاره

خُذْ مِنَ الدُّنْیَا مَا أَتَاکَ- وَ تَوَلَّ عَمَّا تَوَلَّی عَنْکَ- فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَأَجْمِلْ فِی الطَّلَبِ

المعنی

أمر بالقناعه أوّلا بما تيسّر من الـدنيا لمن تمكّن منها و قوى عليها،و بالإجمال فى الطلب لمن لم يتمكّن منها.و الإجمال فى طلب الدنيا طلبها برفق من الوجه الّذى

ينبغى،و على الوجه الّذى ينبغى.

۳۷۴-و قال عليه السّلام:

اشاره

رُبَّ قَوْلٍ أَنْفَذُ مِنْ صَوْلٍ

المعنى

أى قد يبلغ الإنسان بالقول ما لا يبلغه بالشدّه و الصوله فيكون القول أنفذ فى غرضه.و يصلح مثلا يضرب للرفق و اللين الّذى يبلغ به ما لا يبلغ بالعنف.و روى عوض أنفذ أشدّ.و المعنى:ربّ قول يقوله الإنسان فيكون ضرره عليه أشدّ من صوله عدوّه،أو ربّ قول يسمعه من غيره كقذف أو هجر يكون أشدّ عليه من صوله العدوّ.و المعنيان منقولان عن ابن آدم الهروىّ.

۳۷۵-و قال عليه السّلام:

اشاره

كُلُّ مُقْتَصِرٍ عَلَيْهِ كَافٍ

المعنى

إنّه لا يقتصر الإنسان إلّا على مقدار يمكنه دفع الضروره و الحاجه به و ذلك كاف و مغنى للقانع عمّا سواه.و فيه إيماء إلى الأمر بالاقتصار على اليسير من الدنيا.

۳۷۶-و قال عليه السّلام كلمات أربعا:

اشاره

اَلْمَنِيَّهُ وَ لاَ الدَّنِيَّهُ وَ التَّقَلُّلُ وَ لاَ التَّوَسُّلُ وَ مَنْ لَمْ يُعْطَ قَاعِداً لَمْ يُعْطَ قَائِماً وَ الدَّهْرُ يَوْمَانِ يَوْمٌ لَکَ وَ يَوْمٌ عَلَيْکَ- فَإِذَا كَانَ لَکَ فَلاَ تَبْطَرْ- وَ إِذَا كَانَ عَلَيْکَ فَاصْبِرْ

إحداها:المنيّه و لا الدنيّه

.فالمنيّه مبتدأ دلّ على خبره بقوله:و لا الدنيّه.

أى أسهل من الدنيّه،و يحتمل أن يكون التقدير يحتمل المنيّه و لا يحتمل الدينّه و هى الخسيسه من الأمر ترتكب فى طلب

الدنیا.و کثیر من الکرام یختارون الموت علی ذلک .

ص:۴۳۸

و الثانیه:و التقلّل و لا التوسّل

:أی القناعه بالقلیل من العیش و التبلّغ به خیر من التوسّل إلی أهل الدنیا فی طلبها .

الثالثه:

کنایه و من لم یعط قاعدا لم یعط قائما .کنّی بالقعود عن الطلب السهل و بالقیام عن الطلب الصعب بتعسّف:أی من لم یرزق بالطلب السهل لم ینفعه التشدید فی الطلب.و هذا الحکم أکثریّ کما هو حکم الخطیب حثّ به علی الإجمال فی الطلب .

الرابعه:

و الدهر یومان یوم لک و یوم علیک فإذا کان لک فلا تبطر و إذا کان علیک فاصبر .فالیوم الّذی هو زمان الضیق و البلاء یجب فیه الصبر للاستعداد به لقبول رحمه اللّه تعالی کما قال «وَ بَشِّرِ الصّابِرِینَ» (۱)الآیه.

۳۷۷-و قال علیه السّلام:

اشاره

مُقَارَبَهُ النَّاسِ فِی أَخْلاَقِهِمْ أَمْنٌ مِنْ غَوَائِلِهِمْ

اللغه

الغایله : الحقد ،

المعنی

و ذلک أنّ مباعده الناس فی أخلاقهم تستلزم منافرتهم و عداوتهم و أحقادهم.فالعدول عنها إلی المقاربه و المشاکله لأخلاقهم یستلزم الأمن من ذلک منهم.

۳۷۸-و قال علیه السّلام:لبعض مخاطبیه-و قد تکلم بکلمه یستصغر

اشاره

عن مثله-:

لَقَدْ طِرْتَ شَکِیراً وَ هَدَرْتَ سَقْباً

اللغه

فالشكير : هو الفرخ قبل النهوض .

المعنى

استعاره و استعار له لفظ الشكير و السقب باعتبار صغر قدره عمّا تكلّم به فى حضرته،و وصف الطيران و الهدير له باعتبار نهوضه إلى ذلك الكلام الّذى هو فوق محلّه و ليس أهلا له كما أنّ الطيران ليس من شأن الشكير،و لا الهدير من شأن السقب .

۳۷۹-و قال عليه السّلام:

اشاره

مَنْ أَوْمَأَ إِلَى مُتَفَاوِتٍ خَذَلَتْهُ الْحِيَلُ

۱- ۱) ۱۵۰-۳.

اللغه

المتفاوت : كالامور المتضاده أو الّتى يتعذّر الجمع منها فى العرف و العاده .

المعنى

استعاره و استعار وصف الخذلان للحيل باعتبار أنّها لا تؤاتيه و لا يمكنه الجمع بين ما يرومه من تلك الامور .

٣٨٠-و قال عليه السّلام:و قد سئل عن معنى قولهم«لا حول و «لا قُوَّةَ إِلّا بِاللّهِ» »-

اشاره

إِنَّا لاَ نَمْلِكُ مَعَ اللَّهِ شَيْئاً وَ لاَ نَمْلِكُ إِلَّا مَا مَلَّكَنَا- فَمَتَى مَلَّكَنَا مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنَّا كَلَّفَنَا- وَ مَتَى أَخَذَهُ مِنَّا وَضَعَ تَكْلِيفَهُ عَنَّا

المعنى

برهان قوله: إنّا لا نملك مع اللّه شيئا .قوله تعالى «قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللّهِ شَيْئاً إِنْ أَرادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرادَ بِكُمْ نَفْعاً» الآيه،و ظاهر أنّ التكليف تابع لما ملّكنا إيّاه من الجوارح و القوى و العقل و ساير متعلّقات التكليف و عند أخذه لشىء منها يضع التكليف المتعلّق به عنّا.و سئل الصادق عليه السّلام عن هذه الكلمه فقال:لا حول على ترك المعاصى و لا قوّه على فعل الطاعات إلّا باللّه.

٣٨١-و قال عليه السّلام لعمار بن ياسر،و قد سمعه يراجع المغيره بن

اشاره

شعبه كلاما:

دَعْهُ يَا؟عَمَّارُ؟- فَإِنَّهُ لَنْ يَأْخُذَلَمْ يَأْخُذْ مِنَ الدِّينِ إِلَّا مَا قَارَبَهُ مِنَ الدُّنْيَا- وَ عَلَى عَمْدٍ لَبَّسَ لَبَسَ عَلَى نَفْسِهِ- لِيَجْعَلَ الشُّبُهَاتِ عَاذِراً لِسَقَطَاتِهِ

المعنى

أراد أنّه لا يعمل من الدين إلّا بما يستلزم دنيا و يقرب به منها كعدل أو صدق يستلزم منفعه دنيويّه دون ما ليس كذلك.و هو صغرى ضمير نفّر به عن مخاطبته،تقدير كبراه:و كلّ من كان كذلك فينبغى أن يعرض عن مراجعته و مكالمته.

٣٨٢-و قال عليه السّلام:

اشاره

مَا أَحْسَنَ تَوَاضُعَ الْأَغْنِيَاءِ لِلْفُقَرَاءِ طَلَباً لِمَا عِنْدَ اللَّهِ- وَ أَحْسَنُ مِنْهُ تِيهُ الْفُقَرَاءِ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ- اتِّكَالاً عَلَى اللَّهِ

ص:۴۴۰

المعنى

تيه الفقراء على الأغنياء أصعب عليهم و أشقّ من تواضع الأغنياء لهم.إذ كان تيههم يستدعى كمال التوكّل على اللّه و هو درجه عاليه فى الطريق إليه فلذلك كان أفضل و أحسن لقوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم:أفضل الأعمال أحمزها.

۳۸۳-و قال عليه السّلام:

اشاره

مَا اسْتَوْدَعَ اللَّهُ امْرَأً عَقْلًا إِلَّا اسْتَنْقَذَهُ بِهِ يَوْماً مَا

المعنى

إمّا من بلاء الدنيا بالحيله،أو من بلاء الآخره بالطاعه.

۳۸۴-و قال عليه السّلام:

اشاره

مَنْ صَارَعَ الْحَقَّ صَرَعَهُ

المعنى

استعاره استعار لفظ المصارعه للمقاومه،و ذلك أنّ اللّه سبحانه و ملائكته و كتبه و رسله و الصالحين من عباده أعوان الحقّ و لا مقاوم لهم .

۳۸۵-و قال عليه السّلام:

اشاره

اَلْقَلْبُ مُصْحَفُ الْبَصَرِ

المعنى

أراد بالقلب النفس أو الذهن،و استعار له لفظ المصحف باعتبار أنّ كلّ تصوّر فى الذهن أريد التعبير عنه فلا بدّ أن يتصوّر حروف العباره عنه فى لوح الخيال و الحسّ البصرىّ يشاهدها من هناك و يقرؤها.فالقلب إذن كالمصحف الّذى يشاهد فيه الحروف و الألفاظ و يقرأ منه بالبصر فلذلك أضافه إلى البصر.

۳۸۶–و قال علیه السّلام:

اشاره

اَلتُّقَی رَئِیسُ الْأَخْلاَقِ

المعنی

استعاره استعار لفظ الرئیس للتقوی باعتبار أفضلیّته فی استلزامه لرضوان اللّه و حصول السعاده الباقیه و لا شیء من الأخلاق بانفراده یستلزم ذلک .

۳۸۷–و قال علیه السّلام:

اشاره

لاَ تَجْعَلَنَّ ذَرَبَ لِسَانِکَ عَلَی مَنْ أَنْطَقَکَ- وَ بَلاَغَهَ قَوْلِکَ عَلَی مَنْ سَدَّدَکَ

ص:۴۴۱

المعنى

ذرب اللسان :حدّته.و هو أدب يجرى مجرى المثل يضرب لمن يحصّل من إنسان علما و فائده فيستعين بها عليه كأن يتفاصح على من علّمه الفصاحه.

۳۸۸-و قال عليه السّلام:

اشاره

كَفَاكَ أَدَباً لِنَفْسِكَ اجْتِنَابُ مَا تَكْرَهُهُ مِنْ غَيْرِكَ

المعنى

و أراد بما يكرهه من غيره الرذائل فإنّها مكروهه إلى كلّ أحد من غيره و من نفسه أيضا إذا عقل أنّها رذيله و لذلك إذا عبّر بها أنف منها،إلاّ أنّ بعض الرذائل قد يخفى على من هى فيه فلا يتصوّر قبحها من نفسه أو أنّه قد يتصوّر ذلك لكن يحمله عليها حامل آخر من شهوه أو غضب.و لمّا كان اجتناب الرذائل يستلزم الوقوف على فضيله العدل فى كلّ شىء لا جرم كان اجتنابها أدبا كافيا لمن يجتنبها.

۳۸۹-و قال عليه السّلام:

اشاره

مَنْ صَبَرَ صَبْرَ الْأَحْرَارِ وَ إِلاَّ سَلاَ سُلُوَّ الْأَغْمَارِ- و فى خبر آخر أنه عليه السّلام قال للأشعث بن قيس معزيا:

إِنْ صَبَرْتَ صَبْرَ الْأَكَارِمِ- وَ إِلاَّ سَلَوْتَ سُلُوَّ الْبَهَائِمِ

اللغه

و الأغمار : الجهّال جمع غمر .

المعنى

و جذب إلى فضيله الصبر فى المصائب بإضافته إلى الأحرار و الأكارم،و بما يلزم عدمه من الغايه و هى السلوّ المشبه لسلوّ الغافلين أو البهائم.و أصل إلاّ-إن لا-أى و إن لا تصبر.

۳۹۰-و قال عليه السّلام فى صفه الدنيا:

اشاره

تَغُرُّ وَ تَضُرُّ وَ تَمُرُّ- إِنَّ اللَّهَ نفّر عنها بثلاثه ضماير:

ص:۴۴۲

تَعَالَى لَمْ يَرْضَهَا ثَوَاباً لِأَوْلِيَائِهِ- وَ لاَ عِقَاباً لِأَعْدَائِهِ وَ إِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا كَرَكْبٍ- بَيْنَا هُمْ حَلُّوا إِذْ صَاحَ بِهِمْ سَائِقُهُمْ فَارْتَحَلُوا

أحدها:

الدنيا تضرّ :أی بمحنتها، و تغرّ :أی بزنيتها. استعاره و تمرّ :أی بفراقها.

إذ من طبيعتها ذلک.و استعار لها وصف الإمرار باعتبار ما يستلزمه فراقها من ألم الجزع و الحزن کالمراره ،و روی:و تمرّ-بفتح التاء-أی تذهب.

الثانی

قوله: إنّ اللّه .إلی قوله: لأعدائه .إذ لو رضيها کذلک لأعطاها أولياءه و حرّمها أعداءه .

الثالث:

تشبيه قوله: و إنّ أهل الدنيا.إلی آخره فقوله: بيناهم .إلی آخره.فی تقدير صفه لرکب:أی کرکب من شأنه کذا،و وجه الشبه بالرکب الّذی شأنه ذلک سرعه ارتحالهم إلی الآخره کسرعه ارتحال الرکب،و تقدير الکبری فی الضميرين الأوّلين:و کلّما کان کذلک فينبغی أن يجتنب و لا يحرص علی طلبه، و تقديرها فی الثالث:و کلّما کان کذلک فينبغی أن يستعدّ فيه للرحيل و السفر .

۳۹۱-و قال لابنه الحسن عليه السّلام:

اشاره

لاَ تُخَلِّفَنَّ وَرَاءَکَ شَيْئاً مِنَ الدُّنْيَا- فَإِنَّکَ تَخَلِّفُهُ لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ- إِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِطَاعَهِ اللَّهِ- فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ- وَ إِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَهِ اللَّهِ- فَكُنْتَ عَوْناً لَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ- وَ لَيْسَ أَحَدُ هَذَيْنِ حَقِيقاً أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِکَ

المعنی

أدّبه عليه السّلام بالنهی عن إدّخار المال،و نفّره عن ذلک بضمير صغراه قوله:

فإنّک .إلی آخره .

و قوله: بما شقيت به .

أی شقاء الدنيا بجمعه،و شقاء الآخره بادّخاره لقوله تعالی «وَ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ»

«الـذَّهَبَ وَ الْفِضَّهَ وَ لا يُنْفِقُونَها فِی سَبِيلِ اللّهِ» الآيه،و تقـدير الكبرى و كلّ من يخلّف مالا لأحد هذين و ليس أحدهما حقيقا بأنّ يؤثره على نفسه فلا يجوز أن يخلّفه.

قال الرضـی:و يروى هـذا الكلام على وجه آخر و هو أَمَّا بَعْـدُ- فَإِنَّ الَّذِی فِی يَدَيْکَ يَدِکَ مِنَ الدُّنْيَا- قَدْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ قَبْلَکَ- وَ هُوَ صَـائِرٌ إِلَى أَهْـلِ بَعْـدَکَ- وَ إِنَّمـا أَنْتَ جَامِعٌ لِأَحَـدِ رَجُلَيْنِ- رَجُلٍ عَمِلَ فِيمَا جَمَعْتَهُ بِطَاعَهِ اللَّهِ- فَسَـعِدَ بِمَا شَـقِيتَ بِهِ- أَوْ رَجُلٍ عَمِـلَ فِيمَا جَمَعْتَهُ فِيهِ بِمَعْصِيَهِ اللَّهِ- فَشَقِيتَ بِمَا جَمَعْتَ لَهُ- وَ لَيسَ أَحَـدُ هَـذَيْنِ أَهْلًا أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِکَ- أَوْوَ لَا أَنْ تَحْمِلَ لَهُ عَلَى ظَهْرِکَ- فَارْجُ لِمَنْ مَضَى رَحْمَهَ اللَّهِ- وَ لِمَنْ بَقِیَ رِزْقَ اللَّهِ أقول:فی هذه الروايه تنفير عن الدنيا بضميرين:أحدهما:قوله: فإنّ الّذى فی يدک .إلى قوله: بعدک ،و تقدير كبراه:و كلّما كان كذلک فليس لک أن تحبّه و تعتمد عليه .الثانی:قوله: و إنّما أنت .إلى قوله: ظهرک ،و كبراه ما مرّ فی الروايه الأولى استعاره مرشحه و استعار لفظ الحمل لاكتساب آثام جمع المال،و رشّح بذكر الظهر .ثمّ أرشده إلى ما هو خير من المال لمن مضى و هو رجاء رحمه اللّه،و لمن بقى و هو رجاء رزق اللّه الموعود لكلّ حیّ.

۳۹۲-و قال عليه السّلام لقائل قال بحضرته«أستغفر اللّه»:

اشاره

ثَكِلَتْکَ أُمُّکَ أَ تَدْرِی مَا الِاسْتِغْفَارُ- الِاسْتِغْفَارُ دَرَجَهُ الْعِلِّيِّينَ- وَ هُوَ اسْمٌ وَاقِعٌ عَلَى سِتَّهِ مَعَانٍ- أَوَّلُهَا النَّدَمُ عَلَى مَا مَضَى- وَ الثَّانِی الْعَزْمُ عَلَى تَرْکِ الْعَوْدِ إِلَيْهِ أَبَداً- وَ الثَّالِثُ أَنْ تُؤَدِّیَ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ- حَتَّى تَلْقَى اللَّهَ أَمْلَسَ لَيْسَ عَلَيْکَ

تَبِعَهُ- وَ الرَّابِعُ أَنْ تَعْمِدَ إِلَى كُلِّ فَرِيضَهٍ عَلَيْكَ- ضَيَّعْتَهَا فَتُؤَدِّيَ حَقَّهَا- وَ الْخَامِسُ أَنْ تَعْمِدَ إِلَى اللَّحْمِ الَّذِي نَبَتَ عَلَى السُّحْتِ- فَتُذِيبَهُ بِالْأَحْزَانِ حَتَّى تُلْصِقَ الْجِلْدَ بِالْعَظْمِ- وَ يَنْشَأَ بَيْنَهُمَا لَحْمٌ جَدِيدٌ- وَالسَّادِسُ أَنْ تُذِيقَ الْجِسْمَ أَلَمَ الطَّاعَهِ- كَمَا أَذَقْتَهُ حَلاَوَهَ الْمَعْصِيَهِ- فَعِنْدَ ذَلِكَ تَقُولُ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ

المعنی

أقول:ظاهر کلامه علیه السّلام یقتضی أنّ اسم الاستغفار الحقّ الّذی له درجه العلیّین و یستحقّها صاحبها به واقع علی مجموع المعانی السته الّتی أشار إلیها و ذکرها لیتعرّف حقیقته منها.و یکون إراده هذا المعنی من لفظ الاستغفار بعرف جدید شرعیّ إذ مفهومه اللغویّ أنّه طلب المغفره،إلاّ أنّه لمّا کان طلبها مشروطا بحصول المعانی المذکوره أطلق لفظ المشروط علی الشرط و استعمله فیه،و یحتمل أن لا یکون غرضه تفسیر مهیّه الاستغفار بل الإشاره إلی شرائطه الّتی لا ینبغی إیقاعه من دونها و هی المعانی السته و یکون معنی قوله:أ تدری ما الاستغفار:

أی الاستغفار التامّ بشرایطه و أعرض عن مهیّه للعلم بها،و أشار إلی تمامه من الشرائط و قصد بالإشاره إلی صدق لفظه علی شرائطه تأکید أنّه لا یتمّ بدونها حتّی کان مجموعها نفس حقیقه الاستغفار، استعاره و استعار لفظ الأملس لنقاء الصحیفه من الآثام .

۳۹۳-و قال علیه السّلام:

اشاره

اَلْحِلْمُ عَشِیرَهٌ

المعنی

استعاره استعار لفظ العشیره للحلم باعتبار أنّه یحمی صاحبه ممّن ینافره و یعادیه کما یحمیه عشیرته .

۳۹۴-و قال علیه السّلام:

اشاره

مِسْکِینٌ ابْنُ آدَمَ- مَکْتُومُ الْأَجَلِ مَکْنُونُ الْعِلَلِ- مَحْفُوظُ الْعَمَلِ تُؤْلِمُهُ الْبَقَّهُ- وَ تَقْتُلُهُ الشَّرْقَهُ وَ تُنْتِنُهُ الْعَرْقَهُ

المعنى

ذكر كونه مسكينا و بيّن ذلك بضمير عدّد فيه وجوه المسكنه و الضعف صغراه قوله:مكتوم الأجل.إلى آخره و هى ظاهره،و تقدير كبراه:و كلّ من كان كذلك فهو مسكين.و مسكين خبر المبتدأ قدّم عليه لأنّ ذكره أهمّ،و حذف تنوينه تخفيفا.و غرض الكلام كسر النفوس من سوره الكبر و العجب و الفخر و أمثالها عن الرذائل.

۳۹۵-و روى أنه عليه السّلام

اشاره

كان جالسا فى أصحابه،فمرت بهم امراه جميله فرمقها القوم بأبصارهم فقال عليه السّلام: إِنَّ أَبْصَارَ هَذِهِ الْفُحُولِ طَوَامِحُ وَ إِنَّ ذَلِكَ سَبَبُ هِبَابِهَا- فَإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى امْرَأَةٍ تُعْجِبُهُ فَلْيُلاَمِسْ أَهْلَهُ- فَإِنَّمَا هِيَ امْرَأَةٌ كَامْرَأَتِهِ فقال رجل من الخوارج«قاتله اللّه كافرا ما أفقهه«فوثب القوم ليقتلوه،فقال عليه السّلام:رُوَيْداً إِنَّمَا هُوَ سَبٌّ بِسَبٍّ أَوْ عَفْوٌ عَنْ ذَنْبٍ

اللغه

الرمق : النظر .و طموح البصر : ارتفاعه و الهبيب و الهباب : صوت التيس عند هياجه و طلبه للشاه .

المعنى

استعاره و استعار الفحول لهم،و لفظ الهباب لطلبهم للنكاح .و أرشدهم إلى الخلاص من فتنه النظر بملامسه الأهل.و رغّب فى ذلك بضمير صغراه تشبيه قوله: فإنّما هى امرأه كامرأه :أى فإنّما أهل الرجل امرأه تشبه المرأه المرئيّه، و تقدير الكبرى:و كلّ من يشبهها ففيه عوض منها .و إنّما أطلق الخارجىّ لفظ الكافر عليه لأنّه عليه السّلام عند الخوارج مخطئ و كلّ خطيئه عندهم كفر.

و قوله:إنّما هو سبّ.مقتضى فضيله العدل.

۳۹۶-و قال عليه السّلام:

اشاره

كَفَاكَ مِنْ عَقْلِكَ مَا أَوْضَحَ لَكَ سُبُلَ غَيِّكَ مِنْ رُشْدِكَ

المعنى

الغرض من العقل العملىّ هو ما ذكره عليه السّلام.و كفى به.

٣٩٧–و قال عليه السّلام:

اشاره

اِفْعَلُوا الْخَيْرَ وَ لاَ تَحْقِرُوا مِنْهُ شَيْئاً- فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ وَ قَلِيلَهُ كَثِيرٌ- وَ لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنَّ أَحَداً أَوْلَى بِفِعْلِ الْخَيْرِ مِنِّى- فَيَكُونَ وَ اللَّهِ كَذَلِكَ إِنَّ لِلْخَيْرِ وَ الشَّرِّ أَهْلاً فَمَهْمَا تَرَكْتُمُوهُ مِنْهُمَا كَفَاكُمُوهُ أَهْلُهُ

المعنى

أمر بفعل الخير و نهى عن احتقار شىء منه و إن قلّ،و رغّب فيه بضمير صغراه قوله:فإنّ صغيره كبير و قليله كثير:أى فى الاعتبار و بالنسبه إلى من يحتاج إليه. كنايه ثمّ نهى أن يقول أحد:إنّ غيره أولى بفعل الخير منه .و هو كنايه عن ترك المرء الخير اعتمادا على أنّ غيره بفعله أولى .

و قوله:فيكون و اللّه كذلك.

لأنّ ذلك القول من القائل التارك للخير يكون باعثا لمن توسّم فيه فعل ذلك الخير و نسبه إليه.فيصدّق قوله و ظنّه فيه بفعله له.فيكون أولى به منه.

و قوله:إنّ للخير و الشر أهلا.إلى آخره.

ترغيب فى الخير و تنفير عن الشرّ بذكر أنّ لكلّ منهما أهلا يكتفى فيه إن تركه من ليس أهله فيكون السامعون من أهل الخير يفعله و يترك الشرّ لأهله.

٣٩٨–و قال عليه السّلام:

اشاره

مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ عَلاَنِيَتَهُ- وَ مَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ كَفَاهُ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ- وَ مَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ اللَّهِ- أَحْسَنَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ النَّاسِ

المعنى

فصلاح باطن الإنسان و سرّه بالأخلاق الفاضله معدّ لإفاضه اللّه عليه صلاح أقواله و أفعاله الظاهره لأنّها كالثمرات للباطن ،و

كذلک عمل الإنسان لدينه و إقامته لحدود اللّه معدّ لصلاح حاله فی معاشه و مهيّیء لعواطف الخلق عليه لاشتغاله باللّه عن

ص:۴۴۷

مجاذبتهم للـدنيا.و فى معناه الكلمه الثالثه فإنّ إخلاص العبوديه للّه و إصـلاح معاملته قاطع عن محبّه الـدنيا و الحرص عليها الّذى هو سبب الفساد بين الناس فكان معدّا لرفع الفساد و دفعه.

۳۹۹–و قال عليه السّلام:

اشاره

اَلْحِلْمُ غِطَاءٌ سَاتِرٌ وَ الْعَقْلُ حُسَامٌ قَاطِعٌ- فَاسْتُرْ خَلَلَ خُلُقِكَ بِحِلْمِكَ وَ قَاتِلْ هَوَاكَ بِعَقْلِكَ

المعنى

استعاره مرشحه استعار لفظ الغطاء للحلم باعتبار أنّه يستر سوره الغضب و قبيح ما يصدر عنه من الأفعال بسببها،و رشّح بذكر الساتر،و كذلك استعار لفظ الحسام للعقل باعتبار رفعه لبوادر النفس الأمّاره و إفراطها،و رشّح بذكر القاطع و لذلك أمر بمقاتله هواه به .

۴۰۰–و قال عليه السّلام:

اشاره

إِنَّ لِلَّهِ عِبَاداً يَخْتَصُّهُمْ يَخْتَصُّهُمُ اللَّهُ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ- فَيُقِرُّهَا فِى أَيْدِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا- فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ ثُمَّ حَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ

المعنى

أى من عباد اللّه من يكون مقصودا بالعنايه الإلـهيّه بإفاضه النعمه عليه و إقرارها فى يديه لوصول النفع إلى الغير.و يكون ذلك شرطا فيها فإذا لم يوجد ذلك ارتفعت تلك النعمه بارتفاع شرطها إلى غيرهم.و غرض الكلمه الحثّ على النفع المتعدّى لتجويز كلّ عاقل أنعم اللّه عليه أن تكون نعمته كذلك.

۴۰۱–و قال عليه السّلام:

اشاره

لَا يَنْبَغِى لِلْعَبْدِ أَنْ يَثِقَ بِخَصْلَتَيْنِ الْعَافِيَهِ وَ الْغِنَى- بَيْنَا تَرَاهُ مُعَافًى إِذْ سَقِمَ وَ بَيْنَا تَرَاهُ غَنِيّاً إِذِ افْتَقَرَ

المعنى

نهى عن الوثوق بالخصلتين المذكورتين لكونهما مع ما يقابلهما من السقم و الفقر امورا غير مقدوره للعبد و لا معلومه الأسباب و

هی فی معرض التعاقب فالوثوق بما کان کذلک جهل فلا ینبغی أن یثق بالخصلتین المذکورتین.

ص:۴۴۸

۴۰۲-و قال عليه السّلام:

اشاره

مَنْ شَكَا الْحَاجَهَ إِلَى مُؤْمِنٍ فَكَأَنَّهُ شَكَاهَا إِلَى اللَّهِ- وَ مَنْ شَكَاهَا إِلَى كَافِرٍ فَكَأَنَّمَا شَكَا اللَّهَ

المعنى

تشبيه شكايه المؤمن إلى المؤمن شكايه فى موضعها.إذ كانت ثمره الشكايه المعاونه على دفع الأمر المشكوّ منه.و المؤمن شأنه ذلك،بخلاف الشكايه إلى الكافر.و رغّب فى الأوّل بتشبيهها بالشكايه إلى اللّه ،و وجه الشبه أنّ المؤمن كالصديق للّه فإذا شكى المؤمن إليه أمرا من اللّه فكأنّه جعله وسيله إلى اللّه فى شكواه فأشبه الشكوى إليه.

و نفّر عن الثانيه بتشبيهها بشكوى اللّه ،و وجه الشبه أنّ الكافر عدّو اللّه فمن شكى إليه أمرا فكأنّما شكى من اللّه إلى عدوّه .

۴۰۳-و قال عليه السّلام فى بعض الأعياد:

اشاره

إِنَّمَا هُوَ عِيدٌ لِمَنْ قَبِلَ اللَّهُ صِيَامَهُ وَ شَكَرَ قِيَامَهُ- وَ كُلُّ يَوْمٍ لاَ يُعْصَى اللَّهُ فِيهِ فَهُوَ يَوْمُ عِيدٌ

المعنى

غرض الكلمه الجذب إلى عباده اللّه و طاعته،و كسر النفوس عن الفرح بما ليس للّه فيه نصيب سواء كان زمانا أو مكانا أو غيرهما .و لمّا كان العيد عباره عن يوم تسرّ فيه الناس و تفرح فيه فكلّ يوم لا يعصى اللّه فيه فهو أولى بالفرح و السرور فيه و أن يسمّى عيد از فى عرف أولياء اللّه و الطالبين لما عنده.

۴۰۴-و قال عليه السّلام:

اشاره

إِنَّ أَعْظَمَ الْحَسَرَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَهِ- حَسْرَهُ رَجُلٍ كَسَبَ مَالاً فِى غَيْرِ طَاعَهِ اللَّهِ- فَوَرَّثَهُ رَجُلاًفَوَرِثَهُ رَجُلٌ فَأَنْفَقَهُ فِى طَاعَهِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ- فَدَخَلَ بِهِ الْجَنَّهَ وَ دَخَلَ الْأَوَّلُ بِهِ النَّارَ

المعنى

غرض الكلمه الجذب عن الكسب الحرام،و ادّخار المال و التنفير عنه بما ذكر.

و قوله:أعظم الحسرات.

ص:۴۴۹

لا ـ يقتضى أن يكون كلّ ما هو أعظمها.و إنّما كان ذلك حسره عظيمه لعدم منفعته بالمال فى الدنيا،و عذابه فى الآخره،و مشاهدته لانتفاع الغير به هناك.

۴۰۵–و قال عليه السّلام:

اشاره

إِنَّ أَخْسَرَ النَّاسِ صَفْقَهً وَ أَخْيَبَهُمْ سَعْياً- رَجُلٌ أَخْلَقَ بَدَنَهُ فِی طَلَبِ مَالِهِ- وَ لَمْ تُسَاعِدْهُ الْمَقَادِيرُ عَلَی إِرَادَتِهِ- فَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا بِحَسْرَتِهِ وَ قَدِمَ عَلَی الْآخِرَهِ بِتَبِعَتِهِ

المعنى

استعاره استعار وصف الأخسر صفقه لمن ذكر باعتبار استعاضته للدنيا عن الآخره و مع عدم موافقه القدر له فى حصول آماله الدنيويّه.و ظاهر أنّه أخسر من اتّجر.و تبعته ما يلحقه من عقوبات الآلام المكتسبه له من سعيه .

۴۰۶–و قال عليه السّلام:

اشاره

اَلرِّزْقُ رِزْقَانِ طَالِبٌ وَ مَطْلُوبٌ- فَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا طَلَبَهُ الْمَوْتُ حَتَّی يُخْرِجَهُ عَنْهَا- وَ مَنْ طَلَبَ الْآخِرَهَ طَلَبَتْهُ الدُّنْيَا حَتَّی يَسْتَوْفِیَ رِزْقَهُ مِنْهَا

المعنى

استعاره استعار للرزق وصف الطالب باعتبار أنّه لا بدّ من وصوله فهو كالطالب لصاحبه .

و نفّر عن طلب الدنيا بما يلزمها من الغايه المقدّره و هى الموت فكأنّه طالب للمرء لغايه إخراجه من الدنيا بسبب طلبه لها،و رغّب فى طلب الآخره بما يلزمه من طلب الدنيا و أهلها لمن انقطع عنها حتّى يصل إليه رزقه منها و هو محمود.و قد بيّنا فيما سلف وجه إقبال الناس على من ينقطع عنهم.

۴۰۷–و قال عليه السّلام:

اشاره

إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ هُمُ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَی بَاطِنِ الدُّنْيَا- إِذَا نَظَرَ النَّاسُ إِلَی ظَاهِرِهَا- وَ اشْتَغَلُوا بِآجِلِهَا إِذَا اشْتَغَلَ النَّاسُ بِعَاجِلِهَا-

فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا خَشُوا أَنْ يُمِيتَهُمْ- وَ تَرَكُوا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنَّهُ سَيَتْرُكُهُمْ- وَ رَأَوُا اسْتِكْثَارَ غَيْرِهِمْ مِنْهَا اسْتِقْلاَلاً- وَ دَرَكَهُمْ لَهَا فَوْتاً- أَعْدَاءُ مَا سَالَمَ النَّاسُ وَ سَلْمٌ لِمَنْ سَلْمٌ مَا عَادَى النَّاسُ- بِهِمْ عُلِمَ الْكِتَابُ وَ بِهِ عَلِمُوا- وَ بِهِمْ قَامَ الْكِتَابُ وَ هُمْ بِهِ قَامُوا- لاَ يَرَوْنَ مَرْجُوّاً فَوْقَ مَا يَرْجُونَ- وَ لاَ مَخُوفاً فَوْقَ مَا يَخَافُونَ

أقول:ميّز أولياء اللّه بصفات عشر:

إحداها:أنّهم نظروا إلى باطن الدنيا

:أى حقيقتها،و غرض الحكمه الإلهيّه من وجودها فعملوا فيها على حسب علمهم إذا نظر الناس إلى ظاهرها من زينتها و قيناتها.

الثانيه:و اشتغلوا بآجلها

و هو ما جعله اللّه نصب أعينهم غرضا مقصودا منها ثمره للاستعداد بها و هو ثواب اللّه و رضوانه إذا اشتغل الناس بعاجلها و حاضر لذّاتها .

الثالثه:فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم

.و هو نفوسهم الأمّاره بالسوء الّتى يخشى من غلبتها و استيلائها على العقل موته و هلاكه فى الآخره،و يحتمل أن يريد بما أماتوه منها قيناتها استعاره.فكأنّهم لمّا رفضوها و لم يلتفتوا إليها قد أماتوا و لم يبق لها حياه عندهم.

الرابعه:و تركوا منها ما علموا أنّه سيتركهم.

و هو زينتها و قيناتها التاركه لهم بالموت عنها.و-من-فى الموضعين لبيان الجنس.

الخامسه:و رأوا استكثار غيرهم منها استقلالا-و دركها لها فوتا

:أى استقلالا من الخير الباقى و فوتا له إذ كان دركها و الاستكثار بها سببا لذلك .

السادسه:أعداء ما سالم الناس

و هى الدنيا،و سلم ما عادى الناس و هى الآخره .

الثامنه:بهم علم الکتاب.

لحفظهم إيّاه و تفقّههم له و إفادتهم به،و به علموا

ص:۴۵۱

لاشتهارهم به عند الناس.

التاسعه:و بهم قام الكتاب

:أی صارت أحكامه قائمه فی الخلق معمولاـ بها،و به قاموا:أی بأوامره و نواهيه و بما ينبغی له.و يحتمل أن يريد أنّ قيامهم فی معاشهم و معادهم ببركته .

العاشرهلا يرون مرجوّا فوق ما يرجون

من ثواب اللّه،و لا يخافون مخوفا فوق ما يخافون من عذاب اللّه و الحجب عنه.و ذلك لعلمهم بالمرجوّ و المخوف هناك.

۴۰۸–و قال عليه السّلام:

اشاره

أُذْكُرُوا انْقِطَاعَ اللَّذَّاتِ وَ بَقَاءَ التَّبِعَاتِ

المعنى

و الغرض التنفير عن الدنيا.

۴۰۹–و قال عليه السّلام:

اشاره

أُخْبُرْ تَقْلِهِ قال الرضی:و من الناس من يروی هذا للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم و مما يقوی أنه من كلام أمير المؤمنين عليه السّلام ما حكاه ثعلب عن ابن الأعرابی،و قال المأمون:لولا أن عليا قال«اخبر تقله»لقلت:

المعنى

قلاه يقليه قلی-بالكسر-و قلاء-بالفتح-أبغضه.و الهاء مزيده للسكت و هو أمر فی معنى الخبر يجری مجری المثل،و المعنى من خبرت باطنه قليته.و الحكم أكثریّ لكثره ما عليه الناس من حيث السريره و رذائل الأخلاق.و ما نقل عن المأمون من العكس يريد به أنّ إظهار البغض للشخص يكشف عنه باطنه لأنّه إمّا أن يقابل بمثل ذلك أو يترك فيعرف خيره من شرّه.و نقل مثله عن أبی بكر الأصفهانی قال:لولا أنّ الاعتراض على السلف من الجهاله و السرف لقلت:القلی ثمّ الخبر، حتّى لا يكون الإنسان مضيّعا وقته،واضعا فی غير موضعه مقته.

۴۱۰-و قال علیه السّلام:

اشاره

مَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ الشُّكْرِ- وَ يُغْلِقَ

ص:۴۵۲

عَنْهُ بَابَ الزِّيَادَهِ- وَ لاَ- لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ الدُّعَاءِ وَ يُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الْإِجَابَهِ- وَ لاَ لِيَفْتَحَ عَلَيْهِ لِعَبْدٍ بَابَ التَّوْبَهِ وَ يُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الْمَغْفِرَهِ

المعنى

أشار إلى استلزام امور ثلاثه و هى الشكر للمزيد و الدعاء للإجابه و التوبه للمغفره.فمن فتح اللّه له باب إحدى هذه الملزومات فأعدّه له و ألهمه إيّاه وجب فى جوده أن يفتح له باب لازمه و يفيضه عليه.إذ لا بخل فى وجوده و لا منع فى سلطانه.

و وصف فتح الباب مستعار لتيسير اللّه تعالى العبد لذلك و إعداده له.

۴۱۱-و سئل عليه السّلام:أيما أفضل:العدل،أو الجود؟

اشاره

فقال الْعَدْلُ يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا وَ الْجُودُ يُخْرِجُهَا مِنْ جِهَتِهَا- وَ الْعَدْلُ سَائِسٌ عَامٌّ وَ الْجُودُ عَارِضٌ خَاصٌّ- فَالْعَدْلُ أَشْرَفُهُمَا وَ أَفْضَلُهُمَا

المعنى

أشار إلى أفضليّه العدل بضميرين صغرى الأوّل:قوله:العدل إلى قوله:

جهتها.يريد أنّ طليعه الجود يقتضى من صاحبها إخراج كلّ ما يملكه عن مواضعه و مواضع حاجته الّتى هى أولى به بمقتضى العدل.الثانى:قوله:و العدل.إلى قوله:

خاصّ.و استعار له لفظ السايس باعتبار أنّ به نظام العالم و الجود عارض خاصّ بمن يصل إليه من بعض الناس.و تقدير الكبرى فيهما:و كلّ أمرين كانا كذلك فالعدل أشرفهما و أفضلهما.

و قوله فالعدل.إلى آخره هو النتيجه.

۴۱۲-و قال عليه السّلام:

اشاره

اَلنَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا

المعنى

و قد مرّ بیانه.

۴۱۳-و قال علیه السّلام:

اشاره

اَلزُّهْدُ کُلُّهُ بَیْنَ کَلِمَتَیْنِ مِنَ؟الْقُرْآنِ؟ قَالَ اللَّهُ

سُبْحَانَهُ- «لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَ لا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ» - وَ مَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَاضِى وَ لَمْ يَفْرَحْ بِالْآتِى- فَقَدْ أَخَذَ الزُّهْدَ بِطَرَفَيْهِ

المعنى

الأمران المذكوران فى الآيه غايتان من الزهد و الإعراض عن الدنيا فى قوه خاصّه مركّبه تلزم الزهد،و نبّه عليها لتعريفه بها، كنايه و كنّى بقوله: فقد أخذ الزهد بطرفيه .عن استكمال حقيقه الزهد و كمالاتها حينئذ و ظاهر أنّ وجود الخاصّه المذكوره مستلزم للإعراض عن الدنيا و طيّباتها بالقلب و هو الزهد الحقيقىّ .

۴۱۴-و قال عليه السّلام:

اشاره

اَلْوِلاَيَاتُ مَضَامِيرُ الرِّجَالِ

المعنى

استعاره أراد بالمضامير مظانّ معرفه جوده الفرس و هى الأمكنه الّتى يقرن فيها الخيل للسباق،و استعار لفظها للولايات باعتبار أنّها مظانّ ظهور جوده الوالى من خسّته و ردائته كما أنّ المضامير للخيل كذلك .

۴۱۵-و قال عليه السّلام:

اشاره

مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ

المعنى

أقول:-ما-هاهنا للتعجّب.و هذه الكلمه تجرى مجرى المثل يضرب لمن يعزم على أمر فيغفل عنه أو يتهاون فيه و يتراخى عن فعله حتّى ينتقض عزمه عنه.و أصله أنّ الإنسان قد ينوى السفر مثلا أو الحركه بقطعه من الليل ليتوفّر فى نهاره على سيره فيغلبه النوم إلى الصباح فيفوت وقت عزمه فينتقض ما كان عزم عليه فى يومه.

۴۱۶-و قال عليه السّلام:

اشاره

لَيْسَ بَلَدٌ بِأَحَقَّ بِكَ مِنْ بَلَدٍ خَيْرُ الْبِلاَدِ مَا حَمَلَكَ

المعنی

استعاره أقول: ما حملک :أی ما وجدت فیه قیام حالک و صلاح معاشک فأمکنک الإقامه به.و استعار الحمل له باعتبار حمل مئونته ملاحظه لشبهه بالجمل و نحوه .و إلی ذلک أو قریب منه أشار أبو الطیّب:و فی بلاد اختها بدل.و کذلک علیّ بن

ص:454

مقرب البحرانیّ فی قوله:

لی عن بلاد الأذی و الهون متّسع ما بین حرّ و بین الدار من نسب.

۴۱۷-و قال علیه السّلام،و قد جاءه نعی الأشتر رحمه اللّه:

اشاره

؟مَالِکٌ؟ وَ مَا؟مَالِکٌ؟ وَ اللَّهِ لَوْ کَانَ جَبَلًا لَکَانَ فِنْداً- أَوْ لَوْ کَانَ حَجَراً لَکَانَ صَلْداً- لاَ یَرْتَقِیهِ الْحَافِرُ وَ لاَ یُوفِی عَلَیْهِ الطَّائِرُ قال الرضی:و الفند:المنفرد من الجبال.

المعنی

و مالک مبتدأ أو فاعل:أی مات مالک.و ما استفهامیّه فی معرض التعجّب من مالک-رحمه اللّه-و قوّته فی الدین.

۴۱۸-و قال علیه السّلام:

اشاره

قَلِیلٌ مَدُومٌ عَلَیْهِ خَیْرٌ مِنْ کَثِیرٍ مَمْلُولٍ مِنْهُ

المعنی

و ذلک من الأمور الّتی ینبغی أن یفعل.و إنّما کان کذلک لأنّ الدوام علی القلیل منها یفید النفس ملکه الطاعه و الخیر و صیرورتهما خلقا بخلاف الکثیر المملول منه.و نحوه قول الرسول صلّی اللّه علیه و آله:إنّ هذا الدین متین فأوغل فیه برفق فإنّ المنبتّ لا أرضا قطع و لا ظهرا أبقی.و قد مرّ هذا الکلام بعینه.

۴۱۹-و قال علیه السّلام:

اشاره

إِذَا کَانَ فِی رَجُلٍ خَلَّهٌ رَائِقَهٌ فَانْتَظِرُوا أَخَوَاتِهَا

اللغه

و الرائقه : المعجبه

المعنی

:أی إذا کـان فی الإنسـان خلق فاضل فإنّ طبعه مظنّه أن یکون فیه جمله من الأخلاق الفاضـله المناسـبه لـذلک الخالق و یتوقّع و ینتظر منه.

کمن یکون من شـأنه الصـدق فـإنّه ینتظر الوفـاء و حسن الصـحبه و بالعکس،و کمن یکون من شأنه العفّه فإنّه یتوقّع منه الکرم و المسامحه و البـذل و الصداقه و المحبّه و نحوها،و کمن یکون شـجاعا فإنّه یتوقّع منه عظمه الأئمّه و الحلم و الثبات،و کذلک من کان فیه ضدّ ذلک من الرذائل.

ص:۴۵۵

۴۲۰-و قال علیه السّلام:لغالب بن صعصعه أبی الفرزدق فی کلام دار

اشاره

بینهما:

مَا فَعَلَتْ إِبِلُکَ الْکَثِیرَهُ- قال:ذعذعتها الحقوق یا أمیر المؤمنین فقال علیه السلام:ذَلِکَ أَحْمَدُ سُبُلِهَا

المعنی

الکلام الّذی دار بینهما أنّ غالبا دخل علی علیّ علیه السّلام و هو شیخ کبیر و معه ابنه همام الفرزدق و هو غلام یومئذ فقال له علیه السّلام:من الشیخ؟فقال:أنا غالب بن صعصعه.قال ذو الإبل الکثیره؟قال:نعم.قال:ما فعلت أبلک؟قال ذعذعتها الحقوق و أذهبتها الحالات و النوائب.فقال:ذاک أحمد سبلها.فقال:من هذا الغلام؟فقال:

هذا ابنی همام روّیته الشعر یا أمیر المؤمنین و کلام العرب و یوشک أن یکون شاعرا مجیدا.فقال:أقرأه القرآن فهو خیر.فکان الفرزدق یروی هذا الحدیث و یقول:

ما زالت کلمته فی نفسی حتّی قیّد نفسه بقید و آلی أن لا یفکّه حتّی یحفظ القرآن فما فکّه حتّی حفظه.و ذعذعتها-بالذال المعجمه مکرّره-:فرّقتها.

۴۲۱-و قال علیه السّلام:

اشاره

مَنِ اتَّجَرَ بِغَیْرِ فِقْهٍ فَقَدِ ارْتَطَمَ فِی الرِّبَا

المعنی

استعاره ارتطم فی الوحل و نحوه:وقع فیه فلم یمکنه الخلاص.و هو وصف مستعار لغیر الفقیه باعتبار أنّه لا یتمکّن من الخلاص من الربا و ذلک لکثره اشتباه مسائل الربا بمسائل البیع حتّی لا یفرق بینهما إلاّ أکابر الفقهاء مع وقوع الخلاف الشدید بینهم فیها کبیع لحم البقر بالغنم متفاضلا فجوّزه أبو حنیفه قائلا أنّهما جنسان مختلفان و منع منه الشافعی.إلی غیرها من المسائل .

۴۲۲-و قال علیه السّلام:

اشاره

مَنْ عَظَّمَ صِغَارَ الْمَصَائِبِ ابْتَلاَهُ اللَّهُ بِکِبَارِهَا

المعنی

و إنّما لزمه ذلک لاستعداده بتضجّره و تسخطّه من قضاء اللّه لزیاده البلاء و لو قد حمد اللّه علی بلائه لاستعدّ بذلک لدفعه.

ص:۴۵۶

۴۲۳–و قال علیه السّلام:

اشاره

مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ شَهْوَتُهُ شَهَوَاتُهُ

المعنی

و ذلک لکونهما عدوّان فإکرام أحدهما یستلزم إهانه الاخری فمن کرمت علیه نفسه لزمه حفظها و حمایتها من عذاب اللّه و ذلک مستلزم لهوان شهوته علیه و عدم مراعاتها لأنّها یقتضی ضدّ ذلک.

۴۲۴–و قال علیه السّلام:

اشاره

مَا مَزَحَ امْرُؤٌ مَزْحَهً إِلَّا مَجَّ مِنْ عَقْلِهِ مَجَّهً

المعنی

استعاره و ذلک لأنّ العقل یقتضی صیانه العرض و البقاء علی حدّ توقر معه صاحبه و لا یستخفّ به.و المزاح الّذی لا ینبغی یقتضی أضداد ذلک فهو مستلزم لمخالفه العقل و ترکه.فاستعار لفظ المجّ لما یطرحه الإنسان من عقله فی مزحه أو مزحاته.فکأنّه قد مجّه کما مجّ الماء من فیه و یلقیه .

۴۲۵–و قال علیه السّلام:

اشاره

زُهْدُکَ فِی رَاغِبٍ فِیکَ نُقْصَانُ حَظٍّ- وَ رَغْبَتُکَ فِی زَاهِدٍ فِیکَ ذُلُّ نَفْسٍ

المعنی

أمّا الأوّل فلأنّ من تمام الحظّ کثره الإخوان للإعانه علی صلاح أمر المعاش و المعاد.فالزهد فیهم یستلزم نقصان الحظّ،و لأنّ مجازاه الرغبه بمثلها فضیله من تمام الحظّ النفسانیّ فعدمها یستلزم نقصانه.و أمّا الثانی فاستلزام الرغبه فی الزاهد فیک للذلّ و الخضوع له ظاهر.و الکلمتان صغریا ضمیر نفّر به عن الزهد فی الراغب فیک و الرغبه فیمن یزهدک.

۴۲۶–و قال علیه السّلام:

اشاره

مَا لِابْنِ آدَمَ وَ الْفَخْرِ- أَوَّلُهُ نُطْفَهٌ وَ آخِرُهُ جِيفَهٌ- وَلاَ يَرْزُقُ نَفْسَهُ وَ لاَ يَدْفَعُ حَتْفَهُ

المعنى

استفهم تعجّبا من وجه الجمع بين الإنسان و الفخر و نبّه على عدم المناسبه

ص:۴۵۷

بينهما بضمير صغراه قوله:أوّله.إلى آخره.و تقدير الكبرى:و كلّ من كان كذلك فلا مناسبه بينه و بين الفخر.و روى:الفخر-منصوبا-على المفعول معه.

۴۲۷-و قال عليه السّلام:

اشاره

اَلْغِنَى وَ الْفَقْرُ بَعْدَ الْعَرْضِ عَلَى اللَّهِ

المعنى

و اراد الغنى الحقيقى بالثواب،و الفقر بعدمه فى الآخره.

۴۲۸-

اشاره

و سئل عليه السّلام عن أشعر الشعراء فقال عليه السّلام:إِنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَجْرُوا فِى حَلْبهٍ- تُعْرَفُ الْغَايَهُ عِنْدَ قَصَبَتِهَا- فَإِنْ كَانَ وَ لاَ بُدَّ فَالْمَلِكُ الضِّلِّيلُ (يريد امرأ القيس).

المعنى

أراد أنّهم لهم يقولوا الشعر على منهاج واحد حتّى يفاضل بينهم بل كان لكلّ منهم حاله خاصّه يجيد فيها و ينبعث فيها قريحته.فواحد يجيد فى الرغبه،و آخر فى الرهبه،و آخر فى النشاط و الطرب.و لذلك قيل:أشعر العرب امرء القيس إذا ركب،و الأعشى إذا رغب،و النابغه إذا رهب. استعاره مرشحه و استعار لفظ الحلبه و هى القطعه من الخيل يقرن للسباق للطريقه الواحده،و رشّح بذكر الإجراء و الغايه و قصبتها و ذلك أنّ عاده العرب أن يضع قصبه فى آخر المدى فمن سبق إليها و أخذها فاز بالسبق و الغلب .

و قوله: فإن كان و لا بدّ .

أى من الحكم.و إنّما حكم له بذلك باعتبار جوده شعره فى أكثر حالاته دون غيره كما روى عنه بروايه اخرى أنّ أبا الأسود سأله عن أشعر العرب.فقال:

لو رفعت للقوم غايه علمنا من السابق منهم و لكن إن لم يكن فالّذى لم يقل عن رغبه و لا رهبه و هو الملك الضليل.و سمّى ضليلا لكثره ضلالته و قوّتها،و قيل:لأنّه تنصّر فى آخر عمره.و قيل:لأنّه كان كثير التهتّك و إعلان الفسق كما فى شعره.و روى عن المتنبّى:أنّ امرء القيس استدرّ الناقه و ركبها،و أخذ طرفه ما طاب من لحمها،

و أخذ لبيد بأمعائها و أكبادها،و بقيت عظامها و أرواثها فاقتسمناها نحن.قيل للبيد بن ربيعه:من أشعر العرب؟فقال:الملك الضليل.فقيل:ثمّ من؟قال:الفتى القليل يعنى طرفه.فقيل:ثمّ من؟فقال:الشيخ أبو عقيل يعنى نفسه.

۴۲۹-و قال عليه السّلام:

اشاره

أَلاَ حُرٌّ يَدَعُ هَذِهِ اللُّمَاظَهَ لِأَهْلِهَا- إِنَّهُ لَيْسَ لِأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلاَّ الْجَنَّهَ فَلاَ تَبِيعُوهَا إِلاَّ بِهَا

المعنى

استعاره اللماظه :-بضمّ اللام-ما يبقى فى الفم من الطعام.و لفظها مستعار للدنيا باعتبار قلّتها و حقارتها .و دعا إلى تركها ثمّ جذب عنها بضمير صغراه قوله:فإنّه.إلى قوله:الجنّه.و هو كقوله تعالى «إِنَّ اللّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ ْجَنَّهَ» (۱)و تقدير الكبرى:و كلّما كان ليس لأنفسكم ثمن إلاّ هو فينبغى أن لا تبيعوها إلاّ به.

۴۳۰-و قال عليه السّلام:

اشاره

عَلاَمَهُ الْإِيمَانِ اَلْإِيمَانُ أَنْ تُؤْثِرَ الصِّدْقَ حَيْثُ يَضُرُّكَ- عَلَى الْكَذِبِ حَيْثُ يَنْفَعُكَ- وَ أَلاَّ يَكُونَ فِى حَدِيثِكَ فَضْلٌ عَنْ عَمَلِكَ- وَ أَنْ تَتَّقِيَ اللَّهَ فِى حَدِيثِ غَيْرِكَ

أشار من علامات الايمان إلى ثلاث:

أحدها:أن يؤثر الصدق الضارّ على الكذب النافع

محبّه للفضيله و كراهه للرذيله.

الثانيه:أن لا يكون فى حديثه فضل و زياده عن علمه

و هو العدل فى القول و الاحتراز من رذيله الكذب.

الثالثه:أن يتّقى اللّه فى حديث غيره

فلا تخوض فى عرضه بغيبه أو سماعها.و قيل:أراد أن يحتاط فى الروايه فيروى عنه حديثه كما هو.

۱- ۱) ۳۹-۹.

۴۳۱-و قال عليه السّلام:

اشاره

يَغْلِبُ الْمِقْدَارُ عَلَى التَّقْدِيرِ حَتَّى تَكُونَ الْآفَهُ فِي التَّدْبِيرِ

المعنى

المقدار :القدر.و لمّا كان الإنسان جاهلا بأسرار القدر كان بناء تقديره و تدبيره لنفسه على أوهام لاثقه بها فجاز فيما دبّره هو لنفسه و اعتقده سببا للمصلحه أن يكون من أسباب مفسدته و هلاكه.و قد مرّ بيان ذلك.

۴۳۲-و قال عليه السّلام:

اشاره

اَلْحِلْمُ وَ الْأَنَاهُ تَوْأَمَانِ يُنْتِجُهُمَا عُلُوُّ الْهِمَّهِ

المعنى

استعاره استعار لهاتين الفضيلتين لفظ التوأمين باعتبار استلزام علوّ الهمّه و صدورهما بواسطتها و ذلك أنّ عالى الهمّه يستحقر كلّ ذنب و مذنب فى حقّه فيحلم عنه و يتأنّى عن المبادره إلى مقابلته .

۴۳۳-و قال عليه السّلام:

اشاره

اَلْغِيبَهُ جُهْدُ الْعَاجِزِ

المعنى

أكثر ما يصدر الغيبه عن الأعداء و الحسّاد الّذين يعجزون عن بلوغ أغراضهم و شفاء صدورهم فيعدلون إلى إظهار معايب أعدائهم لما يجدون فيه من اللّذه.و نفّر عنها بنسبه فاعلها إلى العجز،و أنّها غايه جهده ليأنف من ذلك النقصان و لا يرضى به.

۴۳۴-و قال عليه السّلام:

اشاره

رُبَّ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ

المعنى

و أصل الفتنه:الانصراف:أى ربّ مصروف عن تحصيل الفضيله و الطاعه و إكمالها بالمدح و الإطراء كمن يمدح بكثره العباده مثلا فيقوده ذلك إلى الاقتصار على ذلك القدر منها.

ص:۴۶۰

و قال السيّد-رحمه اللّه-:و هذا حين انتهاء الغايه بنا إلى قطع المختار من كلام أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السّلام حامدين للّه سبحانه على ما منّ به من توفيقنا لضمّ ما انتشر من أطرافه و تقريب ما بعد من أقطاره.و تقرّر العزم كما شرطنا أوّلا على تفضيل أوراق من البياض فى آخر كلّ باب من الأبواب ليكون لاقتناص الشارد و استلحاق الوارد و ما عساه أن يظهر لنا بعد الغموض و يقع إلينا بعد الشذوذ.و ما توفيقنا إلّا باللّه عليه توكّلنا و هو حسبنا «وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ» .

أقول:إنّه-رضوان اللّه عليه-بلغ فى اختيار كلامه عليه السّلام إلى هذه الغايه و قطعه عليها.ثمّ كتبت على عهده زياده من محاسن الكلمات إمّا باختياره و هو أو بعض من كان يحضره من أهل العلم و تلك الزياده تاره توجد خارجه عن المتن و تاره موضوعه فيه ملحقه بمنقطع اختياره،و روى أنّها قرئت عليه و أمر بإلحاقها بالمتن.و أوّلها:

۴۳۵-و قال عليه السّلام:

اشاره

: اَلدُّنْيَا خُلِقَتْ لِغَيْرِهَا وَ لَمْ تُخْلَقْ لِنَفْسِهَا

المعنى

و أراد أنّها خلقت للاستعداد فيها و بها لدرك ثواب اللّه فى الآخره لا ليلتذّ بها الجاهلون.

۴۳۶-و قال عليه السّلام:

اشاره

إنَّ؟لِبَنِي أُمَيَّهَ؟ مِرْوَداً يَجْرُونَ فِيهِ- وَ لَوْ قَدِ اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ- ثُمَّ لَوْ كَادَتْهُمُ الضِّبَاعُ لَغَلَبَتْهُمْ قال الرضى:و المرود هنا مفعل من الإرواد،و هو الإمهال و الإنظار، و هذا من أفصح الكلام و أغربه،فكأنه عليه السّلام شبهه المهله التى هم فيها بالمضمار الذى يجرون فيه إلى الغايه،فاذا بلغوا منقطعها انتقض نظامهم بعدها

المعنى

استعاره أقول:استعار لفظ المرود لمدّه دولتهم،و وجه المشابهه هو ما ذكره السيّد.و الكلام ظاهر الصدق فإنّ دولتهم لم تزل على الاستقامه إلى حين اختلافهم و ذلك حين ولى الوليد بن يزيد فخرج عليه يزيد بن الوليد فخرج عليه إبراهيم بن الوليد و قامت حينئذ دعاه

بنى العباس بخراسان و أقبل مروان بن محمّد من الجزيره يطلب الخلافه فخلع إبراهيم ابن الوليد و قتل قوما من بنى أميّه و اضطرب أمر دولتهم و كان زوالها على يد أبى مسلم و كان فى بدو أمره أضعف خلق اللّه و أشدّهم فقرا.و فى ذلك تصديق قوله عليه السّلام:

ثمّ كادتهم الضباع لغلبتهم.و لفظ الضباع قد يستعار للأراذل و الضعفاء.و هذا من كراماته .

۴۳۷-و قال عليه السّلام فى مدح الأنصار:

اشاره

هُمْ وَ اللّهِ رَبَّوُا الْإِسْلاَمَ كَمَا يُرَبَّى الْفِلْوُ- مَعَ غَنَائِهِمْ بِأَيْدِيهِمُ السِّبَاطِ وَ أَلْسِنَتِهِمُ السِّلاَطِ

اللغه

و الفلو : المهر .و السباط : السماح،و يقال للحاذق فى الطعن:إنّه لسبط اليدين يريد أنّه ثقيف فيه .و السلاط : الحديد الفصيح ،

المعنى

و شبّه تربيتهم للإسلام و حمايتهم له بتربيه الفلو،و وجه الشبه شدّه عنايتهم به و حسن مراعاته إلى حين كماله.

۴۳۸-و قال عليه السّلام:

اشاره

اَلْعَيْنُ وِكَاءُ السَّهِ قال الرضى:و هذه من الاستعارات العجيبه،كأنه يشبه السه بالوعاء،و العين بالوكاء،فإذا أطلق الوكاء لم ينضبط الوعاء،و هذا القول فى الأشهر الأظهر من كلام النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و قد رواه قوم لأمير المؤمنين عليه السّلام،و ذكر ذلك المبرد فى كتاب«المقتضب»فى باب«اللفظ بالحروف» و قد تكلمنا على هذه الاستعاره فى كتابنا الموسوم ب«مجازات الآثار النبويه»

المعنى

استعاره و أقول:إنّه استعار لفظ الوكاء و هو رباط القربه للعين باعتبار حفظ الإنسان فى يقظته لنفسه من أن يخرج منه ريح و نحوها كما يحفظ الوكاء ما يوكى به،و فى ذلك ملاحظه تشبيه السه بالوعاء كالقربه.و من تمام الخبر عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

فإذا نامت العينان استطلق الوكاء .

۴۳۹-و قال علیه السّلام:فی كلام له:

اشاره

وَ وَلِيَهُمْ وَالٍ فَأَقَامَ وَ اسْتَقَامَ حَتَّى ضَرَبَ الدِّينُ بِجِرَانِهِ

المعنی

المنقول:أنّ الوالی هو عمر بن الخطاب.و الكلام من خطبه طويله له عليه السّلام فی أيّام خلافته يذكر فيها قربه من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و اختصاصه له و إفضائه بأسراره إليه إلى أن قال فيها:فاختار المسلمون بعده بآرائهم رجلا منهم فقارب و سدّد حسب استطاعته على ضعف و جدّ كانا فيه.ثمّ وليهم بعده وال فأقام و استقام حتّى ضرب الدين بجرانه على عسف و عجز كانا فيه.ثمّ استخلفوا ثالثا لم يكن يملك أمر نفسه شيئا،غلب عليه أهله فقادوه إلى أهوائهم كما يقود الوليده البعير المحطوم،و لم يزل الأمر بينه و بين الناس يبعد تاره و يقرب أخرى حتّى نزوا عليه فقتلوه.ثمّ جاءوا فی مدبّ الدبى يريدون بيعتى.فی كلام طويل.و الجران : مقدّم عنق البعير . استعاره بالكنايه و ضربه بجرانه كنايه بالوصف المستعار عن استقراره و تمكّنه كتمكّن البعير البارك من الأرض .

۴۴۰-و قال علیه السّلام:

اشاره

يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ عَضُوضٌ- يَعَضُّ الْمُوسِرُ فِيهِ عَلَى مَا فِي يَدَيْهِ- وَ لَمْ يُؤْمَرْ بِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ- «وَ لا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ» - يَنْهَدُتَنْهَدُ فِيهِ الْأَشْرَارُ وَ تُسْتَذَلُّ الْأَخْيَارُ- وَ يُبَايِعُ الْمُضْطَرُّونَ- وَ قَدْ نَهَى؟رَسُولُ اللَّهِ ص؟ عَنْ بَيْعِ الْمُضْطَرِّينَ

اللغه

تنهد : أی ترتفع و تعلو .

و ذكر للزمان مذامّا:

أحدها:

استعاره استعار له لفظ العضوض باعتبار شدّته و أذاه كالعضوض من الحيوان.

و فعول للمبالغه .

الثانیه:

کنایه بعضّ الموسر فیه علی ما فی یدیه .و هو کنایه عن بخله بما یملک .و

ص:۴۶۳

نبّه على صدق قوله:و لم يؤمر بذلك.بقوله تعالى «وَ لا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ» فإنّه يفيد الندب إلى بذل الفضل من المال و ذلك ينافى الأمر بالبخل .

الثالثه:

أنّه تعلو فيه درجه الأشرار و تستذلّ الأخيار.

الرابعه:

و يبايع فيه المضطرّون :أى كرها لأئمّه الجور.و نبّه على قبح ذلك بنهى الرسول صلّى اللّه عليه و آله.

۴۴۱-و قال عليه السّلام:

اشاره

يَهْلِكُ فِيَّ رَجُلاَنِ مُحِبٌّ مُفْرِطٌ وَ بَاهِتٌ مُفْتَرٍ قال الرضى:و هذا مثل قوله عليه السّلام:يَهْلِكُ فِيَّ رَجُلاَنِ مُحِبٌّ غَالٍ وَ مُبْغِضٌ قَالٍ

المعنى

فالمحبّ المطرى بكثره المدح كالغلاه هم فى طرف الإفراط،و الّذى يبهته و يفترى عليه بأنّه كافر و مخطئ كالخوارج هم فى طرف التفريط.و كلاهما رذيلتان خارجتان عن فضيله العدل فيه.و قد علمت أنّ الرذائل مهاوى الهلاك الاخروىّ.

و قد سبق مثله.

۴۴۲-و سئل عن التوحيد و العدل فقال عليه السّلام:

اشاره

اَلتَّوْحِيدُ أَلاَّ تَتَوَهَّمَهُ وَ الْعَدْلُ أَلاَّ تَتَّهِمَهُ

المعنى

و هاتان الكلمتان على و جازتهما فى غايه الشرف،و عليهما مدار العلم الإلهى.

و الكلمه الاولى أجلّ كلمه ربّى بها على التوحيد و التنزيه،و قد بيّنها مفهومها فى أوّل الخطبه الاولى من الكتاب.و جمله القول فيها هاهنا أنّه لمّا كان الوهم إنّما يدرك المعانى الجزئيّه المتعلّقه بالمحسوس و لا بدّ أن يستعين فى إدراكه و ضبطه بالقوّه

المتخيّله حتّى يصوّره و يلحقه بالامور المحسوسه و كان البارى تعالى منزّها بمقتضى العقل الصرف عن المحسوسات و ما يتعلّق بها لا جرم لم يجز أن يوجّه الوهم فى تصوّره

ص:۴۶۴

تعالی و یجری علی ذاته المقدّسه أحکامه.إذ لا یکون فی حقّه إلّا کاذبه لاقتضائها کونه محسوسا أو متعلّقا بالمحسوس الّذی من شأنه الکثره و الترکیب المنافیان للوحده المطلقه.فیکون قد عرّف التوحید بخاصّه من خواصّه و هی لازم سلبی.

و أمّا الکلمه الثانیه:فالمراد من العدل اعتقاد جریان العدل فی جمیع أفعاله تعالی و أقواله و من لوازم ذلک الخاصّه به أن لا یتهمّه العبد أنّه یجبره علی القبیح ثمّ یعاقبه علیه،أو أنّه یکلّفه ما لا یطیقه،و نحو ذلک من مسائل اصول الدین الّتی اعتمد فیها المعتزله علی ظواهر کلامه تعالی.

۴۴۳-و قال علیه السّلام:

اشاره

لَا خَیْرَ فِی الصَّمْتِ عَنِ الْحُکْمِ کَمَا أَنَّهُ لاَ خَیْرَ فِی الْقَوْلِ بِالْجَهْلِ

المعنی

الصمت عن الحکمه رذیله تفریط من فضیله القول.و القول بالجهل رذیله إفراط و لا خیر فیهما بل فیما یتوسّطهما من القول بالحکمه.

۴۴۴-و قال علیه السّلام:فی دعاء استسقی به:

اشاره

اَللَّهُمَّ اسْقِنَا ذُلُلَ السَّحَابِ دُونَ صِعَابِهَا قال الرضی:و هذا من الکلام العجیب الفصاحه،و ذلک أنه علیه السّلام شبه السحاب ذوات الرعود و البوارق و الریاح و الصواعق بالابل الصعاب التی تقمص برحالها و تقص برکبانها،و شبه السحاب خالیه من تلک الروائع بالابل الذلل التی تحتلب طیعه و تقتعد مسمحه.

المعنی

استعاره و أقول:إنّ لفظی الذلل و الصعاب مستعاران للسحاب لمکان المشابهه الّتی ذکرها السیّد .و قصت به راحلته:رمت به و توقّص برکبانها:أی تنزو بهم نزوا یقارب الخطو.و الروایع:الامور المخوفه.

۴۴۵–و قیل له علیه السّلام لو غیرت شیبک یا أمیر المؤمنین،

اشاره

فقال علیه السّلام:اَلْخِضَابُ زِینَهٌ وَ نَحْنُ قَوْمٌ فِی مُصِیبَهٍ (یرید وفاه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم).

المعنی

و هو ظاهر.

۴۴۶–و قال علیه السّلام:

اشاره

مَنْهُومَانِ لاَ یَشْبَعَانِ طَالِبُ عِلْمٍ وَ طَالِبُ دُنْیَا

اللغه

النهم بالفتح : إفراط الشهوه فی الطعام ،

المعنی

استعاره و لفظه مستعار لشدّه طلب المتعلّم و حرصه علی العلم و طلب صاحب الدنیا،و کذلک وصف عدم الشبع بهما .و الکلمه مرویّه عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:منهومان لا یشبعان منهوم بالمال و منهوم بالعلم.

۴۴۷–و قال علیه السّلام:

اشاره

اَلْقَنَاعَهُ مَالٌ لاَ یَنْفَدُ قال الرضی:و قد روی بعضهم هذا الکلام لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله

المعنی

استعاره و استعار لفظ المال للقناعه بوصف عدم النفاد باعتبار أنّ بها الغنی الدائم کالمال الباقی أبدا .

۴۴۸–و قال علیه السّلام لزیاد بن أبیه

اشاره

و قد استخلفه لعبد اللّه بن العباس على فارس و أعمالها،فى كلام-طويل كان بينهما نهاه فيه عن تقدم الخراج-: اِسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ وَ احْذَرِ الْعَسْفَ وَ الْحَيْفَ- فَإِنَّ الْعَسْفَ يَعُودُ بِالْجَلاَءِ وَ الْحَيْفَ يَدْعُو إِلَى السَّيْفِ

المعنى

أمره باستعمال العدل و حذّره من حيف الناس و عسفهم و هو حملهم على مكاره.

ص:۴۶۶

و نفّر عن ذلک بضمير صغراه قوله:فإنّ العسف.إلى آخره:أى يعود بجلاء المعسوف بهم عن أوطانهم،و ظاهر أنّ الظلم معدّ لذلک،أو لقيام السيف على الظالم من غيره.و تقدير الكبرى:و كلّما كان كذلک فيجب اجتنابه.

۴۴۹-و قال عليه السّلام:

اشاره

أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا اسْتَخَفَّ بِهَا صَاحِبُهُ

المعنى

و ذلک أنّه يدوم عليه لاستسهاله إيّاه حتّى يصير ملكه و خلقا لا ينفکّ عنه بخلاف ما يستصعبه فإنّه يوشک أن يقلع عنه قبل استحكامه.و قد مرّ تفسيره.

۴۵۰-و قال عليه السّلام:

اشاره

مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْجَهْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا- حَتَّى أَخَذَ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يُعَلِّمُوا

المعنى

لمّا كان التعلّم على الجاهل فريضه و لا يمكن إلاّ بمعلّم عالم كان وجوب التعلّم على الجاهل مستلزما لوجوب التعليم على العالم،و فى الخبر المرفوع:من تعلّم علما فكتمه ألجمه اللّه يوم القيامه بلجام من نار.و روى معاذ بن جبل عن الرسول صلّى اللّه عليه و آله أنّه قال:تعلّموا العلم فإنّ تعلّمه للّه حسنه،و دراسته تسبيح،و البحث عنه جهاد،و طلبه عباده،و تعليمه صدقه،و بذله لأهله قربه،لأنّه معالم الحلال و الحرام،و بيان سبيل الجنّه،و المونس فى الوحشه،و المحدّث فى الخلوه،و الجليس فى الوحده،و الصاحب فى الغربه،و الدليل على السرّاء،و المعين على الضرّاء، و الزين عند الأخلاّء.و السلاح على الأعداء.

۴۵۱-و قال عليه السّلام:

اشاره

شَرُّ الْإِخْوَانِ مَنْ تُكُلِّفَ لَهُ

المعنى

أى من احوج إلى الكلفه له.و ذلک أنّ الاخوّه الصادقه تستلزم الانبساط بين الإخوان و ترک التكلّف من بعضهم لبعض.فكان

عدم هذا اللازم و وجود التكلّف مستلزما لعدم ملزومه و هو صدق الإخاء و من لا يكون أخ صدق فهو شرّ الإخوان.

و الکلمه فی قوّه صغری نبّه به علی اجتناب أخ کذلک،و تقدیرها:من احوج إلی

ص:۴۶۷

التكلّف له فهو شرّ الإخوان،و تقدير الكبرى:و من كان شرّا لزم مجانبته.

۴۵۲-و قال عليه السّلام:

اشاره

إِذَا احْتَشَمَ الْمُؤْمِنُ أَخَاهُ فَقَدْ فَارَقَهُ

اللغه

حشمه،أحشمه : بمعنى أغضبه،و قيل:أخجله .

المعنى

و الكلام صغرى ضمير نفّر به عن احتشام الأخ لأخيه،و ذلك أنّ احتشامه له على كلى المعنيين يوجب نفرته و عدم انسه به و هو من دواعى مفارقته و موجباتها.

و تقدير ما هو فى قوّه الكبرى:و مفارقه الأخ لا يجوز فاحتشامه لا يجوز.و باللّه التوفيق و العصمه.

هذا آخر ما وجدنا من اختيار السيّد الرضى-رضى اللّه عنه-من كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام و إذ و فقّنى اللّه تعالى لإتمام شرحه فله الحمد سبحانه على ما أعدّ لى له من مننه الجزيله و أفاضه علىّ من نعمه الجليله،و منه أطلب و إليه أرغب أن يجعل ما كتبته حجّه لى لا علىّ إنّه المنّان ذو الفضل و الإحسان.و كتب عبد اللّه الملتجى إلى رحمته،المستعيذ من ذنوبه بعفوه و كرمه ميثم بن علىّ بن ميثم البحرانىّ فى منتصف ليله السبت سادس شهر اللّه المبارك رمضان-عمّت بركته-من سنه سبع و سبعين و ستمائه.و الحمد للّه كما هو أهله و صلّى اللّه على سيّدنا محمّد النبىّ الامّى و على آله الطاهرين الأكرمين و سلّم تسليما.

ص:۴۶۸

فهرس ما فى هذا الجزء من الكتب و الوصايا و المختار من حكمه عليه السّلام

العنوان الصفحه

الفصل الأوّل من وصيّه له لابنه الحسن عليهما السّلام ۲

الفصل الثانى منها ۵

الفصل الثالث منها ۷

الفصل الرابع منها ۱۲

بيان بعض العلل الحامله له على هذه الوصيّه ۱۵

إشاره إلى كمال عنايته عليه و وجوه اختياراته له ما هو أولى به من العلوم ۱۷

شرح ما أشار إليه من فضيله الرسول صلّى اللّه عليه و آله على سائر الأنبياء ۲۱

الفصل الخامس منها ۲۲

الفصل السادس منها ۲۵

الفصل السابع منها ۲۹

الفصل الثامن منها ۳۷

الفصل التاسع ۴۱

الفصل العاشر ۵۷

شرح ما نبّه عليه من مكارم الأخلاق الّتى بها ينتظم أمر المعاش و المعاد ۴۴

كتاب له عليه السّلام إلى معاويه فى الموعظه و تذكيره بحال الدنيا ۶۸

كتاب له عليه السّلام إلى قثم بن العباس و هو عامله على مكّه ۷۱

كتاب له عليه السّلام إلى محمّد بن أبى بكر لمّا بلغه موجدته من عزله بالأشتر ۷۴

كتاب له عليه السّلام إلى عبد اللّه بن العبّاس بعد مقتل محمّد بن أبى بكر ۷۶

كتاب له عليه السّلام إلى عقيل بن أبى طالب فى ذكر جيش أنفذه إلى بعض الأعداء ۷۷

كتاب له عليه السّلام إلى معاويه تبكيتا له ۸۰

كتاب له عليه السّلام إلى أهل مصر لمّا ولّى عليهم الأشتر-رحمه اللّه-۸۲

ص:۴۶۹

كتاب له عليه السّلام إلى عمرو بن العاص ۸۵

كتاب له عليه السّلام إلى بعض عمّاله ۸۷

كتاب له عليه السّلام إلى عمر بن أبى سلمه المخزومىّ ۹۳

كتاب له عليه السّلام إلى مصقله بن هبيره الشيبانىّ ۹۴

كتاب له عليه السّلام إلى زياد بن أبيه حين بلغه أنّ معاويه يريد خديعته باستلحاقه ۹۵

كتاب له عليه السّلام إلى عثمان بن حنيف الأنصارى و فيه الإشاره إلى أمر فدك،و ما جرى على فاطمه عليها السّلام ۹۸

كتاب له عليه السّلام إلى بعض عمّاله ۱۱۸

وصيّه له عليه السّلام للحسن و الحسين عليهما السّلام لمّا ضربه ابن ملجم-لعنه اللّه-۱۱۹

كتاب له عليه السّلام نبّه فيه على معايب الدنيا ۱۲۶

كتاب له عليه السّلام إلى امرائه على الجيوش ۱۲۷

كتاب له عليه السّلام إلى عمّاله على الخراج ۱۳۰

كتاب له عليه السّلام إلى امراء البلاد فى معنى الصلاه ۱۳۲

عهد له عليه السّلام كتبه للأشتر النخعى-رحمه اللّه-لمّا ولاّه مصر ۱۳۴

كتاب له عليه السّلام إلى طلحه و الزبير ۱۸۷

كتاب له عليه السّلام إلى معاويه أمره بتقوى اللّه ۱۹۰

كلامه عليه السّلام وصّى بها شريح بن هانى لمّا جعله على مقدّمته إلى الشام ۱۹۲

كتاب له عليه السّلام إلى أهل الكوفه ۱۹۳

كتاب له عليه السّلام كتبه إلى أهل الأمصار يقصّ فيه ما جرى بينه و بين أهل صفّين ۱۹۴

كتاب له عليه السّلام إلى الأسود بن قطيبه صاحب جند حلوان ۱۹۶

كتاب له عليه السّلام إلى العمّال الّذين يطأ الجيش عملهم ۱۹۸

كتاب له عليه السّلام إلى كميل بن زياد النخعى ۱۹۹

كتاب له عليه السّلام إلى أهل مصر مع مالك الأشتر لمّا ولّاه إمارتها ۲۰۰

كتاب له عليه السّلام إلى أبى موسى الأشعرى و هو عامله على الكوفه ۲۰۴

كتاب له عليه السّلام إلى معاويه جوابا ۲۰۷

كتاب له عليه السّلام إلى معاويه يأمره بالتقوى و يرشده إلى الإمساك عن دعوى ما ليس له ۲۱۲

كتاب له عليه السّلام إلى عبد اللّه بن العبّاس ۲۱۵

كتاب له عليه السّلام إلى قثم بن العباس ۲۱۶

كتاب له عليه السّلام إلى سلمان الفارسى-رحمه اللّه-قبل أيّام خلافته ۲۱۸

كتاب له عليه السّلام إلى الحارث الهمدانى ۲۱۹

كتاب له عليه السّلام إلى سهيل بن حنيف الأنصارى ۲۲۵

كتاب له عليه السّلام إلى المنذر بن الجارود العبدى ۲۲۷

كتاب له عليه السّلام إلى عبد اللّه بن العبّاس ۲۲۸

كتاب له عليه السّلام إلى معاويه يوبّخه على ترك الطاعه ۲۲۹

حلفه عليه السّلام كتبه بين ربيعه و اليمن ۲۳۱

كتاب له عليه السّلام إلى معاويه فى أوّل ما بويع له ۲۳۲

كتاب له عليه السّلام لعبد اللّه بن العبّاس عند استخلافه إيّاه على البصره ۲۳۳

وصيّه له عليه السّلام لعبد اللّه بن العبّاس لمّا بعثه ۲۳۴

كتاب له عليه السّلام إلى أبى موسى الأشعرى جوابا فى أمر الحكمين ۲۳۵

كتاب له عليه السّلام لمّا استخلف إلى امراء الأجناد ۲۳۷

باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السّلام ۲۳۷

فهرس ما فى الجزء الخامس ۴۶۹

تعریف مرکز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامى عام ١۴٢۶ الهجرى فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فى الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فى العلوم الإسلامية وتبعثرها فى أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فى العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهى منظمة فى برامج إلكترونية وجاهزة فى مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبىّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فى المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فى الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فى الحوزت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فى ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمى البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن یتحمل المؤلف مسؤولیة العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الکتب والملزمات والدوریات

إقامة المسابقات فی مطالعة الکتب

إقامة المعارض الالکترونیة: المعارض الثلاثیة الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمکنة الدینیة والسیاحیة

إنتاج الأفلام الکرتونیة والألعاب الکمبیوتریة

افتتاح موقع القائمیة الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافیة وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدینیة والأخلاقیة والاعتقادیة والردّ علیها

تصمیم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ویب کیوسک kiosk، الرسالة القصیرة ((sms

إقامة الدورات التعلیمیة الالکترونیة لعموم الناس

إقامة الدورات الالکترونیة لتدریب المعلمین

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبیقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ویمکن تحمیلها علی ۸ أنظمة؛

JAVA.۱

ANDROID.۲

EPUB.۳

CHM.۴

PDF.۵

HTML.۶

CHM.۷

GHB.۸

إعداد ۴ الأسواق الإلکترونیة للکتاب علی موقع القائمیة ویمکن تحمیلها علی الأنظمة التالیة

ANDROID.۱

IOS.۲

WINDOWS PHONE.۳

WINDOWS.۴

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربیة والانجلیزیة والفارسیة

الکلمة الأخیرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مركز
القائمية
اصبهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
وللايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹